

نرمين نحمد الله

Fatma hommos

Delicate Butterfly

تصميم غلاف:

Fatma Hommes

Delicate Butter Fly

تصميم داخلي وتعبئة:

روان النمكي

شكر خاص لصديقتي وتوأم روحي نرمين شمس الدين ...

لولاكِ أنتِ لما كنت أنا!

هي فلسفتها الخاصة أن البشر جميعاً يشبهون حلوى "سينابون"!

دوائر متداخلة تبدأ من مركز عميق وتظل تدور حلزونياً مع مدارات القدر ...

قد تخدع غيرك بمظهر "دائرتك الخارجية" لكنه كلما اقترب سيرى منك أكثر مما تخفيه ...

يمكن أن تكون محظوظاً حقاً بمن يعبر كل هذه الدوائر ليصل للمركز فيرى عمق حقيقتك دون "رتوش" إضافية ...وقد تبقى طوال عمرك أسير ما يرونه من زيف دوائرك!

"سينابون"...

هكذا نحن...مزيج من مذاق "القرفة" اللاذع و"الصوص" الحُلو والعجين "المتخمر" بماء "الماضي"!

أتيتك ب"بهجة" ألوان طلاء أظافري...

وأتيتني ب"حدة" شفرة حلاقتك!

أتيتك ب"حنوّ" فرشاتي على خصلات شعري...

وأتيتني ب"قوة" إحكام رابطة عنقك !

أتيتك بكامل زينتي "عروس حبٍ" راغبة...

وأتيتني أشعث أغبر بعد سفر "غدر" طويل...

أتيتك ب"كلّي"...وأتيتني ب"ما تبقى منك"...

فهل أيقنت الآن أنه "لا عدل في ميزان الهوى"؟!

"ياسمين"

****

ساحرة الألوان...أنتِ!

فلا تأملي أن آمن لخداعِ أصباغك بعدما استعمرني

"الأسوَد".

امرأة الفوضى ...أنتِ!

فلا تتعجبي ذعر رجلٍ بنى وسط الريح

قصراً ...حجراً حجراً ...ورأى فيكِ نبوءة سقوطه.

عروس البحر ...أنتِ!

لن تظهري ل"إنسيّ" دوني وإلا فليبتلعك البحر

بعدي!

لا تغضبي إن أضعت وسط الموج يدك....

فشمس الحب لا تبهر العميان !

"يامن"

****

ليس الحب أن ترجح كفتي في الميزان...





الحب أن أكون أنا الميزان!

ليس الحب أن يوافق شخصي مزاجك...

الحب أن أكون أنا "مزاجك"!

ليس الحب أن "تلمس" كفي، "تشم"
عطري،"تسمع"صوتي،"تتذوق"
أنوثتي،"ترى"فتنتي...

بل الحب أن تفقد حواسك كلها عندما تكون معي فلا
تدرك إلا أنك انصهرت بي فلم يعد هناك
"أنا"و"أنت" بل أنت أنا وأنا أنت....

لهذا أزعم أنني أحبك بكل ما أوتيت من قوة ...

فهل أحببتني أنت ؟!

"هانيا"

****

أعجبتني اللعبة !

تبتعدين ...فأبتعد!

تراوغين...فأناور !

تقذفين حجراً...فألقي سهماً!

ما حسبت -يا عنيدة العينين- أن يرتد السهم في صدري أنا!

أنا الذي ظننت الحب لعبتي ولطالما نثرت على طاولته انتصاراتي...

أجدني أخرج من ملعبه مطروداً ببطاقة حمراء...

والأقسى أنك...تخرجين خلفي بنفس البطاقة!

"رامز"

****

لو تخطئين بعدد ذرات الرمال لصفحت بعدد قطرات المطر...

لو تبعدين بقدر الشمس لاقتربت كما أنفاسك...

لو تركضين وتركضين بعيداً ما تركتُ صدر غيري يتلقفك !

قدرك المحتوم أنا...فهل فاز يوماً من عاند الأقدار ؟!

"مروان"

****

لا تلُمْ فراشاتي لو حلقت نحو النار بجناحين من شمع...

فقط...كن معي عند سقوطي!

لا تهزأ بحلم عشته مفتوحة العينين...

فقط..أغمض لي عينيّ وامنحني بين ذراعيك حلماً

أجمل!

هذي يدي لا تدعها من يدك...

فما بقي من العمر أقصر من أن نهلكه انتظاراً !

"داليا"

****

جميلٌ جداً ثوب "الضحية"!

خفيفة هي خطايانا عندما نلقيها على غيرنا...

مريحٌ هو ثوب الشفقة عندما يستر عورة فشلنا...

زهيدٌ هو الحب عندما نقايضه ب"راحة بال"!

هشة...رقيقة...واهنة...

هكذا شكلت أنت صنمي في محرابك ...

فكيف لي أن أكسره؟!





"رانيا"

****

"هُرَيرتي " الناعمة ...

من أغرقتها تدليلاً حتى نسَت أن لها هذه "المخالب"!

أغمضي عينيكِ ...تهجيِّ اسمي وتذكري ...من أكون ...

حرف بعد حرف بعد حرف...

عام بعد عام بعد عام...

أجل يا "مخملية" الفراء ...يا "ناعمة" الأظافر...

أنا "العمر" الماضي والآتي...

اغضبي...اصرخي...ثوري...

لكن تذكري...

"





عندما تعصف الريح في وادينا...

فليس ل"برد" قلبك إلا "دفء" أحضاني.

"أشرف"

****

نجمة في سماء...أم رقعة في ثوب!

من كان يخبرني أنهما هكذا متشابهتان...هكذا متناقضتان ؟!!

أن يداً امتدت تسحب المجد من خلف ستار ...

لم تكن سوى تنحشر في جحر الأفاعي؟!

من كان يخبرني قبل أن يعيرني المشيب ب"الصدأ"...

أن تاج "العمر" لم يكن حقاً من ذهب!

"بيللا"





****

"صائد كنوز"!

وماذا يضيرني لو كنت حقاً كذلك؟!

أحمقٌ من يغض الطرف عن بريق اللؤلؤ في عينيكِ

بعدما أهلكه شغفاً ...

وما كان الحمق يوماً من صفاتي.

فرصة واحدة لكِ كي تبتعدي...

وبعدها كل الفرص لي ...بالاقتراب!

"زين"

C i n n a b o n

القطعة الأولى

==============

تعبت في بعدي عنك

كان ناقصني حاجات كتير

وحاسس برضة بيكي

وعارف انك مش بخير

علشان فاهمك وعارفك

تملّي حبيبتي شايفك

بتحني لكل ذكرى حلوة جنبك عشتها

منا زيك برضة واكتر

اوقات بسرح وافكر

انا وانتي بعدنا ليه

ملقتش اجابة جتلك





منا يمكن لو حكتلك

تقوليلي كسبنا ايه؟!

انسابت النغمات حوله في المطعم مع الكلمات الموجعة لتزيد من نزيف روحه...

ضعفاء نحن عندما "نعشق" وأكثر ضعفاً عندما "نفقد" ،

فكيف وهو يعلم أنها تشاركه عذابه كما شاركته عناده؟!!

لماذا جاء إلى هنا الليلة ؟!

هو لا يدري بالضبط...

لقد وجد قدميه تسوقانه رغماً عن أنف كبريائه !

طبل "الاشتياق" الذي يقرع بين ضلوعه كاد يصم أذن "غروره" فلم يستطع تجاهله أكثر!





C i n n a b o n

رائحة العجين المتخمر في المكان حوله تمتزج برائحة عطرها في ذاكرته فيغمض عينيه وهو يتخيل رقتها بين ذراعيه ...

"امرأة الفوضى" التي ألقت سحرها على قلب رجل مثله لم يكره شيئاً في حياته كالفوضى...

ولم يعشق امرأة في حياته كما عشقها!

هي ربيعه الذي أساء استقباله فغاب لتتلقفه عواصف الشتاء...

"قطعة الاسفنج" الخمرية التي تشربت كل عيوبه قطرة قطرة حتى تحولت للسواد فلم تنفع نفسها ...ولم تعد تنفعه!

صورة كانت يوماً "مؤطرة"في متحف الهوى يتيه بها رسامها فخراً...

واليوم كسر إطارها لتتلقى ممزقة تحت قدميه!





لقد سمعهم يقولون يوماً "اعشق من شئت فإنك مفارقه"...

واليوم يود لو يكملها لهم...

"واجرح من شئت..فإنك مشاطره العذاب"!!

دمعت عيناه رغماً عنه للخاطر الأخير فأطرق برأسه وهو يتوجه نحو طاولة العامل المختص بتلقي الطلبات،والذي تعرف إليه فغمغم بارتباك:

_دكتور يامن...أهلاً بحضرتك...

ليزداد ارتباكه وهو يتلفت حوله مردفاً:

_حضرتك عايز ...

_سينابون!

قالها مشفقاً على العامل من ارتباكه ...





وقاطعاً على نفسه هو طريق التفكير في- أي شيء آخر- يريده من هنا...

سيأكل حلواه من يدها ،ويرحل دون أن تراه!

هكذا يحل الصراع بين "قلبه" الذي اشتاق شيئاً من رائحتها و"كرامته" التي تأبى عليه الاعتراف بهذا!

_شيكولاتة واللا كراميل؟!

قاطع بها النادل أفكاره بنفس النبرة المرتبكة فابتسم وهو يقول بشرود:

_بلاش شيكولاتة!

_حد في الدنيا دي مابيحبش الشيكولاتة؟! هتفضل غريب حتى في ذوقك في الأكل!!

والعبارة طفت لذهنه بصوتها العذب المشاكس لتتسع ابتسامته أكثر وأكثر مع عقد الذكريات الذي





انفرط، فرمقه النادل بنظرة حائرة حملت الكثير من الفضول قبل أن يقول بلهجة مهذبة:

_يعني الأوردر سينابون كراميل؟! حاجة تانية؟!

هز رأسه نفياً وهو يختلس النظر نحو الباب المقابل والذي تختفي هي خلفه دوماً كي تمارس عملها الذي تعشقه ...

خطوات بسيطة تفصله عن رؤيتها لكنه عاجز عن قطعها...

العامل قد يخبرها أنه كان هنا لكن لا بأس،ستظنها مجرد رغبة منه في تحديها ....

ألم يكن هو من علمها يوماً أن الهجوم خير وسيلة للدفاع؟!

ألم يقف معها على"برزخ" العناد بين بحرين لا يلتقيان؟!





Cinnabon

تنهيدة حارقة تزامنت مع خاطره الأخير لكنه أتبعها برفعة رأس يجيدها مثله وخطوات متزنة نحو منضدة قريبة جلس عليها في انتظار ما ستجود به يداها!

_تعرف إنك شبه "السينابون"؟!

_لذيذ وبتحبيه؟!

بغمزة ماكرة يهمس بها وهو يلكزها في كتفها فتضحك بنعومة لتجيبه بينما ذراعاها يتعلقان بعنقه:

_دواير كتير لفة حوالين بعضها ...فيه ناس تشوف الدايرة اللي بره بس..الدكتور الناجح اللي واخدها جد...وناس تقرب أكتر تشوف الدايرة اللي بعدها...الرايق أبو دم خفيف...وناس تقرب أكتر





وأكتر تشوف حنيتك اللي بتشفع لغلطاتك المهولة...

_مممم...وانتِ بتشوفي إيه؟!

يسألها بينما كفاه يحتضنان خصرها تماماً كنظراته الشغوف لتقترب بوجهها منه حتى تمتزج أنفاسهما فتهمس بمزيج من حب ورجاء:

_أنا بقى نفسي أوصل لمركز الدواير دي كلها...أقف في المكان اللي أنا واثقة إن محدش سبقني ليه ...أقراك بوضوح وافهم كل تفاصيلك .

_أنا نفسي مش فاهم كل تفاصيلي!

ببعض المرارة يقولها وهو يغمض عينيه وكأنه يهرب من اقتحامها لحصونه لكنها تداعب وجنته بأناملها التي انتقلت برقة نحو جفنيه لتجبره على النظر إليها مع همسها:





_يبقى نحاول سوا...نوصل سوا...ونفهم سوا!

شعر بغصة في حلقه عندما وصلت ذكرياته لهذا الحد فرمق خاتمها ذا الفص الأسود في بنصره بنظرة دافئة ليقاطعه وصول النادل بصينيته التي وضعها أمامه...

ابتسم والحنين يلون ملامحه بينما تطارد عيناه خيوط "الكراميل" التي غطت الدوائر الحلزونية فوق قطعة الحلوى ...

قبل أن يجذبها نحوه وكل ما في باله أنها فقط من صنع يديها...

لكنه ما كاد يتناول منها قطعة صغيرة حتى شعر بأن هناك شيئاً ما فيها مختلف!

تراه نسي مذاق الحلوى التي حرمها على نفسه منذ فراقهما؟!





أم أن مرارة "حزنها" هي التي أثرت على مهارتها المعروفة ؟!

حزنها؟!

تراها حقاً حزينة مثله؟!

أم أنها كرهته حقاً كما أخبرته في آخر كلماتها إليه ؟!

_مفيش فايدة فيك...هتفضل طول عمرك أناني مابتشوفش غير نفسك وشكوكك وبس...واللي زيك عمره ما يحب ولا يستاهل يتحب...أنا بكرهك وبكره نفسي عشان حبيتك .

غص حلقه بما يأكله فتناول القليل من الماء والذكرى الأخيرة تخنق قلبه بقسوتها ...





أخذ نفساً عميقاً يتمالك به نفسه عندما رن هاتفه فارتدى قناع مرحه ليجيب الاتصال:

_أيوة يا نبيلة...أنا كويس...والله العظيم كويس...لا هاشنق نفسي ولا هاتقلب بالعربية...خارج مع ناس أصحابي بنروّش والليلة شكلها هتصهلل للفجر...

سمع أصواتاً متداخلة من الجانب الآخر للاتصال فأردف بحنان شابه بعض الضيق:

_اطمني وطمني شلة "العازبات الفاتنات" اللي جنبك دول...مزاجي زي الفل ...مش (يامن حمدي) اللي تكسره واحدة ست!

أنهى الاتصال بزفرة حادة ثم أزاح الطبق بعيداً وكأنه يؤكد على آخر عبارة قالها...

لكن مذاق "الكراميل" في فمه أعاده لذكرى أخرى منها:





_بحبك لما بتكابر وتخبي زعلك ورا ضحكة كدابة...بحسدك ساعتها على قوتك...بس بحبك أكتر لما بتضحك بجد...أيوة...الضحكة دي اللي بتخللي عنيك تلمع ...يتهيألي محدش هيقدر يفرق بين الضحكتين دول زيي ...ولا يفهمك زي ما أنا فاهماك .

هنا لم يستطع كبح جماح نفسه فالتفت نحو الباب المغلق الذي يفصله عنها بنظرة طويلة حملت نزيف وجعه ...

ليس من العدل أن يكون منها بكل هذا القرب ...

وبكل هذا البعد!

ليس من العدل أن تتحداه جوارحه ب"صيام" عن كل هذا الكون عداها ،فلا يراضيها ب"فطر" نظرة واحدة منها !




فيما بعد سيسمح لكبريائه أن يلومه ...

لكن ...فليرَها الآن ...وكفى!!

غريب؟!

لا ليس غريباً!

إذا كنت تعتقد أنك تفهم نفسك حقاً فانتظر حتى

تحب !

ساعتها قل "مرحباً" لذاك "الآخر" الذي ستجده

فجأة بداخلك والذي لن تعرف عنه شيئاً سوى

جنونه!

أشار بيده للعامل الذي اقترب منه بسرعة ليقول له

بنبرة متعالية طفت باقتدار على سطح جرحه:

_عايز أقابل "الشيف".

تعمد عدم ذكر اسمها المجرد -كما يُفترض-...





Cinnabon

تماماً كما تعمد صبغ نبرته بهذا التسلط الذي جعل الرجل يومئ برأسه في طاعة قبل أن يغادر ليختفي خلف الباب...

شبك أصابعه بقوة وهو يسند ذقنه عليها محاولاً التظاهر باللامبالاة...

لقد تعود منذ زمن بعيد ألا يستسلم لطغيان مشاعره ،لو كانت هناك مهارة اكتسبها أكثر من حنكته في عمله فهي قدرته على تغليب عقله على قلبه وقت الجد!

لن يستسلم لهذا الوهن...

إن كان عاجزاً عن منع قلبه من حبها فليقطع عليه طريق العودة...

فليجتث آخر جذور هذا الحب ...





سيثبت لها -ولنفسه قبلها- أنهما قد عادا لنقطة البداية ...

مجرد غريبين !

بهذه الأفكار كان يخدع نفسه ليصرفها عن الشيء الوحيد الذي يشتهيه الآن...عناق عينيها!!

شعر بظلها يقترب مع الرجل فأبقى رأسه على إطراقته ليحتفظ بمظهره البارد ،حتى توقفا جواره فرفع عينيه إليها ببطء ...

_انتِ مين؟! أنا عايز "الشيف"!

هتف بها بانفعال وهو ينظر إلى المرأة الغريبة أمامه فتنحنح العامل ليقول بحرج:

_اهدا يا دكتور...مدام ياسمين سافرت من فترة ...وسابت المطعم لل"الشيف" الجديدة.

_سافرت؟! سافرت فين؟!





هتف بها بغضب لم يستطع التحكم به وهو يقف مكانه ،فأجابه الرجل بسرعة:

_سافرت "ماليزيا"...لوالدها!

============

_مالك يا نبيلة؟! واقفة كده ليه؟!

هتفت بها هانيا بدهشة وهي تجد خالتها واقفة في الشرفة فالتفتت نحوها الأخيرة لتقول بقلق:

_يامن جه بعربيته بس ما طلعش...فضل قاعد جوه العربية وبعدين خرج بيها تاني...وبكلمه ما بيردش...قلقانة عليه قوي.

قطبت هانيا حاجبيها لتقول بدهشة:

_غريبة؟! مش كان بيقول هيسهر مع أصحابه؟!

_يامن مش هينساها...هيفضل يكابر قدامنا بس هو من جواه بيتعذب!





غمغمت بها نبيلة بقلق وحدسها يخبرها أن تشتت ابنها الغريب على طبيعته الحاسمة ليس له إلا سبب واحد ...

بينما هتفت هانيا بحمية طبيعية لقريبها:

_يعني هي اللي خلقها ما خلقش غيرها؟! وبعدين لما هو بيحبها قوي كده طلقها ليه؟!

تنهدت نبيلة بحرارة ثم عاودت التطلع للشارع الخالي مع قولها:

_ما انت عارفة ابن خالتك...صندوق مقفول ..هي بس اللي عرفت تفتحه!

رمقتها هانيا بنظرة ضائقة طويلة وهي تكره الاعتراف بما تقوله ...

يامن هو عمود حياة كل منهن ...

ويشق عليها أن تراه بهذا الحزن والضعف!





صحيحٌ أنها تعذره فيه وهي تجد في صدرها مثله ممن كان لها يوماً حبيباً وزوجاً...

لكن يامن أقوى من أن يهزمه الحب!

لهذا عادت تقول بانفعال:

_ما تكبريش الموضوع بقى يا بيللا...يومين وينسى...

ثم تنهدت بحرارة لتردف :

_تعالي شوفي المجنونة داليا اللي كنت فاكراها هتموت على الجواز... جايبالها عريس لقطة ...تصوري تقوللي لا...واللا رانيا اللي أشرف هيبوس إيدها بس عشان ترد عليه ع التليفون وهي مش راضية.





فالتفتت نحوها نبيلة بنظرة حملت كل خيبتها في بنات شقيقتها اللاتي فسدت حياتهن كلهن فجأة ...لتقول باستنكار عاتب:

_شوفوا مين اللي بتتكلم!!

تجمدت ملامح هانيا فجأة عندما فهمت ما ترمي إليه نبيلة لتشيح بوجهها قائلة :

_أنا وضعي مختلف...قصتي مع رامز خلصت خلاص...

ثم أعطتها ظهرها لتردف بنبرة مختنقة:

_تصبحي على خير!

لكن نبيلة شعرت ببعض الندم من تطرقها لهذا الأمر ،فجذبتها من ذراعها لتقول بحنان:

_ما تزعليش مني...أنا بس مش عارفة إيه اللي جرى لكم كلكم ...كده فجأة حياتكم كلها اتلخبطت ...





_مش يمكن اتعدلت !

تمتمت بها هانيا بمكابرة وهي تهم بالدخول من جديد لكن خالتها عاودت التشبث بها لتسألها :

_هتنامي قبل ما تطمني على "مانّو"؟!

ابتلعت هانيا غصة حزنها التي اعتادتها وهي تتفهم طبيعة خالتها التي تعجز أحياناً عن المراعاة ...

فابتسمت ابتسامة واهنة وهي تقول محذرة:

_لو يامن عرف إنك لسه بتقولي "مانّو" دي هيقلب الدنيا!

_هو هيكبر عليا واللا إيه؟!

هتفت بها نبيلة بنبرتها المتعالية قبل أن يغلبها قلقها من جديد فتردف:

_بس يرجع بالسلامة بس!





_ما تقلقيش يا بيللا..فكري في حفلة رأس السنة ...وشوفي بس هتختاري أي "دريس"...انت عارفة مين هيحضر...مصر كلها هتتابع الحفلة وصورك هتبقى في كل مكان.

قالتها هانيا بمكر ساخر فضح الكثير من مرارتها وهي تدرك تأثير كلماتها عليها فشهقت نبيلة لتهتف بانفعال وكأنها نسيت قلقها كله بلحظة:

_فكرتيني...أما أروح أقيس الأسود بعد ما خسيت الاتنين كيلو بتوع الأسبوع ده!

قالتها وهي تهرول نحو الداخل فعقدت هانيا ساعديها أمام صدرها وهي تتأمل خالتها التي تخطت الستين لكن مظهرها لا يوحي بأكثر من أربعين عاماً!





قامتها الممشوقة التي تحافظ على اعتدالها بنظام حمية خاص...

بشرتها المشدودة بفعل عمليات التجميل التي تجريها بصورة شبه دورية...

ملامحها المميزة بجمال طبيعي أخاذ كان تذكرتها الذهبية نحو عالم السينما منذ سنوات طويلة قبل أن تعتزله في تضحية نادرة منها لأجل إرضاء يامن ،لكنها لا تزال تهتم بحضور كل المناسبات الفنية في محاولة منها لإثبات وجودها على الساحة .

أحياناً تشعر أن خالتها ندمت على قرارها بالاعتزال لهذا تعوض فراغها باهتمامها المبالغ فيه بابنها "يامن" الذي يحتويهن جميعاً بحنانه وحزمه وطبيعته المتشككة التي تفرض عليهن جميعاً أسواراً عالية لا يتجاوزنها رغبة في إرضائه.





أجل...الشقيقات الثلاث -أو "شلة العازبات الفاتنات" كما يسميهن يامن بعد ظروف حياتهن التي تعقدت مؤخراً -لم يتفقن في شيء كاتفاقهن على حبهن الجارف له ...

وكيف لا؟! وهو الذي لم شمل العائلة واعتني بهن بعد وفاة والديهنّ؟!

انقطعت أفكارها عندما سمعت صيحة غاضبة من الداخل بصوت خالتها مع هتافها الساخط:

_أوووووه....برضه ما بيدخلش يا هانيا...اتصرفي وشوفي نظام دايت تاني...أنا كبرت في دماغي أحضر بالفستان ده .

فابتسمت وهي تنظر في الساعة المقابلة وقد راودها قلق حقيقي من تأخر يامن- الذي نسيته أمه





كما العادة في فورة اهتمامها بالحفل المنتظر ـ

لتهمس لنفسها:

_مفيش فايدة...هتفضل "بيللا" النجمة أهم عندك

من "نبيلة" الأم!

=========

(أرجوكي يا رانيا ردي ...قولي بس انك كويسة

ومش بتعيطي)

كتمت شهقات بكائها بكفها وهي تقرأ رسالته التي

أرسلها لما يزيد من عشرين مرة ولايزال يفعل!!

أزاحت هاتفها جانباً وهي تكتف ساعديها لتتوجه

نحو نافذة غرفتها التي فتحتها لتستند على

حافتها ...





أخرجت ما استطاعت من جسدها عبر النافذة وهي تغمض عينيها لتأخذ نفساً عميقاً قبل أن ترفع نظراتها نحو السماء هامسة وكأنه سيسمعها:

_ليه كل حاجة حلوة عمرها قصير؟! بعد العمر اللي عشته أستناك وتستناني ...يوم ما نبقى مع بعض تعمل فينا كده؟!

عادت دموعها تغلبها في عبارتها الأخيرة وقلبها يعزف لحن عذابه الخاص...

لماذا لم يخبروها أن الأحلام فقاقيع وردية كبيرة عندما تلمسها أصابعنا ...تنفجر ...

فلا يبقى مكانها سوى رذاذ الوهم الذي يتناثر على وجوهنا؟!

هو كان حبيبها الذي تفتحت على صورته عيناها منذ طفولتها ...





كثيراتٌ عشقن "ابن الجيران" لكنها هي لم تعشقه...

هي التحمت به...انعجنت به...انصهرت به!

أحبته ذاك الحب الذي يبدأ باللعب وتقاسم الحلوى ...

مروراً بكتابة اسمه على ورق الشجر وخواطرها المراهقة في دفاترها ...

وانتهاء بتوقيعها على عقد زواج!

ذاك الحب الذي يمتزج بسنوات العمر فلا تكاد تذكر يوماً واحداً منه دون أن تذكره!

ذاك الحب الذي بناها...وهدمها!

هي لم تملك اجتهاد شقيقتها الكبرى هانيا التي صارت معيدة بجامعتها ...





ولا فتنة شقيقتها الصغرى داليا التي تلفت الأنظار أينما حلت ...

هي كانت متوسطة الذكاء معتدلة الجمال لكن حبه -هو- فقط كان كنزها!

نجمة السماء التي وقعت في حجرها من غير حول منها ولا قوة!

لهذا كانت خسارته مرادفة لفقد العمر كله!

_وحشتني قوي!

تمتمت بها ملطخة بدموعها وهي تعود ببصرها نحو هاتفها الذي لم يتوقف عن تلقي رسائله ...

فعضت على شفتها وهي تعود أدراجها نحو فراشها الذي استلقت عليه وهي تقرأ رسالته بعدها:

(هاعمل كل حاجة وأي حاجة عشان تسامحيني ...بس ردي)!

ارتجفت أناملها مع شفتيها تزامناً مع ومضات

الشاشة التي أعلنت اتصاله ...

كل ومضة كانت تحمل لها ذكرى من حياتهما

السابقة ...

كيف الخلاص لو تحول أجمل ما في حياتك لأقبح ما

فيها؟!

لو التفت الأفاعي حول صندوق كنزك فلم تعد تملك

إليه سبيلاً؟!

هل يجدي وقتها الحب ولو بطول العمر وعمق

الحياة ؟!

آهة خفيضة أودعتها كل حزنها كانت خاتمة لكل

هذا مع إغلاقها لهاتفها الذي ألقته بعنف جوارها

قبل أن تدفن رأسها في وسادتها هامسة:

_يامن معاه حق يا أشرف..ماعادش ينفع!





=========

_لسه مش عايز تقوللي إنك بتحبني؟!

همست بها بعتابها الحنون وهي تداعب شعيرات لحيته بأناملها بينما تستند بمرفقيها على صدره الذي استلقت عليه ،لتلتقي عيناهما في حديث طويل سبق قوله الشارد:

_أنا عمري ما قلت لحد إني بحبه..نبيلة دايماً تقول عليا إني ماليش عزيز..ورثت قسوة القلب من والدي.

_مش صحيح!

همست بها بثقة وهي تمر بسبابتها على وجهه لتردف:

_إحساسك بالمسئولية ناحية والدتك وبنات خالتك بيبهرني...بيحسسني بالأمان معاك...حرام نختزل





الحب في كلمتين ...بس ده مايمنعش إني محتاجة أسمعها منك ..

_ما اوعدكيش!

ورغم فظاظة عبارته التي لم يقصدها لكنها نظرت في عمق عينيه لتهمس بيقين:

_لكن أنا أوعدك...أوعدك أخليك تحبني زي ما بحبك وأكتر!

انقطعت ذكرياته عندما توقفت السيارة في الطريق مع إشارة المرور فزفر بسخط وهو يشيح بوجهه ...

منذ سمع عن سفرها وكأنما تلقى ضربة على رأسه!

لقد ذهب إلى بيت والدته لعله ينسى -أو يتناسى- في مشاكل قريباته همه الخاص ...





لكنه لم يستطع أن يحتفظ بقناع بروده أكثر!

لهذا غادر بسرعة ليتنفس سم يأسه

وحده ...ويزفره وحده ...

كما اعتاد طوال عمره!

لماذا صدمه سفرها إلى هذه الدرجة؟!

ربما لأنه تصور أنها لن تستغني عن عملها الذي

تحبه هنا...

وربما لأنه يعلم أن سفرها لأبيها في هذه المرحلة

من حياتها اعترافٌ منها بالفشل الذي لن تسمح

هي به أبداً...

وربما هو غروره الذي صور له أنها لن تستغني

عن وجودها جواره في نفس البلد حتى بعد

فراقهما...





هذا الغرور الذي ضربته هي في مقتل بعد رحيلها المفاجئ هذا!

سمع نفير سيارة خلفه فانتبه لحاله لينطلق بالسيارة يجوب الشوارع لما يقارب الساعة ...

قبل أن يجد نفسه يتوجه نحو بيته الذي كانا يتشاركانه ،والذي هجره برغبته ليقيم في بيت والدته مع بنات خالته بعد طلاقهما.

ظل واقفاً بتردد أمام البوابة لبضع دقائق قبل أن يغادر السيارة ليتوجه إليه مستجيباً لرغبة قلبه في الدخول...

عبر الحديقة الخارجية الصغيرة ليدلف إلى الداخل،لم تكن به حاجة لفتح الأنوار فالضوء البسيط من الخارج كان يتسلل عبر النافذة الزجاجية الكبيرة التي تحتل جداراً بأكمله...





امتدت به خطواته نحو غرفتها في الطابق الأرضي والتي انفردت بها أياماً طويلة بعد زواجهما قبل أن تقرر مشاركته غرفته بالأعلى...

فتح باب الغرفة لتخطف أنفاسه رائحة عطرها التي لا تزال عالقة هنا،فشعر بحاجته لإضاءة المكان وكأنه يطارد أي ذكرى باقية منها ...

عيناه تخونانه فتختلسان نظرة نحو ملابسها التي علقت على المشجب هناك ...

وردي...أصفر...سماوي..

برتقالي..فوسفوري

"امرأة الألوان"!

هكذا كان يدعوها وهو يرى ذوقها في اختيار ملابسها ...بينما كان هو رجل "الأسود" الذي قلما





يرتدي غيره ،عدا معطفه الأبيض بطبيعة الحال في عيادته!

شمسٌ من حيوية وتفاؤل اصطدمت بجبال جليده ...

فلم تذبها هي...ولم يطفئها هو...

ليبقى كل منهما نقيض الآخر وعذابه!!

تنهد بحرارة وهو يتوجه نحو المرآة يطالع ملامحه التي اختلطت بصورتها في ذكرياته ...

بشرته السمراء أمام بياض بشرتها ...

جسده الطويل أمام قصر قامتها ...

شعره الأسود الناعم الذي استطالت بعض خصلاته لتمنحه مظهراً عابثاً هو أبعد ما يكون عنه ،أمام شعرها الأشقر القصير الذي كانت تحافظ على حيوية مظهره بخصلاته المتحررة بطريقة طبيعية تشبهها كثيراً...





لكن الشيء الوحيد الذي تشابها فيه هو لون عينيهما العسلي ...

لهذا كان يحب النظر إليهما كثيراً وكأنه فيهما فقط يجد نقطة التقاء وسط كل هذه التناقضات...

_لو دقني بتشوكك...استحملي...مابفكرش أحلقها!

ضحكتها الطويلة كانت جواب عبارته السابقة والتي أتبعتها بقبلتين ناعمتين على وجنتيه مع قولها المرح:

_بتهزر؟! انت ما سمعتش المقولة الشهيرة...ما الحب إلا للحبيب الملتحي!

يبتسم وهو يراها تبتلع كل خشونته بمرحها المعهود ليهمس لها بنبرة دافئة:





_مش قلتلك قبل كده إنك جميلة قوي...جميلة لدرجة إنك بتخللي كل حاجة حواليكي جميلة زيك...حتى أنا.

أغمض عينيه بألم مع الذكرى الأخيرة ثم تنهد تنهيدة حارقة وهو يبتعد ليتوجه نحو فراشها حيث وسائدها التي طرزتها بنفسها لتحمل حرف الياء بالعربية وقد التف طرفه في شكل "القلب" الشهير...

لقد ظنها في البداية تشير لاسمها الذي يبدأ به قبل أن ينتبه أنها تفعله لأجله هو،تماماً كما كانت حياتها كلها تدور في فلكه وحده !!

_كل حاجة فيكي بتحضنني...حتى اسمي جزء من اسمك...يامن وياسمين...كأن حروفك بتحضن حروفي.





وعند الذكرى الأخيرة لم يستطع مقاومة رغبته في النوم هنا هذه الليلة ...

فك أزرار قميصه ببطء ثم نزع حزام سرواله ليلقي هاتفه جانباً ...

الليلة لها هي ...هي فقط!!

لهذا استلقي عاري الجذع على الفراش مسنداً رأسه على ذراعيه وعيناه شاخصتان في سقف الغرفة الذي برزت فيه ندبة مكان انتزاع شيء ما ...

وهو الذي استجلب له ذكرى أخرى منها ...

_إيه دي بقا؟!

قالها وهو يقف جوار فراشها بينما يشير لحلقة دائرية كبيرة علقتها في السقف فوق فراشها ،وقد

تداخلت بها الكثير من الخيوط المتشابكة بينما تدلت منها بعض الحلي المعدنية والقليل من الريش!

فضحكت وهي تجيبه ببساطة بينما ترفع غطاءها عليها :

_معقول ما تعرفهاش ؟! دي مكسرة الدنيا من ساعة ما ظهرت في المسلسل التركي...مسّاكة أحلام ...

dream catcher

ابتسم ساخراً ليفاجئها بأن قفز فجأة فوق السرير ليمد ذراعيه فينتزعها من مكانها بينما يهتف :

_وعلقتيها إزاي دي يا "نخلة"؟!

أصدرت صيحة استنكار عالية لم يدرِ هل كانت لانتزاعه تميمتها أم لسخريته من قصر قامتها ...

لكنه لم يكترث وقتها على أي حال!





فقط ألقى ما بيده بعيداً قبل أن يجثو على ركبتيه علي السرير جوارها ملتقطاً نظراتها الساخطة بقوله:

_ما بحبش التقاليع !

عقدت حاجبيها بضيق وهي تهتف بنبرتها الحيوية:

_دي ثقافة هندية ...الخيوط المتشابكة جوه الحلقة دي بتحبس الكوابيس جواها لحد ما ييجي نور الشمس ويمحيها خالص...والريش والزينة اللي جنبه بتجذب الأحلام الحلوة ...اعتبرها رسالة للعقل الباطن عشان اللي بيخافوا يناموا لوحدهم زيي!

طالما كانت طريقة حديثها هذه تثير إعجابه ...

نفس الحماسة التي تدافع بها عن كل ما تعتنقه روحها المحبة للحياة ...





نفس الحيوية التي تلون بها آراءها فتمنحها أهمية وقدسية خاصة...

سواء كانت تتحدث عن قضية القدس أو حالة الطقس!

ورغم وميض الإعجاب الذي طغا على نظراته لكنه عاد يهتف بنفس الخشونة:

_هندي وتركي ؟! ماشاء الله !!لا يا حلوة ماليش فيه ...لو خايفة قولي الأذكار قبل ما تنامي ...

أشاحت بوجهها في ضيق فاستطرد بنبرة أكثر رفقاً خالطها بعض المكر:

_ولو على النوم لوحدك ما حدش غصبك...ممكن اسمح لك تطلعي تنامي فوق معايا في أوضتي!





احمر وجهها خجلاً ليمنح جمالها لذة خاصة مع تلك الابتسامة التي لونت شفتيها مصاحبة لهمسها الخفيض:

_لأ خلاص...حافظة الأذكار هاقولها!

كم بدت له وقتها هشة ...شهية!!

حيويتها العنيدة المشعة امتزجت بخوفها الطفولي لتذكره بنفسه منذ سنوات طويلة ...

ربما لهذا السبب أطال النظر في عينيها وقتها كما لم يفعل من قبل ...

وكأنما يمنحها وعداً غير منطوق أن عهد الخوف قد مضى ...

وأنه سيمنحها الأمان الذي افتقدته قبله!

هذا الوعد الذي انتهت صلاحيته عند أول اختبار حقيقي!





Cinnabon

لتكتشف -ويكتشف هو قبلها- أنه عاجز عن الوفاء به!

هنا سمح لآهة عالية أن تغادر صدره مشبعة بعميق مشاعره ...

وهو يجول ببصره في الغرفة مستعيداً رحيق ذكرياتها التي عبق بها ذهنه ليتنهد بعدها بعمق مسترجعاً قصته معها ...

فتعالوا بنا حيث كانت...البداية ...

(القطعة الثانية)

=============

**قبل عام من الأحداث السابقة **

****

كان يجلس على مكتبه في غرفة الكشف الخاصة به في عيادته انتظاراً للزائر القادم...

وما إن علم من مساعدته أنها طفلة حتى استخرج من درج مكتبه ذاك القناع الملون برسومه الطفولية -والذي لا يظهر منه سوى عينيه- ليضعه على وجهه ..

طريقة لطيفة تعلمها هناك في انجلترا لإزالة الخوف المعتاد لدى الصغار من طبيب الأسنان.





أجل ...هو كان شديد التفاني في عمله خاصة أن عيادته هنا حديثة الإنشاء ويحتاج لبناء سمعة جيدة لها بعد عودته الوشيكة من لندن...

والتي لم يتجاوز عهدها بضعة أشهر بعد عامين كاملين قضاهما هناك .

فُتح الباب لتدخل منه الصغيرة التي ملأت ضحكاتها المكان فور رؤيته بقناعه المرح ومعها امرأة لم يتبين ملامحها كعهده ...

فآخر ما يلفت نظره في هذا العالم....النساء!

ربما يكون هذا غريباً على رجل بوسامته وشخصيته الجاذبة...

لكنه كان مناسباً لماضيه على أي حال!





جلست الصغيرة على الكرسي الخاص بالكشف وهي تضع كفيها على شفتيها لتداري ضحكاتها فابتسم وهو يسألها بلطف:

_الحلوة بتشتكي من إيه؟!

_ضرس مسوس...ورافضة تخلعه...ومامتها قلبها خفيف مش قادرة عليها.

والإجابة جاءته من المرأة التي اصطحبتها والتي لم تزد في عينيه عن فتاة مراهقة ...

فنظر إليها ليقول بلهجة مهذبة:

_حضرتك تقربيلها إيه؟!

_أنا جارتهم .

قالتها باقتضاب فأومأ برأسه بلا معنى قبل أن يقوم من مكانه ليجلس على كرسيه جوار الصغيرة كي يبدأ عمله الذي أداه كما ينبغي...





صحيح أن الصغيرة كانت مزعجة -نوعاً - لكنه عرف كيف يحتوي دلالها بحزمه تارة وبحنانه تارة أخرى ...

تماماً كما يفعل مع بنات خالته منذ سنوات مارس فيها دور الأخ بجدارة ...

سواء كان قريباً هنا معهن أو بعيداً في انجلترا !

_خلاص يا بطلة..وادي يا ستي الضرس المتعب..قوليله "باي باي"...واستعدي لاستقبال الضرس الجديد .

قالها بمرح وهو يرفع الضرس المخلوع أمام عيني الصغيرة الدامعتين والتي ابتسمت رغم ألمها قبل أن تشيح بوجهها قائلة:

_ماما؟!





C i n n a b o n

فجذبتها الفتاة من كفها لتوقفها برفق ثم قبلت جبينها لتقول لها برقة:

_ماما بره مستنياكي...اخرجي لها...وأنا هاكشف على أسناني أنا كمان .

أومأت الصغيرة برأسها في طاعة لتغادر غرفة الكشف ...

بينما جلست هي مكانها لتلتقي عيناهما فتفاجئه بقولها:

_ممكن دلوقت تقلع "الماسك"!

ارتفع حاجباه بدهشة للحظة من عبارتها وهو ينتبه أنه لايزال يرتدي قناعه الطفولي ...

لكن دهشته لم تكن من كلماتها بل من اللهجة التي نطقتها بها ...





لهجة دافئة حوت حميمية غريبة وكأنها تملك الحق فيما تطلبه ببساطة ...

لكنها امتزجت بلوم غامض لم يفهمه !

حسناً....لا بأس!

لقد اعتاد جرأة النساء خاصة من زبائنه هنا...

يبدو أن لديه هنا واحدة أخرى تظنه صيداً سهلاً وهو يستمتع بهذه اللعبة معهن ...

أجل يستمتع برؤية حيلهن وهو يضحك منهن سراً لأنه خير من يدرك أنه لن يقع في شباك امرأة من جديد ...

لكن ما المشكلة؟!

قليلٌ من تسلية كهذه هو ما يصنع لحياته الباهتة معنى!

لهذا رمقها بنظرة تقييمية هذه المرة ....





شقراء فاتنة قد تسيل لعاب أي رجل غيره...

خصلات شعرها الذهبية التي ظهرت بوضوح خلف حجابها -المنحسر قليلاً- كفيلة باستدعاء جيش من الراغبين فيها لكن ليس هو بالتأكيد...

أمه شقراء وزوجته السابقة كانت كذلك...فما المبهر هنا؟!

بل إن قامتها الضئيلة فقيرة المنحنيات تجعلها للدمية أقرب منها لامرأة !

لولا....

لولا هذه النظرة العميقة في عينيها !

أجل ...لو كان جسدها جسد فتاة مراهقة تتفتح للتو براعم أنوثتها...

فنظرتها نظرة عجوز ثاقبة سقاها الدهر الألم والحكمة بنفس الملعقة!





_أقلعه ليه؟! عينيّه مش كفاية ؟!

قالها ببعض العبث ليجيب على عبارتها مدركاً تأثير نظراته العسلية التي تصنع مع سمرة بشرته مزيجاً رجولياً آسراً على الجنس الآخر كما أخبرته - إحداهن- يوماً !

ثم قام من مكانه ليضع بعض الأدوات في جهاز التعقيم متوقعاً منها المزيد من الدلال والتغنج لفتح حوار يتوقع آخره...

لكنها فاجأته بصمتها التام لبضعة دقائق متجاهلةً عبارته مما أشعره ببعض الحرج قبل أن تقول بلهجتها الغريبة:

_لطيفة قوي حركة "الماسْك" دي ...يا ترى بتعملها عشان الشغل بس واللا عشان بتحب الأطفال؟!





_بكرههم جداً!

قالها بسرعة دون تفكير لكنها لم تبدُ مندهشة ...

بل ابتسمت وهي تقول بثقة من تدرك جيداً ما تتحدث عنه :

_طبيعي!..واحد موسوس نظام زيك أكيد بالنسبة له الأطفال بعفويتهم وفوضاهم كارثة!

اتسعت عيناه بدهشة وهو يراها تتحدث عنه بهذه الخبرة والبساطة وكأنها تعرفه منذ زمن ...

قبل أن تعود ابتسامته الساخرة لشفتيه!

هل هذه هي خطوتها الثانية في خطة الإيقاع به ؟!

أن تتظاهر بأنها تفهمه أكثر مما يبدو؟!

حسناً...فلتلعب هي ...وليستمتع هو بالمشاهدة ...والنتيجة !!





لهذا تنحنح بخفوت ليتجاهل عبارتها تماماً قبل أن يستعيد صوته جديته بسؤاله:

_بتشتكي من حاجة معينة ؟!

هزت رأسها نفياً ثم استرخت في مكانها أكثر لتشرد ببصرها في السقف مع قولها:

_لا...مجرد اطمئنان بس.

عاد ليجلس مكانه ثم خلع عنه القناع ليضعه جانباً قبل أن يميل عليها ليبدأ في ممارسة عمله بمهنية تامة متجاهلاً رائحة عطرها التي تجتاحه بهذا القرب ...

لقد تعلم من عشرته لوالدته وبنات خالته أن عطر المرأة يحكي ببساطة حكايتها !

فتارةً هو نفاذٌ ثابت واحدٌ لا يتغير كما تتخيره هانيا واشياً بجديتها وقوتها...





وأخرى هو هادئٌ تكاد لا تتبينه كما تتخيره رانيا منبئاً ببساطتها وضعفها...

وأخرى هو حيويٌّ لعوبٌ متغير كما تتخيره داليا التي لا تكاد تثبت على اختيار واحد في عطورها كعهدها في حياتها كلها ...

وتارة هو صارخٌ باهظ يكاد ينادي الجميع أنا هنا....كما تتخيره أمه...نبيلة...عفواً بل ...بيللا ...."النجمة"!!

لكن هذه "المرأة -الفتاة -العجوز" التي -أمامه- الآن عطرها ملون!

لا يدري كيف يمكن وصف عطر بهذا الوصف لكن هذا ما يشعر به الآن ...




وكأنما رائحته اجتاحته كعاصفة استوائية قبل أن تلفحه شمسٌ حارقة لتلقي به على شاطئ منعش في لحظة واحدة !

عطرها يحكي حكايتها : "أنا سحر الألوان ومكرها...فاحذرني!"

وهو "رجل الأَسوَد"الذي لم يخشَ في حياته ك"خداع الألوان"!!

_كله تمام...واضح إنك مهتمة بأسنانك قوي!

قالها أخيراً بنفس اللهجة العملية وهو يبتعد عنها ليرفع عينيه إليها فتقابله هذه النظرة العاتبة في عينيها ...

نظرة أربكته كثيراً وهو يشعر بها صادقة حارة تلومه على شيء لا يفهمه...

لهذا عاد يتفحص ملامحها باهتمام ليسألها :





_احنا اتقابلنا قبل كده؟!

هيئ إليه أن شفتيها قد حملتا ابتسامة ساخرة مع إجابتها:

_مادام مش فاكر يبقى مش مهم!

عقد حاجبيه بمزيج من دهشة وضيق...

هذه الدمية الغامضة نجحت في لفت انتباهه حقاً !

هو يشعر أنه قد رآها من قبل لكنه لا يذكر أي تفاصيل...

ومن الواضح أنها هي تذكر ...تذكر جيداً!

_شكراً يا دكتور...أنا خلاص اطمنت!

قالتها وهي تقوم من مكانها وقد بدت له عبارتها وكأنها تحمل أكثر من معناها ...

فقام ليقف بدوره متأملاً إياها من جديد ...





قميصها السماوي وسروالها الأبيض يتناغمان مع لون وشاح رأسها الذي حمل اللونين معاً ...

ساعة معصمها ب"ماركتها الشهيرة" التي يعرفها جيداً بحكم عشرته الطويلة لوالدته وقريباته توحي بانتمائها لطبقة معينة...

حذاؤها الرياضي أيضاً كان مميزاً ليس فقط بذوقه لكن بارتفاع ثمنه !

ومن مثله يدرك هذا وهو الذي قضى جمعته السابقة كاملة في التسوق في إحدى المولات الشهيرة مع أربع نساء لا يستهويهن شيء كالثياب و"الموضة"؟!!

بيللا وهانيا و رانيا وداليا...أربع فقط قادرات على ابتلاع ثروة بلد بأكمله !





Cinnabon

انقطعت أفكاره عندما توجهت نحو الباب لتغادر فانعقد حاجباه بضيق وهو يشعر بأن ثمة شيء ما خطأ!

هل ستغادر هكذا ببساطة؟!

لماذا شعر إذن بأن لغة جسدها تفضح أكثر من هذا؟!

وكأنما سمعت أفكاره عندما التفتت نحوه وهي تمسك مقبض الباب لتقول بلهجتها الغامضة:

_ما تتعبش نفسك وتحاول تفتكرني دلوقت...ممكن لما نتقابل المرة الجاية .

قالتها ثم غادرت الغرفة لتغلق الباب خلفها دون أن تنتظر رده ،فازداد انعقاد حاجبيه وهو يقول في نفسه:

_المرة الجاية؟! هو لسه فيها مرة جاية؟!





ثم دار حول المكتب ليتصل بمساعدته كي يسألها عن اسم الزائرة السابقة ....

ياسمين ذو الفقار!

الاسم زاده حيرة فوق حيرته فهو لا يذكر أنه قد سمع به من قبل ...

لكن ما صدمه بحق هو ذاك اللقب الذي سبق الاسم ...

"مدام"!

============

_أنا فرحانة جداً إن أمنية حياتي اتحققت ...أحمد ورامز بقوا أعز أصحاب زيي أنا وانتِ!

قالتها هانيا برضا صبغ نبرتها الرصينة كالعادة بينما تجلس مع صديقتها المقربة غادة في النادي ...





والحقيقة أنها كانت حقاً سعيدة بتقارب زوجيهما ...

فالصديقتان اللتان جمعتهما الحياة صدفة منذ أكثر من أربع سنوات في الجامعة صارتا في علاقة هي للأخوة أقرب من الصداقة!

على الرغم من تضاد صفاتهما نوعاً بطبيعة هانيا التي تميل للعقلانية والمنهج العملي في التفكير على عكس غادة التي تغلب عاطفتها عقلها !

لقد كانت هانيا تخشى أن تفرقهما الظروف ...

خاصةً أن غادة كانت وافدة إلى جامعتهم من بلدتها الأصلية في "بورسعيد" لكن زواج الأخيرة هنا في القاهرة كان المفاجأة الأسعد لكلتيهما.

_أيوة يا ستي...الباشاوات طنشونا وسافروا لوحدهم الاسكندرية...قال إيه حنوا لأيام العزوبية !

قالتها غادة بنبرتها المنطلقة لترد هانيا بقلق:





_أنا بس قلقانة من سواقة رامز ...هايجنني بطبعه المندفع ده في كل حاجة!

ضحكت غادة ضحكة عالية لفتت إليهما بعض أنظار الحضور في النادي لكنها لم تهتم بينما تقول:

_الدنيا لازم تتعاش كده ...باندفاع...العقل ده يا حبيبتي بيقصر العمر ...وبعدين ما تقلقيش ...أحمد معاه وهيلجمه ...انت ما تعرفيش أبو حميد الجامد !

ثم تنهدت بحرارة لتردف وهي ترفع رأسها للسماء بينما تفتح ذراعيها على اتساعهما غير آبهة بما يترصدها من عيون:

_يااااه...أنا حاسة إني سعيدة جداً ...عمر الدنيا ما ضحكت لي زي الأيام دي!





قالتها بنبرة تتراقص حروفها طرباً فابتسمت هانيا وهي تراقبها بملامح متفحصة ...

لقد عانت غادة في حياتها كثيراً مع زوج والدتها ...

وزواجها من أحمد هنا بعيداً عن مسقط رأسها كان بمثابة طوق نجاة لها !

غادة لم تكن شديدة الجمال لكنها باهظة الأنوثة !

شيءٌ ما بإطلالتها يجذب إليها الأنظار أينما حلت ...

ربما هذا هو ما جعل أحمد يهيم بها حباً منذ أول لقاء بينهما ويجتهد في وظيفتين معاً كي يستطيع التعجيل بزواجهما!

حكاية وردية لن تصادفها كثيراً في هذا الواقع الذي تعترف هي بشروطه ...





لهذا قبلت الزواج من رامز بطريقة تقليدية ...

"زواج صالونات" كما يسمونه من رجل بوظيفة مرموقة في إحدى شركات الأدوية المعروفة ...

على قدر لا بأس به من الوسامة أضاف إليها -جسده الرياضي- الكثير من الرصيد في نظر النساء العاديات ...وأضاف إليها -خلقه الرفيع- أكبر رصيد في نظرها هي!

لهذا لم تتردد في قبول هذه "الصفقة الرابحة" كما رأتها والتي زادت قيمة في عينيها بعد زواجهما وهي ترى بعينيها كيف يعاملها ...

يحبها؟!

لا تدري!

هو -فقط -يعاملها وكأنها شمسٌ ثانية في كوكب لم يعترف إلا بشمس واحدة!




أجل ...اهتمامه العجيب بها يقارب الهوس !

ربما تجده إحداهن مزية لن تتكرر في عالم الرجال ...

لكنه يسبب لها هي الكثير من الارتباك !

هو أشبه بجواد جامح يريد الانطلاق في ربوع لا متناهية مهما كانت المخاطرة...

وهي قطةٌ حذرة تتشبث مخالب قدميها بالأرض الثابتة تحتها ولا تجيد فنون المغامرة ...

فأي اختلاف!!

على عكس علاقة صديقتها بزوجها واللذان يبدوان نسختين متطابقتين في كل شيء !

لهذا تنهدت بحرارة قبل أن تميل بجذعها للأمام عبر المائدة سائلة صديقتها:

_حبتيه؟!





فاقتربت منها غادة بدورها لترد بهيام:

_بموت فيه...كل حاجة فيه تتحب ...مخلليني طايرة في السما مش ماشية على الأرض!

اتسعت ابتسامة هانيا وهي تشعر بالكثير من الرضا ...

رغم عدم اعترافها بالحب واستماعها لصوت العقل أكثر ...

لكنها تشعر حقاً بأن "طوفان المشاعر" هذا هو ما تحتاجه غادة لتنسى كل ما مر بها من ويلات !

_وانتِ عاملة إيه مع رامز؟!

سألتها غادة بغمزة ماكرة فرفعت هانيا كوب العصير الموضوع أمامها لترتشف منه رشفة قبل أن تقول بجدية تامة:





_معقول...كويس...انسان واضح مستقيم..بيحترمني...هانتظر إيه أكثر من كده ؟!

مطت غادة شفتيها باستياء لتقول مستنكرة:

_يا مغيث! ده كلام واحدة عن جوزها بعد شهر واحد من جوازهم ؟! امال بعد كام سنة هاتقولي إيه ؟!

ابتسمت هانيا وهي تهز رأسها بلا معنى لتردف صديقتها بينما تتلاعب بخصلات شعرها المصبوغة بلون أحمر قاتم جذاب:

_كنت فاكراكي هتتغيري بعد الجواز...تفكّيها شوية كده!

لكن هانيا ردت بنفس الأسلوب الرصين:

_مشكلة رامز إنه متطلب ...زي أي راجل عايز مراته تكون ليه بنسبة مية في المية ...مش قادر





يفهم أد إيه شغلي مهم عندي ...عايز يرجع من شغله آخر النهار يلاقي شمع وورد ورومانسية...وأنا يادوبك بلاقي وقت عشان أكمل رسالتي !

_هاقول عليكِ إيه؟! فقرية!!

هتفت بها غادة ضاحكة لتشاركها هانيا الضحك قبل أن تردف الأولى بدلالها الفطري:

_أنا بقى مدلعة أحمد على الآخر...مستعدة أعلمك!

أرفقت عبارتها الأخيرة بغمزة عابثة فاحمر وجه هانيا مع قولها:

_عيب يا بنت!

ضحكت غادة بانطلاق وهي تضم كفيها قبل أن تقول لها بحماستها الفائرة:





_عندي مفاجأة ! مش طول عمرك نفسك أتحجب زيك؟! خلاص يا ستي ...جهزي نفسك عشان ننزل نشتري "طُرَح" و"سكارفات"تليق على هدومي!

_بجد يا غادة؟! أكيد أحمد هو اللي أقنعك!

هتفت بها هانيا بحماس فأومأت صديقتها برأسها قبل أن تمسك إحدى خصلات شعرها لتنظر إليها قائلة بغرور مصطنع:

_حقه يبقى الجمال ده له لوحده !

ضحكت هانيا وهي تشعر برضا حقيقي عن حياة صديقتها التي تتحرك للأحسن كما يبدو ...

لكن هاجساً مزعجاً جعلها تسألها بتردد:

_والدتك بتكلمك؟!

انطفأت ملامح غادة فجأة مع سؤالها مما أشعرها بالندم خاصة مع جوابها المقتضب:





_مرة واحدة من يوم ما اتجوزت...

ثم ابتسمت بمرارة لتردف:

_خلاص ...بورسعيد بقت متحرمة عليّ لآخر يوم في عمري!

امتزجت الخيبة بالإشفاق على وجه هانيا التي تنحنحت بحرج لتقول مغيرة الموضوع:

_طب ياللا بينا نشوف الحاجات اللي عايزة تشتريها ...الحقيني النهارده وأنا فاضية!

لكن ملامح غادة بقيت على شرودها المتألم للحظات قرأت فيها هانيا ما يعتمل في صدرها من ذكريات بائسة...

قبل أن تتغلب صديقتها عليها بصمودها المعهود لتغتصب ابتسامة باهتة على شفتيها وهي تقوم من مكانها لتقول بمرح مصطنع:





_تمام...هو ده الكلام !

قامت هانيا لتقف بدورها وهي تتناول حقيبتها بينما تلملم أشياءها المتناثرة على المائدة ليقاطعها رنين هاتفها ...

ابتسمت وهي تلمح اسم "رامز" على الشاشة ففتحت الاتصال قبل أن تتجهم ملامحها فجأة مع هتافها الجزع:

_حادثة؟! حادثة إيه؟!

==========

_متأكدة إنك جاهزة للفرح ؟!

قالها أشرف عبر الهاتف بقلق فابتسمت رانيا وهي تدرك سر قلقه ...

لقد تخطت منذ بضعة أشهر جراحة ليست هينة ...

الواقع أنها لم تجتزها وحدها ...هو شاركها فيها ...





كما شاركها عمرها كله ...

ليكمل صنيعه معها بأن تبرع لها ب"كليته"!!

لقد سمعت كثيراً عن فتيات يتباهين بعشق رجالهن ...

فكيف عن رجل منحها جزءاً من جسده؟!

ورغم أنها رفضت في البداية خوفاً عليه لكنه أصر على هذا حتى رضخت في النهاية ...

ليكتمل شعورها به حقاً أنه "نصفها الآخر"!!

كل يوم يمر عليهما معاً يثبت لها أن قصة حبهما التي بدأت صغاراً ليست ككل الحكايات...

هي ليست قصة حب ...هي قصة عمر!

_إيه ؟! مش عايز تفرح يا "عريس"؟!





قالتها بخجل وهي تتخيلهما معاً في حفل عرسهما الذي تحلم به منذ سنوات ما عادت تعرف عددها ...

ليصلها صوته المتهدج بعاطفته:

_انتِ عارفة كويس إني بنام واقوم أحلم بالليلة دي ...بس أنا خايف عليكي.

_ما تخافش يا حبيبي...أنا بقيت كويسة جداً..ورجعت أمارس حياتي بصورة طبيعية !

قالتها بنبرة مصطبغة باللهفة التي لم تفوتها أذناه العاشقتان ليضحك أخيراً ضحكة قصيرة سبقت قوله العابث:

_العروسة مستعجلة؟!

عضت شفتها السفلى بخجل وهي تراقب احمرار وجهها في مرآتها المقابلة لتصمت للحظات قبل أن تقول لتغير الموضوع:





_الشقة باقي فيها تفاصيل بسيطة...سهل تخلص في خلال شهر بالكتير...عدي عليَّ بكره ونشوف مهندس الديكور هايقول إيه!

_بلاش بكرة...ماما عندها جلسة !

قالها بنبرة مقتضبة نقلت لها حزنه كما في كل مرة يذكر فيها هذا الأمر عن مرض والدته ب"السرطان" والذي اكتشفوه مؤخراً...

هي أكثر من تعلم عن تأثره بهذا الخبر منذ عرفه فحبه لوالدته كان ولا يزال مضرب الأمثال ...

ربما لهذا لم يتردد لحظة في منح رانيا فرصة جديدة للحياة بتبرعه لها ب"كليته" ...

وكأنه يعطيها الشيء الذي لم يستطع إعطاءه لأمه !




هكذا هو أشرف دوماً طاقةٌ من حنان تتسع لتحتوي الجميع ...

ليس هي فقط ...بل أمه وشقيقته كذلك بعد وفاة والده ليتسلم إدارة مصنعه الخاص ب"لعب الأطفال" في هذه السن الصغيرة ...

لكنه أثبت كفاءة لا بأس بها حتى وقف على قدميه أخيراً...

ليأتي مرض أمه فيكون الضربة القاصمة له !

لهذا ازدردت ريقها ببطء لتغمغم بنبرة مواسية:

_معلش يا حبيبي ...ربنا يخفف عنها !

سادهما صمت قصير أدركت خلاله ما يعانيه قبل أن يعود ليقول بصوت متحشرج:

_هي كمان عايزانا نعجل الفرح زيك!




دمعت عيناها لما يقصده بعبارته وهي تتذكر حب المرأة الشديد لها منذ كانت الجيرة تجمعهم في بيتهم القديم قبل أن ينتقلن للعيش هنا في هذا البيت بعد وفاة والديهن ...

حيث جمعهن يامن مع والدته ليلمّ شمل ما بقي من عائلته قبل أن يسافر انجلترا .

ومع هذا بقيت المرأة الطيبة التي أدركت حب ابنها الشديد لها على علاقتها الوثيقة بها حتى تمت خطبتهما منذ عام تقريباً ...

ربما لهذا تريد تعجيل زواجهما ...

لاريب أنها تخاف أن يدركها الموت قبل أن تفرح بابنها ...

لهذا تمتمت بنبرة حنون:





_ربنا يديها طولة العمر...شوف هي عايزة إيه ونعمله...المهم رضاها !

_بحبك!

كلمته التي تسمعها منه كل يوم منذ سنوات تقارب عمريهما ...

لكنه قادرٌ أن يجعلها كل يوم بمذاق مختلف!

ربما لأنها تتلون بأصباغ شعوره دون أن تفقد لونها الخاص...

هو يحبها عندما يحزن...عندما يفرح...عندما يخاف ...عندما يأنس...

يحبها كل يوم كأنه ...أول يوم!

وهي تسمعها منه كل مرة كأنها أول مرة !

لهذا صمتت للحظات تتذوقها قبل أن تردها له بمثلها ...





لكنها تذكرت شيئاً جعلها تقول بتردد:

_يامن كان عايز يفاتحك في حاجة!

صمت قليلاً قبل أن يقول ببعض الضيق:

_موضوع الشقة ...كلمني النهارده الصبح وقاللي...وانا قلت له مفيش مشكلة...هاكتب نُصّها باسمك مقابل المبلغ اللي هو دفعه في تشطيبها...ولو عايز أكتبها كلها مفيش مشكلة.

تنحنحت لتقول بالكثير من الحرج:

_انت مش غريب ...وعارف يامن وطبعه!

تنهد ليجيبها بتفهم :

_عارف ومقدر والله...بس كان نفسي الثقة بيننا تبقى أكبر من تفاهات المواضيع المادية دي!

هزت رأسها وهي توافقه الرأي لكنها كانت عاجزة عن معارضة يامن...





الجميع يعلمون أنه برغم حنانه واحتوائه لهن لكن وسواس الشك الذي يحتل جنباته يمنعه من منح ثقته لأي مخلوق ...

والحقيقة أنه كان معذوراً في هذا مع ظروف نشأته والصدمات التي تعرض لها بعدها ...

لهذا كانت حائرة في موقفها هذا خاصة أنه بعدما فعله أشرف معها في محنة مرضها الأخيرة لم يكن هناك مجال للشك في نواياه .

لكن يامن يرى أنه دفع هذا المال لأجل قريبته وحقها أن يثبت هذا في أوراق رسمية !

_أنا أو انت مش هاتفرق يا حبيبي...بس نريح باله .

قالتها محاولة استرضاءه فضحك ضحكته النقية التي تعشقها ليقول بمرح:

_يا ستي ربنا يريح باله ...وبال بنت خالته...وبال حبيب بنت خالته .

ضحكت أخيراً ضحكة مشبعة بارتياحها وهي تود الآن لو تحتضنه بعمق امتنانها له !

طالما كان أشرف مقدراً لطبيعة شخصيتها الضعيفة التي تجنح دوماً للسلم ولا تجيد المواجهات ...

لهذا كان يحاول دوماً تجنيبها الخوض في هذا إما بتذليل العقبات أو مواجهتها بدلاً منها ...

محظوظةٌ هي به ...

ولو لم يكن غير حبه في حياتها ...فكفى بها نعمة!





لهذا ما كادت تنهي الاتصال معه حتى رفعت كفها بدبلته فيه تقبلها عندما اقتحمت المكان داليا بعاصفة كعادتها...

_سيبك من اللي بتعمليه ده ...وخلليكي في المهم....شوفي جبتلك إيه!

قالتها وهي تغلق الباب خلفها بقدمها لترفع ذراعيها بما يحملانه من أكياس مردفة:

_فرحك قرب وعارفاكي خايبة وكسّوفة ..قلت أنقذ الغلبان اللي صابر من بدري ده !

اتسعت عينا رانيا بترقب وهي تتابع معها ما تستخرجه من الأكياس من متعلقات نسائية شديدة الخصوصية ...

قبل أن تشهق بعنف لتهتف مستنكرة:





_انتِ وقفتِ في محل تشتري حاجات زي دي لوحدك؟!

ضحكت داليا بانطلاق من خجل شقيقتها المناقض تماماً لطبيعتها المتحررة ...

قبل أن تهز رأسها وهي تستخرج من أحد الأكياس ثوباً شديد الأناقة بلون الكشمير رفعته أمام عينيها لتقول بافتتان:

_وده بقى اللي هاحضر بيه فرحك..استني لما تشوفيه عليّ...تحفة !

قالتها ثم خلعت ثيابها بسرعة لترتديه أمام المرآة ...

فتأملتها رانيا بنظرات حنون معجبة وهي تعترف أن الثوب زاد شقيقتها فتنة على فتنتها ...





شعرها الكستنائي القصير الذي بالكاد يلامس كتفيها ويلائم استدارة وجهها ..

عيناها البنيتان المتألقتان بلمعة شقاوة عابثة ...

أنفها المنمنم وشفتاها المكتنزتان بامتلاء ..

ملامح رائعة تمنحها ذاك المزيج المذهل بين براءة الأطفال وفتنة النساء!

كان الثوب شديد التحفظ بأكمامه الطويلة وتصميمه الانسيابي -فكما يبدو أنها راعت ذوق يامن- لكنه كان شديد الجاذبية حقاً ...

لهذا تقدمت نحوها لتحتضنها أمام المرآة قائلة:

_قمر يا حبيبتي ...قمر!

لكن شقيقتها بدت مأخوذة مثلها بشكل الثوب عليها لتشرد قليلاً قبل أن تهمس :





_تفتكري هاعجب يامن؟!

مطت رانيا شفتيها باستياء وهي تدرك مغزى سؤالها لتسحبها من ذراعها فتجلسها جوارها على طرف الفراش قائلة برفق متعقل:

_افهميني كويس يا حبيبتي...انتِ لسه صغيرة...كلنا بنحب يامن بس مش الحب اللي في دماغك...هو بالنسبة لنا السند...الأمان...مش عايزاكي تكبري الموضوع جواكي أكتر من كده .

كانت تدرك أن داليا -بحكم كونها الصغرى بينهن- هي أكثر من تعلقت بيامن لأنها رأت فيه صورة الأب الذي حُرمت من حنانه ..

لهذا تخشى عليها من خيالاتها المراهقة التي تبحث عن الحب في كل رجل تراه !




_لكن أنا بحبه بجد!

هتفت بها داليا بعناد اشتعلت له عيناها المتقدتين فأمالت رانيا رأسها لتسألها بنبرة عاتبة:

_زي ما بتحبي دكتورك في الجامعة ؟! واللا زي ما بتحبي هيثم زميلك؟! واللا يمكن الرجل الغامض بسلامته اللي بيبعتلك رسايل ع الماسنجر من غير ما يقول هو مين؟!

ابتسمت داليا رغماً عنها لتلوح بذراعيها قائلة بحماس:

_كلهم! بحبهم كلهم...أستاذ ياسر ده حاجة كده هيبة ...لما بشوفه بحس إني مخضوضة كده ...بس لما بيبتسم لي بحس الدنيا كلها بتضحكلي...هيثم ده بقى رفيق الكفاح من أيام الابتدائي...لما بكلمه





بحس إني بكلم نفسي...بيفهمني قبل ما أقول ولا حرف ...

ثم تناولت هاتفها من جيبها لتنظر لشاشته باحثةً عن رسالة من عاشقها المجهول لتردف :

_لكن النجم الغامض ده بقى مش شاغل بالي قوي...ممكن تكون واحدة صاحبتي عاملاها فيّ فصل...ماهو مش معقول حد يكون قريب كده وواخد باله مني وأنا مش حاسة !

_انتِ سامعة نفسك يا داليا؟! فاهمة كل اللخبطة اللي بتقوليها دي؟!

غمغمت بها رانيا بمزيج من قلق وضيق من مشاعر شقيقتها المتخبطة...

لكن داليا كتفت ساعديها لتقول بنبرة عابثة:





_مادام مابعملش حاجة غلط ماحدش له عندي حاجة ...أديني بتسلى لحد ما اشوف حياتي رايحة على فين !

رمقتها رانيا بنظرة طويلة قلقة وهي تعجز عن مجاراتها في هذا الحديث ...

تخاف أن تثقل عليها في النصيحة فتتوقف عن مصارحتها بما يحدث خلف ظهرها ...

وتخشى في ذات الوقت أن تفرط في التساهل مع ما تسمعه فتظن شقيقتها الأمر هيناً...

وبين هذا وذاك هي عاجزة عن اتخاذ قرار كعهدها !

داليا أكثرهن شططاً عن طريقة يامن شديدة التحفظ معهن ...





بل إنـها تعتقد إن غيابه في لندن لعامين هو الذي ترك هذا الأثر على داليا التي كانت أشدهن تعلقاً به قبل سفره ...

لقد كانت تحتاج حزمه الرفيق في هذه المرحلة من حياتها ...

وعودته الآن زادتها تخبطاً لتتغير نظرتها نحوه من الأخ إلى صورة من فارس الأحلام!

لكن نغمة خاصة من هاتف شقيقتها قطعت أفكارها فالتفتت نحو الأخيرة التي فتحته بلهفة تطالع آخر رسالة من "العاشق الغامض":

(كل الأشياء في حياتي فقدت قيمتها بالتقادم...

إلا أنتِ!





كلما مر يومٌ على قلبي يزداد تعلقاً بكِ وكأنكِ سرّه الأصيل!

أنتِ القديمة المتجددة...والعتيقة التي تزيدها الأيام قدسية!)

ورغم أن الكلمات وقعت في نفسها موقعاً خاصاً لكنها أبت الاعتراف بهذا وهي تبتسم بسخرية لتعطي شقيقتها الهاتف هاتفة باستنكار مرح:

_شوفي شوفي الباشا كاتب إيه !! الناس طلعت القمر وده لسه عايش في زمن عبد الحليم وفاتن حمامة !

تناولت رانيا منها الهاتف لتقرأ كلماته بتمعن قبل أن تقول لها بتردد:

_مش عارفة اللي هاقوله صح واللا لأ...بس حاساه صادق قوي!

هزت داليا كتفيها باستهجان مع ردها:

_جو الأفلام ده ما بحبوش...أنا واحدة أحب أشوف بعيني وأمسك بإيدي مش أبني قصور في الهوا...بس عموماً خللينا مستنيين .

_مش هاتردي عليه؟!

سألتها رانيا بتوجس لتغمزها بمكر ناسب قولها:

_أنا بسيب الباب موارب ...كل رسالة منه برد عليها بعلامة استفهام وبس...عشان يعرف إني قراتها بس برضه ماريحوش ...بلاعبه زي ما بيلاعبني!

عقدت رانيا حاجبيها بضيق من أسلوب شقيقتها الذي لا يروق لها بحال ...





لتحتد لهجتها نوعاً وهي تقول لها :

_يامن لو حس بحاجة من كل ده هيكسر الدنيا ...انتِ عارفاه!

فتراقص حاجبا العابثة بمرح لتقول بشقاوتها المعهودة :

_أنا عارفة هو محبكها كده ليه ؟! امال لو ماكانش عاش في انجلترا أكتر من سنتين ...ما تخافيش عليا...احنا نفوت في الحديد يا بنتي!

لم تكد تتم عبارتها حتى رن هاتفها برقم هيثم فوقفت لتقول لها بسرعة :

_ده هيثم...هارد عليه بره عشان ده رغّاي مش عايزة أدوشك!




قالتها وهي تغادر الغرفة بخطوات مندفعة متجاهلة نظرات رانيا المستاءة والتي تنهدت بقلق ناسب همسها:

_ربنا يستر...خايفة عليكي من نفسك يا داليا .

=========

_من فضلك...عايز أقابل الشيف!

قالها يامن وهو يلوح للنادل خفية بورقة نقدية كبيرة فتردد الرجل للحظة قبل أن يقول بارتباك:

_مش عارف هينفع واللا لأ...بس أحاول!

قالها وهو يدس الورقة النقدية في جيبه قبل أن يتوجه نحو الداخل تحت نظرات يامن المتفحصة للمكان ...

المطعم يبدو شديد الأناقة بذوق بسيط يميل للطابع الغربي...





جدرانه بيضاء ناصعة مع ديكورات بسيطة حملت ألوان قوس قزح برقة متناهية...

خاصة مع توزيع الإضاءة الممتاز الذي يجعل المكان ككل مبعثاً لطاقة إيجابية لا ينكرها ...

ورغم أنه يفضل المطاعم الكبيرة التي جربها واعتادها مع طبيعته المتشككة دوماً ....

لكنه استجاب لاقتراح صديقه ذاك الذي هتف به الآن:

_مفيش فايدة فيك... هتفضل موسوس كده ...أنا قلت عيشتك في لندن هتفرق في طبعك الرخم ده...مش معقول كل ما نروح مطعم تبقى عايز تشوف الطباخ!

فالتفت نحوه ليقول مبتسماً:





_من صغري وأنا ماقدرش آكل حاجة إلا لو شفت من إيد مين...تقدر تقول عليَّ معقد ...بس للأسف مش عارف أغير العادة دي...وعموماً دي مش مشكلة ...كل مطعم رُحته كان بيتفهم الموضوع ده والفلوس بتسهل كل حاجة!

ضحك في عبارته الأخيرة فابتسم صديقه وهو يميل عليه عبر المائدة قائلاً:

_ما اظنش هينفع المرة دي...ما اعتقدش جيسي ممكن تقابل حد من زباين المطعم.

فابتسم وهو يغمز صديقه قائلاً بمرحه الماكر:

_شكلك مظبط الشيف وجايبني مصلحة...طب كنت قول بدل ما شكلي يبقى وحش كده...على الأقل كنت ظبطت مقاس "القرطاس"!




قال عبارته الأخيرة وهو يشير بأصابعه نحو رأسه ساخراً ...

لكن صديقه ضحك قبل أن يجيبه:

_لا ...دي ما تتظبطش...دي حتة شيكولاتة كده تبص لها وتحلم من بعيد بس ما تقدرش تمد إيدك!

_يا سلااااام!

قالها متهكماً وهو يصفق بكفيه في حركة ساخرة لكن صديقه استطرد :

_جيسي صاحبة المكان مش مجرد شيف...بتعمل الموضوع هواية ...بس زي ماانت شايف المطعم نجح جداً في فترة بسيطة...صراحة هي دماغ بنت لذينا...طوب الأرض بيموت فيها...باباها رجل أعمال مستقر في ماليزيا دلوقت ومامتها ماتت من فترة...عايشة لوحدها و....





_خلاص يا عم....هو أنا هاخطبها؟!

هتف بها مقاطعاً "نشرة الأخبار" التي انطلقت من فم صديقه والذي ضحك بعدها ليقول بفخر:

_هيعجبك "السينابون" أنا متأكد ...وهتبقى زبون كمان!

_شرف لينا يا فندم!

رفع يامن رأسه عندما سمع عبارتها...

ليفاجأ بها خلفه فاتسعت عيناه وهو يقف مكانه هاتفاً بدهشة:

_انتِ؟!





لم تبدُ عليها المفاجأة بل حملت عيناها نفس النظرة العاتبة التي لا يفهمها مع مسحة من مرح ناسبت ملامحها الطفولية وقولها:

_على الأقل المرة دي فاكر انت شفتني فين !

عقد حاجبيه بضيق لم يفهم سببه وهو يشيح بوجهه عنها ...

هو لا يحب هذا الشعور بفقدان السيطرة على أمر ما ...

وهذه المرأة تتلاعب به بغموض لا يفهمه!

لهذا عاود الجلوس على كرسيه بغطرسة قائلاً:

_مش فارقة!...الحقيقة أنا مابعرفش آكل في أي مكان إلا لما بشوف مين هيعمللي الأكل ..وأتأكد من نظافته.





لكزه صديقه في خاصرته كي ينبهه لفظاظة أسلوبه ...

لكنها لم تبدُ نافرة من أسلوبه ، بل عقدت ساعديها أمام صدرها لتقول بلهجة عملية:

_أنا الشيف هنا..لو كنت نلت رضا حضرتك تقدر تطلب الأوردر...ولو ما عجبتكش فالمطعم له بابين مش باب واحد!

قالتها ثم غادرته بخطوات واثقة متغافلة عن نظرات بعض زوار المطعم الذين كانوا منجذبين لمظهرها شديد الجاذبية ...

بينما كتم صديقه ضحكاته للحظات قبل أن يقول له معاتباً:





_تستاهل...مش هتبطل الدبش اللي بتحدفه ده ؟!

حد يقول كده ؟!

رمقه بنظرة غاضبة وقد احمرت أذناه انفعالاً مع هتافه:

_أنا كده ...وإن كان عاجبك...وما تكبرهاش في دماغي أخرج بجد !

لكن صديقه ربت على ركبته ليقول مهدئاً :

_خلاص يا كبير ...روق كده...واضح إنكم معرفة قديمة !

_ولا معرفة ولا بتاع...كانت عندي الصبح في العيادة مع بنت صغيرة..وشكلها كده بترسم !

قالها بلهجته المتعالية وهو يعبث بأنامله في شعره لكن صديقه أجابه بجدية تامة:





_جيسي ما ترسمش...انت ماتعرفش كام واحد عايزين يخطبوها بس هي رافضة الموضوع تماماً ...عيشتها لوحدها خللتها بجد ب"ميت" راجل.

_يخطبوها؟! هي مش متجوزة؟!

قالها بتشتت وهو يسترجع ما ذكرته مساعدته عنها صباحاً ليجيبه صديقه:

_كانت! ومش مهم تعرف القصة !

كاد يسأله بفضول عنها لكن غروره منعه فقال بلا مبالاة مصطنعة:

_معاك حق...مش مهم!

لم يكد يتم عبارته حتى اقترب منهما النادل ليسألهما عما يطلبانه فبادر صديقه بالطلب قبل أن يقول له:

_سيبني أنا أختار لك مادام أول مرة .

هز كتفيه وهو يدور بعينيه في المكان باحثاً عنها لكنه شعر أنها لن تظهر ثانية ...

فعاد ببصره نحو المائدة يتأمل هذه المفارش البيضاء التي زينت بغرزة "الكانافا" الشهيرة بألوان الطيف كذلك لتحمل رسماً مميزاً لحرف الياء بالعربية وقد التف طرفه ليصنع شكل "القلب الشهير"!

فابتسم ساخراً من نرجسيتها -كما رآها وقتها- وظنونه تصور له أنها عاشقةٌ لنفسها بصورة





مغالية كي تحمل كل مفارش المائدة ذاك النقش

بأول حرف من اسمها !

_عاجباك المفارش؟! جيسي بتصممهم

بإيدها ...تخيل!

قالها صديقه وهو يلاحظ تفحصه الشديد لها

فاتسعت ابتسامته الساخرة لتليق بقوله:

_ده فَضا بقى!

قالها وهو يحاول التظاهر بتأمل قائمة الطعام والتي

لم تحوِ سوى "السينابون" فقط لكن بأنواعِ

عديدة ...

قبل أن ينشغل ذهنه بقصة طلاقها هذه ...





لا يكاد يصدق أن هذه القامة القصيرة والجسد النحيف ذا الملامح الطفولية قد دخل عالم الزواج المعقد بل ...وخرج منه!

ثم ما الذي يدفع رجلاً عاقلاً ليطلق امرأة بهذه المميزات ؟!

جميلة ...ذكية....ناجحة...وعلى قدر كبير من الثراء...

إلا لو كان في سلوكها -مثلاً- ما يشين ؟!

عقد حاجبيه بقوة عند الخاطر الأخير وهو يتذكر حوارهما معاً في عيادته محاولاً صبغته بسوء ظنه حتى اطمأن قلبه لسابق فكرته -السوداء-عنها!

لو كانت تحدث جميع الرجال بهذه الطريقة التي حدثته بها -والتي تمزج غموضها بعفويتها-
فلاريب أن تاريخها زاخرٌ بالكثير من المعجبين...





تاريخها فقط؟!

ربما ...حاضرها كذلك!!

امرأة لعوب تستغل فتنتها وذكاءها للتراقص على مسارح الخطيئة!

انقطعت أفكاره المصطبغة بطبيعته المتشككة عندما وصل النادل بما طلبه صديقه فامتدت أنامله لقطعة الحلوى بالكراميل خاصته يتذوقها وهو يترقب لأي عيب ينتقدها به ...

لكن الحقيقة أنها كانت حقاً شهية حتى أنه التهمها كاملة تحت نظرات صديقه الراضية التي ختمها بقوله:

_مش قلتلك هتعجبك؟! هتبقى إدمان وبكرة أفكرك!

===========





_هتحضر معانا الحفلة يا يامن؟!

هتفت بها داليا بدلال وهي تتعلق بعنقه فرمقتها نبيلة بنظرة مستاءة وهي تتوقع رده:

_مين "معانا" دول؟! نبيلة عايزة تحضر هي حرة ماليش فيه...لكن انتم لأ...وأظن دي مش أول مرة نتكلم فيها في الموضوع ده !

قالها بحزم وهو يزيح ذراعي بنت خالته عن عنقه ليردف بنبرته الخشنة :

_وقلت ستين مرة قبل كده انك كبرتي على جو الأحضان والدلع ده...المرة الجاية هاحرجك بجد يا داليا!




رمقته الفتاة بنظرة غاضبة ثم هرولت إلى غرفتها لتغلق بابها خلفها بعنف فالتفتت نحوه أمه لتقول بعتاب:

_مفيش فايدة فيك..مصمم تعمل فجوة بيني وبين البنات..خلاص هيروحوا النار يعني لو حضروا معايا الحفلة!

_ياريت بلاش نتكلم في الموضوع ده عشان مانتخانقش!

هتف بها ببرود لم يخدعها فاقتربت منه لتحتضن كتفيه بكفيها قائلة :

_مش كده يا يامن ...أنا مقدرة خوفك عليهم ..لكن انت محبكها قوي!

فابتسم ساخراً ليرد بغضب هذه المرة:




_صحيح...محبكها كتير...إيه يعني حفلة فيها رقص وغنا وخمرة للصبح...بسيطة...ليه أقفلها في وشهم كده...مش يمكن مُخرج عظيم يكتشف واحدة فيهم هناك ويخلليها نجمة كبيرة زيك...وبالمرة يعيد أمجادك ويرجعوا الناس يفتكروكي!

_اخرس !

هتفت بها بحدة لتردف بصوت عالٍ بينما تشير لصدرها بغرور ناسب قولها:

_أنا سبت التمثيل عشانك ...وممكن أرجع في أي وقت بإشارة من صباعي ...لكن أنا عارفة دماغك ..ما تستغلش ده !

فالتمعت عيناه بغضب أسود مع قوله:

_عشاني؟! لا والله ؟! أنا آسف إني ما قدرتش تضحيتك العظيمة دي... يمكن عشان ما كنتش





محتاجها...أيوة ما كنتش محتاجها...أنا عشت عشرين سنة من غير أم ... ما كانتش هتفرق لو كنت كملت عمري كله كده!

_انت ...انت نسخة من أبوك...نفس القسوة والقلب الأسود.

قالتها بنبرة متحشرجة واشية بقرب بكائها وهي تخفض ذراعيها عنه لتدفعه بعنف...

فكز على أسنانه بقوة ثم تحرك مبتعداً عنها ليعطيها ظهره قبل أن يقول بصوت عاد إليه بروده:

_ما منعتكيش تعيشي حياتك زي ما أنت عايزة ...عشان كده استقليت بحياتي في بيت لوحدي بعيد عنكم ...لكن مش هاسمحلك تضيعي





تعبي مع البنات...هم أمانة في رقبتي ومش هاخللي حاجة في الدنيا تمنعني أوصل بيهم لبر الأمان.

_ما بقوش صغيرين عشان تفرض عليهم تحكماتك...واحدة اتجوزت والاتنين التانيين قربوا ...واللي بتحرمهم منه دلوقت بكره عنيهم هتزغلل عليه.

هتفت بها بسخط ليلتفت نحوها بقوله الساخر:

_تبقي ما تعرفيش بنات أختك كويس...مش أنا لوحدي اللي كرهت أسلوب حياتك...هم كمان كانوا شايفين آخرة طريقك العظيم إيه...ماظنش واحدة فيهم بعد كده تتمنى تبقى زيك ...يا نجمة!

_انت قليل الأدب وما اتربتش!

صرخت بها بعجز وهي تخفي وجهها بين كفيها فاقترب منها ليهتف بغضب :





_معلش...أمي ما كانتش فاضية تربيني وهي بتتصور في حضن كل راجل شوية!

صفعتها القوية على وجنته أنهت الموقف بأسوأ ما يكون ...

قبل أن تتركه لتندفع نحو غرفتها وصوت شهقاتها الباكية يقع على صدره كجلد السياط!!

زفر بقوة وهو يتحسس وجنته ثم اندفع ليخرج من بيتها نحو سيارته التي استقلها ليذهب إلى بقعته المفضلة في ذاك المكان الجبلي المنعزل ...

لماذا سمح لبركانه الخامد طوال هذه السنوات أن ينفجر الآن فجأة ؟!

طالما كان يتباهى بقدرته على كظم غيظه أمامها -هي بالذات- وإلا فعل ما سيندم عليه طوال عمره ...





لهذا ترك لها حياتها تعيشها كما تشاء دون أن يطلب منها شيئاً...

حتى اعتزالها التمثيل كان قرارها هي الحر الذي لم يكن له أي دخل فيه ...

بل إنه حتى لم يظهر رضاه عنه!

ربما لأنه كان قد تأخر ...

تأخر كثيراً لو تعلم !!

ربما غضبه اليوم منبعه خوفه على بنات خالته وبالذات داليا الصغيرة ...

يخاف أن يجرها انبهارها الساذج بذاك الجو كي تخطو خطوات خالتها ...

هن الثلاثة يعتبرهن حصاد عمره ولن يسمح بأن ينجرفن في ذاك التيار!





كان قد وصل لبقعته النائية المرجوة فخرج من سيارته ليستند على مقدمتها متطلعاً للسماء بشرود ...

شعور بالذنب يسكن صدره كعهده في كل مرة يجرح فيها أحدهم لكنها طبيعته الخشنة التي لا يملك لها دفعاً...

الغريب أنها تتناقض مع الانطباع الأولي الذي تعطيه ملامحه بالمرح لكنه اعتاد هذا التقلب بينهما ....

تماماً كما اعتاد كل تناقضات حياته!!

منذ شب عن الطوق ليجد نفسه ابن "بيلّلا" نجمة السينما و "عبد الرحيم حمدي" أحد أعيان قرية كبيرة من قرى الدلتا...





تزوج والده من النجمة الشهيرة التي خلبت لبه ليشترط عليها اعتزالها للفن...

لكن "بيللا" أو نبيلة لم تحتمل أكثر من عامين قبل أن تطلب منه الطلاق لتعاود مسيرتها الفنية ...

تاركة إياه لأبيه الذي ترك قريته اتقاء للقيل والقال ليهاجر به إلى القاهرة كي يتوه به في زحامها عن نسبه لوالدته...

رباه والده بحزم شديد كما يفترض لرجلٍ في نشأته وطبيعة شخصه ...

ليكون الدرس الأول الذي تعلمه أن الرجال لا يقهرهم إلا العشق !

هذا الدرس الذي نسيه -هو- مرة ...

مرة واحدة ...أقسم أن تكون الأخيرة !




بعدما أذاقه الزمن مرارة -خبرته الخاصة- وهو لايزال في مقتبل حياته ...

ليتلقى صفعة الغدر على وجه كبرياءٍ أقسم ألا تمسه بعدها امرأة !

هنا تنهد بحرارة ليصرف عن نفسه مرارة الذكرى ...

وأفكاره تعاود التركز حول أمه التي لم تظهر في حياته إلا بعد وفاة والده وهو في العشرين من عمره !

جزء بداخله استقبلها بعطش طفل لحنان أم افتقدها طوال هذا العمر...

لكن جزءاً آخر مطعوناً في رجولته لايزال ينفر منها حتى بعد اعتزالها لهذه المهنة منذ عدة سنوات ...

يحبها؟!





بالتأكيد هو يفعل...

وإلا لما اهتم بها وببنات شقيقتها هذا الاهتمام المغالي ...

لكنه كان يود لو يشعر أنها هي ...تحبه!!

هي -ثمرته المحرمة- التي قضى سنوات طفولته ومراهقته يراقبها خلسةً عبر الشاشات لا يكاد يصدق أنها بكل هذا القرب...

وبكل هذا البعد!!

جميلة !!

هكذا كان يراها في صورها و....

قبيحة ...بل منفرة!!

هكذا كان يراها بعين ظنونه التي غذتها هواجس والده الحاقدة عليها ...





لكنه بين هذا وذاك ...

لم يستطع أن يبتعد عندما وجدها تقترب على استحياء من عالمه !

ربما يفسر هذا تناقض تصرفاته الشديد معها ....

وحرصه الأشد على بنات خالته اللاتي صار يعتبرهن كل عائلته !

انقطعت أفكاره برنين هاتفه فزفر باختناق...

قبل أن يتناوله ليفتح الاتصال مع قوله:

_أيوة يا رانيا..مش راجع الليلة دي...

لكنه ما كاد يستمع قليلاً حتى هتف بجزع:

_إيه؟! مالها؟!

=========





(القطعة الثالثة)

****

جلس على طرف فراشها يراقب ملامحها الساكنة بمزيج غريب من مشاعر تجتاحه بجنون هادر ويقاومها بجنون أكبر...

لماذا لا تكبر ملامحها ؟!

لماذا لا يبدو عليها أثر السنين؟!

لماذا لا تتخلل وجهها تجاعيد الهرم كمثيلاتها من النساء؟!

لماذا لا تسمح لخصلات المشيب أن تعلن عن نفسها ...

ربما تعلن معها "أمومتها"!!





نعم...ربما وقتها فقط ...ينسى "بيللا" الفاتنة نجمة الأضواء التي عاش يطارد سرابها لسنوات مرت ثقيلة كالجبل على صدره!

لكنها للأسف لاتزال تتشبث ببقايا عهدها القديم ...

تماماً كما عينيه العاجزتين عن رؤيتها إلا بصورة "المرأة الفاتنة"...

و"الأم الجاحدة"!!

جمالها كان ولايزال "نعمتها"...و"نقمته"..

"كنزها"...و"لعنته"...

ربما لهذا لا يزال عاجزاً أن يلبسها عباءة "الأم" تماماً كما لاتزال هي متشبثة ب"تاج"نجوميتها!





فتحت عينيها فجأة لتلتقي بعينيه الصارختين بمشاعره لكنه أغمضهما بسرعة وكأنه خشي أن يفضحه حديثهما ليقول بنبرته الخشنة:

_قبل ما تلوميني وتقولي أنا السبب ...الدكتور قال إن أدوية التخسيس اللي بتاخديها هي اللي أثرت عليكِ وسببت الهبوط اللي حصللك ده.

رمقته بنظرة عاتبة صامتة وجدت صداها في صدره فاختلجت عضلة فكه وهو يحاول كتمان ما يشعر به!

عندما وصل إلى هنا منذ ساعات ليجدها فاقدة لوعيها كاد يسقط جوارها وهو يتصور نفسه السبب في انهيارها هذا ...





وحتى عندما طمأنه الطبيب بقي على حالته من القلق حتى تحسن وضعها نوعاً ..

ساعتها تمنى لو ...

لو يحتضنها!

هل تعلمون أنه لم يحتضنها مرة واحدة في حياته كلها؟؟!!

هي حاولت كثيراً في مواقف عدة أن تضمه لصدرها لكنه كان يكتفي

بالاستسلام لحركتها متيبساً قابضاً ذراعيه جواره !!

هذه الحركة التي لم يفوتها قلبها ك"أم" لكن كبرياءها ك"نجمة"

تغاضى عن مناقشة سببها معه !

لكن...هل تراها حقاً لا تفهم ؟!





أم أنـها تتجاهل السبب كما تجاهلته هو نفسه لعشرين عام من عمره ؟!

_يامن...أنا مش وحشة قوي كده !

بهمسها الخفيض اقتحمت بها "دائرته الخارجية" الخشنة لتصل لما بعدها باستطرادها المتهدج:

_انت عمرك ما سألتني سبت باباك ليه...عمرك ما عاتبتني ...

_ولا هاعاتبك !

قالها وهو ينتفض واقفاً وكأنما خشي أن يقترب من "صندوق ذكرياته الأسود" ليردف بنفس الخشونة :





_وياريت بلاش نتكلم عشان احنا الاتنين ما نزعلش...

ثم ابتسم ليقول بسخرية مريرة:

_واضح إن تأثيري وحش على صحتك ..كان معاكي حق ترميني زمان ...لو منك أعيدها تاني دلوقت !

أغمضت عينيها بألم افترش ملامحها لكن ظنون "نقمته" كانت تراها

الآن "بيللا" الممثلة البارعة التي طالما اعترف بمهارتها في إجادتها في إتقان الدور!

ربما هذا ما برر قسوة عبارته بعدها:

_عموماً ما تقلقيش...(ساعةْ صراحة) وراحت لحالها ...يامن اللطيف اللي بيزورك هنا ساعة كل





يوم ويشوف طلباتك وطلبات البنات هيرجع تاني...أظن ده الأريح لنا احنا الاتنين !

فتحت عينيها لتنظر إليه نظرة "جائعة" لعاطفة هو "أبخل" ما يكون عنها ..رغم أنه "أحوج" ما يكون إليها !

لكن ما حيلته؟!

عندما تحترق الزهور يسهل أن تنبت من جديد ...

لكن ماذا لو احترقت "الجذور"؟!

هل يبقى هناك من أمل؟!

وتساؤله الأخير أجابه ببساطة عندما "ابتعد" عنها بضع خطوات في طريقه لباب الغرفة مع قوله:





_أدوية التخسيس دي ما تتاخدش تاني...لو عايزة تعملي رياضة خفيفة ممكن أفضيلك نفسي ساعة كل يوم الصبح بدري نمشيها سوا..

ثم التفت إليها برأسه ليردف بابتسامة مريرة:

_والحفلة احضريها براحتك وهاوصللك وأرجع آخدك...ماهو ما يصحش الناس ما يلاقوش ابن "النجمة" جنبها في مناسبة زي دي...مش ده كل اللي يهمك؟!

انفرجت شفتاها وهي على وشك الاعتراض لكنه قاطعه باستطرادها الصارم ملوحاً بسبابته:

_لكن البنات محدش فيهم هيحضر...وابعدي عن داليا بالذات ...مفهوم؟!

قالها بشراسة فتيّة اجتاحت حروفه لتفضح لها حقيقة شعوره نحو بنات شقيقتها ...





هو يريدهن جميعاً الصورة التي كان يتمناها فيها هي...

بل ويريد تجنيبهن جحيم حرمانه الذي عاشه عمره كله!

لهذا أغمضت عينيها ببعض الخزي الغريب على كبريائها المعهود

لتقول بصوت واهن:

_قَرّب يا يامن!

والعبارة وصلته كما أرادتها بالضبط!!

ليس فقط بما "ظهر" من قرب المكان ...إنما بما "بطن" من قرب القلب!

لهذا ازدرد ريقه بتوتر وقد بقي على حاله يعطيها ظهره للحظات





قبل أن يعود ليتوجه نحوها بخطوات بطيئة وعيناه تجبنان عن مواجهتها بنظراته ...

_آسفة...عشان ضربتك!

ليتها ما قالتها !!

الآن ..تعتذر؟!

علامَ؟! على مجرد صفعة؟!

هي -لو تدري- تجلده جلداً منذ ولد ...

تجلده ب-قربها-...كما فعلت منذ زمن ب-بُعدها-!

تعتذر على صفعة؟!

ألا تدرك أنه يوماً ما تمنى لو تصفعه؟!





أجل...وقتها كان طفلاً منطوياً كعادته يجلس منزوياً على إحدى مقاعد حديقة عامة مع والده الذي شرد عنه بتفحص جريدته ...

عندما رأى طفلاً آخر يصغره بسنوات وقد اندفع خارج سور الحديقة القصير مطارداً كُرته التي يلعب بها حتى كادت تدهسه دراجة مسرعة

لولا توقفها في آخر لحظة !

عيناه وقتها التصقتا بأم الصغير التي جرت نحوه بسرعة لم يرَها يوماً في امرأة حتى تلقفت ابنها ليكون أول رد فعل لها هو ...صفعة!

صفعة تمنى مثلها من فرط ما فضحت مشاعر الأم الملهوفة التي علا صوت بكائها وهي تحتضن ابنها بعدها بقوة وقبلاتها تمتزج بدموعها على وجهه!





ساعتها تمنى لو تكون له أم كهذه تصفعه لو أخطأ ...

مادام سينتهي كل هذا بعناق دافئ كهذا!!

_المفروض تتأسفي على حاجات كتير!

تمتم بها بصوت غير مسموع فرفعت إليه عينيها بتساؤل لكنه هز رأسه مقاوماً مشاعره لتعود لصوته خشونته مع قوله متجاهلاً اعتذارها :

_أنا هبات هنا النهارده عشان لو احتجتم حاجة .

نظراتها المريرة حملت تفهّمها لكل هذا الجفاء الذي يبديه...




وإن منعها كبرياؤها من الرد فاكتفت بالإشاحة الصامتة بوجهها بينما

رمقها هو بنظرة أخيرة قبل أن يخرج صافقاً الباب خلفه بعنف!!

هو وُصم بها منذ طفولته ولم يملك لهذا سبيلاً...

لكن قريباته لن ينحدرن في هذا الجرف مادام في صدره نفس يتردد.

"بيللا" تريد عيش حياتها نجمة فليكن لها ما أرادت ...

لكن النجوم لا تلمع إلا في "الليل"...

و"ليل جفائه" لن يقل ظلمة عن ليل "جحودها"!!





ولا عزاء ل"عاطفة" تظن أن بعد هذا الليل فجراً.....

==========

_هي عاملة ايه دلوقت ؟!

سألها رامز هامساً بينما يراها تغلق باب غرفة النوم الصغيرة في شقتهما والتي صارت غادة تشغلها منذ وفاة زوجها في تلك الحادثة البشعة والانهيار الذي أصابها بعدها ...

فأجابته وهي ترمقه بنظرة غريبة بين لومها وعجزها:

_هتموت يا رامز...لو جرى لها أي حاجة ذنبها هيبقى في رقبتك!

قالتها بعينين دامعتين وهي تتقدم نحوه ...





فهتف بانفعال:

_أنا كمان حاسس بالذنب بس والله مأعرف ده حصل ازاي...الطريق كان فاضي عشان كده دست بنزين براحتي ....معرفش المقطورة دي ظهرت امتى وازاي!

تطلعت لجرح جبهته الغائر الذي تم تضميده وتلك الكدمات التي تغطي ما ظهر من جسده ...

قبل أن تنخفض نظراتها لجبيرة ذراعه المكسور ...

ثم أغمضت عينيها بألم وهي لا تكاد تصدق ما حدث في الأيام السابقة ...

حلم غادة الوردي تبخر في غمضة عين !

حب أحمد الذي كان لها الدنيا وما فيها صار الآن مجرد ذكرى!!





"العروس البائسة" التي لم يمر على زواجها سوى بضعة أشهر فقدت أمان عالمها كله فجأة ...

وهذا "المتهور" أمامها هو السبب!!

لهذا لم تملك نفسها وهي تفتح عينيها من جديد لتهتف بصوت مرتجف:

_أنا عارفة إن كل شئ قضاء وقدر ...بس غصب عني ...مش قادرة أبص في وشها ...فرحتها اطفت في عزها ...آآه...يا حبيبتي يا غادة !

انهارت بعدها في بكاء خفيض فضمها إليه بذراعه السليم ليهمس بمزيج من أسى وأسف:

_ما تشيلنيش الذنب أكتر ...أنا لحد دلوقت مش مصدق إن هو فعلاً مات...آخر صورة له في دماغي وهو بيضحك قبل الحادثة بدقايق...تخيلي كان بيفكر هايجيب لها هدايا إيه من هناك عشان




يعوضها عن الكام ساعة اللي هايغيبهم ...مكانش يعرف إنه...

_اسكت يا رامز...اسكت !!

تمتمت بها بين آهات بكائها وهي تنكمش على صدره أكثر ...

ذراعاها يتشبثان به بقوة وهي تستعيد لحظات مشابهة ...

عندما وصلها خبر وفاة والديها في حادث كهذا ...

ساعتها تجمد بها الزمن وهي تكذب الخبر لأول وهلة ...





قبل أن تضم شقيقتيها معاً لصدرها وهي تدرك لأول مرة في هذه الحياة معنى "المسئولية"...

ربما لهذا السبب لم تبكِ وقتها أمامهما ...

ظلت تحتضنهما بكل ما أوتيت من قوة لتتلقى دموعهما على صدرها هي متظاهرة بالصلابة ...

ورغم أنها لم تكن تعلم وقتها ما ينتظرها من دعم يامن وعودة خالتها لحياتهن ، لكنها تعهدت أن تبقى القوية وسطهن وألا يقهرها حزن ولا عاطفة !

كانت هذه أول صدمة تلقتها في عمرها القصير ...

والصدمة التالية كانت ...يامن نفسه!

يامن الذي خانته معشوقته الأولى لتهين رجولته بفضيحة تحدث عنها الجميع وهو لا يزال في مقتبل عمره ...





يظنون أن صدمته أثرت عليه هو فقط ...

لكنهم لا يعلمون أنها هي كانت تراقبه بقلب كسير

وهي تتساءل عن السبب الذي يجعل امرأة عاقلة

ترفض عشقاً كعشق يامن !

ورغم أنه زعم أنه تجاوز ذاك الأمر بعدها ليحاول

خداع الجميع بقناعه القاسي حتى أنه تزوج منذ

فترة من امرأة أخرى في لندن ...

لكنها تعلم أن ندبة "معشوقته الأولى" لا تزال

راسخة في قلبه ...

ليس فقط كونها حبه الأول ...وجرحه الأول ...

بل لأنها لمست بخديعتها "وتره الحساس" الخاص

بوالدته ...خالتها!





ومن وقتها وقد تعلمت أن الحب هو الشيء الوحيد الذي يخفض هامات كبريائنا.

ربما لهذا كانت تستخف كثيراً بالمشاعر وتتشبث بقناعها العملي ...

لكنها عندما تخلو بنفسها تدرك أنها بداخلها أشد هشاشة مما تبدو عليه ...

ولهذا تجد نفسها رغماً عنها تتريث في خطواتها نحو رامز ...

تخاف التعلق ...بقدر ما تخاف الغدر...

وبقدر ما تهاب الفقد!!

وعند خاطرها الأخير التفتت نحو الباب المغلق لغرفة غادة وقلبها ينتفض بين ضلوعها بحسرة





على صديقتها التي تعيش الآن "كابوس الفقد"
الخاص بها وحدها ...

وحدها؟؟!!!

لا ...لن تتركها وحدها أبداً!

لهذا رفعت إليه عينيها لتهمس بنبرة أقوى:

_أنا آسفة إني جبتها هنا...بس انت عارف إن والدة
أحمد ماتت من زمان ومعندوش إخوات
بنات ...وهي مالهاش قرايب في القاهرة...

ثم صمتت للحظات لتغيب في شرود سبق قولها
المقتضب:

_ووالدتها ظروفها مش مناسبة إنها ترجع تعيش
معاها .

قالتها بالطريقة "الألطف" كي لا تحرج صديقتها
أمامه أكثر ولو صدقت لقالت إن المرأة تذمرت من





عودة غادة معها لبلدها مكتفية بعزاء قصير لها هنا ...

بل إنها -بمنتهى الصفاقة- طلبت من هانيا أن تبحث لها عن عمل هنا كي تعتمد على نفسها فهي لن تعيش لها العمر كله -بزعمها-!

_غريبة! مع إن جوز والدتها كان مرحب جداً بإنها ترجع معاهم زي ما قاللي.

قالها رامز بحيرة فتراقصت على شفتيها ابتسامة استهجان وهي تدرك سر تمسك "الوغد" بعودة "غنيمته الباردة" من جديد بعد ما صار "نيلها"





أسهل فلم يعد هناك ما يمنعه منها ويكشف بغيه عليها !

هو نفس السر الذي يجعل والدتها "المتصابية" تتجاهل أمومتها فداء ل"أنوثة" تظن نفسها ستغتصبها اغتصاباً من بين أنياب السنين...

لقد ظننت يوماً أن "نبيلة" كانت أسوأ أم عرفتها ...

لكنها تعد "ملاكاً " إذا قورنت بأم غادة!

لهذا تنحنحت بخفوت لتتمالك بأسها فيما قال هو ببعض الحرج:

_واضح إنك مخبية عني حاجة بخصوص حياتها بس أنا مش عايز أتدخل في خصوصياتها ...لكن....

صمت للحظات مرتبكاً قبل أن يردف :




_ما ينفعش تفضل قاعدة معنا هنا كده ...انتِ عارفة إن ده بيت العيلة...وماما مش بالعة حكاية وجودها معانا في نفس الشقة...مش ماما بس ...الوضع كده مش لطيف خالص .

أومأت برأسها في تفهم ثم قالت بنبرتها -شبه الآمرة-:

_ما تقنع مامتك إنها تديها شقة أخوك اللي قصادنا ولو بإيجار مؤقت لحد ما أقدر أوفر لها سكن تاني ...أنا محتاجة إني أكون جنبها الفترة دي...

ظهر الامتعاض على ملامحه واشياً بصعوبة ما تطلبه خاصة مع طباع حماتها المتسلطة لكنها أردفت بصوت لائم:

_أظن دي أقل حاجة ممكن نعملهالها خصوصاً إن اللي حصللها...





_خلاص يا هانيا ...أنا هاتصرف وأقنع ماما!

قاطع بها عبارتها التي يفهم مغزاها بضيق وهو يشيح بوجهه .

هنا لانت ملامحها نوعاً وهي تنتبه أنه لا يزال يحتضنها بذراعه السليم ،

فازداد تشبثها به وهي تتفحص وجهه بمشاعر شتى ...

قبل أن تهمس باسمه بخفوت ليلتفت نحوها ...

أناملها ارتفعت لتتحسس وجهه ببطء وعيناها تناجيانه بحديث لم يفهمه...

حديث بعيد تماماً عن تقريعها الدائم ...وعدم الرضا الذي يستشعره واضحاً ولا يفهم سببه!

نظراتها الآن كانت تحمل شيئاً جديداً على عينيه ...




وكأنما تسرب عبر شقوقها الضيقة قبسٌ من شمس عاطفة لا تسمح لها أبداً بالظهور ...

لهذا ابتسم ابتسامة واهنة وهو يتفحصها هامساً:

_عايزة تقولي إيه ومترددة؟!

التمعت عيناها ببريق دموع حقيقي مع صمت لحظات قبل أن ترتجف شفتاها بهمسها:

_يوم الحادثة قبل ما نعرف الخبر غادة سألتني إذا كنت بحبك ...ما عرفتش أرد...ما قدرتش أحدد ...

بدا الاهتمام على ملامحه وذراعه يضمها إليه بقوة أكبر ...

فازدادت ارتجافة صوتها مع استطرادها:

_بس لما عرفت الخبر كنت زي المجنونة...لدرجة إني مش فاكرة إيه اللي حصل لحد ما شفتك





قدامي ...كأن الزمن وقف والدنيا كلها وقفت لحد ما اطمنت عليك ...

اتسعت ابتسامته وهو يعانق ملامحها بنظراته العاشقة فأسندت رأسها على كتفه وهي تردف :

_يمكن ماليش في حركات البنات والكلام المزوق ...بس ...بس...انت بجد غالي عندي قوي ...

ثم رفعت عينيها إليه لتقول بنبرتها المرتجفة البعيدة عن قوتها المعروفة:

_لدرجة اني اتمنيت ساعتها اكون مكانك بس انت تبقي كويس!

اتسعت عيناه الملتمعتان للحظة وقد كان هذا آخر ما وعته ...





قبل أن يفاجئها بدفعها للجدار خلفها وشفتاه تمنحانها "مكافأتها" الخاصة على هذا الاعتراف الذي تأخر كثيراً...

والذي يدرك هو أكثر من غيره قيمة أن تنطقه امرأة مثلها !

امرأة ربما لا تعرف الكثير عن فنون "إغواء حواء"...

لكنها تجيد غزو قلبه بقوة "الاسكندر" وذكاء "نابليون" وثقة "هتلر"!

جوهرةٌ "خام" لم تصقلها التجارب فبقيت على حالها من الخشونة لكنها تبقى فريدة...وأصلية!!

وبين ذراعيه كانت هي غائبة في عاطفة تذيبها ...وتخوفها!

"احذر من تكرهه مرة...ومن يكرهك مائة مرة...





ومن تحبه ألف مرة...ومن يحبك ألف ألف مرة!!"

طالما كانت هذه حكمتها التي تضعها على طريق طموحها ...

ليس أقدر على إيذائنا من أناسٍ اعتدنا "غيث" عطائهم ونخشى "جفاف العطش" بعدهم!

لهذا تمالكت نفسها لتدفعه برفق نائية بنفسها عن الغرق في طوفان مشاعرها أكثر... فالتقط أنفاسه ليهمس لها بنبرة دافئة:

_صدقيني لو قلتلك ده أجمل اعتراف بالحب سمعته ...مش عايز أكتر من كده !

لكنها أشاحت بوجهها لتتجاهل عبارته قبل أن تعود ببصرها نحو باب غرفة صديقتها المغلق قائلة بنبرة عادت إليها قوتها:





_غادة مش صاحبتي وبس...غادة أختي الثالثة...ساعدني نخلليها تتجاوز أزمتها مهما حصل.

==========

الفراش يتراقص بها بنعومة ورائحة "الفراولة" المميزة لدبّها الصغير من الفرو تملأ أنفها ...

قطع المكعبات الملونة بين أناملها تبني بيتاً صغيراً ...

وتصنع شكل فتاة تحركها لتجعلها تبدو وكأنها تدخله!

ابتسامتها تشق الطريق عبر شفتين بريئتين تدنسهما الآن أنامله القذرة عندما اقتحم الصورة فجأة !




عيناها تتسعان برعب وهي تحتضن دبها فيصلها هسيس صوته المرعب:

_حضن عمو أحلى!

تغمض عينيها بقوة فيصلها صوت المكعبات حولها تتكسر ...

بيتها الجميل ينهدم...

و"فتاة المكعبات" صارت بلا ...بيت!

مثلها!

_أحمد!

تناديه بها باستغاثة ولازالت مغمضة عينيها فلا يرد عليها ...

فقط صوت -الرجل المرعب- يدوي في أذنيها مع لسعة أنامله فوق بشرتها ...

فتنادي أمها ليصلها صوتها من بعيد ...

_انتِ اللي سافلة وقليلة الأدب عشان بتفكري في الحاجات دي ...ناسية ابن الجيران اللي ظبطتك معاه ولا زميلك في المدرسة اللي حكالي المدرس عن اللي بتعملوه في الفصل من وراه ...ودلوقت جاية لجوزي كمان ...من النهارده أوضتك تتقفل عليكي بالمفتاح...ومالكيش دعوة بيه خالص....امتى تتجوزي وأخلص من همك ؟!

_أحمد!





تتمتم بها بيأس وهي لا تجد لها ملاذاً غيره فيظهر

أخيراً ليزيح عنها طيف الرجل المرعب ...

ويضمها إليه بقوة ...

قبلاته الناعمة تغرق وجهها وشعرها فتتشبث به

بكل قوتها ...

تكاد تلتحم بجسده والأنفاس بصدرها تتوسله

البقاء...

لكن شيئاً ما ينتزعه من بين ذراعيها بقوة ليقذفها

بقوة فتسقط على ظهرها صارخة باسمه!!!

_قومي يا غادة...قومي!

تهتف بها هانيا وسط دموعها وهي تهز جسد

صديقتها على الفراش لكن





الأخيرة لا تستجيب بينما جسدها ينتفض كالمحمومة مع نداءاتها باسم زوجها الراحل ...

_اعمل حاجة يا رامز ...مش هنقف كده !

تصرخ بها بعجز وهي تحاول ضم جسد غادة المتشنج فيلتفت نحوها رامز ليقول بقلق :

_دقيقة واحدة ...أجيب الحقنة المهدئة اللي الدكتور قال عليها !

قالها ثم خرج من الغرفة ليحضر لها الحقنة ثم عاد بها ليناولها لزوجته التي كشفت ذراع غادة تحقنها بها...

غادة التي كانت شبه غافلة تتشابه المرئيات أمامها مع كوابيسها ...





دموعها لا تكاد تتوقف تماماً كهمسها باسم الفقيد الغالي ...

حتى استكان جسدها أخيراً بفعل تأثير الدواء لتستسلم لذراعي هانيا المحتضنين لها بقوة ...

والتي لم تكف عن البكاء بدورها لترفع عينين قلقتين نحو رامز الذي تجهمت ملامحه بدوره أمام هذه المأساة الحية!!

لكنه أخذ نفساً عميقاً ليتمالك حزنه قبل أن يجذب زوجته من كفها برفق هامساً:

_خلاص نامت..سيبيها ترتاح!

لكن هانيا تشبثت بها بقوة رفيقة مع همسها الخفيض:

_معلش يا رامز ...هنام معها!





ورغم تفهمه للظروف لكنه لم يستطع منع الضيق الذي كسا ملامحه مع همسه العاتب:

_دي سابع ليلة يا هانيا!

وضعت سبابتها على شفتيها محذرة فزفر باستياء ليغادر الغرفة مغلقاً بابها خلفه برفق كي لا يوقظ البائسة التي لا تكاد تفرق بين ليل أو نهار ..

أو يقظة أو منام !

أجل كان يتعاطف كثيراً مع وضعها خاصةً وهو يحمل نفسه الكثير من الذنب فيما حدث لزوجها ...

لكنه ببساطة يريد زوجته التي تلاشت تماماً في حزن صديقتها الذي ابتلعهما معاً !

الغريب أنه كان يرى هانيا دوماً امرأة قوية مسيطرة تتمتع بأكبر قدر من الثبات الانفعالي الذي يقل عادة لدى النساء...





لكنها صدمته أن كل هذا كان مجرد "دائرة خارجية" تخفي بداخلها هشاشة ورقّة بلا حدود !

وفاؤها لصديقتها يبهره لكنه يرى أنها تغالي قليلاً...

والدته وافقت بشق الأنفس أن تمنحها الشقة المقابلة لمدة بسيطة بعد رجاءاته العديدة ....

لكنه فعلها فقط إرضاء لهانيا التي لا يفهم ما الذي تخفيه بشأن غادة ويجعلها ترغب في إبقائها هنا معهما دون أن تعود لبلدتها كما يفترض!

ومع استلقائه على فراشه وحيداً ككل ليلة منذ ذاك الحادث زفر بحنق وهو يطالع السقف بشرود ...

ثم تناول هاتفه ليلعب إحدى تلك الألعاب الالكترونية التي صار يدمنها مع همسه الساخر لنفسه:




_يا فرحة الحاجّة بيك لو عرفت إنها جوزتك عشان تقضيها لِعْب على الفون ومراتك نايمة في حضن صاحبتها!

وفي الغرفة الأخرى استلقت هانيا جوار صديقتها تضمها بقوة وهي تهمس لها دون أن تدرك إن كانت تسمعها أم لا:

_ما تخافيش يا حبيبتي ...أنا معاكي...مش هاسيبك أبداً لحد ما تقفي على رجليكي من تاني .

=========

_مش ملاحظة إن صدفك كترت؟!

قالها بغيظ مكتوم وهو يرى باب المصعد الذي يستقله في أحد





ال"مولات" التجارية الضخمة يفتح في اللحظة الأخيرة لتدخل هي منه !

هي التي تجاهلته تماماً وهي تعطيه ظهرها لتسمع هتافه الساخط خلفها:

_انتي ماشية ورايا واللا إيه؟!

ظلت على وضعها فاستشاط غضباً ليردف بحدة أكبر:

_أروح النادي ألاقيكي في وشي...أخرج من "الجيم" ألاقيكي داخلة...حتى الحفلة اللي حضرتها أمي لقيتك فيها ...آه ..بالمناسبة كنتي بتعملي إيه هناك؟!

قال عبارته الأخيرة بشيء من الاحتقار ورؤيته لها في ذاك الحفل الذي أصرت والدته على حضوره تعمق صدق ظنونه السوداء بها!





ليلتها كان ينتظر والدته ليوصلها ففوجئ بها تخرج معها ...

وبقدر ما بدا هو -وقتها- مصدوماً برؤيتها ، بقدر ما بدت هي هادئة تماماً إلا من نظرتها العاتبة كالعادة ...

نفس النظرة التي رمقته بها الآن مع إجابتها بصوتها الواثق:

_ممكن أقوللك انت مالك وأسيبك تغلي لوحدك ...لكن لو حسنت أسلوبك ده ممكن نتكلم .

_ومين أصلاً عايز يتكلم معاكي ؟!...اوعي كده !

قالها وهو يزيحها جانباً بخشونة ليغادر المصعد نحو محل بعينه قصده ليشتري لداليا هدية يصالحها بها بعد آخر صدام كان بينهما والذي طال بعده خصامها له خاصة بعد ما حدث لنبيلة ...





دخل المحل ليصافح صاحبه الذي بدا على معرفة وثيقة به والذي دعاه للجلوس ريثما يعد له طلبه .

جلس على الكرسي الذي يتيح له أن يكون ظهره مواجهاً للباب وكأنه يتوقع رؤيتها بالخارج تنتظره ...

هذه المرأة تكاد تصيبه ب"فوبيا" الغرباء من فرط ما صار يخشى رؤيتها ...

شيء ما بهيئتها ينفره منها...

يذكره ب-شيء يكرهه- لكنه لا يدركه...

غريب؟!

ربما..لكن الأكثر غرابة أنه لا يدري لماذا تطارده بهذه الفجاجة دون أن تتعمد الحديث إليه مكتفية برؤيته ...

تراها مخبولة؟!





لا!

مظهرها وحديثها لا يوحيان بهذا ...على العكس...إنها تتحدى مهارته الشهيرة في السماجة والوقاحة بأسلوبها القوي !

وما يزيد من هالة الغموض حولها هذه النظرة اللائمة التي لا تغادر عينيها كلما رأته وكأنه قد آذاها يوماً ...

فقط لو يذكر أين رآها من قبل!!

_اتفضل يا دكتور...ده ذوق الآنسة داليا..أنا واثق إنه هيعجبها جداً!

انتشله بها البائع من شروده فتناول منه العلبة الصغيرة ليفتحها متفحصاً الخاتم فيها ...





_عيار كام ؟! وشركة إيه؟! فين الخِتم؟!

قالها بنبرته المتشككة والتي يبدو أن الرجل اعتادها فقد أشار له ببساطة لذاك التجويف في الخاتم مع قوله:

_اسم الشركة والعيار على الخِتم اهه يا دكتور !

_تمام...اكتبلي بقى كل ده في الفاتورة!

قالها ولايزال يتفحص الخاتم فابتسم الرجل بتفهم وهو يجلس على مكتبه ليكتب له ما يريد ....

بينما ابتسم هو ابتسامة خفيفة وهو يرى الفص الأحمر الكبير الذي تزين بها الخاتم ...

والذي يدرك أن داليا ستهيم به حباً !

ربما لو كانت هانيا لاختار لها شيئاً بفص أسود يلائم مزاجها الجاد شديد التحفظ..





ولو كانت لرانيا لكانت اللآلئ الصغيرة المنمنمة هي الخيار الأمثل لطبيعتها الهادئة الرقيقة.

لا ...ليس عجيباً أن يفهم أذواقهن لهذه الدرجة ...فهو يعتبرهن شقيقاته ولو أن تعلقه بهن وتعلقهن به يجعلهن ل"بناته" أقرب رغم أن فارق السن بينهم لا يسمح بهذا!

_مبروك يا دكتور...وسلامنا للآنسة داليا...وللنجمة بتاعتنا طبعاً!

قالها الرجل بعفوية فتجهم وجهه للعبارة الأخيرة ...

قبل أن يتمتم بكلمات مبهمة وهو يعطيه "بطاقة الائتمان" الخاصة به كي يسدد ثمن الهدية .





خرج من المحل ليختلس نظرة حوله لكنه لم يعثر ل"مطاردته" المجهولة على أثر فهز كتفيه ليقنع نفسه بعدم الاكتراث ...

ثم خرج من المكان وهو يختلس نظرة خلفه من آن لآخر وكأنه يبحث عنها ...

ووجدها!!

لكنها لم تكن خلفه بل أمامه !

على بعد خطوات من مدخل "المول" تتشاجر مع أحدهم وقد بدأ الناس في الالتفاف حولهم!

عقد حاجبيه بضيق وهو يتابع صراخ الرجل الحاد بها والذي قابلته هي ببرود في البداية قبل أن يتجرأ ليجذب ذراعها نحوه بقسوة فكان دورها لتصرخ به هي الأخرى وهي تدفعه بقوة !





تحرك خطوة نحوها وقد دفعته نخوة رجولية للدفاع عنها لكن طبيعته المتشككة كالعادة جعلته يتسمر مكانه للحظات وشياطين ظنونه لا تزال ترسم لها أبشع الصور ...

الرجل الذي يجرؤ على الصراخ في وجه امرأة وجذبها بهذه الطريقة في طريق عام إما مجنون... أو صاحب حق يخول له عفوية هذا التصرف!

لهذا ابتسم بمزيج من سخرية واحتقار عندما رآها تلتفت نحوه لتتسمر مكانها هي الأخرى عندما رأت نظراته قبل أن تصمت تماماً والناس حولها يحاولون فض النزاع.





لكنه لم ينتظر المزيد فقد اندفع نحو سيارته بخطوات متزنة ليستقلها مبتعداً عن كل هذا تلاحقه نظراتها التي لم يرها وإن شعر بها .

ولم يكد يبتعد بضعة أمتار عن المكان حتى شعر بالضيق وهو يتلفت خلفه ...

هذه المرأة صارت تحتل مكانة أكبر بكثير مما تستحقه مثيلاتها ...

وغموضها هو ما يصنع حولها هذه الهالة ،ربما لو انكشف هذا الغموض فيمكنه التخلص من التفكير بها بهذه الطريقة المغالية خاصة مع مطاردتها الدائمة والصامتة له!





لهذا أدار مقود سيارته ليعود بها إلى الشارع الذي تركها عنده لكنه رأى سيارتها تمر أمامه... فابتسم وهو يقول في نفسه:

_حلو قوي ...كده نقلب الأدوار وامشي أنا وراكي أشوف الهانم عايزة إيه !

قالها ثم تناول هاتفه ليتصل بصديقه المقرب يخبره عن وجهته ومكانه وما ينتويه ليختم حديثه بقوله:

_لو ما كلمتكش في خلال ساعة كلمني انت..لو ماردتش عليك بلغ البوليس...أنا شاكك فيها صراحة وممكن تكون دي حركة منها !

_انت بتشك في نفسك أصلاً..إيه جو المغامرات ده !؟

قالها صديقه ضاحكاً قبل أن يغلق معه الاتصال متفهماً طبيعته الوسواسية...بينما استمر هو





يتعقبها بسيارته حتى خرجت بها من حدود المدينة المعمورة ليزداد يقينه بظنونه السوداء.

هنا انتبه فجأة للطريق الذي تتخذه فانعقد حاجباه بغضب وهو يغمغم بصوت مسموع:

_يا بنت الإيه!!....معقول تكون هتروح هناك ؟!

قالها وهو يزيد من سرعة سيارته بحركة عصبية ليتبعها حتى وجدها تتوقف تماماً كما توقع ...

في مكانه -هو- المفضل في تلك المنطقة الجبلية المنعزلة !!

زفر بسخط ثم كز على أسنانه ليوقف سيارته بدوره قبل أن يترجل منها ليندفع نحوها فينحني أمام نافذة سيارتها هاتفاً :

_انتي بتعملي إيه هنا؟!





اتسعت عيناها بصدمة وقد بدت متفاجئة تماماً بوجوده ...

فابتسم ساخراً مع هتافه:

_إيه يا حلوة ؟! اتخضيتي ؟! أظن هتقولي إنها صدفة وإنك ما تعرفيش إن ده مكاني اللي بروحه لما بحب أبقى لوحدي ؟!

_لأ عارفة!

قالتها ببرود كادت تنجح فيه لولا نبرة صوتها المتحشرجة التي فضحت قرب استسلامها للبكاء قبل أن تأخذ نفساً عميقاً بينما هو يستطرد بحدة:

_كده كتير ....أنا عايز أعرف حكايتك بالظبط معايا .




_انت اللي جاي ورايا المرة دي !

قالتها وهي تشيح بوجهها لكنه هتف بها بفظاظته المعهودة:

_هو ده اللي هامّك دلوقت ؟؟!...انتي ماعندكيش دم؟! فيه واحدة تيجي مكان زي ده لوحدها الساعة دي؟!

ثم أطلق صوتاً ساخراً وهو يردف:

_واللا يمكن مقصودة وأنا قاطع عليكي معاد مهم؟!

لكنها لم تبدُ متفاجئة بوقاحته بل فتحت تابلوه السيارة المجاور لتستخرج منه صاعقاً كهربائيا لوحت به في وجهه مع قولها بنفس النبرة المتحشرجة:

_بعرف ادافع عن نفسي كويس ...ودلوقت لو سمحت امشي وسيبني !





مع كلمتها الأخيرة خانتها عيناها بخطين من الدموع سالا على وجنتيها فانقبض قلبه تأثراً ...

لكنه كتم هذا خلف قوله الساخر الذي حافظ على فظاظته:

_شيلي يا شاطرة اللعبة اللي في ايدك دي...لو حد حب يأذيكي هنا محدش هيعرف لك طريق!

_امشي يا يامن أرجوك ...محتاجة أبقى لوحدي !

قالتها وهي تخفي رأسها بين ساعديها المرتكزين على مقود السيارة قبل أن تستسلم لبكاء صامت....

فاعتدل بجسده ليتطلع للمكان حوله بمزيج من غضب وضيق قبل أن يدور حول السيارة ليحتل المقعد المجاور لها دونما استئذان !





تركها لبكائها لدقائق فهو تعلم هذه القاعدة الذهبية من أمه وقريباته ...

لا تعترض طريق بكاء امرأة ،دعها تفرغ فيه انفعالاتها بدلاً من أن تفرغها في وجهك!!

لهذا صمت طويلاً قبل أن يقول لها بخشونة:

_انا مش هستناكي تخلصي عياط للصُبح...هم كلمتين وهامشي ...انتي عايزة مني إيه؟!

_ماعدتش عايزة منك حاجة ...مش من النهارده ولا من امبارح ...لأ ..من زمان قوي!

قالتها بنبرتها المختنقة دون أن ترفع رأسها فتجهمت ملامحه وهو يعاود سؤالها:

_أيوااااا ...إيه حكاية من زمان دي بقى؟! انتي تعرفي عني إيه بالظبط؟!





_كل حاجة تقريباً!

قالتها بنفس النبرة قبل أن ترفع رأسها لتمسح وجهها بمحرمة ورقية ،ثم أشاحت بوجهها لتردف:

_وما تسألنيش إزاي لأني مش هجاوبك.

_أنا مش فاضي للعب العيال ده...خلصيني وقولي انتي مين وحكايتك إيه!

هتف بها بخشونة لكنها حافظت على صمتها مع إشاحة وجهها عنه ،فحاول اللجوء للحيلة :

_نبيلة اللي زقاكي صح؟! عشان كده كنتي معاها في حفلة رأس السنة ؟!

التوت شفتاها بابتسامة ساخرة جعلته يردف بنبرة أكثر حدة:

_فاكراكي هتعجبيني ونتجوز؟!





أخذت نفساً عميقاً ثم أسندت رأسها على ظهر مقعدها لتقول بنبرة عاد إليها هدوءها:

_ومن امتى هي بتهتم بحاجة زي كده أو بأي حاجة تخصك؟! بتضحك عليّ واللا على نفسك؟!

شعر بإهانة حقيقية في عبارتها وكأنها ترد له رصاصة وقاحته بأخرى، لكنه لا ينكر أنها أصابت كبد الحقيقة...لهذا ضم قبضته بقوة كادت تحطمها...

بينما أردفت هي دون أن تنظر إليه:

_الحفلة كانت مجرد صدفة...بس ماانكرش اني لما شفتها اتعمدت أتعرف عليها .

_ليه؟!





غمغم بها من بين أسنانه فقالت بنفس النبرة الهادئة:

_زي ما بحاول أقرب من أي حاجة تخصك !

_إيه؟! بتحبيني؟!

قالها بنبرة ساخرة بعد ضحكة مكتومة لكنها لم تجبه مكتفية بصمتها الشارد والذي قطعه رنين هاتفه برقم صديقه الذي هاتفه كما اتفقا...

ففتح الاتصال ليغمغم ببعض الحرج:

_كله تمام...زي ما انت قلت كنت ببالغ...سلام دلوقت هاكلمك بعدين!

_انزل وسيبني لوحدي لاني مش هريحك !





قالتها وهي تنظر أمامها فانفرجت شفتاه وكأنه على وشك أن يقول شيئاً ما قبل أن يطبقهما ليغادر السيارة صافقاً بابها خلفه بعنف مع هتافه بلهجته الفظة:

_لو شفتك في أي مكان تاني هاعمللك فضيحة تحكي عنها البلد لسنين قدام .

قالها وهو يلوح بسبابته في وجهها ليردف باحتقار نفث فيه غيظه:

_وأظن بعد اللي شفته من شوية واحدة زيك مش ناقصة فضايح!

أغمضت عينيها بألم لم تفوته عيناه المتفحصتان...

لكن غضبه حجب عنه شعوره بالذنب فابتعد عن سيارتها ليعود بسيارته من حيث أتى ...





تباً لها من امرأة !!

كيف لهذه القامة الضئيلة أن تثير بداخله كل هذه الفوضى ؟؟!!

هو الذي لا يكره شيئاً في حياته كالفوضى!!

كيف استطاعت في أيام قليلة الاستحواذ على كل هذا القدر من تفكيره ؟!

ربما هي طبيعته الموسوسة التي تكره خروج الأمور عن سيطرته ...

وربما هي جاذبيتها الغريبة المتشحة بغموضها !!

وربما هو -باب الذكرى المغلق- الذي تطرقه ملامحها العاتبة وإن عجز عن تذكر التفاصيل!!!

ظل منشغلاً بأفكاره عنها والتي شابها بعض القلق وهو يفكر أنه تركها وحدها هناك في مكان كذاك....




لكنه نفض عنه هذا الشعور وهو يهتف لنفسه بصوت مسموع:

_وأنا كنت خلّفتها ونسيتها ؟! أنا قارف نفسي بيها ليه؟!

ظل يرددها لعدة مرات وكأنه يقهر بها ذاك الصوت الخفي بداخله حتى وصل إلى بيت أمه التي استقبلته بقولها:

_اتأخرت النهارده...أخلليهم يحضروا لك العشا.

_لو هتاكلي معايا !

قالها بتهكم شابته بعض الخيبة وهو يتوقع إجابتها:

_مش هينفع يا "ماتّو"...الدايت!





مط شفتيه باستهجان ساخر من تدليلها الذي لا يتقبله... فأردفت بارتباك:

_سوري يا يامن...انا...

لكنه أشار لها بكفه ليسكتها بفظاظة ثم سألها وهو يتلفت حوله:

_فين داليا؟!

_نامت...أو عاملة نفسها نايمة عشان زعلانة منك!

قالتها بنبرة عاتبة فاستخرج العلبة من جيبه قائلاً بحزم:

_لما تصحى اديلها ده...وقوليلها تبطل عبط...أنا مش عايز غير مصلحتها !





تناولت منه العلبة لتفتحها قبل أن تبتسم لذوقه المراعي لاختلاف كل واحدة منهن...ثم نظرت لعينيه ...

وكأنها تحاول مدّ جسور للعاطفة بينهما بقولها:

_طول عمرك حنيّن ... بس لو تبطل الوساوس اللي في دماغك دي!

فابتسم ابتسامة ساخرة وهو يشيح بوجهه دون رد ...

غافلاً عن -تلك التي وقفت خلف باب غرفتها الموارب- ترمقه بنظرات مختلسة ظافرة ...وكل ما يشغل ذهنها فكرة واحدة ...

فارسها جاء ليصالحها بهدية!!

=========





_ميرسي جداً يا دكتور ياسر...مش عارفة أشكر حضرتك إزاي!

قالتها داليا بدلال وهي تجلس مع أستاذها في غرفة مكتبه بالجامعة ...

كانت قد تذرعت بأنها لا تفهم شيئاً من محاضرته الأخيرة كي تتبعه إلى هنا وتبقى بصحبته لما يزيد عن نصف الساعة !

نصف ساعة فقط لكنها اعتبرتها إحدى انتصاراتها العظيمة في معركتها لكسب اهتمامه هو بالذات!

الغريب أن الرجل لم يكن شديد الوسامة بل بدا ـ بجسده الممتلئ وقامته التي تميل للقصر نوعاً ونظارته الطبية التي لا يكاد يخلعها وثيابه شديدة التواضع- كمواطن بسيط ممن تقابلهم في الشارع بل... في الحافلة !





لكنها لم تكن تنظر لكل هذا ...

فقط كانت تكتفي بتلك النظرة المهيبة في عينيه ...

حزم صارم مغلفٌ بحنان لن يخطئه قلب فتاة
مثلها !

أجل...إن كان "يامن" يمثل صورة "الأخ" في
قلبها ...

و"هيثم" يمثل صورة الصديق ...

ف"ياسر" يمثل صورة الأب التي تفتقدها!

لكن ...هل توقفت لتسأل نفسها أين صورة
"الحبيب" وسط كل هذا؟!

فلندع الأيام تجيب هذا السؤال ولنعد لأستاذها الذي
كان غافلاً عن مشاعر إعجابها هذه وهو يسألها
بلهجة عملية:





_لو محتاجة أعيدها مفيش مشكلة !

لكنها هزت رأسها بحركة متعمدة لتتطاير خصلات شعرها الكستنائية حول وجهها مع جوابها المتغنج:

_بلاش أعطل حضرتك أكتر من كده ...كفاية عليّ النص ساعة دي...

ثم قامت من على كرسيها المقابل لمكتبه لتستخرج من حقيبتها مسبحة زرقاء مدت بها أناملها نحوه وهي تردف بنبرتها المتدللة:

_دي عشان العربية الجديدة...ممكن حضرتك تعلقها على المراية عشان كل ما تشوفها تفتكرني ...

ثم تلعثمت بحركة مدروسة لتستطرد:

_آآآ...أقصد تفتكر أدّ إيه تلامذتك بيقدروك !





لكن الرجل بدا شديد الغفلة عن حركاتها هذه التي تلقاها بحسن نية وهو يتناول منها هديتها ليقول بنبرة بسيطة رغم وقارها:

_متشكر جداً.

ويبدو أن حسن النية الذي تقبل به هديتها وكلامها أثار ضيقها فتجرأت لتقول بنبرة أكثر دلالاً وهي تقترب منه بجذعها عبر المكتب:

_أنا اللي عاملاها بإيدي ...اتعلمت الطريقة مخصوص عشان حضرتك!

_ونعم الطالبة فعلاً!

والعبارة لم تكن من أستاذها بل من زوجته التي تشتغل بالتدريس مثله في الجامعة لكن في كلية أخرى ...





والتي دخلت الآن الغرفة لتتقدم نحوهما بنظراتها الثاقبة ...

فالتفتت نحوها داليا بضيق لم يخفَ على عيني المرأة الثاقبتين قبل أن تعتدل الأولى بجسدها لتقول بنبرة واثقة:

_شكراً لحضرتك...أستاذ ياسر عزيز علينا كلنا!

ابتسمت المرأة ابتسامة ذكية وهي تمد أناملها لتلتقط المسبحة من يد زوجها تتفحصها ببصرها قبل أن تقول بهدوء:

_جميلة فعلاً...تسلم إيديكِ.

وقف الرجل ليمد يده مصافحاً زوجته وهو يتجاهل هذا الحديث ليقول باهتمام:

_استنيني هنا خمس دقايق هاخلص حاجة مهمة ونروح سوا.





أومأت له زوجته برأسها ليغادر الغرفة تلاحقه نظرات داليا التي مزجت غيظها بتحديها ...

بينما جلست المرأة مكانه تتأمل داليا للحظات سبقت قولها بهدوء ذي مغزى:

_واضح إنك طالبة مجتهدة قوي...كل ما آجي للدكتور مكتبه ألاقيكي !

ورغم شعورها بالحرج لكن داليا رمقتها بنظرات قوية مع قولها :

_دكتور ياسر مش بيتأخر الحقيقة عن أي حاجة بحتاجها.

كانت تشعر أن المرأة تلمح لها بشعورها باهتمامها الزائد بزوجها لهذا تعمدت أن تلقي لها هذه العبارة ذات المعنى -المزدوج- ...




والتي تلقتها المرأة بذكاء يليق بها وهي تتلاعب بالمسبحة بين أناملها للحظات بينما عيناها تمشطان جسد هذه الفاتنة أمامها لتقول أخيراً :

_السبحة اتعملت عشان نفتكر بيها ربنا وقت ما ننشغل عنه ...

وفجأة...وبحركة خاطفة لم تشعر داليا بها ...كانت المسبحة قد انفرطت حباتها لتسقط تباعاً على الأرض!!!

عقدت داليا حاجبيها بغضب وهي ترفع رأسها للمرأة التي أكملت بنفس الهدوء وكأنها لم تفعل شيئاً:

_مش عشان أي حاجة تانية...ودكتور ياسر ماشاء الله عليه مش محتاج حد يفكره !





ازداد انعقاد حاجبي داليا بغيظ وصل حد الصفاقة بينما بدت المرأة شديدة البرود مع استطرادها الواثق:

_آسفة إن السبحة اتقطعت ...بس ياريت ماتحاوليش تعملي غيرها ...هاتضيعي تعبك على الفاضي!

احمر وجه داليا وانفرجت شفتاها كي تهم بالرد لولا دخول الرجل من جديد ليقول مخاطباً زوجته:

_ياللا بينا!

ثم انتبه لداليا فأردف بلهجته الجادة:

_انتِ لسه هنا يا داليا ...محتاجة حاجة تاني؟!

ابتسمت زوجته ابتسامة واثقة وهي تقوم من مكانها لتتأبط ذراعه بينما قالت داليا بغيظ مكتوم:

_لا خلاص.





قالتها ثم غادرت الغرفة بخطوات سريعة فضحت غضبها قبل أن تتوقف في ذاك الممر بين أروقة المبنى لتلتقط أنفاسها بضيق...

وكأنها تملك الحق فيما تفعله!!

الغريب أنها لم تكن تحس بالغيرة من زوجته...

هي فقط كانت تشعر أنها تملك "حق المشاركة"!!!

غريب؟!

لا ليس غريباً بالنظر إلى مشاعرها المضطربة المتخبطة...

والتي ازدادت تخبطاً برؤية هذا الذي تقدم نحوها ...

_هيثم؟! بتعمل إيه هنا ؟! مش قلت هاتروح؟!





رمقها بنظرة متفحصة طويلة قبل أن يقول لها بضيق:

_الجو وحش قلت أستنى وأوصللك ...

ثم أشاح بوجهه مردفاً بغيرة فاحت بين حروفه:

_اتأخرتِ قوي في مكتب الدكتور!

ابتلعت مشاعرها السلبية لترتدي قناع مرحها وهي تقترب منه قائلة:

_طالبة مجتهدة ...عندك اعتراض!

_داليا أنا فاهمك أكتر من نفسك...وحاسس إن علاقتك بالدكتور مش عادية...على الأقل من ناحيتك!

قالها عاتباً وهو يعود إليها ببصره فضحكت ضحكة رنانة وهي تقترب منه أكثر بغمزة عابثة :

_غيران يا "روميو"!





لكنه لم يستجب لشقاوتها العابثة هذه المرة بل ابتعد عنها خطوة ليقول بلهجة جادة تماماً:

_الطبيعي إني أكون غيران...بس الحقيقة إني خايف عليكِ أكتر!

ورغم أن الصدق الدافئ الذي لون كلماته مس قلبها الظمآن للعاطفة لكنها تخطت هذا بهزة من رأسها لتقول وهي تتظاهر بالتشاغل فيما حولها:

_هيثم احنا اتكلمنا في الموضوع ده قبل كده ...وقلت لك إديني فرصة أحدد مشاعري ناحيتك...أنا مش برفض ...بس كمان مش باقبل ...انت صاحبي من أيام المدرسة وصعب قوي أخرج علاقتنا من الإطار ده لشكل تاني بسهولة كده .

_واشمعنا أنا قدرت؟!





بعتاب جاد قالها ونظراته تكاد تصرخ بمشاعره نحوها لكنها عادت تتجاوز عن هذا محتميةً بدرع مزاحها اللعوب:

_خلاص علمني!

وعبارتها وازت هزة من كتفيها بحركة تدرك كم يحبها من هذه اللمعة في عينيه وهذه الارتجافة في ابتسامته ...

ابتسامته التي ما كادت تلمحها حتى تنهدت بارتياح لتبدأ في السير جواره قائلة:

_أيوة كده فُكّها أبوس إيدك مش ناقصة عقد...ياللا "ننمّ"على العيال شفت اللي حصل في الشلة ؟!

هز رأسه باستسلام لثرثرتها المعهودة وهو يستمع صابراً كعهده حتى خرج بها من المبنى نحو سيارته التي استقلتها جواره ...





ولم يكد ينطلق بها حتى فوجئ بها تنحني لتلتقط شيئاً ما من دواسة السيارة ...

ثم رفعته أمام عينيه بقولها الغاضب:

_سلسلة شوشو ! ما تكدبش...أنا شارياها معاها وعارفة...كانت بتعمل إيه في عربيتك؟!

ابتسم ابتسامة راضية وهو يرفع أحد حاجبيه مشاكساً مستمتعاً باحمرار وجهها المنفعل مع هتافها:

_امال حوار الغيرة والعواطف اللي داخللي فيه ده لازمته إيه طالما سيادتك مقضّيها من غيري؟!

لم يرد عليها مكتفياً بصمته وهو يأخذ طريقه نحو بيت خالتها الذي يعرفه ...





فزفرت بقوة وهي تلقي السلسلة من النافذة بغيظ ...

ثم كتفت ساعديها لتعاود الاستقرار في كرسيها زامّة شفتيها المكتنزتين بحركة غاضبة ...

ظلا هكذا طوال الطريق حتى وصل بها إلى مكان قريب من البيت فهتفت به بنبرة آمرة:

_استنى هنا ...كنت هانسى!

استجاب لطلبها بالتوقف ثم استدار نحوها ليراها وهي تستخرج من حقيبتها وشاحاً قبل أن تلم خصلات شعرها لتعقدها بحركة سريعة سبقت ارتدائها للوشاح بإهمال...

ثم تناولت منديلاً لتمسح أثر الزينة على وجهها مغمغة بضيق:





_يامن ممكن يبقى موجود ...مش طالبة نكد و نصايح و يصحّ وما يصحش!

مط شفتيه باستياء وهو يستدير نحوها بجسده ليقول بانفعال:

_أهه الحسنة الوحيدة في يامن ده إنه محجّم جنانك شوية...فيها إيه يعني لو تتحجبي حقيقي؟! وبعدين شكلك من غير ماكياج أحلى ألف مرة من اللي بتعمليه في وشك ده!

همهمة ساخطة منها كانت جوابها قبل أن تغادر السيارة لتنحني بعدها على النافذة قائلة له بعنادها الذي يعرفه:

_أنا محدش يقوللي اعملي وما تعمليش ...احفظ الدرس ده كويس قبل ما تفكر تعدي "الفريند زون" اللي بيننا .





نظرته الغامضة الطويلة كانت الجواب الوحيد لما قالته ...

قبل أن تستقيم هي بجسدها لتغادر لكنها ما كادت تفعلها حتى سمعت عبارته خلفها:

_شوشو ما ركبتش معايا ...هي قصدت بس ترميها هنا عشان تعمل فيكِ مقلب لما تشوفيها!

كانت شبه واثقة مما يقوله -إن لم يكن يقيناً في مشاعره نحوها ففي طبيعة تلك الفتاة التي تدرك غيرتها منها- لهذا هزت كتفيها برشاقة لتعاود الانحناء على النافذة بقولها العابث:

_ما يهمنيش!

غمزته بعدها بحركة لعوب جعلته يبتسم وهو يشيح بوجهه بينما سارت هي مبتعدة نحو البيت ...




لم تجد سيارة يامن فشعرت بالكثير من الخيبة وهي تدخل البناية لتصعد الدرج بخطوات متثاقلة ...

البيت خالٍ كما يبدو ...بيللا تؤدي تدريبها المعتاد في صالة الألعاب الرياضية القريبة...رانيا منهمكة في المشاوير المعتادة لعروس اقترب زفافها !

زفرت بقوة وهي تشعر بالخواء قبل أن تدخل غرفتها التي استلقت على فراشها تناظر السقف بشرود...

ماذا تريد بالضبط؟!

السؤال العتيق الذي لم تجد له إجابة ويبدو أنها لن تفعل!

ماذا ينقصها كي تكون سعيدة؟!

ذاك التجويف الفارغ في صدرها كيف تملؤه ؟!





لا شيء سوى "نشوة المغامرة"هو ما يمنح حياتها الرتيبة بعض الإثارة ...

ربما لو يمنحها القدر فرصة لتكون نجمة مثل "بيللا"!!

نجمة تخطف قلوب الجميع فيتهافتون لإرضائها!!!

صوت هاتفها يقاطع أفكارها فتشرق ملامحها وهي ترجو رسالةً من عاشقها المجهول تبدد سحب مللها هذه ...

وقد كان ..

(اليوم كان القدر كريماً معي لأبعد حد ...رأيتك مرتين ..إحداهما كانت خصلات شعرك البرّية تحيط بملامحك كحرسٍ مخلص ثائر...وفي الثانية كان الوشاح النبيذي ينافس حمرة ملامحك





المنفعلة...وفي المرتين نجحتِ في بعثرة دقات قلبي كعهدك...تعلمين كم أحب شعرك !! أحبه لأنني أشعر به رفيق دربي ...طفولتي منقوشة بذكريات شعثه ...مراهقتي مرادفة لجدل ضفائره...أولى خطوات شبابي رأيتها يوم صبغتِه أنتِ بالأشقر البشع الذي لا يليق به ...قبل أن يعود بعدها ـلحسن الحظـ للونه الكستنائي كقهوتي الصباحية عندما أخففها باللبن...أرجوكِ لا تفعلي شيئاً بشعركِ ...لا تقصيه...لا تصبغيه...دعيه حراً يسرد تاريخي ... فما أصدق قيلاً من شَعر امرأة يروي تاريخ عاشقها؟!!)

انفرجت شفتاها رغماً عنها وقلبها يخفق بجنون ...

رغم العبث اللامبالي الذي تتلقى به رسائله لكنها لا تنكر أنه مس قلبها بصدق هذه المرة ...





يقول إنه رآها مرتين ...مرة بحجابها ومرة دونه ...وهذا يعني أنه قد تبعها من الجامعة إلى هنا ...

أو ربما هو أحد جيرانها ؟!

هل رأى هيثم معها ؟!

لماذا لم يلمح لها بغيرة إذن؟!

تراه واثقاً إلى هذا الحد من طبيعة علاقتها بصديقها ؟!

أو لعله لم يره !!

زفرت بقوة عند خاطرها الأخير وفضولها يشعلها حد الغيظ ....

ثم قامت من فراشها لتنزع عنها وشاحها بسرعة أمام مرآتها...





تحرر خصلات شعرها لتجعلها تحيط بوجهها في طلّة فوضوية ...

تبتسم وهي تتذكر كلماته التي كادت تحفظها ...

ما أصدق قيلاً من " شَعر"امرأة يروي تاريخ عاشقها؟!

محظوظةٌ أنتِ يا فتاة ب"رجالك" الذين يتناثرون على خريطة "أنوثتك" كلٌ في موقعه بالضبط..

محظوظة؟!

من يدري ...ربما ...منكوبة!!

=======

_أنا آسفة يا "طنط"!

قالتها رانيا بارتباك للمرأة التي فتحت لها باب بيتها ببشاشة لتردف بتلعثمها المعهود:

_جيت من غير معاد بس قلقت على أشرف ...ما بيردش على موبايله!

ضمتها أمه بحنان ثم جذبتها لتدخلها وتغلق الباب خلفها قائلة:

_ما تقلقيش يا حبيبتي ...هو هتلاقيه مش دريان بالدنيا...

ثم غامت عيناها بحزنها وهي تردف:

_متبهدل بين شغل المصنع ...و لفّه معايا على الدكاترة والجلسات ...ومشاكل نشوى وبنتها ...هيلاقيها منين واللا منين؟!





رمقتها رانيا بنظرة تعاطف طويلة وهي تشعر بأن إشفاق المرأة على ابنها يفوق حزنها على نفسها ...

هي تعلم أن أشرف يحمل الكثير على كاهله بعد وفاة والده خاصة بعد انفصال شقيقته عن زوجها الذي سافر وترك لها مسئولية ابنتهما كاملة ...

تماماً كما تعلم أن أشرف لا يتذمر من كل هذا بل على العكس...

طبيعته المسئولة تجعله دوماً يشعر بالتقصير مهما فعل...

لكن هذه ليست المشكلة...

مشكلتها أنها عاجزة عن دعمه في كل هذا!

تريد .. لكن...لا تستطيع!!





طبيعتها -السلبية الخانعة- لا تجعلها تمنحه أكثر من مجرد عبارات مواساة !

_ادخلي صحيه يا بنتي ...اعمليهاله مفاجأة!

قطعت بها المرأة أفكارها بحنان -لم يفتقر مرحه بعد رغم الألم- فترددت رانيا لتقول بارتباك:

_لا يا "طنط" مش هاينفع...

ضحكات المرأة الواهنة قاطعت كلماتها المتلعثمة وهي تجذبها من ذراعها قسراً نحو غرفة ابنها قبل أن تلتفت لها بقولها :

_الولد مقتول من التعب ...مفيش قنبلة هتصحيه دلوقت من النوم إلا لو شافك.

_خلاص خلليه نايم!





قالتها بحرج وهي تبتعد تلقائياً لكن المرأة فتحت لها الباب لتقول لها بجدية عاد الحزن يشوبها من جديد:

_صحّيه يا بنتي وخديه واخرجوا..فرّحيه..أنا عايزة أشوفه فرحان!

ارتعش صوتها في عبارتها الأخيرة قبل أن تبتعد بسرعة مخافة أن تفضحها دموعها فراقبت رانيا انصرافها بنظرات مشفقة ..

ثم عادت ببصرها لذاك النائم هناك...

حمرة الخجل تصيب من وجنتيها وهي تتقدم نحو فراشه ...





لم تكن المرة الأولى التي ترى فيها غرفته بحكم جيرتهما القديمة ،لكنها كانت المرة الأولى التي تدخلها وهو فيها !

ابتسمت بحنان وهي تراقب ملامحه المتعبة قبل أن تجلس جواره على طرف الفراش ...

لقد كان يحتضن "الوسادة" الحمراء بشكل القلب الشهير والتي أهدتها له في عيد ميلاده السابق ، والتي نزعتها الآن منه برفق لتربت على كتفه بتردد هامسة باسمه !

همستها الخافتة لم تحرك فيه ساكناً بطبيعة الحال فتنحنحت لترفع صوتها بعض الشيء وهي تعاود التربيت على كتفه ...

لم تزل تفعلها حتى هب من نومه فجأة ليتطلع إليها بقلق هاتفاً بصوت متحشرج:





_رانيا ...حصل إيه؟!

رمقته بنظرة مشفقة وهي تدرك أثر الضغوط التي يواجهها عليه ...

ربما لو كانا قد تعرضا لموقف كهذا في وقت آخر لسبقته ابتسامته العابثة ومزاحه الذي يثير خجلها !

لهذا ابتسمت ابتسامة واهنة وهي تقول بنبرتها الرقيقة:

_قلقت عليك...موبايلك مقفول...جيت أطمن!

عاد برأسه إلى الوراء مطلقاً آهة توجع قبل أن يتناول هاتفه ليقلبه بين يديه قائلاً بضيق:

_فصل شحن...معلش...اتلبخت ونسيت أشحنه!





قالها ثم انهمك في توصيل هاتفه بالشاحن المجاور فترددت قليلاً قبل أن تمد أناملها لتمسك كفه قائلة:

_شكلك تعبان قوي...ارجع نام...مش مهم نروح مشاويرنا النهارده.

نظر إليها نظرة طويلة حملت كل مشاعره ...

حزنه...قلقه.. عجزه ...كل هذا الذي حاول تجاهله الآن كي لا يثقل عليها !!

صمت طويلاً ونظراته ترتاح على ضفاف عينيها شيئاً فشيئاً...

ابتسامة صغيرة بدأت تلقي ظلالها على ملامحه ...

قبل أن يهمس لها أخيراً:

_بصيلي كويس ...شايفة دي؟!





قالها مشيراً لشفتيه ثم احتضن كفها براحتيه مردفاً:

_انتِ الوحيدة اللي ممكن تخليني أبتسم كده دلوقت وسط كل اللي أنا فيه !

التمعت عيناها بعاطفتها لتتلعثم حروفها كالعادة مع قولها:

_كلامك ده بيحسسني بالذنب أكتر..أنا حاسة إني مابعملش حاجة...مش قادرة أساعدك في ظروفك دي .

_خلليكي جنبي بس...دي أكبر مساعدة ...مش طالب منك أكتر من كده !

والحرارة التي نطقها بها كانت تشع صدقاً ودفئاً زاد ارتباكها الخجول...





حتى قبل أن يميل على كفها بين راحتيه بقبلة عميقة جعلتها تسحب كفها بسرعة ...

قبل أن تهب واقفة لتهتف باضطراب:

_طيب ياللا نخرج ...يامن لو عرف إني جيت لك هنا وكمان قعدت في أوضتك لوحدنا هيقلب الدنيا!

ضحك لارتباكها الواضح وهو يقوم بدوره ليقول لها مشاكساً:

_أنا اللي هابلغ عنك...هاقولله صحيت لقيتها في سريري...أنا مش عارف البنات جرى لها إيه ؟! كل راجل يشوفوه عايزين يخدشوا حياءه كده ؟!

ثم خبطها بخفة على رأسها مردفاً:

_معندكيش إخوات ولاد!

_أشرف!





هتفت بها باعتراض ووجنتاها تحترقان تماماً بخجلها بينما تبتعد عنه وسط ضحكاته التي تعالى صوتها تحت مسامع والدته حيث كانت تراقبهما خلسة بارتياح ...

قبل أن تدخل الغرفة لتهتف به باستنكار حنون:

_قلت إيه كسفت البنت قوي كده ؟! أنا عارفاك قليل الأدب!!

وكأنما عاد إليه حزنه الذي كان قد تناساه بدخول والدته ليسألها بقلق:

_عاملة إيه دلوقت يا ماما ؟! المُسكّن الجديد عمل حاجة؟!

_زي الفل يا حبيبي ...سيبك مني و شوف عروستك...هاخدها تشرب حاجة على بال ما تغير هدومك !





قالتها وهي تجذب رانيا المرتبكة من ذراعها لتغادر معها الغرفة حيث بقيتا تتحدثان لبضعِ دقائق قبل أن تنضم إليهما نشوى شقيقته.

وأخيراً لحق بهن أشرف ليصطحب رانيا للخارج تحت نظراتهما المتفحصة باهتمام لهما ...

وكيف لا ؟!

و"أشرف" هو كل ما تبقى لهما من سند الدنيا!!

_بنت حلال بشكل...هي دي اللي هتريح أخوكِ!

قالتها والدته عقب خروجهما لترد نشوى باستهانة:

_بيتهيألك...رانيا بشخصيتها الضعيفة دي مش هتكون أكتر من حِمل جديد على كتفه...أشرف





C i n n a b o n

محتاج ست قوية تشيل معاه..تفهم هو محتاج إيه من غير ما يطلبه ...تسنده وتقف جنبه !

تنهدت المرأة بحرارة ثم جذبت ابنتها بين ذراعيها لتقول لها بحكمة:

_ساعات كتير قوة الست بتكون في ضعفها...المهم إنها تعرف توازن بينهم وتشوف علاقتها بجوزها محتاجة إيه...يمكن رانيا تبان ضعيفة ومهزوزة وما بتقدرش تاخد قرار لوحدها..لكن الامتحان الحقيقي وقت الجد ...ساعتها يبان إذا كان ده صحيح واللا مجرد "قشرة" من بره تظهر من تحتها قوتها وقت ما تحتاجها!

==========

كان حلم عمري اللي لقيته...

كان كل شيء اتمنيته...





حبيتها كده زي ما هيّ...

ضحكتها مش ضحكة عادية...

توصفها تلاقيها ...مايتحكيش عليها!!!

انطلقت الكلمات مع ألحانها المميزة في سيارته عندما التفت نحوها ليسألها بحنين فاح في نبراته:

_فاكرة الأغنية دي؟!

عادت بظهرها للوراء مغمضة عينيها بشرود مع ابتسامة حنين صاحبت قولها:

_كنا في فرح بنت طنط جارتنا ...وقتها كنت أنت لسه في ثانوي...أول مرة كنت أشوفك بشنب...ساعتها حسيت إننا كبرنا خلاص ما عدناش عيال ...ساعة ما الأغنية دي اشتغلت لقيتك





بتبصلي قوي وبتغنيها بشفايفك من غير صوت ...قلبي قعد يدق زي المجنونة...

_جيت أسلم عليكي بالإيد مارضيتيش ووشك احمر.

_وانت وشوشتني وانت متنرفز إن الفستان ضيق ماالبسوش تاني.

_عنيكي دمعوا وسبتي الفرح بدري وروحتي .

_وانت صحيت من بدري تستناني ع السلم لحد ما جه معاد المدرسة ...بفتح الباب لقيتك قصادي!

_عمري ما هنسى نظرة عينينا وقتها ...كانت أجمل من أي اعتراف...وأقوى من أي وعد !

كان كلاهما يكمل الحديث لصاحبه وكأنهما يريان بنفس العين ...

يشعران بنفس القلب ...





يهمسان بنفس لغة الحب!!

لهذا فتحت عينيها أخيراً قائلة بنعومتها التي لا تتكلفها:

_انت ما ادتنيش فرصة أحلم..كل حلم كنت بتحققهولي قبل ما أتمناه .

_ومش هابطل أعمل كده لآخر يوم في عمري!

قالها وهو يضغط كفها بقوة رفيقة فابتسمت وهي تغرقه بنظراتها العاشقة الفقيرة للكلمات ....

قبل أن يلتفت نحوها بقوله:

_حددي مشاويرنا بالترتيب عشان ما ننساش حاجة..آه...وماتنسيش تعملي قائمة بأسماء المعازيم عشان ما نتزنقش في حجم القاعة.

فاستخرجت من حقيبتها ورقة تناولتها لتقول وهي تنظر فيها:





_داليا كتبت لي الحاجات اللي فاضلة...ويامن اللي هيحدد موضوع المعازيم .

رمقها بنظرة جانبية ضائقة رغم تفهمه ل-طبيعتها المتواكلة- لتواصل هي حديثها المرتبك :

_هنعدي الأول نشوف الستاير...وبعدين السجاد ...لأنهم قريبين من بعض...ولو فضل وقت ممكن نشوف النجف.

كانت تتحدث وهي تقرأ من الورقة باضطراب فبدت ك"كتكوت مبتلّ" كاد يغرق في شبر ماء!

فابتسم مشفقاً عليها من ارتباكها ليقول مطمئناً:

_ما تقلقيش...أنا معاكي لحد ما نخلص كل حاجة براحتنا...على أقل من مهلك!

التفتت نحوه بنظرة امتنان طويلة لم تفارقها طوال رحلتهما التي بدت لها ممتعة رغم كل شيء...





ذاك العالم "البكر" الذي سترسم هي كل خطوطه...

بداية من رجلها الذي اختارته...

ومروراً بهذه الدوامة اللذيذة من التفاصيل الصغيرة ...

سجاد...مفروشات...ستائر...أجهزة...أثاث...ملابس ...

وانتهاءً بحلمها الأعظم الذي هو بحجم عمرها كله ...

ثوب الزفاف لليلة العمر!

لهذا ما كادت تنتهي من آخر محل زاراه معاً حتى توقفت مكانها لتقول له بصوت مرهق:

_كفاية عليك كده ...هاتصل بداليا تجيلي ...فاضل مشوار واحد لجورج الترزي...بروفة الفستان!

فالتمعت عيناه بلهفة أنسته التعب مع هتافه :





_معقول خلصه بالسرعة دي ؟! هاموت وأشوفه!

_ما ينفعش نروح سوا ...بيقولوا فال وحش لما العريس يشوف عروسته بالفستان قبل الفرح !

قالتها باستنكار واهٍ يناسب طبيعتها الخانعة ليجيبها بنبرة حازمة:

_لو متخيلة إني ممكن أخللي حد غيري يروح معاكي تبقي غلطانة...

ثم تلونت عيناه بطيف عاطفته وهو يحتضن أناملها بكفه بقوة مردفاً:

_اللي حلم بيكِ وإنتِ لابساه أكتر مني يشوفك بيه قبلي!

هزمها الحنان المتملك في عبارته لتجد نفسها تطيعه كالعادة !





وبعدها بدقائق كانت تقف أمامه بثوبها الذي

اختارته شديد البساطة مناسباً لملامحها الهادئة...

تطريزه المنمق بحبيبات اللؤلؤ الصغيرة زادته رقة

إلى رقته خاصة مع طرحته المسدلة التي امتدت

بطوله بل أطول بقليل ...

لتشكل خلفها ما يشبه ذيلاً من ورود "الدانتيل"

و"اللؤلؤ"!

_"أوفر" قوي مش كده ؟! حاسة إن الناس

هتضحك عليا عشان طرحته طويلة قوي ...

قالتها وهي تفرك كفيها بتوتر وعيناها تتحاشيان

لقاء عينيه بخجلها المعتاد لتردف :

_داليا اللي اختارت الطرحة كده ...ممكن نغيّر...

_ششششش!





تمتم بها وهو يتقدم منها ليمسك كتفيها فيجبرها على النظر إليه مع همسه:

_احنا ما تفقناش على كده!

اتسعت عيناها بجزع وقد ظنت الثوب لم يعجبه ...فابتسم ليردف بصوت متهدج :

_ما اتفقناش تكوني جميلة كده...تجنني كده !

عضت شفتها بخجل وسط أنفاسها المتلاحقة لتعاود الهروب من نظراته الحارة مع استطراده الدافئ:

_ارفعي راسك وافرحي معايا من غير خوف ...انتِ الحقيقة اللي أجمل من الحلم ...

ثم تنهد ليردف ببعض الأسى:

_والضحكة "العزيزة" وسط أيام الحزن!

==========




_بقوللك...لو فاضي النهارده ننزل بعد العيادة نلف شوية وناكل ال...البتاع ده اللي كان عاجبك!

قالها يامن لصديقه مدعياً اللامبالاة ليوافقه الأخير وهو يرد مرحباً:

_أوبا سينابون !! أي اقتراح فيه أكل أنا راشق معاك .

أغلق الاتصال وهو يعود بظهره للوراء ليستند على كرسي مكتبه .

حسناً...هو يعترف أنه يفعلها هذه المرة طوعاً كي... يطمئن عليها!

فمنذ تلك الليلة التي تركها فيها في تلك المنطقة الجبلية وهي اختفت تماماً من محيط عالمه فلم يعد يراها ...





تراها استجابت لتهديده ويأست من ملاحقته؟!

أم أن أحدهم قد آذاها تلك الليلة ...ربما تبعها ذاك الوغد الذي كان يتشاجر معها؟!

وغد؟!

ولماذا يكون هو الوغد؟!

ألم يفترض -هو- قبلاً أنها هي الآثمة ؟!

أم أن انهيارها الباكي تلك الليلة أمامه زعزع هذا المعتقد؟!

زفر بقوة عند الخاطر الأخير ثم غمغم بسخط محدثاً نفسه:

_اطلعي من دماغي بقى يا شيخة!!





قالها ثم ضغط زراً خاصاً أمامه ليطلب من

مساعدته إدخال أول مريض وكأنه يحاول الهروب

من تفكيره فيها ...وقد كان!!

مرت به الساعات كعهدها سريعة في عمله الذي

يعشقه ولا ينكر أنه كان يتوقع مع كل مرة يفتح

فيها الباب ليدخل منه أحدهم أن تكون هي ...

لكن توقعاته باءت بالفشل لهذا ازداد مزاجه

عصبيةً وهو يغادر العيادة نحو المطعم الخاص

بها...

ورغم أن المكان لم يتغير كثيراً عن زيارته السابقة

لكنه شعر بالاختلاف في نفسه هو ...

ذاك المزيج الغريب من الرهبة والتوجس ...وإن لم

يخلُ من متعةٍ خفية لم يدرك سرها !!





لـهذا ما كاد صديقه يصل حتى قرر أن يصارحه بكل ما يشغل باله ...ليختم حديثه بقوله:

_هتجنن يا مروان...مش فاهم هي عارفة عني كل حاجة ازاي...وعايزة مني إيه أصلاً.

صمت صديقه لحظات مفكراً قبل أن يقول بتعجب:

_كأنك بتتكلم عن واحدة تانية غير جيسي اللي نعرفها ...دي مناخيرها دايماً في السما ...وبعدين انت قلت انها ولا مرة حاولت تكلمك ...مش يمكن فعلا مجرد صدف!!

هز رأسه نفياً مكابراً ليقول ببعض الحدة:

_هي حتى ما أنكرتش لما واجهتها .

_وانت شاغل بالك ليه؟! عاجباك؟!

قالها صديقه وهو يتفحص ملامحه باهتمام فتجهم وجهه وهو يجيبه بنفس الحدة:





_انت عارف كويس اني ماليش في الليلة دي...واشتريت دماغي من سكة الستات دي كلها !

هز صديقه رأسه بعدم اقتناع فزفر بقوة ليشيح بوجهه مردفاً:

_كل الحكاية اني موسوس زي ما بيقولوا ...مبحبش يبقى فيه حاجة تخصني ومش فاهمها .

_سبحان الله ...الدنيا دي غريبة جداً...انا اعرف ناس هيموتوا عليها وانت خايف منها وبتقول بتجري وراك ؟!

قالها صديقه ببعض المرح كي يحاول أن يصرفه عن هذا المزاج الكئيب لكن يامن عاد يسأله بجدية:

_تعرف اتطلقت ليه؟!

هز رفيقه رأسه نفياً وهو يجيبه :





_محدش عارف بالظبط..كلها إشاعات وانت عارف الناس ما بتصدق ...بس طليقها كل شوية يعمللها مشاكل ...لدرجة إنها لجأت للبوليس آخر مرة ...بس الحيوان ده واضح انه ما حرمش بدليل اللي انت قلته من شوية...أنا متأكد إن هو اللي كان بيتخانق معاها قدام المول من وصفك .

_وليه ما يكونش "الحيوان" ده هو صاحب الحق؟! والهانم "البريئة" هي اللي ظالماه؟!

قالها بسخريته السوداء كعادته لكن صديقه عاد يقول مؤكداً:

_أنا أعرف جيسي من زمان...من أيام ما كانت بتلعب تنس في النادي ...محدش عرفها وقرب منها وما حبهاش...ما اصدقش عنها حاجة وحشة أبداً.





_هو ده الفرق بيني وبينك..انت على نياتك وبتتخدع في الناس ...

قالها يامن بنفس النبرة المتهكمة ....ليرد صديقه بإشفاق:

_وانت بتضيع حلاوة الحاجة اللي بين ايديك بالشك والوساوس...صدقني الدنيا أبسط من كده ...

ثم صمت لحظة ليردف بتردد وكأنه يخشى مسّ جرح صديقه القديم:

_صوابعك مش زي بعضها يا يامن!

عقد يامن حاجبيه وهو يفهم ما يرمي إليه صديقه فاستشاط غضباً وهو يهتف بانفعال:

_لا ! زي بعضها ...وكفاية كلام في الموضوع ده !

لم يكد يتم عبارته حتى وصل النادل بما طلباه ليضع الصينية أمامهما فبادر صديقه بسؤال النادل:





_مدام ياسمين موجودة؟! كنت عايزة أهنيها على الديكورات الجديدة للمحل!

فابتسم الرجل ليقول بنبرة مهذبة:

_موجودة يا فندم هابلغها حاضر!

قالها ثم غادرهما فالتفت صديقه نحوه ليغمغم برفق:

_كده اطمنا عليها ...

ثم غمزه ليردف مازحاً:

_مش انت جايبنا هنا عشان كده؟!

لكنه لم يستجب لمزاحه وهو يطالع قطعة "السينابون" أمامه بشرود ...





شكلها "الحلزوني"يذكره بمتاهات حياته التي

عاش يتخبط فيها حتى وصل إلى ما وصل إليه ...

يلومونه على شكوكه ووساوسه ولا يدرون أن هذا

هو درعه الأخير كي لا يُخدع مرة أخرى ...

فقد تعلم بأسوأ طريقة أن جروح القلوب لا تندمل

بل تبقى ندوبها بشعة المظهر تذكرنا بما خسرناه

وتحذرنا من السقوط في فخ جديد!

_أنا سديت نفسك واللا إيه؟!

قالها صديقه بمرح تشوبه لكنة اعتذار فالتفت نحوه

يامن بابتسامة

واهنة... قبل أن يربت على كتفه ليقول بامتنان:





_انت عارف ان انت صاحبي الوحيد اللي مستحمل جناني ده؟!

فضحك صديقه ليعيد الحوار نحو نفس الجهة:

_لو كنت صادق في كلامك اللي قلته من شوية عن جيسي يبقى فيه أمل تلاقي حد غيري يستحملك.

_ليه بتقول جيسي دي؟! اسمها ياسمين .

قالها بفظاظته المعهودة فانفجر صديقه بالضحك وهو يخبط كفيه معاً قائلاً بين ضحكاته:

_أهه لسه ما بدأناش وغيران عليها ...دي هتشوف أيام كحلي!!

_غيرة إيه بس يا بني آدم انت؟! الحكاية ...

انقطعت عبارته عندما رآها من بعيد تتقدم نحوهما بخطواتها الرشيقة وعيناها ترمقانه بنفس النظرة اللائمة التي لا يفهمها ...





كانت ترتدي "سالوبيت" من الجينز مع قميص أصفر وحجاب قصير لفته بطريقة "سبانيش" الشهيرة بلون أزرق غامق مع حذاء رياضي أصفر!

ومع قامتها الضئيلة بدت له كمراهقة تتلمس طريقها نحو المدرسة ...

لا يزال عاجزاً عن تصديق أنها امرأة خاضت أي تجارب !

رائحة عطرها "الملونة" تعاود غزو حواسه مع اقترابها أكثر ...

كيف يمكن أن تثير ضيقه بكل هذه القوة ...

ومع هذا يريدها أن تقترب أكثر ...

أكثر ...





ربما لو تذكر أين رآها من قبل لاستطاع حل لغزها الذي يعكر صفوه !!

_إزيك يا مروان؟! قالولي إنك عايز تبارك لي!

قالتها وهي تتجاهله تماماً موجهة حديثها لصديقه الذي وقف ليقول لها بمرح ودود:

_بجد بفرح قوي بنجاحك...مطعمك بقى أشهر مطعم سينابون في البلد ...طول عمرك بتعرفي توصللي للي انتي عايزاه من أيام بطولات التنس.

رفع يامن حاجباه بغرور يجيد ادعاءه وهو يحافظ على جلسته المستقيمة متجاهلاً إياها كما فعلت هي ...





لكنه اختلس نظرة واحدة لوجهها الذي بدا له الآن شديد الحيوية بعيداً تماماً عن ذاك الذي رآها به تلك الليلة الأخيرة...

خاصة مع قولها الواثق وبنبرة ذات مغزى شعر بها يامن:

_شكراً...معاك حق...مفيش حلم مستحيل ...احنا اللي ساعات بنزهق بسرعة وبنسيب احلامنا تضيع من ايدينا!

ثم التفتت نحو يامن لتردف بمزيج من عتب وكبرياء:

_أنا شايفة الدكتور شرفنا هنا تاني ...مبسوطة ان المطعم عجبه !

قالتها ولم تنتظر رده بل غادرتهما بخطواتهما الواثقة لتعود وتختفي خلف ذاك الباب هناك تاركة





إياه يغلي بين غيظه من طريقتها وفوضى ظنونه التي تنهشه...

من تكون هذه المرأة؟!

لكن أفكاره انقطعت برنين هاتفه الذي تناوله لينعقد حاجباه بشدة وهو يتعرف إلى هوية المتصل...أو بالأدق المتصلة!!!

وميض الشاشة المتكرر يتزامن مع ذكرياته السيئة معها ...قبل أن يتمتم من بين أسنانه:

_سيلين؟! ودي إيه اللي فكرها بيا دي دلوقت؟!

=========

_أسوان إيه دي اللي عايزة تروحيها لوحدك أسبوع؟! انتي اتجننتي؟!





هتف بها باستنكار وهو يواجه داليا التي عبست ملامحها مع ردها:

_مين قال لوحدي؟! دي رحلة تبع النادي وكل صاحباتي رايحين...

ثم صبغت صوتها ببعض الدلال لتردف:

_ولو قلقان عليا ممكن تيجي معايا!

لكنه عاد يصيح بنفس اللهجة المستنكرة:

_آه ....أسيب عيادتي ومصالحي والف وراكي في كل حتة شوية ؟!

دمعت عيناها وهي ترمقه بنظرة عاتبة فتفحصتهما نبيلة ببصرها قبل أن تقول لابنة شقيقتها ببعض الحزم:

_روحي اتغدي دلوقتي يا داليا ...وسيبيني مع يامن شوية.





أصدرت زفرة حانقة وهي تلوح بذراعها لتغمغم وهي تنصرف بخطوات مندفعة:

_إيه الخنقة دي؟! كل حاجة غلط ..كل حاجة ما تنفعش...عيشة تزهق!

_بتبرطمي بتقولي إيه يا هانم؟!

هتف بها بخشونته المعهودة وهو يكاد يلحق بها لكن والدته جذبته من ذراعه لتجلس وتجلسه جوارها قائلة بنبرتها القوية:

_اهدا عليها يا يامن ...مش كده ...البنت ما غلطتش !

فالتفت نحوها ليهتف بحدة مبالغ فيها:

_عايزاني أسيبها تسافر لوحدها ؟! مابتسمعيش عن اللي بيحصل اليومين دول؟!

ابتسمت وهي تتعلق بذراعه قائلة:





_طب إيه رأيك نسافر كلنا معاها ...أنا كمان نفسي أغير جو!

_لأ!

وجد نفسه يقولها باندفاع لتطرق بعدها برأسها للحظات سبقت قولها وقد خالط كبرياءها الكثير من الأسى :

_مفيش فايدة...هتفضل كاره ظهورنا سوا قدام الناس...كل مرة لازم تحصل مشكلة عشان توافق .

كز على أسنانه بغضب مكتوم وهو يود لو ينكر استنتاجها لكنه لم يستطع ...

هل ستفهمه لو قال لها أنه يود لو يصطحبها لكل مكان متنعماً بجنة حنانها التي افتقدها في سنوات كان أحوج ما يكون إليها ...

لكنه في نفس الوقت يخجل من تواجده معها !





لا ..ليس خجلاً فقط ...بل غضب وسخط وغيظ و...غيرة؟!

إنه بالكاد يتقبل خروجه معها للتسوق بين الحين والآخر والذي ينتهي غالباً بمشاجرة نتيجة مزاجه المشحون ...

كل عبارات المجاملة التي تلاحقها أينما ذهبت من معجبيها تلهب رجولته بالسياط ...

تذكره بعهد أبيه القديم ...

_ابعد عنها أد ما تقدر يا ابني ...كانت غلطتي يوم ما خدت واحدة مش من توبي ...غلطة بدفع تمنها لحد دلوقت وشكلي هافضل ادفعه عمري كله ...بس المهم عندي إنك ما تشيلش الحمل اللي مالكش ذنب فيه .




تنهد بحرارة عند الذكرى الأخيرة ليدعو لأبيه بالرحمة سراً قبل أن يرفع عينيه إليها...

ليفاجأ بلمعة الدموع في عينيها والتي جعلته يزفر بقوة قبل أن يهتف بضيق:

_ولازمته إيه العياط دلوقت؟! كل حاجة لازم تقلبيها دراما كده ؟!

أشاحت بوجهها دون رد وقد أنذرت ملامحها بانهيار قريب جعله يخشى العاقبة كالمرة السابقة ...

فتنهد بحرارة ثم قال بنبرة لانت نوعاً:

_خلاص بقى...الحكاية مش مستاهلة ...انتي عارفة ظروف شغلي.

لكنها ظلت مشيحة بوجهها لترد بنبرة مستعطفة:





_انت بتتلكك..ممكن تسيب العيادة للدكتور اللي معاك زي ما بتعمل في أجازاتك..لكن انت اللي مش عايز تقرب مني...مُصرّ تحسسني دايماً إني بعيد .

مط شفتيه بضيق للحظات ليفاجئها بقوله في استسلام غريب على طبعه العنيد:

_خلاص...أنا موافق...أنا كمان محتاج أغير جو!

قالها ثم قام من جوارها ليتوجه نحو الشرفة القريبة التي استند على سورها وهو يتابع مدخل البناية بشرود حيث تجمع بعض الأطفال يلعبون الكرة ...

فابتسم بشرود وهو يتذكر قبساً من طفولته البعيدة انتهى أيضاً بتحذير أبيه..





العب معاهم بس اوعى تقول لحد أمك تبقى مين...هيخلوك تريقتهم في الرايحة والجاية...

أنا خرجت بيك من بلدنا وجيت هنا عشان أحميك من كلام الناس...ما تضيعش تعبي يا ابني!

_مالك يا يامن؟! بقى لك كام يوم مش عاجبني؟!

قالتها نبيلة بنبرتها ذات الكبرياء والتي خالطها الآن بعض القلق فالتفت نحوها بوجه اعتادت جموده ...

لكنه كان ينبض الآن بألم استنفر -أمومتها- فأردفت بحنان:

_اللي تاعبك انك دايما بتكتم جواك ...احكيلي ايه اللي مغيرك .





كانت شبه واثقة أنه لن يصرح لها بشيء كعهده لهذا توقعت صمته الطويل بعدها ...

لكنها لم تتوقع أن يبوح بهذا حقاً :

_سيلين اتصلت بيا من كام يوم .

_سيلين مراتك؟!

_طليقتي !

هتف بها بحدة وملامحه تعود لاشتعالها فأشارت له بكفيها لتهدئه مدركةً حساسيته من هذا الأمر ...قبل أن تعاود سؤالها باهتمام:

_كانت عايزة إيه؟!

بدا على وجهه التردد للحظات قبل أن يلقي قنبلته:

_حامل في التاسع!

شهقت بعنف ليردف هو بتهكم غاضب:




_بتقول إنه ابني وعايزة ترجعلي بالحجة دي...فاكرة إنها هتلوي دراعي..نازلة مصر بعد أسبوعين وعايزاني أكون في شرف استقبالها .

_وهتعمل إيه؟!

سألته بقلق ولازالت المفاجأة مسيطرة عليها ...

هي -مثله- لا تريده أن يعود لتلك المرأة ...

ليس فقط لأجل أفعالها السابقة الشنيعة معه ...

لكن لأنها هي تريده هنا معها ..في بلده !

لقد ظنت بعد سفره أنه لن يعود هنا أبداً ورغم أنها لم تقلها له صراحة...

لكنها شعرت أن روحها ردت إليها عندما عاد منذ بضعة أشهر مقرراً استقراره الأخير هنا بعد غربة طالت لسنتين !!





والآن ...ماذا سيحدث بعد هذه المفاجأة غير المتوقعة ؟!

هل سيتركها من جديد؟!

_أتأكد منين إنه ابني بعد اللي حصل؟! واحدة زي دي ممكن تعمل أي حاجة عشان توصل للي في دماغها !! وحتى لو اتأكدت هاسيبهولها مش عايزه!

انتشلتها عباراته الساخطة من شرودها فانعقد حاجباها وهي تغمغم بارتباك:

_معقول؟!..هتسيب ابنك ؟!

ضحكته الساخرة المكتومة كانت كرصاصة عتاب في صدر أمومتها...

تذكرها ب"ماضيها القديم"!!





فازدردت ريقها بتوتر بينما أشاح هو بوجهه عنها ليقول بفظاظة:

_مش هاعيد مأساة أبويا تاني...حتى لو طلع ابني خلليها تشيل مسئوليته ...مش عايز حاجة تفكرني بيها ...اتفاقي معاها كان واضح م البداية ...جواز مصلحة ...هي اللي خانت اتفاقنا!

أطرقت برأسها وهي تشعر بالخزي في موقفها هذا ...

هي تعلم أنه الآن لا يرى في طليقته إلا صورتها هي ..

صورة المرأة التي تضحي بأي شيء لأجل مصلحتها خاصة بعدما فعلته به في غربته ...

لهذا صمتت طويلاً قبل أن تسأله بصوت خفيض:

_وناوي تعمل إيه؟!





_هاطفشها!

هتف بها بخشونة وهو يخبط بقبضته على سور الشرفة بعنف قبل أن يردف بعينين مشتعلتين بالغضب:

_لازم تتأكد إن ما بقالهاش مكان في حياتي ...ولا هيكون ...ومش هتصدق غير لما تشوف بعنيها!

========

انتهى الفصل الثالث

(القطعة الرابعة)

****

استيقظ على صوت منبهه صباحاً فابتسم وهو يقوم من فراشه ليمتع عينيه بهذا المنظر البديع للنيل والذي ظهر من خلف النافذة العريضة لغرفته حيث تسير بهم الباخرة الضخمة من أسوان إلى الأقصر ...

لقد رأى العديد من المظاهر الطبيعية في انجلترا وبعض الدول التي زارها على فترات متباعدة مع زوجته السابقة سيلين خلال عامي زواجهما ..لكنه لا ينكر أن مشهد النيل بشاطئيه هذا يقع في قلبه موقعاً لا يماثله سواه ...

ربما لأنه يرمز ل"العودة للجذور" !





هذا المعنى الذي افتقده طوال عمره حيث عاش في غربة عما يفترض أن يكون له الأساس والمنبع!

هو الذي حرم من أمه ...ومن قريته ...ثم من أبيه ...

ليعيش بعدها غربة لا تنتهي ختمها بغربة حقيقية في لندن قبل أن يتلقى صفعة القدر الأخيرة ليعود إلى وطنه محملاً بخيباته !

تنهد بحرارة وهو ينفض عنه غطاءه ليقوم من فراشه حيث ذهب ليغتسل ويؤدي صلاته ...

تناول هاتفه ليتصل بأمه كي يوقظها لكن محاولته باءت بالفشل بعد سهرها الطويل هي وداليا ليلة أمس ...

فخرج لتناول إفطاره في مطعم الفندق وحده ...





وهناك تسربت إلى أنفه رائحة "القرفة" من مكان ما ...

فارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة وصورةٌ بعينها تتجمع في ذاكرته...

"امرأة الفوضى"!

مطاردته المجهولة التي أثارت الشغب في وطنه الهادئ ...

وألقت حجر غموضها لتحرك مياه حياته الساكنة !

هنا تلفت حوله وهو يراهن نفسه على خاطر مجنون ...أنها هنا!!

ورغم عبثية الافتراض لكنه عاهد نفسه إن وجدها أن يمضي فيما ينتويه ...





امرأة مثلها بتألقها وذكائها ...واهتمامها الغريب بملاحقته ....هي ما يحتاجه هو تماماً الآن كي ينفذ "خطته"!

كان قد أنهى إفطاره فقام ليتوجه نحو سطح الباخرة ...

بضع خطواتٍ لم يزد عليها قبل أن يلمحها هناك واقفةً تستند بذراعيها على ذاك السياج ...

ورغم أنها كانت تعطيه ظهرها لكنه تعرف إلى قامتها القصيرة المميزة ،وأناقتها البسيطة التي صار يميز تفاصيلها بعشقها الواضح للألوان.

اتسعت عيناه وهو يقترب بخطواته أكثر يتنازعه شعوران ...

أحدهما بـ-الرضا- عن اهتمام واحدة مثلها به وهو ما يعزز غروره الذكوري بشدة ...





والآخر ب-الضيق- المبهم الطبيعي من سبب ما تفعله !

كان الآن يقف خلفها تماماً فتحرك خطوة ليجاورها قبل أن يقول دون أي مقدمات:

_كنت متأكد إني هاشوفك هنا !

التفتت نحوه بحدة وقد بدت مندهشة لأول لحظة قبل أن تعود ببصرها للأمام قائلة ببرود اتشح بالحزن:

_اعتبر نفسك ما شفتنيش!

_مش عايزة تقوليلي انتِ عايزة مني إيه ؟!

قالها وهو يتأمل جانب وجهها حيث أضفى ضوء الشمس على عينيها ظلالاً ذهبية كانت لتجعلها فاتنة في عيني أي رجل آخر إلا هو ...





هو الذي يبدو أنه قد أصيب بعقدة من "الشقراوات"!

لكن هذا لم يمنع ذاك الشرر الخفي الذي سرى منها إليه وهو يرى الشجن الذي لون ملامحها مع إجابتها:

_قلتلك قبل كده...ما عدتش عايزة منك حاجة !

قالتها وهي تتناول من حقيبتها منديلاً معقماً مما يستعمل في تطهير الأسطح مسحت به السياج أمامه وكأنها تعلم عن طبيعته الوسواسية بشأن النظافة ....

فعاد ينظر إليها بمزيج من ضيق ورضا قبل أن يستند على السياج مغمغماً:

_امال بتجري ورايا في كل مكان ليه؟!





_ما عنديش إجابة !

قالتها ثم استدارت لتغادر لكنها ما كادت تعطيه ظهرها حتى استوقفها بقوله:

_تتجوزيني؟!

تجمدت مكانها للحظات قبل أن تلتفت بوجهها نحوه قائلة بترقب:

_لولا إني عارفاك كويس كنت قلت إنك بتهزر!

_أنا فعلاً ما بهزرش!

قالها بجدية تامة وهو يشيح ببصره عنها قائلاً بنبرة عملية:

_طالما عارفة عني كل حاجة يبقى أكيد تعرفي إني كنت متجوز واحدة انجليزية من أصول مصرية ...جوازنا كان مجرد صفقة متبادلة وانتهى





قبل ما أرجع مصر بتفاصيل مش حابب أقولها ...دلوقت ظهرت من جديد وبتقول إنها حامل وعايزة ترجع لي ...

_فأنت عايز تتهرب من مسئولية ابنك ...وتثبت لها إن بقى عندك حياة تانية عشان تقطع أملها فيك !

أكملت له عبارته بنبرة شبه ساخرة وإن حملت الكثير من المرارة فالتفت نحوها ليهتف بحدته المعهودة:

_أنا مش بهرب من مسئوليته....أنا عايزها هي تشيلها ...أنا أكتر واحد عرف يعني إيه ابن يتحرم من أمه !

بدا وكأنه شعر بالندم على عبارته الأخيرة التي تفوه بها دون قصد ...





خاصة عندما لمح عينيها تلتمعان بإشفاق زاد من غضبه أكثر ليردف بنفس الحدة:

_أنا محدش يلوي دراعي ...ورجوعي لها ده من رابع المستحيلات...

_وليه ما تقوللهاش ده ببساطة من غير لعبة الجواز دي؟!

سألته بحيرة حقيقية فعاد ببصره للأمام قائلاً باقتضاب:

_لازم تيجي منها هي ...لها قريب ماسك مركز مهم هنا...ممكن تؤذيني هنا زي ما آذتني هناك.

رمقته بنظرة متفحصة طويلة وعبارته الأخيرة تفسر لها سبب عودته من غربته...

ثم قالت بنبرتها الهادئة التي تغيظه من فرط ما تشعره أنها تفهمه:





_انت حابب ترد لها ضربة كرامتك...تيجي تلاقيك متجوز وبدأت حياة جديدة بعد ما رميتها ورا ظهرك...وفي نفس الوقت تفقد أملها فيك من غير ما تأذيك...برافو...خطة ذكية...بس نسيت حاجتين ...

التفت نحوها بنظرة متسائلة فابتسمت وهي تستدير نحوه لتعقد ساعديها أمام صدرها قائلة بسخرية لائمة:

_الأولى...ابنك...تفتكر واحد بتركيبتك النفسية هيستحمل يتربى بعيد عنه؟!

عقد حاجبيه بضيق وهو يراها تضغط على ذاك الجزء الذي يحاول تناسيه منذ سمع الخبر ...

هو يتشبث ب-بقايا شك- أنه ليس له ...





وحتى لو كان ابنه ...لن يقبل أن يعود لسيلين مهما كان الثمن ...

قد يراعي ابنه عن بُعد أويسافر لرؤيته مرة كل عام ...

وربما عندما يكبر قليلاً يجلبه هنا ليعيش معه !

هكذا كان يخدع نفسه ليلهيها عن وحش (أنانيته وشكوكه) الذي يحكم سيطرته الآن على قراراته...

لكنها هي لم تغفل عن هذا لهذا شاب ابتسامتها الكثير من المرارة مع استطرادها:

_والثانية...أنا ...مين قاللك إني هوافق؟!

هنا كان دوره ليبتسم ابتسامة شاحبة بينما يتفحص ملامحها قائلاً:

_معرفش...حاجة جوايا بتأكد لي إنك هتوافقي ...خصوصاً إنه مش جواز على





طول ...كام شهر بس لحد ما سيلين تيأس وترجع بلدها وتشيلني من دماغها ....

ثم صمت للحظات وقد شعر بأن يقينه في موافقتها على عرضه السخي هذا قد بدأ يتبدد...

ليقول بتردد:

_انتِ كمان من مصلحتك تتجوزيني لفترة...عشان تخلصي من طليقك ومشاكله!

فاقتربت منه خطوة ولازالت تعقد ساعديها لتقول بنبرتها الغريبة التي تمزج غموضها بتحديها:

_تفتكر لو كنت عايزة أتجوز لمجرد الجواز كنت هاغلب؟!

كز على أسنانه بضيق لم يظهر على ملامحه التي تعمد صبغها ببروده وهو يتذكر ما قاله صديقه عنها ...فيما استطردت هي بنفس النبرة:





_لو عايزة أتجوز ...هلاقي ألف عرض أحسن من عرضك المزيف ده !

ظل صامتاً يرمقها بنظرة ضائقة وهو يدرك منطقية ما تقول قبل أن يطرق برأسه ليقول باقتضاب:

_أعتبر ده رفض؟!

اقتربت منه خطوة أخرى فشعر بدقات قلبه تتعثر وذاك الشعور -المهيب- بداخله نحوها يتضخم ...

شعورٌ هو مزيجٌ من إجلال لهالة غموضها وهذه ال"كاريزما" التي تحيطها ...

مع خوف طبيعي لشخص بوساوسه وظنونه ...

فرفع عينيه إليها بنظرة عميقة متفحصة وكأنه يود قراءة دواخلها ...

لتفاجئه بقولها:





_هو سؤال واحد وبعدها هاقوللك موافقة واللا لأ!

عقد حاجبيه بترقب منتظراً فأخذت نفساً عميقاً وهي تتفحصه بدورها مردفة:

_واحد زيك شكاك وموسوس...ازاي يآمن يتجوز واحدة زيي مطلقة وفضايح طليقها بتطاردها في كل حتة ...

ثم عادت تبتسم ساخرة لتستطرد وكأنها تقرأ أفكاره:

_دماغك مش بتودي وتجيب وتقول لنفسك أكيد أخلاقها وحشة ...أكيد طليقها مش هيعمل كده من غير سبب...دي واحدة عايشة لوحدها بعيد عن أهلها ...يعني مالهاش ظابط ولا رابط؟!




كانت عيناه تتسعان بصدمة مع كل كلمة تنطقها وكأنها تقرأ أفكاره حقاً ...

قبل أن تتحول دهشته لغضب حقيقي وهو يشعر أنه قد ضاق ذرعاً بوضعهما الغريب هذا الذي يفرض عليه جهلاً تاماً بها في مقابل معرفتها الواضحة به !!

لهذا لوح بذراعه هاتفاً بفظاظته المعهودة:

_لأنه مش جواز بجد ...دي مجرد لعبة...ومش هلاقي واحدة مجنونة زيك ترضى تهاودني في حاجة زي دي...

أطرقت برأسها وكأنها كانت تتوقع إجابته مع استطراده بنفس اللهجة:

_ولأني أعرف كويس ازاي أسيطر على الست اللي هتشيل اسمي الكام شهر دول ...





تحركت لتبتعد عنه بضعِ خطوات وهي تعطيه ظهرها فبدت له شبه إجابة بالرفض ...

هنا تقدم هنا -هو- خطوة منها ليزفر بقوة قائلاً:

_ولأني سألت عليكِ كويس وكل الناس بتشكر فيكِ رغم كلام طليقك !

صمتٌ قصير سادهما بعد عبارته الأخيرة قبل أن تقول ولازالت تعطيه ظهرها:

_موافقة...بس بشرطين!

عقد حاجبيه بشدة وهو يتقدم منها أكثر ليواجهها بعينين متربصتين لكنها أطرقت برأسها لتقول بنبرتها القوية:

_مش عايزة أعرف سبت سيلين ليه...بس انت كمان ما تسألنيش عن تفاصيل علاقتي بطليقي ...

صمت لحظات مفكراً قبل أن يقول باقتضاب:





_ماشي...والتاني؟!

رفعت رأسها لتشيح بوجهها عنه قائلة بنبرة ارتجفت حروفها:

_جوازنا مش هيكون حقيقي ...انت عايزها لعبة...يبقى تفضل لعبة وبس...قدام الناس متجوزين...بس بيننا وبين بعض أغراب...أعتقد فاهم قصدي!

ازداد انعقاد حاجبيه وشرطها الأخير هذا يزيد ارتباكه ...

صحيحٌ أنه لم يرغبها ك-امرأة- منذ رآها ...

لكن أن تشترط -هي- هذا فقد شعر به -نوعاً ما- مهيناً!

ما قصة هذه المرأة بالضبط؟!




لماذا وافقته على عرضه المجنون هذا؟!

تحبه؟!

لماذا؟! وكيف؟! ومنذ متى؟!

ومادامت كذلك فلماذا تشترط هذا الشيء الأخير بهذه الصرامة وكأنها تنفر منه؟!

لكنه لا يملك الآن متسعاً للبحث عن أجوبة ...

الوقت يمر بسرعة ويريد تنظيم هذه "الكذبة" قبل وصول سيلين.

لهذا مد لها كفه فجأة قائلاً:

_موافق!

لكنها ظلت تنظر لكفه الممدود نظرة طويلة لم يفهمها قبل أن تدمع عيناها فجأة دون سبب !





صمتها البائس هذا يربكه لكنه يجذبه لهوّتها السحيقة أكثر ...

فارتجفت شفتاه وهو يشعر بالحرج من تطلع البعض لهما وقد امتنعت هي عن مصافحته ...

لكن الغريب أنه لم يشعر بالإهانة من تصرفها ...

بل ...بالإشفاق!

أجل هذا الألم الذي شق أخاديده القاسية وسط نعومة ملامحها أنبأه أنها عانت كثيراً...

وتعاني الآن أكثر!

لهذا أعاد كفه جواره ببطء قبل أن يتنحنح ليستعيد صوته خشونته مع سؤاله:

_مش عايزة تقوليلي اتقابلنا فين قبل كده ؟!





عضت على شفتها بقوة وهي تخفض بصرها عنه لتهمس بنبرتها الذبيحة بين ألم وغموض:

_هاقوللك ليلة جوازنا ...

ثم رفعت رأسها بابتسامة شاحبة وهي تتحاشى نظراته لتردف:

_هاحكيلك حكاية عروسة البحر ...اللي مابقتش عروسة ...بس مش قادرة تعيش غير في البحر.

=======

_دكتور ياسر ...صباح الخير!

_داليا؟! انتِ هنا؟!

قالها لها الرجل مندهشاً وهو يلتقيها مصادفةً مع الفوج أمام معبد "الكرنك" فضحكت بدلال لتجيبه:

_صدفة هايلة!





كانت تعلم أنها كاذبة وأنها في الحقيقة لم تصر على هذه الرحلة إلا لعلمها بأنه هو الآخر سيذهب ...

محاولة أخرى من محاولاتها اللانهائية لجذب انتباهه والتي لايزال الرجل غافلاً عنها فقد ابتسم ليقول مجاملاً:

_فعلاً...بس ما اعتقدش هتتبسطي هنا...المكان ده للعواجيز اللي زينا ...انتم بتحبوا التنطيط والهيصة.

_حضرتك مش عجوز أبداً...

قالتها بلهجة تعمدت رفع إيقاع دلالها لتردف وعيناها تغزوان عينيه بجرأة :

_أنا كمان تفكيري أكبر من سني بكتير ...يعني لايقين جداً على بعض!





بدت الصدمة على وجه الرجل الذي لم يفهم عبارتها لأول وهلة فتلعثمت لتردف بارتباك مدروس:

_أقصد أنا والمكان ده لايقين على بعض.

ويبدو أن الرجل كان من حسن النية بمكان إذ فهم عبارتها كما هي فاتسعت ابتسامته وهو يسير جوارها مشيراً للتماثيل العظيمة جواره بينما يقول:

_بفرح جداً لما بلاقي حد في سنك ده بالعقلية دي ...البلد دي مش هتقوم إلا لما ولادها يقروا تاريخها ويفهموه...بيقولوا التاريخ بيعيد نفسه وده حقيقي بس للي يقراه صح ...ويفهم اللي قبله سبقوا ليه ويقلدهم ...احنا شعب عظيم بس ناقصنا...





ابتسمت بإعجاب حقيقي جعلها تشرد عن بقية حديثه مكتفية بالتحديق فيه وهي تسير جواره ...

مجرد سيرهما هكذا كان يمنحها لذة خاصة من "قبس ملكيّته" التي ترجوها !!

خصلات شعره التي بدأ المشيب يغازلها كانت تقرع باب قلبها بصوت خاص...

رصانته التي تمنح كلماته مذاقاً مميزاً مهما كان الموضوع الذي يتحدث عنه...

حنانه الذي كان يطل واضحاً عبر لفتات بسيطة رأت الآن إحداها عندما أعطاها مظلته الشمسية قائلاً :

_الشمس بدأت تشد حيلها ...خدي انتِ دي!

تناولتها منه شاكرة ثم اقتربت منه أكثر لتقول بضحكة عابثة:





_ممكن تكفينا إحنا الاثنين!

ضحك الرجل وهو يبتعد عفوياً مع قوله:

_لا ما تشغليش بالك بيّ...أنا واخد على الشمس...

ثم حدق فيها بنظرة طويلة قبل أن يردف بتعجب:

_انتِ اتحجبتِ؟! ما أخدتش بالي إلا دلوقت!

تجمدت ملامحها وهي تشعر بالضيق فوجود يامن معها هنا في الرحلة يجعلها تلتزم رغماً عنها بحجابها الذي يبدو لها في هذا الطقس قطعة من الجحيم ...

لهذا زفرت بضيق حقيقي لتجيبه :

_لا مش حجاب...بس أخدت برد وخفت الدور يشد عليّ.





_ألف سلامة عليكِ!

والإجابة جاءتها من خلفها ...من آخر شخص تود رؤيته الآن !!!

أجل ...بالضبط!!

زوجة الدكتور التي بدت وكأنها ظهرت فجأة لتتأبط ذراع زوجها موجدةً لنفسها مكاناً بينهما بينما تردف بنبرة ذات مغزى:

_شفتك على الباخرة بس ما صدقتش عنيّا...قلت مش معقول الصدفة دي...

ثم ضحكت لتلتفت لزوجها قائلة:

_تخيل تبقى كابس على نفسهم في الجامعة وفي الرحلات كمان .

رفع الرجل كفيه باستسلام فاحمر وجه داليا غيظاً وهي ترد ببرود مستفز:





_احنا نحب نشوف دكتور ياسر في أي مكان وأي وقت!

التمعت عينا المرأة بغضب عجز عن تحمله حلمها المعهود وقد شعرت أن هذه الفتاة تتجاوز كل الحدود حقاً ...

لكنها تمالكت نفسها كي لا تجعل زوجها ينتبه للأمر خاصةً وهي تثق به تمام الثقة ...

لهذا ضيقت عينيها بوعيد مستتر ثم ابتسمت ابتسامة قاسية وهي تسألها:

_فين عيلتك يا داليا...معقول جاية هنا لوحدك؟!

شحبت ملامح داليا وقد راودها هاجس ما أن تخبر هذه المرأة يامن عن أي شيء يخص علاقتها بأستاذها ...





يامن الذي تدرك أن طبيعته الوسواسية مفرطة الشكوك قد تجعله يحرمها تماماً من الجامعة لو علم شيئاً عن هذا ...

هذا الشحوب الذي قرأته المرأة بوضوح وهي تمد أناملها فيما بدا كحركة رقيقة لتعدل لداليا وشاح رأسها لكنها في الحقيقة كانت تحمل لها رسالة خاصة وشت بها كلماتها:

_لو اتقابلنا تاني أحب نتعرف عليهم...وبالمناسبة عندي وصفة هايلة ل"البرد" هتخلليه ما يعتبش ناحيتك... نهائي!

كزت داليا على أسنانها بغيظ مكتوم بينما تومئ برأسها عندما قال ياسر الذي لايزال غارقاً بحسن نيته:





_خدي كلامها ثقة يا داليا ...وصفاتها مضمونة !

ابتسمت المرأة بثقة وهي تمنحها نظرة خاصة

جعلتها تتوقف عن السير جوارهما لتقول بوجوم:

_حاسة إني صدعت من الشمس ...هارجع أنا .

قالتها ولم تنتظر رداً بل اندفعت بخطواتها المهرولة

نحو الحافلة التي تنتظرهم هناك حيث قبعت في

مكانها تنتظر تحركها بوفدها والغيظ يكاد يحرق

أعصابها ...

لهذا ما كادت تختلي بنفسها في غرفتها على

الباخرة حتى تناولت هاتفها لتتصل بهيثم الذي

بادرها بقوله :

_داليا...وحشتيني قوي!

نزعت عنها وشاحها بقوة غضبها لتزفر بقوة

جعلته يسألها بقلق:





_مالك يا حبيبتي؟! انتِ كويسة؟!

قلقه الحنون نجح في تخفيف بعض ضيقها فتنهدت بعمق لتجيبه:

_زهقانة جداً يا هيثم..ياريتك جيت معايا .

لم ترَ ابتسامته لكنها شعرت بها مع قوله بصوت دافئ:

_معنديش مانع آخد أول طيارة وأجيلك..بس ابن خالتك هنعمل فيه إيه؟!

خلعت قميصها لتنظر لنفسها عبر مرآتها قائلة بنزق:

_معاك حق...عشان كده ما رضيتش أخلليك تيجي معايا ...

ثم ضحكت بعصبية لتردف:





_كل حاجة هنا مملة ...بس الفندق هنا عامل "جلابية بارتي" الليلة دي ...حفلة رقص شرقي للصبح...بفكر ...

_هاقتلك يا داليا!!

هتف بها بحدة مقاطعاً عبارتها فضحكت ضحكة طويلة مستمتعة بغيرته قبل أن تقول بصوت عاد إليه مرحه:

_ما تقلقش يا "روميو"...الشاويش يامن هنا عامل الواجب ...مابخرجش من الأوضة إلا بحجابي!

لم يصلها منه رد سوى ذبذبات غضبه اللامرئية عبر الهاتف فابتسمت ابتسامة حقيقية لتستفز صمته بقولها المرح:

_الشبَكة فيها عيب واللا القطة أكلت لسانك ؟!





لكنه ظل صامتاً للحظات أخرى جعلتها تقول بتردد:

_هيثم ...ما بتتكلمش ليه؟!

_عشان معندكيش دم...أنا هنا هاموت عليكِ وحضرتك ما بتفكريش ...

_هتموت عليّ؟!

قاطعت بهمسها الدافئ عبارته التي داعبت وتراً حساساً بقلبها....

فزفر زفرة حارقة قبل أن يغلق الاتصال بعنف دون أن يجيبها.

ظلت تتطلع للشاشة بشرود وهي تشعر بنفس الحيرة تمزقها ...

ماذا تريد ؟!

لو كانت تريد مجرد حب فهيثم يمنحه لها بسخاء...





لكنها تشعر أنها لا تكتفي بهذا ...هي تريد عالماً بأكمله ...

عالماً تكون هي نجمته !!

لن تنسى أبداً ذاك اليوم الذي رأت فيه بيللا على شاشة التلفاز وهم يسلمونها ذاك التاج المتلألئ في حفل كبير منذ سنوات ...

صيحات الحضور...تصفيقهم...عيونهم التي لم تفارق جسدها ...

هذه هي النجومية الحقة التي تبتغيها ...

لماذا تكتفي من القلوب بواحد مادام يمكنها كسبها كلها؟!

طالما كانت تشعر في قرارة نفسها أن خالتها حمقاء لأنها تركت كل هذا وراءها ...




لهذا تعذرها حالياً في محاولاتها للحفاظ على مكانها تحت الأضواء وإن اعتزلت التمثيل ...

حياة المرأة الحقيقية ليست في زوج يسجنها أو بيت تخنقها جدرانه...

حياتها في هواء تتنفسه حرة بلا قيود !

هكذا حدثت نفسها وهي تتفحص جسدها عبر المرآة بإعجاب قبل أن تتناول هاتفها لتبحث عن رسالة من "عاشقها المجهول" بفضول يزداد يوماً بعد يوم ...

لكنها لم تجد شيئاً !!

ولا تدري لماذا زادها هذا إحباطاً بعد ما حدث مع زوجة أستاذها فزفرت بحنق قبل أن تتجه نحو نافذة غرفتها المطلة على النيل لتفتحها غير آبهة





بجسدها المكشوف ولا شعرها الذي انسدل على كتفيها ...

غافلة عن زوجة ياسر التي وقفت على شاطئ النيل المقابل للباخرة ترمقها بنظرات متفحصة غير راضية...

قبل أن تزفر بحنق لتتناول هاتفها كي تجري اتصالاً فتحته بقولها:

_انسى اللي في دماغك خالص...البنت دي مش هتنفعك...شوف غيرها أحسن !

=======

_انتِ كويسة؟!

هتف بها يامن وهو يصعد معها ذاك الممشى الذي يقودهم نحو مقبرة فرعونية ما ...





والذي كان يرتفع تدريجياً مع صعودهم حتى يعادل ارتفاع بضعة طوابق عند آخره ...

ورغم اعتراضه على صعودها لكن أمه العنيدة أصرت على هذا فاضطر لمرافقتها ...

_جدا!! يااااه...إزاي ما جتش هنا قبل كده ؟!
المكان ...يجنن!

كانت تلهث مع عباراتها وهي تتشبث بأحد كفيها في سياج السور الجانبي للممشى بينما كفها الآخر يستقر في راحته ...

حركة بسيطة لكنها كانت تعني لها الكثير!!!

كادت تتعثر في خطوتها الأخيرة لتفاجأ به يضمها إليه بذراعه في حركة سريعة حادة ...

رفعت عينيها إليه لتجد القلق الممتزج بعاطفته في عينيه والذي داراه بقوله الخشن:





_كفاية كده ...انت مش قادرة تاخدي نفسك.

لكنها ابتسمت وهي تقول بإصرار عبر صوتها اللاهث:

_مش هارجع بعد كل ده ...لو خايف عليّ خلليك ساندني كده !

أشاح بوجهه في ضيق وهو يعاود الصعود معها بينما يضمها إليه بقوة حيث كانت هي في أسعد حالاتها وهي تشعر بنفسها بهذا القرب منه ...

هو يستنكف أن يمنحها ضمّةً كهذه في إطار "عاطفة"...

لكنه لا يتردد لحظة في فعلها في إطار "دفاعه الحمائي" عنها ...

وكأنه يتعامل معها فقط بنبل خلق دافناً مشاعره الحقيقية خلف هذا القناع الصلب!!





لقد ورث ابنها نصيبه بالعدل منها ومن أبيه !!!

طبيعته ممزقة بين "قسوة" عبد الرحيم حمدي التي جعلتها تلفظ حياتها معه بأسرها حتى ولو كان الثمن ابنها الذي حرمها منه ...

وبين "كبريائها" هي الذي جعلها تفضل طموحها ونجاحها عن كل ما عداه !!

فلماذا تلومه ؟!

_مش دي بيللا؟!

هتفت بها إحداهن وهي تهرع نحوها لتردف بانبهار:

_مش ممكن .. مش مصدقة عنيا...أنا ممكن أتصور معاكِ؟!





ابتسمت نبيلة بفخر وهي تعدل وضع قبعتها على رأسها فيما هتف يامن بغلظة للمرأة :

_انتِ مش شايفة اليافتة هناك ؟! ممنوع التصوير!!

بهتت المرأة لفظاظة لهجته فيما اتسعت ابتسامة نبيلة وهي تقول مرحبة:

_مفيش مشكلة ...ممكن نبعد عن هنا ونتصور ...

_هتنزلي كل ده تاني؟!

هتف بها يامن بسخط والعرق يتصبب على جبينه فرفعت نبيلة رأسها لتقول بلهجة تمثيلية:

_عادي...جمهوري له حق عليّ برضه!





قالتها وهي تعاود النزول مع المرأة التي لم تكف عن الثرثرة معها معلنة انبهارها ب"مجدها القديم"...

فيما رمقهما هو بنظرة مشتعلة ثم تمتم ببضع كلمات ساخطة قبل أن ينتبه لتلك التي وقفت هناك بعيداً ببنيتها الضئيلة التي تميزها حتى وسط هذه الجموع ...

ورغم أنها كانت ترتدي نظارة شمسية لكنه شعر بنظراتها مصوبة نحوه باهتمام قبل أن تطرق برأسها صامتة مكتفية بموقعها البعيد ...

عقد حاجبيه وهو يعود ببصره نحو أمه التي انشغلت عنه تماماً بالتقاط الصور مع بعض المعجبين الذين انضموا للمرأة هناك ...





قبل أن يعود ليبحث عن مطاردته الغامضة لكنه وجدها قد اختفت تماماً ....

=======

_صباح الخير يا "دودة"!

قالتها هانيا بنبرة صبغتها بمرحها وغادة تفتح لها باب الشقة المقابل لها والتي انتقلت إليها بالأمس فقط بعد إلحاح هانيا الشديد ...

فابتسمت غادة بوهن مع صوتها المتحشرج:

_لسه فاكرة الاسم ده ؟!

كانت هانيا تحمل صينية العشاء الذي أعدته لها حيث دخلت لتضعها على المائدة الصغيرة هناك لتقول بنفس النبرة:





_أيام الكلية كنا مسميينك "دودة" وبيفتكرونا بندلعك ...ما يعرفوش انك كنتِ دودة قراءة ...ما اعرفش كنت بتقراي كل الكتب دي ازاي وامتى!

كانت تحاول جذبها للحديث بأي طريقة كي تعيد لها الحياة بعد صدمتها الأخيرة ...

لكن غادة المتشحة بسواد "الظاهر" و "الباطن" كانت متفحمة الروح حد الاحتراق !!

كلماتها كانت تخرج مختنقة ذبيحة وكأنها تجاهد فقط كي تتنفس:

_ما كانش قدامي حل وقتها غير إني أهرب للخيال ...ولما جيت أعيش الواقع الدنيا استكترته عليّ!





انتهت عبارتها بزخة من دموعها كعادتها طوال الأيام السابقة فتقدمت منها هانيا لتحتضنها بقوة هامسة:

_وبعدين يا غادة ؟! مش قلنا إنه امتحان وهنعديه ؟! ربنا ما بيعملش حاجة وحشة !

_ربنا ما بيعملش حاجة وحشة بس احنا اللي وحشين ...شفتي أمي رمتني ازاي؟! صعبان عليّ نفسي قوي يا هانيا ... ليه أحمد اللي يموت ويوجع قلبي وقلب أبوه وعيلته كلها عليه ؟! ليه ما متش أنا علي الأقل ما كانش حد هيتوجع!!

انهيارها الذابل أوجع قلب صديقتها التي رفعت وجهها نحوها لتقول بقوة تدرك أنها تحتاجها:





_أكيد ربنا سبحانه وتعالى له حكمة في كده...مين فينا عارف بكرة شايل إيه ؟! كل يوم في حياتنا فرصة لبداية جديدة لو استغلليناها صح ...

هزت غادة رأسها بألم فربتت هانيا على كتفها لتردف بعتاب حنون:

_تفتكري لو أحمد الله يرحمه كان عايش كان هيرضى باللي بتعمليه في نفسك ده ؟!

_مش قادرة أنساه ...كل يوم بصحى بس على أمل إني أحصّله ...أنا ما عشتش غير معاه ...ومت برضه معاه !

لم تكن كلماتها مجرد حديث بل كانت دعوة يتمناها قلبها في كل وقت منذ ذاك الحادث ...





هذا العذاب الذي تعيشه كان أكبر من تحملها ...بل من إدراكها!!

طفلةٌ كانت تعلو بها أرجوحة الحلم حتى وصلت بها حدود السماء قبل أن تسقط..فجأة لترتطم بوحل الحقيقة!!!

الأمس قاسٍ واليوم أقسى...والغد...؟!

الغد مجرد رقم في عداد العمر الذي لا تدري كيف سيمر!!

وأمامها كانت هانيا تراقب انهيارها بعجز وهي لا تدري ماذا تفعل ...

غادة بطبيعتها شديدة الهشاشة..طبيعتها الواهنة لا تؤازرها في صد أي اعتداء ...ربما لهذا السبب





تجرأ عليها زوج والدتها قديماً مستغلاً ضعفها خاصة وهو يعلم أنها بلا سند !

لكنها لن تجعلها تستسلم لطبيعتها هذه طويلاً...

هذه الحياة قاسيةٌ حقاً على ضعاف الروح ...جيادها الجامحة تدهس زهور ربيعهم!!

لهذا تناولت من جوارها منديلاً ورقياً أعطته لغادة مع قولها :

_امسحي دموعك واستغفري ...بكرة لما تفتكري الأيام دي هتحمدي ربنا وتقولي إن الفرج بييجي دايماً بعد الضيق .

_ونعم بالله !





قالتها غادة وهي تمسح دموعها محاولة التماسك فجذبتها هانيا من كفها لتجلسها على المائدة هاتفة بحزم:

_طول اليوم ما أكلتيش حاجة ...مش هامشي من هنا غير لما تخلصي كل ده !

اعتراضاتها الواهية لم تجعل هانيا تستسلم وهي تطعمها بيديها قسراً حتى اطمأنت لاستسلامها لها فابتسمت وهي تقول مداعبة:

_مش ناقص غير أقوللك..."هم يا جمل" و "القطر داخل فين "!!

حنانها الصادق مس قلب غادة التي كانت بالكاد تعي كل هذا فعادت الدموع لعينيها لكن هانيا هتفت بها زاجرة:

_لو عيطتِ تاني هاحبسك في أوضة الفيران!




هنا ارتسمت على شفتيها ابتسامة كتمتها بأناملها فتنهدت هانيا بحرارة لتعاود القول بجدية:

_ساعديني يا غادة ...مش هاقدر أخرجك من كل ده لوحدي ...أرجوكِ !

فمسحت دموعها من جديد لتعود لتناول طعامها ....وحدها هذه المرة !

=======

كان ينتظرها على سطح الباخرة بعد الفجر بقليل وعيناه تجوبان المكان حوله بحذره المعهود خشية أن يراه هنا أحد يعرفه...

لهذا تعمد أن يكون لقاؤهما في هذا الوقت المبكر جداً قبل استيقاظ الجميع...

هو لم يخبر أمه وقريباته بعد بما ينتويه ...





ربما لأنه لا يزال يشعر بالكثير من التردد ...

الشيء الوحيد الذي يجعله راغباً في هذه الزيجة هو نظرة التشفي التي يود أن تملأ عينيه عندما تأتيه سيلين هنا بقدميها لتجده قد تزوج سواها ...

بل إنه يفكر لو يمعن في إذلالها فيخبرها -كاذباً- باستعداده لأن تكون زوجته الثانية مع يقينه أنها أبداً لن تقبل!

ستكون صفعته "الثانية" لها بعد صفعة طلاقهما في "لندن"!

فهو رجل لا ينسى ثأره أبداً وما فعلته به هناك لم يكن ليدعه يمر حتى وهو واثقٌ أنها لم تفعله إلا لأجل أنها تحبه!

تحبه؟!

وهل تعرف "النساء" الحب؟!





نعم...يعرفنه...

يعرفن "حب التملك"..."حب الاستحواذ".."حب الغريزة".."حب الشهرة"...حب"أنفسهن" !!

هنا ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة حملت الكثير من المرارة فتحرك ليستند بساعديه على سياج الباخرة الذي لم ينسَ مسحه بمنديل معقم كما فعلت -هي-المرة السابقة!

_صباح الخير!

همستها الناعمة جواره جعلته يلتفت نحوها ليتفحص ملامحها مدركاً توترها الذي فضحته هالات سوداء أحاطت بعينيها العسليتين ...





نظراتها العاتبة تعود لغزوها الكاسح لعينيه لكنه يهرب من غموضهما بقوله :

_شكلك ما لحقتيش تنامي...بس أنا قصدت إننا نتقابل في الوقت ده بالذات عشان ...

_محدش يشوفنا سوا قبل ما نحط النقط على الحروف!

قاطعت بها عبارته ليزداد غيظه وهو يراها "تستعرض عضلات" فهمها العميق له ...

فانعقد حاجباه بشدة وقد كاد يرميها بواحدة من عبارات سخريته اللاذعة لولا ارتجافة جسدها الخفيفة التي جعلتها تضم شالها الخفيف عليها لتبدو له في هذه اللحظة أكثر هشاشة وضعفاً من أي مرة قد رآها من قبل !

لهذا تنحنح بخشونة ليشيح بوجهه عنها قائلاً:





_تعالي ننزل البوفيه ...الجو هنا برد فعلاً.

لكنها تحركت لتستند على السياج جواره في رفض واضح لدعوته ...

عيناها شردتا في خيوط الشمس الواهنة التي تكافح لشق طريقها عبر الظلمة ...

لتقول له بنبرتها القوية المعارضة تماماً لما يبدو عليه مظهرها الآن:

_قول اللي عندك..أنا سامعاك!

رمقها بنظرة متفحصة أخرى قبل أن يشرد بدوره في الفضاء أمامه مع قوله:

_المفروض بكرة نوصل ...هفاتح عيلتي في الموضوع عشان نتجوز بأسرع وقت..طبعاً محدش هيعرف تفاصيل اللي بيننا غيرنا احنا





وبس...عايز الكل يشوفنا مبسوطين مع بعض...ودورك هيبان اكتر لما توصل سيلين...

ثم التفت نحوها ليسألها :

_انتِ بقى ليكِ طلبات معينة؟!

دمعت عيناها قليلاً مع نظراتها التي حافظت على شرودها وكأنها في عالم آخر ...لتهمس بصوت متهدج:

_عايزة فرح كبير ...زحمة...زحمة قوي ...فستان فيه كل ألوان الطيف .

ورغم أن حديثها بهذه النبرة الغريبة لامسه دون أن يعرف السبب لكن طبيعته ـالسوداءـ غلبته مع قوله الساخر:





_فستان ملون؟! هي مصر اتغيرت قوي كده ؟!
آخر معلوماتي إنه كان بيبقى أبيض!!

لم يبدُ على ملامحها الشاردة أنها حتى قد سمعته ...

عيناها العسليتان كانتا تطاردان خيوط الشمس بنفس الشغف مع استطرادها الشارد:

_وبيت نعيش فيه لوحدنا ...أنا وانت بس!

ردته عبارتها الأخيرة لطبيعته "الموسوسة" فعاد يرمقها بنظرات متفحصة ضائقة ...

ورغم أنه كان قد قرر فعلاً أن يسكنا وحدهما في بيته المنفصل عن بيت أمه لكنه وجد نفسه يقول بلهجته الخشنة:




_يعني لو قلتلك هنعيش مع أمي وبنات خالتي هترفضي؟!

هنا فقط أفاقت من شرودها لتنظر إليه نظرة عميقة لم يفهمها كالعادة قبل أن تبتسم ابتسامة شاحبة مع قولها:

_انت اللي سألتني عن طلباتي ...ومع ذلك أنا قلتلك من المرة اللي فاتت إني موافقة على أي حاجة .

_ليه؟!

هتف بها بغيظ حاد وغموضها هذا يكاد يحرقه ...

ربما لو كان هو رجلاً آخر غيره لاستجاب لزهوة غروره باستسلامها هذا له ...

لرأى في عينيها هذه العاطفة التي لا تحتاج لتأويل !!





هذه العاطفة التي كانت تكفي كجواب قاطع لسؤاله السابق حتى مع صمتها الذي أصرت عليه بعدها ...

لكن عينيه المتشككتين لم تبصرا وسط كل هذا سوى فضوله الذي يتشوق لإشباعه ..لهذا أحب استفزازها بقوله:

_مالهاش لازمة قصة الفرح دي ...بلاش منها!

_ده أكتر طلب أنا مصرة عليه !

قالتها بمزيج غريب من عناد ورجاء جعله يشيح بوجهه وهو يلعن نفسه سراً !!!

ما الذي ورطه مع مخبولة كهذه ؟!

يريد أن يهرب من أفعى كسيلين فيلجأ لمختلة كهذه ؟!

مختلة ؟!





الغريب أن قلبه لا يشعر نحوها بهذا الشك الذي يؤججه عقله ...

قلبه ؟!

ومنذ متى يثق هو بقلبه ؟!

وهل كبّه على وجهه في جحيم خسرانه من قبل إلا حصاد قلبه هذا؟!!

زفر بقوة عند خاطره الأخير قبل أن يشيح بوجهه ليتحرك بضع خطوات مبتعداً عنها ...

فالتفتت نحوه ترمقه بنظرات صامتة قبل أن تسأله :

_خايف من إيه ؟! اللعبة دي اقتراحك...وخيوطها كلها في إيدك...وقت ما تحتاج تنهيها هتخلص بكلمة ...هتخسر إيه أكتر من اللي خسرته؟!





استدار نحوها بحدة وقد زاد حديثها غيظه ليهتف بها :

_كويس قوي إنك فاهمة كده...جوازنا ممكن بالنسبة لي لعبة...بس بالنسبة لك هيبقى سجن ...لو عارفاني كويس زي ما بتقولي يبقى أكيد هتبقي فاهمة شكل حياتك معايا هيبقى إزاي .

أومأت برأسها لتقول له بنبرتها التي مزجت غموضها بألمها:

_في كل الحالات أنا برضه مش هاخرج خسرانة !

ثم أخذت نفساً عميقاً تتمالك به نفسها لتردف وهي تبتعد بنظراتها عنه :

_بابا هيوصل مصر بعد بكرة...أنا بلغته بحكاية جوازنا .




ظهرت الصدمة على وجهه وهو يراها تتحدث بهذه البساطة !!

أي أب هذا الذي تبلغه ابنته بخبر زواجها المرتقب بهذه السهولة وكأنها اشترت ثوباً جديداً ؟!!

لكن .. لماذا العجب؟!

ألم يتقبل الأب الغائب أن تعيش ابنته بمفردها هنا تاركاً لها حياتها تعيشها دون رقيب؟!

تراه تخلى عنها كما فعلت نبيلة ؟!

أم أن ابنته ال"مخبولة" هذه هي التي قد غلبته بشذوذ طباعها؟!!

هذا السؤال الذي أجابته هي بقولها :

_احنا شبه بعض قوي في الجزئية دي...بابا اتجوز واحدة تانية غير أمي وسابنا وسافر ...عاش حياته هناك وبنى العالم بتاعه بعيد عننا ...بس أمي ما





لبستش دور الضحية مكسورة الجناح ...ربتني

إزاي أعتمد على نفسي ...عشت يتيمة وأبويا على

وش الدنيا ...بس أنا ما عملتش زيك ...

ثم التفتت نحوه لتردف وعيناها في عينيه:

_أنا ترجمت كل ده لنقط قوة...كل ما كان بيوحشني

كنت بفتح لنفسي مجال جديد أنجح

فيه ...دراسة...رياضة...شغل ...كل نجاح كنت

بحققه كنت بحسه تعويض لنفسي عن اللي

ناقصها ..لحد ما وصلت لنقطة معينة حسيت إني

خلاص ما عدتش عايزاه!!!

كانت وتيرة صوتها تعلو تدريجياً مع قولها حتى

وصلت لعبارتها الأخيرة التي دمعت معها عيناها

لتصمت فجأة...

ثم انخفض صوتها مع استطرادها:





_لكن لما أمي ماتت...ساعتها بس حسيت إن كل ده كان مجرد مُسكّن مش علاج ...و إني حقيقي محتاجاه !

لامست عبارتها قلبه حد الوجع ...

وكيف لا ؟!

وهي تشاطره جرحه القديم ؟!!

لهذا تحرك نحوها هذه الخطوات التي ابتعدها وكأنما أرضاه أن يكشف بعض هذا الغموض الذي حولها ...

لكنها حافظت على إطراقة رأسها وهي تكمل حديثها:

_وفعلاً رجع لي وقتها ..بس أنا اللي ما قدرتش أرجع له...يمكن تفهمت





دوافعه ...طموحه...انشغاله...وحتى جوازه التاني...كل ده تفهمته حاولت أديله عذر فيه...بس غصب عني ما قدرتش أخرج بره الدايرة اللي هو حطنا فيها ...

ثم رفعت رأسها إليه بابتسامة بدت شديدة التكلف مع دموعها التي ملأت عينيها دون أن تسقط:

_هو تقبل فكرة استقلالي بحياتي هنا...زي ما أنا تقبلت فكرة نجاحه هناك ...هو واثق فيا...زي ما أنا واثقة إني لو احتجته هيجيلي ...بس ...

صمتت بعدها للحظة شعر فيها أنها تبتلع غصة مرارتها لتردف بصوت متحشرج:

_بس أنا مش عايزة أحتاج له!





وعند عبارتها الأخيرة سقطت دموعها التي حبستها طويلاً فاختلجت عضلة فكه وهو يقبض كفيه جواره !!!

كل دمعة من دموعها كان يعرفها !!!

تشبه دموعاً وجد في عينيه يوماً مثلها !!!

وإن لم يملك وقتها شجاعة أن يترك لها حرية السقوط!

لكنها مسحت دموعها بسرعة ثم تنفست بعمق لتلوح بذراعيها قائلة:

_وآديني أهه فعلاً مش محتاجة له ولا لأي حد ...كل حاجة عُزتها..كل حلم حلمته ..كل طريق مشيته...وصلت لهم... ولوحدي!





اتسعت عيناه بمزيج من صدمة وانبهار وهو ينظر لوجهها هذه اللحظة...

ملامحها التي طالما كان يراها طفولية الآن تنبض بقوة غريبة تكاد تزلزله هو مكانه !!

عبارتها السابقة رغم عموم معناها لكن قلبه استشعر فيها شيئاً يخصه هو ...

تراه كان يوماً حلماً من أحلامها؟!

انقطعت أفكاره بحركة بسيطة عندما أطاح الهواء بشالها ليسقط تحت قدميها ...

انحنت لتلتقطه لكن أنامله سبقتها قبل أن يعيده لكتفيها بحركة زادت ارتجافتها ...

عيناها العسليتان تقابلان عينيه بذات اللون ...

فما أشد التشابه...وما أكبر الاختلاف!!





_صباح الخير يا ياسمين.

الهتاف جاء من خلفه يقطع عليهما سحر اللحظة خاصة مع حدة لهجته فالتفت يامن نحو الرجل الذي تهللت أساريره عندما تعرف إليه ليصافحه بقوله:

_دكتور يامن ...فرصة سعيدة جداً.

صافحه يامن بضيق وقد أثار حفيظته أن يراهما أحدهما هنا ...

ويبدو أن الرجل قد لاحظ ضيقه خاصة مع شحوب وجه ياسمين فغمغم بما يشبه الاعتذار:

_أنا آسف للمقاطعة...بس حسيت ياسمين متوترة وما كنتش أعرف لسه هي واقفة مع مين...خفت يكون حد بيضايقها .





عقد يامن حاجبيه بضيق لم يملكه لكن ياسمين تمالكت نفسها لتقول بابتسامة مفتعلة :

_شكراً يا دكتور ...يامن دكتور الأسنان بتاعي واتقابلنا هنا صدفة!

أومأ الرجل برأسه وهو يثرثر ببضع كلمات عن عدم توقعه لصعود أحدهم هنا في هذا الوقت باستثنائه هو العاشق لمشهد الشروق...

لكن كليهما كان غائباً في شروده الذي انقطع بمغادرة الرجل لهما والذي شعر بالحرج تقريباً فترك لهما ظهر الباخرة كله ليعود للأسفل...

_تعرفيه منين؟!





غمغم بها يامن من بين أسنانه وهو يجذب ذراعها بحدة لم يقصدها فأشاحت بوجهها في ارتباك مع سؤالها:

_وانت تعرفه منين؟!

_أعرفه منين؟! هو حد خارب بيتي غيره؟! ده دكتور التجميل اللي أمي مضيعة عليه كل فلوسها ...السؤال بقا حضرتك تعرفيه منين؟!

هتف بها بحدة تقبلتها وهي تزدرد ريقها بتوتر احتل ملامحها وجعله يردف بانفعال أكبر:

_وليه بيجي مخصوص خايف أكون بضايقك ؟!

لم يكن الرجل في سن يسمح له بالغيرة فقد كان في عمر والدها لهذا كان سؤاله يحمل الفضول أكثر ...

فصمتت ياسمين قليلاً قبل أن تقول له باقتضاب:





_ممكن تسأله !

قالتها ثم اندفعت بخطوات سريعة لتغادره ولغة

جسدها تفضح شعوراً

بالخوف لم تفوته عيناه الثاقبتان ...

لهذا ما كادت الفرصة تسنح له حتى التقى ذاك

الطبيب الذي منحه إجابة لم تخطر له على بال ...

الرجل علاقته بها مهنية لأبعد حد فقد سبق وأجرى

لها عملية تجميلية رفض أن يفصح عن كينونتها

زاعماً أنها أسرار عمل!!

=======





القطعة الخامسة

****

_حمداً لله على السلامة يا بابا!

قالتها ياسمين وهي ترتمي بين ذراعيه في شقتها التي استقبلته فيها عقب عودته .

وجدي ذو الفقار!

نموذج عظيم من أولئك الذين تفخر ب"عصاميّتهم" !

ربما هو لم يبدأ من الصفر تماماً لكن ما حققه في عمره هذا يعتبر إنجازاً كبيراً ...

الثمن؟!

ومن يسأل عن الثمن في خضم الصراع المحموم نحو المال والنجاح ؟!





_ما اتغيرتيش يا "سمسمة"!

صوته الخشن الحنون الذي احترق بمزيج من الذنب واللوم يصل أذنيها معبقاً برائحة الذكرى!

"لفظة تدليله"هذه كانت يوماً تحمل لها أمان العالم كله !!

واليوم لا تزيد في أذنيها عن كونها "مجرد مجاملة"!!

مجاملة ردت عليها بتمتمتها الخافتة وسط ابتسامتها بينما ترفع عينيها إليه:

_بالعكس ...اتغيرت يا بابا ...اتغيرت كتير!

رمقها بنظرة طويلة متفحصة لكنها هربت من لقاء نظراته وهي تغلق الباب خلفه لتهتف بمرح مصطنع:

_شنطة واحدة بس؟! فين هدايا العروسة ؟!





لكن تكلّفها هذا لم يخفَ عليه وهو يضمها إليه بذراعه ليسير جوارها حتى جلس معها على أحد الأرائك ليتمعن في ملامحها أكثر بقوله الرصين:

_ما هو ده اللي جابني على ملا وشي...إيه موضوع "العروسة" ده بقا؟!

خفضت بصرها عنه للحظات تستدعي قوتها التي لا تنقصها ها هنا ...

إن لم تدافع عن زواجها بيامن ...فعمّ تفعل إذن؟!

لهذا رفعت إليه عينيها أخيراً لتقول بابتسامة لم تفارقها:

_زي ما بلغتك في التليفون...عريس محترم...دكتور ...من عيلة كويسة..جوازة لقطة !





_لقطة؟!

قالها رافعاً حاجبيه باستهجان قبل أن يعدل وضع نظارته على أنفه مردفاً وهو يضغط حروف كلماته:

_يامن عبد الرحيم حمدي...أبوه فلاح وأمه ممثلة إغراء....أبوه طلقها وعاش بيه هنا بعد ما هرب بيه من بلدهم عشان كلام الناس...وبعد ما مات رجع لأمه اللي كان ليها فضيحة مشهورة مع منتج زمان ...و اللي لسه عايشة في الدور وكل يوم والتاني صورها في الحفلات مغرقة الدنيا ...هو ده الوسط اللي عايزة تدخلي برجليكِ فيه؟!

شبكت أناملها بقوة وكأنما تستدعي كل قوتها لتقول بثبات:

_احنا ما بنورثش ذنوب أهالينا.




همهمة ساخرة كانت جوابه تلاها قوله بنفس النبرة:

_ماشي...نيجي للدكتور "اللقطة"...أول فضيحة ليه كانت في النادي مع واحدة خلته مسخرة أصحابها...بعدها سافر انجلترا اتجوز واحدة هناك وسابها برضه بفضيحة ومشاكل...رجع هنا فتح عيادة مع واحد زميله وشكله بيجهز للفضيحة الثالثة مع واحدة ساذجة فاكراه "لقطة"!!

_بابا!!

هتفت بها باعتراض وهي تنتفض واقفة مكانها لتردف بتماسك:

_أولاً بحييك إنك قدرت تجمع كل المعلومات دي في الوقت القصير ده ...ثانياً كل ده أنا عارفاه و أكتر منه كمان ...





ثم أشاحت بوجهها مستطردة:

_لا أنا ساذجة ولا يامن وحش ...كل اللي مرّ بيه كان نتيجة ظروف !

_مفيش فايدة في عنادك اللي مضيعك ده ؟! برضه ما بتسمعيش الكلام؟!

هتف بها بحدة وهو يقف بدوره ليقابلها بنظراته الساخطة والتي أطفأتها عبارتها المرتجفة:

_سمعت كلامك المرة اللي فاتت ...كانت إيه النتيجة؟!

بدت كلماتها وكأنما أسقطت بألمها دلواً بارداً على غضبه فتجمدت ملامحه للحظات قبل أن يقول لها بنبرة أكثر رفقاً:

_وعشان كده بالذات ...كنت فاكرك هتفكري ألف مرة قبل ما تعيدي التجربة....





ثم أحاط كتفيها بكفيه لينظر لعينيها مردفاً:

_أنا غلطت مرة في اختياري ما تغلطيش انتِ

كمان...كل تجربة هتتحسب عليكِ !

دمعت عيناها دون رد فقبل جبينها ثم ضمها إليه

ليردف بحزم:

_"الولد " ده مش مناسب ليكِ أبداً .

ابتسمت رغماً عنها وهي تراه يلقب يامن

ب"الولد"!!

ترى هل سيحتفظ برأيه هذا عندما يرى هذا

"الولد" جوارها بجسده الضخم وملامحه الخشنة

!؟





لكن ابتسامتها تخللها نوعٌ من الحنين وهي ترى أباها بعين خيالها يمسك كفها ليسلمها عروساً إليه ...

الحلم الذي عاش بداخلها سنوات يوشك أن يكون حقيقة!!

لا يا غافلة!!

الحلم لن يتحقق كما تتصورين ...بل سيظل حبيس قضبان قلبك الأحمق!

الزواج لعبة...والعروس مزيفة...والعريس حبيب بثياب سجان!

_خدي فرصة وفكري يا بنتي...ارجعي معايا ماليزيا تغيري جو و تقرري على مهلك .





وكأنما ردته عبارتها لخيارها الذي لن تحيد عنه ...لهذا رفعت عينيها إليه بقولها الحاسم رغم رقة لكنتها:

_قراري خدته ومش هاغيره يا بابا .

كسا الضيق ملامحه التي فاضت بقلقه لكنه عجز عن قول المزيد ...

هو يعلم الكثيرعن عناد ابنته تماماً كما يعلم أنه لن يمكنه إقناعها بعكس اختيارها ...

ليس فقط لأجل شعوره القديم بالذنب نحوها منذ تركها ووالدتها ليسافر ويبني نفسه بعيداً ...

لكن لأجل ذنبه الحديث كذلك والذي لم تبرد دماؤه بعد!





أجل هو الذي اختار لها زوجها السابق والذي أذاقها الويلات حتى تم الطلاق ...

ورغم أنها رفضت بعنادها العتيق ذكر أي تفاصيل له لكنه يشعر أن ما كسره ذاك الزواج بابنته أكبر من أن يلتئم بهذه السرعة !

لهذا تنهد أخيراً بحرارة ثم رفع ذقنها نحوه ليقول لها بصدق وجد صداه في صدرها:

_يمكن أكون سقطت حقي فيكِ كأب يوم ما اتخليت عنك زمان ...ويمكن تكوني لسه محملاني ذنب جوازك الأولاني ...بس صدقيني الندم اللي جوايا أكبر من إنك تتخيليه .

فازدادت كثافة الدموع في عينيها وكعادتها -أمامه هو بالذات- وجدت نفسها تتبرأ من ضعفها كله !!





اصطنعت ابتسامة وهي تبتعد عنه لتلوح بذراعيها قائلة بمرح متكلف:

_مالوش لازمة إحساسك ده يا بابا...أنا كويسة جداً...كل الناس هنا بيحسدوني على نجاحي في كل حاجة...المفروض تبقى مطمن عليّ...وصدقني بعد جوازي من يامن هتطمن عليّ أكتر !

حدس الأب بداخله كان يخبره أن كل هذا مجرد مكابرة لكنه كان يعلم أن طبيعتها الكتومة- خاصة معه -لن تجعلها تبدي المزيد ...

لهذا زفر بقوة مشيحاً بوجهه لكنها استمرت في تظاهرها البارع وهي تهتف له بنفس المرح المصطنع:





_ودلوقتِ تقعد تستريح على ما أحضر لنا الأكل ...عاملة لك منيو مصري أصيل أكيد اشتقتله ...

ثم غمزته لتردف :

_بس الحلو طبعاً...سينابون!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة شاحبة ثم عاد يضمها إليه بقوة مستمتعاً بتشبثها الواهن به ...

والذي لم يدم أكثر من بضع ثوانٍ قبل أن تتفلت من بين ذراعيه فيما بدا كهروب لتهرع نحو المطبخ الذي توارت خلف بابه لتكتم شهقات بكائها!!

لو كانت الأمور تسير بصورة طبيعية لما تركت حضن والدها الآن...





لتشبثت به أكثر وأكثر تشكو إليه خوفها من الغد...لكنها لا تستطيع !

هي تجاوزت عن فعلته...تفهمت دوافعه...لكنها ...لم تسامحه!

هذا الجدار الذي ارتفع بينهما يوماً بعد يوم كلما يوشك أن ينقض أقامته رواسب الماضي!

هي تشعر بندمه وألمه ورغبته في تعويضها عما كان ...لكنها لا تملك للصفح سبيلاً..لهذا لن تسمح لنفسها بالضعف أمامه!

نحن نعرّي أحزاننا فقط أمام أولئك الذين صفت صورتهم في مرايا قلوبنا ...أما من تعكرت صورهم فضعفنا أمامهم...عورة!

والعورات تسترها أقنعة قوتنا الزائفة!





لهذا شهقت عدة شهقات متتالية تحاول السيطرة على انفعالاتها قبل أن تحين منها التفاتة نحو "حلواها" المفضلة هناك ...

والتي برعت في صنعها لأنها تعشقها ..

ليس فقط كونها لذيذة المذاق ...بل هي فلسفتها الخاصة أن البشر جميعاً يشبهونها !

دوائر متداخلة تبدأ من مركز عميق وتظل تدور حلزونياً مع مدارات القدر ...

قد تخدع غيرك بمظهر "دائرتك الخارجية" لكنه كلما اقترب سيرى منك أكثر مما تخفيه ...

يمكن أن تكون محظوظاً حقاً بمن يعبر كل هذه الدوائر ليصل للمركز فيرى عمق حقيقتك دون "رتوش" إضافية ...وقد تبقى طوال عمرك أسير ما يرونه من زيف دوائرك!





"سينابون"...

هكذا نحن...مزيج من مذاق "القرفة" اللاذع و"الصوص" الحُلو والعجين "المتخمر" بماء "الماضي"!

=========

_وبعدين يا رامز؟! صاحبة مراتك هتفضل هنا كتير؟!

قالتها والدته باستياء واضح وهي تستقبله في شقتها قبل صعوده لشقته فزفر بضيق لتردف:

_أنا عارفة إن ظروفها صعبة...ربنا يكون في عونها ..لكن أخوك ممكن يرجع من السفر في أي وقت ويحتاج شقته ...أنا لحد دلوقت قلبي مش مطاوعني أقولله إن حد غيره سكن فيها .





مرر أصابعه بين خصلات شعره وهو يهز رأسه ليقول لها برفق:

_ما تكبريش الموضوع يا ماما ...الشقة كده كده كانت مقفولة على الفاضي ...وكلها كام يوم بس لحد ما نطمن عليها وندور لها على سكن تاني ...

ثم عاد يزفر ليردف بأسى:

_غادة أصلاً مش طايقاني...من ساعة ما فاقت من اللي حصللها وهي مش قادرة تبص في وشي ...بصراحة معها حق!

عقدت والدته حاجبيها هاتفةً باستنكار:

_ليه إن شاء الله ؟! هو انت مش كنت راكب معاه وهو اللي نصيبه جه كده ؟!

_غصب عنها يا ماما...اللي حصل جه فجأة ولسه تفكيرها مشوش!





قالها مهدئاً فأشاحت المرأة بوجهها في عدم رضا بينما قام هو ليقبل رأسها مردفاً:

_ما تقلقيش يا ست الكل...ربنا يجعل بيتك دايماً مفتوح لكل اللي محتاج له .

ابتسمت بحنان مع حركته هذه قبل أن تنتقل عيناها للكيس الصغير الذي يحمله فمصمصت شفتيها لتقول باستهجان:

_هدية للدكتورة؟!

ضحك لغيرتها ثم غمزها ليقول مازحاً:

_وفيها إيه ؟! الحاج الله يرحمه ياما غرقك هدايا من دي ..لو ناسية أفكرك!

_عيب يا ولد !! هو الجواز علمك قلة الأدب؟!

قالتها باستياء مصطنع تداري خجلها فضحك ليجيبها بتفاخر :





_الحق يتقال أنا قليل الأدب طول عمري!

ضحكت المرأة بحنان وقد نجح في استرضائها كعادته بقبلة لكفها قبل أن يغادرها نحو شقته التي كانت خالية من زوجته كالعادة!!

تنهد بضيق وهو يتردد بين طرق باب شقة غادة المقابل أو انتظارها هنا ...

لكنه فضل الخيار الثاني ...

ليس فقط كونه يدرك ضيق غادة من رؤيته لكن لأنه أحب أن يعد لزوجته مفاجأة ..

لهذا بدل ملابسه بسرعة ليرتدي مئزره الحريري الذي كان هديتها ثم تناول زجاجة عطر خاصة جعلها فقط لها هي ...عندما تكون بين ذراعيه ..ليكون عبقها مرادفاً لسحر امتلاكها...





أغلق الأضواء كلها إلا من إضاءة جانبية خافتة بلونها الأرجواني المفضل ...والذي صار يمثل له شغفه الخاص بها...

جو ساحر لم يكن ينقصه سوى الموسيقا الهادئة التي أضاف لمستها

الأخيرة بلحن أجنبي كلاسيكي هادئ .

فتحت الباب لتدلف إلى الداخل فعقدت حاجبيها لوهلة من المفاجأة قبل أن تفتح الأنوار كلها فجأة بهتافها الجزع:

_رامز ...معقول كده ؟! انت ما بتفكرش خالص؟!

ثم هرعت نحو جهاز تشغيل الموسيقا توقفها لتردف بعتاب حاد:





_هي دي الأصول؟! ده لو واحد جاره عنده ميت ما بيعملش كده فمابالك وانت السبب في الكارثة دي أصلاً؟!

عقد حاجبيه بغضب كتمه بزمّة شفتيه لكن ملامحه لانت قليلاً مع أثر بكائها على وجنتيها فزفر بقوة ليمسك كتفيها قائلاً بعتاب:

_وبعدين يا هانيا ؟! انتِ مش شايفة إنك مزوداها ؟!

أشاحت بوجهها في ضيق فأردف بنفس النبرة:

_أنا ما غلطتش لما حبيت أخرج مراتي من الحالة الكئيبة اللي هي فيها ...كل حاجة طلبتيها عشان صاحبتك عملتها ...بس مش المفروض إننا نموت نفسنا بالحياة .





عضت شفتها بقوة بتلك الحركة التي يدرك أنها تكتم بها انفعالها فتنهد بحرارة ثم رفع ذقنها إليه ليهمس لها بدفء:

_أنا أكتر واحد فاهم إزاي بتحاربي عشان تبيني لها القوة اللي هي محتاجاها وفي نفس الوقت من جواكِ هتموتي من الحزن عليها ..كل اللي بطلبه منك إنك تسمحيلي أساعدك في الحرب دي!

ارتجفت شفتاها بقوة وعيناها تتشبثان بعينيه...

تعتذران...تشرحان...تشكوان...وتتلقفان!

أجل...تتلقفان عطايا عشقه السخية التي طوقتها بحنان لا تحتاج إلا لمثله في هذه اللحظة!

بينما كان هو يفهم كل تناقضاتها هذه ..بل ويعشقها!!




لو حسب تاريخ النساء في حياته ب"العدد" لكان ترتيبها الحقيقي

مخذلاً لها حقاً ...لكنه يحسبه معها ب"قيمة" يدرك أنه لم تبلغها سواها !!

كل تفصيلة بسيطة منها تبهره...تسحره...وكأنه لم يرَ امرأة من قبلها قط !!

ربما هي طبيعتها العفوية المختلفة تماماً عن غنج النساء اللائي عرفهن من قبل ...

حتى وإن تغلفت بالجفاف الذي يقارب الجمود هذا !!

لهذا طاف على وجهها بقبلاته هامساً لها :

_الليلة دي تسيبيلي نفسك خالص...هافضل وراكِ لحد ما تشيلي الوش الخشب ده وتعبري عن نفسك زي الليلة اللي قلتي لي فيها إنك بتحبيني!





_أنا ما قلتش!

هتفت بها باندفاع استغربته من نفسها قبله !!

اندفاع قد يراه البعض سخافة...غلظة...أو حماقة في موقف كهذا...

لكنها كانت تراه "خط دفاع"!!

خوفها العتيق من الوقوع في الحب زادت ضراوته بكابوس غادة الحي الذي تشاركها إياه كل يوم ...

الحب هو ما يجعلنا نتعذب لأنه يحكم قبضته على قلوبنا فيفقدنا السيطرة عليها ...لولاه لصارت حياتنا مجموعة من الفرص تقتنصها عقولنا بذكاء أو تفقدها ب"روح رياضية"...





لكنه الحب -يا غافلة- إذا تملّك أهلك...

وإذا تجلّى تخلّى ...وإذا عاهد غدر !

_ما قلتيهاش بلسانك...بس أنا سمعتها ...بقلبي!

همس بها بصبر غريب على طباعها الجافة هذه ...ربما هذا ما جعل صوتها يرق كثيراً وهي تقول له متحاشية النظر لعينيه:

_اعذرني يا رامز...أعصابي تعبانة ومابقتش عارفة بقول إيه !

ابتسم بحنان وهو ينزع عنها حجاب رأسها لينثر شعرها حولها بحركة مداعبة رسمت ابتسامة واهنة على شفتيها ثم أحاط خصرها بذراعه ليجذبها نحو المائدة التي استقرت عليها "هديتها" ...




رمقته بنظرة متسائلة فرفع حاجبيه مشاكساً

لتتناول هي الكيس فتفتحه وتخرج محتواه الذي

جعل الخيبة ترتسم على ملامحها مع قولها

العابس:

_انت عارف إني مابحبش قمصان

النوم ...وخصوصاً اللي بالشكل ده !!

كان يتوقع ردة فعلها هذه خاصة أنها لم تكن المرة

الأولى التي تفاجئه فيها بهذا التصريح !

أجل "العريس حسن الحظ" اكتشف بعد زواجه

منها أنها تكره الظهور

بملابس مكشوفة ولو أمامه هو...

حتى علاقتهما الخاصة تصر أن تكون في الظلام !!





في البداية كان يقتنع نفسه أنه مجرد خجل لكنه الآن يدرك أن الأمر قد يحمل أكثر من هذا !!

وأمامه كانت هي غارقة في شرودها والموقف يحملها لذكرى بعيدة طفت الآن على السطح ...

_أختك دي مش هتجيبها لبر ...أنا ما كنتش عارف أوريهم وشي النهارده في المصلحة ...كلهم بيتغامزوا عليّ!!

هتف بها والدها الموظف البسيط الذي عاد لتوه من عمله فاحمرت والدتها خجلاً وهي تقول له بعجز:

_أعمل إيه بس؟! أنا مش عارفة ...الجيران من ساعة الفيلم ما نزل وهم بيلقحوا عليّ الكلام في الرايحة والجاية...نبيلة ما كانتش كده ...الله يجازي ولاد الحرام اللي جروها للسكة دي !





كانت وقتها مراهقة صغيرة السن بالكاد تفهم ما يقال لكن الحديث دفعها لأن تسأل إحدى صديقاتها عن ذاك الفيلم الجديد الذي كانا يتحدثان عنه لتجيبها صديقتها إنه "فيلم إغراء"!

لم تفهم اللفظة في البداية لكن صديقتها عرضت عليها أن تدعوها لبيتها خلسة في غياب والديها كي تشاهدانه معاً على جهاز "الفيديو" الذي لم يكن منتشراً كثيراً في البيوت المصرية وقتها .

استجابت لدعوة صديقتها الجريئة يدفعها فضول سن المراهقة ذاك وليتها لم تفعل!!

مشهد نبيلة "الفاضح" في الفيلم لم يغادر مخيلتها منذ تلك اللحظة...

قميص نومها الأخضر المكشوف الذي يظهر أكثر مما يبدي ...ماكياجها الصارخ ...تعبيرات وجهها





الرقيعة..لمسات الممثل المقرفة لها جعلتها وقتها تفرغ ما ببطنها تحت نظرات صديقتها الساخرة مع قولها:

_هتبهدلي السجادة ...إيه ؟! أول مرة تشوفي المناظر دي؟!

نظراتها الزائغة منحت صديقتها الجواب فضحكت لتغمزها قائلة:

_خالتك دي محظوظة..بتمثل قدام (.....) مرة واحدة ...عارفة كام ست في مصر بتحسدها على المشهد العظيم ده ؟!

_تحسدها؟! تحسدها على القرف ده ؟!

هتفت بها بصوت لاهث وهي تشيح بوجهها قسراً عن الشاشة لتجيبها صديقتها باستهجان:





_بلاش تقفيل الدماغ ده ...ده فن هادف بيناقش قضية مهمة !

_هادف؟!

سؤالها الحائر ختم هذه المناقشة غير المجدية عندما تناولت من صديقتها منشفة لتجثو على ركبتيها كي تنظف الفوضى التي أحدثتها هناك بالمكان ...

لكن من "ينظف" ذاكرتها من ذاك المشهد الذي بقي حاضراً في مخيلتها يستدعيه كل موقف مشابه ...؟!!

العُري...العيب...الفضيحة...غضب والدها...خزي والدتها...

وأخيراً صدمتها هي!!





صدمة لم تستطع -كما يبدو- تجاوزها أو حتى مناقشتها مع أي أحد !!

_ممكن أعرف السبب؟!

قالها رامز بضيق لم يستطع كتمه مما استفزها أكثر لتهتف بحدة:

_جرى إيه يا رامز؟! ما تكبر مخك ده شوية؟! الجواز مش شمع وورد وقمصان نوم وكلام فارغ عن حب الأغاني ...الجواز مسئولية ...اتنين اختاروا يعيشوا حياتهم سوا ويقبلوا بعض زي ما همّ ...وأنا قبلتك بكل عيوبك وميزاتك ...انت كمان لازم تقبلني كده !

_هانيا...انتِ خايفة تحبيني؟!





سألها بمزيج من حيرة وضيق فزفرت بسخط لتلوح بذراعيها مجيبة:

_مفيش فايدة...هنفضل نلف ونرجع لنفس الموضوع ...تحبيني وأحبك؟!

رامز من فضلك أنا طريقة الكلام دي بتعصبني...جو المشاعر والمراهقين ده مش بتاعي ...كبرت عليه وياريت تكبر انت كمان !!

عبارتها الأخيرة قضت على آخر حدود صبره لهذه الليلة فابتعد عنها لتشتعل ملامحه بغضب للحظات قبل أن يقول ببرود قاسٍ:

_لو رديت عليكِ هزعلّك ...كفاية كده الليلة دي...تصبحي على خير يا دكتورة .





قالها ثم ابتعد عنها بخطوات سريعة ليصفق باب غرفتهما خلفه بعنف تاركة إياها خلفه غارقة في صراع مشاعرها ...

=========

_العصير يا يامن !

قالتها داليا بدلالها المغالي كالعادة وهي تمد له يدها بكوب العصير في بيت والدته..حيث يجتمع بهن كعادته يوم الخميس الذي خصصه لهن فقط كي يقضي لهن حوائجهن ويستمع لما جدّ من أمورهن معوضاً غيابه طوال الأسبوع .

كاد يتناول منها الكوب لكنها سحبته فجأة لترتشف منه رشفة قبل أن تعيده إليه بقولها المرح:

_عشان تجري ورايا!





عقد حاجبيه ببعض الحرج متجاوزاً دعابتها ليضع الكوب أمامه دون أن يمسه فابتسمت نبيلة بتفهم لتقول لابنة شقيقتها:

_انتِ نسيتِ واللا إيه؟! ...يامن ما بيشربش مكان حد!

مطت داليا شفتيها باستياء لتغمغم :

_وسوسة فظيعة!

لكزتها رانيا في خاصرتها لتصمت فهزت رأسها لها بحركة مغيظة قبل أن تتناول الملعقة والتي ما كادت تصل لفمها حتى ظهر على وجهها الاستياء مع قولها:

_إيه القرف ده ؟! الشغالة باينها كبرت و خرّفت !!





عادت رانيا تلكزها في خاصرتها لكنها لم تفهم لهذا سبباً إلا عندما غمغمت نبيلة بحرج نال من كبريائها:

_أنا طبخت النهارده عشان يامن بيحب "المسقعة" وما أكلش هنا من زمان.

اتسعت عينا داليا قليلاً وكأنما استكثرت على خالتها هذه اللمحة الحنون لتجد في نفسها الرغبة في السخرية بقولها:

_دي مش مسقعة يا بيللا...أكرم لك تخترعي اسم تاني للبتاعة الغريبة دي!

والأمر هذه المرة جعل رانيا لا تكتفي بلكزها بل دهست قدمها بقوة جعلتها تصرخ وهي تلتفت نحوها لتهتف بنزقها المعهود :





_هو اللي يقول الحق في البلد دي يكفر يعني؟!!

أيوة

الأكل وحش ...مش لازم تكون النجمة يعني شاطرة في كل حاجة !!

_داليا!!

هتف بها يامن زاجراً وهو يخبط بقبضته على المائدة فتأففت داليا ثم ابتلعت لسانها مضطرة لتكتفي بإطراقها الصامت ...

فيما قالت رانيا بحرج:

_حلوة جداً يا خالتو تسلم إيدك ...بس أنا مش هاقدر آكل ...حضرتك عارفة عاملة دايت عشان الفرح .





نقلت نبيلة بصرها بينهم بحرج وقد تبينت لتوها مدى سوء الطعام خاصة عندما غمغمت هانيا هي الأخرى:

_اعذريني أنا كمان يا خالتو...اتغديت مع غادة قبل ما آجي!

ضحكت داليا ضحكة مكتومة أخرسها يامن في لحظتها بنظرة زاجرة قبل أن يبدأ هو بتناول طعامه:

_بسم الله !

رمقته نبيلة بنظرة امتنان وهي تتفحص ملامحه بحنان جائع لعاطفته ...

ورغم أنه لم يمتدح الطعام لكنها كانت تشعر أنه يتناوله فقط مجاملةً لها ...والحقيقة أنه كان كذلك!!





رغم أن المذاق في حلقه كان من السوء بمكان لكنه كان مطعماً بنكهة أخرى من ماضيه ...

نكهة اشتياق لوجبة تصنعها "أم" تنتظره !!

وهنا تذكّر شطائر "الإفطار" التي كان يصنعها له والده علي عجل والتي كان محتواها ثابتاً لا يتغير ...

"الغداء البارد" على الدوام والذي كان ينتظره بائساً مثله على طاولة المطبخ ...و"العشاء" ثقيل الظل الذي قلما كان يتناوله.

لكنه عندما كان يدعوه أحد أصدقائه في منزله على طعام كان يدرك بحق معنى "لمّة العائلة" ...





صوت صليل الملاعق ودويّ الأطباق وإلحاح

"امرأة" تعبت في صنعِ كل هذه الأصناف ولن تهدأ

حتى يلتهموها عن آخرها ...

تربيت كفها على كتفه مع جملة تكاد جميعهن

ترددها بنفس الحنان الممتزج بالحزم :

(والأكل ده مين هياكله؟! مش هاتقوم غير لما

تخلصه كله)...

كل هذه المظاهر التي كانت تشتد حدتها على نفسه

خاصةً في رمضان

والأعياد ...

كم تمنى أماً يراقبها وهي تطبخ لحم الأضحية نهار

عيد

الأضحى ...





أو يسهر جوارها يتأملها وهي "تنقش" كحك عيد الفطر...

تنزع أنوية التمر لتصنع "الخشاف" في رمضان...تحشو "القطائف" بالمكسرات ...تسقي الحلوى ب"العسل"...وتحتمل حرارة الجو لتقف أمام الموقد كي تعد له وجبة "دافئة"...

دافئة!!

هذه الكلمة التي ظلت طويلاً غريبة على قاموسه البارد ويبدو أنها ستظل !

تفاصيل بسيطة كهذه صنعت ب"جدار رجولته" فجوة كبيرة أحدثتها "امرأة" ويأبى الاعتراف أنه لن تسُدّها إلا "امرأة" كذلك!!




لهذا التوت شفتاه رغماً عنه بابتسامة واهنة لم يقرأها سوى قلب نبيلة التي بادرته بقولها:

_خير يا يامن...كنت بتقول عايزنا النهارده في موضوع مهم.

تنحنح بخشونة ثم مسح فمه بمحرمة ورقية ليتجاهل السؤال مؤقتاً وهو يقول لرانيا:

_مش ناقصك أي حاجة قبل الفرح ؟!

هزت رأسها نفياً بامتنان فتوهج الحنان في نظراته رغم خشونة لهجته:

_لو عايزة أي حاجة قولي ...ما تتكسفيش!

احمرت وجنتاها بارتباك كعادتها فابتسم ليردف بنبرة أكثر رفقاً:





_شهر العسل هدية مني...شوفي عايزة تسافري فين وأنا تحت أمرك .

شكرته بكلمات مرتبكة فيما أطلقت داليا صفيراً عالياً لتهتف بشقاوتها المرحة:

_ياااا سيدي ...اللي علي علي يا عم !

لكن يامن رمقها بنظرة حازمة ناسبت قوله:

_خلصي دراستك وليكِ عليّ يوم ما تتجوزي هدية زيها .

مطت داليا شفتيها باستياء وعبارته تشعرها أنه لا يفكر فيها على النحو الذي ترتضيه ...

ورغم أنها كانت كارهة لموضوع الزواج لكن فكرة أنها لا تعجبه هي ما كانت تؤرقها !!

هي تعشق الشعور أنها الأنثى الوحيدة في هذا العالم التي تستحق





الاهتمام من الجميع ...

ومعاملة يامن -الأخوية- لها شوكة في خاصرة أنوثتها!!

لكنه قطع أفكارها عندما وجه حديثه لهانيا بنفس النبرة التي مزجت الحنان بالقلق:

_وانتِ أخبارك إيه يا هانيا؟! وشك مرهق جداً !

_لا أبداً...انت عارف الشغل والبيت ...وكمان غادة !

قالتها بنبرتها الجادة والتي حملت الكثير من الحزن فانعقد حاجباه وهو يشبك كفيه أمامه ليقول لها بسخط:

_أنا مش عارف انتِ بتفكري إزاي!! انتِ اللي بقول عليكِ عاقلة تجيبي ست غريبة بظروفها





دي .. تآمنيها على جوزك وتعيشيها معاكِ في نفس البيت؟!

لكنها لم تشعر بالدهشة من حديثه فهو نفس الكلام الذي تقرعها به حماتها كل يوم منذ حادث وفاة أحمد زوج غادة ...

والذي ترد عليه بنفس الدفاع:

_بلاش بقا النظرة الظالمة للأرملة والمطلقة إنها "غولة" مستنية تخطف أي راجل ...حرام كده...وبعدين غادة مش غريبة...غادة دي أختي .

_مش أختك يا دكتورة ...مادام مش من أمك وأبوكِ تبقى مش أختك...وحتى لو أختك ما تآمنيهاش على جوزك ...الخيانة ما بتجيش غير من القريب!




هتف بها بحدة متوقعة من شخص بطباعه فتنهدت بحرارة لتجيبه بنبرة أكثر رفقاً:

_أنا عارفة إنك خايف عليّ يا يامن بس صدقني الموضوع المرة دي ما يتشافش بالنظرة دي.

لكن حديثها زاد غضبه الحمائي لها ليجعله يهتف بانفعال:

_اسمعي الكلام...الطيبة الزيادة هبل ...ما عادش فيه خير في الزمان ده !

هنا أخذت نفساً عميقاً ثم ابتسمت لتقوم من مكانها وتتوجه نحوه لتجلس على الكرسي الخالي جواره قبل أن تواجهه بنظرتها العميقة التي حملت امتنانها مع قولها:





_مين قال كده ؟! انت أكبر دليل إن الزمان ده كله خير ...وجودك هنا وسطنا ...إيدك اللي مدتها لينا كلنا عشان مانغرقش بعد وفاة بابا وماما ...قلبك اللي سايعنا كلنا بمشاكلنا وطلباتنا اللي ما بتخلصش ...انت اللي علمتني إن الإنسان بيتكتب له عمر جديد مع كل واحد بيساعده ...مش كده ؟!

ابتسمت نبيلة وعيناها تدمعان مع كلمات هانيا التي لم تستطع هي قولها له يوماً رغم أنها تملأ قلبها وشعورها ...

بينما ابتلع هو غصة وجدها في حلقه ليشيح بوجهه قائلاً :

_برضه خللي بالك!





فابتسمت هانيا وعيناها تغزوان ملامحه بعاطفتها الأخوية نحوه وقد أدركت أنها أصابت هدفاً بقلبه .

_ما قلتلناش إيه الموضوع المهم اللي كنت عايز تتكلم فيه!

سألته داليا باهتمام فعاد بظهره للوراء صامتاً للحظات قبل أن يفجر قنبلته:

_هاتجوز الأسبوع ده !

_إيييييييه!!!

والصيحة الرباعية انطلقت منهن جميعاً في ذات الوقت بمشاعر متباينة حملتها كل منهن ...

رانيا بطبيعتها الخانعة كانت أكثرهن تقبلاً للخبر فتمتمت بمباركة خافتة تنتظر منه المزيد من المعلومات ...





بينما كانت داليا أكثرهن حدة عندما هبت من مقعدها لتهتف بانفعال:

_هتتجوز الأسبوع ده وجاي تقوللنا تحصيل حاصل يعني ؟!...مبروك يا عريس!!

قالتها وهي تخبط بكفيها بحركة عصبية على المائدة قبل أن تهرول بخطوات مندفعة نحو غرفتها التي صفقت بابها خلفها بعنف ...

فيما بدت الصدمة قليلاً على وجه نبيلة مع الكثير من القلق الذي حمله تساؤلها:

_هترجع لسيلين؟!

_لأ...دي واحدة تانية اتعرفت عليها وعجبتني فقررت أتجوزها ...يمكن يطلع حظي حلو المرة دي!





قالها بنبرة سخريته السوداء التي تحمل من المرارة أكثر مما تحمله من التهكم ...

لكن نبيلة غمغمت بشك:

_اتعرفت عليها وعجبتك وقررت تتجوزها في أسبوع؟!

_أي اعتراض؟!

رفع حاجبيه متحدياً مع عبارته فابتلعت نبيلة بقية تساؤلاتها ليغلبها كبرياؤها أيضاً هذه المرة فيجبرها على احترام الحاجز الذي وضعه بينهما ... حيث قامت من مكانها لتقول له ببرود مصطنع:

_مبروك يا دكتور ...ربنا يسعدك !

نقلت هانيا بصرها بينهما متفحصة حتى غادرتهما خالتها لغرفتها ثم التفتت نحوه بتساؤلها الحذر:





_إيه الموضوع يا يامن؟! ما تقتنعنيش إن شخصية زي شخصيتك هتاخد قرار كبير زي ده في كام يوم !!

زفر يامن زفرة مشتعلة دون رد فعادت تقول بقلق:

_انت مش حمل جرح جديد ...ليه اتسرعت كده ؟!

_ما عادش حد هيقدر يجرحني!!

هتف بها بحدة أوجعت قلبها ...وكيف لا؟!

وقد نقلت لها نزيف روحه الصامت !!

هذا هو يامن الذي تعرفه والذي تبقى نيران حزنه خامدة تحت قشرة بركان خامل من سخريته !

لهذا هزت رأسها وهي تعاود قولها الصبور على عناده:




C i n n a b o n

_طب بلاش انت ...هي !..مش خايف تكون اتسرعت وتجرحها ؟!

اتسعت عيناه قليلاً وكأنما لم يخطر على باله هذا السؤال من قبل عن ياسمين ...

لكنه أشاح بوجهه مطبقاً شفتيه بقوة كي يعلن إنـهاء الحوار ...

فتنـهدت بحرارة لتقوم من مكانها قائلة بحزم:

_مش هاقولك مبروك غير لما أحس إنك بجد مبسوط ...غير كده هافضل أدعيلك تلاقي الراحة اللي بتدور عليها !

قالتها ثم غادرته تلاحقها نظراته الشاردة في عبارتـها ...

ترى هل يجد مثله الراحة يوماً؟!

=========





_هيتجوز يا رانيا ! دلوقت عقدته اتفكت ونفسه اتفتحت على الجواز؟! ما أنا كنت قدامه!

_ششششش! هتفضحينا يا مجنونة!

همست بها رانيا وهي تضع كفها على فم شقيقتها التي أزاحته بحركة عصبية لتردف بنفس الانفعال:

_نفسي أشوفها بنت اللذينا دي ...و ديني لأوريها أيام أسود من وشها ...إزاي عرفت توقعه ؟!

إزاااي؟!

ضحكت رانيا رغماً عنها فقذفتها داليا بالوسادة التي نالها كفها صارخة بغيظ:

_بتضحكي على إيه ؟! بوزّع نكت أنا؟!

فكتمت ضحكاتها لتتوجه نحوها ثم أجلستها بين ذراعيها على الفراش لتقول لها برفق:





_يامن عمره ما شافك ولا هيشوفك بالصورة دي ...يامن بيعاملنا زي بناته مش زي إخواته كمان...

تأففت داليا بصوت مسموع وهي تعقد ساعديها أمام صدرها لتلتمع الدموع في عينيها فأردفت شقيقتها باعتزاز:

_انتِ كمان تستاهلي حد يبدأ بيكِ طريقه...يامن مع معزّته عندي بس هيتعب أي واحدة يرتبط بيها ..

_ومين قالك عايزاه يرتبط بيّ؟!

هتفت بها داليا بغيظ فانعقد حاجبا شقيقتها بتساؤل بينما هي تردف:

_أنا بس ...كنت عايزاه...مش عارفة...مش هتفهميني!!





رمقتها رانيا بنظرة حائرة وهي عاجزة عن فهم تفكيرها الغريب وسط كلماتها المرتبكة هذه ...

لكن رنين هاتفها باسم أشرف قاطع أفكارها ...كانت تضع له صورة كخلفية للجهاز ولم تكد داليا تراها حتى شهقت بفزع هاتفة:

_وده ماله ده كمان ؟! عمل في شعره ليه كده ؟!

_ششششش....حلقه عشان خاطر مامته !

أجابتها رانيا وهي تتأهب للرد عليه بينما داليا تواصل ثرثرتها المتهكمة:

_فاكر نفسه أحمد حلمي في ألف مبروك؟!!..ناقص يروح يجيب لها تيمو من الديلر ...ما حبكتش حركة الجدعنة دي يعني إلا قبل فرحه ...هتتصوروا إزاي كده ؟!





أخرستها رانيا بحركة كفها على شفتيها قبل أن تبتعد بالهاتف نحو الشرفة لتفتح الاتصال بقولها :

_أهلاً يا حبيبي...روّحت واللا لسة؟!

صوته الضائق وصلها عبر الهاتف رغم محاولته التظاهر بالعكس:

_ورايا مشوار كده هاخللصه وأروح ...المهم انتِ عاملة إيه؟!

ابتسمت وهي تسرد له أخبار يومها كالعادة لتنتهي بخبر زواج يامن الذي علقت عليه بقولها:

_أنا مش صعبان عليا غير الغلبانة اللي هيختارها ...دي هيبقى لها أربع حماوات مش حما واحدة !!

ضحكته القصيرة وصلتها متوترة مع قوله:

_وانتِ حاسبة نفسك فيهم ليه ؟!




_منا هابقى الحما الحنينة اللي بتطبطب لما الثلاثة التانيين يستلموها!

قالتها ببراءتها العذبة فضحك ضحكة طويلة سبقت قوله المرح:

_ما تقلقيش عليها ...هي أصلاً لو استحملت ابن خالتك هيبقى الباقي بالنسبة لها لعب عيال!

_يامن طيب والله ...هو بس طبعه صعب شوية!

_شوية؟!

_شويتين ...ثلاثة.. كده يعني!!!

عاد يضحك لارتباكها الذي يغلف كل حديثها حتى دعاباتها قبل أن يتنهد بحرارة موجعة جعلتها تسأله :

_مالك يا حبيبي؟! صوتك مش عاجبني!




صمت طويلاً حتى ظننت أنه سيحكي لها لكنه اكتفى بقوله المقتضب:

_ما تشغليش بالك ...ما تفكريش غير إن فرحنا قرب وبس!

سكتت مجبورة وهي تود لو تجيد التخفيف عنه في ظروفه لكنها لم تعرف السبيل لهذا... فاكتفت بسؤالها المتردد:

_طنط كويسة؟!

_ادعيلها يا رانيا..ادعيلنا كلنا!!

صوته المثقل بهمومه أوجعها فرفعت عينيها للسماء بدعاء صامت قبل أن تسمعه ينهي معها الاتصال على وعد بآخر قريب.





وفي سيارته كان هو يرمق الهاتف بنظرة غريبة قبل أن يتحرك نحو بقعة منعزلة توقف فيها قبل أن يرفع زجاج سيارته المعتم كي يخفيه عن

الأنظار...

تناول حقيبة صغيرة من خلفه فتحها ليستخرج منها قميصاً رثاً ارتداه على عجل ثم وضع طاقية رأس أخفت الكثير من ملامحه خاصة عندما تناول شارباً ولحية مستعارة ثبتهما جيداً قبل أن يغادر السيارة نحو إحدى الحافلات العامة التي استقلها...

وبعد قليل ترجل منها في المكان المنشود ليتوجه نحو تلك المنطقة الشعبية ...وبالتحديد نحو بيت هناك بعينه ...طرقه بخفة لتفتحه له إحداهنّ...

امرأة ثلاثينية بجمال فقير لو كان يمكننا وصم الجمال بالفقر !





ملامحها بائسة لكنها بشت نوعاً عندما رأته قبل أن تتلفت خلفه سامحة له بالدخول ...وما كاد يفعل حتى بادرته بقولها:

_لسه مصمم؟!

_ما قداميش حل تاني!

قالها بحزم قلق فتحسست بطنها بحركة غريزية جعلته يقول مطمئناً:

_ما تخافيش...أنا عند وعدي!

وكأنما كفاها هذا الوعد فمنحته ابتسامة راضية قبل أن تسحب وشاحاً غطت به رأسها قائلة:

_طب ياللا بينا!

وكأنما تذكرت شيئاً جعلها تلتفت نحوه لتهمس برجاء:

_ما بلاش !





التمعت عيناه بصرامة قلما تصيب من طبعه الحنون فتنهدت باستسلام لتفتح الباب وتخرج جواره نحو وجهتهما التي لا تدري هل ستعود منها سالمة أم لا....

==========

دخل شقته في منتصف الليل تماماً كعادته كل ليلة ...

مواعيده منضبطة كالساعة...تفاصيل يومه تكاد تتكرر بحذافيرها كل أربع وعشرين ساعة ...

فالتغيير يصيبه بنوع من التوتر ...وحده النظام يمنح حياته مذاق الأمان!

خلع حذاءه ليتوجه نحو الأريكة الجانبية هناك ليجلس عليها فارداً ذراعيه على ظهرها دون أن





ينسى إزاحة الوسائد الخلفية متفحصاً بشك فيما خلفها كعادته الوسواسية !!

حدق في السقف بشرود وهو يشعر بقبضة خانقة تعتصره...

مواجهته لعائلته بخبر زواجه الوشيك أسقطت ما بقي من تردده ...ولم يبقَ له سوى حصاد النتائج ...

هو يشعر أنه قد تسرع كثيراً بهذا الأمر لكنه لن يسمح للأفعى سيلين أن تنال منه من جديد .

تظن أن طفلها المنتظر هو ورقتها الرابحة فلتنتظر إذن حتى تصل لتدرك أنها قد تأخرت كثيراً وأن حياته قد بدأت من جديد مع ياسمين ...

ياسمين؟!





اسمها الرقيق استجلب لشفتيه -ابتسامة مطمئنة- لم يدرك مبعثها ...

ربما هو شعوره بعاطفتها الخفية نحوه...ربما لاستسلامها الغريب لكل ما يطلبه ...وربما -وهو الغريب- إحساسه بأنها تراقبه ل"تحميه"!!

تحميه؟!

رغم هزلية الفكرة ظاهرياً لكن هذا ما كان يصل قلبه بوضوح لم تسمح له وساوس شكه بالاستمرار أكثر ...

لماذا طلقها زوجها؟! هجرها أبوها؟! هل حافظت على نفسها طوال هذا الوقت؟! ماذا تريد منه بالضبط؟! والأهم ...ما حقيقة عملية التجميل التي أجرتها هذه ؟! ألهذا لا يذكرها ؟! هل تغير شكلها إلى هذا الحد؟!





لا !

شكلها لم يتغير كثيراً منذ سنوات فقد حصل بطريقته الخاصة على مجموعة من الصور لها في مراحل مختلفة ولايزال لا يذكر أين لقيها بالضبط ...

ولا لماذا يشعر بنفحة عابرة من الضيق كلما أمعن التدقيق في ملامحها .

رنين هاتفه يعلن عن وصول رسالة ...

_نمت ؟!

ابتسامته المطمئنة خاصتها تعاود قهر وساوسه فيرد على رسالتها باقتضابه السخيف:





_لا.

_بابا وصل مصر...شوف تحب تعمل إيه .

_مفيش داعي لتأجيل...بعد بكرة مناسب؟!

_مناسب...تصبح على خير.

زفر بحدة مع رسالتها الأخيرة والضيق الخانق في صدره يمنعه أن يرد على رسالتها ولو بكلمة مجاملة !

ضيقٌ جعله يحل أزرار سترته بسرعة ليقذفها بجانبه بحركة فوضوية لا تناسب طبعه المهووس بالنظام !

لكن الصوت الغريب الذي أحدثه ارتطامها بجانب الأريكة جعله ينتبه لما يحتويه جيبها والذي استخرجه الآن ...





علبة أنيقة تحمل خاتماً مرصعاً بجواهر حملت كل ألوان الطيف !

هديته التي اختارها ب"ذوقها" هي الخاص كي تناسب ثوبها الغريب الذي تريد ارتداءه...

ورغم أن حكاية الزواج هذه كلها لا تعدو كونها مجرد تمثيل ...لكنه يحب أن يهتم بالتفاصيل كلها كما ينبغي!

تنهد بحرارة وهو يغلق العلبة ليعاود وضعها في جيب سترته قبل أن تنتابه ذكرى أول هدية أهداها لامرأة في حياته ...

"بسنت"

جرحه القديم الذي نسيه تماماً أو هكذا يظن إلا عندما تجتاحه ذكرى كهذه ...





وقتها كان شاباً في أوائل العشرينات من عمره ...توفي والده وعادت له أمه ليتسلم مسئولية قريباته...ووسط كل هذه الضغوط ظهرت له "السندريللا" كما كانوا يسمونها في شلة النادي وقتها ...

ذاك النادي الفخم الذي انضم إليه بعد وفاة والده في محاولة منه لتجربة كل ما كان ممنوعاً عليه ...من كان يخبره إن تصريح دخوله لذاك النادي وقتها سيكون تذكرة دخوله لعالم العشق الذي حذره منه أبوه؟!

عالمٌ انسحبت إليه خطاه الساذجة ليجد نفسه يحلق شاربه الذي كان

والده يصر على رؤيته به منذ بلغ مبلغ الرجال ...

خطوة تلتها خطوة لجذب انتباه "السندريللا" بداية من السيارة حديثة الطراز التي اشتراها ومروراً بثيابه التي غير ذوقها بأسره...وانتهاء باعترافه لها برغبته في الزواج منها.

كز على أسنانه بغضب عند الخاطر الأخير وكأنما الذكرى لاتزال تؤلمه ...

عامٌ بأسره عاشه مخدوعاً بوهمها ...بركان مشاعره الخامد الذي حبسه بصدره طوال هذه السنوات انفجر فجأة ليغرقه بحممه ...

لماذا هي بالذات؟!جمالها؟! رقتها؟! أناقتها؟! ثراؤها؟!

أتصدقون أنه عشقها ...ل"عُنقها"؟!!!

ذاك العنق الناعم الطويل الذي ينتهي بشامة وردية على تجويف كتفها والتي تشبه تماماً مثيلتها لدى ...نبيلة!!!!

لقد عاش عمره يحلم بامتلاك حب أمه ولما لم يجده بحث عن امتلاكه في أنثى تشبهها ولو بمجرد "شامة"!

تفكير سطحي؟!

حقاً ! لكنه كان ما يملأ روحه وقتها على أي حال !!

سذاجته وقلة خبرته جعلته يقع في شباك تلك الغادرة ...وعمق احتياجه للعاطفة جعلته يفرغ مكنون روحه تحت قدميها ...حتى صفعه الغدر أول صفعة !!

"السندريللا" لم تكن سوى ساحرة ماكرة أغوته ليكون سخرية رفقائها ...

ومن أصلح من "ابن النجمة" كي يكون لعبتهم في الخفاء؟!!

كل تفاصيله السرية التي لم يبح لأحد بها في حياته سواها كانت نوادر ليلية يسلون بها سهراتهم...

حتى اعترافه لها بالحب والذي اشترطت له هي مشهداً تمثيلياً معيناً اكتشف بعدها أنه كان هناك من يقوم بتصويره لتكون "الكوميديا" كاملة "صوتاً وصورة"!!

صدمته؟! لوعته؟! جرح كرامته؟!

كل هذا لم يكن شيئاً أمام "شعور النبذ" الذي عاشه من جديد ...وكأنما نبذته "أمه" مرتين!!

لهذا لم يشعر بنفسه يومها وهو ينقض عليها وسط أصدقائها ليصفعها صفعة أدمت شفتيها كما أدمت قلبه ...

ولولا بقايا من تعقل وتدخل رجال أمن النادي وقتها لربما كان قد أزهق روحها بين يديه !!

_نمت؟!

هاتفه يعلن وصول رسالتها من جديد وكأنما جاءت لتنتشله من عواصف ذكرياته ..فالتوت شفتاه بشبه ابتسامة وهو يراقب هاتفه للحظات قبل أن يرد لها رسالتها هذه المرة:

_تصبحي على خير!





كتبها ثم عاد برأسه للوراء مسترخياً قبل أن ينتفض مكانه فجأة وهو يتذكر أخيراً أين رآها من قبل ...

اللعنة !!!

ويلٌ لها لو كان ما يدور بباله صحيحاً ...ويلٌ لها!!!!

=========

القطعة السادسة

****

_صاحبة بسنت؟! انت متأكد؟!

هتف بها مروان صديقه بدهشة وهو يجلس جواره على أحد أجهزة صالة الألعاب الرياضية حيث يجريان تمارينهما اليومية ...

ليجيبه وحركة ذراعيه العصبية على الجهاز تفضح غضبه:

_امبارح بس افتكرتها ...شفتها مرة أو اتنين معاها في النادي !

عقد مروان حاجبيه وهو يتحرك بسرعة على المشاية الرياضية التي وقف عليها ليقول بصوت لاهث:

_طب فهمني بالراحة كده دماغك فيها إيه !





_معرفش..المصيبة إني معرفش!

هتف بها بحنق وعروق جبهته تنفر انفعالاً ليرد صديقه بحذر:

_معاد جوازكم بكرة...هتكمل واللا هتلغي؟!

زفر بقوة وهو يقوم من على الجهاز ليمسح عرقه في منشفة قريبة فاستطرد مروان بنفس الحذر:

_لو عايز رأيي...كونها كانت صاحبة بسنت ده مش معناه إنها كانت زيها ...ممكن ده بس يفسر هي عارفة عنك كل حاجة إزاي ...

_وعايزة مني إيه دلوقت؟!

هتف بها بحدة وهو يلقي المنشفة جواره ليلوح بذراعيه مستطرداً:





_مطاردتها ليّ...تصرفاتها المجنونة..كل ده مالوش معنى إلا إنها بتلعب معايا لعبة دنيئة زي اللي لعبتها صاحبتها زمان ...

ظهر الاعتراض على وجه صديقه لكنه لم يبالِ وهو يقبض كفه أمام وجهه ليردف متوعداً:

_لو كده أقسم بالله لأطلع عليها القديم والجديد ...واللي ما عرفتش أعمله زمان هعمله دلوقت!

توقف مروان عن الجري ليغادر الجهاز بدوره ثم أخذ نفساً عميقاً ليواجهه بقوله :

_خلليني أشوف الصورة بطريقة تانية بعيد عن شكوكك دي...اللي أنا لاحظته إنها ما حاولتش تعترض طريقك ولولا دقة ملاحظتك يمكن ما كنتش خدت بالك منها...حتى





عرض الجواز ده انت صاحب فكرته مش هي...كل اللي كانت بتعمله إنها كانت بتراقبك من بعيد ...

_قصدك إيه؟!

صمت مروان طويلاً ليجيبه بعدها بثقة:

_بتحبك!

همهمة ساخرة كانت جواب يامن الوحيد لكن مروان استطرد بهدوء:

_معرفش ليه وازاي ولا من امتى بس الحكاية ما تتفهمش غير كده ...ياسمين مش محتاجة تلعب أو تتسلى ولا شخصيتها اللي أعرفها بتاعة لف ودوران ...واحدة ناجحة مستقلة بحياتها ...جميلة وألف من يتمناها ...غنية...لو عايزة تسافر كل يوم بلد مش هتغلب...ومع ذلك ما بتفكرش غير في





شغلها وبس...يعني تركيبة بعيدة خالص عن بسنت دي!

هز يامن رأسه بحيرة وكلام صديقه يزيد ارتباكه بشأنها ...

هو يكاد يجن منذ الأمس بعدما تذكر أين رآها ...

وساوسه بشأنها تكاد تمزق رأسه خاصة مع ما يثيره طليقها حولها من شائعات ...

لكنه يعود ليتذكر لقاءاته معها ...حزن عينيها الصادق...

عتاب نظراتها الدافئة...دموعها التي حملت له معاناة تشبه معاناته...

تلك اللحظة التي التقت فيها عيناهما ليشعر برجفة جسدها التي وجدت صداها في قلبه ...





لو استجاب لظنون عقله لأطاح بكل هذا وراء ظهره ...لكنه لا يستطيع!

هي فتحت بداخله باباً شديد القدم يكاد صريره يصم أذنيه ...

أزاحت الغبار عن صندوق ذكرياته لتمس بقعة خفية بين أضلعه لا يدري كنهها...

وإن كان يدرك أثرها!

_ما عادش فيه وقت للتردد ...هتعمل إيه؟!

سأله مروان مخرجاً إياه من دوامة ظنونه فزفر بقوة ليجيبه:

_ممكن يكون معاك حق...ما عادش فيها رجوع...سيلين على وصول ومعنديش وقت ولا بديل ...





ثم قست نظراته أكثر وهو يردف :

_خللينا نشوف قصتها إيه بتاعة "السينابون" دي!

===========

_مين الواد اللي هناك ده ؟! أول مرة أشوفه !

هتف بها الرجل الأنيق الذي لا تلائم ثيابه المكان في ذاك المخزن المنعزل ليجيبه مساعده باستخفاف:

_معرفة البت سيدة ..ثالث مرة ييجي معاها!

_ثالث مرة ييجي معاها ؟! جرى إيه يا شلبي؟! هي فسحة؟!

هتف بها الرجل باستنكار وهو يتابع تصرفات ذاك الشاب هناك بتوجس ليجيبه صاحبه مهدئاً:





_اطمن يا باشا ...محدش يعرف حاجة عن الليلة...كله في الكتمان!

صمت قليلاً يتفحص الشاب بثيابه الرثة وحركاته التي فضحت قلة خبرته فيما يفعله ليقول بتوجس:

_برضه مش مطمن ...أشرف بيه لو وصله حاجة عن اللي بيحصل كلنا هنروح ورا الشمس .

_أشرف مين يا باشا ؟! تلاقي العريس غرقان في التحضير للعسل ...وهي دي فرصتنا .

هتف بها مساعده من بين أسنانه الصفراء وهو يغمزه بمكر فزفر بقوة ليرد:

_برضه مش مطمن ...خد بالك ...في شغلانتنا دي الغلطة بفورة !





وفي مكانه كان ذاك الشاب يتابع نقل بعض الصناديق من مكانها عندما سمع همسها القلق جواره:

_صدقتني؟!

رمق المرأة جواره بنظرة زاجرة فابتعدت عنه لتهتف بصوت مسموع:

_ياللا يا رضا..مش هنقعد هنا طول الليل!

_هي السهرة الليلة دي مع رضا واللا إيه؟!

هتف بها أحد الرجال الذي فرغ مما يفعله ليتوجه نحوهما بنظرات قميئة شحبت لها ملامح سيدة التي هتفت في وجه الرجل:

_مالكش دعوة بيّ..خليك في حالك!





لكن الرجل واصل اقترابه البطئ منهما فتوتر جسد الشاب الذي ترك الصندوق من يده ليواجه ذاك البغيض بقوله :

_مش قالتلك خليك في حالك؟!

اكتست ملامح الرجل بالشراسة وهو يتوقف مكانه فجأة قبل أن تلتوي شفتاه بابتسامة تهديد غادر بعدها المخزن دون كلمة واحدة ...

فخبطت المرأة على صدرها لتتمتم بخوف:

_استر يارب ...مش هيعديهالنا!

لكن الشاب اقترب منها ليهمس وهو يتلفت حوله بحذر:

_ما تخافيش...الجبان اللي زي ده ما يضربش اللي يقف له ...يضرب اللي يخاف منه بس!





صرخت ملامحها بعدم الاقتناع وهي تعدل وضع وشاحها على رأسها لتهمس له بجزع:

_طب ياللا بينا من هنا ...كفاية كده النهاردة!

زفر بقنوط وهو يشعر بعدم الرضا عن نتيجة ما يفعله إلى الآن ...

لكنه اضطر للاستسلام لرغبتها فنفض كفيه بقوة ليغادر معها المخزن نحو بيتها في تلك المنطقة الشعبية والذي توقف أمام بابه ليقول لها مطمئناً:

_مش فاضل غير كام يوم بس ...وبعدها هنخلص كلنا من الورطة دي !

رفعت رأسها للسماء فيما يشبه الدعاء وهي تتحسس بطنها بأناملها

فأومأ لها برأسه مطمئناً ثم عدل وضع طاقيته على رأسه ليغادرها بخطوات سريعة ...





ولم يكد يبتعد لذاك المكان المنعزل هناك حتى ظهرت من العدم قبضة قوية أحاطت بكتفه لتدير جسده نحو صاحبها ...

_ده تذكار بسيط عشان يفكرك ما تمدش إيدك لحاجة غيرك!

العبارة بالكاد تصل أذنيه ليدرك معناها قبل أن يشعر بالنصل الحاد يشق لحم وجهه !!!

=======

ارتجفت أناملها الممسكة بمفتاح شقتها وهي تحاول كبح دموعها بصعوبة ...

كانت المرة الأولى التي تزور فيها المكان بعد رحيله ...

لقد ظننت أنها صارت من القوة بمكان كي تجتاز موقفاً كهذا لكنها الآن تدرك أنها مخطئة .





أخذت نفساً عميقاً تتمالك به نفسها قبل أن تفتح الباب لتدخل ...

المكان هو المكان فماذا فقد ؟!

بل ...ماذا بقى؟!

هنا لم تستطع منع دموعها التي انهمرت على خديها بغزارة وهي تنهار مكانها على أحد الكراسي ...

_بحبك قوي.

_اشمعنا!

_عشان نظيفة قوي من جوه...رغم الشقاوة والعفرتة اللي مالية وشك بس جواكِ قلب عمره ما يخون !





آهاتها العالية تتصاعد رغماً عنها ...رائحة "الفراولة" الملتصقة بدبها القطني تعاود غزو مخيلتها متزامنة مع ذكرياتها المريعة ...

_غادة تعالي أوريكِ لقيت إيه تحت "البِنش" في الفصل!

بصوت زميلها في المدرسة تسمعها لترد بتردد:

_بس ده معاد المرواح ...محدش فوق دلوقت!

لكنه يجذبها من كفها ليهتف لها بجرأة:

_يا بنتي تعالي هو أنا هاكلك؟! كلهم فوق مستنيينك عشان نكمل فرجة على الاكتشاف!





تطيعه قسراً بطبيعتها التي لا تجيد الدفاع ناهيكم عن الهجوم...

لتصعد معه الدرج نحو الفصل الذي دخلاه معاً لتجده يجذبها تحت أحد المقاعد الدراسية هاتفاً:

_بصي لقيت إيه؟!

تحني رأسها لتحاول البحث عما يقصده مع قولها المرتبك :

_مش شايفة حاجة!

_أنا بقى شايف... قمر!

تشهق بعنف وهي تدرك سذاجة الفخ الذي وقعت فيه بينما أنامله تمتد لسحاب تنورتها الكحلية القصيرة ...





تحاول منعه بمقاومة واهية وهي لا تدري ماذا تفعل في موقف كهذا يواجهها لأول مرة بينما يحكم هو سيطرة قوته العضلية عليها بقوله الحقير:

_ما تتشنجيش كده..ما هو لما واحدة تلبس "جيبة " زي دي يبقى بتقول تعالوا اعملوا فيّ كده !

تكاد تصرخ لكن أنامله تكتم صرختها وغزوه الغاشم يجتاحها أكثر...

_انتوا بتعملوا إيه؟!

الصرخة الهادرة تقطع الصمت المختلط بأنّاتها فلا تدري هل جاءت منجية أم مهلكة !!

أجل فالمعلم الذي ضبطهما لتوه لم ينتظر ليسألها عن حقيقة الوضع ...

هي في نظره "قليلة الأدب معدومة التربية" بينما زميلها الوغد مجرد فتى طائش "يتسلى"!





هي التي أغرته بشعرها المكشوف وثيابها القصيرة

وهو "فقط" لبى النداء!

هي "الجانية"و"الخطيئة" وهو مجرد "مفعول

به"!

كانت هذه أول خبرة سيئة تلقتها في عمرها

لتصمها ب"العار" الذي لم تفهم وقتها ذنبها فيه

سوى "عجزها" عن اتخاذ موقف!

أمها؟!

لم تستطع إخبارها!

خشيت أن تحرق ساعدها بالملعقة التي تسخنها

على الموقد!

"طريقة عبقرية" للتعذيب لا تدري من أين أتت بها

لكنها كانت فعالة كما يبدو ...وكيف لا؟!





وقد جعلت منها ذاك الكائن الخانع الذي لا يملك لضرّه رداً ولا دفعاً ؟!!

لهذا كتمت عنها الأمر ليكون رد الفعل الوحيد الذي اتخذته هو "الحجاب"!

ألم يزعموا أنه هو ما سيحميها؟!

كذبوا !

ها هي ذي بعد هذه الواقعة بأمد طويل تدلف لداخل بيتها بتنورتها الطويلة حتى كعبيها...حجابها يغطي رأسها وهي تحتضن كتبها ب"حركة" وجدتها رقيقة كما تفعل رفيقاتها ...

ومن جديد تهاجمها القبضة "الذكورية" لتشدها نحو ذاك الجزء المخفيّ من قاع السلم ...





عيناها تتسعان بفرع وهي تميز الجسد الفارع ل"ابن الجيران" الذي يفاجئها بقوله وهو يشير بعينيه الغائمتين نحو كتبها التي تحتضنها:

_ياريتني كنت أنا.

الصدمة تخرسها فيظن صمتها رضا ليردف بنظرات ذئبية:

_وريني كده مخبية إيه تحت الحجاب!

هنا تجد القدرة أخيراً لتصرخ وهي ترى أنامله تمتد لوشاحها فيكتم صرختها بكفه هامساً بنبرته القميئة:

_هتعملي فيها مؤدبة؟! فاكرة حجابك ده هيخلليكِ خضرة الشريفة مثلاً؟! مشيتك فاضحاكي واللا ضحكتك...





_إيه القرف ده ؟!

هتاف حاد ينقذها من جديد بلسان إحدى جاراتها

هذه المرة ...

والتي خلصتها من يد الشاب لتهتف بها ناهرة:

_أمك ماعرفتش تربيكِ...هتلاقي وقت لإيه واللا

لإيه وهي كل همها رضا "المحروس" جوزها!

جسدها يختض بقوة والمرأة مستمرة في هتافاتها

الساخطة بينما يهرب الشاب لأعلى تاركاً لها

"حصاد الفضيحة" وحدها!

هي دوماً الملومة...هي السبب...

هي"المنحلة" التي تنتظر الفرصة ليفتح باب

"المجون" كي تدخله!

وتلك المرة لم تستطع إخفاء الأمر عن أمها ...





و"الملعقة" الساخنة تركت أثرها على بشرتها وعلى "قلبها" قبلها!

وقتها قضت ليلتها تحتضن دبها القطني وتشكو إليه وحدتها ...

تبني بيتاً من "المكعبات" الملونة وتتمنى لو كان لها ملجأ مثله يحميها من شرور الناس ...

لتفاجأ بباب غرفتها يفتح ليدخل منه زوج أمها بعدما حكت له والدتها عما حدث ...

وكأنها نبهته وقتها أن "الصغيرة" كبرت..."الثمرة" أينعت وحان وقت قطافها!

انتهاكه "الحذر" لها لا يجد لديها مقاومة كالعادة ...بينما الرجل يهذي بحديث لا تكاد تعي منه سوى كلمته قبل مغادرته غرفتها والتي هتف بها





بصوت عالٍ وكأنه يبرر لأمها بالخارج خلوته بها لتربيتها...

"الفاجرة" !

ليلتها لم تذق النوم ليلة واحدة ...يملأها شعور رهيب ب"الدنس"...

لهذا قررت بعدها خلع حجابها نهائياً!

هي سيئة حتماً ولهذا يفعل بها الجميع هذا ...

ليس من المعقول أنهم هم المخطئون وهي وحدها الضحية بينهم...

هي"ملوثة" ب-شيء ما- لا تدري حقيقته لكنه موجود ...

هم يرونه وإن كانت هي لا تراه !!




وقد ظل هذا شعورها حتى قابلت أحمد ...

وحده من وصفها بهذا الوصف الذي لا تدري كيف

شعر بحاجتها إليه ..

"نظيفة"!

هذا الوصف الذي توجها بعده ب"إكليل

الحب"ليدخل بها ظافرة مملكة الهوى ...

تلك التي تم نفيها الآن خارج حدود أسوارها !!

عيناها ترتفعان للسماء بنظرات زائغة ...هل

يعاقبها الله على ذنب لا تعرفه ؟!

هل هي "ملوثة" حقاً لهذا حرمها القدر عطايا

الحب بعدما ذاقت حلاوتها؟!

بالتأكيد هي كذلك...





لو كانت أقوى مما هي عليه لاستطاعت رد كل يد امتدت عليها ...

لو كان شرفها غالياً لديها لتنمرت للدفاع عنه ...

وما الذي دافعت عنه في حياتها كلها؟!

هي عاشت عمرها كله تحت مظلة "جعلوه فانجعل"!

تربية والدتها المهملة لعواطفها -والمغلفة بصرامتها القاسية- جعلت منها ذاك الصنم الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً...

وظهور أحمد في حياتها كان طوق النجاة الذي تشبثت به بكل قوتها ...

والآن فقدته...لتغرق!

_مساء الخير!





العبارة الخافتة انتزعتها من شرودها فالتفتت نحو مصدرها وهي تمسح دموعها لتقول بصوت متحشرج:

_مساء النور يا حاج !

قالتها وهي تميز صاحب العقار الذي أجر منه أحمد هذه الشقة بصورة مؤقتة والذي تقدم منها ليغمغم بعبارات تعزية تقليدية سبقت قوله بحرج:

_أنا عارف إن الوقت مش مناسب ...بس كنت عايز أعرف لو هتفضلوا مأجرين الشقة واللا هتسيبوها؟!

اتسعت عيناها بصدمة وهي تنتبه لتوها لهذا الأمر ...

هي لن تستطيع دفع الإيجار الباهظ للشقة وكذلك والد أحمد لن تستطيع إرهاقه بمبلغ كهذا شهرياً !





والحل؟!

هل ستتنازل عن شقة أحمد التي حملت لها أجمل ذكريات عمرها ؟!

للأسف..ليس هناك حل آخر!

فلتفقدها مع ما فقدته !

وعند الخاطر الأخير عادت دموعها تسيل من جديد ليهتف الرجل بارتباك:

_لا حول ولا قوة إلا بالله ...اعذريني يا بنتي ...أنا بس كنت عايز ألحق أوضب أموري وما صدقت إنك رجعتِ هنا بعد اللي حصل!

فهزت رأسها وهي تجد بعض القوة لتقوم من مكانها ...





عيناها تجوبان المكان وكأنها تودعه قبل أن تعود ببصرها للرجل قائلة بصوت مختنق:

_هنفضيها في أقرب وقت!

لم تكن تعلم من تقصد بالضبط بكلمة "نفضيها" هذه !

ضمير الجمع هذا من بقي ليمثله ؟!

للأسف لم يعد لديها سوى هانيا ووالد أحمد الذي دكت الصدمة ما بقي من صحته !

لهذا لملمت أشلاء خسارتها لتغادر المكان نحو بيت رامز الذي لازالت تسكن شقة أخيه ، لا تدري بأي صفة لكنها لا تملك الآن خياراً آخر ...

_رحتِ فين يا غادة من غير ما تقوليلي؟!





هتفت بها هانيا بقلق وهي تنتظرها في الشقة لتندفعِ نحوها بقوة فتعانقها هاتفة بين دموعها:

_عايزة أشتغل يا هانيا..ساعديني ألاقي أي شغل ...هاموت لو فضلت كده!

=========

جلس في سيارته التي أصرت هي على تزيينها بزهور حملت كل ألوان الطيف ...

"تقليعة سخيفة" كثوبها الذي اختارته بنفس الألوان ...

والذي خرجت به الآن من محل "الكوافير" لتبهره بمظهرها ال...!!

سخيف؟!

هل ظن هكذا حقاً؟!





عيناه المغرمتان بالتفاصيل كانتا تتلكآن على كل شبر منها ترتشفان سحره ببطء...

وجهها الذي تألق بزينة خفيفة لم تمحُ كسرة الحزن الخفية في عينيها رغم الابتسامة الرقيقة التي تشبثت بها ...

حجاب رأسها بلونه الأبيض والذي تزين بتاج من الزهور الملونة بألوان الطيف والتي احتلت طبقات ثوبها الأبيض كذلك في تناغم مثير ...

حذاؤها الأنيق بكعبه العالي الذي سيحمد له تقريبه للطول بينهما وسيوره البيضاء الرقيقة التي أحاطت بكاحلها ...

وقد اكتفت من مجوهراتها بخاتمه الذي يحمل نفس الألوان والذي أرسله إليها صباحاً دون أي تمهيد !





كان والدها أول من ترجل من سيارته ليتوجه نحوها حيث قبل رأسها ليهمس في أذنها بحديث لم يسمعه وإن أثار ضيقه بطبيعته الكارهة لكل ما يغيب عن إدراكه ...

_مش هتنزل لعروستك يا دكتور؟!

قالتها نبيلة التي تحتل المقعد الأمامي من سيارته بجوار مروان الذي كان يتولى القيادة والذي التفت ليامن بنظرة ذات مغزى جعلته يزفر بقوة قبل أن يترجل من السيارة ليتوجه نحوها ...

عيناها التقت بعينيه للحظة...

لحظة واحدة تألقت فيها نظراتها كملايين النجوم الصغيرة ...





قبل أن تحيد بعينيها عنه بسرعة وكأنها تهرب من لقاء نظراتهما !

أمسك والدها كفها ليتحرك نحوه ثم سلمه له في حركة تقليدية فتناوله لتروعه انقباضة أناملها التي تكورت فجأة وكأنها تنفر منه !

هذه الحركة البسيطة التي جعلته يعقد حاجبيه وهو يقبض على أناملها أكثر قبل أن يتحرك بها نحو سيارته التي اتجهت نحو قاعة الزفاف ...

عبارة مجاملة تقليدية قالتها نبيلة في السيارة قبل أن تلتفت نحوها

لتقول بدهشة:

_احنا اتقابلنا قبل كده !

كانت تحاول سحب كفها من يامن الذي تشبث به بعناد أكبر لكنها اصطنعت ابتسامة لتجيبها برقة:





_أيوة...في حفلة (....) اللي كنتِ نجمتها كالعادة!

ارتفع حاجبا نبيلة بمزيج من إعجاب ودهشة مع لهجة الإكبار التي كانت تحدثها بها لترد عليها بعبارة مجاملة وهي تعود ببصرها للأمام...

فالتوت شفتا يامن بابتسامة ساخرة وهو يميل على أذن ياسمين بهمسه :

_برافو...واضح إنك بتعرفي تلعبي على كل الحبال!

ورغم الإهانة الخفية التي حملتها عبارته لكنها أطرقت برأسها دون رد لتحافظ على صمتها طوال الطريق ...

السيارة تتوقف أخيراً أمام باب القاعة ليترجلا منها ...





طريق طويل مزدان بالمشاعل والزهور ينتهي بمدخل القاعة ...

موسيقا تقليدية لأغنية شهيرة اتفق على استعمالها في الأعراس هذه

الأيام لكن كليهما لم يبدُ مكترثاً بها وقد غرق تماماً في شروده ...

لازال يتشبث بكفها المنقبض الذي يثير استفزازه بحركته "النافرة"...

ولم يكن هو بالرجل الذي يترك ثأر "استفزازه "!

لهذا لم يمر الكثير من الوقت حتى جذبها دون أن يستأذنها قائلاً:

_ياللا نرقص!

فازداد تشنج كفها مع همسها وهي تقف قبالته :

_أرجوك...بلاش!





رفضها -رغم نبرة الرجاء فيه- يزيد استفزازه ليميل على أذنها هامساً

بنبرته الخشنة:

_اتفاقنا نحافظ على منظرنا من بره...وأظن الفرح كان فكرتك انتِ!

ارتجف جسدها ارتجافة ملحوظة لعينيه الثاقبتين لكنه أحاط خصرها بكفيه ليبدأ معها الرقص على تلك النغمات الهادئة ...

أنفاسها تتلاحق وهي تقترب منه رغماً عنها ...

وبدلاً من أن تسند كفيها على صدره كما اتفق وجدها تشبكهما معاً وهي تغمض عينيها بقوة ...




شفتاها ترتجفان وقد بدأت قطرات العرق في احتلال جبينها الوضاء!

هنا فقط غلبه شعوره بالندم وهو يقرأ بحدسه أنها قد تذكرت شيئاً يخص زواجها السابق...

لهذا طفت طبيعته "الحمائية" على سطح انفعالاته ليهمس لها بنبرة أكثر رفقاً وإن حافظت على جفائها:

_الرقصة دي وبس عشان شكلنا قدام الناس...ما تتوتريش كده !

لكنها ظلت مغمضة عينيها للحظات وكأنها تقاوم انفعالاً عاصفاً بداخلها قبل أن تفتحهما أخيراً لتتحاشى النظر نحوه بالتشاغل في مراقبة المدعوين ...





وجوارهما كان أشرف ورانيا يشاركانهما الرقص على الحلبة وسؤالها القلق بنبرتها المرتبكة يبادره:

_مش هتقوللي إيه اللي عمل في وشك كده ؟!

ابتسامته المطمئنة تربت على وجنة مخاوفها ليجيبها ببساطة :

_وقعت على وشي في أوضتي واتخبطت في شنطة سفر كانت مركونة...

عقدت حاجبيها بشك فاغتصب ضحكة مرحة ليردف :

_بس ما تقوليش لحد على العريس اللي بيضرب لخمة وهو لسه في أوضته ...امال يوم فرحه هيعمل إيه؟!





لكن مرحه المصطنع هذه المرة لم يقتعها فغمغمت وهي تحاول مواكبة خطواته الراقصة:

_حاسة إنك مخبي عليّ حاجة يا أشرف.

لكنه ضمها إليه برفق وهو يربت على ظهرها ليتنهد بحرارة فضحت كامن مشاعره التي لم يدارِها هذه المرة ...

فحمل صوته ثقل همه وهو يهمس بها :

_حاسس ان الحمل تقل عليّ قوي !

كانت المرة الأولى التي يشكو إليها بهذه الطريقة ...

ويبدو أنها ستكون الأخيرة فقد أخذ بعدها نفساً عميقاً ليردف وقد عاد لصوته حنانه:

_بس ما تشغليش بالك انت...كل حاجة هتبقى زي ما حلمنا وأحسن !





ربما لو كانت أنثى أخرى مكانها لما تركته حتى تبينت منه تفاصيل أكثر ...

لكن طبيعتها الخانعة المتواكلة رضيت منه بهذا الاقتضاب وكأنها تخاف أن يفتح لها بوْجه باباً لن تستطيع الولوج فيه ...

لهذا اكتفت بصمتها القلق وهي تدعو الله سراً أن يصلح له كل أموره .

وعلى مائدة قريبة جلست نبيلة مع ابنتي شقيقتها الأخريين لتقول لهما بنبرتها ذات الكبرياء:

_كويس إنه لحق يحجز قاعة فخمة زي دي بسرعة كده..أكيد عرفوا إنه ابني عشان كده وافقوا!





تبادلت هانيا وداليا نظرات ذات مغزى قبل أن تهتف الأخيرة سليطة اللسان:

_يامن ما بيحبش يقول إنه يعرفك أساساً!

_مش هتبطلي الدبش اللي بتحدفيه ده ؟!

هتفت بها هانيا زاجرة لتلتفت نحوها داليا بهتافها النزق:

_وأنا بكدب يعني؟! وبعدين محموقة ليه كده ؟! مش طبيعة البيه ابن

خالتك اللي معيشنا في سجن ووساوس ودلوقت جاي يتجوز واحدة في كام يوم لا نعرف لها أصل ولا فصل..ده حتى ذوقها بلدي زيها..ده فستان عروسة ده ؟!

زفرت نبيلة بحنق لتقف مكانها هاتفة باستياء:





_أنا رايحة أظبط الميكاب ...القعدة شكلها هتقلب بقلة أدب!

قالتها ثم غادرتهما بخطوات لم تفقد رشاقتها تحت الأضواء فالتفتت هانيا لشقيقتها بقولها العاتب:

_هو لسانك ده ما عليهوش فرامل ؟! لازم تزعلي خالتك في ليلة زي دي؟!

أشاحت داليا بوجهها وهي تشعر بالسخط من كل شئ ...

ومن نفسها قبلاً!

لقد كذبت بشأن ياسمين!

هي تشعر بالغيرة من ذوقها المميز في اختيار ثوبها...من فتنتها الطبيعية التي لا تحتاج لزينة...من حجابها الذي تبدو فخورة به لا سجينة





له مثلها ...من عناق يامن لها الآن وهمسه الذي تتخيل حرارته في أذنيها ...

من احتواء أبيها لها وهو يسلم كفها ليامن بينما عيناه تنبضان بالقلق عليها ...هذا الشعور الذي لن تجرب مثله قط !!

انقطعت أفكارها عندما شعرت باهتزاز هاتفها في حقيبة يدها الصغيرة فقامت لتبتعد به تاركةً هانيا وحدها ...

_يارب يطلع هيثم...عايزة أفضفض معاه !

لكنه لم يكن اتصالاً بل رسالة !

رسالة من عاشقها المجهول الذي كادت تنسى أمره بعدما توقف عن إرسال رسائله منذ عدة أيام ...




(لا تخفضي جبينك أبداً...لا تحزني...لا تغاري...لو لم تكوني أنتِ عروس الحفل فتذكري أن هناك رجلاً لا يرى قلبه غيرك عروساً...قوليها لنفسك عشر مرات وابتسمي بعدها عشر بسمات وغنّي بعدها عشر أغنيات واذكريني بعدها ولا يهم العدد!)

تلفتت حولها بدهشة وهي تعيد قراءة الرسالة بأسلوبه المميز مرة بعد مرة ..

هو هنا!

لن يكتب مثل هذه الرسالة إلا لو كان موجوداً هنا !

فمن تراه يكون؟!

وعلى المائدة جلست هانيا وحدها تداعب هاتفها بأناملها بقلق ...رامز لم يأتِ ولم يتصل بها ...هي





تعلم أنه غاضب منها منذ تلك الليلة التي رفضت فيها هديته "الفاضحة" ، ورغم أنه يجيب لها مطالبها المعتادة لكن حاجزاً بارداً يرتفع بينهما يوماً بعد يوم .

تفتقده ؟!

كثيراً ...كثيراً جداً...وكم يحنقها هذا الشعور!

يستل منها سيف قوتها ليهوي به تحت قدمي مشاعر لا تريد الاعتراف بها!

لكنه في نفس الوقت ينبت لها جنات بقطوف دانية فهل من العقل أن تبتعد؟!

ومع تساؤلها الأخير حسمت أمرها لتتصل به لكنها ما كادت تفعل حتى تذكرت أن غادة قد ذهبت لزيارة قبر زوجها المتوفى ولم يكن من الصعب استنتاج كيف هي حالتها الآن ...





وبمقارنة عاجلة بين "المهم" و"الأهم" اختارت الاتصال بغادة كي تطمئن عليها ولما فعلت أنهت الاتصال لتجري الآخر الذي لم يعد له قيمة مع سماعها لصوته خلفها:

_يعني تليفونك سليم !

التفتت نحوه بدهشة مشوبة بالرضا لتهتف بنبرتها الآمرة :

_اتأخرت كده ليه ؟! روح سلم على يامن واعتذر له الفرح قرب يخلص!

فالتوت شفتاه بابتسامة عاتبة وهو يفك زرار بدلته ليجلس جوارها متجاهلاً نصف عبارتها الثاني كي يرد على الأول:

_كويس قوي إنك لاحظتِ إني اتأخرت ..كنتِ مستنية كام يوم عشان تفتكري تتصلي تطمني عليّ زي ما اطمنتِ على صاحبتك ؟!

ورغم شعورها بالخزي مما قاله لكن أخذتها العزة بالإثم لتهتف به :

_جرى أيه يا رامز؟! ما عادش ناقص غير إنك تغير من صاحبتي كمان ؟!

رمقها بنظرة طويلة عاتبة فتنهدت بعمق لتشيح بوجهها مردفة:

_كنت لسه هاتصل بيك..صدق أو ما تصدقش بس هي دي الحقيقة !

_ليه؟!

_ليه إيه؟!

_كنتِ هتتصلي بيّ ليه؟!





التفتت نحوه لتجيبه وهي لا تفهم السؤال:

_عشان قلقت عليك لما اتأخرت ...أنا مش فاهمة انت عايز إيه !

_عايز أسمعها ...عايزك تقوليها!

قالها وهو يتناول كفها ولازالت عيناه تحاصرانها بنظراتهما العاتبة والتي لم تكن شيئاً أمام ما تفوه به بعدها:

_اتأخرت عشان كنت بجيبلك ده !

قالها ثم ترك كفها لبضع لحظات استخرج فيها من جيبه خاتماً بسيطاً وضعه في بنصرها ليردف بنبرة مرحة لم تخفِ بقايا عتابه:

_زي النهارده من سنة شفتك أول مرة...واخترت أدخل برجليّ القفص علشان خاطر عيونك...كان ممكن أفضل زعلان والذكرى تتوه في الخناقة بس





ماقدرتش ...ممكن أصالحك الليلة دي ونكمل خصامنا بكرة عادي!

ابتسمت رغماً عنها وعيناها تلتمعان بشمس عاطفة تحدت كل ظلمات مخاوفها وحذرها ...

فرفع كفها لشفتيه يقبله هامساً بنبرة تحدّ لذيذة:

_رامز ما بيزهقش...هافضل وراكِ لحد ما تحبيني بالطريقة اللي أنا عايزها ...

ثم خبط جبينها بجبهته بخفة مردفاً:

_الأيام بيننا يا دكتورة !

_رامز ...الناس هتقول علينا إيه ؟!

غمغمت بها بخجل نال من صرامة لهجتها المعهودة فقهقه ضاحكاً ليغيظها بقوله :





_ماتقلقيش ...أنا صلحت غلطتي واتجوزتك من زمان !

عادت تبتسم من جديد وهي تهز رأسها بلا معنى فتنهد ليقول فجأة دون مقدمات:

_ليه ما تتعلميش من صاحبتك؟! مش شايفة كانت بتحب أحمد إزاي؟! دي مش قادرة تعيش من غيره...هتموت نفسها عشا...

قطع عبارته عندما لمح عينيها تتسعان مع حديثه ...تنبضان بألم حقيقي...تصرخان بجزعٍ كاد يسمع صداه ...حتى قبل أن تتمتم :

_وعشان كده مش عايزة !





انفرجت شفتاه وعيناه تتسعان هو الآخر بإدراك لكنها لم تمنحه الفرصة عندما وقفت مكانها لتقول بصوت متحشرج:

_هاشوف خالتو فين .

راقب انصرافها بنظرات ضائقة وهو يشعر بمزيج غريب من المشاعر ...

الآن فقط يتفهم "عقدة الفقد" التي جعلتها تهاب تعلق العشق ...

هذه العقدة التي بدأت بخسارتها والديها ويبدو أن مصاب غادة زاد من ضراوة هذه "الفوبيا" لديها...

لكن...ألا تبالغ قليلاً في هذا؟!

هي ليست أول امرأة تفقد والديها والموت يحصد كل يوم عزيزاً فلماذا تظلمه بنظرتها المعقدة هذه ؟!





زفر بقوة عند الخاطر الأخير ورغماً عنه وجد هاجساً ما يحتل ذهنه بقوة...

ترى لو كانت غادة هي التي أهداها زوجها قميص النوم ذاك اليوم أو هذا الخاتم الذي تعب في انتقائه الليلة كيف كانت لتكون ردة فعلها؟!!

وبدأت المقارنة .....!

=========

وصلت بهما سيارة العرس لبيته الخاص لتتوقف أمام حديقته ...

وبينما ترجل وجدي من سيارته التي توقفت خلفهما ليتوجه نحوهما بخطوات فضحت لهفة قلقه ، اكتفت نبيلة بمباركة متعجرفة دون أن تغادر مكانها في سيارتهما ...





_مبروك يا "سمسمة"..مش محتاج أفكرك باللي قلناه !

قالها وهو يضمها إليه بقوة وكأنه يطارد آخر بقايا "أبوته" معها فابتسمت بتماسكها المعهود لترفع عينيها إليه بقولها:

_ما تقلقش ...انت عارف بنتك ما يتخافش عليها!

التمعت عيناه بحنان متشح بالذنب قبل أن تقسو نظراته نوعاً وهو

يتوجه ليامن بقوله:

_مبروك يا دكتور...مش هاوصيك على ياسمين .

صافحه يامن ببروده الظاهر الذي لم يتكلف فيه وداً فمال الرجل على أذنه ليهمس له بنبرة حملت بعض التهديد:





_لو مش هتشيلها في عنيك...عندي اللي يحطها فوق راسه !

انعقد حاجبا يامن بغضب جعل ياسمين تتوتر نوعاً مكانها وهي لا تدري ما الذي قاله له والدها لكن ابتسامة باردة شقت غيوم هذا الغضب ليقول يامن أخيراً بنبرة من كظم غيظه:

_أنا وهي متفقين على كل حاجة...وأنا عن نفسي مش هاخلف اتفاقي!

عقد وجدي حاجبيه وقد بدت له العبارة غريبة غامضة ...

فيما ظهر بعض الألم على وجه ياسمين التي فهمتها كما أرادها يامن تماماً!!

مجرد اتفاق محدود الأجل!!





هذا هو عمر "الحلم" الذي قبلت تقاضيه...

الحلم الذي سقت بذوره طوال هذه السنوات حتى كادت ترى بعينيها أول أزهاره ..

أو لم تكوني تعلمين يا صغيرة أن الزهور قصيرة العمر؟!

لهذا أخذت نفساً عميقاً لتتدارك الوضع ثم ابتسمت لتقول لوالدها مطمئنة:

_يامن معاه حق ...احنا متفاهمين جداً ...ما تقلقش!

رمقهما الرجل بنظرة قلقة أخيرة قبل أن يومئ برأسه ليقبل ابنته تاركاً إياها لزوجها الذي تأبطت ذراعه لتدلف معه إلى داخل البيت ...

"معركتها الأقوى" التي توشك أن تبدأها ...





بل بدأتها حقاً الآن عندما لم يطق هو صبراً بعدما صفق الباب خلفه بقوة فضحت غضبه ليلتفت نحوها قائلاً من بين أسنانه:

_ودلوقت معاد الحقيقة اللي وعدتِ بيها!

تشبثت أناملها بقماش ثوبها الملون وكأنما تستمد منها دعماً وهمياً من بقايا "الحلم"...

نظراتها تتعلق بما ظهر من بيت عاشت طويلاً تتمنى مشاركته معه ...

ذوقه "الأسود" المميز للمكان بأرائكه الجلدية الأنيقة وطرازه الحديث

الأنيق مع طلاء الجدران ناصع البياض ...

الجدران التي خلت من اللوحات تماماً ك"حياته" التي تعرفها وقد خلت تماماً من "الزينة"!





_ضروري دلوقت؟!

قالتها وهي تدرك عبثية السؤال مع شخصية "موسوسة" مثله تكاد تحترق بفضولها وشكوكها ليجيبها الإجابة المتوقعة:

_حالاً!!

التفتت نحوه لتتفحص ملامحه ببعض الدهشة وقد انتبهت لقسوة حديثة تخصها هي لم تكن في عينيه الحبيبتين من قبل ..لتسأله بتمعن:

_مالك ؟! شكلك زعلان مني .

_واضح إن الحلوة فاهماني قوي!

غيظه الساخر كسا كلماته وجعلها تتنهد بعمق لتشيح بوجهها فاستطرد بغضب أكبر :





_ممكن أقصر أنا عليكِ الطريق وأقوللك افتكرت شفتك فين .

رفرفت رموشها للحظات وكأنما اهتز تماسكها للحظة...

لحظة واحدة سبقت قولها وهي تقترب منه أكثر بينما يردف بنفس الغضب :

_صاحبة الحيّة هتكون إيه غير حية زيها؟! يا ترى هدفك إيه من اللي بتعمليه ؟! فيلم جديد زي فيلم صاحبتك زمان ؟!

دمعت عيناها رغماً عنها وصوته العالي في هذه اللحظة بالذات يبدو أكثر قسوة بكثير مما توقعت ...

لكن دموعها لم تزده إلا جنوناً ووساوس ظنونه ترسم له أبشع السيناريوهات ...




قبضته تمتد لتجذب ذراعها نحوه مع استطراده العاصف:

_انطقي خلاص اللعب بقى على المكشوف ...أنا عرفت كل حاجة!

_مهما عرفت ...ما عرفتش حاجة !

المرارة التي صبغت حروفها ممتزجة بنزف دموعها الحبيسة بعينيها كانت ل"وسواسه" بالمرصاد !

أنفاسها التي تلاحقت وهي منه بهذا القرب ...

جسدها الذي ارتجف رغم محاولتها الواهية للتظاهر بالقوة ...

كل هذا أطفأ حرائق "غضبه" وإن بقي "رماد" الشكوك يحاصر عينيه المتفحصتين لها ...





_تحب أبدأ منين؟!

واللهجة التي نطقتها بها جعلته رغماً عنه يخفف ضغطه على ذراعها وإن لم يستطع أن يبعدها أكثر ...

الآن فقط يفهم سر إحساسه المتناقض نحوها ب"الألفة" و"النفور"!

بينما غامت عيناها بشرود وهي تردف:

_أول مرة شفتك كنت بقرأ في رواية في النادي ...البطل فيها لمس حاجة جوايا وكنت منفعلة جداً لأن المؤلف خلاه خسر كل حاجة...برفع عيني لقيتك قاعد على الترابيزة قدامي...كأنك نسخة منه ...نفس التوتر...نفس الوحدة ...عنيك





اللي بتلف وتدور في المكان كأنك حاسس بالغربة...ستايل لبسك الغريب عن اللي في سنك وقتها ...

ثم التوت شفتاها بابتسامة مع قولها:

_حتى نفس الشنب من غير ذقن !

انعقد حاجباه بشدة وهو يحاول تذكر هذا الذي تحكي عنه ...

بينما عادت هي لشرودها بقولها:

_الشنب اللي حلقته بعدها بفترة بسيطة ...غيرت فيها كل حاجة في شكلك ...لكن فضلت صورتك في عيني هي هي اللي شفتها أول مرة ..

الانسان الوحيد اللي حاسس بالغربة...ولأني وقتها كنت شبهك قوي حسيت إني مشدودة ليك...حاولت





أكلمك وأتعرف عليك أكتر لكن كل مرة كان كسوفي بيمنعني ...ولما اتجرأت كان الوقت فات ...

ازدرد ريقه بتوتر ولازال ينظر إليها بشك ...

بينما أطرقت هي برأسها لتكمل:

_بسنت ظهرت في الصورة...أي طفل صغير كان هيلاحظ حبك المهووس بيها ...مشيك وراها ...عنيك اللي بتلمع لما بتبص لها ...غيرتك المجنونة لما كنت بتشوفها واقفة مع حد ...مكانش صعب عليّ أعرف إنك بتحبها ...





انزاحت أنامله عن ذراعها دون وعي وهو يود لو يرى عينيها في هذه اللحظة بالذات ...وكأنما قرأت شعوره عندما عاودت رفع رأسها إليه بقولها:

_الطبيعي وقتها كان إني أبعد لكن أنا مع قلبي عمري ما كنت طبيعية...ولأني عارفة بسنت كويس كنت متأكدة إن عمركم ما هتكمللوا مع بعض...عشان كده بدل ما أبعد قربت منها أكتر ...مكانش صعب أبقى واحدة من شلتها ...بس اللي كان صعب بجد هو حبك ليها اللي عشت تفاصيله يوم بيوم ...

ارتعش صوتها في عبارتها الأخيرة فعادت تطرق برأسها أمام عينيه المصدومتين باعترافاتها:





_كل حاجة كنت بعرفها عنك كانت بتقربني منك أكتر ...كل إحساس كنت بتوصفه كان جوايا زيه...إحساسك باليتم ومامتك لسه عايشة كان هو نفس إحساسي مع بابا...شعورك بالغربة وسط الناس اللي بتحاول تتغلب عليه كأنك كنت بتتكلم عني...غصب عني بقيت زي المجنونة بتابع تفاصيلك منها وأحفظها ...بتحب إيه..بتكره إيه...حتى المكان المهجور اللي قلت لها إنك بتحب تروحه لوحدك لما بتبقى زعلان لقيتني

بدور عليه عشان أروحه زيك ...كل كلمة حب قلتهالها ...كل وعد وعدته لها ....كل موقف رجولة عشته معها...كل حاجة رمتها هي تحت رجليها أنا...أنا اللي كنت بحلم بيها !





اختتنق صوتها في عبارتها الأخيرة فضم قبضته بقوة جواره للحظات محترماً صمتها قبل أن يرفع ذقنها نحوه بنظرة فقدت غضبها وإن بقيت تحوم حولها الشكوك ...

لكنها بدت وكأنما استنفذت رصيد قوتها كله فتحركت لتعطيه ظهرها قائلة:

_القلم اللي ضربته لها في النادي كان نفسي أضربه لها أنا ...كتير كان بيبقى نفسي أجيلك وأحذرك منها ...لكن كنت أجبن من إني أواجهك...وكمان كان عندي شوية أمل إنها تبطل غباء وتقدر قيمتك...يمكن ما تصدقنيش بس حقيقي مكنتش أتمنى لك جرح زي اللي اتجرحته منها .

ورغم أن جزءاً عميقاً بداخله كان يصدقها ...




لكن وسواس ظنونه جعله يهتف بسخريته السوداء:

_عايزة تفهميني إنك بتحبيني طول السنين دي ؟!

امال اتجوزتِ ليه؟!

_ما اتجوزتش غير لما انت سافرت واتجوزت هناك !

قالتها ولازالت تعطيه ظهرها فتحرك ليقف قبالتها هاتفاً بنفس النبرة المتهكمة :

_وأظن هتقوليلي اتطلقتِ لما أنا طلقت مراتي ورجعت؟!

احتضنت جسدها بساعديها وهي تهرب من عينيه بقولها:





_لا ...اتطلقت من قبلها ...وما تسألنيش عن تفاصيل ...أعتقد ده كان اتفاقنا!

همهمة ساخرة كانت جواب عبارتها مع هتافه الذي فضح انفعاله:

_والمفروض أصدق قصة الحب الأفلاطوني العظيمة دي؟!

_لا...مش هتصدقها!

قالتها وهي تقترب منه خطوة لتردف بنبرتها الخبيرة به :

_عمرك ما هتصدق إن في الوقت اللي فقدت فيه ثقتك بكل الستات وبكل الناس ...كان فيه واحدة في الظل حياتها كلها مرتبطة بيك...هتفضل شاكك إن فيه لعبة في الموضوع وإني أكيد بخطط لحاجة...هتراقبني في كل حركة وممكن ما تخلنيش





أخرج من البيت ...وبمجرد ما تطمن إنك خلصت من طليقتك هتنهي الجوازة دي .

ربما كان حديثها بهذه النبرة الواثقة عنه ليزيد غيظه في أي وقت آخر ...

لكنه الآن كان يشعر بالكثير من الارتباك ...

هذه الحرارة التي تشع صدقاً بين حروفها تلفحه بشعور لا يريد تصديقه...

لا يريد أن "يؤمن" به...بل ولا يريد أن يمنحه "الأمان"!

لهذا زفر بقوة ليهتف:

_ومادام عارفة كده ...قبلتِ تتجوزيني ليه؟!

_عشان أخف منك يا يامن...أنا مريضة بيك!





هتفت بـها فجأة بانفعال مشابه لأول مرة يراها به !!

عينـاها تبوحان بألم نـال من حيويتـها المعهودة فذبلت معه ملامحها بينما تلوح بذراعيها مردفة :

_أنـا مش عارفة أعيش حياتي من غير ما اطمن عليك كأنك ابني اللي ما خلفتوش ...يمكن هوسي بيك ده عشان كنت حلم بعيد...

ثم عضت على شفتـها لتردف بخيبة :

_يمكن لو قربت منك أكتشف إني كنت غلطانـة...يمكن ألاقي إنك ما تستحقش عمري اللي عطلته عشانك.





قالتها ثم توجهت بخطوات سريعة نحو غرفتها التي خصصها له في الطابق الأرضي ...

فوقف مكانه للحظات مبهوتاً وكأنما لا يصدق كل هذا الذي سمعه...

حديث "دقائق" روى له حكاية عمرها "سنوات"...

حكاية لا يصدقها ولا يريد أن يصدقها ...

لكن كيف يفعل؟!

وحديثها قد تغلغل داخل روحه ليمس تلك "الندبة" القديمة التي يخفيها عن العالمين ؟!

_استني!

هتف بها بنفس الحدة قبل أن يندفع بدوره نحوها ليستوقفها عند باب الغرفة بسؤاله:

_امبارح واحنا بنشتري الدبل مارضيتيش نشتري لي دبلة...وقلتِ إنك لبستيني دبلتي من زمان ...عايزة أعرف كان قصدك إيه؟!

تنهدت بحرارة ثم أغمضت عينيها لتجيبه بصوت منهك:

_الليلة اللي اتهجمت فيها على بسنت في النادي خرجت وراك...كنت قلقانة عليك ومتأكدة إنك هتعمل حاجة عكس طبيعتك...يتهيالي انت فاكر رحت فين ليلتها ...لما اتأخرت قلقت عليك ودخلت المكان لقيتك سكران وبتهلوس ...ماعرفش ازاي قدرت أقنعك إنك تخرج معايا...روحتك لشقتك المفروشة اللي كنت قاعد فيها وقتها قبل ما تاخد البيت ده ...والبواب ساعدني أطلعك فوق ...ليلتها وأنا راكبة معاك العربية راسك مالت على الكرسي ونمت...وقتها ما قدرتش أمنع نفسي إني أقلع





دبلتي الفضة اللي كنت كاتبة عليها أول حرف من اسمك..ما دخلتش غير في صباعك الصغير...كان كفاية عليّ وقتها أحس إني كنت جنبك وقت ما احتجتني...حتى لو هتصحى مش فاكر أي حاجة !

كانت عيناه تتسعان بذهول مع كل كلمة تحكيها ...

هو يذكر تلك الليلة جيداً ...

يذكر كيف دفعه يأسه ووحدته لذاك الملهى الليلي الذي تناول فيه الخمر لأول وآخر مرة في حياته...

لكنه لا يذكر رؤيتها هناك !

هو استيقظ صبيحة تلك الليلة ليجد نفسه في فراشه وقد أخبره البواب القديم أن امرأة ما هي التي صحبته إلى هنا ...

وقتها تصورها إحدى فتيات الليل اللاتي تعثر بهن هناك ...





لكن ما أثار دهشته تلك الدبلة الفضية التي وجدها في خنصره والتي خلعها ساعتها باشمئزاز لكن طبيعته "الوسواسية" جعلته يحتفظ بها في صندوق متعلقاته الخاص لعله يجد لها نفعاً وقتاً ما !

_كفاية كده النهارده...أنا تعبت...تصبح على خير!

همست بها بإعياء وهي تتجاوزه لتدخل الغرفة التي أغلقت بابها خلفها...

ولا تعلم أنها فتحت له بعدها أبواب ذكريات لم يكن يظنها ستعود لتقهره بكل هذا العنفوان ...

قدماه تقودانه نحو غرفته بالأعلى حيث خلع عنه بدلة العرس ليتوجه نحو خزانة ملابسه التي فتحها





ليستخرج منها صندوق متعلقاته الخاص والذي ظل يبحث به حتى وجدها هناك منزوية في الركن...

دبلة فضية بسيطة الهيئة نقش عليها حرف الياء بطريقتها المميزة التي تثني طرفه لتصنع شكل القلب الشهير والذي وجده من قبل مطرزاً على مفارش مطعمها ...

دبلة ظلت قابعة هنا لسنوات شاهدة على ما تزعم هي أنه حب !

حب تريد الشفاء منه ويريد هو ....

هو؟؟؟!

ماذا يريد؟!

تأوه بخفوت وهو يقرب الدبلة من عينيه أكثر وكأنه يحاول بها قهر وساوس شكه..

نفسه تراوده أن يعاود ارتداءها في خنصره ...





حركة بسيطة لا تساوي شيئاً لكنها قد تحمل لها -لو صدقت- اعتذراً عن غفلته عنها طوال هذه السنوات...

لكنه وجد نفسه يعيدها مكانها ليغلق الصندوق بعنف معيداً إياه مكانه !

_جرى إيه يا يامن؟! لسه ما اتعلمتش ؟! كلهم شبه بعض ...اوعى تصدق وتتخدع تاني ...اوعى!!

نصيحته الصارمة لنفسه أعادت لملمة ما بعثرته كلماتها من شظايا روحه ...

فزفر بقوة ليبدل ملابسه مرتدياً منامته السوداء قبل أن يتوجه إلى فراشه الذي استلقى عليه شارداً لساعات حتى أذن الفجر ...

استغفر وقتها بخفوت ثم قام لتأدية صلاته ...

قبل أن تنتابه رغبة خفية في الاطمئنان عليها ...





خطواته تقوده نحو غرفتها التي توقف قليلاً أمامها بتردد قبل أن يفتح بابها بحذر شديد ...

فتحة ضيقة كشفت له جسدها النائم بسلام لكن هذا لم يكن ما أثار دهشته ...

بل هذه "البالونات" الملونة العديدة التي ملأت بها الغرفة حولها لتمنحها مظهراً حيوياً بعيداً تماماً عن طبيعته هو القاتمة ...

هنا لم يستطع منع ابتسامة حنون شقت طريقها وسط عبوس وجهه ...

قبل أن يغلق الباب من جديد بنفس الحذر!

============





القطعة السابعة

****

فتح عينيه ظهراً ليتلفت حوله بدهشة لا يكاد يصدق أحداث ليلته الفائتة...

نظر في ساعة هاتفه ثم عقد حاجبيه بضيق ...إنها المرة الأولى التي يتأخر فيها في الاستيقاظ هكذا ...شيء عادي لكنه مربك لشخص مثله !

لهذا انتفض من فراشه ليتوجه نحو الحمام المرفق بغرفته ...

طقوسه اليومية كالعادة لا تتغير ...

ابتداء من تهذيب لحيته بدقة ...مروراً باستحمامه على مرتين ...إحداهما بنوع خاص من الصابون المطهر...وانتهاء بغسيل أسنانه بضع مرات مع استعمال الخيط الطبي !





هبط الدرج بخطوات سريعة نحو غرفتها لكنه سمع صوت حركتها في المطبخ فتوجه إليه ...

عيناه تضيقان بتفحص وهو يتابع ما تفعله بينما هي غافلة عنه...

شعرها الذي يراه لأول مرة ...لم يكن شديد الكثافة كشعره لكنه كان مميزاً بحيويته حتى مع قصره ...

ورغم أنفته من لونه الأشقر لكن به شيئاً مميزاً جعله يحب رؤيته وهو يحيط بوجهها هكذا ...

ملامحها كانت تبدو مرتاحة منهمكة فيما تفعله باهتمام ذكره بنفسه عندما يعمل ...

تفاصيل جسدها الضئيل فقير الأنوثة كانت مخفية داخل منامتها الواسعة طويلة الأكمام بلون أصفر هادئ...




وجوارها تنبعث موسيقا مبهجة بلحن غربي لا

يعرفه ولا يريد أن يفعل ...

فالموسيقا في عرفه شرقية الكينونة شرقية السحر

شرقية

الأثر مهما استمع لسواها ...

_صباح الخير!

قالتها بابتسامة هادئة وهي تنتبه إليه أخيراً ...

ابتسامة وجدها تنتقل إليه عفوياً وهو يرد لها

تحيتها قبل أن تسأله باهتمام دافئ:

_نمت كويس؟!

تباً لهذا الحنان الصادق الذي يشعر به بين حروفها !!

إلى هذه اللحظة لا يكاد يتصور حجم هذه العاطفة التي ظلت تكنها له طوال هذه السنوات ...

لكنه لن ينجذب لصراعِ شكوكه هذا من جديد ...

اتفاقهما كان واضحاً من البداية ...مجرد صفقة زواج.. ولن تزل قدماه في معارك جانبية مهما كان!

لهذا ارتسمت على شفتيه ابتسامته الساخرة كالعادة مع قوله وهو يشبك ساعديه أمام صدره:

_مش هنام كويس ليه ؟! بيتي وسريري اللي بنام عليهم كل يوم ...المفروض أسألك انتِ السؤال ده !





ورغم سخافة لهجته لكنها ابتسمت وهي تقول بنفس الحنان الخبير بثغراته:

_أراهن إنك فضلت سهران طول الليل تفكر في اللي قلته.

_العيشة في لندن علمتني إني ما أشغلش بالي بكل حاجة...الأهم

فالمهم.

قالها كاذباً وهو يتحرك ليفتح باب الثلاجة عندما سمع صوتها خلفه:

_لسه بتحب القهوة سادة قبل الفطار؟!





التفت نحوها بحدة وسؤالها البسيط يصيبه بسهم ارتباك لم يخطئه!

هو "رجل التفاصيل" الذي اعتاد الاهتمام بدقائق كل من حوله ..

لكنه لم يصادف يوماً من يهتم لتفاصيله هو!

هذا الشعور الغريب الذي جعل جسده يتوتر قليلاً خاصة مع استطرادها ببساطة :

_ما بحبش القهوة بس اتعلمت طريقتها مظبوط ...يارب تعجبك !

قالتها وهي تشير له نحو مائدة المطبخ المستديرة أمام نافذته المطلة على حديقة البيت حيث أعدت الفطور ...





أغلق باب الثلاجة خلفه وكأنه نسي لماذا فتحها من الأصل ليجلس على أحد كرسيّي المائدة متجاهلاً قولها مع سؤاله:

_فين بقية الكراسي ؟!

_طلعتهم بره..مش محتاجين غير اتنين بس ...ليه نضيق المكان؟!

أجابته بنفس الابتسامة البسيطة وهي تجلس على الكرسي قبالته فانعقد حاجباه بفظاظة لم يقصدها ليهتف:

_ما بحبش أغير نظام أي حاجة في بيتي .

_عارفة ...بس أنا كمان ما بعرفش أشتغل في مكان زحمة...سيبلي المطبخ بس أتصرف فيه براحتي!





كاد يهتف بها معترضاً بحدته المعهودة لكن شيئاً ما بداخله جعله يقبل التنازل هذه المرة ...

شيئاً كافأته هي بابتسامتها الرائقة وهي تتحاشى النظر نحوه بقولها :

_دوق القهوة وقل رأيك...الوش كده مظبوط؟!

تناول الفنجان الصغير أمامه ليرتشف منه رشفة سبقت قوله المقتضب:

_كويسة!

لكنها لم تبدُ مستاءة من فظاظته بل بدأت في صنع شطيرتها قائلة:

_أنا بقى ما بحبش القهوة أبداً...بعشق الحاجات المسكرة...المربى والشيكولاتة إدمان ...عشان كده





بحافظ على أسناني موت ...لو سبت نفسي
هتلاقيني مقيمة عندك في العيادة!

لهجتها كانت شديدة الحيوية بعيدة تماماً عن
الشجن المغلف بالمرارة الذي كساها ليلة
أمس ...مما دفعه لتفحصها قبل أن يقول :

_اللي يشوفك امبارح ما يشوفكيش النهارده!

لم يكد يتفوه بها حتى انتبه لفظاظتها مما أشعره
ببعض الندم الذي جعله يردف:

_واضح إنك مزاجية قوي!

لكنها تنهدت بحرارة لتجيبه ولازالت لا تنظر نحوه:





_أنا اتعودت أبص لنص الكوباية المليان...آخد من الدنيا اللي تديهولي وأنا راضية ...أعيش الحلم للآخر بعيون مفتوحة...لو كنت سلمت للخسارة كان الحزن قتلني من زمان ...ليلة امبارح أنا مسكت حلمي بإيدي حتى ولو كان في نظرك مجرد تمثيل.

مست عبارتها قلبه كما لم يفعل به حديث من قبل !

مزيج القوة والوهن الذي يحيط بها هذا يربكه ...يجعله غير قادر على السيطرة على إحساسه نحوها ...

هو اعتاد أن يرى للمرأة وجهاً واحداً يعاملها على أساسه ...





إما "قوة" تستوجب منه الحزم كما فعل مع سيلين و نبيلة أحياناً...

وإما "ضعفاً " يستنفر احتواءه وحمائيته كعهده مع بنات خالته ...

لكن هذه المرأة أمامه تذهله بصفات لم يصدق يوماً أن تجتمع في امرأة !

تعترف بحبها دون تحفظ لكنها تخبره أنها راضية بالانسحاب في أي وقت!

تخفي عنه مرارة حزنها التي يقرأها في عينيها وتتشبث بابتسامة لم يرَ في حياته أنقى منها !

هذه المرأة إما ممثلة قديرة وإما ملاكٌ لم تلوثه قسوة بشر!

_إيه حكايتك مع البالونات؟!





سألها وهو يتذكر ليلة الأمس فاتسعت ابتسامتها وهي تتشاغل عنه بصنع شطيرتها مجيبة:

_عادة قديمة علمتهالي ماما الله يرحمها ...لما كانت تشوفني زعلانة كانت تقعد جنبي تنفخ لي بلالين كتير ملونة تملا لي بها المكان وتقوللي إن سعادتنا احنا اللي بنعملها...نصيحة فادتني كتير ...قوي.

لم تخفَ عليه حشرجة صوتها في عبارتها الأخيرة فازداد توتره وهو يعاود ارتشاف قهوته تاركاً لها مساحتها الخاصة مع الذكريات التي شعر بغزوها لمخيلتها ...

قبل أن يسمعها تردف بشرود:





_ماما اتوفت في فترة صعبة جداً عليّ...وقتها كنت انت سافرت وسمعت إنك مش ناوي ترجع...فجأة حسيت إن الدنيا فضيت حواليا..حتى بعد ما بابا رجع ...ساعتها جربت إحساس الغربة اللي انت كنت عايش فيه ...الأماكن هي هي...والناس هم هم بس انت اللي ناقصك حاجة مش عارفها ...جزء جواك اتغير ومش قادر ترجعه...يمكن ده اللي خلاني وافقت اتجوز...

انقطعت عبارتها فجأة وهي تغمض عينيها بألم لم يخفَ على عينيه الثاقبتين وكأن هذه الذكرى بالذات تبقى مرارتها عصيّة على نسيان امرأة بقوتها !

لهذا لم يتعجب عندما عاودت فتح عينيها بعدها بثوانٍ لتغير الموضوع وهي تشيح بوجهها نحو النافذة بقولها :





_الجنينة بتاعتك حلوة قوي...الحاجة الوحيدة الملونة وسط سواد البيت كله !

استجاب لرغبتها في تغيير الموضوع فتنحنح ليرد :

_أول حاجة اشترطتها في البيت هنا...أبويا الله يرحمه كان دايماً يقول بيت من غير زرع مافيهوش روح!

_الحاج عبد الرحيم كان عنده ذوق عالي!

قالتها ضاحكة ببساطة انتقلت منها إليه ليبتسم بحنين مغمغماً:

_الله يرحمه كان كل حاجة عنده بحساب!

التمعت نظراتها بعاطفتها وقد التقت عيناها بعينيه أخيراً -لأول مرة- منذ بدأ الحوار ...





لقاءٌ قصير لكنه كان مفعماً بمشاعر متباينة من كليهما ...

عشقها الهادر في عينيها لم يكن يحتاج لتأويل ...

لكن "شكّه الحائر" في عينيه كان يعدها بالأسوأ ...

لهذا كانت هي أول من قطعت هذا اللقاء بين عينيهما بقولها مطرقة الرأس من جديد:

_احنا من بره عكس بعض في كل حاجة تقريباً...رغم اننا نشبه بعض قوي من جوه...الحاجة الوحيدة اللي بتفضح الشبه ده هي عنينا..تفتكر صدفة إنهم يكونوا نفس اللون؟!

اتسعت عيناه قليلاً من ملاحظتها ثم ابتسم ابتسامة شاحبة ليتجاوز عن هذا بقوله:





_ماما والبنات جايين يزورونا النهارده بالليل بعد العيادة .

_هتروح العيادة النهارده؟!

سؤالها كان للتقرير أقرب منه للاستفهام...

ومن مثلها يتفهم حرصه على ثوابت عاداته ؟!

لهذا أومأ برأسه ليغمغم بما يشبه الاعتذار:

_الفترة اللي فاتت غبت عنها كتير...ما بحبش اللخبطة.

لكنها ابتسمت بتفهم لترد:

_مفيش مشكلة...أنا كمان هروح المطعم!





ظهر بعض الضيق على ملامحه فاتسعت ابتسامتها وهي ترتكز على ساعديها لتقول بنفس التفهم:

_لو مش عايزني أروح معنديش مانع...فيه أكتر من حد يحل محلي...بس الحقيقة وجودي هناك بيفرق معايا ...بحس إني بتنفس وسط حاجة بحبها وناجحة فيها .

هنا كان دور -التنازل الثاني- الذي لم يدرِ كيف منحه لها بهذه البساطة رغم سلطان وساوسه ليجد نفسه يقول باقتضاب:

_ماشي!

_كده فتحت نفسي...أفطر بقى بمزاج!





قالتها بنبرتها الحيوية وهي تبدأ في تناول شطيرتها فارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية وهو يراقبها باستمتاع هزم -مؤقتاً- وساوسه بشأنها ...

ورغم غرابة موقفهما الذي لا يعرف أحداً قد عاشه من قبل ...

لكنه يشعر معها بألفة غريبة وكأنه يعرفها منذ زمن ...

"عروس البحر"،"عاشقة البالونات"،"امرأة الفوضى"

آه من سحر "ألقابها" على رجل مثله لم يعد يعترف سوى باللون الأسود ولم يبقَ لديه إيمانٌ بالأساطير!

==========





_شغل إيه اللي أجيبه لصاحبتك معايا؟! انتِ فاكراني مدير الشركة؟!

قالها رامز باستنكار على الهاتف وهو يجلس في مكتبه بالشركة ...

ويبدو أن الرد الذي تلقاه من هانيا زاد غيظه ليهتف:

_يوووووه نفس الاسطوانة مابتزهقيش ؟!...كل شوية تقوليلي أنا السبب في اللي حصل لها!

صمت قليلاً بعدها يستمع قبل أن يهتف بنفاد صبر:

_اقفلي دلوقت يا هانيا ...مش فاضي...لما أرجع نتفاهم!





قالها ثم أغلق الاتصال ببعض العنف وهو يشعر بالحنق ...

صحيحٌ أنه يريد -وبشدة- مساعدة البائسة غادة التي تتدهور حالتها يوماً بعد يوم ...

لكنه لا يحب هذا الانغماس الكامل لها في حياتهما التي ما عادت تخلو منها ...

هي تشاركهما الطعام والإقامة...بل ومؤخراً تصر هانيا أن تشاركهما النزهات كي تخفف عنها ...

ورغم أن والدته نبهتها أكثر من مرة أنها غير راضية عن وجود غادة في نفس البيت ولا عن اندماجها المبالغ فيه هذا بينهما ...

لكن هانيا "العنيدة" لم تزدْ بهذه النصيحة إلا عناداً ...





وها هي ذي تطلب منه أن يبحث لها عن وظيفة معه ...

هذا ما كان ينقصه!!

هو لا يضيق بغادة نفسها ...على العكس هو يحترمها كثيراً ويشفق عليها ...

لكنه صار يكره هذه المقارنة العفوية التي يجريها عقله بينها وبين زوجته كلما اجتمعتا معه في مكان ...

رقتها الفطرية أمام خشونة هانيا و شخصيتها المحبة للسيطرة على

الأمور..





طبيعتها العاطفية التي تظهر في أقل اللمسات أمام طبيعة هانيا الجافة الكارهة للتعبير عن مشاعرها بالكلمات ...

أنوثتها الطاغية حتى وسط السواد الذي ترتديه أمام ترفع زوجته عن هذه "الشكليات الفارغة"!

زفر بقوة عند الخاطر الأخير وهو يشعر بخطورة أفكاره التي تسحبه لجرف شديد الانحدار لا يريد السقوط فيه ...

عندما سمع هتافها أمامه:

_متنرفز ليه ؟! المدام مزعلاك ؟!

عاد يزفر بحنق وهو ينظر لزميلته في المكتب والتي يبدو أنها سمعت حواره مع زوجته فهتف بحدة:

_يارا...خليكِ في حالك ...أنا مش ناقص!





لكن حدته لم تمنع اقترابها بخطوات متغنجة من مكتبه لتميل عليه بجذعها قائلة بدلال:

_وعشان كده جتلك...ماوحشكش الذي مضى؟!

انتهت عبارتها بغمزة لعوب فأشاح بوجهه بينما هي تستغل كل أسلحة أنوثتها لتغويه:

_واضح إن الدكتورة مضايقاك...تيجي نخرج النهارده سوا ووعد أنسيك الزعل كله .

فهب واقفاً ليهتف بها بانفعال:

_ما تصطاديش في المية العكرة ...اللي بيننا كان مجرد "ترويش" وراح لحاله...أنا دلوقت متجوز وبحب مراتي!

لكن إصراره لم يزدها إلا عناداً وعيناها تتشبثان بعينيه مع همسها المغوي:





_انت عارف كويس إنت كنت عندي إيه ...ولسه شعوري ما اتغيرش ...صدقني حاولت بس ما قدرتش!

أبعد عينيه عنها وهو يشعر بانفعالاته تكاد تخرجه عن شعوره ...بل خرج فعلاً عندما سمع عبارتها بعدها:

_مستعدة أكون زوجة تانية... وفي السر كمان !

_انتِ اتجننتِ؟! إزاي تفكري تعرضي عليّ حاجة زي دي أصلاً؟!

هتف بها بحنق وهو يبتعد عنها بضع خطوات قبل أن ينتبه لارتفاع صوته الذي أجفلها لتتكمش مكانها ...

فزفر بقوة ليعطيها ظهره مردفاً بصوت أكثر انخفاضاً:





_اخرجي دلوقت يا يارا وأنا هانسى اللي قلتيه دلوقت ...هاعتبر نفسي ما سمعتش حاجة !

لكنه شعر باقترابها منه مع همسها الحار:

_بس أنا مش قادرة أنسى يا رامز ...أنا عارفة إنك ما وعدتنيش زمان بحاجة بس أنا فعلاً حبيتك !

خبط قبضته في الجدار أمامه بقوة محاولاً كتم انفعاله وهو يكز على أسنانه مكتفياً بالصمت ...

ليسمع صوت ارتطام شيء معدني بزجاج مكتبه والذي جعله يلتفت نحوه عندما سمعها تردف:

_لو غيرت رأيك مفتاح شقتي أهه !

اتسعت عيناه باستنكار مصدوم بينما هي تغلق سحاب حقيبتها لترمقه بنظرة عاصفة سبقت مغادرتها المهرولة للمكان ...




_يا مجنونة!! هي حصلت كده؟!

غمغم بها بذهول وهو لا يصدق جرأة حركتها الأخيرة !

لكنه عاد يفكر أنها لم تتجرأ لمحادثته هكذا بعد زواجه إلا بعدما سمعت شجاره مع هانيا ...

وكأنها كانت تنتظر الفرصة لتعاود الالتفاف حوله !

هز رأسه بحنق وهو يتناول المفتاح الذي تركته ليلقيه في سلة المهملات جواره قبل أن يأخذ نفساً عميقاً ليفكر ...

ويبدو أنه قد أخذ قراراً ما بعدها فقد التمعت عيناه بتحدٍّ ليهمس لنفسه:

_ماشي يا دكتورة..لما نشوف آخرتها معاكِ !





قالها ثم عدل وضع ملابسه ليتجه بخطوات ثابتة نحو مكتب مديره الذي خرج منه بعد دقائق ومعه "شبه موافقة"...

على ماذا؟!

على عمل غادة هنا في وظيفة بسيطة بالشركة !!

==========

_ما لبستيش الفستان اللي جابتهولك نبيلة هدية ليه ؟!

سألها بدهشة وهو يراها تخرج من غرفتها قبل موعد وصول الجميع بقليل ...

ترتدي ثوباً طويلاً بكُمّين متسعين ينتهيان بإسورتين ضيقتين بلون أزرق فاتح ...





ورغم أن هذا التصميم منح جسدها الضئيل بعض الحجم الخادع لكنه يعلم أن أمه ستضيق كثيراً برفضها ارتداء هديتها ...

_مابحبش ألبس حاجة عريانة!

قالتها مفسرة وعيناها تحيدان عن عينيه المتفحصتين فانعقد حاجباه ببعض التفهم وهو يسترجع تصميم الثوب الذي أهدته لها أمه ...

فضيحة!!

هذا هو الوصف المبسط له مع قماشه الشفاف وتصميمه الكاشف ...

ورغم أن جزءاً من "شغفه الرجوليّ" كان يتمنى رؤيتها به لكنه شعر

بالكثير من الارتياح الذي لم يفهم سببه لما فعلته...





هذا الارتياح الذي حولته وساوسه للكثير من الشكوك وهو يسترجع ما ذكره دكتور التجميل ذاك اليوم ...

ألهذا علاقة برفضها ارتداء الملابس العارية حتى هنا في بيته؟!

هل جسدها مشوه مثلاً؟!!

والخاطر الأخير أصابه بالكثير من الارتباك والضيق فزفر بقوة لتردف هي بسرعة:

_أرجوك ما تتضايقش...أنا ما أقصدش أبان قليلة الذوق بس ...دي طبيعتي من زمان !

ظل يرمقها بنظرة متفحصة ضائقة عندما رن الجرس ليعلن وصولهن .





استقبالٌ دافئ كفلته ياسمين بابتسامتها الرائقة ومرحها المعهود الذي شاركتها فيه رانيا على استحياء ...

بينما حافظت هانيا على تحفظها المعهود ...

أما داليا فقد رمقتها بنظرة حقود وهي تلاحظ عيني يامن اللتين لم تفارقانها حتى عندما غادرت نحو المطبخ لتحضر لهن طبق الفاكهة الذي عادت به لتضعه أمامهن قبل أن تشرع في تقطيع ثمرة تفاح ليامن ...

حركة عادية لكنها مسته بدفئها وهو يشعر باهتمامها في شيء بسيط كهذا !





عيناه تلتمعان لمعة خاطفة غفلت هي عنها وهي منهمكة في تقطيع شرائح التفاح لكن داليا انتبهت لها جيداً لتهتف بنبرة مغتاظة:

_ما تتعبيش نفسك..يامن موسوس ما بيحبش حد يمد إيده في أكله !

فاتسعت عيناها بإدراك قبل أن تغمغم له معتذرة:

_ما خدتش بالي.

لكنه رمق داليا بنظرة ضائقة ليرد عليها -عملياً- وهو يأخذ الطبق من زوجته ليتناول إحدى شرائح التفاح !

مطت داليا شفتيها باستياء قبل أن تعاود هجومها السخيف:

_ما لبستيش فستان بيللا ليه؟! مش عاجبك ذوقها؟! واللا مش لايق عليكِ؟!





كانت ضربة موفقة منها حيث كسا السخط وجه بيللا التي نظرت لياسمين تنتظر إجابتها لكن الرد وصلها من يامن الذي قال بصرامة:

_أنا اللي ماخليتهاش تلبسه..ما بحبش مراتي تلبس مكشوف حتى لو قدام ستات .

_سيلين كانت بتلبس أسوأ من كده وكانت مراتك برضه!

هتفت بها داليا بتحدٍّ غير قابلة للخسارة في موقف كهذا ليرد هو بنفس الصرامة:

_ده من أسباب إني طلقتها!

_طب خدي بالك بقى ...يامن شكله بيزهق بسرعة !





قالتها مخاطبة ياسمين التي احمر وجهها بانفعال وقد عجزت عن الرد مما جرأ داليا لتردف بنفس النبرة المتحدية:

_بالمناسبة ...شفت رامي طليقك النهارده في النادي...الظاهر الرجالة كلهم بيزهقوا بسرعة!

لم يغفل هو عن ارتجافة شفتيها عندما ذكرت داليا الاسم فمد أنامله ليمسك كفها جواره ...

انقبضت أناملها بتلك الحركة "النافرة" التي يبغضها لكنه لم يستسلم ...

بل أبقى كفها بقبضته بينما يمسد ظاهره بإبهامه وهو يرمق داليا بنظرة مشتعلة قائلاً:

_هم بيعلموكِ في الكلية قلة الأدب واللا قلة الذوق؟! لما تقعدي في بيت تحترمي صاحبته !





شحب وجه داليا التي وجدت الجميع ينظرون إليها بغضب فانكمشت مكانها مجبورة وقد شعرت لتوها أنها تجاوزت الحدود لتتمتم :

_ما قصدتش حاجة !

كاد يامن يقذفها بعبارة زاجرة أخرى لولا أن شعر بارتخاء قبضتها في أنامله تدريجياً حتى استسلمت له تماماً...

هذه الحركة التي كان لها أثر غريب على نفسه لم يدرك مبعثه...لكنه أعجبه !

لهذا حافظ على تمسيد ظاهر كفها بإبهامه للحظات حتى شعر باستكانة أناملها المتشنجة والتي حافظ على احتضانها طوال تناولهم العشاء ...

لماذا؟!

...

حفاظاً على صورة زواجهما الخادعة ...وماذا أيضاً؟!

ردعاً لداليا كي تكف عن مضايقتها ...

لا ...لا تخدع نفسك يا رجل!

هي استنفرت حميتك لأجلها ...لم تعد المطاردة الغامضة التي تثير وساوسك ...بل العاشقة الصامتة التي تشبع طول اشتياقك لعاطفة !

لا...خطأ!

هل ستلدغ من هذا الجحر من جديد ؟!

تحبك أو لا تحبك هذه مشكلتها هي ...ابقَ أنت في صومعتك فلم يعد في القلب متسع لجرح آخر!

_فرحك امتى يا رانيا؟!





قاطعت بسؤالها الودود أفكاره فانتبه إليها عندما أجابتها ابنة

خالته بود :

_بعد أسبوعين.

_لو احتجتِ حاجة أنا تحت أمرك ...أنا متأكدة إنك هتكوني أجمل عروسة .

ابتسمت رانيا بارتباكها المعهود فيما انتقلت ياسمين لحماتها لتقول بنفس النبرة الودود:

_نجمتنا ما بتاكلش ليه ؟! تعرفي إن حضرتك أجمل بكتير من الصور ؟!..من يوم ما قابلتك في الحفلة وأنا بتمنى لما أكبر أفضل محتفظة بحيويتي زيك!

التوت شفتا يامن بابتسامة راضية وهو يراها تسمع أمه ما تود سماعه تماماً ...





لهذا لم يتعجب عندما بشت لها نبيلة وقد تناست تماماً قصة الثوب الذي لم ترتدِه لترد بكبرياء لم يخلُ من رضا:

_انتِ فعلاً زيي...من النوع اللي ما يبانش عليه سن أبداً!

ضحكت ياسمين ضحكتها الصافية وهي تلتفت نحو هانيا بقولها:

_دكتورة هانيا كمان مش بتاكل...اوعي تكون رسالة الماجستير بتاعتك عن السمنة وبتطبقي هنا !

ضحكت هانيا لمحاولتها الواضحة لفتح باب حوار معها والذي امتد لبضع دقائق قبل أن تقطعه داليا بقولها النزق:





_وأنا مش هتطمني إني باكل...ولا مش فارقة معاكِ؟!

عاد يامن يرمق داليا بنظرة زاجرة لكن ياسمين كظمت غيظها لترد ببشاشة:

_ودي تيجي برضه؟! أنا بس سايبة آخر العنقود للآخر عشان ندلعها براحتنا!

ابتلعت داليا لسانها وهي ترى نفسها قد عجزت عن استفزازها بينما تبادلت هانيا ونبيلة نظرات راضية وهما تلاحظان كف يامن الذي لم يترك كف زوجته حتى وهو يتناول الطعام...

ملاحظة بسيطة لكنها تعني الكثير لرجل مثله !

=======

لم يكد يغلق الباب خلفهن حتى تنفس الصعداء ليلتفت نحوها بقوله :





_عدّت على خير!

قالها ولا يزال يشعر بالرضا من استكانة أناملها في كفه الذي ظل محتضناً كفها إلى الآن ...

هل حسد نفسه؟!

يبدو هذا ...فها هي ذي تسحب يدها منه بارتباك غافلة عن أفكاره لتسأله باهتمام:

_كنت قلقان من إيه؟!

تجاهل ملحوظته الأخيرة ليجيبها باقتضاب:

_عيلتي صعبة...كل واحدة فيهم دماغ شكل ...كان يهمني كلهم يصدقوا إننا مبسوطين سوا ...لو هم صدقوا سيلين هتصدق!

فارتسمت على شفتيها ابتسامة شاحبة لتطرق برأسها قائلة:




_أول مرة أبقى محتارة في حاجة تخصك..يا ترى كنت صح لما طاوعتك على فكرتك دي؟!

_هترجعي في كلامك؟!

هتف بها بحدة ووساوس ظنونه تعاود نسج خيالاتها في رأسه لكنها تنهدت بحرارة لتجيبه:

_لا ...بس خايفة إنت تندم .

_ما تخافيش...في دي بالذات مش هاندم!

قالها بحزم غاضب فأشاحت بوجهها لتتوجه نحو غرفتها قائلة بنبرة ضائقة:

_تصبح على خير!

لكنه زفر بقوة وهو يستوقفها بسؤاله:

_انتِ مستنية إيه من الجوازة دي؟! ممكن أعرف؟!





ظلت واقفة مكانها للحظات تعطيه ظهرها وكأن السؤال فاجأها لكن الحقيقة أنه لم يكن كذلك ...

فقد كانت تفهم أن طبيعته الوسواسية لن تقبل العشق تفسيراً لما تفعله ..لهذا آثرت الصمت بينما هو يقترب ليواجهها بقوله:

_مابحبش أوعد حد بحاجة وماأوفيش بيها...وأنا عمري ما هاثق في ست أكمل معاها حياتي .

لا يدري لماذا يقول لها هذا الآن!

وهل يقولها لها حقاً أم لـنفسهـ ؟!

هل خشي أن يلج هذا الباب من جديد ؟!

هل خشي أن يصدق مشاعرها الصارخة نحوه ؟!

هل خشي خذلانه لها أم يخشى خذلانها له ؟!





لكن الغريب أنها تفهمت عبارته تماماً رغم الألم الذي افترش عينيها العاشقتين ...

فارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة وهي تتحاشى النظر نحوه قائلة:

_وإيه الجديد؟! ما تخافش أنا فاكرة اتفاقنا كويس!

عقد حاجبيه بضيق وهو يراها تبتعد بعد عبارتها وكأنه ود لو يستبقيها ...

الحنان المتراقص في عينيها يلوح له بالكأس الممتلئ وهو الظمآن الذي أرهقه التعب ...

لكنه لا يستطيع الاقتراب ...

قدماه مغروزتان في بحر من رمال متحركة تكاد تبتلعه ...

رمال اسمها "الشك"!!





وعند خاطره الأخير تنهد بحرارة لتقع عيناه على طبق الفاكهة التي قطعتها له ...

اقترب منه والابتسامة تشق طريقها نحو شفتيه ...

ورغم أن لون التفاح كان قد تغير قليلاً بعد هذه المدة وما كان هو ليأكله في حالته هذه في الظروف العادية ...

لكنه ضبط نفسه متلبساً بإمساك ما بقي من شرائحه ليتناولها ببطء مستمتع ...

قطعته...صرخة!!!!

صرختها العالية التي جعلته لا يدرك كيف ترك ما في يده فجأة ليكون بعد ثوانٍ في غرفتها ...

_فيه إيه؟!





هتف بها بسرعة قبل أن ينتبه للطائر الصغير الذي يرفرف مذعوراً بين جدران الغرفة والذي يبدو أنه قد دخل من نافذة غرفتها المطلة على الحديقة ...

وقف للحظات مرتبكاً لا يدري كيف يقنعه بالخروج لكن الطائر خرج من تلقاء نفسه بعد عدة محاولات للدوران في الغرفة !

ولم يكد يخرج حتى أغلق هو النافذة خلفه ليهتف بها بسخريته المعهودة:

_وعاملالي رومانسية وسينابون وبلالين وحركات ...وفي الآخر خايفة من عصفورة ؟!

ابتسمت لتكون ابتسامتها مع تورد وجنتيها المنفعلتين في هذه اللحظة سهماً جديداً من سهامها الصائبة نحو قلبه ...




ذاك الذي لم يرد الاعتراف به وهو يشيح بوجهه فتوجهت نحو الفراش لتجلس عليه قائلة بحرج:

_آسفة لو خضيتك...غصب عني صرخت لما لقيتها !

لكنه تجاهل اعتذارها و-مشاعره قبله-ليهتف باستنكار:

_ودي إيه بقى؟!

قالها وهو يتقدم بدوره نحو فراشها بينما يشير لحلقة دائرية كبيرة علقتها في السقف وقد تداخلت بها الكثير من الخيوط المتشابكة بينما تدلت منها بعض الحلي المعدنية والقليل من الريش!

فضحكت وهي تجيبه ببساطة بينما ترفع غطاءها عليها :





_معقول ما تعرفهاش ؟! دي مكسرة الدنيا من ساعة ما ظهرت في المسلسل التركي...مسّاكة أحلام ...

dream catcher

ابتسم ساخراً ليفاجئها بأن قفز فجأة فوق السرير ليمد ذراعيه فينتزعها من مكانها بينما يهتف :

_وعلقتيها إزاي دي يا "نخلة"؟!

أصدرت صيحة استنكار عالية لم يدرِ هل كانت لانتزاعه تميمتها أم لسخريته من قصر قامتها ...

لكنه لم يكترث وقتها على أي حال!

فقط ألقى ما بيده بعيداً قبل أن يجثو على ركبتيه علي السرير جوارها ملتقطاً نظراتها الساخطة بقوله:





_ما بحبش التقاليع !

عقدت حاجبيها بضيق وهي تهتف بنبرتها الحيوية:

_دي ثقافة هندية ...الخيوط المتشابكة جوه الحلقة دي بتحبس الكوابيس جواها لحد ما ييجي نور الشمس ويمحيها خالص...والريش والزينة اللي جنبه بتجذب الأحلام الحلوة ...اعتبرها رسالة للعقل الباطن عشان اللي بيخافوا يناموا لوحدهم زيي!

ورغم وميض الإعجاب الذي طغا على نظراته لكنه عاد يهتف بنفس الخشونة:

_هندي وتركي ؟! ماشاء الله !!لا يا حلوة ماليش فيه ...لو خايفة قولي

الأذكار قبل ما تنامي ...

أشاحت بوجهها في ضيق فاستطرد بنبرة أكثر رفقاً خالطها بعض المكر:





_ولو على النوم لوحدك ما حدش غصبك...ممكن اسمح لك تطلعي تنامي فوق معايا في أوضتي!

احمر وجهها خجلاً ليمنح جمالها لذة خاصة مع تلك الابتسامة التي لونت شفتيها مصاحبة لهمسها الخفيض:

_لأ خلاص...حافظة الأذكار هاقولها!

ظل ينظر إليها للحظات مأخوذاً لينتبه أنها لازالت تهرب من لقاء عينيه فتتحنح بخشونة ليغادر الفراش منزلاً قدميه إلى الأرض مع قوله :

_الوقت اتأخر جداً...ما اتعودتش أسهر كده ...تصبحي على خير!

قالها ثم توجه نحو باب الغرفة ليتوقف قليلاً هناك قبل أن يسألها بتردد:





_تحبي أصحيكِ تصلي معايا الفجر؟!

_ياريت!

قالتها بنبرتها التي عادت إليها حيويتها بعد ابتعاده ليدرك كم يثير قربه منها ارتباكها ...

هذا الإدراك الذي لا يدري هل يثير ضيقه أم فخره ..

لكنه أومأ لها برأسه على أي حال ليغادر ويغلق الباب خلفه ...

========

شعر بالأرق وهو يتقلب على فراشه بعد عمل يوم شاق حاول فيه تجاهل التفكير فيها ...

لا يدري كيف ولا متى أربكت كل حياته هكذا ليجدها تحتل عقله ...





قهوتها الصباحية يشعر وكأنه يشربها منذ زمن وليس منذ ثلاثة أيام فقط...

ثرثرتها اللذيذة بنبرتها الحيوية التي تجيد بها التعبير عن حماستها تجاه كل ما تعتقده ...

طعامه الذي تعده بنفسها رغم التزامها بالعمل في مطعمها والذي تختار له كل يوم أصنافاً مختلفة ...

وعندما أخبرها بفظاظته الساخرة أنها تفعلها "استعراضاً" لعضلاتها في مهارة الطهي أجابته ببساطة رغم ألم عينيها:

(عايزة ألحق أدوّقك كل أكلة بعرف أعملها قبل ما نسيب بعض)




هذه العبارة التي ظلت تتردد بداخله فلا يدري هل منحته بعض الطمأنينة وهو الخائف من "تورطه" بها أكثر...

أم وخزت قلبه بضيق لم يعرف سببه ...وإن فسره بأنه كره أن يسبب لها هذا الألم الذي "تدعيه"!

تدعيه؟!

وهل هي حقاً تدعيه؟!

تنهد بحيرة عند الهاجس الأخير والصراع بين قلبه المصدق لها وسلطان وساوسه يزداد ضراوة ...

لا يكاد يصدق أن امرأة قد تعشق بهذه الصورة المتفانية ودون أي غاية !!





انقطعت أفكاره وهو يشعر برأسه يكاد ينفجر من ألم الصداع فغادر فراشه وقد قرر النزول للمطبخ كي يتناول فنجاناً من القهوة .

قهوة؟!

في مثل هذا الوقت؟!

نعم ..."الكافيين" فقد تأثيره المنبه لديه من فرط ما يتناوله حالياً حتى أنه قد يستسلم تماماً للنوم بعد تناوله له ...

لكن يبقى ارتباطه -الشرطي- به لتخفيف ألم الصداع!

لهذا غادر الفراش نحو المطبخ الذي توقف فجأة أمام بابه وهو يراها تجلس على أحد مقعديه تعطيه ظهرها وتنحني بجسدها على شئ ما !!





عقد حاجبيه بشك وهو يقترب منها بحذر ليتبين ما تفعله ...

قبل أن يرتفع حاجباه بدهشة مع هتافه فجأة:

_من البرطمان؟!

شهقت بعنف للمفاجأة وهي تقف كالمذنبة بالجرم المشهود والذي لم يكن سوى "برطمان الشيكولاتة الكريمية" الذي أتت على أكثر من نصفه بالملعقة التي كانت في يدها والتي لوحت بها الآن بارتباك مع قولها:

_قلت لك إني مدمنة شيكولاتة ...مبعرفش آكلها غير كده !





ارتفع حاجباه بحنان لم يستطع منعه وهو يراها قد لوثت أرنبة أنفها وزاوية شفتيها ب"جريمتها" التي وجدت أثرها في قلبه !

بشرتها النقية وملامحها "الطفولية" التي تلطخت بالشيكولاتة لم تكن تمت بصلة للمشاعر التي ألهبتها الآن "أنوثتها" في صدره ...

هذه التي حاول تجاهلها وهو يتنحنح بخشونة كعهده عندما يرتبك ليعطيها ظهره قائلاً:

_هاعمللي قهوة !

_مابتعجبكش بتاعتي؟!

قالتها بضيق وهي تضع ما بيدها على المائدة قبل أن تتحرك لتقترب منه ....





ورغم أنه كره أن يسبب لها هذا الضيق لكنه غمغم بنبرته الخشنة :

_مابحبش حد يعمللي حاجة ...بحب أعتمد على نفسي أكتر !

قالها وهو يتناول علبة البن التي سحبتها هي منه بتصميم لتواجهه بقولها:

_بس أنا بحب أعملهالك ...والحاجة الوحيدة اللي هتمنعني إنك تقول إنها مش بتعجبك ...قلها وهارجع أوضتي حالاً !

عقد ساعديه أمام صدره وهو يستمتع بمواجهة عينيها التي تعجز عن فعلها أغلب الأوقات ولا يعرف السبب ...





هي دوماً تحدثه وهي مطرقة الرأس أو حائرة النظرات في كل شيء حوله عداه هو !

وهذه اللحظات القليلة التي تنسى فيها حذرها هذا تستحق أن "يقتنصها" بمهارة ..تماماً كما الآن !!

لهذا التمعت عيناه بنظرة ظافرة وهو يقول لها بنفس الفظاظة الساخرة:

_مفيش فرق بين قهوة والتانية...كلهم نفس الطعم...لو مصرة تعمليها اعمليها!

فابتسمت وهي تهز رأسها وكأن خشونة الرد لم تعنِ شيئاً لديها قبل أن تشرع في إعداد قهوته ...

بينما تحرك هو ليجلس على مقعد المائدة متأملاً "برطمان الشيكولاتة" ليقول:





_مابحبش الشيكولاتة !

_حد ما يحبش الشيكولاتة؟! هتفضل غريب في كل حاجة حتى في ذوقك في الأكل!

قالتها وهي تضع ما بيدها على الموقد لتردف بنفس الحماسة:

_لو دقتها سادة كده من البرطمان هتدمنها زيي...جربها كده !

لكن عينيه التمعتا ببريق عابث وهو يستند بساعديه على المائدة قائلاً:

_جربي انتِ القهوة السادة وأنا أجرب النوتيللا!

التوت شفتاها باشمئزاز جعله يبتسم لكنها أغلقت الموقد لتصب القهوة في الفنجان قائلة بتردد:

_ماشي...أجرب!





قالتها ثم شرعت في إعداد فنجان آخر مدركة وسوسته من أن يشرب أحدهم مكانه ...

قبل أن تتحرك بالفنجانين لتضعهما على المائدة بينما عيناه تلتمعان أكثر بقوله المشاكس:

_مش هتستحمليها !

لكن عينيها تألقتا بالتحدي وهي ترفع الفنجان نحو شفتيها لترتشف منه رشفة بسيطة انقلبت لها شفتاها باشمئزاز جعله يضحك هاتفاً:

_لا انتِ بتخمي...راعي ضميرك واشربي بجد !

لم تفوت عيناه نظرتها العاشقة التي تعلقت بضحكته...




قبل أن تحيد ببصرها عنه كالعادة وهي تعاود نيل رشفة أخرى لتردف بعدها بلهجة انتصار:

_دورك يا دوك...

ثم تناولت برطمان النوتيللا لتقربه منه مردفة بمرح:

_اتفضل !

لكنه وقف مكانه ليتحرك نحوها مزيحاً البرطمان بعيداً قبل أن ينظر لعينيها قائلاً بنبرة وجدتها غريبة:

_هادوقها بطريقتي!

عقدت حاجبيها بحيرة تحولت لشهقة عنيفة وهي تشعر بشفتيه على زاوية فمها تطاردان ما لطخته الشيكولاتة هناك!





انتفض جسدها بقوة وهي تبتعد خطوة جعلتها تتعثر في الكرسي المجاور ليتلقفها ذراعاه ...

عيناه تطاردان "صيدها الثمين" في لقاء عينيها اللتين كان يختلط عشقهما الآن مع خوف أثار ضيقه ....وألم لم يدرِ مبعثه!

هل أفزعتها حركته إلى هذا الحد ؟!

أم هو "نفورها الغريب" من ملامسته والذي لا يعرف سببه؟!

هل يعتذر عما فعله ؟!

أم يستجيب لكبريائه ويتجاهل الأمر؟!

لكنها لم تمنحه الفرصة عندما تمتمت بكلمات لم يتبينها وهي تحتضن جسدها بذراعيها محاولة





احتواء ارتجافته قبل أن تغادر المكان بخطوات مندفعة نحو غرفتها ...

تاركةً إياه خلفها لا يفهم شيئاً عن غموضها الذي يحتله يوماً بعد يوم ...

لكنه لم يغفل عن إحساسه "الخاطف" بلذة اقترابها الذي يود لو يجربه من جديد !

========

ابتسمت وهي تعد له الإفطار في المطبخ ...

كانت تحفظ طقوسه المعتادة ليوم الجمعة ...

صوت المذياع العالي والمنضبط على إذاعة القرآن الكريم بصوت الشيخ يتلو سورة الكهف ...

جلبابه الأسود الذي يناقض طبيعة الناس عامة في ارتدائه أبيض هذا اليوم ...





لحيته التي يهذبها باهتمام وتكاد تصيبها هي بأزمة قلبية من فرط ما تزيد وسامته !

لكن قبل كل هذا ...

جولةٌ قصيرة في الحديقة الصغيرة المحيطة بالبيت كي يهتم بزهوره وشجيراته بنفسه !

اتسعت ابتسامتها وهي تراقبه خلسة عبر شباك المطبخ المطل على الحديقة ...

قبل أن تتسع عيناها بجزع وهي تراه يتعثر في أحد قوالب الطوب ذات الحواف المدببة التي تستخدم كسور يفصل كل حوض زهور عما يجاوره

والذي جرح قدمه كما يبدو ليسيل منه الدم!

شهقت بعنف وهي تترك ما بيدها لتهرول نحو باب البيت الذي دخل هو منه يتحرك على قدمه السليمة متحاشياً الأخرى لتهتف بقلق:





_إيه اللي حصل ؟! أجيب دكتور؟!

ورغم سعادته الخفية بهذا القلق المشتعل في عينيها لكن طبيعته الخشنة غلبته وهو يرد بتهكم:

_لا ...اطلبي الاسعاف...أنا ممكن ماأعيشّ لحد ما الدكتور ييجي!

لكن ملامحها القلقة لم تستجب لدعابته بل تقدمت منه لتحتضن خصره بساعديها مسندةً إياه بينما هو يتقدم للداخل ...

فابتسم وهو يرى جسده الضخم يكاد يبتلع بنيتها النحيفة القصيرة ليقول بنفس النبرة المتهكمة :

_والمفروض إنك بتعملي إيه؟! انتِ فاكرة إنك هاتقدري تسنديني؟!

_مش مهم أقدر...المهم أعملها!





قالتها بعزم عاتب وهي تتشبث به فتراقص الإعجاب على ابتسامته وهو يتشبث بها أكثر محاولاً أن يعتمد على نفسه أكثر من اعتماده عليها ...

حتى تهاوى أخيراً على الأريكة المقابلة فتركته قائلة بسرعة:

_دقيقة واحدة هاجيب الحاجة من جوة !

أسند رأسه على الأريكة يراقبها بعينين مسبلتين وهي تتحرك بسرعة فخفق قلبه تأثراً بهذه اللهفة التي يدرك أنها لا تتصنعها !

خاصةً عندما تقدمت منه أخيراً لتجلس على ركبتيها على الأرض رافعةً قدمه المصاب لتمسح عنه الدم قبل أن تشرع في تعقيم جرحه البسيط .





كانت تفعلها بأنامل مرتجفة بينما جسدها ينتفض

مع خيطين من الدموع سالا على وجنتيها ...

فازداد خفقات قلبه جنوناً وهو يسأل نفسه ...

منذ متى دلله أحدهم هكذا ؟!

لقد اعتاد اهتمام بنات خالته وأمه -مؤخراً- لكن

التدليل الملهوف هذا شيء آخر !

ورغم أن جزءاً من طبيعته الخارجية الخشنة كانت

تأنف من هذا ...

لكن جزءاً آخر دفيناً هناك في أعمق أعماق روحه

كان يطالب بالمزيد !

يتيمٌ باكٍ يسكن بين ضلوعه صامتاً لا يكاد يتنفس

،لكنه وسط فيض "أمومتها" هذه يكاد يصرخ !





لهذا لم يشعر بنفسه وهو يمد لها يده بعدما انتهت ليجذبها فيجلسها على ساقه السليمة تحت نظراتها المفعمة بعاطفتها ...

والتي زادتها دموعها صدقاً مع همسها المتهدج:

_ممكن تقول عليا مجنونة عشان بعيط..بس أنا قلبي خفيف جداً قصاد منظر الدم!

قالتها ثم تحركت لتتناول محرمة ورقية من على المائدة المقابلة لكنه ظنها ستقوم ...

ليفاجأ هو -قبلها- بتمسك ذراعيه الشديد بها!

التقت عيناهما في حديث طويل ليمتزج "بحر عسله" مع "نهر عسلها"...

فيتجدد شعوره بحاجته الماسة إليها ...

والتي يحاول قمع ثورتها بوجدانه بأي صورة !





كان يتوقع نفورها من ملامسته كعهدها لكن يبدو أن قلقها عليه جعلها تغفل عن إدراك خطورة اقترابهما بهذا الوضع ...

مد أنامله أخيراً يمسح ما بقي من دموعها على وجنتيها برفق أذهلها وزاد ارتجافتها خاصة مع همسه :

_نفسي أعرف انتِ ليه بتحبيني قوي كده ؟!

كلماته حملت من الحيرة أضعاف ما حملت من امتنانه وعاطفته وحاجته ...

لتجيبه دونما تفكير:

_عمري ما سألت نفسي السؤال ده !

لهذا لم يتمالك نفسه وهو يقترب بوجهه من وجهها ليجد نفسه يهمس دون وعي:





_اوعي تبطلي تحبيني!

ورغم ظاهر نبرته الآمرة لكن قلبها الخبير به قرأ فيها رجاءه وحيرته ...

وتخبطه الذي تفهمه هي أكثر من سواها !

فهمست له بخفوت دافئ:

_حتى لو حاولت ...مش هاقدر!

قالتها غافلةً عن تأثير كلمات كهذه في رجل ب"تاريخه"!

ذاك الذي أدركته لاحقاً عندما شعرت بشفتيه تقصران الطريق بينهما لتمنحاها "هديتها الأولى"!!




وكأنما مستها نسمة باردة أنستها الزمان والمكان فيما عدا مذاق قربه الذي تجربه لأول مرة بهذه الحرارة وبهذا الشغف...

ظلت مغمضة عينيها للحظة واحدة شعرت فيها وكأن الزمان عاد بها سنوات للوراء ...

ضفيرتها الطويلة تتطاير خلفها ...

وكتابها الذي تختفي خلفه خلسة تراقبه بين يديها ...

والحلم الوردي تتطاير فراشاته حولها ...

قبل أن تحترق جناحاتها كاملة!!

وعند الخاطر الأخير وجدت نفسها تفتح عينيها فجأة لتدفعه ببعض العنف تحت نظراته المندهشة ...





لكنها لم تكن في موقف يسمح بتبرير أو شرح ...

فقد اندفعت نحو غرفتها لتغلق بابها خلفها بقوة قاطعةً عليه طريق التساؤل!

ظل جالساً مكانه للحظات مذهولاً قبل أن يزفر بضيق...

ضيقٍ هزمته أخيراً...ابتسامة!

أجل ...ابتسامة واهنة توجت شفتيه وهو يستعيد مذاقها "الملون" على أرصفته "السوداء"!

ذاك المذاق الذي يخشى إدمانه ويكاد يورثه الجنون!

لهذا تحرك أخيراً ليقوم متوجهاً نحو غرفتها التي طرق بابها وهو يقول بنبرة عالية لم تخلُ من عبث:

_هاتسيبيني أطلع لوحدي من غير ما تسنديني؟!





ظل الصمت جوابه للحظات قصيرة قبل أن تفتح الباب أخيراً لتقول بصرامة خجول:

_هاسندك بس تبقى مؤدب!

ضحك بانطلاق وهو يراها تصدق نفسها بأنها حقاً تساعده ...

فاتسعت عيناها بلهفة ونظراتها تلتهم رنين ضحكته التي تسمعها صافية هكذا لأول مرة ...

قبل أن تقول له بصوتها الدافئ:

_بحبك لما بتكابر وتخبي زعلك ورا ضحكة كدابة...بحس ساعتها إنك قوي جداً...بس بحبك أكتر لما بتضحك بجد...أيوة...الضحكة اللي بتخللي عنيك تلمع دي ....يتهيألي محدش هيقدر يفرق بين الضحكتين دول زيي ولا يفهمك زي ما أنا فاهماك .





قالتها وهي تشير بسبابتها نحو وجهه فتتهد بحرارة وهو يقترب منها ليهمس :

_ما هو لو عايزاني أفضل مؤدب...لازم تبطلي كلامك ده ...

احمرت وجنتاها بخجل وهي تشيح بوجهها بينما يردف هو بنبرة عاد إليها عبثها:

_الأدب في الحالات دي ...قلة أدب!

=======

_سلامة وشك يا أشرف بيه!

قالها الموظف الجديد المسئول عن التوريدات في المصنع ،

والذي وقف أمام مكتبه يريه أحدث ملفات عمله فالتفت نحوه أشرف بشك قائلاً:

_معلش...حاجة بسيطة!




لكن الرجل رمق وجهه بنظرة متفحصة قبل أن يقول بحذر:

_أظن كانت محتاجة تتخيط عشان ما تسيبش أثر!

فكز أشرف على أسنانه قائلاً:

_لا...جرح هايف مسيره يلم...ماتشغلش بالك...المهم عرفني أخبار الطلبيات الجديدة إيه !

اعتدل الرجل بجسده يعطيه التفاصيل التي طلبها تحت نظرات أشرف الغامضة المتشحة بالشك ليقول أخيراً:

_ما تقلقش يا فندم ...هنحاول نظبط مواعيد وصولها قبل معاد الفرح عشان يكون بالك مرتاح...ألف مبروك!

فهز أشرف رأسه ليرد بفتور قبل أن يصرفه ليغادر ...





هنا عاد يتحسس جرح وجهه ثم تناول هاتفه ليتصل بها وما إن فتح

الاتصال حتى سمع نحيبها المرتفع:

_أنا السبب...كان يتقطع لساني قبل ما أقوللك...سامحني يا بيه!

فزفر بقوة ليقول لها مهدئاً:

_ما حصلش حاجة يا سيدة ...أنا كويس ...المشكلة إن الجرح اللي في وشي ممكن يكون حرق شخصيتي ...دلوقت ممكن يشكوا فيّ بسهولة عشان كده ماعادش ينفع آجي هناك تاني .

_وهتعمل إيه؟!

_مش عارف...لو اختفيت دلوقت هيتأكدوا إنه كنت أنا ...وساعتها هيأذوكِ انتِ وهياخدوا حذرهم ...

_يالهوي ...يا لهوي!




قاطعت ب"ولولتها" الباكية حديثه فعاد يهتف مطمئناً :

_هلاقي حل ما تقلقيش ...هتصرف!

_أنا مش خايفة على نفسي...أنا خايفة على اللي في بطني ...هو مالوش ذنب في غلطة أبوه...إن شالله يخلليك يا أشرف بيه اتصرف بسرعة !

تنهد بضيق وهو يغلق الاتصال بعدما حاول تهدئتها بوعود لا يدري هل سيمكنه الوفاء بها أم لا ...

لقد زلت قدمه في بئر عميق لا يعرف له آخراً من أول ولا يعرف كيف يتصرف !

هل سيغرق المركب أخيراً؟!

المصيبة أنه لن يغرق به

وحده ...أمه ...شقيقته ..ابنتها...و...رانيا!!!




طرقات الباب أخرجته من أفكاره البائسة ليعقبها دخول مساعده الذي رمقه بنظرة مشفقة ليجلس قبالته قائلاً:

_مالك يا ابني؟! شايل الهم كده ليه يا عريس؟!

فتنهد بحرارة وقد شعر بحاجته لمن يفرغ له مكنون صدره لهذا رفع عينيه إلى الرجل قائلاً:

_هاحكيلك يا عمي..ماانا مش هلاقي حد أكتر منك أثق فيه !

ظهر الترقب على وجه الرجل الذي تحول إشفاقه لهلع مع التفاصيل التي كان يرويها أشرف ... والتي كانت تعني كارثة حقيقية في الطريق!

========




القطعة الثامنة

****

_أول مرة أشوفك بتاكلي كتير كده !

هتف بها هيثم بدهشة وهو يجلس معها في أحد المطاعم حيث فاجأته برغبتها في تناول الغداء معه بعيداً عن الجامعة ...

كانت ترتدي سروالاً أبيضا شديد الضيق مع قميص وردي ملفت فتحت أول وثاني أزراره بينما تركت شعرها دون حجاب كعهدها عند اطمئنانها لعدم وجود يامن ...

فبدت ملفتة جداً خاصة مع فتنتها الطبيعية التي جذبت لهما أنظار رواد المطعم عندما تعمدت إمالة رأسها بدلال لتجيبه:





_جرى إيه يا روميو ؟! هتعد عليّ الأكل من دلوقت ...امال لو وافقت واتجوزنا هتعمل إيه؟!

_ماتهزريش في الموضوع ده يا داليا ...مابحبش تستخفي بمشاعري كده .

قالها بضيق حقيقي وهو يشيح بوجهه متوقعاً منها محاولة جديدة لمشاكسته ...

لكنه فوجئ بصمتها التام بعدها ليلتفت نحوها فيجدها مطرقة برأسها بذاك المظهر البائس الذي يستنفر عاطفته نحوها....

زفر بقوة ليميل على المائدة قائلاً :

_احكي يا آخرة صبري ...مالك ؟!

لكنها ظلت مطرقة برأسها فأردف بنبرة أكثر رفقاً:




_أنا عارف إنك بتفشي غلك في الأكل ...وإنك خارجة

باللبس "الأوفر" ده النهارده عشان تغطي على حاجة معينة مزعلاكِ ...قولي بقا ...

ثم خبط ساعدها بكشكول محاضراتها ليستطرد :

_اتكلمي بقا هتلاقي حد غيري يستحمل رغيك ؟!

رفعت إليه عينيها أخيراً بابتسامة شاحبة ثم أزاحت طبقها بعيداً لتقول بنبرة بائسة:

_مخنوقة قوي يا هيثم ...من ساعة يامن ما اتجوز وأنا حاسة إن فيه حاجة غلط .

فهز رأسه ليقول مستنكراً:

_ياشيخة أنا قلت هتبقي مبسوطة إن الكتمة هتخف شوية لما ينشغل عنكم بمراته .

لكنها أشاحت بوجهها لتكمل اعترافها :




_بالعكس...أنا حاسة إنه "اتاخد" مني ...زي ماما وبابا الله يرحمهم...

ثم عادت إليه بملامح متنمرة لتردف بغيظ:

_معرفش البتاعة اللي اتجوزها دي فيها إيه عشان تعجبه كده .

فضحك ليجيبها مطيباً خاطرها:

_ولا فيها أي حاجة ...عادية جداً ...دي شبه لعب الأطفال.

هنا عقدت حاجبيها بشك لتسأله :

_وانت عرفت شكلها منين ؟!

حك رأسه بحرج للحظة ثم تنحنح ليجيبها :

_بصراحة ماقدرتش أقاوم أشوفك ليلتها ...عديت على القاعة بصيت بصة بسرعة من غير ماقوللك ...





ثم غمزها ليردف:

_كنتِ قمر كالعادة !

لكنها لم تستجب لمغازلته بل عادت تشرد من جديد لتقول بأسى:

_محدش بقا حاسس بيّ خالص...نبيلة دايماً مشغولة...رانيا بتجهز لفرحها ...وهانيا ملبوخة ببيتها...حتى يامن اللي كان بييجي يطمن علينا كل يوم شكله هينسانا...أول امبارح كان أول خميس كان يعدي علينا من غير ما يجتمع بينا كالعادة .

_مش عريس يا بنتي؟! عايزاه يسيب مراته أول كام يوم جواز وييجي يقعد وسطكم ...ده حتى يبقى شكله وحش !





نطق عبارته الأخيرة بشكل من المرح فابتسمت ليتنهد

قائلاً بجدية تامة:

_انتِ محتاجة تشغلي وقتك يا داليا ...انتِ مش ناقصك أي حاجة ...عندك كل حاجة أي بنت تتمناها ...جمال ...فلوس ..حرية ...وأنا!

قال كلمته الأخيرة مشيراً لصدره بفخر مصطنع فضحكت بانطلاق لتهز رأسها قائلة بدلال:

_مفيش فايدة يا روميو...هنلف نلف ونرجع لغرامياتك ....

ثم عادت لتتناول طعامها حيث غرست الشوكة في إحدى شرائح البطاطس المقلية لتقربها من فمه مردفة بنفس

الدلال:





_بطل كلام وكل أحسن ...مش...

انقطعت عبارتها عندما اصطدمت عيناها بعيني المرأة التي دخلت المطعم لتوها ...

والتي تراوحت نظراتها بين استياء واستنكار وهي تراها تطعم هيثم بهذه الطريقة الفجة !

احمر وجه داليا انفعالاً وهي ترى زوجة أستاذها تتقدم منهما لتتوقف أمامها قائلة بنبرتها التي صارت تكرهها:

_ازيك يا داليا؟! شايفاكِ أحسن المرة دي وبتقضي وقت لطيف.

رفع إليها هيثم عينيه بنظرات ضائقة ليقوم واقفاً وقد تعرف إلى هويتها ليقول بنبرة مهذبة:

_إزيك يا دكتورة ؟!





ردت المرأة تحيته باقتضاب بينما بقيت داليا جالسة مكانها وكأنما استنكفت أن تقف لتخاطب المرأة بقولها:

_أنا الحمدلله كويسة...وعلى طول بقضي وقت لطيف.

قالتها بتحدٍّ زاد شعورها بالاكتئاب من حدته لكن المرأة رمقتها بنظرة غامضة قبل أن تغادرها لمنضدة قريبة...

وما كادت تبتعد حتى عاود هيثم الجلوس ليقول لها عاتباً:

_انتِ بتعامليها كده ليه ؟! مش خايفة تقول لجوزها ويستقصدنا السنة دي في الامتحانات ؟!

لكن داليا رفعت أحد حاجبيها لترد بانفعال:





_هي اللي المفروض تخاف على جوزها مني مش أنا اللي أخاف منها !

اتسعت عيناه بصدمة من حديثها لتستدرك هي بارتباك:

_أقصد ...إنه...دكتور ياسر حقاني ...وأكيد مش هيستقصدنا عشان كلمتين سمعتهم.

التمع الشك في نظراته وهو يزداد يقيناً من فكرته السابقة عن مشاعرها الخفية نحو أستاذها ...

ليقول أخيراً بغضب مكتوم:

_ما تلعبيش بالنار يا داليا ...لحد دلوقت أنا فاهم الطفلة الدلوعة اللي جواكِ اللي عايزة تلفت نظر كل اللي حواليها ...لكن الموضوع لو زاد عن كده هيقلب عليكِ وهتخسري أكتر ما انتِ متوقعة .





ورغم أن حديثه كان مصيباً إلى حد كبير لكن مزاجها السئ ووجود تلك المرأة أجج طبيعتها المشتعلة أكثر لتهتف به بانفعال:

_بقوللك إيه يا هيثم ...دور "ست الناظرة" ده بيعصبني ...أنا كده ...عاجبك كده عاجبك ...مش عاجبك امشي...

ثم هبت واقفة لتتناول حقيبتها مردفة بنفس الانفعال:

_واللا أقوللك...أنا اللي هامشي!

قالتها ثم غادرت المكان بخطوات مندفعة غافلة عن المائدة القريبة منهما ...

والتي جلس عليها رجلان قال أحدهما لصاحبه بينما يمشط جسدها بنظراته:





_أهي دي البنت اللي قلت لك عليها .

التفت نحوها صاحبه بدوره ليبدو الاستحسان على

ملامحه وهو يرد بنبرة ماكرة:

_تستاهل... بس دي سكتها إيه ؟!

فابتسم صاحبه وهو يعود بظهره للوراء ليجيبه

بثقة رغم غموض لهجته:

_سهلة ! سكتها سهلة ..قوي!

=======

_إيه الشياكة دي ؟!

هتف بها رامز بإعجاب تعمد رفع إيقاعه مخاطباً

غادة وهو يخرج إليها من غرفته ...

حيث جلست مع هانيا تنتظر أن يصطحبها في أول

يوم عمل لهما معاً ...




وبينما لم تلتفت هانيا لمغازلته شبه الصريحة لصديقتها ...

خفضت غادة بصرها بارتباك لتتمتم بكلمات مبهمة وقد عجزت عن الرد عليه ...

فتقدم هو ليهتف بنفس النبرة التي حملت المرح مع الكثير من الإعجاب:

_فطرتِ واللا تفطري معايا في الشغل؟!

رمقته هانيا -الغافلة- بنظرة امتنان وهي تراه يحسن معاملة صديقتها أخيراً لتجيبه هي:

_مش راضية تفطر ...الله يخليك يا رامز خد بالك منها هناك .

نظر إليها بغيظ لم يستطع كبحه وهو يرى بشائر خطته تبوء بالفشل ...





هو يتعمد أن يزيد من اهتمامه المفتعل بغادة كي يجعل "لوح الثلج" هذه تشعر بالغيرة لعلها تتوقف عن إقحامها المبالغ فيه لها في حياتهما ...

لكن يبدو أنه ينقش على الماء!!

_يالا بينا!

هتف بها يواري خيبته وهو يصطحب غادة التي تبعته باستسلام لتهبط معه الدرج ...

عندما فتح باب شقة والدته التي خرجت منها لتتهلل

ملامحها عندما رأت ابنها قبل أن تتجهم فجأة مع رؤية غادة لتهتف باستنكار:

_انتو رايحين فين سوا كده ع الصبح؟!

ooo





احمرت وجنتا غادة بحرج وهي تدرك من "سوء خبرتها" ما تظنه المرأة بها ...

هذه النظرة في عينيها تعرفها ...

وصمها بها الكثيرون قبلها وتنتظر الآن الأسوأ!

لاريب أن الأم تخشى على ابنها من الأرملة اللعوب التي تسللت لبيته كالأفعى لتلتف حوله وتخطفه من صديقتها ...

لكن لماذا تلومها؟!

هكذا يراها الجميع ..لطخة مدنسة تلوث أي مكان تذهب إليه !





لهذا اكتفت بإطراقها الخانع كالعادة تتلقى سهام القدر بصمت بينما قال رامز وهو يغمز والدته خلسة:

_صباح الفل يا ست الكل...مش تباركي لغادة...جبت لها شغل معايا في الشركة .

_كمان؟!

هتفت بها المرأة باستنكار فتنحنح رامز بحرج وهو يكاد يتوسل أمه بنظراته كي لا تحرج غادة أكثر ...

فتمالكت المرأة نفسها لتقول بفتور:

_مبروك .

ردت غادة بنفس الخنوع وهي لاتزال مطرقة برأسها فهتف رامز بسرعة ليتدارك الموقف:

_معلش يا ماما عشان متأخرين ...سلام دلوقت.





قالها وهو يقبل جبينها بخفة ليستأنف هبوط الدرج تتبعه غادة التي كانت تشعر أن نظرات المرأة تكاد تخترق ظهرها ...

الموقف يسبب لها الكثير من الحرج لكنها لا تجد البديل!

لم تكن تتوقع وهي تطلب من هانيا البحث لها عن عمل أن تجعلها تعمل مع رامز الذي يسبب لها وجوده الكثير من الحرج ...

شعورها نحوه يتذبذب بين "شبه كراهية" لا تملك يداً فيها وعقلها يصور لها أنه كان سبب حرمانها من زوجها وحياتها كلها ، وبين "امتنان حقيقي" لرجل وقف جوارها في أزمتها بكل ما يملك .





لهذا ما كادت تصل معه لسيارته التي فتح لها بابها بحركة أنيقة حتى دمعت عيناها وهي تهمس له بصوت متحشرج:

_شكراً .

وفي النافذة وقفت هانيا تراقبهما وشعور "مستحدث"

بالضيق يعرف طريقه إليها..

وخزةٌ وجدتها في صدرها وهي ترى غادة تركب جواره سيارته في المكان الذي تحتله هي دوماً ...

وخزة لم ترد تفسيرها بأنها غيرة بل وأدت هذا الشعور في مهده وهي تهز رأسها لتخاطب نفسها بقولها:




_جرى إيه يا هانيا هتتهزي ليه؟! هتعملي زي المتخلفين اللي في الرايحة والجاية بيحذروكي من صاحبتك؟! انتِ عارفة كويس قيمتك عند جوزك وواثقة في صاحبتك اللي محتاجاكِ..بلاش تخذليها زي ما كل الناس خذلوها .

وفي السيارة جلست غادة مطرقة الرأس وقد شبكت أصابعها ترمق دبلتها التي لاتزال هناك بنظرة حسرة لم تعد تفارقها ...

تشعر بالخوف من هذا العمل الجديد الذي لا تعرف ماذا سيكون مصيرها فيه ...

تتوجس من مجتمع ينتظر أي هفوة منها كي يرجمها

بالحجارة ...





والمصيبة أنها لا تنتظر حتى هذه الهفوة كي تعنف نفسها ...

بل ترجم نفسها في كل وقت على ذنب لا تعرفه وإن كانت تشعر به يدنسها ...

ذنب عاقبتها عليه السماء "كما تظن" بحرمانها من سعادتها!

_ساكتة ليه؟!

سألها رامز بمرح خالطه الكثير من الإشفاق وهو يرى حالها البائس لتجيبه بصمت طويل لم تستطعِ قطعه ...

فأردف بنبرة متشحة بالذنب:

_انتِ لسه زعلانة مني؟! محملاني ذنب أحمد الله يرحمه؟!





كان هذا ما يملأ صدرها حقاً نحوه رغم ما يخالطه من شعور بالامتنان لوقوفه جوارها بعدها ...

لهذا تنحنحت بخفوت لتتجاهل سؤاله قائلة دون أن ترفع وجهها وقد أحيا حديثه عن أحمد مرارة الذكرى:

_انت آخر واحد شفته قبل الحادثة...قل لي إيه آخر كلمة قالها...آخر حاجة عملها...كان فرحان...كان...

تحشرج صوتها الخافت لتنقطع عبارتها فجأة ببكاء صامت لم يهتز به جسدها الذي اعتاد دموعها ...

فتنهد رامز بحرارة وهو لا يدري بماذا يجيبها وقد ساءه هذا الانهيار غير المبشر في أول يوم عمل...





قبل أن يختلس نظرة جانبية نحوها ليكتنفه شعور غريب أورثه المزيد من الضيق...

هذه المرأة كارثة حقيقية ليس فقط لأجل هالتها الأنثوية التي يستشعرها خبير بالنساء مثله ...

لكن لأجل هذا الضعف الكامن فيها الذي يستنفر "حمية" أي رجل -شريف- للدفاع عنها ...

و"شهية" أي ذكر -غير شريف- للاستحواذ عليها!

آه لو كان هناك "خلّاطٌ " ما يضربهما فيه هي وصديقتها "الفولاذية" زوجته لنحصل على امرأتين سويتين في النهاية؟!

ورغم هزلية الفكرة لكنه شعر بها الحل الوحيد لمشكلتهما معاً ...

لكنه للأسف غير متاح!





لهذا تنهد بحرارة ليجيبها وهو يحاول التركيز في الطريق:

_مش عارف أقوللك واللا لأ...بس إنتِ كنت آخر كلمة على لسانه...الحقيقة إنه ما بطلش كلام عنك طول الطريق...الله يرحمه.

شهقاتها الباكية بعدها زادت الأمر سوءاً فشعر بالندم على ما تفوه به ...

لكنه عاد يلتفت نحوها ليقول ببعض الحزم:

_غادة...اسمعيني كويس...أنا ممكن أقعد جنبك أسمعك بتعيطي لبكرة وأصبرك بكلمتين ...بس ده مش حل ...أنا مش بلومك على حزنك بالعكس ...لكن النهارده أول يوم شغل ليكِ...وأول





درس لازم تتعلميه إنك تفصلي بين حياتك الخاصة وشغلك ...

ثم أوقف السيارة فجأة ليردف:

_لو مقتنعة بكلامي نكمل..لو مش مقتنعة ألف وأرجعك البيت.

رفعت إليه عينين مترددتين غارقتين بضعفهما فازدرد ريقه بتوتر وعيناه تنسحبان رغماً عنه لخصلات شعرها المصبوغة بلون أحمر داكن مثير يُظهر مع سواد ثيابها بياض بشرتها الناصع...

عجباً...هل صبغته حديثاً؟!

أم هو الذي لم ينتبه للونه هذا من قبل ؟!





لماذا لا تصبغه هانيا هكذا سيكون عليها أكثر ملاءمة خاصة مع لون بشرتها القمحي الذي يعشقه ...

فقط لو ترتدى معه قميصاً حريرياً بلون ذهبي ستكون...!

تنحنح بخفة وهو يدرك إلى أي حد جامح بلغت به أفكاره ليردع نفسه بقوله الساخر سراً:

_ريح نفسك ...الدكتورة بتاعتنا أشرف من الشرف مابتلبسش قمصان نوم ولا بتروح ل"كوافير"...آه...وبتطفي النور!

_خلاص ...ماشي!

قاطعت بها أفكاره فالتفت نحوها قائلاً بارتباك:

_ماشي إيه؟!





_نروح الشغل!

غمغمت بها بنبرتها الوديعة المتهالكة و...المهلكة!

فأشاح بوجهه ليعيد تشغيل السيارة منطلقاً بها

بينما هي تمسح دموعها محاولة التماسك ...

هذا العمل فرصة لها الآن كي تعاود حياتها معتمدة

على نفسها ...

فرصة ستسعى ألا تضيعها مهما حدث ...

هذا ما حاولت تذكير نفسها به طوال اليوم وهي

تحرص على تناسي آلامها الخاصة ...

لكن أي اقتراب ذكوري من محيطها كان يصيبها

بالارتباك ...




كل نظرة من زملائها كانت ترى فيها سجناً...و"محرقة"!

كان يُهيأ إليها أن نظراتهم التي "أشعلتها" ثيابها السوداء الواشية بوضعها الضعيف "تنطفئ" فجأة عندما تنحدر نحو "دبلة" أحمد في إصبعها ...

أحمد لايزال يحميها ميتاً كما كان يحميها حياً!

وجع الفكرة الأخيرة كان يستجلب الدموع لعينيها لكنها تعود لتتذكر نصيحة رامز فتمنحها بعض التماسك .

وفي غرفة مكتبه كان هو يحاول التركيز في عمله مع أفكاره التي شغلته بشأنها ...





"الأرملة الفاتنة ذات الشعر النبيذي" صارت حديث الشركة منذ الصباح ...

حتى العامل العجوز الذي يحضر له القهوة سأله عنها بفم تساقطت أسنانه مشيراً إليها بوصفه "حتة القشطة"!

وهو يعرف كيف ستسير الأمور هاهنا...

ومع شخصية ضعيفة متحفظة كغادة لن يكون أمامها إلا ترك العمل أو الاستعانة بحارس شخصي.

"بودي جارد"!

ربما هذا هو الدور الذي اختارته لها زوجته المصون لهذا تعمدت أن تجعل صديقتها تعمل معه هنا!

الدور الذي أداه بجدارة وهو يغادر معها الشركة آخر النهار ليصطحبها معه في سيارته نحو البيت





وقد بدأ يشعر أن ثقل صحبتها أشد عليه كثيراً مما كان يتوقع ...

كانت هانيا تنتظرهما في شقتها كما توقع كي تطمئن على غادة فتركهما لثرثرتهما ...

توجه نحو غرفته ليبدل ملابسه ولازال ذهنه مشغولاً بأفكاره...

عندما شعر بلمستها الخفيفة على كتفه فالتفت نحوها...

_شكراً يا رامز.

قالتها هانيا مبتسمة قبل أن تستطيل على أطراف أصابعها لتقبل وجنته مردفة بامتنان:

_غادة أحسن كتير ..ماتتصورش الشغل ده هيفرق في نفسيتها إزاي.




هز رأسه بلا معنى وهو يقول بعتاب ساخر:

_يعني الدكتورة راضية عني؟!

فاتسعت ابتسامتها وهي تحيط كتفيه بكفيها قائلة بتحفظها المعهود:

_انت راجل بجد...وأنا فخورة إني مراتك.

_طب زودي حتة صغيرة...وأوعدك أشيلها في المونتاج!

قالها متهكماً من جفاف عبارتها فضحكت ضحكة صافية وعيناها تمنحانه سحر العاطفة المتدفق الذي جفت عنه كلماتها ...

قبل أن تتنهد بحرارة لتسند جبينها على كتفه قائلة بنبرة اعتذار شابت قوة نبرتها المعتادة:

_عشان منتكلمش في الموضوع ده تاني...وعشان تفهمني كويس لازم تفهم إن الحب عندي مالوش





علاقة بالكلام ولا باللبس ولا دلع البنات...الحب عندي مسئولية ...مسئولية زي مسئولية اخواتي اللي شلتها مع يامن بعد وفاة بابا وماما...زي مسئولية دراستي اللي اتحملتها لغاية ما بقيت معيدة في الجامعة...

ثم رفعت إليه عينيها لتردف بنبرة أقوى:

_وزي مسئولية جوازنا اللي هاشيلها عشان ينجح بجد ونبقى سعدا سوا.

والصدق الحار في كلماتها انتقل إليه ليثلج صدره ...

فضمها إليه بقوة ليتخلل شعرها بأنامله مقرباً وجهها نحوه مع محاولته الأخيرة لاختراق حصون تحفظها هذا:





_والمسئولية دي لازم تشيليها بوش "الشاويش عطية" ده ؟! ما ينفعش تحسسيني شوية إنك ست ؟! ما ورثتيش جينات خالتك ليه ؟!

كان يقولها مازحاً ولا يدري أنه قد داس على الجرح القديم ...

لهذا اتسعت عيناه بإدراك عندما تنمرت ملامحها مع هتافها المنفعل:

_خالتي ؟! وصلت لإيه خالتي؟! جمال وشياكة وشهرة وأنوثة بتحسدها عليها أي ست لحد دلوقت في سنها ده ...لكن خسرت إيه في المقابل ؟! عايزني أبقى زيها ؟! عمري ما هابقى زيها ...عارف ليه ؟! لأني أكتر واحدة شاهدة هي دفعت تمن شكله إيه عشان كل ده .





عقد حاجبيه بقوة وهو يشعر أنه يقترب أكثر من صندوق ذكرياتها الأسود ...

ورغم تطرف أفكارها الشديد لكنه الآن قد بدأ يعذرها فيه ...

هي تحاول قدر استطاعتها الابتعاد عن صورة "بيللا" النجمة بكل تفاصيلها الصالح منها والطالح ...

ربما لهذا السبب تحاول وأد أنوثتها بهذا المظهر الجديّ الذي تتخذه حياتها كلها ...والبعيد تماماً عن طبيعتها العاطفية التي يستشعرها !

هذا الإدراك الذي جعله يشعر بالكثير من الارتياح ...

لكنه لم يجعله يعدل عن خطته !





هانيا يجب أن تتغير!

ستحبه بطريقته وتتنازل عن كل هذه الحواجز التي تختبئ خلفها ...

وهو وضع قدمه على أول الطريق ولن يبرح حتى يبلغ!

=======

_اتأخرت ليه ؟! الماتش بدأ من بدري.

هتفت بها ياسمين وهي تنتظره أمام التلفاز عقب عودته من الخارج

فتحفزت ملامحه وهو يسألها بينما يتابع المباراة:

_إيه الأخبار؟!

_محدش لسه جاب جون بس اللعب حلو!





ابتسم وهو يجلس جوارها ليقول بفظاظته الساخرة بينما عيناه معلقتان بالتلفاز:

_خلليكِ في المطبخ يا حلوة...الستات مابتفهمش في الكورة!

لكنها أشارت نحو الشاشة لتقول بحماستها الحيوية:

_ده كلام الرجالة العنصريين اللي زيك...شايف محمد صلاحِ ده مثلاً؟! أراهنك في خلال سنة هيكون له مستقبل عظيم .

رمقها بنظرة جانبية ساخرة لتلتفت نحوه متسائلة :





_اشمعنا في الكورة بتتفرج على فرق أجنبية ؟! مع إني لاحظت إن ذوقك شرقي في كل حاجة ...

_لا أنا في الكورة راشق في أي حاجة...كان حلم حياتي من صغري أطلع لاعب كورة

بس ...أوووو...جوووووون!!!!

ضحكت بمرح وهو يقاطع عبارته بتصفيقة تبعها صفير طويل جعلها تواصل ضحكاتها المستمتعة بلا انقطاع ...

متلذذة بهذا الوجه الحماسي منه البعيد تماماً عن قناع سخريته الفظة في غالب أوقاته ...

حتى ولو لأجل لعبة!

بينما تظاهر هو بمتابعة المباراة لكن تركيزه كان مشتتاً بنظراتها المصوبة نحوه ...





حنان عاطفتها التي تغدقها عليه بسخاء لايزال يربكه ...

يخشى إدمانه لكنه يتلذذ بارتشافه قطرة قطرة ...

أناني؟!

هكذا يظن نفسه معها لهذا يلومه ضميره كثيراً لكنه يخرسه بزعمه أنه لا يطلب منها شيئاً...

هو يتظاهر بالصلابة أمام فيض عشقها الذي يجرف في تياره كل سدود وساوسه بشأنها ...

ولازال يصبر نفسه أن كل هذا مجرد عرض مؤقت ستنتهي صلاحيته بانتهاء مشكلته مع سيلين...

_هاحضر لك العشا وآجي نشوف الشوط الثاني.

قالتها وهي تقوم من مكانها عقب انتهاء شوط المباراة





الأول ليتابعها ببصره خلسة باستمتاع ...

منامتها الوردية شديدة الأنثوية رغم تصميمها المتحفظ الذي لا يبدي تفاصيل جسدها لكنه يفسح المجال للخيال مع حزام خصرها الضيق ...

الخيال الذي لم يكن ينقص رجلاً مثله على أي حال !

هو يزعم أنه "رجل التفاصيل" الذي تستهويه دقائق

الأمور ...

فكيف يغفل عن طلاء أظافرها الرقيق الذي حمل لون منامتها ؟!

وذاك الخف المنزليّ الذي تزينت مقدمته بالفرو الأنيق مع حبات اللؤلؤ الصغيرة لتبدو من خلفه





أصابعها المنمنمة بمظهرها الشهيّ الذي لا يدري لماذا يثيره إلى هذا الحد !

عيناه تواصلان مراقبتهما الخفية لها ملاحظاً أنها لا تكاد تهتم بتصفيف شعرها ...ولولا نعومته الطبيعية لكان مظهرها كارثياً!

غريب!

هي تتركه دوماً حراً دون رباط بما يناسب طوله القصير لكنها لا تهتم به اهتمامها ببقية تفاصيل جمالها ...

يقولون إن الشعر الطويل لا يلائم القصيرات لكنه يود لو يرى شعرها هذا طويلاً كما يذكرها قديماً بجديلة ذهبية ثرية خلف ظهرها ...

جديلتها التي كانت غريبة على مظهر رفيقاتها في ذاك الوقت ...





ربما لهذا يذكرها جيداً ...

انقطعت أفكاره بتثاؤب طويل وهو يشعر بجفنيه

يتثاقلان فمال على جانبه ليرقد على الأريكة مسنداً

رأسه على الوسادة التي كانت تحتلها هي منذ

قليل ...

والتي علق بها عطرها "الملون" الذي طالما أثار

حيرته ...

والآن يثير بداخله إحساساً آخر لا يدري كنهه ...

إحساس ب"الأمان"!

أمان؟!

من الطبيعي أن يكون الرجل "أمان" المرأة...

لكن الغريب أنه معها هي يشعر بالأمر منعكساً...





هو الذي يحتاج حبها ومع هذا يزعم فيه زهداً...

وهي التي تعطي وتعطي ...ولا تريد التوقف!

أخذته أفكاره بين يقظة ونوم غلبه أخيراً ليعود إليه

إدراكه مع شعوره

بالغطاء الذي لامس جسده ...

أبقى عينيه مغلقتين وهو يشعر بها تقترب منه ...

تنحني عليه لبضع ثوانٍ مرت عليه في ترقبه

كدهر ...

قبل أن يشعر بملمس شفتيها على جبينه في قبلة

خاطفة لم تستغرق ثانية واحدة !





ثانية واحدة أشعلت به الاشتياق لمذاقها الذي يذكره كحلم بعيد ...

حلم ابتعد الآن مع ابتعادها وهي تغلق التلفاز والأضواء كي لا تزعج نومه!

صوت باب غرفتها يغلق فيفتح عينيه اللتين طار منهما النوم تماماً ...

الآن فقط يعترف أنه عاجز عن صد هجومها العاطفي...

وكيف يفعل؟!

وحبها يتشح بغلالة رقيقة من "أمومة" يهفو إليها "اليتيم" المنزوي بين أضلعه ...

أجل ...هذا حب "أم" وليس حب "امرأة" ....

ومن مثله يدرك الفارق؟!





لكن ...ماذا بعد؟!

هي "القوية" بعشقها ...وهو "الضعيف" بخوفه ...فكيف يلتقيان؟!

=======

عاد من عمله مبكراً الليلة على غير عادته ..لماذا؟!

لو حسب الأمور بعقله لقال إن طبيعته "الوسواسية" جعلته يرغب في استكشاف حياتها في بيته في غيابه ...

لكنه لو استمع لهمس حواسه الخفيّ لأدرك أنه لا يريد مراقبتها شكاً بل...شغفاً!

أجل...





هي صارت هوسه الجديد بعدما زلزلت كل أركان عالمه وأشعلت الثورات في أوطان طالما ظنها خانعة !!

لهذا ركن سيارته بعيداً عن باب البيت الخارجي الذي فتحه ببطء حذر كي لا يحدث صوتاً ثم أغلقه خلفه بنفس الحذر ...

قبل أن يعبره بخطوات حذرة ليدور في الحديقة المحيطة به حتى توقف على بعد مناسب من نافذة المطبخ المطلة على الحديقة ...

المطبخ الذي يعلم أنها تقضي فيه أغلب أوقاتها بحكم عشقها للطهي...

المهارة التي يعترف لها بها بكل اقتدار!

أسند ظهره لجدار النافذة يتمالك أنفاسه المتسارعة وهو يشعر





بالمغامرة ...

جزء من ضميره يؤنبه لكنه يخرسه بزعمه أن لا ضير في مراقبة زوجته !

مال برأسه بحذر يحاول استكشاف ما يجري بالداخل قبل أن تتسع عيناه بصدمة وهو يميز جسدها الضئيل هناك تعطيه ظهرها منهمكة بالطبخ !

جسدها الذي يراه لأول مرة بهذا الوضوح في منامة شديدة القصر ...

جزءها العلوي بحمالتيه الرفيعتين ينحسر كثيراً حتى يكاد يبدي ظهرها كله ...




بينما بدا جزءها السفلي بلا فائدة تقريباً مع قصره الشديد الذي التحم مع ضيقه ليصنعا معاً كارثة لعيني أي رجل!

هل جسدها مشوه كما كان يظن؟!

ضاقت عيناه بتفحص وهو يمعن في اقترابه الحذر لكنه لم يتبين أي تشوه !!

لكن ...مهلاً !

هناك تلك الندبة داكنة اللون قرب كتفها...

وهل تستحق وحدها كل هذا التحفظ الذي تفرضه هي على ملابسها؟!!

انقطعت أفكاره عندما استدارت فجأة فكتم أنفاسه وهو يبتعد برأسه ...

قبل أن يعود ببصره بحذر ليتفحص جسدها من الأمام مستغلاً انشغالها بما تفعله !





انفرجت شفتاه باستجابة حسية لما يراه لكن هذا لم يكن ما يؤرقه ...

بل سبب نفورها من الملابس المكشوفة!

لقد كان يظنها مشوهة الجسد أو ناقصة الأنوثة

لكن ما يراه الآن يخالف كل توقعاته ...

هذه المرأة لو أرادت خطف الأبصار فستفعلها دونما جهد يذكر!

هل من المفترض أن يسعده هذا؟!

أن يجعله يشعر بالفخر وهو يرى هذه الفتنة المتجسدة تزعم أنها تعشقه هو دون مقابل؟!

لا!

العجيب أن رؤيته لها هكذا لم تؤجج في صدره سوى المزيد من الوساوس والشكوك ...





كيف ظن أن إدخال امرأة كهذه في حياته سيكون بتلك السهولة التي توقعها؟!

كيف وهي ببساطتها هذه إعصار غموض يجتاحه دونما رحمة؟!

تبدو وكأنها تعطيه بسخاء دونما مقابل والحقيقة أنها تحتله كله في كل دقيقة تمر عليهما معاً!!

لهذا كز على أسنانه بقوة كاتماً مشاعره قبل أن يعود بخطوات متمهلة نحو باب البيت الداخلي الذي فتحه بنفس الحذر ليتوجه نحو المطبخ ...

_السلام عليكم!





لم يكن يتوقع أن يثير الموقف عاصفة الهلع التي اجتاحتها ...

شهقتها العنيفة وهي تغطي جسدها بذراعيها للحظة واحدة قبل أن تفعل أغرب شيء توقع أن تفعله !!!

لقد اندفعت نحوه بسرعة لتلصق راحتيها بعينيه هاتفة بانفعال:

_اوعى تبص ...أرجوك!

ظلت تكررها بانفعال بدا له هستيرياً قبل أن يغلبها البكاء الذي لم يفهم له هو داعياً في موقف كهذا!

ربما كان سيتفهم لو كان شعورها خجلاً..مفاجأة من وجوده ...

لكن هذه الرهبة الخانقة حد البكاء غريبة حقاً!

_اهدي خلاص مش هابص!





قالها وهو يحاول التربيت على ذراعيها مهدئاً ولازالت راحتاها تغطيان عينيه لكنها ابتعدت عن مرمى ذراعيه بذاك النفور الذي يثير جنونه مع هتافها الباكي:

_هارجع أوضتي بس احلف إنك مش هاتبص ...احلف !

ربما في موقف آخر كان ليعتبر كل هذا مجرد دلال أنثوي متمنّع يستحق السخرية وبعض ال...جرأة!

لكنه يشعر الآن بحق أنها لا تدعي كل هذا ...وكيف تفعل؟!

وهو يكاد يسمع دقات قلبها الهادرة تعوي وسط كل هذا البكاء!!

لهذا ازدرد ريقه بتوتر ليهتف لها مهدئاً:





_والله هافضل مغمض لحد ما تروحي

أوضتك...اهدي بقا!

صمتت للحظات وكأنها تتردد قبل أن ترفع كفيها

عن عينيه ليبرّ هو بقسمه بينما هي تهرول نحو

غرفتها التي أغلقت بابها خلفها بسرعة !

ورغم يقينه من أنها ابتعدت لكنه ظل مغمضاً عينيه

على صورتها الأخيرة التي رآها ...

ليس فقط كونها أجمل وأشهى صورة رآها فيها ...

لكنها تلك "الحمية" التي أثارها فيه بكاؤها

المذعور هذا!

انهيارها هذا الذي لم يشهده من قبل مع شخصية

حيوية مثلها إلا....

إلا تلك الليلة التي تشاجرت فيها مع طليقها لتنتهي

بعزلتها في مكانهما المفضل!!





تباً!!

يبدو أن ذاك الوغد فقط هو من يطفئ شعلة

توهجها التي شهد عليها هو نفسه في تلك الفترة

القصيرة التي عرفها فيها...

يجب أن يفهم تفاصيل ما كان وما يكون ...بل وما

سيكون !!

اتفاقهما؟!

فلتذهب كل الاتفاقات للجحيم ...سيصاب بالجنون لو

لم يحط بكل التفاصيل كالعادة!!

لهذا زفر بقوة ثم توجه نحو غرفتها التي طرق

بابها منتظراً إذنها

بالدخول ...

ولم يكد يفعلها حتى وجدها جالسة على فراشها وقد

ارتدت إحدى مناماتها الطويلة كالعادة ...





تحتضن ركبتيها بذراعيها وتخفي وجهها الباكي بينهما !

تقدم منها بقلب وجد صدى وجعها بداخله ليجلس جوارها على طرف الفراش ثم تنحنح بخشونة قائلاً:

_آسف عشان دخلت فجأة من غير ما أقوللك!

_أنا اللي آسفة..أنا اللي مش طبيعية!

قالتها بغمغمة باكية دون أن تغير وضعها فتنهد بحيرة ...

قبل أن يحسم أمره ليقترب منها أكثر ...

ثم ضمها إليه بذراع واحدة !




وكما توقع تماماً انتفضت مكانها بنفس النفور الذي يثير غيظه لكنه احتكر نظراتها الخائفة بفيض عينيه الذي مزج حنانه بقوته مع همسه:

_لو فاهماني كويس زي ما بتقولي هاتعرفي إني عمري ما هأذيكِ أو أعمل حاجة غصب عنك ...أنا بس عايزك تهدي...اهدي!

أغمضت عينيها بقوة بعدها وجسدها يستكين تدريجياً بينما أحد ذراعيه يضمها وبالآخر يربت على وجنتها...

حتى استكان رأسها على كتفه ولازالت شهقات بكائها تصم أذنيه ...

كم يود الآن لو تفك ارتباط ساعديها هذا لتتشبث به هو ...

لكنها لم تفعلها ...





وكأنها تأبى إلا أن تستمد قوتها من نفسها فحسب!

ظل يربت على وجنتها برفق صابراً حتى هدأت حدة بكائها فتنهد بارتياح ...

قبل أن تتوغل أنامله بين خصلات شعرها مع همسه الذي يبدو خشناً لكن كليهما كان يدرك ما يختفي وراءه:

_قصيتِ شعرك ليه ؟! أنا فاكر إنه كان طويل قوي ...يمكن عشان كده ما افتكرتكيش بسهولة.

قالها متوهماً أنه يغير الموضوع كي يصرفها عما يزعجها ...

لهذا تعجب عندما عاد جسدها لتشنجه بينما تجيبه بانفعال حار:





C i n n a b o n

_عشان كرهته!...كرهته زي ما كرهت جسمي وكرهت إنه يبان !

نظر إليها مبهوتاً وهو يحاول التقاط نظراتها في هذه اللحظة لكنها كانت تخفي وجهها باستماتة في كتفه ...

يكاد يستصرخها بالبوح عما تخفيه لكنه كره - استغلال ضعفها- في هذه اللحظة ...

فاكتفى بتشديد ضمة ذراعيه لها تاركاً لها حرية الابتعاد متى شاءت !

ذاك الذي اختارته بعد بضع دقائق نسجها الصمت الصارخ بالمشاعر بينهما ...





قبل أن ترفع إليه عينيها أخيراً فهمس لها بنفس النبرة الخشنة:

_ممكن أرد لك حاجة ادتيهالي امبارح!

عقدت حاجبيها بتساؤل حائر لكنه لم يمنحها الفرصة للتفكير عندما مال على جبينها بقبلة ناعمة قصيرة كتلك التي منحتها له بالأمس ...

اتسعت عيناها بصدمة وهي تدرك أنه كان متيقظاً عندما فعلتها ...

هذا الإدراك الذي جعلها تذوب خجلاً لكن لم تكن لوجنتيها أن تحمرا أكثر فقد كانتا محترقتين تماماً بانفعالاتهما ...

لهذا ابتعدت مجفلة أخيراً لتغادر الفراش وهي تغمغم بارتباك:





_هاقوم أغسل وشي!

فقام ليقف قبالتها جاذباً ساعدها نحوه مع تساؤله :

_هتعيطي تاني؟!

عضت على شفتها بقوة وهي تطرق برأسها

للحظات قبل أن تستجمع قوتها لتعاود رفع رأسها

وهي تمسح وجهها ...

وبنفس القوة الحيوية التي يعرفها فيها رسمت على

شفتيها ابتسامة شاحبة وهي تهز رأسها في جواب

بالنفي ...

قبل أن تغادره نحو الحمام الصغير المرفق

بغرفتها ....

لازالت قوتها تبهره!

لا ...ليست قوتها فقط ...بل مزيج الضعف والتحدي

الذي يشعر أنها تواجه به حياتها ..





لقد تعلم في عمره القصير أن تجاهلنا المبالغ فيه لأحزاننا يُكوّن حولنا قشرة واهية تجعلنا ننهار بسهولة عند أول ضغط إضافي...

ويبدو أنها هي الأخرى وعت هذا الدرس جيداً ...

هي لا تتجاهل حزنها ...لا تغض الطرف عنه...بل تعيشه ببساطة ...تواجهه...تبكي وتعطي قلبها حقه في التأثر ...لكنها تنهض بعد كل هذا من عثرتها بابتسامة قوية كهذه التي رسمتها على وجهها في النهاية !

تنهد بعمق وهو يشعر أنه يتورط بها أكثر قبل أن تحين منه التفاتة لحاسوبها المحمول هناك ...

فتردد للحظة قبل أن يغلبه سلطان وساوسه ليجد نفسه يقترب منه ليفتحه...





فيجد...صورته!

أجل...صورة قديمة له لا يدري من أين أتت بها !

ارتسمت على شفتيه ابتسامة واهنة وهو يشعر بالحنين كعهدنا مع صورنا القديمة...

صحيح أنه كان أنحف بدناً وأقل وسامة مما هو عليه الآن ...

لكن شيئاً ما في ابتسامته كان يمنحه شكلاً أجمل...

شيئاً من "براءة" نالت منها قسوة ظروفه التي لطمته بها

الأيام بعدها !

اتسعت ابتسامته وهو يلمح ملفاً كاملاً يحمل اسمه ...





فتحه ليجد العديد من صوره في تلك الفترة ...

مروراً بالعديد من الصور له قبل سفره لانجلترا ...

وانتهاء بصور حديثة له في رحلة الأقصر !

هذه المرأة مهووسة به حقاً!

لكن ما لفت نظره هو تلك الصورة التي وجدها

لكليهما والتي يوقن أنها ليست حقيقية ...

صورة لهما معاً وهو يحتضنها بقوة !!

هو لم يكن معها بهذا الوضع أبداً حتى ليلة

زفافهما!

زفافهما؟!

أين صور زفافهما؟!

لماذا لا تحتفظ بها في هذا الملف؟!





انقطعت أفكاره عندما وقع بصره على كيس البالونات جواره على الكومود...

فالتمعت عيناه بعبث وهو ينتوي أن يعد لها مفاجأة!

===========

فتحت باب الحمام لتخرج قبل أن تشهق بدهشة وهي تجد عدداً من البالونات الملونة جواره على الفراش بينما وجهه محمر وهو ينفخ واحدة أخرى!

ضحكت ببساطة تميزها وهي تقترب منه لتهتف بدهشة لم تخلُ من لمحة سعادة:

_بتعمل إيه؟!

انتهى مما يفعله ليربط البالون بخيط رفيع كي يضعه جوار صحبته





مكملاً لها مجموعة الألوان مع قوله الساخر:

_بنفخ بلالين! الله يسامحك ...بقى دي آخرة دكتور محترم زيي!

عادت ضحكتها تصدح جواره بسعادة يدرك الآن أنها حقيقية تماماً ...

عسل عينيها يلتمع ببريق أمل محا بريق الدموع التي

ملأته قبلاً وهي تجلس جواره على طرف الفراش لترفع البالونات واحدة تلو الأخرى فتطيرها لأعلى تاركة لها حرية السقوط حولها ...

قبل أن تلتفت له بهمسها الدافئ:

_شكراً يا يامن...متعرفش حركة بسيطة زي دي تساوي عندي إيه!





C i n n a b o n

فاقترب بوجهه منها ليسألها بجدية:

_عايزة تشكريني بجد؟!

همهمتها المترقبة كانت الجواب فتناول حاسوبها المحمول ليدير شاشته نحوها قائلاً:

_يبقى جاوبيني...كل الصور بتاعتي عارفها ...إلا دي...فوتوشوب صح؟!

بدا على وجهها الارتباك للحظة قبل أن تطرق برأسها كطفلة مذنبة ...

لكنه رفع ذقنها نحوه ليهمس بحزم حنون:

_هتقوليلي وحالاً!

_ومش هتقول عليّ مجنونة بيك؟!

_وأنا لسه هاقول!





هتف بها مشاكساً ليزداد احمرار وجنتيها اللذيذ مع إجابتها :

_دي صورة قديمة ليك كنت بتحضن بنت صغيرة في النادي وقعت على رجلها وكانت بتعيط..ماتعرفش وقتها حسيت أد إيه انت حنين ...لقطت الصورة وكنت كل شوية أتفرج عليها لحد وقت قريب كنت حاسة فيه إني لوحدي ...

ارتفع حاجباه بتأثر وهو يدرك البقية قبل حتى أن تكملها :

_لقيتني بشيل صورة البنت وبحط صورتي!

كانت تهمس بها بمنتهى الخفوت وهي تتحاشى لقاء نظراته بينما تتلاعب أصابعها بحركة عصبية ...





أصابعها التي شبكها الآن بأصابعه وهو يسألها فجأة دون مقدمات :

_أنا كنت سبب من أسباب طلاقك؟! أنا عارف إننا اتفقنا ما نخوضش في تفاصيل ..قولي آه أو لا!

أغمضت عينيها بقوة ثم سحبت أناملها منه لتشيح بوجهها قائلة:

_ممكن أرضي غرورك وأقوللك آه...بس الحقيقة ...لا!

ثم رفعت رأسها لتردف بنبرة أقوى:

_أنا مابخونش يا يامن...لما اتجوزت كنت خدت قراري إني هارمي الماضي كله ورا ظهري...ربنا عالم إن أنا وقتها ما كنتش حتى بحاول أفكر فيك ...اعتبرتك حلم قصير صحيت منه ...حتى





صورك خبيتها في "الفولدر" ده وما فتحتهاش تاني غير لما اتطلقت.

كم يود الآن لو ينعتها بالكذب!

لو يخبرها أنه لا توجد امرأة في هذه الدنيا بهذه المثالية!

لو يصرخ بها أنه لا يصدق حرفاً مما تزعمه !!

هذا أهون عليه بكثير من هذا الشعور الحارق الذي يعصف بقلبه الآن...

لكن المصيبة الحقيقية أنه يصدقها!

كل كلمة...بل كل حرف يغادر شفتيها إلى قلبه مباشرة دون حواجز !





_بتبص لي كده ليه ؟! مش مصدقني!

همست بها بتفهم وهي تعود ببصرها نحوه مدركة طبيعته المتشككة...

فرمقها بنظرة طويلة قبل أن يقوم ليقف قبالتها متجاهلاً سؤالها الذي لا يريد إجابته...

_جعان!

ارتفع حاجباها بدهشة للحظة قبل أن تهتف بلهفة حانية:

_يا خبر! حالاً !

قالتها وهي تهرول لتغادر الغرفة بخطواتها شبه الراكضة التي تجعلها أقرب لطفلة عابثة ...





فتأوه بخفوت وهو يراقبها بمشاعر لم يعد يدرك ماهيتها لكنه قرر تجاهلها....

لحق بها إلى المطبخ ليجدها تعد المائدة بسرعة وما إن لمحته حتى هتفت :

_عارفة إنك مش بتحب الأكل سخن قوي ولا بارد ...نص نص...شوف كده مناسب؟!

قالتها وهي تتناول بالشوكة قطعة لحم وضعتها بين شفتيه ليجيبها باستحسان:

_جداً!

ابتسمت بفخر وكأنه قد منحها بإجابته المقتضبة شهادة تقدير لتشير بكفها نحو الطعام هاتفة:





_محشي ورق

عنب..كرنب...كوسة...برنجان...فلفل...شوربة

لسان عصفور...طاجن بامية باللحمة...وسلطات!

_ذنبي في رقبتك...كل اللي يشوفني يقوللي تخننت

بعد الجواز...شكلي هحتاج كورس مكثف في الجيم

عشان أنزل الكام كيلو اللي زدتهم!

قالها بلهجته الساخرة التي تعرفها بينما يجلس

مكانه ...

فابتسمت وهي تسحب كرسيها لتجلس أمامه

هاتفة:

_أعتبر دي شهادة منك بطعامة أكلي؟!

_مش محتاجة شهادتي...واضح إنك واخدة

موضوع الأكل ده هواية مش مجرد طبيخ

وخلاص...





ثم تنحنح بحرج ليردف:

_بس للأسف أنا ماليش في المحشي خالص...طول عمري مش بستلطفه !

ظهرت الخيبة على ملامحها لتقول بما يشبه الاعتذار:

_معقول؟! ماكنتش أعرف!

_ممكن أجرب المرة دي!

قالها وقد ساءته الخيبة التي كست وجهها فتهللت ملامحها لتنسى حذرها المعهود بخصوص طباعه الوسواسية ....

فتناوله بأصابعها أحد أصابع المحشي التي قربتها من شفتيه هاتفة بحماس:





_أيوة كده جربه حرام أنا تعبت فيه!

هنا التمعت عيناه بحنان غريب وشعوره ب"أمومتها" نحوه يعود يغزوه...

هو لم يعرف امرأة في حياته تعبت لأجل أن تعد له -هو وحده- طعاماً!

لكن علامَ العجب؟!

هذه المرأة لم يعد شيء ما فيها يدهشه!

وكأنما خلقت لتضرب "ثوابته" في مقتل وتقصف كل معتقداته بينما تمنحه بكل سخاء ما عاش عمره محروماً منه ...

لهذا أمسك معصمها يقرب أصابعها الممسكة بالطعام من شفتيه فيتناوله بتلذذ مستمتعاً بمذاقه...

وبنظراتها العاشقة المرتبكة قبله!!





هذا الارتباك "اللذيذ" الذي أصر أن يزيده وهو يلعق أصابعها بخفة مدغدغاً بحركة لطيفة مع همسه العابث:

_انتِ عارفة إنه من السُنّة إن الواحد يلعق أصابعه بعد الأكل!

_صوابعه مش صوابع اللي معاه !

غمغمت بها بحروف شبه ذائبة وهي تسحب أناملها منه فجأة ...

فضحك ضحكة طويلة جعلتها تغمض عينيها بحنان لتسأله:

_عجبك؟!

_لو كل مرة هاكله كده ...معنديش مانع!





ارتفع حاجباها بدهشة غلبت ارتباكها وهو يعاود الإمساك بمعصمها ليوجهه نحو الطعام ...

فترددت قليلاً قبل أن تعيد الكرّة وهي تتحاشى النظر نحوه ...

لتسأله بارتباك خجول:

_غريبة! داليا كانت بتقول إنك مش بتحب حد يمد إيده في أكلك.

رفع حاجبيه بدهشة للحظة وكأنه تنبه الآن فقط لصحة ما تقول ...

قبل أن يهز رأسه ليغمغم بمواربة:

_أكيد لكل قاعدة استثناء!

_صحيح؟!




همست بها بأمل أشرق في ملامحها واستجلب ابتسامة حنون لشفتيه بينما عيناهما تتعانقان بنظرات ليست

كالنظرات...

كلاهما في هذه اللحظة كان يتشبث بما يتسرب من حديث تفضحه عينا صاحبه دونما حذر...

بينما يقاوم كي لا تخونه عيناه هو!!

قلبها كان يخفق بقوة وهي تشعر بحنانه الذي طالما لمسته من بعيد يخصها هي الآن به...

وقلبه كان يحاول التحرر من سجون شكوكه التي تزويه بعيداً عن شمس عاطفتها ...





وبين هذا وذاك دار حديث العيون الذي قطعه هو أولاً بمحاولة هروبه من هذا الاعتداء العاطفي الغاشم على حصونه بقوله :

_سيلين هتوصل مصر بكرة أو بعده بالكتير!

توقفت أناملها عما تفعله للحظة قبل أن تعاود إطعامه بنفس الطريقة لتسأله وقد عادت العيون لغربتها:

_عايزنا نعمل إيه؟!

_هنسافر!

قالها بحزم وهو يمضغ الطعام بشرود ليردف:

_المفروض إننا عرسان وطبيعي نكون مسافرين نقضي شهر العسل ..ده اللي لازم هي تفهمه ..ولو عايزة تكلمني تستناني لما أرجع.




صمتت طويلاً تراقب شروده بعينيها الخبيرتين به ...

رغم ما توقن به من حنان طباعه الأصيل لكنها تدرك كذلك أن قسوته لن تقل عنه عمقاً...

قسوته التي لا تدري ماذا فعلت سيلين كي تستحقها بهذا الشكل الذي قد يدفعه للتخلي عن ابنه ...

_حبيتها؟!

سألته وهي تعاود الهرب من نظراته بالتشاغل بالطعام ليجيبها بنبرته الخشنة التي عادت إليها قوتها:

_لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين..الحب ده لعب عيال اديته مرة لواحدة ماتستاهلش ومعنديش استعداد أقع فيه تاني...





لم يكد يتفوه بها حتى انتبه لفظاظة ما قاله خاصة مع إطراقة اليأس التي نالها منها ...

لكنه لم يفكر في التراجع!

هو لم يخطئ فيما قاله ...ولا يريد أن يعلقها ب"قشة" غرام لن يمنحه لها !

هو آمن مادام على البر ...فما يلجئه ل"موج" المخاطرة؟!

لهذا أردف بنفس الخشونة:

_جوازنا كان اتفاق هي خانته...ومش ذنبي إنها فاكرة إننا ممكن نرجع تاني.





ظلت صامتة بعدها مطرقة الرأس لا تعقب فشعر بالضيق الذي جعله يسألها:

_تحبي تسافري فين؟!

_مش هتفرق.

قالتها وهي تعاود رفع رأسها بابتسامة مصطنعة نالت من حيويتها المعهودة فتنحنح كعادته ليسألها :

_مفيش مكان معين تحبي تروحيه؟!

هزت رأسها نفياً قبل أن تشحب ملامحها وقد بدت وكأنها تذكرت شيئاً جعلها تقول بارتباك:

_بلاش شرم والغردقة .

انعقد حاجباه وهو يفطن لسبب رفضها لهذين المكانين

بالذات ...





ورغماً عنه تسلل إليه شعور يجربه معها لأول مرة بهذه الصورة ...

شعور "الغيرة"!

ليست الغيرة عن "حب" بل عن رغبة في "التملك" وخوف من الفقد ...

هذا الذي جعله يسألها بنبرة فضحته:

_كان بياخدك هناك ؟!

كان لايزال ممسكاً بمعصمها الذي سحبته منه أخيراً لتتجاهل سؤاله وهي تقوم لتقول بتماسك مصطنع:

_اعذرني مش هاقدر أسهر أكتر من كده..دماغي مصدع ومحتاجة أنام ...تصبح على خير!





ازداد انعقاد حاجبيه وهو يراها تفر من أمامه لتعود لغرفتها ساحبةً من الهواء نكهة خاصة صارت تميزها لديه ...

نكهة يريدها...يحتاجها...يشتاقها ...

لكنه...يقاومها بكل ما أوتي من قوة !

لهذا زفر بقوة وهو ينظر إلى الطعام الذي أعدته والذي فقد مذاقه بمجرد ابتعادها ...

قبل أن يقوم ليدخل ما تبقى في الثلاجة محاولاً التشاغل عن التفكير عنها بأي شيء...

لكنه وجد خطواته تقوده لغرفتها بعد دقائق ...

أصابعه تطرق الباب بخفة مع قوله :

_نمتِ؟!





والإجابة تصله بعدها بقليل عن قريب جداً ليدرك أنها الآن خلف الباب تماماً:

_لسه.

_هتتامي وسط البالونات؟!

يسألها وابتسامته العابثة تعاود التراقص على شفتيه فتجيبه دون أن تفتح:

_آه.

لم يرَ ابتسامتها لكنه شعر بها في نبرتها ليعاود سؤالها ولايزال الباب ـاللعينـ يفصل بينهما:

_هتعيطي تاني؟!

_لأ.

نبرته الخشنة يتخللها بعض الحنان وهو يمر بأصابعه على الباب المغلق وكأنه يسترجع مذاق قربها ليقول أخيراً:





_تصبحي على خير.

_وانت من أهله.

يوماً ما ستخبره أنها في مصادفة قدرية كانت تتلمس الباب في نفس اللحظة بنفس الشغف ...

هو طريق سبقته هي فيه بآلاف الخطوات لكن يبدو... أنه سيلحق بها!

========

طرق باب غرفة أمه برفق ليدخل قائلاً بحنانه المعهود:

_إزيك يا ست الكل ؟! أخبارنا إيه النهارده ؟!

فابتسمت المرأة الصابرة رغم شحوب ملامحها لتقول برضا:

_الحمدلله يا حبيبي ...انت عامل إيه ؟! ناقصك حاجة قبل الفرح؟!





هز رأسه نفياً وهو يتقدم منها ليقبل كفها قائلاً :

_ناقصني رضاكِ .

_راضية عنك يا حبيبي ليوم الدين ...رانيا عاملة إيه؟!

سألته بحنان ليجيبها وهو يجلس جوارها على الفراش غائب الذهن بينما هي مستمرة في أسئلتها التي تسألها كل يوم تقريباً ويجيبها هو بنفس الصبر مدركاً قلقها الخفي عليه ...

أسئلتها التي انتهت كالعادة بسؤالها الأخير:

_متأكد إنك مش مخبي عني حاجة يا حبيبي؟!

فيجيبها كالعادة بما يريحها:

_أبداً يا حبيبتي ...كله تمام وتحت السيطرة !

بقليل من المرح يقولها وهو ينهض من جوارها ليردف بنفس النبرة الخادعة:





_أقوم أنا بقا عشان مقتول من التعب..تصبحي على خير .

دعواتها الحارة تلاحق خطواته بينما يغادر الغرفة ليغلقها بابها خلفه قبل أن يتوقف لدقائق يستمع لأنّاتها المتوجعة التي يعلم أنها تخفيها عندما يكونون جوارها ...

زفر بضيق وهو يرفع رأسه لأعلى قبل أن يتوجه للغرفة الثانية التي كانت تحتلها شقيقته وابنتها ...

كان الباب مفتوحاً ليتبين على الإضاءة الخافتة مشهدهما وهما نائمتان متعانقتان ...

فارتسمت على شفتيه ابتسامة مرتجفة وهو يدعو الله أن يعينه على هذا الحمل ...




وأخيراً حملته قدماه لغرفته حيث استلقى على فراشه دون أن يجد القدرة حتى على تبديل ملابسه ...

قلبه يخفق بقلق ما عاد يفارقه والأفكار تتصارع في رأسه بجنون ...

لقد حكى لمساعده في المكتب عن كل ما يؤرقه ونصحه الرجل بالتريث في الأمر لأنه ليس هيناً ...

كما أنه استحسن موقفه بعدم إبلاغ الشرطة ليس فقط

لأنه لا يملك دليلاً واضحاً لكن لأن هذا سيؤثر على سمعة مصنعه الخاص بلعب الأطفال ...

من هذا الذي سيأمن أن يتعامل معه لو اكتشف أن في

الأمر شبهة تهريب مواد مخدرة؟!





هو الآن يعتمد أنـها المرة الأولى لـهم كما أخبرتـه سيدة ...

ربما لو أحبط محاولتهم وحده سراً بمعرفة الرأس المدبر ،يستطيع تدارك الأمر دون فضيحة تمس سمعة شركته !

هو يشك في المهندس الجديد المسئول عن الطلبيات ومساعده وعده بالتحري عن الأمر بأسرع وقت لهذا ترك له هذه المهمة فهو لا يملك الخبرة ولا الصلات العامة التي تمكنه من هذا .

انقطعت أفكاره برنين هاتفه فانعقد حاجباه بشدة وهو يرى اسم سيدة ...

وما إن فتح الاتصال حتى سمع صوتها يستغيث بحذر:





_الحقني يا أشرف بيه!

انتفض مكانه وهو يسألها بهلع عما يحدث لكنها غمغمت ببضع كلمات لم يتبينها قبل أن يسمع صوت ارتطام مكتوم تبعه انغلاق الخط!

اتسعت عيناه برعب وهو يغادر غرفته ليخرج نحو سيارته بسرعة غير آبه بشيء إلا هذه المسكينة التي وعدها بحمايتها هي وطفلها الذي غرر بها والده بعقد زواج عرفي .

والده الذي كان يعمل لديه في المصنع قبل أن يختفي تماماً بعدما علمت هي منه عن حقيقة ما تورط به.

لهذا لم تجد لها ملجأ سواه كي يساعدها في إيقاف هذا المخطط وإيجاد أبا طفلها كي يعترف ببنوته ...




صحيحٌ أنها ترددت في البداية خوفاً من أن ينالها ورجلها الأذى ...

لكنها لم تجد بديلاً آخر!

ترى ماذا حدث لها ؟!

هل آذوها؟!

انطلق بالسيارة كالمجنون يعبر الطرقات غير مكترث بتغيير هيئته ككل مرة ليتوجه نحو بيتها ...

ركن السيارة قريباً ثم ترجل ليهرول نحو باب بيتها الذي لم يكن يحتاج لجهد كبير كي يميزه...

فأمامه اصطف جمع غفير من أهل الحي الذين تعالت أصواتهم ليميز الخبر وسط هذه الجلبة...

_سيدة اتقتلت!

=======





كاد ينتهي مما يفعله بحديقة البيت عندما شعر بخطواتها خلفه تهتف بلهجتها الحيوية:

_صباح الخير ...صحيت بدري ليه النها...!

قطعت عبارتها بصيحة استحسان عالية وهي تقترب منه لا تكاد تصدق عينيها من هذا الجمال أمامها ...

فهناك على الأرض تراصت بضعة إطارات سيارات كان قد أعاد طلاءها بألوان الطيف ثم جعلها تربة مناسبة ليغرس فيها نبتات بزهور ملونة جعلت مظهرها ساحراً...

ليس هذا فحسب ...

بل إنه صنع من أحدهم أرجوحة ثبتها بسلسلة معدنية في غصن شجرة ضخمة بعد طلائه هو الآخر بتلك الألوان الصاخبة !





_عجبوكِ؟!

لم يكن هناك جدوى من سؤاله فلأول مرة في حياته يفهم معنى أن تدمع عينا المرء فرحاً!

أجل...وجهها كله في هذه اللحظة كان صورة مجسدة للسعادة ...

حتى قبل أن تجد القدرة على النطق لتهتف أخيراً بانفعال:

_أنا مش مصدقة عينيّ...معقول الجمال ده ؟!

قالتها وهي تندفع نحوه لتمطره بنظراتها العاشقة مع استطرادها:

_عملتها عشاني؟!

ازدرد ريقه بتوتر وهو يحيد بعينيه عنها لا يجد جواباً...





سعادتها المشرقة في عينيها هذه تربكه !

بقدر ما تمنحه الرضا عن نفسه وهو يحاول

إبهاجها بأي طريقة خاصة بعد ليلة الأمس ...

بقدر ما تثير سخطه وهو يرى نفسه يتورط بها

أكثر ...

هو ما عاد يفهم نفسه ...ولا ماذا يريد ...

لكن الشيء الوحيد الذي يثق به أنه يريدها دوماً

بهذه الفرحة التي تكاد تصرخ في ملامحها بعيداً

عن صورتها المنهارة بالأمس ...

لهذا تنحنح بخشونة ليرد عليها بقوله الجاف

كعادته:

_محدش غيرنا ساكن هنا ...وأكيد مش هاعمل

الألوان دي لنفسي .





ورغم فظاظة الرد لكن من مثلها يفهم ما يخفيه خلف كلمات كهذه ؟!

لهذا ابتسمت بامتنان وهي تقترب منه أكثر هامسة:

_طول عمري أقول إن الهدية نفسها مش مهمة...المهم اللي قدامك يتعب عشان يوصل للي ممكن يسعدك ...أنا مبسوطة قوي عشان فهمت ذوقي وإن حاجة زي دي ممكن تفرحني .

لا يزال هجومها العاطفي هذا يدك حصون عناده لكنه هو الآخر لا يزال يتشبث بها ليقول ملوحاً بذراعه وهو يشير

للإطارات كي يتصنع عدم الاكتراث:

_كانوا مركونين من غير لازمة قلت أستفيد منهم .





فتحولت ابتسامتها لضحكة صافية وهي تقول له بمرح:

_برضه عملتهم عشاني ...وبرضه هافرح بيهم ...وهاشكرك .

كتم ابتسامته وهو يشيح بوجهه عندما تقدمت هي من الأرجوحة تحاول الصعود إليها لتلتفت نحوه هاتفة بنفس المرح:

_بس ما عملتش حساب "النخلة" ...فاتت عليك دي!

قالتها مشيرة لقصر قامتها الذي طالما يعيّرها به مطلقاً عليها ذاك اللقب الساخر ..."النخلة"!




لكنه فاجأها عندما رفعها فجأة من خصرها ليجعلها تستقر مكانها على الأرجوحة تحت صرخاتها القصيرة المرحة قبل أن يقول بمكر :

_ومين قالك إنها مش مقصودة ؟! عشان ماتطلعيش من غير إذني!

ضحكت ضحكة عالية وهي تؤرجح ساقيها في الهواء بينما تمسك السلسلة المعدنية بذراعيها لتسأله بمرح ماكر:

_جبته لنفسك ...أنا زي العيال بشبط بسرعة....هتلاقيني كل شوية بقوللك تعال ركبني هنا !

فضحك بدوره وهو يؤرجحها قائلاً:

_حافظي بس على وزن الريشة ده...كيلو واحد زيادة والغصن هياخدك ويقع!





_بطّل سخافة يا دوك...طريقتك الناشفة دي مش هتضيع حلاوة اللي عملته النهارده !

ردت بمرح بين أنفاسها اللاهثة من فرط شعورها بالسعادة ثم كفت عن تحريك ساقيها مكتفية بدفعه هو لها ...

قبل أن تسند جبينها على ظاهر كفها الممسك بالأرجوحة لتقول وقد أغمضت عينيها باستمتاع:

_عارف امتى كانت آخر مرة فرحت فيها كده ؟! من زمااان ...قوي!

رفع حاجبيه بحنان ومشهد خصلات شعرها الذهبية المتطايرة في الهواء يكاد يذهب بعقله ...

كيف ظن يوماً أنه يكره لونه هذا ؟!





كيف يظلمها ويساوي بين شقرة شعرها وأي امرأة أخرى؟!

هل يعقل أن يتغير ذوقه هكذا في بضعة أيام ؟!

أم أن التغيير نابعٌ من نفسه هو؟!

_اوعدني تفضل دايماً كده .

انتشلته بها من أفكاره فالتفت نحوها بنظرة متسائلة لتردف:

_اوعدني تفضل روحك حلوة كده ...بالنقاء ده ...والحنان اللي بتغرق بيه كل اللي يخصوك مهما حاولت تداريه بصورة خشنة مش شبهك .





اتسعت عيناه بتأثر ليس فقط من سحر كلماتها التي وصفت -على قلتها -صراعاً يعيشه مع نفسه كل يوم ...

لكن لأنها بدت له ك"وصية وداع"!

إنها تصر دوماً ولو في أشد لحظاتهما صفاء أن تذكره بأنها راحلة ...

ولا يدري هل تفعلها استجداء لوعد منه بألا يسمح لها ...

أم هي تفهمه إلى هذا الحد الذي تدرك معه أنه لا يريد التورط بها أكثر؟!

لهذا أطرق برأسه صامتاً وهو مستمرٌ في أرجحتها بسرعة معقولة حتى سمع صوتها المرح يهتف به:

_كفاية عليّ كده النهارده عشان ما أطمعش...ياللا نفطر !




ابتسم ابتسامة واهنة وهو يوقف الأرجوحة لينزلها ...

كفاه يتشبثان بخصرها فتسند راحتيها على كتفه براحة فقدت نفورها القديم ...

عيناه تشكوان لعينيها هذا الشتات الذي يحياه بداخله فتجيبه عيناها ألا تخف...أنا معك!

هو الذي طالما ظن حب المرأة خديعة وحنانها سراباً ووفاءها معجزة ...

الآن يجد معها كل هذا مع وعد مطلق بعدم النفاد !

_ممكن أطلب منك حاجة بجملة الدلع النهارده ؟!





قالتها بنفس النبرة المرحة وهي تقطع لقاء عينيهما هذا بينما تبتعد بجسدها لتردف :

_ممكن نفطر هنا في الجنينة ؟!

عقد حاجبيه بضيق توقعته ليجيبها:

_مابحبش أغير عاداتي...بحب كل حاجة تمشي بنظامي .

فتنهدت باستسلام لتتحرك مبتعدة مع قولها:

_ماشي!

لكنه لحق بها بعد بضع خطوات وقد ساءه أن يرفض طلباً بسيطاً كهذا ليغمغم بفتور:

_لو النهارده بس ممكن.

تهللت أساريرها بفرحة طاغية لتتعلق بعنقه هاتفة بمرح :





_بجد؟! شكراً يا طيب!

قالتها واستدارت لتعود للداخل كي تعد للأمر لكنه جذبها من مرفقها ليقول باستنكار مشاكس:

_شكراً يا طيب؟!! بس كده ؟! ..ده أنا بعت مبادئي عشانك !

فضحكت بخجل وهي تتجاهل مغزى عبارته لتهتف بحماستها المتألقة:

_دلوقت تشكرني لما تشوف الجو اللي هاعمله .

قالتها ثم تملصت من ذراعه لتعدو بخفة نحو باب البيت بينما وقف هو يراقبها بابتسامة شاردة ...

هي لم تعد تنفر كما السابق من لمساته لها ...

لكنه يشعر كذلك أنها لا ترحب بها !





وكأنما هناك حاجز تحاول تخطيه بحبها القوي له فتنجح مرة...وتفشل مرات!

هو يكاد يكون واثقاً أن لزوجها السابق دوراً في الأمر خاصة مع أمر الجراحة التجميلية الذي يعرفه وتلك الندبة التي رآها بالأمس ...

تراه كان يضربها؟!

اقشعر جسده للفكرة وطبيعته "الحمائية" تسيطر عليه فلا يكاد يتصور كيف يؤذي رجل امرأة رقيقة كهذه ...

لكن وسواس ظنونه لايزال له بالمرصاد ...

حقاً..لن يفعل بها رجل عاقل هذا دونما سبب...

فما هو؟!





ولماذا ترفض هي الحديث عن الأمر بهذا التكتم الشديد ؟!

زفر بضيق عند الخاطر الأخير وهو يلعن طبيعته هذه التي تمنعه العيش بسلام ...

لكن ...هل يبغض هذا في نفسه حقاً ...أم يعتبره خط دفاعه الأخير كي لا يُخدع من جديد ...

انقطعت أفكاره عندما رآها من بعيد تعود بمفرش جلدي كبير ذي مربعات صغيرة ملونة ساعدها في بسطه على الحشائش ...

قبل أن يعاونها في نقل أطباق الطعام من المطبخ إلى هنا وحوارهما يتذبذب بين مرح ومشاكسة ...





ولم يكادا ينتهيان من الطعام حتى تنهدت بارتياح ليفاجأ بها تستلقى على ظهرها تماماً فاردة ذراعيها جوارها وهي تتطلع للسماء بنظرة ملؤها السعادة ...

فلم يشعر بابتسامته التي كست شفتيه وهو يتحرك ليستلقي جوارها تماماً متطلعاً مثلها للسماء التي امتلأت بسحبها البيضاء في هذا الوقت من الصباح ...

ظلا صامتين قليلاً قبل أن تقول هي دون أن تنظر إليه :

_عارف؟! فيه مشهد مشهور قوي في الأفلام الأجنبي لما بيبصوا للسما وكل واحد يتخيل هو شايف إيه في السحاب .

فمط شفتيه بضيق وهو يقول بشرود:





_مابحبش أي حاجة أجنبي ...بس معنديش مشكلة ألعب معاكِ اللعبة دي .

اتسعت ابتسامتها وهي تشير بإصبعها نحو السماء لتقول بمرح:

_شايف دي؟! شبه ملاك له جناحين وبيعزف على آلة موسيقية...

_أنا شايفها طفل حاطط ايده على خده وبيعيط .

لكن حديثه لم يحبطها بل قالت وهي تشير لغيمة بيضاء أخرى:

_ودي شبه عروسة البحر .

_تمساح.

ضحكت بانطلاق من المقارنة لتشير لأخرى هاتفة:

_سلم طالع لفوق!





_أنا شايفه نازل لتحت !

فالتفتت نحوه بنظرة عاتبة لم تخلُ من تفهم ليقوم هو من رقاده فيشرف عليها من علوّ مردفاً بينما يتأمل ملامحها العذبة:

_وده الفرق بيني وبينك ...أنا ماشي بنظارة سودا بنقل سوادها لكل حاجة عيني تشوفها لكن انتِ...

ثم امتدت أنامله تزيح خصلات شعرها الثائرة من على

ملامحها ليتحسس ملامحِ وجهها بنعومة مردفاً بنبرة تعجبها في نفسه قبلها:

_انتِ جميلة قوي ...لدرجة إنك بتخللي كل حاجة حواليكِ جميلة زيك ...حتى أنا !





اتسعت عيناها بدهشة وكأنها لا تصدق أنه يقول لها هي هذا ...

قبل أن تنفرج شفتاها ولا تجد عليه رداً إلا همسها باسمه!

المسافة بين وجهيهما تقصر فيتقاتل "الحب"و"الخوف"على عسل عينيها اللتين أغمضتهما أخيراً وكأنما ملت هذا الصراع فتركت حسمه له ...

هو الذي تمنى استجابتها في هذه اللحظة كما لم يفعل من قبل ...

أن يشعر بحبها شيء وأن تنصهر به في لقاء كهذا شيء آخر ...





شفتاه تتراقصان على شفتيها رقصة حذرة لم تلبث أن تحولت لأخرى شغوف يتعالى إيقاعها متزامناً مع خفقات قلبه ...

رقصة انتهت فجأة كما بدأت فجأة...

أنهتها دمعتها!

مذاقها المالح الذي امتزج على شفتيه بمذاق ألم لم يدرك سببه وإن أدرك حجمه ...

لهذا تمالك نفسه بصعوبة ليبتعد بوجهه عنها ماسحاً دمعتها مع همسه :

_أنا آسف!





عمّ يعتذر؟!

عن نقضه اتفاقه معها الذي يزداد ثقله على قلبه يوماً بعد يوم ؟!

عن أنانيته في رغبته أن ينهل من بئر عطائها السخي هذا لآخر قطرة دون أن يكترث بجفافه بعده ؟!

عن وساوس ظنونه التي لاتزال تلبسها أبشع الأقنعة ؟!

أم عما هو أبعد من هذا ...

عن غفلته عنها طوال هذه السنوات بينما هي غارقة في فيض عاطفة يائسة أسلمتها لزواج بائس مزق روحها كما يبدو ؟!

الاعتذار يبدو هاهنا صفراً كبيراً على اليسار ...





وليس أقسى على قلب رجل مثله اعتاد العطاء أن يجد كفه -معها هي بالذات- خاوية !!

لكنها فتحت عينيها أخيراً لتقرأ كل ما عجز عن قوله في صفحة عينين لا تكذبان على خبيرة به مثلها ...

لهذا نهضت حيويتها -كالعنقاء- من رماد ألمها لتشيح بوجهها للحظات هي فقط ما احتاجته لتستعيد طبيعتها المقاتلة ...

قبل أن تعود إليه ببصرها لتغير الموضوع بقولها:

_انت عارف إن القعدة على الأرض بتخرج الطاقة السلبية من الجسم عشان كده بحبها قوي.

ابتسم بإعجاب وهو يعتدل بجلسته ليسمح لها هي





الأخرى بهذا لتردف بنفس النبرة المتماسكة وكأن الدموع لم تملأ عينيها منذ دقائق:

_تحب نعمل جلسة يوجا سوا؟!

اتسعت ابتسامته وطبيعته الساخرة تعاود احتلال نبراته:

_هنبدأ شغل الدجل والشعوذة والكلام الفاضي بقا!

لكنها هزت رأسها بتحدٍّ لتشير بسبابتها في وجهه هاتفة:

_جرب المرة دي بس ...أتحداك هاتفرق!

تنهد باستسلام عندما رآها تستخرج هاتفها من جيبها

لتتلاعب به أناملها للحظات قبل أن تنبعث منه موسيقا هادئة يتخللها صوت هدير أمواج وزقزقة عصافير ...





وضعته على الأرض جوارها ثم قالت له :

_اقعد زيي كده وغمض عنيك !

جلس القرفصاء يقلدها بينما يفرد ذراعيه بوضع اليوجا الشهير وقد قرر مجاراتها في اللعبة مهادنة ...

قبل أن يصله صوتها:

_خذ نفس عميق ..طلعه ببطء!

كاد يبتسم ساخراً لكنه أكمل المهادنة لتردف هي بنفس النبرة الحالمة:

_فكر في أكتر مكان بتحبه..في أكتر حاجة بتحبها ...

هنا عقد حاجبيه بشدة وكأن الأمر كان مفاجئاً له !!





أكثر مكان يحبه؟!

أكثر شيء يحبه ؟!

العجيب أن السؤالين رغم بساطتهما أوجدا تجويفاً عميقاً بصدره ...

هو لا يملك أي مكان تجمعه به ذكريات جيدة ...

ماضيه الممزق بين أمومة مفقودة وأبوة صارمة يلطخ كل الأماكن بكآبة لا يريد تذكرها ...

وبعدها لم تكن رحلة حياته سوى مجموعة من العثرات ...

لكن ...مهلاً!

هناكَ مكانٌ يحمل له ذكرى طيبة رغم قصر عهده بها ...

قريته!





بالتحديد ...بيت عمه الذي صدق يوم قال له بعد وفاة أبيه أنه لن يغلق في وجهه أبداً ...

لماذا هو بالذات؟!

ربما لأنه يرمز بالنسبة إليه ل"العودة للجذور"!

للحياة الطبيعية التي كانت ستنتظره لو لم تتخلّ عنه أمه ويضطر أبيه للهرب به إلى المدينة مصوراً له أمومتها كعار ...

لو لم تنبذه نبيلة...لما عانى صرامة أبيه التي ولدها خوفه عليه ...لما تمرد على كل ثوابته بعد موته ليصير لعبة في يد حقيرة كبسنت...وربما لما ترك بلده لآخر كي يذوق عذاب الخيانة من جديد ...

لهذا يصور له خياله دوماً قريته "الفردوس المفقود" الذي لفظه ليكتوي بعده بنيران الجحيم !





_انت بتبتسم...سرحان بقى لك خمس دقايق بحالهم ...احنا كده ماشيين صح!

همسها الرفيق جواره يجعله يفتح عينيه لتمتزج صورتها مع الصوت المسجل لزقزقة العصافير وموج البحر .

ما هذا السحر الذي تملك روحه ذرة ذرة؟!

هو يشعر أنه قد انفصل عن واقعه هذه الخمس دقائق التي تحكي عنها ...

فلم يعد يرى يامن الطبيب بلحيته المهذبة وطبيعته الساخرة السوداء ...

بل يرى نفسه طفلاً يعدو حافي القدمين بين الحقول ...

الشمس تلوح بشرته فلا يبالي سوى بالعدو خلف رفاقه حتى ينهاروا جميعاً جالسين على كومة قش





قبل أن تمتد أناملهم ل"كيزان الذرة" الساخنة جوار فرن طيني جلست أمامه امرأة تبتسم بحنان وحجابها الأسود يناقض بياض قلبها وضحكتها ...

_يامن ...انت كويس؟!

همست بها بقلق وهي تشاهد ملامحه التي ارتخت ارتخاء عجيباً مع شروده الواضح فالتفت نحوها ليهمس بارتياح :

_جداً...

ثم ضحك ليداعب لحيته بحركة تدرك أنه يداري بها خجله ليردف:

_اليوجا دي شكلها بجد واللا إيه؟!

_سرحت في إيه؟!





قالتها بلهفة وهي تغير وضعها لتجلس على ركبتيها أمامه فتراقص حاجباه بلمحة مشاكسة جعلتها تهتف برجاء طفولي:

_عشان خاطري يا يامن ...قوللي!

_عايزة تعرفي ليه؟!

_مبحبش يبقى فيه حاجة عنك مش عارفاها !

بمنتهى العفوية نطقتها وكأنها تملك الحق فيما تريده!

ربما في ظروف غير هذه لكان نصيبها عبارة ساخرة وحركة مراوغة ...

لكنه الآن يجد نفسه يحيط وجنتيها بكفيه ليخبرها بما كان يثير شروده ...

كانت عيناها تتسعان مع كل تفصيلة يحكيها عن قريته وشعوره بها ...





تلك الزيارات الخاطفة التي كان يصطحبها فيها أبوه لقريتهم والتي كانت تترك أثرها في نفسه ...

والآن تترك أثرها في نفسها كذلك ...

لماذا؟!

هي أجابت السؤال عندما ردت عليه أخيراً بقولها:

_دي أول حاجة عنك أعرفها منك انت....انت اللي تقولهالي .

فابتسم وأنامله تربت على وجنتيها لتبتسم هي الأخرى بينما تردف بنبرة ذات مغزى:

_كنت بتسألني امبارح عايزة نسافر فين!

=========





القطعة التاسعة

****

_برضه بتذاكري؟!

سألها رامز بمرح لم يخفِ ضيقه وهو يدخل عليها غرفة المعيشة ليجدها ناثرة أوراقها حولها وقد ارتدت نظارتها وعقصت شعرها خلف رأسها لترد دون أن ترفع نظرها إليه:

_خمس دقايق بس يا رامز وأكون معاك.

هز رأسه وهو يجلس على الأريكة متابعاً ملامحها الجميلة التي انهمكت فيما تفعله ...

قبل أن يقول بنفس النبرة:

_مين كان يقول إن هييجي يوم أغير عليكِ فيه من شوية ورق؟!





رفعت إليه رأسها مبتسمة وقد مستها عبارته لتقول بشبه اعتذار:

_شوية الورق دول هم طريقي عشان أكمل رسم صورة نفسي اللي أنا عايزاها ...ترضى تحب واحدة ناقصة ؟!

_غلَبتيني!

قالها ضاحكاً ثم نظر إليها نظرة عميقة مردفاً:

_بس انتِ مش ناقصة أبداً...بالعكس فيكِ حاجة بتخلليني دايماً مشدود ليكي...أنا عرفت بنات كتير قبل الجواز ...ومع ذلك عمري ما حسيت مع أي واحدة باللي حسيته معاكِ.

تغيرت ملامح وجهها فجأة مع هتافها المصدوم:

_بنات كتير؟! انت عمرك ما قلت لي حاجة زي كده .





_انتِ ما سألتيش!

قالها وهو يهز كتفيه ببساطة مردفاً:

_وأنا كمان ما سألتكيش.

_بس أنا عمري ما حبيت حد قبلك.

ابتسم لاعترافها الحار الذي خرج من شفتيها رغماً عنها ثم اقترب منها بجلسته لينظر لعينيها قائلاً:

_ودي أجمل حاجة فيكِ!

لكنها أشاحت بوجهها بضيق فضحته ملامحها مع عبارتها:

_ما كانتش دي أبداً صورتك في عيني...أنا ما اتجوزتكش عشان شكلك أو مركزك...أنا اتجوزتك عشان أخلاقك...حسيتك صورة من بابا الله يرحمه .

فاقترب منها أكثر لينزع عنها نظارتها ثم رفع ذقنها إليه ليهمس لها بصدق:





_ده كان ماضي وراح لحاله ...والدليل إني بحكيلك عليه دلوقت ببساطة ...قلبي خلاص دخلتيه انت وقفلت الباب وراكِ.

ورغم شعورها بصدق حديثه لكن ذاك الخوف الذي احتل قلبها جعلها تقول بنبرة جافة:

_إخلاصك ده ليك مش لي...لأني لو حسيت للحظة إنك بتخونني ولو بمجرد مشاعر أنا هاخرج من حياتك من غير تردد .

_مممم...من غير ما تسأليني عن السبب؟!

_الخيانة مالهاش مبرر ...طلقة غدرماينفعش ترجع مسدسها تاني ...عرفت ليه أنا ما بنجرفش ورا مشاعري ؟!..عشان في لحظة زي دي قلبي ما يتكسرش.





قالتها بانفعال هادر جعله يهز رأسه بضيق والحوار ينسحب منه لوجهة أخرى غير التي قصدها ...

لقد تعمد ذكر هذا الأمر أمامها كي يختبر غيرتها وحبها فإذا بها تصدمه بهذه العدوانية الصارخة !

لهذا ابتعد عنها ليعاود مناولتها نظارتها دون كلمات قبل أن يتحرك ليشغل الشاشة أمامه ثم تناول أحد ذراعي اللعب ب"البلاي ستيشن"ليضع سماعات خاصة في أذنيه تحجب عنها وعنه الصوت!

رمقته بنظرة طويلة حانقة ثم عادت لأوراقها تحاول التركيز فيما تفعله لكن ...هيهات!

حديثه هذا بدا وكأنه قد هدم صرحاً بداخلها كانت قد أقامته له !





لقد كانت تثق به ثقة عمياء فكيف الآن تفعل مع ماضيه الذي اعترف به ؟!

المرء لا يتخلص من خصاله بسهولة ...فهل انتهى حقاً عهده مع العبث بالنساء؟!

تأففت بضجر وهي تخلع عنها نظارتها لتختلس نظرات ساخطة نحوه لكنه تجاهلها تماماً وهو ينهمك بكليته في اللعب والاهتزاز بجسده يميناً ويساراً في استجابة لقواعد اللعبة أمامه...

كادت تغادر المكان وتعود لغرفتها متجاهلة إياه هي الأخرى لكن شعوراً ما بداخلها منعها ...

أجل..."خوف الفقد" الذي عاشت سجينة رهابه عمرها كله !





هذا الخوف الذي كان يجعلها تبتعد دوماً عن سلطان المشاعر مكتفية بدورانها الحر حول أسوارها ...

وهو نفسه الآن الذي يجعلها تود الاقتراب منه كي تحمي ما صار حقاً لها !

لهذا نزعت عنها نظارتها بعنف ثم قامت لتتوجه نحوه حيث نزعت السماعات عن أذنيه لتسأله بلهجة جافة :

_كانوا كام واحدة؟!

كتم ابتسامته بصعوبة وهو يتظاهر بالانهماك في اللعب قائلاً بلامبالاة :

_مش فاكر ....كله كان "ترويش" يعني!

_أيوة كنت ب"تروش" لغاية فين؟!





هتفت بها بحدة أسعدته كثيراً وهو يراها تنزع عنها قناعها الجليدي لكنه استمر في تظاهره باللامبالاة مما جعلها تهتف بحدة أكبر:

_رد عليّ يا رامز وسيب اللي في إيدك.

ولم تكد تهتف بها حتى شعرت به يجذبها فجأة ليجلسها بين ساقيه ملتقطاً نظراتها الغاضبة بأخرى عابثة ناسبت همسه جوار أذنها:

_العبي معايا دور "بلاي ستيشن"...واهي فرصة تستدرجيني وأقوللك كل حاجة من غير ما أحس.

دق قلبها بانفعال وبروده العابث هذا يثيرها أكثر بمشاعر صاخبة تتأرجح بين غضب وحب وترقب ورهبة...





هذا المزيج الذي فهمه هو كاملاً فابتسم بمكر وهو يشدد ضغط ذراعيه حولها مردفاً:

_هه؟! نلعب؟!

أطرقت برأسها محاولة السيطرة على انفعالاتها كي لا تبدو ضعيفة أمامه فاتسعت ابتسامته وهو يناولها الذراع البلاستيكي الآخر للعبة ...

تنهدت بحرارة وهي تستجيب لمطلبه...

لم تكن المرة الأولى التي يلعبان فيها بهذا الوضع وكثيراً ما كانت تغلبه فيها ..لكنها الآن تشعر أنها مشتتة خاصة عندما مد أنامله ليفك عقدة شعرها ثم أسدله على ظهرها أمامه قائلاً بعبثه الماكر:

_كحكة الدكتورة مش مخلياني أشوف كويس.

رمقته بنظرة جانبية مختلسة وهي تحاول التركيز في اللعب قائلة:





_ما قلتليش كانوا كام واحدة...وإيه حكايتهم؟

صمته الطويل كان جوابه فالتفتت نحوه لتقول بتحفز:

_ما بتردش ليه؟!

_هتصدقيني لو قلتلك مش فاكر؟!

همس بها وهو يقترب بعينيه من عينيها ليردف بنبرة دافئة:

_هتصدقيني لو قلتلك إن دورهم بس كان إني أعرف قيمتك لما أقابلك وأتأكد إنك انتِ بس حبيبتي؟!

كان يزداد اقتراباً بوجهه مع كل كلمة ينطقها حتى تلاصقت شفتاه ببشرتها مع كلمته الأخيرة ليتبعها بقبلاته التي نثرها على وجهها بحرارة ألهبتها




لكنها تمسكت بعنادها محاولة الابتعاد بوجهها عنه هامسة بصوت متحشرج:

_رامز ...بطل طريقتك دي ...أنا عايزة...

_انتِ عايزة إثبات إني ماحبتش ولا هاحب غيرك...وأنا هاثبتلك!

_رامز!

انقطعت همسة اعتراضها منصهرة في لهيب عاطفته الذي وجدت نفسها تستجيب له هذه المرة بأقوى ما وجدته في نفسها يوماً ...

وكأنها تتشبث حقاً بملكيتها له ...وكأنها تغالب خوفها من فقده ...

بينما كان هو منتشياً بإحساسه بأثر "غيرتها" عليها...!





ذاك الذي بدا واضحاً في استجابتها بمزيج من الاشتعال والذوبان !

لقد بدأت خطته معها تؤتي ثمارها وها هو ذا يجنيها بحرارة مشاعر لم يختبرها معها من قبل ...

وها هو ذا ظنه يتأكد عندما صدح رنين هاتفها بنغمة خاصة جعلتها لغادة ...

ربما في ظروف أخرى كانت لتنتفض تاركة إياه كي تهرع إليها كما فعلتها مراراً من قبل ...

لكنها الآن تتشبث به منغمسة معه في عاطفة يدرك كم تحاول الهروب منها لكنه لن يسمح لها ...

ليس وقد ذاق لذة احتراقها كالسكر تحت لهيب عشقه !

============





وقفت تطالع وجهها في المرآة بضيق وتلك الحبوب الصغيرة التي ملأت وجهها تثير حنقها أكثر ...والتي تعلم أنها نتاج حالتها النفسية السيئة.

تناولت قلم الكحل خاصتها لتبدأ في وضع زينتها لكنها ألقته بضجر مع هتافها الساخط:

_مش لازم النهارده ...هتفرق في إيه ؟!

زفرة حارة تبعت عبارتها وهي تتجه نحو خزانة ملابسها لتستخرج قميصاً أسود يلائم مزاجها لكن عينيها اصطدمتا بتلك الحقيبة هناك في زاوية الخزانة ...

دمعت عيناها وهي تستخرجها لتفتح سحابها قبل أن تستخرج ما بها ...





ثوبٌ طفوليّ بطراز قديم أبيض اللون بزهور صغيرة قرمزية مع قبعة بنفس اللون وحذاء صغير بداخله جورب أبيض ...

آخر ثوب اشتراه له والداها للعيد لكنها لم ترتده أبداً!

ظلت تحتفظ به بعد وفاتهما في تلك الحقيبة مع آلة "هارمونيكا" موسيقية اعتادت العزف عليها مع والدها ...

تعرفون هذه الدموع التي تمتزج بابتسامة حنين ؟!

هذه ما كانت تملأ عينيها الآن وهي تتحسس الأشياء بأنامل مرتجفة ...

هي لا تدري ما الذي يدفعها لاستجلاب ذكرياتها البائسة الآن ...





ربما هي حالة الاكتئاب التي تسيطر عليها مؤخراً

وهي تشعر بوحدة تكاد تخنقها ...

رانيا منشغلة بترتيبات عرسها ...ويامن هو الآخر

بعروسه...هانيا دخلت دوامة المذاكرة من جديد ...

ونبيلة لاتزال غائبة حاضرة لا تفكر سوى في

نفسها فحسب...

هيثم غاضبٌ منها منذ آخر لقاء لهما في المطعم

وقد انقطع عن الرد على مكالماتها ...

حتى عاشقها الغامض اكتفى برسالة واحدة مبهمة

بالأمس:

(لا تبحثي عن الشمس بين الجحور)!





هذه الوحدة تكاد تصيبها بالجنون ...تجعلها تشعر أنـها بلا قيمة...

آآه...كم تريد التكلم...بل الصراخ بملء فيها ...

أنا هنا !! ألا ترونني؟!

لكن قناع تمردها وعنادها يخفي كل هذا خلف أفعالها الطائشة والتي كان آخرها زيارة لذاك الملهى الليلي بالأمس !!!!

حتى الآن لا تصدق أنها تجرأت على فعلها ...لكن شعورها بتدفق "الأدرينالين" في عروقها مع المغامرة أكسبها نشوة لحظية أنستها الخوف ...

رقصت كثيراً حتى كادت تسقط...بل إنـها كادت تتذوق بعض النبيذ ...لكنها تراجعت في آخر لحظة إذ خشيت أن يتأثر وعيها وهي هناك وحدها ...





تعرض لها بعضهم أكثر من مرة وقد ظنوا بها سوءاً لكنها لم تكن بعاجزة عن التصدي لهم حتى عادت للبيت زاعمة أنها كانت تتلقى دروساً هامة مع صديقاتها في بيت إحداهن!

مخاطرة لم تكن لتجرؤ عليها لولا غياب يامن !

الغريب أنها الآن لا ترغب في تكرار الأمر ...ذهبت نشوة المغامرة وعاد الملل يحتل روحها ...

الملل الذي تحاول قتله كل يوم دون جدوى!

وعند خاطرها الأخير زفرت بحنق ثم أعادت تذكاراتها مكانها قبل أن ترتدي ثيابها بإهمال ليس من عادتها ...

ولم يمضِ الكثير من الوقت حتى كانت في ساحة الكلية تجلس على إحدى درجات السلم تعبث بهاتفها في ضجر ...





حاولت بعض رفيقاتها محادثتها لكنها كانت في غنى عن نفاقهن الذي تدرك ما خلفه من غيرة ...

_هاي!

الصوت الأنثوي أمامها جعلها ترفع عينيها إليها ..فتاة عشرينية من زميلاتها هنا تذكر وجهها لكنها لا تعرفها شخصياً ..مدت إليها كفها مصافحة لتقول بنبرة ودود:

_كويس إني لقيتك لوحدك ..بقى لي فترة عايزة أكلمك ومترددة.

رمقتها داليا بنظرة متشككة فابتسمت الفتاة ببشاشة مردفة :

_أنا ريماس...خالي معتز الشريف لو تسمعي عنه .





عقدت داليا حاجبيها وهي تتبين اسم المخرج الذي تحكي عنه والذي تصدر فيلمه السابق قائمة السينما الموسم السابق كما كانت تقول بيللا ...

لهذا قالت للفتاة بتعجب منتظرة ما ستدلي به:

_أهلا بيكي.

فاتسعت ابتسامة الفتاة الودود مع قولها وهي تجلس جوارها :

_خالو محتاج وجه جديد خالص للفيلم الجاي ...ولما عرفت إنك قريبة النجمة العظيمة بيللا قلت بس ...العيلة دي جيناتها فنية ...إيه رأيك؟!

اتسعت عينا داليا بصدمة فلم تتوقع يوماً عرضاً كهذا!





سينما؟! تمثيل؟! شهرة؟!

هل ستكون نجمة حقاً مثل بيللا؟!

وقتها لن تشكو الوحدة أبداً ...سيكون حولها العشرات بل المئات ممن يودون صحبتها ...

ستكون "قِبلة العيون والقلوب" كما كانت تحلم دوماً...

يالله !!

هل تأتي الفرصة بسهولة هكذا؟!

لكن...يامن!!!

انطفأ انبهارها فجأة وهي تتبين استحالة موافقته على أمر كهذا ...

فأشاحت بوجهها لتقول بضيق لم تملكه:




_شكراً للعرض ده ...لكن للأسف الموضوع ده مرفوض عندنا .

ظهر الأسف على وجه الفتاة التي وقفت مكانها لتقول بنبرة مهذبة:

_خسارة...كنت شايفاكي جداً في الدور ده ...

ثم مدت يدها في حقيبتها لتستخرج بطاقة ورقية ناولتها لها مردفة:

_ده كارت خالو ...لو غيرتِ رأيك.

تناولت منها البطاقة لتغادرها الفتاة بنظرة آسفة فزفرت بقنوط وهي تضعها في جيبها ...

وعندما حانت منها التفاتة نحو تلك الشجرة هناك وجدت هيثم واقفاً يضاحك زميلتهما شوشو بصوت عالٍ متجاهلاً إياها بينما الأخيرة ترمقها بنظرات متشفية...





هنا تجمعت الدموع في عينيها وهي تشعر بأنها مجرد خاسرة كبيرة !

رغبة عارمة في البكاء وحدها انتابتها فهبت واقفة لتتوجه بخطوات سريعة نحو أحد تلك الأروقة الجانبية التي تخلو عادة من المارة حيث أعطت وجهها للحائط سامحة لدموعها بالانهمار...

كان جسدها يرتجف بانفعالها خاصة مع حزنها لتلك الفرصة الأخيرة -العظيمة -التي خسرتها ببساطة...

كم تشعر الآن بالقهر ...بالعجز حتى عن فهم نفسها وماذا تريد ...

_بطّلي عياط .

انتفضت وهي تلتفت خلفها لتجده واقفاً خلفها وملامحه العاتبة لم تبخل بحنانه المعهود عليها ...





ربما في ظروف أخرى غير هذه كانت لترد بمكابرة...كانت لتتجاهله كما تجاهلها ...كانت لتفعل أي شيء غير ما فعلته الآن ...

فقد ارتمت فجأة على صدره وهي تخفي وجهها بين كفيها مغمغمة بانهيار:

_ماتعملش كده تاني يا هيثم...أنا ماليش حد غيرك أكلمه .

ظهرت الصدمة على ملامحه وهو لا يدري ماذا يفعل ...!!!

صحيحٌ أنها لم تكن المرة الأولى التي يشهد بها انهيارها بهذه الطريقة لكنها كانت كذلك بالنسبة لتقارب خطير كهذا ...

ورغم أن عقله كان يدق كل نواقيس الخطر لكن قلبه العاشق جعله لم يملك إلا احتضانها مع تربيته





على ظهرها برفق قبل أن ينتبه لذاك الجرح العميق على ذراعها فهتف بقلق:

_إيه الجرح ده يا داليا؟!

_لعبة بلعبها ع الموبايل!

اتسعت عيناه بصدمة مع إجابتها بلا مبالاة يائسة وهو ينتبه لطبيعة تلك الألعاب التي تستغل الحالة النفسية السيئة للاعبيها كي تطلب منهم تنفيذ مثل هذه الأوامر العجيبة والتي رصد انتهاء الكثير منها بحالات انتحار !

لهذا هتف بها بجزع:

_هي حصلت كده ؟! انتِ...

_متزعقش ...أرجوك متزعقش ...أنا مش ناقصة .





تمتمت بها بانهيار ولازالت تخفي وجهها بين صدره فزفر بقوة وهو يعاود التربيت على ظهرها وقد أدرك أن حالتها تزداد سوءاً...

_إيه اللي بيحصل ده ؟!

انتفضا مكانهما والهتاف السابق يبدو وكأنه بعث من الفراغ حولهما ...

لكن هذا لم يكن أسوأ ما في الأمر بل ...هوية صاحبته !!

أجل...زوجة الدكتور ياسر والتي كانت ملامحها تفضح غضباً هادراً بعيداً تماماً عن تعقلها المعهود ...

خاصة وهي تجذب داليا بعنف من ذراعها لتردف بحدة قاسية:





_أنا من زمان عارفة إنك مش مظبوطة..لكن يوصل بيكِ الاستهتار إنك تعملي كده في قلب الجامعة ! أنا مش مصدقة بجاحتك.

كان جسد داليا يختض برعبها وهي تدرك المصيبة التي وقعت فيها والتي ستنتهي حتماً بفضيحة...

فيما تمالك هيثم نفسه ليهتف بانفعال :

_أرجوكِ يا دكتورة...هي مالهاش ذنب أنا اللي ...

_انت كمان حيوان وقليل الأدب ...دي مش أول مرة أشوفكم فيها مع بعض بتصرف متجاوز ...انتم الاتنين لازم معاكم إجراء شديد .

هتفت بها بانفعال وهي تهز جسد داليا بعنف بينما الأخيرة تبكي بحرقة ليظهر الدكتور ياسر في الصورة أخيراً وهو يسأل زوجته بدهشة:

_في إيه ؟! ماسكاها كده ليه؟!





تجمدت ملامح داليا برعب وهي تشعر بساقيها يتخاذلان تحتها بينما ترمق المرأة بنظرات راجية ...

المرأة التي انفرجت شفتاها وكأنها على وشك الصراخ بفضيحتها من جديد لكنها عادت تطبقهما بقوة ليسأل ياسر هيثم بتشكك:

_داليا بتعيط ليه ؟! عملت لها حاجة ؟!

أطرق هيثم برأسه وهو لا يجد رداً فيما تمالكت زوجة الدكتور جأشها لتقول مخاطبة داليا:

_امشي دلوقت .

قالتها وهي تنفض ذراعها من يدها بعنف قبل أن تلتفت لزوجها مردفة :

_الحق انت محاضرتك ...ده موضوع تافه .





تردد الرجل قليلاً قبل أن يقرر غض الطرف الآن والاستفسار منها فيما بعد فغادرهم بخطوات متعجلة فيما غمغمت زوجته مخاطبة هيثم:

_أنا مارضيتش أفضحكم قدام الدكتور ...بس لو اللي حصل ده اتكرر تاني أنا هاسعى إني أفصلكم انتم الاتنين من الكلية خالص.

ولم تكد تنتهي من عبارتها حتى رمقت داليا بنظرة مزدرية لكن الأخيرة كانت غائبة تماماً عن وعيها بانهيارها الباكي ...

فجذبها هيثم من مرفقها برفق ليسير جوارها مغادرين المكان تلاحقهما نظرات المرأة الغاضبة ...

والتي تناولت هاتفها لتنظر لشاشته بحسرة متمتمة:





_يعني ما لقيتش غير البنت دي يا مروان؟!

===========

_انتِ هتسافري كده ؟!

هتف بها يامن بسخط وهو يتطلع لثيابها التي استعدت بها للسفر إلى قريته فعاودت النظر لنفسها في المرآة قبل أن تغمغم بدهشة:

_ماله شكلي؟! ده أنا حتى مكبرة الطرحة عشان تغطي أكتر.

_ولو الطرحة طارت ...الشعب يعيش!!

هتف بها بنفس السخط وهو يقترب منها ليرفع حافة وشاحها الرقيق الذي بدا تحته قميصها الضيق ...لكنها ابتسمت بتفهم وهي تقول له بنبرتها الرقيقة :

_حاضر ...هاغير هدومي... ثانية واحدة .





زفر بضيق لم يعلم سببه وهو يعطيها ظهره بينما هرولت هي نحو غرفتها لتعود إليه بثوب أكثر اتساعاً أخفى معالم جسدها كاملة وزاده حجابها العريض ستراً لتهتف وهي تتقدم نحوه بترقب:

_كده كويس؟! أنا عارفة إن هناك مش زي هنا ...ومش حابة يكون شكلي ملفت.

التفت نحوها ليتفحص شكلها بنفس الضيق قبل أن يقترب منها أكثر ليمد أنامله نحو منابت شعرها التي بدت من مقدمة حجابها فيدخل ما ظهر منها تحته بحركة عصبية ثم جذب حافة الوشاح نفسها للأمام كي تغطي جبينها أكثر بغيظ بدا لها مضحكاً ...

فابتسمت وهي مستسلمة تماماً لحركاته لتقول أخيراً بهدوء:




_براحتك خالص...مش هنخرج من هنا إلا وانت راضي عن شكلي ...أنا عارفة إن الموضوع ده فارق معاك خصوصاً هناك .

ورغم هدوء نبرتها لكنه هتف بانفعال لا مبرر له:

_أنا عارف أول ما نحط رجلنا هناك كل العيون هتبقى عليكِ.

_وده مضايقك ؟!

قالتها بعينين ملتمعتين وضحكتها الحيوية تتبعها فأشاح بوجهه دون رد لتستمر هي في الضحك للحظات سبقت قوله المغتاظ:

_بتضحكي ليه ؟!

فتنهدت بحرارة لتطرق برأسها قائلة بصوت خفيض:





_تعرف لو حكمت غيرتي عليك زي ما بتعمل كده ...ماكنتش خليتك تخرج من البيت ولا خليت أي واحدة تلمحك بس بطرف عينيها .

كعادتها كلما تفصح عن أحد اعترافاتها بحبه تخفض صوتها حد الهمس وتتحاشى لقاء عينيه ...

هذا التصرف الذي يغيظه كثيراً لكنه لا يملك أن يطلب منها أكثر ...

ليس وهو -إلى الآن- غير قادر على منحها أي شيء في المقابل ...ولا حتى مجرد الوعد !

هذا الشعور الذي زاد ضيق صدره ليجعله يهتف بفظاظته المعهودة:

_مين قالك إني غيران؟! أنا بس بحاول أحافظ على صورتنا هناك .





_مممم...طب عيني في عينك كده ؟!

هتفت بها بمرحِ عاد يكسو صوتها وهي ترفع إليه عينيها وكأنها لم تكترث بجفاف عبارته...

نظراته الحائرة تتشبث بحبال عشق تلقيها له روحها في كل لحظة ...

وكل لحظة معها عمرٌ من عشق !

_كل اللي يعرفني من قريب بيقول إني مجنونة جداً في حكاية الغيرة دي ..بغير جداً على اللي بحبهم...لكن معاك انت اتعلمت ألجمها من زمان ...يمكن لأني عمري ما حسيت إنك من حقي!





لازالت تخفض بصرها عنه بينما همساتها شديدة الخفوت تخترقه كسهام من نار تذيب جبال جليده ...

إلى متى سيصمد أمام غزو غرامها هذا ؟!

شعوره بالضعف نحوها يكاد يخنقه مع أن كل ذرة في جسده تناشده الاستسلام ...

لهذا زفر بقوة متجاهلاً عبارتها التي لا يعرف -صدقاً- لها رداً ...

ثم رفع ذقنها إليه ليقول بلهجته الخشنة التي لا تشي بما في صدره:

_آسف لو تصرفاتي النهارده حادة شوية...بصراحة قلقان من الزيارة دي .

_انت خايف ...وأنا كمان خايفة ...





قالتها بابتسامة متفهمة لتشرد ببصرها مردفة:

_انت خايف تقابل هناك الوحش اللي عشت عمرك بتهرب منه ...ماضيك وذكرياتك بخصوص مامتك...بس صدقني أول ما تحط رجليك هناك هتكتشف إنك كنت بتبالغ ...الناس دلوقت مش هتشوف ابن النجمة ولا حتى ابن عبد الرحيم حمدي...الناس هتشوف دكتور يامن الناجح وبس..اسمك اللي تعبت عشان تعمله وجه الأوان إنك تفرح بتعبك ده.

رمقها بنظرة طويلة متفحصة وهو يشعر بحديثها يرمم صدعاً ما بداخله ...

كيف تفهمه إلى هذه الدرجة ؟!

بل ...ولماذا لا تفعل؟!




وهي "توأم روحه" في معاناتهما التي تشاركا فيها قدراً ...

هي لا تتكلم عنه فحسب هي تتكلم عن نفسها كذلك!

ولما طال شرودها أمامه تتحنح بخفة ليدير وجهها نحوه بخفة متسائلاً:

_وانتِ خايفة من إيه؟!

أغمضت عينيها بألم لتتنهد هامسة:

_مش مهم.

_هتقولي!

بنبرته- الآمرة الراجية -التي لا يجيدها مثله نطقها لتعطيه هي ظهرها صامتة للحظات قبل أن تجيب:





_أنا اتجوزتك عشان أكسر الصنم اللي عملتهولك جوايا...كنت بقول لنفسي إن الحكاية كلها مجرد إن الممنوع مرغوب...وإني لما هاقرب منك هاشوف كل العيوب اللي ماكنتش شايفاها ...أنا قربت قوي عشان أقدر أبعد قوي ...بس...

صمتت بعدها قليلاً لتطرق برأسها فتحرك ليقف قبالتها متسائلاً بحذر:

_بس إيه؟!

تصنعت ابتسامة باهتة وهي ترفع وجهها نحوه لتقول ببعض المرح:

_كل يوم بتأكد إن قلبي "ذوقه حلو" ...ولأول مرة مابقاش عارفة دي حاجة حلوة واللا حاجة وحشة .





ارتفع حاجباه بتأثر من هذه البساطة الدافئة التي تعبر بها عن مشاعرها ...

ليته يستطيع الإفصاح عن إحساسه بهذه الطلاقة ...ليته يملك جرأة بوحها عما يعتمل في صدره ...

لهذا اقترب منها أكثر ليحيط كتفيها بكفيه بقوة حنون بينما نظراته تخونه قسراً أمام عينيها الخبيرتين به وإن بقي لسانه على ولائه الخشن له:

_مش عارف أقوللك إيه .

_اوعدني ما تكسرنيش...أنا ممكن أستحمل إنك تسيبني وأفضل طول عمري بحبك من بعيد لبعيد ...بس مش هسامحك لو كسرتني...لو خلتني في يوم أكرهك .





انقبض قلبه بوجع كعهده كلما أتت على سيرة الفراق هذه...لكنه أرجأ التفكير في هذه النقطة ليعاود سؤالها بينما كفاه يقربانها منه أكثر لا شعورياً:

_وإيه اللي ممكن يخلليكِ تكرهيني؟!

انفلتت منها آهة خافتة قبل أن تسند جبينها إلى كتفه هامسة :

_إنك تطفيني...أنا عمري ماتطفيت...لا بُعد بابا ...ولا وفاة ماما...ولا حتى طلاقي قدروا يطفوني...دايماً جوايا روح بتعافر ..بتقومني على رجلي كل ما أقع...لو روحي دي اتطفت هموت بالحياة.





ابتسم رغماً عنه بعاطفة لم يجد لها مسمى وهو يجدها تتحدث هكذا بمنتهى القوة...وبمنتهى الضعف!

شعوره أنها تستند الآن -طوعاً- إلى كتفه بعد نفورها القديم من اقترابه منها ملأه بشيء من الفخر ...

الفخر الذي تضاءل سريعاً وهو يراها تبتعد عنه وكأنها تنتزع نفسها انتزاعاً من بين ذراعيه لتهتف بمرح يوقن أنها الآن تدعيه:

_كفاية كده رغي عشان نلحق القطر.

لسانه بدا وكأنه التصق بسقف حلقه طوال الطريق بعدها حتى استقر بهما في القطار المتجه لقريته حيث ينتظره عمه بلهفة ظهرت واضحة في صوته




على الهاتف وهو يحدثه كل بضع دقائق ليتأكد منه أنه في الطريق...

هذه اللهفة التي وجدت صداها في صدره ليشعر بدفء لم يكتنفه منذ عهد بعيد ...

لهذا أغمض عينيه على كرسيه في القطار تتلقفه ذكرياته بين حلوها ومرها فلم يشعر بنفسه إلا وقد غفا رغماً عنه لوقت لم يعلمه ...

حتى إذا استيقظ فجأة وقعت عيناه على الكرسيين المقابلين لهما في القطار واللذين شغلهما رجلٌ وامرأته يبدوان في عقدهما الرابع أو الخامس...

لكن هذا لم يكن ما أثار انتباهه بل وضعهما الذي اختلف تماماً عن وضعه هو وياسمين ...

فأمامه كانت المرأة مستسلمة تماماً للنوم وقد أسندت رأسها على كتف زوجها الذي أسند رأسه




فوقه بينما يمسك بكفها وقد راح في النوم هو الآخر!

ربما في وقت آخر كان ليسخر في نفسه من هذا التصرف الصبياني الذي لا يليق بسنهما لكنه الآن يجد نفسه يراقبهما بمزيج من انبهار وتحسر ...

قبل أن تحيد عيناه لتلك النائمة بجواره والتي أسندت رأسها على كرسيها في عكس اتجاهه وكأنما تخشى أن يسقط رأسها على كتفه ولو سهواً في نومها!

ترى هل يمتد بهما العمر كهذين أمامه ليعيش معها حياة طبيعية متنعماً بهذا الحب الذي -تزعمه-؟!

أم أن دخولها حياته مجرد عاصفة ممطرة سيعود بعدها العمر لجديبه وقفره؟!




وعند خاطره الأخير لم يملك نفسه وهو يمد أنامله ليحتضن كفها الضئيل ...بينما يحرك ذراعه الآخر ليضم رأسها لكتفه برفق...

تململت وهي تفتح عينيها فجأة لترمقه بنظرة متسائلة بينما تحاول سحب كفها منه بارتباك اعتاده لكنه تشبث بيدها هامساً بحزم رفيق:

_عنيكي تعبانة...كملي نوم.

ترددت قليلاً وهي تسبل جفنيها بإرهاق لكنه مسد ظاهر كفها بإبهامه مردفاً:

_الطريق لسه طويل ...حاولي تنامي على أد ما تقدري.

تيبس جسده للحظات مترقباً ردة فعلها ليعود بعدها لارتخائه وهو يشعر برأسها يعود ليستكين على كتفه ..





ابتسم ابتسامة واهنة وهو يراقب ملامحها من علو بعدما انتظمت أنفاسها معلنة عودتها للنوم ...

أهدابها الكثيفة القصيرة التي التمع لونها في ضوء الشمس المنعكس من النافذة...أنفها الدقيق ...شفتاها الرقيقتان...وأخيراً أناملها المنمنمة التي استقرت في راحته ...

كل ما فيها دقيق ضئيل عدا قلبها الذي تضخم بحبه للحياة !

هنا حانت منه التفاتة نحو خاتمه "الملون" الذي كان هدية زفافهما والذي استقر في بنصرها الأيمن ...

الأيمن؟! ألا يفترض أن يكون في الأيسر؟!





نظراته تنسحب نحو بنصرها الأيسر الذي تركته دون خواتم ...ترى لماذا ؟!

عقله يصور له عدداً من الأسباب لكنه تخير منها ما يرضي غروره ...

إنها لا تريد وضع خاتمه في إصبع سبقه إليه خاتم رجل غيره!

ويبدو أن هذا التفسير أبهجه كثيراً ليجد نفسه يضمها لكتفه بحرص أكبر بينما عيناه تعودان للرجل والمرأة أمامه لكن..بنظرة راضية هذه المرة...

قبل أن يتنهد بارتياح وهو يسند رأسه إلى رأسها مرتشفاً إحساسه المستحدث معها ...

ب"الأمان"!

========





_عجبتك الأوضة؟!

هتف بها متسائلاً وهو يستقر معها أخيراً في الغرفة التي خصصها لهما عمه في الطابق العلوي من بيته ...

غرفة رحبة لا تقل رحابة عن استقباله الحافل لهما وكأنه لقي ابنه الغائب منذ زمان ...هذا الاستقبال الذي رأت أثره واضحاً على وجه يامن الذي التمع بفرحة حقيقية غلبت قلقه الذي كان.

_عجبتني بس؟! دي مدهشة!

قالتها بحماستها الحيوية وهي تتفحص الغرفة الواسعة بأثاثها الأنيق رغم قدم طرازه...

لقد ظنت أنها ستجد بيت عمه أحد بيوت الفلاحين البسيطة التي تراها على التلفاز ، لكن البيت





المكون من طابقين واسعين وتطل خلفيته على مساحة شاسعة من الحقول كان أجمل كثيراً مما تخيلت ...

لهذا اندفعت نحو النافذة الخشبية الكبيرة لتفتحها قبل أن تأخذ نفساً عميقاً وهي تملأ عينيها من اللوحة الرائعة أمامها حيث التحمت خضرة الأرض مع زرقة السماء على مد البصر ...

_فيه أجمل من كده ؟! أبسط وأجمل مكان رحته في حياتي!

غمغمت بها برضا حقيقي فتقدم نحوها ليضمها بذراع واحدة إلى كتفه وهو ينظر مثلها لما أمامه قائلاً بشرود:

_كنت فاكر إني هلاقي كل حاجة اتغيرت ..لكن بالعكس...كله زي ما هو ...




ثم أشار لساقية قديمة هناك في جانب قصيّ مردفاً بابتسامة حالمة :

_كنت بحب الساقية دي قوي ...بالليل كنت بشوفها بيت العفاريت أقعد أبص لها من بعيد وأنا خايف ولما كنت أصحى الفجر كنت أفضل أحدفها بالطوب كأني بطردهم منها...وأفضل أقرب منها بالراحة لحد ما ألمح نور الشمس بيلمع فوقها وأفتكر إني صحيح هزمت العفاريت .

ضحكت بانطلاق وهي تلتفت نحو جانب وجهه الذي تألق بشعور الحنين لتقول بنبرتها المرحة :

_خلاص ...يبقى نتغدى هناك النهارده ...نستأذن عمك ونسيبنا من جو الرسميات ده ونفرش على الأرض جنب الساقية .

_تموتي انتِ في قعدة الأرض.





قالها بنبرة حانية حملت الكثير من المرح وهو يلتفت نحوها برأسه لتضحك ضحكة رائقة سبقت همسها الدافئ:

_وبموت في أي حاجة تقربني منك .

التمعت عيناه ببريق خاطف كعهده كلما عبرت عن عشقها الجارف له لكنه لم يجد رداً سوى أن يضمها إلى كتفه أكثر متجاهلاً ذبذبات جسدها النافرة ...

هنا اتسعت عيناه قليلاً بترقب فحركته الأخيرة جعلت ياقة ثوبها الواسعة تنحسر تحت حجابها لتبدو منها ندبة كتفها التي يبدو أنها تثير حفيظتها والآن تثير جنونه!




لكنها كانت غافلة عن هذا بشرودها في الفضاء أمامها وهي تقول :

_بس تعرف رغم إني بحب دايماً قعدة الأرض لكن مش كل مكان يشبه التاني..مثلاً قعدتي على الأرض قدام سرير ماما الله يرحمها وأنا بحكيلها أخبار يومي غير قعدتي على الأرض في أوضتي لوحدي...قعدتي على رمل البحر غير قعدتي على جنينة بيتك...كل أرض بيبقى لها إحساس تاني وكلام مختلف...

كان بالكاد ينتبه لكلماتها وعيناه تختلسان النظر لندبتها المستفزة هناك...





وسط بياض بشرتها الناصع تبدو هي هناك كوصمة داكنة لم تنل من جسدها فحسب بل من روحها كذلك...

ليجد نفسه يضمها إليه بقوة أكبر بينما يسألها فجأة:

_ليه كنتِ بتيجي ورايا في كل مكان أروحه رغم إنك ماكنتيش بتحاولي تكلميني؟!

فأطرقت برأسها لتغمغم بنبرتها الدافئة:

_مش بس عشان أطمن عليك...لكن عشان كمان كنت بدور على نفسي القديمة...فيه ناس غصب عنك بياخدوا جزء من تاريخك...ماضيك الحلو بتلاقيه مرسوم على جبينهم...لما بشوفك بحس إن عمري ماعداش وإني لسه بنوتة بضفيرة طويلة مستخبية ورا كتاب وبتبص عليك وهي مكسوفة...





ثم تحشرج صوتها رغماً عنها مع استطرادها:

_وكأن مفيش حاجة فيّ اتغيرت ولا اتكسرت!

الحزن الذي اعتصر عبارتها الأخيرة زلزل قلبه بطبيعته الحمائية كالعادة مدركاً ما تقصده بماضيها البائس فهتف بحدة لم يقصدها:

_عمل فيكِ إيه؟!

انتفضت فجأة للسؤال لتتشحب ملامحها بينما لم يشعر بنفسه وهو يكاد يعتصرها بين ذراعيه مردفاً بنبرة أكثر حدة :

_ليه مش عايزة تقوليلي؟! اشمعنا دي بتخبيها عني؟!

فاضت عيناها بالدموع مع ارتجافة شفتيها وهي تحاول التملص من ذراعيه لكنه لم يفلتها بل كاد





يخفيها في صدره وهو يعتصرها بين ذراعيه أكثر وعيناه تتشبثان أكثر بندبتها التي لا تزال تتحداه بمشهدها الصارخ هناك ...

لهذا أغمض عينيه بقوة وهو يغطيها بنفسه بوشاحها الذي شد طرفه ليستر ماظهر منها بينما كانت هي غافلة تماماً عن كل هذا ...

حتى رفعت إليه عينيها أخيراً لتهمس له بصوت مختنق:

_عشان أنا مش عايزة افتكر وعشان انت مش هتصدق...لو حكيتلك هتقول إني بحاول أصعب عليك واني بدات خطة مقصودة عشان أعلقك بيّ ...طبيعتك الشكاكة لحد دلوقت مش مصدقاني ...مالوش لازمة نقلب في ماضي مش هينفع حد .




عقد حاجبيه بشدة وهو يشعر من جديد بالعجز أمامها ...وكيف لا؟! وهي تفهمه بهذه الدرجة؟!

ماذا عساه الآن يفعل؟!

هل يخبرها -كاذباً- أنه يصدقها...يثق بها...يأمن لكل ما ترويه ؟!

أم يكتفي منها بهذا الذي تمنحه بسخاء ودون مقابل ؟!

_الغدا جاهز يا دكتور.

هتاف الخادمة من الخارج قطع أفكاره فتنهد بحرارة وهو يبعدها عنه ليشيح بوجهه قائلاً :

_لو تعبانة ممكن تستريحي شوية ونأجل الغدا.





لكنها صمتت مطرقة لبضع لحظات ثم تمالكت نفسها لتقول بمرح مصطنع:

_بتهزر؟! ده أنا هاموت والحق الغدا هناك عند الساقية قبل الشمس ما تغيب ..ماتخافش مش هاعمل ضيفة ...هانزل وأساعدهم ننقل الحاجة هناك ...مراة عمك ست سكرة ومش هترفض لي طلب .

قالتها لتختفي من أمام عينيه سريعاً كي تنفذ ما قالته تلاحقها نظراته التي ما عاد يملك تعلقها بها ...

قبل أن يزفر بقوة وعيناه تنسحبان من جديد نحو النافذة لتستريح ظنونه قليلاً على واحة من ذكريات ماض بعيد ...





وأخيراً ترتسم على شفتيه ابتسامة حقيقية وهو يميز قامتها الضئيلة هناك جوار الساقية القديمة تلوح له بكفها بانتصار وقد بدت وكأنها نجحت في إقناعهم بتناول الطعام هناك ...على الأرض!

=======

_عجبك الأكل يا عروسة؟!

قالتها زوجة عمه بلكنتها المحببة وهي ترمق ياسمين بنظرات إعجاب واضحة فابتسمت الأخيرة بود لتقول بنبرتها الحماسية كالعادة:

_هو فيه أحلى من كده ؟! عمري ما أكلت بنفس مفتوحة زي النهارده !

كان الأربعة يفترشون مفرشاً عريضاً على الأرض جوار الساقية القديمة وقد أخذت الشمس رحلتها





للغروب صابغة السماء بتلك الألوان الدافئة المحببة

، وقد بدأت أسراب الطيور رحلتها للعودة بمشهد

جمع بين الشجن والسكينة ...

هذا الذي ملأه هو بشعور خاص وهو يشعر وكأنما

تغتسل روحه بكل هذه البساطة والصفاء اللذين

افتقدهما منذ عهد بعيد ...

ابتسامته تتسع على شفتيه وهو يستمع لثرثرتها -

الحيوية- مع زوجة عمه وكأنما يعرفان بعضهما

منذ عهد بعيد ...

هذه الثرثرة التي تدخل فيها ليقول بنبرته المرحة

التي حملت الكثير من الفخر:

_ما تتغروش بشكلها الخواجاتي ده ...ياسمين

طباخة ممتازة وفاتحة مطعم كبير في القاهرة.





أصدرت زوجة عمه صيحة استحسان وهي تربت على كتف ياسمين التي التفتت نحوه بنظرة امتنان وقد سرّها حقاً أن يمتدحها هكذا بينهم ...

ربما كانت هذه إحدى ميزاته التي اكتشفتها فيه بمعاشرته...أنه مهما كان بينهما يرفع قدرها دوماً أمام الآخرين ...

ميزة خاصة لا تتوافر لدى الكثير من الرجال !

ويبدو أن الخاطر الأخير قد حمل لها ذكرى بائسة من ماضيها فقد تغيرت ملامحها فجأة بعدها لتطرق برأسها في حركة لم تخفَ عليه ...

لكن عمه تناول دفة الحديث بقوله :

_ما أكلتش حاجة يا دكتور ...قسماً عظماً مافي حاجة راجعة من الأكل ده !





هتف بها بلكنته القروية وهو يضع له قطعة من "بطة مشوية" مع زوج من الحمام المحمر في طبقه بيده العارية فاتسعت عينا ياسمين بترقب وهي تراه يتناول الطعام دون تحفظ توقعته مع طبيعته الوسواسية !

وما كادوا ينتهون من الطعام حتى هتفت زوجة عمه وهي تنهض بخفة لا تتناسب مع ثقل وزنها:

_شاي الخمسينة وقت العصاري ...كان مزاج عندك زمان يا دكتور ...فاكر؟!

ضحك يامن بخفة وهو يشعر بود حقيقي نحو المرأة التي لم تنسَ هذا رغم مضيّ كل هذه السنوات ليكمل له عمه الفكرة بقوله وهو يربت على كتفه:





_انت عارف إن ربنا ما أرادش لنا الخلفة ...طول السنين دي وأنا بتمنى ترجع هنا لأرضك وناسك...أبوك الله يرحمه كان له تفكير تاني...ياما غلبت أفهمه إن اللي بيعمله كان غلط ..لكن هو كان دماغه ناشفة...والظاهر إنك ورثت ده منه .

_الله يرحمه !

تمتم بها يامن باقتضاب وهو يطرق برأسه لتهتف زوجة عمه وهي تعاون الخادمة في جمع بقايا الطعام:

_مالوش لازمة الكلام ده دلوقت يا حاج...الدكتور شكله تعبان من السفر والمهم أنه رجع يزورنا...ده احنا الفرحة مش سايعانا والله .

_ما بلاش "الدكتور" دي يا عمة...هو أنا هاكبر عليكم واللا إيه؟!





قالها يامن بابتسامة حنون فربت عمه على كتفه ليقول بفخر أبوي:

_لو ماكناش نفرح واحنا بنتباهى بيك ...هنفرح بمين؟!

التمعت عينا يامن بعاطفة التقطتها عينا ياسمين بخبرتها به لتبتسم بحنان وهي تشعر بأن هذه الزيارة قد آتت ثمارها حقاً...

خاصة عندما أردف عمه بنفس الفخر:

_ولاد أعمامك كلهم عايزين يسلموا عليك...بس أنا أجلتها لبكرة بإذن الله عشان تكون ارتحت...حاكم دول هيصدعوك ...أنا عارفهم!





ضحك يامن ببشاشة وهو يرد عليه بما يليق بينما ظلت ياسمين تتابع حديثه مع عمه وزوجته بعينين راضيتين حتى تناولوا جميعاً الشاي بنكهته المحببة ...لينتهي الحوار بسؤال عمه الذي بدا عارضاً:

_وإزاي الست والدتك ؟! صحتها كويسة؟!

تغيرت ملامح يامن الراضية لأخرى متحفزة وكأنما يحاول أن يفهم ما يقصده عمه من سؤاله لكن ياسمين التقطت طرف الحوار لتجيب هي بذكاء:

_الحمدلله يا عمي...من ده على ده ...حضرتك عارف مفيش حاجة بتفضل على حالها .

ابتسم الرجل بفطنة متفهماً جوابها المحايد ليعود مخاطباً يامن بقوله:

_مراتك شكلها "بنت أصول" ...ربنا يبارك لكم.





ظلت ملامح يامن على تحفزها لبعض الوقت قبل أن تلين رويداً رويداً مع انسحاب الحوار لجوانب أخرى حرصت ياسمين أن تجعلها أكثر مرحاً ...

قبل أن تلكز زوجة عمه رجلها بحركة ذات مغزى جعلته يقوم من مجلسه قائلاً بنفس النبرة الودود:

_نسيبكم تاخدوا راحتكم شوية على ما نخلص أنا والحاجة شوية شغل جوه!

اتسعت ابتسامة ياسمين وهي تراقب انصرافهما شاعرة لهما بالامتنان لهذه الخلوة لها معه في مكانه المفضل وفي هذا الجو الدافئ ...

قبل أن تعود ببصرها نحوه لتقول بحنان :





_أكلت على الأرض ومن غير تحفظاتك كالعادة...مش ملاحظ إنك بتنسى كل وسوستك لما بتحكّم قلبك وبس؟!

اتسعت عيناه للحظة من ملاحظتها قبل أن يبتسم وهو يقترب بجلسته منها بينما هي تستطرد بنفس النبرة:

_هو ده الفرق بيننا ...انت عيان ب"عقلك" وأنا عيانة ب"قلبي"...لو بطلت تفكر زيادة هترتاح وأنا كمان لو ...

انفرجت ابتسامته وهو يضع سبابته على شفتيها مقاطعاً وكأنما لم يعجبه ما ستنطق به ثم فاجأها بأن ألقى رأسه على حجرها وهو يمدد جسده أمامه باسترخاء تام صاحب آهة عميقة !




_تعبان؟!

تمتمت بها بقلق حان ليجيبها :

_بالعكس...مرتاااح جداً.

همس بها مغمض العينين وهو يشبك ساعديه على صدره فتلفتت حولها تتأكد من خلو المكان ثم امتدت أناملها تداعب خصلات شعره التي يحرص أن يطيلها دوماً بما يمنحه مظهراً عابثاً هو أبعد ما يكون عنه ...

لتهمس له بعاطفتها التي تصبغ كل كلماتها بلون خاص بها:

_شفت بقى إن خوفك من الزيارة مكانش في محله ؟! ساعات كتير بنلاقي نفسنا بنهرب من حاجات لو ادينالها الفرصة هنلاقي فيها فرحتنا .




أصدر همهمة راضية ولازال مغمضاً عينيه ليرد بشرود:

_تعرفي؟! مش عايز أفتح عيني...عايز الزمن يقف هنا...تفضل نفس الصورة في بالي ما تتغيرش...الساقية...الزرع...لون السما...ضحكة عمي...طعم الشاي...و...انتِ!

هيئ إليه أنه قد سمع صوت خفقات قلبها الراضية بما يقول وإن حافظت على صمتها بينما أصابعها تعزف لحن عشقها الخاص بين خصلات شعره ليردف بعد صمت قصير:

_آخر مرة جيت هنا كان من زمان قوي ...زيارة "صدّ ردّ" زي ما كان الحاج بيسميها...كنت فاكر إنهم نسوا كل حاجة عن نبيلة ...لكن يومها سمعت مراة عمي بتقولله : إحنا هنموت على حتة عيل وناس ترمي ضناها وتروح تجري ورا





المسخرة ...ماخدتش بالها إني سمعتها ويمكن أنا كمان حاولت أنساها ...مش عارف إيه اللي فكرني دلوقت !

مدت كفها الحر لتضعه على ساعديه المتشابكين على صدره هامسة:

_عارف إيه مشكلتك ؟! إنك ردمت على النار من غير ما تطفيها ...ليه ما حاولتش تقرب لوالدتك ...تعاتبها...تفهم منها سبب اللي عملته ...مش هاقولك عشان تسامحها بس على الأقل تفهمها .

فابتسم ساخراً دون أن يفتح عينيه مع قوله:

_أعاتبها ؟! العتاب بيكون لحد قريب وأنا عمري ما حسيتها قريبة ...زمان وأنا صغير لما كنت بشوفها




في التلفزيون وجنبي حد كنت بقلب بسرعة وكأني عامل عملة...بس لما كنت ببقى لوحدي ...

صمت طويلاً بعدها حتى ظنته لن يكمل عبارته لكنه استطرد بنبرة متثاقلة:

_كنت بحضن الشاشة على صورتها ...أتخيلها بتكلمني أنا...بتضحكلي أنا...لكن ثواني وكان بيظهر حد تاني في الكادر قدامها يفوقني ...كأنه بيقوللي انت مش مهم..مش موجود ...لحد ما بطلت أتفرج عليها حتى في السر...لكن اللي حواليا مابطلوش يجيبوا سيرتها...عارفة يعني إيه أبقى في ثانوي وألاقي زمايلي بيتكلموا على صورها وأخبار آخر مشاهدها ؟! وقتها كان بيبقى نفسي أتخانق معاهم وأقطع كل صورها اللي في إيديهم ...بس كنت بخاف حد يحس ولو من بعيد إني أعرفها ...وإنها أمي.





دمعت عيناها عاجزة عن الرد بينما عاد هو يبتسم بنفس السخرية السوداء مردفاً:

_تعرفي السؤال الوحيد اللي نفسي أسأله لها إيه؟!

يا ترى إيه الثمن اللي أخدته هي وكان يستاهل تعمل فينا كلنا كده ؟! أبويا لحد ما مات كان بيحبها ...ماقالهاش بلسانه اللي كان بيلعنها كل ما تيجي سيرتها لكن كنت بشوفها في عنيه اللي ماكسرهاش غيرها هي...

ابتلعت غصة دموعها بصعوبة وهي تخشى مقاطعته بأي شيء يفسد عليه صفاء بوحه هذا الذي أكمله بنفس الحسرة الساخرة:

_ومع ذلك لما ظهرت تاني في حياتي ماقدرتش أطردها منها...لا قدرت أبعد ولا قدرت أقرب ...لا





عرفت أبقى ابن عبد الرحيم الفلاح أبو دم

حامي ...ولا الدكتور المتحضر اللي كمل دراسته

في انجلترا واتجوز هناك...ولسه برقص على الحبل

مستنيه يتقطع يمكن ساعتها أرسى على بر.

هنا شدت بكفها على ساعده بقوة لتهمس له

بحرارة :

_ياريتني ساعتها كنت معاك .

فتح عينيه أخيراً ليلتقط نظراتها الصارخة الآن

بمشاعرها مع استطرادها:

_ماقدرش أقوللك إني عندي الحل لكل

مشاكلك...لكن اللي أقدر أوعدك بيه إني هاكون

جنبك لما تحتاجني...في أي وقت ومهما حصل

بيننا...سواء كنت معاك أو لا...عايزاك تعرف إني

بحبك أكتر من أي حاجة ومن أي حد .





اللهفة الحارة التي كانت تتحدث بها حملت صدقها لقلبه بأقوى ما يكون فعاد يغمض عينيه بتأثر أساءت هي فهمه لتردف بصوت مرتجف:

_عارفة إنك لسه مش عايز تصدقني...زي ما أنا عارفة إني ممكن أخرج من حياتك في أي لحظة...بس لو ماعملتش حاجة أكتر من إني أخلليك تصدق إني بحبك بجد...إني أرجع لك إيمانك بنفسك وبالناس ..أهزم وساوسك...وأبقى الحاجة الوحيدة اللي انت ما بتشكش فيها صدقني كفاية عليّ .

صمت صاخب بالمشاعر سادهما بعدها قبل أن يفك ارتباط ساعديه على صدره ليحتضن كفها وهو





يفتح عينيه سامحاً لنظراته بقول ما عجز عنه لسانه ...

هذا الذي وصلها صادقاً لتجيبه بابتسامة عاد إليها مرحها وهي تقول بنبرتها الحيوية:

_على خدك رمش واقع...اتمنى أمنية ولو قلت هو فين يبقى هتتحقق!

ضحك بخفة لهذه الدعابة المشهورة وقد قرر الاستجابة لها ثم أشار بسبابته نحو وجنته اليمنى قائلاً:

_هنا؟!

_صح...قل لي بقى اتمنيت إيه؟!

رمقها بنظرة عميقة ثم تهرب من الإجابة بقوله المراوغ والذي حمل بعض المرح:





_أنا بتكلم من الصبح ...قولي انتِ بتتمني إيه ...الميكروفون مع حضرتك!

_مممممم...طول عمري نفسي ألعب كرة سلة بس ...احم...طولي ك"نخلة" ما سمحش!

ضحك ضحكة صافية وهو يرفع عينيه إليها ليقول مشاكساً:

_آدي أول أمنية طلعت مستحيلة...اللي بعده!

ابتسمت بشرود وأناملها تعاود العبث بخصلات شعره :

_عايزة أتبنى طفل.

انتفض فجأة من رقاده بما أجفلها ليسألها بدهشة:

_وليه تتبنيه؟!انتِ عندك مشكلة في الموضوع ده ؟!

_حاجة زي كده .




قالتها مطرقة برأسها وقد انطفأت ملامحها فجأة فعادت شكوكه توسوس له بشأنها ...

ألهذا طلقها زوجها ؟! هل اكتشف مثلاً أنها كانت تعلم قبل الزواج وخدعته بإخفاء الأمر عنه ؟!

نعم...هذا هو السبب المنطقي الذي يجعل أي رجل يفقد صوابه ليعامل امرأة كهذه بتلك القسوة؟!

هنا اجتاحه غضبٌ هادر وهو يعتدل بجسده في مواجهتها ...

غضبٌ منها ...ولأجلها!

جزء منه يشفق على حرمانها من عاطفة كهذه ...لكن الجزء الغالب بطبيعته الوسواسية جعلته يغضب لنفسه أكثر:

_وليه ما قلتليش قبل كده ؟!





_هتفرق في إيه؟! أظن حاجة زي دي مش هتأثر على خطتك مع سيلين.

قالتها بنفس النبرة المنطفئة ولازالت مطرقة برأسها ...

انهزامها الغريب هذا عن طبيعتها المتألقة زاد غضبه أكثر فأمسك ذراعها ليقول بحدة مكتومة:

_برضه كان من حقي أعرف ...عشان..

قطع عبارته وقد عجز عن إيجاد رد منطقي لكنها تحررت من ذراعه ثم نفضت ثوبها لتقوم واقفة ثم تحركت لتعطيه ظهرها قائلة بنفس النبرة :

_عشان إيه ؟! هتفرق إيه ؟! دوري في حياتك انت اخترته وأنا وافقت عليه ...يمكن لو كنت عرضته عليّ في أي فترة من حياتي غير دي كنت رفضته ...ويمكن بعدين أندم عشان رضيت





بيه..لكن القدر اختار الوقت المناسب عشان أقدر أدخل حياتك من غير مااتحمل فوق طاقتي.

ازداد انعقاد حاجبيه للحظات ثم وقف بدوره ليقترب منها وهو يبحث عن كلمات تصلح للرد ...

لكنها استدارت نحوه لتتلفت حولها قائلة بصوت خفيض:

_ياللا نمشي الدنيا ضلمت...المكان بقى يخوف .

زفر بقوة وهو يشعر أن عبارتها تبطن أكثر مما تظهر ...

قبل أن يسير جوارها صامتاً وهو يشعر أنه يدور معها في دوامة لم يعد يفهمها ولم يعد يأمن مكرها ...




دوامة تبتلعه بشعور يأبى تصديقه ..لكنه يخطف بصره وقلبه بنور تشتاقه ظلمات روحه ...

لهذا مد أنامله يتناول كفها بقوة كانت هي تحتاجها في هذه اللحظة وما كاد يشعر بتشبث كفها بيده حتى تنهد بحرارة وهو يرفع رأسه للسماء التي اختنقت بظلمتها لولا نجمة بعيدة بدت وكأنها تناديه ...

أنا وسط الظلام دليلك...فلا تضيعني!

===========





القطعة العاشرة

==========

_ملهاش حل تاني يا داليا ...لازم أتقدم وأخطبك عشان نقطعِ لسان أي حد !

هتف بها هيثم على الهاتف ليتحول فيض دموعها المقهورة لشراسة عنيدة مع هتافها:

_انت بتقول إيه ؟! حتى انت يا هيثم هتستغل الفرصة عشان تدبسني؟!

_أدبسك؟!

هتف بها باستنكار ليردف بغضب لم تره فيه قبلاً:

_هو ده إحساسك للي بيننا يا داليا؟! هو ده ردك على حبي ليكِ طول السنين دي؟!

_يووووه...مش وقت عواطف يا هيثم!!




صرخت بها بنفاد صبر وهي تشعر بأنها محاصرة بين قضبان غير مرئية ...

قلبها يخبرها أن الموقف الذي رأته فيه زوجة ياسر لن يمر مرور الكرام ...

قد ينتهي بفضيحة تضيع مستقبلها كله !

تباً...تباً ...تباً!!!!

أي غباء هذا الذي تلبسها كي تقدم على فعلة كهذه؟!

إنها لم تفكر حتى في فعل هذا يوماً ولا حتى في أقصى أحلامها تجاوزاً !!

تعانقه هكذا فجأة دون مقدمات ؟!

وفي الجامعة؟!

يبدو أنها فقدت عقلها حقاً!!





_صح..مش وقت عواطف..وقت قرار يا داليا.

قالها هيثم أخيراً بنبرة حملت كل غضبه وقلقه ويأسه ...ليردف بعد صمت قصير:

_اسمعي بقا آخر كلام عندي ...يا اما توافقي على خطوبتنا يا اما تنسيني خالص!

اتسعت عيناها بخوف حقيقي وهي تشعر بأنه يعني ما يقول حقاً هذه المرة ...

لتغمغم بصوت مختنق:

_كده يا هيثم؟! هتسيبني وأنت أقرب صاحب ليا؟!

_أنا مش صاحبك يا داليا...أنا بحبك ...وماعدتش قادر أستحمل جنانك أكتر من كده !




صرخ بها بجنون جعلها تدرك أنه قد فقد السيطرة على نفسه مثلها فصمتت تحاول تمالك شتات روحها لتقول بنبرة مشتتة:

_افهمني يا هيثم...أنا...

_انتِ أنانية...مش عايزة تشوفي غير نفسك وبس...عايزة تبقي مركز الكون والكل يلفوا حواليكي...ليه تكتفي بي لوحدي لما ممكن يبقى حواليكِ كل يوم عاشق جديد ...عايشة دور الضحية المنبوذة ومستنية الكل يطبطب عليكِ ويحسسك إنك ملكة ...واللي زيك لو مافاقش هيقع على جدور رقبته !

كان يلهث في عبارته الأخيرة وصوت صراخه الهادر يكاد يصم أذنيها ...





فانسابت دموعها على وجهها بضعف لم يتفق وعبارتها القوية بعدها:

_وإيه يجبرك على حب واحدة زيي وحشة كده ؟!

ابعد !

صمت قليلاً بعدها وكأنما يشعر بثقل القرار على صدره ليقول أخيراً بنبرة قاطعة :

_هابعد يا داليا ...أوعدك أدّ ما قربت هابعد !

ظلت للحظات لا تستوعب هذا الذي قيل قبل أن تنتبه لصوت الهاتف الرتيب عقب انتهاء المكالمة!

هل سيتخلى عنها هيثم حقاً؟!

ورغم الكبرياء الذي كانت تتحدث به إليه لكن خوفاً -طفولياً- بأعماقها جعلها تعاود الاتصال به ليكون رده إغلاق هاتفه تماماً!!





انهارت بعدها في بكاء هستيري وهي تشعر بالوحدة تتملكها أكثر ...

حاولت الاتصال بيامن لعلها تستمد من محادثته أماناً يصبرها لكن شبكة الهاتف في قريته كانت ضعيفة فلم تنل ما أرادت ...

تحركت لتغادر غرفتها حيث غرفة رانيا لتجدها خالية...

حتى غرفة نبيلة الموصدة كادت تطرقها لتتحدث معها بأي شيء يلهيها عن مصابها لكن صوت ضحكات العالية من الداخل أنبأها أنها في محادثة هاتفية معتادة مع أحد زملاء "مجدها القديم"!!

رجعت لغرفتها خالية الوفاض ...وبتشبث طفولي عادت تهاتف هيثم لكن الهاتف المغلق حمل لها الخسارة هذه المرة بنكهة النهاية !!





هنا شعرت بتذبذب الهاتف في أناملها مع صوت رسالة فخفق قلبها بقوة وهي تتوقع رسالة من عاشقها المجهول ...

أجل...الآن بالضبط...تحتاج هذا الدعم ...!

لتتراخى أناملها فجأة على الجهاز وهي تقرأ رسالته التي لم تحوِ سوى كلمة واحدة ...

كلمة واحدة كأنما انتقلت من فراغ روحها لشاشة هاتفها ...

ولا تدري ما الذي قصده بها ...

_(خسارة)!





ظلت ترمق الشاشة بذهول وهي تود لو ترد هذه المرة فقط على رسالته ...

لو تسأله عمن هو...عما يريد ...وعما يقصده ...

لكن اليأس الذي ملأها جعلها تلقي الهاتف جانباً لتتطلع لصورتها في المرآة بقنوط ...

دموعها تتساقط ببطء تنعي شعور الضياع الذي يملؤها ...

لكن...لا!

لن تستسلم لهذا الوهن!

لن تترك حياتها فريسة لغيرها يسوقها كالدابة كيفما يشاء!!

ستضع إصبعها في عين كل من يفكر إجهاض طموحها ...

ستكون نجمة الغد التي تهفو إليها جميع العيون ...





ومن تركها اليوم سيرجو لاحقاً فرصة تقربه

منها !!

وبهذا الخاطر الأخير رفعت وجها مبتسماً نحو

مرآتها ثم مسحت دموعها قبل أن تغسل وجهها

لتتم زينته في أبهى صورة...

ستذهب للملهى الليلي كما فعلت من قبل لعل

الرقص يفرغ شحناتها الغاضبة هذه ...

لكنها ما كادت تتم ارتداء ملابسها لتتناول حقيبتها

إذا بأناملها تصطدم

بالبطاقة الورقية التي سقطت عليها من السماء

كفرصة ذهبية لولا قيود واقعها السخيفة!

هنا التمعت عيناها بتصميم وهي تقرأ الاسم

المكتوب عليها

(معتز الشريف)!





ماذا لو .....؟؟!!!!

==========

_أروع فوتوسيشن عملناه يا فندم!

قالها مدير الاستوديو لهما بينما رانيا تطالع الصور بفرحة حقيقية هاتفة :

_تجنن يا أشرف ..شفت الجمال؟!

أومأ برأسه بشرود وهو يكاد لا يرى شيئاً..

منذ مقتل "سيدة" وهو يرى الحياة بمنظار أسود ...يعيش يومه بتفاصيل لا يعيها بينما ذهنه مكبلٌ بمخاوفه ...

لقد خذلها...وعدها بالحماية مع طفلها ولم ينتبه إلى أن اللعبة أكبر منه

طالما وصلوا إلى سيدة فلابد أنهم قد عرفوا عن الأمر ...فهل يمثل هو الدور القادم ؟!





لو كان الأمر يتعلق به وحده ربما لما اهتم ...لكن ما يدريه أن ينال الأذى أقرب الناس لقلبه ؟!

_أشرف! معقول مش سامعني؟!

هتفت بها رانيا بقلق فالتفت نحوها من شروده قائلاً:

_معلش يا رانيا ...سرحت شوية .

انقبض قلبها بجزع وهي ترى الحزن المسيطر على ملامحه لهذا ما كادا يغادران الاستوديو ليستقلا سيارته حتى قالت :

_مالك يا حبيبي؟!

تردد قليلاً قبل أن يقول لها بصوت مختنق:

_هو ينفع نأجل الفرح؟!





اتسعت عيناها بصدمة قبل أن تمتزج كلماتها بدموعها:

_نأجل الفرح؟! قبل المعاد بكام يوم ؟! ليه يا أشرف؟!

انفرجت شفتاه وكأنه على وشك الاعتراف لها بما يؤرقه لكنه أشاح بوجهه صامتاً لتسأله بصوت باك:

_فيه إيه ؟! أشرف أنا خايفة...أرجوك قل لي مالك؟!

كانت دموعها البائسة حملاً جديداً على كاهله لم يكن ليحتمله ...

لهذا أخذ نفساً عميقاً يتمالك نفسه ثم التفت نحوها ليربت على كفها

قائلاً:





_زي ما قلتلك قبل كده ... خايف على صحتك .

كانت تشعر أنه يكذب ...عيناه تنزفان بوجع لا تفهمه...لقد اعتادت نظرة الحزن فيهما بعد مرض والدته لكن الخوف الذي ينهشهما الآن هذا حديث العهد بهما ...

_لو بتحبني خللينا نتجوز في أقرب وقت ...أنا محتاجة أكون جنبك .

قالتها بنبرتها الخانعة فارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة سبقت آهة عميقة قبل أن يرفع كفها لشفتيه بقبلة عميقة هامساً :

_صدقيني مش أكتر ما أنا محتاج لك .

حدجته بنظرة حائرة فاتسعت ابتسامته وهو يمسح دموعها ليقول متصنعاً المرح :





_أنا آسف عشان خليتك تعيطي...تسمحيلي أصلح غلطتي؟!

أمالت رأسها بتساؤل فقام بتشغيل السيارة قائلاً بنفس المرح المصطنع:

_خللينا ننسى إننا كبرنا ونفرغ توترنا ده ...تعالي نروح الملاهي!

ابتسمت وهي تربت على ساعده قائلة بامتنان:

_حبيبي يا أشرف ...دايماً بتقرا أفكاري ...امبارح بالذات كنت هاطلبها منك ...بس قلت هتبقى مشغول .

_عمري كله ليكِ .

همس بها صادقاً قبل أن يحاول التظاهر بالتركيز في الطريق بينما لايزال عقله مشبعاً بهواجسه ...





لكنه حاول حقيقة أن يتناسى قلقه معها في مدينة الألعاب التي دخلاها معاً ...

ضحكاتها المرحة كانت خير دواء له وهو يستعيد معها ذكريات طفولتهما ...خاصة عندما أصرت على القفز فوق "الترامبولين" الضخم هناك ...

لم يستطع منع ضحكاته وهو يقول مذكراً إياها:

_فاكرة لما بابا الله يرحمه غير لنا المراتب القطن لاسفنج ...وقعدت تتنططي عليها لحد ما كسرتِ "السّوستة""؟!

ضحكت بدورها وهي تجذبه من كفه نحوها قائلة :

_يااه ...فاكراه كويس ...كل واحد فينا مسك سرير يتنطط عليه لحد ما مامتك جريت ورانا بعصاية المقشة وطلعنا نستخبى على السطح.




ابتسم بحنين جارف وهو يتذكر ما تحكي عنه ثم

تركها لتذهب هناك حيث وقف مكتفياً بمراقبتها ...

قبل أن يستخرج هاتفه ليقوم بتصوير فيديو لها

وهي تتقافز هكذا كطفلة هانئة ...

لكنه ما كاد يفتح الهاتف حتى طالعته رسالة من

رقم مجهول :

(اللي حصل لسيدة ممكن يحصل لناس

تانيين ...ماتحضرش عفريت مش هتعرف تصرفه)

===========

جلست تؤدي عملها الذي أوشكت على انهائه وهي

تشعر بالكثير من

الارتياح ...





عملها هنا كان عطية السماء لامرأة في

ظروفها ...وسيكون أول ما تفعله عندما تستقر

ظروفها أن تعود لسكنى شقة أحمد ...

صحيحٌ أن الإيجار سيلتهم قرابة ثلاثة أرباع الراتب

لكن لا بأس...

يكفيها أنها ستعود لشعورها بالأمان في عالمه ولو

لم يكن هو فيه !

وعند خاطرها الأخير ارتسمت على شفتيها ابتسامة

آسرة جعلت أحد

زملائها في المكتب يقول لها بود :

_أول مرة أعرف إن شغلنا فيه حاجة تضحك!

رفعت إليه عينين مرتابتين زادهما ضعفهما جاذبية

وهي تتمتم مرتبكة بكلمات بلا معنى فابتسم مردفاً:





_انت متعرفيش إنك جيتيلي نجدة من السما...الموظف اللي كان هنا قبلك كان عليه بوز ...يا ساااتر ...تكشيرته كانت بتلزق في وشي أنا اليوم كله .

ارتجفت شفتاها بابتسامة مجاملة جعلت الرجل يتمادى بقوله بينما يتفحص ملامحها بجرأة:

_لكن انتِ ابتسامتك بتنور الدنيا.

تراجعت ابتسامتها وهي تطرق برأسها مشبكة أناملها تحت المكتب بخوف صار مبالغاً فيه ...

جبينها يتعرق عرقاً خفيفاً ومشاهد بعينها تخترق ذهنها من ماضيها البائس بينما الرجل مستمرٌ فيما يظنها -بصَمتها- راضية عنه :

_الحزن مابيرجعش اللي راح ...انتِ لسه صغيرة وجميلة والحياة كلها قدامك.



قالها بنبرة مواساة مصطنعة وعيناه تنسحبان لما ظهر من رقبتها وجيدها خلف ياقة قميصها المفتوح محاولاً إكمال باقي الصورة من خياله لتتوهج عيناه ببريق أجفلها وهي ترفع عينيها إليه ...

هي تعرف هذه النظرة جيداً ...

نظرة تجردها من ثيابها..من أمانها..بل من آدميتها !

نظرة تشل أطرافها ...تجمد لسانها ...تتكمش لها روحها بضعف من لايملك إلا الاستسلام !

_ياللا يا غادة !





هتف بها رامز وهو يدخل إلى المكتب ملاحظاً نظرات زميلهما إليها فتغضنت ملامح وجهه بضيق عندما لاحظ ضعفها المعهود الذي يثير غيظه ...

تنحنح الرجل بخفة وهو يقوم مصافحاً رامز الذي لم يستطع إخفاء ضيقه بينما قامت غادة لتتناول حقيبتها قبل أن تغادر المكتب خلف رامز منطفئة الملامح منعقدة اللسان .

وفي طريقهما إلى البيت كان يختلس هو نظرات مشفقة نحوها وهو لا يدري سبباً ل"سلبيتها" هذه !

لقد سمع حوارها مع زميلها كاملاً وقد توقع في أي لحظة أن تزجره بأي كلمة...لولا ثقته في أخلاقها لظنها راضية عن ذاك الغزل!




_سكتّي له ليه؟!

سألها فجأة وهو يلاحظ إطراقها البائس مع ارتجاف أناملها فرفعت إليه عينين عاجزتين مذعورتين وكأنها تتوقع أن يتهمها مثل الجميع في شرفها لتجد نفسها تتمتم مدافعة:

_هو اللي كان...قصدي ...أنا مابعرفش أرد لما...

انقطعت عبارتها وعيناها تمتلئان فجأة بالدموع فانعقد حاجباه وهو لا يفهم ما بها ...

الأمر لا يتعدى مغازلة بسيطة كان بإمكانها إيقاف صاحبها عند حده في وقتها ولا تستحق كل هذا الذعر الذي يرتجف له جسدها ...

كاد يعاود سؤالها عن الأمر لكنه خشي أن يزداد انهيارها فأطبق شفتيه مؤثراً الصمت .





وفي شقتهما كانت هانيا منهمكة في مذاكرتها عندما سمعت رنين جرس الباب فقامت لتفتحه حيث طالعها وجه حماتها ترمقها بنظرات مستاءة ...

_أهلاً يا طنط ...اتفضلي!

قالتها بود يخفي حقيقة ضيقها من مقاطعة أحدهم لها وتضييعه وقتها الذي بالكاد يكفي مذاكرتها ...

لكن المرأة ولجت للداخل وهي ترمقها بنظرات متفحصة من أعلى

لأسفل ثم تنهدت بضيق لتجذبها من كفها نحو أريكة قريبة حيث جلستا لتبادرها المرأة بقولها :

_انتِ عارفة إن ده معاد رجوع جوزك من الشغل؟!





عقدت هانيا حاجبيها وهي تحاول فهم ما ترمي إليه حماتها التي استطردت بنبرة عاتبة:

_ورق مذاكرتك مفروش على السفرة بدل الأكل اللي المفروض ييجي

يلاقيه سخن...وشك مجهد وعنيكي تعبانة بدل ما ييجي يلاقيكي مستريحة ومستنياه...وإيه اللي انتِ لابساه ده ؟!

مطت هانيا شفتيها باستياء وهي تشعر بالحرج ...

منذ طفولتها وهي لا تحترم كثيراً أن ترتدي المنامة كاملة...!

تلتقط أقرب ما تقع عليه أناملها من قطع حتى ولو لم تكونا متناسقتين ...حتى إن نبيلة كانت تداعبها دوماً بقولها (نفسي مرة أشوفك لابسة بجامة على بعضها)!





هكذا كان حالها الآن وهي ترتدي قميص منامة طويل أخضر اللون على سروال منامة أخرى بلون أزرق فاقع لتزيد عقصة شعرها مع نظارتها الطبية من مظهرها الفوضوي .

لكن المرأة ربتت على كتفها لتقول بنبرتها العاتبة:

_فيه حاجات الست لازم تاخد بالها منها ...عشان جوزها غصب عنه عنيه ما تروحش بره .

مطت هانيا شفتيها باستياء وهي تتوقع ما تلمح إليه حماتها ...ستعود من جديد للحديث عن ضيقها من وجود غادة بالمنزل وخوفها على رامز منها ...

تباً...ألا يفكر العالم كله إلا بهذه الطريقة؟!

ألا يفهم هؤلاء قدسية لمفهوم الصداقة ...دعنا من الصداقة...ألا يفهمون قدسية لمعاونة امرأة مثلها في محنة ؟!





كادت ترد بكل ما يجيش بصدرها لكنها آثرت السلم كي تمر الأمور على خير ...

فاستطردت حماتها ناصحة:

_يابنتي دي أسعد وأروق أيام حياتك..لو مكنتيش تدلعي فيها نفسك هتعملي كده امتى؟! الحقي اهتمي بروحك شوية قبل ما يجيلك ولد

ياخد كل وقتك.

_اطمني يا طنط..ما بفكرش في الموضوع ده دلوقت.

كي تكون صادقة مع نفسها هي قالت هذا كي ترد على -ما رأته - إهانة لها ...أجل...كانت تعلم مدى اشتياق المرأة بطبيعة الحال لحفيد خاصة أن رامز





هو ابنـها الأكبر ...لـهذا لم تتعجب ثورة المرأة التي هتفت بـها :

_إيه ؟! ما بتفكريش ؟! هو ده كمان محتاج تفكير؟! اوعي تكوني بتاخدي حاجة تمنع الحمل !

_فعلاً باخد...أنا مش فاضية دلوقت .

قالتـها ببرود ألجم لسان المرأة قليلاً قبل أن تـهب واقفة مكانـها مستأنفة ثورتـها :

_لما ييجي رامز أنـا هاشوف الموضوع ده معاه ...استحالة يكون موافقك على حاجة زي كده !

_لا موافقها يا ماما!

قالـها رامز بحزم غاضب وهو يدخل من باب الشقة مع غادة التي بـهتت




ملامحها بخوف وهي تسمع هذا الشجار فالتفتت نحوهما أمه لتهتف بنفس الثورة:

_موافقها على الجنان ده ؟! زي ما وافقتها على كل الأوضاع الغلط اللي ما ترضيش حد دي ؟!

نظراتها النارية كانت مصوبة نحو غادة التي فهمت ما ترمي إليه ...

آه ...كم تود لو تنشق الأرض وتبتلعها الآن !

_اهدي بس يا ماما ...ضغطك هايعلى زي كل مرة !

قالها رامز مهدئاً وهو يحاول التربيت على كتفها لكنها دفعته ببعض العنف هاتفة بحنق وهي تلوح بسبابتها:

_الموضوع ده بالذات مايتسكتش عليه ...

ثم رمقت غادة بنظرة ساخطة مردفة:




_كفاية اللي سكتنا عليه قبل كده !

تقدمت هانيا نحو غادة بحركة داعمة عندما غادرتهم المرأة بخطوات مندفعة يتبعها رامز ...

فالتفتت هانيا لغادة هاتفة بانفعال:

_ولا يهمك ...حقك عليّ أنا ...رانيا خلاص هتتجوز وأوضتها في بيت

خالتي هتفضى ...هتروحي هناك وهازورك كل يوم .

قالتها وهي تحتضن غادة بحمية مدافعة مربتة على ظهرها ...غادة التي كانت تشعر الآن بالمهانة كما لم تفعل من قبل ...لقد كانت تفكر جدياً

بالرحيل لكن القدر عاجلها بهذه الطريقة المهينة .




_لا هنا ولا عند خالتك...أنا هارجع شقة أحمد ...خلاص دلوقت ممكن أدفع إيجارها .

_انتِ بتهزري؟! هتدفعي إيجارها وتعيشي منين ؟!

هتفت بها هانيا باستنكار لكن غادة انخرطت فجأة في البكاء وهي تعود لشقتها المقابلة عدواً لتغلق بابها خلفها ...

وقفت هانيا مكانها مصدومة لبضع ثوانٍ من تطور الوضع المفاجئ هذا ثم تحركت لتلحق بغادة لكنها ما كادت تخرج من باب الشقة حتى فوجئت برامز أمامها يرمقها بنظرة غاضبة...

قبل أن يجذبها من ذراعها بعنف ليدخلها شقتهما ويغلق الباب .




_انت بتبص لي كده ليه ؟! ده بدل ما تعاتب مامتك على اللي قالته ؟! غادة منهارة حرام عليكم ...هي ناقصة؟!

كز على أسنانه بغضب وعيناه تقدحان الشرر للحظات قبل أن يقول لها ببرود مشتعل:

_أنا قلت قدام أمي إنك متفقة معايا عشان ما احرجكيش...بتاخدي وسيلة منع حمل من امتى؟!

زفرت بحنق ثم نفضت ذراعها منه لتقول مدافعة:

_احنا كنا متفقين قبل الجواز إني هأجل موضوع الأطفال لبعد ما اخلص رسالتي...إيه المشكلة بقا؟! مجتش فرصة أقوللك بعد ما اتجوزنا إني بدأت في اجراءاتي .

تحرك نحوها خطوة غاضباً وقد عجز عن السيطرة على غضبه ليهتف ثائراً:





_قبل الجواز أنا ماادتكيش وعد...قلتلك هانفكر ونقرر سوا ومش هنعمل حاجة غير لما نكون احنا الاتنين مقتنعين بيها ...أنا فاكر أنا قلت إيه كويس يا دكتورة !

فأشاحت بوجهها بعناد مع قولها:

_مش فارقة!

_لا فارقة ! لما تاخدي قرارك من دماغك تبقى فارقة...لما اتفاجئ بيه زي العيل الصغير قدام أمي تبقى فارقة...لما أبقى بعمل كل حاجة عشان أرضيكِ وانت مصرة تعزلي نفسك في عالم لوحدك تبقى فارقة !

هتف بها بانفعال ثم دفعها بقوة ليدخل غرفة المعيشة صافقاً بابها خلفه !




انتفضت مكانها على صوت الباب وهي تشعر ببعض الذنب ...

لكن أخذتها العزة بالإثم فدخلت غرفة نومهما هي الأخرى صافقة بابها خلفها .

وفي مكانه كان هو يكاد يغلي غيظاً وهو يشعر بغضب لم يملؤه يوماً نحوها ...

لقد تجاوزت كل حدودها هذه المرة ولا يدري كيف يعاقبها عقاباً رادعاً!

ظل يتقلب على الأريكة بعدها لساعات حيث قرر قضاء ليلته بعدما فقد الأمل في أن تعترف "الدكتورة " بخطئها وتعتذر ..





كان الليل قد انتصف فزفر بحنق وهو يشعر بالعطش الذي جعله يغادر غرفة المعيشة نحو المطبخ ...

لكنه ما كاد يمر جوار باب الشقة حتى سمع باب الشقة المقابلة الخاصة بغادة يغلق !

عقد حاجبيه بضيق وهو يظن هانيا قد ذهبت تقضي ليلتها معها لكنه عندما نظر عبر العين السحرية وجد غادة تقف وحدها مكانها حاملة حقيبة كبيرة فضحت نيتها ...

ضعيفة...حائرة ...مشتتة ...ودامعة كعادتها ...حتى أنها ظلت واقفة مكانها لدقيقة كاملة تتلفت يميناً ويساراً كطفلة ضالة !

ابتعد عن الباب قليلاً يفكر بحيرة...





هانيا ستقلب الدنيا غداً لو وجدت صديقتها قد غادرت هكذا خفية دون أن تخبرها ...

لكن لعل هذا هو الصواب!

غادة يجب أن تخرج من حياتهما حقاً ...هو لم يعد مستريحاً لهذه المقارنة التي يجريها عقله في كل لحظة بينها وبين زوجته ...

هو ساعدها بإيجاد عمل ولن يستطيع إقناع أمه بالسماح لها

بالبقاء أكثر ...كما أن وجودها هنا بعد ما صدر من أمه يعد إهانة لها ...

لماذا تبقى هنا؟! لماذا لا تعود لأهلها؟! لشقة زوجها ؟!

هذا أسلم لها وللجميع!





وبهذا الخاطر الأخير أخرس أفكاره وهو يعاود النظر عبر العين السحرية ليجدها قد اختفت ...

فازداد انعقاد حاجبيه وهو يتوجه نحو نافذة قريبة ليراها واقفة وسط الشارع الخالي في هذا الوقت ...

انقبض قلبه بحمية رجولية وهو يشعر بالخوف على امرأة هشة مثلها ...

لكن عقله كان لايزال يقنعه بأن رحيلها هو الأفضل!

صراع دام لثوانٍ قبل أن يحسمه أخيراً وهو يندفع نحو باب الشقة ليخرج إليها ...!!!

وفي فراشها انتفضت هانيا وهي تسمع صوت باب الشقة يغلق فنظرت للساعة أمامها لتتسع عيناها بدهشة ...




أين يذهب رامز في هذا الوقت؟!

نفضت عنها غطاءها لتتوجه نحو نافذة غرفتها التي فتحتها لتتجمد

ملامحها مصدومة وهي تراه واقفاً مع غادة في الطريق في هذا الوقت من الليل ومعهما...حقيبة ملابسها!!

==========

_وكما قال عنترة: سكتتُ فغرّ أعدائي السكوت...وظنوني "توت توت قطر صغنتوت"!

انفجرت ياسمين بالضحك والكلمات السابقة تنبعث من فم أحد الأطفال من أقارب يامن الذين لم يصبروا للغد كما وعدوا ليزوروهم في نفس الليلة ...

بينما هتف يامن بمرح :





_عنترة قال "توت توت قطر صغنتوت"!

فقال الصغير وهو يهز كتفيه بشقاوة طفولية محببة:

_هاكدب عليك؟! خدناها كده في المدرسة!

_مدرسة ال"كمبيوتر" اللي قاعد قدامه طول النهار!

قالتها أم الصغير شاكية فعاد يامن يبتسم بينما المرأة تداعب طفلها

الآخر والذي كان يصغر شقيقه ببضعة أعوام مردفة بنبرة وعيد لم تخل من حنان:

_اوعى تتعلم من أخوك..خللي واحد فيكم فالح.





لم يبدُ على الصغير أنه فهمها وهو يهز رأسه يمنة ويسرة قبل أن يتملص من ذراعي أمه ليتوجه نحو ياسمين رافعاً ذراعيه مع هتافه الطفولي :

_"أوبّح"!

ارتفع حاجباها بحنان غامر وهي ترفع الطفل لتضمه لصدرها بقوة قبل أن تغرقه بقبلاتها على وجهه مع عبارات تدليل ناعمة ...

خفق قلب يامن بجنون وهو يتابعهما بعينين جائعتين لعاطفة كهذه ...

هذه المرأة خلقت لتكون أماً!

رغم الانطلاقة الطفولية التي تفضحها حركاتها لكنه يشعر أنها تخفي خلفها قلباً رحيماً يشتاق لأن يمنح أكثر مما يعطي...





لم تكن المرة الأولى التي يراها فيها بهذه الحيوية والانطلاق لكنه هذه المرة كان يختبر ذاك الشعور "المقيت" بالغيرة...وكيف لا؟!

وقد استجابت -الغافلة - لجنون عاطفتها مع الصغير تدلله بقبلاتها تارة وبكلماتها تارة لتمتزج ضحكاتهما العالية بدويّ لم يجد أثره في قلبه وحده بل في قلوب الحاضرين جميعاً ...

احمرت أذناه بغضب وهو يشعر بنظرات أقاربه - خاصة رجالهم- تتعلق بها خاصة في حركتها الأخيرة عندما رفعت الصغير لتداعب بطنه بأنفها بحركات مدغدغة علا معها صوت ضحكاتهما معاً ...





هنا شعر بسهم حارق يجتاح روحه بحرارة قاتلة وهو يود لو تنشق

الأرض الآن وتبتلعها ...بل تبتلعهما معاً...فلا ينظر إليها غيره إنسٌ ولا جان !

ويبدو أن انفعالاته على وجهه كانت صارخة إلى هذا الحد الذي وصل عمه بوضوح جعله يتنحنح ليقول بنبرته الحازمة الودود:

_قوموا ارتاحوا دلوقت زمانكم تعبانين من السفر والصباح رباح.

وقف يامن حامداً لعمه تصرفه ليقف معه الرجال الذين حضروا من أقاربه مثيرين عاصفة جديدة من الترحاب الدافئ أنسته بدفئها ما كان يغمره من شعور بالضيق ...





لكنه ما كاد يختلي بها في غرفتهما حتى أغلق الباب خلفه ليهتف بحدة وهو يمسك ذراعيها ببعض العنف:

_إيه اللي كنتِ بتعمليه ده ؟! لازمته إيه الاستعراض والدلع الماسخ ده هنا ؟!

اتسعت عيناها بصدمة لوهلة محاولة تبين خطئها بينما هو يردف بنفس الغضب الذي فضح غيرته:

_ماخدتيش بالك كام عين كانت عليكِ وانتِ سايقة فيها مع الولد الصغير ؟!

عضت شفتها بإدراك ثم رفعت عينيها إليه وقد انفرجت شفتاها تهم بالرد مدافعة بمنطقية ...

لكن هذا الشعور الذي قرأته واضحاً في عينيه أربكها ...وكأنها -رغم خبرتها القديمة به- قد عجزت عن فهم حديث نظراته...




أو ربما ...فهمت لكنها لم ترد التصديق!

لهذا لم تشعر بنفسها وهي تقترب منه خطوة لتبسط كفيها على صدره هامسة لتهدئه :

_معنديش "كنترول" مع الأطفال...آسفة...ماقدرتش أمسك نفسي...

انقطعت عبارتها بين شفتيه وهو يقربها منه فجأة ليلصقها بصدره

محاولاً إطفاء نيران غيرته بنيران أخرى لا تقل عنها اشتعالاً...

هذه المرة لم يكترث لعدم استجابتها...للخوف من نفورها ...ولا لاتفاقهما -السخيف- الذي يلعن نفسه إذ وافقها عليه ...

كل ما كان يعنيه الآن أن يشعر أنها له ...له وحده !





أن يجرب لذة قربها ولاسيما لو كان بنفس الدلال الذي كانت تغدقه على الصغير ...

أنانية؟!

حسناً...هو يعترف أنها حقاً كذلك لكن لا سبيل له في مقاومة أن ينهل من بئرها هذا حتى تمام الارتواء!

هو لم يكن يوماً ضعيفاً أمام شهواته...بل على العكس طالما تفاخر بأن رايات النساء لا ترفع على أرض جسده إلا لينكسها غروره !

لكنه معها هي بالذات يشعر بالأمر مختلفاً...

هو يريدها كاملة..يريد اختبار لون عشقها -المزعوم- هذا على جدران عالمه الأسود !

والمقابل؟!





المقابل!

هي لا تطلب شيئاً وهو لا يملك ما يعطيه ...فمن يكترث بهذا السؤال؟!

_أنا كمان آسف ...ماقدرتش أمسك نفسي!

قالها أخيراً مقلداً لكنتها بغيظ امتزج ببعض العبث وهو يبتعد بوجهه عنها واحمرار بشرتها الخجول يمنحه الكثير من الرضا ..فابتسمت وهي تشيح بوجهها متمتمة بارتباك خافت:

_انتَ مشكلة .

_وانتِ كارثة!

اتسعت ابتسامتها وهي تعود بعينيها إليه محاولة فهم ما يعنيه لكن رنين هاتفها قاطعها ...





_ده بابا .

قالتها وهي تحرر نفسها من ذراعيه لترفع الهاتف لأذنيها بارتباك لم يخفَ عليه قبل أن تفتح الاتصال لترد بنبرتها الحيوية ...

ضاقت عيناه بتفحص وهو يتأمل ملامحها التي غابت في شرود بائس رغم المرح المصطنع الذي كانت تجيب به أباها ...

ورغم أنه شعر أنه من الذوق أن يتركها وحدها كي يمنحها المزيد من الخصوصية في هذه المكالمة لكنه ضرب بهذا عرض الحائط !

فلتذهب كل أصول اللياقة للجحيم ...هذه المرأة صارت وسواسه





الأعظم ولن يهدأ حتى يحيط بكل تفاصيلها دون نقصان .

_كويسة طبعاً...ومبسوطة جداً...جداً !

ازدرد ريقه بتوتر وهو يسمعها تقولها بحرارة لا يدري هل تصطنعها أم تجتاحها ...

ورغم أن حديثها مع أبيها لم يستغرق بعدها سوى بضع دقائق لكنه شعر بضيق خفي وهو يتابع عينيها اللتين انشغلتا عنه بشرودهما قبل أن تتجمد ملامحها فجأة مع صمت قصير وكأنها سمعت ما يسوؤها !

انعقد حاجباه بترقب وهو يقترب منها خطوة بحمائيته المعهودة بعدما لمح الدموع تلتمع في عينيها مع صوتها المختنق:





_شكراً يا بابا...تعيش وتفتكر.

ازداد انعقاد حاجبيه وهو يسمعها تنهي الاتصال بنفس النبرة التي عجزت عن تصنع المرح فيها أكثر فانتزع منها الهاتف ببعض العنف

متسائلاً:

_فيه إيه؟!

_مفيش...من فترة طويلة كنت بحاول أعمل لماما الله يرحمها مشروع خيري بس كانت تراخيصه متعطلة ...بابا أخيراً قدر يحلها ومتصل يفرحني خصوصاً إن معاد الذكرى السنوية لوفاتها كمان كام يوم ...

قالتها مطرقة برأسها قبل أن ترفعه بابتسامة شاحبة لتردف:





_تخيل إنه فاكر معاد وفاتها بعد السنين دي ؟!..كل سنة في نفس المعاد بيبقى حريص إنه يكلمني مش بس عشان يطمن عليّ وكمان عشان يحكيلي أد إيه هو ندمان إنه غلط في حقها ...ليه مبنعرفش قيمة الناس إلا لما بنفقدهم ؟! ليه لازم نخسر الحاجة عشان نحس بيها؟!

ربت على كتفها بكفه الحر وقد فقد كلماته معها كالعادة ...

فاتسعت ابتسامتها الشاحبة وكأنما تقهر بها حزنها مع استطرادها:

_فيه حاجات لما بتيجي متأخرة مابيبقاش لها طعم...لا القهوة بتتشرب باردة ولا الآيس كريم بيتاكل سايح...عشان كده لو فيه حاجة اتعلمتها في





حياتي فهي إني أعيش كل إحساس في وقته وأديه حقه عشان لو عدى وقته هندم عليه .

صمت طويلاً بعد عبارتها شاعراً أن كلماتها تمس شيئاً دفيناً بأعماقه ...

ربما كانت مشكلته طوال عمره أنه كان يهرب من مشاعره ...

من حزنه...من يأسه...من ألمه...وحتى من فرحه !

"عايشها من عَ الوشّ" !

بهذا التعبير البسيط كان يصف حاله الذي يبتعد عن التعمق في أي شيء مكتفياً ب"النقر" على قشوره ...

فهل آن الأوان أن يعترف أنه كان مخطئاً ؟!





انقطعت أفكاره وعيناه تتعلقان بابتسامتها الشاحبة التي صارت ترتجف مع ارتجافة شفتيها في لحظة نادرة من لحظات ضعفها ...

ولو قرأ ما في خاطرها لأدرك أن قربه هذا منها يمتص منها قوتها لا العكس!

هو نفسه لايزال جبلاً آخر من جبال همومها التي وجب عليها تجاوزها حتى تصل ل"نهر الحلم" الذي تود ملأ كفيها من مائه !

الرحلة طويلة..طوييييلة...

وامرأة كهذه قد تغفر لنفسها الضعف لكنها لن تغفر السقوط!

_مش عايزة صورة حقيقية بدل الفوتوشوب؟!





همس بها بصوته الخشن وهو يشعر بارتجافة ضعفها تزداد فرفعت إليه عينيها بتساؤل لا تكاد تفهم ما يعنيه ...

قبل أن يمنحها الجواب وهو يضمها إليه بذراعه الحر بينما ذراعه الممسك بهاتفها يرتفع ليلتقط لهما صورة بهذا الوضع!

لم تكد ابتسامتها الواهنة تعود لشفتيها حتى ألقى ما بيده جانباً ليحتضنها بملء ذراعيه وكأنما يغرسها غرساً على صدره ...

قامتها الضئيلة تكاد تختفي بكاملها بينما يميل برأسه على رأسها وأنامله تربت على ظهرها بحنوّ استجلب دموعها رغماً عنها !





_أنا كويسة ...مش...

انتهت كلماتها المكابرة بشهقة بكاء عنيفة جعلته يضمها لصدره أكثر وهو لا يدري من منهما أكثر احتياجاً لهذا العناق !

كلاهما في هذه اللحظة كان يمثل صورة الآخر في مرآة الضعف والحرمان ...

صورة رسمها ماضٍ متشابه وإن تعامل معها كل منهما بطريقته !

أجل...كلاهما كان يخشى الغد...يخشى الفقد...لكنها "هي" كانت تتشبث ببقايا ثقتها في نفسها ...بينما هو لا...لم يعد يثق في أي شيء ولا أي شخص حتى نفسه !





_شكراً!

همست بها أخيراً وهي ترفع عينيها إليه بعد دقائق مرت كدهر كامل من أحاسيس...

قبل أن تبتعد بجسدها عنه في حركة كرهها لكنه لم يستطع منعها فتنحنح بخشونة ليشيح بوجهه متمتماً بكلمات بلا معنى ...

ابتسمت ابتسامة حقيقية وهي تمسح ما تبقى من دموعها لتردد الكلمة التي تغيظه:

_شكراً يا "طيب"!

ثارت ملامحه بغيظه المعهود من عبارتها هذه ليهتف:

_إيه "شكراً يا طيب " دي؟! بتكلمي أخوكِ الصغير؟!





ضحكت ضحكة رائقة وهي تبتعد أكثر لتحتضن جسدها بساعديها بينما عيناها تمطرانه عشقاً ناسب عبارتها:

_بحب أقولهالك..يمكن لأن دي أجمل حاجة فيك...حاجة مش بتبان لكل الناس ومش بيلاحظها غير اللي يقرب منك قوي ...لما بقولها ببقى حاسة إني كسبت رهاني عليك ...وإن كان معايا حق لما قفلت قلبي عليك طول السنين دي.

انفرجت شفتاه للحظة وكأنه على وشك قول شيء ما قبل أن يطبق بشفتيه بقوة وهو يشيح بوجهه ...

كل هذا كثيرٌ على تحمله !!

هذه المرأة تثير جنونه وهو لا يدري ماذا يفعل بها؟!





ليته يصدق هذا الحب الذي تزعمه ...

أو ليته يكذبه!

لكن أن يبقى هكذا يتدحرج بينهما فهو الجحيم بعينه!

لهذا حاول الهروب من هذا الحديث بأسره وهو يقول ليغير الموضوع :

_اليوم كان صعب قوي ...انتِ أكيد تعبانة وأنا كمان ...ياللا ننام .

قالها بجفاف وهو يبتعد عنها ليعطيها ظهره قبل أن ينتبه أن الغرفة بطبيعة الحال لا تحوي سوى فراش واحد ...

ذاك الذي انتبهت له هي الأخرى في نفس اللحظة فتقدمت منه لتقول بنبرتها الحيوية :





_من حسن الحظ ان السرير له مرتبتين فوق بعض ...ساعدني بس ننزل واحدة منهم ...انت عارف إني بحب نومة الأرض.

فالتفت نحوها بنظرة حادة ثم زفر بضيق وهو يتقدم نحو الفراش ليبدأ في نقل أحد "المرتبتين" إلى الأرض قبل أن تنضم هي إليه تساعده حتى انتهيا فتحركت لتحضر شيئاً ما من حقيبة سفرها تبين أنه مادة معقمة نشرت رذاذه بسرعة على كلي المرتبتين مع قولها:

_ده سبراي مطهر ومعقم عشان الدوك موسوس نظافة !

فالتوت شفتاه بابتسامة خفيفة وعيناه تنسحبان إلى حقيبة سفره التي حوت عبوة مثل عبوتها تماماً!!





جميلٌ حقاً أن تجد من يفهمك إلى هذا الحد الذي يقرأ فيه أفكارك ...

لكن الأجمل أن تقرأ أنت الآخر أفكاره ...هذا الشيء الذي كان هو عاجزاً عن فعله معها حتى الآن مع ضباب وساوسه الذي يعكر سماء أي حقيقة في حياته !!

_هاقف في البلكونة شوية.

قالها وهو يتحرك نحو شرفة الغرفة كي يمنحها حرية تبديل ملابسها ...

نظرة حنين طويلة للساقية القديمة هناك والجاثمة كشبح أسود مكانها تبدلت لنظرة رضا متدفقة وهو يتذكر مقامهما معاً سوياً منذ قليل ...





هي حقاً امرأة الألوان القادرة على صبغ الأشياء بطيفها المبهرج مهما اشتد سوادها !

لكن...هل يرغب هو حقاً في نزع الأسود من ألوانه؟!

_أنا خلصت..ممكن تغير انت كمان هدومك وأنا هافضل هنا شوية .

قالتها خلف ظهره وهي تتقدم نحو سور الشرفة فالتفت نحوها هاتفاً بحدة:

_انتِ اتجننتِ؟! هتقفي في البلكونة بشعرك كده ؟!

قالها وهو يدفعها أمامه ليغلق باب الشرفة خلفهما مردفاً بنفس الحدة:

_مايغركيش إن المكان فاضي..لو حد بس لمحك صدفة هتبقى حكاية هنا!




ابتسمت برضا من غيرته الواضحة وهي تطرق برأسها عندما تقدم هو نحو المرتبة على الأرض ليستلقي عليها قائلاً بخشونته التي ما عادت تضايقها:

_مش محتاج أغير هدومي ...هنام كده !

_أنا اللي هنام على الأرض.

هتفت بها باعتراض وهي تحاول جذبه من ذراعه لتوقفه لكنه هو الذي شدها من ذراعها ليسقطها جواره قائلاً بحزم:

_حضرتك هتنامي على السرير معززة مكرمة وأنا اللي هنام هنا ومش عايز أسمع كلمة زيادة ...

ثم التمعت عيناه ببريق عابث وهو يلاحظ اضطراب أنفاسها لقربها منه إلى هذا الحد فأردف وهو يضغط حروفه بمكر:





_لو كنتِ مصرة تنامي على الأرض معنديش مانع تيجي جنبي.

فهبت واقفة مكانها بوجنتين محمرتين لتتمتم بعتاب خجول:

_أهو الوش الوقح ده هو اللي لسه مش عارفة أستوعبه منك .

وقح؟!

هل وصفت عبارته حقاً بالوقاحة ؟!

ماذا ستقول إذن لو علمت عن خيالاته بها كل ليلة والتي يبدو أنها ستؤرقه هذه الليلة بالذات كضيف ثقيل ؟!!





شعر بحركتها على الفراش فوقه فالتفت نحوها

لتنظر إليه من علو وهي ترفع عليها غطاءها

قائلة :

_تصبح على خير .

ظل يتقلب مكانه لبعض الوقت بعدها متحاشياً النظر

نحوها وهو يحاول التشاغل بأفكاره مع أي شيء

بعيد عنها حتى سمع قولها البرئ :

_لو مش جايلك نوم...أحكيلك حكاية !

حكاية ؟!

هل هذا ما تفتق عنه ذهنها العبقري في هذه

اللحظة وفي هذا الموقف ؟!

هذه المرأة إما أن تكون حقاً شديدة البراءة حد

الغفلة ...





وإما أن تكون لوحاً من ثلج ؟!

وعند خاطره الأخير عاد هاجس آخر يراوده عززه شعوره بنفورها من أي تلامس بينهما ...

هل تعاني خللاً ما بهذا الشأن؟! ألهذا طلقها زوجها؟!

_يامن!

صوتها المميز يعاود اختراق هواجسه ليهزم أفكاره مؤقتاً فتتنهد بحرارة وهو ينقلب على ظهره لينظر نحو السقف بشرود قائلاً:

_عمري ما حد حكالي حكاية قبل ما أنام...والدي الله يرحمه مكانش له في الحاجات دي ...كان بيشغل جنبي راديو ويسيبه مفتوح عشان يسليني ...بس أنا كنت دايماً بطفيه ...كبرت ووداني





خدت على السكوت لحد ما أدمنته ...فترة قبل النوم دي بعتبرها وقتي المقدس اللي محدش عمره شاركني فيها ...حتى لما اتجوزت كان كل واحد فينا له أوضته الخاصة اللي بينام فيها لوحده .

_يعني دي أول مرة حد يقعد معاك قبل ما تنام ؟!

أعتبر ده سبق حصري ليّ؟!

هتفت بها بمرحها الحيوي الذي انتقل إليه فالتفت نحوها قائلاً بنبرته العابثة:

_ما تقوليش لحد بقى أحسن تتحسدي!

صوت ضحكتها الرائقة بعدها دوى في أذنيه كأروع ما يكون قبل أن يحمل صوتها بعض الجدية :

_تعرف إنه زمان كان حلم من أحلامي إني أحكيلك حكاية قبل النوم...

ثم ضحكت بخجل لتردف:





_بتقولوا على البنات عبيطة عشان بتفكر في الحاجات دي ...بس من ساعة ما عرفت عنك كل حاجة وأنا كنت بتمنى أعيش معاك الأمومة اللي اتحرمت منها .

يالله!!

ألن تكف هذه المرأة عن إبهاره؟!

عن نشر الفوضى في عالمه الرتيب؟!

عن تكبيله بهذه البساطة الخانقة ؟!!

ماذا عساه فاعلاً بها ؟! وهل يملك أصلاً حق الاختيار؟!

هو ينحدر معها بنفس السرعة من على نفس الجرف منتظراً السقوط ...





لعلهما يلتقيان على السفح بعدما خاب لقاؤهما على القمة !!

_يامن.

_مممم.

_هاحكيلك حكاية .

_احكي يا شهر زاد ... بس قصّري مابحبش الرغي!

قالها مدعياً عدم الاكتراث وهو يغمض عينيه ليستمتع بصوتها الذي انساب في أذنيه كنهر من عسل ...

حكاية خيالية حملته لعالم سحري لم يدخله منذ زمن بعيد ليشعر وكأنما تبدلت روحه بأخرى تطوف معها في سموات بلا أسوار ...





الدقائق تمر في عدوها كثوانٍ خاطفة...

وأنفاسه تسكن أخيراً بعد طول صخب ...

لقد سمعهم يقولون يوماً إن بداخل كل رجل طفلاً ...

مقولة أغضبته وقتها لكنه الآن يشعر بها أصدق ما تكون ...

مرحباً بطفولة كهذه لو تنتهي بحكاية بصوتها ...وعناق يعلم أنه لن يناله ...على الأقل هذه الليلة !

بدأ صوتها في التثاقل مع تثاؤبها فابتسم دون أن يفتح عينيه حتى اختفى صوتها تماماً منبئاً باستسلامها للنوم سريعاً كعادتها بعكسه هو الذي يضنيه الأرق كل ليلة ....

انتظر لبعض الوقت ثم فتح عينيه ليصطدم بمرأى ذراعها الذي تدلى جوارها ليسقط قربه...





اتسعت ابتسامته وهو يقترب بجسده أكثر ثم مد أنامله ليمسك كفها المتدلي بحذر ...

رأسه يرتفع كي تلثم شفتاه خاتمه الملون في إصبعها بخفة ثم يعود مكانه شاعراً بلذة لص نال غنيمة سهلة...

لكنه لم يترك أناملها من يده بل شد عليها برفق يضمها نحو صدره قبل أن يستسلم بدوره لنوم عميق يقسم أنه لم ينعم به منذ زمن ...

==========

_هنرجع بكره؟!

سألته بنبرة حملت الكثير من الخيبة وهي تسير معه في أحد الحقول القريبة من بيت عمه فزفر بضيق هو الآخر مجيباً :





C i n n a b o n

_للأسف مضطرين...فرح رانيا قرب قوي ولازم ألحق أجهز اللي ناقصها .

ابتسمت وهي تلتفت نحوه لتقول بعفوية:

_طيبة قوي رانيا .

_طيبة بس ؟! دي غلبانة...أكتر واحدة بحمل همها في الثلاثة...هانيا قوية وداليا قادرة ...لكن رانيا بتغرق في شبر مية .

قالها وهو يتناول كفها ملاحظاً أنها لا تبادر أبداً بهذه الحركة رغم

استسلامها المستحدث لها ...

فعادت برأسها للأمام قائلة:





_بس اللي عرفته إن خطيبها بيموت فيها من صغرهم...الحب اللي زي ده هو الضمان الحقيقي لأمان أي ست .

ضحك ساخراً ليرد :

_الحب ده عامل زي وعود السياسيين ...بيلمع وشكله حلو ويطمن ...لكن وقت الجد بيطلع مجرد كلام.

هزت رأسها بيأس من مجادلته ثم أشارت لجسر قديم هناك لتقول بعزم:

_لا...الحب زي الجسر اللي هناك ده ...محتاجينه عشان نعدي ومانقعش في بحر حزننا .

_أديكي قلتيها ...عشان بس نعدي ..لكن محدش بيعيش عمره كله فوق جسر!





قالها بمرارة ساخرة فرفعت إليه عينيها صامتة للحظات قبل أن تهمس له بيقين:

_أنا معنديش مانع أعيش عمري كله فوقه...بس بشرط..ما يقعش بيا.

أشاح بوجهه بضيق حقيقي وهو يفهم مغزى عبارتها ...

لكنه لايزال عاجزاً عن منح أي وعود ...

أما لهذه الحيرة من نهاية؟!

_تعال هنروح هناك ...الصور عليه هتبقى تحفة.

قالتها بنبرتها الحيوية القادرة على انتزاع سعادتها من بين أنياب اليأس فضغط كفها في راحته مطرقاً برأسه وهو يتوجه بها نحو الجسر القديم الذي





تآكلت بعض أجزاء من سوره لكنه بقي قوياً صامداً .

سارت معه فوقه في ذاك الوقت المتأخر من عصر اليوم حيث خلا المكان إلا منهما لتلتقط لهما بعض الصور ...

قبل أن تستند على سوره لتنظر للأفق البعيد قائلة :

_يمكن بحب قعدة الأرض بس بحب أكتر النظر للسما...بحسها شباك لأحلامنا اللي جاية .

ابتسم وهو يستند مثلها على السور ليقول بتهكم:

_تعرفي إنك بتصعبي عليّ قوي؟! لو كنت فعلا مقتنعة بالأمل اللي ماليكي ده تبقي غلبانة....عمرك شفتِ حد حقق كل أحلامه وسعيد في حياته ؟!





فالتفتت نحوه بنظرة عميقة لتهمس بخفوت:

_أنا دلوقت حققت أجمل حلم وأنا معاك.

اختلجت عضلة فكه فاضحة تأثره بحديثها لكن طبيعته الوسواسية كانت له بالمرصاد ...

لن يصدقها ...لن يأمن لها ...كلهن يظهرن هكذا في البداية قبل أن يتبدل جلدهن كالأفاعي.

وبهذا الخاطر الأخير زفر بقوة وهو يشيح بوجهه عنها ليلفهما بعدها صمتٌ ثقيل قطعه صوت أحد الأطفال من أقاربه والذي كان يعدو نحوهما حاملاً قطعتين كبيرتين من المثلجات ليهتف أمام ياسمين:

_بتحبي الفراولة زيي؟!





عقد يامن حاجبيه بضيق وهو يتطلع لقطعة المثلجات التي بدت يدوية الصنع دون حتى غلاف يبين مصدرها ...لكن ياسمين تناولتها ببساطة لتقول بلطف :

_طبعا...بموت فيها ...شكراً إنك افتكرتني.

ابتسم الصغير برضا وهو يناول يامن القطعة الأخرى لكنه هتف بها بخشونة:

_جايبها منين دي ؟! من تحت السلم ؟! ما تاكلش غير حاجات مغلفة ومضمونة !

قالها ثم انحنى ليلقيها جانباً بسرعة لكنه اصطدم بنظرة الصغير الخائبة عندما استقام ...

تلك النظرة التي لم تحتملها ياسمين فرفعت قطعتها نحو شفتيها لتلعق طرفها باستمتاع قائلة للصغير:

_متزعلش...أنا هاكل بتاعتي.




قالها وهي ترمق يامن بنظرة عاتبة لكنه هتف بها بحنق:

_هتاكلي آيس كريم في الجو ده ؟!

_عشان خاطره!

قالتها وهي تنحني على الصغير لتقبل رأسه بحب فما كان منه إلا أن طوق خصرها بذراعيه الصغيرين قائلاً بدفاع طفولي:

_باكل منها كل يوم ومابتعبش !

ضحكت ياسمين وهي تتابع تناول قطعتها ناظرة ليامن بتحدٍّ مغيظ فما كان منه إلا أن هتف :

_براحتكم...

ثم أعطاهما ظهره ليردف:

_أنا هاروح مع عمي مشوار قريب ...مش هتأخر ...ارجعوا انتم الدنيا بردت.





لم ينتظر موافقتها وإن شعر بضيقها ورغبتها في صحبته ...والواقع أنه هو الآخر كان يرغب بهذا ولهذا -بالضبط- منع نفسه عنه بكل قوته وهو يبتعد بخطوات سريعة عنهما وكأنه يهرب من مشاعره نحوها التي تتملكه يوماً بعد يوم ...

كانت الدقائق تمر عليه متثاقلة بعدها وهو يلعن نفسه أن تركها وحدها لهذا ما كاد ينهي الأمر الذي خرج لأجله مع عمه حتى طالبه بسرعة العودة للبيت ....

_وحشتك عروستك يا "دكتور"!

قالها عمه بمكر لم ينقص من حنان نبرته فاحمرت أذنا يامن وهو يرد ببعض الخشونة متجاهلاً عبارته:




_تعبان ...ومصدّع ...ما نمتش كويس امبارح.

لكن الرجل ربت على كتفه ليسير جواره في طريق العودة قائلاً بجدية هذه المرة:

_ناوي تكرر الزيارة ؟! واللا هترجع تهرب تاني؟!

_أهرب من إيه؟!

_من نفس اللي كان أبوك الله يرحمه بيهرب منه ؟!

قالها عمه بنبرة ذات مغزى فازداد وجه يامن انفعالاً وهو يرد بعصبية:

_محدش ضربني على إيدي عشان آجي يا عمي ...أنا جيت عشان كنت عايز كده ...وماعادش فيه حاجة تخليني عايز أهرب.

_ياريت يا ابني...ياريت تكون مصدق كده بجد .

أنهى بها الرجل كلامه ليتجاوز الحديث عن هذا الأمر بآخر أكثر مرحاً طوال الطريق حتى وصلا إلى




البيت ولم يكادا يصلان حتى استقبلته زوجة عمه بقولها القلق:

_شوف مراتك مالها يا دكتور .

انعقد حاجباه بقلق وهو يسألها عن الأمر لتجيبه بحيرة :

_كانت زي الفل وقاعدة وسطينا ...مراة ابن عمك جابت الحنة عشان ترسم لها إيدها وهي كانت فرحانة ...بس أول ما كشفت ذراعها ورجليها لقينا لون وشها راح وقعدت تترعش وبعدين اتفطرت في العياط..طلعتها أوضتها وغطيتها وقعدت تتحايل عليّ أسيبها لوحدها .

فازداد انعقاد حاجبيه وهو يدرك خوفها المغالي من تكشف جسدها أمام الآخرين ...ليقول بصوت مشتت:





_هتلاقيها بس أخدت برد ...الجو قلب مرة واحدة .

قالها ثم اندفع عدواً نحو الدرج المؤدي لغرفتهما التي طرق بابها ليفاجأ بخلو الفراش منها ...

ومن الحمام القريب سمع صوت تأوهاتها فتوجه نحوه ليجدها منحنية على الحوض تمسك بطنها بألم ودموعها تغرق وجهها ...

_مالك ؟! فيه إيه؟!

هتف بها بجزع حقيقي وهو يلاحظ شحوب ملامحها فالتفتت إليه لتتمتم ببضع كلمات مطمئنة ثم عادت تنحني على نفسها قبل أن تفرغ ما ببطنها في الحوض ...





لم يشعر بنفسه وهو يقترب منها ليحتضن ظهرها بذراعيه وهو يربت على رأسها برفق حتى انتهت ...

غسل لها وجهها برفق ثم أسند جسدها شبه المتهاوي ليذهب بها إلى الفراش حيث استلقت بين أنينها المكتوم ودموعها التي أغرقت وجهها ...

انقبض قلبه خوفاً لكنه هرع إلى عمه ليطلب منه استدعاء طبيب قبل أن يعود عدواً إليها ليجلس جوارها على الفراش صامتاً...

كل عروق وجهه كانت نافرة بانفعال لكن لسانه بخل كالعادة بأي كلمة !

ولم يكد الطبيب يصل حتى هب واقفاً مكانه بتحفز وصل حدوده القصوى وهو يراه يكشف بعض





ملابسها ليتفحصها قبل أن يطمئنهم بدعواه أن الأمر بسيط ولا يزيد عن كونها أكلت شيئاً ملوثاً .

ولم يكد الطبيب ينصرف بعد إعطائها حقنة خاصة لوقف القيء حتى التفت نحوها وقد هدأت ملامحها قليلاً ليرمقها بنظرة حملت غضبه المكتوم ولازال لسانه منعقداً...

_عشان مافيش فايدة فيكي...دماغك ناشفة وتصرفاتك كلها غلط ...حد ياكل ايس كريم في الجو ده ؟!

صرخ بها أخيراً بعنف أجفلها وهو يجلس جوارها فجأة على طرف الفراش فسعلت لعدة مرات قبل أن ترمقه بنظرة دافئة طويلة سبقت همسها :





_ممكن تبطل طبعك ده وتعمل الحاجة اللي نفسك دلوقت تعملها بس بتكابر؟!

ظلت ملامحه متجهمة للحظات وكأنه لم يفهمها قبل أن يميل عليها فجأة ليعتصرها بين ذراعيه وهو يدفن وجهه في تجويف عنقها ...

فابتسمت بحنان لتحتضنه بدورها مع همسها الواهن:

_انا مبسوطة قوي...اول مرة النهارده اشوف في عنيك خوفك عليا !

قالتها وهي تعني كل حروفها ...ومن يفهمه مثلها؟!

هي وحدها كانت تقرأ في صمته السابق كل ما مشاعره التي عجز عن البوح عنها ...




لهذا لم يكن عجيباً أن تشبثت به أناملها بكل قوتها بينما رفع هو رأسه إليها أخيراً بحاجبين منعقدين مع همسه الخشن:

_ليه بيحصللك كده ؟! مش حكاية آيس كريم ولا برد...مراة عمي حكتلي على اللي حصل تحت ...مش عايزة تقوليلي إيه حكاية خوفك من إن الناس تشوف جسمك ؟!

أغمضت عينيها بقوة وأصابعها المتشبثة به تتراخى تدريجياً حول ظهره لكنه لم يسمح لها بهذا الابتعاد ...

ليس وقد صار بهذا القرب...

فعاد ينحني ليضمها إليه من جديد بقوة للحظات طالت وقد قرر عدم الضغط عليها مادامت ترفض الحديث بكل هذا العزم ...




وأخيراً ابتعد عنها بجسده ليربت على وجهها برفق ففتحت عينيها بصعوبة لتهمس بخفوت:

_يامن...أنا بحبك قوي.

فارتسمت على شفتيه ابتسامة واهنة ثم عاد يميل على وجهها ليمس شفتيها مسة خفيفة بشفتيه وقد تذكر نفورها المعهود ...

قبل أن يبتعد ليقول بسخريته الخشنة:

_عرفتِ ليه بقوللك انك كارثة ؟!

أغمضت عينيها بابتسامة شاحبة فعاد يربت على وجنتيها بخفة مردفاً:

_هاقوم أنا أطمن عمي ومراته وأسيبك تستريحي ...هنأجل سفرنا لبكرة تكوني بقيتي أحسن .

_ورانيا؟!





تمتمت بها باعتراض ليرد دون تفكير:

_صحتك أهم.

عادت ابتسامتها تزين شفتيها قبل أن تستسلم لنداءات جسدها المنهك فأغمضت عينيها هانئة بشعورها المستحدث بعاطفته نحوها ...

بينما كانت عيناه تمشطان ملامحها بمزيج من قلق ولهفة و....

شعور آخر لايزال يأبى الاعتراف به !

==========

وقفت في نافذة الغرفة بعدما أتمت استعدادات الرحيل ترمق المشهد الرائع أمامها بنظرة راضية ...





ثم حانت منها التفاتة لتلك "القُلّة الفخارية"
المستندة على سور النافذة فابتسمت وهي تتناولها
لتشرب منها قبل أن تسمع صوته خلفها:

_انتِ هتشربي كده عادي؟! انت عارفة مين شرب
منها قبلك ؟!

فالتفتت نحوه بنظرة عنيدة وهي تكمل ما تفعله قبل
أن تزيحها من على فمها لتقول له بنبرتها العاشقة
لكل ما تؤمن به:

_انت عارف اننا بنشرب ماء ميت ؟! التجارب اللي
عملوها أثبتت إن الطاقة الحيوية للماء بتضيع كلها
لما بيتحط في أزايز بلاستيك أو إزاز ...ربنا سبحانه
وتعالى بيقول "خلق الإنسان من صلصال

كالفخار"...ولأن الفخار أقرب مادة لتكويننا فالماء
فيه مابتتغيرش خواصه المفيدة لينا ...كمان




اكتشفوا إن الأواني الفخارية بيقل تكاثر البكتيريا فيها وهي أصح مادة ممكن نستعملها للشرب .

_ما اختلفناش...بس برضه ماتشربيش مكان حد .

قالها بعناد فابتسمت وهي تعطيها له قائلة:

_بذمتك ...مش نفسك تشرب منها دلوقت؟!

أشاح بوجهه مكابراً فعلا صوت ضحكتها لتحاصره بالمزيد من كلماتها :

_مرة واحدة انسى كل قواعد "الانفيكشن كونترول" دي وعيش حياتك من غير قوانين ...صدقيني هتلاقيها أمتع.

_أفهم من الضحكة دي إنك خلاص بقيتِ كويسة النهارده ؟! متأكدة إنك ممكن تسافري؟!

قالها وهو يعود إليها ببصره متجاهلاً عبارتها فأومأت برأسها لتقول برضا:





_الحمد لله ...

لم تكد تتم عبارتها حتى اندفع بعض أطفال عائلته ليدخلوا عليهما الغرفة بجلبة شديدة قبل أن يحاصروا ياسمين بعباراتهم الصاخبة وعناقاتهم الدافئة...

ابتسم رغماً عنه بعاطفة وهو يراها تضع ما بيدها جانباً كي تتمكن من معانقة كل منهم على حدة ...

ثم خفق قلبه بقوة وهو يرى قبلاتها الحارة التي أتبعت أحضانها لهم تكاد تلهب صدره ...

عقد حاجبيه بضيق وهو يرى أثر هذا في نفسه فأشاح بوجهه محاولاً كظم غيظه وغيرته التي لا يدري لها مبرراً هاهنا ...

لكنها شعرت بحدسها بما يدور بخلده فهتفت بالصغار:





_آخر حدوتة قبل ما امشي هاحكيهالكم عند الساقية ...روحوا استنوني هناك.

هلل الأطفال بصخب ثم غادروا الغرفة بعاصفة ضاحكة ولم تكد تختلي به حتى التفتت نحوه لترمقه بنظرة مترددة طويلة...

قبل أن تفعل آخر ما توقعه منها !

أجل...لقد استطالت فجأة على أطراف قدميها لتمنحه قبلتين سريعتين على وجنتيه نقرتهما نقراً قبل أن تهمس له بمزيج من خجل ودلال:

_عشان ماتبقاش غيران.

اتسعت عيناه قليلاً وهو يشعر بحركتها البسيطة هذه تجتاحه كبركان ...





لا...ليس الأمر فقط مذاق لمستها الذي صار يؤرقه بنكهته التي تميزها ...

لكن كونه يدرك أنها تفعلها الآن مجاهدة نفسها النافرة من تلامسهما فقط لإرضائه !!

ومع هذا لم تمنحه هي الفرصة للمزيد عندما هربت من أمامه بسرعة لتخرج من الغرفة كي تلحق بالصغار تاركة إياه خلفها يكاد يشتعل بكل ما يموج في صدره من مشاعر ...

ودون وعي وجد نفسه يتجه نحو "القلة الفخارية" التي تركتها لتوها هناك يشرب منها ...

ناسياً أو متناسياً كل ما كان يزعمه من حذر وريبة !!





ولما ضبط نفسه متلبساً بهذا وجد ابتسامة غريبة تغزو شفتيه مع تحسس أنامله لوجنتيه بفخر ذكوري وجد صداه في نفسه ...

ابتسامة لم تفارقه بعدها وهو يودع عائلته بحرارة قبل أن يستقر جوارها في القطار العائد بهما ...

ابتسامة تتسع الآن كثيراً وهو يراها تمسك بهاتفها تراجع ما التقطته هناك من صور وملامحها تفضح سعادة ورضا حقيقيين جعلاه يحيط كتفيها بذراعه هامساً:

_اتبسطتِ هناك؟!

_جداً .

_أنا كمان مكنتش عايز أرجع.

قالها مطرقاً برأسه فتنهدت لتمسك كفه هامسة بيقين:




_لازم ترجع ...عندك كام باب مفتوح لازم تقفلهم قبل ما تقدر تكمل حياتك زي ما بتحب .

أومأ برأسه موافقاً ثم قال بشرود:

_كنت محتاج الرحلة دي قوي ...كأن كان فيه حاجة جوايا تايهة ولقيتها .

_أنا كمان حبيتها جداً ...لو جيت انت هنا تاني من غيري قل لهم إني حبيتهم قوي.

رفع إليها رأسه فجأة بحدة وهو لا يدري بماذا يرد ...

كعادتها تتشبث أناملها بحكم عقلها في فراق تدرك أنه آت ..

وكعادته يرخي قبضته حول حبل العشق الذي تمده له كي لا يغرق ...





هي الناجية بقلبها يطفو فوق بحر حزنها خفيفاً برقته...

وهو الهالك بين موج يداهمه مثقل القلب بأوزاره !

لهذا أشاح بوجهه عنها كعادته كلما عجز عن مواجهتها متظاهراً بالتركيز في الطريق ملثماً بصمته ...

صمته الذي ردته له بسكوتها هي الأخرى طوال الطريق حتى وصلا إلى بيته ...

فتح الباب الخارجي للبيت ثم سار جوارها نحو الداخل ليلاحظ تعلق بصرها ب"أرجوحتها يدوية الصنع" هناك ...

فابتسم بحنان جارف قائلاً:





_وحشتك المرجيحة؟!

عيناها تلتمعان بمرحها الحيوي رغم إرهاق السفر ثم تبتسم دون رد ...

وفي بضع ثوانٍ كان قد ألقى حقيبة السفر جانباً ليحملها فجأة من خصرها ثم يعدو بها نحو الشجرة التي علقت بها الأرجوحة...

ضحكاتها العالية حد الصرخات يعلو صوتها حولهما فلا يشعر بنفسه وهو يشاركها فيها قبل أن يجلسها مكانها ليؤرجحها بسرعة معقولة قائلاً بين أنفاسه اللاهثة:

_مش هتقولي حاجة ؟!

هزت رأسها بتساؤل ووجهها يشع بفرحة عاشقة ليغمزها هامساً بمكر:

_شكراً يا طيب!





C i n n a b o n

ضحكت بانطلاق وهي ترفع وجهها للسماء لتبدو في عينيه كشمس أخرى سقطت على الأرض له وحده ...

"عروس البحر" التي سبحت ضد التيار لتخرج من عالمها الملون إلى

عالمه الأسود!

_كفاية ...زمانك تعبان!

همست بها وهي تلاحظ شروده الحالم فيها والذي طال لدقائق فانتبه إليها ليوقف الأرجوحة ثم اقترب منها ليحتضن وجهها بين كفيه صامتا...

لا ...لم يكن صامتاً...عيناه كانتا تحكيان الكثير ...

الكثير الذي قرأته عيناها ليمنحها أملاً جعلها تبسط كفيها على صدره هامسة بيقين :





_يامن انت مبسوط بجد !..عنيك بتلمع اللمعة اللي أنا عارفاها ...انت عارف ده عندي يساوي إيه ؟!

شفتاه ترتجفان بما بدا كابتسامة لكنها قرأته كاعتراف ...

خاصة عندما انتقلت أنامله من وجهها لخصرها كي ينزلها أمامه ...يقربها منه أكثر حد امتزاج أنفاسهما ...

دقات قلبيهما كانت تدوي هادرة لكن غيمة النظرات بينهما كانت تمطر سكينة .

_اسمع قلبك يا يامن...قلبك مصدقني...لو صدقته هابقى كسبت أكبر حرب في حياتي .





همست بها بحرارة جعلت عينيها تدمعان فمال على وجهها يقبل عينيها بحنان ارتجف له جسدها بين ذراعيه ...

قبل أن تسافر شفتاه على محيط وجهها ناثرة قبلات ليست كالقبلات ...

ربما لهذا قاومت "جحيماً" تعيشه وحدها منذ عهد بعيد ..

جحيماً تحترق به ويزداد اشتعالاً كلما لامسها ...

لكنها الآن تشعر بمطر حنانه يطفئه ...يريحها ولو قليلاً من هواجس ماضٍ أليم ...

ذراعاها يرتفعان لتتعلقا به أكثر ...تتشبث به تشبث الهاوي بحافة المنحدر ...

_بحبك...

لم تدرِ كم مرة قالتها ...





ولا هل كانت تقولها له ...لترضيه...

أم تقولها لنفسها كي تصرف عن ذهنها ماضيه!

_بحبك .

كلمة كانت تخرج من شفتيها مباشرة كسهم صائب

نحو قلب يصدقها...يهفو إليها ...يقدسها ...

ويدفع فرط دقاته دقة دقة كي يعيش العمر متنعماً

بها بعد كل ما لاقاه !

_بحبك...

لكنها للأسف ...كانت تصطدم بجدران عقل عنيد

أرهقته وساوسه ...





فاستحق لعنة القدر التي تمثلت في رنين هاتفه

بآخر اسم يود رؤيته

الآن...

سيلين!!

=========

القطعة الحادية عشرة

=========

_هنا؟!

هتف بها يامن بضيق بينما يرد على اتصال سيلين وعيناه تحيدان نحو البوابة الخارجية ليردف بنبرة ساخرة:

_ده انتِ مراقباني بقا؟! أنا لسه راجع...حاضر...هافتح!

انقبض قلب ياسمين وهي تراه يغلق الاتصال ليتوجه نحو الباب الخارجي فجذبته برفق قائلة :

_هادخل أنا ...مش عايزة أقابلها دلوقت.

_نعم؟! بعد كل ده تقوليلي مش عايزة أقابلها؟! امال احنا كنا بنعمل كده ليه أصلاً؟!





هتف بها باستنكار وهو يتوقف مكانه فشحبت ملامحها وهي تبسط كفها على صدرها لتقول له مهدئة:

_مابحبش المفاجآت ...اديني وقت بس أجهز نفسي...المواجهة هتبقى صعبة .

زفر بقوة ثم غلبه الإشفاق على ارتباكها فأومأ برأسه موافقاً ...

لتتجه هي نحو الداخل بملامح متوترة فيما عاد هو ببصره نحو البوابة ليقف مكانه لبعض الوقت متعمداً جعلها تنتظر ...

قبل أن تلتوي شفتاه بابتسامة ساخرة وهو يعد العدة لقناعه الجديد...





سيلين لن ترحل عنه إلا بالحيلة...سيستغل كل ثغراتها ليجعلها تخرج من عالمه إلى غير رجعة...وليس هذا فحسب ...بل ويرد لها ما فعلته به هناك !

لهذا عاد يتقدم نحو الباب ليفتحه ...

ابتسامته الساخرة تتسع وهو يرى ملامحها التي يعرفها عاصفة بغضب أرضى نهم انتقامه...

ابتسامته التي ارتجفت رغماً عنه وعيناه تهبطان لبطنها البارز لتختفي تدريجياً...وقبضة باردة تعرف طريقها لقلبه...

هنا...هنا يكون من -تزعم- هي أنه ابنه !

لم يتحمل النظر أكثر وروحه غارقة في صراع بين عاطفة غريزية لم يملكها وبين وساوسه الضارية التي تنهش عقله...فأغمض عينيه بقوة مع





صراخها الهستيري كعادتها بينما تدفعه بكفيها لتدخل:

_اتجوزت ؟! بالسرعة دي؟! وابننا ؟! هتسيبه؟! هتسيبني؟!

كانت كلماتها تتأرجح بين العربية التي تجيدها ولكنتها الأجنبية بحكم أصلها نصف الانجليزي ...

لكنتها التي طالما كانت تثير جنونه وهي تذكره بصراعه العتيد بين شرقية طباعه وما يفترض أن يحمله من أعباء تحضر الغرب الذي يزعمونه !

لهذا أخذ نفساً عميقاً ليبدأ في خطته قائلاً ببرود مصطنع:

_اهدي يا سيلين ...العصبية مش كويسة عشانك...أكيد طبعاً مش هتخلى عن ابني...بس كمان مش هاقدر أسيب حياتي الجديدة ...





ثم ضغط على حروف كلماته ليردف بحذر:

_لو تحبي نكمل سوا معنديش مشكلة عشان خاطر الولد ...عيشي معايا هنا ...بس مش هاطلقها .

كاد يبتسم بعدها بظفر وهو يرى ملامحها الثائرة التي كساها

الاستنكار مع هتافها:

_هنا؟! وكمان زوجة تانية؟! ليه ؟! فاكرني اتجننت عشان أقبل وضع زي ده ؟!

بسط كفيه مدعياً قلة حيلته مما دفعها لتتقدم منه محتضنة ذراعيه بكفيها مع قولها بنبرة أكثر ليناً:

_أنا عارفة إنك لسه زعلان مني عشان اللي حصل في لندن...بس صدقني عرفت غلطتي...ال"بيبي" ده هدية ربنا عشان نرجع لبعض.





كز على أسنانه بغضب مكتوم بزغ بين كلماته الباردة:

_كان بيننا اتفاق ...وخنتيه.

_ما خنتش يا يامن..لما أبقى عايزاك تبقى ليّ بكل ما فيك دي مش خيانة..ده حب!

_حب ؟! حب يخلليكِ تهدي كل اللي بنيته هناك ؟! أنا كنت هاتسجن بسببك؟!

هتف بها بغضب عجز عن التحكم به وذكريات غدرها به هناك تعاود التشكل في مخيلته ...

ربما لم تخنه بجسدها ...لكنها خانت ثقته بها...والذريعة حب؟!

فبئس الحب !!





_ندمت يا يامن ...وخصوصاً لما عرفت بخبر حملي...الأول فكرت أخبي عليك وأعيش بيه بعيد عنك لكن كل شهر كان بيكبر جوايا كنت بحس إني بقرب منك أكتر ...عشان كده كلمتك ...ما توقعتش إنك تتجوز بالسرعة دي!

نبرتها التي تحولت من غضب هستيري لحسرة نادمة لم تحرك فيه ساكناً ...هو لم يكن يراها الآن سوى صورة منسوخة...

نبيلة...بسنت...سيلين...كلهن يؤيدن يقينه أن المرأة لا تحب أحداً أكثر من نفسها ...وأن العاطفة لديها لا تساوي أكثر من ثوب ترتديه وتخلعه متى شاءت !




لهذا عاود رسم ابتسامة ساخرة على شفتيه ليقول بتفهم مصطنع:

_وأنا عشان خاطر ابني مستعد نكمل ...بس انتِ هتقبلي الوضع الجديد؟!

_مستحيل!!

صرخت بها بنبرة عادت إليها حدتها لتخبطه بقوة في صدره مردفة:

_مين دي اللي متمسك بيها كده ؟! أنا حتى ما تعبتش وأنا بسأل عنها عشان أعرف الفضايح اللي طليقها بيلاحقها بيها في كل حتة ؟! هي دي اللي ...





كفه الكبير يطبق على شفتيها بقوة يقطع بقية عبارتها وهو يقترب منها بوجهه متخلياً عن سابق عهده بمهادنتها ليقول وعيناه مشتعلتان بالغضب:

_هاقطع لسان أي حد يجيب سيرتها ...وانتِ عارفاني في الحاجات دي معنديش هزار!

دمعت عيناها بقهر وهي تشعر بالعجز يكبلها ...

لقد جاءت إلى هنا وهي تحلم بإقناعه بالعودة معها ...ظننت أن رؤيته لها تحمل طفله ستلين قلبه لكنه لايزال على عهده من العناد...

لن يسامحها على ما فعلته به هناك...ذاك الذي ندمت عليه حقاً لكن...هل يجدي الآن الندم؟!




وفي مكانها خلف الباب الداخلي الموارب كانت ياسمين تراقبهما في الحديقة بقلب مرتجف...

سيلين فاتنة حقاً..لو كانت تبدو بهذا التألق وهي حاملٌ في شهرها الأخير بهذا البطن المنتفخ فكيف تكون إذن وهي متهيأة بكامل زينتها لترضي شغف رجل أحبته؟!

أغمضت عينيها بحرقة غيرة اشتعلت بين جوانحها وذكرتها بماضيها التعس ...

فالتمعت الدموع في عينيها خاصة عندما سمعتها تصرخ بماقالته عن فضائح طليقها ...

لكن عبارة يامن الأخيرة مع نظرة عينيه كانت مفاجأة لها هي نفسها!!

مفاجأة جعلت الدموع في عينيها تتراجع لتحل محلها ابتسامة راضية...





وبعدما كانت تفكر في تأجيل هذه المواجهة وجدت في نفسها الشجاعة لتتقدم نحوهما...

الشجاعة التي كانت تتراجع تدريجياً مع كل خطوة تخطوها وعيناها معلقتان ببطن غريمتها البارز...

قلبها الذي طالما كان يخفق بالحب ...الآن تقرعه مطارق الذنب!!

كيف هاودته على فكرته في حرمان طفله من العيش بين أبيه وأمه؟!

كيف أعمتها رغبتها في تحقيق حلمها عن رؤية عذاب طفل كهذا لاذنب له؟!

عذاب عاشته هي نفسها لسنوات ولازالت تعاني تبعاته!!

خطواتها تتباطأ وهي تزداد منهما اقتراباً ليزداد تحفز يامن وهو لايتوقع خطوتها التالية...





بينما اشتعلت ملامح سيلين بالغيرة وهي تهتف باحتقار لاذع:

_هي دي؟!

هنا أحاط يامن كتفي ياسمين بذراعه ليقربها نحوه قائلاً بحزم:

_من غير غلط يا سيلين...اللي عندي قلته ...والقرار ليكِ.

_هاحرمك من ابنك ... مش هاخليك تشوفه...هاقولله إنك سبته عشان خاطر ست تانية ... هاخليه يكبر وهو بيكرهك لحد آخر يوم في عمره.





كانت تصرخ بها بين دموعها الهستيرية وهي تتراجع بظهرها عنهما حتى خرجت من الباب الخارجي لتختفي عن ناظريهما تماماً ...

ولم تكد تفعلها حتى تراخى ذراعه عن كتفي ياسمين ليطرق برأسه دون رد ...

لكنها كانت تفهم حقاً طبيعة الصراع الذي يحتدم الآن بنفسه !

هي تعرف كل عيوبه تماماً كما تحفظ مزاياه عن ظهر قلب ...

حلقات تدور كالمتاهات يختلف ظاهرها عن باطنها...

تعرف الكثير عن

كبريائه...وساوسه...عناده...أنانيته...كما تعرف عن حنانه وقوة عاطفته التي تختفي وراء كل هذا!





لهذا لم تتعجب انطفاء ملامحه وهو يرفع وجهه أخيراً متحاشياً النظر إليها مع قوله بجفاف تدرك جيداً ما خلفه:

_كده ممتاز...أنا هاطلع أرتاح في أوضتي وانتِ كمان استريحي.

قالها ثم اندفع بخطوات سريعة نحو الداخل وكأنه يهرب من الموقف بأسره تلاحقه نظراتها التي امتزج فيها ندمها وخزيها وحيرتها !!

========

_أيوة أنا ...مين معايا؟!

قالها معتز على الهاتف وهو يغمز صديقه جواره ليستمع إليها

قليلاً قبل أن يتصنع التذكر بقوله:

_آه...آنسة داليا ...افتكرت!





كتم صديقه ضحكته وهو يقترب منه بكرسيه بينما يقول معتز بنبرة شديدة التهذيب:

_أنا آسف جداً بس انتِ اتأخرتِ في الرد عليّ...الدور اتاخد للأسف!

ثم صمت قليلاً ليردف بنبرة واعدة:

_كلميني بعد شهر...ممكن أكون حددت لك دور في السيناريو الجديد.

قالها وهو يغلق الاتصال ليهتف به صاحبه بدهشة:

_كده تقفلها بسرعة..طب كنت خد وهات!

فعاد معتز بظهره للوراء وهو يقول بغرور واثق:

_غشيم! اللي زي داليا دي لو رخيت لها الحبل بسرعة تشك فيك...شكلها ذكية ومخها شغال ...لكن





لو حست إنك فرصة وحلم بعيد هي اللي هتجري وراك !

_معلم ومنك نتعلم !

قالها صديقه بمرح وهو يخبط على ركبته ليجيبه بضحكات ظافرة وهو يرد بتلذذ:

_الصيد ده مزاااج ! اتفرج واتعلم!

وفي غرفتها كانت داليا ترمق هاتفها بنظرة يائسة بعد انتهاء المكالمة...

حتى المغامرة المجنونة التي كانت قد قررت القيام بها ضاربة بكل شيئ عرض الحائط قد تسربت من يدها ...



زفرت بحنق وهي تتقدم نحو فراشها لتلقي كل ما فوقه على الأرض بسخط قبل أن تعاود تفحص رسائلها وسجل مكالماتها ...

لا مكالمات من هيثم...

ولا رسائل من "العاشق الغامض"!!

تباً...!!

أطلقت صيحة غاضبة وأناملها تتجه للعبة الهاتف الالكترونية التي أدمنتها مؤخراً وتتناسب مع مزاجها السوداوي هذه الأيام ...

صحيحٌ أنها قد بدأت تشعر بالخوف من هذه الأوامر التي تطلبها ...لكن ما الضير ؟!

إنها مجرد لعبة !!





صوت طرقات خافتة على الباب قاطع ما تنتويه ...طرقات تحفظها وتميزها ...لتهتف بفرحة :

_يامن رجع!

قالتها وهي تندفع نحو باب الغرفة تفتحه لترمق وجهه المبتسم باشتياق مع قولها بدلالها المعهود:

_أخيراً افتكرتنا ...حمداً لله على السلامة.

ابتسامته الحنون كانت كفيلة بقلب مزاجها للنقيض تماما وهو يستند بكتفه على باب غرفتها قائلاً بجفافه الذي يناقض شعوره:

_مالك قلبتِ شكل المساجين كده ليه ؟! اغسلي يا بنت وشك وسرحي شعرك وتعالي اقعدي معانا بره !

_تمام ياافندم!





قالتها بمرح حقيقي وهي تشعر بحاجتها الحقيقية للثرثرة معه ...

رغم ما يمثله لها وجوده من حواجز لجموحها لكنها لا تنكر إحساس الأمان الذي يكتنفها في وجوده ...

لهذا تناست كل ما يؤرقها لتغسل وجهها وتتزين قبل أن تخرج إليه لتجده جالساً مع نبيلة التي بادرته بقولها:

_مبسوط مع عروستك؟!

أطرق برأسه دون رد لكن كلتيهما كانتا تعلمان عن هذه الحمرة الخفيفة التي تعلو أذنيه عندما يخجل أو ينفعل فتبادلتا نظرات ذات مغزى لتقول نبيلة برضا حقيقي:





_شكلها بنت كويسة!

بينما شعرت داليا بغيرة لم تملكها وهي تجلس جواره لتقول بلهفة طفولية:

_احكيلنا عملت إيه في البلد ...وحشتني قوي ووحشني الرغي معاك!

ابتسم وهو يحكي لهما باقتضاب كيف كانت زيارته ليقاطع حديثه صوت هاتف نبيلة الذي لا يكاد يتوقف عن الرنين ...

فاعتذرت منهما لتتوجه نحو غرفتها تلاحقها نظرات يامن التي لم تغب حسرتها عن داليا فهتفت به بنزقها المعهود:

_ولايهمك...خلليك معايا وكمل كلامك.

لكنه استدار نحوها بجسده ليسألها باهتمام:

_انتِ عاملة إيه؟! الامتحانات قربت ...جاهزة؟!




أومأت برأسها إيجاباً كاذبة فرمقها بنظرة قلقة قبل أن تقع عيناه على جرح ذراعها الغائر ليهتف بجزع:

_إيه ده ؟!

ارتبكت وهي تداري جرحها لتقول بتوتر:

_اتعورت عادي ...ماتقلقش ...بسيطة.

_بس ده مش جرح عادي...ده كأنه مرسوم!

قالها متشككاً فضحكت بافتعال وهي تكتف ساعديها قائلة :

_خيالك واسع يا دوك...المهم كمل لي عملت إيه في البلد .

ظل يرمقها بنظرات متشككة للحظات قبل أن يعود لسرد بعض ما حدث هناك بذهن مشتت ..





حتى عادت إليهما نبيلة لتخاطب داليا بقولها :

_تورتة الآيس كريم في المطبخ ...يامن جابها مخصوص عشانك ...قومي بقا هاتيها!

وجدتها داليا فرصة للهروب من نظراته المتشككة فهرعت نحو الداخل تلاحقها نظراته قبل أن يلتفت لأمه قائلاً :

_خللي بالك من داليا ...مش مطمن...حاسس إنها مش مظبوطة .

مطت نبيلة شفتيها باستياء وهي تلوح بكفها قائلة باستخفاف:

_بطل وسوسة بقا...البنت زي الفل .

زفر بضيق وهو يشعر أن لا جدوى من الحديث معها لكنه حقاً قلق بشأن الفتاة...يجب أن يحدث





هانيا في هذا الأمر ...هي وحدها من يمكنها التقرب منها الآن مع انشغال رانيا بعرسها ...

لهذاتناول هاتفه ليتصل بها لكنه ما كاد يفعل حتى رن الهاتف باسم مروان !

فتح الاتصال بعبارة ساخرة كعادته ليستمع قليلاً إليه قبل أن ينعقد حاجباه بقوله:

_موضوع مهم ؟! للأسف مش هينفع نتقابل النهارده...خلاص لما ترجع من السفر نتفاهم!

=========

جلست غادة على مكتبها تحاول التركيز فيما تفعل دون جدوى ...

منذ تركت بيت رامز تلك الليلة لتعود إلى شقة أحمد ...





ذاك القرار الذي تندم كثيراً أنها لم تأخذه منذ فترة أقرب...

صحيحٌ أن رامز لحق بها ليلتها محاولاً إعادتها بإصرار حقيقي لكنها تشعر أنها كانت حملاً ثقيلاً عليه خاصة مع تلميحات

والدته الأخيرة...

هانيا؟!

هانيا لم تحدثها منذ تلك الليلة ولا حتى هاتفياً...يبدو أنها غاضبة منها لأنها فعلت هذا دون علمها ...أو ربما تكون عالقة بمشاكلها مع حماتها هي الأخرى!

دمعت عيناها وهي ترفع عينيها نحو أناملها المتشابكة ترقب دبلة أحمد بشرود بائس لتشعر بالوحدة كما لم تشعر من قبل ...





ظلت تدير الدبلة في إصبعها ببطء مغمضة العينين وكأنها تستعيد شعورها بقربه غافلة عن خط الدموع الذي سال على وجنتها ...

لتختلط الذكرى برائحة "الفراولة" التي تمقتها وهي تذكرها بدبها القطني الذي انتزع منها ذات ليلة ...وانتزع معه الكثير !

تشعر بالغثيان والرائحة في أنفها تزداد حدة...

رباه...إنها حقيقية!!

فتحت عينيها بسرعة لتتشهق بعنف وهي تجد زميلها ذاك يمد لها أنامله بعلبة من المناديل الورقية ...

هي صاحبة تلك الرائحة إذن!





انقلبت شفتاها باشمئزاز لم تستطع كبحه وهي تضع أناملها على أنفها وشفتيها بينما لم ينتبه الرجل لكل هذا وهو يقول بنبرة رقيقة:

_هو أنا كل ما هاسيبك لوحدك هاتعيطي!

اتسعت عيناها بمزيج من دهشة وذعر وهي لا تدري بماذا ترد ...

لسانها منعقد فقط عيناها ترمقانه بتلك النظرة التي يسيئ تأويلها مع ابتسامة طامعة تتأرجح على شفتيه ..ليكمل عبارته:

_خلاص ماعدتش هاسيبك!

_مساء الخير!

قالتها هانيا التي دخلت الآن المكتب لترى المشهد بعينيها الخبيرتين بصديقتها ...





فانتفضت غادة مكانها وكأنها وجدت فيها نجدتها لتهتف بحرارة:

_هانيا ...تعالي !

رمقت هانيا الرجل بنظرة زاجرة وهي تتقدم نحوهما لتنتزع علبة المناديل من يده بحركة حادة كي تلقيها في السلة القريبة قائلة بنبرة ذات مغزى:

_غادة عندها حساسية من ريحة الفراولة ...اتأكد الأول من عرضك قبل ما تقدمه!

كانت تتحدث بأسلوبها الصارم الذي يفرض احترامه على أي رجل بمزيج تحفظه مع قوته ...

فتنحنح الرجل وهو يتعرف إلى هويتها قائلاً:

_أهلاً يا دكتورة...نورتينا...أبلغ أستاذ رامز؟!

_لو عايزاه أنا هاروح له...شكراً!

قالتها بنفس النبرة فتراجع الرجل قائلاً :





_هاجيب لحضرتك حاجة تشربيها!

ظلت ترمقه بنظرتها الزاجرة حتى اختفى من المكتب فالتفتت نحو غادة التي تعلقت فجأة بعنقها وكأنما وجدت فيها طوق نجاتها ...

كادت تعنفها على ضعفها وسلبيتها التي طالما كرهتها فيها لكنها لم تجد الوقت مناسباً ولا المكان...

لهذا اكتفت بعناقها المؤازر لها صامتة بينما غادة تغمغم بنبرة راجية:

_عارفة إنك زعلانة عشان مشيت من غير ما أقوللك...بس غصب عني...مااستحملتش!





تنهدت هانيا بحرارة وهي تسترجع شعورها تلك الليلة بينما تقف في نافذة غرفتها تشاهد رامز في ظلمة الليل يقف جوارها وبينهما حقيبة ملابسها...

ولوهلة...اعتصرت تلك القبضة الباردة قلبها بغيرة طبيعية لامرأة في وضعها ...

غيرة لا تنكر أنها ازدادت اشتعالاً بعدما رواه رامز عن ماضيه !

لكنها وأدتها في مهدها وهي تأبى الاستجابة لها ...ليس الأمر فقط ثقتها في صديقتها أو زوجها ...لكنه خوفها من الاعتراف أنها في خطر!

هي وضعت قلبها منذ زمن في قصر أعلى جبال الجليد ...لن ينال منه أحد ...لن ينال منه شيء...مادامت هي بالقوة اللازمة للتصدي لضعف مشاعرها هذه !





لهذا أخذت نفساً عميقاً لتنظر لغادة هاتفة بعتاب قوي:

_حسابنا بعدين...أظن معاد الشغل خلص ...تعالي معايا .

أومأت غادة برأسها في استسلام وهي تجمع حاجياتها لتغادر معها المكان ...

_على فين يا دكتورة ؟! العصير!

قالها زميل غادة في المكتب وهو يكاد يصطدم بهما عند خروجهما لترد هانيا بصرامة:

_ما بشربوش!





ظل يرمقهما بنظرات ضائقة حتى غادرا ليغمغم أخيراً بصوت مسموع:

_أعوذ بالله...مستحملها إزاي الراجل ده ؟!

_مش دي مراة رامز؟!

انتفض وهو يسمع التساؤل جواره من يارا التي تراقص الحقد على ملامحها فالتفت نحوها مجيباً:

_أيوة...جت أخدت صاحبتها ومشيت ...بس شكلها كانت بتزعق لها...بتقول لها حسابنا بعدين !

التمعت عينا يارا بقوة وهي تكمل رسم حكاية ما في ذهنها:

_غادة بقى لها يومين ما بتروحش مع رامز كالعادة والساعي بيقول إنه عرف إنها رجعت شقة جوزها...ودلوقت مراته اللي المفروض صاحبتها




جاية تزعق لها ومن غير حتى ما تعدي تشوف جوزها ...يبقى إيه؟!

تراقصت ابتسامة شيطانية على شفتي الرجل ليقول بنبرة عابثة:

_واضحة! يبقى رامز حن لأيام الشقاوة وبصراحة مراته شكلها بومة...لأ وغادة كمان بونبوناية.

ظهر الضيق على وجه يارا للحظات ثم تصنعت الضحك راضية بما يقول قبل أن تأخذ طريقها لمكتب رامز الذي استقبلها بقوله الفاتر:

_خير يا يارا!

ابتسمت بإغواء وهي تقترب منه ببطء حتى استندت براحتيها على حافة مكتبه قائلة ببطء :

_الدكتورة هانيا كانت هنا!




_هانيا مراتي؟!

قالها بدهشة وهو يقف مكانه متأهباً للمغادرة ظناً منه أنها

بالخارج لكنها اعتدلت بجسدها لتقول بتشفّ:

_ما تتعبش نفسك ...هي مشيت !

انعقد حاجباه بقوة بينما اقتربت هي منه أكثر لتهمس له بنبرة ذات مغزى:

_مشيت بعد ما زعقت لغادة وخدتها معاها...شكلك اتقفشت !

_اتقفشت؟!

هتف بها باستنكار وهو يبتعد عنها فضحكت ضحكة ماكرة لتعاود التقرب منه هامسة بغيرة واضحة:

_أنا برضه قلت مايمنعكش عنا إلا الشديد القوي!




_اخرسي يا يارا!

هتف بها بغضب بلغ مبلغه وهو يشعر بتصرف زوجته المشين يضعه في أسوأ موقف هاهنا ...

الدكتورة المحترمة تجاهلته تماماً وهي تأتي لمقر عمله كي تسحب خلفها صديقتها الخانعة التي تمارس عليها عقد تسلطها ...

صديقتها التي وضعتها هي الأخرى في موقف لا تحسد عليه وسمعتها تلوكها الألسنة..وكل هذا بسبب تصرفاتها غير المسئولة...

إلى متى سيتحمل كل هذا العبث؟!!

_هاخرس يا رامز ...بس لو أنا سكت غيري مش هايسكت...اخترت سكة مفضوحة قوي كده ليه ؟!





همست بها بمجون وظاهر عبارتها يصله كدعوة صريحة غض عنها الطرف وهو يتمالك غيظه ليعاود الجلوس على مكتبه قائلاً بأقصى ما استطاعه من برود:

_ده مكان شغل يا يارا...متخلنيش أحرجك أكتر من كده !

توهجت عيناها بغضب متوعد وهي تغادر مكتبه بخطوات مندفعة بينما هز هو رأسه ليغمغم في نفسه بحسرة لائمة:

_أعمل فيكِ إيه يا هانيا ؟! كل يوم بتبعدينا عن بعض أكتر؟!

قالها وهو يتذكر كيف تتحاشى لقاءه منذ آخر صدام بينهما تلك الليلة التي غادرت فيها غادة البيت ...





إنها حتى لم تعتذر له عن لجوئها لوسيلة لمنع الحمل دون إذنه!

كبرياؤها اللعين يجعلها تستنكف أن تبدو كمخطئة وهو لن يجد لها المبرر ككل مرة...

سيقف مكانه منتظراً فقد سأم خطواته المندفعة نحوها مقابل حبوها الممل نحوه...

حقاً...قد سأم!!

=========

_خلاص بقا يا هانيا ...صدقيني أنا مرتاحة كده أكتر!

قالتها غادة برجاء وهي تجلس مع صديقتها في أحد المطاعم فزفرت الأخيرة بضيق لتهتف بها:

_ما هو أنا ماينفعش أطمن عليكِ وانتِ لوحدك وبتغرقي في شبر مية !




_هابقى كويسة...والله هابقى أحسن!

قالتها غادة بمزيج من رجاء وامتنان فتنهدت هانيا بحرارة لتربت على كفها قائلة:

_لازم تبقي كويسة...لازم تتعلمي تصدي كل جبان يتقرب لك...سكوتك وضعفك بيتفهموا غلط !

أومأت غادة برأسها موافقة وهي عاجزة عن منحها وعداً يفوق قدراتها فآثرت الصمت الطويل الذي قطعته هانيا بسؤالها المتردد:

_رامز كان بيقوللك إيه ليلتها وانتو لوحدكم ؟!

اتسعت عينا غادة بصدمة وسؤال هانيا على بساطته يجعلها تتحسس بطحة رأسها القديمة !!!

هل تشك هانيا هي الأخرى بها؟!

هل تراها مثل الآخرين مدنسة ؟!!





حتى هي!! حتى هي!!!

وأمامها كانت هانيا تشعر ببعض الندم على هذا السؤال ...ندم ازداد عمقه وهي ترى هذه النظرة في عيني صديقتها لتفهم بخبرتها بها ما وصلها ... لهذا تصنعت ابتسامة واهنة وهي تقول بما يشبه الاعتذار:

_أصلنا متخاصمين من يومها وكنت عايزة أعرف منك أنتِ!

_كان عايزني أطلع معاه وبيعتذر عن كلام مامته...بس لما أصريت جه ووصلني للبيت عشان يطمن .

قالتها غادة بنبرة مختنقة وهي تشعر أنها لأول مرة عاجزة عن رفع نظراتها لصديقتها ...





حدسها كأنثى يخبرها أن شيئاً ما بنظرات هانيا نحوها قد تغير ...

شيئاً لم يكن موجوداً من قبل والآن يعلن عن نفسه بوضوح في ذبذبات جسدها المتوترة أمامها ...

هذا ما كانت تخشاه!!

تلميحات والدة رامز ...غمزات زملائهما في العمل...شعورها القديم بالذنب و الانتقاص...كل هذا كان يدفعها لاعتقاد أن هانيا قد بدأت تغار على زوجها منها ...

هذا الذي كان أشد قسوة على قلبها من أن تحتمله !!

لهذا ظلت مطرقة برأسها في صمت وهي تشعر بالخزي يكلل رأسها ...

لماذا؟!





هي لا تعلم...هي فقط تشعر أنـها مذنبة مادام الجميع

يرونـها كذلك !!

وأمامها كانت تشعر هانيا هي الأخرى بالذنب وهي

تكاد تقسم على ما يدور برأس صديقتها ...

ربما لو كانتا في موقف آخر لأجادت احتواء

الموقف...

لكنـها حقاً تشعر الآن أن الأرض الثابتة التي كانت

تقف عليها قد اهتزت!!

لا ...لا...

لن تنجرف في هذا التيار!!

مجرد شعورها هذا ضعف...ضعف لن تسمح به!!

لـهذا عادت تتصنع ضحكة قصيرة وهي تقول لـها

بمرح مفتعل:





_طب ممكن تفيديني بخبرتك في "دلع الستات"...أصالحه إزاي مادام هو مبلط في الخط؟!

رفعت إليها غادة عينيها بنظرات حذرة وكأنها تبحث في عيني صديقتها عن مخرج من هذا الشعور المقيت الذي وصلها لترد أخيراً بابتسامة مرتجفة:

_رامز طيب وبيحبك...والنوع ده مش بيحتاج خطط...لو حس بس إنك رايحة له هتلاقيه بيجري عليكِ.

ابتسمت هانيا بامتنان حقيقي هذه المرة وهي تشعر بأنها حقاً كانت تحتاج سماع هذا لتشد على كف صديقتها قائلة برضا:

_معاكِ حق..





ثم تلفتت حولها لتردف بنبرة أكثر مرحاً:

_تصدقي فتحتِ نفسي للأكل...فاكرة زمان لما كانت تطق في دماغنا ونطلب "منيو" الحلويات كله ؟!

ابتسمت غادة بحنين وهي تتذكر ما تحكي عنه فتنهدت هانيا بارتياح وهي ترى ابتسامتها أخيراً لتسألها باهتمام:

_والد أحمد مابيتصلش بيكي؟!

_كلمني امبارح وفرح قوي إني لقيت شغل ورجعت شقة أحمد...أنا كمان فرحت قوي لما رجعت أنام على سريرنا ...إحساس تاني وأنا...

شردت هانيا ببصرها وهي تغيب عن بقية كلامها بأفكارها الخاصة...

ولأول مرة تشعر بالارتياح وغادة تحكي لها عن انغماسها هذا في ذكرى زوجها ...





ربما لو كانتا في موقف غير هذا لجعلتها تتوقف عن العيش في الذكريات كي تفيق لما بقي لها من عمر ...

لكنها الآن -بنوع من الأنانية - تريدها أن تسترسل..!!

أجل حديثها هذا الآن يطمئنها ...يمنحها نوعاً من الأمان الذي تأبى الاعتراف بسببه...

للأسف !

نقطة واحدة من "حبر" الشك قادرة على تلويث "بحر" الحب كله!!

===============

فتح الباب ليدخل بيته في ميعاده المعهود إذ وجدها واقفة في المطبخ تعد له الطعام ...





ابتسم ابتسامة واهنة وهو يشعر

وكأنما ....اشتاقها !

أجل ...بضع ساعات يقضيها بعيداً عنها صارت تشعره باللهفة نحو مكان شاغر لا يملؤه سوى سحر وجودها ...

صحيحٌ أنه يشعر باضطراب طباعها بعد لقائها بسيلين لكنه ليس أحمق ليدرك وقع مقابلة كهذه على أي امرأة خاصة لو كانت تحبه كما تزعم ...

ابتسامتها الدافئة قاطعت أفكاره وهي تلتفت نحوه لتقول بهدوء:

_على ما تاخد حمامك هيكون الأكل جاهز .

ضاقت عيناه بتفحص وهو يلاحظ إشاحتها بوجهها عقب عبارتها لتتهمك بعدها فيما تفعله ...

ذبذبات جسدها المتوترة تشي بانفعال مكتوم ...





تقدم منها ببطء ليضع مفاتيحه على الطاولة جوارها ثم تصنع بداية للحديث بسؤاله إياها بينما تعطيه ظهرها:

_عاملة إيه النهارده؟!

_مكرونة بالمشروم والصوص الأبيض وفاهيتا فراخ.

قالتها ببساطة دون أن تنظر نحوه ولازالت أناملها منهمكة في تقطيع بعض الخضروات ...

فابتسم بمكر وهو يحيط خصرها بكفيه من الخلف ليقترب بوجهه من أذنها قائلاً:

_عاملة إيه يعني إزيك.

ارتجافة جسدها بين ذراعيه أرضته وهي تلتفت نحوه بارتباك ظهر في حروفها واحمرار وجنتيها:

_كويسة...الحمد لله.





فاتسعت ابتسامته وهو يزيح شعرها خلف أذنها لتلفت نظره تلك الحبوب الحمراء التي تناثرت على رقبتها وذقنها واستدعت سؤاله:

_إيه الحبوب دي؟!

ابتعدت عن مرمى ذراعيه وهي تتحاشى النظر نحوه مجيبة:

_حساسية من الناموس...بشرتي ما بتستحملش .

لكنه عاد يقترب منها ليحيط كتفيها بكفيه مديراً إياها نحوه بقوله :

_فكرة إننا نسافر البلد كانت بتاعتك..استحملي بقا نتيجة قرارك.

فتهربت من نظراته لتقول بتماسك:





_ومش ندمانة...كانت رحلة كويسة...كام يوم والحساسية تروح .

شعر بضيق حقيقي وهو يحس بها بعيدة عنه بروحها رغم وجودها بين ذراعيه ...

عسل عينيها يختفي خلف غمامة باهتة بعيدة تماماً عن تألقه المعهود ...

فرفع ذقنها إليه ليسألها بحاجبين منعقدين :

_مالك؟! وما تقوليش مفيش!

خفضت بصرها عنه محاولة التهرب من نظراته المتفحصة لكنه عاد يسألها :

_كل ده من زيارة سيلين ؟!

صمتت للحظات بدت وكأنها لن تتكلم بعدها قبل أن ترفع إليه عينيها بقولها المنفعل:





_أنا مش عارفة إزاي وافقتك على حاجة زي كده ؟! إزاي أرضى إني أحرم ابنك منك زي ما أنا اتحرمت من بابا ؟! وإزاي إنت نفسك ترضى إنك تتخلى عنه بعد كل اللي شفته في حياتك ؟! لو أي حد تاني عملها ممكن أفهمه..لكن أنا وأنت يا يامن ...أنا وأنت!!

اشتعل الغضب في عينيه للحظات وكأنما مس حديثها بقعة خفية يجلدها ضميره كل حين ...

قبل أن تلين ملامحه تدريجياً مع تنهيدة حارة وهو يبتعد عنها ليتجه نحو نافذة المطبخ المطلة على الحديقة في ذاك الوقت المظلم من الليل حيث أعطاها ظهره ليقول بشرود:




_لو مفيش أمل أرجع لها ...تفتكري أحسن يبقى معاها واللا معايا ؟!

صمتت عاجزة عن الرد وهي تدرك أن عقدة ماضيه هي ما تحركه كما قال لها يوماً إنه خير من يدرك معنى أن يُحرم الطفل من أمه !

بينما صمت هو بعدها للحظة قبل أن يردف بخفوت شديد:

_ده لو كان أصلاً ابني!

شهقت بعنف وهي ترى إلى أي مدى بلغت شكوكه لتتوجه نحوه هاتفة باستنكار:

_مفيش فايدة في وسواسك ده ؟! تفتكر سيلين غبية عشان تخاطر بكذبة زي دي ممكن تتكشف باختبار بسيط ؟!





زفر بحنق وهو يلتفت نحوها ليهتف بانفعال:

_مش غبية بس مجنونة ...عايزة تفرض سيطرتها عليّ بأي شكل ...انتِ متعرفيش وصل بيها الحال لإيه هناك .

اتسعت عيناها بصدمة وهي تسمع منه تفاصيل انفصاله عنها ...

البداية كانت عندما قرر هو العودة إلى مصر والذي أصابها بضرب من الجنون ...

اتهاماتها المتغطرسة له بأنها هي من صنعت نجاحه هناك مع تهديداتها له بألا تسمح له بالعودة مهما حدث ...





وجهها الملائكي الذي طالما خدعته براءته ليفاجأ من تحته بشراسة أفعى متملكة لا ترى أي رادع فيما تود الاحتفاظ به ...

حاربته في عمله هناك حتى كادت السلطات تلقى القبض عليه لولا أن خدمته الظروف !

بل إنـها هددته ب"قريبها" الذي يشغل منصباً هاماً هنا في مصر أن تؤذي بنات خالته !

جحيم حقيقي عاشه هناك لبضعة أشهر قبل أن تأتيه النجدة في حادث سير أصيبت هي فيه و استوجب إيداعها إحدى المستشفيات هناك ...

ذاك الحدث الذي هد قواها كثيراً حتى أنها توسلته بعدها أن يبقى معها معتذرة عما بدر منها لتمنحه وعداً بالتغيير ...





ساعتها أشفق على حالتها ليعود إليها عادلاً عن فكرة السفر مؤقتاً ليفاجأ بها ذات ليلة تعود إلى البيت مخمورة مع من زعمت أنه أحد أصدقائها في سابقة لم تحدث من قبل وكانت الضربة القاصمة لهذا الزواج الذي أصر على التخلص منه مهما كان الثمن .

رضوخها المؤقت له وقتها جعله يشك في وجود علاقة لها مع أحدهم لكن عودتها بذاك الطفل تجعل عقله يضع عشرات التفسيرات الأخرى التي لا يريد التوقف أمامها !

_كانت بتبقى نايمة في الأوضة اللي جنبي وبتخطط إزاي تكدب عليّ...قدامي بتبتسم وبتفكر معايا هنعمل إيه لما نرجع مصر وهي من ورايا بترتب إزاي تمنعني...ماعادش ينفع آمن ليها...الحاجة





الوحيدة اللي ممكن تخلليني أهادنها هي خوفي إنها تؤذي أهلي هنا زي ما آذتني هناك ...عشان كده عايزها تزهق من المحاولة وتعرف إني خلاص بقت لي حياة جديدة...

ختم بها ما يحكيه ثم عاد ببصره للأمام فصمتت قليلاً تستوعب قبل أن تقول بصوت مبحوح:

_لو فعلا متمسكة بيك كده ...تبقى بتحبك .

ابتسامة ساخرة كانت رده لتتلوها كلماته :

_مفيش فايدة فيكِ...أنا بالنسبة لها رهان مش عايزة تخسره ...زيها زي صاحبتك القديمة بسنت..لعبة صعبان عليها تروح من ايديها ...هتشبط شوية وبعدين تزهق وتمشي ...عشان كده اتعمدت إني أبين لها إني معنديش مانع نرجع لبعض ...عنادها هيخلليها





ترفض وهي فاكرة إنها بتعاقبني بحرماني من ابني .

عقدت حاجبيها بضيق من هذا التفكير العجيب ..هي لا تعرف سيلين جيداً لكنها تعرف طبيعته هو الوسواسية التي تجعله يفرط في سوء ظنه ...

لهذا أطرقت برأسها في عدم اقتناع بينما سار هو بضع خطوات ليقول بنبرة ضائقة:

_مش عايز أبقى قليل الذوق...بس فعلياً ماليش نفس آكل.

لكن عاطفتها الأمومية نحوه جعلتها تتقدم منه لتمسك كفه قائلة باعتراض:

_ماينفعش تنام كده ..كل أي حاجة ...عشان خاطري.





كاد يتشبث برأيه معانداً كعادته لكنه لم يفعل...!

ليس الأمر فقط كونه قد كره أن يخذل

رجاءها ...لكنه حقاً شعر بحاجته لوجودها الآن

معه...

هذا النقاء الذي كان يشع بين جنباتها ويحيطها

بهالة خاصة تعيد إليه ثقته وشعوره بأن هذه الحياة

لا تزال تحمل من الجمال ما يستحق أن نعيش

لأجله ...

هذه الابتسامة الحنون المشفقة التي أهدتها إياه

وهي تجذبه من كفه لتدفعه نحو الحوض قائلة :

_اغسل إيدك على ما أحضر الأكل .

هذه اللهفة الحارة التي كانت تزين خطواتها وهي

تنتقل من مكان لآخر داخل المطبخ كي تعد المائدة

في أبهى صورة...





والتي انتهت بقولها بنبرتها التي عادت إليها حيويتها:

_يارب يعجبك.

جلس مكانه وعيناه ترمقان الأطباق أمامه بنظرة غريبة ثم تناول كفها ليجلسها جواره قائلاً :

_كلّ مرة بتأكليني بإيدك...المرة دي هنعكس!

ابتسمت رغماً عنها بعاطفة أشرقت لها ملامحها وهي تراه يتناول الشوكة أمامه ليغرسها في طبق المكرونة قبل أن يقترب بها من شفتيها اللتين انفرجتا ببطء ...

لكنه لم يدخل الطعام لفمها مباشرة بل مرره برفق على شفتيها وكأنه يرسمهما ...تلاحقه نظراته





الشغوف التي ارتفعت أخيراً لعينيها تعانقهما

باحتياج لم يعد ينكره ...

وتخشى هي تصديقه !

لهذا خفضت بصرها عنه بخجل غلب عاطفتها

فابتسم وهو يشعر معها بهذا الشعور الفريد الذي

لم يجربه مع غيرها ...

شعور السكينة !

راحة غريبة تسكن حناياه وهي منه بهذا القرب ...

راحة لا تشبه مشاعره الصاخبة التي كانت لبسنت

،أو علاقته الحسية البحتة بسيلين ...

كل نظرة منها ألف يد تربت على

ظهره...تحتضنه...تعبث برفق بين خصلات

شعره...تدلل رجولته بهذا المزيج النادر بين عشق

أنثى وحنان أم!





كل كلمة تنطقها بحرارة عشقها أو تتكتم عنها بجميل خجلها يقرأها قلبه بلغة تمنى لو تعلّمها من زمن !

اهدأ يا عقل...!

تراجعي يا ظنون ...!!

هدنة لبضع دقائق ...فقط بضع دقائق ...أعيش فيها هذا الشعور بكل جوارحي دون مقاطعة...

أنامله الحرة تمتد لخصلات شعرها القصيرة تتخللها..تلامسها بتقديس ...كأنما تحتضنها ...

فترفع إليه عينيها من جديد بخفقات مضطربة ...

نظراتها تكاد تصرخ بحديث متطرف من أقصى اليمين لأقصى اليسار...

توقف...

استمر...





توقف ...

بل استمر...استمر...استمر...

ابتسامته ترتجف على شفتيه وهو يضع ما بيده جانباً ليتلمس

ملامح وجهها بأنامله ....

فتغمض عينيها بمعاناة فضحتها ملامحها وهي تحاول تمالك ارتجافة شفتيها بضغطهما بقوة ...

ثم بشهقة خافتة سبقت هروبها السريع من أمامه إلى غرفتها دون كلمة واحدة .

عقد حاجبيه بضيق وهو يهب واقفاً مكانه بغضب أشعله حرمانه منها ...

كز على أسنانه بقوة وهو يشعر برفضها لقربه يعيد إشعال النار في وساوسه ...





ماذا خلفها ؟! ما الذي تخفيه ؟! ولماذا تنفر منه مادامت تزعم أنها تحبه إلى هذا الحد؟!

تباً لها من امرأة تجيد بعثرته..كما تجيد احتواءه!

كاد يصعد إلى غرفته مفعماً بخيبته وغضبه لكنه عاود النظر إلى طعامها الموضوع هناك بنظرة عميقة...

هو جائع...حقاً جائع...

جائع لكل ما تمنحه له بسخاء ولو ادعى العكس!

لهذا عاود الجلوس ليمد أنامله نحو الطعام بشرود...

مذاقه في فمه لم يكن يعنيه بقدر ما كانت تعنيه نكهته في قلبه !





لهذا زفر أخيراً بحنق ثم قام ليتخذ طريقه نحو غرفته...

طقوس نومه المعتادة التي بدأها بحمام من الماء البارد وأنهاها بغسيل أسنانه زادت اليوم طقساً جديداً...

هو تأمّله لدبلتها التي هي بعمر سنوات لم يعرف فيها اسم صاحبتها والتي كانت ترقد في صندوق متعلقاته فيبتسم أخيراً وهو يشعر بالراحة تعاوده تدريجياً...

يأخذ نفساً عميقاً وهو يقلبها بين أنامله ...

سيرتديها...يوماً ما سيرتديها بعدما يوسع مقاسها قليلاً...

لكن...تراها فقط هذه هي المشكلة ؟!





صيحة ضيق خافتة تنبعث من فمه وهو يعيدها مكانها ليندفعِ نحو فراشه فيهوي فوقه بعنف ناسب اشتعال جوارحه ...

أرقه المعتاد يراوده لوقت ما بعدها ....

ثم لم يدرِ كيف صار فجأة أمام باب غرفتها المغلق!!!!

لذة الاختلاس!

هذا كان ما يشعر به وهو يفتحه بحذر ليتسلل نحو فراشها الذي استلقى عليه جسدها النائم رافعة ذراعيها المثنيين جوار رأسها كنومة الأطفال...

ابتسامة حانية كست شفتيه وهو يقترب أكثر لتزداد حرارتها بينما يتابعِ ما ترتديه ...

"حساسية الناموس " هذه مفيدة حقاً!





لقد جعلتها تتخلى عن حذرها المعتاد في ارتداء مناماتها الطويلة لتستبدلها الآن بقميص قطني قصير!

بشرتها الرقيقة الناعمة التي كستها الحمرة في مناطق عدة ذكرته بفكرته -الخاصة- عنها ...

طريق طويل مبهج لا يخلو من "الحُفَر"!

هذا "الطريق" الذي سارت عليه أنامله الآن بحذر وهو يجلس جوارها على طرف الفراش بينما حاجباه ينعقدان مع إغماضه لعينيه...

شعور "لذيذ" يشبه مذاقات أطعمتها ينتابه الآن وهو يشعر وكأنما ...يتذوقها !

ورغم أنه لم يكن مراهقاً فاقداً للخبرة في شأن كهذا لكنه يشعر معها أنه كذلك!




قدسية لمساتها لا تشبه امرأة أخرى ..قدسية تنبع منها ...هي نفسها...

"امرأة الفوضى" "ساحرة الألوان" "عروس البحر"..تميمة حظ أم لعنة غدر جديدة في دفتره؟!

_يامن!

نطقتها بصوتها الناعس وهي -بالكاد- تسترد شيئاً من وعيها ...

صوتها الذي كان الآن في أذنيه يتراقص بين غواية الهمس وصراحة الصراخ ...

طالما كانت طريقة نطقها لاسمه تدهشه...!

كانت حروفها تتباطأ على لسانها لتأخذ وقتاً أطول مما تستغرقه في العادة وكأنها تعانقها قبل أن تغادر شفتيها ...





تعانقها؟! نعم...هكذا بالضبط كان شعوره الآن بكل ما يخصها ...

همسها عناق...صمتها عناق...نظراتها عناق...وإطراقتها عناق!

لهذا مد ذراعيه ليرفعها نحو صدره بضمة قوية سبقت همسه:

_كل حاجة فيكي بتحضنني...حتى اسمي جزء من اسمك...يامن وياسمين...كأن حروفك بتحضن حروفي.

لم يدرِ كيف غادرت شفتيه ولا كيف استسلم لإحساسه هذه المرة خارج سلطان عقله ...





كل ما كان يعلمه أنه يريد الانغماس تماماً في هذه الهدنة المؤقتة بين شعوره الجارف ووساوسه المشتعلة ...

غداً سيندم...سيلعن نفسه أن استسلم...سيعود لسابق فظاظته وسخريته السوداء التي يتوارى خلفها ضعفه...

لكن الآن...الآن سيستسلم فحسب!

شفتاه تنجذبان كالفَراش نحو نور بشرتها ...تحترقان مثله بلهيب لا يريده أبداً أن ينطفئ ...

نداءاتها الخافتة المندهشة باسمه تتلقاها أذنه فتتجاهل نفورها ولا تتذكر سوى أثرها !





وبين ذراعيه كانت هي شبه واعية وتأثير النوم لم يغادرها بعد ...

هذا يامن ؟!

الظلام يضفي على ملامحه ظلالاً مخيفة...

قبلاته ولمساته تكاد تحرقها ...لكن عناقه الدافئ يطمئنها...

هذا يامن؟!

قلبها يخفق بقوة وذكرياتها السوداء تعاود غزوها ...

أنامله تمتد لشعرها ...شعرها الذي قصته طوعاً كي لا يذكرها بتلك الليلة...

تلك الليلة؟!!

شعور قوي بالغثيان ينتابها فتعاود النداء باسمه لعله يتوقف ...





لكنه يبدو أنه لا يسمع ...

هل كلهم لا يسمعون ها هنا ؟!

الظلام يشتد في عينيها قبل أن يختفي رويداً رويداً

ليحتل مكانه لهب الذكرى ...

ارتجافة جسدها تزداد فلا تكاد تميز حقيقة من

خيال ...

ولسانها الذي كان يهمس باسمه وحده صار يغمغم

بما بدا

كالهذيان :

_رامي...زين...يامن!

لم يميز مما قالته لأول وهلة سوى اسم زوجها الأول الذي يعرفه فاشتدت وتيرة عزفه على جسدها وهو يشعر بوحش غيرته يحكم سيطرته عليه ...

لماذا تذكر زوجها الآن ؟!

ألا تزعم أنـها تحبه هو؟!

شياطين وساوسه تعاود احتلال مكانـها على رقعة اللعب ...

ونداءات قلبه الراجية ترجوه الترفق...التريث...

لتحسم هي الأمر ب....صفعة!!!

صفعة لم يتلقّها وجهه فحسب ...بل تلقاها معه قلبه...وكرامته!




أناملها ترتجف وهي تتحرك عنه مبتعدة بسرعة لتضغط زر

الإضاءة...

أخيراً...لم يعد هناك ظلام !!

جسدها كله ينتفض بقوة وهي تحدق في ملامحه بعينين زائغتين...

هذا هو يامن ؟!

أخيراً...نعم...هذا هو يامن...يامن فحسب!

دموعها تسيل لتغرق وجهها كشلال بينما أحد كفيها يتشبث بزر

الإضاءة وكأنه سر حياتها...





والآخر تبسطه على صدرها محاولة تهدئة خفقاته !

لكنه لم يرَ وسط كل هذا إلا صفعتها مع همسها باسم رجلين غيره !!

عيناه تشتعلان بغضب لم يستطع التحكم فيه وهو يرمقها بنظرة قاتلة قبل أن يندفع ليخرج من الغرفة ...بل من البيت كله ...

========

وقفت في ركنها الخاص بمطعمها تتصنع الانهماك فيما تفعله لكن ذهنها كان غائباً فيما حدث ليلة أمس ...

إلى الآن لا تصدق أن كل هذا كان حقيقياً !





لقد ظنت نفسها تعافت من هذا الجرح الذي تركه خلفه طليقها السابق لكن ها هو ذا يعود ليتفجر منه الدم من جديد بضغطة واحدة...

ومن فعلها ؟!

يامن؟!

لماذا لم يحترم اتفاقهما الذي ظنته سيستر عورة ضعفها ؟!

لماذا حملها ما لاتطيق؟!

لماذا أضاف لذكرياتها البائسة ذكرى أخرى تخصه هو ؟!

آآآه!

انفلتت منها بخفوت يناقض وقع صداها في قلبها ...

لقد صفعته بالأمس وهي تعرف جيداً ما يعنيه هذا لدى رجل مثله!

غروره سيمنعه مسامحتها وكبرياؤها سيمنعها مصارحته ...

فما الحل؟!

إنها بالكاد وجدت لنفسها رقعة خضراء على خريطته القاحلة ...

قلبها بدأ يستشعر تلك النبضات الغادرة التي يرسلها لها قلبه الخائن في غفلة منه...

عيناها صارتا تميزان نظراته الخاصة بها والتي لا تلتمع هكذا إلا لها ...

فلماذا الآن بالذات ؟! لماذا؟!

_ده ما بقاش سينابون ؟! ده بقا شوربة !





هتفت بها مساعدتها محذرة وهي ترى شرودها الذي جعلها تفرط في إغراق قطع الحلوى ب"الصوص" الحلو المخصص لها حتى أفسدته حقاً...

فأطلقت زفرة بائسة وهي تزيح الطبق جانباً لتقول لها بنفاد صبر:

_مش هاقدر أكمل النهارده...معلش...شيلي إنت بقية اليوم.

رمقتها مساعدتها بنظرة مشفقة لم تنتبه إليها وهي تتحرك لتحمل حقيبتها كي تعود لبيته ...

فتحت الباب الخارجي لتلتفت ببصرها نحو أرجوحتها الملونة هناك ...





سولت لها نفسها أن تذهب لتعتليها لكنها تذكرت أنه جعل ارتفاعها عالياً كي لا يمكنها الصعود وحدها ...

ولأول مرة في عمر حبها الطويل معه تشعر أنه قد صار يحمل دوراً في سعادة قلبها به !

أجل...طوال هذه السنوات وهي مكتفية بحبه...

تدور وحدها في حلقاتها باستقلالية تماماً...

تقرر متى تتزلج قدماها بحرية على سفوح جليده ...أو تتوقف مكانها ثابتة كي لا تسقط على ظهرها...

حبها -أحادي الطرف- كان بمثابة عالم افتراضي عاشته بكل جوارحها ..ألقمته كل خيالاتها وطموحاتها...عاشت فيه وبه وله...وحدها ...




والآن تتغير قوانينه ليتحول لحقيقة شريكها فيها هو...

هو بكل عقده ووساوسه وغروره وأنانيته

و...احتياجه!

احتياجه الذي يسير نحوها متعثراً كطفل مذنب فلا تملك إلا أن تفتح له ذراعيها كأم رحيم !

تنهدت أخيراً بحرارة وهي تتوجه نحو الداخل ...

أعدت له طعام العشاء ككل ليلة رغم أنها كادت تقسم أنه لن يتناول من يديها شيئاً بعد ما كان ...

سيعودان غريبان كأن لم يلتقيا أبداً !

فقط لو كان بإمكانها أن تشرح ...

هي عجزت عن فضح ما كان حتى لوالدها عندما سألها عن سبب طلاقها ...





ظلت تردد لنفسها أنها لن تذكر كي لا تتذكر ...لكنها غفلت عن أن قشرة البركان الخامدة تخفي تحتها الكثير من النيران الهائجة تنتظر فقط ثغرة كموقف الأمس كي تنفجر بلا رادع !

شعرت بألم في معدتها فانتبهت أنها لم تأكل شيئاً منذ الصباح ...

لا شهية...لا رغبة...ولا مزاج!

لهذا توجهت نحو غرفتها لكنها ما كادت تدخلها حتى انقطع التيار الكهربي فجأة !

شهقت بفزع وذكرى الأمس تشترك مع خوفها المغالي من الظلام لتتخبط خطواتها في الظلام محاولة العثور على مصدر للضوء لكنها لم تجنِ سوى تعثرها في طرف السجادة لتسقط مكانها...





صرخت بعنف وهي تشعر بالرعب يتملكها ...

ذكرياتها الخانقة ...نقطة ضعفها الوحيدة التي كادت تنساها تعاود الآن الطفو على سطح أفكارها ...

عريس ممتاز رشحه والدها ...مميزاتٌ تجعل رفضه ضرباً من الجنون...سفر يامن للخارج وعلمها عن زواجه هناك ...وعقليةٌ محاربة كعقليتها ترفض توقف الحياة لأي سبب...كل هذا جعل موافقتها على الزواج منه أمراً محسوماً.

عروسٌ فاتنة تطل بالأبيض تتأبط ذراعه في حفل أنيق ...شقة فاخرة لا تنكر أنها استودعت فرشها كل اهتمامها الظاهر كي تشغل نفسها عما يفتقده





قلبها ...وأخيراً فراش أبيض ينتظرها لتقضي ليلة العمر كما يسمونها ...

تلك الليلة التي تيقنت فيها أنها ستكرهه عمرها كله بعدما استنفذت كل رصيدها من الصراخ مع رجل لم يكن ينال لذته إلا بإيلامها!

آلام معدتها تشتد مع فيض الذكريات الذي انفجر تباعاً في مخيلتها ...

والدوار اللعين يجتاحها مع طوفان الماضي:

الوسيم الأنيق الذي كان يحسدها عليه الناس نهاراً كان ينكشف على حقيقته ب-شذوذ- طباعه ليلاً!!

ولماذا احتملت؟!





قلة خبرتها كانت تجعلها تصدق مزاعمه أن ما يفعله هو الطبيعي ولا ضير فيه ..لكنها عندما اكتشفت حقيقته القذرة ليس معها فقط بل مع غيرها واجهته برغبتها في الطلاق ...

ساعتها هادنها باعتذاراته...صدقت توسلات ندمه وهو يعدها بالتغيير ...ومع عدم رغبتها في الفشل قررت منحه الفرصة الأخيرة !

صرخة قصيرة أفلتت منها وهي تشعر بشئ ما يداعب قدميها في الظلام ...

لم تدرِ هل كان حقيقياً أم من وحي ذكرياتها التي كانت تنتهكها الآن بقسوة ضارية :

ليلتها الأخيرة معه كيف كانت ...





كيف عادت لشقتهما ليلاً لتجده في فراشهما يمارس طقوسه

-السادية - مع امرأة لا تعرفها...

جمدتها الصدمة لدقائق وقتها حتى غلبها الاشمئزاز لتفرغ ما في بطنها على الأرض قبل أن تسقط مكانها ...

لكن الغريب أنه حتى لم يتوقف عما يفعله وكأنه اعتبر مقاطعتها له غير مقبولة !

لم تدرِ كيف توقف بها الزمان بعدها ...كيف غادرت المرأة التي كانت معه...كيف أسندها هي ليوقفها وجسدها المصدوم يأبى حتى مجرد إصدار ردة فعل...

كيف دفعها بمنتهى البرود نحو الحمام القريب مع أمر حازم أن تغسل وجهها كي تفيق!





تفيق؟!!

تفيق؟!!

العجيب أنـها لازالت تسأل نفسها بعد كل هذا الوقت

هل أفاقت حقاً ؟!

هل وعت ما أفسده فيـها ذاك الرجل؟!

هل تخلصت من آثاره الغاشمة على جسدها؟!

آآآه كيف تنسى؟!

كيف تنسى إذ خرجت بعدها من الحمام وقد ذهب جمودها لتحل محلها ثورتها العارمة وهي تسبه وتلعنه...

لكنه بقي جالساً مكانه على "الفراش المدنس"
ينفث دخان سيجارته ببرود ...

_كنت عايز أتأكد إن العيب منك...انتِ اللي باردة
وبتخلليني أتعصب عليكِ...انتِ اللي بتخليني أخونك
مع أي واحدة تحسسني إنها ست مش ثلاجة !

وجهها كان يزداد احمراراً مع إهاناته لتجد نفسها
تمد أناملها نحوه بصفعة فتحت عليها أبواب
جحيمه...

شعرها الطويل الذي لم يكن وقتها قد انسدل على
كتف رجل غيره كان يتقطع بين أصابعه التي كانت
تشده بجنون اقتلع بعض خصلاته من مكانها...





الألم الحارق يصيبها بالدوار فلا تسمع سوى تهديده لها بأن تكون تلك هي المرة الأخيرة و....الأقسى!

وقد صدق!

سيجاره المشتعل ينغرس في كتفها...وصوت تمزق ملابسها يمتزج بمذاق الدم في فمها مع عنف ضرباته !

أصدرت أنيناً خافتاً والذكرى تتجسد بحرقتها كأنما هي حقيقة...

حتى أنها كادت تبصق الدم من فمها وهي تمد أناملها لندبة كتفها ...

دموعها تتحول لشهقات باكية وهي تعود لتتذكر...





كيف اكتمل مسلسل القهر بعدها بوعيده لها أن يفضحها بما لم يكن فيها خاصة أن زواجهما لم يستغرق بضعة أشهر...

لكنها هي الأخرى هددته بمعاقبة قانونية مع إصابات جسدها وقتها...لتنتهي المقايضة بطلاق سريع يبدو أنه قد ندم عليه فمالبث أن عاد يلاحقها في كل مكان بفضائح تمس شرفها..

لكنها لم تستسلم!

عادت لتقف على قدميها من جديد بقوة تحسد نفسها عليها...

قوة تشعر بها تتهاوى الآن وهي على أبواب تحقيق حلمها القديم بفارسها ...

يامن!





اسمه وحده وسط هذا الظلام يبزغ كقمر عنيد...ينير ليل ذكرياتها لكنه يعاود اختفاءه خلف الغيوم!

لهذا أخذت نفساً عميقاً وهي ترفع رأسها لأعلى بدعاء خافت ...

قبل أن تتحامل على نفسها لتقف مكانها ...

خطواتها المذعورة تزداد ثباتاً وهي تحاول تحسس طريقها لتتناول حقيبتها كي تستخرج هاتفها محاولة الاتصال به ...

كانت تعلم أنه لن يجيب ولم يخيب ظنها فيه...!

فاضطرت للاتصال بعيادته لتخبرها مساعدته أنه لايزال هناك.





لهذا أخذت قرارها بالذهاب إليه ...هو أفضل من انتظاره هنا في الظلام على أي حال ...

طوال الطريق وهي تشعر بالاستنزاف!!

الظلام مع ذكرياتها الخانقة يعتصر قلبها اعتصاراً...

وما ينتظرها مع يامن يخيفها أكثر!

رجلٌ بكبريائه لن يمرر لها فعلتها بالأمس...ولو فعل فلن يمكنه التجاوز عن نفورها منه !

تباً!! ماذا كانت تنتظر إذن من زيجة كهذه ؟!

أن يتحقق الحلم القديم؟!

ها هو ذا يتحقق لكنه يوشك على التحول لكابوس!





انقطعت أفكارها عندما وصلت لمقر عيادته فترجلت من سيارتها لتصعد هناك...

الباب مفتوح لكن الصالة خالية...

غرفته مضاءة لكنها مغلقة...نظرت لساعتها تتبين الوقت...لقد انتهى ميعاد الكشف...هل ينتوي قضاء ليلته هنا؟!

وقفت للحظة بتردد أمام الباب المغلق قبل أن تحسم أمرها لتفتحه أخيراً وقد قررت مفاجأته...

لكن المفاجأة كانت من نصيبها هي ...

فأمامها كان هو واقفاً وبين ذراعيه امرأة تمنحه ما تمنعت هي عنه

بالأمس ...

امرأة تحمل في أحشائها ابنه وقد عادت لتسترد حقها فيه...





ويبدو أنـها قد نجحت!

أجل...سيلين!

=========

ثلاثتـهم يقف مصدوماً من رهبة الموقف لكن سيلين كانت أول من تمالك نفسه لتلتمع عيناها بشراسة مع قولها بلكنتها المميزة:

_مش تخبطي قبل ما تدخلي؟!

بينما كز يامن على أسنانه بصمت كعادته وقد بدت على ملامحه أقصى علامات الغضب قبل أن يقول مخاطباً سيلين :

_ممكن تمشي دلوقت ...هاكلمك بعدين!

ابتسمت سيلين بظفر وهي تأخذ كلامه على محمل الوعد لترمق ياسمين بنظرة حقود لم ترها الأخيرة





التي أذهلتها الصدمة لتغيب في شرودها مع مشهد مشابه حتى أنها لم تنتبه لمغادرة غريمتها.

ظل يامن واقفاً مكانه هو الآخر يرقب ملامحها الساكنة بشرود غرقت فيه للنخاع ...بينما كان جسدها كله يرتجف من قمة رأسها لأخمص قدميها...

فعقد حاجبيه بضيق وهو يشعر نحوها ببعض الإشفاق الذي محته تماماً ذكرى "صفعة الأمس"!!

ولما طال صمتها تنحنح بخشونة ليقول بنبرة باردة :

_خير؟! كنت جاية ليه؟!





قالها وهو يقترب منها خطوة وشعوره بالقلق يزداد مع شحوب ملامحها وزرقة شفتيها ...

القلق الذي لم يسمح له بالظهور مع سؤاله التالي:

_معها حق...انتِ اللي غلطانة... المفروض كنتِ تخبطي الأول!

_العيب منك...انتِ اللي باردة وبتخلليني أتعصب عليكِ...انتِ اللي بتخليني أخونك مع أي واحدة تحسسني إنها ست مش ثلاجة !

الذكرى -الحارقة- تمتزج في ذهنها مع -عبارته الباردة- فتتشوش الصورة في رأسها ...

الدوار يزداد ...الدوامات تتكاثر ...الأصوات تختلط...لكنها لن تستسلم...





لهذا التفتت نحوه بعينين زائغتين لتهمس بصوت مختنق :

_آسفة...كنت جاية عشان ...

قطعت عبارتها عندما تجمعت هذه الغصة في حلقها لتزداد ارتجافة جسدها فاندفع نحوها ليمسك ذراعيها هاتفاً بقلق:

_انتِ كويسة؟!

إيماءة خافتة برأسها وهي تكابر للنهاية ..لكنها عجزت عن المزيد مع سقوطها أخيراً فاقدة للوعي...

=========

_متأكدة إنك كويسة ؟! واللا نقعد الليلة دي هنا؟!

قالها وهو يسير معها مغادراً المشفى الذي أحضرها إليه منذ قليل بعدما سقطت بين ذراعيه ...





كان يود لو يسند جسدها المرتجف الذي يبدو أنه لم يستعد عافيته كاملة لكن "ذكرى الأمس" كانت لا تزال عالقة بينهما !!

بينما حافظت هي على صمتها المطرق مكتفية بهزة لرأسها فأشاح بوجهه وهو يشعر بثقل ضميره...

لماذا لم يصارحها بالحقيقة وقتها؟!

لماذا تركها حتى سقطت هكذا؟!

تباً لكبريائه الذي جعله يفضل أن يرد لها إهانة الأمس بدلاً من أن يوضح لها الصورة كاملة ...

لكن مهلاً مهلاً!!

كيف ينسى ما حدث الليلة الفائتة؟!

لو نسي ألم صفعتها فلن يغفل عن ذكرها لاسمي رجلين آخرين في أشد لحظاتهما خصوصية !

لو كان الأول هو طليقها ...فمن يكون الثاني؟!





ولماذا ذكرته وقتها بالذات ؟!

التساؤلات الأخيرة أعادت إذكاء وساوسه فعاد لصمته مقطب الحاجبين وهو يستقل معها سيارته ليقود بها نحو بيته...

الصمت الثقيل يظلهما إلا من صوت أنفاسها المضطربة جواره فيختلس نظرة جانبية نحوها من آن لآخر ...

حتى قطعت هي الصمت بقولها المتحشرج:

_من فضلك...روحني بيتي أنا.

فازداد انعقد حاجبيه وهو عالق بين قلبه ووساوسه...

قلبه الذي سقط بين ضلوعه بلوعة ماعاد ينكرها خوف فراقها...





ووساوسه التي تلقت عبارتها كتهديد !

ويبدو أن كبرياءه جعل الغلبة للأخيرة فكتم مشاعره ليقول بصوت جامد دون أن ينظر إليها:

_موافق...بس قبلها نروح للمأذون ننهي الاتفاق السخيف اللي بيننا ده .

_ماشي!

بنفس الصوت المتحشرج نطقتها ودموعها تعاود جريانها الصامت على وجنتيها فتوقف بالسيارة فجأة لتصدر صريراً مفزعاً قبل أن يلتفت نحوها ليمسك ذراعيها فيديرها نحوه هاتفاً باستنكار ساخط:

_ماشي؟! بتقولي ماشي؟!امال كل الحب اللي كنتي بتقولي عليه ده كان إيه ؟! تمثيل؟! دلوقت عايزة





كل واحد يروح لحاله؟! أرجع بيتي وترجعي بيتك بالبساطة دي؟!

_بيتك ضلمة يا يامن !

غمغمت بها مغمضة العينين لتتحول دموعها الصامتة لشهقات باكية ارتجف لها جسدها من جديد ...

فدمعت عيناه عجزاً وهو لا يدري ماذا يفعل ...

كل ما فيه يستصرخه أن يتجاهل سدود "كبريائه" و"نفورها" ويحتوي كل دموعها هذه على صدره ...

لكنه لن يفعلها!

ليس بعدما كان بالأمس!





لهذا خفف ضغطه على ذراعيها تدريجياً ليزدرد ريقه قائلاً بخشونته المعهودة:

_ماينفعش أسيبك دلوقت...روحي معايا الليلة دي...وبكرة اعملي اللي انتِ عايزاه.

قالها ثم تركها لبكائها قبل أن يعاود القيادة بأنامل مرتجفة حتى إذا وصل بيته وجده مظلماً فعلاً فالتفت نحوها قائلاً :

_هاجيب الكشاف من شنطة العربية .

ترجل من السيارة ليحضر كشافاً ضوئياً ثم ذهب نحوها ليمسك بكفها المرتجف ويسير بها نحو الداخل حيث وضع الكشاف في غرفتها في مكان مناسب ليقول بنبرة جافة:

_خلليه هنا معاكِ وأنا هاشوف لي واحد تاني...





ثم تحرك بها ولازال ممسكاً كفها نحو الفراش مردفاً:

_هاسيبك براحتك...ارتاحي هنا ولو احتجت حاجة أنا قاعد بره مش هاطلع فوق .

قالها وهو يتردد في ترك كفها لكنه فعلها أخيراً كارهاً... ليدفعها برفق نحو الفراش الذي جلست عليه بإعياء فرفع عليها غطاءها ولازالت شهقات بكائها الخافتة تملأ أذنيه ...

ولما لم يعد قادراً على الاحتمال أكثر جلس فجأة على طرف الفراش لينفجر باعترافه :

_أنا اتفاجأت بيها زيك...كنت خلاص هاقفل العيادة لقيتها داخلة ...قلت كلمتين خايبين من بتوعها زي كل مرة ما توقعتش إنها تتمادى كده ...وكمان ما توقعتش إنك تدخلي في نفس اللحظة ...أنا مش





مضطر أقول كده ...لو كنت عايزها أو فيه عندي رغبة واحد في المليون إني أكمل معاها ما كنتش لجأت لخطة جوازنا المزيف دي...

ثم زفر بقوة ليردف وقد عادت إليه سخريته السوداء:

_وبعدين أنا مش عارف إنتِ عاملة كل ده ليه ؟!
يتهيألي بعد موقف امبارح كل واحد عرف مكانه !

لم تتوقف دموعها وكأنها لم تسمعه ...

كانت تدور في إعصار ذكرياتها العاصف ...والتي امتزجت الآن بمشهده هو مع طليقته...

ماذا عساها تصنع؟!

وهل تلومه حتى لو حنّ إلى امرأة تعطيه ما تعجز هي عنه ؟!





يقول أنه (الآن قد عرف كل منهما مكانه)!

حقاً...هي عرفت مكانها !

_ياسمين ...بطلي عياط وبصيلي!

هتف بها بنفاد صبر وهو لايدري ماذا يفعل ...

لو استجاب لرغبته الآن في عناقها فلن يسامح نفسه أبداً !

لهذا اكتفى باعتصار كفها بين أنامله بينما لايزال يهتف بنفس النبرة الجافة التي تناقض كل مشاعره الآن:

_أنا مش هاقعد طول الليل أشرح وأسمعك بتعيطي...اتفاقنا كان محدش فينا يحكي عن ماضيه ومع ذلك حكيتلك كل حاجة...عشان





مفيش حاجة تخليني أتكسف منها..بلاش تصرفات العيال دي ...لو ما فتحتيش عنيكي دلوقت واتكلمت زي الناس هاسيبك تتفلقي!

ياللرقة!!!

الغريب أنه كان ولأول مرة يكره -فظاظته- التي كان يظنها تحميه !

يكرهها وهو يشعر بالمزيد من العجز عن فعل أي شيء !

وما زاد الطين بلّة هو مصادفة عينيه لرمزها الذي تنقشه بيدها على مفارشها ووسائدها ...ذاك الذي يمثل حرف الياء بالعربية وقد انثنى طرفه ليرسم شكل القلب الشهير ...والذي أخبرته منذ أيام أنها تعنيه هو به ...





اللعنة!

أما لهذه الفوضى من آخر؟!!

زفر بحرقة وهو لايجد بداً من أن يقوم لكنه ما كاد يفعلها حتى شعر بتشبث أناملها الواهي به ..!

هذا الذي وجده كافياً ليعاود الجلوس وهو يربت على كفها بحنان يناقض جفاء أقواله...

ولم يكد يفعلها حتى فوجئ بها تنحني في جلستها لتسند رأسها على كتفه هامسة بين دموعها:

_أنا آسفة على اللي حصل امبارح...معرفش عملت كده إزاي.

وكأنما كان هذا فقط ما يحتاجه كي يتشقق قناع القسوة البارد الذي كان يرتديه...





كي يستجيب لدعوة جوارحه باحتضانها ...لغرس رأسها بين ضلوعه ...لتقبيل قمة رأسها التي نزع عنها حجابها ليتخلل شعرها بأنامله هامساً بصوت متحشرج لايزال على خشونته:

_أنا كمان آسف ...ماكنتش أعرف إني هاخوّفك كده ...

ثم ابتعد بوجهه عنها دون أن يفلتها من بين ذراعيه لينظر لعينيها بينما يمسح بأنامله الحرة بقايا دموعها لتقول هي بتشتت:

_أنا جتلك العيادة عشان النور قطع هنا...أنا بخاف من الضلمة قوي .

فالتوت شفتاه بابتسامة حانية وهو يتذكر كيف هرعت بالأمس مذعورة لضغط زر الإضاءة ...ليقول بنبرة جادة:




_خلاص...بكرة أتفق مع حد يركب هنا مولد كهربي.

ابتسمت بامتنان وهي تعاود إسناد رأسها على كتفه عندما سطعت الأضواء في الغرفة فجأة ليغشي الضوء عينيهما للحظات قبل أن يتركها

ليقف قائلاً:

_هاعمللك حاجة دافية تهديكِ عشان تعرفي تنامي.

لم ينتظر موافقتها وهو يخرج من الغرفة بعدها تاركاً إياها خلفه تحاول لملمة شتاتها دون جدوى ...

=======

عاد بعد دقائق حاملاً مشروبها الدافئ مع ورقة مطوية ناولها لها قائلاً:




_دي أعشاب كاموميل ونعناع ...ده الغلاف بتاعها عشان تطمني.

فاكتست شفتاها بابتسامة واهنة وهي تتناول منه الكوب مغمغمة:

_انت اللي موسوس مش أنا...أنا واثقة فيك.

تنهد بحرارة وهو يضع ما بيده جانباً ليجلس أمامها على طرف الفراش متفحصاً ملامحها المنهكة...عينيها اللتين تورمتا من فرط البكاء ...وشفتيها المرتجفتين بانفعال ...وأخيراً خصلات شعرها التي التصقت بجبينها المتعرق والتي امتدت لها أنامله الآن ليزيحها خلف أذنيها قائلاً:

_أحسن دلوقت؟!





أومأت برأسها إيجاباً وهي ترتشف المشروب بينما عيناها تتحاشيان النظر نحوه فانتظرها صابراً حتى انتهت ثم أخذ منها الكوب ليضعه جانباً قبل أن يحيط كفيها بكفيه قائلاً :

_مش محتاج أسألك عن تفاصيل ...أنا فهمت !

رفعت إليه عينيها بنظرة مذعورة ليستطرد بأقصى ما استطاعه من ضبط النفس رغم البركان الذي كان يفور بداخله :

_كان حيوان...بيهينك ...بيضربك...بيخونك...

كانت عيناها تتسعان أكثر مع كل كلمة يضيفها ليوقن من صحة استنتاجه فأردف وهو يهز رأسه بتعجب:




_مش انتِ اللي قلتيلي إن مشكلتي مع أمي كانت إني ردمت على النار من غير ما أطفيها ؟! مش أولى كنتِ نصحتِ نفسك الأول؟!

أسبلت جفنيها وهي تشعر بالضعف يجتاحها من جديد رغماً عنها فعادت دموعها تسيل على وجنتيها ليقترب منها أكثر فيضمها إليه هامساً:

_من أول ما شفتك وأنا واثق إنك مخبية جرح كبير ...كنت بحسدك على قوتك بس كنت عارف إن فيه نقطة ضعف بتبقي جبانة قدامها...عشان كده عايزك تتكلمي...تحكي...عشانك انتِ...مش عشاني أنا...عشان تكسري حاجز الخوف اللي جواكِ من التفاصيل اللي انتِ حابساها .





عاد جسدها يرتجف بين ذراعيه وهي تشعر بأحاسيس متضاربة...

شعورٌ عميق بالإهانة..بالضآلة...بالنقص...ينتابها وهي تعود للغوص في ذكرياتها ...

هذا الشعور الذي لم تعرفه في حياتها كلها إلا في ذاك الموضع..

هي القوية الواثقة الضاحكة النابضة بحيوية الألوان لكنها تبقى شديدة الوهن أمام هذا النفق الأسود بأعمق أعماق روحها !

لكن يامن محق!

ربما تكون مشكلتها الحقيقية فعلاً أنها حبست تفاصيلها الخانقة داخلها فلم تطلع عليها سوى طبيب التجميل الذي سألها بطبيعة الحال عن سبب تلك الندوب التي ملأت جسدها وقتها...





غرقت في صمتها طويلاً وهي تحاول تجاوز هذا الحاجز لكنه احتمل بصبر يحسد عليه حتى بدأت بالحديث وهي تخفي وجهها في صدره...

أجل...أخيراً انزاح الحجر الثقيل عن باب مغارة الذكريات المعتمة !

كان قلبه ينتفض بغضب مع كل تفصيلة تحكيها وهو يشعر أن كبرياءها يخفي خلف ذاك -المزيد- الذي كان تخيله يزيد جنونه...

رباه!

إذا كان هذا ما جرأت على البوح به فما الذي تخفيه ؟!





حتى انتهت بذكر تفاصيل الليلة الأخيرة الكارثية والتي ما كادت تفرغ منها حتى عادت للبكاء من جديد ...

فاعتصرها بين ذراعيه هامساً بحزم:

_عيطي دلوقت زي ما انت عايزة...بس اوعديني تكون دي آخر مرة تفتكري فيها كل ده ...

ثم رفع ذقنها إليه ليردف بغضب سمح له أخيراً بالظهور:

_لو كان قدامي دلوقت كنت قتلته ...بس انتِ كمان غلطانة ...ليه سكتتي؟! ليه ماقلتيش لوالدك؟! سكوتك ده اللي جرأه عليكِ!

_سكتّ في الأول عشان كنت بعافر إني أنجح ومافشلش...عشان مابحبش أتهزم من أول مرة...كان عندي أمل مع كل اعتذاراته إنه





يتغير ...وبعد الطلاق سكتّ عشان اتعودت أقوم كل مرة لوحدي...ما اشوفش في عين بابا نظرة شفقة...هو اتعود يشوفني ناجحة وقوية... وأنا اتعودت مابقاش محتاجاه.

نطقت عبارتها الأخيرة بنبرة مسته وهو يدرك مغزاها ...

هي لم تسامح أباها كما تزعم ...هي فقط تصنعت تعايشها مع ذنبه القديم !

تماماً كما لم يسامح هو أمه بل ولم يستطع حتى تصنع التعايش هذا!

صدقت يوم وصفته بأنه صورتها في المرآة...

صورتها الأضعف...الأكثر سواداً...والأشد تخبطاً!





الآن فقط يفهم سر حديثها عن مشكلتها مع الإنجاب...عن ثورة ذعرها بالأمس ...وعن نفورها من لمساته...

لكن...مهلاً !

إنها لا تنفر دوماً منه...فقط عندما تتذكر ما يربطها بماضيها!

هذا يعني أنه هناك أمل أن تتقبله يوماً!!

وهو سينتظر...هو يريد أن ينتظر...

كل ما يخصها شغف خاص بها لم تشاركها فيه امرأة سواها !

لهذا أخذ نفساً عميقاً ثم ربت على ظهرها قائلاً بحزم رفيق:

_هتنامي دلوقت...وهتنسي كل حاجة قلتيها ...فكري بس في أكتر حاجة بتحبيها.





ابتسمت بشحوب وهي تعود بظهرها للوراء لتنسل تحت الغطاء وقد شعرت بجفنيها يتثاقلان حقاً...

فابتسم رغماً عنه وهو يسألها بصوت عادت إليه مشاكسته:

_أنا ؟! مش كده ؟!

_طبعاً.

كان يسألها مداعباً كي يكسر حدة توترها لكنه لم يتوقع أن تؤثر فيه هكذا وهي ترد بسرعة دون تردد حتى وسط كل هذا!

لهذا اتسعت ابتسامته وهو يتأمل ملامحها التي عاد إليها سكونها تدريجياً وهي تستسلم للنوم أخيراً...

قبل أن يتذكر شيئاً جعله يسألها بتردد خافت:

_مين زين؟!

_زين؟؟!





_كنتِ بتقولي اسمه امبارح !

_أكيد بيتهيألك...معرفش حد اسمه كده !

همست بها بصوت متثاقل قبل أن يغلبها نعاسها فعقد حاجبيه وشكوكه تعاود حربها الضروس معه ...

لكن نظرة واحدة لملامحها الملائكية الآن كانت كفيلة أن تتراجع مؤقتاً فتنهد بعمق وهو يشعر أن هذه الليلة هي بدايته الحقيقية معها ...

لا يهم أن يقصر الطريق أو أن يطول لكنه يعترف أخيراً أنه يريد المسير فيه...

المسير...؟!

لا ..بل العدْو!

=======





القطعة الثانية عشرة

==========

_إيه المفاجأة الحلوة دي؟!

همس بها بصوته الذي يمزج حنانه بمرحه وعيناه تلتقيان بعينيها فور استيقاظها على فراشه ..

فتوردت وجنتاها بخجل وقد انعقد لسانها عن الرد..

بينما انحنى هو عليها لتطبع شفتاه هدية رقيقة على عنقها مع همسه:

_اللي يلاقي حاجة في سريره تبقى بتاعته ...كده خلاص مش هتخرجي من هنا تاني.

احترق وجهها بحرارة عاطفته وهي لا تدري كيف تشرح له سبب وجودها هنا...

وبالتحديد بعد ليلة الأمس الغريبة!!





لكنه رفع رأسه أخيراً ليزيح شعرها عن وجهها ملتقطاً نظراتها الخجول بعينيه العابثتين هامساً:

_أنا عايز كل يوم صباح من ده...بس قوليلي الأول...نمت هنا ليه؟!

عضت شفتها السفلى بقوة مسبلة جفنيها وهي تستند على راحتيها لتنهض من رقادها ...

قبل أن تفتح عينيها لتدور في الغرفة حولها تستكشفها...

كم تبدو لها غريبة الآن عن تلك التي هربت إليها بالأمس من كوابيس ذكرياتها!

_كنتِ خايفة ؟!





قالها بإشفاق وهو يقوم بدوره ليستند إلى ظهر الفراش جوارها فارتجفت شفتاها وهي تومئ برأسها دون رد ...

هنا شعر بالغضب من نفسه إذ تركها ليلتها الماضية وحدها بعدما صارحته به ...

لقد فكر في قضاء الليل معها ساهراً رغم تيقنه من استسلامها للنوم لكنه لم يستطع !

رؤيته لها نائمة بتلك الدموع المتجمدة على وجنتيها كانت تستثيره بجنون ...

تحيي بداخله ثورات وثورات من مشاعر متناقضة كانت تجتاحه بلا رحمة...





أجل ...كان يريد أن يوقظها...يلتقط من بين شفتيها التفاصيل...كل التفاصيل ...يجمع كل الخيوط برأسه كما يُفترض برجل بطبيعته!

لكنه في نفس الوقت كان يريدها أن تنام...أن تنسى...

أن تفقد ذاكرتها فلا تعود تعرف من دنياها إلا أيامها معه ...هو فقط!

فيالتناقض!

وبين الشعورين قضى ساعة من الوقت ممزقاً قبل أن يقرر

الانسحاب من المعركة كلها إلى -غرفته الآمنة- دون أن ينسى أن يبقي لها الكشاف الكهربي مضاءً تحسباً لعودة انقطاع التيار...





وهاهو ذا يستيقظ صباحاً ليجدها نائمة جواره !

لا...لم يكن من الحماقة ليفهم أن تصرفها هذا لا يغير شيئاً من حقيقة وضعها و"عقدتها"...

لكنه كان يكتفي -مؤقتاً- بحلاوة شعوره أنها تجد أمانها معه رغم كل شيء!

لهذا احترم صمتها قليلاً ثم احتواها بين ذراعيه ليهمس لها بينما أنامله تربت على ظهرها برفق:

_قوليها! قولي كنت خايفة فجيت هنا...اتكلمي...قولي كل اللي انتِ حاساه ...من النهارده مش عايزك تخبي عليّ أي حاجة مهما كانت صغيرة !





رفعت إليه عينيها بتردد وقد انفرجت شفتاها وكأنها ستهم بقول شيء ما تراجعت عنه سريعاً لتعاود دفن عينيها في كتفه ...

فتنهد بحرارة وهو يضمها إليه بقوة أكبر مردفاً:

_ماتضيعيش مني تاني...ماتستخبيش تاني لوحدك...من يوم ما عرفتك وأنا بجرب معاكِ إحساس عمري ما عشته...إحساس إني آخد وبس...عمري ما كنت أناني مع حد زي ما كنت معاكِ...جه الوقت إن ده يتغير...

ثم رفع ذقنها إليه ليلتقط نظراتها المهتزة هامساً:

_عايزك تسمحيلي أعمل حاجة...أي حاجة ...تخرجك من اللي انتِ مصرة تواجهيه لوحدك ده.





اتسعت عيناها للحظة وكأنها لا تصدق أنه يقول لها هذا قبل أن تخفي وجهها كله بين راحتيها لتغمغم بصوت مرتجف:

_مش قادرة أتكلم..لحد دلوقت مش مصدقة إني قلت لحد على اللي حصل..ومش أي حد..انت ؟! معقول؟! انت بالذات ؟! إزاي؟!

لكنه أزاح كفيها عن وجهها ليستبدلهما براحتيه اللتين احتضنتا وجنتيها مع قوله بحزم أكبر:

_عشان انتِ عارفة إني مش هاخلليكِ تندمي على صراحتك دي .

فهزت وجهها بقنوط هامسة:

_ماكنتش عايزاك تشوفني ضعيفة كده ...كنت عايزة أدخل حياتك وأخرج منها وأنا لسه ...





_مش هتخرجي!

قالها بحزمٍ مقاطعاً وهو يضع أنامله على شفتيها لتلتقي عيناهما في لحظة بدت وكأنها عرقلت عقارب الزمن كي لا تسير!

عيناهما العسليتان اللتان هما نقطة تشابهما الوحيدة تتلاقيان

الآن بعناق طويل لا تكادان ترمشان فيه ...

نظراته تعد وعداً بعد وعد ...

ونظراتها تهب عشقاً بعد عشق...

شفتاه تنجذبان نحو وجهها بجاذبية صارت أقوى من أن يتجاهلها فتغمض عينيها بترقب ليتمالك هو نفسه وتحيد قبلته عن مرمى شفتيها إلى جبينها !




لحظات صمت مرت كدقائق قبل أن يتنحنح هو ليقول بصوت عاد إليه مرحه مع خشونته:

_طيب...قرار دكتاتوري رقم واحد ...من النهارده مفيش نوم لوحدك في أوضتك ...

ثم غمزها وهو يداعب شاربه بغرور مصطنع بينما يغلظ صوته عامداً:

_اللي يدخل جيب السبع مايخرجش منه أبداً!

ضحكت رغماً عنها ولازال بعض القلق يظلل ملامحها مما يكمن خلف عبارته ...

هذا القلق الذي طمأنته نظراته بعدها وإن لم ينطق بشيء...





فأومأت برأسها موافقة لتمتد أنامله نحو خصلات شعرها القصيرة التي صار يتلذذ بملمسها قائلاً بنبرة أكثر ليناً:

_قرار ديكتاتوري رقم اتنين..من النهارده شعرك ده ما يتقصش...عايزه يبقى أطول من لساني!

عادت تضحك من جديد وهي تخفي وجهها في كتفه فابتسم بحنان وقد بدت له كطفلة خجول ليربت على ظهرها برفق هامساً بشرود :

_انتِ عارفة إني مابحبش الشعر الأصفر؟!...بس ..بيعجبني شعرك انتِ.

رفعت إليه عينيها بدهشة حذرة وكأنها تتذوق كلماته بخبرتها القديمة به ...

هل هو يعني حقاً ما يقول؟!





لهذا ارتجفت شفتاها قليلاً مع همسها المتحشرج له :

_ممكن أطلب منك حاجة ؟! مش عايزاك تقول غير اللي انت حاسس بيه بجد ..مش عايزاك تجاملني.

هنا كان دوره هو ليضحك قبل أن يشير بسبابته في وضع دائرة نحو وجهه قائلاً:

_انتِ مصدقة نفسك؟! ده وش واحد بيعرف يجامل؟!

ابتسمت بارتياح غمر ملامحها أخيراً فتنهد ليردف بجدية هذه المرة:

_أنا كمان هاطلب منك نفس الطلب...عايزك تعتبريني مرايتك...اتعاملي بطبيعتك ...متقوليش حاجة عشان ترضيني أو تجامليني...اتفقنا؟!





أومأت برأسها موافقة وهي تشعر بقلبها ينتفض بشعور غريب...

رغم أنها تعرفه منذ سنوات لم تعد تذكر عددها لكنها تشعر أن هذه اللحظة بداية ميثاق جديد لهما ...

"سحر الميلاد"!

هذا الشعور الذي قبض قلبها برهبة ممتزجة بسعادة !

شعور غريب لايعرفه إلا من ذاقه !!

ويبدو أنه هو الآخر كان يشاركها هذا الشعور الفريد عندما تناول كفيها ليضغطهما برفق بين قبضتيه بقوة حانية صاحبت قوله الذي عاد إليه مزاحه المشاكس:





_قرار ديكتاتوري رقم ثلاثة..فطار النهارده في الجنينة ؟!

_بجد ؟! شكراً يا طيب!!

قالتها بعفوية وهي تسحب كفيها منه لتمنحه عناقاً خاطفاً قبل أن تزيح غطاءها لتغادر الفراش شبه قافزة مع قولها المرح:

_أتمنى تكون جعان ...عشان هاحضر لك وليمة مش فطار عادي!

كان يدرك الآن أنها تتشبث بهذا المرح بكل قوتها كي لا تستسلم لجحيم أفكارها ...

وهذا ما كان هو الآخر يريده تماماً ...لهذا قام بدوره ليلحق بها قائلاً بصوت عال بينما يراقب





خطواتها المتراقصة على الدرج المؤدي للطابق السفلي:

_ما تزوديش الأكل...كابتن الجيم حالف مش هيدخلني لو وزني منزلش الأسبوع ده .

ضحكاتها المرحة تتبعها نحو المطبخ الذي اختفت فيه مع هتافها الذي وصله بنبرتها الحيوية:

_خللي الكابتن بتاعك ده يشرف عندنا المطعم ....وأوعدك مرتين بس ومحدش هيبقى أحسن من حد !

عقد حاجبيه بضيق وكأنما لم تعجبه فكرة أن أحدهم يأكل من صنع يديها غيره !

لكنه تغاضى عن الاعتراف بغيرته وهو يؤدي طقوسه الصباحية المعتادة ...




قبل أن يلحق بها ليجدها جالسة في انتظاره بالحديقة وقد أعدت له طعامها الشهي كالعادة ...

فابتسم وهو يجلس متربعاً بينما يراقبها وهي تصنع له شطيرة ما بانهماك ...

ورغم التعب الواضح على ملامحها بعد ليلة الأمس العصيبة لكنها كانت تدهشه بقدرتها على مقاومة كل هذا بتحدّ غريب ...

مقاومة ؟!

من قال إنها مقاومة ؟!

ألا يحتمل أن يكون كل هذا مجرد تمثيل؟!

هز رأسه نفياً بقوة ينفض عنه -الهاجس الأخير- بينما حاجباه ينعقدان بقوة فالتفتت نحوه متسائلة :

_مش عاجبك ده ؟! أعملك غيره ؟!




لكنه اغتصب ابتسامة باهتة مقاوماً أفكاره مع قوله :

_لا ده ممتاز!

قالها وهو يتناول منها الشطيرة ليتناول منها قضمة فابتسمت وهي تعد لها مثلها مع قولها بانطلاق :

_المطعم شغله ماشي ممتاز ..لدرجة إني بفكر أفتح فرع جديد للأكل الشرقي .

_بس ده مش حمل زيادة عليكِ؟!

_الشغل مابيتعبش ...الفضا والتفكير هو اللي بيتعب.

قالتها وهي تتصنع الانهماك فيما تفعله فاتسعت عيناه بفهم وهو يدرك محاولتها المستمرة للنجاح ...





لقد قرأ يوماً مقولة أحدهم عندما سألوه عما يفعله عندما يصل للقمة فأجابهم (أبحث عن جبل جديد لأتسلقه)!

وها هي ذي تعمل بذات المقولة !

فما أكثر جبالها وما أشد همتها !!

وبكثير من الفخر عاد يرمقها بنظراته المتفحصة قبل أن يترك ما بيده ليتناول كفها قائلاً بنبرته المشاكسة:

_قانون دكتاتوري رقم أربعة ...هتاخديني شريك بالنُص في المطعم الجديد ؟!

أطلقت صيحة اندهاش عالية وقد بدا لها الأمر مفاجأة حقيقية ...





قبل أن تلقي ما بيدها لتقفز على ركبتيها فتتعلق بعنقه بقوة هاتفة :

_شكراً يا طيب !! شكراً ...شكراً...

ظلت تكررها بفرحة طفولية فضمها إليه بقوة حانية ليجلسها في حجره كطفلة بينما يقول لها محذراً :

_أنا عملت نفسي شريك بالنص عشان أفشكلها براحتي لو انشغلتِ عني ...مفهوم؟!

ورغم ظاهر عبارته الفظ لكنها ضحكت برقة وهي تناظر عينيه بينما تومئ برأسها موافقة لتقول أخيراً بخجل وهي تنتبه لجلستهما هذه :

_أي قرارات دكتاتورية تانية قبل ما نكمل أكل؟!

فاقترب بوجهه منها ليخبط جبينها بجبينه برقة هامساً قبل أن يحررها من ذراعيه :




_اطمني دول مابيخلصوش...بس كفاية عليكِ كده النهارده !

=========

_هتفضل تنام هنا كتير؟!

سألته هانيا وهي تدخل عليه الغرفة الصغيرة التي قضى فيها لياليه السابقة وهي تراه يرفع عليه غطاءه فوق الفراش يتأهب للنوم ...

لكنه أشاح بوجهه قائلاً ببرود:

_ماتشغليش بالك...ارجعي لمذاكرتك .

مطت شفتيها باستياء لتتوجه نحوه ثم جلست جواره قائلة بضيق:

_بلاش شغل العيال ده...تخاصمني وتاكل لوحدك وتنام لوحدك ...دي مش طريقة.





قالتها وهي تشعر بانقباض حقيقي من تباعده ...

لأول مرة منذ عرفته يقوى على خصامها طوال هذه المدة ...

ورغم أنها حاولت التشبث بأسوار كبريائها تنتظر مبادرته كالعادة لكنها لم تقوَ على الصمود أكثر ...

ومع هذا خانها تعبيرها وهي تردف بنبرة جافة:

_أنا مش فاضية عشان أقعد أصالح وأشرح وأبرر .

فالتمعت عيناه بغضب وهو ينتفض مكانه هاتفاً بحدة :

_محدش طلب منك تصالحي ولا تبرري...اتفضلي اخرجي وسيبيني واللا اقوللك أنا اللي خارج.




قالها ثم تحرك ليبدل ملابسه بسرعة لكنه ما كاد ينزع قميص منامته حتى لحقت به لتتشبث أصابعها به بقوة تمنعه وقد عجزت عن الكلام...

فقط عيناها دمعتا بقوة وهي تنظر لعينيه باعتذار صامت ...

فزفر ساخطاً وهو يشيح بوجهه قائلاً :

_سيبيني أخرج يا هانيا عشان ماعملش حاجة تزعلنا احنا الاتنين.

لكنها تحركت لتقف قبالته ودموعها تزداد كثافة في عينيها رغم تماسك نبرتها:

_هو إيه اللي جد؟! أنا ماتغيرتش...أنا ماضحكتش عليك ولا رسمت وش غير وشي...انت اتجوزتني





وانت عارف طبعي ...أنا غشيتك ؟! قل لي إيه اللي اتغير ؟!

_المصيبة إن مفيش حاجة بتتغير!

صرخ بها بغضب أجفلها وهو يمسك ذراعيها مردفاً بنبرة أقوى:

_انتِ مش عايزة تقدمي أي تنازلات عشان المركب تمشي...عايزة تفضلي صاحبة الكلمة والقرار وأنا وراكِ بقول حاضر ...عديت تصرفاتك الغلط مرة واتنين عشان أراضيكِ...زعلت أمي كذا مرة عشان خاطرك...قبلت أوضاع ماتتقبلش عشان الدكتورة شايفة كده ...لكن خلاص مش قادر أستحمل أكتر من كده .

سالت دموعها أخيراً على وجنتيها لتهتف بنبرة قوية مناقضة لبكائها :





C i n n a b o n

_انت عايز إيه ؟! عايزني أقضي يومي أتزوق وأستناك ؟! عايزني أوقف مستقبلي اللي حفرت في الصخر عشانه قصاد استعجال مامتك في طفل لسه مش مستعدة له ؟! عايزني أتخلى عن واجبي ناحية صاحبتي عشان أقنعك إني بغير عليك ؟! لا يا رامز ...أنا مابغيرش عليك ...عارف ليه ؟! لأن اللحظة اللي هتقرر فيها تشوف غيري هتكون آخر لحظة بيننا ..

ثم شهقت وسط بكائها لتردف بين نحيبها العالي:

_عمرك ما هتكون نقطة ضعفي...ولو زهقت زي ما بتقول خلاص طلّق...




وضع كفه على شفتيها يقاطع عبارتها التي صارت تكملتها بديهية...

لتتلاقى عيناه الغاضبتان مع عينيها الخائنتين بضعف يناقض كل هذه القوة التي تهتف بها ...

صمتٌ ثقيل أظلهما بعدها لثوانٍ قبل أن يزيح كفه ليكمل ارتداء ملابسه ويخرج دون أن يوجه إليها كلمة إضافية...

استقل سيارته ليدور بها في الشوارع بلا هدف وكأنما يفرغ في قيادتها السريعة شحنة غضبه ...

هل هي محقة ؟!

هي فعلاً لم تخدعه !

هو تزوجها وهو يعلم أن طبيعتها الخشنة العملية تختلف كثيراً عمن عرفهن من النساء ...

لكنه كان يرغب أن تتغير لأجله...لأجله هو فقط !!





كان يريد أن يطوع صفاتها لتظهر الأنثى المختفية بداخلها بين ذراعيه وحده !

كان يعلم أن نجاحها ودراستها أهم ما لديها لكنه كان يطمح أن تشعره أنه هو الأهم !!

أناني؟! مغرور؟! متطلب؟!

لا ...هو فقط رجل يريد أن يشعر أن امرأته تفضله هو على ما ومن سواه !

فهل أجرم؟!

صوت رنين هاتفه قاطع أفكاره فتناوله ليجده رقم غادة ...

عقد حاجبيه بدهشة وهو ينتبه للوقت الذي اقترب من منتصف الليل ...

لكنه فتح الاتصال ليرد باقتضاب:





_خير يا غادة !

أنفاسها اللاهثة كانت فقط جوابها للحظات ...

قبل أن يصله صوتها مرتجفاً واهناً كعادتها :

_ممكن تجيلي البيت دلوقت...من غير ما تقول لهانيا؟!

==========

_يامن...اتأخرت ليه ؟!

هتفت بها بقلق وهي تستقبله فابتسم وهو يشير للعلبة في يده قائلاً:

_مش عندنا فرح بكرة ولازم نستعد؟!

قالها بخشونة تناقض حقيقة شعوره وهو يراها بهذه الجاذبية التي لا تتعمدها في منامتها الحريرية طويلة الأكمام بلون الفستق والتي تناسبت مع حلية





بنفس اللون لشعرها رفعت به أحد خصلاته القصيرة في حركة تفعلها لأول مرة !

حسناً...لقد بدأت تهتم بشعرها قليلاً وهذا وحده يمنحه شارة جيدة خاصة مع حديثهما صباحاً...

_بدلة جديدة؟!

قاطعت بها تأمله المتفحص فيها وهي تتقدم منه لتتناول العلبة ...

لكنه وضع ما بيديه جانباً ليمسك كتفيها بكفيه متجولاً بعينيه فوق ملامحها التي يكاد يقسم أنها ازدادت نوراً على نور ...قبل أن يقول لها مشاكساً:

_أخيراً سرحتِ شعرك..ده أنا كنت قربت أشك إني متجوز واحد صاحبي!





رمقته بنظرة عاتبة لم تخفِ خجلها وهي تحاول التملص من بين ذراعيه لكنه تشبث بها وعيناه تواصلان رحلتهما الشغوف ببطء على ملامحها...

ليهمس أخيراً بنبرة جادة دافئة:

_عمري ماشفت واحدة بتليق عليها الألوان زيك...كل ماشوفك في لون أقول هو ده أجمل لون عليكِ...واكتشف بعدها إن اللي بعده أحلى...كأن كل لون فيه حاجة منك.

كان يشعر بارتجافة جسدها الخفيفة بين ذراعيه وكأنما المرة الأولى التي تستمعِ فيها لعبارة غزل !





وجنتاها المحمرتان مع رفرفة رموشها التي أظلت عينيها المسبلتين بخجل ...كل هذا منحه شعوراً عارماً بالرضا وكأنه رجلها الأول!

_على عكسك انت...عمري ما تخيلتك إلا بلبس أسود ...

قالتها ببعض المرح محاولة التغلب على خجلها لتشيح بوجهها مردفة:

_أقوللك سر؟! مفيش مرة عملت شوبنج إلا وكنت بقف قدام محلات الهدوم الرجالي أتخيلك في كل اللبس الأسود...شياكته جاذبيته غموضه ...ماظنش يليق على حد أكتر منك !





ضحك بفخر حقيقي ممتزج بعاطفته كعادته في كل مرة تتحدث فيها عن عاطفتها الجياشة نحوه...وكيف كان -دون أن يدري- جزءاً لا يتجزأ من حياتها ...

خاصة عندما استطردت بنبرة أكثر خفوتاً وأكثر عذوبة:

_لون واحد بس اتمنيت أشوفك فيه غير الاسود...

الابيض...عندي في دولابي قميص أبيض اشتريتهولك من زمان بس مافكرتش أقوللك عليه قبل كده !

_ليه؟!

سألها وهو يدير وجهها نحوه محتضناً وجنتها براحته فأغمضت عينيها لتجيبه بصوت متهدج :

_لسه مش من حقي أفرض عليك ذوقي .





التمعت عيناه بمزيج هادر من مشاعر تجتاحه الآن بجنون وهي بين ذراعيه بهذا الخجل وهذا العشق وهذه الرقة ...

لو لم يحكم سيطرته على طوفان مشاعره هذا فستكون كارثة !

لهذا تنحنح بخشونة ليقول مغالباً مشاعره بادعاء اللامبالاة :

_ابقي وريهولي يمكن يعجبني!

ابتسمت وهي تفتح عينيها أخيراً مدركة ما خلف عبارته بسعادة زينت ملامحها ...

هو رجلها الوحيد وطفلها المكابر الذي يستنكف أن يظهر عاطفته غافلاً عن أنها لا تجيد شيئاً في هذا العالم كما تجيد قراءة خباياه ...




لهذا اتسعت ابتسامتها وهي تبتعد عنه لتتجه نحو العلبة من جديد قائلة:

_وريني البدلة الجديدة...سوداء كالعادة !

_شوفيها!

فتحت العلبة بحرص لتتسع عيناها بدهشة مصحوبة بالانبهار للحظات قبل أن تهتف :

_ده ليّ أنا؟!

كاد يقذفها بواحدة من عباراته الساخرة اللاذعة لكنه أبى أن يفسد فرحتها وهو يراها كطفلة تتلقى هدية العيد ..

ذراعاها تمتدان نحو الثوب الذي حمل ألوان الطيف لترفعه على جسدها وتدور به حول نفسها بينما تطلق صيحات عالية فرحة حتى تلقفها ذراعاه لتهتف به بصوت لاهث:





_أجمل هدية جت لي في حياتي..ده أحلى من فستان فرحنا..أروح أقيسه؟!

لكنه تناوله من يدها ليفرده بحرص على الأريكة المجاورة قبل أن يعود إليها قائلاً بصوت أجش يخفي طوفان مشاعره:

_لا..اعمليهولي بكرة مفاجأة!

ابتسمت وهي تقترب منه خطوة قائلة ببعض الدهشة:

_معقول؟! يامن "رجل التفاصيل" الأول هيسمح بمفاجأة زي دي قبل الفرح؟! مش خايف يطلع مش مظبوط؟!

فابتسم وعيناه تلتمعان بفخر ذكوري يعجبها بينما يجيبها واثقاً:





_ماتقلقيش من المقاس ...بعد عشرتي لنبيلة والبنات ...بقيت بخمن مقاس أي ست من نظرة واحدة !

_أي ست؟!

هتفت بها بغيرة غلبت مرحها فحك ذقنه بأنامله بحركة مشاكسة ناسبت تراقص حاجبيه العابث بعدها واستجلبت ابتسامة واسعة على شفتيها بينما تقترب منه دون وعي أكثر ...

_تعرف إنك شبه "السينابون"؟!

_لذيذ وبتحبيه؟!

بغمزة ماكرة يهمس بها وهو يلكزها في كتفها فتضحك بنعومة لتجيبه بينما ذراعاها تتعلقان بعنقه:





_دواير كتير لفة حوالين بعضها ..فيه ناس تشوف الدايرة اللي بره بس..الدكتور الناجح اللي واخدها جد...وناس تقرب أكتر تشوف الدايرة اللي بعدها...الرايق أبو دم خفيف...وناس تقرب أكتر وأكتر تشوف حنيتك اللي بتشفع لغلطاتك المهولة...

_مممم...وانتِ بتشوفي إيه؟!

يسألها بينما كفاه يحتضنان خصرها تماماً كنظراته الشغوف لتقترب بوجهها منه حتى تمتزج أنفاسهما فتهمس بمزيج من حب ورجاء:

_أنا بقى نفسي أوصل لمركز الدواير دي كلها...أقف في المكان اللي أنا واثقة إن محدش سبقني ليه ...أقراك بوضوح وافهم كل تفاصيلك .

_أنا نفسي مش فاهم كل تفاصيلي!





ببعض المرارة يقولها وهو يغمض عينيه وكأنه يهرب من اقتحامها لحصونه لكنها تداعب وجنته بأناملها التي انتقلت برقة نحو جفنيه لتجبره على النظر إليها مع همسها:

_يبقى نحاول سوا..نوصل سوا...ونفهم سوا!

فتح عينيه أخيراً ليمتزج "بحر عسله" الهائج ب"نهر عسلها" الهادئ ...

الآن فقط يتعجب كيف عاشا غريبين طوال هذا العمر وفي عينيها يناديه هذان النجمان ...يخبرانه حقاً أين ينتمي !!!

حب؟! هل هذا فقط مجرد حب؟!

هراء!!!

الحب هذا محض وهم كفر به هو من زمن ...لكن ما بعينيها الآن شيء آخر ...





وكأنما قد وُلِد قلبه من رحم قلبها لتكون له قبل الأم ...أماً!

وعند خاطره الأخير ارتسمت على شفته ابتسامة واهنة وهو يقارن ضآلة جسدها بما يدور في ذهنه ...

ابتسامة قابلتها هي بضحكة رائقة وهي تمرغ وجهها في صدره لا تكاد تصدق ما وصلها من صدق شعوره وإن بخلت به كلماته ...

بينما صمت هو قليلاً مكتفياً بعناقه الدافئ لها قبل أن يبتعد قليلاً ليحيط وجهها بكفيه هامساً:

_سوا! شفتِ انتِ قلتِ إيه ؟! سوا...والكلام ده مش عليّ لوحدي ...علينا احنا الاتنين...فاهماني؟!





أومأت برأسها إيجاباً وهي تزدرد ريقها بتوتر لم يخفَ عليه ...

ملامحها تكاد تصرخ وكأنها على وشك قول شيء ما ...

لكن شفتيها بقيتا منطبقتين بقوة رغم ارتجافهما الواضح ...

ولما أشفق عليها من أفكارها التجأ لتغيير الموضوع بقوله :

_طيب...أنا جعان كالعادة !

ضحكت بسعادة كعادتها كلما تسمع هذا منه وكأنما يخبرها -ضمنياً- أنه يشتاق طعامها !





خطواتها تتقافز بلهفة تميزها وهي تجذبه من كفه نحو المطبخ لتجلسه مكانه قائلة بنبرتها الحيوية:

_كنت مظبطاه دافي على وقت رجوعك بس الكلام خدنا ...هاسخنه تاني!

لكنه جذب كفها ليجلسها جواره قائلاً برضا:

_ماتتعبيش نفسك...هو كده كويس!

ابتسمت وهي تعد له طبقه بينما عيناه تراقبانها بافتتان ما عاد ينكره ليسألها أخيراً:

_ماقلتليش ...انتِ بتحبي الأكل سخن واللا وسط زيي؟!

اتسعت ابتسامتها وهي تتحاشى النظر نحوه وقد بدت وكأنها لن تجيب ...





لتمد له يدها بطبقه الذي تناوله منها فوضعه جانباً قبل أن يمسك كفها برقة مستحثاً إياها على الإجابة ...

فأطرقت برأسها لتجيبه بصدق مس قلبه:

_عارف؟! من زمان قوي وأنا نسيت بحب إيه وبكره إيه...أنا حاسة كأني خرجت من نفسي عشان أعيش بروحك انت.

هدرت دقات قلبه بصدره بقوة مع سيل مشاعرها الذي يجرفه

كالعادة فلم يجد رداً سوى أن رفع كفها لشفتيه بقبلة عميقة

طالت للحظات واستجلبت رجفة خفيفة لجسدها ...

رباه!





كيف يمكنها أن تشعر معه بكل هذا الأمان وبكل هذا الخوف؟!

كيف تتمنى بكل جوارحها لو تمنحه كل ما تملكه وكيف تخشى هذا في نفس الوقت ؟!

أجل ...كم تريد أن تعاند "رهابها" المرضي هذا بكل طاقتها ...لكنها لا تستطيع!

ثقلٌ هائل يجثم على صدرها كلما شعرت أنها على وشك الولوج في "هذا العالم" من جديد ...

ثقلٌ يجعلها تنسلخ من جلدها ...وكأنما تتلبسها روح أخرى تجعلها تفر بعيداً عن كل هذا بأقصى طاقتها ...

ترى ...هل سيختلف الأمر معه ؟!

هل تجرؤ على معاودة الاستسلام للمحاولة ؟!





_لا!

تمتمت بها بصوت مسموع فالتفت إليها بدهشة
بينما يراها تسحب كفها منه لتشبك أناملها ببعضها
قبل أن تردف بارتباك ظاهر :

_أخبار سيلين إيه ؟!

التمعت عيناه بفهم وهو يدرك فحوى
أفكارها ...ورغم شفقته نحوها لكنه أبى أن يظهرها
احتراماً لكبريائها ...

فتنحنح ليجيبها بينما يقلب طعامه في الطبق:

_خمسين مكالمة...وعشر مسدجات ...رديت عليها
وكررت عرضي اللي كنت متأكد إنها
هترفضه ...قالتلي الدكتور حدد معاد ولادتها بعد
يومين ...وهددتني إنها مش هتخلليني أشوفه .





كانت ملامحها تشحب تدريجياً مع كل كلمة يزدها لتغمغم أخيراً بصوت مرتجف:

_وانت فعلاً مش هتشوفه ؟!

أشاح بوجهه للحظات ثم تمتم باقتضاب:

_مش عارف.

_لو هي فعلاً اتغيرت وندمانة...تفتكر...

_مش هارجعلها وانتِ عارفة كده كويس!

قالها بصرامة مقاطعاً عبارتها ليردف بنبرة أكثر قسوة:

_أنا لما بفقد ثقتي في حد بفقدها للأبد...قرار الحمل كان قرارها هي...زي ما قررت قبلها تضربني من ورا ظهري ...تستحمل بقا نتيجة قراراتها .

_وابنك ذنبه إيه؟!





قالتها بنفس النبرة المشفقة ليجيبها بابتسامة ساخرة حملت مرارته:

_ذنبه انه إبني وابنها ..لو كنت أضمن إن رجوعي ليها هيغيرها كنت ممكن احاول استحمل عشانه..لكن أنا عارف إن اللعبة خسرانة .

هزت رأسها بضيق وهي تشعر من جديد بضميرها يثقل كاهلها بهذا الوزر ...

لكن من يدري ...ربما كان هو محقاً !

_ممكن تاكلي وما تفكريش !

قالها وهو يمد لها طبقاً أعده لها على عجل فتناولته منه شاكرة وهي تحاول تخطي كل أفكارها وهواجسها بالاستجابة لمزاحه المشاكس بعدها ...





والذي امتد طوال مدة تناولهما للطعام وحتى انتهيا منه ليعاونها في رفع الأطباق ...

ولم يكاد ينتهيان حتى فوجئت به يرفعها من خصرها ليجلسها على طاولة المطبخ فهتفت بدهشة :

_فيه إيه ؟!

ابتسم وهو يفتح الثلاجة ليحضر علبة "النوتيللا" ثم اقترب منها قائلاً :

_احنا هنطلع دلوقت ننام وأقل حركة جنبي بتقلقني...كلي براحتك دلوقت عشان ماتتسحبيش نص الليل زي الحرامية .

ضحكت بخجل وهي تغطي وجهها بكفيها قائلة:

_انت بتحس بحركتي كل ليلة ؟!





فأزاح أناملها برقة عن وجهها ليتأمل ملامحها بنظرته المفعمة بمشاعره مع قوله وهو يلوح لها بملعقة الشيكولاتة:

_أنا هاعمل اللي عليّ وأأكلك دلوقت...ولو عايزة تخللي البرطمان جنبك ع الكومودينو هاتجاوز واسمحلك ...بس مش عايزك تسيبي الأوضة قبل الصبح ...مفهوم؟!

أومأت برأسها في طاعة رغم شعور الترقب الذي احتل جنباتها خشية الساعات القادمة...

لكنها حاولت إلقاء مخاوفها خلف ظهرها وهي تستجيب لأنامله التي حملت ملعقة الشيكولاتة نحو شفتيها ...

ولأول مرة تشعر بمذاقها مختلفاً ...

وكيف لا؟!





وقد امتزج بنكهة إحساسها "المستحدث" بعاطفته نحوها ...

عاطفته التي يميزها قلبها بعمق ظمئه الطويل لها !

ربما شعرت من قبل بعاطفته -الحسية- التي كانت تذكرها بعذاباتها القديمة ...

لكنها الآن تستشعر نقاءها وقد امتزجت بخفقات قلبه المترنمة بنداء يشبه نداءات قلبها ...

قلبها الذي يستحلفها الآن أن ترفع عينيها إليه ...تملأ ناظريها من حدقتيه المنغمستين بعاطفته التي طالما اشتاقتها ...

لكن خجلها منعها!

كم كانت شجاعتها سهلة وهي تطلق العنان لعواطفها أمامه بينما هو يبدو متباعداً لا يصدق ...





لكن الآن ...وهو منها بهذا القرب ...بهذه الحرارة التي تستشعرها في نظراته...وبهذا القلب الذي تمنت سماعه يخصها هي بدقاته ...

تشعر بشجاعتها تتهاوى ...وبهذا الخجل يطوقها وكأنما هي الفتاة المنزوية خلف كتابها تراقبه بضفيرتها الطويلة وبقلبها الذي لم يعرف من الرجال سواه !

وأمامها كان هو الآخر غارقاً بإحساسه ...

لم يكن غراً ساذجاً ولم تكن هي غزوته الأولى في حروب النساء ...

لقد رأى منهن أشد فنون السحر وأبرع طرق الغواية...





لكنه يكاد يقسم أنه ما من امرأة حظت بنصف فتنتها الآن وهي تجلس أمامه شبه غارقة في منامة لا تكاد تبرز من تضاريس أنوثتها شيئاً ...

ومع هذا يكاد يستشعر احتراق خلاياه رغبة بها ...

أنامله تتلكأ بالملعقة في يده على شفتيها ...يتعمد أن يلطخها وما حولها بالشيكولاتة ...

فترفع إليه عينيها أخيراً محاولةً التغلب على خجلها بقولها المتلعثم :

_برضه مش بتحبها؟!

ويبدو أنها اختارت -أسوأ- عبارة تليق بخجلها عندما تذكر كلاهما في نفس اللحظة ما حدث في ذكرى مشابهة ...

لتجده يقترب منها أكثر هامساً بصوت متثاقل:

_قولي إنك موافقة...وأنا هاجرب تاني.





خفق قلبها بجنون ما بين فوضى مشاعرها التي تجتاحها الآن بهذا العنف بين قبول ورفض ...

هذه الفوضى التي كان هو يتفهمها بينما يقترب بوجهه منها ...

أحد ذراعيه يطوقها بقوة حانية بينما أنامله الحرة تمسد ظاهر كفها بتلك الحركة التي استشعر بحدسه أثرها في نفسها ...

أغمضت عينيها بقوة وهي تحاول وقف نزيف ذكرياتها ...

وجنتها تحرقها بقوة وكأنما تلقت للتو صفعة من تلك- الصفعات القديمة-..

مظهر كدمات جسدها يومض ومضات كثيرة متتابعة وسط





ظلام أفكارها ...

لكن ملمس أنامله الحانية على ظاهر كفها يبدو وكأنه يحارب كل هذا ...

شعورها الكاسح بدفء عناقه يمنحها المزيد من رغبة المقاومة....

وأخيراً همسه الحار باسمها قبل أن تشعر بعناق شفتيه

لملامحها ...

هنا فتحت عينيها بقوة وكأنما تريد حفر هذا المشهد في ذهنها ...

نظراتها تتجه لـ نور المصباح- هناك تنهل منه المدد لمقاومة هذا الظلام اللعين الذي يسكن روحها ...

وأخيراً ...استسلمت!





أغلقت عينيها طواعية لتلقي بنفسها في هذا البحر "الآمن" الذي لا تخشى غرقها فيه ...

استسلام دام لبضع ثوانٍ فقط كانت أكثر من كافية ليدرك هو أنه قد وضع قدميه على الطريق الصحيح ...

ورغم أنه كان لايزال يطمع بالكثير والكثير ...لكنه كان كذلك يدرك أن دوره الحقيقي معها قد بدأ لتوه بعيداً عن شعور أنانيته الذي طالما لازمه معها ...

لهذا ابتعد عنها أخيراً ليمنحها ابتسامة راضية سبقت غمزته الماكرة :

_طلعت "بنت حلال" النوتيللا دي ...مش بطالة!





كتمت ابتسامتها الخجول في كتفه كعادتها قبل أن تتشبث به لتهبط بقدميها على الأرض وهي تشعر بنفسها في حلم غريب ...

هذه الدغدغة اللطيفة التي تستشعرها تداعب جسدها برقة تجعلها تشعر بالارتباك ...

خاصة عندما جذبها من كفها قائلاً :

_ياللا ننام عشان بكرة يوم طويل...رانيا بتغرق في شبر مية وورايا مشاوير كتير لسه هاخلصهالها ...تخيلي إنها لحد دلوقت ...

مضى في ثرثرته المقصودة وهو يصعد بها الدرج نحو غرفته محاولاً تبديد سحب توترها حتى وصلا أخيراً إلى غرفته ليتناول منها بعض أغراضه قائلاً وهو يتوجه نحو الحمام الصغير المرفق بها:

_خدي راحتك...لو محتاجة تشغلي الدفاية شغليها .





مدفأة ؟!

عن أية مدفأة يتحدث هذا؟!

ألا تكفيها هذه الحرارة التي تشتعل بأعماقها؟!

هكذا فكرت وهي تراه يختفي خلف باب الحمام

لتدور عيناها في غرفته بتفحص ...

أثاثها البسيط بذوقه الذي تعرفه والذي مزج

اللونين الأسود والفضي بتناسق مدهش...

طلاؤها الناصع شديد البياض والذي حرص هو أن

يزيد رونقه بتوزيع

الإضاءة بشكل خاص ...

المرآة البيضاوية التي طالما حسدتها في خيالها إذ

يبدأ بمطالعتها صباحه ...الآن هي على وشك

مشاركتها "هذا الشرف"!





ابتسمت ببعض الارتياح أخيراً وهي تستلقي على الفراش رافعة عليها غطاءها ...

ورغم أن هواجسها لم ترحمها لكنها كانت تقاوم بنفس القوة التي اعتادتها ...

حتى خرج هو أخيراً ليتفحصها بنظرة طويلة سبقت قوله :

_شكلك غريب قوي هنا ...ماتعودتش أنام جنب حد !

كان يتحدث ببساطة محاولاً تجاوز موقفهما الغريب وبث الطمأنينة في نفسها ...

ويبدو أنه قد نجح فقد بدت السكينة على ملامحها عندما انضم إليها في الفراش ليضبط منبه هاتفه مردفاً بنفس النبرة:





_يارب ألحق بكره أخلص مشاوير نبيلة والبنات قبل الفرح...دي في حد ذاتها معجزة !

_ماتقلقش أنا معاك...هنوزع المهام بيننا.

قالتها مبتسمة فرمقها بنظرة ممتنة سبقت قوله:

_تصبحي على خير!

قالها وهو يستلقي على ظهره مغمضاً عينيه كي يحاول التغاضي عن تأثير وجودها جواره ...

الأمر صعب حقاً ...لكنها تستحق أن يقاوم من أجلها ...

أن يمنحها هذا "الأمان" الذي أغرقت هي به عالمه منذ ولجته ...

وأن يمحو آثار من سبقه قبل أن يرفع رايته على أرضها كاملة !





_يامن!

همست بها بخفوت بعد صمت دقائق فابتسم ولازال مغمضاً عينيه ليرد :

_نعم ؟! عايزة تحكي حدوتة ؟!

_عرفت منين؟!

فتح عينيه لينظر إليها بعمق هامساً:

_يعني...بدأت أفهمك زي ماانت فاهماني.

التمعت عيناها بفرحة وجدت صداها في نفسه فاتسعت ابتسامته وهو يعاود إغماض عينيه مردفاً:

_احكي يا عروسة البحر!





ضحكت برقة قبل أن تدخل معه لواحدة من حكاياها الخيالية والتي لم تكد تبدأها حتى فوجئت به يفتح عينيه قائلاً باستياء مصطنع :

_تؤ...انتِ أم فاشلة !

_ليه؟!

سألته بدهشة لتفاجأ به يتحرك جوارها ليعانق خصرها بذراعيه ملقياً رأسه على صدرها بينما يردف بنفس الاستياء الماكر:

_فيه حدوتة تنفع من غير حضن ؟!

صمتت للحظة مبهوتة من حركته قبل أن تنتظم دقات قلبها من جديد بينما هو يردف بصوت ناعس:

_كمللي قبل ماانام .

فابتسمت بحنان وهي تتردد في مبادلته عناقه ...





لكنها حاولت تجاوز مشاعرها السلبية لترسم معه الجنة التي

طالما عاشتها بخيالها ...

وانتهت حكايتها !

وانتهى معها ترددها لتجد نفسها تضمه إليه برفق قبل أن تستسلم لنوم عميق ...

وأخيراً رفع هو رأسه ليتأمل ملامحها الغارقة بسكينتها برضا...

أي خير فعله هو ليجازيه القدر بملاك مثلها ؟!

ملاك ؟! هل هي حقاً كذلك ؟!

كلهن يبدون كذلك في البداية ؟! هل نسيت؟!

وساوسه السوداء تعاود قصفها المدمر لمشاعره الوليدة...





لكنه كان قوياً هذه الليلة بما يكفي ليهزمها كاملة بينما يعود ليستقر برأسه فوق صدرها مستسلماً للنوم هو الآخر!

=========

_هتروح الفرح ؟!

سألته زوجة الدكتور ياسر -عمه- على الهاتف ليجيبها بينما يطالع صورته في مرآة غرفته:

_يامن صاحبي...وهيزعل لو مارحتش فرح بنت خالته اللي بيعتبرها زي أخته !

_ماتضحكش على نفسك يا مروان...انت لسه راجع من السفر وعندك الف عذر لو مش عايز تروح....انت رايح عشانها .




قالتها بنبرة عصبية زاد من حدتها صمته بعدها

وكأنه لا ينكر... فاستطردت بانفعال:

_ما هو لو كنت لسه صغير كنت قلت نزوة ولعب

عيال ...فيها إيه البنت دي عشان مستنيها كل ده ؟!

وبعد كل اللي حكيتهولك ؟!

كز على أسنانه صامتاً وهو لا يدري بماذا يرد ...

هو نفسه لا يعرف الإجابة !!

طوال هذه السنوات وهو يراها من بعيد مكتفياً

باختلاس أخبارها من روايات يامن المقتضبة

عنها ...

قصته معها ربما تبدو غريبة لكنه لا ينكر أنها

امتلكت قلبه كاملاً منذ رآها أول مرة ...بل إنه لا

يكاد يعرف حقاً متى كانت أول مرة !





بيت والديها القديم كان مجاوراً لبيت خالته هو
حيث كان يجتمع الأطفال جميعاً يلعبون في الفناء
الواسع بين البيتين ...

وقد كان هذا سبب معرفته الأولى بيامن الذي التقاه
مصادفة وقتها في إحدى زياراته لخالته قبل أن
تتعمق صلتهما في سنوات الدراسة التي جمعتهم
فيها مدرسة واحدة ...

كانت أصغر طفلة وقتها بينهم بينما كان هو ويامن
على أعتاب المراهقة ...لكنه كان يحب دوماً النظر
لملامحها الفاتنة التي كانت تبدو وكأنها خرجت
لتوها من أحد الأفلام الكرتونية ...

لازال يذكر وجهها الصغير الذي لم يكن يختلف في جماله وبراءته عن الدمية التي كانت دوماً تحملها ...

جمالها الذي كان يزداد تألقاً كلما كبرت حتى أنه كان يعتبر رؤيتها أجمل مصادفاته عندما كان يزور خالته ...

حتى حلت بها كارثة موت والديها تلك الليلة...

كان يقف هو ووالده وزوج خالته مع يامن مؤازراً في ذاك الفناء حيث أقيم سرادق العزاء ...

عندما رآها هناك تختبئ في ركن منزوٍ من مدخل البيت أسفل الدرج تحتضن ثوباً أبيضا وحذاء صغيراً وتكتم دموعها بين ذراعيها ...

وقتها فقط شعر أنه كبر ...وهي أيضاً كبرت!





لم تعد في عينيه مجرد طفلة جميلة تتقافز على الدرج ويشاكسها بكلماته ...

لكنه -وبصورة ما لم يفهمها- شعر أنها قد صارت مسئوليته...

ربما لهذا السبب طلب من والده وقتها مساعدة يامن في إيجاد بيت جديد يضمهن جميعاً مع نبيلة التي عادت للظهور في حياتهن بعدها ...

لينغمس بعدها في كفاحه الدراسي في كلية الطب والذي شغله عنها لبضع سنوات قبل أن يعود ويراها من جديد مصادفة ليدرك أنه كان محقاً عندما خطفت قلبه طفلاً ...

كان يسترق أخبارها خلسة من يامن ولم يكد يعلم أن عمه هو أستاذها في الجامعة حتى وجدها فرصة ليعرف المزيد عن





عالمها الذي لا يدرك عنه يامن شيئاً...

لهذا طلب من زوجة عمه أن تراقبها وتعتني بها

بعدما صرح لها برغبته في خطبتها في أقرب

وقت...

كان يعلم أن يامن لن يوافق على ارتباطها قبل أن

تنهي دراستها لهذا لجأ لحيلة رسائله التي كان

يرسلها لها عبر الهاتف ...

والتي كانت لا ترد عليها مما زاد انطباعه الجيد

عن

-حسن خلقها- ...

والآن تأتي زوجة عمه لتهدم له كل هذا في لحظة

واحدة !!

لا ...لن يصدق...




هو يعرف الكثير عن نزقها وطيشها الذي يجعلها تخلع حجابها أحياناً كما رآها ذاك اليوم مصادفة مرتين ...مرة به ومرة بدونه !

لكنه كان يتفهم طبيعتها المتمردة المحبة للظهور والتي طالما كان يشكو منها يامن...

لا ...لم يؤثر هذا في نظرته نحوها ...

هي لاتزال في عينيه تلك الطفلة الباكية لوالديها تحت الدّرج والتي تنتظر من يربت على ظهرها ليهديها الطريق الصحيح ...

_رد عليّ يا مروان !

انتزعته بها زوجة عمه من شروده ليزفر بقوة قائلاً :





_مش يمكن حضرتك فاهمة غلط ؟! أنا عارفها كويس من صغرها وماعتقدش إنها أبداً زي ما حضرتك فاهمة.

_فاهمة إيه غلط ؟! حركاتها السخيفة مع عمك ؟! واللا قلة أدبها مع زميلها ؟! ياابني حرام عليك ما تشيلنيش ذنوب أكتر ..لولا اهتمامك بيها ده أنا ماكنتش حكيتلك على حاجة !

احمر وجهه غضباً وهو يشعر بالعجز يكبله ...

هو لا يكذّب زوجة عمه..لكنه أيضاً لا يستطيع تصديقها ...

داليا ليست كما تدعي ...

هناك شيء ما خطأ ...أجل..ولن يهدأ حتى يعرف الحقيقة كاملة !!





لهذا أخذ نفساً عميقاً يتمالك غضبه ثم قال لها بحزم:

_خلاص يا دكتورة ...ماعدناش هنتكلم في الموضوع ده تاني.

تنهيدتها الحارة وصلته على الهاتف لترق لهجتها نوعاً مع قولها:

_مادام بتقوللي يا "دكتورة" كده تبقى زعلان...عموماً انت حر ...أنا نصحتك والقرار ليك ...

ثم صمتت لحظة لتردف :

_عمك ميعرفش حاجة عن كل ده ...أنا في الأول والآخر مايهمنيش غير مصلحتك انت وبس ...مش عايزة أسوأ سمعتها .





قالتها ثم أغلقت الاتصال تاركة إياه يغلي ببركان غضبه وعجزه ...

تسوئ سمعتها ؟!

هل وصلت الأمور حقاً لهذا الوصف المشين ؟!!

مستحيل...داليا ليست هكذا أبداً...أبداً...

لا ...لن يستطيع الوقوف ساكناً أكثر !!

لكن ماذا عساه يصنع ؟! وبأي حق يفعلها!!

لو كان تعلقه بها عادياً لاتقى كل هذه الشبهات واستأنف طريقه مع سواها ...

لكن الفكرة نفسها في عُرف قلبه المتيم بها حرامٌ!!!

أطلق صيحة غاضبة وهو يقذف المرآة أمامه بأقرب ما وصلت إليه يده لتتكسر بدوي هائل ...





قبل أن يضم قبضته وهو يهمس لنفسه أن هذه الليلة لن تمر قبل أن يكلمها وجهاً لوجه هذه المرة...

لعله يقرأ في ملامحها ما يزيد يقينه في هذه الشكوك...أو يمحوها!!

لكن ...قبل هذا ...هناك شأن يجب عليه تصفيته ...

ولن يهدأ غضبه حتى يفعله !!

==========

فتح نافذة غرفته المطلة على البحر في ذاك الفندق المميز يطالع مشهد الغروب بنظرات غامضة ...

طالما ذكرته الشمس بها ...

ربما لأنها تشبه لون عينيها ...شعرها ...نقاء بشرتها ...





وخداعها المراوغ لنا بأن نملكها كل صباح قبل أن تختفي في النهاية تاركة لنا مرارة افتقادها !!

تنهد بحرارة عند الخاطر الأخير وعيناه تلتمعان بنظرة غريبة ...

هي مزيج من غضب وحسرة...وشيء من الذنب!

عجباً لها من امرأة قادرة على اجتياحه بكل هذه المشاعر في نفس الوقت ...

وبنفس العنفوان الذي كانت تخطف به بصره عندما تطل عليه بوجهها الذي حمل كل براءة النساء وغوايتهن!

زفر زفرة قصيرة عندما رأى قرص الشمس أمامه وكأنما يسقط في البحر لتحمله ذكرياته لتلك الليلة البعيدة معها ...





والتي قرر بعدها أن يترك البلد كله ويسافر ...وهاهو ذا يعود ليجدها قد تخلصت من قيد رجل لتسقط في يد آخر !

تراها وعت الدرس هذه المرة وأجادت الاختيار أم أنها لا تزال كعهدها تسكب أنهارها في أرض لا تنبت ؟!

كان الظلام قد حل تماماً ساعتها فأغلق النافذة ثم أسدل الستار وكأنه يمنع نفسه المزيد من أفكاره اليائسة عنها ...

حانت منه نظرة عابرة لحاسوبه المحمول حيث صورتها الباسمة مع زوجها الحالي -طبيب الأسنان- والذي يبدو متعجرفاً جامداً على عكسها هي التي بدت سعيدة جواره ...

فهل هي هانئة حقاً هذه المرة ؟!





صوت طرقات متحفظة على باب غرفته قاطع أفكاره فنظر في ساعته ثم توجه نحوه ليفتحه قبل أن يطالعه وجه العامل يقول بلهجة مهذبة:

_مساء الخير يا "زين" بيه...فيه واحد منتظر حضرتك في "اللوبي" تحت.

==========

دخل القاعة التي أقيم فيها العرس بعينين متوقدتين غضباً

ولازال العراك الذي خاضه منذ قليل يقذف بحممه في صدره ...

ضربه لذاك الوغد هيثم لم يشفِ غليله كما ظن ...بل زاد من فورة غليانه ...





خاصة عندما أعلن الأخير عن رغبته في التقدم لخطبتها كي يخرس الألسنة ...

يبدو أن زوجة عمه محقة !!

لا ...لا يا مروان لا تصدق ...

لا تكن كصديقك الذي تحاوطه وساوسه كسجن من نار ...

ربما لا يعدو الأمر كونه مجرد زميل أعجبته ويريد خطبتها ...

لكن ماذا عن بقية التفاصيل التي روتها له زوجة عمه ؟!!

اللعنة !!!

أي جحيم ألقته فيه تلك الصغيرة العابثة وألقت نفسها فيه قبله ؟!!





_مروان ...حمداً لله على السلامة ...

قاطع بها يامن شروده وهو يتقدم نحوه مصافحاً ...قبل أن

يلاحظ هيئته التي فقدت رونقها المعهود ليردف بدهشة:

_مالك ياابني شكلك دايسك قطر ...انت جاي من السفر على هنا على طول واللا إيه ؟!

غمغم ببضع كلمات مبهمة وهو يدور بعينيه في القاعة باحثاً عنها حتى وجدها هناك ...

رغم اللون الوردي الفاقع الذي ارتدته...رغم زينتها المتكلفة ...ورغم ابتسامتها الواهنة على شفتيها ...

كان يقرأ في عينيها نفس النظرة التي رآها ليلة زفاف يامن ...





نظرة تائهة حيرى تفضح وحدتها وحزنها وجوعها الطويل

لحب حقيقي ...

ليلتها أرسل إليها رسالة مواسية لعله يخفف عنها شعورها

بالوحدة ...

(لا تخفضي جبينك أبداً...لا تحزني...لا تغاري...لو لم تكوني أنتِ عروس الحفل فتذكري أن هناك رجلاً لا يرى قلبه غيرك عروساً...قوليها لنفسك عشر مرات وابتسمي بعدها عشر بسمات وغنّي بعدها عشر أغنيات واذكريني بعدها ولا يهم العدد!)

لكنه لن يفعلها الليلة...





ليس قبل أن يفهم هذه الفتاة التي ظن أنه يحفظ تفاصيلها ...

والآن يفاجأ أنه لم يكن يعرف عنها أي شيئ!

_عموماً انت مش غريب ...كنت بتقول عايزني في موضوع مهم قبل ما تسافر هافضالك بعد الفرح ...معلش دلوقت هاروح أشوف بقية المعازيم ...شلة أصحابنا هناك ممكن تقف معاهم على ما أجيلك.

قالها يامن بسرعة وعيناه تدوران بتفحص في الحضور يحاول

ألا يغيب عن عينيه أي شيئ يفسد كمال الحفل ...

قبل أن يعطيه ظهره لينصرف لكنه عاد إليه بعد ثوانٍ ليناوله هاتفه قائلاً بضيق:





_خد ده معاك...سيلين بتتصل كل شوية

خنقتني...لو اتكلمت رد عليها وقل لها

مشغول ...سافر ...أقوللك...قل لها مات !

قال عبارته الأخيرة ملوحاً بكفه في سخرية سوداء

كعهده فابتسم مروان وهو يتناول منه الهاتف

ليخرج به إلى الشرفة الخارجية للقاعة حيث فضل

أن يختلي بنفسه ...

كان يستطيع اختلاس النظر إليها في مكانه لكنه

كان يحاول منع نفسه عن هذا قدر استطاعته ...

رباه !!

هذا الشك قاتلٌ حقاً !!

قديماً كان يلوم يامن على وساوسه والآن يشعر أنه

يحترق مثله بنفس النيران !





انقطعت أفكاره عندما رن هاتف يامن في يده برقم غريب ...

يبدو أنها سيلين...سيخبرها كما طلب منه أنه مشغول الآن !

فتح الاتصال ليرد فاتسعت عيناه بترقب عندما سمع صوتاً رجالياً مألوفاً يقول بنبرة قلقة :

_دكتور يامن...كنت عايز حضرتك بخصوص داليا .

==========

_مبروك يا أجمل عروسة في الدنيا .

قالها أشرف بنبرته التي تشعر وكأنها حملت كل عشق العالم وحنانه بينما يراقصها فوق منصة العرس ...





لتطرق برأسها في خجل وهي تشعر برهبة غريبة...

أن تكون محل نظر الجميع بحفل كبير كهذا هو جحيم حقيقي

لامرأة في خجلها وضعف ثقتها بنفسها ...

هذا الذي كان هو يدركه تماماً وهو يرفع ذقنها إليه ليهمس لها بنفس النبرة :

_النهارده مش عايزك تبطلي كلام .

_وانت هتسكت ؟!

همست بها بنفس الخجل وهي تحاول أن تستمد من حرارة عاطفته ما يمنحها المزيد من الثقة ...ليقترب بوجهه منها حتى امتزجت أنفاسهما مع همسه الدافئ:





_أنا كمان مش هابطل كلام...كلام جديد ماسمعتيهوش قبل كده ...كنت محوشه بس لليلة دي!!

عضت شفتها بارتباك خجول لتجد أناملها تتشبث بكتفه أكثر

بدلاً من أن تبتعد بخجلها عنه ...

أجل ...هكذا كان حالها دوماً معه !

هو وحده مرفأ أمانها مهما شردت بضعفها سفنها !

لهذا أسندت رأسها على كتفه لتهمس له بسعادة فاضت بها حروفها:

_لسه إيه في الدنيا ممكن يتعاش ؟! أنا حاسة إني خلاص مش ممكن هافرح أكتر من كده !

لكنه ضمها إليه أكثر ليقبل جبينها بقوة هامساً:





_تبقي غلطانة...أوعدك كل يوم لينا يبقى أسعد م
اللي قبله !

ابتسمت وهي تعانق عينيه بنظراتها العاشقة ليتنهد بحرارة وهو يعاود إسناد رأسها على صدره ...

عيناه تنسحبان لأمه التي جلست هناك تغالب آلامها بابتسامتها وفرحتها الصارخة في عينيها أن مد الله في عمرها حتى رأته في أسعد لياليه...

ثم إلى شقيقته التي جلست جوارها ترمقه بنظرات لا تقل عنها سعادة...

وابنتها التي كانت تتراقص حولها بشقاوتها المعتادة...

ورغم القلق الذي ما عاد يفارقه بعد انقلاب عالمه بأحداثه
الأخيرة ...




لكنه كان يشعر الليلة بالذات أنه لأجلهن ...هن الأربعة...سيحارب أي شيء قد يهدم هذه السعادة ...

وبهذا الشعور أخذ نفساً عميقاً ليتحرك بعروسه نحوهن ثم مد يده لأمه يعاونها على الصعود قائلاً بحنانه المرح:

_تسمحيلي بالرقصة دي؟!

ابتسمت رانيا بتفهم وهي تراه يحتضن والدته بقوة ليقبل رأسها وهو يشاركها الرقص بخطوات متمهلة بينما المرأة تضحك من قلبها ...

دمعت عيناها وهي تكاد تقسم أنها لم ترَها من قبل سعيدة كهذه الليلة...

ولا بهذه القوة التي جعلتها تتحرك بطريقة شبه طبيعية معه على المنصة...





حقاً ليس أقدر على هزيمة آلام الجسد إلا فرحة القلب!

لهذا اتسعت ابتسامتها وهي تقترب منهم أكثر لتصفق بكفيها بسعادة وهي تشعر أن الكون كله لا يسع فرحتها هذه الليلة ...

وفي مكان قصيّ من القاعة جلس مساعد أشرف مع أحدهم يراقبهم بنظرات متفحصة ...قبل أن يميل عليه مرافقه هامساً :

_تفتكر خلاص ؟! هيسكت ويبطل يفتش ورانا؟!

فضاقت عيناه وهو يجيبه باقتضاب شرس:

_سيب العريس يفرح يومين...وبعدها لو لقيناه فاضي لنا ...نشغله!

==========





في مكانهما كان يامن وياسمين يشاركان الثنائيات الرقص ...

كانت تشعر بأن ثمة شيئاً ما يضايقه منذ بدء الحفل حتى أن عينيه كانتا تتحاشيان نظراتها فتنحنحت برقة لتسأله:

_مالك ؟!

كانت عيناه تدوران في الحضور وقد اختلجت عضلة فكه واشية بانفعاله ليغمغم أخيراً بنبرة عصبية:

_هو أنا ازاي خليتك تخرجي بالفستان ده ؟!

انفلتت منها ضحكة رغماً عنها فكتمتها بكفها لينظر إليها أخيراً بغيظ جعلها تقول لتهدئه:

_ماله الفستان بس ؟! مفيهوش أي حاجة !





لكنه توقف فجأة ليقول لها بحزم:

_مش هينفع كده ...تعالي نقعد مكاننا .

شعرت بالحرج وهي ترى العيون تتلفت نحوهما وقد توقفا عن الرقص فجأة لكنها أطاعته لتسير جواره متشابكي الأيدي حتى مكانهما حيث جلسا ليتنهد أخيراً بارتياح وهو يلتفت نحوها ضاغطاً كفها برقة مع همسه الغاضب:

_هو أنا عقلي كان فين لما سبتك تخرجي كده ؟! وكمان واقفة ترقصي كده قدام الناس؟!

فاحمرت وجنتاها حرجاً لتتمتم باعتراض:

_هو أنا كنت برقص بلدي يعني ؟! ده مجرد...

_بلدي ؟! ما هو ده اللي ناقص؟!

هتف بها يقاطعها باستنكار ساخط ومجرد الفكرة تدفع بخيالات شديدة الجموح لرأسه ...





ورغم سعادتها الطاغية بغيرته ودلالتها لكنها هزت رأسها لتقول بأسف مصطنع:

_خلاص...خللينا احنا الكابل الوحيد اللي ما يرقصش معاهم ...كلهم بيبصولنا كأننا متخانقين .

فزفر بسخط وهو يمد ذراعه الحر ليطوق به كتفيها بينما لايزال يمسك كفها بكفه الآخر متمتماً :

_مايهمنيش حد ...لو عايز أرقص لينا بيت نرقص فيه !

رفعت إليه عينيها بسهامها العاشقة لتلقي رأسها على كتفه متمتمة :

_هو أنا ينفع أحبك أكتر من كده ؟!

وكأنما امتصت عبارتها كل جنون غيرته الغاضب لتتبدل ملامحه في لحظات ...





شفتاه تتراقصان بابتسامة لعوب تتناسب وبريق عينيه العابث:

_هو ينفع آه...شدي حيلك انتِ بس!

ضحكت ضحكة صافية وأناملها تتشبث بكفه أكثر عندما رأت هانيا تقترب منهما بنظرات متفحصة ...

قبل أن تتوقف أمام يامن تماماً لتقول له بابتسامة راضية :

_مبروك يا يامن .

رمقتها ياسمين بنظرة متسائلة فالتفتت نحوها هانيا لتقول مفسرة:

_كنت قايلاله مش هبارك له إلا لو حسيت بجد إنه مبسوط ..

ثم عادت ببصرها نحو يامن لتردف بابتسامة واسعة :





_ألف مبروك ...دلوقت بس بقولهالك وأنا متطمنة.

أسبل يامن جفنيه كعهده عندما يشعر بالخجل ليتمتم بكلمات مبهمة بينما شعرت ياسمين بالفرحة الممتزجة بالفخر تملأها وهي ترد مباركة هانيا بكلمات لبقة كعادتها ...

ولم تكد هانيا تنصرف حتى التفتت نحوه لتسأله بدلالها العذب:

_انت بجد مبسوط ؟!

_انتِ شايفة إيه ؟!

قالها بنبرة جادة وهو يربت على كتفها فعانقت نظراته للحظات قبل أن تطرق برأسها قائلة :

_قدامنا لسه مشوار طويل!

_وماله ؟! كل ما المشوار بيطول بنفرح أكتر لما نوصل لآخره .





قالها صادقاً وهو يمنحها نظرة مطمئنة لتعود وتخفي وجهها في كتفه ...وكأنها هاهنا فقط تجد أمانها ...

لتقول أخيراً بما بدا كالدعاء:

_مش عايزة أوصل لآخره يا يامن...طريقي معاك مالوش آخر.

=========

_كنت فين ؟!

هتفت بها هانيا بضيق وهي تجد رامز يدخل أخيراً من باب القاعة الذي وقفت تنتظره عنده ...

فأشاح بوجهه قائلاً ببرود:

_كان عندي شغل.

_شغل إيه اللي يقعد لدلوقت ؟!




رمقها بنظرة استخفاف وهو يعقد ساعديه أمام صدره قائلاً بنفس البرود:

_ممكن نكمل التحقيق ده واحنا قاعدين؟!

عقدت حاجبيها بغضب للحظات عندما لاحظت تعلق أنظار البعض بهما

فأرخت ملامحها لتتأبط ذراعه وتسير معه إلى المائدة التي تشاركهما فيها داليا ونبيلة ...

ورغماً عنها تذكرت ليلة زفاف يامن عندما فاجأها هو بهدية ليصالحها فدمعت عيناها وهي تشعر بجفائه الحالي يضعها على أول طريق الخسارة ...

لكن المصيبة هاهنا أنها لا تدري ماذا تفعل!!

هي لا تستطيع السباحة ضد التيار الذي اختارته طوال عمرها هذا ...




لكن...لا بأس من المحاولة...

لهذا تنحنحت بخفوت لتلتفت نحوه قائلة بنبرة جافة عززها كبرياؤها:

_تحب نرقص؟!

_لا!

بدت إجابته كصفعة تلقتها على وجه كرامتها !

حتى أنها بقيت تنظر لجانب وجهه البارد بضع لحظات قبل أن تغمغم بارتباك هزم نبرتها:

_ليه؟!

_تعبان!

بنفس البرود المقتضب نطقها وهو لا ينظر إليها ثم قام من مكانه مردفاً:





_هاروح أبارك لأشرف .

ظلت تراقبه ببصرها واجمة وهي تشعر أن الهوة بينهما تزداد عمقاً يوماً بعد يوم ...

قلبها يناشدها أن تتحرك...أن ترمم ثقب السفينة قبل أن تغرق...

لكن كبرياءها كان يكبلها مكانها ...

كوني كما أنتِ...من أراد أن يقترب فليقترب...ومن أراد أن يبتعد فأفسحي له الطريق ....!!!!!!

=========

أغلق الباب خلفهما ليتنهد بارتياح وهو يقول بنبرة راضية:

_أخيراً اتطمنت على رانيا...فاضل داليا بس وأحس إني كملت دوري معاهم .

فابتسمت وهي ترمقه بفخر قائلة :





_يابختهم بيك .

ربت على وجنتها برقة ليتلفت حوله قائلاً بنبرة غريبة:

_تعرفي إن البيت وحشني ؟! اليوم ده كان طويل فعلاً ....

ثم عاد إليها ببصره مردفاً:

_أكلك كمان وحشني .

ارتفع حاجباها بحنان وهي تضع حقيبة يدها جانباً لتتجه نحو المطبخ هاتفة :

_بس كده ؟! ثواني ..

لكنه جذبها من مرفقها نحوه ليهمس أمام عينيها :

_مش مهم...الليلة دي عندنا حاجة أهم.





تسارعت خفقاتها بانفعال وهي ترمقه بنظرة متسائلة فنزع عنها حجابها برفق هامساً :

_عندنا رقصة متأخرة ...مش هتنازل عنها !

توردت وجنتاها بخجل وهي تراه يبتعد لتلك الزاوية حيث أعطاها ظهره لدقائق قبل أن تنبعث تلك النغمات الهادئة...

ثم تقدم منها ببطء وعيناه تغرسان عاطفته في عينيها غرساً...

ثم توقف أمامها ليتناول من جيب سترته ما اتسعت له عيناها انبهاراً...

عقداً ثلاثي الأدوار من البلاتين تداخلت سلاسله الرقيقة مع أحجار كريستالية صغيرة بجميع ألوان الطيف ...





هذا الذي رفعه الآن لعنقها العاري يلبسها إياه قبل أن تمنحها شفتاه معه ـعقداً ـ آخر من قبلات!

ندت منها أنة خافتة وهي تغمض عينيها بقوة ...

هي تريد أن تشكره ...

أين كلماتها؟! أين لسانها ؟! بل أين هي نفسها؟!

هي تشعر وكأنما اختفى العالم فجأة فلم تعد تسمع سوى صوت

الأنغام وهدير دقات قلبه المواجهة لها ...

أنامله تتلكأ على عنقها ...

تمتد لكتفيها قبل أن تشعر بها تنزع عنها سترتها القصيرة بنفس ألوان ثوبها الطيفية والتي صممت لتستر عريه ...





هنا فقط فتحت عينيها لتضع كفيها على كفيه مانعةً إياه بنظرة راجية !

ظهر الضيق على ملامحه للحظة انقبض لها قلبها وكأنما سقطت فجأة من علياء جنتها إلى الأرض ...

قبل أن ترتخي ملامحه بابتسامة واهنة سبقت همسه الحاني:

_زي ما تحبي.

عضت شفتها ارتباكاً وقد شعرت وكأنما سيفسد تصرفها عليهما متعة الرقص لكنه اقترب منها أكثر مردفاً:

_حلو اختراع الكعب ده ...أيوة كده....أنا رقبتي كانت قربت تتلوح من البص لتحت !





قالها مبالغاً ببعض المرح مشيراً لحذائها ذي الكعب العالي الذي قارب بين طوليهما نوعاً كي يخفف حدة ارتباكها الذي شعر به بمجرد أن بدأ في انتزاع سترتها ...

هي تكره عريها أمام الآخرين ...ربما فقدت ثقتها في أنوثتها مع ما تعرضت له ...وربما يذكرها مشهد بشرتها العارية بانتهاكاتها القديمة...

وربما هو كليهما معاً !

لقد سأل أحد أصدقائه الأخصائيين عن حالتها دون ذكر صفتها

بالطبع ليخبره أنها مادامت تتقبله ولو في بعض لحظات قصيرة فإن الأمر لا يرتقي لكونه مَرضياً ولكنها فقط مسألة وقت!





هذا الذي أسعده كثيراً وهو يشعر وكأنما وضعه القدر في طريقها ليكون دواءها ...كما كانت هي دواءه !

لهذا ما كاد يلمح ابتسامتها حتى انحنى يدللها بشفتيه للحظة خاطفة قبل أن يردف بنفس المرح:

_بتعرفي ترقصي واللا عليه العوض في رجلي النهاردة ؟!

لم تدرِ كيف صارت بعدها فجأة بين ذراعيه ...

ولا كيف تناسبت خطواتها مع خطواته ...

هي لم تكن تراقصه ...هي كانت تدور معه في فلك عشق لم يحوِ سوى نجمه.. ونجمها !!





كفاها مبسوطان على صدره ...وكأن أناملها تتلقف صوت دقاته لتصنع منها عقداً من عشق طالما ارتدته في خيالاتها...

عيناها تتشبثان بنهر حب تسكبه حدقتاه ...تأبيان حتى مجرد الرمش وكأنما تخشى أن تغمضهما فتجده قد جف!

ألوان ثوبها الطيفية تمتزج في عينيها بسواد بدلته فتشعر بتمام

الاكتمال...

أجل...هذه هي الصورة بالضبط كما كانت تراها في حلمها ...

هو بزيّه الأسود بكل ما يحمله من أناقة وغموض يحتوي بين ذراعيه ألوانها المشرقة كلها ...





لهذا دمعت عيناها بفرحة حقيقية وقد انفرجت شفتاها عن كلمات لم تسعفها هاهنا...

لكن شعورها وصله كاملاً دون نقصان ...

حبٌ كهذا لا تقف أمامه سدود ولا قضبان...

هو يخترق الصدور كشعاع من نور لا يحتاج لأن يعرف عن نفسه !

ذراعاه تضمانها نحوه أكثر يكاد يلصقها به حتى وكأن قلب كل منهما ينبض في صدر صاحبه ...

ليهمس لها أخيراً بنبرة غريبة عن طبيعته الخشنة :

_احكي .

رمقته بنظرة متسائلة فألصق جبينه بجبينها مردفاً :





_احكيلي عن يامن اللي ماعرفوش...بحب أسمعك وانتِ بتتكلمي عني...بشوف في عنيكي صورة تانية ليّ عايز أصدقها ...احكيلي عنك...عننا ...عن زمان ...رجعيلي العمر اللي لحد دلوقت ماعرفش راح فين وازاي .

مسحت دمعة سقطت من طرف عينها وهي تشعر بصدى كلماته يدوي بداخلها بقوة ...

هذا هو ما تحتاجه هي الأخرى الآن !

لهذا ابتسمت وهي تغمض عينيها لتسمح لنفسها بالاغتسال في نهر الذكرى...

لتنفرج شفتاها عن ذكريات له تعجب من أن تذكرها بهذه الدقة ...





قمصانه التي كان يرتديها بذوق معين مناسب لتلك الفترة بألوانها التي كانت تذكرها له واحداً واحداً...

نظارته الطبية التي استغنى عنها حالياً بعد عملية "ليزك" والتي ذكرت له أدق تفاصيلها بعدستيها الكبيرتين وانعكاسها

الأزرق"أنتي ريفليكشن" الذي كان يضايقها إذ يمنعها مراقبة لون حدقتيه ..

شاربه الذي حلقه وقتها والذي تمنت لو يبقيه على حاله مع بعض التهذيب ...

عادته "الخالدة" بحك ذقنه عندما يشعر بالخجل ..

طريقته المميزة في تناول "الفشار" وقتها عندما كان يرفعه

لأعلى واحدة واحدة قبل أن يتلقاها كحارس مرمى في فمه الضاحك ...





مشيته المميزة التي كان يضع فيها كفاً واحداً في جيبه بينما يبسط الآخر على صدره ليمنحه طلة كاذبة موحية بالغرور لكنها وحدها كانت تفهم ما خلفها من شعوره بالغربة في مجتمعهم ذاك وقتها ...

شجرة السنديان التي كان يحب الجلوس تحتها في مكان معين لا يكاد يغيره بالنادي ...

مواقف رجولته وشهامته التي سردتها بفخر وكأنها تتحدث عن نفسها لا عنه هو ...

ضحكته التي كانت مميزة ببحتها الخشنة وسط الحضور لكنها كانت تعشقها بعفويتها وبساطتها ...

شعره الذي كان وقتها قصيراً ليس كما الآن بتلك القَصّة التي تقل كثافتها عند الجانبين بينما تعلو قليلاً من المنتصف...





وأخيراً عينيه اللتين لم تتغيرا بعد كل هذه السنوات ...

_لسه زي ما هم...بطيبتهم وحنيتهم...ووجعهم اللي مايقراهوش إلا اللي يقرب قوي !

ختمت بها سيل ذكرياتها عنه وهي تمرغ وجهها في صدره غافلة عن أثر حديثها في نفسه ...

عجباً لها ...كيف طوت صفحات من عمره في بضع دقائق ؟!

كيف أعادت له الذكرى مجسدة وكأنه يرى نفسه تلك الفترة ؟!

لقد ظن أنه كان يكره تلك الحقبة من عمره لما تحمله له من سواد الذكريات ...





لكنها أعادت صباغتها بألوانها السحرية لتعيدها له مفعمة

بالحنين والشجن و...مشاعر أخرى لا يجيد الآن توصيفها وإن كانت تجتاحه بجنون !

لهذا ابتعد بوجهه أخيراً ليتلمس ملامحها بأنامله ببطء شديد وكأنه يرسمها ...يحفرها في وجدانه كي لا تضيع منه مع ما ضاع ...

قبل أن يهمس لها محافظاً على خطواتهما الراقصة المتمهلة :

_كل ده عني أنا...احكيلي عنك أنتِ .

_مش هتفرق ...صدقني...انت كنت أهم حاجة في حياتي...لدرجة إني مابقدرش أفتكر يوم واحد من عمري وقتها إلا وافتكرك معاه .





همست بها بصدق وهي تعود لتخفي وجهها بين ضلوعه ...

أناملها تتشبث بقميصه بقوة وكأنما تخشى من هذا الحلم أن تفيق ...

_لحد دلوقت مش مصدق إن ممكن حد يحب حد كده .

همس بها بشرود وهو يربت على ظهرها محاولاً السيطرة على نزيف ذكرياته الذي عاد للتدفق ...

لكنها رفعت عينيها إليه هامسة بيأس خالط نبرتها العاشقة :

_مش مصدقني؟!

عاد ببصره نحوها...

لا...ليس ببصره فقط ...بل بكُلّه!





أجل كل ما فيه الآن كان مُحتلاً بها من الشريان إلى الشريان !

حتى أنه لم يشعر بنفسه وهو يرفعها من خصرها نحوه هامساً بانفعال:

_هافضل أقول إني مش مصدقك عشان كل يوم تبقي عايزة تثبتيلي ده....

انقطعت عبارته بين شفتيها لتذوب بقية حروفه كالشمع في نيران عاطفتهما ...

إحساسها به الآن كان لا يوصف ...

قدماها لم تكونا تلمسان الأرض حقيقة لا مجازاً معتمدة على ذراعيه المطوقتين لها بقوة ...

ذراعاها تتعلقان به وكأنه آخر طوق نجاة بين يدي غريق...

ووعيها يتسرب منها ليدور في دوائر لا متناهية...





شعور لذيذ يكتنفها ...يضمها...يهدهدها...ويرفعها فوق أرجوحة حلم تكاد قدميها تلامسان السحاب ...

لكنه يعود آسفاً ليختنق متوارياً خلف خوف قديم لا حيلة لها فيه ...

دقات قلبها تتجاوز حد الجنون وهي تشعر أنها غير قادرة على التنفس...

دفعة رقيقة منها كانت كافية ليبتعد عنها أخيراً بوجهه وينزلها أرضاً دون أن يفلتها من بين ذراعيه ...

تباً!!!

الآن يشعر أنه يحتاج ما يفوق قوة البشر كي يمنع نفسه عنها ..!!





لهذا أخذ عدة أنفاس متتالية وهو يشيح بوجهه قبل أن يربت على ظهرها ليبتعد عنها أخيراً وقد لاحظ انقطاع اللحن الموسيقي ...فقال بمرح مصطنع:

_كويس إن الموسيقا خلصت ...لا سني ولا لياقتي يسمحوا بأكتر من كده .

ابتسمت ببعض الخزي الذي امتزج بامتنانها لتتقدم منه مطرقة الرأس بهمسها:

_أنا آسفة .

لكنه ربت على وجنتها ليرفع وجهها نحوه هامساً بجدية تامة:

_بتتأسفي ليه ؟! عايزة الحق؟! أنا اللي المفروض أشكرك...لأن اللي حسيته الليلة دي ماحسيتوش في عمري كله .

_بجد؟!





_أيوة ...ولو قلتِ شكراً يا طيب هاضربك !

قالها ملوحاً بسبابته في وجهها فضحكت ضحكة عالية شاركها فيها قبل أن تتأبط ذراعه لتصعد معه الدرج نحو غرفته ...

ولم يمضِ الكثير من الوقت حتى كان مستقراً بين ذراعيها على فراشهما بعد حكايتها التي طلبها هو هذه الليلة...

ولأول مرة يستسلم للنوم قبلها ...ربما لأن اليوم كان حقاً مرهقاً ...

وربما لأنه كان يريد الهروب من فوضى مشاعره نحوها بأي طريقة...

ولم تكد هي تشعر بانتظام أنفاسه حتى قبلت جبينه بعمق لتداعب لحيته السوداء الكثيفة بأناملها بحنان سكن ملامحها ...





حنان تبدل للكثير من الخوف الذي استدعى لها الأرق هذه الليلة لبضع ساعات ...

قبل أن تنتبه لصوت رسالة تلقاها هاتفه الموضوع جواره على الكومود ...

رسالة وخزت قلبها وضميرها معاً بفحواها ...

أجل ...تماماً كما توقعتم...

سيلين وضعت طفلها!!!

========

القطعة الثالثة عشرة

========

_فيه راجل طالب يشوفك شخصياً!

قالها أحد العمال وهو يدخل عليها جانبها الخاص من مطبخ المطعم الخاص بها فابتسمت وهي تتوقع هويته...

يامن !

تراه جاء وأعد لها مفاجأة ؟!

مسحت يديها في فوطة مجاورة بسرعة ثم نزعت عنها "مِريلة" المطبخ لتتوجه نحو الخارج...

أشار لها العامل نحو الرجل الذي كان يعطيها ظهره فعقدت حاجبيها بدهشة...

إنه ليس يامن !





تقدمت منه بخطوات سريعة لم تلبث أن تباطأت وعقلها يبدأ في استرجاع هذه الهيئة المميزة له...

هل هو ...؟!

معقول؟!

متى عاد ؟! ولماذا الآن بالذات؟!

توقفت فجأة وهي تبسط كفها على صدرها برهبة قبل أن تقرر فجأة العودة للمطبخ قبل أن يراها !

لكنها ما كادت تستدير بظهرها لتسير بضع خطوات حتى سمعت صوته خلفها :

_بتهربي ليه ؟!

وقفت مكانها للحظة والدموع تتكاثف في عينيها ...

تعيد إليها مرارة ذكرى لا تريد الخضوع لها ...

ولن تفعل!!





لهذا أخذت نفساً عميقاً تتمالك به قوتها ثم التفتت نحوه لتقول بلهجة جامدة :

_ما اسموش "هروب"..اسمه "مش عايزة أقابلك"!

التوت شفتاه بابتسامة حملت كل مشاعره في هذه اللحظة ...

حنين ...مرارة...خزي...حسرة...

كل هذا مغلف بإعجاب بدا في كلماته :

_لسه بتعرفي تختاري كلامك كويس...

ثم دار عليها بعينيه مردفاً بنبرة ذات مغزى:

_بس يا ترى اتعلمتِ تختاري طريقك كويس كده برضه ؟!





اتسعت عيناها للحظات وكأنما انفتحت لها بوابة من ماضٍ لها معه ...

عجيبٌ هذا الزمان عندما يغير مواقع الناس على خرائط قلوبنا...

ليجعل ما ظنناه "رافد النهر" الخصب مجرد صحراء قاحلة!

_مبروك جوازك!

انتشلها بها من أفكارها فتلفتت حولها تهرب من لقاء نظراته لتقول

بنفس النبرة القوية :

_انت إزاي تتجرأ تيجي لحد هنا؟! ..أنا لحد دلوقت محترمة اللي كان بيننا ...لكن...





_أنا ضيعت كل اللي كان بيننا في ساعة طيش وعارف إن ماليش عندك حقوق .

قاطع بها عبارتها بمزيج من حزم وأسى لتعاود النظر إليه بعينين ارتجفتا رغم محاولتها التظاهر بالقوة...

فزفر زفرة أخيرة سبقت قوله :

_أنا جاي بس أطمن عليكِ...قولي إنك كويسة ومبسوطة وأوعدك مش هتشوفيني تاني .

ردتها عبارته لواقعها فكتفت ساعديها لترفع رأسها بقولها :

_مبسوطة جداً يا زين.

قالتها بنبرتها العنيدة المحاربة التي يعرفها فتتهد ببعض





الارتياح وهو يشعر أنه قد حقق الغرض من زيارته ...

لهذا هز رأسه قليلاً وهو يرمقها بنظرة طويلة وقد انفرجت شفتاه وكأنه يقاوم حديثاً طويلاً يوشك أن يبوح به...

قبل أن يغادرها بخطوات متباطئة ...

ظلت ترمق ظهره المنصرف حتى اختفى عن ناظريها لتلتمع عيناها بالدموع من جديد ثم اندفعت لداخل المطبخ الذي أغلقت بابه واستندت عليه لتسمح لدموعها أخيراً بالانهمار ...

_مالك يا ياسمين ؟!

هتفت بها مساعدتها بجزع وهي ترى انهيارها هذا فمسحت دموعها بسرعة بينما المرأة تردف :





_مين الراجل اللي كان عايزك ؟! وقاللك إيه عشان ده كله ؟!

لكنها رفعت رأسها لتأخذ نفساً عميقاً قبل أن تجيبها بشرود :

_واحد كان عايز مني خدمة بس ماقدرتش أساعده !

_وانتِ عشان كده بتعيطي؟!

سألتها المرأة بإشفاق لتتجاهل سؤالها مجيبة بنبرة قوية:

_نبهي على كل العمال هنا إني ما بقابلش أي حد من زباين المطعم.

_انتِ خايفة ييجي تاني؟!

سألتها مساعدتها ببعض القلق لتجيبها بثقة لم تخلُ من مرارة:





_مافتكرش هييجي تاني.

==========

وقفت في المطبخ تعد له العشاء وهي شاردة في أفكارها لتبتسم أخيراً بحب وهي تدرك أن مجرد انتظاره ...سعادة !

نظرت في الساعة المعلقة على الجدار لتتبين قرب وصوله فتحركت لتمشط شعرها بسرعة عندما سمعت صوت الجرس فاندفعت لتفتح الباب لكنه لم يكن هو ...

بل نبيلة !

رفعت حاجبيها للمفاجأة قبل أن تهتف بترحاب :

_النجمة هنا !! أهلاً ...اتفضلي!

ابتسمت نبيلة بغرور وهي ترد بعبارات لبقة قبل أن تدلف إلى الداخل لترمقها بنظرات متفحصة...




منامتها الطويلة الواسعة بلونها النبيذي تحت "مريلة المطبخ" التي حملت اللونين النبيذي والأبيض ....

وجهها الذي خلا تماماً من الأصباغ...

شعرها القصير فوضوي الهيئة كالعادة والذي يشي بجهل تام لطريق "الكوافير"!

ربما لو قيّمتها الآن كأنثى فستمنحها "صفراً كبيراً" بضمير مرتاح !

ويبدو أن ياسمين قد قرأت هذا في نظراتها فضحكت لتقول ببساطة بينما تخلع مريلة المطبخ لتضعها جانباً:

_يامن على وصول ...لازم أفضل في المطبخ لآخر لحظة عشان ييجي يلاقي الأكل دافي زي ما بيحبه .





وكأنما كانت عبارتها -مفتاحاً- لباب خاص في قلب نبيلة

"الأم" التي تبدلت نظرتها لها لترق لهجتها كثيراً مع قولها:

_خلاص عشان ما أعطلكيش...نقف سوا في المطبخ !

قابلت ياسمين الفكرة بترحاب وهي تصطحبها للداخل حيث جلست نبيلة على أحد الكراسي تراقبها وهي تعد الطعام ...

وبينما كانت ياسمين منهمكة في ثرثرتها الحيوية حول مواضيع كثيرة فتحتها بلباقة كانت نبيلة شبه واعية وتركيزها كله منصباً حول "مريلة" المطبخ التي وضعتها ياسمين هناك ...





شيء ما في هيئتها البسيطة وخز قلبها بشعور غامض ...

شعور بافتقاد هذه الحياة الدافئة التي لم تجربها -هي- إلا قليلاً...

ترى كيف كانت حياتها لتكون لو لم تفضل مستقبلها ك"نجمة" على منحة القدر كزوجة وأم عادية ؟!!

ذكرها الخاطر الأخير بما جاءت لأجله فتنحنحت لتقول بنبرتها ذات الكبرياء المعهود :

_عرفتِ إن سيلين ناوية تسافر بالولد ؟!

تجهمت ملامح ياسمين فجأة لتتوقف عما تفعله قبل أن تتقدم نحو نبيلة لتجلس أمامها قائلة :





_صدقيني أنا حاولت أقنع يامن كتير إنه يرجع لها عشان خاطر ابنه ..لكن حضرتك عارفة إنه عنيد...كمان سيلين رفضت تعمل الاختبار اللي طلبه وده زود شكوكه .

_وانتِ شايفة إيه ؟!

سألتها نبيلة بنبرة متشككة فتنهدت ياسمين بحرارة لتجيبها:

_رفضها للاختبار ده مش معناه إنه مش ابنه...أنا لو مكانها مش هاقبل إني أبقى مجال شك وإن شرفي يتحط تحت رحمة مجرد ورقة ...كمان أنا شفت الولد ...ملامحه كلها من يامن.





تهدج صوتها في عبارتها الأخيرة وهي تتذكر مشاعرها التي انتابتها عندما رأت الرضيع ليلتها في المشفى حيث وضعت سيلين...

كيف تصف هذه الرجفة التي أصابت قلبها وهي ترى ذاك الكيان الضئيل الذي يشبه حبيبها وزوجها ...والذى يُفترض أنه ابنه من امرأة سواها ؟!!!

هذا الشعور المقيت بالذنب وهي ترقب ملامحه البريئة التي رأتها بعين المستقبل تتهمها بحرمانها من أبيه ؟!

هذه الغيرة التي تملكتها وهي ترى بخيالها ثمرة ليلة عشق لرجلها من امرأة منحته ما تزال -هي- غير قادرة على منحه ؟!





وهذا "الأمل البعيد"...البعيد تماماً كالسماء...والقريب جداً مثلها ...أن تحمل هي يوماً منه طفلاً مثله ؟!!

هذا الطوفان من المشاعر الذي اجتاحها ليلتها والذي لايزال يؤرق مناماتها كل ليلة من حينها ...

لهذا استطردت بنفس النبرة المرتجفة:

_أنا مش خايفة من حاجة أد ما أنا خايفة إن يامن يندم في يوم من الأيام إنه فرط فيه ...يعرف إن وساوسه وشكوكه حرمته من أكبر نعمة في الدنيا ...ساعتها هيكره نفسه وهو شايف إنه في عيون ابنه ميت بالحياة ..





انقطعت عبارتها مع اتساع عينيها المصدومتين وهي ترى دموع نبيلة تملأ مقلتيها دون أن تسيل على خديها...

لتبتلع هي بقية عبارتها بندم وهي تدرك ما وصلها ...

لكنها للأسف لم تستطع التراجع !!

بينما رمقتها نبيلة بنظرة شاردة وهي تشعر وكأنما يعيد التاريخ نفسه ...

لتقول بنبرة فقدت كبرياءها العتيد لتحل محله رياح من ندم:

_عندك حق ...فيه ذنوب ما بيسامحناش عليها الزمن ...ولا بنسامح عليها نفسنا ...





دمعت عينا ياسمين وهي تشعر أنها ترى هذا الوجه من نبيلة لأول مرة ...

بعيداً عن بهرجة أناقتها وزهوة غرورها وأفكارها التي تبدو أنها لا تدور إلا في فلك نفسها فحسب ...

لكن "النجمة" لملمت رداء عاطفتها بسرعة لتردف بصوت عادت إليه قوته:

_عشان كده جيتلك النهارده عشان تقنعيه ...أنا عارفة إنه صعب عليكِ كستّ إنك ترضي بكده بس...

_والله ما بفكر كده خالص...ربنا عالم حاولت أد إيه بس يامن عنيد وشكاك ...وتصرفاتها الأخيرة زودت شكوكه ...بس هحاول معاه تاني يمكن يلحق يوصل لحل معاها قبل ما تسافر .





قالتها ياسمين بحرارة لا تدعيها قبل أن تصلها

رائحة نفاذة من الفرن فانتفضت من مكانها

لتستخرج صينية الطعام ثم وضعتها على الطاولة

لتقول بابتسامة واهنة:

_الحمد لله إني لحقتها ...آه...

لم تنتبه أن حرارة الصينية لسعت جزءاً من جانب

كفها

الآن !

فاندفعت نحو الحوض تريق عليها الماء بينما نبيلة

تهتف خلفها بعبارات جزعة لكنها تناولت من

دولاب المطبخ أنبوبة مرهم وضعت منه على

جرحها لتقول ببساطة :

_ماتقلقيش أنا واخدة على كده ...إصابات عمل!





أرفقت عبارتها الأخيرة بضحكة رقيقة قبل أن تعاود عملها في المطبخ تحت عيني نبيلة المدققتين لما تفعله ...

كانت الآن قد قامت بتشغيل المروحة الكهربية الصغيرة أمام صينية الطعام لتقول بانطلاق:

_يامن مابيحبش الأكل سخن قوي ...بضطر أبردهوله شوية كده لأنه على وصول ...مش عارفة اتأخر ليه .

لكن مالم تعلمه أنه لم يكن قد تأخر ...

كان واقفاً في الحديقة يراقبهما خلسة عبر نافذة المطبخ المفتوحة بعدما عاد ليجد سيارة أمه بالخارج ...




لم يكن يعلم نيتها وإن خمن أنـها ستضايق ياسمين بحماقاتها المعهودة لكنه لم يتوقع أن يسير الحوار بينـهما هكذا ...

أجل ..لم تكن ياسمين وحدها من لاحظت صبغة الندم في حديث نبيلة...هو أيضاً استشعرها بقلبه الذي طال ظمأه لـها ...

لـهذا فضل أن يبقى حيث هو يراقبـهما دون أن تشعرا ...

_يامن بيحب أكلك ...دايما يشكر فيه !

قالتها نبيلة بنبرة غريبة هي مزيج من إعجاب وحسد فابتسمت ياسمين وهي تسكب العصير في دورق خاص لتجيبها بصوت حمل عاطفتها كاملة:





_أهلي وقرايبي وأصحابي ...مطعم ناجح وزباينه كتير ...والفرع التاني في الطريق ...بس كل دول ولا حاجة لما بحس إنه هو بس بيحب ياكل من إيدي .

عادت عينا نبيلة تلتمعان بدموع خفية وهي تعاود سؤالها بصوت مهزوز:

_بتحسي بإيه ؟!

_يااااه ...لما ييجي تعبان وجعان وعنيه تلمع أول ما يشوف الأكل ...لما أعرف إنه قعد طول اليوم مايدوقش حاجة عشان مايزعلنيش لما ييجي ويخلص أكلي كله ...لما أبقى متأكدة إنه شبع بس صعبان عليه يضيع تعبي فيدوق من كل الأصناف ...بحس وقتها إني خدت أكبر جايزة في الدنيا .





قالتها بمرح حقيقي وهي تدور في المطبخ كالنحلة ما بين غَرف الأطباق وإعداد مائدة السفرة ...

بينما كانت نبيلة غافلة بشرودها حتى عن عرض مساعدتها ذوقياً...

لتسألها أخيراً بنفس النبرة :

_كل ده عشان بس بياكل من إيدك ...امال لما بيحضنك بتحسي بإيه ؟!

تجمدت ملامح ياسمين لأول وهلة من جرأة السؤال لكن نظرة واحدة لعيني نبيلة الشاردتين بحسرة أنبأتها أن

الأمر يتجاوز -ظاهر- معناه ...

لهذا ابتسمت بتفهم وهي تتوجه نحو حماتها لتتحني نحوها فتربت على ركبتها قائلة :




_حُضن يامن دافي ويسعِ الكل ...أكيد حضرتك أدرى مني بيه .

_عمري ما جربته !

تمتمت بها نبيلة بصوت بالكاد يسمع لتتسع عينا ياسمين بصدمة لم تلبث أن تحولت لإشفاق ...

بينما كانت نبيلة أمامها في حالٍ من نفسها لا تعرفه !!!

ماذا فعلت بها هذه الزيارة ؟!

لقد جاءت إلى هنا حانقة بشدة وهي تتصور أن ياسمين تساند يامن في فكرته القاسية عن التخلي عن ابنه ...




لكنها منذ دخلت إلى البيت وهي تستشعر هذا الدفء الغريب الذي انتقل منه إليها ...

بالإضافة إلى هذا الشعور المكتسح الذي يجتاحها ...

شعور أقرب "للحسد"!!

حسد؟!!

أو فلنقل للدقة اللغوية "الغبطة"!

أجل ...كم تغبط ياسمين الآن على هذا "الدور الحقيقي" الذي تؤديه في الواقع والذي لا تساويه كل أدوارها "الزائفة" في عالمها المبهرج ...

تغبطها على عاطفة يامن الذي لا يبرح يمتدحها أمامهم بمناسبة ودون مناسبة سواء في وجودها أو غيابها ...





تغبطها على حبها -هي- له والذي يبدو جلياً في أفعالها قبل كلماتها ...

حبها الصادق المتفاني الذي عجزت هي عن منحه له منذ طفولته وحتى الآن !

ورغم غمام الحسرة الذي كاد يوشك أن يمطر على وجنتيها الآن لكنها تغلبت على كل هذا لتستعيد سابق كبريائها وهي تشيح بوجهها فتتجاهل كل هذا مع قولها:

_هو اتأخر كده ليه ؟! أنا كنت جاية عشان أكلمكم في موضوع ابنه وبس...اتصلي شوفيه عشان ورايا حفلة مهمة بعد ساعة .





فاتسعت عينا ياسمين وهي تنتبه أخيراً لما ترتديه حماتها ...

يامن سيصاب بذبحة صدرية لو رأى هذا الثوب ...

لكن...هو بالتأكيد قد تعود على هذا!

لهذا تنحنحت لتقول بترحاب بشوش:

_أبداً...حضرتك مش هتمشي قبل ما تتعشي معنا .

بدا الرفض على وجه نبيلة لتفصح عنه بكلمات مقتضبة لكن ياسمين ظلت على إلحاحها حتى انتزعت موافقتها ...

_السلام عليكم .

قالها وهو يدخل عليهما المطبخ أخيراً بعدما اكتفى بهذا القدر مما سمع ...





لتستقبله نبيلة بعاطفتها المكتومة خلف مصافحتها التقليدية قبل أن تقول بعجرفتها المعهودة:

_هاغسل إيدي قبل الأكل .

تابعها يامن ببصره بأسى بينما تغادر المطبخ وهو يكاد يقسم أنه قد رأى اليوم منها وجهاً لم يره طوال حياته...

صدقت ياسمين عندما كانت تشبه البشر جميعاً ب"السينابون"...

دوائر ملتفة يختلف ظاهرها عن باطنها...مزيج من لذوعة الذنب وحلاوة الفطرة ...لكنهم جميعاً عجين متخمر بماء الماضي.

_أنا محضرة السفرة ...اغسل انت كمان إيديك.





انتشلته بها ياسمين من شروده فالتفت نحوها بنظرة طويلة قبل أن يجذبها فجأة ليضمها لصدره بقوة !

أطلقت آهة خافتة أتبعتها بابتسامتها وهي ترفع عينيها إليه هامسة بعاطفة اتشحت بدلالها:

_وحشتك ؟!

لم يجبها بكلماته بل شدد ضغط ذراعيه حولها وعيناه تغنيانه عن أي رد ...

فاتسعت ابتسامتها وهي تستطيل على أطراف أصابعها لتقبل جبينه هامسة :

_وانت كمان وحشتني قوي...

_بوسي على أدّك يا "نخلة"!

همس بها مشاكساً وهو يضم رأسها الموازي لصدره فضحكت وهي تقبل ما نالته شفتاها ...





ثم مدت رأسها تنظر للخارج مردفة:

_ياللا عشان منتأخرش على مامتك .

لكنه انحنى برأسه ليغرس وجهه بين حنايا عنقها مشدداً عناقه للحظات وكأنه لم يسمعها ...

قبل أن يقبل رأسها ليبتعد بابتسامة واهنة جعلت قلبها يرقص طرباً....

سعادتها بمشاعره الوليدة الصامتة نحوها كانت تشع من نظراتها طوال تناولهم للعشاء ...

دعاباته التي زاد مرحها بشكل غريب هذه الليلة ومشاكساته الحنون لها أمام أمه ...

وأخيراً "شوكته" التي تلبسها "جنيّ" ما لتسقط كل بضع دقائق فينحني ليلتقطها مداعباً ساقها خفية تحت المائدة !!!





وجهها كان يكاد يحترق بخجله وهي تشعر بحركاته مفضوحة تماماً أمام نبيلة التي كانت ترمقهما بنفس النظرة الغريبة بين رضا وغبطة وحسرة ...

حتى سألها يامن باهتمام:

_سبتِ داليا لوحدها في البيت ليه ؟! كنتِ جبتيها تتعشى معنا!

لكن نبيلة ردت بغير اكتراث:

_داليا مش في البيت ..خرجت تذاكر عند صاحبتها !

_إيه؟! لحد دلوقت!!

هتف بها يامن بحدة وهو ينظر للساعة جواره لترد أمه بنفس النبرة اللا مبالية:

_وفيها إيه؟!





كز يامن على أسنانه فربتت ياسمين على ركبته مهدئة بينما تناول هو هاتفه ليتصل بداليا وما كادت تفتح الاتصال حتى هتف بها :

_انتِ فين دلوقت؟!

صوتها المرتبك وصله مجيباً:

_بذاكر عند واحدة صاحبتي .

_اديهالي أكلمها!

ظل الصمت نصيبه للحظات قبل أن يصله صوتها بارتباك أكثر:

_متحرجنيش معاها يا يامن ...هتقول عليّ عيلة صغيرة أهلها مش واثقين فيها !

_وهو فيه واحدة محترمة تقعد بره بيتها للساعة دي ؟! انتِ فين وأنا آجي آخدك .




_باباها هيوصلني ...صدقني ...نبيلة عارفاه ...أرجوك يا يامن متحرجنيش معاهم أكتر من كده ...لما أروح هاكلمك !

أغلق الاتصال بعنف ليلتفت نحو نبيلة هاتفاً :

_تعرفي صاحبتها دي وباباها اللي بتقول هيوصللها ؟!

لم تكن نبيلة تعلم عما يقوله شيئاً لكنها تصنعت المعرفة لتقول بنبرتها المتعالية:

_طبعاً..داليا مابتخبيش عني حاجة..بنت محترمة وباباها راجل كويس ...ماتقلقش .

قالتها لتهدئ غضبه لكنه بقي عاقداً حاجبيه للحظات وقد قرر محادثة هانيا من جديد كي تتقرب من هذه الطائشة الصغيرة أكثر ...

ثم قال محدثاً أمه بنبرة حازمة:




_مفيش تأخير بره البيت عن الساعة التاسعة لداليا....وأي واحدة صاحبتها تخرج معها يبقى معاكِ رقمها ...مفهوم؟!

مطت نبيلة شفتيها باستياء وهي تومئ برأسها فتنحنحت ياسمين لتلطف الأجواء بقولها :

_هاقوم أجيب العصير ...معلش نسيته !

قالتها ثم قامت لتحضر العصير من المطبخ لكنها ما كادت تتحرك بضع خطوات حتى تعثرت بطرف السجادة وعندما حاولت استعادة توازنها بالتمسك بشيء ما لم تجد سوى سوى تلك المزهرية الضخمة التي تقاربها طولاً تقريباً....والتي سقطت الآن -معها- على قدمها!




شهقت نبيلة بترقب بينما لم يستغرق يامن بضع ثوانٍ ليكون جالساً أمامها على الأرض يرفع ساقها أمامه بعدما أزاح المزهرية ليهتف بجزع:

_حركي رجلك ...بتوجعك ؟!

ابتسمت ياسمين بحرج فلم يكن الأمر يستحق منه كل هذا خاصة عندما تقدمت منهما نبيلة لتقول بقلق:

_عاملة إيه؟!

_ولا حاجة ...دي وقعة بسيطة !

قالتها ياسمين وهي تعود بظهرها لتستند على راحتيها على الأرض محاولة حفظ توازنها مع رفع يامن لساقها وتفحصه له ...





لكن عينيه التمعتا بمكر وهو يرفع سروال منامتها ل-ما فوق ركبتها- مع تحريكه لمفصل قدمها قائلاً بحزم مصطنع:

_تعرفي منين انتِ؟! أغلب الكسور مبنحسش بيها في وقتها !

شحب وجهها وهي ترى ساقها مكشوفة أمامه وأمام نبيلة التي انتبهت لما يفعله ابنها.... خاصة عندما تحركت أصابعه على طول ساق زوجته ليضغطها في مواقع عدة هاتفاً في كل مرة :

_طب حاسة بوجع هنا؟!

رمقته ياسمين بنظرة راجية وهي تحاول نزع ساقها منه هاتفة بين خجل وحرج:

_والله كويسة...والله مفيش أي وجع!





لكنه ظل على ما يفعله حتى وصل لما فوق ركبتها بينما هي تكاد ترجوه بصوت مرتجف:

_خلاص يا يامن ...كويسة ...خلاص!

ظلت تكررها بخجل شديد أنساها رهابها المعتاد من انكشاف جسدها أمام الآخرين ...

خاصة عندما قالت نبيلة ببعض المكر وهي تتابع ما يفعله يامن بحدسها الأنثوي:

_طيب...أستأذن أنا عشان تكشف على الباقي براحتك !

آه هذا ما كان ينقصني!!

همست بها ياسمين في نفسها وهي تكاد تذوب خجلاً مع قولها المتحشرج:

_لا كملي حضرتك أكلك...





قالتها وهي تدفعِ يامن ببعض العنف لكن نبيلة تناولت حقيبتها لتقول بتعجل:

_معلش اتأخرت على الحفلة...المهم إنك بقيتِ كويسة...قومي اقفي عشان يامن يطمن !

اكتست عبارتها الأخيرة بالكثير من المكر الذي زاد خجل "البائسة" ياسمين الآن ...

لهذا ما كاد يامن يقف ليوصل والدته إلى الباب حتى عدلت ملابسها لتهب من جلستها ثم توجهت إلى المطبخ تحاول الاختباء عن عينيهما بأي طريقة ...

عاد إليها ليجدها واقفة أمام الثلاجة وقد استندت عليها معطية إياه ظهرها ووجهها مدفونٌ بين كفيها ...





فتنهد بحرارة ليتقدم منها ثم أمسك كتفيها يديرها نحوه قبل أن يزيح أصابعها من على وجهها هامساً بحزم حنون:

_أنا قصدت أعمل كده ...وقدام نبيلة ...عشان تتغلبي على حكاية خوفك دي !

دمعت عيناها وهي ترمقه بنظرة غريبة هي مزيج من خزي وألم وامتنان ...

قبل أن تخفي وجهها في صدره لتهمس بصوت مرتجف:

_انت ماتعرفش أنا بحس بإيه لما جزء من جسمي بينكشف قدام أي حد ...بحس إني خايفة قوي ...وصغيرة قوي .





_وانتِ ماتعرفيش أنا بحس بإيه وقتها ...بحس إنك جميلة قوي .

همسه الأجش كاد يلفح وجهها بحرارته فرفعت عينيها إليه من جديد لتسأله بنفس النبرة المهتزة:

_هسألك سؤال ...يعلم ربنا عمري ما سألته لحد ...بس انت بالذات عايزاك تجاوبني وبصراحة ...

ثم ازدادت ارتجافة شفتيها حتى أطبقتهما لتردف بصوت خفيض جداً يكاد لا يُسمع:

_انت ...بجد...شايفني ...

قاطع عبارتها بشفتيه وقد فهم ما تريد قوله ليعز عليه كثيراً أن تسأل امرأة ـمثلها ـ هذا السؤال !!!!




لو رأى ذاك الوغد طليقها فسيقتله نكالاً بما فعل بها ...

هو لم يؤذِ جسدها فحسب، هو ذبح أنوثتها بسكين ثلم !!

كيف هز ثقتها في نفسها حد أنها تسأل هذا السؤال؟!

إنها -بمواصفاتها الشكلية - في بلد كمصر تعد قِبلة للأنظار أينما حلت ...

ألا ترى كم يغار عليها ؟!

بل إنه يكاد يجن لو رأى أحدهم يطيل النظر نحوها !

لهذا احتضن وجنتها براحته ليهمس لها بصراحة تامة:





_أنا عمري ما اتهزيت لجمال واحدة ست ...هنا أو في لندن ...مش هاتكسف أقوللك إني عندي عقدة من الشُقر ...في الأول اخترت بسنت وسيلين عشان كانوا في خيالي الصورة المثالية للجمال وبعد اللي عملوه بقيت بكره أشوف أي ست شقرا ...

اتسعت عيناها بترقب وكأنما ترتشف كلماته ارتشافاً ليبتسم هو مردفاً :

_لكن معاكِ انتِ بحس إني مش حاطط قواعد ...انتِ جميلة عشان انتِ ياسمين ...سواء كان شعرك أصفر أو أسود...سواء كنت شقرا أو سمرا ...عنيّا شايفاكِ أيقونة جمال لوحدها من غير أي معايير.





ابتسامتها التي امتزجت مع دمعتها الآن كانت أجمل في عينيه من أي وقت رآها فيه ...

خاصةً مع احمرار وجنتيها الذي وشى بخجلها والذي تهربت منه بتغيير الموضوع :

_الأكل كان حلو؟!

_طبعا!

_السفرة كان شكلها كويس؟!

_ممتاز!

_يعني تفتكر عجبت مامتك...مممم...هتحبني؟!

_ومين شافك وماحبكيش؟!

انفرجت شفتاها بذهول وهي تسمعها منه لترمقه بنظرة غير مصدقة...





بينما تراجع هو خطوة وكأنما استاء من بَوْحه هذا الذي خرج دون تخطيط !!

ورغم شعوره بالرضا عن سعادتها التي رسمها اعترافه -غير المباشر- هذا ...

لكن سلطان وساوسه عاد يراود عقله ...يحذره ألا يندفع ...

ما خاب من تبع عقله ..لكن تابع القلب مخذول !

لهذا أشاح بوجهه وهو يبتعد عنها خطوة أخرى ليقول بصوت عادت إليه خشونته :

_هاطلع أخلص كام موضوع كده ع اللاب قبل ما يغلبني النوم .





قالها ثم أعطاها ظهره لينصرف دون أن ينتظر ردها لتفاجئه بندائها خلفه:

_يامن!

ولم يكد يلتفت نحوها حتى فوجئ بها تندفع نحوه لتتعلق بعنقه بقوة ...

تزرع حقول غرامها فوق شفتيه ...

اتسعت عيناه بصدمة للحظة وهو يراها لأول مرة تبادر نحوه بخطوة في هذا الطريق الذي طالما حرمت عليه خطواته ...

قبل أن يجد نفسه يرفعها نحوه ليضمها بقوة هو الآخر ...

يتلقى عطاياها ويردها بالمزيد !!





لحظات مرت بهما صاخبة ملتهبة قبل أن تبتعد هي بوجهها لتنزل بقدميها إلى الأرض وتهمس بين أنفاسها اللاهثة :

_عمري ما هنسى الليلة دي ...انت ماقلتش كلمتين حلوين والسلام...انت رجعتلي عمر ...عارف يعني إيه رجعتلي عمر؟!

توهجت عيناه بعاطفة صارخة ونظرات عينيها تشعل قناديله المطفأة واحداً تلو الآخر ...

تزعم أنه أعاد لها عمراً فما الذي فعلته هي به ...

هي أعادت له "حياة"!!





_أنا كمان عمري ما هنسى الليلة دي ...

همس بها بحنان مسها قبل أن تعود لصوته رنة عبثه الفظّة مع استطراده:

_ويُفَضّل تبعدي دلوقت عشان تعدي على خير!

عضت شفتها بخجل غطى على خوفها المعهود من انحشار الكلام في "تلك الزاوية" لتطيعه وتبتعد ...

هذه الطاعة التي كانت أبعد ما يكون عن مراده الآن لكنه فعلها مجبوراً وهو يدرك أن الطريق لايزال ينتظر الكثير من "الأمان" الذي يعزز خطواته...

الأمان الذي يحتاجه كلاهما ...ليعطيه ويتلقاه بنفس اللذة !

========




زفرت بضيق وهي تغلق الاتصال مع يامن لتعيد هاتفها لحقيبتها ...

كانت جالسة في ذاك الملهى الذي يشعرها بالتقزز لكنها لا تنكر تلك اللذة التي تتملكها عندما تخطو بابه ...

صوت الأنغام الصاخبة يقرع جسدها ليمنحها نشوة التمرد ...

نظرات العيون الجائعة نحوها تجعلها تتذوق نكهة النجومية التي طالما حسدت بيللا لأجلها ...

لغة جسدها التي تتأرجح بين غرور وتلذذ تجعلها مطمعاً للكثيرين هنا ...

حتى أنها تلقت بعض العروض ـالمباشرة وغير المباشرةـ ممن يظنون أنفسهم قد يغررون بواحدة مثلها ...





لكنها كانت تجيد الدفاع عن نفسها ...أو -هكذا كانت تظن-!!

اللعنة!

لقد كادت الليلة تمر على خير كسابقاتها لولا اتصال يامن هذا ...

هي تعرفه جيداً مادام قد دس أنفه في أمر كهذا فستخضع لتعليمات مشددة منه الفترة القادمة وربما لن تتمكن من الحضور هنا كالسابق!

لهذا عادت تزفر بحنق وهي ترفع عينيها للكرة الذهبية المعلقة في السقف هناك والتي تراقصت عليها الأضواء بجنون لذيذ لتزيد من نشوة شعورها بالانطلاق ...





قبل أن تقف مكانها لترتدي سترتها فوق بلوزتها عارية

الأكتاف والتي تثق أنها بلونها الأحمر الناري كادت تذهب بعقول نصف الحضور ها هنا !

تناولت حقيبتها لتغادر المكان بخطوات متمايلة عامدة...

ولم تكد تخرج لتصدمها الرياح الباردة بالشارع حتى فتحتها لتستخرج منها وشاحاً انتوت أن تغطي به رأسها تحسباً لأن يكون يامن قد عاد مع نبيلة للبيت كي يوبخها على تأخيرها ...

كانت قد بدأت في لفه حول رأسها حين فوجئت بالهتاف خلفها :

_ما تتعبيش نفسك ...اللي كنتِ مخبياه ظهر خلاص!




استدارت نحو محدثها وقد همت بالصراخ فيه لولا أن تعرفت إليه ...

مروان "القبيح" ...صديق يامن المقرب!!

"القبيح"؟!!!

نعم...هذا هو اللقب الذي كانت تطلقه عليه في نفسها كلما صادفت ورأته ...

رأسه الذي غزاه الصلع في هذا السن المبكر ...

ثيابه التي يعود طرازها لما يسبق عامنا بعشر سنوات على الأقل...

نظارته السميكة التي تناسب كونه "طبيباً" معقداً يظن نفسه أذكى خلق الله لمجرد أنه كان "يحفظ" هذا الهراء المدرسي ل"يلقيه" على ورقة اختبار





انتهت به لكلية سخيفة تتاجر في آلام الناس باسم "الرحمة"!

فكيف يكون بعد كل هذا إلا قبيحاً؟!!

لكن أفكارها -المتطرفة- هذه تجمدت الآن أخيراً خلف شعور واحد ...

الخوف!

لو علم يامن بما تفعله فستكون مصيبة !!

لهذا ارتجفت شفتاها بخزي وهي تتمتم بحروف مهتزة:

_دكتور مروان...بتعمل إيه هنا؟!

_هنا في الشارع؟! واللا هنا بره "البتاع" اللي انتِ خارجة منه ده ؟!!





هتف بها باحتقار وهو يراقب ملامحها التي طالما عشقها بذهول ...

فاتنته "الصغيرة" التي ظن أنه ينتظر تفتح براعمها يفاجأ بها غارقة في بركة من وحل!!

مكالمة "هيثم" ليلة زفاف رانيا أشعلت المزيد من نيرانه

الآن وهو يتذكر فحواها ...

الغافل هيثم كان يظنه يامن فمضى يحكي له عن أفعالها الغريبة طالباً منه ملاحظة تصرفاتها خاصة مع تلك

الألعاب الالكترونية المخيفة التي دأبت على الهرب إليها بدافع المغامرة !





أجل ...فعلها هيثم ظناً منه أنه يؤدي واجبه نحوها بعدما أجبره عنادها أن يخرج من حياتها ...

ولم يدرِ أنه قد فتح عليها باباً من جحيم آخر ...

وهل أشد من جحيم عاشق أفاق من عذوبة حلمه على مرارة خذلانه؟!

لهذا قرر مراقبتها كي يتأكد مما سمعه ...وليته ما فعل!

ها هو ذا يجدها تخرج من ذاك المكان خالعة حجابها والآن تريد إعادة ارتدائه فقط لتكمل تمثيلية خداعها أمام أقاربها!

صحيحٌ أنه قد دخل وراءها -خفية- ليطمئن أنها وحدها

وألا أحد يضايقها ...





لكن صدره كان يغلي فوق مراجل الشك وهو يراقبها من بعيد لا يكاد يصدق أنها هي ...هي نفس الفتاة التي شغف بها حباً!

_مكنتش جوه...لا ...بصراحة كانت ...كانت حفلة ...حفلة عيد ميلاد واحدة صاحبتي وخفت أقول ليامن يرفض ...أصل...

قطعت كلماتها المتلعثمة الكاذبة وهي تطرق برأسها وقد شعرت أن كذبها مفضوحٌ أمام نظراته النارية ...

لكن ...مهلاً!

ما شأنه هو بها؟!

لولا خوفها من أن يفضحها أمام يامن لألقتها في وجهها بجرأة !





ماذا ؟! تراه معجبٌ بها؟!

نعم...هذا تفسير نظراته الغريبة نحوها والتي لاحظتها ليلة زفاف رانيا ...

آه ...هكذا إذن ؟!

فلتستغل إذن مشاعره هذه حتى تفلت من هذه الورطة وبعدها تتخلص منه كما ينبغي!!

هكذا فكرت بسرعة لتنتهز فرصة الدموع التي تجمعت

فعلاً في عينيها فذرفتها بحرارة مع استطرادها المنفعل:

_مش هتصدقني زيهم !! كلهم مش بيصدقوني ...طول عمري لوحدي...أنا عارفة إني ساعات بعمل حاجات غلط...بس أنا مش عارفة أنا عايزة إيه !





ورغم أنها ظنت أنها تخدعه بهذا التمثيل ...

لكن الحقيقة أنها لم تكن تمثل!

هي قالت ما كان يشتعل بصدرها الآن بمنتهى الدقة ...

ربما لهذا السبب لانت ملامحه نوعاً وهو يتأمل ملامحها بمزيج عواطفه الهادر...

ما أشبهها الآن بتلك الطفلة الباكية وحدها تحت الدرج ليلة وفاة والديها !

صورتها التي لم تغادر مخيلته من حينها وإن اختلطت بصورتها كشابة يافعة يتمنى لو تشاركه الطريق!!





لهذا تنحنح بخشونة وهو يهتف بنفس النبرة الغاضبة التي لانت قليلاً:

_تعالي أوصلك البيت ...واللا هتروحي في الوقت ده لوحدك ؟!

ورغم الاستنكار الممتزج باحتقار لم يخفَ عليها لكنها شعرت برضا خفي من هذا الاهتمام الذي هو "حاجتها وهوسها"!

لهذا تبعته مدفوعة بفكرتها لمهادنته مع ذاك الخاطر

الأخير الذي غزا مخيلتها ...

لو كان مروان هذا يعشقها حقاً فكيف سيكون حبه ؟!

هادئاً حنوناً كهيثم ؟!

صارماً متشككاً كيامن؟!





مهذباً متحفظاً كياسر؟!

أم لعله نوع آخر سيسرها العبث معه قليلاً كي يضيف المزيد من الإثارة لحياتها الخاوية !

لهذا ما كادت تستقل جواره سيارته حتى غمغمت بمسكنة :

_هتقول ليامن؟!

اختلس نظرة جانبية نحوها دون أن يرد ...

هو نفسه لم يكن يعرف الجواب!

الصواب هاهنا أن يخبر يامن عما عرفه عنها ويتركها هو لحياتها العابثة التي لم يكن ليصدقها لولا أن رآها بعينيه ...

لكن منذ متى تعترف القلوب بلغة "الصواب"!

أجل...قلبه الأحمق لايزال يظنها مسئوليته

هو ...عِرضه هو ...مصيره هو...





كيف غفل عنها هذا الحد حتى وصلت لما وصلت إليه هذا من انحلال؟!

هنا عاد يختلس نظرة نحوها ...سترتها المفتوحة تظهر بلوزتها الكارثية تحتها والتي تبقى مصيبة وحدها لعينيه...

تباً تباً !!

هنا ضرب على مقود السيارة بيده ليهتف بها بقسوة:

_البسي حجابك واقفلي الجاكيت ده !

عقدت حاجبيها بتمرد وهي تكاد ترد عليه متنمرة كما كانت تفعل مع هيثم لكنها تذكرت وضعها فاضطرت للامتثال لأمره صامتة وهي تكز على أسنانها متوعدة إياه بانتقام ...





لتعاود القول بنفس النبرة الراجية :

_أرجوك ماتقولش ليامن ...انت أكيد عارف طبعه ...وأنا والله مش هاعمل كده تاني .

لم يلتفت نحوها وهو يعاود التفكير ...

هو يعرف يامن وسلطان وساوسه على عقله...لو علم شيئاً عن كل هذا فربما جعلها تترك الجامعة بل إنه لن يسمح لها حتى بالخروج من البيت!

ماذا لو تقدم هو لخطبتها وعجل بالزواج؟!

هنا زفر بقوة وهو يدرك أن الخاطر الذي كان -قديماً- يملؤه بالسعادة الآن يجثم على صدره ككابوس ثقيل...

أتراه لايزال راغباً فيها بعد كل ما عرفه ؟!

وهل حقاً يمكنه ائتمانها على حياته لتكمل معه طريقه ما بقي من عمر؟!!





كان قد وصل لمكان قريب من بيتها فأوقف السيارة ليصمت قليلاً يتمالك غضبه قبل أن يقول دون أن ينظر إليها:

_انزلي وأنا هامشي وراكِ بالعربية لحد ما توصلي البيت..مايصحش حد يشوفك راجعة في عربيتي في وقت زي ده !

ترددت قليلاً وهي تشعر بالخوف يعاود مراودتها لكنه التفت نحوها ليردف بنبرة قاطعة:

_مش هاقول ليامن ...وانتِ هتبطلي كل تصرفاتك الغلط دي ...

ثم ألقى قنبلته الأخيرة:





_دكتور ياسر يبقى عمي ...ومراته قالتلي كل حاجة !

شحب وجهها بقوة مع شهقة عنيفة وهي تسترجع تاريخها الأسود مع المرأة كله لتهتف بصوت مرتجف بينما تهز سبابتها نفياً بانفعال:

_ما تصدقهاش...دي هي اللي حاطاني في دماغي...بتغير مني عشان...عشان...

عادت تنخرط بعدها في بكاء حقيقي وهي تشعر بالانهيار ...

كل الوحدة التي عايشتها في أيامها السابقة لا تساوي شيئاً أمام شعورها بالخزي أمام هذا "القبيح"!!





ترى ما الذي أخبرته به زوجة عمه ؟!

هل أخبرته عن إعجابها بزوجها ؟! أم عن علاقتها بهيثم؟!

هل أخبرته أنها رأته بين ذراعيه ذاك اليوم!!

ياللمصيبة!

ياللفضيحة!

يامن سيقتلها!!

وجوارها كان هو يقاوم بشدة أن يضمها لذراعيه ...أن يربت على ظهرها ليمنحها الأمان...

رغم كل ما مسه اليوم من نيران أنوثتها التي كانت خافية عن عينيه لكن كل هذا لا يساوي شيئاً أمام إحساسه بأنها لا تزال مجرد طفلة تفتقد الأمان والتوجيه !




هل كان متردداً بشأن الاستمرار في حبه العتيق لها؟!

الآن ...لم يعد كذلك!

سيحارب لأجلها ولو اضطر أن يقاتلها هي نفسها!!

لهذا أخذ نفساً عميقاً ليقول لها بنبرة صارمة:

_بطلي عياط لأن ده مش حل ...عايزك دلوقت توعديني تخللي بالك من مذاكرتك وتتظبطي كده أحسن لك !

ورغم خشونته التي استفزتها لكنها كانت عاجزة عن الرد عليه وسط كل هذا الخزي الذي يملأها الآن ...





فاكتفت بإيماءة طاعة قبل أن تغادر السيارة لتتحرك نحو بيتها وهي تشعر به يتحرك خلفها بسيارته...

ولم تكد تصل لمدخل البناية حتى توقفت لتنظر خلفها لعلها تستنتج من نظراته ما ينتويه ...

لكنها لم تصطدم سوى بزجاج نظارته الذي حجب عنها حديث عينيه ...

فاكتفت بإطراقتها وهي تصعد للبيت الذي كان خالياً

كالعادة ...

دخلت غرفتها لتخلع عنها سترتها بحركة عصبية ثم وقفت أمام مرآتها لتهتف بانفعال:

_وهو ماله المعقد ده عشان يهددني كده ؟!

ماشي ...أنا هاعرف إزاي أطربقها على دماغه قبل ما يفكر يعمل أي حاجة .





قالتها وقد راودتها فكرة شيطانية أن تستغل

اهتمامه بها حتى توقعه في شراكها كي تأمن مكره

لبعض الوقت ...

وبعدها تخبر يامن أنه هو من يضايقها ويحاصرها

بمعاكساته...

وهي تعرف وسواس يامن الذي ستجعله هذه المرة

يصب في مصلحتها هي!!

ويبدو أن الفكرة الأخيرة بردت نار غضبها قليلاً ...

لكنها لم تفلح في تبديد شعورها بالوحدة

والضياع...

فتحت حاسوبها تستعرض حسابها

الاليكتروني ...والآخر على "الفيسبوك" لتجد تلك

الصور لهيثم مع "شوشو" ...





فانعقد حاجباها بغضب وهي تشعر بالمزيد من الحسرة...

لتجد نفسها رغماً عنها تبحث في رسائلها عن رسائل العاشق الغامض الذي توقف عن إرسالها منذ زمن...

ورغم أنها لم ترد على واحدة منها يوماً إلا بعلامات استفهام غامضة...

لكنها الآن تشعر أنها تحتاج للمزيد منه ...

لهذا ترددت قليلاً قبل أن تكتب له بلغته "الفصحى" كما يحب:

_أحتاج صديقاً...فهل تقبل؟!

لم يصلها منه رد لدقائق طالت رغم رؤيتها لهذه النقاط التي تتحرك بسرعة أمامها موحية بأنه لايزال يكتب شيئاً...

حتى كادت تيأس من رده متهمة نفسها بالحماقة...

لكن قلبها تراقص بين ضلوعها أخيراً وهي ترى جوابه:

_العاشق لا يتحول لصديق..لكن العكس قد يحدث.

ابتسمت بسعادة وهي تشعر أن كلماته التي افتقدتها تعيد لها بعض التوازن ...

لو كان صادقاً في مشاعره حقاً كما تحس فهي تحتاج





فعلاً لهذا الحب الآن...

لهذا عادت تكتب له:

_من أنت؟!

_رجلٌ كتبكِ القدر في ماضيه ويرجو لو يكتبه نفس القدر في غدكِ!

يالله!

من أين يأتي هذا الرجل بكلماته هذه ؟!

وكيف تمس قلبها بهذا الشعور الغريب الذي يمنحها الأمان وهي التي لا تعرف عنه أي شئ ؟!

حتى لو كان وهماً!

حتى لو كان مجرد مزحة سخيفة من متحذلق!

وحتى لو كانت واحدة تريد فقط التحايل عليها !





لكنها ستبقى شاكرة لهذا الإحساس الذي يملأها الآن حتى ولو كان مبنياً على كذبة !

لهذا اتسعت ابتسامتها وهي تتنهد بحرارة لتعاود الكتابة :

_إذن دعني أعرفك كما تعرفني .

_لو منحتكِ مفتاح مدينتي...فلن تغادريها.

كتمت ضحكتها وهي تشعر بالإثارة تغزوها وقد بدأ الوضع يتخذ منحى المغامرة التي تعشقها ...

_اتفقنا.

كتبتها عابثة وهي تنتظر رده الذي تأخر كثيراً :

_طالما انتظرت هذا الوعد منكِ...ومادمت قد حصلت عليه فلا رجوع.





انعقد حاجباها قليلاً وهي تشعر ببعض الرهبة من عبارته...

تلك الرهبة الممتعة التي تشعرها بالحماس تماماً كتلك

الألعاب الالكترونية المثيرة التي دأبت عليها مؤخراً...

لكن طبيعتها اللعوب سولت لها أن تلاعبه بعصا الحرمان كي تؤجج شوقه ...

فعادت تكتب بسرعة :

_يكفي هذا اليوم...غداً أكتب لك.

قالتها ثم أغلقت شاشة الحاسوب بسرعة وهي تضحك باستمتاع واضعة كفها على شفتيها ...

كم تروق لها هذه "اللعبة"!!





لعلها تضفي المزيد من الإثارة على حياتها المملة!!

لكن يبدو أن القدر كان يدخر لها المزيد من الإثارة...

فلم تمض بضع دقائق حتى كان هاتفها يرن برقم كان لها يوماً أملاً بعيداً...

المخرج "معتز الشريف"!!

=========

جلست على مائدة السفرة حيث فرشت أوراق مذاكرتها كاملة كعادتها تحاول التركيز في دراستها لكن ذهنها كان مشتتاً بأفكاره ...

لاتزال الهوة تتسع بينها وبين رامز وكلاهما يمنعه كبرياؤه من التقدم خطوة نحو صاحبه ...





لقد كانت تعتمد على ثقتها الكاملة في حبه لها والآن تشعر أنها تفقد الخيوط من يدها واحداً تلو الآخر ...

حتى أنه عندما بات ليلته بالأمس خارج البيت ـ ورغم أنها لم تذق النوم خوفاً عليه ـ لم تستطع سؤاله أين كان ولا لماذا فعلها!!!

لكنها أقسمت بينها وبين نفسها إن كررها أن تقف له وقفة حاسمة ولن يضيرها لو كانت هذه نهاية قصتهما !!

انقبض قلبها بجزع عند خاطرها الأخير لكنها قاومت هذا الشعور وهي تسحب كتاباً من كتبها بحركة عصبية وكأنها تفرغ توترها فيه...





صوت رنين هاتفها بعدة رسائل وصلت لتوها يقاطعها ...

فتتناوله بلهفة لعلها تكون منه قبل أن تبتسم بحنان وهي تراها مجموعة من الصور التي أرسلتها إليها رانيا من الفندق الذي يقضيان فيه "شهر العسل"...

صور مشرقة تبدي سعادة شقيقتها الظاهرة والتي تناغمت مع سحر المناظر الطبيعية في تلك المدينة ...

لتتراجع ابتسامتها تدريجياً مع المزيد من الصور التي التقطها لهما أشرف في غرفة نومهما في الفندق ...





والتي كانت رانيا ترتدي فيها ثوب نوم قصير بلون أخضر مثير !

ازدردت ريقها بتوتر وهي تكاد ترسل لها تعليقاً معنفاً بأنه لا يليق بها الاحتفاظ بمثل هذه الصور ولا إرسالها لأي أحد...

لكن رانيا هي التي بادرتها برسالتها :

_(معلش الصورة الأخيرة دي جت غلط...امسحيها حالاً ...أشرف هيقتلني لو عرف إني بعتها لحد حتى لو انت)!

زفرت بضيق وهي تعاود تأمل الصورة بمشاعر متباينة...

غريبٌ جداً شكل رانيا بهذا القميص المثير ...





تذكرها بمظهر "بيللا" في ذاك المشهد الإباحي الذي رأته بها منذ سنوات ...

كيف ارتضت أن ترتدي شيئاً كهذا ولو لزوجها ؟!!

كيف تقبلت أن تظهر كالعاهرات المغويات فقط لترضي رجلاً أمامها؟!!

وكأنما تقول له :خذني هيت لك!

كيف يحترمها بعد ذلك وهو يراها تعرض جسدها بهذا الرخص وكأنها لا تملك غيره لتبهره به ؟!!

ورغماً عنها انتقلت عيناها لوجه أشرف في الصورة والذي كانت عيناه لا تحملان أياً مما يدور بذهنها ...





على العكس عيناه الغارقتان بعشقهما القديم كانتا تحتويان وجه شقيقتها بحنان وذراعه يطوقها بحمائية حب لا رغبة !

أغمضت عينيها بقوة وأصابعها تسارع بمسح الصورة ...

وكأنما استنكفت أن ترى شقيقتها بذاك المظهر الذي كان -في عينها- مهيناً مزرياً!!

عاودت فحص سجل الهاتف لعلها تجد مكالمة أو رسالة من رامز ...

والخيبة المريرة كانت نصيبها!

مسدت جبينها بتعب وهي تعود برأسها للخلف ...

لقد افتقدته حقاً وكم تكره هذا الشعور!





افتقدت دعاباته المرحة...لمساته الشغوف

الحنون ...وتلك النظرة في عينيه التي تخبرها أنها

شمسه الثانية في هذا العالم !

بل وافتقدت حتى كلمات عتابه التي يبدو أنه قد

يأس منها مؤخراً مكتفياً بصمته البارد !!

تباً!

لماذا يقف عقلها حائراً هذه المرة ولا يمنحها الحل

السليم ؟!

ربما...لأنها تعلم أن دواءها في علتها هذه

المرة !!!

أجل...العلة والدواء في التسليم لأمر قلب لا تثق

كثيراً في نداءاته!!





تنـهدت أخيراً بعمق وهي تحاول التشاغل عن التفكير فيه بشيء آخر لتتذكر حينها ما طلبه منها يامن بضرورة التقرب من داليا ...

تلك الصغيرة المدللة التي لا تدري ما مشكلتها ـ التافهةـ هذه المرة ؟!

واحدة في سنها لا ينبغي أن تفكر سوى في مذاكرتـها فحسب!

لـهذا اتصلت برقمها ليصلها صوت شقيقتها بكآبة غير معهودة:

_خير يا هانيا !

_إزيك يا داليا ؟! ماعدتيش بتتصلي بيّ ليه؟!

_مشغولة بالمذاكرة.

ولاتزال رنـة الكآبة الغريبة عن مرح شقيقتـها المألوف تقلقها ...فترد بنبرة أكثر رفقاً:





_هاعدي عليكِ بكرة في الجامعة نتغدى سوا .

_بلاش الجامعة!

قالتها داليا بنفس النبرة التي خالطها الآن المزيد من

الارتباك مع استطرادها:

_بذاكر في البيت أحسن ...ماعدتش بروح .

عقدت هانيا حاجبيها بشك وهي تشعر أن وساوس يامن في محلها لتقول لها أخيراً بنبرة حازمة :

_خلاص هاعدي عليك بكرة في البيت وآخدك ونروح أي حتة نتفسح ونتكلم .

قالتها ثم أغلقت الاتصال وهي تشعر بالمزيد من الضيق ...





كل ما حولها صار يشعرها بالحصار ...

خصام رامز ...وعبء مذاكرتها ....داليا بتصرفاتها الطائشة ...

وغادة هي الأخرى التي تشعر بتباعدها عنها هذه الأيام ولا تدري ما السبب !!

لتلقي الهاتف جانباً أخيراً بحركة عصبية قبل أن تهتف لنفسها :

_ركزي يا دكتورة...ماتخليش حاجة تشتتك عن مستقبلك...كل حاجة هتبقى تحت السيطرة .

قالتها ثم أخذت عدة أنفاس متلاحقة تتمالك بها بعض تركيزها ...

قبل أن تعاود النظر في الكتاب محاولة إنهاء الجزء المخصص لهذا اليوم !





==========

عاد من الخارج في التاسعة مساء تقريباً ليجدها نائمة فوق أوراقها على المائدة ...

انعقد حاجباه بمزيج من ضيق وإشفاق وهو يقترب منها أكثر ...

عيناه تحيدان نحو صينية الطعام التي وضعتها جوارها والتي احتوت شطيرة يابسة يبدو أنها ظلت مكانها لوقت طويل ،وكوباً بارداً من الشاي يبدو أنه لم يُمس!

أعاد مفاتيحه لجيبه بحذر محاولاً ألا يحدث صوتاً يوقظها ثم اقترب منها حتى كاد يلاصقها ...

ودون أن يشعر ...أو يفكر ...





انحنى برأسه ليقبل رأسها المدفون بين الأوراق قبل أن تنتقل قبلاته لعنقها وذراعها ...

آه...كم اشتاقها!

اشتاق ذوبانها المشتعل بين ذراعيه ...

اشتاق رحيق أنوثتها الذي يدرك أنه لم يكن من نصيب رجل غيره ...

اشتاق حتى لتمنّعها الأبيّ الذي لا يصمد كثيراً أمام غزو عاطفته !!

هي أخبرته منذ اليوم الأول من علاقتهما أن سفينة عاطفتها مثقوبة لكنه كان يثق كثيراً بقدرته على الإبحار بهما سوياً لبر الأمان...

تراه كان مبالغاً حقاً بهذه الثقة؟!





ابتعد عنها لتعبث أنامله في خصلات شعرها الناعمة التي لفتها بعشوائية حول نفسها فيما يسمونه "كحكة"...

قبل أن يشرد ببصره في تلك الليلة التي هاتفته فيها غادة تطلب منه سرعة الحضور إليها دون أن يخبر هانيا ....

ظل طوال الطريق يفكر في أي مصيبة وضعت فيها تلك البائسة نفسها كي تستدعيه بهذه الطريقة ...

لكنه لم يتوقع الحالة التي كانت عليها وهي تفتح له الباب ...

شعرها الأحمر -الكارثي- كان مشوشاً حول وجهها الذي أغرقته دموعها ...





C i n n a b o n

لكن الأسوأ كانت تلك الكدمة الزرقاء على جانب شفتيها...

والتي استدعت صدمته لوهلة قبل أن يهتف بحمائية ثائرة:

_إيه اللي حصل؟! مين اللي عمل فيكِ كده ؟!

انهارت في بكاء عنيف وهي تروي له كيف تجرأ زميلها في المكتب ليأتي إلى شقتها ويتهجم عليها حتى كاد ينتهكها لولا أن قاومته لينتهي به الأمر وقد هشمت المزهرية على رأسه،فخرج والدم ينزف منه متوعداً إياها بانتقام !

_إيه؟! هي حصلت ؟! أنا هاربيه الكلب ده !

هتف بها بنفس الحدة ليردف بعدها باستنكار:





_بس إزاي تخلليه يدخل؟! ومين جرأه يعمل كده ؟!
ما هو مش معقول هييجي كده من نفسه يتعدى عليكِ!

فاتسعت عيناها بنفس النظرة التي تثير جنونه من فرط ما تحمل من براءة وذعر خاصة مع تمتمتها وهي تحتضن جسدها بذراعيها:

_والله العظيم ما عملت حاجة...هو اللي كان...بيقول ...البواب قالله ...انت ...يوم...

انتهت تمتمتها بآهات خافتة وهي تنهار جالسة على الكرسي جوارها فزفر بضيق وهو يجلس جوارها دون أن يغلق الباب ليقول محاولاً تمالك غضبه:





_اهدي يا غادة...أنا مش بتهمك بحاجة...أنا عارف أخلاقك كويس بس مش منطقي إنه أي حد يروح لواحدة بيتها

بالجرأة دي؟!

رفعت إليه عينيها الواهنتين بدموعهما وهي تعاود تمتمها المرتبكة التي فهم منها أن ذاك الوغد علم من بواب العمارة أنه -رامز- صحبها إلى هنا تلك الليلة التي غادرت فيها بيته وهو يحمل حقيبتها ...

وما بقي من سوء ظنه لا يحتاج لتأويل!

خاصة بعد زيارة هانيا للشركة والتي اصطحبتها معها للخارج وهي غاضبة !

فانعقد حاجباه وهو يطلق لعنة خافتة ليهتف بانفعال:




_تفكير قذر زيه ...كويس إنك كسرت دماغه ...أنا هاعرفه شغله بكرة...هاقدم فيه شكوى للمدير وأقعده في بيتهم الحقير السافل....

لكنها قاطعته برجائها:

_أرجوك يا رامز ...مش عايزة الموضوع يكبر ...أنا كلمتك عشان كنت خايفة يرجع تاني ومالقتش غيرك ألجأ له..أنا مش عارفة أعمل إيه !

بمنتهى الضعف قالتها وهي تتلفت حولها بقلة حيلة لتردف:

_لو ماكنتش محتاجة الشغل كنت سبتهوله...بس أنا فعلاً محتاجاه ..

قالتها وعيناها تتعلقان بغرفة نومها مع أحمد وكأنها تشرح له بلا كلمات سبب بقائها هاهنا ...





ليهز رأسه بأسف قائلاً:

_ما تقلقيش ...بكرة هاتصرف .

_هتعمل إيه؟!

سألته بخوف وهي تحاول منع دموعها المنهمرة ليقف

قائلاً بنبرة مطمئنة:

_ماتخافيش...هاحلها من غير شوشرة.

ارتجفت شفتاها بما يشبه ابتسامة امتنان فتنهد ليردف بإشفاق:

_لازم تبقي أقوى من كده يا غادة...أنا عارف إن الكلام سهل والتنفيذ صعب بس لازم تحاولي .

أومأت برأسها بعجز وهي تقف بدورها فرمقها بنظرة طويلة مشفقة ثم أعطاها ظهره لينصرف قبل أن تستوقفه برجائها:





_ماتقولش لهانيا .

كاد يبتسم ساخراً ويرد عليها أن صديقتها -التي هي السبب في كل هذا- لن تسمح لنفسها بأن تعترف بغيرة تنتقص من قدر مقامها العظيم...

لكنه آثر الصمت وهو يهز رأسه موافقاً لينصرف تتبعه عبارتها التي ترن في أذنيه من آن لآخر:

_مالقتش غيرك ألجأ له.

تنهد بحرارة عندما عاد للواقع وهو يرمق هانيا النائمة أمامه بنظرة غريبة...





يتذكر كيف تتعمد دوماً أن تشعره أنها مكتفيةٌ بنفسها مستغنية عنه وعن أي أحد ...

لايزال يذكر عندما صدمت أحدهم بسيارتها ذات يوم لتصيبه بأذى بالغ وتصطحبه للمشفى لكنها تدبرت الأمر وحدها حتى أخبرته به ليلاً وكأنه مجرد خبر تافه!

تماماً كما يذكر كيف كان يدعوها طوال فترة خطوبتهما لمشاركتها شراء مستلزماتها أو قضاء بعض حوائجها لكنها كانت تفاجئه دوماً بإنجاز مهامها وحدها ...

وقتها كان يشعر بالكثير من الفخر مدركاً قيمة هذه العبارة التي قرأها يوماً (لاتخش من الارتباط




بامرأة قوية فقد يأتي يوم وتكون هي فيه جيشك الوحيد)...

لكنه الآن يدرك أنه لم يعد راضياً عن هذا ...

هو يريدها قوية به ...لا عليه ...ولا دونه!

يريدها واهنة عاشقة خجول لا جادة صلبة مستغنية!!

لماذا لا يلهمها ذكاؤها الموازنة بين صلابتها ورقة ضعفها ؟!

لماذا لا تُسمعه دوماً عبارة كعبارة صديقتها

(مالقتش غيرك ألجأ له)!

اللعنة!!!




هذه المقارنة من جديد تؤرق ذهنه !!

تعاود أرجحته بين "أنثى يعشقها" و "أنثى ترضي غرور رجولته"!!

تململت هانيا أخيراً وهي تشعر به لترفع رأسها نحوه ببعض الدهشة قبل أن تتأوه لتغمغم بصوت ناعس:

_هي الساعة كم؟!

لكنه عاود ارتداء قناع بروده ليجيبها:

_داخلة على عشرة .

عادت تتأوه وهي تمسد جبينها فاستجلبت المزيد من إشفاقه خلف قناع جليده هذا خاصة عندما ترنحت وهي تقوم لتقول بنبرة منهكة:

_مش قادرة..هانام ساعة بس وأرجع أكمل.





قالتها وهي تتجه نحو غرفة النوم قبل أن تتوقف قليلاً لتلتفت نحوه بسؤاله:

_أحضر لك الأكل الأول؟

_أكلت عند ماما زي كل يوم.

قالها بنفس البرود وهو يشيح بوجهه عنها فتحركت نحوه بشعورها بالذنب لتغمغم بنبرتها الجافة:

_أنا كل يوم ببقى محضرة الأكل ...انت اللي ما بترضاش تاكل هنا.

قالتها بنبرة مدافعة فالتوت شفتاه بابتسامة ساخرة رافقت قوله المستهجن:

_معلش...مش وش نعمة.

عقدت حاجبيها بضيق وكبرياؤها يسول لها تركه وشأنه ...




لكنها ترددت قليلاً ثم تقدمت خطوة أخرى لتسأله بنبرة لم تملك جفافها:

_كنت بايت فين امبارح؟!

_لسه واخدة بالك تسألي؟!

_لو مش عايز تقول براحتك...بس لو اتكررت تاني هترجع مش هتلاقيني هنا.

هتفت بها بغضب فجره ضيقها منه...ومن نفسها قبله !!!

لماذا لا تصارحه بأنها -ببساطة- اشتاقته ؟!

لماذا لا تحاول استرضاءه ولو بمجرد كلمة؟!

بل لماذا -وهو أيسر السبل هنا- لا ترقق لهجتها الشبيهة بقذف المدافع هذه ؟!





والجواب كان كامناً بداخلها تخشى الاعتراف به....

هي تخاف ضعفها أمامه تحت سيف الحب!

لهذا دمعت عيناها بعجز يناقض كل هذه القوة التي تدعيها عندما رد هو ببروده القاتل:

_وانتِ أصلاً هنا؟!

تكاثفت دموعِ العجز في عينيها وقد انفرجت شفتاها تهمان بالرد لكنها لم تجد كلماتها ...

لماذا لا يكف عن بروده السخيف هذا ويحتضنها ؟!

هي لا تريد منه الآن سوى هذا!!

أجل تحتاج عناقاً يطمئنها أنه هنا معها ...لن تخسره...لن تفقده كما فقدت من أحبتهم يوماً!!





بينما تجاهل هو كل هذا عامداً ليجيبها بنفس البرود الذي يخفي اشتعال صدره هو الآخر:

_كنت بايت عند ماما عشان كانت تعبانة .

ارتفع حاجباها بصدمة لتغمغم بارتباك:

_تعبانة ؟! مالها ...ألف سلامة...مكنتش أعرف.

_وهتعرفي منين ؟! طالما حضرتك حابسة نفسك في برج عالي وكل همك دراستك وبس؟!

قالها بنفس الاستهجان البارد فرمقته بنظرة حملت كل مشاعرها قبل أن تدفن وجهها بين كفيها وهي تشعر

بالمزيد من التعب الجسدي والنفسي...

بينما تحولت نظراته الباردة لأخرى مشفقة وهو يشعر أنها -مثله- متعَبة...مستنزفة...





لهذا تقدم منها خطوة ليقول بنفس النبرة الجليدية:

_أنا رايح فرح واحد زميلنا في الشغل بعد شوية ...لو حابة تيجي معايا جهزي نفسك.

لكنها بدت وكأنها لم تسمعه لبضع ثوانٍ قبل أن تزيح كفيها عن وجهها لترفع رأسها للسقف بقولها المنهَك:

_لا مش هينفع...لو لقيت نفسي قادرة بس ممكن أعدي على مامتك أطمن عليها .

_ماتتعبيش نفسك...هي بقت كويسة.

قالها بنفس البرود الساخر فحدجته بنظرة عاتبة ثم أعطته ظهرها لتتوجه نحو غرفة النوم التي ما عاد يشاركها فيها ...

ولم تكد تصلها حتى وصلها صوته من الخارج كسهم غادر:




_غادة رايحة...هاعدي عليها أخدها معايا .

=========

استلقت على "فراش أحمد" كما يحلو لها الآن تسميته وهي تحتضن وسادته لعلها تمنحها بعض الأمان ...

منذ تلك الليلة التي تهجم فيها عليها ذاك الرجل وهي تشعر أنها عادت تلك الأنثى المنتهَكة التي يراها الجميع رمزاً للخطيئة ...

حتى أبسط التصرفات تتلقاها عيونهم كدعوة صريحة للزلل ...

لازالت تذكر صدمتها ليلتها عندما فتحت له الباب لتجده يرمقها بتلك النظرات الحارقة التي تعريها من ثيابها ...ومن آدميتها ...





الرعب الذي تملكها وقتها جعلها تتجمد مكانها -كعادتها- وهي تراه يدفع الباب ليدخل بمنتهى الجرأة ويغلق الباب خلفه...

الخوف الرهيب يشل أطرافها وهي تسترجع ذكريات مشابهة...

رائحة "الفراولة"...دبها القطني ...بيت المكعبات الذي تهدم...

الإحساس المقيت لتلك اللمسات القذرة وكأنها أفعى تزحف على جسدها ...

كل هذا عقد لسانها وأصابها بما يشبه الشلل ...

هذا الذي وصله هو على أنه قبول ليمنحه شارة البدء فيما ظنها راضية عنه...

ساعتها فقط استفاقت من صدمتها وهي تحاول





استجلاب قوة تدرك أنها تنقصها كثيراً ...

لكن محاولاتها الفاشلة لم تزده سوى عنفاً وهو

يظنها مجرد تمنع لإثارته أكثر ...

فتتداخل الصور بعينيها ثانية...

تشل جسدها من جديد بهذا الوهن الذي لا يد لها

فيه ...

لكن نظرة واحدة لغرفة أحمد ...لفِراشه هناك الذي

طالما منحها عليه أسمى معاني الحب ...

جعلتها تنتفض من مكانها وكأنما تلبستها روح

امرأة أخرى لتتناول أقرب ما طالته يداها وتهوي

بها على رأس ذاك الوغد ...

مشهد الدم يسيل منه يعود ليشعل خوفها من

جديد ...





خاصة مع سبابه ولعناته التي كانت تنهال عليها ...

_(عاملة نفسك شريفة يا (.....)...واللا هو حرام علينا حلال لرامز بيه؟!)

تسد أذنيها بكفيها وهي تكتم صرخاتها ...

هي لا تريد أن تسمع ...لا تريد أن تسمع ....

تغمض عينيها بقوة حتى لا تراه...

فقط كلمات أحمد ترن بأذنيها ...

(عشان انتِ من جوه نظيفة)..

هنا فقط تنساب أناتها الخافتة مع نزيف دموعها وهي تتمتم لنفسها وكأنها تقنعها ...

(نظيفة....نظيفة)...





تأوهت بقوة عندما وصلت بذكرياتها إلى هذا الحد وهي تضم الوسادة لصدرها أكثر ...

صدرها يكاد ينشق من فرط ما تحسه من ألم لا تجد من تبوح له به...

حتى هانيا!

لأول مرة تشعر بالخزي من أن تعترف لها بشيء ...

خاصة بعد نظراتها لها في آخر لقاء بينهما ...

يبدو أن العيب فيها هي ...هي التي ستبقى في عيونهم جميعاً مذنبة تستحق الرجم !

حتى رامز ليلتها كان ينظر إليها وكأنها...!

رامز؟!





رامز!

شعور غريب بالارتياح انتابها واسمه يمر الآن على خاطرها ...

لتتذكر كيف استطاع حل الأمر بتكتم كما وعدها ...

إلى الآن لا تعرف ماذا فعل لكن زميلها الوغد ذاك قد وصله بعدها بيومين قرارٌ بالنقل لمكان آخر ولم يتعرض لها بعدها بكلمة !

هي أيضاً استحت أن تسأل رامز عما فعله وهو اكتفى بعبارته:

(ما تقلقيش..مش هيضايقك تاني)




جميلٌ هذا الوعد الذي صدق فيه ...

جميل وهو يمنحها بعض قطرات الأمان التي يفتقدها

عالمها ...

جميل وهو يشعرها -ولو قليلاً- بأن ظهرها لا يزال يجد وسط كل هذا الفراغ حائطاً يستند إليه !

تنهدت بحرارة عند الخاطر الأخير وهي تنظر للساعة المعلقة أمامها ...

لقد اقترب موعد حفل زفاف زميلها الذي سيعقد قرانه على إحدى زميلاتهم أيضاً في العمل ...

فتاة لطيفة دعتها بنفسها وأكدت عليها الحضور ...





ورغم أنها وعدتها لكنها لا تشعر برغبة حقيقية في فعلها ...ستبقى هاهنا تجتر ذكرياتها ب"فراش أحمد"...

مالها وللناس؟!

فلتبقَ هي بعزلتها ...وليهنأوا هم بسوء ظنونهم!

=======

استقل رامز السيارة جوارها وهو يختلس نظرة نحوها ...

منذ متى لم يرَها بهذه الأنوثة الطاغية ؟!

منذ ليلة زفافهما تقريباً!!

كانت ترتدي ثوباً للسهرات بدا وكأنه قد قسم طولياً لنصفين...





أحدهما أسود قاتم والآخر بلون الكراميل الذهبي ...

تصميمه بسيط كلاسيكي لا يميزه سوى التصاقه بمنحنياتها التي منحته هذا الشكل المغري ...

لأول مرة يرى امرأة تضيف جمالاً للثوب ...لا العكس!

أو-ربما- هي عينه العاشقة المحرومة التي كانت ترى في ذاك اللون الذهبي بالذات مذاقاً آخر على بشرتها القمحية...

خاصة مع لون حجابها الذي اختارته بدرجة أفتح قليلاً وقد زادت من كثافة الكحل حول عينيها ليظهر لونهما الذي يعشقه...

يالله!!





كم يلزمه الآن من الصبر كي يستمر في بروده اللعين هذا مقاوماً رغبته في غرسها على صدره بعد أن يحطم رأسها -السخيف- هذا أولاً؟!

قام بتشغيل السيارة ليقودها نحو القاعة التي يقام فيها حفل الزفاف والذي فاجأته منذ قليل أنها تود حضوره معه!!

ساعتها ابتسم ساخراً وهو يكاد يذكرها بانشغالها في مذاكرتها ..

ولكن عز عليه أن تتقدم هي منه خطوة ضد كبريائها ولا يقدّر هذا لها!





لهذا اكتفى بصمته بعدها والذي جازته هي عنه بنفس الصمت وإن كان يشعر أن صمتها هذه المرة يخفي الكثير من الغيرة...

أجل...الأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء كي يدرك أنها لم تفعلها إلا بعدما صرح لها أنه سيصطحب غادة معه ...

يبدو أن "مفتاح" قلبها العصيّ هذا يكمن في غيرته...

حسناً...سيستغل هذا لأبعد حد !

عاد يختلس نظرة أخرى نحوها وقد تحركت عفوياً ليرتفع طرف ثوبها قليلاً فيبدو من تحته حذاؤها الذهبي ذو الكعب العالي الذي جعله يضم شفتيه مقاوماً انفعاله...





الحذاء المفتوح بسيوره الرفيعة كان يحتضن قدمها الناعمة ليبدو في أعظم تجانس رآه بين هذا اللون وبشرتها ...

لا يدري لماذا يعجبه هذا اللون بالذات عليها ...

ربما لأنه تذكره حقاً ب"الذهب"!

كلما اشتدت عليه نيرانه لم تزده إلا نقاء وصلابة!

_أيوة يا غادة ...هتيجي الفرح؟!

انتبه من شروده على عبارتها وهي تمسك هاتفها فأرهف سمعه يصغي مع عبارتها الأخرى:





_خلاص براحتك....ما تضغطيش على نفسك...لو كنتِ هتروحي كنا هنعدي عليكِ بس خلاص ...تصبحي على خير .

شعر ببعض الضيق وهو يدرك أن وجود غادة كان سيدعم خطته بإثارة غيرة هذه "الذهبية الجامدة"...

لكن هذا لم يمنع إحساسه بالرضا من تغيب غادة بالذات عن محيطهما خاصة بعد الإشاعات الأخيرة التي نالتهما في الشركة بتدبير اللعينة يارا وزميلهما الوغد الذي تدخل لنقله لمكان آخر بعد فعلته .

وجواره كانت هانيا غائبة في وادٍ آخر وهي تشعر





بالاختناق...

هي تتصرف عكس طبيعتها ...وهذه وحدها كارثة!

عندما أخبرها أنه سيمر على غادة ليصطحبها معه

وكأنما أصابها مسٌ من الجنون !

لا تدري لماذا تخيلتها وقتها وهي تتأبط ذراعه

لتدخل معه وسط الجميع وتراقصه!

مشهد متطرف لا تدري من أين أتت به!!

أين ثقتها في صديقتها؟!

أين ثقتها فيه ؟!

بل أين ثقتها في نفسها التي طالما تغنت بها؟!!

ربما هو خوفها من فقده الذي يزداد يوماً بعد يوم

مع جفائه الأخير ...





وربما هو ماضيه الذي أعرب لها عنه ببساطة متفاخراً وكأنما يرغب أن يعيده ...

وربما هو خوفها من ـضعف ـ غادة المهيمن عليها دوماً والذي تدرك هي أكثر من غيرها أنه يقودها دوماً للكوارث !!

رباه!!

لو كانت الأمور تسير بطبيعتها لضغطت هي على غادة كي تدفعها للخروج معهما كما كانت دوماً تفعل.....

للتخلص من وحدتها التي تكاد تورثها الجنون...

لنسيان الماضي والانخراط وسط الناس لتعزيز ثقتها بنفسها ...

لكنها ...ويالخجلها من نفسها ...تدفعها للعكس!





لقد رضيت منها برفضها للخروج معهما ولم تحاول حتى إثناءها بكلمة وكأنها تشبثت بضعف صديقتها لتخفي خلفه ضعفها هي!!

يالله!

لقد ظنت نفسها أقوى من هذا ...لكنها تنحدر بسلاسة في ذاك الجرف الذي طالما عفت نفسها عنه...

الأنانية...الشك...الضعف...

المثلث الأخطر الذي تحبس أضلاعه كل المعاني التي كرهتها ...

والآن تجد نفسها محاصرة في أحد زواياه!





_وصلنا.

قالها رامز وهو يوقف السيارة قبل أن يترجل منها ليفتح لها الباب ...

تناول كفها في راحته وقد عجز عن منع عينيه من رسم تفاصيل أنوثتها ...

لترتجف شفتاها بابتسامة رضا وشعور الثقة يجتاحها من جديد رويداً رويداً...

كانت تسير جواره وهي شبه غافلة عن الحضور ...

توزع ابتسامتها الرسمية هنا وهناك لكنها لم تكن تعي شيئاً سوى تشبث أصابعه بكفها ...

حتى أنه لم يتركه من يده حتى استقرا مكانهما على أحد الموائد فأطرقت برأسها وهي تشعر بنزيف





أفكارها يعاود مراودتها والذي قطعه قوله جوارها بنفس النبرة الباردة التي تناقض كل ما يشعر به:

_عارف إنك جاية غصب..نصف ساعة بس ونمشي .

آه..كم تود الآن لو تخبره أنها ليست نادمة على القدوم...

أنها راضية ببقاء كفها في يده ويكفيها منه هذا الشعور ...

أنها تشتاق لدفء كلماته البعيد تماماً عن بروده المصطنع هذا ...

لكن طبعها غلب تطبعها وهي ترفع له عينيها بقولها الجاف:





_مفيش مشكلة...هاعوض الوقت بالليل وأسهر شوية أخلص اللي ورايا.

رمقها بنظرة ساخطة ليس فقط من كلماتها الجافة...

ولكن لأن جلستها جواره جعلته يلاصق الجانب الأسود من ثوبها ...

لهذا قام ليعدل جلسته للجانب الآخر منها تحت نظراتها المندهشة خاصة مع قوله الذي لم تفهمه:

_المنظر من هنا أحلى!

وفي مكانها كانت يارا ترقبهم بحقد وهي تلاحظ تعلق نظراته بها وكأنه لا يرى سواها ...




بل إنه لم يترك كفها من يده منذ وصلا إلى

الحفل ...

_عامل نفسه "هاري تشارلز" ومابيسيبش إيدها

حتى وهو بيسلم على الناس...ماشي يا

رامز ...هنشوف آخرتها .

تمتمت بها لنفسها بتوعد قبل أن تلتمع عيناها وهي

ترى هانيا تغادر مائدتهما نحو الحمام القريب ...

فتخمرت الفكرة برأسها سريعاً وهي تتحرك

لتنفذها ...

=========





_يظهر إن رامز ومراته اتصالحوا .

_هم كانوا متخانقين؟!

_يوووه! انتِ متعرفيش ...دي حكايته مع غادة الناس كلها عارفاها.

_لا حرام...رامز محترم ومش بتاع الحاجات دي.

_يا حبيبتي انتِ ما سمعتيش المثل اللي بيقول : مفيش رجل ما بيصبش بس فيه راجل بياخد فكرة وراجل بياخد المقاسات .

_وهو بقا أخد المقاسات؟!

_شكله كده ...ده نقل الراجل الغلبان اللي كان عينه منها عشان يخلى له الجو .

_آه...قلتيلي ...وأنا برضه بقول اتنقل ليه من غير سبب!





شحب وجه هانيا أمام مرآة الحمام وهي تستمع لهذا الحوار الذي وصلها من الخارج ...

استغرقت دقيقة كاملة لتستوعب هذا الذي سمعته قبل أن تخرج بسرعة لتتبين المرأتين اللتين كانتا تتحدثان لكنها لم تجد أحداً...

ظلت تتلفت يميناً ويساراً وهي تقبض كفها بقوة وكأنها على وشك لكم أحدهم قبل أن تنتبه لنفسها فرفعت رأسها للأعلى لتأخذ نفساً عميقاً قبل أن تتحرك بخطوات ثابتة نحو مائدة زوجها ...

نظر إليها من بعيد بقلق وهو يلاحظ تلاحق أنفاسها وحركة صدرها الهادرة صعوداً وهبوطاً ...

اقتربت أكثر ليلاحظ تجمع الدموع في عينيها مع احمرار وجنتيها فوقف مكانه بجزع ليتقدم نحوها





لكنه ما كاد يصل إليها حتى تعثر كعب حذائها العالي بطرف السجادة ليتلقفها ذراعاه ...

_مالك؟!

قالها بقلق وهو يشعر بارتجافة انفعالها بين ذراعيه لترمقه بنظرة طويلة غامضة...

قبل أن تشيح بوجهها ...

لتراها !!

أجل...غادة !!

غادة التي عجزت عن البقاء وحدها مع هواجسها وذكريات حزنها لتقرر القدوم إلى هنا ...

في هذه اللحظة بالذات ...وليتها ما فعلت !





فهناك كانت هانيا تنظر إليها بغرابة...

تراقب ثوبها الأسود ذي الشريط النبيذي البراق على كتفه والذي اشترته هي نفسها لها ذات يوم كهدية !

اشترته وهي تدرك كم سيناسب لون شريطه هذا لمعة شعرها الأحمر البراقة!

اشترته وهي تتمنى طوال الطريق أن يناسب جسدها ولم تكد تراها فيه حتى احتضنتها بقوة هاتفة :

(تجنني)!

لماذا الآن تشعر بسواد الثوب ينقلب لألسنة من لهب؟!





بشريطه النبيذي الملتف حول كتفي صديقتها يبدو لها كأفعى تخرج لها لسانها؟!

منذ متى تشعر بجمال صديقتها الصارخ شيطانياً هكذا؟!

هل هذه مشيتها الطبيعية التي تبدو وكأنها تتمايل فيها مستعرضة أنوثتها؟!

هل هذه نظراتها المعتادة نحو رامز؟!

لماذا تشعر إذن أن بينهما حديثاً لا تفهمه؟!!

_إزيك يا هانيا ؟! مالك؟!

قالتها غادة بدهشة وهي تجد رامز يسندها بذراعيه فتمالكت هانيا نفسها لتبتعد عنه قائلة بنبرتها الجافة التي ارتجفت الآن رغماً عنها:

_اتكعبلت بس قمت تاني!





عقدت غادة حاجبيها باستغراب من جفاف نبرتها وعبارتها التي بدت وكأنها تحمل ما يفوق معناها ...

فوجهت لرامز نظرة متسائلة لكنه كان غافلاً عنها بتفحص زوجته هو الآخر ...

خاصة عندما أردفت هانيا بنفس النبرة:

_كويس إنك جيتِ عشان رامز ما يقعدش لوحده ...أنا ماشية.

اتسعت عينا غادة بصدمة من فظاظة أسلوب صديقتها معها والذي تعاينه هكذا لأول مرة...

بينما عقد رامز حاجبيه بغضب وهو يشعر بالعيون مسلطة عليهم...





لو انصرفت هانيا الآن هكذا بمجرد دخول غادة فستؤكد على صدق هذه الإشاعات التي تدور حولهما ...

لهذا أمسك ذراعها بقوة ليقول بصرامة:

_مش هتمشي دلوقت....ربع ساعة وهنمشي كلنا سوا.

لكنها خلصت ذراعها منه لتقول بحزم:

_هامشي دلوقت...ولو عايز تقعد براحتك.

_ماتحرجنيش قدام الناس ...قلت لك اقعدي.

_وأنا قلت هامشي.

اشتعل الغضب في عينيه أكثر وهو يشعر أن الكيل قد فاض به هذه المرة ليرمقها بنظرات هادرة طالت لثوانٍ...





قبل أن يغمغم من بين أسنانه بقسوة:

_لو مشيتِ دلوقت مترجعيش البيت !

شهقت غادة بجزع وهي تتراجع خطوة للخلف لكن هانيا مسحت دمعة فرت من طرف عينها لتقول له بكبريائها المعهود:

_أنا برضه بقول كده أحسن.

ازداد انعقاد حاجبيه وهو يكز على أسنانه بقوة يكاد يحطمها ...

لكنها لم تلتفت نحوه وهي تتناول حقيبتها لتغادر ولم تكد غادة تلحق بها لتسألها عن سبب كل هذا حتى هتفت بها بحزم:

_ماليش مزاج أتكلم الليلة دي يا غادة...

ثم ارتجفت شفتاها بابتسامة ساخرة ناسبت قولها:





_ارجعي انتِ الحفلة واتبسطي...خسارة تلبسي فستان زي ده وما تفرحيش بيه.

وقفت غادة مكانها مصدومة تراقب ظهر صديقتها المنصرف بنظرات مشتتة...

منذ متى تحدثها هانيا بهذه الطريقة ؟!

وماذا تعني بإشارتها لثوبها ؟!

خفضت بصرها للأسفل وهي تتحسس الشريط النبيذي للثوب بأنامل مرتجفة...

قبل أن تعود بعينيها للأضواء المتلألئة هناك في القاعة ...

والتي حجبتها الآن دموعها وهي تشعر بلعنتها الأبدية تطاردها ...

تلفّها برداء يبدو أنه لن يخلعه عنها إلا الموت ...





وتصمُها بالكلمة الخالدة :"مدنسة"!

========

بعد شهر من الأحداث السابقة...

استيقظ من نومه صباحاً بعد كابوس عنيف كعهده منذ بضعة أيام ...

وبالتحديد منذ سافرت سيلين بعدما عجزت عن نيل مرادها منه...

من المفترض أن يشعره هذا بالظفر لكنه على العكس لا يجد في حلقه سوى مرارة لا يعرف سببها ...

أو هو يعرفه لكنه لا يريد الاستسلام له...





(هابعتلك كل يوم صورة لابنك ...بص له كويس ...عشان تشوفه وهو بيكبر وبيكبر معاه كرهه ليك)

زفر بقوة وهو يسترجع عبارتها القاتلة تزامناً مع تلك الصور التي أرسلتها له ...

هل هو حقاً ابنه ؟!

لماذا إذن رفضت أن تجري هذا التحليل له ؟!

لا ...لن ينخدع بتمثيليتها المفضوحة هذه المرة ...

حتى وهو يشعر أن الرضيع نسخة من ملامحه هو...

هراء!

كلهم يتشابهون في هذا السن ...مجرد قطعة لحم حمراء ...هو فقط تأثير الإيحاء ...




لكن...ماذا لو كان حقاً ابنه؟!

هل سيقوى على أن يعيد مأساته كما تقول

ياسمين ....

ياسمين ؟!

أين ياسمين؟!

تلفت جواره ليجد الفراش خالياً منها على غير

عادتها كل صباح...

فنفض عنه الغطاء ليقوم وإذا به يجدها جالسةً على

الأرض أمام السرير تسند ظهرها له ...

ابتسم بحنان وهو يقترب منها لتشعر هي به فتهتف

بنبرتها الحيوية:

_صباح الخير ...نمت كويس؟!





اتسعت ابتسامته وهو يجلس جوارها على الأرض ليستند مثلها على ظهر السرير قائلاً بلهجته العابثة:

_بتعملي إيه ع الصبح كده على الأرض ؟! يوجا برضه؟!

لكنها هزت رأسها نفياً وهي ترفع هاتفها نحوه لتقول بنفس النبرة التي خالطها بعض الشجن:

_صحيت لقيت بابا باعتلي دول ...مجموعة صور ليّ أنا وهو وماما وأنا صغيرة.

انعقد حاجباه ل-المفارقة- ولايزال أثر كابوسه مع أفكاره عن سيلين وابنها يؤرقه... لكنه نفض عنه هذا الخاطر مع قوله:

_وريني كده .





تلاعبت أناملها بشاشة الهاتف للحظات كي تفتح الصور مع قولها :

_دي أول واحدة..ماما الله يرحمها وهي شايلاني.

_شبهك قوي.

قالها وهو يميل رأسه نحوها فابتسمت لترد بشرود:

_أجمل نعمة لما ربنا يخليك تشبه شخص عزيز عليك..متعرفش بحس بإيه لما ببص في المراية وبحس إن ملامحي بتفكرني بيها ...الله يرحمها .

تمتم بدعاء خافت لها بالرحمة وهو يشعر بالحزن الذي كسا ملامحها الرقيقة لهذا عاد يهتف بنبرته العابثة:

_لا ...أنا كده مش شايف كويس...رقبتي هتتلوح...





ثم أحاط خصرها فجأة بقبضتيه ليرفعها فيجلسها بين ساقيه المفرودتين مسنداً ظهرها إلى صدره ...

ثم تناول منها الهاتف بحركة خاطفة وسط تأوهات دهشتها ...ليحيط جسدها بذراعيه بينما يمسك الهاتف بكفيه قائلاً بنفس النبرة العابثة:

_مش كده نشوف احنا الاتنين أحسن؟!

ورغم شعور الخجل الذي انتابها هذه اللحظة لكنها كانت تشعر بأمان عجيب في جلستهما هذه وجسده يحاوط جسدها بكامله كأنها قطعة منه...

لكن هذا لم يمنع ذبذبات ارتباكها التي وصلته فحاول التغلب عليها بدعاباته وهو يقلب الصور :

_كنتِ طفلة "قلبوظة" امال إيه اللي قلبك "سفروتة" كده ؟!





ابتسمت وهي تنظر له من خلف كتفيها بارتباك لذيذ ليغمزها مردفاً بنفس النبرة:

_تخيلي لو كنتِ فضلتِ "قلبوظة" كده بطولك ده ...كان زماني بدحرجك دلوقت في الجنينة !

ضحكت بانطلاق وهي تسند ظهرها لصدره أكثر ثم عادت تنظر للأمام بينما هو يقلب الصور مع المزيد من تعليقاته المشاكسة :

_أسنانك كانت بايظة قوي ...لو كنت شفتك وقتها كان زمانك بقيتِ زبونة مستديمة عندي ...وده إيه كمان ؟!

_ده دبدوب قطعت راسه ولبسته راس عروسة تانية !

_ميول إجرامية مبكرة ما شاء الله ...الواحد المفروض يخاف على نفسه بقا.





قالها ساخراً ليعلو صوت ضحكتها من جديد قبل أن يعود ويقلب الصور بقوله :

_أيوه بقا...بحر ورمل وابتسامة بنوتة و.....إيه ده ؟! بيكينيييييي!!!!!

هتف بها بنبرة عابثة وهو يطيل مقاطعها متعمداً بينما عيناه تلتهمان صورتها الطفولية في "مايوه" من قطعتين بلون البحر ...

فاحمرت وجنتاها انفعالاً وخجلاً لتتمتم دون أن تنظر إليه:

_دي المرة الوحيدة اللي لبسته ...ماما ماكانتش بترضى تلبسهوني أبداً ...كانت بتخاف عليّ.

_عندها حق!



همس بها بنبرة أرق وهو يشدد ضغط ذراعيه حولها مردفاً:

_تخيلي لو لبستيه دلوقت بس بألوان الطيف اللي بتحبيها ...وشعرك بيلمع في الشمس زي خيوط الذهب.

قالها وهو يشعر بالصورة تلهب مخيلته فأحنى رأسه يسنده على رأسها مقاوماً هذا البركان العاصف بداخله ...

ثم ألقى الهاتف جانباً ليمسد شعرها بأصابعه هامساً :

_شعرك طول شوية ؟!

_فردته بالسشوار .





غمغمت بها بارتباك خجول وهي تشعر بلغة جسده تحكي الكثير عن مشاعر يأبى هو التعبير عنها ...

خاصة عندما شعرت بسبابته تسير على ظهرها حتى وصل لمنتصفه هامساً:

_عايزه يوصل لحد هنا ...لا هنا...لا هنا...

كان يتحدث بينما تتحرك سبابته هبوطاً على طول ظهرها لتنتهي عبارته بهمسه الذي امتزجت حرارته بالكثير من الشجن :

_وأشوفه في ضفيرة طويلة زي بتاعة زمان .

ارتجفت بين ذراعيه وهي تشعر بهمسه الحار يشعل بداخلها ثورات وثورات من مشاعر متباينة...





خوف ...رهبة...حسرة...ألم...خجل...توتر...والكثير بل الكثير جداً من الشغف !

طالما كانت تسائل نفسها بعد طلاقها من ذاك الوغد إن كانت ستتمكن من العيش كامرأة طبيعية أم أنه قد أحرق بذور أنوثتها للأبد ...

لكن الإجابة تصلها مع يامن يوماً بعد يوم...

هي تشعر معه وكأنما تخطو في هذا العالم لأول مرة ...

اللذة التي يمنحها لها قربه وحنانه تمنحها المزيد من القوة لتقاوم هواجسها القديمة ...

لكنها لا تزال لم تبرأ من سقمها كاملاً...لايزال الخوف اللعين يحاصر مشاعرها ويمنعها الاستسلام...





انقطعت أفكارها عندما شعرت بزحف شفتيه الناعم على عنقها فرفعت عينيها نحو "نور الشمس" المتسلل عبر النافذة تقاوم به "ظلام" هواجسها الأليم...

أنفاسها تتلاحق وهي تشعر أنها في حرب حقيقية بين رهبتها من مطارق الماضي التي عادت تدق بابها بقسوة ...

وبين رغبتها الصادقة في الاستسلام للذة شعورها به...

لمنحه كل مفاتيح مدينتها كي يرفع عليها رايته للأبد ...





أصابعها ترتفع رغماً عنها لتتشبث بذراعيه المطوقين لها وكأنها تستمد منه دعماً ...

بينما كان هو منغمساً في استنشاق رحيق أنوثتها الملون ...

رائحتها التي تدوخه في لحظات بين براءة طفلة وغواية أنثى وحنان أم ...

شفتاه تتلمسان طريقهما على بشرتها فتارة تتمهلان باستمتاع ...وتارة تعدوان بلهفة... وتارة تتوقفان وكأنهما تتشبثان بها!!

ذبذبات توترها تزداد مع تلاحق أنفاسها فيأخذ هو نفساً عميقاً ليتمالك نفسه وهو يشعر أن الطريق لايزال يحتمل المسير ...

ليهمس لها أخيراً بصوت دافئ:

_تيجي نروح النادي القديم ؟!




شهقت بفرحة وهي تستدير بين ذراعيه لتواجهه بعينين ملتمعتين فأردف بابتسامة حنون:

_لسه بدري على أول معاد ليّ النهارده...تعالي نفطر هناك...

ثم غمزها بقوله:

_ونستعيد الذكريات!

_بجد ؟! بجد؟!

ظلت تكررها بفرحة طفولية وهي تقفز لتقف مصفقة بكفيها فوقف بدوره ضاحكاً بينما هي تهتف وكأنها لا تصدق:

_هتروح معايا هناك ؟! نلف سوا كل الأماكن .. كلها ...هاوريك ترابيزتي المفضلة اللي كنت بقعد عليها ...ونقعد سوا تحت الشجرة اللي كنت بتحب تقعد عندها ...هنشتري غزل البنات من





نفس المكان اللي حلمت إني أكون معاك

فيه ...ونتمشى سوا في الممر الطويل اللي قبل

"التّراك" ...هتدخل إيدك في إيدي واحنا بنسلم

على عم رفعت الحارس ...كان دايماً يعاكسني وأنا

داخلة النادي ويقوللي :يابخته اللي مستنياه ...يااااه

يا يامن ...

تقطعت أنفاسها في كلماتها الأخيرة وهي تلقي

نفسها بين ذراعيها تغرق وجهها بقبلاتها -

الخفيفة- في لمستها و-العميقة- جداً في أثرها ...

وكيف لا؟!

وقد امتزجت الآن بدموعها التي عجزت عن منعها

وهي تشعر بانفعال عظيم يعصف بها...

انفعال ترجمته همساتها المتهجة بعدها:




_عارف؟! سهل قوي تلاقي حد يديك أمل في بكرة ...لكن الصعب إنك تلاقي حد يرجع لك الماضي ...يقولك إن أيامك ما راحتش هدر ...يرجع لك اللي فات ...

قطعت عبارتها وكأنها عاجزة عن السيطرة على مشاعرها لتعاود نثر قبلاتها المجنونة على وجهه مردفة:

_شكراً يا طيب ...يا أطيب يامن في الدنيا.

شعر بقلبه يتضخم بين ضلوعه ودقاته الهادرة تجاوز حد الجنون مع هذه المشاعر الصادقة التي كانت ترويه بها رِيّاً ...

هذه ليست امرأة عاشقة..

هذه امرأة تسقيه روحها ببساطة دون أية محاذير!





الآن يحتاج ما يفوق الصبر ليمنع نفسه عنها لكن لا بأس ...

حبٌ كهذا يستحق أن يصبر عليه كي يشتد عوده قبل أن يجني عذب ثماره ...

بينما توقفت هي فجأة عما تفعله وكأنما شعرت باندفاعها الآن فقط لتشتعل وجنتاها فتتراجع عنه بخجل ...

هنا خبطها هو بخفة على رأسها قائلاً بنبرته المشاكسة:

_وقفتِ ليه؟! كملي كملي...عشان أقول لا فيه نادي ولا مواعيد ولا عيادة ...ونقعد هنا أعلمك لعبة أحلى .





انتهت عبارته وهو يجذبها بحركة مفاجئة بين ذراعيه وبريق عينيه العابث يعيد إشعال الثورات في روحها العاشقة...

لكنها حاولت التغلب على خجلها وهي تدفعه برفق هاتفة بمرحها الحيوي:

_لا لا مفيش رجوع...هانزل ألبس وأستناك .

قالتها لتغادر الغرفة بخطوات راكضة تلاحقها نظراته التي امتزجت عاطفتها بعبثها مع همسه لنفسه:

_هتجنني بنت اللذينا.

========

فتحت ياسمين باب البيت الداخلي برفق حذر وهي تتوقع عاصفة من غضبه الذي ظهر في مكالمته الهاتفية منذ قليل ...





إنـها الليلة الأولى التي تتأخر فيها إلى هذه الساعة لكنـها انشغلت كثيراً بشأن الفرع الجديد من المطعم الذي تريد إنشاءه...

الليلة الأولى التي يعود فيها إلى البيت منذ تزوجا ولا يجدها تنتظره ...

الليلة الأولى التي تشعر فيها -كما شعر هو- أن شيئاً ما قد بدأ يسحب اهتمامها ودورانـها العتيق حول فلكه !!

وكم آذاها هذا الشعور -قبله- والسخط من نفسها يملؤها ...

لـهذا تنـهدت بضيق وخطواتها تنسحب نحو المطبخ الذي كان مرتباً كما تركته منذ الصباح لتعلم أنـه لم يتنـاول طعاماً...




ثم تحركت بخطوات سريعة تصعد الدرج نحو غرفته لتجده جالساً على الفراش وقد أسند حاسوبه المحمول على ساقيه المفرودتين أمامه...

ألقت عليه التحية ثم تنحنحت بحرج لتقترب منه قائلة :

_أنا آسفة إني اتأخرت .

_براحتك.

قالها بجمود دون أن يرفع وجهه إليها فعادت تتنحنح من جديد لتجلس جواره مع قولها بنبرة أرق:

_شكلك زعلان...وعد مني مش هاكررها.

_وإيه اللي انت كاتباه على "الفيسبوك" ده ؟!





تنحنحت بحرج وهي تتذكر العبارة التي كتبتها له على حسابه الشخصي وهي في الطريق كي تسترضيه فغمغمت بخجل:

_كنت بصالحك.

_تقومي تكتبي لي كده وكل الناس تقراه!

_وإيه المشكلة؟! انا عايزة الناس كلها تعرف اني بحبك.

ورغم أن عبارتها التي نطقتها بحرارتها المعهودة داعبت أوتار قلبه لكنه عاد يهتف بنفس الاستنكار:

_والله ؟! وكل واحد يشوف كلامك يتخيل شكلك وانت بتقوليه ؟! والله أعلم دماغه هتوديه لفين ؟!

_مش ممكن...انت غيرتك دي يتألف فيها كتب ...غلبتني...




هتفت بها بتعجب وهي تضحك من غيرته لتهمس له أخيراً بنبرة دافئة :

_طب ده أنا نفسي تكتبلي إنك بتحبني والدنيا كلها تقراها .

رمقها بنظرة مستهجنة غاضبة وهو يشيح بوجهه فاقتربت منه أكثر هامسة:

_خلاص ما تزعلش.

_ماتكتبليش كلام زي ده على بروفايلي تاني!

قالها حازماً دون أن ينظر إليها فتمتمت بخفوت:

_حاضر.

_وما عدتيش تحطي صور لك على صفحتك أبداً.





كتمت ابتسامتها بكفها وهي تعاود تمتمتها المطيعة:

_حاضر.

_ويفضل لو تقفلي حسابك ده خالص!

_لو ده يرضيك مفيش مشكلة !

لم يصلها منه رد ولا حتى نظرة عين فمدت كفها لتغلق شاشة حاسوبه ثم تقدمت أكثر لتطبع على وجنته رسالة اعتذار ناعمة ناسبت همسها:

_خلاص بقا يا "طيب"...أنا بصالحك أهه.

لكنه صرف بصره عنها ليهتف بخشونته المعهودة والتي

خالطها الآن بعض المكر:





_يعني لا بتعرفي تحكي حواديت عدل ولا تصالحي بذمة ...وحاجة آخر "كَروَتة" صراحة !

ضحكت بخجل وهي تربت على وجنته هامسة:

_عايزني أصالحك إزاي طيب؟!

_كده يا "حضرة الشيف" المحترمة!

لم تكد تعي آخر حروف كلماته حتى كان قد أزاح حاسوبه ليضعها هي مكانه غارساً على شفتيها كل مشاعره العاصفة بين غضب وحاجة واشتياق ...وغيرة!

أجل...شعوره عندما عاد ولم يجدها أشعل في قلبه "مذاق الحرمان" الذي ظن نفسه لن يعرفه معها هي أبداً...




منذ عرفها وهو يشعر أنه هو محور حياتها الوحيد
الذي تدور حوله نواتها واليوم يشعر وكأنما
تزلزلت هذه الأرض الثابتة من تحته !

وبين ذراعيه كانت هي غارقة بشعورها الجديد
معه...

هل فاجأتها عاطفته -الحسية- التي انفجرت هكذا
فجأة ؟!

لا !

هي خير من تعلم أن طفلها "المكابر الشقي" يشعر
الآن

بالغيرة من عملها الذي صار يستنزف وقتاً
أطول ...





وغيرته -كما كل مشاعره- لايجيد التعبير عنها إلا "هكذا"!

والمشكلة الحقيقية في "هكذا" هذه!!

لهذا استسلمت له لبضع ثوانٍ قبل أن تشعر بالخوف اللعين يعود يراودها مع ازدياد -جرأته- هذه المرة...

هذا الشعور المقيت بالاختناق الذي لا حيلة لها فيه- والذي جعلها كتلة من الثلج بين ذراعيه- جعل عينيها تدمعان بعجز وسط تلاحق أنفاسها ...

ورغم شعوره بالضيق لكن سابق رصيدها كان يسمح له





بالصبر الذي جعله يكتفي أخيراً بضمة رفيقة لجسدها المرتجف مع تربيته على ظهرها وكأنه يمنحها وعداً غير مشروط بالأمان ...

ولم يكد يفعلها حتى شعرت بخفقاتها الثائرة تهدأ رويداً رويداً لتستكين أنفاسها على صدره أخيراً وهي تشعر

بالكثير من الخزي الذي حاول هو تبديده عندما رفع ذقنها نحوه ليهمس أمام عينيها المعتذرتين:

_تأخيرك ده مايتكررش تاني ...حسيت إني مخنوق لما رجعت البيت ومالقتكيش فيه .

مسحت دمعة فرت من طرف عينها وهي تبتسم له هامسة بصوت عادت إليه بعض حيويته:





_أعتبر ده اعتراف إنك ماعدتش تقدر تعيش من غيري؟!

لكنه رفع أحد حاجبيه بمكر ليرد مشاكساً:

_لا اعتبريه تحذير شديد اللهجة إن اللي حصل ده ما يتكررش ...وبس!

لفظ كلمته الأخيرة وهو يخبط جبينها بجبينه بخفة فضحكت وقد اكتفت منه بهذا التصريح غير المباشر لتقول له بحنانها المعهود:

_أكيد جعان ...خمس دقايق ويكون الأكل جاهز .

قالتها وهي تدفعه برفق لتقف لكنه وقف بدوره ليلتقط كفها في راحته قائلاً :

_زمانك تعبانة..تعالي نحضره سوا .




ابتسمت له بامتنان وهما يغادران الغرفة معاً ليهبطا الدرج نحو المطبخ حيث تركت هي كفه لتتحرك جانباً مع قولها :

_هاحمر بطاطس عشان مشتاقة لها ...المهم قوللي...إيه أخبار طنط والبنات ؟!

سألته وهي تشعل الموقد ليجيبها وهو يضع صينية الطعام في "الميكرويف":

_كويسين...رانيا مبسوطة مع عريسها وهانيا ملبوخة

كالعادة في دراستها لدرجة إنها سابت بيتها وقعدت عند نبيلة ...داليا اللي قالقاني.

_ليه؟!

سألته بقلق حقيقي ليجيبها بضيق:




_معرفش...فيها حاجة متغيرة...ومروان بيقوللي مش بتذاكر كويس.

_و مروان يعرف منين؟!

_عمه الدكتور بتاعها في الجامعة ...كلمني من فترة وقاللي إنه عايزني في موضوع مهم ...ولما استفسرت منه طلع عنها...قاللي أنبهها تخللي بالها من مذاكرتها ...مش عارف أعمل إيه ....أوه...حاسبي!

هتف بها بجزع وهو يقترب منها لتلاحظ هي النار التي

نالت من طرف كُم سترتها بينما كانت تحدثه بشرود فأغلقت الموقد بسرعة...




لكنه لم يمنحها المزيد من الوقت عندما دفعها بسرعة نحو الحوض ليفتح الصنبور بسرعة مريقاً الماء عليها قبل أن ينزع عنها السترة نفسها ليلقيها جانباً بعدما انطفأت شعلتها ليسألها بلهفة وهو يتفحص ذراعها:

_وصلت لدراعك؟!

لم ترد عليه والصدمة تلجم لسانها ...

ليس فقط من مشهد النار فقد اعتادت مثل هذه الحوادث ...

لكن من وقوفها هكذا شبه عارية بين ذراعيه إلا من "بلوزة" خفيفة عارية الذراعين بحمالتين رفيعتين تكشفان جزأها العلوي بوضوح ...





لكنه كان غافلاً عن هذا في البداية بتفحص معصمها وساعدها الذي احمر قليلاً ليهتف وهو يقترب بها من أحد الأدراج:

_مرهم الحروق كان هنا ...يتهيالي بسيطة...واللا إيه؟!

سألها وهو يلاحظ شحوب ملامحها لتجيبه بنبرات مرتبكة :

_أيوة...بسيطة.

وضع المرهم بحرص على المنطقة المحمرة من جلدها قبل أن يرفع إليها عينيه أخيراً ليدرك ما يسبب لها كل هذا الشحوب والارتباك...





التمعت عيناه ببعض المكر وهما تتفحصان "بلوزتها" الرقيقة بلون "السيمون" الفاتح والتي تزينت مقدمتها

بالدانتيل الرقيق مع فصوص اللؤلؤ الصغيرة لتمنح بشرتها الناعمة مظهراً خلاباً...

فابتسم وهو يقترب منها أكثر هامساً بنبرته العابثة:

_ده ذنب الغلبان اللي مقعداه من غير أكل لحد دلوقت ...شفتِ اللي بييجي عليّ ربنا بيعمل فيه إيه ؟!

ابتسمت بتوتر وهي تشيح بوجهها ليردف وعيناه تلتمعان أكثر:

_مممممم...ده الجاكيت كانت مخبي كتير!





كتفت جسدها بذراعيها وهي تشيح بوجهها ليردف باستحسان ماكر:

_أيوه....حلوة قوي الوقفة دي !

_يامن!

تمتمت بها باستنكار وهي تتحرك لتغادر المطبخ لكنه جذبها من ذراعها ليقول لها بنفس النبرة المشاكسة:

_مش هتتحركي من هنا غير لما ناكل .

_هاغير هدومي وآجي بسرعة.

_لا...أنا جعان ومستعجل.

_يامن ...انت عارف...





قطعت عباتها المرتبكة وعيناها تدمعان لكن إشفاقه

لم يمنعه من أن يقربها نحوه أكثر ليردف بنفس

الحزم المرح:

_أنا مش عارف دلوقت إلا حاجة واحدة ...إني

جعان وإنك هتاكلي معايا حالاً.

أغمضت عينيها بقوة وهي تشعر بنفس الإحساس

المقيت بالألم...

بالانتقاص ...وبعدم الثقة ...

_بصيلي.

همس بها وهو يربت على ظهرها برفق محاولاً

تمالك ارتجافتها لكنها تمتمت بعجز :

_مش قادرة .

_بصيلي!





كررها بحزم أكبر وهو يرفعِ ذقنها نحوه لتفتح عينيها ببطء ...

تلتقط نظراته المطمئنة بنَهَمِ من تحتاج حقاً لهذا الأمان ...

_اللون ده حلو قوي عليكِ...والعقد كده أجمل بكتير .

همس بها وأنامله تتلمس عقده الملون بأحجاره على جيدها فازدادت ارتجافتها وهي ترمقه بنظرات راجية وقد التصق لسانها بسقف حلقها ...

فقط عيناها كانتا متشبثتين بعينيه باستماتة وكأنها تستمد منهما الدعم...




لتتحدر أصابعه نحو ذراعها صعوداً وهبوطاً في ثوانٍ مرت بكليهما عاصفة صاخبة حتى همس أخيراً :

_خسارة!

ضاقت عيناها بنظرة مذعورة متسائلة وقد أساءت تأويل كلمته لكنه استطرد بنبرة دافئة:

_خسارة إنك ما خلتهمش يرسموا لك ذراعك بالحنة في البلد ...كانت هتعمل شغل جامد مع لون بشرتك ده.

كان يريد منحها المزيد من الثقة في نفسها وهو الوتر الذي يجيد العزف عليه حاليا ...




ويبدو أنه قد نجح فقد لانت نظراتها الخائفة نوعاً ...

هنا تناول ذراعها ليفرده أمامه ثم دار على معصمها بسبابته مردفاً بنبرة زاد شغفها:

_تخيلي لو رسمنا هنا وردة كده ...يطلع منها خط طويل كده ...وينتهي بورقة شجر كده ...وكده...وكده...

كان يتحدث بينما يرسم بإصبعه ما يتحدث عنه ...

حتى وصل لأعلى ذراعها وكتفها وبالتحديد عند تلك الندبة هناك ...

والتي استقر عليها إصبعه للحظات قبل أن يهمس بحرارة أكبر:





_وهنا بقى نرسم قلب ...قلب كبير ...محبش غيري ...زي ما بتقولي.

ختم قوله بهذه العبارة وكأنما استنكف سلطان شكوكه أن يعترف بتصديقها ...

أو ربما كان يريد المزيد من اعترافاتها الصريحة القاطعة...

تماماً كذاك الذي منحته له الآن دون تردد:

_ماحبش ولا هايحب غيرك .

هنا استبدل سبابته بشفتيه اللتين طافتا بتبتّل شغوف على بشرتها لتشعر هي بخوفها يتبدل لإحساس آخر ...





إحساس يرفعها في ثانية لأعلى سماء لكنه يعود ويخسف بها الأرض...

لينطلق أخيراً صوت "الميكرويف" منذراً بانتهاء مهمته وهو الذي وجدته هي لها مخرجاً من دوامة مشاعرها هذه ...فدفعته برفق هامسة:

_انت مش جعان؟! الأكل خلاص سخن.

لم يستطع كبح الخيبة في نظراته وهو يراها تفر من بين ذراعيه لتستخرج الطعام وتضعه على المائدة ...

فتنهد بضيق أزالته ابتسامتها المرتجفة وهي تسحبه من كفه لتقول بارتباك:

_ياللا قبل ما يبرد تاني.





جلس جوارها يتناولان طعامهما وهو يلاحظ أنها تتحاشى نظراته المتفحصة لها ولم تكد تتناول بضع لقيمات حتى وقفت لتقول بنفس الارتباك:

_حاسة إني بردت...هاروح أغير هدومي .

قالتها وهي تهم بالمغادرة لكنه جذب ذراعها ثم وقف ليقول لها بحزم:

_الخطوة اللي مشيناها مش هنرجعها تاني ...فاهماني؟!

رمقته بنظرة متسائلة فجذبها من أذنها برفق ليردف بنبرة مشاكسة لعلها تلطف أجواء توترها:

_يعني خلاص شفتك كده واللي كان كان ...بجاماتك الطويلة الواسعة دول لو شفتهم تاني هاولع فيهم...قرار ديكتاتوري رقم...مممممم...مش فاكر !





ارتجفت شفتاها بابتسامة تردد فانتقلت أنامله من أذنها لوجنتها معِ استطراده الجاد هذه المرة:

_ماتخافيش من أي حاجة ...أنا بعمل كده عشانك مش عشاني ...عشان انتِ تستاهلي تحبي نفسك أكتر من كده .

دمعت عيناها كعهدها عندما تستبد بها عاطفتها لتلتقي عيناهما في حديث طويل ...

قبل أن تومئ برأسها موافقة ليتنهد هو أخيراً بارتياح وهو يشعر أنه يسير على الطريق الصحيح...

صحيحٌ أنه قد صار يخشى عليها من تعجله لكنه يثق بقدرة قلبه على منحه الصبر .




وبعدها بقليل كانت تدخل عليه غرفته لتلتمع عيناه بشغف وهو يرى منامتها الصفراء عارية الأكمام والتي منحتها حمرة وجنتيها مظهراً شهياً...

صحيحٌ أنها كانت بسروال طويل واسع ورسوم طفولية على منطقة الصدر لكن كما قال لها وهو يقبل ظاهر كفه وباطنه:

_أحسن من مفيش...نبوس إيدنا وش وضهر على كده .

ضحكت بخجل وهي تقترب منه وقد بدد مرحه الكثير من توترها ...

خاصة عندما سبقها للفراش ليرفع عليه غطاءه قائلاً بعد تثاؤب قصير:





_ياللا عشان تحكي الحدوتة...هنام منك .

_أدمنت حواديتي؟!

سألته بنبرة حيوية وهي تلحق به في الفراش ليجيبها مشاكساً:

_كان لي واحد صاحبي مبيعرفش ينام إلا والراديو مفتوح جنبه...أهو انت أحسن م الراديو .

علا صوت ضحكتها الرقيقة فتنهد بعمق وهو ينظر إليها نظرة طويلة ...ليسألها أخيراً بجدية:

_عارفة إيه أجمل إحساس في الدنيا؟!

_إنك تحب؟!

سألته بتردد ليهز رأسه نفياً ثم اقترب منها ليضمها بذراعيه غارساً رأسه على صدرها قبل أن يهمس لها بشرود:

_إنك تطّمن.





C i n n a b o n

_وانت مطمن معايا؟!

وجوابه كان في قبلاته التي تناثرت بسرعة على وجنتيها وذقنها ...

فتأوهت بدلال رقيق ليهتف بها بمرحه الفظ:

_لو دقني بتشوكك...استحملي...مابفكرش أحلقها!

ضحكتها الطويلة كانت جوابها والتي أتبعتها بقبلتين ناعمتين على وجنتيه مع قولها المرح:

_بتهزر؟! انت ما سمعتش المقولة الشهيرة...ما الحب إلا للحبيب الملتحي!

يبتسم وهو يراها تبتلع كل خشونته بمرحها المعهود ليهمس لها بنبرة دافئة:





_مش قلتلك قبل كده إنك جميلة قوي؟!...جميلة لدرجة إنك بتخللي كل حاجة حواليكي جميلة زيك...حتى أنا....

ثم تنحنح ليغمض عينيه مردفاً:

_ياللا بقا...احكي يا عروسة البحر .

تنهدت بحرارة وهي تداعب لحيته بأناملها لتعود برأسها للوراء هامسة :

_كان ياما كان...

فابتسم وهو يشرد في حكايتها التي تخطف لبه ككل ليلة...

لا لم يكن يشعر معها بشعور "شهريار" المتملك القوي ...

بل على العكس ...





كان يشعر وكأنما يطارد أطياف طفولته على صدرها ...

وكأنما يرسم بصوتها الماضي الذي ود لو يتغير ...

والغد الذي لا يريده إلا معها ...

هي العشق الذي لا تدري هل أصابك بسهمه أم داواك بترياقه ...

هي "ليلاه" و"عبلته" و"شهرزاده"...

بل هي بطلة أخرى تستحق أن تكتب لها حكاية وحدها في دفتر العاشقين.

=========





القطعة الرابعة عشرة

========

_حمداً لله على السلامة يا عريس؟!

قالها مساعده في الشركة وهو يدخل عليه مكتبه فقام له أشرف مصافحاً بحرارة وهو يشعر بود حقيقي نحو الرجل الذي يتولى أمور المصنع منذ عهد أبيه ...

ليقول بعدها ببعض الضيق :

_الله يسلمك يا عمي...طمني...عرفت توصل لحاجة ؟!

جلس الرجل مكانه مصطنعاً الأسف مع قوله :

_ولا أي حاجة يا أشرف يابني...ده حتى المصنع عامل أرباح ممتازة الشهر اللي فات ..والطلبيات





وصلت في معادها من غير أي مشاكل...أنا مش قادر أحط إيدي على غلطة.

زفر أشرف بقوة ليجلس بدوره مغمغماً بعجز:

_أنا بفكر أبيع المصنع.

_تبيع المصنع؟! شقا أبوك الله يرحمه؟!

قالها الرجل باستنكار مصطنع ليجيبه بنفس النبرة العاجزة:

_ما انا مش قادر أعمل حاجة...ولا عارف أتصرف لوحدي .

ضيق الرجل عينيه وهو يسأله بحذر متفحصاً ملامحه:

_بتفكر تبلغ البوليس؟!

_هابلغ البوليس إزاي من غير دليل؟! هتبقى شوشرة على المصنع




وخلاص...حتى سيدة اللي كان ممكن تشهد معايا اتقتلت والقضية اتظبطت إنها بغرض السرقة...مش عارف أعمل إيه...بجد مش عارف...

قالها أشرف بقنوط وهو يخفي وجهه بين كفيه ليردف بنبرة أكثر يأساً:

_أنا حتى ماعدتش قادر أركز في أي حاجة...خايف على أمي...على أختي ...على مراتي...ماعدتش بنام يا عمي.

_شكلك فعلاً مرهق جداً.

قالها الرجل متصنعاً الإشفاق ليرفع أشرف كفيه عن وجهه قائلاً بتجهم:

_أنا حاجز عند دكتور النهارده يشوف لي موضوع الصداع اللي ما بيخفش ده.





التمعت عينا الرجل بدهاء والفكرة تبزغ في ذهنه براقة شيطانية...

يقولون إن "طباخ السم يتذوقه"!

فليتذوق صاحب المصنع إذن مذاق ما يطبخونه هم!!

ربما تكون هذه هي الوسيلة الوحيدة لإسكاته كي لا يفسد صفقة عمرهم الأخيرة...

لهذا أتقن رسم قناع حنانه على وجهه وهو يقول له :

_دكتور إيه وبتاع إيه؟! بيهولوا الأمور على الفاضي...أنا عندي دوا أمريكي مستورد ابني بيجيبهولي من بره مخصوص ...ممتاز ياابني...هاجيبلك منه علبة جربه...وربنا هو الشافي!





========

_إيه اللي بينك وبين مراتك يا رامز؟!

سألته والدته بقلق صباحاً وهي ترى تدهور حاله وصمته الذي يصر عليه منذ غادرت هي البيت ...

فعقد حاجبيه قائلاً باقتضاب:

_من فضلك يا ماما...اللي بيني وبين مراتي ما احبش حد يتدخل فيه .

هزت رأسها لتهتف به بقلق أم طبيعي:

_ما هو أنا مش هاسكت وأنا شايفاك كده ...لو مش متفاهمين زي ما دخلنا بالمعروف نخرج بالمعروف...وشوف انت حالك بقا .

انقبض قلبه بجزع من مجرد الخاطر وملامحه تفضح معاناته الصامتة...





منذ تلك الليلة التي غادرت فيها حفل الزفاف وهو يمنع نفسه بشق

الأنفس أن يتحدث إليها ...

لا...ليس الأمر فقط مجرد كبرياء رجولته...

بل شعوره بالعجز عن احتواء طبيعتها !

هل يأس منها بسرعة كما لم يظن أنه يوماً سيفعل؟!

لا...ليس الأمر هكذا...

لكنه فقط يشعر أنه كمن يحارب طواحين الهواء ...

يحتاج فقط لبادرة منها ...أي بادرة...

ولو مجرد رنة هاتف لا ترقى لاتصال!

لكن العنيدة جازته -كما توقع- عن تجاهله تجاهلاً!!





ما الذي حدث لها تلك الليلة؟!

لماذا انصرفت بهذه الطريقة الغريبة فور قدوم غادة؟!

هل انقلب السحر على الساحر؟!

خطته التي ظن أنها ستقربها ..أبعدتها؟!

_انت بتحبها يا ابني.

قالتها أمه بتقرير أقرب منه للسؤال ...فالتفت نحوها من شروده ليزفر بقوة دون رد ...

هنا ربتت على كتفه لتقول بنبرة حماة مصرية أصيلة:




_ما انكرش إنها سمّاوية ودمها يلطش وطالعة فيها...

_ماما!

هتف بها باستنكار مقاطعاً فمصمصت شفتيها لتردف بجدية هذه المرة:

_بس قلبها طيب..ماعرفش حد ممكن يشيل غلبان زي ما هي عملت مع صاحبتها ...الأخ الزمان ده بياكل حق أخوه !

_ياريتها ما كانت طيبة كده !

تمتم بها بتذمر فابتسمت لتقول له بتعقل:

_أنا كنت بجس نبضك ...مادام طلعت بتعزها قوي كده ...شوف العيب فين وصلحه...الراجل هو أساس البيت ياابني ...ربنا يصلح حالك ويهديهالك.





قالتها بنبرة دعاء أمّن عليه قلبه...قبل أن يقبل

رأسها دون رد ليغادر إلى عمله ...

شروده يؤرقه طوال الطريق وهو يتأرجح بين

غضبه منها ...

وشوقه إليها!

الجاحدة!

ألم ينتبها الحنين إليه ولو للحظة تتخلى فيها عن

كبريائها؟!

كان قد وصل لمقر الشركة فركن سيارته ليتوجه

نحو المصعد ...

وما كاد يستقله حتى فوجئ ب"الأفعى" تجاوره

فيه لتضغط الزر بقولها:

_صباح الخير .

رد تحيتها بفتور وهو يرفع رأسه لأعلى فتجرأت لتقترب منه بقولها :

_شكلك ما نمتش كويس...

عقد حاجبيه بقوة وعطرها الصارخ يثير حواسه...

خاصة مع لون سترتها الذهبي الذي لا يليق أبداً بالصباح !

لكن منذ متى تكترث هي بأشياء كهذه ؟!

هي التي شعرت بتأثره فاقتربت أكثر مردفة:

_مش حالق دقنك ليه؟!

همسها المغوي بنبرته المهلكة يعاود قصف حصونه لكن باب المصعد الذي فتح لتوه ينقذه ...

فيزدرد ريقه بتوتر ليزيحها جانباً ببعض العنف ...

لكنها لم تكن لتتخلى عما تريده بهذه السهولة!





تتبعه لمكتبه متجاهلة نظرات زملائهم الفضولية حتى تلحق به ليهتف بها بنفاد صبر:

_يارا! أنا مش ناقصك وخلقي في مناخيري دلوقت ...روحي مكتبك

حالاً.

لكن ثورته تزيد رضاها وهي تشعر بحدسها الأنثوي بما يختفي خلفها لتقترب منه أكثر قائلة :

_معك حق...مش هينفع الكلام هنا...هاستناك في البيت الليلة ...عارفة إنك هتيجي المرة دي.

اتسعت عيناه باستنكار وهو يهم بسباب ساخط لكنها ابتعدت بسرعة لتمنحه غمزة ماكرة سبقت مغادرتها بخطوات واثقة ...





غافلة عن عيني غادة المرتاعتين اللتين كانتا ترمقانها بصدمة رغم أنها لم تسمع ما قالته بالضبط لكن فحواه كان واضحاً للأعمى!

خاصة عندما جلس رامز على كرسيه بعصبية وهو يتلاعب بهاتفه ...

رامز؟!

معقول؟!

هل يخون هانيا؟!!

هنا لم تستطع التستر خلف قناع خنوعها المعهود ...

قوتها الخفية التي لا تدري متى تظهر هكذا طفت للسطح فجأة وهي تتوجه لمكتبه ...وليتها ما فعلت!

لو كان سوء الظن مؤذياً فحسن النوايا يهلك كثيراً لو تعلمون!





=========

استيقظ يامن من نومه على كابوس جديد من تلك الكوابيس التي صارت تؤرقه مؤخراً ...

يبدو أن ضميره لايزال يجلده بالذنب نحو ذاك الصغير الذي لا يدري إن كان ابنه أم لا...

خاصة مع وفاء سيلين بانتقامها بتلك الصور التي ترسلها له يومياً على بريده الاليكتروني...

لكن الجديد هاهنا هو كوابيسه التي صارت تتعلق بياسمين أيضاً!!

أجل...

تارة يراها تبتسم بشيطانية وهي تغرس خنجرها في ظهره...

وتارة يراها تغرق لتسحبه فيغرق معها...

أو تتداخل الرؤى فيراها تخنق الصغير بيديها...




والليلة رآها بين ذراعي رجل آخر تناديه "زين"!

من زين؟!

هو يذكر جيداً أنه قد سمعها تلك الليلة تنادي اسمه بينه وبين الوغد طليقها..لكنها تنكر!

آه...أما لهذا الشك من آخر؟!

جحيم جديد صار يعايشه كل ليلة رغم أنه لم يعد ينام إلا بين ذراعيها فيستيقظ غارقاً في عرقه وخوفه...

ووساوسه التي عادت تبسط سلطانها عليه من جديد!!

استغفر الله بصوت خفيض وهو يتناول منديلاً ورقية مسح به جبينه لينهض من نومه متأملاً ملامحها الملائكية المستكينة جواره...





تلا المعوذتين في سره وهو يحاول تمالك أنفاسه اللاهثة قبل أن ينتبه لصوت آذان الفجر فنفض عنه غطاءه كي يتوجه للصلاة...

وبعدها بدقائق استيقظت هي الأخرى من نومها لتتفقد مكانه الخالي على الفراش قبل أن تنتبه للوقت جوارها فتدرك أنه يصلي الفجر كعادته...

ابتسمت وهي تحتضن ووسادته ببقايا عطره لتضمها نحوها بقوة ثم وضعتها جانباً لتنهض هي الأخرى ...

هبطت الدرج نحو الأسفل حيث ركنه الخاص بالصلاة لتراقبه يصلي باعتزاز لم يلبث أن تحول للكثير من القلق...





هل أطال الصلاة زيادة عما ينبغي أم أنها فقط يهيأ إليها؟!

ظلت واقفة مكانها ترقبه والقلق بداخلها يتضاعف حتى انتهى أخيراً من صلاته بعدما يقارب نصف الساعة!

لكن هذا لم يكن فقط سر قلقها بل تململه الغريب في مكانه بعدها وهو يتناول مصحفه ليقرأ فيه...

قبل أن يغلقه بسرعة ليعيده مكانه دون أن يفعل!

انعقد حاجباها وهاجسٌ ما يراودها جعلها تقترب منه لتجلس أمامه على الأرض قائلة بقلق:

_مالك؟! شكلك متوتر!

هز رأسه بلا رد ثم أخفي وجهه بين كفيه فاقتربت أكثر لتربت على ركبته مع قولها:

_ممكن أسألك سؤال وتجاوبني بصراحة؟!




أزاح كفيه عن وجهه ليرمقها بنظرة مشتتة فأردفت بحذر:

_الوسواس اللي عندك دي بتبقى ناحية النظافة والناس بس؟! واللا كل حاجة ؟!

أغمض عينيه بقوة ثم زفر زفرة قصيرة جعلت شكوكها تتأكد...

لقد قرأت كثيراً عن مرض "الوسواس القهري" لعلها تعرف الكثير عن تفاصيله...

الغريب أنها في أول علاقتهما كانت تجده مبرراً للكثير من تصرفاته لهذا كانت شبه متيقنة أنه مصاب به ولو بدرجة طفيفة...





لكن مع مرور الأيام كانت تشعر أن تلك الأعراض تختفي تدريجياً حتى تكاد تتلاشى ...

تماماً كما قالت له...إنه ينسى شكوكه عندما يستمع لقلبه !

فما الذي جد عليه لتعود له أعراضه هذه ؟!

أرقه...قلقه..شروده...انفعالاته العصبية !!

_كل حاجة ...دماغي ما بتبطلش تفكير...ممكن أقعد بالساعة مفيش في راسي غير فكرة واحدة مسيطرة عليها..حتى الصلاة...القرآن...أحياناً مابقدرش أركز فيهم من كتر الأفكار اللي بتجيلي...وساوس في كل حاجة...كلام ماقدرش أقوله ...بستغفر كتير وببقى حاسس بتأنيب





ضميري من سواد الحاجات اللي بفكر فيها بس غصب عني مابقدرش أمنعها.

دمعت عيناها بتأثر من المعاناة الواضحة في صوته فاحتضنت كفيه بكفيها قائلة بتردد:

_مافكرتش تشوف دكتور؟!

_وأنا في لندن رحت لدكتور هناك...قاللي إن الموضوع بسيط وكتب لي دوا خدته فترة وبطلته...الموضوع مش دايما بالشدة دي...بيزيد وينقص.

_أنا أعرف إنه فعلاً بيزيد مع الضغوط النفسية...بس إيه اللي مزوده الأيام دي؟!





سألته بحيرة ليرفع إليها عينيه بنظرة طويلة دون رد...

ضمت رأسه لصدرها برفق وهي تطوقه بذراعيها هامسة بحنان:

_قل لي إيه اللي شاغلك ...خللينا نفكر سوا.

تردد قليلاً قبل أن يحكي لها عن كوابيسه بشأن سيلين وابنها متغافلاً عن الجزء الخاص بها هي ...

فتنهدت بحرارة لتقول أخيراً بأسف:

_ده اللي كنت عاملة حسابه...واحد زيك هيفضل طول عمره ضميره واجعه على ابنه.

_مش أكيد إنه ابني.

هتف بها بانفعال وهو يبتعد عنها ليلوح بذراعيه مردفاً:





_لو كان ابني كانت وافقت تعمل الاختبار...لكن هي كدابة...عايزة تفرض سيطرتها علي بأي شكل...واتجننت لما لقتني بدات حياتي من جديد.

قالها ثم هب واقفاً ليستطرد بنفس النبرة المتعبة:

_أنا خلاص لقيت الحل...هاقفل حسابي ده خالص عشان ماعادش يوصلني منها رسايل...بلاش وجع قلب!

رمقته بنظره مشفقة وهي تقف بدورها لتمسك ساعديه قائلة بتردد:

_طيب ممكن بس تسايسها لحد...

_خلاص يا ياسمين...الموضوع ده منتهي...أنا مش هاعيش طول عمري في الحيرة دي!





هتف بها مقاطعاً بانفعال فأطرقت برأسها وهي لا تدري ماذا تفعل...

هي تشعر بحجم الصراع الذي يعيشه خاصة مع رجل مثله بماضيه وعقده الخاصة...

لقد نجحت سيلين في بذر الشك في قلبه ولاتزال تشعل نيران جحيمه بتلك الصور التي تلهب بها قلبه...

لكن ما حيلتها ها هنا؟!

كيف تساعده؟!

_أنا هاطلع أكمل نوم ...دماغي تقيل مش قادر.

قالها بنبرة ضائقة وهو يبتعد عنها ليردف بعدها :




_آه بالمناسبة...عندي مؤتمر في الاسكندرية بعد بكرة ...جهزي الشنط واعملي حسابك هنقعد أربع أيام .

تجمدت ملامحها للحظات قبل أن تقترب منه لتقول بتردد:

_بس أنا مش هاقدر أسافر دلوقت أربع أيام كاملين...انت عارف إني بجهز للمطعم الجديد عشان الافتتاح قرب .

اشتعلت عيناه بغضب زاده انفعاله لكن ملامحه عادت تتشح بالبرود مع قوله:

_معك حق...ركزي انتِ في شغلك...أنا هسافر لوحدي.

=======




وقف في نافذة غرفته في الفندق يرمق البحر بنظرة طويلة حانقة...

بقدر ما يعشق مظهر النيل الذي يذكره بالعودة ل"الجذور"

بقدر ما يرهب البحر ويخشاه!

يخشاه وهو يذكره بكل خيباته ...

بكل غدرات القلب التي نالها بظاهر صامد وباطن كسير!

البحر هو أنانية بيللا وغدر بسنت وتسلط سيلين...

والنيل...هو ...هو ياسمين ...لو جاز له هذا التشبيه!!

زفر بقوة عند الخاطر الأخير وهو يتذكر كيف غادر القاهرة بالأمس قبل ميعاده المفترض دون أن





يمنحها حتى فرصة للتراجع عن قرارها بالبقاء هناك!

عنيد مكابر أناني...ربما !

وربما هو فقط مجرد عاشق لدغ من جحر النساء كثيراً ولم تعد له طاقة بمجرد خدش جديد!

رن هاتفه بنغمته التي خصصها لها فالتفت نحوه ببعض الحدة قبل أن يقرر تجاهله...

منحنى غرامها الذي كان في صعود حتى بلغ قمته ...يشعر الآن أنه يأخذ طريقه في الهبوط...وكيف لا؟!

وتشبثها بعملها يذكره بفعلة أمه القديمة!!

أجل...ليلتها لم يرَ "العاشقة" التي طالما أبهرته بغمار عاطفتها ...





بل رأى"الزوجة" التي فضلت عملها على زوجها ...

رأى بيللا في صورة جديدة ذكرته بخساراته!!

كوابيسه الليلة السابقة لم ترحمه رغم أنه كان اليوم الأول الذي يفوت فيه صورة للصغير بعدما أغلق بريده الاليكتروني ...

كوابيس كانت تخصها هي وحدها..

وقد تخلت عنه لتتبدل صورتها لصورة بسنت...الغادرة!

انقطعت أفكاره عند سماعه صوت طرقات الباب فنظر في ساعته التي أشارت للرابعة عصراً...موعد الغداء...





لكن من يملك الشهية هاهنا؟!

شهيته هناك...مع طعامها...هي!

لهذا تجاهل الطرقات عامداً لكن إصرار الطارق
جعله يتوجه نحو الباب ليفتحه بعصبية ...

قبل أن تتسع عيناه بدهشة وهو يراها هي أمامه!

لحظة واحدة هي كل مااستغرقتها دهشته قبل أن
يجدها فجأة أسيرة ذراعيه !

_حرام عليك...كنت هاموت من القلق...ما بتردش
على موبايلك ليه؟!





غمغمت بها بين دموعها التي لا تملكها حال انفعالها كالعادة وذراعاها الرقيقتان تطوقان خاصرته بكل قوتها...

لكنه لم يتمكن من الرد مع هذا الانفعال الذي كان يعصف به وهو يجدها

أمامه!

أين ذهب غضبه وحقده؟!

وساوسه ،شكوكه؟!

أين ذاك الحديث "الخائب" عن تشابهها مع الغادرات به قبلها؟!!

كل هذا الآن هشيم تذروه الرياح!!

_طيب...أول قرار دكتاتوري مني أنا...مفيش سفر بعد كده لوحدك ...مهما حصل!





قالتها بصوتها المرتجف الذي تلبسته الآن قوة عشقها ثم لم تدرِ ما الذي حدث بعدها !

صوت الباب يغلق خلفها بينما هو يجذبها نحوه لتذوق معه أعنف وألذ عناق صادفته قبلاً!!

لم ينطق بحرف..لكن جسده كله كان يصرخ...

يصرخ اشتياقاً..احتياجاً...عاطفة...و عُتباً!!

قبلاته العاصفة كانت أكثر جموحاً وهي تدوخها بهذا الدوار الشهي الذي لم تعرفه في حياتها إلا معه !

شعورها بالزمان والمكان يتلاشى فلا تكاد تعي سوى حرارة إحساسه..

لو كان قال لها ألف قصيدة عشق وشوق لما وصلها ربع هذا الشعور الذي اكتسحها الآن ...

دوامة!





هي حقاً دوامة انتهت بهما معاً فوق الفراش وكلاهما منغمس فيها حتى النخاع...

_آه!

صرخت بها فجأة وهي تستعيد إحساسها فجأة مع هذا الألم الذي شعرت به عندما انغرس دبوس حجابها في عنقها ليرفع هو وجهه نحوها بقلق هاتفاً:

_فيه إيه؟!

رمقته بنظرة مذعورة عاد إليها خوفها القديم وهي تسترجع ألماً مغايراً في ذكرى مشابهة ...

بينما تحسس هو رقبتها ليحل عنها حجابها بحذر مردفاً بنبرة ضائقة:

_أنا آسف!





قالها ثم مسد عنقها برفق وأنفاسه اللاهثة تعكس بركان عاطفته ...

لتنظر هي إليه مبهوتة...

كل الذي كان يملأ رأسها الآن أنه قد تحكم في نفسه كي لا يؤذيها !

صرخة واحدة منها كانت كفيلة بإيقافه...

هو ليس مثلهما ..ليس مثلهما!!

يامن لن يؤذيها أبداً!

لكنه لم يكن يميز وسط فوضى ملامحها سوى نظرتها الوجلة التي جعلته يبتعد ليقوم ويعطيها ظهره محاولاً السيطرة على جموح إحساسه بخيبة متوقعة...





والغريب أنها -ولأول مرة- كانت تشاركه هذه الخيبة!!!

أجل...لأول مرة يتخلل شعورها بالذعر شعورٌ آخر...

باللذة الراضية!

لهذا نهضت بدورها لتربت على كتفه فالتفت نحوها ...

تيارات العشق في عينيها تجرف كل مشاعره السلبية الآن ...

ابتسامة واهنة يشتد عودها رويداً رويداً على شفتيه ليجذبها نحوه من جديد مقبلاً وجنتها بعمق ...

بينما أنامله تعزف لحنها الخاص بين خصلات شعرها ليسألها أخيراً وهو يتلفت حوله:





_فين شنطتك؟!

لكنها هزت رأسها لتجيبه بعفويتها المنطلقة:

_ماجبتش حاجة...حتى مافكرتش ...فجأة لقيتني بسيب كل حاجة ورايا وبركب العربية وبسوق على هنا .

ورغم سعادته الطاغية بهذه اللهفة منها لكنه تمالك صوته ليقول بنبرة محايدة :

_وشغلك؟!

_مش مهم...كل حاجة مش مهم...دقيقة واحدة معاك أغلى عندي من أي حاجة في الدنيا.

قالتها بصدق حار وهي تدفن وجهها في صدره مشددة ضغط عناقها حوله فضمها إليه بقوة أكبر وهو يكاد يصرخ من فرط مشاعره...





لكن صرخته لم تكن سوى في آهة عميقة تبعت همسه الدافئ:

_وبعدين في كلامك ده؟!

_ده مش كلام ...وانت عارف.

همست بها بيقين وهي ترفع عينيها إليه بسهام عشقها التي ما عاد يملك له معها حول ولا قوة...

قبل أن ترفع أناملها لتتحسس ملامح وجهه هامسة بقلق أم تطمئن على ابنها الغائب:

_نمت كويس امبارح؟!

_مش باين عليّ؟!

قالها بنفس النبرة المتشحة بعاطفتها فرفرفت رموشها وهي ترى احمرار عينيه المرهقتين لتعاود غرس رأسها على صدره مع همسها:




_أنا كمان ما نمتش ولا لحظة ...وحشتني...وحشتني قوي!

أغمض عينيه بقوة وهو يشعر أنه يفقد قدرته على الصبر مع "ألغام" مشاعرها التي تفجرها وسط صمت أعماقه هذا واحدة تلو الأخرى ...

لم يكن عناقه بعدها مجرد عناق ...

ذراعه كان يضغط ظهرها لصدره صعوداً وهبوطاً وكأنما يريدها أن تنفذ لداخله...

أن يزرعها بين ضلوعه وبعشقها المجنون هذا يرمم ما تساقط من جدار "أمانه"...

يسد ثغرات ماضٍ...ويفتح أبواب غد...واليوم...

اليوم لها ...وبها...ومعها!





وأخيراً أبعدها ليحتضن وجهها بين كفيه وشفتاه

تنثران على ملامحها زهرات قبلاته الناعمة...

زهرات أينعت بين جنباتها لتمنح وجهها ربيعاً بعد

ربيع...

فيبتسم هو أخيراً وهو يشعر معها أن جنة العشق لا

ترتبط برضا"جسد" بل ب"تحليق" قلب...

وما أوسع من سمائها هذه كي يطير بها قلبٌ كقلبه

ملّ جحيم قضبانه ؟!

ردت له ابتسامته بأخرى وهي تميل وجهها لتقبل

راحته المحتضنة

لملامحها ...

ثم أزاحته برفق لتقف هاربة من فوضى مشاعرها

الصاخبة مدعية تفحص الغرفة بقولها :





_دافية قوي الأوضة هنا...بعشق لون الجدار ده ...بحس إنه بيحضنني!

رفع أحد حاجبيه باعتراض غيور وهو يتطلع للون الجدار الذي مزج البرتقالي الغامق مع البني بخطوط طولية رفيعة...

ثم وقف بدوره ليجذبها نحوه من جديد ضارباً جبهتها بجبهته مع قوله العابث:

_ولما الجدار يحضنك أنا أعمل إيه ؟!

ضحكت بسعادة غامرة لتتنهد أخيراً وهي تدفعه برفق قائلة :

_هحتاج آخد دش...وأنااام.





التمعت عيناه بإشفاق واضح وهو يرى ملامحها المجهدة فربت على وجنتها برفق ليراها تتجه نحو الحمام المرفق بالغرفة...والذي أغلقته خلفها...

ملامحه تتعلق بالباب المغلق ليشتعل جحيم جوارحه من جديد

بخيالاته ...

قبل أن تخرج هي مرتدية نفس الملابس وقد تزايد الإرهاق على

ملامحها فاستلقت متهالكة على الفراش لتهتف بنبرة مرهقة:

_ماعدتش قادرة...عينيّ بتغمض لوحدها.

اتسعت ابتسامته المشفقة وهو يقترب منها ليجلس جوارها على طرف الفراش قائلاً بمرحه العابث:





_نايمة بهدومك دي ليه؟! كنتِ أخدتِ حاجة من عندي...مش هتفرق كتير عن بجامات "فطوطة" اللي بتلبسيها في البيت.

ضحكت لتشبيهه وجفناها ينطبقان رغماً عنها لتقول بصوت ناعس:

_شكلي هاضطر لكده فعلاً بس لما أصحى....ما تسيبنيش أنام كتير ...ساعة واحدة بس عشان نلحق بقية اليوم.

ضحك فجأة وهو يزيح خصلة من شعرها تسللت فوق عينيها ففتحتهما بصعوبة هامسة بنفس النبرة الناعسة:

_بتضحك ليه؟!

_افتكرت قصيدة عجبتني قوي لكريم العراقي...لدرجة إني حفظتها !





قالها ببعض الخجل الذي لن تشعر به إلا خبيرة به مثلها فابتسمت لتقول بدهشة:

_يامن حمدي بيحفظ شعر؟! يا نهار أبيض!! من ورايا؟!

ضحك ضحكة أخرى وهو يشيح بوجهه لكنها أمسكت كفه لتضعه على صدرها في موضع القلب تماماً مع همسها الناعس:

_عارفة إنك هترفض تقولهالي كده بالساهل...بس عشان خاطري...عايزة أسمعها بصوتك لحد ما أنام.

أطرق برأسه للحظات متردداً لتعاود همسها الذي اكتسب الآن بعض الثقة من مشاعره:





_لو ماقلتهاش مفيش حدوتة النهارده بالليل...هتقدر تنام من غير حواديتي ليلتين ورا بعض؟!

_ما بتهددش أنا!

قالها وهو يقرص أرنبة أنفها برفق فتأوهت بدلال لتهمس وعيناها تناجيان عينيه بغرامهما الفتيّ:

_بس هتقول عشان خاطري.

تنهد بعمق بينما كورت هي قبضتها الصغيرة على أنامله فوق صدرها ليعاود جفناها انسدالهما تلقائياً فابتسم رغماً عنه ليقول قصيدته..

لما استعارت معطفي

فورا تغير موقفي

يا برد أينك من دمي





أنا شعلة لا تنطفي

* * *

الكل من حولي هتف

برد مخيف وارتجف

وأنا عن الكل اختلف

في داخلي دفء خفي..

فهي استعارت معطفي

* * *

يا معطفي ما أسعدك

قُربي وما.. ما أبعدك

حاولت أن لا أحسدك

يا ليتني أنا معطفي..

يا للهدوء العاصف

* * *

قالت أعطرك أجنبي؟

بالله لا تستغربي

هو عطر قلبي الطيب

قالت بكل تلطف..

تبدو الحنون العاطفي

* * *

وتغامزوا من حولنا

فالحب أصبح معلنا

وسألت روحي هل أنا

محبوبها أم معطفي؟

أين الدليل لأحتفي؟

كانت تسمعه بين يقظة ومنام وهي لا تكاد تصدق أنه تجرأ ليقول لها شعراً!

ابتسامتها تتسع رغم إغماضة عينيها لتتمتم بصوت متباعد بين يقظة ونوم:

_ذوقك حلو وشقي زيك... يا "طيب"!

كانت هذه آخر عبارة وعتها قبل أن تسقط في نوم عميق فظل يرمقها بنظراته العاشقة لدقائق لم يدرِ عددها ...

قبل أن ينتبه إلى أن خامة قميصها الخشنة وسروالها من "الجينز" لن تكون مريحة للنوم -أو هكذا أقنع نفسه- وعيناه تلتمعان بعبث ماكر لتختمر فكرة ما في رأسه قام لتنفيذها الآن...

========





فتحت عينيها لتشهق بدهشة وجلة وهي تجد نفسها ترتدي إحدى

"تي شيرتاته" القطنية السوداء -كالعادة- ، دون سروال...

أجل لم يبدُ جسدها الضئيل مقارنة بجسده الضخم يحتاج لأكثر من هذا وال"تي شيرت" يصل لما فوق ركبتيها بقليل ...

صوت ضحكاته المتشفية جوارها وهو يقف جوار النافذة المغلقة عاقداً ساعديه يثيرها وهي تلتفت نحوه لتهب من نومتها هاتفة :

_أنا غيرت هدومي امتى؟!

ظل يضحك من سذاجتها للحظات جعلتها تضيق عينيها بشك قبل أن تقف لتتوجه نحوه وقد احمرت وجنتاها بانفعالها الخجول الذي ناسب هتافها :





_ما تقولش إنك عملتها!!

_حاضر مش هاقول.

قالها بحاجبين متراقصين مشاكساً فغطت وجهها بكفيها خجلاً لتغمغم من بينهما:

_ياربي...انت مش ممكن!

لكنه اقترب منها ليزيح كفيها عن وجهها المحترق بخجله قائلاً بنفس النبرة المشاكسة:

_خير تعمل شر تلقى...الحق عليّ يعني صعبتِ عليّ تنامي بهدومك التانية !

خبطته بقبضتها برفق على صدره لتتمتم بعتاب خجول:

_والله؟! فيك الخير!





ضحك بانطلاق وهو يضمها نحوه ليقبل شعرها الحبيب فوق قمة رأسها فيخفق قلبها بعنف وهي تخفي وجهها في صدره خجلاً ...وسعادة!

هي لا تدري ما الذي فعله بها لتتبدل مشاعرها السلبية نحو "تماسّهما الجسدي" بهذه الطريقة...

رهابها الذي كان يوشك أن يكون مَرضياً يكاد يتلاشى الآن مع طوفان عاطفته الذي يكتسحها ...

ببطء لكن بثبات كما يقولون...تشعر بجدران خوفها تتصدع مع طرقه الناعم عليها...

براعم أنوثتها تعاود التفتح ببطء تحت شمس مشاعره التي لا يعبر عنها بكلامه الفقير ...بل بأفعاله الجامحة...

بالأمس عشقته مراهقةً خجول...

واليوم تعشقه بصورة أخرى...





صورة امرأة لم يمس ثغرات أنوثتها غيره!

وعند خاطرها الأخير عادت صورة طليقها تجتاحها بعنفوان اعتادته...

لكنها هذه المرة كانت تملك من القوة ما يجعلها تزيحها عن ذهنها قسراً لتتشبث بعناق حبيبها أمامها وهي ترفع عينيها إليه لتنهل من نظراته الحنون ما يروي ظمأها...

وقح ؟!

نعم...كثيراً...كثيراً جداً في الواقع...

لكن ربما هذا بالضبط هو ما تحتاجه من مثلها كي تتجاوز سدود عقدتها...

لهذا ارتجفت شفتاها بابتسامة رقيقة جعلت من وجهها المتورد آية للحسن عندما رفع ذقنها نحوه ليتأمل ملامحها بشغف حار ثم أبعدها





قليلاً ليتفحصها تحت نظراتها الذائبة بخجلها ...

قبل أن يدير ظهرها نحوه ليدفعها نحو المرآة القريبة بقوله العابث:

_اشمعنا هنا ماقلتيش شكراً يا طيب بتاعتك دي؟!

عموماً لو مش عاجبك احنا فيها ...أغيرهولك حالاً!

قالها مهدداً وهو يرفع طرفه فشهقت بحدة لتمسك كفيه هاتفة بسرعة:

_لا لا لا...عاجبني !

_أيوه كده...نعيش اللحظة بقى!

قالها ضاحكاً بمكر فرمقته بنظرة عاتبة خجول ثم رفعت عينيها نحو المرآة تتأمل شكلها بتفحص...





ورغم أنها كانت شبه غارقة فيما ترتديه لكنها كانت تشعر بشعور غريب وهي ترى قميصه يطوقها برائحته الحبيبة العالقة فيه...

شعور حميمي غريب يدغدغها بلطف وهي التي ظنت أنها اختبرت معه أقصى درجات العشق...

والآن تفاجأ بالمزيد!!

العجيب أن إحساسها كان واضحاً كالشمس على ملامحها التي نقلت له الصورة كاملة دون نقصان...

فطوقها بساعديه من الخلف لينحني برأسه على رأسها وهو ينظر إليها عبر المرآة هامساً بنفس النبرة العابثة:

_هتخلليني أغير ذوقي في هدومي ...المرة الجاية هاعمل حسابك معايا في كام تي شيرت ملونين!





اتسعت ابتسامتها الخجول وهي تراقب صورتهما في المرآة بفرحة تقافزت لها دقات قلبها ...

خاصة مع هدايا شفتيه السخية التي انهمرت ناعمة دافئة حلوة كقطرات ندى على بتلات ورد ...

إحساسها الجديد به يتراقص بين ضلوعها بتلك اللذة المستحدثة...

فتغمض عينيها وكأنها تخشى أن يكون كل هذا مجرد حلم تحرمها منه قريب يقظة ...

أناملها تحتضن ساعديه على خصرها بقوة فيخفق قلبه أكثر وهو يشعر بتجاوبها الغريب على نفورها القديم ...

يبتسم أخيراً برضا وهو يديرها نحوه ليهمس لها بأسف:




_هاضطر أسيبك ساعة واحدة بس عشان زمايلي عايزينني تحت...وبعدها هنروح مكان ما تحبي.

_خدني أي مكان نشوف البحر ...نفسي من زمان أروحه معاك.

قالتها بلهفة ليبتسم وهو يهز رأسه بقوله:

_تعرفي؟! قبل ما تيجي هنا بشوية كنت ببص للبحر وبفتكر أد إيه ما بحبوش.

فارتفع حاجباها بدهشة للحظة قبل أن ترفع ذراعيها لتتعلق بعنقه هامسة بدلال واثق:

_تؤ...ده كان زمان...إديني فرصة المرة دي وهاخلليك تعشقه زي مابعشقه.

_هنشوف يا غلباوية!





قالها بتحدٍ عابث وهو يقرص وجنتها مشاكساً ثم منحها هدية ناعمة على شفتيها قبل أن يغادر الغرفة تلاحقه نظراتها المفعمة بعشقها ...

وبعدها بقليل كانت تجاوره في جلستهما على أحد شواطئ المعمورة يراقبان الغروب ...

أناملهما متشابكة ...عيناها متعلقتان بالبحر وعيناه متعلقتان بها هي...

صمتها الآن كان غريباً على طبيعتها المنطلقة بعفويتها ...

لهذا قرب كرسيه منها أكثر قائلاً بحنان امتزج بقلقه:

_ساكتة ليه؟!





التفتت نحوه لتروعه هذه الدموع التي تجمعت في عينيها دون أن تسقط ...

فانعقد حاجباه ليضمِ كفها عفوياً لصدره مردفاً:

_مالك؟!

أخذت نفساً عميقاً ثم أسندت جبينها لكتفه هامسة :

_افتكرت ماما الله يرحمها...آخر مرة جيت فيها الاسكندرية وقعدت فيها قعدة زي دي كانت معاها .

_واضح إنك كنتِ مرتبطة بيها قوي.

همس بها بحنان وهو يمسح دمعة سقطت من طرف عينها فرفعت وجهها إليه لتقول بشرود:

_هي اللي علمتني أبقى قوية ...هي اللي زرعت جوايا الطموح والتفاؤل والثقة في نفسي وفي الناس...كانت عارفة إنها بتربي لوحدها من غير أب يسند عشان كده كان كل همها إنها تبني بنت ما





تتكسرش ولا تحتاج حد ...تعرف لو كانت عايشة عمرها ما كانت هتوافق إني أتجوز واحد زي رامي بالطريقة دي وبالسرعة اللي...

_ما تجيبيش سيرته ولا حتى تقولي اسمه..انتِ فاهمة؟!

هتف بها بحدة مفاجئة يقاطعها لترتجف بين ذراعيه مأخوذة للحظة قبل أن تشيح بوجهها ...

فأطلق سباباً ساخطاً ثم زفر زفرة مشتعلة قبل أن يعيد وجهها نحوه

قائلاً بعينين متقدتين غضباً:

_ماتزعليش مني بس أنا دمي بيفور لما بتيجي سيرة الحيوان ده.

أغمضت عينيها بحزن دون رد فعاد يزفر من جديد ...





ثم صمت قليلاً ليقول وكأنه يسترضيها:

_إيه أجمل حاجة كنتِ بتعمليها معِ مامتك على البحر؟!

ظلت مغمضة عينيها للحظات قبل أن ترتسم على شفتيها ابتسامة حزينة وهي تفتحهما بقولها :

_مش هتصدق!

ابتسم ليحثها على البوح فعادت تغمض عينيها لتغمغم بشرود مسه الشجن:

_أجمل حاجة كنت بحبها منها على البحر لما كانت بتعلمني أعزف على الكمانجا..كانت عندها هواية من أيام باباها الله يرحمه...ورثتها عنه وورثتهالي...بس من ساعة ما ماتت ماقدرتش أمسكها بعدها...




ثم ضحكت ضحكة قصيرة لتستطرد ولازالت مغمضة العينين:

_الناس اللي على الشط كلهم كانوا بيتجمعوا حوالينا يسمعونا ...ناس تستغرب وناس تسقف...وناس تنتقد...بس ماما عمرها ما حطت في

بالها كلام الناس...كل همها كان أنا وبس...كانت دايماً تقوللي :أنا بعمللك جنة من الذكريات عشان لما ييجي بكره بناره تلاقي اللي يسندك...كأنها كانت حاسة إنها هتمشي وتسيبني.

هنا سالت دموعها على وجنتيها رغماً عنها فضمها لصدره بذراعه ليقول لها بتأثر غلبه:

_أنا حبيتها من كلامك عنها ...الله يرحمها.




لكنها مسحت دموعها بسرعة كعادتها لتهزم ضعفها بضحكة مصطنعة مع هتافها:

_أنا بعمل إيه بس؟! مالي قلبتها غم كده ليه ؟! أنا جايباك هنا عشان أغير رأيك في البحر .

ابتسم بعمق عاطفته وهو يقبل رأسها مدركاً محاولتها البائسة لتجاوز حزنها ككل مرة ...

قبل أن يشاكسها بقوله العابث:

_عشان أنا طيب بس...ممكن أسمحلك بفرصة تانية ...اتفضلي الميكروفون مع حضرتك.

فجارته مزاحاً بمزاح لتخبطه برفق على ظاهر كفه بقولها :

_ده بدل ما تقوللي كفاية وجودك جنبي هنا عشان أحب البحر زي ما بحبك.





قهقه ضاحكاً للحظات فعادت تخبطه على كفه بعتاب مازح...

ليهتف هو بها :

_طب بذمتك...عمرك تصدقي إني ممكن أقول الكلمتين دول؟!

فتنهدت بحرارة لتعود برأسها للوراء مستندة على ظهر كرسيها مع قولها الشارد:

_ليه لا؟! كل اللي حلمت بيه معاك اتحقق...

ثم عادت تلتفت إليه مردفة:

_مش هيأس منك ...وراك وراك لحد ما تقولها بلسانك زي ما بتقولها بعينيك.

ابتسم بما بدا كسخرية لكنها كانت تفهم بخبرتها ما وراء ابتسامة كهذه...





فتناولت كفه لتبسطه على راحتها ثم شرعت ترسم عليه بسبابتها رمزهما المميز الذي اخترعته له منذ عشقته...

حرف الياء بالعربية الذي ينثني طرفه ليصنع شكل القلب الشهير ...

ورغم بساطة حركتها لكنه شعر بها تعصف بكيانه ...

كل ما فيها سهل...بسيط...سلس...كأنفاسه عندما تدخل صدره وتغادره...

لكنه فخم...عظيم...مقدس...ك"سر الروح" الذي لم يفطن إليه أحد !

لهذا مد أنامله الحرة ليحتضن كفيهما معاً فرفعت إليه وجهها لتتعاطى العيون ما بخلت به الألسنة ...





دقيقة...اثنتان...عشرة...أو ربما مائة...

لا جدوى للعدد هاهنا...فهذه اللحظات تفر كاللص

من حساب الزمن...

لكنها كانت أول من انتبهت من سكرتهما العاطفية

هذه عندما عم الظلام ليرتجف صوتها وهي تغمغم

بقلق صار يتفهمه:

_الدنيا ضلمت ياللا نمشي.

ابتسم مشفقاً وهو يدرك خوفها من الظلام ليقوم

معها ولايزال يقبض على كفها ...

فيسير معها على الرمال صامتاً لبعض دقائق ...

قبل أن يقول لها ما بين جد وهزل:

_لو جينا هنا تاني ممكن أغير رأيي في البحر.

ابتسمت وهي تلصق نفسها به أكثر فضغط كفها في

راحته ليردف بنبرة أكثر مرحاً:





_ولو في يوم ربنا رزقنا ببنت...معنديش مانع تعلميها عزف الكمانجا...

خفق قلبها بقوة وكلماته تنعش أملاً خفياً في نفسها ...

أملاً تخشى حتى مجرد تصديقه...

وتتركه -طوعاً وقسراً- فريسة سهلة لهواجس ماضيها!!

فدمعت عيناها بألم وليد أمل ...

لكنه نجح في انتزاع ابتسامتها من جديد بقوله المشتعل بفظاظة غيرته:

_بس هادفنكم سوا لو عزفتي معاها ع الشط قدام الناس!

==========





_مفاجأة!!

هتفن بها جميعاً في نفس الوقت فانتفض مندهشاً

وهو يفتح باب شقته ليجد أمه وبنات خالته

وأشرف مع ياسمين ملتفين حول مائدة السفرة

التي اعتلتها كعكة عيد ميلاد كبيرة...

فابتسم رغماً عنه لكنه كتم رضاه خلف ملامحه

الجادة وهو يتقدم منهم قائلاً باستنكار مصطنع:

_إيه ده ؟! هو أنا لسه عيل صغير بتعملوا له عيد

ميلاد؟! من امتى أنا بتاع الحاجات دي؟!

_قلت لهم كده ...هي اللي صممت!

هتفت بها داليا بتحفز مشيرة لياسمين التي التفتت

نحوه لتقول برقتها المعهودة:

_ده أول عيد ميلاد لك واحنا مع بعض ...حبيت

يكون مختلف.





ورغم الامتنان الطاغي الذي شع من نظراته لكنه تجاهل الرد وهو يصافح أشرف بقوله:

_حتى انت يا "عاقل" مهاودهم على الجنان ده ؟!

ابتسم أشرف ابتسامة شاردة أقلقته وهو يشعر بشيء ما غريب في

ملامحه لكن هانيا جذبت انتباهه أكثر عندما تقدمت منه لتصافحه هاتفة بحرارة :

_كل سنة وانت طيب يا يامن.

_فين رامز ؟! ما جاش ليه؟!

سألها وهو يتلفت حوله فتغيرت ملامحها للحظة قبل أن تبتسم بتصنع لتجيبه:





_مشغول شوية ...معلش.

رمقها بنظرة متفحصة وهو يشعر أنها هي الأخرى تخفي عنه شيئاً فانفرجت شفتاه وهو يهم بسؤالها لكنه ما كاد يفعل حتى بادرته نبيلة بقولها :

_كل سنة وانت طيب .

ربما في ظروف أخرى ما كانت عبارتها لتجد كل هذا التأثير في قلبه...

لكنه -وللعجب- وجد في نفسه صدى غريباً لكلماتها...

ربما هو الدفء الذي شعر به يطوق حروفها ...

دفء غريب على برودة علاقتهما المعهودة..

دفء لم ينل نصيبه من كلماتها فحسب بل من نظرات عينيها التي التمعت ببريق حقيقي ...وكأنه بريق دموع!





لهذا اتسعت عيناه قليلاً وهو يرد عليها رداً تقليدياً

بينما يمد يده إليها مصافحاً كالعادة ...

هل هيئ إليه أنها اندفعت بجسدها قليلاً ...قليلاً جداً

للأمام وكأنها ستعانقه ؟!

ربما...

ابتسامتها المرتجفة على شفتيها تقول :نعم....

لكن كبرياءها العنيد في نظراتها يقسم أن...لا!

لهذا تجمد مكانه للحظات قبل أن يصافحها تقليدياً

وعيناه العنيدتان تتحاشيان عينيها ...

_ياللا نطفي الشمع.





هتفت بها ياسمين بسعادة وهي تتأبط ذراعه لتتقدم
به نحو المائدة فمال على أذنها هامساً بنبرة
متوعدة لم تخلُ من مرح:

_خفي الدلع شوية ...أشرف موجود.

أومأت برأسها في طاعة فرحة بغيرته كالعادة
فابتسم وهو يتفحصها بنظراته ...

ثوبها الفيروزي الهادئ الذي غطى جسدها الضئيل
كاملاً والذي أضفى ظلاله على عينيها العسليتين
ليمنحهما طيفاً سماوياً زادهما فتنة...

ورغم أن حجابها العريض الذي غطى مقدمة
صدرها أرضى غيرته لكنه أفسد عليه مزاجه
العابث الذي كان يشتهي التدقيق كما يجب ...

_حلو قوي فستانها ...صح؟!





قالتها نبيلة بمكر أنثوي وهي تلاحظ تعلق نظر ابنها بزوجته فتنحنح ليقول بخشونة:

_كويس.

قالها وقد ساءه أن تلفت عبارة أمه نظر أشرف إلى ياسمين التي كانت تفهم شعوره من خبرتها القديمة به لهذا غيرت الموضوع بسرعة:

_أنا اللي عاملة كل حاجة بإيدي ...بجهز من امبارح .

توهجت عيناه بإعجاب وهو يطالع المائدة أمامه ... والتي افترشتها العديد من الأصناف تتوسطها كعكة كبيرة بالشيكولاتة السوداء اعتلتها صورة مبتسمة له -كما اتفق- وقد زينت طرفها ب"رمزهما" المميز لحرف الياء الذي تقدسه ...





_تسلم إيديكِ .

قالها جميعهم عدا داليا التي أعمتها غيرتها كالمعتاد...

وعداه هو الذي ود لو يغيرها بقوله:"يسلم قلبك"!

أجل...هو أكثر من كان يدرك الآن أنها صنعت كل هذا مدفوعة بعشق قلب ليس كأي قلب!

هنا تعاود وساوسه مهاجمته...

ذكريات متباعدة من كوابيسه الليلية المعتادة تجتاحه بقسوة...

لكنه يغمض عينيه بقوة مقاوماً جحيم نفسه ليسمعهم جميعاً يغنون أغنية عيد الميلاد الشهيرة...




C i n n a b o n

قلبه يرتجف بفرحة لم يعرفها من قبل بهذا العمق...

عيناه تدوران بينهم كتصوير "كاميرا" بطيئ...

تتمهلان على ملامح كل فرد فيهم وكأنه يتشبث بهذا الحب ...

ملامحه شبه متجمدة صلبة كعهده...

وحدها روحه تُحلّق!

يفتح عينيه أخيراً ليشعر بكفها يحتضن كفه ...يلتفت نحوها بابتسامة حب تسع الكون كله...

فتجزيه عنها عيناها جنة من عشق سرمدي!

_طفي الشمع.





قالتها بصوت يتراقص سعادة فانحنى بجذعه معهم ليطفئوا جميعاً شموع الكعكة التي وضعتها ياسمين بعدد سنوات عشقها له...

وحده هو وهي كانا يدركان سر العدد...

وبعيداً عن تأقلم لسانيهما التقليدي مع الحضور ...

كان قلباهما يتراقصان معاً رقصتهما الخاصة وحدهما !

وفي مكانها وقفت هانيا تقلب بصرها بين يامن وزوجته..ورانيا وزوجها ...

نظراتها تفضح حسرة وعجزاً عجزت عن كظمه وهي تشعر بغصة في حلقها ...





هي تحاول تغييب عقلها عن وعيه منذ تلك الليلة العصيبة التي تركت فيها رامز في حفل الزفاف مع غادة...

غادة البائسة التي ملت كثرة اتصالاتها لها بينما ترد عليها هي باقتضاب متعللة بانشغالها في المذاكرة...

لا بالطبع لم تخبرها عما سمعته تلك الليلة...

ولن تفعل!

كبرياؤها لن يسمح لها أن تضع نفسها في هذا الموقف!

هل تشك حقاً بوجود مشاعر ما بين صديقتها وزوجها؟!

لا...نعم...بل...ربما!!

هي لا تدري...لم تعد تدري...





هي تعرف الكثير عن سلبية غادة وضعف شخصيتها ...

فكيف لو ترافق هذا مع ماضي زوجها الذي اعترف به بنفسه ؟!

هل خانها رامز حقاً ولو بعقله؟!

هل وجد ضالته المنشودة في دلال امرأة مع مغناج بطبيعتها كغادة ؟!

هل نفد رصيد عشقها هي الذي كان يدعيه؟!

هل ستواجه أسوأ مخاوفها بفقده كما كانت تخشى؟!

_تعالي معايا يا هانيا.

شهقت بعنف لتفيق من شرودها على عبارة يامن خلفها فالتفتت نحوه لتطالعها عيناه القلقتان ...

ازدردت ريقها بتوتر وهي تسير خلفه مبتعدين عن الحضور حتى وصلا إلى الشرفة الخارجية فبادرها بقوله :

_فيه إيه بقا بالضبط؟! وإياك تقولي مفيش!

راودتها نفسها بالكذب للحظة لكنها كانت تحتاج حقاً من تبوح له بمخاوفها ...

فتنهدت بحرارة لتحكي له ما حدث كما تراه...

ظل صامتاً يستمع إليها بصبر ولم تكد تنتهي من سرد موقف ليلة الزفاف الأخير حتى هتف بها بحنق:

_وطبعاً هربتِ وسبتِ الأمور متعلقة من يومها!

_ماقدرتش أواجهه يا يامن...ماقدرتش!





هتفت بها لتنهار في البكاء فجأة فزفر بقوة ليقترب منها أكثر بقوله الحازم:

_دي غلطتك من الأول وأنا حذرتك...ماينفعش تحطي البنزين جنب النار وبعدين ترجعي تستغربي.

انخرطت في بكائها أكثر فرق لها قلبه ليصمت قليلاً قبل أن يعاود سؤالها بنبرة أكثر رفقاً:

_ما كلمكيش من يومها؟!

هزت رأسها نفياً وهي تمسح دموعها لتغمغم بعجز:

_أبداً...كأنه ما صدق .

عقد حاجبيه بغضب ليهتف بحمائيته المعهودة:

_وأنا مش هاسيبه معلقك كده .

_هتعمل إيه؟!





هتفت بها بذعر أبت الاعتراف به فزم شفتيه بقوة ليهتف بها :

_لسه باقية عليه؟!

اتسعت عيناها قليلاً مع ارتجافة شفتيها وهي لا تعرف الإجابة...

_قولي آه أو لا!

هتف بها بحزم لترد بمواربة:

_لو اتأكدت إنه فعلاً خانني أكيد مش هافضل مع راجل خاين.

_هو ده اللي كنت عايز أسمعه بالضبط!




قالها ملوحاً بسبابته في وجهها ليردف بنفس الحزم:

_"لو اتأكدتِ" دي !....و دي بقا مش هتيجي لحد عندك وانتِ حابسة نفسك وسط كتبك ومذاكرتك ودافنة راسك في الرمل ...عشان كده لازم أتكلم معاه عشان أشوف نيته وأسمع منه .

_لا!

هتفت بها قاطعة لتردف بصوت عادت إليه قوته:

_مش هاخد أنا الخطوة الأولى يا يامن...لو كلمته انت هيقول إني ضعفت وبجرّ

ناعم...أرجوك ...عشان خاطري سيبني أنا أحلها.

_هتعملي إيه ؟!

_هتأكد أنا بطريقتي ...ولو طلع اللي في دماغي صح...مش هافضل على ذمته لحظة واحدة .





قالتها صارمة وكأنما تلبستها روح امرأة أخرى غير هذه التي كانت تبكي منذ قليل ...

فأطرق برأسه قليلاً ثم رفع إليها عينيه بقوله الآسف:

_كان نفسي أخالفك في قرارك...بس...إلا الخيانة...دي بالذات ما بسامحش فيها لا ليّ ولا للّي يخصني.

عادت عيناها تدمعان لكنها تصنعت التماسك لتمنحه ابتسامة واهنة مع قولها:

_ما تقلقش عليّ...انت عارفني شبهك...ما بتكسرش.

التوت شفتاه بابتسامة ساخرة حملت مرارته وهو يرمقها بنظرات مشفقة...





هؤلاء الذين يدعون أنهم أقوياء لا ينكسرون هم أول من تحطمت حصون بواطنهم فلم تذر سوى قشرة واهية !

لهذا تنهد أخيراً بحرارة وهو يود لو يخبرها :

_وعشان شبهي ...خايف عليكِ تتكسري.

لكنه استبدلها بعناد يماثل عناد كبريائها:

_أيوة كده...هي دي هانيا اللي أنا عارفها .

اتسعت ابتسامتها المصطنعة وهي تغير الموضوع بقولها:

_سيبك من كل ده...كل سنة وانت طيب...أنا فرحانة قوي عشانك...ياسمين شكلها فعلاً بتحبك قوي.





ابتسم وهو يلتفت برأسه للداخل فجأة يبحث عنها

ليجد عينيها كالعادة تلاحقانه...وكأنما لا تريان

غيره !

عجباً ...هو يشعر أنه اشتاقها في هذه الدقائق

القليلة التي قضاها مع ابنة خالته ...

لكن اشتياقه لا يُقارن بهذه النظرة العميقة في

عينيها التي ترمقه بها...

وكأنه تركها منذ مائة عام.

إلى متى سيظل يشعر أنها تتفوق عليه عشقاً؟!

مركزها الأول على قمة هرم الحب لا يبدو أنه

سيتمكن يوماً من منافستها فيه!

لكن...هل يريد حقاً أن يفعل؟!

لا...فلتعشقه حتى تبلغ حدود منتهاها ...

حلالٌ في عرف هذا الحب الأنانية!





_اشمعنا هانيا اللي خدتها تكلمها لوحدها وتطمن عليها ؟!

هتفت بها داليا بسخط وهي تفاجئهما بوقفتها المتنمرة مستندة على باب الشرفة فابتسمت هانيا لتتقدم نحوها قائلة بخجل:

_انتِ لسة زعلانة مني من يومها ..خلاص بقا يا بنتي ...قلت لك اتلبخت والله ...نسيت!

قالتها وهي تتذكر ذاك اليوم الذي وعدتها فيه بصحبتها للغداء كي تطمئن على أحوالها لكنها نسيت الموعد برمته وسط انغماسها في مشكلتها هي الخاصة...




هذا الذي لم تمرره داليا بسهولة كما يبدو ...

وها هي ذي ترمقها بنظرتها الحادة مع قولها:

_الله يكون في العون ...ماعدتش بزعل من حد!

_سيبينا لوحدنا يا هانيا.

قالها يامن حازماً فامتثلت لأمره قبل أن يشير بيده نحو داليا أن اقتربي ...

فتقدمت نحوه ولازالت عاقدة ساعديها بتحدٍ صامت ليهز رأسه بأسف قائلاً:

_أحوالك مش عاجباني.

دمعت عيناها لكنها أشاحت بوجهها بعناد مما أثار حفيظته أكثر ليردف بنبرة أكثر حدة:

_أنا مش عارف انتِ ليه دايماً كده ؟! ليه دايماً حاسة إن فيه حاجة ناقصاكِ؟! ليه بتتعمدي تأذي





الناس بكلامك وتصرفاتك ؟! احنا مقصرين معاكِ في إيه ؟!

التفتت نحوه بحدة وشفتاها تقسمان أنها على وشك التفوه بما ستندم عليه...

لكنها أطبقتهما بقوة لتستبدل هذا بدموع عينيها الصامتة...

فاستغفر الله بصوت مسموع ليقترب منها خطوة قائلاً بنبرة لانت كثيراً:

_انتِ عارفة لما خالتي الله يرحمها ماتت كان عندك كام سنة؟! عارفة إنتِ بالذات وسط إخواتك تبقي عندي إيه ؟!

ورغم أن الحنان المغلف لكلماته مس قلبها بصدقه لكن طبيعتها المتمردة لم تشأ الاعتراف بهذا ...





لهذا لوحت بذراعيها قائلة بغضب وسط دموعها:

_كل واحد فيكم داير في ملكوته ...محدش حاسس بي ولا مهتم يعرف عني حاجة ...كل همكم رحت فين ...جيت امتى ...ذاكرت واللا لا...ولو اتكلمت تعايرني بالسجن الذهب اللي حاططني فيه .

_أعايرك؟!

هتف بها باستنكار ساخط ليخزها بسبابته في كتفها ببعض العنف مردفاً :

_انتِ مقدرة كلامك ده واللا مش مقدراه؟! لو دماغك صغير ما تلوميناش لو عاملناكِ على أد تفكيرك...أنا مش فاهم بالظبط انت عايزة إيه ؟! كل طلباتك مجابة...على أد ما بيسمح وقتي بزوركم كل يوم عشان أطمن عليكم...لسه الأسبوع اللي فات





جايب لك عربية بسواق مخصوص عشان توصلك

أي حتة عايزة تروحيها ...عايزة إيه تاني؟!

_انت ماجبتش العربية عشان تريحني ...انت جبتها

عشان تراقبني وتحدد حريتي!

هتفت بها مكابرة وهذا الأمر بالذات يثير حفيظتها

كثيراً ...

ورغم أنه كان يعلم أنها على حق فهو فعلها بعد

تحذير مروان له ...

لكنها هتف مكابراً هو الآخر:

_حتى لو كده ! هو ده مش برضه خوف عليكِ

وعلى مصلحتك ؟!

_أنا ماعدتش صغيرة وعارفة مصلحتي كويس!





هتفت بها بنزقها المعهود فتأفف بضجر محاولاً كظم غيظه ليقول لها أخيراً:

_ماشي...قولي لي عايزة إيه دلوقت بعد المحاضرة الطويلة دي!

_مش عايزة حاجة...بكرة هاستغنى بنفسي وماعدتش هاعوز حاجة من حد!

_يعني إيه بقا الكلام ده ؟!

هتف بها بنبرة مهددة وعيناه تشتعلان بغضبه الذي أخافها لترتجف شفتاها قليلاً قبل أن تقول بنبرة خاضعة مرتبكة:

_مفيش...قصدي لما آخد شهادتي .

رمقها بنظرة متشككة للحظات وهو يشعر بالعجز مع هذه الصغيرة

بالذات...





رأسها العنيد المفعم بأفكار لا يعرفها لكنه يستشعر خطورتها ...

ماذا عساه يصنع معها ؟!

"جيل مهبب!!"

هكذا تمتم في نفسه بسخط وهو يشعر أنها تخفي عنه شيئاً لكنه كان

خالي اليد معها إزاء إصرارها على الصمت...

وهاهي ذي تلملم أذيال ثورتها لتردف بخنوع لم يخدعه:

_عموماً كل سنة وانت طيب...معلش لو عكننت عليك الليلة دي!





فعقد حاجبيه بضجر ثم تنهد ليقول بحزمه الحاني:

_خللي بالك من نفسك يا داليا ...ولو عزتِ تاخدي رأيي في أي حاجة أنا هاسمعك للآخر ...بس شيلي من دماغك الأفكار السودة دي ...

أومأت برأسها مخفية عنه نظراتها المفعمة بشعورها بالذنب "مما تخفيه عنه"...

ليردف هو بابتسامة واهنة:

_لو جبتِ التقدير السنة دي...هاسفرك بره ...مش كان نفسك تروحي تركيا أو دبي؟!

التمعت عيناها بلهفة طفولية أرضته وهي ترفع رأسها إليه ...

فاتسعت ابتسامته الحانية وهو يخبطها بخفة على رأسها قائلاً ببعض الارتياح :

_ياللا يا مجنونة ندخل لهم ...بطلي دلع.





دخلت أمامه وهي تشعر بنفس دوامة التخبط تعاود مداهمتها ...

اتفاقها "الخفي" مع معتز يخز ضميرها لكنها لم تستطع ليلة هاتفها أن ترفض عرضه المغري...

ستكون نجمة مثل بيللا !

لن يتحكم فيها أحد بل ستكون سيدة قرارها...

قِبلة العيون...ومحط الأنظار...

لا يهم ما الذي ستخسره في المقابل ...

هي مغامرة ستخوضها مستمتعة بنشوتها للنهاية !!

عاشقها المجهول؟!

لا ...لم تخبره عن هذا بالطبع!

رغم أنها تحدثه يومياً عبر الرسائل الالكترونية ...

لكنها تكتفي بسرد أحداث يومها العادية وكأنه فقط مجرد صديق...

لقلبها رأي آخر؟!

بصراحة...نعم!

هي لا تدري سر هذه الجاذبية التي تحوط شخصه الخفي لكنها صارت تستعذب حديثه...ملاحظاته...أفكاره...نصائحه التي لا تدري لماذا لا تضيق بها كالمعتاد...

نكاته التي لايزال يصر أن يجعلها بالفصحى رغم تقاربهما المتزايد ...

ومع هذا لم تعد تراها ثقيلة الظل...

بل صارت تحسها لذيذة ...مثله!




أجل...هو هالة مميزة وحده وسط فوضى حياتها المبعثرة!

هيثم؟!

شعور جارف بالحنين نحو صداقته لكنه يخفت يوماً بعد يوم ...

لقد تخلى عنها -كما تظن- وهي لم تكن يوماً بمن يتشبث بالذي أعطاها ظهره!

مروان "القبيح"؟!

هذا الذي يغزو فكرها بين آن وآخر بشعور وجل ...

هو لم يتعرض لها منذ تلك الليلة التي قابلها فيها ...لكنها اصطدمت به يوماً وهي في طريقها للجامعة قبل أن يقرر يامن أن يخصص لها سيارة بسائقها...

لم يحدثها يومها مكتفياً بنظرة عميقة طويلة...

لكنها تشعر بتهديد مستتر من ناحيته ...

لا بأس !

غداً ستحقق ما تطمح إليه مع معتز الشريف...

ساعتها لن تشعر بخوف من أحد ...ولن يكبل آمالها أحد!

=======

أغلق الباب خلفهم بعد خروجهم ليلتفت نحوها بنظرة طويلة صامتة...

فاقتربت منه لتتعلق بعنقه هامسة بحرارة:





_كل سنة وانت طيب ...يا طيب.

_وانت أطيب.

همس بها بحنان فاض وسط حروفه القليلة وهو يضمها إليه فمرغت وجهها في صدره وهي تهمس له بصوت متهدج:

_من يوم ما عرفت التاريخ ده وأنا حافظاه في دماغي...بحلم باليوم اللي هيبقى من حقي فيه إني أحتفل بيه معاك...مش مصدقة إن خلاص جه اليوم ده.

أغمض عينيه بقوة كاتماً تأثره من هذا الصدق الذي كان يشع من كلماتها ...





بينما رفعت هي إليه عينيها لتتحسس وجهه بأناملها وكأنها حقاً لا تصدق أن حلمها تحقق ...

ليتنحنح متمالكاً مشاعره بقوله:

_تعبتِ قوي النهارده ..ليه ماخلتيش حد يساعدك في تحضير الأكل؟!

ولا تزال كلماتها العذبة تكتسح حصونه:

_تعبت؟! ده أنا عمري ما حسيت بفرحة معاك زي الليلة دي! كفاية إحساسي بنظرة عينيك واحنا كلنا ملمومين حواليك...وانت وسطنا حاسس أد إيه بنحبك...عينيك بتلمع اللمعة اللي أنا بس بحسها لما بتضحك من قلبك...ملامحك متطمنة إننا معاك مش هنسيبك ولا هنخذلك...قلبك كأني سامعة صوت دقاته في مكاني.





فالتوت شفتاه بابتسامة شجن وأنامله تعزف لحناً شارداً على خصرها للحظات...

قبل أن تبتعد هي لتقول بنفس النبرة الحالمة التي خالطها الآن شيء من المرح:

_استناني دقيقة...هاجيب لك هديتك.

ارتفع حاجباه بدهشة للحظة وهو يتابعها تعدو بخطواتها المنطلقة نحو غرفتها لتعود بعد دقيقة حاملةً شيئاً ما في قبضتها المتكورة...

قبل أن تقترب منه وقد أخفت ذراعيها خلف ظهرها قائلة بنفس المرح الشغوف:

_غمض عينيك.





خفق قلبه بعمق عاطفته وهو يمتثل لرغبتها بترقب لا يليق برجل مثله ظن يوماً أنه لم يعد في هذا الكون ما يغريه!

والآن يجد نفسه يتواثب كطفل فوق مربعات غرامها السحرية منتظراً مفاجآتها !

ليفيق من أفكاره على ملمس أناملها الناعم على إصبعه الذي طوقته بخاتمها مع همسها الدافئ:

_دلوقت بس حاسة من حقي إني ألبسك دبلتي.

فتح عينيه ببطء ليتطلع لذاك الخاتم المميز بفصه "الأسود" الثمين الذي استقر في بنصره ...

والذي قبلته هي الآن بعمق لتردف وعيناها تجتاحان عينيه ...

بل كيانه كله:

_مش هتقلعه يا يامن ...مش هتقلعه أبداً !





برجاء...

بحزم...وربما بدت كدعاء خاشع ...قالتها !

لكن المؤكد أنها حملت طوفاناً غامراً من عشق

اكتسحه ليجد شفتيه تتمتمان دون إرادة :

_أبداً.

دمعت عيناها وهي تعاود التعلق بعنقه فاعتصرها

بين ذراعيه للحظات بدت وكأنها طويلة ...

طويلة بعمر الزمن !

وقصيرة...

قصيرة...بعمر الفرح!

دقات قلبيهما تتعانق قبل جسديهما...

والأنفاس الحارة تحكي ألف قصة للشغف...

كيف يمكن أن يختزل العالم في عناق؟!





أن يختزل العمر في ساعة؟!

أن يختزل العشق في جسد بهذه الضآلة وفي قلبٍ بهذه السِعة؟!

_أنا كمان جبتلك هدية.

همس بها وهو يبعدها أخيراً لتلتمع عيناها بترقب فرح مع ضحكتها:

_بس ده عيد ميلادك انت...مش أنا.

_من غيرك ماكانش هيبقى حلو كده.

قالها صادقاً فتوهجت ملامحها بعاطفتها وهي تهتف بانطلاقها المعهود:

_شكراً يا ط..آه...




انقطعت عبارتها بصيحة دهشة عندما انحنى ليحملها فجأة بين ذراعيه كطفلة ليتوجه بها نحو الدرج فتعلقت بعنقه وهي تهتف بين خجل وفرح:

_طب شايلني ليه ؟! نزلني وهاطلع أنا.

_ششششش...هتسكتي واللا أطلع قرار ديكتاتوري الليلة دي ما تتكلميش خالص؟! وبالمناسبة...الليلة طويلة !

توردت وجنتاها بخجل وقلبها يخفق بتلك الدغدغة اللذيذة التي أنستها خوفها المعهود في تقارب كهذا ...

لتجد نفسها تخفي وجهها في صدره مغمغمة بمرح خجول:

_خلاص سكتنا!





شدد ضغط ذراعيه حولها وهو يصعد حاملاً إياها حتى غرفته التي أرقدها برفق على فراشها قبل أن يلوح بسبابته في وجهها قائلاً بعينين ملتمعتين :

_هتقعدي هنا لحد ما أنزل أجيب حاجة م العربية وأرجع...لو فتحت عينيك قبل ما أطلع هاعاقبك بطريقتي...هه؟!

ازداد احمرار وجنتيها المنفعل وهي تغمض عينيها لتومئ برأسها في طاعة جازاها عنها بهدية ناعمة على شفتيها قبل أن تشعر به يبتعد ليغادر الغرفة...

تنهدت بحرارة وهي تغمض عينيها أكثر وكأنها لا تريد أن تفتحهما...

ما الذي يمكنها رؤيته الآن أفضل من هذا الفردوس العامر الذي يعدو فيه قلبها ؟!





من هذه السماء التي بسطت لها من الغيمات سلّماً ودعتها لترتقي درجاته ؟!

من هذه النجوم التي تكدست تحت قدميها لترفعها نحو عناق القمر؟!

طائرة ...محلقة...بل طائفة سرمدية في مدار عشق ما كان له أن يفنى!

_شاطرة...فتحي عينيكِ!

قالها بصوته العابث الحبيب لينتزعها من شرودها ففتحت عينيها ببطء لتتلاشى ابتسامتها تدريجياً وهي ترى ما يحمله...

نظراتها تكتسي بحزن لم تملكه وهي تهمس بدهشة:

_كمانجا؟!





والدهشة البائسة في لكنتها كان لها ما يبرره وهي ترفع إليه عينيها بقولها المتذبذب:

_مش قلتلك إني ما عزفتش عليها من يوم ما ماما الله يرحمها ماتت...هي اللي علمتهالي...ومن ساعة ما ...

انتهت عبارتها المتلعثمة بأنة خافتة فتنهد بحرارة ثم جلس جوارها على طرف الفراش ليحتضن كفها بكفه هامساً بحزم حنون:

_عارف كل ده...بس جه الوقت إنك تتغلبي على حزن الماضي ...أنا متأكد إنك مشتاقة تعزفي عليها بس خايفة...والخوف ده هو اللي أنا نفسي تعديه...

ثم صمت لحظة ليردف:

_قصدي ..نعديه!





تجمعت الدموع في عينيها والآلة العزيزة تعيد إليها الذكرى الغالية فامتدت أناملها المرتجفة نحوها لكنه أبعدها بسرعة قائلاً بابتسامة لعوب:

_عايزة تعزفي كمانجا بالشوال اللي انت لابساه ده ؟!

فارتفع حاجباها باستنكار ناسب سؤالها:

_شوال؟! ده شوال؟!

قالتها وهي تتحسس ثوبها الأنيق الذي أشادت به نبيلة نفسها في الحفل ليرفع حاجبه مجيباً :

_آه ...مقارنةً بده!

قالها وهو يرفع بيده العلبة الضخمة التي انتبهت لها أخيراً والتي استخرج منها الآن ثوباً أرجوانياً استعرضه أمام عينيها الذاهلتين مع قوله:

_هه؟! شوال واللا مش شوال؟!





انفرجت شفتاها عن صيحة خافتة فغطتهما بأناملها وهي تتأمل الثوب الكارثي

بتفاصيله...الرائعة..والمربكة!

وكيف لا؟!

وهي تراه متناهي القصر بلا أكمام..بلا أي شيء تقريباً!!!

فقط بعض الشرائط الرفيعة المتداخلة التي تشكل ظهره ...

بينما تزين صدره بفراشات منمنمة حملت كل ألوان الطيف بدرجة فاتحة رقيقة...

ليضيق خصره ويتسع ما بعده بتموجات مذهلة!

ازدردت ريقها بتوتر رغم إعجابها به وهي تتخيل شكلها فيه لتهمس له متلعثمة:





_بس ...ده...

لكنه وضع سبابته على شفتيها مقاطعاً ليحتوي نظراتها الخائفة بهمسه القاطع:

_قومي البسيه من غير كلام.

رمقته بنظرة مترددة لكنه جذبها من كفها ليقف ويوقفها معه مردفاً بنفس الحزم العابث:

_هتلبسيه بما يرضي الله واللا استنى ألبسهولك زي التي شيرت الأسود بما لا يرضي الله ؟!

ابتسمت رغماً عنها وهي تتذكر ما يحكي عنه لتتناوله منه متمتمة باستسلام:

_خللينا بما يرضي الله .

_أيوه كده !





قالها وهو يرفع إبهامه مع قبضته المضمومة بتلك الحركة الشهيرة في وجهها فضمت الثوب لصدرها وهي تتوجه نحو الحمام المرفق لغرفته بخطوات أثقلها ترددها...

أغلقت الباب خلفها لتنزع عنها ملابسها قبل أن تشرع في ارتداء الثوب...

نظرة قصيرة لنفسها في المرآة أتبعتها بإغماضة عين وجلة!

المشاهد تتوالى في عينيها بجحيم من ماضيها مع ذاك الوغد.....

قطرات العرق البارد تتجمع على جبينها ...

لكنها تتحسس عنقها ببطء وهي تتذكر ليلتها مع يامن في الفندق...

آهة واحدة منها كانت تكفيه ليبتعد...





يامن أبداً لن يؤذيها ...أبداً!

هنا فتحت عينيها من جديد لتطالع صورتها في المرآة بنظرة أخرى...

أكثر ثقة...أكثر رضا...وأكثر أماناً...

عيناها تلتمعان بترقب بينما أصابعها تربط شريط الثوب الخلفي لتزيد من التصاقه حول جسدها...

ابتسامتها ترتجف بخجل انتابه بعض العبث وهي تتوقع غزله لها عندما يراها...

وجنتاها تحترقان انفعالاً وجسدها يرتعش لكنها ترفع أناملها لتمشط شعرها بتلك الطريقة التي يحبها عندما تسدل بعضه على نصف وجهها بينما ترفع بقيته ليظهر وجنتها الطفولية الممتلئة وأذنها "المنمنم" كما يسميه!





تبتعد قليلاً عن المرآة لتحصل على صورة أكثر وضوحاً...

فيعود جسدها لرجفته وهي تتأرجح بين شعورها بالثقة والخوف...

_لسه كتير؟!

هتافه من الخارج أفزعها فاحتضنت جسدها بذراعيها وقد فكرت للحظة في نزع ذاك الثوب والعودة لثوبها القديم "الآمن"...

لكن...

_ياسمين...انتِ كويسة؟!

بهذه اللهجة الحنون القلقة جعلتها ترمق نفسها بنظرة واثقة أخرى قبل أن تتوجه نحو الباب لتفتحه....

وهناك كانت مفاجأتها التالية ...

فالغرفة كانت مغلقة الأضواء إلا من شمعتين كبيرتين هناك ...

مستديرتين بشكل قلب أحمر مستعرض ...

وتنبعث منهما رائحة التفاح التي تعشقها ...

ربما هذا ما خفف حدة توترها مع خوفها -المعهود- من الإضاءة الخافتة...

والمفاجئة هذه!

بينما لم يكن هو أقل تأثراً بمفاجأتها وهو يراها بهذا الثوب أجمل كثيراً مما تخيله...





شعرها الذي طالما أثاره منتفضاً بفوضوية حول ملامحها العجيبة بين براءة وإغواء...

وجسدها يلتف في هذا الثوب كثمرة عشق شهية...

وكأنما فرت فراشاته الرقيقة التي تناثرت على صدره من قلبها لقلبه مترنمة بحبهما معاً !

عيناه تتمهلان في سيرهما على طول جسدها حتى تصطدمان بقدميها الحافيتين اللتين تثيران جنونه أكثر...

هنا يرفع وجهه لعينيها لتروعه النظرة الخائفة التي سكنتهما...

فضمها إليه برفق هامساً:

_لو خايفة ...أفتح النور.





أومأت برأسها باستحسان فظهر بعض الخيبة في عينيه وهو يبتعد عنها نحو زر الإضاءة...

لكنه ما كاد يصل إليه حتى شعر بها خلفه ...

أناملها تحتضن أنامله تمنعها بهمسها المرتجف:

_لا....خلاص.

فارتسمت على شفتيه ابتسامة رائقة وهو يلتفت نحوها ليعانق ملامحها بنظراته الشغوف التي زادت ارتباكها...

هنا أخذ نفساً عميقاً متمالكاً شعوره ليجذبها نحو آلة الكمان هناك حيث ناولها لها قبل أن يجلسها برفق على الأريكة المجاورة للفراش قائلاً بصوت عاد إليه مرحه:

_وريني بقا العزف على أصوله.

فتنهدت بحرارة وهي تنظر لآلتها باشتياق ...





ليردف هو بنفس المرح:

_ما تسرحيش كده وتحسسيني بالعظمة...أنا كل ما اشوف البتاعة دي أفتكر عم مرزوق اللي كان بيسرح في شارعنا القديم بالربابة!

_ربابة!!

ضحكت بها بانطلاق خفف الكثير من توترها وزاد من اشتعال جسده هو ليقول بنبرة جادة هذه المرة:

_سمعت زمان إن اللي اخترع الكمانجا صممها عشان تفكره بحبيبته اللي سابته...رقبتها الطويلة...وسطها...جسمها...عملها عشان يعزف عليها ويحس إنه لسه معاها ...وهي لسه في حضنه.





كان يتعمد ذكر ما قاله وهو يلاحظ اشتعال وجنتيها أكثر مع كلماته الجموح...

فتمتمت بارتباك خجول وهي تشيح بوجهها عنه:

_ماسمعتش عن حاجة زي كده.

لكنه مد أنامله ليداعب خصلة شعرها التي غازلت وجنتها فيزيحها جانباً مع همسه :

_طب ياللا.

_ما بعرفش أعزف غير ألحان غربية وانت مابتحبش الأجنبي.

همست بها بنفس الارتباك وهي تتجنب النظر لعينيه المشتعلتين بعاطفتهما...

فرفع ذقنها إليه ليهمس بنبرة ذات مغزى:

_مش هتبقى أول مرة أغير فيها ذوقي عشانك.





ارتعشت شفتاها بابتسامة غنية وهي تشعر أخيراً

ببعض الثقة التي جعلتها تتنفس بعمق...

قبل أن تغمض عينيها لتميل رأسها الذي أسندته

على الكمان بينما تداعب أناملها طرفه والعصا

السحرية تتحرك عليه كأنما تداعب قلبه هو...

يراقبها مأخوذاً وهو يشعر وكأنما ملامحها

الصامتة تحكي ألف حكاية وحكاية...

جسدها يتفاعل مع اللحن تأثراً فيجاوبه جسده تأثراً

وهو لا يدري ما السر...

طالما كره هذه الألحان الغربية -حتى عندما كان في

لندن- زاعماً أنها تصيب أذنه ب"تلوث سمعي"...

لكنه الآن يشعر بلحنها الذي اختارته وكأنما حمله

لقطعة من الجنة !




ربما لأنه كان هادئاً شجياً بلا صخب ولا تدرج...

بل كان انسيابياً رائقاً...مثلها!

وأمامه كانت هي غائبة بلحنها عن كل شيء...

هذه المقطوعة بالذات كانت تعزفها لها أمها وهي

تجلس معها في غرفتها على الأرض...

والآن تشعر وكأنما تستحضر روحها ...

هذا الشعور الذي منحها الكثير من الأمان وهي

تستعيد عينيها بنظرتهما الحانية...

وكلماتها التي طالما بذرت فيها الثقة!

يالله!

هذا هو ما تحتاجه الآن بالضبط!!

الأمان...الثقة...

و...الاستسلام!





أجل...الاستسلام لا عن ضعف بل عن رغبة قوية في المنح!

لهذا توقفت أخيراً عن العزف لتفتح عينيها اللتين دارتا في الغرفة ببعض الدهشة...

لماذا تشعر وكأن هذه الدقائق التي قضتها مع لحن العزيزة الراحلة قد ردت إليها جزءاً مفقوداً من روحها...

وكأن الأيام لم تمر ...

وكأنها لم تخسر عمرها مع الخاسرين!

وكأنها لاتزال فتاة تتشبث بعناق أمها فتمنحها الدعم بلا حدود!





_برافو...جميل!

قالها باستحسان فنظرت إليه نظرة غريبة قبل أن تضع ما بيدها جانباً لتقف مكانها قائلة بانفعال:

_أول مرة أبقى مش قادرة أوصف إحساسي...

ثم التفتت نحوه لتردف بصوت مرتجف:

_متعرفش أد إيه كنت محتاجة العزف ده.

_لا عارف.

همس بها بيقين وهو يقف بدوره ليمسك كتفيها مردفاً بحنان:

_فاكرة يوم ما قلتيلي إن ساعات الحاجات اللي بنهرب منها بتطلع هي اللي احنا محتاجينها عشان تقوينا؟!

امتلأت عيناها بالدموع وهي تومئ برأسها فضمها إليه بقوة ليهمس جوار أذنها:





_عمري ما كنت أصدق إن فيه اتنين يكملوا بعض زيي أنا وانت.

فابتسمت وهي ترفع له عينيها الدامعتين بهمسها :

_مش قلتلك؟! رغم إننا نبان عكس بعض بس أنا من الأول كنت عارفة إننا شبه بعض قوي...أنا مش بس بحبك...أنا بحس إن روحي متعلقة بيك...كل نفس بيخرج مني..

انقطعت كلماتها بين شفتيه وقد عجز عن مقاومة إحساسه بهذا الفيض الثائر من عاطفتها ...

بينما كانت هي تشعر وكأنما تلبستها روح امرأة أخرى غير تلك الخائفة المرتعدة المكبلة بأغلال ماضيها...





كانت تشعر وكأنما أطلق أحدهم العنان لجياد عواطفها كي تنطلق بلا حدود...

تشتعل...وتذوب...وتذوب...وتشتعل...

صقيع روحها كله ينصهر خلف نار تلهب كيانها كله...

لم تعد تحتاج ل"نور المصباح" تتشبث به عيناها هاربة من "ظلام" ألمها القديم ...

هي الآن قانعة ب" شمس عاطفته" ...وكفى!

_هتدينا فرصة الليلة دي... احنا الاتنين ...ننسى كل اللي فات...ننساه بجد...مش مجرد تمثيل.

همس بها بين أنفاسه اللاهثة بما بدا كأمر لكنه كان كرجاء...

وكأنما قرأ كل ما يجول بذهنها ...

لترد بهمسها المشتعل بعاطفته:





_اطفي النور يا يامن...اطفيه خالص...عايزة أبطل أخاف من الضلمة وأنا معاك.

عيناه تتوهجان ببريق صاخب وهو يجذبها بين ذراعيه من جديد ليتحرك بها مطفئاً الشموع...

الظلام يغشاهما فيرتجف له جسدها للحظة لكنها تشدد من قوة عناقها له ...

تشتعل من جديد بلمساته...

نارها ونورها ينبعثان من داخله هو...

بل ...من داخلها هي..

هو..أو هي...ما الفارق؟!

كلاهما الآن واحد!!

_خايفة؟!





_لا.

_أكيد؟!

_كان معاك حق...أجمل إحساس في الدنيا مش إنك تحب...إنك تطمن!

همساتهما تعاود امتزاجها المشتعل من جديد لتشعر أخيراً بأنامله على ظهرها تفك شريط ثوبها ...

الخوف ينتابها للحظة...لحظة واحدة قبل أن تغمض عينيها مستسلمة لطوفان عاطفته...

تشعر بذراعيه حولها يطوقانها بتلك القوة الحنون ليحملها ويهوي بها إلى الفراش...

تأوهاتها الناعمة تشتعل وتيرتها لتنتهي أخيراً بهمسه الحار في أذنها:

_الليلة دي انا اللي هاحكي الحدوتة !

===========





القطعة الخامسة عشرة



_مالك يا حبيبي ؟! بتسوق بسرعة كده ليه ؟!

سألته رانيا بقلق وهي تلاحظ اندفاعه المجنون في القيادة كما لم تعهده من قبل ...

لكنه كان يشعر باحتياجه الصارخ للعودة للمنزل...

كيف نسي إحضار هذه الأقراص "السحرية" معه؟!

تأثيرها الفعال في تسكين ألمه يدهشه حقاً ...

منذ أهداه إياها مساعده في المصنع وهو لا يكاد يستغني عنها .





_مصدع بس شوية وعايز آخد الدوا.

قالها بنفاد صبر نال من حلمه المعهود فرمقته بنظرة قلقة وهي تتشبث بمقعدها أكثر ...

تراقبه بعدم ارتياح وهي تراه يصل أخيراً فيوقف السيارة ليغادرها بخطوات مندفعة دون أن ينتظرها كما يفعل يوماً !

حاجباها ينعقدان بدهشة مرتابة لتغادر السيارة خلفه بخطوات متمهلة...

قلبها يشعر بأنه -كالعادة- يخفي عنها ما يسوؤها لكنها -كالعادة أيضاً- تجبن عن مطالبته بالبوح...

طالما بدا لها هذا العالم بحراً لا قبل لها بالخوض فيه ...

وحده أشرف هو "جدارها" الذي يحميها ...

هو أمانها ودعمها ...ليس لها فقط...للجميع!




ولو صدقت نفسها لأدركت أن هذا الجدار يوشك أن يتصدع من فرط ما صار يتحمله !

هل تسأله عما يشغله ؟!

سيخفي عنها كالعادة مكتفياً بابتسامة مطمئنة وعناق دافئ!

وحتى لو صارحها ...هي أوهن من أن تمنحه حلاً أو حتى دعماً...

شخصيتها المتواكلة لا تجيد سوى الاتكاء على عصيّ الآخرين!





تنـهدت بعجز وهي تدخل البيت لتتردد قليلاً قبل أن تريح جسدها على الأريكة ...

شيئ من الفتور بدأ يتسرب لعلاقتـهما المشتعلة...

هل يقتل الزواج الحب كما يزعمون؟!

أم هو فقط انشغال أشرف بعمله ومرض أمه ومسئولية شقيقته ؟!

الحل؟!

طفل!

أجل...هذا هو ما تفتق عنه ذهنها وقتها !

ربما فرحته بطفل تلهيه عن كل ما يؤرقه...

لاسيما لو كانت أنثى ومنحها اسم أمه الغالية...

ستكون فرحة لا تقدر بثمن !





أناملها تتحسس بطنها بأمل وهي ترفع رأسها للسماء فيما بدا كالدعاء ...

قبل أن تسمع صوت ضحكاته العالية يصلها من غرفتهما مع صوته يحدث أحدهم...

إذن فقد استعاد مزاجه الرائق!

ابتسامة طفولية ترتسم على شفتيها وهي تندفع نحو الغرفة لتراه جالساً على الفراش يحادث والدته...

هذه النظرة في عينيه والتي تمزج الحنان بالقلق والحزن لا يجتمعون معاً إلا لها .





_ابنك بقى زوج مصري أصيل ...بينام من العِشا ومفيش خروج مع أصحابه ....ناقصني بس البطيخة وأنا راجع...

تضحك لمرحه المناقض لحالته منذ قليل فيلتفت نحوها بملامح مرتاحة أخيراً ليغمزها بينما يردف محدثاً أمه:

_سهرنا النهارده بس شوية عشان كان عيد ميلاد يامن...وانتِ طيبة حبيبتي...لا ما تقلقيش مش ناسي...عارف إن عيد ميلاد نشوى كمان يومين ومجهز لها هديتها كمان...خللي بالك انتِ من نفسك...





يستمع قليلاً لتغيم عيناه بنظرة حزينة بينما يستطرد :

_حاضر يا حبيبتي...ما تشيليش همي بس خليكي في نفسك...حاضر...مش هنام من غير عَشا ...ومش هوطي حرارة التكييف...

ثم يغتصب ضحكة مفتعلة ليردف:

_رانيا جنبي تقول عليّ إيه بس ؟! اتجوزت عيّل أمه خايفة عليه ؟!

هنا تنتزع منه هي الهاتف لتحدثها بلهجتها الرقيقة:

_عيّل ده إيه ؟! ده سيد الرجالة ...إزيك انتِ يا حبيبتي وصحتك عاملة إيه ؟!





يراقبها بنظرة حانية وهو يتحسس جبهته بأنامله شاعراً بالتحسن تدريجياً...

مزاجه يتحسن لكنه لايزال عاجزاً عن التركيز ...

ذهنه مشوش.. مضطرب ...

هل هي أعراض اكتئاب؟!

أي اكتئاب؟! إنه يكاد يضحك بلا سبب!

تماماً كما الآن وهو يجذب رانيا ليجلسها بين ذراعيه غير آبه بنظرتها الرافضة وهي تكمل حديثها مع أمه ...

والذي أنهته سريعاً بقولها :

_وانتِ من أهله حبيبتي .




_انتِ احلويتي الليلة دي واللا أنا بيتهيألي؟!

بهمسه العابث بينما أنامله تزيح عنها حجابها لترمقه بنظرة دهشة...

كيف تنقلب انفعالاته بهذه السرعة ؟!

ما الذي يحدث له ؟!

هل يصالحها لأنه شعر بفظاظته معها منذ قليل ؟!

والخاطر الأخير جعل الغلبة لطبيعتها الأنثوية المتدللة فأبعدت رأسها عنه هامسة بعينين مغمضتين:

_زعلانة منك...عندك تلات مخالفات.

_مممممم...ثلاثة مرة واحدة ؟!

بنفس النبرة العابثة ينطقها بينما أنامله تحل أزرار قميصها ...





تداعب رقبتها وكتفيها ..تدلكهما بلطف وهو يجذبها لصدره مقبلاً طرف أذنها ...

_أولاً...زعقتلي في العربية...ثانياً...خرجت منها وجيت هنا من غير ما تستناني...وثالثاً سبتني قاعدة لوحدي بره وجيت تكلم مامتك لوحدك.

تنهيدة حارة خرجت منه يعقبها سيلٌ من قبلاته التي أغرقتها بعاطفته...

تشبث ذراعيه بها يزداد قوة وهو يعود بظهره للوراء ساحباً إياها معه...

عيناه مغمضتان وابتسامة غريبة ترتسم على شفتيه فلا تدري هل هي ابتسامة ارتياح أم سخرية...





_انتِ عارفة إنك عمرك ما زعلتِ مني؟!

تشرد ببصرها قليلاً مسترجعة تاريخهما المشترك لتبتسم بعد لحظات وهي تلصق وجنتها بوجنته هامسة:

_ماكنتش بتديني فرصة..طول عمرك فاهم إيه بيزعلني وما بتعملوش.

فيفتح عينيه ليطالعها بنظراته العاشقة التي تعرفها ..

أنامله تربت على رأسها ليهمس لها بنبرة متعَبة :

_وعمري ما هاعمل حاجة تزعلك...معلش استحمليني اليومين دول...أنا مش عارف مالي ...دماغي هتجنني...ما ببطلش تفكير كأني في





دوامة ...ماعدتش مركز في أي حاجة...حتى الشغل بقيت حاسس إني طفل صغير واقف وسط الشارع لوحده .

ترفع رأسها قليلاً لتقبل جبينه ثم تعدل وضعها لتستلقي جواره محيطة وجنته بأناملها مع همسها:

_قل لي ممكن أساعدك إزاي...تحب أشتغل معاك ؟!

ابتسامة واهنة تعرف طريقها لشفتيه وهو يقترب بوجهه ليريحه في تجويف عنقها ...

يأخذ نفساً عميقاً معبقاً برائحتها التي طالما حملت له معنى "الهويّة"...

أجل...مهما كان متعباً...هاهنا يجد راحته !





_مراتي ما تشتغلش وتبقى فرجة للي رايح واللي جاي...مراتي تستريح في بيتها اللي بيها بيبقى جنة .

عجباً له كيف يفعلها ؟!

كيف يمكنه هكذا أن يبدل قلقها وخوفها في لحظات لأمان بلا حدود ؟!

لكن هذا ليس غريباً عليه...

هذا هو أشرف وهذا هو حبه ...

منحة السماء التي اكتنفتها وترعرع عليها قلبها يوماً بعد يوم !





لهذا وجدت نفسها تحتضنه بكل قوتها لتهمس له بتلعثم:

_طب قل لي أعمل إيه عشان ...

_وجودك لوحده كفاية.

يقاطعها بها صادقاً وهو يقربها منه أكثر ...

يتلو تراتيل عشقه على جسدها ...

ويغرس بين حناياها عاطفة من نور ونار !

حبٌ كهذا كيف نفقده يوماً ؟!

كيف نرضى عنه اغتراباً...وبماذا يمكن مقايضته ؟!

إلا إذا ...!

=========

فتح عينيه صباحاً بعد نوم متقطع التهمته كوابيسه المعتادة مؤخراً ...

ابنه -المزعوم-

...بسنت...سيلين...بيللا ...وأخيراً ...ياسمين!

مدارات متشابكة يدورون فيها جميعاً لتنتهي به هو غريقاً في مركزها!!

هذا الذي تعجّبه بعد ليلتهما السابقة التي كانت أكثر جموحاً مما توقع...

أكثر بكثير!!

ربما كان هذا ما توقعه من نفسه بعد كبته مشاعره طوال الأيام السابقة لكن ما فاجأه حقاً هو ذوبانها المشتعل بين ذراعيه بعد طول جمود ...

عجيبةٌ هذه المرأة!

كل ما فيها سخي دافق وكأنها طاقة عطاء لا تنفد!





فقط لو تغادره كوابيسه بشأنها!!

تلك التي تؤجج وساوسه نحوها لينتهي به الحال أسير حرب بين قلبه وعقله!

التفت جواره لذاك الجانب المتكوم من الغطاء باحثاً عنها لكنها لم تكن هناك!

عقد حاجبيه بضيق وهو ينفض عنه غطاءه ليقوم باحثاً عنها ...

هبط الدرج نحو المطبخ لكنه كان هو الآخر خالياً منها!

انقبض قلبه بشعور مهيب بخشية فقدها جعله يهرع نحو الحديقة بخطوات راكضة ...

فراغ المكان حوله يزيد من اشتعال جحيم صدره...

ووساوسه تزرع ألغامها في حقول غرامها تكاد تبيدها!!





هل هجرته كما يخشى...وكما يتوقع؟!!

لماذا ؟! كيف؟!

مهلاً!

لا تزال هناك غرفتها السفلية..قد تكون هناك!!

الأمل الأخير جعله يركض نحو غرفتها ليفتح بابها المغلق بلهفة ...

تتوقف أنفاسه فجأة بصدره قبل أن تعاود جنون لهاثها وهو يراها هناك جالسة وسط بالوناتها الملونة !!

بقدر ارتياحه...بقدر سعادته...وبقدر خوفه ...

تدفقت نظراته تطوقها حتى جلس خلفها ليعانقها صامتاً ...صارخاً بكلام تبخل عنه الشفاه...

لكنها وحدها تسمعه!





_بتنهج كده ليه؟!

همست بها بقلق وهي تلاحظ اضطراب أنفاسه لكنه لم يستطع مصارحتها بمخاوفه ...

فقط شدد ضغط ذراعيه حولها صامتاً للحظات قبل أن ينتبه لجلستها هنا و"رمزية" ما تعنيه ...

فأدارها بين ذراعيه ليسألها بقلق:

_للدرجة دي اتضايقتِ من اللي حصل امبارح؟!

لكنها هزت رأسها نفياً لتمرغ وجهها في صدره بهذه العادة التي صارت تعشقها بقدر عشقها له ...

وكأنها من هاهنا تنفذ لداخل روحه ...

فرفع ذقنها نحوه ليتطلع لعينيها هامساً :

_امال ليه قاعدة هنا وسط البالونات ؟!





اشتعلت وجنتاها بخجل مع ذكريات ليلتهما الماضية التي انسابت لذهنها هادرة صاخبة...

كيف تخبره عن حقيقة ما شعرت به معه؟!

كيف تحكي عن ثورة أنثى لم يسعها سوى ميدانه ؟!

عن ترنيمة جسد لم يُجد العزف عليه سواه ؟!

عن نشوة قلب لم يمنح لغيره شفرة دخوله ؟!

بالأمس فقط استعادت مفاتيح مدينتها كاملة لتعود لها ثقتها بنفسها كامرأة !!

لكن...

ماذا عن تلك الغصة في حلقها وهي تدرك أنها لم تروِ له ماضيها كاملاً؟!





احتفظت ب"حقها" في دفن بعض التفاصيل ...

فليست كل ذنوبنا قابلة للعرض على -أرصفة البوح- ولو مع الأحبة !

هذا ما كان يصرخ به عقلها مدافعاً باستماتة...

لكن قلبها كان ينحني بحمل وزره

و...خوفه...وخزيه!

لهذا تلألأت نظراتها بالدموع التي أساء هو فهمها ليزداد انعقاد حاجبيه بقوله:

_أنا آسف لو ...

لكنها قاطعت كلماته بأناملها على شفتيه لتهمس له بفيض عاطفتها:

_شكراً يا طيب.





التمعت عيناه للحظة وهو يشعر أنه يسمع عبارتها -المكررة-بنغمة خاصة هذه المرة...

نغمة عشق راضية مثقلة بالعشق...هائمة بالشغف!

لهذا افتر ثغره عن ابتسامة اتسعت تدريجياً لتمحو عنه ظلال وساوسه ...

بينما حلقت أنامله فوق جنان بشرتها مع همسه الذي مزج مكره بجموح عاطفته:

_يعني عجبتك حواديتي؟!

ضحكة قصيرة خجول منها كانت جواب سؤاله قبل أن تخفي وجهها في صدره ...

لكنه فاجأها عندما مال بثقل جسده عليها بينما يزيح البالونات جانباً ليخلي الفراش ..

قبل أن يهمس وهو يشرف عليها من علوّ:





_قرار ديكتاتوري مش فاكر رقمه..مفيش خروج قبلي من أوضتي الصبح ...عايز أصحى ألاقيكِ أول حاجة عيني تشوفها .

ازداد اشتعال وجنتيها وهي تومئ برأسها في طاعة لتهمس بصوت مرتجف:

_يادوب دلوقت ألحق أحضر لك الفطار ...عشان ما تتأخرش على مواعيدك.

_لو قدرتِ تقنعيني أخرج النهارده من البيت ...تبقى معجزة!

تمتم بها بين غزو شفتيه الناعم فازداد ارتجاف صوتها وهي تحاول دفعه برفق:

_انت غبت كتير عن العيادة الأيام اللي فاتت...مش هينفع كده !





_قوليها!

همس بها بعينين متقدتين وأنامله تتلمس نعومة قميصها الوردي لتذوب حدقتاها في لهيب نظراته مع تساؤلها المشتت:

_أقول إيه؟!

_قولي...اخرج...

وسيبني ...اوعى ...تهمل ...في ...شغلك!

كان يهمس بها متقطعة ببطء ولمساته الخبيرة تدرك مواطن قصفها الصائب لحصونها فتتهاوى دون أي مقاومة ...

همساتها تعانق لهيب أنفاسه محاولةً مجاراته فيما يقول:

_اخرج...وسيبني...اوعى..




_همممم...

همهمته المترقبة بمكر ترافق تصاعد وتيرة عزفه الصاخب فتجد نفسها تهمس أخيراً دون مقاومة :

_اوعى ...اوعى ...تخرج!

ضحكته الراضية تملأ أذنها قبل أن تغيب معه في دوار لذيذ صارت مدمنته معه...

وهو -للعجب- أكثر إدماناً!

لم تكن أول أنثى يكتشف مواقع خرائطها ...

لكنها كانت أول وطن يقبل لجوءه بعد طول اضطهاده في منافي البشر!

لهذا كانت لذة وصالها أشهى مما توقعه وهو يراها بتوهج ألوان بالوناتها التي تناثرت حولهما...

سحر أصباغها يتسرب عبر شقوق روحه السوداء ليمنحها وهجاً يشبهها...





وهو لا يخشى الاعتراف أنه يود التشبه بها !

_بحبك!

همست بها أخيراً وسفن عواطفهما الثائرة ترسو على شاطئ الرضا فأغمض عينيه بقوة وعناق ذراعيه يكاد يعتصرها اعتصاراً...

قبل أن يفتح عينيه ببطء يتفحص ملامحها التي غاب عنها ذعرها القديم ليحل محله شعورٌ آخر يشبه شعوره هو الآن...

شعور بالاكتفاء...بالاكتمال!

لهذا داعبت ثغره ابتسامة حانية وشفتاه تحطان على جبينها باعتراف لم يكن لمثله أن يتفوه به ...

_لسه مش عايز تقوللي إنك بتحبني؟!





همست بها بعتابها الحنون وهي تداعب شعيرات لحيته بأناملها بينما تستند بمرفقيها على صدره الذي استلقت عليه ،لتلتقي عيناهما في حديث طويل سبق قوله الشارد:

_أنا عمري ما قلت لحد إني بحبه...نبيلة دايماً تقول عليا إني ماليش عزيز...ورثت قسوة القلب من والدي .

_مش صحيح!

همست بها بثقة وهي تمر بسبابتها على وجهه لتردف:

_إحساسك بالمسئولية ناحية والدتك وبنات خالتك بيبهرني...بيحسسني بالأمان معاك...حرام نختزل الحب في كلمتين ...بس ده مايمنعش إني محتاجة أسمعها منك ..





_ما اوعدكيش!

ورغم فظاظة عبارته التي لم يقصدها لكنها نظرت في عمق عينيه لتهمس بيقين:

_لكن أنا أوعدك...أوعدك أخليك تحبني زي ما بحبك وأكتر!

=========

جلس رامز ينتظرها في أحد المطاعم المطلة على النيل وهو يشعر بمزيج من السخط والترقب ...

لقد فوجئ بها بالأمس تقتحم عليه مكتبه بجرأة غريبة على طبعها المتردد الخانع لتطلب منه الحديث في أمر مهم لكنها اشترطت أن يكون هذا بعيداً عن العمل ...





والواقع أنه هو الآخر كان يفضل هذا بعدما نالهما من إشاعات وصله صداها وأكدها تصرف هانيا الطائش ليلة زفاف زميليهما !

ترى ماذا تريد؟!

هل تركت له هانيا معها رسالة ما تريد إيصالها له دون أن تخدش كبرياءها بالحديث معه هو شخصياً؟!

أم تراه مجرد اجتهاد شخصي منها هي تريد الإصلاح بينهما؟!

أو ...لعله لا هذا ولا ذاك !!

لعلها ...!!

خاطر غريب انتابه وهو يتذكر غضبة ملامح غادة وقتها عقب رحيل يارا من مكتبه ...

هل تشك في وجود علاقة ما بينهما ؟!!





_مساء الخير يا رامز!

انتزعتها بها غادة من شروده فالتفت نحوها لتتخذ عيناه رحلة متفحصة سريعة على ملامحها التي حملت هذه المرة أيضاً وهجاً طفيفاً من شراسة فتية ...

ربما لهذا السبب ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يرى فيها "المزيج" الذي طالما تمناه من ضعفها الآسر وقوة "صديقتها" الجاذبة!

_أهلاً غادة...خير؟!

_من غير مقدمات ...فيه حاجة بينك وبين اللي اسمها يارا دي؟!





هتفت بها بصوت مرتجف وهي تلقي حقيبتها على المائدة بحركة عصبية قبل أن تجلس أمامه ...

فاتسعت ابتسامته التي حملت شيئاً من السخرية...والكثير ...بل الكثير جداً من المرارة ...وهو يتمنى لو كانت من تلقي هذا السؤال امرأة أخرى سواها !

امرأة لم تهتم بفقده طوال هذه الأيام وكأنها تصرخ بكل ما أوتيت من قوة أنه لا يعنيها!!

لكنها أساءت فهم ابتسامته فشحبت ملامحها لينخفض صوتها رغماً عنها مع استطرادها:

_أرجوك قول لا ...قول لا..

ظلت تتمتم بها برجاء التهمه شرودها القلق على صديقتها ...والذي قطعه هو بقوله:





_ولو قلت لك أيوة ...هتعملي إيه...هتقولي لصاحبتك ؟!

ازداد شحوب ملامحها ووهج قوتها يتراجع من جديد خلف خوف مبهم عاد يسكن روحها ...

هانيا آخر ما تبقى لها هي من "جدران" هذا العالم ...

لو تهاوت ...فستكون بعدها مجرد ريشة في مهب الريح!

خيانة رامز ستكون طعنة في صدر كبريائها ربما يمكنها مداراة ألم نزفها لكنها ستموت بها في كل يوم ألف مرة !

_تفتكري هتفرق معاها؟!





سؤاله الذي تسربت فيه مرارته عبر كبرياء رجولته يعاود اختراق سمعها وسط هواجسها فتهتف بتشتت:

_انت بتقول إيه ؟! أكيد هتفرق ...هانيا بتحبك ومش ...

_بتحبني؟! بذمتك ؟! عمرها قالتهالك ؟! عمرك حسيتِ بيها منها؟!

كانت نبرته تزداد انفعالاً مع كل سؤال يلقيه ...

هانيا حقاً لم تخبرها يوماً أنها تحبه !

كل حديثها عنه كان في إطار "عمليتها" المعهودة !

مجرد زوج مناسب لامرأة لا ترى في الزواج أكثر من مكمّل لمظهرها الاجتماعي!





لهذا ازدادت انكماشاً في مقعدها وعيناها المذعورتان تعودان لخوفهما القديم بينما طلقات أسئلته لاتزال تصيب صدر إدراكها:

_عندك تفسير لتصرفها يوم الفرح ؟! تقدري تقوليلي ليه مشيت بالطريقة دي ؟! ليه أحرجتني وأحرجتك بالشكل ده ؟!

ثم صمت لحظة ليلتقط أنفاسه بينما تغيم عيناه بنظرة مرارة قاتمة ناسبت غمغمته الخافتة:

_وليه طول الفترة دي ما كلفتش نفسها حتى تسأل عليّ؟!

ارتجفت شفتاها وهي تتأمل ملامحه ب"جهل" من تراه بهذا القرب لأول مرة!





طالما صنفت الرجال في معسكرين لا ثالث لهما ...

إما معسكر "الأعداء" المتربصين بأنوثتها المنتهكة ...

وإما معسكر "الأحبة" الذي لم يشغله سوى فرد واحد ...أحمد!

والآن لا تدري أين تضع رامز هذا فيهما...

هل هو الرجل الذي سلب أحمد حياته بتهوره ...والآن يبحث عن ذريعة ليخون زوجته ؟!

أم هو الرجل الذي ساندها في أشد لحظات حياتها قتامة سواء كانت تحت سقف بيته أم وحدها في شقتها ؟!

هل هو الصورة "الذئبية المعدلة" لزوج أمها ...لزميل دراستها..لجارها القديم ...لزميل عملها ؟!!





أم هو انعكاس آخر ل"رجولة " أحمد؟!

وكيف تجيبه عن كل هذه الأسئلة التي يلقيها الآن في وجهها وهي نفسها لا تفهم سر تغير هانيا وتباعدها مؤخراً ؟!

_عموماً ...هاريحك يا غادة !

قالها أخيراً وهو يتفحص ملامحها التي سكنها خوفها الآسر من جديد بإشفاق استنفر حميته الرجولية ...

فالتمعت عيناها بسؤال أجابه دون انتظار:

_مفيش حاجة بيني وبين يارا ...ولا هيكون!

تنهدت بارتياح لترتخي ملامحها بابتسامة شاحبة سبقت قولها :





_الحمد لله..صدقني ...هانيا مش زي ما انت شايفها ...هانيا بتخبي مشاعرها من كتر ما بتخاف من تأثيرها عليها ...قلبها عندها غالي قوي..

_بس كرامتها أغلى...طموحها أغلى ...أي حاجة في الدنيا تخسر قدام الاتنين دول.

قاطعها بها بسخرية مريرة فازدردت ريقها بتوتر وهي عاجزة عن الإنكار ...

لكن هذا لم يمنعها من القول بنبرة عادت إليها قوتها المستحدثة:

_لو هي مش قادرة تمشي خطوة ناحيتك امشيها انت...العمر أقصر من إننا نضيعه في عِند ومكابرة...اسألني أنا.





ارتجفت حروفها الأخيرة بنكهة شعورها بالفقد لتتكدس الدموع في عينيها اللتين غاب عنهما خوفهما لتحل محله مرارة حزن اجتذبت حنانه...

خاصة عندما أردفت بنفس الانفعال الصادق:

_عمرك ما هتلاقي زي هانيا ...ست قوية تحميك في ظهرك قبل ما يكون قدامك...ست مابتعرفش تزيف أو تخون...ست بتعرف تشيل مسئولية من غير ما تشتكي أو تمن عليك...ست الحب عندها مش كلمتين ...الحب عندها سند ...حماية...طوق ما بتخلعوش من رقبتها عمرها كله ...يا بختك بيها...يا بخت أي راجل عنده ست زيها .

كانت تلهث في آخر عبارة مع التماع عينيها بحماس جعله يبتسم ابتسامة حقيقية مع إعجابه بدفاعها المخلص عن صديقتها ...





دفاع من تدرك قيمة ما تتحدث عنه خاصة وهي

نفسها تفتقده !

فصمت للحظات متفحصاً ملامحها التي اشتعلت

بصدق مشاعرها نحو صديقتها ثم مال نحوها

للأمام قائلاً :

_انتِ جميلة قوي.

_فعلاً!

والجواب "الساخر" لم يأتِه منها ...

بل من تلك التي كانت الآن تقف جوارهما تماماً

ترمقهما بنظرة جوفاء تخفي اشتعال صدرها

بحسرته...

أجل...هانيا !

=======





لم تكن تعلم وهي تتقدم نحوهما أي قوة مستقلة

كانت تمتلكها قدماها فيما يتفتت قلبها من الداخل ...

لم تكن تعلم وهي تتلقى وشاية بواب العمارة التي

تقيم فيها غادة عن خروجها وحدها أنها ستتبعها

نحو هاوية علاقتين...

لا علاقة واحدة !

أجل ...هي لم تخسر صديقتها فحسب بل خسرت

حبيبها كذلك !

حبيبها؟!

الآن تعترف بها هكذا ببساطة دون تعقيدات؟!

وهل بقي لها إلا الاستسلام لهذه الحقيقة ؟!

وإلا بما تفسر هذه القبضة القاسية التي تعتصر

قلبها وهي تراه يكاد يلتهم ملامح

صديقتها ....عيناه معلقتان بابتسامتها ...





والآن تتدخل أذنها لتسمع بنفسها اعترافه بجمالها!

طوال الأيام السابقة وهي تكذب كل ما وصلها

عنهما ...

تذكر نفسها بأن الرجل الذي كان يراها شمس

عالمه الثانية لن يرتضي عنها بديلاً...

وبأن صديقتها التي ساندتها هي في أشد لحظات

حياتها حلكة لن تخون ...

والآن ...؟!!!

الآن !!!

ماذا؟!

هل ستسمح لنفسها بالسقوط على مسرح خيانتهما

أمام جمهور لا يرحم ؟!

هل ستركع أمام سلطان شعور الفقد الذي طالما

حصنت نفسها ضده ؟!





لا!

حاشاها حاشاها!!

فيما كان إذن جدار صلابتها الذي تحصنت خلفه
طوال هذا العمر؟!

ألم يكن هذا عدوها الذي بقيت تتربص له خلف
قلاع جمودها ؟!

ابكِ يا قلب واتشح بالسواد ..وَلوِل كما الثكالى
واصرخ كما شئت...

لكن أفسح المجال لكبرياء لن ينحني مثلك أبداً !!

لهذا ما كادت تسمعه يصفها بالجمال حتى أودعت
كلمتها الوحيدة كل معاني برودها الساخر ...

فعلاً غادة جميلة!





جميلة ناعمة رقيقة كما -يُفترض- أن تكون الأنثى في نظر ذاك الخائن !

كان رامز أول من تمالك مفاجأته وهو يسمع ردها المقتضب البارد على إطرائه لغادة...

ورغم أنه لم يقصد وقتها سوى وصف إعجابه بإخلاصها لصديقتها لكن البرود الذي اتشحت به هذه "الجاحدة" أمامه بعد فترة القطيعة هذه جعلته ممن تأخذهم العزة بالإثم ...

ليجد نفسه يقف مكانه في مواجهتها قائلاً بنبرة متحدية :




_جمال غادة ما يختلفش عليه اتنين...بس ما أظنش وقت الدكتورة الغالي يستاهل تضيعه وتيجي هنا بس عشان تصدق على كلامي.

الوقح...الخائن ...المخادع...!!!

كيف يجرؤ على مواجهتها بكل هذا البرود بعدما اكتشفت خيانته أمامها هكذا؟!

كيف يلقيها في وجهها بهذه البساطة وكأنها مجرد نكرة ؟!!

كيف انقلبت الأوضاع بهذه الغرابة لترجح كفة غادة وتهوي كفتها هي في ميزان اهتمامه ؟!!

الأفكار السابقة جعلت الدموع تحتل عينيها لكن كبريائها كان لها بالمرصاد !!





لن تسقط عبرات خسارتها ..تماماً كما لن تسقط هي!!

وعلى المقعد كانت غادة تراقبهما بعينين ماتتا ذعراً !

لم تعد فقط منكمشة في مقعدها بل انسل جسدها رغماً عنها لتغوص في مكانها أكثر وكأنما تود لو تختبئ تحت المائدة ...

هانيا لم تتهمها بشيئ لكنها تفهم هذه النظرة في عينيها جيداً !

تفهمها فقط ؟! إنها تحفظها !!

وكيف لا وهي موصومة بها منذ طفولتها ؟!!





مدنسة!

مدنسة!

مدنسة !

_تقدري تقوليلي بتعملي إيه هنا مع جوزي لوحدكم ؟!

سؤال هانيا الذي اشتعلت حروفه بالبركان المنتظر كان أول خنجر عرف طريقه لقلبها ...

لكن مهلاً..ليس الأخير!

هانيا التي أدرك عقلها أن رامز ببروده الساخر المستفز هو الطرف -الأقوى- هنا فالتجأت للطرف -الضعيف- تغرس فيه نصال غضبها ...





الطرف الضعيف الذي ازداد انكماشه مع ارتجافة جسده ودموعه تسيل فيما بدا لهانيا أنه اعتراف بالذنب ...

_مش زي ما انتِ فاهمة والله...أنا جيت هنا عشان ...عشان...

كلماتها المبعثرة بين ارتباك وخوف كانت تغادر شفتيها بشق الأنفس!

ماذا عساها تخبرها؟!

أنها جاءت إلى هنا لتحافظ لها على ما تبقى من زوجها؟!

أنها كانت تخاف خيانته لها بقدر ما تكره لها أن يصيبها أذى ...أي أذى؟!




أن القدر الذي اختار لها أن تسمع فقط غزل رامز بخل عليها أن تسمع دفاعها هي عنها والذي سبق هذا ببضع ثوانٍ؟!

لماذا تعاندها الظروف هكذا؟!

لأنـها مدنسة !

لأنـها دوماً رمز للخطيئة تجتذبـها كما تجتذب الفراش النار!

إثمها يلاحقها ..يسِمِ جبينـها ...حتى يكاد يقرأها الجميع ...

آثمة...عاهرة...مدنسة !!

_عايزة تعرفي قابلتها هنا ليه النهارده ؟!





كبرياؤه الذبيح يعاود تناول دفة الحوار ...الجاحدة التي طالما رفضت كل أيادي الحب التي مدها نحوها ...

التي طالما أعلنت زهدها فيه ....

الآن تظهر فجأة من العدم تريد إثبات تهمة غير موجودة ...فقط كي تقلب الأمور لصالحها !!!

لا...وألف لا!!

سيحاربها بنفس سلاحها وليكن ما يكون!

إن كانت تفتخر بقوتها وزهدها فيه ...فلتثبت هذا الآن ...

ولترحل بعدها للأبد !!

فلا خير في أنثى تترك رجلها لغيرها ولا تقاتل دفاعاً عنه حتى آخر رمق!





لهذا أخذ نفساً عميقاً وهو ينقل بصره بين المرأتين أمامه....

كلتاهما نظراتها راجية وإن اختلف الرجاء...

كلتاهما تناشده الصدق لعله ينقذ السفينة الغارقة ...

لكنه...سيكذب!

لقد جرب معها كل الطرق التقليدية كي يكسب قلبها العنيد...

فليجرب هذه المخاطرة إذن ...

إما كسبها ...أو خسرها واستراح من عناء هذه الحرب للأبد !!

_طلبت أقابلها عشان...أعرض عليها الجواز!





وسط هذا الطنين الذي احتل أذنيها لم تستطع هانيا سماع الأصوات المتداخلة للناس حولهم وقد اجتذب مشهدهم الأنظار في حادثة مثيرة لامرأة تضبط زوجها متلبساً مع عشيقته ...

لم تستطع التقاط شهقة غادة الذبيحة التي شقت صدرها قبل أن تغطي وجهها بكفيها وكأنها بهذا تداري عارها في العيون...

لم تستطع تبين لهاث أنفاسه التي فضحت استشعاره خطورة ما تفوه به ...

لكن طبيعته العنيدة جعلته يلقي أوراقه كاملة على المائدة وكأنما فجرت هذه المواجهة كل ما كظمه غيظه طوال هذه الأيام ...





_عايزة تعرفي عايزة أتجوزها ليه ؟! عشان عايز ست بتحس ...عندها قلب خايف عليّ وفاهمني...عايز ست أحس إني فارق معاها مش كل شوية تقوللي إنها مش خسرانة حاجة لو سبتها...عايز ست تشاركني مش كل همها تثبت لي إنها مستغنية عني بنفسها...عايز ست بتتفنن تبين جمالها مش بتهرب منه ومني!

كان يلقي عباراته بانفعال صارخ أنساه الزمان والمكان وتجمهر الناس حولهم ...

قد يبدو الأمر في ظاهره وكأنما كان يثأر بكلماته لكبريائه الذي أهدرته بطول تجاهلها ...

لكنه وحده كان يسمع فيه صراخ قلبه اليائس بحقه فيها !!





التهور لم يكن يوماً صفة تنقصه ..لكنه أهلكه حقاً هذه المرة ...

لا...لم يهلكه وحده ...

اثنتان من ضحاياه كانتا الآن أمامه ..

إحداهما تغطي وجهها بكفيها وجسدها يرتجف كأنما هي انتفاضتها الأخيرة...

والثانية ...؟!!!

الثانية لم تكن لتسمح لنفسها أن تخسر أكثر!!

يظن أنه سيلبسها جلباب العار ويحملها هي ذنب خيانته ؟!

لا!

هي أقوى من أن تخرج من هذه المواجهة خاسرة كبرياءها ...





كفاها قلبها!!

لهذا عقدت ساعديها أمام صدرها وعيناها تناطحانه عناداً بعناد :

_مبروك..لو الست في نظرك وش حلو وقميص نوم رخيص فانت اخترت المرة دي الست الصح اللي تليق بيك..ست ماتقدرش ترد إيد راجل تتمد عليها ..وابقى اسأل عن تاريخها القذر قبل ما تديها اسمك ..مع جوز أمها وجيرانها وزمايلها ....واللا أقوللك بلاش تسأل.. انت ما تستاهلش أحسن من واحدة زيها !

صفعته القاسية لها أعادت لها الشعور الذي ظنت نفسها وأدته بهذا الجمود الذي تدعيه...





فانهمرت دموعها غزيرة على وجنتيها وهي تدرك لتوها فداحة ما قالته...

هي لم تتورع أن تستغل ماضي صديقتها الذي ائتمنتها عليه لتطعنها به في "صدرها"..

لكن ما الضير هاهنا ...

ألم تطعنها غادة في "ظهرها"؟!!

غدر بغدر والبادي أظلم !!

_انتِ طالق!

هتف بها بكل ما أوتي من قوة وهو لا يرى في ملامحها إلا مسخاً مشوهاً من امرأة عشقها يوماً بكل جنون ...

فأعطته ظهرها لتركض مغادرة المكان بخطوات لم تفقد ثباتها رغم كل شئ ...





لم يكترث بصياح الناس حولهم وقد اندفع بعضهم يحاول إبعاده عنها بعدما نالها من صفعته ...

فقد بدا وكأن الزمن قد توقف في عينيه فلم يعد يرى سوى لسانها يقذف السم في وجهه ...

كيف تهينه بهذه الطريقة؟!

بل كيف تجرؤ على وصف غادة بهذه البشاعة ؟!

كيف سولت لها نفسها أن تنتقم بهذه الطريقة ؟!

ولو صدق نفسه لأدرك أن كليهما لم يرَ في هذه اللحظة إلا نفسه وجعل من البائسة غادة كبش فداء!!

غادة ؟!

أين غادة ؟!!





تلفت حوله بقلق محاولاً البحث عنها وسط الفوضى التي عمت المكان مدركاً لتوه عظم الفضيحة التي نالتهم هاهنا...

لكنها لم تكن هناك بل اختفت...اختفت تماماً !

=========

_سرحان في إيه ؟! لسه بتفكر في ست الحسن بتاعتك ؟!

قالتها شوشو بغيرة وهي تجلس معه في أحد المطاعم ليجيبها هيثم بعد شرود قصير:

_خايف عليها قوي...داليا مجنونة وسهل تضيع نفسها ...بقى لها كتير مش ظاهرة واختفاءها ده يعني مصيبة ...اسأليني أنا.

_هي رفضتك وقطعت علاقتها بيك ...وانت عملت اللي عليك وبلغت ابن خالتها ...وخدت علقة سخنة





من الراجل التاني ده بسببها ...خللي عندك كرامة بقا وانساها .

هتفت بها بغيظ ليلتفت نحوها قائلاً بضيق :

_خلاص يا شوشو انتهينا ...

_لا ماانتهيناش...مافكرتش الراجل اللي ضربك ده عمل كده ليه ؟! ويقرب لها إيه ؟!

_قصدك إيه ؟!

سألها باستنكار لتجيبه بسرعة:

_أكيد واحد من اللي معشماهم ...داليا دي بنت مش مظبوطة ...كل يوم بحكاية...مرة دكتور ياسر ...ومرة انت...والراجل اللي ضربك ده ...فوق بقا يا هيثم واحمد ربنا إنك خلعت قبل ما تلبس!




قالتها بلغتها الدارجة لتغادره بخطوات مندفعة تلاحقها نظراته الضائقة ...

شوشو تحبه !

هذا ما تنطق به ملامحها دون أي تصريح منها ...

لكنه لا يزال يدور في فلك حبه اليائس لداليا ...

صحيحٌ أنه قد بدأ يشعر بالفتور نحوها ...

لكنه لايزال يترقب أخبارها من بعيد ...ينتظر رؤيتها حتى وإن تظاهر بتجاهلها ...

يتعمد إثارة غيرتها بنشره لصوره مع شوشو على حسابه الاليكتروني وهو يعلم كم يثير هذا ضيقها ...

هو ما عاد يفهم نفسه حقاً!

لو كان يريد داليا فلماذا لم يتمسك بها أكثر؟!





لماذا كان يتهاون معها عندما كانت تقوم بتصرفاتها الطائشة مكتفياً بنصيحة باهتة ؟!

ولو كان لا يريدها فلماذا يشعر الآن بهذا الفراغ في روحه ؟!

لماذا لا يستطيع فتح قلبه لأخرى؟!

زفر بقوة عند الخاطر الأخير ليغادر المطعم بدوره ...

استقل سيارته وما كاد ينطلق بها حتى تلقى اتصالاً من والده الذي بادره بقوله المرح:

_لوحدك واللا معاك "سكر"؟!

فابتسم وهو يرد دعابته :

_لا النهارده "ساده".

ضحكة والده تصله عالية ليرد بعدها :




_اخس! ما طلعتش ابن أبوك...هي الستات خلصت والللا انت اللي ماعندكش نظر .

فيضحك بدوره ليجاريه في مشاكساته المعتادة :

_ماشفتش في حياتي أب بيحرض ابنه على الفساد زيك.

_بذمتك عمرك شفت أب لارج كده زيي؟!

_كده اكس لارج ياسحس !

ضحكاتهما تمتزج للحظات قبل أن يقول والده بجدية هذه المرة :

_عايزك تعدي على ملجأ الأيتام تشوفهم لو محتاجين حاجة ...واتأكد إن كله تمام...عايز أطمن قبل ما أطلع العمرة.

_حاضر يا سحس...بارك الله فيك...المكالمة بدأت ب"سكر" وانتهت شرعي ...هيجيلي انفصام كده !





قالها مشاكساً ليـنتـهي الاتصال بضحكاتـهما المشتركة...

حسين رجائي!

والده الذي يعتبر نفسه محظوظاً بأب مثله !

حنانه ...نجاحه...تقواه وورعه رغم ثرائه ...

نموذج نادر هذه الأيام وسط حياة "اللا أخلاق" التي نعيشها ....

فقط لو يستمع لنصيحته ويهتم بصحته التي يتجاهلها رغم مرضه !

انقطعت أفكاره عندما عاد الهاتف يهتز في يده فابتسم تلقائياً وهو يرى اسم "شوشو" على الشاشة ...

هذا أكثر ما يعجبه فيها ...

فترة صلاحيتها للنكد تكاد تساوي الصفر!

تغضب في ثانية وترضى في التي تليها...على عكس داليا تماماً !

وعلى ذكر داليا تراجعت ابتسامته قليلاً لكنه أصر على تجاوز خيبته هذه المرة ففتح الاتصال بسرعة ليقول بمرح تعمده :

_أهلاً ....يا سكر!

========

_مفاجأة!





هتفت بها ياسمين بنبرتها الحيوية وهي تدخل عليه غرفته في عيادته فارتفع حاجباه بدهشة قبل أن يفتح لها ذراعيه بابتسامة فرحة ناقضت فظاظة عبارته:

_هنبدأ حركات الستات بقا وألاقيكي تطبي عليّ كل شوية في العيادة !

لكنها قرأت مشاعره بعينيه العاشقتين لتهرع إليه بخطوات متراقصة...

قبل أن تجلس على ساقيه متعلقة بعنقه مع قولها بنفس النبرة:

_انت لسه ماشفتش حركات ستات..بكرة أوريك جنون الغيرة على أصوله !

_برئ يا بيه !





قالها وهو يرفع ذراعيه باستسلام مصطنع فضحكت بانطلاق لتداعب أنفه بأنفها هامسة بمشاكسة:

_اعترف ...عينيك شافت كام واحدة حلوة غيري النهارده ؟!

_بتعرفي تعدي لغاية كام؟!

قالها وهو يراقص حاجبيه مشاكساً فشهقت وهي تعود برأسها للخلف هاتفة :

_كده ؟! وبتقولها في وشي؟!

ضحك بانطلاق وهو يعيد تقريب وجهها من وجهه ليقول بنفس النبرة العابثة:

_مش عاملة لي فيها واثقة من نفسك وجوّ "سترونج اندبنت ومن" ده ؟!

_إلا في دي ...معنديش هزار!





قالتها ببعض الانفعال ملوحة بسبابتها التي نالت منها شفتاه بعضة خفيفة جعلتها تطلق آهة مرحة ...

فعاد يقبل وجنتها ضاحكاً لتتنهد هي بينما أناملها تحتضن وجنتيه مع همسها:

_وحشتك؟!

التمعت عيناه بنظرة عابثة تقسم أنه لن يمنحها جواباً شفهياً يريحها وإن كانت لغة جسده تمنحها جميع الأجوبة المرضية ...

فتوهجت عيناها هي الأخرى بعبث مشابه وهي تنثر قبلاتها على وجهه هامسة بدلال :

_انت وحشتني قوي...قوي...




ولا يزال عطر ياسمينها رغم هدوئه يشعل براكين

عواطفه التي ظنها خمدت للأبد...

سحر حبها يجتاحه عاصفاً فلا يملك أمامه إلا

التسليم !

أين كانت هي منه طوال هذا العمر؟!

وكيف يسامحها أنها ظلت طوال هذه السنوات

تحرمه من هكذا حب؟!!

بل ...والأهم...

كيف يمكنه الشعور بالارتواء من هذا العشق الذي

كلما نهل من بئره زاد ظمأه للمزيد ؟!

ساحرة الألوان ألقت عليه تعويذتها ليتسلل عشقها

بين جلده وعظامه فتكون منه ...ويكون منها !!

_وبعدين بقا في شقاوتك دي؟!





همس بها بعتاب مصطنع وأنفاسه اللاهثة تفضح

تأثره بجموح عاطفتها لتبتسم هامسة بشقاوة لذيذة

اكتسبتها مؤخراً معه:

_قل لي إني وحشتك وأنا هبطل شقاوة .

_ومين قاللك إني عايزك تبطلي؟!

همس بها بمكر لتنطلق صيحة دهشتها وسحرها

ينقلب عليها مع هجومه الضاري الذي لم تتوقعه

بهذه الخفة ...

وبهذا الاكتساح!

صيحات اعتراضها تنحبس في حلقها مع

استسلامها لهذا الإعصار الذي لفهما معاً لدقائق ...

قبل أن تجد بعض الوعي والجرأة لتدفعه برفق

هامسة بصوت مرتجف:

_وأنا اللي كنت مفكراك هتبقى عاقل في العيادة ؟!





فعقد حاجبيه ببعض الضيق وكأنما عاد إليه شعوره بالزمان والمكان هو الآخر ...

ليخبطها على رأسها بخفة هاتفاً :

_ماشي يا فصيلة!

ضحكت ضحكة قصيرة أخفت بها جذوة مشاعرها وهي تسند رأسها على صدره بشرود دام للحظات وقطعه هو بسؤاله :

_مالك؟!

قالها وهو يرفع ذقنها نحوه فالتوت شفتاها بابتسامة واهنة مع إجابتها:

_بفتكر أول مرة جيت لك فيها هنا...

ثم اكتسبت لهجتها نوعاً من الحدة مع استطرادها :





_وبحاول أنسى التانية !

ابتسمِ بدوره وهو يتذكر ما تحكي عنه عندما تجرأت عليه سيلين لتدخل ياسمين في نفس اللحظة وتسيئ فهم الموقف ...

ليرفعِ أحد حاجبيه قائلاً بغرور مصطنعِ:

_وأنا مالي ؟! هي اللي...

_خلاص يا يامن !

هتفت بها مقاطعة بغيرة صار يتلذذ بها فقرص وجنتها بخفة ليقول بنبرة تحذير لم تفقد مرحها:

_انتِ بتعللي صوتك عليّ واللا انا بيتهيألي؟!

لكنها أزاحت أنامله عن خدها لترمقه بنظرة عاتبة جعلته يقبل جبينها ليعاود تطويق خصرها بذراعيه قائلاً بشرود وهو يسترجع لقاءهما الأول:





_يومها حسيت إني شفتك قبل كده بس ما كنتش فاكر امتى ولا فين...نظرة عينيكِ كانت بتقول كلام كتير ماكنتش فاهمه...بس دلوقت بس حسيت معناه.

_إيه أول حاجة لفتت نظرك لي؟!

همست بها بابتسامة مشرقة ليلتفت نحوها مجيباً:

_"البرفيوم" بتاعك!

رفعت حاجبيها بدهشة فابتسم وهو يرفع راحتها نحو شفتيه اللتين استقرتا على معصمها مع نفس عميق منه سبق قوله:

_ريحتك عموماً مميزة ...مش بس "البرفيوم"...هي خليط كده من حاجات كتير ...يااااه...تعرفي؟! لي واحد صاحبي أكبر مني بكتير أصله بسيط بس ربنا فتحها عليه ولف





العالم..مرة قال لي إنه بعد كل العمر ده وكل البلاد اللي راحها ...عمره ما عاش إحساس زي إحساسه وهو بيبوس إيد والدته وبيشم رائحتها ..توليفة كده بتاعتها لوحدها ...هي بس اللي كانت بتحسسني بشعور غريب...بكل أمان الدنيا وحبها ونعيمها...ولا أحسن "بيرفيوم" في الدنيا...

ابتسمت بتفهم وهي تشعر رغم بساطة حديثه بأنه يحمل لها أعمق معاني مشاعره ...خاصة عندما أردف بنفس النبرة الشاردة:

_يومها اتريقت عليه وزعل مني...عمري ما عشت الإحساس اللي كان بيوصفه ده وقتها ...بس النهارده لو قابلته هاعتذر له...هاقول له إن أنا كمان بقيت ألاقي ريحة مميزة مش شبه أي حد...ريحة معها بحس ب...




_بإيه؟!

هتفت بها تستحثه لإكمال عبارته التي قطعها فجأة

لكنه بدا متحفظاً -كعهده- عن البوح بمشاعره

فأشاح بوجهه ليسألها مغيراً الموضوع:

_ما قلتيش إيه سبب زيارتك هنا النهارده ؟!

ظهرت الخيبة على ملامحها للحظة وهي تتبين

تهربه من مصارحتها بحقيقة أحاسيسه ...

لكنها تنهدت بكثير من التفهم مدركةً لطبيعته ...

لهذا صمتت للحظة ثم مدت أناملها نحو ياقة معطفه

الأبيض هامسة :

_ممكن أقلعك البالطو؟!

_البالطو بس؟!




غمزها بها عابثاً فهزت رأسها متمتمة بابتسامة يأس:

_مفيش فايدة...على طول دماغك شمال!

قالتها ثم وثبت من على ساقيه لتقف مكانها ثم تناولت الحقيبة التي دخلت بها من على مكتبه لتستخرج منها ما رفعته أمام وجهه قائلة :

_وأنا برتب دولابي لقيت ده ! عارف عمره كام سنة ؟!

وقف بدوره ليتناول منها المعطف الأبيض الذي تزين جيبه العلوي برسم أنيق ل "ضرس" مفرغ وجواره كان أول حرف من اسميهما بالإنجليزية ...

ابتسم بإعجاب مشوب بالدهشة وهو يتوقع عبارتها التالية :





_ماعرفش إزاي نسيته طول الفترة دي...مع إنه كان أول حاجة أعملها لك بإيدي من سنين ...اتعلمت "الكانافا" مخصوص عشانه...عشت أيام وشهور أحلم باليوم اللي هالبسهولك فيه بإيدي ...ماخبيش عليك إني لما يأست خبيته في علبة في دولابي القديم في بيت ماما ...وبالصدفة النهارده لقيته ...ياااه أد إيه فرحت بيه !! ولقيت نفسي جاية جري على هنا .

ظل ينقل بصره للحظات بين عينيها الصارختين بعاطفتها ...وبين "قطعة قماش" وسعت الكون كله في ناظريه الآن!!

أجل ...هو لم يكن مجرد معطف!




بل نسيج من عاطفة وحنان وصدق و...سنوات لا يدري فيما مضت ولا كيف مضت ...لكنه يشعر برغبة حارقة في استعادة كنوزها معها هي...هي فقط !

آه...كم يود الآن لو يخبرها أن حياته قبلها لم تكن حياة ...

أنه يريد لو يعطل عداد العمر فيبدأه من جديد معها ...

أنه عاش عمره كله مشتاقاً لهذا الذي تمنحه الآن بسخاء ويتلقاه هو بنهم !

أنه يحبها ...

يحبها ؟!

بل يعشقها كما لم ولن يعرف يوماً !!





Cinnabon

لكن حروفه احتبست خلف سدود كتمانه المعهود ...

فقط عيناه كانتا تفيضان بحبٍ اجتاحها وهي تنزع عنه معطفه برفق لتلبسه "معطف حلمها" مع قولها بلهجتها الحيوية :

_ما تقلقش ...عارفاك موسوس...غسلته قبل ما آجي .

ضحك ضحكة رائقة مستسلماً لحركات أناملها وهي تعدل له وضع المعطف لتنتهي بتربيتة حنون على صدره مع قولها بعينين دامعتين انفعالاً:

_زي ما حلمت بالضبط !

همست بها ونظراتها تحوطه كأنما فرغ الكون من كل ما فيه سواهما ...





قبل أن تقترب أكثر لتطوق خاصرته بذراعيها ملقيةً رأسها على صدره مع همسها الخاشع بعاطفته :

_سيبني في حضنك لحد ما أشبع يا يامن.

ماذا حدث له ؟!

لو كان ما يدور الآن بينهما مشهداً يراه لأشبعه سخرية واستهزاء !!

لكنه الآن -وهي بين ذراعيه ذائبة بعشقها- يشعر وكأنه مثلها غريق في نفس البحر!

قلبه يترنح ثملاً منتشياً بين ضلوعه ...

تارة تتسارع دقاته حد أنه يخشى على نفسه ...

وتارة تتجمد...تتباطأ...وكأنها تستجدي الزمن أن يفعل المثل!





قف هنا أيـها العمر ...

لا تتقدم لحظة ولا تتأخر ...

هاهنا يحلو الخلود!!

رأسه ينحني ليستند لرأسها المزروع على صدره كقمر عاند حلكة ليله ...

وذراعاه يحوطانـها برهبة طفل محروم امتلك فجأة علبة حلوى فلا يكاد يصدق خشية فقدها !

دقات قلبيهما تتعانق...تلتحم...تنصهر ...تقسم أن تتراقص على نفس الإيقاع...

والصمت يبسط سلطانه على أرض حب تبخسه الكلمات حقه ...





ترفع رأسها أخيراً تهم بالابتعاد وقد شعرت بأن وقفتهما قد طالت ..

لكنه يعاود جذبها نحوه هامساً بصوت متهدج :

_أنا لسه ما شبعتش.

ابتسامتها الآن تبدو ك"إكليل نصر" عادت به ملكة فاتحة بعد حرب طويلة...

فما كان أطول هذه الحرب ...ما كان أشقاها ...

والآن ما أجملها !

عيناهما تتبادلان كئوس الغرام وكلاهما يتشبث بصاحبه تشبثه بالحياة نفسها ...وربما أكثر....





صوت رنين مكتبه الداخلي يقطع عليهما سحر اللحظة لتنتفض مكانها فجأة بينما يزفر هو بضيق ليفتح الاتصال مع مساعدته وهو ينظر في ساعته ...

قبل أن ترتخي ملامحه بارتياح مفاجئ ليغلق الاتصال بقوله الذي عاد إليه مرحه المشاكس:

_حظنا حلو...الحالة اللي عليها الدور اعتذرت.

_عندك غيرها للأسف!

قالتها بنفس النبرة المرحة متحسسة وجنتها فعقد حاجبيه لتردف:

_حاسة بألم فيهم من الصبح...قلت آجي أطمن.

_مممم يعني جاية تستغليني مش قصة بالطو وعواطف !




قالها مازحاً وهو يعاود الاقتراب منها ليقرص خدها بحركته المعهودة مردفاً:

_هاعديهالك بس عشان خاطر النوتيللا..مايخلصنيش نتحرم منها دي بقت طقس من طقوس قبل النوم.

ضحكت بخجل وهي تتذكر ما يعنيه بطقوسه هذه خاصة عندما أردف بنفس النبرة المشاكسة:

_ولو أني ما أضمنش ضميري المهني لو شفتك ممددة على الكرسي ده !

عادت تضحك بدلال وهي تتقدم لتستلقي على كرسي الكشف فتحرك بدوره نحوها ليستخرج أدواته من مكانها ...





قبل أن يجلس على كرسيه ويبدأ في فحص أسنانها ...

_هه...الألم فين بالظبط؟!

أشارت بسبابتها لموطن وجعها فانحنى ليبدأ عمله محاولاً التسرية عنها بالثرثرة كما يفعل مع مرضاه :

_قرأتِ اللي بعتهولك من شوية على الواتس؟! ...واحد نسبها لشكسبير بس مش عارف هو اللي قال كده واللا لأ .

أصدرت همهمة استحسان وهي تتذكر ما أرسله لها منذ قليل ...





والذي ناسب ما كانت تحاول والدتها تعليمها

إياه ...

«لو رزقني الله ولداً، سأعمل جهدي أن يكون

البالون أكثر ألعابه، وسأشتريه له باستمرار،

فاللعب في البالون يعلمه الكثير من أسرار الحياة

والناس.

سيعلمه أن يصبح كبيراً بلا ثقل وغرور، حتى

يستطيع الارتفاع نحو الأعلى.

وسيعلمه فناء ما بين يديه في لحظة وفقدانه بلا

سبب أو مبرر، لذلك عليه أن لا يتشبث بالأمور

الفانية، ولا يهتم بها أكثر من اللزوم.





وأهم شيء سيعلمه أن لا يضغط كثيراً على الأشياء التي يُحبّها، وأن لا يلتصق بها لدرجة يؤذيها ويكتم أنفاسها،

لأنه سيتسبب في انفجارها ويفقدها إلى الأبد...

.. فالحب يكمن في إعطاء الحرية لمن نحبهم.

وسيفهم، من خلال لعبة البالون، أن المجاملة والمديح الكاذب، وتعظيم الأشخاص للمصلحة يشبه النفخ الزائد في البالون، وفي النهاية سينفجر في وجهه، وسيؤذي نفسه بنفسه.

سيدرك أن حياتنا مرتبطة بخيط رفيع كالبالون المربوط بخيط لامع رفيع،

ومع ذلك تراها ترقص في الهواء، غير آبهة بقصر مُدّة حياتها، أو ضعف ظروفها وإمكانياتها.





«سأشتري له البالون باستمرار، وأحرص أن أنتقي له من مختلف الألوان، كي يحبّ ويتقبّل الجميع، بغض النظر عن أشكالهم وخلفياتهم الدينية والثقافيةوالاجتماعية !».

_عجبتني فلسفة البالونات دي ...واضح إنكم كتير!

قالها مازحاً وهو منهمك فيما يفعله قبل أن يضع ما بيده جانباً قائلاً:

_كله تمام...التهاب بسيط في اللثة ...هاكتب لك حاجة تجيب نتيجة سريعة...

ثم وقف فجأة لينحني عليها مردفاً بمكر :

_بس هنفتقد النوتيلا الليلة دي.

ابتسمت بخجل وهي تدفعه برفق لتنهض بينما هو يردف بنفس النبرة العابثة:





_رايحة فين ؟! طب شوية شقاوة ع الماشي!

_لينا بيت نتشاقى فيه يا طيب!

قالتها بدلال مرح وهي تقف مكانها لتردف بنبرة استئذان :

_ممكن أتأخر الليلة دي بس شوية ؟! انت عارف المطعم الجديد محتاج مجهود زيادة.

ظهر الضيق على وجهه للحظات قبل أن ترتخي ملامحه مع قوله :

_مفيش مشكلة ...ربنا معاكِ ...بس ما تتأخريش قوي عشان ...

قطع عبارته عامداً لتلتمع عيناه بجاذبيته التي تعشقها وهي تتوقع أن يكمل عبارته بأنه سيفتقدها ...





فضحكت وهي تكتف ساعديها بقولها المترقب:

_عشان إيه ؟!

_عشان...ما أوحشكيش!

قالها مغيظاً وهو يكزها بسبابته في أنفها فتنهدت بقليل من الخيبة التي لم تشفع لها ثقتها في عمق مشاعره ...

قبل أن تهز رأسها بيأس من رأسه الصلب فيما يخص تعبيره عن عواطفه بالكلمات ...

لهذا توجهت بخطى متثاقلة نحو الباب لتفاجأ به يضم ظهرها لصدره بحركة خاطفة مطوقاً إياها بين ذراعيه ...

والكلمة التي انتظرتها رغم همسه شديد الخفوت بها تدوي كزغرودة فرح في أعماقها ...





_هتوحشيني !

==========

فارقٌ كبير سادتي بين ما نتوقعه وما نلاقيه !

هواجسك مهما بلغت ضراوتها لن تكون شيئاً أمام واقعٍ تتلقاه جوارحك بكل قسوة!

ادّعوا ما شئتم من صلابة...

وتحصنوا خلف دروع تشاؤمكم كيفما شئتم ...

لكن تيقنوا أنه عندما تحين المواجهة فلن يعصمكم هذا من تلقي طعنات الألم !

هذا الذي أدركته هانيا وهي تفرغ دموعها على وسادتها ومشهده الأخير معها يتكرر لقطة لقطة لينتهي بجملته القاتلة ...."انتِ طالق"!





ألم تكن تتوقع شيئاً كهذا بعد قطيعتهما طوال هذه الأيام؟!

ألم تكن هي نفسها تخطط لهذا لو ثبتت لها خيانته؟!

ألم تكن لتطلبها بنفسها بعدما رأت بعينيها وسمعت بأذنيها؟!

أليست هي القوية المستكفية بنفسها عن كل من عداها والكافرة بهكذا حب؟!

لماذا إذن كل هذا الألم الذي يمزقها من الشريان إلى الشريان؟!

هل تبكي كبرياءها الذي أهانه على مرأى من صديقتها -أو التي كانت صديقتها- بل والكثير من الناس؟!





أم تبكي زواجهما قصير العمر الذي سيبقى ندبة في صحيفة حياتها؟!

أم تبكي انحدار نفسها لهذا السفح من هتك ستر امرأة ائتمنتها على أسرارها لتفضحها بالباطل؟!

أو لعلها تكون أكثر صدقاً وتعترف أنها تبكي خسارته هو!!

هو الذي احتل قلبها رغماً عن أنف "عقدتها" وكبريائها !!

طرقات خافتة على باب الغرفة قطعت أفكارها فانتفضت مكانها لتمسح دموعها بسرعة قبل أن تسمح للطارق بالدخول ...

خطوات نبيلة المترددة تصل لسمعها قبل أن تشعر بها تجلس جوارها على الفراش...





ما أثقل هذه الجلسة على قلبها!

نبيلة بالذات هاهنا لن تضيف لجرحها إلا المزيد من الوجع!

الغريب أنها لم تتوقع ردة فعلها على طلاقها حتى الآن!

هل ستلومها ؟!

ستتهمها بالتقصير في استغلال أنوثتها للاحتفاظ برجلها؟!

أم أنها على العكس ستذم رامز ببضع كلمات مجاملة لتمنحها سلوى زائفة؟!

لكن ما لم تتوقعه حقاً هو هذا العناق الذي منحته له "خالتها" والذي انفجرت معه دموعها من جديد !!





أجل ...لأول مرة تستشعر مذاق هذا العناق الدافئ الذي نقلها من خانة "النجمة" البعيدة لخانة "الخالة" ال...

ال...ماذا؟!

القريبة؟!

هل صارت قريبة حقاً؟!

الأمر يحتاج لما يفوق العناق !!

ربما يحتاج لمكاشفة...مواجهة...حديث من القلب ...

تماماً كهذا الذي تناله الآن ....

_قعدتك دي بتفكرني بنفسي من أكتر من عشرين سنة ... يوم ما طلقني عبد الرحيم والد يامن...وقتها كنت شبهك





قوي ...صغيرة...حلوة...ذكية...طموحة...الدنيا كلها قدامي فاتحة لي دراعاتها ...إيه يعني راجل راح ...بكرة ييجي أحسن منه!! إيه يعني كام سنة عدّوا؟! ما العمر كله قصادي! إيه يعني بيت وابن ؟! يساووا إيه قصاد اسم وشهرة وفلوس وعالم بحاله ؟! أي ست بسهولة تبقى زوجة وأم لكن كام واحدة ممكن تبقى نجمة زيي ؟!

حملت عبارتها الأخيرة الكثير من سخريتها المريرة جعلت هانيا تحملق فيها فاغرة فاها وهي ترى منها هذا الوجه لأول مرة ...

عجباً...هل تشعر بيللا بالندم خلف قناع كبريائها هذا طوال تلك السنوات؟!





هل تحس الآن بظلم المقايضة بين ما باعته زهيداً وما لهثت خلفه ؟!

انقطعت أفكارها عندما تراخى ذراعا نبيلة حولها لتنهض من جوارها متجهة نحو النافذة لتعطيها ظهرها بينما تراقب السماء التي مالت شمسها للغروب :

_مش هاقوللك عبد الرحيم ما حبنيش...أنا عارفة إنه عاش ومات ومفيش ست في قلبه غيري...رغم كل اللي عمله فيّ...رغم إنه حرمني أشوف ابني قصاد إنه يطلقني ...رغم الكره اللي زرعه في قلب يامن...أنا بس اللي كنت فاهمة إن قسوته دي طبع





مش كره ...طبع ما قدرتش أستحمله طول عشرتي معاه...

_ندمانة؟!

سألتها هانيا بخفوت وكأنها تخشى أن تفيق خالتها من نوبة صراحتها المفاجئة هذه فتعود للتخفي خلف قناعها من جديد...

لكنها أجابتها -لحسن الحظ -بشرود :

_إزاي ما أندمش؟! لما بشوف ست في عمري بتحسدني على شكلي...على عمري اللي مش باين عليّ...ببقى هاين عليّ أضحك في سري وأنا بلاقي نفسي أنا اللي بحسدها على لمة ولادها حواليها...على إيد جوزها اللي سانداها ...على كام شعراية بيضا وشوية تجاعيد بتحكي حكاية شقاها





وتعبها اللي لقيت تمنه في الآخر ...دفَعِت حب وقبضِت حب...لكن أنا...

غص حلقها بدموعها أخيراً لتقطع عبارتها للحظات احترمت فيها هانيا صمتها ...

قبل أن تسألها بصوت غلبه إشفاقه :

_وليه بتقولي لي كده دلوقت؟!

_عشان ما تغلطيش غلطتي...أنا سبت عبد الرحيم بسبب عيلته اللي كانت مأثرة عليه..كانوا دايماً مفهمينه إني مش من توبه...وإني في أي وقت هاحن للفن والشهرة...كانوا بيشحنوه ضدي فاتحول الحب لسجن من وساوس وشكوك وقسوة ...وقتها كنت صغيرة ما استحملتش...يأست بسرعة واستسهلت أهد البيت ...لكن لو رجع بي




الزمن عمري ما كنت هاسمح لهم ولا هاسمح له هو نفسه ... كنت هدافع عن بيتي وابني بكل طاقتي ومش هاخللي قوة في الدنيا تمنعني عنهم.

ثم استدارت نحوها لتردف بنبرة أكثر حدة :

_وانتِ دلوقتِ بتعيدي التاريخ تاني؟! بتسمحي لواحدة تاخد منك جوزك وبيتك من غير مقاومة وفرحانة قوي إنك بتنصري كرامتك؟! معشمة نفسك في شغلك وطموحك ومش هتاخدي بالك إلا لما العمر يجري بيكِ وتلاقي نفسك لوحدك ...تفتحي إيديكِ ما تلاقيش غير هَوا...هوا!

ربما لو كانت تحدث امرأة أخرى بغير عناد هانيا لآتت نصيحتها ثمارها ...





لكن الأخيرة لم تكن تنظر للأمر من هذه الزاوية...

هي لم تكن ترى سوى ما تظنه خيانة فحسب...

والخيانة في عرفها لا تحتمل جملة جديدة بل تعد نقطة آخر سطر حُسِم مصيره !

لهذا غضت الطرف عن كل ما سمعته لتغير الموضوع بسؤالها:

_يامن عارف اللي حكيتيه ده ؟!

تنهدت نبيلة بحرارة وهي تطرق برأسها مع إجابتها بالنفي لتعاود هانيا سؤالها باستنكار:

_وليه ما قلتلوش ؟! ليه ساايباه عايش طول السنين دي على الفكرة اللي زرعها فيه والده ؟!

_عشان هو ما سألش...عشان عارفة إنه مش هيصدقني...ويمكن عشان حاسة إني ماستاهلش





صورتي في عنيه تبقى أحسن بعد ما فرطت فيه زمان .

غمغمت بها نبيلة بصوت مزج ندمه بصدى كبرياء لم يفارقه رغم كل شيئ ...

لتردف بعدها بنبرة أقوى بينما تعاود الاقتراب من ابنة شقيقتها:

_لما والدتك الله يرحمها ماتت ورغم زعلي عليها حسيت إن الدنيا بعتتلي فرصة تانية لما جمعتكم في حضني انت واخواتك ويامن...كنت عارفة إن طريقي خلاص بانت نهايته لكن كنت بشوف فيكم القصة اللي عايزاها تكمل صح...

ثم صمتت لحظة لتردف بضحكة مكتومة :





_الفيلم اللي عارفة إني عمري ما هاقدر أبقى "بطلته"!

عادت عيناها تمتلئان بالدموع في عبارتها الأخيرة فوقفت هانيا مكانها لتحتضن ساعديها بكفيها ...

هنا ابتسمت نبيلة وهي تشيح بوجهها لتستطرد بنفس النبرة:

_يمكن ما قدرتش أكون أم...لا ليامن ولا ليكم...لكن هانصحك دلوقت بحق حاجة واحدة بس ...حاجة اوعي تشكي فيها مهما حصل...إنكم أغلى حاجة في حياتي وإني مش عايزاكم تخسروا زي ما انا خسرت .

ظلت هانيا ترمقها بنظرة غريبة وهي تشعر أنها لأول مرة تراها من هذا الجانب الإنساني...




طالما بدت لها نبيلة مسخاً مشوهاً لامرأة فقدت هويتها فلم تعد ترى قيمة لنفسها أبعد من جمال جسد !

لم تتصور يوماً أن خلف هذه "الدائرة الخارجية" دوائر أخرى من مشاعر ندم وألم !

ورغم أن هذا كان من الأولى به أن يجعلها تستمع لنصيحتها التي استشعرتها بهذا الصدق الحار...

لكن عنادها ...كبرياءها...جرحها "الطازج"...كل هذا كان حائط صد أمام ما سمعته منها ...

لهذا أخذت نفساً عميقاً لتزيح كفيها ببطء عن ذراعي نبيلة مع قولها بنبرة مكابرة:

_ما تخافيش...مش هاخسر زي ما خسرتِ...مش عشان أنا أقوى واللا أذكى بس عشان أنا عارفة كويس أنا عايزة إيه .





هنا عادت نبيلة تلتفت نحوها بابتسامة ساخرة ناسبت قولها الذي حمل الكثير من المرارة:

_مش هاضغط عليكِ...فيه دروس لازم نتعلمها لوحدنا عشان ما ننساهاش بعد كده ...

قالتها ثم عاد إليها قناعها الذي تعرفه كلتاهما لتردف :

_أنا خارجة ...عندي معاد مهم في النادي .

ثم أعطتها ظهرها لتغادر وكأنما استكفت بما أبدته لها منذ قليل من ضعف أنوثتها ...

لكنها ما كادت تغادر الغرفة حتى اصطدمت به واقفاً جوار الباب ...





_يامن...انت هنا من امتى؟!

قالتها بارتباك وهي تتفحص ملامحه المتجهمة ...

هل سمع حديثها مع هانيا؟!

_لسه جاي.

كانت تعلم أنه يكذب!

وإلا فلماذا يتحاشى لقاء عينيها بهذا التصميم ؟!

حاجباه منعقدان بشدة وقطرات عرق خفيفة تظلل جبينه الغائم بعاصفته...

تماماً كما كانت تعلم أنه حتى لو سمعها فلن يعقب بشيئ!

صندوقه "الأسود" سيبقى مغلقاً على ما فيه !





لهذا تشبثت بقناع كبريائها من جديد لتقول بنبرة محايدة :

_هانيا صاحية لو عايز تكلمها ..أنا خارجة.

رمق ظهرها المنصرف عنه بنظرة طويلة وهو يستعيد ما سمعه منها لتوه...

الآن يكتمل الجزء الناقص من الصورة ليبدو له المشهد كاملاً...

بيللا لم تكن "شيطان" الحكاية كما كان يتصور ...

تماماً كما لم يكن والده "ملاكها" الجريح ...

كلاهما غلبته طباعه ليدور شقا الرحى طاحنين بينهما حباً كان أضعف من أن يصمد !

يكذب لو قال أن ما روته "نبيلة" لم يحرك بداخله شعوراً مغايراً نحوها بالشفقة...





بالرثاء...بل سيكون صادقاً معِ نفسه أكثر ليعترف أنه لم يرها يوماً أكثر إنسانية من هذه اللحظة..

إنسانية...وليست أمومة!

والفارق بينهما عميق جداً لو تعلمون!

لهذا زفر زفرة قوية وهو يسمع باب الشقة يغلق معلناً عن استسلامها لدور "بيللا" من جديد...

قبل أن يعود ببصره لباب غرفة هانيا الذي تقدم منه أكثر ليطرقه منتظراً سماحها له بالدخول ...

عيناه اللتان امتزج حنانهما بحزنهما تراقبان ملامحها الذابلة بقلب يرتجف حزناٌ عليها ...

لكن لسانه يلفظ بفظاظته المعهودة :

_اوعي تعيطي تاني...حركات الستات الخايبة دي مش بتاعتك انتِ...انتِ أقوى من كده !





دمعت عيناها من جديد وكأنما لم تشفع ثقته السابقة في قوتها ...

فتنهد بحرارة ليجلس جوارها على الأريكة الجانبية قبل أن يردف بنفس النبرة :

_مش عايز كلام نبيلة يأثر فيكِ...انتِ صح...الراجل اللي يخون مرة يخون عشرة...واللي يبيعك رخيص تبيعيه ببلاش...حتى لو جالك زحف بعد كده -وأنا عارف إنه هييجي- مش هارجعك ليه .

ازدادت الدموع كثافةً في عينيها لكنها تصنعت التماسك بابتسامة مرتجفة ليستطرد هو مؤكداً بينما يلوح بسبابته :





_لو شكيت ما تكملش...ده مبدئي...لو الأثاث مضروب يفيد بإيه لو رفعت مِيت دور؟! مسيره هيقع!

ابتلعت غصة مرارتها وهي تومئ برأسها موافقة...

ثم تجاوزت الحديث عن الأمر لتسأله بتماسك مصطنع:

_انت سمعت كلام نبيلة كله ؟!

أطرق برأسه مدركاً ما تعنيه بسؤالها والذي أكدته بقولها بعدها:

_بعد كل السنين دي وبعد اللي عرفته أفتكر من حقها تديها فرصة تانية يا يامن...يمكن الحاجز اللي بينكم ده يتكسر .





ظل مطرقاً برأسه للحظات بعدها تجتاحه أفكاره بين مد وجزر ...

ثم رفع عينيه إليها ليقول بنبرة أكثر رفقاً:

_سيبك مني وخليكِ في نفسك..أنا عارف إن التجربة صعبة عليكِ...بس الضربة اللي ما بتكسرش بتقوي...والدنيا ما بتققش بينا مهما حصل.

فأومأت برأسها موافقة لترسم على شفتيها ابتسامة تصميم ناسبت قولها:

_معاك حق...ماتخافش عليّ...الباب ده اتقفل خلاص...من النهارده مش هاشوف غير مستقبلي وشغلي وبس.

=========

_مبروك علينا.





همست بها بحب وهي تتأبط ذراعه في حفل افتتاح مطعمها الجديد...

أو بالأدق مطعمهما المشترك الذي حمل رمزها الأثير لحرف الياء بالعربية حيث ينثني طرفه بشكل القلب...

أخيراً تشهد الدنيا كلها على حبهما الذي توجه عمل مشترك...وزواج مشترك...

وليته يكتمل بثمرة أخرى تتمناها بكل جوارحها !

_ما تتصورش فرحتي بالمطعم ده ...رغم إن سينابون أول فرحتي وطعم نجاحي لكن هنا بحس إني كملت عمري بيك.





لاتزال مستمرة في انطلاقها الذي يغبطها عليه في التعبير عن مشاعرها بينما اكتفى هو بحديث عينيه اللتين كانتا تشاركانها فرحتها ...

رغم فظاظة عبارته المتوقعة :

_هاقفلهم لك الاتنين لو شغلوكِ عني!

ومن مثلها يمكنها أن تقرأ في عبارة جافة كهذه ما عجز لسانه عن البوح به ؟!

لهذا ضحكت ضحكة صافية وهي تلتصق به أكثر لترفعِ إليه عينيها بهمسها العاشق:

_معقول لسه مش مصدق إن مفيش حاجة في الدنيا تشغلني عنك ؟!انت في كفة والعالم كله في كفة تانية !





تزينت شفتاه بابتسامة راضية ليغمزها بينما يميل عليها بهمسه الماكر:

_صراحة انت تستاهلي مكافأة على الكلمتين دول بس مش هنا وسط الناس.

عادت تضحك للحظات قبل أن تستطيل على أطراف أصابعها لتهمس في أذنه بدلال:

_مستنياها بفارغ الصبر.

ارتفع حاجباه بدهشة من جرأتها المستحدثة فابتسمت برضا وكأنما أسعدها أن تفاجئه...

هنا التمعت عيناه بفيض عاطفته وهو يرمقها بنظرة عميقة سبقت همسه:

_كل ما أقرب أحس إني خلاص فهمتك تفاجئيني بوش جديد منك ما شفتوش قبل كده ...أول ما





عرفتك قلت ست مسترجلة واثقة في نفسها ناجحة في شغلها دماغها ما تشيلش غير أرقام ...بعدها شفت وش تاني لست بتحب من غير حدود ولا عقل ...ساعات أشوفك مثالية لدرجة إني أرسمك في خيالي من غير عيوب...قوية...طموحة...حماسية...وساعات أشوفك هشة جداً..لدرجة ببقى خايف عليكِ من طولة لساني...مرة رقيقة ومكسوفة...مرة جريئة ودلوعة...حيرتيني معاكِ!

_وهو المطلوب يا دوك...عشان ماتزهقش مني وتحس إن معاك "كوكتيل" ستات مش ست واحدة !

قالتها بنبرة عابثة تشبه نبرته قبل أن يكتسب صوتها المزيد من الجدية مع شرودها بقولها:





_مش قلت لك قبل كده ؟!...كلنا سينابون...دواير لافة حوالين بعضها ...واللي يحكم ع الدايرة الخارجية بس يبقى غلطان .

انعقد حاجباه بشك وشرودها يزيد وقع كلماتها الغامض في أذنيه ...

ربما لايزال عاجزاً عن فهم فلسفتها الخاصة بالبشر في دوائرهم المتداخلة...

لكنه لايريد أن يصدق إلا هذا الوجه "المثالي" الذي يراه منها !

هذا "الدرع" الذي يحتاجه ليصد وساوسه وشكوكه التي تتصارعه مع كوابيس كل ليلة ...





هو يحتاج أن يراها كما يرسمها عقله ملاكاً لم تدنسه خطايا بشر!

لهذا تجاوز عن حديثها بهزة رأس سبقت همسه العابث:

_إيه رأيك بالمناسبة دي تعملي لي مفاجأة ؟!

رفعت حاجبيها بدهشة لتضحك وهي ترمقه بنظرة مترقبة فقد كانت تعرف أن هذه النبرة الماكرة منه تخفي شيئاً...

_مممم...مفاجأة زي إيه ؟!

_يعني...تخطفيني مثلاً؟!

ضحكت بانطلاق وهي تخفى وجهها في صدره بينما هو يردف بنفس البراءة المصطنعة:





_يعني نخلص الحفلة مثلاً وألاقيكِ واخداني من إيدي على العربية مثلاً ...وتطلعي بينا لحتة ماعرفهاش ...

_مثلاً...وبعدين ؟!

_لا سيبي بعدين عليّ أنا ...أنا مهاراتي ك"مخطوف" هتبهرك !

عادت تضحك وهي ترفع إليه عينيها بقولها المرح:

_مش خايف تعجبني اللعبة وأفضل خاطفاك على طول ؟!

_ياريت.

ورغم العبث الذي كان يقطر بين حروفه لكنها قرأت صدق قلبه يكاد يصرخ بكلماتها ...





كانت لاتزال متأبطة ذراعه بينما امتدت أنامله

لتحتضن كفها على ساعده وعيناه تتنقلان بضيق

بين نظرات الحضور التي تعلقت بهما وجعلتها

وساوسه تخصها هي وحدها ...

رغم يقينه أن شمس عينيها لا تشرق ولا تغرب إلا

على واديه وحده ...

لكن ما حيلته في غيرته عليها والتي تدفعه دفعاً

لإخفائها عن هذا العالم بأسره؟!

بينما كانت تشعر هي وكأنما ملكت العالم كله بين

كفيها ...

نجاحها يزين ناظريها أمامها بينما يحتويها هو بين

ذراعيه ..فهل بقي من نعيم العالم المزيد؟!!





_تعال نشوف بوكيهات الورد اللي وصلت..شكلها يجنن!

قالتها وهي تتحرك معه نحو ذاك الجانب من قاعة المطعم الذي تراصت فيه أكاليل الزهور المهداة كما يتوقع في مناسبة كهذه...

_مامتك بعتت ده...رهيب...شايف فخم إزاي؟!

التوت شفتاه بابتسامة باهتة كانت تفهمها هي جيداً خاصة مع إجابته المقتضبة:

_بيللا دايماً ذوقها ملفت !

رمقته بنظرة مشفقة وهي ترى تعمده مناداتها بلقبها "بيللا" دون "أمي"!





وكأنما هذه فقط مكانتها في قلبه ...

لكنها تدرك جيداً أن خلف هذا القناع الساخر يكمن طفل منبوذ ينتظر العودة لحضنها ...ربما وقتها فقط يمكنه استعادة اتزانه !

حسناً...ستكون هذه قضيتها القادمة معه...أن تعيد له هذا الحجر المفقود كي يتم تشييد بنائه الذي ترتجيه له ...

لهذا تجاوزت عن هذا لتكمل رحلتها بين باقات الزهور وهي تقرأ بطاقاتها بصوت عالٍ وكأنما تفتخر بنجاحهما معاً...

ولم تكد تتم قراءة آخر بطاقة كانت منشغلة بها حتى فوجئت بسؤاله الغاضب خلفها:

_مين زين؟!





=============

استدارت نحوه بدهشة حاولت فيها السيطرة على صدمتها بكل قوتها لترد سؤاله بسؤال:

_مين زين؟!

انعقد حاجباه بحدة وهو يجذبها من كفها نحو الركن الآخر من القاعة والذي استقرت فيه باقة ضخمة مميزة وصلت لتوها فبدت وهي تقف وحدها هكذا كصرخة عالية في فراغ روحه ...

خاصة مع البطاقة المميزة التي حملتها بكلمتين فقط :

_"مبروك...زين"!

زين؟!

هذا الاسم اللعين الذي يطارده في كوابيسه يحرمه لذة الهناءة معها ...




هو يكاد يقسم أنه سمعها تتفوه به تلك الليلة وسط اسمه واسم طليقها بما بدا كالهذيان لكنها أنكرت....

تماماً كما تفعل الآن :

_ما اعرفش حد بالاسم ده ...يمكن حد صاحب بابا ...أو زبون متحمس شوية...أو يمكن حد تبعك انت!

كانت تحتاج الكثير من رباطة الجأش وهي تتحدث بهذه البساطة محاولة إقناعه...

ملامحها الهادئة كانت تخفي بركان غضب وخوف لو أطل على العالم لأحرقه !

لماذا يصر زين على التواجد في محيطها ؟!




لماذا الآن يظهر ليلوث سعادتها التي بالكاد نالتها؟!

لكن...لا!

لن تسمح له ولا لغيره أن ينال من غنيمتها التي منحتها لها الأيام بعد طول عناء!

يامن حب حياتها الذي ستفتديه بآخر قطرة دم...بآخر دقة قلب لو اقتضى الأمر!

لهذا رسمت ابتسامة متقنة على شفتيها وهي تسأله ببراءة مصطنعة :

_انت ليه متضايق كده ؟! تعرفه ؟!

ظل يتفحص ملامحها للحظات وهو يشعر بالاختناق مع لهاث أنفاسه الثائرة...

هل هذه ملامح امرأة كاذبة ؟!





قلبه يصرخ بألف لا ...وحده عقله يعيد تذكيره بما كان ...

وهواجس شكوكه تلقي رياحها على نيرانه فتزكيها أكثر!

الحرب بينهما تعتصره بين شقيها والحكم أولاً وأخيراً له...

فماذا يختار؟!

يصدقها مع قلبه...أم يكذبها مع عقله وظنونه ؟!!

العجيب أنه اختار هاهنا أن ...

يصدقها!

أجل...ذاك الطفل الذي يختبئ بين ضلوعه لم يجد سوى أن يتعلق بجلبابها هي راسماً لها أكثر الصور مثالية !





هي لن تكون أبداً "خصماً" في صراعه مع نفسه...بل هي "السلاح" الذي سيحارب به كل هواجسه !

أجل...أجل...

هذه السعادة الخالصة التي يتنعم بها معها تستحق أن يهزم طبيعته الوسواسية لأجلها !

ياسمين لا تكذب...ياسمين لا تخطئ ...ياسمين تعشق ...تعشق فحسب!

_مالك بس يا طيب؟!

عادت تسأله بنفس الهدوء الخادع الذي تداري به جحيماً بداخلها لا يقل عن جحيمه هو ...

لتلين ملامحه تدريجياً مع إشاحته بوجهه ...





_مفيش!

_يعني مستعد أخطفك دلوقت؟!

هتفت بها بضحكة انتزعتها انتزاعاً وسط الحرب هذه ليرمقها بنظرة أخرى طويلة وكأنه يحاول استجواب عينيها من جديد...

لكنها كانت أذكى من أن تقع في هذا الشرك عندما تأبطت ذراعه لتسير به خارج المكان مع ثرثرة مرحة استهلكت المزيد والمزيد من قوتها ...

حتى وصلا إلى سيارته فاستدارت نحوه لتهتف بنفس المرح المصطنع:

_تحب أخطفك فين ؟! أنا "مجرمة" ديمقراطية ولازم أسألك!




ملامحه المشتتة بين تصديق وتكذيب لم تمنحها سوى ابتسامة شاحبة سبقت قوله المحايد:

_عشان بس أول مرة أتخطف هاعمل معاكِ واجب وأسوق أنا..لو عجبني النظام هابقى زبونك .

ضحكت ضحكة عالية أوردتها كل انفعالاتها وهي تستقل السيارة جواره لتلقي رأسها على كتفه بينما ينطلق بهما ...

قبل أن تستسلم لصمت طويل محاولة إعادة شحن طاقتها ...

ستتجاوز هذا الموقف ...

ستتجاوزه كما تجاوزت ما هو أقسى!





لن تسقط من على هرم عشقها بعدما وصلت قمته !!

_يامن!

_ممممم؟!

_انت عارف أنا بحبك أد إيه ؟!

أحست بتصلب عضلة ذراعه الذي تتأبطه بينما تريح رأسها مغمضة العينين على كتفه وقد كانت هذه الإجابة الوحيدة التي نالتها لبضع ثوان فتنهدت بحرارة لتردف دون أن تفتح عينيها:

_يمكن أكون غير ستات كتير بتتكسف تعبر عن مشاعرها...بتخاف تاخد الخطوة الأولى وبتستنى حبيبها هو اللي ييجي الأول...بتعمل حساب كرامتها لو في يوم قال لها إنتِ اللي جريتِ ورايا...بس ...





_بس إيه؟!

قالها مستحثاً حديثها الذي قطعته بصمت قصير وقد نجح كلامها في الاستحواذ على اهتمامه لتفتح عينيها أخيراً وترفعهما إليه بقولها :

_بس أنا ما بحسبهاش كده...أنا ماحبتكش عشان عايزاك تحبني...أنا حبيتك عشان انت تتحب...عشان انت نُصّي التاني اللي مش هيكمله حد غيرك ...مش بمزاجي...غصب عني ...انت مش اختيار.. انت قدر!

يالله !!

هل من الممكن ألا يصدقها بعد هذه الكلمات؟!

هل بقي مجال لحرب يراها بين قلب غدا منتصراً وعقل تراجع مدحوراً؟!





لهذا حارب نفسه -بنفسه- هذه المرة لأجلها في سابقة تعد الأولى من نوعها في حياته ...

ليقبل جبينها المرفوع نحوه هامساً :

_ليه بتقولي لي كده دلوقت؟!

_انت عارف إني بحب أقولها كل وقت...بس الليلة دي بالذات حاسة إني لازم أقولها لك.

_اشمعنا؟!

_عشان نجاحي الليلة دي طعم تاني غير أي نجاح حققته قبل كده ...نجاح باسمي واسمك سوا.

ابتسم وهو يعاود تقبيل جبينها وقد نجحت مشاعرها الصادقة في نسف كل شكوكه ليعاود التركيز في الطريق بقوله :

_أتمنى خطة الخطف دي تعجبك ...أصلها كلفتني كتير من مبادئي الحقيقة .




_ليه ؟! هنروح فين ؟!

هتفت بها ضاحكة بفضول ليجيبها بغمزة لعوب:

_المخطوف المؤدب يتخطف وهو ساكت !

=========

القطعة السادسة عشرة

****

_دي بنت هبلة !

قالها معتز لصديقه وهو يمسك هاتفه ملوحاً به مع استطراده :

_الحلوة طلعت خوافة وابن خالتها قِفل ومحوط عليهم ...تقلت عليها شوية وبعدين شاورت لها بالفيلم والبطولة...لكن المفاجأة إنها طلبت مني نخللي تصوير المشاهد في السر بعيد عن الاعلام لحد ما نحطهم قدام الأمر الواقع لما الفيلم ينزل !

قهقه صديقه ضاحكاً وهو يخبط كفيه هاتفاً:





_في السر؟! وكمان صدقت بجد إنها هتبقى بطلة الفيلم ....عملتها إزاي دي؟!

_دي الخبرة بقا.

قالها معتز بغرور وهو يقلب في هاتفه باحثاً عن صورها التي أطال التفحص فيها مردفاً:

_صاروخ! حلوة...خوافة...مغرورة...يعني صيد ممتاز...بنت الإيه بتلبس الحجاب وتقلعه بمزاجها...تقريباً خوف من ابن خالتها برضه...النوع اللي يخاف ما يختشيش ده بقا لعبتي!

أطلق صديقه ضحكة مستمتعة وهو يخطف منه الهاتف قائلاً:

_بس ينوبنا م الحب جانب...لقمة هنية تكفي مية .





ضحك معتز ضحكة ظافرة وهو يستعيد منه الهاتف ليقول بغرور:

_طب شوف بقا الخطوة الجاية ...هتعجبك !

قالها وهو يتلاعب بهاتفه ليتصل بها وما إن سمع صوتها حتى تنحنح ليقول باحترام خادع:

_آنسة داليا...آسف لو بزعجك في وقت مش مناسب.

صوتها المرتبك يأتيه بعبارة مجاملة تقليدية ليصمت لحظة قبل أن يقول متصنعاً الأسف:

_هو فيه خبر مش حلو...المنتج عنده اقتراح لبطلة تانية...ورافض إنه يدي الفيلم لوجه جديد...خصوصاً إنك رافضة تبذلي معنا مجهود في الدعاية عشان موضوع عيلتك وكده .

_يعني خلاص مش هاخد الدور؟!





الإحباط الملتاع في نبرتها يرضيه فيصمت للحظات قبل أن يقول بلهجة مدروسة:

_أنا عندي اقتراح...إيه رأيك تقابلي المنتج بنفسك...أنا متأكد إنه لو شافك هيغير رأيه .

غمزته الماكرة تلتحم بضحكة صديقه المكتومة ليصله ردها الحائر:

_طب فين ...وامتى؟!

_بكره عندنا حفلة صغيرة كده ع الطريق الصحراوي...نظام سافاري...خيم ورقص شرقي وغنا بدوي...إيه رأيك تيجي وتقابليه بنفسك ؟!

صمتها القصير يفضح ترددها ليبادر بنصيحته:

_الحفلة هتبدأ متأخر ...وأنا ممكن أوصللك بعد ما نخلص لو قلقانة .




ولما طال صمتها أكثر اضطر لقوله :

_لو مش هتقدري خلاص...بس ماضمنش ألاقيلك فرصة تانية .

_خلاص جاية.

قالتها بلهفة أرضته ليعاود غمز صديقه قبل أن يغلق معها الاتصال ...

وفي غرفتها كانت هي تنظر لهاتفها بقلق ...

إنها فرصتها الذهبية ولن تضيعها !

آن الأوان أن تخرج من عباءة يامن التي تطوقها هذه !

ستثبت له وللجميع نجاحها وقدرتها على الاستقلالية...




ستكون نجمة حقيقية مثل بيللا بل...أفضل!

هي فقط تحتاج للتأني حتى لا يفسد عليها يامن الأمر في مهده ...

لهذا اشترطت على معتز أن يتكتم على أمر التصوير ولا يظهرها في الدعاية...

لكن الآن...ماذا ستفعل؟!

زفرت بسخط ثم استلقت على فراشها لتهمس بعزم:

_هقابل المنتج ده وأقنعه...محدش غيري هياخد الدور ...دي فرصتي وجت لحد عندي .

صوت وصول رسالة جعل ابتسامة حقيقية ترتسم على شفتيها ...

ابتسامة لم تعد تعرف معناها إلا معه ...هو فقط...





الحبيب المجهول الذي يضفي على حياتها الباهتة بعض البريق ...

"افتقدت مشاكستك اليوم يا شقية"

لايزال يصر على محادثتها بالفصحى رغم أنهما قطعا شوطاً كبيراً في تعارفهما الغريب هذا ...

رغم أنها صارت تحكي له الكثير عنها ...كما فعل هو...

حتى باتت تشعر وكأنها تعرفه منذ زمن !

والغريب أنها صارت تتلذذ بتبادل محادثاتها معه بالفصحى هذه كأنها بها تدخل معه عالماً جديداً كعالم الروايات والأساطير ...





لا عالماً حقيقياً كواقعها الذي تعيشه !

لهذا تحركت أناملها لتكتب له بسرعة :

"أنا الأخرى افتقدتك يا عنيد "

_"عنيد؟!"

_"لأنك ترفض إخباري المزيد
عنك...اسمك...عملك...عنوانك...ألا يحق لي معرفة
ما يعرفه الآخرون؟!"

_"ومالك وللآخرين؟! دعي لهم ظاهري ولكِ أنت
الباطن!"

_"إذن...حدثني عن ماضيك...عن النساء في
حياتك"

_"النساء في حياتي؟!"




تأهبت حواسها لما سيكتبه وهي ترى النقاط

تتراقص على الشاشة بما توحي بأنه يكتب شيئاً...

ثانية...اثنتان...عشرة....

هل تأخر أم هي من تتعجل الجواب؟!

هل سيتباهى بكثرة مغامراته ؟!

أم سيدعي أنه لم يعشق قبلها؟!

لن تصدقه ...لن...

_"أنتِ...أنتِ....وأنتِ...أنتِ كل نسائي"

ابتسامتها تتحول لضحكة نقية...وهي تجد نفسها

رغماً عنها تقبل الهاتف حيث كلماته ...





كلماته التي تمس جانباً بروحها لم يمسه أحد قبله ...

هل ظننت أنها يمكن ألا تصدقه؟!

كيف وقلبها يكاد يقسم :هذا العشق ليس بكاذب!

لقد بدأ الأمر ب"لعبة" ..لتجده يتملك من قلبها يوماً بعد يوم...

ربما هو إحساسها بصدق شعوره...

ربما هو غموض صورته الذي يضفي عليه المزيد من الجاذبية...

وربما السبب فيها هي ...

هي التي تفتقد اهتماماً خالصاً كاهتمامه...

دون غاية أو غرض!

إنه حتى لا يحاول طلب لقائها !





وعند الخاطر الأخير تذكرت ما جعلتها تكتب له بذهن مضطرب:

_"الغد يومٌ مصيريٌ عندي...ربما أقترب من تحقيق حلم طالما تمنيته"

كان معتاداً على تجاهلها لمشاعره وإن كان يدرك أن سهامه البطيئة الواثقة قد بدأت تؤتي ثمارها معها ...

لكن عبارتها الأخيرة أقلقته ليكتب لها بسرعة...

_"وماذا سيحدث غداً؟!"




ابتسامتها العابثة تعاود غزو شفتيها ...لتكتب له منهية المحادثة :

_"سأخبرك في الوقت المناسب."

==========

(لو الست في نظرك وش حلو وقميص نوم رخيص فانت اخترت المرة دي الست الصح اللي تليق بيك...ست ماتقدرش ترد إيد راجل تتمد عليها ...وابقى اسأل عن تاريخها القذر قبل ما تديها اسمك ...مع جوز أمها وجيرانها وزمايلها ....واللا أقوللك بلاش تسأل انت ما تستاهلش أحسن من واحدة زيها !)





كانت الكلمات السابقة تتعاقب في قذفها لصدرها
كنصال حادة يعرف كل منها طريقه لقلبها الذي ما
عاد يحتمل...

مستلقية على "بقعة أمانها" الوحيدة في هذا
العالم...

"فراش أحمد" ....

محتضنة لوسادته ...

أناملها تداعب دبلته في إصبعها ...والتي لم تكن
مجرد حلقة ذهبية...

بل كانت "شارة طهارتها" الوحيدة التي منحها لها
القدر وسط كل الصرخات التي كانت تنادي
بدنسها ...





رائحة الغاز "النفاذة" تحتل أنفها فينفر منها جسدها بردة فعل تلقائية لكنها مع هذا كانت تشعر بارتياح غريب مدركة قرب الخلاص...

ستموت الآن هنا...

على فراشه ...وسط بقاياه الوحيدة التي منحتها انسانيتها وسط هذا العالم القبيح...

ستلحق به مادام قد عجز هو عن البقاء معها ...

طالما كرهت الموت واعتبرته عدوها في هذه الحياة...

ليس فقط كونه قد حرمها من أحمد...

بل منذ اختطف أباها وهي لا تزال طفلة صغيرة ليتركها أسيرة أمّ لا تستحق هذا اللقب...

لكنها الآن قررت مهادنته ...قررت الخضوع لسلطته...





ربما لا يكون الموت قاسياً قسوة حياةٍ كهذه التي تعيشها ...

ربما يكون فقط بوابتها لعالم آخر ...أكثر عدلاً...أكثر رحمة...!!

رائحة الغاز تزداد ضراوة فتغمض عينيها مشددة ضغط ذراعيها حول وسادته...

الآن يستريح الجميع...

تستريح أمها من حملها الذي طالما أشعرتها بثقله...

وتستريح هانيا من وزر هواجسها عن علاقتها هي بزوجها ...

وتستريح هي...منهم جميعاً!





ابتسامة شاحبة تزين شفتيها وهي ترى نفسها

أخيراً تأخذ قراراً ما في حياتها وحدها ...

ربما يكون صائباً...ربما ...لا...

لم يعد الوقت مناسباً للتراجع على أي حال ...!

===========

_بعتلها كل حاجتها خلاص؟! كده ارتحت؟!

قالتها والدته بعتاب ساخط وهي تدخل عليه شقته

التي صار يقيم فيها وحده ...والتي باتت الآن

خاوية على عروشها بعدما أعاد لهانيا كل متعلقاتها

بما في ذلك أثاث الشقة !

فزفر بقوة ليجيبها بينما يكمل ارتداء سترته:





_لو سمحتِ يا ماما ...مش عايز أتكلم في الموضوع ده ...من النهارده هانزل أبات معاكِ تحت.

_كان معاه حق أخوك يقوللي ألأخر جوازك لأنك متهور ولسه مش مستعد تتحمل مسئولية .

كانت تعلم أنها تضع المزيد من الحطب فوق نيرانه المشتعلة لكنها كانت تعرف ابنها جيداً...

تعرف أنه سيبقى حبيس قوقعته مالم تستثره بأي حديث ...

لكنها تعجبت ردة فعله عندما لم يغضب كما توقعت بل أشاح بوجهه ليقول ببرود:

_فعلاً ...كان معاه حق!




عقدت حاجبيها بأسى وهي تسمع نبرته التي اكتست رغماً عنه بالكثير من الندم...

منذ ذاك اليوم الذي طلق فيه هانيا وهو يتحاشى الحديث عن الأمر ...

يكتفي بقضاء يومه كله خارج البيت ولا يعود إلا للنوم ...

ليفاجئها اليوم بقراره إعادة كل حاجيات هانيا إليها !

وكأنما هذا هو ما سيعيد حياته لسابق عهدها !

_عايزة أتكلم معاك شوية عندي تحت قبل ما تخرج وما ترجعش إلا وش الفجر زي كل يوم.

قالتها وهي تجذبه من كفه نحو الباب لتردف بنبرة ذات مغزى:





_بص كويس على المنظر ده قبل ما تنزل عشان تفهم إن خراب البيوت مش بالساهل .

قالتها وهي تشير بعينيها لصالة المنزل الخاوية على عروشها والتي بدت كئيبة موجعة ...

فانسابت عيناه هو الآخر على المكان تمشطانه بأسى وهو يقاوم شعوره بالخسارة...

لا ...ليس سهلاً...

ليس سهلاً أبداً!

لهذا أغلق الباب ببعض العنف متجاهلاً الرد على عبارة أمه ليهبط معها الدرج نحو شقتها لتحين منه التفاتة نحو الشقة المقابلة التي كانت تشغلها غادة يوماً...




غادة التي نسيها تماماً منذ ذاك اليوم لينخرط في حزنه الخاص ...

ربما تذكرها بضع مرات راودته فيها نفسه أن يطمئن عليها باتصال بعدما نالها من قسوة صديقتها ...

لكنه لم يستطع!

شعوره بالذنب نحوها كان أعظم من يقاومه في هذه الفترة بالذات ...

هو أدخلها رغماً عنها في حربه الباردة مع هانيا التي ذبحتها بسكين ثلم ...

وليته ما فعل!

انقطعت أفكاره عندما وصلا لشقة والدته التي دخلت ولاتزال تجذب كفه خلفها كطفل مذنب ...





قبل أن تجلس جواره على الأريكة لتواجه ملامحه المرهقة بعينين آسفتين قائلة:

_لما كنت لسه صغير وتعمل عملة..كنت بترفض تعترف إنك غلطان...تستحمل العقاب من سكات لحد ما الموقف يعدي...تفتكر هتحل مشكلتك دلوقت بنفس الطريقة ؟!

_أنا خلاص...ماعادش عندي مشكلة ...كل حاجة كانت متعلقة حطيت لها نهاية.

لايزال يكابر بنبرته الباردة التي تفهم هي ما خلفها لتتنهد قائلة :

_لما مراتك جابت صاحبتها وسطكم ما كنتش رافضة وجودها عشان مش عايزة أساعدها ...لكن عشان كنت شايفة الصورة من بعيد وحاسة ان الوضع هينتهي بيكم كده ...ابني وعارفة ذوقه في





الستات ...مراتك مكبرة دماغها وعايشة في دور المسترجلة...ووسط ده تحط واحدة زي صاحبتها دي تبقى كأنها بتقدم لها جوزها على طبق فضة!

_غادة مالهاش ذنب ...مفيش أي ذرة شك في أخلاقها ...انا اللي بغبائي ورطتها معايا اليوم ده .

قالها بضيق وهو يطرق برأسه مسترجعاً مشهد غادة الموجع وهي تتلقى اتهامات هانيا بصدمة وقتها ...

لقد كانت قبل بضع دقائق فقط تدافع عنها أمامه...تناشده التشبث بها والصبر عليها ...

لينقلب الوضع كله في ساعة غضب !




_عايز الحق وما تزعلش؟!

انتزعته بها أمه من شروده ليرفع عينيه إليها بترقب فتردف بنظرة ثاقبة:

_انت عمرك ما كنت هتخترع كذبة زي عرض الجواز ده إلا إذا كنت فعلاً فكرت فيها وشغلت عقلك .

زفر زفرة حارقة وهو يشيح بوجهه ليصمت للحظات سبقت قوله المنفعل:

_مش غادة نفسها ..لكن صفاتها ...أنا ما كدبتش لما قلت يومها إني كنت عايز ست زيها .

_ولما انت عايز ست زيها اتجوزت واحدة بمواصفات هانيا ليه ؟!





لاتزال أمه تحاصره بأسئلتها التي تحشره في زاوية معينة لا يريد الوصول إليها ...

ربما لأنها تشعره بالمزيد من الذنب..المزيد من العجز...المزيد من الخسارة !

لهذا عاد يطرق برأسه دون رد لتجيب هي سؤالها بنفسها:

_زيك زي أي شاب لف ودار ولما جه يستقر اختار واحدة زي الألِف عشان يبقى ضامن أخلاقها ...عقلك قاللك بعد الجواز تتغير وتطوعها على كيفك...المشكلة إنك وقعت في واحدة ما بتطوعش...هي كمان كانت عايزة تشكلك على مزاجها ...انتم الاتنين حوّلتم جوازكم لاستعراض قوة...لعبة ...كل واحد فيكم كان عايز يكسبها ...والنتيجة انكم انتم الاتنين خرجتم خسرانين!




هز رأسه عاجزاً عن الإنكار أمام تعريتها للحقيقة بهذه البساطة ...

لتربت هي على كفه مردفة:

_انت بتحبها وعايزها ...إيدك لما بتوجعك ما بتقطعهاش ...بتعالجها...ليه شباب اليومين دول مستسهلين خراب البيوت قوي كده ؟! على أيامنا كانت كلمة الطلاق دي عيبة كبيرة قوي.

_على أيامكم كان فيه ستات بتحافظ على بيوتها .

قالها بحسرة ساخرة وكأنما ساءه أن تحمله المسئولية كاملة لترد هي مؤكدة :

_قلت لك قبل كده ...الراجل هو عمود البيت .

_خلاص يا ماما انتهينا ...أنا مش أول واحد يختار غلط ويندم.




هتف بها بغضب أججه شعوره المختلط بين ندم وعجز ثم انتفض مكانه ليغادرها بخطوات مندفعة...

فعادت تتنهد بيأس لتتمتم في نفسها:

_ياريتك تقتنع فعلاً إنك اخترت غلط...مشكلتك إنك متأكد إنك اخترت صح.

بينما تركها هو ليستقل سيارته التي جاب بها الشوارع على غير هدى محاولاً تجنب التفكير في حديث أمه الذي بدا له شديد العقلانية لكنه شديد التحيز !

لماذا تحمله هو العبء كاملاً؟!

لقد صبر كثيراً على طبع هانيا الصعب واحتمل ما لم يظن أن رجلاً غيره يحتمله !





جفاؤها...تباعدها...اهتمامها المغالي

بدراستها...إهمالها لمظهرها...حتى قرارها المنفرد

بمنع الإنجاب !

كل هذا لم يلقَ لديها أي صدى!

حتى رد فعلها على ما كان يوم طلاقهما والذي كان

شديد البرود ...

ألا يعني كل هذا أنه لم يكن شيئاً لديها؟!

زفر بسخط عند الخاطر الأخير الذي أعاد تمزيق

كبريائه...

ليصرف عنه ذهنه قهراً بالتفكير في غادة...

غادة التي لم تعد تأتي للشركة منذ ذاك اليوم حتى

صارت مهددة بفقد عملها الذي يدرك هو كم

تحتاجه !





آه...لقد ظلمها كثيراً!

وكأنما وضعه القدر في طريقها ليكون لعنتها ...

في البداية كان سبباً في حرمانها من زوجها ...والآن صديقتها وعملها!!

كز على أسنانه بقوة وشعوره بالذنب يمزقه ...

ليتناول هاتفه باحثاً عن رقمها ...

سيعتذر منها ويطلب منها العودة للعمل حتى لو تركه هو...فلا يظنها ستقبل النظر في وجهه بعد ما كان !

رنين الهاتف الرتيب لا يمنحه ما يريحه فيعيد الاتصال مرة بعد مرة...

لاريب أنها لا تريد إجابة اتصاله ...ولا يمكنه لومها!

لكنه لابد أن يتحدث معها !





هنا انعقد حاجباه بتصميم وهو يتخذ طريقه نحو بيتها ...

ركن سيارته ليغادرها نحو بنايتها حيث رمقه بواب العبارة بنظرة ماكرة لم يكترث لها وهو يصعد الدرج نحو شقتها ...

رن الجرس بضع مرات حتى يأس من إجابتها وكاد يرحل لولا...

تلك الرائحة!

عقد حاجبيه بتركيز تحول للكثير من الهلع وهو يميز هذه الرائحة النفاذة !

لا ...ليس ثانية !

ليس ثانيةً!

لن يحتمل هذا الذنب من جديد !!





====

_واااو ...شاليه على البحر ؟! عشان كده كنت بتقول هتبيع مبادئك؟!

هتفت بها ياسمين بسعادة وهي تتبين وجهة سيارته التي استقرت بهما جوار الشاليه المنعزل الذي بدا لها كأنه قطعة منفصلة عن العالم ...

ثم تعلقت بذراعيها في عنقه لتردف بفرحتها الطفولية:

_كده أنا هاخطفك للأبد .

ضحك لسعادتها التي توقعها وإن لم يقلل هذا من رضاه بهذا الشعور الذي يغمره عندما يرى ابتسامتها ...

ليطوق خصرها بذراعيه قائلاً:





_واحد صاحبي بيتحايل عليّ أشتريه منه بقاله كتير وأنا متردد ...بس أخيراً حسمت الموضوع واشتريته.

_عشان عرفت إني بحب البحر!

همست بها بدلال في جواب أقرب منه للسؤال فانفرجت شفتاه عن تلك الابتسامة التي تمزج مكرها بخجلها بينما يشيح بوجهه...

هذه الابتسامة التي تكاد تذيب أوصالها رغم أنها تعلم أنه يخفي بها شعوره نحوها ...

لكن مرحباً بهكذا إخفاء يكاد يصرخ بكل الذي تود سماعه!!





لهذا شددت ضغط ذراعيها حول عنقه لترسم
شفتاها طريقها الشغوف على ملامح وجهه بينما
تهمس بدفء عاطفتها:

_كنت فاكرة اني عمري ماهاقدر احبك اكتر من
زمان بس كل يوم بحس اني بحبك بطريقة مختلفة.

_أنا عن نفسي عاجباني قوي الطريقة دي ...اثبتي
عليها !

غمزها بها مشاكساً وهو يضمها إليه أكثر متنعماً
بشعوره بالرضا عما آلت إليه علاقتهما -الحسية-
التي تدرج منحناها لديها من ذعر لنفور لتردد...
وأخيراً لشغف متوهج كهذا الذي يراه الآن ...
شرقيٌّ هو في غيرته وتملكه لأبعد حد ...





ربما لهذا السبب يشعر ببعض السلوى عندما تجعله يحس أنه رجلها الأول الذي تمكن من فك شفرة أنوثتها ليمنحها ما لم يمنحها إياه غيره...

حتى ولو لم يكن حقاً الأول!

أشعره الخاطر الأخير بمزيج من ضيق وغيرة لكنه جاهد نفسه ليقاوم هذا الشعور بقوله :

_تحبي نقعد على البحر شوية؟!

_ما بحبش البحر بالليل!

قالتها ببعض الحرج وهي تخفض ناظريها عنه ليرفع ذقنها نحوه بسؤاله:

_لسه بتخافي من الضلمة ؟!

فتصمت للحظات تسبق همسها :





_ماعدتش بخاف من حاجة وأنا معاك.

عيناه تلتمعان بوهج عاطفته ليمنحها هدية ناعمة على شفتيها قبل أن يقول بمرح:

_خلاص نأجل البحر للصبح ..ياللا عشان تتفرجي على الشاليه من جوه.

تراقص الحماس في عينيها وهي تغادر معه السيارة ليتوجها نحو الشاليه الذي فتح بابه ليقول بنفس النبرة المرحة :

_ادخلي برجلك اليمين يا شابة.

ضحكت ضحكة عالية أودعتها كل انفعالاتها وهي تتقدم للداخل متفحصة المكان الذي بدا وكأنه أعد خصيصاً لها هي ...

كان يشبه بيته في القاهرة في كونه ذا طابقين ...





لكن الفارق هاهنا كان في ديكوراته التي اختارها مشابهة لتلك التي في مطعمها ...

بألوانها التي مزجت رقة ألوان الطيف بنصاعة الأبيض...

بأناقة الأثاث الذي حمل الطابع الغربي الذي تفضله ...

وبهذه البالونات المبهجة التي كادت ترقص مكانها في استقبالها ...

_الله...مش ممكن يا يامن...أنا حاسة إني بحلم.

هتفت بها بصوت مرتجف وهي تجد نفسها تتشبث به بقوة وكأنما تخاف أن تتسرب منها كل هذه السعادة في غمضة عين ...





ليحتويها هو بين ذراعيه قائلاً :

_خللينا في المهم...الدور اللي فوق...أوضة النوم!

قالها بوقاحته المعهودة التي ما عادت تثير حفيظتها ...بل على العكس...

صارت تشعرها بأنوثتها أكثر وهي ترى ولعه بها ...هي ياسمين وليس كونها مجرد امرأة !

هذا الإحساس الذي عوض بشاعة إحساسها القديم مع رامي ...

وحتى الذي عرفته مع زين!

زين؟!





عادت ذكراه تثير المزيد من غضبها وضيقها و...خوفها!

خوفها المحموم الذي يقبض قلبها ويحرمها اللذة الكاملة لهذا القرب يعود ليسيطر ...

حتى وهو يجذبها ليصعد معها الدرج نحو الأعلى ولايزال ذراعاه يتشبثان بها ...

حتى وهو يغمرها بالمزيد من تعليقاته العابثة عن خططه لهذه الليلة...

وحتى وهي ترى بعينيها كيف اهتم -كعهده- بكل تفاصيل غرفة نومهما بما يناسب ذوقهما معاً ...

شموع التفاح...ستائر الغرفة وشرشف الفراش بألوانهما الطيفية كما تحب هي...

لون الأثاث الأسود المميز كما يحب هو ...

والهواء المعبق بشغف عاطفتهما كما يحبان معاً !





_عجبك؟!

_كل حاجة بتعملها عشاني بحبها معاك

مرتين ...مرة عشانها ومرة عشان بستطعمها من

جديد معاك ...كنت فاكرة إنك رجعتلي عمري اللي

فات...لكن الحقيقة إن كل يوم معاك عمر جديد .

همست بها وهي تتعلق بعنقه ليشعر بأناملها

تتشبث بقوة بقميصه من الخلف بحركة بدت له

ذات مغزى ...

فجازاها عنها بأخرى عندما اعتصرها بين ذراعيه

وكأنما يبادلها تشبثاً بتشبث...

_دايماً تغلبيني في الكلام .





_الكلام بس؟!

غمزته بها بدلال ووجنتها تعانق وجنته فضحك ضحكة راضية سبقت قوله العابث:

_تنكري إن حواديتي تغلب حواديتك؟!

_تؤ...ماانكرش!

همست بها ضاحكة وهي تتفلت من بين ذراعيه لتخلع حجابها فاقترب منها ليحل رباط شعرها متفحصاً إياه بقوله:

_شعرك طول شوية...ممكن يتعمل ضفيرة صغيرة.

_اعملهالي!

قالتها وهي تعطيه ظهرها بدلال ليجيبها بفظاظته المعهودة :

_بتهزري؟! ما بعرفش طبعاً .




_أعلمك!

قالتها وهي تجذبه من كفه لتجلس معه على الأرض التي افترشتها سجادة أنيقة انتهى طرفاها بجدائل رفيعة طويلة من صوفها ...

هذه التي تناولتها هي الآن بين أناملها لتقول له بنبرتها الحماسية :

_شوف يا سيدي ...فيه طريقة للضفيرة العادية...لكن اللي بعملها اسمها "السنبلة"...الضفيرة العادية بنقسم الشعر فيها ثلاثة أجزاء...لكن السنبلة بنقسمه لنصين بس ...وناخد من كل نص خصلة كده ...وكده...





كانت تتحدث بينما تطبق ما تفعله عملياً على جدائل الصوف أمام عينيه ...

نفسه تراوده بتعليق ساخر فظ على ما تفعله ...وما تريد منه فعله...

لكن الغريب أنه كان مستمتعاً حقاً بمراقبتها...

كل ما تفعله مهما بدا له -بقناعاته- القديمة تافهاً بسيطاً يجده يكتسب قدسية خاصة نابعة منها هي نفسها ...

لهذا لم تكد تنتهي مما تفعله حتى أدار هو ظهرها نحوه ليتناول شعرها بين أصابعه...

أنامله تداعب منابت رأسها برقة قبل أن يبدأ في تطبيق ما تعلمه منها ...

متعة غريبة تجتاحه وهو يرى جديلته رغم قصرها وضعف إتقانها ...





متعة جعلته يرفعها نحو شفتيه يقبلها برقة جعلتها تلتفت نحوه لتهمس بتأثر:

_للدرجة دي شكلها حلو؟!

فأدارها نحوه ليحتضن وجنتيها بكفيه هامساً :

_لسه مش بالطول اللي أنا عايزه...مش زي ما أنا فاكرها ...بس هافضل وراها لحد ما اشوفها زي زمان.

_اشمعنا ؟!

_عشان دي الحاجة الوحيدة اللي فاكرها في شكلك زمان...عشان بتفكرني بفترة عملت المستحيل عشان أنساها ...بس انتِ خلتيني أرجع أتقبلها...وأحبها.




همس بها بانفعاله الحار الذي تعشقه إذ يخرجه من طور فظاظته وتحفظه المعهود إلى هذا البوح النادر الذي قلما تسمعه منه بأذنيها لا بقلبها ...

لهذا مدت أناملها تزيح أصابعه من على وجنتها لتضعها على صدرها في موضع قلبها تماماً ثم همست بصوت مرتجف:

_مش عايزاك تقوللي إنك بتحبني...هاكتفي مؤقتاً إنك تقوللي إنك مصدق إني بحبك...وإنه مهما حصل مش هتشك يوم في ده .

انعقد حاجباه بانفعال وحديثها يعاود نبش هواجسه...

لماذا تطلب منه هذا الليلة بالذات؟!

لا ...لا ...





لن يسقط في هذه الهوة من جديد ...

لن يعاود التأرجح بين شك ويقين ...

سيختارها هذه المرة...

سيغامر بالثقة لأنها تستحق!

_يامن!

همسها الذي مزج قلقه برجائه انتزعه من أفكاره

ليفتر ثغره عن ابتسامة اتسعت رويداً رويداً ...قبل

أن يهمس لها بكلمة واحدة :

_مصدقك.

كلمة واحدة مقتضبة لكنها منحتها الكثير من

الارتياح لتتنهد بعمق هامسة:





_طيب قوللي أمارة...عشان لو في يوم من الأيام شكيت في كده...أفكرك بيها.

ورغم أنها كانت جادة تماماً فيما تطلبه ...

مدفوعة بخوفها من أن تسلبها الظروف هذه السعادة الصافية التي تعيشها معه ...

لكنه ظنها مجرد مزحة دلال فأمال رأسه بعبارته الساخرة:

_عايزة كلمة سر يعني؟!

ابتسمت وهي تمد كفها الآخر لتحتضن أنامله على صدرها بهما معاً ...

فشرد ببصره ليقول بجدية :





_تعرفي ؟! أيام كتير كنت بصحى من النوم أفضل في السرير ...ماليش مزاج أقوم...أقوم ليه ؟! أشتغل ليه ؟! أقابل ناس ليه ؟! أعيش أصلاً ليه ؟!

ثم ابتسم ليصمت لحظة سبقت استطراده:

_مؤخراً بس بقيت لما أسأل نفسي الأسئلة دي ...ما بلاقيش غير إجابة واحدة بتخليني نفسي مفتوحة إني أقوم من السرير وأكمل يومي ...

قالها ثم رفع إصبعه الذي يحمل خاتمها ذا الفص الأسود أمام وجهها في إجابة غير منطوقة...

إجابة جعلتها تندفع لتحتضنه بكل قوتها هامسة:

_خلاص..يبقى كلمة السر هي الخاتم بتاعي ...يوم ما تنسى هافكرك بيه.

_مش هانسى!





قالها وهو يعدل وضعها ليرقدها في حجره كطفلة رأسها مستقر على أحد ذراعيه ...

ثم ألصق وجنتها بوجنته بينما ذراعاه يطوقانها ...

فتأوهت بخفوت وهي لا تدري بماذا تصف شعورها الآن...

إنها سعيدة...سعيدة كما لم تعرف من قبل...

سعيدة حد الألم!

الألم من أن تفقد كل هذا الذي تعيشه الآن فتموت دونه !

هل من الأصوب أن تصارحه بما تخفيه كي تتخلص من هذا الوزر؟!

أم أن الستر هاهنا أولى؟!

آآه !





آهة عميقة غادرت صدرها كقذيفة لتجده يرمقها بنظرة متسائلة حملت حنانه هذا الذي يغريها بالاعتراف...

يامن العاشق لن يخذلها ...

سيتفهمها...يحتويها ...يتجاوز عن خطيئتها ...

ربما هذا ما منحها الشجاعة لتهمس له بتردد غريب عن طبيعتها الواثقة:

_بمناسبة الليلة المهمة دي ...كنت عايزة أتكلم معاك في حاجة من فترة ...بس ...

_حاجة إيه؟!

نظرة الشك في عينيه تعاود قصفها بالخوف ...

تنتزع منها يقينها لتتراجع...





فتزدرد ريقها ببطء لتلقي كرتها في مرمى آخر:

_هانيا ...مش عاجبني موقفك من طلاقها.

هنا يزفر هو بقوة فلا تدري ارتياحاً لأنها خالفت هاجساً يملؤه نحوها...

أم ضيقاً من هذا الأمر بالذات ...

حسناً...مضى وقت التراجع ...فلتكمل في هذا الطريق...

_أنا قلت لها قبل كده ...الخيانة ما بسامحش فيها...في الموضوع ده بالذات اللي اتكسر ما بيتصلحش...اللي اتكسر يترمي ورا ظهرنا وننساه.





هتافه المنفعل يعزز يقينها بصحة قرارها فيما تخفيه ...

يامن لن يتقبل الحقيقة هاهنا...

ليس من الحكمة أن نواجه لهب النار بصدور عارية...

أحياناً يكون الانسحاب محض انتصار ...!

وبهذا اليقين أخذت نفساً عميقاً لتربت على صدره برقة قائلة بهدوء خادع:

_الجواز مش لعبة عشان تتهد في يوم وليلة...الموقف كله مش داخل دماغي...مفيش واحد بيخون مراته مع صاحبتها بيعترف لها كده بصراحة زي ما هو عمل ووسط الناس ...تصرف رامز مش تصرف واحد خاين ...ده رد فعل واحد مجروح ضرباته طايشة في أي اتجاه .




_مفيش واحد بيقول لمراته إنه هيتجوز غيرها إلا لو كان عايز يهد البيت!

لازال يزأر بكلماته بحدة حمائية ...

ولازالت تربت على صدره مهدئة بقولها:

_مش شرط..يمكن عايز يخلليها تغير ...تتغير ...يمكن كان عايز يسمع منها إنها باقية عليه ومش هتسمح لواحدة تانية تاخده منها ...صدقني الموقف كله غريب ...أنا شفت رامز مع هانيا أكتر من مرة...وأقدر أحكم إنه فعلاً بيحبها .

_حتى لو قلتلك إنها سمعت بنفسها إشاعات عنهم قبل الموضوع ده !





_وإنت ليه ما صدقتش الإشاعات اللي طلعها رامي علي؟!

سألته بما بدا كاستنكار عاتب لكنها كانت حقاً تترقب جوابه في هذه اللحظة ...

هذا الذي هتف به وهو يشدد ضغط ذراعيه لا إرادياً حولها:

_مش قلت لك قبل كده ماتجيبيش سيرة الحيوان ده تاني؟! دي حاجة ودي حاجة...أنا لولا إني لقيتك كتاب مفتوح قدامي ما كنتش فتحت لك طريق معايا .





صراخه الغاضب جعلها تنكمش بين ذراعيه والخوف يلون نظراتها التي أخفتها عنه عندما دفنت وجهها في صدره...

قلبها المذعور يشعر بقبضة الماضي تطوقه ...فلا الصراحة تنجيه...

ولا الإخفاء يريحه !

لكنها لا تزال تتشبث ببقايا أمل في قلبه الذي -بالكاد- بدأ حبوه الوليد نحوها...

هذا الذي -حتماً- سيشفع لها يوماً !

_آسف عشان اتعصبت...بس دي عندي مسألة مبدأ ...لو شكيت ما تكملش...اللي يخون مرة يخون عشرة ...واللي يسامح مرة هايعيش طول عمره يتنازل.





قالها بعد صمت قصير وهو يربت على ذراعها باعتذار صامت...

فرفعت إليه عينيها بهمسها:

_مش لايقة عليك القسوة يا طيب.

_دي مش قسوة ..ده الدرس اللي دفعت كتير عشان أتعلمه.

همس بها بإصرار وعيناه تناظران عينيها ببعض الجمود فأغمضتهما بقوة عاجزة عن جداله...

هذا هو يامن ببساطة ...فهل تدعي مفاجأتها بطباعه؟!





لهذا عادت تتشح بصمتها مكتفية بعناقهما الصامت في هذا الوضع الذي تعشقه منه...

ربما لأنه يمنحها شعوراً نادراً معه بـ-أبوته- لها ...

هي التي اعتادت أن تكون له أماً !

_إيه بقى؟!

سألها بنبرة عاد إليه عبثها مقاطعاً صمتها الذي طال فابتسمت لترد سؤاله بسؤال:

_إيه ؟!

_يعني أنا صارف ومكلف وشاليه وبحر وبلالين عشان آخرتها نقعد على الأرض؟!

ضحكت بمرح وهي تداعب أنفه بأنفها هامسة بترقب:





_امال عايز إيه ؟!

_حدوتة ...بس من بتوعي!

همس بها بمكر تعرفه عندما يقرر شن هجومه اللذيذ عليها ...

لتجيبه بدلال عابث:

_هي حواديتك دي ما بتخلصش؟!

والجواب يأتيها كما تتوقعه...وكما تريده أبداً ...أبداً...

_أبداً!

==========

استيقظت جواره صباحاً لتتأمل ملامحه النائمة بحنان ...

ثم مدت أناملها برفق تتلمس خصلات شعره

الناعمة التي يحرص أن يبقيها طويلة نوعاً لتمنحه

ذاك المظهر العابث الذي تدرك أنه لا يناسبه ...

لكنها لا تنكر إعجابها ب"قَصته " هذه على أي

حال!

همهمته الناعسة تداعب أذنيها فتبتسم وأناملها

تنتقل لوجنتيه تلامسان لحيته بتلك الطريقة المميزة

بين حميمية وقدسية...

فيفتح عينيه أخيراً ليهمس بصوت لم يغادره

نعاسه:

_أصحى؟!

_أيوه طبعاً اصحى...هو أنا خاطفاك عشان تنام!





هتفت بها بتنمر مصطنع أطار ما تبقى من نوم في عينيه ليجذبها بين ذراعيه قائلاً بعينين ملتمعتين:

_معك حق...أما أنا مخطوف قليل الذوق صحيح !

ضحكت بمرح لتتنهد بعدها بينما عيناها تعانقان ملامحه مع همسها:

_بحب أشوفك لما تبقى لسه صاحي من النوم...شعرك منكوش ...وصوتك متحشرج ...وعينيك نص مفتوحة.

_اشمعنا؟!

_يمكن عشان بحس وقتها إنك على طبيعتك قوي...أكتر حاجة بتخوفني من الناس لما بيبدأوا يخالفوا طبيعتهم.





همست بها بشرود استرعى انتباهه فتفحص ملامحها باهتمام ليتذكر شيئاً جعله يسألها:

_والدك ما كلمكيش من زمان؟!

تنهدت وهي تريح رأسها على صدره لتجيبه:

_كلمني يبارك لي على المطعم الجديد امبارح ...بس طبعاً كان زعلان لأنه عرض عليّ أكتر من مرة أني أشاركه في شغله وكنت برفض.

_وليه كنتِ بترفضي؟!

كان يعرف الإجابة لكنه كان يريد الاستماع منها عن دواخل نفسها التي تشاركه فيها بكل بساطة...

_عشان أنا يمكن أسامح بس مابنساش..ودي حاجة بتضايقني من نفسي جداً ...علاقتي ببابا بقت غريبة...لا قادرة أقرب ولا عارفة أبعد...ماخبيش





عليك...ساعات بحس إني بنجح عشان أعاقبه بنجاحي...

_تعاقبيه بنجاحك؟!

همس بها مستغرباً لتجيبه بانفعال:

_عشان أقولله إني كويسة جداً من غيره ومن غير أي حد...لكن في نفس الوقت ببقى عايزة أشوف نظرة الفخر في عينيه...نفس النظرة اللي شفتها زمان لما علمني أكتب اسمي...لما رسمت أول رسمة لوحدي...لما كان بيشوف نجمة في كراستي...لما حضر حفلة تكريمي على حفظ القرآن...لما اخدت أول شهادة...

ثم صمتت لحظة وكأنها تستوعب مشاعرها المتناقضة هذه لتردف بينما تلوح بكفيها :





_علاقة متلخبطة...متناقضة...مابفهمش نفسي معاه...يمكن عشان كده واقفة في النص.

_وإيه ممكن يخليكِ تقربي؟!

سألها باهتمام لتجيبه بابتسامة حملت طعم البكاء:

_معرفش...بس أعتقد اللحظة الوحيدة اللي ممكن ألجأ له فيها لو حسيت إني اتكسرت...وإني خلاص ماعدتش قادرة أسند نفسي بنفسي زي مااتعودت طول عمري.

كلماتها اعتصرت قلبه بقبضة خانقة ليرد سريعاً بحميته المعهودة بينما يقربها منه أكثر:

_طول ما أنا عايش مش هاسمح إنك تعيشي الإحساس ده ثانية واحدة.

_شكراً يا طيب.




همست بها ومشاعره تصلها كاملة لتجزيه عنها بهدية ناعمة على شفتيه ...

قبل أن تسأله بتردد :

_ممكن أفاتحك في موضوع شاغلني من فترة ؟!

رمقها بنظرة مشجعة لتردف متفحصة ملامحه باهتمام:

_قلت لي مرة إنك بتكره الأطفال ...لسه عند رأيك ؟!

تغيرت ملامحه فجأة وسؤالها يعيده لجحيم هواجسه الذي يصطلي به كل ليلة...

صور ابنه -المزعوم- تتوالى في ذهنه تباعاً مع عبارة سيلين كأنه يسمعها بصوتها المسموم ...

_هاخليه يكبر وهو بيكرهك!





هل يكره الأطفال حقاً؟!

نعم....طالما صرح بهذا ..لكنه لا ينكر هذا الشعور الذي يجتاحه كلما رأى صورة ل(ابن سيلين) رغم شكه في نسبه له!

نسبة الصدق الضئيلة في أبوته له تجعله يعرف إحساساً لا يجد له وصفاً...

إحساساً يود لو يعيشه كاملاً دون أي رواسب من شك أو نفور...

هو لا يريد طفلاً فحسب ...

هو يريد طفلاً منها هي !

_أطفال يعني إزعاج...مسئولية ...وجع قلب...





قالها أخيراً بنبرة مستاءة لتشحب ملامحها التي لم تتوقع رداً كهذا ...

قبل أن يبتسم ليردف :

_بس لو منك انتِ معنديش مانع أستحمل كل ده !

صيحتها الفرحة كانت جوابها مع قبضتها التي هوت على صدره بخفة عاتبة قبل أن تعانقه بقوة لتهتف بصوت ارتجف انفعالاً:

_مش بمزاجك على فكرة...ماكنتش هاسيبك إلا لما أقنعك...انت بس قصرت على نفسك الطريق!

ضحك بمرح وهو يربت على ظهرها مستشعراً قوة انفعالها الذي بدأ عاتباً لينتهي دافئاً آملاً مع كلماتها :





_متعرفش أد إيه بحلم بابننا أو بنتنا...يااااه يا يامن...عمري ما اتمنيت حاجة في حياتي أد ما بتمناه .

الحرارة المشعة في كلماتها فعلت به الأفاعيل ليجد أمنيتها تنتقل لصدره هو ...

يحلم بها بنفس القوة...

حتى أنه يكاد يرى بعين خياله طفلة تشبهها تعدو في حديقة بيته ...

تقطف أزهاره فيعنفها ...ثم يصالحها بأن يرفعها لأرجوحتها هناك ...

تقبله شاكية خشونة ذقنه..فيتوعدها ألا يحلقها كما فعل يوماٌ مع أمها !





_سرحت في إيه؟!

همست بها ببعض القلق ليواجهها بعينين ضاحكتين مع قوله :

_متخيلك بتجري ورا العيال بشعر منكوش وفردة شبشب في إيدك وصوتك الرقيق ده واصل للجيران .

فضحكت بدورها وهي تشعر بالكثير من الارتياح لتنهض قائلة بنشاط :

_طب ياللا نقوم...عايزة أشوف الشاليه بالنهار ...المنظر تحت أكيد تحفة .

لكنه جذبها من كفها ليسقطها فوقه محتوياً إياها بين ذراعيه هامساًُ بخشونته الحارة:

_لسه بدري ...انتِ قلقتيني من النوم وأنا عايز تعويض .




ضحكتها العابثة تختم الحوار الذي تحولت كلماته لمشاعر عاصفة اعتاد كلاهما ثورتها وجنونها ...

جنة عامرة وجدها كل منهما في صاحبه...

جنة يخشى كلاهما أن يُطرد منها بخطيئته في أي وقت !

متى إذن ذاق أحدهما الشجرة المحرمة ؟!

أم أن كليهما قد فعل؟!

دعونا نرى....!

========

_عايز حاجة تانية ؟!

قالتها سكرتيرته الخاصة وهي تتناول أوراقها من على مكتبه ...





تميل بجذعها نحوه عارضةً معطيات أنوثتها

بسخاء عبر فتحة قميص أحمر مثير...

يرفع عينيه النافذتين نحوها متأملاً جمالها

"الصدئ" بنظرة زاهدة !

صدئ؟!

أجل...نظريته الخاصة أن جمال المرأة إما غالٍ

نفيس أو زهيد صدئ!

وهو يصنف نفسه دوماً ك"صائد كنوز"!

لا...لم يكن زير نساء بالمعنى المعروف لكن حياته

لم تخلُ من علاقات...

تطرف يوماً ووصف بعضها بالحب...

لكنه الآن يدرك أن قلبه العصيّ لا يزال ملك يده !

واحدة فقط هزت عرشه!





لكنها تسربت من أصابعه كخيط دخان !

صمته المتفحص مع نظرته العميقة أربكت أنوثتها أمامه لتظن نفسها قد أحرزت هدفاً ...

تعاود الاستقامة بجسدها في وقفة استعراضية لتزيح خصلة من شعرها خلف أذنها قائلة :

_كده احنا خلصنا الشغل ...هتحتاج مني حاجة ؟!

ابتسامة ماكرة تتسرب لشفتيه وهو يفيق من شروده ليعود بظهره للوراء قائلاً بصوته الرخيم :

_عارفة إيه سر نجاحي ؟!





فترسم أروع ابتساماتها على شفتيها لتقترب منه أكثر هامسة بغنج مثير:

_إيه يا مستر زين؟!

يصمت قليلاً ليعطي كلماته الأثر المنشود قبل أن يقول لها ببطء :

_إني بعرف أقرا اللي قدامي كويس..ما بمشيش سكة إلا وأنا عارف آخرها ...

وعند كلمته الأخيرة تسرب طيف ياسمين لذهنه ليعاود الشرود اجتياحه وهو يتذكر كيف لم يقاوم إرسال باقة زهوره لها ...

ربما ستكره تصرفه...

سيذكرها بليلتهما العاصفة معاً...





وربما ستفهمه -كما أراده- أنه اعتذار ورغبة صادقة لها بالسعادة التي تستحقها ...

وربما لن تراها أصلاً ...

لكن يكفيه أنه فعلها !

ليس منطقياً؟!

ومنذ متى كان يتعامل معها هي بالذات بأي منطق؟!

هو الذي طالما رسم حياته ب"المسطرة" لكنها هي فقط ظلت خطاً -منحنياً- يعاند يده !

لقد جمع معلوماته عن هذا الرجل الذي تزوجته ...

والتي علم منها أي شخصية معقدة هو ...

ابن مشتت بين أب قروي متشدد وأم ك"بيللا"...





تزوج من قبل وطلق زوجته رغم أنها تحمل طفله ...

الجميع يصفونه ب"الوسوسة"...

عيبٌ خطير مع امرأة كياسمين ...

هي التي تفعل كل شيئ بحدسها مستجيبة لرغبة قلبها ونداء روحها دون تعقل أو منطق!

فهل يفلح هذان معاً؟!

ظنه أن لا!

لهذا يريد عندما تحين هذه اللحظة أن يدخل الميدان بخير جياده ...

ولن يرتضي ساعتها عن الفوز بها بديلاً.

_وقريتني إزاي؟!





همسها المغوي يقتحم شروده ليلتفت نحوها فتتسع ابتسامته وهو يشبك أصابعه أمام وجهه قائلاً :

_لا ...الخط بتاعك ده عيني ما تقراهوش...تعدي عليه بسرعة كده بس.

اكفهر وجهها فجأة مصدومة بقسوة عبارته التي أتبعها بقوله :

_خليكي ذكية وقدّري مكانك في ملعبي.

قالها ليقوم من مكانه متناولاً سترته قبل أن يغادر المكتب تاركاً إياها خلفه تكاد تذوب خجلاً وارتباكاً لاعنةً اليوم الذي اضطرت فيه للعمل مع رجل مثله !

===========





وقفت أمام مرآتها تتأمل شكلها في ثوبها الذي اختارته للمقابلة...

الثوب الذي تعمدته مبهراً بلونه الثلجي وقد تميز نسيجه بلمعة ماسية ...

ملتصقاً بجسدها ليبرز منحنياتها بسخاء تحتاجه الآن...

ينحسر عن أحد الكتفين ليظهر بياض بشرتها الناعمة ...

بينما يغطي الآخر مفسحاً المجال للمزيد من الخيال ...

ابتسمت برضا وهي تضع آخر لمسات زينتها بطلاء شفاه قاتم ناسب اللمسة الدخانية لتبرجها الذي تعمدته كي يعطيها الطابع الغامض الواثق إذ هو بالضبط ما تحتاجه الليلة...





دارت حول نفسها أمام المرآة وهي تشعر بمزيج من الرضا والثقة جعلها تراقب الساعة بلهفة...

لقد حان موعدها مع معتز ...

منتصف الليل؟!

موعد مناسب إذ خرجت بيللا كالعادة بعدما غادرهم يامن بعد موعد زيارته اليومي للاطمئنان عليهن...

أما هانيا فغارقة كعهدها في غرفتها المغلقة ما بين تجرع خيبتها على فقدان زوجها أو تشاغلها بمذاكرتها ...

ارتدت حذاءها وهي تلقي على نفسها نظرة أخيرة ...





وسط كل أفكارها الشغوف بما ينتظرها هذه الليلة تسللت ابتسامة نقية لشفتيها وهي تعدل خصلات شعرها متذكرة عبارة "الحبيب المجهول"...

_ليس أصدق من شعر امرأة يروي تاريخ عاشقها.

ابتسامتها تتراجع وهي تحاول تخيل ردة فعله لو علم بما تنتويه...

هل سيعترض على امتهانها التمثيل ؟!

أم سيؤيد قرارها؟!

لو كان يحبها حقاً كما يزعم فسيدفعها للحلم الذي تريد تحقيقه !




بهذا الخاطر الأخير أخرست صراع نفسها لتأخذ
نفساً عميقاً وهي تغادر البيت نحو الشارع المجاور
الذي اتفقت مع معتز أن يلتقيا فيه كي يقلها
بسيارته لمكان الحفل !

وفي سيارته التمعت عيناه بنظرة جائعة وهو
يراقب تقدمها الواثق نحوه ...

قبل أن يشيح بوجهه متعمداً مظهر اللامباليّ...

غزاله مطمئن ساذج ولايريد إثارة ذعره قبل أن
يلقي نحوه سهم صيده !

استقلت السيارة جواره لتلقي تحية عابرة ردها
بنبرة متحفظة قبل أن ينطلق بها...





ردة فعله الباردة رغم أنها تطمئن خوفها الفطري

لكنها تثير حفيظتها...تزلزل ثقتها بنفسها ...

هل هي حقاً دون المستوى الذي يريدونه ؟!

هنا تشبثت أناملها بهاتفها وهي تود الآن لو ترسل

ل"المجهول" رسالة تسترد بها بعض شتات

نفسها !

لكن صبراً...

عندما تعود ستحمل له خبر انتصارها ...

حلمها الذي كادت تمسكه بيديها !!

أخذت نفساً عميقاً لتسأله بعدها بترقب:





_هنتأخر؟! مش هاقدر أقعد أكتر من ساعة !

مط شفتيه باستياء ليقول لها بنبرته الرزينة التي خالطها الآن بعض الاستهجان:

_بلاش شغل التلامذة ده قدام المنتج...ماقدرش أتأخر ...أهلي صعايدة...مابخرجش...ما بشربش...مش عايزين الراجل يتخنق!

_هو فيها شرب خمرة ؟!

شهقت بها مستنكرة ليعاود مط شفتيه قبل أن يلتفت لها قائلاً بحماس مصطنع:

_انتِ عارفة أنا عايز أعمل منك إيه ؟! نجمة الموسم...قنبلة ...مصر كلها تتكلم عنها...وانتِ عايزة تبوظي كل ده بأفكارك الرجعية دي ؟! ده انتِ خالتك كانت ولازالت نجمة من نجوم





المجتمع...وأنا متوقع إنك هتبقي أحسن منها كمان ...ناقصك بس حد يوجهك للطريق.

انتقل حماسه منه إليها لتشرد ببصرها وهي تتصور نفسها كما يقول ...

نجمة الموسم...

حديث الإعلام والصحافة...

تسابق المعجبين ...

ستكون مثل "بيللا"...بل وأفضل!

التهم شرودها مسافة الطريق حتى انتبهت لوصولهم للطريق الصحراوي فانقبض قلبها ببعض





الخوف وهي ترى نفسها معه وحدهما في العراء في هذا الليل البهيم...

لكنها طمأنت نفسها بقولها لنفسها :

_ده مخرج مشهور مش هيخاطر بسمعته ويعمل فيكِ حاجة...وبعدين شكله محترم جداً...ده حتى ما بصلكيش من ساعة ما ركبتِ...ماتخلليش خوفك يضيع منك الفرصة ...هو انتِ كنتِ طايلة إنه يرضى يديكي الدور؟!

بينما اختلس هو نظرة إليها ...

نظرة واحدة لجانب كتفها المكشوف وما خفا تحته من ثوبها جعلت الدماء تفور بجسده لكنه أخفى هذا بمهارة صياد محنك ...

تراها عذراء؟!





جرأتها وتحررها وطريقة حديثها..كل هذا يجعله يشك في هذا ...

سيخيب أمله حقاً لو لم تكن كذلك ...

فالجميع ينتظرونها هناك ليكملوا "حفلهم"!

لكن ...ما يضيره هو؟!

امرأة مجرّبة خبيرة أكثر متعة بكثير من عذراء سخيفة تصرخ مطالبة بالستر!

لهذا ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتيه وهو يقول لها بنبرته المتحفظة التي تدحض مخاوفها:

_قربنا نوصل ...ماتخافيش أنا مش هاسيبك هناك...بس أهم حاجة تقتنعي المنتج .





أومأت برأسها في طاعة وهي تسترجع بعض حديث "بيللا" معها عندما كانت تتفاخر أمامها بتاريخها "الفني"...

_مخرج مين اللي كان يمشيني؟! أهم حاجة المنتج كان يكون معايا ...وكلهم كانوا زي الخاتم في صباعي...عشان كده كنت بحس نفسي ملكة الفيلم ...أنا أقول إيه اللي يتعمل وإيه ما يتعملش.

لهذا هتفت بما أرادته واثقاً متحمساً:

_ما تقلقش ...أكيد هاقنعه.

_وريني شطارتك...واثق فيكي!

قالها بنفس اللهجة المجردة عن كل ما يملأ شعوره الآن نحوها من رغبة خالصة...





قبل أن تلتمع الأضواء من مكان بعيد أمام ناظريهما ليردف :

_شكلهم بدأوا الحفلة بدري؟!

_بدري؟!

هتفت بها باستنكار ليرمقها بنظرة مستهجنة قبل أن يعاود التركيز في الطريق ...

بينما عاد الأمان يتسلل إليها تدريجياً كلما تقترب الأضواء أكثر ...

أجل...

الأضواء وسط كل هذا الظلام بدت لها كإسقاط بعثه القدر لها مصادفة ...

مرحباً بالأضواء...بالنجومية ...بالنجاح الذي أضاعته بيللا لكنها هي ليست بزاهدة فيه !





تبتسم ابتسامتها المرسومة التي تعلم أنها تزيد جاذبيتها وهي تراه يغادر السيارة ليفتح لها الباب ...

مشهد الخيام التي أوقدت حولها النيران مع صوت الموسيقا الصاخبة ...

رائحة الهواء المميزة في هذا الفضاء الشاسع حولها ...

ماركات السيارات الفخمة التي تراصت جوار سيارته...

كل هذا منحها شعوراً هو مزيجٌ من التحرر والفوضوية والترقب !

البعض يرقص...والبعض يغني بصخب ...

والبعض يتسامرون ضاحكين ...





الجو كله يناسب خيالاتها عن العالم المتوهج البراق "الحر" الذي تريده!

لكنها لا تعرف أحداً ممن هنا...

هل كلهم وجوهٌ جديدة مثلها ؟!

تساؤلها الأخير غاب عن عقلها عندما شعرت بنظراتهم تتركز حولها ...

ما بين فضول وإعجاب أذكى غرورها أكثر ...

معتز يقدمها لهم بنبرته التي قل تحفظها ليحل محله بعض المرح الذي أذاب المزيد من خوفها ...

قبل أن يتحرك بها نحو أحد الخيام حيث جلس أحدهم متكئاً على إحدى الوسائد يجري مكالمة تليفونية ليدخل بها معتز للخيمة قائلاً بنبرته المرحة :





_جبتهالك تشوفها ...يمكن تغير رأيك ...ونتفق.

نظرات الرجل تخترقها من أسفل لأعلى ...

تتركز عند مفاتنها التي حرصت على إبرازها ...

فليقل إنها "جيدة"...

فلينبهر بجمالها ...

فليعتذر عن سابق رأيه معلناً فوزها على منافستها...

فليفعلها الآن ...الآن!

أفكارها المتحمسة التنافسية "الساذجة" كانت تشغل ذهنها عما يُفترض أن يؤرق فتاة بوضعها ...





حتى أنها كادت تصرخ فرحاً عندما أغلق الرجل الاتصال الذي معه ليبتسم لها قائلاً:

_معك حق...شكلي هاغير رأيي.

ابتسمت بسعادة حاولت إخفاءها كي لا تبدو "محدثة نعمة"...

لتسير نحو متكئه الذي أُعدّ له ببعض الوسائد الكبيرة بدوية التصميم التي ناسبت المكان ...

ثم جلست على إحداها دون إذن لتتحدث لأول مرة منذ بدأ اللقاء:

_أنا مش غريبة عن الوسط...بيللا تبقى خالتي ودايماً تقول عليّ موهوبة.





ارتفع حاجبا الرجل بما بدا لها كتقدير أكسبها المزيد من الثقة لتحتضن ركبتيها بساعديها مردفة باعتداد:

_أنا مكسب لكم...زي ما أنتم مكسب ليّ.

الرجل يتبادل نظرات لم تفهمها مع معتز الذي ضحك ضحكة قصيرة بينما ظل واقفاً مكانه ...

قبل أن يلتفت الرجل نحوها ليقول بنبرة جادة:

_نجرب!

كلمته المقتضبة أثارت الكثير من ضيقها مع تزعزع ثقتها نوعاً ...

هذا الذي ذهب ببعض تركيزها عندما شعرت به يناولها كأساً من الشراب قائلاً بنفس النبرة الجادة:

_الدور مش سهل...وفيه تطورات كتير للشخصية ...مش وش حلو وخلاص.





تناولت منه الكأس بتردد ليرمقها معتز بنظرة محذرة جعلتها تتجرعه كاملاً دون حيطة...

تسعل لمذاقه الحارق نوعاً لكنها تحاول تمالك نفسها لتقول له بسرعة:

_قرأت السيناريو وعارفة إن الدور فعلاً صعب بس أنا أده.

هنا ابتسم معتز وهو يأخذ مجلسه بينهما ليقول بنبرته الجادة :

_ممكن نناقش شوية تفاصيل .

ظهر الاهتمام في ملامحها وهي تتابع حديث معتز عن قصة الفيلم...





دقائق مضت وهو يتحدث بحماسته المصطنعة التي لم تنتقل إليها هذه المرة...

لماذا يبدو لها حديثه كأنه ثرثرة بلا معنى؟!

أم أنها هي من فقدت التركيز بأثر الكحول؟!

ياللخجل!

هل ثملت من كأس واحد ؟!

صوت رنين هاتفها برقم غريب يخترق الضباب الذي يغيم على عقلها ...

لتشعر بمعتز يسحبه منها قائلاً بحزم:

_مادام بنتكلم في الشغل نقفل الموبايلات .





لم تستطع مجادلته وهي تراه يغلقه فعلاً قبل أن يمد لها الرجل يده بكأس آخر قائلاً:

_اسم خالتك هيفيدنا كتير في الدعاية...بس معتز بيقوللي إنك عايزة أكبر قدر من السرية في التصوير ...وده هيبقى صعب إن ماكانش مستحيل.

تتناول الشراب مرغمة وهي تحاول التظاهر بالتركيز في ما يقول ...

لن تبدو بمظهر الخرقاء الساذجة عديمة الخبرة ...

_بس ...ده...شرطي!

بحروف متقطعة تقولها والضباب حول عقلها يزداد ليتبادل معتز مع الرجل نظرة ذات مغزى قبل أن يقول الأخير ساخراً:





_شرطك ؟! يظهر إنك مش فاهمة كويس...

ثم مال عليها درجة الخطورة مردفاً بهمس مسيطر:

_أنا هنا صاحب الليلة...يعني أنا اللي أقول شروطي مش انتِ.

ابتعدت بحركة غريزية مفاجئة جعلتها تفقد توازنها لتسقط على ظهرها مستندة على مرفقيها ...

هذه الحركة التي بدت شديدة الإغواء مع ثوب كهذا الذي ترتديه ...

فالتمعت عينا الرجل ببريق خطر وهو يقول لمعتز ونظراته ملتصقة بجسدها هي:

_سيبني معاها شوية..يا اقنعها...ياتقنعني .

_بس ده ماكانش اتفاقنا .





يقولها معتز ببعض الضيق فلم يتفقا أن يسبقه هو لنيل غزاله الذي تعب في اصطياده طوال هذه الأيام حتى يأتي بإرادته إلى هنا ...

لكن الرجل هتف به بنفاد صبر:

_اخرج دلوقت يا معتز ...هناديك لما نخلص.

كز على أسنانه مغتاظاً وهو يراقب عينيها الزائغتين بسخط...

قبل أن يغادر الخيمة ليسدل ستارها خلفه...

بينما صارت هي مشوشة تماماً وهي تشعر بالرجل يقترب منها أكثر ليهمس بصوت أجش:

_فيه مشهد واحد حابب أشوف تمثيلك فيه.





_مشهد إيه ؟!

تمتمت بها بما بدا كالهذيان قبل أن تشعر بثقله فوقها مع استطراده الحار:

_ده !

==========

_ردي يا زفتة...يا حيوانة....هاطلع روحك في إيدي أول ماشوفك!

صرخ بها مروان بغضب ذبيح وهو يركن سيارته على الطريق جوار سيارة معتز ...

لقد صدق حدسه !

عندما أخبرته بالأمس أنها على وشك تحقيق حلم مصيري توقع أنها كارثة جديدة من كوارثها ...

لكنه لم يتوقعها بهذه الجرأة !





لقد ظل واقفاً يراقب مدخل بيتها عقب خروج يامن في موعده الليلي المعتاد موقناً أنها لو كانت تنتوي شيئاً فلن تفعله إلا بعد خروجه !

وقد صدق ظنه عندما وجدها تخرج في منتصف الليل مرتدية هذا الثوب الكارثي لتستقل مع ذاك المخرج سيارته ...

معتز الشريف؟!

الحمقاء ؟!

هل هذا هو حلمها الذي تنتظر تحقيقه بهذه اللهفة؟!

ألا تعلم أي سمعة سيئة تطارده ؟!

لكن...ربما ليست حماقة !

ربما هي حقاً كما يزعمون ...

لعوبٌ منفلتة بلا رابط!





لا!

حبيبته التي يعرفها ...التي منحها قلبه منذ سنوات ...

هذه التي تشاطره تفاصيل حياتها عبر رسائلهما ببراءة مهلكة...

هي نفسها من تكذب هذه الصورة التي تفرض نفسها الآن على الوضع!!

تباً!

من تكون حقاً هذه الفتاة ؟!

هل هي البريئة التي تبادله مشاعره بنقاء ...باحتياج قلب يتيم يفتقد المؤازرة؟!

أم هي اللعوب المتراقصة بفجر على أوتار الرجال؟!

لا يهم!

فليجدها الآن وفقط !

لكن ...كيف ؟!

اقتحم الحفل لتطالعه وجوه الحاضرين بمزيج من فضول وازدراء لزيه الكلاسيكي فقير الأناقة الذي لا يناسبهم...

لكنه لم يهتم وهو يبحث عنها بعينين مشتعلتين غضباً حتى وجد معتز يخرج من إحدى الخيام فجذبه بقوة صارخاً:

_فين داليا؟!

توترت ملامح معتز ليصمت للحظة عاجلته فيها لكمة مروان الذي ما كاد يعيد سؤاله حتى سمع صراخ استغاثتها من الداخل ...

دفع معتز بعنف ليسقطه أرضاً لكن البعض تكالبوا حوله ليتحول الأمر لشجار غير متكافئ...




_داخل خناقة بنضارة ؟! ده انت هتتنفخ يا معلم!

عبارة ساخرة من أحدهم لكنه لم يكن يسمع وسط هذا الضجيج سوى صوت صراخها هي ...

يالله!

فلتكن بخير حتى ولو فقد هو حياته في المقابل!!

دقائق لا يدري كيف مرت به وهو يتلقى الضربات محاولاً التماسك بين ألم جسده وقلبه...

ويبدو أن أبواب السماء قد انفتحت لدعائه عندما ظهر الخلاص في صوت سارينة الشرطة ...

=============

_كانت فين دي ؟! باللبس ده ؟!





صرخ بها يامن بجنون وهو يدخل غرفة الحجز في قسم الشرطة ليستقبله مروان مهدئاً:

_اهدا يا يامن ...الحمدلله هي بخير ...ماحصلش حاجة.

لكنه بدا وكأنه لم يسمعه ...

كل ما كان يدور بباله أن يستر عريها هذا فخلع قميصه دون تردد ليلبسها إياه هاتفاً بحدة مخاطباً صديقه:

_إيه اللي حصل وإيه اللي وصلك انت ليها؟!

تردد مروان قليلاً قبل أن يحكي له ما كان محاولاً تهوين التفاصيل قدر المستطاع...

بينما كانت هي تراقبهم بوجه تلطخ بمزيج أصباغها ودموعها ...





كانت بالكاد قد استعادت وعيها كاملاً لتجد نفسها في سيارة الشرطة مع مروان "القبيح" الذي زادته آثار الضرب قبحاً !

ورغم ما يُفترض أن تشعر به من امتنان لهذا الذي أنقذها من فخ معتز الحقير ...

لكنها على العكس كانت تشعر بمزيج من خزي وسخط وهي ترى نفسها معه في هذا الموقف من جديد !

هل يراقبها هذا المعتوه ؟!

هل وصلت سفاهته إلى هذا الحد؟!

لا بأس!

حماقته هذه أنقذتها هذه المرة من مصير لا تعلم أين كان سينتهي بها !





وعند الخاطر الأخير رمقت معتز القابع في زاوية الغرفة بنظرة نارية قابلها بابتسامة ساخرة ...

ليقطعِ أفكارها المشتتة صراخ يامن الهائج:

_كل ده بيحصل من ورا ظهري وانت مخبي عليّ؟!

التفتت نحوه بخوف وهي تدرك أن الدور القادم عليها وقد صدق ظنها عندما التفت يامن نحوها مكملاً صراخه :

_وانتِ يا سافلة يطلع منك كل ده ؟! قسماً بالله ما هاخلليك تشوفي نور الشمس بره البيت بعد النهارده !

صراخه الهائج تزامن مع اندفاعه نحوها يهم بصفعها ليقف مروان بينهما فيحول دون ذلك ...




_بطل زعيق يا أستاذ...مش في الشارع احنا.

قالها الضابط المسئول وهو يدخل الغرفة ليلقي عليهم جميعاً نظرة عابرة قبل أن يجلس على مكتبه ليقول بلهجة عملية:

_مين صاحب بلاغ الخطف؟!

_أنا.

قالها مروان بحرج متجنباً النظر لوجه يامن الملتهب بغضبه ليقول معتز ببرود واثق:

_خطف إيه يا سعادة الباشا؟! الآنسة داليا جت بمزاجها معانا...وعندي شهود على كده .

_ولما هو بمزاجها كانت بتصرخ ليه وقت ما وصلنا؟! عندنا آثار لمقاومة اعتداء.




شحب وجه يامن فجأة وهو يتوقع الأسوأ ليلتفت نحوها بنظرة مرتعبة بينما رد معتز بنفس اللهجة الواثقة:

_دلع بنات .

اندفع نحوه يامن يهم بلكمه ليقف مروان بينهما بينما الضابط يقول بصرامة:

_حركة تانية وهاطلعك بره خالص .

كز يامن على أسنانه بغضب وهو يتابع التحقيق كالمغيب!

لا يتصور أن داليا...ابنته التي لم ينجبها ...تعرضت لكل هذا خلف ظهره !

هو الذي ظن أنه يحميهن جميعاً تحت جناحه !




ما بال حبات العقد تنفرط هكذا من بين يديه واحدة تلو الأخرى؟!!!

_أنا شايف إننا نحفظ التحقيق ونحلها ودي ...بلاش شوشرة لمصلحتكم انتم الاتنين .

انتزعها بها الضابط من شروده ليهتف بانفعال:

_ودي إيه وبتاع إيه؟! دول عايزين الشنق!

لكن الضابط رمقه بنظرة مستهجنة ناسبت قوله:

_قريبتك راحت معاه بمزاجها ...لو عايز الحق...المفروض أتهم الأستاذ بتهمة البلاغ الكاذب...





قالها مشيراً لمروان الذي استنزفه إرهاقه الجسدي بعد الشجار إضافة لنزيف مشاعره العميق بعد أحداث الليلة الصاخبة...

فاكتفى بإطراقة رأس بينما يامن يرمقه بنظرات نارية خاصة عندما أردف الضابط بحزم:

_نفض المولد بقا من سكات ...عشان مصلحتكم كلكم ...

ثم أكمل عبارته مهدداً:

_واللا نعمل للآنسة كشف عذرية ونكمل التحقيق؟!

========

خرج بهما من قسم الشرطة بعد الفجر ليستقلا سيارته وما إن ابتعد بها قليلاً حتى توقف بها ليلتفت نحو مروان الذي استلقى بإنهاك على المقعد الخلفي قائلاً بغضب مكتوم:





_أطلع بيك على المستشفى؟!

قالها وغضبه يخالطه مزيج من الامتنان والشفقة على مظهر صديقه ...

واللذيْن لم يشفعا كثيراً خاصة عندما قال مروان بتماسك:

_لا مش مستاهلة...أنا كويس.

هنا هتف يامن بحدة ساخطة:

_أنا عايز أفهم انت عرفت إزاي إنها رايحة هناك ...وليه ما قلتليش أصلاً إنك رايح.

_وأنا كمان عايزة أعرف.

قالتها داليا بترقب ليصرخ بها يامن بعنف أجفلها:

_انتِ تخرسي خالص ...ماسمعش نفسك...حسابك معايا في البيت.





بينما صمت مروان وهو لا يدري كيف يخبر يامن عن الأمر ...

طوال هذه السنوات وهو يخفي مشاعره نحو داليا عن صديقه خشية طبيعته المتشككة ...وانتظاراً للتوقيت المناسب ...

والآن تنفضح مشاعره بهذه الطريقة المفجعة ...

يامن لن يمررها له أبداً...

لكن صوت انهيار داليا الباكي يقاطع أفكاره :

_ما كنتش أعرف إن معتز ده زبالة كده...أنا كان عندي حلم ولقيتها فرصة....اشمعنا كل واحد فيكم اختار طريقه؟!...ليه أنا كمان مااخترش...أنا





عايزة أبقى زي بيللا...وانت مصرّ تطلعني زي ما انت عايز.

_لسه ليكي عينك تجائري وأنا جايبك م القسم الفجر...عايزة توصلي لفين بعد كده ؟!

صرخ بها يامن وهو يقاوم رغبة عارمة في صفع تلك المتمردة حتى تفيق من عنادها وغبائها المستحكم هذا ...

بينما رمقها مروان بنظرة طويلة من الخلف وبكاؤها هكذا يذكره بصورتها القديمة في عينيه...

نفس الطفلة الباكية على درج السلم تحتضن ثوب عيد لم يقدّر لها ارتداؤه !

ربما هذه هي مشكلته معها!





Cinnabon

أنها -بكل مصائبها - لا تستطيع محو هذه الصورة

عن عينيه !

هو مريض بها!

مريض بحبها الذي لا يدري أين سيوصله بعد كل

هذا !

منذ ساعات فقط كان سيقتلها نكالاً بفعلتها والآن

يود لو يضمها لصدره...

لو يلم شعث شعرها هذا بأنامله...يغسل ما لطخته

أصباغها من وجهها...

يقبلها...ويقبلها...ويقبلها ...

حتى تذوب عشقاً بين ذراعيه كما يفعل هو منذ

سنوات !

_عايز أخطبها.





قالها مروان أخيراً ملقياً آخر أوراقه لتشهق هي بارتياع هاتفة :

_مستحيل..لو آخر راجل في الدنيا مستحيل أتجوزك انت.

_ممكن تخرسي!

صرخ بها يامن وهو يخبط بقبضته على مقود السيارة لكنها لم تكن لتصمت !

ما الذي ستخسره أكثر؟!

لهذا اندفعت بكل أسلحتها الرخيصة لتهتف :

_لازم تعرف حقيقته كويس...ده بني آدم مجنون...ما بيبطلش يجري ورايا في كل حتة أروحها وآخرها الليلة دي ...بيفرض نفسه عليّ بالعافية...هددته كذا مرة أقوللك بيقوللي ما





يهموش لأنك صاحبه ومش هتصدق عليه حاجة...ده طلب مني أروح له شقته لوحدنا...ولما رفضت هددني إنه يفضحني بأي كذب عشان ....عشان عمه دكتور عندنا في الكلية .

كانت عينا يامن تتسعان بارتياع مع كل كلمة تقولها ...

مروان حقاً أخبره عن تكاسلها في دراستها بعد شكوى عمه منها !

هل فعل ما تقوله حقاً؟!

لا لا!

مروان صديق عمره !

من يأتمنه على كل أسراره !




هل يكون حقاً بهذه الخسة ليغرر بقريبته من خلف ظهره؟!

لكن سلطان وساوسه يعاود إذكاء النيران في صدره ...

ولمَ لا؟!

لو لم يكن يطاردها حقاً فكيف علم عما حدث الليلة ؟!

ولماذا لم يخبره بكل ما يعرفه عنها؟!

ولماذا لم يصارحه برغبته في خطبتها إلا الآن بالذات عندما انكشف ستره؟!

_لو وافقت عليه والله أموت نفسي...الموت أرحم عندي من صاحبك البشع ده !





كانت تهتف بها بين عبراتها الحارة لا تدري أن كل حرف...

كل حرف خنجر يطعن في صدر عاشق لم يرجُ من النساء سواها !

كل حرف يجلد رجولته التي لم تستنفرها أنثى غيرها ...

كان يتوقع منها تفكيراً في عرضه...

أو حتى رفضاً مهذباً !

لكن أن ترفضه بهذا الإصرار ...بهذا اليقين...وبعد ليلة عاصفة كهذه أنجاها فيها من مصير مهلك ؟!

أن تكذب بهذا الجحود فقط لتتخلص منه!!

هذا هو ما أصاب قلبه في الصميم!!





لقد تحمل حماقاتها ...رعونتها...طيشها...جياد تمردها التي تأبى الاستقرار بأرض...

لكن كلماتها هذه أقوى من أن تحتملها أعمدة رجولته !

عيناه الذابلتان تراقبانها بجمود وهو يدرك أن جرحها هذه المرة لم ينل من قلبه فحسب...

ولا من كبريائه...

بل من صداقة عمره كذلك !!

_ردك إيه ع الكلام ده ؟!

هتف بها يامن كالمجنون وهو لا يدري من يصدق ومن يكذب ها هنا!!

كل الخيوط تفلت من يده وما عاد يثق في أي شيئ ولا أي أحد !!




هذه "الفوضى" تثير جنونه وتنتزع من عقله أي منطق عندما يشعر باهتزاز عرش ثقته...

ليرفع مروان رأسه قائلاً بنبرة ميتة:

_الحاجة الوحيدة اللي صدقت فيها هي أد إيه بتكرهني...أفتكر مش محتاج بعد كده رد على طلبي.

قالها ثم غادر السيارة بسرعة قبل أن يسمع المزيد من يامن ...

كلاهما كان يدرك أن صداقتهما -رغم قوتها- لن تصمد أمام طغيان الموج الأخير..

==========

وقفت نبيلة تراقبهما بعينين دامعتين خلف باب غرفة داليا المفتوح...





داليا التي استسلمت للنوم أخيراً بين ذراعي هانيا

التي لم تقل عن يامن قسوة ...ولا حناناً !

كيف تسامح نفسها هذه المرة ؟!

كيف تتجاهل أن داليا كادت تضيع بسببها هي ...

بسبب رغبة طائشة في أن تحذو حذوها ...

طريق ضياعها الذي سارته خطوة خطوة لم يعد

يهلكها وحدها مسيراً...!

أغمضت عينيها بألم وهي تتذكر كلمات يامن التي

صرخ بها في وجهها منذ قليل ...

_مش قلت لك قبل كده انت اللي هتضيعيها ؟! كانت

هتروح في داهية عشان عايزة تطلع زيك ...أنا





مش عارف هتفوقي امتى ؟! مستتنية إيه عشان ترجعي عن طريقك ده ؟! حقي وسامحت فيه لكن البنات ذنبهم إيه ؟!

سالت دموعها غزيرة على وجنتيها وهي تشعر بمزيج من الخزي والألم...

يظن التراجع عن الطريق سهلاً هكذا؟!

حصاد عمرها الذي يشعرها بقيمتها ؟!

هي تركت التمثيل من أجله ...

لكن ألا يحق لها الفرح بثمار نجاحها...

بالتحليق في نفس السماء التي أمطرتها عطايا ؟!

بالشعور بأنها لا تزال حية...تتنفس...




تنال من نظرات الإعجاب ما يطفئ حسرتها على عمر ضاع بلا ثمن ؟!

صوت أنين داليا في نومها يمزق قلبها أكثر فتقترب من السرير تراقب وجهها الملتهب بدموعه...

لتصطدم عيناها بتلك الآثار والخدوش على رقبتها وكتفها وما ظهر من صدرها فتشعر بالدم يفور في عروقها ...

تخرج من الغرفة بخطوات حذرة لتتناول هاتفها وما إن سمعت الاتصال يفتح بترحيب الرجل:

_بيللا بنفسها بتكلمني؟! يارب تكوني وافقتي على اقتراحي وهترجعي بالفيلم بتاعي؟!

صوتها الذي يجيد مزج كبريائه بأنوثته يأتيه واثقاً:





_بفكر !

الرجل يسهب في عرض مزاياه لكن ذهنها مشغولٌ عما يقول ...

فتسمعه مضطرة قبل أن تقول له بنفس النبرة :

_خلاص...قلت لك بفكر...كنت عايزة منك طلب.

_تؤمريني يا نجمة .

_المخرج اللي اسمه معتز الشريف والمنتج (.......) ...عايزاك تبعت لهم "هدية" من بتوعنا بتوع زمان ...فاكرهم ؟!

يضحك الرجل مجلجلاً وهو يتذكر ما تحكي عنه من ذكرياتهما المشتركة قديماً قبل أن يقول لها بين ضحكاته:

_يا مغيث ...عملوا إيه دول عشان يضايقوكي كده ؟!





_من غير تفاصيل ...انت عارفني ما بحبش الكلام الكتير.

تقولها باقتضاب لم تغادره نبرة دلالها ليجيبها بودّ:

_عُلم وينفذ يا فندم...استني أخبار حلوة في خلال يومين .

تغلق الاتصال معه وهي تشعر ببعض التشفي ...

هذا الوسط له ميزاته على أي حال!

قبل أن تعود لغرفة داليا ...

تتردد قليلاً قبل أن ترفع الغطاء لتأخذ مكانها بين النائمتين ...

تضم كلاً منهما بذراع كاتمةً آهة لوعتها ...





ليس أصعب من أن تدرك خطأ خطواتك ...دون جدوى..فلا أنت قادر على الرجوع ولا تملك شجاعة التوقف!

==========

جلست رانيا على الأريكة في مدخل الشقة تنتظر عودته ...

قلبها يكاد ينفطر بعدما حدث لشقيقتيها ...

واحدة خسرت زوجها ...والثانية كادت تخسر شرفها !!

ضميرها يخزها بشدة وهي تحمل نفسها المسئولية لأنها ابتعدت عن داليا كثيراً بعد انشغالها بزواجها ...

صداقتهما رغم ضعف موقفها هي فيها لكنها كانت تمنح داليا مزية "الفضفضة" ...





داليا التي ما تبدو به من

نزق ...عناد...غرور ....لكنها تعلم أي ضعف

يختفي خلف كل هذا !

كيف غفلت عنها إلى هذا الحد حتى كادت تضيع؟!

ليست هي فقط...

أشرف كذلك !

حاله غريب ولا تعلم السبب ...

منذ متى؟!

هي لا تعرف بالضبط...

كل ما هي واثقة منه أنها قضت معه أجمل "شهر

عسل" قد تعرفه عروس...

وأن "أشرف الحبيب" لا يفوقه روعة سوى

"أشرف الزوج"!





لكنه قد بدأ يبتعد تدريجياً عنها ..تحجبه عوالم خفية لا تعلم أسرارها ...

وتجبن أن تسأله عنها!!

أجل ...لايزال خوفها يمنحها الذريعة لتختفي داخل شرنقتها مكتفية بالأمل أن يصلح الحال وحده !

ربما تكون طبيعتها غريبة لكنها لا تملك تغييرها بهذه السهولة !

انقطعت أفكارها عندما سمعت صوت الباب يفتح فانتفضت مكانها لتسأله بلهفة:

_اتأخرت ليه يا أشرف؟!





عيناه المحمرتان أثارتا خوفها خاصة مع تلك الهالات السوداء التي استوطنت جفنيه مع شحوب بشرته...

هل يرهقه العمل إلى هذا الحد؟!

وكأنما سمع أفكارها ليأتيها جوابه الجاف:

_ما انتِ عارفة الشغل كله على دماغي.

انعقد حاجباها بدهشة وهي تشعر بالمزيد من الغرابة ...

منذ متى يشكو أشرف أي شيئ ولأي أحد ؟!!

منذ متى يرد بهذه اللهجة نافدة الصبر ؟!

أين دلاله...حنانه...رقته...أين حبه؟!





اغرورقت عيناها بالدموع عند الخاطر الأخير فزفر بقوة هاتفاً بنفس النبرة:

_يوووووه....كل حاجة عياط ونكد...أنا خارج تاني!

قالها دون أن يمنحها الفرصة للاعتراض ليخرج صافقاً الباب خلفه بعنف ...

رأسه يكاد يقتلع من مكانه بهذه الضربات التي ما عاد يعرف لها سوى علاج واحد ...

هو ليس بهذه السذاجة كي لا يدرك الفخ الذي استدرج نحوه...

ذاك العقار الذي وصفه له مساعده لم يكن مجرد مسكن ...





وهذا يعني أن الرجل الذي منحه ثقته ليس سوى الرأس المدبر لكل هذه المصائب ...

وعند الخاطر الأخير ابتسم ساخراً وهو يصل لسيارته التي استقلها ليقودها بسرعة جنونية افتقرت للكثير من الرشد...

_برافو يا أشرف...عرفت الحقيقة ...بس متأخر ...متأخر قوي!

قالها لنفسه وهو يفتح تابلوه السيارة أمامه ليستخرج منه شريط الدواء...

لقد حاول المقاومة...

صدقاً قد حاول ...





لكن الوقت يمر والألم يكاد يفقده عقله ...

فليذهب العالم كله للجحيم ...

لكن فليحظَ بهذا القرص قبلاً !

شعر بالسيارة تخرج عن سيطرته لتتسع عيناه بصدمة وأضواء السيارة أمامه تسطع ببريق الموت ....

==========

ذهنه مشوش بالكامل حتى أنه لم ينتبه لسيل السباب الذي انطلق من فم السائق الذي تجاوزه...

قبل أن يستعيد بعضاً من وعيه ليكمل القيادة حتى أقرب مكان رصف فيه سيارته ...

لاتزال أنامله متشبثة بالأقراص في يده ورأسه يستند بإعياء على مقود السيارة...





ربما كان ما حدث منذ قليل رسالة القدر له ألا يستسلم...

ألا يفرط في أمانة منحها الله له...

أن يقاوم كل هذا بكل قوته حتى ينهض من جديد ...

صوت الآذان يصدح حوله وكأنه إشارة أخرى فيغمض عينيه بألم وهو يدعو الله أن يلهمه القدرة على المقاومة...

ليس فقط لأجله...لكن لأجل أمه...شقيقته...ولأجل رانيا...

رانيا التي يوقن أنها الآن تبكي وحدها!

أطلق آهة عالية وهو يحاول رفع رأسه عن المقود رغم هذه المطارق التي تدق كل خلاياه تكاد تهشمها...





لم يدرِ بعدها كيف تمكن من القيادة ...ولا بأية معجزة عاد إلى بيته ليجدها كما توقعِ منهارة في بكائها ...وفي نفس المكان!

هذه هي رانيا التي يعرفها ...

هل يلومها الآن على ضعفها وخنوعها الذي طالما كان جزءاً أصيلاً من شخصيتها؟!

هل يعترف الآن أنه ما عاد يحتملها عبئاً جديداً فوق أعبائه؟!

هل ضاق قلبه بها؟!!

لا...لا...

لو ضاق القلب بها هي فلمن يتسع إذن؟!!





لهذا رفع رأسه للأعلى محاولاً التماسك قبل أن يقترب منها ...

كان يعلم أنه لن يحتاج لأكثر من عناق كي تسامحه، وهو ما منحه لها الآن بكل قوة احتياجه لها...

ذراعاه كانا يطوقانها بمزيج غريب من قوة تشبثه بها وضعف جسده الذي كان يئن ألماً...

_ما تزعليش...عشان خاطري بطلي عياط..أنا آسف.

كانت كلماته تخرج متقطعة لاهثة وهو يحاول قدر استطاعته مداراة وجعه عنها ...

عندما أحاطت وجنتيه براحتيها لتهتف بين دموعها:





_أنا مش زعلانة منك...أنا بس عايزة أفهم...قوللي مالك...فيه إيه؟!

مسح دموعها بأنامل مرتجفة وأنفاسه تغادر صدره لاهثة بالألم ...

فعادت تهتف بأقصى ما وصل إليه عقلها:

_انت خلاص ماعدتش بتحبني؟! ندمان على جوازنا؟!

ابتسامة ساخرة تنامت على شفتيه حولها انفعاله لضحكة مريرة سبقت همسه الصادق:

_مهما حصل بيننا إوعي تشكي في حبي ليكِ...مهما اتغيرت أنا أو اتغيرتِ أنتِ...حبنا عمره ما يتغير.





ألقت رأسها على صدره وهي تضمه بكل قوتها صارخة:

_يبقى ريحني وقوللي مالك.

زفر زفرة حارقة وهو يسند رأسه إلى كتفها ...

ليتها تفهم!

ليتها تفهم أنه يود لو يستند إليها الآن حقاً لا رأساً لكتف بل ...

مصيراً لمصير !

ليتها تدرك حاجته الآن لقوة لا يدري حقاً هل تمتلكها أم أنه يظلمها بتحميلها ما يفوق قدراتها ...

هي -هُريرته- الناعمة الهشة التي طالما أغدق عليها تدليله حتى نسيت وجود مخالبها...





والآن ...هي سبيله الوحيد للنجاة ...فهل تخذله؟!!

لهذا صمت لدقائق قبل أن يواجهها بقوله:

_لو قلت لك إني تعبان ومحتاج علاج...هتروحي معايا بكرة من غير أسئلة ومن غير ما تقولي لحد ...أي حد ...حتى يامن ؟!

شحبت ملامحها أكثر وعيناها تزيغان بخوف كان هو أكثر من يدركه لكنه لم تكن له حيلة فيه...

أسئلتها كلها جففها الرعب في حلقها وذراعاها يعتصران جسده أكثر بينما تومئ برأسها في إجابة لسؤاله بالطاعة...

فاغتصب ابتسامة باهتة على شفتيه ليردف مطمئناً إياها:

_ما تخافيش كده ...حاجة بسيطة...




هو يكذب ...!

كل ما فيه يكذب ...!

الألم في ملامحه يكذبه...ارتجافة جسده تكذبه...لن تنخدع بهذا الهدوء الذي يدعيه...

لأول مرة تكره حنانه هذا الذي يحاول حمايتها به!!

_أنا معاك خطوة بخطوة بس لازم أعرف كل حاجة...

غمغمت بها بإصرار فأشاح بوجهه عنها لتعاود هتافها بنبرة أقوى:

_ما انا لازم...

رنين هاتفه قاطع عبارتها خاصة عندما عقد حاجبيه وهو يتبين الوقت ليفتح الاتصال بسؤاله القلق:




_خير يا نشوى ...ماما ...

والصرخة المقابلة من الجانب الآخر للاتصال

منحته الحقيقة قاسية قاطعة !

=========

_مش هنرجع بيتنا بقا؟!

همست بها بتردد وعيناها الحزينتان معلقتان

بجسده المتهالك على ذاك الكرسي الذي اعتادت

أمه -الراحلة- الجلوس عليه ...

ليجيبها دون أن يفتح عينيه :

_خللينا هنا مع نشوى شوية...مش عايز نسيبها

لوحدها وهي مش هترضى تيجي معانا .

صوته المتحشرج الكسير يخدش جدران قلبها وهي

تشعر بالفجوة بينهما تزداد يوماً بعد يوم...





منذ وفاة والدته وهو يهوي أكثر وأكثر في بئر حزنه وشتاته الذي لا تفهم سببه...

والذي يهرب منه في كل مرة تسأله عنه ...

_أشرف...افتح عينيك وكلمني!

قالتها وهي تجثو على ركبتيها أمامه لتحتضن ساعده بأناملها ففتح عينيه ببطء لتطالعها نظراته الجامدة ...

ازدردت ريقها ببطء وهي تسأله بصوت مرتجف:

_من يوم الوفاة وأنا مش قادرة أسألك...كنت قلت لي إنك تعبان...ومحتاج علاج.

نظرته الجامدة تطول ليجيبها بعدها بلهجة غريبة :

_ماتشغليش بالك...ما طلعتش تعبان ولا حاجة...كان تحليل غلط.





قالها وهو يخفي عنها خيبته باضطراره للرجوع

لهذه الأقراص!!

خبر وفاة والدته دك ما بقي له من حصون مقاومته

ليجد نفسه يستسلم بلا أي عزيمة ...

لقد ظن أنه يملك من القوة ما يحمي به الجميع ...

لكنه الآن يدرك أنه حتى عاجز عن حماية نفسه !

عالمه ينهار حوله وهو لا يملك إلا

المراقبة...والتحسر!

بينما رمقته هي بنظرة تشكك قائلة :

_طب كان تحليل إيه ؟! وعرفت منين إنه غلط ؟!





زفرة عميقة كانت جوابه مع إشاحته بوجهه لتحتضن هي عضديه بكفيها هاتفة برجاء:

_عشان خاطري يا أشرف ما تخبيش...قل لي الحقيقة عشان ...

_عشان إيه ؟! فاكرة نفسك ممكن تعملي إيه ؟!

صرخ بها بثورة مفاجئة لم يكن لها ما يبررها في نظرها لكنه حقاً كان يحترق بداخله !

دور "البطولة" الذي أصر على ممارسته وحده منذ البداية صار مهلهلاً على كيانه الذي يزداد ضآلة يوماً بعد يوم ...

وها هو ذا يهوي...

ومن بعده سيسقطون جميعاً بلا داعم !





بينما انكمشت هي مكانها لتضم كفيها نحو صدرها بخوف ...

خوف حقيقي صار يجتاحها بلا رحمة وهي تشعر أنه يتحول لشخص آخر غير هذا الذي عرفته طوال عمرها ...

دموعها تسيل على خديها بعجز وهي لا تدري ماذا تفعل!

هل هو مريض حقاً ويخفي هذا عنها؟!

كيف تعرف الحقيقة مادام هو مصراً على إخفائها؟!

يامن؟!

هل تستشيره؟!

لا...هي وعدت أشرف ألا يعرف يامن شيئاً عن الأمر ولن تخلف وعدها...

إذن...ما الحل؟!





_بتزعق ليه يا أشرف؟!

هتفت بها نشوى شقيقته وهي تدخل عليهما الغرفة لتجدهما بهذا الوضع ...

فانتفض أشرف مكانه وقد عز عليه أن تراهما شقيقته ورانيا جاثية تحت قدميه بهذا الوضع الذي قد تسيئ فهمه...

ليمد ذراعيه فيرفع رانيا نحوه ليضمها بذراعه مخاطباً شقيقته :

_معلش...أعصابي فلتت .

نقلت نشوى بصرها بينهما للحظات ثم تقدمت منه لتقول بنبرتها العملية :





_عارفة إن الوقت مش مناسب بس كنت محتاجة فلوس...قسط العربية ومصاريف ريما .

أومأ برأسه وقد ارتسم الهم جلياً على ملامحه المنهكة ...

لتتوجه نشوى ببصرها نحو رانيا قائلة :

_تعالي معايا...عايزاكِ في كلمتين.

رفعت رانيا عينيها الواهنتين نحوها بارتباكها المعهود ليشدد أشرف ضغط ذراعه حولها مطمئناً قبل أن يقول لشقيقته بحزم:

_قولي اللي انتِ عايزاه هنا....هو فيه أسرار بيني وبينكم ؟!

لكن نشوى جذبتها ببعض الرفق لتحررها من ذراعه قائلة بابتسامة حرصت أن تكون لطيفة :





_ده كلام ستات مالكش فيه .

قالتها لتسحب رانيا المستسلمة خلفها غير منتظرة لإذنه قبل أن تخرج من الغرفة لتغلق بابها خلفها ...

وما إن جلست جوار رانيا على أريكة الصالة حتى سألتها بنبرة خفيضة:

_أشرف ماله ؟! وإياك تخبي عليّ.

هزت رانيا رأسها بما يوحي بجهلها لتزداد نبرة نشوى عصبية باستطرادها:

_ده مش أشرف أخويا...لا ده شكله ولا دي صحته ولا ده طبعه...حتى من قبل وفاة ماما الله يرحمها وهو فيه حاجة متغيرة...ولازم أعرفها.




_سألته كتير...مش راضي يقول.

قالتها رانيا بنبرتها قليلة الحيلة لترد نشوى بغيظ:

_وبعدين ؟! سبتيه كده خلاص؟! عملتِ اللي عليكِ يعني؟

شعرت رانيا بالارتباك أكثر كعهدها عندما يوجه أحدهم لها اتهاماً بالتقصير لتكتفي بفرك أصابعها بينما استمرت نشوى بأسئلتها :

_من امتى وهو كده ؟! راح لدكتور؟! بياخد دوا معين ؟! بياكل كويس؟! بينام كويس؟!

كانت رانيا تهز رأسها بجهل مع كل سؤال لتتمتم أخيراً بنفس النبرة :




_معرفش...هو بيقعد وقت كبير بره البيت ...ولما بيرجع بيبقى خلقه ضيق ...تقريباً شغل المصنع بيخلليه...

_مصنع إيه ؟! جوزك بقاله ثلاث أسابيع ماعتبش المصنع وكلموني هنا يسألوا عليه !

قالتها نشوى بغضب لتتسع عينا رانيا بصدمة مع همسها :

_إيه ؟! امال بيروح فين كل يوم؟!

_بتسأليني؟! هو جوزك انتِ واللا جوزي أنا؟!

كانت تعلم أنها تقسو عليها بردة فعلها لكنها كانت حقاً مستفَزة !

ليس فقط حزنها على والدتها ...ولا قلقها على أشرف ...





ولا مسئولية ابنتها التي تتحملها وحدها بعدما هجرها طليقها ...

لكن ضعف رانيا الخانع كان يؤجج انفعالاتها...

هي التي لا يثيرها شيئ كضعف امرأة في موطن يُفترض لها فيه القوة !

هكذا علمها أبوها وربتها أمها -كما فعلا مع أشرف- أن تتحمل المسئولية تحت أي ظرف ...

لقد صدق ظنها في رانيا كما كانت تراها من البداية...

لن تكون سوى حِمل آخر فوق ظهر أشرف الذي ضج بما يحمله !

لهذا زادت دموع رانيا من استفزازها -لا العكس- لتجد نفسها تقول بما بدا قاسياً:




_دموعك مش هتحل المشكلة...لازم نفهم فيه إيه ...حتى لو اضطرينا نراقبه من غير ما يحس...لو انتِ قليلة الحيلة وهتقعدي تعيطي جنب الحيط فأنا مش هاسيب أخويا يضيع.

رمقتها رانيا بنظرة ضائعة وهي لا تعلم بماذا ترد ...

لكن القدر كان يدخر لهما مفاجأة أقسى عندما فتح باب غرفة أشرف فجأة ليظهر هو منه ممسكاً بهاتفه بوجه ممتقع جعل نشوى تنتفض لتتوجه نحوه هاتفة بقلق:

_فيه إيه يا أشرف؟! حاجة حصلت ؟!





فيرفع الهاتف ليخبرها بالفاجعة بعبارات متقطعة مصعوقة :

_كلموني دلوقت...المساعد بتاعي اتقبض عليه في شحنة مخدرات...والمصنع ...المصنع هيتحجز عليه .

=======

القطعة السابعة عشرة

****

دخلت عليها غرفتها لتجدها ممددة في فراشها تغطي وجهها بذراعها فتنهدت بحرارة لتجلس جوارها قائلة :

_إزيك يا داليا ؟! ممكن نتكلم شوية ؟!

_عايزة تديني محاضرة انتِ كمان ؟!

غمغمت بها داليا ببرود تِعس غريب على طبيعتها التي تعرفها ياسمين ...

والتي تأملتها بالكثير من الإشفاق !

رغم بداياتهما المشتعلة معاً لكنها تشعر أن داليا ليست أكثر من طفلة ترتدي ثوباً أكبر منها ...





طفلة افتقدت القدوة..أو -فلنقل- أساءت اختيارها

في صورة بيللا الخادعة !

وعندما حلقت بجناحيها نحو ما ظنته نوراً كادت

تحترق!

_لا ...مش هاتكلم معاكي خالص عن اللي

فات...خللينا نتكلم في اللي جاي.

قالتها ياسمين وهي تزيح ذراعها عن وجهها

ليصدمها شحوب ملامح داليا الواضح وعينيها

الذابلتين من فرط البكاء...

والتي انتفضت الآن مكانها لتهتف بها بحدة :

_لو يامن اللي باعتك قولي له مالوش لازمة كل

ده ...أنا أهه حسب أوامر سيادته محبوسة في





أوضتي ومش هاخرج منها لحد ما

أموت ...استريحتوا؟!

انتهت عبارتها بشهقة بكاء استسلمت له سريعاً

ومشاهد تلك الليلة البشعة تعاود غزو مخيلتها ...

تأثير الكحول شتت ذهنها ليلتها فلم تسترد وعيها

الكامل إلا في اليوم التالي لتصدمها بشاعة

التفاصيل !

الظلام...مشاعل النار ...الخيام...صوت الموسيقا

الصاخبة...

يد الرجل الغليظة تمتد لها بالكأس...

وابتسامة معتز الشيطانية وهو يغادر الخيمة

ليتركها له !

كأنها مجرد عاهرة يسلمها بلا ثمن !!





ولولا الظروف لكان قد انتهكها بلا رحمة !!

"الظروف" أم "مروان"؟!

لا!

لن تعترف لذلك "القبيح" بفضل ...أي فضل!

ازدادت حدة بكائها وهي تشعر بأنها حقاً سيئة!

لم تشعر في حياتها أنها تكره نفسها كما الآن!

تلك الليلة استخرجت أسوأ ما فيها لتجد نفسها

مجرد أمة لشيطانها...

بداية من خروجها مع معتز وانتهاء باتهامها البشع

لمروان !

لقد أفسدت أنانيتها إنسانيتها!

وها هي ذي تفسد بوشاية صداقة عمر !





ضمتها ياسمين لصدرها وهي تربت على شعرها مدركة شعورها ...

ما مرت به ليس هيناً على الإطلاق...

ويامن زاد الطين بلة عندما أصدر قراره بحبسها في البيت ...

ليس هكذا تحل أمور فتاة متمردة كهذه !

لهذا تنحنحت بخفوت لتقول لها بحنان لا تدعيه :

_يامن خايف عليكي...كلنا...كلنا خايفين عليكي...مش هاقوللك إن اللي حصل ليلتها سهل نعديه كلنا...بس على الأقل نحاول...محدش بيتعلم ببلاش...المهم تفكري في بكرة.





حنانها الصادق مس قلب داليا التي وجدت نفسها تتشبث بعناقها ...

رغم حدة هتافها بعدها :

_وهو فين بكرة ده وهو حابسني في البيت زي المجرمين؟!

_اثبتيله إنك اتغيرتي وهو شوية شوية هيرخي الحبل .

قالتها ياسمين ناصحة وهي تدرك شدة عناد يامن ...لكنها تدرك أيضاً عمق حنانه خاصة لهذه الصغيرة ...

أشاحت داليا بوجهها في عدم اقتناع لتردف ياسمين بنفس النبرة الحانية:





_انتِ ماتعرفيش يامن بيحبكم أد إيه...ده كان هيتجنن ليلتها ...كل اللي بيعمله ده من خوفه عليكي...

ثم أدارت وجهها نحوها لتردف :

_انت بنت ذكية...وبتعرفي توصلي للي انت عايزاه...العبيها صح المرة دي واكسبي ثقته ...يامن شكاك وموسوس بس قلبه مفيش أطيب منه...اكسبيه من تاني هو مش عدوك ...ده أكتر واحد خايف عليكي.

عادت عينا داليا تمتلئان بالدموع فاحتضنتها ياسمين لبعض لحظات أخرى قبل أن تقول لها ببعض المرح:

_بيقولوا إنك مش راضية تاكلي...بس أنا مصرة تتغدي النهارده من إيدي...إيه رأيك ؟!




عضت داليا شفتها ثم أومأت برأسها فقبلت ياسمين وجنتها لتقوم ...

لكنها توقفت قليلاً قبل مغادرة الغرفة لتسألها بتردد:

_هسألك سؤال،ولو مش عايزة تجاوبي مش هاضغط عليكي...

اختلست داليا نظرة خاطفة نحوها لتردف ياسمين وهي تتفحص ملامحها باهتمام :

_هو فعلاً مروان عمل اللي قلتيه ليامن ؟!

ارتجفت شفتا داليا بوضوح للحظات ثم ازدردت ريقها لتقول باقتضاب:

_أنا ما بكدبش.





ظلت ياسمين تتفحصها للحظات وقد ظهر الجواب على وجهها واضحاً...

قبل أن تتنهد بحزن آسف لتغادر الغرفة مغلقة الباب خلفها برفق...

بينما مسحت داليا دموعها وهي تشعر بضميرها يخزها ...

موقفها المخزي من مروان ليس له ما يبرره إلا رغبتها في التمرد على كل ما يفرضه عليها يامن ...

لو لم تقلب المائدة على رأسه ليلتها كان يامن سيوافق على خطبتهما خاصةً بعد إنقاذه لها ...

لم يكن أمامها حل آخر !





هذا ما أسكتت به ضميرها وهي تقول لنفسها بمكابرة:

_بكرة الأيام تنسيهم ويتصالحوا...ياما بيحصل بين الأصحاب.

ولو صدقت نفسها لأيقنت أن عقلية موسوسة كيامن لن تأمن لمروان بعد هذه العاصفة !

زفرت بسخط وهي تتناول هاتفها لتفتح رسائل "المجهول"

منذ تلك الليلة العصيبة وهو لا يرد على رسائلها رغم أنها أرسلت له الكثير ...

كم تحتاجه الآن في عزلتها الانفرادية هذه !





تحتاجه أكثر من أي وقت مضى !!

تحتاج أن تبوح له بكل ما حدث ...

حتى ولو سقطت من نظره للأبد !

_أين أنت؟!

كتبتها بمزيج حروفها ودموعها لتراقب الهاتف بعدها بحسرة وهي تشعر بالمزيد من الانهيار ...

وفي عمله كان هو يخلع معطفه عندما شعر باهتزاز هاتفه ...

تناوله ليرمقه بنظرة متصلبة جامدة وهو يراقب رسالة أخرى من رسائلها التي لم تنقطع منذ تلك الليلة ...

مزيجٌ عاصف من مشاعره يعصف به في هذه اللحظة...

احتقار...

لهذه التي خانت ثقة أهلها وكادت تفقد نفسها بلا ثمن !

اشمئزاز...

من كذبتها التي انطلت على صديق عمره لتصمه بما لم يفعله بعد إنقاذه لها !

شفقة...

على حيرتها وضياعها وتخبطها كأنها لا تعلم ماذا تريد بالضبط !





سخرية...

من هذه التي رفضته بكل حدة لترجوه الآن الرد

غافلةً عن حقيقة كينونته!

وجع...

منها ...ولها ...!!

وأخيراً...حبٌ...

حب لم يفقد مكانه على قمة الهرم وسط كل هذه

المشاعر المتخبطة !!!

عقله وكبرياؤه يأمرانه بتجاهل المزيد من رسائلها

حتى تيأس وتكف عن إرسالها ...

لن يسمح لنفسه بمزيد من السقوط في بئر حبها !!





لهذا أعاد الهاتف لجيبه وهو يتناول مفاتيحه ليغادر المشفى الذي يعمل فيه ...

استقل سيارته ليقودها متجاهلاً المزيد من اهتزاز هاتفه الذي تعمد وضعه في جيب سترته جوار قلبه في إشارة ساخرة لوضعهما الغريب هذا ...

لعل هذا الاهتزاز يهدئ حسرة قلب موجوع بحب يائس!

وصل لبيته فركن السيارة ليزفر بقوة وهو يتناول الهاتف ليقرأ آخر رسائلها ...

_رد...أرجوك...أحتاجك...أحتاجك جداً.





ضم قبضته بقوة جواره وهو يشعر بالصراع بين قلبه وعقله يزداد وجيبه ...

لكن رجاءها الأخير حسم الصراع وهو يأتيه بصورتها ...

لا...ليست صورتها الفاجرة بثوبها العاري ...

ولا تلك الصارخة بكرهها له وافترائها عليه ...

بل بتلك القديمة لها ...طفلة تبكي وحدها على الدرج !

والتي يدرك الآن أنها -رغم مرور هذه السنوات- لا تزال تسكن جنباتها وتدفعها لهذه الأفعال الطائشة ...

لهذا تنهد بحرارة وهو يكتب لها متقمصاً دور الصديق:





_آسف..كنت مشغولاً...كيف حالك؟!

_لست بخير.

_ماذا حدث ؟!هل حققتِ حلمك تلك الليلة؟!

كان يشعر بالندم من استمرار علاقته الغريبة بها هذه والتي يعلم أنها لن تفضي لشيئ مادامت ترفضه كشخص...

لكنه كان يراها طريقته الوحيدة للاطمئنان عليها ...وحمايتها...

هذا الذي لن يكف عن فعله طالما هي تطلب دعمه!

_أريد التحدث ...لا الكتابة.





عقد حاجبيه بترقب لينتظر رسالتها الصوتية التي حملت له دموعها مع ما كانت ترويه باستفاضة عما حدث ليلتها ...

فازداد انعقاد حاجبيه مع سماعه للرواية من وجهة نظرها هي ...

كيف غرر بها ذاك الوغد مستغلاً رغبتها في التمثيل ...

كيف غابت عن وعيها جزئياً بتأثير الخمر لتفيق على الكارثة...

كيف انتهت الليلة بظهور يامن وطلب صديقه "المنقذ" للزواج منها ...

وكيف كذبت لتتخلص منه !





غص حلقه بمرارته وهو يسمعها تتحدث عن "مروان" الذي تراه بعينها ل"مروان" الذي تعرفه ب"قلبها"...

لم يكن يتخيل أن الفارق بينهما شاسعٌ هكذا !

"الأصلع

القبيح" ..."البغيض"..."المطارد"..."صديق يامن المعقد مثله" !

كل هذه الأوصاف التي أسهبت في سردها بانطلاق وسط فيض دموعها الشاكي ...

لتنتهي بوصف ندمها على كذبها تلك الليلة لكنها كانت طريقتها الوحيدة كي لا تتورط في هذه الزيجة !





أطلق آهة عميقة وهو يعيد سماع تسجيلها مرة بعد مرة مقنعاً نفسه بالتريث في الرد ...

لكن أي تريث بعد ما سمعه ؟!!

هل بقي في قصتهما المزيد ؟!!

فليُنهِها لكن...بطريقة لائقة !

وليكمل تقمص دوره الذي اختارته هي له !

_آسفٌ لأجل ما حدث وأدرك حجم المعاناة التي تعرضتِ لها ...أخطأتِ في افترائكِ على ذاك الرجل ليلتها....لكن...لم تخطئي في رفض الزواج منه...هو ليس صاحب فضل عليكِ...أي رجل حار الدماء مكانه كان سيفعل مثله ...فتاة جميلةٌ مثلك تستحق الأفضل...لا هذا "الأصلع القبيح"!




قرأت رسالته لعدة مرات وهي تتمنى لو كان أرسلها بصوته بدلاً من كتابتها ...

لكن مهلاً...لماذا تشعر بأن شيئاً ما في حديثه مختلف...

هل تشوهت صورتها في عينيه بعد ما روته؟!

لم تعد حبيبته النقية التي رسمها في خياله ؟!

ترجمت خاطرها الأخير لرسالة أخرى صوتية رد عليها بأخرى مكتوبة ...

_توقفي عن البكاء وكوني واثقة...مهما حدث..لن تتغير صورتك في عيني كما لن تتغير في قلبي .





ابتسمت وسط دموعها التي مسحتها بسرعة وهي لا تدري بماذا ترد ...

هذا بالضبط ما تحتاج سماعه الآن ...

لو طاوعت قلبها الآن لاعترفت له في التو واللحظة أنها تحبه !

جنون؟!

نعم ...جنون !!

أن تعشق رجلاً لا تعرف عنه أي تفاصيل سوى أنه يحبها إلى هذا الحد...

يفهمها إلى هذه الدرجة...

يحتويها بكل هذا الحنان ...

يمنحها العالم السحري الذي لا يملك مفاتحه غيره !





لكنه عاجلها برسالته :

_سأسافر غداً ...ولن أستطيع محادثتك لوقت لا أعلمه....سأعاود التواصل معك عندما....أستقر!

لم تكن الصدمة من نصيبها وحدها وهي تتلقى رسالته بل من نصيبه هو الآخر ...

هو الذي وجد هذه "الكذبة" تقفز سريعاً لذهنه في طلب من نفسه ب"هدنة"!

هدنة يستريح فيها من صراع نفسه هذا !

لن يستطيع الاستمرار في التواصل معها ...

تماماً كما لن يستطيع التخلي عنها ...

يالله !

راحة !





فقط راحة قصيرة من حربها المهلكة هذه قبل أن تستنزفه عن آخره ...

بينما اتسعت عيناها بذهول وهي تتلقى رسالته كصفعة !

هل سيحرمها القدر منه في هذه الظروف؟!

في أكثر وقت تحتاج وجوده فيه ؟!

هل هي ردة فعله على ما روته ؟!

أم هي حقاً مصادفةٌ قدرية ؟!

_هل ستتركني وحدي أنت الآخر؟!





سؤالها المكتوب يصله بصوت دموعها في أذنيه فيطعن قلبه بقسوة ...

لكنه يغلق هاتفه بحسم ...

ليبقى سؤالها معلقاً دون جواب!

============

فراش أبيض...

ملاءات بيضاء...

وجهها الشاحب ...

حتى خصلات شعرها النبيذية المصبوغة عجزت عن منحها بعض الحيوية وسط أشباح الموت التي تحوم حولها !

صورة باهتة من امرأة شهد يوماً أنها إعصار فتنة ...





والیوم یراها هکذا بسببه !

_روح يا رامز ...أنا خلاص بقيت أحسن .

تمتمت بها بصوتها المتحشرج وعيناها تتحاشيان نظراته بجولانها في غرفة المشفى التي تشغلها منذ أنقذها رامز من محاولة انتحارها اليائسة !

يقولون أن القدر قد منحها عمراً جديداً ...

عمراً هي أغنى ما تكون عنه !

_مش هاسيبك !

لا يدري بأي نبرة نطقها وهو يشعر باختناق هائل يعتصر حناياه...

هل يدعي الآن الرجولة بوقوفه جوارها ؟!





أين كانت شهامته هذه عندما أدخلها رغماً عنها في حربه الباردة مع صديقتها الجاحدة ؟!

أين كانت عندما تجاهل ما يدار حولهما من شائعات مكتفياً باستغلالها فقط لإثارة غيرة من كانت زوجته ؟!

بل أين كانت عندما تركها وحدها بعد ما كان في المطعم فريسة لحزنها ويأسها الذي كاد يودي بحياتها؟!

دون اعتذار؟!

دون حتى أي تبرير ؟!

بينما أغمضت هي عينيها بألم وعبارته -رغم ظاهر نبلها- تعاود طعنها بخنجر مسموم...

لم تعد مساندته لها مروءة تحمدها له...





لم تعد تحتاج لتسأل نفسها في أي معسكر من الرجال يقف هو ...

كلهم سواء !

وحده أحمد كان الاستثناء...

ربما لهذا رحل!

حتى عندما أرادت اللحاق به ...منعوها!

أي عذاب هذا؟! أي عذاب؟!

انـهمرت دموعها صامتة عند خاطرها الأخير فتحشرج صوته وهو يـهتف بها :

_أنا مش عارف أعتذر لك على إيه واللا إيه ...أي كلام هاقوله هيبقى صغير قوي قصاد اللي اتسببت فيه ...بس أنا مستعد أعمل أي حاجة ...أي حاجة ترضيكِ .





_عايزة هانيا...عايزاها جنبي ...عايزاها تصدق إني ما خنتهاش .

تمتمت بها وسط دموعها لينعقد حاجباه بتأثر بينما هي تردف مغمضة العينين بما بدا كالهذيان:

_عايزاها تنكر كل اللي قالته يومها ...عايزاها تقول لأحمد إني لسه زي ما هو كان شايفني .

ابتلع غصة حلقه وهو يراها قد اختلطت حقائقها بخيالاتها ...

هو يعرف الكثير عن هشاشتها لكنه لم يتصور أن تتلقى اتهاماً كهذا من صديقتها بردة الفعل الخانعة هذه !

تراها صادقة هانيا في ما اتهمتها به؟!

لا!





قولاً واحداً!

هو ليس غراً ساذجاً كي لا يفهم امرأة أمامه بعد خبرته السابقة في النساء!

خبرته التي تؤكد له أن هذه المرأة أمامه نقية حد السذاجة !

ولا يدري من أين أتت هانيا باتهاماتها هذه إلا أن تكون محض افتراء!

لهذا احتدت نبرته وهو يهتف بها بانفعال:

_أنا مش فاهم انتِ إزاي باقية عليها بعد كل اللي قالته ؟!

_كنت عايزها تعمل إيه ؟! أي ست مكانها كانت هتتصرف كده !




قالتها بنفس النبرة البائسة وهي تمسح دموعها ليهتف هو بنفس الانفعال:

_أي ست مكانها كانت هتستنى تفهم قبل ما تقلب الترابيزة على الكل ...كانت هتحارب عشان تحتفظ ببيتها...أي ست مكانها كانت هتحترم العشرة اللي بينكم...مش تسوأ سمعتك وسط الناس.

_تبقى ما تعرفش الستات كويس....وما تعرفش هانيا خالص!

غمغمت بها باستنكار هش وهي تفهم الآن سبب ما فعله وقتها...

الأحمق كان يحاول إثارة غيرتها لعله يردها لرشدها ...

ألم يجد سوى هذه الطريقة؟!!





لهذا تنهدت بعمق ثم عاودت إغماض عينيها لتردف:

_هانيا عكس هي ما هي باينة من برة جامدة وقوية..لكن من جواها هي خايفة...دايماً خايفة..خايفة تعيش الإحساس اللي حسته يوم ما فقدت باباها ومامتها فجأة وتلاقي نفسها لوحدها من غير مقدمات ...خايفة تسلم قلبها لحد يعذبها بيه..بتحارب نفسها عشان مرعوبة تطلع في الآخر صورة من خالتها اللي اشمأزت منها زمان وبتصعب عليها دلوقت ...ووسط كل ده ...انت زودت الحرب جواها ...وفي الاخر اديتها الدليل إنها صح...وإنها كان معاها حق لما قفلت على قلبها كل ده ...

ثم فتحت عينيها بقولها:





_أنا مش زعلانة منها ...أنا زعلانة عليها ...شخصية زي هانيا يمكن تنجح في إنها تبين للناس إنها مش مكسورة...يمكن حزنها بالعكس يخلليها تنجح في شغلها أكتر ..لكن من جواها هيفضل فيه جرح بينزف من سكات ومن غير دوا .

اتسعت عيناه قليلاً وهو يشعر بصدمته من حديثها ...

طوال معرفته لغادة وهو يشهد على ضعفها وارتباك كلماتها التي كانت تثير بداخله حمية رجولية للدفاع عنها ...

لكنه لم يشهد على هذه القوة في الجدال إلا عندما تدافع عن صديقتها !





يااللمفارقة!

هانيا التي تبدو للجميع بهذه الصلابة كجبل لا يلين ...

وغادة التي يبدي ظاهرها كل هذه الهشاشة الناعمة...

الاثنتان تتبادلان المشهد لو نظرت إليهما من الداخل متجاهلاً خداع المنظر!

هانيا!

أفكاره تجذبه من جديد نحوها خاصة بعدما روته غادة وماشهدت عليه سابق ملاحظاته لأفعالها ...

لكنه يقهر هذا قسراً وكبرياؤه يمنعه تقديم المزيد من التنازلات !





الحاجز اللي صار بينهما يزداد ارتفاعه يوماً بعد يوم !

الحب وحده لا يكفي ...

الحب هو "قطعة الكرز" التي تزين "كعكة الزواج" فحسب...لكن إتقان إعدادها هو ما يتطلب مهارة حقيقية ...والكثير بل الكثير جداً من الجهد !

كفاه أنانية!

هو وهانيا استغلا هذه المرأة أمامه في حربهما دون رادع ...

والآن ...غادة هي الأهم !

سيكفر عن خطئه معها بأي طريقة !

وأي طريقة تنجح في إنقاذ سمعتها وانتشالها من هذا اللي هي فيه إلا ...!!!





_تتجوزيني؟!

==========

صراخه الهائج يكاد يصم أذنيها فلا تدري ماذا تفعل ...

أشرف انهار تماماً بعد سقوط مصنعه !

بل إنه كان عُرضةً لدخول السجن لولا أن تحريات الشرطة أثبتت أن ما كان يحدث في المصنع كان في غفلةٍ منه ...

تعبه وتعب والده قبله في هذا المصنع ضاع سدى...

من سيأمن أن يشتري لعباً لأطفاله من مكان وُصم بتجارة للمواد المخدرة ؟!

وليت هذا أسوأ ما في الأمر ...




بل إن نشوى اكتشفت أنه هو نفسه قد سقط في شرك نصبه له مساعده ليجعله مدمناً لهذه المواد...

الآن فقط تفهم لماذا كان يطلب منها مساعدته زاعماً أنه مريض...

لكنه الآن يرفض العلاج !

أجل...كل محاولاتها ومحاولات شقيقته لدفعه للعلاج تبوء بالفشل بينما هو مستسلم لانهياره ...

مدمن؟!

أشرف صار مدمناً كهؤلاء الذين كانت تشمئز منهم على شاشات التلفاز،والنت؟!

مستحيل!

كيف غرق في هذا البحر لأذنيه هكذا ؟!

كيف استسلم وهو الذي كان يبهر الجميع بتماسكه وقوته ؟!





صرخة أخرى منه في غرفته جعلتها تنتفض مكانها تبكي بانهيار وهي لا تدري ماذا تفعل...

صوت تكسير يصلها من الغرفة يتبعه صراخه من جديد باسمها فيرتجف جسدها بالخوف وهي لا تدري كيف تتصرف...

لا يمكنها أن تخبر يامن ...ولا تعرف ماذا تفعل وحدها...

كل ما استطاعت فعله هو أن تغلق عليه الغرفة بالمفتاح كي تمنعه من الخروج لإحضار أقراصه التي نفدت ...

_افتحي يا رانيا...عشان خاطري افتحي...





يصرخ بها بحدة أول الأمر لتتحول حدته تدريجياً لرجاء متقطعِ مع انهيار صوته :

_سيبيني أخرج أجيبه...أو خدي العنوان وهاتيه انتِ...حرااام....مش قادر...بمووووت.

كانت تعلم أنه لم يعد في وعيه من فرط الألم ...

لو كان في وعيه لما طلب منها أن تذهب لمكان مشبوه كهذا ...

لكنها هي في وعيها ...ماذا تفعل ؟!

هل تتركه لعذابه هذا ؟!

أم تخرج وتحضر له ما يريد ؟!

صوت ارتطام مكتوم يزيد فزعها فتهرع بسرعة لتفتح الباب فتجده ملقىً على الأرض أمامها يضم جسده بذراعيه وقد تحولت صرخاته لأنين مكتوم...




_اتصرفي وهاتيه يارانيا..عشان خاطري...

كلماته المرتجفة بألمه ...

ملامحه المبتلة بين عرق ودمع...

رعشة جسده المتلوي أمامها ...

وأخيراً ...

همسه الراجي المستعطف باسمها ...

كل هذا جعلها تحسم قرارها وهي تسأله باكية عن المكان الذي صار يحصل منه على هذه السموم...

فيجيبها بما بدا كالهذيان قبل أن يعود لنوبة جديدة من صراخه المتوجع...

========





أوقف يامن سيارته في المكان الذي وصفته له ليجدها تتقدم نحوه بوجه ممتقع ...

ملامحها البائسة أثارت حميته فلم ينتظرها حتى تستقل السيارة بل غادرها هو ليتوجه نحوها هاتفاً بقلق:

_مالك يارانيا ؟!

ازدردت ريقها ببطء لتتصنع ابتسامة لم تخدعه :

_الحمدلله مفيش حاجة...كنت محتاجة بس فلوس وماكنتش عايزة أشرف يعرف.

_ماتحمليش هم...كل اللي انتِ عايزاه اعتبريه معاكِ.

قالها متفهماً وهو يتحرك بها نحو سيارته ثم ناولها بطاقة ائتمانية ...





_أنا حطيتلك مبلغ مناسب في حسابك النهارده

اسحبي منه وقت ما تحبي ...بس قوليلي الأول

أمور المصنع وصلت لفين...أشرف على طول قافل

موبايله عايز أطمن عليه.

أطرقت برأسها وهي تشعر بقرب انهيارها لكنها

حاولت التماسك قدر استطاعتها ...

ماذا يمكنها أن تخبره ؟!

لو علم يامن شيئاً عما يعانيه أشرف فسيبعدها عنه

دون جدال ...

لهذا اكتفت بقولها المتحشرج:

_هو بس محتاج وقت عشان يعدي اللي

حصل...المصايب كلها جت ورا بعضها ...وفاة

مامته وكارثة المصنع .





تنهد بحرارة ثم قال لها مطمئناً:

_أزمة وتعدي...الحمد لله إنه ماتورطش في حكاية المخدرات دي ...ولو أنه غلط لما ما بلغش البوليس من الأول .

عضت شفتها بقوة وهي تقاوم إخباره بما هي ذاهبة لأجله...

طبيعتها "المتواكلة" تميل لإلقاء هذا الحمل عنها ...

لكن قلبها يستحلفها أن تتماسك لأجل رجلها ...

أشرف يحتاجها ...

ستجلب له ما يطلبه هذه المرة فقط وبعدها سترجوه أن يمتثل للعلاج...

سيطيعها...هذه المرة سيفعل...




ستهدده بالانفصال عنه إن لم يستجب!

لكن لتخفف عنه ألمه هذه المرة...هذه المرة فقط !

_واقفة ليه ؟! اركبي أوصللك.

انتزعها بها يامن من شرودها لترد بسرعة مرتبكة :

_لا لا...أنا هاخد تاكسي ...طريقي مش طريقك.

عقد حاجبيه بتشكك وهو يشعر بخبرته عنها أنها تخفي شيئاً عنه ...

لكنه ما كاد يفتح شفتيه ليعاود سؤالها حتى بادرته بسلام قصير لتغادره قافزة نحو أقرب سيارة أجرة وجدتها ...

========





_تتجوزيني!!

هل يعرض عليها الزواج حقيقة هذه المرة ؟!!

ياالله!!

حقاً...إلا الحماقة أعيت من يداويها!!

البائس يرى في عرضه الزواج عليها حلاً !!!

لنرَ كيف تكون ردة فعلها إذن !

ابتسامة مريرة ترتسم على شفتيها الشاحبتين

وأناملها تتشبث بطرف الغطاء فوقها بحركة لا إرادية...

جفناها ينسدلان بما يظنه هو حرجاً وتدرك هي أنه...خوف...





هروب!

ملامحها ترسم لوحة واضحة للرفض لكنه يدافع بقوله:

_علاقتي بهانيا خلاص انتهت ...انت عارفة صاحبتك أكتر مني وعارفة إننا مستحيل نرجع لبعض ...أنا مش بعرض عليكِ الجواز عشان أعند معاها ...لكن ده الحل الوحيد اللي ينقذ سمعتك بعد اللي حصل ...

تفتح عينيها من جديد بنظرات جليدية لم يفهمها ...

فيزفر بقوة وهو يشيح بوجهه مردفاً بانفعال:

_عموماً كل الكلام ده سابق لأوانه...قومي بالسلامة وبعدين نشوف هنعمل إيه...أنا مش




هاتخللى عنك بعد كده ومش لاقي صورة تخلي تصرفي ده مقبول إلا الجواز .

ابتسامتها العلقمية تتسع مشبعة بسخريتها ...

لم تشعر يوماً أنها ضعيفة كهذه اللحظة !

ليس فقط بدنها الذي تعجز عن رفعه ...

بل روحها المثقلة ...

المثقلة بحزنها ...يأسها ...خوفها ...خزيها ...و خسارتها!

ماذا عساها تقول له ؟!

تشكره على عرضه السخي الذي يزعم أنه سينقذ سمعتها؟!





أم تلعن تهوره الذي أوردهما هذا المصير؟!

آه!

حتى هذا الرد تعجز عنه !

سفنها احترقت جميعها فهل ترضى ب"جِذعه" الضعيف العائم ...

أم تستسلم تماماً للغرق؟!

_ما تخافيش يا غادة...أي قرار هتاخديه أنا معاكِ..لو يرضيكِ أروح وأقول لهانيا على الحقيقة معنديش مانع...بس انتِ عارفة قبلي إنها مش هتصدق ...هي اختارت تشوف اللي عايزة تشوفه وبس !




قالها بيأس محترق وهو يشعر أنه يتخبط بين جدران لا مرئية...

خطأ...خطأ...

كل ما يفعله خطأ!

لكنه لا يدري كيف يوقف هذه الدائرة ؟!

ربما ...ربما زواجه من غادة هو الحل!

من يدري؟!

بداية جديدة...تكفير ذنب...و....

استبدال امرأة بنقيضتها!

ما الذي قد يحتاجه أكثر؟!!

شعر برأسه يكاد ينفجر من فرط التفكير خاصة مع صمتها المطبق أمامه ...





فزفر زفرة يائسة ليقوم من مكانه قائلاً :

_هاخرج أشرب فنجان قهوة وأرجع لك على طول.

نظراتها الجليدية لا تزال تلقي سهامها نحو ظهره المنصرف...

نظرات كانت يوماً تحمل ذعرها ...ضعفها ...قلة حيلتها ...وشعور بالذنب لا تدري مبعثه لكنه كان يجتاحها بقوة...

والآن يتوارى كل هذا خلف فراغ رهيب...

فراغ يتسع حتى ليبتلع روحها كاملة !

نظراتها لاحقته بجمود حتى اختفى عن عينيها ...




رائحة "الفراولة" اللعينة تعاود غزو أنفها رغم يقينها أنها نابعة فقط من رأسها ...

من ضميرها المثقل !

هي حقاً خطيئة تسير على قدمين!

حتى زوج صديقتها يريد تأكيد هذا الآن ولو تخفى هذا خلف عرض زواج !

أمها كانت على حق...زوجها الوغد ...زميل دراستها...معلمها ...جارها ...

وأخيراً هانيا ...

كلهم على حق!

هي المذنبة...المدنسة التي تجتذب الخطايا كما يجتذب المغناطيس كسور الحديد!

هو طريقها الذي وجب عليها سيره ...





هل ظننت أنها ستحيد عنه ولو باستجداء الموت؟!

قدرها محسوم ...

قدرها؟!!

الكلمة تدوي في رأسها متزامنة مع اتساع عينيها

وهي تلتفت لا إرادياً نحو باب الغرفة...

تميز "الرجل" الذي أثارت رؤيته كل حواسها

لتوقظها فجأة...

يتقدم منها الآن بعينين تفيضان حديثاً...

وكأنما هو رسالتها أن للقدر أحياناً ...كلمة أخرى!

==========

صعدت رانيا الدرج بخطوات مترددة ودموعها

تغرق وجنتيها ...





جسدها يرتجف بقوة وهي تطالع الباب الذي وصفه لها بوجل ...

قلبها يكاد يتوقف من فرط جنون دقاته لكن "مشهده الأخير" لا يفارق مقلتيها ...

صواب؟!

خطأ؟!

ماذا تفعل ها هنا؟!

شهقت بعنف عندما انفتح الباب ليبدو منه وجه رجل رمقها بنظرة مخيفة ظافرة تفحصتها من رأسها لأخمص قدميها ...

نظرة قميئة نافستها ابتسامته السمجة مع عبارته:

_أي خدمة؟!





شفتاها بالكاد تتحركان في تمتمة واهية وعاها الرجل فاتسعت ابتسامته الماكرة وهو يضع يده في جيبه ليستخرج ما أرادته قبل أن يمد به كفه نحوها ...

لكنها ما كادت تتناوله حتى قبض على كفيها بقوة خانقة جعلتها ترتجف رعباً مع همسها:

_الفلوس معايا في الشنطة.

_مش عايزين فلوس...عايزينك انتِ!!

غمغم بها بابتسامة شيطانية لتنفلت منها صرخة عالية قبل أن يكتم صراخها بكفه بينما يجذبها معه للداخل ...

الهواء يختفي فجأة من صدرها وهي تشعر بالذعر يكاد يفقدها وعيها ...





الحقير يجذب حجابها لينتزعه عنها بقسوة خدشت رقبتها ...

قبل أن يلصق ظهرها بالجدار محاولاً نزع ثوبها ...

ضرباتها الواهنة له لم تزده سوى رغبة فيها ليصدر زمجرة مخيفة قبل أن يدفعها ليسقطها أرضاً ...

تأوهت بقوة وهي تزحف محاولة إدراك الباب لكنه جثم فوقها ليصفعها صفعة قوية أفقدتها وعيها جزئياً...

صوت طرقات عنيفة على الباب يعيد إليها بعض إدراكها ...

قبل أن يصلها صوت يامن من الخارج يصرخ بغضب ...





تنهيدة ارتياح كانت آخر ما وعته قبل أن تسمع صوت سارينة الشرطة الذي جعل الرجل يبتعد عنها بذعر ليقفز من النافذة...

باب الشقة يقتحمه يامن بعنف ليقترب منها بجزع وهو ينظر إليها نظرة مرتعبة...

قبل أن تشعر بشيئ غريب يحدث جعلها تنتبه لبقعة الدم التي تتسع تحتها رويداً رويداً...

=========

_إزيك يا بنتي؟!

سألها الرجل وهو يتقدم نحوها بظهره المنحني على عصاه التي تعلم أنه لم يعد يستغني عنها ...

نظراتها معلقة بعينيه -شبيهتي عيني أحمد الحبيبتين -...





قلبها ينتفض بين ضلوعها بقوة ورؤية الرجل تعيد إليها قبساً من ذكرياتها العامرة معه ...

كم تحتاج هذا الآن !

تحتاجه بشدة !

_اعذريني إن كنت قصرت معاكِ في السؤال الفترة اللي فاتت ...انتِ عارفة إن صحتي ...

انقطعت عبارته بسعال قوي أكد ما يريد قوله ...

فرمقته بنظرة مشفقة وهي تقول بصوت أرجفه انفعاله:

_ولا يهمك يا عمو ...ربنا يديك الصحة .





كانت تعلم أن الرجل معتل الصحة لا يكاد يغادر بيته إلا للضرورة القصوى ...

خاصة بعد وفاة ابنه الوحيد الذي دك ما بقي له من عزم !

لقد كانت تهاتفه لتطمئن عليه من آن لآخر لكنها انشغلت عن هذا مؤخراً خاصة بعد عملها ...

لهذا شعرت بالكثير من الخجل مع قول الرجل :

_أنا كنت جايب لك أمانة...رحت البيت والبواب قاللي على اللي حصل .

عادت الدماء لوجنتيها والانفعال يعصف بها من جديد ...

ما الذي عرفه الرجل عنها ؟!

ما الذي قالوه له بالضبط ؟!

هل نالتها اشاعاتهم أمامه ؟!




هل سيظلمها هو الآخر؟!

هنا انخرطت في بكاء حارق وهي تخفي وجهها بين كفيها ...

خيول ظلمهم ستطأ أرض أحمد !

والده كذلك سيظن بها الظنون!

_ليه عملتِ كده يا بنتي؟! العمر ده أمانة ربنا إداهالنا وهو بس سبحانه وتعالى اللي يحدد امتى يسحبها مننا ...

قالها الرجل بنبرة حنون تشبه كثيراً نبرة ابنه ...





ليقوم بصعوبة من على كرسيه ليجلس جوارها على طرف الفراش ...

أنامله التي حفر عليها الزمن تجاعيده تربت على كتفها بينما يردف :

_مهما افتكرتِ إن همك كبير ربنا رحمته أكبر ...استغفري يا بنتي ...العمر كله لسه قدامك.

_مش عايزاه !

تمتمت بها بين فيض دموعها ولازالت تخفي وجهها بين كفيها كأنها عاجزة عن مواجهته -بما تظنه - عارها ...

ليتنهد الرجل بحرارة قائلاً:

_لو كل واحد ظهره اتحنى من حمله قرر زيك يرميه ويقابل ربه كافر بنعمته ورافض




لنصيبه ...مكنتيش لقيتِ حد عايش في الدنيا

دي !ربنا كتب لك النجاة بمعجزة...كان ممكن جوز

صاحبتك مايجيش...كان ممكن يتأخر وما

يلحقكيش...وكان ممكن هم هنا في المستشفى

مايقدروش ينقذوكِ..لكن ربنا سبحانه وتعالى أراد

يسبب لك الأسباب عشان يكتب لك حياة

جديدة...عارفة ليه ؟!

كلماته الهادئة رغم بساطتها تصيب مواقعها في

قلبها المتعطش لأي بارقة أمل ...

فتجد نفسها رغماً عنها ترفع كفيها عن وجهها

لتناظره بعينين صارختين...

_ليه ؟!





هنا تفاجئها ابتسامته الراضية وهو يعاود تربيته الحنون على كتفها بقوله:

_ده السؤال اللي هتجاوبيه انتِ الأيام الجاية...شوفي ممكن تعملي إيه تستاهلي عليه حياة تانية...شوفي إيه اللي كنتِ عايزاه يختفي واعتبريه مات الليلة إياها ...واللي عايزاه يعيش هو بس اللي هيتكتب له عمر جديد !

عيناها تتسعان بقوة وهي ترمقه بنظرة غريبة ...

كلماته تفتح لها باباً كانت طوال الوقت غافلة عن مفتاحه !

لماذا تصف نفسها بالضعف طوال الوقت ؟!

لماذا استسهلت قرار الموت بينما تستصعب قرار الحياة ؟!





لماذا عندما قررت اتخاذ خطوة في

حياتها ...اختارت الطريق الخطأ؟!

حياتها لا تزال بين كفيها ...فلتقرر بها ما شاءت !

_حمداً لله على سلامتك يا بنتي.

قالها الرجل وكأنما قرأ بعينيه الخبيرتين ما وشت

به ملامحها ...

لتجد نفسها تسأله دون تحفظ :

_البواب قاللك إيه ؟! الناس بتقول عني إيه ؟!

أطرق الرجل برأسه قليلاً يتخير كلماته ...

ثم رفع إليها عينيه بقوله بنبرة ذات مغزى:





_الناس عمرها ما هتبطل تتكلم على الفاضية والمليانة...لو سلمنا لهم وداننا ...مش هنعيش حياتنا احنا...هنعيش الحياة اللي هم عايزين يرسموهالنا.

عيناها تفيضان من جديد وهي تعود قسراً لموقف الدفاع لتصرخ باكية:

_والله العظيم ما عملت حاجة غلط...عمري...عمري ما عملت حاجة غلط .

صراخها هذا كانت ما تحتاجه حقاً لتعبر هذا الحاجز!

لم تكن تصرخ بها في وجهه هو ...

كانت تصرخ بها في وجه أمها ...





زوجها ...

زميل دراستها...

جارها ...

كانت تصرخ بها في وجه هانيا ...

في وجه رامز ...

بل في وجهها هي نفسها!!

أجل!

هي أول من تحتاج لمنح نفسها صك براءتها !

هي أول من تستحق الاعتذار منه ...

هي تحتاج لأن تصدق أنها لم تكن طرفاً في معادلة قبحهم !

ذنبها الوحيد كان استسلامها...





هذا الذي ستتوب عنه ما بقي لها من عمر!

_عارف يا بنتي ...وعمري ما شكيت في كده لحظة واحدة.

قالها الرجل بصوت واثق رغم وهنه ...

فلم تشعر بنفسها وهي تلقي رأسها على كتفه تخفي فيه ما بقي من دموعها ...

جسدها كله كان يرتجف انفعالاً وكأنما قطعت شوط عدو طويل ...

وهاهنا المستقر!

هاهنا البداية !





ابتسامة الرجل الحانية تطوقها وهو يربت على ظهرها برفق ...

فترفع عينيها نحوه بابتسامة مشابهة أنبأته بنجاح مغزى زيارته !

_هاسيبك تستريحي دلوقت..اعذريني لو ما قدرتش أزورك تاني...انتِ عارفة حركتي بقت صعبة.

قالها وهو يقف مكانه بكثير من العسر فرفعت وجهها إليه بإشفاق قائلة:

_هازورك أنا بإذن الله ...أول ما أبقى كويسة .

ابتسامته تتسع وهو يهز رأسه برضا لتسأله هي وقد تذكرت:





_حضرتك قلت كنت رايح لي الشقة عشان جايب لي أمانة...كانت إيه ؟!

_يوووه...كنت هانسى...

قالها وهو يفتش في جيبه ليستخرج منه مظروفاً ورقياً ناوله لها مردفاً:

_الست وهي بتنضف أوضة أحمد الله يرحمه لقت فيها ده ...أفتكر إنه جواب قديم من اللي كان بيبعتهم لك قبل الجواز ...معرفش ليه ما بعتوش زي اللي قبله ...خديه اقريه !

شهقت بلهفة وأنامله تتخطفه منه كأنما ردت إليه روحها ...

حتى أنها لم تدرِ بعدها كيف انصرف الرجل ...




ولا كيف فتحته لتعدو عيناها بين السطور ...

رسالة من أحمد ...الآن...

الآن !!!

وهي في أمس الحاجة لدعمه الذي ما تركها يوماً !!

تاريخ الرسالة يعود لعامين قد مضيا ...

هي تذكر التاريخ هذا جيداً...

كانت إحدى مشاجراتهما النادرة عندما رفض اصطحابها للسينما أول أيام العيد لكنها أصرت بدلال قابله هو بالموافقة...




ليلتها تحرش بها أحدهم لفظياً بينما تنتظره أمام السينما لينتهي الأمر بعراك خرج منه الرجل بعدة لكمات في وجهه ...

وخرج منه أحمد بكفٍ دامٍ....وخرجت هي منه بعبارته الغاضبة :

_عشان ما بتسمعيش الكلام..قلت لك ما تقفيش لوحدك كده بره السينما..عايزة تتعاكسي؟!

ولأن عبارته سكبت الملح على الجرح القديم فقد غضبت منه حقاً تلك الليلة ...

لتفاجأ به صبيحة اليوم التالي يطلب مقابلتها ليعتذر منها !





_كتبت لك جواب بس مارضتش أصالحك كده زي كل مرة .

كانت خطاباته الناعمة هي طريقته شديدة الرومنسية في مصالحتها ...

لكنه هذه المرة لم يقتنع بخطاب بل تعمد لقاءها بنفسه ليعتذر منها ويصالحها حتى أرضاها ...

يبدو أن هذا هو الخطاب الذي لم يعطِه لها وقتها...

"أول مرة تزعلي مني قوي كده النهارده...معاكِ حق...أنا زودتها...بس أكيد ماقصدتش اللي قلته...أنا عارف أخلاقك كويس...وعارف إنك قادرة توقفي أي حد عند حده ...أنا مش بخاف عليكِ




عشان ضعيفة ولا قليلة الحيلة..أنا بخاف عليكِ

عشان احنا بقينا في دنيا وحشة قوي...خصوصاً

للناس النضيفة زيك...انتِ كنزي يا غادة...والكنز

بنخبيه ونحافظ عليه من عيون الناس ...بس بنبقى

عارفين قيمته...عارفين إن الدهب بيفضل دهب ".

كانت تبكي بهستيرية عند آخر كلمة قرأتها وكأنما

تستحضرها بصوته ...

وكأنما هي رسالته من العالم الآخر لها الآن !

هو لايزال سندها ...عونها ...حتى بعد موته !

عند الخاطر الأخير عادت ظنونها تتراجع ...

ربما ليست رسالته هو ...

ربما هي رسالة السماء !





قدرها الذي اختار لها أن تتلقى رسالة كتبها هو منذ شهور بعيدة ...

في هذه اللحظة بالذات ...

لتكون مرشدها في ساعة حاسمة كهذه !

_مالك يا غادة ؟! منهارة كده ليه ؟! والد أحمد كان عايز إيه ؟!

هتف بها رامز وهو يدخل عليها غرفتها ليشهد انهيارها الباكي ...

انهيارها الذي لم يدم بعدها طويلاً وهي ترفع إليه عينيها لتمسح دموعها بأنامل مرتجفة ...





فيكاد يقسم أنها تبدلت لامرأة أخرى بتلك النظرة القوية التي اكتسحت عينيها بعزم ...

مع سؤالها الذي لم يتوقعه بهذه الحدة :

_انت فعلاً عايز تتجوزني؟!

==========

_كانت حامل؟! وراح خلاص؟!

هتفت بها ياسمين بهلع وهي تستمع من يامن للتفاصيل في المشفى خارج غرفة رانيا المغلقة...

ليجيبها بانفعال بينما يتحرك بتشتت ثائر كأسد حبيس:

_الحمدلله كان ممكن يحصل أسوأ من كده..أنا مش عارف كان ممكن إيه اللي يحصل لو ما كنتش شكيت في تصرفاتها ومشيت وراها بالعربية..لحد





دلوقت مش قادر أتلم على أعصابي...الحيوان هرب قبل ما اقدر أدخل الشقة وأفش فيه غلي.

كتمت آهة شفتيها بكفها وهي تربت على كتفه بالآخر مدركةً عظم الموقف الذي مر به كلاهما ...

رانيا الهشة التي لم تتحرك يوماً خطوة واحدة من تلقاء نفسها...اليوم فعلتها لكن في الاتجاه الخطأ!

من يصدق أنها تجرأت لتذهب لمكان لهذا لوحدها ...

هكذا بمنتهى السذاجة...بمنتهى الحماقة ؟!

ترجمت خاطرها الأخير لكلمات مسموعة ليهتف يامن بحدة ساخطة:




_الهانم كانت فاكرة إنها كده بتساعده...مش عارف مين فيهم أغبى من التاني.

هزت رأسها بتفهم لتعاود التربيت على كتفه مهدئة قبل أن تقول بصوت متماسك:

_اهدا بس عشان نعرف نتصرف في المصيبة دي...أشرف عرف؟!

_معاها جوه ...بس قسماً بالله لتكون آخر مرة يشوفها فيها....هاخلليه يطلقها .

قالها بنبرة قاسية جعلتها تشهق بعنف لتهتف به باستنكار:

_انت بتقول إيه يا يامن ؟! هو خلاص الطلاق عندك بقا بالساهل كده ؟!




_ساهل؟! البنت كانت هتضيع في شربة مية...هاستنى إيه تاني؟!

لازال انفعاله يجتاحه وهو يسترجع ذكرى الساعات القليلة الماضية ليستطرد بنفس الثورة:

_كتلة غباء! الأول يعمل فيها بطل ويروح يدور ورا العصابة لوحده ...وبعدين يضحكوا عليه ويجروا رجله لحد ما يدمن...فيه حد الزمن ده يآمن ياخد قرص اسبرين حتى من غير ما يشوف مصدره وجاي منين ؟!

_ده مش غباء...دي حسن نية ...مش كل الناس شكاكة زيك.





قالتها بنبرة شبه عاتبة رغم هدوئها ليجيبها بنفس النبرة الحادة :

_عشان تعرفي إني صح...حسن نيته ده ضيعه وكان هيضيع رانيا معاه ..مستحيل آمن عليها معاه تاني.

_انت عارف انت بتتكلم عن إيه ؟!

سألته وهي تمسك كتفيه بقوة وعيناها تحدقان في عينيه بنظرة مستنكرة لتردف بحرارة مخلصة:

_أشرف ده مش مجرد زوج ...أشرف ده حب عمرها اللي فتحت عينها عليه...ده اتبرع لها بجزء من جسمه ...مين بيعمل كده اليومين دول ؟!

أشاح بوجهه دون رد وهو يكز على أسنانه لتردف هي بنفس الدفاع الحار:





_فيه ناس مهما عملت رصيدها يشفع لها ..لو هي مش هتقف جنبه دلوقت يبقى إيه لازمته الحب اللي بينهم ؟! لو كل واحد هيتخلى عن حبيبه في محنته يبقى مين هيقف جنبنا؟!

لكنه يعود إليها ببصره ليردف بعدم اقتناع:

_اللي بيمشي في السكة دي مابيرجعش...وأنا مبدئي ثابت...لو شكيت ما تكملش...

ثم لوح بسبابته في وجهها مردفاً:

_بعد اللي حصل ده عمري ما هارجعها له ...على جثتي.

هزت رأسها بيأس من مجادلته وهي تشعر بالخوف منه يعاودها ...





سلطان شكوكه يهزم منطقه مهما كانت قيمة الشخص لديه !

"لو شكيت ما تكملش" !

هكذا دون أي اعتبار

لماضٍ...لذكريات...لمواقف...لعمر ؟!!

"لو شكيت ما تكملش"

بها جعل هانيا تخسر رامز ...

بها خسر مروان صديق عمره...

بها يريد الآن أن يفرق بين رانيا وأشرف...

ومن يدري ...ما الذي سيدمره مبدأه هذا في حياته ؟!

تراها هي الضحية القادمة؟!





_فين رانيا يا يامن؟!

انتزعتها بها نبيلة - التي وصلت لتوها مع هانيا وداليا- من شرودها لتلتفت نحوها بينما اندفع يامن نحوهن هاتفاً بنفس الثورة الحانقة :

_انتِ عملتِ اللي في دماغك وجيتِ برضه ؟! مش قلت لك بلاش تيجي هنا عشان الفضايح...الف عين دلوقت هتيجي تصور النجمة وتشوف الحكاية ...هو احنا ناقصين ؟!

ربتت هانيا على كتفه مهدئة بينما رمقته نبيلة بنظرة طويلة...

حملت عتابها ...قلقها...استنكارها...وكبرياءها الذي كان الآن ملطخاً بالكثير من الخزي وهي تدرك أنه على حق...




بينما حاولت ياسمين تدارك الموقف بقولها:

_يامن أرجوك وطي صوتك...احنا في مستشفى...رانيا بس تقوم بالسلامة وبعدها هنشوف هنعمل إيه .

لكنه يلتفت نحوها ليهتف بحسم لايقبل الجدل:

_هو احنا لسه هنشوف؟! الموضوع انتهى...هيطلقها!

===========

_ياربي....أنا عملت إيه ؟! عملت إيه ؟!

يتمتم بها بحسرة ملتاعة وهو يعتصر كفها بين راحتيه مراقباً ملامحها الشاحبة الغارقة في دموعها ...

حبيبة عمره كادت تتعرض لاغتصاب ؟!

فقدت طفلاً طالما حلما به معاً ؟!





هل هذه الحماية التي تعهدها بها ؟!

هل هذا هو الأمان الذي وعدها به ؟!!

_سامحيني يا حبيبتي...سامحيني.

همس بها برجاء وهو ينكب على جبينها يقبله ليتبعها ببقية قبلاته على نلامحها الملطخة بدموعها ..

كيف فعلها؟!

كيف أعطاها العنوان ؟!

هو لايذكر أنه قد فعلها!

آخر ما يعيه هو دخول شقيقته عليه لتجده ملقى على الأرض....





بعدها أفاق ليجد نفسه أمام طبيب ما يسأله بعض الأسئلة التي أجابها بتشوش...

لكنه ما إن علم بما حدث لزوجته حتى ترك كل شيئ ليهرع إلى هنا!

بينما كانت هي غارقة في بكائها ولازالت الصدمة مسيطرة عليها ...

لقد كانت تخفي عليه خبر حملها لتجعلها مفاجأتها له !

ورقتها الرابحة التي كانت تظن أنها ستدفعه للعلاج الذي يرفضه...

والآن...ضاع كل شيئ!

أي عالم أسود هذا انجرف إليه ليغرق فيه ويغرقها معه ؟!




كيف عرفهم ؟!

أين أشرف القوي الحنون المسئول من هذا الضعيف المنهار أمامها؟!

لقد خسرت طفلها بسببه...

وكادت تخسر ما هو أكثر!

يالله !!

كلما تتذكر بشاعة الانتهاك الذي تعرضت له يجتاحها شعور بالغثيان !

_سيبني دلوقت يا أشرف..مش قادرة أكلمك...مش قادرة حتى أبص لك.





همست بها بصعوبة وسط فيض دموعها ليتراجع عنها مصدوماً وهو يسمع منها هذه الكلمات لأول مرة ...

لأول مرة في تاريخ علاقتهما الذي يقارب عمريهما معاً يشعر بها تتباعد عنه هكذا ...

_انتِ بتقولي لي أبعد يا رانيا ؟! أنا ؟! أنا أشرف؟!

يتمتم بها بذهول وعيناه المشتتان ترويان حكاية ضياع...

لتجيبه بنفس النبرة المخذولة...والخاذلة ...:

_لا انت عدت أشرف ولا أنا عدت رانيا...ماعدتش قادرة أحس بالأمان معاك...ابعد ولاقي نفسك...يمكن لو لقيتها تلاقيني.





_قصدك إيه ؟!

يسألها مذعوراً والجواب في عينيها أوضح من أن يُجهَل...

فيجد نفسه ينكب عليها من جديد ...

يحتويها بين ذراعيه ليهمس في أذنها بحرارة لوعته :

_ولما أبعد مين هيداوي جرحي غيرك؟! ومين هيداوي جرحك غيري؟! هو احنا لينا غير بعض؟!

دموعها لاتزال إجابتها الوحيدة وسط هذا الحزن الذي يعتصر قلبها...

ضعفها ليس غريباً عليها ...

لكن ضعفه هو ...هو الغريب!





_أنا محتاجك جنبي...انت الحاجة الوحيدة اللي ممكن ترجعني أقف على رجلي تاني .

يهمس بها بوهن أرهق رجولته ...

هو الذي ضج من فرط تظاهره بالقوة !

_ياما قلت لك صارحني...قل لي مالك...انت اللي كنت بتبعدني .

تهمس بها بعتاب وكأنه ينقصه الجلد !

ليبتعد عنها هاتفاً بحرقة :

_ماسمهاش ببعدك...اسمها بحميكِ...كنت خايف عليكِ...كنت عارف إنك أضعف من إنك تشيلي معايا ...





ثم لوح بسبابته المرتعشة في وجهها ليردف بنكهة اتهام :

_وانتّ كمان استحليتِ الدور ده ...كنتِ بتقفي ساكتة تتفرجي...زي ما تكوني بتسألي بس تقضية واجب...كنتِ خايفة تتصدمي وراضية بإني شايل الحمل عنك .

ورغم يقينها بصحة ما يقول لكن صدمتها بما حدث لها جعلتها تهتف مدافعة:

_خلاص بقيت أنا الغلطانة ؟! أنا اللي خليتك تجري ورا دور أكبر منك ؟! أنا اللي خليتك تتورط مع ناس ما بترحمش ؟! أنا اللي خليتك تدمن الزفت ده لحد ما كنت هاضيع معاك ؟!





عيناه تلتمعان ببريق حقيقي من دموع وهو يرتد برأسه للخلف يراقبها بنفس الدهشة الممتزجة بالألم...

كان يعلم أن مواجهةً كهذه آتية لا ريب ...

لكنه لم يتصور أن تكون على قلبه بهذه القسوة وهو يرى حبيبة عمره التي طالما انصهرت معه في كيان واحد تطلب الآن أن تنفصل عنه ...

والأقسى أنه لا يمكنه لومها بعد ما حدث !

_هتعالج يا رانيا...هارجع زي الأول...بس محتاجك جنبي.

قالها بنبرة وهن غريبة على رجل اعتاد أن يكون هو دعم كل من حوله...





قالها واضعاً كفه على صدرٍ -طالما احتواها بحنانه-

..

قالها كما يشعر بها في قلبه ...

ملتهبة..حارة...موجعة...

تحترق بألمهما معاً !

لكن النظرة في عينيها منحته الجواب ...

على مفترق الطريق هاهنا...تنفصل خطواتنا...

من يدري...لعل بعدها يكون لنا ثانيةً لقاء!

===========

وقفت تراقب جلسته على الأريكة وقد أخفى وجهه بين كفيه ...

جزء بداخلها يلومه على ما وصلت إليه الأمور ...





لكن "أمومتها" الخفية له تجعلها تعذره...

سلطان "شكوكه" أقوى من أن يقاومه ...

هذا السلطان الذي تهاوى أمامه كل شيئ حتى صداقة العمر !

المؤسف هنا أنه لم يفسد حياته فحسب ...

بل أفسد حياة بنات خالته كذلك !

طباعه "الوسواسية" تجعله يميل دوماً للاستقرار على رمال "اليقين" ...

لكن كيف نعبر البحر نحو مرادنا إذا ظلت أقدامنا متشبثة بالشاطئ...

قليل من المخاطرة بصراع الموج هو ما يعطي الرحلة معنى!





تقدمت منه بخطوات متمهلة ليصله رحيق ياسمينها المميز ...

فيرفع وجهه المتعَب نحوها بنظرة تجيد خطف قلبها ...

ودون كلمات أخذت مكانها على ساقيه لتمنحه مكانه على صدرها بينما تطوق جسده بذراعيها بقوة حانية...

آهته رغم خفوتها تقرع قلبها بقوة شعورها بألمه ...

بصراعه بين معتقدات عقله وبين شعور قلبه...

تقبل جبينه بعمق ...تداعب خصلات شعره بحنان صامت...

فيهمس لها دون أن يغير جلسته :





_طبعاً شايفاني غلطان ؟! هانيا ورانيا اتطلقوا بسببي...داليا كانت هتضيع ...خسرت صاحب عمري...حتى أمي رغم إحساسي بندمها مش قادر أقرب منها.

لكنها تشدد ضغط ذراعيها حوله لتهمس له مؤازرة:

_كل حاجة في الدنيا لها وشين ...الفكرة احنا بنبص لها من أي وش...انت شايف نفسك ضيعت بنات خالتك ...وانا شايفاك من ناحية تانية بتحتويهم كأنهم بناتك...واحد غيرك كان قال وأنا مالي ...لكن انت مشكلتك بالعكس ...انك حاطط نفسك مكانهم في نفس المشكلة ...وبتتصرف من هذا الأساس...

ثم تنهدت بحرارة لتردف:





_اللي أنا مش قادرة أستوعبه ...مروان...ده صاحب عمرك !

هنا يرفع إليها رأسه فجأة ليهتف بانفعال:

_عشان كده ما توقعتش ده منه...حتى لو ما صدقتش المجنونة داليا..حتى لو قلت هو مش ممكن يتجرأ عليها ...لكن يطلع بيكلمها من ورايا ...أنا اللي كنت قدامه كتاب مفتوح...عمري ما خبيت عنه حاجة...أنا اللي مابثقش في حد وثقت فيه هو ...يقوم يخبي عني كل ده ؟!

_مش يمكن خاف منك؟! خاف من طبعك الشكاك ؟! خاف يخسرك لو قاللك؟!





قالتها بنبرة مرتجفة وهي تتحدث بلسان نفسها لكنه لم ينتبه لهذا وسط انفعاله الجارف ليهتف بها :

_أثق فيه تاني إزاي؟! أعرف منين إنه مش مخبي حاجة تانية ؟! آمن له تاني إزاي ؟!إزاي؟!

دمعت عيناها رغماً عنها وهي تتخيل نفسها في نفس الموقف لتهمس به :

_دي أكتر حاجة بتخوفني منك..للدرجة دي يا يامن مالكش عزيز؟!

زفر زفرة حارة وهو يضمها إليه بقوة ...

قبلاته العاصفة تفضح شعوراً يأبى أن ينطقه لسانه ...

عناقه الذي ازداد اشتعاله يبرهن على تشبثه بها ...





حتى قبل أن يصلها همسه :

_انتِ حاجة تانية ...دايماً بفكر فيكي من ناحية تانية...غير كل العالم.

همسه كان شديد الخفوت حتى أنها شكت أنه قد قالها حقاً ...

لكن من يهتم؟!

كفاها شعورها ببركان عاطفته وحممه الآن تجتاحهما معاً...

كفاها يقينها أنها الآن أقرب أهل الأرض لقلبه...

صدى آهاته لا يسمع إلا في وادي عشقها ...هي فقط !

ليس فقط جسداهما المتلاصقان...بل قلباهما اللذان تتراقص نبضاتهما على نفس الإيقاع ...





يامن لن يخذلها !

حبه لها سيهزم وساوسه مهما عظم سلطانها !

"لو شكيت ما تكملش"...

هذا المبدأ البغيض لن تنالها سهامه مادام يعشقها

إلى هذا الحد !

هذا ما كانت تقنع به نفسها وهي تجذبه إليها بقوة

عاطفتها لتتلقى عطايا عشقه بنفس القوة ...

ليت الزمان يقف هاهنا...

ليت الحب وحده يكفي ل"ترقيع" ما مزقته عيوبنا!

==========





على أرضية الشقة الخاوية على عروشها يجلس مسنداً ظهره للحائط...

أفكاره عاصفة...مهتزة...مرتبكة...

وكلام غادة الذي رمته به يوقظ المشاعل في جنبات روحه واحداً تلو الآخر...

_انت بجد عايز تتجوزني؟! عايز تصلح غلط بغلط ؟! عايز تعند مع هانيا واللا مع نفسك ؟! أقوللك أنا الإجابة ؟! انت مش عارف انت عايز إيه بالضبط !

تنهد بحرارة وهو يرفع أحد ركبتيه ليسند ذراعه عليها ...

هو حقاً لا يعلم ماذا يريد ...





وأي عبثٍ هذا الذي يتخبط بين جدرانه ؟!!

هل يريد هانيا ؟!

هي ...كما هي ...دون تغيير ؟!

بجفاء ظاهرها ...باهتمامها المغالي بدراستها وعملها ...بثورة كبريائها...بطبيعتها المنغلقة التي تحرمه حرية التعبير عن المشاعر ...؟!

لا ! لا يريد كل هذا!

عجباً ...ألا يرى فيها إلا العيوب؟!

لماذا لا يعيد السؤال بصياغة أخرى؟!

هل يريد هانيا ؟!

هي ...كما هي ...دون تغيير؟!




بذكائها ...بقوتها...باعتمادها على نفسها ...بطيبة قلبها ...برحيق أنوثتها الذي يستثير رجولته كما لم تفعل به امرأة من قبل ...؟!!

الإجابة صعبة...محيرة...

_لا يا رامز ...مش هاتجوزك عشان أصلح غلطة ما عملتهاش...مش هامشي حياتي بكلام الناس ...مش هاعض الإيد اللي اتمدت لي ...مش هاخون صاحبتي ولا هاخون أحمد ...أنا خلاص عرفت كويس أنا عايزة إيه.

كلمات غادة تعاود اقتحام أفكاره ...

تعيد ترتيب القطع في "بازل" قصتهما المعقدة...





غادة علمت ماذا تريد ...

فهل يأتي يوم ويعلم هو الآخر ماذا يريد ؟!

=========

_عاملالنا إيه النهارده ؟! نبيلة ورانيا بره هيموتوا م الجوع!

قالها وهو يدخل عليها المطبخ ليجدها قد أنهت إعداد الأطباق ...

احتضنها بين ذراعيه ذاك العناق القوي الذي يشفع لفراق اليوم كله ...

فرفعت عينيها إليه هامسة :

_وحشتني يا طيب...

ثم ابتسمت لتتلفت حولها مردفة :

_هانيا وداليا مارضوش ييجوا صح؟!





مط شفتيه باستياء مؤكداً توقعها لكنها ربتت على وجنته لتقول مدافعة :

_داليا أكيد زعلانة ومكسوفة منك ...كنت متوقعة إنـها ما تجيش ...

_وهانيا ...عذرها إيه ؟!

قالها بضيق وهو يتذكر كيف رفضت دعوته هذه على العشاء بكلمات جافة مبررة بكونـها لا تريد ترك داليا وحدها ...

_هانيا مش عايزة تواجه الناس ...بيتهيألها إن كل الوشوش هتبص لها باتهام أو بانتقاص...هي مش قوية زي ما انتم مصرين تحطوها في القالب ده ...هي بتكابر .

قالتها ببعض الأسف ليرد بانفعال:





_ناس مين اللي مش عايزة تواجههم ؟! ده أنا وانتِ؟!

_ما هي المشكلة يمكن في أنا ...مش عارفة ليه دايماً بحس إن هانيا وداليا بالذات مش بيستلطفوني .

قالتها بحرج ليقرص وجنتها مداعباً مع قوله :

_بلاش كلام فارغ...هي يمكن بس مسألة وقت على ما هم الاتنين يتخطوا اللي حصل ...هو برضه مكانش سهل .

هزت رأسها موافقة ثم أشارت نحو الرف العلوي قائلة :

_طب ياللا عشان ما نتأخرش عليهم...جيت في وقتك عشان تجيب لي مفارش السفرة من فوق.





نظر حيث تشير ثم عاد ببصره نحوها ليتراقص حاجباه مشاكساً مع همسه الماكر:

_لا...هتجيبيهم انتِ.

التمعت عيناها بهذه النظرة العابثة التي تجاري شقاوة حركاته وقد توقعت أن يحملها من خصرها بالطريقة التقليدية...

لهذا شهقت بعنف للمفاجأة عندما وجدته ينحني فجأة لتجد ساقيها يتدليان فوق كتفيه بينما يحملها هكذا كالأطفال...

فصرخت صرخة قصيرة وهي تترنح على كتفيه لتتمسك برأسه بقوة هاتفة بصوت خفيض:

_مش هتبطل جنانك ده ؟! الناس بره !

ضحك بمرح لمفاجأتها وهو يتحرك بها نحو الرف الذي تريده قائلاً :





_حلو المنظر من فوق يا "نخلة"؟!

_مفيش فايدة فيك !

قالتها ضاحكة وهي تتناول بغيتها لتردف :

_نزلني بقا خلاص!

_ببلاش كده ؟!

انحنت بوجهها نحو رأسه الذي رفعه نحوها لتلتقي الشفاه في حديث صاخب قبل أن تشعر به ينزلها أرضاً فيزداد صخبه أكثر ...

وفي مكانها خارج المطبخ توقفت رانيا بحرج عندما شاهدتهما لتغادر بسرعة قبل أن يلاحظا وجودها ...




عادت لبيللا لتجدها منشغلة بهاتفها فتنهدت بحرارة وهي تأخذ طريقها للحديقة التي كانت مظلمة في هذا التوقيت من الليل ...

مظلمة كحياتها ...دونه !

دمعت عيناها وهي تسترجع مشهد يامن وزوجته العاطفي الحار الذي رأته منذ قليل ...

والذي ذكرها بنعيم أيامها مع أشرف...

الحلم الذي عاشته بطول عمرها كله لتفيق منه على كابوس!

تحسست بطنها بحسرة وهي تتخيل ...

ماذا لو لم يكن قد تورط في قصة إدمانه هذه ؟!





ماذا لو لم تكن قد تهورت بذهابها هناك تلك الليلة

؟!

ساعتها كانت لتكون الآن معه...ينتظران

طفلهما...ينتقيان اسمه...يشتريان حاجاته...يتابعان

نموه يوماً بعد يوم...

ينام بين ذراعيها كل ليلة واضعاً رأسه جوار

خفقات صغيره في بطنها !

انهارت في البكاء أخيراً وهي تخفي وجهها بين

كفيها ...

كيف انتهيا هكذا ؟!

كيف انقلبت سفينتها الآمنة لتلقي بها في عرض

البحر؟!





كيف بهذه البساطة افترق جسداهما وهما اللذان انصهرت روحاهما كل هذا العمر؟!

تربيتة حنون على كتفها جعلتها ترفع عينيها لتجدها أمامها تهمس بحنان آسف:

_الأكل جاهز...واقفة هنا لوحدك ليه ؟!

مسحت رانيا دموعها لتقول لها بابتسامة مصطنعة:

_طب ياللا ندخل.

لكن ياسمين جذبتها بين ذراعيها لتعانقها بدفء صامتة للحظات ...

قبل أن تهمس لها :





_أنا حاسة بيكي قوي...مفيش كلام في الدنيا ممكن يوصف وجعك..لكن أنا مقتنعة إن ورا كل وجع درس بنتعلمه ....

ثم صمتت لحظة لتردف :

_لو كنت مكانك ما كنتش سبته لحد آخر لحظة في عمري...أكرم لي أموت وأنا بدافع عن حبي من إني أعيش بتحسر عليه .

الحرارة التي كانت تتحدث بها زادت لهيب الوجع في قلب رانيا التي همست لها بين دموعها :

_ما قدرتش...ماقدرتش أعيش مع واحد تاني غير اللي عرفته طول عمري...أشرف ما بقاش هو نفس الشخص اللي حبيته وحبني.





_بس حبه ليكي ما اتغيرش...امبارح كلم يامن وقالله إنه بدأ العلاج وهيستمر فيه عشان يرجع لك...ليه ما تكونيش جنبه الفترة دي؟! ليه تحرمي نفسك وتحرميه من إنكم تشاركوا بعض وجعكم زي ما اتشاركتم كل حاجة حلوة قبل كده ؟!

_عشان خايفة ...خايفة ما يكملش...خايفة ما يقدرش...خايفة يأذيني تاني...وخايفة أكره نفسي لما أحس إنه خلاني أكرهه.

قالتها رانيا بين شهقات دموعها لتضمها ياسمين أكثر هامسة بعتاب:

_وهتفضلي خايفة طول ما انتِ بعيد ...أنا عارفة إن كلهم حاطوكي في إطار البنت الضعيفة اللي بتغرق في شبر مية...انتِ بالذات بيعاملوكي زي





الطفل الصغير اللي لازم يقضوا له طلباته ويحددوا مصيره...الغريب إنك راضية ومبسوطة بالصورة دي...بس دي الحرب الوحيدة الليماينفعش حد يدخلها مكانك...انتِ اللي لازم تنصري قلبك مش أي حد تاني.

رمقتها رانيا بنظرة حائرة من عينين ضائعتين لم تختبرا من قبل معنى اتخاذ قرار ...

كلام ياسمين يبدو براقاً حماسياً لكن لأي أنثى أخرى سواها !

هي التي لا تجيد سوى لعب دور "الضحية"...!

وليس أسهل من نلقي أوزارنا ليحملها عنها غيرنا ...





زهيدٌ هو الحب -أحياناً- عندما نقايضه ب"راحة بال"!

===========

_ما تتأخرش ...عاملالك مفاجأة.

ابتسم ابتسامة عابثة وهو يقرأ رسالتها على هاتفه بينما هو في عيادته...

هذه الرسالة المرفقة بصورة لعلبة متوسطة الحجم مع عدد من الأكياس الصغيرة التي لا يعرف محتواها لكنه يمكنه تخمينه مع اختيارها لوضعها على الفراش جوار عدد من الشموع !

_علمناهم الشحاتة !





رد بها بسرعة وابتسامته تتحول لضحكة خافتة متوقعاً ردة فعلها التي جاءته في تلك الصورة "ايموشن" لوجه يغمز بعينيه مع رسالتها:

_سبقتاك ع البيبان يا "دوك"....عارفة إنك هتقعد على نار لحد ما تعرف الأكياس دي فيها إيه .

داعب ذقنه بأنامله وهو يشعر بالإثارة تجتاحه مع كلماتها ...

هل من الممكن أن يشعر يوماً بالملل مع امرأة كهذه ؟!

امرأة تمنحه كل أدوار النساء التي افتقدها في حياته ...

الأم...الطفلة...الصديقة...الزوجة...والحبيبة !





تنهد بحرارة عند الخاطر الأخير لينظر في ساعته...

حسناً...لم يبقَ إلا القليل لينظر ماذا أعدت له -الماكرة- من مفاجآت !

ضغط زراً في مكتبه كي تدخل مساعدته الحالة المنتظرة...

ثم جلس مكانه ملتقطاً أدواته المعقمة في وضع الاستعداد...

الاستعداد الذي لم يكن "لفظاً" مناسباً هاهنا والباب يُفتح ليتقدم منه الرجل ...

عيناه تشتعلان بغضب وهو يميز هويته !

لقد رآه مرة من قبل ...مرة واحدة كان يتشاجر فيها مع ياسمين في الشارع...





لكنه يشعر أنه رآه كثيراً ...

رآه في كل نظرة ذعر كانت تحتل عينيها عندما يمسها ...

رآه في كل آهة ألم كانت تنبعث منها عندما تتذكر ماضيها معه...

رآه في شعور بالخزي لم تعرفه امرأة مثلها إلا مع وغد مثله ...

ورآه في كل لحظة غيرة تقتله وهي بين ذراعيه وهو يتصور أنه سبقه إليها!!

أجل...رامي!!





جسده يتصلب للحظات ثم يشتعل برغبة عارمة في الانتقام ...

لم يشعر بنفسه وهو يقف مكانه ليجد نفسه فجأة أمام الرجل الذي كانت عيناه تنضحان بغيظ لا يقل عنه ...

ملامحه هو الآخر تصرخ بأنه لم يأتِ في خير ..

وإن رسمت شفتاه ابتسامة سمجة رافقت قوله :

_قصدت أجيلك هنا عشان ماتتهورش قبل ما تسمعني.

أنفاسه تتسارع بجنون وهو يضم قبضتيه جواره وكل ما فيه يناشده بضبط النفس ...

لكن أي ضبط نفس هاهنا؟!




وكأنما تحركت قبضته من تلقاء نفسها ليفيق على صوت تأوهه أمامه ...

قبل أن يندفع رامي ليدفع جسد يامن أمامه فيحاصره في زاوية الغرفة مكبلاً ذراعيه ...

يامن الذي انفجرت طاقاته كلها فجأة ليتحول الأمر لقتال قصير لم يدم سوى لبضع دقائق منتهياً برامي تحت قدميه يتأوه بقوة والدم يسيل من وجهه !

صوت طرقات الباب يجعله يفيق من فورة غضبه...

ليتوجه نحوه فيفتحه قائلاً لمساعدته ببرود قاسٍ:

_مشي كل الحالات وامشي انتِ كمان ...واقفلي باب العيادة وراكِ.





لم يكترث لنظرة الرعب التي رمقته المرأة بها وهي ترى جسد رامي المتكوم على الأرض قبل أن تشير برأسها في طاعة لتفعل ما أمرها به !

بينما أغلق هو الباب خلفه ليلتفت نحو رامي الذي وقف مترنحاً مكانه ليقول بينما يحاول كتم نزيف أنفه:

_هتندم على اللي عملته بس بعدين ...كفاية عليك تعرف اللي جيت عشانه النهارده.

كانت دقات قلبه تدوي في صدره بهدير قاسٍ وهو يود لو يعيد الكرة ...

لو يظل يضربه ويضربه بقدر ما آذاها...

بل لو يقتله نكالاً بما قتله من روحها!





لهذا عاد يتقدم نحوه وقد أنذرت ملامحه بعاقبة أقسى هذه المرة...

لولا أن رفع رامي هاتفه أمامه ليقول وسط أنفاسه اللاهثة:

_شوف ده الأول عشان تعرف هي تستاهل حمقتك دي واللا لأ.

=========

القطعة الثامنة عشرة

****

واقفة في حديقة البيت تنتظره بترقب ...

ترتدي إحدى مناماتها الطويلة التي كفت عن ارتدائها من زمن لكنها تعمدت هذا في مناورة - ماكرة- لما تنتويه !

ابتسامتها العابثة تزين شفتيها وهي تسترجع مفاجأتها "الشقية" له !

مفاجأة واحدة ؟!

لا...بل العديد من المفاجآت !

لماذا تأخر؟!

ساعة كاملة مرت على موعده المنتظر وهي لا تكاد تطيق صبراً !





صوت بوق سيارته يصدح أخيراً بالخارج فتتأهب حواسها جميعها ...

تعدو بخطوات رشيقة لتختبئ خلف الباب الخارجي الذي فتح ليطل هو منه قبل أن يغلقه خلفه بعنف لم تنتبه هي له...

_اخس عليك...وأنا اللي قلت هتطير عشان تعرف مفاجأتي.

هتفت بها بمرح وهي تتعلق بذراعيها في عنقه ...

لكنه حافظ على ذراعيه جواره مع تصلب جسده ليقول بنبرة باردة :

_أنا كمان عامللك مفاجأة.





_بجد ؟! قول انت الأول !

قالتها بدلال وهي تميل على وجنته لتقبله فتصطدم بابتعاده عنها بينما يغلق عينيه بقوة ...

انعقد حاجباها وهي تشعر بغرابته لتغمغم بحيرة:

_مالك يا يامن ؟! فيك حاجة متغيرة ؟!

_أكتر واحدة بتفهمني...صح؟!

نبرته الساخرة التي حملت الكثير من المرارة أقلقتها لتعاود اقترابها منه باسطة كفيها على صدره بينما تتفحص ملامحه في ضوء الحديقة الخافت ...

شفتاه ترتجفان كعهده عندما يخفي غضباً يكتمه...




أنفاسه غير منتظمة ...

عيناه ذابلتان شديدتا الاحمرار وكأنه

كان ...يبكي؟؟!!!

قلبها ينقبض لوعة بين ضلوعها وذراعاها

تتشبثان بخاصرته مع همسها القلق:

_فيه إيه ؟!

إطراقة رأسه ظلت جوابه الوحيد لدقيقة كاملة

ألجمها فيها توترها أن تعاود السؤال ...

قبل أن يرفع إليها عينيه العاصفتين بقوله :

_مش عايزة تتمرجحي ؟! من زمان ما عملناهاش!





برودة لكنته الساخرة تصدمها وهي تشعر بالغرابة ...

لتشهق بعنف وهي تراه يجذبها خلفه يكاد يعتصر كفها في قبضته ليسير بها نحو تلك الأرجوحة اليدوية التي صنعها لها بنفسه يوماً ...

كفاه اللذين كانا الآن ككلابتين من نار يطوقان خصرها ليرفعها فوقها أمام عينيها الذاهلتين ...

تشهق من جديد ببعض الخوف وهي تراه يدفع الإطار الذي يشكل قاعدة الأرجوحة بعنف جعلها تتشبث بالسلسلة المعدنية بقوة هاتفة :

_بالراحة يا يامن ...انت كده بتخوفني.

لكنه يبدو وكأنه لا يسمعها ...

شياطين غضبه تتراقص على ملامحه الشاردة بينما يهتف بنبرة حادة :





_مش عايزة تعرفي مفاجأتي!

صدرها يعلو ويهبط بانفعال وهي لا تفهم ما يجري هنا ...

ماذا الذي يحدث له ؟!

هي لم تره يوماً بهذه الحالة الغريبة ؟!

عيناها المصدومتان ترمقانه بنظرة وجلة فيوقف الأرجوحة فجأة ليقترب بوجهه من وجهها هامساً ببطء ساخر:

_مش أنا عرفت مين زين!

ملامحها التي شحبت فجأة كانت أبلغ اعتراف !

الدموع التي تكدست في عينيها ...





الانتفاضة التي عجز عن استعابتها جسدها ...

وهذه الزفرة الحارقة التي بدت وكأن روحها قد

غادرت معها !!

هل يحتاج بعد كل هذا لدليل؟!

كفه يرتفع بغضب نحو وجهها لكن صرختها تجعله

يوجهه نحو السلسلة المعدنية التي أدمته لكنه لم

يكن يشعر بألم ...

جسده يتأرجح بين فورة غضب تجعله يكاد

يغلي...وبين ألم موت يثير الخدر في أوصاله ...

منذ غادره ذلك الحقير وهو يجوب الشوارع محاولاً

استيعاب كل هذا الذي حكاه له !

وكأنه كان يحكي له عن "ياسمين" أخرى غير تلك

التي عشقها بكل جوارحه !!





_ست شاذة ...مش طبيعية ...مش هتصدق كانت بتطلب مني إيه ! صبرت عليها مرة واتنين لغاية ما عرفت أخلاقها القذرة.

_انت فاكر إني كنت أول راجل في حياتها ؟! الهانم كانت مقضياها ...والدليل اهه ...شفتها بعنيّه معاه !

_اسمه زين...كان شريكي...ده فيديو ليها وهي معاه في جنينة بيته...كانت حفلة حضرناها واكتشفت إنها مش موجودة...خرجت أدور عليها مالقيتهاش...تاني يوم لقيت الفيديو ده مبعوت لي ...واجهتها...ما أنكرتش...طلقتها ومع ذلك ما خلصتش من لسانها ...كانت مصدرة للناس وشها البريئ وبتتهمني باللي كانت هي نفسها بتطلبه وأنا برفضه ...شفت بجاحة أكتر من كده ؟!




_أنا جيت النهارده عشان عرفت إن البيه لسه بيجري وراها...وإن الهانم لقت ضحية جديدة تضحك عليها...دي صورة جديدة لهم سوا في مطعم السينابون بتاعها بعد ما رجع من السفر ...وأظن ده كان بعد جوازكم بفترة.

_انت ضربتني بس بكرة تشكرني لما تعرف الفخ اللي نجيتك منه...الفيديو والصورة مش متفبركين وممكن تتأكد بنفسك !

كان يلهث بقوة عند الخاطر الأخير وكأنه كان يعدو في سباق طويل!!

لا يصدق أنه سمح لرجل...أي رجل ...أن يقذف زوجته هو بهذه الأوصاف!!

لكن صدمته فيما رآه جعلته ينسلخ عن جلده !!





جعلته يشعر وكأنما هو فقط يراقب أحد كوابيسه مستسلماً حتى يصحو ككل صباحٍ ليجدها بين ذراعيه !!

صدمته التي يبدو أنه لم يفق منها إلا الآن وهو يستخرج هاتفه هو من جيبه ليقذفه في وجهها صارخاً بجنون:

_افتكريه معايا مادام كنتِ ناسياه !

ارتجف جسدها برعب وهي تفتح هاتفه لترى خطيئتها مجسدة أمامها !

الصور تتابع أمامها فلا تكاد تصدق نفسها ...

إذا كانت هي تعجز عن التعرف على نفسها بهذا الوضع...

تكاد تنكر ...لولا أنها تذكر...





لا...لا....لم يكن الأمر بهذه البشاعة...

أو لعله كان ...وهي التي تناست حتى نست!

ها هي ذي تسقط من قمة معبد عشقها الذي نصبته حجراً حجراً لتهوي نحو القاع!!

هل رآها يامن هكذا؟!

هل رآها يامن هكذا؟!

كل رصيد حبها سيساوي الآن صفراً أمامه!!

بينما كان هو يتفحص ملامحها بحرقة وهو يود الآن لو تنكر ...

لو تثور ...تعترض ...تدافع ...

لو لم تفعلها الآن...فسيقتلها!





سيعتصر عنقها هذا بين كفيه حتى يزهق أنفاسها واحداً واحداً ...

الرغبة الأخيرة جعلته يضغط بأسنانه على شفتيه حتى أدماهما ...

قبل أن يعطيها ظهره ليبتعد بضع خطوات محاولاً التقاط أنفاسه المختنقة...

أما هي فقد أفاقت من صدمتها لتنظر لظهره بجمود ...

لا يمكن أن ينتهي الأمر هاهنا ...

دون أن يسمع...دون أن يفهم...دون أن يعذر!!

كيف؟!





ما كان معنى ما بينهما إذن؟!!

لا ...مستحيل!!

حاولت الهبوط من على الأرجوحة التي كانت عالية نوعاً لكنها فقدت اتزانها لتجد نفسها تسقط على الأرض ...

يلتفت نحوها فيجدها تحت قدميه ولا يبالي أن يرفع لها يداً !!

الآن هي بالأسفل ...وهو بالأعلى ؟!!

هذا المشهد الذي استنفر كبرياءها لتنهض وحدها وتواجهه بعينين مشتعلتين ...

_جبته منين الفيديو ده ؟!





_من رامي!

_الحيوان اللي كنت بتضايق لما بجيب سيرته ؟!
دلوقت صدقته ؟!

كانت تتحدث وهي تدور حوله ...

نبرتها الجامدة بنكهة استنكارها لا توحي بجحيم
روحها بينما كان يبدو هو وكأنما ينفث براكين من
لهب ...!

_قولي إنه كداب ..قولي إن الصور مش
حقيقية...قولي إنك ما قابلتيش زين ده بعد
جوازنا ...الطاقم اللي انتِ لابساه في الصورة
الأخرانية أنا اللي شاريهولك .




صرخ بها بجنون وهو يعتصر زنديها بقوة آلمتها

لكن أي ألم كان يبدو هيناً أمام تمزق قلبها الذي

كان ينزف بصمت ...

_الفيديو والصور حقيقيين...أنا فعلاً قابلت زين بعد

جوازنا.

قالتها بنبرة ظاهرها تحدٍّ وباطنها...باطنها موت!

ذراعاه يتراخيان حولها وهو يشعر باعترافها يضع

النصل الأخير في عمق قلبه...

أن يسمع...أن يرى...أن يعي ...كل هذا لا يساوي

شيئاً أمام أن تقولها هي!

هل كان محقاً في هواجسه نحوها؟!





وساوسه لم تكن مجرد شكوك ...كانت حدساً!

وهو الذي حاربها لأول مرة...

لأول مرة في حياته يفعلها لأجلها!!!!

_كنتِ بتخونيني؟! زي ما خنتيه قبلي؟!

تمتم بها مصعوقاً وأظافره تنغرس في لحم ذراعها

لتجد نفسها تصرخ نافية بانهيار:

_لا خنتك ولا خنته...ليلتها كنت رايحة له

عشان ...عشان...

صمتت لحظة بعدها لتقطع عبارتها بينما تهز

رأسها لتردف بين نزيف دموعها:





_أنا بعمل إيه ؟! بعمل إيه؟! بدافع عن نفسي قدامك ؟! قدامك انت؟! عن شرفي؟! عن حبي؟! بعد كل اللي بيننا ؟!

لكنه بدا كأنه لم يسمعها ...

كانت بين ذراعيه حقيقة لكن ما بينهما كان كما بين المشرق والمغرب!

دموعها..صراخها..كلماتها التي بدت كالهذيان...

كل هذا لم يكن في عينيه أكثر من دلائل إدانة !

_مش مصدق! مش مصدق إني أتلدع من نفس الجحر ثلاث مرات !





صرخ بها بحدة وعروق وجهه النافرة تحكي ألف قصة عذاب ...

لتشهق هي بارتياع بينما صراخه يزلزل روحها:

_قابلتيه كام مرة بعد جوازنا؟! كل الليالي اللي كنتِ بتتأخري فيها وتتحججي بالشغل؟! كل رعبك من إني ألمسك كان تمثيل ؟! كل حكاياتك عني وعن طليقك كانت كذب؟! إزاي كنتِ بتقدري تتلوني كده ؟! كنتِ عايزة توصلي لإيه معايا بالضبط ؟! انتِ شيطانة زي صاحبتك اللي عملتها زمان !

دموعها تجف فجأة كأن لم تكن !

اتهامه الصريح يصفعها...لكنه يتلقفها ليجذبها لأقرب أرض صلبة يمكن أن تقف عليها !

كبرياؤها!





هذا الذي جعلها تنفض ذراعيه عنها بعنف لتهتف بتنمر غريب على طبيعتها معه:

_مادام مصدق عليَّ كده مش هاناقشك...مادام كل اللي بيننا طلع ما يستاهلش حتى إنك تسألني قبل ما تحكم عليّ يبقى مالوش لازمة...عايز تصدق إني خاينة زي كل الستات اللي عرفتهم ؟! صدق! ارجع لدنيتك السودة اللي بترتاح لها...ارجع لوساوسك وشكوكك وعينيك اللي مابتشوفش أبعد من نفسك وبس...حتى لو عرفت الحقيقة ورجعت لي ندمان...مش هسامحك...من اللحظة دي اللي بيننا انتهى .




لم تكد تتفوه بآخر عبارة حتى انهارت كل قوتها لتشهق شهقة عالية وهي تمسك صدرها بقوة ...

صرخة قصيرة انبعثت منها وهي تشعر بأنها ستفقد وعيها في أي لحظة ...

ستسقط ...لكن ليس هنا!

لهذا دفعته بكل قوتها لتعدو مغادرة البيت كله غير آبهة بما ترتديه ...

تلاحقها نظراته المصعوقة بكل هذا الذي يحدث ...

هذا الذي يفوق أكثر كوابيسه بشاعة !

لا ...لايزال هناك المزيد!

فهناك عند الباب ظهرت هانيا فجأة والتي اندفعت نحوه هاتفة بجزع:





_مصيبة يا يامن!

تقلص وجهه بابتسامة متشنجة مريرة وكأنه لا يتوقع المزيد بينما تقدمت هي نحوه لتسأله بينما تتلفت حولها:

_فين ياسمين؟! عرفت طليقها عمل إيه؟!

انعقد حاجباه بقوة وحديثها يهدم آخر حصون تحمله:

_الحيوان منزل فيديوهات وصور زبالة ليها على صفحتها وصفحتك على الفيس ...مش بس صفحتكم....أنا وبيللا ورانيا وداليا...التليفونات ما بطلتش رن ...فضيحة يا يامن...فضيحة !

=========

_مش وعدتك أرجعهولك ؟!





هتفت بها سيلين بلكنتها الغريبة التي تمزج عربيتها الركيكة ببعض الانجليزية أمام صغيرها النائم في سريره ...

قبل أن تبتسم برضا وهي تميل تقبله لتهمس وكأنه يسمعها :

_بكرة ييجي لحد هنا يطلب يشوفك وأنا اللي أقولّه لأ.

قالتها ثم عادت تستقيم بجسدها لتخرج من الغرفة قبل أن تتناول هاتفها لتتصل برقم ما ...

_عملت إيه يا رامي؟!

_زي ما اتفقنا بالضبط...وزمان البرنسيسة متروقة دلوقت ...ده لو ماكانش قتلها .





ابتسامة ظافرة ترتسم على شفتيها وهي ترى نجاح خطتها الكامل ...

هل تصور يامن أنه سيخرج من قبضتها بهذه البساطة ؟!

ألا يعلم أنها لن تخسر يوماً شيئاً أرادته...

وهو ليس مجرد شيئ...

هو أبو ابنها الذي لن تقبل بفقده أبداً!

_الفيديو اللي معايا ما كانش هيعمل حاجة من غير صورتها اللي بعتيهالي مع زين ...البنت المساعدة بتاعتها في المطعم دي جت في وقتها ...برافو عليها إنها لحقت تصورهم يومها .





قالها بتشفٍّ ظاهر لتسأله بتعجب:

_اللي أنا مستغربة له ...انت ليه ما فضحتهاش بالفيديو ده قبل كده ؟!واشمعنا قبلت تتعاون معايا دلوقت .

ضحكته القصيرة كانت جوابه ليتبعها بقوله :

_المصالح بتتصالح ...زين ما كانش هيسكت...هو مش قليل...كان لي شغل كتير معاه..لكن خلاص مصلحتي معاه خلصت وجه وقت الحساب ....

ثم صمت قليلاً ليردف بنبرة أقسى:

_زمان فضيحتها دلوقت على كل لسان ...الهانم اللي كانت عاملالي فيها خضرة الشريفة وهي بتلعب من ورا ظهري ...الفيديو ده اتبعتلي من زمان أيام ما كانت على ذمتي...وقتها اتجننت كان نفسي أفضحها من وقتها بيه لكن اللي كان





محجمني شراكتي معِ زين بيه......بس أنا ما سكتتش جبت واحدة في بيتها وعلى سريرها وخلتها تشوفني بخونها ..ضربتها بكل الغل اللي كان ماليني وقتها ...ساومتني ع الطلاق قلت اخلص منها ... لكن لما ظهرت انتِ وطلبت مساعدتي لقيتها فرصة نصفي حساباتنا القديمة .

_تفتكر يامن هيطلقها ؟!

_ده لو ما طلعش روحها في إيده قبلها ...انت ما شفتيش منظره بعد ما شاف الفيديو ...خلاص ما عادش هيرفعِ عينه في عين حد بعد ما رفعت الفيديو على صفحتها وصفحته ع الفيس...فضيحة تمام المرة دي .





قالها بنفس النبرة الظافرة لتضحك ضحكة طويلة ناسبت قولها:

_الخطة ما كانتش هتنجح غير بينا احنا الاتنين..لو يامن كان شاف الفيديو بس كان ممكن تضحك عليه بكلمتين وتقولله ماضي وراح..لكن صورتها الجديدة معاه هتخليه يصدق إن اللي بينهم لسه ما انتهاش وإنها بتخونه زي ما كانت بتخونك .

_وبعدين ...فيه حاجة تانية هنعملها بعد كده ؟!

ابتسمت ابتسامة متشفية لتقول باقتضاب:

_نستنى ...ونتفرج !

=======

_حلو يا أحمد ؟!





قالتها مبتسمة أمام مرآتها صباحاً وهي تطالع شكلها الجديد بحجابها !

عيناها ترمقان ملامحها بفخر ومشهد فِراشه ووسادته في خلفية الصورة يمنحها الكثير من الأمان الذي تحتاجه ...

ابتسامتها تتسع وهي تعدل وضع حجابها ليغطي مقدمة صدرها ...

عباءتها الفضفاضة حديثة الطراز من "الجينز" الأزرق تكسبها مزيجاً من الأناقة والحشمة...

ووشاحها الوردي يخفي خصلات شعرها التي تراجع لون منابتها النبيذي المصبوغ ليظهر لونه البني الأصلي ...

صفحة وجهها نقية...





ليس فقط كونها خالية من مساحيق

التجميل ...لكنها هذه المسحة الجديدة من السكينة

التي ملأت روحها بعد الحادث...

بل بالتحديد بعد زيارة والد أحمد وتسلمها خطابه !

وكأنها كما قال لها ولدت من جديد ذاك اليوم ...

بداية جديدة منحها لها القدر وقررت استغلال

عطيته أفضل استغلال ...

الخطوة الأولى كانت ارتداء الحجاب الذي لم تشعر

به هذه المرة مجرد قطعة قماش ترتديها وفقاً

للأعراف كما فعلتها قبلاً...

بل درعاً منحته لها شريعة السماء كي تقيها شرور

الطامعين ...

ودرجة أخرى ترتقيها في سبيل صعودها الطريق

لرب العالمين ...





الرحمن الذي تغمدها برحمته في أشد لحظات حياتها ظلمة وهي الغافلة التي لم تنتبه لهذا وسط حسرتها على خذلان البشر...

أجل...قدرها الرحيم الذي طالما ضاقت بكرباته لم تكن تخلو "مِحنه" من "مِنحِ"!

ربما يكون بلاؤها شديداً لكن رب الخير لا يأتي إلا بالخير...

هو الذي منحها حب أحمد ودعم هانيا واهتمام ورامز ....

هو الذي سخر لها الكثير من النعم التي كانت لا تراها بعين "سخطها" والآن تملأ ناظريها رضاً!

وعند الخاطر الأخير استدارت نحو الفراش بجسدها وكأنها تراه أمامها ...





كلمات خطابه تبزغ من مكان مشرق في ذاكرتها

تعلم أنه أبداً لن يظلم ...

"أنا عارف أخلاقك كويس...وعارف إنك قادرة

توقفي أي حد عند حده ...أنا مش بخاف عليكِ

عشان ضعيفة ولا قليلة الحيلة...أنا بخاف عليكِ

عشان احنا بقينا في دنيا وحشة قوي...خصوصاً

للناس النضيفة زيك...انتِ كنزي يا غادة...والكنز

بنخبيه ونحافظ عليه من عيون الناس ...بس بنبقى

عارفين قيمته...عارفين إن الدهب بيفضل دهب ".

فتبتسم ابتسامة راضية وهي تستعيد معه قول

أبيه...





_شوفي ممكن تعملي إيه تستاهلي عليه حياة تانية...شوفي إيه اللي كنتِ عايزاه يختفي واعتبريه مات الليلة إياها ...واللي عايزاه يعيش هو بس اللي هيتكتب له عمر جديد !

_غادة اللي حبيتها هي اللي هتعيش يا أحمد...مش غادة اللي هم عايزين يرسموها في دماغهم زي ما هم شايفين.

قالتها بحزم وهي تقترب أكثر من الفراش لتحتضن وسادته بقوة قبل أن تتركها من يدها لتغادر البيت نحو المكان الذي ترجوه...





صعدت البناية لتطرق باب الشقة الذي فتح بعد فترة ليطل منه وجه الرجل البشوش مستنداً على عصاه :

_غادة ؟! أهلاً يا بنتي...اتفضلي.

ابتسمت وهي تلج المكان بحذر تحاول قدر استطاعتها ألا تنجرف في تيار الذكرى ...

بينما أغلق الرجل الباب ليتوجه نحوها قبل أن يجلس جوارها متفحصاً ملامحها برضا مع سؤاله :

_اتحجبتِ؟!

اتسعت ابتسامتها وهي تومئ برأسها لتقول بشرود:





_كانت رغبة أحمد قبل ما يموت...كنت مجهزة نفسي أعملهاله مفاجأة أول ما يرجع من السفر ...بس هو ما رجعش.

تحشرج صوتها رغماً عنها في عبارتها الأخيرة وكادت تستسلم لضعفها القديم...

لكنها نفضت رأسها بعنف وكأنها تقوي هذه الروح الجديدة التي تسكنها لتردف :

_معلش اتأخرت شوية بس المهم إني لحقت نفسي.

هز الرجل رأسه وهو يطرق على الأرض بعصاه بحركات رتيبة وقد بدت له عبارتها تحمل من المعاني أكثر بكثير مما تتحدث ظاهرياً عنه ...

ليصمت لبضع لحظات سبقت سؤاله الحذر:

_رجعتِ شغلك ؟!





أطرقت برأسها للحظة ثم عادت ترفعه لترد باعتداد:

_للأسف ماعنديش حل تاني دلوقت...بس هادور على شغل جديد...مش هيأس.

_وليه تسيبيه ؟!

بنفس الحذر يسألها لتشيح بوجهها دون رد ...

بينما هو يردف بنفس النبرة المحايدة :

_أنا شايف إن قدامك فرصة ماتتعوضش...رامز رجل محترم ومن كلامك خلاص علاقته بمراته مش هترجع...وهي ماصانتش العشرة اللي بينكم وفضحتك بالكدب...جوازك منه دلوقت هيرد اعتبارك...هيديكي الأمان اللي انتِ محتاجاه.




فاستدارت بوجهها نحوه لتكتسح شفتيها ابتسامة ساخرة فاضت بمرارة قولها:

_الأمان؟! الأمان في راجل عايز يتجوزني إنقاذ موقف؟! واللا عِند في اللي كانت مراته وصاحبتي؟! لا يا عمي...حتى لو هي ما صانتش العشرة أنا مش هاخون .

لاحت على شفتي الرجل ابتسامة اعتزاز لكنها لم تميزها وسط شرودها باستطرادها:

_لو قبلت عرض رامز يبقى هافضل ألف في نفس الدايرة...يبقى ماتعلمتش حاجة من كل اللي فات.

_ربنا يهديلك نفسك يا بنتي...أنا كده اطمنت عليكِ.





قالها الرجل بنفس النبرة الراضية لتغتصب هي ضحكة قصيرة بينما تسأله :

_كنت بتمتحنني يا عمو؟!

_أيوه...ونجحتِ.

_مممم...وجايزتي؟!

قالتها بمرح منطلق لم تعرفه منذ زمن بعيد وعيناها تلتمعان ببريق حقيقي نابع من روحها الجديدة...

ليجيبها بغموض :

_سيبيها لله...لو اللي في بالي اتحقق هتبقى فعلاً أحلى جايزة.

رفعت حاجبيها بترقب لكنه هز رأسه ليردف بمرح حنون:





_إيه رأيك تتعشي معايا ؟! بطني نشفت من المسلوق ...بفكر الليلة دي نعمل سوا صينية مسقعة.

_مسقعة يا عمو؟!

شهقت بها باستنكار ليردف بينما يقوم مستنداً على عصاه :

_ماتخافيش..مش هنسبكها ...كله ني في ني...رشة زيت زيتون وعلى الفرن عدل...خفيفة ومش هتتعبني...قومي قومي.

ظهر التردد في عينيها مشفقة عليه ليقول لها بعناد :

_هتقومي واللا أخلليها بطة محمرة وبشاميل ؟!

_لا لا ....المسقعة أرحم.





هتفت بها وهي تلوح بكفيها أمام وجهها لتنهض وتتوجه معه نحو مطبخ شقته المتواضع ...

عرضت عليه الجلوس والاكتفاء بمراقبتها لكن الرجل قال باعتراض حازم :

_سيبيني أحس إني لسه عايش يا بنتي...احنا عايشين طول ماحنا بنعافر أول ما بنبطل معافرة بنموت بالحياة.

خفق قلبها بعمق شعورها بالشجن الذي احتل صوته...

عبارته البسيطة تطرق أبواب ضلوعها لتشعرها كم هما متشابهان...

ربما يفصلهما في العمر الكثير من الأعوام لكنهما شريكان في الوجع...





في الوهن...في المكابرة لأجل ألا يسقطوا تحت

أقدام اليأس.

لهذا تنهدت بحرارة وهي تومئ برأسها في

طاعة...

أناملها الناعمة تربت على كفه غائر العروق قبل

أن تهتف بمرح عاد يحتل نبراتها:

_أجمد صينية مسقعة نعملها سوا.

=======

أغلق باب العيادة خلفه ليستند بظهره إليه وقد

انتوى قضاء الليلة هنا...

يومٌ طويل لا يكاد يذكر منه شيئاً سوى ما فعله منذ

قليل ...





هذا الذي -ظن- أنه قد ختم به قصته القصيرة معها !

قصة خديعة نالت من غروره الذي ظن أن لن تمسه امرأة أبداً!

الدرس صعب حقاً هذه المرة !

ليست فقط فضيحتها التي يراها في عيون معارفه...أصدقائه...جيرانه...والتي تطعن رجولته بألف خنجر ...

ليس فقط شعوره بالانتقاص وهو يرى فيها خيانة كل من سبقتها إلى حياته من نساء...

ليس فقط بركان غيرته الذي يقذف حممه بين ضلوعه وهو يسترجع مشاهدها مع زين...





شعرها الذي تمناه طويلاً يتراقص كشيطان على كتفي رجل آخر!

بشرتها الناعمة عارية تعدو فوقها جياد شفتيه ...

ثوبها الأنيق المكشوف تتمزق ياقته لتقف وكأنها تفخر بشغف رجل ما عاد يتحمل طغيان الانتظار !

صوتها الذي يعلو ويتهدج فلا يدري إن كان أنين استجابة أم صراخ من تستجدي المزيد ...

عند الخاطر الأخير صرخ صرخة عالية لم يسمح لمثلها أن تغادر صدره من قبل وهو يضرب الحائط بقبضته عدة مرات حتى أوقفه الألم ...

عرقه الغزير يبلل وجهه وصدره فيتهاوى جالساً على الأرض مسنداً ظهره للباب ...





C i n n a b o n

كانت خائنة ؟!

مخادعة؟!

كل ما كانت ترويه له عن عذابها مع رامي؟!

كل الذعر الذي كانت تجيد تمثيله في البداية عندما يمسها ؟!

كل الرضا الذي صارت تتصنعه بعدما أقنعته أنه داوى جرحها القديم؟!

وهو الغافل الساذج الذي كان يظن نفسه البطل المغوار الذي صبر عليها حتى أعاد لها ثقتها بأنوثتها ؟!!!!

ضحكة ساخرة شقت طريقها وسط أخاديد وجهه ...

ضحكة تعمدها عالية وكأنها مجرد صرخة أخرى لا غير!





تستحقها يا أحمق!

هل صدقت أن حباً كهذا الذي كانت تزعمه موجود حقاً في قاموس النساء؟!

هل أعجبتك صورتك في أسطورة تحكيها غانية مثلها عن حب عذري لا تقتله السنوات ؟!

أغراك سراب حنانها ...رقتها...هوسها بتفاصيلك؟!

ما كان عذرك يا سفيه وأنت تترك لها سفينتك فلم تدرك حالك إلا وأنت ...في القاع؟!!

عذرك أن شمس خديعتها كانت أكثر وهجاً من شموع حذرك!

وقانون العشق لا يحمي المغفلين !

انقطعت أفكاره عندما سمع صوت رنين الجرس فانتفض مكانه بغضب وهو يتساءل عن الطارق...





تراها هي ؟!

هل علمت بما فعله منذ قليل ؟!

هل جاءت تبرر...تشرح...تعاود نصب شراك
خداعها من جديد ؟!

يالتبجحها لو كانت هي!!

هذه المرة سيقتلها بدم بارد ولو كلفه الأمر
حياته !!

وبهذا العزم فتح الباب بعنف لتتسع عيناه بصدمة
وهو يرى أمامه آخر من يتوقعه الآن ...

_نبيلة ؟!

تمتم بها ببعض الخيبة التي لم يستطع إنكار اعترافه بها !

أجل...جزء ضئيل بداخله كان يتمنى لو كانت ياسمين حقاً!

لو تأتيه بدليل براءتها وتسترضيه عن كذبة لم تقصدها!

لو تخبره أن قلبه لم يكن مخطئاً عندما أحب "ساحرة الفوضى" كما لم يحب امرأة في حياته !

لو تؤكد له أنها كانت وستظل "عروس البحر" التي لم تنكشف على إنسيّ غيره !

لو تعيد له راية "الألوان" التي نكستها جيوش الغدر السوداء!

لو...ولو...ولو...





وهل بقي له الآن إلا التعلق بأضغاث أوهام مالها

في عرف الحقيقة تأويل؟!؟!

_بتعمل إيه هنا دلوقت؟!

قالتها بنبرة غريبة على كبريائها المعهود

معه ...نبرة خالطها الكثير من الإشفاق الذي أثار

حفيظته ليهتف بحدة :

_أنا حر ...أبات في المكان اللي يريحني .

لم يشأ الاعتراف أنه لم يعد له مأوى إلا هنا !

لن يعود لبيت شاركته إياه يوماً ليتجرع وحده كأس

خسارته !





لن يرجع لمكان قاسمها فيه ذكرياتها الخائنة

مثلها !

هذا الذي قرأته نبيلة بوضوح في ملامحه الثائرة

كأسد جريح يوشك على قتل أي أحد في طريقه ...

ربما لو كانا في موقف آخر لتصارع كبرياؤها مع

نفوره كالمعتاد لكنها وجدت نفسها تتقدم منه لتغلق

الباب خلفها ...

فأعطاها ظهره وهو يتحرك مبتعداً ولولا بقية من

تعقل بداخله لأخرجها من هنا دون تحفظ !

_هتعمل إيه في المصيبة دي؟!

سألته بنفس النبرة التي امتزج قلقها بإشفاقها

ليجيبها بمرارته الساخرة :





_هو فيه حاجة تتعمل؟!

ثم التفت نحوها مردفاً بفظاظته المعهودة والتي زادها الجرح قسوة :

_قوليلي يا "نجمة" بحكم خبرتك في الفضايح ...بيعملوا إيه في المواقف اللي زي دي؟!

ورغم أن عبارته المهينة وخزتها بماضيها الذي لايزال يقف بينهما ...

لكن -للعجب- غلبت أمومتها كبرياء النجمة بداخلها هذه المرة لتتجاهل حديثه بسؤالها المباشر:

_مش هتقف جنبها ؟! تعلن قصاد الكل إن الكلب جوزها ده كذاب؟! تدافع عن شرف مراتك اللي هو شرفك ؟!

_مابقتش مراتي!





لفظها من فمه كطلقة قاسية...صارمة...حازمة...لا ترد !

هو أدخلها حياته بورقة...وأخرجها منها بورقة !

وليت الأمر حقاً بهذه البساطة التي يدعيها !

_طلقتها؟!

شحب وجهها وهي تسأله غير آبهة بغباء السؤال !

ما الذي تنتظره من رجل كيامن في موقف كهذا ؟!

إذا كان عجز عن تقبلها -هي- أمه في حياته بعد كل هذه السنوات ؟!!

لكن...ياسمين تختلف!

هو أحبها حقاً!

ومن مثلها يمكنها تمييز العشق في نظراته ...





العشق الذي لم تره في ملامحه إلا لياسمين فحسب!

لهذا تقدمت منه أكثر لتكتنف ساعديه بكفيها هاتفة باستنكار:

_هو ده ردك ؟! وهي ذنبها إيه لو حيوان زي ده ملفق لها الفيديوهات دي؟!

_هو أنا ماقلتلكيش؟! مش متلفقة!

بنفس السخرية الذبيحة هتف بها ليغمض عينيه بألم والمشاهد تتوالى في عينيه من جديد ...

تنحره بنفس النصل البارد ...

رباه!

أما لهذا الألم من نهاية ؟!





_ماصدقش... ياسمين ماتعملش كده ...انت اتكلمت معاها؟! سمعت منها؟!

هتفت بها ولاتزال تهز ساعديه وكأنما ترغب أن يجعله يفيق من نوبات شكه التي تعرفها والتي توشك أن تودي به هذه المرة ...

ليصرخ بها بجنون أججته براكين صدره:

_واجهتها! قالت الصور حقيقية مش متفبركة ! ارتحتِ؟!

_غبي!

هتفت بها بحدة وهي تدفعه لتلوح بكفها صارخة بغضب مشابه :

_وانت فاكر ست زي ياسمين لما تتهمها بحاجة زي دي هتقف تبرر لك ؟! لو كانت عملتها كنت





شكيت فيها ...ست زي ياسمين كانت مستنياك تطمنها...تقف في ظهرها...تسمعها ...مش ترميها أول ما تشوف حاجة زي كده كأنك ما صدقت !

_بس بقا...كفاية...مش عايز أسمع كلمة واحدة عن الموضوع ده .

صرخ بها بثورة أجفلتها وهو يندفع ليلقي كل ما تطاله يداه على الأرض ...

الدوي الصاخب في أذنيها لصوت تحطم الأشياء لم يكن شيئاً أمام عاصفة شعورها به الآن وهي ترى السخرية الجامدة التي تقبل هو بها الأمر من وقتها تتحول الآن لصورتها الحقيقية...

هذا الإعصار الذي يلتهمه ...يمزق حناياه...يقتله ببطء وبمنتهى القسوة !





هي التي كانت تحسد ياسمين على حبه الجارف لها ...

لم تكن تعلم أن حب رجل كيامن لن يقل تطرفاً عن قسوته !

هاهو ذا يفرغ ثورته في تحطيم أثاث عيادته التي تعلم كم تفانى في تحضيرها قطعة قطعة...

لكنها توقن أن الخراب بداخل روحه أشد وطأة !

شكه في براءة ياسمين ليس لصالحه كما كانت تظن ...

بل على العكس ...شكه هذا يزيد سعير الندم في قلبه ...

ليته يوقن أنها خائنة فيلفظها خارج مداره للأبد...





أو يثق من براءتها فيقضي بقية العمر نادماً

مستغفراً إياها!

لكن أن يكون هكذا معلقاً على أنشوطته متأرجحاً

بين عذاب مغدور وندم ظالم فهو الجحيم بعينه !

دمعت عيناها بعجز وهي ترى ثورته تنتهي بخبطه

لرأسه في الحائط بضع مرات وكأنه يود لو يفرغه

من أفكاره أو يفقده للأبد !

مرة تلو مرة تلو مرة...

والألم النابض في جسده يورثه المزيد من الخدر

الذي يود لو ينتهي بأن يغيب وعيه...

هو لم يعد يحتمل كل هذه المكابرة !

لكنه فوجئ أخيراً ب"صلابة" الحائط تُستبدل

ب..."حنو" صدرها !!!





لم يشعر بها وهي تتشبث به لتديره نحوها وتجذبه إليها ...

كل ما أحس به وقتها هو مذاق هذا العناق الذي تأخر كثيراً ...

كثيراً...كثيراً...

بطول عمره كله !

آهته الخافتة امتزجت بشبيهتها لديها وهي تحيط جسده بذراعيها فلا تشعر بضخامته ...

بل تراه بعين "قلبها" ذاك الجسد الضئيل الذي فرطت فيه صغيراً لتقضي بقية عمرها ندماً عليه !

تبكي وتبكي ...كما لم تفعل من قبل !





تندم وتندم..كما لم تشعر من قبل !

تشهق كما لو كان رصيد الهواء في صدرها قد نفد فجأة...

كأنما تعانق الحياة نفسها من جديد بأنفاس غير الأنفاس!

تتشبث به وكأنما منحها القدر فرصة جديدة لعمر جديد ..

عنقاء "أمومتها" التي طالما دفنها كبرياؤها تحت رماد نجومية مزعومة الآن تنهض من طول رقادها لترتشف معه هذا الإحساس الغامر قطرة قطرة ...

حزينة لأجله....سعيدة بعودته لحضنها...

قلقة عليه...مطمئنة بعناقه...

تائهة بحيرتها...مسترشدة بأنسها به ...





مشاعر مبعثرة..متناقضة..مبهمة لكنها تتحد في شيئين...

صدقها....واجتياحها!

لأول مرة تجرب شعورها به بين ذراعيها ...

رأسه المثقل بهمه يلتجئ لحنان كتفيها ...

دقات قلبه الهادرة تعوي في تجويف صدرها ...

هذا الكيان الذي حملته -محتاجاً واهناً- في بطنها تسعة أشهر لينفصل عنها ويعيش مستغنياً..الآن يعود ليستقر بين ذراعيها بنفس الاحتياج الواهن !

وكأن الأيام لم تمر!

وكأنها فرحتها الطاغية به عندما رأته وليداً لأول مرة !





وكأنـها هي هي...ببساطة أنثى...

بفطرة أم...دون أية رتوش إضافية !

تضمه إليها ...تقبل رأسه ...

تدعو له بهذه الدعوات -البسيطة- جداً التي كانت تسمعها من أمها والتي طفت فجأة لذهنـها الذي نسي هاهنا -فخامة- لهجتها المخملية !

باختصار...

لقد عادت في لحظة ...أماً!

لحظة...ليست كأي لحظة !

الجميل أن هذا لم يكن شعورها فحسب !

هو الآخر كان يحس أن الحواجز بينـهما تـهاوت فجأة ...





أنه يحتاج لوجودها الآن حقاً حتى وهي لا تملك ما تفعله له !

يحتاج لهفتها الصادقة هذه ...

عمق حنانها الذي يتذوقه لأول مرة بهذا النقاء...

بساطة تعبيرها الذي لا يحتاج لتنميق جمل ...تكفيه عفوية تصرفها ودعاءها المتلعثم !

ربما لهذا السبب سمح لجسده أن يستكين بين ذراعيها ...

لدموعه العزيزة أن تسيل

صامتة ...عاجزة...شاكية...

بل ...لذراعيه هو الآخر أن يضمانها بنفس القوة !

الطفل اليتيم الذي طالما واراه بين ضلوعه قانعاً بقوة رجولته الآن يخرج من أسواره صارخاً بحاجته!





لطالما علمه أبوه أن الرجال لا يبكون !

لكنه لم يعلمه ماذا يفعلون عندما تنكسر

هامتهم ...تنفطر قلوبهم...تتلاشى ثوابتهم ...

ماذا يفعلون؟!

يتظاهرون بالتماسك كأن شيئاً لم يكن ؟!

تماماً كهذا الذي يفعله الآن وهو ينتبه لنفسه أخيراً

فيبتعد عنها ليعطيها ظهره من جديد ...

لكنها لن تسمح له بالابتعاد عن فلك أمومتها

مؤخراً !

لهذا سارت لتواجهه بعينين سكنهما حنان جارف:





_يمكن أي راجل مكانك كان يبقى معذور لو اتصرف زيك ...لكن ياسمين كانت تستاهل منك أحسن من كده ...مايفهمش الست إلا الست اللي زيها ...وأنا بقوللك إنها مابتحبكش حب عادي ...دلوقت بس ممكن أعترف لك إني ...إني ساعات كنت بغير منها وأنا شايفاها بتحبك الحب اللي كان نفسي أنا أحبهولك ...حاول تكلمها تاني خلليها تدافع ...

_لا!

هتف بها صارمة ووجهه القاسي يعيد تشكيل ملامحه قبل أن يلتفت عنها مردفاً بنبرة أقوى:

_مبدإي مش هاغيره..لو شكيت ما تكملش.

========




في غرفة نوم والدتها على الأرض تجلس محوطة بالعديد بالبالونات ...

نغم قديم يعزفه "كمانٌ" لا تراه عينها ...لكن تسمعه روحها فيزيد عمق الشرخ في جدارها ...

مُطفأة!

هكذا تشعر كما لم تفعل يوماً!

جنتها التي طالما زعمت أن لا أحد بقادر على انتزاعها من بين ضلوعها...

الآن صارت مجرد خراب تحوم حوله غربان يأسها!

حب العمر الذي ظننته سيكون زاد قلبها في رحلته تسرب من كيسها المثقوب بخطيئة لم تحسب حسابها ...




ألا لعنة الله على ذنوب لم تقترفها أيدينا بل دفعتنا إليها أوجاعنا!

عيناها الخائنتان تنسحبان رغماً عنها لورقة وضعتها جوارها على الأرض...

ورقة صارت بها غريبة عن وطن لفظتها أرضه !

طلقها غيابياً وكأنما لم يعد يحتمل أن ينظر في وجهها؟!

أن يواجهها بها؟!

طلقها؟!

من أين أتوا بهذا اللفظ الذي يحمل في اللغة معنى "الحرية" إذا كانت تشعر الآن أنه أسلمها لسجن كبير ...

وهل أكبر من سجن بسعة الكون وطول العمر؟!





لكن لماذا العجب؟!

ألم تعش منذ سنوات سجينة عشق مريض كعشقه

؟!

هل غرتها هذه "الهدنة" التي منحتها لها الأيام

بقربه ؟!

سَكرة قصيرة بخمر غيّب عقلها لترتد بعدها على

وعيها بأنه كان مجرد سراب!

ما الجديد يا "قوية"؟!

يا "صامدة"؟!

أليست هذه نفس الجلسة التي احتوتك بعد هجر

أبيكِ؟!





بعد وفاة أمك؟!

بعد طلاقك الأول؟!

ماذا يضيركِ لو تحتويكِ الآن بعد طلاقك الثاني؟!

هاهي ذي بالوناتك الملونة تهمس لكِ ...

لايزال العمر يتسعِ للمزيد من الألوان !

لا كسر يكبر على روحك الفتية فتعجز أن تجبره !

_الخيانة ما بسامحش فيها..في الموضوع ده بالذات اللي اتكسر ما بيتصلحش...اللي اتكسر يترمي ورا ظهرنا وننساه.

كأنما تسمعها بصوته تلك الليلة ...





هل يظنها الآن خائنة ؟!

بهذه البساطة ؟!

هكذا ؟! دون حتى أن يسمع منها؟!

هل سيقوى على رمي ما كان بينهما ونسيانه ؟!

وهل ستقوى هي؟!

ولمَ لا؟!

وعند الخاطر الأخير استلقت على جانبها لتتكور على نفسها في وضع الجنين ...

وعقلها يستعيد تفاصيل تلك الليلة التي لن تنساها ما عاشت ...

لقد كانت تظن أن القدر ستر عليها فعلتها ...





لم تكن تعلم أن ذاك الحقير رامي يملك ما يسجل به تفاصيل مخزية كهذه ...

ربما لهذا السبب أنكرت معرفتها بزين عندما سألها يامن !

زين؟!

أصدرت أنيناً مكتوماً وهي تستعيد لقاءها الأول به ...

كيف بدا برصانته وأناقة حديثه مختلفاً تماماً عن أصدقاء رامي التافهين الذين كان يصر على مرافقتهم في حفلات تجمعهم ...

ليلتها أخبرها أنه شريكه الجديد مبدياً اهتمامه الخاص بتلك الشراكة ...




تعددت بعدها لقاءاتهما في مثل هذه التجمعات

لتكتشف بداخله روح صديق كانت أحوج ما تكون

إليها !

هوة روحها التي كانت تحفرها قسوة رامي يوماً

بعد يوم صار يردمها اهتمام زين وصداقتهما التي

أيدتها اهتماماتهما المشتركة !

صداقتهما؟!

نعم...الغريب أنها مع إعجابها بالكثير من

صفاته ...حنانه ...ثقافته...قوة شخصيته...مع كل

هذا لم تجد له في قلبها مكانة أكبر!

حتى وهي تأخذ قرارها بهجر رامي في كل مرة

ينتهكها بقسوة ليبادرها بعدها باعتذار ...

ليس فقط قلبها المحتل بعشق يامن اليائس ...

لكن كيانها المجروح وقتها بخيبتها في كل الرجال!





C i n n a b o n

كانت تغرق وحدها في بحر هائج ...

بلا أم...بلا أب...بلا حبيب...

ووسط كل هذا لم تجد سوى صداقته طوق نجاة !

حدثته عن نفسها ...هواياتها ...أحلامها المبتورة ...وطموحاتها عن هدايا الغد ...

وحدثها هو كذلك عن كل هذا ...

كانت قانعة بهذه الصداقة تظنها نسمة باردة وسط جحيم تتلظى به وحدها ...

حتى اعترف لها يوماً بحبه !

اعترافه الذي تقبلته هي بخيبة متحسرة مدركة أنه سيكون خاتمة صداقة كانت تقدرها حقاً ...





فما كانت لتكون أبداً زوجة خائنة !

انـهمرت دموعها غزيرة عند الخاطر الأخير
ليرتجف معها جسدها الذي ازداد تكوره حول نفسه
بينما تحتضنه بذراعيها وكأنما تود لو تتضاءل...

بل لو تتلاشى من هذا الكون كله !

تراها حافظت على عهدها لنفسها حقاً ألا تزل
قدمها في بئر خيانة ؟!

لا....بل نعم...

آآآه!

هي لا تدري ماذا حل بها تلك الليلة !





كان حفلاً يقيمه زين في بيته ودعاها ورامي إليه مع العديد من معارفهما ...

ورغم أنها فكرت ألا تذهب لكنها لم تكن يوماً ممن يهربون من مواجهة !

(زين خرج من حياتها تماماً عندما قرر نقل نفسه من خانة الصديق لأي خانة أخرى)

هكذا فكرت وهي تتوجه مع رامي للحفل ...

ستواجه زين بكل شجاعة...بكل برود ...

هذا الذي يبدو أنه قد قرره هو الآخر وهو يستقبلهما قبل أن ينخرط مع باقي المدعوين ...

لا تذكر كيف انتهى بها الأمر لتجد نفسها وحدها دون رامي...

عيناها تبحثان عنه وسط المدعوين فتعود خائبة الوفاض ...





الحرج الذي نال من كبريائها كثيراً جعلها تحاول الاندماج وسط المدعوين قبل أن تنسحب بدورها محاولة العثور عليه لتقريعه...

وعثرت عليه حقاً لكنها لم تقرعه...

لم تخبره حتى أنها رأته !

كان غارقاً بين ذراعي امرأة أخرى في أحد الأركان المظلمة ...

وكانت المرة الأولى التي تراه فيها رأي العين مع امرأة سواها !

الدم الذي ضرب في رأسها فجأة ...

الجرح الذي ازداد نزفه من كبريائها ...

اليأس ...الوحدة...الضياع!

كل هذا لم يكن سوى جنود أسلمتها لسلطان شيطانها...





انسحبت صامتة من المشهد تجر أذيال خيبتها وتتوعد بالانتقام ...

زين ؟!

أين زين؟!

ألا يزعم حباً ؟!

فلترد بضاعة الخيانة بمثلها إذن!

وبهذا الانفعال الصارخ الذي غيب عقلها مضت تبحث عنه حتى وجدته في الحديقة بعيداً عن صخب الحفل...

خطواتها تندفع نحوه على غير إرادتها تصرخ بالثأر...

لا ...ليس ثأراً لقلب ...بل لكبرياء !

وكأنما تلبستها روح أخرى غير روحها النقية التي تعرفها !





آثمة ؟!

نعم...بكل خزي تعترف !

لكن عزاءها أنها أفاقت قبل أن تدنس نفسها

بخطيئة لم تكن لتسامح عليها نفسها أبداً ...

أفاقت في اللحظة الأخيرة وهي تدرك الهاوية التي

كانت على وشك السقوط فيها ...

قاومت...يشهد الله أنها قاومت ...

لكن عنفوان عاطفته الصاخبة وقتها اكتسحها دون

إذن منها ...

أجل...زين لم يختلف وقتها عن رامي...

كلاهما مجرد قشرة رقيقة لباطن وحشي ...





وعندما ظنت أنها النهاية وجدت الملاذ في حقيبة يدها الصغيرة التي هوت بمقبضها المعدني على عينه لتصيبه قبل أن تعدو هاربة ...

هاربة من خيانة رامي ...

من خذلان زين...

ومن ضعف نفسها الذي كاد يوردها مورد الخيانة لولا أن عصمها القدر !

ربما لم تخن رامي بجسدها ...

لكنها وحدها تعترف بينها وبين نفسها أنها كادت تفعلها ليلتها !

هذه الخطيئة التي لم تسامح نفسها عليها أبداٌ !

والتي تظهر الآن من العدم لتلوث نهر حياتها ببقعة جاز سامة !





هل كان يامن ليصدقها لو اعترفت له ؟!

وحش غيرته كان ليسامحها ولو على مجرد النية؟!

سلطان وساوسه كان ليأمن لها ألا تكررها؟!

العجيب أنها رغم يقينها أن الجواب بالنفي ...كانت تؤمل نفسها أنه سيفعل!

يقينها الراسخ في عظم هذا الحب الذي -كانت- تحمله له كان يقنعها ألا شيئ في هذا العالم سيقف أمامه !

الحب الذي تحول الآن لكراهية لم تعرفها مثلها يوماً بعدما تخلى عنها في محنتها ...!





ورقة طلاقه وسط هذه الفضيحة وفي مجتمع كهذا ليست إلا حبل مشنقة حول عنق شرفها !

تكرهه !

تكرهه!

تكرهه وهو يفعل بها الشيئ الوحيد الذي لم يستطع غيره فعله بها !

هو أطفأها...

اجتث عنق كبريائها الذي طالما رفعته رغم كل شيئ!

تخليه عنها بهذه البساطة ...

بهذه السرعة...

دون حتى أن يحاول سماعها ...جعلها تشعر بالدونية التي لم تشعرها حتى مع تصرفات رامي المعوجة !

يامن لم ينل من قلبها فحسب !

يامن أحرق هذا الجزء "الصامد" من روحها والذي كان يسندها في كل عثرة لتقف من جديد !

تعذره؟!

ربما لو كانت امرأة عادية لعذرته في ما صدقه وما فعله ...

لكن هي !

هي التي عشقته كل هذا العشق!!

ألم تكن تستحق مجرد فرصة ؟!





سنوات عمرها التي أضاعتها في حبه لم تكن تستحق بضع ثوانٍ ...فقط بضع ثوانٍ....يستمع فيها إليها قبل أن يصدر حكم إدانتها؟!

هل كانت لديه حقاً بمثل هذا الرخص؟!

بمثل هذه الضّعة؟!

وعند الخاطر الأخير انتفضت مكانها لتتلقف هاتفها وترسل إليه رسالة صوتية أقسمت أن تكون آخر ما يناله هو من كلماتها ...

_مفيش فايدة فيك...هتفضل طول عمرك أناني مابتشوفش غير نفسك وشكوكك وبس...واللي زيك عمره ما يحب ولا يستاهل يتحب...أنا بكرهك وبكره نفسي عشان حبيتك .

ولم تكد ترسلها حتى انهارت في البكاء من جديد ...




قبل أن تنتزع دبوس شعرها لتتناول بالوناتها ...

تفرقعها واحدة واحدة ...

الصوت على هنته كان يدوي كقنبلة في فراغ روحها ...

يصرخ بين جنباتها أنها أبداً...

أبداً لن تعود كما كانت ....

========

القطعة التاسعة عشرة

****

_عايزين نوضب الأوضة دي ...يامن هييجي يعيش معانا.

قالتها نبيلة بنبرة عجيبة مزجت سعادتها بعودة ابنها لحضنها مع حزنها على حاله ...

نفس الشعور الذي وجد صداه في قلب كل من هانيا ورانيا اللتين كانتا تدركان معنى قبول يامن بالإقامة هنا أخيراً !

يامن الذي لم يفعلها يوماً ...

طالما استقل بحياته مقدماً له دعمه لكن دون أن يسمح لأحد بالاقتراب من منطقته الخاصة ...

رضوخه للبقاء هنا يعني ببساطة أنه لم يعد قادراً على الصمود وحده ..





حتى ولو ادعى أنه يفعلها لمؤازرتهن في أحداث حياتهن التي ساءت مؤخراً !

_هيبيع بيته الثاني؟!

سألتها رانيا بأسى متذكرةً ما أخبرتها به نبيلة منذ قليل والتي تنهدت بحرارة لتجيبها :

_قالهالي كده في وسط الكلام...وما رضيتش أضغط عليه في تفاصيل.

_عين العقل.

قالتها هانيا وهي تزيح بعض الأغراض من مكانها في الغرفة مردفةً:

_لازم يقطع على نفسه الطريق ده ...لازم يرمي ورا ظهره أي حاجة تفكره بيها ...قصتهم خلصت خلاص .





ترمقها رانيا بنظرة غير مقتنعة لتبتسم نبيلة ساخرة وهي تقترب منها قائلة بتعجب:

_انتِ مصدقة فعلاً على ياسمين الكلام اللي اتقال ده ؟!

_مصدقة واللا مش مصدقة الفضيحة دلوقت أمر واقع ...يامن هيرفع وشه في عين الناس إزاي ؟! وبعدين ماصدقش ليه ؟! ياما ناس اتخدعنا فيهم والزمن كشف حقيقتهم ؟!

قالتها بمرارة تقطر من بين حروفها وهي تتحدث عن مأساتها الخاصة ...

لتهز نبيلة رأسها قائلة بثقة :





_أنا بقا مش مصدقة على ياسمين الافترا ده ...بكرة يامن يعرف إنه ظلمها ...

ثم تنهدت لتردف بأسى حقيقي:

_بس ياريت وقتها ما يكونش فات الأوان .

ومن بعيد كانت داليا تسمع حديثهم بنظرات خاوية ...

تتحرك كالشبح وهي تشعر أنها ما عادت تكترث بأي شيئ أو أي أحد ...

كلهم منخرطون في مشاكلهم الخاصة وهي في سجنها الانفرادي هذا بلا أي هدف ولا غاية ...

يامن لا يحدثها منذ تلك الليلة مكتفياً بالسؤال عنها من بعيد مع توصياته بعدم خروجها من البيت ...

عقابها الذي اختاره لها كما تراه هي ...





وحيلته هو الأخيرة بعدما استنفد كل سبله معها فلم يعد لديه ما يحميها به من عنفوان طبيعتها التي لا يفهمها !

تناولت القليل من الشراب لتعود لغرفتها تاركةً لهم ثرثرتهم عديمة المعنى كما صارت تراها ...

تناولت هاتفها تبحث عن رسالة جديدة من "المجهول" كما تفعل كل يوم ...

لا جديد ...

يبدو أنه فقد احترامه لها بعد ما روته ...

لكن ...لا ...





هو قال لها أن صورتها في عينه -كما هي في قلبه

- لن تتغير!

إذن لماذا تخلى عنها كالآخرين ؟!!

دموعها الصامتة تسيل على بشرتها فلا تكترث

حتى بمسحها ...

تعاود التلاعب بهاتفها لتصطدم عيناها ب"اللعبة"

التي تركتها منذ فترة...

لماذا لا تعود إليها ؟!

لعبة سوداوية غريبة تناسب مزاجها الحالي لعلها

تضيف المزيد من الإثارة لحياتها المملة هذه ...

صحيح أنها تطلب منها بعض الأوامر الغريبة التي

تصل حد الأذى الجسدي أحياناً ...

لكنها تمنحها الكثير من المغامرة...التشويق ...





عالمٌ افتراضي تختاره لنفسها لتهرب فيه من رتابة

عالمها ...

تمتد أناملها نحو الشاشة من جديد ...

ليبدأ اللعب!

=============

صباح جديد !

ومن يهتم؟!

فلتذهب صباحات العالم للجحيم مع لياليه ...

هو فقط عمر يمضي ...فليمضِ كيفما شاء!

هذه الأفكار التي صارت تعتنقها -أو تقنع نفسها

أنها تعتنقها- بعد ما كان!

ابتسامتها الباردة تلتصق بشفتيها وهي تغادر الفراش ...

نظرة عابرة للمرآة تكشف لها عن وجه شاحب وجسد زاد نحوله حتى بدت عظمتا ترقوتيها كنتوءين شديدي البروز ...

ورغم أن المشهد لم يكن يستحق مبالغة التقدير لكنها ضحكت ضحكة منفعلة وهي تتحسسهما ببطء ...

لتصطدم عيناها بعقده الملون هناك !

ألا يزال هذا هنا ؟!

تنتزعه عن عنقها بقوة أدمته لكنها لم تبالِ وهي تلقيه بعيداً ليصلها صوت انفراط أحجاره الملونة..





ذاك الصوت الرتيب لتدحرجها على الأرض الصلبة

يكاد يصم أذنيها وكأنه يذكرها بسقوطها هي ...

سقوطها الذي بدأ...ولم ينتهِ بعد ...

ألا رحمةً بي أيها القاع فمثلي لم تنتظر يوماً

سقوطاً !

_يوم تاني ممل؟! عايزين شوية "ساسبينس"

كده !

قالتها ساخرة باردة مريرة بصوت مسموع وهي

تتجه نحو خزانة ملابسها لتستخرج منها ملابسها

المحتشمة كلها والتي دأبت على ارتدائها بعد

طلاقها من رامي مباشرة ...

وقتها كرهت جسدها كما لم تفعل من قبل ...





لهذا قصت شعرها الطويل وأخذت قرارها ب"الحجاب"...

لا لم يكن في عينيها مجرد خطوة إيمانية ...بل كان تغطية لما نفرت منه من جسدها ساعتها!

والآن تجد نفسها تميل للعكس!

فضيحتها الآن تتناقلها الألسنة !

المرأة التي كانت قبلة الأنظار لجمالها ونجاحها وتألقها الآن تلوك سمعتها الألسنة !

حصاد عمرها الذي بذلت فيه روحها الآن تشتعل فيه النيران ليضحى رماداً تذروه الرياح !

يصمونها بشرفها ؟! حسناً ...فلتمنحهم ما يريدونه إذن !





انتهت أفكارها بنظرة عزم أججها يأسها وهي تتناول ملابسها هذه قطعة قطعة...

تمزقها شر ممزق وكأنما تفرغ فيها كل انفعالاتها ...

من حسن الحظ أنها تركت ملابسها التي تحمل ذكرياتها مع يامن هناك في بيته ولن تستعيدها ...

بل ربما من سوء الحظ !

أجل...ليتها تستطيع تمزيقها الآن مع كل ذكرى ...مع كل نبضة حب ...مع كل لحظة عاشتها ناسكة في محرابه !

ستفعل!

قسماً بمن ابتلاها بعشق مريض كعشقه ...ستفعل!

ستقتله في قلبها حتى ولو قتلت نفسها قبله !





هنا حانت منها التفاتة لخاتمه في إصبعها ...

عجباً !

ألم تكن تعشق الألوان ؟!

ألم تكن تراها بهجة البالونات وسحر
الزهور ...ورونق قوس قزح؟!

ما بالها تراه الآن كوجه مهرج مزركش تخيفها
عيناه ؟!!

حقاً...الألوان مجرد وهم تسعى خلفه أحزاننا
تستجدي بُهرجَه الخدّاع ولو صدقنا أنفسنا
لارتضينا منها لونين فقط...

"بياض" عطائنا و"سواد" خذلاننا !

وبهذا الخاطر الأخير انتزعت الخاتم من إصبعها ...





لا لن تلقيه على الأرض كعقده الملون ...

_تستاهل نهاية أحسن يا صغنن!

بنفس السخرية الباردة همست بها وهي تتحرك نحو المطبخ وبالتحديد نحو نافذته التي زرعت أمام سياجها نبتة صغيرة ...

نبتة ذبلت الآن بعدما أهملتها وجفت تربتها لتمنحها مظهراً متشققاً يشبه شقوق روحها هي ...

تناولت دورق ماء لتسقي الطين الجاف الذي تشربه بنهم...

قبل أن تقلبه بملعقة خشبية طويلة لتغرس خاتمه فيه وتردم عليه الطين!





_إكرام الميت دفنه ...واللي بيننا مات خلاص...عايزة أفضل فاكرة المشهد ده وما يطلعش من دماغي أبداً!

تمتمتها الباردة بدت كرفرفة طير ذبيح وهي ترفع أناملها التي تلطخت بالطين أمام عينيها ...

تماماً كحياتها كلها الآن...ملطخة !

رنين جرس الباب يخدش أذنيها ...

من عساه يكون؟!

لقد طردت الخادمة...وأمرت حارس الأمن بالأسفل ألا يسمح لأحد ..أي أحد بزيارتها ...





ردود فعل معارفها بعد ما كان تؤذيها ..كلها تؤذيها !

سواءٌ المستنكر فيهم والمصدق ...

سواءٌ المتعاطف فيهم والشامت ...

كلهم غرباء...بعيدون ...شاذون عن نغمة حياتها ...

أو ربما هي الشاذة التي ظنت أن لحن العمر قد يتسع للمزيد من جنون القلب!

لا يهم!

هي لا تريد أحداً...لا تحتاج أحداً...

لا تنقصها شماتتهم المزينة بشفقة مزيفة !





لهذا تجاهلت صوت الباب لما يقارب ربع الساعة حتى تشارك القرع العالي لخشبه مع رنين الجرس ...

تأففت بضجر عالٍ غريب على طبيعتها الهادئة لتعدو نحوه وقد أقسمت أن تفرغ في الطارق غضبها ...

فتحت الباب بعنف لتصطدم عيناها بعيني الطارق الذي رمقها بنظرة غريبة طويلة سبقت صمته المطبق ...

_جاي ليه ؟!

لم تكد تفيق من دهشتها حتى هتفت بها بخشونة لم يعتدها من طبعها الحليم رغم كل ما فعله بها قديماً...




لهذا ما كاد يسمعها حتى انعقد حاجباه بقلق ...

قلق ...لا غضب يُفترض من ردة فعل كهذه !

_جاي تتأكد من اللي بيتقال؟! جاي تسألني إن كنت خاينة واللا لأ ؟! جاي تطمن على سمعة بنتك اللي بقت في الوحل ؟!

كان صوتها يعلو تدريجياً مع كل سؤال تسأله بينما تلوح بذراعيها بانفعال وهي تتراجع عنه ...

تبتعد..تهرب ...في سابقة لم تعرفها من قبل معه !

كان يدرك بشعور الأب بداخله أنها لم تسامحه يوماً على ما فعل ...

لكنها كانت تداري هذا خلف قناع مرحها ...لباقتها...لطفها المهذب معه...





والآن يسقط القناع لتبدو من خلفه ندوب روحها المشوهة التي كانت تجيد مداراتها !

_واللا جاي شمتان فيّ عشان أنا اللي اخترت غلط المرة دي ...معلش...مرة عليك ومرة عليّ...انت اخترت رامي وانا اخترت ...

انتهت عبارتها بشهقة مكتومة وانهيارها المتوقع يأتي حتماً بعد كل هذه الثورة العارمة ...

الأرض تهتز تحت قدميها لكنها تشعر به يتلقفها ...

عناقه البارد يزداد دفئه لحظة بعد لحظة ...

لتجد نفسها تستسلم له مخفية وجهها في صدره كما كانت تفعل وهي صغيرة خائفة لا تدري أنها ستفقد لذة أحضانه هذه غدراً !





_لا جاي شمتان ...ولا محتاج أسأل...أنا عارف بنتي كويس...يمكن مش أنا اللي تعبت وربيت لكن عارف والدتك الله يرحمها ربتك إزاي...أنا أكدّب عيني وماكدّبش ثقتي فيكِ.

كلماته الواثقة الحنون تخترق أذنها وتزيد حرارة بكائها ...

هذا بالضبط ما كانت تحتاج سماعه الآن !

واحد...واحد فقط يشعرها أنه معها ...يثق بها ...يؤمن بها ...

واحد فقط يُكذّب ألف عين وألف أذن ...ويصدق يقينه ببراءتها ...





واحد كانت تتمنى لو كان "الحبيب" الذي نذرت له عمراً ...

لكن لا بأس...لعل القدر يدخر ل"الأب" كفارة عن ذنبه القديم !

_لو مش عايزة تتكلمي دلوقت براحتك...بس أنا مش هسيبك غير لما أفهم ده حصل إزاي ...أكيد الفيديو ده مش حقيقي ...ولو حقيقي أنا واثق إن له بقية تبرأك !

من بين غياهب ظلماتها تتلقى عبارته كطوق نجاة !

كقبس ضعيف...ضعيف جداً...يزداد وهجه حتى يملأ ناظريك !





الثقة التي يتحدث بها ...اليقين الذي ينتقل منه إليها ...الأمان الذي يتسرب إليها بين حروفه ...

حسناً...هو على الأقل لم يخذلها هذه المرة !

ربما لهذا السبب تخلت عن وعدها لنفسها بكتمان تفاصيل هذا الأمر ...

حذرها المعهود -معه هو بالذات- ينهار أمام رغبتها الحقيقية في مشاركته حملها !

كلماتها مقتضبة...

تارة خجول وتارة غاضبة وأخرى عاتبة ....

لكنها كانت صارخة في كل حالاتها ...

صارخة بهذا البركان الذي دفنته في صدرها طوال هذه الأيام ليخرج فجأة عن قشرته ويهدر بلا رادع!





_كل ده كان بيحصل من ورايا ؟! كل ده استحملتيه لوحدك ؟! ليه ؟!

هتف بها أخيراً بمزيج من ذهول واستنكار قبل أن يهز كتفيها بعنف مردفاً :

_كنتِ مستنية إيه عشان تعرفيني؟! عشان تسمحيلي أكون أب بجد مش مجرد اسم في بطاقتك ؟! إيه اللي كان في دماغك الناشفة دي وانتِ بتخبي؟! كنتِ بتعانديني واللا بتعاندي نفسك ؟!

لتكتسب كلماته المزيد من الحسرة باستطراده:

_للدرجة دي كنتِ شايفاني بعيد ؟!

عادت دموعها تنهمر غزيرة وهي تنتفض بين ذراعيه ...





هاقد تهاوت آخر سدود كبريائها !

حتى تماسكها المزعوم ما عادت قادرة عليه !

وهاهي ذي تقف -بعد طول مكابرة- بلا حول ولا قوة !

كل ما فيها يجثو على ركبتي يأسها فكيف تدعي الوقوف برأس مرفوع؟!

بينما ظل هو مصدوماً لدقيقة كاملة يتفحص ملامحها بمزيج من غضب وندم !

_المهزلة دي لازم تقف...جوزك لازم يعرف الحقيقة .




هتف بها بحزم لتتمتم هي بين دموعها :

_طلقني!

اتسعت عيناه بصدمة للحظة قبل أن يكز على أسنانه محاولاً كظم غضبه بقوله :

_أي راجل مكانه كان هيعمل كده خصوصاً إنك ما عرفتيهوش الحقيقة.

_ومش هاعرفه !

قالتها بإصرار بدا غريباً وسط حالة الوهن التي تملكتها ...

لكنه لم يكن في حالة تسمح له بمزيد من عنادها الغبي!

لهذا هتف بها بنفاد صبر :





_برضه لسه هتمشي بدماغك ؟! برضه هتقوليلي كرامتك مانعاكِ تقفي في موقف دفاع؟!

_يمكن تشوفها كرامتي اللي ماسمحتليش ادافع عن اتـهام بشع زي ده مادام ادى لنفسه فرصة يصدقه ...ويمكن تشوفها حسرة على حبي اللي ماقدروش ...اللي ماساواش فرصة يسمعني قبل ما يتخلى عني في المصيبة دي لوحدي ...

قالتها بنبرة جامدة وسط فيضان دموعها الصامت الذي لم يجف ...

لتردف بنبرة أقسى:

_ويمكن ...مجرد ذكاء ...اني ما بحبش أراهن علي حصان خسران ...بعد اللي حصل كل اللي بيننا انتهى...يامن اللي اعرفه ممكن يبيع اي حد قصاد لحظة شك ...أي حد مهما كان رصيده .




_ولما انت عارفة كده اتجوزتيه ليه بعيبه ده؟!

سألها بعتاب لم يغادره حنانه وقلبه يتآكل حسرة على تلك التي انطفأت فجأة كنجم أسر العيون بريقه قبل أن يهوي فجأة محترقاً ...

لتجيبه بنزف كلماتها الموجع:

_عشان لما الدنيا اسودت في عيني ...لما كرهت نفسي وكرهت الناس ...هو بس...هو بس اللي كان فاضل له في قلبي مكان ..هو بس اللي كنت واثقة إنه هيقدر يرجع لي عمري اللي فات ...ويرجع لي نفسي اللي ضاعت مني .




أغمض عينيه تأثراً وهو لا يدري بماذا يصف شعوره الآن ...

جزء من أبوته يشعر بالغيرة على قلب ابنته الذي وجد في غيره ملاذاً عندما ضاقت به السبل ...

وجزء آخر يشعر بالحسرة على ما آل إليه حالها ...

لكنه وسط هذا وذاك لا يملك شعوره -كرجل بعيداً عن قلب الأب- بأن يعذر يامن !

لهذا عاد يسألها بغضب مكتوم :

_ولما انتِ عارفة طبعه ليه كدبت عليه لما سألك عن زين ده؟!

_مكنتش أعرف إن فيه فيديو زي ده متصور ...كنت فاكراها مجرد حكاية وخلصت ...وبعدين كنت عايزني أقولله إيه ؟!
وحتى لو كنت قلت له الحقيقة تفتكر كان




هيصدقني؟! ولو حصلت المعجزة وصدقني تفتكر شكل حياته معايا كان هيبقى إيه ؟! ده بني آدم بيشك في خياله ...لو كنت اعترفت له كنت هاعيش معاه في جحيم .

هتفت بها مدافعة وهي تتراجع عنه بظهرها ملوحة بذراعيها ...

عيناها الزائغتان تفضحان تشوشها ما بين حقيقة وخيال ...

ربما لو كانت في وعيها الكامل لما سمحت لنفسها أن تظهر أمامه ...أو أمام أي أحد بهذا الضعف...

لكنها كانت حقاً تتهاوى ...تتآكل ...

كيانها المميز الذي يرنو للكمال ...الذي كان يجيد ترميم نفسه بنفسه كل مرة ليقوم من





عثرته ...الذي اعتاد نظرات الفخر والإعجاب ممن حوله...الآن يتساقط أمام فضيحة ليست كأي فضيحة...

الآن يخجل من الاعتراف بخطيئة -لم يتمها- لكن تكفيه مجرد النية ليكره هذا الشعور بضآلته !

زفر بقوة وهو يشيح بوجهه لتقع عيناه على غرفتها المفتوحة حيث ملابسها التي مزقتها ...

فاضطرب قلبه بجزع وهو يدرك أن أقسى ما يواجه ابنته الآن ليس فضيحتها ...

ولا حتى طلاقها ...

بل هي نفسها!





ياسمين التي يعرفها لم تكن لتكترث لألف فضيحة بل كانت ستسعى لانتزاع احترام الناس وإعجابهم من جديد كما كانت دوماً تفعل ...

لم تكن لتكترث لرحيل شخص...أي شخص...حتى ولو زعمت له حباً كهذا الذي تحكيه عن يامن...

لكن من أمامه الآن واحدة أخرى ...واحدة فقدت هويتها وصارت تتخبط بين جدران لا مرئية ...

تبدو مجنونة لكنها فقط ...مجروحة ...

الجرح هذه المرة أكبر كثيراً من تحملها !

لتكمل هي له نسيج أفكارها بقولها بنفس اللهجة المشتتة:

_أملي الوحيد كان فيه هو ...إن هو نفسه اللي يقول لا ...هي ماتعملهاش...إن رصيدي عنده كان





يبقى أكبر من شكوكه ...لكن للأسف كانت حرب خسرانة...خسرانة.

انتهت كلماتها بدفقة أخرى من دموعها بينما تنكس رأسها وكأنه مجرد إشارة أخرى لهزيمتها في معركة لم تكن أهلاً لها ...

فتنهد الرجل بعمق ليقترب منها هذه الخطوات التي ابتعدتها ...

ذراعاه يطوقانها من جديد وأنامله تربت على رأسها برفق مع كلماته التي تعمدها بطيئة واثقة:

_أكدب عليكِ لو قلت لك إن مفيش حاجة بيننا اتغيرت ...من النهارده مش هاقدر أسيبك لوحدك...مش هآمن عليكِ زي زمان ...لكن الحاجة الوحيدة اللي مش ممكن تتغير هي ثقتي فيكِ





انتِ...مهما حصل هتفضلي بنتي اللي بفتخر بيها وبنجاحها وبقوتها اللي ما بتتهزش أبداً.

=======

فتح عينيه فجأة ليجد نفسه مقيداً على أحد الكراسي في غرفة حقيرة بلا نوافذ ...

شحب وجهه وهو يرى تلك الأفعى تزحف هناك بعيداً عنه قليلاً لكنها كانت كافية ليرتجف قلبه رعباً ...

ما الذي وصل به إلى هنا؟!

آخر ما يذكره أنه كان عائداً لبيته في سيارته قبل أن تقطع عليه الطريق سيارة أخرى ليصطدم بها ...

هل فقد وعيه ونقلوه إلى هنا ؟!!

السؤال هنا...من هم ؟!!





حاول النهوض من مكانه بسرعة فقد كانت قدماه حرتين لحسن حظه...

ليفاجئه الصوت الذي دخل لتوه من الباب :

_لا لا...ما تنرفزهاش بحركة عنيفة....شايف خضيتها إزاي؟!

ازداد شحوب وجهه وهو يراقب الأفعى التي توقفت عن الحركة فجأة لينساب لسانها بهذه الحركة المتراقصة المخيفة ...

والتي جعلت مفاجأته بصاحب الصوت تقل أثراً ليهتف برجاء مثير للشفقة :





_زين بيه ...احنا من امتى بننزل للمستوى ده ؟!
لو جرالي حاجة انت هتبقى أول مشتبه فيه ...بعد
الفيديو اللي نزل ...اعقلها كويس.

لكن زين ظل واقفاً مكانه ليقول بنبرته الواثقة
الخالية تماماً من أي انفعالات :

_مشتبه فيه ؟! ليه تفكيرك يروح للحاجات الوحشة
دي؟! هي فين الجريمة عشان ندور على المشتبه
فيهم؟!

ارتخت ملامح رامي ببعض الارتياح لكنها عادت
تتشنج عندما أردف زين بنفس النبرة :

_واحد سايق عربيته على طريق مهجور عطلت
بيه وطلع له تعبان خلص عليه ...خلصانة بشياكة !





اتسعت عينا رامي بارتياع وهما تنتقلان من ملامح زين الباردة للأفعى التي بدأت زحفها الحثيث نحوه ...

_فكني يا زين ...خرجني من هنا وهاعملك اللي انت عايزه ...

صرخ بها بخوف وهو يحاول التراجع بكرسيه للخلف ...

لكن زين ظل ثابتاً مكانه وكأنه يستمتع بنظرات الخوف هذه في عينيه ...

قبل أن يقول بنبرته المهيمنة :

_اللي عايزه منك كتير ...هنبدأها بأنك تعرفني على التفاصيل...مين بعتلك الفيديو ؟! وليه دلوقت بالذات اخترت تنشره ؟! كل حاجة...كل حاجة عندك





عن الموضوع ده عايز أعرفها ...وياريت بسرعة عشان مصلحتك.

امتقع وجه رامي وهو يراقب حركة الأفعى برعب لينطلق لسانه في البوح بكل تفاصيل اتفاقه مع سيلين ...

وكيف أرسلت له صورة زين مع ياسمين عن طريق مساعدة الأخيرة في المطعم والتي كانت تعمل لحسابها .

عقد زين حاجبيه للحظات ليسأله :

_ومين بعتلك الفيديو ده ؟!





_معرفش...يمكن حد من اصحابي اللي كانوا حاضرين الحفلة ...صدقني مااعرفش...كفاية كده يا زين ...فكني ...

هتف بها رامي بانهيار وهو يرى التفاف الأفعى حول قدمه ...

عيناه تتسعان بهلع وهو يراها ترفع رأسها في وضع الانقضاض قبل أن يغلقهما بقوة ...

صوت رصاصة مدوية يقتحم رأسه فيفتح عينيه بسرعة ليرى انتفاضتها الأخيرة تحت قدميه ...

تصبب العرق غزيراً على وجهه وهو ينهار ليجلس على الكرسي الذي اختل توازنه به للحظات قبل أن يستقر وهو فوقه عاجز عن تمالك أعصابه ...





بينما أعاد زين مسدسه لجيبه قائلاً بنفس النبرة الثلجية :

_كده خلصنا أول مرحلة...ندخل بقا ع التانية .

قالها وهو يشير للخارج نحو أحد رجاله الذي تقدم من رامي المذعور وقد تحفزت خلاياه للقادم ...

لتزداد ارتجافته وهو يرى الرجل يحل وثاقه ...

قبل أن يخلع زين سترته ليناولها إياه فيختفي من الغرفة تماماً ...

هنا تقدم زين منه وهو يفك زر إسورة قميصه قائلاً بصوته الذي ازدادت نبرته خطورة :





_إن جيت للحق...انت ليك عندي حق عرب ...أنا برضه اعتديت على بيتك في لحظة طيش...ما تيجي نصفي حساباتنا راجل لراجل...أنا قدامك أهه...

انتهت عبارته بلكمة مفاجئة صرخ لها رامي بألم بينما زين يردف بنبرة ظهرت أخيراً انفعالاتها الهادرة:

_انت عارف من امتى نفسي في اللحظة دي؟!...ما ترد ...رد ...واللا انت ما بتسترجلش إلا على الستات!

أتبع عبارته بلكمة أخرى حاول رامي ردها لكن زين كان يفوقه قوة واستعداداً...

ضرباته هذه التي تمناها من زمن ...





منذ كان يرى آثار اعتداءاته على ياسمين ...

ياسمين التي ود لو تنتفض لكرامتها من أول اعتداء لكنها كانت تعود للمحاربة في معركة خاسرة من اعتذاراته ووعوده !

_كفاية .. كفاية !

صرخ بها رامي بألم وهو ينثني على نفسه محاولاً اتقاء الضربات ...

ليتوقف زين لاهثاً للحظات قبل أن يقول له بين لهيب أنفاسه :

_ماشي...كفاية...

ثم مال عليه بحركة مفاجئة ليهمس أمام عينيه المذعورتين بصوته المخيف:




_زي ما عملت المصيبة دي تتصرف وتحلها...تنزل اعتذار على صفحتها...تقول إن الفيديو متفبرك ...تتنطط ...تتشقلب ...مش شغلي ...المهم تبرأها زي ما فضحتها ...وإلا ورب الكعبة ما هاخللي الدبان الأزرق يعرف لك طريق.

=========

_نصابين!

هتفت بها زميلتها في القسم حيث تجلسان معاً على أحد المكاتب وهي تلوح بهاتفها بعصبية لتسألها هانيا :

_فيه إيه؟!

_موقع على النت بيبيع لانجيريهات ...عارضين موديل عجبني ...طلبته وبعتوهولي...لقيته بشع...لا خامة...ولا شكل...غير الصورة خالص...شوفي!





اتسعت عينا هانيا بارتباك والحمرة تتسرب لوجنتيها مع مرأى القميص الفاضح -كما تراه - ...

تغمض عينيها تلقائياً بمزيج من خجل وغضب ...

قبل أن تفتحهما وهي تتأمل زميلتها بالكثير من الدهشة ...

فقد كانت منتقبة لا ترتدي سوى الأسود حتى كفاها مغطيان بالقفازين!

لم تتصور أبداً أن امرأة "فاضلة" مثلها يمكن أن ترتدي مثل هذه الأشياء ولو في بيتها!

ماذا حدث في هذا العالم ؟!

ألم تعد النساء يفكرن سوى في هذه الأشياء؟!!!





الاستنكار الذي ملأها جعلها تهتف في وجه صاحبتها دون تحفظ:

_معقول؟! انتِ تلبسي حاجة زي كده ؟!

_وفيها إيه ؟! وأنا بلبسها لحد غريب ؟! ده جوزي!

قالتها صاحبتها بدهشة لتستمر هي في هتافها المنفعل:

_وعشان هو جوزك تقللي احترامك قدامه ؟! هي دي الست من وجهة نظركم ؟! هو ده المطلوب منها؟! جارية بتعرض جسمها عشان شهريار يتفرج ويتبسط ؟! تفرق إيه الست اللي تعمل كده عن أي بنت ليل يتبص لها عشان شكلها وبعدين تترمي في الآخر للكلاب؟!





تجمدت ملامح المرأة التي لم تتوقع هذه الإهانة من شخصية كهانيا...

قبل أن تضيق عيناها بتفهم لتتمتم:

_آه...فهمت.

لكن هانيا لم تسمعها وقد غرقت في شرودها في ذكرى طفت لذهنها فجأة من ماضيها ...

_ضربتِ زميلتك بالقلم ليه ؟!

تقولها الأخصائية الاجتماعية في مدرستها الثانوية معنفة إياها لتهتف هانيا مدافعة :

_هي اللي بدأت...خلت البنات كلهم يتريقوا عليّ.





_ما اتريقتش...كنا بس بنتكلم على صورة خالتها في الفيلم الجديد...هو الحق يزعل؟!

تهتف بها زميلتها بسماجة وهي تلوح بصورة بيللا بثوبها المكشوف الذي زادته وقفتها الإغرائية جرأة ...

لتنقل المرأة بصرها بينهما للحظات قبل أن تنتزع من زميلتها الصورة لتهتف بنبرة زاجرة :

_ارجعي انتِ فصلك .

الفتاة ترمقها بنظرة مستهجنة متوعدة قبل أن تغادر لتجذبها الأخصائية من يدها فتجلسها أمامها قائلة :

_هي فعلاً بيللا تبقى خالتك؟!

تفرك كفيها بارتباك وهي تود لوتنشق الأرض وتبتلعها ...





تشد تنورتها الطويلة تتأكد أنها تغطي ساقيها ...

تعدل حجابها فتسدله ليغطي مقدمة صدرها...

سؤال المرأة لم يزد في عينيها عن "اتهام"...

اتهام دفعته بهتافها المنفعل:

_آه خالتي بس مالناش علاقة بيها .

ترمقها المرأة بنظرة مشفقة طويلة قبل أن تقول لها ب-ما ظننته نصيحة-:

_أنا ماليش أتكلم في حاجة عائلية...ولا هتكلم عن خالتك...بس هاتكلم عنك أنتِ...البنت المحترمة اللي زيك ماتمدش إيدها على حد...ما تخليش حد يستفزك بحاجة مالكيش ذنب فيها ...أنا مش هعاقبك لأني عارفة أخلاقك ...بس ياريت تثبتي على موقفك...




ثم وضعت الصورة على المكتب مقلوبة على ظهرها بحركة ذات مغزى لتردف بما ظل محفوراً في ذهنها:

_البنت المحترمة تلبس زيك كده وماتديش فرصة لأي حد يجيب سيرتها.

_هانيا!

انتزعتها بها زميلتها من شرودها وهي ترى بوضوح حركة صدرها المضطربة لتلتفت نحوها بحدة فتبتسم المرأة قائلة :

_شكلي نرفزتك وفكرتك بحاجة ضايقتك.

قالتها المرأة ببعض الإشفاق وقد أدركت أن طلاق هانيا قد يكون بسبب كهذا ...





هانيا التي أشاحت بوجهها وهي تشعر بالاشمئزاز من مجرد تصور المرأة ترتدي شيئاً كهذا !

المرأة التي كانت متفهمة كثيراً فيما يبدو وهي تقترب منها أكثر لتقول لها بنبرة ودود:

_مشكلة بعض الناس في مجتمعنا إنهم ساعات بيسرفوا في توجيه البنت للأخلاق للدرجة اللي ممكن يخلليها تتجاهل أنوثتها ..تتكسف منها وتعتبر اهتمامها بيها سفالة و قلة حياء حتى لو في إطار شرعي سليم...

ثم صمتت لحظة لتردف :

_مش عيب ولا حرام...ليه تبصيلها إنها قصة جارية وسيد...ليه ما تبصيلهاش إنك كده بتعفّي زوجك ...بتحميه من إنه يدور بره على اللي مش لاقيه جوه...بتسدي عليه طرق الشيطان اللي





بيزينله الغواية..ليه ما تقوليش إنها صورة تانية للتعبير عن الحب..بالظبط زي ما بتزوقي الهدية قبل ما تقدميها ؟!

التفتت نحوها هانيا ببطء وحديث زميلتها يفتح لها ثغرة ضعيفة وسط جدار قناعاتها المصمت ...

ثغرة اتسعت شيئاً فشيئاً مع استطرادها:

_ده عمره ما كان قلة قيمة ولا عدم احترام..للأسف احنا في زمن فتن..الرجل بيشوف حواليه في كل حتة ستات من كل شكل ولون..لو غض بصره ألف مرة غصب عنه مرة عينه هتشوف..هتشتهي..هتقارن..ليه ما تساعديهوش إن المقارنة دايماً تكون في صالحك؟!




_فيه رجالة ما بيملاش عينها إلا التراب... وبعدين الراجل اللي يسمح لنفسه أصلاً يقارنني بغيري ما يستاهلنيش!

قالتها بقهر وعيناها تدمعان رغماً عنها ...

كل ما تدعيه من صلابة ينهار بداخلها عندما تتخيل أن رامز قد استبدلها بهذه البساطة...

وبمن؟! بصديقتها؟!

ربما كان شعورها بالإهانة...بالغدر...برثاء الذات هو ما يغلب عليها في البداية...

لكن رويداً رويداً...يوماً بعد يوم...تدرك أن هذه المرارة في حلقها أقوى من هذا...

إنها -ويا للعار- تغار!

إنها -ويا للمصيبة- تفتقده!





إنها -ويالخيبة- تحتاجه !

لكنها -ويالفخر- قادرة على تجاهل كل هذا لتمضي قدماً في حياتها وكأن شيئاً لم يكن !

وكأنها لا تجد بداخلها روحاً تتفتت...

كفاها انتصاراً أنها كانت على حق عندما كانت تكبل مشاعرها معه ...

على الأقل هي لم تخسر كبريائها معه بأي صورة ...

وهذا هو المهم !

فليذهب الحب للجحيم...

وليحمل معه "صداقة" لم يعد لها معنى في هذا الزمان!

_أكيد .

هتفت بها زميلتها موافقة لرأيها فانتزعتها من لجة أفكارها لتردف بابتسامة واسعة:

_بس الحب زي الحرب...كل الأسلحة مباحة عشان تضمني النصر.

_أنا ما بحاربش عشان حد ....أنا في حد ذاتي نصر!

هتفت بها بما بدا شديد الغرور لكن لمعة عينيها الدامعتين فضحت حقيقة وهنها ...

هنا شعرت زميلتها بعقم الحوار فقامت من مكانها لتقول لها بود :





_احنا مش مختلفين...الحكاية بس إن كل واحدة فينا شايفة الموضوع من وجهة نظر معينة...معلش هستأذنك أروح أشوف حاجة.

غادرتها زميلتها لتتابعها بنظرات بدأت متنمرة معاندة قبل أن ترق تدريجياً لتتلون بألم خالص...

صراع نفسها يشتد وهي تشعر بالحلقة حولها تضيق...

هل هي حقاً مخطئة ؟!

هل كانت هي من دفع رامز بعيداً عنها؟!

هل يقتصر الحب على بضع كلمات لعوب وثياب ساخنة ؟!

هل قيمة المرأة في مجرد دلال وميوعة ؟!





يبدو أن الإجابة "نعم" وإلا لما تركها رامز ليهرع لغادة !

غادة؟!!

غادة!!

هل تتخيل أم أنها حقاً تتقدم الآن نحوها من الباب المفتوح؟!

بخطوات ثابتة قوية ...

بنظرات حملت مع العتب شيئاً من الامتنان لعهد قديم...

وبمظهر متحفظ غريب على طبيعتها ...

هل ارتدت حجاباً ؟!

رامز جعلها تفعلها ؟!

هل يغار عليها إلى هذا الحد ؟!

الخاطر الأخير وحده جعل النار تشب فجأة في ضلوعها لتنتفض مكانها صارخة بحدة غير آبهة بالمكان :

_انتِ بتعملي إيه هنا؟!

والجواب أتاها هادئاً...

عاتباً...

ودوداٌ...ومؤلماً !

_جاية لصاحبتي!

==========

صاحبتي!





الكلمة -على بساطتها- أشعلت براكين صدرها واحداً تلو الآخر !

جعلت دموعها -العزيزة- تتأرجح على ضفاف جفنين لايزالان متشبثين بعناد الكبرياء ...

هل افتقدت حب رامز فحسب؟!

ألم تفتقد شيئاً آخر؟!

صداقتها لغادة لم تكن مجرد صحبة عابرة ...

لم تكن مجرد تآلف امرأتين بمشاعر سطحية ...

صداقتهما كانت نوعاً من رمزية "اليين واليانج" الصينية الشهيرة...

حيث لا أبيض مطلق ولا أسود مطلق...

كلتاهما تكمل صاحبتها لتلتئم دائرة روحها كاملة !





ربما تبدو هانيا القوية المسيطرة الجافة بينما غادة تشكل الجانب الضعيف اللين الخانع...

لكن كلتيهما كانت تدرك أن خلف هذه "الدائرة الخارجية" الخادعة توجد روح أخرى مغايرة...

قد يبدو الأمر وكأن غادة كانت المستفيدة من دعم هانيا وقوتها لكن الحقيقة أن غادة هي الأخرى كانت تغذي بداخل هانيا شعوراً تحتاجه...

شعوراً أقرب للأمومة ...بمزيج المسئولية والحنان!

صداقتهما كانت مرآة لكلتيهما ترى فيها كل واحدة الصورة التي تنقصها...وتتمناها سراً !

والآن ما عاد مجال للأسرار ...مرحباً بالمواجهة !





_إيه ؟! جاية تعزميني على الفرح؟!

هتفت بها هانيا ملوحةً بكفها بسخرية حادة وقد

بادرت بالهجوم كما يتوقع ...

لكن غادة التي خلعت عنها رداء الخنوع لم تنكمش

خوفاً كعادتها بل استمرت في التقدم نحوها لتقول

بنفس النظرة غزيرة المعاني:

_انتِ مصدقة نفسك ؟! انتِ متخيلة إني فعلاً ممكن

أعملها؟!

ولأول مرة في تاريخ صداقتهما تنقلب الأدوار!

خانة "الضعيف" التي طالما احتلتها غادة الآن

تنحشر في زاويتها هانيا...

بينما تتولى غادة زمام المبادرة وقد صارت أمام

هانيا تماماً ...





تناظر عينيها الزائغتين لتلقي برمية أخرى:

_واللا انتِ صدقتِ بس اللي كنتِ عايزة تشوفيه ؟!
عشان تثبتي لنفسك إنك صح وإنه كان معاكِ حق
لما قفلتِ على قلبك طول العمر ده ؟!

اتسعت عينا هانيا بصدمة ليتراجع رأسها
للوراء ...

لتلقي غادة برمية جديدة وهي تشير بسبابتها نحو
صدر هانيا مكان قلبها تماماً:

_ده عايز يحب...بس خايف يفقد اللي بيحبه بعد ما
يتعلق بيه...

سبابتها تنتقل نحو رأس صديقتها لتلقي بالرمية
التالية ...





_وده بيقول له لأ...الحب ده لعبة

خسرانة...طموحك...كبرياءك...مكانتك...شغلك ...ه

و ده النجاح الحقيقي...

ثم تفرد كفيها في وجهها لتردف بنبرة أكثر شدة :

_يبقى إيه الحل ؟! رامز يطلع خاين...انتِ تطلعي

صح...وتطلعي نفسك من الحرب دي .

لكن هانيا تسترد بعض قوتها لتهتف بمكابرة:

_أنتِ بتجادلي في إيه ؟! أنا سامعاه بوداني وهو

ب...

_بإيه ؟! بيقوللي إني جميلة ؟! كام مرة قالهالي

قدامك مجاملة وكنتِ بتعديها ؟! قاعد معايا في

مكان عام ؟! كام مرة خللتيني أخرج معاكم وكنتِ





ساعات بتسيبينا لوحدنا؟! كام مرة خللتيه يوصللني بالعربية واحنا راجعين من الشغل لوحدنا؟! فجأة حسيتِ بأن الوضع غلط ؟!واللا انتِ اللي كنتِ مستنية الفرصة عشان تشوفي الغلط غلط ؟!

آه...هدف!

يبدو أن غادة أحرزت أول هدف في هذه -المباراة الكلامية -...

وهاهي ذي هانيا تفقد أعصابها تماماً لتهتف بينما تغطي وجهها بكفيها :

_ده قاللي بمنتهى البجاحة إنه جايبك هناك عشان يعرض عليكِ الجواز !

ولازالت غادة سيدة الملعب بضرباتها المتوالية ...





حيث أزاحت كفي هانيا عن وجهها لتتوهج عيناهما المتقابلتان بشرر الحقيقة :

_ما تضحكيش على نفسك ...جزء جواكِ كان متأكد إنه مايقصدش اللي قاله ...وإنه اتهور كالعادة عشان يرد عِند بعِند...لكن كبريائك منعك تصدقي...كبريائك اللي خلاكي ما تشوفيش وقتها غير إنه بيقارن بينك وبين ست تانية...وهو هو كبريائك اللي خلاكي تدوسي على كل اللي بيننا عشان تشوهي صورتي وتفضحيني...لأنك وقتها ما كنتيش شايفاني أنا...ماكنتيش شايفة غير نفسك وبس...عموماً هاريحك وأقوللك إني كنت رايحة يومها أقابله عشانك...واحدة معنا في الشغل بترمي شباكها عليه...رحت أحذره منها وخفت أقوللك لأني عارفة دماغك...




الضياع الذي رسم أخاديده في عيني هانيا الشاردة يثير شفقتها فتتنهد بعمق لتردف :

_اطمني...رامز مابيحبش إلا انتِ...لا هي ولا غيرها.

الآن يتمكن الوهن من كلتيهما ...

"تعادلٌ " في دموع حارة تغشي الأحداق...

في ارتجافة الشفاه...

وجنون الخفقات !

يتبعه "انتصارٌ " ساحق لغادة فضحته عينا هانيا المذنبتين التي انسدل جفناها بينما تردف الأولى بهمس خفيض متوجع...وموجع:





_انتِ كتير وقفتِ جنبي...ساندتيني في أصعب مواقف حياتي...عملتيلي اللي محدش من أهلي عمله...كنتِ أختي وأمي وصاحبتي...ائتمنتك على اللي ماقلتوش لحد غيرك...وفي الآخر ...

قطعت عبارتها بما بدا مفهوماً ...

هذا الذي جعل هانيا تقرر "الانسحاب" تماماً لتعطيها ظهرها فجأة ودموعها تغرق وجنتيها بمزيج من ذنب وعجز...

دقيقة صمت تقتطعِ من وقت "المباراة"!

يتبعها هجوم جديد لغادة التي تحركت لتتملك هي زمام المواجهة من جديد ...

فتتلقى هانيا هجومها بآخر "خائب":

_وانتِ جاية النهارده عشان تعاتبيني؟!




_لأ...عشان أودعك قبل ما أسافر.

هجمة موفقة من غادة جعلت هانيا تتسمر مكانها قليلاً قبل أن تسألها بحمائية قلقة:

_تسافري فين ؟! اوعي تكوني هترجعي بورسعيد ؟!

ابتسامة شاحبة تتسرب لشفتي غادة ...

هانيا لا تزال هانيا رغم كل شيئ!

لهذا أطرقت برأسها قليلاً تتمالك صراع مشاعرها بين عتاب وامتنان ...

قبل أن تعاود رفعه لتقول بنبرة قوية راضية:

_لا مش بورسعيد..أنا سايبة مصر خالص.





نظرة القلق في عيني هانيا تتحول لذعر حقيقي...

أي غادة هذه التي تريد ترك مصر لبلد غريب وهي التي تغرق في شبر ماء ؟!

ستضيع حتماً!

وهي السبب؟!

الآن تنتبه أنها وسط غيمات علاقتها المتشابكة برامز لم ترَ في صديقتها سوى "وسادة قطنية" تفرغ فيها لكماتها الغاضبة ...

هي التي أخطأت عندما بالغت في إقحامها لحياتهما...

وعندما أرادت إخراجها اختارت الطريقة الأسوأ!

فضحتها بأسرارها كذباً وبهتاناً !





وبهذا الإدراك الأخير وجدت نفسها تمسك كتفي غادة تهزهما بقوة هاتفة :

_انتِ اتجننتي؟! هتسافري فين لوحدك ؟! انتِ فاكراها لعبة هتخاصميني وتستخبي !

هنا اتسعت ابتسامة غادة وهي ترفع كفيها تحتضن أنامل هانيا على كتفيها لتقول بنفس النبرة المتوازنة بين قوة وتسامح:

_أولاً..أنا لا مخاصماكي ولا رايحة أستخبى...أنا رايحة أشتغل....

ضاقت عينا هانيا بتساؤل لتردف غادة بتنهيدة ارتياح:





_وثانياً...مش لوحدي...عم أحمد الله يرحمه هيقابلني هناك...هو اللي دبر حكاية الشغل دي بعد ما والد أحمد طلب منه...والحمد لله جت في وقتها.

ورغم الارتياح العارم الذي كانت تتحدث به غادة لكن هانيا كانت تشعر بالعكس ...

ليس فقط خوفها على شخصية كغادة ....

لكنه أيضاً شعورها بالذنب لأنها توقن أنها السبب الرئيسي خلف هذا ...

وهو ما قرأته غادة بكل وضوح لتجيبها بينما تحرك كفيهما معاً لتضعهما أمام صدريهما في -حركة خاصة اعتادتا فعلها معاً منذ أيام الجامعة-...





_لو حاسة بالذنب ...ماتخافيش...أنا مش مسافرة هربانة...بالعكس...أنا مسافرة عشان ألاقي نفسي ...أبنيها من جديد زي ما أنا عايزة مش زي ما الناس عايزين يشوفوني...

ثم أخذت نفساً عميقاً لتردف :

_ولو خايفة عليّ...فأنا هسألك سؤال واحد بس...غادة اللي قدامك النهاردة غير غادة اللي تعرفيها ؟!

تفرست هانيا في ملامحها وهي تشعر بالإجابة تكاد تصرخ !

نعم ...

غادة هذه تختلف تماماً عن تلك الضعيفة المذعورة التي تتخبط بين عجز وخوف...




غادة هذه واثقة...راضية...تشع قوة وحيوية ...

لهذا عادت عيناها تدمعان وهي تومئ برأسها

إيجاباً في رد قاطع لسؤالها ...

لتبتسم غادة وهي تعاود سؤالها :

_يتخاف عليها؟!

فتهز رأسها بالنفي وهي تجد نفسها تجذبها بقوة

بين ذراعيها ...

تعانقها هذا العناق الذي ميز صداقتهما منذ عهد

بعيد ...

عناق اختلط اعتذارها فيه بدموعها النادمة...

من هذا الذي اختزل الحب في علاقة رجل بامرأة ؟!





ها هي ذي أسمى معاني الحب في صداقة مزجت "ضعف"كل منهما ب"قوة" الأخرى!

عناقهما كان يكمل الصورة التي رسمها القدر لكلتيهما ...

متناقضان كسيران يجبر كلاهما صاحبه !

_خللي بالك من نفسك ...ابعتيلي أول ما توصلي .

هتفت بها هانيا وهي تبتعد أخيراً متجاوزة عن اعتذار تدرك -أحقيته- كما تدرك الآن -عدم جدواه- ..

لتمنحها غادة ابتسامة ذات مغزى ناسبت قولها:

_وانتِ كمان ...ابعتيلي أول ما توصلي...

رمقتها هانيا بنظرة متسائلة عما تعنيه لتردف غادة بثقة :

_رامز طريق بدأتيه ولازم تكمليه.

وأخيراً تتركها خلفها مشتتة بأفكارها ...

ربما منحها القدر فرصة لترميم علاقتها بصديقتها ...

لكن يبقى الحب محظوراً ببطاقة حمراء خرجت بها من ملعب العاشقين !

=========

في مكانه المنعزل يقف مستنداً على مقدمة سيارته ...

هذا المكان الذي شهد كل انكساراته والآن يرى أعظمها ...

لم يكن يوماً شخصاً شاعرياً يكترث بالقمر والنجوم وهذا الهذيان عن جمال الليل وسحر السماء ...





لكنه في وقفته هذه على سطح هذا المرتفع...

وقد خلا المكان إلا منه...

لا يملك هذه الرجفة التي تسري في جسده وهو

يرى القمر مقيداً بغمامة صفراء شاحبة جعلته يبدو

كأسير حرب تنعيه نجومه حوله !

لقد كانت "الخائنة" تزعم أنها -مثله- تحب هذا

المكان ...

تأتيه عندما تريد عزلة لأحزانها عن البشر ...

"كذبة" أخرى من كذباتها التي أجادت روايتها

وأجاد هو الانخداع بها!

"الخائنة" التي لوثت ذكرياتها حياته كلها ...





بيته ...عيادته...عائلته...قريته...مدينته...عالمه كله !

كيف له أن يحتمل طيف خيانتها الذي لون كل شيئ حوله فلم يعد يرى أي شيئ إلا بسواد جرحها ؟!!

"الخائنة" التي نجحت أخيراً في إنهاء صراع نفسه حولها ...

لم يعد يعاني كوابيسه بشأنها بعدما تصالح مع هواجسه...

هو ألبسها ثوب "الشيطانة" وانتهى الأمر!

انتهى الأمر؟!

بهذه البساطة ؟!

معقول؟!





كل هذه التفاصيل التي شاركته فيها ؟!

النادي القديم ...ضفيرتها الطويلة ...عشقها المخفيّ خلف كتاب...خباياه الصغيرة التي كانت تحفظها ...مذاقات طعامها بنكهة حب لم تمنحه له سواها...

رمزها الفريد لحرف الياء المميز ..."عقدة ماضيهما" المشتركة التي تقاسما عناءها وحصادها...لذة عناقها الذي كان يشعره أن قلبيهما يتشاركان النبض ...

ابتسامتها ...دعاباتها...نظرة عينيها التي كانت تسع كوناً بأكمله ...

كل هذا كان فقط مجرد خداع ؟!





واجهة أنيقة تخفي خلفها امرأة لعوب تجيد تبديل الرجال كما تبدل ملابسها؟!

_مش قلت لك قبل كده ؟!...كلنا سينابون...دواير لافة حوالين بعضها ...واللي يحكم ع الدايرة الخارجية بس يبقى غلطان .

هل هذا ما كانت تقصده عندما قالتها تلك الليلة ؟!

لسانها انفلت فاضحاً خبيئتها وهو فقط المغفل الذي كان يتجاهل كل إشارات عقله ؟!

انقطعت أفكاره عندما رن هاتفه برقم غريب ...

قلبه "الخائن" ينتفض من رقاده الطويل مترنحاً بدعائه أن تكون هي !

لكنه يخرس نداءاته بزفرة ساخطة وهو يفتح الاتصال بعنف:

_أيوة أنا دكتور يامن ...مين ؟!

الصوت الذكوري على الجانب الآخر من الاتصال يخمد ما بقي من نداءات قلبه فيستمع قليلاً ليرد بنبرة مشتتة :

_آه...حضرتك بتتصل بخصوص إعلان بيع البيت...هو بيت دورين ...له جنينة حواليه ...الدور الأول ريسبشن ومطبخ وأوضة كبيرة...والدور التاني ...





تهدج صوته فجأة ليقطع عبارته وهو يرى نفسه رغماً عنه محاصراً بذكرياته معها ...

ربما تكون هي فاجرة لكن هذه الذكريات تبقى أطهر ما عاشه هو !

ربما لهذا السبب يجب أن يتخلص من كل ما يحمله قسراً إليها ...

سيبيع هذا البيت رامياً خلف ظهره ماضياً جارحاً لا يريد تذكره بعد الآن ...

_تتفرج؟!

قالها أخيراً بنفس النبرة المشتتة والرجل يطلب منه معاينة البيت قبل شرائه ليجد عروقه فجأة تشتعل





بغيرة لا منطقية وهو يرى بعين خياله رجلاً غريباً يفتح باب غرفة كانت يوماً لها ...

تتجول عيناه على فراشها ..تصافحان نفس المرآة التي كانت تحتضن جسدها ...

تتناول أنامله أدوات مطبخها ...يشم أنفه رائحتها العالقة بين الجدران...

تصعد قدماه نفس الدرج الذي تراقصت عليه خطواتها...

_لا!

هتف بها بحدة ليصمت محدثه قليلاً وكأنما ألجمته المفاجأة خاصة عندما أغلق الاتصال بقوله:

_أنا آسف...غيرت رأيي...مش هابيعه .





لاريب أن الرجل الآن يتهمه بالجنون ...

ماذا يضيره ؟! هو يشعر أنه حقاً في سبيله لهذا!

مجرد وفائه لذكرى خائنة مثلها ...جنون !

جنون لا حيلة له فيه إلا تجاهله !

ومن مثله يمكنه العيش بقناع اللامبالاة ؟!!

أعاد هاتفه لجيبه لتصطدم عيناه بخاتمها ذي الفص الأسود في بنصره ...

_مش عايزاك تقوللي إنك بتحبني...هاكتفي مؤقتاً إنك تقوللي إنك مصدق إني بحبك...وإنه مهما حصل مش هتشك يوم في ده .

_مصدقك .

_طيب قوللي أمارة...عشان لو في يوم من الأيام شكيت في كده...أفكرك بيها.

_تعرفي ؟! أيام كتير كنت بصحى من النوم أفضل في السرير ...ماليش مزاج أقوم...أقوم ليه ؟! أشتغل ليه ؟! أقابل ناس ليه ؟! أعيش أصلاً ليه ؟! مؤخراً بس بقيت لما أسأل نفسي الأسئلة دي ...ما بلاقيش غير إجابة واحدة بتخليني نفسي مفتوحة إني أقوم من السرير وأكمل يومي ...

_خلاص..يبقى كلمة السر هي الخاتم بتاعي ...يوم ما تنسى هافكرك بيه.





_مش هانسى!

لا...لم يخلعه...ولن يفعل!

سيبقيه في إصبعه لعله يذكره بسواد غدرها !

لعله يظل شاهد عيان يمنعه السقوط في هذا الشرك من جديد ...

يوماً ما كان خاتمها "الأسود" هو ما يعطيه دافعاً للحياة "معها"...

والآن يبقيه ليظل دافعه للاستمرار في الحياة "دونها"!

فياللمفارقة !

انقطعت أفكاره من جديد عندما شعر بسيارة تقترب ...

التفت بوجهه نحوها بعنف ولازال يتوقع أن تكون هي ...

لكنها لم تكن !

سيارة فخمة سوداء بنوافذ معتمة تقترب الآن منه ليترجل منها من ظهرا كحارسين شخصيين ...

فتح أحدهما الباب الخلفي ليترجل منه سيدهما...

آخر من يود يامن رؤيته في هذه اللحظة ...

بل في هذا العالم كله !

==========

_انت؟!

قالها من بين أسنانه وهو يتابع تقدمه نحوه ...





ربما لم يلتقِ به من قبل لكن ملامحه حفرت بالنار على جدران روحه ...

هو الذي ظل اسمه يؤرق لياليه بكوابيسه قبل أن تحتكر مشاهده -المهلكة- معها أرض عالمه المظلمة كلها !

لماذا جاءه ؟!

وهنا؟! هنا بالذات؟!

هل كُتب عليه أن تلطخ خيانتها كل بقعة تشتهيها روحه؟!

_معلش...اضطريت أراقبك الكام يوم اللي فاتوا عشان أختار مكان مناسب ينفع نتكلم فيه براحتنا...وأظن مفيش أحسن من هنا.





قالها زين بنبرته الرصينة التي تجمع هيمنة لا يدعيها مع لمحة طفيفة من ود خفي !

هل هذه طريقته في كسب من أمامه؟!

هل كانت هذه بدايته في إغوائها؟!

وسيم...ثري...شخصيته القوية تنفذ كاسحة عبر عينين صارمتين ...

أنيق بتلك الطريقة التي يبدون فيها على شاشة التلفاز ...

لم يكن يوماً ممن يتصفون بقلة الثقة لكنه يشعر حقاً الآن أنه غير كفء للمقارنة معه !

هذا الشعور الذي أورثه المزيد من الغضب ...

خلاياه كلها تصرخ برغبتها في قتله !





لكنه وأد هذا الشعور بإرادة من فولاذ ...

غضبه يعني أنها لا تزال شيئاً لديه...

وهو أقسم لنفسه أنها لن تكون في حياته بعد الآن

أي شيئ!

لهذا تجمدت ملامحه وهو يقول بنبرته الساخرة :

_خير؟! ما اظنش فيه حاجة بيننا تستاهل الكلام.

تفحصه زين ببصره للحظات وهو يقترب منه أكثر

وكأنه يدرس انفعالاته ...

ليقول بعدها بحذر:

_متأكد؟!

_اللي بيننا كان واحدة ست ...وخلاص طلقتها .





يعلم الله كم جاهد نفسه لينطقها بكل هذا البرود المستهجن !

جسده كله كان متصلباً ...يابساً...قبضتاه مضمومتان جواره وكأنه سيفتك به في أي لحظة ...

أسنانه تكاد تتحطم من فرط ضغطه عليها...

لكنه لن يسمح لنفسه بالمزيد ...

_هدوءك ده كويس جداً..يشجعني أتكلم في اللي جاي عشانه.

قالها زين بنفس النبرة وهو يشير لحارسيه إشارة ذات مغزى جعلتهما يبتعدان قليلاً كي يتركا لهما حرية الحديث...





ليهتف يامن بنفس السخرية الباردة التي اكتسبت الآن رغماً عنه بعض العدائية :

_عايز إيه ؟!

هنا اقترب منه زين أكثر متفحصاً ملامحه بدقة مع قوله:

_جاي أقوللك الحقيقة اللي مايعرفهاش غيري أنا وياسمين...وإذا كنت مش هتصدقها هي فأظن أنا ماليش مصلحة أكدب.

مجرد جمعه لنفسه مع ياسمين في جملة واحدة استنفر كل الغضب الذي كان يحاول كظمه منذ بدأ اللقاء...

نسف كل ما كان يدعيه من برود ...





وأحيا كل وحوش همجيته وهو يستعيد مشاهدهما التي رآها بعينيه !

زمجرة غاضبة تشق صدره لتخرج هادرة بعنف مع صراخه:

_وفر كذبك لنفسك ...قلت لك سبتهالك خلاص!

قالها وهو يدفعه بعنف حتى كاد يلقيه أرضاً قبل أن يستدير وقد قرر المغادرة ...

لكن زين استعاد توازنه سريعاً ليشد ذراعه هاتفاً :

_انت سمعت كتير الفترة اللي فاتت...مش هتخسر حاجة لو سمعت مني اللي جاي أقوله !





توقف يامن مكانه وقد بدا وكأنه ينفث النار من فمه !

هل لا يزال هناك متسع للمزيد من الأكاذيب؟!

_لا خنتك ولا خنته..ليلتها كنت رايحة له عشان ...عشان...أنا بعمل إيه ؟! بعمل إيه؟! بدافع عن نفسي قدامك ؟! قدامك انت؟! عن شرفي؟! عن حبي؟! بعد كل اللي بيننا ؟!

كلماتها تظهر من العدم لتنير في ذهنه فجأة!

ما الذي أرادت قوله وقتها ؟!

هل تحتمل اللعبة المزيد من الألغاز ؟!





فليدلِ دلوه إذن ولنرَ!

_الفيديو حقيقي مش متزور...بس له بقية...وبقيته ببساطة دليل براءتها اللي هنا...

قالها زين مشيراً لحاجبه فتفحصه يامن ببصره ليجد ندبة اختفى من مكانها الشعر ...

عقد حاجبيه بشدة بينما زين يردف بنفس النبرة التي خالطها الآن الكثير من الندم:

_كانت غلطتي أنا...أنا اللي اتجرأت عليها ليلتها واستغليت صدمتها في اللي شافته بعد ما ظبطت رامي مع واحدة في الحفلة...كانت بتسمع كتير عن خيانته لكن دي كانت أول مرة تشوفها بعنيها ...

ثم أشاح بوجهه ليردف:





_مش هانكر إني وقتها ضعفت...بس هي ماضعفتش...أنا خنت الثقة اللي هي ادتهالي كصديق...لكن هي ما خانتش...لا خانت رامي ...ولا خانت نفسها...ضربتني بشنطتها وجريت...ودي كانت آخر مرة شفتها فيها ...

فازداد انعقاد حاجبي يامن وهو يعجز عن التصديق ...

ليستطرد زين باستدراك مدركاً خطأه:

_أقصد قبل الأخيرة...المرة الأخيرة كانت في مطعمها بعد ما رجعت من السفر ...كنت رايح أعتذر لها بس هي تقريباً طردتني .




رمقه يامن بنظرة فاحت منها شكوكه وعيناه تنتقلان بتوجس بين جرح حاجبه وعينيه النافذتين ...

ليقول زين بينما يبسط كفيه أمام وجهه :

_حقك تصدق او ماتصدقش...القرار قرارك .

ظل يامن يرمقه بنظراته العاصفة وذهنه يدور في دوامات شتى ...

قلبه الذي كان ينتفض بين ضلوعه يصرخ الآن بتصديقه لروايته...

هي الرواية الوحيدة التي تتسق وفكرته السابقة عنها ...

لكن عقله يقف له بالمرصاد ...

هل ستسلم رأسك لهذا الهراء من جديد ؟!

أما اكتفيت من جحيم خذلانك؟!

ويبدو أن زين قرأ صراعه هذا في عينيه فقد أخذ نفساً عميقاً ليقول بنبرته المتملكة:

_أنا جيت النهارده اقوللك الحقيقة عشان عارف إنها بتحبك وانها يمكن...يمكن ...تكون اختارت الراجل الصح المرة دي ...لكن لو هتفرط فيها فانا بقوللك ...مش هاسيب فرصة ...اي فرصة تخليني أكسب قلبها ...مش هاضيعها من ايدي تاني .

قالها ملوحاً بسبابته في تصميم أفقد يامن صوابه ليتوجه نحو وجهه بلكمة أوقفها زين بقبضته...




هنا تحرك الحارسان ليفاجأ بهما يامن وكأنهما قد ظهرا من العدم يطوقانه بعنف لكن زين أشار لهما ليعاودا ابتعادهما بنظرات حذرة...

انتزع يامن يده من قبضة زين الذي قال بهدوئه المسيطر:

_لو عايز نمشيها بالعنف معنديش مانع...بس انت الخسران...

ثم ابتعد عنه بخطوات ثابتة ليردف :

_أنا كده خلصت كلامي ...فرصة سعيدة يا دكتور.

كاد يامن ينفجر غيظاً وهو يراه يركب سيارته بهدوء لتنطلق به مع حارسيه تنهب الطريق نهباً...

ماذا؟!

هل سينصرف حقاً بهذه البساطة؟!





بعدما قلب عالمه رأساً على عقب؟!

ماهذا الذي يحدث؟!

هل يصدقه؟!

لا!

هل يكذبه؟!

لا!

رباه!

أما لهذه المتاهة من نهاية ؟!

لا...ليست متاهة ...بل جحيم يكتوي به ولا يدري له مخرجاً!

_مادام مصدق عليَّ كده مش هاناقشك...مادام كل اللي بيننا طلع ما يستاهلش حتى إنك تسألني قبل ما

تحكم عليّ يبقى مالوش لازمة...عايز تصدق إني خاينة زي كل الستات اللي عرفتهم ؟! صدق! ارجع لدنيتك السودة اللي بترتاح لها...ارجع لوساوسك وشكوكك وعينيك اللي مابتشوفش أبعد من نفسك وبس...حتى لو عرفت الحقيقة ورجعت لي ندمان...مش هسامحك...من اللحظة دي اللي بيننا انتهى .

كلماتها تعاود اختراق أفكاره كشهب من نار!

يكاد يسمعها بصوتها...باهتزاز صدرها الخافق بحسرته...بنظراتها التي مات عشقها لتحل محله أشباح الوجع...

قلبه يئن بجرحه وهو يرجوه الاستماع إليها...مواجهتها بهذا الذي عرفه...





يكاد يصرخ أنه يصدق براءتها فمليكته لم تكن يوماً خائنة...

هذا الحب الذي رفعه لأعلى جنان السعادة لم يكن سراباُ ...

لكن سلطان وساوسه لايزال يبذر الوهم في عروقه...

كاذبة !

كذبت يوم أنكرت معرفتها بذاك الرجل..ليس مرة واحدة بل اثنتان!

ومن تكذب مرة...تفعلها ألف مرة ...

اثبت مكانك يارجل ...

هاهنا أرضك الصلبة وما دونها سراب وتيه !





=========

_عجبك الأكل؟!

تسأله نبيلة وهي تجده شارداً عقب تناولهم للطعام ليرده سؤالها لآخر مشابه كانت تسأله -أخرى- له...

أخرى أفسدت عليه مذاق حياته بعدما اختلطت رائحتها بدمه وعظمه فما عادت حواسه تستشعر الوجود إلا بنكهتها هي ...

_حلو...جداً...شكراً.

كلماته المقتضبة رغم جمودها كانت أكثر من مرضية ل"أمومتها" التي تحاول استردادها معه ...

هي تعرف جيداً ما يعانيه ...





ما مر به ولايزال يحرق صدره أقوى بكثير من تحمل أي رجل ...

فما بالها برجل لا ينقصه احتلال الهواجس والظنون !

لهذا تنهدت بحرارة وهي تجلس جواره على الأريكة ليبادرها بسؤاله :

_البنات عاملين إيه ؟!

عادت تتنهد بحرارة لتحتضن كفه بأناملها مجيبة:

_كان نفسي أطمنك بس أحوالهم مش عاجباني...داليا دايماً حابسة نفسها في أوضتها ...رانيا على طول بتعيط...هانيا بتكابر وبتعمل نفسها مشغولة في دراستها بس أنا عارفة إن هي كمان مش مرتاحة.





فأغمض عينيه بألم وهو يستدير نحوها ليدفن وجهه في طيات عناقها بمذاق حنانها "المستحدث"...

نقطة الضوء الوحيدة التي وجدها وسط ظلام أحداثه السابقة ...

_أول مرة أحس إن إيدي فاضية معاهم..مش قادر أعمل لهم حاجة ...أنا اخترت لهم اللي يحميهم ...الغلط فين ؟! فيّ واللا فيهم واللا في الظروف؟!

ضمته لصدرها بحنوّ مستلذة هي الأخرى بشعورها به بين ذراعيها ...





لتقول له بحيرة :

_مش عارفة...ساعات بقول لو كنت مكانك كنت عملت زيك...وساعات بفكر فيها من ناحية تانية..بقول الخوف ممكن يحمينا بس برضه بيحرمنا من حاجات كانت تستاهل نحارب عشانها .

ابتلع غصة حلقه مدركاً أنه مثلها لا يعرف الجواب ...

هو اختار الأرض الصلبة التي اعتادها طوال عمره ...

فلماذا تتزلزل الآن تحت قدميه ؟!!

صوت رنين الجرس يقاطع أفكاره فيلتفت نحوها متسائلاً :

_مستنية حد ؟!




تهز رأسها نفياً فيقوم ليفتح الباب ...

للوهلة الأولى لا يميز أي شيئ سوى هذا "الوجه" الصغير الذي طالما احتل كوابيسه ...

ملامحه المنمنمة...عيناه الواسعتان ...ابتسامته البريئة التي رجت قلبه رجاً...

لكنه انتزع نفسه من كل هذا انتزاعاً ليرفع وجهه نحو سيلين التي بادرته بقولها :

_مفيش حمداً لله على السلامة ؟!

عقد حاجبيه بضيق لم يستطع كتمانه ...

هل تنقصه سخافات هذه الأخرى؟!

لماذا عادت ؟!





فكرة ساخرة تتسرب لعقله ...

ولماذا لا تعود ؟!

ألم تخلُ لها الساحة بخروج "الأخرى" منها ؟!

أو -هكذا- تظن ؟!

والآن ماذا؟!

هل سيبحث عن أخرى يتزوجها ليبعدها من جديد ؟!

المواجهة هي الحل!

_حمداً لله على السلامة...اتفضلي.

المفاجأة هذه المرة كانت من نصيب سيلين التي دلفت للداخل وهي ترمقه بنظرات متفحصة ...





يامن تغير !

شتات نظرته...ارتجافة شفتيه ...حتى لهجته التي طالما اعتادتها باردة ساخرة صارت تحمل مرارة شجن دافئة !

لا بأس ...هذا كله يصب في مصلحتها هي على أي حال!

_أهلاً سيلين .

هتفت بها نبيلة بلهفة وعيناها معلقتان بطفلها الذي تحمله ...

قلبها يكاد يقفز نحوه بل قفز فعلاً وهي تتلقفه منها لتضمه لصدرها بحنو ...





"أعز الولد ولد الولد"

هكذا تسمعهم يقولونها ...لكنها لم تشعر بحرارة معناها إلا الآن ...

ابتسمت سيلين برضا واستقبال نبيلة الدافئ يعزز الغرض من زيارتها ...

فألقت حقيبتها على مائدة قريبة لتجلس واضعة إحدى ساقيها فوق الأخرى قائلة بلكنتها المميزة بين عربية وغربية:

_أنا عرفت اللي حصل وجاية أديلك آخر فرصة...عشان خاطر ابنك .

قالتها مباشرة بمنهجها العملي الذي اعتاده لتعود لملامحه شراستها مع ابتسامته الساخرة :




_ابني؟! أفهم من كده إنك موافقة نعمل التحليل؟!

هنا انتفضت من مكانها لتواجهه بحدة هاتفة:

_مش هاعمل تحاليل ؟! انت فاكر كل الستات زبالة زي اللي كنت متجوزها ؟!

انقطعت عبارتها بصرخة قصيرة وأنامله تتوقف على بعد بضعة سنتيمترات من وجهها في صفعة لم تنلها ...

بينما احمر وجهه حتى كاد ينفجر منه الدم وجسده كله يرتجف واشياً بانفعاله الذي هدر كالرعد في كلماته :

_لو جاية فاكرة الدنيا اتغيرت فمفيش حاجة تخصك اختلفت ...رجوع مش هارجع لك ولو كنتِ آخر ست في الدنيا ...الولد ما عادش يهمني نسبه لأنه




حتى لو ابني مش عايزه ...وعشان تعرفي أد إيه بحتقرك ومستحيل أرجع لك بقوللك إن جوازي منها كان لعبة ...مجرد طريقة عشان أطفشك وأخلص من زنّك...لكن خلاص ما عادش يهمني...أعلى ما في خيلك اركبيه !

ضمت نبيلة الصغير الذي انفجر في البكاء فجأة مع صراخ يامن العالي وهي تراقب الموقف بقلق ...

إذن هذا سبب زواجه السريع اللا منطقي من ياسمين !

لقد شكت في هذا وقتها لكن الحب الصارخ في عيني ياسمين بعدها جعلها تستبعد هذه الفكرة ...

يامن أخطأ بذكر هذا الآن !





سيلين لن تمررها له ...وهي ليست بهينة على أي حال !

_انت ما تعرفش انت بتكلم مين ؟! انت ...انت بتهرب مني أنا ؟

صرخت بها سيلين بجنون غرورها المعهود لتردف بينما تضربه بقبضتيها على صدره :

_أنا هاعرف إزاي أدمرك هنا زي ما عملت في لندن...كل اللي بنيته هنا هاهدّه ...هارجعك للصفر تاني .

هنا تدخلت نبيلة لتتشبث بالصغير بأحد ذراعيها بينما تجذب سيلين بالآخر :





_اهدي يا سيلين ...وتعالي معايا .

لكن سيلين ظلت واقفة تناطحه بنظراتها النارية

لتردف نبيلة بنبرة آمرة:

_خللينا نتكلم بالعقل عشان خاطر الولد المفطور

في العياط ده .

التفتت نحوها سيلين لتلتقط منها الصغير وتضمه

إلى صدرها هي قبل أن تدفعها نبيلة للداخل برفق

قائلة :

_تعالي نتكلم لوحدنا ...اهدي كده...اهدي.

كانت تحاول امتصاص ثورتها وهي تدرك أن

تهديدها ليامن ليس بفارغ...





هي حقاً قادرة على فعل ما تقول وإلا لما اضطر ل"لعبة زواج" كي يتخلص منها !

بينما ظل هو واقفاً مكانه يحاول السيطرة على براكين غضبه دون جدوى!

صدره يغلي بوجع يسع الكون كله !

تعيّره بياسمين ؟!

هي التي "كنزه" .."شمسه"..."عالمه السحري" الذي لم يطأه أحد قبله...

الآن تصير "عاره"؟!!

انقطعت أفكاره عندما سمع صوت رنين هاتفها يدوي من حقيبتها المفتوحة التي تركتها خلفها ...





فالتفت نحوه بعدم اكتراث ليزداد فضوله مع إصرار المتصل...

تناوله بخفة لتتسع عيناه بصدمة وهو يرى اسم "رامي"...

رامي؟!!

هل هي مصادفة أن تعرف سيلين رجلاً هنا في مصر بنفس الاسم ؟!!

فتح الاتصال دون أي رد يستمع لصوته الذي أكد له ظنونه قبل أن يغلقه بعنف!

إذن سيلين تعرف رامي؟!

ما الذي بينهما ؟!

هذان الاثنان لن يجمعهما إلا "ياسمين"!!





لهذا ظل يقلب في هاتفها قليلاً لتتسع عيناه بصدمة مع سجل مكالماتهما الطويل الفترة السابقة...

صورة ياسمين مع زين في مطعمها والتي أُرسلت لسيلين من رقم يحمل اسم مساعدة ياسمين في المطعم مع رسالة منها تطالبها بتحويل مبلغ ما لها على رقم حسابها البنكي.

هكذا إذن تتضح الخيوط !!

مساعدة ياسمين تصيدت لها هذه الصورة لترسلها لسيلين مقابل المال ...

سيلين التي استغلت الصورة مع الفيديو القديم الذي يحتفظ به رامي لتحكم الوثاق حول مؤامرتها !





إذن زين محق !

ياسمين بريئة !

لكن...الفيديو ؟!

صورها معه بين ذراعيه ؟!

هل كانت تبدو راضية ؟!

لا!

هل كانت تبدو مجبورة ؟!

الجواب أيضاً لا !!

إذن أين الحقيقة ؟!

من يصدق ومن يكذب ها هنا ؟!!

أما لهذه الدوامة من آخر؟!!

_سيليييييييين!!



هدر بها بعنف وهو يندفع للداخل ليجذبها من ذراعها فيوقفها هاتفاً بحدة بينما يناولها هاتفها:

_رامي باشا بيتصل...طمنيه إن الخطة تمام وشربتها كويس.

امتقع وجه سيلين وهي ترى الشاشة تومض من جديد باسم رامي ...

ليردف يامن بنفس الحدة المنفعلة:

_اللعبة اتكشفت ...خدي ابنك واطلع بره .

_لعبة إيه ؟! الفيديو حقيقي والصورة حقيقية ...أنا كل دوري إني كشفتها لك ...انت بس اللي...





_بره...بره...

صرخ بها بجنون في وجهها لتندفع مغادرة المكان بخطوات شبه عادية تحمل صغيرها الباكي . ..

قبل أن يهرول هو نحو غرفته ليغلق الباب خلفه مستنداً عليه بظهره...

جحيم وساوسه يعاود التلذذ بعذابه....

مذنبة ...أم بريئة ؟!

خانته...أم لم تفعل؟!

"لو شكيت ما تكمللش؟!"

لماذا لا يحميه خوفه هذه المرة ؟!





لماذا لا يمنحه الشك مزية اختيار الشاطئ الآمن

كما تعود ؟!!

لماذا يشعر أنه يتمزق ...يتمزق حقاً بين رغبته في

تصديق براءتها...

وبين هواجس وساوسه التي تصورها بأبشع

الصور !

متاهة...

دائرة حول دائرة حول دائرة ...

أما لهذه الحيرة من آخر؟!

==========

القطعة العشرون

خاتمة الجزء الأول

****

عودة للحاضر ...

==========

أفاق من شرود ذكرياته على صوت آذان الفجر ...

هز رأسه لا يصدق كيف مرت به الليلة هكذا دون أن يشعر ...

نـهض من نومته لتتعلق عيناه برمزهما الأثير على وسادتـها لحرف الياء بـهذه الطريقة المميزة خاصتـها ...

فالتمعت عيناه ببريق حنين وهو يتحسسه بأنامله متمهلاً باشتهاء كأنه يسترجع شعورها بها بين ذراعيه ...

لقد سافرت مع أبيها !

هو الذي ظن أنها لن تفعلها أبداً ...

_علاقة متلخبطة...متناقضة...مابفهمش نفسي معاه...يمكن عشان كده واقفة في النص.

_وإيه ممكن يخليكِ تقربي؟!

_معرفش...بس أعتقد اللحظة الوحيدة اللي ممكن ألجأ له فيها لو حسيت إني اتكسرت...وإني خلاص ماعدتش قادرة أسند نفسي بنفسي زي ماتعودت طول عمري.

_طول ما أنا عايش مش هاسمح إنك تعيشي الإحساس ده ثانية واحدة.





تأوه بخفوت عند الذكرى الأخيرة مدركاً أنه لم يستطع الوفاء بعهده لها ...

فهل كان ذنبه وحده ؟!

لماذا لم تعلمه بالحقيقة ؟!

لماذا -وهي سيدة العطاء- التي طالما احتوت عيوبه عجزت عن فعلها هذه المرة ؟!

السؤال هنا ...هل كان ليصدقها لو فعلت ؟!

هل يأمن هواجس وساوسه التي تدفعه كل ليلة لمشاهدة ذاك الفيديو وكأنه يجلد نفسه به !!!

وكأنه يذكر نفسه أنه لم يخسرها دونما سبب!!

وكأنه يتعمد تشويه صورتها في عينيه بعدما يأس من فعلها في قلبه !!





انقطعت أفكاره عندما رن هاتفه فانعقد حاجباه

مدركاً أن اتصالاً في وقت كهذا لا يعني سوى

كارثة ....

وقد كان ...ماذا؟!

داليا ...ومحاولة انتحار!

==========

_للأسف الألعاب الاليكترونية من النوع ده انتشرت

كتير اليومين دول ...بتعتمد على حس المغامرة

عند المراهقين...بتبدأ في الأول كلعبة تحديات....

تطلب منهم أوامر ...يسمعوا موسيقا

كئيبة...يتفرجوا على أفلام رعب ...يأذوا نفسهم

جسدياً بآلات حادة ...ده غير إن بعضها بيطلب

منهم معلومات عن أهلهم وبيهددوهم بيها لو ما





نفذوش أوامرهم ...وفي النهاية اللاعب بيلاقي نفسه بينفذ أوامرهم لحد ما توصل للانتحار .

قالها الطبيب ليامن خارج غرفة داليا التي أنقذوها للتو من محاولة فاشلة للانتحار عبر تناول بعض الأقراص السامة ...

الفتاة كادت تفقد حياتها فدية للعبة سخيفة ...

لكن هل كان هذا حقاً هو السبب ؟!

_أنا ممكن أفهم شعور واحد يائس مكتئب ممكن يستسلم للعبة زي دي ...لكن اللي مش قادر أفهمه إزاي أهله واللي حواليه ما يلاحظوش انشغاله...وحدته بالساعات...تغيير مواعيد نومه...الجروح اللي بيسببها لنفسه ؟!! إزاااي؟!





لا يزال الطبيب يلقي سهام لومه على يامن الذي لم يكن ينقصه اللوم ...

منذ عرف الخبر وهو في عالم آخر !!

داليا؟!

طفلته التي لم ينجبها؟!

من ظن أنه يحميها بعزلها عن العالم بعدما رآه من أفكارها وأفعالها المتطرفة ؟!

كيف غفل عنها حتى وصلت لهذه الدرجة من الإحباط واليأس؟!!

ذنبها في رقبته !

هذا تقريباً ما ختم به الطبيب حديثه وهو يغادره بنظرة نارية ليجلس هو مكانه دافناً رأسه بين كفيه ...





دقات صدره الهادرة تعوي في صدره وهو عاجز حتى عن رؤيتها هكذا ...

شعر بيد تربت على كتفه فرفع عينيه ...

_هتبقى كويسة .

قالها مروان بنبرة مطمئنة فوقف يامن مكانه ليقابله بعينين ضائعتين بين حزن وذنب ...

دقيقة كاملة مرت به وهو ينظر لمروان عاجزاً عن الكلام ...

مروان الذي كان قد قطع علاقته به تماماً منذ تلك الليلة التي علم فيها عما بينه وبين داليا ...

ليفاجأ به اليوم يهرع ليكون معهم هنا دون أن يطلب أحدهم مساعدته!

غشاوة تسدلها على ذهنه أفكاره وهو لا يدري ماذا يفعل ولا ماذا يقول...





ها هو ذا صديق عمره..ضحية من ضحايا ظنونه وهواجسه ...

يقف أمامه الآن فلا يدري بأي وجه يراه !

لكنه يختزل الطريق أخيراً بعناقه له!

عناق يحتاجه الآن ...

هو الذي لم يشعر في حياته كلها بالضياع كما يشعر في هذه اللحظة !

هذا الذي شعر به مروان وتفهمه جيداً وهو يربت على ظهره مؤزراً ...

قبل أن يرفع وجهه نحوه ليتنحنح قائلاً:

_هي فاقت دلوقت...أنا هامشي .

تشبث يامن بذراعه في دعوة صامتة منه للبقاء لكن مروان هز رأسه قائلاً بابتسامة شاحبة :





_أنا جيت بس أطمن عليها...

ثم تنحنح مصححاً:

_عليكم..لكن مش هينفع أفضل أكتر من كده.

قالها قارناً قوله بفعله قبل أن يغادره بخطوات سريعة تاركاً إياه خلفه يتجرع مرارة خذلانه !

==========

_يا بنت كلي...جننتيني...ده جيلي الفراولة اللي بتحبيه.

قالتها نبيلة في المشفى لداليا التي هزت رأسها لتقول بصوت واهن:

_مش قادرة أحط حاجة في بطني.

ربتت نبيلة على رأسها برفق وهي تزيح الطبق جانباً لتنظر إليها بعينين دامعتين ...





كيف تعفي نفسها من مسئولية ما وصلت إليه الفتاة ؟!

للمرة الثانية تنجرف داليا في تيار وحدتها وتصرفاتها اللامسئولة بينما هي غافلة لاهية عابثة تعدو خلف سراب...

ما الذي تنتظره لتغير حياتها ؟!

ما الذي تسعى إليه بعد كل هذا العمر ؟!

_عارفة يا داليا لو قمتِ بالسلامة...هاعتزل الوسط كله...مش هاسيبك لوحدك أبداً...هنقضي اليوم كله سوا...يامن كمان وعدني يسفرنا...هنروح تركيا زي ما كنتِ حابة..بس شدي حيلك عشان خاطري ...عشان خاطرنا كلنا..يامن هيموت من يوم اللي حصل .





غمغمت بها بصوت أرجفته دموعه قبل أن تضم جسد داليا الواهن لصدرها لتطالعها نظرات الأخيرة بدهشة متأثرة...

هل هذه نبيلة تكاد تبكيها حقاً؟!

يبدو أن حادث انتحارها هذا كان محورياً كي تدرك قيمتها لديهم ...

كلهم لا يكادون يتركونها منذ أفاقت ...

لقد توقعت لوماً...تقريعاً...وصفاً لها بالمزيد من التمرد والغباء ...

لكنها لم تتوقع كل هذا الفيض من مشاعرهم !

ماذا حدث؟!

كيف أوصلتها هذه اللعبة لهذا الحد من الاستهانة بحياتها ؟!





إنها لا تستوعب سوى رغبة المغامرة التي اتحدت مع تيار وحدتها واكتئابها لتودي بها في هذه الهاوية ...

_أنا آسفة...خللي يامن يسامحني...أنا عارفة إنه زعلان.

تمتمت بها داليا بندم حقيقي وهي تتذكر كيف لايزال يامن عاجزاً عن التواصل معها رغم وجوده الدائم حولها ...

لتجيبها نبيلة بنفس الانفعال :

_يامن مش زعلان منك...يامن زعلان من نفسه...حاسس إنه بيضيع كل حاجة من إيده وهو واقف يتفرج .

أسبلت داليا جفنيها بألم دون رد وهي لا تعلم ماذا تقول ...





قبل حادث انتحارها هذا كانت تشعر بالحنق على الجميع ...

رغبة عارمة في تحميلهم هم ذنب إخفاقاتها ووحدتها ...

بل إنها لا تنكر أن جزءاً منها كان يريد الموت فقط نكاية بهم كي يعيشوا يحملون وزرها !

لكنها الآن وهي ترى لهفتهم الصادقة ...

اجتماعهم حولها...الخوف الذي يسكن نظراتهم وهم يتشبثون بها وكأنهم لا يصدقون أنها حقاً قد نجت ...

تجد نفسها تدرك كم كانت حمقاء !

_مساء الخير .

والتحية الودود كانت تنطلق هناك عند باب غرفتها ...





بلسان المرأة الوحيدة التي لا ترغب داليا في وجودها الآن بالذات ....

من ؟!

===========

_بجد كويسة ؟!

سألها مروان بمزيج من قلق ولهفة وهو يستقبلها في بيت عمه عقب رجوعها من المشفى لتجيبه بابتسامة واهنة:

_والله كويسة....

ثم ضحكت لتجلس على أول كرسي قابلها مردفة ببعض المرح:

_صحيح وشها جاب ألوان أول ما شافتني بس بعد شوية اتكلمت معايا عادي.




_قالت لك إيه ؟! وانتِ شايفة وضعها إزاي؟! لسه مكتئبة ؟!

سألها بلهفة تحمل الكثير من ندمه وهو يشعر بالذنب نحوها ...

_هل ستتركني أنت الآخر؟؟!

يتذكر أنها كانت كلماتها قبل أن يقرر هو الابتعاد لعله يتمالك صراع مشاعره...

كيف هانت عليه هكذا؟!

كيف لم يتنبأ أنها ستفعلها بحالتها السوداوية التي أشهدته عليها في آخر مكالمة بينهما؟!

لن يسامح نفسه أبداً حتى يسترضيها ...

لكن متى ؟! وكيف؟!

هو لا يستطيع الظهور لها ك"مروان" من جديد ...





"الأصلع القبيح" الذي لن ترضى به ولو كان آخر رجال الكون ...

لكن يمكنه دوماً أن يظهر لها ك"حبيب مجهول" يتواجد متى تحتاجه ...

خداع؟!

لا...هذا ليس خداعاً...

إنها فقط طريقته الوحيدة لمنحها ما ترفض أخذه !

_يعني...طبيعي تبقى متاخدة...وشها مخطوف...وجودي هناك في الأول كان نقطة ضعف ليها ...بس أنا حاولت ألطف الموضوع على أد ما قدرت....تعرف ؟! أول مرة النهارده أحس إنها فعلاً غلبانة وتصعب عليّ.





قالتها زوجة عمه بنبرة هادئة فظهر التأثر على وجهه وقلبه يكاد يقفز بين ضلوعه ...

لتربت هي على كتفه مردفة :

_البنت صحيح طاقّة وصواميل مخها تلفانة بس النهارده حسيت إن جواها حاجة تانية غير اللي بتتعمد تظهره...إثبات تاني لقاعدة إن الظاهر غير الباطن ...علاقة زي دي مشاكلها كتير ...مش عارفة هتحلها إزاي بس أنا واثقة فيك يا دكتور .

=======

استيقظت من نومها صباحاً لتتأمل غرفتها التي عادت إليها بعد تماثلها للشفاء ببعض الرضا..

إيلاف النعم هو أكثر ما يفعله البشر جحوداً نحو رب العالمين...





C i n n a b o n

ها هي ذي غرفتها التي كانت تضيق بها ذرعاً

تتحول بنظرها لجنّة مقارنةً بما كانت تعانيه في

المشفى !

ضاقت عيناها بدهشة عندما وجدت صندوقاً صغيراً

على الكومود الخاص بها ...

فنهضت من رقادها لتفتحه باهتمام ...

قبل أن تشهق بفرحة وهي تتبين محتواه ....

آداتها الموسيقية المميزة مع الكثير من الكريات

البلاستيكية الصغيرة الملونة ...

_"هارمونيكا ...و...."بلْيْ"!

هتفت بها بسعادة طفولية وهي تضمها لصدرها

بقوة ...

قبل أن تنظر للبطاقة بداخلها ...

_ليتني هلكت وما أصابتكِ أنتِ شكة إصبع!





خفق قلبها بجنون وهي تحاول التعرف على هوية مرسل الهدية...

هذا ليس خط يامن حتماً ولا هي طريقة تعبيره ...

ولا أحد -حتى هيثم- يعرف عن هوسها ب"الهارمونيكا" و"البلي " منذ كانت طفلة ...

فمن أرسلها ؟!

عقدت حاجبيها بشيئ من الضيق وهي تشعر بالتوتر الذي لا تحبه عندما يتعلق الأمر بشيئ تجهله...

لكنها ابتسمت بتفاؤل أصرت على التمسك به وهي تتناول هاتفها تطالع صفحتها على "الفيسبوك"...

هيثم بعث إليها بعشرات الرسائل والمنشورات بعدما عجز عن زيارتها في المشفى ...





الكثير من صديقاتها في الجامعة رغم وهن علاقتها بهن أرسلن لها الكثير من الدعوات أيضاً...

جميع المجموعات التي كانت تشارك بها كانت تطالب أعضاءها بالدعاء لها وتتمنى لها الشفاء العاجل ...

صفحتها عامرة بالكثير ...الكثير جداً من الحب الذي لا يحتاج لأن تكون "نجمة" كي يمنحوه لها ...

يكفيها أن تكون فقط "انسانة"!

بريد رسائلها يعج بالكثير لكن عينيها تتوقفان فقط عند رسالة واحدة ...

_ليتني هلكت وما أصابتك أنتِ شكة إصبع!

نفس العبارة المكتوبة على الهدية...

هو ؟!





هو مرسلها؟!!

هل عاد ليكلمها أخيراً!!!

إذن فقد علم بما حدث لها رغم سفره ؟! كيف؟!

رفرف قلبها سعادة وهي تكتب له سؤالها الأخير

عامدة ألا تظهر فرحتها العارمة بعودته للتواصل معها ...

"التقل صنعة"..

و"الصنعة" هذه تبرع هي فيها كثيراً !!

_مهما ابتعدت..لكِ من قلبي دوماً عينٌ ترعى .

ضحكت ضحكة صافية لم تعرفها منذ زمن بعيد

وكلامه "اللذيذ" هذا الذي لا تدري من أين يأتي به يخترق قلبها ...

لا الاختراق ليس اللفظ المناسب بل ..."الهدهدة"!





_كيف هانت عليك روحك يا كل روحي؟! كيف بخس في نظرك العمر يا كل العمر؟! لأي حياة كنتِ ستتركينني وحدي وأنتِ كل الحياة ؟!

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقرأ كلماته مرة تلو مرة ...

الأولى صامتة...

والثانية هامسةً...

والثالثة يعلو فيها صوتها المرتجف بتأثره وكأنما تود لو تحفرها بقلبها !!

إلى الآن لا تدري أي سحر هذا في كلماته يختطفها هكذا؟!

هي ليست "محدثة نعمة" في شئون الغزل فلطالما أسمعها غيره إياه...




لكنها معه...هو بالذات ...تشعر بإحساس غريب ...متملك...نافذ ...حنون...مسيطر..

مزيج غريب من مشاعر لم تعرفه إلا معه هو!

ومع هذا استمرت بمبدأ "التقل صنعة" لتتجاهل عبارته بسؤالها التالي:

_كيف عرفت عن "الهارمونيكا" و"البلي"؟!

_طالما رأيتك صغيرة تلعبين ب "البلي" في الطرقات...تعزفين "الهارمونيكا" على الدرج...تأكلين "الذرة المشوية" بجانب فمك عبر أسنانك المكسورة...لو كنت أضمن ألا يفسد الذرة لأرسلت لكِ مع الهدية واحداً !

أطلقت صيحة فرحة مستمتعة وهي تقرأ عبارته لتكتب له بسرعة:

_كنت جارنا في البيت القديم؟!





_تقريباً.

_هل تكلمنا من قبل وجهاً لوجه؟!

_ليس كثيراً.

ارتفع حاجباها بصدمة للحظة من تصريحه الأخير لتغزوها الإثارة ...

حقيقة أنها كلمته من قبل وجهاً لوجه تثير جنونها ...

كيف هو؟! كيف شكله ؟! ما اسمه؟!

عبرت عن تساؤلاتها الأخيرة بسؤال مكتوب ليصلها رده :

_لا أريد أن تتعلقي بي وجهاً لوجه..بل قلباً لقلب...روحاً لروحٍ...دعينا نكن قصة مميزة وسط كل هذا الهراء الذي يملأ أغاني العاشقين.

ورغم إعجابها بما يقول لكنها عادت تكتب بحنق:




_أنت تعرف شكلي...عنواني...كل شيئ عني تقريباً...هذا ليس عدلاً!

_تتحدثين عن "العدل" يا قاسية ؟! وهل من العدل أن أعيش طوال هذا العمر بقلب تملكينه بينما لا تعلمين أنتِ عني شيئاً ؟! تتحدثين عن العدل؟! وهل من العدل أن تكوني من روحي قريبة حد دفء أنفاسي وبعيدة عن يدي حد السماء؟! تتحدثين عن العدل؟! كفى تذمراً يا مدللتي...لو حاكمتك بالعدل فأنتِ مدينة بالكثيييير!

تنهدت بحرارة وهي تتشرب كلماته بنَهَم أرض شققها الجفاف وأخيراً تذكرها سيل الغمام ...

إنها حقاً تحتاجه ...

ويزداد شعورها بالاحتياج عندما يقترب أكثر!

هل هذا هو الحب الذي يروون عنه؟!




الحب؟!

الحب هو ما اختزله الآن بعبارته التي أنهى بها المحادثة ...

_اعتني بنفسك...اعتني بنفسك لأجل رجل يراك الدنيا وما فيها.

==========

_أنا عايز أشوف رانيا...زمانها منهارة بعد اللي حصل لداليا.

قالها أشرف وهو يتناول مفاتيحه ليهم بالخروج فاستوقفته نشوى بقولها :

_لسه باقي عليها بعد كل اللي حصل؟! دي واحدة قليلة الأصل.

_نشوى!

هتف بها زاجراً ليردف بنبرة أقوى:





_مادام ما تفهميش نفسية رانيا ما تتكلميش...

ثم ارتجف صوته باستطراده :

_أنا عارفها كويس...هي بتتعذب أكتر مني بس مش قادرة تقول...مش عارفة تقول...ماتعودتش تشتكي لحد غيري...

دمعت عينا نشوى بتأثر من حال شقيقها الذي لا يكف عن التفكير فيها ...

كلما خطا خطوة في طريق العلاج مدفوعاً بأمل الرجوع إليها يعود لينتكس مع يأسه من عودتها إليه...

وكأنها هي فقط سر حياته !

أشرف الذي كان سند الجميع ومصدر قوتهم انهار فجأة حتى ما عاد قادراً على دعم نفسه !

لكن من خذلها حقاً ...هي رانيا!





رانيا التي تخلت عنه في أول محطة توقف فيها قطار عطائه !

لهذا اندفعت تهتف بانفعال:

_فوق يا أشرف..مش عشانها ...عشان نفسك...عشاني...عشان بنتي...عشان مصنع أبونا اللي لازم يرجع يرفع اسمه ...فوق بقا فوق!

كانت كمن تتحدث إلى شبح بهذه الهالات السوداء تحت عينيه ...

وهذه النظرة الغائمة بين جفنين متعبين...

وهذا الجسد الذي يزداد نحوله يوماً بعد يوم !

ومع هذا كان لديها أمل عميق أن ينهض بعد كبوته هذه !

هذا الأمل الذي تضاءل الآن مع عبارته المهتزة :





_هابقى كويس...أكيد هارجع زي الأول ...بس وهي معايا.

هزت رأسها بيأس من مجادلته لتتركه يخرج بعد صدام معتاد ...

خطواته المشتاقة تقوده لبيتها ...

يعاود الاتصال بها للمرة التي لا يذكر عددها ...

_طب بلاش تردي...بصيلي بس من الشباك...أنا تحت البيت...عشان خاطري يا رانيا...هاموت وأشوفك.

يرسلها لها بيأس وعيناه معلقتان بنافذتها المفتوحة...

قلبه يترنح بين ضلوعه بألم وهو يميز ظلها يقترب ...




وبغرفتها كانت هي عاجزة عن السيطرة على انفعالاتها وهي تقرأ رسالته...

هي الأخرى تكاد تموت شوقاً لرؤيته...

لكن أي أشرف هذا الذي ستراه ؟!

رفيق الطفولة والصبا وحب العمر؟!

أم ذاك "المسخ" الذي تسبب في هلاك طفلها بل وهلاكها هي الأخرى؟!!

مشاهد تلك الليلة تعود لتنساب في ذهنها كشريط متواصل قاسٍ...

بداية من منظر أشرف المثير للشفقة ...مروراً بانتهاك الوغد المريع لها...

وانتهاء ببقعة دم تحت جسدها كانت يوماً طفلها...

حلمها ...أملها للغد !





Cinnabon

ماذا تفعل؟!

هل تستجيب لنداء قلبها وتعود إليه ؟!

أم تستمع لصوت العقل الذي يناشدها التريث كي لا تخسر أكثر؟!

الجواب صعب...

شديد الصعوبة لامرأة لم تعتد في حياتها كلها أن تتخذ أي قرار!

ضعفها يسلمها لأقرب منطقة آمنة...

نصيحة يامن ...

"لو شكيت ما تكملش"!

هذا هو الصواب!

أجل...هذا هو الصواب!





وبهذه الفكرة الأخيرة حسمت أمرها لتتوجه نحو نافذتها فتغلقها بأنامل مرتجفة...

قبل أن تنهار بدموعها ساقطة على الأرض!

البائسة لم تدرك أنه لن يحتمل منها هذه الحركة...

هذه الطعنة !

أنه كان ينتظر منها بادرة أمل...أي بادرة...

كي يكمل هذا الطريق الصعب ...

أنه مع زلّته كان يأمل في رصيد طويييل اكتشف فجأة أنه يساوي صفراً لديها ...

لكن الخبر وصلها بعد قليل في مكالمة شقيقته التي صرخت بها :

_أشرف رجع من عندك مش شايف قدامه...أخد "أوفر دوز" من الزفت اللي بيبلعه ده ...كان





هيموت فيها ونقلوه المستشفى ...لو جراله حاجة ذنبه في رقبتك .

=======

أمسكت غادة بحقيبة مشترياتها تضمها لصدرها وهي تستقل إحدى الحافلات لبيتها ...

غداً موعد السفر ...

إعصار من مشاعر يجتاحها فلا تجيد التفريق بينها ...

مزيج من لهفة وترقب وفرحة خفية بعالم جديد يفتح لها ذراعيها ويمنحها بداية وليدة ...

مع خوف طبيعي يُفترض لأنثى مثلها ...

لكن عزاءها أن أحمد سيكون معها ...





أجل ...بروحه ...بدعم ذكرياته...بتشبثها بالنجاح لأجله ...وباقترابها أكثر من عمه هناك والذي طالما أخبرها كم يحبه ...

انقطعت أفكارها عندما شعرت بحركة الرجل الجالس جوارها ...

قبل أن يتذبذب جسدها كله وهي تشعر بأنامله المختلسة تحتك بباطن ساقها ...

جسدها يتجمد فجأة والخوف القديم يعاود إصابتها بالشلل ...

لقد جربت هذا الموقف من قبل في المواصلات مرتين ...

الأولى تجرأت لترفع صوتها باتهام المتحرش بها لتجده يرد بصفاقة أنه لم يفعل شيئاً وأنها "ترمي





بلاءها عليه" لتصطدم بردة فعل الناس اللامبالية وقتها ...

والثانية لم تجد حلاً إلا الاستسلام المرتعب ومغادرة الحافلة في أقرب محطة ...

لكنها الآن لن ترضى بهذا أو ذاك ...

هي ليست ضعيفة لتصرخ أو خانعة لتستسلم وتهرب....

وبمنتهى الثبات مدت أناملها تنتزع دبوس حجابها الطويل ببطء حذر في حركة غير محسوسة...

وبكل الغضب الذي يملأها الآن غرسته في ذراعه !

صرخة الرجل المكتومة تكاد تسمعها وهو يبعد يده عنها بسرعة ...





فتلتقي نظراتهما لترمقه بنظرة متوعدة شرسة

زاجرة جعلته يقف مكانه ليتحرك طالباً من السائق

النزول في المحطة المجاورة ...

ابتسامة ارتياح ترتسم على شفتيها وهي ترى

الرجل يختفي عن ناظريها ...

رويداً رويداً...

فتتابعه ببصرها وكأنها تشعر أنه لا يرحل وحده...

بل يرحل حاملاً معه كل ذكرياتها التعسة بهذا

الشأن ...

لا ...لم تكن بهذا الحمق كي تفهم أنها تخلصت منها

للأبد...

الأمر يحتاج لوقت ولصبر ...وهي لا تفتقد كليهما !

كفاها الآن شعورها أنها لم تعد خائفة...

أنها قادرة على المقاومة...على المواجهة...





أنـها أبداً ليست "مدنسة"!

_حد نازل هنا؟!

عبارة السائق تنتشلها من شرودها لتبتسم وهي

تضم حقيبتها لصدرها أكثر مغادرة الحافلة لتسير

في الشارع بخطوات واثقة...

طفلة صغيرة في يد والدتها تسير أمامها مقابلة

لها ...

تحتضن دباً قطنياً من "الفرو" مع علبة بلاستيكية

بدت محتوياتها من "المكعبات"...

شيئ من الشجن يعتصر حناياها وهي تقاوم ذكراها

البائسة المرتبطة بهذا المشهد ...

لتتغلب عليه أخيراً باتساع ابتسامتها للصغيرة وهي

تغمزها بحركة مداعبة...





تقترب أكثر فتعطيها الطفلة زهرة كانت في يدها دون أي تفكير ...

تمتزج ابتسامتهما معاً قبل أن تعاود كل منهما طريقها ...

بينما ترفع هي الزهرة لشفتيها تتشمم عبيرها بقوة...

رسالة أخرى من رسائل القدر أن القادم أجمل...

وهي تعلمت قراءة رسائله !

=======

على السرير في بيتهما الذي عاد إليه أخيراً يجلس مسنداٌ رأسه إلى وسادته ...

بيتهما؟!

نعم ..جزء بداخله لايزال يراه بيتهما رغم كل ما حدث ...

هو نفس الجزء الذي ينتظر رجوعها إليه ...

وهل للإنسان إلا بيته ؟!

الألم الحارق في صدره يزداد وهو يئن اشتياقاً إليها ...

هي التي أدمنها حد الجنون ولا يريد منها شفاء ...

أنامله تمتد لهاتفه حيث داؤه ودواؤه ...

الفيديو اللعين لها مع زين والذي يجبر نفسه على مشاهدته كل مرة يشعر فيها بالاشتياق إليها ...

وكأن سلطان وساوسه يتجبر بحكمه على قلب موقن من براءتها ...

قلب يبرر بأنها ما نطقت اسم زين هذا للمرة الأولى إلا في موضع انتهكت فيه أنوثتها رغماً عنها ...

هذا يبدو منطقياً مع ما حكاه له ذاك الرجل...





لكن من يحميه من ظنونه السوداء التي ترسم لها أبشع الصور ؟!

لا...يجب أن يخرج من هذه الدائرة !

لكن كيف ؟!

كز على أسنانه يكتم وجعه وهو يأخذ قراراً خاطفاً بمسح هذا الفيديو !

هراء!

حتى لو مسحه من هاتفه ..كل صورة فيه محفورة بأعمق أعماقه ...

أما من دواء؟!

ولأول مرة منذ افترقا يجد الجرأة ليفتح حسابها الخاص على "الفيسبوك"...

هذا الذي طلب منها يوماً إغلاقه غيرةً بعد مغازلة دافئة منها استنكف أن يقرأها غيره...





تراها فتحته من جديد ؟!

نعم...فعلتها!

وكأنها تتحداه بفعل ما كان يكره...

أو وكأنها -هي الأخرى- تحاول استعادة مذاق حياتها قبله ...

غص حلقه بمرارته وهو يقرأ آخر منشوراتها ...

_كنت أنا أبحث عن "إبرة" حبك وسط كومة من "قشّ" عنادك ...

وكنت أنت تغمض عينيك عن "شمس" حبي قانعاً ب"عتمتك"..

فلا أنا وجدت "إبرتي" ...ولا أنت "رأيت" النور...

خاسران نحن بثوب عاشقين ...





وليس أقسى من لوعة الحب ...إلا خسارته!

التمعت عيناه ببريق حقيقي وهو يعيد قراءة حرفها المنغمسة بلوعتها ...

لا تزال تجيد التعبير عن مشاعرها المنطلقة...

تماماً كما لايزال هو عاجزاً عن فعلها !

_أنت الذنب الذي كلما اقتنعت بالتوبة عنه أمعنت في اقترافه أكثر ...

والدقيقة التي كلما ظننتني قضيتها تحولت ليوم ثم عام...ثم قرن من الزمان ...

أنت الحرب التي خرج منها كلانا مهزوماً ومنتصراً...

والموت الذي وقفنا على جسره حائرين بين بعث وعدم!





قلبه يترنح بين ضلوعه بألم وكلماتها التي يكاد يراها مرتجفة بدموعها تطعن صدره كألف رمح...

يستحضر صورتها بعينيها العسليتين اللتين رأى فيهما يوماً عشق العالم كله...

بشعرها الذي تمنى لو يراه طويلاً فأبى إلا أن تراه عيناه قصيراً كعمر هواهما...

وبشفتيها اللتين اختصرتا فنون الغرام بين ما يُقال وما يُحسّ!

_هاجر إليك قلبي .. طير نورس يتلقفه الشوق والترحال حتى احتواه دفء أرضك...

فلماذا أعدته لي دامعاً ملطخ الريش بسواد خذلانك؟!

يغمض عينيه بألم وهو يكاد يعتصر الهاتف بين أنامله ...





كيف هانت عليه ليبتعد هكذا بهذه البساطة...

وكأنه لم يترك معها روحه ؟!!

لكن سلطان وساوسه يعاود رمي سهامه ...

هل ستُخدع من جديد؟!

من أدراك أنها لا تتعمد وضع هذا الكلام لتستعطفك وتستعطف الناس قبلك ؟!

من أدراك أنها غادرت البلاد هرباً من جرحك ؟!

ألا يحتمل أنها فعلتها لتلتقي عشيقها هناك بحرية؟!

من أخبرك أنه كان يقول لك الحقيقة؟!

لماذا لا تكون خطة وضعها كلاهما بعدما انكشف أمرهما؟!

كيف تثق بها من جديد وهي التي كانت تكذب المرة تلو الأخرى بوجه بارد ؟!





أصدر آهة عالية وهو يخبط رأسه في ظهر الفراش لعدة مرات ...

سيصاب بالجنون حتماً لو ظل هكذا !!

فليصدق طهارتها ويسترضيها ...

أو فليصدق خيانتها ويطردها من حياته للأبد...

لكن هذا الجحيم الذي يصطلي به لا يُحتمل!!!

هنا اتسعت عيناه بقوة وهو يتابع شاشة هاتفه التي حملت له صورة لها شاركتها على حسابها للتو وكأنها شعرت بوجوده ...

رباه ؟!

هل هذه هي؟!!

صورة لها بشعرها المكشوف الذي ازداد طوله كما تمنى دوماً بضفيرة طالما اشتهاها على جانب كتفها وكأنها تغيظه بها ...





وكأنـها تخبره أنـها عادت ـدونـهـ لعمرٍ قديم !

لقد خلعت حجابها !

كل العيون الآن ترى "ضفيرته" التي حلم بها ...

حلمه صار مكشوفاً مباحاً على أرصفة الناظرين؟!

الحسرة تقاتل الغيرة في قلبه...

يتنافسان على مركز الصدارة وهو يراها ترتدي

قميصاً واسعاً رمادياً قاتماً زاده جسدها الذي ازداد

نحوله كآبة...

منذ متى ترتدي "امرأة الألوان" هذا الرمادي؟!

ربما خشيت أن ترتدي "الأسود" فيذكرها به !

تبتسم ابتسامة باهتة تدعي التحدي...

وكأنـه لن يفرق بينـها وبين ابتسامة كانت يوماً

تختزل الحياة في انفراجة شفاه!





تستند لكتف والدها الذي يضمها بحنان التمع في نظراته التي خالطها الإشفاق...

فيرتجف جسده تأثراً وهو يتخيل نفسه مكانه...

هذا الشوق الذي يعصف به أكبر كثيراً مما يحتمل...

ليته ما فتح حسابها هذا ...

ليته ظل على صراع حواسه عوضاً عن هذه الحمم التي تلقي لهيبها في صدره ...

ليته يدرك كيف يسبح في بحور أهلكته تيهاً بحثاً عن "عروس بحر" ضائعة!!

=========

لقد صارت حرة !

هكذا حدث زين نفسه وعيناه تتابعان صورتها على حسابها ...





عيناها مطفأتان...ذابلتان...

لم يرَها هكذا حتى في فورة خلافاتها مع رامي!

يبدو أن الجرح هذه المرة كان أكبر كثيراً من

تحملها !

تنهيدة حارة صاحبت شروده وهو يتأكد من صدق

حدسه بفشلها مع ذاك "الموسوس"!

كيف كانت تظن أن روحها الحرة التي لا تتبع عقلاً

ولا منطق ستتناسب مع رجل يشك في ظله ؟!

إنه حتى لم يصدق روايته التي حكاها له رغم أنه لا

مصلحة له في الكذب...

ورغم أن الوغد رامي نفذ وعده بأن يعلن اعتذاره

وزيف هذا الفيديو !

لكن لا بأس...

هو منحها الفرصة للابتعاد...





وبعدها صارت كل الفرص له بالاقتراب !

وعندالخاطر الأخير ابتسم بمزيج شعوره من التحمس والإثارة قبل أن يتناول هاتفه وما إن فتح الاتصال حتى قال بنبرة آمرة لم تخل من جزل:

_احجز لي في أول طيارة رايحة ماليزيا...عايز أكون هناك الأسبوع ده.

==========

_طلقتها ؟! ليه ؟!

هتف بها رامز باستنكار محدثاً صديقه المقرب الذي فوجئ بطلاقه هو الآخر لزوجته والذي أجابه بانفعال حاد :

_سطحية...تافهة...معندهاش أي طموح...يا بنت الحلال ذاكري عشان تاخدي معادلة ونعرف نهاجر ...لأ...طب حتى ارجعي شغلك خسارة تعب




السنين دي كلها يروح ع الفاضي...لأ...طب فكري معايا ممكن نعمل إيه عشان مستقبلنا ...مابفكرش سيبها لله...خنقتني ...كل تفكيرها جمالها ولبسها وشياكتها وخروجات أصحابها ...وجابت آخرها بقا معايا لما أخويا طلب مني يسيب ابنه عندي عشان مراته محتاجة تسافر تعمل عملية ومالوش غيري قالت لي مابخدمش ولاد حد .

ابتسم رامز بتهكم وعبارات صديقه تحيي إذكاء جرحه القديم ...

صديقه هذا كان آخر من يتوقع طلاقه من شلّتهم ...

لماذا؟!

زوجته أنيقة جذابة لكن الأروع -من وجهة نظره- كان تلك الطريقة التي تجيد تدليله بها حتى وسط الآخرين ...




لم تكن تستحي أن تعبر عن حبها له بعبارات دافئة مغناج كأنه أول الرجال وآخرهم !

_ماكانتش شاطرة غير في الكلام...بحبك ...بموت فيك...انت حياتي...انت روحي ...وأنا ماتجوزتش واحدة أقضي معاها يومين والسلام...أنا اتجوزت عشان ألاقي واحدة دماغها كبيرة ...عندها طموح...عايزة تكبرني وتكبر معايا ...واحدة جدعة أثق أنها هتسندني في أي موقف .

قالها صديقه وكأنما قرأ أفكاره ليشرد رامز ببصره وهو يتعجب من المفارقة...

"محدش عاجبه حاله"!

قالها لنفسه بتهكم لكنه لم يستطع منع صورتها التي غزت ذهنه ...

تارة وهي دؤوب عاكفة على دراستها ...





تارة وهي تريه شهادات تفوقها طوال هذه السنوات...

تارة وهي تحكي له عن أحلامها للغد...

وأخرى وهي تقف مؤازرة لصديقتها في محنتها قبل أن يفسد هو الصورة !

عيوبها التي كان يراها بعين انتقاصه...

الآن يجد نفسه رغماً عنه يراها كمزايا ...

خاصة وصديقه يردف بتحسر :

_اللي يلاقي بنت أصول دماغها حلوة الأيام دي يمسك فيها بإيديها وسنانه !

هز رامز رأسه بشرود عندما استأذنه صديقه ليغادره تاركاً إياه وحده في هذا المقهى الذي اعتادا الجلوس فيه ...





والذي انطلقت منه الآن الأنغام الكلاسيكية بصوت "الست"...

انا وانت .. ظلمنا الحب بايدينا

وجينا عليه .. وجرحناه لحد ما داب حوالينا

ما حدش منا كان عايز يكون ارحم من التاني

ولا يضحي عن التاني

وضاع الحب ضاع .. ما بين عند قلب وقلب ... ضاع

ودلوقت لا انا بنساه

ولا بتنساه ...ولا بنلقاه .. أنا وانت...

تنهد بعمق شعوره...بقوة اشتياقه...

وبمذاق خسارته ...





لماذا خسر هذه الحرب التي ما تمنى في حياته مثل غنائمها؟!

لماذا تغافل عن أسرار منحتها له "جواسيس" عينيها بسخاء مقابل ما تواجهه به من جفاء؟!

لماذا تناسى أن "الضلع الأعوج" تكسره "الشدة" وماله إلا وضعه في مكانه الصحيح الذي يبدل عوجه لكمال؟!

هنا تناول هاتفه ليقلب في صوره...

لماذا نبدو دوماً في البعد أجمل؟!

أغلى؟! و....أقرب؟!!

شفتاه ترتجفان بابتسامة واهنة وهو يمرر سبابته بحرص على ملامح صورتها ...

ماذا لو كلمها الآن ؟!

لو أخبرها كم اشتاقها ؟!





"نبدأ من جديد؟!"

ببساطة يقولها ؟!

"عمري ما حبيت غيرك!"

بصراحة يعترف بها ؟!

لكن عناد كبريائه يقتحم الصورة ...

يجعله يغلق هاتفه ليعيده لجيبه بعنف!!

لا! كفاك تنازلاً !

لا خير في حبٍ تتساقط في خريفه أوراق كرامتنا !

==========

خرجت من مبنى الجامعة لتقود سيارتها نحو البيت ...

موقف سخيف استجلب غضبها وجعل الدماء تغلي في عروقها ...





أحد زملائها في القسم أرسل لها من يلمح لها برغبته في خطبتها .

ورغم ما يُفترض أن تشعر به من فخر أنثوي وهي ترى نفسها محل إعجاب ورغبة ...

هذا الشعور الذي اضمحل كثيراً بعد تجربة زواجها الفاشلة...

لكنها على العكس كانت تشعر بالغضب ...

وكأنه تجرأ على سرقة ما ليس ملكه !

زفرت بسخط وهي تزيد سرعة السيارة ثم نظرت لنفسها في المرآة...

أمور رسالتها الدراسية تسير على خير وجه ...

أحوال العائلة استقرت نوعاً بعد "النكبة" الأخيرة...

ورب ضارة نافعة !

٢٠٠٣





يامن بدأ يتأقلم مع حياته بعيداً عن ياسمين التي سافرت لأبيها...

داليا بدأت التعافي بعدما تعلمت درسها ...وتعلموه هم كذلك ..

رانيا كذلك...

رانيا؟!

وكأنما قفزت من أفكارها عندما رن الهاتف باسمها لتفتح الاتصال فتصطدم ببكائها الحارق:

_أشرف يا هانيا...أشرف بيموت بسببي !

شهقت بعنف وهي تستمع منها للتفاصيل لتهتف بنبرة باكية :

_اهدي بس ما تعيطيش...هايبقى كويس ...أنا جاية لك .





قالتها وهي تغلق الاتصال لتزيد من سرعة السيارة أكثر بينما تتخذ طريقاً آخر كي تصل أسرع...

الموت اللعين يوشك أن يختطف "عزيزاً" آخر !

عقدتها القديمة تعاود طفوها على السطح ..

"فوبيا الفقد" التي عاشت تخنقها لسنوات ...

هذا "الهوس" الذي يجعلها دوماً تخشى الحب...

لا علاج لألم الفقد إلا عدم التعلق!

هذا المبدأ الذي قيدت به خفقات قلبها لسنوات قبل أن تجده يتسرب من يدها غفلةً ليملكه من رحل ...

انقطعت أفكارها عندما اصطدمت سيارتها فجأة بجانب الرصيف ....

صوت الصرير الحاد يدوي في أذنها قبل أن تفقد وعيها جزئياً بتأثير المفاجأة ...





صرخاتها العالية تلتحم مع الانقلاب العنيف للسيارة...

رأسها ينزف بقوة والألم في جسدها ينبئها أنها النهاية !

ياللسخرية !

لقد عاشت عمرها تخشى فقد من تحبهم...

لم تحسب حساب هذه اللحظة...

أن تنقلب الأوضاع...

أن ترحل هي أولاً ...!!!

أن تغادرهم دون أن تؤدي حقوقهم نحوها ...

دون أن تنصح نبيلة بالابتعاد عن عالمها المبهرج الذي يزيدها كآبة رغم أنها تتوهم فيه العوض عن عمر مضى...





دون أن تكون جوار داليا التي كادت تهلك بوحدتها وضلالاتها...

دون أن تهتم برانيا التي تدرك مدى هشاشتها وضعفها ...

دون أن تقنع يامن بأن يصدق براءة زوجته دون اعتبار لرأي الناس ...

وغادة ؟!

غادة التي فضحت سترها واستغلت خبايا ماضيها لتشوه رسمها ...

بل وتركتها تسافر بضمير مستريح قانعةً بما رأته من تغير حالها ؟!

وأخيراً....رامز....

رامز الذي طالما بخسته قدر حبه وادعت فيه زهداً هي أبعد ما تكون عنه ؟!

٢٠٠٧





لم تقدر رجولته...حنانه...دعمه لها في

نجاحها ...صبره على سوء طباعها ...و...حبه

الذي طالما هربت منه وهي التي لا ترجو غيره ؟!

تأوهت بخفوت ورائحة الدخان حولها تجعلها تسعل

بوهن عدة مرات ...

السيارة تحترق...

تماماً كعمرها الذي ظنته طويلاً بطول طموحها ...

فقط لو يمنحها القدر فرصة لتقولها له ...

لآخر مرة ...

لتخبره أنها أحبته...أحبته حقاً...كما لم تحب أحداً...

أناملها تحاول استخراج هاتفها من حقيبتها لكن

جسدها الصارخ بآلامه يعاندها ...

ثانية واحدة...





واحدة فقط تعترف له فيها بالكلمة التي بخلت بها عليه طوال هذه الأيام...

دموعها تسيل بحرقة...بحسرة...

عبر آلام جسدها لا تميز سوى قلب تعتصره قبضة الخيبة...

يود لو يُسمَع صوت خفقاته ولو مرة واحدة...

أخيرة!

وأخيراً تحارب أناملها وسط لهاث أنفاسها المتقطع لتمسك الهاتف...

الثواني تمر بطيئة متثاقلة والألم يشق صدرها أكثر ...

حتى تسمع صوته أخيراً فتشهق شهقة عالية حملت كل رغبتها في الحياة ...قبل أن تلفظها بقولها ..





_رامز...أنا....بحبك...

الصدمة تلجمه مكانه وقلبه ينتفض بين ضلوعه بقوة...

لا يصدق أنها أخيراً قالتها ...

هكذا ببساطة....دون مقدمات...!!!

لكن صوتها الغريب المختنق يجعله يسألها بقلق :

_مالك يا هانيا ؟!انتِ فين ؟!

لايزال يسألها مرة تلو مرة بصوت يعلو تدريجياً حتى وصل حد الصراخ في آخر مرة مع سماعه للأصوات المتداخلة من الجانب الآخر ...

والتي تزامنت مع صوت سارينة الإسعاف...

_هانيا...ردي...انتِ فين ؟!





Cinnabon

يصرخ بها برعب دون جدوى وهو يخرج من البيت كالمجنون نحو سيارته لا يدري له هدفاً وهاتفه معلق بأذنه...

حتى يسمع أخيراً صوتاً يقول بأسى:

_البقاء لله !

============

تأفف بضجر وهو يتقلب في الفراش الذي لم يغادره منذ الصباح...

فراشها هي في غرفتها بمنزله والذي صار يحتله مطارداً عليه سراباً يحمل اسمها ..

لا مزاج لأي شيئ يفعله!

فليحتفظ العالم بسخافته ليوم واحد دون أن يزعجه!





تناول "ريموت" التلفاز ليشغله على مباراة كرة القدم المنتظرة ...

لعل شغفه بالكرة يلهيه !

_شايف محمد

صلاح ده مثلاً؟! أراهنك في خلال سنة هيكون له مستقبل عظيم .

يسمعها بصوتها يأتيه من الماضي فترتجف شفتاه وهو يتابع المباراة بتشتت...

لقد أفسدت عليه كل شيئ...

حتى هواياته !

عالمه كله اصطبغ بألوانها فما عاد قانعاً ب"سواده"!

لهذا أغلق التلفاز بعنف ليفتح هاتفه الذي ظل مغلقه طوال النهار ...





مكالمات فائتة عديدة من نبيلة وداليا ورانيا ...

لا ريب أنهم يشعرون بالقلق عليه بعد اختفائه هنا طوال النهار ...

كاد يضغط زر الاتصال بأمه لكن الهاتف أضاء فجأة باتصال من رقم غريب دولي...

الرعشة التي سرت في جسده فضحت أمنيته في أن تكون هي !

جعلته يفتح الاتصال بسرعة لكن الصوت الباكي الذي أتاه بلكنته الغريبة التي يحفظها جعلته يعقد حاجبيه بقوة قبل أن ينتفض مكانه بانفعال وهو يسمع مفاجأتها ...

_ابنك مات خلاص يا يامن....ما عدتش محتاج تخطط عشان تخلص مني ومنه..مات من غير ما





تحضنه مرة واحدة ...خللي شكوكك تنفعك وانت بتتعذب كل يوم بذنبه .

خط الدموع الذي سال على وجنته مع كلمات سيلين يتزامن مع هذه الصعقة التي ضربت فؤاده من هول المفاجأة !!!

لم يعد يسمع صوت ولولتها ونحيبها وهي تروي له كيف أصابته عدوى قاتلة أودت بحياته في أيام قليلة...

بل صوت بكاء الصغير في آخر مرة رآه فيها ...

صوره التي كانت ترسلها له لترسم له كوابيس ليلية لا تنتهي...

مشاعره التي كان يحاربها بضراوة نحو هذا الجسد الصغير الذي استنكف يوماً أن يضمه ...

والآن ...ما عاد ينفع ندم !

٢٠١٤





تغلق هي الاتصال بعنف وصرخاتها الهستيرية تكاد تصم أذنيه لكن أنامله تظل متشبثة بالهاتف وكأنه ينتظر منها المزيد...

تكذيباً لهذا الذي يقال ...

لكن صوت الرنين الرتيب يؤكد له الحقيقة...

الموت!

هذه الحقيقة المجردة التي تكشف لنا زيف الدنيا...

هذا الزائر المهيب الذي يكشف اللثام عن وجه أفعالنا فيرينا حقيقتها...

هذه القبضة التي تنتزع منا أناساً شغلتنا عنهم الحياة لنكتشف فجأة قيمتهم لدينا...

هذا الدرس الذي نعيش عمرنا نحفظه وقل من ينجح في اختباره !

يتهاوى جالساً مكانه وهو عاجز عن منع دموعه..





دموعه التي كانت الآن توثق ألف معنى للخسارة...

سلطان وساوسه الذي طالما ظن أنه يحميه الآن يدرك أنه أضاع منه كل شيئ...

أفسد حياته وحياة كل من حوله بدعوى الأمان...

"لو شكيت ما تكملش"!

هذا المبدأ الذي نذر له عمره ليكتشف الآن كم كان مخطئاً...

ليدرك أن الطريق الذي بدأ برصيد من مشاعر وذكريات ومسئولية يستحق أن نحارب شكوكنا كي نكمله...

لكنه دفع الكثير كي يدرك هذه الحقيقة...

عجلة ظنونه حصدت في طريقها كل أحبته...

بداية من بنات خالته ومروراً بصديق عمره ...





والآن ...ابنه...

ابنه الذي كان مجيئه صدمة...ورحيله صدمة...

وكأنها صفعة القدر له أن يفيق!

ياسمين!

وسط كل هذا الدخان الذي يخنق روحه يذكرها...

تباً لعناده ...لكبريائه...

هو يحتاجها ...

يحتاجها أكثر من أي وقت مضى...

أي صدرٍ الآن يحتوي دمعه إلا صدرها ؟!

أي كتف يحمل معه وزره إلا كتفها ؟!

أي عين تشاركه الآن دمعه إلا عينها ؟!

لهذا لم يشعر بنفسه وهو يفتح حسابها الذي لا يعرف طريقة للاتصال بها سواه...





يتصل بها مترقباً وهو لا يعلم هل ستجيب اتصاله أم تتجاهله...

مرة تلو مرة تلو مرة...

لكنه لم يمل...

هي التي كانت طيفاً طالما طاردته ألوانه...

ماذا يضيره لو طارده هو الآن ؟!

الاتصال يفتح أخيراً دون رد إلا من أنفاسها التي عجزت عن منع تهدجها ...

شفتاه تنفرجان وهو لا يدري ماذا يقول...

ربما لو كانت تراه الآن...

لحكت لها عيناه حكاية لن تفهمها غيرها ...

_ابني ...مات !

لم يستطع إلا قولها...





مقتضبة...مختنقة...مذنبة...راكعة تحت قدمي الندم...

ليجيبه صمتها الطويل ....

صمتها الذي كان يزيد من عمق الجرح في قلبه لكنه -للعجب- كان كافياً ليؤنسه...

ليعزيه...

ليعيد إليه بعض الاتزان...

قبل أن يصله أخيراً صوتها بأقسى ما توقعه يوماٌ ...

_وانت مكلمني عشان أواسيك؟!

حاجباه ينعقدان بقوة مدركاً أن هذه القسوة المستحدثة قتلت الكثير من عرائس عشقه فوق غمامها ...

لتأتيه بقية كلماتها كطعنات في الصميم...





_للأسف مش هاقدر ...وعلى فكرة...انت ما خسرتش ابنك من سيلين بس...انت خسرت ابنك مني أنا كمان.

==============

محدش فينا عارف

لسه بكره مخبي إيه...

لكن كل اللي فاتك

ممكن أحكيلك عليه...

أصعب أيام في عمري

مااقدرش أوصفها عمري

وأكيد حسيتي بيا وعشتي أيام زيها...

منا زيك برضه واكتر

اوقات بسرح وافكر





انا وانت بعدنا ليه...

مالقتش اجابة جيت لك

ما انا يمكن لو حكيت لك.

تقولي لي كسبنا إيه ..

===========

سينابون...

هكذا نحن مزيجٌ من مذاق "القرفة" اللاذع و"الصوص" الحلو والعجين "المتخمر" بماء الماضي..

٢٠٢٢





===========

ولا تزال للحكاية بقية...

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني بإذن الله

بنفس الاسم ...

٢٠١٨ اكتوبر





إهداء

إلى رجل يساوي كل العالم ...

إلى رجل دللني كابنته...

وتعلق بي كأمه...

واحترمني كمعلمته...

وأحبني كامرأته...

إلى رجل يستحق أن يقال عليه ..."رجل"!

٢٠٢٤





كان يعتنق "الشك" ...

وكان مذهبها "الكبرياء"...

فأي دين يجمع ذا الهوى ...

وبأي ملّة يتلاقيان ؟!!





Cinnabon

(القطعة الأولى)

======

وساعات بنشوف الحب وهو ...

ما يشوفناش...

وساعات يقابلنا الحب،ويمشي..

وماعرفناش...

وساعات بيجينا الحب ويمشي..

كأنه ما جاش...

وكتير بيسيبنا الحب وجرحه...

مابيسيبناش!

========

لوهلة بدا وكأنه لم يسمع...

حاجباه المنعقدان يتراخيان ببطء ...

شفتاه تنفرجان عن حديث مات على حافتهما...

عيناه شاخصتان في الفراغ تحاولان رسم صورة لهذه التي تتحدث !!





هل هي حقاً ؟!

ماذا كانت تقول؟!

تقول إنها لا يمكنها مواساته ؟!

من ذا القادر على فعلها إذن ؟!!

مهلاً...مهلاً...

تقول إنه فقد ابنه منها كذلك ؟!

ابنه منها ؟!

منها هي؟!

كيف؟! ومتى؟! ولماذا؟!

كاذبة !!

سلطان وساوسه يعاود بسط نفوذه ..

كاذبة...مخادعة...تريد نيل انتقامها بأرخص طريقة ...

لماذا فتحْت لها هذا الباب ؟!





لكن قلبه هذه المرة لم ينزوِ مدحوراً بين ضلوعه كالعادة ...

بل كان يهدر بدقاته في صدره مطالباً بحقه فيها...

اسألها...اسمعها...صدقها ...

أعدها...

أعدها...

أعدها...!

وبينهما كان لايزال هو واقفاً بأنامل تتشبث بالهاتف وكأنه -الآن- كل الحياة...

دموعه الجافة على وجنته تحرقه ليس فقط بمذاق الندم...

بل بالضياع!

_قصدك إيه ؟!

سؤاله المرتجف يغادر أخيراً شفتيه وهو يكاد يرجوها الإجابة...

بل...العكس!

يكاد يرجوها ألا تجيب !!

هذا الجرح الغائر في صدره لن يتحمل نصلاً آخر!!

لكن الصمت ظل اللغة الوحيدة بينهما للحظات قبل أن تغلق هي الاتصال !

صرخة غاضبة يائسة تنطلق من فمه قبل أن يعيد سؤاله مرة تلو الأخرى وكأنه لا يصدق أنها حقاً أغلقت الاتصال ...

يعيد الاتصال بها لكنها كما يبدو ...حظرته !

حسابها مغلق في وجهه ...

تماماً كأبواب الدنيا كلها الآن !!





هل تحققت أمنيتهما بطفل كما كانت دوماً تحلم؟!

كما صار هو يتمنى بعدها كما لم يفعل من قبل؟!

والآن...فقده ؟!

تباً...هل هذا حقيقي؟!

لا...هو كابوس آخر من كوابيسه التي لا تنتهي!

عيناه تمتلئان من جديد بدموع عجز وهو يدور بهما في المكان حوله ...

قبل أن يسقط هاتفه أرضاً بيأس ...

دخان أسود كثيف يخنق وعيه ويرجوه العودة للنوم لعله يهرب من كل هذا...

النوم؟!!

أين؟!!

في فراشها هي الذي لم يشغل سواه منذ عاد لسكنى هذا البيت بعد طلاقهما؟!!





أم في فراشهما المشترك بالطابق العلوي الذي لم تطأه قدماه من حينها ...

أجل...

حتى بعد عودته إلى هنا لم يجرؤ أن يعيد الطواف حول مدار ذكرياتهما المشتعلة بالأعلى...

لكن...

ربما هذا هو -بالضبط- ما يحتاجه الآن !

قدماه تتحركان كالمغيّب ...

تصعدان الدرج بخطوات رتيبة نحو غرفة شاركته إياها لأيام لا يبالغ لو وصفها بأنها تساوي عمره كله...

أصابعه تتلكأ قليلاً حول مقبض الباب قبل أن يفتحه...

يلج للداخل فتجتاحه كل ذكرى تركتها له هنا ...

كل همسة...





كل نغم...

كل لمسة...

كل حكاية استمع إليها على صدرها قبل أن يغفو بين ذراعيها كرضيع هانئ...

ما هذه الأكياس الصغيرة هناك ؟!

ياالله!

لا تزال هنا من ليلتها ؟!

مفاجأتها التي لم تتح لها الفرصة كي تخبره بها وقتها ؟!

لازال يتحرك ببطء وكأنه على وشك الولوج في جحيم لا قبل له به ...

لكنه يفعلها بخطوات رتيبة متهالكة مستسلمة لوجع ما عاد له طاقة بمقاومته...

يجلس على الفراش ليفتح أول الأكياس...





قميص نوم سماوي مثير بهذه الأربطة التي تدرك هي أنه يحبها ...

ربما لأنها تمنحه راحة الشعور بالتملك بعد التشابك !

جسده كله يرتجف باستجابة حسية وهو يستحضر صورتها ...

ابتسامتها ...

اشتعالها الذائب بين ذراعيه ...

مذاق أنوثتها الذي لم تنافسها فيه امرأة سواها !

الجحيم في صدره يكوي ضلوعه كياً ومشاهدها مع زين تعاود احتلال الصورة...

فيكز على أسنانه بقوة وهو يحاربها ...

بل يحارب نفسه !

لهذا امتدت أنامله بسرعة تفتح الكيس الآخر هارباً من جحيم هواجسه...





علبة أنيقة مستطيلة فتحها بمزيج غريب من لهفة وتوجس ...

قبل أن ترتجف شفتاه وهو يميز محتواها...

ساعة جلدية سوداء تعدو عقاربها فوق صورة مطبوعة لهما وهو يضمها لصدره ...

صنعتها خصيصاً له !

_عشان تتأكد إن مفيش ثانية في عمرك هتعدي غير واحنا سوا.

مكتوبة بالأبيض بخطها -الفوضوي- مثلها على بطاقة اختارتها -سوداء- مثله !

يغمض عينيه بقوة على صورتهما مع عبارتها ولازال دمعه الحارق رفيقه في هذه الرحلة البائسة...





_سبتيني ليه ؟! انتِ قلتيلي مهما عملت مش هتبطلي تحبيني؟!

يهمس بها -هذا الطفل- بداخله بلاوعي وكأن كل ما كان...لم يكن!

يهمس ...بل يصرخ بها في وجه كل هواجسه فيردها مدحورة لجحورها ...

لكن "الرجل المغدور" بداخله يعاود صراخه...

_كذبتي ليه ؟؟ ما شرحتليش الحقيقة ليه؟؟ انتِ عارفة طبعي...عارفة انى فتحت لك كل أبوابي عشان كنتِ قدامي كتاب مفتوح ... كنتِ خايفة ما اصدقكيش ؟؟

_وانا امتى كدبتك ؟! كل كلامك كنت ...بصدقه !





يعاود "الطفل اليتيم" الهمس بها بوجع ليصرخ "الرجل المغدور" من جديد ...

_شفتك بعيني بين إيديه....جيت سألتك ما أنكرتيش...قلتيلي كل ده صح...كنتِ مستنية إيه عشان تقولي الحقيقة؟؟

_ كنتِ مستنية إيه عشان تساعديني في حربي ضد نفسي زي كل مرة؟! ليه سبتي إيدي في نص الطريق وانتِ عارفة إني مش هاعرف أعديه لوحدي؟!

يكمل بها "الطفل اليتيم" هذا الحوار بداخله فينغرس رمح الجرح في روحه أكثر ...

ليعاود "الرجل المغدور" المقاومة بصراخه ....

_ما ظلمتكيش...ما خدعتكيش...انتِ دخلتِ حياتي وانتِ عارفة كل عيوبي...وانتِ اللي اخترتِ تكملي وتسحبيني معاكِ لطريق عمري ما كنت هافكر أمشيه تاني بس عشانك عملتها...انتِ ...انتِ...





_انتِ قتلتيني .

الآن يتحد "الطفل اليتيم" و"الرجل المغدور" ليهمسا بها معاً ...

فيضع كفه على صدره ...

يغرس فيه أنامله وكأنه بهذا سيخفف بعضاً من هذا الألم !

وأخيراً يجد الجرأة ليفتح الكيس الثالث ...

فتتسع عيناه بإدراك وهو يميز محتواه...

ثوب طفلة وردي مع زوج من الجوارب الصغيرة ...

الكيس الرابع ...الخامس ...السادس...

وسادة صغيرة برسوم طفولية...لهّاية أطفال...لعب صغيرة ملونة...





_مبروك يا "طيب"...مبروك يا "بابا"!

صرخة عالية تجتاح صدره فلا يدري هل غادرته حقاً أم ظل صداها يفتت حناياه فحسب !

هذه كانت مفاجأتها له ليلتها!!

هي كانت تحمل طفله من وقتها ؟!!

والآن...ماذا حدث ؟!!

فقدته ؟!

مات كابنه من سيلين؟!

كيف؟! ومتى ؟! ولماذا ؟!

_متعرفش أد إيه بحلم بابننا أو بنتنا...يااااه يا يامن...عمري ما اتمنيت حاجة في حياتي أد ما بتمناه .

كأنه يسمعها الآن بصوتها ...

فترتد الذكرى ألف سهم في صدره !!

لقد فقدت حلمها ...

تماماً كما فقد هو حلمه...وفقد نفسه...وفقدها!!

_كدابة...خاينة...اوعى تصدقها ...اوعى ترجع للطريق ده تاني!

سلطان وساوسه يعاود بسط نفوذه ...

لكن قلبه هو الآخر يعاود التعلق بأشيائها التي تركتها هاهنا على الفراش ...

وتركت ما يماثلها أثراً في روحه...ليهتف بلوعة:





_خذلتها ...وخذلت نفسك قبلها !

ووسط هذه الحرب لم يستطع إلا أن يطلق آهة عالية وهو يمسك رأسه بين كفيه يهزه بعنف ...

لم تعد له طاقة بهذا الجحيم الذي يواجهه وحده ...

لهذا قام مترنحاً من جلسته ليلقي نظرة أخيرة على الفراش ...

قبل أن يشيح بوجهه بعنف ليغادر الغرفة عدواً وكأنه يهرب من شيطان !!

لن يقوى على الرجوع هنا ثانية...

"دونها" !

والإضافة الأخيرة كانت من قلبه الذي لايزال يتمرد على سلطان وساوسه ...

لكنه لم يعد قادراً على المزيد من هذا الصراع ...

صوت رنين هاتفه يتزامن مع وصوله لردهة المنزل فيتوجه نحوه بلهفة تراجعت نوعاً وهو يميز اسم نبيلة ...





ليفتح الاتصال بسرعة فيفاجئه خبر هانيا...

كأنما تنقصه الكوارث!!!

=======

_ليه قلتِ له كده ؟!

سألها وجدي -والدها- وهو يتقدم نحوها بعدما سمع حديثها معه...

كانت تعطيه ظهرها فتملك كتفها بأنامله ليديرها نحوه ...

قبل أن تنحدر عيناه لبطنها -البارز- في قميص نومها بما بدا كإشارة ذات مغزى ...

_ما كذبتش...هو فعلاً خسر ابنه مني...مش هاخلليه يشوفه ولا يعرفه .

قالتها بنبرتها-الحادة المكسورة- التي صارت تميزها مؤخراً ...

فتأمل عينيها الممتلئتين بدموع لم تعد تسقط !!





أجل...منذ غادرت مصر إلى هنا وهي لم تعد تبكي ....

وكأنها تركت "دموعها" مع "حبها" هناك ...حيث وطن "القلب" و"الجسد"!!

كان يعلم أن استسلامها لرغبته في الحضور معه إلى هنا ليس سوى قناع ل"انتقام" تريده ...

هذا الإدراك الذي يجعله يزداد يقيناً أن ياسمين "القديمة" لا تزال تهوي في بئر ليس له قرار...

وأن هذه النسخة "المستحدثة" منها ستحمل الألم للجميع ولنفسها قبلهم!

_انت سمعته زيي؟! هو كان بيكلمني صح؟! مش بيتهيألي؟!

تمتمت بها بصوت -بالكاد - يسمع وهي تناوله هاتفها،





وبنبرة مهتزة عاطفية -شاذة- وسط كل هذه القسوة الباردة التي صارت تحتل صوتها ...

فغص حلقه بمرارته لأجلها وهو يتقدم منها أكثر ليحتضن كتفيها بكفيه بينما يهز رأسه في إجابة صامتة بالإيجاب...

قلب الأب بداخله يستشعر هول إحساسها الموجع وما تفضحه كلماتها من اشتياق..

لكنه يؤثر الصمت مكتفياً بمؤازرته الصامتة .

عيناها الشاردتان تزيغان قليلاً وهي تغيب عنه بطوفان يجتاحها من ذكراه الخائنة...

الآن ينتابها نفس الشعور الذي اكتسحها ليلة غادرت بيته -بمنامتها- بعد مواجهتهما ب"فيديو" زين !

نفس الإحساس بالضعة والإهانة وهي تجوب الشوارع بملابس بيتية تلاحقها نظرات الناس بين فضول واتهام حتى وصلت لبيت أمها ...





بواب العمارة ليلتها لم يناولها النسخة الاحتياطية من مفتاح الشقة فحسب ...بل منحتها عيناه نظرة شاركه فيها أغلب من تعرفهم...

دهشة...إشفاق...شماتة...حسرة تمتزج بفخر من صدق تنبؤه فيما تخفيه خلف كل ذاك النجاح..

"نجمة العلا البراقة" هوت محترقة بفضيحة !

ضعيفة...هشة...مكسورة..و...مكشوفة!

عارية!

أجل...هذا بالضبط ما شعرت به وقتها ...والآن يتعاظم هذا الشعور بعد مكالمته هذه لها...

ربما لأنها أدركت أنها -وإن ابتعدت- لم تبتعد...

أجل !لا تزال قدماها عالقتين في بركة وحل عشق مريض!

أو ربما العكس!

هي حلقت بعيداً بعيداً حتى ما عادت عودتها ممكنة!

الشعوران متناقضان ..لكن كلاهما صادق ..كلاهما حارق...كلاهما مهلك لو تعلمون!





ضحكتها الساخرة المرة تغادر حلقها أخيراً عالية لتناسب هتافها العصبي:

_مكلمني يقوللي إن ابنه من مراته التانية مات ...فاكر إن اللي بيننا لسه زي زمان ...فاكر إني ممكن أرجع أطبطب وأداوي...

ثم لوحت بذراعيها لتبتعد عن مرمى ذراعيه مردفة بنفس النبرة :

_حقيقي اللي اتعود ياخد ما بيديش .

_وهو فعلاً كان بياخد ما بيديش؟!

غمغم بها بحاجبين منعقدين شاعراً بحذر من يخطو بحقل ألغام قد ينفجر في أي لحظة ..

انفجاراً كهذا الذي داهمه الآن وهي تصرخ بانفعال:

_مش عارفة...مش فاكرة...ومش عايزة أفتكر...كل اللي عايزاه إنه يخرج من حياتي للأبد .





زفر زفرة حارقة وهو يقترب منها ليعاود التربيت على كتفيها مهدئاً بقوله :

_معنى إنه اتصل بيك دلوقت لأي سبب إنه عرف الحقيقة وصدقها.

_زين قالله...بس كالعادة وقف محتار يصدقه واللا ما يصدقوش.

_زين؟! وانتِ عرفتِ إزاي؟!

هتف بها بقلق مدركاً عدم اتزان تصرفاتها مؤخراً لتؤكد له ظنه بقولها :

_كلمني وحكالي وعايز يقابلني .

_يقابلك فين ؟!

_زين هنا في ماليزيا.

قالتها بنبرة عادت إليها "حدتها المكسورة" التي امتزجت الآن باعتداد أنثى يلاحقها رجل كزين ...

ليتسمر هو مكانه للحظات مصدوماً قبل أن يهتف بها بغضب لم يملك كظمه:





_انتِ اتجننتِ ؟! إزاي توافقي تتكلمي معاه بعد اللي حصل؟! مجرد وجوده معاك في مكان واحد هيأكد عليك التهمة وكلام الناس مش هيرحمك.

التوت شفتاها بابتسامة ساخرة تنضح قسوة لا مبالية لتحتد نبرته أكثر بينما يردف :

_لو فاكرة إنك كده بتنتقمي من يامن فاعرفي إنك بتنتقمي من نفسك قبله ...وأنا مش هاسمح لك بكده.

_تسمح لي؟!

لفظتها قاسية ساخرة مستنكرة وهي تبتعد عنه خطوة -كعهدها- بينما لا تزال "حدة شظاياها المكسورة" تجرح كل من يحاول الاقتراب منها:

_حقك إيه عليّ عشان تسمح أو ما تسمحش؟! هو أنا كنت سمحت لك تسيبني أنا وأمي زمان؟! سمحتلك تيجي هنا تتجوز وتخلف وتعمل حياة تانية بعيد عني؟! الحاجة الوحيدة اللي سمحتلك بيها كانت نصيحتك في جوازي من رامي...ومش محتاجة أقولك ندمانة أد إيه .





تغضنت ملامحه بألم هزم غضبه وهو يرى إلى أي مسخ مشوه تحولت صغيرته ...

ياسمين حلوة الشكل والروح لم تعد سوى نار تحرق من حولها وتحترق معهم !

هذا الذي ازداد يقينه به وهو يراها تقول بنفس النبرة بينما عيناها عاميتان عن ألمه:

_أنا وافقت أجي معاك هنا بس عشان أبعد بابني عن أب زيه ...مش هاسيبله اي حاجة كانت شركة بيننا ...لا المطعم ولا ابني ...لكن ده مش معناه إني هاسمح لأي حد يتدخل في حياتي ..أي حد حتى لو أب لسه فاكر يحس بالذنب دلوقت .

=========

نبيلة...داليا...رامز ...

يراهم كلهم يقفون أمام الباب المغلق لغرفة المشفى ينتظرون النبأ!

خطواته التي كانت راكضة منذ سمع الخبر الآن تتثاقل ...تتباطأ وكأنه ...خائف؟!





نعم...القلق شعور رحيم لو قارنناه بوحش الذعر عندما تنهش مخالبه روحنا !

هل يفاجئه القدر بفقد جديد ؟!

لا...لن يحتمل هذه المرة !!

هدير نبضاته الصارخة يعوي بين ضلوعه مع تلاحق أنفاسه عندما وصل إليهم أخيراً ليقول بنبرة مرتجفة:

_حصل لها إيه؟!

ولم يكد يتم آخر حروفه حتى ترنح في مكانه ليسنده رامز بسرعة هاتفاً رغم قلقه:

_امسك نفسك يا يامن...بإذن الله هتبقى كويسة .

زاغت عيناه بنظرة مشتتة وهو يشعر بارتجافة جسده التي عجز عن تمالكها ...

بينما انخرطت داليا في بكاء عنيف وهي تراه بهذا الانهيار .





أكثرهم تماسكاً -للعجب- كانت نبيلة التي كانت عيناها الحزينتان تتابعان الوجوه بألم صامت ...

فتح باب الغرفة أخيراً ليخرج منه الطبيب قائلاً بنبرة عملية:

_عملنا اللي نقدر عليه...الحالة شبه مستقرة ...حروق درجة تانية في الكتف والرقبة...

ثم صمت لحظة ليردف :

_كسر مضاعف في ذراعها اليمين .

هنا انهارت قوة نبيلة هي الأخرى لتنسى كل ما تعلمته طوال عمرها عن كبرياء النجمة وتنخرط في ولولة خافتة ...

بينما شحب وجه رامز برعب مع سؤاله للطبيب:

_هترجع زي الأول؟!

_هتتحسن بالوقت بس ماقدرش أجزم بكده.

قالها الطبيب ببعض الإشفاق الذي منحهم إجابة لم يجرؤ على قولها في هذه اللحظات العصيبة ...





ليزداد شحوب رامز وبكاء داليا ونبيلة ...

بينما بدا يامن وكأنما امتصت كل الصدمات السابقة انفعالاته لتترك وجهاً جامداً ...

عينين تتابعان ما يجري بلا شعور ...

لكنه ما كاد يرى جسد هانيا الذي استقر ساكناً فوق الفراش وقد غطته الضمادات حتى تذكر فجيعته...

بعيداً عن هنا...

في مكان ما ...

يرقد جثمان طفل له يواريه التراب!

طفل ؟! بل ربما اثنان!!

ياسمين لا تكذب...

لا ...بل فعلت !!

أما لهذه الحيرة من آخر؟!

الدموع الحارقة تعاود احتشادها في عينيه لكنه يقاومها بكل قوته ...

ماذا إذن عن نحيب قلبه ...كيف عساه يقاومه؟!





=========

وقف رامز أمام فراشها في المشفى يراقب ملامحها الساكنة ولا تزال غائبة عن وعيها ...

يكاد يفقد صوابه قلقاً عليها بعد إصاباتها التي يدرك أن علاجها لن يكون سهلاً...

لكن جزءاً بداخله يكاد يصرخ فرحاً لأنها لا تزال على قيد الحياة...

وكفى بها نعمة!!

الرعب الذي عاشه منذ سمع أحدهم على الهاتف يظنها ميتة وحتى وصل إليها لن ينساه ما عاش!!

وكلمتها الأخيرة التي اختارت أن تخصه هو بها تزلزل روحه ليس فقط بمعناها بل بتوقيتها !!

هي اعترفت له بحبها عندما ظنت أنها ستموت!

اختارت أن تكون هذه آخر كلماتها في الحياة كما ظنت!

هل يحتاج اعترافاً أبلغ من هذا؟!!





حبيبته العنيدة لا تزال قادرة على بعثرة شتات نفسه ...كما لا تزال قادرة على جمعه من جديد في كيان لم يعترف بمعشوقة سواها ...

فقط لو تفيق الآن ..لو تسمح له أن يحدثها من جديد...

أن يعتذر عن تهوره...جفائه...تباعده...وقلة تفهمه!!

التقت عيناه بعيني نبيلة التي كانت تجلس على طرف الفراش ...

والتي وقفت الآن لتفسح له هو المكان قائلة بين دموعها:

_خليك معاها لحد ما أحاول أوصل لرانيا ...تليفونها مقفول ...يامن بيصلي في الأوضة اللي جنبنا.





لم تفارق عيناه ملامح هانيا وهو يهز رأسه بلا معنى قبل أن يجلس ليتناول كفها "السليم" محتضناً إياه بين راحتيه ...

كان يدرك ما ينتظرها من ألم جسدي عندما تفيق لكنه كان يذوب اشتياقاً للحديث معها ...

لدفن رأسها العنيد هذا في صدره حتى ينزع عنه عناء أفكاره ويزرع بدلاً منها اعترافاً بأن لا حياة لأحدهما دون صاحبه ...

ولتقبيل فمها العزيز هذا الذي أخيراً نطق بما كان يشتاق لسماعه!

_هتقومي بالسلامة...هترجعي أحسن من الأول ...عارف إن دماغك ناشف وهتغلبيني عشان ترجعيلي بس من النهاردة مش هاسمح تعيشي لحظة واحدة من غيري ...

قالها بصوت غلبه تأثره بدمعة سقطت من طرف عينه ...

ليرفع كفها نحو شفتيه بقبلة عميقة مع همسه:





_وحشتيني يا حبيبتي...وحشتيني قوي .

وفي مكانها منزوية في جانب الغرفة كانت داليا تراقبهما برعب ...

هانيا تشوهت!

احترق بعض جسدها وربما لن تعود قادرة على استعمال ذراعها اليمنى...

أي امرأة عادية ستزلزلها صدمة كهذه...

فما بالها هانيا التي روحها في دراستها وعملها!

هل ستقوى على مواجهة الأمر...

أم أن هذه الحادثة ستكسرها؟!

رامز يكاد الآن- يموت خوفاً عليها ...

لكن ماذا عن غد...وبعد غد؟!

هل يحبها هذا الحب الذي يجعله يحتمل أنوثتها الناقصة ؟!





أم سيتخلى عنها كما فعل من قبل ؟!

هنا أجهشت في بكاء صامت وهي تشعر بالاختناق ...

هل هكذا شعرت هانيا بعد محاولتها -هي- الفاشلة للانتحار؟!

هل جربت هذا الرعب الذي تعيشه -هي- الآن ؟!

هل هو قصاص القدر منها أن تتألم كما آلمتهم؟!

الضربة موجعة للجميع هذه المرة...ولن ينجو منها أحدهم إلا لو تكاتفوا كعائلة في كنف يامن كالعادة ...

يامن ؟!!

أين يامن؟!!!!

==========

_الله أكبر.

_بتصلي ليه؟!

إيش عرفك إن ربنا هيقبلك؟!

إيش عرفك إنه أصلا راضي عنك؟!

لو بيحبك ما كانش حصللك كل ده؟!

مالوش لازمة دعاءك ولا صلاتك!

_الله أكبر.

يهتف بها بصوت أعلى محاولاً التغاضي عن هذه الوساوس الشيطانية التي عادت تجتاحه بقوة أكبر ...

ابنك مات من غير ما تحضنه ..

من غير حتى ما تشيله...

يا ترى ابنك من ياسمين مات إزاي ...

ليلة ما زقيتها من ع المرجيحة...

معقول تكون انت اللي قتلته؟!





_الله أكبر.

يرتجف بها صوته من جديد محاولاً التركيز في صلاته لكن المارد هذه المرة لا يرحم...

_انت غلط...كل تفكيرك غلط ...وياريتك بوظت حياتك لوحدها ده انت بتضيع الكل معاك.

_انت صح...مفيش حد يستاهل تديله الأمان ...كلهم هيبيعوك...هيسيبوك...هتموت لوحدك زي أبوك...ماتديش حد فرصة يخدعك.

_انت غلط...فين الرصيد؟! فين تمن العشرة ؟!

_انت صح...العمر ما بقاش مستحمل جرح جديد.

_انت غلط.

_انت صح.

_السلام عليكم ورحمة الله ...السلام عليكم ورحمة الله.

يسلم أخيراً من صلاته التي عجز عن إكمالها وسط كل هذه الوساوس التي منعته حتى أن يرفع رأسه بالدعاء!

رأسه يفور!

هذا هو التعبير الأدق لما يشعر به الآن !

ليته كان يستطيع الآن التمدد على هذه الأرض يفرغ دموعه دون أن يراه أحد...

لكن هل يمنحه هذا الراحة ؟!

شعر بأناملها على كتفه فالتفت نحوها لتلتقي عيناهما في حديث مفعم بمشاعره...

أمومتها "المستحدثة" تبدو كنسمة هادئة وسط هذا الجحيم الذي يصطلي بنيرانه ...

_أزمة وتعدي...ما تشيلش هم .

قالتها مغالبة شعورها الخاص بالأسى وقد اعتبرت مجرد التعبير عن حزنها الآن أنانية!





يامن ضج بهذا الوزر الذي ثقل على كتفيه...

أما آن الأوان أن تحمله عنه؟!!

عناقها الحاني يمنحه نسمة أخرى فيستجيب له مستسلماً ...

قبل أن يسألها بصوت مهتز:

_فين رانيا ؟!

ترددت قليلاً وقد فكرت في إخفاء الأمر عنه ..لكنها خشيت غضبته فأخبرته بأمر أشرف بألطف طريقة ارتأتها ...

ومع هذا علا وجيب صدره وهو يستمع إليها صامتاً مذعوراً للحظات قبل أن يسألها بنفس النبرة المهتزة:

_ماعرفتيش عامل إيه ؟!

_رانيا معاه في المستشفى دلوقت ...لسه ماعرفتش اللي حصل لهانيا.





قالتها بقلق وهي تشعر بقرب انهياره خاصة عندما شرد ببصره للحظات قبل أن يعطيها ظهره قائلاً بحميته التي لم يفقدها وسط هذه الظروف:

_هاروح أنا أجيبها وأطمن على أشرف ....ماتقوليلهاش حاجة انت عارفة إنها مش هتستحمل تسمع الخبر وهي لوحدها .

قالها ليغادر الغرفة لكنها لحقت به لتستوقفه بندائها:

_كنت مختفي فين قبل الحادثة؟!

سؤالها يرده لهمّه الكبير فيرفع رأسه لأعلى بزفرة حارقة جعلتها تلح في سؤاله ليجيبها أخيراً بنبرة ميتة :

_ابني من سيلين مات...ياسمين كمان كانت حامل...وخلاص!




صرخت بجزع وهي تلطم وجهها قبل أن تجذبه بين ذراعيها لتربت على ظهره محاولة السيطرة على ارتجافة جسدها...

لو تركت لصرخاتها الآن العنان فلن تتوقف...

لكنها تعلم أن هذا لن يفيده ...

هذا الذي يبدو الآن واقفاً بتماسك ليس سوى كيان مفتت سينهار في أي لحظة!!!

ماذا تفعل؟!

ماذا تفعل؟!!!

ماذا تقول لتواسيه؟!

طالما سمعتهم يقولون إن المصائب لا تأتي فرادى...

لكن ما يحدث له الآن يفوق تحمل البشر!!

لهذا لم تجد ما تمنحه له سوى حرارة عناقها ودعواتها الصامتة قبل أن تغمغم بصوت أنهكه نحيبها:





_ما تحملش نفسك فوق طاقتها ...انت شلت كتير .

_أنا ضيعت الكل!

قالها مختنقة بندمه...بعجزه...بحسرته...

ليخترق سمعه نحيب داليا من الجوار وقد أتت منذ دقائق لتستمع مصادفة لمصيبته!

والتي انهارت مكانها جالسة تبكي بصمت فتوجه نحوها لينحني على ركبتيه أمامها قائلاً بنفس النبرة الميتة:

_ما تخافيش ...كل حاجة هاتبقى كويسة.

يالله!

كم تقاوم الآن رغبة ملحة في احتضانه...

ك-اعتذار- عن سابق مصائبها ...

ك-امتنان- عن طول رعايتها لها وشقيقاتها...

ك-رغبة- في الشعور بالأمان الذي تفتقده الآن !





لكنها تدرك أنه سيغضب لو فعلتها لهذا اكتفت بالتربيت على كتفه متمتمة:

_أنا آسفة.

كانت المرة الأولى التي تعتذر له فيها بعدما كان من محاولة انتحارها...

بل بعد فضيحة تلك الليلة في القسم وافترائها على مروان ...

لهذا منحها نظرة حانية ثم أغمض عينيه بألم يصرخ بين جنباته وتبخل عنه الشفاه...

قبل أن يستقيم واقفاً ليغادرهما بخطوات مترنحة تلاحقه نظرات داليا الملتاعة ...

لكنه ما كاد يتحرك بضع خطوات حتى رأى رامز عبر باب غرفة هانيا المفتوح منكباً على كفها يقبله بمشهد فطر قلبه...

أهذا الذي اتهمه يوماً بالخيانة؟!

أهذا الذي ظنه لا يستحقها؟!





ضحية أخرى لمبدئه اللعين

"لو شكيت متكملش"

هذا الذي ظنه طوق نجاة والآن يدرك أنه لم يكن سوى طوق نار حول رقبته ورقبة من ظن نفسه يحميهم...

لهذا لم يشعر بخطواته وهو يقترب منه ليتوقف أمامه حيث رفع رامز إليه عينين دامعتين دون أن يترك كف هانيا ...

_عرفت منين اللي حصل لها عشان تروح لها؟!

_هي كلمتني!

غمغم بها رامز بنبرة مرتجفة ليعاود يامن سؤاله بصوته الجامد الذي يوشي بقرب انهياره:

_قالتلك إيه؟!




ازداد الوميض الملتاع في عيني رامز الدامعتين لترتجف شفتاه وهو يستعيد تلك اللحظات العصيبة ...

قبل أن يعود ببصره نحو هانيا دون رد..

هنا عاد يامن يقول بنبرة غريبة هي للجواب أقرب:

_قالت لك إنها بتحبك ؟!

_وأنا كمان عمري ما حبيت غيرها ...

قالها رامز بانفعال حار ليردف آسفاً :

_أنا غبي...غبي...غبي عشان ما فهمتهاش...غبي عشان ضيعتها...

ثم عادبوجهه نحو يامن مردفاً بحزم من لن يقبل رفضاً:

_بس لسه الوقت ما فاتش عشان أصلح غلطتي.

_يابختك.

تمتم بها يامن بابتسامة مريرة حملت طعم البكاء قبل أن يغادر الغرفة يجتر مرارة حصاده....

========





_عايزة أستأذنك في حاجة...رد علي بسرعة .

تركتها له "رسالة صوتية" بنبرتها الباكية لكن يبدو أنه لم يرها ...

عاشقها المجهول الذي تحتاج الآن الشعور بوجوده..

كما تحتاج استئذانه في ـأمر ما ـ تريد فعله وتظنه سيغضبه!

ظلت تراقب هاتفها في يدها للحظات قبل أن تلقيه جانباً بيأس !

عيناها تنتقلان بجزع بين هانيا التي لم يفارقها رامز ...

ونبيلة التي ترى أثر تجاعيد الحزن على وجهها لأول مرة !

يامن لا يبدو بخير...

هي لم تره هكذا يوماً!!

ماذا عساها تفعل ؟!





وكيف تساعده؟!

الفكرة تلح على ذهنها لكنها ترفضها بالكثير من النفور،،،

وأخيراً انتفضت من مكانها لتنفذها ...

استأذنت من نبيلة في الخروج بحجة واهية ثم اندفعت لتغادر متجهة نحو مكان بعينه...

كانت تدعو الله أن تكون متذكرة للعنوان جيداً...

لهذا ما كادت تتأكد من بواب البناية حتى صعدت الدرج بسرعة نحو الشقة المنشودة التي طرقت بابها ...

ولم يكد يفتح لها حتى بادرته بقولها:

_دكتور مروان ...أرجوك خلليك جنب يامن ...هو محتاجك.

========

وقفت أمام مرآتها تتأمل شكلها بعينين فقدتا بريقهما المعهود...





زين يلح في لقائها منذ وصل إلى هنا وهي تؤخر هذا اللقاء كل مرة بعلة مختلفة ...

لكن إلى متى الهروب؟!

فلتقابله ولترَ ماذا يريد !

كانت تمسك بيمينها ثوباً رمادياً يضيق عند الصدر ويتسع كثيراً بعده بذاك الطراز الذي يميز الثياب التي ترتديها النساء في فترة الحمل ...

بينما حملت يسارها ثوباً أكثر أناقة من ال"دانتيل" بلون "المسطردة" المميز لموضة هذا العام وقد جعله تصميمه المميز بقَصة في منتصف الخصر يخفي بطنها الذي كان قد بدأ بروزه...

رفعت كليهما أمام عينيها بتردد لا تدري أيهما ترتدي...

أنوثتها -المهدورة المطالبة بالقصاص- تميل للثاني ...

لكن "أمومتها" التي طالما اشتاقت الإحساس بها تتشبث بالأول !





ورغماً عنها ارتسمت على شفتيها ابتسامة واهنة وهي تتذكر فرحتها عندما علمت بهذا الحمل ...

عندما ظنت أنها بلغت عنان السماء بحلم ليس كمثله حلم...

بحب ليس كمثله حب ...

قبل أن تسقط من عليائها ليدق عنقها بكل قسوة!!

_ما تخافش...مش هاكرهك...بالعكس...هاحبك الحب اللي ما قدرش هو يحبهولك...أو يحبهولي...هاحبك أد ما حبيته...وأد ما كرهته!

همست بها بألم تحدث صغيرها عبر المرآة قبل أن تتأوه بخفوت لتلقي الثوبين أرضاً بينما تتهاوى جالسة على الفراش...

ملامحها تحكي ألف حكاية للوجع...للخيبة...للخذلان...




كيف تصف شعورها عندما سمعت صوت يامن في تلك المكالمة أخيراً بعد فرقة هذه الأشهر...

كيف تصف زئير كبريائها ... صهيل غيظها...زمجرة رغبتها في الانتقام...

ووسط كل هذا عويل قلب بائس تعلم الكره بعد طول حب...

تدركون معنى أن يتعلم القلب الكره بعد طول حب؟!

أن تكفر النبضات بسيدها ومرشدها وهاديها؟!

أن يعاند الدم مساره في الأوردة حتى ولو فيها الهلاك؟!

أن تنكتم الأنفاس طوعاً حتى تختنق الروح قبل الجسد؟!

حب؟!

ألا لعنة الله على هكذا حب !!

طرقات رفيقة على باب غرفتها تحيل ملامحها من النقيض للنقيض...





الحدة المكسورة تعاود رسم قناعها لتستقبل أباها بقولها المتحفز:

_قبل ما تسأل ...أنا خارجة أقابل زين...مش عايزة نصايح لأني مش هاسمع غير كلام نفسي وبس.

تنهد الرجل بحرارة وعيناه تميزان في مشهد الثوبين المرميين على الأرض صراعها الذي تخفيه عنه ...

ربما كانت تصرفاتها هذه لتثير غضبه في أي موقف آخر لكن الآن هو لا يشعر معها سوى بالذنب...والقلق!

ابنته التي طالما كانت شمساً يفتخر بها اليوم صارت كرة من نار تحرق كل من يقترب منها وتحترق هي قبله...

لهذا تمسك بحكمته وهو يجلس جوارها على طرف الفراش قائلاً برفق:





_ماشي...بس انتِ عارفة معنى إنك توافقي تقابليه دلوقت إيه؟! عندك استعداد في المرحلة دي تدي أي وعود؟!

لكنها لم تبدُ حتى وكأنها تفكر أو فكرت في شيء بل تجمدت ملامحها مع قولها :

_هاسمع منه الأول ...زين عاقل ودماغه موزون ...أكيد مش هييجي لحد هنا إلا لو محدد موقفه كويس.

_وموقفك انتِ؟!

غمغم بها بضيق لم يملك كظمه وهو يشير لبطنها مردفاً:

_انتِ مش بتختاري مصيرك لوحدك...فيه روح تانية دلوقت متعلقة فيكِ...اعقلي كل خطوة بتمشيها.

ضحكتها الساخرة قاطعت عبارته وهي تقف مكانها بنظرات ذات مغزى ليزفر هو قائلاً بانفعال:

_عارف انتِ عايزة تقولي إيه ...عشان اللي في دماغك بالضبط مش عايزك تكرري غلطتي...انتِ





بالذات مش هتستحملي تعيشي بذنب طفل تايه بين أمه وأبوه.

هنا تحولت سخرية ابتسامتها لبعض الحسرة لتشرد ببصرها قائلة:

_أبوه مش هايبقى أصلاً عايزه...هيفضل طول الوقت شاكك هو ابنه واللا لأ...عارف ده معناه إيه؟!

_مش يمكن لو سمع منك أنت الحقيقة يصدقك .

قالها برجاء خفي لتجيبه بنفس النبرة الشاردة:

_يااااه...ياما زمان سمع مني...ياما قال إنه بيصدقني وإني عنده غير كل الناس ...لكن وقت الجد اكتشفت إن اللعبة خسرانة.

التمع إشفاق غامر في عينيه...هذا الذي استفز كبرياءها لتعاود "حدتها المكسورة" تناول الدفة بقولها :

_أنا اتأخرت على زين ...من فضلك سيبني أغير هدومي .





هز رأسه بيأس من مجادلتها ليقوم فيغادر الغرفة إلى صالة منزله الواسعة حيث استقبلته زوجته بقولها المستنكر:

_أنا مش عارفة إنت إزاي متهاون معاها كده..لو حد شافها مع زين ده هتأكد على نفسها الفضيحة..احنا ما صدقنا الموضوع اتلم شوية بعد ما رامي اعتذر وقال الفيديو متفبرك.

فصمت قليلاً دون رد لتردف بنبرة إكثر ليناً :

_يمكن ماليش حق أتدخل لأنها مش بنتي...بس كفاية تكون بنتك انت وأخت عابد عشان أخاف على مصلحتها زيه بالضبط...

رفع إليها عينين ممتنتين ثم أحاط كتفيها بذراعه ليجلس جوارها على الأريكة قائلاً :

_أنا فاهم ياسمين كويس...ظروف تربيتها خلت عندها هوس بالكمال...استحالة تعترف لنفسها إنها ضعيفة أو محتاجة حد...زي ما هو مستحيل تتقبل فكرة إنها تغلط...حشرت نفسها في قالب الست




المثالية ...عشان كده اللي حصل عمل لها عدم اتزان...ياسمين مش عايشة مجرد صدمة عاطفية عشان جوزها سابها...ياسمين دلوقت بتدافع عن إنجاز سنين عملته لوحدها ...إنجاز مش هتسمح لحد يشكك فيه...إنجاز اسمه "ياسمين ذو الفقار" نفسها.

رمقته بنظرة مستفسرة ليتنهد مردفاً:

_والدتها الله يرحمها علمتها تحول كل نقط ضعفها لقوة...عاشت طول عمرها تخبي ضعفها جواها وتترجم حزنها وألمها لنجاح..حتى لما اتجوزت رامي وطلع حيوان قعدت فترة تحاول معاه رافضة مبدأ الفشل...وبعد طلاقهم فتحت المطعم وأصرت تنجح في حياتها العملية...كل ده جميل قوي من بره...لكن الحقيقة إنها ما عالجتش نفسها من جوه...عشان كده طبيعي دلوقت تنفجر...تثور...تتمرد ...تتصرف عكس طبيعتها القديمة ...ودوري دلوقت أبقى جنبها بس من غير ضغط ...عشان وقت اللزوم أقدر أحميها من نفسها.

همهمت بتفهم لتربت على كفه ثم سألته بفضول:





_انت عايزها ترجع ليامن ده ؟!

_أنا عايزها ترجع لنفسها الأول .

قالها حازماً قبل أن يفسر باستطراده :

_أنا كنت رافض الجوازة دي من الأول ...لكن هي أصرت...ومع الوقت ابتديت أحس بتأثير يامن عليها...ياسمين حرفياً زي ما تكون اتفتحّت معاه...ضحكتها...كلامها...هزارها...نجاحها...كل ده كان له شكل تاني بعدما اتجوزته...وبصراحة أنا عاذره في موقفه بعد اللي شافه...أي راجل مكانه مش هيعديها خصوصاً إنها رفضت تدافع عن نفسها.

_شكلي هابتدي أغير رأيي...فعلا ساعات الحب لوحده ما بيبقاش كفاية...ياسمين حبته وهو خذلها...إنما زين ده شكله شاريها قوي ...جاب لها حقها من رامي...وواجه يامن بالحقيقة...ده حتى جه وراها لحد هنا...ممكن فعلاً يكون علاجها الحقيقي .

قالتها زوجته بحماس ليزفر بحنق قائلاً:





_أنا لو شفت زين ده قدامي هاضربه...انت ناسية إن هو السبب أصلاً في مصيبتها دي؟!

_غلطة وشكله ندم عليها وبيحاول يصلحها ...مادام بنتك عنيدة زي ما بتقول خللينا ندي زين ده فرصة...

قالتها ببعض الحيرة لتردف بقلق حقيقي:

_عابد راجع من السفر بكرة...وخايفة من أول مقابلة بينهم...انت عارف أفكاره الجديدة.

فتأوه وجدي بقوة ليقول حانقاً:

_أهه عابد ده يستاهل القلق أكتر منها...ربنا يستر.

=========

ماليزيا...كوالامبور...

في سيارة تتجه بها نحو الفندق الذي يقيم فيه زين كانت تجلس ياسمين بثوبها من الدانتيل بلون المسطردة والذي استقرت عليه بعد صراع !





عيناها تتابعان المدينة الساحرة بمشاهدها الخلابة عبر الطريق...

تتوقفان قليلاً عند برج التوأم "بتروناس" الذي يعتبر من أطول أبراج العالم الآن وأكثرها تميزاً ببنيته التي تصنع برجين متماثلين من ثمانية وثمانين طابقاً ويلتقيان بجسر هوائي يصل ارتفاعه وحده لما يزيد عن مائة وخمسين متراً...

حاولت التشاغل بمشاهدة المبنى المهيب لتصرف أفكارها عما ترتجيه من هذه المقابلة...

انتقام؟!

فضول؟!

إرضاء أنوثة مهدورة؟!

الغريب أنها وسط كل هذه المشاعر كانت تجد خانة فارغة تحمل "احتياج صديق"!

أجل ...لا يزال جزء بداخلها يذكر لزين مشاعر صداقة احتاجتها يوماً ...

وتحتاجها الآن !





انقطعت أفكارها عندما استقرت بها السيارة أمام المطعم القريب من الفندق لترمق السائق بنظرة متسائلة...

لكن الجواب أتاها في رسالته التي وصلت -لتوها- إلى هاتفها...

"بعد إذن أجمل شيف شفتها ...عزمت نفسي ع العشا معاكي ...عارف إنك هتقبلي."

مغازلته الرقيقة بلمحتها المسيطرة تداعب الوتر المقطوع في أنوثتها ...

تذكي تلك النيران التي تحترق بها ضلوعها ...

والتي لن تهدأ حتى تحرق "مشعلها" بمثلها !

_حضرتك هتنزلي هنا؟! واللا أكمل للفندق؟!





سألها السائق الذي أرسله لتجيبه بعد لحظات تفكير لم يطل :

_هنا.

وعلى الطاولة بالداخل جلس زين ينتظرها مدركاً بحدسه أنها لن ترفض دعوته...

لهذا ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة وهو يتابع تقدمها نحوه منذ دخلت المكان كشمس متوهجة بهذا الثوب المثير ...

وبهذا الشعر الذهبي الذي طالما أثار جنونه خاصة عندما تتموج خصلاته لتحيط بوجهها بفوضوية تناسب طبيعتها التي يعرفها...

وحتى توقفت خطواتها فجأة عندما لمحته ...

عيناها العسليتان ـاللتان كحلتهما بإفراط أبرز لونهما المميزـ تتسعان بقوة قبل أن تغمضهما...

شفتاها المطليتان باللون النحاسي تحتلهما رجفة يميزها من مكانه...





تحتضن جسدها بذراعيها المكشوفين للحظة قبل أن تشبك كفيها معاً ولازالت مغمضة العينين !

وقف مكانه ينتظر تقدمها وقد بدا له أنه سينتظر طويلاً...

لكن الصبر لا ينقص "صائد كنوز" مثله!

وفي مكانها كانت هي غائبة عن إدراكها ...

مجرد رؤيته من جديد دفعت إليها بذكريات تلك الليلة الموجعة...

أعظم خطاياها التي لم تدرك وقتها أنها ستهدم قصور سعادتها...

لا ...لا...أفيقي يا غافلة!

قصورك هذه كانت من رمال ...أي موجة واهنة كانت ستحطمها...

فلا تسهبي في البكاء على لبن مسكوب خاصة لو كان ..فاسداً!





لهذا عادت تفتح عينيها ببطء تراقبه وهو يقترب ...

لوم...عتاب...رهبة...كلها مشاعر سلبية تجتاحها نحوه لكنها تمتزج بالكثير من الامتنان بعد مواقفه الأخيرة معها...

هو وقف معها عندما خذلها "العالم"...

العالم الذي كان يختزل يوماً ما في "شخص" واحد!

وأخيراً صار أمامها . ..

عيناه الودودتان تمشطان ملامحها باشتياق آسف ...

قبل أن يمد كفه نحوها مصافحاً!

لا يزال كفاها متشابكين بقوة ترمق كفه الممتد نحوها بشرود...

قبل أن تفك ارتباطهما لا كي تصافحه بل ...لتمسد بطنها بحركة خاطفة لكنها بدت له ذات مغزى!

هنا ارتسمت على شفتيه ابتسامة تفهم ناسبت قوله:

_شكراً إنك قبلت دعوتي النهاردة...ده في حد ذاته له معنى كبير عندي.

قالها وهو يعيد كفه جواره ليشير بالآخر نحو الطاولة مردفاً:

_كل حاجة جاهزة... في انتظارك.

أمال رأسه نحوها في عبارته الأخيرة بحركة ذات مغزى فابتسمت "الأنثى المغدورة" بداخلها ابتسامة مدروسة وهي تسير جواره وقد استنكفت عن الرد...

عيناها تتابعانه بنظرات راصدة وهو يسحب لها كرسيها لتجلس قبل أن يأخذ مكانه قبالتها ...





يصب لها كأساً من العصير قائلاً:

_عصير فريش سكر زيادة زي ما بتحبيه.

تتناول منه الكأس بأنامل ترتجف رغماً عنها لترتشف منه عدة رشفات ...

هذه الطلة الواهنة التي أثارت حفيظتها وجعلت حدتها المكسورة تعاود تشكيل ملامحها:

_انت عايز مني إيه بالظبط يا زين ؟!

عيناه تلتمعان بهذا البريق المشاكس الآسر قبل أن يقول بلهجة "صائد" محترف:

_أنا عايزك انتِ الأول تعرفي إنت عايزة إيه.

_انت اللي جاي ورايا لحد عندي .

قالتها بكبريائها الذي عهده ليجيب هو الآخر بنفس الاعتداد:

_ما كنتش هاجي لولا إني متأكد إنك محتاجالي.

_ماعدتش محتاجة حد !




هتفت بها بما بدا كالصراخ لتلتفت نحوهما أنظار رواد المطعم لكنه لم ينتبه لهذا مع التصاق نظراته بها للحظات طالت ...

خبرته بها تؤكد له أنها تغيرت كثيراً هذه المرة...

جرحها الذي شوه روحها يبدو أخطر كثيراً مما توقع ...

صحيحٌ أنها مرت بتجربة عصيبة...

لكنه عهدها امرأة لا تُقهر!

_مالك يا ياسمين ؟!

سألها بنبرة هادئة حذرة تناقض حدة عبارتها السابقة...لتجيبه ب...لاشيء!

فقط عيناها تلتمعان ببريق قوي مع استطراده:

_ياسمين ذو الفقار اللي أعرفها مافيش حاجة تهزها ...ولا حتى تجربة جواز فاشلة.





_مين قال جوازنا فشل؟! أنا اتجوزته عشان اخف من هوسي بيه... وخلاص خفيت!

حاجباه ينعقدان بقوة و"الجزع" يحتل حدقتيه باقتدار مع تمييزه لغصتها في عبارتها الأخيرة...

لا... لم تكن تبكي!

عيناها كانتا غارقتين في دموع جامدة لم تسقط!

ربما لو بكت لما كان شعر بالخوف على "كنزه" هكذا!!

ياسمين التي يعرفها طالما كانت "طازجة"!

دموعها طازجة... ضحكتها طازجة... ألمها طازج... فرحها طازج...

أما هذه الجالسة أمامه... كل ما فيها مجمد...

ربما فقط ينتظر لمسته كي يذوب... يشتعل... يتوهج...

لهذا مد كفه برفق يحتضن كفها....





لكنها سحبته ببعض العنف واتهامه لها بالفشل يثير براكينها الخامدة...

هي لم تفشل ...ولن يجوز لها أن تفشل ...

بينما تقبل هو حركتها بالمزيد من التفهم ليعاود سؤالها بنبرته التي يمتزج ودها بتعقلها:

_إيه حكاية هوسك بيه دي؟! ما كلمتينيش عنه قبل كده..وليه اتجوزتم بالسرعة دي؟! أنا كان فايتني كتير ؟!

أشاحت بوجهها دون رد ليضيق عينيه بتفحص لملامحها قبل أن يردف بنبرة أكثر أسفاً:

_تقدري تتكلمي معايا زي زمان.....يمكن أكون خذلتك في موقف معين بس عمري ما خذلتك كصديق بيسمعك ويفهمك...

هنا أطلت صورة "زين" الصديق من بين سراديب الماضي ليطغى حضورها على الموقف...





ترفع عينيها إليه بتشتت تزداد سطوته مع كل لحظة في هذا اللقاء الكارثي...

لماذا لا تكون مشاعرنا بسيطة في توصيفها ؟!

لماذا لا نملك زراً نضغطه فنقول نحب هذا ونكره ذاك ؟!

لماذا تتداخل الألوان في لوحة أحاسيسنا حتى لا نكاد نميز واحداً من الآخر؟!

ما حقيقة شعورها نحو زين الآن ؟!

وهل لا تزال حقاً تحمل له بعضاً من ود صداقتهما القديم؟!

ربما كانت الإجابة نعم !

ربما لهذا السبب شرعت تحكي له قصتها مع يامن منذ البداية...

وربما فعلتها كي تضع له أرضاً صلبة يقف عليها مادام يصر على اقتحام حياتها...





وربما..ربما....في مكان بعيد...بعيد جداً ...يشتاق بعض روحها الحديث عن أسطورتها مع "الراحل"...

أسطورة لم تجد لها مكاناً على أرض الواقع لكنها ستظل تفخر بخيالاتها الحمقاء فيها !

أسطورة أنهتها بقولها:

_وفي اللحظة اللي افتكرت فبها اني خلاص وصلت...في اللحظة اللي حطيت رجلي على القمة...وقعت .

أطرق برأسه للحظات محترماً قدسية بوحها هذا وقد بدأ يدرك مما روته أن فوزه بها لن يكون يسيراً...قبل أن يرفع رأسه بسؤاله:

_ليه قلتيله إنه خسر ابنه منك زي ما خسر ابنه التاني؟!




_كنت عايزة أوجعه...من كتر ما كان نفسي أحضنه ومش قادرة ...لقيتني عايزة أوجعه.

هتفت بها بانفعال كرهته في نفسها ...وكرهته أكثر عندما جعله يسألها بحذر متفحص:

_لسه بتحبيه؟!

_بكرهه!

_ياسمين اللي أعرفها ما بتكرهش...يا بتحب يا بتنسى!

قالها بنبرته الودود التي داعبت وهن حواسها لتصمت للحظات سبقت قولها الغارق بمرارته:

_ما هو عشان مش قادرة أحب ولا عارفة أنسى اتعلمت أكره.

ارتفع حاجباه بتأثر من غرابة لهجتها التي جمعت كل المتناقضات ...

لأول مرة يشعر أنه لا يفهمها!





هي ليست مجرد امرأة مجروحة تهذي بما لا تعنيه...

هي حقاً صارت تكره يامن هذا !

تكرهه رغم اعترافها بحبه!!

فأي تناقض هذا؟!

لهذا عاد يسألها بنفس الحذر:

_ممكن ترجعيله؟!

_مستحيل.

هتفت بها قاطعة بإصرار يعرفه لتلتوي شفتاه بشبه ابتسامة بينما يشبك أصابعه أمام وجهه مقترباً منها بقوله:

_دلوقت ممكن أجاوبك عايز منك إيه ...عايزك تسيبيني أحبك.

ارتجف جسدها رغماً عنها لتحيد ببصرها عنه محاولة تجنب نظراته قبل أن تقول "غير كاذبة":

_المرة دي مش هنختلف..أنا كمان عايزاك تحبني.





ابتسامته تتسع على شفتيه وعيناه تتوهجان بالرضا...

ملامحها الكسيرة هذه هي رهانه الجديد...

سيعيد إليها ابتسامتها...حيويتها...سحر فوضاها...

هي "كنزه" الذي يدرك قيمته ولن يضيعه ...

إلا إذا....؟!

_انتِ كنز وانتِ عارفاني مابفرطش في كنز عيني عرفت قيمته...لكن حاجة واحدة بس مش هاسمح لك بيها ...وانتِ عارفة إني ذكي بما يكفي عشان أفهمها...إنك تكوني واخداني مجرد سلمة عشان تخلليه يغير ويرجع لك.

_انت إيه رأيك؟! أنا ممكن أعمل كده؟!

قالتها باعتدادها الواثق الذي يعشقه ليضحك ضحكة قصيرة وهو يهز رأسه نفياً بحركة آسرة كانت لتذيب فؤاد أي امرأة ...سواها!





كفه يمتد في محاولة ثالثة خلال هذا اللقاء ليتناول كفها ...

وهذه المرة نجح!

أو بالكاد نجح قبل أن تتقلص ملامحها فجأة لتسحبه منه فجأة قبل أن تضع كفها على شفتيها وكأنها ستفرغ ما بمعدتها!

انعقد حاجباه بقوة مراقباً ملامحها التي كانت تصرخ بالألم ...

الألم الذي حاولت مداراته وهي تبرر بعد لحظات:

_الحمل مخلي معدتي حساسة..مش مستحملة العصير.

عبارتها المهادنة لم تنجح في محو شعوره بالحرج مما حدث ...

حرج يرقى لمرتبة الإهانة بشأن رجل بتاريخه مع النساء ....

لكنه كان يدرك حقاً ما يواجهه هذه المرة...





لهذا هز رأسه بتفهم قائلاً:

_أنا عارف إن قدامي لسه طريق طويل بس أنا مستعد أمشيه...أوعدك أخليكي تنسي...أوعدك أخليكي تحبيني.

هنا ارتسمت على شفتيها "المطليتين" ابتسامة مرتجفة لتغمغم بما بدا كالرجاء رغم قوة لهجتها:

_أنا كمان عايزة أنسى...عايزة أحبك.

=======

لم يستطع تمالك مفاجأته وهو يراها واقفة أمام باب بيته...

معذبته الساحرة...وامرأة قلبه التي لم يرَ سواها من بين نساء العالمين !

داليا هنا...

هنا في بيته ...

بيته هو ك"مروان" لا ك "حبيب مجهول" تطارده كسراب مجنون!!!





لهذا تجمد مكانه للحظات أساءت هي فهمها لتهتف بين دموعها المنهمرة:

_ماعرفش حد غيرك ممكن يقف جنبه دلوقت ...أنا عارفة إنك صاحبه الوحيد وخسرتوا بعض بسببي ...أنا آسفة ع اللي عملته وهاقول ليامن ع الحقيقة بس أرجوك ما تتخلاش عنه دلوقت بالذات.

تمالك نفسه بصعوبة وهو يحاول البحث عن صوته الذي خرج منه متحشرجاً مع سؤاله :

_هو إيه اللي حصل ؟!

مسحت دموعها بأنامل مرتجفة لتروي له الكوارث الأخيرة ...

فاتسعت عيناه بصدمة ليهتف بجزع:

_ويامن فين دلوقت؟!

_راح لرانيا المستشفى ومن ساعتها ما رجعش.





غمغمت بها بخوف مس قلبه وصورتها الآن تعود به لذكراها القديمة معه ...

صغيرته الباكية التي تحتضن ثوب عيد لم يقدر لها ارتداؤه!

لكنه تمالك مشاعره ليقول بخشونة لم يتعمدها:

_دقيقة واحدة أغير هدومي وآجي أوصلك ...وبعدها هاروح ليامن أنا عارف هلاقيه فين .

_ما تشغلش بالك بي أنا هارجع لوحدي .

قالتها بحرج وهي تعود خطوتين للوراء ليهتف بها بنفس الخشونة التي ولدتها مشاعره المتناقضة في هذه اللحظة:

_ترجعي لوحدك إزاي الساعة دي؟! مش كفاية جيتي لوحدك؟!

أجفلت من حدة لهجته وهي تعود خطوة أخرى للخلف حتى كاد يعتذر لكنه أطبق شفتيه بقوة ليختفي من أمام ناظريها بداخل شقته...





ولم يكد يفعل حتى مدت رأسها بفضول نحو الداخل تراقب محتويات شقته...

كانت تعلم أنه يقيم وحده مع سفر والديه للخارج وأن هذه الشقة قد صممها بذوقه الخاص ...

لا بأس بذوقه على أي حال !

الطراز الحديث الذي تفضله ...جدران خالية من اللوحات ...إلا من لوحة واحدة غريبة الشكل لمربعات متداخلة متباينة الأحجام . ...

_ذوقه معقد زيه!

همست بها لنفسها في امتعاض لكنها تذكرت الوضع فاحتضنت جسدها بذراعيها لتفكر ...

_المهم يلحق يامن ويقف معاه.

وفي غرفته كان هو يبدل ملابسه بأقصى سرعة..

ورغم شعوره بالقلق على يامن لكن ابتسامة واهنة ارتسمت على شفتيه وهو يفكر ...




إنـها هنا!

صغيرته الحمقاء الشجاعة جاءت بقدميها تعتذر منه رغم كبريائها المعهود انطلاقاً من شعورها بالمسئولية نحو يامن ...

نقطة مضيئة يحتسبها لها وسط تاريخها الحافل معه !

اتجه نحو المرآة بسرعة ليعدل ملابسه قبل أن يخرج بسرعة تعثر معها ليهتف لنفسه :

_امسك نفسك يا مروان عشان ما تتقفشّ...خبي لهفتك دي شوية.

ويبدو أنه قد نجح!

وجهه الجامد لم يحمل بعدها أي انفعالات وهو يخرج إليها ليغادر معها إلى سيارته التي فتح لها بابها بحركة رأتها غريبة على رجل بفظاظته...




لهذا لم تكد تستقر جواره حتى تفحصته بنظرة جانبية ...

نظارته ؟؟!!!

أين نظارته؟!!

ألهذا بدا لها شكله غريباً عن "الأصلع القبيح" الذي تعرفه؟!

_نظارتك اتكسرت يوم الحادثة.

قالتها بما بدا كعبارة ساذجة وسط هذا الجو المشحون لترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ناسبت قوله:

_كانت فرصة سعيدة أعمل ليزك...فيه حاجات كده بنزعل لما نخسرها لكن بنكتشف بعدين أن خسارتها مكسب.

انكمشت في كرسيها وهي تدرك مغزى عبارته لتتصارعها رغبتان...





إحداهما مدفوعة بضميرها بالاعتذار له من جديد عما تسببت به حماقاتها

والأخرى مدفوعة بكبريائها بالصراخ فيه ألا شأن لها بمشاعره اليائسة نحوها !!

وبينهما آثرت الصمت لتشيح بوجهها عنه أخيراً مكتفية بتأمل الطريق...

بينما لم يكد ينهي عبارته حتى تعجب من نفسه هذا الذي قاله...

لكن ما حيلته؟!

ملحوظتها البسيطة عن نظارته ذكرته برأيها فيه .."الأصلع القبيح" الذي تستنكف أن تكون له!!

كبرياؤه الرجولي لن يرضى بغير هذه الطريقة في معاملتها وجهاً لوجه...

ولتبقَ لقلبه "مساحته الخاصة" في عالمه "التخيلي" معها حيث لا هيمنة لكبرياء بل السطوة للمشاعر فحسب!





هذه هي المعضلة!!

عندما يراها يتذكر الفتاة المنحلة التي شاهد بعينه خطاياها ...

والتي يرى في عينيها نفورها من "الأصلع القبيح"...

لكن عندما يتحدث معها خلف سِتره لا يكاد يميز إلا صغيرته الباكية على الدرج والتي تنتظر منه أن يمد لها يده !

فهل من مستقبل لهذه العلاقة ؟!

وهل سيبقى في عينيها مجهولاً للأبد؟!!

انتبه من شروده عندما وجد أناملها تتحرك على شاشة هاتفها ليلمح صورة حسابه هو المستعار ...

فازدرد ريقه بتوتر وهو يراها تكتب شيئاً لم يتمكن من قراءته ...

تباً!




هاتفه نفد شحنه والآن يرقد جثة هامدة على مكتبه بعدما نسي أمره !!

ترى ماذا تكتب هذه ؟!

والآن؟!

_أحتاجك الآن أكثر من أي وقت مضى...لا تبتعد...فلم يعد هناك معنى للأمان في حياتي إلا بك .

كانت أكثر عبارة رومانسية كتبتها لعاشقها المجهول منذ عرفته لكنها لم تتعجبها في نفسها ...

هي حقاً تحتاجه الآن ...كسند...

كوطن تدرك أنه لن يلفظها مهما بلغت ذنوبها عنان السماء ...





_وصلنا .

قالها باقتضاب خشن متحاشياً النظر نحوها فعادت ترمقه بنظرة جانبية وشعورها بالرهبة منه يزداد ...

وهنا فقط طفا لذهنها سؤال لا تدري كيف لم تنتبه له طوال هذه الفترة...

_دكتور مروان ...انت عرفت منين مكاني الليلة إياها ...وازاي قدرت تنقذني في الوقت المناسب؟!

خفق قلبه بعنف وهو يستعيد ذكرى هذه الليلة التي تحكي عنها والتي يحاول تناسيها ...

لكنه لا يملك الآن جواباً لسؤالها هذا ...

لهذا ظل ينظر أمامه متحاشياً النظر إليها مع قوله :

_مش مهم ...انزلي بسرعة عشان راكن مخالف.

رمقته بنظرة مغتاظة وهي تود لو تلكم هذا الفظ المعقد في أنفه ...





كلما يدفعها ضميرها للندم على ما فعلته به تزداد يقيناً أنه لا يستحق الأفضل!

لهذا ترجلت من السيارة لتصفق بابها خلفها بعنف قبل أن تتذكر ما جعلها تذهب إليه من الأساس فانحنت بجسدها عبر النافذة قائلة بصوت عاد إليه قلقه:

_خد بالك من يامن .

التفت نحوها لتلتقي عيناها بعينيه في لقاء قصير وجد صداه في نفسها ...

نظرته لم تكن فظة متعجرفة ككلماته ...

بل كانت دافئة حانية....وأيضاً عاتبة !

لكنه أفسد كل هذا عندما قال بنفس النبرة الخشنة:

_لما تبقي لابسة قميص قصير زي ده على بنطلون ضيق ما توطيش في الشارع كده !





انعقد حاجباها بدهشة للحظة قبل أن تعتدل في وقفتها بسرعة لتعدل ثيابها منتوية أن ترد عليه بوقاحة...

لكنه لم ينتظر ردها وهو ينطلق بالسيارة بسرعة تاركاً إياها خلفه تغلي غيظاً وحيرة ....

==========

_أشرف!

تمتمت بها بين دموعها وهي تقف أمام فراشه في المشفى ...

لم تستطع الصبر عندما تأخرت عليها هانيا لتجد نفسها -على- غير عادتها تأتي إلى هنا وحدها ...

لقد أنقذوا حياته على آخر لحظة كما أخبرها الطبيب بالخارج لكنها وحدها تعلم أن الأمر لم ينتهِ ...

قلبها الذي توقف عن النبض منذ سمعت الخبر وحتى رأته الآن أمامها لن ينسى هذا الفزع الذي عاشه...

كيف فعلت به هذا؟!





C i n n a b o n

كيف وجدت القوة؟!

أي قوة؟!!!

تخليها عنه كان منتهى الضعف!!

بل منتهى الحقارة بعدما كان بينهما من حب العمر!!

_أشرف ...انت سامعني؟!

فتح عينيه بوهن لتتسعا قليلاً عندما رآها قبل أن يعاود إغماضهما لتنهار جالسة جواره على طرف الفراش غارقة بدموعها ...

ذراعاها يتشبثان به مع كلماتها المبعثرة:

_لا...ما تغمضش تاني...افتح عينيك ...أنا عارفة إنك زعلان مني....أنا آسفة...بس ...انت فاهمني...انت الوحيد اللي فاهمني من غير ما أتكلم ...فاهم أد إيه بتعذب وانت مش معايا ...





انتهت كلماتها بفيض آخر من دموعها التي استسلمت لها للحظات ...

قبل أن تعاود رفع وجهها نحوه مردفة :

_أنا مش عايشة وانت بعيد...مش عارفة نفسي من غيرك...كل الوشوش بقت شبه بعضها وكل يوم بقى زي اللي قبله...عايشة بس على أمل إنك ترجع زي الأول وترجع لي كل حاجة معاك ...

ارتجف جفناه المغمضان وقد كانت هذه الاستجابة الوحيدة التي نالتها ...

لتهمس له بعدها بألم:

_أنا لما قفلت الشباك ما قفلتوش في وشك انت...قفلته في وش خوفي وعجزي وقلة حيلتي...الحرب اللي بعيشها كل يوم ومش عارفة أتصرف فيها لوحدي...انت عارف إني عمري ما خدت قرار لوحدي...عمرك ما سبتني أحس الإحساس ده ...أنا مش ندلة ولا بايعة...أنا تايهة يا أشرف...تايهة وخايفة ومرعوبة ومش عارفة أعمل إيه ...





لم تكد تتم عبارتها حتى ألقت نفسها على صدره من جديد ...

حتى وهو بهذا الوهن لايزال قادراً على منحها الدعم!

_انتِ بتعملي إيه هنا؟!

الهتاف المستنكر خلفها أجفلها لتنتفض مكانها وهي تلتفت نحو نشوى التي اقتربت منها مردفة:

_ليكِ عين تيجي لحد هنا بعد اللي عملتيه ؟! اتفضلي اخرجي .

مزيج من الشعور بالإهانة وقلة الحيلة جعلها تتيبس مكانها ...

لكن ...لا بأس !





أشرف سيتصرف كالعادة !

حتى وهو في هذه الظروف سيعنف شقيقته ويطلب منها البقاء!

صحيح؟!

لكن صمته الذي طال رغم فتحه لعينيه مراقباً الموقف جعل شفتيها ترتجفان وهي تلتفت نحوه متمتمة بتساؤل:

_أشرف...أخرج؟!

_......

باستنكار:

_أخرج؟!

_....

بعدم تصديق:

_أخرج؟!

_.....

برجاء:

_أخرج؟!

كانت تتمتم بها في كل مرة بشعور مختلف لكن جوابه الصامت ظل كما هو ...

لقد خذلها كما خذلته...

جازاها عن سلبيتها سلبية...والبادي أظلم !

_أخويا هيقوم بالسلامة بيكي أو من غيرك...هيقوم عشان نفسه وعشاني وعشان بنتي وعشان مصنع أبونا يرجع زي زمان ...ودلوقت من فضلك سيبيه عشان هو محتاج يرتاح .

قالتها نشوى بنفس النبرة اللائمة لتتجمد دموع رانيا على وجنتيها وهي تعود ببصرها نحو أشرف الذي نظر إليها نظرة لم تفهمها ...

لأول مرة لا تجد لغته سبيلاً لأذنيها ...





قبل أن يشيح بوجهه عنها في حركة قاتلة لامرأة بوضعها !!

لم تشعر بنفسها كيف لملمت ذراعيها اللذين كانا متشبثين به جوارها ...

كيف حملتها قدماها لتقف ...

لتغادر الغرفة ...

الطنين الذي طغا على كل ما حولها يجتاح أذنيها ...

خاسرة!

خاسرة!

هل بعد كل هذا خسران ؟!

_رانيا!

ظل يامن يرددها بقلق وهو يجدها على هذا الحال أمام مكتب الاستقبال في المشفى لتلتفت نحوه تغمغم بعدم تصديق:

_أشرف طردني يا يامن....خلاص ما بقاش عايزني .

عقد حاجبيه بقوة وهو يتأوه بخفوت ليربت على ساعدها قائلاً بنبرته المهتزة:

_المهم إنه بخير...معلش...هو أكيد لسه مش في وعيه ...

قالها ليجذب جسدها المتيبس نحو الخارج بينما يبذل ما بقي من طاقته كي يسيطر على انفعالاته ...

_هنرجع له بكرة يكون بقى أهدى ...المهم إننا اتطمننا عليه ...

_أشرف طردني...

ظلت تتمتم بها شبه واعية طوال الطريق وكأنها لا تصدق أنه فعلها هكذا ببساطة...

بينما كان يرمقها هو بنظرة آسفة وقلبه يكاد يتمزق من مشهدها الموجع هذا ...





ها هو ذا حصاد يده !!

"بنات قلبه" اللائي قضى عمره يحاول حمايتهن وإسعادهن الآن هو سبب تعاستهن كلهن!

_احنا رايحين فين؟!

سألته وهي تستعيد بعض إدراكها مراقبة الطريق الذي تسير به السيارة ليخبرها باقتضاب عن حادث هانيا محاولاً التلطف ...

ظلت تصرخ بجزع للحظات فاضطر لإيقاف السيارة كي يهدئها ....

كان يعلم أن الأمر لن يكون يسيراً مع شخصيتها هي بالذات ...

والتي زادتها مواجهتها الأخيرة مع أشرف انكساراً ...

لهذا ظل يحاول تهدئتها متوقعاً المزيد من دموعها ...





لكنه لم يتوقع صراخها الهائج وهي تواجهه لأول مرة بهذه الحدة:

_ابعد عني...ماعدتش هاسمع كلامك...انت السبب في كل اللي حصل لي ...في كل اللي بيحصل لنا كلنا ...انت السبب ...

ارتد بوجهه عنها مصعوقاً من هجومها المفاجئ قبل أن يجتاح الألم ملامحه بعدم نكران ...

هو لم يكن يحتاج أن يسمعها ...

هو يحترق بها في كل لحظة...ويبدو أنه سيظل يفعل طويلاً...

==========

سيارته تتوقف في مكانه المنعزل المفضل بعدما أقل رانيا للمشفى ليترك كل شيئ خلفه ويأتي إلى هنا ...

لم يعد يستطع التظاهر ...

لم يعد يملك رغبته في أن ينهار وحده ...





كما تعود طوال عمره ...

يترجل من السيارة ليتحرك بضع خطوات ...

السماء مظلمة تماماً هذه الليلة وكأن الكون بأسره ساخطٌ عليه !

رأسه يفور بأفكاره والمشاهد تتوالى بعينيه تباعاً...

_ابنك مات خلاص يا يامن....ما عدتش محتاج تخطط عشان تخلص مني ومنه...مات من غير ما تحضنه مرة واحدة ...خللي شكوكك تنفعك وانت بتتعذب كل يوم بذنبه .

بصوت سيلين الغاضب يسمعها فتكوي صدره بالندم ...

صور الصغير التي طالما تهرب منها تطفو الآن تباعاً في ذاكرته لتسيل دموعه دون توقف ...





_وانت مكلمني عشان أواسيك؟! للأسف مش هاقدر ...وعلى فكرة...انت ما خسرتش ابنك من سيلين بس...انت خسرت ابنك مني أنا كمان.

بصوت ياسمين مستحدث القسوة تدوي في ذاكرته فلا يشعر بساقيه يتخاذلان ليسقط مكانه على الأرض ...

يريد الصراخ هاهنا حيث لا يسمعه أحد...

يريد الاختباء...كما كان يفعل وهو بعد طفل صغير عندما كان يخشى بطش أبيه أو يخجل من عار أمه...

يريد الهروب من ذنوبه...من همومه...بل من نفسه !!

مشهد هانيا غائبة عن الوعي وأمامها رامز الذي ساعد هو في زيادة الهوة بينهما ....





مشهد داليا بثوبها الممزق ليلة وجدها في قسم الشرطة ومشهدها بعد محاولتها الفاشلة للانتحار ...

مشهد رانيا المصعوقة بعدما حدث واتهامها له بأنه السبب ...

مشهد تلو مشهد ...

خنجر تلو خنجر يطعن في صدره وهو عاجز عن مقاومة الألم...

يفتح كفيه ببطء أمام عينيه وكأنما يروعه أن يراهما الآن ...خالييْن!

حقيقة ومجازاً!!

حصاد هذا العمر كله الآن...صفر!

لقد سقط في بئر الخسران الذي ظل عمره يدور بحذر على حافته ...





وليته سقط وحده...بل جذب كل من أحبهم ليسقطوا معه !

هنا لم يشعر بنفسه وأنامله تمتد لتقبض على حفنة من التراب قبل أن يرفعها ليسقطها على رأسه ...

رائحة التراب المبلل بالندى في هذا الوقت تزكم أنفه وتعاند كل طباعه الوسواسية بالنظافة لكنه لا يبالي...

بل وكأنه يعاقب نفسه بنفسه !!

_يامن!

بوجل يهمس بها مروان الذي وصل لتوه بعدما أدرك بحدسه لأين سيلتجئ يامن في هذه الظروف...

ليروعه المنظر!!!




يامن جالس على الأرض يبكي ويهيل على رأسه التراب...

حتى أنه لم ينتبه لوجوده!!

حتى عندما جلس قبالته على الأرض لكنه لم يتوقف عن وضع التراب على رأسه بحركة آلية بطيئة تزامنت مع بكائه المرتجف...

هز مروان كتفيه بقوة يحاول إعادته لحالته الطبيعية مع هتافه المنفعل:

_امسك نفسك يا يامن ...كل حاجة هتتحل .

لكن الأخير بدا وكأنه في عالم آخر من هواجسه السوداء التي ابتلعت روحه في ظلمتها ...

لهذا جذبه مروان ببعض العنف ليوقفه مكانه قسراً بينما يهتف بنفس القلق :

_اتكلم...طلع اللي جواك ...أنا عارف إن اللي حصل مش سهل...بس ما تسيبش نفسك تنهار ...انت أقوى من كده...




_أنا ؟! أنا ؟!

يتمتم بها يامن وسط نظراته الزائغة ليشد مروان على ساعديه فيلتفت نحوه مردفاً بتشتت:

_أنا مش عايز أبقى أنا ..زهقت إني أبقى أنا...

صرخ بعبارته الأخيرة فجأة ليشق صوته صمت المكان حولهم ...

فدمعت عينا مروان وهو يراه ينفض ذراعيه هو عنه ليستمر في صراخه الموجع:

_مش عايز أبقى حريص...مش عايز أبقى موسوس...مش عايز أمشي جنب الحيط وأنا فاهم إني كده في أمان...مش عايز أتظلم بس خايف أظلم...مش عايز أتجرح بس غصب عني بجرح....أعمل إيه ؟! أعمل إيه؟!!

صمت مروان قليلاً محاولاً منحه الوقت الكافي لاستيعاب انفعالاته ...

كان يعلم أن ما يمر به صديقه ليس بالهيّن!





الطوفان الذي بدأ بفضيحة ياسمين التي تناقلها الناس مروراً بطلاقه لها رغم أنه يدرك أنه لم يعشق امرأة كما عشقها ...

وفساد حياة بنات خالته اللاتي يعدهن بناته هو ...

وانتهاء بأحداث الليلة العصيبة...

كل هذا يحمله يامن على عاتقه وحده !

_ساعدني يا مروان .

تمتم بها يامن أخيراً وهو يستند بجبهته على كتف صديقه وكأنما استنزفته انفعالات الدقائق الأخيرة كلها ...

ليربت مروان على ظهره قائلاً:

_انت عارف إن انت صاحب عمري وعمري ما أتخلى عنك.

ظل يامن على وضعه للحظات قبل أن يرفع إليه عينيه بقوله:

_عايزك تشوفلي دكتور كويس ...عايز...أتعالج.





تلكأت حروفه الأخيرة فاضحة عذاباته لتتسع عينا مروان بتأثر وهو يدرك قيمة اعتراف رجل كيامن بهذا الأمر ...

لكنه أيضاً كان يعرف أنه يحتاج هذا فعلاً...

لهذا صمت قليلاً قبل أن يرد:

_أعرف حد كويس جداً...بس هتثق في رأيي؟!

أومأ يامن برأسه وهو يرفع إليه عينين منهكتين ليستخرج مروان من حافظته بطاقة بعينها ناوله إياها ...

_ياقوت سليمان...لو فعلاً بتثق فيا هتثق في اختياري .

=========

أجواء القرية الساحرة من جديد...





موعد عودتها الأسبوعي من العاصمة التي تقضي بها أغلب أيامها لكنها تعود هنا لتقضي عطلة الأسبوع مع جدتها ...

"الحاجة ثَمَر" التي عاشت عمرها متكيفة مع مهنتها التي يراها البعض مهيبة ذات رهبة ...

"مغسلة أموات"!

أجل ...مهنة غريبة تؤديها تطوعاً بعد مصابها في ابنتها لكن كما يبدو أنها كانت طريقتها لتهوين الأمر على نفسها ...

كلما تذكرنا الموت هانت في عيننا نوائب الحياة !

تبتسم بترقب ممتزج بالسخرية وهي تتوقع المحادثة التي ستسمعها عندما تضع قدميها على أول الطريق ...

_بنت أشواق أهه رجعت من مصر؟!

_البيضا واللا السودا؟!





_السودا!

_سودا سودا بس دمها زي العسل...ربنا يكرمهم وما يجعلش حظهم زي أمهم!

المحادثة التي تسمعها كل مرة تقريباً بنفس المنوال للمرأتين الجالستين على سلم بيتيهما على الطريق تتابعان الرائح والغادي ...

يظنانها لا تسمع !!

أو ربما تعلمان ولا تكترثان!!

من هي كي يعيرها أحدهم انتباهاً؟!!

هي دوماً طرف المعادلة الذي يساوي الصفر!!

ولدتها أمها مع شقيقتها كتوأم غير متماثل لتنال شقيقتها النصيب الأعظم في كل شيئ بينما لا يتعدى نصيبها هي القشور!

الجمال ...التعليم...الذكاء...العمل...الحب ...





كل هذا تحصده شقيقتها باقتدار يليق بها بينما لا يليق بها هي إلا الفشل !

صوت نهيق حمار قريب يقطع أفكارها فتلتفت هناك نحو رجل طيب منحها ابتسامة ودعاء فابتسمت بدورها وهي تشعر برائحة القرية تعاود منحها الأمان رغم كل شيئ...

هنا الناس الطيبون الذين قد تحمل كلماتهم بعض الجفاف لكن قلوبهم بفطرتها تميل للحب ...

تعثرت في قالب طوب على الطريق فأطلقت سبة قصيرة ليتبادر لسمعها صياح الأطفال الضاحكين حولها:

_هاقول لأمك يا سامي إنك بتكعبل الناس في الطريق ...هتعلقك!




قالتها ل"الشيطان الصغير" الذي تعلم أن هذه واحدة من هواياته المؤذية ...

ليتراقص الصغير بجسده يميناً ويساراً في حركة لامبالية جعلتها تضحك رغماً عنها مدركة أنها لن تنفذ تهديدها ككل مرة ...

استمرت في طريقها عبر شوارع القرية الضيقة حتى وصلت أخيراً لبيت جدتها لتهتف بمرحها المعهود :

_أنا جيت يا حاجة "ثمر"..."أوبرا" وصلت!

كانت تطلق على نفسها هذا الاسم منذ رأت جدتها هذه المذيعة الشهيرة على شاشة التلفاز لتقول لها بعدم تصديق:

_شبهك قوي الست دي...شفتي يا بت...البخت مش بالجمال.





جدتها العفوية لم تكن تجد غضاضة في تذكيرها كل مناسبة أنها ليست في جمال شقيقتها ...

ربما لأن المرأة العجوز -بعد مصابها في ابنتها الفاتنة- أدركت أن جمال المرأة قد يكون وبالاً عليها ...

لكن -لجين- لم تكن تعلن ضيقها من هذه التعليقات ...

على الأقل هي تنجح في مداراة هذا الضيق بمزاحها الساخر وضحكتها التي لا تكاد تغادر شفتيها ...

هي تعودت تقبل خسائر الحياة منذ تعلمت أنها ليست عادلة !

_حمدالله ع السلامة ...خسيتي كده ليه يا بت؟!...أكيد ما بتاكليش!





هتفت بها الحاجة ثمر وهي تتفحصها ببصرها لتقترب منها فتعانقها بحنان دافق قبل أن تقرص وجنتها بقولها التي تميزه لكنتها الريفية:

_عاملالك طاجن معمر ودكر بط يستاهلوا بقك ...خشي غيري هدومك وتعالي .

ابتسمت لجين وهي تقبل يد جدتها لتداعبها بقولها:

_الشوية اللي أخسهم باجي هنا أعوضهم...افضلي كده زغطيني يا حاجة ثمر لحد ما أربرب وأبقى شبه دكر البط الغلبان اللي دبحتيه .

ضحكت ثمر عبر أسنانها التي فقدت بعضها مع السن لتقول ملوحة بكفيها:

_يا بت كلي...هي الست تبقى ست إلا لما تربرب كده وتسمن وتملا عين العدو.

ضحكت لجين بانطلاق لترد مستسلمة:

_طول الأسبوع بحاول أنسى كلامك ده بس آجي هنا والروايح تشعشع..تسلم إيدك يا ستي.





ابتسمت المرأة وهي تدعو لها بحرارة لتبتعد عندما سمعت صوت الآذان مع قولها:

_هاصلي العصر على ما تغيري هدومك .

تنهدت لجين بشرود وهي تراقب ابتعادها قبل أن تتلفت حولها بحذر وهي تقترب من السلم الداخلي للبيت والذي يقود لغرفة صغيرة جداً يستخدمونها في التخزين ...

هبطته بخطوات متمهلة كي لا تسمعها المرأة ولم تكد تصل لبغيتها في ذاك الإناء الفخاري المدفون هناك في مكان لا يعرفه سواها حتى انحنت على ركبتيها لتزيح قطعة القماش القديمة عن فوهته ...

ألقت نظرة سريعة تطمئن على كنزها الصغير قبل أن تفتح حقيبتها بسرعة لتضع "حصيلة" هذا الأسبوع ...

خاتم -ماسي- التمع فصه في الضوء لتلتمع معه عيناها قبل أن تقبله قبلة تقدير وتضعه مع بقية كنزها هناك ...





أناملها تعمل بسرعة لتعيد إغلاق الإناء الفخاري وإخفائه كما كان ...

قبل أن تتنهد بارتياح وهي تستقيم واقفة لتغادر المكان بخفة صاعدة نحو غرفتها ...

لكنها ما كادت تفعل حتى سمعت طرق الباب بتلك الطريقة التي لا تميز سوى شخص واحد...

لهذا ابتسمت وهي تهرول نحو الباب لتفتحه هاتفة بعاطفة لم تستطع إخفاءها:

_ياقوت! حمدالله ع السلامة .

=========

تركيا..

اسطنبول..

البازار الكبير أو ما يسمونه السوق المسقوف وهو من أقدم الأسواق التركية على الإطلاق والذي سمي





بهذا الاسم لأنه مغطى بالكامل مع وجود نوافذ تمرر الضوء والهواء للمكان .

وفي المكان المخصص للسيد علاء -عم أحمد- وقفت غادة تتابع معه حركة البيع بفضول غلبته السعادة ...

المكان رائع حقاً!

وما يزيد من روعته هذه الفرصة التي منحها لها للتعامل مع الناس دون خوف!

هذا الشيئ الذي احتاجته كثيراً بحكم خبراتها الحياتية السابقة والتي تتوق الآن لتجربته دون رهبة...

لم تكن تعلم أن كلمة البازار تعني الأسواق الشعبية التي يقيمونها ليوم أو يومين على مدار الأسبوع تعرض فيها مختلف السلع على السائحين والزوار ...





السيد علاء كان يختص مثلاً بهذه البقعة الخاصة بالمشغولات اليدوية والخزفية ذات الطابع الإسلامي ...

هذا الأمر الذي برع فيه كثيراً كما يبدو لتحقق تجارته كل هذا الرواج ...

_طبعاً مش فاهمة حاجة من كلامنا....بس معلش ...بكرة تتعلمي.

قالها الرجل بنبرته الطيبة لتلتفت نحوه غادة بامتنان ...

منذ وصلت إلى هنا وهو يعاملها كابنته وربما أكثر ...

ليس فقط هو بل زوجته الحنون التي اعتبرتها هدية القدر لها بعد فقدانها لابنها الوحيد !

مبتلاة هذه العائلة في شبابها !





"ما بيعيشلهمش رجالة"!

طفت هذه الجملة الدارجة على ذهنها من ذاكرتها القديمة بصوت أمها ...

أمها؟!

كم تبدو لها الآن بعالمها الذي لم تذق فيه سوى الألم بعيدة....بعيدة!

هي حتى لم تودعها قبل سفرها!

اكتفت بمكالمة هاتفية باردة طالبة منها الاعتناء بنفسها والعودة ب"عريس"!

وكأنها ببساطة هكذا ستنسى أحمد؟!!

أحمد ...مجرد اسمه كان نسمة باردة داعبت خيالها فابتسمت رغماً عنها وهي تتحسس دبلته التي لم تخلعها من إصبعها ....

تميمة حظها التي لم تزل تنير دربها حياً وميتاً...

ترحمت عليه في سرها قبل أن يقطع أفكارها صوت السيد علاء من جديد:





_لا ما تسرحيش....عايزك تركزي عشان بفكر أسيبلك انتِ الشغلانة دي.

اتسعت عيناها بقلق مدركة عظم ما يطلبه ليقهقه ضاحكاً بطيبته المعهودة مع قوله:

_ما تخافيش كده مش هتقعي في البحر ...واحدة واحدة وهاتبقي بريمو.

ابتسمت وهي ترد بمرح:

_ما تخافش عليّ...أنا أفوت في الحديد .

_أيوة كده ...بنات بلدنا جدعان .

_قوي!

قالتها بمرح صار مميزاً لشخصيتها الجديدة التي تحاول تدعيمها يوماً بعد يوم ...

والتي يبدو لها أنها ستزداد رسوخاً هنا مع هذه الفرصة التي منحها لها القدر ...





C i n n a b o n

وبعد قليل كان الرجل يستعد لإنهاء يوم عمله فاجتهدت في مساعدته لتسير معه بخطوات متمهلة نحو سيارته ...

كان الرجل خفيف الظل يلقي إليها بالنكات طوال الطريق فلا تملك ضحكتها العالية التي صارت تخرج حقاً من القلب ...

والتي علق عليها الرجل بقوله المشاكس:

_ضحكتك دي تجيب بوليس الآداب...لو سمعتك إيناس هتديكي خطب ودروس للصبح!

وضعت غادة كفها على شفتيها ببعض الحرج ليردف بنفس المزاح:

_أيوة كده...اقلبيها "سايلنت" أو حتى "فايبراشن"!

عادت تضحك من جديد خلف كفها وهي تشعر بالمزيد من السكينة في هذه المدينة الرائعة...

ومع هذا الرجل الطيب وزوجته ...




ولم يكادا يصلان للبيت حتى ترجلت من السيارة لتهرول نحو إيناس التي استقبلتها في مدخل البيت الريفي الملحق بمزرعة صغيرة ...

والتي هتفت بها بحنان:

_اتأخرتوا كده ليه ؟!

_ما صدقت أستفرد بيها...انتِ عارفة بقى لي أد إيه ما استفردتش بست حلوة؟!

هتف بها علاء مشاكساً كعهده لتهتف زوجته وترد له مزاحه:

_يا بختك...أنا برضه بقى لي كتير ما شفتش راجل حلو؟!

_هتلاقي أحلى مني؟!

_هو انت حلو أصلاً وأنا مش واخدة بالي!

_إينااااس!

_علاااااء!

_خلاص ...تتنزل المرة دي!!



قالها الرجل أخيراً مقلداً لكنة "عبد الفتاح القصري" في الفيلم القديم لتنطلق غادة ضاحكة دون تحفظ تلك الضحكة المهلكة...

والتي وجدت صداها في قلب هذا الذي كان يتقدم منهم الآن ليقول بنبرة مهذبة لم تخلُ من ود:

_إزيك يا عمي....كنت معدي بالصدفة قلت آجي أسلم على حضرتك .

==========

_خرجي الأكل للست همسة ...ما فطرتش وربنا يستر شكلها كده مش هترضى تتغدى كمان.

قالتها رئيسة الخدم في فيللا زين الفخمة لترد الخادمة بإشفاق:

_البنت دي بتقطع قلبي ...مش عارفة زين بيه بيعاملها كده ليه ...مخبيها عن الناس ودايماً محبوسة في أوضتها ....هي برضه لها حقوق عليه !





_ششششش...انتِ اتجننتِ واحنا من امتى بنتكلم في حياتهم ؟! زين بيه مفيش في حنية قلبه ...هو أدرى بمصلحتها..ما تنسيش إنها برضه مش طبيعية !

هتفت بها رئيستها مؤنبة وهي تخبطها على رأسها بخفة لكن هذا لم يمنع الخادمة من الاستطراد المشفق:

_والله قلبها طيب ...رغم كلامها القليل بس دخلت قلبي ...ربنا يشفيها ويزيح عنها قادر يا كريم .

_طب بطلي رغي واطلعي لها ...ما تنسيش تقفلي باب أوضتها وراكِ كويس أحسن يحصل زي ما حصل المرة اللي فاتت ...زين بيه مش هيسامحك المرة دي.

هزت الخادمة رأسها لتحمل صينية الطعام نحو الغرفة الخارجية التي صممها زين خصيصاً في زاوية حديقة بيته البعيدة كي تكون لها فلا تغادرها أبداً إلا في زياراتها القليلة للطبيب ...





ولم تكد الخادمة تقترب من الغرفة حتى لمحتها جالسة على كرسيها أمام النافذة تراقب الحديقة بشرود ...

الملاك الصامت!

هكذا كانت تدعوها في نفسها وهي تميز ملامحها شديدة البراءة ...

بشرتها الناعمة ناصعة البياض التي تناقض سواد شعرها الفاحم ...

عيناها المتسعتان بطفولية مع حاجبيها الرقيقين ...

فمها الممتلئ الذي يعلوه أنف دقيق مع وجنتين ممتلئتين حمراوين ...

ونظرتها التي تحمل هماً كبيراً على امرأة بعمرها !!

لهذا تنهدت بأسى وهي تقترب أكثر لتتحكم في الصينية بيد واحدة وتفتح باب الغرفة الموصد دوماً بالمفتاح باليد الأخرى ...





والذي أغلقته خلفها بسرعة بالمفتاح كما يأمرونها كل مرة خشية هروب السيدة الصغيرة...

وضعت صينية الطعام على المائدة لتتوجه نحو المرأة قائلة بحنان:

_عشان خاطري كلي المرة دي ...أنا عملت لك الأصناف اللي بتحبيها ...

لكن المرأة بقيت على شرودها وكأنما هي في عالم آخر ...

هنا خاطرت المرأة بالاقتراب أكثر وقد أمسكت أحد الأطباق محاولةً إطعامها بنفسها ...

لكنها ما كادت تفعل حتى جذبته همسة بقوة لتخبطه في الحائط دون أن تتركه من يدها التي انجرحت به !

_يا دي النهار اللي مش باين ...هاروح في داهية !





هتفت بها الخادمة بجزع وهي تحاول تخليص بقايا الطبق المكسور من همسة قبل أن تتناول منشفة قريبة تكتم بها نزيف يدها مردفة بألم:

_ليه كده يا حبيبتي؟! عورتي نفسك؟!

انتهت كلمتها بدموع إشفاقها وهي تنكب فوق رأس همسة تقبله ...

فرفعت الأخيرة إليها عينيها بنظرة غريبة وكأنها لم تتوقع هذا الحنان الصادق ...

_شكلها بسيطة إن شاء الله....الدم وقف أهه .

قالتها المرأة التي بدت وكأنها تحدث نفسها مع عدم وجود أي رد فعل لمن أمامها ...

لكنها كانت معتادة على هذا كما يبدو ...

تعاملت مع الجرح كما علموها قبل أن تقبل يد همسة بحنان أمومي قائلة:

_ناكل بقا...مش هنبقى اتعورنا وما ناكلش كمان .





لكن همسة أشاحت بوجهها لتعود لشرودها في الحديقة...

_فين زين؟!

ارتفع حاجبا المرأة بدهشة فقد كانت هذه واحدة من المرات القليلة التي سمعتها فيها تتكلم ...

إذن فهي تميز غيابه وتسأل عنه ؟!

ليست فاقدة لعقلها تماماً كما يقولون !!

_زين بيه سافر .

_من غير ما يقوللي.

لم تستطع تمييز مشاعرها المختفية خلف كلماتها القليلة مع نبرتها الشاردة الخالية من الانفعالات ...

لكن العبارة وخزت قلبها بقوة فربتت على رأسها برفق قائلة :

_بكرة يرجع بالسلامة...كلي بقا عشان يلاقيكي كويسة لما ييجي .





وكأنها تتحدث إلى طفلة صغيرة !

لكن همسة في هذه اللحظة بدت حقاً كذلك وهي تخفي وجهها بين كفيها لتبكي كالصغار ...

عانقتها الخادمة بحنان وقد اعتادت نوباتها الانفعالية هذه ...

لتربت على ظهرها أخيراً قائلة بنفس الحنان الصبور:

_هاروح أجيبلك طبق تاني بدل اللي اتكسر ...بس هتاكلي ...ماشي؟!

أسبلت همسة جفنيها في إجابة غير منطوقة بالرضا لتغادرها المرأة بسرعة غير غافلة عن إغلاق الباب خلفها بإحكام ...

ولم تكد تبتعد حتى عادت همسة لشرودها ...

سرب من النمل يسير بحذر على حافة الإفريز الخارجي للنافذة التي وضعوا عليها قضباناً معدنية كي لا تتمكن من الخروج عبرها ...





ظلت تتابعه ببصرها للحظات قبل أن تمد سبابتها لتضعها في طريقه...

هنا توقفت النملة القائدة قليلاً قبل أن تغير مسارها ومسار الجيش خلفها ...

هنا ابتسمت بمرارة وهي تدرك صعوبة وضعها ...

ليتها مثل هذه النملة تستطيع تغيير طريقها متى شاءت....

ليتها!!!

=========

القطعة الثانية

========

_إزيك يا عمي...كنت معدي بالصدفة قلت آجي أسلم على حضرتك.

التفتت غادة نحو المتحدث "بالعربية" بفضول ازداد مع رد فعل السيد علاء الذي انقلبت ملامحه بمجرد رؤية الرجل...

ضحكته المرحة انقلبت لدمعة كبيرة تجمعت في طرف عينه وكادت تسقط لولا تحكمه...

التحكم الذي عجزت عنه إيناس تماماً وهي تهتف بصوت تهدج انفعالاً:

_أهلاً يا إسلام ...كده برضه ما تسألش علينا كل ده ؟! واللا اللي بيننا خلاص ...راح؟!

سالت دموعها في عبارتها الأخيرة ليبدو التأثر على وجه إسلام الذي تقدم منها هاتفاً بارتباك:

_أبداً والله يا "أنّا"...أنا انشغلت بس اليومين اللي فاتوا؟!





_أنّا؟!

تمتمت بها إيناس بابتسامة مرتجفة تتذكر لقب تدليلها المميز الذي كان يميزها به ابنها الراحل ونقله لأصدقائه ...

بينما تمالك علاء انفعاله ليقول بترحاب بينما يشد على كف إسلام:

_أهلاً أهلاً يا باشمهندس ...البيت والمزرعة نوروا .

ابتسم إسلام بمودة وهو يرمق غادة بنظرة متسائلة جعلت علاء يشير نحوها قائلاً باعتزاز:

_غادة قريبتنا من مصر...لسه واصلة اسطنبول .

ارتجفت ابتسامة غادة وهي تشعر ببعض الحرج من تفحص إسلام لها ...

بينما لم يستطع هو منع ابتسامة إعجابه مع قوله:





_لما سمعت ضحكتها قلت أكيد مصرية...الدم بيحن.

احمرت وجنتا غادة بالمزيد من الحرج خاصة عندما هتف علاء بمشاكسته المعهودة :

_اتلم يا ولد...هتعاكسها قدامي؟!

_لا والله يا عمو ...مش قصدي .

_عليّ أنا يا بتاع "البرقوق"؟!!

هتف بها علاء بينما يلكزه في كتفه ليقهقه إسلام ضاحكاً بينما تبتسم إيناس ابتسامة لم تخلُ من شجن ...

قبل أن تسحب غادة من كفها لتلصقها بها في احتواء شعرت أنها تحتاجه الآن ثم خاطبت إسلام بصوتها الحميمي:

_حظك حلو ...عاملة النهاردة ملوخية بالأرانب ...وحمام محشي.





حاول إسلام التملص حرجاً لكنها أصرت لتردف بحنان لم يستطع مقاومته:

_ماوحشتكش لمة زمان؟!! ما وحشكش أكل "أنّا"؟!

فابتسم مستسلماً وهو يهتف بمرح أضفى عليه المزيد من الجاذبية:

_محدش يقول لأكلك لأ...بس سيف هيعلقني لو عرف إني جيت لوحدي وأكلت كمان .

_تستاهل...عشان بعد كده ماتجيش من غيره.

قالها علاء وهو يضع ذراعه على كتفه بحنان أبوي ليتقدم معه نحو البيت بينما قال إسلام مدافعاً:

_هو اللي على طول مشغول وبصراحة ماقدرتش أطول عن زيارتكم أكتر من كده .

كانت غادة تتابع الحديث بفضول ممتزج بالحرج وهي تشعر بالغربة وسط هؤلاء الذين بدوا على علاقة وثيقة منذ زمن بعيد ...




لكن إيناس شعرت بهذا فجذبتها من كفها لتهرول بها نحو الداخل هاتفة بصوت عالٍ:

_خد عمك يا إسلام واغلبه دورين طاولة على ما أحضر لكم الأكل ..كل دور تكسبه بجوز حمام زيادة....وريني شطارتك.

_اللهم صلّ ع النبي ..ده اللعب هايحلو !

هتف بها إسلام وهو يفرك كفيه ليهتف علاء خلفها باستنكار:

_وأنا الدور اللي أكسبه هاخد بيه إيه ؟!

_هاعفيك من غسيل الأطباق!

قالتها إيناس بنفس المزاج المشاكس لتختفي مع غادة بداخل المطبخ ...

وما كادت تفعل حتى عادت عيناها تمتلئان بالدموع مع تمتمتها الخافتة :

_الله يرحمه...كان زمانه معانا دلوقت ...بياكل من إيدي!





قالتها وهي تحيط وجهها بكفيها لتنخرط بعدها في البكاء بينما تقدمت منها غادة تحتضنها بقوة وقد استنتجت الصلة بينهما ...

حتى قبل أن ترفع إليها إيناس عينيها بقولها ...

_هاني وسيف وإسلام كانوا أعز أصحاب...كانت لمتهم كلهم هنا كل أسبوع...ولاد أصول ما سابوناش بعد اللي حصل .

التمعت عينا غادة بإشفاق وهي تقبل رأس المرأة بعاطفة حقيقية لا تدعيها ...

المرأة التي مسحت دموعها بعدها بسرعة لتتمالك نفسها وهي تتحرك نحو الموقد متابعة قولها:

_البكّاش أبو لسان طويل ده إسلام ...مهندس كمبيوتر ...عايشها طول وعرض زي ما بيقولوا وضاربها جزمة قديمة ...عنده الستات كلهم "برقوق" وهو شغلته يدوق !

ضحكت غادة من قولها وهي تتقدم نحوها لتساعدها في غرف الأطباق بينما استرسلت إيناس بمرح مصطنع حاولت به التغلب على حزنها:





Cinnabon

_سيف بقا الوش التاني...دكتور بيطري....عمك علاء ساعات كتير بيحتاجه للمزرعة هنا.....مالوش في اللّوع ...خط مستقيم كده ما بينحنيش...تقوليلي إزاي أصحاب أقوللك سبحان الله له في خلقه شئون!

ابتسمت غادة وهي تضع الطبق الذي بيدها جانباً لتعد غيره بينما تنهي إيناس حديثها بقولها الشارد:

_هاني بقا الله يرحمه اللي كان وسط بين الاتنين...عشان كده كان حبيب الكل .

_الله يرحمه .

تمتمت بها غادة بأسى وهي تتذكر هي الأخرى راحلها العزيز لتردف بنبرة مختنقة:

_عارفة يا طنط اللي ممكن يصبرنا على فراقهم إنهم دايماً عايشين معانا...هم ما سابوناش...هم في مكان أحسن مستنيننا نروح لهم .

ربتت إيناس على كتفها لتقول بمواساة:

_ربنا يديكي طولة العمر حبيبتي ويعوضك...العمر بحاله لسه قدامك.





ابتسمت غادة ابتسامة شاحبة ثم اندفعت تعانق المرأة بحنان وهي تجرب معها إحساس الأمومة الذي افتقدته ...

كريمة هي أقدارنا عندما تمنحنا ما خسرناه في أشد لحظاتنا يأساً...

فتنقلب دمعة القهر لابتسامة الرضا!

_الله الله...انتو قاعدين هنا تحضنوا في بعض وسايبين بتاع البرقوق يحفل عليا بره ؟!

هتف بها علاء مشاكسا عند باب المطبخ لتلتفت له إيناس بقولها :

_أعمل حسابه في كام جوز حمام زيادة ؟!

فتنحنح علاء ليقول ملوحاً بإصبعيه في إشارة لرقم اثنين بينما غطي وجهه بكفه الآخر هاتفاً بخزي مصطنع:

_لحقت نفسي وقمت قبل الجوز الثالث!




مصمصت إيناس شفتيها بتشف مرح وهي تبعد غادة هاتفة:

_حبيب قلب "أنّا" يا إسلام ...يا واخد لي تاري م اللي في بالي!

بينما ضحكت غادة وهي تتابع قول الرجل الذي هتف بغيظ:

_ماهو أنا أكيد مش هلاقي دماغي وأنا راجع شقيان آخر اليوم .

_حجة البليد !

_أنا بليد يا وش ...

_يا وش إيه؟!

تهتف بها إيناس ملوحة بمغرفة الطعام ليجيبها بغمزة ماكرة:

_يا وش القشطة!!

العبارة التي جعلت وجه إيناس يتورد بخجل لذيذ حتى في هذا العمر!!!





فانطلقت ضحكات غادة الصادقة وهي تتأملهما بحنان ...

لو طال عمر أحمد لكان لها مثل عمه هذا...

ابتسامة وسند!

هنا غامت عيناها بنظرة شجن طالت كثيراً حتى عندما انضمت إليهما يتناولون الطعام مع ذاك الشخص الذي حمل لهما ذكرى الغالي الراحل...

"بتاع البرقوق"!

هذا الذي تجنبت النظر نحوه بخجل ملاحظة تعلق بصره بها رغم مزاحه المشاكس الذي شاركه فيه الزوجان طوال العشاء ...

_الآنسة غادة بتشتغل معاك يا عمو؟!

سؤاله الممتزج بنظرته المخترقة وجّه ضربة نحو حصونها لكنها ردتها بإجابتها المقتضبة:

_مدام.




عقد إسلام حاجبيه بحذر وقد انتبه لتوه لدبلتها في إصبعها ليجيبه علاء بسرعة:

_غادة كانت متجوزة أحمد ابن أخويا الله يرحمه .

ارتفع حاجبا إسلام بإدراك وهو يلاحظ الضيق الذي ظهر على ملامحها فجأة والذي جعلها تقوم لتغادرهم سريعاً بعذر واه ...

تبادل علاء وإيناس نظرات ذات مغزى بينما تنحنح إسلام ليقول بحرج لم يغادره مرحه:

_هو أنا عكيت؟! مكانش قصدي أضايقها .

لكن علاء ابتسم بشرود وكأنما طفت فكرة ما لذهنه بعد ما لاحظ إعجابه بها ليقول مشاكساً:

_وانت عايز كمان تضايق البنت اللي حيلتي؟! فاكرها برقوقة من بتوعك ؟!

فابتسمت إيناس وقد بدت وكأن نفس الخاطر راودها لتربت على كف إسلام قائلة:

_مالكش دعوة بيه انت هنا في حمايا أنا...بس برضه تخللي بالك من كلامك مع غادة...هي لسة متأثرة بوفاة أحمد الله يرحمه.





أومأ إسلام برأسه ليقول بمرحه الحنون:

_طلبات "أنّا" أوامر ...خصوصاً بعد الأكل المجرم ده !

_ألف هنا يا حبيبي!

قالتها إيناس بحنان ليهتف علاء بنفس المزاح المشاكس:

_لا ده انت زودتها قوي...شوية تناكف غادة وشوية تعاكس مراتي....قدامي ع الطاولة نخلص اللي بيننا ...هي الحرب إذن!

قالها وهو يقف ليسحب كرسيه بينما يخبط بقبضته على صدره بحركة درامية ... فقام إسلام بدوره هاتفاً بنفس الطريقة :

_ما بلاااش يا عمو !

_اخرس يا ولد...هو عشان فوّتلك مرتين بمزاجي هتاخد عليّ؟! ده أنا هاربيك...

_اتفضل يا عمو ...ربيني!





قالها اسلام باستسلام وهو يشير نحوه بكفه ليتقدمه قبل أن يغمز إيناس بمكر لتبتسم ابتسامة شاردة لم تفارقها حتى انتهى هذا اللقاء بعد ساعة بفوز "علاء"!!

_المرة الجاية تجيب سيف معاك.

قالها علاء موصياً ليهز إسلام رأسه موافقاً قبل أن يختلس نظرة للطابق العلوي الذي اختفت فيه غادة تماماً ...

ثم ودع الزوجين وداعاً مشاكساً كعهده قبل أن يغادرهما ...

وما كاد يفعل حتى التفت علاء نحو زوجته ليغمزها بقوله:

_خدتِ بالك م اللي خدت بالي منه؟!

فابتسمت وهي ترفع وجهها نحو الطابق العلوي لتغمغم بشرود:

_ياريت يا علاء...ربنا عالم حبيتها زي بنتي...يااه لو اللي في بالي يتحقق!





============

_قلت لك احرقيه ...مالكيش دعوة بيا...انتِ هتشاركيني؟!

صرخت بها ياسمين بغضبها الهستيري الذي صار مميزاً لها في الآونة الأخيرة للخادمة التي أمسكت ثوبها بلون "المسطردة" تشعر بالحيرة من طلبها الغريب ...

ليست هي فقط بل زوجة أبيها التي دخلت غرفتها على صوت الجلبة لتهتف باستنكار:

_تحرق إيه يا ياسمين؟!

_الفستان ده ...مش عايزة أشوفه تاني .

هتفت بها ياسمين بنفس الانفعال لتربت المرأة على كتفها قائلة:

_خسارة يا حبيبتي...لو مش عايزاه ممكن ...

_يتحرق...قلت يتحرق ...وقدامي!!!

صرخت بها ياسمين بانفعال قبل أن تخفي وجهها بين كفيها لتنهار جالسة على فراشها ...





_خلاص ...اعملي لها اللي هي عايزاه .

قالتها زوجة أبيها باستسلام ضائق قبل أن تغادر الغرفة مع الخادمة لتتركاها وحدها ...

سيظنونها مجنونة لكن... لا بأس!

إن لم يكن ما تحياه الآن جنوناً فماذا عساه يكون؟!!

هي تشعر وكأنما تسير على رأسها لا قدميها!!!

أجل...كل حياتها صارت "بالمقلوب"...

لا تكاد تعرف لها هوية !!!

هي الآن امرأة غريبة ...ليس فقط عن وطنها ...بل عن ماضيها...حاضرها ...

ولا تجرؤ حتى على التفكير في غدها ...

امرأة صحت فجأة من نومها لتجد عمرها كله مجرد فقاعة زائفة انفجرت بوخزة خطأ!!





كيف تصف شعورها عندما عادت بعد لقائها الأخير بزين؟!

ارتياحها ...ونفورها؟!

أملها...ويأسها؟!!

انتصارها...وهزيمتها؟!!

بعضها يقاتل بعضها فكيف لمثل هذه نجاة؟!

_ياسمين؟!

نداؤه الخافت باسمها جوارها يجعلها ترفع وجهها نحوه ...

كالعادة كل ملامحها تبكي ...إلا عينيها!!!

صارتا جافتين كورقتي شجر سقطا عن فرع الحياة بلا أمل!!

ربما لو بكت لمنحتها الدموع بعض الراحة...

لكن يبقى البكاء عزيز المنال هاهنا!!!





عناقه الدافئ لها يمنحها بعض السكينة لكن تبقى روحها المشوهة تتلظى بجحيم لا آخر له ...

_انتِ عايزة تحرقي الفستان ليه ؟! مقابلتك مع زين ضايقتك قوي كده ؟!

_لأ!

هتفت بها بمكابرة وهي ترفع رأسها نحوه لتردف :

_بالعكس...زين أثبت لي إنه راجل يعتمد عليه ...بيحبني بجد وعايز يسعدني .

عقد وجدي حاجبيه بشك وهو يرى كلامها مناقضاً تماماً لحالتها ...

خاصة عندما تملصت من ذراعيه لتقف مكانها مغتصبة ضحكة عصبية ناسبت قولها:

_أنا جربت أمشي ورا عقلي خسرت...جربت أمشي ورا قلبي خسرت أكتر ...المرة دي هاخد وبس ...من غير مافكر ولا أحس .





_مفيش بني آدم يابنتي بيعيش كده..مش هتقدري!

قالها بمزيج من إشفاق وحزم لتهتف بنفس المكابرة بينما تلوح بذراعيها :

_لا هاقدر ...أقوللك أنا شايفة بكرة إزاي؟! شايفة نفسي هارجع أقف على رجلي...ابني في حضني...هارجع بلدي وشغلي...ومعايا راجل الدنيا كلها بتحسدني عليه..ساعتها كل لسان جاب سيرتي هيتخرس ...ياسمين ذو الفقار مش هتتكسر .

كاد يعارضها من جديد لكنه كان يوقن من عقم المحاولة ...

لهذا غير الموضوع بقوله :

_ماتنسيش معادنا النهارده مع الدكتور .

هنا ارتسمت على شفتيها ابتسامة شاحبة وهي تمسد بطنها بأناملها هامسة:

_ودي حاجة تتنسي؟! ده أنا بستنى المعاد ده بفارغ الصبر .





توهجت عيناه بإشفاق وهو يرى سعادتها "المنقوصة" تعدو "عرجاء" بعينيها ...

الطبيب أخبرها في زيارتها السابقة أنه قد يتمكن من تحديد نوع الجنين هذه المرة ...

ربما هذا هو سر لهفتها وعصبيتها هذا الصباح...

هو يفهم هذا الصراع الذي تعيشه...

ورغم اعتراضه على أفعالها لكنه يتفهمها ...

يتفهم طول تظاهرها بالصمود حتى هوت بلا حراك هذه المرة...

تنتفض كطير ذبيح يرقص رقصته الأخيرة...

وللأسف ترفض سماع إلا صوت كبريائها فحسب!

انقطعت أفكاره عندما سمع تلك الجلبة بالخارج لينهض من مكانه عندما سمع الخبر ...





_عابد وصل!

=========

وقف عابد يتلقى استقبالاً دافئاً من والديه قبل أن يلتفت نحوها لتلتمع عيناه بود ...

علاقتهما لم تكن يوماً جيدة...لكنها لم تكن سيئة...

مجرد خطّين تقاطعا في نقطة ليواصل كل منهما طريقه ...

ربما لهذا شعرت بالكثير من التحفز وهي تراه هذه المرة بعد "كسرتها الأخيرة"...

التحفز الذي جعل استقبالها بارداً بمجرد مصافحة ...

على عكس استقباله هو الحار بعناقه لها مع هتافه بالعربية الفصحى:

_ياسمين الجميلة عادت إلينا .





ارتجفت شفتاها بابتسامة مترددة وهي تخشى تصديق هذا الحنان الذي فاضت به حروفه لتغمغم بارتباك:

_إزيك يا عابد...شكلك اتغير عن آخر مرة شفتك فيها .

قالتها مشيرة للحيته التي طالت وجلبابه الأبيض الذي ارتفع قليلاً عن كعبيه قبل أن تلاحظ طريقة حديثه هذه بالفصحى:

_"وتلك الأيام نداولها بين الناس"...سنة الله في كونه هي التغيير .

انعقد حاجباها بدهشة قبل أن تلتفت لأبيها بنظرة متسائلة لكن الأخير تجاهل هذا ليخاطب ابنه بقوله :

_وحشتنا قوي ...ياريت تكون اتوفقت في شغلك.

_تركته!





قالها عابد بحزم لتشهق والدته باستنكار هاتفة:

_معقول؟! ده باباك تعب جداً على ما قدر يلاقي لك الوظيفة دي!

_لا بأس...من ترك شيئاً لله أبدله الله خيراً منه !

قالها عابد بنفس النبرة الحازمة لتسأله ياسمين بتردد:

_هو انت ليه بتتكلم كده ؟!

_تقصدين بالفصحى؟! إنها لغة شرفها الله واختارها لكتابه ولنبيه ..فلماذا لا نتمسك بها؟!

ازداد انعقاد حاجبيها وهي تشعر بالغرابة ...

عابد تغير كثيراً عن آخر مرة رأته فيها ...

صحيحٌ أنه يبدو أكثر سكينة وحناناً نحوها لكن ...

هذه "الهالة" التي تحوطه لا تروقها !!





هذا الذي تأكدت منه بعد قليل عندما تركتهم لترتدي ملابسها استعداداً للذهاب إلى الطبيب ...

قبل أن تعود إليهم لتهتف مخاطبة أباها:

_يالا يا بابا عشان نلحق معادنا ...وكمان عايزة أشتري شوية حاجات .

وقف وجدي مكانه متوقعاً الهجوم التالي الذي جاء عاصفاً من عابد :

_هل خلعتِ حجابك ؟! وتخرجين في عدتك هكذا؟!!!

تحفزت ملامح ياسمين للرد لكن وجدي هو الذي التفت نحو ابنه ليقول بحزم:

_هنتكلم براحتنا لما نرجع ...اسكت دلوقت يا عابد .

_لا أصدق أنك تتركها تخرج هكذا !




هتف بها عابد بذهول ليعاود التفاته نحو ياسمين التي هتفت به بحدة:

_انت مالكش تتدخل في شكلي ولا تصرفاتي ...أنا ماحاسبتكش لما ربيت دقنك...ماتكلمتش على طريقة لبسك الغريبة ولا طريقة كلامك دي ...من فضلك احترم الحدود اللي بيننا .

_حدود ؟!!

هتف بها مستنكراً وهو يهم باستكمال المناقشة التي كانت ستنقلب لشجار لولا تدخل وجدي الحاسم :

_خلاص يا عابد...قلت خلاص!

نقل عابد بصره بينهما بعدم رضا قبل أن يغادرهما بخطوات مندفعة نحو غرفته تلاحقه نظرات ياسمين الحادة ...

والتي لانت نوعاً مع تربيت والدها على كتفها بقوله:

_ياللا بينا احنا .




ولم تكد تستقل السيارة جواره لينطلق بها حتى هتفت به بتساؤل :

_ماله عابد؟! إيه اللي قلب حاله كده ؟!

تنهد والدها بحرارة يجيبها:

_كان خاطب واحدة زميلته بعد حب سنين وكانوا خلاص هيتجوزوا...ماتت فجأة ...طبعاً زعل عليها ودخل في حالة اكتئاب...بدأ يقرب من ربنا أكتر ويهتم بعباداته...صلاته كلها بقت في المسجد...صيام اتنين وخميس...حفظ قرآن...صدقات ومشاريع خيرية...كل ده حسيته كويس جداً وفعلاً خرجه من أزمته بسرعة ...

_وبعدين؟!

سألته ياسمين بحذر مشفق مما سيؤول إليه الحوار ...

ليجيبها بقلق:

_مش عارف...الموضوع بدأ يدخل في حالة تطرف ...شكله...تفكيره...وآخر حاجة شغله أهه سابه ومش قادر أقنعه بالعكس .





_معقول يكون اتورط مع جماعة من إياهم؟!

غمغمت بها بقلق ليزفر هو قائلاً:

_الوضع هنا مستقر شوية في الناحية دي عن مصر ...صعب تلاقي اللي بالك فيه...صعب بس مش مستحيل .

_طب وبعدين؟!

_مش عارف...أنا بحاول أقرب منه على أد ما أقدر من غير تصادم عشان ما يبعدنيش عنه أكتر ...

قالها وجدي ليلتفت نحوها مردفاً:

_زي ما بعمل معاكِ بالظبط.

زاغت نظراتها وهي تشعر ببعض الخزي ...

إنها لم تكن يوماً أقرب لوالدها من هذه الفترة ...

تعترف أنه يبذل الكثير ليخرجها من دوامة ضياعها التي تبتلعها بلا رحمة ...

لكنها مع هذا عاجزة عن الاندماج معه أكثر...

لايزال حاجز خفي يرتفع بينهما ...حاجز يمنعها مسامحته مهما تظاهرت باللامبالاة ...





وازداد ارتفاعه للأسف بعد "كسرتها" الأخيرة ...

كبرياؤها الذي طالما شمخ بأنفه مختالاً يأبى عليها أن تعترف بحاجة ليد ممتدة...أي يد!!

عابد هذا هو الآخر يؤرقها ...

لو صح تورطه فيما تشك فيه فستكون كارثة !!

صحيحٌ أن علاقتهما ليست متينة بما يكفي لكنه يبقى أخاها على أي حال!

_بس ده مش معناه إن عابد غلط في اللي قالهولك النهارده بخصوص العدة والحجاب .

انتشلها بها وجدي من شرودها لينعقد حاجباها بتحدّ مع قولها:

_أنا مش قاصر ...ربنا هيحاسبني لوحدي ع اللي بعمله .





هز رأسه بأسف كارهاً عنادها هذا وهو يعود ببصره للطريق ليسودهما الصمت المشحون بالانفعالات حتى وصلا إلى عيادة الطبيب ...

وكأنما تبدلت مشاعرها كلها في لحظات !!!

العالم كله اختزل في هذه الغرفة!

أناملها تمتد بسرعة لتفتح أزرار قميصها خلف الستار قبل أن تتمدد بلهفة على الفراش ...

تغمض عينيها بقوة لتشعر ب"الجيلّ اللزج"على بطنها مع حركة الجهاز الضاغطة ...

قبل أن تفتحهما ببطء تستعد لرؤية صغيرها هناك على الشاشة ...

هاهو ذا!

رأسه...ذراعيه ...قدميه...

يالله!

كيف ستصبر كل هذا الوقت كي تتلقفه بين ذراعيها تضمه لصدرها تخبره أنها لم تشتهِ يوماً أغلى منه هدية ؟!!

_بنت!

قالها الطبيب بالعربية فانفلتت منها ضحكة متفاجئة عصبية لتهز رأسها مكررة:

_بنت؟!

أومأ الطبيب برأسه مؤكداً لتعاود عيناها التعلق بالشاشة ...

فتاة؟!

ملاكها الصغير سيكون فتاة !!

ترى كيف سيكون شكلها ؟!

بيضاء مثلها أم سمراء مثل...؟؟؟

ذهبية الشعر مثلها أم سوداوه مثل....؟؟؟





قصيرة مثلها أم طويلة مثل...؟؟؟

لكنها حتماً ستكون عسلية العينين مثلها ومثل...!!!

كانت توقف أفكارها قسراً مع كل خاطر يحمل اسمه ...

لتنبعث من شفتيها أنّة ألم خافتة جعلت طبيبها يلتفت نحوها متسائلاً لتشير برأسها بسرعة ألا شيئ...

حقاً لا شيئ!

كل هذا الزخم من المشاعر التي تنتابها الآن ...لا شيئ!

كل هذه الفرحة...كل هذا الألم...لاشيئ!

الحلم الذي عاشت لأجله حتى إذا تحقق أفاقت منه على صفعة ...لاشيئ!

كل هذا "اللاشيئ" جعل الدموع تتكدس في عينيها دون أن تسقط كعهدها مؤخراً ...





قبل أن تسأل الطبيب بلهفة:

_هي كويسة؟! وزنها كويس؟! نبضها ؟!

طمأنها الطبيب بعبارات مفصلة لترتسم على شفتيها ابتسامة حقيقية صارت"نادرة" وسط كل هذا الزيف الذي صارت تحياه...!!

ابتسامة كانت تتسع رويداً رويداً وهي تراقب الشاشة بعاطفة تزلزل قلبها ...

"يُمنى"!

الاسم الذي اختارته لها ليس منذ أيام...ولا منذ شهور ...

بل منذ سنوات!!!

ربما منذ كانت مجرد فتاة تتخفى بعشقها خلف كتاب على مائدة في النادي!

==========





_صباح الخير...أقولها فرُدّيها..كي تشرق الشمس في قلبي...كي يعترف العمر بيوم جديد في تقويم هوانا .

تبتسم داليا وهي تقرأها على حسابها لترسل له رسالة صوتية :

_أخيراً ظهرت ...كنت مختفي فين ؟!!

يتنهد مروان وهو يسمع صوتها العذب يأتيه مشبعاً بلهفة عاطفتها ...

قبل أن ينهض من رقدته ليكتب لها :

_كنت مشغولاً ...تركتِ رسالة تريدين استئذاني في شيئ؟

_هاقوللك بس ماتزعلش...أنا رحت لمروان صاحب يامن البيت...طلبتك آخد رأيك ماردتش ...كان لازم





أروح له وأعتذر له عشان هو الوحيد اللي كان ممكن يقف جنب يامن في الظروف دي .

أرسلتها له بصوتها ليزفر هو بقوة ولا يدري بماذا يرد...

هل يستمر في تمثيل دوره فيوبخها لأنها ذهبت إلى "مروان" ويطلب منها ألا تعيدها...

أم يتغاضى عن هذا فتتشك هي فيه ؟!!

_منك لله يا شيخة هتجيبيلي انفصام في الشخصية !

هتف بها بغيظ بصوت مسموع قبل أن يأخذ نفساً عميقاً ليخاطب نفسه :

_اهدا يا مروان...انت دلوقت مش مروان...انت دلوقت عاشق مجهول عايز ضرب القباقيب ع اللي بيعملله في نفسه ده والله ...




_بالطبع غضبت...كيف تجرؤين على زيارته في بيته ؟! لكنني ألتمس لك العذر في أنك -في سابقة أعتبرها فريدة من نوعها - قدمتِ مصلحة أحدهم على كبريائك !

قرأت رسالته لتشعر بالغضب يجتاحها من كلماته...

ليس لتلميحه الذي اتهمها بالأنانية...

ولا لأنه يوبخها ...

لكن لأنه لايزال يصر على الحديث معها هكذا كتابة بالفصحى رغم أنها ترسل له رسائل صوتية ...

لهذا اندفعت ترد له بضاعته بعناد:

_شكراً لنصيحتك...لن أكرر فعلها ثانية ...

ثم زفرت بسخط لتكتب :

_المعذرة يا سيّدي.





ضحك ضحكة عالية وهو يشتم رائحة غضبها الطفولي في رسالتها المكتوبة ...

حمقاؤه الصغيرة الشهية لاتزال تثير جنونه بكل ما يتعلق بها ...

لهذا كتب يسترضيها :

_أنا الذي أشكرك على صباحات أبدؤها بسماع صوتك ...أنا أثق بكِ يا ملاكي .

هبطت كلماته كالسيل على نيران غضبها فابتسمت لتعاود الكتابة له :

_هل قرأت رسالتي الأخرى؟!

_أحتاجك الآن أكثر من أي وقت مضى؟!

_نعم!

_لماذا الآن بالذات؟!

_أشعر أن جدران عالمي كلها تتهاوى .

_لعلها تُبنى وأنتِ لا تعلمين!





عبارته البسيطة مست قلبها حتى أنها ظلت تفكر فيها لبضع ثوان...

كيف استنتج هذا؟!

حقاً ...النوائب التي تمر بها العائلة الآن تبدو كارثية لكنها لو أحسنوا التعامل معها فسيعود كل شيئ لمكانه الصحيح ...

لهذا ابتسمت وهي ترسل له رسالة صوتية هذه المرة :

_انت إزاي كده ؟! إزاي بتقدر تفهمني كده ؟! تخلليني أسمع كل اللي محتاجة أسمعه ؟!وأشوف كل اللي محتاجة أشوفه؟!

فابتسم بدوره وهو يراها تعود لرسائلها الصوتية ليكتب لها :

_أنتِ منحتني قلبك كتاباً مفتوحاً...أنا فقط ...أقرأ.





تنهدت بهيام وهي تقرأ رسالته لكنها كالعادة تتهرب من الاعتراف بعاطفتها لتغير الموضوع برسالتها:

_عايزة أكلم مروان تاني أسأله على يامن...ماعرفش عمل معاه إيه ...تسمح لي أكلمه ؟!

_طالما عهدتكِ كياناً متمرداً لا يلتزم بأمر ولا يستمع لنصيحة...فهل أعتبر نفسي استثناء؟!

عقدت حاجبيها بحيرة حقيقية وهي لا تدري من أين يعرف عنها كل هذا ...

لكنها كانت تعلم عن عناده بشأن الإفصاح عن الأمر فتغاضت عن هذا لترسل له :

_انت بالذات هاسمع كلامك.

اتسعت عيناه بصدمة وهو يسمعها بصوتها ليضحك ضحكة عالية مع هتافه لنفسه:





_لا ده أنا هاروض أسود بعد كده...داليا بنفسها بتقوللي كده .

لكنه عاد لشخصيته الافتراضية ليكتب لها :

_افعلي ما ترينه صواباً...أنا أثق بعقلك...سأكلمك غداً في نفس الموعد.

قالها ليغلق المحادثة معها مضطراً بعدما تأخر عن عمله ليتنهد بحيرة وهو لايدري إلى أين يسير به هذا الطريق ...

بينما شعرت هي بالضيق لغيابه أولاً قبل أن تغلق هاتفها باستسلام غير ناسية أن تقبله بعاطفة ككل مرة !!!!

=========

"مركز أجياد للصحة النفسية"...





وقف يامن أمام باب المركز بتردد وهو يشعر بخطورة ما هو مقدم عليه ...

لو علم أحدهم عن خضوعه لعلاج نفسي -وفي مجتمع كهذا يعتبر المرض النفسي مجرد جنون- فربما يفقد عمله أيضاً ...

هل تنقصه الفضائح؟!!

لهذا استدار بظهره عائداً وكأنه يهرب ...

لكنه توقف فجأة ليتحسس خاتمها ذا الفص الأسود في إصبعه ...

كيف يواجهها بعدما حدث إلا عندما يتأكد أنه لن يسيئ إليها من جديد ...؟!!

كيف يمكنه أن يعدها بغد وهو لا يزال مكبلاً بقيود الأمس...؟!!

كيف سيضمها بين ذراعيه -ولو قسراً- إلا وهو واثق أنه لن يفلتها بعدها أبداً؟!!





لهذا أخذ نفساً عميقاً وهو يعود أدراجه نحو المركز الذي دخله ليستوقف أول من رآه :

_دكتور ياقوت سليمان فين من فضلك؟!

_أول أوضة شمال!

"من أولها شمال؟!"

هتف بها في نفسه بسخريته السوداء وهو يتقدم نحو الغرفة المنشودة داعياً أن يكون هذا الطبيب على قدر الثقة التي تحدث عنها مروان. ..

طرق الباب ليدخل وما كاد يفعل حتى ارتفع حاجباه بصدمة !!!

_ست؟! الله يخرب بيتك يا مروان!!

قالها في نفسه لكن صدمته المستنكرة كانت جلية على وجهه حد أنها رمقته بنظرة تفهم صاحبت قولها المعتد:





_دكتور يامن على ما أعتقد ؟! واضح إنك اتصدمت بشكلي!

حاول التغلب على صدمته بسرعة محاولاً الخروج من هذا "المأزق" بينما استطردت هي بنفس النبرة المعتدة:

_دكتور مروان قاللي إنك ممكن يكون عندك مشكلة إنك تتعالج مع واحدة ست ...أنا في العموم ما بقبلش أعالج حالة شاكة في قدراتي لكن عشان خاطر دكتور مروان ممكن أعملها استثناء المرة دي...ده طبعاً لو حضرتك ما قررتش دلوقت حالاً تديني ظهرك وتخرج ...المركز هنا فيه دكاترة كتير غيري .

هذا ما كان يفكر به الآن بالفعل !

أن يعطيها ظهره ويخرج كي يذهب ليفرغ غيظه في الأحمق مروان؟!

هل عدِم الطب النفسي رجاله كي تعالجه امرأة؟!!





إنها حتى لا تبدو كبيرة السن كي يمنحها وسام خبرة !!!

والخاطر الأخير دفعه لتأملها أكثر بينما لا يزال واقفاً مكانه كالصنم ...

طويلة القامة بيضاء البشرة بجسد رشيق أخفى المعطف الأبيض منحنياته ...

المعطف الذي بدت من تحته تنورتها الطويلة قديمة الطراز وحذائها المتهالك ب"خياطته الجانبية" التي فضحت رقعة قديمة لم تخفَ على "خبير " بالتفاصيل مثله !

هذه المرأة إما شديدة الفقر أو شديدة البخل !

ولو علم الحقيقة لأدرك أن آخر ما يشغل هذه المرأة أمامه هو مظهرها...

خاصة لو كانت المقايضة أمام مالٍ تدفعه لذلك!

_هه...نجحت في الامتحان يا دكتور؟!





قالتها بنفس الاعتداد الذي خالطه الآن شيئ من الغضب فرفع رأسه نحوها ليتفحص ملامحها ...

ربما سيراها البعض جميلة لكنه يشعر بالكثير من التحفز لحسنها هذا ...

خاصة عيناها الخضراوان الشبيهتان بعيون القطط خلف نظارتها العريضة بإطارها الأسود المربع الذي أكل قرابة نصف وجهها!!

ما هذه الألوان المريعة لحجابها؟!

تداخل كارثي لألوان لا علاقة لها ببعضها ...

تلوث بصري!!

ثياب هذه المرأة حقيقةً مجرد تلوث بصري!!

ألم تعبر عيناها على مرآة؟!

ألم تسمع عن "موضة"؟!

هذه "البلياتشو" ستعالجه؟!

_دكتور يامن أنا ماعنديش وقت ...ياتتفضل تقعد يا تخرج عشان أشوف شغلي .




قالتها باستياء واضح هذه المرة فتنحنح بخشونة وقد قرر البقاء!

لماذا؟!

ربما هو فضول ليستكشف السر الذي جعل مروان يثق بها هي بالذات ...

وربما مجرد رغبة في أن يكمل هذا اللقاء لآخره مادام قد جاء إلى هنا على أي حال ...

وربما هو احتياجه أن يسقط الوزر عن كاهله -ولو قليلاً-!!

وربما هو كل هذا!

لهذا تقدم بخطوات بطيئة ليجلس دون دعوة على الكرسي أمام مكتبها قبل أن يطرق برأسه مشبكاً أصابعه أمامه...

هنا ابتسمت هي ابتسامة لم يرها وقد جاء دورها لتفحصه هذه المرة...




هذا "يامن عبد الرحيم حمدي" إذن !

سمعت عنه كثيراً لكنها لم تتصوره بهذه الوسامة ...

لا ...لا يشبه والدته بيللا بجمالها الأرستقراطي بل هو ل-والده- أقرب!

سيتعبها كثيراً لو قبل أن تبدأ معه رحلة علاج...

خاصة مع هذه الوخزة التي تشعر بها في قلبها الآن وهي تراه يجلس بهذه الطريقة كطفل متعَب...ومتعِب!

لكنها كتمت مشاعرها هذه وهي تتقدم بدورها لتجلس على مكتبها قبل أن تقول بنبرة عملية:

_دكتور مروان اداني فكرة عن الموضوع ...لكن أحب أسمع منك.

رفع رأسه نحوها وقد انفرجت شفتاه وكأنه على وشك الكلام قبل أن يعاود إطباقهما بقوة....

الأمر ليس بهذه السهولة!!!!





أن يعري روحه ليكشف عورات جرحه ...
هو لم يفعلها في حياته إلا مع امرأة واحدة ...
امرأة ظنها الدواء فكانت طعنتها الأقسى!

_طيب ...أنا هساعدك.
قالتها ياقوت بتفهم مدركةً عظم صراعه الداخلي هذا لتردف :

_من غير ما ادخللك في تفاصيل طبية أكيد بحكم كونك دكتور اطلعت عليها قبل كده ...الوسواس القهري درجات ...ونسبة علاجه ممكن توصل مية في المايه..خصوصاً لو المريض نفسه راغب في العلاج ...خلليني أبسط لك الموضوع أكتر ...فيه منطقة معينة في المخ مسئولة عن توصيل الشعور بالقلق ...عاملة كده زي جهاز الإنذار ...تخيل بقا لو جهاز الإنذار ده اتعطل وطول الوقت شغال عمال على بطال ...هو ده بالظبط مريض الوسواس القهري .





رفع عينيه إليها ببعض الاستهانة ...

ما الجديد في ما تقوله ؟!!

أي طفل صغير سيفتح "الويكيبديا" سيجد فيها مثل هذه المعلومة !!

لكنه بدأ يهتم قليلاً عندما أردفت :

_الموضوع بيبدأ بخبرة سيئة في الطفولة أو تاريخ وراثي ...بيزيد مع التوتر والضغوط ...وبيقل وممكن ينعدم تماماً لو انشغلت وارتحت ...م الآخر انت بتحارب دماغك بدماغك...هي بتزق عليك أفكار سلبية وانت دورك تقاومها بأفكار إيجابية ...المهم إنك تقتنع في النهاية إنها مجرد أفكار مش حقايق...فاهمني يا دكتور؟!!

عقد حاجبيه بتركيز دون رد فابتسمت لتقول بفخر:





_دكتور مروان اختارني لأن هو بالذات كان شاهد على نجاحي في آخر حالة عالجتها ...نجاح مية في المية وفي زمن قياسي.

مط شفتيه بعدم اقتناع ثم أشاح بوجهه فاتسعت ابتسامتها مردفة:

_الناس بتيجي للدكتور النفسي عشان تفضفض وترغي وهو يسمع...لكن انت من أول المقابلة سايبني أنا أتكلم وماقلتش ولا كلمة .

_عشان بصراحة مش مقتنع!

قالها وهو يلتفت نحوها فجأة لتزداد حدة هذه "الوخزة" في قلبها مع التقاء نظراتهما ...

قبل أن يردف هو بفظاظته المعهودة:

_مش مقتنع بسبب واحد يخللي مروان يرشحك انتِ ويسيب أكبر أسامي في مصر ...ومن أول





المقابلة بحاول أدور على أي أمارة لشطارتك ال"فظيعة" مش عارف الحقيقة !

ارتدت برأسها للخلف وهي تتلقى عبارته كصفعة قبل أن تتجمد ملامحها تماماً لترد له إهانته:

_مروان قاللي إنك عصبي ومتحفز بس نسي يقوللي إنك كمان قليل الذوق.

هنا هب هو واقفاً مكانه ليهتف بنفس الفظاظة:

_وآدي كمان دليل إنك أصلاً مالكيش فيها ...مفيش دكتور بيعامل مريض نفسي كده .

_عشان قلة ذوقك دي مش مرض ...ده طبع ...وأنا دوري أعالجك مش أربيك!

هتفت بها باعتداد شبه بارد مقارنة باشتعال ملامحه هو ...

خاصة عندما اضطر لكظم غيظه وهو يرمقها بنظرة ساخطة قبل أن يغادر الغرفة بخطوات مندفعة ليصفق الباب خلفه بعنف كاد يخلعه من مكانه تاركاً إياها خلفه تغلي غيظاً ...





لقد كانت تتمنى بحق لو تأخذ فرصتها معه ...

لكن "الأحمق" تركها...

"الأحمق الفظ"...

"الأحمق الفظ المغرور"

"الأحمق الفظ المغرور ال...وسيم"!!!

ابتسمت كمراهقة ساذجة عند الخاطر الأخير لتهز رأسها عدة مرات قبل أن تهمس لنفسها بصوت مسموع:

_ما تتحشمي يا بنت أشواق...ياما عدى علينا أشكال وألوان ...هنيجي ع الآخر ونخيب!

قالتها بلكنتها القروية البسيطة المميزة والتي تحب "الارتياح" فيها عندما تمل من التخفي خلف لكنتها الجديدة التي تعلمتها هنا منذ دخلت كلية الطب ...





السخرية الطبيعية من الفتاة القروية التي كانوا يظنونها ساذجة ظلت تطاردها حتى اضطرت أن تتحدث مثلهم كي لا يلاحظوا الفارق...

وهذه الملحوظة ..."جمال الفلاحين"...التي كانوا يعلقون بها على ملامحها جعلتها تدرك أن حسنها لن يكون شفيعها في معركة غير شريفة كهذه...

هي تريد النجاح...تريد الشهرة...تريد المال !

أجل ...هي لا تخجل من الاعتراف أنها تحب المال!

تحب تحصيله...رؤيته...ادخاره...

لكنها لا تحب إنفاقه !

بل إنها لا تبالغ لو قالت إن أسعد لحظات حياتها هي تلك التي تفتح فيها دفترها المصرفي تراقب حركة حسابها ...

لا...لم تتطرف يوماً لجمعه من حرام ...

تربية "الحاجة ثمر" لا تفعلها أبداً!!!




وعند الخاطر الأخير تجهمت ملامحها وهي تتذكر آخر حواراتها مع الجدة الطيبة ...

_العريس طفش يا حاجة ثمر...أول ما عرف حكايتي!

بحسرة لم تملكها قالتها عندما وصلها رد زميلها الذي كان قد تقدم لخطبتها ...

لتجيبها الجدة بنبرتها التي تمزج رضا الإيمان بالمرح:

_اوعاكي تزعلي يا خايبة...السكة اللي تودي...يروح واحد ييجي عشرة.

لكنها كانت تعلم أن الواحد -وإن تبعه عشرة كما تقول- فكلهم سيهربون كما هرب منها!

ما أشبهها بدائرة من نصفين...

نصف مضيئ تحياه بكل تألقه هنا في العاصمة طوال أيام الأسبوع...





ونصف آخر مظلم تعود إليه في قريتها أيام العطلة !

انقطعت أفكارها برنين هاتفها فانقبض قلبها ببغض وهي تميز اسم المتصل...

هذا الانقباض الذي لم يمنعها من فتح الاتصال بتحية فاترة مقتضبة قبل أن يصلها صوته :

_برضه رجعتِ الفلوس زي كل شهر؟!

الغضب الممتزج بالذنب الذي يميز لهجته يصلها فيزيد من عمق انقباضة قلبها لكنها ترد بنبرة محايدة :

_مش محتاجينها...أنا ولجين بنشتغل وعايشين كويس الحمدلله.

_كويس؟!

بسخرية يهتف بها ليردها عنادها:

_جداً...الحمدلله.




_ماشي...عموماً أنا ماعدتش هابعت حاجة...لما تعوزي حاجة انتِ أو أختك ابقوا اتصلوا.

الصوت الرتيب بعد إغلاقه الاتصال ظل يدوي في أذنيها للحظات قبل أن تعيد الهاتف مكانه على سطح المكتب...

ليته يكف عن الاتصال بها...

ليته ينساها وينسى شقيقتها للأبد !!

ساعتها ربما لن تحقد عليه كما الآن ...

أجل تحقد عليه وهي تراه طوال عمرها لا يفعل شيئاً سوى خنقهما -هي وشقيقتها- بحبل غليظ يزعم أنه ينقذهما به من الغرق!!

أي ظلم هذا؟!!

أي ظلم؟!!

أي مال يريدها أن تقبله؟!!

ثمن "شرف أمها"!!!





اقشعر جسدها كله عند الفكرة الأخيرة حتى كادت تشعر بانتصاب شعيراتها كاملة من قمة رأسها لأخمص قدميها ...

قبل أن يقع بصرها على اسمها المكتوب على قطعة خشبية تعلو مكتبها ...

(ياقوت سليمان)

لقد حذفت اسمه- عمداً - من عالمها الجديد الذي تحياه هنا بكل تألقه ...

وأبقته فقط هناك في عالم "ظلمتها"...في القرية !!

مجرد قصاص هين يبرد بعض نارها !!

_دكتورة ياقوت ...الساعة بقت خمسة.

الهتاف المصحوب بطرقات خافتة على الباب نبهها لموعد انصرافها فتنهدت بحرارة لتخلع معطفها الطبي قبل أن تتوجه للمرآة المعلقة خلف الباب لتعدل ملابسها ...





أناملها تمتد عبر فتحة قميصها للداخل...

وبالتحديد نحو القطعة العلوية لملابسها الداخلية ...

هناك حيث هذه !!!

ورقة نقدية من فئة العشرة جنيهات غلفتها بغلاف بلاستيكي خفيف وتضعها دوماً هنا قرب قلبها ...

كي تظل دوماً تذكر ...ولا تنسى أبداً ...!!!!!

==========

أسند ذراعيه خلف رأسه وهو يتمدد على فراشه الوثير في الفندق...

طالما أحب ماليزيا من الإعلانات السياحية لها ...

لم يكن يعلم أنها ستكون مدخله ل"كنزه" المرهق و...الممتع!

ياسمين التي أدرك منذ أول مرة رآها فيها أنها تختلف عن النساء اللائي سبقتنها لعالمه...

شعلة من جاذبية... طموح ...ثقة...قوة...

من سواها يمكنها تحويل خسائر حياتها المتوالية لسلسلة أخرى من النجاحات؟!





ربما لهذا مست في قلبه مكاناً لم تبلغه سواها ...

حب؟!

هو طوال سنين حياته هذا لم يعرف المعنى الحقيقي لهذه الكلمة "المطاطة"!

هو "رجل سوق" علمته الدنيا أن الحياة ليست سوى مكسب وخسارة ...

وهو "أبداً" لم يقبل بالخسارة!

ربما لهذا يشعر الآن بالفخر وهو يرى الأقدار تسانده للظفر بالمرأة التي لامست أعلى قمم إعجابه ...

انقطعت أفكاره برنين هاتفه فتأهبت ملامحه مع اسم المتصل الذي يعني له الكثير في عالمه...

_أهلاً رائد ...طمني .

قالها بود لم يخلُ من حذرٍ اعتاده في التعامل معه هو بالذات !





تاريخ طويل يجمعهما بتناقضات شاسعة ...

لقد أنقذ رائد حياته يوماً فكيف لا يدين له بالثقة؟!

لكنه -في المقابل- آذاه في أقرب الناس إليه ...فكيف يأمنه؟!

نفض الخاطر الأخير عن رأسه بسرعة كعهده في تحاشي تذكر هذا الأمر خاصة مع إجابة رائد شديدة العملية :

_الشغل كله تمام كأنك موجود...ما تقلقش.

قالها ليتبعها بالتفاصيل الدقيقة لعملهما المشترك فتحولت ملامح زين من الاهتمام للارتياح ...

قبل أن يعاود سؤاله بنفس الحذر:

_وهمسة؟!

ذبذبات التوتر بينهما تعالت فجأة بعد سؤاله الذي نال إجابته بما لم يرضِه لينتفض فجأة مكانه هاتفاً بحنق غريب على طبيعته الحليمة:





_يعني إيه ما بتاكلش؟! واللي هناك دول بيعملوا إيه ؟! مش عارفين ياخدوا بالهم منها كام يوم ؟! هاخرب بيتهم.

ثم صمت لحظة ليردف بزفرة ساخطة:

_خلاص يا رائد...أنا هرجع مصر في أول طيارة...بس اتصرف انت لحد ما أرجع.

_ما تشيلش هم.

قالها رائد بنبرته العملية ليغمغم زين بنبرة عجيبة بين حذر ورجاء:

_من غير ما تشوفها ولا تكلمها ...ماتنساش الاتفاق اللي بيننا...انت وعدتني.

هنا سادهما صمت قصير ليجتاح الانفعال نبرة رائد العملية رغم اقتضاب إجابته:

_مش ناسي.

قالها ليغلق الاتصال دون المزيد فتجهمت ملامح زين أكثر ليزفر بسخط قبل أن يتصل بياسمين ليقول بنبرة ضائقة:





_مش هاقدر أقعد هنا أكتر من كده ...قابليني بالليل نتفاهم قبل ما أرجع مصر .

وفي مكانه في حديقة بيت زين أغلق رائد الاتصال ليرفع رأسه نحو السماء بما لم يدرِ هل هو يأس أم دعاء...

كان مختبئاً خلف إحدى الأشجار يراقبها من بعيد ...

ملاكه الكسير الذي قصوا له جناحيه بجرمه هو ...

جرم "الحب" الذي لم يعرفه ولن يعرفه إلا لها !

_رائد بيه !

هتاف الخادمة قطع عليه شروده ليلتفت نحوها بعنف أجفلها وجعلها تردف برهبة:

_هنعمل إيه مع الست همسة ؟! من ساعة ما زين بيه سافر وهي بتاكل بالعافية وحتى دواها ما بقتش راضية تاخده .




صمت قليلاً ليتمالك فورة مشاعره قبل أن يقول بنبرة آمرة :

_غمي عنيها وسيبيني أدخل لها المرة دي كمان .

ورغم الأمر الصريح في لهجته القوية لكن قلبها الحنون أدرك العاطفة الراجية بين حروفه...

تماماً ككل مرة يطلب منها -سراً- هذا الطلب "الغريب"!

هي تعلمت منذ عهد بعيد طاعة أسيادها دون مناقشة ...

لكنها في هذا الموقف بالذات تتمنى لو تعرف السبب!

لا ...ليس مجرد فضول ...

بل رغبة حقيقية في سعادة هذين الاثنين اللذان يبدوان وكأن سهم الحب الغادر قد آذاهما معاً...

ربما لهذا تخاطر بتنفيذ رغبته هذه كل مرة دون علم السيد زين بل دون أن تخبر أي أحد ...





لهذا تقدمت نحو غرفة همسة لتفتحها قبل أن تتقدم نحو الأخيرة التي لم تحرك ساكناً ...

حتى عندما عصبت المرأة عينيها لتتركها بعدها دون تفسير ...

المرأة التي أشارت نحوه ليتقدم ويدخل الغرفة أخيراً ...

قبل أن تتنهد بحرارة وهي تغادر لتنتظره بالخارج دون أن تغلق الباب ككل مرة ...

لا تدري لماذا يفعل هذا سراً ؟!

ولا لماذا يصر ألا يزورها إلا وهي معصوبة العينين ؟!

ودون أن يكلمها!!

لكن الذي تعرفه وتثق به تماماً أن حالة همسة تتحسن بعد هذه الزيارة !

لهذا تفعلها مستريحة الضمير كل مرة ولن تكف عن فعلها ...





وفي مكانه وقف هو متشنج الجسد يراقب ملامحها الحبيبة من هذا القرب بنَهَم عاشق محروم ...

آه لو تتلاشى كل الحواجز بينهما ...

لو يعود الزمان بلا زمان ...ويعود المكان بلا مكان ...

وتعود هي فقط همسته في عالمه الذي لم يستمع لصوت عشق إلا عشقها فكان عاقبة أمره خسراً...

وأي خسران أكبر من أن يحرم همسها لينال عقابه صمتاً...؟؟!!

صمتاً كهذا الذي يختنق به الآن وهو يراقبها سراً ك"لص" بعدما كان على عرشها "الملك"!

وعلى كرسيها ارتجف قلبها وهي تميز رائحة عطره التي لم تتغير طوال هذه السنوات ...





لكن ارتجافتها لم تصل لجسدها الذي ظل على سكونه ...

يجعلهم يعصبون لها عينيها كي لا تميز وجوده ؟!

هل يظنها حقاً لا تفعل؟!

لكن...ما الفارق ها هنا؟!

هل تلومه لأنه يجعلها لا تراه؟!

ماذا يحدث لها عندما تراه ؟!

ذهنها "المضطرب" هاهنا يشوش تماماً...

ينقبض قلبها بشعور خانق فتتلاحق أنفاسها لتنفرج شفتاها تباعاً بشهقات متتالية وكأنها تطلب المزيد من الهواء ...

هذه الحركة "القاتلة" التي زلزلته مكانه وهو يتقدم نحوها خطوة فارداً ذراعيه وكأنه سيحتضنها ...

ثانية واحدة...





قبل أن يعود إليه إدراكه لتدمع عيناه بعجز وهو يتوقف مكانه ليرمقها بنظرة مودعة أخيرة...

قبل أن يغادر الغرفة بخطوات مندفعة تلاحقه نظرات الخادمة الملتاعة...

ما الذي يجري هنا؟!

وأي قصة غريبة تختفي خلف هذين؟!

هذا السؤال الذي ظل يؤرقها وهي تتحرك لتحضر لها الطعام للمرة التي لا تدري عددها هذا اليوم قبل أن تنزع عنها عصابة عينيها دون أن يتحرك جسد همسة الذي عاد لسكونه بعد رحيله...

قبلت المرأة رأسها بحنان وهي تتوسلها تناول الطعام بينما تقرب الملعقة من فمها المنفرج غير آملة في استجابة...

لكن الغريب حقاً أنها رضخت لتتناول الطعام هذه المرة !!!

======





_تقدر تروح دلوقت يا رامز ...نبيلة بتقول إنك هنا من ليلة الحادثة.

قالتها هانيا بتماسك في غرفتها بالمشفى متحاشية لقاء نظراته بينما تحاول سحب كفها منه دون جدوى مع تشبثه الشديد به...

والذي ناسب قوله:

_ومش هامشي غير ورجلي على رجلك.

انطلقت منها آهة خافتة وهي تغمض عينيها بقوة ليردف هو بعتاب امتزج بعاطفته:

_عايزاني أمشي عشان الممرضة جاية تغير لك على مكان الحرق دلوقت ...زي ما بتتلككي كل مرة بأي حجة عشان تخرجيني...بس حركاتك دي مفقوسة قوي.

عبارته الأخيرة خالطها بعض المرح الذي حاول به تلطيف الموقف وهو يراها لا تزال تتشبث بقناع تماسكها الواهي ...

الحمقاء المكابرة!!





كيف ينسى لهفتها عندما فتحت عينيها عقب إفاقتها مباشرة ليكون اسمه هو أول ما تنطق به ...

قبل أن تتشبث بكفه بقوة جعلت قلبه يتزلزل مكانه !!!

لكنها ما كادت تستعيد إدراكها لتدرك حقيقة الوضع حتى عادت "الشرنقتها" تحتمي بها من ضعفها ...

لا ...لا يلومها ...

هو الآن يتفهمها ...ولن يبالي لو قضى العمر كله يثبت لها عشقاً هي أهل له!

_مش من حقك تبقى هنا..ولا تشوفني كده ...انت خلاص ما بقيتش جوزي...كل ده غلط !

هتفت بها بنبرتها القوية ولاتزال مغمضة عينيها ليجيبها بصبر :





_في إيدك انتِ تصلحي الغلط..كلمة واحدة منك وأجيب المأذون لحد عندك هنا ...بس قولي أيوة.

_لأ!

هتفت بها حاسمة دون أن تفتح عينيها ليهتف هو الآخر بانفعال:

_هانيا...شغل الأفلام بتاع مش محتاجة شفقتك ده مش هياكل معايا ...انتِ أكتر واحدة عارفة أنا بحبك أد إيه...ووجودي هنا معاكِ مش تقضية واجب ولا عشان صعبانة عليا ...أنا هنا لإني اتعلمت بأصعب طريقة إني ما ينفعش أكون غير هنا...جنبك.

سالت دموعها عبر عينيها المغمضتين وهي تطبق شفتيها بقوة وكأنها تخشى أن تخونها كلماتها باعتراف مشابه !!!

هي الأخرى تعلمت بالطريقة الأصعب أن مكانها جواره ...

لكن بعد فوات الأوان!!

ماذا بقي لها من أنوثتها -التي حرمته منها قسراً- لتمنحه إياه الآن طوعاً؟!!





هذا الذي تباهى أمامها يوماً بتاريخه مع النساء كيف اليوم تجد لها مكاناً على أرضه إلا كملكة مهزومة ؟!

مسح دموعها بأنامله الحرة دون أن يفلت كفها ليقترب بوجهه منها هامساً :

_خدي وقتك كله عشان تهدي وتتقبلي الوضع الجديد....بس وأنا معاكِ ..حرام عليكِ يا هانيا..انت ما تعرفيش حالتي كانت عاملة إزاي وأنا بجري في الشارع زي المجنون ليلة الحادثة مش عارف هالحق واللا...

غص حلقه في كلماته الأخيرة عاجزاً عن إكمالها لتفتح هي عينيها أخيراً فتراه عبر دموعها بصورة مثالية طالما تمنتها ...

آه لو تستطيع البوح الآن!!

لو تخبره أنها تحتاجه حقاً!!





Cinnabon

تحتاج أن تخبئ رأسها بين ذراعيه !!

تستر عورات خيباتها عن العالم لتحتمي بصدره !!

تصرخ كطفلة أنها خائفة حقاً من الغد ؟!

خائفة أن تفشل...أن تخسر...أن تفقد ...

لكنها خائفة منه أكثر!!

خائفة أن يخذلها ...وخائفة أكثر أن تخذله هي!!!

_لسه بدري ع الكلام ده...حتى لو وافقت نرجع لبعض...مش هيبقى قبل ما أرجع ست طبيعية...ولو ده ماحصلش ...مش هاينفع.

كان يتوقع منها هذا الكلام...هذا التماسك ...هذه النبرة العملية التي طالما ميزتها ...

تماماً كما كان يتوقع حركتها عندما سحبت كفها منه لتقبضه جوار صدرها ...

لكن مالم يتوقعه حقاً هو حركتها التالية...

عندما وجدها تجذب رأسه بذراعها السليم لتضمه لكتفها في "نصف عناق"!!





نصف عناق انخرطت بعده في بكاء عنيف مع قولها:

_لو بتحبني بجد ماتخلينيش أحس كده...ماتضيعش اللي عشت عمري كله أبنيه...لو ضعفت دلوقت مش هسامح نفسي أبداً.

رائحتها المميزة تتوغل بين خلاياه ليدرك حقاً كم اشتاقها ...

كم يحتاج إليها ...

يحتاج امرأة بقوتها ...بعنفوانها...بصلابتها ...بل وبضعفها هذا الذي لايزيدها إلا جاذبية ...

لهذا رفع وجهه نحوها ليعاود مسح دموعها هامساً بنبرة دافئة:

_مش يمكن هي دي المشكلة؟! مش يمكن لو اعترفتِ بضعفك دلوقت تلاقي قوتك اللي بتدوري عليها ...قوتك اللي بجد مش اللي بتمثليها دي !





أشاحت بوجهها عن مرمى نظراته لكنه عاد يجذب ذقنها نحوه ليردف بإلحاح:

_طب خلليني أكلمك بطريقتك...إيه رأيك ناخدها تحدي؟؟!!..انتِ شايفة إن الوضع صعب واني هزهق وأتخلى عنك...وأنا شايف العكس...خلاص نرجع لبعض ونشوف مين معاه حق ...هه قلتِ إيه؟!

هزت رأسها بعدم اقتناع ليهتف فجأة:

_وبعدين يادكتورة مفيش واحدة بتطفش واحد بتكلبش فيه كده ؟! طب شيلي دراعك من حوالين رقبتي الأول وبعدين اتكلمي!

شهقت بخجل عندما تنبهت لما يقول قبل أن تبعد ذراعها عنه لتكتم ضحكتها التي انفلتت رغماً عنها والتي امتزجت بدموعها في مشهد غريب....

فابتعد هو بجذعه هاتفاً :

_أشهد أن لا إله إلا الله ...هانيا ضحكت ياالخواننا ...أحمدك يارب...




ثم تلاعب حاجباه بحركة ماكرة ناسبت قوله:

_خلاص سيبيني معاكي بقا...ده أنا ابن حلال وبضحكك أهه !

غطت شفتيها بكفها تخفي مزيج دموعها وابتسامتها المتناقض هذا ...

لكنه تناول كفها بين راحتيه ليقبله بعمق قبل أن يهمس لها بجدية هذه المرة :

_احنا الاتنين غلطنا...كان لازم نبعد عشان لما نقرب ما نبعدش تاني...خللينا بقا نصلح غلطتنا ونعوض اللي فات .

تأوهت بخفوت وهي تعاود إغماض عينيها من جديد لا تدري عناداً أم هرباً...

بينما ابتسم هو ابتسامة حانية وهو يلاحظ أنها استسلمت لعناق كفيه هذه المرة فلم تعد تقاوم ...





وعلى باب الغرفة وقفت رانيا تراقبهما خلسة دون أن يشعرا بها ...

عبارة رامز الأخيرة تبدو وكأنها لها هي الأخرى...

هي التي عاشت عمرها كله تستند على جدارين لا ثالث لهما ...

يامن وأشرف ...

والآن يتهاوى الجداران لتجد نفسها فجأة في مهب الريح ...

إنه وقت القرار ...وقت الصحوة...

لكن هل تجد في نفسها القوة حقاً لتفعل؟!

=========

توقفت بها سيارة الأجرة أمام هذه المصحة الخاصة لعلاج الإدمان والتي نُقل إليها أشرف بعدما أنقذوا حياته بشبه معجزة...

خطواتها تتباطأ وهي تشعر بالوهن يكبلها من جديد...

ماذا لو أهانتها نشوى هذه المرة أيضاً؟!




ماذا لو رفضها أشرف كما فعل المرة السابقة ؟!

وهل ستتقبل أن تراه في هذه الحالة من جديد ؟!

مشاهد متفرقة تجتاح ذاكرتها فتزيد من وهنها هذا ...

مشهده وهو ملقى على الأرض يتوسلها المخدر...

مشهد الرجل البغيض يحاول الاعتداء عليها ...

بقعة دم تراها بوعي مشتت تحتها لتعرف بعدها أنها فقدت صغيرها ...

دموعها تغرق وجنتيها وهي تقف مكانها حائرة لا تدري هل من الصواب أن تتقدم أم تتأخر ...

تتلفت حولها بعجز وكأنما تبحث عمن سيعطيها الجواب ككل مرة ...

عمن سيوجه خطواتها ليختار -بدلاً منها- الصواب ...

لا أحد!!

هي من ستختار الآن ...

ولتحتمل نتيجة قرارها مهما كانت !!

أناملها تمسد بطنها فوق ملابسها بحركة غير ظاهرة...

هاهنا ...كانت هنا يوماً "قطعة" منه ومنها ...خسرتها بسببه !

وهاهنا أيضاً...."قطعة" من جسده هو منحها بها الحياة !

أجل...

هو أفقدها طفلهما...لكنه يوماً تبرع لها بكليته !

هو تسبب في فقد حياة ...لكنه منحها كل الحياة !!!

فهل بعد هذا مجال لاختيار؟!!

هنا أخذت نفساً عميقاً لتمسح دموعها وهي تتقدم نحو البوابة المعدنية الكبيرة لتدلف إلى الداخل ...





وفي غرفته كان أشرف جالساً على كرسيه يمسك مصحفه...

نداء خفي ينبعث من روحه يخبره أن نجاته هاهنا ...

أن الطريق الذي تشوش بضبابه لاسبيل لجلائه إلا هكذا ...

وأن العمر الذي بخسه قدره يستحق أن ننهيه كما أراد المنعِم به ...لا كما نريد نحن !

دموعه المذنبة الواهنة تسيل ببطء حارق على لحيته النامية بينما ترتجف شفتاه بقراءة صامتة...

كل آية نور...

كل كلمة نور...

كل حرف نور ...

فأين كان هو غافلاً عن كل هذا وسط ظلمات يأسه ؟!!!

صوت الباب يُفتح لكنه لا يبالي ...

يعرف أنها هي ...

هالة حضورها التي تمس مكاناً بقلبه كبر معه عاماً بعام ...حتى اختلط بدمه وعظمه ...

فكيف لا يميزها؟!

لكنه مع هذا لم يغير وضعه...

بل بقي مكانه ليغمض عينيه منتظراً مبادرتها ...

_إزيك يا أشرف؟!

صوتها الحبيب يعرف طريقه لقلبه ككل مرة ...

لكنه هذه المرة منغمساً بجرح لا يدري هل سيكتب له شفاء؟!!

يشعر بها تنحني على ركبتيها لتكون في مستوى رأسه...





أناملها تربت على كتفه وهي تهمس بين دموعها:

_قالوا لي إنك رافض الكلام ومش بترد على حد ...حتى أنا يا أشرف؟!

شفتاه ترتجفان بقوة فيطبقهما دون أن يرد عليها ...

يعلم أنها لن تطيق على هذا صبراً...

يعلم أنها ستكتفي بالبكاء وانتظار مدد قوته هو ...

لكنه لم يعد يملك ما يمكنه منحه!!

لهذا صار يوقن أنه خسرها !!

_مش مهم تتكلم ...المهم تسمعني...أنا معاك ...وهافضل دايماً معاك...حتى لو طردتني ألف مرة هارجع تاني...مش بس عشان انت محتاجني...لكن أنا كمان محتاجاك .





فتح عينيه بنظرة عميقة دون أن يتحرك من مكانه...

فابتسمت والدموع تنهمر من عينيها لتهتف بانفعال:

_عندي كلام كتير قوي يا أشرف ...كلام كنت محوشاه عشان انت بس اللي بتعرف تسمعه...ممكن تسمعني؟! اسمعني بس وما تردش !

أطرق برأسه في عجز لكنها لم تيأس ...

حديثها الذي استمر قرابة الساعة لم ينقطع ...

حكت له عن حادث هانيا....عن تمسك رامز بها ...عن انهيار يامن ...عن تغير داليا...عن صحوة نبيلة...

حكت له عن انطباعاتها التي تخجل من البوح بها أمامهم...

عن انزوائها الذي صارت تكرهه وتريد تغييره...





ابتسمت وهي تحكي له بعض ذكرياتهما المشتركة...

وبكت وهي تشكو إليه حالها في غيابه...

بل ...وغنّت له جزءاً من أغنية لها ذكرى خاصة لديهما ...

تكلمت وتكلمت وتكلمت حتى ظنت أنها كانت تدخر كل هذا الحديث له هو وحده ...

ورغم أنه لم يكن يتفاعل معها إلا بصمته لكنها كانت تشعر بدقات قلبه تجاريها في كل ما تتفوه بها ...

أجل ...

مهما كانت الغربة ...ومهما طال الصمت ...لا تزال خفقات القلب للعاشقين وطناً ...ولغة !

=========

_كنت فين؟!

هتف بها يامن بقلق وهو يراها تعود وحدها إلى بيت أمه -الذي استقروا جميعاً فيه عقب خروج هانيا من المشفى- لتجيبه رانيا ببعض التحفظ:

_عند أشرف في المصحة.

تجهمت ملامحه وهو يشعر بالمزيد من الانهيار الداخلي لكنه لم يملك إلا سؤاله :

_عامل إيه؟!

_مش مهم عامل إيه...المهم إني هاكون معاه في أي حال...ده قراري يا يامن وأرجوك ما تعارضنيش فيه.

هتفت بها بتنمر غريب على طبيعتها التي يعرفها ...

فالتوت شفتاه بشبه ابتسامة وهو يتمتم بخفوت:

_اتغيرتِ يا رانيا.

_لو مش هنتغير لما الدنيا حوالينا تتهد ...يبقى هنفوق امتى؟!





قالتها بنفس الانفعال وهي تشعر بأن جسدها كله يرتجف غضباً وترقباً...

ربما لأنها كانت تتوقع من يامن نقاشاً طويلاً يحاول إقناعها فيه بالعدول عن قرارها...

هذا الذي كانت ليست له مستعدة الآن أبداً...

ليس وهي لاتزال في بداية طريقها نحو بناء قوتها ...

قوتها التي يحتاجها أشرف...وتحتاجها هي قبله !!

لهذا كانت دهشتها كبيرة عندما تمتم يامن باستسلام غريب :

_معاك حق .

ظلت تتفحصه غير مصدقة للحظات قبل أن تشعر نحوه بالمزيد من الذنب ...

نبيلة أخبرتها بفاجعته وهي لم تفعل شيئاً إلا إضافة المزيد من الحطب لنيرانه ...

لهذا أطرقت برأسها لتقول بنبرة مرتجفة:





_أنا آسفة يا يامن...بالله عليك ما تزعلش مني.

قالتها لتنخرط في البكاء بعدها وكأنها لم تثُر في وجهه منذ دقائق فقط!

لكنه ابتسم ابتسامة شاحبة وهو يقترب منها أكثر ليقول بحنانه الفظ:

_بلاش هبل...وانتِ من امتى بيتزعل منك أصلاً؟!

ثم أشاح بوجهه ليردف بجدية:

_انتِ اخترت طريق...كمليه .

_لو شكيت ما تكملش!

قالتها ببعض التهكم تذكره بمبدإه الشهير لترتسم ابتسامة مريرة على شفتيه تليق برده:

_ما انا لو مكملتش هافضل واقف مكاني ...وساعتها هاعيش عمري كله اتحسر على خطوة ما مشيتهاش.

ارتفع حاجباها بإشفاق وهي تشعر أنها تقف أمام يامن جديد غير هذا الذي تعرفه ...





لكن لعل هذا هو الأفضل...

لهذا ابتسمت وهي تكرر اعتذارها قبل أن تغادره وتذهب إلى غرفتها ...

بينما جلس هو مكانه على كرسيه في صالة المنزل يفكر فيما آلت إليه الأحوال ...

هانيا خرجت من المشفى ورامز يريد العودة إليها لكنها لا تزال تكابر ...

وها هي ذي رانيا هي الأخرى تريد العودة لأشرف لكن يبدو أن الطريق لايزال مشبعاً بالعقبات...

داليا هي الأخرى صارت أكثر هدوءاً وتعاوناً معهم وكأنما أنضجتها التجربة ...

ماذا عنه هو؟!!

هو لا يدري!!

بعد فشل زيارته لتلك الطبيبة لا يعرف البديل!!

هو يدرك أنه كان شديد التحامل عليها يومها لكن صدمته بكونها امرأة أربكته...

وهو رجل التدبير الذي لا تسره المفاجآت!!!





_ماتشيلش هم!

قالتها نبيلة وهي تربت على كتفه بأحد كفيها بينما تحمل بالكف الآخر صينية صغيرة حوت قطعة من السينابون مع فنجان قهوة...

تجهمت ملامحه ورؤية الحلوى هذه بالذات تثير شجونه...

لكن يبدو أن المرأة كانت تدرك حقاً ما تفعله ...

فقد وضعت الصينية أمامه لتقول بهدوء:

_شفت فيديو ع اليوتيوب واتعلمت طريقته...بس بصراحة...بتاع ياسمين أحلى كتير .

لايزال اسمها ذا وقع مميز عليه خاصة في هذه الأيام ...

ربما لهذا شعر بغصة مختنقة في حلقه وهو يشيح بوجهه لتتناول- أمه -الطبق فتطعمه بنفسها قائلة:





_عمرك ما رديت إيدي في أكل عملته بنفسي...دوق بقا.

تناولها منها مجبوراً ليكتفي بالقليل قبل أن يشير لها بكفه في إشارة بالتوقف ...

ثم مد أنامله يتناول فنجان القهوة الذي ارتشفه ببطء ونظراته تنضح حزناً...

الحزن الذي مس قلبها لتقترب منه أكثر فتربت على ركبته قائلة فجأة:

_إيه رأيك تروح لعمك البلد يومين تغير جو؟!

الفكرة بدت له جيدة حقاً لكن...

_إزاي أسيبكم لوحدكم في الظروف دي؟! مش هاينفع طبعاً!

لكنها ابتسمت لتقول بحزم:

_وجودك جنبنا بحالتك دي مش هيفيدنا...أنا والبنات زعلانين عشانك...ماتقلقش علينا ...سافر واعتبرني هنا مكانك.





ربما لو كانت قالت عبارتها الأخيرة في ظروف أخرى لاعتبرها نكتة وسقط من الضحك أرضاً!!!

نبيلة...بيللا ...مكانه هو؟!!!

لكن الآن وبعدما مرت به العائلة من ظروف يشعر أنه حقاً يمكنه الوثوق بها...

هي تغيرت...كما تغير الجميع...

الصفعة التي نالوها جميعاً أعادت الأمور لنصابها ورب ضارة نافعة ...

ربما لهذا لم يجد غضاضة في قبول الأمر ...

_معك حق ...محتاج فعلاً أفصل يومين .

_ماحاولتش تكلم ياسمين؟!

سألته بتردد ليجيبها بحسرة خنقت حروفه:

_قافلة حسابها...وحاولت أتصل بوالدها لكن ...بصراحة...ماعرفتش أقولها إيه ؟!





هزت رأسها بتفهم وهي تدرك مرارة شعوره ...

لكنها كانت تشعر بالشفقة على ياسمين هي الأخرى فعادت تقول بحنان:

_طب ما تسافر لها .

هنا ابتسم ساخراً لينهي الرشفة الأخيرة في فنجانه قبل أن يضعه جانباً ...

ثم التفت نحوها ليقول بشرود :

_مش عارف إذا كان ممكن نرجع لبعض واللا لأ...كل واحد فينا كسر في التاني حاجة مش هتتصلح...مش هاقدر أحط عيني في عينها إلا لما أعالج نفسي الأول...ياسمين بتاعة النهارده غير ياسمين اللي عرفناها...وعشان أقدر أرجعها لازم أنا كمان أتغير.

=========

في القطار المتجه به لقريته يجلس هذه المرة وحده ...

تحترق شفتاه بابتسامة مريرة وهو يتذكر المرة السابقة التي كانت فيها هنا بين ذراعيه ...





وقتها كان يشعر بالغيرة من الرجل الذي كان يحتضن امرأته في الكرسي أمامه فاستغل نومها ليفعل مثله ...

آآآه ...

كم تبدو له الذكرى الآن شهية...مثلها ...

ومحترقة...مثله!!!

_لو جيت هنا تاني من غيري قل لهم إني حبيتهم قوي

كأنه يسمعها الآن بصوتها فيرتجف جسده للذكرى ...

وكأنها كانت تعلم ...

أجل...كانت تعلم!

كانت تدرك أن عمر هواهما سيكون قصيراً فسيدة الألوان لم تكن لتصلح لرجل الأسود...

وشمس الحب لا تبهر العميان!

انطلقت صافرة القطار معلنة وصوله فتنهد بحرارة وهو يتناول حقيبته قبل أن يغادره ليهبط في المحطة...

استقبال عمه وزوجته الحافل لم يتغير...

الغرفة التي أقام فيها لم تتغير ...

النافذة المميزة و"القُلّة" التي شرب منها خلفها يوماً كل هذا لم يتغير...

لكن الذي تغير هو "هما"!

ما أبعدهما الآن عن هذين اللذين كانا هنا وقتها ...

تذكر كيف كان يغار عليها ساعتها من بضعة أطفال ...

لم يكن يعلم أن عالماً من جحيم الشك بشأنها سيفتح أبوابه في وجهه ...!!!

_شاي العصاري عند الساقية يا دكتور!





هتفت بها زوجة عمه من الخارج فانقبض قلبه بشعور غامر بالحنين ...

"عروس البحر" ألقت لعنتها على عالمه فصار دونها خراباً بلا روح !

لهذا زفر بقوة وهو يخرج إلى الحقل القريب حيث جلس مع عمه وزوجته ...

حديثهما كان ودوداً حانياً كما يفترض وقد شكر لهما أنهما لم يسألا عنها...

أجل عمه الحصيف بخبرته أدرك أن ابن أخيه جاء هنا هذه المرة هارباً بحسرته والفضيحة تناقلتها الألسن على أي حال لتصل حتى إلى هنا ...

لكن يامن هو الذي وجد نفسه يقول بلا مقدمات :





_ماتصدقوش اللي بيتقال ...طليقها فبرك الفيديو ...أنا اللي غلطت واتسرعت وهي ما سامحتنيش على كده .

كان يعلم أنه يكذب في نصف الحقيقة لكنه رأى هذا حقها عليه في موقف كهذا ...

خاصة عندما تبادل عمه مع زوجته نظرات الارتياح قبل أن تهتف زوجة عمه ببراءتها الفطرية:

_تصدق وتؤمن بالله؟! قلت لعمك كده ...قلت له السكرة دي ماتعملهاش...ده أنا قلبي اتفتح لها من أول مرة.

ثم ترددت لتردف برجاء:

_طب ما تحاول تصالحها ياابني وتلم الشمل.





لكن زوجها زجرها بعبارة مقتضبة جعلتها تخفي وجهها حرجاً في طرف وشاحها قبل أن تغادرهما بخطوات سريعة ...

بينما التفت نحوه عمه ليقول بتعقل:

_أنا مش ابن امبارح وعدى عليا من الناس أشكال وألوان...ومش هاقوللك اعمل إيه وما تعملش إيه لأني عارف دماغك ناشف زي أبوك الله يرحمه...أنا بس هاقوللك حاجة واحدة...ماتعملش زي أبوك وتاخدك العزة بالإثم...عشان ماتضيعش عمرك زي ما هو الله يرحمه ضيع عمره ...

أطرق يامن برأسه دون رد فتنهد الرجل ليقوم من مكانه مردفاً :

_هاقوم أنا أراضي مراة عمك...شكلها خدت على خاطرها مني .

ابتسم يامن بحنان وهو يتابع رحيل عمه بنظرات شاردة ...





ما أحوجه الآن لنصيحته لكن الأمر ليس بهذه البساطة ...

هو يحارب نفسه بنفسه هذه المرة...

وما أصعبها من معركة !!

زفر بسخط وهو ينتبه لكوب الشاي الذي برد في يده دون أن يشربه...

فألقاه جانباً لتلتمع عيناه وهو يتذكر مساء مشابهاً لهذا كان يستقر رأسه فيه على حجرها هي...

_تعرفي؟! مش عايز أفتح عيني...عايز الزمن يقف هنا...تفضل نفس الصورة في بالي ما تتغيرش...الساقية...الزرع...لون السما...ضحكة عمي...طعم الشاي...و...انتِ!

تغمره الآن هذه الذكرى بحلاوتها فيأخذ نفساً عميقاً ويخرجه في آهة حارقة كوت صدره ...





لماذا أتى إلى هنا؟!

ما كان أغناه عن هذا الحنين الذي يجلده جلداً!!!

الشمس توشك على المغيب خلف الساقية القديمة فتتابعها عيناه بشرود كئيب ...

قبل أن ينتبه في جلسته وهو يميز الظل الذي كان يقترب من بعيد ليختفي خلف الساقية...

ظل يشبه امرأة ترتدي جلباباً!!!!

ياالله!

هل فقد عقله تماماً؟!!

لا...هو واثق أنه قد رآها!!!

هب واقفاً مكانه ليتجه بخطوات متئدة نحو الساقية هناك مغالباً هدير دقاته...

صوت بكاء مميز كان يصله بوضوح كلما اقترب ...

وما كاد يصل حتى اتسعت عيناه بصدمة تحولت لغضب مع هتافه :





_انتِ بتعملي إيه هنا؟!!

بينما انتفضت هي مكانها لتهتف هي الأخرى مصعوقة:

_انت جيت هنا امتى؟!

أجل لم تكن صدمتها تقل عن صدمته وهي تراه هاهنا...

كانت تعرف كجميع أهل القرية حكاية يامن حمدي الشهيرة ...

ربما لهذا قبلت مساعدته بحماس عندما أخبرها مروان عنه...

لكنها لم تتوقع أبداً أن يزور قريته في هذا التوقيت بالذات ...

بل وأن يقتحم خلوتها ليسمع بكاءها في هذا المكان الذي يحمل ذكرى خاصة لديها !!!

ظل كلاهما يرمق الآخر بعدم تصديق للحظات ...





لكنها كانت أول من تمالكت دهشتها لتهتف بينما تغادر بخطى سريعة:

_ولا كأنك شفتني!

بينما كان هو يراقبها مصدوماً وهو يراها ترتدي جلباباً قروياً مزركشاً بألوان فاقعة -وللكارثة- لا يمت بصلة لهذا العصر...

"تلوث بصري" آخر لا يقل بشاعة عن تلك المرة التي رآها فيها من قبل ...

هذه "البلياتشو" لن تكف عن إثارة دهشته !!

انتبه من أفكاره عندما لمحها تختفي تماماً عبر الحقول ليهز رأسه قائلاً بارتباك:

_لا لا لا...أنا مااتجننتش...هي هي ياقوت دي .

ثم استخرج هاتفه بسرعة ليتلاعب بأزراره بينما يردف:

_ما انا مش هاتجنن لوحدي...الله يخرب بيتك يا مروان!





ولم يكد الاتصال يفتح ليسمع صوت مروان حتى هتف به بسرعة :

_الدكتورة اللي اسمها ياقوت دي من بلدنا..صح؟!

ولم يكد مروان يجيبه بالإيجاب حتى أغلق الاتصال بسرعة دون تفسير ليعيد هاتفه مكانه بينما يعبث بخصلات شعره قائلاً لنفسه بارتياح:

_كده اطمنا على نفسنا ...تبقى فعلاً كانت هي ...

ثم انعقد حاجباه بقلق متجاهلاً رنين الهاتف الذي كان يدرك أنه مروان لكنه لم يكن في حالة مزاجية تسمح له بالرد ...

لماذا كانت تبكي هذه هنا ؟!!

وكيف جمعتهما الصدفة هكذا؟!!

ولو علم الجواب لأدرك أن الأيام القادمة ستحمل لكل منهما دوره في حياة الآخر!

=======





القطعة الثالثة

========

عفواً يا سيدتي...

عفواً يا قاتلتي ...

ما جئت أقول بأني معتذر ...

ما جئت أقول بأني منتظرٌ...

ما جئت أقول...وكيف أقول؟

وكلامي بعدك صار عجوزاً يتكئ على صمتي

ما جئت أقول بأنك كل الأحزان

وبأنك كل الألوان...

وبأنك كنت الغفران

لو ضاق الكون بمعصيتي !

بل جئت وأحمل في كفي أغنيةً

كانت هي أنتِ

وبقايا من عمرٍ ولّى حين رحلتِ

ونحيب سطور قد حملت كلماتكِ





كم قلتِ ...وقلتِ!!

أتراها تشفع لي عندكِ...

أم أنكِ أنتِ...ماعدتِ أنتِ!

إن كنت فقدتك ذا اليوم

فسأبحث عنك...

في كل مجرات الكون ...

وخلف جميع الأزمنةِ...

وسأجدك يوماً ساعتها...

سأغير تاريخ ميلادي...

سأغير اسمي لو شئتِ!

عفواً

ما كنت لك بيتاً كما كنتِ أنت...

ما كنتُ لكِ وطناً كما كنت أنت ...

ما كنت لكِ قلماً...

فجراً...

أسطورة عشقٍ...

كما كنتِ أنتِ...

عفواً...

وأكرر أسفي سيدتي...

"نرمين نحمدالله"

=========

_راجعة منين بجلابية أمك الله يرحمها ؟!

سألتها الحاجة ثمر وهي تقترب منها بجزع بينما تمسح ذراعيها في منشفة قريبة ...

فابتسمت ياقوت بحنان وهي تتفحصها ...

تجاعيد وجهها ليست مجرد تغضن عجوز...

بل كل خط منها يعزف لحن وجع !

عيناها اللتان كانتا يوماً خضراوين كعينيها والآن جعلهما الهرم أقرب للرمادي الغائم ...





شفتيها الجافتين ب"شامة" ضاعت وسط انكماشات بشرتها كانت يوماً علامة حسن ...

مسبحة سوداء من الزجاج الرخيص المحاكي للكريستال تحيط برقبتها فيظنها الرائي عقد زينة لكنها -ياقوت- تدرك أنها أمارة تقوى ولو نطقت لمدحت كثرة التسبيح ...

وجلباب أسود بنقط بيضاء صغيرة يستر جسدها الهزيل ترتديه عندما تقوم بأعمال البيت من طهي وتنظيف ...

تماماً كما كانت تفعل لتوها !

_ما تردّي يا دكتورة ؟!

اتسعت ابتسامة ياقوت وهي تميز أنها حتى في عتابها لها تحترمها ...

لا تتباسط معها بالحديث كما تفعل مع لجين ...

ربما لأنها حقاً بداخلها تحترم كفاحها الذي أوصلها لما هي فيه ...





وربما لأنها تدرك أن اعتدادها هي بنفسها يختلف كثيراً عن طبيعة لجين الميالة للخنوع !

_كنت عند الساقية بقرا الفاتحة لأمي.

قالتها ياقوت وهي تخلع حجابها لتمط الجدة شفتيها باستياء قائلة :

_مش قلتلك شيخ الجامع قال قراءة الفاتحة بدعة..وبعدين اشمعنا يعني عند الساقية ؟! رب هنا رب هناك واللا هي مشوَرة ع الفاضي ؟!

قالتها وهي تتحرك لتحضر لها طبقاً وضعته على مائدة منخفضة الأرجل يسمونها "طبلية"...

فجلست ياقوت متربعة لتهتف باستحسان:

_الله عليكِ يا ستنا...تصدقي بالله؟! طاجن اللبن الرايب ده عندي بأكل الأسبوع كله .

_ألف هنا على قلبك .





قالتها الجدة ثم تنهدت بحرارة لتجلس ببعض الصعوبة جوارها ...

تتأملها وهي تأكل بتلذذ وما إن انتهت حتى جذبت رأسها تقبله ثم أرقدتها لتضعه في حجرها وتعبث بخصلات شعرها كما كانت تفعل وهي صغيرة ...

ثم مررت أناملها على طول جسدها بتمتمة خافتة أدركت ياقوت أنها رقية ...

كل هذا جعل الأخيرة تسترخي تماماً مستسلمة لهذا الحنان الخالص الذي لا تجده في هذا العالم كله إلا هنا ...

حضن الحاجة ثمر ليس مجرد عناق ...

ليس مجرد تماسّ جسدي ...

بل هو الحب والحكمة والأمان عندما يمتزجون سوياً ليصنعوا هذا الخليط الذي لا يليق إلا بها ...

_تفتكري ياستي ممكن ألاقي راجل ابن ناس يحبني زي ما أنا ؟! ما يسألش عن أصلي ولا فصلي ؟!





لا تدري لماذا طفا هذا السؤال فجأة لذهنها الآن ؟!

هل لهذا علاقة برؤيتها ليامن حمدي عند الساقية ؟!

نفت الخاطر الأخير عن ذهنها بسرعة مستنكرة ...

لتجيبها الجدة وهي لاتزال تربت عليها :

_عيبك يا دكتورة إنك بتبصي لفوق ...والمية يابنتي مابتطلعش في العالي...خدي واحد من توبك لا يعايرك ولا تعايريه...لكن الأكابر اللي الفلوس دينهم ما بيبصوش للي زينا إلا بنظرة واحدة ما بتتغيرش.

ظهر الضيق على ملامحها وهي ترى جدتها لاتزال متأثرة بالماضي لتقول دون أن تغير جلستها:

_ليه بتعممي يا ستي؟!

_عشان خايفة عليكم يبقى حظكم زي أمكم الله يرحمها !

قالتها العجوز بأسى لتهتف ياقوت بانفعال:





_ماهو عشان كده عايزة أحقق العكس...عايزة أثبت للكل إن بنت أشواق مش هتبقى زيها ...عايزة أتجوز الراجل اللي يبقى أغنى وأحسن من أبويا...اللي يخليني أرفع راسي وسط الكل .

هزت العجوز رأسها بعدم اقتناع لتقول عاتبة :

_قطر العمر بيفوت وانت مش حاسة...اللي عايزك انتِ مش عايزاه...واللي انتِ عايزاه بيتكبر عليكِ...لحد امتى هتفضلي تحطي العقدة في المنشار يابنت أشواق ؟!

_العقدة محطوطة من زمان يا ستي...أنا بس بحاول أفكها....مش هاتجوز غير الراجل اللي يملا عيني ويرد اعتباري وسط الكل ...ولو مالقيتوش هاعمل قيمتي لنفسي بنفسي...الزمن ده زمن فلوس ...معاك قرش تسوى قرش...واللي معهوش يتدهس بالجزم ويدوسوا عليه .

هنا ابتسمت الجدة بسخرية ناسبت قولها :

_أول حاجة اتعلمتها في شغلانتي إن وقت الحق مابيبقاش فيه فرق بين غني وفقير ...آخرتها حتة





قماش بتلفهم وشوية مية بتغسلهم ...ساعتها اللي معاه قرش زي اللي معاه عشرة...العمل وحده اللي بيسبق الواحد على آخرته .

_وأنا مابعملش حاجة غلط واللا حرام .

_وانت تتسجري تعمليها ؟! كنت قتلتك بايدي قدام كل أهل البلد .

هذه اللهجة الحازمة التي تثير رغماً عنها انقباضة قلبها تجعلها تدرك كيف تمكنت هذه المرأة من تربيتها هي وشقيقتها لتصل بهما لبر الأمان بعد ما كان من ماضيهما المخزي ...

هذا المزيج من قسوة ولين!

لهذا هي لا تخجل من الاعتراف أنها لا تحب شخصاً في هذا العالم كما تحب جدتها ...

كل سعيها ...نجاحها ...تعبها ...كل هذا فقط تفعله كي ترى نظرة فخر في عينيها ...





حتى رغبتها في الزواج من رجل ثري مرموق المكانة ليست سوى صدى لبغيتها أن تعوضها ما نالها من خزيها القديم ...

لهذا اعتدلت بجسدها أخيراً لتنظر إليها قائلة بصدق:

_ أكتر دعوة بدعيها إن ربنا يبارك في عمرك وتشوفينا أحسن ما بتتمني .

دمعت عينا المرأة فأشاحت بوجهها دون رد ليصدح صوت لجين التي خرجت لتوها من الغرفة :

_والله عال؟! ياقوت حبيبة ستها نايمة في حجرها ولجين بنت البطة السودا اللي سايبنها لوحدها ...

_مسم...والله تنفع غنوة يابت!

قالتها ثم تمصمص شفتيها بتفكه فضحكت ياقوت ضحكة قصيرة بينما تتقدم لجين لتنظر نحو الطبق الفارغ هاتفة بحنق :





_وكمان كلت اللبن الرايب كله

_بلاش طفاسة يا أوبرا..طبقك عايناهولك ...هاقوم أجيبه.

قالتها ثمر وهي تقوم من جلستها تلاحقها نظرات الفتاتين ...

لتلتفت ياقوت نحو لجين وتفتح لها ذراعيها هاتفة :

_تعالي يا آخرة صبري ...احكيلي مصر عاملة فيكِ إيه ؟!

كان موعد الفضفضة الأسبوعية حيث تستجيب لجين لهذا العناق الذي تحتاجه كثيراً ...

لكن ليس بما يكفي لتكشف كل أسرارها !!

لهذا صبغت صوتها بمرحها المعهود لتحكي لها عن طرائفها في العمل ...

والتي أنهتها بقولها :





_آخر واحدة بقا رحت لها كانت نكتة...بخيلة موت...بعد ما سحبت منها العينة ولسه خارجة لقيتها بتقوللي استني ...قلت هتديني بقشيش ...لقيتها بتطلع لي تفاحة من تحت المخدة !

انفجرت ياقوت بالضحك لتمصمص لجين شفتيها قائلة :

_اضحكي اضحكي...حوشي الكرم اللي بيدلدق منك...مابتفكركيش بحد ؟!

استمرت ياقوت في الضحك للحظات قبل أن ترفع سبابتها في وجهها لتقول بجدية فشلت في إدعائها:

_أنا حريصة مش بخيلة...مادية آه وبحب الفلوس بس مش لدرجة البخل يعني.

_يابنتي ده انتِ الجنيه على ما بيطلع من جيبك بيكون ربى دقنه !




هتفت بها لجين بطريقتها المضحكة لتعود ياقوت تنفجر في الضحك قبل أن تنضم إليهما الجدة لتناظرهما بنظرة حانية بينما قلبها يقرع بقلق ...

تخشى على "الفرخين الصغيرين" اللذيْن آوتهما هي صغاراً والآن تدور بهما الحياة في دوامتها بعيداً عنها ...

تخاف أن تبهرهما أضواء المدينة فينتهي بهما المصير كأمهما ...

خاصة ياقوت التي يغرر بها نجاحها يوماً بعد يوم ليجذبها نحو ضوء نجم لن يكون لها ...

ترى ما الذي تخبئه الأقدار لثمرتي قلبها هاتين ؟!

آه...ليتها تتلطف بهما ...ليتها!

===========

_اتأكد إن مفيش حد فيهم هيفتح بقه !

قالها الرجل بنبرة تهديد مخيفة قبل أن يغلق الاتصال ...

الأمور توشك أن تنفلت من يده لكنه لن يستسلم ...




صرحه الذي تعب عمراً في بنائه تحت حجب الظلام لن ينـهدم هكذا بسبب خطأ حفنة أغبياء!!

زفر بسخط وهو يتوجه نحو النـافذة ليزيح ستارها متطلعاً لحديقة بيته....

الشرطة ألقت القبض على رجليه في قضية مصنع أشرف ولاتزال التحقيقات مستمرة...

هو يعلم أن أحداً منـهما لن يفتح فمه بكلمة لأنـهم يثقون كثيراً في عاقبةٍ هي للجحيم أقرب ...

لكن لايزال هناك احتمال أن تضيق الدائرة حوله أكثر وأكثر ...

يبدو أن ترك هذا البلد صار ضرورة ملحة...

لكن كيف يفسر هذا لعائلته ؟!

انقطعت أفكاره برنين هاتفه الذي التفت نحوه لترتسم على شفتيه ابتسامة قلقة قبل أن يفتح





الاتصال مرتدياً "قناعه الاجتماعي" الذي لم يخذله يوماً :

_هيثم "المصلحجي"..مايفتكرش أبوه إلا لو فيه مصلحة!

=========

_تعلمون لماذا لم يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم يوماً في حياته ؟!

قالها الشيخ المعمم لتلتمع عينا عابد باهتمام جاهلاً عن الإجابة ...

ليس وحده ...كثير من الحاضرين في الجلسة المحلّقة حوله لم يكونوا يعلمون ...

حتى صديقه "الصالح" الذي كان له من اسمه نصيب جلس صامتاً مثله ينتظر الرد ...

_تعددت الأقوال في هذه المسألة...من العلماء من ذكر أنه صلى الله عليه وسلم إذا قال وهو يؤذن: "حي على الصلاة، حي على الفلاح" كان ذلك منه أمراً وجب على كل من يسمعه أن يجيب طاعة الله

وإذا تخلف عصى...وقال بعض آخر: إن السبب في كونه لم يؤذن هو أنه صلى الله عليه وسلم بعث داعياً إلى الله تعالى، فلو أذن وقال: "أشهد أن محمداً رسول الله"، ثم قال: "حي على الصلاة حي على الفلاح"، فكأنما يدعو لنفسه، وباصطلاح اليوم كأنه يصنع دعاية لنفسه، وهذا لا يجوز في حقه عليه الصلاة والسلام .

وقال آخر: إن السبب هو أنه إذا أذن وقال: "أشهد أن محمداً رسول الله"، لتوهم بعضهم أن هناك نبياً غيره أيضاً في عهده أو بعده .

وقيل أيضاً: إن الأذان شرع بناء على رؤية منامية رآها غير الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم، وكله إلى غيره لكونه مشغولاً بأمور أخرى كثيرة ...ويذكر عن الشيخ العلامة عز الدين بن عبدالسلام تعليلاً آخر، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لو أذن مرّة، لتطلب ذلك منه التثبيت، أي أن يستمر عليه مواظباً على أدائه كالإمامة والخطابة ....وكيف يستطيع أن يتفرغ للأذان خمس مرات يومياً وفي أوقات محددة





بدقة، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم مثقل بالكثير من هموم الرسالة والدعوة؟!

_صلى الله عليه وسلم .

هتف بها الجمع المتحلقون حوله لتحتد نبرة الشيخ نوعاً وهو يردف بصوت يأخذ القلوب:

_هذا هو رسول الله ...الذي كانت حياته كلها لله...لم يكن يكتفي من عباداته بما تيسر منها كالصيام والصلاة وحسن الخلق كشأن بعض شباب المسلمين اليوم ...بل كان يسخرها للأثقل شأناً...للأعظم أجراً.....للجهاد ...الجهاااااد !

ارتفع صوته أكثر في كلمته الأخيرة ليعلو التكبير وسط الشباب الذين أخذتهم الحماسة بكلماته ...

قبل أن يبدأوا في سؤاله عن فتاوى تخصهم ليجيبهم تباعاً...





التفت عابد نحو "الصالح" جواره ليجد ابتسامة غريبة تبتسم على شفتيه فمال عليه ليقول بخفوت:

_تركت العمل بعدما أفتاني الشيخ بحرمته .

_تثق به لهذا الحد ؟!

سأله "الصالح" وعيناه تراقبان الشيخ باهتمام ليجيبه عابد بحماسة اجتاحت صوته رغم خفوته:

_مادام أفتى بحرمته فهو حرام.

هنا اتسعت ابتسامة "الصالح" الغريبة وهو يلتفت نحوه ليقول ببطء ضاغطاً على حروف كلماته:

_يا أخي...إنما يُعرَف الرجال بالحق ولا يُعرَف الحق بالرجال!

عقد عابد حاجبيه وهو يبحث في مغزى ما يقول رفيقه ليعاود سؤاله ببعض الضيق:

_ألا ترى في حديثه الحق؟!

فأمال "الصالح" رأسه ليعود ببصره نحو الشيخ قائلاً بشرود:





_أرى الكثير من "العسل" وأتوجس من خلطته ب"السم"!

هز عابد رأسه باستنكار لما يقوله رفيقه ...

أي سم هاهنا؟!

السم هناك في خارج "الحلقة" حيث الفسق والمنكرات...

لكن هنا...هنا قلوب تحابت في الله...اجتمعت عليه وتفرقت عليه كما يقول شيخه !

شيخه الذي أشار نحوهما ليقترب كلاهما منه بعد انفضاض الجمع حوله حيث جلسا قبالته ليقول مخاطباً عابد :

_كيف حالك يا "محمد"؟!

_بخير ياشيخنا.

قالها عابد بنبرة احترام قاربت التقديس للرجل بينما التفت نحوه "الصالح" ليسأله بدهشة:





_ألستَ تدعى عابد ؟!

_اسمي الحقيقي مركب .."محمد عابد"...وعندما علم الشيخ فضّل أن يناديني باسم محمد .

قالها عابد مفسراً ليقول الشيخ بنبرته الخطابية المؤثرة :

_أول خطوة للتوبة من المعاصي هي مجافاة الماضي...ليتني أملك أن أغير لكل رجل منكم اسمه...فيحمل اسماً جديداً وحياة جديدة ينسى بها آثام ماضيه ...ويبدأ بها عهداً جديداً مع الله ...التخلية قبل التحلية يا عباد الله...أن "تخلي" قلبك أولاً من الدنس قبل أن تطمع في "تحليته" بالطاعة .

التمعت عينا عابد بحماسة حقيقية مع قول الرجل فيما عادت الابتسامة إياها ترتسم على شفتي "الصالح" الذي قال معارضاً :

_اسمح لي يا شيخنا...لا أعترض على مبدأ "التخلية قبل التحلية" لكنني أراه متطرفاً كثيراً





هاهنا...الصحابة الذين تحولوا من الكفر للإسلام لم يجعلهم النبي يغيرون أسماءهم ...بل قال صلى الله عليه وسلم إن التوبة تجُبّ ما قبلها ...وكان صلى الله عليه وسلم يقول لصحبه "خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا"

_احذر يا ابني...هذا هو الجدل المذموم .

قالها الشيخ وهو يهز رأسه ببطء ليردف بنفس النبرة الأخاذة :

_وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...والعلماء أولى بالطاعة من غيرهم لأنهم أوتوا الحكمة ...ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

_صدقت يا شيخنا.

قالها عابد بحماس وحديث "الصالح" يثير ضيقه ...

بينما استطرد الشيخ وهو يضم قبضته ليستطرد بعينين توقدتا حماساً:





_قلوبكم غطاها "ران" المعصية كما قال تعالى "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"...والنجاة النجاة في الطاعة...في التسليم...في عدم إعمال "العقل" مع "النقل"...إني أرى ما لا ترون .

_عفواً يا شيخنا...مبدأ (لا يجوز إعمال "العقل" مع "النقل") يعني ألا أفكر في أمر شرعي طالما توافر نصّ صريح من الكتاب أو السنة بتحريمه أو تحليله...هذا المبدأ "البراق" لا أظنه مناسباً هاهنا كذلك !

هنا انفعل الشيخ ليهتف ببعض الحدة :

_لازلت تجادل بغير علم ؟!

_اهدأ يا شيخنا...أنا فقط أناقشك لعلي أحطت بما لم تحط به علماً...قالها الهدهد لنبي الله سليمان ...فلست أنت بأعلم من سليمان ولست أنا بأجهل من الهدهد!




احمر وجه الشيخ غضباً وهو يقوم واقفاً ليهتف بينما يخبط كفيه :

_يتعلمون العلم ليجادلون به العلماء؟! بئست المسألة .

فقام عابد واقفاً بدوره ليقول مهدئاً الشيخ:

_هو لا يقصد ياشيخنا...هو فقط...

_انتهى الدرس...هذا وقت وردي من القرآن .

قاطعه بها الشيخ ليغادرهما نحو آخر الباحة الواسعة في بيته حيث يجتمعون قبل أن يعطيهما ظهره ليمسك مصحفه ...

فالتفت عابد نحو "الصالح" يسحبه من ذراعه ليخرج به من الساحة الخارجية للبيت وما كاد يفعل حتى هتف به بحنق:

_لماذا تتعمد مجادلته هكذا كل مرة ؟! ألا تخشى غضبته ؟!

لكن رفيقه ابتسم وهو يهز كتفيه ليقول بهدوء:





_أنا تعلمت ألا أبيع رأسي لأحدهم ...نبي الله موسى لم يستطع الصبر على ما لم يحط به خُبْراً مع نبي آخر هو الخضر رغم أنه كان يثق به وباتباعه..فكيف يريدوننا أن نغمض أعيننا ونسير خلفهم كالغنم ؟!

أطبق عابد شفتيه عاجزاً عن الرد بينما وجهه ينضح بالضيق فيما استطرد "الصالح" :

_لا أنكر أن حديث الشيخ يجذبني كثيراً...جعلني أواظب على الصلاة في المسجد...على الاهتداء بسَنن النبي...على التحدث بالفصحى التي هي لغة القرآن...وعلى صلة الأرحام وحسن الخلق لكنني لا أحب أن أبيع رأسي دون أن أفهم ...

انقطعت عبارته عندما رن هاتفه برقم أمه فأجابها بسرعة ليغلق معها الاتصال بسرعة قبل أن يقول لعابد :

_أمي تريدني لبعض شأنها ...أنا ذاهب .

_ألن تسترضي الشيخ وتكمل معنا درس الليلة ؟!





هتف بها عابد باستنكار ليجيبه "الصالح" بابتسامة عاتبة :

_رضا أمي أولى من رضا الشيخ ...لا تدعنّ القشور تغريك عن الجوهر يا عابد .

ضغط حروف الكلمة الأخيرة وهو يربت على كتفه بحركة ذات مغزى فعقد عابد حاجبيه بحيرة يتابع انصرافه ...

قبل أن يتنهد بحرارة ليعاود الدخول نحو البيت الذي صار يجد فيه سكينته...

منذ دعاه أحد أصدقائه لحضور هذه الحلقات -التي أسعده أن يجد فيها الكثير من الشباب المصريين الذين أعادوا إليه شعوراً بالانتماء يفتقده كثيراً هنا بحكم كونه غريباً -وهو يشعر أنه ولد معهم من جديد ...

لهذا يشعر بالكثير من التحفز لما يقوله "الصالح" الذي يبدو أن الشيطان يوسوس له كي يبعده عن طريق الحق ...





_هل غادر ؟!

سأله الشيخ وهو يراه يعود وحده ليجيبه بالإيجاب فهز الشيخ رأسه ليشير له أن يجلس أمامه ثم وضع يده على رأسه يدعو له بالبركة قبل أن يقول له بنبرته الخطابية المؤثرة :

_لا تجزع من حديثه ولا تتأثر ...الشيطان يعز عليه أن يرى أحدكم قد خالف هواه وباع لأجل دينه دنياه...بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً...فطوبى للغرباء.

فابتسم عابد وهو يهز رأسه موافقاً:

_طوبى للغرباء.

==========

_للدرجة دي متضايقة إني مسافر؟!

قالها زين بعينين ملتمعتين وهو يلاحظ تجهم ملامحها من بداية اللقاء لترفع إليه عينيها بتشتت ...

كيف تصف له شعورها المتناقض الآن ؟!





بالقلق ...وقد اعتادت وجوده الداعم جوارها طوال الأيام السابقة ...

بالارتياح ...لأنها ستتخلص من هذه الحرب بداخلها والتي تستنزفها استنزافاً ..

وبالغبطة...لأنه سيعود لوطن تود هي الأخرى لو تعود إليه لكن ليس قبل أن تعيد لرأسها "تاج الكمال" الذي سلبوه منها !!!

لهذا أغمضت عينيها بقوة أخيراً لتتمتم بفتور:

_ماقدرش أقوللك سيب حالك وافضل هنا ...أنا مقدرة ظروفك.

_صدقيني لولا همسة ماكنتش فكرت أسيبك في الظروف دي .

قالها بأسف امتزج بحنانه فابتسمت ابتسامة حقيقية هذه المرة لتفتح عينيها وتتأمله بتفحص...

طالما كان هذا الجزء فيه بالذات يعجبها ...لكنه يثير حيرتها !





كانت تعلم -كما الجميع- عن قصة أخته مضطربة العقل التي تسكن الغرفة الخارجية الملحقة بمسكنه...

لكنه اختصها هي بالمزيد من التفاصيل -بحكم صداقتهما القديمة - والتي جعلتها توقن من فلسفتها الخاصة بتشبيه البشر ب"السينابون"...

أجل ...زين الذي يبدو بكل هذا القدر من التعقل والذكاء والحزم ليس أكثر من قطعة سينابون كبيرة تلتف دوائرها لتظهر خباياها المزيد من تفاصيله ...

لهذا سألته باهتمام :

_هي عاملة إيه دلوقت؟! ورائد لسه باقي عليها ؟!

زفر بقوة وهو يشيح بوجهه ليقول بضيق:

_زي ما هي...الدكتور بيحذرنا تشوف رائد ...وإن كان عليه هو رافض فكرة الارتباط وراهن حياته بيها .

_مخلص قوي ابن عمك ده .





تمتمت بها بحسرة ذكرتها بمأساتها الخاصة ليلتفت هو نحوها قائلاً بشرود:

_ساعات كتير مابيقاش عارف أعمل فيه إيه...هو اللي وصلها لكده ...وهو أكتر واحد بيتعذب دلوقت بذنبها .

_فيه غلطات ما بتتصلحش...مهما حاولنا نسامح وجعها بيفضل في القلب العمر كله .

قالتها هي الأخرى بشرود نال من ملامحها الشاحبة التي تخلت عن تبرجها هذه المرة...

فتفحصها ببصره وهو يحاول استنتاج مزاجها مما ترتديه ...

أجل ...طالما استطاع قراءة دواخلها من هيئتها ...

امرأة الفوضى التي أثارت حماسه للفوز بها لم تكن تحتكم لسابق عقل أو تدبير ...

هي فقط تلتجئ لفورة مشاعرها تسيرها كيفما شاءت ...





والعجيب أنها تصل بها دوماً إلى القمة...

كأنما بوصلة قلبها دوماً لا يعرف مؤشرها سوى طريق النجاح !

لهذا أثار قميصها القمحي الباهت حفيظته وهو يراه يزيدها شحوباً فوق شحوب ...

"كنزه" مهدد ...فهل يستسلم؟!

_ياسمين ...عايز أسافر وأنا مطمن عليكِ...ماتتغيريش...ماتخسريش أجمل مافيكِ.

قالها بنبرة دافئة لكنها لم تذب هذا الجليد الذي أحاط بقلبها ...

لهذا رفعت رأسها لتقول بحدتها المكسورة التي صارت لا تفارقها:

_سافر وانت مطمن ..ياسمين ذو الفقار ما بتتكسرش .





فالتمعت عيناه بإعجاب وهو يهز رأسه برضا قبل أن يستخرج من جيبه علبة صغيرة فتحها أمام عينيها ...

ربما لو كانت في مناسبة أخرى ...في وقت آخر ...

امرأة أخرى...رجل آخر ...

لكانت شهقة الانبهار هي الرد النموذجي هنا مع خاتمه الرائع الذي يشبه شمساً صغيرة توهجت ماساتها تحت الأضواء ...

لكن لأنها هي ..لأنه هو ...ولأنهما هنا ...

فلم يزد تعبير وجهها عن مجرد ابتسامة شاحبة حاولت تغطيتها بقولها المتصنع:

_ذوقك مميز زيك...أكتر حاجة بتعجبني فيك إنك حافظ تفاصيلي ...عارف إيه ممكن يلفت نظري ...شكراً يازين.





ضاقت عيناه بتفحص وهو يشعر بعدم الارتياح ...

ليصمت لبضع لحظات سبقت قوله بنبرته الواثقة :

_انتِ عمرك ما مثلتِ قدامي ...ولا اضطريتِ تلبسي وش غير وشك...أنا مش محتاج مجاملتك ولا تزويق كلامك...صدقيني أنا متفهم جداً إنك محتاجة وقت ...بس يهمني الأول إنك تبقي على طبيعتك .

أغمضت عينيها بقوة وهي تشعر بالوهن يجتاحها ...

هذا الشعور الذي تقاومه بكل ضراوة ولن تسمح له أبداً أن ينتصر عليها ...

منذ متى تعترف امرأة مثلها بهزيمة ؟!

لمن خلق النجاح إذن ؟!

لهذا عادت تفتح عينيها بمكابرة لتقول بنبرة متماسكة :

_معاك حق .





هنا ابتسم هو بعاطفة ظهرت في نبراته وهو يلتقط الخاتم ليقترب منها قائلاً:

_خلليكي دايماً فاكرة إنك شمس ما بتطفيش...تسمحيلي ألبسهولك ؟!

ارتجف جسدها رغماً عنها مع هذه القشعريرة التي سرت على طول ظهرها ...

هذا الشعور بالغثيان الذي عاودها وجعلها تقبض كفها بقوة ...

الشعور الذي كرهت استسلامها له ...ولما يعنيه ...!!

لا ...

لن يقهرها قلبها من جديد !

لن تهزمها روح عشقت جلادها !

لن يثنيها عن عزمها حب لم تجنِ من خلفه إلا الجراح!





لهذا عادت تبسط أناملها المتشنجة ببطء لتمدها نحوه مغالبة ارتجافة جسدها الذي كان الآن ينتفض بقوة كانت هي خير من يدركها ...

_ماذا تفعلان هنا؟!

الهتاف القوي جوارها أجفلها لتلتفت نحو عابد الذي تقدم منهما ليردف بغضب مخاطباً زين:

_من أنت؟! وماذا تفعل مع أختي؟!

ارتفع حاجبا زين بدهشة من مظهر عابد بجلبابه الأبيض ولحيته الطويلة واللهجة الفصحى التي يتحدث بها ...

كل هذا أربكه قليلاً ليلجم لسانه وهو يلتفت نحو ياسمين بنظرة متسائلة...

لكن الأخيرة وقفت مكانها لتفرغ انفعالاتها العصبية كلها في أخيها:

_زين في مقام خطيبي ...هنتجوز أول ماولد وأرجع مصر!





_ماذا؟! خطيبك؟! وأنتِ لاتزالين في عدتك وتخرجين معه هكذا وحدكما؟!

صرخ بها عابد بغضب أورثها المزيد من الحدة لتهتف به هي الأخرى:

_محدش عيّنك وصي عليا ...أنا حرة ...مش عاجبك اتبرّى مني .

_تعالي معي !

هتف بها عابد بحزم وهو يجذب ذراعها ليقف زين مكانه واضعاً قبضته على ساعد عابد مع قوله الهادئ بنبرته المسيطرة :

_دقيقة واحدة بس نتكلم بهدوء.

_أي هدوء وأنت ...؟!

صرخ بها عابد بنفس الغضب ليقاطع زين عبارته بنفس الحزم:

_لو خايف على أختك حقيقي بلاش فضايح ...المطعم كله بيتفرج علينا .




تلفت عابد حوله بمزيد من الغضب ليجد ما يقوله زين حقيقياً لكن ياسمين هي التي جذبت ذراعها منه لتغادر المطعم بخطوات راكضة ...

=======

الجو رائع صحو مع لسعة برد لذيذة تضفي عليها المزيد من الانتعاش وهي تدخل من باب الجامعة...

شعور عارم بالحماس...الترقب ...والأمل في الأيام القادمة يجعلها تسير بخطى شبه متراقصة وهي تقترب من مبنى كليتها ...

رائحة المخبوزات تداعب أنفها من تلك "الكافيتيريا" القريبة فتتوجه نحوها لتختار مفضلتها ...

_كريب مشكل جبن ...وزوّد الكاتشاب

_خلليهم اتنين .

بصوت هيثم تسمعها فتلتفت خلفها ليبادرها بابتسامته:




_إزيك يا داليا ؟!

_الحمد لله ...إزيك انت؟!

تقولها بلكنة فضحت الود القديم لكنها حملت له الكثير من التحفظ الذي تفهمه وهو يغمغم بحرج:

_بقى لي فترة عايز أطمن عليكِ ومش عارف...أتمنى تكوني بخير .

_عمري ما كنت كويسة زي اليومين دول ...بجد يا هيثم .

قالتها بامتنان امتزج بشعورها المستحدث باستعادة هوية افتقدتها ...

هذا الشعور الذي جعلها تقول له بندم حقيقي:

_عايزاك تسامحني على أي أذى سببتهولك بقصد أو من غير قصد .

_من غير ما تقولي ...انتِ عارفة معزتك عند "روميو"!

قالها ببعض الأمل أن تعيد عبارته المياه لمجاريها...





و التي أيقن أنها قد سُدّت تماماً مع جوابها المقتضب:

_انت أخويا يا هيثم ..لو كان عندي أخ ماكنتش هاعزه زيك.

هز رأسه متقبلاً خسارته غير حديثة الإدراك ليتناول من الرجل "الكريب" فيمنحها خاصتها التي تناولتها منه شاكرة لتقضم منها قضمة عجول لتغادره نحو مبنى الكلية...

قضمة غص بها حلقها وهي تلتفت فجأة نحو اليسار لتجد العينين "الغريبتين" تترصدانها بنظرتهما الغريبة...

قبل أن يمضي صاحبهما في طريقه كأنه لم يرها ...

مروان ؟!

ما الذي يفعله هنا؟!

هل رآها مع هيثم لهذا تعمد تجاهلها؟!





_دكتور مروان!

هتفت تناديه وهي تتحرك خلفه بخطوات شبه راكضة ليتوقف هو دون النظر إليها حتى وقفت أمامه لتقول بأنفاس لاهثة :

_كويس إني شفتك...كنت هاكلمك.

توهجت عيناه بعاطفة لم يستطع إخفاءها وهو يراها بهذه الهيئة "اللذيذة"...

تمسك شطيرتها بطفولية بينما لطخ الكاتشاب جانب شفتيها ومع لهاثها هذا بعد عدوها ...

ما أشبهها الآن ب"طفلته العتيقة" التي سكنت قلبه وأبت أن تغادره منذ سنوات !

ترتدي "بلوزة" سماوية على تنورة طويلة من الجينز ووشاح وردي فاتح أظهر بياض بشرتها ومنحها مظهراً شديد الاختلاف عن مظهرها تلك الليلة المشئومة بثوبها العاري نصف الممزق...

يالله!!!

كيف يقنع نفسه أنها هي هي نفس الفتاة!!





لكن أفكاره الصامتة لم تترك بصمة على ملامحه التي احتفظت بجمودها ...

هذا الذي أساءت هي فهمه لتتنحنح قائلة بارتباك:

_ده هيثم زميلي ...كان بيسأل عليا بعد اللي حصل...انت عارف...

_ما سألتكيش.

قالها باقتضاب فظ مقاطعاً عبارتها فعقدت حاجبيها بضيق تسبه سراً...

وتسبّ نفسها معه!

هو غبي وأنتِ أغبى منه!

لماذا تفسرين له أفعالك؟!

هل منحه أحدهم حق الوصاية عليكِ؟!

لهذا رفعت أنفها باعتداد لتقول بانفعال دمعت معه عيناها:





_على فكرة أنا مش وحشة قوي كده زي ماانت فاهم...أنا عارفة إن الظروف خلتك تشوفني في أسوأ مواقف ممكن تشوف فيها أي بنت ...بس ده مايديلكش الحق إنك تعاملني كأني...

قطعت عبارتها لتشيح بوجهها عنه وهي تشعر برغبة في البكاء ...

بأي عين تتبجح أمامه هكذا ...؟!!

رجل رآها مرة تخرج من ملهى ليلي...

وأنقذها أخرى من محاولة اغتصاب سعت إليها كأي مغفلة بلا عقل ولا أخلاق...

فلو أضفنا لهذا ما رأته زوجة عمه من مشهدها المخزي مع هيثم...

فأي نتيجة تنتظرها ؟!!

لكن...

مهلاً!!





هو طلب خطبتها من يامن تلك الليلة في السيارة بعدما رأى كل هذا!!!

عجباً...

كيف لم تنتبه لهذا من قبل؟!

لن يفعل هذا إلا لو كان حقاً...يحب...

_كنتِ عايزة تكلميني ليه ؟!

سؤاله الذي لانت لهجته -قليلاً- قاطع خواطرها فالتفتت نحوه بحدة لتهز رأسها بارتباك متحاشيةً النظر لعينيه وقد لاحظت تجاهله التام لما كانت تقوله ...

فتجاهلته هي الأخرى لتقول بقلق حقيقي:

_عايزة أطمن على يامن...من يوم حادثة هانيا وهو معانا بس مش معانا...أنا واخواتي مالناش غيره...مهما كان بيحصللنا كنا بنبقى مطمنين إن هو في ظهرنا بيسندنا...لكن هو عمره ماسمح لنا نشيل معاه همه...حتى في أزمته الأخيرة بدل ما يتقوى بينا سافر عشان ما يوجعناش معاه...أنا

مش عارفة ممكن أعملله إيه بس مستعدة أعمل أي حاجة.

التمعت عيناه برضا وهو يميز صدق شعورها بالمسئولية ليقول بنبرة محايدة :

_يامن محتاج وقت عشان يراجع نفسه ويعيد حساباته...وجوده دلوقت في البلد ممكن يكون فعلاً اللي هو محتاجه بالضبط عشان يوزن أموره من غير ضغوط ....

ثم أطرق برأسه مردفاً:

_ما تقلقيش عليه...أزمة وتعدي!

إطراقه جعلها تتأمله بحرية ...

فارق الطول بينهما ممتاز ...تحب الرجل الطويل هكذا ...




ملامحه لم تعد منفرة كالسابق لو استثنينا صلعة رأسه التي تلمع بوضوح هكذا تحت ضوء الشمس ...

ملابسه لاتزال قديمة الطراز لكنها اكتسبت نوعاً من "الهندمة"!

حسناً...لايزال "الأصلع القبيح" لكنها -لسبب ما- لم تعد تشمئز منه كالسابق ...

_صحيح ...هو انت هنا ليه ؟!

قالتها بدهشة مدركة غرابة وجوده هنا في الجامعة لكنه رفع عينيه ليقول بنبرته الجافة متذكراً ما افترت به عليه يوماً أمام يامن:

_أكيد مش براقبك ولا بجري وراكِ في كل حتة .

هي الأخرى تذكرت كذبتها ليلتها فتنحنحت ليكتسي صوتها بالأسف:

_ماقصدتش بسأل بس .




_جاي لناس أصحابي هنا مشتركين في جمعية (رسالة)...مشروع حلو لتجميع غطا وهدوم لأهل الصعيد في الشتا.

فالتمعت عيناها لتقول بحماس:

_شفت البوسترات بتاعتها هنا في الكلية...انت تبع (رسالة) فعلاً؟!

أومأ برأسه في إيجاب لتهتف بحماس:

_خلليني أشترك معاكم .

_هي رحلة ؟! دي مش لعبة ولا "ايفنت" هتشيّريه تتسلي بيه مع أصحابك..دي مسئولية وأمانة .

قالها بلهجته القوية عالماً أنه سيضرب نفسه- بالنعال- عندما يعود لبيته ويسترجع هذه المحادثة بردوده "الكارثية" ...

لكنه لم يكن يستطع التحدث معها بطريقة أخرى ...

إن لم يكن انتصاراً لكبريائه فخوفاً من انكشاف وجهه "الآخر" لها !





_وأنا عارفة إنها مسئولية وأمانة عشان كده عايزاها ...أنا شفت الموت بعيني وعرفت قيمة الحياة اللي تستاهل نعيشها صح.

هتفت بها بحدة وهي الأخرى تكره وقوفها دوماً موقف الدفاع أمامه ...

لكنه بدد شعورها هذا عندما نظر إليها طويلاً ...

هذه النظرة التي تربكها بتناقضاتها بين حزم واحتواء ...

قبل أن يقول أخيراً:

_ماشي...موافق....بس استأذني يامن الأول مش عايز مشاكل معاه .

احمرت وجنتاها بما لم تلاحظه هي ...لكنه هو لاحظه وكاد يطير صوابه ...




بقدر ما يحب هذه الخطوة لأنها ستقربها من شخصه الحقيقي ...

بقدر ما يخشى أن تكون مجرد خطوة أخرى في طريقها المتباعد عنه ...

لكنها قاطعت أفكاره عندما عاودت سؤاله باهتمام:

_هو انت دكتور إيه ؟!

_أطفال!

_مش لايق عليك.

قالتها بنبرة عاد إليها عبثها وهي تخفي ابتسامتها بينما تشيح بوجهها ليسألها بترقب طفا فوق ابتسامته:

_اشمعنا؟!

_الأطفال تعاملهم محتاج دلع وحنان وبال طويل ...وانت شكلك زي يامن جد قوي وشديد.

_مين قاللك الأطفال محتاجين حنان وبس ؟! حنان من غير حزم يضيّع .

قالها بنبرته القوية لتجيبه بحماستها المدافعة :




_والشدة كمان بتضيع...المعادلة الصعبة دايماً هي الموازنة بين الاتنين .

هنا ابتسم ليعقد ساعديه أمام صدره قائلاً :

_المرة دي معاك حق ...مش هاعترض.

ازداد احمرار وجنتيها مع ابتسامته التي بدت وكأنها غيرت ملامحه كلها ...

حتى أن شفتيها خانتاها بضحكة خافتة لم يكن لها أي محل من الإعراب هاهنا ...

لكنه حظ هذا "البائس" أمامها الذي تلقاها ك"هدية عيد" رفرف معها قلبه ليقول بنبرة لم تفقد اتزانها رغم كل شيئ:

_بتفرحي قوي لما تغلبي اللي قصادك في الكلام .

لم تدرِ هل قالها كسؤال أم كإجابة لكنها تلقتها كاتهام جديد جعلها تعاود هتافها المتنمر:

_أنا مش وحشة قوي كده .





_دي تاني مرة تقولي الجملة دي...أنا ماقلتتش إنك وحشة .

قالها وهو يخفي تأثره بكل انفعالاتها التي تتبدل في لحظات من تحفز لخجل ...لحدة ...لفضول ...

لكنها تشترك جميعاً في كونها صادقة وعفوية ...

يالله!

كم عمراً يحتاجه كي يستوعب كل وجوهها "الشهية"هذه ؟!

خاصة عندما مدت له يدها بالشطيرة لتقول بما يشبه الاعتذار:

_نسيت أعزم عليك .

اتسعت ابتسامته لتصرفها العفوي فهتفت بارتباك:

_زمانها بردت...آآ...أجيب واحدة تانية...أو...

كانت تشعر بالحماقة حقاً وهي لا تدري أي حديث يمكن أن يجمعهما ...





هي لم تفتقر يوماً للباقة وحسن تدبير الحوار ...

لكن موقفه الغريب في حياتها يجعلها تشعر بالتخبط !

هو رجل يبدو أنه يحمل له -عاطفة ما- لا تشاركه فيها ولا تريد أن تمنحه أملاً لن يكون له ...

ربما لو كانت بشخصيتها القديمة لتلاعبت به قليلاً لتمنح حياتها الباهتة بعض البريق ...

لكن ضميرها الآن جعلها تخطط لإنهاء الحوار لكن ليس قبل أن تعترف له بصدق:

_انت حد كويس قوي يا دكتور ...أرجوك ما تبقاش زعلان مني .

_إزيك يا داليا ؟!

كانت هذه زوجة الدكتور ياسر التي ظهرت من خلفها لتلتفت هي نحوها بكثير من الحرج ...

قبل أن تغمغم بمزيد من الارتباك:

_الحمدلله يا دكتورة .




نقلت المرأة بصرها بينهما بذكاء لتحيي مروان بحرارة قبل أن تنسحب داليا بسرعة وكأنها تهرب من المرأة تلاحقها نظرات مروان التي انطلقت فيها عاطفته من عقالها ...

وجعلت زوجة عمه تقول له برضا:

_البنت فعلاً شكلها اتغيرت...اللي مرت بيه مش هين ...انت إيه رأيك ؟!

_انتِ عارفة رأيي.

قالها ببعض الخجل الذي بدا غريباً على لهجته المتزنة قبل أن يغير الحوار ...

وفي المساء وصلته رسالتها الصوتية بعفويتها على هاتفه تحكي له أحداث يومها متضمنة لقاءها مع "مروان"...

والتي أنهتها بقولها :

_أنا مبسوطة لأني حاسة اني بتغير...حاسة اني بتحول لواحدة تانية ...كأن عمري اللي فات ده ماكانش...كأني بتولد من جديد ...ومبسوطة أكتر عشان انت معايا وشاهد على المرحلة دي في حياتي .

تأوه بحرارة وهو يشرد ببصره مسترجعاً لقاءهما في الصباح...

عيناها النابضتان بمزيج من شقاوة طفلة وحماسة امرأة...

حمرة خديها التي فضحت خجلاً لا تدعيه ...

وأخيراً ملابسها التي صارت أكثر تحفظاً وحجابها الذي لم تعد تخلعه !

_بحبك يا مجنونة... آخرتي معاكِ في السرايا الصفرا .





غمغم بها لنفسه بصوت مسموع قبل أن تترجمها أنامله لعبارات مكتوبة كعهده :

_أحبك في كل أحوالك...أحب القديمة المتمردة والمستحدثة الناضجة...احببتك طفلة واحبك امراة وساحبك عجوزا يحكي شيب شعرها قصة حبنا ....

ثم خبط وجهه براحته الكاملة المفرودة فبدا كبائس ...ليغالب نفسه ويكتب:

_ولا تتباسطي مع مروان هذا ...أنا ...أغار!

==========

وقفت أمام المرآة تتأمل شكلها بوجل !

كانت ترتدي منامة بيتية بحمالات رفيعة أظهرت ما تشوه من بشرة كتفيها بينما لا يزال ذراعها اليمنى معلقاً بجبيرة...

ما هذه البشاعة ؟!

إنها لا تطيق أن ترى نفسها هكذا ...





فكيف تسمح له هو أن يفعل ؟!!

كيف تقبل أن تنكسر نفسها هكذا أمامه ؟!!

الأمر صعب ...

خاصةً على امرأة مثلها لم تعتد هذا الشعور!

_هو مش فارق معاه !

قالتها نبيلة وهي تدخل إليها غرفتها ملاحظة طول شرودها أمام المرآة فالتفتت نحوها هانيا لتقول بانكسار غريب على طبيعتها:

_بس أنا فارق معايا .

تقدمت نحوها نبيلة لترفع ذقنها نحوها قائلة بحنان :

_انتو الاتنين محتاجين تعدوا الامتحان ده ...واحد زي رامز شاف ستات أشكال وألوان ...تمسّكه بيك دلوقت بالذات معناه إن اللي بينكم أكبر من كده...معناه إنه بيحبك انتِ!




_مش قادرة أفكر إني ممكن أرجعله ...ممكن أخلليه يشوفني بالشكل البشع ده على طول ...هيستحمل أد إيه ؟! يومين تلاتة عشرة ؟!

قالتها هانيا بانفعال يائس لتجيبها نبيلة بإصرار:

_لو بيحبك هيستحمل العمر كله ...

ثم هزت رأسها لتردف باستنكار:

_وبعدين انتِ مكبرة الموضوع ليه ؟! عمليات التجميل دلوقت بتداري كل حاجة.

_أنا سألت كذا دكتور ...كلهم قالوا هيفضل فيه أثر .

قالتها بقنوط دمعت معه عيناها لتعاود الالتفات نحو المرآة وكأنما تجلد نفسها بهذا المنظر :

_تفتكري ربنا بيعاقبني عشان ما قدرتش النعمة زمان ؟!





قالتها وهي تذكر عدد المرات التي كان يطلب منها رامز فيها أن تتزين له ؟!

أن ترتدي له واحداً من تلك القمصان المثيرة التي كانت تخشى إبراز أنوثتها فيها ؟!

الآن لن تستطيع ارتداءها قسراً ...

ليس وقد صارت بهذه البشاعة !!!

_نعمة إيه اللي تقصديها؟! رامز؟!

سألتها نبيلة بقلق لتلف وجهها نحوها باتهام فقد معناه الآن!

ماذا عساها تخبرها؟!!

أنها كانت السبب؟!!

أنها كرهت أنوثتها في صورتها ...

أنها حرمت على نفسها وحرمت عليه الاستمتاع بما ظنته سيجعلها منتقدة مثلها؟!!

بماذا يفيد الندم الآن ؟!




لهذا اكتفت بتنهيدة حارة وهي تتحرك لتعاود الاستلقاء على فراشها تتبعها نبيلة التي عدلت لها وضع الوسائد على الفراش ...

قبل أن تسندها برفق في حركة لم تكن تحتاجها جسدياً ...

لكنها كانت تمنح روحها الكثير من الدعم الذي تحتاجه ...

لهذا ابتسمت كلتاهما أخيراً والعيون تتلاقى بحديث طويل أنهته نبيلة بقولها :

_ماتضيعيهوش من إيدك تاني ...انتِ غيري...الدنيا ادتك فرصة تانية عشان تحافظي ع اللي راح ...عشان خاطري ماتخلليش العند يسرقك زي ما سرقني .

قالتها لتقبل جبينها قبلة عميقة شعرت بها هانيا شديدة الدفء قبل أن تردف نبيلة بعينين دامعتين :

_خلليني أشوف فيكِ الفيلم اللي اتمنيت أكون بطلته .





انفرجت شفتا هانيا بتأثر لكنها لم تجد كلماتها بينما اندفعت نبيلة تغادر الغرفة خشية أن تغلبها دموعها ...

ولم تكد تفعل حتى تأوهت هانيا بقوة تفكر في كل هذا الذي يحدث...

قبل أن تتناول هاتفها الذي ضبطته على وضع صامت كي لا تدخل في صراع الرد على اتصالاته من جديد ...

ثلاثون مكالمة فائتة ...

أنهاها برسالته التي رسمت بسمة صادقة على شفتيها :

_ردي ع التليفون وإلا هاعملك "شو" هايل قدام البيت يخلليهم يقولوا عليا مجنون هانيا !

===========

_باصيها يا دكتور .





هتف بها أحد أبناء عمه الذي يشاركه الآن لعب مباراة كرة قدم في منطقة واسعة في قطعة الأرض الخالية خلف بيت عمه...

هذا الذي كان يحتاجه الآن تماماً كي يفرغ انفعالاته ويتخلص من هذه الأفكار التي التهمت رأسه وحرمته النوم الليلة الماضية ...

كان أكبر أفراد الفريق بفارق يتجاوز العشر سنوات على الأقل لهذا كان يشعر بأنه أعاد معهم سنوات من عمره يفتقدها الآن بشدة ...

كل شيء هنا مختلف !

طعم الماء...رائحة الهواء...مذاق الخبز الطازج العائد لتوه من الفرن ...

حتى تراب الشارع يشعر به وكأنه لا يلطخ بل ...يطهر!

_جوووووون!

يبتسم ابتسامة واهنة وهو يمسح عرقه عندما امتزج الهتاف الأخير بسجود اللاعب الذي أحرز





الهدف في حركة مقلدة لما يفعله بعض مشاهير الكرة الآن ...

بينما تقدم نحوه ابن عمه ليقول برضا وسط أنفاسه اللاهثة :

_شكلك مالعبتش من زمان ...رجلك تقيلة.

لكزه يامن في كتفه بقبضته في حركة مشاكسة هاتفاً:

_هتعمل عليا فِردة يا ولد ؟!

فابتسم الفتى وهو يرى زميله يشير له بانتهاء المباراة ليلتفت نحو يامن قائلاً بود:

_وشك حلو علينا يا دكتور ...أول مرة نغلب الفرقة دي .

اتسعت ابتسامة يامن التي حملت المزيد من الشجن وهو يتلفت حوله ليقول للفتى بينما يحيط كتفيه بذراعه :

_تعال نتمشى شوية ...الفيللا المهجورة اللي عند شجرة الجميز لسه زي ما هي؟!





_هتروح فين يعني؟! العيال هنا مالهمش مزاج الا في تأليف حواديت عنها ...تعال من هنا .

سارا معاً عبر شوارع القرية الضيقة يتسامران ...

حديثهما ينقطع كل بضع دقائق بمرور أحد أهل القرية الذي يلقي السلام على يامن فيجيبه ببعض التحفظ...

هواجسه تعاود النيل من رأسه ...

تصور له الجميع يسخرون من فضيحته...

من حاضره الذي يشبه ماضي أمه ...

لماذا يعطيهم الفرصة لهذا ؟!

لماذا لايعود لبيت عمه الآمن يختبئ عن الأنظار؟!

بل لماذا لا يعود للقاهرة يحتمي بزحامها كما فعل أبوه ؟!

فتوقف مكانه للحظة جعلت الفتى يناظره بدهشة ...




C i n n a b o n

_م الآخر انت بتحارب دماغك بدماغك...هي بتزق عليك أفكار سلبية وانت دورك تقاومها بأفكار إيجابية ...المهم إنك تقتنع في النهاية إنها مجرد أفكار مش حقايق...فاهمني يا دكتور؟!!

من بين صرخات أشباحه السوداء تنبعث كلمات ياقوت لتضيئ له قبساً باهتاً ...

فيحاول التجربة...

أن يحارب نفسه بنفسه...

_ليه فاكرهم بيبصوالك باحتقار؟! ليه بتفسر نظراتهم غلط ؟! ليه ما يكونوش بيبصوا بإعجاب ع الدكتور الناجح اللي بنى اسمه بنفسه ...اللي ما وقفتوش حاجة عن طريقه اللي مشي فيه ؟! ارفع راسك وامشي وسط ناس بتحبك...دول أهلك وعمرهم ما يشمتوا فيك.




حاول تغذية عقله بهذه الفكرة كي يدحض بها ما سبقها لكن الحرب كانت حقاً شديدة ...

رأسه يكاد ينفجر من فرط ما يموج به من صراع !!!

_وقفت ليه يا دكتور؟! تحب نرجع؟!

قالها ابن عمه ببعض القلق وهو يرى تجهم ملامحه لكنه هز رأسه قليلاً محاولاً اتخاذ قرار :

_لا ...هنكمل .

قالها ليعاود السير بنظرات شاردة قبل أن يسأل الفتى بتردد:

_تعرف دكتورة هنا من البلد اسمها ياقوت بتشتغل في مصر؟!

_شُقراط؟!

هتف بها الفتى بتفكه ليضحك يامن ضحكة خافتة مع سؤاله:





_انتو مسميينها شقراط ؟!

_عشان شاطرة في شغلها بس طالعة فيها وهي في الأول والآخر بتشتغل شوية مجانين .

مط يامن شفتيه بحرج وهو يشيح بوجهه بينما يستطرد الفتى بسخاء:

_أمها كانت بتشتغل خدامة في بيت راجل غني قوي في مصر...ضحك عليها وغواها ...حملت منه فكتب عليها ورقة كده من تحت لتحت ...ستر عليها بس شرط إن البنات يفضلوا معاها هنا ومحدش من أهله هناك يعرف...الست خافت على نفسها وبناتها فوافقت...جت عاشت بيهم هنا لحد ما قابلت وجه كريم ...وبعد ما ماتت جدتهم الحاجة ثمر هي اللي ربتهم .

انعقد حاجبا يامن بقوة وهو يستمع للحكاية التي لم يتوقعها ...

هل كان يظن نفسه يستحق الفخر لأنه وصل لما وصل إليه مع ظروف ماضيه ؟!





ما الذي تستحقه امرأة كياقوت هذه إذن؟!

هذه التي كانت تتحدث معه باعتداد يليق بملكة انجلترا ...لا بواحدة ذات ماضٍ كهذا!!

_أكيد أهل البلد هنا بيعايروها هي وأختها ...حاجة زي كده ماتعديش هنا!

قالها بحذر اختلط بأسفه ليصدمه الفتى بضحكة ساخرة سبقت هتافه:

_مين ده اللي يقدر يفتح بقه بكلمة عن بنات الحاجة ثمر ؟! الكل هنا بيعمللها ألف حساب..كلمتها سيف على رقاب الكل ...من صغيرنا لكبيرنا بنحترمها ونحبها مهما كان اللي حصل ..

ابتسم يامن برضا وهو يتابع قول الفتى الذي استمر في ثرثرته :

_هيبتها كمان زادت بعد شغلانتها اللي بتعملها لوجه الله من غير ولا مليم .

هنا عقد يامن حاجبيه بترقب لتصدمه إجابة الفتى:




_مغسلة أموات !

فتوقف مكانه مبهوتاً للحظة وهو يحاول ربط خيوط هذه القصة ...

ليسأل الفتى أخيراً بفضول:

_وجابت منين فلوس لكلية الطب دي مصاريفها كتير؟!

_قصدك شقراط ؟! أبوهم بيبعتلهم قرشين حلوين كل شهر عشان يضمن سكاتهم ومن تحت لتحت كده يخوفهم يطلع لهم نفَس ...خصوصاً إن البنتين اشتغلوا في مصر ...واحدة دكتورة زي ماانت عارف والتانية على أدها عاملة في معمل تحاليل...

قالها الفتى بلهجة من يشعر بفخر من يملك العلم أمام جاهل -خاصة أن يامن بدا شديد الاهتمام بما يقول - إلى أن تطرف الأول بقوله :

_الغريبة إن الاتنين مش شكل بعض...واحدة سوده ووحشة والتانية فلقة قمر ...ما انت أكيد عاينتها.

هنا خبطه يامن على قفاه بخفة ليهتف زاجراً:

_اتلم ياولد ...انت هتصاحبني؟!





فارتد الفتى لتحفظه وهو يقول معتذراً:

_أنا آسف يا دكتور...أنا قلت أتفك معاك بكلمتين .

ابتسم يامن وهو يمسح على رأسه برفق ليعاود ضم كتفيه إليه بذراعه وهو يكمل معه الطريق نحو المكان المنشود الذي كان يحمل له هو الآخر بعضاً من ذكريات طفولته ...

هذا الذي منحه بعض السكينة وهو يطوف حوله ...

العجيب أنه كان يشعر وقتها أنها "هي" معه...

امرأة الألوان التي خالط طيفها كل تفاصيله ...

بل كان الآن يتخيل حواراً افتراضياً بينهما تجلجل فيها ضحكتها وهي تصفه بغرابة المزاج إذ يجد متعة في زيارة مكان كهذا ...

ضحكة تنتهي بعناق تستطيل فيه "النخلة" على أطراف أصابعها كي تطال شفتيه بقبلة ناعمة مع همسها بجملتها الخالدة:

_شكراً يا طيب.




غص حلقه بمرارته وهو يعود للواقع فتتهد بحرارة ليقول أخيراً للفتى:

_يالله نرجع !

وفي غرفته في بيت عمه كان ينام على فراش ضم جسدها يوماً ...

يتقلب جسده كالمحموم وهو يرى صورتها تطارده...

يسمع صدى ضحكتها تملأ أذنيه...

عند الباب هنا قبّلها بجنون غيرة ...وعانقها ليلتقط لهما صورة حقيقية تناظر أخرى زيفتها ...

وعلى الأرض هنا فرش مرتبته ليلتقط كفها سراً بعد نومها ...

وجوار النافذة هنا وقف جوارها ليحكي لها ذكرياته عند الساقية القديمة...

تباً لها !





مادامت تريد الرحيل فلماذا لم تصطحب معها كل هذه الذكريات؟!

لماذا لم تنتزع معها قلبه الذي لم يخفق بحب سواها؟!

بل لماذا تركت له الهواء يتنفس فيه عشقها لحظة لحظة ؟!!

لكن هواجسه السوداء تعاود بسط سلطانها الغاشم عليه ...

ترد له مشاهدها مع زين واحداً تلو الآخر ...

هواجسه التي كان لها بالمرصاد هذه المرة مستعيناً ب"نصيحتها":

_انت بتحارب دماغك بدماغك .

فيزفر بقوة وهو ينتفض من نومته ليغادر الفراش بل الغرفة كلها متجهاً لصالة البيت التي كانت خالية ...

فانتهزها فرصة ليجلس على الكرسي هناك مستعيداً المزيد من ذكرياتهما الهانئة معاً...

هي لم تكن تحبه ...

هي كانت تعيش به وله!

كيف أمكنه أن يشك بهذا يوماً ؟!

كيف؟!!

_فين الست الحلوة اللي جت معاك المرة اللي فاتت؟!

يلتفت بدهشة نحو الطفل الصغير الذي كانت هي تلاعبه في زيارتها السابقة ...

والذي كان الآن يربت على كتفه برفق مردفاً:

_أنا رسمت لها دي .





دمعت عينا يامن وهو يرى رسمة الصغير الطفولية التي ضمت خطوطاً بسيطة الشكل عظيمة المعنى ...

_أمي قالت لي شعرها أصفر...رسمتها وهي بتحكيلنا الحدوتة عند الساقية.

أمسك يامن الورقة بأنامل مرتجفة ليرفعها نحو شفتيه بقبلة حملت كل اشتياقه ...

قبل أن يجذب الصغير ليرفعه بذراعه فيجلسه فوق قدميه قائلاً بما يشبه الوعد عبر تنهيدة حارقة :

_هاديهالها لما أقابلها ...وهاخلليها ترجع معايا هنا تشكرك عليها بنفسها .

=======

استقل القطار العائد للعاصمة وذهنه منشغلٌ ب"المبهرجة المُطفأة" كما صار يراها بعدما عرف حكايتها ...

شقراط كما يسمونها هنا!

سيلتقيها هنا في القطار ...





حدس أم أمنية ؟!!

لم يفكر طويلاً في هذا وهو يميز أخيراً هيئتها الزاهية أمامه تجلس بشرود مكانها ...

فالتوت شفتاه بابتسامة وجلة وهو يتقدم أكثر ليجلس جوارها دون إذن...

هذا الذي جعلها تلتفت نحوه بحدة أول الأمر لكنها ما إن تبينت ملامحه حتى عقدت حاجبيها لتعود ببصرها نحو النافذة وترد له صمته بصمت حتى انطلق القطار ...

_هو أنا زودتها قوي المرة اللي فاتت؟!

قالها أخيراً وهو يلتفت لوجهها الذي أشاحت به عنه منذ جلس لتجيبه باعتدادها المغيظ:

-أعتبر ده اعتذار؟!

_ مش بالظبط قوي...بس ممكن.





قالها هو الآخر بفظاظته المغيظة لتلتفت أخيرا نحوه بابتسامة التمعت في العينين (الطيبتين) خلف زجاج نظارتها ...

(طيبتين)؟!

تدركون معنى أن يصف رجل مثله عيني امرأة بالطيبة؟!

هو الآخر كان يدرك....

لهذا شرد ببصره عبر نافذة القطار بينما هي تقول عبر ابتسامتها:

_ماشي يا دكتور ...نعديها...ونبدا نتعرف من جديد...أنا الدكتورة ياقوت ...عندك مانع تكون أول جلسة لينا هنا في القطار ؟

هنا أدرك أن عدوى ابتسامتها أصابته لتعبث أنامله في خصلات شعره كعادته عند ارتباكه ...





الارتباك الذي أصابتها عدواه هي الأخرى لتوقن أن الاقتراب منه خطير حقا كما كانت تظن !

لكنه ما إن بدأ في الحديث حتى غلبت "مهنيتها" شعورها هذا ليبدأ عقلها العمل بسرعة...

أجل ...ربما كان هذا أحد أسباب نجاحها في عملها ...أنها تجيد "عزل" عقلها دوماً عن كل ما يمكنه تشويشه ...

أما هو فقد بدأ حديثاً عشوائياً لم يعلم له بداية ولا غاية...

لقد خاض هذا الأمر من قبل مع طبيبه في لندن لكن هذه المرة تختلف...

ربما لأن وجوده مع الطبيب في غرفة الكشف كانت تمنحه شعوراً بالانقباض ...

هذا الشعور الذي كان يقيد بوحه ...





أما جلوسه معها هاهنا بهذه المصادفة التي أيدتها الأقدار ...وفي هذا المكان بالذات حيث قريته وجذوره...يجعله يشعر بالراحة أكثر ...

لهذا أغمض عينيه وهو يعود برأسه مستنداً لظهر المقعد تاركاً للسانه حرية البوح أو المنع دون تنقيح ...

عن وساوسه...عن امتنانه واستسلامه السابق لها ظناً منه أنها تحميه ...

وعن رغبته أخيراً في مقاومتها ...

عن بعض من ذكريات ماضيه...وبعض من هواجس غده...

عن قصته مع "امرأة الألوان" التي لفظها سواد عالمه ...

عن ندمه...عن خزيه...عن شعوره الداخلي أنه يهوي ويهوي ويخشى لحظة الارتطام !

_الخاتم الأسود ده بتاعها؟!





سؤالها الذي خرج أخيراً مفاجئاً بعد ساعة كاملة قضتها تسمعه جعله يفتح عينيه ليلتفت نحوها بنظرة متسائلة جعلتها تبتسم لتردف:

_ما بطلتش تلعب فيه طول ما انت بتتكلم ...مش مجرد بتلفه بحركة عصبية ...لا...انت كأنك بتطبطب عليه...واضح إنه غالي عندك قوي.

ملحوظتها الذكية جعلت عينيه تلتمعان وهو يومئ برأسه بحركة بطيئة تزامنت مع قوله الشارد :

_كانت أحلى حاجة حصلت لي...وأغلى حاجة خسرتها .

اتسعت عيناها بصدمة وهي ترى عيناه تدمعان فجأة قبل أن يشيح بوجهه بعيداً ...

أن تخرج عبارة بهذه الرقة من رجل بهذه الفظاظة...أن تخرج محترقة هكذا بهذا الصدق وبهذه الحسرة فهذا يعني أن بداخله فيضان حب لو أطل على الأرض لأغرقها !





لهذا احترمت صمته قليلاً لتعاود سؤاله :

_ليه ما سافرتش وراها ؟!

_خفت!

_منها واللا عليها؟!

_الاتنين..

قالها بزفرة حارقة ليعاود الالتفات نحو النافذة مردفاً بشرود:

_القسوة اللي ردت عليا بيها في التليفون حسستني إني قدام واحدة تانية ماعرفهاش ...هي قالتلي في يوم إنها ممكن تسامح بس ما بتنساش ...لكن الحقيقة إنها دلوقت لا قادرة تسامح ولا تنسى ...

_ممممم...كده فهمت إنك خايف منها ...لكن ليه خايف عليها ؟!

_خايف عليها من نفسي ...لحد دلوقت مش ضامن رد فعلي ...لحد دلوقت لسه دماغي مش راحماها





ولا راحماني ...مش هاقدر أحط عيني في عينها تاني إلا لو رجعت أشوفها ملاك زي زمان .

_مش يمكن هي دي المشكلة ؟! إنك زمان شفتها ملاك !

انعقد حاجباه وهو يعود لها ببصره لتعدل من وضع نظارتها مردفة :

_هي صدرت لك الصورة دي وانت صدقتها ...حبيت تريح جهاز الإنذار اللي شغال عندك عمال على بطال ده فخرجتها بره تصنيف البشر أصلاً...ياسمين ملاك...مابتغلطش...ما بتكدبش...ما بتضعفش...ونسيت إننا كلنا بشر وارد جداً نضعف ونكدب ونغلط .

عاد يغمض عينيه بقوة وهو يعود برأسه للوراء لتستطرد هي بنفس النبرة :

_هي كمان اتصدمت بالفيديو زيك بالضبط...شخصية زيها ماتصورتش انها في لحظة ضعف تتعرى كده ...زي ماانت مريض بوسواسك





هي مريضة بهوس الكمال وانها عظيمة كاملة...مستغنية عن اي حاجة واي حد ...الناس اللي زيها كده بالنسبة لهم أي غلطة مهما كانت صغيرة ما بيتقبلوهاش في حق نفسهم قبل غيرهم...فما بالك بفضيحة زي دي؟! ياسمين كانت بتمثل دور أكبر منها ...سفر والدها ...وفاة مامتها ...جوازتها الفاشلة من راجل سادي ...كل جرح كانت بتتجرحه ما كانتش بتداويه او حتي بتطهره...كانت بتكتفي انها تكتم ألمها وتكمل ...لحد ما الجرح اتسمم والسم ده اذاها هي اول واحدة...مش انت بس اللي محتاج علاج ...هي كمان محتاجة تتعالج .

ظل صامتاً للحظات وهو يقلب حديثها في رأسه شاعراً ببعض الارتياح...

حديثها يبدو مختلفاً ...

ربما لأنها لم تتحامل عليه كثيراً ...





هو الذي يجلد نفسه في اليوم ألف مرة على ذنوبه !

_مش عايزاك تخرج من دوامة تقع في التانية...مش عايزاك تحمل نفسك حمول مش بتاعتك...انت مش ملاك ومش شيطان...فيه صورة لنفسنا بنسميها "الصورة الحقيقية" وصورة تانية بنسميها"الصورة المأمولة"...كل ما قل الفرق بين الصورتين...كل ماقدرت تميز كويس ميزاتك وعيوبك...كل ماهتقدر توصل بمعطيات شخصيتك للي انت عايزه.

_أهه ده بقا "هرْي" التنمية البشرية اللي مابحبوش!

هتف بها فجأة وهو يمط شفتيه باستياء بينما يفتح عينيه لتنفلت منها ضحكة أتلفت حماستها العملية الجدية التي كانت تتحدث بها منذ لحظات ...لتجاريه




في مزاحه بقولها محاكية مشهداً في مسرحية شهيرة :

_أقولهالك بالأسلوب الشعبي السلِس ...أبوك هيسيب البيت ياسلطان !

ضحك هو الآخر دون تحفظ لتردف بينما تهز رأسها بأسف:

_وأنا اللي قلت دكتور وهاكلمك بمصطلحاتي عادي !

_لا في الحاجات دي اعتبريني حلاق صحة ...بس بلاش الكلام الكبير ده بيقفلني!

عادت تضحك وهي تضم حقيبتها نحو صدرها لتلتفت نحو النافذة تراقب الطريق للحظات ...

قبل أن تتذكر ما جعلها تسأله بجدية هذه المرة :

_دكتور يامن سؤال أخير وأتمنى تجاوبني بصراحة ...إيه اللي خلاك تغير رأيك وتوافق تكمل علاج معايا ؟!





تتهد بحرارة ليعود بجذعه للأمام مشبكاً أنامله ببعضها بينما رأسه المطرق يفضح صراعه :

_عشان أعاكس يامن القديم اللي جوايا... لازم أتمرد على كل اللي كنت بفكر فيه زمان...يامن القديم اللي عمره ما كان هيوافق يتعالج عن واحدة ست ويآمن يدي لها أسراره...

ثم رفع إليها عينيه بابتسامة شاحبة مردفاً:

_يعني أحارب نفسي بنفسي زي ما قلتيلي.

فتوهجت عيناها بابتسامة راضية وهي تهز رأسها لتقول باعتدادها المعهود:

_ده يخلليني متفائلة أكتر لنتيجة العلاج .

_مناديل يا بيه ؟!

هتاف البائعة صغيرة السن التي كانت تتجول في القطار أمامه يقاطعهما فيلتفت نحوها ليتناول منها





علبتين ناول ياقوت إحداهما لكنها أصرت أن تدفع ثمنها أولاًرغم اعتراضه الصارم...

عيناه تعلقتا للحظة بحافظة نقودها ليدرك أنها "ممتلئة"!!

قبل أن يعود ليتفحص ثيابها التي لم تتغير عن يوم رآها في المركز ...

نفس التنورة القديمة ...الحذاء المرقع والوشاح "البشع"!!

هو بخل إذن وليس ضيق حال!

_بحترم قوي اللي بيشتغلوا في السن ده !

قالتها ياقوت غافلة عن أفكاره ليلتفت نحوها بينما تردف هي ببساطة :

_مش هتصدق أنا اشتغلت كام شغلانة في حياتي ...أي حاجة وكل حاجة المهم حلال ...مرة وقفت في بقالة... مرة بياعة في محل هدوم حريمي ...ومرة عند كوافير...





ثم ابتسمت لتحمر وجنتاها باستطرادها:

_أفتكر بعت مناديل برضه بس ما طولتش .

ارتفع حاجباه بدهشة من قولها ليربطه بما عرفه عن ماضيها ...

لماذا كانت تضطر لفعل هذا مادام والدها كان يرسل لهم المال كما يعلم أهل القرية ؟!!

بينما تنهدت هي أخيراً لتقول باعتداد لم ينل منه ما سبق ذكره:

_"اللي يعرف أبويا يروح يقولله"...المبدأ ده ياما ضيع ناس في الغربة..لكن معايا أنا كان بيديني حرية أتصرف زي ماانا عايزة مادام مابعملش حاجة غلط ...

ثم اكتست ابتسامتها بالمرارة لتردف:





_وأكيد ماقصدش حرفية المثل...لأن محدش يعرف أبويا ولا هيروح يقولە ...وحتى لو قالە مش هيهتم .

أطرق برأسه في إشفاق كره أن يؤذي به كبريائها عندما سمع أخيراً صافرة القطار تعلن وصوله لتقف هي مكانها قائلة باعتدادها الذي اكتسب نوعاً من الألفة:

_هاعتبر جلستنا الأولى نجحت وهانتظرك في العيادة عشان الجلسة التانية ...و...الأتعاب !

قالتها وهي تحك إبهامها بسبابتها ووسطاها في إشارة شهيرة للنقود فابتسم ببعض الحرج وهو لايدري هل قالتها هزلاً أم جداً مع طبيعتها المادية هذه !!!

_ممكن أسألك كنتِ بتعيطي عند الساقية ليه ؟!





عيناها الذكيتان توهجتا قليلاً ببريق ألم بعد سؤاله قبل أن ترتجف شفتاها بابتسامة ناسبت قولها القوي:

_أنا اللي بعالجك يا دكتور ...حدودي الخاصة مش مسموح تعديها .

بهت لقولها وكأنه لم يتوقع أن توجد امرأة أكثر منه هو فظاظة ...

قبل أن تتحرك هي لتغادره وتشق طريقها وحدها وسط الزحام ...

ألوان وشاحها المبهرجة تضيع وسط الوجوه لكنها تترك أثراً مميزاً في روحه...

ياقوت سليمان !

امرأة مختلفة يحتاجها حقاً الآن لعله يجتاز هذا الاختبار!

==========

_مشغول عننا بإيه يا سيدنا؟!




قالها إسلام بمرح بينما يفتح له سيف باب شقته ليجيبه الأخير برزانته المعهودة :

_انت اللي غطسان بقالك فترة ...قلت أسيبك تيجي لوحدك .

ضحك إسلام وهو يدخل ليغلق الباب خلفه قبل أن يعانقه بقوة ليخبطه بقبضته على ظهره هاتفاً ليغيظه بمهنته كما اعتاد:

_وحشتني يا "بتاع الحمير".

لكن سيف لم يستسلم لاستفزازه بل ابتسم بهدوء ليبتعد نحو الثلاجة التي فتحها ليستخرج منها علبة مشروب غازي وضعها أمامه مع قوله :

_وانت أكتر يا "بتاع البرقوق".

ضحك إسلام من جديد وهو يفتح العلبة المعدنية ليقلد صوت فتحها بفمه تزامناً مع حركة رأسه البهلوانية قبل أن يتجرع منها رشفة كبيرة كبيرة ليقول بعدها بتلذذ :

_تسلم إيدك يا سيفو...نَفَسك في البيبس يجنن ...طبيخك اتقدم !





فابتسم سيف برصانة وهو يجلس جواره على المائدة ليبادره إسلام بقوله :

_عمك علاء بيسلم عليك هو و"أنّا".

_شفتهم امتى؟!

_بزورهم كل يوم دلوقت .

قالها إسلام بنبرة عابثة تعجب لها سيف الذي قال بأسى:

_عايزة أزورهم والله بس قلبي بيوجعني كل مالفتكر إني هاروح هناك مش هلاقي هاني.

لكن إسلام غمزه بخبث ليقول بنبرة ذات مغزى:

_وهيوجعك أكتر دلوقت لما تروح .

_ليه ؟!

سأله بدهشة ليلكزه إسلام في كتفه بحركة متعارفة بينهما جعلت سيف يقول بهمهمة إدراك :

_مممممم...برقوقة جديدة ؟!

_برتقالة بلدي المرة دي!




_مممممم...مصرية؟! ماقلتلك ياابني بلاش مصريين ...هم هيبقوا ورانا ورانا ؟!

_المرة دي بجد ...شكلي اتدبست يا صاحبي!

قالها إسلام ببعض الخجل الغريب على طباعه المبهرجة ليبتسم سيف قائلاً باستهانة :

_عارفها أنا الجملة دي ...بالله عليك لما تيجي لقطة "هاعرّفها ع الحاجّة في مصر" ابقى صحيني عشان بحبها قوي !

لكن إسلام ابتسم ليقول بجدية تامة :

_المرة دي مش زي اللي قبلها...ملاك يا سيف ...ملاااااك .

عاد سيف يبتسم باستهانة وهو يعود بجذعه للأمام مشبكاً كفيه بينما يردف إسلام باستفاضة :

_كل حاجة فيها حلوة...شكلها ...أخلاقها ...كلامها ...واللا ضحكتها ...أوف جاالمدة !

قالها وهو يحرك كفه حول وجهه كأنما يستجلب المزيد من الهواء ليزفر سيف بنفاد صبر هاتفاً :





_انجز يا عم ...حكايتها إيه ؟!

_مراة ابن عم هاني الله يرحمه ...قاعدة معاهم في البيت وبتشتغل مع عمي في البازار .

قالها إسلام بسرعة لينعقد حاجبا سيف مع قوله :

_لا معلش...كده مافيهاش هزار ...لو مش ناوي على جد يا إسلامماينفعش ترويش الناحية دي .

لكن إسلام هتف بحماسة :

_جد الجد يا ابني ...امال أنا جاي لك النهارده ليه ...عايزك تيجي معايا البازار نشوفها وتقوللي رأيك .

_رأيي في إيه ؟! هو أنا اللي هاتجوزها واللا انت ؟!

قالها سيف باعتراض وهو يقوم واقفاً ليقف إسلام بدوره ممسكاً كتفي صاحبه مع هتافه الراجي:

_أصلها بتصدني في الكلام ...مش قادر أعرف عشان رافضة الفكرة نفسها واللا العيب مني أنا ...انت ليك نظرتك برضه ...شوفها وقوللي انطباعك قبل ماكلم عمي علاء .




تأفف سيف بضجر متخوفاً من هوائية طباع صديقه الذي عاد يهتف برجاء ملحّ:

_يرضيك أخوك حبيبك يبقى مدهول كده وما تساعدوش ...الحب قندلة يا صاحبي!

ابتسم سيف وهو يهتف بعدم رضا :

_البُقّين الحمضانين دول سمعتهم كتير ...وبعد كام يوم ...أوبس! النمرة غلط !

_لا لا لا ...تبنا وأنبنا ...صدقني المرة دي غير .

هتف بها إسلام بحماسة حقيقية جعلت سيف يتفرس ملامحه باهتمام ...

وكأنه يختبر مدى جديته ...

ليقول بعد صمت قصير :

_وإيه يجبرك تتجوز واحدة أرملة ؟! ما الدنيا مليانة بنات !

لكن إسلام هتف بانبهار :

_فيها حاجة شداني ...مش عارف إيه هي ...قلبي طبّ أول ما شفتها .





قالها وهو يقبض كفه أمام صدره بحركة تمثيلية جعلت سيف يهز رأسه بعدم ارتياح ...

إسلام شديد التقلب في مشاعره نحو النساء بالذات ...

عيبٌ يمكنه تقبله لو اقتصر الأمر على بعض العبث ...

لكن أن تكون المرأة قريبة العم علاء فهذا هو الخطر بعينه...

لن يسمح لإسلام أو لسواه أن يؤذي أحداً من هذه العائلة التي يعتبرها عائلته .

لهذا تردد قليلاً قبل أن يقول لصاحبه بفتور:

_خلاص موافق...تعال نروح البازار ...

_هو ده الكلام !

هتف بها إسلام مصفقاً بكفيه ليهتف سيف محذراً:

_شاور عقلك يا إسلام ...الموضوع ده مش مريحني .

_تعال بس شوفها وانت تعذرني .





قالها إسلام وهو يجذبه من ذراعه نحو باب الشقة ليهتف به سيف باستنكار:

_بطل صربعة هاجيب المفتاح !

قالها وهو يسحب المفتاح من على الحائط بسرعة ليخرج من الشقة يجذبه صاحبه بحركاته المجنونة !

وما كادا يصلان للحي المطلوب حتى هتف به سيف محذراً:

_بقوللك إيه يا عم الشبح...تهدا كده وتقول هديت ...عمك علاء مش سهل ولو حس إنك كده واللا كده ممكن يقفش قبل ما يفهم .

لكن إسلام غمزه قائلاً بنبرته العبثية :

_امال أنا جايبك ليه ؟! ماهو عشان تفرملني لو عكيت .

هز سيف رأسه بنفاد صبر وهو يجتاز معه الجموع التي التفت حول كل بازار حتى وصلا لبغيتهما ...





_أهي واقفة هناك..امال عمك علاء فين ؟!

لكن سيف لم يسمعه وهو يركز في ملامح هذه المرأة أمامه...

هو يعرفها !

لكن أين رآها من قبل؟!!

وفي مكانها كانت غادة منشغلة بترتيب بعض القطع عندما شعرت باقترابهما لترفع عينيها اللتين زاد ارتباكهما مع رؤية إسلام...

هذا الذي لا يميز إعجابه بها إلا أعمى!

حتى أن إيناس لمحت لها برغبتها الخفية في أن تكون من نصيبه ...

"بتاع البرقوق"!!

ألا يجتذب حظها العاثر سوى الفاسدين ؟!!

لهذا ظهر الضيق على ملامحها وهي تراه يتقدم نحوها قائلاً بود:




_إزيك يا غادة ؟! امال عمي فين ؟!

_راح يشوف...

انقطعت عبارتها عندما وقعت عيناها على سيف لتتجمد ملامحها فجأة...

رباه!

لقد ظنت أنها رمت الماضي كله خلفها في مصر...

هل تعاندها الظروف إلى هذا الحد ؟!!

التعبير الذي رسمه وجهها كان واضحاً حتى أن إسلام نقل بصره بينهما بدهشة ...

خاصة عندما خاطبها سيف بعينين متفحصتين :

_أنا شفتك قبل كده ...صح؟!

فازداد شحوب ملامحها وهي تتراجع خطوة للوراء تزامنت مع كلمته الأخيرة :

_افتكرت.

==========





القطعة الرابعة



بالله لا تسألوني عليه ...

لا تشعلوا القنديل القديم...

كفاني ما قد فقدت لديه...

دعوني هنا وحدي أستكينْ...

أجاهد عيني لكي لاتراه

وأقسو على القلب

كي لا يلين

وألعن ذكراه لو غافلتني ...

وعادت بقلبي لنهر الحنين ...

فلا تسألوني لماذا افترقنا...

مللت التساؤل والسائلين...





لازلت أجهل سر العقاب...

ولازلت أجهل ذنب السجين..

عجبي لنا

كيف أنا مضينا

كطفلين سئما من اللعب

فافترقا بعد حين !

تقولون حمقاء كنت بحبي...

وكم كنتم لي من الناصحين

أجل حمقاء...وذنبي بعنقي

لكم ..أم لنفسي بعذرٍ أدين ؟!

تمزق في الريح ثوب هوانا

واختنقت بدخانها دنيانا

وأمطر اليأس في وادينا

وذبلت أزهر الياسمين...





عفواً لن نحضر العام هذا

حفل تتويج العاشقين

كيف وقد مات بعينيه لحني

تراني أغني بلا عازفين؟!

فلا تذكروه الآن أمامي

دعوني أكفر ذنبي الأثيم

دعوني أروض قلبي ليقسو

فمن يقسُ أحياناً رحيم

دعوني أكسر بيديّ صنمي

وأنزع عني ردائي الحزين

وأهرب منكم..ومنه ...ومني...

وأخفي دموعي عن الناظرين





وأقسم أني نسيت هواه

وأشهد أني من الكاذبين...

فبالله لا تسألوني عليه...

ولا تشعلوا القنديل القديم.

"نرمين نحمدالله"

========

_افتكرت!

قالها سيف لتتوتر ملامح إسلام مميزاً لكنة الاستياء فيها بينما أشاحت غادة بوجهها وقد بدا عليها الارتباك...

_شكلكم معرفة قديمة وأنا آخر من يعلم .

قالها بمرحه المعهود محاولاً تبديد السحب السلبية بينهما لكن سيف أشاح بوجهه هو الآخر دون رد ....

ليسود الصمت القصير بينهم إلى أن قطعه وصول العم

علاء بهتافه الصاخب:

_لوريل وهاردي ...يا مرحبا يا مرحباً.

قالها مداعباً بذاك -اللقب- الذي طالما كان يشاكسهما به أيام العزيز الراحل في مقارنة لضخامة جسد سيف كثيراً مقارنة بجسد إسلام النحيل ...

والذي كان أول من تلقى الدعابة بميله الفطري للمرح رغم توجسه مما كان يحدث:

_كنت مزوِغ فين يا عمو ...اسطنبول مافيهاش "مصنع كراسي"؟!

_مين قاللك؟! مش بقوللك غشيم!!

قالها علاء بينما يلكزه في كتفه بمرح ليبتسم سيف أخيراً ابتسامة متحفظة سبقت قوله :





_إزيك يا عمو ؟!

قالها وهو يمد يده مصافحاً للرجل الذي جذبه نحوه ليعانقه بمودة ظللت حروفه :

_الغالي صاحب الغالي .

_وأنا ابن الغسالة مثلاً!!!

هتف بها إسلام مردفاً بغيرة مصطنعة :

_خلليك كده يا عمو ...دايماً تحبه أكتر مني .

فقهقه علاء ضاحكاً ليعاود لكز إسلام في كتفه مع قوله:

_ده سيف المحترم ابن الناس الكويسين...ايش وصلك انت يا بتاع "البرقوق"!

ورغم أن إسلام كان معتاداً على مشاكسات علاء هذه لكن الموقف كله كان يثير توجسه وارتيابه ...

خاصة وهو يلاحظ توتر ملامح غادة التي بدت كهرّة متحفزة مكانها ...




لهذا تجهمت ملامحه قليلاً وهو يطرق برأسه ليقلب علاء بصره بينهم جميعاً فيما يقول بنفس اللهجة المازحة التي اكتست ببعض الحذر:

_والله وبقى عندك دم وبتتقمص يا ولد ؟! من امتى؟!

_يتهيالي خلاص كده يا عمو ممكن نروّح !

قالتها غادة مشيرة لانحسار الزحام حولهم وقد بدأت بعض "البازارات" في الإغلاق فعلاً...

ليجيبها الرجل بانطلاق:

_طبعاً نروح...بس ناخد الأسيرين دول معانا رهينة .

حاول سيف الاعتذار باستماتة لكن علاء كان مصراً بشدة خاصة مع ترحيب إسلام لغرض -بالطبع-في نفسه ...

لينتهي الأمر بثلاثتهم مع العم علاء في سيارته قاطعاً الطريق نحو بيته ...





كان إسلام يركب خلفها تماماً فيما كان سيف جواره فيما مكنه من متابعة حركتها المتوترة وهي تداعب دبلة "أحمد" في إصبعها !

_مخلصة قوي!

همس بها متهكماً بازدراء في سره وهو يتذكر المرة الوحيدة التي رآها فيها ...

لم تكن محجبة حينها بل كان شعرها النبيذي المصبوغ يتطاير حول وجهها كـ-صواعق- من فتنة تنذر كل من يقترب ...

كانت تراقص زوجها وقتها بهيام على المنصة ...

هيام أجّج عواطف نصف ذكور الحفل وأثار الغيرة في النصف الآخر ...

العرس لم يكن يخلو من الفاتنات لكنه يذكر ليلتها أن العيون كانت متركزة عليها هي بالذات ...





ربما لهذا لم يتعجب عندما علم أن ....

_وصلنا يا شباب ...ياللا نشوف "أنّا" عاملة لنا إيه ع الغدا .

هتف بها علاء بمرح مقاطعاً أفكاره وهو يترجل من السيارة قبل أن يدور حولها لتتعلق عيناه بغادة مع قوله المشاكس:

_عينين الجميل دبلانة النهاردة ليه ؟!

لأول مرة تتلقى غادة دعاباته بالكثير من الحرج ...

ربما لأن المعنى الذي وصلها هو نفس المعنى الذي جعل

ملامح سيف تتلون بنفس الازدراء ...

_جاية راسمة على الراجل الكبير واللا إيه ؟!
صحيح ..ماهي قاعدة هنا ببلاش ...والاسم بتساعده في الشغل.





همس بها في نفسه ليلتفت نحو إسلام الذي كان بصره معلقاً بها هو الآخر حتى أنه سبقه قليلاً ليسير جوارها فتنتهي الصورة بها في المنتصف بينه وبين علاء ...

بينما هو وحده في الخلف يهز رأسه باستنكار آسف !!

الازدراء الذي شعر به كان مرسوماً بوضوح على وجهه الجاد ...

حتى استقبال "أنّا" الدافئ لم ينجح في تبديده بل على العكس ...

شعوره بأن هذه "المراوغة المحتالة" تخدع الجميع كان يهيج غيظه أكثر ...





بينما كان إسلام يختلس النظر نحوه بقلق يتنامى وهو عاجز عن سؤاله عما يموت لهفة لمعرفته...

لكن شعوره بوجود غادة طغا على كل شيئ لاحقاً ليجد نفسه يستجيب لرغبته في المزاح أملاً في جذب انتباهها ...

_بيتزا فراخ بالباربيكيو ...عمايل غادة ...دوقوا بقا وقولوا رأيكم !

قالتها إيناس بعد تحضير مائدة الطعام بفخر صادق وهي تربت على كتفها بحنان أم أصيلة تريد لابنتها واحداً من هذين "الرجلين" أمامها ...

قلبها يميل لإسلام أكثر لكن عقلها يومض بتتابع ...

ربما كان سيف هو الأنسب ...والأفضل!

_أنا جهزتها بس ...حضرتك اللي عملتيها .





قالتها غادة بحرج يتزايد وأناملها تكاد تعتصر دبلة أحمد مكانها بينما تتحاشى النظر لأي منهم ليهتف علاء باستنكار مصطنع:

_صاحية من الفجر تكركب في المطبخ ...وأصحى مشعوف م النوم قلت حرامي ...تطلع غادة "خانوم" بتعجن بيتزا !

اتسعت ابتسامة سيف الجانبية وصدق مخاوفه يتأكد له فأزاح الطبق الذي وضعت له فيه إيناس قطعة البيتزا جانباً ببعض العنف قائلاً بنبرة سيطر عليها :

_هاشرب شوربة الكريمة بس .. أكيد دي من إيدك يا "أنّا"!

شعرت إيناس بالغرابة في قوله فبرغم طباعه المتحفظة لم يكن يوماً فظاً هكذا ...





لكنها فسرتها ب...

_عايز تسيب ال"بيتزا" كلها لإسلام ....ها؟!

قالها علاء بخبث ونفس خاطر زوجته يراوده بينما ينظر إليهما نظرة متفحصة ليبتسم إسلام بخبث مشابه ...

بينما أطرق سيف بوجهه في إحباط ليتناول طبقه مكتفياً بصمته طوال مدة تناولهم الطعام...

من الجيد أن إسلام قد جعله يرى هذه "اللعوب" الآن قبل أن تسقط الفأس في الرأس ...

لكن ألم تسقط حقاً؟!!

_مممم...تجنني يا غادة !





هتف بها إسلام بتلذذ وهو يلوك البيتزا في فمه ليحمر وجه غادة ليس خجلاً بل غضباً هذه المرة ...

خاصة عندما قال العم علاء بطريقته الماكرة:

_اتلم يا بتاع "البرقوق"!

_هاعمللكم شاي!

قالتها وهي تنهض من مكانها بسرعة غير آبهة باعتراض إيناس وعلاء اللذيْن تبادلا نظرة حائرة ...

ثمة شيئ ما يحدث هنا لا يفهمانه !

_تسلم ايدك يا"أنّا"...هاطلع الجنينة أشرب سيجارة .

قالها سيف وهو يغادر المائدة للخارج ليلحق به إسلام بعد ثوانٍ هاتفاً بقلق:





_فيه إيه يا سيدنا ؟! من ساعة ما شفتها وانت مش على بعضك !

فأشعل سيجارته بحركة عصبية ليسحب منها نفساً عميقاً زفره بقوة قائلاً:

_البنت دي ما تنفعكش.

_ليه إن شاء الله ؟!

هتف بها إسلام بمزيج من ضيق وتحفز ليهتف به هو

الآخر :

_عشان مش مظبوطة !

_يعني إيه مش مظبوطة ؟!

هتف بها إسلام بقلق ليعاود سيف قوله بانفعال أكبر:

_مش مظبوطة يعني مش مظبوطة...مش فاهم يعني إيه مش مظبوطة !





_مين دي بقى اللي مش مظبوطة ؟!!

والهتاف جاء من خلفهما لتشتعل الدنيا أكثر !!!

=======

تردد قليلاً وهو يقف أمام باب غرفتها المغلقة دوماً في الملحق الخارجي بحديقته...

نفس الشعور المتناقض الذي يملأه كلما يراها ...

شعور بالإشفاق يمتزج بطيف خفيف من ...تشفٍّ!!!

هذا الإحساس الذي يقاومه بكل ما أوتي من إنسانية وعاطفة كبرت معه يوماً بعد يوم لفتاة لم تكن لها جريرة في ذنب أبيه !

_البنت دي ما تدخلش البيت ده طول ما أنا عايشة ...ولا بعد ما اموت ...اوعدني يا زين ...اوعدني .





بصوت أمه -الراحلة- الغارق بلوعته يسمعها من الماضي مفسراً سبب تصميمه لهذا الملحق الخارجي لهمسة...

لوعة امرأة قعيدة كتب عليها أن تقضي ما بقي لها من عمرها فوق كرسي متحرك ...

كان كل ذنبها أنها وثقت في قريبتها -الأفعى- وفتحت لها بيتها ليكون جزاؤها أن تسرق منها زوجها ...

والعاقبة ...طفلة !

طفلة أجبروه وقتها أن يتقبلها كأخته ...

كيف؟!

وحياتها -في نظره- ارتبطت بموت أمه !

أجل ...ماتت -حية- وهي ترى زوجها يزهد فيها بعد مرضها ليرتمي في أحضان أخرى ...

وماتت -حقاً- بعدما فقد جسدها العليل رغبته في الحياة والمقاومة !





ربما يفسر هذا شعور "التشفي" الذي يكرهه هذا وهو يرى ابنة تلك الأفعى بهذا الحال الذي صارت عليه منذ سنوات ...

لكن ما ذنبها هي في جريمة أمها؟!

منذ متى نرث خطايا آبائنا؟!!

لهذا تنهد بحرارة وهو يفتح الباب أخيراً ليجدها في حالها المعهود ...

شاردة أمام النافذة المفتوحة...

صورة جامدة لتمثال بلا روح ...

تمثال دبت فيه الحياة فجأة عندما سمعت صوته يناديها...




لتهب واقفة مكانها قبل أن تندفع نحوه وتعانقه بقوة جعلت عينيه تدمعان ...

يالله !

هو يحبها ...!

ومن لا يحب هذا الملاك الكسير؟!

هذه الروح النقية التي لم تنل من شمس الحياة إلا لهيبها دون دفئها ؟!

وحتى عندما ذاقت الحب لم تتجرع سوى مرارته ؟!!

لهذا يعترف رغم كل شئ ...

رغم أنف الماضي ولعنته ...

هي أقرب أهل الأرض لنفسه !

بل إن أقصى أمانيه أن تعود لها سلامتها !

لهذا أخذ نفساً عميقاً يتمالك به مشاعره قبل أن يبعدها قليلاً ليحدثها كطفلة:




_زين زعلان منك...هو عشان سافرت ما تاكليش ولا تاخدي الدوا .

كان يعلم أنها قليلة -بل شحيحة- الكلام ...

لهذا سرّ كثيراً عندما تمتمت بحروف متثاقلة :

_ما قلتليش.

تلقى كلمتها كعتاب رقيق مثلها ...

عتاب جعله يقبل جبينها ليقول لها معتذراً:

_حقك عليا...آخر مرة أسافر من غير ما أقوللك.

تزينت شفتاها بابتسامة شاحبة وعيناها تزيغان بشرودهما المعهود ...

قبل أن تعود أدراجها بخطوات بطيئة نحو كرسيها وكأنما "نذّاهة" عالمها الافتراضي المنعزل قد عاودت الاستحواذ عليها ...




هذا التصرف الذي كان يبدو أنه قد اعتاده عندما تنهد بأسف قبل أن يتحرك بدوره ليجلس على ركبتيه أمامها يمسد ظهرها بكفه ...

لكنها لم تصدر أي حركة أخرى ...

_كنت في ماليزيا ...بلد اسمها كوالالامبور ...بلد حلوة قوي ...بكرة لما الظروف تسمح هاخدك معايا هناك...جوها حلو بس حر شوية...المطر هناك كتير زي ما بتحبيه ...هتتبسطي هناك جداً...

كان يحدثها بانطلاق كما نصحه طبيبها رغم ما يبدو من عدم استجابتها ...

_زين ممكن يتجوز قريب ...هنعمل حفلة كبيرة تلبسي فيها فستان بلون البنفسج اللي بتحبيه ...وبعد شوية ممكن يكون عندي بيبي ...مش هتبقي فرحانة وقتها؟!





خطّان رفيعان من الدموع سالا على وجنتيها مع ابتسامة وليدة شقت طريقها نحو شفتيها الرقيقتين ...

ابتسامة أذابت فؤاده وهو يربت على شعرها برفق بأحد كفيه بينما يمسح دموعها بالكف الآخر مدركاً كم لامست كلماته قلبها الطيب ...

_معاد دواها يا زين بيه .

قالتها الخادمة التي دخلت لتوها إلى الغرفة فتنحنح بخفوت ليقف مكانه قبل أن يتحرك ليتناول منها الدواء الذي أعطاه لهمسة بنفسه ...

ثم عاد ببصره للخادمة بنظرة متسائلة جعلتها تظهر له "عقد الفل" الذي كان قد طلبه منها قبل دخوله إلى هنا ...





والذي وضعه على رأس أخته قبل أن يصفف لها شعرها بأنامله قائلاٌ بحنان :

_أميرة الفل...مين يليق عليه الفل أكتر منك ؟!

ابتسمت الخادمة بإشفاق وهي ترى المنظر خاصة مع ابتسامة همسة الشاحبة التي أضفت المزيد من الملائكية على ملامحها ...

فيما أشار لها زين بالانصراف قبل أن يجذب كرسياً ليجلس جوارها مستأنفاً حديثه أحادي الجانب معها لما يقارب الساعة...

حتى وقف أخيراً لينظر في ساعته قائلاً لها :

_هامشي دلوقت عشان الشغل وهارجع لك قبل ماانام.





لم يصله منها رد وقد عاد ظلام عالمها يتلقفها ليتنهد بحرارة قبل أن يغادر غرفتها خلفه مغلقاً بابها بالمفتاح كما اتفق ...

ولم يكد يبتعد قليلاً حتى تمتم بخفوت:

_ربنا يسامحك يا رائد... مين عالم لو ماكنتش عملت عملتك دي كان زمان حالها إيه دلوقت ؟!

زفر زفرة قوية ثم تناول هاتفه ليتصل به ...

رائد هو ذراعه اليمنى في كل ما يتعلق بالعمل ...

مخلص ...ذكي ...بل داهية ...

فلو أضفنا لهذا كونه "ابن عمه" فهذا يجعله المرشح المثالي لمنصبه هذا الذي يشغله في شركته ...

صحيحٌ أن رواسب الماضي لاتزال تقف حائلاً دون صداقة حقيقية بينهما ...

لكنه يثق به على أي حال!





لهذا ما كاد يطمئن منه على أحوال العمل حتى خصّه بخبر يوقن أنه يحتاج سماعه:

_همسة بقت أحسن ...اطمن.

قالها باقتضاب يليق بالصمت المطبق الذي حافظ عليه رائد بعدها ...

قبل أن يتجاهل الأخير الرد تماماً ليغير الموضوع تماماً بآخر ...

والذي جعل زين يعقد حاجبيه بقوة وهو يتلقى المعلومة الجديدة ...

يامن حمدي بدأ يتلقى علاجاً نفسياً لدى امرأة!

"ياقوت سليمان"...

مممممم...

معلومة "قيمة" لن يمررها "صائد الكنوز" بسهولة هكذا في رحلته للظفر بكنزه !

لكن ...ليبقَ لكل شيئ وقته !





وعلى مكتبه أغلق رائد الاتصال ليسمح لتنهيدة حارقة أن تغادر شفتيه بعيداً عن قناعه "المعدني" الذي صار رفيق حياته...

قبل أن يبتسم ابتسامة بطعم الدموع وأنامله تمتد ل"عقد فل" يحرص دوماً أن يزين مكتبه كل صباح حاملاً له معه أريج الذكرى ...والذنب..

آآآه ...

الذكرى والذنب!

هل هناك أقسى من هذا المزيج ؟!!

==========

_وحشتيني ...ماتعرفيش أد إيه كنت محتاجلك !

يهمس بها يامن عبر قبلاته التي تناثرت على بشرتها ...

حارة ...مشتاقة...ملتهبة ...

تصهرها بلهيب لا قبل لها به ...

فتغوص بين ذراعيه أكثر...

_ماقلعتش الخاتم بتاعي!

_وعدتك عمري ما هاقلعه !

همسه الدافئ يلفح وجنتيها وهي تشعر بسكينة الرجوع لوطنها بين ذراعيه ...

_انت كمان وحشتني .

والحروف تتوه بين موج العناق وترانيم الشفاه ...

لتسمع منه اعترافاً طالما تمنته ...

_بحبك ...عمري ما حبيت ولا هاحب غيرك .

العرق يتصبب على جبينها غزيراً لتتمتم بين صحوة ومنام ...

_قلها تاني ...لا لا ...ابعد !

شهقت بعنف لتنتفض مكانها على فراشها وهي تحتضن جسدها بذراعيها ...

حلم ؟!





كان حلماً؟!!

تباً!!!

إنها لاتزال تشعر بحرارة لمساته...

لاتزال تشعر بدفء جسده يغمرها ...

حلم ؟!!

لا ...بل كابوس!!!

أفيقي...أفيقي!!!

يامن لم ولن يحب!!!

كل سعي عمرك هذا كان خلف سراب!!!

شهقاتها تتوالى تباعاً حتى تفتح فمها بقوة طالبة الهواء!!!

والدمع العصيّ لايزال يحرق مقلتيها رافضاً الهطول ...

لماذا ؟!!

لماذا هذا الحلم الآن؟!!

ألم تكن قد حرمت اسمه حتى على أفكارها؟!!





ألم تقهر هذا الحنين الخائن لرجل مسحته من حياتها بممحاة ؟!!

تأوهاتها الخافتة تذبحها بثقلها فتمد أناملها تتحسس بطنها ...

تتذكر فرحتها عندما علمت عن حملها ...

عندما أيقنت أنه سيكون هناك ما يربطها به طوال العمر !!

كانت تظن أنها ستقدم لصغيرها أروع قصة حب ترويها له عندما يكبر ...

لم تكن تعلم أنها دون قصد ستورثه وصمتها وجرحها ...

آه!

انفلتت منها حارقة متوجعة وهي تشعر بوخز جسدها كله اشتياقاً ...





_لا!! أبداً!!

وكأنما تلبستها روح امرأة أخرى لتهتف بها لنفسها بصوت مسموع قبل أن ترفع الغطاء عنها بعنف ...

لن تستسلم لهذا الغباء من جديد ...

ياسمين المغفلة ماتت تلك الليلة..

الحمقاء التي نذرت عمرها لوهمٍ قتلها!!

ياسمين الآن لا تحن ولا تشتاق...

تنتصر فحسب!!!

لهذا مدت أناملها بسرعة للكومود جوارها حيث هاتفها الذي فتحته لتبحث عن رقم زين ...

رسالة نصية من كلمة واحدة لكنها تعلم أنها ستعني له الكثير ...

ليس له وحده بل لها هي أيضاً...

كلمة واحدة ستطعن بها ضعفها المخزي هذا ...





_وحشتني!

ولم تكد ترسلها حتى أخذت نفساً عميقاً محاولة السيطرة على خفقاتها التي لا تزال مضطربة ...

قبل أن تأخذ طريقها لتغادر غرفتها نحو المطبخ ...

فتحت الثلاجة وهي تشعر بالجوع لتقع عيناها على هذا "البرطمان" المميز بألوانه ...

وبذكرياته !!!

أناملها الخائنة تسارع بتلقفه وكأنما تتلمس مع مذاق الشيكولاتة خاصته عطايا عشقه القديم ...

_هادوقها بس ...بطريقتي!

جسدها يعود لارتجافة شوقه وهي تكاد تعتصره بأناملها قبل أن تطلق زمجرة غاضبة وهي تلقيه





بعنف ليتكسر بدويّ عالٍ كانت تحتاجه لتفيق من "سَكرتها" العاطفية هذه !

_ماذا حدث؟!

هتف بها عابد وهو يدخل عليها لتلتفت نحوه بحدة قبل أن تشيح بوجهها دون رد ...

منذ موقف المطعم المخزي وهي تتحاشى الحديث معه !

بينما استغفر هو الله بصوت مسموع لينادي الخادمة كي تنظف هذه الفوضى قبل أن يقترب من أخته ليقول لها بأقصى ما استطاعه من كظم الغيظ ...

_تعالي إلى الشرفة .

قالها بالفصحى وهو يسحبها من ذراعها ملاحظاً ذبذبات نفورها منه لكنها استسلمت له أخيراً





وكأنها تبحث عن أي رفقة تنسيها هذه الدوامة التي لن تسمح لها أن تبتلعها من جديد ...

الشمس تميل للغروب ...

كعهدها ترحل بعد طول تألق لتسقط في غياهب الليل ...

وكأن بريق النهار- الذي أغشى الخلق هذا - لم يكن !!!

محته "الظلمة"!

_تذكرين هذه ؟!

انتشلها بها عابد من نحيب أفكارها السوداوية هذه وهو يناولها ميدالية من الكريستال الملون كانت قد أرسلتها له كهدية منذ أعوام ...

فالتفتت نحوه لتتطلع إليها بنظرة خاوية فيما استطرد هو بنبرة هادئة:





_ظللت أحتفظ بها من حينها لتذكرني ب"ياسمين الجميلة " دائماً..طالما كنت فخوراً بكِ....

ثم صمت لحظة ليردف:

_لو كنا سنفقد مع كل محنة قطعة من ايماننا فما الذي سيتبقي لنا من أنفسنا في آخر الطريق ؟!

عادت الدموع تملأ حدقتيها وهي تشعر بالمزيد من التخبط ...

أخوها يبدو صادقاً في شعوره نحوها لكن حدسها يخبرها إلى أين سينتهي هذا الحوار خاصة بعد تجنبها الحديث معه عقب لقائه الكارثي بزين ليلتها ...

لهذا تحفزت ملامحها وهي تهتف بانفعال:

_لو دي مقدمة لطيفة عشان تنصحني باللي يصح واللي ما يصحش فياريت توفرها ...لو تعرفني كويس هتبقى فاهم إني مابعملش إلا اللي في دماغي واللي أنا مقتنعة بيه وبس!




_وهل أنتِ مقتنعة حقاً بما تفعلينه مع ذاك الرجل؟!
وقبل انتهاء عدتك ؟!

هتف بها بغضب ظهر أخيراً وسط حروفه بينما يلقي الميدالية أرضاً بعصبية ...

لتعقد ساعديها أمام صدرها مكملة الحوار بما يليق به من عصبية:

_أنا مابعملش حاجة غلط ...موضوع العدة ده قصة وقت ...وبعدها هنتمم الموضوع رسمي .

_حدود الله ليست للعبث ...ولا مجال فيها لإعمال عقل!

_وانت مالك ؟!

_الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة على كل مسلم ...الرجل الصالح الذي كان يعبد الله في قوم عصاة كان أول من ابتدئ بالعذاب ولما سألت





الملائكة عن سبب هذا قال لهم المولى عز وجل ...إنه لم يتمعر وجهه

لأجلي !

هتف بها بانفعال حقيقي احمر معه وجهه لتهز هي رأسها باستغراب وقد عجزت عن فهم بعض كلماته ...

بينما استطرد هو بلهجة خطابية تعلمها من شيخه :

_المعاصي ذوات رحم يشد بعضها بعضاً ....فلا تكوني من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ...أولئك هم وقود النار .

_وشيخك ما علمكش الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ؟!




والعبارة كانت من وجدي الذي جاء من خلفهما ليوقف هذا النقاش الذي أوشك أن يتحول لشجار يدرك عواقبه ...

خاصة عندما هتف عابد بغضب:

_تناصرها على الفجور؟!

_فجور؟! بتقوللي أنا كده ؟!! ما هم اللي زيك اللي بوظوا صورة الدين !

هتفت بها ياسمين بعصبية ليرد عابد الساخط باستنكار:

_ومن مثلك هم من ينصرونه ؟!!

_بس!! اسكتوا انتم الاتنين!

هتف بها وجدي بنفاد صبر وهو يجذب عابد ليسرّه ببضع كلمات في أذنيه جعلت الأخير يستغفر الله بصوت مسموع قبل أن يقبل رأس أبيه بسرعة ليغادرهما دون كلمة ...





فيما ظلت ياسمين تتابعه ببصرها حتى غاب عن ناظريها تماماً لتعاود الالتفات نحو أبيها بقولها :

_قلت له إيه عشان يسكت كده فجأة المجنون ده ؟!!

فأطرق وجدي برأسه قليلاً ثم رفعه نحوها ليجيب بضيق:

_أولاً...أخوكِ مش مجنون ...ولتاني مرة بقوللك إني زيه مش راضي عن تصرفاتك دي!

أشاحت بوجهها مطلقة غمغمة ساخطة ليردف بنبرة أكثر أسى:

_وثانياً...انا بحاول أحافظ ع الشعرة الباقية بيني وبينه عشان ما تتقطعش ...الشعرة دي هي اللي بتخلليه لسه بيسمع كلامي ...الشعرة اللي اتقطعت معاكِ انتِ للأسف!

كتفت ساعديها لتطرق برأسها مستشعرة المزيد من الضيق ...

تقربه منها هذا يشعرها بالذنب ...





لكن ما حيلتها في قلبها هذا الذي يعجز حتى عن مسامحة الأقربين؟!!

امرأة الألوان ذات القلب الأسود الذي لا يعفو ولا ينسى...

فياللمفارقة!!!

لهذا رفعت إليه عينيها أخيراً بنظرة غريبة حملت كل تناقضات مشاعرها ...

عينيها اللتين تعلقتا بشامة وردية بارزة جوار أنفه تنبت فيها شعيرتان قصيرتان كانت تحلو لها مداعبتها في صغرها وهي تدعوها ...

_شامة جدو علي!

هو الذي أكمل لها الخاطرة في مفارقة غريبة ونفس الفكرة تراوده متذكراً فيلماً من الأفلام الكارتونية القديمة والذي كانا يشاهدانه معاً في





صغرهما حيث كانت هي وقتها تضحك مشبهةً له ببطل من أبطاله...

فابتسمت بحنين جارف والدموع تتكاثف في حدقتيها من جديد دون أن تسقط ...

عندما التقط هو الميدالية الكريستالية الملونة من على

الأرض ليضعها في أحد كفيها بحركة ذات مغزى ..

بينما رفع الآخر ليضعه على وجهه مكان شامته المميزة قائلاً:

_ذكرياتنا الحلوة ممكن تنسينا ظلم ناس خذلتنا ...بس نديها الفرصة.

ربتت بأناملها على وجهه قبل أن تغمض عينيها بعجز ...

كلامه جيد لكنه يبقى مجرد ...كلام؟!

تنسى؟!





ماذا تنسى؟!

صورة أمها الراحلة التي لاتزال تقف بينها وبينه!

تنسى؟!

كفاحِ عمرها الذي قضته تحاول إثبات نجاحها كي تعاقبه به !

تنسى؟!

جحيم زواجها من رامي الذي كان اختياره !

تنسى؟!

أين يباع هذا النسيان "الكريم" هذا كي تشتريه ؟!!

وأمامها كان هو يشعر بعظم وزره ...

ابنه وابنته يقفان على حافة جرفٍ هار ...

كلاهما يعاني تطرف فكره ...وتطرف قلبه ...

عسى الله أن يلهمه الصواب كي يرمم ثقب السفينة المعطوبة !

لهذا ابتسم بحنان وهو يربت على شعرها قائلاً:

_معقول تكوني في ماليزيا وماتزوريش شارع العرب؟! غيري هدومك وتعالي أفسحك .

=========

في الشارع المميز تسير جواره بذهن شبه غائب ...

_مين اللي وحشك يا ياسمين ؟! زين الصديق واللا زين ال(....؟! هاسيبلك القوس مفتوح !

هكذا رد زين على رسالتها برسالته التي تلقتها مكتوبة قبل أن تغادر بيت والدها معه إلى هنا ...





والذي كان فرصة مناسبة لتأخير ردها عليه ...

بماذا ترد ؟!!

هي لا تملك الجواب!

لأول مرة يجرفها موج الكبرياء بعيداً عن شاطئ "الفضيلة"!!

_ميزة الشارع هنا إنه يحسسك إنك في مصر ...هنا مطاعم أكل مصري وسوري محترفة....أماكن كتير للتذكارات لو حابة تعملي شوبنج...أقرب شارع لقلبي هنا في ماليزيا ...تحبي ناكل إيه ؟!

قالها وجدي وهو يجذب ذراعها لتتأبطه بينما يسيران متجاورين لتجيبه بشرود :

_ماليش نفس آكل ...ممكن أتفرج على المحلات بس .





قالتها لتغرق في صمت شرودها من جديد بينما عيناها تتابعان الواجهات الزجاجية للمحلات ...

_أقوللك سر؟! مفيش مرة عملت شوبنج إلا وكنت بقف قدام

محلات الهدوم الرجالي أتخيلك في كل اللبس

الأسود...شياكته جاذبيته غموضه ...ماظنش يليق على حد أكتر منك ...لون واحد بس اتمنيت أشوفك فيه غير

الاسود...الابيض...عندي في دولابي قميص أبيض اشتريتهولك من زمان بس مافكرتش أقوللك عليه قبل كده !

_ليه؟!

_لسه مش من حقي أفرض عليك ذوقي .





_ابقي وريهولي يمكن يعجبني!

دمعت عيناها أمام واجهة المحل التي تألق فيها هذا "المانيكان" بقميصه الأسود ....

تباً..الذكرى "اللعينة" تقصف خاطرها غدرا!!!

وعدها أن يرتدي القميص الأبيض ولم يفعل!

وعدٌ آخر من وعوده التي لم يفِ بها ...وما أكثرها!!

غص حلقها بمرارته وهي تتحرك بسرعة عصبية نحو محل آخر ...

أناملها تمسد بطنها فوق ملابسها وهي تتمتم في نفسها :

_بكرهه ...بكرهه !

لا تدري لماذا ودت في هذه اللحظة لو تصرخ بها ...

لو يسمعها كل من في الأرض ...

لو تسمعها صغيرتها في بطنها ..

لا!

لا!

لا!

إلا يمنى!

لن تورثها كراهيته...

ستبقيها "الحلم النظيف" الذي فر بطهره من بلادٍ دنسها الخذلان والخيبة والغدر!

غدر؟!!

وهل أبشع مما فعله بها غدر؟!!

هو اغتالها من فوقها ومن بين يديها ..ومن تحتها !

زلزل الأرض الثابتة التي طالما رسخت فوقها قدماها !

ماذا بقي لامرأة خانها ماضيها ويتوعدها غدها ؟!

ماذا بقي؟!

حديث والدها الودود يداعب أذنيها بينما يصعد بها درج أحد المطاعم هناك ...

يصف لها الأماكن ويحكي لها عن بعض ذكرياته هنا مع عابد وأمه ...

يظن نفسه يسليها لكن الحقيقة أنه يضع المزيد من الملح على الجرح!

ذكرياته التي يحكي عنها هذه كان من الأولى أن تكون لها هي ولأمها!!

_حاسبي!

هتافه الجزع يصلها متأخراً وهي تدرك تعثرها في حافة درجة السلم لتلتوي قدمها تحتها ثم لم تدرِ ما الذي حدث





بالضبط وهي تفقد توازنها مع صراخ الناس حولها لتجد نفسها ممددة على ظهرها على الأرض...

وفجأة شحبت ملامحها مع هذا الألم الذي شعرت به أسفل بطنها ...

رباه...

إنها تنزف!

لا...يمنى!!!!

===========

_مين دي بقا اللي مش مظبوطة ؟!

هتفت بها غادة بقوتها -المستحدثة- التي لن تسمح لها بتصدع في جدران حياتها الجديدة ...

هي انتزعت روحها مجدداً من بين براثن اليأس ولن تسمح أبداً ...أبداً أن تعيدها إليه ...

لهذا تقدمت نحوهما بعينين تنضحان شرراً ...





ليشيح سيف بوجهه زاماً شفتيه بينما هتف إسلام وهو ينقل بصره بينهما :

_هو فيه إيه بالضبط؟! ما تتكلم يا سيف؟!

_اتكلم يا دكتور سيف...عايزة أسمع بتتهمني بكده ليه !!

هتفت بها غادة بنفس النبرة القوية وهي تعقد ساعديها أمام صدرها ليصمت سيف قليلاً قبل أن يهتف أخيراً بانفعال:

_والله أنا ماكنتش هاتكلم...بس مادام طلعتِ بجحة كده فأنا ماقداميش حل تاني ...

ثم عاد ببصره نحو إسلام وهو يشير إليها بسبابته مردفاً:

_الأستاذة ...الملاك اللي حضرتك وصفتها ...هي سبب خراب بيت أخويا...مراته اللي هي صاحبتها دخلتها بيتها وآمنتها على جوزها وفي الآخر





غفلتها ولعبت عليه لحد ما طلقها وطلب منها هي الجواز .

_خلصت معلوماتك الغلط؟!

هتفت بها غادة بنفس النبرة القوية لتتقدم منهما خطوة أخرى مردفة بثقة لم تتزعزع:

_يُفضّل قبل ما ترمي واحدة ست في شرفها تبقى تسأل أخوك كويس عن اللي حصل ...لو هنتحاسب بجد ...أخوك ومراته -اللي هي صاحبتي- هم اللي مديونين لي باعتذار .

_انتِ كمان ....

هتف بها سيف بنفس الانفعال ليقاطعه صوت علاء الذي ظهر فجأة :

_سيف...ولا كلمة واحدة زيادة !

ارتبك سيف بشدة مدركاً حرج الموقف فيما استطرد علاء وهو يتقدم مشيراً نحو غادة :





_البيت ده بيتي وغادة بنتي ...لو هتغلط فيها اخرج وماترجعش تاني.

كان يقولها هادراً بعنف غريب على طبيعته المرحة ليسودهم جميعاً الصمت الثقيل الذي قطعته إيناس وهي تظهر في الصورة لتضم غادة لكتفها باحتواء قائلة بقوة مع نظرتها العاتبة لسيف:

_ادخلي استريحي يا غادة ...انتِ تعبانة م الصبح.

أطرق سيف برأسه في حرج وهو لايدري ماذا يفعل...

هو لم يقصد أن تتطور الأمور هكذا ...

لكن هذه المرأة استفزته بجرأتها !!!

تباً!!

كيف تهور لهذا الحد؟!

أن يؤذي قريبة العم علاء؟! وفي بيته ؟!





_أنا آسف يا عمو ...حضرتك...

_شرفتنا يا دكتور.

قالها علاء باقتضاب مقاطعاً إياه ليهز سيف رأسه بحنق قبل أن يندفع مغادراً البيت ...

فيما تقدم إسلام نحو علاء ليقول بارتباك ضائق:

_أنا آسف يا عمو ...أنا لحد دلوقت مش فاهم اللي حصل ولا ليه هو بيقول كده .

فأمال علاء رأسه يتفحصه ليقول بنبرة جادة :

_انت عايز إيه بالضبط من غادة ؟!

ازداد ارتباك إسلام وهو يشعر أنه قد حوصر في الزاوية !!!

ربما لو كان قد سأله هذا السؤال قبل هذا اللقاء الكارثي لأجابه بيقين برغبته في الارتباط بها ...

لكن بعد هذه المهزلة ماذا عساه يقول؟!!





_لما تعرف انت عاوز إيه ابقى تعال كلمني ...ولحد وقتها مش مسموح لك انت ولا صاحبك تكلموا غادة كلمة واحدة ...مفهوم؟!

قالها علاء بنفس النبرة ليومئ إسلام برأسه قبل أن يغادر بتحية مقتضبة ليلحق بسيف المنتظر بالخارج وما إن رآه حتى لكمه بقوة في كتفه قائلاً بضيق:

_انت اتجننت ؟! حتى لو كانت فعلاً زي ما بتقول ماكانش يصح أبداً تغلط فيها في بيت عم علاء .

فضم سيف قبضتيه جواره بقوة ليقول بغيظ مكتوم :

_ماقدرتش أمسك نفسي ...لما شفتها افتكرت دموع أمي وهي بتحكيلي عن خيبة أملها بعد طلاق رامز ...تخيل إنها قعدت فترة تبات في شقتي أنا




هناك!! ...شفت كانت صاحبتها مآمناها لأي درجة وهي ...

_انت سألت أخوك ع اللي حصل؟!

قاطعه بها إسلام ليصمت متفاجئاً قبل أن يجيب بارتباك :

_انت عارف إن العلاقة بيني وبين رامز مش كويسة قوي ...بطمن عليه من بعيد لبعيد بس من غير تفاصيل .

هنا عاود إسلام لكمه بغيظ في كتفه قبل أن يهتف بعصبية :

_وأنا اللي بقول عليك عاقل ودماغك يوزن بلد ...ولعت الدنيا من غير ما تتأكد من حاجة...ماجاش في بالك إن الحكاية كلها ممكن تبقى غيرة ستات مالهاش أصل !

زفر سيف زفرة حانقة وهو يشعر أن صديقه ربما يكون محقاً...

لماذا تهور إلى هذا الحد وهو المشهور بتعقله ؟!

لماذا أضرمت رؤيتها النيران في قلبه ؟!

ربما لأنه يذكر تأثره بها تلك الليلة التي رآها فيها تراقص أحمد في زفاف شقيقه الذي حضرته بحكم كونها الصديقة المقربة للعروس ...

هذا التأثير الذي تجدد عندما أخبرته والدته أنها كانت تقيم في شقته ...

والذي اكتسب طابعاً من العدائية عندما علم أنها كانت سبباً في طلاق شقيقه الذي ربما قد يكون قد تعلق بها !!

ما الذي تملكه هذه المرأة بالضبط كي تجذب الرجال نحوها كالفراش هكذا ؟!!

حتى بعدما رآها في حجابها وثيابها المحتشمة هنا لا تكاد صورتها القديمة تغادر مخيلته ...

صورة مجسدة للفتنة والإغواء !!

لكن هل يمنحه هذا الحق في إهانتها كما فعل ؟!!

_أنا ماني زعلانة اني راح موت




انا زعلانة لأنك ما بعمرك عرفت اديش حبيتك ..يمكن ..يمكن حياتي هيي تمن لغلطتي القديمِة..التمن يلّي هيغير صورتي في عيونك.

يكاد يسمعها بصوت "معذبته" الراحلة تقتحم خواطره بعيداً عن غادة ..

وكأن ضميره يستحضرها وسط هذه الفوضى ليعاود جلده بالذنب القديم ...

لهذا دمعت عيناه مع غصة حلقه ليقول بصوت متحشرج متحاشياً النظر لصديقه :

_هامشي أنا...عايز أبقى لوحدي شوية.

لم يعترض إسلام وهو يستنتج بحدسه ما يدور برأسه ...

ربما يكونا مختلفيْ الطباع حقاً لكن كليهما يحفظ تفاصيل الآخر كخطوط كفه ...




لهذا اكتفى بتربيتة واهنة على كتفه قبل أن يتركه ليمضي...

خطواته تمتزج برذاذ من الماضي يشوش الصورة...

ذنبه القديم لايزال يكبل رسغيه بأغلال من نار ...

ذنب لن تكفره توبة ...

القاتل يُقتَل ولو بعد حين !

وهو قتل روحين فكيف يهنأ بحياة ؟!

_الجنين كان بنت ...معلش...ربنا يرحمهم هم الاتنين!

كأنه يسمعها الآن بصوت الطبيب في المشفى ليلتها ...

نفس الطعنة...نفس الألم الذي يشق الصدر بلا رحمة...





نفس الندم الذي يسخر من خطأ لا يمكن إصلاحه !!

صوت بوق سيارة على الطريق ينتزعه من أفكاره ليتعثر مكانه للحظة قبل أن يعاود استقامته بعينين توقدتا بانفعال مكتوم ...

لماذا تراوده هذه الذكرى الآن بالذات مع رؤية "هذه المرأة"؟!!

آه !

ليته لا يكون قد ظلمها هي الأخرى!

وأخيراً تنطلق من صدره تنهيدة حارقة قبل أن يرفع هاتفه ليجري اتصالاً تأخر فيه كثيراً حقاً!!!

وفي غرفتها المخصصة لها جلست إيناس صامتة بتوتر جوار غادة التي غابت ملامحها في شرود طويل ...

ربما لو كان موقف الليلة قد صادف غادة القديمة لزادها ذلاً إلى ذل ...




لكنها الآن تشعر برغبتها في الحديث...

بل الصراخ !

هي لم تترك الماضي خلفها كي تعود لتتجرع مرارته هاهنا !!

_سيبيها تنام يا إيناس .

قالها علاء وهو يدخل الغرفة أخيراً بعد رحيل الصديقين لتنظر إليه الأخيرة نظرة راجية قابلها بأخرى حازمة ناسبت قوله لغادة :

_أنا عارف كويس انتِ مين وثقتي فيكِ مش هتتهز ...عشان كده مش هسألك عن تفاصيل تخصك.

ربما لو كانت أخرى غيرها لتقبلت منه هذا الكلام ...





لكنها في هذا الموقف بالذات وجدت نفسها تتحلى بكل ذرة من قوتها المستحدثة لتقول بثقة :

_لا ياعمو هاحكيلك كل حاجة بالتفصيل...معنديش ذنب أتكسف منه ...عمري ما عملت حاجة غلط.

======

_عرفت ابنك منها مات إزاي؟!

سألته ياقوت بينما يجلس هو أمامها في واحدة من جلساته العلاجية التي صار يستجيب لحاجته لها ...

ربما لأنه يعاند فيها نفسه القديمة بكل تعقيداتها ...

وربما لأنها تمنحه ارتياحاً بإلقاء أوزاره من على كتفيه ...

وربما -وهو أعظمها- لأنها تعطيه الأمل أن يصلح ما أفسده يوماً مع المرأة الوحيدة التي أحبها بكل جوارحه ...

_لا.

إجابته كانت مقتضبة لكنها حملت لها الكثير من عذابات روحه ...

شعورها -الغريب- نحوه يعاكس حياد "مهنيتها" ..لكنها لا تملك فيه يداً !

مزيج من إعجاب وإشفاق ...

صورة "شبه مضبوطة" لزوج تتمناه ...

و"انعكاسٌ مثالي" لصورتها هي !!

نفس البدايات الجارحة القهرية من أقرب من يفترض أن يكونوا العون والسند !

لكنها لم تسمح لأحاسيسها بالظهور خلف نبرتها المحايدة وهي تعاود سؤاله :

_ليه ماحاولتش تتواصل مع باباها وتعرف منه ؟!

صمت طويلاً وكأن السؤال حقاً بهذه الصعوبة قبل أن يطرق برأسه ليتمتم معترفاً :

_خايف...

ثم احتدت نبرته أكثر وهو يردف بانفعال :





_كل ليلة قبل ماانام برسم ألف سيناريو ...كل واحد أقسى م اللي قبله ...خايف أكون أنا السبب ...خايف أسمعها بوداني ...ذنب ابن سيلين لسه مطوق رقبتي ...مش قادر أسمع تفاصيل ذنب تاني!

هزت رأسها بتفهم وهي تقول بهدوء:

_كنت هاستغرب جداً لو عملت غير كده ...والدك الله يرحمه علمك تهرب ...عبد الرحيم حمدي اللي هرب زمان بابنه من عار الممثلة المعروفة ...دلوقت ابنه بيكرر نفس التصرف...برضه بتهرب !!

رفع إليها عينيه باستغراب من تصويرها للأمر بهذه الطريقة ...

لم يخطر هذا بباله أبداً ...





أن يكون -وهو في هذه المكانة والسن - مجرد تابع لما كان يمليه عليه أبوه !

لكنها استطردت بنفس الثقة :

_هو ده التحدي الحقيقي يا دكتور ...إنك تخرج من عباية عبد الرحيم حمدي ...إنك تبطل تهرب ...تبطل تجري ...انت حالياً في مرحلة كويسة إنك وقفت ...ده في حد ذاته إنجاز...اللي فاضل بقا إنك تبص وراك ...تواجه اللي فات واللي كنت بتديله ظهرك ...قل لي علاقتك بوالدتك عاملة إزاي دلوقت.

_معقولة...كويسة...كويسة جداً...يمكن ...أكتر فترة في حياتي حسيت إنها قريبة مني ...

قالها ببعض الارتباك وكأنه مجرد طفل يبحث عن جواب لا يدينه...

ليردف بابتسامة واهنة :





_انت عارفة إن امبارح كان مهرجان (.....)....لما قرات الخبر قلت هاروح ألاقيها مش في البيت بتجهز نفسها زي كل سنة ...لكن روحت لقيتها جنب داليا في السرير عشان كان عندها شوية برد ...فعلاً تغيير كبير .

فابتسمت وهي تقول بيقين:

_الأمومة عند الست فطرة مش اكتساب ...والفطرة ممكن تنتكس لكن لو وفرت الظروف المناسبة هترجع تلمع وتسيطر ...نبيلة كانت محتاجة الصدمة اللي حصلت للعيلة عشان تنسى بيللا وترميها ورا ظهرها بعد ما عاشت العمر ده كله فاكرة إن هو ده إنجازها اللي لازم تحافظ عليه.

أومأ برأسه موافقاً ثم عاد يسألها بتردد:

_تفتكري ممكن أقدر أواجه ياسمين امتى؟!

_لسه مشاهد الفيديو بتيجي في دماغك ؟!





هز رأسه نفياً بسرعة قبل أن يزفر بضيق ليعاود الإيماء

بالإيجاب..

فاتسعت ابتسامتها وهي تقول ببساطة :

_مكسوف ليه ؟! انت فاكر إنك هتنسى في يوم وليلة ؟! لو راجل عادي مش هينسى موقف زي ده بسهولة فما بالك براجل عايش بشكوكه زيك ؟! خد وقتك يا دكتور ...المهم تحاول ما تقابلهاش إلا لما تبقى واثق تماماً إنك قادر تواجه .

_تفتكري ممكن تسامح ؟!

سألها بتردد مشفق وهو يشعر بالغرابة في نفسه ...

أن يجلس هكذا مع امرأة يسألها عن مصير علاقته بامرأة أخرى لهو أشبه ب"فيلم خيال علمي" رخيص بالنسبة لماضيه ...

لكن ها هو ذا يفعلها !!!





_ياسمين ما سامحتش أبوها اللي هو أبوها ع اللي عمله زمان ...يبقى هتسامحك انت بسهولة كده ؟!
من كلامك هي عاشت عمرها كله بتحبك وبتدي من غير حدود ...القلم اللي خدته ما وجعش قلبها بس ...ده وجع كرامتها اللي اتجرحت قدام الناس كلها .

قالتها بنفس البساطة ليهتف بغيظ :

_انتِ معايا واللا معاها ؟!

فعدلت من وضع نظارتها على أنفها لتقول عبر ابتسامة :

_عايزاك تعرف إن الطريق صعب عشان تجهز كل طاقتك وتشحن كل أسلحتك للمعركة...

ثم تنحنحت لتقول باستدراك:





_آه...نسيت إنك مابتحبش هرْي التنمية البشرية ...هاقولهالك بطريقتك...مش عايزة أعمللك البحر طحينة لحد ما تلبس في الحيط !

قالتها ملوحة بكفها في إشارة لما تقول فابتسم ابتسامة مستمتعة حقيقية وهو يهز رأسه ...

هذه المرأة أمامه نموذج فريد مختلف عمن قابلهن من النساء ...

ذكاؤها ...فطنتها ...حسن استنباطها ...خفة ظلها التي تتسرب عبر حُجب اعتدادها بنفسها ...

وفوق كل هذا ماديتها الرهيبة التي لمسها في تعاملاته القليلة معها ...

لمعة عينيها مع رؤية المال لا تخطئها عين راءٍ ...

فلو أضفنا لهذا مظهرها المبهرج عديم الأناقة لكانت المحصلة أنثى استثنائية ...

لكن كل هذا لا يخصه على أي حال!!!





بينما قرأت هي ابتسامته ببعض الأمل والحلم -إياه- يراودها ...

تريد رجلاً !!

رجلاً يجمع لها ما تناثر من لآلئ العمر ليضعها في عقد حول جيدها...

رجلاً يرفع رأسها ورأس ثمر وتثبت به لوالدها الغائب في برجه العاجي هناك أن "ابنة الخادمة" وصلت لقمّة جاه يشبه قمته هو!!

لكن ...هل يجوز الحلم برجل كيامن يبدو وكأن قلبه سافر مع تلك الراحلة هناك ؟!!

نحّت تساؤلاتها جانباً بمهنية تكاد ترجوها عدم الخوض في بحر كهذا ...

لتنظر في ساعتها قائلة :

_معادنا الجاي بعد بكرة ...ياريت تيجي بدري شوية عشان ما أتأخرش على معاد القطر ...عايزة أوصل قبل لجين المرة دي .





فوقف مكانه متأهباً للمغادرة قبل أن يسألها بما جال في خاطره :

_هو انتو ليه مش ساكنين مع بعض هنا ؟!

_أنا المركز هنا موفر لي سكن مع الأطباء ...هي مأجرة شقة صغيرة مع اتنين زمايلها شغالين معاها في المعمل.

قالتها ببساطة لم تخفِ فخرها بمهنتها خاصة بالمقارنة مع وضع شقيقتها البسيط ...

فالتوت شفتاه بشبه ابتسامة وهو يحاول استقراء بعض دواخلها قبل أن يقول بفظاظته المعهودة :

_هو احنا هنقضيها دردشة كده في الجلسات ؟! مفيش دوا؟!

فرفعت حاجبيها باعتداد لتجيبه دون أن تنظر إليه :

_ما بحبش أدخل أدوية في المرحلة الأولى ...بفضل أستنى شوية ...إلا لو المريض دخل في حالة اكتئاب.




_الله يطمنك ! وانتِ مستنية بقا يجيلي اكتئاب ؟!

هتف بها متهكماً لتجيبه بتهكم مماثل وبابتسامة عابثة زينت شفتيها الجميلتين:

_أو محاولة انتحار ...أيهما أقرب!

مط شفتيه باستياء وهو يتحرك ليغادر الغرفة ولم يكد يصل للباب حتى سمع صوتها خلفه :

_ساعد نفسك تاخد قرار سريع ..أي ذكرى حلوة بينكم لون بيكمل لوحة لازم تترسم .

فعادت الابتسامة الباهتة لشفتيه دون أن ينظر إليها ...

قبل أن يغادر ليغلق الباب خلفه دون رد ...

ذكرى حلوة ؟!





وهل بقي له إلا الذكريات ؟!!

تنهد بحرارة وهو يغادر المركز ليستقل سيارته ...

مزاجه المتعكر لا يسمح له بعمل لهذا ألغى مواعيد عيادته للمرة التي لا يعرف عددها ...

خمس مكالمات فائتة...

نبيلة بالطبع تريد الاطمئنان عليه...

مروان كذلك...

رامز ...يرجوه من جديد إقناع هانيا العنيدة بالرجوع إليه...

داليا تريد تلبس دور الكبار ومناقشته في كل شئون العائلة...

والمكالمة الأخيرة من "رقم دولي" غريب!

تباً....

ذكرياته مع مثل هذه الأرقام لا تسر ...

لن يشغل باله بهذا ...لو كان أمراً هاماً فسيعاود الاتصال !





ياسمين؟!!

لا ...لا ...

هي لن تفعلها أبداً ...

ليس بعدما كان !

لهذا ألقى هاتفه جانباً ببعض العنف قبل أن يشغل السيارة ...

إلى أين ؟!

ابتسامة حنين تزين وجهه وهو يجد نفسه يجتاز الطرقات نحو مكان بعينه...

أجل ...كما توقعتم ...

مطعمهما المشترك الذي تم إغلاقه منذ شهور ...

ليبقى معلقاً كأشياء كثيرة بينهما ...





على عكس مطعمها هي الخاص ب"السينابون" الذي لايزال يعمل بكامل طاقته حتى في عدم وجودها .

توقف بالسيارة أمامه للحظات متأملاً بابه المغلق ...

ذكرى افتتاحه لا تزال طازجة بذهنه ...

فرحتها العارمة به وهي تحتضنه ليلتها قبل أن تختطفه بناء على طلبه...

ليلتهما الساخنة بعدها ...شاليه البحر ...

وحلمها الذي صارحته به صبيحتها أن تحمل طفلاً منه !

آه !

ألا لعنة الله على الأماكن حين تحتفظ هي بشعورٍ نحن فقدناه !!





حين تمنحك صورة عن نفسك لم تعد أنت تملكها !!

حين تجلدك بالأمس فتستغرب اليوم وتزهد الغد !!

ألا لعنة الله عليها ...

بل ألا حفظاً حفظاً لمثل هذه الأماكن...

هي أوفت ونحن؟!

...نحن خُنّا!!

تأوه بخفوت عند الخاطر الأخير وهو يعاود تقليب خاتمها في إصبعه...

_يوم ما أشوفك تاني مش هاسيبك من حضني أبداً.

تمتم بها بما يشبه الوعد وكل ذرات جسده تشاطره العهد ...

سيعانقها بقدر ما اشتاق صورته في عينيها ...

سيقبّلها بقدر ما افتقد نفسه فيها ...

سيمزج أنفاسها بأنفاسه ما بقي له من عمر !




من أين لك بهذه الثقة أنـها ستنتظر ؟!!

الخاطر الأسود الأخير يلطخ "وردية" الصورة فيزفر بقوة قبل أن يتمتم بشرود :

_مش ممكن الحكاية تخلص على كده ...

لكن أفكاره انقطعت عندما رن هاتفه من جديد بنفس الرقم الدولي ...

ليفتح الاتصال ....

=======

_ما تكدبش ...أنا شايفاك بعيني وانت بتكلمها !

هتفت بها "شوشو " بغيرة حانقة وهي تخبطه بكتابها على صدره ليتأوه هيثم بقوة مصطنعة قائلاً بين ضحكاته :

_اعقلي يا مجنونة ...كنت بطمن عليها بس ...وعشان تصدقي آخر الحوار قالتلي إني زي أخوها .

_وده مزعلك ...هه؟!

هتفت بها بنفس الغيرة الطفولية التي صار معتادها ليتنهد بحرارة قبل أن يقول بجدية :

_مش هاكدب عليكِ وأقوللك مش زعلان ...مشاعري ناحية داليا كانت أقوى من إني أعديها ...

دمعت عيناها بحرقة وهي تشيح بوجهها ليستطرد هو محاولاً مراضاتها :

_بس برضه أنا أعقل من إني أضيع حياتي ورا وهم .

لكنها أعطته ظهرها لتقول بنفس النبرة الانفعالية :

_ماشي يا سي عاقل ...آسفين لإزعاج سيادتك.

قالتها وهي تتحرك بضع خطوات لتبتعد لكنه لحق بها ليقف أمامها ويمنعها من التقدم بقوله العابث:





_خلاص ما تزعليش بقا ...آسفين يا سكر .

هنا غلبتها ابتسامتها الساذجة التي عدت كطفلة فوق شفتيها ...

ابتسامة شقت طريقها لقلبه بعفويتها التي تزيد عمق شعوره نحوها يوماً بعد يوم...

شعور لا يعرف تصنيفه ...

ربما لأنه ليس في قوة عاطفته القديمة نحو داليا لكنها تغمره بشعور مريح ...

بسيط ...عفوي يشبهها!

لهذا ضحك ضحكة صافية ثم غضن أنفه بحركة مشاكسة يعلم أنها تعجبها ...

وقد صدق ظنه عندما ضحكت بخجل لتهتف به :

_مفيش حاجة مصبراني عليك إلا خفة دمك دي .

_بس؟!





_وقلبك الطيب؟!

_بس؟!

_وشهامتك؟!

_مممممم...وبس؟!

غمزها بها أخيراً بمكر مرح لتتلون وجنتاها بحمرة أحبها ...

ربما لا تكون جريئة قوية الشخصية كداليا لكن فيها شيئاً يجعله يشعر بالانجذاب ...

شيئاً "حلواً" ....كالسكر!

الكلمة التي ذكرته بوالده الحبيب وجعلته يقول لها بينما يسير جوارها في أروقة الجامعة :

_بابا عامل حفلة كبيرة الخميس
بالليل ...تعالي ...فرصة تشوفيه وتتعرفي على ماما .

_ماشي.

قالتها بطاعة يحبها فيها وتقربها نحوه أكثر خاصة مع مقارنتها بتنمر داليا عليه...





فكاد يرد عليها بعبارة ودود لولا صوت رنين هاتفه الذي فتح اتصاله ليهتف بحرارة :

_أهلاً بالابن الضال ...إسلام باشا..لسه فاكر أخوك ؟!

==============

_خالو أشرف وحشني قوي.

قالتها الصغيرة ريما وهي تستكين في حضن نشوى التي ردت بأسى:

_هيبقى كويس يا حبيبتي ويرجع لنا بالسلامة .

قالتها وهي تشرد ببصرها في الأوضاع الجديدة...

أشرف كان يتحمل عنها الكثير وسقوطه كان نكبة لها قبله !

ليت الأمر فقط مجرد مال ...

لكنه كان السند الذي تلتجئ إليه بعدما ابتلاها القدر بزوج لا يحمل من الرجولة أدنى نصيب...

رماها وابنتها ساعياً خلف نزواته !





ما الحل الآن؟!

كيف يمكنها التعايش ومواكبة طلبات الصغيرة ومصاريف علاج أشرف نفسه ؟!

لا...لن تستسلم !

عقلها العملي سريع الاستجابة جعلها تبيع قطعة أرض صغيرة كانت تملكها واستعانت بمحامٍ ماهر كي يتصرف بشأن المصنع...

مصنع أبيها لن يموت بموته ....

سيبقى وترثه ابنتها بعدها ...مهما حصل!

هذا هو تحديها القادم ولن تخفق فيه ...

هي تملك خبرة لا بأس بها في الإدارة لكنها لا تزال تحتاج الكثير من المساعدة ...





من يمكنه أن ....؟!

انقطعت أفكارها عندما رن جرس الباب لتهرع الصغيرة بسرعة نحوه وتفتحه ...

العيون تلتقي بمزيج ملتهب من المشاعر بينما نشوى تقف مكانها لتتوجه نحو الطارق ...

أو بالتحديد ...الطارقة !

رانيا!

لعنة أشرف وخيبته الثقيلة!!!

لماذا تتحامل عليها هكذا ؟!!

هل هي مجرد غيرة أنثوية تفترض بين امرأتين في وضعهما ؟!!

لا !





الحقيقة أن نشوى التي اختصها نصيبها بأسوأ نموذج للرجال كانت ترى في رانيا جاحدة بالنعمة !

نشوى التي تربت أن أصالة المرأة في وقوفها جوار زوجها في المحن لم تكن ترى في رانيا سوى نذلة جبانة !

طالما كرهت خنوع المرأة وضعفها تحت أي مسمى ...

فما بالها بحالة كهذه رأت فيها أخاها يعطي ويعطي لامرأة لم تفعل سوى أن تأخذ وتأخذ ؟!!!

لهذا احتدت ملامحها وهي تحاول تذكير نفسها أنها في بيتها لتصرف ابنتها بكلمات حازمة قبل أن تشير بذراعها الممدود نحو رانيا في إشارة "معصورٌ عليها الليمون" كي تدخل !

_إزيك يا نشوى؟!





قالتها رانيا وهي تجلس على أحد المقاعد لتجيبها الأخيرة إجابة تقليدية مقتضبة سبقت قولها :

_خير ؟! إيه سبب الزيارة المفاجئة دي؟!

كانت عبارتها من الفظاظة بمكان لكن رانيا لم تكن تنتظر استقبالاً أفضل ...

لهذا حسمت أمرها لتعطيها ورقة ما من حقيبتها قائلة :

_اتفضلي ...أنا بعت دهبي وبعت كمان شقتنا اللي كان أشرف كاتبها باسمي ...ده المبلغ كله ...أنا عرفت إنك عايزة ترجعي تفتحي المصنع ...خديهم عشان تقدري تتصرفي .

اتسعت عينا نشوة بصدمة وهي تشعر بمزيج من الدهشة والحرج ...





رغم ظنـها أن رانيا لم تفعل أكثر مما كانت ستفعله هي لو كانت مكانـها لكن يبقى التصرف نفسه غريباً على امرأة بشخصيتـها ...

لا ...ليس غريباً جداً في الواقع فها هي ذي تـهرع بضعف لمن يمكنـه تحمل الأمر عنـها لكن يكفيـها أنـها فعلت شيئاً من الأساس !

_ضميرك وجعك قوي كده بعد اللي حصل لأشرف؟!

كانت عبارتـها من الفظاظة بمكان خاصة بعد تصرف رانيا هذا ...

لكن هناك أناساً يترجمون أحزانـهم الخاصة لعبارات جارحة...

يعتبرون ألمهم عورة يسترونـها برداء من القسوة !

طبيعة غريبة لكنـها ...موجودة !




هذه الطبيعة التي اضطرت رانيا للتعايش معها وهي تجاهد نفسها لتقول بقلة حيلتها المعهودة :

_مش لاقية حاجة تانية ممكن أعملهاله...كل يوم بروح له المصحة بس هو لسه رافض الكلام رغم استجابته للعلاج ...نفسي لما يخرج بالسلامة يلاقي المصنع وقف على رجله تاني...يمكن ساعتها يحس إن وجع الأيام اللي فاتت ماراحش هدر .

ويبدو أن الحرارة الصادقة التي كانت تتحدث بها وجدت صداها في قلب نشوى التي تنهدت بحرارة لتقول بنبرة أكثر ليناً:

_ربنا يقدرني...أنا بحاول أعمل اتصالاتي مع ناس أصحابي ممكن يفيدوني في الموضوع ده ...ربنا يسهل .

هزت رانيا رأسها لتؤمّن على قولها الأخير قبل أن تقف فجأة لتقول بارتباكها المعهود :





_هامشي أنا عشان ألحق أروح له ...خللي بالك من نفسك.

قالتها دون أن تنتظر الرد لتتحرك نحو الباب فترددت نشوى قليلاً قبل أن تلحق بها لتقول بقوة امرأة لا تقبل أنصاف حلول:

_قبل ما أقبل منك الفلوس لازم أعرف انتِ هترجعي لأشرف فعلاً واللا نوبة شجاعة وهتروح لحالها؟!

تجمدت رانيا مكانها كعهدها عندما تتلقى هجوماً لتستطرد نشوى بنفس النبرة المكتسحة:

_فكري كويس ...أشرف دلوقت غير أشرف بتاع زمان ...قدامك لسه فرصة تراجعي نفسك ...لأني مش هاسمحلك تجرحي أخويا تاني ...انتِ فاهمة ؟!




تحشرج صوت نشوى في عبارتها الأخيرة فاضحاً زيف قسوتها خاصة مع امتلاء عينيها بالدموع ...

لتجهش رانيا بالبكاء فجأة قائلة :

_ماليش مكان غير جنبه...والله العظيم ما عارفة أعيش من غيره ...بقيت بنام واقوم على أمل بس إني أسمعه بيكلمني ...أنا عارفة إني غلطت ...بس ...غصب عني ...

هنا جذبتها نشوى بقوة لصدرها تعانقها بحنان صلب يشبه حنان شقيقها لتربت على ظهرها برفق قبل أن تبعدها بنفس القوة قائلة بحزم:

_ياللا عشان تلحقي تقعدي معاه قبل الدنيا ما تضلم مادام هترجعي لوحدك .

مسحت رانيا دموعها وهي تبتسم ابتسامة مرتجفة ردتها لها نشوة لتغادر الشقة بخطوات سريعة نحو المصحة...

المشوار اليومي الذي صارت حياتها كلها مرهونة به ...





رغم أن أشرف لايزال ممتنعاً عن التواصل معها إلا بنظراته ...

لكن الأطباء هناك يخبرونها أن وجودها هو وتد علاجه !

ليتها تساعده حقاً كما تتمنى!

ليت أحدهم يمنحها شارة البداية وهي ستكمل الطريق ...

نشوى؟!

نعم...نشوى!

امرأة بقوتها هي من تحتاجه هي الآن كي تقتدي به ...

كي ترتقي سلماً لم تكن لتصعده وحدها على أي حال !

وأخيراً تقف أمام باب غرفة أشرف التي صارت تمثل لها الحياة...





تطرقه برفق لتدخل فتجده جالساً على كرسيه صامتاً كعهده ...

تقترب منه وعيناها تتلوان تراتيل العشق القديم ...

لتأخذ مكانها على كرسيها أمامه ككل يوم فتروي له تفاصيل يومها العادية ...

لكن مكافأة اليوم الاستثنائية كانت الابتسامة الشاحبة التي طافت كشبح هزيل وسط ملامحه...

ولايزال الكلام عصيّاً على شفاه شققها الخذلان !

===========

توقفت بها سيارة الأجرة أمام مبنى الجامعة فترجلت منها بينما السائق يهتف مراعياً :

_أنزل أفتح لك الباب؟!

لكنها هزت رأسها نفياً بشكر خافت لتتحرك نحو المبنى ...

سؤال السائق العفوي لن يكون أقسى ما ستواجهه اليوم بعدما علم الجميع عما حدث لها ...





حجابها سيحميها من شفقتهم لكنها توقن أن تخيلاتهم سترسم الأسوأ...

لن تزيد في عيونهم عن مسخ مشوه يختفي خلف هذه الملابس الأنيقة والأنف المرتفع الذي لن يفقد كبرياءه مهما حدث ....

_حمداً لله ع السلامة يا دكتورة!

لا ...لا ...ليس هذا الآن!

إنه زميلها الذي كان قد تقدم لخطبتها يوم الحادث مباشرة وكانت قد بعثت إليه من يبلغه برفضها ...

تراه جاء شامتاً ؟!!

_الله يسلمك يا دكتور !

قالتها باقتضاب وعيناها تزيغان هرباً من نظرة قد تؤذيها ...

شماتة أو شفقة ...





كلاهما جارح لامرأة لم تعتد سوى نظرات الإكبار .

لهذا تركته بخطوات سريعة كانت هي خير من تدرك أنها هروب ...

هذا الشعور الذي جعلها تحس بذراعها المجبّر جبلاً يحمله كتفها ...

لقد كانت محقة في قرارها الذي جاءت اليوم لتنفيذه ...

ليس أمامها حلٌ آخر!

ولم تكد تتم خاطرها الأخير حتى شعرت بكف يحتضن كفها السليم !!!

التفتت بحدة لترتبك وهي تراه جوارها:

_رامز ...إيه اللي جابك هنا؟!

_ ما طولتيش في الكلام معاه ليه عشان كنت أضربه هنا وسط الكلية بضمير مستريح؟!





قالهابغيرة نضحت من بين حروفه دون أن يترك كفها لتهتز نبرتها بقولها الكاذب:

_عادي ...ده زميلي وكان ...

_كان عايز يتقدملك ...الحاجات دي ما بتستخباش!

قالها مقاطعاً عبارتها لتعض على شفتها بقوة قائلة بعينين دامعتين دون أن تنظر إليه:

_كان يا رامز ...كان ...أعتقد دلوقت زمانه بيشكر الظروف إنه ماتورطش أكتر من كده .

فزاد من ضغطه على كفها ليطارد عينيها مرغماً إياها على النظر نحوه بقوله الذي مزج صدقه بضيقه:

_ماليش دعوة بيه هو ....انتِ اللي تهميني دلوقت ...انتِ ملكي أنا غصب عن أي حد وغصب عنك انتِ شخصياً .

_تاني يا رامز ؟!




_وتالت وعاشر لحد ما دماغك الناشف ده يفهم !!!

قالها بحسم وأصابعه تتخلل أصابعها قسراً ليشبكها معاً فأطرقت برأسها تحاول السيطرة على مشاعرها ...

لا تنكر أن تشبثه هذا بها يرضي غرورها الأنثوي لكن ...

ماذا عن ضميرها ...وهي ترى نفسها قد صارت مجرد ثمرة فاسدة ؟!!

ماذا عن كبريائها ...وهي ترى نفسها بعين انتقاص لن تنصف أنوثتها أمام رجولته ؟!

ماذا عن خوفها ...وهي ترى نفسها -وتراه- في مرآة ماضيهما يتناطحان ولا يتلاقيان !!

لكنها هربت من الخوض في هذا لترفع رأسها إليه بسؤالها :

_انت عرفت منين إني هنا؟!




فابتسم ليغمزها بنبرته العابثة :

_قلبي قاللي!

_رامز!

قالتها بعتاب مستنكر ليضحك دون أن يريحها:

_العصفورة قالتلي.

فابتسمت ابتسامة واهنة لتقول :

_عصفورة اسمها داليا ...صح؟!

قالتها وهي تدرك جهود داليا المستميتة مؤخراً في رأب الصدع بينهما ...

داليا الصغيرة الطائشة التي لم تكن تفكر يوماً في أبعد من صورة مرآتها الآن كبرت فجأة لتأخذ هذا الدور في حياتها !!!

_أعمللك إيه ؟! مش راضية تردي على تليفوناتي اضطريت أستعين بصديق!

قالها بعتاب لم يفقد ودّه لترد بعتاب مماثل دون أن يؤثر هذا على كفيهما المتشابكين :





_ينفع الجنان اللي عملته قدام البيت ليلتها ده ؟!

قالتها مشيرة لتلك الليلة التي فوجئت فيها به يصعد بناقلة كهربية من التي تستخدم لنقل الأثاث لتجده أمام شرفتها محملاً بزهوره !!!

المشهد الذي سيبقى أهل الحي يتحدثون عنه لأعوام !!!

_انت لسه ماشفتيش جنان ...الجنان على أصوله هتشوفيه لو ما وافقتيش ترجعيلي .

_رامز اعقل بقا ...انت أحرجتني جداً ليلتها !

قالتها بانفعال وهي تحاول جذب كفها منه لكنه تشبث به حتى أوجعها قليلاً مع اقترابه منها خطوة :

_أنا عارف إنه تصرف مجنون ...بس قصدت أعمله عشان الناس كلها تعرف أد إيه بحبك .





عادت عيناها تدمعان وهي تود في هذه اللحظة لو تختبئ في صدره ...

رغم اعتراضها على تصرفه هذا لكنها لا تنكر أنه "رقّع" ثوب كبريائها المهلهل ...

هذا الذي كان هو يدركه تماماً عندما فعلها !

هانيا الآن تعاني أزمة ثقة في نفسها ...

نظرات الناس نحوها تذبحها ...

المرأة التي كانت أيقونة للنجاح والتميز صارت فجأة مطلقة مشوهة !!

لهذا تعمد فعل ذلك ليلتها كي يعيد إليها بعضاً من ثقتها المفقودة أمام الناس!!

_رامز ...عشان خاطري اديني فرصة ...

هتفت بها برجاء ليقاطعها دون تفكير:

_انتِ لسه ما فطرتيش ...تعالي نفطر سوا .





قالها وهو يجذبها برفق لكنها توقفت هاتفة باعتراض صريح لم يكترث له وهو يسير جاراً إياها خلفه :

_وافل مربى التوت اللي بتحبيه مع فنجان قهوة سكر زيادة عند (......)...فاكراه؟! أول مكان اتقابلنا فيه بعد الخطوبة !

أغمضت عينيها بتعب حقيقي وهي تستجيب للسير خلفه ...

كيف تنكر أنها تحتاج منه حقاً هذا الذي يفعله ؟!

كيف ترفض؟!

وكيف تقبل؟!

لكن إشارة القدر وصلتها عندما فتحت عينيها لتجد زميلتها المنتقبة التي كانت لها معها ذكرى تلوح لها بيدها من نافذة المبنى...

رؤيتها أضاءت في نفسها قنديلاً طالما انطفأ!





كلماتها كأنما تسمعها "طازجة" بصوتها الهادئ ذاك اليوم ...

ورؤيتها لها الآن ورامز يتشبث بها بهذه الطريقة أمام الجميع يرد لها كثيراً من اعتبارها ...

ربما لهذا اغتصبت ابتسامة رسمتها على شفتيها وهي تهز لزميلتها رأسها قبل أن تسير جواره دون مزيد من الاعتراض ...

شرودها يظلل لقاءهما حتى جلسا سوياً على مائدة في هذا المقهى الشهير الذي تقابلا فيه أول مرة بعد حفل خطبتهما ...

تغيرت الأيام ...وتغير المكان ...

فهل تغيرت القلوب؟!

والإجابة سمعتها منه بقلبها قبل أذنيها :

_مش فاكر كام يوم عدوا بالضبط ...بس اللي متأكد منه إنك في عيني دلوقت زي ما كنتِ وقتها وأجمل





كمان ...اللي حسيته معاكِ ماعرفتش معناه مع أي حد غيرك .

ورغم أن عبارته دغدغت مشاعرها بشعور لذيذ استصرخها أن تعترف له بالمثل ...

لكن عناد كبريائها جعلها تشيح بوجهها قائلة :

_بس ده ماكانش كلامك يوم ما شفتك مع غادة .

فتناول كفها بين راحتيه ليقول لها بأسف:

_عمري ما ندمت على حاجة في حياتي أد ندمي على تصرفي وقتها ...أنا جرحتك وجرحتها ...دخلتها في لعبة ماتخصهاش ...

ثم هز رأسه ليردف بنبرة أكثر ضيقاً:

_تخيلي إن سيف قابلها صدفة في اسطنبول ؟! ولأنه ماعرفش من ماما أكتر من تفاصيل بسيطة ظلمها وحطها في موقف وحش جداً ...بس أنا عرفته الحقيقة .

_إيه؟! سيف وغادة ؟! فين ؟! ياربي!!!





هتفت بها بهلع ووجهها يشحب فجأة ليرد مهدئاً:

_أنا عرفته الحقيقة واترجيته يعتذر لها .

قالها وهو يحكي لها تفاصيل ما أخبره به سيف عبر الهاتف فزفرت بضيق لتغمغم بين ندم وألم:

_ساعات بحس إن اللي حصللي ده انتقام ربنا مني عشان ظلمتها .

_احنا الاتنين ظلمناها ...بس سيف بيقوللي إنها كويسة هناك جداً وسط عيلة بتحبها .

قالها مطمئناً فتأوهت بقوة وهي تطرق برأسها للحظات سبقت وصول النادل بما طلبه لها رامز ...

والذي ترك كفها ليقطع لها "الوافل" لقطع صغيرة ثم قرب إحداها لشفتيها بالشوكة فابتعدت برأسها وهي تنظر حولها مغمغة بارتباك خجول لم تغادره فظاظتها المعهودة :

_احنا كنا لسه بنقول إيه؟!! ...ما يصحش تأكلني كده ....أنا دراعي مكسور مش مشلولة .

لكنه ابتسم ليرد بمرح بينما يقحم الطعام في فمها إقحاماً:





_يابنت الناس أتجوزك وأستر عليكِ ...هاوديني ...سيرتك هتبقى على كل لسان بعد اللي بنعمله ده !

التمعت عيناها بوهج دافئ من عاطفة تجاهد للظهور وهي تلوك الطعام في فمها ...

مزاحه المشاكس يخفي رغبة عارمة تشعر بها مشتعلة في حدقتيه اللتين تعلقتا بشفتيها ...

والذبذبات الحارقة تشتعل بين جسدين نالتهما يوماً "كيمياء" حب خاصة !

ارتباكها يزداد وهي تتناول فنجان القهوة بيسراها ليرتعش الكوب في يدها لولا أن دعمه هو بكفه ليسقط السائل الساخن فوقه ....

شهقت بجزع وهي تسمع صوت تأوهه ليطمئنها ببضع كلمات قبل أن تهتف هي وهي تضع الفنجان مكانه بحركة عصبية :

_أنا آسفة...بس هو ده بالظبط اللي أنا بعمله دلوقت في كل الناس اللي حواليا ..كلكم عايزين





تساعدوني وتقفوا جنبي بس محدش فاهم إن وجودكم دلوقت هيأذيكم ويأذيني ...سيبوني أحلها لوحدي ...أنا مش ضعيفة ولا عاجزة .

_أنا مش جنبك عشان ضعيفة ولا عاجزة...أنا جنبك عشان انتِ حبيبتي ...ولو ماعملتش حاجة طول الأيام اللي جاية غير إني أفضل جنبك عشان تحسي بده ...فده بالنسبة لي كفاية !

قالها بإخلاص حار فتنهدت بعمق وهي تشيح بوجهها ليصمت للحظات قبل أن يسألها:

_رحتِ الجامعة النهارده ليه ؟!

_كنت عايزة أأجل الرسالة .

قالتها بحسم لعله يخفي حسرتها وهي تقولها ...

حسرتها التي انتقلت إليه وهو يسألها بجزع حقيقي:

_تأجليها؟! بعد كل تعبك ده ؟! ليه؟!





ابتسمت بتهكم مرير وهي تشير بعينيها لذراعها المجبر ليجيبها بحزم لا يقبل الجدل :

_الرسالة مش هتتأجل يا هانيا ...ولحد ما دراعك يخف أنا دراعك اليمين !

===========

انفرجت شفتاها بانبهار وهي تتطلع للمبنى من الخارج ....

شركة زين الفايد بواجهتها الفخمة التي تلتمع تحت ضوء الشمس حتى تكاد تخطف بصرها ...

لم تصدق أذنيها عندما تلقت اتصالاً من إدارتهم يطلبون التواصل معها بشأن عمل وينتظرون منها الحضور ...

ما الذي قد تريده مؤسسة عظيمة كهذه من امرأة مثلها ؟!!

يالله!

لو كان هذا الأمر موفقاً فكم "صفراً" ستضيفه لرصيدها في البنك هذا العام ؟!!





تنحنحت بحرج وهي ترى ملابسها قد تغضنت بعد ركوبها الحافلة ...

ألم يكن يجدر بها وهي تأتي لمقابلة عظيمة كهذه أن تستقل سيارة أجرة ؟!!

_خسارة! وبعدين هو احنا لسه شفنا منهم أبيض واللا اسود ؟!

قالتها في نفسها بطريقتها القروية البسيطة التي ترتاح فيها قبل أن تعدل ملابسها متمتمة بنفس اللهجة :

_جاية ب"الحتة اللي ع الحبل" أهه...ياريت يبقى بفايدة .

و"الحتة اللي ع الحبل" لم تكن سوى بذلة زيتونية اللون من قطعتين فوق قميص أبيض اشترتها





"لقطة" في أحد التخفيضات في سابقة فريدة لديها وتحتفظ بها دوماً لمناسبة كهذه ...

أو لمقابلة عريس مناسب!

عريس؟!!

ترى كم يحتوي هذا المكان من فرص؟!!

التمعت عيناها بأمل وهي تعدل وضع وشاحها البرتقالي الفاقع فوق رأسها لترفع أنفها باعتداد لا ينقصها ...

خاصة وهي ترى نفسها الآن كأفضل ما يكون !

تحركت بصعوبة فوق حذائها ذي الكعب العالي الذي ترتديه اليوم بصورة استثنائية أيضاً...

ليته لا يخذلها هاهنا!





خطواتها تودي بها نحو مدخل الشركة الذي لم يكن أقل إبهاراً من واجهتها ...

مكتب الاستقبال ...المصعد ...

صورة خاطفة لنفسها في مرآته تمنحها المزيد من الثقة ...

قبل أن تتوجه نحو مكتب "الرأس الكبيرة" هنا !

ترى كيف سيكون ؟!

لن يقل عمره عن خمسين عاماً كي يتمكن من تأسيس مكان كهذا !!!

يالله!!

هل هذا مكتب سكرتيرته ؟!!

كيف يكون مكتبه إذن؟!!

_دكتورة ياقوت سليمان ...مستر زين في انتظارك .





قالتها السكرتيرة بنبرتها التي بدت لها شديدة الميوعة مقارنة بأسلوبها هي...

لتمط شفتيها ببعض الاستياء وهي تسير خلفها متأهبة

ل"فرصة العمر"!!

وفي مكانه جلس زين ينتظرها بعينين متوقدتين ...

"صائد الكنوز" لن يترك فرصة كهذه تمر من بين أنامله ...

يامن حمدي !

إلى الآن هو لم يعد يشكل خطراً عليه ...

هو زاهد في "كنزه" هو!

لكن ماذا لو علم عن حمل ياسمين؟!

ماذا لو أراد انتزاع طفلها منها قسراً؟!!





ساعتها هو يحتاج ل"ورقة ضغط"!

وليس أفضل من إثبات عدم صلاحيته لأبوة الطفل مع تاريخ علاجه النفسي...

هذا الذي يريد ضمانته من هذه "المرأة" التي يريد السيطرة على جميع خيوطها ...

لهذا تعمد إحضارها إلى هنا بهذه الطريقة "المبهرجة"...

اختبارها سيبدأ الآن!

ياقوت سليمان !

التوت شفتاه بابتسامة جانبية وهو يتابع دخولها خلف سكرتيرته ...

صدئ!

جمال صدئ!

لا ...تمهل يا "صياد"...





لا يزال الوقت مبكراً للكشف عن هذا!

ملامح حسناء ...عينين خضراوين كالقطط ...

شفتان مثاليتان بذوق رجل خبير مثله ...

وجسد نحيل لكن ليس بمفتقر للأنوثة ...

_اتفضلي يا دكتورة !

قالها بلهجته المميزة التي تمزج اللطف بالهيمنة ...لترفع عينيها الذكيتين نحوه ...

يالله!

كانت تظن أن المال، النفوذ،الشباب والوسامة لا يصح أن يجتمعوا معا

لكن هذا الرجل استثناء حي ...

انها لم تشعر في حياتها بالانجذاب نحو أحدهم كما تفعل





الان

يامن حمدي ؟!!

انه يبدو جواره كصعلوك !!

أي مقارنة هذه ؟!

_إيه الراجل ده ؟! ده فاضلله اتنين فولت وينوّر!

هكذا حدثتها نفسها سراً وعيناها تنتقلان بسرعة لأصابع يديه ...

خالية من الخواتم؟؟!

هل هو حسن حظها ام سوء حظ الاخريات ؟!!

مهلاً يا عجول ...مهلاً!!!

هي مقابلة عمل وليس عرض زواج !!

لكن هذا لم يفلح في سيطرتها على تورد وجنتيها التي فضحت خجلاً لا حيلة لها به...





بينما ابتسم هو ببعض العبث ملاحظا تاثيره عليها...

هذا الذي بددته هي تماما بابتسامة متحفظة جافة ارتسمت علي ملامحها المعتدة أخيراً مناقضة كل ما كانت تشعر به :

_خير ...انتم طلبتم مني تعاون في شغل ...أقدر أعرف نوعه !

قالتها وهي تجلس أمامه على المكتب وقد استدعت "مهنيتها" درعاً واقياً ضد كل ما تقرعه انفعالاتها الآن من أجراس إنذار ...

بل ...أجراس عيد !!

لم تستطع تفسير كل هذه السعادة التي كانت تشعر بها

الآن !!

هل جربت يوماً أن تقابل حلمك ؟!!





هكذا كانت هي الآن بكل بساطة !!

خاصة عندما بدأ زين حديثه بطريقته اللبقة معرفاً لها نفسه ...

نظراته المتفحصة...لهجته الواثقة ...جمله القصيرة المنتقاة...مخارج حروفه التي كان يتوقف عندها ببطء من يدرس جيداً ما يقول ...

هو ليس مجرد ثري مدلل...

هو رجلٌ يعرف من أن يؤكل الكتف!!

لكنها هي الأخرى ليست مراهقة ساذجة...

وإن كانت ترحب- سراً -بهذا الدور معه ولو لدقائق!!

_كل ده جميل جداً...تشرفت بحضرتك...بس برضه مش فاهمة انتم عايزينني هنا ليه !

قالتها بنبرة الاعتداد خاصتها ليشير زين نحو سكرتيرته كي تنصرف وتغلق الباب خلفها ...





فيما عاد إليها هي بنظرته الثاقبة مجيباً:

_أنا مش عايزك هنا ...

ثم التوت شفتاه بهذه الابتسامة الجانبية مردفاً:

_عايزك في البيت!

ربما لو كانت امرأة أخرى مكانها لتلقت الأمر بطريقتين ...

إما تفهمه بصورة صحيحة فتظنه يريدها في علاج أحد من أفراد أسرته...

أو بصورة خاطئة كتحرش لفظي ...

لكن الانطباع الذي ارتسم على وجهها لم يبرره هذا ولا ذاك !!

انطباع ب..."الرعب"!!

ملامحها التي لم يغب عنها اعتدادها حتى وسط فورة انفعالاتها الداخلية الآن كانت تتشح بخوف رهيب ...





السكين ...

الجلباب الأحمر ...

الوشاح الممزق ...

السكين ...

الأصابع الغليظة ...

الصوت الثمل ...

السكين...

الساعة المكسورة ...

السجادة المنقوشة بلون الدم ...

السكين ...

السكين ...

السكين !!!

دوامة من ذكريات ليلة رأتها ...ولم ترها ...

بل عاشتها ...ولم تعشها!

ليلة لم تفارق مخيلتها طوال هذه السنوات !!

تباً...تباً...

ليس الآن ...ليس الآن!

_انتِ كويسة؟!

سألها بحذر مقاطعاً حربها الداخلية هذه وقد لاحظ تغير

ملامحها الواضح لترتجف شفتاها بابتسامة عادت لها نبرتها المعتدة :

_مبحبش طريقة التنقيط دي...ادخل حضرتك في الموضوع مرة واحدة عشان أقدر أجمع التفاصيل .





ارتفع حاجباه بدهشة للحظة من الطريقة التي كانت تتحدث بها والتي لم تتناسب أبداً مع الحالة التي كانت عليها ملامحها منذ قليل !!!

حواسه كصائد لا تكاد تجد لها مثيلاً في "طريدة" قبلها !!

لكنه تمالك شعوره بحنكة ليقول مفسراً:

_أختي تعبانة من كام سنة...الحكاية بدأت من صغرها ...بيتهم القديم وقع واضطرت تتحبس مع جثة مامتها كام ساعة لحد ما أنقذوها ...افتكرنا الموضوع موضوع وقت..لكن حصلت لها صدمة بعدها بكام سنة رجعت لها حالة غريبة من فقدان للوعي والنطق ...مش فقدان وعي حرفي لكن تقدري تسميه انعزال عن الواقع .

ضاقت عيناها الذكيتان للحظات قبل أن تدلي بدلوها:




_قلت مامتها مش مامتنا تبقى مش أختك الشقيقة...غالباً والدك اتجوز واحدة تانية على والدتك ...بيتهم قديم ووقع معناه إنها كانت مش نفس مستواكم المادي ...على أد حالها يعني....ووجود البنت في حياتكم كان اضطراري وغير مرغوب فيه ...استنتجت كمان إن صدمتها التانية كانت عاطفية ...وغالباً مرتبطة بحبستها في مكان مقفول رجع لها ذكريات الصدمة الأولى.

اتسعت عيناه بانبهار حقيقي للحظة قبل أن يغمضهما مشيحاً بوجهه ...

عندما أخبروه أنها ماهرة في عملها لم يتوقعها بهذه الفراسة !!

حسناً...لقد بدأت اللعبة تروقه !!

يبدو أن هناك كنزاً خفياً خلف كل هذا "الصدأ"!!

لن يحكم الآن على أي حال!





_ممتاز ...استنتاجاتك كلها صحيحة بس مش هاقدر أديكي تفاصيل أكتر إلا لما أتأكد من رغبتك في علاجها .

قالها بلهجتها الآسرة التي تقرع الطبول في صدرها ...

لترد بنبرة لا تمت لهذا بصلة :

_وليه عايزني أعالجها في البيت؟! أعتقد إنكم جربتم دكاترة كتير بره مصر وجوه مصر ...اشمعنا أنا؟!

هنا حان وقت الكذب!!

_دكتورها بيقول إنها رافضة العلاج لأنها مش متقبلة فكرة إنها مريضة ...شايف إن الدكتور اللي يعالجها لازم يدخللها من بوابة صداقة...وأغلب الدكاترة اللي عرضت عليهم الموضوع رفضوا لاعتبارات تقديرية .





هزت رأسها بتفهم بينما شعر هو بالضيق بعد كذبته ...

لم يكن يريد إقحام همسة في شأن كهذا ...

لكن عزاءه أن هذه المرأة ماهرة حقاً في عملها كما سمع...

ومن يدري ؟!

ربما يوضع السر في أضعف الخلق كما يقولون!!!

لهذا تغلب على ضيقه سريعاً ليسألها بترقب:

_قلتِ إيه ؟!

رفعت إليه عينيها بقولها:

_انت عارف لو كل دكتور ساب شغله وراح لكل مريض بيته عشان يتصاحب عليه مش هينفع ...عرض حضرتك غريب جداً.





_انتِ عارفة أنا هادفع كام ؟!

اتسعت عيناها بذهول مع المبلغ الذي ذكره بعدها لتتفرج شفتاها رغماً عنها ...

المبلغ الذي ذكره هو ما تحتاج جمعه في خمس سنوات على الأقل!!!

صورة دفترها البنكي تملأ ذهنها الآن بلونه الأخضر المميز ...

الأرقام الأخيرة تتراجع ليحل مكانها رقم يزيد بثلاثة...أربعة ...أصفار ...

أوووه ...فرصة العمر!

كيف يمكنها الرفض!!!

_ماقدرش أوافق إلا لما أشوف الحالة وأقدر أقيم نسبة نجاحي معاها ...من أول ماشتغلت مافشلتش في حالة اشتغلتها ...ومش عايزة دي تبقى المرة الأولى .





قالتها باعتداد يناقض كل مطامعها التي طفت على سطح انفعالاتها فابتسم بتلك الطريقة المهلكة مع إيماءة رأس يكاد يعلوه تاج تدبيره ...

"الطريدة" التقطت الطعم !!

وما بقي للصياد إلا أن ينتظر!!!

_معادنا بكرة في البيت الساعة عشرة الصبح..ده العنوان.

قالها بلهجة حاسمة غير آبه بما قد يعترضه ذلك من مواعيدها مما أثار حفيظتها لتقول بهدوء:

_لأ الساعة اتنين بعد الظهر أكون خلصت مواعيدي.

قالتها هي الأخرى بنفس الحسم دون أن تسأله رأيه قبل أن تقوم من مكانها مردفة :

_بكرة لما أشوفها أديك كلمتي الأخيرة .





أتبعت عبارتها بتحية عابرة لتعطيه ظهرها كي تغادر ...

فوقف بدوره ليغادر مكتبه سائراً خلفها بعينين متفحصتين ...

ياقوت!

ترى أي كنز يختبئ خلف هذه الثياب المهلهلة ؟!

بينما كانت هي تشعر بخطواته خلفها تربكها ...

لا...لم تكن يوماً مفتقرة للثقة في أنوثتها ...

لكنها تشعر بتوتر من يجتاز اختبار !

لا...ليست ساذجة بما يكفي لتصفه بحب من أول نظرة...

لكنه حقاً صورة مجسدة لحلمها العتيق!

هذا هو الزوج الذي سيرفع رأسها ورأس ثمر وسط أهل القرية...





هو الذي يجدر به أن يناطح والدها رأساً برأس!

زوج؟!

هل تطرفت حقاً لهذا الحد ومن أول مقابلة ؟!!

حسناً..هي تعترف أن الأمر هذا صار يؤرقها مؤخراً...

في قريتهم يعتبرون الفتاة التي وصلت العشرين دون زواج مجرد عانس!

فما بالها بها هي التي قاربت الثلاثين ؟!!!

انقطعت أفكارها بشهقة خافتة عندما شعرت بذراعه يمتد جوارها ليفتح لها الباب ...

حركة مهذبة بسيطة لكنها زادت ارتباكها ومع هذا الكعب العالي الذي ترتديه اليوم قسراً وجدت نفسها تتعثر ليسندها بذراعها الآخر ...

هذا ما كان ينقصني!!!





هتفت بها أعماقها بتخبط يزداد دويّه مع هذا الرجل في تنامٍ سريع لمشاعر شديدة التطرف هاهنا ...

بينما التمعت عيناه بالمزيد من ظفر صياد يتلذذ بهوايته...

لكنه لم يحاول استثمار الموقف أكثر وهو يبتعد عنها بسرعة ليقول برصانته الخادعة :

_للأسف ...الكعب شكله اتكسر !

الكعب؟!!

حذاء المناسبات الرسمية الذي اشترته في التخفيضات منذ ثلاثة أعوام بمائة جنيه كاملة !!!!!

ياللمصيبة !!!

هتفت بها في نفسها متحسرة وهي تدرك عظم مصابها ...

لكنها رسمت على شفتيها ابتسامة معتدة وهي تنظر

للأسفل نحو الحذاء قبل أن ترفع الفردة السليمة لتكسر كعبها الآخر ثم وضعت كليهما في حقيبتها بحركة بدت بسيطة...

لتتغلب على حرج الموقف بقولها مدعية اللامبالاة :

_معلش...بتحصل!

قالتها ثم غادرت الغرفة بخطوات معتدة لا تليق بما حدث منذ قليل ...

ولا بتلك الفوضى العارمة من المشاعر بداخلها ...

ليطلق هو أخيراً ضحكة كان يكتمها منذ أول اللقاء ...

هو يعرف هذا الصنف جيداً ...

نظرة الطمع في عينيها عندما أتى على ذكر المال لم تخفَ عليه ...





هذه النظرة التي لم يمقت مثلها في حياته ...

ربما لأن "مثلها" كلفته -قديماً - الكثير ...

لهذا ومضت عيناه ببريق صائد محترف ...

لو صدق ظنه في جشع هذه المرأة فلن تكون فقط فرصته لمنح ياسمين الأمان الذي تحتاجه مع طفلها بعيداً عن يامن...

بل ستكون أيضاً درساً لهذه الذكية المتحذلقة التي لا تدرك مع من تورطت !

=========

_خدي العنوان ده يا لجين ...هاتي العينة بسرعة .

قالتها مديرتها في معمل التحاليل الذي تعمل به لتبتسم ابتسامتها البشوش وهي تعدل وضع حجابها أمام مرآة قريبة ...

فيلاحقها قول المرأة المشاكس:

_لبّس البوصة تبقى عروسة صحيح...لولا إني شفتك من غير ماكياج مكنتش صدقت عنيا .





ضحكت ضحكة عالية أخفت بها نحيب روحها الصامت ...

هؤلاء الذين ترسم الضحكة ملامحهم حتى تظن أنها قد صارت جزءاً منه ...يصعب عليك كثيراً أن تصدق معاناتهم التي تذوي بصحرائها أرواحهم ...

لكنها تعودت على هذا ...

تماماً كما تعودت على رسم تبرجها المتكلف هذا هنا في العاصمة ...

والذي أضافت إليه مؤخراً زوج من العدسات اللاصقة فضية اللون منحت شكلها المزيد من الرونق ...

في قريتها يصنفونها "سوداء قبيحة" لكن هنا ...

البعض يصفونها بملاحة الوجه ...

فقط حتى يرون ياقوت جوارها ...

ساعتها يدركون المعنى الحقيقي للجمال!





كتمت أفكارها كعادتها وهي تتناول حقيبتها لتتوجه نحو العنوان المنشود ...

فيللا أخرى فخمة تشبه فيللا والدها -المحرمة- التي رأتها مرة من خلف الأسوار ..

حارس الأمن يفتح لها الباب ويفتح معه ستاراً لعالمها الرمادي الذي تبتلعها أمواجه يوماً بعد يوم ...

ما هذا الثراء؟!

ما كل هذا الترف ؟!

حديقة شاسعة مساحتها تكاد تقارب وحدها عشر أضعاف بيتهم الصغير مع جدتها ...

حمام سباحة كبير تود لو تجرب مثله يوماً...

مبنى فخم بأعمدة ذهبية وبوابة واسعة أنيقة بمدخل رخامي ...

هذا الذي دخلته الآن خلف الخادمة التي استقبلتها لتتوجه بها نحو السيدة بالداخل ...





امرأة خمسينية فشلت عمليات التجميل في مداراة سنها الحقيقي ...

عقدها الفخم من الألماس واللؤلؤ وحده يساوي ثروة !

تباً!

لماذا لا تتوزع الثروات بين الناس بالعدل؟!

ربما لو حدث هذا لما اضطر والدها أن يرميها وشقيقتها

لأنهما "بنات الخادمة" ...

ولتمتعت- مثل أخوَيْها منه - بماله وجاهه!

_ياريت تكون إيدك خفيفة...البنت اللي قبلك ورمت لي دراعي كله !

قالتها المرأة بصلف وهي تتمدد على الأريكة المذهبة الفخمة وقد مدت لها ذراعها لتتمتم لجين بعبارة مهنية تقليدية تعلمت قولها ...

قبل أن تمارس عملها الذي اعتادته ...





عيناها تختلسان النظر نحو الأثاث المبهر ...التحف القيمة...الأرضيات النظيفة اللامعة...والثريات التي تدوي كريستالاتها كألف شمس وليدة...

"حقها المسلوب" الذي سرقوه منها دونما جريرة!

_خلصت.

قالتها ببساطة عبر ابتسامة خلابة لا تظهر انفعالاتها السلبية هذه ...

فابتسمت المرأة بتكلف وهي تعطيها ثمن التحاليل...

قبل أن تنشغل عنها بمكالمة هاتفية أتتها للتو ...

هنا التمعت عينا لجين بشغف لا تملكه وهي تلمح هذه الساعة الفضية على المائدة هناك...

ربما لا تكون باهظة الثمن ولا تستحق المخاطرة...

لكن تكفيها "متعة السرقة"...

لذة السلب!

أن تحرم "هؤلاء الأكابر" من شئ يملكونه ولا تملكه !





أجل...

السرقة صارت "صديقتها الوحيدة" التي تمارس فيها هواية الفضفضة والترويح عن قهر تعانيه ...

صحيحٌ أنها تشعر بالخزي والذنب بعدها لكنها لا تستطيع مقاومة هذا الشغف!

لهذا امتدت أناملها بخفة تلتقط الساعة في غفلة من المرأة التي كانت تنهي مكالمتها ...

قبل أن تتحرك بخطوات سريعة وخفقاتها تدوي كالطبول في صدرها ...

إحساس اللذة بداخلها يتصارع مع إحساس الخطر في مزيج اعتادته ...

مزيج يرفع مستوى "الأدرينالين" حد المتعة !!!

لكنها ما كادت تصل للباب الخارجي حتى سمعت الهتاف الذي كاد يوقف قلبها ...

_استني...ما تمشيش!

======





القطعة الخامسة

============

_استني ما تمشيش !

العبارة جمدت الدم في عروقها وهي تشعر أن وجهها قد غابت عنه الحياة !

التفتت نحو المرأة التي تقدمت نحوها لتبتسم أخيراً وهي تعطيها مبلغاً من المال :

_هاخلليهم يبعتوكِ كل مرة.

تنفست الصعداء وهي تشكر المرأة بكلمات مرتجفة قبل أن تغادر وقد قررت أن تعود فوراً لقريتها ...

الحظ حالفها بمكانٍ خالٍ في القطار لتستقله والدموع اللعينة تأبى التوقف!!!

لماذا تفعل هذا ؟!!

هل هذه عاقبة تربية ثمر لها ؟!!

هل هذه آخرتها ؟!

ابنة خادمة...ولصّة؟!!





شعور الخزي يعتصرها وهي تفرك كفيها بقوة ...

السارق يقطعون يده كما كانت ثمر تعلمها وهي بعد طفلة صغيرة ...

لكن يشهد الله أنها لا تفعلها وهي بوعيها ...

لقد فكرت يوماً أن تسأل ياقوت عن مرض نفسي يجعلها تفعل هذا ...

لكنها جبنت عن هذا!

آه!

ما حيلتها؟!

إنها تجد نفسها كل مرة مدفوعة للسرقة بمتعة لا تدري لها سبباً ولا تعرف لها مثيلاً...

لكن شعور الخزي والذنب الذي ينتابها بعدها يكاد يحرقها بحسرته...

يجب أن تتوقف ...

ثمر ستموت لو علمت ...

وهي ستموت قبلها خزياً!!





ظلت تبكي طوال الطريق وهي تشعر أنها كانت إشارة لها من السماء أن تتوقف ...

المرة القادمة لن تنالها رحمة لكن ...هل ستتمكن من المقاومة ؟!!

لهذا ما كادت تصل للبيت الذي وجدته خالياً حتى توجهت نحو الإناء الفخاري الذي تخفي فيه كنزها ...

لملمت كل شيئ في وشاح قديم طوته قبل أن تغادر نحو المصرف المهجور القديم ...

ككل مرة تفعلها ...

تلقي كل ما تسرقه هناك !!!

لماذا لا تنتفع به لنفسها؟!!

لا !

تربية الحاجة ثمر لم تكن لتنفق قرشاً من حرام على نفسها !!





لقد كبرت وهي تعي كلام الجدة الذي كانت تنقشه على حجر روحها ...

"ما نبت من حرام فالنار أولى به"

وهي تخاف النار ...وتخاف غضب ثمر!!

لهذا ما كادت تطمئن لتخلصها من عارها حتى تنهدت بحرارة وهي ترفع رأسها للسماء باستنجاد صامت ...

قبل أن تعود أدراجها للبيت مطأطأة الرأس على غير هيئتها المعتادة البشوش...

_بت يا "أوبرا"...إيه اللي رجعك بدري كده الأسبوع ده ؟!





هتفت بها ثمر وهي تستقبلها في بيتها قبل أن تخبط على صدرها بقوة مع هتافها:

_وإيه اللي (مليّطة) بيه وشك ده ؟! وكمان قالبة عنيكي زي العفاريت؟! اللهم احفظنا !!

امتقع وجه لجين وهي تتبين أنها نسيت في غمرة انفعالها أن تتخلص من تبرجها المتكلف فارتبكت وهي تتخلص من عدسات عينيها بسرعة لتضعهما جانباً مع قولها :

_واحدة صاحبتي شارت بيهم عليا...بس خلاص مش هاعملها تاني!

احمر وجه الجدة بغضب قبل أن تشيح به مع قولها الصارم :





_اغسلي وشك ده مش طايقة أشوفك بيه وحصليني على أوضتي .

تراكم البؤس على ملامحها وهي تتوجه نحو الحوض القريب لتخلع وشاحها وتغسل وجهها ...

بل تفركه بقوة وكأنما تفرغ غلها فيه ...

قبل أن تتطلع لصورتها في المرآة ...

هل ازدادت قبحاً أم هي فقط انعكاساتها الداخلية ؟!

هل ازدادت عيناها ضيقاً؟!!

..شفتاها غلظة ؟!

أنفها ضخامة ؟!

بشرتها سواداً؟!!

أم أنها فقط تتوهم ؟!!





زفرت بقنوط وهي تمسح وجهها في منشفة قريبة قبل أن تتوجه نحو غرفة ثمر التي كانت جالسة على سجادة صلاتها ممسكة بمسبحتها وقد أشارت لها بالاقتراب ...

جلست في كنفها فاحتضنتها المرأة الحصيف قبل أن تضع رأسها في حجرها وترقيها كعهدها معها ومع شقيقتها ...

_شعرك حلو قوي يا بت ...زي ديل الفرس!

قالتها ثمر مادحة غير كاذبة فقد كان شعر الفتاة حقاً أجمل ما فيها ...

لكنها -ثمر- بفطنتها كانت تدرك أن السياسة المثالية هي سياسة العصا والجزرة ...

المزج المتوازن بين الشدة واللين ...

لهذا ما كادت تقسو عليها بتقريعها على تبرجها المتكلف حتى بادرت بالمديح ...




_انتِ عارفة إني أنا اللي سميتكم أول ما خدتكم في حضني من أمكم الله يرحمها؟!...أول ما شفتك انتِ وأختك الشيطان لعب في راسي ...قاللي خلفة البنات هَمّ للممات...بنات الخاطية هيطلعوا زيها ...بس أنا قلت لا ...بنتي مش خاطية...بنتي كانت مغصوبة وبناتها مش عار ...بناتها كنز هحاوط عليه طول عمري ...أول ما شفت عيون أختك قلت ياقوت ...وأول ما لمحت خفة طلّتك قلت لجين ...حاكم أبويا الله يرحمه كان حافظ كتاب الله وكان يحب الشعر أد عينيه ..كان يقوللي يا بت يا ثمر التِّبر ده ماء الذهب واللجين ماء الفضة .

ابتسمت لجين وهي تسمع منها الحكاية للمرة الأولى لترفع عينيها إليها بقولها :

_تكونش أسامينا دي اللي نحستنا يا ستي؟!

بيقولوا إنهم بيسموا الولاد أسامي وحشة عشان يطلع حظهم حلو .





فمصمصت الجدة شفتيها هاتفة باستنكار:

_وماله بختكم يا بت ؟! البلد كلها بتحسدني عليكو ...دي حتى الست أفكار جايبة لكم لسه عريسين انتِ وأختك .

هنا ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة من الحكاية التي تكررت حد الملل :

_زي كل مرة...ياقوت هترفض العريس...وأنا العريس هيرفضني!

لم تكن مبالغة حقيقة في تشاؤمها فهذا كان السيناريو الذي يتحقق دوماً دون تغيير ..





ياقوت الطموح المتطلعة تبحث عن أمير لا عريس ...وبالتالي ترفض الخضوع للأمور الوسط..

أما هي ف"تحت خط الجمال"أصلاً...!

من الأحمق الذي سيختارها خاصة وياقوت جوارها تمثل النقيض ...

بل الكمال!!!

كانت ثمر تشعر بما تعانيه لكنها تعلمت من خبرتها في الحياة أن القدر لا يصب في مصلحة الحسابات ...

وأن النصيب غالب كما يقولون!!

لهذا ربتت على رأسها وهي تقول بثقة :

_مفيش ست وحشة..ربنا خلق الجمال للعين اللي تشوفه...الحلاوة مش بالأحمر والأخضر اللي كنتِ




حاطاه...الحلاوة من حلاوة الطبع...وانتِ حلوة يا بنت قلبي...حلوة قوي.

دمعت عينا لجين وهي تشعر بكلمات المرأة على بساطتها تضيئ مشاعل النور في ظلماتها ...

لهذا هبت من رقدتها لتحتضن جدتها بقوة تأففت منها

الأخيرة مع تأوهها :

_آه...هتكسريني يا بت!

_بحبك يا ستنا ...بحبك .

أغرقتها بعدها بقبلاتها قبل أن تدغدغها بمرح لتهتف الجدة بين ضحكاتها:

_اتحشمي يا بت...بلاش مياصة...الله يرحم جدك لو كان عايش كان بَرَك فوقك موّتك ...بس يا بت.

امتزجت ضحكاتهما معاً أخيراً والعناق الدافئ يرمم شروخ الأرواح الكسيرة ...





قبل أن تنـهض لجين عندما سمعت صوت رنين هاتفها لتقول بصوت عاد إليه مرحه :

_دي رنة ياقوت ...هارد عليها أعرفها إني وصلت .

_ما قلتليش جيتي بدري ليه الأسبوع ده ؟!

سألتها ثمر بقلق لتجيبها كاذبة بينما تهرول لتخرج من الغرفة :

_ادوا لنُصّنا أجازة وبعد كام يوم هيدوا النص التاني ...هم شغلهم كده .

_ياقوتة ...توتة توتة!

هتفت بها بمرحها المعهود وهي تدلل شقيقتها بعاطفة لا تدعيها ...

قد تغبطها حقاً لكنها لا تكرهها ...

قد تغار منها لكنها لا تتمنى لها إلا الخير ...





لهذا تبادلت معها حديثاً ودياً قصيراً أخبرتها فيه بعودتها المبكرة للقرية...

قبل أن تحسم أمرها لتقول لها بقلق مفتعل:

_مش أنا اتسرقت النهارده ...بس ربنا ستر!

شهقت ياقوت بانزعاج لتردف بسرعة :

_ماتخافيش ...ما أنا قفشتها ...بس قعدت تتأسف وتقول إنها مريضة وإنه غصب عنها ...

ثم صمتت لحظة لتعاود السؤال الحذر:

_هو ممكن الواحد يسرق غصب عنه ؟!

_هو ممكن لو مش بتستهبل...بيسموه عندنا "كليبتومانيا"...مرض أو هوس السرقة...المريض بيسرق أي حاجة حتى لو هايفة عشان بيستمتع بالسرقة نفسها ...زي ما تقولي كده بتبقى السرقة كأنها صاحبته اللي بيفضفض معاها عن اللي مش قادر يقوله للناس ...وبعد ما يسرق تلاقيه يرمي




اللي سرقه وضميره يوجعه..ده فيه ناس ممكن ترجع اللي سرقته وترجع تسرق تاني عادي ...

_آه...ما أنا فعلاً لحقتها قبل ما ترمي خاتمي ...يظهر إنها مريضة فعلاً..الله يسهل لها .

قالتها لجين بارتباك أجادت إخفاءه لتردف بإشفاق مصطنع:

_ودي علاجها إيه؟!

_ما تجيبيهالي وأهه نسترزق!

قالتها ياقوت بمرح لتضحك لجين ضحكة مفتعلة مع قولها:

_هاصَيّتك ما تقلقيش .

استمر الحوار بينهما لبضع دقائق أدارته فيه لجين بمرحها المعهود الذي أخفت به ارتباكها كي لا تلاحظ ياقوت بذكائها أنها تخفي شيئاً...





قبل أن تغلق الاتصال لتلقي الهاتف جانباً وهي تتمدد على الفراش تحدق في السقف ...

هي حقاً في ورطة ...

لو انكشف أمرها يوماً فإنها تفضل الموت على مواجهة ثمر وياقوت ...

ترى ما الذي ستحمله لها الأيام القادمة ؟!!

======

_دكتورة ياقوت سليمان ...زين بيه في انتظاري.

قالتها لحارس الأمن على البوابة والذي تعجب للحظة من بساطة هيئتها قبل أن يجذبه جمال عينيها خلف نظارتها ليهتف مع ابتسامة غلبته :

_اتفضلي .

قالها بمزاج رائق يناقض تنمر مزاجها هي الآن ...

إن لم يكن لأجل ثمن "أجرة التاكسي" التي اضطرت لدفعها ...





ولا لأجل لفظة "بيه" التي اضطرت لإلصاقها باسم زين وكأنها هي "ابنة الجنايني"!!!

فلأجل المقارنة التي طفت لذهنها قسراً وهي ترى تشابه هذه الفيللا مع بيت أبيها !!!

شعوران يتصارعان في نفسها كلما تقدمت أكثر في حديقة البيت ...

أحدهما بالأمل وهي تتخيل لو تحقق حلمها وصار كل هذا لها ...

والآخر بالاختناق ...وهي ترى فيه صورة محتملة لأبيها ...

لكن لا ...هي لن تكون أبداً كأمها !

لهذا أخذت نفساً عميقاً وهي تتقدم بخطوات أكثر ثقة ...

كانت ترتدي نفس التنورة القديمة بلونها الأسود البالي لكنها ارتدت فوقها بلوزة اشترتها خصيصاً لأجل العمل الجديد ...





بلون الفستق الذي يقارب لون عينيها والذي منحهما فتنة مضاعفة خاصة مع لون الوشاح الذي مزج اللون نفسه مع السكريّ في مزيج لطيف...

وبالذات لعينين تراقبانها من قرب ...كعيني "الصياد"!

_متأخرة عشر دقايق!

قالها وهو يتقدم نحوها لتبتعد خطوة بحركة غريزية لم تتعمدها قبل أن تتنحنح لتقول باعتدادها المعهود :

_لو كنت جيتلي المركز كنت هتستنى أكتر من كده !

ارتفع حاجباه بدهشة تمتزج بالإعجاب وهو يتفحص

ملامحها ...





حمرة خجلها تتناقض مع هذه الجرأة التي تتحدث بها ...

مزيج شهي من حياء وكبرياء !

لهذا ابتسم ابتسامة مدروسة وهو يشير بكفه نحو الداخل قائلاً بنبرته الرصينة :

_معاك حق ...اتفضلي يا دكتور نتكلم الأول في المكتب قبل ما تقابلي همسة.

شعرت بمعدتها تتقلص وهي تخطو إلى جواره ...

هذا الانفعال المقيت الذي يجعلها تشعر كفأر في مصيدة !

مجرد شعورها أنها ستدخل معه بيته يجعلها كأنما تسير على صفيح ساخن !

رباه!

وجنتاها ستنفجران من فرط ما تشعر بحرارتهما !




_الجو حلو واللا تحبي أشغل الدفاية ؟!

قالها وهو يجلس أخيراً خلف مكتبه لتزم شفتيها بقوة كاتمة ما تشعر به ...

_الحلو ما يكملش...البيه شكله غشيم! دفاية إيه مش شايفني بسيح؟!!

حدثتها بها نفسها -سراً- بعبث خفي لا ينقصها لتترجمها لعبارة أنيقة :

_لا معقول...اتفضل حضرتك اتكلم ...أنا سامعاك.

_تشربي إيه الأول؟!

اللطف الذي شع من عبارته منحه الكثير من الجاذبية- التي لا تنقصه أصلاً- في عينيها ...

لهذا أطرقت برأسها للحظة تتمالك نفسها قبل أن ترفع رأسها بإجابتها المقتضبة :

_مابحبش أشرب أو آكل وأنا بشتغل .





الحزم الذي سكن لهجتها أخبره أنها تعنيها حقاً
لهذا لم يكرر عرضه إنما مد يده ليتناول صندوقاً
مميزاً من جواره ويفتحه أمامها قائلاً:

_شيكولاتة سويسري بجيبها مخصوص
بالاسم...أظن محدش يقول للشيكولاتة لا.

_شيكولاتة ماسكة شيكولاتة يا ناس !

تمتمت بها هذه "العِفريتة" العابثة بداخلها لتنهرها
نفسها المعتدة قبل أن تقول ما يُفترض:

_شكراً .

قالتها وهي تتناول إحدى القطع ليتخير لها واحدة
أخرى قائلاً:

_ودي كمان ...ممتازة.

مدت أناملها تتناولها منه بحركة عفوية لتتلامس
أناملهما فازدادت سخونة وجنتيها و"العفريتة"
إياها تعاود عبثها :





_لا لا لا ...كده مش هينفع ...فينك يا حاجة ثمر تشوفي الفتنة اللي أشد من القتل !

_اتحشمي يا بنت أشواق!

نهرت بها نفسها من جديد لتستعيد ثوب مهنيتها قائلة بهدوء:

_عايزة أعرف تفاصيل الحالة وأشوف تقارير الدكاترة اللي سبقوني .

رمقها بنظرة حذرة حملت بعض الضيق الذي لم تفهمه ...

لكنه هو كان يدرك !

طالما اعتبر همسة "الخط الأحمر" الذي قلما يتجاوزه أحد في حياته ...

هو حريص دوماً أن يخفيها عن الأعين خاصة في مجتمع كهذا يعتبر المرض النفسي ضرباً من الجنون ...




هو لا يريد لها الأذى ...وسيكون صادقاً
ليعترف ...ولا يريد لنفسه معرّة !

لهذا تنهد أخيراً ليقوم من مكانه متجهاً نحو نافذة مكتبه المطلة على الحديقة ..

يضع كفيه في جيبي سرواله معطياً لها ظهره وكأنما استنكف أن يعترف في مواجهتها ...

_حكاية تقليدية بتحصل كتير ...والدتي الله يرحمها جالها مرض ضمور عضلي خلاها قعيدة...الصدمة كانت صعبة قوي عليها ...لكن اللي خففها عنها كانت بنت خالتها اللي تقريباً بقت عايشة معاها هنا ...كانت من الفرع الفقير من العيلة ووالدتي اعتبرت وجودها هنا نوع من المساعدة المادية ليها ...

قالها بنبرة محايدة لكنها استشفت بحدسها الغضب المستتر بين كلماته ...




لهذا ما كاد يصمت حتى أعفته من الحرج باستنتاجها الفطن كالعادة :

_واضح إن دورها اتطور لأكتر من مساعدة لوالدتك...أعتقد هي والدة همسة صح؟!

زفر زفرة خافتة دون أن يلتفت مكتفياً بصمته كردّ بالإيجاب ...

قبل أن يردف :

_فجأة اختفت وماعادتش بتظهر ...قطعت علاقتها بينا ...خمس سنين تقريباً ماسمعناش عنها حاجة...لحد ما جه يوم عرفنا إن بيتها وقع وإن بنتها الصغيرة كانت معاها ...مش هاحكي عن صدمة أمي لأنها مش موضوعنا ...بس من وقتها وهمسة بقت مسئوليتنا...الحادثة عملت لها نوع من "الكلوستروفوبيا"...بتخاف من أي مكان مقفول ...اعتبرناها مسألة وقت وفعلاً كانت بتتحسن ...والدتي اتوفت بعد كده بفترة قريبة وفضلت هي عايشة معانا هنا أنا ووالدي...كبرت





وبدأت قصة حب بينها وبين ابن عمي ...ولأسباب تخص والدي رفض الجوازة دي تماماً...

صمت قليلاً بعدها فاحترمت هذا الصمت محاولة تكملة خيوط الحكاية بنفسها ...

_ولأن رائد مابيعترفش بحاجة اسمها رفض أقنعها يهربوا ويتجوزوا عشان يحطونا قدام الأمر الواقع ...والدي عرف في الوقت المناسب وكان عقابه إنه حبسها في مخزن ضيق من مخازن شركته...نسي عقدتها القديمة وطبعاً النتيجة كانت نكسة...

اتسعت عيناها بتفهم لتسأله باهتمام:

_محفزات الكلوستروفوبيا معروفة بس ممكن تتحسن

بالعلاج ...مااعتقدش إن دي مشكلة كبيرة.





لكنه هز رأسه موافقاً ليردف دون أن ينظر إليها :

_حالة همسة معقدة...لأن اللي عندها مش كلوستروفوبيا وبس ...الحقيقة إن بعد الموقف ده والانتكاسة اللي حصلت لها الناس كلها بقت تعاملها على إنها مجنونة...صريخ متواصل ...بتسترجع ذكريات حادثة

والدتها كأنها عايشاها ...رفض للتواصل معانا ...وبالتالي عزلتها زادت ...لحد ما قضت عليها الصدمة التالتة...

_هو ارتبط ؟!

قالتها باستنباط ذكي ليلتفت نحوها مشدوهاً قبل أن تهز هي رأسها لتردف بأسف:

_رد فعلك بيقول إن استنتاجي صح...غالباً عمك اللي هو والده واللي أكيد ماكانش راضي عن جوازة ابنه ببنت بظروف همسة ...أو عشان يرد لوالدك موقف إنه رفض ابنه ...أو لأي سبب تاني





معرفوش ...هو اللي ضغط عليه عشان يرتبط وينساها .

_والدته مش والده !

قالها بابتسامة ماكرة وكأنما أسعده أن يجد ثغرة في استنتاجها لترد بابتسامة حقيقية من ابتساماتها الطيبة التي لا تتكلفها ...

ويبدو أن ابتسامتها كانت من النقاء حدّ أنها لامست جداراً بقلبه ظنه لا يلين ...خاصة مع امرأة مثلها !!

لكنه عاد يشيح بوجهه ليكمل حكايته :

_ليلة خطوبته كنا بنتكلم في مكتبي هنا ...والدي -الله يرحمه- احتد عليه واتهمه بأنه السبب في حالة همسة اللي انتكست ...وطبعاً كان رده إن والدي هو السبب ...ووسط انفعالهم رائد خرج عن شعوره





وقالله فيما معناه إنه خلاص هيتجوز ويسيب له بنته المجنونة يشبع بيها .

_ما تقولش إن همسة سمعت!

قالتها بجزع حقيقي أرجف قلبها وهي تشعر بالشفقة على الفتاة التي لم يكن لها ذنب في كل هذا ...

ليصمت هو مؤكداً صحة استنتاجها قبل أن يزدرد ريقه الجاف ليستطرد :

_من يومها حالتها بقت غريبة ومالهاش تصنيف...ساعات يشخصوها فصام...وساعات يشخصوها فقدان ذاكرة جزئي ...الأعراض متداخلة...لكن اللي بيحذرونا منه دايماً إنها ما تشوفوش ...أول ما بتشوفه بتجيلها نوبة تشنج وما بتبطلش صريخ ...ومن ساعتها وهي مقيمة في الملحق الخاص بيها في الجنينة على طول قدام الشباك المفتوح !





أطرقت برأسها وابتسامة مريرة ترتسم على شفتيها ...

ضحية جديدة لزواج ثان لم يرَ فيها المجتمع سوى كبش فداء !!

أبوها -الحنون- حبسها عقاباً مع معرفته بتاريخ مرضها النفسي ليلقي تهمة انتكاستها على الرجل الذي أحبها !

والرجل -المخلص- الذي أحبها تركها في أول محطة ليرد لوالدها إهانته بوصمها بالجنون !

حتى -أخوها المراعي- الذي يبدو متفانياً لأجلها هذا يعاملها كعار يخفيه في سجن مزين في الجانب البعيد لحديقته !!

كلهم رجموها بحجر كأنهم بلا خطيئة...

وهي ...هي وحدها الخطيئة !!

_أفهم من كده إنها ما بتشوفش رائد خالص؟!





سألته وهي تنحي مشاعرها السلبية جانباً متشبثة بدرع مهنيتها ليلتفت نحوها متسائلاً:

_عرفتِ منين إن اسمه رائد ؟!

_انت قلته وسط الكلام .

قالتها وهي تهز كتفيها ببساطة فابتسم وهو يتحرك ليقترب منها بقوله :

_واضح إنك كنتِ مركزة قوي .

_انت اللي كنت سرحان وواخداك التفاصيل .

قالتها وهي تشبك أصابعها دون أن تنظر إليه لتسأله بعد صمت قصير :

_العلاقة بينكم شكلها إيه ؟!

جلس على الكرسي المقابل لها متخلياً عن مقعده الأساسي ليجيبها :





_كويسة جداً..أنا أكتر حد هي متعلقة بيه لدرجة إني آخر مرة سافرت رفضت تاكل وتاخد الدوا واضطريت أرجع عشانها ...

_ورائد؟!

تنهد بحرارة ثم مال بجذعه للأمام قائلاً:

_أنا منعته طبعاً يتواصل معاها عشان حالتها ...لكن رائد حالياً هو دراعي اليمين في كل حاجة في الشغل ...يمكن ماسامحتوش ع اللي حصل زمان بس هو أنقذ حياتي في موقف صعب ...وأنا مابنساش الجميل .

فارتسمت على شفتيها ابتسامة تليق بذكاء عينيها الذي توج عبارتها :

_واضح إنك ما بتنساش حاجة خالص...لا الجميل ولا الوحش .

_ده حقيقي!





قالها بعينين ملتمعتين بثقة زادت هالة الجاذبية حوله خاصة وهو منها بهذا القرب لهذا وقفت مكانها تقطع هذا

الاتصال الخطير بينهما قائلة:

_ممكن تقوللي هي بتحب إيه ؟!

فابتسم بعاطفة لم يتصنعها وهو يقف بدوره ليجيبها :

_بتحب الفل...منظر الجنينة عموماً...بتحب الألوان الهادية ...بتحب العرايس ...نجاة وكاظم الساهر وموسيقا عمر خيرت ...

هنا ارتفع حاجباها لتقول ببعض الاستهانة :

_تسعة وتسعين في المية من بنات مصر بيحبوا الحاجات دي ...أنا عايزة حاجة غير تقليدية بتمسها هي بشكل خاص .

فعقد حاجبيه وهو يشعر بلهجتها تستفزه ...





صحيحٌ أنه يعترف لها بالذكاء الذي لمسه لكنه لا يتقبل أن يعامله أحد ـ ولاسيما لو كانت امرأة ـ بهذه الطريقة ...خاصة وهو يدرك بخبرته أنه كرجل قد مس أنوثتها بطيف ما ...

فلماذا تتعامل بهذه الطريقة الباردة المتعالية ؟!

تظن نفسها ستجذبه أكثر هكذا ؟!

أم هو فقط شعورها ب"النقص"؟!!

عند الخاطر الأخير أدرك أنه لم يعرف عنها سوى القشور ...

طبيبة بسيطة الحال مقيمة في القاهرة من أصل ريفي صغيرة السن لكن الغالبية يشهدون لها بالمهارة...

ترى ما الذي يختفي خلف هذه الواجهة؟!

سؤال من الخطر أن يبقى هكذا بلا جواب خاصة وقد أدخلها بيته لتعالج أخته !!





لكنه تجاهله مؤقتاً ليرد على سؤالها بهزة من كتفيه منحتها الجواب الذي توقعته ...

والذي جعلها تكتف ساعديها لتقول بحزم :

_اتصل برائد واسأله .

كز على أسنانه بضيق حاول مداراته عن ملامحه وهو يفطن إلى ما تحاول إيصاله إليه ...

لكنه تناول هاتفه لينفذ لها ما أرادت ...

_كانت بتحب ترسم ع البيض المسلوق وشوش بتضحك .

إجابة رائد وصلت عبر قناعه الجليدي الذي يخفي كعهده كل انفعالاته فنقل لها زين قوله قبل أن يغلق معه الاتصال ليسألها :

_ممكن أعرف خطتك للعلاج ؟!

صمتت للحظات مفكرة قبل أن ترد باعتداد :

_أشوفها الأول ....بس فيه حاجة هاخدها معايا .





وبعد قليل كانت تخطو إلى جواره من جديد في حديقة البيت متجهيْن نحو الملحق الخارجي هذه المرة...

مشاعرها السابقة بالإعجاب نحوه يشوبها الآن الكثير من التوجس ...

هو ليس "الأمير الوسيم" الملائم لدور "سيندريللا" الفقيرة الذي اختارته لها الأقدار ...

بل هو "ساحر خطير" يختفي في أعلى برجه العاجي خلف بللورة يظنها تريه مصائر الناس...

هي أهلٌ للحرب معه ..لكن لماذا تفعل؟!

أليس من الأفضل أن تنأى بنفسها عن هذا كله ؟!

هل تنقصها التعقيدات؟!





_أنا مسافر ضروري بكرة ...تحبي تكملي شغلك وأنا مش موجود ؟!

انتزعها سؤاله من شرودها لتجيب بنبرتها المعتدة :

_ما أقدرش أحدد أي حاجة غير لما أشوفها ...يمكن تطلع الحالة صعبة عليا وأرفضها .

أشعرته عبارتها بالضيق وهو يحس أنه لأول مرة لا يفهم امرأة !

لقد تصور أن المبلغ الذي عرضه كفيل بحسم موافقتها لكن ها هي ذي تثبت له العكس ...

لو لم يكن المال سيد قرارها فسيتعب كثيراً فيما يريد الوصول إليه معها...

كما أن ذكاءها الذي لمسه يمنحه الكثير من الأمل أن تنتهج نهجاً غير مألوف يساهم في تشافي أخته...





حسناً...

لن يستبق الأحداث لعلها تأتي الرياح بما تشتهي سفنه !

كانا قد وصلا لباب الملحق الخارجي الموصد فمال نحوها ليقول بصوت خافت :

_على طول مقفول لأنها بتحاول تخرج من غير هدف ...من فترة الخدامة نسيت الباب مفتوح خرجت الشارع ولولا حارس الأمن بره كان زمانها ...

قطع عبارته بما بدا مفهوماً فأومأت برأسها لتدخل معه إلى الغرفة ...

الملاك الكسير يجلس مزوياً مكانه بوصف يقارب تماماً ما تخيلته...

تمثال متخشب يرقب الحديقة بعينين زجاجيتين وقد دبت فيه الحياة عندما سمعت صوت أخيها ...





تهب واقفة لتتوجه نحوه لكن رؤيتها لها هي تجعل عينيها الجميلتين تغيبان في شرود زائغ ...

الأخ الذي بدا في أرق حالاته وهو يقترب ليضمها إليه مطمئناً ...

قبل أن يقبل رأسها بينما يمسد خصلات شعرها الناعمة...

يالله !

كم تغبطها الآن !

لا...ليس على زين "الرجل" بل ...زين "الأخ"!

لديها هي أخوان لا تعرف عنهما شيئاً ...

وربما تراهما في الطريق فيمضي كل منهم في طريقه دون أن يبصر الآخر!!

لكن شعور الغبطة هذا غلبه إحساس أكبر بالشفقة وهي تميل للمقارنة الصحيحة ...

هي حظيت ب"ثمر" التي أوصلتها لما هي فيه ...





أما هذه البائسة أمامها فتلقفتها الأيدي حتى رمت بها في بئر اليأس هذا!

لهذا تقدمت نحوها بعينين فاضتا بعاطفتهما قبل أن تمد لها يدها الحرة مصافحة ...

واليد الأخرى كانت تحمل طبقاً عميقاً وضعت فيه عدداً من البيض المسلوق ...

كله كان باللون الأبيض وقد رسمت هي عليه وجوهاً ضاحكة ...

لكنها دست وسطه بيضة مختلفة اللون تميل للون الوردي جعلتها بلا رسم!

هذه التي تعلقت بها عينا همسة قبل أن ترفع وجهها بابتسامة واهنة...





ابتسامة جعلت زين يتنهد بارتياح وهو يعود ببصره لياقوت التي سحبت كرسيها لتجلس أمام همسة قائلة برقة :

_تحبي تلونيها ؟!

لم تكن تعلم قدسية هذه الذكرى بالذات لدى همسة التي دمعت عيناها وهي تضحك ضحكة مختنقة قبل أن تتناول القلم منها لترسم على البيضة...

عين...وعين أخرى ...

نقطة تمثل الأنف...

قبل أن تتلكأ أناملها وهي ترسم الفم...

الفم الذي كان من المفترض أن ترسمه يضحك لكن النتيجة كان وجهاً بائساً مع دمعتين على الجانبين !

انعقد حاجبا زين وهو يلتفت نحو ياقوت التي ربتت على كتف همسة بينما تضع الطبق جانباً لتقول بصبر:





_كل يوم هاجيلك نرسمه تاني ...أول ما ترسميه بيضحك هامشي ومش هارجع .

رفعت إليها همسة عينين زائغتين قبل أن تسحب كرسيها بعيداً لتعطيهما ظهرها وقد عادت "نداهة" عالمها القاهرة تسحبها من جديد ...

هنا وقفت ياقوت لتشير لزين إشارة خاصة قبل أن تخرج معه من الغرفة التي أغلقها خلفه ...

_أنا قبلت الحالة !

قالتها بحزم لترتخي ملامح وجهه بارتياح ناسب قوله :

_مجرد تقبلها لأي فعل تعمله معاكِ ده في حد ذاته كويس جداً.

_عشان كده قلت لك قبلتها .





قالتها بنفس الاعتداد لتستأنف طريقها نحو بوابة الخروج بينما هو يلحق بها مع استطرادها:

_عندي تصور معين ...هاستشير فيه كام أستاذ من أساتذتي وعلى هذا الأساس هحط خطة علاج...هاحتاج آجي هنا كل يوم ...

_للأسف....وعليه العوض في أجرة التاكسي!

والعبارة الأخيرة تمتمت بها سراً بالطبع متحسرة على المال المفقود...

لكن شعلة طموحها طغت عليه وهي تستطرد جهراً من جديد :

_ظني إن الحالة مش صعبة ...هي بس ماتشخصتش كويس.

_أنا مش هابقى هنا لمدة كام يوم ...هتابعك بالتليفون .




قالها بما بدا كاعتذار فالتفتت نحوه لتأسرها عيناه اللتان التمعتا في ضوء الشمس كسراجين من ذهب!!

_خسارة ...هتوحشني يا حليوة!

"العفريتة العابثة" تعاود لهوها بداخلها لكنها تقهرها بقولها المعتد بينما تعطيه ظهرها لتغادر :

_ما تتعبش نفسك ...لو احتجت حاجة هابقى أتصل بيك .

ظل واقفاً يراقب انصرافها بابتسامة تتسع رويداً رويداً...

ثيابها الهزلية التي انتهت موضتها من التسعينات تقريباً مع هذا الحذاء القديم الذي يبدو وكأنه يسبّ البائع الذي أوصله إليها!!

مع حقيبتها التي تقشر جلدها في أكثر من موضع لكنها تتظاهر أنها لا تراه ...





كل هذا لا يتسق مع سابق فكرته عنها ...

لو كانت طامعة بالمال فلماذا لا تستفيد به ؟!!

لغز!

هذه المرأة لغز ولن يهنأ حتى يفك طلاسمه لهذا عاد أدراجه للبيت قبل أن يتناول هاتفه ليتصل برائد قائلاً:

_ياقوت وافقت تكمل علاج همسة...عايز أعرف عنها كل حاجة قبل بكرة الصبح .

======

_إزيك يا عمو؟!

قالها سيف بحرج خنق صوته وهو يدلف لداخل البازار بعدما اطمأن لوجود علاء وحده .

علاء الذي أشاح بوجهه عندما رآه ليتقدم هو أكثر وينحني ليقبل رأسه مردفاً :

_أنا آسف...أرجوك سامحني.

تنـهد علاء ثم مط شفتيه باستياء ليشير له بالجلوس قائلاً ببعض الغلظة:

_لولا إن السوق نايم النهارده ومش لاقي حد غلس غيرك أكلمه ...ماكنتش قبلت اعتذارك.

ابتسم سيف وأنفه يحمر ارتباكاً رغم أنه كان يعلم أن عودة الرجل لدعاباته تعني أنه قد بدأ يتفهم ...

_رامز قاللك ع اللي حصل ؟!

سأله علاء متفحصاً ملامحه ليجيبه سيف بانفعال نادم:

_أقسم بالله يا عمي ما كنت أعرف...والدتي قالتلي نص الحقيقة وأنا ...

أشار له علاء بالتوقف ليقاطعه بقوله :

_انت بالذات مكانش ينفع تغلط الغلطة دي ...ماتعلمتش من زمان يا سيف؟!





لهجة الرجل كانت تحمل الكثير من العتاب الأبويّ الصادق الذي جعل عيني سيف تدمعان وهو يشيح بوجهه قائلاً بصوت متحشرج:

_معاك حق يا عمي...

ثم صمت لحظة ليشبك أصابعه بقوله :

_عموماً أنا فهمت إسلام الحقيقة...وجيت عشان أعتذر لحضرتك.

_وصاحبة الشأن نفسها؟!

سأله علاء بمكر ليجيبه سيف باستسلام :

_اللي حضرتك تشوفه.

_اللي أشوفه إن حضرتك تتفضل معايا ع المزرعة...تعتذر لغادة بنفسك .





قالها علاء وهو يقف ليتناول سترته من خلفه فوقف سيف بدوره ليتلفت حوله بارتباك :

_هي مجتش النهارده .

فتأبط علاء ذراعه ليخرج معه من البازار حيث تعاونا في إدخال الأشياء تأهباً لإغلاقه...

_غادة روحها في الأرانب ...والأرانب عندي عيانة ...غالباً دور عطس وزكام...كده كده جاي في وقتك يا دكتور ...نقول يا "دكتور الأرانب" المرة دي!

ضحك سيف وهو يسير معه نحو سيارته التي استقلاها لينطلقا بها ...

_صاحبك عايز إيه من غادة ؟!





سأله علاء وهو يشغل المذياع على لحن عربي قديم ليصمت سيف حرجاً...

فابتسم علاء ليجيب نفسه بنفسه :

_صاحبك عينه منها بس ما ينفعش.

_ليه؟!

قالها وهو يلتفت نحوه ورنة الارتياح التي كست صوته تثير القلق في نفسه ...

ماله هو إن كان إسلام سيتزوجها أو لا ؟!

هو لا يعلم ...

هو فقط يدرك أنه ليس مناسباً لها ...

أو ربما هي ليست مناسبة له ...

أف!

هو لا يدري...

هو ارتباط سيفشل فحسب!





_غادة قاست كتير وعايزة راجل بجد يصونها ...صاحبك هوائي ...كل يوم بمزاج ...أنا عارف إنه لو اتجوزها هيتكسف يأذيها عشان خاطري...بس الجواز لو مش بين اتنين متوافقين بيبقى زي الطبيخ البايت ...مالوش طعم !

قالها علاء مركزاً بصره في الطريق قبل أن يبدأ في الدندنة مع اللحن ...

فابتسم سيف وهو يسترخي بدوره في كرسيه ...

هذا هو رأيه هو الآخر ...

غادة هذه تحتاج لرجل من نوع خاص ...

رجل يدرك قيمة جمالها الكارثي هذا فيخفيها عن العيون حفظاً...

يتفهم ما عانته في حياته فيغرقها دلالاً...

لكن إسلام!

سيمضي يتباهى بها فقط ولن يبالي!





لكن ...وماله هو؟!

هذه المرأة خطر يهدد كل من يقترب ...

وهو حرم على نفسه النساء نكالاً بما كسبت يداه !

توقفت خواطره مع توقف السيارة التي ترجل منها علاء ليلحق هو به قبل أن يدلفا للحديقة حيث استقبلتهما إيناس ببشاشة وقد أنبأتها ملامح زوجها أن سيف قد جاء ليعتذر ...

_غادة هناك عند الأرانب ...تعال نروح لها .

قالها علاء وهو يتقدم معه نحو المكان المخصص للأرانب في المزرعة التي يحفظ تفاصيلها سيف عن ظهر قلب ...

ولم يكد يلمحها حتى تجمدت ملامحه وجسده تجتاحه رجفة خاصة...

كانت ترتدي معطفاً بتصميم شهير هنا في اسطنبول...





لكنه كان يشبه تماماً نظيره لدى ...

"آنجيل"...أو "انجي" كما كانت تحب أن يدعوها !

_اسوا شي ممكن يحصل لاي ست في مجتمعنا الشرقي انا بتضطر تدافع عن اخلاقها وشرفها ..وعن نجاحها وبيتها ..اي غلطة بتصير بتتحمل مسؤوليتها ..ومتل ما بتقولوا في مصر : هي اللي لازم تحاسب ع المشاريب اخر القعدة.

والعبارة طفت لذهنه كذكرى أخرى من ذكرياتها التي لا تكاد تفارقه ...

بكل تفاصيلها الشهية المفقودة ...

بلكنتها الشامية الآسرة ..





حتى حرف السين خاصتها الذي كانت تقلبه ثاء في حركة كانت تثير سخريته أول تعارفهما قبل أن يعشقها كما عشق كل ما فيها ...

لكنه نفض عنه هذا الخاطر عندما زاد اقترابه ليتفحص

ملامحها البائسة وهي تمسد ظهر أرنب صغير على حجرها ...

_نحن هنا!

قالها العم علاء بمرح فانتفضت مكانها لتقف عندما لمحت سيف ...

ملامحها البائسة تحولت لأخرى متحفزة خاصة عندما هتف علاء بمشاكسته المعهودة :

_الولد ده ...جاي يعتذر .

ثم التفت نحو سيف مردفاً بينما يربت على كتفه :

_قصدي سيد الرجالة !





ابتسم سيف بحرج وهو يمسد شعره بأنامله فشعرت غادة هي الأخرى بالحرج لكنها قالت بنبرة محايدة :

_مفيش داعي للاعتذار ...كان سوء تفاهم وراح لحاله .

قالتها وهي تضع الأرنب المريض جانباً لتهم بالانصراف لكن علاء استوقفها بقوله :

_دكتور سيف جاي يشوفهم بالمرة يكتب لهم دوا .

تنحنح سيف بارتباك وهو يتقدم ليتفحص الأرانب قبل أن يقول بنبرة جادة :

_دور برد عادي ما تقلقش...هنحتاج حقن تتراسيكلين





تلات أيام...وندوب قرصين صداع في شويةماية ونديهالهم...والأكل بصل أخضر أو قشر بصل ناشف بس.

_طيب هارجع أنا أجيب الدوا بسرعة على ما إيناس تحضر الأكل .

قالها ليتركهما وحدهما دون أن يترك لهما فرصة الاعتراض فتأهبت غادة لتغادر خلفه لكن سيف استوقفها بقوله :

_أنا آسف!

أطرقت برأسها دون رد وأناملها تلاعب دبلة أحمد بحركة عفوية لم تعد تفارقها ...

حركة تعلقت بها عيناه لتزيد من شعوره بالذنب مع استطراده :

_أنا كلمت رامز وحكالي على كل حاجة...





ثم ابتسم بالمزيد من الحرج ليردف:

_هو كمان وصاني أعتذر لك لأنه غلط في حقك قبلي ...

لولا انشغاله بحادثة هانيا كان كلمك بنفسه .

_هانيا؟! مالها؟!

هتفت بها بجزع ليغمغم بمزيد من الارتباك :

_انتِ ما تعرفيش ؟!

نظرتها المرتعبة كفتها الجواب ليخبرها بما حدث ...

دموعها الصادقة كانت تنهمر على وجنتيها بحرارة وهي تضع راحتها على شفتيها لتتمتم أخيراً:

_من ساعة ما جيت وأنا بحاول أكلمها بس موبايلها مقفول ...ليه ما قالتليش كنت نزلت مصر ؟!





_هي بقت أحسن وكمان رامز بيسعى عشان يرجعوا لبعض!

قالها مهدئاً لتشرق ملامحها نوعاً مع تساؤلها:

_بجد؟! حقيقي؟!

فالتمعت عيناه برضا ممتزج بالإعجاب وهو يميز لهفتها الحانية على صديقتها ليومئ برأسه إيجاباً قبل أن يقول بينما يستخرج هاتفه من جيبه :

_خدي رقمها الجديد واطمني عليها بنفسك !

قالها ليمليها رقم هانيا الجديد ولم يكد ينتهي حتى شكرته برقة ...

فتنحنح ليقول بارتباك :

_أفهم من كده إنك قبلتِ اعتذاري؟!

رفعت إليه عينيها تتفحص ملامحه ببعض الدهشة ...





كانت المرة الأولى التي ترى فيها رجلاً يحمر أنفه وأذناه مع ارتباكه ...

وجهه لوحة معبرة عن مشاعره سواء في غضبه أو في حرجه ...

هانيا كانت تصفه دوماً ب"النِفَري"!

في إشارة منها لفشله الاجتماعي وحبه للعزلة...

حتى محاولات والدته لتزويجه باءت جميعها بالفشل...لتبقى سمعته ك"عازب أبديّ" تلاحقه ...

علاقته برامز لم تكن جيدة فهو-سيف- لم يكن راضياً دوماً عن طريقته المتهورة كما كانت هانيا تخبرها ...

رجلٌ يوحي بالنفور لكنها -وللعجب- تشعر بشفقة غريبة نحوه ...

عيناه العميقتان تصرخان بحزن صامت ...

ومن مثلها يمكنه تمييز الحزن الأخرس في الأحداق؟!





هو الآخر كان يتأملها بنظرة مختلفة هذه المرة ...

وجهها النقي الباكي بحنان يختلف كثيراً عن ذاك الذي رآه يوماً ملطخاً بأصباغه ...

ابتسامتها الهادئة تناقض ضحكاتها العابثة وقتها ...

حتى خصلات شعرها التي بدت منابتها فقط تحت حجابها يبدو أنها تخلصت من لونها القديم المثير ...

لكنها لا تزال تحمل نفس السحر الغامض في العينين النابضتين بالفتنة !

_عمي علاء بيقول إنك مغرمة بالأرانب ...اشمعنا الأرانب مش الخيل مثلاً؟!

سألها محاولاً الهروب من أفكاره لتشرد ببصرها وقد بدا سؤاله البسيط يحمل ذكرى خاصة لديها :





_يمكن عشان عشت فترة طويلة من عمري أرنب ...خايف ...ضعيف ...بيهرب ويستخبى .

_وما عدتيش.

أفاقت من شرودها لتنتبه لكلمته التي لم تدرِ هل تتلقاها كسؤال أم جواب ...

لكنها غمغمت بيقين :

_وما عدتش !

ارتسمت على شفتيه ابتسامة إعجاب أثارت خجلها لتعتذر منه كي تغادر ...

خطواتها تتعثر على العشب بارتباك كرهته في نفسها ...





والسؤال الغريب يتجمع كعلامة استفهام كبيرة في ذهنها ...

لماذا أثارت ابتسامته خجلها بينما لم تكن ابتسامة إسلام تثير إلا غضبها ؟!!

لماذا؟!

=========

_كيف تسمح لزين هذا أن يأتي إلى هنا؟!

هتف بها عابد باستنكار وهو يتبين وجود زين مع ياسمين بالخارج ليجيبه وجدي بضيق:

_أنا اتفاجأت بزيارته زيك بالضبط..غالباً لما عرف من ياسمين اللي حصل جه يطمن .

_بأي صفة ؟! ياربي...ستصيبني ياسمين هذه بالجنون !!

صرخ بها عابد بغضب ليربت أبوه على كتفه مهدئاً بقوله :

_اهدا يا شيخنا..احنا اتفقنا على إيه ؟! ياسمين مش في حالتها الطبيعية وأي محاولة للضغط منا





هتخلليها تتمرد أكتر ...لاحظ كمان إنها مش قاصر ...ممكن تعمل أي حاجة تطق في دماغها ...خللينا جنبها يمكن نقدر نلحقها من لحظة جنان مش محسوبة.

لكن عابد هز رأسه بعدم اقتناع ليقول وقد نفد صبره:

_كنتُ محقاً عندما هاتفت زوجها ليأتي إلى هنا...إن من بدأ المأساة ينهيها كما يقولون.

_إيه ؟! كلمت يامن ؟! قلت له إيه ؟!

هتف بها وجدي وقد أُسقط في يده !!

هو لا يدري ماذا سيكون رد فعل ياسمين على أمر كهذا ؟!

_أخبرته بالحقيقة...أنا فعلت ما يبرئ ذمتي.





_ليه كده يا عابد ؟!

قالها وجدي بضيق وهو يضرب أحد قبضتيه براحة كفه الآخر ليجيبه ابنه مبرراً :

_هل نسيت كيف كان حالها في المشفى فور وصولها ؟!

_أرجوك يابابا ...خلليهم يعملوا اي حاجة ويلحقوها...مش مهم أنا المهم هي تعيش ...أرجوك يا بابا اتصرف ...لو خسرتها مش هاستحمل...مش هاستحمل بجد المرة دي!

كل هذا بلا دموع !!

الحدقتان التائهتان بين موج الفقد والخذلان كانتا أكثر فقراً من أن تجودا بالدمع!!

حتى وهي تتشبث بكفه في استماتة على سريرها الذي خضبته دماء نزفها ...

حتى وهي تطلق أنّات خوفها واستغاثتها ...





وحتى وهي ترجو الجميع من أكبر طبيب لأصغر ممرضة

ألا يهتموا بها هي وأن يجعلوا حياة جنينها أولاً!

ربما ...

ربما لو عادت دموعها لعادت معها ياسمين التي يعرفها ...

والتي صارت الآن مجرد لوح من ثلج !

_ياسمين تحبه ...لا تقنعني أن تتشبث امرأة بجنينها إلى هذا الحد وهي تكره أباه .

انتشله بها عابد من شروده في تلك الساعات القاتلة التي تلت سقوطها في الشارع وحتى انتهى الأمر بسلام ...

عابد محق ...لكن الأمر ليس بهذه البساطة !

كفرها بهذا الحب لا يعني أنه ليس موجوداً!

لكن ما نفع النبع لو لفظت عطاءه أرضٌ جدباء؟!





وبالخارج كانت ياسمين تجلس مع زين في صالة المنزل منكسة الرأس ...

خصلات شعرها التي تقصفت لم تكن أفضل حالاً من بشرتها الشاحبة ...

ترتدي الوردي الذي هو أبعد ما يكون عن مزاجها ...

وتبتسم مدعية سعادة هي أبعد ما تكون عنها :

_ما كانش ليه لازمة تتعب نفسك وتيجي ...انت كنت لسه هنا .

_ما قدرتش أفضل هناك وما أطمنش بنفسي .

قالها زين بودّ لايدعيه وهو يشعر بأسف يجتاحه!





"كنزه" القديم في روحها يبهت بريقه يوماً بعد يوم !!

تكلُفها هذا يزيد يقينه أنها لا "تستطيع" تجاوز هذا الحد معه ...

أو ربما "لا تريد"!!

ياسمين التي يعرفها لم تكن تتصنع ...

كانت تجيد الحديث كما تجيد الصمت ...

تجيد إطلاق صيحة الألم كما تجيد زغرودة الفرح...

كانت تبكي ...تضحك..تشكو ...تنصح ...

كانت ببساطة تعيش!

أما هذه ؟؟!!!

_وجودك فرق معايا فعلاً...شكراً!

قالتها بنبرتها المموهة لتلتوي شفتاه بابتسامة واهنة...





لا يبالغ لو وصفها بأنها "أكذب" عبارة سمعها!!

كيف وهي غائبة بشرودها عنه في حضوره مكتفية بردود حيادية تجتاحها أحياناً مبالغات في وصف امتنانها له ؟!!

كيف وهي تتحاشى نظراته بعينين تسجنان الألم خلف رفرفة الأهداب؟!

كيف وهي تمنحه عوضاً عن "الياسمين" عوداً جافاً من حطب؟!

_أعمل إيه عشان ترجعي تضحكي الضحكة بتاع زمان ؟!

قالها بنبرته المميزة التي تمزج اللطف بالهيمنة لترتجف شفتاها بما بدا كابتسامة مع قولها وهي تشبك كفيها:

_مادام بتحاول يبقى هتوصل...أنا واثقة فيك .





_أنا اطمنت من الدكاترة عليكِ وع البيبي ...بس برضه لازم تاخدي بالك .

_يااه يا زين! ما تتصورش الرعب اللي عشته يومها ...أنا كان ممكن أموت لو جرالها حاجة...دي خلاص بقت أغلى حد عندي.

قالتها بنبرة تشقق جليدها لتبدو منه أشعة إحساسها الصادقة ...

فابتسم ليمنحها وعده :

_ما تخافيش ...حافظي انتِ بس عليها لحد ما تيجي
بالسلامة وبعدها أوعدك محدش هياخدها من حضنك.

اجتاحت شفتيها ابتسامة مريرة وهي تدرك مغزى وعده ...




من يخاف أن يسلبها ابنتها ؟!

أبوها مثلاً؟!!

أبوها الذي -في ظروف مماثلة - لجأ للعبة زواج كي يتخلص من هذا الوزر؟!!

أبوها الذي لا يعلم شيئاً عنها ؟!!

أبوها الذي حتى لو علم فسيبقى رأسه يدور في فلك الشك الأسود أنها ليست أصلاً ابنته ؟!!

انقطعت أفكارها برنين جرس الباب الذي توجهت الخادمة كي تفتحه ...

وتفتح معه أبواب المواجهة....

=========

لو كنا في فيلم سينمائي لربما اختار المخرج أن يجمد الكادر على هذه اللقطة ...

ربما منحتك وجوههم طابعاً عما يشعر به كل منهم الآن ...

لكن -لحسن الحظ - أنني هنا أملك ما هو أكثر ...

أملك وصف هذه المشاعر التي اكتسحت كل منهم كإعصار لا يبقي ولا يذر !

أهونهم في رد الفعل كان "الصياد " الذي شعر بالخطر !

عيناه تحيدان بسرعة نحو ياسمين يدرس رد فعلها التي كانت شديدة العفوية ...عظيمة المعنى!

فما إن وقعت عيناها على يامن حتى هبت من مكانها لتندفع في اتجاهه خطوة وكأنها ستهرع إليه تعانقه قبل أن يتجمد جسدها كله مكانه ...

حتى ذراعاها بقيتا معلقتين في الهواء لثانية ...

ثانية واحدة قبل أن تغمض عينيها بقوة لتأخذ خطوتها التالية ...

جواره هو!!!





لهذا انعقد حاجباه بقوة وهو يقف بدوره ليمنحها خطوة أخرى زادت تقاربهما أمام هذا الذي كان يتقدم نحوهما وعيناه شعلتان من نار !!!

يالله!

أخوها كان صادقاً؟!

وهو الذي قضى الساعات الفائتة كلها يكذبه ؟!!

بطنها البارز يفضح كذبتها "الثانية" ...

ووجود هذا "الوغد" هنا جوارها يذكره بكذبتها "الأولى"!!!

المشاهد تغزو عقله "المريض" تباعاً لتنهشه بمخالب الوحش القديم ...

والقلب "المخذول" بين قضبانه ماعاد يملك ما يدافع به !

لم يشعر بحاله وهو يجد نفسه على بعد خطوتين منهما ...





عيناه الذبيحتان بالمنظر لم تحتمل طعنة أخرى بالنظر نحوها وهي تجلس بثوب مكشوف كهذا مع هذا الرجل وحدهما ...

لهذا تسلطت قذائفه على زين فقط ليهتف من بين أسنانه :

_انت بتعمل إيه هنا؟!

فارتفع حاجبا زين باستهانة ليختلس نظرة نحو ياسمين المرتجفة جواره والتي تحاول مداراة انفعالاتها برأسها المرفوع للأعلى ...

ربما لو كانت امرأة سواها لأطرقت برأسها متى أرادت استجماع قوتها ...

لكن ياسمين ذو الفقار لم تكن لتحني رأسها أبداً في موقف كهذا !!

لهذا وجده دوره كي يؤازرها في هذا الموقف أمام هذا الرجل الذي لا يفهم بالضبط ماذا يريد !!!!

ألم يذهب إليه بنفسه منذ بضعة أشهر يريه ندبة حاجبه ويحكي له ما يبرئ من كانت زوجته ؟!!





ألم يرفض من وقتها تصديقه وتجاهل كل ما سمع ؟!!

أين كان من عذاباتها وانطفاء روحها طوال الأيام السابقة ؟!

ما الذي جاء به هكذا فجأة إلا لو كان علم عن حملها ؟!!

ماذا؟!

يظن نفسه سيعيد امرأة كياسمين لعصمته كجارية فقط

لأجل الطفل؟!!

_أنا هنا من زمان ...انت اللي بتعمل هنا إيه دلوقت؟!

قالها زين بنبرته الرصينة ليتلقى الرد في لكمة !

لكمه يامن على فكه مباشرة لكن استجابته وصلت سريعة في لكمة أخرى ليامن ...




ليتحول الأمر إلى صراع بالأيدي مع صراخ الخادمة الذي جعل وجدي وعابد يخرجان من الغرفة يحاولان إيقاف هذين الديكين المتصارعين ...

ولم يكادا يباعدان بينهما والأنف الدامي لكليهما يفضح ما كانا ينتويان إكماله حتى هتف وجدي بهلع:

_معقول كده ؟! سبتوا إيه لولاد الشوارع؟!

ثم التفت نحو ياسمين مردفاً:

_ادخلي انتِ جوه...أنا هاتصرف!

لكنها لم تحرك ساكناً وعيناها الدامعتان تزيغان في الفراغ ...

من يراها بهذا الجمود لا يكاد يصدق أنها بداخلها ...تتمزق!!





روحها تتمزق حرفياً قطعة قطعة ...

كل قطعة تصرخ باسم حبيبها قبل أن تنصهر في جحيم صاغه كبرياء و"هوس"!

هوس امرأة عاشت عمرها كله ترنو للكمال حتى إذا وصلت لشمسه احترقت جناحاتها بخطيئتها لتهوي في بئر دون قرار!

الهوس الذي احتمى خلفه عقلها بقناعاته الجديدة :

_يامن هنا؟!

_ومن يهتم؟!

_جاء لأجلك!

_متأخراً حد السخرية!

_يصارع زين؟!

_لن يفوز!

_يصارع نفسه؟!

_لن يفوز!

_يصارعك أنتِ!




_إذن ربما !...لا ...لا ...!أيضاً لن يفوز!

هكذا قهرت كل ضعف خواطرها لتستعيد ملامحها الجامدة بعض الحياة وهي تمد أناملها تحتضن بطنها بكفيها ...

لتعاند رغبة أبيها بصمت فزفر الأخير ليعود ببصره نحو زين قائلاً:

_اتفضل اخرج دلوقت ....خلليني أحل الموقف .

شعر زين بالتردد وهو يجول ببصره بين الجميع يدرس الموقف ...

هو لا يهمه هنا سوى ياسمين !

لا يريد تركها وحدها في هذه المواجهة خاصة وهي في حالتها هذه ...

لكن ياسمين نفسها لن تغفر له لو بقي اعترافاً منه بضعفها ...





هي تحتاج منه في هذه اللحظة "الإيمان" أكثر مما تحتاج "السند" !

وهو يؤمن حقاً بقدرتها ...وإلا لما صبر كل هذا في سبيل امتلاك كنزه !

لهذا قرر الانسحاب رغم أنه لم يكن يوماً ممن يتركون نزالاً بهذا اليسر مع رجل لا يعرف ماذا يريد كيامن هذا!

نظرته الأخيرة لياسمين حملت لها كل دعمه وثقته قبل أن يغادر بخطوات ثابتة وكأنه لم يخض شجاراً منذ دقائق!!!

ولم يكد يفعل حتى هتف عابد مخاطباً ياسمين بثورة فقدت كل حدود تعقلها :

_كل هذا بسببك ...أنتِ لا تحترمين ....

والمقاطعة جاءت من يامن الذي تحرك ليخفي ياسمين خلف ظهره مع قوله الصارم :





_لحد كده كفاية ...محدش يتدخل بيني وبين مراتي!

=========

الآن أتفهم غضبتك إذ كيف تمنحني "كيسك" الفخم وأنا "الجاحدة" لا أقدر جزيل عطائك...

لكن هلا تفهمت أنت -عزيزي- أن "كيسك" الباهظ هذا كان...مثقوباً؟!

==========

عبارته كانت من الحزم بمكان حتى أنها جعلت وجدي يجذب عابد نحوه مهدئاً وهو لا يدري بماذا يرد ...

كان يدرك أن العاصفة قادمة من هذه التي استفزتها عبارته لتصرخ من خلف ظهره :

_مراتك ؟! مين دي اللي مراتك ؟! انت أكيد اتجننت !

فكز يامن على أسنانه بقوة دون أن يواجهها كاظماً غيظه قدر استطاعته ...

بينما كان وجدي يدرك جيداً ما يعانيه يامن...

ومع رغبته -الخفية- في رأب الصدع بينهما قال أخيراً وهو يشير للغرفة المجاورة :

_ادخلوا اتكلموا براحتكم ...واللي هتقول عليه ياسمين أنا معاها .





رمقه عابد بنظرة مستنكرة واثقاً من رعونة أخته لكن وجدي كان يتفهم أن العبارة الأخيرة تحتاجها ياسمين في هذه اللحظة بالذات ...

تحتاج الدعم أولاً ...الأرض الثابتة التي تحتضن قرارها ...وهو ما يملكه لها الآن على الأقل!

الباب المغلق الآن يخفي خلفه رجل وامرأة ...

أقرب ما يكونان ...وأبعد ما يكونان !

القلب مخذول...والروح مكسورة...والكبرياء الجريح يطير مترنحاً بجنون كاسرٍ تُخشَى مخالبه !!!

ولا تزال العيون تجبن عن التلاقي!!

تعطيه ظهرها لتتحرك مبتعدة خطوتين ...

ويبقى الصمت حائطاً يلتجئ إليه من لا ملجأ له إلا إليه !





تحتضن جسدها بساعديها وهي تحاول إخراس نبض روحها التي لا تزال تجد شفرتها الوحيدة معه !

ملكة مهزومة !!

هكذا كانت معه من البداية للنهاية ...

لا...لن تغرها قلائل أيام هدنة منحتها -حينها- إكليل نصر زائف!!

وخلفها كان هو الآخر يخوض صراعه الخاص ...

سلطان وساوسه يضحك ضحكة متشفية من طول دفاع قلب أحمق...

وبينهما عينان تمشطان تفاصيلها بنَهَم جائع!!

شعرها الحبيب الذي استطال كثيراً يتغنج بدلال على ظهرها داعياً أنامله لتضفيره ...





جسدها المرتجف الذي يداري وهنه خلف وقفة متماسكة يستصرخه أن يضمه ...

فقط لو تستدير ليملأ عينيه من صورة "ثمرة عشقهما" التي ستبقى تجمعهما مهما تشدق الفراق بحتمية حصوله !!

ووسط هذه الحرب التي كانت تفتت كيانه تحرك أخيراً ليقف في مواجهتها ...

عيناه مسلطتان على بطنها البارز وهو يشبك قبضتيه جواره ليقول أخيراً بنبرة غريبة :

_كذبتي عليا تاني؟!

_ماكذبتش...قلت لك خسرته وانت فعلاً خسرته...

قالتها بنبرة بدأت جامدة ليكتسحها بعدها انفعالها وهي تردف :

_ده ابني أنا ...أمنيتي اللي عشت عشانها طول السنين اللي فاتت ...حلمي اللي مش هاسمح لك تدمره بأنانيتك وشكوكك.





لم تتلقّ رداً وكانت أجبن من أن تواجه لترى أثر كلماتها ...فأغمضت عينيها بقوة ...

لا تدري أيهما الآن صار أكثر ارتجافاً جسدها...أم صوتها:

_مالوش لازمة وجودك هنا دلوقت...احنا

خلاص انتهينا ..ماعادش بيننا حاجة.

_بيننا ابني!

يقولها عبر عينين مشتعلتين بنبرة صاغها ألف شيطان لتجيبه بكلمات يسوقها ألف ألف مارد :

_إيش عرفك إنه ابنك ؟! مش يمكن....

والعبارة أخرستها صفعة !

أنامله التي ظل يحبسها منذ أول اللقاء تحررت أخيراً لتنتقل من وجنتها إلى خصلات شعرها التي





جذبها ببعض العنف نحوه لتلتقي العيون أخيراً صارخة بكل هذا النزف من المشاعر ...

قبل أن تلتقي الشفاه !!

ذراعاه تضمانها إليه بقوة لتخونه آهة خافتة وهو يشعر بمذاق عناقها مختلفاً عن آخر مرة ...

وكيف لا ؟!

وبطنها البارز يمنحه هذا الشعور الفريد بأنه ينتظر قطعة منه ومنها ؟!!

هذا الشعور الذي جعله يرتجف حرفياً وهو يكاد يذيبها في جحيم ضلوعه ...

فوضى!!!

كل ما يشعر به الآن هو فوضى!!

بانوراما مجنونة من أحاسيس تمزقه بضراوتها ...وتناقضها!!!

غضب ...واشتياق...تشتت...وسكينة...أسف ...وعتاب...

C i n n a b o n

كيف يسعفه لسانه في وصف ما يشعر به ؟!

فليترك العنان إذن لشفتيه تنطلقان دون قيود ...

صفعته لم تكن لأجله..كانت لأجلها!!!

ماذا؟!

تراه قد عز عليه أن تلصق امرأة مثلها هذا الاتهام البشع بها ؟!

أم تراه أدرك أنها فقط ترد له بضاعته عندما صدق خيانتها يوماً؟!!

هذا الإدراك الأخير الذي أثار جنونه وهو يتبين أن المرأة التي تفعل مثل هذا هي أشد نساء الدنيا زهداً فيه !!

دوامة خلف دوامة ...

وهو بينها غريق فقد حتى "القشة" التي يتعلق بها!

وبين ذراعيه لم تكن هي أفضل حالاً ...





لماذا صفعها ؟!!

إنه لم يفعلها حتى في تلك الليلة التي واجهها فيها بخطيئتها!!

لماذا عجز عن التحكم هذه المرة كما وقتها ؟!!

آآه!

ألم...ألم....ألم!!!

ألمٌ خالص نقي دون شائبة تصرخ به كل خلية منها بلا صوت !!

ألم الصفعة...ألم شده لشعرها ...ألم اعتصاره العنيف هذا لها ...

كل هذا لا يساوي شيئاً أمام ألم مواجهتها لنفسها !!!

صورتها التي طالما تباهت بكمالها في عينيه الآن تلطخها حمرة "خطيئة " ماضٍ بل ...وحاضر!

صورتها جوار زين والتي تثق أنها كانت بطلة كوابيسه





الأيام السابقة الآن ستؤازرها صورة أخرى مشابهة

...

لكن ...هل تهتم ؟!!

إذا كان حبها الأسطوري طوال هذه السنوات لم يشفع لها ...

فما تراه يشفع ؟!!

لهذا تشدد جسدها في رفض واضح لما يفعله ...

قبل أن تتراخى بين ذراعيه كدمية مقطوعة الخيوط !!

لهيب قبلاته لم ينجح في إذابة ثلوج امرأة كانت تكفيها منه يوماً همسة ...

لقد فقد "الأنثى"لتعود بين يديه كما كانت في البداية ...

مجرد "طفلة" تتسول "أبوّة"قلبه!





مجرد طفلة مذعورة تخشى الظلام..تخشى اللمس ...

والأسوأ أنها الآن تخشاه هو !!

لهذا كان في أضعف حالاته وهو يبعدها أخيراً ليسند جبهته على جبهتها ...

هي لم تعد ...هي!!

قلاع حبه التي تشاركا يوماً زهوهما به ...الآن جعلتها الرياح هباء منثوراً!!

لكن ...لو أحبته حقاً كما زعمت لما سمحت بإدخال آخر مكانه بهذه السرعة !!

لما عاد بعد كل هذه الفرقة ليجدها معه !!

تباً!!

لو لم تكن حقاً تكن له شعوراً خاصاً فلماذا سمحت لرجل شاركها الفضيحة أن يشاركها ولو لحظة من العمر بعدها ؟!!





لا ...لا يتعجب وجود زين فقد كان صريحاً معه ليلتها أنه لن يضيع فرصته مادام هو قد ضيعها ...

لكن ما أثار عجبه -بل هلعه - أن تجد هي الأخرى لنفسها معه فرصة ...

إلا إذا....؟!!

لا ...لا ...

لا تعد لهذه الدوامة ...

لا تستسلم لسلطان شكك من جديد !!

قاوم ...قاوم ...

لكن مشاهد الفيديو تعاود قصف ذهنه...

تدور ويدور معها ...

لتنتهي بمشهدها الآن وهي جالسة معه هكذا متكشفة ...متباسطة ...

آه !





صرخته الصامتة تدوي كقنبلة تنتشر شظاياها في أعماقه ليجد نفسه ينهار أرضاً وذراعاه يهبطان معه!!!!

أنامله المرتجفة تكاد تنغرس في بطنها البارز ...

_يارب...يارب!

يتمتم بها بصوت غير مسموع وهو يطرق برأسه لا يكاد يجد له شاطئاً وسط زئير هذا الموج إلا إيمانه !!

ماذا بقي لرجل يجثو تحت قدمي امرأة تزعم أن من في بطنها ليس ابنه ؟!!

ماذا بقي له إلا أن تتلقفه مخالب وساوسه؟!!

أما هي فلم تكد تشعر به يبعدها عن ذراعيه حتى اجتاحتها عاصفة من جليد ...





ارتجافة جسدها تزداد وهي تراه هكذا جاثياً مطرق الرأس وأنامله تكاد تحفر بطنها حفراً...

غداً...ربما ستجد دموعها المفقودة !

ساعتها ستبكي هذه اللحظة كثيراً...

ستعتبرها أقسى ذكرى تركها لها ...وما أكثر ذكرياته القاسية !!!

_الكلمة وجعتك قوي كده ؟! مش ده اللي انت صدقته ؟! مش ده اللي انت خليت الناس كلها تصدقه لما اتخليت عني وقتها ؟! مش ده اللي هتفضل طول عمرك تشك فيه ؟!

كلماتها تغادر شفتيها مرتجفة رغم نبرة الوعيد المتشفية التي أرادتها ليرفع إليها عينين مغشيتين بدمع ...وغضب!

_وانتِ حكيتِ وأنا ماسمعتش؟!





باستنكاره العاتب ينطقها لتجيبه بنفس النبرة :

_يااااه...ياما حكيت...من أول ما اتجوزنا وأنا بحكي ...لكن الحب اللي يخلليني بعد كل ده أقف أدافع عن شرفي مايستاهلش مني كلمة واحدة زيادة.

ثم ازدادت نبرتها حدة وهي تصرخ بينما جسدها كله ينتفض:

_أنا كنت راضية اخرج من حياتك زي مادخلت ...كنت راضية تفضل مجرد حلم يرجعني لما أشتاق لصورتي القديمة...انت عارف انت عملت فيا ايه ؟!عارف عملت فيا إيه ؟!

ظلت تكرر سؤالها الأخير بنبرة تتناقص حدتها حتى تهاوت أخيراً لتسقط مثله على ركبتيها ...





قبل أن تنسكب عيناها في بئر ماضٍ سحيق ابتلعهما بشروده :

_انت توهتني عن نفسي ...مابقيتش عارفة انا مين ...في ثانية واحدة..ثانية واحدة ...لقيتني مش عارفاني ...معقول فيه ياسمين من غير يامن ؟! معقول؟! مستحيل؟؟؟! لا... ما طلعش مستحيل !!

ضحكة ساخرة مشنوقة بمرارتها كانت ترعى ما بقي من نزف بوحها:

_ لاول مرة في حياتي انت خليته ممكن...لاول مرة في حياتي احس احساس حد بيتدبح ويفضل عايش...بيسلخوه من جلده ويقولوا له كمّل ...بيترمي في أحن حضن يتمناه فيلاقي أقسى قلم نزل على وشه ؟!!

دمعة عزيزة حارقة تسقط ببطء على وجنته وكأنما تذبحه كلماتها بتمهل قبل أن تجاور شفتيه لتذكره

باختلاف مذاق هذه المرأة التي تتحدث ...





دمعة لم تميزها عيناها الشاردتان وهي تستقيم لتقف على قدميها ...

قبل أن تبتعد من جديد لتعطيه ظهرها مردفة :

_بس انا ماخذلتش نفسي المرة دي كمان...أنا مااتكسرتش...أنا كملت...واخترت!

_اخترتِ إيه ؟!

يسألها بنبرة مرتجفة وهو يقف بدوره ليعاود اقترابه منها ...

لو صح لمن في وضعهما أن يكون لهما اقتراب!!

_اخترت ما أختاركش حتى لو الموت في الكفة التانية !





بمنتهى الحزم ...بمنتهى القسوة ...وبمنتهى الضعف

قالتها !!

ضعف امرأة ما عادت قادرة على منح المزيد بعدما أيقنت أن سابق عطائها كله كان كحفنة من تراب !!

ضعف امرأة أسندت ظهرها لحائط من ورق!!

ضعف امرأة أعمتها "صورة المثالية" عن رؤية "ندبة الخطيئة"...

امرأة لا تزال "تهوِي"...ولا تبالي أنها لا تزال "تهوَى"!!

والخصم أمامها كان مستنزفاً كأشد ما يكون الاستنزاف!!

فلا هو "القديم" الذي يستأنس بسلطان وساوسه ...

ولا هو "المستحدث" القادر على محاربته!!

هو فريسة لصراع ينهش روحه ...




وتزيده هذه المواجهة وهَناً!!

وهَناً جعله يتشبث بواجهة عناد هشة ظللت عبارته :

_انت دخلت حياتي بمزاجك بس مش هتخرجي منها إلا بمزاجي .

والعناد جعل العزة تأخذها بالإثم ولا تزال تعطيه ظهرها :

_لا !...أنا دخلتها بمزاجي وهاخرج برضه بمزاجي .

_يبقى تديني ابني وروحي زي ما انتِ عايزة ...أنا مش هكرر غلطتي مع سيلين.

يصرخ بها بقلة حيلة ورأسه يكاد ينفجر بضغوطه لتلتفت نحوه بشراسة لبؤة محاربة :

_وأنا مش هاسمح لك تكفر عن ذنب ابنها في ابني أنا ...مستحيل ...ده ابني أنا ...حلمي أنا ...تعبي أنا ...تمن العمر اللي عشته مغفلة ...تمن الحب اللي دسته انت تحت رجليك .





قد يعتبرها أبلغ عبارة حب سمعها ...

وقد تكون أعظم إهانة نالته لكن رده لم يكن ليختلف:

_ماشي...انتِ عايزاه تحدي ...وانتِ عارفاني في العند ماليش آخر .

هنا عادت عيناها تحتقنان بالدمع المشتعل وهي تقترب منه خطوة لتلوح بسبابتها هاتفة :

_ما تلعبش بالنار مع واحدة حافظة كل مفاتيحك...زمان قدرت بده أخلي لك حياتك جنة ...ودلوقت بنفس السلاح هاقلبهالك نار!

فالتوت شفتاه بشبح ابتسامة وهو يقول بنبرة مستفزة :

_أول حاجة هاعملها لما أرجع مصر إني أردك رسمي ...وبعدها هاستناكي هناك .

قالها ليرمقها بنظرة مشتعلة طويلة ونظرة الرعب في عينيها تزيد جنونه !!!





إلى هذا الحد صارت تكرهه ؟!

هل فقدها حقاً؟!!

هنا زفر زفرة حارقة وهو يعطيها ظهره ليغادر بعدما ألقى ما في جعبته ...

ليكون دورها لتلقي هي الأخرى ما في جعبتها ...

لهذا ما كاد يضع قبضته على مقبض الباب حتى سمع نداءها ...

_يامن ...

لم يلتفت وهو يشعر أن نظرة واحدة لن تعني سوى أن يجرها من شعرها -الذي يغيظه هذا -خلفه إلى مصر كي يعيد ضبط -إعداداتها- التالفة هذه وليكن ما يكون !!!

لتأتيه عبارتها كقنبلة تنسف القديم والجديد ...

_أنا عمري ما خنت...بس لو رجعتني غصب عني هاخونك بجد المرة دي .

============





القطعة السادسة

========

_باباك شكله طيب وشيك قوي ...اللي يشوفه ما يديلوش سنه أبداً!

هتفت بها شوشو بانبهار بينما تقف جوار هيثم في حديقة بيتهم حيث الحفل الذي أقامه حسين رجائي ...

ليلتفت نحوها وهو يعدل ياقة قميصه قائلاً بمكر:

_طالعلي!

ضحكت بطيبة تزيد تميزها في عينيه قبل أن تتحرك عيناها في المكان مراقبة الوجوه بتفحص مع تساؤلها :

_فين مامتك ؟!

_جيلان هانم لازم تبقى آخر واحدة تنزل الحفلة...عشان العيون كلها تبقى مترصداها هي وبس ...دي سياسة عليا لا تتغير .





قالها بمرحه المعهود وهو يتناول كأساً من العصير من أحد السقاة الذين يدورون في الحديقة دون كلل ...

قبل أن يناوله لها مردفاً :

_بقية الشلة على وصول ...مش عايز حسين ياخد باله إن فيه بيننا حاجة...ده نمس وبيقفشها وهي طايرة...

_ياسلام! وإيه المشكلة لما يعرف يعني؟! تصدق انك فعلاً سخيف؟!

هتفت بها بغضبها الطفولي المعهود الذي يجيد هو احتواءه كما الآن :

_افهمي يا بنتي ...أنا مش عايز الموضوع يدخل في سكة رسميات من دلوقت...اتعرفوا الأول طبيعي وبعدين ربك يكرم .

لكن عينيها دمعتا وهي ترد بعفويتها :





_لو كنت واخد الموضوع جد ما كنتش قلت كده ...بس انت مش عايز تورط نفسك عشان لسه مش واثق من مشاعرك ناحيتي ...أنا مش عبيطة.

واللهجة التي نطقت بها عبارتها الأخيرة كانت وحدها كفيلة لتأكيد "العكس"!

لهذا ابتسم وهو يقترب منها خطوة ليقول بجدية تامة هذه المرة :

_أنا بحترمك يا شوشو ...وعارف قيمة كلمة بحبك لما تتقال ...عشان كده مش عايز أتسرع وأظلمك معايا ...خللينا ندي كل حاجة وقتها .

أشاحت بوجهها دون رد ليقترب منها خطوة أخرى مردفاً بنبرة عاد إليها مرحها :

_طب بذمتك كنتِ هتآمنيلي لو قلتلك إني بحبك وأنا من كام يوم بس كنت بقول إني بحب داليا ؟! إيه فاتحها مساكن شعبية ؟!





ضحكت رغماً عنها لتضع كفها على شفتيها فابتسم وهو يغمزها بقوله :

_أيوه كده اضحك يا "سكر"...

ثم تلفت نحو ناحية ما ليردف :

_الشلة وصلت ...هاجيبهم واجي .

تابعته ببصرها بنظرات هائمة قبل أن تحيد عيناها نحو والده الذي كان يبدو لطيفاً حقاً بضحكته التي لم تفارق وجهه بينما يحادث أصدقاءه...

ترى كيف يفكر رجل كهذا؟!

وهل سيقبل بها زوجة لابنه لو حدثه عنها مع الفارق الاجتماعي بينهما ؟!!

وهل سيفعلها هيثم حقاً أم أن مشاعره المتذبذبة نحوها لن تصل لهذه الدرجة ؟!!

والأهم...هل سيكون...؟!

انقطعت أفكارها عندما فوجئت به يبادلها النظر !

أجل..حسين رجائ نفسه !!




هل انتبه لنظرتها الطويلة نحوه ؟!

عضت شفتها بارتباك فضحته ملامحها وهي تطرق برأسها ...

بينما ظل هو يتفحصها لثوانٍ ...

من هذه الفاتنة ؟!

هو لا يذكر أنه رآها من قبل؟!

كم تبدو شهية ببراءتها الناضحة في ملامحها هذه ؟!

هذا السن يروقه كثيراً رغم أنه يشتاق أحياناً ل"ذوات الخبرة" ...

لكن متعة "القطفة الأولى" لا تضاهيها متعة !

متى كانت آخر علاقة دخل بها ؟!

منذ ثلاثة أشهر!

كثير جداً لرجل متطلب مثله ...

يبدو أنه الوقت ..للمزيد من اللهو!





لهذا تقدم نحو هذه المرتبكة التي تكاد تغرق في خجلها ليرسم على شفتيه ابتسامة مدروسة مع قوله برقته الخادعة :

_أول مرة أشوفك هنا ...ممكن نتعرف؟!

أزاحت خصلة جانبية من شعرها خلف أذنها لتجيبه بتلعثم :

_هيثم عزمني...زميلي في الكلية ...الباقيين جايين ...

اتسعت ابتسامته الظافرة وهو يشعر بارتباكها يزيد من استجابة جسده الحسية لها ...

عيناه الخبيرتان تدوران على جسدها بتفحص أرضاه ليقول بنفس النبرة الخادعة :

_الناس لما بتتعرف أول حاجة بتقولها الاسم .

ضحكت بخجل عفوي زاد من حمرة وجنتيها وهي ترفع عينيها نحوه قائلة :

_آسفة يا عمو ...أنا شوشو .





ارتفع حاجباه وهو يردد الاسم بلكنة خاصة ليردف بعينين لامعتين:

_وده برضه مش اسم..طب خلليني أخمن ..شيماء واللا شهيرة واللا شويكار مثلاً ؟!

_شهد.

قالتها بنبرة خافتة لتدور بعينيها بحثاً عن هيثم الذي انخرط في المزاح مع رفاقه هناك ..لتردف بنفس التلعثم :

_بس كلهم بينادوني شوشو ..قليل قوي اللي يعرفوا اسمي .

_مع إنه جميل ...ليه مخبياه ؟!

قالها مستدرجاً ولازالت عيناه العابثتان تمنحانه تقارير مُرضية ...

لتجيبه بضحكة خافتة :

_مش مخبياه ولا حاجة يا عمو ...هي جت كده .

_وانتِ بقا مع هيثم في نفس الدفعة ؟!





_سقطت سنة فهو سبقني .

قالتها ببعض الخزي فأصدر همهمة خافتة ثم بدل لهجته لأخرى يدرك تأثيرها خاصة مع ما شابها من وقار:

_بصراحة أنا استريحتلك ...وعايز أبقى أطمن منك على هيثم...انتِ عارفة الشباب في السن ده بيبقوا خطر وممكن يأذوا نفسهم من غير ما يحسوا ...أنا اتعاملت مع ناس كتير وأقدر أميز البني آدم اللي قدامي ...وعشان كده حاسس إني ممكن أثق فيكي.

_شكراً يا عمو ...بس ما تقلقش على هيثم خالص ...ده ممتاز جداً .

هتفت بها بحماسة طفولية وكأنما تلقت هدية عظيمة بمديحه السابق فابتسم ابتسامة هادئة وهو يسألها:

_ما بتفكريش تتدربي في أي مكان عشان تلاقي شغل بسهولة أول ما تتخرجي؟!





فغرت فاها بما منحه انطباعاً أنها لم تفكر في الأمر من قبل ...

لتتسع ابتسامته وهو يرسم الطيبة الخادعة أكثر:

_لو فكّرتي معنديش مانع تتدربي عندنا في الشركة .

_يا خبر! ده شرف ليا يا عمو ...بجد ...حضرتك ...

هتافها المتلعثم قاطعه وصول هيثم الذي هتف بمرحه المعهود :

_ده انتِ قابلتِ "البيج بوسّ" بقا !

_زميلتك لطيفة قوي .

قالها حسين بنبرة محايدة وهو يتفحص باقي أفراد شلة هيثم الذين تجمهروا حولهم...

ورغم أنها حوت بعض الفتيات لكنه عاد لاختياره الأول ...

"لعبة لطيفة" اعتاد الفوز فيها دون أن يورط نفسه في مشاكل ...




لعبة يحتاجها هذه الأيام بالذات كي يفرغ فيها توتره ...

لهذا منحها هي نظرة خاصة قبل أن تتوجه الأنظار جميعها نحو المرأة التي ظهرت أخيراً بثوب يخطف الأبصار ...

_جيلان هانم وصلت .

قالها هيثم باعتزاز وهو يراقب كيف ترك والده الجميع ليهرع إليها كما عادته ...

قبل أن يميل على أذن شوشو هامساً:

_كل ستات الحفلة بيحسدوها عليه ...شفتي ساب الدنيا كلها وماسك إيدها إزاي .

فرفعت إليه عينيها العاتبتين بهمسها:

_ربنا يوعدنا بواحد زيه .

ضحك ضحكة خافتة وهو يعاود الهمس المشاكس:

_هيوعدك بس انتِ اخلصي النية كده واصبري شوية .




فابتسمت بخجل فضح عاطفتها القوية نحوه قبل أن تطرق برأسها وهي تشعر أن القدر منحها فرصتها لتقترب من هذه العائلة أكثر ..

كانت هذه فكرتها التي منحتها الكثير من السعادة والأمل ...

وليتنا ندرك أن الأمور كثيراً ما تبدو لنا على غير طبيعتها قبل أن نتعلم الدرس بأقسى طريقة !

==========

_هو المكان مفيش فيه غير بنات ؟!

هتفت بها داليا أخيراً وهي تقاوم شعوراً بالضيق بداخلها منذ قدمت معه إلى مقر الجمعية هذا لترى تجمع الفتيات حوله !!

صحيحٌ أنهن لم يتجاوزن الحد معه لكن الاهتمام والمرح الذي ساد حواراتهن معه جعلها لا تملك ضيقها الطفولي هذا ...

لهذا انتظرت انفضاضهن من حوله لتعبر عما رأته "مجرد ملحوظة"!!





هذا الذي لم يفهمه مروان وهو يعقد ساعديه أمام صدره ليقول من بين أسنانه :

_وانتِ عايزة رجالة ليه ؟! حضرتك قلتيلي جاية هنا تعملي إيه بالظبط؟!

اضطربت ملامحها وهي ترى المعنى الذي وصله مناقضاً تماماً لما تشعر به ..خاصة عندما أردف بنبرته الفظة :

_هنا مش رحلة ولا نادي صحوبية ...هنا ناس بتشتغل عشان غيرها ...أغلب اللي في المقر هنا بنات عشان بنوفر الرجالة للمشاوير الخارجية ...وأنا دوري أقسم الشغل ...وعموماً ده أول يوم ليكي هنا ولو مش عاجبك النظام ممكن تنسحبي .

مطت شفتيها باستياء وهي تراه يتصرف معها على عكس ما توقعت تماماً !




لقد كانت تخشى أن يسيئ فهم مبادرتها هذه ليحاول اجتذاب ودها كي تقبل عرضاً سبقت رفضه ...

لكنه على العكس يعاملها بطريقة جافة تماماً !

الغريب أنها لم تكن طريقته عندما كان يحادث الفتيات منذ قليل ...

بل كان يتباسط معهن بابتساماته وحواراته المتفهمة...

وهنّ كن يعاملنه كأنه ملَك هبط عليهن من السماء...

عجباً!

هل رأيْنَ منه ما لم تره هي ؟!

أم هن -الفاسد ذوقهنّ - في الرجال؟!!

تجاهلت أفكارها الضائقة وهي ترفع رأسها نحوها تناطحه فظاظة بفظاظة :

_ده مش بيتك عشان تطردني منه.





كتم ابتسامته بصعوبة وهو يشعر بمتعة استفزازها تفوق متعة استرضائها !!

لم تخفَ عليه نظرة ضيقها وهي ترى اهتمامه بسائر الفتيات مع تجاهله لها ...

ورغم أنه كان يدرك أنها غيرة طفولية لا تعني مشاعر خاصة له بل مجرد طبعها التملكي الخاص ...

لكنه كان راضياً بهذا كـ"بداية"!

_أولاً ...أنا ماطردتكيش ...أنا بأكد لك بس حريتك في الاختيار لو مش عاجبك المكان...وثانياً...ده لو بيتي أصلاً...

قطع عبارته عامداً ليرمقها بنظرة طويلة أساءت هي فهمها لتشيح بوجهها قائلة بوجوم:

_ما كملتش ليه ؟!...لو بيتك أصلاً مش هتخليني أدخله ...





_لا ...مش هاسمحلك تخرجي منه أبداً يا غبية !

هتف بها في نفسه- سراً - ليتجاهل كل هذا ويغير الموضوع بقوله :

_المعونات كلها بتتجمع هنا ...هدوم وأدوية وغطا ...بنقسم بعض مجموعات ونفرز الحاجة ...ومعانا كشوفات بأسماء الناس المحتاجة وعناوينهم عشان بعضهم بنوصلهاله لحد البيت ...الناس اللي عندها خبرة علمية هنا بيمسكوا الأدوية يفرزوها حسب استخدامها ...أفتكر الدور المناسب ليكي هو فرز الهدوم ...هتقسميهم حسب السن ...مناسبة ليكي الحكاية دي؟!

أومأت برأسها ببعض الحماس الذي اخترق وجومها فأشار لها كي تتبعه نحو غرفة كبيرة حوت عدداً ضخماً من الأكياس التي تكدست فوق بعضها ...





هل المطلوب منها أن تفضها جميعاً لتفرز محتوياتها ؟!

_ع اليمين ...حاجة الأطفال ...وع الشمال حاجة كبار السن ...وفي النص اللي بينهم ...انتِ هتمسكي الجزء الحريمي بس ...و أي حاجة رجالي تقابلك سيبيها هننقلها الأوضة التانية !

قالها بحزم رفيق ليردف وهو يتلفت حوله :

_هانده (...)و(.....) يساعدوكي...عشان نخلص بسرعة.

قالها ذاكراً اسمي فتاتين من اللائي كنّ يتحدثن معه منذ قليل لتهتف هي بسرعة :

_لا ...هاشتغل لوحدي.

كاد يهتف بالرفض مشفقاً عليها لكنه صمت لحظة ليقول بينما يبسط كفيه:

_براحتك !





قالها ثم أعطاها ظهره ليغادر الغرفة ويتركها وحدها وسط المهمة التي اختارتها ...

الحماس الذي انتابها جعلها تمارس العمل بنشاط أفرغت فيه كل طاقتها ...

ورغم برودة الجو لكنها كانت تشعر بدفء غريب يغمرها ...

الملابس لم تكن كلها قديمة مهترئة كما توقعت ...بل إن معظمها كان بحالة جيدة حقاً بل والبعض منها كان جديداً تماماً بغلافه !

شعورها بأنها جزء من هذه الحلقة التي تنقل الخير من يد ليد ...

بأنها سترسم ابتسامة على وجه أحدهم...

بأنها أخيراً خرجت من دائرة "الأنا" لتشبك أصابعها مع أصابع أخرى كي تكتمل دائرة العطاء ...





هذا الإحساس الذي ضخ الأدرينالين ضخاً في عروقها فلم تنتبه لمرور الوقت إلا عندما سمعت صوته هو خلفها:

_كفاية كده النهارده ...يامن منبه عليا ما تتأخريش عن تسعة .

تأوهت بإرهاق حقيقي حاولت مداراته بقولها لمجرد الاعتراض:

_لسه بدري!

_كملي بكرة.

قالها مبتسماً بعينين فاضتا بحنانه وهو يلمس مدى حماستها ...

ويبدو أن ابتسامته "النادرة" هذه لها قد عنت لها الكثير ،لهذا لم تناقشه أكثر وهي تتحرك لتسير خارج الغرفة قائلة بحماس:

_هاقنع يامن يجيبلي عربية قريب ...ساعتها ممكن أساعدكم في توصيل الحاجات كمان ...صح؟!





اتسعت ابتسامته وهو يقول لها متذكراً طباع صديقه :

_اقنعي يامن الأول وبعدين نتفاهم.

ولم يكد يتفوه بها حتى لفت انتباههما صوت هطول المطر من الخارج فمطت هي شفتيها بينما تتناول هاتفها قائلة :

_السواق أجازة الأسبوع ده ...هاضطر أطلب أوبر أو كريم .

لكنه تحرك خطوة نحوها ليقول منتهزاً الفرصة :

_لا أنا هاوصللك .

حاولت الاعتراض لكنه حسم الأمر بقوله :

_يامن مسافر وموصيني أبقى مكانه معاكم ...ياللا عشان ما نتأخرش أكتر من كده .





قالها ثم أشار للباقين إشارة تحية مودعة قبل أن يتحرك جوارها ليهبطا الدرج متجهين نحو سيارته...

لم تكن المرة الأولى التي تستقل فيها سيارته لكنها كانت ترغب في نسيان تلك المرة السابقة حقاً ...

ياالله !!

لقد ضبطها ليلتها تخرج من ملهى ليلي ...

لو ظن بها الظنون فلن تلومه !!

_بردانة ؟!

قالها وهو يلاحظ حركة كفيها اللذين تفركهما بتوتر بينما تأخذ مكانها جواره لتجيبه بارتباك أججته ذكرياتها المشينة :

_ممكن تشغل التكييف؟!

_لا!

قالها وهو يتحرك بالسيارة ليردف دون أن ينظر إليها:

_التكييف هيدفيكي دلوقت بس ممكن تتعبي لما تخرجي من العربية...هو انتِ دايماً كده بتبصي تحت رجليكي بس؟!

لم تكن لهجته فظة أو عاتبة بل كانت للحنان المراعي أقرب لكن شعورها الداخلي بالخزي هو ما جعلها تتلقاها بحساسية لتهتف بعينين دامعتين :

_وانت دايماً كده عايز تطلعني غلطانة وخلاص؟!

ارتفع حاجباه بدهشة للحظة من هجومها المفاجئ ...

لكن رؤية عينيها الدامعتين جعلته يرقق نبرته ليقول بهدوء:

_أنا آسف ...هاسكت خالص لحد ما نوصل .

قالها وهو يشعر بالحنق من موقفهما الذي يزداد تعقيداً يوماً بعد يوم ...

حنق ازدادت وتيرته وهو يراها تتناول هاتفها ليستنتج بحدسه ما ستفعله خاصة عندما اهتز هاتفه هو في جيبه معلناً عن وصول رسالة !





هوسها ب"العاشق المجهول" يعميها عن رؤيته هو!

كيف يجد له مكاناً في قلبها إذا كانت تملأه فقط بصورة حبيب خيالي حتى لو كان هو نفسه ؟!!

الحل؟!!

الحل أن يختفي "العاشق المجهول" مؤقتاً حتى يستطيع هو أخذ فرصته كاملة !

لهذا أخذ قراراً عزم على تنفيذه عقب عودته للبيت ...

عندما قاطعته هي بسؤالها الذي اخترق الصمت أخيراً :

_عرفت منين إني بحب اللبن بالفراولة مش بالشيكولاتة ؟!

قالتها وهي تتذكر دخول أحد العاملين عليها في الغرفة منذ قليل بعلبة من اللبن المعلب بطعم الفراولة ...بينما حصل الباقون على طعم الشيكولاتة ...




ملاحظة كانت لتمرّ لولا قول العامل لها بثرثرة غير مقصودة :

_دكتور مروان قاللي أجيبلك انتِ من ده .

_يمكن صدفة!

قالها مقتضبة بابتسامة ملتوية فتأملت جانب وجهه المجاور لها بتفحص لتبتسم بخجل مع سؤالها:

_هو يامن بيتكلم عني كتير معاك ؟!

_ده اللي ربنا هداكِ ليه يا "ترعة المفهومية"؟!!

هتف بها ساخراً -في سره - وهو يدرك أنها لو فكرت قليلاً فقط فستدرك شخصيته السرية بسهولة...

لكن يبدو أن نفورها منه كبيرٌ حد أنها لا تستطيع الاقتراب من هذه الفكرة أساساً ...

لهذا تنهد بضيق حقيقي وهو يقول بنفس الاقتضاب:





_يعني...مش قوي!

انكمشت مكانها وهي تشعر أنها حقيقة لا تفهم هذا الرجل !

مشاعرها المتخبطة نحوه تربكها...

والأكثر إرباكاً أنها لا تفهم حقيقة مشاعره هو نحوها ...

إذا كان معجباً بها فلماذا يعاملها بهذه الطريقة التي تغلب فظاظتها رفقها ؟!

وإذا كان يحتقرها بعدما رأى من عيوبها فلماذا يتغمدها بهذا اللطف الذي يفصح عن نفسه في لحظات قليلة...لكنها حقاً مؤثرة !

لهذا أشاحت بوجهها نحو النافذة تراقب المطر في الطريق بشرود ...

لعل الصمت أسلم !

قرار لم تصمد أمامه لثوانٍ أمام طبيعتها الثرثارة كالعادة لتجد نفسها تقول دون أن تنظر إليه :





_ناس كتير تتمنى تخرج وتمشي في الجو ده ...بس أنا عكسهم...أول ما الدنيا تشتي قلبي بيتقبض ...بحس إن فيه حاجة حلوة خلصت وحاجة وحشة هتحصل ..كأن السما بتعيط والدنيا كلها حواليها زعلانة...

ثم ضحكت ضحكة طبيعية لم تتكلفها وهي تردف وكأنما تحدث نفسها:

_المفروض عشان البنت تكون "كيوت" تبقا بتحب الشتا وصوت فيروز مع فنجان قهوة ...بس أنا بكره الشتا وبزهق لما بسمع فيروز وباخد الكافيين من الكاكاو والنسكافيه لأني بحس القهوة تقيلة ومرة.

لم تكن المرة الأولى التي يعرف فيها عنها هذه المعلومات لكنه ضحك ضحكة راضية وهو يدرك أنها تخصه بها هذه المرة ...

هو ...مروان !

لا ...العاشق المجهول!





لهذا التفت نحوها ليتلقى ملامحها الجانبية بشغف عاشق ...

أهدابها البنية الطويلة التي ظهرت أطرافها ذهبية بفعل ظروف الإضاءة ..

أنفها الدقيق ...

عينها الملتمعة كنجمة وسط هذه الظلمة...

وشفتاها اللتان احمرتا بفعل برودة الجو ...

وأخيراً بضع شعيرات نافرة تسللت هاربة من وشاحها لتذكره بشعر طالما عشق خصلاته ...

لو لم تكن هذه أجمل امرأة في الكون ...

فمن تكون ؟!!

_مين اللي بيحط معايير الحكم ع الناس؟! مين يقول دي "كيوت"ودي لأ...كل انسان خلطة سحرية من مكونات بتاعته هو بس ...خلطة مابيحسش بطعمها إلا الناس اللي بتقرب منه





وبتفهمه ... ماتشغليش بالك قوي بمقاييس الناس ...ذوقك بتاعك انت وبس ...

قالها بنبرة هادئة لا تعكس شيئاً من فورة مشاعره لتلتفت نحوه بابتسامة خجلة جعلته يردف ببعض المرح:

_حلو كده ؟! ما طلعتكيش غلطانة المرة دي !

ضحكت ضحكة بريئة ذكرته بصورتها الطفولية في عينيه قبل أن تتعلق عيناها بالرصيف جواره فالتفت جواره عفوياً ليرى فرن صغير مما يباع لديه "الذرة المشوية" ...وقد وقف صاحبه يهم بإطفائه يائساً من رغبة أحدهم في الشراء ...

فأوقف السيارة جانباً ليقول لها بسرعة بينما يغادرها:

_ثانية واحدة .





التمعت عيناها بلهفة وهي تراه ينقد البائع ثمن "كوزين" من الذرة قبل أن يعود بهما إليها ليعيد تشغيل السيارة منطلقاً بها مع قوله :

_معرفش بتحبيه واللا لأ...بس قلت الراجل الغلبان يسترزق!

كان يعلم أنه يكذب لكنه لم يستطع تفويت هذه الفرصة وهو يرى هذه النظرة في عينيها مع إدراكه لعشقها للذرة ...

هذا الذي عبرت عنه بانطلاق وهي تلتهم "الكوز" خاصتها بشهية :

_بحبه بس؟! ده الراعي الرسمي لسعادتي حضرتك ...صيف شتا بموت فيه ...وخصوصا وهو سخن مولع في البرد ده ...واووو ....لذيذ بشكل .

ماذا لو أوقف السيارة الآن واحتضنها ؟!!





لو أزال بقايا الذرة العالقة هذه من على وجهها بشفتيه ؟!

لو دفأ وجنتيها الباردتين هاتين بطريقته ؟!

لو ...

_وإيه كمان ؟! انحرفت خلاص يا مروان ؟!

نهره بها ضميره عن الاستطراد في خواطره المشتعلة بها والتي كانت هي أشد ما تكون غفلة عنها وهي تلتهم الذرة بنَهَم ...

قبل أن تنهيه كاملاً لتضع ما تبقى في الكيس هاتفة بعفوية بعد تنهيدة شبع:

_كده مش هتعشى ونبيلة هتقتلني ...فيلم الأمومة اللي عايشاه اليومين دول بيقتضي تزغيطي ك"بطة يعدّونها للذبح يوم العيد" ...بس مش مهم كله يهون فدا الذرة !





قالتها بنبرة خطابية مرحة وهي ترفع أحد قبضتيها في إشارة معروفة فابتسم ليجاريها بمزاحها :

_بس ما تقوليش إني أنا اللي جبته..زعل الحاجة بيللا وحش قوي وفي الحالات دي الجري نص الجدعنة .

_جرْي مين؟! دي مش بعيد تأَكّلك انت الأكل كله والبس بقا يا معلم ...محدش قاللك على مسقعة بيللا قبل كده ؟!!

هتفت بها بعفويتها المنطلقة ليضحك ضحكة طويلة سبقت قوله :

_آه يامن اداني فكرة...عشان كده بقوللك استري عليا وما تقوليش .

ضحكت بدورها وهي تتأمل ملامحه بعجب!

صورته البشوش هذه وهو يضاحكها مستجيباً لمزاحها تبدو خيالية كثيراً مقارنة بفكرتها السابقة عنه ...





كم يختلف مظهره هذا عن "وش الخشب" الذي يحلو لها تسميته به !!

هو لطيف حقاً...فقط لو ...

انقطعت أفكارها عندما انتبهت لوقوفه بالسيارة أمام البيت فتلفتت حولها لتقول بشقاوتها المعهودة:

_مش عايزة أقوللك اتفضل عشان انت "دقّة قديمة" وهتقولليماينفعش مادام يامن مش فوق .

تباسطها هذا معه أسعده كثيراً وأيد قراره الذي اتخذه بشأن "العاشق المجهول" لهذا اكتفى بابتسامة هادئة بينما ترجلت هي من السيارة لتغلق بابها مردفة وهي تشير للذرة :

_ما تنساش تاكل بتاعك وهو لسه سخن ...





كادت تنحني على النافذة لتكمل حديثها لكنها تذكرت تقريعه لها بالمرة السابقة فابتعدت قليلاً لتتاح لها رؤيته مع قولها العابث وهي ترفع كفيها جوارها :

_بنات عائلات محترمات مش بيلبسوا حاجات ضيقات ويوطوا على شبابيك عربيات ...

قالتها ثم لوحت له بكفها مودعة قبل أن تنطلق بخطوات راكضة نحو الأعلى تلاحقها ضحكاته المستمتعة ...

_مجنونة وربنا ...مجنووووونة !

قالها لنفسه بصوت مسموع وهو يتذكر بدوره ما تحكي عنه قبل أن يتنهد بحرارة وهو غير قادر على الانطلاق بالسيارة من جديد ...

حُلوة !

حلوة حقاً!





روحها الطفولية التي كانت تحاول مداراتها خلف قناع من التمرد والعناد الآن تبدو له على طبيعتها شديدة الجموح ...لكن لجام المسئولية الذي يحوطها يمنحها النظرة المثالية في عينيه ...

لهذا ظل واقفاً مكانه يراقب نور غرفتها التي أضاءت خلف النافذة ...

يتخيل أول ما ستقوم به عندما تدخل ...

والجواب جاءه في اهتزاز هاتفه الذي تناوله لتصله رسالتها الصوتية :

_كان يوم يجنن ...اتخيلتك معايا في كل تفصيلة فيه ...الأول ...

شرد ببصره وهو يستمع منها للتفاصيل التي شاركها أغلبها ...

والتي انتهت بقولها ...





_هاقوللك حاجة بس من غير قفش ! ...مروان وصّلني ...الجو وحش وهو عرض وماعرفتش أرفض ...كان ممكن أعديها وماقولكش بس أنا مش حابة أخبي عنك حاجة ...

زفر بسخط وهو يلقي نظرة مغتاظة نحو نافذتها ...

_العاشق "المجهول" هيبقى عاشق "مشلول" بسببك يا شيخة !!

قالها لنفسه قبل أن ينطلق بالسيارة عائداً لمنزله ...

ولم يكد يلقي بمفاتيحه على الطاولة حتى تلقى رسالتها الصوتية التالية ...





_النهارده بالذات وجوّ المطر الخنيق ده خلاني فعلاً عايزة أقابلك...عايزة أطمن إنك حقيقي...بجد ...لحد امتى هتفضل علاقتنا كده ؟!

كلماتها حسمت القرار الذي كان قد اتخذه سابقاً ...

فأعد لنفسه كوباً من الشاي وضعه على مائدة السفرة حيث جلس ممسكاً الكوب قبل أن يلتقط صورة !

صورة تعمد ألا تظهر تفاصيل تعرف منها شخصيته ...

ليكتب لها بعدها رسالته ...

_هذا أنا ...كي تطمئني أنني حقيقي ...هذه أصابعي التي أعشقها لأنها تكتب إليكِ...هذا كوبي المفضل الذي يحتمل صابراً ثرثرتي عنكِ...وهذا "الشاي"




الأسود بداخله يرى نفسه عديم القيمة إذ تتحكمين أنتِ بالمزاج وبالانتباه...وبلذة المذاق بين الشفاه...

وفي غرفتها كانت هي تقرأ كلماته بهيام وهي تتفحص الصورة المرسلة بمزيد من عشق وغيظ ...

أصابعه الممسكة بالكوب خالية من الخواتم !

هذه هي الملحوظة الوحيدة التي تمكنت من ملاحظتها ...

كل ما في الصورة لا يمنحها أي معلومة عنه !!

تباً!

يظن أنه أرضاها بهذه الصورة ؟!!

الأحمق!!

إنه زاد جنونها أكثر ...

كادت ترسل له رسالة صوتية تخبره عن هذا لكن صدمتها بما كتبه بعدها أخرستها ...

_اعذريني ...لن أتمكن من التواصل معكِ لوقت لا أعرفه...سفرٌ مفاجئ ولا أعلم ما يخبئه الغد ...أنا أثق أنك ستتدبرين أمرك بدوني ...اعتني بنفسك حتى ...أعود !

============

أتيتك ب"بهجة" ألوان طلاء أظافري...

وأتيتني ب"حدة" شفرة حلاقتك!

أتيتك ب"حنوّ" فرشاتي على خصلات شعري...

وأتيتني ب"قوة" إحكام رابطة عنقك !

أتيتك بكامل زينتي "عروس حبٍ" راغبة...

وأتيتني أشعث أغبر بعد سفر "غدر" طويل...

أتيتك ب"كلّي"...وأتيتني ب"ما تبقى منك"...

فهل أيقنت الآن أنه "لا عدل في ميزان الهوى"؟!

==========

الصباح!





هدية الكون لمن أضناه سهر ليله ...

وشارة البداية لمن وجد الطريق ...

لكنها لم تكن من هذا الفريق أو ذاك ...

ببساطة هي لم تكن تشعر بأي شيئ منذ رحيله
سوى ...الدوران !

تدور وتدور وتدور ...ولو توقفت ستقع!

اللحظات الأخيرة للقائهما الكارثي بدت وكأنها
اعتقلتها بسجن ضيق والخروج منه ليس
بقريب ...

كل كلمة...كل نظرة...بل كل نفس...

تختزنها ذاكرتها كشريط عرض مصور يعيد نفسه
تلقائياً...

_أنا عمري ما خنت...بس لو رجعتني غصب عني
هاخونك بجد المرة دي!





كانت تعلم أنها تضرب "تحت الحزام"!

من كان يخبرها أنها يوماً ما ستستغل خبرتها به ل"توجعه"؟!!

من كان يخبرها أن الأصابع التي كانت تتلمس تفاصيل ألمه كي تداويها سيأتي اليوم الذي تتلمسها فيه لكن لتغرس فيها المزيد من النصال؟!

من كان يخبرها أن "امرأة الألوان" ستكسر تاجها بنفسها وتجثو تحت قدمي عرشٍ أسوَد؟!!

ظهره الذي يوليه لها لم يكن أكثر ستراً لمشاعره كما يُفترض ...

ذبذبات غضبه تكاد تزلزلها في مكانها لكنها لا تهتم ...

لا تريد أن تهتم ...

وفي ثانية واحدة لم تدرِ كيف قطع المسافة بينهما لتصير من جديد بين ذراعيه!!!




أصابعه تنغرس في لحم ذراعيها بقوة كانت لتؤلمها حقاً في موضع آخر ...

عيناه المحمرتان المحتقنتان تجلدانها بدمع تعرفه...وتنكره !

والشفاه التي طالما أذابتها عشقاً الآن ترتجف وكأنما تهذي بحديث لا تفهمه...

يالله!

العذاب الذي يصرخ في ملامحه أكبر منها !

أجل ...

أقوى حتى من رغبتها في الانتصار لنفسها !

الصراع بداخلها يشتد بين عشق وكبرياء ...

وأسنانها تضغط على شفتها بقوة أدمتها ...

جفناها ينسدلان في استسلام لا تلام عليه ...

لتمنح نفسها هدنة من "خيال"!

هدنة ترى نفسها فيه تعانقه...





تضم رأسه المتعَب لصدرها ...

تداعب خصلات شعره الحبيبة التي تحفظها واحدة واحدة ...

وتدلل ملامحه بشفتين أذابهما الاشتياق ...

وأخيراً ...دمعة !

دمعة واحدة "حقيقية" وسط كل رؤى الوهم هذه تتلكأ على وجنتها ...تتعثر بشفاهها المتشققة ...وتموت شهيدة على ضفة إبهامه هو !

هنا تفتح عينيها فجأة وكأنما صفعتها لمسته لدمعتها !

ماذا؟!

هل ستبكيه من جديد ؟!!

أبداً...لن تفعلها أبداً ...أبداً...

لهذا عاد التحدي يسكن عسل العينين "العكر" ...





تحدٍّ تلقاه هو بما يليق وهو يرد أخيراً على عبارتها ...

عندما تناول كفها ليضعه على جانب رأسه مشيراً به ...حيث "عرش" وساوسه العتيق لايزال يبسط سلطانه ...

_لو ده صح...يبقى الست اللي تخون مرة تخون عشرة...مش هتفرق!

التحدي في عينيها ينقلب لغضب عارم وهي ترى نفسها لا تزال في عينيه في موضع شك ...

هذا الشعور الذي أشعل جسدها بنيران اشتد سعيرها ...

قبل أن يهطل عليها سيل أطفأها بحروفه وهو ينقل كفها من جانب رأسه إلى صدره حيث موقع خافقه الذي كان يتقافز بجنون وكأنه يؤيد ما سيقول:





_ولو ده صح ...فحتى لو توّهتك عن نفسك زي ما بتقولي ...ياسمين ماتخونش !

الصاعقة التي ضربتها بها كلماته جعلتها تنفض كفها منه بسرعة لتعطيه ظهرها وهي تكتف ذراعيها ...

تباً!

ألازال يدور في دائرة الشك هذه؟!!

ألايزال لا يعرف؟!!

حسناً...فليدرْ فيها وحده !!

هي لم تعد تملك لهذا طاقة ...ولا رغبة !!

صوت قرع حذائه على الأرض الصلبة لايزال يدوي في أذنيها ...

يتباعد رويداً رويداً...

ينسحب أخيراً ليتركها خلفه بنفس الشعور ...





"ملكة مهزومة"!

صوت رنين هاتفها يقاطع نزيف الذكرى ...

زين يتصل بها للمرة التي لا تدري عددها يريد أن يطمئن كيف انتهى اللقاء ...

لكنها ليست بقادرة على الرد ...

ليس قبل أن تحدد ماذا تريد الآن بعدما استجد في أمرهما ...

صورة زين "مغالية الوسامة" تقفز لذهنها فيتلاعب بها هوس كمالها ...

زين هو الرجل المناسب لها ...

ليس مالاً ولا نفوذاً ولا وسامة ...

بل سنداً !

سنداً دعمها عندما تخلى من ظننته أبداً لا يتخلى!





لكن "صورته الكاملة" تتركز أخيراً في "ندبة حاجبه"!!!

آه ...يا مدعية الكمال!!

كيف ترتجين في صورته "التمام" و"ندبة خطيئته" ستبقى تذكركِ بشرخ تمثالك ؟!

انقطعت أفكارها بآهة خافتة وهي تشعر بحركة "يمنى" في بطنها !

هذا النبض اللذيذ الذي صار متعتها الوحيدة الحقيقية في الحياة...

أناملها تمسد بطنها البارز بحنان في الموضع الذي تتلمس فيه حركة الجنين قبل أن تهمس لها تحدثها كأنها تسمعها:

_جعتِ؟! نقوم نفطر؟!

يُهيأ إليها أن حركة الصغيرة تزداد في رد غير مباشر فترتسم على شفتيها ابتسامة شاحبة -حقيقية- وهي ترفع الغطاء أخيراً لتقوم من نومتها ...

صوت رنين الهاتف من جديد برقم زين يدعوها لاتخاذ قرار ...

فترفع رأسها للأعلى قبل أن تحسم أمرها برسالة كتبتها ...

_يامن رَدّني ...بس أنا هارفع قضية طلاق ...ولحد ما اكسبها مش هاقدر أكلمك .

=========

زفر بسخط وهو يتلقى رسالتها قبل أن يقذف الهاتف جانباً!

إذن ذاك الرجل فعلها!

ردها لأجل الطفل!

إنه حقاً لايفهمه !!!

إن كان يشك في طهرها فلماذا يقبل أن تبقى على ذمته ؟!

وإن كان يثق في براءتها فلماذا يعاملها بهذه الطريقة ؟!!





مريض!!

إنه حقاً مريض ...فلمَ العجب!

العجب ليس منه في الواقع بل من ياسمين !!

ردة فعلها الأولية عندما رأته لا تكاد تغادر ذهنه ...

هي لا تزال تحبه ...لكنها لا تريد هذا الحب...

فما الصواب هنا ...أن يساعدها لتبتعد أم يتفهم ويبتعد هو؟!!

ابتسم ابتسامة ساخرة وهو يتبين أن "العقلانية" التي يفكر بها لا تتسق مع التصور الشائع لمفهوم الحب ...

لكن وماله وللآخرين؟!

الحب في نظره صفقة رابحة تحتاج لتخطيط وصبر ...

وهو لايفتقر لكليهما !

المرأة في نظره قد تكون كنزاً حقيقياً أو مجرد معدن زائف قابل للصدأ...





والكنز تحدده قوتها هي ...

أجل...لا تزال نقطة ضعفه هي المرأة القوية!!

ربما تتحكم به عقدته القديمة...

والدته أسلمها ضعفها للفقد ...وأخته غير الشقيقة كذلك ...

الوهن الذي تمكن منهما أوصلهما لحافة جرف الانهيار ...قبل أن يدفعهما دفعاً ...

الوهن الذي صار يكرهه في أي امرأة...

يقولون إن قوة المرأة في ضعفها ...

هراء!!!

قوة المرأة في نظره ستبقى في صلابتها ...في تحديها لكل أحد وأي أحد حتى نفسها ...

في مقاومتها للظروف حتى تصل حد أنها هي من تطوع الظروف ...

ساعتها فقط يراها الكنز الذي يستحق الظفر به ...

لهذا أراد ياسمين ...ويريدها ...وسيظل يريدها ...





صحيحٌ أنه قد بدأ يفتقد هذا اللحن القوي وسط ترانيم ألمها ...

لكنه ينتظر عودته !

وحتى هذه اللحظة سيساندها بكل قوته ...

لقد كان محقاً عندما ظن في أهمية تلك الطبيبة التي سيحين دورها في خطته...

ياقوت!

ابتسامة جذل مستمتعة ترتسم على شفتيه وهو يسترجع حواراتهما الذكية ...

هيئتها الهزلية ...عينيها المتقدتين خلف نظارتها الضخمة المربعة ...

وابتسامتها "النقية" غير المتكلفة التي يود لو يراها ثانية كي يفهم ماذا بها بالضبط كي تحدث به هذا الأثر!!

والأهم...هل ستتمكن من إحداث فارق في حالة همسة حقاً؟!!





لو فعلتها فسيمنحها المكافأة التي تطلبها مهما كانت !

لهذا التمعت عيناه بحماس وهو يعاود تناول هاتفه ليرسل رسالة لياسمين أولاً...

_أنا معاكِ في أي قرار تاخديه .

قبل أن تتلاعب أنامله بالشاشة باحثة عن رقم ياقوت وهو يستجمع المعلومات التي وصلته عنها ...

ياقوت حسين رجائي أحمد سليمان ...

تسعة وعشرون عاماً..لا أثر لارتباط رسمي أو عاطفي ...الأم متوفاة والجدة هي ولية الأمر الآن...الأب حسين رجائي رجل أعمال مشتهر بالأعمال الخيرية وحسن الخلق ..لكن ما الذي يختفي خلف هذه الواجهة ؟!





رجلٌ تورط في علاقة مع خادمته أثمرت عن طفلتين منحهما اسمه شريطة ألا يعلم أحدهم عنهما شيئاً ...

ترى أي حياة بائسة قاستها ياقوت هذه لتصل لهذه المكانة في هذه السن ...

كي تصنع اسمها هذا الذي انتزعت منه والدها انتزاعاً لتكتفي ب...

_دكتورة ياقوت سليمان ...مين معايا؟!

صوتها المعتد بنبرته القوية وهي تفتح الاتصال يتواءم مع سابق أفكاره ...

يجعله يبتسم بعبث وهو يتجاهل لقب "دكتورة " هذه ليقول بنبرته المميزة التي تمزج اللطف بالهيمنة :

_إزيك يا ياقوت؟!





_ياااالهوي ...قول "ياقوت"دي تاني كده !

"العفريتة العابثة" إياها تميز صوته فوراً لتعيث فساداً بين جنباتها ...

وخلفها كان عقلها يحاول إحكام سيطرته ...

صوت هذا الرجل لا يقل خطورة عن رؤيته!

بل إنها تكاد تستشعر ذبذبات جسدها المتوترة كما كانت في حضرته ...

ماذا يكون هذا ؟!!

هي لم تؤمن يوماً ب"الحب من أول نظرة"...ولا حتى من أول لقاء!

لكنها تؤمن أننا نعيش عمرنا نرسم لوحة ما للحلم المأمول ...

لوحة كاملة تخطها أناملنا خطأً خطأً...

لوحة تبقى ب"الأبيض والأسود" فقط حتى إذا جاء الشخص الصحيح منحها الألوان المطلوبة بالضبط!




لوحتها هي رسمتها منذ زمن ..لكن كل من حاول تلوينها أفسدها ...

فقط زين هذا يقترب من الإتقان ..فهل هذا هو الحب؟!!

_لو مش هتحبي ده يا موكوسة هتحبي مين؟!!

صرخت بها العفريتة العابثة داخلها باستنكار لكنها تجاوزت كل هذا بتماسك تحسد عليه لترد أخيراً بجدية تامة :

_مين معايا؟!!

_استعبطي ...استعبطي!

كانت هذه العفريتة إياها بالطبع والتي أثملها جوابه باسمه لتبتعد منزوية تردده باشتهاء ...





أما هي فقد أصدرت همهمة خافتة لتقول بنفس الاعتداد الجاد:

_آه ...أهلاً...أكيد بتطمن على همسة...أنا استشرت أساتذتي وعندي تصور معقول لخطة علاج بس محتاج وقت...

ثم صمتت لحظة لتردف:

_أكيد جملة "محتاج وقت" دي بقت تعصبك من كتر ما سمعتها ...مجال الطب النفسي مليان نصابين كتير ...لكن مفيش في إيدي غير إني أقولها عشان مأديلكش أمل سريع ...وموضوع الثقة ده بقا يرجعلك انت.

ارتفع حاجباه باستمتاع حقيقي والابتسامة العابثة على شفتيه تعاود تراقصها ...

هي افترضت "التهمة" وجهزت "الدفاع" في نفس اللحظة كي لا تمنحه فرصة ...

ماذا يسمي هذا ؟!!

فرط ذكاء ...أم بطحة تتحسسها على رأسها؟!!





لا ...لا ...

هذه امرأة يشك أن تكون لها بطحات ...

وإن وجدت ...فلن تتحسسها!!

لهذا صمت قليلاً ليرد بنفس النبرة :

_أنا واثق فيكي..أنا بس كنت بطمن .

_اطمن ...أنا هاروح لها النهارده في معادي ...هستأذنك عشان عندي جلسة دلوقت .

_شوية!! ...شوية بس !!بقا ده راجل يتقفل في وشه السكة يا ناس؟!!

هتفت بها العفريتة برجاء تكاد تلطم على وجهها لتبتسم هي ابتسامة خجلة وهي تغلق الاتصال ...




تعلم أن طريقتها في التعامل معه -ومع غيره من الرجال- حادة ...

لكنها لا تهتم ...

فلتدع الميوعة والدلال لمن يُجدنها من النساء أما هي فتدرك جيداً أي كنز تملك ...

هي ياقوت سليمان -تربية الحاجة ثمر- التي لا يُعجزها شيئ أرادته...

ولن ترضى بأقل من "أمير فارس" يصارع لأجلها "التنين" حتى ينتشلها من سجن قلعتها ...

وحدسها يخبرها أنه قريب...قريب جداً...

لهذا اتسعت ابتسامتها وهي تضع الهاتف جانباً لتستقبل الحالة المنتظرة ...

يامن حمدي!

==============

_مواجهة فاشلة متوقعة.

غمغمت بها ياقوت بنبرتها المهنية أمام يامن الجالس أمامها في المركز ...

وفي أسوأ حالة رأته فيها منذ عرفته !

بل إنها يهيأ لها أن دماءه تغلي في عروقه مع جلسته المتشنجة التي لا تكاد تستقر على وضع لبضع ثوانٍ...

كان قد حكى لها عن تفاصيل مواجهته مع ياسمين والتي اعتبرتها أسوأ مصادفة قد تحدث لحالة كحالته ولن تتعجب لو انتكس !

_هتقوليلي استعجلت ع المواجهة ؟! كنتِ عايزاني أصبر إزاي بعد مكالمة أخوها ؟!

هتف بها بانفعال ثائر تقبلته بتفهم قبل أن تفتح الدرج المواجه له لتعطيه كرتين معدنيتين مميزتين مع قولها :

_دحرج كل واحدة في إيد ...وغمض عينيك .




زفر زفرة ساخطة حتى كادت تظنه سيرفض لكنه تناولهما منهما ليدهشه ثقل حجمهما النسبي مقارنة بشكلهما ...

فعل مثلما طلبت ليفاجئه هذا الدوي المعدني الذي انبعث منهما ...

دويٌّ تحول لموسيقا رتيبة مع حركتهما الدؤوب بين كفيه ...

فأغمض عينيه مستسلماً لهذا الصوت ومحاولاً تلمس السكينة لكن دون جدوى...

أي سكينة ؟!

وجملتها الأخيرة تشعل حرائق روحه واحدة تلو الأخرى ...

"لو رجعتني غصب عني هاخونك بجد المرة دي"...

كيف تركها حية بعدها ؟!

بل كيف تركها أصلاً؟!!

والجواب وجده يصرخ بداخله...

دمعتها "اليتيمة" التي سقطت أخيراً ليتلقفها إبهامه لم تكن مجرد دمعة ...

كانت نهاية!

بداية !

كانت مهداً!

لحداً!

كانت كل شيئ ...ولا شيئ!!

ياسمين كانت تحترق ...أجل كانت تحترق أمامه وهو عاجز عن فعل أي شيئ ...

_ليه جيت من السفر عليا على طول ؟!

صوت ياقوت الهادئ يقتحم أفكاره فيهز رأسه ليجيبها بنبرة مختنقة ولايزال مغمض العينين :





_عشان عايز أهدا ...من ساعة ما شفتها معاه والوسواس القديم رجع من جديد..كل اللي كنت عايز أعمله لما أشوفها اتبخر ...مابقيتش قادر أشوف قصادي غير صورتها وهي قاعدة معاه ...مشاهد الفيديو رجعت تجري قدام عيني تاني ...

كانت وتيرة صوته تزداد انفعالاً مع كلماته حتى وصلت حد الصراخ

وهو يردف:

_حاولت أفكر في أي حاجة تانية مش قادر ...شغلي...أمي ...أهلي ...أي حاجة وكل حاجة بس مش قادر ...دماغي بيغلي .

ولم يكد يتفوه بالعبارة الأخيرة حتى قذف أحد الكرتين بقوة لتحدث دوياً هائلاً وهي تصطدم بالحائط

هنا فتح هو عينيه ليتلفت حوله بعجز وكأنه يبحث عن شيئ لا يدري كنهه...





قبل أن يطرق برأسه وهو يتمتم بصوت متحشرج:

_أنا آسف.

احترمت صمته للحظات وهي تشعر بما يعانيه ...

عادة ما تتخذ مهنيتها درعاً في ظروف كهذه ...

لكنها الآن لا تملك شعورها الكاسح بالشفقة نحوه ...

هو لم يختر ماضيه ...

لم يختر أما هجرته...ولا أباً صعب المراس غرس فيه الكراهية والشك...

لم يكن مذنباً عندما أحب فتاة جعلته تسليتها أمام أصدقائها ...

ولم يكن مسئولاً عن تسلط زوجة أرادت إبعاده عن وطنه ...

حتى مع ياسمين ...

الظروف كانت ولا تزال تختار له أصعب الاختبارات ...وفي أسوأ توقيت ممكن !





لكنها نحت مشاعرها هذه جانباً لتقوم من مكانها كي تحضر الكرة قبل أن تتقدم نحوه لتمنحه إياها قائلة :

_نبدأ من جديد مفيش مشكلة.

عبارتها التي نطقتها بطيبة هادئة بدت وكأنها تحمل مغزى أكبر بكثير من معناها البسيط ...

لهذا رفع عينيه إليها ببطء لتبتسم هي بينما تردف:

_قبل النهارده كنت محتاج تخف عشان ترجع لياسمين...لكن دلوقت محتاج تخف عشان ترجّعها مش بس ترجع لها ...فاهمني؟!

زفر زفرة حارقة وهو يعود برأسه للوراء لتجلس هي على كرسيها مستطردة:

_ياسمين محتاجاك دلوقت عشان ترجع لنفسها ...الكسر اللي جواها مش هيجبره غيرك انت ...بس هتساعدها إزاي وانت لحد دلوقت لسه





مش لاقي نفسك انت ؟! المواجهة اللي حصلت بينكم دي ممكن تبقى نكسة تضيع كل المشوار اللي عملناه ...وممكن تبقى حافز ليك عشان تكمل وتنجح ...أنا كدكتورة مش هاقدر أعمل حاجة لوحدي ...القرار لازم يبقى منك انت ...من جواك.

ساد الصمت طويلاً بعد عبارتها ليقطعه صوت الدوي المعدني للكرتين من جديد في يده بينما استرخى بجسده مغمض العينين وكأنه وجد بعض القوة ليعاود المحاولة...

فابتسمت بارتياح صامت لبضع لحظات قبل أن تسأله بهدوء:

_حسيت بإيه لما شفتها ؟!

_كأن روحي رجعت لي تاني ...لحظة واحدة ...قبل ما كل حاجة تولع من جديد ...

_وهي ؟! عملت إيه أول ما شافتك ؟!





عقد حاجبيه بشدة محاولاً التذكر ليجيبها بعد لحظات:

_مش فاكر ...مش شايف غير صورتها وهي جنبه...مش سامع غير صوته وهو بيقول إنه كان هناك من زمان ...وصوتها وهي بتقول إنها هتخونني .

نبرته المشتتة التي عاد إليها انفعالها جعلتها تطلب منه الاسترخاء من جديد قبل أن تردف بنبرة خبيرة :

_كل حاجة بنشوفها بتتخزن أوتوماتيك في مخنا بس مش كلها بنقدر نستدعيها لما نحتاجها ...الوسواس اللي عندك مسيطر عليك ومخليك مش قادر تشوف إلا مشهد بعينه ...حاربه...اطرده...افتكر أي مشهد تاني ...ركز...هتوصل ...





الصمت المثقل يسودهما من جديد والعرق يتصبب على جبينه المتعب قبل أن تتشقق شفتاه عن شبح ابتسامة رافقت قوله :

_افتكرت...أول ما شافتني وقفت مكانها واتحركت خطوة كأنها هتجري تحضنني ...بس بعدها...

_مش عايزة أعرف بعدها ...كفاية كده .

قاطعته بها بنفس الابتسامة التي تلقتها عيناه عندما فتحهما لتردف هي بنبرة أكثر تفاؤلاً:

_رد الفعل الأول اللي بنعمله بيبقى أصدق تعبير عن مشاعرنا ...ياسمين لسه بتحبك ...كل اللي بتعمله رد فعل لستّ مجروحة ...ياسمين مش قادرة تسامح لأنها لسه خايفة من يامن القديم ...لكن لو حست إنك فعلاً اتغيرت هتجدد جواها الأمل ...عشان كده علاجها مرتبط بعلاجك انت...كل ما دماغك يحاربك بصورتها وهي قاعدة معاه ...حاربه انت بصورتها وهي بتجري عليك .

كان يحتاج حقاً لأن يستمع منها لهذا الكلام !!





ويبدو أن طريقتها الحماسية التي تمزج ذكاءها بحنانها نجحت في بث بعض السكينة والأمل في نفسه ليقول :

_أنا خلاص رديتها بس والدها طلب مني تفضل عنده لحد ما تولد عشان مصلحة البيبي ...

ثم اغتصب ضحكة انفعالية متهكمة ناسبت قوله :

_وكأنه بالساهل كده أسيبها هناك بعد اللي شفته ؟!

_لو شاكك فيها رديتها ليه ؟!

سؤالها كان شديد المنطقية حتى أنه صفع إدراكه وهي تردف بنفس النبرة المحايدة :

_يامن ابن عبد الرحيم حمدي الفلاح ابو دم حامي مكانش هيسمح يرجعها تشيل اسمه لو عنده ذرة شك فيها !

_مش عارف ...مش عارف!





قالها بتشتت وهو يطرق برأسه لتردف وهي تربط الخيوط بذكائها :

_لو ياسمين مابتحبكش ما كانتش اتمسكت قوي بالطفل ...بالعكس ...كانت رمتهولك وعاشت حياتها ...تفتكر فرصتها مع الراجل التاني أكبر مع وجود طفل منك واللا من غيره ؟!

كز على أسنانه بقوة ومجرد ذكر ذاك الرجل يجعل النيران تشب بين ضلوعه ...

لكنها استطرادها كان كنسمة باردة وسط كل هذا :

_من الكلام اللي حكيتهولي ياسمين لسه بتحبك...الفرق بينكم دلوقت إنك عارف مرضك وبتعالجه ...لكن هي مش عارفة...فاكرة إنها بتقاوم وهي في الحقيقة بتقع ...أنا مشفقة عليها جداً لأن لو ده حالك انت دلوقت بعد المواجهة امال هي زمانها عاملة إيه ؟!!





كانت صادقة تماماً في شعورها الأخير وهي تتمنى لو أتاحت لها الظروف رؤية ياسمين هذه !

ولا تدري لماذا طفت لذهنها في هذه اللحظة صورة همسة !

وصورتها هي وشقيقتها!!

كلهن ضحايا زواج ثانٍ ترك خلفه جروحاً دفعن هُنّ ثمنها ...دون أي جريرة !!!

ربما لهذا تشعر بالتعاطف الشديد معها ...ليتها حقاً تتمكن من مساعدتها ...

ومساعدتها لن تكون إلا عن طريق يامن نفسه ...

لهذا حسمت أمرها لتقول بنبرتها المعتدة :

_انت هتنفذ طلب باباها ...انتو الاتنين دلوقت خطر على بعض ...مش هتتواصل معاها تاني لحد ما تبقى قادر على مواجهة من غير خساير ومن غير شكوك ...





_دي قالتلي هتخونني!

هتف بها باستنكار ساخط لترد بابتسامتها الطيبة :

_ما هي برضه قالتلك انها حافظة كل مفاتيحك ...هي هتلاعبك بالشك ...لاعبها انت بالثقة...بس هتجيب منين الثقة ؟! هو ده دوري المرحلة الجاية...

ثم تناولت دفتر وصفاتها الطبية لتسأله باهتمام:

_بتقول ما نمتش من وقتها ؟!

أومأ برأسه إيجاباً فهزت رأسها لتكتب شيئاً ما بينما تردف:

_أفتكر ده الوقت اللي محتاجين نتدخل فيه بأدوية...فترة بسيطة وبعدين نسحبها بالتدريج ...وهنضاعف عدد الجلسات ...ده طبعاً لو معندكش مانع....

ثم صمتت لحظة لتردف:

_واشغل نفسك على أد ما تقدر ...ماتسيبش دماغك لدماغك !




==========

_يامن...حمداً لله ع السلامة !

هتفت بها نبيلة وهي تستقبله ليفاجئها بارتمائه بين ذراعيها !

أصدرت آهة قلق وهي تضمه بدورها قبل أن تربت على ظهره وعيناها تدمعان مع شعورها بارتجاف جسده ...

ظلت صامتة لدقيقة كاملة تنتظر منه أي حركة لكنه لكنه كان أضعف من أن يفعل أو يقول شيئاً...

ولما يأست من مبادرته رفعت هي إليه عينيها لتسأله السؤال الذي يؤرق بالها :

_شفتها؟! ابنك كويس؟!!

كانت هذه أكثر إجابة تنتظرها بعدما علمت أن ياسمين لا تزال محتفظة بحملها !





فاجعتها في فقدان ابنه من سيلين والذي حملته بين ذراعيها يوماً لم يكن لها مايعوضها إلا فرحة كهذه ...

لهذا ما كاد يومئ برأسه بإيجاب حتى فعلت ما لم تظن نفسها ستفعله يوماً !!

لقد أطلقت زغرودة !!

زغرودة جعلت يامن ينتفض مكانه بقوة وقد فاجأه تصرفها قبل أن تعيده لعناق أكثر حرارة وهي تهتف بفرحة :

_مبروك يا حبيبي ...ألف ألف مبروك .

_بيللا بتزغرط ؟! إيه اللي حصل في الدنيا ؟!

هتفت بها رانيا بدهشة وهي تخرج من غرفتها على صوتها لتهتف بها نبيلة بسعادة :





_باركي ل"مانّو" ...ياسمين حامل وقريب هنشيل ولي العهد .

ابتسمت رانيا بطيبة وهي تتقدم لتصافحه بحرارة معلنة عن مباركاتها ...

قبل أن يفتح باب الشقة من جديد خلفه لتدخل منه داليا هاتفة بشقاوتها المعهودة :

_ماصدقتش وداني ...الزغاريط دي من عندنا ...البيت المنحوس ده بيعرف يفرح ؟!

ضحكت نبيلة وهي تعيد سرد الخبر لتهتف داليا وهي تحرك قبضتها بحركتها المعهودة :

_وااااو ...طلعتِ أروبة يا ياسّو ...أيوة كده !

_فيه إيه عشان الهيصة دي؟!

والهتاف كان لهانيا التي خرجت من الغرفة لتهتف كل من نبيلة وداليا ورانيا في نفس واحد :

_ياسمين لسه حامل .





واحدة أخرى تنضم للسيرك الكبير الذي أحاط به
وهن يدرن حوله يرددن عباراتهن المرحة
فارتسمت على شفتيه ابتسامة حقيقية وهو يشعر
أن هذا الدفء هو ما يحتاجه حقاً ليتجاوز أزمته...

_ماجبتهاش معاك ليه ؟!

_ماصالحتهاش؟!

_اوعى تكون هتسيبها!

_النونو ولد واللا بنت ؟!

_هنسميه إيه ؟!

عباراتهن المندفعة تحاصره لتنتهي بقول بيللا
الحاسم:

_بص بقا أنا صبرت عليك كتير بس المرة دي
لأ...لو ما رجعتهاش هاسافر أنا واجيبها





بنفسي ..مش هاسيب ابنك يتربى بعيد عن عيني
أنا بقوللك أهه.

اتسعت ابتسامته وهو يرى أنهن لا يمنحنه حتى
فرصة الحديث !

الفرحة العارمة التي شملت المكان تجعلهن يهتفن
ويتضاحكن حوله وكأنهن يعتبرن رجوعه لها
مجرد تحصيل حاصل !!

آه...ليت الأمر بهذه البساطة !

أفضل ما في الأمر أن الجو المرح الدافئ هذا جعل
روحه القلقة تستقر قليلاً لهذا تقدم ليسترخي على
أحد الأرائك تاركاً لهن ثرثرتهن ...

قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة واهنة وهو
يحاول تطبيق نصيحة ياقوت ...

لن يحاول تذكر شيئ من هذه الرحلة مؤقتاً إلا
صورتها وهي تهرع إليه كي تحتضنه !





_هاحضر لك العشا زمانك جعان .

قالتها نبيلة وهي تتجه نحو المطبخ بينما التفت هو نحو داليا كي يبدأ بممارسة مهامه :

_جاية منين دلوقت؟!

قالها وهو ينظر في ساعته لتجيبه وكأنها قد حضرت الإجابة سلفاً:

_من الجمعية...مفيش تأخير عن تسعة أهه...وصاحبك يشهد .

فابتسم وهو يسألها ببعض القلق:

_مروان عامل معاكِ إيه ؟!

كانت تعلم مغزى سؤاله لهذا ابتسمت لتقول بابتسامة حملت أسفها:

_هو حد كويس جداً...ابقى أسأله لو كان هو اللي سامحني .

_مروان ابن حلال ومش بيشيل من حد .





قالها بحذر محاولاً تبين شيئ ما من مشاعرها تجاه عرض صديقه القديم لكن تحفظها جعله يوقن أن هذا الباب موصد خاصة عندما قالت بحرج:

_هو فعلاً يستاهل كل خير .

قالتها ثم غادرته لغرفتها وكأنها تهرب من مناقشة هذا الأمر فتنهد بيأس وهو يتمنى لو تبادل صديقه مشاعره حقاً...

لن يستطيع أن يأتمن أحداً عليها ك"مروان"!

وعند الخاطر الأخير عادت ابتسامته السوداء تجتاح شفتيه وهو يتذكر كيف ظن الظنون بصديقه هذا يوماً !!

ترى هل سيأتي اليوم الذي يبرأ فيه من سلطان وساوسه هذا تماماً؟!!

لكنه نفض عنه هذا الخاطر وهو مستمر في تأدية دوره كربٍّ لهذه العائلة عندما توجه ببصره نحو رانيا ليسألها باهتمام :

_أخبار أشرف إيه ؟!





_بيتحسن في العلاج بس لسه رافض الكلام ..لكن الخبر الحلو إن نشوى هتفتح المصنع تاني خلاص ...ينفع أساعدها ؟!

لم يدرِ هل قالتها كاستفهام حقيقي أم أنها تطلب إذنه ...

لكنه منحها الجواب الذي رآه:

_لازم تساعديها ...أشرف هيتحسن أكتر لو خرج لقاكم انتم الاتنين في الصورة .

ابتسامتها الراضية كانت خير مكافأة له على رأيه هذا قبل أن تكرر مباركتها له لتغادر نحو غرفتها هي الأخرى ...

هنا استدار هو نحو هانيا ليسألها باهتمامه الحاني:

_وانتِ أخبارك إيه ؟!

تنهدت بحرارة وهي تطرق برأسها لتقول بصوت مكتوم :

_مامة رامز كانت لسه هنا من شوية ...طلبت مني بنفسها إني أوافق أرجع له ...اتحرجت جداً ...ماعرفتش أقوللها إيه .





فابتسم وهو يمنحها الإجابة التي رآها منطقية هاهنا:

_قولي لها موافقة .

_وأنا كده يا يامن ؟!

قالتها وهي ترفع ذراعها المجبر لتشير بكفها السليم الآخر نحو حروق رقبتها وكتفيها المختبئة خلف ملابسها ...

فهز رأسه مؤكداً ليجيبها بما يخاطب عقلها:

_تفتكري فيه أكبر من كده امتحان لمشاعره ناحيتك ؟!

_انت شايف كده ؟!

النبرة المهتزة التي كانت تسأل بها كانت وحدها كافية لتخبره برغبتها الخفية في هذا ...

والتي يدرك أنها تريد منه دعمها فيها ...

هذا الدعم الذي لم يبخل هو به عندما قال بحزم رفيق:

_ارجعيله يا هانيا.





لتنطلق من نبيلة الزغرودة الثانية لهذه الليلة !

==========

ليس الحب أن ترجح كفتي في الميزان...

الحب أن أكون أنا الميزان!

ليس الحب أن يوافق شخصي مزاجك...

الحب أن أكون أنا "مزاجك"!

ليس الحب أن "تلمس" كفي، "تشم" عطري،"تسمع"صوتي،"تتذوق" أنوثتي،"ترى"فتنتي...

بل الحب أن تفقد حواسك كلها عندما تكون معي فلا تدرك إلا أنك انصهرت بي فلم يعد هناك "أنا"و"أنت" بل أنت أنا وأنا أنت....

لهذا أزعم أنني أحبك بكل ما أوتيت من قوة ...

فهل أحببتني أنت ؟!

"هانيا"





==========

_البيت وحشك ؟!

قالها رامز وهو يغلق باب شقتهما خلفها لتطرق هي برأسها دون رد ...

ها قد بدأ الاختبار الحقيقي الذي ستخرج منه بأقوى نصر أو أقسى هزيمة !!

ربما لهذا ارتجف جسدها بخوف حقيقي لتستند على الباب بظهرها ...

شتان بين امرأة خرجت من هذا البيت يوماً برغبتها تتباهى بقوتها وزهدها في الحب ...

وهذه التي تقف الآن مجبّرة الذراع ...مشوهة الجسد ...تتمنى لو تصدقها الأقدار ما تظنها قد وعدتها به من فرح !

هذا الصراع الذي كان هو يدركه جيداً وهو يقترب منها حتى كاد يلصقها به...





أنامله تتلمس ملامحها بهيام مع همسه الدافئ:

_عندي طلب وعارف إنك هتطلعي روحي عشان تعمليه...بس هتعمليه .

رفعت إليه عينين تجتاحهما انفعالاتها ليردف ولايزال يرسم ملامحها بأنامله :

_مش رجعنا بعقد جديد ؟! ..وعهد جديد ؟!!..عايز أول كلمة أسمعها منك الليلة دي ودلوقت ...هي الكلمة اللي قلتيهالي الليلة إياها.."بحبك".

أسدلت جفنيها ببطء وهي تشعر بطلبه هذا يزيد وهنها أكثر ...

يزيد خوفها أكثر ...

الخذلان هذه المرة سيكون مرادفاً للموت !

لهذا تحشرج همسها بين قوة وضعف لتهمس بعينين مغمضتين :

_أنا عمري ما قلت الكلمة دي لحد إلا ليك...ولما حسيت إن عمري خلاص هينتهي ...كنت خايفة





أموت وادفنها معايا زي حاجات كتير حلوة اتعودت أدفنها ...

شعرت بشفتيه الدافئتين تعانقان وجنتها بخفة دون أن يقاطعها بكلمة ...

لتردف بنفس النبرة المتأرجحة بين خوف وكبرياء:

_أنا مش ذوقك...وانت كمان ماكنتش ذوقي...أنا مش الست اللي بتعرف تتدلع وتدلع...وانت مش الراجل اللي يشبه أبويا الله يرحمه ...اللي مايعرفش غير طريق شغله وبيته ومفيش في باله غير عيشة هادية عادية تكمل بالستر ...بس أنا حبيتك زي ماانت ...انت هتفضل تحبني وأنا زي ما أنا؟!

_مش ده امتحاني اللي وافقتِ ترجعيلي عشان تعمليه ؟!

همس بها بنبرة واثقة جعلتها تفتح عينيها التائهتين بين تصديق وتكذيب ...




ليردف وشفتاه تجددان العهد فوق شفتيها :

_خلاص ...سيبيني أحل!

ضحكتها المكتومة ذابت في لهيب إحساسها وهي تتلقى عطايا عشقه عندما شعرت به يحملها مراعياً ذراعها المصاب قبل أن تجد نفسها على فراشهما ...

اللهفة الحانية بين حنايا عاطفته كانت أوضح من أي إنكار ...

لكنها عندما شعرت بكتفيها يكادان ينكشفان أمسكت كفه بقوة لتهتف بحزم عبر أنفاسها اللاهثة :

_شرطي يا رامز .

ربما في موقف آخر كان ليطلق زفرة ضيق أو حتى نظرة عاتبة...

لكن حسن تفهمه لما تعانيه جعله يبتعد قليلاً ليتوجه نحو زر الإضاءة...





ويغلقه !!!

أجل ...كان هذا شرطها الذي لم يتعجبه كثيراً في الواقع فلطالما كانت هذه عادتها ...

لكنه الآن يدرك أنها لم تعد مجرد عادة بل صارت خط دفاع!

خط دفاع ضد ما تظنه سيثير نفوره ...لكنه ليس متعجلاً كي يقنعها بالعكس ...

لهذا عاد يتقدم نحوها ليشرف عليها بوجهه ...

قبل أن يحيط وجنتيها براحتيه هامساً :

_وعد مني ...زي ما قدرت أوصل لقلبك هاوصل لدماغك دي ...

وكان هذا آخر ما وعته قبل أن يجرفها طوفان عاطفة مجنونة أشعلت ليلتهما كاملة ...

وأخيراً أشرق الفجر على جسديهما المتعانقين كقلبيهما ...





لتكون هي أول من استيقظت ولا يزال اليوم السابق يعدو في ذهنها كالحلم !

هل عادت إليه حقاً؟!

هل كان يعاملها بكل هذه الرقة ...وبكل هذا الشغف ؟!

فقط ...لأنه لم يرَ!

والهاجس الأخير يلوث ابتسامة داعبت شفتيها لكنها لم تستسلم له كثيراً وهي تغادر الفراش لتحاول بدء يومها بصورة طبيعية قبل استيقاظه...

اغتسلت وأدت صلاتها ثم توجهت نحو خزانة ملابسها مترددة فيما ترتديه...

قديماً كانت تبرأ من أي ثياب مكشوفة تظهر أنوثتها ...

واليوم تبرأ منها أيضاً لكن لأنها صارت تظهر تشوهها !!





لكن خاطراً ما بعثه "كبرياؤها" جعلها تلتفت لوجهه النائم بعمق على الفراش قبل أن تعود ببصرها نحو الخزانة حيث منامة ما كان قد أهداها لها يوماً بلون "ليلكي" هادئ ...

خامتها تلتصق بالجسد كجلد ثان...ومحلاة بتطريز رقيق على الصدر والكمّين...لكن ما يميزها الآن حقاً هو ياقتها الطويلة التي ستغطي رقبتها وكتفيها !!!

لهذا لم تتردد وهي تحملها معها لغرفة أخرى قبل أن تشرع بارتدائها لتعاود تأمل نفسها في المرآة ...

رباه !

هي تحتاج الآن أن ترى نفسها جميلة...

بل أن يراها هو كذلك !!!

شعور لم تختبره من قبل وهي التي كانت كافرة بكل هذا الهراء!!!

ربما ما يحركها الآن هو شعورها بالنقص!

وربما العكس!!





ربما ما يملأها الآن هو رغبتها بالكمال في عينين صارت ترى العالم عبر عشقهما !!!

لهذا أطالت الوقوف أمام المرآة لدقائق ...

أدوات التجميل التي تثير اشمئزازها كانت رفيقتها في رحلة قصيرة ...

رتوش بسيطة لكنها أضافت لوجهها رونقاً منحها المزيد من الثقة...

خاصة مع طلاء الشفاه اللامع الذي جعلها تطلق شهقة خافتة وهي ترى نفسها به ...

قبل أن تعدو بسرعة هاربة من صورتها بالمرآة !!!

صراعٌ رهيب يدور في جنباتها وهي تشعر بخزي لا تدري كيف تدفعه عنها ...

هي لم تفعل عيباً ولا حراماً...

لماذا إذن هذه الغصة في حلقها ؟!





لماذا هذا الارتجاف وهي تشعر أنها تنحدر نحو الجرف الذي طالما حذرت نفسها منه ؟!!

هي تتزين ...لرجل؟!!

هزلت!!

زفرت بسخط وهي تحاول دفع هذا الخاطر عنها لتتوجه نحو المطبخ محاولة إعداد الفطور ...

كانت تريد أن تحضر له صينية الطعام في الفراش لكنها نظرت لذراعها اليمنى بعجز قبل أن تضع الأطباق واحداً واحداً على مائدة المطبخ ...

ولم تكد تنتهي من وضع آخر طبق حتى شعرت بذراعه يطوق خصرها من الخلف مع تمتمه العابثة :

_أول مخالفة ...سبتي السرير من غير إذن !

فالتفتت نحوه بحدة ليرتفع حاجباه هو بدهشة وهو يميز ملامحها المزينة ليهتف بمرح مستنكر:




_حاطة "روج"؟! شربتِ بانجو واللا لسه يا "سعدية"؟!!

قالها مقلداً أحد مشاهد الأفلام الشهيرة لتتخضب وجنتاها بحمرة خجلها وهي تحاول التملص من ذراعه الذي ازداد تشبثاً بها وهو يستدير ليعتدل بجسده أمامها بينما يقترب بشفتيه مردفاً :

_وكمان ريحته فراولة...لا لازم أدوق!

دفعته بغيظ من طريقته هذه التي تزيد حرجها ...

لكنها تزيد ثقتها في نفسها ...

الوغد يضحك !!!

كأنه يفهم ما تعانيه !!!

كلما تهرب بوجهها لناحية يلاحقها حتى أفسد طلاء شفتيها !!!




_اقعد كل وبطل حركات السيرك
دي ...آه...رامز ...بتضغط على دراعي.

هتفت بها باستنكار غير حقيقي كاتمة ضحكاتها ليهتف بنفس المرح العابث وهو يتأمل هيئتها التي بدت في عينيه شديدة الإغواء:

_ما انتِ حلوة أهه...امال عاملة لي فيها حسب الله بعضشي ليه ؟! أبوس إيدك تثبتي التردد ع القناة دي!

تجاهلت عبارته كما يفترض وهي تتمكن أخيراً من إبعاده لتجلس على كرسي المائدة قائلة بينما تتحاشى نظراته :

_أنا جعانة .

قالتها وهي تبدأ بتناول الطعام ليبتسم وهو يسحب كرسيه ليجلس ملتصقاً بها مع قوله :




_واستعجلتِ ليه ؟! ده انا كنت هاعمل لك مفاجأة وأحضر لك الفطار في السرير .

ابتسمت لتوارد الفكرة لكنها أطرقت برأسها فرفع ذقنها نحوه ليتأمل ملامحها هامساً بدفء هذه المرة :

_عمري ما شفتك جميلة زي النهارده ...مش عشان اللي في بالك...بس عشان عارف قيمة إن انتِ بالذات تعمليه عشاني .

_مش عشانك !

هتفت بها دون وعي وكأن عقلها الباطن لايزال يصارع قناعاته ليمط شفتيه باستياء مع رده :

_هرمون الدبش اشتغل تاني أهه...احمينا يارب!

أطلقت ضحكة عالية وهي تعود برأسها للخلف في حركة عفوية ...





حركة جعلت ياقة منامتها تنكشف عن جزء يسير جداً من حرق رقبتها ...

هذا الذي تعلقت به عيناه رغماً عنه في لحظة خاطفة لكنها كانت كافية لتدرك هي ما رآه وتضم الياقة على رقبتها وهي تطرق بوجهها في وجوم كأن ضحكتها السابقة لم تكن !!

لكنه لم يكن ليسمح لهذا الشعور أن يتملكها أكثر لتفاجأ به يضمها نحوه متملكاً خصرها بأحد ذراعيه بينما يثبت رأسها بالآخر ...

قبل أن يغرس قبلاته غرساً فوق "ما تظنه هي نقطة ضعف"!!!

كانت مغامرة غير محسوبة منه وهو يزيح ياقة المنامة ببعض العنف مدركاً أنه يتلاعب ب"شرطها" الذي وضعته ...

لكنه لم يكن يعنيه الآن إلا أن يمحو عنها نظرة الانتقاص هذه التي رآها في عينيها ...





تأوهات اعتراضها الصاخبة تخف حدتها رويداً رويداً لتجد نفسها تستجيب له ...

صوت طبق ما جوارها يتكسر من عنف حركته لكنها لم تكن تسمع سوى هدير الصراع الذي عاد يزأر بين جنباتها ...

جميل هذا الحب...جميل!!

لكن إلى متى سيصمد ...

تجرؤين على تخيل الجواب؟!

=========

_الأرانب بقت أحسن م الأول!

هتفت بها إيناس صباحاً برضا امتزج بمرحها المعهود وهي تتأبط ذراع غادة التي وقفت تراقبهم بحنان ...

قبل أن تردف:

_سيف يستاهل عزومة المشاوي اللي عاملاها لهم النهارده .





فالتفتت نحوها غادة بملامح لم تملك انزعاجها مع غمغمتها:

_هم هييجوا النهارده ؟!

تنهدت إيناس بأسى اكتسح ملامحها الحنون لتطرق برأسها قائلة :

_النهاردة عيد ميلاد هاني الله يرحمه ...كل سنة بيقضوه معانا هنا .

تحول الانزعاج في ملامح غادة لمزيج من الإشفاق والامتنان لهذيْن الرجليْن اللذين لايزالان يشاطران هذه العائلة مصيبتها ...

لتقترب من إيناس أكثر فتضمها إليها بعناق دافئ أجزأها عن الكلمات ...

قبل أن ترفع إليها إيناس عينيها بقولها :

_ربنا كريم قوي ...أخد مننا ابن وعوضنا باتنين ...

والقبلة الدافئة التي منحتها غادة لرأسها جعلتها تردف غير كاذبة :





_لا ...ثلاثة !

ابتسمت غادة وهي تعاود تقبيل رأسها قبل أن تسير معها للخارج نحو الجزء المكشوف من المزرعة ...

الشمس الساطعة مع النسيم الهادئ و رائحة العشب البرية تمنحها جميعها مزيج من شعور السكينة مع الانطلاق ...

عمرٌ جديد!

هذا ببساطة ما تعيشه هنا في اسطنبول مع هذه العائلة ...

روح جديدة تتملكها وتزداد سيطرتها عليها يوماً بعد يوم ...

روح مطمئنة...متفائلة...والأهم أنها قوية !

قوية حد أنها أنستها حياتها السابقة كلها ...

كلها عدا ...




الخاطر الأخير ينتهي بمداعبتها لدبلة أحمد في إصبعها ...

"تميمة الحفظ" التي ستبقى تعلقها على صدر قلبها كي تقيه الشرور !

_حسيت إنك اتضايقتي لما عرفتِ إن سيف وإسلام جايين .

قالتها إيناس السائرة الهوينى جوارها لتجيبها ببعض الارتباك :

_لا ...أبداً...ده شيئ ما يخصنيش...

والنظرة العاتبة الحنون في عيني إيناس جعلتها تطرق برأسها لتستجمع قوتها بقولها:

_أنا سمعتهم بيتكلموا عن رغبة إسلام في إنه يرتبط بيا ليلتها ..ووجوده هنا معايا بعد اللي حصل ممكن يبقى معناه موافقة مني ...

_وانتِ مش موافقة عليه ؟!

سألتها إيناس بترقب لترد غادة ببعض الانفعال:





_موافقة على إيه ؟! هو أصلاً ما اتصرفش أي تصرف جد...كلها حركات مراهقين وكلام من تحت لتحت ...كان ممكن أطنش بس دلوقت هو عارف إني سمعتهم ليلتها ...الموقف كله ملخبط ومش عارفة أتصرف إزاي.

_يعني دي المشكلة ...تحبي نزنقه يتكلم جد ؟!

قالتها إيناس بمكر وهي تتفحص ملامحها لترد غادة بسرعة:

_لا لا لا...مش قصدي طبعاً...أنا بس ...

قطعت عبارتها تبحث عن تكملة مناسبة ...

قبل أن تتوقف مكانها لتجلس متربعة على العشب ورأسها يرتفع للسماء فيما بدا كدعاء صامت سبق قولها :

_أنا لسه بحب أحمد ...مش متقبلة أبداً فكرة إني أرتبط بحد تاني ...أكيد عارفة إن ده مش منطقي لواحدة في سني وظروفي ...ومقتنعة جداً إن الحياة ما بتقفش عند حد مهما كان غالي علينا ...كل





الكلام ده سهل جداً وعقلاني وصحيح ...بس ...من امتى قلوبنا بتسمع صوت عقل؟!

جلست إيناس على نفس هيئتها قبالتها لتربت على ركبتها قائلة :

_الحكاية محتاجة قوة...ودي حاجة مش ناقصاكي ...الحقي عمرك اللي بيجري واكتبي قصة جديدة.

فدمعت عينا غادة بقوة مع إشاحتها بوجهها بينما تردف:

_ما هي دي المشكلة...القوة اللي انتِ شايفاها دي مصدرها أحمد ...هو طاقة النور اللي جوايا ...حتى بعد موته ...كل موقف صعب كنت بعديه بس عشان كنت بتخيله جنبي ساندني ...أنا في لحظة معينة لما هانت عليا الحياة وكنت هاموّت نفسي خدت مخدته في حضني عشان تبقى آخر حاجة شفتها ...ولما ربنا كتب لي الحياة تاني ماقمتش غير بسبب جواب قديم منه ...

ثم لوحت بكفيها مردفة بصوت مرتجف:




_متخيلة ؟! كام كلمة بس منه عملوا فيا إيه ؟!
ردوا لي روحي تاني ...حتى وجودي هنا
دلوقت ...حياتي الجميلة الهادية وسطكم ...كل ده
متلون بطيفه هو ...حاساه لسه جنبي راسم دايرة
كبيرة حواليا بيحضنني فيها ...وأي خطوة ليا بره
الدايرة دي هرجع أقع تاني .

ابتسمت إيناس بتفهم وهي تعاود التربيت على
ركبتها قائلة :

_محدش ممكن يفهم إحساسك أدي ...عشان كده
بنصحك باللي بعمله...هم في قلوبنا عمرنا ما
هننساهم ...بس لازم نقبل عوض ربنا ...هديته
اللي بيبعتهالنا بكرم يليق بيه سبحانه ما ينفعش
نردها ...اوعديني تخرجي من الدايرة دي يا
غادة ...حاولي وأنا واثقة إنك هتقدري .

_انتِ عايزاني أرتبط بإسلام؟!





سألتها غادة بقنوط وهي تطرق برأسها لكن إيناس رفعت ذقنها نحوها لتغمرها بعاطفة عينيها مع قولها :

_أنا عايزاكي تبقي مبسوطة ..ماانكرش إن جوايا رغبة إني أشوفكم سعدا مع بعض ...بس اتأكدي إني أنا وعمك عمرنا ما هنجبرك على حاجة ومعاكي في أي قرار تاخديه ...

ثم ضحكت لتردف :

_بصراحة عمك علاء مقلق من إسلام ...ده حتى صارح سيف بكده ..لكن أنا بالعكس شايفاكم لايقين جداً لبعض .

لم تلتقط من عبارتها سوى حديثها عن سيف لتتأوه بخفوت مع قولها الحرج:

_هو خلاص الموضوع بقا ع المشاع كده ؟!

لكن إيناس ضحكت لترد ببساطتها الحنون:

_سيف وإسلام إخوات...وأي حاجة تخص حد فيهم أوتوماتيك كده تبقا تخص التاني.




أطرقت غادة برأسها وهي تشعر بالمزيد من الضيق ...

هي تعلم أنهما لن يجبراها على أي وضع لكن وجود إسلام هنا يبدو أنه لا مفر منه ...

هو "رائحة الغالي الراحل" التي تهوّن عليهما عظمة مصابهما!

ليس هو فقط ...هو و...سيف هذا!

تباً!

عندما أخبرها والد أحمد في مصر أنها ستسافر لأخيه في اسطنبول طرأ لها خاطر ما أنها قد تقابل أخا رامز هناك...

خاطر ضحكت منه ساخرة وهي تقول لنفسها أن البلد الكبير الذي سيعج بساكنيه لن يجعلها تتعثر في رجل تعرفه !

لكن ها هي ذي تلتقي به ...

مجرد لقائين فقط ...





أحدهما مشتعل بنكهة غضبه...والآخر دافئ بمذاق اعتذاره ...

وكلاهما فعل بها الأفاعيل ...

ربما لأن الأول استنفر قوتها المستحدثة التي تجاهد للحفاظ عليها ...

بينما أذكى الآخر وهج شعورها بالحنين لصديقتها ووطنها ...

وعند الخاطر الأخير تذكرت مكالمتها لهانيا بعدما علمت عن الحادث والتي انتهت بقول الأخيرة :

_أنا فرحانة جداً إنك قابلت سيف...دلوقت ممكن أطمن عليكِ...سيف جدع وهياخد باله منك ...هو قفل شوية بس يعتمد عليه .

_شوفوا مين اللي بتتكلم ع القفل ؟! الشاويش هانيا؟!!





خاطر ساخر يعاود اجتياح روحها لترتسم على شفتيها ابتسامة واهنة وهي تقارن بين الاثنين ...

هانيا وسيف!

كلاهما فظ غليظ الطباع من الخارج ...وإن كانت تتفهم طباع هانيا الحنون ودوافعها لهذا المظهر ...

فماذا عن سيف هذا ؟!

تراه يملك -مثلها- نفس الباطن والدافع؟!!

_أنا فرحت جداً لما قبلتِ اعتذاره كده ببساطة من غير كلام كتير ...

انتزعتها بها إيناس من شرودها لتلتفت نحوها بينما الأخيرة تردف بنفس النبرة الحانية:

_سيف ده بالذات بيقطع في قلبي قوي ...من ساعة مراته اللي يرحمها ما ماتت وهو عازل نفسه عن الدنيا بحالها .

_مراته ؟! هو كان متجوز؟!




سألتها غادة بدهشة وهي تتذكر سمعته "كعازب أبديّ" بين عائلته ...

لتجيبها إيناس ببعض الأسى:

_محدش في مصر يعرف ...هو كان شارط على آنجيل كده !

اتسعت عيناها بترقب مع سماع الاسم لتجد نفسها مهتمة بسماع التفاصيل:

_آنجيل؟! كانت تركية ؟!

تأوهت إيناس بقوة وهي تتحرك لتمد ساقيها أمامها بقولها الذي عادت إليه نكهة المرح:

_نمدد بقا مادام الحكاية شكلها هتطول ...

ابتسمت غادة وعيناها تلتمعان بفضول مع حديث إيناس ...

_انجيل كانت اسم على مسمى...بنت لبنانية سابت بلدها وجت استقرت هنا بعد ما باباها ومامتها





اتوفوا هناك..كانت غاوية فوتوجرافي ...عينيها الخبيرة كانت بتلقط الجمال في أي شيئ تشوفه ..يمكن عشان كده قدرت تشوف في سيف عمق أحلى بكتير مما يبان عليه ...

تحفزت حواس غادة للحكاية التي لم تكن تعلم عنها شيئاً فأصدرت همهمة تحفيزية تحث إيناس على الاستطراد ...

_أي حد كان يشوفهم من بعيد كان يقول قصتهم هتفشل...آنجيل متحررة بتكره أي قيد ...جو الحرب والموت اللي جت منه لهنا عمل منها ست عايشة تستمتع بكل لحظة في الحياة...عايزة تضحك وتغني وترقص عكس سيف بطبيعته المتزمتة المستقيمة الرافضة لكل ده ...كانوا بيتخانقوا كتير لحد ما اتفاجئنا في يوم انهم اتجوزوا!





أصدرت غادة آهة تعجب لتبتسم إيناس ابتسامة شجن وكأنها تستعيد ذكرى غالية موجعة:

_بس هاني حبيبي مكانش بيخبي عني حاجة...قاللي السر اللي محدش يعرفه...انجيل غلطت مع سيف ...من وجهة نظرها كانت شايفة إنها ماعملتش حاجة غلط لما تسلم نفسها لراجل بتحبه خصوصاً إنه كان أول راجل في حياتها ...لكن رجل بعقلية سيف الشرقية كان شايفها جريمة شاركها فيها في لحظة ضعف وصلحها بعقد جواز ...

عقدت غادة حاجبيها محاولة عدم الانحياز ...

لكنها لم تستطع منع عبارتها الحمائية :

_يعني هي كانت شربته حاجة صفرا قبل ما يعمل عملته؟! واللا هي مابقتش جريمة إلا بعد ما خد غرضه منها؟!!





_سيف مش ندل ...هو كان عارف إنه غلط أكتر منها وعشان كده سرّع بعقد الجواز من غير ما هي تطلب ...

قالتها إيناس مدافعة لترد غادة مدفوعة ب"عقدتها القديمة":

_بس أكيد سود عيشتها بعدها ...أكيد كل ساعة كان بيفكرها بذنبها القديم وإنه اتفضل واتكرم عليها لما ستر الغلطة ...الحب والهيام اختفوا ورا مشنقة راجل شرقي شايف إنه منزّه مابيغلطش وإن الست هي دايما شيطان الحكاية !!!

الثورة التي كانت تتحدث بها غادة جعلت إيناس ترفع حاجبيها بدهشة لتغمغم بنفس النبرة المدافعة :

_الحكاية مش بالبشاعة اللي انتِ متصوراها ...سيف فعلاً كان بيحبها ...بس زي أي راجل شرقي ماتقبلش مراته تسلم نفسها قبل الجواز .





_وعشان كده خبّا جوازه منها عن الكل ؟! اتعامل معاها زي أي غلطة بيستعر منها ؟!

غمغمت بها غادة بابتسامة ساخرة فتنهدت إيناس لترد بنبرة اجتاحها الحزن:

_يظهر فعلاً أن ده اللي هي كمان فهمته ...حياتهم بعدها كانت ملخبطة...معرفش تفاصيل بس اللي أعرفه إن ملامحها كانت بتدبل كل يوم عن اللي قبله ...لحد ما وصلوا للعقبة اللي ماقدروش يتجاوزوها ...

حاولت غادة تهدئة خفقاتها الثائرة وهي تحاول ربط الأحداث مع سبب وفاة المرأة لتستطرد إيناس بنفس الأسف:

_كانوا متفقين مايبقاش فيه أطفال ...من ناحية لأن آنجيل كانت مريضة قلب من صغرها والدكاترة كانوا محذرينها من خطورة الوضع ...ومن ناحية تانية لأن سيف نفسه مكانش مقتنع إن هي دي الزوجة اللي ممكن يكمل معاها ...رغم إنها كانت





الحب الوحيد في حياته بس فضلت الغلطة القديمة حاجز بينهم خصوصاً مع تحرر آنجيل الزايد اللي ماقدرش هو يلجمه ...لكن المسكينة لما لقت إن حياتهم مع بعض متهددة والحب بيبهت يوم ورا يوم خدت القرار لوحدها وفاجأته في يوم إنها حامل ...

_وبعدين؟!

سألتها غادة وهي تعدل وضع جلستها لتقترب منها أكثر مستندة على ركبتيها فتنهدت إيناس باستطرادها:

_سيف بطبيعته الانفعالية ماتفهمش رغبتها ...افتكر إنها بتلوي دراعه عشان جوازهم ياخد شكل تاني ...ثورته حسستها إن التضحية اللي هي عملتها كانت من غير تمن ...طلبت الطلاق والعند خلاها تتمادى أكتر من الأول ...كل يوم سهر وشرب لحد الصبح ...والصور اللي بتوصلله على تليفونه ليها بتأكد له إن كان معاه حق ...هي بتعند وهو بيعند لحد ما جه وقت الولادة ...

ثم صمتت لحظة لتردف:





_راحوا الاتنين ...هي والبيبي!

شهقت غادة بارتياع وهي تغطي شفتيها براحتها لتزفر إيناس بأسى يليق بقولها:

_ومن ساعتها وسيف محمل نفسه الذنب ...رافض يكمل حياته وهو شايف نفسه السبب في اللي حصللها ...عمك علاء حاول معاه كتير يتأقلم ويحاول ينسى لكن هو حابس نفسه في سجن الماضي وشايف ده التكفير الوحيد لغلطته .

ارتخت ملامح غادة ببعض الإشفاق الذي خالط ثورتها القديمة ...

"القاضي والجلاد"!!

هكذا نصب نفسه سيف إذن!!

حكم على حبيبته فجلدها حتى الموت ...

والآن يحكم بذات الحكم على نفسه !!!

ترى أيهما كان المنكوب بصاحبه ؟!!

هي أم هو؟!!

============





_وده إيه اللي انت جايبه معانا ده ؟!

سأله سيف باستنكار وهو يستقل سيارة إسلام الذي ابتسم مجيباً ببساطة:

_غزل بنات ! عرفت إن غادة بتحبه قوي!

مط سيف شفتيه باستياء وهو يشيح بوجهه نحو جانب الطريق الذي تقطعه السيارة نحو المزرعة ليستطرد إسلام بنبرته الحماسية :

_جبت لعمو علاء اسطوانة فريد الأطرش اللي كان دايخ عليها ..هو و"أنّا" بيحبوه قوي ..وجبت ل"أنّا" طاقم فضة ماركيز م اللي بتحبها...كان نفسي أجيب لغادة كمان هدية بس عمك قارش ملحتي من اليوم إياه ومش عايز أعصبه .

كتم سيف ضيقه وهو يقول دون أن ينظر إليه :

_اتصرف عادي لحد ما تقدر تتقدم رسمي ...مش بتقول والدتك رافضة ؟!

_رافضة بس؟! دي صرخت في وشي أول ما عرفت إنها أرملة ...وهوبا العرق التركي





نقح ...أدبسيس ...خرسيس ...إسلام ابن حسين رجائي يتجوز واحدة من غير أصل ولا فصل ...وكمان كانت متجوزة ...وقفلت السكة في وشي ومن وقتها مش عايزة ترد !

قالها إسلام بمرحه العابث الذي امتزج بأسف حقيقي مع استطراده :

_مش عارف أقنعها إزاي ...وكمان مش عايز أزعلها ...مش كفاية اللي أبويا مخبيه عليها وياعالم هيتكشف واللا لا؟!

ثم ابتسم ساخراً ليردف:

_تخيل صدمتها لما تعرف إن حسين رجائي اللي طايرة بيه ده كان بيخونها مع الخدامة ومخلف منها بنتين ؟!

عاد سيف إليه ببصره وهو يدرك حساسية صديقه لهذا الأمر ...

صديقه الذي تلقى صدمة عمره في أبيه المثالي كما كان يراه ...





ليكتشف مصادفةً أمر ابنتيه هاتين!!

مصادفة جعلته يستمع مرة دون قصد لاتصاله مع إحداهن كشف له الحقيقة المستترة خلف الرجل المرح والزوج المخلص !!

ربما لهذا لم يحتمل النظر في وجه أمه وهو يشعر أنه يشارك أباه تلك الجريمة بتستره عليها ...

لهذا قرر السفر وترك كل شيئ خلفه !!!

_سيبها للوقت ...بس لحد ما تعرف راسك من رجليك ماتحاولش تشاغل غادة ...بنات الناس مش لعبة .

قالها سيف بنبرته الحازمة التي يدرك صديقه أي حنان تخفيه خلفها ...

ربما لهذا التفت نحوه باسماً بقوله :

_ادعيلنا بالثبات يا سيدنا ...بتاع البرقوق آخرته هيلبس القفص ذات نفسه في دماغه !





ضحك سيف للتشبيه قبل أن يعاود الإشاحة بوجهه لعله يخفي ضيقه الخفي ...

منذ ظهرت غادة هذه وهي تدفع بذكرياته الدفينة لتطفو فوق السطح ...

رغم أنها لا تشبه إنجي في ملامحها لكنه لا يعرف الصلة التي تدفعه ليستحضرها بصورتها ...

ربما لأنه ظلمها هي في أول لقاء ..كما فعل بها !

وربما لأنه رأى في شراستها ودفاعها القوي عن نفسها صورة لحيوية الحبيبة الراحلة ...

وربما السبب يخص غادة نفسها ...

المرأة التي مسته "أنوثتها" في المرة الوحيدة التي رآها فيها تراقص زوجها لتبقى الصورة من وقتها محفورة في ذهنه بأثر يشبه أثر آنجيل عليه ...

كلتاهما تركتا أثراً واضحاً على رمال رجل طالما تباهى أنه لا تفتنه النساء!





ياالله!!!

كم يكره تفكيره هذا!!!

كيف يسمح لنفسه حتى بالمقارنة ؟!!

بل كيف ينجرف مع هذا التيار وجواره صديقه يفكر في خطبتها ؟!!!

أفق يارجل...إنها خيانة !!!

ياللسخرية!!!

المرة الأولى التي رآها فيها كانت في عصمة رجل ...

واليوم هي حلم صديقه الذي يعتبره شغفه ...

ترى لو لقيها يوماً بمكان "خالٍ" يحتمل بصمته هل كان ليغامر ب....؟!!

_يا جمالك يا "أنّا"...ريحة الشوي واصلة من هنا !

هتف بها إسلام بتلذذ مقاطعاً أفكاره ليلتفت نحوه بملامح متجهمة مدركاً قرب المواجهة التي لا يحبها ...

لولا أنها ذكرى عيد ميلاد هاني لما غامر بالحضور ...

لكن ...لا بأس!

لن يكررها ...

قريباً على الأقل!!!

الاستقبال الحافل من علاء وإيناس لهما لم يفقد رونقه ...

حتى مع تحفظ غادة الشديد وهي تتحرك مبتعدة لتتولى هي أمر الشواء على المنضدة البعيدة نسبياً لتتركهما معهما ...





هذا التصرف الذي حمده لها كثيراً إذ جعله أقل تحفزاً في جلسته مع العائلة حيث افترشوا الأرض العشبية للمزرعة...

دعابات إسلام المشاكسة لعلاء لا تنتهي ...

ترافقها ضحكات إيناس المتحشرجة التي لا تبارحها ذكريات العزيز الراحل ...

لهذا حافظ على ابتسامة معتدلة محاولاً الاندماج معهم ...

بعيداً عن ظل تلك الراحلة التي يكاد يراها بعين خياله تتحرك هناك عند مائدة الشواء ...

نظرة عابرة لعيني إسلام الملتمعتين ببريق يعرفه جعلته يلتفت نحوها خلسة ليميز ما جعل صديقه في هذه الحال ...

آه...هذا إذن !!

صواعق الفتنة!!!





شعرها الطويل الذي بدت أطرافه النبيذية المصبوغة بلونها الصارخ انساب خائناً على ظهرها من تحت وشاحها ...

يتحرك معها كأفعى ساحرة المظهر تتلوى بخفة على القوام الممشوق!

عاد ببصره نحو إسلام بسرعة ليجده متلذذاً حقاً بما يرى خلف دعاباته المشاكسة للعم وزوجته ...

فضم قبضتيه بقوة وهو يشعر بالضيق يتملكه أكثر!!!

لكن...وماله هو؟!!

هي لا تخصه بشيئ ...ولن تكون !!

لهذا أطرق ببصره للحظات قبل أن يجد نفسه يقوم فجأة ليقول بصوت ظاهره الهدوء:

_هاعمل مكالمة مهمة وارجع.





قالها وهو يتناول هاتفه ليتحرك مبتعداً باتجاه غادة وهو يتظاهر بالحديث لأحدهم ...

وما إن اقترب منها أكثر حتى أبعد هاتفه ليتنحنح مغمغماً بصوت خفيض:

_أنا آسف...بس ..شعرك باين.

رفعت غادة إليه عينيها بحرج وهي تتلمس شعرها خلف ظهرها بكفها الحر ليخلصها هو بقوله :

_هاكمل أنا وروحي انتِ اظبطي الطرحة .

قالها وهو يتناول منها ما بيدها غاضاً بصره لتهرول هي للداخل بخطوات سريعة ...

وما كادت تختفي حتى عاد لقلبه هدوء خفقاته ...

ليتها لا تعود برؤيتها هذه التي تثير حرائق روحه كلها !!

_غادة راحت فين؟!





سألته إيناس بدهشة وهي تتقدم نحوه ليجيبها كاذباً:

_استأذنتها أكمل أنا ...أهه أبقى ساعدت بأي حاجة .

فابتسمت وهي تساعده بتقريب بعض الأطباق منه قائلة :

_ما أنا كنت هاقوم أساعدها ...ماتخافش احنا مش قاسيين عليها .

_قلبك مايعرفش القسوة يا "أنّا"!

قالها بنبرته المهذبة الممتزجة بحرجه والتي تثير دوماً أمومتها لترد بصدق :

_ولا قلبك يا حبيبي ...ربنا يريح قلبك .

وفي غرفتها أمام المرآة كانت غادة محمرة الوجنتين تراقب شعرها الظاهر خلف وشاحها بمزيج من غضب وخجل ...





هذا إذن سبب نظرات إسلام الغريبة نحوها منذ حضر ...

لكن...سيف هذا!!!

ماذا عساه يظن بها الآن بعد ما عرفته عنه ؟!

تراه يظنها تكشف شعرها عامدة كي تغوي صديقه ؟!!

لا ...لا...

نظرته لم تحمل شيئاً من انتقاص ...

على العكس!

لقد غض بصره بعدها عنها كأي رجل ...يحترمها!

يحترمها؟!

الخاطر الأخير رسم ابتسامة واهنة على شفتيها وهي تشعر بقيمة أن يغادر مجلسه خلسة فقط كي ينبهها لتغطية شعرها ...

شعرها الذي عادت تتفحصه في مرآتها بعدما خلعت وشاحها لتعيد لفه فيما يسمونه "كعكة" ثبتتها جيداً قبل أن تعيد لف الوشاح ...





نداء علاء الجهوري لها من الخارج يجعلها تتنهد أخيراً لتلحق بهم والحمرة اللعينة لا تكاد تفارق وجنتيها ...

صمتها المتحفظ...وجهها المطرق ...أناملها المنشغلة بالطعام فحسب ...

كل هذا لم يجعلها بعزلة تفترضها عن زوجين من العيون تخشاهما ...

أحدهما يقبض قلبها بما يحمله من اشتهاء تخشى عواقبه ...

والآخر صارت تخشاه هو الآخر بما يثيره فيها من غضب وشفقة تلازما مع معرفتها لماضيه ...

_الأرانب بقت صحتها عال بس لو عايز تطمن بنفسك اتفضل .





قالها علاء بعدما انتهوا من تناول الطعام فيما وجدها سيف دعوة لا يمكنه رفضها ...ليردف الرجل:

_روحي معاه يا غادة عشان لو عايز يستفسر عن حاجة.

مط إسلام شفتيه باستياء وهو يود لو يذهب معهما لكنه كان يدرك أن علاء لا يغير كلمته ...

هو حذره من التعرض لغادة مادام لم يتقدم بطلبها رسمياً لهذا لجم نفسه بصعوبة وهو يراهما يذهبان معاً ...

قبل أن يفرغ غيظه في الرجل بهتافه المشاكس:

_نلعب طاولة بقا ...والرهان المرة دي على عمايل الشاي .





وفي نفس المكان الذي التقيا فيه سابقاً وقف هو جوارها يتفحص الأرانب بمهنية أجادت إخفاء ارتباكه قبل أن يقول بهدوء:

_كله تمام ...مفيش مشكلة.

_أنا كنت حريصة أديهم الدوا اللي كتبته في مواعيده ...والأكل كمان.

لم تجد غير هذا لتقوله وهي تحرك برأسها متحاشية نظراته ...

فابتسم وهو يتذكر ما جعله يقول:

_باركتِ لهانيا؟!

هنا ابتسمت ابتسامة حقيقية وهي تومئ برأسها لتقول بسعادة :

_ماكنتش مصدقة ...ماتعرفش أد إيه كان نفسي أبقى جنبها دلوقت .

_رامز كمان مبسوط قوي ...ياريت يستفيدوا من التجربة ...أفتكر لسه قدامهم مشوار طويل.





قالها وهو يتحرك ليداعب أحد الأرانب -الرمادية- ليسمع عبارتها خلفه :

_أنا واثقة إنهم هيقدروا ...الحب بيقصر كل المسافات .

تنهد بحرارة وكلماتها تعيده لمأساته الخاصة ...

لترسم حروفه جسراً من ألم وندم:

_الحب لوحده مش كفاية .

جسراً عبرت هي عليه لتتقدم بدورها كي تداعب أرنباً آخر -أبيض- اللون مع كلماتها الواثقة :

_حب...عطاء...ثقة ...مثلثماينفعش نستغنى عن زاوية منه ...مثلث على قمته النجاح اللي بجد .

فالتفت نحوها وقد أثارت كلماتها خاطراً جعله يسألها بشك:

_"أنّا" حكيتلك عني حاجة ؟!





الإجابة كانت واضحة على ملامحها التي لا تجيد الكذب والتي فوجئت بسؤاله المباشر ...

فأشاح بوجهه بضيق حقيقي وهو يشعر بمزيد من الحرج والغضب ...

هذا الذي جعلها تقول بسرعة وبنبرة آسفة :

_أنا آسفة ...ما قصدتش أتدخل في حاجة شخصية ...انت عارف هي بتحبكم أد إيه وطول الوقت بتتكلم عنكم زي ولادها .

لم يتمكن من الرد وهو يشعر أنه عارٍ بماضيه أمامها ...

"بطحة" رأسه التي لاتزال تتحسسها أنامل "ندمه"!!

والتي ارتسم أثرها على وجهه الذي ازدادت قتامة ملامحه ...





_المفروض مفيش حد في مصر يعرف .

قالها باقتضاب فظ حمل نبرة التحذير فازدادت كثافة الحرج بينهما لتغمغم هي بخجل :

_أكيد طبعاً ...أنا آسفة مرة تانية .

رفع عينيه إليها لتلتقي نظراتهما في حديث قصير صامت ...

"الحزن الأخرس" في حدقتيه لازال يستصرخ أمومتها ...

و"القوة المشعة" في عينيها لا تزال تذكره ب"الغالية الراحلة"...

ذبذبات خافتة تترقرق بينهما بهذا الترنيم الغريب الذي يجذبك لحنه وإن لم تفهم معانيه ...

هذا الترنيم الذي يعني ببساطة ...أنك منجذب!

والذي كان هو أول من قطعه بزفرة قصيرة سبقت مغادرته لها بعد تحية مقتضبة ...





بينما ظلت هي واقفة مكانها تراقب ظله المنصرف للحظات بنظرات شاردة ...

مسكين هذا الرجل!

ليس أقسى على المرء من أن يدرك أن خطأه غير قابل للإصلاح ...

النهر الذي تلوث سقى الزرع كله ...

فأي ثمر ينتظر؟!!

شعورٌ قاتل تدرك ماهيته وإن لم تجربه...

شعور أحست به يخنق روحه ...يمنحه هذه الطلة المنفرة من الخارج ...

بينما هو من الداخل رجل يحترق بذنبه ...

كانت تسأل عن الشبه بينه وبين هانيا؟!

الآن تدرك !





لهذا تنهدت أخيراً وهي تهز كتفيها مدعية عدم الاكتراث قبل أن تغادر بدورها ...

فقط ليتها قبل أن تغادر لاحظت الأرنبين اللذين كانا يداعبانهما ...

الأبيض خاصتها والرمادي خاصته ...

الآن كانا ...متلاصقين يأنس كل منهما بدفء صاحبه !

================

"الملاك الكسير " لايزال يرجو التحليق خلف قضبان النافذة المفتوحة ...

شفتاها تتمتمان بحديث لا يسمعه لكنه يصل قلبه حرفاً حرفاً...

عيناها معصوبتان كالعادة في حضرته وما أقساه من عقاب على رجل كان يراهما يوماً كل حياته ...

متى أحبها؟!

هو لا يذكر ...

أشياء كهذه لا ترتبط بموعد أو تأريخ!





هي سكنت قلبه منذ أول مرة رآها لتكبر ويكبر معها أمله فيها ...

لم يكن يراها فتاة "الخطيئة" ...ابنة "الخائن" و"الأفعى" كما كانت تدعوها أمه ...

ولا كما كان يراها زين ... "ثمرة الغدر" التي سممت أمه حتى قتلتها !

بل كانت بعينيه ولا تزال ...

وردة لم تتسول السُقيا ...فتركوها تذبل حتى الموت ...

حتى هو خذلها !

ضعف في أول اختبار قايضه الحب بالكبرياء فانتصر لكرامته...

ماذا كان عذره ؟!

إرضاء أمه ؟!

الثأر لرفض عمه ؟!

الألم ؟! اليأس ؟! القنوط؟!





كل هذا عبث أمام ما جنته هي ولا تزال تجنيه من جراء أنانيته !!

أجل ..لايزال يعيش بذنبها وسيظل طوال عمره يفعل ...

لن يهنأ له بال حتى يعيدها كما كانت ...

فليعد لها عقلها ...أو فليكمل هو عمره مجنوناً بها ...

ألم يكن هذا هو العهد الذي قطعه على نفسه من حينها محرماً النساء -سواها- على جسده وقلبه ؟!

اشتدت ملامحه عند الخاطر الأخير وهو يقبض كفه على قلبه كأنما يجدد العهد قبل أن تخونه قدماه بالاقتراب أكثر ...

خط دموعها الصامتة تحت عصابة عينيها يثير جنونه فلا يبالي هذه المرة !

لن يبقى واقفاً يتفرج في كل مرة يغيب فيها زين عنها فيسوء حالها هكذا ...





لكن ...ماذا عساه يصنع ؟!

إلا أن يراقب ...ويعتني ...

فلا يسمح أن تمتد يد لإيذائها ...أي يد !!

يجثو على ركبتيه أخيراً أمامها وهو يراقب ملامحها لأول مرة بهذا القرب منذ زمن بعيد ...

أنفاسه تتلاحق وهو يمد راحته ببطء ليفردها أمام أنفها فيتلقى أنفاسها الدافئة كما تتلقف الزهرة قطر الندى ...

شفتاه تنفرجان ببطء وهو يتمنى فقط دقيقة واحدة تسمعه فيها ...

ألا حقّ لعشق كهذا أن يُسمَع دفاعه قبل أن يقطع عنقه ؟!!

لكنه يعود ليذكر رد فعلها عندما رأته ذاك اليوم ...

صراخها ...تشنجها ...زئير جسدها المنتفض قبل أن يسقط على الأرض بلا حراك ...

فيطبق شفتيه بقوة وهو يبثها حديثه الصامت دون كلمات ...





_ما خنتش ...ما بعتش...كل اللي بيننا لسه
عايش ...كل حاجة لسه مستنياكي
ترجعي ...سنة ...اتنين ...عشرة ...مش
مهم ...فداكِ العمر كله !

هنا لم يستطع منع نفسه وهو يخفض راحته التي
كانت مواجهة لأنفها فيبسطها أمامه ...

قبل أن يتناول كفها هي ببطء ليبسطه هو الآخر
على راحته قبل أن يطبقها فوقه !

أصدرت أنة خافتة وخيوط الدمع على وجهها
تتكاثر ...

فمد أنامله المرتجفة بسرعة يمسحها ثم...فقد
سيطرته تماماً !!!

العقل الذي طالما تباهى بدهائه تدفنه أطلال عاطفة
يحترق بها منذ دهور ...

العناق الذي طالما اشتهاه كثمرة محرمة أخيراً
يناله...

والشفاه التي اشتاقت مذاقها تحترق برغبتها فلا
تجد لها ملاذاً إلا هناك ...





عند طرف أذنها حيث قرطها الذي اشتراه هو لها منذ سنوات على شكل غريب كان يراه هو فراشة ...

وكانت هي تراه راقصة باليه !

شهقتها الخافتة تخترق غيابات شغفه فيبتعد بوجهه عنها وهو ينتبه أخيراً لما فعله قبل أن يزفر زفرة مشتعلة...

اللعنة !

ماذا لو اختطفها من هنا ؟!

ماذا لو تولى هو أمر علاجها هذا ؟!

ماذا لو أعلن عن "السر" الذي ظل يخفيه طوال هذه السنوات أنها ...

_انت بتعمل إيه هنا ؟!

والهتاف الحاد يأتيه من خلفه مقاطعاً أفكاره ...

ليلتفت ...وتبدأ المواجهة ...

=========





Cinnabon

القطعة السابعة

=========

_انت بتعمل إيه هنا؟!

هتفت بها ياقوت بحدة مستنكرة بعدما رأته من عناقه وقبلاته لهمسة التي انكمشت مكانها مصدرة أنيناً خافتاً متصلاً يمزق القلوب ...

فعقد رائد حاجبيه بشدة لاعناً غباءه !!

كيف غفل عن موعد الطبيبة هذه ؟!!

خطأ كارثي ...لكن ...

كل شيئ قابل للإنقاذ في عُرفه ...كل شيئ!!

لهذا استقام واقفاً بجسده يرمقها بنظرة تهديد قوية لكنها تقدمت نحوه لتردف بنفس النبرة :

_مين فتح لك الباب وسابك معاها لوحدكم ؟! هو البيت ده مالوش صاحب؟!!




أطبق رائد شفتيه وهو يعاود النظر لهمسة التي كتفت ساعديها مطرقة برأسها ...

لتقف ياقوت قبالته تماماً مستطردة بنبرة قاسية :

_مش عايز تتكلم ليه ؟! خلليني أشوف الندل الرخيص اللي مغمّي عنيها عشان يستغل ظروف زي دي يبقى مين!

_اخرسي!!

هتافه الهادر فجّر الموقف فجأة !!!

فلم تكد همسة تسمع صوته حتى صارت تصرخ بجنون وهي تنتفض مكانها لتخلع عنها عصابة عينيها قبل أن تشهق بارتياع وهي تنظر نحوه محتضنة جسدها الهش بذراعيها ...

أنفاسها اللاهثة مع صراخها المتقطع يجعلان الغرفة قطعة من الجحيم قبل أن تسقط بعدها أرضاً وجسدها يتلوى كأنها ممسوسة !!





_عاجبك كده ؟! عشان كده ماكنتش عايز أتكلم !!

صرخ بها رائد بثورة مخاطباً ياقوت -التي وقفت مكانها تراقب الوضع بعينين متفحصتين- قبل أن ينحني محاولاً السيطرة على جسد همسة التي بدت وكأنها لم تعد تنتمي إلى هذا العالم ...

_مالك يا ست همسة ؟! إيه اللي حصل ؟! زين بيه هيخرب بيتي!!

هتفت بها الخادمة التي ظهرت أخيراً لتتقدم نحوهم بوجه مرتعب شاحب ...

لتلتمع عينا ياقوت لمعة خاصة وهي تربط الخيوط لتستجمع الصورة كاملة بما جعلها تقول برباطة جأش تحسد عليها بينما تكتب له شيئاً على ورقة ما :

_هاتلي الحقنة دي ...بس ساعدني الأول ننقلها السرير .





ورغم الغضب المشتعل الذي اكتسح ملامحه لكن عينيه دمعتا وهو يضم جسد همسة لصدره بينما يرفعه ليسير به نحو الفراش حيث وضعها برفق محاولاً تهدئتها لكنها كانت تغمض عينيها بقوة وجسدها الواهن المنتفض يرفض لمساته ...

_الحقنة بسرعة ...احنا هنتصرف!

هتفت بها ياقوت بصرامة وهي تطلب من الخادمة معاونتها في تثبيت جسد همسة ...

فحدجها رائد بنظرة حانقة قبل أن ينتزع منها الورقة بعنف ليهرول نحو الخارج ...

_يادي المصيبة ! ما هي كل مرة كانت بتيجي سليمة...اشمعنا المرة دي؟! أبوس إيدك يا دكتورة ما تقولي حاجة لزين بيه ...هيوديني في داهية.

هتفت بها الخادمة برجاء وهي تندب حظها لتضيق عينا ياقوت للحظات سبقت تمتمتها الخافتة :





_يعني دي مش أول مرة !

انخرطت الخادمة في بكاء صامت وهي تشعر بالذنب مع منظر همسة هذا لتهتف بين دموعها:

_والله ما كنت أعرف إن ده هيأذيها ...هو كل مرة كان بيدخل يبص عليها من بعيد ويخرج من غير كلام بس بعدها هي بتبقى أحسن...كان بيبقى شرطه نغمي عنيها عشان ما تشوفوش ...ما كنتش فاهمة ليه بس دلوقت عرفت ...سامحيني يا ست همسة ...والله ما كنت أقصد !

ولم تكد تنهي كلماتها حتى انكبت على جسد همسة تطوقه بقوة حانية لدقائق قطعها وصول رائد الذي ناول ياقوت ما بيده قبل أن يتراجع مكفهر الوجه لينتظر بالخارج ...





الحقنة المهدئة آتت ثمارها سريعاً ليسكن الجسد المنتفض أخيراً ويسود الصمت الغرفة إلا من تمتمات الخادمة المبتهلة بدعواتها ...

_هي خلاص هتنام سيبيها دلوقت وارجعي شغلك.

همست بها ياقوت بنبرة آمرة لترمقها الخادمة بنظرة راجية متسائلة جعلتها تعقد حاجبيها لتردف :

_ماعرفش لسه هاعمل إيه...روحي دلوقت .

أطرقت الخادمة بوجهها لتغطي جسد همسة الساكن برفق قبل أن تتحرك إلى الخارج مع ياقوت التي أمرتها بإغلاق الغرفة ...

ولم تكد الخادمة تغادر حتى التفتت هي لرائد الذي تصارع على وجهه ألف شيطان ...

فعقدت حاجبيها لتقول باعتدادها المعهود :

_ماعدتش محتاجة أسألك انت مين ...

ثم التوت شفتاها بشبه ابتسامة مع قولها :




_بصراحة أنا استنتجت إنت مين من أول ما شفتك بس تعمدت اللي عملته لسببين .

ازداد انعقاد حاجبيه الساخط والذي حمل الآن المزيد من الترقب مع استطرادها بنبرتها الذكية:

_الأول ...كنت عايزة أتأكد وأشوف بعيني رد فعل همسة لما بتشوفك...

صمتت قليلاً بعد عبارتها فعاد يسألها من بين أسنانه :

_والثاني؟!

هنا رفعت أنفها باعتداد قائلة :

_أنا فلاحة اتربيت ع الأصول وما أقبلش الحال المايل ...عايزني أعمل إيه لما أدخل وأشوفك معاها كده .





ضحكة ساخرة مكتومة اختنقت بين شفتيه وهو يميل رأسه قائلاً:

_وبعدها خليتيني أشيلها عادي وأحطها ع السرير؟!

كان دورها هي الأخرى لتكتم ابتسامة ماكرة ناسبت قولها:

_ماعملتهاش إلا لما فهمت ...

_فهمتِ إيه؟!

_إنها مراتك !

اتساع عينيه المرتاع أكد لها استنتاجها قبل أن يجذبها هو بعنف من مرفقها قائلاً بنبرة مهددة :

_عرفتِ منين ؟!

لكنها نفضت ذراعه عنها بعنف لتهتف باستنكار:

_انت اتجننت؟! إزاي تمسكني كده ؟!

قالتها لتعطيه ظهرها سائرة باتجاه باب الخروج بخطوات مندفعة سريعة ...





فوقف هو مكانه للحظات يفكر بعجز قبل أن يلحق بها مهرولاً ليقف أمامها قائلاً بصوت مختنق:

_أنا آسف...فعلاً...ماقصدتش.

رمقته بنظرة ساخطة للحظات قبل أن تزفر زفرة قصيرة وهي تشيح بوجهها ليعاود سؤالها بحذر:

_مش هتقوليلي عرفتِ إزاي!

صمتها التالي كان عقابها القصير على تجرئه عليها إذ كانت تدرك أنه يحترق بفضوله ...

قبل أن ترحمه أخيراً بإجابتها :

_نظرة عينك لما هاجمتك مكنتش نظرة واحد ندل مرعوب يتكشف ...كانت نظرة واحد صاحب حق مقهور إنه مش قادريصرخ ويطلب حقه ...

ثم أعطته ظهرها لتتلمس أناملها من فوق ملابسها مكان "ورقة العشر جنيهات" المغلفة التي تحتفظ





بها دوماً هناك قرب قلبها... ثم أردفت بنبرة أكثر رفقاً:

_ما تستغربش ...محدش ممكن يميز النظرة دي أدّي!

ويبدو أن الشجن الصادق الذي امتزج بحروفها لامس شيئاً ما بوجدانه جعله يشعر بالتعاطف معها خاصة مع ما يعلمه عن ماضيها ...

لهذا تنهد بحرارة وهو يعود ليقف قبالتها باعترافه الذي لم يفقد بريقه مع قوة صوته :

_همسة ليا من يوم ما شفتها ولآخر يوم في عمري .

ابتسامتها "الطيبة" التي امتزجت باتقاد العينين الذكيتين جعلته يشعر بمزيج غريب من الحذر والاطمئنان !

هذه المرأة كارثة !!





لقد قابل العديد من النساء اللاتي أبهرنه بقوة عقولهن لكنه اعتاد أن يمتزج هذا بالخبث !

لكن هذه التي أمامه يختلط فيها الدهاء بالطيبة...

المكر بالحنان ...

نظرتها مزدوجة أشبه بمشرط جراح يدرك أين يقطع كي ...يداوي!

ربما لهذا وجد نفسه يرفع رأسه للسماء ليبوح بما كتمه لسنوات :

_والدها افتكر إنه قدر يمنع هروبنا في الوقت المناسب ...بس اللي ما يعرفوش إننا فعلاً كنا كتبنا كتابنا عند مأذون ...هي خافت تقولله وأنا كنت مستني الدنيا تهدا عشان أقدر ...

_مستني الدنيا تهدا تقوم تخطب واحدة غيرها وهي لسه معتبرة نفسها مراتك؟!





سؤالها الذي قاطع عبارته لم يحمل استنكاراً بقدر ما حمل عتاباً للغباء العاطفي الذي يدفعنا أحياناً لفعل ما لا ترتضيه ضمائرنا!

_انت متخيل وقتها إحساسها كان إيه وهي خايفة حد يعرف ؟!!...وهي شايلة ذنب عقاب أبوها اللي ما فكرش قبل ما يحبسها ويفكرها بالحادثة القديمة؟!!!..وهي مستنياك كل يوم عشان تيجي وتنقذها وبدل ما تسمع صوتك وانت جاي تطمنها ...تسمعك وانت بتقول لباباها نفسه إنك خلاص خطبت وهتسيبله بنته المجنونة يشبع بيها !!

_غلطت!

صرخ بها بغضب أجفلها قبل أن تتكثف أبخرة ثورته لتنبت الدمع في عينيه اللتين غابتا في شرود قصير سبق قوله:

_غلطة بدفع تمنها لحد دلوقت ...ومستعد أفضل أدفعه طول عمري بس هي ترجع .

_ليه ما بعتش القضية ؟! ليه ما اتجوزتش وعشت حياتك؟!

سألته بتفحص وعيناها الذكيتان تقرآن كل ردود فعله ليجيبها :

_عشان ماشفتش ولا هشوف غيرها.

الحسم القاطع في حروفه لم يدع لها المزيد من الشك خاصة عندما استطرد بنبرته المريرة:

_فيه ناس شايفة إنه مجرد إحساس بالذنب ...أنا نفسي حاولت أقنع نفسي بكده لفترة...بس الحقيقة اللي لقيتها جوايا إني فعلاً مش قادر أكمل حياتي مع واحدة غيرها .

_وليه ما صارحتش زين بالحقيقة؟!





_زين لسه بيحملني ذنب اللي حصللها...مش قادر يشوف غلطة أبوه وكل اللي شايفه إني الندل الجبان اللي غرر بأخته البريئة وضحك عليها ...لو عرف إنها مراتي هيقوم الدنيا وممكن يطعن في عقد الجواز ده ...وحالة همسة دلوقت تخليه ممكن يحرمني منها بسهولة...عشان كده شفت الأفضل إني أبقى جنبها من بعيد لبعيد ...لحد ما تخف ...ساعتها محدش هيقدر يبعدني عنها.

الندم الممتزج بالقوة في صوته جعلها تدرك أنها ليست أمام كيان ضعيف...

على العكس !

لو صدق حدسها في الأشخاص فرائد هذا يخفي تحت قشرته الكامنة بركاناً لن يبقي ولن يذر ...

لهذا فكرت قليلاً قبل أن تعدل نظارتها لتقول له بنبرة عادت إليها مهنيتها:

_شوف...حالة همسة ببساطة إنها واقفة في النص بين عالمين...عالم جميل من ذكريات الماضي معاك بتستريح فيه...وعالم تاني أسود بيبدأ بحادثة




مامتها وحبستها معاها وبينتهي بكلامك انت اللي سمعته بودانها ...وبين الاتنين هي روحها بتتقطع مش عارفة تسلم لواحد فيهم...عشان كده لما بتحس بيك من غير ما تشوفك ولا تكلمك بتحس بالأمان اللي بيسحبها ليه العالم الأول ...لكن أول ما الصورة والصوت يركبوا على نفس الشخص غصب عنها بيسحبها سواد العالم التاني ...واحنا بقا دورنا نصالحها ع العالمين مع بعض ...نرجع لها إيمانها بالإحساس مع الصوت والصورة فترجع تطمن إنهم لنفس الشخص ...فاهم؟!

عقد حاجبيه للحظات متفكراً في كلماتها البسيطة التي حاولت بها وصف معقد كهذا ...قبل أن يومئ برأسه إيجاباً ...

فصمتت لحظات تلتقط أنفاسها لتردف:

_ممكن أي انسان طبيعي يقدر يكمل حياته في ظروف تشبه ظروفها ...لكن فيه بعض الناس بتبقى هشاشة تكوينهم النفسي هي اللي مانعاهم...المرض النفسي مش وصمة ولا عار ...المرض النفسي مجرد صرخة روح ضعيفة




مش قادرة تعبر عن اللي جواها فبيخرج بالصورة دي ...وأنا واثقة إنك أكتر واحد هتساعدني في علاجها عشان كده حتى لو مكنتش شفتك النهارده كنت هاطلب أقابلك.

_هساعد في علاجها إزاي وهي كل ما بتشوفني ...

قطع عبارته اليائسة بقنوط وهو يخبط قبضته في راحة يده لكنها ابتسمت لتقول بثقة :

_انت المرض والعلاج...انت الحاجة الوحيدة اللي ممكن نصالحها بيها ع الدنيا من تاني ...إزاي؟! ده بقا هنتكلم فيه بعدين بس بعد ما أعرّف زين أهمية دورك معايا عشان تشوفها في النور مش في الضلمة.

الأمل الذي شع في مقلتيه جعل ملامحه الجادة أكثر وسامة...





خاصة مع طوله الفارع...عرض منكبيه...الابتسامة الجانبية الواهنة التي بدأت تغزل خيوطها بين شفتيه...

_يا لهوووي...هُمّ رجالة العيلة دي كلها "فول أوبشن" كده؟! ده احنا على كده بنشوف شباشب في الشارع !! تيجي الحاجة ثمر تتفرج وتعرف برفض عرسانها ليه !

"العفريتة" العابثة إياها تعاود اقتحام خواطرها لكنها تقهرها كعهدها لتقول بنبرة مهنية :

_بس أولاً ضميري يحتم عليا أقوللك إن العلاج مش سهل ...كام يوم...كام شهر...كام سنة...مش هاقدر أحدد بالضبط...عشان كده عايزاك من دلوقت تديني وعد إنك مش هتسيبها وسط الطريق .

_عمري!





والحسم القاطع الذي نطق به بسرعة منحها الكثير من الاطمئنان الذي عاود تشكيل ابتسامتها الطيبة على وجهها ...

هذه التي تأملها هو بتفحص وكأنه يدرس دواخلها خاصة مع علمه بما يريده زين منها ...

لهذا صمت للحظة قبل أن يقول لها بغموض:

_لو قدرتِ تعالجي همسة هيبقى دين في رقبتي هاردهولك بالطريقة اللي تحبيها .

ورغم أنه كان حسن النية تماماً لكن اعتدادها المعهود جعلها ترد بإباء:

_علاج همسة مش خدمة ليك ...علاج همسة ده شغلي وواجبي.

قالتها ثم أعطته ظهرها لتتوجه نحو باب الخروج تلاحقها نظراته المتفحصة...

من يصدق أن هذه هذه الهيئة الهزلية تخفي جمالاً كهذا الذي رآه واضحاً في ملامحها ...





وذكاء أكثر وضوحاً في حديثها ؟!!

ياقوت سليمان !!

ترى هل ستكون نعمة هذه العائلة...أم نقمتها؟!

تساؤله بقي معلقاً في رأسه دون جواب قبل أن يتحرك ليغادر البيت بدوره غافلاً عن عيني الخادمة التي كانت مختبئة خلف الأشجار تستمع لحديثهما ...!!

==========

_هايل يا داليا ...ماشاء الله عليكِ نشيطة جداً .

هتفت بها أحد الفتيات بمقر الجمعية لترد واحدة أخرى بسماجة :

_بس ما يكونش حماس مبتدئين صغيرين ويروح لحاله .

لم تكن داليا تذكر اسم الأولى اللطيفة لكنها تذكر اسم الثانية جيداً...




تذكره كما تذكر نظراتها -المفضوحة- لمروان كلما رأته كأنه هبط عليها من السماء!!

ريتال أو "الآنسة سهوَكة"!!

لقبها الذي تطلقه عليها سراً وتستحقه بجدارة مع ما تمارسه من حركات تفهمها هي جيداً ...

"الآنسة سهوكة" تحبه ..فلتتشبع به إذن..لكن لا شأن لهذا بالتحقير من شأنها هي!!

لهذا ردت لها عبارتها بما ظنته قصف جبهة :

_فعلاً شكلك انتِ كبيرة...عندك كام سنة يا طنط؟!

كتمت الأولى اللطيفة ابتسامتها بينما احمر وجه ريتال غيظاً لترمقها بنظرة ساخطة قبل أن تغادر الغرفة ...

لكن داليا تجاهلتها تماماً وهي تعود لتنظيم بعض الأغراض فقالت صاحبتها بعتاب لطيف:

_أحرجتيها جداً..ليه كده ؟!




_هي اللي بدأت!

هتفت بها داليا بتمر لتبتسم الأخرى قائلة :

_صدقيني هي لطيفة جداً ومخلصة للجمعية ولفكرتها من زمان ...بس ساعات كتر اهتمامنا بالحاجة بيخللينا مشدودين ...احنا بنفرح جداً بأي حد جديد بيساعد بس للأسف كتير منهم فعلاً بيزهق بعد فترة .

_اطمني ...مش هزهق.

قالتها داليا بابتسامة لطيفة لتردف بشرود :

_عارفة لما تبقي تايهة لوحدك لحد ماخلاص تبقي هتقعي من فوق جبل ...وبعدين تلاقي إيد تتمد وتنقذك...ساعتها بيبقى نفسك تمدي إيدك انتِ لكل حد محتاج...تديله اللي انتِ اتحرمتِ منه...الفكرة مش إنك بتدي لأن اللي قدامك محتاج...لأ...انتِ بتدي عشان انتِ اللي محتاجة...محتاجة تحسي إن ليكي دور ...ليكي قيمة..وفوق ده كله تحسي إن ربنا راضي عنك لأنه اختار يحطك هنا .





_فعلاً ..من نعم ربنا علينا إنه يورينا طريق الخير ويثبتنا عشان نختاره .

قالتها صاحبتها اللطيفة في رد بليغ على كلماتها البسيطة لتتسع ابتسامة داليا قبل أن تنخرطا سوياً في العمل لوقت طويل بعدها ...

_مروان هييجي النهارده ؟!

سألتها داليا باهتمام وهي تتخذ مقعداً لتجيبها صاحبتها بتحفظ:

_دكتور مروان مالوش مواعيد ...هو بينظم لنا الشغل وبييجي وقت ما نحتاجه ...الله يكون في عونه برضه مش فاضي لنا .

أصدرت داليا همهمة خفيفة عندما ربتت صاحبتها على كتفها قبل أن تغادر لبعض شأنها ...

هنا تنهدت داليا بحرارة وهي تدور بعينيها في المكان حولها ...





قبل أن تتناول هاتفها لتبحث في الرسائل كعهدها منذ اختفاء "العاشق المجهول"...

لا جديد!!

دمعة كبيرة تتجمع في عينيها وهي تنظر لآخر صورة أرسلها ...

لماذا فعل بها هذا ؟!

تراه شعر بالغيرة عندما أخبرته عن مروان ؟!!

لا ...هو أكثر تعقلاً من أن يغضبه شيئ كهذا !!

إذن ...لماذا؟!

أي مكان هذا الذي ذهب إليه ولا يمكنه الاتصال بها فيه؟!

إلا إذا...؟!!!

معقول؟!!

هل يكون في السجن ؟!!

_مجرم!! بتحبي مجرم ؟!! ما هو ده المكان الوحيد اللي مافيهوش نت دلوقت!!

لكنها تعود لتنفي الفكرة بسرعة بمضادها ...

_وليه ما يكونش ظابط؟! أيوه...ظابط في مهمة سرية وخايف يتكشف...وده يفسر إنه عارف عنك كل حاجة...يااااه...حبيبي يا حظّابط !!

ورغم فكاهية الخاطر لكن الدمعة الحقيقية التي سالت من عينيها افتقرت للهزل وهي تضم الهاتف لصدرها شاعرة بالأسى...

أي حماقة هذه التي تعيش فيها؟!

تمنح قلبها وفكرها بل ودقائق تفاصيل حياتها لرجل لا تعرف عنه أي شيئ !!

بل تعرف!

تعرف شيئاً واحداً هي واثقة منه تماماً!





أنه يحبها كما لم يحبها أحد...

يفهمها كما لم يفهمها أحد ...

وأنها تحتاجه كما لا تحتاج لأي أحد !!

لهذا لم تملك جريان دموعها وهي تترك له رسالتها التي لم تعد تحسب عددها ...

_زعلانة جداً...وحشتني جداً جداً...بحبك جداً جداً جداً .

ولم تكد تنتهي منها حتى وضعت الهاتف جوار صدرها في موضع القلب تماماً !

وفي مكانه كان هو يراقبها وقد وصل لتوه لتروعه دموعها الصامتة مع نظرتها لهاتفها ...





قلبه يكاد يتزلزل بين ضلوعه وهو يرى ما يفعله بها قراره الأخير هذا ...

لكن ما حيلته ؟!

ألا يحق له أن يخلي لنفسه مكاناً وسط زحام قلبها بخيال هو من صنعه لها؟!!

لهذا تقدم ببطء ليسحب كرسياً ويجلس أمامها قائلاً بنبرته الرجولية الخشنة التي شابها الآن حنان خاص:

_بتعيطي ليه ؟!

اتسعت عيناها متفاجئة بوجوده قبل أن تمسح وجهها بسرعة لترد بين نبرة مختنقة وضحكة مصطنعة :

_لا خالص...ده دور برد .

فمط شفتيه ليهم بالوقوف قائلاً بتهكم عاتب:




_بجد ؟! ماشي ...سلامتك...أقوم بقا عشان ماتعديش منك.

لكن دموعها عادت تخونها من جديد مع قولها بابتسامة أذابت قلبه :

_ماتخافش اللي عندي ما بيعديش .

هنا عاد يستقر في مقعده ليراقب ملامحها الحبيبة بعينين غمرتهما عاطفة لم تصل لحدود لسانه المتحفظ :

_حد مضايقك هنا ؟!

هزت رأسها نفياً ثم ترددت قليلاً لتقول بشرود ذابت فيه عيناها ...

وذاب هو معهما:

_جربت مرة حد يغيب عنك فياخد روحك معاه ؟! تبقى عايش بتاكل وبتشرب وبتضحك وبتعيط بس حاسس إنك بتمثل دور مش بتاعك وإنك مستنيه يرجع عشان انت كمان ترجع ؟!





كلماتها الصادقة اخترقت قلبه بعمق إحساسها لكنه تصنع الغباء ليسألها :

_صاحبتك ؟!

وكأنما منحها الستار التي تداري خلفه شعورها والذي استغلته هي أحسن استغلال لتومئ برأسها إيجاباً مع قولها :

_من ساعة ما سافرِت وأنا متلخبطة...مش قادرة أعيش من غيرها .

_مالكيش أصحاب تانيين؟!

سألها بنفس الحنان الخشن الذي يشبه فيه يامن فابتسمت ابتسامة شاحبة ناسبت قولها:

_صعب حد يفهمني ويستحملني...عشان كده هي حالة نادرة.

_تسمحيلي أجرب؟!





اتسعت عيناها بقوة مع سؤاله لكنها لم تنتبه لهذا مع غرقها في نظراته...

لم تبدُ لها عيناه عميقتين هكذا من قبل !!

هل رأيت يوماً حدقاتٍ تبتسم؟! ...

رموشاً تعانق؟!

جفوناً تحكي؟!

هي الآن كانت ترى!!

لهذا خفق قلبها بقوة لتجد أناملها دون وعي تتشبث بالهاتف وكأنما تبحث فيه عن خلاصها ...

هذه الحركة التي ساءته بمدلولها لكنه لم يكن ليتراجع بعد نوبة الشجاعة الفجائية هذه ...

لهذا رفع حاجبيه ليقول بثقة توجت حنان كلماته :

_بيقولوا إني مستمع جيد ...وصاحب صاحبه...حتى اسألي يامن .

_من غير ما أسأله ...انت ...شكلك...كويس!





كلماتها المتلعثمة لا تدري كيف تخرج من بين شفتيها ولا لماذا يحدث بها هذا التأثير الذي يرعبها ...

ماهذا الذي تفعله ؟!

قربها منه خطأ!

ليس فقط كونها تمنحه أملاً فيما لن يكون له ...

لكن لأنها بهذا أيضاً تخون عاشقها المجهول !

كان هذا بعضاً من حديث نفسها والذي كان يناقض البعض الآخر المنجذب تماماً لهالة وجوده ...

"كيمياء الجسد"!

طالما كانت تسخر من هذا المفهوم لكنها الآن لا تجد تفسيراً لما تشعر به إلا هو ...

_بطلي هبل !





نهرت بها نفسها عن التمادي في أفكارها لتطرق بوجهها الذي احمر انفعالاً وخجلاً...

خجلاً كاد يفقده هو صوابه لولا تمسكه بتحفظ عبارته :

_عموماً لو احتجتِ تتكلمي في أي حاجة...أنا موجود ...بس ماأوعدكيش كل آرائي تعجبك.

_إيه ده ؟!

هتفت بها بفضول طفولي أنساها كل انفعالاتها السابقة وهي ترى الكيس الملون الذي كان بحوزته ليبتسم وهو يريها محتوياته :

_دي دبابيس مشبك جايبهالكم هدية بصور أبطال ديزني بمناسبة حفل الأيتام...كل واحد فيكم هياخد واحد عليه شعار الجمعية...

ثم بحث فيها قليلاً ليستخرج لها واحداً:

_اخترت لك ده...ميريدا اللي ماسكة القوس!





أطلقت شهقة انبهار طفولية وهي تتناوله منه لتهتف بعفويتها المنطلقة :

_أستاذ ورئيس قسم ياابني والله..شغل فاخر م الآخر...بس اشمعنا ميريدا يعني؟!

فاتسعت ابتسامته وهو يتفحص ملامحها بعشق ذاب بين حروفه :

_واثقة في نفسها ..متمردة...بتعرف توصل للي هي عايزاه ...عندها الشجاعة تقول غلطت وتصلح غلطها.

ورغم احتراق وجنتيها الخجول واتساع عينيها مع كل وصف كان يصفها به لكنها تنحنحت لتتغلب على حرج الموقف بقولها بينما تثبت المشبك في ياقة قميصها :

_كنت فاكرة إني لوحدي اللي بتفرج على "أنيماشن" في السن ده .




لتجتاحها ضحكته الآسرة وهو يقول بمرح :

_لا افتحي القوس وخدي مجنون أنيماشن تاني جنبك.

ضحكتها النقية كانت أروع هدية له بعدها فاكتفى بها ليقوم من مكانه قائلاً بنبرة عادت إليها جديتها :

_ياللا نوزعهم ع المجموعة.

قالها وهو يخطو خارج الغرفة لتلحق به قائلة بغيرة طفولية :

_هتدي لريتال إيه ؟!

_اشمعنا ريتال؟!

سؤاله كان بريئاً حقاً لكنها تلقته بتحفز لتسأله :

_عايزة أعرف شايفها شبه مين !

هز كتفيه بجهل حقيقي وهو لايدري عما تتحدث ...





فتناولت منه الكيس لتبحث فيه قبل أن تستخرج منه ذاك الذي حمل رسم سندريللا لتقول بلهجة ظافرة :

_هاديها ده !

_اشمعنا؟!

_عشان مالهاش قيمة من غير الجزمة !

كتم ضحكته بصعوبة وهو يرمقها بنظرة عاتبة مدركاً سخريتها من قصر قامة ريتال :

_ومستغربة إن مالكيش أصحاب بلسانك ده ؟!

_دكتور مروان !

كانت هذه ريتال التي تقدمت نحوهما من الداخل لتهتف به بترحاب بدا شديد المبالغة تلاحقها نظرات داليا المغتاظة والتي كتفت ساعديها وهي تلاحظ نظرات ريتال التي لا تفهمها إلا أنثى مثلها ...





لهذا ما كادت تسمعها تحاول الانخراط معه في الحديث حتى صفقت بكفيها فجأة لتهتف بصوت عالٍ:

_نجمع سوا كده يا شباب ..نشوف دكتور مروان جايب لنا إيه بمناسبة حفلة الأيتام.

حدجها مروان بنظرة عاتبة وهو يرى تجمع الحضور حوله ...

ورغم أن العنصر النسائي كان الغالب عليهم لكن وجود بعض زملائه أشعره بالغيرة ...

لهذا استغل انشغالهم بتوزيع هداياه ليميل عليها بخفة هامساً بخشونة :

_مش في صالة بيتكم انتِ عشان تسقفي وتهيصي كده .

_ولا في كازينو غراميات عشان أسيب الهانم ترسم .





تمتمت بها بتذمر خافت لم يصله منه إلا ضبابات ليعقد حاجبيه بدهشة متسائلاً لكنها عقدت حاجبيها لتبتعد عن الجمع....

قبل أن تتوجه نحو الغرفة من جديد كي تجمع حاجياتها في حقيبتها ...

ولم تكد تنتهي حتى توجهت نحو باب الخروج دون أن تنظر خلفها ...

هذا الشعور الخانق يعاود تملكها ولا تملك القوة في مقاومته ...

منذ قليل فقط كان ضيقها لأجل اختفاء عاشقها المجهول ..

والآن تضيف إليها إحساساً آخر لا تدري كنهه ...لكنه مزعج حقاً!

_اتقمصتي زي العيال ومشيتي؟!





كانت قد وصلت لآخر الدرج حيث مدخل البناية عندما سمعت صوته خلفها فالتفتت نحوه بدهشة غلبها الرضا عن سعيه خلفها ...

لكنها عدلت وضع حمالة حقيبتها على كتفها لتشيح بوجهها قائلة :

_هتقمص ليه ؟! ماهو ده الطبيعي منك ! دايما شايفني فلتانة وناقصة تربية !

_ماقصدتش اللي فهمتيه...كل الحكاية إني مش حابب حد ياخد عنك انطباع مش حلو ...وعموماً أنا آسف.

كان يتعجب الرقة التي يتحدث بها قبلها !!

ماذا جرى لتحفظه المعهود وبالذات معها هي؟!!

ربما هي رؤيتها تبكي منذ قليل ...

وربما شعوره الخفي أنها لم تتهور لتنادي الناس هكذا إلا لغيرة فطرية يعرفها فيها ...





وربما هو إحساسه الطاغي بأثر رؤية "المشبك" المعلق في ياقة قميصها العريضة حتى ليكاد يلامس قلبها !!!

يالله!!

شيئ منه يلامس شيئاً منها !!

إذا كانت مجرد رؤيته هذه تقصف قلبه هذا القصف المهلك ...

ماذا إذن لو ....؟!!!

ابتسامتها الساحرة تقاطع جموح أفكاره ...

وخجلها الرقيق يناقض مرح عبارتها:

_تقبّلته ! بس ما تعملهاش تاني .

لكنه اقترب منها خطوة ليقول لها بجدية تامة وعيناه تحتكران نظراتها التي تعلقت به كطفل يستكشف ما يجهله :

_أنا مش شايفك وحشة أبداً...شيلي الفكرة دي من دماغك...أنا عارف إنك أحسن بنت في الدنيا.





لم يدرِ كيف انطلق لسانه هكذا في البوح وكأنما تعاطى حبوب الشجاعة فجأة !!

لكن السعادة الطفولية التي ارتسمت في ملامحها جعلته يشكر لنفسه هذه الخطوة ...

خاصة عندما اتسعت ابتسامتها لتشكره بتلعثم قبل أن تشبك كفيها لتسأله مطرقة الرأس:

_ده يشجعني أطلب منك حاجة...

همهمة متسائلة منه كانت الرد فتنحنحت لتردف بخجل:

_سمعت إن دكتور ياسر تعبان وبصراحة عايزة أطمن عليه ...بس ...

_تحبي آجي معاكي؟!

سألها بحنانه الذي ماعاد يتكلف إخفاءه لتهز رأسها موافقة فعاد يقول برضا:

_ماشي ...بس استأذني يامن الأول.





لوحت له بإبهامها في إشارة للاستحسان قبل أن تلوح له بكفها لتنصرف عنه بخطوات سريعة...

شيئ ما بقلبها قد تغير!

شيئ تحسه ولا تستطيع وصفه !

"الأصلع القبيح" لم يعد بعينيها قبيحاً !!

ربما لأنها لمست جمال روحه ...

وربما لأنه أشعرها أنه هو من لمس جمال روحها !!

لكن ...هل في القلب متسع؟!

ألم يمتلئ على آخره بحب عاشقها المجهول؟!

هل ستعود لضلالها القديم؟!!

تباً لهذه الحيرة ...

أما لها من آخر؟!

============

_انتِ اتجننتي؟! قضية طلاق إيه اللي عايزة ترفعيها؟!!





هتف بها وجدي بمزيج من غضب وقلق أمام هذه التي بدت ملامحها شديدة التحفز مع هتافها الهستيري:

_هو اللي اتجنن لو فاكر إنه ممكن يلوي دراعي ببنتي !! لو فاكر إنه حر يمشيني بكلمة ويرجعني بكلمة !! لو فاكر إن أي حاجة في الدنيا دي ممكن تكسر واحدة زيي!!

كانت تلوح بذراعيها بعصبية جلبت بعض الدماء للبشرة الشاحبة فتأملها للحظات مشفقاً قبل أن يقترب منها كي يحتضنها ...

لكنه ما كاد يطوق جسدها بذراعيه حتى ابتعدت للوراء هاتفة بنفس النبرة :

_أنا كويسة ...مش محتاجة حد يحضنني ويطبطب عليا ...عمري ما احتجت ولا هحتاج حد ...وهافضل كده طول عمري.





القلق عاد يغلب الغضب في صدره وهو يشعر بقرب انهيارها لهذا هز رأسه مهدئاً قبل أن يقول لها بنبرة رفيقة :

_مهما بلغت قوتنا احنا بشر يا بنتي ...بنحتاج نضعف ...نبكي.. نفضفض نرمي حمولنا على حد عشان نرتاح ...ده مش عيب.

لكنها أشاحت بوجهها بعدم اقتناع ليتنهد هو مردفاً بنفس النبرة :

_خللينا نبص للجانب الإيجابي ...يامن مكنش هيرجعك إلا لو كان عرف غلطته وعايز يصلحها ...

_ما بتتصلحش ...فيه حاجات ما بتتصلحش!!

صرخت بها بانفعال فضح الجحيم الذي تحترق به روحها قبل أن تغطي وجهها بكفيها لتردف بصوت متقطع :

_انت فاكرني مبسوطة وأنا لاقية نفسي بحط بنتي في نفس النار اللي اتحطيت فيها ؟! فاكرني راضية وأنا عارفة هي هتطلع ناقصها إيه ؟! فاكر إنه سهل





عليا أعيش نفس الحرمان مرتين مرة بقلبي ومرة بقلبها هي؟!

بسط كفه على صدره مستشعراً هذه النكزة في قلبه وحديثها يعيد إذكاء الذنب القديم ...

بينما رفعت هي كفيها عن وجهها لتردف بنبرة أقسى:

_بس أعمل إيه ؟! قلبي أسود ما بينساش ... مش هسامحه ولا هسامح أي حد جرحني...ودي مش قسوة ...دي الحاجة الوحيدة اللي مخلياني لسه واقفة على رجلي ...إني ما بتلدعش من نفس الجحر مرتين .

أغمض عينيه بألم من هيئتها التي كانت تثير رثاءه ...

الحمقاء تظن نفسها بهذا قوية ولا تدري أنها تفقد آخر روائح عطرها الذي طالما فاح شذاه !!





_خايف عليكِ تندمي ...أنا مش هاعيش لك العمر كله ...خايف لو وقعتِ المرة الجاية مابقاش جنبك !

_وانت امتى كنت جنبي؟!

هتفت بها بسرعة فضحت حقيقة شعورها لتطلق بعدها زفرة ساخطة صاحبت قولها وهي تعطيه ظهرها :

_معلش يا بابا سيبني دلوقت ...محتاجة أبقى لوحدي .

رمق ظهرها المقابل له بنظرة طويلة آسفة قبل أن يتركها ليغادر الغرفة يائساً من استجابة رأسها العنيد ...

وما كاد يفعل حتى هربت من شفتيها آهة خافتة وهي تحتضن جسدها بذراعيها قبل أن تمسد بطنها





بأناملها ببعض العنف التملكي وكأنها تعلن أحقيتها هي بها ...

_هتلوميني؟! هتزعلي مني لما تكبري؟! يمكن آه ويمكن لأ! يمكن لما أحكيلك تفهمي ...تفهمي معنى إنك تحبي لحد آخر نفس ...تدي لغاية ما خلاص مايبقاش في إيدك حاجة ممكن تديها ...ووقت ما تحتاجيه جنبك تلاقيه أول واحد يديكي ظهره...معذور؟! أي راجل غيره ممكن يبقى معذور ...لكن هو ؟! هو اللي شاف وحس أد إيه كنت ...كنت إيه ؟! بحبه ؟! ده ماكانش حب يا يمنى ...ده كان جزء مني بيكبر جوايا يوم بيوم ...إحساس يشبه إحساسي بيكي انتِ...انتِ بنتي وهو كان ...كان ...كان ابن قلبي ...كان ...كان...وما ينفعش أقول غير إنه كان!

الدموع العنيدة تعاود تكاثفها الصامت في عينيها دون سقوط فتنطلق منها شهقة خافتة وكأنما





روعها هذا الضعف الذي يستبيح حرمة كبريائها ...

ربما لهذا أخذت عدة أنفاس متتابعة قبل أن تأخذ قرارها لتتوجه نحو حاسوبها المحمول كي تنفذ ما عزمت عليه ...

وفي غرفتها القديمة في بيته كان يامن متمدداً على الفراش الذي كان يوماً لها يراقب السقف حيث ندبةً تركتها "تميمتها" التي كانت تدعوها "مساكة الأحلام"!

هو نزعها ليلتها وكم يتمنى الآن لو تكون حقيقية !

لو تدفع عن ذهنه هواجسه وتجلب له فقط أحلامه الوردية بها !!

ابتسامة صغيرة تكبر رويداً رويداً على شفتيه وهو يستعيد صورتها ببطنها البارز ...




واندفاعها العفوي نحوه أول ما رأته في تأكيد لما كانت دوماً تزعمه أنها ...تنتمي إليه !

أنةٌ خافتة تتأرجح بعذاب على شفتيه وهو يستعيد مذاق عناقها ...

قبلاتها ...همساتها الحارة بعشق "تزعم" لم تعرفه إلا معه ...

ولم يعرفه إلا معها !!

نظرة ممتنة لخاتمها ذي الفص الأسود في إصبعه...

تراها لاحظت أنه لم يخلعه كما وعدها أم أنها في غمرة جرحها لم تعد تذكر له سوى خطاياه ؟!

وعند الخاطر الأخير هب من مكانه ليغادر غرفتها نحو غرفته هو العلوية ليفتحها بلهفة...

عيناه تتمهلان على آخر ما تركته له من أشياء فوقها ...





لكنه ينتزع نفسه من فورة شعوره بالحسرة ليتوجه نحو خزانة ملابسه حيث ذاك الصندوق الذي يحتفظ فيه بمقتنياته...

هناك حيث دبلة تركتها له منذ سنوات عندما أخرجته من ذاك الملهى الليلي الذي كان يحاول فيه دفن خيبته الأولى مع بسنت ...

دبلة ضيقة تناسب مقاسها هي ولم تكن تناسبه ...

لكنه يقسم أنه سيرتديها فذاك النقش القديم المميز عليها يشعره بأمان غريب ...

يخبره أن جذوة بقيت مشتعلة تحت التراب طوال هذه السنوات لن تطفئها خطيئة...أي خطيئة !!

لهذا ارتداها في خنصره الذي ناسب مقاسها ببعض الصعوبة لتكون جوار خاتمها الآخر ...

قيداً بعد قيد ...

وعهداً بعد عهد !!





ولم يكد يفعلها حتى غادر الغرفة بخطوات متمهلة ليهبط الدرج من جديد في طريقه نحو المطبخ الذي -للعجب- لايزال يحمل رائحتها ...

لكنه لم يكد يصل حتى سمع صوت حاسوبه المحمول على المنضدة هناك يعلن عن وصول رسالة ...

_هارفع قضية طلاق.

ظل واقفاً مكانه متسمراً للحظات يعيد قراءة رسالتها وهو لايصدق أنها منها !

هل فكت الحظر عنه لترسل له مثل هذا الهراء؟!!

ورغم أن ياقوت حذرته من التواصل معها في هذه الفترة لكنه لم يستطع منع نفسه من الرد عندما جلس على الأريكة ليكتب لها بسرعة :

_هتخسريها.

_هاكسبها!





الرد وصله سريعاً كذلك فاضحاً لانفعالها هي الأخرى ...

فعقد حاجبيه بقوة ليعاود الكتابة :

_حتى لو كسبتيها مش هاسيبك !

_بكرهك!

كلمتها اليتيمة بحروفها القليلة كانت كقذيفة وجهتها نحو صدره لتنفجر معها كل ألغام كبريائه الأسود ...

ربما لهذا لم يفكر وأنامله تندفع للرد بنفس السرعة :

_وأنا عمري ما قلتلك إني بحبك.

السكون الطويل الذي عقب قراءتها لرسالته جعلته يعي خطورة المعنى الذي وصلها !!!

تباً!!!

عنادها هذا يستخرج أسوأ ما فيه !!!

لماذا لا ترد ؟!!





لماذا لا تكيل له جرحاً بجرح ؟!!

أي شيئ أهون عليه من هذا الجحيم الذي يكوي ضلوعه الآن وهو يتخيل وقع رده السخيف هذا عليها !!!

خبط بقبضته على سطح المائدة أمامه بعنف كسر زجاجها لكنه لم يكترث وهو يعاود الكتابة بأنامل مرتجفة :

_ما بترديش ليه ؟!!

لم يدرِ كم مرة كتبها...

وفي كل مرة كان جنون خفقاته يزداد صخباً حتى وجد نفسه يكتب أخيراً وهو يهتف بها بصوت مسموع :

_افتحي الكاميرا ..دلوقت ...حالاً!





ورغم أنـهم يزعمون أن المحادثات الكتابية تقتل حرارة المشاعر لكن عبارته وصلتها كصرخة !!!

صرخة لم تقل ضراوتـها عن نحيب قلبها الذي أدمته عبارته !!

لكنها استجمعت كل ذرة قوة تملكها لتفتح "الكاميرا"..

"العسل العكِر" في حدقتيها يترفعِ عن الاعتراف بدمعِ حاوطه من جميعِ الجهات ...

_مستنّي تشوف إيه ؟! تشوفني بعيط مثلاً؟! منـهارة ؟! مستغربة ؟! ليه ؟! إيه الجديد؟! انت فعلاً عمرك ما قلت لي إنك بتحبني !

صوتها الذي وصله مع صورتها كان أشد وطأة عليه من كل ما كان بينـهما !

بارداً قاسياً لائماً...ومتوعداً !!

خالياً من أي نغم للحنهما القديم ...





تماماً كرقبتها وأناملها التي تخلصت من أي ذكرى تركها لها !!

لا عقد ...لا خاتم...وربما الآن...لا حب!!

"امرأة الألوان" خلعت عنها "أطياف" عشقه...

"ساحرة الفوضى" استسلمت ل"روتين" الهجر الكلاسيكي المنظّم...

"عروس البحر" تنازلت عن ذيلها الطويل لتسير بقدمين عاديتين على شاطئ صخري أدماهما بلا رحمة !

فماذا بقي إذن من "الياسمين" إلا أنينٌ ينعي ذبوله ؟!!

لماذا لا يجرؤ على البوح باعتذار ؟!

بندم ؟!

لماذا لايزال عالقاً بين خيوط هواجس تصرخ فيه أن امرأة بهذه القسوة لم تعشق يوماً ؟!!

لماذا لا يزال يخذلها ويخذل نفسه قبلها ؟!!




_بس تعرف ؟! أحسن حاجة عملتها إنك رديتني فعلاً...عشان لما أطلب الطلاق الناس كلها تعرف إني أنا ...أنا ...أنا اللي مش عايزاك .

عبارتها شديدة القسوة كانت لتؤازر وساوسه لولا ...

لولا ارتجاف نبرتها في كل "أنا" كانت ترددها ...

هذا الارتجاف الذي زلزل قلبه وهو يتلمس الشاشة بأنامله بلهفة مجنونة كأنما يود الآن لو يعتقلها بين ذراعيه ...

لو يذيب هذا الجليد حولها ليصهرها عشقاً وشوقاً !!

_من امتى بيهمك الناس؟! ياسمين اللي أعرفها كانت دايماً تقوللي إني أنا كل الناس!

النبرة الغريبة التي نطق بها عبارته بين استنكار ...توجع...تحسر...ندم...وعتاب ...

الاستكانة التي استسلم لها جسده بعد طول ارتجاف...

الاشتياق الذي ذبح الغضب على أعتاب نظراته ...

كل هذا لم يشفع أمام جمود عبارتها ...

_ومين قاللك إنك عرفت ياسمين؟! لو عرفتها ماكنتش خسرتها!

الشاشة تظلم في وجهه بعد عبارتها تماماً كما الدنيا كلها في عينيه الآن !!

لقد صدقت ياقوت عندما حذرته من خطورة تواصلهما الآن ...

لكنه لن يستسلم !!!

سينقذ نفسه وينقذها من هذه العتمة التي تبتلعهما معاً !!!




لكن كيف؟!

هو يشعر أنه لايزال مكبلٌ بأفكاره !!

أطلق صرخة عالية وهو يشعر بالوحشة تزيد من ضراوة هواجسه ...

تراها تخونه كما زعمت ؟!

تراها تهجره كما توعدت ؟!

تراها تحرمه الحب الذي ما عرفه إلا لها وبها ؟!!

ياسمين القديمة لا تفعلها لكن هذه التي صارتها قد ....!!

يالله !!

سيجن لو بقي هكذا وحده يصارع وساوسه !!

لهذا لم يشعر بنفسه وهو يتناول هاتفه ليتصل برقم ما ...!!!

======





_ليه كلمتني أنا وماقلتلش لياقوت ؟!

هتف بها مروان وهو يقف جواره مستنديْن على مقدمة سيارته في مكانه المنعزل المفضل بعدما سمع منه تفاصيل مكالمته مع ياسمين ...

ليجيبه يامن باستنكار فظ :

_ياقوت؟! ده أنا كل ما افتكر مقلبك ده أبقى عايز أقعد أضرب فيك لحد ما يبان لك أصحاب!

كتم مروان ضحكته وهو يحك رأسه الأصلع بأنامله ليهتف مدافعاً:

_ما تنكرش إنها شاطرة.

_دي بلوة !

هتف بها يامن بنفس الانفعال الساخط الذي لم يخفِ إعجابه بمهارتها ليبتسم مروان بمكر قائلاً:

_بلوة شاطرة !

زفر يامن زفرة قصيرة قبل أن يومئ برأسه موافقاً ليغمغم بنبرة يائسة :





_هي حذرتني إني أتواصل معاها دلوقت بس أنا ماقدرتش ...والنتيجة اننا احنا الاتنين جرحنا بعض .

هز مروان رأسه بتفهم ليقول مواسياً:

_ما تحملش نفسك فوق طاقتها ...انت معذور وياسمين كمان معذورة ...أنا عارفها من زمان ...عارف أد إيه معتدة بنفسها وبنجاحها ...اللي حصل مش مجرد أزمة هتعتبرها كام يوم ويعدوا...اللي حصل بالنسبة لها قلب لها دنيتها على بعضها ...مش مستغرب تصرفاتها المتطرفة بس اللي أنا متأكد منه إن كل ده من ورا قلبها ...

ثم تنهد بحرارة وهو يذكر نفسه في موقف مشابه ليردف :

_اللي بيحب ما بيكرهش يا يامن ...خصوصاً لو حب عمره سنين زي ده .





لكن يامن خبط على صدغيه براحتيه ليهتف بوجع :

_انت فاكرني زعلان منها بس؟! فاكرني متأثر من كلمتين خايبين بتقولهم ؟! أنا زعلان أكتر لأني حاسس إني بقيت معاها زي أول مرة شفتها ...مفلس ...إيدي فاضية ...نفسي أجري عليها وأصالحها لحد ما تفهم إني مابقيتش قادر أعيش من غيرها ...بس . ...

قطع عبارته التي انتهت بحشرجة صوته ليسأله مروان بنفس النبرة المشفقة :

_بس إيه ؟!

هنا تحرك يامن عدة خطوات مبتعداً نحو حافة المرتفع الذي يقفون عليه ليتطلع للفضاء حوله قائلاً بعجز:

_لو رجعت لها دلوقت هاظلمها تاني...لسه جوايا صوت بيقوللي إنها مش بريئة...هافضل شاكك في




كل كلمة وكل نظرة ...هافضل حارمها وحارم نفسي من راحة البال ...

ثم التفت نحو مروان ليردف بقسوة لم يتعمدها :

_انت عارف حسيت بإيه لما دخلت فجأة لقيتها قاعدة مع ال(....)ده ؟!!

_بصراحة أنا عاذرك ...مش عارف لو أنا شخصياً مكانك كان ممكن أحس بإيه..لكن أرجع وأقول إنت أكتر واحد عرف ياسمين...انت الوحيد اللي ممكن تحكم عليها ... طول مانت لسه بتلف في الدايرة دي مش هتخرج منها أبداً ...عشان كده أنا معاك...أفضل حل لكم دلوقت إنكم تبعدوا ...لحد ما تتخلص تماماً من شكوكك دي.

قالها مروان ناصحاً قبل أن يتحرك نحو صديقه ليضع ذراعه على كتفه مردفاً برفق:

_انت فعلاً بتتحسن...والدليل إنك بقيت عارف فين العلّة وحاطط إيدك عليها ...يامن القديم اللي أعرفه ماكانش هيرجعها لذمته بعد اللي شافه ...لكن اللي





قدامي دلوقت واحد تاني ...بيعافر عشان يهزم وساوسه وشكوكه...وأنا واثق إنك هتقدر .

تنهد يامن مطرقاً برأسه للحظات قبل أن يلتفت نحوه بجانب وجهه ليقول بعتاب مصطنع:

_كله منك يا وش الخير ! مش انت اللي وديتني آكل "سينابون"؟!

قهقه مروان ضاحكاً وهو يتذكر ما يحكي عنه من ذكريات لقائه الأول بياسمين في مطعمها ...

ليلكزه في كتفه هاتفاً :

_طب بذمتك مش عجبك ؟! واللا هتاكل وتنكر؟!

رد له يامن لكمته ببعض العنف فعاد مروان يضحك قبل أن يتراجع بظهره فارداً كفيه أمام وجهه مع قوله :

_خلاص ...أنا لو منك أنتقم مني بنفس الطريقة ...





هنا رمقه يامن بنظرة عميقة طويلة سبقت قوله الجاد تماماً هذه المرة :

_قصدك أوديك تاكل سينابون واللا .....أجوزك داليا ؟!

اتسعت عينا مروان قليلاً فلم يكن يقصد أن يشير لموضوع داليا مع يامن من قريب أو بعيد خاصة أن الأخير يتجنب الكلام عنه بدوره ...

لهذا حاول البحث عن كلمات مناسبة لا تثير حفيظة هذا "المشتعل" أمامه ...

لكن يامن عاد يسأله دون مواربة :

_فيه حاجة غريبة بتحصل مع داليا ! شغلها معاك في الجمعية...مذاكرتها اتعدلت...لبسها اتظبط...سيرتك اللي بتيجي معايا عمال على بطال ...وآخرها بتستأذنني عشان تروح معاك تزور عمك !





هنا تنحنح مروان بارتباك قبل أن يحسم أمره بقوله :

_أنا هاقوللك على كل حاجة...وأوعدك تكون دي آخر حاجة أخبيها عنك .

عقد يامن حاجبيه بترقب وهو يستمع منه لتفاصيل عاطفته نحو داليا منذ الصغر ...

مراسلته الاليكترونية لها تحت اسم مستعار ...

وأخيراً تخليه عن هذا الدور كي يحاول إيجاد مكان له بقلبها !

كان يامن يستمع له بذهول لا يكاد يصدق أنه كان يخفي عنه كل هذا !!

لهذا ما كاد ينتهي مروان من اعترافه حتى أشاح بوجهه عنه ليهتف الأول بانفعال:

_أنا عارف إني غلطت إني خبيت عنك...بس...آه...!!!





لكمة يامن المفاجئة لأنفه أخرست بقية عبارته ليهتف الأول بحنق:

_دي عشان اتجرأت على حرمة أهل بيتي!

أمسك مروان أنفه يكتم ألمه بكفه للحظات صمت طالت بينما يامن يعاود الإشاحة بوجهه الغاضب...

قبل أن يجذبه يامن فجأة من ذراعه ليعانقه بقوله :

_وده عشان حافظت عليها .

ابتسم مروان رغم ألمه وهو يبادله عناقه قبل أن يبتعد يامن عنه بوجهه ليمسد جبينه بأنامله قائلاً بنبرة متعَبة :

_أنا مابقيتش عارف الصح م الغلط..بس اللي أنا متأكد منه إن داليا اتغيرت للأحسن...خللي بالك منها يا مروان .

أومأ مروان برأسه إيجاباً فيما يشبه الوعد ليعاود القول بحذر:




_عرض الخطوبة لسه قائم بس مستني ...

رمقه يامن بنظرة متسائلة عما قطع به عبارته فابتعد مروان مسافة آمنة ليحمي أنفه بكفه مردفاً بارتباك :

_مستني إنها ...إنها ...انت فاهم ...

ابتسم يامن ابتسامة واهنة لأول مرة منذ بدأ هذا اللقاء ليلوح له بكفه في إشارة بلا معنى ...

فابتسم مروان بدوره وهو يندفع نحوه ليعانقه من جديد هاتفاً:

_حبيبي يا "أبو اليُمن"..نضرب سينابون بالمناسبة الحلوة دي بقا!

واللكمة التالية التي نالها كان يستحقها حقاً هذه المرة !

=========

_ليه ؟! ماله سيف؟!





هتف بها علاء بقلق عبر الهاتف وهو يجلس في "البازار" خاصته لتلتفت نحوه غادة باهتمام ...

فأصدر همهمة خافتة قبل أن يقول لإيناس-محدثته- بنفس النبرة التي تمزج القلق بالحنان:

_مش هاوصيكي عليه ...وهابعتلك غادة تساعدك.

قالها ثم أغلق الاتصال ليلتفت نحو غادة التي بدا التوتر على ملامحها قائلاً :

_سيف تعبان قوي...إيناس كانت بتكلمه لقيته ضايع خالص ...الولد ده منظر ع الفاضي ...مناعته زي الزفت .

كتمت غادة ضحكتها رغماً عنها فهتف بها بنبرة عادت إليها مشاكستها:

_بتضحكي على إيه يا بنت؟!

_أصل اللي يسمع حضرتك وانت بتقول عليه "الولد" و"مناعته" مايجيش في باله سيف خالص!




قالتها ملوحة بذراعيها في إشارة لضخامة جسد سيف فضحك علاء قليلاً قبل أن يهز كتفيه بقوله :

_قولي كده لإيناس اللي سايبة اللي وراها واللي قدامها عشان تروح تقعد بيه .

_مممممم...أفهم من كده إن حضرتك معترض؟!

قالتها وهي تميل رأسها بسؤال تعرف إجابته التي أتتها معبقة بالشجن :

_سيف وإسلام هم اللي باقيين لنا من روح هاني الله يرحمه ...لو نطول مانفارقهمش لحظة هنعملها .

ابتسمت احتراماً لمشاعره التي قلما تعبر عن نفسها وسط مزاحه ومشاكساته والتي عادت تنال منها :

_قومي بقا روحي لإيناس على هناك...وأنا هاقفل وأحصلكم.

ظهر التردد على ملامحها والارتباك الذي يجتاحها في وجود سيف يحضرها من جديد ...





رجل مريض وإيناس تريد الاعتناء به ...ما دورها هي ؟!

وما أهمية وجودها ؟!

إقحامها هكذا في حياته لا مبرر له !!

ويبدو أن علاء قرأ أفكارها الصامتة هذه على محياها فقد ابتسم ليقول بتفهم :

_انتِ طبعاً مش مجبرة تروحي ...بس أنا عشان فاهم سيف كويس عارف قيمة إنه يشوفك هناك مع إيناس ...ده هيخلليه يتأكد إنك سامحتيه على سوءالتفاهم الأولاني ...سيف من يوم اللي حصل له وهو حساس قوي ناحية شعوره بالذنب .

أومأت برأسها في تفهم خالط شعوراً بالارتباك لازمها طوال طريقها نحو بيته ...

"فتاة المكعبات"...

"الأرنب المذعور"...





"الأنثى الخطيئة"...

كل هذه الأدوار التي أجبروها على آدائها والتي لفظتها جميعاً لتعيش الآن الدور الذي كتبته لنفسها ...

"المرأة القوية" التي لن تسمح لأحد بهز عرش كرامتها !

هذا الدور الذي يجعلها الآن رغماً عنها تشعر ب- عاطفة ما- نحو سيف ...

لا ...ليست عاطفة امرأة نحو رجل ...

أبداً أبداً ليست كجموح إحساسها نحو أحمد ...

لكنها عاطفة أقرب للأمومة !

رؤيته تستفز بداخلها حناناً قوياً داعماً لم تدرك يوماً أنه موجود !!

كم تود لو تخرجه من دوامة ظلامه هذه التي تبتلع روحه وعمره ...

من يقول إنه من العدل أن يدفع المرء أيامه قرباناً لذنب قديم ؟!!





لهذا عندما وقفت أخيراً أمام باب بيته وقبل أن تطرقه كانت قد اتخذت قرارها أنها ستساعده ...

لو فعلتها فستكون شارة مجد أخرى تضيفها لسجل قوتها المستحدث !

_غادة ...تعالي شوفي المسكين...حرارته أربعين وشرطتين !

هتفت بها إيناس بجزع وهي تفتح لها الباب فتحركت غادة نحو غرفته لتجده ممدداً على فراشه يحرك رأسه المحموم يميناً ويساراً بهذيان لا يحمل سوى اسم واحد ...

"انجي"!

==========

فتح عينيه بعد نوم يوم كامل لا يدري كيف قضاه ...





ولا يذكر منه سوى ضبابات حملت له طيف الراحلة المشبع بذنبه ...

تتخللها صور متفرقة لإيناس وعلاء وإسلام و....غادة !

غادة ؟!

هل هي هنا حقاً؟!!

_حمداً الله ع السلامة يا حبيبي!

هتفت بها إيناس الجالسة جوار فراشه بحنانها المعهود ليلتفت نحوها بابتسامة ممتنة تليق بقوله :

_الله يسلمك يا "أنّا"...انتِ بايتة هنا من امبارح ؟!

سؤاله لم يكن بغرض الاستفهام فقد كان يدرك أنها لم تكن لتتركه في موقف كهذا ...

_امال يعني هاسيبك ؟! الدكتور كان قلقان وكنا هنموت م الخوف عليك بس الحمدلله الحرارة نزلت .

_كمان دكتور؟! أنا مش فاكر أي حاجة غير مكالمتي ليكي وبعدين قلت هاتغطى وأنام ...بعدها حسيت برعشة ومش فاكر أي حاجة بعدها .

قالها بنبرة مرهقة لتربت على كتفه قائلة بعتاب أمومي خالص:

_عشان تبطل تلبس خفيف وتستعرض عضلاتك !

ضحك ضحكة مختنقة سبقت سعاله القوي الذي جعلها تردف بحنان :

_ألف سلامة يا قلب "أنّا".

ابتسم وهو يرمقها بنظرة امتنان طويلة عجز معها عن الشكر بلسانه وهو يدرك عظيم كرم القدر فيمنحه امرأة كهذه تعوضه غياب أمه بالغربة...

كرم لا يستحقه رجل بماضيه !

تجهم وجهه عند الخاطر الأخير ليغمض عينيه مستسلماً لإرهاق جسده لكنه انتفض مكانه عندما سمع الصوت الأنثوي المغناج بطبيعته عند الباب :

_صباح الخير.





قام من رقدته بسرعة محاولاً الاستناد على كفيه لتهرع نحوه إيناس فترفع فوقه الغطاء هاتفة بحنق:

_بتقوم ليه ؟! ارجع نام.

لكن رؤيته لغادة جعلت الحمرة -المعتادة- تزحف لأنفه وأذنيه رغماً عنه وهو يعتدل في جلسته ليتمتم بكلام غير مفهوم ...

الحمرة التي جعلت غادة تبتسم ولاتزال تتعجبها فيه!!

رجل تحمر أذناه خجلاً لهو جدير بالاعتناء به في محمية طبيعية هذه الأيام !

لهذا تقدمت نحوهما لتسأله باهتمام :

_أحسن النهارده ؟!

_الحمد لله.




إجابته المقتضبة وصلتها عبر إطراقة رأسه وهو يغض الطرف عنها لتتسع ابتسامتها وهي تلتفت نحو إيناس قائلة بمرح:

_نوقف بقا حالة الطوارئ المعلنة من امبارح .

_مش قبل ما يقوم وأشوفه قدامي بيمشي على رجليه .

قالتها إيناس بلهفتها الحنون فالتفت نحوها سيف بدوره قائلاً بحرج:

_أنا آسف ع القلق اللي عملته لكم...بس خلاص صدقيني بقيت كويس .

_طفيتِ ع الشوربة ؟!

هتفت بها إيناس باهتمام مخاطبة غادة التي أومأت برأسها إيجاباً لتخاطب سيف بقولها:

_تحب أجيبلك الأكل دلوقت؟!

لم يستطع رفع عينيه نحوها بهذا الفيض المرتبك من المشاعر الذي يجتاحه كلما يراها ...





والذي تزداد قوته الآن وهو يراها في بيته..في غرفته..تحضر طعامه !

ماذا ينقص إذن ؟! أن تطعمه بيديها؟!!

الخاطر الأخير أورثه غضباً لم يفهمه !!!

غضباً منها ...أم من نفسه ؟!!

لا يعرف!!

تباً لهذا الصداع العنيف الذي يكاد يفلق رأسه !!

حاجباه ينعقدان بمزيج من ضيق وألم فلا يمنحها إجابة ولو حتى بنظرة لكن إيناس هي من تولت المهمة :

_احنا لسه هنسأله ؟! هاتي الأكل أنا هأكله غصب عنه.

رمقته غادة بنظرة مختلسة قبل أن تغادر لتحضر له صينية الطعام التي أتت بها سريعاً لتتلقفها منها





إيناس قبل أن تجلس على طرف الفراش لتشرع في تقطيع الدجاجة له :

_هتقوللي ماليش نفس هاقوللك مش بمزاجك....الفرخة هتخلص يعني هتخلص .

_مش قادر يا "أنّا"...كفاية الشوربة.

قالها باعتراض شابه الكثير من الحنق وهو يراها تعامله كطفل أمام غادة لكن إيناس هتفت بسرعة دون وعي:

_وبعدين يا "هاني"؟! دايماً كده ...

قطعت عبارتها بسرعة عندما انتبهت لخطأ لسانها بالاسم لتدمع عيناها رغماً عنها مع ابتسامتها المرتجفة وتمتمة شفاهها:

_الله يرحمه.

هنا غلب وجهه التأثر مستشعراً في أي مكانة تضعه...





لتغلب عاطفته عناده وهو يتناول منها الطعام ليقول برفق:

_خلاص عشان خاطرك هاخلصه كله ...بس اضحكي.

اغتصبت إيناس ضحكة متكلفة جعلت غادة ترمقهما بنظرة حنون طويلة وهي الأخرى تدرك عظم تصاريف القدر عندما يضع "العِوض" المناسب في "المكان الخالي" بمنتهى الكمال!

_خلص أكلك وأنا هاروح أعمللك عصير البرتقال بالجزر اللي بتحبه .

هتفت بها إيناس وهي تقوم من مكانها لتمسح طرف عينها بما فضح سبب رغبتها الحقيقية في تركهما الآن ...

هذا الذي احترمته غادة وهي تتعمد ترك مساحة الحزن الخاصة لها ...





فظلت واقفة مكانها مطرقة برأسها تكتف ساعديها ولا تجد ما تقوله ...

_اتفضلي ...اقعدي.

قالها بنبرته الخشنة بعدما تنحنح بارتباك لكنها قالت بهدوء:

_لا ...هاسيبك تاكل براحتك ...عن إذنك.

قالتها وهي تهم بالمغادرة لكنه استوقفها بقوله :

_ماتقوليش حاجة لهانيا .

التفتت نحوه بنظرة متسائلة ليطرق برأسه مردفاً:

_ماما بتقلق من أقل حاجة ...مش هتصدق إنه دور برد .

_انت ليه متخيل إني بروح أحكي كل حاجة لهانيا؟!

سألته بابتسامة لطيفة وقد بدا له في ارتباكه وخجله كطفل مذنب ...





ليرفعِ عينيه إليها بنظرة وجلة وكأنه يخشى مواجهة نظرتها ...

بل الحقيقة أنه كان حقاً كذلك !

لهذا عاد يشيح بعينيه بسرعة ليقول بنفس النبرة المتحفظة :

_يعني...غالباً الأصحاب بيحكوا كل حاجة لبعض.

_بس دي حدودك الخاصة ...واجبي أحترمها .

عاد يرفعِ إليها عينيه بنظرة حملت الكثير من التقدير هذه المرة قبل أن يقول بنبرة أكثر رفقاً:

_من فضلك اقعدي...ما يصحش نتكلم وأنا قاعد وانتِ واقفة كده .

النظرة المميزة في عينيه جعلتها تتجمد مكانها للحظة وهي تشعر بشعور غريب ..لكنه مُرضٍ!




C i n n a b o n

طول عهدها بنظرات الرجال التي حصرتها في قالب واحد جعلها تدرك قيمة نظرة كهذه التي يمنحها لها ...

نظرة تقدير ... احترام!

وما أعظمها من نظرة لامرأة بتاريخها!!

لهذا جلست على الكرسي البعيد وأناملها تداعب دبلة أحمد في حركة عفوية صارت ملازمة لها في كل موقف تشعر فيه بالارتباك ...

هذا الذي لاحظته عيناه بسهولة ليختلجه شعور غريب ...

توافق؟!

بين مأساة مشتركة جمعتهما!

تقدير؟!

لإخلاصها لذكرى رجل رحل!

غيرة؟!

غريبة حقاً على امرأة مثلها من رجل مثله !





وأخيراً..خوف!

خوف مما يمكن أن يعنيه هذا كله !!

هذا المزيج من المشاعر الذي جعله يهرب من كل هذا ليسألها بأقرب ما وجده في ذهنه :

_أوضتي في مصر لسه زي ما هي ؟!

ورغم بساطة السؤال لكنه جعلها تشعر بحرج كبير مدركةً أنها كانت تنام في غرفته ...بل في سريره !

ومع هذا دعتها قوتها المستحدثة لتقول له ببعض الحزم:

_كمل أكلك وأنا أقوللك.

عاد ليتناول طعامه مطرق الرأس ليصله صوتها :

_آه لسه زي ما هي ...حتى مكتبتك اللي جنب السرير لسه ب"رصة" إيدك...كتب مصطفى محمود وعبد الوهاب مطاوع وأحمد خالد توفيق.





ابتسم للذكرى وهو يقول عبر شروده:

_ياااااه ...من زمان قوي ما مديتش إيدي فيهم.

_أفتكر آخر مرة نزلت فيها مصر كانت يوم فرح رامز ...وقبلها قعدت مدة طويلة ما تنزلش.

عبارتها كانت تحمل سؤالاً خفياً أجابه بمواربة :

_ماعدتش أقدر أسيب اسطنبول...عايز أقضي الباقي من عمري هنا وأموت هنا .

التمعت عيناها بإشفاق مدركة مغزى عبارته لكنها حاولت إخراجه من كآبة الذكرى بقولها المنطلق:

_بس ذوقك في القراية يشبه ذوقي ...أيام الجامعة كانوا مسميين "دودا" من كتر ما كنت دودة قراءة...بصراحة الكتب اللي في مكتبتك ساعدتني في فترة صعبة من حياتي .

فابتسم ابتسامة شاحبة قائلاً:

_سبحان الله من يوم ما جيت هنا بطلت قراءة...وحشتني أفكار مصطفى محمود ...حكمة





عبد الوهاب مطاوع ...وماوراء الطبيعة ورفعت اسماعيل...

_رفعت عصا المكنسة وماجي التي تسير على العشب دون أن تثني منه عوداً واحداً...

كانت تكمل له ذكرياته عن هذه السلسلة الشهيرة ل"العراب" ليضحك ضحكة عالية جعلته يسعل لثوانٍ قبل أن يجاريها في ذكرياتها ...

_والبدلة الكحلية التي تجعله فاتناً !

ضحكت بدورها وهي تقول له باستمتاع من يذكر ماضياً عزيزاً:

_كانت أيام !

كانت فرصته ليتأمل ملامحها المبتسمة بسكينة أضفت المزيد من الفتنة على ملامحها ليشعر برباط خفي يجذبه نحوها أكثر وأكثر ...

هذا الذي كانت هي غافلة عنه تماماً وهي تحاول أخذ دورها في مساعدته :




_ليه ما تاخدش أجازة طويلة وتنزل مصر ؟!
وجودك مع مامتك وعيلتك هيفرق معاك ...ومعاهم هم كمان .

لكنه تنهد بحرارة ليعاود الإطراق برأسه :

_مش قادر أسيب هنا ...

ثم صمت لحظة ليتجرأ ويردف بينما يختلس نظرة نحوها:

_زي ما انتِ مش قادرة تقلعي دبلتك.

اتسعت عيناها قليلاً وهي لا تدري بماذا ترد لتكتنفه نوبة سعال أخرى سبقت سؤاله لها:

_عايزاني أرجع مصر وانتِ جاية هربانة منها ؟!

_الوضع مختلف ...انت هناك عندك بيتك وعيلتك وأهلك...و...

هتفت بها باندفاع لتقطع عبارتها فجأة مدركة ما يمكن أن يوحي به كلامها عن نفسها ...

هذا الذي استوجب سؤاله باهتمام :




_انتِ مالكيش أهل في مصر؟!

الدموع التي ملأت عينيها فجأة مخترقة جدران قوتها المستحدثة جعلته يشعر بالندم على سؤاله ...

خاصة عندما وقفت مكانها تزامناً مع دخول إيناس بكوب العصير هاتفة :

_كلّ ده وما خلصتش أكلك ؟! لا ...ده أنا هأكلك بإيدي بقا!

_عن إذنكم !

قالتها غادة وهي تأخذ طريقها خارج غرفته وسؤاله الأخير يعيد تفجير ألغام ماضيها ...

سحابة سوداء من ذكريات بائسة أمطرت على واديها لتقضي ما بقي لها من وقت في المطبخ محاولةً دفن حزنها في أي شيئ ...

حتى ولو في "غسيل الأطباق"!!





صوت طرق الباب بالخارج يصيبها بمزيد من الضيق وهي تتبين هوية الطارق مع صوت إيناس المرحب ...

"إسلام"!

==========

_عمك علاء اتأخر.

قالتها إيناس وهي تتناول هاتفها لكن سيف عقد حاجبيه بضيق دون رد وهو يتبين غياب إسلام عن الغرفة...

لابد أنه الآن معها في المطبخ يلاحقها بمضايقاته !!

لكن...لماذا يعتبرها مضايقات ؟!

ألا يعلم حقاً برغبته في الارتباط بها ؟!!

ضحكة ساخرة ملأت أعماقه لم تعرف الطريق إلى شفتيه وهو يتذكر أن صديقه الذي لا ينكر ولعه بها





لا يجد غضاضة في إقامة علاقات جسدية مع أخريات بزعم أن هذه نقرة وتلك نقرة أخرى ومبرراً بأنه سيتغير بعد الزواج بها !

الأحمق!

لو أحبها حقاً كما يزعم لما سمح لغيرها أن تلامسه جسداً ولا روحاً !!

لو أحبها لكان سافر لوالدته بنفسه كي يقنعها برغبته الصادقة في الزواج منها !!

لو أحبها لحارب الدنيا بل وحارب نفسه من أجلها !!

لكن ...هل فعلها هو ؟!!

اصمت يا رجل !!

أنت آخر من يتحدث عن الحب ...عن الجرح ...عن الخذلان !!

دماء إنجي وابنتها لا تزال تقطر من يدك !!

الخاطر الأخير جعل الكآبة تزحف على وجهه بينما يحاول استراق السمع لعل صوتاً ما من الخارج يصله ...

لكنه عجز عن هذا فزفر زفرة ضيق غافلاً عن عيني إيناس التي كانت تشعر بحدسها بما يحنقه ...

وفي المطبخ كانت غادة تحاول المماطلة في غسل الأطباق هرباً من لقاء إسلام ...

نظراته الحارة الملهوفة نحوها تثير حفيظتها وتذكرها بصورتها القديمة في مرآة ماضيها ...

صحيحٌ أنها سمعته يتحدث عن رغبته في خطبتها لكنه لم يفعلها إلى الآن بما يفضح عدم جديته...

هل يضايقها هذا حقاً ؟!

أم على العكس يريحها من عبء الرفض؟!!

_كده أنا اطمنت إني لما أتعب هلاقي إيدين حلوة كده تعمللي الأكل.





التفتت بحدة عندما سمعت صوته خلفها لتلتقي عيناهما بحديث متناقض ...

لهفته مقابل ضيقها ...

ابتسامته مقابل تقطيبتها ...

تقدمه البطيئ نحوها مقابل خطوة غريزية تحركتها للخلف ...

لكن الشيئ الذي اتفقا فيه هو ازدياد خفقات القلب المنفعل بما يحدث !!

ولثانية واحدة...

شعرت غادة بالخوف القديم يخنق وعيها ...

بيت المكعبات المتكسر ...

رائحة الفراولة...

لمسات تثير غثيانها ...





لهذا لم تملك أن وضعت كفها على شفتيها وهي تشيح بوجهها ...

قبل أن تأخذ نفساً عميقاً لتستجمع قوتها :

_كويس قوي إننا هنا لوحدنا عشان أتكلم معاك بصراحة.

اتسعت عيناه للحظة من جرأة ظنها لا تملكها ليزداد اقترابه مع ابتسامة أساءت هي فهمها لتردف بنبرة قاطعة :

_كل اللي ممكن يربط بيننا هي العيلة اللي شايفة فيك وفي صاحبك ريحة ابنهم اللي راح ...ده الشيئ الوحيد اللي مانعني إني أرد على نظراتك وتلميحاتك السخيفة ...لكن للصبر حدود ...صدقني المرة الجاية مش هاعمل حساب لأي حاجة ولا أي حد .

وقف مكانه مبهوتاً من كلماتها للحظات قبل أن يقول بأسف :





_انتِ فاهمة غلط ...أنا فعلاً مش قصدي أضايقك ...الحقيقة إني معجب بيكي جداً وعايز...

_أي حاجة عايزها مني مش هاقدر أديهالك ...

قاطعت بها عبارته بنفس الحسم قبل أن تعطيه ظهرها لتجفف يدها في منشفة قريبة مردفة بصوت أرجفه انفعاله :

_حتى لو عرض جواز فأنا برفضه ...أنا لسه بحب أحمد وعمري ما هارضى أتجوز واحد وقلبي مع حد غيره حتى لو كان ميت.

عقد إسلام حاجبيه بضيق ونفسه تسول له محاولة أخرى لعل هذا كله مجرد تدلل نساء ...

_طب خدي فرصة فكري ...انتِ لسه ماتعرفينيش.

_بس عارفة نفسي!

الجواب الصارم الذي ناله منها دون حتى أن تلتفت نحوه جعلته يشيح بوجهه في ضيق لا يعرف ماذا يقول ...




وهناك عند باب المطبخ في جانب خفي كان سيف - الذي اعتذر من إيناس ليأتي بعذرٍ واه - يستمع للحوار ...

ابتسامة باهتة ترسم نفسها على ثغره وهو يتابع ردودها بإعجاب ...

لكن نظرة ضائقة تفرض نفسها هي الأخرى وهو يرى ملامح إسلام العنيدة التي لن تقبل الرفض كجواب ...

وقد صدق ظنه عندما سمع هتاف صديقه :

_انتِ بتقولي كده عشان فاكراني بتسلى ومش واخدها جد لكن الحقيقة والدتي هي سبب إني مأجل مفاتحة عمي علاء في ارتباطنا ...بصراحة هي رافضة لأسباب تخصها ...فأنا كنت بفكر لو نتجوز هنا دلوقت لحد ما الأقي فرصة وأقنعها .




_ عايز تتجوزني في السر كمان من غير موافقة أهلك ؟! انت إزاي تعرض عليا حاجة زي كده ؟!

هتفت بها غادة بحنق وهي تعاود الالتفات نحوه ليهتف بها هو الآخر :

_هو انتِ ليه بتسدي الأبواب كلها في وشي ؟!

_إسلام ! كفاية كده !

كان هذا صوت سيف الذي لايزال متحشرجاً بفعل المرض والذي اضطر للتدخل أخيراً لتنقل غادة بصرها بينهما بنظرات ضائقة قبل أن تخرج من المطبخ بل من البيت كله !!

=========

وقف على باب غرفة همسة يراقبهما بعينين متفحصتين ...

حيث كانت ياقوت جالسة جوارها تقرأ لها كتاباً بصوت مسموع !

ياللمصادفة !




أول ما جمع بينه وبين ياسمين كان القراءة !

طالما جذبته المرأة القارئة التي تستطيل بقدميها فوق ثقافتها لا فوق كعب حذاء!

التي تهتم بتزيين عقلها أكثر مما تهتم بتلوين وجهها ...

التي تجيد استعراض ذكائها لا جمالها ...

والتي تتقن رسم حدود مملكتها بين السطور لا في أعين الرجال !!

ياسمين كانت ولاتزال بعينيه امرأة استثنائية ...

لكن هذه ...ماذا عنها ؟!

صورتها "المشوشة" في ذهنه تختلط بطيف قديم لامرأة تشبهها ...و يكرهها!

أجل...أم همسة التي أسلمها الطمع لانتزاع زوج قريبتها وقتلها بحسرتها !

كلتاهما فاتنة...ذكية...فقيرة...وتعشق المال !





لكن ...أليس من الظلم حقاً أن يحصر ياقوت في هذه الزاوية فقط ؟!

ربما يكون من المبكر جداً أن يحكم عليها بحكم كهذا !

فليركز الآن فيما يريده منها تحديداً...

يامن ...وهمسة ...

التخلص من الأول ...وعلاج الثانية !

بعدها من يدري ربما يجد لها تصنيفاً آخر !

صوتها يجذبه من دوامة أفكاره بينما كانت هي منخرطة تماماً فيما تفعله...

ورغم أن همسة كانت تبدو غائبة بعالمها البعيد لكن قدميها كانتا تهتزان بحركة رتيبة على المقعد بينما أناملها تمسك ب-بيضة -يكاد يقسم أنها لا تزال ترسم الوجه الباكي عليها ...





كلتاهما لم تشعر بوجوده وقد كانت فرصته ليتفحص ملامح ياقوت التي بدت له -في جلستها المستريحة وصوتها المميز ب"لكنة" خاصة- مختلفة نوعاً عن المرأة شديدة الاعتداد التي تعامل معها ...

جميلة ؟!

لا يدري كم مرة سيظل يسأل نفسه هذا السؤال !

بل والأغرب أنه -هو الصياد - لا يعرف له إلى الآن إجابة ترضيه !!

ربما لأنها المرة الأولى التي يقابل فيها امرأة يعجز عن تصنيفها ك"أنثى" بل يجدها كياناً خاصاً بذاته...

أنثى؟!

أين هذه الأنوثة ؟!

إنها حالة متأخرة من "افتقار الذوق الفني" في مظهرها !!





بلوزتها السوداء المنقطة بدوائر كبيرة خضراء ...تنورتها السوداء البالية التي لم يرها ترتدي غيرها ...

جوربها السميك الذي يبدو له الآن عبر فتحة حذائها وقد تهدلت جوانبه بمشهد مريع ...

"ياقوت رجل الغراب"!!

هكذا ابتسم والخاطر الأخير يشبهها ببطلة مسلسل شهير قبل أن يهز رأسه ليغمض عينيه عن صورتها الهزلية هذه مكتفياً بسماع صوتها وهي تقرأ ...

صوتها لم يكن ناعماً مغناجاً لكنه كان...حيّاً!!

غريب !!

هل يمكن وصف الصوت بالحياة ؟!!

نعم...إذا كان هكذا يتراقص على نغم الشعور ...يتباطأ عند عبارات بعينها كأنها تتذوق معانيها ...




ويتسارع بانفعال عند أخرى كأنه يلهث خلف إحساسه ...

حتى عندما تصمت ...كأنما تضيف للسكون وجوداً خاصاً حولها !

عجباً !

لماذا اختارت أن تعبر لعالم همسة عبر القراءة ؟!

وما نوع الكتاب الذي اختارته ؟!

لماذا لا يسأل بنفسه ؟!

تقدم بخطواته الواثقة نحو الغرفة لتهرع همسة إليه كالعادة مطوقة إياه بذراعيها ...

بينما اعتدلت ياقوت في جلستها وهي تشعر رغماً عنها بالارتباك في حضوره ...

_حمداً لله ع السلامة .





قالتها بالكثير من التحفظ وهي تلاحظ تعلق همسة الشديد به ...

ليجيبها بعينيه النافذتين وابتسامته الكارثية :

_الله يسلمك.

وقفت مكانها وعيناها الذكيتان تقرآن ملامحه باهتمام لم يقل عن اهتمامه هو الآخر بقراءتها ...

_ماكانتش سفرية موفقة قوي للأسف...رغم إني كنت ابتديت أحب ماليزيا.

قالها بلهجته الخاصة التي شابها الكثير من الضيق وهو يتذكر ما آل إليه الوضع مع ياسمين ...

لترد باعتدادها المعهود :

_انا بالعكس أعتقد إني اتوفقت هنا ...أنا وهمسة بقينا أصحاب .

قالتها وهي تضع كفها على كتف همسة التي التفتت نحوها بنظرة مشتتة ثم رفعت البيضة التي




تشبثت بها أناملها لتسقط منها فتتدحرج على الأرض ...

قبل أن تمسك بكف ياقوت لتعتصره بقوة فابتسمت الأخيرة بحنان لم ينل منه انسحاب همسة بعدها ل"نداهة" عالمها التي عادت تجذبها للجلوس أمام النافذة !

هنا عادت ياقوت تربت على كتفها بينما انحنى زين يقبل رأسها قبل أن يرفع عينيه النافذتين نحو ياقوت التي جذبت حقيبتها وكتابها لتغادر ...

يلحق بها عبر حديقة القصر ليستوقفها بقوله :

_عارف إن معاد جلستك خلص بس كنت حابب أتكلم معاكِ شوية ...

ثم أشار نحو ممر جانبي للحديقة بقوله :

_تحبي نتمشى هنا ؟!





_أحب أعيش هنا!

هتفت بها العفريتة العابثة إياها وهي تتقافز بخفة بين حناياها لتكتم ابتسامتها بينما تقول بجدية تناقض تماماً خواطرها هذه :

_مفيش مشكلة...أنا كمان عايزة أتكلم معاك بخصوص همسة .

_تفتكري موضوع القراءة ده هيبقى مُجدي ؟! فكرة غريبة !

قالها بنبرة تعمد أن تكون مستفزة لامرأة باعتدادها الذي لم تخيب ظنه فيه :

_ما انتو أكيد جربتوا الطرق التانية ...جابت نتيجة ؟!

التوت شفتاه بابتسامة جانبية مستشعراً متعة نزالها الكلامي هذا ...

ليعاود سؤالها :





_اشمعنا الكتاب اللي كنتِ بتقرهولها ده ؟!

عدلت وضع نظارتها على وجهها بحركتها المعهودة لتجيبه وهي تنظر أمامها بينما تسير جواره :

_أنا حطيت نفسي مكانها ...لو أنا محبوسة في أوضة وسط بيت كبير ...إيه أكتر حاجة هابقى مفتقداها ؟!

_مممم...الناس؟!

_ولو بخاف م الناس؟! زهدت فيهم زي ما زهدوا فيا ؟!

يصمت للحظات مفكراً ليعاود المحاولة :

_الخروج ؟! الجري؟! الهروب؟!

_ولو كان الهروب له عندي ذكرى سيئة ؟!!

سألته بحيادية لا عن تهكم فأصدر همهمة مفكرة قبل أن يهز رأسه بإشارة عاجزة ...

لتبتسم "ابتسامتها الطيبة " مع جوابها :




_هابقى مفتقدة نفسي القديمة...ذكريات طفولتي ...العالم اللطيف اللي ماشلتش فيه مسئوليات ...الخيال ...الفانتازي ...الأميرة والغابة ...الأقزام والسحر ...الحدوتة اللذيذة اللي دايما بتخلص بنهاية سعيدة مهما خوفتنا الأحداث !

ارتفع حاجباه بمزيج من إعجاب ودهشة ليسألها من جديد بحذر:

_بس انتِ كده بتعزليها أكتر !

_يمكن...ويمكن أكون بشبعها أكتر بالأمان اللي هي محتاجاه عشان تستمد القوة وتقرر هي إنها ممكن تخرج من عالمها ده ...مرض همسة مش عضوي بحت ...مش دوا وكيميا لوحدهم هيحلوه...همسة محتاجة تاخد القرار لوحدها إنها ترجع تندمج وسطنا ...واللي بعمله دلوقت إني بنزل لمستواها عشان أقدر أرفعها لمستوانا .

قالتها بنبرتها المعتدة التي شابها الآن الكثير من الحنان فابتسم ابتسامة جذابة ناسبت قوله :





_تفكير بره الصندوق ...بس نجرب ...أفهم من كده انك كنتِ بتقريلها كتاب خيالي ؟!

_رومانس فانتازي ...حكاية لطيفة م اللي بيحبوها البنات !

قالتها ببعض الاستخفاف ليرفع حاجبيه مردداً :

_البنات ؟!

وكأنها ليست منهن !!!

هذا الذي فهمته لترد عليه بنبرة محايدة :

_أنا ذوقي في القراءة مختلف .

_إزاي ؟!

سألها بفضول تملكه لتجيبه باقتضاب حاسم:

_مابحبش أتكلم عن شيئ يخصني في الشغل.

_دبش ...دبش ...دبش...خلليكي كده معنسة جنب الحاجة ثمر !





هتفت بها عفريتتها الساخطة لتدحرها مقهورة كالعادة بينما تأمل هو جانب وجهها وهو يشعر بالضيق ...

طريقتها هذه تذكره بأن هدفه الحقيقي من دخولها حياته لن يكون بهذه السهولة ...

امرأة بهذه المثالية -التي تزعمها- ربما لن توافقه على ما يريد !

لكن هل يريد هو شيئاً غير أخلاقي؟!

هو يريد إنقاذ ياسمين وابنتها من رجل مريض لا يصلح كزوج أو أب!!

لهذا صمت قليلاً يفكر ليسألها فجأة :

_لو طلبوا منك شهادة بخصوص مريض عندك ...مراته عايزة تسيبه بس خايفة ياخد منها ابنها ...توافقي تشهدي بمرضه ؟!

كان دورها لتصمت هذه المرة قبل أن تتوقف عن السير لتقف قبالته بقولها :

_أوافق!

التمعت عيناه بظفر قبل أن تصدمه باستطرادها :

_بس مش عشان أضرّه...لأ...عشان جدتي ربتني إن الست اللي ماتقفش جنب جوزها في محنته ماتستاهلوش .

أربكه منطقها للحظة قبل أن يعاود تفحص ملامحها بتشتت نال من سيطرته المعهودة ولا يدري أيهما أفقده التركيز أكثر ...

كلامها أم أثر الضوء على عينيها اللتين ظهرتا خلف نظارتها كقمرين سجينين!

كم يود الآن لو ينتزع منها نظارتها الغبية هذه كي يتمكن من النظر إليهما بحرية ...

لونهما الأخضر الفاتح الذي بدا له كروضة عذراء!

عذراء؟!





C i n n a b o n

ومن جديد يسأل...

هل يجوز وصف العيون بالعذرية ؟!

نعم ...

عندما يشعر وكأن براءتهما تتخفى بعناد خلف سور ذكاء حديدي لا يقهر ...

عندما يشعر وكأن عاطفتهما لا تزال مكنونة في صندوق لم يفتحه أحد من قبل ...

وعندما تخفي أهدابهما الخجل لتلتمع حدقتاهما بألَق حماسيّ كهذا الذي رافق استطرادها :

_معرفش بتسأل ليه ...بس لو بتمتحنني أحب أقوللك إني مع حالاتي متحيزة وغير حيادية...كل حالة بعالجها بعتبرها
ابني ..بنتي...أخويا...أختي ...ولأني أكتر واحدة بشهد على عذابهم بيصعب عليا إن حد تاني كمان يظلمهم.

_لو بمتحنك ...يبقى نجحتِ !





نظرة عينيه الآسرة مع لهجته المميزة التي تمزج اللطف بالهيمنة ضربت بعض حصونها لتحمر وجنتاها رغماً عنها بخجل ...

لكن اعتدادها المعهود كان لخجلها بالمرصاد فرفعت أنفها لتقول :

_نرجع لحالة همسة ...الحقيقة فيه سؤال محيرني وعايزاك تجاوبني عليه ...إيه اللي يخللي والدك يرفض يجوزها لابن أخوه ؟!وإيه اللي يخللي والدته هو ترفض برضه ؟!

أشاح بوجهه للحظات ثم عاد يواجهها ببصره مجيباً:

_من ناحية والدي كان خاطب والدته قبل عمي ....وانت طبعاً مقدرة حساسية وضع زي ده ...

أصدرت آهة تفهم وهي تهز رأسها ليردف :





_ومن ناحية تانية فروق مادية...والدي الله يرحمه كان فاكره طمعان فيه ووالدته كانت شايفة إن ابنها يستاهل واحدة طبيعية مش بظروف همسة .

التمعت عيناها بإدراك لتقول ببطء متعمد :

_وانت دلوقت رافض ارتباطهم لنفس السبب؟!

_قصدك إيه ؟!

_فلوس همسة اللي انت دلوقت الوصي عليها بطبيعة الحال !

قالتها وهي تبسط كفيها ببرود استنفر غضبه ليحمر وجهه انفعالاً مع هتافه :

_انتِ بتلمحي لإيه ؟!

_ياخواتي عليه وهو متعصب !

العفريتة إياها تعاود عبثها لكنها تتفق معها هذه المرة ...




الغضب يضفي لمسة -إنسانية- على وجهه المتصنع الذي يبدو لها دوماً شديد الكمال حد التكلف ...

وهي لم تكره شيئاً في حياتها كما تكره التكلف!

_أنا مش بلمح...ده استنتاج !

قالتها بنفس البرود لتحتقن ملامحه بالمزيد من الغضب الذي سيطر عليه بحنكة وهو يعود لوجهه المتحفظ قائلاً ببطء متعمد :

_انتِ قصدك إني طمعان في أختي !

_اثبت لي العكس!

قالتها ولاتزال تسير على درب الاستفزاز عاقدة ساعديها أمام صدرها لينعقد حاجباه بشدة وهو يتوعد اعتدادها المقيت هذا بانتقام ...

ربما هذا هو ما خفف حدة غضبه ليعقد ساعديه بدوره قائلاً ببرود مماثل:

_إزاي؟!





_تسمح لرائد يدخل دايرتها تاني .

قالتها بحزم ليهتف بها بدهشة مستنكرة :

_مستحيل ! انتِ متعرفيش بتعمل إيه لما تشوفه .

_أهي فرصة أعرف.

الاعتداد الواثق في عينيها يقابل نظرة الحنق في عينيه ...

"الصيد" هذه المرة له مذاق خاص لكن المخاطرة هنا لا تشمله وحده ...

همسة قد تتأذى!

السؤال هنا هل يمكنه الفصل بين رغبته في استكشافها ك"طريدة" وبين احتياجه لها ك"طبيبة"؟!

ضحكة ساخرة مغرورة تدوي في صدر "الصياد"...

من يمكنه الفصل إذن إن لم يكن هو ؟!

هو قادر أن يسير بها نحو النهر ويعود بها ظمآنة غير مرتوية !!




لهذا لانت نظرته نوعاً وهو يقول أخيراُ:

_موافق ...بس أي انتكاس لها مسئوليتك.

_الحالة كلها مسئوليتي .

قالتها باعتدادها الواثق وثمة لمعة انتصار تزين حدقتيها وتثير حفيظته. ..

لماذا تبدو وكأنها كانت تتعمد استفزازه لتصل به نحو هذه النتيجة ؟!!

الخاطر الأخير أوغر صدره أكثر ليلوح بسبابته قائلاً بنبرة لم تفقد ثباتها :

_لو ده فخ فأنا وقعت فيه بمزاجي ...هاديكي فرصتك للآخر .

لكنها رفعت أنفها لتعدل وضع نظارتها من جديد ونظرة عينيها تفضح ظفراً لم يفهمه ...

هاهي ذي تفي بوعدها لرائد ...

ستجعله يرى حبيبته في النور كي يخرجها من هذه الظلمة !!!





_نكمل طريقتنا بقا.

قالها زين مقاطعاً أفكارها وهو يشير نحو الممر الجانبي في الحديقة ...

كان يتعمد المعنى المزدوج الذي تحمله كلماته مندفعاً بغريزة الصياد بداخله ...

هذه الغريزة التي أرضتها حمرة خجلها فاضحة تأثرها به ...

لكنها ضربت بهذا عرض الحائط وهي تتحرك في الاتجاه العكسي عائدة لباب الخروج لتقول من خلف كتفيها :

_أنا خلصت كلامي ...لو فيه جديد هابقى أعرفك !

_عايز أحضر الجلسات اللي هتقريلها فيها .





قالها بعينين ضيقتين محاولاً تبين تفاصيل أنوثتها خلف هذه "الأشياء" التي ترتديها ..فالتفتت برأسها تسأله :

_وانت فاضي ؟!

_أفضى!

بحاجبين مرتفعين يقولها واثقة واعدة متوعدة...

لتضيق عيناها هي الأخرى محاولة قراءة دواخله ...

قبل أن تشيح بوجهها دون رد لتواصل طريقها تاركة إياه يتقلب بين جميع "وجوهه"...

"الأخ" يشعر ببعض الاطمئنان على علاج أخته...

"الرجل" يشعر بالتوجس مما ينتويه بشأن امرأة يريدها زوجة...

و"الصياد" يرتجف إثارة للكشف عن "كنز" يبدو ذا قيمة !!





ليتغلب الوجه الأخير على البقية فيضع كفيه في جيب سرواله ...

ويبتسم الصياد !

===========

_ألا تلاحظ أن خطب الشيخ كلها صارت عن الجهاد ؟!

سأله الصالح وهو يميل عليه في الجمع الذي تحلق حول الشيخ فالتفت نحوه عابد ليقول بعدائية :

_لأنه فريضة منسية هذه الأيام...انشغل المسلمون بدنياهم واكتفوا بقشور الدين متغافلين عن الغاية الحقيقية التي خلقهم الله لها .

هز الصالح رأسه موافقاً ليقول بنبرة مفكرة :

_ما الفارق بين الجهاد والإرهاب برأيك ؟!

صمت عابد قليلاً مدركاً صعوبة السؤال ليجيب الصالح نفسه بنفسه كأنه لايزال يفكر:





_هل دم المسلم هنا هو الخط الأحمر الذي لا يمكن تجاوزه ؟! دم المسلم الذي هو أعظم حرمة عند الله من الكعبة ؟! إذن ...فدماء غير المسلمين حلال ؟! لا ...طبعاً لا...يستوقفني هنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهداً لم يرُح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)...وفي رواية أخرى (سبعين خريفاً)...فهل يضع الشيخ هذا الأمر في حسبانه ؟! أشعر أن خطبه دائماً منقوصة ...حماسية تلعب على أوتار القلوب لكنها موجهة لعدائية لا أفهمها ولا أتفهمها .

_هو الأعلم والأدرى ونحن علينا اتباعه !

قالها عابد مدافعاً ليبتسم الصالح قائلاً بعتاب رفيق:

_أليس من العيب أن يكرمنا الله بالعقل فنقوم نحن بإلغائه هائمين على وجوهنا خلف كل مدّعٍ ؟!

_الشيخ ليس مدعياً ...هل رأيت شهاداته ؟! هل سمعت صوته في تلاوة القرآن ؟! هل رأيت





خشوعه في الصلاة ودمعه الذي يغلبه ؟! لهذا يزداد أتباعه يوماً بعد يوم !

قالها عابد بنفس النبرة المدافعة لتتسع ابتسامة الصالح وهو يعود ببصره نحو الشيخ الذي كان يرمقه الآن بنظرة نافذة عبر المسافة بينهما ...

قبل أن يقول الصالح بنفس النبرة المفكرة المحايدة :

_انضممت حديثاً لحلقة أخرى يعجبني حديث شيخها أكثر ...ربما هذا ما دفعني للمقارنة ...الشيخ هناك يتقبل أسئلتي ويجيبها دون انفعال أو ضغينة ...ربما هو لا يملك قوة تأثير الشيخ هنا وطريقته المشوقة في الخطابة لكنني أظنه أقرب لقلبي ...وعقلي أيضاً .

_إذن لا تعد إلى هنا .

قالها عابد بتحفز ليلتفت نحوه الصالح بدهشة من أسلوبه المتنمر هذا بينما أردف الأول :





_لقد حذرنا الشيخ من أمثالك...يدخلون بيننا ويزعمون أنهم منا ثم يوسوس الشيطان في صدورهم ليزعزعوا ثقتنا ويقيننا ...

ثم أشاح بوجهه منهياً الحديث بقوله :

_هداك الله !

صمت الصالح وهو ينقل بصره بين عابد وبين الشيخ الذي كان لايزال يرمقه بنظرة نافذة للحظات ...

قبل أن يقف على قدميه قائلاً:

_معك حق ...سأذهب ولن أعود ...

ثم انحنى ليربت على كتفه مردفاً:

_اعتنِ بنفسك.

قالها ثم استقام بظهره ليغادر الحلقة نحو الخارج فظل عابد يراقب خروجه بوجه مستاء قبل أن يعود ببصره نحو الشيخ الذي كان ينظر إليه رغم أنه كان يجيب واحداً ممن يسألونه ...





ولم يكد الجمع ينفض حتى توجه عابد نحو الشيخ ليجلس بين يديه قائلاً بتقديس:

_أرهقوك اليوم يا شيخنا ...زادك الله علماً وفضلاً..ألا تستريح ؟!

فابتسم الشيخ وهو يقول بنبرة خاشعة :

_الراحة يا بنيّ ليست هنا ...فالدنيا سجن المؤمن ...الراحة هناك في السماء ...عندما ترى مقعدك من الجنة .

هز عابد رأسه موافقاً وعيناه ترمقان الرجل بنظرة إعجاب رافقت قوله :

_يشهد الله أني صرت أحبك كأبي يا شيخنا .

_وأنت أيضاً صرت كابني ...لهذا سأضمك لطائفة النخبة .

_النخبة؟!





_هي طائفة أضم إليها من أتوسم فيه حسن الخلق وسلامة القلب وصدق الإيمان ...

قالها الشيخ بفخر أعجب عابد الذي ابتسم ممتناً لترتجف نبرة الشيخ المؤثرة :

_لقد كبر سني وأتوسم فيكم أن تخلفوني من بعدي ...أن تكونوا عملي الذي لن ينقطع ...

_أطال الله عمرك يا شيخنا.

قالها عابد صادقاً لينشغل الشيخ بتمتمته وهو يقلب مسبحته بين أنامله للحظات سبقت قوله :

_غداً تلتقي برئيس الطائفة كي يعرفك عليهم ...لكن ليبقَ هذا سراً بيننا ...النبي صلى الله عليه وسلم يقول (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان).

هز عابد رأسه فيما يشبه الوعد ليرمقه الشيخ بنظرة محذرة :





_لن تخبر أحداً ولا حتى صديقك المتشكك ذاك.

_الصالح لن يعود للحلقة .

قالها عابد بمزيج من أسف وضيق ليرد الشيخ منفعلاً:

_مفتون ! أولئك الذين كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين.

زم عابد شفتيه بأسف حقيقي على ضلال صديقه لكن الشيخ ربت على كتفه ليقول بعينين توقدتا حماساً :

_يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"...أنت ومن مثلك أمل هذه الأمة كي تقوم من رقدتها .

========

ابتسمت رانيا وهي تعدل وضع حجابها مباشرة قبل الدخول لغرفته في المصحة ...





تلفتت يميناً ويساراً قبل أن تزيحه للخلف قليلاً لتسحب بعضاً من خصلاته التي طالما تغزل بها ...

خاطر بائس ينتابها وهي تدرك أنها لم تعد تحل له ...

هي ؟! لم تعد تحل له هو ؟!!

هما اللذان كبرا على هذا الحب عاماً بعد عام...

كيف ينتهي بهما الحال هكذا ؟!

لكن من قال أنه انتهى؟!

ستعود تنتمي إليه وينتمي إليها فالشمس تسطع مهما أرهقنا الليل بطول تعاويذه !

لهذا أخذت نفساً عميقاً وهي تفتح الباب بابتسامة واسعة قبل أن تبحث عيناها عنه في أرجاء الغرفة حولها ...

عجباً...

أين ذهب؟!





_خرج!

الإجابة وصلتها من خلفها من الأخصائي المسئول عن علاجه لتلتفت نحوه متسائلة بقلق:

_خرج إزاي؟! ومع مين؟!

_ماعنديش تفاصيل ...ممكن تسألي المدير .

قالها وهو يهز كتفيه فارتبكت مكانها وهي لا تدري ماذا تفعل ...

هل تتصل بنشوى؟!

أم بيامن ؟!

لا!

ستتدبر الأمر بنفسها ولن تعتمد على أحد !!

لو لم تفعلها فما جدوى عذاب الأيام السابقة إذن ؟!!

لهذا تحفزت وقفتها وهي تعيد تعديل وضع حجابها لتسحبه للأمام من جديد قبل أن تتخذ طريقها للخارج نحو غرفة المدير ...





_واحد صاحبه كان بيزوره من وقت للتاني ...وامبارح خرج معاه .

قالها الرجل ببساطة حملت الكثير من الغموض الذي جعلها تهتف بانفعال:

_صاحبه مين ؟!

_أشرف ماسمحليش أقول أسماء!

_وإزاي تخليه يخرج من غير ما يبلغنا ؟!

فبسط الرجل راحتيه وهو يرد بنفس النبرة :

_هو خلاص كان اتعالج من فترة وكنت مستغرب إصراره على إنه يفضل هنا ...فلما طلب يخرج ماقدرتش أمنعه .

_إيه التسيب ده ؟! عايز تفهمني إن هو اللي طلب يخرج مع الراجل ده ؟! إزاي وهو كان رافض الكلام أصلاً ؟!

هتفت بها بحدة وهي تقوم من جلستها أمام مكتبه لكن الرجل بدا شديد البرود مع ثورتها هذه :





_انتِ قلتيها بنفسك..كان رافض الكلام وخلاص اتكلم وطلب نخرجه ...أسيبه هنا ليه ؟!

دمعت عيناها رغماً عنها وهي تشعر بالعجز لتهتف بين شهقات بكائها :

_أرجوك قوللي خرج مع مين ...صاحبه ده اسمه إيه ؟!

لكن الرجل هز رأسه ليقول بتعاطف :

_آسف جداً معنديش أي معلومات .

_أنا هاخرب بيتكم لو مالقيتش أشرف...هارفع عليكم قضية وهاضيع سمعتكم في كل حتة .

صرخت بها فجأة بنبرة حادة مناقضة تماماً لمظهرها الباكي ...

قبل أن تخرج مندفعة من مكتبه ولا تدري أين تبحث عنه ...




لماذا فعل هذا ؟!

وأين عساه يكون الآن ؟!

ومن صديقه هذا ؟!

هذه التساؤلات التي ظلت تؤرقها حتى تشاركتها مع نشوى وهي تخبرها عن الأمر ...

ولم تكد الأخيرة تستمع منها للتفاصيل حتى هتفت بجزع:

_نعرف منين إنه صاحبه ؟! انتِ عارفة إن أشرف لسه مطلوب للشهادة في قضية المصنع وقتل اللي اسمها سيدة دي ؟! مين عارف هو مخبي إيه يخلليهم ممكن يحاولوا...

قطعت عبارتها برعب شاركته فيه رانيا التي عجزت قدماها عن حملها لتسقط منهارة على أقرب كرسي ...

الدماء تنسحب من وجهها ولا تدري أي مجهول تخبئه لها الأيام القادمة...





===========

_عاجبك التمرين في الشركة ؟!

قالها حسين بحنانه الوقور الظاهر لتجيبه شوشو الجالسة أمام مكتبه بارتباك خجول:

_جداً يا عمو ...بتعلم حاجات جديدة تفيدني...وبيعاملوني كويس قوي هنا .

_ما انا موصيهم عليكي.

قالها بعينين ملتمعتين وهو يراقب ما ظهر من رقبتها خلف ياقة قميصها مسترجعاً ما عرفه عنها ...

فتاة متوسطة الحال تسكن مع والدتها بعد وفاة والدها في حي بسيط ...

لقمة سائغة وهو حقاً ...يشتهيها !!

_متشكرة جداً لحضرتك ...هيثم كان دايماً يقول أد إيه حضرتك أب هايل ...بس ماصدقتش غير لما شفت.





شعر ببعض الخطر عندما أتت على ذكر هيثم لهذا سألها بحذر:

_هو انتِ وهيثم صحاب قوي كده ؟!

_لا لا أبداً ...مجرد زمايل ...بس كلنا عارفين عنه ده.

قالتها متذكرة وصية هيثم لها لتلين ملامح حسين نوعاً وهو يعيد تفحصها ليسألها مراوغاً:

_وهو عامل إيه في دراسته ؟! بيذاكر واللا واحدة من إياهم ضاحكة عليه ؟!

_لا لا خالص ...أنا بشوفه من بعيد دايماً في حاله ...ماتقلقش عليه يا عمو .

قالتها بلهجتها المندفعة التي تفضح طبيعة ساذجة ليرد بابتسامة :

_عظيم...عظيم...أنا كده هافضل مطمن عليه مادام واحدة محترمة وبأخلاقك بتشكر فيه .





ابتسامة فخور تتوج شفتيها الجميلتين وتثير نيرانه
هو أكثر ليميل بجذعه للأمام مستنداً على سطح
مكتبه بقوله :

_تشربي إيه ؟!

_ولا حاجة...ميرسي جداً!

_أطلب لك أنا؟!

سألها مقرناً قوله بفعله لتأتي مساعدته بعد دقائق
حاملة لها الكوب الذي وضعته أمامها على سطح
المكتب قبل أن تغادر بينما يقول هو برقته
الخادعة :

_هوت شوكليت مناسب جداً في الجو ده .

_شكراً.

قالتها بنفس الارتباك الخجول وهي تتناول الكوب
لتشرب قبل أن يصلها صوته الذي حمل الآن نبرة
حزن:

_الواحد حاسس إنه خلاص ...قلبه ماعادش
مستحمل ...الناس بتحسده ع اللي هو فيه ومش
حاسين بألمه اللي بيخبيه .





قالها وهو يضع كفه على صدره بحركة تمثيلية جعلتها تهتف بسذاجتها وهي تعيد الكوب لسطح المكتب:

_بعد الشر عنك يا عمو .

رمق الكوب بنظرة عابرة وهو يحكم خيوط ما ينتويه ليرد ببؤس مصطنع:

_بيت كبير بس فاضي ...زوجة كل همها شكلها والناس ...ابني الكبير تقريباً هاجر وسابنا ...والصغير أهه بحس إني بشحت منه الكلام ...طول الوقت حاسس إني لوحدي .

تجلى الإشفاق في ملامحها وهي لا تدري بماذا ترد ليبتسم هو بتكلف مردفاً:

_معلش دوشتك...مش عارف ليه حكيتلك كل ده ...بس حقيقي ارتحتلك .





ابتسمت وهي تشعر بقرب انتصارها -المرجو- ليلوح هو بذراعه في حركة بدت عفوية لكنها أسقطت الكوب بمحتوياته على تنورتها!

قفزت واقفة بشهقة عالية بينما هتف هو بقلق مصطنع:

_انتِ كويسة ؟! كان سخن ؟!

_لا مش قوي ...ال"جيبة" بس ؟؟

قالتها مشيرة لتنورتها فهتف باستياء:

_أنا آسف فعلاً ...معلش ...ممكن تغسليها هنا في الحمام اللي جوه .

_خير خير ...ماحصلش حاجة ...هامسحها بشوية مية...

قالتها وهي تتوجه نحو الحمام الملحق بمكتبه ليزداد بريق عينيه وهو يتابعها للحظات ...

قبل أن يقوم من مكانه ليلحق بها هناك...

ويغلق الباب خلفه !





=========

_هي قعدة مصر علمتك الخيابة ؟! ما تعجني عِدِل يا دكتورة !

هتفت بها الحاجة ثمر تخاطب ياقوت التي جلست أمامها متربعة على الأرض تحاول عجن الطحين هاتفة :

_وأنا هاعمله كله لوحدي والست لجين نايمة ؟!

_هي طبخت المحشي وظهرها اتقطم فيه ...اعجني وانتِ ساكتة .

هتفت بها المرأة بتذمر لتبتسم ياقوت بشرود وهي تعود لما تفعله ...

_وانت فاضي؟!

_أفضى.





بصوته الفخم ذي اللكنة المميزة تكاد تسمعها فتعاود أجراس الحلم الدق بروحها موقظة فرحة الأعياد ...

مجرد رؤيته صارت تسعدها ..تعيد بث الأمل الذي ظننته لن يكون ...

لا...لم يخنها ذكاؤها لتدرك أنه لا يحبها كامرأة...

لكنها لا تغفل عن نظرات الإعجاب في عينيه...

مع نظرة أخرى غريبة تستشعرها ولا تفهمها ...

نظرة تمزج غضباً دفيناً بتحدٍّ مشتعل !

نظرة تود لو تفهمها ...لو ....

_اللي واخد عقلك !

قاطعت بها جدتها أفكارها لترتجف ابتسامتها وحمرة وجنتيها تفضح للمرأة أمامها خبيئة صدرها فأصدرت ثمر همهمة خافتة قبل أن تردف :

_الحكاية فيها جدع !




اتسعت عينا ياقوت في اعتراف غير صريح لتجدّ يداها في العجن بسرعة أكبر قبل أن تطرق برأسها دون رد ...

_النور قطع يا ستنا !

هتفت بها ياقوت فجأة عندما أظلمت الدنيا حولها لترد الجدة بسرعة :

_وطي صوتك عشان المطيورة أوبرا ما تصحاش...دي بتترعب من خيالها .

ابتسمت ياقوت وهي تجد في هذا مخرجاً لها من استجواب الجدة التي وقفت مكانها ببعض العسر المتوقع من امرأة بسنها لتتجه نحو نافذة البيت التي فتحتها ليبزغ منها ضوء القمر فينير صالة البيت كلها ...

_قومي اغسلي إيدك وتعالي نطلع ع السطوح ...القمر الليلة بدر ..."ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ".





اتسعت ابتسامة ياقوت دون تعجب فقد اعتادت أدعية ثمر التي لا تكاد تفارق لسانها ...

قبل أن تقوم لتغسل يديها كما أمرتها الجدة لتلحق بها نحو سطح البيت الذي حوى غرفة صغيرة لتربية الطيور ...

هذه التي فرشت أمامها سجادة صغيرة جلست كلتاهما فوقها تراقبان القمر الذي بدا صحواً مفتخراً برونقه في سماء أظلمت دونه...

_حكايتك إيه يا بنت أشواق؟!

آه...لقد عاد الاستجواب!

وبأكثر الطرق مباشرة !!

ثمر تدعوها دوماً "بالدكتورة" لكن "بنت أشواق" هذه تعني عتاباً خفياً يمتزج بخوف مشفق ...





عندما تخطئ...عندما تضعف ...وعندما تفعل ما يجعلها تخاف عليها تكون حينها "بنت أشواق"!!

لهذا تلمست أناملها مكان قطعة العشر جنيهات من فوق ملابسها لترد ببعض الخزي:

_مفيش يا ستنا.

لكن الجدة هزت رأسها وهي تربع ساقيها لتنظر نحو القمر قائلة :

_شكلك لقيتِ ابن السلاطين اللي قلبك غاويه .

فاحمرت وجنتا ياقوت وهي تقترب منها لتستلقي على ظهرها واضعة رأسها في حجرها بجلستهما المعهودة ...

ثم وجهت بصرها شطر القمر مثلها قائلة :

_انتِ عارفة إني عمري ما أعمل حاجة غلط..بس غصب عني ...مشدودة .

_البيه اللي بتعالجي أخته واللا الدكتور اللي طلق مراته ؟!





لم تخبرها ياقوت عن هوية يامن الحقيقية احتراماً لسرية مرضاها ...

لكنها كانت تخبرها بعض التفاصيل العامة عن كل حالة تتعامل معها ...

لا...ليس من باب الثرثرة الفارغة ...

لكنها كانت تشعر بأمان غريب عندما تشارك ثمر أعباء حملها ...

أجل ...مهما كبرت ستظل طفلة تتلمس في جلباب جدتها الأمان ...

خاصة مع مهنة كمهنتها تتعامل فيها مع ضغوط نفسية كبيرة وتحتاج لمن تفرغ لديه انفعالاتها بعد كل تجربة تخوضها ...

لكن الغريب أن الجدة قد لاحظت أن هاتين الحالتين بالذات تحظيان باهتمام خاص لديها ...

غريب؟!





لا غريب مع شفافية ثمر وقراءتها لدواخلها هي وشقيقتها ...

فلماذا العجب؟!!

لهذا تنهدت بحرارة وهي تقول باعتراف شبه صريح:

_اللي طلق مراته رجعها .

_مممم... يبقى التاني .

قالتها الجدة بهمهمة تذمر لم تخفَ على أذني ياقوت التي رفعت عينيها إليها لتقول بتمنٍّ راجٍ :

_تعرفي يا ستنا ؟! هو ده بالضبط اللي حلمت بيه ... هو ده اللي هيعوض صبر السنين اللي فاتت ...اللي هيرفع راسي وراسك وسط أهل البلد ويخللي حسين رجائي يعرف إن بنت الخدامة خدت واحد أحسن منه.





اقشعر جسد ثمر كعهدها كلما يذكر اسم حسين هذا لتزدرد ريقها وهي تتمتم بشيئ ما بدا كدعاء قبل أن تمتد أناملها لتداعب شعر ياقوت بقولها :

_الناس دول البعد عنهم غنيمة...اللي زيهم ما يبصوش للي زينا إلا بنظرة واحدة ما بتتغيرش ...حاسبي على قلبك يا "بنت أشواق"...حاوطي عليه كما الطير اللي بيحاوط على ولاده...قلبك ده هو راس مالك ...هو اللي لازم تحافظي عليه للي يستاهله...اللي زينا ماحداهمش مال ولا عزوة ...ما نملكش غير شرفنا وسيرتنا الطيبة ...اوعاكي تسمعي لكلام الحكاوي وان ابن الذوات هيحب بنت الفقرا ...دول توب غير توبنا ...مَية وزيت ما بيتخلطوش أبداً .

لا تزال ترى في كلام جدتها الكثير من التطرف لهذا ترد بانفعال:

_بس أنا مش بنت فقرا ...أنا أبويا غني ...وحتى لو مش معترف بينا ...أنا دكتورة وشاطرة وبكسب من شغلي ...الناس كلها بتشهد لي ...أنا مش قليلة.





_انتِ مش قليلة بس العيب في العين اللي بتشوف ...وعنيهم مش هتشوفك غير بنت أشواق ...الخدامة اللي غواها سيدها .

_ليه كده يا ستنا؟!

هتفت بها باستنكار وهي تقوم من جلستها ليعلو وجيب خفقاتها مع استطرادها اللاهث:

_ليه دايماً تفكريني بالقسوة دي؟!

_عشان لو نسيتي هتضيعي زي ما هي ضاعت !

قالتها ثمر بألم شق طريقه وسط أخاديد وجهها لتردف بشرود وكأنها تستعرض الأمس بظلمته :

_أمك كانت زيك كده ...كانت فاكرة إن جمالها هيفتح لها أبواب الدنيا المقفولة...هيقرب البعيد ويخلليها تضوي زي نجمة في السما ...قربت ومدت رجليها تلمس مية البحر وقالت بعرف أعوم...التيار سحبها وغرقت من غير





دية...وياريتها غرقت وحدها ...دي سحبتنا كلها وياها !

تكاثفت الدموع في عيني ياقوت لتجد نفسها تعاود الاستلقاء في حجر جدتها وكأنها تحتمي به وسط هذه الظلمة كلها ...

حتى القمر توارى الآن خلف بعض الغيوم وكأنه يشاركها خوفها وقلقها ...

فتنهدت بعمق وهي تغمض عينيها لتقول لها بنبرة حالمة تشبه الدعاء:

_قصتي مش هتبقى زيها ...أنا غيرها ...

_كل اللي وقعوا كانوا فاكرين نفسهم أذكى م اللي قبليهم...ساعة القدر يعمى البصر ...ويعمى القلب ...خديها نصيحة مني يا بنت أشواق...حواديت القلب غدارة واللي يمشي وراها يتوه .

قالتها ثمر وهي تداعب منابت شعرها بقوة رفيقة كأنما تود غرس كلماتها هذه في رأسها الذي تدرك حدة عناده ...

قبل أن تردف بنبرة أقوى:

_ماتعلقيش قلبك باللي مش ليه ...وجع القلوب مش بالساهل يتداوى.

هنا سطعت الأضواء حولهم فجأة من البيوت المجاورة لتتكلف ياقوت ابتسامة وهي تتناول كف ثمر لتقبله بحب قبل أن تعتدل مكانها لتقف هاربة من المناقشة :

_النور جه ...أنزل بقا أكمل عجن ...عندنا عجوة للقُرَص؟!

ابتسمت ثمر مدركة حيلتها للتهرب منها قبل أن تهز رأسها لتقول بنبرة ذات مغزى منهية الحوار:

_عندنا الخير كله ...بس نرضى بقليلنا.

========




القطعة الثامنة

========

لو تخطئين بعدد ذرات الرمال لصفحت بعدد قطرات المطر...

لو تبعدين بقدر الشمس لاقتربت كما أنفاسك...

لو تركضين وتركضين بعيداً ما تركتُ صدر غيري يتلقفك !

قدرك المحتوم أنا...فهل فاز يوماً من عاند الأقدار ؟!

"مروان"

****

لا تلُمْ فراشاتي لو حلقت نحو النار بجناحين من شمع...

فقط...كن معي عند سقوطي!

لا تهزأ بحلم عشته مفتوحة العينين...

فقط..أغمض لي عينيّ وامنحني بين ذراعيك حلماً أجمل!





هذي يدي لا تدعها من يدك...

فما بقي من العمر أقصر من أن نهلكه انتظاراً !

"داليا"

****

جلس مروان ينتظرها في سيارته تأهباً لزيارة عمه التي طلبتها بنفسها ...

شعور غامر بالارتياح ينتابه بعدما أفضى ليامن بمكنون قلبه لكن يبقى الطريق لقلبها طويلاً بطول الحلم الذي يحتضنه قلبه بها ...

لهذا لم يملك جنون خفقاته وهو يراها تظهر أخيراً تتجه نحوه بخطواتها المنطلقة التي تشبه جموح روحها ...

صفراء مشعة بسترتها الأنيقة القصيرة وحجابها السماوي الذي ناسب لون تنورتها وحذائها الرياضي ...

ابتسامته العاشقة تجتاح شفتيه وتتسع مع مرأى مشبكه الخاص الذي يحمل صورة "ميريدا" المتمردة على جانب صدرها ...





آهة خافتة تنبعث منه وهو يشعر بقربها الوشيك يشعل

خلاياه كلها ...

لو بقي الحال هكذا فسيعترف أمامها كعاشق أبله أو ربما فقد سيطرته ليسمح لشلال حبه أن يتدفق فيغرقهما معاً ...

_اتأخرت عليك؟!

بشقاوتها الحلوة تقولها وهي تستقل السيارة جواره ليجيبها دون وعي:

_قوي.

عيناها تتسعان قليلاً وهي تميز هذه النظرة في عينيه والتي لا يمكن أن تخطئ تأويلها ...

والمعنى الذي وصلها من كلمته تفهمه صحيحاً تماماً فتزدرد ريقها ببطء لتشيح بوجهها هامسة :

_آسفة .





المعنى الذي قصدته يصله واضحاً هو الآخر فيطلق زفرة خافتة قبل أن يشغل السيارة لينطلق بها غير غافل عن نظراتها المختلسة نحوه ...

أناملها المتشابكة فوق ساقيها المهتزتين بعصبية تنبئه عن ارتباك يخشى أن يسرف في حسن الحظ فيه ...

لكنه ابتسم ليسألها بنبرة حانية :

_مالك ؟!

صمتت قليلاً وهي تعاود اختلاس نظرة متفحصة نحوه ...

هالته الرجولية تمنحها شعوراً غريباً لم تعرفه من قبل...

هو مزيج من "هيبة" دكتور ياسر و "احتواء" يامن و "حنان" هيثم...





المزيج الذي ظننته يوماً مستحيلاً لكنها تقسم أنها تستشعره الآن معه ...

والذي يختلط بإحساسها الدائم بالخزي نحوه مما جعل عينيها تدمعان وهي تهز رأسها في إشارة بلا معنى ...

فأوقف السيارة جانباً ليلتفت نحوها متسائلاً :

_غيرتِ رأيك ؟! تحبي أرجعك ؟!

لكنها عادت تهز رأسها نفياً قبل أن تطرق به متطلعة نحو كفيها المتشابكين لتسأله بتردد :

_دكتورة سهام قالت لك عني إيه ؟!

ارتفع حاجباه بإدراك وهو يستوعب سر ارتباكها ليراوغها بقوله :

_ما تسيبك م اللي هي قالته وتقوليلي انتِ .

_أقوللك إيه ؟!

رفعت بها وجهها نحوه ليميل رأسه بمكر مجيباً:

_اللي انتِ خايفة أفهمه منها غلط .





_وهتفهمه مني صح؟!

النبرة التي نطقت بها عبارتها كادت تجعله يميل نحوها ليضمها لصدره بقوة ...

وكيف لا يفعل مع مزيج الضراعة والكبرياء المدهش الذي لا تكاد تتقنه سواها ؟!!

لهذا أخذ نفساً عميقاً ملأ به صدره قبل أن يستدير بجذعه نحوها ليسند ذراعه على مقود السيارة وعيناه ترميان حمول العشق على شواطئها مع قوله الذي حاول أن يكون محايداً:

_مفيش حاجة تخليكِ عايزة تكدبي قدامي ولا حتى من باب أنك تجمّلي صورتك عشان كده أنا هاصدق كل كلمة تقوليها .

عبارته كانت تشير ل"جرحها القديم" له لهذا أشاحت بوجهها في خزي ناقض كبرياء عبارتها :




_أنا عملت حاجات كتير غلط لما بفتكرها بندم عليها بس عزائي الوحيد إني اتعلمت منها ومش هكررها تاني ...

_جميل .

قالها بنبرته التي تمزج حنانه بتعقله فشجعتها لتردف دون أن تنظر إليه :

_كان ممكن أهرب من غلطي بس أنا قصدت أروح النهارده لدكتور ياسر وفي وجود دكتورة سهام عشان ...عشان ...

لوحت بكفيها تبحث عن تعبير مناسب ليكمل هو لها :

_عشان تصححي الصورة وتثبتي لنفسك ولهم إنك اتغيرتِ .

أومأت برأسها لتهتف بحماس وهي تعاود الالتفات نحوه وكأنما أسعدها أن يفهمها هكذا :

_أيوة فعلاً...خصوصاً إني حاسة إن نظرات الدكتورة ناحيتي اتغيرت للأحسن .

_ده حقيقي.




قالها موافقاً وقد أسعدته هذه الحماسة الفرِحة في عينيها فابتسمت لتعاود الإطراق برأسها قبل أن تجد نفسها تحكي له دون تحفظ ...

عمّاذا؟!

عن كل شيئ!!

عن افتقادها لصورة الأب التي وجدتها في دكتور ياسر ...

عن تطلعها الطفولي لنظرة إعجاب من يامن ...

وعن صداقتها بهيثم التي كانت ترضي جزءاً من غرورها الأنثوي...

وعن شعورها ب"الفقر العاطفي" رغم وجود كل هذا!!

ورغم أنها لم تضف الجديد لمعلوماته لكن أن يسمعها منها هي نحوه هو ك"مروان" كان يعني الكثير له حقاً...

لهذا صمت محترماً فيض بوحها السخي هذا حتى انتهت بقولها :





_أنا عارفة إن كل ده ممكن يدي عني صورة البنت الفلتانة اللي ماا‌تربتش...بس صدقني أنا كنت بدور عن حاجة

فعلاً كانت ناقصاني.

_ولسه ناقصاكي؟!

_مش عارفة...بس الأكيد إني اتغيرت...والفضل لربنا ...وللظروف..ول..لناس وقفت جنبي .

عبارتها الأخيرة اتسمت بالكثير من الارتباك قبل أن تشرد ببصرها في "العاشق المجهول" الذي اختفى من حياتها فجأة تاركاً خلفه فراغاً لم يكن ليملأه غيره...

لكنه لم يكن ليتركها لشرودها هذا الذي كان يدرك سببه ليسألها مباشرة :

_انتِ ليه بتقولي لي أنا بالذات كده دلوقت ؟!





سؤاله -على بساطته - صدمها لتصمت قليلاً قبل أن تجيبه دون أن تنظر إليه :

_عشان انت حد كويس ويهمني ماتاخدش عني فكرة وحشة.

_وإيه كمان ؟!

كان يدرك أن إجابتها تحتمل المزيد وصدق ظنه عندما تابعت بارتباك خجول:

_وعشان تقبل أسفي على اللي حصل مني زمان؟!

_وإيه كمان ؟!

لايزال يبحث بإلحاح عن الجواب الذي يرضيه لكنها لم تملك أكثر من قولها المتلجلج:

_وعشان انت عرضت عليّ صداقتك والصاحب لازم يثق في صاحبه ويعرف عنه كل حاجة.

حسناً فليكتفِ بهذه الإجابة مؤقتاً حتى تمنحه المزيد !





لهذا ابتسم ابتسامة وجدتها هي جذابة نوعاً وهو يعاود

الالتفات نحو الطريق ليشغل السيارة متجهاً نحو منزل عمه تلاحقه نظراتها المختلسة ...

لماذا لم يعلق على ما قالته ؟!

لماذا يعاملها بهذا الغموض الذي لا تفهمه؟!

ولماذا لا يحاول فرض عاطفته -التي تراها في عينيه هذه - عليها مكتفياً بمسافة مناسبة بينهما ؟!

لكن هل تراها تريد منه حقاً هذا الضغط؟!

هل يرتضيها ضميرها أن تعلقه بوهم وقلبها ملك لغيره ؟!

انقطعت أفكارها عندما وصلت بهم السيارة لبيت عمه فأخذت نفساً عميقاً تتأهب للّقاء القادم.

=======

_نورتينا يا داليا.





قالتها سهام في نهاية المقابلة وهي تودعهما أمام باب بيتها بينما ترمق داليا بنظرات ود حقيقية جعلت الأخيرة تغمغم بارتباك:

_حمداً لله على سلامة دكتور ياسر ...آسفة لو تعبتكم.

_البيت بيتك.

قالتها سهام وهي تختلس نظرة ماكرة نحو مروان الذي كان يحتضن داليا بنظراته والتي مدت للمرأة يداً مصافحة لكن الأخيرة جذبتها في عناق دافئ قصير قبل أن تبعدها لتربت على كتفها قائلة بحنان غاب عنه تحفزها القديم:

_خللي بالك من نفسك ...لو عايزة تفرّحي دكتور ياسر بجد انجحي السنة دي بتقدير .

عضت داليا شفتها بخزي فجرته المواقف القديمة بينهما لكن المرأة عادت تربت على كتفها وعيناها تمنحانها عن سؤالها الصامت جواباً مُرضياً غير منطوق !




_سرحانة في إيه ؟!

سألها مروان بعدما انطلق بالسيارة ملاحظاً شرودها لتلتفت نحوه بابتسامة مرتبكة مع هزة رأس فقال وهو يتلفت للطريق حوله :

_الجو برد شوية .

_أحسن خليله يبرد...

هتفت بها بنبرة عادت إليها حيويتها الطفولية لتردف وهي تضم ياقتي سترتها من الفرو الأنيق:

_من أول الشتا وأنا نفسي ألبسها وأهه جه وقتها .

عاد يضحك من عفوية تعليقها قبل أن يستجمع جرأته ليسألها:

_تحبي نتمشى شوية ؟!

_ياريت!





هتفت بها باستحسان وهي تنظر للرصيف الموازي ل"الكورنيش" جوارهما قبل أن تلتفت نحوه لتسأله ضاحكة :

_مش هتقوللي استأذني يامن الأول؟!

_اطمني...يامن مديني إذن مفتوح .

قالها وهو يوقف السيارة فأطرقت برأسها قائلة :

_أنا مبسوطة إنكم رجعتم زي الأول ...كنت خايفة تخسروا بعض بسببي .

كيف يخبرها أنه يكره إطراقها هذا ؟!

يكرهه وهو يفضح شعورها بالخزي...

يكرهه وهو يناقض طبيعتها المتمردة الجموح ...

ويكرهه وهو يحرمه استنطاق عينيها اللتين يعشق ترجمة نظراتهما !!

لكنه اضطر لكتم مشاعره كالعادة مكتفياً بقوله :

_ماتقلقيش على علاقتي بيامن ...اللي بيننا صداقة عمر مفيش حاجة هتهزها ...

ثم تلفت حوله ليسألها فجأة :





_بتحبي "الحَلبسّة"؟!

رفعت إليه رأسها فجأة وهي تشك فيما سمعته لتهتف بتساؤل:

_إيه ؟!

_الحلبسة ؟! ماتعرفيهاش ؟! البتاع اللي هناك دي ؟!

التفتت حيث يشير لتجد عربة صغيرة نظيفة زينها صاحبها بأنوار مميزة عصرية الطراز ووضع فوقها بعض

الأواني التي زينها بحروف انجليزية أنيقة وقد التف حوله الكثير من الناس لتهتف بابتسامة ساخرة :

_إيه العربية "الروشة" دي ؟! شكلها يفتح النفس ...المفروض يكتب عليها "الحلبسة لما تكمل تعليمها بره"!!

ضحك من عبارتها ليجاريها المزاح بقوله :





_ده "حمودة" قرب يصدرها للدول المجاورة من كتر

الإقبال ...ادعي بس نلحق لنا دور قبل العشا.

_آسفين يا "حمودة"!

قالتها وهي تشير بكفها نحو جبهتها ثم نحو صدرها في حركة مشاكسة ليبتسم وهو يترجل من السيارة ليبتعد نحو العربة هناك ...

فابتسمت بدورها وهي تغوص في مقعدها أكثر تراقبه وهو يزاحم الجمع هناك قبل أن يعود لها ب"غنيمته الساخنة" ...

ترجلت من السيارة بدورها لتتوجه نحوه فناولها أحد الكوبين ليسيرا متجاورين قبل أن تسأله وهي تتشمم الكوب بحذر:

_هي عبارة عن إيه ؟!





_حمص وشطة وحاجات كده فوق بعضها .

قالها ثم شرب من الكوب متلذذاً لتضحك هي قائلة :

_يامن لو عرف إنك شربتني "البتاع" ده من على عربية في الشارع هتخسروا بعض بجد .

فضحك بدوره ليرد مشيراً لطباع صديقه الوسواسية :

_أهي دي الحاجة الوحيدة اللي فشلت أقنعه بيها ...يتهيألي لو حب يشربها هييجي هنا يعقم العربية الأول قبل ما يعملها هو بنفسه.

عادت تضحك للحظات قبل أن ترفع كوبها لشفتيها هاتفة بمرح:

_ماتخافش أنا مش هاكسفك زيه...

ثم ارتشفت منه رشفة وقد أعجبها مذاقه لتردف:

_من النهارده اعتبرني "رفيق في حب الحلبسة"!





ضحك بسعادة حقيقية وهو يشعر بقلبه منتشياً بين ضلوعه مع صدى ضحكاتها هي الأخرى ...

قلبه الذي كان يستشعر تغير مشاعرها المتنامية نحوه لكنه كان يخشى أن يكون مجرد أمل كاذب ...

بينما كانت هي تعيش صراعها الخاص بين أحاسيس لا تفهمها ...

انجذابها نحوه يربكها ...

لماذا؟!

ربما لأنه يأتي رغماً عنها !

أجل ...هي كانت واعية -بل مختارة- عندما أقحمت -بل اقتحمت- كل من سبقه من رجال في حياتها ...

لكنه هو الوحيد الذي تشعر بأنها تسير نحوه مغمضة العين بلا حول ولا قوة ...

تراه مجرد "فراغ عاطفي" بعد غياب عاشقها المجهول؟!

لا تدري!

والأسوأ أنها لا تملك التوقف!!





لكنها تلهّت عن أفكارها بتناول "الحمص" قبل أن تلتفت نحوه ولايزالان يسيران بخطوات متمهلة لتسأله :

_سمعت إنك هتفتح عيادة.

_ آه ...بس بصراحة محتار بين مكانين ...واحد في (....)والتاني في (.....).

فارتفع حاجباها بدهشة وهي تقارن بين المكان الأول الذي كان في حي راقٍ بينما ينتمي الثاني لمنطقة شعبية نوعاً لتعاود سؤاله:

_إيه اللي جاب ده لده ؟!

_بالضبط ! ما هو ده اللي محيرني !

رمقته بنظرة متسائلة ليردف:

_المكان الأولاني مكسبه المادي أكبر بس المكان التاني ...

_المكان التاني هو مكان مروان الحقيقي .




قاطعته بها باندفاع تعجبته في نفسها قبله لكنها لم تلتفت لدهشته وهي تردف بحماس :

_لو أنا قارياك صح يبقى انت مش هاتفكر كتير قبل ماتختار تخدم الناس اللي محتاجاك ...اللي زيك مش عايش عشان يكسب فلوس وبس...عايش عشان شايف لنفسه رسالة وهدف ...وده اللي هتلاقيه بجد وسط

الغلابة.

سيحتضنها !

سيفعلها الآن وسط الشارع وستكون فضيحة !

لكن لا بأس!

سيصلح خطأه بعدها ويتزوجها ...وينتقم منها لكل هذا الحرمان الذي عاشه بسببها !!





كانت هذه أفكاره العابثة التي لجمها بتعقله وهو يشيح بوجهه عنها كارهاً لكنه لم يستطع منع ابتسامته ...

ولا ارتجافة أنامله على الكوب !

كما لم تستطع هي منع ابتسامتها وهي تهتف بشقاوتها الطفولية غير مدركة لما تفعله به :

_صح؟! صح؟! أنا صح؟! قول...قول...

ضحك ضحكة قصيرة وهو يعاود الالتفات نحوها لتردف بنبرة انتصار:

_شفت ؟!...شفت؟!...اهه ده الفرق بيني وبينك ...انت دايماً تطلعني وحشة لكن أنا بجبر بخاطرك.

قالتها وهي تهم بالانحناء لتتلقي الكوب الذي فرغ مما به جانباً لكنها تذكرت تقريه يوماً فرفعت كفها في حركة اعتذار قبل أن تناوله له لتهتف ببساطة :

_بنات عائلات مابيوطوش في الشارع ...اتصرف انت بقا فيه .

قهقه ضاحكاً هذه المرة وهو يكاد يطير فرحاً ...




هذه هي روحها المنطلقة المحلقة دون قيود ...

بينما ابتسمت هي وهي تعود لطبيعتها المحبة للثرثرة لتقطع معه ساعة كاملة في السير تكاد تقسم أنها لم تشعر بمرورها إلا عندما لمحت الشمس تميل للمغيب مع رنين هاتف مروان الذي تناوله ليتنحنح بارتباك :

_يامن .

_هيعلقك عشان أخرتني!

هتفت بها بمرح متشفٍّ وهي تراه يفتح الاتصال ليصلها هتاف يامن الساخط:

_فين البنت يا بني آدم ؟! مش قلت نص ساعة وراجعين ؟!

فاعتذر له بكلمات مقتضبة قبل أن يغلق معه الاتصال ليبتسم لها بقوله:

_معلش...علقة تفوت ولا حد يموت !





ضحكت ضحكة عالية كتمتها بكفها وهي تعاود
السير معه نحو سيارته شاعرة بالغرابة ...

هل هذا هو "الأصلع القبيح المعقد" الذي كانت
تكره يوماً مجرد ذكر سيرته ؟!

كيف تغير هكذا؟!

أم تراها هي من تغيرت ؟!

ظل السؤال يؤرقها فالتزمت الصمت طوال الطريق

بالسيارة حتى وصل بها إلى بيتها ليوقف السيارة
أخيراً وهو يلتفت نحوها لينتبه لانقباض أناملها
على شيئ ما ...

قطعة من الشيكولاتة كانت قد قدمتها لها سهام
هناك وبقيت تحتفظ بها هكذا في كفها طوال
الطريق!

مد أنامله فجأة يتناولها منها لينتزع عنها غلافها
المفضض لكنها اختطفت منه قطعة الشيكولاتة
نفسها لتضعها في فمها بسرعة قبل أن تهتف
بشقاوتها الطفولية :





_انت اتجننت بتخطف مني الشيكولاتة ؟! دي تضيع فيها رقاب دي؟!

لكنه ضحك ضحكة قصيرة وهو يقول بينما أنامله تعمل على "الغلاف المفضض" بمهارة:

_اصبري يا آنسة ...اصبري.

التمعت عيناها وهي تشاهده يصنع من الورق تاجاً صغيراً قبل أن ينتزع دمية صغيرة كانت معلقة على مرآة سيارته ليلبسها إياه قبل أن يناولها لها قائلاً :

_في ذكرى "اللقاء الأول للحلبسة"!

ضحكت ضحكة خالصة وهي تراه يثبت التاج بحرص تحت شعر الدمية بين أناملها لتصمت قليلاً ومشاعر متناقضة تجتاحها بعنف...

قبل أن تهمس له أخيراً بعينين دامعتين :





_شكراً...ع العروسة...

خفق قلبه لدموعها كعهده فعجز عن الرد خاصة عندما تهدج صوتها أكثر لتردف :

_ع الخروجة...على فكرة "رسالة"...وعلى كل اللي عملته عشاني.

اتسعت عيناه قليلاً وهو يشعر بانفعالها لكنها لم تمهله فرصة الرد وهي تغادر السيارة ب"هديته" لتصعد نحو البناية بخطوات راكضة ...

فخبط برأسه على مقود السيارة عدة مرات قبل أن يرفعه ليسنده على ظهر مقعده ووجهه المحمر يكشف عن بركان عاطفته المستعر ...

أما هي فلم تكد تصل إلى غرفتها حتى ألقت حقيبتها جانباً لترفع دميته بتاجها المميز أمام عينيها الدامعتين للحظات ...





قبل أن تتوجه بخطوات بائسة نحو فراشها لتستلقي على ظهرها ...

ثم تناولت هاتفها لترسل رسالة أخرى يائسة إلى عاشقها المجهول ...

_هترجع امتى؟! أنا خايفة...خايفة أكون بضيع منك !

=======

_باركك الله يا محمد !

قالها رئيس "النخبة" الذي استقبل عابد ب"اسمه" الجديد الذي اختاروه له ليرد الأخير ببعض الارتباك وهو يتأمل المكان حوله :

_جزاك الله خيراً .





لم يعرف اسم الرجل لكنه سمعهم ينادونه ب"الصقر" !

لقب مناسب لهذا المكان المنعزل الذي استقبله فيه والذي شعر فيه عابد بالرهبة رغم ضوء النهار ...

_ما رأيك في "الجهاد" يا محمد ؟!

تلجلج عابد قليلاً ليجيبه بما يحفظه من فتاوى شيخه :

_الجهاد طريق للجنة.

_إجابة خاطئة.

يقولها الرجل بملامحه الصارمة التي اكتسبت الآن المزيد من الخطورة وهو يردف بينما يلوح بسبابته في وجه عابد :

_حدود الله لا مجال فيها ل"الرأي"...هكذا يجب أن يكون ردك .





أومأ عابد برأسه وهو يستعيد فتاوى شيخه عن الجهاد...

هذه الحكايا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن صدقوا الله فصدقهم الله ...

قلبه يرتجف بصدره وهو يسترجع الحماسة الفائرة في عروقه ...

والتي التقطها "الصقر" أمامه لتلتمع عيناه برضا مع قوله :

_الشيخ اختارك لتكون من "النخبة"...هؤلاء الذين شرَوا الحياة الدنيا بالآخرة...هل تدرك عظم هذا الشرف؟!

ظهر التردد للحظة على وجه عابد وصورة خاطفة ل"الصالح" تغزو مخيلته لكن "الصقر" عاجله بسؤال :

_لو رأيت ذئباً جائعاً يتربص بنعجة لك يريد صيدها....هل تقتله ؟!

_بالطبع!

هتف بها عابد بسرعة ليبتسم الصقر ابتسامة واهنة ويعاود سؤاله:

_وما ذنب الذئب؟! هو مجرد جائع ...وفطرته دفعته للصيد ؟!

عقد عابد حاجبيه وهو لايفهم التشبيه ولا ماذا يريد الرجل بالضبط...

لكن الأخير التمعت عيناه بعزيمة تشبه عزيمة شيخه وهو يقبض كفه أمام وجهه ليستطرد بنفس النبرة المسيطرة :

_هنا مربط الفرس...قد تدفعنا الضرورة لإيذاء من لا ذنب له كي نحمي ما يخصنا ...نعترف بذلك لكن لاحيلة لنا...هي سنة من سنن الله في كونه...شئنا أم أبينا ...لهذا يقولون دوماً إن الضرورات تبيح المحظورات .

ظهر الاقتناع على وجه عابد وإن كان بعض القلق قد بدأ يساور قلبه ...





لكن الرجل قضى على تردده تماماً عندما اشتد بقامته ليسأله بنبرة صارمة :

_هذا طريق لا رجوع فيه ...إما سير على درب الحق حتى الشهادة...وإما وهَن وانتكاس وخيانة لعهد الله ورسوله فأي الطريقين تختار يا محمد ؟!

_لا اختيار ولا رأي في حدود الله !

هتف بها عابد قاطعة هذه المرة لتنشق شفاه "الصقر" عن ابتسامة راضية وهو يربت على كتفه قائلاً:

_وعيتَ الدرس سريعاً ...إجابة صحيحة هذه المرة ....

ثم شد قامته مردفاً :

_غداً تبدأ تدريبك معنا .

======

_شوشو!

هتف بها هيثم يناديها في ساحة الجامعة لتتوقف مكانها دون أن تنظر نحوه !





عيناها تدمعان بقوة وهي تشعر به يقترب منها لكنها تتماسك وهي تضم كتبها نحو صدرها ...

لكنه تقدم ليتفحص ملامحها باهتمام متسائلاً:

_مالك فيه إيه ؟! بقى لك كام يوم ما بتكلمنيش؟!

ازدادت كثافة الدموع في عينيها فعقد حاجبيه أكثر ليقترب منها مستطرداً:

_فيه إيه يا شوشو ماتقلقنيش؟! ولو طلعت حاجة هايفة من بتوعك أنا اللي هخاصمك بجد المرة دي.

_هايفة ؟!

تمتمت بها عبر شفتين مرتجفتين وعينين خانتاهما الدموع أخيراً فجذبها من ذراعها جانباً ليهتف بجزع:

_اتكلمي ...فيه إيه ؟! مامتك كويسة ؟!

أومأت برأسها وهي تنزع ذراعها منه بحركة خاطفة جعلته يغمغم معتذراً:





_أنا آسف بس انتِ عارفاني مابعرفش أتعامل مع القلق...قصري بقا وقوليلي إيه الحكاية.

رمقته بنظرة طويلة لم يفهمها ثم مسحت دموعها لتبتسم ابتسامة واهنة مع همسها المتحشرج:

_ولا حاجة...أنا بس قررت أريحك مني.

مط شفتيه باستياء ليطلق تنهيدة مع قوله :

_نفس البُقّين الحمضانين بتوع كل مرة ...ماتبقيش سخيفة بقا وقوليلي عشان ألحق أصالحك زي كل مرة ...

ثم غمزها مشاكساً ليردف:

_يا سكر!

لكن مزاحه لم يجد صدى في الملامح التي بهت بريقها وهي ترد بصوت يقطر ألماً:

_المرة دي غير كل مرة...خلاص يا هيثم ماعادش ينفع ...

انقبض قلبه جزعاً وهو يشعر بأنها تعني حديثها حقاً هذه المرة لا دلالاً كسابقاتها ...





خاصة عندما استطردت بين دموعها :

_أرجوك ما عدتش تتصل بيا ولا تكلمني ...ومن غير ما تسأل عن أسباب.

عقد حاجبيه وهو يشعر بغرابة تصرفها لكنه تشبث بأمل أن تكون مجرد حماقة أخرى من حماقاتها ...لهذا هم بسؤالها من جديد لكنها أعطته ظهرها لتتحرك بضع خطوات مندفعة مبتعدة عنه قبل أن تتوقف مكانها ...

ثم عادت تلتفت نحوه لتعود الخطوات التي قطعتها متمهلة متباطئة فتقف أمامه قائلة بخفوت حار:

_كنت بس عايزاك تعرف إنه مهما حصل بيننا ماحبيتش ولا هاحب حد غيرك.

انهارت تماماً في عبارتها الأخيرة لتختفي من أمام عينيه ركضاً في لحظات ...





حاول اللحاق بها لكنها كانت قد استوقفت سيارة أجرة من أمام بوابة الجامعة لتنطلق مبتعدة بها ...

ظل واقفاً مكانه متوتراً للحظات وهو لا يفهم سبب تصرفها الغريب هذا ..

إنها المرة الأولى التي تتجاوز بدلالها حتى هذا الحد...

لا!

ليس مجرد دلال!

إنها تبدو منهارة محطمة حقاً ..ماذا حدث؟!

حدسٌ بداخله يخبره أنها تغيرت نوعاً بعد تدريبها ذاك مع والده ...

ماذا ؟!

تراها الحمقاء قد صرحت له بمشاعرها نحوه هو وهو رفضها لفارق المستوى الاجتماعي بينهما؟!

الهبلاء تفعلها !

لماذا تسرعت؟!





زفر بقوة عند هذا الخاطر ثم تناول هاتفه ليتصل بوالده ولم يكد يسمع صوته حتى تصنع المرح ليسأله بضع أسئلة ودية سبقت سؤاله الذي حرص ألا يبدي لهفته :

_شوشو زميلتنا...أخبارها إيه في التدريب معاك ؟!

هنا ابتسم حسين ابتسامة عابثة لم يرها هو وهو يجيبه بحنانه الأبوي الخادع :

_بنت كويسة جداً...بس ماعادتش بتيجي...ابقى اسألها لو حد زعلها هنا ...انت عارف البنات بيبقوا حساسين بزيادة.

عقد هيثم حاجبيه وهو يشعر أن إجابة والده لم تمنحه الراحة فأغلق معه الاتصال ليحاول مع شوشو من جديد لكن هاتفها بقي مغلقاً كما كان طوال الأيام السابقة ...

وفي مكتبه أغلق حسين الاتصال ليفتح أحد أدراج مكتبه ليتطلع نحو شيئ ما هناك ...

قبل أن يعيد إغلاقه ليشبك ذراعيه خلف رأسه وهو يبتسم منتشياً ب"الذكرى الظافرة" لذلك اليوم الذي كانت فيه هنا...

شوشو!

===========

في البازار وحدها طوال النهار ...

تقف مكان العم علاء الذي ترك لها المسئولية كاملة اليوم وقد اضطر لقضاء بعض شئونه !

تحاول استغلال الخبرة التي منحها إياها في الجدال مع الزبائن ...

لا تزال لغتها "التركية" شديدة الفقر لكنه علمها منها ما يكفيها لتقف في موقف كهذا ...

لهذا كانت تبتسم بظفر وهي تسترجع حصيلة البيع لهذا اليوم ...

سيكون هو وإيناس شديدا الفخر بها هذه الليلة !





وفي مكانه وقف سيف يراقبها من بعيد بارتباك لم يعد يفارق صورتها في عينيه ...

لا يدري سر هذه المشاعر التي تجذبه نحوها هي بالذات ...

لكنه صار مستسلماً لها بخنوع يكرهه في نفسه !

شيئ واحد يعزيه في كل هذا ...

هو شعوره الخاطف ب"حياة قلبه" الذي ظنه مات مع من مات!

هذه الخفقات المتواترة...الأنفاس اللاهثة...اللهفة الوجلة...

كلها -رغم ارتباكه معها- تعيد إليه مذاقاً للحياة التي كان يعيشها بلا مذاق!

تقدم نحوها بخطوات زادتها مشاعره اضطراباً ...





لتلتفت نحوه بملامح لم تقل عنه ارتباكاً وهي تستعيد ذكرى لقائهما الأخير ...

لهذا تشاغلت عنه بالبيع لأحد الزبائن قبل أن تخلو له المسافة بينهما ليبادرها بقوله :

_عمي علاء كلمني آجي أوصلك عشان هيتأخر الليلة دي.

_وتعبت نفسك ليه ؟! كان ممكن أتصرف!

قالتها متحاشية نظراته وهي تتحرك نحو الداخل ليتبعها قائلاً :

_مفيش تعب ولا حاجة .

تناولت حقيبتها والمفاتيح لتغلق "البازار" فعاونها في إدخال بعض المعروضات للداخل تمهيداً للمغادرة...

قبل أن يتحركا سوياً في السوق الكبير لتلاحظ بعينين راضيتين حركته وهو يحاول السير خلفها و إحاطتها بذراعه حماية لها من الزحام دون أن يمسها ...





ابتسامة صغيرة ترتسم على شفتيها وحركة بسيطة كهذه تدغدغ أنوثتها وتؤكد لها أي نوع من الرجال هو !

لهذا لم تشعر بتحفزها المعتاد وهي تجلس جواره وحدهما في سيارته يقطع بها الطريق نحو المزرعة ...

نظرة مختلسة نحو ملامحه الجادة جعلتها تدرك الفارق الكبير بينه وبين أخيه رامز ...

رامز وسيم بهذه الطريقة التي تخطف قلوب النساء ...ومع مكر نظراته وخفة ظله فهو حقاً ذو جاذبية ساحقة...

أما سيف فملامحه عادية جداً...يشبه أغلب المصريين ...لا شيئ مميز ...خاصة مع طباعه الجادة المتحفظة ...

ربما لهذا تشعر بارتياح كبير وهي معه ...

هو لا يهدد "قلبها" ولا "أنوثتها"...لكنه يستفز أمومتها بخطورة ...





أو -هكذا- تظن !!!

_أنا آسف ع اللي حصل من إسلام .

بصوته الرجولي الخشن يقولها دون أن ينظر إليها لتحتد ملامحها وهي تتذكر ما يحكي عنه فتقول بعنف لم تتعمده :

_وانت تتأسف ليه ؟! هو اللي غلط...بس أنا عموماً وقفته عند حده.

رمقها بنظرة جانبية مختلسة ليقول بضيق حقيقي:

_بس هو جرحك في بيتي ...وانتِ كنتِ بتعملي دور مش مجبورة عليه ...أنا فعلاً آسف.

_انت دايماً حساس قوي كده ؟! طب غلطاتك ماشي؟! إنما هتشيل ذنب الناس كمان ؟!




قالتها باستنكار وهي تلتفت نحوه بوجهها ليروعها الألم الذي سكن ملامحه خاصة مع قوله دون أن ينظر إليها :

_لما نتوجع واحنا بنتأسف على الغلط أحسن ما غيرنا يتوجع وهو بيدفع تمن غلطنا .

تنهدت بحرارة وهي تفهم مغزى عبارته حتى أنها كادت ترد لولا أنها رأت انعقاد حاجبيه مع صوت غريب في مقدمة السيارة ليصلها بعدها صوته المحرج :

_عملتها زوبة !

لم تستطع التحكم في ضحكتها "الكارثية" التي وجدت صداها في قلب هذا البائس جوارها لكنها لم تتوقع عبارة مرحة كهذه من "النِفري" هذا كما تصفه هانيا .."النكدي" كما تصفه هي!!!

لهذا وضعت كفها على شفتها بحرج عندما شعرت

بالسيارة تقف على جانب الطريق بينما هو يدير وجهه عنها ليقول بحرج :





_للأسف هنضطر نطلب مساعدة.

_لو قلت هنطلب إسلام وطلعت دي حركة منك عشان تخليه يعتذر لي هاتكون آخر مرة أكلمكم انتو الاتنين .

هتفت بها بحدة متطرفة تماماً ومناقضة لضحكتها المرحة منذ قليل ...

فالتفت نحوها بدهشة ليهتف بضيق أجفلها:

_أنا مش بتاع حركات ...ومش فاضي ألف ورا كل واحدة تعجب إسلام لأني ساعتها مش هاخلص.

ارتدت للخلف وهي تشعر بالندم على تسرعها جعلها تتغافل عن إهانته بوصفها مجرد "واحدة" تعجب إسلام !

بينما تناول هو هاتفه ليطلب رقماً ما ...




_أيوة يا عمي ...أنا آسف جداً ...العربية عطلت بينا ...أنا قلت أستأذن حضرتك قبل ما أكلم واحد صاحبي ييجي ياخدنا ...

ثم التفت نحوها ليردف:

_عارف حضرتك بتقلق على غادة ومش بتآمن عليها أي حد .

رمقته بنظرة معتذرة عذبة جعلت ملامحه الغاضبة ترتخي قبل أن يستمع قليلاً ليقول مخاطباً علاء:

_خلاص كويس جداً...هانتظر حضرتك...أسف مرة تانية.

_قدامه ساعة بالكتير ويبقى هنا ...خدي راحتك أنا هاخرج م العربية.

قالها مخاطباً إياها ليغادر السيارة ويتجه نحو مقدمتها مستنداً عليها فابتسمت وهي تهمس لنفسها :

_سيف ابن الناس الكويسين صحيح زي ما بيقول عمو

علاء.

ظلت مكانها تترقب الطريق حتى شعرت بالملل فجذبت حقيبتها لتغادر السيارة وتستند جواره على مقدمتها قائلة بعفوية :

_أنا جعانة ومعايا ساندوتشين ...لو ما أكلتش مش هاكل ...ياللا عشان يبقى عيش وملح.

قالتها ثم استخرجت الشطيرتين من حقيبتها لتمنحه إحداهما فتناولها منها قائلاً بعفوية تشبهها وكأنه لم يحتد منذ قليل:

_وأنا معايا علبتين عصير في العربية.

_بس...تبقى جبرت!

قالتها بمرح ليبتسم ابتسامة واسعة وهو يتحرك ليحضر العصير من داخل السيارة قائلاً:

_من زمان ما سمعتش "جبرت" دي .

_أنا بورسعيدية يا فندم...لو سبت نفسي هنكلمك بلهجتنا وممكن ماتفهمش مني حاجة.





قالتها باللكنة البورسعيدية المميزة فضحك وهو يعود ليعطيها إحدى العلبتين قائلاً :

_كان ليا واحد صاحبي بورسعيدي أيام الجامعة كنت بحبه قوي...كان عليه عزف ب"السمسمية" مالوش حل...وكان دايماً يقوللنا مصطلحات غريبة بالبورسعيدي ونقعد نترجمها معاه...

ابتسمت وهي تشعر بحنين جارف نحو مدينتها رغم قسوة ما تركته من ذكريات هناك لتقول بشرود :

_مهما شفت أماكن حلوة ...هتفضل بورسعيد في عيني أجمل حتة في الدنيا .

قالتها ثم قضمت قضمة من شطيرتها محاولة تناسي مشاعرها لكنه لم يغفل عن رنة الحزن في صوتها ليعود ويتساءل في نفسه عن سر هربها إلى هنا بدلاً من العيش مع والدتها ...





لقد فكر في سؤال رامز عن الأمر لكنه تراجع خوفاً من أن يلاحظ اهتمامه بها ...

ترى ما الذي يحمله ماضيها ويروعها إلى هذا الحد ؟!

"أرنب مذعور"!

هكذا وصفت له نفسها يوماً فماذا كانت تعني؟!

_أنا آسفة إني انفعلت من شوية بخصوص إسلام.

قالتها باعتذار رقيق وهي تتطلع لضوء السيارات المارة أمامها لكنه أطرق بوجهه دون رد ...

ماذا عساه يخبرها؟!

أن إسلام في هذه اللحظة بالذات مع خليلته هنا في اسطنبول يقضي الليلة معها رغم أنه لا يبرح يشكو له من ضيقه بسبب رفضها هي له !

لا...ليست ازدواجية!

لكنه مثل كثير من الرجال يرى أن العلاقة الجسدية لا





علاقة لها بالحب!

وهو ما يختلف معه فيه سيف على أي حال .

_أنا مقدر حساسية الوضع...وحاسس إن "أنّا" بالذات بتضغط عليكِ في الموضوع ده ...بس صدقيني رغم إن إسلام صاحبي شايفكم ماتنفعوش لبعض...وماليش

علاقة بأي تدخل ليه في حياتك.

قالها بجديته الرصينة فابتسمت بارتياح وهي تعود لتناول شطيرتها قائلة بنفس العفوية :

_زمانك بتقول عليا مفجوعة ومش صابرة ساعة أروح البيت أتغدى بس بصراحة بجوع بالليل جداً ...ما بستحملش.

ضحك رغماً عنه لتحمر أذناه بهذه الطريقة التي تثير دهشتها فأردفت بنفس النبرة:





_كل بتاعك بقا عشان ماتحسسنيش إني مفجوعة لوحدي.

بدأ في تناول شطيرته بحرج كاتماً ابتسامة لم يعرفها من قبل بهذا الدفء ...

بينما أنهت هي شطيرتها لتتناول العصير دفعة واحدة قبل أن تقول ببساطة وهي تمسد ذراعيها براحتيها :

_بسرعة يا عمو علاء...الجو برد ...

ولم تكد تنتهي منها حتى فوجئت به يخلع سترته بسرعة ليعطيها لها محافظاً على مسافة مناسبة بينهما دون أي كلمة بينما يطرق برأسه في حرج...

حاولت الاعتراض بشدة لكنه لم يزد حرفاً ولم يغير وقفته بل ظل يمد يده بها نحوها بحركة صارمة مطرق الرأس...

فتناولتها منه شاكرة لتضعها على كتفيها ...





هنا أشاح هو بوجهه عنها وكأنه خشي أن يراها ترتديها !!

قلبه يخفق بعنف كمراهق يقابل معشوقته سراً في عزلة عن العيون ليضع فوقها سترته ...

مشهد استوجب جموح مشاعر لم تطله من قبل بهذه

المغالاة إلا مع...

انجي!

والخاطر الأخير أذاب ابتسامته وجعله يحافظ على إطراقته ما بقي من الوقت مكتفياً بتناول شطيرتها ...

حتى وصل العم علاء الذي توقف جوارهما بسيارته ليهتف به :

_عملتها فيك زوبة؟! اخس!

ضحكت غادة بارتياح وهي تستقل السيارة جواره لتهتف بعاطفة حقيقية :





_وحشتني قوي يا عمو النهارده...اليوم من غيرك فعلاً

مالوش طعم.

فتأمل علاء منظرها والسترة فوقها ليقول باشمئزاز مصطنع:

_إيه شغل الأفلام ده ؟! أسيبك معاه ساعة ألاقيكي لابسة الجاكيت بتاعه.

ربما لو كانت ملاحظته تخص إسلام لشعرت بالغضب ...

لكنها على العكس كانت تشعر بسعادة خفية ولدت لديها المزيد من المرح خاصة مع إطراقة سيف المتحفظ والجالس خلفهما في السيارة ...

لتهتف بعفوية جادة تحمل الكثير من التقدير:

_ده سيف ابن الناس الكويسين...مش بتاع أفلام.





ارتفع حاجبا علاء بمكر جعل وجنتيها تحمران بخجل لكنها وارته بقولها :

_ياللا بقا بسرعة ع المزرعة هاموت من الجوع .

عاد علاء برأسه للوراء يرمق سيف بنظرة متفحصة لم تخلُ من مكر لكن الأخير كان مكبلاً بمزيج مشاعره المتناقضة التي جعلته يطرق بوجوم طوال الطريق ...

صوت ضحكاتها المنطلقة مع علاء الذي كان يسألها عن العمل كان شديد الوقع في أذنيه ...

لكنه لاحظ شيئاً تمنى أن يكون حقيقياً رغم أنه لا يفهم حقيقة مدلوله !

منذ التقاها هذه الليلة وهي لم تداعب دبلة أحمد في أناملها بحركتها المعهودة ...

فهل يعني هذا شيئاً؟!

==========




الجلسة الثالثة التي يصر على حضورها معها يسمعها وهي تقرأ لهمسة !

الجلسة الثالثة التي تحاول فيها قدر استطاعتها التماسك أمام طغيان مشاعرها بالحلم الذي يكاد يتجسد !

الجلسة الثالثة التي تجاهد فيها نفسها للحفاظ على "مهنيتها" وسط كل هذا الشتات الذي تسبح فيه روحها بسذاجة امرأة لم تختبر يوماً مثل هذه المشاعر!

هذه المهنية التي جعلتها تتغاضى عن صراعها هي الخاص متفانية في قياس مدى استجابة همسة لما تقرأه لها ...

والحقيقة أنها كانت مُرضية ...ربما ليست فائقة لكنها تكفيها لتكمل الطريق بدأب!





_الحب يمنحنا الحياة ...يجعل للكون لوناً ورائحة ومذاقاً...ودونه حياتنا مجرد وهم ...سجن ...مهما تزخرفت أسواره.

كانت هذه آخر عبارات الكتاب "خفيف المحتوى" الذي كانت تقرأه لها ...

لكن الكلمات بدت وكأنها مست وتراً في قلب همسة التي أصدرت أنيناً خافتاً جعل زين يقترب منها ليضمها بذراعه لصدره قبل أن يعبث في شعرها بأنامله وعيناه الآسرتان تلتقيان بعيني ياقوت التي أشاحت بوجهها فوراً وكأنما مستها صاعقة !

ربما لأنها لم تستشعر في حياتها الخاصة هذا الحنان "الرجولي" من قبل!

هي عايشت عاطفة الأم...الجدة...الشقيقة...

لكنها لم تعرف معنى أن يكون لديها رجلٌ!





أجل..."عالم الذكور" بتعقيداته كان بعيداً تمام البعد عنها ...وأصرت قدر استطاعتها أن تكون هي الأخرى بعيدة عنه ...

والآن يأتي زين هذا ككنز ...بل "مغارة كنوز " كاملة !

يبهرها بسطوع شمسه في جميع وجوهه...

تباً...أليس لرجل مثل هذا عيوب؟!

أين هي؟!

ليتها ترى واحداً فقط وستتكفل هي بتضخيمه حتى تزيح هذا الثقل الذي صار يرهق قلبها ...

يالله !

الحلم صار ثقلاً؟!

نعم...عندما تتدخل عقولنا لترشدنا لاستحالة حدوثه بينما يتدخل طموحنا من الجانب الآخر ليدفعنا بقوله أن لا مستحيل!





ومن جديد تستدعي درع مهنيتها لتتخفى خلفه وهي تمنحها "بيضة" وقلم ألوان لتتناولها منها همسة فترسم ككل مرة ...

عينين وأنف ...وفم مبتئس ...

لكن الدمعتان اختفتا هذه المرة !

تراها دلالة جيدة ؟!

هذا ما حاولت به إقناع نفسها عندما قامت من كرسيها لتتناول حقيبتها منتوية المغادرة ...

لترفع إليها همسة عينيها بنظرة تعلق وهي تمد كفها لتتشبث بذراعها ولازال زين يضمها لصدره ...

هذه الحركة التي لم تجد أثرها في قلب ياقوت فحسب ...





بل في قلب زين الذي شعر في هذه اللحظة بالذات لو يملك حرية أن يتشبث هو الآخر بذراعها هنا فلا تغادر !

مشاعره نحو هذه المرأة لم تعد مفهومة...

أحياناً يبررها بأنها مجرد رغبة في طريدة لم يصادف مثلها من قبل ...

وأحياناً يخرج بها أصلاً خارج تصنيف النساء!

أجل...لقد صار يتعامل معها ك"كيان" غامض مهيب يثير حواسه بتناقض لا يفهمه !

ومما يزيد من حيرته هي تلك الحصون التي تتوارى خلفها دون أن تستجيب ل"شباك" يلقيها لها الصياد طامعاً فيعود بها خائبة ...

تماماً كما الآن وهو يتحرك معها ليغادر الغرفة نحو بوابة حديقته ...

_صوتك حلو.




_انت اللي صوتك حلو ...وكلامك حلو ...وكلك على بعضك حلو .

"العفريتة العابثة" التي فقدت عقلها تماماً هياماً به تعربد بين جنباتها بجنون صارت هي الأخرى تشاركها فيه ...

ربما لهذا لم ترد بفظاظة اعتدادها ككل مرة بل اكتفت بإطراقة صامتة لم ترضِ غروره ...

خاصة عندما تجاهلت القول لترفعِ رأسها بقولها دون أن تنظر إليه :

_فيه دكتور بثق جداً في رأيه عرضت عليه الحالة وراضي جداً عن تطورها ...تحب تتابع معاه هو ؟! هو أكبر مني سناً وخبرة.

عقد حاجبيه بدهشة وهو يتوقف مكانه ...

عبارتها بدت له وكأنها تتهرب من وجودها هنا !





وإلا كيف تضحي بمبلغ كبير كهذا الذي يدفعه لها ؟!!

لهذا تفحص ملامحها بدقة ليسألها بحذر:

_هو حد ضايقك هنا؟!

ورغم أن اللهجة التي خاطبها بها بمزيج من الاهتمام والضيق عززت "حلمها الذهبي" به لكنها عاودت التشبث بجدار مهنيتها لترفع إليه عينيها بقولها المعتد:

_إيه علاقة إن حد يضايقني بالموضوع ؟! أنا بتكلم عن مصلحة حالة عندي تقتضي إني أدور عليها معايا أو مع غيري ...شفاء همسة نجاح ليّ لكن مش هتكسف لو ماحققتش معاها تقدم.

_أفهم من كده إنه حتى لو حد ضايقك هنا هتفضلي تتابعي الحالة ؟!

_لو في مصلحتها أكيد طبعاً .





قالتها بحسم قاطع أثار إعجابه لكن غريزته ك"صياد" جعلته يضغط على ما يراه نقطة ضعفها :

_تحبي نزود المبلغ اللي محددينه للجلسة ؟!

اتسعت عيناها بصدمة وهي تتلقى عبارته كصفعة اتهام !

لهذا احمر وجهها بانفعال قبل أن تهتف باعتدادها الذي

خالطه الآن الكثير من الغضب:

_انت متصور إني بقول كده عشان طمعانة في أتعاب زيادة ؟!

تراجع مكانه خطوة وهو يشعر أن ذكاءه قد خانه في عبارته الأخيرة ...

لكنه وجدها فرصة ليرد لها إهانة قديمة فعقد ساعديه أمام صدره ليقول بنبرته المسيطرة :





_أنا ماقصدتش كده بس حتى لو قصدت ...أفتكر أنا ماانفعلتش عليكِ قوي كده لما اتهمتيني إني أنا اللي طمعان فيها .

انعقد حاجباها بقوة وهي ترمقه بنظرة حادة قبل أن تقرر ما تجيده معه دوماً ...الهروب!

لهذا أعطت له ظهرها لتتصرف دون رد مما دفعه ليلحق بها فيقف أمامها معترضاً طريقها لكنه التزم الصمت هو

الآخر للحظات مكتفياً بحديث نظراتهما المتناطحة ...

اعتدادها لم يكن يقل سطوة عن غروره ...

غضبها لم يكن يقل حدة عن عناده...

وكذلك إعجابها لم يكن يقل وهجاً عن شعوره المتناقض نحوها !!

قمّتان متوازيتان لجبلين راسخين ...





يبدو أن لقاءهما مستحيل إلا بنسفهما معاً !

_واضح إنك حساسة جداً...المفروض تفهمي من كلامي أد إيه أنا متمسك بيكي ومش عايز غيرك يعالج أختي.

عادة قديمة تعلمها بحنكته في السوق أن يقلب الطاولة ويلقي بالعيب على من أمامه !

لكنها هي الأخرى لم تكن خصماً ساذجاً عندما عقدت ساعديها أمام صدرها دون أن تقل حدة نظراتها فلجأ للخطوة التالية ...

"الجرّ الناعم"

_انتِ مش شايفة هي إزاي بقت متعلقة بيكي ؟!
عايزة تسيبيها بالساهل كده ؟!





عبارته آتت ثمارها هذه المرة لأنها مست بداخلها تعاطفها الخاص نحو همسة التي تشعر بها انعكاساً لمأساتها هي ...

لهذا رقت لهجتها نوعاً وهي تشيح بوجهها لتقول بنفس التحفظ الجاد :

_أنا ماقلتلتش هاسيبها ...أنا بس ضميري حتم عليّ أعرفك إن ممكن يبقى فيه حد تاني أفضل مني.

عقد حاجبيه بشك ولايزال يتفحصها غير قادر على فهمها ...

لقد ظن يوماً أن المال نقطة ضعفها وقد مرت بهما من المواقف ما جعله يميز بسهولة لمعة عينيها عند رؤيته...

لكن موقفها الأخير هذا يجعله في حيرة من أمره !

تراها تدعي كل هذا؟!

مجرد تمثيل؟!

من يدري؟!





C i n n a b o n

ربما!

هو يعرف "امرأة" مثلها من الماضي خدعت أباه حتى لفظ زوجته لأجلها وتزوجها هي ؟!

عظيمٌ هو دهاء حواء عندما تجيد نصب الشرك ...

لكنه هو "الصياد" هذه المرة !

وقواعد اللعبة هو من سيضعها حتى يحصل على ما يريد !!

_أنا آسف لو ضايقتك.

بأرق لهجة لديه نطقها وعيناه ترميانها بهذه النظرة الآسرة التي دغدغت أنوثتها لكنها أشاحت بوجهها لتتمتم بفتور:

_ماحصلش حاجة.

لم تكد تنتهي منها حتى انتفضت بقوة وصوت الرعد يأتيها عالياً من السماء التي بدت وكأنها انشقت فجأة ليهطل منها المطر ...





لعنت غباءها وهي تتنبه للتحذير الذي قرأته عن التبدل المفاجئ للطقس ...

كان ينبغي أن تلغي جلسة اليوم!

_ممكن تتفضلي جوة لغاية ما المطر يخف شوية !

حاولت الاعتراض مراراً لكنه أصر بدوره لتجد نفسها مضطرة تستجيب لدخول البيت الكبير للمرة الثانية التي لم يختلف أثرها عن الأولى ...

نفس المزيج بين الرغبة والرهبة...

بين الأمل والألم ...

بين "حلم" يزين الغد و"هاجس" شوّه الأمس!

_اتفضلي .

هذه المرة كانت تجلس في بهو البيت حيث أحد الصالونات الفخمة ...




ورغم أنها كانت تحفظ بصرها عن التأمل كما علمتها ثمر عن آداب دخول البيوت لكن صورة كبيرة مؤطرة على أحد الحوائط الجانبية لفتت انتباهها فاختلست نحوها نظرة جانبية لم تخفَ على عيني "الصياد" الذي جلس جوارها لا تفصل بينهما سوى منضدة ذهبية صغيرة ليرد عن تساؤلها غير المنطوق:

_دي والدتي الله يرحمها .

ويبدو أن العاطفة التي اتشحت بها حروفه عبرت خلال قلبها لتغمغم برقة لم تتعمد تكلفها :

_الله يرحمها ...فيها شبه كبير منك.

ارتفع حاجباه للحظة من عفويتها الرقيقة التي تسربت عبر "وش الخشب" كما تحلو له تسميته ...

ليجد نفسه يسألها دون محاذير:





_وانتِ بقا شبه والدتك واللا والدك!

ربما لو كان قد صفعها لكانت ردة فعلها أهون من هذا!

فقد شحبت ملامحها فجأة لترتجف نظراتها الواثقة قبل أن تجد أناملها دون وعي تحط على صدرها في موضع "العشر جنيهات" التي لا تفارق مكانها هناك !

أنفاسها تتلاحق والسؤال الفاضح يفرض نفسه...

هل يعرف؟!

هل يعرف؟!

ورغم البرودة التي كانت تسري في أطرافها لكن حبيبات العرق التي احتشدت على جبينها فضحت انفعالها وجعلته يشعر ببعض الندم على تطرقه لهذا الأمر ...




لكنه عندما أراد تكحيلها أعماها!

_أنا معجب جداً بكفاحك رغم الظروف اللي مريتِ بها ...أكيد طريقك ماكانش سهل بس انتِ مشيتيه صح.

دمعت عيناها رغماً عنها وهي تتمنى الآن لو تنشق الأرض وتبتلعها !

هو يعرف!

بالتأكيد يفعل!

هو لن يدخل أحداً لبيته ويأتمنه على شقيقته إلا لو كان يحيط بكل تفاصيله ...

لكن لماذا كل هذا الفزع؟!

فليعرف أو لا يعرف!

لو كان هو "الحلم" الذي ترتجيه حقاً فلن يكترث بماضٍ أو حاضر ...

ولو كان مجرد "وهم" فليرحل مع من رحل!





كانت هذه إحدى حيلها النفسية التي تستخدمها عادة ل"التأقلم" !

ربما لهذا جفت دموعها فجأة كأن لم تكن لتستقر أنفاسها الثائرة أخيراً ...

نفسها تنازعها ألا تجيب سؤاله لكنها ردت باعتداد عاد يفرض نفسه على صوتها :

_والدتي.

_هه؟!

تساؤله الشارد كان له ما يبرره وهو يتفحص هذه "الحالة النادرة" أمامه !

لوهلة هيئ إليه أنها ستبكي !

هذا الشعور بالشفقة الذي كاد يدفعه للتأهب للاعتذار !!

لكن "معجزة ما" حدثت وجعلتها تستعيد عرش قوتها الذهبي هذا!!





أوه!

كم تبدو شهية مغوية حقاً ك"طريدة" تستفز كل حواسه ك"صياد"!

_شبه والدتي ..مش سألتني شبه مين؟!

قالتها ببعض الحدة وعيناها الخضراوين خلف زجاج نظارتها كقمرين سجينين تتوهجان ببريق حاد جعل عينيه هو الآخر تلتمعان بقوة وابتسامة خطيرة ترتسم على شفتيه وهو يتقدم بجذعه للأمام فيقترب منها أكثر قائلاً :

_الله يرحمها ..أكيد اللي تربي بنت زيك تبقى شخصية عظيمة.

عدلت وضع نظارتها على أنفها بارتباك لم تملكه لترد بفتور :

_والدتي اتوفت وأنا طفلة...الحقيقة جدتي صاحبة الفضل في تربيتي .
_الحاجة ثمر .

الاسم من بين شفتيه كان له وقع خاص في أذنيها !
جدتها كانت ولاتزال تحمل دوماً قدسية خاصة لديها لهذا شعرت بقشعريرة غريبة وهي تسمعه يردده ...
كأنه اقترب كثيراً من منطقتها الخاصة التي بقدر ما ترغب في إقصائه عنها بقدر ما تحلم منه باقتراب!

قاطع أفكارها وصول الخادمة تحمل صينية من المشروبات وضعتها جوارها قبل أن يصلها صوته :
_أنا فاكر كويس إنك مش بتحبي تاكلي أو تشربي حاجة وانتِ بتشتغلي بس انت دلوقت بره مواعيد الشغل .




الودّ الجذاب في صوته يدغدغ أنوثتها بهيمنة لا تنكرها !

خاصة عندما صرف الخادمة ليقف ويسألها بينما يشرف عليها بطوله الفارع من علوّ :

_كام معلقة سكر؟!

_خمسة!

قالتها ببعض الخجل فضحك ضحكة عالية وهو يضع لها ما طلبته بينما يقول بنبرته الآسرة:

_أطيب ناس عرفتهم في حياتي هم اللي بيحبوا الحاجات المسكرة بزيادة.

وعند الخاطر الأخير طافت صورة ياسمين بذهنه متذكراً أنها هي الأخرى تحب الإفراط في السكريات !

عجباً!

كم تتشابه المرأتان!





وكم تختلفان!

ربما لهذا اختلس نظرة متفحصة نحوها من مكانه وهو ينحني ليقلب السكر في فنجان الشاي ...

ترى كم من الأنوثة تخفيه هذه الأسمال التي ترتديها؟!!

وإلى أي حد قد تشتعل نارية مثلها في عاطفة ؟!!

_شكراً.

قالتها غافلة عن جموح أفكاره وهي تتناول منه الفنجان لترشف منه رشفة قبل أن تغمض عينيها باستحسان ...

الملمس الدافئ ...المذاق الحلو ...

ومتعة خفية تستشعرها من أنه أعده لها بنفسه !

لم تستطع مقاومة الشعور بالرضا عن كل هذا لتأخذ نفساً عميقاً وهي تراه يعود لجلسته قبل أن يبدأ في تبادل حوار قصير معها ...





لم تدرِ كيف مر الوقت ولا كيف انجذبت كفراشة نحو نور هالته الآسرة ...

كل ما كانت تشعر به هو ألفة غريبة !

وكيف لا؟!

وهي تتحدث نحو "رجل الحلم" الذي حاكت معه كل هذا الحديث من قبل في خيالها !!

لكن الألفة الدافئة كان يتخللها الكثير من الحذر ...

"الساحر الأنيق" خلف بللورته لايزال يخفي الكثير ...

رعد ...ومطر!!

هكذا هو بالضبط كما الطقس بالخارج!!

=========

بعد شهر من الأحداث السابقة ...

وقف يراقبها وقد غطت عينيها عصابة في مشهد صار يتكرر كثيراً...





لكن الفارق هنا أنه لم يعد يخشى أن يراه زين !

ياقوت أوفت بعهدها له !

ياقوت التي تقدمت نحوه الآن لتقول بصوت شديد الخفوت:

_هاسيبك معاها عشر دقايق لوحدكم بس عايزاك قبل ما تمشي تسيب لها حاجة في إيديها .

رمقها بنظرة متسائلة لتجيبه بنفس الخفوت :

_أي حاجة مميزة من ذكرياتكم سوا ..سيبها معاها قبل ما تمشي ...عايزه أبدأ أقرب العالمين بتوعها من بعض .

هز رأسه باستغراب لكنها قالت بسرعة :

_قدامك عشر دقايق قبل ما زين يوصل.

قالتها لتغادر الغرفة نحو مدخلها المطل على حديقة البيت بينما ظل هو واقفاً مكانه متجمداً للحظات يبحث عما يمكن أن يتركه لها ...





ثم لم يلبث أن فتح حافظة نقوده الجلدية ليلتقط من بين جيوبها "زرّين معدنيين" كانت قد أحضرتهما له كهدية عقب تخرجه ...

ابتسم لعذوبة الذكرى وهو يسترجع رقتها بينما كانت تثبتهما له بنفسها في إسورتي قميصه قبل أن تعدل له رابطة عنقه لتهمس له في مكانهما الذي انعزلا فيه عن العيون :

_خد بالك ...هيفتنوا لي عليك لو كلمت واحدة غيري.

_ممكن أبص بس من غير ما اتكلم !

بمكر يقولها ليغيظها لكنها تبتسم ابتسامتها الرقيقة وهي تضع سبابتها على صدره في موقع القلب تماماً لتهمس بيقين لا يقبل الشك:

_وده راح فين ؟! ده اللي عمره ما هيشوف غيري زي ماعمري ماهاشوف غيره .





دمعت عيناه قهراً عند الخاطر الأخير ليبتلع مرارة غصة حلقه وهو يقترب منها ليجثو على ركبتيه أمامها ...

جسدها يرتجف مميزاً هالة حضوره فيمد أنامله ليحتضن كفيها ...

يرفعهما نحو شفتيه بقبلات دافئة ...

قبل أن يداعب شعرها الناعم بأنامله ...

_كل ده ولسة ما كفرتش عن ذنبي يا همسة ؟! إيه ممكن يكون أقسى عليّ من إني أشوفك قدامي وماكلمكيش ؟! كان أهون عليّ تعاقبيني أي عقاب حتى لو كنتِ اخترتِ تكملي معِ راجل غيري ...لكن تبقي قدامي...مراتي...شايفك ..وبلمسك...ومش قادر حتى أقوللك سامحيني...أقوللك إني لسه بحبك...وهافضل أحبك لآخر يوم في عمري... عذاب يا همسة ...عذااب!!





صرخت بها أعماقه دون صوت ليجذب رأسها لصدره فجأة مطوقاً إياها بذراعيه ...

دقات قلبه تعوي تحت أذنيها فيرتجف جسدها وهي تود لو تصرخ ...

هي تشعر به ...

حبيبها ...صِنو روحها ...

تميز ترنيم أنفاسه وسط كل هذا الصمت الموحش حولها ...

لكنها لا تذكر شكله ...

لماذا لا يرفع العصابة عن عينيها ؟!

فلترفعها هي!!

لا!!

صوتٌ بداخلها يخبرها أن الجحيم سيفتح أبوابه من جديد لو رأته...

فليبقَ هكذا بلا صورة...

بلا صوت ...





مجرد وهم غير مرئي ...

تماماً مثلها ...هي ..هي التي عاشت عمرها كله غير مرئية !!

تشعر به يفتح كفيها ...يضع شيئاً ما هناك ...قبل أن تسمع خطواته يبتعد ...

ملمسه بارد يناقض دفء أنامله ...

لا ...لا تريده ...فليأخذه معه !

تقذفه بكل عنف لتسمع صوت ارتطامه بالجدار هناك!!!

وفي مكانها كانت ياقوت تراقبها خلسة من وراء النافذة وجوارها رائد ينقبض قلبه جزعاً مما تفعله...





خاصة عندما مدت أناملها ببطء تنتزع عصابة عينيها لتدور بهما في المكان الخالي بعدما أغشاهما الضوء ...

تمسح دمعاً لم يجف لتنهض من على كرسيها وتتوجه نحو الجدار هناك حيث ألقت عطيته...

تنحني على ركبتيها لتراهما ...

فتبتسم وتبكي ...

تبتسم وتبكي ...

حتى تحتضنهما في راحتيها لتتكور على نفسها في وضع الجنين مستلقية على الأرض!!

هنا لم يستطع رائد التحمل وهو يعطي ياقوت ظهره ليبتعد مخفياً عبراته خلف قناعه الجليدي ...

لكن ياقوت أشارت للخادمة كي تقترب وتدخل لهمسة الغرفة ...

قبل أن تلحق به لتقول بنبرة مشفقة :





_عارفة إن الموقف صعب بس مالاحظتش حاجة حلوة حصلت؟!

التفت نحوها بيأس ملهوف لتبتسم ابتسامتها "الطيبة" مردفة:

_من اللي عرفته منكم...دي أول مرة هي اللي تفك الرباط من على عينيها ...ماتستناش حد يفكهولها .

اتسعت عيناه قليلاً ليستدعي صوتاً خرج منه متحشرجاً :

_وده معناه إيه ؟!

فتنهدت بحرارة لتطرق برأسها قائلة :

_مش عايزة أديك أمل كبير ...بس دي خطوة كويسة جداً معناها إن هي نفسها اللي بدأت تشق الشرنقة وتخرج ...أعتقد لو استمرينا ممكن نوصل إنها في مرحلة ما تبقى قادرة تشوفك وتسمعك .

التمع الأمل في عينيه لتردف هي باستطراد دافئ





ولازالت مطرقة برأسها:

_صدقني هتكون من أسعد لحظات حياتي لما تقدر ترجع طبيعية وترفع راسها قدام الناس كلها وتقوللهم إنها مرا...

لكزها لكزة خفيفة في ذراعها لتقطع عبارتها وتنتبه لتقدم زين نحوهما فتشددت وقفتها وهي تشيح بوجهها ...

بينما عقد زين حاجبيه وهو يراقب وقفتهما بريبة...

لماذا يقفان هكذا خارج الغرفة يتهامسان؟!

أليس مكانهما بداخلها؟!

ولماذا لكزها رائد هكذا لتصمت عندما رآه ؟!

ما الذي يجري بينهما بالضبط ؟!!





ضم قبضتيه بغضب داراه ببروده وهو يتقدم نحوهما أكثر ليصافح رائد الذي رقت نبرته وهو يخاطب ياقوت بقوله :

_لو احتجتِ أي حاجة أنا تحت أمرك.

ازداد انعقاد حاجبي زين وشعور غريب يتملكه !!

منذ متى يتشقق القناع الجليدي لرائد ليقول لامرأة ما "تحت أمرك" هذه ؟!!

منذ متى تحمل عيناه هذه اللمعة الدافئة ؟!

هل ما يظنه صحيحاً حقاً ؟!

هل تعجبه هذه المرأة ؟!!

_أشوفك بكرة ونتفق ع التفاصيل قبلها .





ورغم أنها كانت تقولها بنبرتها المهنية المعتادة لكن أذن "غيرته" جعلته يسمعها بنبرة أخرى أججت المزيد من نيرانه ليرمق رائد بنظرة حادة سبقت قوله :

_أنا لسه مش راضي عن اللي بيحصل ده ...

ثم التفت نحو ياقوت لتنال نصيبها من سخطه :

_وزي ما قلتلك أي انتكاس ليها مسئوليتك .

رفعت ياقوت حاجبيها بدهشة من تغير أسلوبه بينما التوت شفتا رائد بابتسامة ماكرة وهو يدرك سر غضبة قريبه ...

لكنه آثر الصمت والمراقبة كعهده فمضى مبتعداً دون مزيد من الكلمات ...

_انت ليه اتضايقت من وجوده ؟! ما احنا متفقين !!

قالتها بتساؤل حائر فكز على أسنانه قائلاً ببرود مشتعل:





_طبعاً لو سألتك كنتو بتتوشوشوا في إيه هتقولي لي أسرار شغل ...

_أوبا.....وجرب نار الغيرة ...شكل السنارة غمزت يا توتة!

مداخلة خبيثة من العفريتة العابثة إياها لكنها لم تكن في مزاج رائق لتقبلها وهي تتأمل غضبه بنظرات متفحصة ...

خاصة عندما استطرد وهو يضع كفيه في جيب سرواله :

_وأنا بحترم أسرار الشغل ...فمش هسألك.

ضاقت عيناها وهي تشعر بتلميح سخيف في عبارته لكنها لم تفهم سر ضيقه بالضبط...

تراه يخشى أن تعجب هي رائد فيزهد في أخته ؟!

الأحمق!

ألا يدري كم يحبها ؟!!





انقطعت أفكارها برنين هاتفها الذي تناولته منتوية تجاهله لكن اسم لجين في هذه الساعة حيث تدرك أنها لا تتلقى اتصالات أثناء عملها لا يعني سوى كارثة ...

وقد صدق ظنها عندما فتحت الاتصال ليصلها صوت شقيقتها الملتاع:

_الحقي ستي ثمر .

=========

_اهدي بس هتكون كويسة إن شاء الله .

قالها مطمئناً وهو يقود بها سيارته نحو بلدتها بينما كانت هي تشعر بذهول صادم لا تصدق كيف تطور الأمر هكذا !!

عندما وصلها الخبر كانت تريد اللحاق بأقرب قطار لكنه أقنعها أنها لن تجد تذكرة بسهولة عارضاً عليها توصيلها بسيارته حتى أقرب موقع لقريتها مراعياً ألا يراهما أحد من أهل البلدة...





لم تفكر وهي توافق!!

لم يكن شيئ ما يهمها في هذه اللحظة إلا أن تطمئن على جدتها !!

لجين تقول إنـها في المشفى بعدما نقلوها إذ وجدوها فاقدة للوعي وحدها في البيت !!

تسربت منها دمعة مسحتها بكفها بسرعة وهي تشيح بوجهها مغمغمة بكلمات شكر لم تتبينـها ...

لكنه اختلس نظرة نحوها وهو يشعر بارتجاف جسدها جواره يثير بداخله مشاعره ـالمبهمةـ نحوها ...

لم تتحدث بكلمة واحدة منذ ركبت جواره...

فقط تضم كفيها في حجرها مراقبة هاتفها برعب !

لهذا حاول إخراجها من هذا الصمت بقوله :

_هي مالهاش حد يقعد معاها وانتو مسافرين؟!

_مالهاش غيرنا ومالناش غيرها .




قالتها بصوت متحشرج وشى بقرب انهيارها فانقبض قلبه وهو يشعر بغرابة هذا الوجه العاطفي منها الذي يراه لأول مرة ...

ترى ماذا يختفي خلف الواجهة الأنيقة للطبيبة المعتدة الواثقة بنجاحها ؟!

عفواً...هل قال "الأنيقة"؟!!

فليراجع مفاهيمه إذن قبل أن تصيبه عدوى منها !!

تخطى الخاطر الأخير برشاقة وهو يزيد من سرعة السيارة محترماً صمتها وخشية أن يدفعها الحديث لرؤيتها في وجه لا يحبه ...

"وجه ضعيف" لا يرضاه في طريدة نموذجية مثلها!

نفس الخاطر الذي كان يراودها وإن اختلفت الأسباب بينهما ...





نفس الخاطر الذي يمنعها بصعوبة من الانهيار خشية أن يرى ضعفها ...

هي تواجه العالم كله بقناع قوتها ...

لو سقط فبماذا تواجهه ؟!!

لهذا ما كادت تصل لأقرب مكان يمكنها فيه استقلال عربة نحو قريتها حتى هتفت بحزم :

_ممكن تقف هنا ...هاكمل لوحدي!

أوقف السيارة كما طلبت وهو يهم بعرض المزيد من المساعدة عليها لكنها لم تنتظر وهي تقفز منها نحو عربة ما مما يسمونها "ميكروباص" انحشر فيها جسدها الصغير حشراً لتختفي من أمام عينيه في لحظات !!

ظل واقفاً مكانه للحظات يتابع العربة التي رحلت بها قبل أن يتخذ قراره و...يتبعها !!

======





انكبت على كف ثمر النائمة في غرفتها بالمشفى تقبله وهي تحمد الله سراً ...

الحالة استقرت سريعاُ لكنها أصرت أن تبيت جدتها هنا الليلة كي تجري لها المزيد من الفحوصات !!

اهتز هاتفها في جيبها دون صوت كما ضبطته لتجدها لجين التي لم يسمحوا لها بالبقاء فغادرت كارهة ...

خرجت من الغرفة نحو الممر الخارجي لتحدثها مطمئنة إياها قبل أن تتأوه بإرهاق عندما اهتز هاتفها للمرة الثانية ...

برقمه هو هذه المرة !!

لم تملك ابتسامة ناعمة تسللت لشفتيها وهي ترد برقة غير متكلفة بعد تحية عابرة :

_شكراً لاهتمامك ...تعبتك النهارده.

_تعبك راحة .





ورغم أنها كلمة عادية لكن مجرد صدورها منه كان يحمل في أذنيها وقعاً آخر ...

لهذا ارتجف قلبها رغماً عنها لتشهق بدهشة وهي تسمعه يردف:

_لو محتاجة حاجة أنا هنا.

_هنا فين؟!

_في البلد...قدام المستشفى بالضبط..لو بصيتي م الشباك هتشوفي العربية.

لطمت وجنتها برفق وهي تتلفت حولها للممر الخالي قبل أن تهرع نحو النافذة الجانبية لترى سيارته الفارهة أمام الباب ...

_هيفضحنا المجنون ...بس والله
عسل ...عسل...شكله طَب ابن الإيه !




تجاهلت سخافات عفريتتها التي لا تنكر أنها صارت تسعدها لكن صوتها عاد لاعتداده :

_مالوش لازمة تتعب نفسك كده ...الحاجة بقت كويسة.

_ما انا عرفت...البلد كلها مالهاش سيرة حواليا غير صحة الحاجة ثمر ...واضح إنهم بيحبوها قوي .

ابتسمت وصوته يأتيها متراخياً عذباً لترد وهي تسند رأسها للنافذة شاعرة بانسحاب الحدود بينهما رويداً رويداً :

_فعلا...هي أم الكل هنا .

_يابختتك بيها ...ربنا يخليهالك.

لايزال صوته الرخيم يدك حصون أنوثتها فلا تصدق

تناقضه مع هالة الفخامة التي يحيط نفسه بها ...





_أرجوك روح دلوقت ...وقوفك هنا ممكن يعمل مشكلة.

تقولها وتتمنى ألا يستجيب!

أن يظل هنا ك"أمير الحلم" تراقبه من نافذتها وهو ينتظرها!!

_انتِ عارفة إني غالباً مابتحركش من غير حراسة شخصية ؟! لو جرالي حاجة وأنا راجع ذنبي في رقبتك !

_الراجل الغامض بسلامته !

تغمزها بها عفريتتها بهيام لتضحك ضحكة قصيرة نفذت عبر قلبه مع قولها:

_عمر الشقي بقي ...عموماً متشكرة.





_يعني أمشي؟!

_اتفضل.

_بس افتكري إني جيت بلدكم وما عزمتنيش حتى على كوباية شاي ...يا بخيلة.

ارتفع حاجباها وهي تشعر بسخونة وجنتيها مع تطور مستوى الحوار بينهما لهذا الحد !!

إنه يمازحها هكذا ببساطة !!!

ضاعت الهيبة !!

ضاعت!!!

_وقت تاني إن شاء الله ...توصل بالسلامة !

قالتها وهي تغلق الاتصال بسرعة لتلصق وجنتها بزجاج النافذة البارد لعله يهدئ اشتعالها ...

لا تكاد تصدق أنه أتى هنا !

هنا ينتظرها طوال هذا الوقت !!





وفي مكانه كان يراقب هو شاشة الهاتف بابتسامة جذل!

لقد أغلقت الاتصال في وجهه تقريباً!!!

بعد رنة خجل ميزتها خبرته غير الهينة بالنساء!!

هذه ال"ياقوت" كنز دفين سيستمتع كثيراً باستخراجه ...

ثم ؟!!

منذ متى يسأل الصياد هذا السؤال ؟!!

هو يكتفي بمتعة الصيد فحسب ...

لهذا التمعت عيناه باستمتاع وهو يخبط طرف هاتفه بذقنه للحظات سبقت همسه الخطير وضحكته الماكرة:

_عاجباني!

=======

_الله أكبر!

رفع معها يامن كفيه وهو يبدأ في الصلاة ...

لتعاوده وساوسه كالعادة ...

_ياترى هي بتعمل إيه دلوقت؟!

_خانتك زي ما كانت بتقول؟!

_ليه لا؟! مين هيمنعها؟!

_إزاي سايبها لوحدها هناك تعمل ما بدالها !

_طلقها وخلص نفسك !

هل قرأ الفاتحة ؟!

أم لم يفعل؟!

يعقد حاجبيه وهو يسلم من صلاته قبل أن يرفع رأسه للسماء باستجداء صامت ...

ثم أخذ نفساً عميقاً ليبدأ من جديد ...

_الله أكبر!





لكن سلطان وساوسه يعاوده بنفس الضراوة !

_عمرك ما هتفرح ...ذنب ابن سيلين هيفضل دايماً في رقبتك .

_ربنا مش هيقبل منك صوم ولا صلاة ...

_ربنا؟!

والخاطر الأخير انساق لأفكار أخرى أشد خطورة لكن

الاختلاف هذه المرة كان فيه هو !!

_حارب دماغك بدماغك !

بصوت ياقوت يسمعها فتنير له قبساً وسط العتمة ليتفل عن يساره ثلاثاً قاهراً وسواس شيطانه قبل أن يجاهد نفسه للتركيز فيما بقي له من صلاة...

ولم يكد ينتهي حتى سجد طويلاً وهو يرفع حاجته لرب العالمين في دعاء طويل خاشع بللت فيه دموعه لحيته ...

_اللهم إني أبرأ من حولي وطولي وقوتي إلى حولك وطولك وقوتك ...لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

ظل يرددها بلا كلل حتى شعر ببعض السكينة تتسرب إلى قلبه فرفع وجهه يمسحه بأنامله قبل أن يجول بعينيه في أرجاء بيته الذي شاركته إياه يوماً ...

حنين جارف يجتاحه وهو يتذكر جلسته بين ذراعيها !





نعيمٌ طردَ منه بركلة قدم !

ابتسم ساخراً عند الخاطر الأخير ثم قام من مكانه ليتوجه نحو الأريكة حيث وضع حاسوبه المحمول ...

جلساته مع ياقوت تؤتي ثمارها خاصة مع انتظامه في الأدوية ...

ورغم أنها لاتزال تحذره من التواصل مع ياسمين لكنه يشعر أنه صار أفضل حالاً...

مشاهد الفيديو لم تعد تقتحمه كحمم حارقة بل صارت باهتة منطفئة ...

كل ما يملأه الآن نحوها هو شعوره بأنه يحتاجها ل"يكتمل"!

ليملأ فراغاً لم يكن يشعر بوجوده أصلاً إلا عندما دخلت هي حياته !!

لهذا لم يستطع المقاومة وأنامله تتحرك مدفوعة بقوة اشتياقه ليكتب لها ...





لكن ماذا يكتب؟!

_ولد واللا بنت ؟!

ماذا؟!

لم يستطع أن يختلق حديثاً إلا بهذا!

ولم يعلم أنها -في مكانها - كانت تتأمل سؤاله بنفس العينين "مقيدة الدمع"!

هل تخبره ؟!

تخبره -مبشّرة- أنها فتاة كما كان يحلم ؟!

تخبره -معاتبة- أنها ستمنحها الاسم الذي اختارته لها منذ كانت مراهقة تتخفى بعشقه خلف كتاب ؟!

أم تخبره -قاسية- أنها ستحرمه منها؟!!

_مش هتفرق ! ابني أو بنتي مش هيبقى لك فيهم حاجة !





ورغم قسوة عبارتها المكتوبة لكنه ابتسم فلم يكن يتوقع منها إلا هذا!

هذا "الوجه الأسود" لامرأة الألوان لم يعد يثير دهشته بل ...إشفاقه وندمه!

يالله !!

كم يود الآن لو يراها !!

لو يراها في حركتها العفوية التي كانت في آخر لقاء بينهما ...

تفتح ذراعيها له كي تعانقه !!

أغمض عينيه على هذه الصورة للحظات قبل أن يترك

لأنامله العنان لتكتب:

_أنا...عايز ...أشوفك.

عضت على شفتها بقوة وهي تشعر بصرخة عالية تجتاح روحها!!!

أي عشق هذا تحمله نحوه كي يجعل لعبارة بسيطة هذه مثل هذا الأثر في نفسها!!؟

أي قوة تحملها "ثلاث كلمات " كي تدك حصونها دكاً ؟!

هو لم يقل "أحبك"..."أشتاقك"...هو حتى لم يعتذر !

لكن ...ربما لأنها خير من تفهم ما يختفي خلف ال"ثلاث كلمات" هذه !!

وماذا بعد؟!

الخدر الذي بعثته كلماته في حناياها جعلها تشعر بالوهن !

الوهن الذي لن تسامح نفسها أبداً لو استسلمت له ...

لهذا جاءت إجابتها مخالفة تماماً لما توقعه ...

_انت فاكر لي أي حاجة حلوة ؟!





C i n n a b o n

هل يبتسم ؟!

هل يبكي؟!

هل يخبرها أن ما صار يشقيه الآن أنه يعيش ضبابات فردوسه المفقود معها ؟!

لكن رجلاً مثله كان يفتقد مهارة البوح بالكلمات ...

لهذا لم يستطع إلا أن يكتب ...

_كل حاجة...فاكر ...فاكر كل حاجة.

_لو فاكر لي أي حاجة حلوة سيبني أبعد عنك...سيبني أخلص نفسي وبنتي منك.

_بنت؟!

قفز مكانه عندما قرأها ليتلفت حوله بضحكة مختنقة وكأنه يبحث عنها!!!





وكأنه يستعيد حلاوة المواقف التي رسمها في خياله لها!!

هذه "الحلاوة" التي جعلته يغفل عن "مرارة" كلماتها ليعاود الجلوس وهو يقبض كفه الحر بينما أنامله تتحرك بجنون على الأزرار ....

يكتب ...ويمسح ...

ويكتب ...ويمسح ...

أما هي فقد كانت تراقب الشاشة بجمود ...

من يراها من بعيد يظنها ميتة المشاعر غير مدرك لهذه النيران التي تستعر بداخلها ...

من كان يخبرها وهي ترسم آلاف السيناريوهات في رأسها يوم علمت بحملها منه أنه سيعرف بهذه الطريقة ؟!

من كان يخبرها أن حلمها بطفلة منه سيكون مجرد خبر تكتبه أناملها له على شاشة باردة ؟!





من كان يخبرها وهي الساذجة التي حلمت أن تزف له بشرى كهذه بين قبلة وعناق وهي أقرب ما تكون منه فتكون الآن بينهما كل هذه الأميال ؟!

_انتِ فاكرة لي حاجة حلوة ؟!

سؤاله المباغت أربكها ليهز جمودها فترتجف جفونها للحظات ...قبل أن تكتب:

_لا!

لم تكن كاذبة في إجابتها!

لو فتحت سدود الذكرى فسيغرق الفيضان كل شيئ!!

دعيها مغلقة !! دعيها!!





لهذا انسابت أناملها تكمل ما بدأته ...

_فاكرة صورتي وأنا خارجة من بيتك بلف في الشوارع

بالبجامة...فاكرة ورقة وصلتني فجأة بتقوللي خلاص يامغفلة عمرك اللي فات كله ماطلعش يستاهل حتى إنه يستنى يفهم...فاكرة كل نظرة رمتني في شرفي بعدها ...كل كلمة شفقة أو شماتة ...فاكرة أول مقابلة ليا مع بابا بعدها وأنا شايفة التمثال اللي قعدت أبنيه عمر بيقع قدام عنيا ...وفاكرة كل دمعة عشتها لوحدي لغاية ما خلاص كل دموعي نشفت...كل حضن حضنته لنفسي ...كل كلمة قلتها قدام مرايتي عشان أقوي روحي بيها ...بتسألني فاكرة ؟! تحب أقوللك كمان ؟!

أغمض عينيه بألم وكل كلمة تخرج منها تصيب سهماً بقلبه !




لا يعرف كم مرة قرأ كلماتها يجلد نفسه بها ...

لكن ما يعرفه أنه لا يتمنى شيئاً الآن إلا أن يجد الطريقة كي يمحو عنها كل هذا !

بماذا يرد ؟!

وأي كلمات قد تسعفه هاهنا!!!

أنامله تترنح من جديد فيكتب ...ويمسح ...

لكنها لم تنتظر هذه المرة وكبرياؤها الغاشم يرسل له

ب-طعنة غادرة- لا تظنه بقادر على مواجهتها !!!

وصدق ظنها فقد اتسعت عيناه لوهلة بعدما رأى -ما أرسلته- أخيراً ...

قبل أن يكز على أسنانه بغضب ليغلق الحاسوب بحدة كادت تكسره !!

=======

_جلسة استثنائية !





قالتها ياقوت وهي تستقبله في غرفتها بالمركز ملاحظة توتره ليرد وهو يجلس متهالكاً على الكرسي أمامها :

_من امبارح مش عارف أنام .

_ليه؟!

_أنا كلمتها!

ورغم شعورها بالاستياء منه إذ لم يستجب لنصيحتها لكنها تمالكت ذلك لتسأله باهتمام :

_إيه اللي حصل؟!

صمت قليلاً يتمالك غضبته قبل أن يريها على هاتفه ما أرسلته وأثار جنونه هكذا ...

"سكرين شوت" من محادثة على تطبيق "الواتس آب" بينها وبين ...زين!!!

_نمتِ؟!

_لا.

_بتفكري في إيه ؟!

_فيك طبعاً؟!




_هاشوفك امتى؟!

_وقت ما تحب.

_مش قادر أصبر إني أشوفك تاني.

_وأنا كمان ...وحشني قوي ..."حضنك".

اتسعت عينا ياقوت لوهلة وهي تتابع المحادثة غافلة عن اسم "زين"...

فقد كان تركيزها كله منصباً على تحليل ما تعنيه محادثة كهذه !!!

والأهم ...تأثيرها على يامن في هذه المرحلة من العلاج !

لهذا عادت تنظر إليه بتفحص متسائلة :

_ممكن تقوللي تفاصيل كلامكم ؟!

زفر زفرة مشتعلة وهو يروي لها ما حدث ليصمت بعدها مطرقاً برأسه فعادت تسأله بترقب:




_انت مصدق إن المحادثة بينهم دي حقيقية ؟!

_طبعاً لا.

الثقة التي نطق بها عبارته جعلتها تطلق زفرة ارتياح حتى عندما استطرد بعدها بحدة مشتعلة :

_أنا اللي هيقتلني إنها بتعمل كده عشان تبعدني عنها ...مش متخيل إن واحدة توصل إنها تتهم نفسها تهمة زي دي بس عشان تخلص مني ...ومش أي واحدة ...دي ...دي ياسمين !

مسدت جبينها بإرهاق وهي تشعر بعظم ما يعانيه !!

ربما يمكنها النظر للنصف الممتلئ من الكوب أن وساوسه لم يعد لها نفس السلطان القديم ...

وأن ثقته فيها غلبت الشك هذه المرة ...

لكن تصرف ياسمين "الأحمق" هذا هو ما يثير ضيقها !!





إنها حقاً تستغل معرفتها به كي توجعه بأقسى طريقة !!!

لكنها وارت مشاعرها السلبية هذه لتتخفى خلف درع مهنيتها كالعادة :

_مش هاضغط كتير على نقطة إن المحادثة سهل تتفبرك مادام انت مصدق إنها فعلا كده ...نقفل بقا الباب ده ...ونتكلم عن سبب تصرفها ...

ثم صمتت لحظة لتردف :

_ياسمين خايفة يا دكتور.

رفع إليها عينين محمرتين تعباً وغضباً لتردف :

_خايفة تضعف قدامك تاني فبتسد على نفسها الطريق ...عايزة تخرج بأقل خساير ...خصوصاً إن انت لحد دلوقت ما بينتلهاش أي فرق عن يامن القديم ..

_أعمل إيه ؟!





غمغم بها بصوت مرهق زاد من إشفاقها نحوه لتعطيه هاتفه قائلة :

_لازم الأول...

قطعت عبارتها وهي تنتبه أخيراً للاسم المرفق بالمحادثة ...

"زين"؟!

هل من المعقول أن يكون مجرد تشابه أسماء؟!

_ماكانتش سفرية موفقة قوي للأسف...رغم إني كنت ابتديت أحب ماليزيا.

_لو طلبوا منك شهادة بخصوص مريض عندك ...مراته عايزة تسيبه بس خايفة ياخد منها ابنها ...توافقي تشهدي بمرضه ؟!





ازدردت ريقها بتوتر وهي تجمع الخيوط بذكاء لا تفتقده !!

لتجد نفسها تنجرف بالقول دون أن تشعر:

_معاك الفيديو القديم ده دلوقت ؟!

عقد حاجبيه بشدة جعلتها تفيق لما كادت تقع فيه !!

أن تستغل أسرار مريض لمصلحة شخصية !!

لكن...

ألم يقحموها هم في هذه الحرب رغماً عنها !!

زين فعلها !!

فلتتأكد قبلها !!

نظرة يامن المتشككة جعلتها تسترد بعضاً من تماسكها لتبتسم متصنعة الهدوء:





_كنت عايزة أتأكد إنك مسحته ؟!

_مسحته.

_هو كان اسمه زين شوقي تقريباً ؟!

_لا...زين الفايد...بتسألي عن اسمه ليه ؟!

قرع قلبها في صدرها بعنف وهي تتأكد من صحة استنتاجها !!!

زين هو من يحب ياسمين !

لايزال يسعى خلفها ...ويتخذها هي وسيلة لإثبات عدم أهلية يامن للرعاية بالطفل ...

كل هذا الاهتمام نحوها هي الذي كان يتنامى طوال الأيام السابقة...

كل نظرات إعجابه ...

كل تلميحاته التي تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم ...

كل هذا كان مجرد طُعم يلقيه للطبيبة الساذجة تمهيداً

لانتزاع امرأة من زوجها !





الحلم الذي عاشته رغم قصر أيامه بطول حرمانها ...

الآن ...مجرد وهم !!!

بل ...خطة حقيرة !!!

لم تشعر بخيط من الدموعِ سال على جانب عينها خلف نظارتها ووجهها المحمر يفضح انفعالها ويجعله يسألها بقلق خلف فظاظته المعهودة :

_بتعيطي ليه انتِ كمان ؟!

هزت رأسها بلا معنى وهي تخلع نظارتها لتمسح وجهها فازداد انعقاد حاجبيه وهو يشعر بالغرابة قبل أن تجيبه بصوت عاد إليه تماسكه :

_معلش أعصابي بايظة شوية ...جدتي كانت تعبانة وكنت قلقانة عليها .

_الحاجة ثمر؟!





ابتسمت بسخرية وهي تذكر واحداً غيره نطق اسم جدتها التي يبدو أنها أصبحت فجأة شهيرة هكذا !!

لكن شتان بينهما ...شتان !!!

أن تخرج من يامن بهذه اللهفة الصادقة...بهذه الحمية ل"ابن فلاح" يدرك قيمة الاسم والعِرض ...تختلف تماماً عن أن تخرج من "ابن الأكابر" الذي يظن الدنيا خلقت لأجله يخطط فيها كيف يشاء!!

لكنها تمالكت صدمتها سريعاً لتعاود ارتداء نظارتها وتعاود معها التخفي خلف درع مهنيتها:

_ماتقلقش ...بقت بخير ...بس انت عارف قلقنا عليهم بيخللينا مشتتين ...المهم خللينا في ياسمين ...أنا عايزاك تقابلها ...مادام وصلت انت للمرحلة دي خلاص مابقتش خايفة ...الدور عليك انت تاخد بإيدها المرة دي .





هل تخبره عن زين ؟!

عما يمكن أن ينتوي فعله ؟!

لا!

زين لن يستطيع فعل شيئ مالم تمكنه ياسمين من هذا في لحظة ضعف تظنها الحمقاء لحظة قوة !

فليركز يامن مع ياسمين ليستعيد قلبها ...

وليقبض كف زين هذا على التراب ...كما يستحق!!

بينما هز يامن رأسه بارتياح حقيقي وهو يسمع منها هذا الذي يريده حقاً الآن وبشدة ...

لكن هل ستمكنه ياسمين من هذا ؟!

ومن سيسمح لها بالرفض؟!

لقد كان يبعدها عنه خوفاً عليها من شطحات وساوسه ...

لكن الآن وقد نجح في أول اختباراته فلن يرضى بالمزيد من التقهقر ...





حتى ولو اقتضى الأمر أن يختطفها في غرفة مغلقة فيعيشا معاً أو يموتا معاً !!

وبهذه الحماسة الفائرة التي أشعلت وجهه هب من مقعده ليلتفت فجأة نحو ياقوت التي بدت على عكسه مكفهرة الملامح ...

فسألها باهتمام لا يدعيه :

_متأكدة إن الحاجة بقت كويسة ؟! مش محتاجة أي حاجة ؟!

ابتسامتها "الطيبة" تظلل شفتيها لكن النظرة الحزينة تتسرب رغماً عنها في العينين الخائبتين ليردف بحميته المعهودة :

_دي مش عزومة مراكبية ...أنا عارف إنك ست ب"ميت راجل"...بس الأمر مايسلمش.





_شكراً يا دكتور ...ماتقلقش لو احتجت حاجة هاكلمك...مش ناسية إننا بلديات .

اعتدادها المعهود يخالطه الامتنان الآن وهي تراه يكرر عرضه قبل أن يغادرها بابتسامة مشجعة ردتها له بمثلها ...

ثم تجمدت ملامحها للحظات تراقب الباب المغلق قبل أن تدفن وجهها بعدها بين ذراعيها على المكتب لتنخرط في بكاء فجائي!

=========

استيقظت من نوم قصير احتلها فيه كابوس واحد !

ترى صورتها في مرآة والدم ينزف من قلبها بغزارة ...





"أحدهم" ملقى هناك ينزف هو الآخر وهي تحاول إسعافه !!

لهذا كان أول ما فعلته أن مسدت بطنها بأناملها بسرعة محاولة تفقد حركة الصغيرة التي بدت وكأنها تفهم احتياجها ...

فتنهدت بارتياح وهي تشعر بحركتها قبل أن تزفر زفرة قصيرة وهي تحاول أن تتجاهل قلقها على من يمكن أن يسبب لها مثل هذا الفزع لو أصابه مكروه !

يامن ...

للأسف!!

لهذا مدت أناملها ولاتزال تحت تأثير النوم لتتناول هاتفها تتفقد حسابه الاليكتروني ...

قبل أن تتنهد ببعض الارتياح وهي ترى منشوره الصباحي كالعادة بأذكار الصباح !

هو بخير!




تأوهت بخفوت وهي تضع هاتفها جانباً لتغمض عينيها بألم !

هذه الحرب بداخلها تستنزفها لآخر قطرة !

تعلم أنها قد تجاوزت كثيراً بفعلتها معه لكنه حذرته !

لن تستسلم له من جديد لتضيع نفسها وابنتها في مجرد وهم !!

سمعت صوت طرقات على بابها فقامت من رقدتها لتجد وجدي مبتسماً يحمل لها صينية الإفطار ليضعها أمام على الفراش قائلاً:

_صباح الخير ع الحلوين ...

ثم ربت بكفه بخفة على بطنها ليردف :

_صباح الفل يا يمنى ...قلت أفطر معاكي النهارده.





ابتسمت ياسمين وقد نجحت حركته الدافئة في منحها بعض السكينة لترد له تحيته وتسأله باهتمام :

_البيت فاضي ليه ؟!

_لسه واخدة بالك ؟!

قالها ببعض التحسر ليجيبها بتنهيدة قصيرة :

_عابد كالعادة معتكف في مكان مااعرفوش ...ووالدته آخر مازهقت من تصرفاته سافرت شوية تغير جو بدل ما تتجنن.

أطرقت برأسها في أسف لكنه غير الموضوع بقوله الممازح:

_إيه رأيك نغير احنا كمان جو؟! ننزل نتفسح بعد الفطار؟! فاكرة الدبدوب الكبير اللي اشتريتهولك زمان وكنا حاطينه في الصالون ؟!

_مشمش!





هتفت بها بشرود وهي تستعيد الذكرى الغائبة ليجيبها بضحكة قصيرة :

_أيوة...اللي كان معقدك عشان كان أطول منك ده...عايز أجيب واحد أكبر منه ليمنى ...عشان لما توصل بالسلامة يكون أول لعبة ليها من جدو .

ابتسمت وهي تعيد رأسها للخلف مستندة على وسادتها :

_شكراً يا بابا .

ورغم ظاهر الامتنان الذي حملته عبارتها لكنه كان ملطخاً بعتاب صامت ...

هل يدري أين ذهب "مشمش" هذا ؟!

لقد رمته بيديها من نافذة غرفتها لتراه يسقط في الشارع!!

أجل فعلتها !!

بعدما ملت انتظار عناقه ليلة بعد ليلة !




بعدما تيقنت أنه هجرها وأمها ولن يعود !!

بعدما تعلمت في هذه السن الصغيرة معنى
الحرمان !!

بعدما رمته ظلت تبكي كثيراً حتى انتبهت والدتها
لما فعلته فعاجلت بعناقها وهي تبكي معها !!

كانت المرة الأولى في حياتها التي تفهم فيها معنى
أن تدوس على قلبها كي تنسى!

و...نَست!

أو هكذا هيئ إليها طوال هذه السنوات لتكتشف أنها
حقاً لا تنسى ...

لا تنسى ولا تسامح !!

هذا الذي قرأه هو يائساً في ملامحها الشاردة لكنه
حاول التغلب عليه بمرح وهو يشاركها الإفطار ...





نزهة قصيرة أخذها فيها يجوب معها أماكن لم تزرها من قبل هنا في كوالالامبور ...

تحاشى فيها التطرق للحديث عن عابد وأمه وقد أدرك بحدسه تحفزها منهما ...

حاول استدراجها للحديث عن يامن لكنها كانت متحفظة كثيراً في الخوض في هذا البحر الذي لن تجيد السباحة فيه ...

لهذا اكتفى بمرحها الظاهر وهو يشعر بحاجتها الحقيقية

للانطلاق بعيداً عما يؤرقها ...

كانا قد وصلا لسيارته التي رصفها بالقرب من أحد

المولات الضخمة عندما شعرت هي بتعب في قدميها المتورمتين بأثر الحمل لتقول بنبرة منهكة :

_كفاية كده...ياللا نروح أنا تعبت.

_أبداً...نجيب "مشمش" ل"يمنى" الأول .





قالها بعناد وهو يفتح لها باب السيارة ليجلسها برفق قبل أن يغلق لها الباب متابعاً ملامحها بإشفاق ناسب قوله :

_شكلك تعبانة فعلاً...هاجيبه بسرعة وآجي .

تابعته ببصرها يتجه نحو ذاك المركز التجاري البعيد هناك ...

لتشرد ببصرها وهي تتناول هاتفها تراقب حساب يامن ...

ترى كيف هي ردة فعله على ما أرسلته ؟!!

لو صدق ظنها فيامن الذي تعرفه سيطلقها الطلقة الثانية دون أي تفكير !!

ليته يفعلها!

ليته يريحها من التأرجح هكذا بعذاب في عالم لم تنل منه سوى الاختناق بدخانه !!

ليته يمنحها الفرصة كي تربي ابنتها بعيداً عن وساوسه وظنونه...

ليته...





صوت انفجار ضخم يقاطع أفكارها لتنتفض مكانها والشارع كله يرتج حولها !!

رأسها يصطدم بزجاج السيارة لتفقد وعيها جزئياً وهي تشعر بنزفه...

وعبر تشوش رؤيتها ترى النيران من بعيد يشق دخانها

الأسود عنان السماء مع صراخ المارة حولها ...

لا!

إنه المركز التجاري الذي قصده والدها !!

_بابا!

تصرخ بها بلا صوت ووعيها يتسرب منها تدريجياً بينما جفناها يغلقان على صورة النار والدخان الأسود ...

و"مشمش" آخر لم تلقه بيديها بل حرمها منه القدر هذه المرة !

=========





القطعة التاسعة



جميلٌ جداً ثوب "الضحية"!

خفيفة هي خطايانا عندما نلقيها على غيرنا...

مريحٌ هو ثوب الشفقة عندما يستر عورة فشلنا...

زهيدٌ هو الحب عندما نقايضه ب"راحة بال"!

هشة...رقيقة...واهنة...

هكذا شكلت أنت صنمي في محرابك ...

فكيف لي أن أكسره؟!

"رانيا"

****

"هُرَيرتي " الناعمة ...

من أغرقتها تدليلاً حتى نسَت أن لها هذه "المخالب"!





أغمضي عينيكِ ...تهجيِّ اسمي وتذكري ...من أكون ...

حرف بعد حرف بعد حرف...

عام بعد عام بعد عام...

أجل يا "مخملية" الفراء ...يا "ناعمة" الأظافر...

أنا "العمر" الماضي والآتي...

اغضبي...اصرخي...ثوري...

لكن تذكري...

عندما تعصف الريح في وادينا...

فليس ل"برد" قلبك إلا "دفء" أحضاني.

"أشرف"

****

_ريما!

هتفت بها رانيا تناديها أمام باب مدرسة الأولى التي هرعت إليها لتضمها بقوة ...

فاحتضنتها رانيا بحنان لتهتف بها :

_ماما نشوى،مشغولة النهاردة في المصنع ...هاخدك عندنا البيت .

_خالو أشرف جالي النهارده !

هتفت بها ريما وهي تنزع حقيبتها عن كتفها لتهتف رانيا بلهفة فرحة :

_بجد ؟! أشرف كان هنا ؟! فين ؟! فين ؟!

قالتها وهي تتلفت حولها بتحفز لكن الصغيرة هتفت وهي تفتح حقيبتها :

_مشي ...وسابلك ده .




قالتها وهي تناولها ورقة كبيرة مكتوبة بخط يده الذي تعرفه ...

(كان ممكن أبعتلك رسالة ع الفون بس قلت أكتبها بخطي عشان تطمني إني كويس ...كنت محتاج أبعد عشان أفكر في اللي جاي ...عشان ألاقي نفسي تاني ...انتِ كمان محتاجة تلاقي نفسك بعيد عني ...بعيد عن الجرح اللي كل واحد فينا جرحه للتاني....بعيد عن السور العالي اللي بنيته حواليكي وكنت فاكر إني بحميكي وراه لكن للأسف وقت الجد اكتشفت إني كنت غلطان ...أنا خلاص لقيت طريقي بتمنى انتِ كمان تلاقي طريقك...ويمكن لو طلعنا محظوظين يتقابلوا الطريقين في الآخر)

لم تنتبه لسيل دموعها الذي أغرق وجنتيها وهي تعيد قراءة رسالته التي بدت لها كرسالة وداع إلا عندما هزت ريما كتفها لتهتف بإشفاق :

_هو كويس قوي ...كان بيهزر ويضحك معايا زي زمان ...بتعيطي ليه ؟!أكيد هيرجع!




_هيرجع!

تمتمت بها رانيا بيقين وهي تمسح وجهها بكفيها قبل أن ترسم ابتسامة مصطنعة على شفتيها وهي تمسك بكف الصغيرة لتغادر معها بينما كفها الآخر يقبض على رسالته بقوة ...

فلتحمد الله أولاً أنه بخير بعدما كادت تموت قلقاً عليه طيلة الأيام السابقة ...

هو لايزال يظنها الفتاة القديمة الهشة التي ستجعلها رسالة كهذه تمضي في طريقها بعيداً عنه ...

لكنه لا يدرك أنه من رحم المتاعب تولد قوتنا ...

وأن الخسارة تمنحنا مهارة تمييز المذاق الحقيقي للمغنم!

وهو دورها لتتثبت له أنها حقاً تغيرت دونه...

وأن الحب الذي جمع بينهما صغاراً سيبقى يظللهما حتى يواريهما التراب ...





=======

_أكتب لك حاجة تاني؟!

سألها رامز بحماس وهو يجلس جوارها على مائدة السفرة حيث فرشت هانيا أوراق رسالتها بفوضوية كالعادة ...بينما حاسوبها المحمول يتوسطهما معاً حيث يساعدها في البحث والنقل ...

لترمقه بنظرة امتنان طويلة سبقت قولها :

_تعبتك النهارده قوي ...بس هانت ...كلها كام يوم وأفك الجبس .

لكنه ابتسم بخبث لتضيق عيناه بنظرة تعرفها مع قوله العابث:

_أيوة بقا ...عايزين نعرف نلعب ...

تشيح بوجهها في خجل لكنه يحيط كتفها السليم بذراعه ليقربها نحوه بخفة مردفاً بنفس الخبث:

_بلاي ستيشن...إوعي تفهميني صح!




تضحك بانطلاق وهي تخفي وجهها في صدره ليداعب شعرها بأنامله قبل أن يفك عقدته ليهتف بها بمرح:

_كل مرة رامز يقول فكي الكحكة...هانيا تقول مبحبش شعري مفرود ...رامز يقوللها هتفرديه ...هانيا تقولله مش هافرده ...وفي الآخر يكتشف إنها بتدلع عشان عايزاه هو اللي يفكهولها !

_أنا بتدلع؟!

تهتف بها باستنكار وهي ترفع وجهها نحوه ليخبط على صدره بكفه قائلاً باعتذار مصطنع:

_العفو يا باش شاويش...الدلع ده للستات التوتو ...إنما انتِ بتعرفي تخطفي القلب كده من غير حركات !

توهجت عيناها ببريق حقيقي وهي تجد في عبارته -رغم هزلها- ما تود حقاً سماعه ...





طوال الأيام السابقة وهو يحيطها بعاطفته غير المشروطة متقبلاً كل هواجسها المتشككة في نجاح زواجهما ...

يدللها كما لم تعرف قبلاً في حياتها ...ينهي عمله مبكراً كي يعود ويساعدها في إتمام دراستها ...

يتغافل عن "عقدتها القديمة" التي ازدادت حدة تطرفها وهي تصر على غلق الأنوار في كل مرة يتواصلان فيها جسدياً ...

الغريب أنها تتحفز منه لأي خطأ تثبت به لنفسها أنها كانت محقة وأنه لن ينجح في اختبارها له ...

وكأنها تريد الهرب من مواجهة شعورها الجديد بالنقص...

لكنه لا يترك لها الفرصة لتفعل !

بل يبدو شديد التفهم...

وافر القناعة بما تمنحه ...زاهداً فيما تمنعه !!





لهذا كافأته بالكلمة التي تدرك كم صار يحبها منها :

_بحبك .

فالتمعت عيناه هو الآخر وهو يتحسس ملامحها بأنامله ليهمس أمام عينيها :

_انتِ عارفة إنك بقيتِ بتقوليها كتير اليومين دول ؟!

_أبطّل؟!

ببعض التحفز تهمس بها ليميل على شفتيها هامساً بما شعرت به صادقاً لأبعد حد :

_الطبيعي إن الحاجة كل ما بتزيد قيمتها بتقل ...إلا في دي ...بحس إني عمري ما هازهق منها ...مش بس محتاج أحس بيها ...لأ...أسمعها منك ..

انتهت كلماته بين شفتيها ليغيب معها في رحلة قصيرة عبر غمام عاطفة تزداد قوة نسيجها يوماً بعد يوم ...




رغم أنه يدرك أنها لا تزال عالقة بشباك هواجسها لكنه سينتظر ...

لهذا أبعدها أخيراً ليتطلع نحو عينيها المغشيتين بعاطفتها هامساً :

_مضطرين ناخد فاصل قبل أن نواصل ...ماما مستنيانا

ع العشا.

ابتسمت بمرح وهي تقف مكانها لتزيح كرسيها قائلة :

_ربنا يجعله بس فاصل خفيف .

شعر أنها تخفي شيئاً خلف عبارتها فسألها وهو يقف بدوره :

_حصل بينكم حاجة ؟!

مطت شفتيها دون رد ليصدر همهمة خافتة سبقت قوله :

_الموضوع إياه !





_مش ممكن يا رامز ...قايمة نايمة تحلم بالبيبي ...محسساني إني ماليش قيمة في الدنيا إلا بيه ...أنا عارفة إنها بتعاملني كويس جداً وخصوصاً بعد اللي حصل مؤخراً...وبصراحة ما بتضغطش عليا بكلام يتاخد عليها ...كله ع المحسوس بس أنا فعلاً متضايقة لإني حاسة إنها زعلانة .

ابتسم وهو يربت على وجنتها ليقول برفق:

_ما هو لو سيف يتلحلح كده ويعملها هتلاقي حد تاني تحط عليه أملها في حمل اسم العائلة المصون...لكن قدرك يا بنتي تبقي الشماعة الوحيدة المتاحة حالياً لتعليق الأمنيات .

هزت رأسها توافقه لتعاود سؤاله بحذر:





_هو صحيح سيف مابيتجوزش ليه ؟!

_عاقل!

قالها وهو يحرك حاجبيه مغيظاً إياها لتخبطه في كتفه بكفها الحر فضحك ضحكة قصيرة ليردف ببعض الأسف:

_أنا آخر واحد ممكن تسأليه عن سيف ...طول عمره شخصية مقفولة على نفسها ...العاقل اللي مخه أكبر من سنه ...راجل البيت بعد أبوه...لكن أنا كنت عامل دور أحمد رمزي في الفيلم ...

ضحكت للتشبيه المطابق فابتسم بدوره مردفاً :

_عشان كده طول عمرنا بعاد عن بعض ...أنا بالنسبة له الماجن الزنديق...وهو بالنسبة لي معقد ومكلكع ...بس أقوللك الحق ...ساعات بحس إني لو كنت سمعت نصايحه من زمان كانت فرقت معايا كتير .

أومأت برأسها موافقة ثم ترددت لتسأله بحذر:

_تفتكر ...هو وغادة ...ممكن ؟!




عقد حاجبيه للحظة والخاطر يصدمه ليكرر خلفها :

_هو وغادة إيه ؟! لا لا لا ...مستحيل طبعاً !

_ليه مستحيل ؟!

_أولاً ...مش راكبين على بعض ...هو يمين وهي شمال ...

ثم تنحنح عندما رأى نظرة استياء حميتها لصديقتها ليردف :

_مش قصدي شمال يعني شمال ...بالعكس دي إنسانة كويسة جداً وممتازة...

قطع عبارته للمرة الثانية عندما لمح نظرة استياء غيرتها هذه المرة ليحك شعره بأنامله مردفاً بمرح:

_بصي ...هو واضح إن الموضوع ده شائك وواضح إن فيه إجماع على كده ...فاحنا ننزل للحاجة ونقفله أحسن .

قالها وهو يعطيها ظهره متوجهاً نحو غرفة نومهما لتلحق هي به هاتفة باهتمام :





_لا مش هنقفله...أنا حاسة إنهم لايقين جداً على بعض ...

لكنه وقف مكانه ليربت على وجنتها قائلاً :

_ياحبيبتي ...شغل الأفلام بتاع البطل والبطلة اللي بيتقابلوا في بلاد غريبة ويجمعهم الحب ده مش هينفع هنا ...

_ليه؟!

فتنهد بحرارة ليقول بجدية هذه المرة وهو يعد على أناملها هي:

_واحد..أسباب تتعلق بسيف ...مافتكرش إنه يحب شخصية منطلقة زي غادة ...سيف طبيعته متزمتة شوية ...اتنين ...أسباب تتعلق بغادة ...أفتكر بعد اللي حصل بسببي مش هاتفكر تقرب من العيلة دي ...

مطت شفتيها بحنق عند عبارته الأخيرة ...

فمال على وجنتها بقبلة سريعة صاحبت قوله :

_ماقصدتش أقلب المواجع بس الكلام جاب بعضه ...





ثم استمر في العد على أصابعها :

_تلاتة...أسباب تتعلق بأمي ...مش هترضى بعد صيامه الطويل عن الجواز ده كله يفطر على واحدة أرملة...انتِ عارفة تفكيرها !

عقدت حاجبيها بضيق حقيقي وهي تدرك حقيقة مبرراته ...

لكن حدساً ما بداخلها يخبرها أن سيف هو دواء غادة الحقيقي ...

غادة تحتاج رجلاً حقيقياً يعوضها عما واجهته في حياتها ...

رجلاً لا يكترث لماضيها بل للصورة الرائعة التي صارت عليها ...

أجل ...غادة صارت النموذج المثالي للمرأة في نظرها بعدما تغلبت على عقدتها القديمة ومع شعورها هي بالذنب نحوها تريد حقاً الاطمئنان عليها ...





خاصة أنها بخبرتها القديمة عن صديقتها رأت بين حكاياتها لها- عبر الانترنت- عن سيف ما جعلها تشعر أنه صار يحمل مكاناً خاصاً لديها ...

_سرحت في إيه يا بسطويسي؟!

انتزعها بها رامز من شرودها لتهز رأسها وهي تتوجه نحو خزانة ملابسها ..قبل أن تنتبه لما قاله ...

_بسطويسي؟! انت قلت بسطويسي؟!!

هتفت بها باستنكار فضحك ضحكة عالية وهو يحرك حاجبيه لها مشاكساً قبل أن يقول بنبرته المشاكسة :

_بسطويسي اللي بيتكسف يغير هدومه قدام جوزه .




_والمفروض إنك كده بتستفزني عشان أغير مبادئي!

_سلامة مبادئك يا بسطويسي...كلنا فدا مبادئك يا بسطويسي!

قالها وهو يقرص وجنتها بخفة ليطبع عليها بعدها قبلة خفيفة قبل أن يأخذ هاتفه ليغادر الغرفة تاركاً لها حرية تبديل ملابسها وحدها كالعادة ...

فتنهدت بحرارة وهي تفتح خزانة ملابسها تتطلع لمحتوياتها ...

لا تزال تصر على ارتداء ملابس تخفي تشوه كتفها ...

وفصل الشتاء هذا يساعدها كثيراً ...

لكنها صارت تحتاج حقاً لرؤية أنوثتها في عينيها هي ...قبل عينيه !

تحتاج لترميم هذا النقص الذي يزيد خوفها من فقده يوماً بعد يوم ...





تحتاج -وتعترف بخجل- أن ترى نظرة تقييم ذكورية عالية الدرجة في عينيه !

وتحتاج هذا أكثر وهي الآن في طريقها لحماتها التي صارت تمثل لها نظرة الآخرين لحالها !!

لهذا امتدت أناملها تتخير ما جعلها تتردد لحظات ...

قبل أن تحسم قرارها لترتديه ...

وفي مكانه على الأريكة بالخارج كان هو جالساً يمارس أحد ألعابه الاليكترونية المفضلة على الهاتف ...

شعر بها تقترب لكنه لم يرفع رأسه وهو منهمك في اللعب ليقول بشرود :

_دقيقتين ...هاخلص الماتش وننزل ...





ثم تغضن أنفه قليلاً ليأخذ نفساً عميقاً بينما يردف ولازالت عيناه معلقتين بالشاشة :

_الله عليك يا بسطويسي ...مش ده البرفيوم اللي طلعت روحي أقنعك تحطه ...ورفضت عشان اسمه "سك.."...

انقطعت عبارته وهو يرفع عينيه إليها أخيراً لتتسعا وهو يرمقها بانبهار ...

كانت ترتدي ثوباً نبيذياً من الصوف الخفيف بياقة مرتفعة غطت رقبتها كعهدها طوال الأيام السابقة ...

ياقة طرزت تطريزاً أنيقاً على منطقة الصدر التي أبرزها ضيقه فقد كان يلتصق بجسدها مبرزاً منحنياته لتتوقف آخر حدوده عند منطقة أعلى فخذيها اللتين زادهما الجورب الأسود الشفاف الطويل فتنة ...خاصة مع الكعب العالي الذي كانت ترتديه ...





_انتِ هتنزلي لأمي كده ؟!

قالها بصوت مبحوح وعيناه غارقتان في تفاصيلها بنظرة أرضت كبرياءها الأنثوي ...

لترد بصوت لم تستطع كتمان الخجل فيه رغم مكابرتها:

_الفستان قصير شوية بس تحته شراب !

لكنه ألقى هاتفه جانباً ليهب واقفاً معتقلاً خصرها بين ذراعيه بينما يكرر عبارته باستنكار :

_هتنزلي لأمي كده وبتقعديلي أنا ببجامات الكساء الشعبي في البيت ؟!

_أنا بلبس بجامات كساء شع...

انقطعت عبارتها بين شفتيه وأنامله تندس بين خصلات شعرها المفرود على ظهرها لتشعر بحرارة عاطفته ...

لكنها أبعدته برفق هاتفة باستنكار خجول:

_اتأخرنا على مامتك ...

_مامتي مين ؟!





يقولها بتشتت عبر عينيه المشتعلتين بفتنتها هي مما جعلها تضحك وهي تخفي وجهها في صدره لتزداد قوة ضغطه على خصرها بين ذراعيه قبل أن تطلق شهقة عالية وهي تشعر به يدفعها نحو الأريكة ليعاود إكمال ما بدأه ...

_رامز ...مامتك مستنيانا ...

تقولها عبر أنفاسها اللاهثة وهي تحاول الابتعاد لكنه يتناول هاتفه بسرعة ليتصل بوالدته قائلاً بنفاد صبر:

_أيوة يا ماما مش هاقدر آجي ...واحد صاحبي تايه وبندور عليه ...

كتمت ضحكتها بصعوبة وهي تراه يعاود ميله نحوها وأنامله تجيد عزفها العابث على بشرتها ليكون آخر ما تعيه كلماته لأمه قبل أن يغلق الاتصال:

_اسمه ؟! اسمه بسطويسي.... ادعي بقا ما نلاقيهوش !





=========

_أهلاً بعروستنا!

قالتها "الست أفكار " وهي تستقبل لجين في بيت الحاجة ثمر مع العريس الجديد المنتظر ...

لجين التي كانت ترتجف وهي ترى من النظرة الأولى نحوه مصير هذه المقابلة ...

الرجل شديد الوسامة..أنيق الثياب رغم مهنته البسيطة التي عرفتها ...

لقد كان أملها أن يكون ذا عيب يجعله يرضى بها ...

أي عيب وهي كانت ستقبل كي تنال "شرف الزواج" الذي يبدو أنه بعيد كالسراب !!

لهذا جلست واجمة تنتظر منه أن يفتح معها حواراً لكنه ظل صامتاً بينما الحاجة ثمر تتبادل الحديث مع "الست أفكار" ...

_أكيد البسبوسة دي من إيدك يا لجين ...عروستنا ست بيت شاطرة قوي.

قالتها أفكار في محاولة لجعل "البضاعة" تحلو أكثر في عين العريس الذي ظهر قراره واضحاً على محياه خاصة عندما تعلقت عيناه بصورتين معلقتين على الجدار للجين وياقوت ...

فقال بنبرة مواربة :

_أنا شفت أختك مرة ...وقالولي إنك توأمها .

العبارة الصادمة التي لم تحتمل الكثير من التأويل جعلتها تنكمش مكانها خزياً بينما قالت الحاجة ثمر باعتزاز:

_هم صحيح توأم بس مش شبه بعض ...كل واحدة ربنا خلق لها جمالها...وخلق معاها العين اللي تشوفه...





ثم ضمت كتف لجين لتقربها نحوها مردفة بنفس الفخر الذي لا تدعيه :

_يابخت اللي هياخد جوهرة زي لجين في بيته..مش بقول كده عشان بنت بنتي ...لا ...عشان أنا عارفة قيمتها كويس ...

ثم رمقته بنظرة حادة ناسبت استطرادها :

_وعشان كده مش هاديها لأي حد إلا وأنا عارفة إنه يستاهلها .

تعرق وجه الشاب وهو يشعر بهيبة ثمر تجتاحه رغماً عنه ...

شيئ ما في هذه المرأة رغم بساطة حالها وهيئتها يكسبها وقاراً يجعل من أمامها ينكمش أمام هذه الفخامة...

فخامة تفرض نفسها رغم بساطة حال البيت الذي يراه حوله ...

لهذا وجد نفسه يتمتم بفتور :





_طبعاً...طبعاً...

وفي مكانها كانت لجين تراقبهم وقد عادت أفكار للثرثرة مع ثمر وعاد العريس لصمته مطرق الرأس ...

ماذا تنتظر؟!

تماماً ككل مرة ...

"العروس الدميمة" تزهدها العيون وتقارنها بشقيقتها "العروس الفاتنة" التي تزهد هي عطاءاتهم الفقيرة !!

سبحان الله !!

هي لا تريد من هذه الحياة إلا رجلاً طيباً...

لا تريده وسيماً ولا غنياً ولا أنيقاً كما تحلم بهذا ياقوت ...

تريده فقط أن يستر خيبتها !!

خيبتها التي تراها تتجسد أمامها كل يوم في لقب يذبحونها به هنا ...




"عانس"!

لكن يبدو أن مجرد الحلم بهذا رفاهية لفتاة "دميمة" مثلها !!

امتلأت عيناها بالدموع فأطرقت برأسها هي الأخرى تنتظر بفارغ الصبر أن تنتهي جلسة التعذيب هذه كي تعود لغرفتها الآمنة...

تجتر مرارتها ...خزيها...وحلمها ...وحدها !!!

لهذا ما كاد ينصرف الشاب مع المرأة حتى هرولت نحو غرفتها لتغلق بابها عليها وتنخرط في بكاء صامت على فراشها....

لكن باب الغرفة فُتح ليطل من خلفه وجه ثمر البشوش التي اقتربت من سريرها لتربت على ظهرها المواجه لها برفق للحظات ...

قبل أن تسألها فجأة :

_بتصدقي وعد ربنا يا بت؟!





توقفت لجين عن البكاء لتستدير وتواجه جدتها بنظراتها المتسائلة ...

فابتسمت ثمر وهي ترفع رأسها لأعلى مردفة :

_لما رب الكون يقول (وفي السماء رزقكم وما توعدون) يبقى نصدق وعده...يبقى القلب يطمن ...والعين تتملا ...والعقل يبطل خوف ...

ثم عادت تهبط بنظرها نحوها لتردف بشرود :

_عارفة يا بت يا أوبرا؟! كل يوم قبل ماالحط راسي ع المخدة الشيطان بيوزني ...خصوصي بعد وقعتي الأخرانية في المستشفي...يقوللي هتموتي وتسيبيهم لمين ؟! هيضيعوا من بعدك ...بس برجع أستغفر ربي وأقول لا ...بناتي رزقهم متحوش لهم ...أنا ماحوشتش قرش ولا أرض ...أنا حوشت لهم عمل صالح ابتغيت بيه وجه الكريم ...واللي بيبتغي وجه الكريم ما بينضامش أبداً ...

ثم تلت قول الله تعالى ...





(وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً)

مسحت لجين دموعها وهي تتغالب على حزنها لأجل جدتها قبل أن تقوم من رقدتها لتحتضن رأسها وتقبله هامسة :

_ربنا يديكي طولة العمر يا ستنا .

فجذبتها ثمر لصدرها تربت على ظهرها بحنان ناسب قولها :

_ربنا هيراضيكي يا بنت قلبي ...بس كله بأوان .

==========

على سطح بيت ثمر فرشت ياقوت سجادة بسيطة الحال جلست عليها تراقب السماء المظلمة في هذا الوقت من الليل ...

صوت القرية المميز حولها بمزيج من نقيق الضفادع وصوت صرصور الحقل ...




صوت يمنحها السكينة حتى في هذه الظلمة الحالكة ...

سكينة لا تجدها هناك تحت أضواء العاصمة ...

سكينة تحتاجها الآن وهي تشعر بالخواء بعدما حطم الموج أكبر قصر رمال بنته أحلامها يوماً ...

زين ...!

ابتسامته...وسامته...كلامه المنمق ...نظراته الذكية...أناقته المفرطة...

كل هذا لا يساوي شيئاً أمام لحظات شفافية "نادرة" شعرت فيها أنها نفدت لقلبه ...

أجل ...لم تكن واهمة ...!

صحيحٌ أنها مجرد لحظات قليلة لكنها كانت تكفي امرأة -بذكائها- لتدرك أنها قد بدأت تقتحم حصونه ...

تقتحم حصونه ؟!





ابتسامة ساخرة مريرة تشبه الدموع ترتسم على شفتيها وهي تتذكر حديث يامن ...

تسترجع كل رواياته عنه مع ياسمين ...

ياسمين التي لاحقها منذ زواجها برامي ...مروراً بزواجها من يامن وانتهاء بسفرها لماليزيا ...

تراه يعشقها إلى هذا الحد ؟!!

الخاطر الأخير غرس سهماً بصدرها لم يكن ليكون بهذه القوة !!!

تراها تغار؟!

ممّن وعلى من ؟!

هل صدقت قصة حب نصبت قوائمها على عمود واحد

والآن تتعجب سقوطها ؟!

_قاعدة عندك كده ليه يا دكتورة ؟!





قالتها ثمر عبر أنفاسها اللاهثة عقب صعودها للدرج فتحركت ياقوت مكانها لتسألها بقلق لم يعد يفارقها عليها بعد مرضها الأخير:

_مش قلنا ماعدتيش تطلعي سلالم يا ستي ؟! تعالي استريحي!

قالتها وهي تفسح لها مكاناً جوارها جلست فيه ثمر بحركتها البطيئة قائلة :

_حسيت بيكي وانت طالعة ...وشك مقلوب من ساعة ما رجعتي من مصر .

_لا ...أبداً ...

قالتها منكرة وهي تشيح بوجهها فتفحصت ثمر ملامحها لتصدر همهمة خافتة قبل أن تبدأ في التسبيح على أصابعها كعادتها ...

ولما انتهت تطلعت للسماء قائلة بنبرة ذات مغزى:

_القمر غايب والدنيا ضلمة...سبحان من يغير ولا يتغير .





لكن ياقوت أطرقت برأسها دون رد ...

لتردف ثمر بنبرة متثاقلة :

_كنت بفكر نجدد شوية في البيت ...

_ولازمتها إيه المصاريف يا ستي؟!

هتفت بها ياقوت بطبيعتها -المادية- التي وجدت لها مبرراً حقيقياً هذه المرة بينما تردف:

_الحمد لله مستورين والفلوس موجودة بس الأمر ما يسلمش ...أنا ولجين على وش جواز ...ومحتاجين مصاريف ياما...وانتِ ربنا يبارك في عمرك لازم أضمن إن دواكِ يبقى على طول موجود .

فتنهدت ثمر لتقول بحزن :





_أختك مش عاجباني ...نفسيتها وحشة من ساعة مقابلتها للعريس الأخراني...عايزة أفرحها بأي حاجة .

هنا ربتت ياقوت على كفها مدركة سبب رغبتها هذه وقد كان هذا كافياً لتقول بحنان :

_خلاص يا ستي اللي تشوفيه ...انتِ أدرى بالصالح !

فابتسمت العجوز عبر أسنانها المكسورة لتضم رأس ياقوت في حجرها تداعب خصلات شعرها وتحصنها برقيتها المعهودة التي استسلمت لها ياقوت تماماً لتجد دموعها تسيل أخيراً رغماً عنها ...

قبل أن يرتجف جسدها كله ببكائه وهي تلصق وجهها بجلباب جدتها أكثر كأنما تتشمم به رائحة الأمان الذي ترتجيه ...





انتظرتها ثمر صابرة حتى هدأ بكاؤها رغم تقافز قلبها المريض في صدرها فزعاً لتسألها أخيراً :

_إيه اللي ينزل دموعك العزيزة دي يا بنت أشواق؟!

انتحبت ياقوت بضعف ولاتزال تخفي وجهها في جلباب جدتها لتقول أخيراً بين دموعها :

_قلبي واجعني قوي يا ستي .

_قلتلك حافظي عليه ماسمعتيش الكلام .

عتابها على حدته كان حنوناً ...جعل ياقوت تهمس بألم ولا تزال عاجزة عن مواجهة عينيها :

_غصب عني ...مين يشوف حلمه قدامه وما يمدش إيده يمسكه ؟!

_والحلم طلع كابوس؟!

غمغمت بها ثمر بقلق ينهش قلبها لتهز ياقوت رأسها موافقة وهي تحكي لها عن الأمر محاولة احترام خصوصية مهنيتها قدر المستطاع ...

لتنهي حديثها بقولها :





_من ساعة ما عرفت وأنا قلبي بيوجعني قوي ...مش عارفة هاحط عيني في عينه تاني إزاي !

_ومين قاللك هتشوفيه تاني؟!

هتفت بها ثمر بصرامة جعلت ياقوت ترفع عينيها إليها بهلع فثمر لم تتدخل يوماً في عملها !!!

_البيت ده مش هتخطيه برجلك تاني ...الراجل اللي يستحل حرمة راجل غيره ما يتآمنش على عِرض!

_بس يا ستي أخته ذنبها إيه ؟! دي حبتني وحاسة إن علاجها ممكن يكون على إيدي !

_انتِ مش أشطر دكتورة في مصر ولا اللي جابك ماجابش غيرك ...بنتهم ربنا يتولاها ...لكن بنتي أنا مش هتخطي البيت ده تاني .

قالتها ثمر بوجه احمرت أخاديده انفعالاً وقلبها يبدو وكأنه يجاهد ليخرج من صدرها ...





لقد صدق حدسها!!

ثمرة قلبها حلقت نحو النار تظنها نوراً لكنها لن تتركها

لضلالها !!!

لهذا ما كادت تلمح الرفض على ملامح ياقوت المتذمرة حتى هتفت بها بعينين نافذتين:

_هتكسري كلمتي يا بنت أشواق؟!

تجمدت ملامح ياقوت للحظات وهي تشعر بصراع كبير بين مهنيتها وعاطفتها ...

مهنيتها التي تؤنبها على تركها لحالة همسة بعد الشوط الكبير الذي قطعته ...

وعاطفتها التي تدفعها لطاعة ثمر بل والهروب من عالم زين هذا قبل أن يلطخها سواده ...

_هتكسري كلمتي يا بنت أشواق؟!

عادت ثمر تهتف بها بنبرة أكثر صرامة جعلت دمعة حارقة تنسل أخيراً من طرف عين ياقوت ...

لكنها مسحتها وهي ترفع رأسها وجذعها لتقوم من رقدتها وتواجه جدتها بكلمات حسمت قرارها:

_ما عاش اللي يكسر كلمتك يا ستي !

=========

تسألون عن الحزن؟!

سلوها الآن وهي تجلس على ركبتيها أمام قبره بقلب ذاب كل سواد "حقده القديم" لتبدو من خلفه قروح ألم فقده ...

ألم لم يخففه عزاؤها أنها دفنته هنا في مصر كما كان قد يوصيهم دوماً !

تسألون عن الندم؟!

سلوها الآن وهي تتمنى لو يعود بها العمر ساعة...دقيقة...بل لحظة واحدة ...لحظة واحدة تخبره فيها أنها سامحت ...عفت عن الجرح القديم رغبة في عناق حقيقي لرجل فتحت عينيها على حبه ...

تسألون عن اليأس؟!

سلوها الآن وهي تطرق برأسها شاعرة أن الكون في عينيها أضيق من سم الخياط !

من بقي لها كي تعود إليه تستند بحماه ؟!!

من؟!





"كفٌّ"يمتد من خلف كتفها ...!!

تشعر به فتلتفت نحوه دون أن ترفع عينيها لوجه صاحبه ...

لا حاجة لها كي تفعل !

إنه ...زين!

من سواه قد يكون هنا الآن ؟!!

يامن ؟!!

لا !

لن تكون من الحماقة أن تنتظر منه حضوراً بعدما كان بينهما آخر مرة ...

وكأنما يسخر القدر من خاطرها ليفاجئها بحكمه!!!

"كفٌّ" ثانٍ يمتد من الجانب الآخر لرأسها والذي التفتت نحوه ودون أن ترفع وجهها إليه كذلك ...





عرفته من خاتمها ذي الفص الأسود في بنصره ...

ودبلة -قديمة جداً- في خنصره عمرها يقارب عمر هواه الذي استعمر صدرها كمحتل غاشم منذ سنين مراهقتها ...

هو هنا حقاً؟!

أم هو مجرد وهم صاغه إحساسها ب...

بماذا؟!

هي لم تعد تفهم بماذا تحس!!

الدمع يتكاثف في عينين لاتزالان -فقيرتين- عن نزفه...

لكنها ترفع وجهها أخيراً لتحدق في وجهيهما ...

زين الذي بدا لها غاضباً مكبلاً كما لم يكن من قبل ...

ربما لأنه يوقن من قرب مواجهة عنيفة مع يامن ...





وربما لأنه يخشى عليها وحدتها الآن دون سند أمامه...

وربما لأنه أدرك أخيراً أن خسارته -الآن- لا رجعة فيها !

ويامن الذي بدا لها غريباً كما لم تره من قبل ...

ملامحه الجامدة لم تحمل لها أي تعبير ...

وحدها عيناه كانتا دافئتين بل مشتعلتين بلهفة أبت أن تصدقها !!!

أي كف منهما تقبله لتستند عليه ؟!

دعم زين ؟! احتواؤه؟! سنده اللا مشروط ؟!

أم يامن ؟! بكل ما صار يحمله الاسم لها من ألم وخذلان ؟!

لهذا أغمضت عينيها عن كليهما للحظات متجاهلة الكفين الممتدين ...





ثم استندت على -كفيها هي - لتقف ببعض الصعوبة مع ظروف حملها ...

قبل أن تدفع -كليهما- ببرود قاس عن طريقها لتهرول بخطوات مندفعة نحو سيارتها هناك هاربة من الموقف كله ....

===========

لم تدرِ كم ظلت تجوب الشوارع بسيارتها عبر غلالة من الدموع لم تغادر عينيها كعهدها مؤخراً...

دوامة تدور بها ولا تدري كيف منها الخلاص ...

صورة أبيها لا تفارق ذهنها مع كلماته ...

_خايف عليكِ تندمي ...أنا مش هاعيش لك العمر كله ...خايف لو وقعتِ المرة الجاية مابقاش جنبك !

هل رحل حقاً هكذا فجأة ؟!

مجرد انفجار دبره وحوش بلا ضمير !!!





رحل دون أن تملك القدرة لتسامحه ؟!

قلبها "الأسود" حرمه وحرمها لحظات دفء صادقة في أيامه الأخيرة !!

أي خسارة هذه ؟!

وأي عِوضٍ بعدها ترتجيه ؟!!

نجمة "العلا" لاتزال تهوي في بئر خطاياها ...

مهووسة الكمال تنتبه الآن لصورتها المشوهة في مرآتها المكسورة !!

ألا سحقاً لغرور أنفسنا عندما يبدل ستر ذنوبنا عُرياً؟!!

ينتهي بها المطاف أمام باب شقتها التي كانت تعيش فيها مع أمها ...

أمها ؟!

تراها الآن فخورة بها ؟!

هل هذا هو حصاد ما زرعته فيها سنوات ؟!!





هل هذه هي القوة التي حصنتها بها لتواجه خطوب الحياة ؟!

لقد خذلتها ...وخذلت نفسها قبلها !!

تغمض عينيها بألم وكفاها يستندان على باب الشقة المغلق ...

صورة أمها اللائمة تحتل ذهنها وعيناها تعاتبانها بحسرة ...

_أين ياسمين؟!

أضعتِها...أضعتِها ...أضعتِها...؟!

والجواب تتمتم به شفتاها المرتجفتان بإقرار مذنب ...

_أضعتُها.

لكنها ترفع رأسها أخيراً في محاولة بائسة للتماسك ...

تفتح الباب لتجده واقفاً أمامها وكأنه كان ينتظرها ...

يامن !

_انت دخلت هنا إزاي ؟! مين فتح لك ؟!

تصرخ بها بجنون فجرته انفعالاتها العاصفة التي كانت تقتات على ما بقي من تماسكها ...

لتفرغ غضبها في الخادمة المسكينة التي وقفت ترتجف مكانها والتي تقدمت هي نحوها لتمسك بذراعها وتدفعها للخارج مردفة بنفس الصراخ الهائج:

_مش قلت لك ماتفتحيش لحد ...؟! مش عايزة أشوف حد ...اطلعي بره ...





هرولت الخادمة تهبط الدرج بسرعة لتلتفت هي نحو يامن الذي بقي واقفاً مكانه صارخة بنفس الجنون :

_وانت كمان اطلع بره .

لكنه اقترب منها ليغلق الباب بحزم قبل أن يمسك ذراعيها بقوة وقد فقد كلماته ...

لا يعرف كيف يواسيها في مصيبتها هذه التي يدرك أن ذنبها لن يفارق قلبها عمرها كله !

عندما سمع الخبر كان كالمجنون يريد الوصول إليها بأي طريقة ليفاجأ بخبر عودتها هي إلى هنا !

اللهفة التي ملأته لرؤيتها من جديد كانت أقوى من أي شعور اجتاحه ...

أقوى من غيرته من زين إذ رآه هناك...

أقوى من ألمه إذ يراها في هذا الحال...

بل وأقوى من قلقه إزاء صراخها الهستيري هذا ...





لكنها كانت مغيبة عن كل هذا ...

"الدوامة" إياها تبتلعها بلا رحمة فيتخبط رأسها بين جدران مشاعرها المضطربة...

_جاي ليه ؟! عايز مني إيه ؟!

لاتزال تصرخ بها بهستيرية فيحاول السيطرة على انتفاض جسدها بذراعيه لكنها تنفضهما بعنف لتبتعد عنه صارخة بينما تشير لأصابعه :

_افهم بقا ...افهم...لو انت لسه لابس الخاتم بتاعي فاكر إن ممكن يبقى لسه لنا أمل مع بعض فأنا دفنت خاتمك زي ما هادفن كل حاجة ممكن تربطني بيك .

_مش هتقدري!

يقولها بحزم واثق وهو يعاود الاقتراب منها وعيناه اللتان طالما بحثتا عن قرينة الحب في عينيها الآن تلقيان مرافعة بثبوته !!!





_اللي بيننا مش ممكن يموت ..ده يادوب لسه هيتولد ..

ارتجفت بها شفتاه رغماً عنها وهو يلامس بطنها ...

وهَن...وهن...وهن...!

وهنٌ يفتت ما بقي لها من قناعات قوتها !!

لو تملك الآن أن ترجوه أن يبتعد ...

يبتعد لأقصى الأرض فلم تعد لها طاقة بمقاومة ...

وهن لم تكن لتسمح به طبيعتها المحاربة في موقف كهذا !!!

لهذا لم تشعر بنفسها وهي تضرب بقبضتيها على بطنها لتصرخ بنفس الجنون الهستيري الذي قادها للقنوط من كل شيئ:

_لو ده اللي هيربط بينا مش عايزاك ومش عايزاه ...مش عايزاه ...

ظلت تصرخ بعبارتها الأخيرة وهي تسلط جنونها على لكماتها لبطنها حتى بح صوتها ودون دموع ...

بينما كان هو يحاول تهدئتها دون جدوى وكلماته تذوب على حائط صلب توارت خلفه ياسمين الحقيقية بهشاشتها وضعفها ...

ياسمين التي استنزفها أخيراً كل هذا الوجع لتسقط مغشياً عليها بين ذراعيه ....

==========





_ماما!

تهتف بها برجاء وهي تفتح لها ذراعيها بينما تعدو نحوها لكنها تشيح بوجهها عنها بعد نظرة عاتبة تعرفها منذ كانت صغيرة تتلقى عقابها على أخطائها بنظرة كهذه ...

_ماما!

تهتف بها من جديد وهي تقترب منها لكنها كانت تبتعد ...

تبتعد وتبتعد حتى اختفت تماماً تاركة إياها وحدها تبكي !!

فتحت عينيها أخيراً وقد استردت وعيها لتدور بهما في الغرفة حولها ...

أين هي ؟!

هي تذكر هذا المكان ...





معقول؟!

_أحسن دلوقت ؟!

همسه الحاني يترافق مع تربيته على وجنتها لتنتفض مكانها هامسة بصوت مبحوح من فرط الصراخ :

_انت جبتني هنا إزاي؟!

_بالعربية !

رده المقتضب يستفزها أكثر لكنها كانت حقاً أضعف من أن تثور!

لماذا أتى بها إلى هنا ؟!

إنه "الشاليه" الذي اشتراه لها على البحر ...

يالله !!

رغم قصر الأيام التي قضتها هنا لكنها تذكر كل لحظة قضتها فيه ...

لا ...لا ينقصها هذا الآن ...





لا تريد أن تذكر ...لا تريد !!

لهذا أغمضت عينيها بقوة بينما هو يردف ولايزال يربت على وجنتها برفق:

_نقلتك المستشفى بعدما أغمى عليكِ وبعدين جبتك هنا ...

_مش هاقعد هنا دقيقة واحدة ...

قالتها بعناد بارد وهي تحرك ساقيها لتغادر الفراش لكنه ثبت كتفيها بقبضتيه ليقول بحزم صارم:

_مش هتخرجي من هنا إلا لما أنا أقول ...ودماغك الناشف ده تنسيه من النهارده...الشاليه مقفول علينا من جوه والمفتاح معايا...يعني مفيش خروج ...وحتى لو حاولتِ تصرخي محدش هيسمعك ...انتِ عارفة إن محدش بييجي هنا في الشتا .

اتسعت عيناها بصدمة من كلماتة لتتلفت حولها هامسة بغضب:

_يعني إيه ؟! خطفتني؟!





فاشتددت قبضتاه على كتفيها وعيناه تواجهانها بنفس النبرة الحازمة :

_محدش بيخطف مراته...بس لو عايزة تعتبريه كده ...براحتك.

اغرورقت عيناها بالدموع العصية على السقوط فودّ لو يضمها لصدره لكنه هو الآخر كان يرزح تحت وطأة انفعالات الساعات السابقة...

رؤيته لزين هناك ...لكمته وتهديده له بالقتل ...بحثه عنها بعدها لينتهي به المقام في شقة أمها ...عودتها التي تزامنت مع صراخها الهستيري ...الجنون الذي أصابها وهي تضرب بطنها بقبضتها ...سقوطها فاقدة للوعي بين ذراعيه ...

كل هذا كان كثيراً على احتماله !!

لهذا لم يفكر كثيراً وهو يقرر أن يهرب بها من كل العالم إلى هنا !!

لا يعرف مدى صحة هذا القرار في حالتها هذه ...





لا يعرف تبعات هذا عليها ...وعلى طفلتهما...
كل ما يعرفه أنه لم يعد قادراً على الابتعاد ....
سيكون معها ولو رغماً عنها !!

كان يتوقع غضبتها لهذا لم يندهش عندما تحاملت على ضعف جسدها لتدفعه عنها وهي تغادر الفراش لتقول عبر الصوت المبحوح :

_انت فاكر إني خلاص مابقاش ليا ظهر؟! فاكر إني بقيت لوحدي هتبيع وتشتري فيا زي ماانت عايز؟!

آلمه أن تشير لمصابها بهذه الطريقة فوقف بدوره ليسند جسدها الذي يتوقع سقوطه في أي لحظة مع هذا الضعف الذي يدرك أنها تداريه باستماتة قبل أن يقول لها بنفس النبرة الحازمة :

_ولو وراكِ الدنيا كلها ...مفيش حد...مفيش حاجة هتاخدك مني تاني.





هزت رأسها الذي تضرب فيه الآن آلاف المطارق لتنفلت منها أنّة خافتة ...بينما عيناها الزائغتان تدوران في المكان حولها بعدم تصديق :

_انت بتعمل كده عشان تحاسبني على آخر رسالة بعتهالك عن زين ؟!

هنا وضع كفه على شفتيها يمنعها الاستطراد بينما يقترب بوجهه من وجهها حتى كاد يلاصقه وعيناه تشتعلان بنظراتها :

_أولاً...اسم الزفت ده ماعادش ييجي على لسانك ...

شيئ من الخوف يمر عبر غلالة الدمع العنيد الذي يطوق نظراتها ...

ليردف هو بنفس النبرة الحازمة التي يداري خلفها طوفان عاطفته :

_ثانياً...أنا واثق إن اللي بعتيه ده مزيف.

_واثق؟! يامن واثق؟!





بتهكم مرير تتمتم بها بعدما نزعت كفه من على شفتيها لتهز رأسها مستطردة :

_من امتى بتثق في حاجة وفي حد ؟!

لكنه ازدرد ريقه ببطء وعيناه تحملان لها اعتراف عشق أبت تصديقه :

_لو مش هتغير عشانك يبقى عشان مين ؟!

شهقت شهقة عالية كتمت بها انفعالها وهي تهرب من عينيه بكفيها اللذين دفنت فيهما وجهها مع تمتمتها بتنمر واهن:

_للدرجة دي صعبانة عليك ؟! انت بتضحك عليا واللا على نفسك ؟! نسيت إني حافظاك زي خطوط إيدي؟!

لكنه نزع كفيها عن وجهها ليعاود احتلال نظراتها بعينيه اللتين فاضتا ببوحه :





C i n n a b o n

_وعشان حافظاني بسألك ..يعني إيه أبقى مش قادر أعيش من غيرك ؟! يعني إيه أحارب نفسي عشانك ؟! يعني إيه يبقى عذابي وفرحتي بإيديكي انت وبس ؟! يعني إيه أموت في اليوم ألف مرة وأنا بفتكر أيامنا سوا وخايف ماترجعش؟! يعني إيه ؟!

ترنح جسدها الواهن ليسند خصرها بكفيه وهو يلصق جبينه بجبينها ليهمس بين شفتيها :

_يعني كسبتِ رهانك عليا...بقولهالك وعمري ما قلتها لحد قبلك...ولا هاقدر أقولها لحد بعدك...

ثم صمت لحظة يتمالك نفسه قبل أن يبتعد ليبسط راحتها على كفه يرسم عليها هو بأنامله رمزهما الأثير لحرف الياء الذي انثنى طرفه بشكل القلب ...

القلب الذي أعلن ملكيتها هي له أخيراً مع اعترافه الصريح:

_بحبك .




رفعت إليه عينيها فجأة بصدمة لثوانٍ قبل أن ينفجر البركان !!

طوفان الدمع الذي حبسته الآن يتحرر خلف كل السدود ...

دموعها المفقودة عادت ...وعاد معها كل شيئ!!!

جسدها يرتجف بين ذراعيه ببكائها الذي فاجأه بقوته بعد طول تماسكها ...

ليفقد اتزانه للحظة وهو يراها تسقط منه أرضاً لكنه دعمها بذراعيه ليسقط معها هو الآخر ...

يخفي رأسها في صدره مغرقاً وجنتها الظاهرة بقبلاته قبل أن يرفع جسدها فوق ساقيه يهدهدها كطفلة ...

فتدفعه عنها ببعض العنف لكنه لا يفلتها من بين ذراعيه محتملاً مقاومتها حتى تراخى ذراعاها ليفاجأ بأناملها أخيراً ...

تتشبث بقميصه !!!

صوت أنينها الباكي يميته ويحييه...





بقدر ما يثير ألمه لأجلها بقدر ما يمنحه الأمل أنها عادت ...

"امرأة الألوان" خرجت أخيراً من بوابة "الأسوَد" التي كادت تلتهم روحها...

"ساحرة الفوضى" عادت لرقصتها العفوية على إيقاع قلب تثق بحدسه...

"عروس البحر" بعد غربتها على الشاطئ قفزت من جديد في بحر لم يعترف بغيره سيداً ...

ياسمين عادت ..

أمه...وطفلته...وصديقته...عادت...عادت...

يعتصرها بين ذراعيه وأنامله تتلمس كل إنش من جسدها يلصقها به وكأنما يخشى أن تفارقه من جديد ...

_مات يا يامن ...مات...مات وهو بيترجاني كل يوم أسامحه وأنا رافضة أنسى...بجلده بإيدي على ذنبه





القديم كإني ملاك مابيغلطش..مات وآخر حاجة عملها كانت إنه طبطب عليا قبل ما يروح يشتري هدية لبنتي ...هسامح نفسي إزاي؟! هاعيش كام عمر عشان أقدر أنسى غلطي في حقه ؟! ليه يمشي ويسيبني فجأة كده زي ما عمل زمان ؟! بس المرة دي الفراق دبحني ...دبحني يا يامن ...

ألصق وجنته بوجنتها ولايزال يهدهدها على ساقيها وقد عجز عن الرد ...

ماذا عساه يقول وهو خير من يدرك أي عذاب من الندم تعيشه الآن وعاشه هو قبلها مثله ؟!!

لكنه كان يدرك في هذه اللحظة أنها لا تحتاج كلماته ...بل حبه !

لهذا اكتفى بهذه الجلسة لدقائق طالت كأنها دهر قبل أن تتحول شهقات بكائها المرتفعة لنحيب صامت ...

فأبعدها قليلاً ليقف ويحملها بين ذراعيه متجهاً بها نحو حوض الاستحمام ...





يخلع عنها ملابسها غير المريحة ليوقفها تحت شلال الماء الدافئ ...

يغسل لها شعرها الذي استطالت خصلاته ويراقب عينيها المغمضتين بأسى وكأنها مغيبة بسيل من الدموع ...

والحقيقة أنها كانت حقاً مغيبة...

كمسافر عاد لما يفترض أنه وطنه وأهله فيصدم بكونه غريباً!!

من هي ؟!

من هي حقاً؟!!

ماذا فعلته بنفسها وبأقرب الناس إليها ؟!

أين قوتها المزعومة التي ما زادتها هاهنا إلا وهناً وخذلاناً ؟!!

فلتبكي ولتبكي ولتبكي لعل هذي الدموع تطهر روحها ...





تشعر بشلال الماء يتوقف ليجذبها هو خارج الحوض قبل أن يجفف جسدها بمنشفة ليضع عليها قميصاً مريحاً كانت قد تركته هنا في آخر مرة ...

تباً لهذا العطر الذي يفوح منه يذكرها بنعيم كان لها يوماً ...وضاع!!

لا تزال غير قادرة على فتح عينيها مكتفية باستسلامها بين ذراعيه وهو يقودها نحو الفراش من جديد ...

أنامله تمتد نحو خصلات شعرها المبتلة لتسمعه يهمس لها بحنانه الذي لم تدرِ كم افتقدته سوى الآن :

_لو تعرفي كام ليلة نمت وأنا بحلم إني بضفر لك شعرك زي ما علمتيني !

كلماته تزيد دفق الدمع على وجنتيها فتمسحه أنامله المرتجفة التي انتقلت لشعرها يصنع لها جديلته ...




"سنبلته" الذهبية التي شهدت عهد عشقها القديم له ويقسم أن تشهد عهد عشقه هو الجديد لها ...

هذه التي استقرت الآن على جانب كتفها ...

قبل أن تستقر هي بكليتها بين ذراعيه تخفي جسدها الضئيل في رحابة جسده مستشعرة "أبوة" طالما افتقدتها في علاقتها معه...

وتغرق في دوامة مشاعرها أكثر وأكثر ....

=========

_ياسمين حالتها مش كويسة...مابتردش عليا ...دايماً تايهة وسرحانة...

قالها يامن عبر الهاتف مخاطباً ياقوت بخفوت بينما يقف في ردهة الطابق السفلي من الشاليه منتهزاً فرصة نوم ياسمين ...

_ممكن أعرف تفاصيل أكتر؟!





سألته ياقوت باهتمام رغم ضيقها بالوقت المتأخر ليلاً الذي يحدثها فيه ليخبرها عن آخر التطورات ...

قلبها "المكلوم" يتوجع بحسرته وهو يحكي لها عن لقائه بزين هناك في المقابر وكيف انتهى ...

تراه -زين- يعشق ياسمين إلى هذا الحد ؟!

حد ملاحقته لها هنا حتى بعد علمه بعودتها لزوجها ؟!

لكنها نفضت عنها هذا الخاطر لتعود لدرع مهنيتها ملتقطة منه ما تلا ذلك من تفاصيل انتهت بقوله :

_ومن ساعتها ساكتة وما بتبطلش عياط.

تنحنحت لتجلي صوتها ثم قالت بنبرة محايدة :

_اعترافك بالحب في الوقت ده صدمها ...كانت متوقعة بعد السكرين اللي بعتته إنك هتبعد أكتر ...وده اللي هي كانت عايزاه عشان تخلص من الضغط وتخرج نفسها من دايرة هتفضل تلف فيها من غير لزوم...وفجأة كده ييجي يامن جديد





مختلف ...يامن بيقوللها إنه واثق فيها ومش مصدق إنها تغلط..يامن مش مكسوف ومش متردد يقوللها إنه بيحبها ...يامن محتاجاه دلوقت أكتر من أي وقت في حياتها ...كرامتها بتقوللها ماتصدقيش وابعدي ...بس قلبها بيقوللها حاسبي أحسن تخسريه من غير ما تسامحيه زي ما عملتِ مع والدك ...ولأنها لسه مش قادرة تاخد قرار فلسه تايهة بينهم .

صمت قليلاً يتفكر في حديثها الذي أقنعه ليرفع بصره نحو الأعلى مراقباً أي حركة تشي باستيقاظها ولما لم يجد عاد يسألها هي بقلق:

_والمفروض أعمل إيه دلوقت ؟!

_حِبّها!

قالتها ببساطة أغاظته وجعلته يهتف باستنكار فظ :

_جبتِ التايهة ؟! مش عارف الحقيقة من غير اقتراحاتك دي كنت هاعمل إيه!




ابتسمت رغماً عنها مع عفوية رده لتجد بساطة لكنتها القروية تتسرب عبر حديثها :

_جرى إيه يا دكتور ؟! يادي العيبة !أنا اللي هاقوللك تدلع مراتك إزاي ؟!

صمت طويلاً لكنها تفهمت قلقه لتعود لها نبرتها المهنية مع قولها :

_ماتقلقش ...استحملها الفترة دي لحد ما تعدي ...ياسمين دلوقت هتنزل م الجبل اللي كانت فاكرة نفسها واقفة فوقه...هتبتدي تشوف غلطها وتحط إيدها على نقط ضعفها ....احنا خطينا الصعب واللي باقي مقدور عليه ...وأنا معاك متابعة أول بأول .

أغلق معها الاتصال شاكراً بكلمات مقتضبة قبل أن يتصل بنبيلة التي لم تنقطع اتصالاتها به منذ اختفى هاهنا ....

ولم تكد تسمع منه ما حدث حتى هتفت باستنكار:




_خطفت البنت يا يامن ؟!

_انتِ هتعملي زيها ؟! هي مش مراتي وده بيتي؟!

قالها بغضب مكتوم محاولاً عدم رفع صوته لتهتف نبيلة بنفس الاستنكار العاتب:

_ده وقت عِند وغضب في حالتها دي؟! هاتها لي يا يامن ...هاتها في حضني وأنا هاعرف أتعامل معاها !

تحشرج صوتها في عبارتها الأخيرة برجاء بررته عبارته بعدها:

_الزعل غلط على حملها يا يامن ...مش هسامحك لو ابنك المرة دي جرى له حاجة !

عبارتها العفوية ترده لذنبه القديم لكنه يبتلع غصة حلقه ليقول باقتضاب:

_بنت !

_بنت؟! بجد؟! البنات رزقهم واسع وكلهم خير ...ياربي!!




هتفت بها بفرحة لم تستطع كتمانها لتعاود قولها بقلق :

_بس برضهماينفعش تحبسها عندك ...هاتها وسطنا حرام عليك.

_هو أنا بعذبها ؟! أنا أدرى بحالتها ومتابع حالتها مع دكتورة نفسية كمان ...

قالها بنفاد صبر ليتهرب من إلحاحها بقوله :

_خللي بالك انتِ م البنات ...ماتقلقيش علينا .

قالها ليغلق الاتصال بسرعة مدركاً إلى أي مدى تغيرت نبيلة وتغيرت علاقته بالتبعية معها ...

ثم زفر بقوة وهو يعاود الصعود للأعلى ...

نظراته تتعلق بجسدها الساكن في نومه بلهفة وكأنه لا يصدق أنها حقاً عادت ...

يتمدد جوارها ليتحسس ملامحها بأنامله التي هبطت بخشوع ذائب نحو بطنها ...





هنا طفلته منها !

طفلته التي لم يدرك أنه حقاً يشتاقها إلا الآن !!

ترى كيف سيكون شكلها ؟!

لا يهم !

ما يعنيه أنها قطعة منها ومنه...وكفى!!

صورة ابنه من "سيلين" تعاود القفز بسلطان وساوسه للذنب القديم ...

لكنه هذه المرة كان من القوة بمكان أن نفض عنه هواجسه هذه لينحني فوق بطنها بقبلات ناعمة حذرة ...

لتصدمه حركتها تحت أنامله !!!

رفع رأسه بصدمة وهو يعاود تحسس بطنها ليتيقن من حركة الجنين التي جعلت جسده يقشعر تأثراً بها ...

ابنته تشعر به ...





تتجاوب معه ...

الدموع تملأ عينيه وهو يجرب هذا الإحساس لأول مرة فيرفع رأسه لأعلى بحمد العلي القدير ...

قبل أن ينتبه لتململ ياسمين في نومها وكأنما أزعجتها حركة جنينها !

لكن الحقيقة أنها كانت تعيش كوابيسها الخاصة التي صارت قلما تفارقها ...

عتاب أمها ..نداء أبيها ...صوت الانفجار ...الدخان الأسود...النيران ...

وطيف بعيد باهت لعابد ...





عابد ؟!

أين عابد ؟!

هل سيرحل هو الآخر؟!

تنتفض من نومها مفزوعة فتجفله حركتها قبل أن يجدها تلقي بنفسها بين ذراعيه فجأة تتشبث بعنقه بقوة وبكاؤها الصامت يعاود تدفقه دون توقف ...

ضمها إليه برفق مهدئاً وهو يربت على ظهرها للحظات ..قبل أن يبعدها ليمسح دموعها بكفيه هامساً :

_قومي معايا ...أنا عارف دواكِ.

لكنها تهز رأسها رفضاً كالمغيبة لا تكاد تعي مما يقوله شيئاً

إلا فقط هالة وجوده حولها ...

هنا جذبها برفق من ذراعها ليقف ويوقفها معه قبل أن يتوجه بها نحو الحمام حيث فتح لها صنبور المياه ...




_اتوضي!

الكلمة على بساطتها تصدمها كأنها نسيتها مع ما نسيته !

لهذا وقفت مشدوهة لبضع ثوانٍ قبل أن تشرع في الوضوء ودموعها المتدفقة تأبى التوقف ...

ولم تكد تنتهي حتى ناولها المنشفة لتجفف جسدها ثم جذبها برفق خلفه ليتوجه بها نحو خزانة الملابس حيث جذب لها وشاحاً ساتراً وضعه فوقها ...

قبل أن يسير بها نحو زاوية الغرفة حيث استقبل القبلة ليرفع يده بالتكبير ويسمع تمتمتها به خلفه ...

يستحضر خشوعه طارداً وساوسه قبل أن يعلو صوته





بالتلاوة ...

والإلهام يرشده لسورة "الضحى " عقب الفاتحة ...

ولم يكد يصل لقوله تعالى ...

"ما ودعك ربك وما قلى ..وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى"...

حتى شعر بها خلفه تجهش في البكاء لكنه لم يقطع صلاته مستمراً في تلاوته يعيدها مرة بعد مرة ...

يركع فيطيل الركوع ...

يسجد فيطيل السجود ...

يدعو له ولها قبله وهذا الشعور المهيب يملأه أنه في حضرة الملك الذي يستحي أن يرفع العبد يده إليه فيردهما صفراً خائبتين !!

ولم يكد يسلم من صلاته ليلتفت نحوها حتى وجدها لا تزال ساجدة ...





فانتظرها صابراً لعلها تدرك هاهنا ملجأها وراحتها ...

وقد صدق حدسه !!

ففي مكانها وجبينها يلتصق بالأرض في خشوع ذليل كانت تشعر وكأنما تلقي وزرها عن عاتقها ...

كانت تدرك أنها ابتعدت كثيراً كثيراً ...

لكن النور القادم من بعيد يناديها ...

يطمئنها ...

ويغسل درن روحها ...

نورٌ لن تطفئه الخطايا مهما عظمت ...





ينبئنا أن لو أتينا بقراب الأرض خطايا نادمين مستغفرين

لأوتينا بقرابها مغفرة ....

==========

_لو شفتك حواليها تاني هاقتلك ومش هاخد فيك ساعة سجن واحدة !

يتذكرها بصوت يامن عندما التقاه أمام قبر وجدي بعد رحيل ياسمين العاصف ودفعها لكليهما ...

يتحسس ذقنه حيث موضع لكمة وجهها له يامن عقب عبارته ولم يردها له !

ربما لأنه كان يرى معه بعض الحق هذه المرة !

ياسمين لا تزال أسيرته بعقد زواج وهو "الدخيل" هاهنا!!

لكن هل سيستمر هذا الوضع ؟!

هل سيتركها الآن تحت رحمة مجنون كهذا ؟!

لكن ماذا عساه يصنع وهو مكبل برفضها هي لمساعدته ؟!!

أطلق صيحة غاضبة وهو يخبط سطح مكتبه بكفه !!!

ياسمين أخبرته أنها سترفع قضية طلاق وهو سيساعدها في الاحتفاظ بطفلها ...

علامَ إذن كان كل هذا التخطيط مع ياقوت ؟!!

ياقوت؟!

اسمها الذي استحضره ذهنه يقلب مشاعره الغاضبة للنقيض ...

ارتياحٌ رهيب يغمره يمتزج بنشوة غامضة ...

احساس مميز تختص بها هي ...يستمد تميزه من شعوره المتناقض بها ...

ياقوت ...بلسم الطبيبة الشافي ...

ياقوت...ذكاء المرأة النادر...





ياقوت...قوة الأنثى المثيرة لحواس صياد مثله...

ياقوت...جمالٌ بكر مدفونٌ ينتظر من يزيح عنه اللثام !

وماذا عن ياسمين؟!

هل تجوز المقارنة هاهنا ؟!

ياسمين المرأة الكاملة التي يرتجيها زوجة...

لكن ياقوت ...!

تنهد بعمق عند الخاطر الأخير عاجزاً عن إكماله !!!

يود لو يعترف أنها "مجرد طريدة" يستمتع بصيدها ...

لكن- احترامه- لها يمنعه من "تهميشها" إلى هذا الحد !

ربما ...ربما لو شعر للحظة أنها لا تستحق احترامه هذا لوضعها في خانة "الطريدة" بضمير مرتاح ...

ساعتها سيتلذذ بصيد امرأة أخرى هي صورة من "زوجة أبيه"!

انقطعت أفكاره فجأة عندما انتبه أنها اعتذرت عن جلسات همسة لثلاث مرات متوالية...

اليوم ...ألم يكن من المفترض بها أن تأتي؟!

نظر في ساعته للحظة قبل أن يتناول هاتفه ليتصل بها ...

وفي غرفتها بالمركز تجاهلت اتصاله لمرتين ...

قبل أن تستجمع بأسها لترد ...لم يعد هناك جدوى من تأجيل المحتوم ...

_إزيك يا ياقوت ؟!

تغمض عينيها بقوة شاعرة بعظم ما توشك أن تفقده ...

ليس هو نفسه ...بل "أحقية الحلم بمن يشبهه"!!

ربما ثمر محقة !

من مثله لا ينظرون لمن مثلها إلا نظرة واحدة فقط !!

هي "ابنة الخادمة" ورثت عن أمها عارها ...

و"ابنة الثري" الذي لم يورثها جاهه ولا ماله ...بل خطيئته !

و"الجبين " الموصوم بالسواد لا يشفع له بياض جسد ناصع!

_خير؟!

تقولها باقتضاب متجاهلة تحيته ليعقد حاجبيه شاعراً بالغرابة ...





ألم يتجاوزا مرحلة فظاظتها هذه في الأيام السابقة ليعرف بعض الود طريقه بينهما ؟!

_ناسيانا ليه ؟!

بلهجته المميزة بين الهيمنة والود يقولها لتجيبه بتحفظ :

_كنت لسه هاكلمك .

_صحيح؟!

نبرته يتخللها بعض العبث المقصود لمغازلة عذرية قلب يثق بأثره عليه ...

لتطعنه عبارتها في الصميم:

_عشان أعتذر عن حالة همسة .

كز على أسنانه بقوة وهو يشعر بمزيج غريب من الأحاسيس ...

نزعة "الصياد" بداخله تدفعه للإحساس بالخيبة من تفلت طريدة كهذه من يده ...





لكن هل هذا هو ما يملأه الآن فحسب؟!

لا...

غصة تخنق حلقه وهو يتصور رد فعل همسة على هذا القرار ...

همسة التي تعلقت بها بشدة حتى كادت تنافسه في مكانته هو لديها !!

لهذا صمت لحظات ليعاود القول بنبرة أكثر خشونة :

_احنا مش اتكلمنا في الموضوع ده قبل كده ؟! إيه الجديد ؟!

التوت شفتاها بابتسامة ساخرة لم يرها وهي ترد بحزم مقتضب:

_معنديش حاجة زيادة أقولها ...ربنا يوفقكم مع دكتور غيري .





C i n n a b o n

استشعر أنها ستنتهي المكالمة هكذا فهتف بغضب لم يملكه :

_هو إيه لعب العيال ده ؟! انتِ فاكرة مشاعر الناس لعبة ؟! تعلقيها بيكي وبعدين تسيبيها ؟!

_كويس جداً إنك فاهم إن مشاعر الناس مش لعبة !!

قالتها بعتاب مبطن خلف واجهة معتدة كعهدها ليردف بتشكك :

_قصدك إيه ؟!

دمعت عيناها رغماً عنها وهي تشعر أن إنهاء الأمر ليس بهذه السهولة التي تخيلتها ...

قلبها يكاد ينفطر كأنه فقد عزيزاً ...

مشاهد متتالية من حديقة بيته ...غرفة همسة ...ابتسامتها ...نظرتها ...عناقها ...

كتبها التي تقرأها لها ...

و...هو!!




هو الذي مس أعمق نقطة بقلب عاشت هذا العمر كله تخاف عليه أن يُمَسّ!

من اليوم لا زين !

لا "حلم"!

لا "رجل" يرفعِ رأسها ورأس ثمر ويجعل أباها يندم على ذنبه القديم !!

من اليوم ...لا "أمل"!

أو ...فلتعد للبحث ...لعل القدر الرحيم يمنحها العوض!

الخاطر الأخير أمدها ببعض القوة لتعاود القول متجاهلة سؤاله :

_بعد إذنك عندي شغل ...هاكتب تقرير بتطور الحالة وأبعتهولك عشان لو هاتكمل مع حد تاني .

_مش هاتكمل مع حد تاني ...وانتِ اللي هتشتغلي معاها ...





هتف بها بصرامة استفزتها لينظر في ساعته مردفاً :

_عندي اجتماع مهم دلوقت ...هاجيلك بعد ساعتين .

كادت ترد بعبارة قاسية تغلق بها الاتصال في وجهه لكنه فاجأها عندما أغلق هو الاتصال !

=======

_انتِ صحيح هاتسيبي همسة ؟!

سألها رائد بقلق وهو يجلس أمامها على مكتبها في المركز بعد نصف ساعة فقط من محادثتها مع زين لترد بابتسامة مرتبكة :

_هو لحق يقوللك؟!

لكنه تجاهل عبارتها ليسألها بضيق حقيقي:

_ليه ؟! ده أنا ما صدقت حد يفرق معاها !

شبكت أصابعها أمامها مطرقة الرأس لتغمغم بشرود :





_انت دراعه اليمين ...وأكيد عارف علاقته بيامن حمدي وياسمين ذو الفقار .

تجمدت ملامح رائد للحظات وكأنه فوجئ بمعرفتها قبل أن يعود لوجهه قناعه الجليدي مع قوله :

_وده يضايقك في إيه ؟!

_يضايقني في إيه ؟!

هتفت بها باستنكار ترفع إليه عينيها الثائرتين خلف نظارتها ليهز كتفه بقوله خلف قناعه المعدني :

_محدش يقدر يضربك على إيدك ويقوللك اعملي وماتعمليش ...خلليكي في شغلك وخلاص.

_كان نفسي أحسبها زيك كده ...بس للأسف عندي حسابات مختلفة !

_أنا عمري ماارتجيت حد ...بس عشان همسة...

يقولها بنبرة لانت كثيراً وجعلت صوته يرتعش بكلماته لكنها قاطعته بقولها:




_أرجوك ما تكملش ...لو أقدر ماكنتش هاستنى منك رجاء ولا حتى طلب ...ربنا عالم حبيت همسة أد إيه وكنت أتمنى فعلاً أكمل معاها بس ...غصب عني ...

عقد حاجبيه بقوة وهو يفكر في سبب ما تفعله ...

بينما استطردت هي بنبرة أكثر عاطفية :

_فيه دكتورة زميلتي ممكن أرشحهالكم ...هاشرح لها التكنيك اللي كنت ماشية عليه وممكن أتابعها من بعيد لبعيد ...بس مش هاقدر أدخل البيت ده تاني .

_زين ضايقك ؟!

دمعت عيناها للحظة بعد سؤاله لكنها وارت هذا خلف قناع قوتها لتقول باعتداد :

_مالوش عندي حاجة عشان يضايقني ...كان بيننا شغل وخلص .





زفر زفرة قصيرة وقد أنبأته ملامحها أن الأمر محسوم ...

على الأقل من جهتها هي !

لكنه يشك أن لزين رأياً آخر !

لهذا قام من كرسيه ليرمقها بنظرة آسفة حملت الكثير من امتنانه مع قوله :

_مفيش قدامي غير إني أشكرك ع اللي عملتيه...

ثم أشاح بوجهه للحظة قبل أن يعود ليرمقها بنظرة عميقة وقد راوده حدسٌ ما جعله يردف بنبرة غامضة :

_ وأنا لسه عند وعدي ...أي حاجة تحتاجيها في أي وقت ما تترددديش تطلبيها مني .

ورغم شعورها بالامتنان لكنها وقفت مكانها لتقول باعتدادها المألوف:

_متشكرة جداً ...بس مافتكرش هنتقابل تاني .




فالتوت شفتاه بابتسامة "غريبة" لم تدرِ ساخرة أم مشفقة ...

قبل أن يغادرها وقد عاد إليه قناعه المعدني بخطوات واثقة لا تشي بما يفور في صدره من مشاعر ...

========

"صائد كنوز"!

وماذا يضيرني لو كنت حقاً كذلك؟!

أحمقٌ من يغض الطرف عن بريق اللؤلؤ في عينيكِ بعدما أهلكه شغفاً ...

وما كان الحمق يوماً من صفاتي.

فرصة واحدة لكِ كي تبتعدي...

وبعدها كل الفرص لي ...بالاقتراب!

"زين"

===========

تحدثني عن لذة "الصياد"؟!

دعني أحدثك إذن عن متعة "الطريدة" وهي ترد له شباكه خاوية !

تحدثني عن مهارة استكشاف الكنوز؟!

دعني أخبرك إذن "أصول" استخراجها !

تحدثني عن تاريخ "قديم" لملك غازٍ؟!

دعني أروِ لك إذن حكاية "متجددة" لملكة لا ينكسر تاجها ...لا تستسلم قلاعها ...ولا يخون جندها ...

تحدثني عنك؟!

بل دعني أحكِ عني ...

فحكايتك قتلوها بحثاً على المقاهي والأرصفة ...

وحكايتي سيخلدونها في مجلدات التاريخ !

"ياقوت"

=========





وصلت سيارته أمام المركز ليشير للسائق بالتوقف ثم يهم بالترجل لولا أن لمح رائد يخرج !

عقد حاجبيه بشك وهو يراقبه يتحرك بملامحه الجامدة كعهده قبل أن يستقل سيارته ليتحرك بها مبتعداً ....

ما الذي كان يفعله هنا ؟!

ولماذا لم يخبره أنه قادم ؟!

ولماذا اختار هذا التوقيت بالذات مدركاً انشغاله بالاجتماع الذي أنهاه سريعاً قبل ميعاده ...

ربما لو لم يكن قد فعلها لما علم عن مجيئه هنا شيئاً !!

مممممم...رائد يخفي شيئاً ما عنه...

شيئاً يتعلق بياقوت هذه !!

لن ينسى همساتهما المختلسة ولا لكزته لكتفها عندما رآه ...





كذلك لن ينسى كيف تعمدت استفزازه لتجعله يتدخل في جلسات همسة معها ...

ماذا عساه يدور بين هذين الاثنين ؟!

وما الذي تخفيه هذه المرأة خلف واجهة الطبيبة المكافحة ؟!

لا بأس ...

سيحكم الشرك هذه المرة ولن يسمح لها بالفكاك !!

وعند الخاطر الأخير ترجل من سيارته ليتوجه نحو المركز حيث غرفة مكتبها التي طرق بابها ليدخل دون انتظار إذنها في بداية نارية لمواجهة لا يدري إلى أي حد ستكون ساخنة...

لم يكلف نفسه مشقة إلقاء تحية مع ملامحها المتحفزة التي تنمرت وهي تلتفت نحوه لتستدعي كل قوتها بقولها :

_عندي جلسة كمان خمس دقايق .





هل فوجئت به ؟!

الغريب أن لا!

قراءتها الذكية لشخصيته أنبأتها أنه لن يقبل برفض ...أي رفض!

"ابن الأكابر" الذي ولد وفي فمه "طاقم ملاعق" من ذهب لن يرضى بكلمة "لا" يقذفها أحدهم في وجهه !

_ما احنا مش هناخد خمس دقايق !

يقولها بنبرة متحدية عبر عينين نافذتين وهو يقترب منها أكثر ...

توقعته سيجلس أمامها على كرسي المكتب لتفاجأ به يقترب من كرسيها هي ليستند بكفيه على حافة المكتب جوارها يراقبها من علوّ...





لم تستطع منع ارتجافة جسدها لقربه المستفز هذا لكنها رفعت نحوه عينين غاضبتين مثله بينما هو يقول ونظراته تتفحص ملامحها :

_دقيقتين تفهميني إيه اللي حصل ...ودقيقتين أقنعك تغيري رأيك أياً كان السبب اللي بتتخلي عن همسة عشانه.

ابتسامتها الساخرة من ثقته بنفسه تثير المزيد من غضبه الذي تحكم به بينما هي تعود للخلف مستندة على ظهر كرسيها لتعقد ساعديها أمام صدرها قائلة :

_هي دقيقة واحدة هاقوللك فيها اللي يخليك تمشي فوراً ...وتقفل الباب وراك .

كز على أسنانه بغضب مكتوم من هذه اللهجة التي لم يعتد أن تحدثه بها امرأة !

بينما وقفت هي مكانها لتناطحه رأساً برأس مردفة :




_لو مدام ياسمين حابة شهادتي بخصوص دكتور يامن فأنا لسه عند رأيي اللي قلتهولك قبل كده ...

اتسعت عيناه بصدمة من عبارتها ليفقد كلماته ...

هل قالت "ياسمين" و"يامن"؟!

هي عرفت !

بينما هي تستطرد باعتدادها الذي خالطه الآن بعض الشماتة :

_بس للأسف عندنا حاجتين استجدوا ....الأولى إن دكتور يامن قطع شوط كبير في العلاج فعلاً وبقى متوازن نفسياً ...يعني كطبيبة معالجة ليه بأكد إن مفيش ما يمنع حضانته للطفل ...

عقد حاجبيه بغضب هادر لتردف هي بنفس النبرة :

_والتانية إني ما أظنش الأمور هتوصل لكده حالياً...لا دكتور يامن هيسمح إنه يخسرها ولا هي هتقدر تستغنى عنه ...

ثم ابتسمت ابتسامة مغيظة لتنهي حديثها بقولها :




_مفيش داعي بقا نلف وندور ..."هارد لك" يا زين بيه .

ضغطت حروفها الأخيرة ببطء لكنه لم يكن ليعترف بهزيمة ...

صحيحٌ أنها أمسكت بزمام المبادرة عندما فاجأته بعلمها عن غرضه الحقيقي من استقطابها لكن لا يزال في جعبة الصياد الكثير ...

لهذا سيطر على ملامحه رافضاً الاعتراف بهزيمته أمامها ليقول بنبرة محايدة:

_ومين قاللك إني كنت عايزك إنت بالذات عشان ده بس؟! فين همسة من حساباتك ؟! إحساسي إنك ارتبطتي بيها زي ما هي ارتبطت بيكي ...إيه اللي يخليكي فجأة كده تدوسي على مصلحتها؟!

_وانت بتخاف قوي على مصلحتها ؟!





ازداد انعقاد حاجبيه و"القمران السجينان" خلف نظارتها يشتعلان الآن مع استطرادها :

_بتخاف عليها قوي وانت واخدها سلمة توصللك ليا وواخدني أنا نفسي سلمة توصللك لياسمين ؟! بتخاف عليها قوي وانت حابسها في أوضة برة بيتك اللي ممنوع تدخله وتحس بحقها في بيت أبوها ؟! بتخاف عليها قوي وانت بتستعر تواجه بيها الناس ومخبيها عن عينيهم عشان ما تسيئش لصورة زين بيه العظيم ...

احمر وجهه بانفعال صارخ لتعقد هي ساعديها أمام صدرها مردفة بتهكم شامت :

_قوللي صحيح بعد الفيديو بتاعك انت وياسمين ....المفروض مين اللي يستعر م التاني ...انت واللا همسة ؟!





عبارتها المهينة جعلت جسده يتحفز في وقفته بعنف أجفلها قليلاً خاصة وهي منه بهذا القرب لكنها لم تهتز وهي تنظر في ساعتها قائلة :

_الدقيقة خلصت ...زي ما توقعت ...خلص الكلام !

قالتها ثم أشارت للباب في حركة موحية لكنه رفع كفه فجأة ليمسك كفها بعنف صدمها وهو يقترب بوجهه منها قائلاً بقسوة أخافتها:

_الكلام يخلص لما أنا اللي أقول ...واللي قلتيه ده هدفعك تمنه غالي قوي ...أنا ما يتقالليش لأ.

السكين ...

الجلباب الأحمر ...

الوشاح الممزق ...

السكين ...

الأصابع الغليظة ...

الصوت الثمل ...





السكين...

الساعة المكسورة ...

السكين ...

السكين ...

السكين !!!

المشهد القديم يطفو فجأة من جديد لمخيلتها فيرتجف جسدها رعباً ...

كل حصون قوتها لا تسعفها هاهنا في هذا الموقف وهي ترى فيه نفس الصورة الذكورية الغاشمة !

لكنها أبداً ...أبداً لن تكون الصورة الأنثوية الخانعة !!

لهذا نفضت كفه بعنف لتهتف بحدة تسربت منها لكنتها القروية المميزة رغماً عنها :

_وأنا محدش يشتريني ولا ليا إيد بتوجعني هتمَسَك منها !




تحكم في غضبه بصعوبة وهو يرمقها بنظرات حارقة للحظات سبقت كلمته المتوعدة :

_هنشوف!

قالها ثم اختفى من أمام ناظريها في لحظة حتى شكت أنه لم يكن حقاً هنا !!

لتنهار بعدها جالسة على كرسيها مخفية وجهها بين كفيها ...

لقد اقتصت من جرحه لكرامتها ...

من إهانته لذكائها ...

لكن ماذا عن وجع قلبها الذي سقط في جحيم "التعلق"؟!!

ماذا الآن وقد رحل "الحلم"؟!!

==========

بعد أسبوع ...





فتحت عينيها فجأة لتتلفت حولها ...

أين يامن ؟!

لقد اعتادت وجوده متيقظاً جوارها عقب استيقاظها من النوم طوال الأيام السابقة ...

لهذا انقبض قلبها وهي تنهض من رقدتها لترفع غطاءها عنها ...

قبل أن تقوم لتبحث عنه ...

هبطت الدرج نحو الأسفل لتجد المكان كله خالياً منه !!

تكدست الدموع في عينيها وهي تتوجه نحو باب الشاليه تفتحه لتجده مغلقاً من الخارج ...

هل حبسها هنا وغادر ؟!

ازداد انقباض قلبها والدموع التي صارت أبخس بضائعها تسيل بلا توقف على وجنتيها خاصة





عندما لمحت عيناها هناك بقايا من بالونات كان قد أعدها لها في زيارتهما الأولى هنا ...

والآن صارت مجرد بقايا مهترئة !!!

توجهت نحوها لتمسك إحداها بين أناملها بأسى وفزع غير مبرر يتملك قلبها الذي أرهقته كثرة الخطوب ...

فجلست مكانها تبكي بانهيار صامت ...

وعلى الباب وصل يامن لتوه بعد عودته من شراء بعض الحاجيات وما كاد يفتح الباب حتى فوجئ بجلستها البائسة هناك في الزاوية فألقى ما بيده جانباً لتبادره هي بعدوها الملهوف نحوه قبل أن يتشبث ذراعاها بعنقه وصوت نحيبها العالي يمزق أذنه ...

فهتف بجزع مشفق وهو يضمها نحوه ليربت على ظهرها مهدئاً:





_أنا آسف ...كنا محتاجين حاجات وقلت ألحق أشتريها قبل ما تصحي...آسف يا حبيبتي ..آسف...

لم ينتبه لأثر كلمة "حبيبتي" التي نطقها بعفوية إلا عندما شعر بجسدها يستكين بين ذراعيه فجأة لتخف حدة بكائها ...

فتنهد بارتياح وهو يبعدها قليلاً ليتفحص ملامحها المتعَبة بإشفاق خاصة عندما فتحت له كفها ببطء ليرى بقايا البالونات الممزقة فيه ...

قبل أن ترفع إليه عينين شاكيتين دون حديث كعهدها طوال الأيام السابقة...

لكنه رفع كفها نحو شفتيه بقبلة عميقة ليهمس أمام عينيها :

_ولا يهمك...هاعمللك غيرهم...تعالي شوفي جبت إيه ...

قال عبارته الأخيرة وهو يجذبها من كفها نحو الأكياس التي وضعها أرضاً لينتقي منها كيساً




بلاستيكياً كبيراً حوى العديد من البالونات الملونة ..

_هاقعد النهارده كله أنفخهم لك زي زمان ...فاكرة ؟!

يقولها بحنانه الذي امتزج بالأسف...بالندم...وبالعتاب ...

لتجيبه بإطراقة رأسها الصامتة لكنه تقدم منها ليرفعِ ذقنها نحوه مردفاً بحروف تقطر عشقاً:

_ولو مش فاكرة ...هافكرك...وعد مني أرجع لك كل ساعة حلوة عشناها ألف ساعة...ألف يوم...لا...ألف سنة .

عضت شفتها بقوة وكأنها لا تصدق أن ينطلق لسانه بهذا الحديث هكذا دون محاذير ...

هل تغير حقاً كما يبدو؟!





أم أنه مجرد حلم تعيشه مفتوحة العينين ؟!!

حسناً ...فلتعِشه فحسب ...لقد ملت الأسئلة !!

لهذا اقتربت تخفي وجهها في صدره دون كلمات ليقبل رأسها بعمق قبل أن يحيط كتفيها بذراعه ليحمل بقية الأكياس ويتوجه بها نحو المطبخ الصغير هناك ...

_اقعدي هنا واتفرجي بقا على إبداعات الشيف يامن ...

قالها ببعض المرح محاولاً إخراجها من حالة التشتت التي تعيشها هذه الأيام ...

لكنها بدت غائبة الذهن والوعي فشمر كمي قميصه ليشعل الموقد هاتفاً :

_بيض مقلي بالروزماري زي ما بتحبيه اليومين دول!





رمقته بنظرة مندهشة فهي لم تجرب هذا المذاق إلا قريباً جداً وبعد انفصالها عنه ...

كيف عرف؟!

ويبدو أنه قد قرأ سؤالها في عينيها عندما غمزها ليردف:

_احنا برضه بنعرف نجمع معلومات من الفيس ونراقب من بعيد !

تزينت شفتاها بشبه ابتسامة وهي تغمض عينيها بينما رائحة الطعام تصلها شهية حقاً لتشعر بحركة يمنى في بطنها شديدة الوطء هذه المرة مما جعلها تطلق آهة خافتة وهي تمسد بطنها ...

فتوجه هو نحوها لينحني على ركبتيه أمامها قائلاً بقلق:

_انتِ كويسة ؟!




لم تزد عن إيماءة واهنة فمد أنامله يمسد بطنها ليعاود السؤال بحنان فاض بين حروفه :

_بنتي جعانة ؟!

رمقته بنظرة عميقة وهي تسمع منه كلمة "بنتي" هذه التي أشعرتها بالغرابة ...

كيف انقلب حالهما هكذا في غمضة عين ؟!

يامن هذا مختلف ...

ليس كيامن الذي صرخت يوماً بكل قوتها أنها تكرهه...

ولا حتى كيامن الذي امتزج عشقه بدمها منذ سنوات ...

هو يبدو وكأنه ولد من جديد !!!

لكن ماذا عنها هي ؟!!

هل تزعم أنها هي لم تتغير؟!





ابتسامة مريرة ترتسم على شفتيها البائستين دللها هو بشفتيه بقبلة سريعة قبل أن يقف ليجذب كفها قائلاً :

_الجو النهارده دافي شوية..تحبي نطلع نفطر على البحر؟!

كان يعلم أنها لن تمنحه رداً كعهدها طوال الأيام الماضية ...

لهذا لم يعطها فرصة الجواب وهو يجذبها مع صينية الشطائر التي أعدها ليسير بها نحو الخارج ...

توقفت مكانها للحظات عندما شعرت بقدميها خارج الشاليه وهي تتلفت حولها بتشتت وكأنها لا تصدق أي عالم جديد وجدت نفسها فيه فجأة...

هل غادرت ماليزيا ؟!

هل عادت لمصر؟!

هل عادت ليامن ؟!





لنفسها؟!!

شيئ من الخوف يتملكها فتتشبث بذراعه رغماً عنها كطفلة تائهة لكنه كان يستوعب هذا الطوفان من المشاعر التي تجتاحها ...

قلقه عليها يكاد يقتله لكن عزاءه أن ياقوت تتابع معه حالتها على الهاتف وتخبره أنها لا تزال في مرحلة الصدمة ...

_رايحة فين ؟!

يسألها وهو يراها تهم بالاستلقاء على أحد كرسيي الشاطئ الموجودين هنا تاركة له الآخر ...

قبل أن يجذبها برفق ليجلسها جواره على نفس الكرسي قائلاً بحزم عاشق:

_مش هاسمح لحاجة تفرقنا..ولا حتى كرسي!





أغمضت عينيها بتأثر من عبارته لتستلقي مريحة رأسها على صدره فقبل رأسها برفق ليبدأ في إطعامها بحذر خشية أن ترفض كعهدها طوال الأيام السابقة التي لم تتناول فيها إلا النذر اليسير من الطعام ...

لهذا تنهد بارتياح وهو يراها تنهي شطيرة كاملة في إنجاز غير مسبوق ...

ثم قبل وجنتها بعمق ليرفع ذقنها نحوه هامساً أمام عينيها :

_عايزة أسمع منك كلام كتير ...كل حركة...كل كلمة...كل نفس عشتيه بعيد عني ...

لا يزال يامن الجديد هذا يثير ارتباكها ...

كيف تألف هذا التغير الذي أصابهما؟!

الآن هو من يدلل ويبوح ويغازل ويستنطقها الحكايا؟!!

ألم يكن هذا الدور قديماً حصرياً لها ؟!!





_لو مش عايزة تتكلمي دلوقت مش هاضغط عليكِ...بس عايز أنا كمان أحكي لك عن كل اللي حصللي في غيابك...

لايزال همسه الحار يلهبها بأنفاسه وعيناه الحبيبتان تناجيان عينيها فترفرف أهدابها للحظات قبل أن تشعر بشفتيه تعزفان اللحن القديم على بشرة وجهها مع استطراده :

_مش عايزة تكمللي حكاية يامن اللي مفيش حاجة عنه ياسمين ماتعرفهاش ؟!

جفناها يرتجفان قليلاً قبل أن تفتحهما لترمقه بنظرة مشتتة عبر غيمة من الدموع ...

لكنه لم ييأس بل ضمها إليه أكثر حتى كاد يلصقها به ليقول بنبرة محايدة :





_أنا عرفت بعدك ست ...أثرت في حياتي قوي ...

شيئ من الحياة عاد للعينين الذابلتين بينما تحفز جسدها في رقدته وشفتاها تنفرجان قليلاً كأنها على وشك الحديث فأدرك أنه قد أصاب هدفاً ...

_مش هاحكي لك عنها غير لو طلبت انت مني!

ببعض المكر يقولها محاولاً إخراجها من قوقعتها الصامتة وقد صدق ظنه عندما تغيرت النظرة المشتتة في عينيها لأخرى حادة نوعاً ...سبقت صمتاً طويلاً مشحوناً بالانفعالات ...

قبل أن تنطق أخيراً بأول كلمة منذ أيام التزمت فيها الصمت المطبق:

_احكي.





هنا تنهد بارتياح وهو يضحك ضحكة قصيرة بينما يعاود ضم جسدها نحوه قائلاً :

_هاحكي لك كل حاجة ...عشان تكمللي صُفَح كتاب مفتوح قدامك..كتاب اسمه يامن !

========

_إزيَك؟!

يضم مروان الهاتف لصدره بقوة وهو يأخذ نفساً عميقاً بعدما سمع صوتها السابق ليعيده لأذنه قائلاً ببعض التحفظ :

_الحمدلله.

لم يفلح تحفظه في حجب دفء صوته عنها ليرتبك صوتها وهي تعاود القول بحرج :

_آسفة لو بزعجك باتصالي ...بس بقى لك تلات أيام ما جتش الجمعية...وقلقنا عليك .

_لا باجي ...بس بلاقيكي مشغولة فمابحبش أعطلك.





قالها غير قادر على منع فرحته بشعورها بافتقاده الذي ينطق به صوتها والذي حمل الآن الكثير من الخيبة :

_بجد ؟! طب ليه ؟!

الخيبة المستنكرة في صوتها تزيد سعادته بمشاعرها الوليدة نحوه لكنه يتخطى هذا ليسألها بحنان صوته الرجولي:

_انت عاملة إيه ؟!

_كويسة ...شفت اللي حصل لعمو وجدي؟!

تنهد مروان بأسف مسترجعاً الحادث الإرهابي الذي تناقلته وسائل الإعلام ليقول بأسى حقيقي:

_الله يرحمه ...نحتسبه شهيد !

_يامن ده بومة...وشه وحش على كل الستات اللي عرفهم ...سيلين ابنها مات وياسمين أبوها برضه مات ...




_لا حول ولا قوة إلا بالله ...هو انتِ لسانك ده ماعليهوش فرامل؟!

قالها باستنكار من عبارتها ليروعه صمتها الطويل بعدها وصوت أنفاسها التي تلاحقت فتنهد بحرارة ليعاود سؤالها بنبرة أكثر رفقاً بعد دقيقة صمت كاملة :

_بتعيطي؟!

لم يصله منها رد لكنه كان يدرك أنها تفعل ...

ومن يفهمها مثله ؟!!

إنها تداري عاطفتها خلف "سلاطة لسانها" هذه

لهذا أغمض عينيه على صورتها ليقول لها بنفس النبرة الحانية :

_الحادثة فكرتك بحادثة والدك ووالدتك الله يرحمهم ...حسيتي بياسمين كأنها مكانك وقتها ...بس الفرق إن هي دلوقت كبيرة ...لكن انتِ وقتها كنت صغيرة ...مش فاهمة يعني إيه





موت ...يعني إيه فراق ...يعني إيه حد بتحبه تصحى م النوم فجأة ما تلاقيهوش .

صمتت طويلاً بعدها وهي لا تدري بماذا ترد ...

كيف يفهمها هكذا ؟!

كيف أدرك أن هذا بالضبط ما كان يملأ رأسها عندما سمعت الخبر ؟!

_صعبانة عليا قوي ...حاسة إني أنا اللي حسدتها .

نطقت بها أخيراً بصوت كتمه بكاؤه ليسألها بصبر:

_على إيه ؟!

_على كل حاجة...حب يامن ليها ...منظرها وباباها بيسلمها من إيدها ليامن يوم فرحهم ...منظر عمري ما هيبقى عندي زيه...نجاحها في شغلها ...روحها الحلوة اللي مخلية كل الناس تحبها .





صمت قليلاً يستوعب منطقها ثم عاد يقول لها بنفس الصبر الحنون:

_في يوم من الأيام هتلاقي واحد يحبك زي حب يامن ليها ويمكن أكتر ...يمكن مش باباكي اللي هيسلمك من إيدك ليه ...بس الدنيا عوضتك عن الأب بيامن نفسه...وانتِ عارفة إنك انتِ بالذات عنده زي بنته...ولو على نجاحها في شغلها فانتِ بقيتِ ممتازة في كليتك ...أما عن الروح الحلوة ...فعايز أقوللك إن ناس كتير بتحب روحك دي ...ويمكن انتِ نفسك ماتعرفيهمش .

كلماته هبطت على قلبها برداً وسلاماً وهي تشعر أن مجرد الاستماع إليه جنة ...

جنة لم تطؤها قدماها من قبل مع غيره ...

لا...ليس الأمر مجرد إرضاء لغرور أنوثتها فقد سمعت من قبل اعتراف غيره بالحب ...

لكن منه هو يبدو الأمر مختلفاً ...





ربما لأنه يجمع بصورة واحدة كل الصور الرجولية التي افتقدتها ...

الأب ...الصديق...العاشق ...

كم يشبه عاشقها المجهول الذي اختفى فجأة ليذرها بعده عالقة في تيه مشاعرها ...

ربما لو كان معها الآن لاختلف الأمر ...

لا ...

لم يكن ليختلف !

أو ...ربما !!!

حيرتها تعاود غزل شباكها حول عاطفتها من جديد لكنها تهرب من كل هذا الصراع بسؤالها المحايد :

_أخبار العيادة إيه ؟!

تنهد بارتياح مدركاً أنها تجاوزت مرارة ذكراها ليجيبها :

_أهه ...بكرة هاروح أختار لون الدهان والسيراميك.





_آجي معاك ...أنا ذوقي حلو .

_ودي هتستأذني فيها يامن إزاي دي؟! هتقولي له رايحة أنقي السيراميك مع صاحبك ...عشان يعلقني أنا وانتِ على باب زويلة .

ضحكتها العالية تخترق أذنه كألف لحن صاخب وممتع !!

يشاركها فيها للحظات قبل أن يصله صوتها المتردد :

_ممكن أسألك كام سؤال محيرينني.

_ممكن بس مش وعد أجاوبك على كله ...اللي مش هاقدر أجاوبه هاقوللك عليا واحد .

تضحك باستمتاع جذل ومرحه يرضي طبيعة "الطفلة" بداخلها لتصمت قليلاً قبل أن تعاود أسئلتها المترددة :




_انت ليه سامحتني بسرعة كده ؟! واحد غيرك مكنش بص في وشي تاني؟!

هنا كان دوره ليصمت قبل أن يجيبها بصوته الذي مزج دفئه بحنانه :

_يمكن عشان شايفك زي ما كنت بشوفك زمان ...بنوتة صغيرة بتلعب ع السلم في البيت القديم ...

_قصدك عَيّلة ما يتاخدش على كلامها ؟!

ببعض الغضب تسأله ليجيبها بنفس النبرة الدافئة :

_قصدي بنوتة كبرت قدام عيني ...غلاوتها تشفع لغلطها .

"غلاوتها"؟!

هل قال حقاً "غلاوتها"؟!!

الكلمة على بساطتها ترضي "الأنثى" بداخلها ...

تفجر ألغام عاطفة بصدرها واحداً تلو الآخر ...





وتجعل دقات قلبها تتقافز بجنون هادر على لحن تجده أذنها غريباً ...

ويجده قلبها "وطناً"!!

فتعود لتسأله ...كأنما ترتشف من مذاق هذا الإحساس قطرة قطرة :

_انت فاكرني وأنا صغيرة ؟!

همهمة إيجاب جعلتها تسأل بلهفة :

_فاكر إيه ؟!

_فاكر شعرك البني الطويل اللي كان على طول منكوش...فاكر شقاوتك وانتِ بتتشاكلي مع الولاد اللي أكبر منك...فاكر ركبتك على طول متعورة وعليها ميكروكروم من كتر العفرتة والتنطيط ...

ضحكتها المستمتعة تملأ أذنيه فيغمض عينيه بهيام للحظات ...

قبل أن يردف بأسى:





_وفاكر يوم وفاة والدك ووالدتك وانتِ حاضنة فستان العيد وقاعدة ع السلم .

_انت عارف إن الفستان لسه عندي ؟! بحضنه كل مابحس إني لوحدي .

هتفت بها بعفوية وهي تشعر أن الحواجز بينهما تتلاشى واحداً تلو الآخر ليسألها هو باهتمام :

_وامتى آخر مرة حسيتي فيها إنك محتاجة تحضنيه.

_مش فاكرة...من زمان ماعملتهاش ...يمكن بعدما فقت من محاولة انتحاري الفاشلة.

همهمته المتفهمة كانت جوابه وهو يستعيد ذكرى ذاك اليوم الكارثي ...

وكذلك هي التي استطردت بنبرة آسفة :

_قالوا لي إنك جيت المستشفى يومها ووقفت جنب يامن رغم اللي حصل.

_هتصدقيني لو قلت لك إنه كان أصعب يوم عدى عليا في عمري كله ؟!




قلبها يرتجف بصدرها وعبارته "البريئة" ظاهراً تصلها كأقوى اعتراف بالحب ...

لتمتلئ عيناها من جديد بالدموع وهي لا تدري بماذا ترد ؟!

كيف ترد عشقاً كهذا خائباً ؟!

كيف تدفعه خلف ظهرها وتمضي؟!

كيف ترفض؟!

بل كيف تقبل و"وعدها" منحته لرجل قبله ؟!!

رجل ربما لم تعرف شكله لكنها عشقت روحه ؟!!

الصراع الرهيب يعاود اجتياح روحها فتهرب منه من جديد وهي تنتبه للموسيقا التي تأتيها مع خلفية صوته فتسأله :

_بتسمع إيه ؟!

_دي أغنية كاظم الجديدة "حدثيني" .

لكنها مطت شفتيها باستياء لترد:





_ماليش في كاظم بيفصلني ...عايز حد رايق وباله طويل ...

يضحك متفهماً طباعها النزقة لكنها تعاود القول بتردد :

_بس ممكن أسمعها يمكن تعجبني...هي حلوة...

_قوي ...

وبصوته الدافئ الذي حمله كل ترانيم عشقه بدأ يسرد الكلمات ...

حدثيني حدثيني عن حديث المقل

وعن الشوق وعن الشوق وليل الغزل

لك ثغر حسنه يذهلني

وحديث فيه طعم العسل

لك خد لونه من خجل

آه ما أجمل لون الخجل

عجلي بالوصل يا مؤنستي

فأنا المقتول إن لم تصلي

حلوتي حلوتي حلوتي

لن تغيب الشمس عن ليلتنا

إن حرقناها في نار القبل




حلوتي حلوتي

افعلي المعروف تجزي مثله

والنوايا هي كل العمل

انت لي دنيا على علاتها

وأنا أهواكي يا عمري رغم العلل.

كرر العبارة الأخيرة بنبرة وصلتها عامدة...ملتهبة...حارقة...

عصفت بوجدانها كله فلم تشعر ودموعها تسيل على خديها من جديد ...




تعاصر هذا الشعور الذي يتملكها بطغيان قاهر ...

من هذا ؟!

من هذا حقاً؟!!

هل هو مروان الذي تعرفه منذ سنوات ولم تدرك أنها لم تعرفه حقاً إلا منذ أيام ؟!!

كيف تبدل في عينيها هكذا؟!

أي سحر امتلكه ليجعل من مجرد كلمات جنة بأسرها من نعيم لا ينفد ؟!

بل أي حب يزعم أنه يحملها نحوها ليكون بهذه القوة وهي لا تدري؟!

ليت الأمر بيدها !!

ربما لو لم يكن قلبها عامراً بغيره لما طمعت في من هو خير منه !!

لهذا تحشرج صوتها بعد صمت قصير أحاطهما مع كلماتها التي وصلته ملطخة بدموعها :

_آسفة...أنا قلبي مع حد تاني.





قالتها لتنهي الاتصال بعنف قبل أن تنخرط في بكاء عنيف ...

ربما لو كانت داليا القديمة اللعوب لما وجدت غضاضة في التلاعب بمشاعره حتى يعود عاشقها المجهول ...

لكنها الآن لا تستطيع فعلها ...ولا هو يستحقها منها !!!

لهذا ما كادت تهدأ حدة بكائها حتى تناولت هاتفها من جديد لترسل ل"المجهول":

_عمري ما احتجت لك وسبتني ...كنت دايماً جنبي ...أرجوك ارجعِ ...

لم تدرِ كم مرة كتبتها وكأنما مع كل مرة تفرغ بعض انفعالاتها ...





قبل أن تجد بعض سلوانها في قراءة محادثاتهما القديمة ...

وأخيراً في- صورته الوحيدة- التي أرسلها لها ...

فلم تسمن ولم تغنِ من جوع!!

والتي عادت تتأملها الآن بالمزيد من التفحص
لعلها تجد شيئاً يخبرها عن كينونته ...

مهلاً...كيف لم تنتبه لهذا من قبل !؟!!

قامت بتكبير الصورة عدة مرات عندما لاحظت
شيئاً ما جعل عينيها تتسعان بترقب ...

ففي خلفية الصورة كانت تبدو مرآة تعكس لوحة...

لوحة لعدة مربعات متداخلة مختلفة الأحجام !

هي تذكر أنها رأت هذه اللوحة من قبل !!

أين ؟! أين؟!!





ظلت تعصر مخها للبحث عن الجواب لتنفرج شفتاها بصدمة وهي تتذكر أخيراً...

شقة مروان ...

إنـه...هو ..."مروان"!!

========

القطعة العاشرة

=======

تايلاند ...

في غرفته بالفندق الذي يقيم فيه منذ خروجه من ماليزيا إلى هنا يقف عابد أمام مرآة الحمام العريضة يتأمل

ملامحه بوجه جامد ...

لقد مات أبوه !!

مات دون أن يجد الفرصة لتوديعه أو دفنه ...أو حتى زيارته !!

مات في عملية "إرهابية" كما يسميها "البعض"...

أو "استشهادية" كما يسميها "البعض الآخر"...

أما هو ؟!!

هو ماذا يسميها ؟!!





لا يعرف!

إلى أي كيان صار ينتمي؟!

لا يهم !

ابتسامة سخرية مريرة ترتسم على شفتيه وهو يتذكر أنه كان يتلقى تدريبه ليقوم بعملية -تشبه- هذه !!

الوحوش عديمو الضمير أقنعوه بمكر ساحر أن الضرورات تبيح المحظورات ...

أن قتل الأبرياء صار عبادة ...

وأن إرهاب الآمنين صار جهاداً!!

عندما تلقى صدمة خبر وفاة أبيه كان كالمجنون ...

الغشاوة التي أسدلت على ناظريه انزاحت فجأة ليدرك خطورة الطريق تحت قدميه ...

والسؤال الذي كان يحرق روحه وقتها ...





هل تعذب والده قبل أن يموت أم أن رحمة السماء أزهقت روحه دون ألم؟!

أمه أخبرته في المكالمة الهاتفية الوحيدة التي أجراها معها قبل أن يهرب إلى هنا أنهم وجدوا جثته محترقة !!

يالله !!!

كيف يتعايش مع هذا المنظر ؟!

كيف يسامح نفسه أنه كان على وشك السقوط في هاوية كهذه ؟!!

كيف يغفل عن تقصيره في صلة أبيه في آخر أيامه ليموت ميتة بشعة كهذه بينما هو منغمس في ضلاله القديم ؟!!

خيط من الدموع يسيل على جانب وجهه وهو يتأمل صورته في المرآة...





ينتهي عند حدود لحيته التي تعلقت بها عيناه للحظات ...

قبل أن تمتد أنامله نحو ماكينة الحلاقة هناك ...

صوت الماكينة يهدر في أذنيه متزامناً مع "صوت" إطلاق النار الذي اعتاده في أيام تدريبه القليلة هناك ...

متزامناً مع "صورة" جثة والده المحترقة كما يصورها ذهنه ...

ومتزامناً مع "رائحة" البارود المحترق كاحتراق روحه ...

هل كان حقاً من الحماقة أن يوقن أن ذاك كان طريق "الجنة"؟!!

أيمكن أن يكون "جحيم أبرياء الأرض" سُلّماً ل"فردوس الصالحين" بالسماء؟!!

أي منطق هذا ؟! أي منطق؟!!





يكز على أسنانه بقوة والصدمة المتشحة بالألم تطيح به نحو الجانب المتطرف تماماً مما كان يعتنقه ...

سيحلق لحيته ...سيعود للدنيا التي انعزل عنها ...

سينغمس في النعم التي "حرموها" عليه زاعمين أنهم يعصمونه من "الزلل" !!

يضغط الماكينة على بشرته أكثر حتى يشعر بها تجرحه ...

يرى نزف الدم يختلط بشعر لحيته لكنه لا يشعر بألم ...

الألم أعمق من هذا ...الألم هناك هناك في عمق روحه حيث فقد هويته و...إيمانه !!

يواصل ما يفعله بذهن شارد حتى تفاجئه صورته الجديدة في المرآة ...





ربما هي أصغر شكلاً لكن من مثله يشعر ب"شيب" روحه ؟!!

يمد أنامله نحو تلك العلبة هناك بمحتواها الكحولي ليمسح به وجهه ...

نيرانٌ حارقة يشعر بها تلسعه ابتداء من جلد بشرته وحتى أخمص قدميه ...

لكنه يتحرك بآلية ليخرج من الحمام نحو خزانة ملابسه يفتحها متحاشياً النظر لجلابيبه المعلقة بها ...

يتناول سروالاً قصيراً من الجينز و"تي شيرت" حديث الطراز يرتديهما ليطالع شكله من جديد في مرآة الغرفة ...

من يراه لن يعرفه ...هو نفسه لم يعد يعرف نفسه ...

هو فقد ذاته وليس أبشع من هذا فقد !!!

غادر غرفته نحو النادي الليلي المرفق بالفندق ...





الأضواء المتراقصة....الموسيقا الصاخبة ...الأجساد العارية ...

مشهد كان يشمئز منه قديماً لكنه الآن يحتاج أن ينغمس في أي شيئ ...

أي شيئ ينسيه مرارة ما يعيشه وحده !!

يخترق الجموع ليصل نحو طاولة الخمور هناك في منظر ظن أنه لن يراه إلا على شاشة التلفاز قبل أن يغير القناة ...

والآن يجد نفسه بطله ...

لسانه يتحرك ليطلب لنفسه ما يظنه سيمنحه سلوانها والذي وصله بعد قليل في "كأس" قبل أن يشعر بالذراع

الأنثوي العاري جوار كتفه مع الرائحة المثيرة والهمس المغوي في أذنيه ...

دفقة من الأدرينالين تضرب رأسه بقوة ...





أجل هذا ما يحتاجه بحق ...

فلتذهب الدنيا كلها للجحيم ...وليذهب هو معها !!!

يلتفت نحو المرأة فلا يشغل باله بملامحها بل يجذبها من كفها ببعض العنف الذي راقها لتزداد جرأة نظراتها التي بادلها إياها ...

كأسٌ وغانية ولحن يذهب بالرأس ...

هذه هي دنياه التي قرر أن يعيشها بعيداً عن "جنتهم المزعومة" !!!

لكنه يلمحه هناك ...

يخترق الصفوف التي تتفرق رغماً عنها تعجباً من مظهره هذا هنا !!

معقول؟!!

إنه "الصالح"!!

كيف عرف طريقه ؟!!

تراه يتوهم وجوده ؟!!





ظل يراقبه وهو يتقدم نحوه ...

لحيته المهيبة المهذبة ...جلبابه الأبيض الناصع ...وجهه النوراني ...

ونظراته التي يمتزج ذكاؤها بحنانها الفطري ...

خزي؟!

غضب؟!

إنكار؟!

رفض؟!

شكوى؟!

احتياج؟!

كل هذه المشاعر تعصف به في آن واحد ...تجعل عينيه تدمعان رغماً عنه ...

يسمع شيئاً ما من المرأة جواره لكنه يبعدها بعنف وعيناه معلقتان بصاحبه الذي اقترب منه أخيراً ليرمقه بنظرة عميقة وهو يمد له كفه ...





لا ...ليس مصافحاً ...

بل جاذباً إياه بكليته نحوه كي يوقفه ...!

_مكانك ليس هنا ياعابد ...استحِ من عين الله تراك في هكذا موضع !

الغبي لا يزال يتحدث بهذه الطريقة ...لايزال يطبق التعاليم التي لقنوه إياها ...لايزال لا يفهم أنهم كانوا مجرد بيادق يطاح بها في لعبة لخدمة شيطان مجهول ؟!!

حدث بها نفسه سراً لتنطق عيناه بعناد صارخ فتلفت الصالح حوله ليعاود قوله له :

_لم يكونوا يرغبون بإدخالي هنا لهذا لن أستطيع البقاء طويلاً ...اخرج أنت معي .

أشاح عابد برأسه في رفض وأنامله تتمسك ب"الكأس" في يده في إشارة واضحة ...





فوضع الصالح كفه على كفه الممسك بالكأس ليجبره برفق أن يزيحه بعيداً قبل أن يميل نحوه لينظر في عينيه قائلاً:

_معي رسالة من والدك ...رأيته في حلمي بالأمس .

لم يكد ينتهي منها حتى فوجئ عابد باثنين من عمال أمن الفندق يربتان على كتف الصالح بإشارة مهذبة للخروج ...

تجمد عابد مكانه للحظة ثم نقل بصره بين صديقه وبين الكأس ...

قلبه يكاد ينفطر بحيرته ...

هل هو مستعد حقاً لما قد يحمله له الصالح؟!

طالما كانوا يتندرون بصدق الرؤى التي تأتيه ؟!!

هل هي حقاً رسالة أبيه ؟!!

يريد لومه ؟! تقريعه ؟! تحميله ذنب كاد يقترفه ؟!!

لا ...لن يسمع ..لن يسمع!!!





_اخرج أيها الشيخ ...مكانك أنت ليس هنا!

قالها عابد مخاطباً صديقه الذي رمقه بنظرة آسفة قبل أن تتمتم شفتاه بما لم يسمعه عابد ليتحرك مع الرجلين نحو الخارج تلاحقه نظراته هو المترددة ...

=========

_صالح!

هتف بها عابد وهو يخرج خلفه فوقف الصالح مكانه مراقباً تقدمه نحوه بهيئته الجديدة ...

كما توقع تماماً من شخصية كعابد انتكس على عقبيه مع أول صدمة ...

لكنه يعذره فما مر به ليس بالهين!

لهذا لم يتطرق لعتاب ولا استهجان بل فتح ذراعيه له دون كلمات ...

عناقٌ دافئ كان يحتاجه عابد حقاً ليرتجف جسده بعدها وهو يخفي وجهه في كتف صديقه موارياً





بريق الدموع في عينيه فربت صالح على كتفيه برفق مع قوله :

_اصبر واسترجع يا أخي ...إنا لله وإنا إليه راجعون ...تعال نخرج من هنا .

ابتلع عابد مرارة غصته وهو يسير جواره حتى خرجا من الفندق كله ليسيرا في الطريق ...

_كيف عرفت مكاني؟!

سأله عابد وهو يضع كفيه في جيبي سرواله "مطرق الرأس"ليجيبه الصالح وهو ينظر أمامه "مستبصراً" الطريق:

_أولاً ...عندما تسير في طريق فلا تمضِ مطرق الرأس حتى لا تتعثر خطواتك ...ارفع رأسك وافتح عينيك ...هكذا يسير ذوو الهمة.

رفع عابد رأسه إليه وقد أدرك مغزى عبارته ليهز رأسه بضيق ...





فاستطرد الصالح بنبرته الهادئة :

_استدعتني السلطات للشهادة بعد القبض على جماعة ذاك الشيخ ...علمت أنك ذهبت إليهم بقدميك تدلي

بالشهادة التي ساعدتهم في القضاء على أولئك القتلة ...بحثت عنك بعدها فلم أجدك حتى عثرت على صديقنا (.....)الذي أخبرني أنه ساعدك في السفر إلى هنا .

_ولماذا أتعبت نفسك هكذا ؟! أنا رجلٌ لم يعد يُرتجى منه شيئاً !

صمت الصالح قليلاً ثم تلا قوله تعالى :

_ومن النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ





_لا تتحدث مثلهم ...هذا الطريق لم يعد لي !

صرخ بها عابد وهو يسد أذنيه لتلتفت نحوهم أنظار بعض المارة لكن الصالح قال بنفس الهدوء المتفهم :

_بل ليس لك غيره ...الخطأ لم يكن في الطريق ...الخطأ كان في الصحبة التي سلكته معها فأضلتك عنه .

رمقه عابد بنظرة مشتتة وانفعال وجهه يهدأ رويداً رويداً مع كلمات صديقه :

_"أحسب الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون"...المؤمن في اختبار حتى تسلم روحه إلى بارئها ...الشيطان يلبس عليك أمرك لتخلط الأوراق

فلا تميز بين حق وباطل ...استرشد بالله يرشدك ...اهتدِ يزدك هدى ...





أطلق عابد آهة خافتة وهو يرفع رأسه للسماء ليردف

صالح بقوله:

_حتى الآن لم تميز النعمة وسط البلاء؟! ألم تدرك أن يد الرحمة انتشلتك من الضلال في الوقت المناسب؟! كان من الممكن أن تلطخ يدك أنت بدم أبيك أو دم غيره ..لكن لعل البصير في عليائه رأى في قلبك نوراً فجازاك بفضله عنه نوراً ...

عادت عينا عابد تدمعان وهو يهيأ إليه أن غيوم السماء في هذه اللحظة تزداد نوراً ...

نوراً يخشع له قلبه فيرتعد جسده وهو يشعر أن الحياة حقاً كهذه السماء الآن في هذا الوقت من الليل ...

بعضها حالك مظلم ...وبعضها منير ...وبعضها يختلط نوره بظلمته





_اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

يزداد ارتعاد جسده بخشوعه فيدفن وجهه في كفيه للحظات قبل أن يلتفت نحو صالح بقوله :

_أريد الصلاة .

ولولا خشيته من "المجاهرة بالمعصية" لأخبره أنه لم يفعلها منذ ذاك اليوم الذي علم فيه بوفاة والده !!

لكن صالح قرأها في عينيه ليربت على كتفه فيذكره :

_ خير الخطائين التوابون ...إن الله -عز وجل - لا يملّ من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار .





هز عابد رأسه وهو يشعر بالسكينة من كلام صديقه ترده لطريق الحق قبل أن يسأله بخشية :

_تقول أنك رأيت رؤيا لأبي؟!

فابتسم الصالح وهو يقول مستعيداً أحداث رؤياه :

_كان صحيح الجسد وافر الصحة يبتسم ويوصيني عليك ...ثم فتح كفه لأرى فيه ما يشبه ميدالية مفاتيح بأحجار ملونة ..لم أفهم تأويلها فهل تفعل ؟!

هنا لم يستطع عابد منع خيط الدموع الذي سال على جانب وجهه وهو يتذكر هدية ياسمين التي أعطته لها يوماً وقذفها هو في وجهها في شجار له معها ...

ليختنق حلقه بغصته مع غمغمته :

_أختي...يوصيني بأختي !

=========

ألقت الهاتف من يدها لتتسمر عيناها على دميته التي تضعها على الكومود جوارها ...




دميته هو "مروان"!!

تتجه نحوها لتتناولها بين أناملها وهي تتذكر ذاك اليوم الذي صنعها لها فيه ...

تسترجع صورة أنامله وهي تتعامل مع الورق المفضض لتصنع منه هذا التاج !!

رباه!!

هي نفس الأنامل التي تراها في الصورة ل"العاشق المجهول"تمسك كوب الشاي!!

مجهول؟!

هل صار مجهولاً حقاً ؟!!

ضحكة عصبية تجتاحها لثوانٍ وهي تستعيد كل حواراتهما معاً ...

الآن فقط تفهم كيف كان يعرف عنها كل هذا ...

تفهم كيف تمكن من إنقاذها تلك الليلة مع المخرج ليدركها في الوقت المناسب ...





تفهم لماذا لم يكن يمنحها أي معلومات عنه ولا حتى يسمعها صوته ...

وتفهم لماذا- بتلك السهولة- كان يعود في كل مرة تبعده حماقاتها فترجوه هي ألا يغيب!!

دموعها تسيل على وجنتيها حارقة وهي تعدو نحو خزانة ملابسها تستخرج الهدية الوحيدة التي تلقتها منه ك"عاشق مجهول"...

_عرفت منين إني بحب "البلي" و"الهارمونيكا"؟!

تسترجع سؤالها له وقتها الذي يبدو لها الآن أحمق كما حماقتها !!!

تمسك بيمناها "دميته" بتاجها المفضض باسم مروان ...





وبيسراها تمسك "صندوقه" بما يحتويه من أثمن ذكريات طفولته لكن باسم عاشق مجهول توارى خلف قناعه !!!

الصدمة تنحسر عن محياها ليحل محلها غضب عارمٌ!!!

طوال هذا الوقت وهو يسخر منها !!

حتى ولو كان يداري خلف هذا أعظم عشق في الكون ...

لقد خدعها!!!

طوال هذه الأيام وهي تشعر بنفسها في حلم جميل لتفيق منه على هذه الصفعة !!

وهي التي كانت تخشى أن تكون بمشاعرها الوليدة نحو مروان تخون عاشقها المجهول ؟!!

حمقاء ...مغفلة ...ساذجة !!!

تراه كان يراكِ بكل هذه الأوصاف وهو يمعن في التخفي لخداعك بهذه الطريقة ؟!!





أنتِ..أنتِ قريبة صديقه ؟!!

أي مروءة هذه وأي نخوة يزعمها وهو يتلاعب بكِ خلف ظهره ؟!!

_استأذني يامن الأول!

ضحكة عصبية أخرى تصاحب المزيد من دفق الدموع وهي تسترجع عبارته التي طالما كررها ...

ألم يكن يجدر به أن ينصح نفسه أولاً ؟!!

ظلت هذه الأفكار تحرق رأسها طوال ليلة لم تذق فيها طعم النوم ...

تتقلب في فراشها وعيناها لا تكادان تفارقان الدمية وصندوق هديته الآخر ...

هرم عشق لعاشق مجهول يخر الآن مفتتاً تحت قدميها ...

لتنبت مكانه شجرة عشق لمروان ...





تظنون الأمر بهذه السهولة حقاً ؟!!

لهذا لم تكد الساعة تبلغ العاشرة حيث تعلم أنه موعده في الجمعية حتى هرولت ترتدي ثيابها بسرعة لتتوجه إلى هناك ...

ماذا ستفعل؟!

ستواجهه ؟!

ستسأله ؟!

لا ...بل ستصفعه !!!

ستصفعه بقوة الحلم الذي حرمها منه !!

بقوة الوهم الذي دفنها تحته !!

وبقوة الإحساس بالخديعة الذي ذبحها به !!!





وفي مكانه في إحدى غرف الجمعية جلس هو على أحد المكاتب يراجع بعض كشوف المعوزين بعينين شاردتين ...

لقد جاء اليوم مبكراً هروباً من سعير أفكاره ...

لم يذق طعم النوم الليلة السابقة وهو يشعر أنه فقد آخر خيوطه ك"مروان" معها !!

هي صرخت له باعتراف صريح أن قلبها لآخر ...

آخر يعرف هو من يكون لكن من يخبرها هي أنه يعرف ؟!!

من يخبرها هي أنه هو ...هو نفسه ؟!!

لكن هل يخدع نفسه ؟!!

داليا لم تعشقه كمروان ...

بل كصورة وهمية رسمها خيالها المراهق ...

مروان لا يزال بعينيها الأصلع القبيح الذي تستنكف أن تمنحه قلبها !!





يرفع عينيه فجأة عندما يراها تدخل من الباب تتوجه نحوه كقذيفة مشتعلة ...فيقف مكانه ليدور حول المكتب قبل أن يتقدم نحوها بلهفة كان لها ما يبررها في وجهها المحمر الغارق بدموعه ...

وفي لحظة واحدة نسي كل قنوطه بشأنها فلم يرَ سوى طفلته الباكية تهرول نحوه ليتلقفها -قلبه - بعاطفته الجياشة كالعادة وإن حافظ جسده على حدوده ...

_مالك يا داليا ؟!

يهتف بها بجزع وهو يلاحظ ارتجاف جسدها الذي يتقدم نحوه كالسهم ...

قبل أن يرى كفها يرتفع بسرعة نحوه ليتوقف على بعد عدة سنتيمترات من وجهه ويظل هكذا مكانه معلقاً !!!

تتسع عيناه بارتياع وهو لا يفهم ماذا يحدث هنا ...




قبل أن يروعه نشيجها الباكي أكثر وأكثر ولا يزال كفها المرفوع عالقاً بينهما ...

_اتكلمي فيه إيه ؟! إيه اللي عامل فيكي كده !!

لهفته الحنون القلقة التي احتلت حروفه اخترقتها كمعجزة !!!

عصا ساحر قلبت كل مشاعر غضبها ووعيدها لطوفان عاطفة جارف اكتسحها بجنون ...

لم تعد ترى هاهنا خديعة ولا تلاعباً ...

بل عشقاً لا يقبل جدلاً ولا تأويل !!!

شريط ذكرياتها الطويل معه يمر الآن أمام ناظريها مشهداً مشهداً ...

ترى ضبابات له من مشاهد طفولتها وهو يلاعبها تارة ويعنفها على شقاوتها تارة أخرى ...





تراه وهو يضبطها متلبسة تلك الليلة بخروجها من الملهى الليلي فيعيدها آمنة لمنزلها في تلك الساعة المتأخرة ...ينزلها قبله بمسافة مناسبة حفاظاً على سمعتها ويسير خلفها بعدها بسيارته حتى يطمئن عليها ...

تراه وهو ينقذها تلك الليلة التي لولاه لكانت مجرد ضحية مغتصبة ...

تراه وهو يدافع عنها أمام يامن ويطلب منه خطبتها ...

وتراه بعين خيالها وهو يجاورها في المشفى عقب محاولة انتحارها الفاشلة...

ترى كل نظرة حب منحتها لها عيناه العاشقتان فلم تفهمها ...

تسمع كل كلمة صدقها قلبها منه قبل أذنيها ...

ترى كل خطوة مشتها قدماه نحوها ...

تسمع كل نداء صامت وجهته لها روحه...

ترى العاشق الذي ما عاد مجهولاً ...





وتسمع اللحن الذي ظنت قلبها عنه أصمّ...

ترى وتسمع ...

ترى وتسمع ...

أخيراً...ترى وتسمع !!!

كفها المرفوع يرتجف بشدة زادت خوفه قبل أن يتصلب جسده كله وهو يراها تلقي نفسها بلا مقدمات بين ذراعيه !!!

حافظ على ذراعيه جواره بشق الأنفس وهو يشعر بالهواء فجأة ينسحب من رئتيه قبل أن يعود ليلفظ الحمم بين جنباته ...

داليا هنا ...بين ذراعيه ...

بين ذراعيه هو كمروان !!!

داليا التي ترتجف الآن كطفلة مذعورة ...





بل كأنثى تتشبث به بكل قوتها ...

وربما ...الاثنين معاً !!

عقله يصرخ به أن يبعدها...يعنفها ...

وقلبه الثمل بنشوة قربها الذي طالما اشتهاه يتوسله السماح بالمزيد ...

والصراع بينهما يجعل جسده يتشدد أكثر في وقفته و"دمعة" عاجزة تعرف طريقها لعينيه ...

_إيه اللي بيحصل هنا ده ؟!!

هتاف ريتال التي دخلت فجأة الغرفة لتجدهما في هذا الوضع يفجر الوضع أكثر فتبتعد داليا عنه لترمقها بنظرة مشتعلة بينما الأولى تتقدم نحوهما مردفة باستنكار حانق:

_انت يا دكتور مروان ؟! انت تعمل كده ؟! وهنا ؟! هنا؟!!





قبض مروان كفيه وهو يشعر بقلبه يكاد يتوقف من فرط انفعاله ...

بماذا يرد ؟!

وهذه الحمقاء التي ابتلي بها قلبه تضعه دوماً في مواقف لم تخطر له يوماً على بال!!!

لكن الرد وصل من داليا التي هتفت بها بتنمر وقد قررت أن تفرغ فيها غضبها كله :

_وانتِ مالك انتِ؟! مروان خطيبي وكتب كتابنا الاسبوع الجاي!!

لم يكن نصيبه من الصدمة أقل من نصيب ريتال التي نقلت بصرها بينهما بشك قبل أن تهتف بنفس الاستنكار:

_وحتى لو خطيبك ..ده ما يديكوش الحق في التجاوزات دي هنا ...

ثم التفتت نحو مروان لتردف بنبرة موبخة :





_للأسف..كنت فاكراك أحسن من كده ...الجمعية دي اتعملت عشان الثواب وخدمة الناس مش عشان قلة الأدب والمسخرة ..أنا هابلغ الإدارة ومش هاسكت .

قالتها لتغادر الغرفة بخطوات مندفعة بينما كلماتها كان لها الوقع الأشد على مروان ...

في حياته كلها لم يتعرض لإهانة بهذه الطريقة ...

هو الطبيب المحترم الذي يشيد الجميع بأخلاقه الآن ستكون هذه الفضيحة على كل لسان ...

يستغل نشاطه الخيري للتغرير بالفتيات ...

والسبب؟!!

السبب هذه الحمقاء المستهترة أمامه !!!!

والتي لا يفهم لماذا فعلت هذا وهي التي صرحت له بالأمس فقط أنها تحب شخصاً آخر ...





بركان يشتعل بصدره يفقده النطق بينما هي لا تزال لم تكف عن حماقاتها بعد عندما تناولت هاتفها ليسمعها تقول بانفعال :

_أيوة يا يامن...كنت عايزة أعرفك إني أنا ومروان اتفقنا على الخطوبة ...نكتب كتابنا الأسبوع الجاي .

الغضب يرج جسده رجاً وهو يتوقع ردة فعل يامن على حديثها وقد صدق توقعه عندما وجد ملامحها هي الأخرى تشتعل بغضبها مع سماعها لرد يامن قبل أن تناوله هو الهاتف :

_أيوه يا يامن.

يغمغم بها بصوت متحشرج من فرط الانفعال ليهتف به يامن بحدة :

_خطوبة إيه يا بني آدم في ظروف ياسمين دي؟! وداليا اللي تقوللي ليه وبالطريقة دي؟! إيه لعب العيال ده ؟!





الدم يضرب في رأسه بقوة وهو لا يدري بماذا يرد !!!

هل يخبره عن استهتارها ؟! جنونها ؟ طيشها وفعلتها التي أوصلتهما لهذا كي يأمن غضبته ؟!!

أم ...؟!!

الصمت يلجم كلماته وهو لا يجد رداً يدافع به عنها وعن نفسه خاصة مع هتاف يامن الذي ازداد قلقه :

_فيه إيه يا مروان ؟! إيه اللي بيحصل عندك بالضبط ؟!

لكن داليا تختطف منه الهاتف لترد هي بعنفوانها المعهود :

_هو خطبني وأنا وافقت ...موضوع المعاد ده نظبطه بعدين .

قالتها لتغلق الاتصال بعدها بل وهاتفها كذلك !




لينفجر بعدها بركانه الذي لم يستطع التحكم به أكثر وهو يهدر بها بعنف :

_مفيش فايدة في طيشك واستهتارك ...كنت فاكر إنك اتغيرتي بس للأسف اللي فيه طبع مابيغيروش ...هتفضلي طول عمرك عيارك فالت لا تعرفي تتصرفي ولا تعيشي ...مصيبة ماشية على الأرض وجارّة وراها المصايب لكل اللي يقرب منها ...فاكرة الدنيا كلها لعبة ...امبارح مش عايزاني والنهارده بتجري عليا ...ومين عالم بكرة هتعملي إيه ؟!

لم يدرك أثر كلماته عليها إلا عندما رأى حمرة وجهها المنفعل تتحول لشحوب !!!

جسدها يرتجف بقوة كاد معها يسقط وعيناها تمتلئان بالدموع من جديد ...

لكن لم يعد هناك مجال للتراجع !!!





_أنا شايفاها بطريقتي ...انت خطبتني وأنا وافقت...لو عايز ترجع في كلامك القرار ليك .

غمغمت بها شفتاها المرتعدتان عبر غمامة دموعها قبل أن تكتف ذراعيها لتغادر الغرفة بخطوات مهرولة نحو الخارج تاركة إياه خلفها يغلي بين غضب وندم...و...مفاجأة !!!

==========

استيقظت ياسمين من نومها الذي صارت تهرب إليه كثيراً مما يحمله لها واقعها من ألم وتشتت ...

تلفتت حولها تبحث عنه ليصيبها الهلع المعهود - مؤخراً - من اختفائه ...

رغم أنه يصر أن يمنحها جنة من حبه الخالص الذي تمنته عمراً لكن لا يزال بينهما حاجز لا يمكنها عبوره بهذه السهولة ...

تنهدت بألم وهي تتذكر حكايته لها عن ياقوت هذه ...




عن مآسي عائلته التي وجدها فجأة تنصب على رأسه وبسببه !!

هذا الذي تزامن مع هجرها هي له ....

تراه كان الزلزال الذي رج الأرض تحت قدمي مبدئه القديم "لو شكيت ما تكمللش"؟!!

يامن حمدي قبِل أن تعالجه امرأة ؟!!

رضي أن يعري جروح ماضيه أمامها ؟!!

شيئ من الغيرة يعصف بقلبها وهي تراهما بعين خيالها وحدهما يفضي إليها بأسراره ...

تنصحه فيستمع إليها ...

تباً !!!

أين ذهب ؟!!

فلتبحث عنه ولتعزف عن أفكارها التي ستقودها للجنون هذه !!!

غادرت الفراش نحو الأسفل حيث وجدته قد أعد المائدة ليتهلل وجهه عندما يراها مع هتافه المرح:





_تعالي شوفي إنجازاتي وتكاتي وحركاتي ...سبع صنايع والبخت ضايع يا "أبو اليُمن"!

_معقول انت اللي عملته ؟

تسأله بتشكك وهي تنظر لأصابع "المحشي" في الطبق ليجيبها باستخفاف بينما يأخذ مكانه جوارها ملصقا كرسيها به :

_فاكراها صعبة يعني؟ فيديو يوتيوب لخص المسألة ...

ثم غمزها ليردف مشاكسا:

_احنا بس سايبينكم تاكلوا عيش.

ابتسامة واهنة مترددة تمر كالطيف عبر شفتيها ولاتزال تشعر بغرابة هذا الرجل عن يامن الذي عرفته طوال عمرها ...

عندما مد أنامله ليطعمها بنفسه وعيناه تتعلقان بتفاصيل ملامحها بجوع عاشق ...




لهفة تستشعرها صادقة تطوقها بحنان تحتاجه الآن أكثر من أي وقت مضى ...

لكنها لاتزال مشتتة ...خائفة من تصديق معجزة تحوله لهذه الصورة ...

لهذا هربت من هذا كله لتشيح بوجهها عنه مغمغمة:

_وانت مش هتاكل؟

فتلتمع عيناه ببريق عابث وهو يعيد تقريب وجهها منه يكاد يلصقه بوجهه مع همسه:

_ما انت عارفه باكل المحشي إزاي!

_انتِ عارفة إنه من السُنّة إن الواحد "يلعق أصابعه" بعد الأكل!

_صوابعه مش صوابعِ اللي معاه !





تذكرها كطيف وردي من الماضي فتتسع ابتسامتها قليلاً وهي تمد أناملها بتردد لتلتقط واحداً من أصابع "المحشي" فتقربه من شفتيه متحاشية لقاء نظراته ...

ليس خجلاً ولا نفوراً ...

بل استغراباً !!

لا تزال تشعر أنها تفتقد للتوازن في هذا الحلم الغريب الذي استيقظت لتجد نفسها فيه !!!

بينما تمسك هو ب"بروتوكول" أكل المحشي الذي وضعه لنفسه عندما أمسك كفها يقربه من شفتيه أكثر فيتناول منها الطعام قبل أن يلعق أصابعها بخفة مدغدغاً بحركة لطيفة أرجفتها وهي تستعيد ذاك التاريخ العاطفي بينهما ...

تغمض عينيها بقوة هاربة من طوفان مشاعرها لكنه يتفهم هذا ليحول الموقف لبعض المرح مع قوله :





_كان بودي الصراحة أقوللك ماتحطيش إيدك في الأكل عشان مايطلعش مسكر بزيادة زي الأفلام ...بس الحقيقة إن ملحه زيادة قوي .

عادت تفتح عينيها بابتسامة خفيفة لتشرد ببصرها قائلة :

_انت عارف بقى لي أد إيه ما دخلتش مطبخ عشان أعمل أي أكلة ؟!

_من يوم ما سبتيني .

يهمس بها بإقرار متفهم وهو يربت على وجنتها لينتشلها من شرودها فتعود ببصرها نحوه لتهمس بعينين عاتبتين :

_أنا اللي سبتك ؟!

زم شفتيه بقوة ليصمت للحظات قبل أن يقول لها بجدية تامة هذه المرة :

_مالوش لازمة نتعاتب دلوقت ...احنا الاتنين كنا محتاجين نمر بالتجربة دي عشان نفهم عيوبنا صح ونغيرها ...عشان نتأكد إن كل واحد فينا مايقدرش يعيش من غير التاني .




عضت شفتها السفلى بقوة وهي تسبل جفنيها ...

حديثه يعيدها لتخبط رأسها بحائط الذنب نحو والدها ...

يامن محق !!

ضربة موجعة كهذه كانت كافية لسحق كبريائها المغيظ ...

لتعليمها ذاك الدرس فلا تنساه !!

_أعتبر دي محاولة للهروب من أكل المحشي ؟!
والله أقتلك ! ده أنا طلعت روحي فيه !!

هتف بها باستنكار مقاطعاً شرودها وهو يعاود تقريب الطبق منها ليعودا لتناول الطعام بين دعاباته التي تعمدها كي يخرجها من حالة تشتتها هذه ...




ولم يكاد ينتهيان من تناول الطعام حتى وجدته يشعل المدفأة قبل يحضر لها إحدى مناماته الشتوية قائلاً:

_هدومك اللي هنا مقاسها بقا مش مريح ...هاضطر أعطف عليكِ وأديكي هدومي .

فتناولتها منه مبتسمة ليغمزها مردفاً :

_ع العموم مش هتبقى أول مرة ...يشهد ليل اسكندرية على ذكريات إحساني وعطفي .

اتسعت ابتسامتها وهي تتذكر ما يحكي عنه ليخفق قلبها بقوة !!!

هذه الذكريات الحلوة كيف تمكنت من سد فجوتها طوال هذا الوقت والآن تنفجر دفعة واحدة لتغرق حناياها ...

ابتسامتها ظلت تظلل شفتيها حتى وهي تبتعد لتغير ملابسها ...





راحة غريبة تغمرها وهي ترتدي القطعة العلوية من منامته السوداء كالعادة والتي احتوت جسدها كله وقد وصلت لركبتيها تقريباً ...

قبل أن تعود إليه لتجده جالساً على الأرض أمام المدفأة يسند ظهره للأريكة خلفه ويفتح لها ذراعيه ...

تقدمت نحوه لتجلس جواره فاحتواها في كنفه ليمسد بطنها بأنامله في حركة تشعر بها تذيب كيانها بينما يقبل وجنتها برقة هامساً :

_هنسميها إيه ؟!

_يمنى.

قالتها حاسمة دون جدال فرفع حاجبيه بدهشة للحظة قبل أن يداعب شعرها بأنامله ليسألها :

_اشمعنا ؟!

_اخترتهولها من زمان .





ابتسامة حانية تغزو شفتيه اللتين اقتربتا تدللان ملامحها مع همسه :

_من أيام النادي؟!

أطرقت برأسها في جواب لم يكن يحتاج سماعه فتأوه بخفوت وهو يعتصرها بين ذراعيه أكثر هامساً:

_أعمل فيكي إيه ؟! لو فيه في الدنيا حب أكتر م اللي في قلبي ليكي كنت دورت عليه وادتهولك !

أخفت وجهها في صدره تستمع لدقات قلبه الهادرة تحت أذنيها تقسم لها على صدق حديثه ...

بينما عاد هو يمسد بطنها ليشعر بحركة ابنته تحت أنامله فيبتسم هامساً لها وكأنما تسمعه :

_عجبك المحشي يا يمنى؟! طب البجامة مدفياكي؟!





كتمت ضحكتها العفوية في صدره بينما لايزال هو يحدث ابنته بقوله :

_بصي يا بنت الطيبين ...اللي أوله شرط آخره نور ...الزنّ الغتت بتاع العيال ده مابحبوش ...النوم طول النهار عشان تطلعي روحنا بالليل ده مش عندي ...الرضاعة مرة واحدة كل ساعتين غير كده ماسمعش منك وأوأة واحدة ...

ثم التفت نحو ياسمين ليردف بغلظة مصطنعة :

_فهميها إن قراراتي الديكتاتورية لا رجعة فيها !

رمقته بنظرة طويلة عميقة وهي تشعر أنها تعيش في حلم !!

يامن هنا جوارها ...يفترشان الأرض أمام المدفأة ...يمازحها معلناً فرحته بابنتهما المنتظرة ...معترفاً بعشقه لها ...

هل أجمل من هذا حلم ؟!!





_سرحانة في إيه ؟!

_عايزة أرجع بيتي .

عقد حاجبيه بقوة مع جوابها لتتنهد بحرارة مردفة :

_موبايلي مش معايا وعايزة أطمن على عابد ...والدته هنا في مصر من ساعة اللي حصل وأنا اختفيت فجأة كده وسبت كل حاجة ورايا .

ازداد انعقاد حاجبيه وهو يتجاهل ـمؤقتاًـ قولها "بيتي" وليس "بيتنا"...

ليسألها باهتمام :

_اختفاؤه ده غريب جداً فعلاً ...معندكيش أي معلومات ؟!

_شاكة في حاجة ويارب تطلع غلط .





غمغمت بها بحروف مرتجفة لتروي له عن هواجسها بشأن انضمامه لجماعة من الجماعات الإرهابية ليزداد انعقاد حاجبيه وهو يتمتم بقلق:

_الناس دي الخروج من وسطها مابيبقاش سهل .

_إلا لو هم نفسهم وقعوا .

هتفت بها ببعض الأمل لتردف :

_أنا عرفت م الأخبار إنهم قبضوا ع اللي نفذوها ...بس خايفة هو يكون ...

قطعت عبارتها لتغرق دموعها وجنتيها فجأة مع نحيبها :

_تفتكر تكون له إيد في الموضوع ؟! تفتكر بابا كان يستاهل مننا كده ؟! كان دايماً يقوللي إنه بيحافظ ع الشعرة اللي باقية بيننا وبينه ما تتقطعش ...كان دايماً يقوللي إني زي عابد متطرفين في مشاعرنا وتفكيرنا ...ادعي معايا يا يامن يطلع برئ من دم بابا ...ادعي معايا بنتي لما تيجي الدنيا تلاقي خالها مستنيها يشيلها في حضنه مش تلاقي إيديه غرقانة بدم أبوه !




ضمها بين ذراعيه مهدئاً حتى سكن بكاؤها ليقبل وجنتها قائلاً بحنان :

_ما تقلقيش ...ولو إني ماكنتش عايز نرجع دلوقت بس عابد حالياً أهم ...خللينا نشوف والدته وصلت معاه لفين ...أكيد هي هتبقى أكتر واحدة عارفة عنه معلومات .

ثم مسح بقايا دموعها ليردف بيقين :

_ربنا كريم ...غمة وتزول بإذن الله .

فأومأت برأسها موافقة لتجد نفسها تهمس دون وعي :

_شكراً يا ط...

قطعت عبارتها دون أن تكملها وكأنما شعرت أنه لايزال ينقصها الأمان كي تتمها كالسابق ...





لكنه تفهم هذا ليقترب من شفتيها يغرس بينهما همسه العاشق:

_سامعها من غير ما تكمليها ...كل كلامك بقيت بسمعه قبل ما تقوليه .

رمقته بنظرة حائرة عبر غمامة دموعها لتسند رأسها على صدره للحظات هدأت فيها نفسها قليلاً قبل أن يصله صوتها :

_ياقوت دي شاطرة قوي كده ؟! حاسة إني قدام يامن تاني!

_وكان ماله الأولاني؟! ماكنتِ بتموتي فيه ؟!

قالها مشاكساً وهو يرفع ذقنها نحوه لتغزو شفتيها ابتسامة واهنة مع سؤالها المتردد :

_شكلها إيه ؟!

رفع أحد حاجبيه بخبث مدركاً مغزى السؤال ليجيبها بهزة كتفيه:

_ست !





_ما أنا عارفة إنها ست امال قردة ...شكلها إيه ؟!

هتفت بها بعصبية جعلته يضحك قبل أن يجيبها :

_لا دي هرمونات الحمل مضيعاكي خالص ...قعدة واحدة أهه اتشقلبتي فيها بين كل المشاعر اللي خلقها ربنا ...شوية ضحك وشوية عياط وشوية حب وشوية نكد ...بس حلو عرض "الكومبو" العائلي ده !

_يامن!

هتفت بها باستنكار جاد جعله يتنهد ليجيبها بجدية :

_سؤالك عن شكلها مالوش لازمة ....ياقوت ست مميزة

فعلاً بس

بشخصيتها ...مكافحة ...طيبة ...ذكية ...ودي ميزة قليل تلاقيها في الستات على فكرة ...

تغضنت ملامحها مع عبارته الأخيرة فتنحنح ليردف مغيراً مساره :





_بس حالة من التلوث البصري ما أقوللكيش ...عليها ذوق في اللبس ...إياك تعدمه !

ابتسمت عفوياً لكلماته قبل أن تقول له بتردد :

_عايزة أقابلها !

_الله ...ده هيبقى لقاء السحاب ...بين "سيدة الألوان" و"سيدة عمى الألوان"!!

لم تستطع كتم ابتسامتها لتتأوه بعدها وهي تمسك ظهرها فهتف بنفس المرح :

_ذنب الغلبانة اللي بنجيب في سيرتها ...بركاتك يا ياقوت !

_شكلك واخد عليها قوي !

بنفس النبرة الغيور تقولها وهي تغير وضعها لتنقلب على ظهرها فعدّل لها هو الوسائد ليرقدها برفق قبل أن يشرف عليها من علوّ قائلاً :

_شقراط دي حكاية .

_شقراط ؟!




سألته وهي تشعر بالفضول من اللقب ليحكي لها قصة ياقوت كما سمعها بمنتهى الفخر من كفاحها حتى وصلت لمكانتها الحالية ...

ليتغلب إعجابها على غيرتها فتقول بإصرار:

_عايزة أقابلها .

_نقابلها يا فندم !

يقولها بنبرة مطيعة وهو يقرب وجهه من وجهها فارتبكت لهذا القرب لتهتف بسرعة :

_لوحدي.

_لوحدك يا فندم !

يزداد قرباً فتزداد ارتباكاً لتردف:

_هنرجع بكرة.

_نرجع يا فندم .





القرب يتحول لالتصاق يغمرها بحنان دافئ ...بعاطفة مشتعلة ...باشتياق تجد في قلبها مثله ...

فمن هي كي تقاوم ؟!

هذه لمساته الشغوف التي تعرف كيف تصهرها لكن ما يميزها حقاً هذه المرة هو شعورها بأمانها بين ذراعيه ..

سماؤه السوداء التي طالما أرهبتها برعدها وبرقها الآن يتشقق غمامها عن مطر يعدها بألوان قوس قزح ..

لكنهت لا تزال تشعر بالغرابة ..

تخاف أن يكون كل هذا مجرد قصر من رمال ينتظر موجة هادرة كي تساويه بالأرض ..

تخاف أن تسلم له مقاليد روحها من جديد ..

لكن هل صارت تملك الخيار حقاً ؟!

ياقوت!




مقابلة هذه المرأة هي ما ستحسم قرارها لعلها ترسو بسفينتها هذه على شاطئ!

=======

_استنى!

هتفت بها وهي تستعد للخروج معه من الشاليه قبل أن تتوقف أمام المرآة قليلاٌ ثم حسمت أمرها لتتناول وشاحاً ساتراً لفته حول وجهها فابتسم يامن وهو يرمقها بنظرة استحسان هاتفاً :

_حمداً لله ع السلامة ..لحقتي نفسك حقيقي ...كان فاضللي سيكا وأشدك من شعرك اللي فرحانة بيه ده .

حدجته بنظرة عاتبة حملت الكثير من الخزي قبل أن تشبك كفيها لتغمغم مطرقة الرأس:

_أنا لبست الحجاب بعد طلاقي من رامي ...لبسته عشان كرهت جسمي وشعري ...وقلعته بعد طلاقنا كإني كنت عايزة أقول للناس مش انتو شايفينني وحشة ؟! أنا أهه وحشة .





شعر بالألم من كلماتها وهو يحس أنه كان ندبة في قلبها كما كان ذاك الوغد زوجها السابق ...

لكنه حاول تخطي مشاعره السلبية فاقترب منها ليرفع وجهها نحوه متسائلاً باهتمام :

_وعايزة ترجعي تلبسيه ليه ؟!

فرفعت رأسها لأعلى لتقول بإحساس صادق:

_فاكر الليلة اللي خلتني فيها أصلي؟! ساعتها حسيت إني طول عمري كنت بجري بسرعة قوي بس في الاتجاه الغلط ...كل همي كان صورتي قدام الناس ...قدام بابا ...قدام نفسي ...ووسط كل ده تاهت أهم صورة ...صورتي قدام ربنا !

ارتجفت شفتاه بابتسامة إجلال وهو يميل عليها ليقبل وجنتيها بعمق قبل أن يحيطهما بكفيه هامساً :





_فاكرة يوم ما قلتلك ...إنك جميلة قوي ...جميلة لدرجة إنك بتخللي كل حاجة حواليكي جميلة زيك ...حتى أنا ؟!

_لسه جميلة ؟!

تهمس بها بمزيج من حسرة وألم لتمنحها شفتاه جواباً طويلاً مفصلاً ...قبل همسه الصريح :

_كل يوم بتبقي أجمل .

فالتوت شفتاها بابتسامة ساخرة مع إشاحتها لوجهها بقولها مشيرة لتغيره :

_مش بقوللك لازم أقابل ياقوت دي ؟! دي معجزة لازم تدرس!

_لا معلش ...احنا الشقاوة كانت فينا بس ربنا كان هادينا !

هتف بها مشاكساً لتبتسم ابتسامة رائقة نوعاً بينما يجذبها نحو الخارج ...





وقفت خارج الشاليه بتردد ترمقه بنظرة مشتتة فأحاط كتفيها بذراعه قائلاً بحنان :

_مش عايزة تمشي؟!

_خايفة !

همست بها مغمضة العينين لتردف بنبرة مرتجفة :

_خايفة يكون ده كله حلم أفوق منه أول ما أخرج من هنا .

فارتفع حاجباه بتأثر ليشدد ضغط ذراعه الرفيق حولها جاعلاً إياها تفتح عينيها من جديد ليهمس بحنانه الحازم:

_احلمي زي ما تحبي وانتِ مفتحة أو مغمضة ...المهم تكوني متأكدة إننا مش هنفترق تاني أبداً .

فازدردت ريقها بتوتر لتقول بعينين دامعتين :

_هاطلب منك طلب ...أرجوك نفذه .

منحتها عيناه وعده فأردفت بسرعة :





_مش عايزة نرجع بيتك دلوقت ...مش قادرة.

عقد حاجبيه بضيق للحظة لتغمض هي عينيها هاتفة بانفعال:

_أرجوك يا يامن لسه مش متقبلة الفكرة ...أنا حاسة إني واقفة على رجلي بالعافية ...مش هاقدر على أي ضغط تاني ...مش هاستحمل أرجع البيت اللي ...

قاطع عبارتها بمس أنامله الخفيف لشفتيها وقد تفهم إعصار المشاعر الذي يعصف بها ليطرق برأسه قليلاً قبل أن يرفعه فيمط شفتيه بقوله :

_ده دعا الحاجة أم يامن ...طلبتها ونالتها ...هنروح نقعد عندها .

_مين الحاجة أم يامن ؟!

سألته باستغراب حقيقي ليبتسم من ردة فعلها ..

فهتفت باستنكار:

_لا ! بيللا بقت الحاجة أم يامن ؟! هو أنا غبت كتير قوي كده ؟!!




_يووووووه ...ده انتِ فاتك ال"ماستر سينز" كلها !!

هتف بها بمرح وهو يتحرك بها نحو سيارته التي فتح لها بابها قبل أن يستقلها جوارها لينطلق بها في طريق العودة ...

حيث وجدت نفسها تستسلم للنوم كعادتها مؤخراً ...

نوم لم تستيقظ منه إلا عندما شعرت بتوقف السيارة أمام بيت نبيلة ففتحت عينيها بصعوبة لتغمغم :

_وصلنا؟!

_بتنامي كتير قوي !

قالها بنبرة مرحة وهو يرصف السيارة فهزت رأسها يميناً ويساراً لتقول بصوت ناعس:

_الحمل جاي معايا بنوم...ماشفتنيش الأيام الأولانية ماكنتش بقوم أصلاً.

نبهته عبارتها أنه لم يعش معها تفاصيل هذا الحمل من بدايته فعقد حاجبيه يسألها بإشفاق:





_كانت أيام صعبة ؟!

سؤاله جعلها تستعيد وعيها كاملاً لتتأوه بخفوت قبل أن تشيح بوجهها مجيبة :

_كل الأيام اللي فاتت كانت صعبة ...كلها كانت صعبة قوي !

ربت على كفها برفق فيما يشبه الاعتذار قبل أن يغادر السيارة ليفتح لها الباب ويتجه معها إلى شقة نبيلة التي لم تكد تفتح الباب وتراها حتى أصدرت صيحة دهشة قبل أن تجذبها بين ذراعيها لتجهش في البكاء فجأة في رد فعل عفوي حنون جعل ياسمين هي الأخرى تنخرط في نحيب مرتفع ...

قبل أن ترفع عينيها نحوها ببعض الحيرة ...

بيللا تغيرت حقاً !

وجهها الخالي من الأصباغ يبدو أكبر عمراً لكنه أكثر عفوية...حناناً ...وحكمة !

حكمة ربما أدركتها من يقينها أنها عاشت عمرها تعدو خلف سراب وقد آن الأوان لتغيير المسار ...




لهذا لم تتعجب فورة حنانها وهي تربت على ظهرها قبل أن تحيط بطنها بكفيها هاتفة :

_بطنك صغيرة كده ليه ؟! حامل في كتكوت ؟!

ابتسمت ياسمين وسط دموعها ليهتف يامن جوارهما :

_قوليلها ...هتفضحني ...أبقى راجل محترم طول بعرض شبه القرش وبنتي "بسارية " سفيفة كده !

فابتسمت نبيلة وهي تمسح دموعها لتتحرك وهي تضم ياسمين بذراعها لتدفعها برفق نحو أحد الأرائك قائلة :

_اعملي حسابك مش هاتخرجي من بيتي إلا ع الولادة ...وتسلميني البنت خمسة كيلو كده .

لكزها يامن في كتفها بخفة معترضاً لتهتف به :




_انت تسكت خالص ...تسلمني حفيدتي أسلمك مراتك .

_أشكو إليك !

هتف بها يامن وهو يرفع كفيه للأعلى فأزاحته نبيلة جانباً لتجلس جوار ياسمين تضمها لصدرها وتعزيها في مصابها بكلمات مناسبة...

بينما تلفت هو حوله أخيراً قبل أن يسأل والدته باهتمام مشوب بالضيق:

_داليا فين ؟!

_في أوضتها ...بالراحة عليها يا يامن ...هي عارفة غلطها ومكسوفة منك .

لكنه مط شفتيه باستياء ليتوجه نحو غرفة داليا التي طرقها هاتفاً :

_افتحي يا عروسة الهنا ...ياللي رافعة راسي دايماً ومشرفاني.





ترددت داليا قليلاً وهي تسمع الجلبة من الخارج لكنها حسمت أمرها لتفتح الباب وتواجهه بقولها الهادئ:

_حمداً لله ع السلامة...هاروح أعزي ياسمين .

_سيبك من ياسمين دلوقت وفهميني اللي بيحصل عشان هاتجنن من ساعة اللي جرى.

هتف بها بصرامة وهو يدلف لداخل الغرفة فرفعت رأسها لتقول ببساطة مصطنعة :

_صاحبك خطبني وأنا وافقت ...إيه الصعب في كده ؟!

رمقها بنظرة متفحصة طويلة ثم عاد يقول لها ملوحاً بسبابته :

_ده كتب كتاب مش هزار ...انتِ متأكدة إنك موافقة ؟!





اغرورقت عيناها بالدموع وهي تهز رأسها إيجاباً
فزفر بقوة وهو يشعر أن ثمة شيئ ما هنا خطأ !!

لكنه يدرك أن هذه العنيدة لن تمنحه تفاصيل يريدها
لهذا فضل أن يكون طريقه مع مروان ...

لهذا تقدم منها خطوة ليقول أخيراً بنبرة لانت
نوعاً :

_أنا مش قلقان من مروان ...أنا عارف إنه هيحافظ
عليكي بروحه ...أنا كل قلقي منك انتِ...متأكدة إنك
عايزاه ؟!!

عضت شفتها بقوة ووجنتاها تحمران بخجل منحه
الجواب الذي يرتجيه فخبطها بخفة على رأسها مع
هتافه النزق:

_وش كسوف قوي...اطلعي ياللا لياسمين ...ولنا
كلام تاني بعدين!

======





_كنت عند ياقوت بتعمل إيه ؟!

سأله زين مباشرة بصوت محايد لم يعبر عن بركان صدره الذي أشعلته تلك المرأة بعد آخر مواجهة بينهما ...

هذا البركان الذي استشعر رائد لهيب حممه وهو يقف أمامه في مكتبه ...

رائد الذي لم ينقصه الذكاء هاهنا وهو يدرك أن سؤاله عن ياقوت يفوق بكثير ما يمكن أن يرتجيه منها كطبيبة ...

زين يريدها كامرأة !

وفي ظل علمه برغبته في الزواج من ياسمين ذو الفقار فماذا تكون ياقوت بالنسبة إليه ؟!

مجرد امرأة يريد استكشافها قبل أن يلقيها بعرض ذراعه خلف ظهره وهو يرى فيها صورة من زوجة أبيه !!

لكنه لن يسمح له ...

حتى ولو اضطر للعب بصورة قذرة !!





_كنت بطمن منها على همسة !

قالها بنبرة تعمد أن تخرج مرتبكة مهزوزة لتعطي زين

الانطباع الذي جعله يضيق عينيه ليعاود سؤاله بنبرة أكثر حدة :

_أنا مش لسه هاعرفك النهارده ...فيه حاجة بينك وبين الست دي بتحصل من ورا ظهري ...انطق !

ضاقت عينا رائد وشعوره السابق يخالجه شعور جديد آخر بالخوف ...

زين !

ماذا لو أوصلته شكوكه لمعرفة حقيقة زواجه بهمسة ؟!!

لو علم عن الأمر فسيحرمه منها للأبد !!!





لهذا اتخذ قراره سريعاً ووجهه يستعيد قناعه المعدني بقوله :

_عندك حق ...بصراحة ...عايز أتجوزها.

اتسعت عينا زين بصدمة مع هذا الاعتراف المفاجئ ...

لقد توقع مراوغة...إنكاراً ...نفياً لهذا الهاجس الذي ينخر بروحه ...

لكن أن يلقيها في وجهه هكذا بهذا الوضوح !!!

_وهمسة ؟!

قالها بنبرة متهدجة من فرط انفعاله ليجلس رائد أمامه على كرسي المكتب مطرقاً برأسه مع جوابه بنبرته المحايدة :

_همسة بقى لها كام سنة حالتها مابتتغيرش ...محدش يقدر يلومني لو فكرت أكمل حياتي ...أنا مابقتش صغير .





احمر وجه زين بغضب نفرت له عروقه لكنه تحكم في نبرات صوته :

_محدش يقدر يلومك ...وكأنك ما كنتش السبب في اللي حصللها !

هنا رفع رائد إليه بصره بحدة مشتعلة وإعصار الغضب يجتاحه ...

هذا هو زين وتفكيره الغاشم !!

هو لا يرى فيما حدث لهمسة إلا خطيئته هو أما ذنب والده فلا يراه ...بل لايريد أن يراه !!

لهذا خرجت حروفه حادة كالشفرة متخللة قناعه المعدني:

_ماكانش ذنبي لوحدي ...عمي الله يرحمه هو اللي ...

_خلاص...انتهينا ...دي حياتك وانت حر فيها !





هتف بها زين بحدة مقاطعاً بقية حروفه لتلتمع عينا رائد

بالمزيد من الغضب المكتوم ...

الآن يدعي زين حمية لهمسة ؟!!

طوال هذه السنوات وهو يبعدها عن محيط عالمه مكتفياً بنفيها في غرفتها المنعزلة ...

شاعراً المعرّة من مرضها ونسبها ...

والآن يثور عليه هو ؟!

ولماذا ؟!

لأجل امرأة لا يعرف ماذا يريد منها بالضبط ؟!!

امرأة لا تستحق سوى الشكر بعدما أحدثته من تطور في حالة أخته !!

وأمامه كان زين هو الآخر يحترق بغضبه وهو لا يستطيع تمييز شعوره بالضبط ...





هل هي "الخيبة" من تفلت طريدة مثالية كهذه من شباكه ؟!

هل هي "الحمية" لأجل تخلي رائد عن همسة ؟!

أم هي حقيقة شعوره بأن تلك المرأة خدعته وهي تنصب شباكها حول رائد بعدما يأست منه هو !!!

أجل ...هو ليس أحمق ليدرك أنه ك-رجل- أثار مشاعرها ناحيته من البداية خلف الواجهة المتحفظة التي كانت تبديها ...

لكن هذا تغير عندما علمت عن علاقته بياسمين ...فنقلت رهانها لقريبه بهذه السرعة !!!

أجل ...هذا هو التفسير الوحيد لتصرفها واختيارها للابتعاد بهذه الطريقة الفظة المهينة بعدما كانت قد أخبرته قبلاً أنها لن تترك علاج همسة مهما حدث !!

"الأفعى المتلونة"!!!

صورة مكررة من زوجة أبيه !!!





_بس لما تختار واحدة مش تختار اللي تناسب مقامك ؟!

الازدراء الذي ألقاه بين كلماته استفز رائد ليقول ببطء مستفز:

_وياقوت مالها ؟!

دكتورة...شابة...ناجحة ...طموحة...أبوها راجل غني ..و...جميلة .

ضحكة زين العصبية المتهكمة باستنكار قاطعت عبارته ...

فصمت رائد لحظة مدركاً أنه يلعب على الوتر الحساس ليردف:

_جميلة جداً...ماتغركش "الدهولة" اللي هي فيها دي ...الحجاب والنظارة وراهم كتيييير .

_وانت شفت اللي ورا الحجاب والنظارة فين ؟!




يسأله زين واختلاج عضلة فكه يفضح شعوره
ليتردد رائد قليلاً فيما يفعله ...

حسناً ..."كذبة بيضاء" صغيرة لكنها ستحمي
ياقوت من تربص زين بها ...

فهو -كما يعرفه- لن يقترب من حدود امرأة طالما
علم أنها تخصه هو !!

لهذا رفع أحد حاجبيه بحركة موحية مع هزة رأس
جعلت زين يستشيط مكانه !!

شيئُ آخر جعل رائد يتطرف فيما س-يقوله- !!

شيئُ يتعلق بتشفّيه وهو يرى زين بهذه الغيرة التي
يوقن أنه لا يريد الاعتراف بها !!!

زين الذي يظن الدنيا كلها في قبضة كفه يطلب
فيحظى ...يأمر فيطاع !

شيئُ يتعلق بغصة في حلقه تتملكه طوال هذه
السنوات وهو يعمل معه كذراعه اليمنى لكنه لا
يجرؤ على البوح له بحقيقة زواجه من همسة
ليقينه بتبعات ذلك !!





شيئٌ يتعلق بوعد منحه لنفسه أنه سيحمي ياقوت من شر تربصه بها !!!

لهذا حسم تردده وهو يستطرد بنبرة تعمد جعلها أكثر ليناً :

_انت مش غريب ...جمالها فعلاً مش عادي...صورتها ما بتفارقنيش ..شعرها

الأصفر الناعم اللي قصاه قصير ...لون عينيها اللي يجنن بعدما قلعت النظارة ...الحسنة اللي في رقبتها تحت ودنها على طول ...

_كفاية!

صرخ بها زين هادراً وهو يهب واقفاً خلف مكتبه ليردف بازدراء:

_غرامياتك والهانم العفيفة مش موضوع نتكلم فيه .

فتصنع رائد الغضب ليقف بدوره هاتفاً:

_احترمها أكتر من كده ...دي هتبقى مراتي .





رمقه زين بنظرة مشتعلة وقد انفرجت شفتاه يهم بالرد لكنه عاود إطباقهما لتقسو عيناه بنظرة أخيرة منحها له ...

قبل أن تلتوي شفتاه بابتسامة جليدية مع قوله :

_أنا آسف إني انفعلت ...انت أكيد فاهم طبعي ...مبعرفش أتعامل مع المفاجآت .

رمقه رائد بنظرة متوجسة وهو لا يدري ما الذي يكمن خلف عبارته...

ليعاود زين الجلوس مكانه مسنداً ظهره لكرسي مكتبه مع استطراده بنفس النبرة بينما يشبك أصابعه أمام وجهه :

_مبروك يا عريس ...بس أفتكر من النهارده ...ماعادش ليك أي علاقة بهمسة .

اتسعت عينا رائد بصدمة وهو يدرك إلى أي حد سيقوده الحوار ...





لكنه هتف بحدة صارمة :

_همسة لسه بنت عمي ...وعلاجها لو مش مع ياقوت هيبقى مع غيرها ...وزي ما ياقوت احتاجتني وماتأخرتِش مش هتأخر عن أي مساعدة ممكن أقدمها لها !

رمقه زين بنظرة متحدية طويلة سبقت قوله شديد البرود وهو يتظاهر بالتشاغل في أوراقه :

_مادام احنا في الشغل ...خللينا في الشغل ...

ثم رفع عينيه المشتعلتين نحوه بعبارة حملت ذات البرود :

_سيب كل حاجة لوقتها .

=======

خرجت ياقوت من المركز لتتوجه نحو مكان سكنها ...

دوماً ما تعلق حقيبتها في كتفها وهي ترفع رأسها و صدرها في مشية واثقة ...




لكنها الآن تشعر برغبتها في أن تسير وهي تحتضنها منكسة الرأس!

حالة من الإحباط تنتابها ولا تستطيع التحكم بها ...

شعور رهيبٌ بالخواء بعد عودتها لعالمها الروتيني ..."دونه"!

هو -للأسف- ورغم كل شيئ كان قد منح البريق لتفاصيلها الباهتة المتكررة ...

والآن عاد كل شيئ لرتابته الخانقة !

ذهنها الشارد يمنعها ملاحظة سيارته التي تسير خلفها والتي تتوقف الآن جوارها تماماً لتلتفت نحوها غريزياً فتلتقي عيناها بعينيه ...

لهفة صادقة حملتها نظراتها لأول وهلة ولم تتمكن من إخفائها !!

لهفة لم تقرأها عيناه الغاضبتان إلا بمعنى التلاعب!

أنثى أخرى تداري "صدأ" عيوبها خلف بريق كنز مزيف ...




ولن تهدأ ثائرته حتى يمرغ وجهها في التراب!

نظراتها تتحول لعناد ممتزج بكبريائها وهي تشيح بوجهها منتوية المضيّ في طريقها ...

لكن صوت بوق سيارته الذي كاد يصم أذنيها يفضح عناداً ووعيداً !!

فتوقفت مكانها تتمالك مشاعرها المتخبطة لثوانٍ قبل أن تلتفت نحوه ليصلها صوته الآمر:

_اركبي.

حدسٌ بداخلها يأمرها أن تبتعد ...

أن تعدو ...أن تصرخ وتستغيث بأي أحد تختفي خلفه من فورة الطغيان التي تشتعل في هذه النظرات !





لكن كبرياءها الواثق ببأسه....قلبها الساذج باشتياقه ...روحها المعلقة بحلمها ...

كلهم ...كلهم تآمروا ليجعلوها تستقل السيارة جواره ...

_هي وصلت إنك تمشي ورايا في الشارع؟! وقدام المركز؟!

هتافها الفظ لم يحرك ساكناً في ملامحه التي تغلفت بصقيع أجفلها ...

لتكمل بحدة أكبر:

_عارفة إن اللي زيك عندهم حساسية لكلمة ""لأ"" لما بتتقال لهم ...عندهم هوس إن الدنيا كلها اتعملت عشانهم ...بس معلش ...تعال على نفسك المرة دي وافهم إن فيه ناس سكككهم مقفولة ...عنيهم مليانة ودراعهم ما بيتلويش!





صقيع ملامحه لم يتبدل لثانية أمام سيل كلماتها حتى إذا ما انتهت مد أنامله ليغلق نوافذ السيارة أوتوماتيكياً قبل أن يقوم بتشغيل شيئ ما على الشاشة الصغيرة المعلقة في السيارة أمامهما ...

قلبها يخفق بهلعٍ لأول وهلة وهي ترى نفسها سجينة معه هنا ...

قبل أن تنتبه لما تعرضه الشاشة ...

لجين !!!

ما الذي تفعله في هذا البيت الفخم ؟!

لاريب أنها ذهبت لأخذ عينة ما ...

أجل ...أجل ...

ها هي ذي تفعلها ...

المرأة تبدو راضية عنها لكنها تعطيها ظهرها لتبتعد لبضع دقائق ...

رباه !!!

هل تفعل لجين هذا حقاً؟!





تقترب بوجهها أكثر من الشاشة كي تتمكن من التمييز...

لا ...لا ...مستحيل !!

لجين تسحب شيئاً ما لا يمكنها تمييزه لتخفيه في جيبها قبل أن تعود المرأة لتعطيها بعض المال غافلة عن فعلتها وتتركها كي تنصرف ...

لجين تسرق!

_مستحيل ...مستحيل ...الفيديو ده متفبرك ...أختي ما تعملش كده !

انفعالها العصبي الهستيري يربكه للحظة !!

أحقاً لا تعلم ؟!

أم أنه مجرد دور تكميلي لتمثيلية "البريئة" التي تؤديها بإتقان ؟!!

لا يهم ...لم يعد يهم !!




"الطريدة" سقطت في الشرك ولن يسمح لها أن تفلت!

_مش أول مرة ...كذا بيت م اللي دخلتهم اشتكى من اختفاء حاجات منه بعد ما بتخرج...قدموا شكاوى كلامية للمعمل القديم اللي كانت بتشتغل فيه وهناك لفتوا نظرها بس هي أنكرت ...لغاية ما ظهر الفيديو "الحقيقي"ده ....

ضغط حروف كلمته الأخيرة داحضاً أي إنكار من جهتها لتتسع عيناها بارتياع مع استطراده :

_والنهارده واحد ابن حلال قدر يقنعهم يقدموا بلاغات رسمية ...مستقبل البنت هايضيع!

قالها بأسف مصطنع وعيناه تترصدان انفعالاتها التي تصاعدت حد أنه كاد يسمع صوت خفقان قلبها مع أنفاسها اللاهثة ...

تنقل بصرها بعدم تصديق بينه وبين الشاشة ...





هي تعلم أن لجين تركت العمل في المعمل القديم حقاً والتحقت بآخر ...

لكن ...هل كان هذا هو السبب؟!!

تناولت هاتفها بسرعة لتتصل برقم لجين بأنامل مرتجفة ...

_اسمه إيه صاحب البيت ده ؟!

تسأله هو بصوت مرتعد دون أن تقوى على رفع عينيها نحوه ليمنحها الاسم ...

ولم تكد تسمع صوت لجين حتى هتفت بها دون مقدمات :

_انتِ رحتِ بيت واحد اسمه "....." قريب تسحبي منه عينة وخدتي حاجة من هناك ؟!

صمت لجين يطول قبل أن تصلها شهقات بكائها في جواب لا يقبل الجدل ...

لكنها عادت تسألها بنفس الارتعاش:





_قولي إنك بريئة يا لجين ...قوليلي الحقيقة وأنا هاخرجك منها ...قولي بسرعة حرام عليكي ...ستك ثمر هتموت فيها ...

لم تستطع منع غصة حلقها في عبارتها الأخيرة ونحيب لجين المرتفع على الجانب الآخر من الاتصال يمزق قلبها مع اعترافها المشين أخيراً أنها فعلتها !!

لجين تسرق؟!

لجين تربية الحاجة ثمر؟!!

ماذا سيقول أهل القرية لو عرفوا؟!

ذنب أمهما القديم سيعود يطفو على السطح !!

_"بنت الخاطية حرامية وهتبقى رد سجون"!!!

تكاد تسمعها بأذنيها تدوي كالرعد !!!

اسمها واسم شقيقتها سيكونان في الوحل!!





لكن كل هذا لن يساوي شيئاً أمام اثنين ...

حسين...وثمر!!

الأول الذي عاشت عمرها كله كي تثبت له أنهما تكبران "بدونه"...

والثانية التي ستعيش ما بقي من عمرها كي تثبت لها أنهما لن تكبرا "بدونها"!!

والآن ؟!

الآن!!

أغلقت الاتصال بذات الأنامل المرتجفة لتشيح بوجهها نحو النافذة المغلقة ...

صوتها المتحشرج بغصته يجاهد للخروج:

_افتح الإزاز .

_لما نتفق الأول!

تضغط شفتها السفلى بقوة لترفع رأسها لأعلى في واقعة ذكرته ب-ياسمين- في موقف مشابه !!

هذه امرأة لا تنكس رأسها كما يبدو ...

لكنه سيجعلها تفعل!!

الخاطر الأخير يجعله يشعر بالسوء من نفسه ...

لكنه لا يستطيع مغالبة هذا الطوفان من المشاعر الذي يجتاحه نحوها ...

يستعيد كل كلمة قالها رائد فتنفجر ألغام روحه واحداً تلو الآخر ...

ما الحد الذي وصلت إليه علاقتها مع رائد كي يتخلى عن همسة لأجلها؟!

كيف عرف عن لون شعرها وبعض وصف جسدها ؟!

ما الذي كان يدور بينهما خلف جدران بيته ويتهامسان

لأجله بالأسرار؟!





إذا كانت شقيقتها لصة فماذا تكون هي؟!!

_طلباتك ؟! عايزني أعالج أختك بالعافية ...واللا أشهد زور على يامن ؟!

تقولها بصوت لايزال مرتعداً مبحوحاً والمفاجأة تلجم عقلها ...

لكنه يفجر المفاجأة الأكبر بمنتهى الجرأة :

_ليلة !

تشهق بارتياع للمعنى الذي وصلها واضحاً دون تأويل قبل أن يرتفع كفها نحو وجنته صارخة :

_ياحقير ياسافل !

لكنه يمسك كفها بقوة يمنعها مع عبارته بين قسوة وبرود :

_أفتكر كده وصلنا لحل في دراعك اللي مابيتلواش.





الدموع تتكاثف في عينيها فتعميها عن الرؤية لكنها تستدعي أقصى تماسكها خشية انهيارها أمامه ...

لن تسمح أن تظهر بمظهر الذليلة ...

لكن ...

هل بقيت لديها حرية القرار؟!!

نفضت كفها منه بسرعة وهي تشيح بوجهها محاولة التقاط بعض الهواء ...

هنا فتح هو زجاج السيارة وكأنما شعر أنه أحكم تماماً

إغلاق الشباك...

طريدته لن تعود قادرة على الهرب!!

أخذت نفساً عميقاً تحاول السيطرة على بكائها وهي تفكر بأقصى سرعة في حل ...

أي حل ؟!!





هذا رجل بلا ضمير ...

يقايضها بشرفها على مستقبل أختها ...

وليتها أختها فحسب ...بل ثمر !!

كيف لهذا الوحش أن يكون الرجل الذي تمنته يوماً كحلم ؟!!

كيف خدعها ذكاؤها في تصنيفه ؟!

كيف؟! كيف؟!!

صدقت ثمر في قولها ...

(الناس اللي زي دول ما بيبصوش للي زينا إلا نظرة واحدة ما بتتغيرش)

الدموع تعاود سكب الحسرة الذليلة في عينيها ...

لكنها تبتلع غصة حلقها لتقول أخيراً دون أن تنظر إليه :





_موافقة .

عيناه تضيقان بين شك وظفر وشعور آخر -غريب- بالضيق من موافقتها على أمر كهذا ...

هل كان حقاً مخدوعاً فيها إلى هذا الحد ؟!!

_بس بعقد جواز .

ضحكة قصيرة متهكمة تجتاح شفتيه كجواب على عبارتها فالتفتت نحوه لتهتف بشراسة فتية :

_انت فاكر إني هاطاوعك عشان أحمي عيلتي من فضيحة فأقوم أورط نفسي في فضيحة تانية ؟!
عيب على ذكائك يا بيه !

_وانتِ فاكرة إن قدامك اختيار ؟! لو ما وافقتيش بكرة الصبح هتبقى أختك في النيابة !





فاغتصبت ابتسامة متحدية لتهتف بانفعال دون وعي:

_لما يقولوا أختها طلعت حرامية أحسن ما يقولوا طلعت خاطية زي...

قطعت عبارتها عندما استحكمت غصة أخرى حلقها جعلتها تشيح بوجهها من جديد فعقد حاجبيه بقوة وهو يشعر بالتعاطف يتسرب إليه نحوها ...

لا !!

لن يسمح به !!

لن يسقط في شرك امرأة كهذه كوالده !!

تراها خدعته وقتها بهذه الصورة الملائكية التي تبدو عليها هذه الآن؟!

بالقناع المتعفف القنوع مدعي الشرف؟!!

إنها حتى لم تنجح في إخفاء لهفتها على ماله منذ أول يوم لقيها فيه !!!

بريق الطمع في عينيها لا تخطئه عين مبصر ...





والآن تريد عقد زواج ؟!!

_جواز إيه يا شاطرة ؟! لما أحب أتجوز أتجوز واحدة زي ياسمين ...اللي زيك أصطادها وبس!

يقولها قاهراً لنفسه قبلها غير قابل لتأرجح مشاعره الذي يراه -بغريزة الصياد- مخزياً لرجل بتاريخه ...

يقولها فتذبحها ...تسفك دم عزتها التي عاشت هذا العمر تبني هرمها!

لكن إجابتها تصله قاطعة وهي تضع كفها على مقبض الباب تأهباً للمغادرة :

_معنديش كلام تاني !

هنا يضع كفه على كفها يمنعها الخروج فتلتفت نحوه لتلتقي عيناها بعينيه ...

قمتان من عناد وتحدٍّ...





لن تستطيل إحداهما شبراً إلا وتجد الأخرى تناطحها ...

الثواني تمر ولا يزال كفها أسير كفه ...

نظراتها أسيرة نظراته ...

فقط روحها الفتية كانت تحلق حرة في محيط ذهنه تزلزل الأرض تحت قدميه وتهدده ...

شباكك ستعود خاوية !!

لهذا عض على جانب شفته السفلى ليقول أخيراً بنبرته المهيمنة :

_ماشي بس بشرط ...

ثم أمال وجهه ليردف:

_الليلة دي!

اتسعت عيناها بارتياع وهي تشعر كفأر سقط في مصيدة !





الوغد !

إنه حتى لا يترك لها فرصة الاستغاثة بأحد !!

لكن ...هل يمكن أن يغيثها أحدهم ؟!

ربما ...رائد !!

أجل ...هو وعدها بمساعدة !!!

لكنه هو الآخر كان يدرك أن خير وقت لاصطياد الفريسة وهي لاتزال تترنح بأول صدمة ...

لهذا لم يترك لها حرية القرار وهو يترك كفها أخيراً ليعاود تشغيل سيارته منطلقاً بها نحو أقرب مأذون !

تريد عقد زواج فليكن ...

مجرد ورقة لن تجرؤ هي على استخدامها ...

ولن يكلف نفسه مشقة تذكرها بعدما ينال ما يريده ويكسر أنفها هذا !!

========





العالم يدور بها في دوائر والصدمة التي تلقتها على رأسها تفقدها النطق!!

عيناها تراقبان أناملها التي أمسكت بالقلم منذ دقائق توقع عقد زواج !!

زواج ؟!

هل أنتِ حقاً بهذه الحماقة ؟!!

هل كتب عليكِ القدر أن ترثي وزر أمك ؟!

ألا يشبه عقدك المزعوم هذا نفس العقد الذي وقعه رجائي ؟!

ألا يشبه زين هذا والدك ؟!

ما الفارق؟!

أحدهما وقعه بعد نيل غرضه والثاني قبلها ...

وفي الحالتين ...المراد من المرأة واحد !!

ابتسامة ساخرة تترنح على شفتيها الذبيحتين ...

آآه !

طوال هذا العمر وأنتِ تتدللين على الخاطبين !

الطبيبة الماهرة الذكية تستحق الأفضل!

ياقوت لن تكون أشواق أخرى ...

يا مغفلة !

في قانون هذا العالم أنتما سواء!!

وجوارها كان هو يقود سيارته نحو شقة بعينها يملكها ...

من الجيد أنها اقترحت شأن "ورقة" الزواج هذه...

فلا يريد قضاء الوقت في تأنيب ضمير!!

ضمير؟!!

الكلمة على بساطتها تخزه بقسوة وهو يختلس نظرة نحو جانب وجهها المصدوم ...

هل ظلمها ؟!!





لا ...لم يفعل!!!

هو لم يجبر شقيقتها على السرقة ...

هو فقط استغل الفرصة كعهده كي يحكم الشباك !!

الشباك التي نصبتها هي على قريبه وجعلته يتخلى عن همسة لأجلها !

لكن ...هل يكون من العدالة ليعترف أنه لا يحنقه تخلي رائد عن همسة بقدر ما يشعله "المعنى الحقيقي" لهذا ...

رائد أحبها !!

_وانت مالك ؟! حتى لو حبها ...تتدخل انت ليه ؟!

_وأسيبها تضحك عليه ؟! أنا مش مغفل ...أنا كنت حاسس إنها معجبة بيا أنا ...قبل ما تعرف حكاية ياسمين ...نقلت العطا بسرعة عليه كده ؟!

_عمرها ما شاغلتك ولا عملت حركات الستات إياها...

بالعكس ...كنت دايماً شاهد إنها ماشية زي الألِف.





_والألِف اتعوج مع رائد ! شاف شعرها وجسمها فين ؟!

_مش يمكن راح يزورهم في بيت جدتها وخرجت له بشعرها ؟!...عروسة وبتقابل عريسها !

الخاطر الأخير من خواطره التي تصارع بعضها بعضاُ يشعله بغيرة تجعله يقبض كفيه على المقود أكثر !!!

هو لم يكن يوماً عاجزاً عن فهم تناقضات شعوره كما الآن !!!

فقدان السيطرة هذا يثير جنونه !!!

لماذا لا يفرح هذه المرة فحسب؟!

لماذا لا يستلذ بانتصاره وكفى؟!!

انقطعت أفكاره عندما وصل للمكان المنشود فأوقف السيارة لتفيق هي من غفوة شرودها وترمقه بنظرة يقسم أن لم يرَ مثلها من قبل !!





نظرة اخترقت قلبه من فرط ما فضحت انكسار روحها ...

لكن عينيها للعجب كانتا تنبضان بهذه العزة التي سكبت العلقم في شهد انتصاره ...

_إيه يضمن لي إن لجين تخرج منها وماعدتش أشوف وشك تاني؟!

_قوليلي انتِ ...تفتكري واحد زيي بعد ما ياخد اللي هو عايزه منك هايحتاج ليه يبص لك تاني ؟!

كان يتعمد إهانتها لعله يطفئ شعلة الاعتزاز المقيتة هذه في عينيها ...

لكنها ازدادت حدة وهي تعاود السؤال بنفس النبرة :

_ماجاوبتش على سؤالي ...إيه يضمن لي؟!

_مفيش غير كلمتي!





_كلمتك ؟!

بمنتهى الاحتقار نطقتها كأنها تبصقها في وجهه لتردف :

_هو لو اللي زيك له كلمة واللا شرف..كنت بقيت أنا في موقف زي ده ؟!

كز على أسنانه بغضب وهو يشد قبضته حتى ابيضت مفاصله ليهتف وقد فقد أعصابه :

_قلتلك بكرة البلاغات هتتسحب وكل واحد هيروح لحاله .

رمقته بنظرة أحرقته ثم أشاحت بوجهها تخفي نحيب روحها الذبيحة ...

ولو في أسوأ كوابيسها لم تتصور أن تنتهي حياتها هكذا !!!

أجل ...انتهت حياتها !!!





فلا تظنها بقادرة على الخروج من هذا الكابوس بعد الآن ...

لكنها ستفعلها ...

لأجل ثمر ...

لأجل لجين ...

لأجل ألا تنكسر هامتهن أمام حسين !!

ليلة واحدة تقضيها كجارية ...

ثمن باهظ لكنه بخس حقاً لو قارنته بكل ما سبق!!

تغادر السيارة معه نحو شقته العلوية التي فتحها أخيراً ليدخلا ...

قلبها يتواثب في صدرها كالمجنون لكنها تحاول التماسك ...

اعتبريه حلماً ...كابوساً تستيقظين منه على رقية ثمر ...

ليلة...بضع ساعات ...





لا تفقدي قوتك ...تماسكي ...

_أهلاً زين بيه....مستنية من بدري .

تشهق بفزع وهي تكتشف وجود المرأة في الشقة ...

من هذه ؟!!

والجواب يأتيها منه كأقسى ما يكون ...

_روحي معاها ...هي عارفة شغلها .

تلتفت نحوه ببطء ...

ولو في أقسى توقعاتها لم تنتظره بهذه الحقارة ...

كأنما يخبرها أنها لا ترقى إلى أن يمسها دون تجهيز!!

الجارية يجب أن تُعدّ للسيد !!!





حاجز آخر من حواجز تماسكها ينهار وشفتاها تنفرجان ...

ظنها ستعترض ...ستسبه ...

لكنها لم تنطق بكلمة وعيناها تزيغان في الفراغ ...

السكين ...

الجلباب الأحمر ...

الوشاح الممزق ...

السكين ...

الأصابع الغليظة ...

الصوت الثمل ...

السكين...

الساعة المكسورة ...

السجادة المنقوشة بلون الدم ...

السكين ...





السكين ...

السكين !!!

الدموع تملأ عينيها والشعور بالمهانة يمزق كيانها ...

خنجر تلو خنجر تلو خنجر...

هل تلومه ؟!

ماذا رأى منها سوى ابنة ظالم ...

ابنة خادمة زانية ...

وشقيقة سارقة ؟!!

لماذا يرى فيها الأفضل؟!!

بل لماذا ترى هي في نفسها الأفضل؟!

_ياااااه....معقول كل العمر ده عايشة في وهم ؟!
بحارب طواحين الهوا؟! ببني بيت عمري
ماهاسكنه ...لأن اللي زيي كبيرها تحلم ...وبس ...





كلماتها تتفجر بين حناياها كشظايا ...

تسلب منها روحها لتذرها جسداً خاوياً يتحرك بلا حياة...

تسير خلف المرأة كشاة يسوقونها للذبح ...

تخلع عنها ملابسها فيكون آخر ما تتعلق به عيناها "ورقة العشر جنيهات" المغلفة والتي سقطت مع آخر قطعة من

ملابسها ...

وسقط معها حاجز آخر من حواجز مقاومتها ...

تشعر بالمرأة تدهن لها جسدها بشيئ ما ...

تتعامل معها كما يفترض بعروس ...

لكنها وحدها تدرك أنها لم تعد تزيد عن جارية !

كل المشوار الطويل الذي سارته وحدها ...





كل عمل شريف بحثت عنه من صغرها كي تكتسب المال والقوة ...

كل درس ذاكرته...

كل شهادة حصلت عليها ...

كل مريض عاملته ك"روح متعبة" تريد لها الخلاص لا مجرد "حالة مؤقتة" تريد منها الثمن ...

كل كلمة ثناء سمعتها ...كل طموح سعت إليه ...

كل نجمة تمنت لمسها ...وكادت !

الآن ...كل هذا ...مجرد هباء تذروه الرياح ...

"بنت أشواق" لم تبتعد كثيراً عن مصير أمها ...

وهي الساذجة التي كانت تظن نفسها ستغير العالم !!

تشعر بالمرأة تدفعها نحو حوض الاستحمام ...





تريق عليها الماء ...

الغريب أنها لم تكن تشعر بخجل!!!

هذا لم يعد جسدها !!!

جسد ياقوت عفيف لن يمسه إلا رجل ارتضاه قلبها بحق الله ...

أما هذا الجسد فمجرد لقمة مسروقة سينهشها كلب جائع لا هي سدت جوعه ولا هو سيعيدها مكانها !!

وعيها يختار أن ينسحب جزئياً لمكان بعيد ...

حضن ثمر ...

رائحة جلبابها ...

صوت تسبيحها ودعائها ...

وجلسة في حجرها تداعب فيها أناملها شعرها ...

لا بأس!

لمثل هذا هي قدمت هذه التضحية !!

لا تراجع يا باسلة ...لا تراجع ...!!




سيل الماء يتوقف ...شيئ ما يجفف جسدها ...

قميص قصير مغوٍ يسدل فوق "اللقمة المسروقة"...

رائحة عطر كانت لتجدها في موقف غير هذا جيدة حقاً ...

شعرها يجففه جهاز ما لينسدل بـ-طولهـ- على ظهرها ...

وأخيراً وجهها تلطخه بعض الأصباغ ...

المرأة تدفعها برفق للخارج دون كلمة واحدة قبل أن تتركها وترحل ...

لتجده هناك أمام النافذة يعطيها ظهره ...





هو الذي كان غائباً في شروده وهو يشعر بغصة تفسد عليه متعة صيده ...

ماذا تفعل بنفسك يارجل؟!

ما الذي تريده بالضبط ؟!

بالأمس تسعى خلف ياسمين كأنها آخر نساء الأرض ...

واليوم تجذبك هذه المرأة لتخرجك عن طور اتزانك ...

منذ متى تنال امرأة دون رضاها؟!!

هذا ليس صيداً ...هذا اغتصاب!!!

لكن صوتاً غاشماً من الماضي يتدخل ...

هذا ليس صيداً ولا اغتصاباً...

هذا قصاص!!

قصاص من كل امرأة تشبه المسخ الذي طالما أرق مضجعه !!





الغريب أنه لا يشعر بالإثارة كما يفترض لرجل ينتظر امرأة...

لا يشعر بالظفر كما يفترض لصياد التقط طريدته ...

بل يشعر بشيئ من الهزيمة ...

وكيف لا؟!

وهي -ككل ما فيها من استثناءات - تجبره للخروج عن طور اتزانه !!

يشعر بها أخيراً فيلتفت نحوها لتتسع عيناه رغماً عنه ...

صاعقة تضرب "جسده" من فتنة لم يتصورها بهذا الجموح ...

إعصار يعصف ب"قلبه" والنظرة الزائغة في عينيها تعيد قصف ضميره...

لكن ذات الصوت الغاشم من الماضي يناديه ...





C i n n a b o n

هي صورة من نفس المرأة ...

دخلت طامعة ويجب أن تخرج خاوية الكفين !!

لهذا تقدم نحوها بخطوات متئدة وعيناه مثبتتان في عينيها الزائغتين ...

قبل أن تنتقل نظراته بتفحص نحوها ...

مهلاً !!

شعرها ليس أشقر قصيراً بل داكن اللون طويلاً ...

أين هذه الشامة التي تحدث عنها رائد في رقبتها ؟!

رقبتها ناعمة ملساء بلا أي زوائد !!!

تباً لك يارائد !!!

لماذا خدعه ؟!!

لماذا؟!!

مزيج من الغضب الثائر والارتباك يجعل جسده يرتجف بانفعاله ...




فيمسك كتفيها بقوة تجعلها تنتفض مكانها ...

حاجز آخر من حواجز تماسكها يتهاوى لكنها لا تزال تقاوم ...

تجلدي ...!

تجلدي ...!

هو لن ينال "ياقوت"...

هو فقط سينهش "اللقمة المسروقة"...

ياقوت لا تزال هناك في برجها العاجي تنتظر أميراً ينقذها ...!

_عندك خمرة ؟!!

تتمتم بها شفتاها المرتعدتان وعيناها الزائغتان لا تزالان تدوران في محجريهما فتكسو الصدمة ملامحه غير متوقع للسؤال ...

_مش عايزة أبقى في وعيي ...اسقيني أي حاجة أو حتى اضربني لحد ما يغمى عليا ...مش عايزة أبقى في وعيي ...

وكأنما واحدة أخرى هي التي تتحدث !!!

واحدة انهارت" آخر حواجز تماسكها "وهي تنفض ذراعيه عنها لتصرخ أخيراً مكررة :

_مش عايزة أبقى في وعيي ...

ولم تكد تهتف بها حتى اندفعت نحو القائم الخشبي لدولاب الغرفة تخبط فيه رأسها عدة مرات بعنف يكفي لأن تسقط بعدها فاقدة الوعي كما أرادت ...

======

جلس مروان على سريره عاقد الحاجبين يفكر لا يدري ماذا يفعل ...

لقد اضطر لإخبار يامن بما حدث كي لا يفقد ثقته به من جديد ...





يامن الذي احترم صراحته ليسأله عما ينتويه وكأنه يملك حقاً حرية القرار ...

لقد اتفقا على عقد القران آخر الشهر في تجمع ضيق مراعاة لظروف ياسمين وخوفاً من تفلت الأمر بفضيحة لو تسرب الخبر من ريتال ...

ما أشد بلاءك يا مروان!!!

تحبها طوال هذا العمر وتتزوجها خشية الفضيحة !!

لكن هذا لم يكن ما يؤرقه ...

بل امتناعها عن الرد على اتصالاته طوال الأيام السابقة !!

يعلم أن كلماته كانت قاسية يومها لكنه لايزال لا يفهم ...

ما الذي دفعها لهذا ؟!!





بعد كل هذا الوقت الذي كان يحكم فيه السيطرة على جنونها تتفلت من بين يديه هكذا فيصير لا يعرف شيئاً عن أفكارها ...

ربما هذا ما يفتت فرحته بأنها ستصير له قريباً ...

من يدري بماذا تفكر هذه المجنونة الآن ؟!!

لماذا لم يحاول رؤيتها؟!

ربما تحرجه من يامن بعدما روى له عن تصرفها المجنون ...

وربما خشيته من مواجهتها هي بعدما كان ...

لن يتمالك نفسه لو رآها هذه المرة ...

لهذا انعقد حاجباه أكثر وهو يعاود الاتصال بها لكنها لم ترد كالعادة ...

منظرها الباكي الذي غادرته به آخر مرة لا يفارق مخيلته ...

شحوب وجهها وصدمتها بكلامه الجارح وقتها ...





لكنها للعجب وافقت على إتمام عقد القران !!

ماذا تراه يدور في عقلها هذه المجنونة ؟!!

_بلائي وابتلائي أقسم بالله !

هتف بها بغيظ أمام صورتها التي يخزنها سراً في هاتفه قبل أن يزفر بقوة وهو يفكر أن لا حل أمامه سواه !!!

أجل ...بالضبط...العاشق المجهول!!!

هو وحده من يمكنه سبر أغوار هذه "المصيبة" داليا ليرى كيف تفكر !!!

لكن ماذا لو جاء ظهوره بالعكس؟!

ماذا لو جعلتها عودته تصرف النظر عن رضاها بخطبته هو؟!!

_أعمل فيكي إيه بس يا شيخة ؟! هتجلط بسببك !!





يعاود الهتاف بها بغيظ قبل أن يتناول حاسوبه ليضعه فوق ساقيه ...

يتردد كثيراً جاهلاً بتوابع هذا القرار ...

لكنه لا يملك غيره !!

عيناه تتسعان بصدمة وهو يرى كمية الرسائل التي أرسلتها له على هذا الحساب ...

رسائلها الصوتية الباكية ورجاءاتها التي لم تنقطع له أن يعود ...

كل هذا توقف تماماً بعد ذلك اليوم الكارثي لهما في الجمعية !!!

_افتقدتك !

يكتبها أخيراً حاسماً تردده قبل أن يضغط شفتاه بقوة منتظراً ردها ...

وفي غرفتها كانت تراقب رسالته بوجه جامد !





لم يخذلها توقعها أنه سيلجأ ل"العاشق المجهول" كي يطمئن عليها !!

رغم فظاظة كلماته التي ألقاها في وجهها آخر مرة لكنها صارت تدرك أي عاطفة تختفي خلف الواجهة هذه !!

_أخيراً عدت؟!

تكتبها له بالفصحى ليرد :

_اعذريني ...كان رغماً عني ...أخبريني عما جد من أخبارك .

_أنت بالذات ...لا يمكنني إخبارك !

_لماذا؟!

_لأن الأمر يتعلق ب....رجل!





قلبه يخفق بعنف مع كلماتها ليعاود الكتابة لها بسرعة :

_لا تخفي عني شيئاً..احكي باستفاضة كما تعودتِ وأعدكِ بالتفهم...انتظري ...لا تخبريني كتابة ...أريد سماع صوتك .

فابتسمت مكانها وهي ترسل له بصوتها :

_ماعرفش امتى ولا ليه خطفني كده ...ماعرفش إزاي صورته اللي حافظاها من سنين قريبة من عمري اتغيرت في ثواني ...فجأة لقيتني بحبه الحب اللي قلبي قعد طول السنين دي يحوشه ...بحبه وأنا حاساه أبويا اللي بتحامى فيه...وأنا حاساه صاحبي اللي بفضفض له ...وأنا حاساه حبيبي اللي حضنه دفا...

صاعقة تضرب صدره من اعترافها الذي يسمعه من شفتيها بهذا الصدق...بهذه العفوية...وبهذه الحرارة !!





يسترجع مذاق عناقها وهي تحط كطير ملهوف على صدره ...

فيجف حلقه وهو يتمنى لو تعود هذه اللحظة من جديد ...

تعود دون فواصل بينهما ...دون حدود ...دون حواجز ...

تعود وسيريها وقتها أي نعيم يدخره لها بين أحضانه !!

لهذا تردد كثيراً محاولاً اختيار كلماته ليكتب :

_من ؟!

فتتنهد بحرارة وهي تتذكر غلظة كلماته في آخر لقاء بينهما ...

لتثأر بطريقتها في التباطإ بالرد ...





تعلم أن هذا يقتله لكن لا بأس ...فليذق بعضاً مما سكبه في كأسها !!

_من يا داليا؟!

_مروان .

لا تدري هل قالتها -بصوتها -جواباً أم نداء!

اعترافاً أم مناجاة !

كل ما تعرفه أنها لم تشعر براحة في حياتها كما تشعر الآن !

الطير المهاجر الذي طالما جاب الأكوان شرقاً وغرباً الآن يعود لمسقط رأسه !!

سهم بوصلتها المجنون الذي طالما فقد اتزانه الآن يشير للاتجاه الصحيح ...

هو ...هو فقط !!




هو الذي ظل مشدوهاً يستعيد رسالتها الصوتية الأخيرة مع اسمه مرة بعد مرة ...

هل اعترفت بحبه حقاً ؟!

هل قالتها ؟!

هو لايحلم !!

لا يحلم !!

أفاق من سكرة مشاعره وهو لا يدري ماذا يفعل ...

هل يعترف لها بالحقيقة ؟!

كيف سيكون رد فعلها وقتها ؟!

داليا "القديمة" كانت لتثور وتتهمه بالخداع ...

داليا "الجديدة" ماذا عساها ستفعل؟!!

رأسه يكاد ينفجر وهو يعود الاتصال بها ك"مروان" على هاتفها فلا تجيبه ...





ليرسل إليها رسالة نصية :

_ردي ع التليفون .

_لأ ...مفيش بيننا كلام قبل كتب الكتاب .

ترسلها له مكتوبة فيبتسم رغماً عنه وهو يود لو يحطم رأسها "اللذيذ" هذا !!!

يعلم أنها غاضبة منه لكنه يريد أن يسترضيها قبل عقد القران ...

يريد ألا يضيع لحظة واحدة بعدما تحمل اسمه في خصام أو فرقة ...

لهذا لم يجد إلا أن يهاتف يامن ليقول له بسرعة :

_خللي داليا ترد عليا !

_نعم ياخويا ؟!

يهتف بها يامن باستنكار وهو يقلب الهاتف في يده يتأكد من اسم المتصل ليعاود مروان طلبه فيرفع يامن حاجبيه ليهتف مرققاً صوته بتعمد :

_وإيه كمان ؟! قسّم ياسيدي وسمعني .





_يامن ...مش وقت سخافتك ...اقنعها ترد عليا نصفّي اللي بيننا قبل كتب الكتاب .

_حد قاللك إني مرسال الغرام بتاع جنابك ؟! اقفل اقفل معندناش بنات قبل كتب الكتاب ...وماتكبرهاش في دماغي أأجله ...أنا أصلاً مش بالع إنه ييجي بسرعة كده .

قالها ليغلق الاتصال دون انتظار الرد قبل أن يبتسم ابتسامة واسعة في غرفته التي تقابل غرفة داليا في شقة نبيلة حيث صار يعيش مع ياسمين حالياً ...

_ولسه ! ده ذنب ال"سينابون" اللي وديتني آكله ...ده أنا هاطلعه على دماغك !





هتف بها سراً متهكماً قبل أن يتجه نحو غرفة داليا ليطرق بابها هاتفاً :

_الشحرورة اللي تقلانة ...ردي على تليفونك أو اقطعي

علاقتك بيَّ ...مش بوسطجي الغرام بينكم أنا !

كتمت ضحكتها وهي تدرك السبب فيما يقوله ...قبل أن تقفز من فراشها لتفتح الباب بسرعة هاتفة :

_مفيش بيننا كلام قبل كتب الكتاب ...مش دي الأصول!

فمصمص شفتيه ليقول بنبرته المتهكمة :

_ماشاء الله على الأدب والأخلاق ...ما شاء الله ....هو أنا خلفت إلا داليا ؟!

لم تستطع كتم ضحكتها مع لمعة عينيها التي تأملها هو برضا غامر ...





لا ينكر أنها هي بالذات تحمل مكاناً خاصاً لديه دون شقيقتيها ...

هي حقاً ابنته التي لم ينجبها ...

لهذا تنهد أخيراً بحرارة ليسألها بجدية :

_آخر مرة هسألك يا داليا ...موافقة ؟!

_طب قوللي انت ...ممكن واحدة عاقلة ترفض مروان ؟!

_وانتِ عاقلة أصلاً؟!

هتف بها بغيظ لتستفزه ضحكتها أكثر فعاد يقول لها محذراً:

_لو دي لعبة من ألاعيبك مش هسامحك المرة دي .

_اطمن ...بطّلنا نلعب ...تبنا وأنبنا!

قالتها وهي تبسط راحتها المفرودة على صدرها بخشوع مصطنع ليهز رأسه بشك وهو يسمع صوت هاتفها يرن من جديد فيسألها :

_برضه مش هتردي؟!





_تؤ!

تقولها بإصرارها الطفولي فيزفر زفرة مشتعلة وهو يجد هاتفه هو يرن بعدها باسم مروان ليهتف بغيظ وهو يخرج من غرفتها صافقاً الباب خلفه :

_إلهي تتسخطوا عرس وسحالي ياللي في بالي!

وعلى هاتفها وجدت هي رسالته المكتوبة بعدها ك"مروان" مقلداً لكلمات غنوة قديمة :

أنا منك وأنا ليكي ...

حياتي وعمري في إيديكي ...

ولا جايز ولا يمكن ...

بحبك حب مش ممكن ...

حبيبتي شوفي م الآخر ...

أنا واحد بموت فيكي !

======





على الفراش بنفس الغرفة يجلس زين جوار جسدها الذي سكن إلا من أنفاسها الهادئة ...

يراقب رأسها بضمادته التي تغطي جبهتها المصابة بعينين غاب عنهما الحقد القديم ليحل محله شعور رهيب بالذنب ...

كيف فقد السيطرة حتى وصل هذا الحد ؟!

كيف أعمته رغبته في تملكها هي بالذات حتى وصل لهذا القاع ؟!!

بل كيف استطاع رائد خداعه هكذا ؟!

ولماذا؟!

جفناها يتحركان فتنتبه كل حواسه وهو لا يدري بأي وجه سيواجهها الآن ...

وجه الصياد الخائب أم وجه المستغفر الراجي ...

كيف لم يعد يفهم نفسه هكذا ؟!!

كيف لامرأة بسيطة كهذه أن تزلزله هكذا ؟!!

بسيطة ؟!





تراها حقاً بسيطة ؟!!

ماذا لو كان لا يزال خلف القناع خفايا ؟!!

خداع رائد لا يعني أنـها صافية تماماً من شوائب شكوكه !!!

كل خواطره تتلاشى ...تذوب كالشمع وعيناه تراقبان "خسوف قمرين" في عينيها لم يعودا سجينين خلف نظارة ...

بل خلف ستار غليظ من ألم !!

بينما عقدت هي حاجبيها لأول وهلة وكأنـها لا تتذكر أين هي ولا ماذا تفعل هنا ...

قبل أن ينساب السيل الأسود الطاغي من الذكريات ...

تشهق عدة شهقات متلاحقة لترفع الغطاء عنها ...

إنـها لم تعد ترتدي ذاك القميص المثير بل عباءة فضفاضة تستر جسدها كله





من خلعه عنها ؟!

والأهم...ماذا فعل بعد خلعه ؟!!

تتسع عيناها بإدراك للخاطر الأخير مع سؤالها المتحشرج :

_كده ...خلاص؟!

لم تكد تنهي حروفها حتى انهمرت دموعها تغرق وجنتيها مع شهقات نحيب مرتفع أشاحت معه بوجهها عنه ...

كز على أسنانه بقوة كادت تحطمها وهو يراقب دموعها بعجب ...

هو الذي لا يكره في المرأة قدر دموعها ...

هو الذي لا يعشق فيهن إلا رحيق قوتهن ...

كيف به الآن يرتجف كطفل مذعور أمام هذه الدموع التي لا تشبهها دموع؟!

كيف ترجه رجاً في مكانه تزلزل قلبه ؟!!





كيف تجتاحه حقيقة أن كل ما فيها ساحر حتى "دموعها"؟!!

لو كان الأمر مجرد شعور بالذنب لمنَحها حريتها واعتذر تاركاً إياها خلفه بترضية مناسبة ...

لكنه يشعر أنه صار مقيداً بها !!!

حقيقة مؤلمة...مؤلمة حقاً لرجل مثله !!

لهذا تحشرج صوته ليخرج مختنقاً رغماً عنه مع جوابه الذي رد إليها -بعض- روحها :

_ما حصلش حاجة...أنا اضطريت ألبسك كده عشان أعرف أجيب دكتور يشوفك .

هنا امتدت أناملها تحت الغطاء خفية تتأكد أنها لا تزال ترتدي هذا القميص تحت عباءتها ...

قبل أن يرتفع كفها نحو ضمادة رأسها لتنفلت منها آهة توجع حقيقية ...





وكأنما هاهنا فقط سمحت لكامل إحساسها أن يعود ...

وعادت معه الدموع أكثر سخونة وخزياً !!!

لم تشعر في حياتها كلها بالإذلال كما شعرت به في ساعاتها الأخيرة !!

ألم يكن حلمكِ أن تتزوجي منه ؟!

هاقد تحقق الحلم ...

افرحي إذن...افرحي!!

وأمامها كان هو يراقب دموعها بعجز شق عليه ليهتف بانفعال غريب على طباعه المرسومة بالمسطرة :

_إيه اللي بينك وبين رائد ؟! إيه اللي يخلليه يخدعني ويفهمني إن فيه علاقة بينك وبينه ؟!

التفتت نحوه بحدة لتهتف وهي تحاول النهوض من رقدتها :




_اخرس! علاقة إيه اللي بيني وبين رائد !

_هو فهمني كده ...وده اللي خلاني زي المجنون عايز أكسر مناخيرك دي بأي طريقة ..كل اللي في بالي إنك رفضتِ علاج همسة عشان تتجوزيه .

هتف بها بنفس الانفعال لتصرخ به بحدة :

_حتى لو أنا بالندالة اللي تخلليني أخون ضميري وأعمل كده ...إيه سلطتك عليا عشان تعاقبني ؟! عشان تدور ورا ستر أختي وتفضحه ؟!

أطبق شفتيه بقوة دون رد ...

لتهز هي رأسها وتردف بنفس النبرة وسط سيل دموعها الذي لم تتمكن من إيقافه :

_أنا سبت علاج همسة غصب عني لأن ستي ثمر حكمت عليا بكده بعدما عرفت حكايتك وأنا ما بكسرش كلمتها ...عارف حكمت بكده ليه ؟! عشان كانت شايفة إن الراجل اللي يبص لحرمة غيره ما يتآمنش على عِرض ...ودلوقتِ بس عرفت إن كان معاها حق!





نفرت عروق جبينه انفعالاً وهو يتخبط بين غضب وخزي ...

جزء -متمرد - بداخله يتمنى الآن لو يصفعها ...لو يخرس لسانها الحاد هذا ...

جزء آخر -حكيم- يريد لو يدافع عن نفسه ...لو يحكي لها كيف يرى الأمر من وجهة نظره ...

وجزء آخر -نادم- يود لو يضمها بين ذراعيه ...لو يجفف دموعها هذه ويسترضيها !!!

أي جنون تثيره هذه المرأة بداخله ؟!!!

أي جنون ؟!!

لهذا هب واقفاً مكانه فجأة بانفعال جعلها تنتفض مكانها خوفاً رغماً عنها في حركة قاتلة لرجولته فزفر بقوة ليبتعد هناك نحو النافذة يعطيها ظهره وكأنما صار عاجزاً عن مواجهتها...





فيما رمقت هي ظهره المقابل لها بنظرة مترقبة قبل أن تحاول استعادة تركيزها ...

أخذت عدة أنفاس متتالية تستجمع الخيوط بذكائها قبل أن تغادر الفراش لتقف متحاملة على آلام رأسها وتقترب منه عدة خطوات ...

_هافترض إنك عملت كده عشان رائد ضحك عليك ...

قالتها بنبرة أكثر رفقاً فالتفت نحوها بحركة حادة غاضبة وكأنما ساءه أن تشير إليه كمغفل ...

فالتقطت الخيط لتردف مصححة بسرعة :

_قصدي استغل حبك لهمسة عشان غرض في دماغه مانعرفوش ...دلوقت انت اتأكدت إنه بيكدب ...خلاص ...كل ده نرميه ورا ظهرنا ...سيبني أنا وأختي في

حالنا ...وروح لحالك .




رمقها بنظرة ثابتة طويلة أربكت أنوثتها قبل أن يصلها رده بنبرة حاسمة :

_بيني وبينك همسة .

_يعني إيه ؟! هتخلليني أعالجها بالعافية ؟!

هتفت بها بنبرة عصبية ليرد ببرود قاطع:

_بالعكس ...بشجعك عشان تعالجيها بسرعة ...أول ما تخف هاديكي حريتك .

اتسعت عيناها بارتياع لتهتف باستنكار:

_انت قلت ليلة واحدة !

فأمال رأسه ليمط شفتيه بقوله :

_ده كان قبل ما أعرف الحقيقة .

_آه يا حقير يا ...





انهال سيل من الشتائم عبر شفتيها أخرسه هو بقبضته لتلتقي عيناهما العنيدتان بنظرات من نار ...سبقت قوله الحاسم :

_ده آخر كلام عندي ...علاج همسة قصاد طلاقك .

دمعت عيناها بقهر عبر نظرات تمردها واحتقارها فأزاح قبضته عن فكها لينظر في ساعته قائلاً:

_أنا هامشي دلوقت... لو عايزة تباتي هنا مفيش مشكلة...ولو عايزة تمشي براحتك ...

ثم رفع عينيه إليها ليردف:

_بس هاستناكي هنا بكرة في نفس المعاد ...ومفيش داعي أفكرك إني مش هاسمح باعتراض!

قالها دون أن ينتظر منها رداً ليعطيها ظهره في طريقه




للانصراف من الغرفة قبل أن يتوقف مكانه فجأة وكأنه تذكر شيئاً ...

ثم التفت نحوها بابتسامة جانبية ماكرة ليقول من خلف كتفيه :

_لازم أعترف إنك بتعرفي تخبي كويس ...لو كان حد حلفلي إن ورا النظارة والحجاب و"الهلاهيل" اللي بتلبسيها كل الجمال اللي شفته بعيني ده ...ماكنتش صدقته .

ربما في ظروف أخرى كانت لتتلقى عبارته كمديح لجمالها يرفعها لأعلى سماء ...

أو كإهانة لذوقها يخسف بها سابع أرض ...

لكنها الآن لم تكن تحمل له هو سوى شعور غامر بالاحتقار ...

ولنفسها بالإذلال ...

لهذا اقتربت منه بضع خطوات لترد له بضاعته :





_انت كمان بتعرف تخبي كويس ...لو كان حد قاللي إن ورا اللبس الشيك والشكل الحلو واللهجة المحترمة قلب أسود كده ...ماكنتش صدقته !

التمعت عيناه ببريق غاضب للحظات قبل أن تلين نظراته لتتناطح القمتان من جديد بتحدي النظرات والذي سبق قوله قبل مغادرته الغرفة تماماً هذه المرة :

_أشوفك بكرة يا دوك !

=========

فتحت لجين باب مسكنها المشترك الذي تقيم فيه مع بعض رفقتها لتجد ياقوت أمامها ...

الزيارة التي حملت هم قسوتها منذ الأمس ...

والآن تجدها أشد قسوة مما تخيلت ...

العيون تتلاقى في مزيج مختلط من مشاعر صارخة ...





خزي ...لوم ...حسرة ...ألم ...

مزيجٌ زادت حرقته عندما هوى كف ياقوت على وجنتها في صفعة تتلقاها منها لأول مرة في حياتها !!!

هنا لم تملك لجين فيض دموع خزيها التي أغرقت وجهها وهي تتحسس مكان صفعتها لتهتف بين دموعها :

_اضربيني زي ما انتِ عايزة ...بس اوعي تحكي لستي ثمر .

_ستك ثمر ؟! الدنيا كلها هتعرف الخبر مش ستك ثمر وبس !! فيه فيديو متصور وبلاغ هيتقدم للنيابة !!! يا غبية ...ياغبية !!!





ظلت ياقوت تصرخ بكلمتها الأخيرة وهي تمسك لجين من كتفيها ترجها رجاً بينما الأخيرة منخرطة في بكائها الحارق ...

لينتهي المشهد وهي تضمها إلى صدرها بقوة تخبطها بقبضتها على ظهرها مردفة بين دموعها التي لم تملكها هي الأخرى:

_ليه عملتِ فينا وفي نفسك كده ؟! أنا عمري حرمتك من حاجة قلتِ عايزاها وما جبتهاش ؟! كان أهون عليا تقبلي فلوس حسين اللي بيرميهالنا كل شهر عن إنك تمدي إيدك للحرام !

ارتجف جسد لجين بدموعها وهي تخفي وجهها في صدر شقيقتها لتهتف بين دموعها :

_غصب عني .

_يعني إيه غصب عنك ؟! حد بيضربك على إيدك عشان تمدي إيدك لحاجة الناس؟!

صرخت بها ياقوت بحدة وهي تبعدها لتمسك ذراعيها بقوة مردفة :





_ما فكرتيش في ستك ثمر لو عرفت ؟! في سمعتك ؟! في سمعتي ؟! في شماتة حسين فينا لو عرف ؟!

_سهل قوي تلوميني وانتِ الوش الحلو من كل حاجة وأنا الوش الوحش ...انتِ الدكتورة وأنا اللي تعليمي على أده...انتِ القمر اللي بتتدلع ع العرسان وأنا البايرة اللي محدش راضي بيها ...انتِ الشاطرة وأنا الخايبة ...ودلوقت كفة الميزان بتميل بيكي أكتر بعد اللي حصل ...ربنا ياخدني ويريحكم مني ومن حِملي!

هتفت بها لجين بخزي وسط طوفان الدموع لتتسع عينا ياقوت بصدمة من حديثها !!!

هذه المقارنة لم تتم هكذا من قبل في حياتهما أبداً!!!

هل تغار منها شقيقتها؟!

هل تحقد عليها ؟!




إنـها لم تحاول يوماً أن تشعرها بهذه الفوارق التي تتحدث عنـها ...

تماماً كما كانت لجين نفسها تداري هذا خلف قناع مصطنع من المرح ...

قناع سقط الآن لتبدو القروح الحقيقية لل"بشرة السمراء "...

_لما بعمل كده مابيقاش في وعيي ...مابيقاش شايفة حق ولا باطل ...بعملها وكإني بنتقم من كل حاجة ...م القديم والجديد ...بس عمري ما استنفعت بقرش حرام ...كل حاجة باخدها بلاقيني بعدها برميها ...ببعدها بعيد ...والله العظيم ما بيبقى بخاطري !

اتسعت عينا ياقوت بإدراك وهي تتذكر ما روته لها لجين يوماً عن صديقتها المريضة ب"الكليبتومانيا" ...

كانت تعني نفسها !!!

لجين ليست سارقة ...هي فقط مريضة !!!





لا تدري هل تفرح بهذا الاكتشاف ؟!

أم تبكي حسرة على حظيهما معاً؟!!

لهذا عادت تضمها لصدرها بقوة قبل أن تمتزج دموعها بقولها الغارق بأساه :

_ليه ما قلتليش قبل كده ؟! ليه ؟! للدرجة دي كنتِ شايفاني بعيد ؟! هو احنا لينا غير بعض ؟!!

_حاولت ما عرفتش ! ماقدرتش أزود وَحَاشة صورتي أكتر من كده !

غمغمت بها لجين بين دموعها بنبرة منكسرة لتواجهها ياقوت بقولها المنفعل:

_صورتك مش وحشة ...ولا عمرها هتكون وحشة ...انتِ مش بنت أشواق ولا بنت حسين ...انتِ بنت الحاجة ثمر ...عارفة يعني إيه ؟! يعني ماتمدش إيدها لحرام ...انتِ مش حرامية ...انتِ مريضة ...مرض زي أي مرض هيتعالج وتبقي زي الفل .




ورغم تأثرها بدفاع ياقوت عنها وتفهمها لحالتها لكنها عادت تهتف بانكسار:

_فات الأوان ...مش بتقولي بلاغ ونيابة !

فتأوهت ياقوت بقوة وهي تبتعد عنها لتعطيها ظهرها متذكرة مصيبتها

قبل أن تغمغم باقتضاب :

_ماتشيليش هم ...ربك يدبرها !

_مين اللي قاللك ع اللي حصل ؟! وهتعملي إيه ...عرفيني!

تهتف بها لجين بنفس الانكسار لكن ياقوت تربت على وجنتها التي صفعتها قبل أن تعاود عناقها لتهتف بين دموعها هي الأخرى:

_مش مهم أي حاجة دلوقت ...خللينا نشوف الأول علاج لحالتك دي ...قبل ما ستك ثمر تشم خبر !

============





وقف رائد في شرفة شقته يتطلع لمظهر الليل
الحالك أمامه بيأس!

طالما كانت همسة تخشى الليل ...وكان يسخر منها
لهذا ...

كانت تخبره أنها تكره الشتاء بليله
الطويل ...فيخبرها أن الليل سمير العاشقين ...ملجأ
سرهم ونجواهم ...نجومه شهود عذاباتهم...وقمره
القاضي ينظر في حكاياهم ...والحكم دوماً يأتي آخر
جلسة لا تنتهي ...لا تنتهي أبداً ...

تنهد بحرارة عند الخاطر الأخير ليقاطع أفكاره
رنين جرس الباب ...

والدته نائمة لهذا سارع بفتحه كي لا يقلقها
الصوت ...

_زين!





هتف بها بدهشة فهي المرة الأولى منذ عهد بعيد التي يفاجئه فيها زين بزيارة دون موعد ...

زين الذي تقدم بعينين مشتعلتين ليغلق الباب خلفه قائلاً مباشرة دون مقدمات :

_كدبت عليا ليه ؟!

عقد رائد حاجبيه وهو يحاول أن يستشف أي كذبة يقصدها ابن عمه ...

ليتمسك بقناعه المعدني وقوله البارد :

_في إيه بالضبط ؟!

هنا جذبه زين من قميصه بحركة مباغتة ليهتف من بين أسنانه :

_ياقوت!

ورغم الانفعال الذي عصف به لكن رائد حافظ على برود

ملامحه مع سؤاله :

_مالها ؟!

_كل الكلام اللي قلته عليها كدب !

فالتوت شفتا رائد بابتسامة ماكرة ناسبت سؤاله وهو يحرر نفسه من قبضتي زين :

_وعرفت منين ؟!!

ضم زين قبضتيه جواره ليرمقه بنظرة خطيرة سبقت همسه :

_ماتلعبش معايا اللعبة دي يا رائد ...انت عارف كويس إنك هتخرج منها خسران .

صمت رائد متفحصاً ملامحه بنفس القناع المعدني الذي

تلاشى رويداً رويداً مع استطراد زين الغاضب:

_الوصف اللي وصفتهولها مش صح ...ولا هي ليها علاقة بيك ...يبقى كدبت عليا ليه ؟!

هنا كان دور رائد ليمسك بتلابيبه هاتفاً بانفعال:





_عرفت منين انت إنه مش صح ؟! عملت إيه في ياقوت؟!!

قالها رائد بهلع حقيقي وهو يشعر أنه ورط المرأة بفعلته بدلاً من أن يحميها ..ليهتف زين بحدة :

_مالكش دعوة بيها ...من النهارده مالكش دعوة لا بيها ولا بهمسة ...حتى سؤالك عنها مش هارد عليه .

هنا تفجرت شظايا القناع المعدني لتندلع ثورته حارقة مشتعلة ...

ثورة كتمها بداخله طوال هذه السنوات :

_مفيش فايدة في غرورك وجبروتك ...طول السنين دي وأنا معاك خطوة بخطوة لدرجة إني في يوم م الأيام فديت روحك بدمي ...كنت بقول لنفسي بكرة يشبع ...بكرة يفهم ...لكن كل يوم بيعدي بيزود طمعك ...عايز كل حاجة ...وفي نفس الوقت حارم همسة من كل حاجة ...عايز ياسمين ...عايز





ياقوت ...عايز كل ست تعجبك وتقع عينك عليها ...وفي نفس الوقت مستكتر عليا فرحتي بالإنسانة الوحيدة اللي حبيتها ...عايز تعرف مين اللي صور الفيديو بتاعك انت وياسمين وبعته لرامي ؟! أنا ...أنا اللي صورته !!!

اتسعت عينا زين بصدمة ليرجع خطوة للخلف رغماً عنه بينما بدا رائد وكأنه فقد تحكمه تماماً مع استطراده:

_عايز تعرف عملت كده ليه ؟! ليلتها سبت أنا الحفلة كلها ورحت أبص من بعيد على همسة ...في وسط ما الكل وانت أولهم كانوا بيضحكوا ويحتفلوا ويفرحوا ...هي كانت بتعيط وهي شايفة نور الحفلة من بعيد ...سامعة الموسيقا ...وعارفة إن مالهاش مكان غير أوضتها المقفولة ...ليلتها وقفت أراقبها بحسرتي مش قادر أقوللها إني جيت لها مخصوص ...إني معاها حتى لو الناس كلها مش حاسة بيها ...مش قادر حتى أقرب أكتر عشان ماتشوفنيش ...وفي وسط كل ده ألاقيها بتتحرك من





مكانها ...بتحاول تفتح الباب اللي الخدامة نسيته مفتوح ...بتجري وهي بتضحك على باب الفيللا كأنها بتخرج من سجن ورايحة للجنة ...لكن الحارس بيشوفها وبيرجعها ...

أغمض زين عينيه بألم والكلمات تلطم قلبه بقسوة بينما رائد يردف بحرقة :

_فجأة الضحكة اتطفت...نور وشها ضلم ...لو تشوف نظرتها وهي بتبص ع الحفلة من بعيد ...والحارس بيرجعها وبيقفل عليها الباب ...وهي بتترمي على سريرها بتعيط ...وقتها ماقدرتش أستحمل ...جريت أدور عليك أقوللك روح لها ..انت الوحيد اللي ممكن يهون عليها

حالتها دي ...لكن البيه ماكانش فاضي ...كان في ايده كنز جديد عايز يصطاده .

_اسكت ...اسكت !




هتف بها زين بنبرة متحشرجة وهو يرى نفسه في أبشع صورة كان عليها يوماً !!!

بينما رائد لايزال يلوح بذراعيه هاتفاً بانفعال:

_لا مش هاسكت ...ماعدتش هاسكت ...عيش حياتك زي ما انت عايز ...بس سيبلي همسة .

رمقه زين بنظرة عميقة وسط خفقان صدره الذي كان يعلو ويهبط في انفعال ...

لو صدق نفسه لأدرك أن رائد قد يكون محقاً في بعض اتهاماته ...

لكن العزة تأخذه بالإثم ليعطيه ظهره قائلاً :

_من النهارده مش عايز أشوفك...لا في البيت ولا في الشركة...اللي يخونني في ظهري مالوش مكان عندي !

هنا كز رائد على أسنانه بغضب وعيناه تشتعلان بثورة متمردة ...

لكن زين لم يمكنه من البوح بالمزيد وهو يخرج ليصفق الباب خلفه بعنف ...





هنا أطلق رائد صيحة غاضبة قبل أن يتناول هاتفه متصلاً بياقوت كي يطمئن عليها لكن هاتفها كان مغلقاً ...

فألقى هاتفه جانباٌ بحدة قبل أن تلتمع عيناه أكثر بالعزم على تنفيذ خطة كان يعدها من زمن ...

ويبدو أنه قد حان وقتها !

============

صعدت الدرج نحو شقته في الموعد الذي اتفقا عليه أمس ...

اتفقا؟!

تعبير "مهذب" اختاره كبرياؤها للتعبير عن إذلالها هاهنا !!

لكن ما حيلتها ؟!

هو وجد لها مائة ذراع يلويه لها !!

مواجهتها مع لجين استنزفت ما بقي من قوتها ...




البائسة تكتم كل هذا القهر في قلبها وحدها طوال هذه السنوات !!

آه يا ثمر ...

ماذا فعل الدهر بثمرتي قلبك ؟! وماذا يدخر لهما؟!

وصلت لعتبة الشقة فأخذت نفساً عميقاً وهي تميز رائحة عطره النفاذة تصلها هاهنا ...

ضغطت زر الجرس لتبتعد خطوتين ترمق الباب بنظرات خاوية ...

طالما كانت تخشى الأبواب المغلقة !

صغيرة كانت تهابها تتصور خلفها ألف وحش ...ألف ذئب ...ألف مسخ مشقوق العينين ...

وكبيرة الآن تخشاها وهي توقن أن خلفها قد يكون ما هو أقسى من ألف شيطان !!





وخلف الباب وقف هو الآخر قليلاً قبل أن يفتح ...

مواجهته مع رائد عرت له عيوبه بأقسى ما يكون...

لكن ماذا يعرف عما لاقاه هو ؟!!

ماذا يعرف عن ماضيه ؟! عن عذاباته بفقد أمه ؟! وقبلها عن معاناته بألمها الصامت بين زوجها وامرأته؟!

قتلاها بغدرهما ...وقتلها ضعفها قبلهما!

أخته كذلك ابتليت بهذا الضعف

ربما لو كانتا قويتين
لواجهتا ...لانتفضتا...لانتقمتا ...

فقط لو كانتا بقوة امرأة كياسمين ...أو ك...ياقوت!!

ياقوت!

عند الخاطر الأخير تقدم خطوة أخرى ليفتح الباب ...

القمران السجينان عادا يختفيان خلف النظارة المربعة ...

الشعر الداكن الطويل عاد يستتر خلف وشاح فاقع الألوان ...

والجسد الفائر بفتنته يتوارى منه مغيظاً خلف ثيابها الهزلية ...

لكنه يرسمها بذاكرته أمام عينيه كما رآها بالأمس ...

وما أشهى ما قد رآه !

تتقدم بخطوات واثقة لا تدري شجاعة أم يأساً لتدخل فيغلق الباب خلفها مع عبارتها التي وصلته ساخرة مريرة :

_مفيش حد هيوضبني الليلة دي ؟!





تقولها وهي تتلفت حولها فتلتوي شفتاه بابتسامة شاحبة وقد راودته رغبة في استفزازها لعله يستمد بعض الإثارة في مزاجه السوداوي هذا :

_الليلة دي مفيش ...ممكن المرة الجاية .

تلتفت نحوه بنظرة حقود تكاد تحرقه لتكز على أسنانها بقولها :

_إزاي طول الوقت ده ماخدتش بالي إنك شبهه قوي كده ؟!

ذكاؤه لم يخنه في معرفة من تقصد ليقترب منها خطوة وهو يضع كفيه في جيبي سرواله قائلاً بنبرته الباردة :

_قصدك حسين رجائي؟!

الاسم المنطوق صراحة جعل عينيها تمتلئان بالدموع وصدرها يعلو ويهبط في انفعال خاصة عندما استطرد وعيناه تحتكران نظراتها باقتدار:





_ليه ما فكرتيش تلجئيله يخلصك انتِ وأختك مني
؟! أفتكر ده حل بديهي جداً !

_ألجأ له ؟! ده أنا لو هاموت وحياتي في إيده مش
هاعملها ...

تهتف بها بمنتهى العنفوان لتردف بنبرة زلزلته
مكانه :

_تخيل بقا بكرهه أد إيه ...أد ما بكرهك !

ازدادت كثافة الدموع في عينيها مع عبارتها
الأخيرة فتقدم منها خطوة أخرى ليرفع أحد كفيه
من جيبه نحو وجهها ...

ابتعدت بوجهها تظنه سيصفعها لكنه فاجأها عندما
نزع نظارتها ليلقيها جانباً قبل أن يعود ليحتل
نظراتها بقوله :

_من هنا ورايح أول ما نتقابل تقلعي النضارة ...

ثم عادت الابتسامة الماكرة لشفتيه مع استطراده :





_اتعودت أقرا اللي قدامي من عينيه ...بلاش حواجز بيننا ...انتِ خلاص بقيتي مراتي .

تشنجت أناملها جوارها مع كلمته الأخيرة التي وصلتها ساخرة مذِلّة وهي تود لو تصفعه...

لكنها كانت تدرك أن نظرة احتقار منها لرجل مثله أشد من ألف صفعة ...

لهذا لم تبخل بصفعاتها هذه والتي تلقاها هو بنظرات متحدية قبل أن يخرج كفه الآخر من جيبه لكنه لم يكن خاوياً هذه المرة...

بل فتح أنامله ليبدو لها ما جعل عينيها تتسعان بارتياع وهي تمد أناملها نحو صدرها حيث مكانها الخالي ...

أجل ...إنها ورقة العشر جنيهات المغلفة !!!

_استغربت قوي لما لقيتها امبارح في ...احم !





تنحنح بحرج مصطنع قاطعاً عبارته وعيناه تفيضان مكراً لتحمر وجنتاها خجلاً وهي تدرك أين وجدها !!

لماذا لا تنشق الأرض وتبتلعها ...الآن؟!!

بينما استطرد هو مستمتعاً بإثارة ارتباكها :

_كنت دايماً ألاحظ إنك في مواقف معينة بتمدي إيدك هنا ...

"هنا" الأخيرة أشار بها بعينيه نحو صدرها فكادت تبكي خجلاً وخزياً ...

ألا حدود لوقاحة هذا الرجل ؟!!

لكنه أكمل بجدية هذه المرة بينما يلوح بالورقة في يده :

_ولما لقيتها امبارح متغلفة وقديمة كده قلت أكيد لها ذكرى خاصة عندك.





مدت أناملها بسرعة كي تختطفها منه لكن رد فعله كان

الأسرع وهو يمسك كفها نفسه ليجذبها منه نحوه أكثر ...

عيناه الخبيرتان تتفحصان ملامحها التي فاضت

بالانكسار والألم ...

_شكلها عزيزة عليكي ...لو عايزاها ماقدامكيش غير إنك تحكيلي حكايتها !

يقولها بنبرته المهيمنة لتغمض عينيها بقوة وقلبها يترنح بين ضلوعها بأنين موجع ...

لماذا هو بالذات تتعرى أمامه هكذا ؟!

لماذا يصر أن يسلبها كل "ورق التوت" الذي تستر به عورات ماضيها ؟!





أهو عقاب القدر لأنها طمعت في النجوم ومن مثلها مقامهن الصخور؟!

أم هي سخرية الحياة عندما تمنحك جنين حلمك لكن...مشوهاً؟!!

فكرت أن تكذب ...أن تواري ...

أن تخترع حكاية تستهين فيها من ذكائه ...

لكنها في هذه اللحظة بالذات وهو يمسك معصمها هكذا ليدوي نبضها تحت أنامله ...

وهو يقرب وجهه منها حتى امتزجت أنفاسهما ...

وهو يحتجزها في بيته ...في حياته...

كانت تشعر بأنها تريد أن تكرهه أكثر ...

وهل من سبب يدفعها للمزيد من كراهيته أقوى من أن تتعرى أمامه بماضيها كما لم تفعل مع أحد من قبله ؟!!





_كنا صغيرين ...ست سبع سنين مش فاكرة ...لجين تعبت قوي ...كانت هتموت فيها وودوها المستشفى ...كانت أول مرة في حياتي أخاف كده وأنا شايفاهم بياخدوها بعيد عني وهي بتصرخ وبتنادي علينا ...باب الأوضة في المستشفى اتقفل في وشي وقعدت أصرخ وأخبط عليه لحد ما شدوني بعيد ...البنت محتاجة عملية...عايزين فلوس ...عايزين موافقة ولي أمرها ...ستي ثمر بتعيط وهي واخدة أمي في حضنها ...أمي اللي جريت تتصل "بيه" تترجاه ييجي يشوف بنته...وقفت أراقب من بعيد ماعرفش رد قال إيه ...مرعوبة مايجيش وأختي تموت ...عدّت ليلة والتانية وأنا بين باب أوضة لجين وباب المستشفى مستنياه ...يا ترى شكله إيه ؟! أمي كانت بتقول إنه شبه لجين ...بس كان نفسي أعرف لما ييجي هيقابلني إزاي؟! هيقول عليا حلوة زي كل أهل البلد ؟! هيعرفني زي ما كان نفسي أعرفه ؟! هيجيبلي معاه إيه ؟! هيحضنني إزاي؟! ألف سؤال وسؤال كانوا جوايا ...بس ...




اختنقت عبارتها بغصتها لتنهمر دموعها عبر عينيها المغلقتين فلم يشعر بنفسه وهو يقترب منها أكثر وقد استنتج بقية الحكاية قبل حتى أن تردف :

_ماجاش...بعت العشرة جنيه دي وبس ...لسه فاكرة نظرة أمي وقتها وهي بتاخدها ...بتكرمشها وترميها جنب الحيط ودموعها مالية وشها...أهل البلد كانوا قاموا

بالواجب ...ولجين ربنا كتبلها عمر جديد ببركة دعا ستي ثمر ...وأنا اتسحبت وخدت العشرة جنيه خبيتها في هدومي ...في الأول كنت عيلة بشوف فيها صورته بس كل ما كنت بكبر كنت بشوف فيها قيمتنا عنده ...عشان كده لما كبرت وفهمت غلفتها كده وقصدت أحطها في هدومي جنب قلبي ...عشان لو في يوم نسيت أفتكر ...أفتكر قساوته وما أحنلوش ...أفتكر غلطة أمي وما أكررهاش...وأفتكر إن القرش في الزمان ده هو اللي بيعمل للبني آدم قيمة ...بيقولوا عني بخيلة بس أنا مايهمنيش غير إني وأختي وستي ما





نحتاجش يوم نمد له إيدنا زي ما حصل يومها ...وطول ما فيّ نفس ...مش هاخلليهم يحتاجوله ...وأنا قدها !!

نطقت عبارتها الأخيرة بإصرار غريب اختلط مع دموعها ليصنع مزيجاً مدهشاً لرجل مثله ...

مزيجاً جعله لا يشعر بنفسه وهو يغمرها بين ذراعيه لتكتم هي شهقاتها في صدره غير قادرة على الفرار ...

هل هكذا يبدو عناق "الرجال"؟!!

هل هكذا يكون "الصدر الصلب" عندما يحتوي وهن

"الأنوثة"؟!!

هي لم تجرب مذاق حضن هكذا من قبل ...

لا أب ولا أخ ولا جد ولا عم ولا خال ...

إنه -حرفياً- أول رجل يضمها بهذه الطريقة !!!




يربت على ظهرها بهذا الرفق ...

ويلصق وجنته بوجنتها لتجد دموعها أرضاً مشتركة بينهما !!!

عناقه لم يكن متملكاً غاصباً بل كان محتوياً دافئاٌ ...

يدوخها بهذه المشاعر العذراء التي تختبرها لأول مرة !

غداً ستكرهه ...ستصب عليه لعناتها وربما انتقامها ...

لكنها الآن لا تملك إلا أن تستسلم لهذا العناق الذي يصل روحها كشراب بارد بعد طول ظمأ !!

وأمامها كان هو يضمها وكأنه لم يمس امرأة في حياته !!!

بل كأنها كل نساء الدنيا !!!





لا يزال مزيج دموعها مع هدير قوتها يقتنصه بهذا الشعور الذي لا يملك له اسماً ...

هل هو الحب؟!!

الحب الذي زعم يوماً أنه لم يخلق لمثله ؟!!

لا يعرف ...ولا يريد أن يعرف ...

هذه المرأة بكل تفاصيلها طلسم !!

طلسم وجده فجأة في حياته يقلبها رأساً على عقب!!!

لم يكن يعانقها كامرأة يشتهي تفاصيلها ...

بل ككيان يكمله ...يناقضه ويشبهه !!

لهذا لم يفكر وهو يضمها نحوه أكثر ليهمس في أذنها بذكريات بوحه هو الآخر :

_أنا بقا معنديش عشرة جنيه مخبيها في هدومي ...أنا عندي ألف صورة ما بتفارقش دماغي ...صعب قوي وخصوصاً في مجتمعنا ده تلاقي راجل بيعترف أن أمه كانت كل حياته ...بس





أنا مابتكسفش أقول إنها فعلاً كانت كده ...عارفة يعني إيه أشوف ضحكتها بتدبل قدامي يوم بعد يوم ؟! ألاقي اللي كانت بتجري ورايا وتسابقني قاعدة على كرسي مابتتحركش ؟! ألاقي حكاياتها وهزارها بقوا شكوى وآهات ؟! وألاقي كل ده فجأة يختفي ...بتلوميني عشان ماقبلتش همسة بسهولة ؟! بتلوميني عشان ماقدرتش أكسر وصية أمي وأسيبها تدخل بيت أمها هي خربته ؟! أنا بحب همسة ...بس غصب عني بشوف فيها ذنب أمها وعذاب أمي أنا !!

أفاقت من "سكرة "شعورها القاهر أخيراً لتبعد نفسها عنه لكنه أحكم ساعده على خصرها ليمنعها مما تريد بقوله الذي لم تدرِ هل كان أمراً أم رجاء:

_رجعيلي همسة ...يمكن ساعتها أقدر أسامح نفسي على حقها اللي مش قادر أديهولها !





_هو ده الفرق بيني وبينك ...أنا ساعدت أختك وانت فضحت أختي !

عبارتها التي عاد إليها عنفوان قوتها تقذفه بصواب منطقها فيصمت للحظات مسنداً ذقنه على رأسها بقوله :

_أنا راجل سوق ...اتعودت آخد اللي أنا عايزه .

_وأنا بنت بلد ...اتعودت ما آخدش ولا أدي إلا بالأصول!

يبتسم بإعجاب رغماً عنه وهو يبعد وجهه ليقتنص نظراتها المشتعلة بعينيه اللتين حملتا نظرة غريبة على عينيها ...

نظرة كانت لتطير بها فرحاً في موقف غير هذا !

_عايزة العشرة جنيه لسه ؟!

يسألها بمكر لتجيبه بنبرة آمرة :

_هاتها !





فيرتفع أحد حاجبيه وكأنما يعاقبها على لهجتها الآمرة بهمسه وهو يلوح بها أمام ناظريها:

_بشرط ...أحطها مكانها بنفسي!

شهقت بخجل احمرت له وجنتاها وهي ترفع كفها لا إرادياً لصفعه لكنه كالعادة يترصد كل هجومها بدفاع متقن وضحكته القصيرة تشعل غضبها منه أكثر ...

إنه يتواقح ويضحك وكأنما لم يفعل بها شيئاً !!!

وكأنها ستنسى له فعلته لمجرد أنهما تشاركا رواية جزء من الماضي!!

وكأن الندبة التي تركها في قلبها ستمحى!!

انقطعت أفكارها عندما رن هاتفه فانتهزت الفرصة لتبتعد عن مرمى ذراعيه لكنه لوح لها بسبابته في إشارة مهددة قبل أن يفتح الاتصال ...




وما كاد يستمع حتى تغيرت ملامحه لاشتعال هاتف مع صراخه الهادر:

_يعني إيه مش موجودة ؟! مين ؟! ده أنا هاخرب بيتكم كلكم !!

انقبض قلبها بجزع وقد أنبأها حدسها أن الأمر يتعلق بهمسة لهذا لم يكد ينهي الاتصال حتى هتفت به بقلق:

_همسة مالها؟!

_الخدامة هربتها مع رائد .

قالها بحروف مشتعلة وهو يتحرك ليرتدي سترته تأهباً للخروج فلحقت به مع هتافها الجزع:

_هتعمل إيه ؟!

_هادمره! المرة دي هاعمل اللي كان المفروض يتعمل زمان !

هتف بها بنبرة متوعدة وهو يعدو نحو باب الشقة لكنها لم تجد مفراً من البوح بالسر:




_اصبر واسمع ...ما تأذيهوش ...همسة مراته !

تجمد مكانه للحظات كأنما يستوعب ما قالته قبل أن يعاود الاقتراب منها ببطء وملامحه تفضح شراسة غضبته :

_إزاي وامتى؟!

فازدردت ريقها لتجيبه بانفعال:

_من زمان ...من وقت ما هربت معاه أول مرة !

كز على أسنانه بغضب وهو يصل إليها ليضغط ساعديها بقبضتيه بقوة آلمتها مع سؤاله :

_ده اللي كان بينك وبينه ومخبياه عني؟! كنتِ عارفة وسايباني مغفل وسطكم ؟!!

صراخه الغاضب بعبارته شفى بعض غليلها لتصرخ به بدورها :

_داين تدان يا زين بيه ...ياما استغفلت ناس!




ازداد ضغطه على ساعديها بقوة حتى أصدرت آهة ألم جعلته يدفعها بعيداً قبل أن يتخصر ليشيح بوجهه الغاضب للحظات حاول فيها تمالك غضبه ...

ثم مد يده في جيبه ليستخرج منه مفتاحاً وضعه بعنف على المائدة جوارها قائلاً بنبرة عاد إليها بروده القاسي:

_هاروح دلوقت أشوف حل في المصيبة دي ...ده مفتاح الشقة هاستناكي بكرة هنا في نفس المعاد ...

ثم راودته نفسه برد إهانتها ليردف :

_مش هخاف تطلعي زي أختك وتسرقيها !

هنا اندفعت هي نحوه لتعتصر هي زنديه بقوة كفيها مع هتافها المنفعل:

_ اختي مش حرامية ...تربية الحاجة ثمر ما تمدش إيدها بمزاجها ....اختي مريضة بداء




السرقة ...والدليل إنها بترمي كل اللي بتسرقه ما بتستنفعش بيه..أختي بتتحرق من جواها لما بتشوف حد غني زي أبوها بيتنعم بخير هي محرومة منه ...غصب عنها بتحس إنها وقتها هتعوض حق مش عارفة ترجعه ...أختي ما بتسرقش ...اختي بتصرخ بس انت واللي زيك صُمّ ما بتسمعوش .

رمقها بنظرة مشتتة وانفعالها بين دموعها ودفاعها يعيده لدوامة شعوره بشأنها ...

دوامة تعيده لمنطقة "عدم الاتزان" التي لا يمقت مثلها ...

لكن يبدو أنه سيظل يدور فيها طويلاً !

لهذا لم يجد إلا أن يشيح عنها بوجهه ليخرج صافقاً الباب خلفه !

=======

_الحقتني يا هيثم ...ماما وقعت مني !





هتفت بها شوشو عبر الهاتف بنبرة باكية بعد أيام طويلة من قطيعتها التي لم يفهم سببها لكنه هتف بسرعة :

_دقايق وأكون عندك ...أنا قريب منك .

قالها وهو يدير مقود سيارته ليتحرك نحو الحي البسيط الذي تقيم فيه حيث رصف سيارته قبل أن يتوجه ببعض الحرج نحو باب شقتها الذي فتحته له ليروعه منظر عينيها الباكيتين ...

_ياللا عشان ننقلها المستشفى!

هتف بها بقلق لكنها هزت رأسها رفضاً لتقول بصوت متحشرج :

_مالوش لزوم ...هي خلاص فاقت ...هنروح بالليل للدكتور اللي هي متابعة معاه بس محتاجة شوية تحاليل الأول .

رمقها بنظرة مشفقة ليعاود عرض مساعدته :





_تحبي ناخدها بالعربية نوديها المعمل ؟!

لكنها عاودت هز رأسها بالرفض مع قولها وهي تتحاشى نظراته :

_كلمتهم ...هايبعتوا هم واحدة تاخد العينة ....

ثم وجدت الجرأة أخيراً لترفعِ عينيها إليه بقولها :

_آسفة قوي إني تعبتك ...بس أول مالقيتني لوحدي مافتكرتش حد غيرك .

تلفت حوله يتأكد من خلو الطابق قبل أن يرمقها بنظرة عاتبة ناسبت قوله :

_خلاص بقا بيننا الكلام ده ؟!

عضت شفتها بقوة تكتم انفعالها لتعاود دموعها سريانها على وجنتيها مع استطراده :

_ماعدتيش بتيجي الجامعة ...تليفونك على طول مقفول ...حتى أصحابنا مايعرفوش عنك حاجة ...





مالك يا شوشو ؟! إيه اللي حصل لكل ده ؟!!

_اللي حصل؟!

تمتمت بها شفتاها بحسرة وهي تتذكر السر المريع الذي تخفيه عنه ليرتجف جسدها في وقفته لكنها تستند بكفها للحائط جوارها فيقول هو بقلق امتزج بحنانه :

_لو قصدك تمتحني مشاعري ناحيتك فأنا خلاص اتأكدت إني عايز أكمل معاكي ...الأيام اللي فاتت عدت عليا من غير طعم ولا لون .

رفعت إليه عينيها المنكسرتين بعدم تصديق ...

الآن يقولها ؟!

يعترف بها ؟!

ما أسعدها بهكذا اعتراف ...

وما أشقاها !!!




_لو تحبي أكلم بابا ونيجي نخطبك من والدتك بعد ما تقوم بال...

_لا!

هتفت بها بحدة مفاجئة تقاطع عبارته فعقد حاجبيه بدهشة من ردة فعلها المتطرفة هذه ...

لكنها تمالكت نفسها لتشيح بوجهها قائلة :

_أنا فعلاً غلطت إني كلمتك النهارده ...أرجوك امشي...

لم تكد تتم عبارتها حتى ظهرت لجين أمامهما تحمل حقيبتها لتتقدم نحوهما قائلة بابتسامتها الرسمية :

_ده بيت الحاجة (.....)؟!!...أنا جاية م المعمل آخد العينة .

رمقتها شوشو بنظرة مشتتة وسط غيم دموعها بينما شعر هيثم بالضيق وظهور هذه المرأة فجأة هكذا يقطع حديثهما في نقطة مهمة...





_ممكن أشوف بطاقتك ؟!

سألتها شوشو وهي تتفحصها باهتمام لتردف وهي تتحاشى نظرات هيثم :

_معلش أنا ووالدتي ساكنين لوحدنا ...ومش أي حد بيدخل علينا .

مطت لجين شفتيها باستياء وهي تدرك غرابة الطلب ...

لو كانا تسكنان وحدهما حقاً فمن هذا الشاب الذي يقف معها ؟!

كما أن البيت متواضع الحال ليس مطمعاً للسرقة !!!

لكن "البطحة على رأسها" جعلتها تفتح حقيبتها لتخرج منها بطاقتها فتناولها إياها ...لتنظر فيها شوشو قبل أن تهتف بدهشة :





_لجين حسين رجائي أحمد سليمان ...معقول ؟! ده نفس اسمك يا هيثم !

==========

تركيا ...

اسطنبول ...

وقفت غادة جوار علاء في البازار يقومان برص بعض المشغولات وذهنها شارد بأفكاره ...

إسلام لم يعد يزور العائلة في المزرعة ولا في البازار مكتفياً بمكالماته الهاتفية للاطمئنان على إيناس ...

إيناس التي تلمح لها أنها هي السبب في هذا لكنها تحاول تجاهل الأمر ...

علاء -على العكس- تشعر أنه برغم افتقاده لإسلام لكنه يشعر بارتياح لابتعاده عنها ...

سيف؟!!





سيف!!

ما الذي يجعله يقفز لأفكارها الآن ؟!!

يرسم ابتسامة على شفتيها رغماً عنها !!!

تتذكر نوادر من طفولته حكتها لها هانيا عبر الانترنت من مصدر موثوق هو رامز فانفجرت لها ضحكاً وقتها ...

وتتذكر مواقف بائسة روتها لها إيناس عن حياته بعد آنجيل فبكت تأثراً بها ...

كل من حولها يحكون لها عنه ...عداه هو !!!

هو الصندوق المغلق شديد التكتم على أسراره وحزنه !!

_بكم هذه ؟!

يقولها أحد الزبائن بالتركية مقاطعاً شرودها ليجيبه علاء قبل أن يخرج الرجل ثمنها من جيبه ...

لكنه ما كاد يفعل حتى فوجئ بآخر يبدو شرس الطباع يهتف بالتركية أيضاً:





_رأيتها قبلك ...هي لي!

لكنة الرجل الثقيلة أنبأت علاء أنه ثمل لهذا حاول تدارك الموقف بقوله :

_هو أخرج ثمنها أولاً ..دعها له وسأجهز لك غداً واحدة مثلها .

_لا ...سآخذ هذه وليبتعد هو ...لا أحد ينتزع مني شيئاً أردته !!

صرخ بها الرجل الثمل بغضب فتحفزت غادة مكانها لتتقدم منهم هاتفة بالتركية التي صارت تجيد منها بعض الكلمات :

_لا تصرخ هكذا ...إذا لم يعجبك الحال ..لا تشترِ من هنا !

لكن الرجل يواصل صراخه بينما يترنح مكانه :

_أنا أشتري ما يحلو لي وقتما يحلو لي ...

ثم مال عليها فجأة ليجذب ذراعها نحوه مردفاً:

_وأشتريكِ أنتِ أيضاً!!





صرخت غادة وهي تخلص منه ذراعها بينما تحرك علاء يدفع الرجل عنها وهو يهتف طالباً العون من جيرانه قبل أن يسب الرجل مهدداً إياه...

هنا أخرج الرجل فجأة مدية حادة وجهها نحو علاء لكن غادة تحركت بسرعة تدفع الأخير بعيداً لتستقر المدية في صدرها هي ...

=========

القطعة الحادية عشرة

==========

_معقول؟! ده نفس اسمك يا هيثم !

تناول منها هيثم البطاقة ليتفحصها باستنكار لم يلبث أن تحول لعدم تصديق ...

بينما رمقته لجين بنظرة رعب قبل أن تختطف منه البطاقة لتعدو بخطوات راكضة تهبط الدرج ...

حسين سيقتلها ...

بل سيقتلهن جميعاً!!

أجل ...كان هذا هو الاتفاق القديم بينهن وبينه...

ألا يعرف أحد عنهما شيئاً!!!

"ابنه" سيخبره !

"ابنه" الذي في ظروف غير هذه كانت لتفتخر بكونه أخاها !!

دموعها تنهمر على وجنتيها كالسيل وهي تشعر بالقهر أكثر ...




ألا يكفيها اكتشاف ياقوت لعارها؟!

والآن ؟!!

_استني !

هتف بها هيثم وهو يلحق بها عدواً ليقف أمامها في مدخل البيت ورد فعلها يغنيه عن الجواب ...

يتفحص ملامحها بعدم تصديق ...

هي تشبه والده حقاً ..لكن ...معقول؟!

_انتِ مين ؟! وبتجري ليه ؟!!

يسألها بحروف مرتجفة لترفع إليه عينيها الغارقتين بين ذعرها وقهرها قبل أن تهز رأسها نفياً لجريمة لا تعرفها ...

فلم يملك أن هتف فيها بألم يمتزج بذهوله :

_انتِ فعلاً بنته ؟!





الكلمة الأخيرة التي بدت في أذنيها غريبة ...مفزعة...متوعدة بعقاب لا تدري كيف ستواجهه ...

ليلحقها بكلمة أخرى :

_أختي!

وشتان بين كلمة وكلمة !!

الكلمة الأخيرة جعلت نظرتها المرتعبة تتفحصه بعينين متسعتين ...

ترتجف شفتاها وهي تتساءل ...

هل ورث من حسين جبروته ؟!

هل يستنكف أن تكون له أختاً مثلها؟!

هل سيؤذيها رغبة منه في إبعادها ؟!!

والجواب جاءها في حروفه المرتجفة بعدها :

_أرجوكي بطلي عياط وردّي ...أنا عايز أعرف الحقيقة .




لكنها تشهق كاتمة بكاءها لتتجاوزه بخطوات راكضة مكنتها من الهروب من عينيه مختفية في زحام الطريق ...

تلفت حوله أخيراً بتشتت وهو لا يفهم ماذا يحدث ...

كيف ظهرت هذه وكيف اختفت ؟!

والده ؟!

هل يخفي حقاً هذا السر؟!!

يشعر بها خلفه فيلتفت ليجد شوشو ...

عيناها الحزينتان ترمقانه بنظرة آسفة مشفقة فيهتف بها بدهشة مستنكرة :

_بتبصيلي كده ليه ؟! انتِ مصدقة ؟! مصدقة إن بابا اللي شفتي بعينك بيحب ماما أد إيه ممكن يكون متجوز من وراها ؟! ومخلف بنت بالعمر ده ؟!!





Cinnabon

لم يستطع تصديق السخرية المريرة التي كست وجه شوشو قبل أن تشيح بوجهها لتقول باقتضاب:

_مش محتاجة حيرة..كل حاجة واضحة بس انت محتاج تفتح عينيك.

_قصدك إيه ؟!

يسألها بارتياب لكنها تعطيه ظهرها لتعود لبيتها تاركة إياه تائهاً وسط الطريق !!

ماذا يفعل الآن ؟!

هل يذهب لوالده ويواجهه ؟!

هل يخبر أمه ؟!!

لا...

لن يستطيع فعلها !!

لن يتمكن من هدم البيت الذي طالما تفاخر بقوة بنيانه!!

إذن ...ما الحل ؟!!

أجل ...ليس هناك سواه ...





إسلام !!

=======

_غادة.

يهتف بها أحمد وهو يفتح لها ذراعيه لتعدو نحوه بلهفة ...

كم اشتاقت هذا العناق!!

تبكي وتضحك ولا تدري أي شعور يتملكها ...

لكنه يقبل رأسها ليمسد على شعرها قبل أن ينظر لعينيها نظرة طويلة عميقة ...

ثم تناول كفها ليفعل أغرب ما توقعته ...

لقد كان يخلع عنها دبلته !

_أحمد !

تهتف بها بارتياع ...باستنكار ...برجاء ...





تحاول منعه وجذب كفها لكن جسدها كله فقد حركته ...

تناظر دبلته المخلوعة في راحته لكنه يبتسم وهو يلوح لها ليبتعد ...

_أحمد !

تعاود نداءها الراجي وهي تحاول الحركة دون جدوى لتلمح طيفه يبتعد وسط الغيوم البيضاء ...

_افرحي يا غادة ...عيشي حياتك بقا ...سيبي لقلبك باب مفتوح يكمل بيه طريقه ...

صوته يدوي من حولها لكنها لا تراه ...

فتعاود نداءه مرة بعد مرة ...

ها هو ذا يعود من خلف الغيوم البيضاء ...

تبتسم وهي تراه يقترب من جديد ...





مهلاً ...

إنه ليس أحمد !

سيف؟!!

سيف يمسك دبلة أحمد في راحته المفرودة ويتقدم بها نحوها !!

أين أحمد ؟!!

_أحمد !

صوت نداءاتها يتوارى خلف صفير غريب تميزه حولها ...

حلقها جاف بشدة ...

تحاول فتح عينيها لتميز أضواء غريبة ...

الرؤية تؤلمها فتعاود إغماضهما ...

_غادة !





الصوت هذه المرة ليس لأحمد ...

إنه صوت سيف !!

تسمعه جوارها لكنها لا تراه !

_افتحي عينيكي ...فوقي ...أبوس إيدك ماتخلينيش أعيش الكابوس ده تاني!

صوته الملهوف الراجي يختلف كثيراً عن تحفظه المعهود معها ...

أين هي؟!!

_مش قادر أعيش نفس التفاصيل مرتين ...كانت نفس المستشفى ...نفس الليلة الباردة ...نفس صوت الشتا ...نفس الخوف والعجز وأنا متكتف مش قادر أعمل حاجة ...هي مشيت وسابتني ...أرجوكِ انتِ ما تسيبينيش !





لا ...ليس حلماً!!

هي تميز صوته حقيقة وسط كل هذا الضباب ...

رغم "التنميل" الذي تشعر به في جسدها كله لكنها تشعر أن ما تسمعه حقيقي...

_انتِ عارفة إنك شبهها قوي ؟! من أول يوم شفتك فيه وأنا حاسس إن روحها فيكي ...مش عارف ده حقيقي

واللا قلبي اللي كان بيدور على عذر عشان يبرر إنه اتعلق بيكي كده رغم إصراره إنه يقفل بابه بعدها ...يمكن عشان كده هاجمتك قوي أول مرة اتقابلنا هنا ...يمكن عشان كده كنت بهرب من إني أشوفك بعدها ...كنت خايف أعترف لنفسي قبل ما أعترفلك ...إني ...

صوته المتهدج بانفعاله ينقطع في أذنيها المرهفتين لما تسمعه ...

لماذا سكت ؟!!

أين هي؟!

أين علاء وإيناس؟!!

علاء!!

البازار ...الشجار ...الرجل ...المدية المتجهة نحو صدرها !!

وعيها يعود إليها تدريجياً لتشهق شهقة عالية وهي تفتح عينيها فجأة لتلتقي بعينيه الدامعتين المحدقتين فيها ...

قبل أن تراه ينتفض مكانه ليهتف بفرحة أرجفت صوته وأرجفتها هي قبله :

_فاقت ...الحمدلله .

وعبر عينيها نصف المغمضتين تراه يسجد فجأة شكراً في مكانه في تصرف لم تره من قبل ...





لينهض بعدها بسرعة ويفتح باب الغرفة منادياً
علاء !

=======

يومان مرا بها بعد استردادها لوعيها لتدرك ما حدث في ليلتها ...

إيناس أخبرتها أنهم أنقذوها بمعجزة بعد فقدها الكثير من الدماء ...

لكن سيف تبرع لها بدمه !

الفكرة -على شيوعها - تمنحها شعوراً خاصاً بالحميمية رغم أنها تعلم أنه تصرف منطقي لرجل بشهامته ...

شعوراً تزيده ذكرى ما سمعته منه يومها وهو يظنها لا تزال في غيبوبتها ...

رباه !!

هل من الممكن أنه يح...؟!!





انقطعت أفكارها عندما فتح باب غرفتها في المشفى لتعتدل في جلستها على سريرها وهي تراهم يدخلون جميعاً ...

علاء وإيناس وسيف ...و...إسلام !!!

الأخير الذي بدا شديد الارتباك وكأنما يخجل من وجوده معهم الآن بعدما رفضته ...

كما يخجل من تركهم وحدهم في الظروف ...

لهذا غمغم بنبرة متحشرجة متحاشياً النظر نحوها :

_حمداً لله على سلامتك .

ردت عليه بعفوية مقتضبة وهي تنقل بصرها لإيناس التي لم ترها منذ أفاقت إلا باكية وكأنما ذكرها الحادث بفقدها لابنها ...

_خلاص يا "أنّا" بطلي عياط ...الحمدلله قدر ولطف!





قالتها بصوت لا يزال وهنه يفضحه لكن إيناس لم تجد رداً سوى عناقها الملهوف لها وسط دموعها الجارية ...

_لحد دلوقت مش مصدق إنك عملتيها ...عشاني!

الكلمة الأخيرة تحشرجت في حلق علاء الذي بدت الدموع غريبة على وجهه المرح دوماً ...

لو كان الأمر يحل له لاحتضنها كما تفعل إيناس مستجيباً لفيض شعوره نحوها ...

_أنا بنتك...مش دايماً تقوللي كده ؟!

قالتها غادة ببعض المرح وهي تنظر إليه فوق كتف إيناس التي تضمها ليهز علاء رأسه وهو يمسح طرف عينه بخفة ليجاريها في مرحها بمشاكسته المعهودة :

_كنت هاجيب بنت زي القمر كده منين ؟! ما انتِ شايفة أهه !





قالها مشيراً لإيناس التي جففت دموعها لترد مزاحه بدورها وهي تلتفت نحوه بقولها :

_نعم ! أكونش متجوزة عمر الشريف ومش واخدة بالي؟!

_أهه...أهه...آخر حاجة توعى عليها عمر الشريف !!...ست من العهد البائد تاريخ صلاحيتها خلصان ومجاملين فيه كمان !

_علاااء!

_إينااااس!!

انطلقت ضحكاتهم جميعاً عالية لتشاركهم فيها غادة ببعض الألم الذي شق صدرها لكنها كتمته وعيناها تنسحبان رغماً عنها للوحيد الصامت هاهنا ...

والذي تنطق عيناه بكل صخب !!

"الحزن الأخرس" في حدقتيه يمتزج الآن بلهفة يراها قلبها وينكرها عقلها ...

متى ولماذا وكيف؟!





تراها كانت تتوهم حديثه الذي سمعته كما كانت تتوهم رؤية أحمد ؟!!

أحمد ؟!

أين دبلته ؟!!

رفعت كفها بسرعة نحو عينيها لترى إصبعها الخالي فترتجف عيناها بنظرة ذعر قرأها الجميع لكن سيف تنحنح بخشونة ليقول دون أن ينظر إليها :

_شالوها قبل العملية ...هاروح أجيبهالك !

قالها وهو يتحرك بخطوات مهرولة مغادراً الغرفة ليعود

علاء وإيناس لمشاكساتهما التي شاركهما فيها إسلام هذه المرة محاولاً تخطي حرج وجوده هنا معها ...

بينما شردت هي ببصرها وهي تستعيد مزيج رؤياها- التي كانت شديدة الشفافية حقاً كأنها




عاشتها بروحها ـ مع حقيقة ما سمعته منه وقتها ...

صوت رنين هاتف إسلام يصدح جوارها فتسمعه يعتذر منهم ليخرج قبل أن تقول إيناس لها بينما تربت على كتفها :

_مش عايزة أسيبك بس هاروح المزرعة أجيب لك شوية حاجات وراجعة.

_هو أنا هاطوّل هنا؟!

تسألها بقلق ليرد علاء بحنانه يطمئنها:

_مش هتخرجي غير لما نطمن عليكي خالص .

ابتسمت له بشرود عبر أفكارها الذي قاطعه دخول ممرضة ما كي تركب لها محلولاً وريدياً قبل أن تطلب من علاء مرافقتها للخارج لبعض إجراءات المشفى فيما بقيت هي وحدها لدقائق التهمها





المزيد من شرودها الذي قطعه دخول سيف أخيراً ...

عيناها تتعلقان براحته المفرودة التي تحتضن دبلة أحمد ...

تماماً كما رأته في حلمها!!

لهذا دمعت عيناها رغماً عنها وهي تتناولها منه لتعيدها مكانها في إصبعها قبل أن تغمض عينيها بقوة تناسبت مع خفقان قلبها الجامح ...بينما كان هو غارقاً في تفاصيلها بكليته وهذه الحركة الأخيرة منها تملأه بمزيج من غيرة وإعجاب ...

_انتِ شجاعة قوي.

يقولها أخيراً مطرق الرأس بنبرته المتحفظة كعهده وهو يجلس على الكرسي جوار سريرها لتبتسم هي بينما

تلاحظ احمرار أذنيه وأنفه كعادته وهو يردف:

_وقفتي للبلطجي ده يومها ...وأنقذتي عمو علاء ...





ثم غلبته ابتسامة ليستطرد ولايزال يتحاشى النظر نحوها:

_بصراحة مستغرب إنك شبهتي نفسك مرة بالأرنب الخايف ...انتِ فعلاً قوية .

فاتسعت ابتسامتها وهي ترد بشرود :

_ده فرق التجربة ...انت عارف إن دي تاني مرة يتكتب لي فيها عمر جديد ؟!

هز رأسه وهو يتذكر ما حكاه له رامز عنها لتردف هي ببعض المرح:

_واضح إن مكتوب عليا حد من عيلتكم ينقذني ...المرة اللي فاتت رامز والمرة دي انت ...قالولي إنك اتبرعت لي بالدم .

ورغم امتنانه لأنها لم تشر لماضيها مع رامز إلا بالجزء الحسن كما يفترض ب"بنت أصول"...

لكنه لم يملك غيرة خانقة اشتعلت بداخله رغم كونها غير منطقية ...




ومنذ متى يرتبط شعوره بها بشيئ منطقي؟!!

هو الذي كان كالمجنون عندما سمع عن إصابتها يكاد يراها بعين خياله تلحق بآنجيل وتتركه ...

ساعتها فقط أن شعور قلبه لا يقبل تأويل ...

أنه ...يحبها!

لكن ...ماذا عساه يجدي الاعتراف الآن وبينهما لا تزال العراقيل ...

ذنب آنجيل ...وفاؤها لأحمد...و...إسلام !!

إسلام الذي لا يزال متخبطاً بشعوره نحوها هو الآخر لا يحجمه سوى رفضها هي !!

_شكراً .

تقولها برقتها ذات الدلال الفطري فتنتزعه من شروده ليجد الجرأة أخيراً فيرفع إليها عينيه بقوله المتحشرج:





_أنا اللي بشكرك...إنك خلتيني أقدر أعمل حاجة المرة دي .

اكتسح التأثر ملامحها مع "الحزن الأخرس" الذي عاد يصرخ في حدقتيه ...

تود لو تستنطقه عن حقيقة ما سمعته منه وقتذاك ...

لكنها تدرك أن طبيعته الكتومة المتحفظة لن تمكنها مما تريد ...

_آسفة لو الموضوع فكرك بالجرح القديم .

_وأنا كنت نسيته ؟!

غمغم بها بألم مذنب لتراودها نفسها بكذبة بيضاء تتيقن بها مما سمعته منه :

_"أنّا" قالتلي إن آنجيل كانت هنا برضه في نفس المستشفى.





أومأ برأسه مجيباً لتتسع عيناها بإدراك ...

هي لم تكن تحلم !!

هو حقاً باح بما سمعته منه !!!

_عمري ما هانسى اليوم ده ...سيناريو بيتكرر قدام عيني كل دقيقة ...وشها الشاحب ...شفايفها الزرقا...نفَسها اللي بتاخده بالعافية ...وآخر كلام قالتهولي ...إنها راضية يكون عمرها التمن اللي تدفعه عشان تكفر عن غلطها ...عشان أصدق إنها فعلاً حبتني .

يقولها بصوته المتهدج الذي فاض بمزيج الألم والذنب وعيناه رغم تسلطهما على ملامحها هي لكنها كانت تشعر بقلبها أنه لا يراها هي الآن ...

بل يرى صورة ماضيه ...





عاصفة هوجاء من مشاعر تجتاحها وهي لا تدري كيف تصفها ...

جزء منها يشعر بالسعادة...هذه السعادة عالية النغمة التي لا تملك فيها نبض قلبك ولا ضحكة تطلقها روحك دون صوت ...

سعادة لا يفسرها سوى سبب واحد ...

أنها تحمل له نفس الشعور الذي يحمله نحوها ...

لكنها سعادة غير نقية تلوثها شوائب مشاعر أخرى ...

الخوف من ماضيه ...

الخوف من غدها ...

والذنب الذي يلطخ وفاءها لأحمد !!

"الحي أبقى م الميت"!

طالما كرهت هذه العبارة!

طالما احتقرتها وهي تشعرها أن الوفاء بضاعة رخيصة في هذا الزمان !

فهل سترضخ لها الآن ؟!!





ربما لهذا اسود وجهها فجأة بظلمة شعورها لكن غادة المستحدثة لم تكن لتدع ضعفها يهزمها لهذا حولت الحديث لقولها:

_ما فكرتش تعمل لها حاجة بعد موتها تنفعها ؟! عمرة أو حجة مثلاً ؟! صدقة ؟! مشروع خيري ؟!

كانت عيناه تتسعان باستغراب مع تساؤلاتها لتقرأ فيهما الجواب بالنفي فتردف:

_زي ما توقعت ...الشيطان شاطر يدخللنا من أضعف أبوابنا ...يشغلك بإحساس الذنب عن إنك تعمللها حاجة حقيقية فعلاً تنفعها .

ابتسم ابتسامة إعجاب فاضت في عينيه واخترقت قلبها كقذيفة ...

لماذا يتحدث رجل كهذا؟!

لماذا يحتاج أن يتحدث ؟!





كل مشاعره تصرخ على ملامحه بمنتهى الوضوح!!

عيناه لا تغازلان جمالها بل تتولهان بروحها ...

ربما لهذا لا تجد نظراته منفرة لامرأة بتاريخها ...

ربما لهذا تشعر أنها ...

أنها ....

صعب!

الاعتراف صعب ولو سراً!

_معاكي حق...انتِ ...انتِ...

ارتبكت كلماته بعدها وكأنه لا يجد تكملة للعبارة ليختار ما تبادر له :

_كويسة .

انفلتت منها ضحكة آلمت جرحها وخطفت قلبه هو!!

جعلته يبتسم بخجل لم تعد تستغربه مع استطراده :

_كويسة جداً...بتعرفي ...ت...

ارتباكه يزداد مع اتساع ابتسامته الخجول التي خطفت قلبها هي الأخرى ...

كلاهما خاطف ومخطوف ...

جاذب ومجذوب ...

فلا بادي ...ولا أظلم !!

_أنا شفتك بتسجد شكر لما فقت .

شعرت بالندم فور ما تفوهت بها وكأنما غافلها قلبها ليجريها على لسانها ...

قلبها الذي كان يتقافز فرحاً وهو يرى أثر كلماتها على

ملامحه التي أذابها ارتباكها :





_آه...طبعاً...أكيد...عشان...عشان عمي علاء و"أنّا" كانوا هيموتوا م القلق ...

رنين هاتفه أنقذه من فوضى مشاعره فالتقطه بسرعة ليستمع قليلاً قبل أن يغلق الاتصال ليلتفت نحوها بقولٍ حمل في أذنيها حناناً غريباً على طبيعته المتحفظة :

_فيه مفاجأة حلوة ...

رمقته بنظرة متسائلة ليبتسم ابتسامة نقية وهو يقف مكانه ليتوجه نحو باب الغرفة الذي فتحه كاملاً ليطل من خلفه الوجه الحبيب :

_هانيا؟! معقول جيتي؟!





هتفت بها غادة بفرحة كادت تخلع قلبها وهي تحاول النهوض لكن وجعها منعها فيما اندفعت نحوها هانيا تحتضنها متحاشية مكان إصابتها ...

_وحشتيني قوي ...بحمد ربنا إني فكيت الجبس مخصوص عشان أعرف أحضنك .

تهتف بها هانيا عبر فيض دموعها ليهتف رامز خلفها:

_إيه عشان أعرف أحضنك دي وأنا كيس جوافة ؟! ...معاكي واحد بيغير هنا .

ابتسمت غادة وسط دموعها لترمقه بنظرة مرتبكة مع قولها:

_تعبتوا نفسكم ليه ؟!

_ماقدرتش أمسك نفسي لما سيف قاللنا ...حمداً على





سلامتك يا حبيبتي!

_حمداً لله ع السلامة ياغادة .

يقولها رامز بجدية وعيناه تنتقلان بتفحص بينها وبين شقيقه الذي بدا مأخوذاً بها حقاً ليشعر بصدق حدس هانيا عن عاطفة ما تنسج شباكها بينهما ...

خاصة وهو يلمح لمعة عيني شقيقه مأسوراً بالفرحة الناطقة في عيني غادة التي كانت تهتف بانطلاق:

_شكراً يا هانيا إنك جيتي ...شكراً يا رامز عشان سمحتلها ...

_مفيش شكرا يا سيف عشان هو اللي جابنا على ملا وشنا ؟!

يسألها رامز ببعض المكر وهو يرمق شقيقه بنظرة عابثة لتبتسم غادة بخجل جعل هانيا هي الأخرى تقلب بصرها بينهما برضا خفي ...





رغم الرعب الذي عاشته منذ سمعت الخبر لكن شعورها بقلق سيف المبالغ فيه أنبأها أنه يحمل لصديقتها مكانة خاصة حقاً ...

صديقتها التي كانت ملامحها هي الأخرى ترسم لوحة واضحة لمشاعر تجاهد لإخفائها ...

لوحة لم يتبينها رامز وهانيا فحسب ...

بل إسلام الذي كان واقفاً على مقربة منهم يراقب الموقف كله من بدايته وشعور بالغدر يقصف قلبه ...

سيف فعلها ؟!!

=========

_كانت حلوة حركة إنك تجيب أخوك وصاحبتها !

قالها إسلام بنبرة غامضة مخاطباً سيف وهو يقود بهما سيارته ليرد الأخير بتحفظ :

_هانيا ماستحملتش بعد ما سمعت الخبر ...هي اللي ...

_مفهوم ...مفهوم ...انت بريئ ما عملتش حاجة!




هتف بها إسلام ببعض العصبية ليلتفت نحوه صديقه هاتفاً بضيق:

_فيه إيه ياابني انت ؟! بتخانق دبان وشك من ساعة ما خرجنا من المستشفى ...عرفنا إنك بتحبها وقلقان عليها !

هنا أوقف إسلام السيارة فجأة لتصدر صريراً مفزعاً جعل سيف يصدر صيحة استنكار قبل أن يهتف الأول بحدة وهو يلتفت نحوه :

_كويس قوي إنك فاكر إني بحبها ...ياصاحبي!

_قصدك إيه ؟!

غمغم بها سيف بارتباك ليهدر فيه إسلام بعنف :

_أنا مش عبيط ولا لسه هاعرفك النهارده ...إيه اللي بينك وبين غادة ؟!

كز سيف على أسنانه بقوة لتتسع عينا إسلام بصدمة وهو يمسك بتلابيبه هاتفاً بعدم تصديق:




_ما بتردش ليه ؟! قول إني بخرّف...إني فهمت غلط ...إنك صاحبي ومش ممكن تبص لواحدة قلتلك إني عايز أتجوزها ...

ثم صرخ فيه بعدها بحدة :

_قول إنك مش ندل!!

دمعت عينا سيف ووجهه الصارخ بانفعالاته يناقض تيبس جسده بين قبضتي صديقه ...

هل يلومه ؟!

إسلام محق!!

هو خانه بل وخان نفسه عندما ...

عندما ماذا ؟!

هل يجرؤ على الاعتراف الآن ؟!!

_إسلام ...أنا ...أنا لسه بحب آنجي.

لا لم يكن كاذباً في عبارته ...





آنجيل ستبقى ندبة بقلبه لن تمحوها امرأة بعدها ...

لكن ...ماذا عن غادة ...

هل يجرؤ أن يعترف بنفس الأريحية أنه "لا يحبها"!!!

_دي الحدوتة اللي لفيت بها دماغ غادة ؟! واحدة أرملة لسه وفية لجوزها ...مين أنسب لها من واحد زيها بنفس ظروفها ؟!!...هو ده المدخل اللي وصلتلها بيه ؟!!

هتف بها إسلام وجحيم غضبه يعميه عن رؤية الحقائق ...

ليهتف به سيف بحدة :

_اخرس ...انت عارف كويس إني مش بتاع مداخل ولا حركات ...ولا ليّ في فيلم الستات ده أصلاً.





ضحكة عصبية ساخرة كانت جواب إسلام الذي أطلق سراحه من بين قبضتيه ليشيح بوجهه للحظات طالت ...

قبل أن يغمغم بتهكم مرير:

_ما هو ده اللي قاهرني...مالقيتش من ستات الدنيا غير دي يا صاحبي؟!

انفرجت شفتا سيف وكأنه على وشك الصراخ بشيئ ما لكنه لم يستطع ...

بماذا يدافع؟!

هو حتى لا يجرؤ على البوح بمشاعره نحوها !!

هي معضلتها الخاصة بها دوماً ...

دوماً يلقاها وهي تخص رجلاً غيره ...

مرة أحمد ...ومرة إسلام...

لكن من قال إنها تخص إسلام؟!

ألم تعلن رفضها له ؟!!





حسناً...هل يجرؤ على قولها له الآن؟!!

_انزل يا سيف ...أنا خلاص فهمت .

يقولها إسلام دون أن ينظر إليه وقد أدرك من صمت صديقه أن ما يخفيه أعظم من أن يقال ...

أدرك أن سيف بطبيعته الكتومة لن يبوح بالمزيد ...

لكنه لم يخطئ في قراءة ما كان بينه وبين غادة !

_إسلام...ماتفهمش...

_قلت لك إنزل وسيبني دلوقت .

قاطعه بها إسلام بخشونة ليرمقه سيف بنظرة أسف طويلة قبل أن يغادر السيارة ليرحل وعينا صديقه تتابعان ظهره المنصرف بمزيج من غضب وأسى ...




مشاعره كانت تتأرجح بين أقصى اليمين وأقصى اليسار ...

غضب من فقده لغادة...

صدمة من ميل سيف نحوها ...

غيرة من تفضيلها له عليه هو ...

وخوفٌ من أن يخسر صديقه وعائلة علاء التي يعتبرها عائلته الحقيقية هنا ...

الغريب أن الشعور الأول كان أضعفهما ...بينما كان الأخير أكثرهما طغياناً !!

أجل ...خسارته لغادة كان قد بدأ يتقبلها بعد رفضها القاطع له ...

لكن كابوس فقده لصديقه وعائلته هنا بعد انقطاعه عن عائلته بمصر هو ما يروعه حقاً !!

عائلته التي اختار الابتعاد عنها بعد صدمته في أبيه وخوفه من مواجهة أمه ...

إحساسه الممزق بين أن يبوح فيهدم البيت "السعيد"...





أو يصمت فيتواطأ مع أبيه في ما يفعله خلف الستار !!

وكالعادة ...اختار الأسهل ...أن يهرب!!

صوت رنين هاتفه يقاطع أفكاره فيلتفت نحوه لترتسم على شفتيه ابتسامة تهكم :

_مش وقتك خالص يا هيثم .

يقولها متجاهلاً الرد لكن الرنين يعود مرة تلو مرة فينعقد حاجباه بقلق حقيقي وهو يفتح الاتصال قبل أن يستمع من شقيقه لما يريد قوله ...

_أوبا...انت كمان عرفت ؟!

يقولها بذات التهكم المرير ليهتف هيثم من الجانب الآخر

للاتصال:

_وانت عارف من زمان وساكت؟!





_عايزني أعمل إيه يعني؟! أقول لجيلان هانم اللي طايرة بيه في السما عشان تروح فيها ؟!

قالها بمزيج من غضب وحسرة ليردف بشرود :

_أبوك له بنتين مش بنت واحدة ..سمعته بيكلم واحدة فيهم في التليفون في مرة ...

صيحة هيثم المستنكرة اخترقت شروده ليردف بسخرية :

_خد بقا المفاجأة الأكبر ...بنات الخدامة...شفت ذوق أبوك ؟!

صمت هيثم مصدوماً لدقيقة كاملة يحاول استيعاب الأمر قبل أن يصرخ في شقيقه بانفعال:

_هو ده اللي هامك دلوقت ؟! ذوق أبوك ؟! هنعمل إيه في المصيبة دي ؟!

زفر إسلام بقوة وهو يفتح تابلوه سيارته ليستخرج منه سيجارة أشعلها قبل أن يقول ببرود مشتعل:





_وأنا لو عارف ممكن أعمل إيه كنت سبتكم وجيت هنا ليه ؟!

صمت هيثم مصدوماً والحقائق المتوالية تصفعه بقسوتها ...

إسلام سافر هارباً إذاً!!

هارباً من مواجهة حقيقة أبيه ؟!!

فماذا عنه هو ؟!

هل يصمت متجاهلاً أم يهرب هو الآخر!!

عينا لجين الدامعتين بذعر تقتحم مخيلته من جديد فيشعر بوخزة في قلبه ...

يالله !!

أخته كانت أمامه على بعد خطوات ...

لا تعرفه ولا يعرفها ...

ابنة الخادمة ؟!!

أيهنّ؟!




ياللغباء ...هي تكبره بالكثير من الأعوام لهذا لن يتذكر أمها التي تركت عملها قطعاً بعدما كان ...

_أمهم اسمها إيه ؟!

يسأل إسلام الذي رد باستخفاف وهو ينفث دخان سيجارته :

_معرفش ...ومش عايز أعرف .

_مش عايز تعرف إخواتك ؟! سبت كل حاجة ورا ظهرك ومشيت ؟! ما سألتش نفسك عايشين فين وإزاي ؟! دول دمك ولحمك ومالهمش ذنب في اللي حصل !

هتف بها هيثم باستنكار ذاهل ليصمت إسلام للحظة مأخوذاً بمنطقه قبل أن يقول بضيق:

_ذنبهم في رقبة أبوهم مش رقبتي أنا ...وبعدين م اللي سمعته شكله بيبعتلهم فلوس ومراعيهم !





_مراعيهم ؟! بقوللك أختك قابلتها عامِلة على أدها في معمل تحاليل بتلف ع البيوت تاخد عينات ؟! تفتكر واحدة زي دي مستوى عيشتها إيه ؟!

هتف بها هيثم بانفعال وخز ضمير شقيقه ...

لكنه كالعادة يفضل الهرب ...

_ماتوجعش دماغي يا هيثم ...أنا مش ناقص ...لو قلبك واجعك روح دور عليهم وشوف ممكن تعمللهم إيه .

_هادور عليهم وهلاقيهم يا باشمهندس ...متأسفين ع الإزعاج .

هتف بها هيثم بحدة قبل أن يغلق الاتصال ليعاود إسلام نفث دخان سيجارته بغضب وصل حد الاختناق ...

أفكاره تشتعل بعدة زوايا كلها حارقة ...




سيف ...غادة ...هيثم...والده...والدته...وأخيراً ...أ ختاه هاتان!!

هيثم محق لكن ...

ماله ومال ذنب أبيه ؟!!

هل سيصلح العالم ؟!!

هي حياته سيعيشها كيف شاء طولاً وعرضاً ...

فلتذهب همومه كلها للجحيم !!

وبهذا الخاطر الأخير نفث دخان سيجارته للمرة الأخيرة قبل أن يدهسها تماماً في مطفأة قريبة ليجري اتصاله "المنقذ" برفيقة السلوان والأنس ولم يكد يسمع صوتها المغوي حتى هتف بالتركية بلكنته البطيئة العابثة التي تفضلها :

_في المكان المعتاد ..من يصل أولاً يملي شروط الليلة...

ليشتعل جسده بعدها بضحكتها الرقيعة مدركاً أنها ستتركه عمداً يصل أولاً!

======





ظل يدور بالسيارة لساعات بعد مكالمته لإسلام ولا يدري ماذا يفعل ...

الحقيقة التي قُذفت في وجهه فجأة قلبت عالمه رأساً على عقب ...

حتى إسلام لم يمنحه الحل الذي يريده !!

كيف يهرب من هذه الحقيقة ؟!

كيف يواجه والده الذي يعتبره مثله الأعلى؟!

كيف يكسر قلب أمه بحقيقة كهذه ؟!

هل يستسلم للصمت السلبي كما فعل شقيقه ؟!

لا ...لن يتخاذل مثله ...

على الأقل سيذهب لذاك المعمل الذي تعمل فيه لجين هذه ليسألها عن المزيد ...

يجب أن يعرف الحقيقة كاملة !!





زفرة ساخطة أطلقها وهو يشعر بحاجته لمن يفضي إليه بهمومه ...

ومن سواها ؟!

شوشو!

أدار مقود السيارة ليتحرك نحو بيتها رغم علمه بتأخر الوقت ...

لكنه فقط يريد رؤيتها ولو من النافذة ...

تحدثه عبر الهاتف بينما يراها واقفة بنافذة غرفتها كما طلبت منه فعلها ذات مرة بزعم أن الوقفة هذه تذكرها ب"روميو وجولييت"!

روميو!

العجيب أنها كانت تدعوه روميو تماماً مثل داليا لكنها كانت تداعبه دوماً بقولها إنها هي "جولييت" خاصته !!

وصل قريباً من مكان سكنها فتناول هاتفه ليتصل بها لكنه وجده مغلقاً!





تباً !!!

كيف نسي أنـها مؤخراً تغلقه دوماً ؟!

هل جعلته رؤيتـها اليوم يغفل عن تباعدها اللا مسبب عنه ؟!

وصلته رسالة عبر هاتفه تخبره أن هاتفها قد فتح -لتوه- فتهللت أساريره ليعاود الاتصال بها لكنه عاد مغلقاً!!

تباً!

فليرحل من هنا إذن وليبتلع خيبته وحده !!

عاد يشغل السيارة ليبتعد لكنه لمحها تخرج من مدخل البيت ...

هي ؟!

هل يتخيل؟!





تتسع عيناه بانبهار مشوب بالاستنكار وهو يراها ترتدي ثوباً في غاية الأناقة ليس أبداً من طراز ملابسها -المتحفظ- الذي يعرفه ...

عاد يستقر بكرسيه الذي انكمش فيه وهو يراقب تقدمها ليجدها تتجه نحو سيارة سوداء قريبة معتمة النوافذ ...

لا ...لن يسيئ فهمها ...

ليست من هذا الطراز أبداً !!

حاول مد رأسه ليتبين السائق لكنه لم يرَ شيئاً عبر الزجاج المعتم ...

كاد يغادر السيارة ليتوجه نحوها ويسألها عماذا تفعله هنا لولا أن لمح رجلاً يخرج من مدخل بيتها حذراً لكنه عاد يختبئ عندما رأى السيارة السوداء لا تزال واقفة !!




ما الذي يحدث هنا ؟!!

تساؤله لم يدم طويلاً عندما تحركت السيارة السوداء لتغادر الحي بها أمام ناظريه ...

ليميز أخيراً أرقامها ...

والده !!!

إنها سيارة والده !!!

ما الذي تفعله شوشو في سيارة والده ؟!!

هل علم عن أمر لجين اليوم ؟! شوشو أخبرته ؟!

ولماذا تغادر معه في سيارته في هذا الوقت من الليل ؟!

وبهذا الثوب؟!!

هز رأسه بصدمة والجواب المنطقي الوحيد يكاد يزلزل روحه ...

شوشو ووالده ؟!





لهذا تغير حالها ورفضت علاقتها به بعد تدريبها معه في شركته ؟!

لهذا هجرته هو؟!!

أفكاره تنقطع عندما يلمح الرجل المريب يغادر مخبئه فور اطمئنانه لمغادرة السيارة ليتحرك قادماً في مواجهته ...

ملامحه تزداد وضوحاً مع اقترابه ...

هو يعرف هذا الرجل ...

أين رآه من قبل ؟!!

نعم ...هو !

زوج شقيقة داليا الذي رآه في حفل زفافه !!!

أشرف ...أجل ...هو يذكر الاسم جيداً!!

ما الذي يفعله هنا في بيت شوشو ؟!!

والأهم...

ما علاقة والده بهذا كله ؟!

==========

من بعيد يراقبها رائد تجلس على كرسيها معصوبة العينين ...

لا يكاد يصدق أنه تجرأ أخيراً وفعلها !!!

ها هو ذا معها في بيتهما الذي صممه خصيصاً لأجلها...

مساحة شاسعة في أرض منعزلة لا تخشى فيها عيون لائمين أو شامتين ...

أسواره "تحميها"...لا "تسجنها"...

حديقته مزروعة ب"الفل" الذي تحبه ...

الغرفة أحادية النافذة استبدلها بما يشبه كوخاً كبيراً مستديراً بنوافذ عديدة واسعة ...

وكلها بلا قضبان !

تحيط بها حديقة واسعة أكبر من حديقة بيت "أبيها"...

أجل ...هو بيت "أبيها" وليس بيت "زين"!





يوماً ما سيجعلها تدخله مرفوعة الرأس تطالب بحقها فيه ليس طمعاً منه بل رغبةً في إحياء روحها هي بنيل ما سلبوه منها ...

أما بيتها الحقيقي فهو هنا ...

بناه من طابقين في الجوار كما حلمت هي به معه دوماً ...

صممه بهذا التصميم الذي رسماه معاً يوماً ...

لكن ينقصه فقط أن يجعلها تراه ...

دون أن يكون هو معها !!

شعر بالخادمة خلفه فالتفت نحوها صامتاً لترمقه بنظرة مشفقة طويلة ...

هذا العشق البائس في عينيه هو ما جعلها تحتمل هذه المخاطرة ...

منذ سمعت منه أنها زوجته وقلبها يخزها لأجل هذه المسكينة ولأجله معها ...





لهذا ما كاد يبلغها بخطته في الفرار حتى نفذتها معه مدركة أنه لن يستطيع فعلها وحده ...

همسة لا يجب أن تسمعه أو تراه ...

لكنها يجب أن "تشعر" به...

معضلة حقيقية لم تكن تفهمها في البداية لكنها الآن تدرك أنه هو علاجها !!

لهذا ابتسمت له ابتسامة مطمئنة فأشار لها بعينيه نحو البيت القريب قبل أن يبتعد هو مختفياً خلف إحدى

الأشجار يراقبهما من بعيد !

وفي مكانها كانت همسة تشعر بهالة حضوره ...

عبر عينيها المعصوبتين تشم رائحة عطره ...

تشعر أنها غادرت مكاناً ورحلت لآخر لكنها لا تهتم ...

يكفيها أنه هو معها !!





رائحته تتباعد ...هل سيرحل؟!!

تشعر بالعصابة تُرفع عن عينيها اللتين أغشاهما ضوء الشمس للحظات ...

الشمس !

كم تحبها!!

عيناها تتسعان بمزيج من دهشة وانبهار وهي تميز روعة المكان حولها ...

النوافذ المزينة بالزهور بدلاً من القضبان ...

الستائر المشرقة بألوان الطيف ...

دهان الجدران الأبيض الناصع الذي تعشقه ...

ترفع عينيها لأعلى ...

لا سقف!

بل فتحة عالية جداً مستديرة باتساع عظيم يجعلها ترى السماء بسحبها البيضاء ...





تضحك ضحكة قصيرة وهي ترمق الخادمة بنظرة سعادة حقيقية ...

قبل أن تعدو لتخرج من "الكوخ"...

لا أبواب مغلقة !!

ضحكاتها تعلو أكثر فيخفق قلب هذا "المختبئ" هناك وعيناه تمتلئان بالدموع ...

آه لو كان بإمكانه الآن أن يجعلها تراه ...

أن يحملها ويعدو بها هو على العشب قبل أن يطارحها الغرام فوقه ...

أن يجعلها تسمعه...

يحكي لها كم ليلة سهرها وهو يرسم هذا "الكوخ" في أوراقه ...

لا يدع صغيرة أو كبيرة يعلم أنها تحبها فيه إلا ووضعها !!

لكنه يعلم أن هذا مستحيل ...

الآن على الأقل!





لهذا ابتلع غصة حلقه وهو يراها تتقافز وتضحك ...وتعدو ...

تعدو حتى تعبت فسقطت أرضاً لتمرغ جسدها في العشب كأنها تستمتع برائحته ...

قبل أن تستلقي على ظهرها تماماً فاردة ذراعيها بطولهما جوارها ،رافعة وجهها للسماء ...

منامتها الوردية تلقي ظلالها على وجهها فيزداد بهاؤه...

شعرها الأسود الطويل يفترش الأرض حولها كشمس أخرى صغيرة ...

قدماها الحافيتان بعدما ألقت عنهما خفيهما تحرك أصابعها بتلذذ فلا تدري كم تعبث بروحه هو حركة بسيطة كهذه !

لو أقسم الآن أن عمره كله لا يساوي لحظة سعادة كهذه التي يشعر بها على محياها لما كذب!





_بصي يمين يا همسة..شوفي البيت ...عايزك تجري عليه ...ادخلي ..ادخلي وشوفيه ...افرحي بيه ...

افرحي يا همسة ...افرحي .

يهمس بها بخفوت ودّ لو يصرخ به وكأنها ستسمعه !

لكنها -للعجب- سمعته !

سمعته بقلبها دون أذنيها ليراها مكانه تلتفت نحو البيت القريب ...

يرتجف قلبه بخفقاته وهو يراها تنتفض بفرحة لتعدو نحو مبناه القريب المطلي بمزيج "الأبيض" و "السماويّ" الذي تحبه ...

يرى الخادمة تتبعها فيتحرك مكانه وكأنه ما عاد قادراً على احتمال المزيد من الاختباء ...

لكنه يغرس قدميه في الأرض غرساً ...

لا ...ليس الآن ...





كفاك أذى لها ...كفاك !

لهذا يعاود التخفي خلف شجرته منتظراً عودتها لعله يقرأ في وجهها ما عجز عن رؤيته بعينيه ...

أما هي فلم تكد تدخل البيت حتى تجمدت مكانها ...

إنه هو ...بيتها ...

بل بيتهما!

تماماً كما رسمته في الأوراق معه ...

الطابق الأول ...

مائدة السفرة و"انتريه" بسيط ...

لا لون "ذهبي" على الإطلاق!

تكره الإطلالة الكلاسيكية في الأثاث!!

تتقدم لتتحسس الكراسي الأنيقة بلونها الفضي الفاتح ...المائدة التي حملت طبقاً فضياً للفاكهة ...

مع مزهرية ل"الفل"!

عيناها تدمعان وهي تتذكر كيف رسمتهما له ...





هكذا ...بالضبط !!

تضحك وسط لمعة دموعها وهي تنظر للخادمة نظرة دهشة فرحة لكنها عاجزة ...

فتردها لها بفيض من الدموع أغرق وجهها رغماً عنها وهي عاجزة عن الشرح !

لكنها ـهمسةـ تلتفت نحو المطبخ القريب الذي دخلته بخطوات راكضة لتتوقف وسطه بانبهار ...

لا تكدس ...لا زحام ...

أدوات بسيطة أنيقة ...

مائدة صغيرة مربعة في المنتصف عليها سلة من البيض الملون قد رسمت عليه كله وجوهٌ تضحك ...

ونافذة !

نافذة واسعة كبيرة تحتل نصف جدار وحدها و تدخل منها خيوط الشمس من الخارج ...

رباه !!





كما رسمته ...كما حلمت به ...بالضبط!

عيناها تدمعان من جديد لتخرج منه عدواً تصعد الدرج نحو الطابق العلوي تفتح الغرف واحدة تلو الأخرى بأنامل مرتجفة وعيناها تقرآن تفاصيل حلمها قطعة قطعة...

غرفة الأطفال بلون الفستق المحايد بين الذكورة والأنوثة ...

غرفة النوم بلونها الوردي ...

غرفة أخرى خالية تماماً تفترشها فقط سجادة صلاة وحامل مصحف!

وأخيراً حمام كبير بلون سماوي له حوض استحمام دائري تحيطه نافذة زجاجية تتيح إغلاقه ...

هذا الذي أغلقته الآن لترمق الخادمة بنظرة مشتتة ...

قبل أن تتلفت حولها كأنها تبحث عنه !





_عايزة حاجة يا حبيبتي؟!

تسألها المرأة بحنان مغالبة دموع تأثرها بهذه الفرحة الصادقة التي تراها في عينيها ...

لتنفرج شفتا همسة ببطء وكأنها ستتكلم ...

_قولي يا حبيبتي ...قولي عايزة إيه !

تهتف بها الخادمة بأمل محاولة استنطاقها لكنها تعاود إطباق شفتيها المرتجفتين وهي تتلفت حولها بحثاً عنه ...

أو -بالأدق- عن طيف عاشق تشعر به لكنها لم تعد تميز له

ملامح ولا صوتاً !

هو هنا ...رائحته تملأ المكان حولها ...تغرقها بهذه السكينة التي تفتقدها ...

لكن ...أين ؟! أين ؟!!





تطرق برأسها يأساً وهي تتحرك لتغادر الطابق نحو الدرج الذي هبطته لتلقي نظرة أخرى على المكان قبل أن تغادره نحو الحديقة ...

قلبه يعاود ارتجافه وهو يراها قد عادت بوجه بائس مطرق...

ماذا ؟!

ألم يعجبها البيت ؟!!

لا!

ليس بعد كل هذا الجهد !!

يشير بيده خفية للخادمة التي فهمت مراده فعادت بها نحو "الكوخ" حيث جلست هي على كرسيها تراقب الحديقة بشرود عبر النافذة ...

قبل أن تشعر بها تخرج لتتركها وحدها ..لكن ليس طويلاً !





فلم يكد هو يسمع بردة فعلها بعد دخول البيت حتى أمر الخادمة أن تعاود عصب عينيها ...

هو يحتاج أن يراها عن قرب !

سيموت قهراً لو لم يفعل!!

يقترب منها بخطوات وجلة ليجلس على ركبتيه أمامها ...

يطبق شفتيه بقوة مذكراً نفسه كي لا يضعف ...

لكنه يتناول كفيها ليرفعهما نحو وجنتيه ...

_أنا هنا يا حبيبتي ...جنبك ...قدامك...حواليكي ...أنا عارف إنك حاسة بيا ...بس لسه مش مسامحة...أعمل إيه بس عشان ترجعيلي؟! خدي عمري كله بس اديني ساعة واحدة نرجع فيها زي زمان ...ساعة واحدة !





تصرخ بها روحه -دون صوت- ليشعر بأناملها تتحسس

ملامحه كأنها تتعرف عليه ...

دموعها تسقط كخيط رفيع خلف العصابة فيمسحها بأنامله صامتاً قبل أن يجدها فجأة تحرر كفيها منه لتحاول رفع العصابة عن عينيها !!!

_لأ...أرجوكِ...لأ.

يهتف بها بصوت مسموع رغماً عنه وهو يقبض على كفيها بكفيه يمنعها ...

قبل أن يضع كفه على شفتيه بندم متوقعاً ردة فعلها برعب...

لكنها لم تفعل شيئاً!

أزاح كفه عن شفتيه اللتين انفرجتا بدهشة وهو يراقب سكون ملامحها ...

لم تتأثر ككل مرة عندما سماع صوته !!

أم تراه هو يتوهم ؟!!





عيناه تدمعان من فرط انفعاله ليجدها تضع كفيها في جيبي منامتها قبل أن تستخرج منهما ما جعله يفهم قليلاً ...

"الدبوسان المعدنيان"!!

رباه !

ياقوت كانت على حق عندما طلبت منه أن يبقيهما معها!!

غص حلقه بهدير انفعاله وهو يراها تمد أناملها تبحث عن كفيه اللذين مدهما هو نحوها ليجدها تغلقهما بقوة على "الدبوسين" قبل أن تحتضنهما بأناملها بقوة ...

_رائد!

هل همست بها حقاً؟!!





هل سمعها تناديه من جديد ؟!!

خيط من الدموع يسيل على وجنته هو هذه المرة وهو يسمعها تهمس باسمه من جديد ليفقد كامل سيطرته وهو يجذبها بين ذراعيه ...

يحتضن رأسها بذراعيه وكأنها أثمن كنوزه !

لا لم يكن عناقاً!

بل كان يرد لروحه "بعض روحه"!

كان يعيد لقلبه "جزءاً من قلبه"...

بل كان يستعيد نفسه ليمنحها لها من جديد في عقد لا تنتهي صلاحيته ...

هي له وهو لها ...حتى آخر رمق!!

يمسد شعرها بأنامله وهو يشعر بأنفاسها اللاهثة تردد اسمه بلا انقطاع ...

كظمآن أفطر بعد طول عطش ...

متى يرتوي؟!!





نداءاتها تعذبه بتضرعها ...وبعجزه !

يريد أن يسكب في أذنيها كل الكلام الذي ادخره لها طوال هذه السنوات ...

لكن ...

ماذا لو ؟!!

_رائد!

نداؤها الأخير حسم الأمر وهي تبسط معه كفها على صدره الذي انتفض خافقه بلمستها ...

لم يعد يستطع ...

يعتصرها بين ضلوعه وهو يهمس باسمها في أذنيها برهبة ...

ولم يكد يطمئن لسكونها حتى انفلتت منه آهة قوية جعلته يشدد ضغط ذراعيه حولها دون وعي ...

قبل أن يهطل سيل البوح فيغرقهما معاً:





_انتِ سامعاني بجد واللا أنا بحلم ؟! سامعاني يا همسة ؟! قابلة صوتي مش كارهاه ؟! قولي أيوة ...قولي ...

تهمس له بما أراد وهي تشعر أن "الطيف العاشق" لا يزال

بلا ملامح لكنها تسمع صوته ...

صوته الذي تميزه ...وتعشقه !

يهز رأسه بعدم تصديق وهو يبتعد بوجهه يتأمل ملامحها عبر العصابة بشغف ...

قبل أن يعاود إخفاء وجهه في عنقها هامساً بألم:

_أقوللك إيه ؟! راح فين الكلام ؟! أقوللك آسف؟! سامحيني؟! أقوللك لسه بحبك ...كل يوم بحبك أكتر ...بتوحشيني أكتر ؟! أقوللك السنين اللي فاتت عدت عليا إزاي ؟! أحكيلك تفاصيل الوجع يوم بيوم





؟! واللا أحكيلك عن فرحتي دلوقت وانتِ في حضني؟! بتكلم وبتسمعيني؟! عن لهفتي أشوف عينيكي وهي بتجري على بيتنا ؟! حلمنا ؟! حققته يا همسة ...زي ما رسمتيه بالضبط ...بس اتحرمت أشوف أول فرحتك بيه زي ما حرمتك زمان فرحتنا ...لسه ما كفرتش عن ذنبي ؟! لسه محتاجة تعذبيني وتلوميني؟! وفيت الدين يا همسة...والله وفيته وزيادة !

تشعر بدمعه يلامس رقبتها وجيدها فتحترق به وله ...

لا تفهم عما يتحدث لكنها تشعر بحرارة مشاعره ...

عمّ يعتذر؟!

هل يخطئ قلب أحب بهذا الصدق؟!!

ودون وعي وجدت نفسها تهمس بها كأنها تنطقها منذ أعوام ...





كأنـها ولدت تقولـها :

_بحبك!

همسها يقصف قلبه ليشهق بانفعال وهو يبتعد بوجهه لا يكاد يصدق ...

قبل أن تنكب شفتاه على وجهها تغرقانه باعترافه هو

الآخر ...

سيموت ...سيموت الآن من فرط جنون خفقاته !!

لكن ...ليرَ عينيـها أولاً...

مادامت تقبلت صوته فلماذا لا ...؟!!

لم يفكر للحظة وهو يمد أنامله يزيح عصابة عينيها ...





عيناه تحطان كطير ملهوف على عينين اشتاقهما كالجنة !!!

لكن الصرخة الهائلة التي أطلقتها عادت تقذفهما معاً في الجحيم !!

==========

_منتظراكم!

قالتها ياقوت بنبرتها المهنية وهي تجلس في غرفتها

بالمركز مخاطبة يامن الذي كان يخبرها عن رغبة ياسمين في الحضور ...

ورغم شعورها بالتحفز من هذه المقابلة بعدما استجد من أمرها مع زين لكن مهنيتها كانت لها الكلمة العليا ...

ولم تكد تغلق الاتصال حتى رن هاتفها برقم غريب لترد...





_ياقوت ...الحقي همسة !

صوت رائد الجزع يصلها فتهتف به بحدة دون وعي:

_هو الجنان في عيلتكم وراثة ؟! إيه اللي انت هببته ده ؟!

صمت لحظة قبل أن يخبرها عما حدث لينهي حديثه بقوله الملهوف:

_أنا اديتها الحقنة اللي طلبتيها مني المرة اللي فاتت ...هديت ونامت .

زفرت بسخط وهي تحاول استعادة صفاء ذهنها لتصمت قليلاً قبل أن تسأله :

_انت خطفتها ليه بالطريقة دي؟!

تنهيدته الحارقة وصلتها عبر الهاتف ليحكي لها ما كان بينه وبين زين بشأنها وشأن همسة ...

وكيف اضطر للكذب لحمايتها هي ...





_كتر خيرك والله ...كويس إنك مش قدامي دلوقت !

هتفت بها موبخة بحدة ليرد بحدة مشابهة :

_انتِ متعرفيش زين زيي ...الحاجة الوحيدة اللي كان ممكن تخلليه يشيلك من دماغه إنه يعرف إنك تخصيني .

_وأهه ما شالنيش!

هتفت بها بانفعال متسرع ليصمت هو قليلاً قبل أن يسألها بحذر:

_هو عمل إيه بالضبط ؟!

صمتت بتردد وهي لا تدري صواب أن تخبره بالحقيقة ليستحثها بقوله :

_زين شاف شعرك واتأكد إني كنت كذاب ...إزاي؟!

_اتجوزنا.

قالتها داحضة أي شبهة في خلقها رغم أنها كرهت نطقها كما لم تكره شيئاً في حياتها ...





صمته الطويل بعدها كان جوابه قبل أن يغمغم بذكاء لا ينقصه :

_ضغط عليكي بحاجة وانتِ اشترطتِ عقد رسمي ...صح؟!

كان دورها لتصمت قليلاً تفكر قبل أن ترد باقتضاب:

_أختي مريضة بداء السرقة ...مرض نفسي ...هو معاه فيديوهات وهددني ببلاغ رسمي .

_ومادام مريضة خايفة من إيه ؟!

سألها باهتمام لتزفر هاتفة بسخط :

_وقتها ما كنتش أعرف لسه الحقيقة...ودلوقت خايفة م الفضايح والشوشرة ...انت أكتر واحد عارف مجتمعنا بيبص للمرض النفسي إزاي .

صمت مشفقاً ليرد بعد فترة :

_أول ماطمن على همسة هنا هاحلهالك ماتقلقيش .





لكنها ردت بعنفوان ردها لحدود مهنيتها:

_ماتشغلش انت بالك ...أنا هاعرف أخلص نفسي ...المهم دلوقت همسة ...الخطوة دي رغم غبائها بس جت في مصلحتها ...فاكر كلامي على إننا نوفق بين العالمين ونقربهم من بعض ؟! احنا بننجح ...همسة بقت هي اللي عايزة تشيل الرباط من على عينيها ...عايزة تتأكد إن انت هو نفس الشخص اللي كانت بتحبه ...لما حطت الدبوسين في إيديك وقفلتهم كانت بتطمن إنك هو نفس الشخص ...يمكن ده اللي حمسها تنطق اسمك خصوصاً بعد ما شافت البيت اللي عملته زي ما حلمتم ...ويمكن كمان ده اللي خلاها تتقبل تسمع صوتك ...بس لسه الشفا مش كامل ...لسه صورتك بتردها للحادثة القديمة ...نصبر شوية ...يمكن في يوم نوصل إنها تتقبل تشوفك زي ما بتسمعك .

تنهد بإرهاق وهو يستمع إليها ليرد برجاء:




_مش هاقدر أعمل حاجة لوحدي ...أرجوكِ تساعديني هنا ...أنا عارف المكان بعيد بس ...

_هاجي طبعاً ...ابعتلي العنوان !

قالتها آمرة ليتنهد بارتياح وهو يمليها ما طلبته قبل أن يقول بتردد :

_هاقوللك حاجة مش عارف هتفرق معاكي واللا لأ...

قطع عبارته بحذر لتهتف هي بانفعال معذورة فيه :

_قول!

_السبب الوحيد اللي يخللي زين يعمل معاكي كده إني حسبتها غلط...انتِ عنده مش مجرد واحدة كان عايز يجيب آخرها ...زين عمره ما كان هيورط نفسه في جواز رسمي عشان نزوة ولا حتى ليلة واحدة ...خصوصاً وهو لسه عنده أمل يرجع لياسمين .





صمتت لحظات تحاول منع عقلها من استيعاب ما يقوله ويصدقه قلبها ...

ليردف هو أخيراً بما أغلق به اتصاله :

_زين بيحبك ...حتى لو هو نفسه مش عارف.

ألقت الهاتف من يدها بعنف لتعود بمقعدها للخلف في حركة عنيفة كادت تسقطها ...

يحبها ؟!!

يحبها؟!!

بئس هذا الحب!!!

صدقت ثمر عندما قالت أن من مثله لا ينظرون لمن مثلهم إلا نظرة واحدة فقط !!

لكن ...لا بأس !

_محدش بيتعلم ببلاش!

قالتها لنفسها معزية قبل أن تتفقد أناملها الموضع الخالي لورقة "العشر جنيهات" !

أخذها !

كما أخذ من "روحها" قطعة لا تظنها ستستردها أبداً بعده !!

دمعت عيناها وهي تستعيد ذكريات تلك الليلة الموحشة لكن طرقات الباب أنقذتها لتتحفز في جلستها وهي تراها تدخل وحدها ...

ياسمين!

============

وقفت مكانها لتتأمل كلتاهما الأخرى بتفحص ...

ياسمين بزيها الأنيق الذي لم يقلل بروز بطنها من بهائه ...ولا سواد لونه من طغيان فتنتها الرقيقة...

جميلة بما يليق لتخطف قلب رجل مثل يامن ...وعقل رجل مثل زين !





هكذا حدثت ياقوت نفسها بغيرة لم تملكها وحظيت ياسمين -للعجب- بمثلها!!

ياسمين التي تعجبت ذوقها المتدني في ملابسها كما قال يامن ...

لكنها لم تغفل عن فتنة طبيعية تختبئ خلف هذا الإهمال!

فتنة تدعو الله ألا يكون يامن قد انتبه لها مثلها !!

هل هذه هي المرأة التي غيّرته ؟!

فعلت مالم تتمكن هي من فعله !!

_البقاء لله .

قطعت بها ياقوت هذا الصمت المشحون وهي تمد لياسمين يدها مصافحة فابتسمت ياسمين ابتسامة شاحبة وهي تجلس على الكرسي أمام مكتبها لترد بعفوية قبل أن تشبك كفيها لتقول بارتباك:

_أنا طلبت من يامن أقابلك لوحدنا النهارده ...عشان ...




_عشان غيرانة !

قالتها ياقوت مقاطعة لتلتفت نحوها ياسمين بغضب جعل الأولى تبتسم باستطرادها:

_دي أول حاجة جت في بالي لما يامن قاللي إنك عايزة تقابليني ...انتِ مهووسة بيامن من سنين ...أقل شعور ممكن تحسيه بعد اللي حصل هو إنك تغيري من ست دخلت حياته تحت أي مسمى وقدرت تغيّره بالشكل ده ...قلتِ تيجي تشوفيها بنفسك.

التمعت عينا ياسمين وهي تشهد لها في نفسها بالذكاء لكنها قالت ببرود مصطنع:

_هافترض إن معاكي حق ...تفتكري عندي حق في إحساسي واللا لأ؟!





اتسعت ابتسامة ياقوت لتلتمع "العينان الطيبتان" بقوة تأثيرهما مع جوابها:

_احسبيها صح ...يامن مااتغيرش بسببي ...يامن اتغير بسببك انتِ...عشانك انتِ...كل يوم عاشه بعد ما سبتيه كان بيعيشه عشان يرجع لك ...انتِ كنتِ علاج يامن ...أنا بس دوري كان إني عرّفته ده !

تغيرت ملامح ياسمين الباردة لأخرى منفعلة وهي ترمقها بنظرة طويلة قبل أن تتنهد بحرقة لتهتف :

_مش قادرة أصدق ...مش قادرة أرجع معاه زي الأول ...عارفة إنه اتغير وأشهد بكده بس غصب عني ...مش مسامحة في اللي فات وخايفة...خايفة ما أسامحوش زي بابا الله يرحمه ...الموضوع مش سهل ...أنا فعلاً حاسة إني بحلم ...ماشية بالقصور الذاتي ...لا دي ياسمين اللي أعرفها ولا ده يامن اللي عارفاه ...





هزت ياقوت رأسها بتفهم لتقترب بجذعها من سطح المكتب قائلة :

_شعور طبيعي جداً ...محدش يقدر يلومك عليه ...هتفضلي فترة متحفزة لأي تصرف بيعمله...لأي نظرة ...لأي موقف ممكن يفهمه غلط ...هتفضلي خايفة تآمني تاني فتتجرحي تاني ...بس العلاج هو الوقت ...الأيام هي اللي هترجع تقرب بينكم .

_هو يامن اتعالج فعلاً ؟!

سألتها ياسمين بمزيج من تشكك ورجاء لترد ياقوت بنبرة عملية :

_أنا شايفاه بقى أقرب جداً للطبيعي ...بس الاختبار الحقيقي دايماً بيبقى المواقف .

_يعني لسه ممكن ؟!

_لا ...مااعتقدش إنه هيخاطر إنه يخسرك تاني ...هو حالياً عنده القوة إنه يهزم





وساوسه ...بس عايزة الحق؟! أنا خايفة منك انت !

_أنا؟!

قالتها ياسمين بدهشة لترد ياقوت وهي تعود بظهرها للخلف :

_صدمة وفاة والدك هزت معتقداتك شوية ...خلتك تنزلي من برج عالي اسمه ياسمين مابتغلطش وما بتسامحش اللي يغلط ...لكن لسه محتاجة تقفي مع نفسك أكتر ...تعترفي بعيوبها ...غلطها ...وتتقبلي فكرة إن غيرك كمان ممكن يغلط وتسامحيه زي ماانت عايزة تسامحي نفسك ...

عقدت ياسمين حاجبيها بقوة لتطرق ياقوت الحديد ساخناً:

_فكرتي مثلاً وإنتِ بتلومي يامن على إنه اتخلى عنك تلومي نفسك إنك كذبتي ...إنك أصلاً ضعفتِ قدام ...زين ...ده ؟!!





C i n n a b o n

تحشرج صوتها رغماً عنها عندما أتت على ذكر زين لكن ياسمين كانت غافلة عن هذا بشرودها فيما تحكيه لتدفن وجهها بين كفيها مع اعترافها :

_كنت خايفة أقولها ...كنت خايفة أعترف إني في لحظة ضعف نسيت أنا مين ...كنت بصبر نفسي إني فقت في الوقت المناسب وضربته
وهربت ...لأن ..لأن ...

عجزت عن إكمال اعترافها لكن ياقوت التقطت منها ماتريد سماعه لتكمله بما يليق:

_لأن ياسمين نفسها ما بتسامحش في الغلط ...يبقى إزاي هي تغلط ؟! هي مثالية بتدي من غير حدود ...نجمة

عالية في السما كل الايدين بتشاور عليها ...ودي كانت المشكلة ...لو كنتِ اعترفتي بالغلط كنتِ سامحتي نفسك وسامحتي غيرك ...بس انتِ قعدتِ طول الوقت تكابري وتقسي ...والصدمة اللي جت





بوفاة والدك الله يرحمه هي اللي شالت الغشاوة من على عينيكي .

رفعت إليها ياسمين وجهاً دامعاً لتردف بأسى:

_مات وهو غضبان عليا..مات بعدما أمله خاب فيّ....بعد العمر اللي عشته اثبت له فيه نجاحي...أوريله النجمة اللي بقيتها من غيره ...ينتهي بينا الحال وهو شايفني مكسورة قدامه كده ؟!

لكن ياقوت هزت رأسها لتقول بيقين حقيقي:

_هو مكانش يفرق معاه تبقي نجمة..كان يفرق معاه تبقي بنته وبس ...بنته بكل عيوبها وميزاتها ...بكل مشاعرها الحقيقية اللي مش بتمثلها ...بنته اللي هتكمل حياتها بعده عشان تثبت له إنها نجحت ...مش تحدي واللا عِند ...لا...حب!




لم تملك ياسمين سيل دموعها الذي أغرق وجهها بعدها والذي تفهمته ياقوت للحظات ...

قبل أن تمسح الأولى دموعها لتسألها باهتمام:

_عايزة أكلم زين بس خايفة يامن يفهمني غلط ويرجع لشكوكه...أنهي معاه الموضوع إزاي؟!

تجمدت ملامح ياقوت للحظات أجادت فيها إخفاء شعورها بينما ياسمين تردف شارحة :

_زين مش هيهدا إلا لو عرف اللي حصل ...هيفضل فاكر إني رجعت ليامن غصب وعايز يساعدني أسيبه ...هو معذور ... ميعرفش عن يامن غير اللي أنا قلتهوله عنه .

_كلميني عن زين ...بصراحة...متخافيش الكلام مش هيوصل ليامن .





قالتها ياقوت متعللة بمهنيتها لكنها حقيقة كانت تريد أن تعرف الوجه الآخر لذاك الرجل الذي يختفي خلف عوالم غموضه :

_زين شخص كويس جداً ...ذكي ...مثقف ...قوي ...حمائي قوي للناس اللي يخصوه ...مش هانكر إنه ساعدني في أصعب أوقات حياتي سواء في علاقتي مع رامي أو بعد طلاقي من يامن ...حتى الليلة إياها اللي اتصور فيها الفيديو أنا اللي رحتله برجلي ...ومع ذلك هو اعترف ليامن بالحقيقة اللي تبرأني ...جابلي حقي من رامي ...مش عارفة أقوللك إيه عنه بس هو فعلاً ...

_طيب؟!

قاطعت بها ياقوت عبارتها باستهزاء ساخر لم تملكه ...لتهز ياسمين رأسها نفياً بقولها :





_لا!..ماقدرش أوصفه إنه طيب ...يامن طيب ...لكن زين ....زين حنين بس مش طيب...مش عارفة أشرح لك إزاي ....دايماً كنت بحس إن فيه نقطة سودة جواه مش قادر يتخطاها أو يسيطر عليها ...

ثم ارتبكت لهجتها أكثر لتردف:

_تعرفي مثلاً ...رغم كل المرات اللي اعترفلي فيها إنه بيحبني بس عمري ما حسيت إنه يقصدها ...مش قصدي إنه بيخدعني أو بيكذب عليا ...بس هو نفسه مايعرفش يعني إيه حب ...حب زي اللي بيني وبين يامن مثلاً ...

_ممكن توضحي أكتر؟!

قالتها ياقوت باهتمام لترد ياسمين موضحة :

_زين كان ممشيها معايا بالمسطرة ...تصرفات جنتلمان حقيقي بس من غير روح ...قطر ماشي على قضبان ماتحودش ...أفتكر واحد زي زين يوم





ما يحب بجد هيتجنن...هيخرج بره قفص التخطيط وحسابات العقل والمنطق ...

_وحسيتي بده إزاي؟!

_ماكانش بيغير عليّ...مثلاً اليوم اللي يامن جالي فيه ماليزيا واتخانقوا هناك في بيت بابا الله يرحمه ...يومها عيون يامن كانت كلها غيرة ...كنت حاسة إنه عايز ياخدني في حضنه ويخبيني من الدنيا كلها واللي يحصل يحصل ...لكن عيون زين كانت بتفكر وبتحسبها بالعقل زي كل مرة ...ماانكرش إنه وقتها عمل اللي كنت محتاجاه منه بالضبط لما بعد وسابنا لوحدنا ...بس الحب الحقيقي مابيعترفش بحسابات ...حتى لما طلبت منه ماعدناش نتكلم عشان يامن ردني ما ناقشنيش ...زين بيحترمني ...بيحترم تفكيري ...ويمكن شايفني زوجة كويسة ..لكن فيه حاجة جواه مانعاه يحب بجد !

_حاجة زي إيه ؟!




سألتها ياقوت التي استحوذ الحديث على عقلها لترد ياسمين بحيرة :

_يمكن حاجة تخص والدته الله يرحمها ...حاجة تخص همسة ...يمكن شايف إن القلب حساباته دايماً خسرانة فبيحكم عقله ...

ثم ابتسمت ابتسامة واهنة لتردف:

_يعني ...يشبه يامن القديم شوية في الحتة دي ...بس الفرق إن مفتاح قلب زين ماكانش معايا أنا .

شردت ياقوت ببصرها وكلام ياسمين يفتح لها نافذة عريضة من أمل ...

مفتاح قلب زين !!

تراه يكون معها هي؟!!

لكن ذكرى تلك الليلة تعاود صفعها بقسوة !!




_لما أحب أتجوز أتجوز واحدة زي ياسمين ...اللي زيك أصطادها وبس!

يرتعش جسدها فجأة وأحداث الليلة إياها تتوالى تباعاً في رأسها ...

مالك ومفتاح قلبه يا غافلة ؟!!

ستعودين لضلالك القديم ؟!!

_ماقلتليش أعمل إيه ؟!

انتزعتها بها ياسمين من شرودها لتتنحنح ياقوت بقولها الذي عاد إليه قناع مهنيتها :

_زين ذكي ...ومادام بيحترمك زي ما بتقولي مش هيحاول يخرب حياتك إلا بإذن منك...أعتقد هو هيكتفي إنه يراقبك من بعيد ...لو حس إنك فعلاً سعيدة ممكن يتقبل الخسارة...أما بقى لو ماتقبلهاش وحاول يتدخل ...نصيحتي ماتخسريش




ثقة يامن تاني ...خلليه دايماً في الصورة بمنتهى الصراحة ...

ظهر التشكك على وجه ياسمين لكن ابتسامة ياقوت الطيبة حسمت الأمر بقولها:

_ماتخافيش...يامن دلوقت بيثق فيكي أكتر من نفسه...والدليل إنه ماصدقش السكرين المتصور اللي بعتيه !

فابتسمت ياسمين بارتياح أخيراً قائلة :

_يامن كان معاه حق ...انتِ فعلاً شخصية مميزة ...شكراً !

قالتها لتقوم واقفة وتبدأها هي بالمصافحة هذه المرة لتبتسم ياقوت وهي تقف بدورها قبل أن تصحبها نحو الباب الذي كان يامن يقف أمامه ليشرق وجهه عندما رأى ابتسامة ياسمين التي بادرها باحتضان ذراعه لكتفيها في حركة حمائية جعلت ياقوت تبتسم بقولها :

_عندي اقتراح كويس هيساعدكم انتو الاتنين ...





التفت كلاهما نحوها لتعدل وضع نظارتها باستطرادها:

_مشوار للنادي القديم !

ابتسم يامن باستحسان فيما ارتجفت شفتا ياسمين ببعض التردد لكنها حسمته وهي تهز رأسها موافقة قبل أن تغادر معه نحو المركز تلاحقهما نظرات ياقوت الشاردة ...

_كان مالك ومال ده كله ؟! لو الحكاية مشت مظبوط كان زمانك دلوقت بتحتفلي بنجاح علاج حالة تانية عندك ...إيه اللي شبكك وسط الخيوط دي كلها ؟!

تتنهد بحرارة عند الخاطر الأخير لتعود لغرفتها مغلقة بابها خلفها ...

قبل أن تسمع صوت رنين هاتفها ...




_لجين؟! بتعيطي ليه ؟!

هتفت بها بارتياع وهي تسمع صوت بكاء شقيقتها التي حكت لها عما كان بينها وبين هيثم ...

شحبت ملامح ياقوت للحظات وهي تشعر بالرعب مثل شقيقتها لكنها عادت تتماسك لترد بلا مبالاة مصطنعة :

_واحنا مالنا؟! احنا لا جرينا ورا حد ولا كشفنا حقيقة بنستعر منها أصلاً...يتصرف هو وابنه ...مالناش فيه !

_خايفة يبهدلنا ويفضحنا !

هتفت بها لجين وسط بكائها لترد ياقوت بحنان حازم:

_بطلي خيابة ...وماعدتيش تعيطي ...اتغديتي؟!

أجابتها لجين بالنفي لتقول لها بنفس النبرة :

_طب اجهزي عشان هافكّ الكيس وأعزمك ع الغدا النهارده ...كباب وكفتة ماشي؟!




_كباب وكفتة ؟! انتِ في وعيك يا ياقوت؟!

هتفت بها لجين باستنكار قلق لتغتصب ياقوت ضحكة قصيرة وسط كل هذا البؤس قائلة ببساطة :

_بس ما تطمعيش قوي ...هو ربع واحد لنا احنا الاتنين !

_كده اطمنت عليكي .

قالتها لجين وهي تمسح دموعها وقد نجحت ياقوت في تبديد بعض كآبة الأحداث السابقة ...

ياقوت التي صمتت للحظة قبل أن تقول لها بجدية هذه المرة :

_هنروح سوا مشوار بعد الغدا ...الدكتورة زميلتي اللي قلتلك عليها .

كانت قد أخبرتها برغبتها في أن يتولى علاجها شخص آخر سواها فالقاعدة الذهبية التي تعلمتها




في عملها أننا أكثر جرأة في الاعتراف بخبايانا أمام الغرباء ...

هذا الذي تقبلته لجين ببعض التجهم الذي امتزج بامتنانها لتعاود سؤالها بقلق:

_والبلاغات اللي قلتي عليها؟!

ردها سؤالها لما ينتظرها من معارك مع زين هذا لتصمت للحظات قبل أن ترد باقتضاب:

_ماتشيليش هم ...ربك يدبرها!

==========

_هذا هو عابد الذي حدثتك عنه يا شيخنا !

يقولها الصالح وهو يحيط كتفي صديقه باحتواء بينما يدفعه بين يدي الشيخ في حلقته بالمسجد ...

ليرد الشيخ بوجه بشوش :

_أهلاً بك...نعم الاسم والمسمى به!





ابتسم عابد ببعض الخجل وهو يرى تطلع الوجوه نحوه ...

منذ عودته لماليزيا وهو يشعر برهاب التجمع ...

يظن الناس كلهم يلاحقونه بنظرات إما متهمة وإما ساخرة ...

ربما لهذا أصر الصالح أن يخرجه من عزلته إلى حلقة الشيخ الجليل هذا ...

_اجلس يا عابد ...واسأل ما بدا لك .

يقولها الشيخ وهو يفسح له مكاناً جواره ليجلس هو والصالح الذي ابتدر الشيخ بسؤاله :

_ما الفارق بين الجهاد والإرهاب يا شيخنا ؟!

_الفارق كبير ...الإرهاب جرم يتقصد الأبرياء لكن الجهاد فريضة ضد أعداء الله .

_ولمن نستمع في التفريق بينهما ؟!

يسأله عابد بضيق وذكريات الأيام السابقة تعاود قصف رأسه ليرد الشيخ بتفهم :




_لن أشرح المزيد ...اقرأ يا بني في فقه الجهاد ...اطلب العلم واستفتِ قلبك...لا تجعل مرجعك شيخاً ولا معلماً فكلٌ يؤخذ منه ويرد إلا رسول الله ...نحن فقط نشرح ما التبس من المسائل ...ندلكم على الطريق ...نوضح الخلاف في بعض الأمور ...وقد نتجرأ يوماً للفتوى ما دمنا نملك العلم في المسألة ...لكن العالم حين يتلبسه غروره فيقول كما قال فرعون "ما أريكم إلا ما أرى" فقد ضل وأضل!

ابتسم الصالح برضا وهو يراقب وجه عابد الذي ارتخت قسماته ليقول بأسف:

_كنت أتمنى لو أحضر معكم دروس الحلقة لكنني مسافر إلى مصر .

فاتسعت ابتسامة الشيخ وهو يقول ببشاشة :

_طلب العلم فريضة في كل مكان ...ومصر تشتهر بكبار شيوخها ...مادمت عرفت الطريق فاختر الصحبة يا بني .





هز عابد رأسه موافقاً ليتنحنح الشيخ ويسمي الله ليبدأ في إلقاء درسه الذي دمعت له العيون خشية ...

هذا هو المجلس حيث تحفهم الملائكة وتغشاهم السكينة ويذكرهم الله في من عنده ...

لهذا شعر عابد أنه يرتد لبعض روحه وحديث الشيخ يطبب أسقام ما عاشه من أيام مهلكة ...

حتى إذا ما انتهى الدرس وانفض الجمع أسره الشيخ بوصية أدرك بفطنته أنه يحتاجها قبل سفره :

_يابني ...قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه" وفي موضع آخر "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق"...ولست بحاجة لتذكيرك بالثلاثة الذين ذهبوا يتفقدون عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا عنها كأنهم تقالّوها ...استصغروها ...فقالوا وأين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! ...فقال الأول أما أنا أصوم الدهر ولا أفطر ...وقال الثاني وأنا أقوم الليل ولا أنام ...وقال





الثالث وأنا سأعتزل النساء فلما سمعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال "أما أنا فأصوم وأفطر...وأقوم وأرقد...وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"...

ثم التقط أنفاسه ليردف:

_التطرف يا بني آفة الدين في كل زمان ومكان...وأظنك من الفطنة أن وعيت الدرس ...

ابتسم عابد لقوله وهو يهز رأسه موافقاً ليربت الصالح على كتفه بعبارته هو الآخر:

_عرفت فالزم!

=======

_عم رفعت !

تهتف بها ياسمين بود لحارس النادي القديم الذي التفت نحوها وقد تهللت أساريره قبل أن يلحظ سواد ثيابها ليسألها بقلق:





_خير يا أستاذة !

أخبرته بمصابها ليعزيها قبل أن يلتفت نحو يامن بحنان أبوي ليصافحه بقوة ...

ابتسمت ياسمين بوهن وهي تتأبط ذراع يامن كي يدخلا لكنه سحب ذراعه منها ليحيط كتفيها بذراعه هامساً :

_كده أحسن...وأقرب!

رمقته بنظرة مشتتة وهي تتذكر زيارتهما السابقة هنا كزوجين ...

وزياراتهما الأخرى منذ سنوات بعيدة لم تعد تذكر عددها ...

ورغم أن زيارتهما السابقة تركت أثرها في نفسها حقاً لكنها تشعر أن هذه المرة مختلفة ...

خاصة وهو يضمها سائراً بهذه الطريقة ...

يتمشى معها في الممر الطويل المؤدي للملاعب ...





يجلسان معاً تحت شجرة السنديانة التي كان يحبها ...

ويذكّرها- هو -بكل ما كانت ترويه له عن ماضيهما !!

كأنما يسير هو على خطاها بالضبط كي يعيد برمجة قلب لم يعرف سواه عشقاً !!

_سرحتي في إيه ؟!

يسألها وهو يطارد نظراتها الحائرة لتجيبه بشرود :

_حاسة إني كبرت قوي ..مش مصدقة إن كل السنين دي عدت ورجعنا أنا وانت تاني هنا بعد كل اللي حصل .

لكنه ربت على كفها ليقول بحنان :

_أنا بقا ماكنتش هاصدق نهاية تانية غير دي ...

ثم أدخل خصلة نافرة من شعرها تحت حجابها ليردف :





_كل مرة كنتِ بتوحشيني فيها وانتِ بعيد كنت بصبر نفسي بكده...إننا مهما بعدنا هنرجع نقرب .

دمعت عيناها بتأثر لكنها أخفت هذا بإشاحتها لوجهها الذي أعاد هو تقريبه نحوه ليسألها برفق:

_لسه مش عايزة نرجع بيتنا ؟!

_مش مش عايزة...مش قادرة !

هتفت بها بمزيج من حيرة وعجز ليضم كفها بين راحتيه قائلاً بمرحٍ تجاوز به الموقف:

_عجبتك القعدة مع حماتك ؟!

ابتسمت رغماً عنها وهي تطرق برأسها لترد بانفعال:

_أصلاً كل المصطلحات دي مش لايقة على بيللا ...مرة حماتي ومرة الحاجة أم يامن ...كل ده ضمن مسلسل الطرائف والعجائب اللي عايشة فيه من يوم ما رجعت مصر .

ضحك ضحكة عالية أرجفت قلبها ليرد بغمزة عابثة:




_ولسة ياما هتشوف انبهارات !

اتسعت ابتسامتها لتجد نفسها دون وعي تسند رأسها على كتفه لتغيب في شرود طويل قبل أن تهمس فجأة:

_لسه بتحب كريم العراقي؟!

_مممممم ...تعرفي إن السؤال في وقته !

ثم رفع ذقنها نحوه ليحتل نظراتها بعينين عاشقتين تليقان بهمسه :

_دلوعتي خاصمتها...صالحتها ...لما بكت وتوسدت أحضاني ...ألقت عليّ القبض مشتاقاً لها فتحولت عصبيتي لحناني...

هنا ابتعدت هي بوجهها قليلاً لتكمل له هي:

_إن الرجال فوارسٌ لكنما ...لا سلطة تعلو على النسوان !





عاد يضحك ضحكة عالية وقد أعجبته دلالة فعلتها قبل أن يهمس لها مكرراً بدفء حان :

_لا سلطة تعلو على النسوان ...

ثم غمزها ليردف بمكر:

_يعني حافظاها اهه؟! ده أنا قلت كرهتيني وكرهتي كل اللي يفكرك بيا.

ابتسمت وهي تشعر بشيئ غريب في ضحكته وكلامه ...

لم تكن تشعر به سابقاً صادقاً هكذا ...

ضحكته نقية خالصة دون شوائب من هواجس تؤرقه !

ربما لهذا شعرت بنفسها تهدأ قليلاً وهي ترفع عينيها للسماء التي مالت شمسها للغروب ...

السكينة تنتقل منه إليها قبل أن تسمع صوت رنين هاتفه الذي أجابه بقوله :

_جايين ...حاضر ...عاملة إيه ع الغدا؟!




صمت قليلاً ينتظر الرد لتدرك أنه يكلم نبيلة ثم ابتسمت وهي تراه يهتف بجزع وقد امتقع وجهه :

_مسقعة ؟!

كتمت ضحكتها بكفها وهي تربت على كتفه بإشفاق مصطنع قبل أن تراه يغلق الاتصال ليهز رأسه بقوله الآسف:

_كنت عارف إن لازم حاجة وحشة تحصل تبوظ اليوم الجميل ده ...أمي عاملة مسقعة !

عادت تربت على كتفه ضاحكة لترد :

_من "محشي يامن" ل"مسقعة بيللا" ياقلبي لا تحزن !

_نعم؟! بتقارني باكورة إنتاجي م المحشي بمسقعة بيللا؟!





هتف بها باستنكار ضاحك وهو ينهض ليجذبها من كفها فتأوهت ببعض الألم الذي جعله يهتف بقلق حقيقي:

_انتِ كويسة؟! أنا آسف احنا فعلاً مشينا كتير .

قالها ليعاود ضم كتفيها بذراعه بحنان ليغادرا معاً النادي نحو بيت بيللا ...

ولم يكادا يدخلان حتى استقبلتهما رانيا بترحاب ليستأذن منهما يامن للصلاة بينما تهالكت ياسمين جالسة على إحدى الأرائك لتجلس جوارها رانيا متسائلة بإشفاق:

_تعبانة ؟!

رمقتها ياسمين بنظرة متعاطفة وهي تدرك أنها ترى فيها مصيبة فقدها القديمة لجنينها ...

رانيا بالذات تثير فيها مشاعر تعاطفها لأنها تراها أضعف شقيقاتها شأناً ...




أو هكذا كانت تظن حتى سمعت عن جديد أخبارها ومساعدتها لنشوى في المصنع ...

_مفيش أخبار عن أشرف؟!

سألت رانيا باهتمام لتجيبها الأخيرة بعينين دامعتين :

_نشوى بتقوللي إنه بيتصل يكلمها يطمنها عليه بس مش من تليفونه .

_غريبة قوي!

قالتها ياسمين بدهشة لترد رانيا بشرود :

_لا مش غريبة ولا حاجة...أشرف طول عمره اتعود يدي من غير ما ياخد ...لما حس إنه خلاص بقت إيده فاضية مش قادر يدي اضطر يبعد عشان ما يحملناش همه .

_طب عايش فين وإزاي ؟!




سألتها ياسمين لكنها لم تكن تملك إجابة سوى ما تحاول إقناع نفسها به :

_بيقولوا له واحد صاحبه خرج معاه من المستشفى ...ممكن يكون هو اللي قاعد عنده ...بس ...

انقطعت كلماتها عندما سمعتا صوت جرس الباب الذي اندفعت رانيا لتفتحه قبل أن تفاجأ برجل غريب لم تره من قبل ...

_مين حضرتك؟!

لكن الإجابة وصلتها من صرخة ياسمين الفرحة خلفها :

_عابد...حمداً لله ع السلامة !

=========

ضغطت زر الجرس لشقته التي صارت تمثل لها أكبر جحيم تحياه ...

مرة تلو مرة دون رد ...





ترددت قليلاً في الانصراف لكن شيئاً ما بداخلها جعلها تفتح حقيبتها لتستخرج المفتاح الذي كان قد أعطاه لها قبل أن تحسم أمرها لتدخل الشقة وتغلق الباب خلفها ...

شقة أنيقة حقاً لولا ذكرياتها السوداء هنا لاعتبرتها أفضل مكان رأته عيناها ...

لكن شعورها المقيت جعل الاشمئزاز يغطي على كل ما تطاله عيناها ..

الأثاث الفخم بألوانه الفاتحة ...

الستائر والسجاد بالغي الترف ...

وحتى الرائحة العطرية التي تنبعث من مكان ما لكنها تزكم أنفها بعطن ذكرى لن تمحو ذلها الأيام !!

والآن ماذا تفعل ؟!

تنهدت بعمق وهي تحاول استعادة ما روته لها ياسمين اليوم عنه ...

ياسمين التي تبدو وكأنها رأت أفضل وجوهه فيما كان نصيبها هي في الأسوأ...




ترى كم وجهاً يحمل هذا الرجل؟!!

الخاطر الأخير يملؤها
قهراً ...غضباً...خزياً...و...غيرة!
غيرة لم تشأ الاعتراف بها وهي تذكر نفسها بعهدها الذي أخذته ...
هي لن تكون "أشواق" أخرى!!

انقطعت أفكارها عندما سمعت صوت مفتاحه يلج في الباب فانتفضت رغماً عنها لكنها التفتت لتواجهه بملامح متنمرة قوية لانت قليلاً عندما رأت وجهه الغارق بإرهاقه رغم الابتسامة المتحدية الشاحبة التي تعمد هو الآخر صبغ شفتيه بها ...

هو الذي ظل واقفاً مكانه يرقبها لدقيقة كاملة بصمت تناطحت فيها العيون بما يليق بهما من تحدٍّ وعناد وغضب...




قبل أن تنتبه هي لما يحمله في كفه ...

كتاب؟!!

هل لهذا علاقة بهمسة ؟!!

_لقيت همسة ؟!

سألته دون مقدمات بنبرة محايدة فسار بضع خطوات ليتهالك جالساً على أحد المقاعد الوثيرة مسنداً رأسه إلى ظهره قبل أن يخاطبها بعينين نصف مغمضتين :

_أول مرة أروح الشركة ما ألاقيش رائد ...الدنيا ملخبطة وهتاخد وقت على ما ألاقي بديل ...أول مرة أروح البيت ما ألاقيش همسة...حضنها الدافي أول ما تشوفني ...ابتسامتها الحزينة...كلامي معاها اللي مابيبقاش مستنيله رد ...بس عارف إنه مهم عندها زي ما هو مهم عندي .





عباراته كانت تحمل جواباً غير مباشر لسؤالها بالنفي ...

ورغم شعورها ب-كراهيته- لكنها لم تملك شيئاً من التعاطف نما بداخلها نحوه ...

هو رجلٌ اهتزت أركان عالمه فجأة ليفقد كل من يهمونه !!

_شعور قاسي فعلاً ...شغلك اتلخبط...همسة اختفت...وكمان ياسمين رجعت ليامن ...كل رهاناتك فجأة بقت خسرانة .

ورغم أنها تعمدت أن تكسو نبرتها بالشماتة لكن شعوره هو ب-طيبة خفية- تداريها خلف هذا جعله يغمض عينيه تماماً في محاولة بائسة للاسترخاء قبل أن يردف ببطء :

_الشغل أمره سهل يتظبط...همسة هلاقيها ...أما ياسمين ...





صمت قليلاً بعدها ليخفق قلبها بجنون ترقبه منتظراً ما سيقوله ...

_فعلاً رهان خسران...شفتها النهارده مع جوزها ...كانت بتبتسم ابتسامة ماشفتهاش على وشها قبل كده ...هي فعلاً مبسوطة معاه .

_شفتها فين ؟!

تسأله بترقب لكنه لا يرد مكتفياً بنفس الابتسامة الجانبية التي تمزج المكر بالألم ...

مزيج غريب ...صحيح؟!!

ربما لهذا قررت طرق باب -إنسانيته- التي لا تزال تراها رغم كل شيئ ...

فاقتربت منه وهي تشعر أن جلسته هكذا بائساً مغمض العينين أشد وطأة على قلبها من حضوره المهيب الطاغي ...

هي تكرهه...وتريد أن تكرهه ...





لكن لعله يرضى أن يمنحها حريتها على أي حال بعد مستجدات الأمور ...

_طيب ...دلوقت ياسمين رجعت ليامن برضاها وفقدت أملك فيها ...وهمسة مختفية مع رائد ...وأختي سهل قوي أثبت إنها مريضة وإن اللي بيحصل غصب عنها ...يعني ببساطة مفيش أي سبب يخلليك مورطني معاك كده ...أنا لولا خوفي من الفضايح والشوشرة كنت ...

هنا فتح عينيه فجأة بنظرة مشتعلة أجبرتها أن تبتلع باقي عبارتها ...

ولو نظرت بقلبه لأدركت أي -رهبة- كانت تجتاحه وقتها !!!

ربما لأنه أدرك أنها على حق !

لو كان يستبقيها لأجل ياسمين أو همسة فلم يعد له بها حاجة ...

ولو كان يريدها كطريدة فهي لم تعد تناسب هذا الدور ...





لماذا لا يطلق سراحها فحسب؟!

لماذا يشعر وكأنه صار مقيداً بها دون مسمى؟!

لماذا لا يستطيع تصنيف مشاعره هذه المرة بل - والأسوأ- الاعتراف بها ؟!!

ربما لهذا خرجت كلماته هادرة متخبطة :

_انتِ السبب في إنه قدر يخطف همسة من ورايا ...لو كنتِ عرفتيني حكاية الجواز دي كنت عملت احتياطاتي من بدري ...ودلوقت خلاص سلمتي إنها مش هترجعلي وهتفضل معاه ؟! همسة هترجع وهتفضلي معايا لحد ما تعالجيها !

احمر وجهها بانفعاله لتقترب منه خطوة أخرى هاتفة بحدة مماثلة :

_انت بتلومني على إيه ؟! واجبي كدكتورة أحافظ على أسرار شغلي ...أعمل اللي فيه مصلحة الحالة وبس ...انت مجبتنيش جاسوسة تحطني في بيتك عشان أنقللك اللي بيحصل من وراك ...بس اللي




زيك فاكر الدنيا كلها زيه ماشيين بالمؤامرات والخطط !

نظرته الطويلة لها بعدها أربكتها وهي تشعر أن بداخله كلاماً أكبر من أن يقال ...

التعب الذي كانت تصرخ به كل خلية من جسده...

الألم الذي كانت تنبض به ملامحه ..

والحيرة الغريبة على "العينين الماكرتين"...

كل هذا جعلها تشيح بوجهها عنه لتصمت بدورها قبل أن تسمعه يقول فجأة :

_قريتي الكتاب ده قبل كده ؟!

التفتت نحو الكتاب الذي يمسكه منذ دخل لينعقد حاجباها أكثر ...

"ترنيمة سلام"...

سمعت عنه الكثير من المديح لكنها لم تقرؤه قبلاً !





_لا.

_كويس ...تعالي اقريهولي.

بنبرته المهيمنة يقولها مدركاً ما سيثيره فيها من سخط لتشتعل عيناها بنظرة كادت تحرقه مكانه !!!

هذا الرجل مريض!!

عن أي شيئ يتحدث ؟!!

تترك عملها ومذاكرتها لأجل أن تكون تسليته ؟!

لكن ...

ماذا لو تعاملت معه حقاً على أنه مريض؟!

ماذا لو تخطت حاجز كراهيته هذا لتصلح هذا العطب في تفكيره ؟!!

ذكاؤها لم يخذلها في التعامل مع أي حالة من قبل ...

فلماذا لا تستخدمه الآن ؟!!





أخذت نفساً عميقاً وهي تحاول تحليل شخصيته في ضوء الأحداث السابقة معه محاولة التخفي خلف درع مهنيتها وتنحية شعورها الخاص ب"كراهيته"...

هذا رجل يجيد نصب الشباك ...لكنه يتقبل الهزيمة...

والدليل "ياسمين"!

عظيم!

هذا رجل لا يريدها هي -كامرأة- غصباً ...

وإلا كان قد نالها وهي فاقدة الوعي بين ذراعيه هنا ...

ربما هو فقط يريد "إغواءها"' كي يسيطر عليها طوعاً ولا يدري مع من يتعامل هاهنا ...

جيد !

هذا رجل لم يحب في حياته كلها كما يبدو إلا أمه وهمسة ...





شخصية كهذه تحمل عاطفة كبيرة بداخلها ربما لو أمكنها استغلالها لجعلته يطلق سراحها بصمت دون فضائح قد تمسها هي أو شقيقتها ...

رائع!!

لكنه كذلك رجل عنيد وهزيمة هؤلاء لا تكون إلا بمزيج "محترف" من الطاعة والتمرد ...

مزيج تجيد هي كثيراً طبخه !!!

لهذا تقدمت خطوة أخرى لتلتمع عيناها بنظرة لم يفهمها مع كلمتها الوحيدة :

_حاضر.

الشك يملأ عينيه من موافقتها السريعة غير المتوقعة ...

لكنه كان أكثر إنهاكاً من أن يسأل عن المزيد ...





لهذا ما كادت تتحرك لتتناول منه الكتاب كي تجلس جواره حتى فاجأها بأن جذبها ليجلسها قسراً بين ساقيه المنفرجتين محيطاً إياها بذراعيه وظهرها يقابل صدره !!

يميل ليسند ذقنه على كتفها هامساً:

_نستفيد بقى من صلاحيات الوضع الجديد ك"مراتي"...من يوم ما سمعت صوتك وانت بتقري لهمسة وأنا في بالي صورتك وانتِ بتقريلي لوحدي كده ...بالظبط !

التفتت نحوه بوجهها بعينين مشتعلتين وارتجاف خفقاتها يفضح تأثرها بمفاجأته ...

لكنه مد أنامله ينزع عنها نظارتها مع استطراده :

_قلت تتقلع أول ما نتقابل...ياريت تكوني بتعرفي تقري من غير النظارة.





احمر وجهها بانفعاله ليتحول "القمران السجينان" لشعلتين من نار!!!

تكز على أسنانها بقوة تكاد تحطمهم وهي تحاول تذكير نفسها بأفكارها السابقة ...

مريض آخر أمام ذكاء طبيبة !!

عنادها لن يزيده إلا عناداً ...

الصبر ...

مزيج محترف من الطاعة والتمرد !!

لهذا هدأ جسدها -نوعاً- وهي تعاود النظر للكتاب بين كفيها قبل أن تأخذ عدة أنفاس متلاحقة لتفتحه ...

تبدأ القراءة بصوت تعمدت أن يكون هادئاً واثقاً لا يشي بهذه الانفعالات التي تعصف بها ...

هذا هو العناق "الثاني" لهما...

لكنها تشعر به أشد وطأة على نفسها من الأول...

ربما لأنه يغمرها بجسده أكثر ...





ربما لأنها تشعر أن "الصدر الصلب" هذه المرة يواجه ظهرها هي الذي طالما ظننته بلا سند !!

وربما لأنها تستشعر أن خلف هالة التجبر والعناد خاصته هذه يختفي الكثير من الألم ...

هو لا يعانقها إذلالاً ولا غريزة...

هو يعانقها احتياجاً !!

بينما كان شعوره هو يختلف كثيراً عن شعورها ...

صوتها الذي يحمل في أذنيه وقعاً خاصاً كان يخترقه كثيراً هذه المرة ...

هذه المرأة لن تكف عن إدهاشه !!

تصرفاتها كلها استثنائية !!!

ربما لو كانت امرأة أخرى في مكانها لثارت وصرخت ...أو ربما حاولت إغواءه ...

لكنها لا تفعل هذا ولا ذاك ...

بل تبدو وكأنها تحرك قطعها على- رقعة الشطرنج -بينهما كي تحقق هدفاً لا يعلمه ...





طاعتها هذه مربكة ...

مستفزة ...

فليحرك قطعة أخرى من قطعه هو الآخر لعله يفهم ...

_لحد دلوقت ما اتأسفتلكيش ع اللي حصل ...عارف إن واحدة زيك مش هتسامح فيه بسهولة.

يقولها بنبرته الرخيمة وهو يمد أنامله ليزيح حجابها عن شعرها فامتد كفها بسرعة يقبض على كفه من الخلف بحزم تمنعه المزيد ...

لتقطع قراءتها وتقول صارمة دون أن تلتفت :

_خالص ! مش هتسامح فيه خالص!

فالتوت شفتاه بابتسامة إعجاب لم ترها ليردف بعدها بنفس النبرة وهو يسند ذقنه على كتفها :

_برغم إني احترت في قرايتك كتير ...بس فيه حاجة واحدة مطمناني ...حاجة مافتكرش حد عرفك واختلف عليها ...عارفة إيه ؟!




تيبست مكانها وهي تخشى أن تلتفت فتواجهه بهذا القرب ...

لكنه هو من جذب ذقنها نحوه ليتشح بدفء "القمرين السجينين" من هذا القرب الخطير مجيباً تساؤله بنفسه :

_طيبتك !

لحظة واحدة التقت فيها عيناها ب"سراجين " في عينيه !!

لحظة واحدة لم تره فيها صياداً اقتنص بهجة أول حب ...أول عناق ...أول لمسة لرجل !!

لحظة واحدة أخرجته بها بعيداً عن إطار الزمان والمكان ...

لحظة واحدة ضبطت فيها نفسها متلبسة تطارد سراب حلمها البعيد من جديد ...وكأنها لم تتعلم!!

لم تتعلم !!





الخاطر الأخير يصفعها ليعيدها لذروة تنمرها وهي تشيح بوجهها عنه بعيداً ...

ستخرج من هذه الورطة !!

لن تسمح له أن ينتصر عليها !!!

ستعيد له شباكه خاوية ...

وربما تكون "هدية الطيّبة" له قبل أن تغادر حياته هي أن تشفي سقم روحه هذا أولاً ...

ستعامله ك"مريض" يحتاج العلاج...ك"وغد" يستوجب الحذر ...

لكنه لن يكون أبداً ك"حلم" ترجوه التحقق!!

لهذا دمعت عيناها بلا سبب ـرأته ـ وهي تعاود القراءة بصوت عالٍ لعلها تشتت انتباهه ...

وقد أفلحت !





أو هكذا -هيئ إليها- وهي تشعر بتراخي أنفاسه جوارها لدقائق طالت ...

دقائق أغمض فيها هو عينيه يستلذ بهذا الصوت الآسر ...

لا ...لم يكن أرق صوت أنثوي سمعه ...

ولا أدفأهن رنة...

ولا أشدهن إغواء!!

لكنه كان يشبه ...ماذا؟!

هو -للعجب- لا يشبه أي شيئ!!

هو مزيجٌ من حنان أمه...ورقّة همسة...وقوة...من؟!

هو لا يذكر أنه قابل امرأة في حياته بهذه القوة تصلح أن تكون نداً له ...

حتى ياسمين!!




هذه المرأة حقاً خارقة...

كيف تكون هنا ..في بيته.. يكاد يعتقلها بين ذراعيه ...ومع هذا يشعر أنه هو "المأسور" لا هي!!

هو"السجين" بمشاعر لا يمكنه توصيفها وهي "الحرة" المحلقة في سماء كبرياء لا تعرف حدوداً ولا قيوداً...

متعَبٌ هو لأقصى حد...

ومريحة هي لأقوى درجة ...

فمن يلومه لو ...؟!!

من جديد يحاول تحريك "قطع الشطرنج" بحركة مباغتة لعله يفقده اتزانها ...ولم يحسب أن يفقد هو اتزانه...




شفتاه تترنحان بتمهل على جانب وجنتها وذقنها فتعاود التيبس بين ذراعيه لتقطع قراءتها دون أن تلتفت ...

قلبها يعاود جنون قفزاته بغضب يتملك منها ...

اهدئي يا ياقوت ...

هو لايريدك غضباً ..لو أرادها لفعلها من زمن !

هو يريد إغواءك ..يظنك سترضخين !!

_لو مش هتسمع أبطل قراية .

بأقصى ما لديها من برود تقولها وجسدها المتخشب يؤازرها في دعواها ...

لكنه لا يزال يحرك القطع كما يرتضيه عقله :

_بسمع بوداني مش بشفايفي!





همساته تزيد غضبها أكثر لتعاود القراءة بصوت أعلى وكأنها لا تهتم ...

هو صراع قوة ...فلينهزم الأضعف!!

لكنه كذلك لم يكن خصماً هيناً وخبرته الهائلة تواجه ضعف أنوثتها لعاطفة كهذه ...

صوتها يرتعش رويداً ورويداً والحروف تتلاشى من أمام عينيها ...

من اليسار يأتيها صوت مداعب...

ماذا لو كان هذا زواجاً حقيقياً؟! ماذا لو استجاب القدر ليمنحكِ الرجل الذي تمناه قلبك ؟! ماذا لو تستسلمين؟! لو تذوبين في عاطفة كهذه تمنيتها بكل جوارحك ؟!

الخواطر هذه تسلمها لخدر لذيذ فتتكمش رغماً عنها بين ذراعيه أكثر ...

لكن صوتاً آخر من اليمين يأتيها مؤنباً...

هل فكرت "أشواق" مثلك هكذا عندما زلت قدمها ؟! هل قاومت حقاً بما يكفي؟! هل ورثتِ عنها ضعفها كما ورثتِ إثمها ؟! فلترثي مصيرها إذن!!





والخواطر هذه تجعلها تسقط الكتاب من
يدها ...تضم قبضتها التي وجهتها بعنف نحو ساقه
لكنه لم يبدُ وكأنه شعر بها ...

وبين الجانبين ممزقةٌ هي لم تملك سوى فيض من
دموع أغرق وجنتيها لتنبعث منها أنةٌ قوية جعلته
يتجمد فجأة ...

قبل أن يديرها بين ذراعيه ليتملك وجهها بكفيه
وعيناه لا تقلان شتاتاً عن عينيها ...

نظرته تحمل غضباً ...ألماً ...اعتذاراً ...ورجاء ...

معانٍ وصلتها كلها صادقة لتقصف قلبها قصفاً لكن
ماذا يكون "قلبها" هذا أمام سلطان كبريائها ؟!!

_بتعيطي ليه ؟!

يهمس بها متحشرجة خافتة لتجيبه بكل عنفوانها :

_عشان بكرهك !




الصمت الثقيل يجثم عليهما بعدها وهو يمسح دموعها بإبهاميه للحظات طالت قبل أن يهمس لها أخيراً بيقين ثابت:

_لا...عشان بتحبيني !

عيناها تتسعان بارتياع مع كلماته فتحاول الابتعاد بوجهها لكنه يتمسك به برقة أكبر ليقترب هو منها غارساً نظراته في عينيها :

_فاكرة إنك لوحدك اللي بتعرفي تقري الناس ؟! أنا فاهم كويس أنا إيه بالنسبة لك ...أنا الحلم اللي اتمنيتيه بالظبط ...مش م النهاردة ولا امبارح ...من أول مرة شفتيني فيها .

_كنت!

تقولها كأنها تبصقها في وجهه قبل أن تدفعه فجأة لتهب واقفة بينما تردف بمزيج دموعها وقوتها الآسر:




_مش هانكر إنك فعلاً كنت الحلم اللي شفته فجأة بينـاديني ...الراجل اللي يرفع راسي وراس ثمر ...اللي يخللي حسين يندم وهو شايف بنت الخدامة بتاخد واحد راسه براسه ...لكن الحلم بقى كابوس ...انت ...انت...

سبابتـها ترتعش بشدة وهي تشير نحوه بينما تشرف عليه من علوّ يناسب مكانتـها الآن :

_انت دوقتني الذل اللي عمري في حياتي ما دقته ...كل اللي الدنيا عملته فيّ ما كسرش فيّ حاجة زي اللي انت كسرتـها ...

عيناه ترتجفان بنظرة وجع حقيقية لكنه يسارع بإغماضهما ليخفي مشاعره خلف جمود وجهه بينما هي تردف بنفس العزة :

_بس اللي زيي ما بيقعش...يمكن الضربة تدوخه بس ما بتموتوش ...لكن أنا هاطلع أحسن منك...وعد مني قبل ما أخرج من حياتك أرجع لك




أختك ...ويمكن أرجعلك نفسك كمان ...بس ما تطمعش في أكتر من كده !

يفتح عينيه ببطء وهو يشعر أن هذا الحوار استنزف قوته تماماً ...

استهلكه كما لم تفعل به أحداث الساعات السابقة كلها ...

لكن ...منذ متى يظهر هو ضعفه ؟!!

لهذا قام واقفاً بدوره يواجهها بعينين لا تقلان عنها تحدياً :

_موضوع خروجك من حياتي ده قراري مش قرارك .

ورغم أن عبارته أحنقتها لكنها عقدت ساعديها أمام صدرها لتهتف بنفس العزة :

_لو كنت عايزني غصب كنت خدت اللي انت عايزه من زمان ...انفض إيدك مني يا "بيه"...الرهان





المرة دي مش لايق عليك..لا هو قيمتك...ولا انت قيمته !

قالت عبارتها الأخيرة بنوع من الاحتقار وهي تعدل وضع حجابها لتغطي كامل شعرها ثم انحنت تلتقط نظارتها لترتديها قبل أن تتحرك نحو الباب لكنه لحق بها ليمسك ذراعها بقوة فعاد لقاء العيون لكن أكثر وهناً هذه المرة بعدما استنزف كلاهما هذا المشهد الكارثي ...

ألمه أمام ألمها ...

ضعفه أمام ضعفها ...

حيرته أمام حيرتها ...

صورة في مرآة "الماضي"...كم تشبه الأصل وكم تناقضه !!

لهذا ارتجفت شفتاه رغماً عنه وعيناه تحطان رحالها على عينيها في صمت مشحون ...





قبل أن يقول بصوت متحشرج:

_رائد هيكلمك ...أنا واثق من كده ...ده لو ماكانش كلمك فعلاً .

أشاحت بوجهها دون رد لم يكن هو ينتظره مع استطراده :

_مش هاقوللك تعملي إيه ...اعملي اللي يرضي ضميرك ...همسة أمانتك وأنا عارف إنك مش هتضيعيها .

امتلأت عيناها بالدموع رغماً عنها لكنها أزاحته عن طريقها ببعض العنف قبل أن تخرج صافقة الباب خلفها ...

الباب الذي ظل هو يرمقه بنظرة طويلة قبل أن يعود ليلتقط الكتاب الذي كانت تمسكه ليقلبه بين يديه للحظات سبقت تهالكه على الأريكة بعدها ليسلمه الإرهاق لنوم طويل ...

نوم كانت هي بطلة أحلامه بلا منازع ...

ياقوت ...!

طريدة اقتنصت صيادها !

========

وقفت نبيلة جوار فراشها تراقب وجهها النائم بعينين دامعتين ...

اليوم عقد قرانها على مروان !!

العفريتة الصغيرة ستتزوج أخيراً !!

آخر بنات شقيقتها الراحلة ...

حان الوقت أن تطمئن عليها!!

ازدادت كثافة الدموع في عينيها وهي تذكر وقفة كهذه ليلة كادت تتعرض لانتهاك بسبب ذاك المخرج الوغد ورفيقه ...

ليلة تركت ندبتها في قلبها وقتها ولا تزال ...

ربما هي ما فتح لها طريق الرجوع ل"عائلة" تتقبلها ك"أم"

لا ك"نجمة"!





الطريق الذي تسيره الآن عدواً وكأنما تفرغ فيه اشتياق الماضي كله ...

بل وكأنما تخشى أن يقف عداد العمر فجأة دون أن تروي نهَم هذا الشعور!!

_اصحي يا داليا .

تهتف بها بحنان وهي تجلس جوارها على طرف الفراش لتصدر داليا همهمة اعتراض جعلت نبيلة تهتف باستنكار:

_يابنتي قومي ...النهارده كتب كتابك...أنا مش عارفة

جالك نوم إزاي أساساً؟!

انتفضت داليا فجأة لتمسح وجهها وهي تدور بعينيها في الغرفة قبل أن تقفز فجأة لتغادر الفراش هاتفة بصوت لم يغادره نعاسه :




_سبتيني نايمة لحد دلوقت ليه ؟! لسه قدامي بلاوي .

ضحكت نبيلة وهي تقف بدورها لتحتضنها قائلة :

_صباح الخير يا شعنونة ...ربنا يعينك يا مروان على ما بلاك ....

ثم قرصت وجنتها لتسألها بعتاب:

_برضه لسه ما بترديش على تليفوناته ؟!

_تؤ.

قالتها داليا بحركة كتفيها وعيناها تلتمعان بدلال جعل نبيلة تقول لها محذرة :

_خدي بالك ...الرجالة خلقها ضيق ...هيزهق .

لكن داليا تنهدت بحرارة لتقول بشرود :

_مش مروان...لو كان ممكن يزهق كان زهق من زمان .

_لو كان حبيبك عسل !




عادت تقولها خالتها محذرة لتضحك داليا ضحكة عالية وهي تلم خصلات شعرها المشعث هاتفة بميوعة :

_اللي يلاقي دلع ومايتدلعش يروح النار .

ابتسمت نبيلة بحنان وهي تحتضن وجهها بكفيها قائلة بحنان :

_لولا ظروف ياسمين كنت مليت البيت زغاريد ...ماتعرفيش أد إيه فرحانة...طايرة م الفرح !

_كل ده عشاني؟!

قالتها داليا بغرور مصطنع لترد لها نبيلة بضاعتها بقولها الذي عاد إليه كبرياء النجمة :

_لا ...عشان الفستان الأسود اللي ماكانش راضي يدخل فيّ ...قسته امبارح وطلع مظبوط !

_أووووه ...الأسود بتاع ...؟!

هتفت بها داليا بانبهار لترد نبيلة باعتزاز :

_هو!





ضحكت داليا بمرح وهي تعطيها ظهرها لتغادر الغرفة بثرثرتها المعهودة :

_مش عارفة خسيتي إزاي مع جهودك المطبخية رفيعة المستوى اليومين دول ...بس يستحسن تشوفي شال للفستان عشان يامن ما يطربقش الليلة على دماغنا ...عايزة أتجوز ماتضيعوش مستقبلي .

كان صوتها يتباعد مع مغادرتها لكن ابتسامة نبيلة كانت تتسع مع كلماتها ...

لم تكن في حاجة لنصيحة داليا فمنذ تقاربت علاقتها مع يامن وهي تحرص أن تكون ثيابها أكثر انضباطاً كي لا تثير حفيظته ...

تعلم أنه لن يحدثها في أمر كهذا صراحة لكنها صارت تريد رؤيته راضياً وهو الذي عليه حاله منذ عادت إليه ياسمين ...




_صباح الخير يا بيللا .

انقطعت أفكارها بتحية هانيا التي تبيت ليلتها هنا منذ
الأمس بعد عودتها من تركيا لتلتفت نحوها نبيلة هاتفة بلهفة :

_صباح النور ...ياللا عشان ورانا حاجات كتير ...هانزل أخلص شوية مشاوير وانتِ خلليكي مع داليا ...

قالتها وهي تتحرك لتجذب حقيبتها فهتفت هانيا خلفها :

_داليا صحيت ؟!

والإجابة جاءتها في المنشفة التي قذفتها داليا لتصطدم بوجهها مع هتاف الأخيرة الضاحك :

_النهارده فرحي يا جدعان ...لازم كله يبقى تمام ...





قالتها وهي تحرك جسدها بحركات راقصة جعلت نبيلة تطلق ضحكة عالية بينما هتفت هانيا باستنكار:

_ما تقفي على بعضك يا بنت....إيه ده ؟!

لكن نبيلة احتضنت داليا لتقبل جبينها قائلة باعتزاز :

_تربيتي!

قبلتها داليا بعمق قبل أن تخرج لسانها لشقيقتها مغيظة فعادت نبيلة تضحك قبل أن تغادر البيت لقضاء شأنها ...

وما كادت تفعل حتى توجهت هانيا نحو المطبخ لتعد لنفسها القهوة...

سمعت داليا تتنحنح من خلفها فالتفتت نحوها لتشد شعرها بحركة خفيفة جعلت الأخيرة تتأوه دلالاً لتبتسم هانيا قائلة بحنان :

_مبروك يا داليا ...يارب تعقلي بقى .





_لو عقلت أموت حضرتك !

قالتها داليا بشقاوتها المعهودة قبل أن تحك رأسها لتسألها ببعض الحرج:

_كنت عايزة أسألك على حاجة بحكم كونك أختي الكبيرة المتجوزة -حالياً- يعني ...بس مكسوفة ...

_مكسوفة؟! وال"أبديت" ده عملتيه امتى؟!

قالتها هانيا باستنكار وهي تعطيها ظهرها لتصب القهوة فتحركت داليا لتسألها بخجل تمكن منها رغماً عنها :

_أصلها حاجة تكسف ...

_مممممم؟!

سألتها هانيا وهي ترتشف رشفة من قهوتها لتتنحنح داليا وتسألها باهتمام لم يخلُ من خجل:

_بتتدلعي على أبيه رامز إزاي عشان يعمللك اللي انتِ عايزاه ؟!

_ياااا زين ما اخترتِ!




هتف بها رامز الذي كان واقفاً على باب المطبخ لتشهق

داليا بخجل قبل أن تخرج من المطبخ عدواً وهي تغطي وجهها ...

فيما سعلت هانيا برشفة القهوة التي توقفت في حلقها لينفجر رامز ضاحكاً وهو يقترب منها ليربت على ظهرها مردفاً بمرح:

_اجمد يا وحش.

ظلت هانيا تسعل للحظات وهي تدفعه بكفها فناولها كوب ماء شربت منه لتهدأ قليلاً وسط ضحكاته العالية التي سبقت قوله :

_ياربي ! مش هنساها أبداً ...داليا بتاخد خبرتها من "بسطويسي"...

ثم كوّر كفيه حول شفتيه في وضع النداء ليردف بتحذير مصطنع:

_إلى مروان القاطن بدير النحاس ...لا تقرب هذه العائلة...الزواج فيه "دبشٌ" قاتل!!




كتمت هانيا ضحكاتها بكفها بينما وضعت الآخر على شفتيه لتهتف باستنكار:

_هتفضحنا ...اسكت ...اسكت !

لكنه قبل أناملها أمام شفتيه ليجذبها بين ذراعيه هامساً بنبرة عابثة :

_لسانك اتلسع؟!

_رامز!

هتفت بها باستنكار وهي تدفعه لتنظر نحو الخارج مردفة بعتاب:

_احنا مش في بيتنا ...لم الدور شوية .

مط شفتيه باستياء ليقول وهو يغلق باب المطبخ :

_طب اعمليلي شاي .

رمقته بنظرة متشككة لتقول ملوحة بسبابتها:





_افتح الباب!

_لا.

قالها وحاجباه يتراقصان بمشاكسة فزفرت بسخط مصطنع وهي تعطيه ظهرها لتعد له الشاي شاعرة به يقترب من ظهرها ...

_إيدي سقعانة !

يقولها بمسكنة مصطنعة لترد ببرود دون أن تنظر إليه :

_كوباية الشاي هتدفيها ..آه...

انقطعت عبارتها بشهقتها وهي تجده يضع كفيه قسراً في جيبي بلوزتها هي الأماميين ليلصق ظهرها به هامساً :

_بجامتي مالهاش جيوب .

_رامز!

تهمس بها باستنكار وهي تحاول إخراج كفيه العابثين من جيبيها لكنه يرد هامساً في أذنيها ببراءة مصطنعة :





_إيه ؟! مارضيتش أحطهم في جيوب البنطلون !

احترقت وجنتاها خجلاً وهي عاجزة عن الاستدارة نحوه بهذا الوضع فاكتفت بنظرتها الموبخة :

_انت مالكش فرامل ؟!...ده أنا قلت هتتغير واحنا مش في بيتنا .

_عذراً يا أخ بسطويسي ...شاب أرعن طائش تحركه غرائزه !

قالها مازحاً وهو يرفع أحد حاجبيه فابتسمت رغماً عنها وهي تدير رأسها لتصب له الشاي هاتفة :

_اتفضل شيل إيدك وخد الشاي!

_أمري لله !

قالها وهو يخرج كفيه من جيبيها ليتناول منها كوب الشاي الذي ارتشف منه رشفة قائلاً:

_تسلم الأيادي .

بينما سارعت هي تفتح الباب لتجد يامن في وجهها يقول ببشاشة :





_صباح الخير .

فازداد احمرار وجنتيها وهي ترد تحيته بارتباك بينما تلفت هو حوله ليسألها باهتمام :

_رانيا فين مش في أوضتها؟!

_صحيت من بدري راحت المصنع لنشوى...هترجع ع المعاد ...أعمللك قهوة ؟!

_أنا هاعملله !

قالتها ياسمين التي ظهرت من خلفه ليلتفت نحوها بابتسامة حانية رغم مزاحه الساخر:

_يعني أخيراً هتحني عليّ وتدخلي المطبخ؟!

غمزت هانيا رامز لينسحبا تاركين لهما المزيد من الخصوصية بينما دخلت ياسمين المطبخ في جواب غير منطوق لسؤاله ليلحق هو بها مستمتعاً بذكرى الأيام الخوالي التي كانت تعد له فيها إفطاره ...

_وحشتني قهوتك .





قالها وهو يجلس على المائدة جوارها لكنها لم تلتفت نحوه وقد غابت في شرودها بعدما بدأت في إعداد القهوة ليسألها باهتمام:

_بتفكري في عابد ؟!

التفتت نحوه لتومئ برأسها إيجاباً قبل أن تقول بتأثر:

_لما شفته كإني قدام واحد مختلف ..شفت إزاي ماكانش عايز يسيبني من حضنه أول ما شافني؟!

_بلاش السيرة اللي تنرفز دي؟! أنا عارف إنه أخوكِ بس دمي فار لما شفتكم !

هتف بها بضيق حقيقي جعلها تبتسم وهي تقترب منه لتشير حولها قائلة :

_بتغير من أخ واحد وانت عندك مستعمرة ستات بحالها هنا؟!

_مابحضنش حد فيهم !

بعناد يقولها لتقترب منه أكثر قبل أن تنحني لتواجه وجهه بوجهها هامسة أمام عينيه :




_هو الحضن بالإيدين وبس؟! كل نظرة حنينة حضن...كل موقف احتواء حضن ...كل كلمة بتزعق فيها من خوفك عليهم حضن.

فابتسم بتأثر وهو يجذبها ليجلسها على ساقيه هامساً:

_أول مرة أحس إنك ممكن تغيري منهم !

لكنها أسندت رأسها على صدره لتهمس مغمضة العينين:

_فيه فرق بين اللي تحسه واللي تقدر تعبر عنه ...زمان مكنتش أقدر أقوللك لأني كنت حاسة إنه مش من حقي أغير عليك ...حاجة وسط حاجات كتير اتعودت أدفن إحساسي بيها ...

فرفع ذقنها نحوه لتفتح عينيها مع سؤاله :

_ودلوقت؟!

_دلوقت حاسة إنك بتحبني ...خلاص بقا من حقي أصرخ وأقول غيرانة ...من حقي أغلط وأقوللك سامحني وأنا عارفة إنك هتسامحني ...من حقي أخاصمك وأبعد وأنا عارفة إنك هتصالحني ...من





حقي آخد زي ما بدي ...من حقي أحبك حب صح
مش زي بتاع زمان .

ضمها بين ذراعيه أكثر ليهمس بدفء:

_كل حاجة فيّ من حقك...من قبل ما تطلبيها .

أغمضت عينيها على صورته ليصلها صوته بعدها يتنحنح مردفاً باهتمام :

_أنا فكرت أكلم عمي يستضيف عابد شوية في البلد ...

فتحت عينيها فجأة مصدومة بالاقتراح ليستطرد هو بحماس:

_فكري فيها كده هتلاقيها مفيدة من كل الزوايا ...أولاً هيريح أعصابه بعد اللي شافه ...ثانياً لو فيه فعلاً خطر عليه فهو متداري هناك ...ثالثاً هو قال إنه عايز يكمل دراسة علوم شرعية وانتِ عارفة إن بيت عمي لازق في بيت الشيخ ""أبو إدريس""





اللي الناس بتجيله من آخر الدنيا تتعلم ...وأفتكر إن عمي هيرحب بالفكرة جداً .

لكنها هزت رأسها لتقول بعدم اقتناع:

_بس انت عارف المستوى اللي كان عابد عايش فيه في ماليزيا ...تفتكر هيبقى مرتاح وهو عايش في قرية صغيرة من غير أي رفاهيات ؟!

فقرص أنفها مداعباً ليقول بثقة:

_هو محتاج الجو ده صدقيني ...محتاج يفصل ويرجع للطبيعة شوية ...وعموماً لو ماعجبوش الوضع يرجع ...أنا هاعرض عليه الموضوع لما أشوفه في كتب الكتاب !

ابتسمت وهي تومئ برأسها موافقة لتنساب على شفتيها رغماً عنها :

_شكراً يا طيب !





جلجلت ضحكته عالية بعدها بما أطرب قلبها وهو يضمها بشدة نحو صدره قائلاً باشتياق مسها بصدقه:

_والله زمااااان !

ثم مال على بطنها يقبله ليبسط كفه عليه هامساً كأنه يحدث ابنته :

_سامعة يا يمنى؟! أول مرة تسمعيها انتِ دي ...بس زمان ماكانتش بتبطل تقولها !

فاتسعت ابتسامتها وهي تريح كفها على كفه المبسوط على بطنها شاعرة براحة غامرة في هذا الوضع ...

راحة قطعها فوران القهوة التي سالت على الموقد لتشهق بارتياع وهي تحاول النهوض هاتفة :

_القهوة فارت!

لكنه يتشبث بها ليمنعها القيام هامساً أمام شفتيها بلهفة عاشقة :

_بلاها قهوة ...خللينا في النوتيللا!





=========

_بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير .

قالها المأذون وهو ينهي إجراءات عقد القران في بيت نبيلة ليصافح يامن مروان بحرارة قبل أن يقف ليجذبه في عناق طويل سبق قوله له بمزيج من حزم ورجاء:

_خللي بالك منها .

لكن مروان لم يكن يستمع وهو يشعر بالدنيا تدور من حوله ...

هل هكذا ببساطة تحقق الحلم ؟!

هل صارت حليلته حقاً؟!!

طنينٌ غريب يدوي في أذنيه فلا يمكنه سماع ولا رؤية غيرها ...

هي التي بدت له في هذه الليلة أجمل كثيراً مما حلم بها ...

ترتدي ثوباً عسلياً بلون عينيها ينساب برقة محتضناً تفاصيلها الشهية ،ووشاحاً بدرجة أغمق قليلاً وقد اكتفت من زينتها بطلاء شفاه ذهبي عذب جوارحه المشتاقة لكل ما فيها ...

الحمقاء لم تحدثه بكلمة منذ وصل !

إنها حتى لم تنظر إليه مطرقة برأسها كأنما هي مغصوبة على هذه الزيجة !

الخاطر الأخير أشعره بالضيق ليعقد حاجبيه بقوة وهو لا يفهم حقاً ماذا تخفيه عنه !

لأول مرة يشعر بغرابة تصرفاتها !

لو لم يسمع بأذنيه اعترافها بحبه ل"العاشق المجهول" لما صدق..

والخاطر الأخير يجعله يبتسم بسعادة بعد انعقاد حاجبيه السابق ليتفحص يامن ملامحه قائلاً بمشاكسة وهو يميل على أذنه :





_بتكشر وتضحك في نفس الوقت ؟! لا مش هاستغرب

خلاص بقا...دي أعراض القرب من داليا !

_وهو فين القرب ده ؟! مش شايفها قاعدة بعيد إزاي ؟! دي حتى ما سلمتش عليّ؟!

همس بها مروان في أذنه بسخط ليضحك يامن شامتاً قبل أن ينادي داليا ليهتف بها مشاكساً:

_ياللا يا عروسة عشان تلبسوا الدبل .

احمر وجه داليا وهي تقف لتتقدم نحوهم مطرقة الرأس فاضطرب مروان وهو يجد يامن يقف ليخلي لها مكانه ...

لكن داليا انتزعت الدبلة من مكانها لتلبسها بنفسها مانعة مروان من فعل ذلك !

_ماشاء الله ...العروسة شكلها خجولة قوي!





قالها المأذون ضاحكاً ليميل يامن على أذن مروان هامساً بشماتة ضاحكة :

_قابل يا عم قابل !

بينما كان مروان يغلي غيظاً وهو يراها لا تزال لا تنظر إليه حتى وقد عادت لجلستها البعيدة هناك حيث تجمعت حولها عائلتها تهنئها ...

فيما بقي هو واقفاً جوار يامن وحده فلم يستطع والداه الحضور خاصة مع الخبر المفاجئ ..كذلك عمه منعه مرضه .

_معلش يا مروان ...دلوقت المولد يتفض ويسيبوك معاها لوحدكم ...وساعتها بقى يا حلو ...!!!

أفكاره العابثة تسليه لكنه ينتفض على تربيت يامن على كتفه مع قوله الضاحك :





_هتعرف تلبس الدبلة لوحدك واللا ألبسهالك ؟!

_لا ما انا هالبس ...هالبس يعني!

قالها مغتاظاً بنبرة ذات مغزى ليضحك يامن ضحكة عالية سبقت قوله :

_من ناحية لبست ...فانت لبست فعلاً!

_السلام عليكم .

قالها المأذون وهو يجمع أوراقه ليغادر فتأهب مروان منتظراً أن يتركوها معه وحدهما ...

لكن داليا وقفت فجأة لتمسك رأسها قائلة بوجع مصطنع:

_معلش مصدعة ...هادخل أنام !

_تنام ؟!

هتف بها سراً في استنكار وهو ينظر ليامن نظرة راجية لكن الأخير بسط كفيه باستسلام وهو يراقب





عودة داليا لغرفتها التي أغلقت بابها خلفها ليعود ببصره نحو مروان قائلاً :

_نورتنا يا كبير ...والله يا واد وعرفت تنقي!

قالها وهو يخبط على عضده مازحاً لتقول نبيلة بارتباك :

_معلش يا دكتور ...هي فعلاً بقالها كام يوم ما بتنامش .

_أيوة وطلبت مني أقراص للصداع قبل ما تيجي .

قالتها رانيا كاذبة لتدافع عن شقيقتها فالتقطت منها الخيط هانيا لتهتف بسرعة :

_شكلها خدت برد عشان كانت مخففة امبارح .

لكن يامن رمقهن بنظرة تسلية قبل أن يقول لمروان بابتسامة عريضة :

_شكلها بتستهبل!





_يامن!

هتفن بها جميعاً باستنكار ليردف يامن وهو غير قادر على منع ضحكاته :

_ياجماعة هو مروان غريب؟! هو عارف إنها طاقّة ...

ثم التفت نحو صديقه الذي أخرسته الصدمة ليردف:

_هه ...تحب تروّح واللا تيجي أعزمك على سينابون

بالمناسبة اللطيفة دي؟!

الشماتة العابثة في نبرته جعلت مروان يلكمه في كتفه بغيظ قبل أن يعتذر منهم بنبرة مهذبة ليغادر تلاحقه ضحكات يامن الشامتة والذي لكزته ياسمين ليتوقف !!!





وفي غرفتها كانت داليا تستمع للحوار خلف الباب المغلق كاتمة ضحكتها بكفها ...

تعلم أنها تثير جنونه لكنها لم تسامحه بعد على كلماته التي قذفها في وجهها تلك الليلة ...

ولا على تخفيه طوال هذا الوقت خلف واجهة مجهولة !!

لكنها شعرت بخيبة حقيقية عندما غادر هكذا بسرعة وكأنما توقعت أن يتوسلها الحضور !!

لهذا زفرت بسخط من نفسها قبله ثم تحركت لتبدل ملابسها وتستلقي شاردة على فراشها ...

هل غضب منها ؟!

هل سيخاصمها ؟!

_برضه مش هتردي ع التليفون ؟!





رسالته النصية وصلتها لتبتسم كالبلهاء وهي ترد برسالة مكتوبة :

_لا...تعبانة.

_كنتِ زي القمر النهاردة .

_عارفة.

لا تزال ردودها المقتضبة تثير غيظه فاستغل خبرته بها ليكتب :

_بس الفستان كان...وكمان لفة الطرحة...بصراحة...بلاش ...عشان متزعليش.

_كانوا إيه ؟!

كان يستطيع شم رائحة لهفتها المغتاظة في حروفها فضحك ضحكة عالية وهو يعاود الكتابة لها :

_مش وقته انت تعبانة...الف الف سلامة ...بالمناسبة أنا هاروح بكرة الصبح أنقي سيراميك العيادة ...لو هتبقي جاهزة الساعة عشرة هاعدي آخدك...سلام بقا الموبايل بيفصل شحن .





ولم يكد يرسلها حتى أغلق هاتفه ليضحك ضحكة عالية وهو يتصور ردة فعلها على ما كتبه !!

==========

_صباح الخير.

قالتها داليا بعبوس وهي تستقل السيارة جواره في الموعد تماماً ليكتم ابتسامته وهو يرد باقتضاب مشابه :

_صباح النور .

لم يتبادل معها كلمة واحدة طوال الطريق مكتفياً باختلاس النظر نحوها ...

وجهها الخالي تماماً من الأصباغ...

وشاحها وردي الألوان..

معطفها الطويل الأرجواني على سروالها من الجينز ...

وأخيراً حذاؤها الرياضي بلونه الوردي الفاقع الذي تتحرك فوقه ساقها بعصبية ...





يعلم أنها قضت ليلتها تفكر في آخر رسالة أرسلها ...

عقاب مناسب لحماقاتها !

ربما لا يكون من الجيد دوماً أن ترتبط بشخص يفهم مفاتيح روحك كاملة !

انقطعت أفكاره عندما وصل بسيارته نحو المحل المنشود فترجلا منها ليتوجها نحوه ...

راودته نفسه أن يمسك كفها لكنه كان يعلم أنها في أعلى مستويات اشتعالها وقد تنفجر في أي لحظة ...

لهذا آثر السلم تاركاً لها حرية اختيار ما جاءا لأجله ...

ولم يكادا ينتهيان ليستقلا سيارته من جديد حتى بادرها بسؤاله بنبرة محايدة :

_تحبي تتفرجي ع العيادة كمان ؟!

_طيب!





قالتها بفظاظة ذكرته بصديقه ابن خالتها فكتم ابتسامته وهو يتحرك بالسيارة نحو مكان عيادته ...

ظهر الاهتمام على ملامحها العابسة وهي تميز المكان ...

بقعة شعبية الطراز لكنها نظيفة ...

البناية التي تحوي عيادته كانت حديثة الطراز نوعاً مما حمسها أكثر لأن تغادر السيارة وتتوجه نحوها سابقة إياه بخطواتها لتتوقف عيناها أمام يافتة بمدخل العمارة تحمل اسمه ...

وقفت أمامها وعيناها تلتمعان بفخر ...

هذا ...زوجها !

غداً سيكون أمهر طبيب في مصر بل في العالم !

هذا هو رجاؤها الذي لن ترضى له بأقل منه !!





_عاجباكي؟!

سألها ملاحظاً برضا خفي لمعة عينيها لترد باقتضاب دون أن تنظر إليه :

_كويسة .

ابتسم رغماً عنه وهو يستقل معها المصعد نحو العيادة التي فتح بابها قائلاً:

_اتفرجي عليها براحتك ...أنا هاستنى العمال اللي جايبين السيراميك هنا .

لم ترد عليه وهي تستكشف المكان بفضولها المعهود الذي خالطه الآن فرح غامر ...

تحمد الله أن المكان لا يزال في طور التشطيب ...

هنا يمكنها وضع لمساتها كاملة ...

سيبدأ هذه المرحلة وهي معه ...

تشاركه كل خطوة فيها !





الخاطر الأخير ملأها حماسة وهي تجوب المكان تتخيل لون الطلاء ...نوع الديكورات ...تصميم صالة

الانتظار ...وغرفة الكشف التي دخلتها لتتسع عيناها بقوة مع مرأى المشهد الذي تطل عليه ...

برج حمام كبير يعلو سطح المنزل المجاور !

هذا المشهد الذي خطف قلبها وهو يعيد إليها ذكريات قديمة ...

ياالله!!

هل مضت حقاً كل هذه السنوات ؟!!

غابت في شرود طويل فلم تنتبه للوقت بينما وقف هو على باب الغرفة بعد انصراف العمال يراقبها في وقفتها بعينين دافئتين ...

شرودها الطويل أثار فضوله فاقترب منها بقلبه قبل قدميه ...





أنامله تتجرأ أخيراً لتحط على ظهرها برقة أجفلتها لترفع وجهها نحوه هامسة بانبهارها الطفولي :

_شفت المنظر جميل إزاي؟!

لكنه في هذه اللحظة كان يراها هي و قد احتكرت جمال العالم كله !

وجهها الذي طالما عشق تفاصيله الآن يراه أقرب ما يكون ...

أشهى ما يكون ...

عيناها اللتان تمزجان براءتها بشقاوتها تلتمعان الآن بلونهما العسلي في ضوء الشمس ...

أنفها المنمنم ...

وشفتاها المنفرجتان بانبهارها بما تراه !

_فعلاً...جميل.





همس بها بصوت مبحوح من فرط عاطفته بمراد غير مرادها تماماً ...

لتردف غافلة عما يعنيه :

_كان عندنا في بيتنا القديم واحد زيه ...كنت بطلع له مع ماما زمان .

_عارف.

يهمس بها وهو يقترب منها أكثر لكنها ابتعدت عن النافذة لتشيح بوجهها قائلة بنبرة عاد إليها عبوسها:

_لو خلصت ياللا نمشي .

_لسة زعلانة مني ؟!

يهمس بها ولازال كفه على ظهرها لتطرق بوجهها دون رد ...

فامتد كفه الآخر يحتضن وجنتها ليرفع وجهها نحوه مع استطراده :

_طب اديني فرصة أصالحك .





عيناها تشرقان بشمس عاطفتها ...

وعيناه تومضان ببرق عاطفته ...

شفتاه ترتجفان مع هدير قلبه الذي وجد صداه في قلبها هي الأخرى ...

_أنا عارف إن كلامي كان صعب يومها ...بس أنا وقتها كنت ...

قاطعت كلماته عندما بسطت أناملها على شفتيه قبل أن تحسم قرارها لتنزع عنها وشاحها بحركة مفاجئة تاركة لشعرها حرية الانسدال على ظهرها ...لتهمس بعدها بخفوت :

_ما أصدق قيلاً من شعر امرأة يروي تاريخ عاشقها ؟!





اتسعت عيناه بصدمة مأخوذاً من تصرفها قبل أن ينتبه لكلماتها ...

لا ...إنها ليست كلماتها هي إنها كلماته...

مهلاً...

كلمات العاشق المجهول لا مروان !!!

_انتِ عرفتي؟!

يهمس بها بصوت متحشرج وهو يقترب منها خطوة أخرى لتدمع عيناها وهي تجيبه بصوت متهدج:

_الصورة اللي بعتهالي كان فيها انعكاس للوحة في صالة بيتك شفتها يوم ما جيتلك عشان تساعد يامن ...يوم ما جيتلك الجمعية كان اليوم اللي عرفت فيه الحقيقة...كنت متلخبطة ...كل حاجة متلخبطة...كنت جاية عشان أواجهك





وأزعقلك...لا...كنت ناوية كمان أضربك ...بس أول ما شفتك ...أول ما شفتك...

ارتجف صوتها أكثر ليرتعد جسدها معه فربت على كتفها مهدئاً لتردف مسبلة جفنيها :

_افتكرت كل اللي عملته عشاني ...غصب عني لقيتني بحضنك...ماتلومنيش ...جربت تلاقي حلم في خيالك فجأة بقى قدامك لحم ودم ؟!

_جربت.

يهمس بها بنبرة ذائبة وهو يقترب منها حد امتزاج أنفاسهما وقلبه يهدر في صدره حد الجنون ليردف :

_بس برضه مش هسامحك إنك ضيعتي جمال أول حضن بيننا .

ورغم أن حمرة وجنتيها المحترقتين كانتا تفضحان خجلها لكنها لم تستطع مقاومة شقاوة ردودها العفوية :

_سهل يتعوض!





وكأنه ينتظر إذنها !!!

كفه المستريح على ظهرها يجذبها لصدره ليدفن وجهه بين خصلات شعرها فلا يدري أيهم يشتعل بها أكثر ...

أنفه الذي يتلمس عطرها ؟!

أنامله التي تغوص في شعرها؟!

أم شفتاه اللتان تتراقصان بجنون فوضوي فوق رأسها ووجنتيها لتفقدان رشدهما تماماً أمام شفتيها !!!

هل هكذا يكون مذاق الري بعد الظمأ؟!

شعور الدفء بعد طول برد ؟!

صوت الهديل بعد طول صمم ؟!!

بل هل هكذا تكون الحياة بعد طول عدم ؟!!





_مروان...انت بتعيط ؟!

تهمس بها أخيراً بارتياع بعدما أفاقت من سكرتها وهي تشعر ببلل دموعه على وجنتها لتمسحها بأناملها المرتجفة فيأخذ نفساً عميقاً ليعاود ضمها لصدره بقوة هامساً بصوت مرتجف:

_كنت عارف إن اللحظة دي هتيجي ...بس ماكنتش متخيل إنها هتبقى بالجمال ده .

ارتجف جسدها بتأثره وهي ترفع إليه عينيها التي لم تملك دموعها هي الأخرى:

_كنت واثق قوي كده ؟!

قالتها بمشاكسة حاولت بها مداراة خجلها ليضغطها بين ذراعيه أكثر هامساً :

_مهما عملتِ عمري ما كنت هاسيبك تبقي لغيري.

همساته تهدر كالرعد في أذنيها فتزلزلها بصدقها وحرارتها ...




تود لو تقول أنها تحبه فتخرج منها رغماً عنها بدلاً منها ...

_آسفة...أنا ...آسفة ...

تخرج ممتزجة بدمعها الذي تتلقفه شفتاه بنهَم قبل أن يحيط وجهها بكفيه ليهمس بين أنفاسه اللاهثة :

_مش دي يا داليا ...مش دي ...

تعض على شفتها وهي تدرك مراده لتبتلع غصة في حلقها ثم تخرجها أخيراً حارة ملتهبة ...

_بحبك .

لم ينتظرها لتكملها وكأنما أبى إلا أن تولد أول وآخر حروفها بين شفتيه هو...

يسمعها منها بطريقته وتعيدها هي بطريقتها ...

فنعم المتحدث والمستمع!!





يبتعدان أخيراً لكن روحاهما تمتزجان ...

تشعر به يرفع كفها الذي يحمل دبلته لينتزعها منه
برفق قبل أن يلبسها إياها من جديد بنفسه مع
وعود شفتيه التي انسابت دافئة على كفها
كله ...ظاهره وباطنه ...

عشرات الوعود التي يتلقاها قلبها قبل
بشرتها ...فتلهبه قبل أن تشعلها ...

جسدها يرتعد بانفعاله وهي تراه أكثر مشهد
عاطفي تمنته لرجل يلبس امرأة خاتمه ...

_كده ...الدبلة بتتلبس كده .

يهمس بها بصوت لا تدري كيف يمزج قوته
بارتعاشه ...

مزيج يبدو أنه لايتقنه إلا عاشق مثله !





لهذا ضمت كفه نحو صدرها لتهمس له هي الأخرى بمزيج دلالها وعشقها:

_أنا كنت فاكرة إني اتغيرت عشان كنت جنبي سواء كنت عارفاك واللا لأ ...بس إحساسي دلوقت بدبلتك في إيدي ...بإني بقيت شايلة اسمك ...ده أكبر سبب مخليني دلوقت عايزة أليق بيك ...عايزة أستاهل كل الحب ده .

ابتسامته تتوج شفتيه وهو يرفع كفها نحو صدره هو هذه المرة ليهمس لها :

_الحب ده تستاهليه من زمان ...مش محتاجة غير إنك تبقي انتِ وبس.

_ممكن أطلب منك طلب ؟!

تسأله بين رجاء وغنج لتمنحها عيناه وعده فتردف :

_ماتحرمنيش منه ...أنا حبيته زي ما حبيتك !





ينعقد حاجباه بدهشة للحظة قبل أن يفهم ما تعنيه ...

لتستطرد هي بنبرتها التي عادت إليها طفوليتها :

_خلليه دايماً يكلمني من نفس الحساب بالفصحى من وقت للتاني ...يسأل عليّ ...أجري عليه أحكيله يومي كله ...وأشتكيله حتى منك لو زعلتني !

أغمض عينيه بقوة لتسيئ فهم ردة فعله فتهتف بانفعال :

_أنا مش مجنونة أنا بس ...

_أنا اللي مجنون يا داليا ...

يقاطع بها كلماتها لتنتهي حروفه بين شفتيها :

_مجنون بيكي .

============

على اليخت الخاص به وقف حسين يراقب عبر منظاره ...





عملية "الوداع" كما أسماها !!

ابتسامة ظافرة ترتسم على شفتيه وهو يتذكر كيف تمكن من إخراس كل صوت هدد بسقوطه ...

البقاء للأقوى ...

وهو دوماً كان الأقوى!!

لكنه تخير الاكتفاء بهذا الحد من أعماله خلف الستار ...

لن تسلم الكرة كل مرة كما يقولون !

ابتسامته الظافرة تتسع وهو يرى السفينتين هناك تقتربان بحمولتهما ...

بقيت الخطوة الأخيرة ويشرب نخب النصر!

_انت جايبنا هنا ليه النهارده ؟!





تسأله شوشو خلفه بابتسامة رقيقة زادت فتنة ملامحها ليلتفت نحوها قائلاً بلهجة عابثة :

_مش قلتيلي إنك بتحبي البحر ؟!

_جداً .

قالتها بعينين تلتمعان غموضاً لم يفهمه فاقترب منها أكثر ليمسك كتفيها لكنها ابتعدت تمنعه بقولها المتدلل:

_مش قلنا مفيش حاجة قبل الجواز ...هانت كلها يومين ونكتب الكتاب زي ما وعدتني .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة من سذاجتها وهو يقارن صورتها هذه بصورتها في أول مرة استقبلها في مكتبه عندما تعمد سكب المشروب فوق ثيابها ...

كيف لحق بها في حمام مكتبه الذي أغلقه خلفه ليبدأ في مغازلتها بما كان واثقاً أنه أطار صوابها ...

يومها تعمد أن يجتذبها بالطريقة الأحب لقلبه ...




ببطء لكن بثبات كما يقولون ...

لهذا اكتفى وقتها بإلقاء الشباك ليتركها تغادر مكتبه محتفظاً بذكرى بسيطة منها ...

وشاحها الذي نسيته خلفها واحتفظ به في درج مكتبه !!

الحمقاء تظنه يحبها ويريد الزواج منها ...

ولا تعلم أنه يعد لها مفاجأة في شقته الخاصة بعد يومين فقد بدأ يشعر بالملل خاصة واشتهاؤه لها يزداد يوماً بعد يوم ...

_أكيد يا حبيبتي ...مش قادر أصبر لحد ما تبقي ...

صوت إطلاق نار قريب يقاطع عبارته لينتفض مكانه قبل أن يرى عدداً من المراكب يقترب منه مع الصوت الذي صدح حوله :

_سلم نفسك يا حسين ....رجالتك وبضاعتك معانا.





عيناه تتسعان بصدمة مع وجهه الممتقع وهو يسمع تبادل إطلاق النار بين الجانبين ...

قدماه تتجمدان وخوفه يمنعه حتى محاولة الهرب ...

وفي ثوانٍ كان محتجزاً بين أيديهم يطالعهم بنظرات مصعوقة لتقترب منه شوشو قائلة بظفر:

_معلش يا حسين بيه...مايقع إلا الشاطر ..

التفت نحوها بنظرة حادة لتردف بابتسامة بائسة :

_كل حاجة كانت محسوبة...من أول تقربي لهيثم عشان يبقى سلمتي ليك ...وبعدين زيارتي ليك في المكتب عشان أزرع جهاز التصنت ...وبعدها انت سهلت بقية

الأمور بطبعك ال(...)!

أطلق سبة بذيئة وهو يحاول التحرر من محتجزيه مهدداً بعبارات صارمة :

_اللي زيي ما بيقعش ...هتدفعوا كلكم تمن اللي عملتوه .





لكنها أعطته ظهرها لتغادر المكان كله بخطوات قتلها حزنها !!

لقد كسبت الصراع ونجحت المهمة ...

لكنها يقيناً خسرت قلبها ...

قلبها الذي تورط رغماً عنها في حب ابن ذاك الرجل ...

"هيثم"!

======

القطعة الثانية عشرة

=========

"سينابون"!!

حقاً ...هكذا نحن ...مزيج من مذاق القرفة اللاذع و"الصوص" الحلو ...

والعجين المتخمر بماء الماضي!

=========

تخطو ياقوت داخل الحديقة بقدمين مرتجفتين من فرط تأثرها بجمال المكان ...

رائد لم يبنِ لهمسة بيتاً بل صنع لها عالماً بأكمله هنا !!

الحديقة الواسعة ...الكوخ المستدير بنوافذه المزينة

بالزهور ...

المبنى ذو الطابقين بالغ الأناقة والرقة ...

المسبح الواسع ...

وما هذا أيضاً ؟!





غرفة للألعاب مفتوحة السقف !!

_همسة طول عمرها بتحب المراجيح ...لعبة الميزان دي عندها عشق ياما لعبناها سوا زمان ...والزحليقة ...والعُقلة دي ...كنت بفهمها زمان تلعبها كتير عشان تطوَل !

قالها رائد بنبرته ذات الشجن التي امتزجت ببعض المرح في عبارته الأخيرة وهو يلاحظ دهشة ياقوت لغرفة

الألعاب ...

فالتفتت نحوه لتقول بابتسامتها الطيبة :

_ياريت لكل مريض عندي ألاقي حد بيحبه زيك كده ...هيسهل مهمتي كتير .

فتنهد بحرارة ليطرق برأسه وهو يسير جوارها متجهيْن نحو كوخ همسة قائلاً :





_ماتتصوريش فرحتي لما لقيتني بتكلم وهي بتسمعني عادي ...حسيت وقتها إن قلبي هيقف ...حسيت إني ممكن أرجع أسامح نفسي ع اللي عملته زمان ...بس لما رجِعت تصرخ أول ما شافتني ...

قطع عبارته دون أن يكملها بقنوط تفهمته هي لتقول بنبرتها المهنية :

_من ناحيتي بعتبر ده تطور ممتاز ...مش أي حالة زي

حالتها هتوصلله ...انت عملت في كام يوم اللي ما قدروش يعملوه في كام سنة ...همسة كانت فعلاً محتاجاك .

فارتسمت على شفتيه ابتسامة تقدير وهو يلاحظ تواضعها الذي منعها نسب أي فضل لنفسها ...ليقول بامتنان وافر:





_تعرفي ؟! أول مرة شفتك فيها سألت نفسي يا ترى هتكوني نعمة العيلة دي واللا نقمتها ؟!

رفعت حاجبيها بترقب تنتظر تكملة عبارته ليجيبها باحترام حقيقي:

_وكل يوم بلاقي الإجابة أوضح ...مش بس تأثيرك على همسة...لكن كمان كنتِ سبب إني أتجرأ وأقف قصاد زين ...بالمناسبة ...هو عامل إيه معاكي؟!

_عمله اسود !

هتفت بها "العفريتة الساخطة" بداخلها لتترجم هي العبارة بما يليق:

_مفيش جديد ...ماتشغلش بالك أنا هاتصرف ...

ثم تصنعت الانبهار لتغير الموضوع بقولها :

_يااااه...الكوخ من قريّب رهيب ...كأنه خارج من قصة خيالية !

_هتقريلها حاجة النهاردة ؟!




سؤاله البريئ أعاد لها ذكرى مشتعلة للقائها الأخير مع زين حتى كادت ترد بالنفي ...

لكن قناع مهنيتها عاد يتملك زمام الأمور بقولها :

_ممكن ...لما أشوفها هاحدد .

_هاستخبى ورا الشجرة هنا .

قالها ببعض الأسف وهو يأخذ مكانه القريب
فرمقته بنظرة مشفقة قبل أن تتوجه بخطوات ثابتة نحو الملاك الذي لم يعد سجيناً ...

وفي مكانها كانت همسة تجلس معصوبة العينين على كرسيها ...

لا ...لم يعصب أحد عينيها بل هي من فعلت !!

كأنما تيقنت أن "الطيف العاشق" لن يظهر إلا لو كانت لا تراه...

وهي تريد حضوره ...





تشتاق عطره ...لمساته...همساته الحانية بصوته الذي تذكره رفيق عمرها ...

تشعر بالباب يفتح فتتأهب حواسها ...

لا ...ليس هو ...ليس عطره...

إنـها هي ...

"حورية الخيال" التي تروي لـها الحكايا !!

هل عادت ؟!!

تبتسم وهي تقف مكانها لتتقدم نحوها ياقوت بابتسامة حب لا تدعيه ...

عناقها يسابق كلماتها وهي تضمها لصدرها بلهفة ...

لهفة شاركتها إياها همسة التي تشبثت بحضنها بقوة وأبت تركها للحظات طالت ...

هذا الذي أرجف قلب ياقوت مستشعرة مكانتها لديها لتسألها بنبرة عاطفية لم تخل من حذر :

_وحشتيني يا همسة ...أنا وحشتك ؟!





تومئ برأسها إيجاباً لتعاود ياقوت القول:

_طيب شيلي الرباط من على عينيكي عشان تشوفيني .

لكن همسة تهز رأسها رفضاً لتتساءل ياقوت بصبر :

_ليه ؟!

لم تكن تطمح كثيراً في رد مع علمها بقلة كلامها لهذا شعرت بالرضا مع جواب همسة الخافت :

_عشان ييجي...هو بييجي لما بخبي عنيا...وبيسيبني لما بفتّح !

أغمضت ياقوت عينيها بتأثر لتمسك كتفيها وتجلسها مكانها قبل أن تجلس جوارها لتسألها :

_وانتِ عايزاه ييجي؟!

إيماءة بالإيجاب كانت الرد ...

_فاكرة عنه إيه ؟!

_بيحبني...بحبه .





همساتها المتلعثمة كانت أكثر من مرضية لياقوت التي

قالت بأمل :

_وإيه كمان ؟!

تنفرج شفتا همسة وكأنها على وشك الرد لكن نداهة

عالمها القاهرة تعاود جذبها لتشيح بوجهها دون رد ...

_همسة !

تناديها ياقوت بترقب لكنها لا تتلقى رداً فتمط شفتيها باستياء قبل أن تخرج من حقيبتها كتاباً لتبدأ في قراءته لها ...





ابتسامة همسة الوليدة تحبو على شفتيها برقة قبل أن تتقافز برشاقة لتتحول لضحكة قصيرة مع توالي الصفحات ...

فتلتمع عينا ياقوت بحنان وهي تراقب ملامحها مشفقة ...

قبل أن تقوم لتقبل رأسها بعمق :

_هاضطر أمشي دلوقت عشان ورايا شغل...هاجيلك تاني.

لكن همسة تتشبث بذراعها بقوة دون صوت للحظات قبل أن تهمس أخيراً:

_زين.

كلمة واحدة ضربت صدر ياقوت كحجر ثقيل وهي تعترف في نفسها أنه يملك حقاً هذا التأثير الجليل في أخته ...

هي تفتقده رغم أنها تعيش فيما يشبه الجنة هنا!





_وحشك ؟!

تسألها بإشفاق لتجيبها بإيماءة رأس مع جوابها المتلعثم:

_انتو..دايماً ...سوا!

ثلاث كلمات لم تقصد همسة بهما إلا أنها كانت تراهما سوياً في أغلب زيارات ياقوت لها ...

لكن الحروف لاقت صدى خاصاً في قلب ياقوت التي تلقاها قلبها البائس ك"نبوءة"...

وعقلها المشتعل ك"لعنة"...

وروحها المتمردة ك"قرار واجب العصيان"!!

لهذا ازدردت ريقها بتوتر وهي تحاول دفع كل هذه الأفكار عن رأسها لتعود لقناع مهنيتها :

_هييجي قريب يشوفك ...انتِ كمان وحشتيه قوي .




لكن وجه همسة يعود لترتخي ملامحه في غياهب الشرود البعيد ...

فتتنهد ياقوت بحرارة قبل أن تخرج من الكوخ لتتوجه نحو ذاك المختبئ هناك ...

_عاملة إيه ؟! كويسة ؟!

يسألها بقلق لترد بابتسامة طيبة تميزها:

_رابطة عينيها مخصوص عشان مستنياك ...عارف ده معناه إيه ؟!

عيناه تتسعان بدهشة للحظة قبل أن تلتمعا بتأثر خنق كلماته لتردف هي بانفعال حماسي:

_همسة بدأت تحارب نفسها بنفسها ...بدأت تاخد نفس الجبهة معانا عشان ترجع لعالمنا ...بقت بتربط عينيها وتشيل الرباط بمزاجها ...برغبتها مش مستسلمة لإرادة حد ...عارف معنى إنك تزرع الرغبة في مريض بحالتها ده إنجاز شكله إيه ؟!!





دمعت عيناه مع ارتجاف شفتيه قبل أن يرفع وجهه للسماء فيما لم تدرِ هل هو مجرد هروب من ضعفه أمامها ...

أم دعاء متضرع لربٍ لا يخيب راجيه !!!

_ادخل لها ...أكيد عندك حاجات كتير زي "الدبوسين" تفكرها بيها ...خللي الماضي بوابة للمستقبل ...هو ده

علاجها وعلاجك .

قالتها بيقين ليخفض بصره نحوها بنظرة ممتنة قبل أن يغادرها لتراه من مكانها يفتح الباب ليدخل ...

يجثو على ركبتيه أمام "معصوبة العينين" ليستخرج من جيب قميصه عقداً من الفل لفه حول رقبتها ...





ثم تناول من جيب قميصه ما بدا كدبلة وضعها في إصبعها ..

يهمس في أذنها بما لم تسمعه هي لكنها رأت أثره على همسة التي مدت ذراعيها تحتضنه بقوة قبل أن تنحني بوجهها لتقبل وجنته ...

فاحمرت وجنتاها بخجل وهي تعطيهما ظهرها لتغادر المكان بابتسامة راضية شوهها طيف زين الذي اقتحمها بغزو مسيطر ...

هي وعدته أن ترد له أخته قبل رحيلها من عالمه ...

وها هي ذي توشك على تنفيذ ما عاهدت به...

فهل يفي هو الآخر بوعده ؟!

==========

_مش في سريرك ليه ؟! برضه ما بتسمعيش الكلام ؟!





هتفت بها إيناس باستنكار لغادة التي وقفت في المزرعة أمام الأرانب تراقبها بحنان قبل أن تلتفت لإيناس قائلة برقتها الفطرية :

_زهقت من السرير يا "أنّا" ...سيبيني هنا شوية أشم هوا .

ربتت إيناس على كتفها ثم جذبت لها كرسياً وضعته جوارها قائلة :

_خلاص اقعدي ما تقفيش .

_أوامرك يا ست الكل .

قالتها غادة بمرح لتجلس فضحكت إيناس لتنحني مقبلة رأسها قبل أن تجذب كرسياً آخر وتجلس جوارها متسائلة :

_مش ملاحظة إن سيف ما زارناش من ساعة ما خرجتِ م المستشفى ؟! مع إنه ما سابناش ولا يوم واحنا هناك !!





ارتبكت ملامح غادة وهي تود لو تخبرها أنها أحوج لمعرفة السبب منها !!

هذا التقارب الغريب الذي اكتسحهما بعد حادثتها الأخيرة تحول فجأة لقطيعة لا تفهم سببها!!

تراه لا يزال يشعر بالذنب تجاه آنجيل ؟!!

هل لا يزال يحرم على قلبه الحياة كما "كانت" تفعل هي بعد أحمد ؟!!

"كانت"؟!!

هل يعني هذا أن رأيها قد تغير؟!!

الخاطر الأخير يملأها بالضيق المشوب بالذنب وهي تسترجع حوارها مع هانيا عندما كانت هنا قبل رحيلها ...

_مش عايزة تقوليلي حاجة عن سيف؟!

تسألها هانيا بمكر لترد هي بمكر مشابه :

_حاجة زي إيه ؟!

_عيب يا دودا ...ده احنا دافنينه سوا !




تغمزها بها هانيا لتبتسم بخجل ناسب جوابها :

_لو فيه حاجة هاقوللك .

_ما هو فيه !

تقولها هانيا بإصرار لتردف:

_لو انت غلسة وهاتخبي فأنا أغلس منك وهاعرف ...ياللا اعترفي!

ابتسامتها الخجول تتسع وهي تحكي لها عن اعترافه لها في غيبوبتها وهو يظنها لا تسمع ...

قالتها متحاشية تماماً ذكر أي شيئ يشير لماضيه مع آنجيل ...

هو سره الخاص الذي لن تفضحه ولو لصديقتها .

_أوووه ...يعني "النفري" ده وقع خلاص؟!

هتفت بها هانيا لتردف بحماس :

_والله كنت حاسة ...من ساعة ما كلمنا يقوللنا وصوته بيرتعش وأنا قلت ده سحر غادة الجامد !





ضحكت غادة ضحكة آلمت جرحها لتردف هانيا بنفس الحماس:

_يااه يا غادة ...تخيلي لو بعد العمر ده نبقى

سلايف ...ويرجع هو مصر وتعيشي معايا في نفس البيت !

ورغم أن الكلام لامس صداه في قلب غادة لكنها هزت رأسها قائلة :

_ما تخليش دماغك يروح لبعيد ...هو لسه ماخدش أي خطوة ...ممكن يكون اعترافه وقتها مجرد انفعال مش أكتر ...ويمكن أكون أنا اللي كنت بخرف وفهمت غلط...وحتى لو ده حقيقي ...تفتكري حماتك هترضى بواحدة بظروفي لابنها اللي قعد ده كله من غير جواز؟!

ظهر الاستياء على وجه هانيا قليلاً وهي تدرك في نفسها صحة الجزء الأخير من الكلام على الأقل ...

لكنها كذلك كانت تدرك قوة تأثير سيف على والدته لهذا هتفت مسرعة :




_بلاش كلام فارغ ...ظروفك إيه ما انتِ زي الفل ؟!

وبعدين سيف بالذات كلمته عند مامته ما بتتردش ...لو

قال حاجة ...هيعملها!

_ده لو قال !

قالتها غادة ببعض القنوط لتضحك هانيا ضحكة عالية سبقت قولها الماكر:

_يعني ده المانع دلوقت بس؟! نعتبر موافقتك موجودة ؟! تحصيل حاصل يعني!!!

_سرحتي في إيه مخلليكي مبتسمة الابتسامة الحلوة دي؟!

سألتها إيناس لتنتزعها من شرودها فالتفتت نحوها لتتسع ابتسامتها لثوانٍ قبل أن تغير الموضوع بقولها المشاكس :

_بفكر أعمل لعمو علاء بيتزا تخلليه يحرّم يسيبني في البيت ويرجعني أروح معاه البازار تاني!

ضحكت إيناس ضحكة صافية لتلوح بكفها هاتفة:

_لا...ما تحاوليش...كل حاجة منك على قلبه زي العسل!

_مممممم...هنغير يا أنّا؟!

سألتها تشاكسها بمرح لتتنهد إيناس وهي تقترب منها لتضم كتفيها بذراعها قائلة بشرود بائس:

_سبحان من عوضنا بيكِ...عارفة يا غادة ؟! بعد موت هاني الله يرحمه قلت البيت ده مش هيدخله ضحك تاني أبداً...عمك علاء اللي ما بيبطلش هزار دلوقت ده كان يقعد مخبي وجعه طول النهار وأصحى بالليل على صوت نهنهته وهو مخبي وشه في المخدة وبيكلم هاني كأنه شايفه...كنت بقول لنفسي هي شوية أيام قليلة هنقضيها ونحصله ...بس بعد ما ربنا بعتك لينا حسيت إنك فعلاً العوض اللي كنا مستنيينه !





دمعت عينا غادة بتأثر لترفع إليها عينيها بقولها:

_امال أنا أقول إيه ؟! أنا عمري ما عشت إحساس أب وأم

إلا معاكي ومع عمو ...ربنا عالم إني كنت يتيمة لحد ما لقيتكم .

فتنهدت إيناس بحرارة وهي تضمها إليها أكثر لتسألها بتردد :

_والدتك لسه ما بتكلمكيش؟!

لكن غادة هزت رأسها نفياً لتقول بابتسامة باكية :

_هي خلاص شالتني من حساباتها ...أجمل حاجة عملتهالها إني سافرت وشلت حملي عنها ...كلمتها من كام يوم بعد ما فقت من الحادثة بس مارضيتش أقوللها ...

ثم أطرقت برأسها في خزي مقهور لتردف:





_عايزة الحقيقة اللي تكسف؟! هي اللي ما ادتنيش فرصة أقوللها ...قفلِت معايا بسرعة كأنها خايفة أرجع أشيلها حملها تاني !

احمر وجه إيناس بغضب مغتاظ وهي تكتم سباباً تود لو تطلقه !!

له في خلقه شئون!!

أي قلب "أم" هذا الذي يلفظ ابنته هكذا ؟!!

لكنها لم تشأ مضايقتها أكثر فعادت تربت على كتفها لتقول بابتسامة راضية :

_ده من حظنا احنا عشان تبقي وسطنا ...

ثم أخرجت هاتفها من جيبها لتردف بحماس:

_هاكلم سيف وإسلام ييجوا يتغدوا معانا ...سيف كان قايل لي لما أعمل ملوخية بالأرانب أقوله.





تحفز جسد غادة بلهفة لم تخفَ على عيني إيناس التي تهللت أساريرها وهي تسمع صوت سيف على الهاتف لتقول بحنانها الغامر:

_وحشتني يا قلب "أنّا"...ما بتجيش ليه ؟!

وعلى الجانب الآخر من الاتصال كان هو يقاوم استسلامه لنداء قلبه بعد مواجهته الأخيرة مع إسلام الذي قاطعه تماماً بعدها ...

لكنه يعذره!

لو كان مكانه لفعل مثله وأكثر!!

لهذا أخذ قراره ببتر هذه العلاقة التي لا يستحقها على أي حال !!

_مشغول قوي يا "أنّا"...معلش .

_عاملالك الأرانب اللي بتحبها ...أظن ده إغراء ما يتقاومش!





يبتسم ساخراً بمرارة وهو يود الاعتراف أن "كل ما في المزرعة" صار إغراء لا يقاوَم...

لكنه سيفعل!!

بكل ما أوتي من قوة سيفعل!!

_خلليها مرة تانية ...قولي لإسلام هو ممكن يبقى فاضي.

قالها مدفوعاً بعقدة الذنب كعهده لترد المرأة بعتاب حنون:

_هو كمان بطّل ييجي ...خلاص ما عاد ليش حق فيكم .

_ما تقوليش كده يا "أنّا"...انتِ عارفة انتِ عندنا إيه .

بعاطفته المخلصة يقولها فيسمعها تدعو له قبل أن تتأهب لإغلاق الاتصال ...





يتردد قليلاً قبل أن يسألها بصوت خرج منه مرتجفاً:

_غادة...كويسة؟!

_خدها سلم عليها بنفسك!

تقولها إيناس لتقذف الهاتف في كف غادة دون أن تمنح أياً منهما الفرصة للتراجع ...

صوتها المغناج بطبيعته يعاود عزفه الخاص على وتر بقلبه...

وتر صار يخصها هي ...هي وحدها !!

_إزيك يا سيف؟!

يغمض عينيه بقوة مستحضراً صورتها ...

لا ليست صورتها الشاحبة في المشفى ...

ولا صورتها المتحفظة في المزرعة ...





بل صورتها التي أسرت قلبه منذ رآها ...

خصلات شعرها النبيذية تتراقص حول وجهها الفاتن وضحكتها تنافس رقصها في الإغواء...

صورة لا يدري هل كرهها وقتها لأنها ذكرته بماضي آنجيل ...

أم لأنه تمنى ساعتها لو تكون كل هذه الفتنة ملكه هو !!

والآن يشتهيها بقدر ما كرهها ...

هي "امرأة المتناقضات" التي لم يقابل في حياته أنثى مثلها تجبره أن يحب فيها كل شيئ و "ضدّه"!!

قوتها وضعفها ...

تباعدها وتدانيها ...

دلالها الفطري دون ميوعة و تحفظها المحتشم دون خشونة ...





قلبها الذي "تفكر" به... و"عقلها" الذي به تغلف عاطفتها ...

تبادل عجيب للسلطات لا تكاد تتقنه امرأة عرفها سواها !!

امرأة ليست له للأسف!

_سيف؟!

صوتها المعذّب ينتشله من فردوس عاطفته ليعيده لجحيم الذنب ...

لهذا خرج صوته مرتعشاً بين هذا وذاك :

_إزيك يا غادة ؟! صحتك عاملة إيه ؟!

هل تبالغ لو قالت إن ذبذبة لهفته اكتسحتها حتى مع صوته المقتضب الغارق بتحفظه ؟!

اكتسحتها حد أن وجنتيها احمرتا خجلاً حاولت مداراته بتصنع المرح:

_مزعّل "أنّا" ليه ؟! بتقول دي أول مرة تطلب فيها منك تيجي وما ترضاش !

_غصب عني يا غادة ...غصب عني .

تهدج صوته فضح لها عاطفة يجاهد ليخفيها فخفق قلبها بقوة وهي لا تزال تتصنع المرح :

_انت الخسران !

_أكيد...أنا الخسران !

انقبض قلبها بلوعة اخترقتها عبر هذه المسافة وهي تشعر أن عبارته تحمل أكثر بكثير من بساطتها الظاهرة ...

لا يزال يرضى بالخسارة ؟!!

لا يزال هائماً مكبلاً بسماء ذنب توهمه بالتحليق !!

لكن ماذا عساها تصنع؟!





مادام يرتضي الفراق فهنيئاً له به !!

لهذا جفت لهجتها نوعاً وهي تغلق معه الاتصال لتناول إيناس الهاتف قائلة ببساطة تكلفتها :

_ياللا عشان نلحق نحضر الغدا .

قالتها وهي تتحرك لتغادر فرمقتها إيناس بنظرة متفحصة وهي تخشى تصديق ما يخبره به قلبها ...

غادة عالقة بالمنتصف بين سيف وإسلام !!

ليت الصديقين لا تفرقهما امرأة !!

وفي مكانه ظل سيف يتشبث بالهاتف بين أنامله للحظات وكأنما يتعقب آخر ما بقي له منها ..

ثم وضعه جانباً بقنوط ليتجه نحو المطبخ وقد تذكر أنه لم يأكل شيئاً منذ الأمس!!

يتحرك بآلية وهو يحضر لنفسه بعض الشطائر مقتنعاً نفسه أن ما يفعله هو الصواب ...





حياته توقفت منذ زمن فلماذا يحثها الآن على الدوران ؟!!

أفكاره تنقطع بوخز ألم والسكين يجرح أصابعه لكنه يبقى يراقب الدم بشرود ...

ابتسامة واهنة تداعب شفتيه وهو يتذكر أن مثل هذا الدم الآن يجري في عروقها هي ...

حسناً..لعل هذا عزاؤه رغم كل شيئ ...

مهما افترقا سيبقى بداخلها "بعضٌ " منه ...

كما سيبقى بداخله "بعضٌ" منها ...

علامَ يحزن ؟! ولماذا يحارب ؟!

هي بكليتها لم تكن سوى حلم أجمل من أن يتحقق!

=======

"المصائب لا تأتي فرادى"!!

هكذا فكر إسلام وهو يراقب بذعر نتيجة التحليل الذي تسلمه منذ قليل بعد صدمته قريبة العهد بخبر إلقاء القبض على أبيه !

زفر زفرة ساخطة وهو ينتقل ببصره لهذا الطفح الجلدي زهري اللون على بشرة كفيه مع هذه البقع البيضاء داخل فمه فاضحة مرض "الزهري"!

كيف حدث هذا ؟!

كيف تخلى عن حذره المعهود الذي ظنه سينجيه ؟!!

لابد أن تلك الساقطة نقلته له عبر لقاءاتهما الجنسية التي زادت مؤخراً !!

قلبه ينقبض بشعور هائل بالاشمئزاز من نفسه ليزيد رنين هاتفه من خنقة روحه ...





_أيوة يا ماما ...ما اتأخرتش ولا حاجة...انتِ فاكراني في بلد أبويا هاقوللهم أنزل هينزلوني؟!

هتافه الساخط الذي أججه انفعاله يلاقي دموعها المنهمرة على الجانب الآخر من الاتصال فيزفر بقوة من جديد مردفاً بنبرة أكثر رفقاً:

_أنا آسف يا ماما...ما قصدتش أزعق...أعصابي مشدودة والخبر كان صدمة .

قالها وهو يتهالك جالساً على فراشه مسترجعاً تلك اللحظة التي علم فيها عن إلقاء القبض على أبيه بتهمة

الاتجار في المخدرات!!

إلى الآن لايزال لا يصدق!!

هو -بالكاد- تقبل حقيقة زواجه وإنجابه من الخادمة ...

ظنها مجرد نزوة عابرة وخطأ لم يمكنه إصلاحه...





لم يحسب أن قمة الجبل الجليدي التي ظهرت فوق السطح تخفي قاعاً عميقاً متشعباً بهذا السواد !

أمه وهيثم لايزالان ينكران متشبثين بسراب براءته لكنه هو لا يفعل!

حدسٌ بداخله يخبره أن الواجهة الأنيقة لرجل الأعمال والخير لم تكن سوى قشرة خادعة !!

لكن ماذا عساه يصنع؟!

يهرب؟!

هو عاش عمره الماضي كله يهرب!

يهرب من أي مسئولية..من أي خطإ ..حتى أخطاؤه هو !!

لكن الآن ...

ألا يزال ترف الهرب خياراً مباحاً؟!!

_ارجع بسرعة يا إسلام ...ماعادش لنا غيرك ...أخوك مصدوم ومنهار من ساعة اللي حصل وخايفة يجراله حاجة .

تقولها جيلان -أمه- بنبرة راجية غريبة على اعتدادها المعهود ليدرك أي مصيبة خلفها حسين وراءه !

_ماتقلقيش يا ماما...هارجع في أقرب طيارة ...خللي بالك من نفسك ومن هيثم .

يغلق بها الاتصال قبل أن يلقي هاتفه جواره ...

يدفن وجهه بين كفيه وهو يشعر أن أبواب الدنيا كلها قد غلقت في وجهه فجأة !!

"بتاع البرقوق" الذي كان يعيش حياته طولاً وعرضاً ...

النساء ...المال ...الجاه...السمعة...





كل هذا صار في عينيه حفنة من تراب!!

رنين باب شقته يقاطع أفكاره فلا يحتاج لمعرفة الطارق ...

صديقه لن يتركه بعدما علم الخبر!!

لهذا تقدم بخطوات متهالكة يفتح الباب الذي أطل منه وجه سيف الجزع:

_الكلام اللي قاله عمو علاء ده بجد ؟!

أومأ إسلام برأسه مجيباً قبل أن يفسح له المجال ليدخل فعاد سيف يهتف بانفعال:

_أكيد فيه غلط..ممكن حد منافس يكون ملفقهاله !

لكن إسلام ابتسم ساخراً ليرد بمرارة :




_نفسي أبقى متفائل زيك كده ...بس للأسف الجو كله بيقول مش متلفقة .

اكفهر وجه سيف بحزن حقيقي وهو يؤازر كتفي صديقه بكفيه قائلاً :

_مش عارف أقوللك إيه في المصيبة دي بس أنا معاك في أي حاجة...انت مسافر امتى؟!

_يومين بالكتير !

_اصبر شوية وآخد أجازة وأنزل معاك ...ماينفعش تبقى لوحدك .

هتف بها سيف مشفقاً عليه من مواجهة أمر كهذا دون سند خاصة وهو يدرك طبيعة صديقه الاتكالية الميالة للدّعة ...

لكن إسلام ربت على كفيه فوق كتفيه قائلاً :





_غالباً مش هاقدر أرجع تاني هنا قريب ...خلليك انت جنب عم علاء و"أنّا"..بلاش يحسوا إن الدنيا فجأة فضيت حواليهم .

رمقه سيف بنظرة حائرة مشتتة وهو لا يدري كيف يساعده في أزمة كهذه ...

لكنه وجد الفكرة تطفو لذهنه فجأة :

_رامز هناك هاكلمه وأخلليه يبقى معاك خطوة بخطوة .

فابتسم إسلام ليرد بنفس السخرية المريرة :

_هو أنا ما قلتلكش ؟! مش السيد الوالد يبقى الراس الكبيرة ورا خراب مصنع عديل رامز...شفت الدنيا ضيقة إزاي؟!

اتسعت عينا سيف بصدمة ليتراجع للخلف خطوة ...

مصنع أشرف زوج شقيقة هانيا !!





لقد أخبرته أمه وقتها لكنه الآن يربط الأمرين معاً!!

يالله ...كيف سيطلب من رامز مساعدة إسلام ؟!

بأي وجه ؟!!

_ما تشيلش همي يا صاحبي ...يظهر إن الدنيا خلاص بتوريني وشها التاني .

قالها إسلام بقنوط وهو يتحرك ليعطيه ظهره لكن سيف تحرك ليقف قبالته قائلاً بحزم :

_أنا مش صاحبك يا إسلام ...أنا أخوك ...مش بعد السنين دي لسه هافكرك ؟!

ثم ارتجفت حروفه بشعوره بالذنب ليردف:

_ولو لسة زعلان من موضوع غادة فأنا من يومها ما عتبتش المزرعة ...ولو عايزني ما أروحش هناك مش...

_وهاتقدر ؟!

قاطعه بها إسلام بذات التهكم المرير ليهتف سيف بنبرة كاذبة فاح فيها شعوره بالذنب:

_الموضوع مش كبير زي ما انت فاهم...الظاهر إنها بس فكرتني بآنجيل لكن أنا الحقيقة مش ...

قطع عبارته عاجزاً عن إكمال الكذب وهو يدرك أن إسلام في هذه الظروف لن يحتمل المزيد من الخذلان ...

لكن إسلام صمت قليلاً ليربت هو على كتفه قائلاً بصدق يدحض كذب صديقه :

_غادة مش لايقة عليّ ...زي ما أنا مش لايق عليها ...أنا اللي لازم أبقى بره المعادلة مش انت ...

كاد سيف يهتف باعتراض لكن إسلام أردف بنبرة عاد إليها تهكمها المرير:





_مش هنتعازم يا صاحبي! ...هي اختارتك ...وبصراحة...المفروض أشكرها على كده ...لما بنبعد بنشوف الصورة أوضح...دلوقت أقدر أحكم إني ما حبتهاش...أنا "بتاع برقوق" واللا نسيت ؟! اللي زيي مايعرفش يحب ...كبيره يتنطط من واحدة للتانية ...وغادة ما تستاهلش مني كده .

عقد سيف حاجبيه وهو يشعر أن النبرة اليائسة لصديقه تخفي حولها حملاً أكبر بكثير من أن يتحمله وحده ...

تراها مصيبة والده فحسب؟!

أم أنه يخفي شيئاً آخر؟!!

لكن إسلام أخفى كفيه المصابين خلف ظهره بخزي خفيّ مردفاً:

_يمكن سفري في الوقت ده هو الاختيار المناسب لينا كلنا...ودلوقت دورك انت تخرج من دايرة




الماضي اللي عشت طول السنين دي حابس نفسك فيها ...

ثم ابتسم ابتسامة مختلفة هذه المرة حملت ما حملت من الرجاء واليأس ...لينهي الحديث بقوله :

_لو عايز فعلاً ترضي صاحبك افرح يا سيف ...افرح وفرّحها...ارمي ذنب زمان ورا ظهرك احنا مش هنعيش مرتين .

========

_اللهم عامله بفضلك لا بعدلك وبإحسانك لا بميزانك ...أبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من





أهله...اجمعني معه تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك !

غمغم بها عابد داعياً بصوت مسموع أمام قبر أبيه لتنخرط ياسمين جواره في البكاء فضمها لصدره بحنان ثم قبل رأسها قائلاً:

_بكاؤنا لن ينفعه الآن ...الدعاء أولى .

كفكفت ياسمين دمعها وهي تتمتم بالدعاء سراً قبل أن تشعر بيامن يجذبها من ذراعها بغيرة استشعرتها ليحيط كتفيها بذراعه بحمية مع قوله :

_ياللا عشان نلحق القطر ...عمي مستنينا من بدري .

قالها ليتحرك ثلاثتهم مغادرين منطقة المقابر التي أصر عابد على زيارتها قبل مغادرته العاصمة حيث





توجهوا نحو سيارة يامن التي استقلها نحو محطة القطار ...

ورغم شعوره بغيرة غير منطقية من عابد الذي لا يتقبل إلى الآن تقاربه هذا مع ياسمين لكنه كان يعترف أن له

هالة دافئة محببة ...

لهذا نظر إليه عبر مرآة السيارة الأمامية قائلاً بودّ:

_عمي هيفرح بيك قوي ...وكلم لك الشيخ (أبو إدريس) بنفسه عشان تنضم للحلقة بتاعته ...هناك كمان (كُتّاب) ممكن تحفّظ فيه الأطفال القرآن لو فاضي ...

ثم ابتسم ليردف بحرج:

_خايف تفتكرني "بطرّقك" بالذوق يا "أبو نسب"...لو ما عجبكش الحال هناك قول وما تتكسفش .





لكن عابد هتف باستحسان خلفه :

_الشيخ (أبو إدريس) تقصده الدنيا كلها لطلب العلم...أوصاني شيخي في ماليزيا بصحبته ...أظنني سأكون مرتاحاً هناك ...المشكلة الوحيدة في أمي لكنني أعرف كيف أسترضيها .

فضحك يامن ليمازحه بقوله :

_بس بقوللك إيه من أولها ...ما تاخدش في بالك لو مراة عمي استغربت طريقة كلامك...عندنا ما بيتكلموش فصحى إلا في المسلسلات المدبلجة .

فابتسم عابد بتفهم لتهتف ياسمين مدافعة :

_زمان برضه كنت بستغربها منه بس دلوقت خدت عليها ...بالعكس بدات أحبها منه ...

ثم مسدت بطنها بأناملها كأنها تخاطب ابنتها بقولها :

_هاعلمها ليمنى أول ما تتكلم .





_من غير ما تعلميها ...هي قناة كرتون واحدة تتابعها أسبوع وهتلاقيها قلبت الشيخ الفصيح زي أخوكِ كده

بالضبط !

ضحك عابد ضحكة صافية وهو يستمع لمشاكسة يامن لها طوال الطريق مدركاً أن يامن سلك الطريق الصحيح حقاً لقلب أخته ...

ربما هذا ما يشعره بسكينة عذبة تملأ قلبه رغم رهبته من هذه الرحلة التي لا يعلم أين ستنتهي به ...

وفي القطار ركب يامن جوار ياسمين بينما استقل عابد الكرسي خلفهما ليستخرج مصحفه مستغلاً المسافة في استرجاع حفظه ...

فيما ضم يامن ياسمين لصدره ليهمس لها بوجع صبغ حروفه رغماً عنه :





_جيت هنا مرة من غيرك ..ما تعرفيش كنت حاسس بإيه وقتها .

_بإيه ؟!

تستنطقه بترقب وعيناها تتشبثان بعشق صافٍ تسكبه نظراته مع همسه :

_مش هاقدر أوصفلك...بس كفاية أقوللك إني عاهدت نفسي وقتها ما أرجعش إلا بيكِ.

_كان عندك أمل أرجعِ؟! وأنا اللي كنت عايشة بقول لنفسي مستحيل!

همست بها مغمضة العينين بألم لكنه احتضن كفها بين راحتيه ليهمس بعاطفة زلزلتها:

_الأمل ده هو اللي خلاني فضلت واقف على رجلي ...دنيتي كلها كانت واقفة مستنياكي.





فتحت عينيها تتلقف عطايا عشقه في عينين طالما أرهقتها أشعتهما العسلية بين "دفء" و"احتراق"...

شيئ ما لا يزال عالقاً بينهما ...

شيئ؟!

بل أشياء!!

لن تغرها هذه الهدنة التي منحها لها القدر فلاتزال هناك خطوة هامة يجب أن تسيرها نحوه ...

وخطوات تنتظر منه هو أن يعدو بها نحوها ...

هذا الخاطر الذي ظل يؤرقها طوال الطريق ...

ليقطعه صوت صافرة القطار معلناً الوصول ...

القرية الحبيبة من جديد ...

لعل نسيمها يبرد ما أشعلته الأيام !

=======

_عمك ومراته مبسوطين بينا قوي .





قالتها ياسمين برضا وهي تقف في نافذة الغرفة إياها تراقب شمس الأصيل تتمايل بإنهاك خلف الساقية القديمة ...

فابتسم وهو يربت على ظهرها قائلاً:

_ماتعرفيش بيحبوكِ أد إيه ...المرة اللي فاتت عمي حمدي كان هاين عليه يحلفني ما أرجعش إلا بيكِ.

لكنها أغمضت عينيها بقوة عن مرارة ذكرى فراقهما لتغير الموضوع بقولها :

_عابد كمان شكله مبسوط قوي ...من ساعة ما وصلنا

والابتسامة ما فارقتش وشه.

_ولسه لما يقابل الشيخ بعد صلاة المغرب ...هيدعيلي .

_شكراً يا طيب .

همست بها وهي تعود ببصرها نحوه ليحتوي وجهها بين راحتيه هامساً:





_لسة مش حاسسها زي بتاعة زمان ...لسه ياسمين ما رجعتليش كلها .

فازدردت ريقها بارتباك لتغمض عينيها هاربة من نظراته ...

كلمات ياقوت تطفو رغماً عنها لمخيلتها ...

_صدمة وفاة والدك هزت معتقداتك شوية ...خلتك تنزلي من برج عالي اسمه ياسمين مابتغلطش وما بتسامحش اللي يغلط ...لكن لسه محتاجة تقفي مع نفسك أكتر ...تعترفي بعيوبها ...غلطها ...وتتقبلي فكرة إن غيرك كمان ممكن يغلط وتسامحيه زي ماانت عايزة تسامحي نفسك ...فكرتي مثلاً وإنتِ بتلومي يامن على إنه اتخلى عنك تلومي نفسك إنك كذبتي ...إنك أصلاً ضعفتِ قدام ...زين ...ده ؟!!

_سرحانة في إيه ؟!

يهمس بها وهو يداعب أنفها بأنفه بحركة حميمية لتفتح عينيها بنظرة تحمل شتاتها ...





لكنه حمل "القُلّة الفخارية" القريبة ليشرب منها ثم ناولها إياها ليهمس مداعباً :

_اشربي ...عشان تجري ورايا .

ظلت ترمقه بنظرة غريبة لم يفهمها وهي تدرك مغزى حركته هذه...

يامن قهر سلطان وساوسه حقاً؟!

أم لا يزال هناك كامناً ينتظر كالعنقاء بعثاً من وسط الرماد ؟!!

_طول عمري بجري وراك .

تغمغم بها بابتسامة آلمت قلبه بمرارتها ليضع ما بيده جانباً قبل أن يحيط خصرها بكفيه ليغرس نظراته في عينيها هامساً:

_واللي باقي من عمري هيبقى عشانك وبيكِ.





لكنها أشاحت بوجهها لترتجف شفتاها بهمسها :

_عايزة أحكي لك ...بس ...مش حدوتة من بتوع زمان ...عايزة...عايزة أتكلم ...

سالت دموعها على وجنتيها في عبارتها الأخيرة لكنه مسحها بأنامله ليهمس بحنان طوقها:

_يااااه ...من يوم ما رجعتِ وأنا مستني تقوليها ...مستنيكي تتكلمي.

_هتستحمل كلامي ؟!

_ياما استحملتيني!

_هتصدقه ؟!

_ماعدتش بصدق غيره !

_هترجع تبعد ؟!

_عمري!





همسته الأخيرة امتزجت بعزف شفتيه على شفتيها وهو يلصقها به كأنما يمنحها مع القول فعلاً ...

لكنها أخفت وجهها في صدره لتهمس برجاء:

_اوعدني ما تقاطعنيش لحد ما أخلص ...ولا تخليني أبص لعينيك .

فأحاط رأسها بكفه يلصقها بصدره أكثر وكأنما يمنحها ما طلبت ...

قلبه يخبره أنها ستحكي عن الجرح القديم ...

لا شيئ سوى هذا يجعلها تخشى لقاء عينيه ...

وقد صدق ظنه عندما تفجر بوحها بأول قنبلة :

_زين كدب عليك...قاللك نص الحقيقة بس عشان يرفع عني الغلط ...ليلتها أنا اللي رحتله ...دورت عليه بنفسي لحد مالقيته...ماشفتش لا قيم ولا أخلاق ولا ضمير ...ماشفتش غير وجع رامي اللي كنت عايزة أردهوله...لحد دلوقت مش مصدقة إني




قدرت أعملها ...ياسمين ما طلعتش مثالية وقوية زي ما كانت فاهمة ومفهمة الناس ...طلعت ضعيفة ووقعت في الغلط اللي عمرها ما كانت تفكر تقع فيه...

صمتت للحظات بعدها لكنها لم تستطع رفع عينيها إليه...

لو فعلتها فستجبن عن البقية ...

وهي تريد إكمال اعترافها الممتزج بشهقات دموعها لعلها تزيح الوزر كاملاً عن كتفيها ...

_ولما جالي ماليزيا ما رفضتوش ...بالعكس...قلت له إني محتاجة إنه يحبني ...كنت عارفة إني بغلط بس كنت بتحدى كل حاجة ممكن تفكرني إني خسرتك ...كل ما كنت انت بتوحشني كنت ببعتهاله هو ...كل كلمة اتمنيت أسمعها منك كنت بستناها على لسانه هو ...الحاجة الوحيدة اللي ما





استحملتهاش منه إنه يلمسني ولو حتى بسلام إيد ...بس حتى دي...حتى دي كان ممكن أعملها عِند وتحدي عشان أكسر قلبي ...

شعرت بجسده يتحفز بانفعال حولها لكنها لم تقوَ على رفعِ عينيها إليه ...

فقط شددت ذراعيها حول خصره لتردف :

_كل ده وأنا بلف في دايرة ورا دايرة عشان أهرب من مركز واحد بيقوللي إني غلط ...ويمكن لو كنت قربت منه واعترفت بيه ماكنتش لفيت كل ده !

انتهت كلماتها بالمزيد من دموعها لتشعر بخفقات قلبه تهدأ رويداً رويداً ...

لكن قلبها هي كان ينتفض بقوة خوفه رغم ارتياحها ارتياح من ألقى صخرة الذنب عن صدره ...





ماذا عساه سيفعل بعد كلماتها هذه وقد أدانت نفسها بنفسها؟!

هل سيبقى على الوعد الذي منحه إياها منذ قليل ؟!

_خلصتي ؟!

همسه المحايد يصلها فتخفي وجهها في صدره أكثر لا تدري خزياً أم طلب أمان !!

لكنه يرفعه بنفسه نحوه قبل أن يهمس لها دون مواربة :

_مين قاللك إني صدقت "الزفت" ده في كل اللي قاله ؟! الحاجة اللي صدق فيها إنك قاومتي في الآخر وضربتيه ...أنا حافظ تعابير وشك كلها ...من أول لحظة شفت الفيديو وأنا عارف إنك ماكنتيش مغصوبة ...عارف إنك ضعفتِ وغلطتِ بس فقتِ ...الحاجة الوحيدة اللي كنت مستنيها إنك انتِ تعترفي بده ...مش عشاني لأ...عشانك انتِ ...عشان دي كانت أول خطوة إن ياسمين ترجع لنفسها و...ترجعلي !




رمقته بنظرة مصعوقة للحظات لا تكاد تصدق ...

خاصة عندما استطرد بنبرة لم تخلُ من مرارة :

_صدقيني لو قلتلك إني حتى مش بلومك إنك كدبتِ علي لما سألتك عنه...لما بفتكر نفسي زمان...بفتكر شكوكي حتى في أقرب الناس ...بلاقي إنك حتى لو كنتِ قلتيلي الحقيقة ماكنتش هاصدقك ...

_يعني ...مسامحني؟!

همست بها بين دموعها ليقبل جبينها بعمق هامساً:

_مفيش بيننا أسامحك وتسامحيني ...انتِ مني وأنا منك .

لم يكد ينهيها حتى انسابت قبلاتها تغرق وجهه بتلك الطريقة التي تمزج عفوية الطفولية بإغواء النساء ...





قبلاتها لم تكن مجرد تراقص شفاه عابث فوق بشرته لكنها كانت "صكوك غفران" توقّعها روحها منه وإليه ...

كانت تحتاج هذا الاعتراف حقاً ...

هذه المكاشفة ...

أن تعرّي عيوبها لنفسها قبله ...

أن تعترف بزلاتها لعلها تسامح نفسها وتقبل أن يسامحها ...

لم يعد ما بينهما مجرد "هبة" امرأة "مثالية" لرجل لا يقبل الزلل ...

بل "عطاء" متبادل يمنح فيه كلاهما الآخر بقدر ما يأخذ ...

لهذا انسابت عطايا عشقه تغمرها بين ذراعيه هو الآخر ...

"ساحرته" عادت تبسط تعاويذها على أرض عالم لم يعترف بغيرها ملكته ...




والجسدان يشتعلان بلقاء أزكته نيران القلوب ...ونورها!!

لقاء قطعته طرقات على باب الغرفة لتتراجع ياسمين عنه بينما يهتف بضيق:

_مين؟!

والصوت الطفولي يأتيه راجياً فيبتسم لها هامساً بمشاكسة :

_الواد ده غلس ومش هيمشي ...هافتح بس ما تطوليش معاه .

ابتسمت بدورها وهي تراه يتقدم ليفتح الباب للطفل الذي دخل بابتسامة مرتبكة حاملاً لوحته ...

فهتف به يامن بحنان :

_مش وعدتك أرجع بيها عشان تشوف الصورة ؟!





ضحكت ياسمين ضحكة صافية وهي تفتح ذراعيها للصغير الذي تقدم نحوها فارداً ورقته في وجهها بزهو طفولي ...

لتهتف بعد عناق قصير له :

_يا ربي ع الطعامة! الحلوة دي أنا ؟!

_انتِ أحلى!

يقولها الصغير وهو يقبل وجنتها فتضحك وهي تغرق وجهه بقبلاتها مدركة غيرة يامن من تصرف كهذا ...

لكنها أخرجت له لسانها في خفية من الصغير الذي هتف بحماس طفولي:

_لو عجبتك هاتي تمنها .

ضحكتها الصافية التي أزالت بقايا دموعها تعلو بصوتها :

_عايز إيه ؟!





فيشير الصغير لبطنها قائلاً :

_أمي بتقول هتجيبي بنت ...لو طلعت شبهك جوزيهالي .

خبطه يامن على قفاه بحركة مشاكسة هاتفاً:

_ولو طلعت شبهي أنا.

_خليهالك.

يجيبه الصغير وهو يمسد مؤخرة رقبته بغيظ لتعاود ياسمين ضحكاتها المنطلقة وهي تضم الصغير في عناق جديد لتخاطب يامن من خلف كتفي الطفل بقولها:

_هتطلع أجمل مني ...وأجمل منه ...هتبقى أجمل بنت في الدنيا .

فتلتمع عينا يامن بحنان أرجف جسده وهو يتصور نفسه يحمل ابنته ...

عجباً !





كيف فرّ من هذا الشعور يوماً مع ابنه الراحل ككابوس فظيع ؟!

وكيف يرجوه الآن كمعجزة ؟!

هل هو فارق الأم ؟!

أم الفارق في روحه هو التي عادت لفطرتها بعدما شوهها الخذلان ؟!!

_هاجمع الولاد بكره عند الساقية وتحكيلنا حدوتة .

قالها الصغير بعدما سمع صوت أمه تناديه من الخارج فقبلت وجنته لتمنحه وعدها قبل أن يختفي من أمام ناظريها ويامن يغلق الباب خلفه ب"المفتاح"!!

_شفت حلوة إزاي؟!

تسأله مشيرة لرسم الصبي لكنه يتقدم منها ليزيح ما بيدها جانباً قبل أن يهمس بعينين عابثتين وأنامل أكثر عبثاً :





_أنا حالياً مش شايف غير حاجة واحدة بس حلوة !

_ما وحشتكش حواديتي ؟!

تهمس بها بخجل وهي تشعر به يدفعها برفق نحو الفراش لتستلقي على ظهرها بينما يشرف هو عليها من علوّ هامساً بنفس المكر العابث:

_وحشتني حواديتي أنا أكتر!

تغمض عينيها على فيض العشق في عينيه لتشعر به يغرقها مع همسه الذي زاد اشتعاله :

_أحكي؟!

فتزكيه هي أكثر بهمسها المغوي:

_احكي يا "شهريار".

========

_أهلاً يا عابد .





يقولها الشيخ "أبو إدريس" في المسجد الكبير الخاص

بالقرية ليتهلل وجه عابد بقوله :

_لقاؤك شرف لي يا شيخنا ...طوال رحلتي إلى هنا وأنا أحلم أن أدرس في علم "الحديث" على يديك !

فابتسم الشيخ بتواضع ليسأله باهتمام :

_ما قرابتك ب"الحاج حمدي "؟!

_هو عم زوج أختي!

قالها عابد ببساطة لتتسع ابتسامة الشيخ بقوله ببعض

الاستغراب:

_قرابة بعيدة على أن تترك بلدك وتأتي إلى هنا .

تردد عابد قليلاً ثم حكى له قصته تحت بصر الشيخ الذي كان يستمع إليه بالكثير من الأسى ...

لينهي عابد الحديث بقوله :

_أظنها نعمة من الله أن يمنحني حياة أخرى هنا بعيداً عن الضغوط التي عشتها هناك .

_نعم الرأي يا ابني ...نعم الرأي...

ثم عاد يسأله باهتمام :

_تحفظ القرآن كله ؟!

_ومعي "إجازة"بتحفيظه .

قالها عابد مع إيماءة رأس متواضعة فظهر الاستحسان على وجه الشيخ الذي قام من مجلسه ليقوم عابد بدوره مع قول الأول:

_إذن تُعلّم وتتعلم ...أحتاجك هنا في "الكُتّاب" صباحاً...ونبدأ دروسنا مع بقية طلاب الحلقة في المساء .





قالها الشيخ وهو يخرج معه من المسجد ليبدأ في ارتداء نعله قبل أن يسمعه عابد يهتف فجأة بحبور :

_ست ثمر !

التفت عابد بفضول وهو يرتدي حذاءه بدوره متعجباً من هذه المرأة العجوز التي بش لها الشيخ هكذا مع بساطة مظهرها ...

لكنها ما كادت تقترب منهما حتى فطن لهذه الهيبة الفطرية التي تحوطها ....

مع هذا الحنان الفائض في عينيها ...مزيج غريب لم يقابله كثيراً بين البشر !

_إزيك يا مولانا ؟!

تسأله ثمر بنبرتها الحنون ليجيبها الشيخ عفوياً قبل أن يخاطب عابد بقوله :




_"الست ثمر" أم الكل هنا ...واجبٌ لكلمتها السمع والطاعة.

ثم أشار لعابد مخاطباً ثمر :

_عابد ...قريب الحاج حمدي ...ضيفنا وتلميذي.

تفرسته ثمر بعينين متفحصتين للحظات قبل أن تمنحه بعض دعواتها الصادقة لتنخرط بعدها في حديث مع الشيخ عن بعض الفتاوى التي طلبتها منها بعض النساء واستحيين من سؤال الشيخ عنها بأنفسهن

_السلام عليكم .

قالها يامن وهو ينضم إليهم ليصافح الشيخ باحترام قبل أن يغلبه مزاحه :

_"أبو نسَب" عامل معاك إيه يا شيخنا؟! نسيبه هنا واللا نرجعه مصر بكرتونته ؟!





Cinnabon

فابتسم الشيخ وهو يربت على كتف عابد باعتزاز مع بضع عبارات مجاملة ...

قبل أن ينتبه يامن للمرأة التي أشار لها الشيخ بقوله :

_الست ثمر .

فارتفع حاجبا يامن بدهشة للحظة وهو يراها لأول مرة قبل أن يبتسم ليقول بإجلال حقيقي:

_أهلاً يا ستنا ...سيرتك الحلوة مسمعة في كل حتة.

نظرات ثمر المتفحصة تشمله وهي تشعر أنه يخفي شيئاُ بشأنها خاصة عندما اتسعت ابتسامته ببعض الحرج وهو يشيح بوجهه عنها مفكراً...

لاريب أنها كانت تشبه ياقوت كثيراً في شبابها ...

نفس العينين الذكيتين الملتمعتين بالطيبة !!

لكن هل يملك الجرأة ليخبرها أين التقى بحفيدتها ؟!




بالطبع لا!!

لهذا سحب عابد من ذراعه ليستأذن منهما بنبرة مهذبة قبل أن ينصرفا تلاحقهما نظرات ثمر المتفحصة ...

والتي غمغمت بما بدا كالنبوءة :

_شكلهم ولاد حلال ...الخير على قدوم الواردين .

=========

_ادخلي يا رابحة .

قالتها ثمر بودّ وهي تفتح الباب للفتاة ذات الخمسة عشر ربيعاً ...

ابنة "الست أفكار "..."مورّدة العرسان الأولى" في القرية ...

والتي لا تبرح تقدم لحفيدتيها عريساً جديداً من آن لآخر غير يائسة ...

رغم أن الوضع يبقى كما هو كل مرة ...

ياقوت ترفض الجميع ولجين...لجين يزهدها الجميع!

_إزيك يا ست ثمر ...أمي باعتاني أشوفك عايزة حاجة ؟!

قالتها الفتاة وعيناها الفضوليتان تجوبان المكان حولها كعهدها فابتسمت ثمر قائلة بمرح:

_أمك مزوداها قوي في القلق عليا من يوم ما تعبت آخر مرة...قولي لها مش هاموت وقاعدة على قلبها .

_بعيد الشر عنك يا ستنا ...أمي بتحبك وانت عارفة .




قالتها الفتاة بجزع حقيقي لتضحك ثمر عبر أسنانها المكسورة ثم تتوجه نحو مطبخها الصغير هاتفة :

_اتغديتي يا بت ؟!

_خيرك سابق يا ستنا.

تقولها رابحة تتبعها للمطبخ باستسلام فهي تدرك أن من يدخل بيت ثمر يجب أن ينال "واجب ضيافته" أولاً...

وبالنسبة إليها هي ف"إطعامها" غاية مقدسة لدى ثمر التي تراها دوماً هزيلة نحيفة الجسد !

_بطاطس بالتقلية وورك فرخة يستاهلوا بقك.

قالتها ثمر وهي تضع لها الطبق على "الطبلية" المستديرة لتهتف رابحة باعتراض واه ...

لكن ثمر تخاطبها كطفلة بقولها :

_كُلي عشان تتدوّري و"خرّاط الصبايا" يخرطك!





فتتورد وجنتا الفتاة بخجل ناقض ما فعلته بعدها وهي تضم ثوبها بشدة حول جسدها لتظهر براعم أنوثتها مع هتافها الراجي:

_كبروا شوية يا ست ثمر ؟! قولي آه .

لكن ثمر تخبطها بخفة في صدرها لتهتف زاجرة رغم ضحكتها :

_اتحشمي يا بت...جيل إيه المهبب ده ؟!

لكن الفتاة تخرج هاتفها من جيبها لتضبطه بوضع التصوير قبل أن تزم شفتيها فيما يسمونه "بوز البطّة" تمهيداً لالتقاط صورة ...

_ارمي المخروب اللي هابلك ليل ونهار ده ...واقعدي كلي .





قالتها ثمر ناهرة لكن الفتاة تلاعبت قليلاً بهاتفها قبل أن تريها منه صورة بعينها مع هتافها المتحمس:

_شفتِ الشيخ الجديد اللي جه البلد للشيخ أبو إدريس؟! شفتِ حليوة إزاي؟!

_شفته !

قالتها ثمر وهي تعطيها ظهرها لتفرد بعض أوراق النعناع الأخضر فوق خرقة نظيفة تحركت بها نحو نافذة صغيرة في المطبخ لتضعها هناك تمهيداً لتجفيفه بينما الفتاة تلاحقها بثرثرتها :

_بيقولوا غني قوي ...متربي بره وأهله ناس أكابر من مصر ...ومش خاطب ولا متجوز ...كل ستات البلد حاطين عينهم عليه لبناتهم...أهه ده العريس اللي كامل مكمل يا ستنا .

_ما كامل إلا محمد !




قالتها ثمر وهي تعاود لكز الفتاة في كتفها لتتأوه الأخيرة هاتفة بفخر ساذج:

_أول ما شفته صوّرته على غفلة ...انتِ عارفة كام واحدة طلبوا مني صورته دي ؟! أنا الوحيدة اللي معايا .

_يابت اتلمي ...هي أمك جايبة لك المخروب ده عشان تبوظي بيه دماغك ؟!

هتفت بها ثمر باستنكار لكن الفتاة تعاود ثرثرتها العابثة :

_أول ما شفته قلت يارب يبقى من نصيب دكتورة ياقوت ...أو ست لجين...دي تبقى طاقة القدر اتفتحت لهم يا ستنا.

_ما تسكتي شوية يا بت ...هو أنا بناتي بايرين ؟!

تقولها ثمر بنفاد صبر وهي تعود لداخل المطبخ بينما الفتاة لا تتركها بهتافها العابث :





_العفو يا ستنا ..ماهو لو مش هاتاخديه لواحدة فيهم هادعي يبقى من نصيبي ...

ثم رفعت كفيها للسماء بدعائها:

_يارب يبور وما يلاقيش اللي ترضى بيه لحد ما أكبر سنتين تلاتة بس!

ضحكت ثمر لدعوتها للحظات قبل أن تجلس متربعة على الأرض فضحكت الفتاة بدورها وهي تجلس جوارها على الطبلية لتتناول ملعقة من الطعام تلوكها في فمها الذي عجزت عن كبح ثرثرته :

_عارفة الشيخ عابد ده يبقى مين ؟! يبقى قريب دكتور يامن ابن أخو الحاج حمدي ...اللي هو مين ؟! ابن الحاج عبد الرحيم الله يرحمه ...والممثلة المشهورة بيللا ...ياه يا ستنا لو تيجي هي كمان هنا وأتصور معاها ؟!




قالتها وهي تعبث بهاتفها بما يقارب الهوس فمطت ثمر شفتيها باستياء لتهتف بها :

_هو لسانك ده ما بيفصلش رغي ؟! انتِ جاية تساعديني واللا تدوشيني؟! كُلي من سكات.

لكن الفتاة تضحك وهي تشير لقطعة الدجاج هاتفة بدلع :

_طب نثريلي الفراخ يا ستنا ..من إيديكي بتحلو !

_بكّاشة صحيح !

قالتها ثمر باستياء لم يتمكن من إخفاء حنانها وهي تقطع له نصيبها من الدجاج لتضعه في طبقها مردفة :

_مالكيش حجة ..كلي بقا.

_وتدعيلي يبور وأتجوزه أنا يا ستنا ؟!!

تسألها بلهفة وهي تميل على وجنة ثمر تقبلها بقوة جعلت الأخيرة تضحك من سذاجتها لتقول باستسلام :





Cinnabon

_هادعيلك بالطيب ...بس كلي .

هنا تبتسم الفتاة وهي ترفع هاتفها لتلتقط لهما صورة مفاجئة قبل أن تنكب على الطعام لتتناوله تحيطها نظرات ثمر الحانية ...

فتاة طيبة كأمها تملأ عليها وحدتها في تلك الأيام التي تكون فيها وحدها مع سفر لجين وياقوت ...

حماستها ونزقها تذكرها بياقوت عندما كانت في سنها لكن الأخيرة لم تكن تشتهي الزواج ...

ولا تزال!!

على عكس لجين التي تريده لا رغبة بل "ستراً"...

ستراً من عيون الناس التي تتهمها بذنب لم ترتكبه !!

انقطعت أفكارها برنين هاتفها المحمول الذي -بالكاد- تجيد استخدامه بعد إلحاح ياقوت المستمر كي تطمئن عليها ...




فقامت من مكانها بصعوبة تناسب سنها ومرضها وما كادت تفعل حتى ترنحت قليلاً لتتشبث رابحة بكفها بسرعة وهي تقوم لتسندها هاتفة بجزع:

_مالك يا ستي ؟!

لكن ثمر تمسك رأسها بوجع لتغمغم بصوت منهك :

_هاتي التليفون.

كان الرنين قد انقطع فهتفت رابحة برجاء وهي تسندها لتتوجه بها نحو فراشها :

_هبات معاكي الليلة دي ...لا ...هاقول لأمي وأبات معاكي لحد ما البنات يرجعوا ...عشان خاطري يا ستي ...هاخد بالي من أكلك ودواكِ.

أومأت ثمر برأسها في استجابة لتغمغم :

_بنت حلال...أنا فعلاً نسيت دوايا النهارده...روحي هاتيه .





غادرتها الفتاة لتحضر لها بغيتها عندما عاد هاتفها جوارها للرنين فتناولته ليصدمها الخبر من ياقوت ...

(لقد تم القبض على حسين بتهمة الاتجار في المخدرات...لكنه...هرب!)

=========

_أبو ياقوت ؟! معقول؟!

يهتف بها يامن بدهشة مستنكرة وهو يجلس في صالة بيت عمه حيث أخبره بالنبأ الذي انتشر في القرية انتشار النار في الهشيم ...

دهشته التي جعلت عمه يسأله باهتمام :

_انت تعرفها منين ؟!





فتبادل هو وياسمين نظرات ذات مغزى أدهشت عابد كذلك الذي كان يراقبهم صامتاً خاصة عندما قال يامن بارتباك :

_واحد صاحبي كان بيتعالج عندها من أزمة نفسية...بيقول شاطرة جداً.

لكن عمه لم ينتبه لارتباكه وهو يرتشف الشاي ليقول بأسف:

_فعلاً شاطرة وبنت أصول هي وأختها ...تربية الحاجة ثمر اللي الكل بيتحاكى بيها ...منه لله أبوهم دايماً فاضحهم وكاسر عينهم .

_ما الحكاية ؟! أنا قابلت ثمر هذه عند الشيخ "أبو إدريس"!

سأل عابد بفضول ليمنحه العم حمدي تفاصيل حكاية ياقوت ولجين من البداية ...




الحكاية التي استغرب تفاصيلها قليلاً في البداية قبل أن تتحول دهشته لإعجاب آسف علق به على الحكاية :

_امرأة رائعة بحق ...لكن ما ذنب البنتين في جرم أبيهما ؟!

_مالهمش ذنب يا شيخ ...والبلد كلها صغيرها قبل كبيرها بيعمل للست ثمر وبناتها ألف حساب ...بس الأمر ما يسلمش ...الجديد هيقوّم القديم واللي اتنسى الناس هترجع تفتكره ...لا حول ولا قوة إلا بالله .

هتف بها العم حمدي بأسف ليعقد يامن حاجبيه بضيق قبل أن يميل على أذن ياسمين هامساً :

_هاقوم أكلمها أشوف لو عايزة حاجة.

ورغم شعورها بغيرة خفية لكنها قامت من جلستها لتستأذن العم وعابد وتصعد مع يامن نحو غرفتهما ...





تراقبه بتفحص وهو يتناول هاتفه ليتصل بها لكنه كان مغلقاً ...

زفرته الغاضبة تفضح حميته لتقترب منه قائلة :

_أكيد متضايقة ومش هتفتح تليفونها دلوقت ...اصبر شوية .

رمقها بنظرة ضائقة قبل أن يهتف بانفعال:

_انتِ ما تعرفيش حاجة زي دي ممكن تعمل في واحدة زي ياقوت إيه ...بعد ما خلاص الناس كانت نسيت الفضيحة القديمة ...منه لله أبوهم ده .

ولم يكد ينهي كلماته حتى رن هاتفه ليجد الاتصال من رانيا يصدمه بالخبر وهو يجمع خيوط المعلومات ...

حسين رجائي الذي كان خلف قضية مصنع أشرف ...

هو ذات الرجل والد ياقوت !!





_وأشرف فين دلوقت ؟!

يسألها بتشتت ليصله صوتها المنفعل:

_لحد دلوقت ما شفتوش بس نشوى قالتلي إن هو ساعد البوليس في القبض عليه ...عشان كده كان مختفي طول الفترة اللي فاتت .

عقد يامن حاجبيه وياسمين ترمقه بنظرة قلقة لكنه على ربت على كتفها مهدئاً ليقول مخاطباً رانيا :

_ما تقلقيش ...احنا خلاص راجعين .

قالها لينهي الاتصال قبل أن يحكي لياسمين التي ابتدرته بقولها :

_موقفك مع ياقوت دلوقت هايبقى محرج جداً ...جوز رانيا قصاد باباها !!





لكنه زفر بقوة هاتفاً :

_ده على أساس إنها طايقة أبوها ده من أصله ؟!

_برضه الأمر ما يسلمش ...عموماً تعال نرجع مصر وبعدين نشوف هنعمل إيه .

قالتها بحيرة قلقة وذهنها مشتتت بين عابد الذي اتخذ قراره بالبقاء هنا ،وياقوت التي تشعر الآن بشفقة هائلة نحوها ...

تعلم أن حمية يامن ستجعله يريد العودة للعاصمة والحقيقة أنها تشاركه الرغبة ...

كم تشعر الآن أن ياقوت تشبهها ...

ماضٍ مشوه لطخ الحاضر والغد ...

نقاومه فننتصر مرة وننهزم مرات ...

"سينابون"!!

حقاً ...هكذا نحن ...مزيج من مذاق القرفة اللاذع و"الصوص" الحلو ...





والعجين المتخمر بماء الماضي!

======

_مفيش أخبار عن أشرف ؟!

سألتها رانيا وهي تدخل عليها غرفة مكتبها في المصنع الذي بدأ لتوه يقف على قدميه من جديد بتدبير نشوى التي رفعت إليها الآن عينيها بابتسامة فرحة مجيبة بغموض :

_يعني ...ممكن النهارده تبقى فيه مفاجأة كويسة !

_زي إيه ؟!

هتفت بها رانيا بلهفة لتنتظر نشوى في ساعتها قائلة بمرح زين ملامحها العابسة أغلب الوقت :

_اصبري وهتعرفيها .





طرقات خافتة على الباب جعلت كلتيهما تلتفت نحوه ليفتح ويظهر من خلفه الرجلان ...

أشرف وهذا الرجل الذي تراه رانيا لأول مرة ...

بينما كانت نشوى تعرفه منذ سنوات تقارب عمر صداقته لشقيقها ...

ناصر جاويش

ضابط الشرطة الذي ساعد أشرف في مهمته بعدما أخرجه من المصحة .

_أشرف!

كلتاهما قالتها لكن نشوى هي من اندفعت لتطوقه بذراعيها بقوة ودموعها تفضح عاطفتها التي صارت تكبتها مؤخراً عن عيون الناس ...

بينما وقفت رانيا مكانها مصدومة ومشاعرها تتخبط بها في دوامة من انفعالات ...





اشتياق...لهفة...فرحة...أمان مسافر عاد له وطنه بعدما اغتصبوه منه ...

كل هذا كان منطقياً ...

لكن الغريب حقاً كان هذا الغضب الذي ملأها وهي تشعر

بالغربة...

بالنبذ ...

أنها كانت "آخر من يعلم"!!

ك"أصمّ يقف وحيداً في حفل زفاف"!!

لكن ...أليس في هذا نوع من العدالة ؟!

ألم تكن هذه مكانتها التي اختارتها قديماً...

مجرد مفعول به في جملة كان هو دوماً "فاعلها"؟!!

هل يحق لها الآن الغضب ؟!!

إذا كان لا يحق لها ...فماذا عن الصمت ؟!!

الصمت الصارخ بانفعالاتها وعيناها تواجهان عيني أشرف الذي كان يتوجه الآن نحوها ...

كفه يمتد لكفها بمصافحة ليست كمصافحة !!

أنامله تضغط أناملها بقوة حانية وإبهامه يداعب العرق النابض في معصمها بهذه الحركة الخاصة التي يدرك كلاهما كم كانت تعشقها ...ولا تزال !

أنفاسه تتلاحق ووجهه يتقارب منها لتصب نظراته الشوق في عينيها صباً ...

فتسيل دموعها على وجنتيها وهي تشعر بالمزيد من الغضب ...

الغضب من نفسها ...ومنه !!

بعد كل ما بينهما يلتقيان هكذا كالغرباء !!

لم يأتمنها طوال الأيام السابقة على سره ورضي بأن يحلق وحيداً بعيداً عن السرب كعهده ...





والآن يعود يظنها لا تزال الخانعة التي لا تستطيع اتخاذ قرار !!

يظهر لها هكذا فجأة كزائر وهي التي انتظرت اقتحامه كعاشق!

لهذا سحبت كفها منه لتشيح بوجهها متمتمة بين دموعها :

_حمداً لله ع السلامة.

عقد حاجبيه وهو يشعر بأن شيئاً ما فيها قد تغير ...

نشوى أخبرته الكثير عن دعم رانيا لها ومساعدتها إياها طوال الأيام السابقة...

لكنه لم يصدق أن "هريرته" الناعمة تفقدت أخيراً مخالبها لتبرزها وقت الشدة ...

غضبها لا يزال غير مفهوم بالنسبة إليه ...





هو جنّبها المشاكل كعهده طوال عمريهما فلماذا الآن تعترض؟!!

_أنا آسف إننا قلقناكم باختفاء أشرف بس دي كانت مصلحة القضية أولاً ورغبته هو ثانياً.

قالها ناصر بلباقة مقاطعاً الصمت في المكان لتتفحصه رانيا ببصرها ...

صورة مثالية لضابط شرطة ممشوق القوام عريض المنكبين ...

وسيم بهذه الطريقة التي يتخيرون بها نجوم السينما ...

لكن ثمة حزم قاسٍ يبزغ في نظراته لم تستطع طبيعتها الوديعة تقبله ...

حزم بدا في استطراده بعدها :





_صحيح هو قدر هرب بسرعة ما تخيلنهاش كأنه كان عامل حساب اليوم ده ...بس مش هيقدر كتير ...احنا قطعنا صوابع إيديه كلها والباقيين مش هيقدروا يعملواله حاجة ...

ثم ابتسم ليردف وهو ينظر لنشوى نظرة خاصة :

_زي ما بيقولوا "الفئران أول من يغادر السفينة الغارقة"!

هل ارتجفت نظرات نشوى التي طالما عهدتها قوية أم أنها فقط تتوهم ؟!!

لا ...كفّاها كذلك يرتجفان قبل أن تخفيهما خلف ظهرها وحديث العيون بينها وبين ناصر يفضح ما هو أكبر بكثير من التحفظ البادي بينهما !!

_تشربوا إيه ؟!

هتفت بها نشوى مغالبة ارتباكها وهي تشير لهما بالجلوس ...





وبينما كان أشرف غارقاً بكليته في تفاصيل رانيا التي ذابت بين غضب واشتياق ...

كان ناصر ينظر لنشوى نفس النظرة الخاصة مع إجابته وهو يجلس على الأريكة الجانبية بأريحية ناسبت قوله :

_قهوة ...

ثم تهدج صوته نوعاً بنبرة ذات مغزى مع استطراده :

_سادة...ماعدتش بشربها زيادة زي زمان.

هنا تحرك أشرف ليواجه ناصر بنظرة عاتبة تعجبتها رانيا خاصة مع شحوب وجه نشوى التي جلست على كرسي مكتبها مطرقة برأسها بينما أشرف يضغط الزر ليطلب لهم هو بنفسه ..

_مش تسيب نشوى تفرح شوية بدور المدير الجديد ؟! من أولها هتفرض سلطاتك كده ؟! ما





تزعلهاش ...لما بتزعل بتتسرع وتاخد قرارات غلط.

عقدت رانيا حاجبيها وهي تسمعها من ناصر بلهجة غريبة مزجت المرارة بمرح حاول تصنعه لتجد أشرف وقد احمر وجهه ليهتف بانفعال تعجبته :

_نشوى دماغها يوزن بلد ...ولو ماكنتش واثق في كده ماكنتش سبت لها كل حاجة وأنا مطمن .

فنقلت بصرها بينهم بتفحص وهي تشعر بالمزيد من الغرابة ...

نشوى التي أطرقت بوجهها الشاحب ولغة جسدها تفضح توتراً ملحوظاً...

أشرف الذي تحرك ليحيط كتفي شقيقته بذراعه وكأنما يمنحها دعماً لا تدري سببه ...





وأخيراً ناصر الذي أطرق قليلاً برأسه هو الآخر للحظات قبل أن يرفعه بقوله الذي لا يزال يتعمد صبغة حزمه

بالمرح :

_أكيد ...وأنا لسه هاعرفها؟؟!

هكذا إذن ؟!

يبدو أنه يعرفها منذ زمن بعيد ...

لكن لماذا لا تبدو معرفة سطحية ؟!!

_أكبر مشكلة واقع فيها دلوقت هي رجوع إسلام...مش عارف هاحط وشي في وشه إزاي .

قالها ناصر بما ظهر وكأنه فقط يغير الموضوع أمام نظرات أشرف العاتبة والذي زفر بحرارة قائلاً:





_هيفهم إنه واجبك ...ومش معنى إنك صاحبه إنك تخالف ضميرك.

_مين إسلام ؟!

سألت رانيا في محاولة لكشف بعض ألغاز هذه الجلسة ليرد ناصر بابتسامة لم تكسر هالة الحزم القاسي حول

ملامحه :

_صاحبي من زمان بس هو سافر اسطنبول من فترة...وللصدف السعيدة يبقى ابن حسين رجائي .

أصدرت رانيا همهمة تفهم لتسأله باهتمام :

_وإزاي قدرتم توقعوه ؟!

فيجيبها أشرف هذه المرة :

_فاكرة الست اللي اسمها سيدة ؟! كانت اتقتلت من فترة بعد ما كشفوا إنها عرفتني الحقيقة...الست





دي قريبتها كانت زميلة ابن حسين التاني في الجامعة...ولد اسمه هيثم شكله محترم برضه وبعيد عن سكة أبوه...أنا عرفت أقنعها تقرّب من حسين أكتر عشان تكشفه وهي شافتها فرصة تنتقم لدم قريبتها اللي راح هدر ...وفعلاً قدرت تزرع جهاز تصنت في مكتبه من غير ما يحس ...ولما اطمن خالص ورجع لشغله القذر اصطادوه متلبس .

_وقع في شر أعماله ...مين يقول داهية زي ده توقعه واحدة ست ؟!

تقولها رانيا بتشفّ ملتاع ليرد ناصر وهو يختلس نظرة نحو نشوى التي لا تزال مطرقة الرأس عازفة عن المشاركة :

_ما تستهونيش بالستات ...لما بيحطوا حاجة في دماغهم ما بيهدوش إلا لما بيوصلوا .





هل رمقته نشوى بنظرة عاتبة أم أنها فقط يهيأ إليها ؟!

تباً!

حديث العيون بين ثلاثتهم يبدو لها شاذاً مشحوناً وكأنها الطرف الغريب هنا !!

الخاطر الأخير يملأها بالمزيد من الغضب لهذا الوضع الذي تبدو فيه حقاً بلا دور!!

لهذا أشاحت بوجهها لتتحرك نحو الباب قائلة بضيق :

_عن إذنكم ...هامشي أنا ...

ثم التفتت نحو نشوى بقولها :

_أظن بعد رجوع أشرف مش هتحتاجيلي ...وعموماً لو عايزة حاجة كلميني .





قالتها لتخرج مغلقة الباب خلفها بسرعة فتحرك أشرف ليلحق بها تاركاً خلفه زوجاً من العيون تتناحران بالمزيج من العتاب والذنب ...

وإن كان الصمت لا يزال يطوقهما !!

وإلى الغرفة المجاورة دخلت رانيا لتجذب حقيبتها تأهباً للرحيل عندما شعرت به خلفها يغلق الباب فالتفتت نحوه لتهتف دون أن تنظر إليه :

_مش عايزة أتكلم دلوقت يا أشرف .

_ليه ؟!

يقولها برفقه الحليم وهو يقترب منها أكثر ليستمر هتافها المعرض عن لقاء نظراته :

_عشان لو اتكلمت كلامي مش هيعجبك ...مش بعد كل

الأيام اللي اتحرمت فيها منك دي هنتخانق أول ما أشوفك .





ارتجف صوتها في عبارتها الأخيرة واشياً بقرب بكائها فاقترب منها أكثر ليحتضن كفيها بكفيه هامساً :

_عارفة وحشتيني أد إيه ؟!

تغمض عينيها بقوة لتنساب دموعها حارة قبل أن تسحب كفيها منه بعنف ...

لكن لتطوق رقبته بذراعيها ملصقة وجنتها بوجنته مع همسها الباكي:

_هنت عليك تسيبني كل ده من غير حتى ما تطمني؟! بتردهالي عشان غلطت قبلك وبعدت ؟! من امتى بتعاقبني كده ؟!

فضمها بقوة نحوه ليهتف بحنان عاد يهدهد أحزانها :

_أقسم بالله ما فكرت فيها كده ...انتِ عارفة إنك انتِ





بالذات مهما عملتِ قلبي ما يعرفش معاكِ غير إنه يسامح...كل اللي كان في بالي إني أرجع لنفسي قبل ما أرجع لك ...أطمن إني ماعدتش هاضعف وأرجع للقرف ده تاني ...ماكنتش هسامح نفسي إني ضيعت ابننا إلا لو خدت حقه وحقك بإيدي ...

ثم ابتعد قليلاً ليمسح دموعها بأنامله مردفاً بنبرة أرق:

_مكنتيش بتغيبي عن بالي لحظة واحدة ...بس كنت براقبك من بعيد ...فرحان بحبيبتي الجديدة ...ماخبيش عليكِ إني في الأول كنت خايف تخذليني ...بس كل يوم كان بيعدي كنت بكتشف إن اللي حصل كان لازم يحصل عشان احنا الاتنين نتغير .

_هترجعلي يا أشرف ....والليلة دي ...هاكلم يامن حالاً وأقوله يتفق مع المأذون !




هتفت بها بنزق غريب على طبيعتها الخانعة القديمة ليرفع حاجبيه بدهشة قبل أن يطلق ضحكة عالية سبقت قوله :

_هلّا هلّا ...وبقينا بناخد قرارات وندي أوامر كمان ؟!

_أيوة ...ومش هاسمحلك تأجل حتى يوم واحد !

تقولها بانفعال غاضب صنع مع حمرة خديها مزيجاً شهياً فتتهد بحرارة ليلصق جبينه بجبينها هامساً :

_ومين هيستحمل يأجل ساعة واحدة ؟!

لكنه عاد يبتعد بوجهه ليسألها بترقب امتزج بالكثير من

الامتنان :

_بس عارفة إننا هنبدأ من الصفر المرة دي ؟! عشان حبيبتي الجدعة باعت شقتنا وادت فلوسها لأختي ترجع بيها المصنع ...عندك استعداد نعيش في بيت بابا القديم مع نشوى وبنتها ؟!





_في أي حتة المهم أبقى معاك .

قالتها بعاطفة امتزجت بعزم غريب على طبيعتها التي يعرفها فابتسم بقرارة نفسه مدركاً حجم التغيير الذي

نالها ...

والذي كافأه بقبلة تقدير على جبينها فابتسمت أخيراً وهي تبتعد عنه لتمسح بقايا دموعها ...

قبل أن تضع حقيبتها على كتفها لتهتف بنفس النغمة الجديدة على أذنيه :

_حيث كده بقا سيبني أجهز نفسي ...وانت كمان جهز نفسك .

_لإيه ؟!

يقولها بمكر عابث لتلكزه في كتفه هاتفة:

_لاستجواب شديد اللهجة الليلة دي تعترف لي فيه بكل حاجة حصلت من يوم ما سبتني ...وبالتفصيل !

فضحك وهو يرد بحنانه المعهود :





_طلبات الغالية أوامر .

يرتجف جسدها تأثراً بهذه العاطفة التي عادت تشرق أخيراً بين عينيهما لتهمس له بين أمر ورجاء:

_اوعدني من النهارده مفيش حاجة هتستخبى عني .

فيرفع كفها لشفتيه يقبل أصابعها واحداً واحداً قبل أن يهمس بعشق أذابهما معاً :

_كل نفَس بيخرج مني وعد ...إني كلي منك وليكي.

==========

_فستان فرح جديد ؟! دي هانيا بمناخيرها اللي في السما ماعملتهاش!

هتفت بها داليا بدهشة وهي تجد رانيا تفاجئها في غرفتها تطلب منها صحبتها لشراء الثوب....

فضحكت الأخيرة لترد بمزيج من خجل وفرح:





_عايزاه يفرح بجد يا داليا بعد شقا الأيام اللي فاتت...عايزاه يحس إنه قدام واحدة جديدة اتغيرت بسببه وعشانه..نفسي نعوض اللي فات ونبدأ من أول وجديد .

فغمزتها داليا بمكر هاتفة :

_سيدي يا سيدي ! وقال أنا رحت لهانيا عشان تعلمني الدلع ! طلعت النمرة غلط ...قولي انتِ بقا يا خبرة ...منك نستفيد !

لكن رانيا قبلت وجنتها بضحكة قصيرة لتهتف بتعجل :

_هاقوللك كل اللي انتِ عايزاه بس خللينا نخلص ...ماعادش فاضل غير كام ساعة ...تعرفي بيوتي سنتر قريب؟!

_حافظاهم واحد واحد ...أنت تسأل والكمبيوتر داليا يجيب!





هتفت بها داليا بمرح فخور وهي تهب من فراشها لتردف بغمزة عابثة :

_بس افتكري الجمايل دي !

فابتسمت رانيا بسعادة حقيقية راقبتها داليا برضا ...

رغم أنها -رانيا- هي الأكبر سناً منها لكنها كانت دوماً تشعر بأنها تشفق عليها كابنتها ...

ربما لطبيعة الأولى الخانعة التي كانت دوماً تعايش الأمور ككتكوت يغرق في شبر ماء!!!

لكن الأزمة الأخيرة صنعت منهن جميعاً نماذج مختلفة حقاً !!

بالذات رانيا التي نفضت ضعفها كله وراءها لتسند زوجها في أزمته !!





وفي المساء تجمعت العائلة لعقد قران جديد ...

لم تستطع فيه نبيلة كبح جماح زغرودتها التي شقت

الأجواء وهي تشعر بالاطمئنان على آخر البنات !!

زغرودة ابتسمت لها ياسمين وهي الأخرى تشعر بالسعادة لرانيا بالذات !

رانيا التي اختفت فجأة بعد توقيع العقد !

أين ذهبت ؟!

نفس السؤال الذي ألقاه أشرف لتجيب داليا هاتفة

بانطلاق:

_سبقتك ع البيت !

_نعم ؟!





هتف بها يامن باستنكار حرج لتكتم ياسمين ضحكتها فيما عجزت نبيلة عن فعلها لتخرج منها عالية راضية مع تعليقها العابث:

_البنت مش عايزة تضيع وقت !

احمر وجه يامن بالمزيد من الحرج ليتقدم كل من مروان ورامز يربتان على كتفه والأول يهتف بنبرة محذرة:

_اهدا وما تبوظش الليلة ...حصل خير!

فكز يامن على أسنانه وهو يمسك موضع قلبه مغمغماً باستنكار وهو يدور ببصره بين داليا وهانيا :

_هتجلطوني أقسم بالله ...ثلاث مصايب وابتليت بيهم !

_أربعة يا "مانّو"!





قالتها نبيلة ممازحة وهي تشير لنفسها فزفر بسخط ليتوجه ببصره نحو أشرف المرتبك هاتفاً بفظاظته المعهودة :

_حيث إن العروسة "بنت الناس" سبقتك ع البيت ...فأنا

حاليا دوري كأي "راس كرنبة" بالظبط...تقدر تتفضل وتحصلها .

قالها وهو يشير له بكفه نحو باب البيت مردفاً:

_ولما تفوق كده عايزين نتكلم شوية .

فاعتذر له أشرف عاجزاً عن كتم ضحكته ليقوم مغادراً لكنه ما كاد يصل للباب حتى استوقفه يامن بندائه ...

قبل أن يتوجه نحوه ليضمه في عناق قصير سبق قوله الذي انحدرت عنه غلالة فظاظته :





_أولاً مبروك...وثانياً...لك عليّ حق اعتذار ...

ابتسم له أشرف بتسامح وهو يربت على عضده ليبتسم يامن مردفاً بنبرة فاح منها ندمه :

_كنت فاكر إني بحافظ عليها ...بس ...

لكن أشرف قاطع عبارته بقوله المهذب:

_من غير تبرير يا دكتور ...بلاش نتكلم في اللي فات .

أومأ يامن برأسه موافقاً قبل أن يشير بإصبعه نحو رامز ومروان أن يأتيا ...

وما كادا يفعلان حتى ضم هو أربعتهم في حلقة ليهتف بغيظ :

_شوفوا بقا أنا جبت آخري ...كل واحد فيكم خد واحدة ملزوم بيها ...اعتبروا البضاعة المباعة لا ترد ولا تستبدل ...

ثم التفت نحو داليا وهانيا مردفاً بنفس الغيظ :





_شلة "العازبات الفاتنات" دي تتفض ونغير اسمها بقا !

انطلقت ضحكاتهم عالية فيما عادت نبيلة تطلق زغرودة أخرى استقبلها يامن بزفرة جديدة ساخطة جعلت الجميع يلتفون حوله لتهدئته !!

وفي البيت -الذي غادرته نشوى الليلة لتقيم مع ريما لدى إحدى قريباتها كي تمنحهما بعض الخصوصية -وقفت رانيا أمام مرآة الصالة تتأمل شكلها بمزيج من رضا وخجل ...

تعلم أنها ستثير ضجة بفعلتها هذه لكنها كانت تتعمدها !!

أجل ...هي تريد هذه المرة مختلفة !

تريد أن يشعر هو أنها الآن صاحبة الخطوة الأولى ...

أنها لم تعد الصنم الكامن في موضعه ...





الطفل المذعور المختبئ في جلباب أحبته ...

الهريرة الناعمة التي نسوا أن يخبروها أن لها مخالب...

هي الآن تملك القوة لاتخاذ قرار تدافع عنه بعمرها كله...

وهل أعظم منه هو قرار؟!!

تسمع صوت مفتاحه في الباب فتتراجع قليلاً بحذر ...

عيناه تحطان عليها فتتسعان قليلاً بانبهار ...اشتياق...لهفة....

قبل أن يتراجع كل هذا لتكتسحهما عاطفة بحجم عمره كله !!

ثوبها الأبيض المطرز الذي يختلف كثيراً عن ثوب زفافها





الأول المتحفظ ...

فهذا يكشف عن ذراعيها وصدرها وبعض ساقيها بتلك القصّة التي تقصر في ذيل مقدمته مظهرة إلى ما فوق ركبتيها ...

ثم تنحدر بسلاسة لتطول على الجانبين والخلف بتموجات مذهلة !!

_إيه رأيك ؟!

تسأله بدلال وهي تخطو نحوه لتبسط كفيها على صدره فيرفعهما ليلثمهما بشفتيه هامساً ب"الترنيمة القديمة":

_ما يتحكيش عليها !

تغمض عينيها بحنين جارف لهذه "الغنوة" التي طالما ظللت عشقهما القديم ...

ليكملها هو همساً بين شفتيها :





_كان حلم عمري اللي لقيته ...كان كل شيئ اتمنيته ...حبيتها كده زي ما هيّ ...ضحكتها مش ضحكة عادية ...توصفها تلاقيها ...ما يتحكيش عليها !

_لسه فاكر؟!

تهمس بها وأناملها تتحسس وجنتيه باشتياق لم تكن تحسبه هائلاً هكذا وهو يكاد يودي بدقات قلبها ...

ليمس شفتيها بشفتيه مساً خفيفاً هامساً :

_انتِ العمر يا رانيا ...هو العمر يتنسي؟!

فترتجف بين ذراعيه وشريط ذكرياتهما يمر أمام عينيها لحظة لحظة ...

"طفلة"تشاركه ألعابه...

"مراهقة" تقاسمه عشقه...

و"امرأة" تحتمي برجولته !!





Cinnabon

_عارف ليه قصدت الليلة دي أسبقك على هنا ؟!

همست بها بنبرة تهدجت بانفعالها ليقبل وجنتيها وجبينها مع همسه :

_عارف بس عايز أسمعها منك .

تتلألأ الدموع في عينيها وفيض مشاعرها الغامر يغرقها مع همسها:

_يمكن عشان أحسسك إني اتغيرت...يمكن عشان أنا نفسي أحس إني خدت قرار لوحدي ومسئولة عنه ...ويمكن عشان ...عشان أعتذر !

دمعة حارقة تسيل من طرف عينيها وهي تتذكر معاناته بعد هجرها الطويل له ...

دمعة تلقفتها شفتاه لتنحدر في خط قصير نحو شفتيها مع همسه المستنكر:





_تعتذري؟! انتِ مش بس مراتي ولا حبيبتي ...انتِ بنتي ...بنتي اللي مهما عملت قلبي كبر بحبها وهيموت عليه .

تنهيدتها التي مزجت ارتياحها بفورة عاطفتها تصل أذنيه كأعذب لحن ...

فتتلكأ شفتاه بين فردوس البسمات والقبل ...

والهمس الدافئ يعاود غزل خيوط العشق بينهما :

_واللي مهما قلت عنها ...ما يتحكيش عليها .

=========

أتعلْم يا "لذة الوجع" و"وجع اللذة"؟!!

يا "كابوساً بعد حلم بعد كابوس"؟!!

يا "طوق زهور أصبح حول العنق مشنقة"؟!!

يوماً ما س-تغادر- عالمي الذي "أزهر"بك و"تصحّر"بك ...





نهراً فاض وجف في عهدك عشرات المرات ...

يوماً ما س-أغادر- عالمك الذي زدته أنا فقراً وغنى ...

فقراً "عني" وغنى بكل ما دوني !!

يوماً ما ستغادر وأغادر ...

لكن شيئاً منا سيبقى في "المنتصف اللا محسوس " بيننا ...

شيئ حلو ...كلذة عناق...

مر ...كعلقم خيبة...

حارق...كدمعة رحيل ...

لكنه صادق...كابتسامة رضيع!

"ياقوت"

=========

على مكتبها في غرفتها بالمركز تجلس دافنة وجهها بين ذراعيها المتشابكين ...





لا رفيق لها في مصيبتها الأخيرة سوى دموعها !!

الحقيقة ظهرت أخيراً أمام الجميع ليدركوا من هو أبوها بأسوأ طريقة ممكنة !!

"استدعاء للتحقيق في النيابة" بعد هروبه !!!

استدعاء وصلها هنا على المركز ليظهر "اسمه" الذي طالما طمسته !!

هي لم تعد "ياقوت سليمان" ...

عادت لنقطة الصفر ...

"ياقوت حسين رجائي" ...المجرم الهارب!

طرقات مساعدتها التي تميزها على الباب تصلها لتجلي صوتها المتحشرج هاتفة :

_الغي المواعيد كلها ...أنا ماشية !

لكن الباب يفتح فجأة لترفع رأسها بغضب لم يلبث أن تحول لصدمة وهي ترى وجه زين خلف مساعدتها التي هتفت به بضيق:





_سمعتها بنفسك ؟! كل المواعيد ...

لكنه لم يمهلها الفرصة لتكمل عندما دخل الغرفة ليغلق الباب خلفه !

عيناه تجريان على وجهها الذي لم يحتج أن يطلب منها خلع نظارته هذه المرة ...

فقد كانت قد خلعتها كي لا تلطخها دموعها ..

دموعها هذه المرة لم تكن تترك أثرها على "وجهها" فحسب...

على "قلبه" فحسب ...

بل على "روحها" التي تبدو له الآن مطفأة كما لم يرها يوماً !!

عندما سمع الخبر في البداية توقع أن يراها راضية شامتة لكن علمه بهروب الرجل جعله يدرك أي فضيحة سيتركها خلفه !

لهذا وجد نفسه يهرع إلى هنا في خطوة لم يحسب نتائجها ...





أي حساب؟!

لقد طاشت في علاقته بهذه المرأة كل الحسابات !!!

أما هي فظلت ترمقه بعينين مصدومتين للحظات كأنها لا تصدق وجوده هنا الآن ...

جزء بداخلها يكاد ينتفض يصرخ به أن ارحل ...

لا ينقصني مرأى المزيد من خساراتي على وجهك !

جزء آخر يصرخ بها هي أن تماسكي ...لا تظهري أمامه ضعفاً ...أي ضعف ولو بمسمى "الرفض"!

وجزء آخر هزيل ...هزيل كما الحلم الذي طاردت سرابه يوماً في عينيه ...يربت على جروح روحها مذكراً إياها بمذاق "عناقه"!

أتعلم يا "لذة الوجع" و"وجع اللذة"؟!!

يا "كابوساً بعد حلم بعد كابوس"؟!!

يا "طوق زهور أصبح حول العنق مشنقة"؟!!





يوماً ما س-تغادر- عالمي الذي أزهر بك وتصحر بك ...

فاض وجف في عهدك عشرات المرات ...

يوماً ما س-أغادر- عالمك الذي زدته أنا فقراً وغنى ...

فقراً "عني" وغنى بكل ما دوني !!

يوماً ما ستغادر وأغادر ...

لكن شيئاً منا سيبقى في "المنتصف اللا محسوس " بيننا ...

شيئ حلو ...كلذة عناق...

مر ...كعلقم خيبة...

حارق...كدمعة رحيل ...

لكنه صادق...كابتسامة رضيع!

قدماه تقصران الطريق بينهما لتجده على بعد أنفاسها يشرف عليها من علو ...





حتى في مصيبتها هذه لن تسمح له -ولنفسها قبله - أن يكون منها بهذه المكانة بين أعلى وأسفل!

لهذا وقفت تناطحه رأساً برأس ...

عيناها الدامعتان تتألقان ببريق عزة لم تفقده ...

"القمران السجينان" يتواريان خلف غيوم ألم تكبته ...

_جاي ليه ؟!

لم تستطع رؤية عينيه بعد سؤالها بل أغمضت عينيها بسرعة ...

تراها مثلاً كانت تخشى الجواب ؟!!

تخشى أن يضع لبنة أخرى في صرح "كراهيتها" له ...

أو ربما "العكس"؟!!

تخشى "جبروته" أم تخشى "وهنها"؟!!

في هذه اللحظة بالذات ...





لو استطاعت أن ترجوه الرحيل فستفعلها !!

وأمامها كان هو يقبض كفيه جواره بقوة وعيناه تترصدان تفاصيلها كمن يفك طلاسم تعويذة ذهبت بعقله ...

لو استسلم ل"عقيدة الصياد" فلماذا لا يشعر برضا عن ضعف "طريدته" في موقف كهذا ؟!

ولو استسلم ل"ضمير انسانيته" فلماذا يشعر بالعجز المقيت هذا عن مساعدتها ؟!!

ربما لأنه يعلم أن مجرد وجوده في حياتها بهذه الطريقة ليس إلا نصلاً جديداً يغرسه في عنق هذا الكبرياء !!

ابتعاده "فريضة واجبة" لكنه ليس عليها بقادر!

_أكيد عرفت الخبر ...عرفت إنهم بعتولي استدعا رسمي هنا ؟! كل المركز عرف دلوقت أنا مين ومين أبويا ...وبكرة كل الناس هتعرف ...إشاعة





واحدة لعلاقة زين بيه العظيم مع واحدة زيي ممكن تهز صورتك ...برضه لسه مش عايز ...

سيل كلماتها بين عنفوان عزتها ومرارتها ينقطع فجأة بين ذراعيه !!

جواب سؤالها الذي لم تكمله يصلها لا بين شفاه ولسان بل في تشبث حضن !

عبر عينيها المغمضتين ...ذراعيها المتخشبين ...قدميها الراسختين في الأرض ...

ورأسها الذي يثبته هو بكفه على صدره ...تعاود دموعها فيضانها الصامت !!

العناق "الثالث"!!

هل بلغ بها البؤس حد أنها صارت تعد عناقاته واحداً واحداً؟!!

وكيف لا تفعل وكل منها له مذاق لا يشبه صاحبه ؟!





أولها كان عناق تعاطف ...ثانيها كان عناق احتياج...

لكن هذا يبدو وكأنه عناق عجز !!

ربما لو أجادت فهم لغة خفقاته لأدركت أنه لم يشعر في حياته كلها بالعجز كما يفعل الآن !!

كيف وهو يود لو يمحو عنها خزي ماضٍ أزكى هو -بفعلته معها- حاضره وغده ؟!!

ألا يتركها وشأنها ؟!

مستحيل!

ألا يقرّبها ب-عز- تستحقه ؟!

بأي صفة؟!

هي أخبرته أن كل الجسور بينهما مهدومة...

فهل يملك القوة ليحلق نحوها طائراً ؟!!

لم يكن جواب سؤاله إلا أن شدد ضغط ذراعيه حولها برفق أكثر لعله يلمح منها أي استجابة...





لكنها لم تستسلم ...ولم تقاوم !!

وقفت متخشبة جامدة تتلقى عطيّته كما تفعل بكل مصائب حياتها !!

وهل من مصيبة أعظم من رجل كهذا في طريق امرأة مثلها؟!!

لماذا يعانقها ؟!

لماذا يفعل؟!

لماذا لا يلقي في وجهها واحدة من عبارات جبروته التي ستلائم جداً موقفها الآن ؟!

لماذا لا يحاول خداعها بعبارة مجاملة يجيدها متلون مثله ؟!

بل ...لماذا لا يتكلم ؟!

منذ دخل الغرفة وهو ملثمٌ خلف صمته ...وكم تكره هذا اللثام !!





لهذا رفعت وجهها نحوه لتقول بنفس النبرة الجامدة التي لم تخدعه :

_وبعدين؟! هتفضل تضيع وقتك كده كتير ؟!

_وانتِ هتفضلي تمثلي إنه مش فارق معاكي كده كتير؟!

همسه الذي مزج مكره بإشفاقه استفزها لتهتف بانفعال رج جسدها بين ذراعيه :

_أنا ما بمثلش إنه مش فارق ...هو فعلاً مش فارق ....إيه يعني ؟! إيه يعني ؟!

ظلت تكرر عبارتها الأخيرة بنبرة خفتت تدريجياً لتنهار آخر حروفها بدفقة من دموعها تلقاها هو على صدره ليربت على ظهرها للحظات قبل أن يبعدها ليهز كتفيها بقوة بما كان واثقاً أنها تحتاج سماعه :

_بتعيطي ليه ؟! خايفة من إيه ؟! مين حسين رجائي في حياتك ؟! انتِ ياقوت سليمان ...ياقوت اللي حفرت في الصخر لحد ما عملت اسمها بنفسها




ماستنتش حد يديهولها ...الناس هتتكلم النهارده وتنسى بكرة ...واللي هيفضل بس هو صورة ياقوت اللي هترسمها بنفسها مش بإيد حد .

عيناه القويتان تغرسان نظراتهما وسط دموع قمريها السجينين ...

غيم نقي من حنان لم يتكلفه اخترق قلبها بصدقه ...

هي تعبت حقاً!

تعبت من أن ترشد الناس لسبل صلاح أرواحهم وهي مجرد ضالة هائمة في غياهب ماض يبتلعها ...

"باب النجار مخلع" كما يقولون !!

وهي في هذه اللحظة لم تكن أفضل من نجار ماهر هشموا له بابه كاملاً وتركوه وحده في العراء!!





_ليه ده يحصل دلوقت ؟! وبالشكل ده ؟! أنا عمري ما كنت عايزة منه حاجة ...طول حياتي بخبي اسمه حتى مش عايزاه...فلوسه كنت بشتغل أي شغلانة ولو بسيطة ومتعبة عشان ما أمدش إيدي عليها ...ودلوقت اسمه يرجع يوسخ اسمي كده ؟! القصة الجديدة هتفكر الناس بالقديم ...وبنات الخدامة مش هيشفعلهم تعب ولا شرف ...كان نفسي أشمت فيه وأقول حق أمي وحقنا رجع ...لكن هو لسه بيغلط واحنا بندفع التمن ...بندفعه من سمعتنا وشرفنا ...

ثم مسحت دموعها لتبتسم ساخرة مستطردة بمرارة :

_دول هيصادروا فلوسي اللي في البنك زي ما عملوا مع ولاده التانيين ...فلوسي اللي جمعتها بتعبي وشقايا واستخسرتها في نفسي عشان أحوشها لجهاز لجين أو علاج ستي ثمر ...حتى الصفر اللي بدات منه هياخدوه مني...شفت ظلم أكتر من كده ؟!





وجع حروفها يمزق قلبه لكنه يدرك بعقله أنها لا تحتاج الآن تعاطفه ...

بل دعمه ...لهذا عاد يهز كتفيها كأنه ينتزعها انتزاعاً من دوامة يأسها هذه :

_اللي زيك يعملوا ألف صفر ويبدأوا منه من جديد ...فكري كويس شوفي انتِ نجحتي ليه هتلاقي نفسك ماخسرتيش حاجة...لسة انتِ ياقوت ...لسة حواليكي لجين وثمر ...لسة جواكِ نفس الروح الطيبة والعقل الذكي والطموح اللي هيوصللك لأعلى مكان تتمنيه ...

ثم ارتجفت شفتاه بابتسامته ليجد نفسه دون وعي يقربها منه أكثر هامساً أمام عينيها :

_فاكرة لما قلتيلي إن اللي زيك الضربة ما بتموتوش ...بتدوخه بس وبيرجع يقف على رجليه تاني ؟!

عيناها تتوهان في زحام المشاعر الذي فاضت به عيناه بجنون فوضوي...





العينان الماكرتان كانتا تتلونان الآن بأطياف من حنان ...يقين ...إعجاب لن تبالغ كثيراً لو منحته مسمى أكبر ...

عالم تود لو تغرق فيه بكليتها لكن ...

منذ متى تستجيب هي لما تشتهيه ؟!!

لهذا أغمضت عينيها بقوة تقاوم غزو نظراته هذه قبل أن تزيح كفيه عن ذراعيها لتتحرك مبتعدة ...

تأخذ نفساً عميقاً ولا تنكر أنها كانت تحتاج حقاً سماع هذه الكلمات ...

وستكون أكثر صدقاً مع نفسها لتعترف أنها منه هو بالذات لها مذاق مختلف !

_لو كنت انت حد تاني كنت شكرتك على كلامك ...بس أنا عارفة إن اللي زيك ما بيعترفش إلا بلغة المصالح ...هه يا بيه ؟! وقفة الجدعنة بتاعتك دي عايز قصادها إيه ؟!





قالتها وهي فقط لا تدوس على قلبها بل على فطرتها الطيبة التي تثق أنه ليس كما تقول ...

لكنها لم تكن لتسمح لنفسها وبالذات في هذه الظروف أن تهوي في هذا الدرك أكثر !!!

وربما هذا ما كان يحتاجه هو الآخر ليعاود الاستمتاع بنزالهما الماكر من جديد ...

من النادر حقاً أن يقابل امرأة يجابه ذكاءها ك-نِدّ - ويشتهيها ك-أنثى-!

لا تزال ردود أفعالها مبهرة وسط كل الظروف ...

هي حقاً حجر من ياقوت !!

_اللي عايزه هاخده ماتقلقيش .

يقولها بمكر واثق مدركاً أنه يثير غيظها وهو يتحرك ليقف قبالتها واضعاً كفيه في جيبي سرواله قبل أن يردف بابتسامة ماكرة :





_دي نقطة مشتركة بيننا ...احنا الاتنين بنعرف نوصل للي عايزينه...عشان كده من الأفضل إننا الاتنين نعوز نفس الحاجة .

فالتمعت عيناها بنظرة متحدية وكأنما نفضت عنها رداء ضعفها السابق لترد ببطء:

_توقيت غلط للاستعراض يا بيه ...انت ناسي رهاناتك الخسرانة ؟!

فاتسعت ابتسامته الماكرة وهو يقترب منها أكثر ليميل على أذنها بهمسه :

_جميل قوي البيت اللي عامله رائد لهمسة ...بس المشوار كان بعيد عليكي.

شحب وجهها فجأة لتتجمد مكانها وقلبها يخفق بجزع ...

كيف غفلت عن أنه قد يراقبها ؟!!





كيف غاب عنها أمر بديهي كهذا ؟!!

لو تدخل بجبروته في الأمر الآن فستنتكس حالة همسة !!

لهذا وجدت نفسها تهتف فيه بغضب:

_إياك تقرب ناحيتها وإلا قسماً بالله العظيم لاهاسيب الحالة و...

سبابته على شفتيها تقاطع سيلها الحاد ليقول بنفس النبرة الواثقة التي اختلطت الآن بشيئ من المرارة :

_لو كنت عايز آخدها كنت خدتها ووديته هو ورا الشمس ...بس أنا سايبها هناك بمزاجي .

تنفست الصعداء وملامحها ترتخي بارتياح لتشيح بوجهها للحظات سبقت قولها الذي عادت إليه نبرتها المهنية :





_هي بتتحسن ...وجودها معاه فرق كتير ...الحل م
الأول ماكانش ببعدها عنه ...بالعكس ...علاج
همسة الحقيقي في إحساسها بإنه
جنبها ..مااتخلاش عنها ...كل لحظة بتحس فيها
بده بتزود رغبتها إنها ترجع تتواصل مع عالمنا
تاني .

_ياريت تكون فعلاً كويسة ...ما تعرفيش مسكت
نفسي إزاي عشان ما أدمرش رائد بعد اللي
عمله ...ما تعرفيش بحس بإيه لما برجع البيت
ومش بلاقيها ...ياريت النتيجة تكون تستاهل كل
ده .

_انت كمان وحشتها ...سألت عليك ...ووعدتها
أخلليك تشوفها ...

قالتها بنفس النبرة المهنية ثم ترددت قليلاً
لتختلس نظرة نحوه مردفة :

_فيه خبر حلو ...هي فعلاً بقت تتقبل صوته ...بس
من غير ما تشوفه.





اتسعت عيناه بصدمة للحظات قبل أن يبتسم ابتسامة صافية هاتفاً :

_معقول؟!

أومأت برأسها إيجاباً لتسبل جفنيها قائلة :

_أنا كمان ماكنتش مصدقة...تطور عظيم جداً...وعندي أمل كبير لو فضل ماشي معاها في نفس الطريق تتقبل تشوفه كمان ...المسألة...

انقطعت عبارتها هذه المرة بشهقتها وهي تجده يضمها في عناق مفاجئ !!

العناق "الرابع"!!

بمذاق "الشكر" هذه المرة !!

الشكر الذي فاضت به نظراته وهو يبتعد بوجهه عن جسدها المتخشب أخيراً ليتحول لمعنى آخر أعمق فاض في العينين الماكرتين ...

معنى جعل نظراته تتكدس حول "شفتيها" اللتين ارتجفتا بقوة مع شعورها باقترابه ...





_إياك !

هتفت بها صارمة وهي تحاول الابتعاد عن مرمى ذراعيه لكنه تشبث بها أكثر وهو يبتعد بوجهه ممتثلاً لرغبتها...

لتعود الابتسامة المتراقصة لشفتيه مع همسه :

_مش عارف أشكرك إزاي .

_انت عارف!

قالتها بغيظ لتتسع ابتسامته بقوله :

_بيننا اتفاق.

_انت مصدق نفسك ؟! أنا لا اتفقت ولا وافقت ...انت خدت كل حاجة غصب واقتدار زي ما بتعمل في حياتك كلها .

هتفت بها بقهر أعاد الدموع لعينيها ليرتخي ذراعاه حولها في حركة موحية قبل أن يهمس لها بنبرة لم تفهمها :





_يمكن في يوم تفهمي إني أنا كمان كنت مغصوب زيك ...امتى وإزاي وليه لقيتني معاكي في دايرة مقفولة مش عارف .

_افتحها .

هتفت بها بنبرة ألانها شعورها بأنها تخاطب الجزء الخاص ب"إنسانيته" هذه المرة ...

ليخفق قلبها بجنون وهي تراه يطرق برأسه صامتاً ...

رباه !!

هل سيفعلها الآن ؟!

سيمنحها حريتها ويصلح هذا الخطأ ؟!!

يبدو أنه سيفعل !!

لو أطلقها من يده فستبقى طوال عمرها تشكر له هذا الصنيع !!

كاذبة !!

لو فعلها فستظل تلعنه ما بقي له من حياتها !!

يالله !!





إذا كانت هي بهذه الحيرة ...بهذا الشتات ...فماذا عنه هو ؟!!

ارتجف جسدها بقشعريرة باردة وهي تراقب ملامحه كمن ينتظر نتيجة اختبار ...

راسبة أو ناجحة ...

هي في الحالتين خاسرة ...فهل أشد من هذا ظلم ؟!!

رأته يرفع إليها عينيه بسراجين من ذهب توهجا بدفء غمرها وكأنه يستقرئ في عينيها ما عجزت عن البوح به ...

قبل أن يهمس لها أخيراً :

_هافتحها ... ويمكن انتِ اللي تفتحيها ...بس الأكيد إن وقت ده ما يحصل مش هابقى راضي ...ولا انتِ كمان !





العبارة المموهة لم تمنحها الكثير مماكانت تنشده لهذا التمعت عيناها بتحدّ ناسب عبارتها :

_رهان جديد هتخسره .

الابتسامة الماكرة المشبعة بمرارتها تعاود التراقص على شفتيه وعيناه تردان لها التحدي بمثله ...

قبل أن يعطيها ظهره لينصرف وما كاد يمسك مقبض الباب حتى تذكر ما جعله يسألها باهتمام :

_استدعا النيابة امتى؟!

_بكرة الصبح ...وبعدها هاسافر البلد ...هحاول أرجع بدري عشان جلسات همسة .

قالتها بنبرة عادت إليها مهنيتها وهي تتحرك لتجلس على مكتبها ...

فابتسم ليقول بنبرته المميزة التي تمزج الود بالهيمنة :

_ما تتأخريش هناك.





رمقته بنظرة مستهينة وهي تعاود ارتداء نظارتها ليردف بنفس النبرة :

_هابعتلك محامي الصبح.

_مش محتاجاه !

هتفت بها بغيظ كأنما تقذفها في وجهه لكنه لم ينتظر ردها وهو يخرج صافقاً الباب خلفه ...

تاركاً إياها تتخبط بين جدران مشاعرها نحوه ...

ثلجٌ ونار !

هكذا ببساطة ملخص علاقتها به !

=========

وقفت خارج الغرفة في مبنى النيابة حيث سيتم التحقيق ...

عيناها تحيدان هناك لتلك المرأة التي ترمقها بنظرة غل والتي تقف أمام شاب يبدو أنه ابنها ...

لاريب أنه أخوها العزيز و "الهانم" أمه !!





"الهانم" التي احمر وجهها ببكاء بدا وكأنه زاد فوق عمرها عمراً ...

رغم أناقة ملبسها ...جمال ملامحها ...الهيبة الأرستقراطية التي ترتسم على ملامحها ...

لكن طيف "الانكسار الذليل" على وجهها لم تكن لتخطئه عين راءٍ!

ومن مثلها يمكنه تمييزه ؟!!

شماتة ؟!!

لا ...نعم...أو ربما!!

الأمر معقد كثيراً على أن تجد تصنيفاً لشعورها الآن !!

انقطعت أفكارها عندما وجدت المرأة تندفع فجأة نحوها لتجذبها من ذراعها هاتفة بغل:

_اوعي تفتكري إن ليكي أو لأختك أي حقوق عندنا ...مش عايزة أشوف وش واحدة





فيكم...ترجعوا تستخبوا في جحوركم زي الفيران زي ما عشتوا طول عمركم .

_ماما!

هتف بها هيثم باستنكار وهو يخلص ياقوت من ذراعها ...

ياقوت التي رفعت أنفها لتقول باعتدادها المعهود :

_حقوق؟! لو كنا عزنا زمان كنا هنعوز دلوقت ...جوزك ده احنا اللي متبريين منه مش هو .

لكن هيثم رمقها بنظرة متعاطفة ليقول بين اعتذار ومرارة :

_معلش...ماما أعصابها تعبانة ...كلامها مش محسوب.

رمقته جيلان بنظرة مغتاظة قبل أن تسمع صوت الرجل يدعوها للدخول فترددت للحظات قبل أن تتحرك لتدخل تلاحقها نظرات هيثم التي تمزج صدمتها بخزيها ...





تأملته ياقوت بعينين متفحصتين وهي تشعر أنه يختلف عن أبيه ...

تسترجع ما حكته لها لجين عن موقفه معها لتربط هذا بما حدث الآن ...

لتزداد فكرتها رسوخاً عندما وجدته يلتفت نحوها بعينين ذابلتين تتفحصان ملامحها قبل أن يمد لها كفه بما تدرك أنه يفوق كثيراً معنى المصافحة !!!

جسدها يتخشب لوهلة متفاجئة بصنيعه قبل أن يرتجف كاملاً وهي تتفحصه بنظرة أكثر إنسانية ...

قلبها يتقافز بصدرها من فرط انفعاله وعقلها ينقله من خانة "ابن حسين" ل"خانة أخيها"!!

فخ؟!

هل يكون لُطفه هذا مجرد فخ؟!!

لا ..هي لن تخطئ قراءة نظراته التي تفيض مرارة وخزياً و...حناناً!





لهذا وجدت أناملها دون وعي تمتد لمصافحته قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة متهكمة مريرة ناسبت قوله :

_معرفش بيقولوا إيه في الظروف دي ...وعمري ما كنت أتصور إني ممكن أتحط فيها ...بس ...أنا ...

تلجلجت كلماته بانفعاله الذي بدا على صفحة وجهه مما جعلها تشفق عليه ...

لتأتي بقية كلماته كما توقعتها :

_أنا آسف ع اللي ماما قالته...هي اتصدمت زينا ...بابا أكيد بريئ وحد ملفق له التهمة دي ...هو ما هربش عشان مذنب لكن ممكن حد ساعده عشان يثبت براءته ويرجع ...مش كده ؟!

تأملته بنظرة مشفقة وهي تتفهم هذا الشتات في ملامحه !!

المسكين لا يزال يعاني حالة "الإنكار بعد الصدمة" ...





لا يدرك أنه لم يكن يعيش إلا في فقاعة وردية من وهم !!

ينتظر عودة أبيه "الفارس" بدليل براءته ولا يعلم أنه هرب كنذل جبان تاركاً جواده يدهسهم جميعاً تحت حوافره !

تنفرج شفتاها وهي تود لو تهتف له بما يجعله يفيق من وهمه الخادع لكنها تشعر بكفه يضغط كفها في احتياج صامت أخرسها !!

شفقتها الممتزجة بحنانها جعلتها تهز رأسها عاجزة عن منحه صدمة جديدة !

طالما كان الوهم أرحم من الحقيقة فلا تلوموا الواهمين !

لهذا أغمضت عينيها بقوة وهي لا تدري بماذا ترد ...





جزء "بَشريّ" منها يشعر بالشماتة ...بلذة القصاص ...عائلته الآن تذوق الخزي الذي ذاقته وعائلتها عمرهم كله !

لكن جزءاً آخر بطبيعتها الطيبة يغلبها لتنظر إليه النظرة المناسبة ...

ما ذنبه ؟!!

هو مثلها مجرد ضحية لأب فاسد ...هي وأختها دفعتا الثمن قديماً وهو وأخوه سيذوقان المثل غداً ...

فأي شماتة هنا ؟!

هل يشمت المرء في صورة مرآته ؟!!

لهذا شدت على كفه هي الأخرى فلم تدرِ أيهما يتشبث بالآخر أكثر لتعاود تفحصه بعينين مختلفتين ...

هذا إذن أخوها الصغير ؟!!

عيناها تمتلئان بالدموع و"اللفظ الغريب" على روحها يقصفها قصفاً !!





لماذا تأخرت لجين ؟!

إنها تحتاجها معها الآن لعلها تشاركها هذه اللحظة...

هذا الوجع...هذا "الاكتشاف" الخطير كما كانتا تفعلان في صغرهما عندما تتقاسمان المفاجآت !!

تشعر بها خلفها فتلتفت نحوها دون أن تترك كفه ...

عيناها الدامعتان تتلقفان نظرات الخوف القلق في عيني شقيقتها ...

كأنما الثانية تسألها عما يحدث لتجيبها الأولى: ألا تخافي !!

عينا هيثم تحطان على لجين التي لا تزال ترمقه بنفس النظرة المذعورة كما رآها في المرة السابقة فيبتلع غصة حلقه المريرة ...





قبل أن يمد كفه الآخر ليمسك كفها في مشهد مهيب ل"ثلاثة" تشابكت أكفهم كإخوة بعد كل هذا العمر!!

==========

_عملتي إيه جوه ؟! ومين الراجل اللي دخل معاكي ده ؟!

سألتها لجين وهما تغادران معاً مبنى النيابة لتجيبها ياقوت باقتضاب:

_ده محامي باعته واحد معرفة ...بإذن الله خير ما تقلقيش.

قالتها وهي تشكر زين سراً على إرساله للرجل الذي نفعها كثيراً في إفادتها هناك ...

لكنها مع هذا لم ترد على اتصالات الأول التي يمطرها بها من أول النهار !!

قلبها لا يحتمل كل هذا القدر من الانفعال ...

ألا يكفيها لقاؤها بهيثم ؟!

وكأنما قرأت لجين أفكارها لتقول بانفعال أرجف حروفها وهي تسير جوارها في الطريق :





_شفتِ هيثم ده جدع إزاي ؟! ده طلع راحلي المعمل من كام يوم عشان يسأل عليا ويقابلني .

فابتسمت ياقوت وهي تتذكر نظراته الحنون نحوهما ...وعده لهما أن يصحح خطأ أبيه...رجاءه الحار لهما أن تسمحا له بأن يتواصل معهما في هذه الظروف ...

_معقول بعد العمر ده يبقى لنا أخ يا توتة ؟!

سألتها لجين بفرحة وجلة جاهدت لتطفو فوق سطح كل هذا البؤس لتضمها ياقوت بذراعها قائلة بابتسامة شاردة :

_ستك ثمر دايماً تقول ان كرم ربنا مالوش حدود .

ثم نظرت في ساعتها لتردف:

_ياللا عشان نلحق القطر .

لكن لجين توقفت مكانها لتقول باستياء:





_مش هاقدر آجي معاكي ...مارضوش يدوني أجازة في المعمل النهارده ...روحي انت وهاحصللك آخر النهار .

هزت ياقوت رأسها باستسلام قبل أن تعانقها بقوة ليصدح هاتف لجين برنينه فرفعته لتقول لشقيقتها بارتباك :

_ده هيثم .

_ردي!

هتفت بها ياقوت بسرعة لتفتح لجين الاتصال فيزداد ارتباك ملامحها مع ما تسمعه ...

قبل أن تضغط بإصبعها على الشاشة ما يمنعه من سماعها فتسأل ياقوت بلهفة :

_عايز يعزمنا ع الغدا ويتكلم معانا .

فابتسمت ياقوت وهي تتناول منها الهاتف لتقول له بنبرة ودود :

_معلش أنا مسافرة دلوقت ...لكن ممكن لجين ...هاسيبك تتفق معاها .





احمر وجه لجين انفعالاً وهي تشعر بغرابة الموقف ...

لترمق ياقوت بنظرة متسائلة فهمتها الأخيرة لتطمئنها بقولها :

_ما تقلقيش من ستك ثمر ...أنا هافهمها وهي مش هتعترض ...عمرها ما هتبقى قطاعة أرحام .

فارتخت ملامح لجين لتعاود محادثته كي يتفقا على التفاصيل ...

ولم تكد تغلق الاتصال حتى هتفت بسعادة طفولية :

_مش مصدقة يا توتة...أخيراً هيبقى لنا سند ...أخ يقف في ظهرنا ...

ثم عبست ملامحها لتردف :

_والله هيثم ده خسارة في أبوه !

_كلنا خسارة فيه يا أوبرا!

هتفت بها ياقوت بغيظ قبل أن تردف ببعض القلق:





_ما لاحظتيش إن ابنه التاني مش موجود ؟!

_عرفت إنه مسافر بس أكيد هييجي في الظروف دي ...تفتكري هيبقى حنين زي هيثم كده ؟!

سألتها لجين بتوجس لتهز ياقوت كتفيها بجهل قبل أن تزفر لتقول بنبرة منهكة :

_سيبي بكرة لبكرة..كفاية علينا قلق اليومين اللي فاتوا ...عارفة يا أوبرا أكتر حاجة نفسي فيها دلوقت إيه ؟!

_حضن ستي ثمر!

أجابتها لجين بتفهم نادر تتشاركان فيه لتبتسم ياقوت مغمضة عينيها مع ردها:

_بالضبط! نفسي أرمي كل همومي ورا ظهري وأستخبى دلوقت في حضنها ...تقعدني في حجرها ...ترقيني وتضفر لي شعري ...يمكن وقتها الواحد يرجع يشحن طاقته عشان البلاوي اللي جاية.

_بلاوي؟!

هتفت بها لجين باستنكار لتلكزها في كتفها مردفة:





_فال الله ولا فالك ...ما تقوليش كده عشان قلبي بيتقبض!

فاتسعت ابتسامة ياقوت وهي ترمق شقيقتها بنظرة مشفقة ...

كم تود لو تطمئنها أن الأمور ستسير على ما يرام لكن حدساً ما بداخلها يخبرها أن الأيام القادمة ستكون أصعب ...

حدساً لم يفارقها بعدما فارقتها لتأخذ طريقها نحو محطة القطار ...

عيناها الطيبتان تجوبان الوجوه في الزحام حولها حيث وقفت تنتظر القطار ...

هاتفها يرن من جديد برقم زين لكنها تتجاهله عمداً ...

هي في طريقها لقريتها حيث موضع سكينتها ولا تريد المزيد من الشتات الذي يبثه فيها حديثه ...

لكن ماذا لو ...؟!!





صوت الانفجار القريب يقطع أفكارها فجأة !!

جسدها ينتفض وآخر ما تراه هو صورة النار !!

=======

_برضه جيتي؟!

هتف بها مروان في المشفى الذي تطوع فيه لإسعاف المصابين في الحادث بصوت لايزال يرجفه انفعاله أمام

داليا التي هتفت بانفعال مشابه :

_عايزة أتبرع بالدم زيهم ...أساعدك في أي حاجة .

زفر بانفعال وهو يشعر بالإشفاق عليها من رؤية هذه

الحالات التي تصل كل بضع دقائق ...

ليعاود قوله :

_عايزة تتبرعي بالدم ماشي ...اتبرعي ورَوّحي!

_لا ...هافضل معاك وأعمل أي حاجة تطلبوها مني .

هتفت بها بعنادها الذي امتزج الآن بشيئ من حس المسئولية ليعاود نظراته الغاضبة المشفقة نحوها لكنها لم تتراجع ...

الوقت يمر بها وهي تتحرك معه هو وزملائه يداً بيد تساعدهم بما تعلمته في دورة إسعافات أولية كانت قد حصلت عليها ...

دموعها لا تتوقف عن الهطول لكنها تتصنع التماسك وهي تتخيل نفسها في ذات الموضع !!

يالله !!!

هل هكذا قد تكون الحياة قصيرة ؟!!

_ياقوت!





هتف بها مروان وهو يلمحها تتحرك مع بعض زملائهم تساعد في إسعاف الحالات لتشير له بيدها في تحية مقتضبة قبل أن تمضي في طريقها وقد بدت من هيئتها المنهكة أنها سبقته في الحضور إلى هنا !

رمقته داليا بنظرة حانقة لتهتف بغيرة دون وعي :

_مين ياقوت دي؟!

فالتفت نحوها هاتفاً بغيظ :

_انتِ في إيه واللا في إيه ؟! ياللا...

قاطع أحد زملائه عبارته وهو يجذبه من ذراعه نحو الداخل كي يتفحص إحدى الحالات ...

ورغم أن تخصصه لم يكن مفيداً كثيراً هاهنا لكنه استفاد من معلومات سنوات دراسته الأولى ...

الحالات تتوالى على عينيه تباعاً بعدها فلا يكاد يميز لها عدداً !!





يالله !!

كل هؤلاء؟!

التاريخ لن ينسى يوماً كهذا !

بل سيفعل كما نسي من قبل !!

منصب يُسلَم من واحد لآخر ولا عزاء لفقير لا تُسمع له صرخة ولا ترى له دمعة ...فهل لدمه ثمن ؟!!

الخاطر الأخير يملأه غضباً وقهراً طوال الساعات التي قضاها بعدها حتى غادر المشفى ليلاً معها وجسده ينافس عقله في إنهاكه !!

_عاملة إيه دلوقت ؟!

سألها بتشتت وهو يستقل سيارته جوارها في طريقهما لبيتها لكنها كانت تطرق بوجهها صامتة فصمت قليلاً يفكر قبل أن يهتف باستنكار :

_اوعي تكوني مقموصة عشان موضوع ياقوت ؟!





لكنها انخرطت فجأة في بكاء هستيري جعله يزفر بقوة قبل أن يمد ذراعيه ليضمها لصدره برفق مربتاً على ظهرها مع قوله الرفيق:

_معلش...أنا عارف إن اليوم كان صعب عليكي ...عشان كده قلتلك امشي م الصبح .

ظلت غارقة بين شهقات نحيبها للحظات قبل أن تهتف بانفعال:

_مش النهارده بس...كل يوم بكتشف إن الدنيا بقت وحشة قوي ...تخيل هيثم صاحبي من ابتدائي ...كبر معايا سنة بسنة ...باباه طلع الراس الكبيرة ورا قضية مصنع أشرف ...أول ما عرفت وكلمته كان مصدوم...منهار....في ثانية واحدة دنيته اتقلبت ...

_كلمتيه فين ؟!

سألها بضيق وعيناه تفضحان غضباً مكتوماً لتجيبه بضيق مشابه :





_في التليفون .

_من غير ما تقوليلي؟!

_وأنا هستأذنك عشان أكلم صاحبي؟! ما انت سلمت على صاحبتك في المستشفى!

هتفت بها باستنكار وهي تبتعد عن مرمى ذراعيه ليكز على أسنانه بغضب هاتفاً:

_انتِ بتقارني إيه بإيه ؟! مش صاحبك ده اللي مراة عمي شافتك في حضنه في الكلية ؟!

اتسعت عيناها بارتياع وهي تشعر أن كلماتها ذابت على شفتيها ...

هل يعيرها بأخطاء الماضي ؟!

هل هذه صورتها في عينيه بعدما ظنتها قد تغيرت ؟!

بينما لم يكد هو يلفظ آخر كلماته حتى انتبه لوقعها عليها لكنه لم يكن في مزاج يسمح له باسترضائها !!




توتر الساعات الماضية كلها جعل قلبه كله يتقافز على صفيح ساخن ...والآن تزيده هي بتصرفاتها الطائشة !!

صديقها ابن تاجر المخدرات الذي لا يعرف شيئاً عن حقيقة شخصيته والذي تهاتفه دون إذنه !!

لكنها قاطعت أفكاره عندما غادرت السيارة فجأة لتندفع نحو أقرب سيارة أجرة لتغيب عن ناظريه قبل أن يدرك ما الذي تفعله !!

الحمقاء الطائشة !

خبط على مقود سيارته بكفه بضع مرات مطلقاً صيحة غاضبة قبل أن يأخذ قراره ليتركها هذه الليلة حتى يهدأ كلاهما ...

فاقترابه الآن لن يزيد كليهما إلا اشتعالاً!!!





أما هي فلم تستطع منع دموعها طوال الطريق حتى وصلت لبيتها حيث استقبلتها نبيلة بقلق لتضمها لصدرها برفق هاتفة :

_قلتلك ما تروحيش ...مش هتستحملي المناظر هناك .

لكن داليا هتفت بين دموعها :

_ولما كله يقعد في بيته مين هيساعد الناس يا بيللا؟!

قالتها ثم عادت تنخرط في بكائها لا تجد مجالاً للشرح أو الجدال...

اليوم العصيب بكل أحداثه ينتهي بهذا الموقف مع مروان ...

دوماً يخذلها بصورتها القديمة في رأسه !

ستظل دوماً بعينيه الطفلة المذنبة!!




صوت رنين الباب يصدح فتفتحه نبيلة دون أن تترك داليا من بين ذراعيها لتجد وجه مروان خلفه متشحاً بين حرج وتعب ...

_مالها داليا يا دكتور ؟!

هتفت بها بلهفة قلقة ولاتزال داليا تبكي على كتفها لكنه جذب الأخيرة من ذراعها برفق ليضمها لصدره هو بقوة مقبلاً رأسها مع همسه :

_حقك عليا.

رمقتهما نبيلة بنظرات متوجسة لكنها أدركت أنه قد أغضبها والآن يسترضيها لهذا آثرت تركهما وحدهما ...

ولم تكد تفعل حتى ضمها مروان بقوة أكبر ...

ثم قبل وجنتها بعمق ليرفع وجهها نحوه هامساً بعتاب :

_ينفع تسيبيني وتجري في الشارع كده ؟!





_ولما أنا وحشة جيت ورايا ليه ؟! كنت سيبني أتفلق!

هتفت بها بصوت متقطع من شدة البكاء جعله يلعن نفسه سراً بينما هي تستطرد بين شهقاتها الباكية :

_ولو بتشك فيّ مش هينفعِ نكمل مع بعض ...انت ...

انقطعت عبارتها عندما مس شفتيها بشفتيه مساً خفيفاً ليثبت رأسها فوق صدره قائلاً بعتاب رقيق:

_ بعد كل اللي بيننا تقوليلي مش هنكمل ؟! هو العمر يكمل إلا بيكي ؟!

عاد جسدها يرتجف ببكائه فربت على ظهرها برفق للحظات حتى هدأ بكاؤها ثم عاد يرفع ذقنها نحوه قائلاً:

_"بشك فيكِ" دي كلمة كبيرة قوي ...ما تليقش بيكي ولا بيّ...اسمها "بغير عليكِ"...دي الكلمة اللي ما تليقش على أي ست في دنيتي غيرك...أيوة بغير عليكِ ومش هابطل أغير ...بخاف عليكِ ومش




هابطل أخاف...عايزاني أعمل إيه وانتِ بتقوليلي إنك بتكلمي ابن تاجر مخدرات ؟!

ثم قبل جبينها بعمق مردفاً:

_بس أنا لازم أعتذر فعلاً عن اللي قلته ...ماكانش ينفع أتكلم في اللي فات .

ارتخت ملامحها نوعاً بعد اعتذاره لتقول مبررة :

_هيثم صاحبي وعمره ما اتخلى عني في أي موقف .

لكنه تمالك غيرته قائلاً :

_مفيش صحوبية بين ولد وبنت وانتِ نفسك شايفة إنها قلبت معاه حب ...يبقى ليه تدخلي نفسك جوه علاقة شائكة كده ؟!

قالها بصبر مدركاً أن عقليتها لن تتقبل فرض الرأي بل

الإقناع ...

لهذا تفهم ترددها ليردف بنبرة محايدة :





_وجودك جنبه دلوقت مش هيساعده بالعكس ...هايفكره بأنه خسرك وهيزود الحمل عليه ...ده طبعاً لو فرضنا إنه ضحية زي ما بتقولي ومايعرفش حاجة عن بلاوي أبوه .

أومأت برأسها وقد أقنعه منطقها ليعاود القول بنبرة عاتبة :

_وبعدين كل ده كوم وإنك ما تقوليليش ده كوم تاني ...هي دي الصحوبية اللي بيننا؟!

_أنا آسفة .

همست بها بنبرة مذنبة والدموع تعود لتملأ عينيها فابتسم وهو يتلفت حوله ليقول بمكر عابث:

_ماشي ...أنا طيب وابن حلال وبتصالح بسهولة ...اتفضلي صالحيني .





فابتسمت بخجل شهي ناقض تراقص شفتيها الطفولي على وجنتيه بعدها لتتسع ابتسامته قبل أن يقول بجدية :

_مهما حصل بيننا مش عايزنا نرجع لنقطة الصفر كل ما نختلف...أنا حبيت داليا القديمة بكل عيوبها ...وفخور بداليا الجديدة بكل ميزاتها ...ما تحطيش في دماغك غير كده .

فتنهدت بارتياح لتسند رأسها على صدره هامسة :

_شكراً عشان ما سبتنيش أنام زعلانة .

لكنه ضمها لصدره أكثر هامساً بنبرة فاضت بعاطفته :

_وعمري ما هاعملها ...مهما حصل بيننا سواء كنتِ الغلطانة أو أنا ...وعد مني ما تناميش زعلانة بسببي أبداً.

ضحكت لأول مرة منذ بدأ الحوار لتشدد هي الأخرى لف ذراعيها حول خصره قبل أن ترفع إليه عينيها بقولها العابث:

_انت كده صالحتني ؟! ناقص "هو" يصالحني ...





ثم غمزت بعينيها مردفة :

_بالفصحى!

فضحك بدوره وهو يقرب وجهه منها أكثر لتتلاصق أنفاسهما مع همسه الماكر:

_صالحتك خلاص يعني؟! متأكدة ؟! مش محتاج أبذل مجهود زيادة ؟!

_حلاوتك!

انتفض كلاهما مكانه لتبتعد عنه بسرعة وهي تسمع الهتاف المستنكر بصوت يامن الذي فتح باب الشقة لتوه عائداً ...

قبل أن يغلقه بعنف ليردف بسخريته الحادة :

_بتعملوا إيه ؟! وفين نبيلة وسايبة الفيلم الحلو ده شغال لوحده هنا ؟!





غطت داليا وجهها بكفيها لتعدو نحو غرفتها وتغلقها خلفها فيما تقدم منه مروان ليقول بتنهيدة متعبة :

_بجد اليوم مش ناقصك ! اهدا كده وقول هديت !

_بتزعق ليه يا يامن ؟!

هتفت بها نبيلة التي تقدمت نحوهما تنقل بصرها بينهما لكن يامن لكز مروان في كتفه هاتفاً بفظاظته الساخرة :

_ماعدتش تيجي هنا غير وأنا موجود ...مش هلاقي فرصة أحسن من اليومين دول عشان أحفل عليك !

فضحكت نبيلة ضحكة عالية وهي تستنتج ما حدث ليلكزه مروان بدوره في كتفه هاتفاً :

_مردودة لك يا كبير .

بينما وقفت داليا خلف باب غرفتها تستمع للحوار كاتمة ضحكاتها بكفها ...





قبل أن تسمعِ صوت باب الشقة يغلَق معلناً عن رحيله !!

تنهدت بحرارة وهي تتحرك لتبدل ملابسها قبل أن تتهاوى متهالكة على فراشها ...

عيناها تنغلقان رغماً عنها من فرط الإرهاق لكن حواسها تتأهب عندما تسمع صوت رسالة على هاتفها ...

"عاشقها الذي لم يعد مجهولاً " يصالحها كما وعدها ...

_لو تعلمين كم تبدين شهية في غضبك لرجوتني في كل مرة أن أغضبك ...

لو تدركين أي عالم رحب يحتويني بعناقك لما جعلتني أفارق ذراعيكِ...

لو تشعرين بجنون خفقاتي إذ تمتزج أنفاسنا لما قويتِ على الابتعاد ...




Cinnabon

اغضبي مدللتي ...ثوري ...تمنعي...ثم اصفحي ...
وصالحي ...
أي ملكةٍ أنتِ إن لم تفعليها ؟!
أي رجلٍ أنا إن لم بعشقك تكبّليه ؟!
وأي عمرٍ هذا يكفي كي أعيش كل عصورك ...
يا أول تاريخي ...وآخره ؟!

=========

خرجت ياقوت ليلاً من المشفى الذي تطوعت فيه منذ وقت الحادث لإسعاف المصابين وهي تشعر أنها تكاد تفقد وعيها حزناً وإرهاقاً.

المشاهد التي رأتها لن تغادر مخيلتها ما عاشت !!

النار التي صنعت فجأة حولها جحيماً حياً لا تكاد تذكر كيف نجت منه !!





الموت الذي كان قاب قوسين أو أدنى منـها !!

الموت الذي نظنه ضيفاً بعيداً يفاجئنا دوماً دون موعد !!

كم وجهاً رأته كان يحمل للغد آمالاً لم يدركها ؟!!

كم عيناً كانت تحلم بالمستقبل ليخبو وميضها فجأة ؟!

كم حبيباً غادر ليترك خلفه قلوباً تفحمت بوجع الفراق؟!!

والأسوأ...كم جسداً سيبقى حياً يحمل ندوب بشاعة حادث كهذا ؟!!

أما للظلم نـهاية في هذا البلد ؟!!

أما للأرواح من ثمن ؟!!

وحدهم الكادحون يدفعون الثمن !!!

لكن ما يمنحها العزاء هو هذا الزحام حولـها ممن جاءوا وفوداً يتبرعون بالدم للمصابين ...

هذه هي "مصر الحقيقية"!!





مهما تفشى "الأسوَد" في لوحتها يطغى عليه بياض شعب أصيل!!

انقطعت أفكارها برنين هاتفها الذي فتحته لتوها بعد إغلاقها له طوال النهار عقب أن طمأنت لجين وثمر عليها ...

زين!

هل من الحكمة أن تتجاهل اتصاله الآن أيضاً؟!!

فتحت الاتصال بعد عدة محاولات للتردد ليصلها صوته صارخاً بانفعال رج جسدها مكانه :

_انتِ كويسة؟!

صوتها يخرج رغماً عنها شاحباً منهكاً مع جوابها :

_الحمدلله ..خرجت من المستشفى دلوقت ..كنت...

_ انتِ فين دلوقت بالضبط؟!





صراخه يقاطع عبارتها لتبعد أذنيها عن الهاتف قليلاً قبل أن تجيبه ليستمر صراخه الهائج:

_إياكي تتحركي من مكانك لحد ما آجي ...إياكي!

قلبها ينتفض بقوة انفعاله لتتحرك فتستند على حائط أحد المباني القريبة محاولة تمالك إرهاقها ...

لماذا تنتظره ؟!

هل أرهبها صراخه ؟!

أم تراها استشعرت بقلبها ما يعنيه هذا الصراخ ؟!!

ماذا ؟!

تراه خشي أن يفقدها فيفقد خيطاً مهماً في علاج أخته ؟!

أم تراه خاف إن حدث لها مكروه أن يتورط اسمه معها فتنكشف حقيقة زواجهما ؟!!

عقلها يغذيها بخواطره السابقة لكن قلبها يتدخل ليدلي بدلوه على استحياء ...





هذا ليس صراخ "غاضب" ...هذا صراخ"عاشق"!!

عاشق؟!!

ابتسامة ساخرة مريرة ترتسم على شفتيها وعبارته ترن في أذنيها بذكرى الليلة المقيتة ...

_لما أحب أتجوز أتجوز واحدة زي ياسمين ...اللي زيك أصطادها وبس!

جسدها ينتفض ليس فقط للذكرى بل لمرأى سيارته معتمة النوافذ التي توقفت أمامها الآن ...

كيف وصل بهذه السرعة ؟!

تحركت لتفتح الباب متأهبة لنوبة جديدة من صراخه الذي أرادت تفسيره بغضبه من تجاهلها اتصالاته..فقط دون المزيد !!





لكنها ما كادت تستقل السيارة جواره حتى شهقت بحدة وهي تجده يجذبها بعنف ليعتصرها بين ذراعيه !

آهة مكتومة أطلقتها وهي تشعر بألم حقيقي من هذا العناق الذي يكاد يحطم ضلوعها !!

العناق "الخامس"!!

بأي مذاق هذه المرة ؟!!

مذاق "الخوف"!!

الخوف من أن يفقدها!!

يصرخ بها قلبها بانتشاء لكنها لا تجد الوقت لمجادلات عقلها ...

كلها في هذه اللحظة كانت أوهن من أن تفعل أو تقول أي شيئ!!!

بينما لم يكن هو يشعر بما يفعله وعقله مع قلبه يتوهان في غيبوبة أزكتها انفعالات الساعات السابقة...





منذ سمع الخبر وهو كالمجنون يحاول الاتصال بها دون جدوى!!

خيالاته السوداء تصور له أن يفقدها كأمه...أو كهمسة !!

صاعقة ضربته وقتها وهو يعترف لنفسه أن مشاعره نحوها لم تعد تحتاج لتأويل ...

هو لم يعرف شعوراً كهذا مع امرأة سبقتها !!

هل وقع في فخ العشق حقاً؟!

آهة أخرى منها جعلته يفيق من فورة انفعاله ليخفف ضغط ذراعيه حولها خاصة عندما همست بوهن غريب على صوتها المعتد :

_ممكن تسيبني ؟! أنا تعبانة جداً وم الصبح واقفة على رجلي؟!

_أسيبك ؟! انتِ عارفة كام اتصال عملته م الصبح عشان أعرف مكانك ؟! عارفة من ساعتها بادور في كام حتة ومش عارف ...





صراخه المنفعل ينقطع بغصة حلق ابتلعها ليعاود تشديد ضغط ذراعيه حولها لكنها كتمت تأوهها هذه المرة ...

أجل ...هو شعورها بالذنب الذي تعرفه معه لأول مرة !!

وكيف لا تفعل؟!

وهي تقرأ في العينين اللتين طالما نازلت مكرهما خوفاً طفولياً مس أمومتها !!

غريب!!

أجل ...غريب أن ينتابها هذا الشعور مع رجل كهذا ...لكنها حقاً تشعر بصدقه !!

لهذا أغمضت عينيها بتعب حقيقي جعل جسدها يستكين بين ذراعيه بإنهاك شعر هو به ليبعدها مرغماً فأسندت ظهرها على كرسيها لتصمت للحظات وهي تشعر بالصمت المشحون حولهما يصرخ بألف كلمة...

ألف كلمة تسمعها هي دون أن يقولها ...





لكنها تجبر قلبها أن يصمّ عنها !!

صداع رأسها يكاد يفلقه لكن رفرفة المترنح بين ضلوعها تطغى على كل ألم ...

ووسط كل هذا عقل يصرخ ألا تستجيب!!

حرب ضروس تعيشها في كل لحظة معه ...

أما من استراحة محارب؟!!

أناملها تمتد رغماً عنها تتحسس مكان العشرة جنيهات الخالي وكأنها تتلمس منها دعماً مفقوداً ...

لكنه يشعر بما تعنيه حركتها فيتلقف أناملها ليجذبها نحوه هو في إشارة موحية...

وعيناه تحفران فوق الملامح المنهكة نظرات من نار!!

لهذا ترددت قليلاً قبل أن تختلس نظرة نحوه قائلة :

_مضطرة أمشي دلوقت...ستي ثمر مش هتنام الليلة دي إلا وأنا في حضنها .

_لا!





هتف بها صارمة وأنامله تعتصر كفها أكثر لتهتف بغضب أججه إنهاكها:

_يعني إيه لا ؟! أنا كده كده كنت مسافرة ...أنا مش مستنية إذنك.

_وأنا مش هاسيبك تبعدي بعد اليوم المشحون ده عشان أقعد كام يوم كمان ما أشوفكيش !

هتف بها بغضب عفوي جعله لا يتبين ما تعنيه كلماته إلا عندما رأى اتساع عينيها المصدومتين ...

شفتاها ترتجفان بقوة ونظراتها تهرب من لقاء نظراته...

هل يمارس الآن سحره عليها ؟!

هل يظنها "أشواق" أخرى سترضخ للحلم بالأمير الوسيم ؟!

صدقت يوم شبهته ب"الساحر" يختفي خلف بللورته يظن نفسه يقرأ مصائر الناس ويحددها !!





ربما لهذا تحفزت في جلستها لتهتف بانفعال دمعت له عيناها:

_ماتخلينيش أكرهك أكتر من كده ...انت ما اشترتنيش ...لحد ستي ثمر ومالكش عندي دية ولا اتفاق ...هسافر يعني هسافر .

عيناه تتوهجان بتحدٍّ أخافها لوهلة قبل أن يشيح بوجهه للحظات سبقت تركه لكفها ...

ورغم شعورها ببعض الخيبة من عودة كفها البارد خالياً لكنها رفعت أنفها باعتداد تتأهب لمغادرة السيارة ...

لولا أن سمعت صوت مفتاحه يعود ليشغل السيارة من جديد !!

_انت رايح فين ؟!

_هاوصلك !




قالها قاطعة دون أن ينظر إليها فرمقت جانب وجهه بحذر وهي تتأهب للاعتراض ...

لكن جانباً من التعقل جعلها تجنح لبعض الطاعة فتقول له بنبرة لانت نوعاً:

_وصّلني لحد مكان مناسب زي المرة اللي فاتت وبعدها هاكمل لوحدي .

لكنه لم يرد عليها بل لم ينظر حتى وهي تشعر بصدغه المقابل لنظراتها يكاد ينفجر من فرط ما يكز على أسنانه !!

زفرت بمزيج من سخط وتعب قبل أن تسترخي في كرسيها أكثر لتجد جفنيها يتثاقلان رغماً عنها ...

بعض مشاهد من يومها الكارثي تجتاحها بين صحوة ومنام فينعقد حاجباها بألم ...

قبل أن تراودها ذكرى نسيمية باردة لبقايا كلماته التي رددها منذ قليل ...

فتتلون شفتاها بابتسامة باهتة !





وفي ـشبه وعيها ـ هذا تسمع صوته بعيداً جداً يسألها إن كانت جائعة !

جائعة ؟!

هي فقط تريد النوم لعلها ترحم من جحيم عقلها هذا !!

تشعر به يوقف السيارة ثم يقترب ليخلع عنها نظارتها لكنها لم تكن تملك القوة لفتح جفنيها حتى ...

ماذا يفعل؟!

إنه يعيد مقعدها للخلف أكثر ببطء كأنه يخشى أن يوقظها ليمنحها المزيد من الاسترخاء الذي كانت تحتاجه حقاً لتغيب عن وعيها تماماً بعدها !!

وفي مكانه كان هو يراقب ملامحها النائمة بشعور غريب !!





ربما لو كانت أي امرأة أخرى تنام مكانها هكذا لاعتبرها حالة قصوى من إغواء!!

لكن هذه "الهالة القدسية" التي تحوطها تجعله يناظرها برهبة متشحة بعاطفته...

إنها -ببساطة - بطلة !!

بطولة لم تستمدها من مال أو جاه أو نسب ...

بل من شخصها هي النادر!!

لا يصدق أنها وسط مأساتها هي الخاصة وبعد خروجها من النيابة ملطخة بعار أبيها تتناسى كل هذا لتتطوع في خدمة أناس لا تعرفهم !!

تقف كملاك يبسط جناحيه وسط دخان الموت لتقدم لهم معونة !!

هل يغبطها على قلبها ؟!

نعم ...يغبطها حد أنه الآن يود امتلاكه لنفسه !!

ابتسامة خافتة تترنح على شفتيها في نومها فيرجف لها قلبه...





ماذا تراها رأت كي تبتسم كهذا ؟!

هل يملك من الغرور أن يتصورها تحلم به ؟!!

نعم..يملك ما يكفي ويفيض!!

لهذا هدأ قلبه أخيراً بعد انفعال الساعات الماضية ليرمقها بنظرة أخيرة قبل أن يعيد تشغيل السيارة لينطلق بها بسرعة منخفضة وكأنه لا يريد الوصول و...تركها...!

وما كاد يصل للمكان المنشود حتى نظر إليها بتردد كارهاً إيقاظها ...

لكنها شعرت بتوقف السيارة ففتحت عينيها فجأة لتنهض من نومتها بفزع لأول وهلة...

قبل أن تقع عيناها عليه ليعود لها وعيها ...

_كفاية كده ...هانزل هنا .

قالتها بفظاظة هاربة من لقاء نظراته لتتلفت حولها مردفة:





_فين نظارتي؟!

فتناولها من جواره ليلبسها إياها بنفسه قبل أن يهتف بنبرة آمرة :

_مش هتتأخري .

رمقته بنظرة استهانة دون رد ليقسو صوته أكثر باستطراد أخافها :

_تليفونك لو اتقفل دقيقة واحدة أو ما رديتيش عليا هتشوفي مني وش ماشفتيهوش قبل كده !

اشتعلت عيناها بغضب احمر له وجهها بما بدا له أكثر إثارة...

لكنها عادت تشيح به لتضع أناملها على مقبض السيارة كي تغادر وما كادت تفعل حتى فوجئت به يقبض على كفها المجاور له ليجذبها نحوه ...

العناق "السادس"!!





لا تزال تعدها عداً ربما لأنـها تدرك أنـها ستُحرم منـها قريباً!!

تراه بأي مذاق هذه المرة ؟!

بمذاق "التقدير"!

أجل عينـاه كانتا تفيضان باعتزاز يسهل على امرأة مثلـها تمييزه !!

لـهذا أغمضت عينيها بسرعة هاربة من فيض مشاعرها الذي يجتاحها الآن لتشعر به يقترب أكثر فتحفز جسدها بقوة لتجده ...

مـاذا ؟!

يقبل رأسـها !!

شفتاه لم تتجرآ إلا على "قماش"وشاح رأسها تطبعان فوقه علامات احترامه !!

جسدها يرتجف بقوة بين ذراعيه وهي تشعر بأنـها تكاد تتهاوى!!





وهن لا يليق بها ...أبداً!

لهذا دفعته ببعض العنف لتغادر السيارة وتتجه نحو المكان المنشود حيث بقي هو مكانه يراقبها حتى انحشر جسدها الضئيل في ذاك "الميكروباص".

وفي مكانها كانت هي تتلفت خلفها من زجاج النافذة تشاهد سيارته تتبعها ...

لماذا لم يغادر فحسب؟!

شعور دافئ يدغدغ أنوثتها وهي تستعيد لحظات هذه الليلة معه ...

قلبها يفرق أكاليل النصر بين الضلوع ...

كل دقة تغني بلحن انتصار تنكره لكنها ...تتمناه !!

ترجلت أخيراً لتخطو نحو مدخل القرية حيث التف حولها الناس بهتافاتهم القلقة ...

النساء يتلقفنها بين أذرعهن والرجال تعلو أصواتهم بحمد الله على سلامتها !!





سيرة "حسين المجرم الهارب" توارت تماماً خلف قلقهم الصادق على "ابنتهم"!!

أجل ...هكذا كان شعورها تماماً والأحضان الدافئة تغمرها براحة غطت تعب اليوم الطويل ...

وأخيراً عناق "لجين" و"ثمر"!!

ثمر التي رفعت رأسها للسماء لتهتف بصوت أرجف قلوب الحاضرين جميعاً:

_شفتوا يا بلد ؟! ربنا مش هيسوءني في بناتي أبداً ...بنتي خطت وسط النار وماجرالهاش حاجة ...ده وعد ربي وأنا مصدقاه !!

ثم تلت قوله تعالى :

_وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ..

لتصمت للحظة وصوتها يرتجف ببكاء اخترق نبرتها القوية مزلزلاً إياهم :





_وأنا عشت عمري بتقي ربنا ومستنية عوضه في بناتي .

صوت التهليل يعلو في أذنيها لكنها لا تميز سوى خفقات صدر جدتها تحت أذنيها ...

خفقات تدعو الله ألا يحرمها منها أبداً !

لهذا استجابت لدفء هذا العناق ما بقي لها من هذه الليلة العصيبة لينتهي بها المقام في سرير جدتها نائمة في حضنها كما وعدتها ...

صوت رسالة يقطع صمت الغرفة حولها فتنتظر لجدتها النائمة بحذر قبل أن تفتحها لتجد كلمته...

_أمشي؟!

اتسعت عيناها بصدمة وهي لا تفهم مراده لأول وهلة قبل أن تنتفض من الفراش لتهرول نحو النافذة الخارجية للبيت ...





سيارته !!

هنا؟!

طوال هذا الوقت ؟!!

_انت لسه هنا ليه ؟!

أرسلتها له بنبرة فضحت غضبها وشعورها بالذنب نحو ثمر التي تخفي عنها الحقيقة يمنعها محادثته شفهياً ...

ليبتسم هو مكانه ويرسل:

_كنت بطمن إنك كويسة بعد مظاهرة الأحضان اللي دخلتيها ...صوّرتها فيديو هاحتفظ بيه عندي ...منظر يستاهل تفتخري بيه ...هه ؟! شفتي بيحبوكي إزاي ؟! لا فرق معاهم حسين ولا غيره ...نفس المشهد هتشوفيه بنفس الحب لما ترجعي المركز ...الناس وقت الجد مش هتفتكر غير ياقوت الإنسانة...وبس!





خفق قلبها بارتياح رسم بسمة صادقة على شفتيها لكنها عاودت إرسال رسالة حاسمة :

_امشي دلوقت ...وإياك تيجي هنا تاني ...ولو حد من أهل البلد سألك انت مين اعمل تايه ...الموضوع ده مافيهوش هزار .

لم يرد عليها لكنها سمعت صوت دوران محرك سيارته فشعرت بمزيج متوقع من راحة رحيله ووجعه !!

ظلت ممسكة الهاتف بين كفيها لتصعد الدرج نحو سطح البيت ...

القمر هلال هذه الليلة !!

طالما كرهت هذا الوضع له وكأنه "مكسور"!!

لكنها ببعض الأمل تود لو تراه يجاهد كي يبزغ كاملاً في النهاية !!

بدر ...هكذا يستحق بعد محاربة كل هذه الظلمة !!





الوقت يمر بها وهي عاجزة عن النوم رغم إرهاق الليل الطويل ...

ماذا عساها تنتظر ؟!

رسالة منه مثلاً ؟!

رسالة كهذه ؟!

_تصبحي على خير .

رسالة لن ترد عليها إلا بابتسامة لن يراها وبرجفة قلب لن يشعر بها !!

لكنه "العنيد" لا يمل :

_أول ما ترجعي لازم أخلليكي تقريلي كتاب مهم جداً !

الدم يضرب في رأسها وهي تتذكر جلسة كهذه التي يحكي عنها !!

الوغد !!

يظنها ستسمح له بفعلها من جديد ؟!!

لكن فضولها يدفعها لترسل :

_كتاب إيه ؟!

والرد يرسله يعلم أنه سيثير غيظها :

_كيف تكسر رأس امرأة عنيدة دون أن تؤذيها .

_فيه كتاب اسمه كده ؟!

ترسلها بين ابتسامة وتشكك ليرد :

_فيه أسطورة بحالها اسمها كده .

ثم رفع الهاتف لشفتيه بقبلة استرجع فيها مذاق عناقها لينهي الحديث برسالته :

_أسطورة اسمها ياقوت !

=========





جلس هيثم في مطعمه المفضل الذي اعتاد أن يلقى فيه شوشو وقبلها كانت داليا !!

هل كتب عليه الخذلان من نساء اختارهن قلبه ؟!!

الحقيقة عرفها من تناثر الأقاويل هنا وهناك ...

الحقيقة ؟!!

ابتسامة سخرية مريرة ترتسم على شفتيه وهو يدرك كم صارت الكلمة مطاطة حقاً !!

أي حقيقة ؟!!

حياته كلها كانت وهماً !!

أبوه الطيب الخيّر ...وهم !

إخلاصه لأمه ...وهم !

شوشو هي الأخرى كانت وهماً ...وأي وهم !!





يغص حلقه بمرارته فيشبك أصابعه أمامه وهو يتذكر تلك الليلة التي رآها فيها تخرج مع والده بينما أشرف يتبعها ...

هكذا إذن تتجمع الخيوط ...

هو لم يكن سوى غر ساذج استدرجته كي توقع بأبيه !!

السؤال هو ..لماذا فعلتها ؟!!

لماذا ؟!

وكأنما نبتت من أفكاره ليجد طيفها هناك عند باب المطعم تتأمله من خلف الزجاج وكأنما تخشى الدخول ...

عيناهما تلتقيان خلف الحاجز الزجاجي فتتراشقان الاتهامات وتتبادلان الحسرة ...

وجهها الباهت لا يقل شحوباً عن وجهه...

جسدها المرتجف لا يقل انفعالاً عن جسده ...

ولو نظر بصدرها لرأى نفس الرماد لقلب يحترق!!





تطرق برأسها فيطرق برأسه ولا يدري هل يصفها بالوقاحة حد أنها تتجرأ وتأتي إلى هنا ...

أم يصف نفسه بالضعف حد أنه لا يقوى حتى على رفع عينيه إليها !!

هو أحبها ...حقاً أحبها ...

لكن أي "شوشو" أحبها ؟!

تلك المهادنة اللطيفة الوديعة الساذجة التي كانت تناقض صورة داليا في ذهنه ...

لكن هذه ...

هذه مجرد ماكرة متلونة ..تلاعبت به لتسقط أباه !!

وفي مكانها كانت هي تشعر برهبة النهاية ...

هذا الشعور المقيت أن حياتك لن تعود أبداً كما كانت ...





هي انتصرت على "حسين" ...وانهزمت في كل ما عدا ذلك !!

فأي نصر ...وأي هزيمة !!

لكن ...ألا يحق لها قبل الرحيل أن تسمعه اعترافها ؟!

أن تخبره أن قلبها تورط به لكن دوامة الثأر جرفتها !!

أن تبرر له ما تجعله فقط لا يلعنها لو طافت بذهنه يوماً !!

أجل ...هي لم تعد تطمع بالمزيد فمثلها لا يحق له أن يفعل !

يشعر بها أمامه لكنه لا يقدر على رفع عينيه ...

يشبك أصابعه أمامه وهو يكز على أسنانه بقوة كادت تفجر صدغيه ...

لكنها لا تستأذنه البقاء كما لن تستأذنه الرحيل ...





تسحب كرسياً لتجلس قبل أن يصله صوتها المختنق :

_من أول يوم حبيتك فيه وأنا عارفة إنك مش ليا ..كنت بشوف حب داليا في عينيك وأقول لنفسي عمره ما هيفكر فيكي ...انتِ فين وهو فين ...بس غصب عني كنت بتلكك عشان أفضل جنبك ..كنت بقول لنفسي احلمي أي حلم يهون عليكِ مرارة الدنيا ..وكنت راضية ...والله العظيم كنت راضية تفضل في عيني كده ...

سالت دموعها طوفاناً على وجنتيها فاضحة قهر حسرتها لكنه لا يزال غير قادر على رفعِ عينيه نحوها ...

ملامحه تغيب خلف ستار جامد يبتلعها ...

لكنها تواصل الحديث بقولها ...

_لحد ما سيدة اتقتلت...بنت خالتي وفي مقام أختي ...اتقتلت هي وابنها اللي لسه في بطنها ظلم من غير ذنب ...يومها حزنت عليها وشفت فيها




نفسي ...الفقرا اللي زينا دمهم مالوش تمن وبيتداس عليهم بالرجلين ...رحت للضابط برجلي وقلتله عايزة آخد بتارها ...ضحك عليا كأنه بيقوللي عيلة زيك ممكن تعمل إيه ...بس لما شك إن حسين ورا كل البلاوي دي طلب مني أقرب لك أكتر ...

ثم صمتت لحظة تبتلع غصة حلقها لتردف:

_كانت أسود ليلة في حياتي وأنا مش عارفة أختار إيه ...أجيب حقها واللا أسيبك لحالك ...انت كده كده ماكنتش شايفني ...داليا كانت مالية عينيك وقلبك ...قلت خلاص المسألة محسومة ...لو قلبِك خرج خسران ما تخسريش انتقامك كمان ...

أغمض عينيه بقوة وهو يقسم لنفسه سراً أنه يكاد يرجوها التوقف لولا عقدة لسانه التي امتدت لجسده المتجمد كله ...

لماذا لا تصمت فحسب؟!




لماذا لا تخرج وتتركه لخساراته ؟!!

لماذا تسرد الحكاية هكذا وكأنها ضحية ؟!!

_بس طلعت غلطانة..قربي منك خلاني أحبك كل يوم أكتر م اللي قبله...الأمل كان بيكبر جوايا خصوصاً بعد ما سبت داليا ...بس ...بس كل ليلة كنت بحط راسي فيها ع المخدة كنت بفتكر دم سيدة اللي راح هدر ...وبلاقي نفسي تايهة في نفس الدوامة ...لحد ما عزمتني ع الحفلة في بيتكم وشفت حسين ...

ثم صمتت لحظة مدركة أن القادم أصعب لتستطرد بعدها :

_تحب أحكيلك الباقي واللا هتستنتجه من غير ما أقول ؟! هتفهم لوحدك ليه كان عايز يدربني عنده في الشركة ؟! غرضه مني كان إيه ؟!

صرخة هائلة تجتاح وجدانه لكنها لا تغادره لشفتيه ...

هي ...ووالده !!





هل هذا هو المقابل الذي دفعته كي توقع به ؟!!

لكن إجابتها الرحيمة تأتيه بسرعة :

_ما لمسنيش ...الصيد العزيز دايماً غالي ...وأنا عملت اللي عليا بسرعة وحطيت جهاز التصنت اللي ادهولي في مكتبه ....انتقامي حققته وكنت واقفة بنفسي شايفاهم وهم بيقبضوا عليه ...أخيراً قادرة آخد نفَسي وأنا شايفاه قريب هيدفع تمن دم سيدة ...

هنا تأتيه بعض الجرأة ليفتح عينيه الحمراوين كالدم بنظرات مشتعلة بين غضب وحسرة ...

لترتجف شفتاها باستطرادها الباكي:

_ما تبصليش كده ...أنا مش وحشة للدرجة دي ...أنا كنت باخد حقي منه ...ووسط كل ده ما نسيتكش ...عملت تعب أمي حجة عشان أعرفك على أختك ...عشان أخليك تفتح عينيك وتشوف حقيقته بدل ما تعيش طول عمرك مخدوع .




_والمفروض دلوقت أشكرك ؟!

كلماته التي خرجت ذابلة بحجم الخسارة ...بنكهة المرارة ...وبمذاق سخرية ذكّرتها بحقيقة الوضع بينهما ...

حائط سدّ!

هذا بالضبط ما يواجه علاقتهما الآن!!

فهل تدعي المفاجأة ؟!!

لهذا وقفت مكانها لترمقه بنظرة أخيرة طويلة قبل أن تغلبها دموعها من جديد بقولها :

_فاكر يوم ما قلتلك مهما حصل افتكر إني ماحبيتش ولا هاحب حد غيرك ؟! أنا مش عايزاك تسامحني ...ولا قادرة أطلبها ...بس كل اللي عايزاه إنك تعدي

الأزمة دي ...وأوعدك مش هاخلليك تشوف وشي تاني .





لم تكد تنهي آخر كلماتها حتى تلاشت من أمام عينيه ...

"تلاشت" ب"حرفية" الكلمة وقد امتزج طيفها "الغادر" بطيفها "المغادر"...

هل لا يزال يبحث عن الحقيقة ؟!

هل لا يزال ينتظر عودة والده الفارس بدليل براءته ؟!

ابتسامة مريرة تكتسح شفتيه وهو يغادر المطعم بخطوات مترنحة ...

يهبط الدرج المؤدي للشارع بعينين تبصران ولا تريان ...

أين يذهب وقد فقد الطريق؟!

الجسر الآمن الذي طالما احتضن خطواته الآن ينكسر طرفاه فلا سبيل سوى السقوط !!





يسمع صوت بوق سيارة لكنه يصل إدراكه متأخراً وهو يشعر برأسه يصطدم بالأرض بألم فاق احتماله ...

يسمع صياح الناس حوله لكن مذاق الدم في فمه يجعله يدرك أنها النهاية التي جاءت في وقتها تماماً ...

هو ما عاد يريد هذه الحياة...

ويبدو أنها هي الأخرى ما عادت تريده !

========

_مخبيين عني إيه انتو الاتنين ؟!

هتفت بها ثمر صباحاً في مواجهة ياقوت ولجين التي امتقع وجهها وعيناها تنسحبان رغماً عنها ل"غرفة الخزين" السفلية !

بينما قالت ياقوت بتماسك مصطنع:

_هنخبي إيه بس يا ستي؟! ما أنا حكيتلك كل حاجة عن هروب حسين ده وكلام ابنه معانا .

حدجتها ثمر بنظرة طويلة متفحصة ثم قالت مخاطبة لجين :





_روحي انتِ ل"رابحة" شوفوا الأكل وسيبيني مع أختك.

امتثلت لجين لأمرها بسرعة فيما تنهدت ثمر لتجلس متربعة على الأرض مع قولها الغامض:

_قلبي كان حاسس إنه هيهرب ...ماكانش ينفع نهايته تبقى سهلة كده .

فزفرت ياقوت زفرة ساخطة لتجلس جوارها بدورها مع هتافها :

_منه لله ! ماشفناش منه غير الأذية ...

ثم تذكرت ما جعلها تسألها :

_إلا قوليلي يا ستي ...هو ليه كتب على أمي زمان بعد اللي حصل ؟! إيه اللي جبره ؟!

فابتسمت المرأة عبر أسنانها المكسورة وأخاديد وجهها تفضح الوجع القديم:

_اللي يستره ربه ما بيفضحوش عبد ...واللي زي ده يخاف ما يختشيش ...ربنا سخر لنا وقتها واحد





من هنا م البلد كان نايب كبير في المجلس وكلمته مسموعة ...رحتله وحكيتله وهو مارضاش

بالظلم ...هدده يفضحه قدام مراته وأهله فعملها مغصوب زي الكلب.

أطلقت ياقوت آهة خافتة لتضع رأسها في حجرها قائلة بشرود :

_كالعادة في البلد دي ...اللي مالوش ظهر بيتضرب على بطنه ...لولا الراجل الطيب ده كان زماننا...

قطعت عبارتها دون أن تجرؤ على تكملتها مع هذه المرارة في حلقها ...

لتتفرس ثمر ملامحها قبل أن تسألها فجأة :

_انتِ كسرتِ كلمتي مع البيه بتاع مصر ؟!

اتسعت عينا ياقوت بارتياع فضحها لتنتفض مكانها قبل أن تتحرك لتحضر مصحفاً وضعت كفها عليه لتقسم :





_ربنا يشهد إني ما كسرتش كلمتك يا ستي ...من يوم ما سافرت ماخطتش البيت ده تاني !

كانت تعلم أنها صادقة ...وكاذبة !!!

إنها المرة الأولى التي تخفي فيها عن جدتها شيئاً !!

لكن ماذا عساها تفعل ؟!!

لو علمت ثمر الحقيقة فستموت بحسرتها ...

ولو شكت مجرد شك فلن تهدأ حتى تدرك الأمر كله!!

لهذا دمعت عيناها قهراً وأناملها ترتعش على المصحف لترمقها ثمر بنظرة طويلة غامضة قبل أن تقول بصوت بارد :

_من امتى بتحلفي ع المصحف قصادي يا "بنت أشواق"؟!





فتمالكت ياقوت نفسها لتضع المصحف مكانه قبل أن تعود لتجلس على ركبتيها أمامها قائلة بصوت مرتجف:

_اطمني يا ستي ...عمري ما هاوطي راسك أبداً ...انتِ بس اطمني وادعيلنا ...احنا ماشيين ببركة دعاكِ...

ولم تكد تنتهي من عبارتها حتى سمعت طرقاً عنيفاً على الباب فانتفضت مكانها لتفتحه قبل أن يصدمها الخبر ...

إنها الشرطة تبحث عن حسين ...

هنا؟!!

ابتسمت ساخرة في سرها قبل أن تفسح لهم المكان بينما وقفت لجين تنتفض مكانها وقد خرجت من المطبخ مع رابحة التي كانت تراقب بفضول ...





_آسفين يا حاجة .

قالها الشرطي لثمر قبل أن يجمع قوّته ويرحلوا خاليي الوفاض لتغلق ياقوت الباب خلفهم بينما تهتف بغيظ :

_بيدوروا عليه هنا ؟! فاكريننا ممكن نخبيه ؟!

_سامحيني يا ستي!!

هتفت بها لجين وسط دموعها التي أغرقت وجهها وهي تنكب على كف ثمر تقبله فتبادل الجميع نظرات حائرة قطعها صوت غريب يأتي من الغرفة السفلية !!

_اوعي يكون اللي في بالي ؟!

هتفت بها ياقوت باستنكار لا تكاد تصدق ما استنتجته بينما تجمدت ملامح ثمر وهي تزيحهما جانباً لتهبط الدرج نحو غرفة الخزين السفلية ...





الغرفة تسودها الفوضى بعد تفتيش الشرطة لها لكن ...

مكان واحد تعرفه لجين يمكنها إخفاؤه فيه !!

دولاب خزين قديم تحوطه الكراكيب صممه الجد الأكبر محفوراً بداخل الحائط نفسه بحيث لا يكاد الرائي يميزه!

هذا الذي سمعت الصوت الغريب يتصاعد منه الآن لتفتحه فتجده أمامها ...

حسين !

==========

_مش مصدقة إنك تيجي لحد هنا !

هتفت بها ياقوت باستنكار لترمق لجين بنظرة حانقة مردفة :

_ضحك عليكِ إزاي وخلاكِ وافقتِ ؟!
انطقي ...هتودينا في داهية !!





لكن لجين انخرطت في بكاء مذنب وهي تتذكر حالها عندما وجدته فجأة أمام عينيها عقب عودتها من القاهرة

بالأمس ...

كان ذهنها لا يزال مشتتاً بقلقها على شقيقتها لتزيد رؤياه من شتاتها خاصة بتلك الهيئة المزرية التي كان متنكراً بها ...

ثياب متسخة...غطاء رأس قديم ...وحذاء بالٍ!!

القرية كلها كانت منشغلة مع حادث القطار فتمكن من التخفي حتى وصل إلى هنا لتجده ينتظرها في الظلام جوار البيت !!

لم يطلب منها ...بل أمرها !!

هالة تجبره تحوطه ..تذكرها برعبها القديم منه ...

حتى وهو مجرم هارب لاتزال له نفس القوة المتسلطة !!





لهذا لم تستطع إلا الرضوخ لأمره مستغلة خروج ثمر من البيت للقاء ياقوت عند مدخل القرية !

_هو قاللي ليلتين اتنين بس على ما يدبر أموره ...سامحيني يا ستي!

هتفت بها لجين أخيراً وسط نشيج بكائها ليتجمد الموقف أمام اثنين بعينيهما ...

ثمر وحسين!!

الأولى التي وقفت مكانها متجمدة الملامح متخشبة الجسد لكن عينيها كانتا تفيضان بنظرات غامضة مع مشهده بهيئته المتسخة المتخفية التي شفت بعض غليلها ...

والثاني الذي خرج من مخبئه وغطرسته ترسم على وجهه غروراً لم يفقده في هذه الظروف ليهتف بصوته المسيطر:





_الكلاب اللي هربوني باعوني بعدها...بس اللي زيي جرابه ما بيفضاش ...الفجر هيجيلي مرسال بجواز سفر وتأشيرة عشان أسيب البلد ال(....) دي .

_ومين هيسيبك هنا ليلة كمان ؟! لا ...دقيقة واحدة ؟!!

هتفت بها ياقوت وهي تزيح رابحة التي وقفت تراقب بفضول متخيلة تشويق القصة التي ستسردها لأمها ...

فهتف حسين بنبرة مهددة :

_لو حد فيكم فتح بقه هتروحوا كلكم في داهية ...هاخدكم معايا السجن .

شهقت لجين بارتياع بينما توارت رابحة خلف جلباب ثمر التي لم تنطق بكلمة واحدة منذ بدأ الحوار ...




بينما اندفعت ياقوت تصرخ فيه باستنكار:

_انت إيه يا شيخ ؟! شيطان ؟! عايز مننا إيه تاني ؟!

_هاعوز منكم إيه ؟!

هتف بها باحتقار مشيراً للمكان حوله قبل أن يردف بازدراء ساخر:

_كل الحكاية إني مالقيتش حتة أستخبى فيها غير هنا ...محدش هيصدق إني ممكن أكون في مكان زي ده .

_فعلاً ...محدش هيصدق ...بس أنا مصدقة !

قالتها ثمر بغموضها المهيب لتردف مغمضة عينيها:

_مين يقول إن بعد السنين دي كلها ...تجيني لحد عندي مذلول كده !

_احترمي نفسك يا ست انتِ واعرفي بتكلمي مين !





هتف بها زاجراً بعنجهيته لتفتح عينيها بنظرة أحرقته مكانه :

_بكلم واحد عاش جبان وهيموت جبان .

تحرك نحوها يهم بصفعها لكن الثلاث فتيات تصدين له لتهتف ثمر بنبرتها المهيبة :

_ارجع استخبى في الدولاب زي الفار ...ليلة واحدة آخرك هنا وبعدها روح لحالك .

_لكن يا ستي لو حد ...

هتفت بها ياقوت باستنكار لتقاطعها ثمر بهتافها الحاسم :

_خلص الكلام ...اطلعوا فوق وسيبوه .

صمت ثلاثتهن ليتوجهن نحو الأعلى بينما رمقته هي بنظرة أخرى غامضة قبل أن تلحق بهن ...





_عاجبك كده ؟! هنروح كلنا في داهية بسببك ؟!

هتفت بها ياقوت بقهر لكنها كانت تشعر بالشفقة على شقيقتها ...

حسين الخبيث اختار بذكائه الفتاة الأضعف كي يؤثر عليها ...

ولو كان لقيها هي لكانت فضحته وسط الجميع دون رادع !!

لكن ...كيف تفعلها الآن؟!

كيف بعد ما حدث ؟!!

لا سبيل لديها سوى انتظار الصباح ...

ليلة واحدة ويتخلص من هذا الكابوس!!

_ما تقسيش على أختك يا ياقوت ...طبعها رهيف والطبع غلاب .





قالتها ثمر بنبرتها الغامضة المهيبة لتعاود لجين الانكباب على كفها تقبله بينما نقلت ثمر عينيها لرابحة تقول بنبرة آمرة :

_اللي شفتيه هنا سر ما يطلعش بره ...ولا حتى لأمك !

أومأت رابحة برأسها مطيعة لتهتف:

_ماتقلقيش يا ستنا ...أنا مش هاسيبكم لحد ما يمشي عشان تبقي مطمنة .

_ليقضي الله أمراً كان مفعولاً!

تمتمت بها ثمر بغموض قبل أن تتركهن لتدخل لغرفتها وتغلق الباب خلفها ...

بينما تبادلن هن النظرات الوجلة وانتظار الفجر يبدو أصعب كثيراً مما يظنون ...

==========





تحدق رابحة في السقف بنظرات خاوية وهي عاجزة عن النوم ...

ياقوت ولجين جوارها هدهما التعب بعد توتر النهار كله لكنهما يتأهبان للاستيقاظ فجراً حتى يتخلصن من أبيهن الداهية هذا !!

حكاية مشوقة لها فيها هي السبق ستحكيها لأمها والبنات رفيقاتها بحكم كونها البطلة الوحيدة التي شهدت هذا الحدث الفريد ...

تتناول هاتفها بحسرة متذكرة ...

كيف فاتها أن تصور "الرجل الداهية" هذا وهو يخرج من دولاب الخزين بمشهده المضحك ؟!

كانت تستطيع فعلها خلسة كما فعلت مع الشيخ الوسيم عابد !





وعند الخاطر الأخير ارتسمت على شفتيها ابتسامة مراهقة حالمة لتعاود الالتفات حولها قبل أن تقرر أمراً ...

ستلتقط صورة ل"حسين" قبل سفره فجراً كي تصدقها أمها عندما تخبرها عن الأمر !

عيناها تلتمعان بنشوة المغامرة وهي تغادر الفراش بخطوات حذرة لتتوجه للخارج حيث الصمت

الآمن حولها ...

فابتسمت بشقاوة طفولية وهي تتحرك نحو الدرج المؤدي للأسفل ...

لن تغامر كثيراً ...

صورة واحدة تثبت للجميع فيها أنها عاشت هذه المغامرة ...

ولتسامحها الحاجة ثمر !





هبطت الدرج بخطوات حذرة لتجده هناك مستلقياً على مرتبة قديمة كانت لجين -بطيبتها المعهودة - قد أعدتها له ...

هاهو ذا نائم فلتلتقط الصورة و...تهرب!!

ابتسمت بظفر وهي تحصل على غنيمتها قبل أن تعطيه ظهرها لتعاود صعود الدرج ...

تتفحص الهاتف لتتبين حصاد مغامرتها فتبتسم بانتصار لكنها تشهق بعنف وهي تشعر به خلفها فجأة يحيط خصرها بأحد ذراعيه بينما يكمم فمها بكفه الآخر!!

صرختها المكتومة تحطمت بين أنامله وهو يجذبها بقسوة معه نحو الأسفل قبل أن يطرحها بعنف على المرتبة ولازال يكمم فمها مع همسه الذي بدا كالفحيح :

_مين بعتك ؟! وعشان إيه ؟!





هزت رأسها بأنين مكتوم والدموع تغرق وجنتيها بينما ترفع هاتفها نحوه ليتفحصه بكفه الحر فيمسح الصورة قبل أن يقترب بوجهه منها هامساً بابتسامة شرسة:

_وسهرانة لحد دلوقت عشان تاخدي صورة زي دي ؟! ما تيجي أوريكي إن الأصل أحلى؟!!

جسدها الصغير يتلوى مع أنينها المكتوم تحت جسده الذي طوقها بينما عيناه تلتمعان بالمزيد من القسوة الحيوانية ...

فتاة صغيرة لكنها تقضي الغرض مؤقتاً!!

عيناها الساذجتان تذكرانه بتلك اللعينة "شوشو" التي سيرسل لها من يذيقها انتقامه !!

أجل ...حتى عندما يبتعد عن هنا ليتنعم بماله في الخارج ستبقى له مخالبه في هذا البلد !!





الذل الذي ذاقه الايام السابقة تتراكم مرارته الآن في حلقه ...

نقوده كلها لم تنفعه كثيراً لكنه سرب معظمها للخارج ...

من يصدق ان حسين رجائي يرتدي مثل هذه الأسمال ويختبي في بيت حقير كهذا ؟!!

من يصدق أنه كان ألعوبة لفتاة صغيرة مثل هذه ؟!

فورة شعوره بالقهر تدفعه لأن يذيقه لغيره ...

وصورة "الفتاة" الساذجة يستحضرها ذهنه بصورة شوشو المتلاعبة !!

مزيج القهر والغضب يدفع المزيد من الأدرينالين في جسده الذي بدأ في خلع ملابسه بأحد كفيه بينما لا يزال يكمم فمها بالكف الآخر...

بضع دقائق من المتعة تكفيه كي يتغلب على قلق انتظار رجله بجواز سفره المزور للهروب من هنا ...





متعة مسروقة يفرغ فيها كبت غيظ الأيام السابقة جاءته سهلة والناس نيام...

ويالسعادته بالمتع المسروقة !!

_آآه !

صرخة هائلة يطلقها فجأة وهو يشعر بالشيئ الذي سقط على رأسه !!

مرة تلو مرة ...

حتى همدت حركته...

همدت تماماً هذه المرة !!

الفتاة المسكينة التي انفلتت من بين ذراعيه تطلق صرخة هائلة لتهرع ياقوت ولجين للأسفل فتتسمران أمام المشهد ...

ثمر هشمت رأسه!!!

هشمته ب"الإناء الفخاري" الذي كانت تحتفظ فيه لجين ب"خباياها"...

لكنه كان فارغاً هذه المرة وكأنما تمنحها الأقدار هدية "الستر"!!!





_ليه يا ستي ؟! ليه عملتي كده ؟!

صرخت بها ياقوت بذعر وهي تهرع نحوها ليمنحها الجسد الميت -شبه العاري- الإجابة مع صرخات رابحة التي تضم ثوبها الممزق حولها !!!

_عاش مجرم ومات زاني !

غمغمت بها ثمر بازدراء قبل أن ترفع وجهها للسماء بتمتمة لم تسمعها ياقوت مع صرخات لجين ورابحة حولها التي حولت البيت الهادئ لقطعة من الجحيم ...

الصرخات التي جمعت أهل القرية جميعاً خارج البيت حيث خرجت لهم ثمر لتفتح الباب هاتفة بصوتها المهيب :

_اشهدوا يابلد ...ربنا طوّل في عمري لحد ما شفت اليوم ده ...جابه لحد عندي عشان آخد تار بنتي بيدي بعد السنين دي ...كنت بشوفها في منامي ...بشوف تِعبان كبير بيدخل بيتي وبخبطه على راسه بحجر ...حلمي اتحقق يا بلد ...





ترتجف ياقوت مكانها وقد لحقت بها لتتشبث بجلبابها في استماتة وسط دموعها المنهمرة كأنما تود لو تفتديها بنفسها ...

لكن المرأة تعلنها صراحة دون خوف:

_أنا قتلت حسين رجائي !

===========

القطعة الثالثة عشرة



_أنا مش صعبان عليّ اللي ماتوا أد ما صعبان عليّ اللي هيفضلوا عايشين وجسمهم متشوه كده !

هتف بها رامز بإشفاق عفوي بينما يتابع مع هانيا ووالدته أخبار أحداث انفجار محطة القطار الأخير في بيت

الأخيرة التي غمزته بخفة لينتبه لوقع كلماته...

كلماته التي شحب لها وجه هانيا وهي ترفع ياقة بلوزتها الطويلة تتأكد من أنها تداري رقبتها !

_ربنا يرحمهم برحمته ...اقلب بقا القناة دي ...كفاية كده !

هتفت بها والدته وهي تعاود غمزه خفية ليغير القناة نحو أخرى تعرض مسلسلاً ترفيهياً ...

يزدرد ريقه بتوتر وهو يمد كفه نحو راحة هانيا التي قبضتها جوارها بحركة دفاعية لم تتعمدها ...





بينما كفها الآخر متشنج حول ياقة بلوزتها كأنما تخشى أن تنكشف "عورة نقصها"!

عيناها تمتلئان بدموع حبيسة والمشاهد الحية التي رأتها لحداث الانفجار تعيد إليها ذكرى حادثها هي الخاص فينقبض قلبها برعب مسترجعة تلك اللحظات العصيبة ...

هذا الذي شعر هو به ليمد ذراعه قسراً فيحتضن كتفيها ضاماً إياها نحوه بينما يجلسان على الأريكة ليتصنع المرح بقوله :

_حلو قوي المسلسل ده ...قليل قوي لما بقيت بشوف حاجة محترمة في التليفزيون .

فالتقطت والدته منه طرف الخيط وقد أشفقت أمومتها على هانيا لتقول بانطلاق:

_ده أنا متابعاه على قناتين من كتر ما بحبه ...واحدة فيهم سابقة بكام حلقة ...لسه هيحلو أكتر ...





_انت اللي كل يوم تحلو أكتر يا جميل ...خسارة الحاج مشي وساب الحلويات دي كلها !

هتف بها رامز مشاكساً وهو يمد ذراعه الحر نحو وجنة أمه يداعبها لتضحك ضحكة قصيرة سبقت هتافها :

_طول عمرك بكاش وبتاع كلام ...أما أشوف هتجيبلي إيه في عيد الأم اللي قرب.

_بدعة ! عيد الأم بدعة يا حاجة ...رجس من عمل الشيطان !

هتف بها بخشوع مصطنع لتخبطه أمه على كتفه هاتفة باستنكار:

_هي الأعياد تيجي لحد عندي وتبقى بدعة ؟! واللا الإيمان ما بينورش وشك إلا لما تحب تقفلها في وشي أنا ؟! بس هاقول إيه ؟! نصاب من يومك !





هتفت بها وهي تلوح بكفيها في وجهه ليضحك ضحكة

عالية وهو يميل نحوها ليقبل رأسها بقوله :

_عيوني ليكي يا ست الكل...عيد أم ده إيه بس ؟! انتِ يتعمللك كل يوم عيد !

قالها ليغرق وجهها بعدها بقبلاته العفوية لتضحك المرأة ضحكة صافية وهي تتفلت منه هاتفة وسط ضحكاتها :

_مش بقوللك نصاب ؟! سيبني يا ولد ...عيب كده !

ابتسمت هانيا بشحوب وهي تتابع مزاحهما المعتاد

ملاحظة أنه لايزال يتشبث بها هي بذراعه بينما يشاكس أمه التي هتفت أخيراً:

_هاقوم أعمللكم فشار .

لكنها تحررت من ذراعه لتقف هي قائلة بسرعة :





_هاعمله أنا يا "طنط"...خلليكي مرتاحة !

قالتها لتهرول نحو المطبخ القريب وكأنما تريد فسحة من هروب تحتاجه في هذه اللحظة كي تستعيد تماسكها ...

جملة رامز العفوية تتردد في ذهنها فيبالغ عقلها في تقديرها ...

_صعبان عليّ اللي هيفضلوا عايشين وجسمهم متشوه كده ..

إلى هذا الحد يراها هي مثيرة للشفقة ؟!

إلى هذه الدرجة ينفر منها ؟!!

كل هذا وهي حريصة على إخفاء أثر حروقها عنه حتى في أشد لحظاتهما خصوصية ...





فكيف إذن لو رأى؟!!

ازداد تكاثف الدموع في عينيها وهي تستخرج القِدر المعدني من موضعه لتضعه على النار قبل أن تصب فوقه القليل من الزيت مع الذُرة بشرود ...

تعترف أنه منذ رجوعها إليه يبذل قصارى جهده كي يسعدها ...

لكن ماذا عساها تصنع بهذا الخوف الذي يسكنها ؟!

ماذا عساها تفعل بهذا الهاجس الذي لا يلبث يوسوس لها أن سعادتها هذه مجرد هدنة مؤقتة لحرب تنتظرها بهزيمة قاسية ؟!!

شهقت بعنف عندما تقافزت بعض حبوب الذرة في القدر بفعل الحرارة لتشعر به خلفها يمد ذراعه ليضع الغطاء على القدر هاتفاً بمشاكسة :




_بتعملي فشار من غير ما تغطي الحلة يا فاشلة ؟!

فالتفتت نحوه بابتسامة مصطنعة ليعلو الصوت من القدر حولهما بينما هو يغمض عينيه باستمتاع هاتفاً:

_من أعظم متع الطفولة كانت سماع صوت الفشار وهو "بيطأطأ" كده ...متعة لا تفوقها سوى فرقعة "البُمب" في رمضان !

اتسعت ابتسامتها عفوياً لتطرق برأسها لكنه رفع ذقنها نحوه ليسألها بجدية هذه المرات :

_مالك ؟! اوعي تكوني اتضايقتِ من تعليقي!

هزت رأسها نفياً كاذبة وهي تتحاشى نظراته ليقترب بوجهه من وجهها هامساً بمشاكسة :

_الكداب بيروح النار يا بسطويسي!





ضحكتها القصيرة تحولت فجأة لنحيب مرتفع وهي تدفن وجهها في صدره ليعقد هو حاجبيه قبل أن يضمها إليه بقوة هامساً بقلق:

_للدرجة دي؟! أنا آسف يا حبيبتي ...والله ما قصدت ...أنا غلطان إني خليتك تشوفي المناظر دي

م الأول ...غبي...كان لازم أفهم إني هتفكرك بالحادثة !

قالها مؤنباً نفسه وهو يغمر وجهها بقبلات اعتذاره لتهز هي رأسها بينما يمسح دموعها هاتفاً بجزع:

_ما تبقيش حساسة قوي كده ...خلاص بقا ...كلمتين ماعملتش حسابهم .

أومأت برأسها بتفهم وأناملها تتوجه عفوياً لياقة بلوزتها في حركة أرجفت قلبه فلم يشعر بنفسه وهو يجذبها ليلصقها بالحائط القريب قبل أن يزيح تلك الياقة اللعينة ببعض العنف لتستقر قبلاته هناك فوق ما تظنه نقطة ضعفها !!





تأوهت بخفوت وهي تحاول دفعه مع همسها الراجي:

_ما تبصش يا رامز ...ما تبصش !

قالتها وهي تحاول تغطية عينيه بأناملها لكنه سيطر على كفيها بقبضتيه قبل أن يعود ليغرس غرامه فوق بشرتها هامساً بحرارة :

_انتِ أغبى دكتورة شفتها في حياتي ...لو بعد كل ده مش قادرة تحسي أد إيه بحبك ومش شايف في الدنيا غيرك !

فأغمضت عينيها بألم لتهمس من بين دموعها :

_غصب عني يا رامز ...غصب ...

انقطعت عبارتها بين شفتيه لتغيب في جنة عاطفته للحظات سبقت همسه الواثق لها :





_حتى لو كلامي خانني المفروض قلبك انتِ مايخونيش ...هو عارف انتِ عندي إيه .

ترتجف شفتاها بابتسامة واهنة وهي تشعر بأنامله تتحسس موضع قلبها كأنما يبرهن على صدق كلماته فتغمض عينيها من جديد لتعاود إخفاء رأسها في صدره ...

_الفشار يا ولاد !

شهقتها العنيفة تتزامن مع رائحة الشياط وهتاف والدته من الخارج ليضحك رامز وهو يتحرك ليغلق الموقد قبل أن يرفع الغطاء لتصطدم عيناه بالمشهد ...

فالتفت نحو هانيا بنظرة مذنبة لم تخلُ من مرح ...

قبل أن يتنحنح ليهتف بصوت عالٍ:




_عملناهولك بطعم الفحم يا حاجة !! اطردينا على شقتنا بقا!

==========

استيقظت هانيا من نومها على صوت منبهها الذي ضبطته قبلاً قبل أن ترمق جسده النائم جوارها بنظرة راضية حملت الكثير من الامتنان ...

منذ ذاك الموقف الأخير بينهما وهو يزيد من دلاله الرقيق لها محتوياً ألم ذكرياتها بتفهم شكرته له ...

لكنها لا تزال تشعر بهذه القبضة الباردة التي تعتصر قلبها ...

خوفاً ...قلقاً...وترقباً !!

خاصة مع ملاحظتها لانشغاله المبالغ فيه -مؤخراً- بهاتفه المحمول...

تعلم أنه يعشق الألعاب الاليكترونية لكن ...

هل يقتصر الأمر على هذا فحسب؟!




تنهدت بحرارة وهي تنفض الهاجس الأخير عنها لتغادر الفراش نحو الحمام القريب الذي أغلقته خلفها

بالمفتاح ...

تنزع عنها ملابسها تتأهب للاغتسال وهي تعطي ظهرها للمرآة كعهدها خشية أن تصطدم عيناها برؤية تشوهات بشرتها ...

قبل أن تتردد قليلاً وهي تستدير نحوها ببطء ...

تغمض عينيها للوهلة الأولى بقوة وقشعريرة باردة تتملكها لكنها تتجرأ أخيراً لتفتحهما قبل أن تلفت انتباهها هذه "اللطخة الحمراء" على المرآة !

اقتربت بجسدها أكثر تحاول تمييزها لتبتسم بإدراك وهي تميز خطه ...

_بحبك!





اتسعت ابتسامتها وحمرة وجنتيها المنتشية تمنحها جمالاً خاصاً في عينيها ينسيها بشاعة منظر الحرق ...

عجباً له من رجل يجيد "هدهدة طفولتها"..."تدليل أنوثتها" ..و"ترويض عقلها"!

حركة بسيطة كهذه تكفيها كي تنفض عنها هواجس شياطينها !!

لهذا تنهدت بالكثير من الارتياح قبل أن تتجه نحو حوض

الاستحمام لتترك للماء الساخن بقية المهمة !!

طرقاته الخافتة على الباب تجفلها لتهتف بعفوية:

_مين؟!

_الفرعون العاشق!! عجباً لكم أيها المصريون تسألون أسئلة عجيبة...هو حد ساكن معاك غيري يا بسطويسي؟!





هتافه المرح يأتيها عابثاً من خلف الباب مع محاولته البائسة لفتحه التي سبقت قوله :

_قافلة على نفسك بالمفتاح ليه ؟! بايتة جنب جوزك واللا في محطة مصر؟!

ضحكتها القصيرة تصله مكانه وهي تجفف جسدها بالمنشفة تهيؤاً لارتداء ملابسها ...

لكن فكرة جريئة انتابتها وجعلتها تعاود النظر للمرآة ببعض التردد ...

قبل أن تلف المنشفة حول جسدها لتحضر أخرى وتلفها حول رقبتها مخفية أثر الحرق ...

عادت تنظر للمرآة بحياء مراهقة لكن "الكلمة الحمراء" ذات المفعول السحري على المرآة جعلتها تكتسب المزيد من الجرأة لتخرج وتفتح الباب هاتفة بغضب مصطنع تداري به خجلها:





_بتبوظ قلم "الروج" بتاعي عشان تكتب ع المراية ؟! ما تقولها وتخلص!

_الحق عليّ كنت عايزها تبقى أول كلمة تصحي عليها م النوم ...فتحس...

انقطعت عبارته وهو يلتفت نحوها من مكانه ثم ارتفع حاجباه بدهشة للحظات من هيئتها هذه !!!

قطع المسافة بينهما بقفزة واحدة قبل أن يحيط كتفيها بقبضتيه ليهتف بتأثر مصطنع:

_يااااه يا عبد الصمد !! أخيراً عشت وشفت المنظر ده ...مراتي خارجة من الحمام ملفوفة بفوطة...

ضحكت بخجل لتدفن وجهها بين كفيها بينما هو يردف بنفس النبرة :

_خايف أسوق فيها وأطمع أشوفك في قميص نوم !





_فشر!

هتفت بها باستنكار وهي ترفع كفيها عن وجهها ليهز هو رأسه بينما يخبطها بخفة على رأسها :

_ده العشم برضه يا بسطويسي!

كتمت ضحكات خجلها وهي تدفعه لتعود لغرفتهما بينما تسمع صوته خلفها يعلو بمشاكسته :

_المفروض أقول "واثق الخطا يمشي ملكاً" بس في

حالتك دي ما ينفعش يتقاللك غير "أسد يالا فيه إيه"!!

قهقهت ضاحكة وهي تخفي وجهها المحمر خجلاً لتسمع صوت باب الحمام يغلق خلفه قبل أن تهرول هي لمرآة غرفتها لتتطلع لنفسها ببعض الدهشة لا تكاد تصدق أنها تجرأت وخرجت هكذا أمامه !!





شيئ من "الخزي القديم" ينتابها و"صورة بعينها" تغزو مخيلتها لكنها صارت تملك من القوة ما جعلها تطردها عن ذهنها قبل أن تتنهد ببعض الضيق لتتوجه نحو خزانة

ملابسها عائدة لارتداء منامة ساترة !

تلك التي خرجت بها من الغرفة لتتوجه نحو مائدة السفرة حيث رصت كتبها كالعادة مع حاسوبها المحمول الذي فتحته لتعاود مذاكرتها ...

_ربنا يعينك .

قالها مؤازراً بعد دقائق بينما يربت على كتفيها من الخلف وهو يتفهم اضطرارها للاستيقاظ في هذا الوقت من الليل ...

لترفع إليه عينيها وهي تربت على كفيه :

_ادخل انت كمل نوم .




لكنه تحرك ليستلقي على الأريكة المجاورة لها قبل أن يخرج هاتفه من سروال منامته قائلاً :

_لا أنا هافضل جنبك هنا ومش هاعمل صوت ...عارف إنك بتخافي تسهري لوحدك .

ابتسمت بامتنان رغم ظاهر عبارتها المعترضة :

_انت عندك شغل بدري الصبح ...لكن أنا فاضية .

_شششششش....انت صاحية تذاكري واللا تتخانقي؟! ركزي في حالك وسيبيني في حالي!

هتف بها وأنامله تتلاعب بهاتفه فلم تدرِ هل أنار وجهه بفعل إضاءة شاشته أم هو أثر قلبها هي على عينيها المغرمتين به ؟!!

لهذا رمقته بنظرة عاشقة أخيرة قبل أن تعود لتنشغل بمذاكرتها لكثير من الوقت بعدها ...

هذا الذي قطعته عبارته فجأة :




_عندي ليكِ مفاجأة حلوة بس كنت مأجلها للصبح ...أقولها دلوقت وخلاص؟!

فابتسمت بترقب وهي تدير وجهها نحوه بتساؤل ليهتف بابتسامة عريضة :

_أنا اترقيت !

أطلقت صيحة فرحة وهي تغادر مقعدها لتتوجه نحوه قبل أن تحتضنه بقوة هاتفة بسعادة :

_مبروك يا حبيبي ...تستاهل كل خير .

فربت على وجنتها قائلاً بحماس حقيقي:

_عقبال ما نفرح بالدكتوراة بتاعتك ...ساعتها بجد هتبقى الدنيا مش سايعاني .





ضحكت وهي تقبل جبينه باعتزاز ليسألها هو بتردد :

_مديري في الشغل عامل لي حفلة بكرة في بيته مخصوص بالمناسبة دي ...هتقدري تيجي معايا واللا مشغولة ؟!

_طبعاً هاجي!

قالتها وهي تسند رأسها على كتفه لتحرك كفها فوق صدره فمسد شعرها بأنامله هامساً بعد تثاؤب قصير :

_طب قومي كملي مذاكرة بقا عشان كده هتنيميني .

ابتسمت وهي تطبع على وجنته قبلة ناعمة قبل أن تعود لمذاكرتها التي تخللتها نظراتها الدافئة نحوه ...





هو الذي تثاقل جفناه أخيراً ليستسلم للنوم مكانه فتنهدت بحرارة وهي ترمقه بنظرة طويلة مغرمة ...

لقد تساءلت كثيراً عن معنى الحب الذي يروون عنه ...

لكنها الآن تراه بقلبها قبل عينيها ...

لو لم يكن ما يفعله هذا هو الحب ..فماذا يكون ؟!

=======

تدندن بلحن لا تدري من حيث اجتاحها وهي تتطلع لصورتها في مرآة غرفة نومهما ...

ترتدي الثوب الذي اختارته لحضور الحفل المنتظر والذي انتقته بلون أخضر داكن أعجبها ...

لكنه فاجأها عندما دخل الغرفة لتوه حاملاً ما بدا لها كثوب مغطى معلق على شماعة !

التفتت نحوه هاتفة باستغراب:

_ده إيه يا رامز؟! أنا خلاص لبست !





_اقلعي!

قالها وهو يهز كتفيه بغمزة عابثة لتلكزه في كتفه قبل أن تهتف باستنكار:

_ضيع في وقتنا كمان ...أنا ما صدقت لقيت وقت فاضي عشان أحضر الحفلة دي !

لكنه فتح سحاب الغلاف المغطي للثوب معه ببطء ليستمتع بنظراتها المنبهرة وهي تتطلع نحوه قبل أن تهتف بانبهار:

_واااااو ....إيه الجمال ده ؟!

فابتسم وهو يناولها إياه ليهمس أمام عينيها بنبرة دافئة :

_ماتعرفيش أد إيه بعشق اللون "الدهبي" ده عليكِ...أول ماشفته في المحل ما قدرتش أقاوم .

التمعت عيناها بعاطفة زادت بريقهما وهي تبتسم لتعاود تفحص الثوب هاتفة :





_يارب يطلع المقاس مضبوط ...الوقت مش هيستحمل عطلة .

لكنه رفع أحد حاجبيه ليقول بثقة :

_طبعاً مظبوط ...هو ممكن بس يطلع طويل شوية وهتحتاجي تلبسي كعب ...

ثم نظر في ساعته مردفاً بعجلة :

_ياللا بقا بسرعة ...هاستناكي تفاجئيني بيه في العربية !

قالها ليطبع قبلة سريعة على وجنتها قبل أن يغادر الغرفة مدركاً "عقدتها العتيقة" من تبديل ملابسها أمامه ...

بينما خلعت هي ثوبها "الذي اختارته" لترتدي ثوباً اشتهى -هو- رؤيتها فيه !!

تبتسم باعتزاز وهي تغلق سحابه لتجد مقاسه ملائماً تماماً ...




ليس المقاس فحسب بل تصميمه الذي يناسب جسدها وذوقها معاً في انسيابية ناعمة ...

ومع وشاح بلون يمزج الذهبي بالأسود بدا وجهها شديد الجاذبية حقاً ...

الجاذبية التي منحتها الكثير من الثقة وهي تتحرك لتلحق به في حذائها ذي الكعب العالي ...

صورة منعكسة لها في مرآة جانبية تخز قلبها بذكرى مشابهة لليلة كهذه ...

نفس لون الثوب ...نفس الحذاء ...ربما نفس الجمع المنتظر ...

لكن اليوم ...لا غادة ...

بل ...ولا هانيا القديمة كذلك !!

تشعر بقبضة باردة تعتصر قلبها وهي تتذكر ما سمعته -ليلتها- عن شبهة علاقة رامز بصديقتها





لكنها تهز رأسها برفض وهي تهبط الدرج بشرود ...

لقد أصرت على حضور الحفل الليلة رغم انشغالها ليس فقط لأجل أن تسعده بفخرها به ...

بل لأنها تحتاج حقاً لهذه المواجهة كي ترضي كبرياءها ...

تريد أن تظهر من جديد معه كزوجين عاشقين ...يدها في يده ...

قدمها تجاور قدمه خطوة بخطوة ...

انتصارها الذي لا تدري كيف فرطت فيه يوماً !!

انقطعت أفكارها عندما وصلت للسيارة لتستقبلها عيناه بنظرة ألهبت أنوثتها ...

عيناه اللتان انحدرتا على طول جسدها بإعجاب قبل أن يطلق صفيراً قصيراً تناقض مع قوله المشاكس:

_والله ييجي منك يا بسطويسي...سيبلي انت نفسك بس وأنا هافك عقدك كلها ...





ثم مال نحوها ليهمس بمكر بينما يلصق سبابته بإبهامه في حركة ذات مغزى:

_طب قوللي بس فيه أمل ...واحد في المليون ...أعيش وأشوفك باللون ده في قميص نوم ؟!

ابتسمت بخجل وهي تشيح بوجهها ليلكزها في كتفها مردفاً بهتاف مرح:

_يافرج الله !! يبقى فيه !

_رامز ...فات ربع ساعة وباقي لك في ذمتي ساعتين إلا ربع ...انجز بقا عشان نلحق .

قالتها بنبرة عادت إليها عفويتها التي تقارب الفظاظة فتنهد بحرارة لضم كفيه في وضع الرجاء هاتفاً:




_طب عشان خاطري ...كرامة للفستان الحلو ده ...كمللي الليلة بعيد عن كرامات الأخ بسطويسي ...ماشي؟!

فضحكت برقة لم تتكلفها وهي تومئ برأسها موافقة قبل أن يتحرك بها هو إلى بيت مديره حيث يقام الحفل ...

نفس الطيف الشاحب من "الذكرى المشابهة" يجتاحه هو لكنه يبتسم ليمسك راحتها بيده بإصرار في حركة تركت أثرها في قلبيهما معاً ...

وفي حديقة بيت مديره حيث يقام الحفل وقفت يارا تستعرض ثوبها العاري أمام صديقتها قائلة بفخر:

_شفتي الفستان يهبل إزاي؟! ثلاث أرباع رجالة الحفلة عينهم هتطلع عليّ.

فضحكت صديقتها وهي تتأملها ببعض الحسد قائلة :





_معاك حق ...

ثم لكزتها في خاصرتها وهي ترى رامز يدخل مشبكاً أنامله بأنامل هانيا لتردف مغيظة إياها:

_وادي واحد م الربع الباقي اللي مش هياخد باله !

تنمرت ملامح يارا بحقد وهي ترى دخول رامز الذي حوّل أبصار الجميع نحوه ليلتفوا جميعاً حوله ...

بينما كان بصرها هي متعلقاً بهانيا التي بدت فاتنة حقاً رغم حجابها وثوبها المتحفظ ...

لهذا قالت مخاطبة صديقتها بغيرة واضحة :

_نفسي أعرف فيها إيه "المحروقة" دي عشان تطير عقله كده ؟!

_القلب وما يعشق!

هتفت بها صديقتها وهي تهز كتفيها لترد هي بحقد :




_يعشق؟! اللي زي رامز ده ما يعرفش يثبت على طريق واحد كتير ...هو بس تلاقي ضميره وجعه بعد اللي حصللها عشان كده رجعها ...لكن وحياتك شهر اتنين

بالكتير وهيرجع يحن للذي مضى .

رفعت صديقتها حاجبيها بعدم اقتناع مما زاد غيظها لتردف بانفعال أكبر:

_طب والله كبرتيها في دماغي أطربقها على دماغهم النهارده زي ما عملت الحفلة اللي فاتت ...وإن كانت عدت يومها مش هتعدي المرة دي !

_هتعملي إيه يا مجنونة ؟!

_هتشوفي.

قالتها بعزم رسم الشر على ملامحها قبل أن تميل على أذنها لتعطيها تفاصيل خطتها ...




وفي مكانها كانت هانيا تشعر بالفخر وهي تقف جوار رامز الذي لم لم يترك كفها من يده ...

خاصة مع عبارات الإكبار التي منحه إياها مديره وهو يتحدث عنه أمام زملائه لتبتسم وهي تجد نفسها دون وعي تلتصق به أكثر ...

لهذا اتسعت ابتسامتها الواثقة التي احتلت شفتيها لدقائق طويلة بعدها وهي تتبادل الحديث بلباقة مع بعض زميلاته اللاتي تحلقن فجأة حولها لتضطر لسحب كفها من يده ...

لم تدرِ إلى متى طال انشغالها عنه لكنها تلفتت حولها فجأة لتجده قد اختفى!

بحثت بعينيها عنه في أرجاء الحديقة لكنها لم تعثر له على أثر ...

_لو بتدوري على رامز ...شفته رايح هناك .





قالتها صديقة يارا تنفذ مخططهما وهي تشير نحو بقعة ما منعزلة خافتة الأضواء نوعاً هناك في خلفية الحديقة لترمقها هانيا بنظرة متشككة ...

قبل أن تأخذ طريقها للمكان المنشود ...

_برضه ما فهمتش عايزة إيه مخليكي واخداني على جنب كده زي المشبوهين !

يقولها رامز بنفاد صبر لترد يارا بصوتها المغوي:

_عايزة أرجع اللي كان بيننا ...ومش هازهق مهما قلت لي لأ.

فابتسم ليرد ساخراً :

_وهو إيه اللي كان بيننا معلش يمكن مش واخد بالي ...

لكنها لمحت ظلاً ما يقترب فاستعدت لتقترب منه باسطة كفيها على صدره هاتفة بصوت تعمدت جعله مسموعاً ل"الظل المنشود":

_نسيت كل مشاعر زمان ؟!




فابتعد بجسده بسرعة ليهتف بها بغلظة مستنكرة:

_إياك تلمسيني ...انتِ مجنونة عشان تجيبيني هنا في حفلة مراتي حاضراها عشان تكرري كلامك السخيف كده ؟!

_يعني هو ده بس المانع؟! إنها هنا؟! تحب نكمل كلامنا وقت تاني؟!

تقولها بنفس النبرة المغوية وهي تختلس نظرة نحو مكان "الظل" ليرد هو بصرامة :

_لآخر مرة هاقوللك ابعدي عني ...اللي بيننا كان مجرد تسلية قبل الجواز وراح لحاله ...لو ستات الدنيا كلها قدام هانيا هاختارها هي وبس ...انتِ فاهمة ؟!

لكنها لم تسمح لعبارته الواثقة أن تهدم خطتها فرفعت صوتها أكثر بهتافها :

_قال يعني مخلص ليها قوي ؟! الشركة كلها عارفة اللي كان بينك وبين صاحبتها !

فاحمر وجهه غضباً مع رده :





_كفاية سفالة وافترا بقا ...انتِ عارفة إن غادة أشرف من ألف زيك ...وعارفة كمان الإشاعات دي مين اللي كان له مصلحة يطلعها !

شعورها أن خطتها لم تفلح جعلها تطيح بضرباتها العشوائية لعلها تحقق أي هدف:

_عاجبك فيها إيه "المحروقة" دي؟! الناس كلها بتتكلم إن الحادثة شوهت جسمها ...هتفضل عامل فيها الفارس النبيل لحد امتى ؟! رحت واللا جيت راجل زي بقية الرجالة عايز مزاجه وبس ...شهرين تلاتة وهتزهق منها ...وساعتها أراهنك هتيجي تترمي في حضني أنا !

_يارا!

الهتاف الصارم أجفلها لتلتفت نحو الظل الذي اقترب ...

والذي لم يكن ظل "هانيا" بل ...المدير نفسه !!





شحب وجهها برعب وكأنها كانت قد نسيت في غمرة

انفعالاتها أنها في بيته هو ...

بينما تقدم الرجل بملامح متجهمة ليتوجه نحوهما فهتفت بمسكنة مصطنعة وهي تشير نحو رامز:

_كويس إن حضرتك جيت وشفت بنفسك...بيطاردني في كل حتة وعايزني ...

_كفاية كدب ...أنا سمعت كل حاجة ....

قالها الرجل بنبرة صارمة وهو يضع كفه على كتف رامز الذي وقف هادئاً بابتسامة واثقة بينما الأول يردف :

_بكرة الصبح استقالتك تبقى على مكتبي ...ما يشرفنيش واحدة زيك تفضل معانا ...





انهارت يارا باكية وهي تكرر رجاءات متتابعة للرجل الذي طردها حرفياً قبل أن يعرض عنها ليخاطب رامز بقوله :

_ارجع انت لمراتك قبل ما تحس بحاجة .

أومأ رامز برأسه وهو يتحرك مبتعداً عنهما وابتسامته الظافرة تملأ وجهه ...

لقد قلب سحرها عليها !!

منذ وجدها تستغل ابتعاد هانيا لتتقرب منه طالبة منه التحدث في مكان خفي وهو يدرك أنها تعد خطة ما للإفساد بينهما ...

لهذا طاوعها رغبة في أن يدير الأمر لصالحه مع هانيا ...لكن القدر ساعده بمنحة إضافية عندما نالت عقابها باستماع مديره للأمر كذلك ...

لهذا لم يكد يبتعد قليلاً حتى مال جانباً نحو إحدى الأشجار لتلتقي عيناه بعيني هانيا الزائغتين فيوقن تماماً من أنها استمعت للحديث ...





ملامحها الشاحبة تصرخ بألف سؤال ...لكنه جذبها من ذراعه نحوه قائلاً :

_كفاية كده ...الساعتين بتوعي قربوا يخلصوا!

عيناها الجميتان تمتلئان بالدموع لكنها تتشبث بكفيها في كفه قائلة بثبات رغم ارتجاف صوتها:

_هنكمل الحفلة لآخرها ...حقك تفرح بنجاحك وأفرح بيه معاك.

لكنه رمقها بنظرة مغرمة وهو يهمس أمام عينيها بدفء:

_فرحتي معاكِ انتِ خلاص حسيتها ومش عايز غيرها !

أشاحت بوجهها عنه وهي تخشى أن تفضحها دموعها أكثر أمام الحضور فأحاط كتفيها بذراعه ليتحرك معها مغادرين المكان ...





ولم يكادا يستقلان سيارته حتى فوجئ بها ترتمي على صدره لتحيط خصره بذراعيها هاتفة بين دموعها :

_"الكلبة" دي هي اللي سمعتها يوم الحفلة اللي فاتت وأنا في الحمام بتتكلم عن علاقتك بغادة ...هي اللي سممت أفكاري وقتها .

فارتفع حاجباه بدهشة للحظة وهو يتذكر ما تحكي عنه ثم ابتسم وهو يرفع وجهها ليمسح دموعها قائلاً برفق:

_انسي بقا اللي فات ...صفحة واتقفلت ...الحمدلله إن كيدها اترد لها هي .

_انت كنت عارف إني واقفة وسامعاك ؟! عشان كده قلت اللي قلته !

سألته بتشكك وسط دموعها ليصدر همهمة قصيرة سبقت قوله المشاكس:

_مممممم....انتِ عارفة إن كذب الزوج على الزوجة حلال؟!




ابتسمت وهي تخبطه على صدره ليردف بنبرة تمثيلية :

_أبداً يا حياتي...ما كنتش أعرف إنك واقفة ...بس أنا قلت اللي بقوله لكل واحدة بتحاول تستدرجني للرذيلة...

ثم غمزها مردفاً:

_وانتِ عارفة إني بموت فيها ...بس معاك انت بس !

ضحكت وسط دموعها التي مسحها هو بأنامله ليردف أخيراً بجدية بينما يغرس نظرات عشقه في عينيها :

_أنا كنت شاكك إنك واقفة وسامعة ...كانت مخاطرة مش محسوبة لإني ماكنتش أعرف ممكن تتمادى لحد فين ...بس كنت عايزك تسمعي بودانك ... صدقيني الكلام ده قلته لها حتى وانت مش موجودة ...أنا بحبك يا هانيا ...عمري ما عرفت





معنى الكلمة دي إلا معاكِ..وكل يوم بتأكد إني مش هاعرفها تاني معِ واحدة غيرك ...

أغمضت عينيها بقوة وأناملها تتحسس رقبتها فوق حجابها فمال بوجهه يقبل مكانها هامساً:

_انتِ أجمل واحدة في عنيا ...مش بقولها مجاملة ولا حتى حب ...بس كل ما افتكر ليلة الحادثة وأنا بجري زي المجنون بدعي بس إنك تكوني لسه عايشة بحس إن مجرد وجودك دلوقت جنبي نعمة تستاهل أعيش العمر كله أحمد ربنا عليها .

لم يكد يتم كلمته حتى فوجئ بشفتيها تقطعان حديثه بحرارة شغوف في فعل لم تبادر به من قبل أبداً ...

أناملها تتلمسه بهذه الطريقة وكأنه أثمن كنوزها ...أولها وآخرها...

وصوت أناتها الخفيضة يدوي في أذنيه كرعد ...

وتتلقفه روحه العطشى كمطر!!





فارتد للخلف مجفلاً للحظة قبل أن يأخذ نفساً عميقاً ليشغل السيارة قائلاً بسرعة :

_ثانية واحدة وهافقد السيطرة ويتقبض علينا بفعل فاضح في الطريق العام ...

ثم خبطها بخفة على مؤخرة رأسها ليردف بغيظ:

_لحظات التجلي لي بتحْبَك لك في أماكن غريبة ...عارفة لو رجعنا البيت قلبتِ بسطويسي ...هاقلب لك "فرج" في"الكرنك"!

قهقهت ضاحكة وهي تعود لتسند ظهرها على كرسيها فتتنهد بحرارة قبل أن يغمزها هامساً :

_ليلتنا فل إن شاء الله.

======

تركيا ...

اسطنبول ...





تجلس غادة على العشب في المزرعة في جانب خفي تمدد قدميها أمامها بينما تحتضن أحد الأرانب الذي تمسد فراءه بشرود ...

تتنهد بضيق لا تعرف سببه ...أو بالأدق ...تعرفه إنما تتجاهله !!

الأجواء حولها كلها مضجرة ...

علاء صار يخشى عليها صحبته في البازار ويؤجل عودتها للعمل معه بزعم أنها لا تزال تحتاج الراحة ...

وخبر والد إسلام الذي قُتِل بفضيحة عقب هروبه من جريمة مشينة لايزال يؤرق علاء وإيناس اللذين يشعران

بالأسى لمصابه ول-غيابه- قبله !

أجل ...سفر إسلام وغياب سيف بعدها دونما مبرر يجعلهما يشعران بالوحدة التي تحاول هي تخفيفها بجهد مضاعف...

كل هذا مشاع ويعرفه الجميع ...





لكن الذي يخصها هي وحدها ولا يعرفه أحد أنها حقاً ...تفتقده !

لا تدري هل هو الفراغ الذي يجعلها تستعيد مواقفهما معاً من البداية فتسترجعها كشريط مستمر دون توقف متلذذة بمعانيه...

أم هو إلحاح هانيا التي لا تتوقف عن الحديث معها عن

الأمر وكأنما صارت غاية حياتها أن تجمعهما معاً ...

لا ...لا ...

ستكون أكثر صدقاً مع نفسها لتعترف ...

أنه تمكن من سد فراغٍ بروحها طالما تعطش لرجل مثله...

رجل لا يعنيه جمالها بقدر ما تجذبه روحها ...

رجل يحميها حتى من نفسه...

يحترمها ككيان قبل أن يشتهيها كأنثى ...!!





انقطعت أفكارها عندما قفز الأرنب من على ساقيها فجأة ليعدو فابتسمت وهي تنهض لتعدو خلفه لولا أن استوقفها صوت إيناس الذي صدح فجأة :

_شفتي مين جه أخيراً النهارده !

تلتفت نحوها عفوياً لتجده أمامها ...

يبتسم بهذه الطريقة الخجول وقد بدا لها شكله غريباً إذ حلق رأسه كاملاً ...

فابتسمت بدورها وهي تعدل وضع حجابها على شعرها بينما إيناس تهتف بسعادة وهي تقلب بصرها بينهما :

_عاجبك كده ؟! راح يعمل عمرة من غير ما يقوللنا ...وأنا أقول اختفى فجأة كده فين !

_هم كام يوم اللي عرفت آخدهم أجازة يا أنّا...والله الموضوع اتيسر كده فجأة وبسرعة .

قالها معتذراً للمرأة التي دعت له بالقبول قبل أن تسأله باهتمام قلق:





_إسلام عامل إيه ؟! كل ما أكلمه بيهزر بطريقته
اللي انت عارفها وما بيرضاش يبين
حاجة ...طمنني عليه يا سيف!

فأطرق برأسه قائلاً بأسف:

_ربنا يكون في عونه ...الموضوع مش سهل أبداً
خصوصاً بعد اللي حصل لأخوه كمان ...بس أنا
وصيت رامز يبقى معاه وشرحت له
الموضوع ...وفي أول فرصة أقدر آخد أجازة
طويلة هانزل له !

شعرت غادة بضيق خفي للعبارة الأخيرة جعلها
تطرق برأسها بينما إيناس تهتف بلهفة:

_وأنا هاجي معاك ...قلبي مش مطاوعني أسيبه في
اللي هو فيه لوحده ...

تحشرج صوتها في عبارتها الأخيرة فاضحاً رغبتها
في البكاء فربت سيف على كتفها قائلاً :





_انت كمان وحشتيه قوي ...أوعدك نسافر له قريب .

كفكفت دمعها لتبتسم بشحوب وعيناها تتفحصانه بحنان أمومي قائلة بعتاب رقيق:

_وانت خاسس كده ليه ؟! ما بتاكلش!

فضحك ضحكة قصيرة ناسبت رده :

_دايماً شايفاني خاسس ومحتاج تغذية يا "أنّا"!

_طب والله خاسس ووشك مخطوف ...اقعد هنا مع غادة على بال ما أحضر الأكل...

هتفت بها بحماس أنساها حزنها السابق ليبتسم هو موافقاً بينما تحدثت غادة لأول مرة منذ بدأ الحوار بقولها دون أن تنظر إليه :

_خلليكي انتِ معاه يا "أنّا"...أنا اللي هاحضر الأكل.

نبرتها الضائقة كانت مفضوحة لكليهما لكن إيناس هتفت بسرعة :





_هو جاي ياكل من إيدي أنا ...أنا اللي عارفة الأكل اللي بيحبه !

قالتها لتغادرهما بسرعة دون أن تمنحها فرصة الاعتراض فتجهمت ملامح غادة بالمزيد من الضيق وهي تطرق برأسها ...

إنه لم يوجه إليها كلمة واحدة منذ دخل !!

ولا حتى تحية !!

والآن تتركهما إيناس بهذه الطريقة التي تبدو وكأنها فرضتها عليه ...

لا...لن تبقى!

ستعود لغرفتها أو ستذهب لتساعد إيناس في المطبخ!

_إزيك يا غادة ؟!

سؤاله المفاجئ يطيح بكل ما كانت تفكر به خاصة وهو يحمل لها لهفة اشتياق لم تخطئها أذناها ...





ترفع عينيها إليه ببطء لتصطدم بابتسامته الخجول التي تمتزج بحمرة أنفه وأذنيه المميزة ...

فلا تملك إلا أن تمنحه ابتسامة مماثلة !!

يقترب منها مأخوذاً بجمالها الذي يبدو هكذا في ضوء الشمس ك"شمس أخرى"!!

عيناها تلتمعان بتلك الشقاوة اللطيفة التي تناقض تحفظ كلماتها وهي ترد :

_الحمدلله...إزيك انت؟! حمداً لله ع السلامة !

فتتسع ابتسامته وعيناه تتوهجان بحنان دافق امتزج بامتنان حروفه :

_كانت نصيحة كويسة منك...أنا رحت عملت عمرة لآنجي...حقيقي الموضوع ده فرق معايا كتير .

زمت شفتيها بمزيج شعورها المتناقض في هذه اللحظة ...




جزء منها يشعر بالسعادة لهذا الارتياح الذي يغشى ملامحَ طالما اكتسحها الذنب ...

لكنها لا تملك هذا الجزء الآخر الذي يشعر بغيرة خفية غير منطقية !!

غيرة ؟!

لقد تطرفت مشاعرها حقاً هذه المرة !!

لهذا قاومت شعورها بكل ما أوتيت من قوة لترتجف ابتسامتها وهي تشيح بوجهها قائلة :

_الحمدلله ... افتكرت تدعيلي بقا هناك ؟!

_كتير ...جداً.

عبارته حملت من الدفء الصادق ما جعل قلبها يرتج مكانه وكأنما أسمعها حديث غزل!!

لهذا تسربت الحمرة لوجنتيها أكثر وصوتها يرتجف رغماً عنها بسؤالها :

_دعيتلي بإيه ؟!

صمته يطول بعد سؤالها فتضطر لترفع عينيها إليه فيجتاحها "الحزن الأخرس" في حدقتيه من جديد ...

والذي تلون الآن بعاطفة كاسحة :

_دعيتلك تفرحي ...تفرحي قوي لحد ما تنسي كل حزن عشتيه !

امتلأت عيناها بالدموع فجأة وعبارته ترده لآخر رؤيا رأتها لأحمد عقب إفاقتها من الحادث ...

الدموع التي وجدتها تسيل دون وعي على وجنتيها فمسحتها بأنامل مرتجفة ليهتف هو بها بجزع:

_أنا آسف ...ما قصدتش أفكرك ...أنا بس...

لكنها تقاطعه بقولها الشارد :

_لا أبداً...أنا بس افتكرت آخر حلم حلمته بأحمد الله يرحمه ...كان بيقوللي برضه افرحي .





و"الغيرة" هذه المرة تحظى بنصيبها معه هو وعبارتها توصد الطريق في وجه أمله "الوليد" بها ...

بل ...من يدري ربما ...تفتحه ؟!!

لهذا ترددت كلماته وعيناه تطوقان ملامحها بعاطفته ليغير الموضوع بقوله :

_كان معاكِ حق ...أنا غرقت في إحساسي بالذنب ونسيت واجبي ناحيتها ...امبارح زرت قريبتها الوحيدة اللي كانت ساكنة معاها هنا ...تقريباً من يوم الوفاة ما كنتش شفتها ...بس عاهدت نفسي أراعيها وأشوف طلباتها ولو مرة كل شهر ...يمكن ده يكون جزء من رد الدين اللي عليا ليها .

شفتاها تكافآنه بابتسامة رضا قبل أن تتلفت حولها لتجد الأرنب المشاكس يدور حولها قبل أن يعاود الركض بعيداً ...





لكنه هو يركض خلفه ليلاحقه قبل أن يمسكه عائداً إليها به فتتحول ابتسامتها لضحكة عفوية وهي تتلقفه منه لتمسد ظهره بأناملها قائلة بمرح تغلبت به على مشاعر الشجن السابقة :

_شيبوب بيغير لما بيلاقيني بكلم أي حد ...حتى "أنّا"!

فضحك بدوره وهو يرى الأرنب الأبيض يهز رأسه مستمتعاً بمداعبة أناملها وكأنما يصدّق على كلامها ليوجه الحديث للأرنب "شيبوب" وهو يحني رأسه نحوه :

_امال لو كنت "عنتر" كنت عملت إيه ؟!

ضحكتها العالية المميزة تعاود عزفها على أوتار قلبه لكنه يعاود حديثه مع "الأرنب" بسؤاله :

_طب تسمح لي أقدم لها الهدية اللي جايبهالها واللا هتعضني؟!





_هدية إيه ؟!

تسأله غادة بترقب ليشير هو نحو الخارج قائلاً بابتسامته الخجول :

_سايبها في العربية ...ثواني أجيبها .

التمعت عيناها بفضول وهي تتابعه يغادر وذهنها منشغل بهذا التغيير الذي تشعر به معه ...

ليس فقط في كسر دائرة تحفظه نحوها بل فيه هو نفسه !!

كأنما تحررت روحه -نوعاً- من قيود الذنب وبدأت طريقها في التحليق!!

ترى أي هدية سيختارها لها ؟!!

اتسعت عيناها بترقب وهي تراقب عودته بهذا الصندوق الكبير الذي وضعه أمامها على الأرض قبل أن يرفع رأسه نحوها قائلاً بابتسامته الخجول:





_كلامنا سوا عن روايات رفعت اسماعيل رجعني لأيام حلوة ...بعتّ اشتريت السلسلة كلها بالأعداد الأصلية أون لاين ...وجبت منها نسختين واحدة ليا وواحدة ليكي ...قلت منها تسليكي مادام ماعدتيش بتروحي البازار ومنها تفكرك بأيام جميلة مش هتتكرر.

فأشرقت ملامحها أكثر وهي تجلس على ركبتيها أمام الصندوق لتضع "شيبوب" جانباً قبل أن تفتحه بلهفة مع هتافها المنطلق :

_مش ممكن ...في وقتهم بجد والله ...ما تتصورش فرحتي بيهم ...كل غلاف من دول حكاية أيام عشتها وأنا بقراها ...رفعت وعزت وماجي ولوسيفر و...شوف دي كمان ..فاكرها ..الأم مارشا؟!!

ضحكاتها تعلو من جديد وهي تعدد أسماء أبطال هذه السلسلة الرائعة للعراب "ما وراء الطبيعة"





فيضحك بدوره وهو يجلس على ركبتيه أمام الصندوق بدوره ليرفعِ واحداً من الكتيبات أمامها هاتفاً بعفوية :

_العدد ده ما نيمنيش لما قراته ...كنت حاسس إن "الجاثوم" هيخنقني لو نمت !

_أنا كمان ...كنت حاسة إني بسمع أصوات غريبة بعد ما قريته ...واللا العدد بتاع (......)...

استمر حديث الذكريات بينهما بعدها لدقائق عن قراءاتهما هذه تتخلله ضحكاتهما التي أثلجت صدر إيناس وهي تتقدم منهما أخيراً لتهتف بحنان :

_بتعملوا إيه ؟!

_شفتي سيف جابلي إيه يا "أنّا"؟!

السعادة التي كانت تتقافز بين كلماتها كانت كافية ليملأ الرضا نظراته ...

الرضا الذي جعل إيناس تنقل بصرها بينهما لتقول ببعض المكر:





_طول عمره لماح وبيعرف مدخل اللي قدامه .

لم تنتبه غادة لعبارتها وهي تحاول إبعاد شيبوب الذي كان يدس رأسه بين الكتيبات وكأنه يريد إفسادها غيرة حقاً ...

بينما احمر وجه سيف خجلاً كالعادة ليرمق إيناس بنظرة عاتبة جعلتها تضحك ضحكة طويلة سبقت قولها :

_ممكن تكمل جميلك وتطلع الكرتونة الحلوة دي أوضة غادة...بس بسرعة عشان حضرت الأكل.

نهض سيف ليقف مكانه ويحمل الصندوق تتبعه غادة التي لكزتها إيناس في كتفها خفية بحركة موحية لترد غادة بابتسامة خجول معاتبة ...

بينما تحرك سيف نحو الداخل وقلبه يرتجف بنبض غريب ...





هو يعرف أن غادة الآن تشغل غرفة الراحل هاني التي

طالما دخلها من قبل دون محاذير ...

والآن يعود لدخولها بشعور متناقض هو مزيج من الحزن مع ذكرى الفقيد ...

واللهفة لرؤية كيف صارت بعد ما سكنتها هي !!

لكن طبيعته الخجول المتحفظة جعلته يسألها بنفس حمرة الوجه التي صارت تستلذها كثيراً ...

_هينفع أدخل ؟!

ارتباكه اللذيذ يصيب منها ...يجعلها تشعر حقاً أنها تقف أمام نموذج مختلف من الرجال ...

رجل يعرف كيف يغرس فيها الأمان قبل الحب ...

الاحترام قبل العاطفة ...

وما أحوجها لهذا !!





لكن ما بالها تشعر به هذه المرة مختلفاً ؟!

تشعر وكأنه قد تحرر ـنوعاًـ من قيوده ؟!!

يخطو نحوها بحبو حذر ...بعدما ملت وقوفه الساكن !!

الخاطر الأخير يجعلها تشير للغرفة ببعض الترقب قائلة :

_اتفضل طبعاً ...معلش تعبتك .

يدلف إلى الداخل ليضع ما بيده على المكتب المقابل للفراش فتلحقه هي شاكرة لتشير حولها قائلة :

_الأوضة زي ما هي من أيام هاني الله يرحمه ..أكيد وحشتك..."أنّا" دايماً تقول إن قعدتكم كانت على طول هنا .





_فعلاً ...الله يرحمه .

قالها بأسى حقيقي جعلها تشعر بالإشفاق نحوه لهذا غيرت الموضوع بقولها :

_هدية هايلة يا سيف ...من زمان ما جاليش هدية حلوة كده...شكراً بجد .

امتنانها الصادق الممتزج بدلالها الفطري لامس قلبه بدفء غامر ليجد نفسه دون وعي يقترب منها خطوة قائلاً :

_أنا اللي لازم أشكرك .

_عشان؟!

تهمس بها بتساؤل رقيق ووجهها يرتفع نحوه ...

العينان تتبادلان الحديث بما صمتت عنه الشفاه ...

لم تكن المرة الأولى التي تشعر هي به معه بهذه الشفافية ...





كأنما تقرأ مشاعره على صفحة بيضاء دون زيف أو مواراة ...

لكنها كانت المرة الأولى التي يطارد هو فيها سرابه في عينيها ...

ينقّب فيها عن كنز عاطفة تخفيها هي له ...

يريد دليلاً يتمناه لكن يخشاه ...

إسلام أفسح له الطريق ...لكن هل زلّت كل العقبات حقاً ؟!!

_انت بتعمل إيه هنا ؟!

صوت العم علاء على باب الغرفة يجعلهما ينتفضان مكانهما لتبتسم غادة بخجل بينما علاء يضع كفه على صدره في حركة تمثيلية مردفاً :

_سيف ؟! وغادة ؟! وفي بيتي؟! ياللسماء !! العار !! الدم!!

ضحكات غادة الخجول تعلو لتغطي على حرج الموقف فتتجه نحوه قائلة بمرح مشاكس:

_ريح نفسك يا عمو ...مش هتلبسني لأي حد معدي عشان تخلص مني ...أنا قاعدة هنا على قلبكم !

_يعني مفيش أمل الولد ده يلبسها؟!

يقولها بمسكنة مصطنعة وهو يشير نحو سيف الذي منعه خجله عن مشاركتهما المزاح فاكتفى بابتسامة واسعة بينما غادة تردف بنفس الأسف التمثيلي :

_لا للأسف ...أنا والبيتزا بتاعتي هنفضل كابسين على نفسكم هنا !

قالتها وهي تخبط بقبضتها على راحتها المفرودة في ذاك الوضع الشهير لتتعالى ضحكاتهم جميعاً مع إيناس التي دخلت لتهتف بحنان ماكر:





_سيف جابلها شوية كتب عشان تتشغل بيهم عن البيتزا اللي مش عاجباك.

فابتسم علاء متهكماً وهو يشير لرأس سيف الحليق بقوله :

_هم شوية الشعر اللي كانوا مداريين ع الأفكار النيرة دي ...من ساعة ما جابها ع الزيرو كده وعندي أمل في اللي جاي ...

ثم تقدم نحو سيف ليربت على كتفه مردفاً بجدية هذه المرة :

_حمداً لله ع السلامة يابني ...وحشتني قوي ...تقبل الله .

هنا تقدم سيف ليعانقه بحنان صادق ثم قبّل كتفه ليرد برصانته الدافئة :

_منا ومنكم يا عمو ...حضرتك كمان وحشتني قوي .





_مادام وحشتك بقا ما ترفضش فكرتي ...واحد صاحبي من "إغدير" عازمنا نقضي عيد النيروز هناك ...ما تيجي معانا براسك دي ...فرصة قبل ما شعرك يطلع ويغطي أفكارك الحلوة تاني!

قالها علاء بنبرته التي عاد إليها مرحه ليضحك سيف مع رده المرحّب ...

قبل أن تسأله غادة بفضول:

_إيه عيد النيروز ده بيعملوا فيه إيه ؟!

لكن إيناس تجذبها من ذراعها لتهتف بهم بحزم :

_كملوا كلام ع الأكل ...لو برد مش هارجع أسخنه !

=========

_داليا!




هتف بها مروان بدهشة وهو يفتح باب شقته ليجدها أمامه فابتسمت لتهتف بملامح مشرقة عبر شقاوتها المعهودة :

_كبسة ! عندك حد ؟!

ضحك ضحكة عالية وهو يفسح لها الطريق قائلاً بمرح:

_اتفضل يا سيادة المفتش ...شوف بنفسك !

ضحكت بدورها وهي تدلف إلى الداخل لتتفحص المكان حولها فأغلق الباب خلفها ليحتضن خصرها بكفيه هامساً بعاطفته الدافئة :

_ممكن أعرف سبب الزيارة المفاجئة دي !

فتعلقت بذراعيها في عنقه لتهمس بشقاوتها التي امتزجت بعاطفتها :




_كنت بقلب امبارح في رسايل "العاشق المجهول" لقيت النهاردة تاريخ أول رسالة بعتهالي ...قلت آجي أحتفل معاه بالمناسبة الحلوة دي ...

ثم استطالت على أطراف أصابعها لتطبع قبلة ناعمة على وجنته مردفة :

_كل سنة وانت معايا .

انتفض قلبه بقوة عاطفته وهو يضمها نحوه أكثر هامساً بين شفتيها :

_انت مش معايا ...انتِ جوايا .

تأوهت بخفوت لتمرغ وجهها في صدره هامسة بهيام :

_نفسي أعرف بتجيب الكلام الحلو ده منين ...

ثم عادت ترفع وجهها نحوه مردفة :

_أقوللك سر ؟!

همهمته الخافتة حلقت فوق شفتيها بنعومة لتستطرد برقة عذبة :




_أنا كنت خايفة أحب عشان ما أزهقش...كنت خايفة أسلم قلبي لواحد بس ما يبقاش كفاية لكل المشاعر اللي عايزة أعيشها..لكل الأحلام اللي نفسي أحققها ...كنت بشوف الارتباط خنقة وملل ...بس ...انت ...

قطعت عبارتها عاجزة عن إيجاد رد مناسب ...

فاحتضن وجنتيها براحتيه ليهمس بترقب :

_أنا إيه ؟!

_انت خطفتني ...مابحسش أبداً إني زهقانة وأنا معاك..

بالعكس ...بعيش معاك حاجات عمري ما اتمنيتها. ولو في أحلامي.

_لأ...لسه فايتك كتيبير .





يقولها ببعض العبث لتضحك ضحكة عالية مزجت خجلها بشقاوتها الطفولية في مزيج غريب لا يليق بسواها ...

ثم تفلتت من بين ذراعيه لتتجه نحو مائدة السفرة التي وضع عليها حاسوبه المحمول قبل أن تشير للوحة ذات المربعات المتداخلة هاتفة بمرح:

_أهه اللوحة التي فضحتك.

فضحك وهو يتجه نحو اللوحة ليقبلها بخفة هاتفاً :

_أحلى فضيحة !

عادت تضحك بمرح وهي تقفز لتجلس متربعة فوق المائدة قبل أن تدير الحاسوب نحوها لتهتف بهيام :

_اسكت انت بقا وخلليني أقابل حبيبي ده ...

ثم شهقت لتردف باستنكار:

_انت عامل باسوورد ؟!




فضحك وهو يقفز ليجلس جوارها على طرف المائدة قبل أن يزيح حجابها عن شعرها بحركة خاطفة ليقرص أذنها هاتفاً بمكر:

_وريني هتقابلي حبيبك ده بقا إزاي من غيري !

_مروان ...مارو ...بلييييز ...عايزة أشوف الكواليس ...عشان خاطري ...

هتفت بها برجاء طفولي وهي ترفع راحتيها الملتصقتين أمام وجهه بذاك الوضع الشهير ...

ليضحك ضحكة عالية ثم أدار الحاسوب نحوه ليفتحه فيبرز لها محادثاتهما القديمة بذاك "الحساب الاليكتروني" الآخر ...

قبل أن يحتضن كتفيها بذراعه ليضمها نحوه ...

تنهدت بهيام وهي تستعرض كلماته التي تحفظها تقريباً لكن أن تراها الآن ...في بيته ...




وهي بين ذراعيه ...لهو مذاق آخر له لذة مضاعفة !

لذة تعاظمت كثيراً وهي تسمعه جوارها يقرؤها لها بصوته واحدة واحدة كلحن فريد يميزه هو وحده فيرقص له قلبها طرباً ...

لهذا أسندت رأسها على صدره تتنعم بهذا الدفء الخالص الذي تمتزج فيه كلماته بقربه ...

قبل أن تشعر بأنامله تتخلل منابت شعرها مع همسه الدافئ :

_عندي "فولدر" كمان لازم تشوفيه .

فتحت عينيها بترقب تنتظر لتتسعا بعدها بانبهار وهي تجد مجموعة من الصور القديمة لها ...بل لهما معاً ...في طفولتها !!




ضحكت باستمتاع وهي تراقب أولاها لما بدا كحفل "عيد ميلاد قديم" مميز بطقوس هذه الفترة ...

زجاجات الكوكاكولا الصغيرة بشعارها

الأبيض ..."التورتات" منزلية الصنع...الكاسيت القديم بحجمه وشكله المميز في خلفية الصورة ...والمروحة إياها ذات القاعدة العريضة والثلاث ريشات ...

التصفيفة واحدة للفتيات بغُرّة جبين عريضة وضفيرتين ...

بينما الفتيان يضحكون بتلك الطريقة التي تنبئ عن مستقبل "سفاحين"!!

_دي هانيا ورانيا ...وده يامن ...دي أنا ...يا خبر!!! كنت وحشة كده ليه ؟! وده ...انت ؟!





ضحكت ضحكة عالية وهي تشير للفتى الذي وقف مرتبكاً بنظارته وشعره الأشعث ليضحك بدوره وهو يشير للصورة هاتفاً :

_كان عندي شعر أهه ...بس هي عوامل التعرية اللي وصلتني لكده !

_كده اطمنت على مستقبل ولادنا !

هتفت بها بمرح ليضمها إليه أكثر قبل أن يداعب وجنتها بأنامله هامساً :

_حلوة قوي "ولادنا" دي وهي طالعة منك عفوية كده .

فابتسمت بوجنتين محمرتين زادتا عذوبة ملامحها لتسأله بفضول:

_عايز ولاد كتير؟!

_جداً.

هتف بها دون تفكير ليرد مفسراً :

_أنا اتربيت ابن وحيد وكانت تجربة سيئة جداً...عايز ولاد كتير على أد ما تقدري .





_بتحب الولاد واللا البنات ؟!

_لو بنات شبهك ...بلاش!

شهقت باستنكار ليضحك ضحكة عالية قبل أن يعاود قرص أذنها هامساً بعتاب حنون :

_داليا واحدة كفاية ...استنزفت كل طاقتي ...واحدة تانية شبهك وهاسرح ورا المجاذيب في الشوارع .

علا صوت ضحكاتهما المشتركة للحظات قبل أن تعود لتستعرض معه بقية الصور والتي انتهت بعدة صور "مرسومة" لا حقيقية...

كلها لفتاة تبكي على الدرج وتحتضن ثوباً أبيض!

_دي ...أنا؟!





تمتمت بها بتأثر وهي تستعرض الصور التي حملت نفس الفكرة في كل رسم وإن اختلفت الخطوط ...

ليرد هو ببعض الشرود وقد عادت أنامله تعبث في شعرها :

_كل مرة كنت بفكر فيها أبعد عنك ...صورة زي دي كانت بترجعني ...صورة بنوتة كبرت قدامي يوم بيوم ...مهما كبرت جواها طفلة بتعيط مش هتلاقي أحن من حضني عليها .

_مروان!

همست بها بتأثر وهي تستدير لترفع ذراعيها فتتعلق بعنقه...

تغرق وجهه بقبلاتها التي امتزجت بدموع انفعالها مع همسها :

_كل مرة بحس فيها أد إيه بتحبني بلاقي دماغي مشلول ...بحس بالذنب لكل الوجع اللي سببتهولك .

لكنه أبعد وجهها الذي احتضنه براحتيه ليمسح دموعها بإبهاميه هامساً:





_كل الوجع ده ما يساويش حاجة وانتِ دلوقت معايا ...مش مجرد بنوتة صغيرة بتغلط وبسامحها ...لا...واحدة جديدة بحترم دماغها وتفكيرها .

فابتسمت وهي تغمض عينيها لتتنهد بحرارة بينما تسند رأسها على صدره هامسة بمشاكسة طفولية :

_هااااح...طب كفاية كده ...الحب هيولع في الدرة ...

ثم انتفضت بعفوية لتشير للحاسوب متسائلة :

_فيه حاجة تانية لسه ماشفتهاش!

لكنه غمزها بمكر هاتفاً:

_يووووه...ياما في الجراب يا حاوي ...بس مش دلوقت!




التمعت عيناها بانبهار طفولي لتضحك ضحكة عالية وهي تخبط بكفيها على ساقيها المتشابكتين هاتفة :

_الله عليك يا مروان يا جاالمد....هو ده الشغل!!

انتهت عبارتها بتصفيقة خفيفة جعلته يطلق قهقهة عالية قطعها صوت رنين هاتفه الذي جعله يقول بمرح:

_أراهنك إن ده يامن ...قرون الاستشعار بتاعة غلاسته

لازم تقطع اللحظات الحلوة !

فابتسمت وهي تفك تشابك ساقيها لتقفز من فوق المائدة على الأرض بينما وقف هو ليتناول هاتفه يطالع الرقم قائلاً:

_ظلمته ! دي الدكتورة سهام .




اتسعت ابتسامتها نوعاً وهي تقترب منه لتسمعه يفتح

الاتصال بتحية تقليدية ثم استمع قليلاً للمرأة التي كانت تعتذر عن عدم قدرتها على حضور عقد القران ...

قبل أن يرد بهدوء:

_لا يا دكتورة مش زعلان أبداً ...عذركم معاكم...أنا عارف إن تعب دكتور ياسر ملخبط الدنيا عندكم ...والموضوع أصلاً جه بسرعة ....تتعوض في الفرح باذن الله ...

ثم صمت قليلاً يستمع ليردف وهو ينظر لداليا :

_ولا داليا كمان زعلانة ...هي معايا هنا أهه ...باركيلها بنفسك !

_هنا فين ؟!

صوت سهام المتحفز وصل داليا التي انعقد حاجباها بارتباك بينما مروان يرد :





_هنا عندي في البيت .

_لوحدها؟!

صيحتها المستنكرة كانت أكثر وضوحاً هذه المرة فاحمر وجه داليا بمزيج من ضيق وذنب ..لكن مروان رد باقتضاب :

_آه لوحدها ..تحبي حضرتك تباركيلها بنفسك ؟!

توتر الجو فجأة وداليا تتناول منه الهاتف لتجد كلمات المرأة المهنئة متحفظة باردة كما توقعت لكنها ردت بتماسك مصطنع قبل أن تنهي الاتصال لتعطيه الهاتف قائلة بوجوم :

_أنا هامشي .

قالتها وهي تعدل وضع حجابها على رأسها لتتحرك بسرعة نحو الباب لكنه لحق بها ليمسك ذراعها هاتفاً :

_استني رايحة فين ؟!





لكنها نفضت ذراعه عنها هاتفة بعصبية :

_خارجة عشان ما ابقاش قليلة الحيا وقاعدة معاك هنا لوحدنا .

مط شفتيه باستياء ليحاول تهدئتها بقوله :

_الست ماقالتش حاجة...هي بس ...

_وانت كنت عايزها كمان تقول ؟!

هتفت بها بنفس النبرة العصبية وهي تفتح الباب فزفر زفرة قصيرة ليربت على وجنتها قائلاً برفق:

_عشان خاطري اهدي واسمعيني ...ما تبوظيش اليوم الحلو ده عشان حاجات ما تستاهلش ...

ثم مد يده يتناول مفاتيح سيارته ليعطيها لها مردفاً:

_استنيني في العربية هاغير هدومي ونخرج نكمل بقية اليوم سوا .

انتزعتها منه بحركة عصبية دون رد لتهبط الدرج بخطوات راكضة فضحت غضبها قبل أن تستقر في سيارته وهي تشعر بمزيج من الضيق والخزي...





لماذا يجب أن تكون أفعالها دوماً مشبوهة ؟!

لماذا يصرون أن يضعوا تصرفاتها العفوية في إطار من "الخطأ"؟!

لعنة الماضي هذه لن تغادرها أبداً ؟!!

انقطعت أفكارها عندما شعرت به يستقل السيارة جوارها قبل أن يكتنف راحتها بين كفيه ليقول لها برفقه الصبور :

_أنا عارف بتفكري في إيه ...ممكن تبصيلي وتسمعيني ؟!

امتلأت عيناها اللتان رفعتهما نحوه بالدموع فجأة ليتنهد هو قائلاً بنفس النبرة :

_أنا اللي غلطان المرة دي ...اتكلمت بعفوية زي ما انتِ اتصرفتِ بعفوية ونسيت إن الموقف ممكن يتفهم غلط ...وأنا حتى لو حافظت عليكِ الناس





دايماً ليها الظاهر ...عشان كده هنتفق إنك ما تجيليش البيت لوحدك تاني ...مش عدم ثقة في نفسي ولا فيكِ ...بس عشان محدش يبصلك بس بصة تضايقك زي دلوقت ...

ثم رفع كفها لشفتيه بقبلة ناعمة مردفاً بحنان :

_خلاص بقا فكيها كده ...

ارتجفت شفتاها بشبه ابتسامة وهي تشيح بوجهها ...

لا تعرف كيف يجيد تغيير تردد قنواتها بهذا الإتقان ...

ربما لو كان حدث نفس الموقف قديماً لما هاودتها طبيعتها المتمردة في طاعة ...

لكن معه هو ...تفعلها...ليس فقط طوعاً وحباً ...

بل رغبة في كمال تستحقه معشوقته !!





_ينفع تزعلي كده في "مولد سيدي العاشق المجهول" ؟!

سؤاله المشاكس يستجلب ضحكة خرجت منها رغماً عنها لتعيد التفاتها نحوه بقول عادت له نبرة مزاحه :

_شي لله يا سيدنا .

فضحك أخيراً بارتياح وهو يترك كفها ليشغل السيارة هاتفاً بمرح:

_أيوة كده الروح الفرفوشة عادت ...عندنا بروجرام هايل ل"ست البنات" النهارده ...شوفي عايزة تروحي فين وأنا معاكِ.

لكنها تأبطت ذراعه بشقاوتها المعهودة هاتفة :

_لا ياعم ...أنا بقيت مؤدبة وبسمع الكلام وبس ...شوف عايز توديني فين !




_ياسيدي ع الأخلاق العالية ..ما بتفائلش بالمقدمة الحلوة دي غالباً بتقلب بقفش !

هتف بها بتوجس مصطنع لتتعالى ضحكاتهما معاً بعدها قبل أن يقول لها بجدية هذه المرة :

_إيه رأيك ؟! عايز أكلم يامن نقدم معاد الفرح!

_فرح ؟! بدري كده ؟!

هتفت بها باستنكار ليلتفت نحوها قائلاً بعتاب دافئ:

_بدري؟! انتِ عارفة بقالي كام سنة مستنيكي؟!

حمرة وجنتيها الشهية تعاود احتلال ملامحها لتصمت للحظات قبل أن تهز كتفيها بابتسامة ناسبت قولها المشاكس:

_خلاص ...صعبت عليّ...موافقة وأمري لله ...هتشيلوني الحمل بدري ...ياصغيرة ع الهم يا لوزة !

جلجلت ضحكته الصافية بعدها قبل أن يهتف بوعد امتزج بنبرته العابثة :

_مين دي اللي تشيل الهم وأنا عايش ؟!




ثم انحنى برأسه يقبل رأسها مردفاً :

_بكرة أشبعك دلع يخليكي تندمي على كل يوم عشتيه من غيري!

=========

استيقظت رانيا من نومها تتفقده جوارها لكنها لم تجده فنهضت لتغادر الفراش ...

نشوى ذهبت إلى المصنع كعادتها وريما في مدرستها بينما لا يزالان يتمتعان هما بإجازة "شهر عسل" اقترحته شقيقته ووافقتها هي عليه ...

لكن لأسبوع واحد فقط كما قررت هي!!

علاقتها الجديدة به مبهرة ...

وكأنه ليس الرجل الذي عشقته عمرها كله !!

فارق كبير بين أن تكون مجرد "ظل" وأن تكون "الشمس" ذاتها!!

هكذا تشعر الآن وهي تتعمد أن تأخذ هي بناصية قراراتهما لتريه أي محاربة قوية صارت!!





وصلت المطبخ لتجده هناك واقفاً يعطيها ظهره بينما يصب لها مشروبها الصباحي المفضل من "الكاكاو"...

فتحركت بخفة نحوه لتتعلق بعنقه من الخلف قبل أن ترفع ساقيها لتحلقهما حول خصره في حركة طفولية

طالما عشقها منها !!

ضحكته الراضية تملأ أذنيها وهو يستدير بوجهه نحوها قائلاً بحنان:

_صباح الخير .

طبعت قبلة ناعمة على عنقه قبل أن تسند رأسها على كتفه هامسة :

_صباح الحب .

_نمتِ كويس؟!




_ياااااه...ده أنا ماعرفتش أنام إلا لما رجعت في حضنك .

تهمس بها بنفس النبرة الهائمة لتستقر بقدميها على الأرض من جديد قبل أن يديرها هو بين ذراعيه ليحتضن خصرها بكفيه هامساً :

_كل ما أفتكر سواد الأيام اللي فاتت ...الدوامة اللي غرقت فيها من غير ما أحس ...أخاف لا يكون كل ده حلم حلو هاصحى منه على حقيقة مُرّة...انتِ بجد ...معايا؟!

شفتاها تطوفان فوق بشرته بتبتل عاشق وكأنما تمنحه الدليل قبل أن تفيض عيناها ببوح شفتيها:

_عمري ما كنت أنا إلا وأنا معاك...لما بنبعد بتغرب حتى عن نفسي .





ابتسامته الراضية تكلل شفتيه قبل أن يقبل جبينها باعتزاز ليشير لما كان يصنعه بقوله :

_فاكرة فطار "السينيوريتا" بتاع زمان ؟!
كاكاو ...سابليه مربى ...حلاوة بالقشطة...

_وزيتون مخلل عشان نفسي ما تجزعش.

العبارة الأخيرة قالاها سوياً بذات الوقت ليضحكا معاً قبل أن تقبل كتفه المقابل لها بعمق هامسة :

_كل يوم معاك كنز من تفاصيل حب كبر معانا ...وهنحكيه لولادنا .

فابتسم وهو يتحرك ليرص الأطباق على المائدة القريبة التي شاركته فيها ليبدآ معاً في تناول الإفطار ...

وما كاد ينتهيان حتى بادرته بسؤالها وهي ترتشف رشفة من مشروبها :





_كنت عايزة أسألك عن حاجة غريبة لاحظتها .

همهمته المترقبة كانت رده لتتردد قليلاً قبل أن تسأله بترقب:

_نشوى وناصر ؟

اتسعت عيناه بارتباك للحظة قبل أن تلتوي شفتاه بابتسامة مراوغة :

_واضح إنك اتغيرتِ ! فضول الستات ده عمره ما كان طبعك .

قالها بنبرة شابها بعض الحرج الذي زاد لهفتها للمعرفة فهتفت وهي تمد كفها الحر لتحتضن كفه :

_ده مش فضول ستات ...بس أنا خلاص خرجت م القوقعة اللي كنت دافنة نفسي فيها ...نشوى قربت مني قوي اليومين اللي فاتوا ...شفت فيها أبعاد كتير ماكنتش ملاحظاها قبل كده ...مقابلتها مع ناصر ده ماكانتش عادية ...كلامه معاها حسيته




غريب ...وبعدين إزاي صاحبك وما حضرش فرحنا
؟!...أنا مش فاكرة إني شفته قبل كده !

فتنهد بحرارة ليضع كوبه جانباً قبل أن يشبك
أصابعه ليقول بشرود :

_الحكاية بصراحة محرجة عشان كده مابحبش
أفتكرها ...ناصر كان صاحبي من كام سنة...اتعرفت
عليه أول ما اتخرجت في رحلة مع ناس
قرايبنا...وبعدها علاقتنا اتحسنت كتير ...كان
بيجيلنا هنا وماما الله يرحمها كانت بتحبه
قوي ...بس ...

ثم صمت لحظات بتردد يتخير كلماته ليردف بحرج
أكبر:

_مش هي لوحدها اللي حبته !

اتسعت عيناها بإدراك وهي تفهم ما يرمي إليه
ليستطرد هو بأسف:




_انتِ عارفة طبيعة نشوى ...حامية زي السيف حتى في مشاعرها ...مافكرتش قبل ما تروح له وتعترف له بنفسها إنها بتحبه وعايزة ترتبط بيه !

شهقت رانيا بدهشة للحظة قبل أن تبتسم لتهز رأسها بقولها :

_لا ...لا...مش غريبة على نشوى فعلاً ...بس ...هو ...كان رد فعله إيه ؟! ماتقولش إنه خان صداقتكم !

اكتسح الضيق ملامحه أكثر وهو يجيب:

_بالعكس ...رد فعل ناصر علاه في نظري لأنه رفض مشاعرها وقتها باحترام ...قاللها إنه مش مستعد للارتباط وإنه بيعتبرها زي أخته ...وده سبب إنه بعِد عني بعدها وعلاقتنا اتقطعت بالتدريج لحد ما القضية رجعت تجمع بيننا تاني ...

_ونشوى عملت إيه وقتها؟!





_بمنتهى التهور وافقت على أول عريس جالها بعدها عشان تعند مع نفسها ...ورغم إن هو بنفسه سأل على طليقها ده قبل الجواز وقاللي إنه مش مرتاح له بس ده

بالذات اللي خلاها تتمسك بالجوازة أكتر وتعند معانا كلنا .

هزت رانيا رأسها بأسف وهي تستعيد صورة نشوى في لقائها الأخير معه ...

كم بدت مضطربة واهنة -على عكس طبيعتها المسيطرة- وكأنما تتذوق خساراتها كلها من جديد بمرآه ...

تراها لا تزال تحبه ؟!

وهو؟!

هي شعرت أن نظراته نحوها تحمل أكثر مما يفترَض...

ألا يمكن أن تحمل الأيام القادمة لهما بعض الأمل؟!!





ترجمت خاطرها الأخير لتساؤل مسموع لكن أشرف ابتسم ابتسامة باهتة وهو يرفع عينيه نحوها بالجواب الصادم:

_ناصر ...متجوز!

=========

جلست على مكتبها في المصنع تراقب فنجان قهوتها بشرود ...

_سادة...ماعدتش بشربها زيادة زي زمان ...

عبارته -التي ذكرها في مقابلته الأخيرة لها هنا- تطفو من العدم فوق سطح أفكارها فينقبض قلبها بلوعة حارقة ...

كأن الأيام لم تمر ...

لا يزال هو هو ...الفارس الوسيم ببذلته الرسمية الذي خطف قلبها منذ أول يوم رأته فيه ...





الحزم القاسي في ملامحه الذي عشقته وهي تتصوره يذوب تحت قدميها ...

لم تدرك وقتها أن عمرها هو ما سينصهر في جحيم أضرمته يداه...

وستكون أكثر صدقاً مع نفسها لتعترف ...ويداها معه !!

عيناها تدمعان وهي تتذكر لقاءهما الأخير هنا ...

نظراته العاتبة المتعجرفة إليها وكأنها طفلة ضيعت نفسها ولم تستمع لنصيحة الكبار ...

جلسته المسيطرة التي طالما مستها هيبتها والآن تزيد شعورها بهوان نفسها ...

كلماته عن "الفئران التي هي أول من يغادر السفينة الغارقة"!!

محق هو !!

طليقها لم يكن أكثر من مجرد فأر غادر سفينتهما المثقوبة ليسلمها وابنتها للغرق بعده ...





لكن ...هيهات !!

لن تسمح لنفسها بأن تهوي في هذا البئر من جديد ...

هي اكتفت بنصيبها من الرجال في عالمها ...

و"الحلم القديم" لن يرقِّع ثوب الحاضر الممزق!!

عيناها تدمعان بشرود وهي تتذكر ذاك اليوم الذي ذهبت فيه بقدميها إليه تبوح له بمشاعرها ...

الثوب "الأصفر" الذي اشترته خصيصاً لذاك اللقاء ...

والذي لم ترتدِه أبداً بعدها !!

تركته مكوماً كشرائط ممزقة في قاع دولابها القديم ذكرى سوداء منسية !!

منسيّة ؟!

تراها حقاً منسية ؟!

يقولون إن المرأة لا تنسى أول رجل أحبته...





ولا أول رجل خذلها ...

وهو كان "كليهما" معاً ...فكيف تزعم له نسياناً ؟!

تمد إصبعها تتلمس فنجان قهوتها الذي برد فتلتوي شفتاها بابتسامة تشبه برودتها ...

قبل أن تتنهد بحرارة لتتناول حقيبتها وتتأهب للمغادرة ...

هي -رغم كل شيئ- لم تخرج خالية الوفاض من هذه الحياة ...

لديها شقيقها وابنتها ...

ابنتها التي قررت أن تعوض هي غياب أبيها عنها وتمنحها السعادة التي حُرمت هي منها ...

هو دورها الذي اختاره لها القدر ...وارتضته هي صبراً !!





لهذا تناولت هاتفها لتتصل بالمطعم المنشود الذي حجزت قاعته لتقيم حفلاً لريما وصديقاتها الأطفال ...

قبل أن تتحرك لتغادر المصنع نحو مدرسة الصغيرة حيث صحبتها هي و بعض رفيقاتها إلى هناك ...

وقفت في الزاوية تصور الحفل اللطيف بكاميرا هاتفها بينما عيناها تلتمعان بسعادة حقيقية وهي ترى رقص الفتيات مع عمال المطعم الذين ارتدوا وجوه الدمى الضخمة ...

بينما الموسيقا الصاخبة تنبعث حولهم لتزيد من ضحكاتهم البريئة !!

ضحكات كانت تجد صداها في روحها التي استبدلت أنوثتها بنبض أمومتها ...

وليست بنادمة على هذا البدل !!





الموسيقا تتوقف لتجلس ريما مع رفيقاتها يتناولن الطعام بينما وقفت هي في نفس الزاوية تراقبهن من بعيد بحنان ...

شيئ ما يدفعها لتلتفت شاعرة أن هناك من يراقبها ...

وقد صدق حدسها عندما وجدته عبر زجاج واجهة المطعم واقفاً يراقب المنظر من بعيد بعينين لم تتبين حقيقة نظراتهما تحت نظارته الشمسية ...

لكن وقفته المهيمنة لم تفقد أثر جاذبيتها عليها وهي تراه يضع كفيه في جيبي سرواله بهذه الأناقة المميزة التي خطفت قلبها يوماً ...

_ناصر!

شفتاها تتمتمان باسمه بدهشة دون وعي تتعجب من وقفته الغريبة هذه ...

ربما لو لم تكن تعلم أنه يحب زوجته كثيراً كما سمعت من شقيقها لشكّت أنه يريد...

يريد ماذا ؟!





هو زهدها وهي عزباء عاشقة ترجو وصاله ...

فهل سيرغبها الآن وهي مطلقة تحمل عبء طفلة على كتفها ؟!!

ابتسامة مريرة يمر طيفها عبر شفتيها قبل أن تشيح بوجهها للحظات تطمئن فيها على ابنتها ...

وما كادت تعيد الالتفات نحو المكان الذي كان فيه حتى كان قد اختفى تماماً ...

=======

_سها!

هتف بها منادياً وهو يدلف إلى شقته بعدما أغلق الباب خلفه ...

قلبه يخفق بجزع وهو يتبين أنها المرة الأولى التي لا يجدها تستقبله عقب عودته إلى البيت ...

"مؤشرات النهاية" هذه تخنق روحه بتلك القبضة المعتصرة التي لا يجيد الفكاك منها ...

وشعوره هذا يزيد من غضبة عجزه ...





يحبها؟!

هو لم يحب امرأة سواها !!

وكيف لا وقد هبطت عليه من عليائها كنجمة سقطت في حجره !!

جمالها الأرستقراطي المميز والواشي بأصولها التركية ...

روحها الرقيقة الملائكية بتلك الشعرة التي تجيد التراقص بين الطاعة والدعم ...بين الضعف والقوة ...

وأخيراً ...عشقها العظيم له والذي تزيده الأيام قوة ...

كل هذا يجعله يدرك أي محظوظ كان عندما وضعها القدر في طريقه ...

حتى مع "عيبها" الذي تراه هي مصيبتها ...

لكنه لا يشاركها الرأي ...

هي "كاملة" بعينيه ولو انتقصها العالم أجمع !!





_ناصر.

غمغمت بها وهي تظهر أخيراً من خلف الستار الجانبي لتهرع إليه فيضمها إليه بقوة قبل أن يبعدها ليتفحص

ملامحها قائلاً بعتاب تخلل ملامحه القاسية :

_برضه كنت بتعيطي؟!

ابتسامتها ترتعش على شفتين برقة الورد لتدمع عيناها من جديد مع قولها المطمئن :

_احنا اتفقنا على إيه ؟! فترة صعبة وهنعديها ...هو ده امتحاننا الحقيقي .

عقد حاجبيه بقوة وهو يزفر بقوة ليشيح عنها بوجهه ...

فارتجف صوتها أكثر وهي تسأله :

_قابلتها زي ما اتفقنا؟!





أفلتها من بين ذراعيه ليتجه نحو النافذة التي فتحها ليطل منها طالباً بعض الهواء ...قبل أن يقول بضيق:

_رحت بس ما قدرتش أكلمها ...

ثم هز رأسه ليردف بانفعال ساخط :

_إيه الغباء اللي عايزانا نعمله ده ؟! إزاي عايزاني أتجوز ؟! وبتختاريها لي كمان ؟! مين قاللك إني عايز عيال ؟! قدر ربنا وراضي بيه ...هنتعب نفسنا وندخل الدايرة دي ليه ؟!

فتحركت لتقترب منه قبل أن تبسط كفها على ظهره لترد بتماسك يدرك أنه مصطنع :

_انت كده كده هتعملها ...يبقى بمزاجي أحسن ما يبقى من ورا ظهري!

_تاني هترجعي للكلام بالطريقة دي ؟! برضه مصرة إني ممكن أحب واحدة تانية ؟!





يهتف بها مستنكراً وهو يلتفت نحوها لترد عبر دموعها التي عادت تسيل على وجنتيها بينما تهز رأسها نفياً قائلة :

_أنا عارفة إنك مش هتحب واحدة تانية غيري ...بس كمان عارفة إنك مش هينفع تكتفي بيّ ...وعشان أقصر عليك الطريق ...أنا سمعت كلامك مع والدك الحاج في آخر زيارة ليه هنا .

شحب وجهه بارتياع وهو يتذكر هذه المحادثة التي تحكي عنها ...

والتي انتهت بقول أبيه الصارم ...

_ما بقوللكش طلقها بس الشرع حلل الجواز التاني للأسباب اللي زي دي ...آخر كلام عندي لو ما شلتش ابنك اللي من صلبك بعد سنة م النهاردة لا انت ابني ولا أعرفك .





_أنا عارفة انت بتحب والدك أد إيه وصعب عليك تعصى أوامره ...وكمان مقدرة حقك إنك تشيل ابن ليك ولو من واحدة غيري ...أنا اخترت نشوى دي عشان حكيتلي زمان حكايتك معاها ...أفتكر ده هيخلليها تقبل الوضع من غير مشاكل كتير بيننا .

غمغمت بها بصلابة يدرك أنها مصطنعة فضغط على أسنانه بقوة وهو يحيط كتفيها بقبضتيه قائلاً :

_انتِ بتتكلمي بالساهل كده عشان لسة ع البر ...هتستحملي وقت الجد تشوفيني معاها حتى وانتِ متأكدة إني ما بحبهاش؟! فاكرة إنك هتفرحي لما تعرفي إنها حامل مني ؟! المشاكل اللي فاكراها مش هتبقى كتير دي مش هتبقى مشاكل ...دي هتبقى نار بتاكلنا أنا وانتِ ...وهي كمان ...

فدفنت وجهها في صدره وهي تتشبث بخصره بذراعيها لتغمغم بين دفقات دموعها :





_نصيبي وراضية بيه ...احنا جربنا كل الحلول الممكنة ومافيش حاجة جابت نتيجة ...أنا عمري ما هابقى أم ...انت ذنبك إيه ؟!

ثم رفعت رأسها نحوه لتردف بنبرة أقوى:

_برضايا أحسن ما يبقى غصب عني ...ودلوقت أحسن من بعدين ...لو انت صبرت والدك مش هيصبر .

قالتها لتغادره بخطوات مندفعة نحو غرفتهما ليلحق هو بها لكنها سبقته لتغلق الباب خلفها بالمفتاح هاتفة من ورائه :

_سيبني دلوقت يا ناصر ...أنا هابقى كويسة ...لو عايز ترضيني كلم والدك وراضيه ...قولله إنك هتعمل اللي هو عايزه .





زفر زفرة ساخطة وهو يطرق الباب بعدها طالباً منها فتحه لكنها رفضت بإصرار جعله يغادر البيت كله إلى سيارته التي ظل يجوب بها الشوارع غير مدرك لوجهته ...

جزء من "طبيعته العملية" يوافقها فيما تزعم أنها تريده ...

هو حقه على أي حال ...

نشوى لن ترفض عرضاً كهذا إن لم يكن لظروف طلاقها وامتنانها لمساعدته أخيها ...فلأجل حبها القديم له ...

لكنه لا يستسيغ فعلها حتى ولو طلبتها منه سها بنفسها ...

ماذا عن والده ؟!!

هو العقبة الحقيقية هاهنا !!

أصوله الصعيدية التي تفتخر بإنجاب الذكور لن تتقبل أن ينتهي نسل العائلة عند ابنه الوحيد ...

آه!!





الخيار صعب ...

لكن من قال إن حياتنا كلها ميسرة سهلة؟!

فليسلك الطريق الذي يرتضيه عقله والذي ارتضته سها قبله كرامة لأبيه ...

سيحدث أشرف بشأن نشوى في أقرب فرصة ...

وليقطع على نفسه طريق هذا التردد !!

======

تركيا ...

ولاية إغدير ...

في حديقة بيت صديقه "التركيّ"يجلس العم علاء مع إيناس وغادة وسيف الذي بدا وجهه مشرقاً حقاً وهو يتفحص جمال المكان حوله ..

يحتفل أهالي ولاية إغدير شرقي تركيا، بالنوروز الذي يوافق ٢١ مارس وفق طقوس على سبعة مراحل تشمل "الصيام عن الكلام السيء"،





و"التنظيف"، و"عيد الموتى"، و"زيارة المسنين والمرضى"، و"يوم الطفل" و"يوم الشباب" و" الألوان السبعة".

ويبدأ الصيام عن الألفاظ السيئة، قبل اسبوعين من العيد، إذ يسعى الأهالي إلى نسيان آلام ومشاكل العام الماضي، وتحقيق المصالحة بين المتخاصمين.

ومع حلول النوروز، يبدأ الناس تنظيف حدائق منزلهم، وتجمع النفايات في منطقة معينة، وتضرم النيران فيها.

ويقفز الأهالي من فوق ألسنة اللهب، حيث يعتقدون أن المشاكل تحترق في تلك النار..

ويعد "عيد الموتى" من أبرز الطقوس، إذ يبدأ الأهالي

بالتوجه إلى القبور قبيل الاحتفال بالعيد، ويقومون بتنظيف المقابر.




وعقب غسل القبور المزينة بالورود، تقرأ آيات من القرآن الكريم، وتوزع مأكولات على الزوار.

وبعد الانتهاء من عيد الموتى، تبدأ زيارة المسنين والمرضى، وبعدها تنظم فعاليات مختلفة من أجل الشباب والأطفال.

أما طبق الألوان السبعة فهو طبق خاص يعد من سبعة أنواع من الفواكه أوالمكسرات، ويقوم بإعداده الأشخاص الأكبر سنا في العائلة، ويقدم للأصدقاء والجيران والأقارب، خلال تبادل الزيارات بمناسبة العيد.

ويجري تقديم طبق "الألوان السبعة" على مدار ثلاثة أيام، إيمانا بأن هذه الخطوة، توطد العلاقات بين الجيران

والأصدقاء.

هذا الذي قدمته الطفلة لغادة بينما تقول بالتركية :




_حلو ...مثلك !

ضحكت غادة وهي تقبل وجنة الصغيرة بحنان قبل أن يهتف علاء مخاطباً صديقه :

_كل عام وانت بخير .

_وأنتم بخير ...عيد النيروز هنا له طقوسه الخاصة التي ستستمتعون بها أكثر في الشوارع ...هناك حديقة عامة قريبة ...يمكننا التوجه نحوها مشياً على الأقدام ...هكذا نستمتع أكثر ...

قالها الرجل ب"التركية" التي فهمت غادة ما يكفيها من كلماتها ليبتسم سيف هاتفاً باستحسان :

_فكرة جيدة ...هيا بنا .

_سآخذ زوجتي الجميلة نستعيد ذكرياتنا وحدنا .





هتف بها العم علاء لصديقه فاحمر وجه إيناس بخجل خاصة عندما غمغم صديقه ببضع عبارات مجاملة قبل أن يدعو زوجته هو لفعل المثل ...

لتجد غادة نفسها تسير عفوياً جوار سيف في هذا الموكب القصير الذي زاده تجمع بعض الأطفال المتقافزين حولهم ببهجة وانطلاقاً ...

ضحكاتها ذات النغم المميز تطرب قلب هذا الذي يسير جوارها فيبتسم عفوياً وهو يختلس نظرات جانبية نحوها ...

السماء الصافية ...ألوان الطبيعة التي بدت وكأنها خرجت في "كرنفال" تنافسي تثير عجب الناظرين ...

أصوات البهجة حوله تتجسد في ضحكات عالية متباينة المصادر ...

وأخيراً ...





جمالها "هي" الذي يطغى على كل هذا ...

_شكلك فرحانة .

لم يجد أكثر من هاتين الكلمتين يبدأ بهما حديثه معها لتلتفت نحوه هاتفة بعفوية :

_جداً ...ماكنتش متخيلة الجو هنا هيبقى بالجمال ده .

فابتسم وهو يتعمد أن يتلكأ في خطواته نوعاً كي يبتعد بها عن الموكب وكأنه شعر بسعادة خاصة أن يحتجز

"هالتها" الخاصة له وحده ولو لدقائق ...

_وانت مش فرحان ؟!





سؤالها الذي حمل حناناً خفياً داعب جانباً ما بأوتار روحه جعل ابتسامته تتحول لضحكة قصيرة خجول مع قوله وهو يضع كفيه في جيبي سرواله بينما يرفع رأسه للسماء فوقه :

_الجو فعلاً حلو جداً ...كنت محتاج الأجازة دي .

قالها لينتبه لها وهي تركل حصاة صغيرة بقدمها لتتدحرج بعيداً فيجدها تعدو نحوها لتركلها من جديد ...

ضحك عفوياً وهو يعدو بدوره نحو الحصاة نفسها ليركلها في الاتجاه المعاكس فعلا صوت ضحكاتها وهي تلحق بها لتطيح بها نحوه من جديد فيما بدا كمباراة استمرت لدقائق بينهما قبل أن تنهيها هي بقولها بين أنفاسها اللاهثة :

_كفاية كده ...تعبت !





ورغم السعادة الصارخة في ملامحها لكنه لم يملك شعوره بالقلق حيالها متذكراً جرحها القريب ليجد نفسه يهرع نحوها هاتفاً بلهفة جزعة :

_أنا آسف جداً ...الموقف خدني وما افتكرتش إنك تعبانة .

خفق قلبها بقوة عاطفتها وهي تمنحه أجمل ابتساماتها قائلة :

_ما يبقاش قلبك خفيف كده يا دوك ...تعب عادي م الجري ...ما تقلقش...

ثم جلست على الرصيف المقابل بعفوية مردفة :

_نفسي تتخلص من إحساسك بالذنب ده ناحية الناس كلها .

فجلس جوارها محافظاً على مسافة مناسبة بينهما ليطرق برأسه مشبكاً أصابعه ...





كم يود الآن لو يخبرها أنه ليس مجرد شعور بالذنب ...

بل هو تعلُق روحه بروحها الذي يزداد يوماً بعد يوم ...

كم يود لو كان يملك جراءة التعبير ليخبرها ما الذي تعنيه له ضحكاتها ...كلماتها العفوية ...بل حتى حفيف خطواتها على الأرض ...

لكنه لا يزال مكبلاً بقيده القديم !!

الغريب أنها كانت جواره تستمع لكل كلمة جبن هو عن النطق بها !!

لم تكن يوماً خبيرة بالرجال لكنها كانت تستشعره بفطرتها ...

لهذا لم تشعر بالكثير من الإحباط بل تعمدت بدأ الحديث من جديد بقولها:

_انت فعلاً هتنزل مصر قريب ؟!




فتنهد بحرارة ليرفع بصره للطريق أمامه مجيباً بشرود :

_أكيد ...لو مش عشان أقف جنب إسلام فعشان أمي ...كل فترة تلح عليّ أنزل وأنا بتحجج بكلام فارغ ...بس الحقيقة نزول مصر بقى حمل تقيل قوي عليّ...

_عشان بتوحشك اسطنبول بذكرياتها ؟!

سألته غير غافلة عن مشاعر الغيرة الوليدة التي صارت تجتاحها من ماضيه ...

ليهز هو رأسه وهو يقول بنفس الشرود البائس:

_مش بس كده ...بس كمان بتصعب عليّ أمي وهي بتحاول تقتنعني كل مرة بالجواز وأنا مش قادر أصارحها

بالسبب الحقيقي اللي مانعني .





فأطلقت همهمة متفهمة ليلتفت هو نحوها متسائلاً باهتمام :

_لو عمو علاء و"أنّا" نزلوا معايا المرة الجاية ...انتِ هتنزلي معانا واللا هتفضلي لوحدك هنا ؟!

ارتجفت شفتاها بوهن زلزل قلبه خاصة وهو يخطف الشقاوة الطفولية من عينيها الجميلتين ليبذر مكانها

الألم ...

_مش عارفة ...مابحبش أفكر في الحاجة كتير قبل ما تحصل ..

عبارتها المموهة لم تمنحه الرضا ليعاود قوله بإلحاح :




_ممكن تعذري فضولي وتقوليلي ...ليه انتِ ووالدتك بعاد عن بعض كده ؟!

عضت شفتها السفلى بقوة وكلماته تقذف بها في الجحيم القديم ...

لكنها نهضت واقفة وهي تكتف ساعديها قائلة ببساطة مصطنعة :

_هي شايفة إنها أدت رسالتها ناحيتي ...ربتني وعلمتني وجوزتني ...ودلوقت حقها تعيش لها يومين حلوين مع جوزها !

قالتها محاولة تخفيف الحقائق لكنه انتفض واقفاً بدوره هاتفاً بحمية :

_بس ده مش مبرر إنها تسيبك كده .

_انت مش شايفه مبرر ...هي شايفاه كده ...كل حاجة في الدنيا ممكن نشوفها بأكتر من طريقة حسب زاوية تفكيرنا.





قالتها بنفس البساطة المصطنعة وهي تتحرك خطوتين معاودة السير ليتحرك هو جوارها مستشعراً المزيد من

الأسى نحوها ...

_أمي كانت دايماً تقول مش كل ست ينفع تبقى أم .

قالها بأسف حقيقي لترفع عينيها نحوه ...

وأخيراً يجد الجرأة ليعانق نظراتها بنظراته دون مزيد من الهروب ...

فقط عاطفته تقابل عاطفتها بحرارة أذابت روحيهما معاً ...

عناق دافئ لا تعترف به الأجساد...وحدها القلوب تميزه !!

_حاسس إنك هتبقى أم حنينة قوي .





لم يفكر فيها وهو يقولها كأنما ظنها مجرد أضغاث حديث مما يموج بها قلبه كعادته ...

لكنها مستها بصدقها لترد بشرود عبر ضحكة قصيرة :

_عمري ما فكرت في موضوع الأطفال ده ...حتى وأنا مع أحمد الله يرحمه ...كإني كنت حاسة إن ماليش نصيب فيه !

_ليه بتقولي كده ؟! لسه العمر كله قدامك .

يقولها بنفس النبرة الدافئة لتلتفت نحوه من جديد قائلة بعتاب رقيق:

_ممكن أسمع نصيحتك لو وعدتني انت كمان تنفذها ...

_الوضع مختلف يا غادة ...أنتِ حرة ...لكن أنا مربوط بذنبي !




قالها بقنوط وهو يطرق برأسه لكنها تحركت لتقترب منه خطوة قائلة بحرارة :

_ذنبك خلاص مابقاش مكتفك زي الأول ...يوم ورا يوم هتلاقيك بتكفر عنه بس بالطريقة الصح ...مش الغلط ...

فعاد يرفع عينيه نحوها من جديد بابتسامة شقت طريقها على شفتيه رويداً رويداً وحديث العيون بينهما يعاود تدفقه الصامت ...

قبل أن يغمغم هو بارتباك تحفظه المعهود :

_انتِ ...انتِ...مريحة !

ضحكتها المرحة تخترق قلبه قبل أذنيه وهي تعد له على أصابعها هاتفة بمرح :

_مرة تقوللي انتِ "كويسة" ومرة "مريحة" ...لا أنا كده هاتغر!





روحها الحلوة التي صارت معذبته تعاود بسط سلطانها عليه لتتسع ابتسامته على شفتيه وهو يسبل جفنيه بمزيج رجولته وخجله الآسر:

_تستاهلي أحسن من كده بس أنا... مابعرفش ...أعبر!

بوجُه المرتبك الذي تعتبره بعض النساء عيباً صادف المرأة الصحيحة هذه المرة !

هي التي كان يخفق قلبها الآن بجنون وهي تشعر بوجنتيها تكادان تحترقان من فرط خجلها ...

ومع هذا لم تكن ترغب في الابتعاد بل في المزيد من القرب من هذا الرجل الذي لا تدري كيف تزداد خطواته رسوخاً نحو قلبها بهذه السرعة !!





أفكارها تنقطع عندما رأت طفلة صغيرة تقترب منهما بابتسامة حلوة لتقدم لكل منهما زهرة ...

فتناولت خاصتها منها لتنحني وتمنحها قبلة ...

لكنها ما كادت ترفع رأسها نحوه حتى فوجئت به يمنحها هي زهرته وعيناه تصرخان بهذا الذي صمت عنه لسانه ...

لكنه وصل قلبها تاماً دون نقصان ...

هذا الذي تظلمه الحروف وتغبنه الكلمات حقه ...

هذا الذي يسمونه ..."الحب"!

======

_هو كويس ...بس الحادثة عملت له فقدان مؤقت للذاكرة .

قالها الطبيب بالمشفى خارج غرفة هيثم أمام إسلام الذي لم يكد يصل حتى وجد هذه الكارثة في انتظاره !!





انهارت جيلان في البكاء وهي تنعي مصائبها التي تتوالى واحدة تلو الأخرى ...

بينما تماسك إسلام ليسأل الطبيب بتوجس:

_والحالة هتفضل كده لحد امتى ؟!

فتنحنح الرجل ليقول بإشفاق :

_والدته حكت لي عن تفاصيل المشاكل اللي اتعرض لها مؤخراً ...المخ البشري معقد جداً ...ممكن يكون فقدانه للذاكرة حيلة دفاعية من المخ عشان يحجب عنه ذكريات هو مش عايز يعيشها ...عموماً ما تقلقش ...أغلب الحالات بترجع لها الذاكرة تدريجياً بس عامل الوقت هو المختلف!

_ممكن نشوفه ؟!

هتف بها إسلام متسائلاً ليرد الطبيب بالإيجاب قبل أن يسمح لهما بالدخول لهيثم الذي رمقهما بنظرة خاوية كأنه لم يرهما من قبل ...





ولم يكد الطبيب يبتعد لبضع خطوات حتى فوجئ بهذه التي تقدمت منه لتسأله بين دموعها :

_هيبقى كويس؟!

_مش انتِ اللي جبتيه هنا بعد الحادثة ؟!

سألها الطبيب متذكراً هيئتها المثيرة للشفقة وهي تصل به فاقد الوعي إلى المشفى هنا ...

لترد بإيماءة خافتة وهي تتذكر كيف مرت بها الساعات السابقة ...

كيف اجتث قلبها من مكانه وهي ترى تلك السيارة تطيح بجسده قبل أن يسقط على الأرض غارقاً بدمائه ...

وكيف ماتت ألف مرة وهي تشعر بالذنب إذ كل ما يحدث له هذا بسببها هي !!





_اهدي يا بنتي ...وبطلي عياط ...انتِ تقربي له إيه ؟!

سألها الرجل مشفقاً أمام انهيارها الباكي لتهز رأسها بعجز دون أن تملك الجواب ...

فتنهد الرجل ليعيد على مسامعها ما قاله لإسلام وأمه ...

هذا الذي جعل ملامحها تتجمد فجأة قبل أن تغمغم بصوت خنقه بكاؤه :

_ماعادش فاكر حاجة ؟! خالص؟!

_مسألة مؤقتة ...بإذن الله يفتكر كل حاجة قريب .

قالها محاولاً تهوين الأمور عليها لكنه فوجئ بشبح ابتسامة طاف على ملامحها الشاحبة قبل أن ترمقه بنظرة زائغة لتغادر المكان بخطوات مرتبكة..

هو لم يعد يذكر شيئاً!!

لا اسمه ولا ماضيه...

والأهم ...




لا تاريخ والده ولا استغلالها هي له هو !!

هل هي منحة القدر لها؟!

هل يمكنها الآن الولوج لعالمه من جديد ببطاقة تعارف أخرى؟!

لكن ...ماذا لو تذكر بعدها الحقيقة ؟!

صرخة صامتة تنبعث بروحها ولا تتجاوز شفتيها ...

لكن نظرة عزم حلقت ببعض الأمل في عينيها وهي تقف أخيراً على سلم المشفى ...

غداً ستعود إليه لتجد فرصتها في الحديث معه وحده ...

ستغتنم الفرصة هذه وتعيش حلمها الوردي معه - ولو كذباً- للنهاية التي ستخطها أقدارهما ...

ربما وقتها فقط تتركه غير طامعة بالمزيد!

========

مظاهرة جماهيرية !





هذا أبسط ما يمثله حادث نقل ثمر من بلدتها للتحقيق معها !!

أهل القرية الذين خرجوا خلفها رجالاً ونساء بل وبعض الأطفال يلاحقونها بسيارات كبيرة احتشدوا فيها حشداً ...

إجلالاً للعجوز التي عاشت عمرها وسطهم تزرع الحب والإيمان أينما حلت ...

التي كانت تغسل موتاهم دونما مقابل لتمنح نفسها قبلهم العبرة والعظة...

التي تقبلت قضاء ربها في مصاب ابنتها ووهبت عمرها لحفيدتيها بعدها ...

والتي -أخيراً- دافعت بحياتها عن ابنتهم الصغيرة رابحة التي -كاد- ذاك الوغد يهتك شرفها كما فعل ب"أشواق" قديماً !

لهذا لم يكن غريباً أن يحتشدوا بهذه الصورة خارج مبنى النيابة حيث يتم التحقيق في مشهد مهيب ...

ثمر ليست متهمة...

ثمر صارت رمزاً!!





هذا ما فكر به الضابط الذي يتولى التحقيق وهو يتابع مفردات القضية أمامه والتي لا يدري إلى أين ستنتهي ...

قبل أن يحيد ببصره نحو ثمر ليلقي عليها أسئلته وهو يشعر سراً بالإعجاب من رباطة جأشها رغم كبر سنها وما ينتظرها من في الأيام القادمة.

وخارج غرفة التحقيق وقفت لجين تبكي بانهيار على كتف ياقوت التي كانت تحاول الثبات لآخر لحظة ...

لو سقطت الآن فمن سيكون لثمر ولجين ؟!

لهذا اشتدت ملامحها وهي ترج لجين بين ذراعيها قائلة بصرامة :

_امسكي نفسك وما تخلليش ستّك تشوفك كده ...ما تزوديش حملها .





لكن لجين تهتف رغماً عنها بين شهقات بكائها:

_أنا السبب ...أنا اللي خفت منه ورضيت أدخلله البيت ...طول عمري مابيجيش ورايا غير المصايب ...

ثم انتفضت هاتفة بانهيار:

_أنا هاقوللهم إني أنا اللي خبيته عندنا وأنا اللي قتلته ...أنا هاستحمل السجن لكن ستي ثمر مش هتستحمل .

قالتها وهي تندفع نحو غرفة التحقيق لكن ياقوت جذبتها من ذراعها لتمسك كتفيها بقوة قائلة بنبرة ظاهرها القوة وباطنها الألم :

_ما ينفعش...أهل البلد كلهم شهدوا على ستي ثمر وهي بتعترف ...ورابحة كمان شهدت معاها ...خلاص !





_خلاص؟! يعني إيه خلاص؟! هيشنقوها؟! هتروح بلاش في واحد زي ده ؟!

هتفت بها لجين بارتياع لترتجف نظرات ياقوت التي تجاهد كي تبدو بهذا الثبات قبل أن تبتلع غصة حلقها لتقول بيقين لا تدري من حيث أتاها:

_ربنا مش هيضيعها ...هييسر لها الأمر من حيث لا تدري ولا تحتسب ...مش هي كانت دايماً تقول كده ؟!

_كانت ؟! ما تقوليش كانت دي ...ما تقوليهاش !!

هتفت بها لجين بالمزيد من الانهيار لتضمها ياقوت لصدرها بقوة فتمتزج دموعهما معاً !!

ومن بعيد وقف هو يراقبهما بشرود بعدما اجتاحته الحقيقة الأخيرة بمقتل أبيه بهذه الطريقة المخزية ...




نبضات قلبه تدوي هادرة في أذنيه وهذا الإحساس الغريب يكتسحه ...

مزيج من الضيق ...الإشفاق...الغضب...والذنب!!

ربما لو لم يهرب قديماً من مسئوليته تجاه الأمر ...

ربما لو كان قد واجه والده بعلمه بالحقيقة...

ربما لو كان قد تقرب منهما كما حاول هيثم...

لكانت الأمور الآن مختلفة !!

هيثم؟!!

صورته وهو طريح الفراش بعد الحادث لا تكاد تغادر مخيلته !!

شجارهما الأخير في آخر مكالمة بينهما لايزال يدوي في أذنيه ...

يتهمه بالجبن والتخاذل ...

أما آن الأوان أن يصلح الوضع ؟!!





يتقدم نحوهما فيرتجف قلبه أكثر وهو يضع نفسه مكانيهما بعدما علم الحقيقة كلها ...

جاءتا إلى هذه الدنيا بمجرد خطأ من أبيه دفعتا وحدهما ثمنه من البداية للنهاية...

أبيه الذي لم يكتفِ بأخطائه طوال حياته لينهيها بهذه الجريمة البشعة التي كاد يرتكبها ...

اغتصاب طفلة !!!

أي قلب أسود كان يحمله هذا الرجل الذي خدع الجميع طوال هذه السنوات ؟!!

لكن ...هل يملك الجرأة ليلومه ؟!!

ألم يعش هو بنفس الأنانية والفحش يبعثر عمره على

طاولات اللذة دونما حساب لضمير ؟!!

والآن ينهار عالمه كله حوله وكأنما آن الأوان أن يسدد فواتير الماضي كاملة !!

تلتفت نحوه ياقوت بترقب وهي لا تعرف من هو ...





لكن نظرات عينيه تشتعل بحديث صاخب صمت عنه لسانه للحظات قبل أن تنفرج شفتاه بالاسم الذي لا يمثل له الآن أي شرف ...

لكنه مضطر للبوح به ...

_إسلام حسين رجائي.

تشهق لجين بانفعال وهي ترفع رأسها بدموعها من على كتف شقيقتها لتلتفت نحوه ...

إن كانت رؤيتها لأخيها الصغير أخافتها في أول مرة...

لكن رؤيتها لهذا "الأكبر" -وفي هذه الظروف بالذات- تكاد تقتلها رعباً!!

لماذا جاء الآن ؟!

يريد الانتقام لأبيه ؟!





نفس الخاطر الذي راود ياقوت وجعلها تشعر ك"أسد مكبّل"!!

ثمر لم تشعرهن يوماً بأي ضعف !!

رغم الفقر والظروف كانت كل واحدة منهن تمشي وسط الناس بفخر وعزة ...

والآن تتزلزل هذه الأرض تحتهن جميعاً لتدرك حقيقةً إلى أي مدى هن مستضعفات !!

ربما كان هذا المبرر للهجتها الخشنة بينما تخاطب من يدعونه أخاها :

_عايز إيه ؟!

لكن إسلام ابتسم ابتسامته الساخرة وهو يعيد خصلات شعره للوراء بحركة ظاهرها عبث وباطنها خواء !!

ماذا يريد ؟!!

سؤال صعب ...والجواب أصعب!!





عيناه تنتقلان بين الشقيقتين بدهشة ممزوجة بالألم !!

إحداهما سمراء البشرة تشبه أباه كثيراً لولا هذا الطيف البريئ الطفولي في عينيها اللتين حفرتا شعوراً عميقاً بقلبه بالحميّة نحوها ...

ربما لأنها الأضعف بينهما !!

والأخرى بيضاء البشرة مبهرة الجمال لا يعرف من تشبه ...لكن ملامحها المتنمرة القوية تثير بداخله نفس الحمية ...

ربما لأنه يدرك حجم هذا الألم الذي تحتاج أن تطحَن تحت عجلاته كي -تبدو- بكل هذه القوة بينما هي حقاً بكل هذا الوهن !!

لهذا تأخر جوابه قليلاً ما جعل ياقوت تهتف بذات التنمر :

_قبل ما تتعصب وتتحمق لأبوك اللي اتقتل اعرف الأول اتقتل ليه وفين وإزاي ...هو اللي جه لحد عندنا ولو كان





الأمر بإيدي وقتها كنت بعدته عن حياتنا زي ما عشنا طول عمرنا بعيد عنه وعن كل اللي يخصه .

_بس خلاص ...ماعادش ينفع تبقوا بعيد .

اللهجة الساخرة المريرة التي تميز طريقة حديثه جعلت عبارته تحمل معنى مزدوجاً للشقيقتين اللتين تبادلتا نظرات حائرة ...

قبل أن يقترب هو منهما أكثر ليبسط كفه الأيمن على كتف لجين والأيسر على كتف ياقوت مع استطراده :

_لو هو فرط في دمه ولحمه وهو عايش فأنا مش هافرط فيه بعد ما مات .

كلماته غير المتوقعة جاءت كنسمة باردة وسط هذا الجحيم الذي فتح على مصراعيه في وجهيهما فجأة ...





لهذا لم تملك لجين شهقات بكائها وهي تلقي رأسها على كتف ياقوت من جديد ولايزال كفه يحط بقوة مؤازرة على كتفها ...

بينما أغمضت ياقوت عينيها بقوة وشفتاها ترتجفان فاضحتين رغبتها التي لم تستجب لها في البكاء...

لا وقت للضعف الآن ...

لامجال للهشاشة ...

يوماً ما ستتذكر هذه اللحظة جيداً وتبكي حلاوة شجنها ...

لكن ليس الآن ...

ليس وعالمها مهدد بفقد شمسه ...ثمر !!

لهذا دفنت فيض مشاعرها كله لتتجمد ملامحها وهي تقول بنبرة حاسمة :

_اللي عايز يكرمنا دلوقت يكرمنا في الست اللي جوه دي ...الست دي هي كل اللي باقي لنا في





الدنيا ...معرفش ممكن تعمل إيه ...بس مش هاعترف بيك ولا بأخوك لو ستي ثمر اتأذت من ورا حسين ده تاني .

اتسعت عينا لجين بصدمة وهي ترفع وجهها لشقيقتها !

لا تصدق أن يكون هذا رد فعلها على تصرفه !!

ترفض هذا الغيث وهما اللتان عاشتا هذا العمر ترتجيان ولو قطرة !!

لكن إسلام أشاح بوجهه ليقول بأسى هزم اللكنة الساخرة :

_أخويا خلاص مش هيقدر يعمل أي حاجة دلوقت .

تبادلت ياقوت ولجين النظرات القلقة قبل أن تسأله الأخيرة عبر دموعها :

_ماله ؟!





لتتسع عيناهما بارتياع وهو يخبرهما عن الحادث الأخير ...

دموع لجين تعاود تدفقها وهي تشعر أنه حتى الفرحة الوحيدة التي حملتها لها الأيام السابقة قد اقتنصتها الغربان لتحلق بها بعيداً ...

بينما لا تزال ياقوت تحافظ على ثباتها الظاهري وهي تسأله بمهنية عن الوضع الطبي ليجيبها بما يعلمه منهياً الحديث بقوله :

_هو مش فاكر أي حاجة واحنا أكيد هانخبي عليه اللي حصل دلوقت ..رغم زعلي عليه بس باقول يمكن رحمة من ربنا إنه فعلاً ينسى كل ده .

هنا التقت عينا ياقوت وإسلام بمزيج غريب من مشاعر ...

أوله شتات وآخره دفء!!





دفء غريب سرى بينهما لتشعر به يشد بكفيه على كتفيهما معاً في حركة موحية قبل أن يقطع المشهد فتح باب الغرفة لتخرج منه ثمر ...

الشقيقتان تندفعان نحوها ليضمهما صدرها في عناق قبل أن تبعدهما الأيادي عنها ...

دموعهما تنهمر وهما تشاهدانها تبتعد مع الحارسين ووصيتها تسبقها :

_خللوا بالكو من بعض ...أمر الله نفد وأنا راضية بيه .

يتبعهما إسلام وقلبه يرتج بهذا المشهد المهيب الذي رآه بعدها ...

الحشد الذي تجمع حول سيارة الترحيلات التي تقود ثمر إلى السجن ...

والذي ذابت وسطه شقيقتاه تماماً !!





الدموع الحارة من عشرات النساء وهتافات الرجال الذين يحاول الأمن تفريقهم ...

و-أخيراً- هذه النظرة العميقة الراضية من تلك العجوز التي يبتعد وجهها مع تحرك السيارة ...

هذا المشهد الذي جعله يدرك في بضع ثوانٌ قيمة حياة المرء الحقيقية !

لقد مات حسين رجائي بكل جاهه وعزه فلم تلاحقه سوى الفضيحة ولعنات أبنائه ...

بينما هذه المرأة على بساطة حالها تكاد ترتج الأرض كلها لمصيبتها !

فأي حياة عاشها ذاك وهذه كي تنتهي بهما المصائر هكذا ؟!

يشعر بكف يوضع على كتفه فيلتفت ليجده...

ناصر!!





صديق قديم بوجه حمل الحزم القاسي كعهده وإن كان هذه المرة ممتزجاً بالكثير من الخزي !

الخزي الذي قابله هو بابتسامته الساخرة كالعادة وهو يزيح كفه عنه كتفه ببعض العنف ...

قبل أن يعطيه ظهره ليقول من خلف كتفيه بذات التهكم المرير:

_اعذرني إني مش طايق أشوف وشك دلوقت ...اديني يومين تلاته كده قبل ما تفكر تكلمني ...

_إسلام ...قدر موقفي ...أنا ...

هتف بها ناصر مدافعاً بانفعال ليقاطعه إسلام بقوله دون أن ينظر إليه :

_كلام الأفلام وشغل الواجب والضمير و"البُقّين" إياهم دول مالهمش لزوم دلوقت ...اعتبرني سمعتهم ونفض الليلة !





زفر ناصر زفرة ساخطة وإن كان يتوقع رد الفعل هذا منه ...

إسلام وإن تفهم موقفه لكن شعوره بالخزي والغضب سيبقى قائماً بينهما !!

لهذا تحرك ليقف قبالته قائلاً بصوته القوي الذي حمل أسفه :

_أنا مقدر موقفك بس انت كمان قدر موقفي ...الموضوع كله كان أكبر مننا احنا الاتنين .

قالها غير قادر على منع شعوره بالخزي أمام صديقه !

والده هذا الذي كان هو وراء القبض عليه طالما أكل هو في بيته !




صداقته لإسلام ربما لم تكن قوية لكنها لم تكن عابرة ...

فقد تشاركا الكثير من الذكريات عبر سنوات لم تكن بالقليلة ...

صداقتهما لم تكن واهنة سهلة التجاوز كأشرف ...

بل كانت ولا تزال تحمل أثرها في القلب .

لكن إسلام لم يكن في وضع يسمح له بالتفهم أو حتى المناقشة ...

لهذا رمقه بنظرة منهَكة طويلة قبل أن ينهي الحديث بقوله :

_لو عايز تخدم صاحبك اخدمه في الست الغلبانة دي....اللي راح راح وبهدلتها هي مش هتفيدنا بحاجة .

فارتفع حاجبا ناصر بدهشة وهو يتابع انصرافه عقب انتهائه من عبارته ...

لقد توقع أن يكون رد فعله مغايراً تماماً لهذا ...





لكن يبدو أن الحقيقة كانت أقوى من الصدمة ...

منكوبة حقاً هذه العائلة !!

القشرة الزائفة تلاشت ليتحول عز السنوات السابقة لخزي منتظر ...

لكن من يدري لعلها بداية لميلاد جديد لكل منهم!

"اختلاف" إسلام الآن خير دليل ...لكن السؤال هنا...

هل يمكن أن تعود صداقتهما حقاً ؟!

========

يزورون القبور ليطلبوا الرحمة لساكنيها ...

فمالها اليوم جاءت لتلعنه ؟!

يرتدون السواد حداداً لكنها ترتديه اليوم يأساً...

حتى نظارتها التي ترتديها اعتزازاً بدلالتها اليوم خلعتها حزناً ..لا عليه بل على "ثمر"!!





مشهدها ووجهها يختفي تدريجياً في تلك السيارة عبر نافذة من القضبان لا يكاد يغادر مخيلتها ...

وصيتها لها ولشقيقتها بدت وكأنها وصية وداع !

ثمر وحدها من تستحق مكانة الأم والأب معاً في حياتها التي لم تعرف غيرها!!

ثمر التي قتلها -هو- بفعلته قديماً فلم يعاقبه أحد ...

واليوم يريدون لها عقاباً لأنها فقط اقتصت منه !!

لأنها منعته أن يقدم للعالم "أشواق" أخرى!!

أي ظلمٍ هذا ؟!

أي ظلم !!

تراقب اسمه المنقوش ب"أناقة" على اللوح الخرساني أمامها فتترنح ابتسامة ساخرة على شفتيها بطعم المرّ...

ماذا جنت من هذا الاسم إلا العار؟!!

عاشت عمرها كله تحاول دفنه تحت أنقاض بنت فوقها قصر مجدها ...





ولم تحسب أنه يوم ينهض كالعنقاء من تحت رماده سيهدم معه كل شيئ!!

مجرد اسم "ألصقوه" بها ظانين أنه يعصمها العار فكان هو "كل العار"!!

لماذا جاءت اليوم هنا؟!

لا تدري!!

هي وجدت قدميها مدفوعتين كي تشاهد نهاية الحكاية التي عاشت تفاصيلها بحجم عمرها كله ...

الآن ...حسين و"الخادمة" صارا سواء تحت التراب!!

فلا مقام ولا نسب !!

تشعر برائحة عطره تفوح خلفها لكنها لا تلتفت ...

هل تجرؤ على الاعتراف أنها وسط كل هذا كانت تنتظره ؟!!





اتصالاته لم تنقطع منذ تلك الليلة لكنها لم تكن تجيب ...

لم تكن تريد اقترابه الذي يشعرها بالخزي أكثر !

في كل مرة تشعر فيه أن "ياقوت سليمان" قد اقتربت من لمس نجوم مجدها ...

تكتشف أن قدميها مربوطتان بحجر يشدهما للقاع ...

حجر يذكّرها أنها "ياقوت حسين رجائي"!

فبأي وجه تلقاه وهي ترى فيه أطياف صورة "حسين" المتجبرة...

وفي نفسها -مهما أنكرت- مجرد صورة ل "أشواق" منتهَكة دونما ذنب جنته إلا ضعفها !!

الفضيحة الأخيرة تركت وصمة أخرى على الجبين الناصع ...

هي لم تعد فقط ابنة الخادمة التي أغواها سيدها ...

بل ابنة المجرم تاجر المخدرات المغتصب الذي قتلته جدتها متلبساً بجريمته !!




حكاية طريفة ستبقى مضغة في الأفواه لوقت طويل !!

بينما وقف زين مكانه يراقب جلستها بعينين مزجتا اشتياقه بالأسف!!

تهدل كتفيها ...إطراق رأسها ...سواد ثيابها ...

ورغم أنه كان لا يرى عينيها من مكانه لكن ارتجاف جسدها وشى له بانهيار بكائها !!

هذه الجلسة التي ذكرته بياسمين في ذات الموضع ...

وقتها لم يستطع إلا أن يمد لها كفاً رفضته ...واستنكف بكبريائه أن يعاود مدّه ...

لكن ...الآن شعوره مختلف !!

ياقوت ليست مجرد صورة ل"قوة امرأة أبهرته" كياسمين ...

بل هي "روح" و"ريح"!





"روحٌ"طوقته هالتها التي تسربت لمسامّه كما السحر ...و"ريحٌ" اجتاحته لتهوي به من علياء جواده فيسقط على ظهره في واديها!!

هو عشق "القوة" في كل امرأة أعجبته قبلاً ...

لكن معها -هي- هو مغرمٌ بكل التفاصيل!!

أي امرأة هذه التي يحمل ضعفها كل هذه الهيبة ؟!!

لهذا لم يشعر بنفسه وهو يتقدم منها أكثر ليقبض -بحنوّ- على كتفيها قبل أن يرفعها نحوه وكأنما تخبرها عيناه بلا كلمات أن هذه الجلسة لا تليق بها !

من مثلها لا يجثو على ركبتيه أمام المصائب بل يتلقاها واقفاً!





تغمض عينيها بقوة ليتسرب منهما الدمع الفاضح فلا تدري هل يرتجف جسدها ببكائها أم بأثر قربه ...

لا تدري كم مرة رآها باكية ..لكن ما تثق به أنه هو الرجل الوحيد الذي هتك ستر دموعها ليستبيح رؤيتها هكذا دون أن تملك مقاومة ...

مزيجٌ غريب من "الحميمية" و"الكراهية" له الآن ما يبرره !!

أنامله تنتقل من كتفيها لوجهها تمسح الدمع عنه فتفتح عينيها ببطء ...

نظراتها واهنة..كسيرة ... ذبيحة ...

وكأنما الشعلة التي خطفت "قبساً من الشمس" فيهما قد انطفأت!

نظراته دافئة...محتوية...مؤازرة...





وكأنما يعدها أن لو طلبت "الشمس" نفسها فسيضعها بين كفيها!

جسدها مرتجف ...شبه متهاوٍ ...كأنما صار السقوط هو القُربان المنتظر على مذبح البقاء !

وجسده ثابت راسخ في مكانه كأنما يمنحها من قوته هو ألف فداء!!

كلماتها تائهة...مفقودة ...

لتأتيها كلماته نبوءة...بشرى ...ودليلاً ...

_كل حاجة هترجع زي الأول وأحسن ...بكرة هيخللي كل اللي خسرتيه يبقى مكسب .

ابتسامتها المتشنجة بين سخرية ومرارة كانت الجواب لكنه نظر حوله ليسألها :





_لسه عايزة تفضلي هنا ؟!

ظلت ملامحها جامدة للحظات كأنما لا تعرف الجواب قبل أن تهز رأسها ببطء فيما لم تدرِ هل هو جواب بالنفي أم

الإيجاب ...

فأزاح كفيه عن كتفيها ليستخرج من حافظته ما رفعه أمام عينيها للحظات اتسعت فيها عيناها بمزيج من صدمة وترقب ...

قبل أن ينحني بجذعه ليدفن ما بيديه في التراب جوار قبر أبيها تماماً!!

أجل ...إنها ورقة "العشر جنيهات" القديمة !!

لماذا يدفنها ؟!

إنها جزء من تاريخها ومستقبلها ...

إنها تحتاجها !!





تحتاج أن تبقى حرقة ذكراها جمرة في روحها تذّكرها دوماً كي لا تنسى!!

كي لا تضعف!!

لهذا انحنت بدورها تضع كفها فوق كفيه تمنعه وقد ماتت الكلمات على شفتيها الذابلتين لكنه التفت نحوها ليقول بحسم :

_انسيها بقا...وانسيه !

شيئ من التمرد يغزو العينين الكسيرتين لكنهما تعودان بألم عاجز لسجنهما القديم فيعود ليستقيم بجذعه نافضاً كفيه قبل أن يقول بنبرته الحاسمة :

_كده ممكن نمشي.

ترمقه بنظرة مشتتة ولاتزال منحنية بجسدها بينما مشهد ثمر وسط رجال الشرطة تصعد سيارة





الترحيلات يعاود بسط سلطانه القاسي على قلبها ...

ماذا ستفعل امرأة بسنها ومرضها بين السجينات ؟!

لو تحملت يوماً ...أسبوعاً...شهراً...

كيف ستحتمل ما هو أكثر؟!

هذا لو اقتصرت العقوبة على السجن !!

قشعريرة باردة تسري على طول جسدها فينقبض لها قلبها وهي تتصور الأسوأ!!

تترنح مكانها وهي تحاول الاستقامة من انحنائها لكنه يسند كتفيها بذراعه ليخرج بها من المكان وقد غامت عيناها بالدموع من جديد ...

تشعر بسيارته تتحرك بهما فتراقب المرئيات بشرود عبر شريط من ذكريات الماضي وهواجس الغد ...





جسدها يرتجف من جديد ببرد تشعر به يأتي من الداخل لا من الخارج ...

صقيع يجمد حناياها كلها وتجعلها بأكملها عاجزة عن الحركة ...بل عن التفكير ...

_ياقوت!

تسمعه يناديها يحاول استخراجها من هذا البئر العميق الذي دفنت فيه روحها ...

لكنها لا تقوى على الالتفات نحوه ...

لاتزال تراقب الطريق بشرود عبر غمامة الدموع ...

تشعر بأصابعه الدافئة تحتضن برد أناملها فترتجف جفونها بين فتح وإغلاق...

_هتروحي فين دلوقت ؟!





_معرفش!

كلمة واحدة من بضعة أحرف لكنها وصفت له كم الشتات الرهيب الذي يتقاذفها الآن !!

خاصة عندما طال صمتها للحظات سبقت قولها بنبرة ميتة فقدت كل أثر للحياة :

_المركز؟! مش هاينفع... حتى لو اتجرأت أروح ...هيسألوا ألف سؤال مش هلاقي له رد ...البلد ؟! ....برضه مش هاينفع ...هادخل البيت إزاي ...وهي...هي مش فيه ؟!

انهارت بدموعها في عبارتها الأخيرة لتدفن وجهها بين كفيها وكأنها تريد عزلة عن هذا العالم ...

وعنه !!

هنا أوقف هو السيارة فجأة جانباً لتشعر هي به يقترب ...





"العناق السابع" بمذاق "السند" هذه المرة !!

الدعم...الاحتواء ...

القوة الحانية عندما تعدك بالبطش بكل من وما يهددك !!

هذا الذي فاض بين كلماته وهو يربت على ظهرها هامساً بنبرته المهيمنة التي امتزجت بحنان تسرب عبر شقوق روحها :

_اعتبريها مسألة وقت والحاجة هترجعِ بيتها ...أنا هاجيبلها أكبر محامي في البلد ...الحكم هيبقى من أول جلسة ...دي حالة دفاع عن الشرف واضحة ...ولو حاملة هم السجن لحد معاد الجلسة برضه ما تقلقيش...أنا ليّ معارف هناك ...أكلها ودواها هيوصلوا لها كأنها في بيتها ...ومحدش هناك هيضايقها ولو بكلمة....

ثم ألصق وجنته بوجنتها ليختفي وجهها كله في رحابه مردفاً :

_وده وعد مني .





لكنها ترفع عينيها إليه بطيف شاحب كسير لم يرضه هو من عينين بهذه العزة ...

فرفع كفها لشفتيه ببطء قبل أن تستقر فوقه شفتاه ب"قبلة"!

قبلة زلزلتها بقدر ما أرجفت جسدها وقلبها قبله !!

لم يقبّل "ظاهر" كفها بهذه الحركة "الأرستقراطية" الباردة التي طالما كانت تثير نفورها ...

بل مست شفتيه "باطنه" بمزيج من حنوّ وقوة فيما لم يبدُ لها كمجرد كقبلة ...

بل ك"عطاء غيث" يبدأ كقطرة ويعدك بالمزيد !!

لكن كبريائها لايزال يقف له بالمرصاد ...

لهذا ارتسم الغضب على ملامحها وهي تحاول سحب كفها منه هاتفة بنبرة عاد إليها عنفوانها :

_ما اتعودتش آخد حاجة من غير ما أدفع تمنها .





لكنه يتشبث بكفها بقوة بقدر ما
آلمتها ...أراحتها !!

ولا يزال المزيج المتناقض الذي تغوص فيه
مشاعرها يمزقها !!

خاصة عندما توهج سراجا الذهب في عينيه مع
رده :

_التمن دفعتيه من زمان ومقدم كمان...انتِ نسيتِ
اللي عملتيه مع همسة ؟!

همسة ؟!

لا يزال يصر أن هذا ما يجمعهما ...فحسب!!

يظنها حمقاء لا تعي إلى أين تصب أفعاله ؟!!

"ابن الأكابر" تعلق بها !

يظنها رهانه الجديد الذي صار الآن أكثر هشاشة
وضعفاً مما يغريه بالفوز به !





أفكار عقلها تناحرها بطغيان آسر لكن طيفاً من القلب يقتحم الصورة على استحياء ...

يستحلفها أن تثق بحدسه القديم ...

أن تخفض راية الحرب هذه ولو لساعة واحدة ...

ساعة واحدة تعيش فيها هدنة وسط هذا الدمار الذي تحياه !!

ساعة واحدة تطفئ فيها كل أضواء الإنذار هذه ...تصم فيها عن كل هذا الضجيج ...

فلا ترى ولا تسمع إلا صوت روحها ...وروحه !!

_كنتِ عند قبره ليه ؟!

سؤاله المفاجئ ينتشلها من صراعها لتبتسم بسخرية وسط دموعها الشاردة :

_هتصدقني لو قلتلك زعلت عليه بس مش بالمعنى الدارج؟!





أنامله تعاود التربيت على ظهرها برفق ولا يزال يضمها بين ذراعيه دون أن يقاطعها بكلماته بينما هي تردف بنفس الشرود المرير :

_عارف لما تعيش حياتك كلها عشان هدف عايز توصلله وفجأة يروح ؟! خلاص ...ما عادش فيه حسين رجائي عايزة أثبت له أني نجحت من غيره ...ماعادش فيه حد عايزة أكافح عشان أحط راسي براسه ...مات قبل ما أشوف في عينيه النظرة اللي اتمنيتها العمر ده كله ...النظرة اللي تقوللي إنه ندمان إنه فرط فينا زمان ...

ثم أغمضت عينيها بقوة لتردف بين دموع عادت تدفقها :

_كان نفسي يديني فرصة أسامحه ...عارف ؟! كنت ساعات أسرح مع نفسي أتخيله واقع في أزمة والدنيا كلها اتخلت عنه ...وأنا وأختي نقف جنبه ...نحسسه باللي خسره فيندم ويردنا لحضنه ...بس كنت أرجع وأقول لنفسي الحنية ما بتتشراش...واللي فرقته سنين مش هتلمّه ساعة ...ماتصدقش إن فيه بنت ما بتحبش




أبوها ...ما بتتمناش حضنه...أنا في عز ما كنت بكرهه كنت بحبه...في عز ما كنت ببعد عنه كنت بستناه ...ودلوقت أهه راح وياريته راح لوحده ده خد ستّي في الرجلين ...

تردد قليلاً ثم ضم رأسها لكتفه الذي انفطرت عليه شهقات بكائها بعدها :

_أنا مستعدة أخسر أي حاجة في حياتي إلا ستي ثمر ...والله العظيم...والله العظيم كنت هاقول إني أنا اللي قتلته عشان أفديها بنفسي بس هي اللي اتسرعت وشهدت البلد كلها ...حبيبتي كانت طول السنين دي عايشة وشايلة عارها على إيدها وما صدقت ترميه وتاخد بتارها !

لكنه يضمها لصدره أكثر وهو يهمس لها بما يوقن أنها تحتاج سماعه :

_مش قلتلك بكرة تعرفي إن كل اللي خسرتيه مكسب ...جدتك هتخرج من الموضوع ده كله رافعة




راسها ...والناس هتتأكد إنكم مالكوش أي دخل بماضيه...صفحة وهتتقفل يا ياقوت ...هتتقفل وتنسيها بكل مرّها ووجعها ...صدقيني لو عايزة تنسي هتنسي .

استسلمت لبكائها للحظات على كتفه قبل أن يرفع وجهها نحوه قائلاً بنبرته التي تمزج الود بالهيمنة :

_جدتك هاخلليكي تزوريها في أقرب وقت وتطمني عليها بنفسك ...وأنا مش هيعدي يوم لحد معاد الجلسة إلا وأنا باعتلها اللي يطمننا عليها هناك.

ترددت قليلاً ونفسها تسول له شكراً لكنها لم تستطع !

لا تزال خبايا الصدور عالقة بينهما !!

لهذا نأت بجسدها عنه مكتفية بإشاحتها لوجهها عنه وكأن العناق -الذائب بحميمية البوح بينهما منذ قليل- لم يكن !!





فتنهد هو بحرارة قبل أن يعاود تشغيل السيارة بقوله :

_مادام مش عارفة تروحي فين ...خلليني أنا أقرر .

_لا.

تقولها بنبرة عاد إليها بعض العنفوان لتردف دون أن تنظر إليه :

_الشغل هو الحاجة الوحيدة اللي ممكن تخرجني م اللي أنا فيه...والحالة الوحيدة اللي ممكن أتعامل معاها دلوقت بره المركز هي همسة .

فارتفع حاجباه بدهشة للحظة قبل أن تلين شفتاه بابتسامة إعجاب!!

هذا هو "شكرها غير المنطوق" له !!

امرأة مثلها لن تفرغ كلمات الثناء على مسامعه لهذا سترد له صنيعه بطريقتها !!!





لكن من يخبرها أنه لا يفعلها كمعروف ينتظر رده ...

بل كمجرد خطوة لإرضائها ...

لاعتذار لايزال هو الآخر عاجزاً عن البوح به !!

أجل إن كانت هي تشكر -بطريقتها- فهو الآخر يعتذر -بطريقته -!!

لهذا اتسعت ابتسامته أخيراً وهو يعاود تشغيل السيارة في طريقه لبيت رائد الذي لا يدري هل من الرشد أن يواجهه الآن ...

أم لا يزال سيكتفي بالمراقبة من بعيد ؟!!

========

_ماما!





يهتف بها رائد بصدمة وهو يفاجأ بها عند بوابة البيت يمنعها حارس الأمن من الدخول لتجيبه هي بعصبيتها الهستيرية :

_كويس قوي إنك فاكر إن لسه عندك أم ...كنت هتفضل مخبي عليا لحد امتى إنك هنا مع البنت دي ؟!

شحب وجه رائد وهو يشعر بالخوف ...

لو وصلت إليه أمه فسيعرف زين حتماٌ ولن يضمن رد فعله !!

_عرفتي المكان إزاي؟!

يسألها بقلق وهو يتابع خطواتها المندفعة للداخل لتجيبه بنفس النبرة العصبية :

_صاحبك قاللي بعد ما لقى ضغطي علي وكنت هاروح فيها ...




ثم تلفتت حولها تراقب المكان بحسرة غاضبة مردفة :

_كل ده عامله عشانها ؟! هي مجنونة وانت أجن منها !!

صراخها العصبي يزيد انفعاله فيهتف بها مشيراً لداخل البيت :

_تعالي ندخل نتكلم جوه يا ماما ...همسة ممكن تسمعنا !

لكنها تعاود صراخها العصبي ورؤيتها لكوخ همسة القريب تزيد غضبتها :

_انت فعلاً اتجننت !! تودي نفسك في داهية عشان بنت زي دي ؟! مش عارف زين ممكن يعمل فيك إيه ؟!

_مش هيقدر يعمل حاجة ...مش هاسيب همسة مهما حصل .




يقولها بحزم قلق وهو يجذبها برفق كي يدخلها للبيت لكنها تنفض ذراعيه عنها هاتفة :

_مش بقوللك عقلك راح خلاص...سايب شغلك وحالك وقاعد هنا جنب واحدة مجنونة ...طب هي حياتها وقفت ...لكن انت توقف حياتك ليه ؟!

_همسة مش مجنونة ...أنا السبب في اللي حصللها ...وأقل حاجة أعملها إني أصلح غلطي!

يهتف بها مدافعاً لتصرخ هي به بينما تكزه بسبابتها في صدغه :

_تقوم تخطفها وتقعدها عنها غصب ؟! بصفتك إيه ؟!

_مراتي...مراتي يا ماما !!





صرخ بها هو الآخر بانفعال لتتجمد ملامح المرأة بصدمة قبل أن تتراجع خطوتين للخلف مكررة بذهول :

_مراتك ؟! مش ممكن ...

ثم هزت رأسها لتهتف باستنكار:

_مأذون مين ده اللي رضي يجوزك واحدة مجنونة ؟! العقد ده باطل !

لكنه زفر بسخط ليقترب منها مصارحاً ببقية الحقيقة :

_همسة مراتي من يوم ما هربنا سوا زمان ...بس أنا ماقدرتش أقول من وقتها .

شهقتها الملتاعة تسابق كفها الذي تحسس رأسها لتهتف وقد بدت على وشك فقدان الوعي:

_يادي المصيبة ...يادي المصيبة !!





_اهدي يا ماما عشان ضغطك ما يعلاش ...أرجوكِ ادخلي معايا جوه .

هتف بها بقلق راجٍ وهو ممزق بين خوفه الحقيقي على أمه التي يدرك أين يمكن أن يوصلها انفعال كهذا وبين همسة التي يخشى أن تكون قد وعت شيئاً من هذا ...

خاصة عندما ظهرت له الخادمة تفتح باب الكوخ لتشير لفمها محذرة بهلع...

فازدرد ريقه بتوتر ليسحب أمه برفق نحو البيت محاولاً تهدئتها ...

وفي مكانها كانت همسة تجلس معصوبة العينين أمام النافذة والصراخ الغاضب يصلها من الخارج بصوت لم تسمعه منذ زمن بعيد ...

قلبها يخفق بجنون وهي لا تكاد تعي من الصراخ إلا كلمات بعينها ...

مجنونة...

مراتي ...

هربنا سوا...

مجنونة ...مجنونة....مجنونة !!

الكلمة الأخيرة تتكرر بدوي منتظم في جنبات عقلها فترفع ركبتيها لصدرها على كرسيها تحتضنهما بذراعيها لتسند عليهما وجهها مع أنّات خافتة موجعة جعلت خادمتها تهرع نحوها تحاول تهدئتها ...

لكن "نداهة" عالمها القاهرة عاودت سحبها لذاك الجانب المظلم الذي لم تفق منه سوى عندما شمت رائحة عطره ...

عطره الذي اكتسح حجبها السوداء لتنتفض مكانها فجأة وهي تهرع نحوه ...

لا تراه بعينيها لكن قلبها يميز إيقاع حضوره ...

ذراعاها يتعلقان بعنقه بأقصى قوتها فيضمها نحوه وهو يكاد يبكي عجزاً!!!





هو -بالكاد - تمكن من تهدئة أمه الغاضبة التي رجاها البقاء بداخل البيت ليتمكن من الخروج إليها هي ليجدها في هذه الحال !!

صوت أنينها الموجع يكاد يشق أذنيه وهي تمرغ وجهها في عنقه كأنما تشكو إليه بصمت فينعقد لسانه في حلقه وهو يخشى الكلام!!

يخشى ألا تتقبل صوته من جديد بعدما سمعته !!

لهذا اكتفى باحتضانه الصامت لها مع تربيت شفتيه المتبتل على وجنتيها بينما همسها المتضرع يذبحه ...

_رائد...خايفة...

كلمتان فقط لكنهما زلزلتا قلبه بمعناهما وهما تبددان خوفه من انتكاستها لتنساب كلماته في أذنيها بينما ذراعاه يتحركان على طول ظهرها كأنه





يود لو يلتصق بها في كيان واحد فلا يفرقهما شيئ:

_ما تخافيش يا حبيبتي ...أنا معاكِ...خلاص مفيش حاجة في الدنيا ممكن تبعدنا تاني .

دموعها الحارة تلهب بشرته فيبعد وجهها قليلاً ليمسحها بأنامل مرتجفة هامساً بصوت جاهد ليكون هادئاً:

_بتعيطي ليه ؟! مفيش حاجة حصلت ...لسه انتِ في بيتك...معايا...لسه عندنا كل الحاجات الحلوة اللي بتحبيها ...اللي عملتها مخصوص عشانك انتِ بس...

ثم أخذ نفساً عميقاً يتمالك به انفعاله ليردف وشفتاه تدللان شفتيها :

_تحبي تنزلي البيسين زي ما وعدتك امبارح ؟!





يشعر بجسدها يستكين نوعاً فيتنهد ببعض الارتياح وهو يربت على وجنتيها هامساً :

_هننزل سوا عشان ما تخافيش ...بس توعديني تبطلي عياط ...اتفقنا؟!

إيماءتها الخافتة تمنحه جواباً مرضياً فيبتعد بجسده عنها لكن ذراعيها يتشنجان حول عنقه أكثر فيعاود ضمها إليه هامساً :

_ الجو النهارده برد عليكي ...ممكن بلاش "مايوه "ونبلّ رجلينا بس ؟!

زمة شفتيها الغاضبة بطفولية ترد إليه بعض السكينة فيضحك ضحكة قصيرة أفرغ فيها توتره لينحني فيحملها فجأة !!

ضحكاتها التي عادت لصفائها وكأنما تبدلت مشاعرها في لحظات تسكره بصوتها العذب وهو يتحرك بها ليتوجه نحو المسبح القريب الذي استقر





بها جالساً على طرفه قبل أن يمدد ساقيها أمامه لتلامس الماء ...

تعاود الضحك بطفولية وجسدها يقشعر من البرودة المفاجئة لتتعلق بذراعيها في عنقه أكثر ...

فيضحك بدوره وهو يشدد ضغط ذراعيه على خصرها هامساً في أذنيها بحنان :

_بكرة الجو هيبقى أحسن ...هاعوم بيكِ زي ما اتفقنا .

تبتسم ابتسامة نقية وهي تحاول مد ساقها في الماء أكثر دون أن تتفلت من ذراعيه فيبتسم بدوره وهو يشعر أنها تستعيد روحها الشقية المغامرة من جديد ...

يتأوه بخفوت وهو يضمها نحوه أكثر ليسند رأسها على صدره محاولاً التغلب على قلقه ليسألها بحذر:





_اوصفيلي المنظر حواليكي يا همسة..شايفة إيه ؟!

يسألها ولا أمل لديه في الجواب مع ما يعرفه عن ندرة

كلامها ...

لكنه كان يريد بحق في هذه اللحظة أن يعرف كيف تشعر ...

كيف ترى ما حولها حتى وهي معصوبة العينين ...

لهذا ارتجف جسده بقوة مع جوابها ...

_جنة !

آهة عميقة تنبعث من صدره وهو يعتصرها بين ضلوعه بينما يحني رأسه على رأسها ...

آهة هي مزيج من تعب وراحة...





من خوف وأمان ...

من ذنب عاش عمراً يتلظى بجحيمه والآن يبدو له صك الغفران قريباً ...

قريباً جداً ...بقربها هي!!!

_فعلاً جنة يا حبيبتي ...جنة بتبدأ وتنتهي عندك انت وبس...جنة بتبنيها ضحكتك ...لمستك...كلامك اللي بتقوليه واللي حتى مابتقوليهوش ...بس بحسه بقلبي اللي ملكتيه ...اوعي تخافي حبيبتي وأنا معاكي...عمري كله فداكِ.

الصدق الحار الذي ذابت به كلماته يغمرها بدفئه فتسحب ساقها من الماء لتلتصق بكليتها به ...

تنكمش بين ذراعيه أكثر وكأنما تجد بغيتها من الأمان بين ضلوعه ...





تمرغ وجهها في صدره بينما ترفع أناملها تتحسس ملامح وجهه كأنما تعيد رسمها ...

لينبعث همسها من جديد كأعذب لحن في أذنيه :

_ماعدتش خايفة.

عيناه تدمعان بتأثر وهو يقبل وجنتها بعمق قبل أن تحين منه التفاتة قلقة نحو مبنى البيت القريب حيث تنتظره مواجهة ساخنة مع أمه لا يدري أين ستنتهي لكن ما يثق به أن الأولوية لهمسة ...

هي فقط دون سواها !

بينما كانت أمه في النافذة تراقب جلستهما بعينين مشتعلتين غضباً وحقداً !!

"ابنة الخائن والأفعى" نجحت في الاستحواذ على قلب ابنها حتى وهي في هذا الحال المتدني ...

خاطر بعمله ومستقبله كي ينعزل بها في مكان كهذا ...





لكنها لن تسمح لها ...ولـه !!

ابنها يستحق من هي أفضل من فتاة وضيعة فاقدة الأهلية كهذه ...

وإن كان هو لا يعرف مصلحته فهي تعرفها ...

هذه الزيجة-التي يزعمها- لن تستمر ...ولو على رقبتها !!

=======

_اوف! ده اللي عملت حسابه !

هتف بها زين بقلق غاضب وهو يتوقف أمام البوابة الخارجية لبيت رائد وقد تعرف على سيارتها لتسأله ياقوت بتوتر:

_فيه إيه ؟!

_سوزان هنا!

هتف بها باقتضاب وهو يغادر السيارة متجهاً بخطوات شبه راكضة نحو البوابة لتهرع هي خلفه هاتفة :

_سوزان مين ؟!





_والدة رائد !

جوابه ينقل الغضب القلق إليها وهي تتصور تأثير وجودها على همسة في هذا التوقيت لتلحق به هاتفة بانفعال عبر أنفاسها اللاهثة :

_ما تقلقش رائد مش هيخللي حد يأذيها ...

حدجها بنظرة غاضبة لتردف هي بنفس الانفعال وهي تشير لحارس البوابة :

_أنا واثقة فيه وعارفة إنه هيتصرف كويس .

كز على أسنانه بغضب وهو يشاهد البوابة تفتح ليطل وجه رائد من خلفها فتتسع عيناه بصدمة للحظة وهو يرى زين أمامه ...

قبل أن يرمق ياقوت بنظرة متهمة عاصفة جعلتها تهتف مدافعة بعصبية :





_ما تبصليش ...هو عرف لوحده وكان مسيره يعرف ...المهم دلوقت والدتك عملت إيه مع همسة ؟!

زفر رائد بسخط وهو يحكي لها عن الأمر لينهي الحديث بقوله :

_همسة نايمة دلوقت بعدما الموقف عدى بس ماما لسه جوه ...مصرة إن الوضع ده ما يستمرش وإني أرجع معاها البيت .

_أنا سكتت ع الوضع ده عشان كان في مصلحة همسة لكن مادام الأمور وصلت لكده فأنا ...

هتف بها زين بانفعال ليقاطعه رائد بهتافه الثائر:

_مالكش تسكت أو ما تسكتش ...همسة مراتي ومش هتسيب بيتي إلا على جثتي.

_ما تستفزنيش أقلب الترابيزة على دماغك يا رائد ...أنا ماسك نفسي بالعافية !





صرخ بها زين بانفعال بعيد عن بروده المعهود لتدرك ياقوت أن الأمور توشك أن تخرج عن السيطرة قريباً لهذا وقفت بينهما لترفع كفيها هاتفة بصرامة :

_أموركم العائلية دي تحلوها بعدين ...اللي يهمني دلوقت هي همسة والكلمة الأولى والأخيرة لي أنا ...وأنا بقول إنها هتفضل هنا مع رائد ...

رمقها زين بنظرة مشتعلة لتلتفت هي نحو رائد مردفة بنفس الصرامة :

_بشرط توعدني إن مفيش حد يضايقها هنا ...لأن ده لو حصل فأنا اللي هامشيها من هنا بنفسي .

زفر رائد زفرة ساخطة وهو يشيح بوجهه لكن زين تخطاه ليتوجه نحو الداخل بخطوات راكضة فتحرك مع ياقوت ليلحقا به ...

ولم يكد يدلف إلى داخل البيت حتى استقبلته سوزان




بملامح عاصفة ناسبت هتافها الثائر:

_الوضع ده لازم يتصلح يا زين ...لو مش عشان ابني فعشان سمعة أختك اللي هتبقى في الأرض لو الناس عرفت إنها هنا معاه ...خلليه يطلقها ورجع أختك لبيتك ويا دار ما دخلك شر !

لكن زين يأخذ نفساً عميقاً لتعود ملامحه لبرودها القاسي مع قوله :

_ياريت حضرتك تتفضلي بره...والبيت ده ما تدخليهوش تاني .

اتسعت عينا ياقوت بترقب وهي تشعر للحظة بالإشفاق نحو المرأة التي ازداد احمرار وجهها مع هتافها وهي تشير لرائد :

_انت بتطردني من بيت ابني ؟!




اشتعل وجه رائد بالمزيج من الغضب والعجز وهو لا يدري بماذا يرد ...

ولا كيف سيتصرف لو استيقظت همسة ليصل لسمعها كل هذا ...

لكن ياقوت تقدمت من المرأة لتقول برباطة جأش زادتها مهنيتها قوة :

_بعد إذن حضرتك ...أنا ياقوت سليمان الدكتورة المسئولة عن حالة همسة ...

رمقتها المرأة بنظرة مستهينة وهي تتفحصها من أسفل

لأعلى بهيئتها الهزلية لتشير لها بسبابتها هاتفة بازدراء:

_انتِ بقا اللي هتعالجيها ؟!

فتحرك زين ليقف خلف ياقوت تماماً في دعم واضح هاتفاً بنبرته المهيمنة :





_ياقوت فعلاً عملت اللي محدش قبلها
عمله ...واللي يتكلم معاها يعاملها باحترام
تستاهله .

نقلت المرأة بصرها بينهما للحظات وقد أخبرها
حدسها
الأنثوي أن شيئاً ما يدور بينهما أكبر من كونها
مجرد طبيبة ...

نظراتهما تحمل معاني أكبر مما يفترَض!

لكن ...أيعقل أن ينجذب زين لامرأة كهذه ؟!

وما يمنع ؟!

ألم يفعل مثلها أبوه يوماً ؟!

لهذا نفثت حقدها القديم في وجهيهما معاً وهي
تهتف بنفس العصبية الساخرة :





_ومحموق عليها قوي كده ليه دي كمان ؟! معقول يكون اللي في بالي صح ؟!

احمر وجه زين بانفعال نفرت له عروق جبينه خاصة عندما نقلت سبابتها بينهما مردفة :

_وليه لا؟! من شابه أباه فما ظلم !!

العبارة القاسية ارتدت في صدره ...وصدر ياقوت قبله !!

الآن فقط تدرك أنها صورة من "ماضيه المشوه " كما هو كذلك صورة ممسوخة لماضٍ مشابه لديها!!

هي ...أمام زوجة أبيه...

وهو ...أمام والدها ...

فيالسخرية الوضع!!

ربما في ظروف أخرى غير هذه لكانت دفعتها طبيعتها النارية لرد إهانة المرأة بمثلها
لكن ...الآن !

الآن يمنعها انكسار روحها بمصابها في ثمر من الانتصار

لأي شيئ ولو لكبريائها العزيز ...

لهذا ما كادت تشعر بتقدم زين العصبي نحو المرأة وانفراج شفتيه المنذر بهجوم قاسٍ تعرفه حتى بادرت هي لتقف بينهما ...

قبل أن تخاطب سوزان بنبرة لم تفقد قوتها رغم كل شيئ:

_من غير جدال ومشاكل جانبية أنا بطلب منك بصورة انسانية وبحكم مهنتي إنك تمشي من هنا لإن وجودك ممكن يسبب لها انتكاسة واحنا ما صدقنا حالتها تتحسن .

زفر رائد بقوة وهو يشعر أنه محاصر بين جميع الأطراف ...





يعلم أن والدته تمادت كثيراً بحديثها لكنه لا يملك أن يطردها من بيته ...

ياقوت استجدت انسانيتها ...لعله التصرف الصحيح الآن!

بينما توهجت عينا سوزان بنظرة مشتعلة ليراودها ذهنها بما جعلها تهدأ قليلاٌ قبل أن تقول لزين بنبرة مستفزة :

_ع العموم ابني مش هيخسر حاجة ...حتى لو اتجوز واحدة مجنونة ...نصيبها في ورث أبوها هيعوضه !

_ماما!

صرخ بها رائد باستنكار وهو يشعر أن "السيناريو" القديم على وشك أن يعاد بحذافيره باختلاف أن زين من يقف





الآن وليس أباه...

لكن المرأة صرخت بابنها بعصبيتها الهستيرية :

_أنا خارجة وسايباهالك ...بكرة تندم ع الجنان اللي انت فيه ده .

قالتها وهي تسحب حقيبتها لتغادر بخطوات مندفعة لتصطدم بالخادمة التي دلفت لتوها للداخل تخبرهم باستيقاظ همسة ...

فتنحنحت ياقوت لتتنقل بصرها بين "الأسدين الجريحين" اللذين كانا في هذه اللحظة على وشك الصراع فتقول بصرامة لم تخلُ من طيبتها المعهودة :

_أنا هاروح لهمسة وانتو صفوا اللي بينكم ...بس حطوها هي في الأول قبل أي حسابات ..لو جرالها حاجة محدش فيكم هيسامح نفسه .

قالتها ثم رمقت زين بنظرة ذات مغزى لتغادر بعدها مع الخادمة نحو الكوخ الخارجي الذي تشغله همسة ...




بينما وقف كلاهما يناظر الآخر بنظرات مشتعلة حملت ما حملته من التناقض الذي جعل زين يقترب منه ليجذبه من قميصه فجأة نحوه ليغمغم من بين أسنانه :

_انت عارف أنا عايز دلوقت أعمل فيك إيه ؟! طول السنين اللي فاتت دي وانت مستغفلني ...مديك الأمان وانت تضربني في ظهري ...رغم انك اكتر واحد عارف ان دي الحاجة اللي ما بسامحش فيها !

لكن رائد نفض ذراعه عنه ليهتف بعينين متقدتين :

_لو بطلت تشوف بعينيك أبعد من زين بيه العظيم اللي الدنيا كلها المفروض تلف حواليه هتفهم إني ما عملتش أي حاجة إلا وحاطط همسة بس قدام عيني ...يمكن غلطت زمان لما هربت بيها لكن كل





السنين دي بكفر عن ذنبي ...ومش هاسمح لأي حد ..أي حد يحرمني منها تاني .

هنا ضاقت عينا زين وهو يستعيد ما ذكرته سوزان منذ قليل ليقول ببرودة صوته القاسية :

_ماشي...واهي معاك...وريني هتحافظ عليها إزاي ...

كز رائد على أسنانه بقوة ليردف زين بنفس النبرة :

_وابقى بلغ الست والدتك إني أنا الوصي على ورث همسة ..لحد ما تخف بالسلامة وتاخده بنفسها ...يعني أختي مش مطمع لأي حد !

_وانت عارف كويس إني مش طمعان فيها ...زي ماانت عارف كويس مين اللي ظلمها من الأول للآخر ...بس انت بتكابر عشان ماتعترفش ...





هتف بها رائد بحدة وهو يشير نحوه بسبابته ليردف بنبرة أقسى:

_زي ما بتكابر طول السنين دي وانت بتقنع نفسك ان اللي بتديهولها كفاية ...انك الاخ الحنين اللي مفيش زيه ...وان مفيش حاجة تتعمل اكتر م اللي بتعمله ...لكن الحقيقة جواك وانت عارفها ...انت لسه مشيلها الذنب القديم ...لسه شايف في حياتها موت والدتك زمان ...

_كفاية !

صرخ بها زين بانفعال ليصرخ فيه رائد بدوره :

_لا مش كفاية وان كان كلامنا المرة اللي فاتت مافوقكش يمكن يفوقك المرة دي ...أنا ما خطفتش همسة ...أنا خدت حقها وحقي اننا نعيش بره السجن اللي عملتهولها وسكتّ بيه ضميرك ...همسة ليها حق في بيت الفايد زيها زيك

بالضبط ...حقها تدخله وتعيش فيه مش تفضل منبوذة في أوضة براه...حقها تطلع للنور والناس




تشوفها معاك مش تتحبس لوحدها ..حقها اللي خلاص ماعادتش محتاجاه وهي دلوقت في بيتي ...في بيتها ...وان كنت مكسوف تطلعها للناس وتقول انها اختك فانا مش هتكسف أقول للدنيا كلها انها مراتي .

كلماته لم تكن مجرد كلمات !!

بل كانت نصالاً قاسية تمزق قلب هذا الذي يقف أمامه يدعي الشموخ بمكابرة !!

هو محق !!

للأسف محق!!

كل كلمة بل كل حرف قاله عرّى له حقيقة ذنبه !!

ذنبه الذي لايزال يخجل من الاعتراف به !!

لهذا غص حلقه بمرارته وهو يتحرك ليعطي رائد ظهره قبل أن يتحرك نحو النافذة القريبة ...




عيناه تصطدمان بذاك الكوخ المزهر هناك فيجد نفسه دون وعي يقارنه بغرفتها الكئيبة في بيت الفايد ...

شعور رهيب بالخزي يجتاحه وهو يشعر ب"التقزم"في هذا الموقف ...

ماذا فعل هو لهمسة كي يتبجح ويعاتب رائد ؟!

رائد الذي تقدمت حالتها معه في أيام ما لم تحققه في سنوات بقائها معه !!

رائد الذي واجه لأجلها والدته ...بل وواجهه هو قبلها ...

في حين عاش هو عمره يشعر بالخزي منها باطناً وإن أظهر عكس ذلك !!

لكن كبرياءه الغاشم جعله يقول بنبرة صقيعية حادة :





_هتقول للناس انها مراتك إزاي دلوقت ؟! هتفضح إنك هربت بيها زمان ؟! هي دي الطريقة اللي هترفع بيها راسها دلوقت زي ما بتقول؟!

أطرق رائد برأسه وهو يدرك أن زين -كعهده- يجيد اختراق الثغرات ...

إعلان زواجه بهمسة الآن بهذه الطريقة لن يزيد موقفهما

إلا سوءاً !!

لهذا تحرك نحو زين ليقترب منه بخطوات متثاقلة وعيناه تحطان بدورهما على ذات الكوخ بالخارج صامتاً للحظات ...

قبل أن يقول له بنبرة متثاقلة :

_يوم ما اتجوزنا وعدتها إني ما ألمسهاش إلا لو أعلنت جوازنا قدام الناس كلها ...

ثم أغمض عينيه ليردف :





_وأنا لسه عند وعدي !

فالتفت نحوه زين بحدة وكلامه الأخير يؤكد صدق ظنه بنُبل قريبه رغم كل شيئ!

إذن همسة لا تزال عذراء !

حافظ عليها كل هذه السنوات لأجل وعد قطعه لها ألا ينالها إلا مرفوعة الرأس!

حتى وهي الآن في بيته لايزال قادراً على حمايتها حتى من نفسه !

من هو كي يأتي الآن ويحرمه منها ؟!!

لقد ظن أنه يفعلها -تفضلاً- منه لأجل مصلحة أخته...

لكنه يعترف الآن فقط أن رائد يستحق أن تبقى معه لأجل خاطره هو !!

هذا الإدراك الأخير الذي منعه كبرياؤه من الاعتراف به كذلك ليعاود الإشاحة بوجهه قائلاً بصوت هدّه انفعاله :





_يبقى تحافظ على وعدك لحد ما تخف ونقدر نعلن للناس جوازكم ...ولحد ده ما يحصل هاسمح لها تفضل هنا بس من غير ما أي مخلوق يدخل لها ...ولا حتى والدتك .

تنهد رائد بمزيج من تعب وارتياح وهو يشعر بأن أحداث اليوم العصيبة استنزفته تماماً ...

خبرته بزين تؤكد له أن حديثه الأخير بمثابة وعد لن يخلفه ...

زين صار في جانبه وهو مكسب عظيم في معركته لنيل أميرته ...

لكن تبقى العراقيل كثيرة ...

لن تكون أمه أولها ولا آخرها !!

لهذا صمت طويلاً قبل أن يضع كفه على كتف زين الذي التفت نحوه ليبادره رائد بسؤاله المفاجئ:

_اتجوزت ياقوت ليه ؟!





اتسعت عينا زين بصدمة وهو لا يستوعب السؤال لأول وهلة ...

قبل أن تلتوي شفتا رائد بابتسامة ماكرة ناسبت قوله :

_انت أذكى من إنك تكدب عليّ أنا بالذات في حاجة زي كده .

فالتمعت عينا زين بغضب للحظات قبل أن ترتخي ملامحه عائدة لبرودها المعهود مع جوابه :

_وعشان بحترم ذكاءك وذكائي مش هارد ع السؤال ...

ثم شرد ببصره مردفاً ببطء :

_لأني ...ببساطة...ماعرفش !

_بس أنا عارف!

يقولها رائد بنفس النبرة الماكرة ليزيح زين كفه عن كتفه ببرود دون رد ...

لكن لهجة رائد تغيرت للكثير من الرجاء الممتزج بتحذير خفي :

_ياقوت مش زي غيرها ...لو مش هتحافظ عليها ماتكسرهاش .

ورغم أن العبارة وخزت قلبه بتأنيب خفي لكنه تعمد تغيير الموضوع بقوله الصارم :

_اتصرف مع والدتك وخلليها تمسك لسانها ...أي شوشرة على همسة مش هتسامح فيها .

فزفر رائد بقوة قبل أن يومئ برأسه وقد أنبأته خبرته به أنه لن يسمح بالمزيد من الحديث عن "الموضوع الآخر"!





وفي مكانها وقفت همسة لاهثة عقب الكابوس الرهيب الذي رأته في نومها تتلفت حولها بخوف ...

تود لو تعصب عينيها كي يعود فارسها مع عناق بمذاق

الأمان ...

لكن حتى هذا تجبن عنه الآن !!

لهذا لم تكد تلمح الباب يفتح لتدخل منه ياقوت حتى اندفعت نحوها تطوقها بذراعيها بقوة كادت تسقطها أرضاً !!

هنا لم تستطع ياقوت منع دموعها وهي تشعر بعناق همسة هذه المرة يحمل لها طعماً آخر ...

كم تشفق عليها ...وكم تغبطها !!

تشفق عليها من ماضٍ يشبه ماضيها ...وتغبطها على قوة عاشق -كرائد- لم تحظَ هي بمثله!!

قديماً كانت تجد نفسها أكثر حظاً منها هي ب"ثمر"...





لكن الآن ؟! الآن !!

لم تملك دموعها عند الخاطر الأخير ودرع "مهنيتها" الذي طالما تحامت خلفه يسقط تحت قدميها لتجد نفسها تضم همسة بقوة وسط شهقات بكائها التي علا صوتها للحظات لم تشعر هي بها حتى سمعت همسة تسألها بصوتها البريئ:

_بتعيطي ليه ؟!

ربما لو كانت ترى الأمور الآن بعين "مهنيتها" لابتسمت فخراً بتقدم الحالة حد وصولها هذا الإدراك والاهتمام ...

لكن انهيارها الداخلي غير المسبوق جعلها تخفي وجهها في كتف همسة لتغمغم بين دموعها :

_انتِ كويسة ؟!




لكن همسة ربتت على ظهرها برفق لتعاود سؤالها بنفس النبرة البطيئة :

_بتعيطي ...ليه ؟! أنا...صاحبتك !

هنا لم تملك ياقوت نحيبها المرتفع وهي تشدد قوة عناقها لها هامسة بانهيار :

_حد عزيز عليّ قوي غاب عني ...ادعيلي يرجع لي .

ورغم أن ما فعلته لم يكن ينتمي بأي حال لقواعد مهنيتها ...

لكن تجاوب همسة الصادق معها منحها العزاء وهي تربت على ظهرها قبل أن ترفع وجهها للسماء بتمتمة شفتيها التي بدت كدعاء صادق بريئ جعل ياقوت تبتسم ببعض

الأمل ...

قبل أن تشعر بذراعه -هو- على خصرها !!!





أجل...أحد ذراعيه كان يستريح الآن على خصرها
هي بينما الآخر يطوق خصر همسة التي فوجئت به
لتلتفت نحوه قبل أن تطلق صيحة عالية قبل أن
تترك ياقوت لتتعلق بعنقه هو !!

ثانية واحدة...أو ربما بضع ثوانٍ شغلها هذا العناق
الثلاثي الذي زلزلها قبل أن تبتعد عنه منتفضة
وهي تتلفت حولها تطمئن ألا أحد رآها!!

ثانية واحدة...أو ربما بضع ثوانٍ ...من أمان
"مختلس" سبق شعورها بالخزي !!

ثانية واحدة...أو ربما بضع ثوانٍ ...تشبه شعورها
الخاص جداً به...

شهياً كثمرة محرمة..لكنه خادع كسراب!

ثانية واحدة أو ربما بضع ثوانٍ لخصت حكايتها-
التي تدرك أنها قصيرة العمر- معه !





لهذا أطرقت بوجهها تمسح دموعها بأناملها وربما لو رفعت عينيها إليه لرأت في نظراته ما يرضيها !!

قلبه كان يخفق بجنون مضطرب بين لقائه الدافئ بهمسة التي اشتاقها ...

وبين فورة إحساسه التي اجتاحته عندما رأى عناقهما معاً منذ قليل في صورة أخبرته أنهما ـ معاًـ صارتا أغلى ما في حياته قيمة !!

_زين...وحشتني!

تنتزعه بها همسة من اجتياح مشاعره ليضمها لصدره أكثر هامساً لها بحنان :

_وانتِ كمان وحشتيني قوي ...ووحشتني حكاياتنا بتاعة زمان ...

ثم ابتعد بوجهه ليحتضن وجنتيها بين راحتيه مردفاً بابتسامة :





_انتِ مبسوطة هنا ؟!

_قوي!

الجواب السريع مع لمعة عينيها منحه الكثير من الرضا ليقبل جبينها بعمق قبل أن يجذبها ليجلسها على كرسيها فيجلس قبالتها على ركبتيه في جلستهما المعهودة ليقول لها بينما يحتضن كفها بين راحتيه :

_عندي حاجات كتير عايز أقولهالك .

ضحكتها الصافية تعلو ببراءة وقد نسيت كل ما بقي من رواسب كوابيسها لتستمع إليه باهتمام لم ينل منه شرودها الذي اعتاده من قبل في جلسات مشابهة...

"ندّاهة" عالمها القاهرة لم يعد لها نفس السلطان القديم

كالسابق !!

هذا الذي شعر به جلياً هذه المرة ليثلج صدره وهو يدرك أنها حقاً تتحسن هنا ...





حديثه ينتقل من موضوع لآخر ولمعة عينيها المتلهفة الغريبة عن شرودها القديم تزيد من سعادته ...

عيناه تنتقلان خلسة لياقوت التي وقفت مكانها ترقبهما بعينين شاردتين وملامح أرهقها التعب ...

متى نامت هذه آخر مرة ؟!

متى ارتاحت منذ وقوع تلك الكارثة ؟!!

إعياء جسدها الواضح يمنحه الجواب فيتنحنح بخفوت ليقف مكانه قبل أن يخاطب همسة بقوله الحاني:

_هاضطر أمشي دلوقت وهاجيلك تاني .

لكن همسة تنظر لياقوت نظرة مشفقة قبل أن تهمس بخفوت :

_وانتِ ؟!

ياقوت التي ارتجفت شفتاها بشبه ابتسامة وهي تجلي صوتها لتقول بنبرة منهكة :

_ما تقلقيش ...هاجيلك كل يوم باذن الله .

ابتسامة همسة الراضية تشرق في محياها وهي تودعهما قبل أن تعود إلى كرسيها لتعصب عينيها من جديد في انتظار "طيفها العاشق"!

بينما عادت ياقوت لشرودها وهي تستقل معه سيارته في طريقهما للعودة ...

لا تزال لا تعرف أين تذهب ...

لجين عادت للقرية كي تكون جوار رابحة وأهلها بعدما حدث ...

رغم أن القدر أنقذ الفتاة بيد ثمر في اللحظة الأخيرة لكنها تبقى مجرد طفلة تعرضت لأقسى تجربة قد تعرفها يوماً ...





لهذا أصرت لجين ألا تتركها بينما لا تزال هي عاجزة عن العودة للقرية دون ثمر!!

صوت هاتفها يقاطع أفكارها فتنتفض مكانها وهي تجده رقم مدير المركز...

تفتح الاتصال لترد بصوت شاحب لكن عبارات الرجل جاءت قاطعة ...

_أجازة مفتوحة لحد ما تخلصي مشاكلك..أنا مقدر ظروفك بس انتِ عارفة إن الدكتور في الأول والآخر سمعة...ربنا يوفقك .

تغلق الاتصال بأنامل مرتعدة وكل كلمة منها تصلها كصفعة على وجهها ...

ليصلها صوته المؤازر جوارها وقد أدرك ما الذي قد تفعله بها محادثة كهذه :




_كده أحسن عشان تتفرغي لهمسة....وهيثم كمان ...أنا عرفت اللي حصل له .

لم تشعر بالدهشة من معرفته للخبر فقد بدا لها كثير
الاهتمام حقاً بكل ما يخصها ...
وربما لأنها عطلت شعورها بأي شيئ ...
حتى الخسارة !

لهذا عادت تستند برأسها المثقل بهمه وتعبه لظهر كرسيها دون رد ليستخرج هو من جيبه مفتاحاً منحه لها قائلاً:

_ده مفتاح "شقتنا" التاني...كده المفتاحين معاكي عشان تبقي مطمنة ...اعتبريها بتاعتك وخدي راحتك فيها ...وأنا لو جيت هستاذنك قبلها .





فالتفتت نحوه هاتفة باستنكار:

_انت بتقول إيه ؟! انت عايزني أعيش في شقتك ؟!

لكنه أوقف السيارة جانباً ليلتفت نحوها بملامح صارمة معتقلاً نظراتها بعينيه اللتين وازنتا الحزم بالعاطفة :

_أكلمك بطريقتي وأفكرك إنك حالياً مراتي ولو على الورق وإنها "شقتنا" مش "شقتي"؟! واللا أكلمك بطريقتك وأقوللك إن صوت العقل دلوقت يحكم إنك لازم تفضلي في مكان مستقر قريب من همسة وهيثم ؟!

_أنا هاتصرف بعيد عنك !

هتفت بها بمكابرة وعيناها تزيغان في الفراغ بشعور رهيب بالعجز ...

لكنه تنهد بحرارة ليرتكز بمرفقه على مقود السيارة بينما يقترب بوجهه منها قائلاً بنفس النبرة :





_اعتبريني مأجرهالك قصاد علاج همسة..أفتكر الأتعاب بتاعتك تغطي الإيجار وزيادة ...صح ؟!

انفرجت شفتاها وهي على وشك الاعتراض من جديد لكن المزيد من شعور العجز جعلها تغمض عينيها بقهر قبل أن تشيح بوجهها ليردف هو بنبرة أكثر رفقاً:

_اعتبريها شقتك وانتِ حرة التصرف فيها ...زي ما قلتلك ...لو جيت -وأكيد هاجي- هستأذنك قبلها .

فالتفتت نحوه لتحدجه بنظرة كسيرة رغم ما حملته من حدة :

_متأكد إنهم مفتاحين بس ؟! مش هلاقي الست إياها في يوم قاعدة هناك مستنية توضبني أو توضب غيري عشان تليق ب"البيه"؟!





انعقد حاجباه بشدة وهو يدرك أن أحداث تلك الليلة البشعة لن تغادر مخيلتها يوماً ...

ولا يلومها كثيراً لهذا !!

لهذا كان دوره ليشيح هو بوجهه هذه المرة قائلاً بخشونة لم يتعمدها :

_أنا مش مجبر أكدب في حاجة زي كده ...طالما قلتلك ...

عبارته تنقطع بصوت إطلاق نار قريب لتطلق هي صيحة رعب وهي تتلفت حولها لترى السيارة التي تقترب منهم ...

وقد كان هذا آخر ما رأته قبل أن تشعر به يجذبها نحوه ليطوقها بذراعيه قبل أن ينحني فوقها بجسده يحميها من طلقات الرصاص ...

"العناق الثامن" بمذاق "الحماية" هذه المرة !





لهذا جاء إحساسها به بقوة الحياة نفسها !!

صرخاتها المكتومة لا تنقطع وقلبها يكاد يتوقف رعباً حتى شعرت بالسكون حولها فجأة فرفعت رأسها أخيراً لتجد السيارة قد اختفت فجأة كما ظهرت فجأة ...

قبل أن تتلون عيناها بلون دمه هو أمامها !

=========

القطعة الرابعة عشرة

======

عيناها تتسعان بارتياع مع مرآها لدمه الذي يغطي ثيابها ...

قبل أن تتمالك نفسها لتدرك أن الجرح هناك في أعلى ذراعه .

نبضات قلبها تتسارع بجنون بينما تراه يكتم ألمه وهو يتفحصها بعينيه متسائلاً بلهفة قلقة :

_انتِ كويسة ؟!

فارتجفت شفتاها للحظات وهي تشعر برغبة عارمة في البكاء بين ذراعيه لكن طبيعتها الخاصة جعلت ملامحها تتجمد رغم انتفاض جسدها وهي تبعده عنها لتسنده برفق على ظهر كرسيه متحاشية نظراته ...





هو الذي تناول هاتفه بسرعة بكفه السليم قبل أن تسمعه يجري اتصالاً مع أحدهم يخبره عن الأمر ويطلب منه سرعة الحضور بنجدة...

فضولها يحشوها بالكثير من الأسئلة لكن قلقها عليه كان أكبر ...

خوفها من فقده كان أكبر ...

وإحساسها الطاغي أنه لم يفكر للحظة وهو يفتديها بجسده كان أكبر وأكبر!!

لكن هذه الصدمات المتتالية التي اجتاحتها في وقت قليل كانت تجعلها كالمغيبة التي تتحرك بآلية ...

تعدو وتعدو ...لأنها تدرك أنها لو توقفت فستقع!!

تتفحص الجرح بخبرتها المحدودة مدركة أنه يكتم عنها تأوهات ألمه قبل أن تمد أناملها نحو وشاح رأسها تهم بخلعه قبل أن يمنعها هو بذراعه السليم :

_بتعملي إيه ؟!





بنبرة جامدة عملية بعيدة تماماً عن انهيارها الداخلي تجيبه بأنفاس لاهثة :

_هاحاول أوقف النزيف لحد ما الإسعاف ييجي .

لكنه يهتف بها بصرامة وهو يكز على أسنانه من فرط الألم :

_سيبي طرحتك وخدي القميص بتاعي ...انتِ مش هاتفضلي معايا أصلاً لحد ما ييجوا .

لم تنتبه للشطر الثاني من عبارته وهي تخلع عنه قميصه بحرص لتنفلت منه آهة متوجعة فلقت قلبها لكنها تماسكت بقوة تحسد عليها وهي تمزقه بعنف لتحيط به جرح ذراعه محاولة إيقاف نزف ذراعه ...

ولم تكد تنتهي مما تفعله حتى فوجئت به يعيد تشغيل السيارة بذراعه السليم لينطلق بها تحت هتافها المندهش:

_هتسوق إزاي كده ؟!





لكنه لا يجيبها ومزيج الألم مع الغضب الهادر يغشي ملامحه لبضع دقائق ...

الغضب من نفسه ومما حدث !!

هو استهان مؤخراً بالخروج مع حراسته خاصةً فيما يتعلق بشأن خروجه معها هي!

هل هو خوفه على نفسه أن تنكشف علاقتهما فيتسرب الخبر ؟!

أم هو خوفه عليها هي أن ينال هذا الأمر من سمعتها ؟!!

أياً ما كان ...لن يسامح نفسه على أن أقحمها في الأمر بهذه الصورة !!

بينما راقبته هي بمزيج من استنكار وقلق قبل أن تجده يوقف السيارة من جديد على أول الطريق العامر نسبياً مقارنة بسابقه ... ليهتف بها صارماً:

_خدي أي عربية توصللك ...مش عايز حد يشوفك معايا ...الموضوع هيبقى فيه تحقيق ومش عايز اسمك ييجي في الموضوع.

_انت عايزني أسيبك بتنزف لوحدك وأمشي ؟!
مش ...

_اسمعي الكلام ...قلتلك امشي انتِ دلوقت !

صرخ بها بعنف أجفلها وهي يميل نحوها ليفتح لها بابها فصرخت بعنف مشابه انهمرت معه كل الدموع التي كانت تحاول كبحها:

_مش هامشي ...مش هامشي إلا لما ...

"أطمّن عليك" التي عجزت عن أن تكملها بلسانها وصلت قلبه حارقة موجعة بمذاق دموعها...

ليزفر بقوة قبل أن ترق لهجته نوعاً وهي يقول لها بمزيج من أمر ورجاء:

_الجرح مش خطير ...لكن وجودك معايا دلوقت هو اللي ممكن يبقى خطير ...ما تخافيش عليّ...كلها دقايق والدنيا هتتقلب هنا ...

ثم انحنى ليلتقط المفتاح الذي كان قد سقط منها في دواسة السيارة في غمرة الأحداث السابقة ليعاود إعطاءه لها مردفاً بنفس النبرة :




_استنيني في شقتنا ...عارف إن عندك أسئلة كتير بس مش هاقدر أرد عليها دلوقت ...ياللا يا ياقوت بسرعة .

انتهت عبارته بآهة مكتومة جعلتها تتردد قليلاً قبل أن تمنحه عيناها نظرة كفَتْه!!

الخضار النابض فيهما كان يترقرق الآن بومض عاطفة أنارتهما كالبرق وسط ظلام ليل كاحل ...

كان يدرك أن خلف تماسكها الظاهري العجيب هذا جداراً يوشك أن ينقضّ لكنها تقيمه بقوة امرأة لا تقبل السقوط ...

تماماً كما كان يدرك أن خوفها عليه لن تفضحه كلمة ولا لمسة ...

إنما تصرف كهذا الذي فعلته بعدها وهي تغادر سيارته لتشير لسيارة أجرة قريبة وجدها تتوقف على مقربة منه لتقبع هي فيها ترمقه من بعيد





بنظرات مترقبة حتى وصلت نجدته التي كان ينتظرها ...

نظرة أخيرة تبادلتها عيناهما بدفء غريب وسط هذا الجو المشحون ...

قبل أن يتحرك كل منهما ليمضي في طريقه على وعد بلقاء قريب !

=======

ترتجف أناملها الممسكة بالمفتاح بقوة وهي تفتح باب الشقة لتدخل ...

نظرتها المتشحة بالانكسار ...الصارخة بالألم ...تدور وتدور في أرجاء المكان قبل أن تصفع الباب خلفها بقوة شعورها الآن !!

تتقدم نحو الداخل بخطوات ذبيحة وهي تهز رأسها بعدم تصديق ...

ماذا حدث؟!





كيف انقلب عالمها كله هكذا فجأة ؟!

كيف عادت لنقطة الصفر ...بل أقل من الصفر!!

الآن فقدت كل أعمدة اتزانها لتهوي في بئر بلا قرار ...

والدمع العزيز لا يزال رفيق الرحلة الوفي !

ما الذي تبكيه الآن بالضبط ؟!

فقدانها لثمر؟!

فضيحتها بأبيها ؟!

مصاب هيثم ؟!

ضياع عملها ؟!

قلقها على ...زين؟!

السؤال الأخير وحده يحمل تحته الكثير من علامات الاستفهام ...

تعلم أن جرحه ليس خطيراً لكن ما يدريها ما الذي سيفعله به أولئك وماذا يريدون منه ؟!





بل والأهم...من هم هؤلاء وما علاقته بهم كي تدفعهم لفعل كهذا ؟!

تنهيدة حارقة يضخها صدرها بوجع وهي تتذكر لحظة طوقها بذراعيه يفتديها بنفسه ...

ولحظة أن ابتعد عن ناظريها وهم يحاولون إسعافه !

اللحظة الأولى التي جعلتها تدرك كم هما قريبان ...حد الحميمية ...

واللحظة الثانية التي ذكرتها كم هما بعيدان ...حد الغربة !

وبينهما لا تزال هي تتمزق بألف سوط يهوي على ظهر كبريائها وقلبه معاً !

أما من محيص؟!!

خطواتها تتوقف أمام غرفة النوم الكريهة ...




تلج إليها بفتور وهي تشعر أن كل ذرة بداخلها تتفتت ...

تتبعثر ...

ثم تتطاير كما الرماد تذروه الرياح !!

نظرة خائفة بل مذعورة للمرآة جوارها فلا تمنحها صورة حقيقية لنفسها ...

بل صورتها في تلك الليلة المشئومة...

عارية ...مهانة ...ذليلة ...

فلا تملك نفسها وهي تقذف المرآة بأقرب ما نالته يداها لتتحطم بصوت أجفلها قبل أن تنتبه لما فعلته ...

كيف هاودته فيما طلبه منها؟!

كيف ستتمكن من البقاء هنا؟!

هنا ...حيث ذبح كبرياءها بمنتهى القسوة ؟!!





لكن غصة مريرة في حلقها تسكب العذاب بين حناياها ...

أين عساها تذهب؟! ولمن ؟!

حتى لو نحّت نداءات قلبها جانباً...

هو قدم لها العرض الذي لن تستطيع الآن رفضه !!

لهذا أطرقت برأسها بعجز استنزف ما بقي من قوتها قبل أن تغادر الغرفة الكريهة نحو مجاورتها ...

غرفة أصغر حجماً لكنها تبقى واسعة حقاً بمكتبة كبيرة تحتل جدراً كاملاً ...

مكتباً جانبياً فخماً يليق بصاحبه ...

وأريكة وثيرة شديدة الضخامة ...

تصلح ك...فراش؟!

نعم ...هكذا اتخذت قرارها أن تكون هذه الغرفة محل إقامتها التي تنتوي قصر أجلها هنا ...





قدماها تحملانها نحو الأريكة التي تهالكت جالسة عليها قبل أن تتناول هاتفها من جيب سترتها لتخبر رائد عما حدث ...

كتوماً كعهده كان ...لكنها اشتمت رائحة القلق في نبراته قبل أن يغلق الاتصال معها بسرعة واعداً إياها باللحاق به وإخبارها بالمستجدات ...

مكالمة أخرى للجين اطمأنت فيها عليها وعلى رابحة البائسة ...

ثم دقائق طويلة من الانتظار مرت كدهور وهي تنتظر خبراً يطمئنها ...

رقم رائد يظهر أخيراً فتفتحه بلهفة ليصلها صوت زين لا رائد :




_أنا كويس ما تخافيش ....جرح سطحي بس هاقعد هنا في المستشفى يومين ...أول ما أخرج هاجيلك...ماتقلقيش على جدتك...المحامي بتاعي هيكلمك بكرة عشان يدبر لك زيارة زي ما وعدتك .

صوته المقتضب كان يحمل في أذنيها هذه المرة نغمة مختلفة دافئة حتى وهو يغلق الاتصال بسرعة دون أن ينتظر ردها ...

نغمة أثارها غروره المعهود وهو يتحدث بهذا اليقين عن خوفها عليه !

أثارها حنانه الخفي وهو يطمئنها أن غيابه لن يطول ...

أثارها وعده الدافئ أن تكون هي أول وجهة له عقب خروجه ...

وأثارتها حميته الداعمة وهو يتذكر "مصابها" وسط ألم "مصابه هو" فيدبر لها أمر زيارة ثمر !!





ربما لهذا ظلت ترمق الهاتف بنظرة مستجدية للحظات كأنما ترجوه أن يعيد اتصالاً ...

تحتاج حقاً للمزيد "منه" كي تلملم هذا الشتات الرهيب الذي يكاد يبتلع روحها ...

حتى إذا ما يأست سمحت لجسدها أخيراً أن يستلقي على الأريكة لتنطلق منها آهة وجع عالية أودعتها كل مشاعرها ...

توقعت أن ينال نوم الإرهاق منها لكنها بقيت لساعات تحدق في السقف بشرود ...

تتذكر عبارته يوم أخبرها أن رائد قد أنقذ حياته ذات مرة ...

تراه يتعرض كثيراً لأمور كهذه ؟!

لهذا لا يتحرك غالباً دون حراسة ؟!

الخاطر الأخير يقبض قلبها بذعر حقيقي وهي تتذكر مذاق عناقاته واحداً واحداً ...

تعاطف...احتياج...عجز...شكر...احتواء...تقدير ... دعم...وأخيراً ...حماية بل فداء !!





ماذا لو فقدت كل هذا فجأة كما امتلكته فجأة ؟!

ماذا لو جرى القدر بحساباته العملية المفترضة ليفترق كل منهما في طريقه ؟!

ماذا لو تسرب الماء من بين أنامل الظمآن بعدما أغرى شفتيه بالرِيّ؟!!

تغمض عينيها بألم ولازال الصراع القديم يمزقها ...

تستجدي النوم فلا يجيب ...

صوت رسالة على هاتفها يرحمها أخيراً من كل هذا فتنتبه لظلمة المكان حولها بعدما جن الليل دون أن تشعر ...

لتلتوي شفتاها بشبه ابتسامة وهي تقرأ رسالته :

_لو ما كنتيش نمتِ نامي وما تقلقيش ...ما تشيليش هم حاجة وأنا معاكِ!

========





اليافتة المميزة بحرف "الياء" الأثير الذي ينثني طرفه بشكل القلب الشهير تعود لتومض بعد طول ظلمة !!

احتفال كبير بمطعمهما الذي عاودا افتتاحه لتتوج ابتسامة ياسمين ثغرها بارتباك لا يزال يشوبه بعض الحذر من نظرات المدعوين ...

لكن ابتسامة يامن المطمئنة مع احتضانه لكتفيها بذراعه تمنحها المزيد من الاسترخاء ...

تراها تكون النهاية السعيدة لقصتهما حقاً؟!!

_استعجلتِ على الافتتاح ليه ؟! مش كنتِ تأجليه لبعد

الولادة ؟!

سألتها نبيلة وهي ترمق ملامحها المرهقة بنظرة مشفقة لترد ياسمين ببشاشة وهي تمسد بطنها :





_عشان نلحق نوقفه على رجليه من جديد قبل ما يمنى توصل ...عايزاها تيجي تلاقيه أشهر مطعم في مصر !

الحماسة التي تتحدث بها جعلت يامن يشدد برفق من ضمته لها لترمقهما نبيلة بنظرة راضية قبل أن تقول بنبرة تسرب إليها غرور النجمة المعهود :

_طبيعي يبقى أشهر مطعم في مصر لما يعرفوا حماتك تبقى مين ...الناس كلها هتحب تيجي تتفرج يمكن يقدروا يقابلوني .

همهمة ساخطة مبهمة كانت رد يامن الذي أشاح بوجهه لتطلق ياسمين ضحكة عالية وهي ترى رد نبيلة المتحفز عليه :

_هتنكر ؟!

ثم التفتت نحو ياسمين لتردف بنفس النبرة :





_انتِ عارفة إن أنا الممثلة الوحيدة في مصر اللي خدت لقب نجمة شباك لمدة عشر سنين ورا بعض مهما كان البطل اللي قصادي ...

ثم لوحت بكفها لتذكر اسم ممثل شهير بينما تردف :

_ (.....)نفسه لما مثل معايا اتحط اسمي الأول قبل اسمه ...يومها عمل مشكلة وقال إزاااي ...بس المنتج وقفه عند حده ...قالله فوووق ...دي بيللا ...يعني كلنا نقف ورا وهي اللي تبقى قدام !

همهمة أخرى ساخطة من يامن الذي بدا وكأنها ليست المرة الأولى التي يستمع منها لهذه الحكاية خاصة واسم النجم الذي تحكي عنه لايزال يدوي كالطبل في الوسط الفني ...

بينما عادت ياسمين تضحك ضحكة قصيرة كتمتها بكفها لتقول بدبلوماسية :

_طبعاً يا بيللا ...مصر كلها عمرها ما هتنسى مجدك الفني .





ابتسمت نبيلة برضا قبل أن ترمق يامن الساخط بنظرة متسلية لتغادرهما بعدها وهي تتحرك وسط المدعوين بخطوات رشيقة فضحت فرحتها الحقيقية ...

_الحاجة أم يامن قلبت بيللا تاني وباعتك في أول مطب !

همست بها ياسمين في أذنه مشاكسة ليرد بمسكنة مصطنعة :

_ع الأقل الفستان المرة دي طويل وبكمام ...ده في حد ذاته تقدم مبشر جداً .

_امال لو فاجأتك واتحجبت بقا ؟!

_لا ...ده أنا ممكن أموت م الفرحة !





قالها ساخراً بنبرته العابثة لتغرد ضحكتها في أذنيه من جديد !

ابتسامة عاشقة...ثم تنهيدة ارتياح غمرته وهو يدور ببصره بين الحضور ...

هانيا التي تبدو شديدة السعادة جوار رامز الذي يبدو وكأنه يمازحها بمشاكساته المعهودة ...

رانيا التي لم يترك أشرف كفها من يده بينما يستمع إليها باهتمام وهي تتحدث بلهجة ظاهرها قوة الحماسة في مشهد لم يعد يستغربه بعد تغيرات شخصيتها الجديدة ...

داليا التي انفرد بها مروان في أحد الأركان وقد وقفت تستمع إليه بهيام مستكين فاض في عينين طالما صرختا قديماً بالتمرد ...

وأخيراً نبيلة التي وقفت مثله تراقبهن من بعيد ودمعة راضية تسيل من طرف عينيها فلا تبالي أن أفسدت زينتها !!

_سرحان في إيه يا طيب ؟!





سؤال ياسمين المرح ينتزعه من تأملاته ليلتفت نحوها فيهتف فجأة :

_تيجي نهرب؟!

_عايزني أخطفك تاني؟!

_المرة دي ...أنا اللي هاخطفك !

يقولها بعاطفة تدفقت عبر مرح الحديث وهو يجذبها من كفها ليغادر معها المكان خلسة تظللهما ضحكاتها الخافتة ...

ولم تكد تستقل السيارة جواره حتى تأوهت بمزيج من ارتياح وترقب قبل أن تسند ظهرها لكرسيها مغمضة عينيها وهمسها المشع بعاطفتها يعانقه :

_هتوديني فين ؟!

_وبعدين؟! مش قلنا المخطوف المؤدب يتخطف وهو ساكت !

ضحكتها القصيرة تتزامن مع استرجاعهما معاً لذكرى مشابهة قبل أن تحين منها التفاتة لجانب الطريق عفوياً ...





ليشحب وجهها فجأة مع شهقة مرتعبة وهي ترى ذاك ال...وجه !!

==========

_مالك ؟!

يسألها بتوجس وهو يحاول النظر نحو وجهتها ليتبين سر ردة فعلها هذه لكنه لا يميز شيئاً وسط هذه الظلمة ...

بينما امتقع وجهها هي للحظات قبل أن تتمالك نفسها لترد بابتسامة مرتبكة :

_اتهيالي إني شفت كلب ...انت عارف بخاف منهم .

يرمقها بنظرة طويلة متفحصة والشك يعاود نثر بذوره في أرض روحه الخصبة ...





بينما يراقب صدرها الذي يعلو ويهبط بانفعال لكنه يقاومه بقوة لم تعد تجهده ليتناول راحتها بكفه قائلاً بنبرة هادئة شابها بعض الضيق:

_أنا عارف إنك بتكدبي بس مش هاضغط عليكي مادام مش عايزة تقولي .

اتسعت عيناها بدهشة من ردة فعله هذه التي لم تتوقعها وإن كانت أراحتها كثيراً هذه المرة ...

الراحة التي ازدادت وهي تراه يربت على كفها برفق قبل أن يشغل السيارة ليبتعد بها عن المكان ...

تختلس نظرات مرتعبة نحو مكان ذاك "الوجه" الذي رأته لكنه اختفى فجأة كأن لم يكن !!

هل كانت تتوهم ؟!!

حاولت الاسترخاء في مقعدها وعيناها ترمقان جانب وجهه الشارد من آن لآخر لكنه بدا غائباً تماماً عنها ...

هذا الشعور الذي طوق جسدها بصقيع مؤلم وهي تشعر أنهما يبتعدان من جديد ...

هي كذبت ...وهو يعلم أنها فعلت ...

لكنها لم تستطع إخباره بما -أو بالأدق- بمن رأته !!

انقطعت أفكارها عندما انتبهت لوجهة سيارته فالتوت شفتاها بابتسامة حنين رغماً عنها وهي تشعر ببعض السكينة تتسرب للقلب الملتاع ...

تغمض عينيها محاولة استعادة صفاء روحها حتى تشعر بتوقف حركة السيارة التي غادرها هو ليقف مستنداً على مقدمتها يراقب المكان حوله بشرود ...





C i n n a b o n

ابتسامة دافئة تترنح على شفتيها وهي تلحق به لتقف قبالته قبل أن تبسط كفيها على صدره هامسة :

_جبتنا هنا ليه دلوقت؟!

كانت تعلم أنه مكانه المفضل الذي يقصده عندما يود الخلوة مع نفسه في حزنه ...

هذا المكان الذي قلدته في ارتياده كعادتها في اقتفاء آثاره ...

صوت الهواء حولها يقطع السكون في هذا التوقيت من الليل فيرتجف جسدها الذي ضمه هو إليه قبل أن يقبل رأسها بعمق لتشعر به يغمرها بكليته مع همسه الذي اشتعل بحرارة بوحه :

_واحنا النهارده في الحفلة افتكرت ...افتكرت آخر مرة جيت فيها هنا بعد ما كلمتك وقتها وقلتيلي إن ابننا مات ...جيت هنا وأنا حاسس إن خلاص حياتي كلها ضاعت..مش حياتي أنا وبس ...مستقبل البنات كمان ...حسيت إن الذنب هيفضل في رقبتي




العمر كله ...مهما حاولت أقف هيرجع يوقعني تاني ...لسه فاكر لحظتها وأنا قاعد هنا...هنا بالضبط...بحط التراب على راسي كأني بحارب كل وساوسي ...كأني عايز أدفن يامن القديم ...

رفعت عينيها الدامعتين إليه بتأثر لترتجف شفتاه للحظات قبل أن تظللهما ابتسامة راضية مع زفرته التي حملت الكثير من الارتياح أخيراً:

_والنهارده بس ...النهارده واحنا في الحفلة ...شايفك جنبي في حضني من تاني قدام الناس كلها ...

ثم انحدرت أنامله نحو بطنها تمسده برقة أرجفتها مع استطراده :

_ومعانا يمنى ...مستنيينها تيجي بكل الفرحة اللي تنسينا العذاب اللي فات ...حواليا أمي والبنات ...كل واحدة




خلاص اطمنت عليها مع راجل يصونها
وتصونه ...لحظتها بس ...حسيت إن فعلاً يامن
القديم كان لازم يتدفن تحت التراب عشان
يفوق ...حسيت إن كل لحظة عذاب عشتها كانت
تستاهل ...ومستعد أدفع أدها ألف مرة ...مادام
النتيجة هتبقى فرحة زي اللي حسيتها النهاردة !

لم تملك خط الدموع الذي سال على وجنتيها لتتلقفه
شفتاه بحنان قبل أن تغازلها أنفاسه قبل قبلاته :

_خلاص! ممنوع العياط لخمسين سنة قدام ...كفاية
اللي شفناه قبل كده ...العمر اللي باقي
يادوب ...نضحك ونحب ...وبس!

ذابت في لهيب عناقه للحظات والصمت بينهما
ينسج خيوطاً أبلغ من أي حديث ...

هذا القلب الذي تمنته تتراقص دقاته بين ضلوعها
هي ...





هل هي النهاية السعيدة حقاً؟!

هل آن لها أن تستريح ؟!

أم أن كل ما تعيشه الآن معه مجرد هدنة في حربها الطويلة للفوز به ؟!

السؤال يبقى معلقاً بينهما وطيف شاحب ل"الوجه" الذي رأته منذ قليل يعود ليملأ رأسها بهواجسه !!

لكنها تحاول تجاهل هذا لتهمس له :

_الجو برد هنا ...ياللا نرجع .

_أدفيكي؟!

همسه العابث يدلل أنوثتها لكنها تدفعه برفق هاتفة :

_دفيني في البيت..مش هنا !




لكنه يتناول كفها في راحته هامساً بجدية هذه المرة :

_قصدك أنهي بيت ؟!

تغيرت ملامحها للحظة وهي تتنبه لمغزى سؤاله إذ لا تزال غير قادرة على العودة لبيتهما القديم ...

لهذا ازدردت ريقها بارتباك لتهمس له :

_مش عايزة أبقى بايخة بس فعلاً مش قادرة أرجع بيتنا دلوقت ...غصب عني يا يامن والله .

دمعت عيناها في عبارتها الأخيرة فمنحها ابتسامة مطمئنة وعيناه تطوفان على ملامحها بتفحص ...

"الجزء العاشق للتفاصيل" بداخله يود لو يستنطقها عما رأته منذ دقائق ورفضت البوح به ...

لكن "الجزء الكاره لماضيه" يصرخ به أن يتعلم مما كان ...أن يمنحها ثقته ودعمه راضياً بخطواتها





البطيئة نحوه مادام يثق أنها في النهاية لن تكون إلا بين ذراعيه !!

لهذا ربت على رأسها برفق ليعاود هتافه المرح:

_ماشي ...بس أنا كده كده رايح أجيب شوية حاجات ...ابقي استنيني في العربية بقا ...يا "نخلة"!!

قالها مشيراً لفارق الطول بينهما مردفاً :

_لازم أقعد يعني عشان تبقي في مستوايا ؟! اوعي تجيبيلي بنت أوزعة زيك ...أنا بحذرك أهه ...مش كل شوية هاوطي أدور على واحدة فيكم .

لكزته بكفها في صدره ضاحكة فقام واقفاً ليحيطها بذراعه قبل أن يستقلا معاً سيارته نحو بيتهما القديم تحيطهما دعاباته المشاكسة التي لم تتوقف طوال الطريق ...





والتي كانت تحتاجها حقاً كي تخفف عنها هذا الخوف المبهم الذي تشعر به ...

ولم يكد يتوقف أمام باب البيت حتى شعرت بقلبها يكاد يقفز اشتياقاً ...ورعباً!!

كل ذكرياتها في هذا المكان تتوالى في عينيها تباعاً ك"فردوس مفقود" قبل أن تأتي ذكرى آخر ليلة هنا لتلقي بها في جحيم غادر!!

_مش هتأخر ...هاسيب الباب مفتوح لو حبيتي تحصليني .

قالها وهو يميل عليها ليقبل وجنتها بنعومة قبل أن يغادر السيارة نحو البيت بينما بقيت هي تراقب ظهره المنصرف للحظات بتردد قبل أن تشيح





بوجهها نحو الجانب الآخر كأنها تفر من ذكرياتها المهلكة هذه ...

لحظات مرت بها بطيئة كدهور قبل أن تجد نفسها تترجل من السيارة لتدخل ...

أناملها تمسد بطنها كأنما تستمد من جنينها المزيد من القوة وهي تلج نحو الحديقة ...

ابتسامة بمذاق الدموع تغزو شفتيها وهي تتذكر كل صباحاتهما هنا ...

كيف قهرت طباعه لتقنعه بتناول الإفطار على الأرض هنا لأول مرة ...

كيف استلقيا معاً يومها على ظهريهما يرقبان سحب السماء وكلاهما يراها بعين طبعه ...

كيف صنع لها من الإطارات القديمة الملونة هذه المجموعة الرائعة هناك ...

وأخيراً...الأرجوحة !!





إعصار بارد يجتاح قلبها هذه اللحظة وقدماها تنسحبان نحو الأرجوحة هناك ...

هذه التي صنعها بهذا الارتفاع كي لا يمكنها الصعود دون أن يرفعها هو!!

هذه التي شهدت لحظات تدليله الغامر لها ...

وهذه -أيضاً- التي سقطت من فوقها آخر مرة ليرقبها هو من علو بازدراء دون أن يمد لها يداً!!!

شهقت بعنف عندما شعرت بكفه على كتفها من الخلف

فالتفتت نحوه ليقرأ مشاعرها على وجهها وكأن كل ما دار بذهنها قد سكن أفكاره هو قبلها !!

_عملتلك واحدة غيرها ...هناك !





يقولها وهو يشير للاتجاه الآخر من الحديقة فالتفتت نحو البقعة المنشودة لتتحرك نحوها بخطوات لاتزال مدفوعة بارتباكها ...

الإطار الملون للأرجوحة الجديدة يبدو زاهياً أكثر بألوانه ...

لكن ما أعجبها حقاً هو ارتفاعها المناسب لها ...تماماً !!

هذا الذي عبر عنه هو بقوله :

_عملتها أقصر عشان تطلعي وقت ما تحبي ...حتى لو كنت مش معاك.

فالتفتت نحوه لتطوق عنقه بذراعيها بلهفة قبل أن تسكب دموعها على صدره متمتمة :

_لو هتسيبني تاني قوللي من دلوقت ...لو فيه احتمال واحد في المليون بس عرفني ...مش عايزة أرجع تاني أتسند على جدار يقع بيا .





لكنه ضمها بقوة بين ذراعيه لينثر قبلاته على وجهها الذي مسح دموعه بأنامله قبل أن يرفع لها ظاهر كفه ب"خاتميْه" معاً ليهمس لها :

_بين الاتنين حكاية عمر ماعرفتش قيمته إلا بيكي ...مهما حصل بيننا عمري ماهابعد تاني .

عيناها تتفحصان ملامحه بترقب وكأنما تطارد سراب وعده هذا بين نظراته ...

قبل أن تعاود دفن وجهها في صدره ليرفعها أخيراً فوق

الأرجوحة الجديدة التي حركها بحرص بها ...

تبتعد ...تقترب... فيقترب منها مدللاً شفتيها بشفتيه قبل أن يدفعها برفق لتبتعد وتقترب من جديد بنفس الوتيرة الناعمة ...

وكأنما يخبرها بلا كلمات أنها مهما ابتعدت ...

ستعود بين ذراعيه !!!





ينزلها أخيراً برفق بعدما قبل بطنها بنعومة ليقول مخاطباً ابنته :

_عجبتك المرجيحة يا يمنى؟! لو شفتي أوضتك بقا هتنبهري!!

_أوضتها؟!

_أوضتك سابقاً! غيرت دهانها وعملت لها شوية ديكورات ...جنااان...

قالها مبالغاً بحركة تمثيلية ليميل رأسه بمكر مردفاً:

_مش عايز أضغط عليكي وأقوللك ادخلي اتفرجي ...

بلاش...بلاش...انتِ مش عايزة !!

فابتسمت وهي تخبطه بخفة على صدره هاتفة :

_نصاب! بتعرف تلوي دراعي !

_العفو يا فندم ...سلامة دراع سيادتك .





قالها وحاجباه يتراقصان بمشاكسة فزفرت زفرة قصيرة سبقت قولها :

_هادخل أتفرج وأمري لله .

أطلق صفير انتصار طويل أجفلها للحظة قبل أن تغرد ضحكتها عالية وهي تتأبط ذراعه لتخطو معه نحو الداخل ...

صالة البيت الدافئة ...المطبخ القريب الذي لا يزال يحمل لمساتها ...

وأخيراً ...غرفتها التي دخلتها لتجده قد غير لون الطلاء إذ قسم الغرفة طولياً لنصفين ...أحدهما بالوردي والآخر

بالسماوي ...

واستبدل فراشها الكبير بفراشين صغيرين ...

السقف قد ازدان سقفه بمجسمات ملونة لكواكب ونجوم ...





وفي زاوية الغرفة كانت هناك عربة صغيرة لرضيع تدلت من سقفها الكثير من الألعاب الملونة...

بينما امتلأت الغرفة عن آخرها بالبالونات ...

هذا الذي جعلها تشهق بانبهار وهي تدور بعينيها في المكان هاتفة :

_ذوقك يهبل يا يامن ...مش عارفة أقوللك إيه ...

ثم اندفعت نحو الفراش الوردي هاتفة :

_ده بتاع يمنى...

ثم نحو السماوي مردفة :

_وده بتاع ياسين!!

_ياسين مين؟!

هتف بها باستنكار فظ لتضحك هاتفة بعفوية :

_ابننا اللي هنجيبه بعدها ...هو أنا ماقلتلكش ؟!





_لا والله .. ماحصلش نصيب ...بس كويس إنك عرفتيني عشان أعمل حسابي !

تشاركا الضحك بعدها للحظات قبل أن تتقدم منه من جديد لتطوق عنقه بذراعيها هاتفة بعد تنهيدة ارتياح :

_أد ما كنت خايفة أرجع هنا ...أد ما أنا طايرة دلوقت .

_كلامك ده عندي بالدنيا كلها ...أفهم من كده إنك وافقتِ ترجعي هنا ؟!

نظراتها المترددة اتشحت بالخوف من جديد لتمنحه عيناها الجواب فهز رأسه بتفهم قبل أن يقبل جبينها بعمق مردفاً بأسف مصطنع:

_ حتى لو وافقتِ ترجعي ...الحاجة "أم يامن" مش هتسيبنا إلا لما تشيل يمنى على إيديها .





ابتسمت بنكهة الامتنان وهي تعود لتخفي وجهها في صدره راضية بهذا الأمان غير المشروط الذي يمنحه لها ...

والذي تهدده الآن صورة هذا "الوجه" الذي رأته الليلة ...

هنا فقط طفا الاسم على سطح ذهنها وهي تشعر بحاجتها للتحدث الآن معها هي بالذات ...

أجل ...ياقوت!!

===========

_آسفة جداً ...عارفة إن التوقيت مش مناسب ...

قالتها ياسمين بمزيج من حرج وأسف وهي تجلس أمام ياقوت في النادي الذي اختارته الأخيرة للقائهما عقب تلقيها اتصالاً من الأولى تطلب منها ضرورة لقائها .





صحيحٌ أنها ترددت كثيراً قبل أن توافق على لقائها في ظروفها السوداوية هذه ...لكنها وجدت نفسها أخيراً تقبل ...

لماذا؟!

هل هو طبعها المعهود بالهرب من آلامها في عملها الذي تحبه ...

في تناسي مشاكلها بالغوص في مشاكل الآخرين؟!

أم هي رغبتها الصادقة في الاطمئنان على مريض تكن له معزة خاصة كيامن ؟!

ولعله لا هذا ولا ذاك ...

بل هي رغبتها الدفينة في لقاء امرأة تعرف عن "رجلها" أكثر مما تعرفه هي !!

رجلها؟!

هل اعترفت ب"زين" كرجلها إذن؟!!





هزة رأسها النافية باستنكار للخاطر الأخير جاءت مناسبة تماماً للرد على حديث ياسمين السابق فابتسمت الأخيرة لتستطرد بنبرة مرتبكة :

_يامن حاول يكلمك كتير بس ماعرفش يوصللك ...أنا عارفة إن الموقف صعب بس احنا معاكي ...بإذن الله الحاجة هتخرج من القضية بسهولة ...أنا ممكن أوكل لك محامي أعرفه شاطر جداً .

فتفرست ياقوت ملامحها بذكائها المعهود لتتجاهل مقولتها محاولة تناسي مأساتها الخاصة لترد بعد صمت قصير :

_متشكرة ...بس ما افتكرش إنك طلبتِ تقابليني عشان كده بس ...أعتقد فيه حاجة جدت بينك وبين يامن .

_عرفتِ إزاي؟!





سألتها ياسمين باعتراف صريح بحسن استنتاجها لتشير نحوها ياقوت برأسها مجيبة بنبرتها العملية رغم صوتها المتهالك :

_رعشة إيدك..صوتك المرتبك ...عينيكي بتلف في المكان ...كأنك بتدوري على حد أو خايفة تشوفي حد .

فابتسمت ياسمين لتعدل مقدمة حجابها بارتباك قائلة :

_فعلاً...بصراحة...الموضوع مربك ومش عارفة أشرحه لحد غيرك !

رمقتها ياقوت بنظرة مشجعة فتنحنحت ياسمين قائلة :

_سيلين!

_مين سيلين؟!

سألتها ياقوت بتشتت لتجيبها :





_طليقة يامن ...من ساعة ما رجعت مصر وأنا بحس إني بشوفها كتير ...في كل مكان بروحه ...آخرها ليلة افتتاح المطعم بتاعنا .

_بتحسي إنك بتشوفيها ؟!

سألتها ياقوت ببطء حذر محاولة التيقن من صحة استنتاجها لترد ياسمين بحيرة قلقة :

_ماهو ده اللي مجنني ...مش قادرة أحدد إذا كان ده حقيقي فعلاً واللا وهم في دماغي ...مش قادرة أبطل تفكير ...وشها على طول في دماغي ...الجديد بقا هي الكوابيس ...بشوفها بتخنق بنتي وبتقوللي ده العدل إنها تموت زي ابنها هي ما مات !!

اتسعت عينا ياقوت بإدراك محاولة استيعاب الموقف لتسألها بعدها باهتمام :

_انتِ قلتِ ليامن ؟!





لكن ياسمين هزت رأسها نفياً لترد بانفعال :

_خفت ! يامن مش ناقص إحساس بالذنب ...ده ما صدق يحس إن دنيته اتظبطت تاني ...

قالتها ثم حكت لها عما حدث تلك الليلة عندما هيئ إليها أنها قد رأت سيلين ورد فعل يامن وقتها لتقول ياقوت بنبرتها العملية :

_ممتاز ...يعني هو كان عارف إنك بتكدبي ومع ذلك ماضغطش عليكِ ...

أومأت ياسمين برأسها إيجاباً لتردف ياقوت بتردد :

_بس ممكن يكون دماغه راح لحد تاني ...

_زي مين؟!

_زين ...مثلاً!

قالتها ياقوت بنبرة مهنية حاولت فيها إزاحة مشاعرها جانباً لترد ياسمين بنفس القلق:





_معاك حق ...بس زين مش هيحاول يكلمني إلا لو حس إني محتاجة مساعدته ...من يوم ما رجعت ليامن ماحاولش حتى يتصل بي.

_وده مضايقك؟!

لم تستطع منع شعورها المقيت بالغيرة في هذه اللحظة حتى عندما هتفت ياسمين باستنكار:

_طبعاً لا ...بالعكس ...ظهور زين دلوقت ممكن يخللي يامن يرجع ينتكس.

_لا ...ماتخافيش!

قالتها ياقوت بثقة لتعدل وضع نظارتها فوق عينيها مردفة بنفس النبرة المهنية :

_يامن كل يوم بيثبت إنه فعلاً اتغير عشان هو عايز يتغير ...عن نفسي أفضل تحصل بينكم مواجهة ثلاثية في أي موقف عشان نتأكد إن يامن خلاص اتعالج تماماُ ...بس عملياً الموضوع هيبقى صعب جداً عليكم انتو الثلاثة .

فأومأت ياسمين برأسها موافقة لتستطرد ياقوت :





_انتِ غلطتي إنك كدبتي عليه ليلتها ...يامن محتاج يحس إنك واثقة فيه عشان هو كمان يثق في نفسه ...محتاج حد يحارب وساوسه معاه وما يبقاش لوحده ...خلليكي كتاب مفتوح قدامه...صدقيني ...ده الطريق الوحيد مع واحد بشخصيته دلوقت .

_يعني أقولله ؟!

عادت ياسمين تسألها بحذر لترد ياقوت بثقة :

_قوليله وخلليه يتأكد إذا كانت فعلاً هنا وبتراقبك...أو ده كله مجرد هلاوس من عقلك الباطن عشان إحساسك

بالذنب ...وبناء على ذلك احنا هنتصرف ...لكن كونك تخبي عليه ده ضرر ليكي وليه .

ابتسمت ياسمين بارتياح مقتنعة برأيها لتشكرها بإسهاب قبل أن تغادرا معاً النادي لتقول ياسمين بتردد :





_سمعنا إنك سبتِ المركز...بإذن الله يكون موضوع مؤقت ...حقيقي انت دكتورة شاطرة جداً وتستاهلي كل خير .

ابتسمت لها ياقوت مجاملة قبل أن تعرض عليها ياسمين توصيلها للبيت بسيارتها ...

هذا العرض الذي تقبلته ياقوت على مضض وهي تحاول تجنيب شعورها الذي يتضخم بالغيرة ...

ياسمين أنثى بكل معنى الكلمة !!

جمالها...صوتها ...أناقتها ...حركاتها ...

فلو أضفنا لهذا تألق طلتها الأرستقراطية ...فالمحصلة امرأة استثنائية حقاً!!

كيف تملك إذن ألا تقارن نفسها بها ؟!!

معذور هو إن تعلق بها فمثلها تليق به ...

لكن هي؟!!

توقفت ياسمين أمام العنوان الذي وصفته هي لها لتدور ببصرها حولها متسائلة :




_انتِ ساكنة هنا؟!

أشارت لها ياقوت نحو مدخل البيت وعيناها تترصدان كل انفعالات وجه ياسمين وكأنها تتبين إن كانت تعلم أن هذه شقته ...

لكن ياسمين بدت بريئة تماماً وهي تقول بعفوية صاغت ابتسامتها:

_بيت جميل .

فتنهدت ياقوت بما لم تدرِ هل هو ارتياح أم خيبة !!

هل تفرح لأنها لا تعرف شقته هذه ؟!

أم أنها كانت لديه أكبر من أن تعلم عن شيئ تافه كهذا ؟!!

_ماتقلقيش ...هابعتلك رقم المحامي وعنوانه ...وهاوصيه عليكِ...كلنا معاكي ...وربنا قبل الكل !




قالتها ياسمين مؤازرة بروحها الحلوة فلم تملك ياقوت

إلا أن ابتسمت لها شاكرة لترد بمهنيتها المعهودة :

_وأنا كمان هاستنى منك تليفون تطمنيني وصلتوا لإيه في موضوع سيلين .

قالتها لتغادر سيارتها نحو البيت لتعود ياقوت فتلقي نظرة خلفية على سيارتها الفارهة تغادر ...

وذهنها ينسحب عفوياً لهذا الذي يشغل عقلها ...

ويشغل قلبها قبله !!

=========

_ستي ثمر!

ترتمي بين ذراعيها باشتياق قبل أن تغمر كفيها بالقبلات بعدما سمح لهما الرجل المسئول بالسجن بهذه الزيارة في مكتبه ...





_عاملة إيه انتِ وأختك ؟!

تسألها ثمر بقلق وقد بدت شاحبة الوجه بملابس السجن لتجيبها ياقوت محاولة التماسك:

_كلنا كويسين مش ناقصنا غيرك يا ستي.

_ورابحة ؟!

_بخير يا ستنا ...كلنا بخير...ماتقلقيش...أنا وكلت لك أكبر محامي ...وناس معرفة وصوا عليك هنا عشان تبقي مرتاحة .

هزت ثمر رأسها لتتفحص ملامحها بخبرتها قبل أن تقول ببطء:

_قالولي حد مهم قوي موصي علي هنا .

فارتبكت ملامح ياقوت لترد بسرعة :

_ربنا كبير ...حالة عندي كنت بعالجها ولها قرايب مهمين ...لما قصدتهم ماتأخروش.




همهمة خافتة كانت جواب ثمر قبل أن تسألها فجأة :

_ده البيه بتاع مصر؟!

لكن ياقوت حافظت على ملامحها لترد بثبات رغم كراهيتها للكذب عليها :

_أنا وعدتك إني هاقطع علاقتي بيه يا ستي ...خلاص ...المهم طمنيني عليكي انت عاملة إيه ؟

هنا عادت ثمر ترمق وجهها بنظراتها الغامضة وكأنما تبينت كذبتها في عينيها قبل أن تغمغم بخشوع:

_لله الأمر من قبل ومن بعد ...

ثم ابتسمت لتردف برضا:

_شفت رؤيا خير لأمك الله يرحمها ...كانت محنية إيديها وبتبصلي وبتضحك ...أول مرة أشوفها في منامي بتضحك من يوم ماراحت للي خلقها .

ظهر التأثر على وجه ياقوت وهي تهم بسؤال آخر لكن الرجل عاد يدخل ليعتذر لهم عن انتهاء مدة الزيارة ...

فارتمت ياقوت بين ذراعي جدتها من جديد لتهمس لها بين دموعها :

_بيقولوا اننا بنتحرم من النعم اللي ما بنقدرش قيمتها ...بس أنا طول عمري عارفة إن حضنك ده أكبر نعمة ياستي ...ربنا مش هيحرمني منه أبداً .

فابتسمت المرأة الصابرة لتقول بصوتها المهيب عبر أسنانها المكسورة وكأنها تمنحها وصية غير مباشرة :





_أنا عايشة طول ماانتو حافظين اللي علمتهولكم ...مش هاموت إلا لو نسيتوه ...حطيها حلقة في ودنك وفكري بيها أختك ...ربنا هو الحافظ !

=======

_أجيلك؟!

رسالته بكلمته الوحيدة زلزلتها !

قلبها يقرأها بنكهة الوعد ...وكبرياؤها يتلقاها بمعنى

الاستئذان !!

وبينهما روح عطشى مستعدة لتلقيها بأي صورة فقط لتطمئن عليه !!

يومان مرا بها كإعصار اجتاحها دون رحمة !!

لكنها لا تزال تتشبث ببقايا "بابها المخلوع " ...




تمنحه موافقتها مكتوبة برسالة كذلك قبل أن تذهب لتبدل ملابسها ...

لكنها لم تكد تخطو خطوة حتى سمعت طرق الباب !

عيناها تتسعان بارتياع مترقب وهي تتوجه بسرعة نحو العين السحرية لتجده هو!

هل كان يرسل رسالته وهو أمام الباب ؟!

سؤالها الأخير بدا واضحاً في عينيها المستنكرتين وهي تفتح الباب له ليجيبه بابتسامته التي تمزج الغرور

بالعاطفة :

_استأذنتك زي ما وعدتك .

عيناها تنجذبان دون وعي لذراعه المضمد فتستعيد بشاعة ذكريات تلك الليلة ...

بينما عيناه هو تجريان على تفاصيلها هي بجموح ...

كانت ترتدي واحدة من جلابيب أمها المزركشة قديمة الطراز والتي اعتادت أن ترتديها كي لا تنسى ...

وما أحوجها لهذا الآن!!

ورغم هيئتها الهزلية هذه مع ملامحها شديدة الإرهاق بدت في عينيه شديدة التفرد خاصة والقمران السجينان في عينيها يتألقان مع لمعة شعرها الداكن بمزيج آسر ...

_واضح إنك قلقانة عليا لدرجة إنك نسيتِ وفتحت الباب من غير حجاب!

يقولها بنبرته التي تمزج غروره بعاطفته لترتبك ملامحها وهي تضع يدها عفوياً على شعرها قبل أن تنتبه لما ترتديه !!





تباً!

ألم تكن في طريقها لتبدل ثيابها ؟!

ماذا جرى يا ياقوت؟!

منذ متى تهتمين بجمالك في عيون الرجال؟!

خبئي جواهرك لمن يستحقها ...

ولا تتبعي سبيل "أشواق"!!

قشعريرة باردة تتملك جسدها مع هذا الخاطر الأخير لكنها تتجاهلها كما تتجاهل عبارته لتفسح له الطريق وتصفق الباب بعنف!

قلبها يرتج بهذا اللحن الخاص بينهما والذي تزداد وتيرته كلما وجدت نفسها معه وحدهما ..





هذا الذي حاولت التغلب عليه وهي تنأى ببصرها عنه بينما هو يجلس على الأريكة لتنفلت منه آهة مكتومة جعلتها ترفع عينيها نحوه بحنان قلق بخلت به كلماتها ...

لكن ابتسامته الدافئة قرأت شعورها المرتبك على

ملامحها قبل أن يسألها باهتمام :

_قابلتِ جدتك ؟!

إيماءة خافتة كانت جوابها بينما تسبل جفنيها لترد باقتضاب:

_قالتلي إنهم بيعاملوها كويس هناك فعلاً أحسن م الباقيين .

_ما تقلقيش...قريب قوي هتخرج وترجع بيتها .

قالها مطمئناً لترد هي ولا تزال هي واقفة مكانها عاجزة عن النظر نحوه :

_همسة كمان بتتحسن ...قريب قوي هترجع تقبل تعيش وسطنا...

ثم تلعثمت نبرتها نوعاً لتصحح خطأها بسرعة :




_وسطكم...بطريقة طبيعية !

عقد حاجبيه بضيق وهو يشعر أنها تضع صنيعه مع جدتها أمام صنيعها مع أخته ...

خاصة عندما استطردت بنبرة عملية :

_يفضل ما تخليهاش تشوفك اليومين دول عشان ما تقلقش ...أنا هابررلها غيابك بأي حاجة ...لو شافتك هتسأل حصل ليه وازاي وممكن ده يخوفها أكتر .

_وانتِ مش عايزة تعرفي ده حصل ليه ؟!

يسألها بترقب ماكر لكنها تهز كتفيها لترد بنفس النبرة العملية :

_شيئ ما يخصنيش...اللي بيننا همسة وبس!





همهمة قصيرة تغادر شفتيه فلا تدري ضائقة هي أم مترقبة ...

قبل أن يتنهد بحرارة وهو يعود بظهره للخلف مغمضاً عينيه مما استفز أمومتها لتقول بنبرة رقت نوعاً:

_انت خرجت م المستشفى على هنا ليه ؟! مش كان الأولى تروح بيتك تستريح؟!

_ما انا بستريح ...هنا .

يغمغم بها مغمض العينين لتضبط نفسها متلبسة باختلاس النظر لملامحه المرهقة ...والوسيمة !!

لعنت نفسها سراً للخاطر الأخير لتعود للهجتها فظاظتها وهي تسأله بينما تغض بصرها عنه :

_تشرب إيه ؟!

قالتها وكأنها تذكره أنه مجرد ضيف هاهنا مادامت هي قد ارتضت البقاء ...





لكن صمته يؤرقها للحظات قبل أن يفتح عينيه بابتسامة خافتة :

_اختاري لي على ذوقك .

زفرت زفرة قصيرة وهي تغادره نحو المطبخ القريب لتحضر له كوباً من عصير البرتقال الطازج الذي انحنت لتضعه أمامه قبل أن تستقيم واقفة من جديد وقد حافظت على مسافة مناسبة بينهما ...

يرتشف العصير بتلذذ صامت وعيناه الماكرتان تغازلانها بنظرات ما عادت تخطئ تأويلها ...

لكن شفتيه تجزيانها عن صمتها المتجافي بمثله !

قبل أن يضع الكوب الفارغ جانباً ليفتح حديثاً بقوله :

_وجود رائد نفعنا في التحقيق..قال إن هو اللي كان راكب معايا ...

_والتحقيق وصل لإيه ؟!





سألته بقلق لم تستطع إخفاءه ليرد بمكر ساخر:

_مش قلتِ ما يهمكيش؟!

نظرتها الساخطة تستجلب ابتسامة واسعة لشفتيه حلقت فوق قلبها هي كطير من الجنة ...

لكنها حافظت على جمود ملامحها لتتجاهل عبارته قائلة بنبرتها العملية :

_قلت لي إن رائد أنقذ حياتك مرة ...لو هم نفس اللي استهدفوك المرة دي فرأيي إنهم مش عايزين يقتلوك ...هم بيخوفوك بس ...لو كانوا عايزين يعملوها كانوا يقدروا بسهولة جداً خصوصاً مع المفاجأة .

فالتمعت عيناه بإعجاب حقيقي وقد راقه أن تصل مثله لهذا الاستنتاج قبل أن يهز كتفيه ليقول ببساطة :

_ما تشغليش بالك .




أغاظتها البساطة التي يتحدث بها وكأنه ليس في خطر لكن حسن فراستها جعلها تستقرئ في طبيعته ما يمنعه من الاعتراف بخوف ...

هي تعلم أن دنيا رجال الأعمال هذه لا تخلو من مخاطر لكن أن يصل الأمر للدم ...

فهذا هو ما يثير اشمئزازها حقاً !!

لهذا هتفت به بحدة مفاجئة:

_والله كان ممكن مااشغلش بالي لو حضرتك ما تفضلتش ودخلتني غصب عني في حياتك دي...ما سألتش نفسك لو كان جرالك حاجة واتفضحت قصة جوازنا كان هيبقى شكلي إيه ؟! بس ليه تفكر وتشغل بالك مادام كل اللي يهمك مصلحتك وبس؟!

العينان الماكرتان تنكسران بموج من ألم قبل أن يغمضهما بقوة ...

هي محقة في حدتها ولو تمادت أكثر لما لامها ...





إنه لم يعاتب نفسه في حياته كما يفعل منذ ذاك اليوم وهو يتصور ما لو كان أصابها هي مكروه بسببه !

لكنه كعهده لا يزال عاجزاً معها عن التراجع ...

أو حتى عن اعتذار لا يليق بذنبه العظيم معها !!

بينما شعرت هي بسخافة ما قالته خاصة مع الألم الواضح على ملامحه فارتجفت شفتاها بتوتر لتغمغم :

_عموماً مش وقته الكلام ده ...روّح دلوقت وارتاح .

هنا فتح عينيه لتغزل النظرات الدافئة سبيلها بينهما رغم ما يبدو من ظاهر الجو المشحون ...

قبل أن يتوهج سراجا الذهب في عينيه بتساؤله :

_ممكن تقريلي شوية ؟!




صرخت ملامحها بالاستنكار الذي صمتت عنه شفتاها ليردف هو بابتسامة شاردة :

_ممكن يبان لك طلب غريب ...بس حقيقي صوتك بياخدني دنيا تانية ...دنيا محتاجها تفصلني عن كل الضغوط اللي حواليّ...

ثم ارتجفت شفتاه بطيف من الذنب مع استطراده :

_لو رفضتِ هامشي بهدوء ومن غير تردد .

كادت تهتف برفض قاطع وصراع مشاعرها المحتدم يخرج أسوأ ما فيها ...

لكن ....خدعها قلبها!!

خدعها متذرعاً بمهنيتها وأنها ليست سوى أمام رجل مريض!!

خدعها متحججاً بشفقتها وامتنانها لرجل افتداها بنفسه !!





خدعها متوارياً خلف جدار من قوة طالما تشدقت بامتلاكها غافلةً عن ثغرات الضعف التي تجتاحها يوماً بعد يوم !!

_عايزني أقرالك إيه ؟!

غريبة كانت نبرتها وهي تنطقها !

لم تكن المهادنة المطيعة ...ولا الساخرة المستنكرة ...

بل كانت زائغة...متعثرة ...تماماً كروحها الآن !!

_المكتبة عندك جوه ...اختاري اللي انت عايزاه .

جوابه اللبق ألقى الكرة في ملعبها لترمقه بنظرة مشتتة نوعاً قبل أن تعطيه ظهرها لتتوجه نحو الغرفة التي صارت لها ...

قدماها تتوقفان أمام المكتبة الكبيرة حائرة فيما ستختاره ...





بينما تردد هو للحظات قبل أن يلحق بها بخطوات متمهلة ...

عيناه تختلسان النظر لغرفة النوم المجاورة فينعقد حاجباه بقوة مع مشهد المرآة المكسورة ...

والسرير المرتب الذي يبدو أن لا أحد قد استخدمه !!

قبل أن يتحرك نحو غرفة المكتبة ليصدمه منظر الغطاء الذي تم طيّه بعناية على جانب الأريكة !!

_انتِ بتنامي هنا؟!

صوته خلفها أجفلها لتلتفت نحوه بمزيج من غضب وارتباك لكن نظرته المطمئنة التي امتزجت بالكثير من الأسف وهو يدرك مغزى فعلتها جعلتها تتجاهل





سؤاله وهي تعود ببصرها نحو الكتب هناك متظاهرة بالبرود ...

فيما ظل هو يتأملها ببصره آسفاً للحظات قبل أن يقترب منها ببطء لتفاجأ به خلفها فالتفتت نحوه بحدة ليقترب من وجهها بوجهه هامساً أخيراً باعتذار قاهراً معه نداء العزة الآثم :

_مش عارف ممكن أعتذر لك إزاي ...أي كلام هيبقى صغير قوي قدام اللي خليتك تحسي بيه ليلتها .

عيناها تتسعان للحظة بانفعال واعتذاره البسيط ـ المعقد ـ هذا يربك فكرتها السابقة عنه ...

لهذا ارتجف جسدها لا تدري بأثر قربه...نظراته...أم بأثر هذا الشعور الذي يجتاحها الآن نحوه ...

الشعور الذي قاومته بكل قوتها وهي تسبل جفنيها مغمغمة بإرهاق تسلل عبر النبرة القوية :





_أنا كمان آسفة لو ما قدرتش أشكرك...انت فديتني بنفسك يومها ...وساعدت جدتي في محنتها...أنا عمري ما كنت مهزوزة أد اليومين دول ...يمكن لما يعدوا على خير وأرجع تاني لحضن ستي ثمر أقدر أوزن الأمور صح .

نبرتها المرتجفة بين وهن وقوة اخترقت صدره بهذا الإغواء غير المتعمد الذي لا تشبهها فيه أي امرأة !!

كل ذرة فيه تناشده المزيد من الاقتراب ...

الغرق في هذا الدفء المشع منها دون رغبة في النجاة ...

شفتاه تقطعان السبيل بينهما بشوق لهذين القمرين السجينين في عينيها ...

لعل لقاءهما يحررهما !!

لكنهما تتوقفان بعزم لتحيدان عن وجهتهما نحو جبينها الذي توجته أخيراً قبلة اعتذاره !





انتفض جسدها لملامسته لتعود وقفتها لتحفزها لكنه تحرك مبتعداً ليجلس على الأريكة التي تتخذها هي فراشاً وكأنه أبى إلا أن يلون كل ما يخصها بطيفه !!

رمقته بنظرة طويلة زائغة وهي تشعر أنها تهوي في هذا البئر السحيق أكثر وأكثر ...

تكاد ترجوه الابتعاد ...وتكاد تتوسله القرب!!

وجوهه العديدة تتمايل وتدور بها في دوامة فتخلق معها وجوهاً عديدة لها هي الأخرى...

فمتى تقف عجلة الدوران ليقابل كل منهما الآخر بوجه واحد يستحق الآخر؟!!

تنهيدة حارقة تغادر صدرها قبل أن تعطيه ظهرها لتتناول الكتاب الذي اختارته ...





والذي تحركت به نحوه ليرمقها هو بنظرة راجية ذات مغزى وهو يفتح لها ذراعه السليمة مفسحاً لها مكاناً بين ساقيه بهذه الجِلسة الحميمية التي تركت أثرها بينهما منذ المرة الأولى ...

لم تفاجئها حركته المتوقعة بقدر ما فاجأتها استجابتها !!

كأنما الفعل المهيب الذي كانت تستنكفه صار الآن مجرد عادة !!

أناملها تستسلم لكفه الممدود وهو يجذبها برفق هذه المرة ليجلسها بين ذراعيه ...

ذراعه السليمة تحيط بخصرها من الخلف بمزيج متوازن من تشبث ورفق ...

فيما ذراعه المصابة جوارها تذكرها بتلك اللحظة التي سمعت فيها اعترافاً غالياً -غير منطوق- بمكانتها لديه ...

وكيف لا وقد افتداها بنفسه ؟!!





ساقاه تطوقان ساقيها فتشعر وكأنما اندمجا معاً في جسد واحد ...

مذاق عناقاتهما السابقة كلها يتوالى متبايناً أخاذاً في ذاكرتها ...

لتختمه بمذاق العناق التاسع هذا ...

مذاق "الاستراحة"!!

أجل ...كلاهما الآن كان أشبه بمحارب يحتاج فقط لهدنة قبل أن تطحنه رحى القتال من جديد !!

ربما لهذا سمحت لجسدها أن يستكين بين ذراعيه بهذا الاستسلام الذي شعر هو بها ليضم جسدها نحوه برفق أكبر ...

قبل أن ينتبه لعنوان الكتاب الذي اختارته ...





_نحن لا نزرع الشوك !

همس بها ببعض الدهشة من اختيارها ليجيبه صوتها المنهك الذي احتله شروده :

_أكتر رواية حبيت نهايتها الواقعية ...الخدامة لما حبت سيدها ما اتجوزهاش...الموت هو الحاجة الوحيدة اللي جمعت بينهم ...لكن طول ما هم عايشين فضلت الخدامة خدامة والسيد سيد ...زمان كنت بتضايق قوي من نهايتها ...كنت بقول لو قابلت الكاتب هسأله ليه ما خلتش الحب يهون الفروق اللي بينهم؟! ...بس كل ما كنت بكبر كنت بفهم إن هي دي النهاية الوحيدة اللي ممكن العقل يقبلها .

نبرتها الانهزامية كانت بعيدة تماماً عن نبض العزة الذي طالما كان يتراقص بين حروفها ...

هذه النبرة التي أثارت حميته ليقترب بشفتيه من أذنيها مسنداً ذقنه على كتفها مع همسه القوي :





_مش يمكن هو فعلاً حبها وعاش ندمان إنه ماتجوزهاش ؟! اختياراتنا مش دايماً بتبقى سهلة وواضحة .

أطرقت برأسها بعدم اقتناع قبل أن تبدأ في القراءة ...

أو بالأدق ...في الهروب!!

الانسحاب البطيئ لهذا العالم الخيالي من المشاعر حيث تخلع نعليها وتركض حافية بين حقوله ...

صوتها يعلو ويهبط في تناغم لم تتعمده لكنه كان يفعل الأفاعيل بقلبه هو حولها ...

لم يكذب حين قال إنه يحتاج صوتها هذا !!

تشعر برأسه يتثاقل على كتفها فتخفض صوتها قليلاً لتدرك أخيراً من تباطئ أنفاسه المنتظمة أنه قد.... نام !!





ابتسامة خافتة شقت طريقها نحو ثغرها المنهك ودون أن تشعر وجدت رأسها يميل ليستند على كتفه ...

قبل أن تسقط في النوم هي الأخرى ...

النوم الذي لم تذقه منذ مصابها بثمر ...إلا الآن بين ذراعيه !!

======

فتح عينيه فجأة وهو يشعر بتنميل في ذراعه السليمة حيث سقط رأسها على أعلاه ليشعر بالدهشة لأول وهلة قبل أن تحلق ابتسامة راضية على شفتيه ...

هي نامت بين ذراعيه !

هكذا ببساطة ؟!

شعوره بهذا القرب منها ألهب الدماء بين عروقه خاصة وطوق جلبابها -الغريب هذا - ينحسر عن عنقها الطويل وجزء من كتفها لتبدو له بشرتها الناعمة ساحرة ...بل أخاذة ...





المزيد من الجنون يجتاحه مع مرأى ثلاث شامات متناهية الصغر تصنع مثلثاً صغيراً على طرف كتفها المقابل لصدره فلا يشعر بشفتيه وهما تنحدران فوقها بخفة تتذوقانها قبل أن يحاول إزاحة طوق الثوب أكثر بأنفه محاولاً استكشاف المزيد دون تغيير جلستهما هذه ...

يستحضر صورتها ب-تلك الليلة الكارثية- وقد أشرقت شموس أنوثتها التي طالما تخفيها وسط ظلام تحفظها معه ..فيزداد خفقان قلبه وتعلو وتيرة الجنون على الشفاه الجامحة...

لكنه يتوقف فجأة !

يتوقف ليرمق جانب وجهها النائم المقابل له بنظرة مستاءة آسفة وقد كره أن يستغل نومها لينال منها شيئاً دون رضاها .

هي لم تكن لتستسلم للنوم بين ذراعيه هكذا إلا لو كانت تأتمنه وهو لن يخونها هي بالذات متى ائتمنته!





المقاومة صعبة حقاً خاصة ومظهرها المستسلم هذا بين ذراعيه في نومها -والبعيد عن تنمرها المعتاد -يمنح

ملامحها المزيد من الجاذبية الكاسحة ...

لهذا لم يشعر بنفسه وذراعه السليمة التي تطوق خصرها تزيد من قوة ضمها نحوه كأنما يريد غرسها بين ضلوعه في ردة فعل لاستجابة جسده الحسية لها...

زفرة حارقة تغادر صدره أخيراً ليلفح لهيبها بشرتها هي خاصة مع ضغط ذراعه على خصرها فتنتبه فجأة من نومتها لترمقه بنظرة مشتتة ...

"القمران السجينان" في عينيها يبدوان أكثر تألقاً بهذا القرب خاصة وأهدابها الثرية ترفرف حولهما باضطراب فيحتاج ما يفوق قوة احتماله كي يسيطر على نفسه ...

لهذا أغمض عينيه بقوة وهو يزيح ذراعه عنها لتعدل هي جلستها فتبتعد عنه مسافة مناسبة قائلة بارتباك صوت لايزال متعثراً بنعاسه :





_احنا نمنا ؟!

فيفتح عينيه ببطء ليطالع ملامحها المرهقة لبرهة وقد حمد لها ابتعادها هذا عنه قبل أن يفقد سيطرته... ليهمس أخيراً بنبرة ذات مغزى:

_احنا ...صحينا.

عيناها تستكشفان ملامحه بذكائها المعهود وكأنما تقرأ ما يريد قوله قبل أن تتنحنح بخجل فطري لون وجنتيها لتشيح بوجهها ...

فابتسم وهو يحاول استدراجها لسبب استسلامها للنوم بين ذراعيه هكذا بقوله:

_معلش ...المسكنات اللي باخدها بتخلليني أنام من غير ما أحس ...شكلي صعبت عليكِ ما حبتيش تقلقيني .





تغاضت عن طيف المكر في نبرته الرخيمة الآسرة و الذي لاح حول كلماته الأخيرة لتحاول استعادة توازنها قائلة بصوت متحشرج :

_أنا كمان نمت غصب عني ...بقالي تلات أيام تقريباً ما نمتش ...

قالتها ثم هبت واقفة تعطيه ظهرها مكتفة ساعديها كأنما تريد الفرار من هذا المارد الذي يعيث فساداً في جنبات صدرها ...

ليقف هو بدوره وقد انفلتت منه أنّة متوجعة خافتة جعلتها تتذكر مصابه فاختلست نظرة جانبية نحوه لتعود لصوتها لهجتها العملية الجافة :

_المفروض تروّح ترتاح .

لكنه اقترب منها متجاهلاً جفاف عبارتها ليرفع أنامله ببطء نحو وجهها وعيناه الآسرتان تجذبان نظراتها بغموض غيّبها لثوانٍ مع همسه الذي فاجأها:





_مش لابسة حلق ليه ؟!

لم تدرك ما يقوله لبرهة إلا عندما شعرت بسبابته تسير ببطء متمهل حارق فوق حافة أذنها كأنها ترسمها ...

فأغمضت عينيها بقوة وهذه القشعريرة الباردة تسري في جسدها متزامنة مع رقصات سبابته التي استمرت في سيرها بطول عنقها حتى وصلت لجيدها ...

ففتحت عينيها فجأة لتبتعد عنه خطوة للخلف قبل أن تأخذ نفساً عميقاً لترد بنفس النبرة الجافة :

_مابحبش المظاهر .

_بس الستات كلها بتحب الزينة .

كلماته لم تحمل استنكاراً بل بدا وكأنه يسحب بحبل رفيع دلواً من بئر كتمانها العميق ...

هذا الذي فاضت به كلماتها بعدها :




_زينتي مش في جمال ولبس ...زينتي في عقلي وطموحي .

_يوم ما هتحبي بتجد ...هتدوري إزاي تتزيني للراجل اللي اخترتيه .

صوته الرخيم بكلماته التي تداعب وتر أنوثة خفية بداخلها لم ينجح في تغيير نبرة صوتها التي حملت الكثير من التحدي مع استطرادها:

_ما بحسبهاش كده ... لما اختار راجل أحبه هختاره لسبب واحد ..إنه الوحيد اللي قدر يشوف زينتي حتى وأنا مخبياها.

ابتسامته تتسع وعيناه تلتمعان أكثر مع هذا الشعور الذي يتضخم بصدره أكثر ليقترب منها خطوة قبل أن يهمس بنفس النبرة التي تسربت منها رغماً عنه عاطفته الخفية :





_يعني هتختاريه عشان هو اختارك وبس ؟!

شرود غريب يظلل ملامحها المنهكة قبل أن يصله صوتها الكسير رغم عزته :

_انت عايز توصل لإيه ؟!

فاقترب منها خطوة أخرى ليحتكر نظراتها بهمسه الدافئ:

_مؤقتاً ...عايزك تسمحيلي ألبسك حلق !

ابتسامة ساخرة تظلل شفتيها اللتين زمتهما بعدها بقوة لتغمض عينيها بتساؤلها :

_وبعدين؟!

_تسمحيلي أقرب منك أكتر ...

قوله يتزامن مع خطوة أخرى نحوها ليردف ومرأى عينيها المغمضتين يثيره أكثر :




_ممكن تقوليلي شايفاني إزاي؟!

صمت قصير ساد بينهما حتى ظنها لن ترد ...

لتصله كلماتها بعدها شديدة الأثر كأنما كل حرف منها يثقب روحه بنقش لن يزول:

_شايفاك بير مهجور غويط متغطي بورق شجر...اللي يبص له من بعيد يتخدع فيه مايفوقش غير وهو بيقع ...

كاد يرد على عبارتها لكنه خشي أن يفسد لحظة اعتراف نادرة كهذه ...

فاكتفى بصمته يستمع لما تبقى من بوحها ولاتزال مغمضة العينين :

_شايفاك عكسي قوي ...بس شبهي قوي ...نفس حِمل الماضي اللي شايلينه على ظهرنا...لا عارفين نرميه ورانا ونكمل طريقتا...ولا قادرين نكمل سكّتنا بيه ...فواقفين مكاننا وفاكرين اننا




ماشيين ...ومستغربين ان الطريق كل شوية بيطول !

تعبيرها كان شديد البساطة ...شديد العمق ...تماماً مثلها !!

أي جاذبية هذه التي تملكها امرأة كهذه فلا يشعر بنفسه في كل لحظة إلا وهو يغرق بها أكثر!!!

شعوره بها واضح..صارخ...لا يحتاج تأويل ...

لكنه ينكره بغرور رجل يصرّ أن يراه مجرد "إحساس مبهم "!!!

لهذا وجد لسانه ينزلق بما ظن أنه ينجيه :

_ممكن نبقى... أصحاب !

الكلمة الأخيرة تلكأت بها شفتاه لا بدافع المكر بل بدافع الحيرة !

العجز "الغريب" على رجل طالما أعجبته قدرات ذاته !!

لهذا طعنته كلماتها بعدها في الصميم :

_أصحاب؟! مش دي نفس اللعبة اللي لعبتها مع ياسمين قبل ما... ؟!

قطعت كلماتها بازدراء دون أن تكملها ...

فانعقد حاجباه بغضب للحظة ثم اختصر المسافة بينهما ليحيط مؤخرة عنقها بكفه قبل أن يقرب وجهها منه بسرعة جعلتها تشهق بخوف لم تملكه ...

ليهمس من بين أسنانه :

_أولاً ...أنا ما كنتش بلعب مع ياسمين ...أنا فعلاً كنت عايز أتجوزها ...

تباً لهذه الغيرة التي تحرق الآن صدرها بلا رحمة !!





اعترافه الحار بهذه الصورة ...بهذا العنف وهو يقربها منه -بجسدها- لم يكن يزيد -قلبها- إلا شعوراً بالبعد ...

كأنما صارت منه ما بين المشرق والمغرب!!

لهذا عادت تغمض عينيها بقوة تخفي رقرقة دموعهما غافلة عن فضيحة ارتجاف جسدها الصارخ بمشاعره ...

لكن هذه الدمعة الخائنة تسربت عبر أهدابها لتظل سجينة هناك على طرف جفنها ...

هذه التي مسحها هو الآن بطرف إبهامه ولايزال يطوق مؤخرة عنقها براحته ...

ليهمس لها أخيراً بنبرة أكثر رقة...أكثر دفئاً...وأكثر صدقاً :

_ثانياً...ما تقارنيش نفسك بأي ست تانية ..

لأني عمري ...عمري ما حسيت مع أي واحدة.

اللي حسيته معاكي .





شفتاها ترتجفان بهذه الطريقة المغرية التي تكاد تذهب بعقله خاصة وهي تغمض عينيها هرباً ...

أجل ...هو كان من الذكاء أن يدرك كم تجاهد نفسها لتهرب منه ...

تماماً كما كان من العزم أن يقترب هو منها !

أما هي فكانت تشعر أنها على وشك السقوط بعد سماع اعترافه ...

بهذه الحرارة...وبهذا القرب!!

السقوط الذي لن تسمح به أبداً لو صدقت أضغاث قلبها هذه !!

_اخرج ...دلوقت...يا اما ...هاخرج أنا .





صوتها القوي يجاهد كي يغادر شفتيها وسط أنفاسها اللاهثة ليشعر بالشفقة نحوها ...

ربما لو كانت في ظروف غير هذه لاستمتع بنزالهما المعهود ...

لكنه يدرك أن تقاربهما هذا يحرقها كما يحرقه !

لهذا زفر زفرة عالية وهو يطلق سراحها أخيراً قبل أن يجذبها من مرفقها ليتوجه بها نحو الأريكة التي دفعها لتجلس فوقها برفق وسط نظراتها المترقبة ...

ثم مد يده يناولها الغطاء هناك قائلاً بنبرة عاد إليها تسلطها :

_نامي كويس عشان تقدري ع اليوم بكرة ...هاعدي عليك العصر نروح لهمسة ...ممكن تروحي لهيثم الصبح .





فأشاحت بوجهها عنه كأنما قد ساءها أن يملي عليها أمراً قبل أن تسمع صوت خطواته يبتعد لينتهي الأمر بصوت الباب الخارجي يغلق !

هنا فقط سمحت لجسدها المتشنج أن يسترخي على الأريكة لتدثر نفسها بالغطاء ...

عطره اللعين يحتل كل ذرات الهواء حولها فيمتزج بأنفاسها اللاهثة ...

وشعور رهيب ب"البرد" يجتاحها وهي تسترجع لذة دفء عناقه ...

تغمض عينيها بقوة على صورته بينما كلماته تعاود الطفو على سطح هواجسها ...

"عمري ما حسيت مع أي واحدة اللي حسيته معاكي"...

تراه كان يعنيها حقاً ؟!





أم أنـها "عبارة ما " تشبه ما سمعته "أشواق" قديماً فصدقتها لتوهن مقاومتها فتسقط بعدها في قاع بلا قرار؟!!

=======

تقف في بهو البيت المتسع عقب عودتها من المشفى- حيث هيثم الفاقد لذاكرته -ترمق المكان حولها بذهول لم تغادره صدمته بعد ...

هي "جيلان هانم" التي كان يتحدث القاصي والداني عن حب زوجها لها ...

عن النعيم الذي ترتع فيه !!

الآن صار كل هذا هباء منثوراً!!

هي لم تكن أكثر من مغفلة مخدوعة !!

انـهمرت دموعها بعدها بحرقة وهي تنـهار على أقرب مقعد لا تدري ما الذي تبكيه بالضبط...

زوجها ...خيانته ...رحيله بهذه الفضيحة المدوية ؟!





ابنها ومصابه ؟!

أم هذه "الدنيا الوردية الكاملة" التي طردت منها بركلة قدم لتجد نفسها مجرد خاسرة مخدوعة !!

كانت تحتاج الآن للحديث مع أحدهم ولم تجد أقرب من صديقتها المفضلة التي تسر إليها بحديثها لهذا تناولت هاتفها لتتصل بها وما كادت تسمع صوتها حتى هتفت بين دموعها:

_انتِ فين يا سوزان وسايباني في المصايب دي لوحدي؟!

زفرة سوزان الحارقة تصلها عبر الهاتف لترد بقنوط بعد اعتذار مناسب:

_ومين سمعك ؟! أنا كمان في مصيبة !!





الصديقتان تتبادلان الأحاديث والسلوان لدقائق طالت وكل منهما تبوح للأخرى بمصيبتها التي تراها ...

حتى ظهر اسم ياقوت عرضاً في حديث جيلان لتلتمع عينا سوزان وهي تتذكر تلك الطبيبة المتعجرفة - كما تراها - لتسأل صديقتها بحذر:

_قلتيلي بنت جوزك اللي ظهرت فجأة دي بتشتغل إيه ؟!

_ما تقوليش بنته دي بتعصبني !!

صرخت بها جيلان بعصبية لتهدئها سوزان باعتذارها قبل أن تلتمع عيناها بإدراك وهي تستمع من صديقتها لما أكد لها الحقيقة ...

إذن ياقوت هذه ابنة حسين من الخادمة !!

ابتسامة ساخرة متشفية ترتسم على شفتيها وهذه المفاجأة تمنحها ورقة رابحة !





لكنها حافظت على هدوء نبرتها وهي تغلق الاتصال مع جيلان بكلمات مواساة واعدة إياها بزيارة قريبة ...

قبل أن تتسع ابتسامتها وهي تتناول حقيبتها القريبة وقد قررت الخروج في زيارة كانت تراها ثقيلة الظل على قلبها ...

لكن الآن ...المعلومات الأخيرة ستزيدها إثارة !!

=======

_حمداً لله على سلامتك !

قالتها سوزان بينما زين يستقبلها في "بيت الفايد" ببرود لم تتعجبه بعد موقفهما الأخير ليرد هو بنبرة أظهرت تحفزه :

_الله يسلمك .

رده البارد يزيد حماستها لما جاءت لأجله لكنها تتعمد تأجيل الأمر بسؤالها:

_ماعرفتش مين اللي ورا الحكاية دي؟!

_لسه...بس أكيد هاعرفه !




بنفس البرود يجيب وهو يكاد يوقن أن خلف زيارتها هذه شيئاً ...

خاصة عندما هتفت بعجرفتها القاسية :

_لازم تعرفه ...لو مش عشانك فعشان رائد اللي بتصادف كل مرة ويبقى معاك .

زفر زفرة ساخطة وهو يدرك إلى أي طريق يقود هذا الحوار ...

هكذا إذن ؟!

هي جاءت تلومه على تورط ابنها معه في شأن كهذا ؟!

بينما كانت هي تشعر ب"الغُبن" وهي ترى كيف صار ابنها فجأة الضحية ...

هو يعمل لأجل زين ...يخاطر معه بحياته...وفي النهاية يتزوج أخته العليلة ليربط مصيره بها ...

وكأنما أنجبته ليكون كبش الفداء لزين هذا !!





ألا يكفي ما فعله أبوه بها قديماً والآن يأتي ابنه ليقتطف حصاد كل هذه السنوات وحده ويخرج ابنها "من المولد بلا حمص" كما يقولون إلا من زوجة معيبة تكاد تذهب بعقله هو الآخر!!

_اطمني ...رائد خلاص ما عادش بيشتغل معايا .

قالها محاولاً دفع اتهامها لترد بنفس الغطرسة :

_مجرد جوازه من أختك دي هيخلليه دايماً في دايرة وجودك...لو فعلاً عايزني أطمن عليه خلليه يطلقها .

_أخلليه يطلقها ؟! هو أنا اللي خليته يتجوزها؟! ابن حضرتك مش قاصر يا سوزان هانم ...ولو فيه حد متضرر من الجوازة دي المفروض أبقى أنا مش انتِ ...لكن أنا مضطر أقبلها عشان مصلحة همسة وعلاجها .

قالها بنبرته الباردة المسيطرة لترد هي بسخرية :





_آه ! علاااجها؟! ومين بقا اللي أفتى إن علاجها مع ابني ؟! الدكتورة "الجربوعة" دي!!

احمر وجه زين غضباً ليصرخ بها بانفعال :

_قلت لك قبل كده ماتغلطيش في ياقوت ...كلمة زيادة وهاعتبر الحوار منتهي.

عبارته كانت تلميحاً واضحاً بالطرد لكنها تجاهلت هذه

الإهانة وانفعاله هذا يؤكد صحة حدسها ...

لتهتف بما جاءت حقاً لأجله :

_وانت بقا عارف كل حاجة عن الدكتورة "العظيمة"دي؟! عارف إنها بنت حرام لحسين رجائي من خدامته قبل ما يكتب لها ورقة ويرميها في وشها ؟! عارف مين هو حسين ده ؟! فلوسه منين ؟! ومات إزاي ؟! عارف إن جدتها قتلته وهي دلوقت في السجن ؟! هي دي بقا الدكتورة المحترمة اللي انت سايبها تدخل بيت ابني عشان تعالج أختك ؟!





الغضب يلجمه للحظات وهو عاجز عن الرد ...

لتلتمع عيناها بانتصار خفي وهي تشعر بتفوقها !!

لو كانت هذه الطبيبة من المهارة حقاً أن تعالج همسة فلن تسمح لها بالمزيد !!

ابنها لن يبقى مع همسة هذه ولو على جثتها !!

_حتى لو اللي بتقوليه ده صح ...ده ما يعيبش ياقوت نفسها في حاجة ...اللي يهمني إنها تعالج همسة وبس...وأظن ده نجحت وبتنجح فيه .

قالها ببرود مشتعل محاولاً السيطرة على أعصابه لترمقه هي بنظرة طويلة متفحصة قبل أن تداعب أناملها خصلات شعرها الأصفر المصبوغ





بقولها :

_ياريت فعلاً يبقى كل اللي هامّك إنها تعالج همسة وبس ...واللي في بالي مايكونش صحيح !

كز على أسنانه بقوة لتخرج كلماته قاسية فظة :

_من امتى زين الفايد بيسمح لحد يتدخل في حياته ؟!

_أنا مش حد ...أنا مراة عمك ...وابني يبقى جوز أختك ...انت اللي شبكتني مع "البنت دي" في دايرة واحدة ...وحقي أقول مش عايزاها تعالج همسة ...مش مآمنة واحدة بالسمعة دي على "مراة ابني"!!

ضغطت بحقد واضح على حروف العبارة الأخيرة ليرفع زين سبابته في وجهها قائلاً بنفس النبرة :





_أنا لحد دلوقت محترم قرابتنا يا هانم ...لكن موضوع همسة وياقوت ده خط أحمر بالنسبة لي ...مش هاسمح فيه بحرف واحد زيادة .

ثم نظر في ساعته ليردف بنبرة أكثر برودة :

_مضطر أمشي دلوقت عشان عندي معاد مهم مع الوزير ...لو حابة تفضلي هنا البيت بيتك طبعاً .

عبارته كانت تحمل معنى الطرد الصريح هذه المرة لكنها ابتسمت ببرود وهي تقترب منه لترد ببرود مماثل:

_طبعاً البيت بيتي ...وبيت مراة ابني ...

تحكم زين في انفعاله بالمزيد من العسر ليرمقها بنظرة مشتعلة قبل أن يراقبها وهي تعطيه ظهرها لتغادر لكنها توقفت للحظة قبل أن تلتفت نحوه لترد بتهكم قاس:





_ما تنساش يا "زين بيه" وانت عندك معاد مهم مع الوزير ...إن ظهورك مع واحدة زي ياقوت دي- اللي جيت معاها في عربيتك على بيت رائد يومها- ممكن يدخلك في إشاعات مالهاش لزوم ...ممكن الجديد يصحي
القديم...يعني ...مثلاً ...يقولوا ...الولد طلع

لأبوه ...ضحكت عليه بنت "هلفوتة" عشان تطلع منه بقرشين ...أبوك اتورط زمان ببنت كانت فضيحة العمر كله ...ياريتك تتعلم انت بقا وما تتورطش.

كانت من الذكاء أن تدرك أنها تصيب نقطة ضعفه القديمة في مقتل !!

ملامحه التي تجمدت ...جسده الذي
تصلب ...وعيناه اللتان غابتا في الفراغ للحظات ...

كل هذا جعلها ترقق لهجتها لتردف بتعاطف مصطنع :





_كلام الناس مابيرحمش ...والإشاعة لما بتطلع ما بتقفش!

انتبه من شروده ليرمقها بنظرة مشتعلة إزاء "تهديدها المستتر" لكنها منحته ابتسامة كريهة أخرى قبل أن تتركه لتغادر دون أن تلتفت .

بينما وقف هو مكانه بعدها يرمق الفراغ بنفس النظرة المشتتة ...

حديث المرأة البغيض على قسوته يحمل الكثير من الصحة !

ماذا يريد من ياقوت ؟!

وما آخر هذا الشعور المبهم الذي يحمله نحوها ؟!

هل يريدها زوجة ؟!

زوجة حقيقية يواجه بها الجميع !!

سيدة لهذا البيت تدخله عروساً مزينة على مرأى من الدنيا كلها !!





قلبه يرتجف بسعادة خفية لهذا الخاطر ...

لكن عقله يقف له بالمرصاد !!

حسابات المنطق تختلف كثيراً عن أحاديث القلوب "الخائبة " هذه !!

ياقوت لن تكون يوماً نجمة لعالمه ...

هي مجرد غزال شارد وجد حاجته في مراعيه ولن يرتاح كلاهما إلا لو عاد لعالمه ...

"الدائرة المغلقة" التي وجد كلاهما نفسه فيها مع صاحبه يجب أن تفتح يوماً ...

زفرة حانقة ترافق خاطره الأخير الذي قبض قلبه بشعور كرهه ...

ممزق هو بين إحساس يختبره معها لأول مرة بهذا العمق الذي لم تسبقها إليه امرأة من بين نساء العالمين ...

وبين براهين عقل لم تخنه يوماً حساباته الذكية ...





ولما كان الصراع بينهما أقوى من أن يحتمله حتى رجل مثله ...

أخذ قراره الأخير بالسفر في هدنة قصيرة لعل قطاره بعدها يصل للمحطة الصحيحة !

==========

راقبت ياقوت جانب وجهه الشارد بتفحص وهي تقف معه في كوخ همسة الذي غادرته الأخيرة معصوبة العينين لتسير في نزهة في الحديقة مع رائد .

رائد الذي تعمد أن يبتعد بها كي يتيح لهما مساحة من الخصوصية أدرك بحدسه أنهما يحتاجانها خاصة مع خبر سفر زين الذي برره له بضرورة لأجل العمل .

_همسة بتتحسن كل يوم أكتر من الأول .

غمغمت بها بخفوت وهي تناوله "بيضة" رسمت عليها همسة وجهاً يضحك لكن دون أن تكتمل ضحكته التي تركتها معلقة في المنتصف!





هذه التي التفت نحوها هو ليتناولها منها متأملاً إياها ثم وضعها جانباً ببطء متمهل قبل أن يرفع إليها عينيه بنظرة غريبة لم تميزها فيهما من قبل ...

اعتذار ...عجز...غضب...

مثلث غريب تدرك جيداً أي قسوة تخفيها أضلاعه لهذا

لانت ملامحها نوعاً وهي تسأله بقلق:

_شكلك مش طبيعي...فيه جديد ؟!

قالتها وقد ظننت أن الأمر يتعلق بهذا الحادث الذي تعرض له قريباً لكنه بقي يرمقها بهذه النظرة "الكارثية" للحظات قبل أن يغمغم :

_أكتر حاجة حاولت أحافظ عليها طول عمري إن حياتي مايبقاش فيها جديد ...ماكرهتش أبداً أد





المفاجآت...عشان كده كل حاجة عملتها كنت بعرف أخطط لها صح ...صح جداً ...

النبرة التي كان يتحدث بها لم تكن تحمل غروراً متوقعاً كما يفترض...

بل كانت تنضح بنكهة "خسارة" خفية لم تفهمها ...

ربما هذا الذي جعلها تقترب منه خطوة لتهمس له بالمزيد من القلق:

_فيه إيه ؟!

حروفها المرتجفة على قلتها أرجفت قلبه بقوة شعوره بخوفها عليه ...

لهذا التوت شفتاه بما يشبه الابتسامة وهو يسألها بنفس النبرة الغريبة :

_خايفة عليّ؟!





كان يعلم أن سؤاله سيبقى معلقاً بلا جواب مع خبرته بطبيعتها الكتومة ...

لهذا تقبل الصمت بينهما للحظات قبل أن يعود لشروده مع قوله :

_آخر ست خافت عليّ كانت والدتي الله يرحمها ...كنت بتخنق جداً من خوفها ده ...ماتاكلش ده...ماتلبسش ده ....ارتاح عشان ماتتعبش...ماكنتش بقدر أفهم علاقة الحب بالخوف ...لحد ما هي اللي تعبت وجربت إني أنا اللي أخاف عليها ...أنا اللي بقيت أقوللها ماتاكليش ده ...ما تلبسيش ده...ارتاحي عشان ما تتعبيش ...

كلماته وخزت جانب أمومتها الذي تستشعره جلياً نحوه ...

خاصة عندما اتسعت -شبه الابتسامة- على شفتيه مع استطراده :





_بس بعدها اتعلمت إن خوفها وخوفي ماعملوش حاجة ...إن حسابات القلب دايماً خسرانة ...هي حبت والدي وادته حياتها ...وهو حب غيرها واداها حياته ...الاتنين خسروا لما سمعوا صوت قلبهم وبس...عشان كده لو فيه حاجة في حياتي خلتني أنجح وأوصل فهي إني عمري ما سمعت غير صوت حسابات عقلي وبس!

_أول مرة نتفق في حاجة .

قالتها باستحسان مصطنع رغم هذه القبضة الباردة التي تعتصر قلبها وتخبرها أن ثمة شيئاً ما ليس على مايرام ...

شيئاً يتعلق بها هي!!

هل يقصدها بحديثه ؟!!

عيناهما تعاودان اللقاء بهذا الحديث غزير المعاني الذي تبخل عنه الشفاه ...




قبل أن تشعر بأنامله تقترب من وجهها لتزيح عنها حجابها برقة فتحفزت خلاياها لما سيفعله ...

يخرج من جيبه علبة صغيرة يفتحها أمام عينيها لترى هذا القرط الفخم بلون الياقوت ...

هذا الذي ألبسها إياه وسط دوامة شعورها الغامض المقبض الذي اكتنفها وقتها والذي لولاه لرفضت هديته دون تردد !!

ترمقه بنظرة مشتتة وهي تشعر أنها تفقد معه جزءاً من نفسها يوماً بعد يوم ...

كهف غائر في حدقتيه يجتذب خطواتها لتتوه فيه دون دليل !!

بينما ظل هو يتأمل القرط في أذنيها للحظات قبل أن تشعر بذراعاه تجتذبانها نحو صدره فجأة !





العناق العاشر ...

بأي مذاق هذه المرة !!

لماذا تشعر أنه بنكهة "الفراق"؟!!

أجل ...ذراعاه كانتا تعتصرانها بهذه الطريقة وكأنه يحفر

ملامحها بين ضلوعه مدخراً عبقها لليالي فراق آتية !

خاصة عندما تجرأت شفتاه لتقبل "قرطه" فوق أذنيها بهذه الطريقة التي أشعرتها وكأنها أثمن كنوزه ...

قبلته لم تكن عميقة حارة بل اتشحت برهبة خفية كأنما

تلامس شفتاه شيئاً يقدسه ...ويخافه !!

ارتجف جسدها بقوة قبل أن تبعده بكفها لتعطيه ظهرها وهي تعدل وضع حجابها من جديد مراقبة الباب بخوف ...





هذا الشعور -القاتل- لامرأة بعزتها والذي جعلها تلتفت نحوه لتهتف بحدة :

_ممكن تراعي المكان اللي احنا فيه ؟! ممكن تبطل تلمسني كأن ده من حقك ؟!

ثم امتدت أناملها تحت حجابها كأنما تهم بخلع قرطه لكنه قبض على كفيها براحتيه ليهمس لها أخيراً بنبرة أخافتها :

_فعلاً مش من حقي ...أرجوكِ ما تقليعهوش ...

ثم صمت لحظة ليردف :

_الدايرة اللي بيننا خلاص...قربت تتفتح ...قريب قوي هتكوني حرة ...خلليه ذكرى منى تفكرك باعتذار لحد دلوقت مش قادر أقدمه صح.





امتلأت عيناها بالدموع التي وجدت صداها في عينيه هو الآخر قبل أن يشيح كل منهما بوجهه ولايزال كفاه يقبضان على كفيها ...

هل قالها حقاً؟!

هل سيطلق سراحها من هذا "القفص الماسي" الذي اعتقلها فيه ؟!

هل ستتخلص من هذا الإحساس الرهيب بالخزي وتواجه ثمر مرفوعة الرأس من جديد ؟!

هل انتصرت على سلطان غروره وهوسه بتملكها ؟!!

لماذا إذن تشعر بغصة الهزيمة في حلقها وكأن الشمس لن تشرق في عالمها بعده ؟!!

لا!!

لن تسمح لهذا الوهن أن يتملك منها أكثر!!!

الرجل يتحدث عن حسابات العقل والمنطق لا عن كلام القلوب "الخائب" بزعمه ...





هو محق وهي تشكر له هذا على أي حال !!

لهذا استدعت كل ذرة قوة تملكها لتحرر كفيها منه قبل أن تقول له برضا مصطنع:

_كويس جداً...متشكرة إنك احترمت كلمتك رغم كل شيئ ...هتطلقني امتى؟!

لهجتها العملية لم تخدعه وهو يراقب "القمرين السجينين" في عينيها يعاودان اختباءهما حول غيوم من ألم ...

ألمٍ لم يكن يقل عن وجع صدره هو الذي تجاهله ليقول بنبرة باردة :

_أنا مسافر شهر برة مصر ...لما أرجع هاكلمك ونخلص الموضوع ...بس هاتفضلي تكملي علاج همسة عادي .




فاغتصبت ابتسامة باردة لتزيد من شعورها المتصنع

بالرضا قائلة :

_أكيد طبعاً ...

ثم تنحنحت لتبتلع غصة حلقها بينما تتحرك لتفتح حقيبتها وتستخرج منها مفتاحي الشقة اللذين ناولتهما له قائلة :

_أخويا وفر لي سكن مناسب ...مابقيتش محتاجاها ...شكراً .

قالتها متذكرة حديثها الصباحي مع إسلام -بعد زيارتها لهيثم في المشفى- والذي عرض عليها شقة قريبة بعدما علم عن ظروف عملها الذي تركته ...




فاكتسح الضيق ملامحه لوهلة قبل أن يعود ليكسو وجهه بالبرود قائلاً:

_مادام لسه مراتي يبقى خلليهم معاكي للظروف ...أنا مش هابقى هنا وما اضمنش تحتاجيها في أي وقت .

قالها وهو يفتح كفها ليقذف فيهما المفتاحين بعصبية تناقض هذا الصقيع على ملامحه لكنها ابتسمت بنفس البرود لترد له المفتاحين بنفس الحركة قائلة :

_جلسة جدتي بعد شهر ...المحامي بيقول إن الحكم هيبقى من أول جلسة بإذن الله ...الوقت ده هاقعده مع إخواتي هنا ...يعني ماعدتش هحتاجها ...خلاص.

قالتها بصوت مكتوم وشى بقرب استسلامها للبكاء قبل أن تردف وهي تشيح بوجهها :

_هاخرج أشوف همسة عشان أمشي .





خطواتها المهرولة سبقت محاولة اعتراضه لتخرج من الكوخ تاركة إياه وحده يراقب ظهرها المنصرف بنظرات تأرجحت بين رغبته فيها ورغبته عنها ...

يتأمل المفتاحين في يده بنظرة طويلة قبل أن يتحرك ليضع أحدهما في حقيبتها المفتوحة ...

بينما تردد قليلاً ليضع الآخر في ...جيبه هو!!

========

كان عابد يتابع آخر أخبار الحادث الإرهابي الذي راح ضحيته الكثير من المسلمين في "نيوزيلاندا"





إثر هجوم قاده متطرف إرهابي على مسجدين هناك .

هذه الحادثة التي تشغل باله منذ وقوعها من أسبوع كامل لتعيده لجو أسود قديم ظن أنه قد نسيه !!

لا يزال شعور الذنب يطوقه لكنه يحاول جاهداً مقاومته بحمد الله أنه لم يتورط أكثر!!

صوت الأذان من المسجد القريب لبيت عم يامن يقاطع أفكاره فيلقي هاتفه جانباً قبل أن يتحرك بسرعة ليغادر البيت نحوه ...

_الشيخ عابد سيؤمنا الليلة !

قالها الشيخ أبو إدريس بحفاوة يستقبله في المسجد مع جمع المصلين ليشعر عابد بهذا المزيج من





الاعتزاز والخجل نحو هذا الشيخ الجليل الذي تعلم منه الكثير حقاً منذ قدم إلى هنا ...

لهذا هتف بارتباك واضح:

_كيف أؤمهم وأنت بفضلك بيننا يا شيخنا ؟!

لكن الشيخ ربت على كتفه ليقول بتواضعه الجم :

_لا فضل بيننا إلا بالتقوى والتقوى محلها القلب الذي لا يفطن لسره إلا خالقه ...تقدم للإمامة يا بنيّ فشيخك اليوم مريض.

سمع عابد صوت الأذان الثاني ينادي لإقامة الصلاة جواره فتقدم لموقع الإمام قبل أن يشرع في الصلاة ولايزال ذاك الحادث الإرهابي يسرق منه خشوع أفكاره فيجاهده تارة وينتصر تارة...

لهذا ما كاد يسلم من الصلاة حتى أطال السجود بخشوع مفرغاً خواطر روحه في دعائه ...





وأخيراً رفع رأسه ليلتقي بنظرات شيخه الحكيمة قبل أن ينتبه لخلو المسجد إلا منهما بعدما غادر المصلون ...

_كيف حالك هنا يا عابد ؟!

سؤال شيخه يهيج شجونه فيتنهد بحرارة وهو يتربع في جلسته ليرد بما يؤرق ذهنه من أفكار تفاعل معها الشيخ بإجاباته ليختم حديثه بقوله :

_كنت أعلم أن هذا الحادث سيكون له أثره الخاص في نفسك أنت بالذات ...قلت في نفسي سبحان من يدبر الأمر ...وكأنه رسالة لك ولمن يفكر يوماً مثلك أن التطرف لا دين له ...وأن عجلة الدم عندما تدور لا تفرق بين مذنب و بريئ ...لهذا كان حديث النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم أن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة الدماء ...

أومأ عابد برأسه موافقاً ليعاود سؤال الشيخ عن بعض الشبهات التي كانوا يلقونها على مسامعه





Cinnabon

يوماً ليرد الشيخ بعلمه وفطنته عليها بأدلته بما صح من الكتاب والسنة ...

حتى افتر ثغر عابد عن ابتسامة راضية قبل أن يميل على شيخه ليقبل رأسه بإجلال قائلاً:

_بارك الله في علمك يا ...

_انجدني يا شيخ !! انجدني!!

هتاف رابحة التي دخلت لتوها المسجد يقاطع عبارته فيرتفع حاجباه بدهشة للحظة وهو يراها تندفع عدواً لتنكب على كفي الشيخ تقبلهما بين دموعها الراجية ...

_محدش غيرك هينجدني!

سحب الشيخ كفيه منها ليستغفر بصوت مسموع قبل أن يحاول تهدئة صراخ الفتاة البائسة والتي يعلم الجميع عن مأساتها بعدما حدث ...

_رابحة ...مش قلتلك ما تجيش هنا!





هتاف لجين الملتاع يصدح فجأة وقد وقفت على باب المسجد من الخارج تلطم خدها برفق وهي تتلفت حولها ليلتفت نحوها عابد ملتقطاً تفاصيل ملامحها قبل أن يغض بصره وقد غلبه فضوله خاصة عندما هتفت رابحة بين دموعها :

_أهلي عايزين يجوزوني غصب لراجل أكبر من أبويا ...بيقولوا سترة ليا بعد الفضيحة اللي حصلت ...أنا ذنبي إيه يا شيخنا ؟! والله ده ظلم !!

حوقل الشيخ بأسف وهو يقوم من مجلسه ليخاطب الفتاة وقد رقق لهجته ليردف بالعامية -يسيرة الفهم - على الفتاة :

_ما تسيبيش البيت كده تاني أبداً مهما حصل ...أهلك خايفين عليك بس دماغهم مش جايبهم غير لكده ...ما تقلقيش يا بنتي ربك يدبرها من عنده ...وأنا لي كلام مع أبوك ...الصباح رباح.





مسحت رابحة دموعها وقد منحها وعد الشيخ الكثير من السكينة فهي تدرك عظم منزلته عند أبيها ...

بينما تحرك الشيخ ليغادر المسجد معها نحو لجين التي وقفت مكانها تراقبهما بوجه سوده همه ...

_مفيش أخبار عن الحاجة ثمر؟!

سألها الشيخ باهتمام لترد بصوت متحشرج:

_ياقوت زارتها بتقول كويسة ...بس ...ادعيلها ياشيخنا!

انهارت بنحيبها المرتفع بعدها ليتنهد الشيخ بأسف وهو يرفع صوته بالدعاء لها ...

فيما انتبه عابد لحقيقة شخصيتها بعدما سمعه !

هذه إذن إحدى حفيدتي الحاجة ثمر التي عرف قصتها من يامن!!





المرأة الصالحة التي لا حديث لأهل البلدة منذ مصابها إلا عن فضائلها !!

والتي ساق لها القدر ذاك المجرم في عقر دارها لتقتله بيديها نكالاً على القديم والجديد!!

نظرة فضولية أخرى نحو لجين جعلت ابتسامة خافتة تتسرب لشفتيه وملامحها تذكره بخطيبته الماليزية الراحلة ...

ذاك الجمال المميز بسمار البشرة وضيق العينين مع الشفاه التي تميل للغلظة...

لقد ظن أنه لن يقابل ملامح كهذه هنا في مصر لكن يبدو أن هذا البلد يتميز بتباين الملامح كما كان والده رحمه الله يخبره دوماً !

لاحظ أنه أطال النظر نحوها فعاد يغض بصره من جديد ليسمع وصايا الشيخ لها ولرابحة الصغيرة بالصبر وحسن الظن بالله ...





قبل أن ترحلا معاً نحو بيت رابحة الذي فهم من حديثهما أن لجين تقيم معها فيه أغلب الوقت كي تعتني بالفتاة بعدما حدث لها ...

ابتسامته تتسع بالمزيد من التقدير لهذه المرأة التي صار يعرف الكثير عن مأساتها ...

قبل أن ينهض من مقامه وقد قرر أن يصلي ركعتين لقضاء الحاجة ...

لأجل تفريج الكرب عن المرأة التي ألقى الله محبتها في قلوب الجميع ...

ثمر!

=========

_خلاص بقا يا رابحة...الشيخ كلم أبوكي ورجع عن اللي في دماغه ...بتعيطي لسه ليه ؟!

هتفت بها لجين بتعاطف لرابحة وهما تجلسان في غرفة





الأخيرة التي مسحت دموعها لتهطل أخرى بينما تهتف بألم :

_صعبان عليا نفسي قوي ...أمي ما بتكلمنيش من يوم اللي حصل كأني عاملة عملة...وأبويا مابيخرجش م الدار من كسوفه من أهل البلد ...كل ده والراجل المجرم ده - الله يجحمه مطرح ما راح - مالحقش يعمل حاجة وحشة...امال لو كان ..؟!

قطعت عبارتها وهي ترى أثر كلماتها على وجه لجين لتردف متداركة نفسها وهي تربت على كتفيها بكفيها هي :

_ما تآخذنيش ماقصدتش أزعلك والله ...قاعدة أشتم ونسيت إنه برضه أبوكِ...ما انتو اللي حكايتكم مكعبلة...




استمرت الفتاة في ثرثرتها الطفولية التي غابت عنها لجين بشرودها وهي تسترجع ذاك المشهد المهيب ...

لحظة رأت "الجرّة المهشمة" جوار جسد حسين الميت !!

الجرة التي كانت تخبئ فيها ما تسرقه يداها في غمرة شعورها المَرضي.

"الجزاء من جنس العمل"!

ابتسامة ساخرة خفيفة تطوف على شفتيها والخاطر السابق يراودها ...

مرضها لم يكن سوى انعكاس لذنب حسين القديم فجاءت نهايته بنفس الأداة التي كانت تستخدمها هي لتستر بها عورة فعلها!!

مرضها الذي لا تدري كيف ستتخلص منه بعدما توقفت عن حضور الجلسات مع طبيبتها ...

كل الحياة توقفت بغياب ثمر ...ولن تعود حتى تعود !!





_بس شفتِ الشيخ عابد كان بيبص لي إزاي وأنا عند الشيخ أبو إدريس؟!

سؤال الفتاة الأحمق ينتزعها من شرودها لترمقها بنظرة مستنكرة بينما الأولي تهتف بلهفة طفولية ولايزال وجهها محمراً من أثر البكاء:

_شفتي جميل إزاي؟! شبه اللي اسمه "سامي يوسف" اللي بيغني ...أحلى بكتير من قريب عن الصورة اللي كنت واخداها له ؟!تفتكري ممكن أصعب عليه بعد اللي حصل وييجي يتقدملي عشان ينجدني من كلام الناس؟!

ضربت لجين كفيها ببعضهما في تعجب من هذه الساذجة التي تنقلب مشاعرها بهذه البساطة لكنها تحاول تبرير ذلك بصغر سنها ...

لهذا هتفت بها بنبرة محذرة :




_انتِ في إيه واللا في إيه يا أم مخ لاسع انتِ؟! ....لسه بتشتكي إن أمك وأبوك واخدين منك جنب وبرضه دماغك الطاقّة دي مش راكزة ؟!

زمت رابحة شفتيها بحركة طفولية بائسة لتصمت للحظات مبتلعة عبارة حمقاء أخرى كانت ستقولها ...

فابتسمت لجين بحنان وهي تضمها لصدرها بقوة مربتة على شعرها مع قولها :

_ماتستعجليش الحاجة قبل أوانها ...انتِ لسه صغيرة ...

ثم ابتعدت بوجهها لتنظر في عيني الفتاة ناصحة باستطرادها:

_لهوجتك هي اللي دايماً مضيعاكي...تعالي نتفق...قبل ما تعملي أي حاجة فكري فيها وعدي لحد عشرة ...ماشي؟!





فمطت رابحة شفتيها باستياء للحظات قبل أن تومئ برأسها موافقة ...

لتهتف بعدها فجأة :

_تفتكري عنده كام سنة ؟!

_هو مين؟!

_الشيخ عابد !

هتفت بها رابحة بلهفتها الطفولية لتزفر لجين بنفاد صبر وهي تهيئ نفسها لسماع المزيد من حماقاتها المراهقة والتي رحمتها منها طرقات على الباب سبقت دخول "الست أفكار" لهما بصينية الطعام التي تناولتها منها لجين لتهتف بها برجاء:

_صالحي رابحة بقا يا خالتي ...حرام ...عيلة وغلطت .

ثم دمعت عيناها لتردف بالمزيد من شعورها بالذنب:





_أنا اللي غلطانة وشايلة ذنب ده كله ...لو ماكنتش ...

انخرطت بعدها في نشيج حار لتتنهد المرأة الطيبة بحرارة قبل أن تضمها لصدرها هاتفة بطيبة :

_أمر الله ونفد يا بنتي ...ربنا بس يفك كرب ستك وترجع لنا بالسلامة ...

ثم التفتت نحو ابنتها لتردف بغيظ :

_المجنونة بنت المجانين دي هي السبب...كل مرة توقعنا في مصيبة من ورا عمايلها السودة .

هنا انتفضت رابحة من فراشها لتتوجه نحو رأس أمها تقبله مع هتافها الراجي:

_عشان خاطري سامحيني ...





ظلت ترددها بلهجتها الطفولية حتى حنت المرأة لتضمها لصدرها بقوة فابتسمت لجين ببعض الارتياح قبل أن تخاطب "أفكار" بقولها:

_الله يكرمك شيلوا فكرة جوازها دلوقت دي من دماغكم .

_لا ما خلاص...الشيخ أبو إدريس كلم أبوها وخلاه يغير دماغه ...

ثم تنهدت لتقول بحيرة :

_بالمناسبة ...الحاجة مراة الشيخ أبو إدريس عايزانا نتغدى معاها النهارده ...مش عارفة نروح واللا إيه ؟!

_نروح ...نروح ...!!

هتفت بها رابحة باستحسان ل-غرض في نفسها - أدركته لجين ببساطة لتكتم ابتسامتها وهي ترد :

_ما تروحوش ليه ؟! انتو مش عاملين عملة عشان تستخبوا...لو كانت ستي ثمر هنا كانت هتقوللكم كده .




عادت عيناها تدمعان في قولها الأخير لتربت المرأة على ظهرها بتعاطف قائلة:

_يبقى تيجي معانا ...الحاجة عزمتنا كلنا .

حاولت لجين التملص لكن كلتيهما ضغطت عليها لتوافق فوجدت نفسها بعد ساعات في بيت الشيخ الكبير الذي استقبلتهن فيه زوجته بحفاوة قبل أن تدعوهن لتناول الطعام ...

كانت المرة الأولى التي تدخل فيها بيت الشيخ لكنها كانت تسمع أهل القرية يتحدثون عن فخامته من الداخل مقارنة ببيوتهم هم البسيطة ...

وكيف كان هذا مثار جدال بين الشيخ الميال بطبيعته للزهد وزوجته التي لم تكن غضاضة في هذا مادام الله قد وسع رزقهما بفضله !

_شفتِ البيت وجماله ؟! اوعدنا يارب!!





همست بها رابحة جوار أذنها على مائدة الطعام لتغمزها بنظرة زاجرة بينما انشغلت زوجة الشيخ مع "أفكار" في حديث جانبي حاولت فيه الأولى نقل نصائح الشيخ لها ...

الجلسة كانت هادئة نوعاً مع حديث زوجة الشيخ الودود لولا هذه الغصة التي وجدتها لجين في حلقها وهي تشعر بالغربة عن كل هذا ...

إحساسها في غياب ثمر كشجرة اجتثوها من جذورها ليلقوها في عرض الطريق ...

والأسوأ أنها تحمل نفسها ذنب هذا كله !!

هذا الشعور الذي جعلها تغادر مائدة الطعام سريعاً لتعود للجلوس على الأريكة في صالة البيت الواسعة تتأمل المكان بشرود ...وصوت حديثهن القريب يصلها دون تركيز ...

قطعة ذهبية لامعة ملقاة على الأرض تسترعي انتباهها فجأة في مجلسها فتتوهج عيناها بهذا البريق الخطر ...





لم تكن أكثر من "فردة حلق" لكنها لم تستطع مقاومة دائها اللعين لتجد نفسها تتحرك كالمغيبة لتتلقفها بسرعة حذرة قبل أن تخفيها في جيبها مستشعرة هذه النشوة الغامرة التي تملأها بعد كل فعل كهذا ...

تمد رأسها نحوهن تطمئن أن لا أحد قد انتبه لفعلتها قبل أن تعود لتسترخي في مكانها وقد بدأ شعور الذنب يزحف إليها من جديد ...

غافلة عن عينين هناك كانتا تراقبان المشهد بغضب من الخارج عبر النافذة المفتوحة ...

عيني "عابد"!!

==========





القطعة الخامسة عشرة

==========

اشتعل الغضب في عينيه وهو يتابع المشهد مصدوماً ....

سارقة؟!!

حفيدة المرأة الصالحة سارقة !!

كان قد حضر لاستفتاء الشيخ في بعض أموره ليسترعي انتباهه في البداية -عبر النافذة -مشهد لجين الجالسة وحدها بملامح واجمة استجلبت شفقته ...

قبل أن يفاجأ بالفاجعة !!!

بريئة المظهر هذه تسرق الشيخ!!

كز على أسنانه بغضب وهو لا يدري كيف يتصرف لتتسع عيناه أكثر وهو يراها تمسح دموعاً تهطل على وجنتيها بحرقة فضحتها ملامحها البائسة !





_عابد ...أنا هنا!

نداء الشيخ من بعيد في ركنه المخصص بحديقة البيت ينتزعه من شرود أفكاره ليتنحنح بحرج وهو يتحرك نحوه بخطوات مهرولة ...

كان الشيخ جالساً فيما يسمونه "تعريشة" خشبية واسعة جعلها محلاً لجلسات ورده اليومي من القرآن

أو

لاستقبال من يريد أن يستفتيه من أهل البلدة ...

ولم يكد يرى ملامح عابد المتجهمة حتى وضع مصحفه جانباً برفق ليسأله بقلق :

_مالك ؟!





تردد عابد قليلاً بينما يفكر ...

هل يستر فعلتها أم يفضحها كي يأخذ الشيخ وأهل بيته حذرهم منها ؟!

لو كانت مجرد سارقة فلماذا كانت تبكي بهذه الحرقة بعدما فعلتها ؟!

حتى ولو كانت محتاجة للمال لماذا لم تستقرض الشيخ بدلاً من سرقته ؟!

لا!

لن تأخذه بها رأفة في دين الله !

لو تهاون هذه المرة فربما تسرق ما هو أعظم !!

لهذا انفرجت شفتاه وهو على وشك البوح بما رآه لكنه لا يدري أي إلهام قذف ذاك المشهد في خاطره ...





مشهده هو عقب وفاة والده وكأس الخمر في يده بينما أحد الغواني تهم بعناقه !

هذا المشهد الذي أنقذه منه "الصالح" وقتها ليعتبره وقتها طوق نجاة وتذكرة لقلب ضل الطريق!!

هذا الذي جعله يعاود إطباق شفتيه بعزم وقد اتخذ قراره بالستر عليها !!

ربما لو عاملها بمنطقه المتشدد القديم لما رضي بأقل من أن تقطع يدها ...

لكنه الآن صار يدرك ما يتعدى "ظاهر" التشريع ليهتم أكثر ب"باطنه"!

لهذا تجاهل الأمر عمداً ليسأل الشيخ في مسألة فقهية كانت تقلقه من فترة وكأنما هي سبب حضوره ...

أشار له الشيخ بالجلوس جواره وهو يستفيض في شرح مسألته لكن ذهن عابد كان منشغلاً بتلك





"السارقة الباكية " التي عجز أن يزيحها عن خاطره ...

مزيج متوازن عجيب من الشفقة ،الفضول ،والازدراء يجتاحه نحوها فلا يدري كيف يصف شعوره ...

لكن ...

هل يجرؤ على جلدها بالذنب وهو الذي جرب فتنة الزلل؟!

_السلام عليكم .

صوتها المرتبك ينتزعه من شروده ليلتفت نحوها بدهشة وكأنما قفزت من أفكاره ...

بينما ازداد ارتباكها وهي تميز وجوده فتردف بخجل :

_كنت فاكراك لوحدك يا شيخنا ...هاجي وقت تاني .





لكن عابد هب واقفاً مكانه ليطرق برأسه مخاطباً شيخه بقوله :

_سآتي أنا في وقت لاحق ...عذراً يا شيخنا .

أشار له الشيخ موافقاً ليتحرك هو مغادراً وقد عجز أن يرفع بصره نحوها من جديد ...

لكن رغبة ملحّة بصدره جعلته يقدم على فعل شيئ لم يتصور نفسه يوماً بفاعله ...

لقد دار حول "التعريشة" ليقف في ركن خفي يستمع لما جاءت لأجله "تلك السارقة الباكية"...

ضميره يخزه للحظات مذكراً إياه بخطإ ما يفعله لكنه يبرره لنفسه برغبته في حماية الشيخ وأهله من تلك المرأة لو ثبتت عليها تهمتها ...

لهذا أرهف سمعه يستمع ...





C i n n a b o n

بينما كانت لجين هناك جالسة قبالة الشيخ رابطة الجأش للحظات قبل أن تغلبها دموعها التي عادت تنهمر من جديد والتي فسرها الشيخ بقلقها على ثمر فمضى يدعو لها بتفريج كربها ...

لكن لجين مسحت دموعها لتخفي وجهها في وشاحها خزياً مع قولها :

_هسألك على حاجة ياشيخنا بس عهد الله بيننا ما تفضح سري لأي مخلوق ...أنا ما اتسجرتش أقوللك لولا خوفي إن ربنا يكون بيعاقبني في ستي ثمر ...ويكون اللي حصللها ده ذنبي أنا !

رمقها الشيخ بنظرة قلقة متوجسة لكنه منحها وعده فرفعت رأسها من جديد نحوه قبل أن تقوم من مكانها لتضع "فردة الحلق" المسروقة في كفه إزاء نظراته المندهشة ....

_أنا حرامية ...سرقت ده من عندكم .





تقولها بين سيل دموعها الذي لم ينقطع ليحوقل الشيخ بصوت مرتفع ...

قبل أن يردف بنبرة خبيرة :

_اقعدي واتكلمي يا بنتي ...الموضوع شكله غير ما هو باين .

فعادت للجلوس مكانها لتخبره عن "مرضها" بحروف باكية ...

عن هذا الإحساس الغريب الذي يتملكها ب"نشوة" السرقة والذي يتحول لشعور رهيب بالخزي بعدها

فلا تشعر إلا وهي تتخلص مما سرقته ...

عن مفاجأة ياقوت بالأمر وعن الطبيبة التي بدأت

بعلاجها لكن الجلسات انقطعت بمصابهم في ثمر ...

وعن خوفها أن تكون نكبتهم الآن عقاباً من الله لها على ذنبها !!





ظل الشيخ يستمع لها صابراً لدقائق طالت قبل أن يستغفر الله جهراً لترقّ لهجته بقوله :

_الله سبحانه وتعالى أرحم بنا من أنفسنا ...إذا كان ده مرض زي ما بتقولي فليس عليكِ حرج ...الابتلاء مش عقاب ...الابتلاء للّي يفهمه منحة من ربنا عشان نرجع له بعد ما شردنا ...فاطمني يا بنتي وشيلي الوساوس دي من دماغك ...خدي بالأسباب وارجعي لجلساتك مع الدكتورة بس خللي قلبك متعلق برحمة وقدرة اللي خلقه وإن هو بس اللي بإيده تفريج الكرب .

مسحت لجين دموعها وهي تشعر براحة غامرة من حديث الشيخ الذي أردف بابتسامته الصبوح وهو يطرق برأسه :

_ابتلاؤك كبير ...لكن اعلمي أن الله إذا أحب عبداً ابتلاه ...والنبي صلى الله عليه وسلم يقول "يُبتلى المرء على قدر دينه ،ومايزال البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على




الأرض وليس عليه خطيئة ...وفي رواية أخرى "حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة"...فاصبري واحتسبي.

ابتسمت لجين لأول مرة منذ بدأ اللقاء لتعاود مسح دموعها مع قولها المرتجف:

_الله يبارك لك يا شيخنا ...كلامك ريحني وطمن قلبي ...بس هو لازم عشان ربنا يسامحني أقول لستي ثمر ؟!

فعاود الدعاء لها بتفريج الكرب قبل أن يردف ببصيرته :

_لا...من حسن الأدب مع الله عز وجل ألا نفضح ستره ...ياريت ماتعرفوهاش...ست بسنها ومرضها وعزة نفسها ممكن ما تستحملش تعرف...الجهل ساعات نعمة يابنتي .




أومأت لجين برأسها وقد وافق حديثه هواها لتقف مكانها معاودة شكره قبل أن تعود أدراجها لرابحة وأمها بداخل البيت ...

وفي مكانه ظل عابد مختبئاً للحظات بعد رحيلها قبل أن يغادر مكمنه بخطوات حذرة يتلفت حوله حتى خرج ...

يتفكر في حديثها بشرود وهو يسترجع كل كلمة أوصاه بها "الصالح" يوماً ...

الدرس الذي تعلمه من خبرته الأليمة السابقة...

أن الأمور لا تبدو دوماً بظاهرها !!

لهذا حمد الله سراً أن لم يتسرع بفضحها ...

قبل أن يعود لبيت عم يامن حيث يقيم ليتكئ مستنداً على فراشه ...




ابتسامة خفيفة ترتسم على شفتيه وهو يشعر بقلبه يخفق لأجل تلك "السارقة" خفقة خاصة ...

أجل ...ربما لم تسرق "قرط الشيخ" لكنها فيما يبدو سرقت نبضة من قلبه لن يعود بها لانتظام دقاته !!

هذا الشعور الغريب غير المنطقي لهذه الألفة التي وجدها في صدره نحوها ...

ربما هي مجرد شفقة لما عرفه قدراً عن ماضيها ومرضها ...

ربما هي فقط ألفته لملامحها التي تشبه عزيزة رحلت ...

وربما لأنه رأى فيها صورة نفسه القديمة التي افتقدت يداً تمتد إليها بالسند ...

وربما هو كل هذا !!





ابتسامته تتسع والخواطر تتقاذفه لتسلمه لنوم قصير ...

رؤيا ناعمة تداعب خلايا عقله يراها فيها بثوب أبيض ساتر طويل إنما ينقصها وشاحها ...

هذا الذي وجده هو بين أنامله فتحرك نحوها ليضعه فوق رأسها فترفع إليه عينيها بابتسامة هامسة :

_أكملت الستر يا شيخ!

يفتح عينيه فجأة على صوت الأذان القريب فينتبه من نومته مستعيداً هذه الراحة الغامرة لهذه الرؤيا القريبة ...

تراها إشارة ما؟!

هو اعتاد احترام إشارات القدر!!

لهذا استغفر الله بخفوت وهو يردد الآذان خلف المؤذن ليقوم ويتوضأ استعداداً للخروج للصلاة





التي ما كاد يفرغ منها حتى وجد "قراراً ما" يقفز لعقله !

هذا الذي سيجعله غايته في "صلاة استخارة" طوال

الأيام القادمة...

حتى يأذن الله بعودة ثمر !

=========

ترددت شوشو في وقفتها أمام باب غرفته قبل أن تسأل الممرضة جوارها :

_متأكدة إنه سأل عليّ؟!

فابتسمت المرأة لترد بخبث:

_مش عليكِ بالضبط ...هو أصلاً مش فاكر حد ...بس سأل ع اللي بتبعت الورد كل يوم !

فأطرقت شوشو برأسها للحظات قبل أن تسألها باهتمام دون أن تنسى دس بعض النقود في جيبها





كما تفعل يومياً نظير الاطمئنان عليه قبل أن يزوره أحد من أهله :

_الدكاترة ماقالوش هيفتكر امتى؟!

لكن الممرضة تحسست جيبها مطمئنة على حصيلتها لتجيبها بما تعلمه :

_هم مخبيين عليه مصيبة أبوه وبيحاولوا يفكروه بالباقي بس ...أخته دكتورة ياقوت بتزوره كل يوم واقترحت عليهم امبارح يخرجوه من هنا ويرجعوه بيتهم النهارده عشان يفتكر ...بس أخوه الكبير خايف عليه من الصدمة لو خرج وعرف إن أبوه مات ...

ثم مصمصت شفتيها لتردف :

_حكاية ولا في الأفلام !! والغريب بقا إن "جدة" أخته دي هي اللي قتلت أبوه لما كان عايز ...




استمرت الممرضة في ثرثرتها المعهودة التي غابت عنها شوشو وهي تشرد ببصرها ...

إذن من المحتمل أن يغادر هيثم المشفى اليوم وساعتها لن تتمكن من رؤيته يومياً خلسة كما تفعل

الآن ...

حتى هذه الدقائق المختلسة ستحرم منها !!

لقد رضيت بهبة القدر المؤقتة هذه لعلها تتزود بقربه قبل طول صيام ...

وهاهي ذي رغبته في رؤيتها تمنحها المزيد من المتعة المسروقة ...

لهذا ما كادت تنتهي الممرضة تنتهي من ثرثرتها حتى هتفت بها برجاء :

_هادخلله خمس دقايق بس لوحدنا ...راقبي الطريق عشان لو حد من أهله جه .





فغمزتها المرأة غمزة ماكرة قبل أن تتركها لتطرق هي الباب قبل أن تدخل ...

ملامحه الحبيبة التي تعشقها تواجهها بحيرة صارت مرادفه في كل ما ومن حوله ...

من الصعب أن يستيقظ المرء فجأة ليجد نفسه لا يذكر شيئاً ...حتى نفسه !

كان واقفاً أمام النافذة يراقب حديقة المشفى قبل دخولها والآن يشعر بجمالها الهادئ هذا أكثر راحة لعينيه من المشهد الذي كان يراه ...

لهذا رمقها بنظرة طويلة لعله يتبين صلته بها قبل أن يسألها باهتمام:

_انتِ تعرفيني؟!





فارتجفت ابتسامتها مع دموعها التي تجمعت في عينيها :

_طبعاً .

ضيق عينيه للحظات والعاطفة المشعة في محياها الجميل تجعل حدسه يسألها :

_انتِ اللي بتبعتي الورد كل يوم ؟!

أومأت برأسها بخجل حقيقي لا تدعيه وهي تشعر بغرابة الموقف !!

أن تقابل حبيبها بعد تاريخ طويل بينهما فلا يذكر عنها شيئاً !!

كأنما حقاً تكتب بداية جديدة ناصعة البياض لقصة لم يكن لها أبداً أن تكتمل !!

بينما أشرقت ملامح وجهه ببراءة حائرة وهو يشير لها بالجلوس لتجلس قبالته بخجل مشبكة أناملها





في حجرها مما استجلب ابتسامة نقية لشفتيه مع قوله الآسف:

_بيقولوا اسمي هيثم حسين ...بيحاولوا يفكروني بس دماغي فاضي ...ممسوح بأستيكة ...ماتزعليش لو ماافتكرتكيش ...أنا حتى أهلي مش فاكرهم .

عضت على شفتها بقوة كاتمة انفعالها وهي تود لو تصرخ به أنها لا تريده أن يتذكرها ...

ليته يتذكر كل شيئ وينساها هي ...

لعل القدر يكتب لهما بداية أخرى!!

_بيقولوا الحادثة ماكانتش قوية بس أنا اللي رافض أفتكر ...غريبة صح؟!

_فعلاً ماكانتش قوية .





قالتها بتشوش ليسألها باهتمام وهو ينحني بجذعه ليقترب منها متفحصاً ملامحها أكثر:

_وانتِ عرفتِ منين ؟! آآه...معقول انتِ اللي قالوا إنها نقلتني هنا؟!!

"الخوف المتشح بالذنب" يظلل عينيها في نظرة بدت له غريبة ...وآسرة !!

خاصة عندما أومأت برأسها إيجاباً ليبتسم هو ابتسامة مشرقة ناسبت قوله :

_ده أنا على كده مديون لك بحياتي بقا !

وجدت ابتسامته صداها في ابتسامة مشابهة على شفتيها لتجد نفسها تقول دون تدبير :

_كنت يومها ...معايا .





انعقد حاجباه يتفحص ملامحها أكثر قبل أن يسألها بتشوش:

_أنا آسف جداً ...كان المفروض أسألك عن اسمك من الأول بس موضوع الأسماء ده مش فارق معايا ...حتى اللي بعرف أساميهم مش بفتكرهم ...

_شهد .

قالتها بمواربة وقد خشيت أن يحمل له اسم "شوشو" أي ذكرى تعيد له الماضي ...

فظل يكرر الاسم لحظات وكأنه يحاول استعادة أي تاريخ معه ...

قبل أن يهز رأسه بأسف... لتهتف هي بلهفة :

_مش فاكر أي حاجة عني ؟! خالص؟!





عاد يهز رأسه أسفاً لتدهشه اللمعة الفرحة التي تألقت في عينيها ...

والتي جعلته يغمغم بحذر ولازال ذهنه مشوشاً :

_مش عايز أبقى قليل الذوق بس أنا فعلاً مش فاكر أي حاجة تخصك...تخصنا ...ممكن تحاولي تفكريني؟!

انفرجت شفتاها للحظة وتاريخها الطويل معه ينساب في ذهنها من أول لحظة التقته فيها ليجتذب قلبها بسحر "الحب الأول" الذي وضع فيه بصمته ...

إلى تلك اللحظة التي اعترف لها فيها بحبه ورغبته في خطبتها لكن بعد فوات الأوان !!

يريدها أن تُذكّره ؟!

فلتفعل!!





ستقتطع من قصتهما هذه ال"بقع السوداء" التي
لم تلطخها يدها ولا يده ...

وستمنحه فقط أطياف عشقهما الملونة دون
سواها ...

لا تعلم إلى أين سيوصلها هذا لكن لا بأس ...

هي مجرد "أيام متعة مسروقة" ستتزود بها قبل
صيام الهجر الطويل...

لهذا مضت تحكي له بابتسامة دامعة عن ذكرياتهما
معاً ...

في أغرب لقاء قد يعيشه عاشقان !!

وكيف لا ؟!

وجزء بداخلها يطارد هذه الابتسامة الشاحبة على
شفتيه والتي تتمدد مع سيل كلماتها بشغف كأنما
يسعدها فقط أن يصادف هذا صدى لديه ...

بينما جزء آخر يستصرخها أن تحذر...أن
تتمهل ...بل أن تصمت ...فلا تدري ما الذي قد





يحدث لو صادفت كلماتها ما يجعل ذاكرته تعود لتعود معها ترانيم النهاية !!

وبين هذا وذاك كانت ملامحها كما ملامحه ترقص رقصة بائسة على لحن مشوش قاطعته طرقات الباب ...

الطرقات التي جعلتها تقفز من مكانها قفزاً ليهتف هو بها :

_خفتِ كده ليه ؟!

النبرة الحنون المطمئنة خاصته لا تزال كما هي ...

حتى ولو لم يذكرها !!

لهذا فاضت عيناها بالدمع وهي تشيح بوجهها عندما فتح الباب لتدخل منه ...

"ياقوت"!

========





_احنا بعيد عن هيثم دلوقت ...ممكن أعرف بقا الحقيقة بصراحة .

قالتها ياقوت ببعض الحزم وهي تختلي بشوشو في أحد الأروقة الجانبية للمشفى عقب خروجهما من غرفة هيثم ...

هيثم الذي لايزال يدهش ياقوت حقاً بشخصه الغريب تماماً عن تركيبة أبيه ...

ربما لهذا كان أكثرهم انهياراً بعدما حدث ...

عقله -البريئ - رفض تصديق حقيقة كون عالمه كله مجرد خدعة !!

ربما لهذا تشعر أن عاطفتها -الأخوية- نحوه تمتزج بنوع من الأمومة ليس فقط لصغر سنه عنها ...

لهذا -وبقلب أم قلق- عادت تسأل شوشو الصامتة تماماً :




_أنا شفتك يوم تحقيق النيابة...وبحسبة بسيطة كده أقدر أعرف إنك انتِ زميلة هيثم اللي ساعدت في القبض على حسين رجائي ...صح؟!

لم يكن هناك مجال للإنكار لهذا أومأت شوشو برأسها إيجاباً قبل أن تنهمر دموعها بصمت مذنب ...

فتفحصتها ياقوت ببصرها للحظات وهي تحاول ربط الخيوط بذكائها كالمعتاد قبل أن تسألها مشيرة بعينيها لدموعها بحذر:

_ذنب واللا حب؟!

ورغم بساطة تركيب السؤال لكنه مس المعضلة الحقيقية لهذه الباكية أمامها والتي رفعت إليها عينين فائضتين بالجواب ...

فتنهدت ياقوت بحرارة وقد أغناها حدسها عن السؤال عن التفاصيل ...




يبدو أن هذه الفتاة تورطت في حب هيثم حباً حقيقياً رغم ما كانت تنتويه بأبيه ...

هكذا حدثت نفسها قبل أن تجد شوشو أخيراً كلماتها لتغمغم بصدق حار:

_أرجوكِ ما تقوليش لهيثم حاجة...أنا عارفة إنه يوم ما ترجع له الذاكرة مش هيعرفني تاني ...عارفة إن فيه حب ينفع يكمل وحب ما ينفعش...بس غصب عني ...غصب عني طمعانة أعيش معاه أي لحظة ينفع أعيشها حتى لو كدب...حتى لو عارفة إن آخرها فراق ...

كلماتها كانت تضغط بقوة على جرح ياقوت النازف خاصة بعد سفر زين منذ أسبوع مضى دون أي كلمة بينهما ...

لتشرد ببصرها للحظات وأناملها تداعب -خفية- قرطه الثمين من فوق وشاحها ...

منذ نعومة أظفارها وهي لم ترتدي واحداً كبقية الفتيات ...





ثمر التي كانت تخشى عليها من جمالها الأخاذ كانت تبعدها دوماً عن أي زينة وقد صادف هذا هوىً لديها هي ...

فلم تكن تربط جمالها في عيون الرجال إلا بصورة من اثنتين ...

أمير فارس لا يراها إلا "بعين العشق" فلن تعنيه المظاهر...

أو وغد طامع لا يراها إلا "بعين الشهوة" فلن تمنحه بغيته في تبهرج ...

والآن يأتي -هو- ببساطة ليقف على حد الشعرة بين

الاثنين ...

فلا هو "المنقذ" ولا "الطامع"...

إنما مجرد "عابر سبيل" تقاطعت بهما الطرق ومصيرهما إلى فراق ...

ومع هذا لن تنسى له أنه كان أول من وضع قرطاً في أذنيها !!





ابتسامة متشحة بالشجن طافت فوق شفتيها وهي تعود بنظراتها المشفقة نحو شوشو وقد أدركت كم هما متشابهتان في حظيهما العاثر بالحب

...

ربما لهذا وجدت في نفسها الكثير من الدعم لها ...

_أكلمك على إني "أخته"؟! واللا "الدكتورة" بتاعته ؟!

تسألها بنبرة محايدة محاولة إزاحة عواطفها جانباً لترمقها شوشو بنظرة راجية جعلتها تردف بينما تكتف ساعديها :

_طيب...لو هنتكلم إني الدكتورة بتاعته وبس ...هاقوللك وجودك مهم جداً عشان يفتكر ...احنا عايزينه يفتكر كل حاجة بس بالتدريج عشان الصدمة ما تضروش أكتر من كده ...لكن لو افتكرت إنه أخويا ...فيصعب عليّ قوي أغشه





وأخبي عليه خصوصاً إن الوضع بيننا زي ما انتِ عارفاه ومحتاجين نبني الثقة بيننا من الأول ...

شحب وجه شوشو مع مغزى كلماتها الأخيرة لكن ياقوت ابتسمت ابتسامة شاحبة لتردف :

_إلا إذا ....

_إلا إذا إيه ؟!

سألتها شوشو بترقب لتتسع ابتسامة ياقوت

بإجابتها وهي تفك ارتباط ساعديها لتربت على كتفها :

_إلا إذا أكدتيلي فعلاً إنك بتحبيه لدرجة إنك هتفضلي مصلحته على مصلحتك في أي مرحلة من مراحل العلاج .

_أوعدك...والله العظيم مش هاعمل حاجة بعد كده




إلا اللي فيه مصلحته هو وبس ...حتى لو قلتيلي دلوقت أبعد وماعدتش أكلمه مش هاتشوفي وشي تاني .

هتفت بها شوشو بإخلاص وسط دموعها لتهز ياقوت رأسها باستحسان قبل أن تقول بنبرة مشفقة :

_مش عارفة أقوللك إيه ...حكايتكم فعلاً صعب تكمل ...لو نسي اللي عملتيه في أبوه مش هينسى إنك خدعتيه وخبيتي عليه ...لكن ممكن ...ممكن تكون حكاية فقدانه للذاكرة دي هدية ربنا لكم انتم

الاتنين ...خلليه يعرفك من أول وجديد ...زودي الرصيد الحلو اللي يشفع للي فات ...اعملي تاريخ جديد بينكم يمكن يمحي التاريخ القديم ...

_تفتكري ...ممكن ؟!

تسألها شوشو بتشكك لتلتوي شفتا ياقوت بابتسامة شاحبة ناسبت قولها :





_ممكن ...كل شيئ ممكن ...بس حتى لو ماحصلش ...كفاية إنك من جواكي هتبقي حاسة إنك عملتي اللي عليكي ...

ثم لمحت إسلام قادماً من بعيد مع والدته في موعدهما اليومي المعتاد فتنحت بها جانباً كي تمعن في الاختباء عن ناظريهما مردفة بنبرة ازداد اشفاقها :

_وماتنسيش "جيلان" هانم دي قصة تانية لوحدها...حربك مش هتبقى سهلة أبداً !

==========

وقف إسلام يراقبها بأسى على باب المطبخ في الشقة التي وفرها لها كسكن مؤقت بعدما علم عن ظروفها الأخيرة...

الأيام السابقة -على قصرها- لكنها قربت كثيراً بينهما خاصة وهو يتفقد في رعايتها لهيثم ما أعطاه انطباعاً عن مهارتها في عملها وطيبة قلبها رغم مضايقات أمه -المتوقعة- لها .

كم تثير إعجابه بهذه الطلة القوية الصامدة التي خدعته لأول وهلة قبل أن ينتبه أنها تداري بها هشاشة روحها ...

لهذا يشعر برغبة حقيقية في التقرب منها أكثر ليس فقط لحمايتها بغريزة الأخوة إنما "للتعلم" منها !

_اتفضل...يارب يعجبك طبيخي .





قالتها أخيراً بمرح شاحب تقاطع بها شروده وهي تحمل طبقين من المكرونة نقلتهما نحو المائدة الجانبية في زاوية المطبخ...

فتحرك بدوره نحو الموقد ليقلب الدجاجة التي كانت تقوم بتحميرها ...

تطايرت بعض قطرات الزيت المشتعل على ذراعه فهتفت هي بجزع:

_حاسب...هاقلب أنا .

لكنه ضحك ضحكة قصيرة وخوفها -العفوي- يحمل له شعوراً صادقاً بالأخوة قصيرة العهد بينهما ...

_ما تخافيش ...محسوبك مدقدق قوي في شغل المطبخ...دي من ميزات عيشة العزوبية ...لو كنت فاضي النهارده كنت طبخت لك أنا .

ابتسمت بارتياح حقيقي للهجته البسيطة غير المتكلفة وقد مر بها نفس الشعور المستحدث بهذه





الأخوة والذي لا تزال تتعامل معه بحذر ...

ربما لأنها تخشى تصديقه !

أجل ...رغم ما يبديه نحوها إسلام من لطف مخالفاً نهج والدته المتعجرفة لكنها -كعهدها- تخاف التعلق بما لا تضمن بقاءه ...

تماماً كما كانت مع ...زين !!

كانت ؟!

هل صارت حقاً تتحدث عنه بصيغة الماضي وكأنه لن يعود ؟!!

الخاطر الأخير يستبدل ابتسامتها بدمعة كبيرة سقطت على طرف عينيها وانتبه هو لها فأغلق الموقد بسرعة ليتقدم منها خطوة ...

يحيط كتفيها بكفيه قائلاً:

_معلش...الأيام اللي فاتت كانت صعبة علينا كلنا ...بس عندي أمل في اللي جاي .





قالها وهو يشعر بها حقيقة بكل جوارحه ...

فبرغم سواد البلاء الذي عاشه في الأيام السابقة لكنه احتسبه ك"صفعة إفاقة"!!

مرضه الذي بدأ رحلة علاجه منذ عاد وكاد يمتثل للشفاء التام الآن ...

شقيقه الذي كان بلاؤه رحمة لعله لا يعاصر معهم - برقّة طباعه - هذه المحنة العصيبة ...

حتى الخسارة المادية اعتبرها دافعاً للبحث عن عمل جديد ...

هذا الذي فكر فيه بصوت مرتفع :

_كنت عايز أكلمك في موضوع ...أنا عندي مبلغ كويس من فلوس شغلي أنا ...إيه رأيك لو تشاركيني ونعمل سوا مركز تأهيل نفسي خاص بيكي انت بدل اللي سبتيه ؟!

اتسعت عيناها بصدمة للحظة من سخاء العرض قبل أن يتجول خليط من مشاعر فوق ملامحها ...





مشاعر بدأت بالذهول ...ثم الرضا...

الامتنان ...وأخيراً ...الرفض ...

الرفض الذي قرأه هو في عينيها متفهماً سببه ليقول مؤكداً:

_دي فلوسي أنا صدقيني ...مالهاش أي علاقة

بفلوسه الحرام ....عشان خاطري يا ياقوت ...اديني فرصة أصلح اللي فات .

رمقته بنظرة طويلة مترددة وشفتاها ترتجفان بانفعال ...

أين أنتِ يا ثمر؟!

أين رأيك في كل هذا ؟!

أين صدرك أرمي عليه حمولي ؟!

أين جلبابك أخفي في طياته وجهي وأحكي ...

أنا ...صار لي أخ ...




بل اثنان !!

معجزة جاد بها القدر بعد طول منع ...

لكن تبقى بالروح غصة مبعثها فراقك !!

_مش هاقدر أفكر في حاجة قبل ما ستي تخرج بالسلامة ...عموماً شكراً.

ورغم جفاف عبارتها الظاهر لكنه صار يفهم أي عاطفة جياشة تختفي خلف هذه الواجهة الصلبة ...

لهذا ابتسم بلطف وهو يربت على كتفيها قبل أن يتركها ليتحرك نحو الموقد فيكمل ما بدأه ...

يجلس أمامها أخيراً يتناولان الغداء ليبدأ الثرثرة بقوله :

_حلوة المكرونة بس معجنة شوية ...جربي تحطي معلقة زيت في المية وهي بتغلي .





هنا ضحكت ضحكة صافية وهي تتناول الشوكة لتتناول الطعام وتجاريه في الحوار:

_لا واضح إنك خبرة فعلاً .

_امال !

قالها وهو يقطع الدجاجة أمامها ليقسمها متسائلاً:

_بتحبي الصدر واللا الورك ؟!

_أي حاجة !

_خدي الصدر ...مابحبوش!

قالها ممازحاً وهو يعطيها نصيبها لتزول المزيد من الحواجز بينهما بضحكتها القصيرة قبل أن تتفحص ملامحه باهتمام لتسأله :

_ماعرفتش عنك غير إنك مهندس كمبيوتر وكنت بتشتغل في تركيا ...ناوي على إيه هتفضل هنا واللا هتسافر؟!

لكنه يلوك الطعام في فمه ليقول بمرح مصطنع:





_التاريخ المشرف للوالد مش هيسمح بفرص كتير ...وبصراحة حاسس إن في رقبتي دين نفسي أسده ...

_دين إيه ؟!

_لا دي لفة طويلة ...بس مفيش مانع ندردش ...صاحبي الأنتيم اللي زي أخويا اسمه سيف ...أخوه اسمه رامز... جوز أخت مراته يبقى أشرف ...أشرف ده بقا عنده مصنع لعب أطفال ...واحد خربهوله واستغله عشان يهرب المخدرات في اللعب ...

_طب وانت مالك ؟!

سألته باستغراب ليرد بسخريته المريرة المميزة :

_ماهو اللي خربهوله يبقى السيد الوالد !

اتسعت عيناها بإدراك للحظة قبل أن تهز رأسها لترد بإدراك آسف:

_خلاص وصلت ...





ثم عادت تقول بترقب:

_وانت بقا عايز تساعد أشرف ده عشان خاطر علاقته بصاحبك ...؟!

فتنهد بأسف ليقول بجدية تامة عبر شروده :

_مش أشرف بس ...لو بإيدي أعمل حاجة لأي حد اتأذى بسبب "السم الهاري" اللي كان "هو" بيوزعه ع الناس ما كنتش اتأخرت ...اسم حسين رجائي بقا وصمة عار على جبيننا كلنا ...لو كنت بفكر بعقليتي القديمة كنت استسهلت ورجعت تركيا من غير تفكير ...بس الأيام اللي فاتت علمتني إن الهروب مش حل ...وإن المواجهة هي الطريق الأقصر ...عشان كده قررت أفضل هنا ...

ثم عاد إليها ببصره ليردف بابتسامة حنون :

_ماعدتش هاهرب!





ابتسامة إعجاب طافت حول محياها الشاحب لتتسع ابتسامته باستطراده :

_غريب قوي إن الواحد بعد العمر ده يكتشف إن عنده أختين ...وبمناسبة "كرسي الاعتراف المكروني" ده أحب أنتهزها فرصة وتعرفيني انتِ كمان عن نفسك .

شعور غامر بالحميمية ينتابها الآن وهي تشعر بنفسها تعدو بقلبها -لا تحبو كما يأمرها عقلها- في إحساسها الصادق بأخوّته !!

ربما لأنها تحتاج هذا الشعور الآن بضراوة مع هذا الخواء الذي تركه "زين" برحيله ...

يسألها أخوها أن تعرفه عن نفسها ؟!

هل تبالغ لو قالت أنها ما عادت تذكر نفسها دون "زين"!!

أنها لا تذكر كيف كانت أيامها قبله !!





أن عمرها كله يساوي فقط عشر "عناقات"!!

لهذا تنهدت بحرارة محاولة كتم شعورها وهي تعود للثرثرة معه مكتفية بدفء هذه العلاقة التي جاد بها القدر دون موعد ...

كعوض -غير كافٍ- عن حب يائس!!

ومقتنعةً نفسها أن ما سقط من أعمدة روحها قد تقيمه الأيام بعد فراقهما ...

غافلة عن أنها وهي في فورة قسَمها على تجاوز أسوار حبه هذه كانت أناملها تتلاعب خلسة بقرطه في أذنيها !!

==========

_لسه مُصرّ ع المقابلة دي؟!

قالها رامز ببعض الإشفاق مخاطباً إسلام وهو يقود به سيارته نحو مصنع أشرف ...





رغم قصر معرفته بإسلام لكن وصايا سيف -أخيه- المتكررة له عبر الهاتف جعلته يصر أن يكون له دور في مأساة هذا الرجل الذي انقلبت حياته فجأة بفعل أبيه ...

لهذا ما كاد يطلب منه إسلام مقابلة أشرف حتى سعى لهذا رغم اقتناعه بحرج الموقف ...

_طبعاً مصر ...عارف لما تبقى عايز تعمل حاجة بس عشان تعاند نفسك ؟! عشان تثبت لروحك إنك اتغيرت فعلاً مش كلام ...الأيام اللي فاتت كانت صعبة قوي عليّ ...خلقت مني واحد تاني...واحد مش عايز يرجع للي كان فيه ...ولأني عارف إن إسلام القديم عمره ما كان هيعمل حاجة زي كده وكان هيستسهل يهرب ويسيب الجمل بما حمل ...فأنا دلوقت مصرّ إني أعمل العكس .





قالها إسلام بنبرته المتحررة التي يجيد بها التعبير عن نفسه كعادته ليبتسم رامز وهو يعود ببصره للطريق قائلاً :

_من كتر ما سيف بيوصيني عليك حسسني إنك شخصية ضعيفة ...بس أنا شايف العكس ...عموماً بحييك على جرأتك دي قليل قوي اللي ممكن يعمل كده الزمان ده ...

ثم عاد يلتفت نحوه مردفاً:

_أشرف كمان مقدر الموقف ده منك جداً ...ونفسه يقابلك ...بصراحة هو حاسس كمان بالذنب إن ممكن يكون بسببه علاقتك بناصر صاحبك اتهزت !

لكن إسلام ابتسم ساخراً كعادته ليرد :

_من كتر اللي خسرته الأيام اللي فاتت ماعدتش بحسبها ...اللي يهمني بجد اللي جاي .





فربت رامز على كتفه بحركة مؤازرة خاطفة قبل أن يسأله بحذر :

_بس مش شايف إنـها غريبة شوية إنك تعرض عليه تشتغل مهندس بسيط في مصنعه ؟!
يعني ...أفتكر ممكن تعمل مشروع كويس خاص بيك أحسن من كده !

_المشروع هاعمله فعلاً بس مع أختي ...يعني جزء من الدين القديم ...تقدر تقول كده إني حاسس إني مش هاقدر أبدأ حياة جديدة إلا لو حسيت إني وفيت ديوني القديمة .

قالها إسلام بنبرته الحاسمة التي لم تخلُ من مرارة بينما توقف رامز بسيارته أمام مصنع أشرف ليلتفت نحوه قائلاً بتقدير حقيقي رغم نبرته المازحة :

_سيف ده حظه في صحابه الرجالة حلو رغم إن حظه في الستات "نيلة" ...تعرفش وانت شاطر





كده تقنعه يتجوز بقا عشان خاطر الحاجة اللي هتموت وتشوف عياله دي؟!

فابتسم إسلام محافظاً على سر صديقه لتجتاحه صورة خاطفة لغادة تنهد معها بحرارة ليرد :

_سيف يستاهل كل خير ...ماتعرفش يمكن الزمن عاين له أحسن نصيب بس كله بأوان !

قالها بمرارة مشوبة بالخزي اكتسحت ملامحه بعدها وهو يغادر السيارة مع رامز نحو الداخل للقاء أشرف ...

ورغم الودّ الذي ساد هذا اللقاء الثلاثي والذي حرص فيه أشرف على مشاعر إسلام بنبله المعهود ،

فتجنب الحديث عن الماضي تماماً متفهماً رغبة الأخير في تصحيح خطإ أبيه ...





لكن وخز الخزي الذي كان يستشعره إسلام ك"عزيز قوم ذَلّ" كان أكبر من أن يتجاهله ...

_هه يا باشمهندس ...تحب تبدأ شغلك امتى؟!

قالها أشرف ببشاشته المعهودة ليرد إسلام بابتسامة مريرة :

_لو عليّ عايز أبدأ من امبارح يمكن الواحد ينسى نفسه في الشغل ...بس الظروف ملخبطة زي ما انت عارف وهيثم محتاج عناية خاصة بعدما خرج من المستشفى خصوصاً إننا بنحاول نخبي عليه الكارثة الأخيرة دي لحد ما الذاكرة ترجع له ...إخواتي البنات كمان عندهم مشاكلهم ...فاديني فرصة كده كام يوم أظبط الأمور وأرجعلك تكون ...

صوت طرقات قوية على الباب تقاطع كلامه قبل أن تفتحه نشوى التي دخلت هاتفة باندفاع:

_انت فين يا أشرف م الصبح عايزة....





انقطعت كلماتها وهي تنتبه لوجود رامز الذي هتف بها مشاكساً كعهده :

_أستاذة نشوى على طول حامية كده !

فابتسمت لتقول معتذرة :

_آسفة يا رامز كنت فاكراه لوحده ...م الصبح بتصل بيه ومابيردش .

ابتسامتها الرقيقة تركت صداها في إسلام -كعهده- مع أي "تاء مربوطة" تمر في طريقه !!

أجل ...

"بتاع البرقوق" لم يفقد ذائقته الخاصة بالنساء بعد رغم عهده الحديث بالتوبة مع كثرة المغريات ...

لا ...لن يعود لذاك الطريق الماجن وقد وجد بداية لهذا الدرب القويم ...





ومع هذا وجد نفسه يتفحص نشوى بنظرة ذكورية تقييمية من بقايا "العهد البائد " لترتسم ابتسامة رضا على شفتيه وهو يستمع لحديثها الذي استطردت فيه بعدها مع أشرف بنبرتها العملية المسترجلة نوعاً ...

قصيرة القامة نوعاً ..خمرية البشرة عادية الملامح بجمال "مقبول"...

لكن "منحنياتها الأنثوية" تمنحها درجة "الامتياز" في عيني خبير مثله ...

فبادرته نفسه "العابثة" بتعليقها التقييمي لها كأنثى:

_مش برقوقة لا !..."برتقالة بلدي"؟! برضه لا! شكلها قالب على "تين شوكي" وأنا أموت في الحاجات المخربشة دي!





_اهدي ع الشغل شوية مش هايطير ...أعرفك الأول

بالباشمهندس إسلام ...هيشتغل معانا قريب.

قالها أشرف وهو يزيح الملف الذي أعطته هي له جانباً ليشير بكفه نحو إسلام الذي التفتت هي نحوه بنظرة عابرة لتقول باقتضاب :

_تشرفنا ...

ثم تنمرت لهجتها نوعاً لتردف بصلاحيات منصبها الجديد في المصنع -وقد ساءها أن يتخذ أشرف قراراً بتعيين أحدهم دون مشاورتها- غافلة عن حقيقة شخصيته :

_احنا بنحاول نوفر في الميزانية حالياً ومش بنشغل حد إلا لو محتاجين له ...رامز عارف أنا بحترمه أد إيه بس لو دي بس واسطتك في الشغل





مش هتنفعك هنا...ابعتلي ال"سي في" بتاعك ع الميل وهنرد عليك في خلال أسبوعين .

_أنا مضيت العقد يا نشوى...باشمهندس إسلام معانا خلاص .

قالها أشرف بحزم مشوب بالعتاب لها إذ أحرجته هكذا لتلتفت هي نحوه بحركة عصبية ...

فتنحنح إسلام ليقول بنبرة شابها بعض التحدي وكأنما راقه استفزازها:

_إسلام حسين رجائي .

_إيه ؟! حسين رجائي؟!

هتفت بها مصدومة للحظات وهي تنقل بصرها بينهم جميعاً تريد التيقن مما سمعته ...

قبل أن تردف بنبرتها العصبية :

_ده تشابه أسماء ؟! صح؟!





ليرد أشرف بحرج محاولاً تدارك الموقف :

_هاشرح لك بعدين .

_طيب نقوم احنا بقا !

قالها رامز مستشعراً الذبذبات العدائية التي نقلتها النظرات بين نشوى وإسلام الذي -رغم حرج الموقف- راقته ردود فعل هذه "المتنمرة" أمامه ...

المتنمرة التي احمر وجهها غيظاً وظنّه أنه لولا وجود رامز لطردته شر طردة !

هل يلومها ؟!

لا ...ربما لو مكانها لفعل المزيد !!

لكنه وجدها "تحدياً جديداً" لامرأة يريد تغيير نظرتها فيه ...

وربما لو نجح لاستطاع تغيير نظرة الجميع له !!





لهذا وقف بدوره مع رامز يقابل نظراتها النارية بابتسامة باردة بينما يستمع لاعتراضات أشرف الذي تشبث -ذوقياً- ببقائهما لمدة أطول ...

هنا سمعوا صوت طرق الباب من جديد ليصبح اللقاء الخماسي أكثر إثارة بدخول ...

"ناصر"!

=========

_إسلام !

هتف بها ناصر بدهشة وهو يتعرف على وجه صديقه هاهنا بالذات ...

ليبتسم إسلام ابتسامته الساخرة المميزة بينما يرد :

_الدنيا طلعت صغيرة قوي ...يا "صاحبي"!





ضغط حروف الكلمة الأخيرة ببطء ذي مغزى بينما يراقب بذكائه ردة فعل نشوى إذ رأت ناصر ...

ملامحها التي كانت متنمرة -لتوها- تحولت لأخرى مرتبكة يشوبها خزي لا يستشعره إلا من مر بها بحرقة مثله هو!!

لهذا ازداد تحفز ملامحه وهو يراها تهم بالانصراف لكن ناصر استوقفها بقوله :

_استني يا نشوى من فضلك ...أنا كنت عايز أشرف في موضوع يخصك ويهمني تبقى موجودة .

تململ رامز في وقفته وهو يشعر بالحرج الذي شاركه فيه أشرف وهو يشير لإسلام قائلاً بنبرة ودود :

_باشمهندس إسلام هيشتغل معانا يا ناصر .

فارتفع حاجبا ناصر بدهشة للحظة قبل أن ترتخي

ملامحه بإدراك متفهماً ما يريد إسلام فعله لهذا تقدم منه يربت على كتفه قائلاً:





_تبقوا كسبتوا فعلاً.

رمقه إسلام بنظرة طويلة حملت مشاعره نحوه بهذا المزيج المتوازن من العتاب والخزي ...

قبل أن يتجاهل عبارته مراقباً ملامح نشوى التي ازداد ارتباكها منذ أعلن ناصر أنه يريد التحدث لأشرف بشأنها ...

ربما لو لم يكن يعلم أن صديقه متزوج من امرأة يحبها لظن الأمر يتعلق بعرض زواج !!

لكزه رامز في خاصرته خفية في إشارة بوجوب انصرافهما فاستجاب له ليصافح أشرف بقوة ...

قبل أن ينتقل لنشوى التي مد لها يده لتصافحه بارتباك بينما تختلس نظرة جانبية لناصر زادت من يقينه هو أن الأمور بينهما تحمل أكثر من الظاهر بكثير ...





لهذا كانت مصافحته الأخيرة لناصر تحمل الكثير من التحفز وهو يقول بنبرته الساخرة كالعادة :

_ابقى خللينا نشوفك...عنوان بيتنا زي زمان !

عبارته التي وخزت قلب ناصر بشعور الذنب من جديد وهو يشيح بوجهه ...

ليزفر أخيراً بانفعال بعد خروجهما وهو يفكر للمرة الأخيرة بالتراجع عما جاء لأجله ...

إنه حتى لم يرتضِ أن يذهب لبيت أشرف ـكما اقتضى العرف في شئون كهذه ـ كأنما يريد أن يمنح نفسه فرصة الانسحاب في آخر لحظة ...

_مالوش داعي التأخير يا ناصر ...وبعدين انت زعلان ليه ؟! أنا راضية وموافقة ...حد طايل مراته تخطب له ؟!!




يسمعها بصوت سها كما ودعته بها صباحاً تدعي الرضا لكنه يدرك بداخله أنها كعهدها تريد أن تكون المبادِرة بزمام الأمور ...

تختار ولا يُختار لها !!

اختيارها الذي بدا له هذه المرة منطقياً إذ تنتقي له امرأة توقن أنه لا يحمل أي مشاعر نحوها ...

لكنه كذلك لا ينكر أنه يحمل بعض الأنانية !!

لو كانت نشوى ستمنحه الطفل المنشود ...

فماذا سيمنحها هو؟!!

عقله يخدعه بدعوى غرور منطقه العملي أنه سيحقق لها حلمها

بالزواج منه ...

لكن صوت ضميره الخفي يستصرخه أنه لن يحقق لها حلماً كما يزعم ...

بل سيمنحها بعد عسير مخاضٍ مجرد جنين مشوه !!





_خير يا ناصر ؟!

ينتزعها بها أشرف من شروده وهو يشير له بالجلوس فتحرك نحو أحد الأرائك بينما تحركت نشوى بحركة لا إرادية تلتصق بأشرف كأنما تستمد منه دعماً ...

ما الذي يريده بشأنها ؟!

ولماذا كان يقف يراقبها وابنتها ذلك اليوم من خلف زجاج المطعم ؟!

وما سر هذه النظرات الغامضة التي يواجهها بها منذ عاد القدر يجمع بينهما ؟!

ولماذا ترتجف روحها بهذه الطريقة كلما رأته كأنما عادت مراهقة ترى فيه كل العالم ...

ألازالت حقاً تحبه ؟!

قلبها يخفق بقوة كأنما يمنحها جواباً لا تدري صدقه من كذبه ...





بينما يصرخ بها عقلها أنها فقط تشعر بالخزي أمامه !!

الخزي من رفض حبها القديم الذي أعلنته له ...

الخزي من فشل اختيارها لرجل بعده ...

الخزي من وضعها كمطلقة بائسة ترعى طفلتها وحدها في مقابل وضعه هو كزوج يعشق التراب الذي تسير عليه زوجته كما يعلم الجميع عنهما !!

لهذا تشعر أنها مهما تعاظمت قيمتها ستبقى مجرد "قزمة" في عينيه !!

ترى ماهو الأمر الذي يخصها ويريد الحديث مع أشرف بشأنه ؟!

هل جاء لها بعريس من طرفه ؟!

ربما ...

ربما يرى هذا حلاً لتكفير ذنبه القديم معها وتحسيناً لصورتها المستحدثة في عينيه كامرأة فاشلة !!

ليته لا يكون كذلك !!





لو فعلها فسيذبحها حقاً بنصل بارد بعد كل هذه السنوات التي بالكاد تعافت فيها من جرحه القديم !!

لكن ما لم تتوقعه حقاً وجعلها تشهق للمفاجأة هو رده الصادم :

_من غير مقدمات ...عايز أتجوز نشوى.

=========

بعد أسبوعين ...

_ما أنا كنت عندك من يومين يا ماما !

هتف بها رائد عبر الهاتف مخاطباً أمه وهو يقف في صالة البيت الداخلي له مع همسة ...





ليصله ردها الهستيري كالعادة :

_يومين ؟! وفيها إيه لما تجيلي كل يوم ؟! انت قاعد عندك بتعمل إيه أصلاً؟! هتفضل تضيع عمرك وانت بتحرس الست هانم ؟!

ورغم ضيقه بما تقول لكنه كظم غيظه ليهتف بها مهدئا:

_اهدي بس يا حبيبتي ...أنا خلاص صفيت أموري مع زين وهارجع أشتغل معاه ...اعتبريني في أجازة...مش انتِ اللي كنتِ بتتحايلي عليّ دايماً آخد أجازة م الشغل وأفك عن نفسي ؟!

_تفك عن نفسك واللا تنسى نفسك ؟!

تهتف بها بذات الاستنكار العصبي ليصمت هو للحظات بينما يزيح الستار عن النافذة أمامه ليرى همسة تخرج من الكوخ تسير جوار الخادمة ...




ابتسامتها المشرقة تنير ملامحها ...

عيناها الواسعتان اللتان حُرّمت عليه رؤيتهما من قريب ترنوان للسماء الصافية وهي تفتح ذراعيها على اتساعهما كأنما تحتضن الكون ...الكون كله ...

خطواتها تتقافز برشاقة وهي تدور حول نفسها كحورية أسطورية فرت من جنان النور لا تعرف شيئاً عن دنس أهل الأرض ...

لهذا لم يملك ابتسامته هو الآخر ليتنهد بحرارة بينما يجيب أمه أخيراً:

_لو تهمك سعادتي فأنا بحلفلك ...عمري ما كنت مبسوط زي ما أنا دلوقت ...أرجوكِ يا ماما سيبيني أكفر عن ذنبي للآخر ...همسة كل يوم بتتحسن وقريب قوي هترجع زي زمان ...

ثم صمت لحظة ليردف برجاء اخترق نبرته الحازمة :





_ما تضغطيش عليّ بخوفي عليكِ ...انتِ عارفة إن ضغطك عالي ومابتستحمليش انفعال ...بس غصب عني مااقدرش أسيبها هي كمان دلوقت .

صوت زفرتها الحانقة يكون جوابها الوحيد قبل أن تغلق الاتصال في وجهه فيطرق برأسه بأسى وهو يشعر بأن الهوة بينه وبين أمه تزداد عمقاً يوماً بعد يوم ...

لولا خوفه من مرضها لكان موقفه معها أكثر حسماً لكنه يعلم أن أي انفعال قد يؤذي حياتها لهذا يحاول قدر استطاعته موازنة الأمور ...

صوت ضحكة همسة العالية يصله مكانه فيرفع وجهه من جديد...
لتعود الابتسامة لشفتيه وهو يرى الخادمة تجاريها عدواً في الحديقة فيما بدا كسباق كسبته همسة التي انثنت على جذعها أخيراً بضحكة ظافرة





وسط أنفاسها اللاهثة في مشهد ذكره بتاريخهما القديم ...

ابتسامته تتسع وهو يراها تعود لشرودها فجأة لتستقيم بجذعها من جديد وكأنما نفس الخاطر راودها ...

هل تفتقد ماضيهما كما يفتقده ؟!

يعقد حاجبيه بترقب وهو يراقب ملامحها خفية خلف الستار ليجدها تتلفت حولها كأنما تبحث عنه ...

قبل أن تضع كفها في جيب سروالها لتستخرج منه عصابة عينيها التي وضعتها بنفسها كأنها... تناديه !!

النداء الذي لم يستغرق بضع ثوان حتى شعرت بعطره يداعب حواسها لتعود لها ابتسامتها وهي تفتح ذراعيها على اتساعهما من جديد ...





C i n n a b o n

_رائد !

تهمس بها بتلك الطريقة التي تذيب فؤاده ليختصر المسافة بينهما ...يضمها بين ذراعيه ويدور بها بضع دورات ...

صوت ضحكاتها الرقيقة يغرد من جديد في أذنيه فيضحك بدوره قبل أن يسقط بها أرضاً ليجلسها بين ذراعيه ...

رأسها يستقر بين ذراعه وصدره يهدهدها كالرضيع بينما تثني ساقيها لتتكور في كنفه...

قبل أن يتناول زهرة من جانبه داعب ببتلاتها باطن قدميها لتغرد ضحكاتها من جديد وهي تحاول إبعاد ساقيها بينما تخفي وجهها في صدره ...

_فاكرة أول مرة عملنا فيها كده ؟!





يهمس بها في أذنها وشفتاه تغازلان وجنتها الناعمة لتصمت للحظات كأنها تجاهد للتذكر قبل أن تهمس له بخفوت :

_يوم شم النسيم...حفلة في الجنينة ..بيت بابا ...

يبتسم بأمل وهو يعود ليداعب باطن قدمها لكن برقّة أكبر هذه المرة ...

يود لو ينطلق لسانها بالحديث كالسابق لا مجرد كلمات متقطعة كهذه ...

لكن لا بأس !!

_الوردة كان لونها إيه ؟!

يسألها وأنامله تداعب وجنتها بينما يثبت رأسها على صدره لتصمت قليلاً كأنها تجاهد للتذكر قبل أن تتمتم بخفوت :

_"روز"!





قبلته الناعمة على شفتيها بدت كمكافأة على تذكرها ...

مكافأة شجعتها لتفاجأه بتفاصيل الموقف كله يومها ...

كيف تركت الحفل لتهرب إلى الجانب الخفي من الحديقة كي تلتقي به سراً ...كيف دارت حول نفسها وهي تريه ثوبها الوردي بتفصيلته شديدة الأنوثة ...وكيف قطف لها زهرة بنفس لون الثوب ليضعها في شعرها لكنها تهربت منه عدواً ليلحق بها فيسقطان -تماماً كما الآن- ...

ينخلع كعب حذائها فيشاكسها وهو يرميه بعيداً قبل أن يبدأ في دغدغة باطن قدمها بزهرته ...





قلبه يخفق بجنون وهو يستعيد هذه الذكرى بصوتها ...

لا يكاد يصدق هذه السعادة التي تجتاحه وهو يشعر بها بين ذراعيه تتحدث إليه هكذا ...

لهذا شدد من قوة ضمه لها لينثر هدايا شفتيه فوق بشرتها ...

قبل أن يقبل عينيها فوق عصابتها هامساً بنبرة ذائبة :

_فاكرة وقتها كنت بحبك أد إيه ؟!

همهمتها الناعمة تجيب بخجل يلون وجنتيها فيتناول راحتها ليبسطها على صدره بينما يهمس أمام شفتيها بما سمعه قلبها قبل أذنيها:

_أنا بقا بحبك دلوقت أد وقتها ألف مرة !

تمرغ وجهها في صدره وضحكتها تغرد من جديد فيضحك بدوره وهو ينظر في ساعته مرغماً ...





إنه موعد حضور ياقوت اليومي الذي لا تخلفه !!

يرمق البوابة من بعيد بنظرة خاطفة ليلمحها تفتح بينما ظلها الواثق يقترب ...

يلوح لها بكفه فتبتسم برضا وهي تطالع جلستهما الهانئة بشرود...

قبل أن ترى همسة تقفز بحيوية من بين ذراعيه

لتصلها كلماتها المتقطعة :

_تلعب؟! اجري انت ...هامسكك وأنا... مغمضة ؟!

تتسع ابتسامتها وهي تراهما يلعبان بهذه الطريقة فلم تشعر بنفسها وهي تتناول هاتفها لتصور هذا "الفيديو" لهما وترسله ..."إليه"!!

أجل ...زين!!

لماذا فعلتها رغم أنه لم يحاول مهاتفتها مرة واحدة منذ سافر كأنه يؤكد لها أنها حقاً النهاية ؟!




ربما ...لأنها -بعين مهنيتها- تريد أن تثبت له تطور الحالة ...

ربما ...لأنها -بعين إنسانيتها- توقن أنه يشتاق رؤية أخته سعيدة هكذا خاصة في سفره ...

وربما ...لأنها -بعين قلبها - تريد أن تشعر أنه - مهما ابتعد - قريب!!

الخاطر الأخير يوجع روحها بهذا الوخز المؤلم وهي تطالع هاتفها بترقب ...

لقد رأى رسالتها لكنه ...لم يرد !!

"رسالة صامتة" وصلتها واضحة لتضعها جوار شبيهاتها فتكمل مشهد النهاية المنتظر!!

عيناها تمتلئان بالدموع وهي تشعر بالمزيد من

الانهيار بينما تتسلل أناملها خفية تتحسس قرطه في أذنها ...




لقد دفن ورقة "العشر جنيهات" زاعماً أنه يقتل ذكرى موجعة...

ليمنحها عوضاً عنها ذكرى أشد وجعاً ...

أناملها لم تعد تتحسس ذاك الموضع في صدرها حقاً لكنها صارت تتلمس موضع قرطه في أذنيها ...

وكأنما كتب عليها أن تبقى للقلب ندبة وجع يتحسسها في كل حين !!

تغمض عينيها بألم وهي تتخيل جلسة في حجر ثمر اشتاقتها حد الجنون ...

لا بأس !!

الحلم كان أروع من أن يتحقق على أي حال !!

صوت ضحكات همسة ينتزعها من شرودها فتعاود فتح عينيها كأنها تنفض عنها ضعفها بقوة تتناقص يوماً بعد يوم ...

لكنها ستقاوم لآخر رمق !!!

وفي مكانه كان زين يطالع هاتفه بعينين جامدتين تناقضان هذا الحريق المستعر بصدره !!

شبه ابتسامة تكلل شفتيه لمرأى همسة الضاحكة بين ذراعي رائد ...

مشهد مشرق يوحي ب"وهج البداية" لهمسة لكنه رغماً عنه يحمل له "ذبول نهايته " معها ...هي !!

هي التي صار يصحو كل يوم كي يعقد في حبل فراقهما عقدة فوق عقدة لعله يوصد الباب في وجه قلب يعانده بجنون !!

قلب لم يعد يرى سوى صورتها في جميع وجوه النساء !!





هذا القلب الذي يستحلفه الآن أن يهاتفها ...

مجرد لمسة للشاشة تحمل إليه صوتاً بات عشقه هوساً ...

هوساً يجتاح يقظته قبل أحلامه ...

لكنه يقاوم كل هذا بعناد رجل طالما تباهى بقهر مشاعره !

لهذا تلاعبت أنامله بالشاشة ليتجاهل فيديو همسة مؤقتاً ...

لكنه عينيه اصطدمتا ببقية الفيديوهات على هاتفه ...

وبالتحديد -اثنان - منهما ...

الأول - القديم - له مع ياسمين يساوي "فضيحة"...

والثاني- الحديث- ل"ياقوت" ليلة حادثة القطار و

أهل بلدتها يستقبلونها في شبه مظاهرة عاطفية تساوي "تاج شرف"...

فكم بينهما؟!!

يزفر زفرة قصيرة وهو يمسح "الفيديو الأول" بسرعة تساوي سرعة تقبله لخسارة ياسمين ...

بينما تتلكأ أنامله ببطء على الثاني ليجد نفسه عوضاً عن أن يمسحه يعيد تشغيله من جديد ...

مرة تلو مرة دون ملل ...

وفي كل مرة يستعيد صورتها ب"قمرين سجينين" في عينيها يستصرخانه أن يحررهما ...

القرار لايزال صعباً على رجل اختار العقل سيداً على القلب ...

فباغته القلب بثورة عصية !!





تنهيدة حارقة تغادر صدره وهو يعيد الهاتف بحسم لجيبه ...

أي "ياقوت" يجب أن يرى؟!

ابنة الخادمة والمجرم التي تطاردها الفضيحة ونظرات الناس؟!

أم الطبيبة الذكية الحاذقة التي يفتخر بها كل من عرفها ؟!!

بل والسؤال الأقوى...

أي "زين" هو؟!!

الابن الذي عاش عمره يشمئز من ضعف والده باتباعه نزوات قلبه ويكره أن يحذو حذوه ؟!

أم الرجل الذي وجد "كل نسائه" في امرأة بعينها ؟!

امرأة هزت عرش رجل طالما زعم أنه لا يُقهَر؟!

ربما لو عرف الإجابة عن أسئلته هذه لكان القرار المنتظر أكثر يسراً ...





لكنه لايزال يدور في متاهات ماضٍ لوث حاضره ...

فكيف يكون الغد إلا لغزاً غامضاً ؟!

=========

عاد زين من سفره إلى هنا رأساً وكأنما قلبه يخبره أنه لن يجد راحته إلا في مكان يحمل عبقها ...

تتردد أنامله وهو يضع المفتاح مكانه في ثقب الباب...

ماذا لو وجدها هنا ؟!

ماذا لو كانت عادت هي الأخرى تترقب مجيئه ؟!!

ابتسامة مريرة تمنحه الجواب وهو يفتح الباب أخيراً ليصطدم بمشهد الشقة البارد ...

رائحتها تملأ المكان حتى وهو يعلم أنها لا تتعطر!!

رائحتها لا يدركها أنفه إنما يستشعرها قلبه بما تمنحه إياه من سكينة ...

تعلمون شعور الصمت المفاجئ بعد طول صخب؟!!

هكذا بالضبط هو وصف إحساسه بالأنس بها ...

هذه بالضبط ...رائحتها ...

رائحتها التي لن تشبهها فيها امرأة ولن تشترى بكل أموال الأرض!!

يزفر بقوة وهو يغلق الباب خلفه ليتوجه نحو الأريكة القريبة ...

هنا حيث قرأت بين ذراعيه له أول كتاب ...

وحيث شرب ما أعدته له بيديها ...





وحيث ظن أنه امتلكها كشعاع شمس يغشي عينيك
فيملأ الكون حولك لكنك تدرك فجأة أن أصابعك أبداً
لن تناله !!

يقف أخيراً ليتجول في الشقة الخالية...
الغرفة المقيتة التي كسرت مرآتها ...
الغرفة الأخرى التي بقي كل شيئ فيها لا يزال
يحمل ذكريات ليلتهما الأخيرة هنا ...
كيف نامت بين ذراعيه ليجمعهما دفء الحلم ....
وكيف استيقظ كلاهما بعدها على برودة الحقيقة !!

افتقدها ؟!!
لا...لم يكن شعوره مجرد افتقاد ...
ولا حتى مكاناً بأكمله تركته بروحه شاغراً بعد
رحيلها ...





بل كان يشعر أنه هو بأكمله قد انصهر بغيابها ليتحول لآخر !!

آخر هان في عينيه كل ما يملكه سواها ...

وصارت هي المغنم الحقيقي!!

هل هكذا شعر أبوه وهو يستهين بحياته لأجل امرأة ؟!

ألهذا استخف به وبأمه كي يتبع قلبه ؟!

القلب الذي يخفض جبين الرجال؟!!

يعقد حاجبيه بشدة والصراع القديم يعاود سحق روحه ...

الصراع الذي لم يعشه من قبل مع ياسمين رغم اعترافه لها بالحب ...





ربما لأن ياسمين بصفاتها لم تكن تناقض مواصفاته القياسية في امرأة يريد إعلانها كزوجة !!

وربما لأنه وقتها ما كان يعرف معنى شعور كهذا الذي يكتسحه بجنون مع ياقوت !!

علاقته بياسمين كانت سهلة القيادة...سهلة السيطرة ...كذلك كانت سهلة الإنهاء!!

لكنه هذه المرة يشعر كأنما تنجرف به عربته من علوّ ليهوي دون تحكم ...

دون حول ولا قوة !!

قلبه يناحر عقله بضراوة لم يعرفها قبلاً ...

وهو الشريد بينهما ...





لقد ظن السفر سيحسم الأمر لصالح أحدهما ...

لكنه لم يزد قلبه إلا تعلقاً ...

ولم يزد عقله إلا عناداً ...

فأين المفر؟!

======

متكئة على الأريكة بإرهاق تحاول الخلاص من أفكارها الخانقة ...

ثمر وحالها المقبض في السجن لولا الأمل بقرب خروجها ...

لجين ومرضها الغريب ...

هيثم وعلاقتها التي تحاول توطيدها به رغم حساسية الوضع مع والدته التي تظهر كراهيتها لها كلما رأتها لولا تدخل إسلام في كل مرة لتلطيف الوضع ...

عملها بين المركز القديم الذي لفظها والمركز الجديد الذي يعرضه عليها إسلام ...

وأخيراً...





هو!!

هو الذي تشعر بحبه ك"مخدر" أساءت استخدامه
حتى أدمنت أثره !!

تتلفت حولها في المكان فينتابها حنين غريب لشقته
"هو"!!

رغم أن هذه تماثلها في الأناقة لكنها
باردة ...موحشة ...

كتمثال بلا روح!!

تماماً كحياتها كلها الآن !!

صوت رنين الجرس يقاطع أفكارها فتبتسم ابتسامة
حقيقية وهي تتوقعه "إسلام"!!

إسلام الذي صار في أيام قليلة هو النسمة الوحيدة
الباردة في جحيم حياتها الذي تعاصره هذا !!





لهذا هبت من مكانها لتضع عليها وشاحها احتياطياً ثم فتحت الباب بلهفة لتتسع عيناها بصدمة وهي تطالع الوجوه الغريبة أمامها بينما تميز في أحدهم زي رجال الشرطة ...

_الشقة دي بتاعتك ؟!

يسألها أحدهم بفظاظة لتجيبه بارتباك :

_لا ...بس ...

عجزت عن إيجاد وصف مناسب والموقف كله يثير ذعرها...

ليقاطعها الرجل بنفس الفظاظة :

_ملبوخة كده ليه ؟! بتاعتك واللا مش بتاعتك ؟! معاكِ عقد تمليك ؟! عقد إيجار؟! واللا صفتك إيه هنا؟!





صعد الدم لرأسها من لهجة الضابط المهينة لتهتف بانفعال:

_دي شقة أخويا وهو سايبهالي؟!

_أخوكِ؟!

هتف بها الضابط بازدراء ليشير للرجل جواره والذي تقدم منها ليجذبها بعنف من ذراعها نحو الخارج فهتفت وهي تحاول تخليص نفسها منه ...

_سيب دراعي ...هو في أيه ؟!

_فيه إنك بجحة !! أصحاب الشقة دي مقدمين بلاغ إنك واضعة يدك عليها بلطجة وكمان سارقة منها مبلغ كبير ...اتفضلي معايا يا "بتاعة أخويا"!!

اللهجة الحادة المهينة التي نطقها بها ألجمت لسانها وهي تتلفت حولها مصدومة ...

ما الذي يحدث ؟!





هل خدعها إسلام؟!

هل كان يستدرجها لينتقم منها بهذه الطريقة ؟!!

بماذا ستبرئ نفسها ؟!!

هي لا تملك عقد إيجار ولا مايثبت سبب وجودها في هذا المكان ...

والأدهى أنها لا تعلم من هم أصحاب الشقة هؤلاء؟!

لقد وثقت في إسلام عندما أخبرها أنه وفر لها سكناً وافترضت أنها له !!

ما الذي يحدث ؟!

وأين يذهبون بها ؟!

الأسئلة تتوالى من بين شفتيها تباعاً تصرخ بها في وجه الضابط الذي لم يكبد نفسه عناء الرد عليها بينما رجاله يسحبونها قسراً ليهبطوا بها الدرج نحو سيارة الشرطة ...




صراخها الحاد ينكمش رويداً رويداً وهي تطالع وجوه الناس الذين فتحوا أبواب شققهم يطالعونها بفضول ...

والذين تجمعوا حول سيارة الشرطة التي دفعوها فيها دفعاً كجوال بلا قيمة !!

بلا قيمة !!

بلا قيمة !!

هكذا كانت تشعر ودموعها المتجمدة على وجنتيها تبصر النظرات المستهينة المزدرية في عيون من حولها ...

الآن فقط ينهار ما بقي من قناع قوتها ...

الآن تنسى "ياقوت سليمان" ولا تبقى سوى "ابنة الخادمة والمجرم"!!

هاتفها في جيب تنورتها لكنها لا تقوى على إخراجه ...





بمن عساها تستغيث ؟!!

إذا كان إسلام من فعلها !!

لكن ...لا !!

هي لن تخطئ فهم الناس إلى هذا الحد !!

إذن ...ماذا يحدث ؟!

وأين يذهبون بها ؟!!

الرحلة القاسية تنتهي بها في زنزانة ضيقة مع
وجوه مشبوهة تأملتها بفضول قاسٍ ...

وتأملتها هي في البداية بصدمة...

صدمة تحولت لرعب ..ثم لانهيار.. ثم لخواء!!

خواء امتص روحها وهي تلتصق بالقضبان
محاولة تجاهل ما يدور خلفها...





تحاول تنفس الهواء بالخارج تقتنع نفسها أن النجدة قريبة ...

هل هكذا تشعر ثمر في سجنها ؟!

هل هو نفس الشعور بالهوان ...بالظلم ...بالقهر ؟!!

الوقت يمر ولمزات النساء حولها تكاد تعريها من ثيابها ...

إحداهن تقترب منها وهي تلوك قطعة من العلك في فمها بتلك الطريقة المستفزة لتجذبها من قميصها هاتفة بلهجة أثارت اشمئزازها :

_جاية في إيه يا حلوة ؟! شكلك كده مش بتاعة آداب ...

_واللا يمكن دي الموضة الجديدة ...رجالة اليومين دول ذوقهم بقا "..."!!





تتسع عيناها بصدمة والألفاظ النابية التي تخدش أذنها تكاد تصيبها بذبحة صدرية ...

هي حقاً هنا ؟!!

ياقوت سليمان هنا ؟!!

وسط هؤلاء يسخرون منها كما شاءوا؟!

وحدها ...وحدها تماماً يتخبطها الموج دون سند !!

_بالراحة عليها يا جماعة ...دي مهما كان "وليّة مكسورة الجناح " زيينا!!

تهتف بها إحداهن لتتبعها بضحكة رقيعة ساخرة كانت لتثير اشمئزازها في أي وقت ...

لكنها الآن تشعر بها وكأنها جرس تنبيه أخير أن وقت "الأمل الكاذب" قد انتهى ...

أن الجبل الذي عاشت عمرها تصعده خطوة خطوة حتى كادت تصل لقمته الآن تتحدر منه نحو الهاوية ...





الكذبة التي عاشتها أنـها تصنع اسمها ومكانتها لم تكن سوى فقاعة وهمية انفجرت فجأة لتذكرها ...

تذكرها أنـها بعد طول تحليق هوت ...

لتبدو لـها الحقيقة العارية أنـها في هذا العالم ...

بلا قيمة ...

بلا قيمة حقاً!!

========

_باقول كفاية عليها كده وأروح أخرجها ؟!

قالتـها جيلان عبر الـهاتف بتردد وهي تتلفت حولـها خشية أن يسمعها هيثم أو إسلام ...

لترد سوزان عبر الجانب الآخر من الاتصال :





_فعلاً كفاية ...ده لوي دراع بس عشان تعرف قيمتها كويس وتفهم إن اللي زيها حشرة تتداس في أي وقت .

قالتها سوزان بغلّ واضح وهي تسترجع كيف كانت هذه فكرتها التي حرضت عليها جيلان ...

ياقوت هذه يجب أن تبتعد عن همسة !!

لن تسمح لها أن تستمر في هذه التمثيلية السخيفة التي يقوم فيها ابنها رائد بدور البطولة دافناً عمره ومصلحته بين أنقاض وهم !!

_خايفة إسلام لما يعرف ياخد مني موقف ...ماعرفش البنت دي قدرت إزاي تخلليه يتعلق بيها كده هو وأخوه !





غمغمت بها جيلان وقد بدأت تشعر بعواقب فعلتها التي دفعتها إليها صديقتها واتبعتها هي بواعز من شعورها بالحقد تجاه ياقوت ...

الصورة الحية المجسدة لخيانة رجل ضاع معه عمرها -السابق- بخديعة و-الآتي- بفضيحة !!!

_ماهو عشان كده كان لازم نكسر شوكتها ونعرفها مقامها ..لو داخلة طمعانة فيكم وفاكرة إنها هتميّل دماغ الولدين بحدوتة زمان يبقى تنسى ! اسمعي كلامي الصنف اللي زي دي يخاف ما يختشيش!!

هتفت بها سوزان بنبرتها الهستيرية لتردف بعينين متوهجتين حقداً:

_انتِ تروحي دلوقت وتخرجيها ...قولي للضابط إنك لقيتي الفلوس وإن إسلام هو اللي دخلها الشقة وانتِ ماكنتيش تعرفي ...بس بعدها تاخديها على جنب وتعملي اللي اتفقنا عليه ...اكسري رجلها من بيتك ...لا مش من بيتك بس ...من البلد




كلها ...خلليها ترجع بلدهم تشوف لها كام غنمة ترعاها ...هي دي قيمتها اللي لازم تعرفها ...وهدديها لو ماسمعتش الكلام إن اللي حصل ده هيتكرر بأفظع منه ...

ثم ضحكت ضحكة محتقرة لتنهي حديثها بقولها الساخر:

_"الست الدكتورة" اللي فاكرة نفسها هتصلح الكون !!

=========

وقفت ياسمين في الركن الخاص بها في المطعم تراقب العاملين بشرود ...

أحداث الأيام السابقة غريبة حقاً !!

لقد استمعت لنصيحة ياقوت وصارحت يامن بشأن هواجسها !





يامن الذي بدا مصدوماً في البداية قبل أن يسعى للتأكد من الخبر ...

والنتيجة ...لا شيئ!!

هي مجرد واهمة !!

سيلين ليست في مصر أصلاً!!

هل ترضيها هذه النتيجة ؟!!

الغريب أن لا!

هلاوسها هذه تزداد ضراوة مع اقتراب موعد ولادتها والمصيبة أنها لا تصدق أنها مجرد هلاوس!

إنها ترى سيلين حقاً!

تراها تتوعدها بعينيها ونظراتها لبطنها المنتفخ كأنما تترصدها وطفلتها بانتقام !!





ياقوت؟!

لقد أخبرتها هي عما اكتشفه يامن بذعر لتهون عليها الأمور بزعمها أن ما مرت به صعب حقاً ولا بأس أن تكون هذه من تبعاته ...

اقترحت عليها بعض الجلسات التي استجابت لها كمجرد ثرثرة في النادي دون اقتناع حقيقي ...

لا يمكن أن تكون قد وصلت إلى هذه الدرجة من الهلوسة !!

صوت رنين هاتفها يقاطع أفكارها فتبتسم وهي تتعرف إلى هوية المتصل ...

_إزيك يا عابد ؟! لو كنت أعرف إن البلد هتاخدك مننا كده ماكنتش وافقت يامن ع اللي عمله !

قالتها باشتياق حقيقي ليرد بود مماثل:





_أنا أيضاً افتقدتك ...كيف حالك ؟!ألم تصل الصغيرة بعد ؟!

لم يعد تحدثه بالفصحى يدهشها بل صار أيقونة مميزة ل"تدين حقيقي" تلمسه في أفعاله وليس مجرد "مظهر خارجي" كالسابق ...

لهذا ضحكت وهي تجاريه في طريقة حديثه بالفصحى:

_نعم ...لم تصل بعد ...لازلت في الشهر الثامن ...النساء يلدن في شهرهن التاسع لو كنت تفطن لمثل هذه الأمور!

ضحكته العالية تطرب صدرها فتجزيه بمثلها لتعاود سؤاله بحذر مشفق:

_والدتك أخبارها إيه ؟!




_بخير ...تريد مني العودة لماليزيا لكنني أحاول إقناعها بالبقاء هنا مدة أطول ...أحببت صحبة الشيخ وأجواء القرية هنا .

جوابه يفضح لها ارتياحاً حقيقياً اطمأنت له روحها فصمتت للحظات لتعاود قولها بحنان راجٍ:

_ادعيلي يا عابد ...محتاجة دعاءك قوي!

_أنتِ بخير؟! هل آتِ إليكِ؟!

يهتف بها بجزع مستشعراً القلق في نبراتها لترد بضحكة مصطنعة :

_لو عليّ هتدلع عليك وأقوللك تعال ...بس حقيقي مش عايزة أتعبك ع الفاضي ..لكن اعمل حسابك من أول الشهر التاسع هاعلن حالة الطوارئ وأطالب الجميع باستنفار عام وقهري!

قالتها بدلالها الفطري الذي قابله هو بحنانه :





_لا تقلقي يا "وصية أبي" ...يكفيني منك نداء واحد !

ابتسمت برجفة قلب ذات شجن وهي تسمع منه هذا اللقب الذي صار يميزها به منذ التقاها بعد وفاة أبيه ...

وقد حكى لها عن رؤيا صديقه "الصالح" بمشهد أبيه وهو يحمل في يده "الميدالية الكريستالية الملونة"...وكيف اعتبرها من يومها وصية والده التي لن يفرط فيها أبداً!!

لهذا أغلقت معه الاتصال بقلب مطمئن لتعود لمراقبة عملها ...

الغريب أن هلاوسها ب"سيلين" اختفت تماماً بعدها كأنما "يذكيها" الفراغ و"يطفئها" شعورها بالحب ممن حولها كما أخبرتها ياقوت قريباً!





لهذا شعرت بالكثير من الارتياح وهي تغادر المطعم لتستقل سيارتها نحو بيت بيللا التي اقترب موعد عيد ميلادها...

هذا الذي تذكرته وهي تفكر في المرور على أحد المحلات كي تفاجئها بهدية تليق بها ...

لكنها ما كادت توقف السيارة جانباً حتى حانت منها التفاتة عابرة لمقعد السيارة الخلفي لتصرخ فجأة بهلع !!

صرخة كان لها ما يبررها وهي ترى لباس رضيع قد تلوث كله بالدم !!

==========

_رد يا يامن ...رد !!

هتفت بها بين صرخات بكائها المكتومة بينما تتحاشى النظر للخلف ولازالت قابعة في سيارتها ...





تمسك هاتفها بيسراها بينما كفها الأيمن يمسد بطنها برعب تتلمس حركة صغيرتها كأنما تريد التيقن من أنها بخير !!

_لا بقا!!!

صرخت بها بعجز وهي تخبط هاتفها بالمقعد جوارها بعدما أدركت أن هاتف يامن خارج التغطية !!

جسدها كله يختض بهلع وهي تختلس نظرة أخرى للمقعد الخلفي لم تزدها إلا رعباً !!

تهيؤات؟!!

هلاوس؟!!

حقاً؟!!

انهمرت دموعها غزيرة وهي تشعر بالرعب يجمد أطرافها ...





تمد أناملها ببطء مرتعب نحو المقعد الخلفي لتتحسس القماش الملطخ بالدم بينما تغمض عينيها ولاتزال غير قادرة على رؤيته من جديد ...

وهم ؟!!

هل هو حقاً وهم ؟!!

لا!!

إنها تستشعر خامة القماش الناعمة !!

هل أصيبت بالجنون حقاً؟!

تتلفت حولها بعجز وهي تحاول الاتصال بيامن من جديد ولما عجزت وجدت ملامحها تتجمد فجأة وهي تدرك أين هي ...

إنها قريبة تماماً من بيت ياقوت الذي عرفته يوماً ...

لا مجال لتفكير ...





فلتذهب إليها ولترَ بنفسها إن كانت هذه حقاً مجرد هلاوس!!

=========

بعدما حدث وفي هذا الوقت المتأخر من الليل لم تجد ياقوت لها ملاذاً إلا شقته !

هذه التي أقسمت على نفسها ألا تدخلها أبداً !

لكن ما حيلتها وقد صارت نفسها الآن أهون عليها من أي وقت مضى؟!

عزاؤها أنه -هو- ليس فيها ...

ستقضي ليلتها ها هنا وتغادر صباحاً في أقرب قطار لقريتها ...




ستترك كل شيئ خلفها هنا لعلها هناك تلملم شظايا روحها المكسورة ...

بقايا "قناع قوتها " يمنحها بعض التماسك الذي

تلاشى سريعاً بمجرد أن أغلقت الباب خلفها ...

عيناها تجوبان المكان تستعيدان كل ذكرى تركها هنا ...

كيف يمكن أن يختزل العمر في دقائق؟!

أن يختزل الكون في بضعة أمتار؟!

أن تختزل المشاعر -كل المشاعر- في ضمة عناق؟!!

وأن يختزل اليأس في مكان خلا منه !!

لكن ...هل كان هو حقاً أملاً؟!





أم أنـه فقط أثر الفراق الذي ينتزع من الأشياء قشرة سوادها ليغرينا بما فقدناه..فافتقدناه ؟!!

آهة خافتة تشق صدرها شقاً وهي تتذكر أنه لم يحدثها بكلمة منذ سفره ...

إنه حتى لم يطمئن منها على أخته !

لكن لما العجب؟!

هو اتبع درب العقل وكان من الذكاء ألا يتوه في دروب قلب اختار لظبيانه المرعى الخطأ!!

تعلم أنه أحبها!

لم يقلها لسانه لكنها سمعتها منه ألف مرة ...وبألف وعد ...

تماماً كما تعلم أنها أحبته ...

أنه كان "الأول" في كل شيئ...





أول حب خفق له قلبها بتمرد عاصٍ...

أول لمسة لجسد تفتحت تحت شمسه براعم أنوثته ...

وأول حلم يراوغها بمكر وقد ارتدى قناع "الحقيقة"...

لكن ...

آن لل"الجواد الآبق" أن يتلقى سوط وجعه كي لا يعود للهرب من السياج!!

الخاطر الأخير أجرى المزيد من الدموع على وجنتيها لتخلع عنها حجابها فتصطدم عيناها بمرأى وجهها في مرآة قريبة ...

وجهها الذي كادت تنسى تفاصيله منذ ألبسها بيديه ذاك "القرط"!!

لونه الأحمر الصارخ يترقرق في عينيها بلون الحب والألم !

أجل تماماً مثله !!





اختار هديته لتخترق لحم أذنها بذاك المزيج من الألم والحميمية ...

اختارها قريبة معذّبة ...لكنها مغرية ...كهواه !!

خطواتها تنسحب نحو غرفة المكتبة التي لا تدري كيف صارت تألفها هكذا كأنما عاشت فيها ألف عمر ...

نظراتها تتلكأ على أريكة شاركها فوقها النوم يوماً كعاشقين ...

قبل أن توقظهما صحوة الإدراك !!

على الأرض مستقرة تلك الرواية منذ ليلتها ...

"نحن لا نزرع الشوك "...

أجل ...لا نزرعه ...ولا نريد حصاده ...لكنه يستعمر الأرض تحت خطواتنا رغماً عنا ...





فأين المفر؟!

تتحرك ببطء نحو المكتب الفخم هناك ...

تستند على حافته بكفيها مطرقة الرأس ...

جسدها الذي أرهقها إعياؤه يكاد يستحلفها جلسة على الأريكة لكنها لم تستطع ...

لم يعد القلب الجريح يحتمل سهم اشتياق غادر ...

ولا ثوب الكبرياء يحتمل المزيد من "الرقع"!!

ستقضي ليلتها واقفة هكذا ...

لعلها تمرن نفسها بعده ألا تقع !!

لعلها تخدع هذا القلب أن له بعده غداً ...!

لم تدرِ كم ظلت واقفة مكانها تجتر ذكريات عناقاتهما واحداً واحداً...





لو يدرك أي خراب سيتركه في روحها برحيله لما فعلها ...

لكنها تعلمت بالطريقة الأقسى أنّا مهما ارتجينا لن نعيش العمر كله حالمين ...

_ياقوت!

هل سمعت صوته حقاً؟!

أم أن عقلها صار أشد بؤساً من قلبها حتى يخدعها بضلالاته ؟!

التفتت لتجده هناك واقفاً عند باب الغرفة يرمقها بنفس الذهول المصدوم كأنما لا يصدق هو الآخر أنها هنا ...

لحظة من الصمت المشحون بمشاعرهما مرت بينهما قبل أن يختصر هو الطريق بينهما لتجد نفسها من جديد بين ذراعيه ...




العناق الحادي عشر ...

بمذاق "الاشتياق"!!

الاشتياق الذي أذابهما معاً وهو يشعر بها لأول مرة تبادله عناقه !!

أجل ...ذراعاها كانا يتعلقان بعنقه بقوة توازي ضعفها هي الآن !!

قوة جعلته يكاد يعتصرها بين ذراعيه وهو يستعيد مرارة كل لحظة قضاها دونها ...

لم تكن وحدها من يستعيد مذاقات عناقاتهما واحداً تلو الآخر ...

هو أيضاً كان يحترق بنيران فقدٍ تفحمت معها روحه فلم تزهر إلا عندما رآها من جديد ...

هنا !

وأي دلالة أعظم من أن يجدها ...هنا ؟!





كأنهما قالبان من ثلج جمدهما الكبرياء وأذابهما لفح الحنين!!

_لو قلتلك وحشتيني ...هتصدقيني ؟!

يهمس بها بنبرته القوية التي زادتها مشاعره ثقلاً بينما يردف :

_وحشتيني لدرجة إني قابل إن حياتي كلها تتقلب عشانك !!

لكنها لم تكن -تستمع- فضلاً عن أن -تصدق-!!

"أحداث الساعات الأخيرة" كانت كالقطرة التي فاض بها البئر !

الوهن الذي ينخر في روحها كالسوس لم يدع مجالاً لأي قوة !!





تهديد "جيلان" العاصف منذ قليل يصيب هدفاً بكبريائها الذي أذلوه !!

صوتها الملطخ بحقدها لايزال يدوي في أذنها من ساعتها عقب خروجها من القسم ...

_أنا اللي خرجتك من هنا زي ما دخلتك ...اعرفي قيمتك بقا وارجعي بلدك يا شاطرة ...مالكيش دعوة بولادي ...المرة دي قرصة ودن خفيفة...المرة الجاية أوعدك تشرفي مع جدتك في نفس الزنزانة لحد ما تعفني هناك .

فلتنظر للجانب الوحيد المشرق هاهنا ...

إسلام لم يخدعها ...

هي لم تخطئ قراءة حنانه على أي حال !

لكن لتدرك قيمتها حقاً ولتتوقف عن الركض في مضمار ليس لها !!





لهذا بقيت صامتة ك"ليل صحراء" في كنفه....

فقط دموعها كانت تترجم كل هذا بينما ترتجف بقوة بين ذراعيه ليبعدها عنه أخيراً وقد ساءه صمتها هذا ليهمس بقلق:

_بتعيطي كده ليه ؟! وإيه اللي جابك هنا الليلة دي ؟! أنا رجعت من السفر امبارح على هنا ومالقيتكيش !

لكنها ترفعِ إليه عينين ذابلتين ولازالت لا تصدق هذا كله ...

كأنما مصائب الأيام السابقة كلها قد انزاحت غشاوتها عنها الآن فقط ...

وقد صار السقوط فريضة !!

_أنا تعبت ..تعبت قوي يا زين.





بلسان "غير لسانها" تقولها كأنما نزفتها روحها في غفلة عن سيطرتها المعهودة ...

نزفتها بآخر "جناح" قصوه لها منذ ساعات !!

لتجتاحه كلماتها كإعصار!!!

ليس فقط من النبرة الذبيحة التي ظللت حروفها ...

بل من "اسمه" الذي يسمعه منها لأول مرة ...!

لا...

لم يكن مجرد نداء لاسمه !

وكيف وهي تنطقه ك"تميمة" تلوذ بها من ضعفها ...

ك"لحن يائس" تدرك أن لن يسمعه سواهما ...

بل ك"استغاثة غريق" يلفظ معها آخر أنفاسه !

ومن هو كي لا يلبي؟!!





جسدها يكاد يتهاوى بين ذراعيه بهذه الرجفة القاتلة وعيناه تتشبثان بنظراتها بمزيج من رجاء وقلق ...

مارد "جنونه" الذي طالما تباهى بقدرته على إلجامه

الآن يتحرر ليعربد بين حنايا روحه ...

فيرجها رجاً بين ذراعيه هامساً بها بأنفاس لاهثة :

_قوليه تاني ...قوليه !

لم تكن تعي ما يقول!

ذهنها الغائب ارتاح في غيبوبة اختيارية فر إليها عقلها بعد عجزه عن الصمود ...

فقط شفتاها انفرجتا ببطء و"القمران السجينان" في عينيها يبزغان له كأوضح مرة يراهما فيهما ...

دون غيوم !!





هنا فقد سيطرته تماماً على مارد جنونه وشفتاه تطاردان بقايا "تعويذة اسمه" على شفتيها ...

العناق "الثاني عشر"...

بمذاق الرغبة الحسية الخالصة هذه المرة !!

لم يشعر أبداً في حياته بهكذا امرأة تثير حواسه حد هذا الجنون !!

انصهاره بها لم يشبه ولو من بعيد أي إحساس مشابه ذاقه ...

كأنما هاهنا فقط أدرك اللذة التي اشتهاها في كل النساء!!

بينما ازداد تهاويها بين ذراعيه ك"جبل" نسفوه -لتوه!!

تتلقى عاطفته الجموح ب"اشتعال منطفئ"...أو "انطفاء مشتعل" !!





كأنما انفصلت في ثانية ل"جسد" يشاطره نشوته ...

و"روح" هائمة تتلقفها الذكريات تتلظى بجحيمها دون معين ...

لكن المشهد القديم يطفو للسطح فتهوي مشاهده

كالسياط تجلدها ...

السكين ...

الجلباب الأحمر ...

الوشاح الممزق ...

السكين ...

الأصابع الغليظة ...

الصوت الثمل ...

السكين...

الساعة المكسورة ...





السكين ...

السكين ...

السكين !!!

ليلتها كانت عائدة من لعبها بالخارج ...

طفلة ذات عشر سنوات لاتزال براءتها تكلل ملامحها ...

اندفعت نحو غرفة ثمر ذات الباب الموارب لتفاجأ بأمها تبكي وهي تحكي لثمر عن واقعة تلك الليلة التي انتهكها فيها حسين ...

تروي لها التفاصيل تبرئ نفسها ...

فاختبأت خلف الباب تستمع بفضول تحول لرعب ...

كيف حاول في البداية إغراءها بذاك الجلباب الأحمر الذي أهداها إياه وطلب منها ارتداءه لكنها رفضت ...





كيف انتهز فرصة غياب زوجته ليختلي بها في مطبخ بيته ...ينقض عليها ...يمزق وشاحها وقد أفقدته الخمر عقله ...

كيف حاولت المقاومة بدفعه لكنه دفعها بدوره لترتطم بالحائط فتسقط الساعة الجدارية من مكانها ...

وتسقط هي معها ...

تلمح سكين المطبخ في متناول يدها ...لكنها تجبن عن فعلها!!

تضعف في موقف لم يكن ليحتمل الضعف !!

_ليه ما قتلتوش بالسكينة ؟! ليه ما غرزتهاش في صدره زي ما غرز عاري في صدري وصدر بناتي العمر كله ؟! والله يامّه لو رجعت بي الأيام كنت عملتها وماندمتش ...بس هو نصيبه يعيش ...وأنا وبناتي نتدفن بالحياة !




كلمات أشواق التي صارحت بها أمها انحفرت في ذاكرتها ليلتها ...

تخدش براءة طفلة لم تتعرف على هذا النوع من

العلاقات إلا بأسوأ وجوهه ...

لم تشعر بنفسها ليلتها إلا وهي تهرب من بيت ثمر للساقية القديمة تختبئ خلفها ...

تستعيد المشهد بذهنها قسراً لا طوعاً ولا تدري أنه لن يغادر مخيلتها ماعاشت ...

خاصة وقد كانت هذه آخر ليلة عاشتها أشواق!!

أجل ...وجدوها صبيحتها ميتة في فراشها كأنما قتلها "قهر الاعتراف"!

أو كأنما أرادت استجداء غفران ثمر وقد شعرت بدنو أجلها !!!

لهذا ظل المشهد الأليم مرادفاً لنهاية "أشواق" في ذهنها ...

يقرع الأجراس بين دهاليز روحها كي لا تنسى ...





كي لا تسقط ...

طوال عمرها وهي تتهمها بالتقصير ...بالتخاذل ...

لو لم تضعف حينها لما نالهن ما نالهن !!

وعيها يعود إليها الآن جزئياً لتشعر فجأة بعريها هي !!

كيف سقط قميصها لتجتاحها لمساته بهذا الشعور الحارق ؟!!

جسدها "الخائن" يستجيب بأناته ...

وعقلها الذي استرد بعض شتاته يصرخ بها أن أفيقي!!

_لا ...زين ...لا...!

تكررها بصوت مرتجف لم يعد يفرق ماضياً من حاضر ...

بل لم يعد يميز شخصاً من آخر ...





هي ياقوت أم أشواق؟!

هو زين أم حسين؟!

بينما لم يكن هو قادراً على كبح جماح جنونه وتكرارها لاسمه يشعره بها قريبة كما لم تكن من قبل ...

ولو أدرك الحقيقة لفهم أنها لم تكن يوماً أبعد منه الآن ...

وأن استجابتها لم تكن رغبة بل سقوطاً!!!

كفاها يتخاذلان عن صدره أخيراً لتستند بهما على حافة المكتب خلفها ...

عقلها لا يزال يصرخ بها أن تقاوم ...

فتجاهد نفسها كي تفيق ...

أناملها تتعثر ب"فتاحة الخطابات" هناك فيراها عقلها بعين الماضي ...





"السكين "!

الصور تتداخل في ذهنها والمقاومة "الواهية " تتحول لأخرى شرسة وهي لا تدري أي صورة ترى ...

فقط عندما سمعت صرخته المكتومة أدركت ما اقترفته يداها ...

لتتلاشى كل الصور فجأة فلا تميز أخيراً إلا صورته وقد سقط أمامها والدم ينزف من عنقه حيث أصابته فتاحة الخطابات !!

تشهق شهقة عالية كأنما هي من ذبحت !!

جسدها يتجمد بصدمته وكأنما فارقتها الحياة ...

__مش حقيقي ...ده كابوس ...كابوس!!





تتمتم بها بانهيار وجسدها يرتد لانتفاضته قبل أن تتحرك كالمغيبة لترتدي قميصها وتعدو مغادرة الشقة هاربة -مما تظنه-كابوساً يطاردها ...

بعد دقائق عبر الباب المفتوح ...

تدخل ياسمين بعدما طرقت الجرس لتتقدم نحو الداخل بحذر وهي تنادي باسم ياقوت ...

قطرات من الدم على الأرض لفتت انتباهها لينقبض قلبها بجزعٍ وهي تفتش في المكان ...

قبل أن ينقبض قلبها برعب والصدمة تلجمها مكانها عندما تتبين هوية الجسد النازف أمامها !!

==========

الصدمة تجمدها مكانها للحظات لتحيط بطنها بكفيها بحركة حماية غريزية ...

زين ؟!





هنا ؟!

لماذا؟!

ومن الذي فعل به هذا ؟!

هل تكون ياقوت ؟!

كيف؟!

والأهم ماذا ستفعل هي الآن ؟!!

رنين هاتفها برقم يامن يخرجها نسبياً من صدمتها فتتأمله برعب ...

يامن ...

ماذا ستكون ردة فعله لو أخبرته ...

هل سيصدقها ؟!

نظرة عابرة لجسد زين عاري الجذع تقبض قلبها أكثر بشعور بالرعب ...





تستعيد مشاهد الفيديو بجزع ملتاع وتتصور استنتاج يامن لو رآه الآن ...

لكن ماذا عن زين الذي ينزف هذا ؟!!

هل ستتركه يموت ؟!!

لحظات تردد طالت قبل أن تحسمها مضطرة ...

تفتح الاتصال لتجيب بسرعة:

_الحقني يا يامن ...بسرعة...

_انتِ فين ؟!

دموعها المنهمرة تختلط بحروفها وهي تهتف بانهيار:

_مش هتصدقني ...مش هتصدق ...

_انتِ فيييين؟!




يصرخ بها بقلق لتحكي له الحكاية بحروف متلعثمة ليغلق الاتصال في وجهها بسرعة ...

قبل أن تجده أمامها في دقائق مرت عليها كدهور وهي لا تدري ماذا سيحدث ...

تستقبله بملامحها المصدومة مع مروان الذي تصادف وجوده معه عندما كانت تهاتفه ...

نظراتهما تلتقي للحظات مشتعلة هادرة ليزيحها هو جانباً يطالع المنظر بغضب ...

قبل أن ينحني مروان فوق جسد زين يتفحصه بسرعة بينما تناول يامن هاتفه ليتصل بنجدة سريعة ...

صوت نشيجها المكتوم أمامه يجعله يرفع عينيها إليه وسلطان وساوسه يعاود بسط سلطانه ...

حكايتها عن أن هذه شقة ياقوت تبدو صعبة التصديق ...





لو أن هذه شقة ياقوت ما الذي يفعله زين هذا هنا عاري الجذع هكذا ؟!!

مشاهد متفرقة من "الفيديو القديم" تعاود غزو مخيلته فيكاد يفقد عقله ...

لكن ...لا!!

لن يعود لهذه الدوامة من جديد !!

لن يكفر بهذا العهد الجديد الذي أخذه على نفسه ...

ياسمين هي "مركز" إيمانه وما حولها مجرد دوائر تلتف مراوغة ...

هي وحدها "الحقيقة" وما دونها زيف مهما تشوشت الصورة !!

الصراع صعب...

لكنه سيحسمه !

ولو كان هذا اختبارهما الأخير فسيجتازه بجدارة !!





لهذا عقد حاجبيه بعزم وهو يستقيم بجسده ليتقدم منها عبر نظراتها الزائغة التي تفضح رعبها ...

لكنه ضمها إليه بقوة مهدئاً ليصلهما قول مروان المطمئن الذي حاول فيه كظم انفعالاته بعد تعامله الأوليّ مع جرح زين النازف:

_ماتخافوش الإصابة مش خطيرة قوي...غالباً هو أغمى عليه عشان اتخبط في الكنبة دي مش من النزيف .

لكن يامن هتف مخاطباً ياسمين بحزم :

_أنا طلبت الإسعاف عموماً بس انتِ لازم تمشي حالاً.





_أمشي إزاي ؟! لا مش...

_ياسمين ...اسمعي الكلام !

صرخ بها هادراً لتفضح لها هذا الصراع الداخلي الذي يقاومه فتصرخ به هي بدورها :

_انت مش مصدقني ومش هتصدقني ...بس أنا مش جبانة عشان أهرب من حاجة ماعملتهاش .

نقل مروان بصره بينهما بتوتر وهو يدرك صعوبة الموقف على يامن إزاء تاريخهما المشترك مع زين ...

لكن يامن أطلق نزيف انفعاله في زفرة ساخطة قبل أن يعاود ضمها إليه محاولاً السيطرة على انفعالهما معاً:

_لو مش مصدقك ماكنتش فضلت هنا ثانية واحدة ...كنت هربت زي زمان ...لكن الوضع





صعب دلوقت ووجودك هنا هيأزمه ...عشان خاطري ...عشان خاطر يمنى ...روحي دلوقت وأنا هاتصرف .

_يامن معاه حق يا ياسمين ...الحقيقة كده كده هتبان ...بس وجودك انت بالذات هيصحي اللي فات وهيدخلك في إشاعات مالهاش لزوم .

هتف بها مروان بحسم مدركاً خطورة الموقف على جميع الأطراف ...

ياقوت وزين ؟!!

ما الذي جمع هذه بذاك ؟!!!

_مفيش وقت ياللا !!




هتف بها يامن بحزم صارم فرفعت عينيها إليها بتردد لكن النظرة التي مزجت القلق بالرجاء في عينيه جعلتها تحسم أمرها ...

يامن يثق بها!

يؤمن بها !!

يكذب عينيه في مشهد رهيب كهذا ليصدقها هي !!

هل هذا صحيح ؟!

أم أنها فقط مجرد دعوى كاذبة ؟!

انقباضة مؤلمة في بطنها جعلتها تطلق آهة ألم خافتة وهي تضع كفها عليه ...

_وصلها يا مروان ...ماينفعش تروح لوحدها دلوقت في حالتها دي ...أنا اللي هافضل هنا .

هتف بها يامن بجزع ليتردد مروان للحظات في تركه هنا يواجه الموقف وحده...





لكنه كان يدرك أن حاجة يامن في إبعاد ياسمين أقوى لهذا ربت على كتفه مؤازراً مع قوله :

_هاوصللها وأرجعلك .

قالها ليتحرك مع ياسمين التي رمقت يامن بنظرة طويلة تدفقت بمشاعرها الصاخبة نحوه لتغادر مرغمةً وهي تشعر بآلام بطنها تزداد ...

وفي مكانه وقف يامن يراقب جسد زين بتشتت وصراع نفسه يزداد احتداماً ...

لكنه زفر أخيراً بقوة وهو يغادر الغرفة نحو الخارج يتفحص المكان ...

لو كانت هذه شقة ياقوت فما التفسير لما حدث ؟!

هل هي من فعلت بزين هذا ثم هربت ؟!

جسده العاري لا يترك له سوى تفسير واحد خاصة مع فكرته السلبية عنه !!





أطلق سبة خافتة وهو يتحرك في المكان محاولاً البحث عن أي شيئ يخصها ...

لا شيئ!!

عيناه تصطدمان أخيراً بوشاحها ذي الألوان الفاقعة المميزة الذي يعرفه والذي وجده ملقياً هناك أمام الباب ...

يبدو أن هروبها السريع أفقدها إدراك شيئ كهذا !!

صوت سارينة الإسعاف يصله مكانه فيقلب الوشاح بين يديه للحظات ...

ياسمين لم تكذب!!

ياقوت كانت هنا حقاً !!





كز على أسنانه بغضب وهو يعاود السباب بخفوت قبل أن يأخذ قراره ليطوي الوشاح ويخفيه في جيب سترته قبل وصول أحدهم ...

==========

_ما تجيبش سيرة ياقوت في التحقيق ...

قالها رائد بحزم راجٍ مخاطباً يامن الذي انتحى به جانباً في المشفى الذي نقل إليه زين ...

رائد الذي تحرك فوراً بمجرد أن أخبره الحرس الشخصي لزين عن الأمر والذي كان ينتظره أسفل العمارة حسب أوامره .

رمقه يامن بنظرة متفحصة سبقت قوله المقتضب:

_كده كده مكنتش هجيب سيرتها .

تبادل الاثنان نظرة متوترة قبل أن يشيح رائد بوجهه وهو يشعر بالغضب ...





عندما أخبروه بما حدث هرع إلى هنا ليستنتج بذكائه ما كان ...

لكن ما لم يستوعبه هو تصرف ياقوت المتطرف هذا !!

هو يعرف زين جيداً ...

يعرف أنه لم يكن ليرغمها على فعل شيئ غصباً !!

فأي انفعال أوصلها لهذه الدرجة من الانفلات ؟!!

المصيبة أن هاتفها اللعين لا يرد !!

خرجت هاربة دون وشاحها وحقيبتها لكن يبدو أنها تحتفظ كعهدها بهاتفها في جيبها ...

فلماذا لا تجيب ؟!

حدسه يخبره أنها ليست بخير ...

أنها ربما الآن تحتاج المساعدة أكثر من زين نفسه الذي طمأنه الأطباء أن الإصابة ليست خطيرة لكن تزامنها مع جرح الرصاصة القريب يجعله بحاجة للمكوث هنا بعض الوقت حتى يسترد عافيته .





_ياقوت تعرفه منين؟!

سؤال يامن ينتزعه من شروده ليرمقه بنظرة طويلة صامتة ...

يبدو أنه قد آن أوان رد الجميل !!

خاصة أن يامن هذا يوحي بالثقة وهو لا يريد به إساءة الظن بها !!

لهذا زفر زفرة قصيرة ليرد :

_أنا هاقوللك الحقيقة بس تفضل سر بيننا ...ياقوت ماتستاهلش تتبهدل في حوار زي ده ...وأنا عن نفسي هاحل مشكلة التحقيق وشهادة بواب العمارة ...هاقول إنه ممكن يكون هجوم من نفس الناس اللي ضربت علينا نار قبل كده .

عقد يامن حاجبيه بقوة وهو يمنحه وعده لتتسع عيناه بصدمة مع سماع التفاصيل ...





زين تتبع ياقوت لأجل ياسمين في البداية عبر علاجها لأخته ...قبل أن يجبرها على الزواج منه سراً مستغلاً مرض شقيقتها هي!!

_قريبك ده ندل ويستاهل أكتر م اللي جراله ...خسارة إن ياقوت ماكملتش وخلصت عليه !

هتف بها يامن بانفعال غاضب ليرد رائد محاولاً تلطيف الموقف:

_مش هدافع عنه دلوقت بس مافتكرش الوضع ده هيطول ...زين أكيد هيصلحه أول ما يفوق .

_غصب عنه هيصلحه ...هو فاكرها غلبانة ومالهاش حد ؟! قسماً بالله لو ...





عاد يامن يهتف بها بانفعال ليقاطعه رائد بقوله محاولاً تهدئته :

_اهدا يا دكتور ...مش عايزين شوشرة...الفضيحة دلوقت مش في مصلحة ياقوت نفسها ...أوعدك وعد شخصي الموضوع يتحل أول ما يفوق ...الحاجات دي لازم تتحسب بالعقل .

احمر وجه يامن بانفعاله الساخط وهو يحمد الله سراً أن انتهى الموقف هكذا بأقل قدر من الخسائر ...

لكن هل انتهى حقاً ؟!

ماذا عن ياقوت ؟!

أين هي وكيف حالها الآن ؟!

وياسمين ؟!

هل حقاً ترى ما تراه أم أنها فقط مجرد هلاوس ؟!!





لهذا زفر بقنوط أخيراً وهو يلوح في وجه رائد بسبابته هاتفاً :

_أنا هاصبر لحد ما ياقوت تظهر وأتفاهم معاها ...وقريبك الندل ده حسابه تقل معايا قوي ...فهمه يحلها بالذوق وإلا ورب الكعبة أطلع عليه القديم والجديد !

=========

في شقة والدتها القديمة تفرش سجادة الصلاة لتؤدي صلاة خاشعة تتضرع إلى الله أن يمر الموقف على خير ...

دموعها تغرق وجنتيها وهي تشعر بانفعالات هذه الليلة تكاد تفقدها صوابها ...

آلام بطنها هدأت قليلاً لكنها لا تزال تستشعر هذه الوخزة في صدرها ...

مروان طمأنها على مصير زين لكن يامن لا يرد على اتصالها ...

تراه غضب منها لأنها أتت إلى هنا بدلاً من أن تعود لشقة بيللا كما يفترض؟!!





أم أنه لا يزال يرزح تحت وطأة وساوسه ؟!!

صوت جرس الباب يقاطع أفكارها فتتحرك ببطء لتفتحه ...

لا ريب أنه يامن !!

يالله !!

كم تخاف هذه المواجهة !

لو خذلها هذه المرة فلن تلومه !!

لهذا ما كادت تفتح الباب حتى أغمضت عينيها بقوة كأنها تخاف اتهام نظراته ...

لكنه أزاحها برفق ليدخل ويغلق الباب خلفه متسائلاً بنبرة عاتبة :

_إيه اللي خلاكي تروحي على هنا ؟!





_كنت مدياك فرصة تفكر!

قالتها ولا تزال تغمض عينيها خشية مواجهة نظرة شك تعيدهما لنقطة الصفر ...

لكنه اقترب منها ليحيط خصرها بساعده فيضمها نحوه هامساً :

_في إيه ؟!

هنا لم تستطع منع شهقاتها الباكية وهي تخفي وجهها في صدره فربت على ظهرها مهدئاً قبل أن يرفع ذقنها نحوه ليردف بنبرة واثقة :

_لو كنت شاكك فيكِ للحظة ماكنتش وصلت لحد باب بيته ...كنت عملت زي ما عملت زمان وطلقتك غيابي من غير حتى ما أفكر ...

ثم ابتسم ابتسامة شاحبة وهو يمسح دموعها بأنامله ليردف :





_مش انتِ بس اللي كنتِ خايفة مانعديش امتحان صعب زي ده ...أنا كمان كنت مرعوب أرجع للدوامة دي تاني بعدما صدقت إني خلصت منها ...المرة دي بجد حسيت إني فعلاً خفيت ...إن وساوس زمان ماعادلهاش أي وجود ...وحتى لو كان المنظر أصعب من كده ألف مرة كنت هاكدب عنيا وأصدقك انتِ!

ابتسامته الشاحبة تنتقل إليها لتهمس بانفعال:

_ياقوت كان معاها حق لما قالتلي أصارحك بكل حاجة وماعدتش أخبي ...

ثم شهقت لتهتف بإدراك والحقائق تختلط في ذهنها المتوتر :

_ياقوت ؟! صحيح!! هي فعلاً كانت هناك ؟!!

فتنهد بحرارة وهو يستخرج وشاح ياقوت من جيبه ليفرده أمام عينيها المستنكرتين ...





قبل أن يحكي لها كل ما عرفه ...

لتهتف أخيراً بذهول :

_مش ممكن !! ياقوت مراته ؟!مراته ؟!!

_ماتعصبنيش وتكرريها !! يشمّ نفسه بس وأخلليه يطلقها ال"...." ده !!

هتف بها بحدة مطلقاً سبة عابرة والموقف كله يجعل الدماء تغلي في عروقه ...

فانفرجت شفتاها وهي على وشك قول شيئ تراجعت عنه بحكمة ...

تريد الدفاع عن زين لكن هذا ليس موضعه !!

أجل ...هي تفهم زين جيداً ...





من المستحيل أن يكون بهذه البشاعة التي يحكي عنها يامن ...

قد تصدق أنه يسعى خلف ياقوت لأجل تخليصها من يامن مادام يظنها كارهة له ...

لكن أن يستغل مرض شقيقتها ليجبرها على الزواج منه !!

أن يغصبها على علاقة معه فلا تجد سوى الدم كي تنقذ نفسها منه !!

لا لا لا ...

هذا الأمر لن يتقبله عقلها أبداً !!

لابد أن تعرف الحقيقة من ياقوت !!

لهذا هتفت به بانفعال وهي تتحرك لتحضر هاتفها :

_ياقوت فين دلوقت ؟! لازم نعرف اللي حصللها !





_ما تتعبيش نفسك ..تليفونها ما بيردش .

هتف بها بضيق وهو يستعيد قرابة مائة محاولة حاول فيها الاتصال بها دون جدوى ....

لتهز رأسها بضيق مشابه بينما أردف هو وهو يستعيد الدقائق السابقة :

_وبالمناسبة أنا عديت شفت عربيتك ...

فارتفع حاجباها بترقب وكانت قد نسيت شأن ما دفعها للذهاب لياقوت أصلاً ...

فمضت تمسد بطنها قلقة لتهتف بصوت مرتجف:

_بهلوس؟!

لكنه هز رأسه نفياً ليقول بشرود :





_أنا شفت اللي شفتيه ...بس برضه متأكد إن سيلين مش في مصر ...فيه حاجة لسه غامضة !

قالها وهو يسترجع المشهد الذي رآه في سيارتها وجعله يعذرها في انهيارها وذهابها المفاجئ لياقوت ...

إذا كان هو قد شعر بانقباضة صدره وهو يرى المنظر ...

لكن السؤال هنا ...

ما الذي يحدث بالضبط ؟!

تغاضى عن خواطره القلقة مؤقتاً وهو يراقب شحوب ملامحها ...

ليتقدم منها ويضمها إليه بحنان هامساً :

_أياً ما كان اللي بيحصل أوعدك مش هاسمح بحاجة تأذيكِ أو تأذي بنتنا ...اطمني ...





"اطمني"!

مجرد كلمة من خمسة أحرف لكنها -وللعجب-
حملت لها أمان العالم كله !!

فلم تشعر بنفسها وهي تخفي وجهها في صدره
كأنها ترمي الدنيا كلها خلف ظهرها وتستقبل دنياها
الخاصة بين ذراعيه !!

تنسى هذه الليلة العصيبة بكوارثها وتذوب بهذه
العاطفة التي تشع كشمس دافئة بين ذراعيه ...

_الليلة دي كانت صعبة قوي ...تعالي استريحي .

يهمس بها بحنانه المعهود وهو يتحرك بها نحو
غرفة النوم هناك ليمددها برفق فوق الفراش ...

قبل أن يميل على بطنها بقبلة ناعمة بينما يربت
عليه بقوله :




_البنت دي شافت كمية مغامرات معاكِ تخلليها تطلع المفتش كرومبو !

فانفلتت منها ضحكة قصيرة صافية جعلته يتنهد بارتياح وهو يتمدد جوارها على طرف الفراش قبل أن يضمها إليه ليسند رأسه على صدرها هامساً :

_هنفضل متلطمين في بيوت الناس كده ؟! شوية عند الست والدتي وشوية عند الست والدتك ؟!مش نرجع بيتنا بقا يمكن النحس يتفك !

كانت تعلم أنه يحاول التسرية عنها بمزاحه هذا رغم ما عاناه بدوره من قلق لهذه الليلة العصيبة ...

وقد كان هذا يساوي لديها ألف كلمة غزل!!

الآن فقط يمكنها الاطمئنان لما بقي لهما من عمر!!

يامن تخلص من سلطان وساوسه حقاً !!




لو كان أحدهم أخبرها أن ليلة كهذه ستنتهي بها بين ذراعيه لاتهمته بالجنون ...

لكنها الآن فقط تشعر أنهما قد وصلا سوياً لبر الأمان ...

أن رباط الحب الذي اشتد وثاقه في قلبها منذ سنوات الآن يجد مثيله في قلبه هو ...

الآن يمكنها الوثوق أنهما التقيا فلن يفترقا...!!

_يامن !

_مممم؟!

_شكراً يا طيب!

تهمس بها بنبرة تدفقت بعاطفتها بينما تقبل جبينه بعمق ليرفع إليها عينيه بهمسه :

_دلوقت بس حاسس إني سامعها منك دافية زي زمان ...عارفة ؟! الليلة دي عايزة حدوتة من بتوعك ...مش عايز غير إني أنام على صوتك وبس!





قالها وهو يمسد بطنها برفق بينما يحمد الله سراً أن هدأت الأمور بعد انفعال الساعات السابقة ...

بينما ضمت هي رأسه بذراعيها لتسند ذقنها عليه وتبدأ في الرواية ...

حتى استسلم كلاهما للنوم ...

يشرق الصباح عليه فيجد الفراش خالياً منها ...

ينعقد حاجباه بخوف وأحداث الليلة السابقة لا تزال تؤرقه ...

فيندفع للخارج ليجدها واقفة في المطبخ ...

_عملتلك سينابون كراميل ...عارف بقالي أد إيه ما عملتوش؟!

تهتف بها بنبرة مشرقة تذيب مخاوفه ...

فيتقدم نحوها بابتسامة تليق بقوله :





_والله زمان يا شيف!

يقولها وهو يجمع لها شعرها على جانب كتفها ليبدأ في صنع جديلته الأثيرة لها قبل أن يطبع على شفتيها قبلة عميقة سبقت همسه الدافئ:

_بحبك .

عيناها تدمعان من فرط شعورها لتنثر قبلاتها الناعمة فوق وجهه قبل أن تسحبه من ذراعه لذاك

الإصيص من الزرع هناك حيث كانت قد دفنت خاتمه ...

هذا الذي استخرجته الآن لترفعه أمام وجهه هامسة بكل الأمان الذي صار يغرسه بين ضلوعها :

_دلوقت بس ممكن أرجع ألبسه وماقلعوش تاني أبداً ...دلوقت بس ممكن نرجع بيتنا !







_والله العظيم ماعملت لها حاجة ...انا لقيتها وقعت قدام العربية لوحدها !

هتف بها سائق السيارة أمام إسلام وهو يقف معه أمام الغرفة التي نقلت إليها ياقوت في المشفى ليرمقها إسلام من خلف نافذة الغرفة الزجاجية بنظرة مرتعبة وهو يرى الدم الذي لوث ذيل تنورتها ...

عجباً !!

جسدها ليس مجروحاً ...

مجرد كدمة خفيفة إثر سقوطها أمام السيارة فمن أين أتى هذا الدم ؟!

والأغرب ...أين وشاحها ؟!

ما الذي يجعلها تخرج هكذا دون حجاب ؟!

هل هي صدمتها بما فعلته أمه ؟!!





تباً!!

لقد كاد يفقد عقله عندما أخبره الجيران بالفضيحة التي حدثت في غيابه !!

لم يتصور أبداً أن تجرؤ والدته على فعل شيئ كهذا !!

لكنه لن يمررها لها أبداً !!

_لو جرالها حاجة هاوديك في داهية ...مابتفوقوش وانتو سايقين ليه ؟! وفين طرحتها ؟! انطق عملت فيها إيه !!

صرخ بها إسلام بحدة وهو يمسك بتلابيب الرجل ليرد الرجل مدافعاً:

_يمين الله ما عملت حاجة ...هي كانت كده ...أنا ضربت كلاكس عشان تقف بس هي كانت سرحانة في وادي تاني ...وأول ما العربية وقفت لقيتها




فجأة وقعت ...دورت على أي حاجة تثبت شخصيتها

مالقيتش غير تليفونها ...انت أول رقم رد عليّ..وبعدين جبتها دوغري على هنا.

قالها محاولاً درء التهمة عن نفسه ليخرج الطبيب من الغرفة فيحاول تخليصه من يد إسلام قائلاً :

_شكله معاه حق ...اللي عندها ده صدمة عصبية !

توقف إسلام عن قتال الرجل ليلتفت للطبيب بقلق بينما الأخير يردف بنبرة آسفة :

_هنضطر نحجزها هنا كام يوم لحد ما نطمن ...مافتكرش هتقدر تتكلم دلوقت .

=======

مادامت كل الطرق لا تؤدي إليكِ ...





فلتبقيْ أنتِ عصفوراً "على الشجرة" خيراً من أن تكوني في يدي!

مادمتُ "السجين" بقبو ذنبي ...

فلتبقيْ أنتِ المحلقة في سماء بلا قضبان ...

مادام ما بيننا ثرياً ك"جنة"...فقيراً ك"سراب"...

فليبقَ مستحيلاً ك"ثمرة محرمة"!

مادمتِ أنتِ أنتِ...ومادمتُ أنا أنا ...

فلنبقَ نسير في طريقين متوازيين ...أبداً أبداً لا يلتقيان!

"سيف"!

=========

من قال إن "المتوازيان" لا يلتقيان؟!





كم جلست مبتسمة أرى القدر يدور بهما
فيتقاطعان ...ينصهران...ثم -بغرابة- يمتزجان

فلا ينفصلان !

من قال إن السجين بقبو ذنبه سيموت مرجوماً بخطيئته ؟!

أو أن السراب "المظلوم" دوماً خادع؟!

هاتِ يدك واسأل مثلي عن جميل هدايا القدر...

لا يزال خلف الغيوم طريق...

ولا يزال في العمر عمر...

و"الحلم" العتيق لا يزال ينتظر تأويلاً...!

"غادة"

===========

_الست قريبة آنجيل دي مش مريحاني!

هتفت بها إيناس صباحاً وهي تعدل لغادة وضع حجابها أمام المرآة بحركة أمومية خالصة جعلت الأخيرة تقبل وجنتها بحنان قبل أن تنتبه لكلماتها فتسألها بقلق:

_ليه؟! سيف بيقول إنها غلبانة ...ومساعدته ليها بتخفف ذنب آنجيل عن كتافه .

لكن إيناس تمط شفتيها باستياء لترد :

_ده لو في حدود الطبيعي ...لكن دي تقريباً ما صدقت ...ماعدناش عارفين نتلم عليه ...وبصراحة ...حاسة إنها بترسم على حاجة أكبر .

_زي إيه ؟!

سألتها غادة وشعور القلق ينتقل إليها وقد انتبهت لسبب تباعد زياراته عنهم مؤخراً ...

لترد إيناس بضيق:





_ربنا يخلف ظني ...بس إحساسي إنـها عايزة تورطه في جوازة ...لابسة له وش الغلبانـة اللي كل الرجالة طمعانة فيها ...وبتضغط على نقطة إنـها خايفة تقع في واحد معندوش ضمير وتموت بحسرتـها زي آنجيل .

اتسعت عينا غادة بارتياع وهي تدرك خطورة الوضع!!

سيف لم يتعافَ تماماً من شعوره بالذنب نحو زوجته السابقة ...

ووجود قريبتها هذه ـكما تصفها إيناسـ ربما يجعله يضعف بدافع النخوة ورد الدين!!

لكن ...هل يصل الأمر به لهذه الدرجة ؟!

حد أنه يضحي بمستقبله ويتزوج امرأة لا يحبها !!

_صباح الخير!





يقولها علاء بمرح قبل أن يلاحظ وجوم كلتيهما فيمط شفتيه باستياء ليخاطب غادة بقوله :

_مادام وش الجميل متعكر كده يبقى هي كلمتك في الموضوع إياه ...

ثم التفت نحو إيناس معاتباً بقوله :

_مش قلنا بلاش؟!

لكن غادة تتصنع ابتسامة باردة لتهتف متكلفة المرح وقد ساءتها ملاحظتهم لمشاعرها الخفية نحو سيف:

_الموضوع مش مستاهل ...سيف مش عيل صغير عشان نختار له قراراته ...بالعكس ...أنا شايفة إن جوازه من قريبة آنجيل دي ممكن يكون حل عقدته ...وممكن ربنا يسعدهم سوا ...إيه المشكلة ؟!





تبادل علاء وإيناس نظرات غير مقتنعة لتردف غادة متظاهرة بتجاهل الموضوع:

_مش عايزين نكد ع الصبح ...أنا ماصدقت حضرتك وافقت أرجع أنزل معاك "البازار "...وحشني بجد وحبستي هنا هتقتلني .

فامتثل علاء لرغبتها غير المنطوقة وهو يفسح لها الطريق بكفه هاتفاً بنبرته المرحة :

_اتفضلي ...بس ماتعيطيش م الزحمة آخر اليوم ... الأيام دي موسم شغل نااار .

_قدها وقدود ياعمو !!

هتفت بها وهي تتناول حقيبتها الصغيرة لتودع إيناس بقبلتين سريعتين متجاهلة نظراتها المتحسرة قبل أن تتحرك لتلحق بعلاء...





دعابات الرجل المشاكسة تخرجها مؤقتاً من حالة الضيق التي تقبض صدرها ...

لكن شرودها يعاود التهام أفكارها طوال الطريق ...

سيف لا يزال مكبلاً !!

حتى وهي تدرك أنه يحبها لكن خطواته لاتزال راسخة بأرض ذنبه القديم ...

والآن زادتها تلك المرأة رسوخاً !!

ترى لو اضطرته الظروف أن يختار بينهما ...أيهما سيختار؟!

من الواضح أنه اختار فعلاً ...

وغيابه طيلة الأيام السابقة خير دليل!!

الخاطر الأخير يملأها غيظاً لكنها لا تملك ما تفعله ...





هو لايزال يحرث الأرض الخطأ ويتعجب أن لا حصاد !!

نحت خواطرها السلبية جانباً طوال النهار محاولة إلهاء نفسها بالعمل ...

لكن اليوم ما كاد ينتهي حتى فوجئت به أمامها في البازار ...

ملامحه شديدة الإرهاق كأنه لم يذق النوم منذ ليال...

وعيناه ...

آه من عينيه هاتين!!

نظرتهما التي تستفز كل ذرة حنان بداخلها إزاء هذا "الحزن الأخرس" في حدقتيهما !!

هاتان اللتان كانتا تناجيان عينيها الآن بمزيج حائر هربت منه سريعاً وهي تسمع هتاف علاء المرحب خلفها :





_أهلاً بابن الناس الكويسين ..تعال عشان أملص لك ودانك .

ابتسمت رغماً عنها مع مشاكسات علاء له لترقب بالمزيد من الخجل أذنيه المحمرتين اللتين صارتا تشكلان لها نوعاً من "الهوس"!!

كيف يكون هذا "الخجول" أخا رامز؟!!

_ماسلمتش على غادة ليه ؟!

يسأله علاء بمكر فيلتفت الاثنان نحو بعضهما بدهشة ...

هل حقاً لم يسلم عليها ؟!!

لماذا شعر كلاهما إذن أن العيون تبادلت من التحية ما يفوق المصافحة ...وما يجاوز العناق؟!!

لهذا ازداد احمرار أذنيه هو ليكون أول من يقطع تواصلهما البصري هذا بقوله الخافت :





_آسف...مخدتش بالي ...إزيك يا غادة ؟!

منحته رداً تقليدياً هادئاً لتتركهما خلفها داخل البازار قبل أن تفسح لهما مجالاً من الخصوصية محاولة التشاغل بحركة البيع حولها في السوق ...

بينما كان سيف يختلس نظرات خفية نحوها وهو يشعر بثقل الأمر الذي جاء لأجله ...

لكن لا مفر!!

القدر يمنحه الآن الفرصة الذهبية لكي يزيح عن كاهله وزر آنجيل ...

فكيف يرفضها؟!

قريبتها البائسة تعاني وحدتها وتسلط بعض الأوغاد الطامعين في امرأة جميلة فقيرة تعيش هنا وحدها ...




حتى أن أحدهم اقتحم منزلها منذ أيام وكاد ينتهكها لولا استغاثتها بالجيران ...

لهذا لم يستطع الرفض وهو يراها بعدها تعرض عليه الزواج منها ولو على الورق فقط كي تحافظ على نفسها !!

ساعتها رأى فيها صورة آنجيل الشاحبة تناجيه بعينيها الراجيتين كما كانت في آخر ليلة رآها فيها ...

فكيف يصمد ؟!!

_أنا هاتجوز!

قنبلته التي تفجرت فجأة في المكان جعلت علاء يرمقه بنظرة آسفة بينما دوى سقوط تحفة ما كانت تمسكها غادة -مساعدة بها أحد الزبائن في اختيار بغيته -لتهوي متهشمة على الأرض!





_آسفة .

تمتمت بها غادة بارتباك معتذرة للزبون أمامها ليغادر علاء مقعده ويتقدم نحوها ليزيح البقايا المكسورة جانباً..

قبل أن يمنح غادة نظرة خاصة مواسية صامتة استفزتها أكثر لتغتصب ابتسامة باردة متكلفة المرح:

_الظاهر نزولي الشغل جه عليك بخسارة ..ماكنت قاعدة في المزرعة كافية خيري شري !

قالتها وقد عز عليها أن تبدو متأثرة بالخبر إلى هذه الدرجة ...

ليتنهد علاء بحرارة وهو ينقل بصره بينهما بغيظ ...





لو كان الأمر بيده لسلمهما من يديهما بنفسه إلى أقرب مأذون كي يزوجهما قسراً مادام كلاهما من الغباء أن يتقدم ليصرح بمشاعره نحو الآخر ...

لكن لماذا يلوم غادة ؟!

اللوم كله على هذا الأخرق الذي لايزال يحبس نفسه بسجن ذنبه القديم !!

لهذا تقدم نحو سيف ليهتف بضيق غاضب:

_ده قرار واللا جاي تاخد رأيي؟!

فتنهد سيف بحرارة ليطرق برأسه قائلاً :

_ماينفعش أتخلى عنها في محنتها والبلطجي ده كل شوية بيهددها ...دي ما صدقت أظهر في حياتها عشان أخلصها منه ...هاسيبها تموت زي آنجيل ؟!!





_فوق بقااا ...فوووق ...هي مش آنجيل ...وآنجيل مش هترجع خلاص ...غلطة وغلطتها زمان وندمت عليها ...هتضيع اللي باقي من عمرك عشانها ؟!! تعرف إيه عن قريبتها دي عشان عايز تتجوزها؟! تعرف إيه عن ماضيها غير إنها قريبتها ؟!

وقف سيف مبهوتاً أمام ثورة العم علاء التي يراها

لأول مرة هادرة هكذا بينما الرجل يردف بنبرة أكثر انفعالاً:

_وياترى هتقول لأهلك في مصر إنك اتجوزتها واللا هتتجوزها هنا في السر زي آنجيل زمان؟! خلاص؟! الجواز عندك بقا لعبة ؟! مابقيتش قادر تميز الست اللي ممكن تشيل اسمك وتآمنها تربي عيالك ؟!! تحب أقوللك عرفت إيه عنها واللا نخللي الطابق مستور أحسن؟!





لكن سيف الذي أخذته العزة بالإثم هب واقفاً مكانه وقد استنزفته انفعالات الأيام السابقة ليهدر بحدة :

_أنا مش صغير يا عمو ...أنا جيت عشان بقدر حضرتك وبحترمك وببلغك عشان تبقى معايا في الصورة ...لكن قراري خدته خلاص!

الصمت المشحون يسود بينهما للحظات بينما استرعى هتافهما انتباه بعض الزبائن الذين لم يفهموا اللغة بطبيعة الحال لتحاول غادة احتواء الموقف بما تعلمته من بعض المرادفات التركية البسيطة ...

بينما تغلي مراجل الغضب القلق في روحها!!

لم ترَ علاء يوماً غاضباً هكذا إلا تلك الليلة التي أهانها فيها سيف في بيته ليطرده وقتها!!





لهذا لم تتعجب ردة فعله عندما تحولت نبرته الثائرة لأخرى باردة متباعدة :

_مادام خدت قرارك خلاص يبقى ماقداميش غير إني أقوللك مبروك ...

ثم دمعت عيناه بما خلع قلب سيف والرجل يردف بنبرة هزها انفعالها:

_بس اعمل حسابك ..لو ده حصل هاعتبر ابن تاني ليا مات .

قالها علاء ملوحاً بسبابته المرتجفة في وجهه لتزداد ملامح سيف شحوباً وقد فهم تهديده المستتر ...

قبل أن يتحرك ليغادر البازار بخطوات عصبية ...

هنا تقدم علاء لينهار جالساً على كرسيه بألم فتقدمت منه غادة قائلة بنبرة مشفقة :




_قسيت عليه قوي يا عمو ...انت عارف إنت و"أنّا" عنده إيه ...ليه كده ؟!

فالتفت نحوها قائلاً بأسى:

_عشان يفوق لعمره اللي بيضيعه ...عشان يحس بقيمة اللي بيخسره ...سيف ده ابني اللي ماخلفتوش ...مش هاقف متكتف وأنا شايف واحدة زي دي بتستغله بماضيه ...الجوازة دي مش هتتم ...ولو ركب دماغه وعملها مش هاعرفه تاني!!

_هو معذور يا عمو ...لو كان الموضوع بالسهولة دي كان قدر ينساها من يومها ...سيف شهم والمرة دي الموضوع مش بس إحساسه بالذنب ...لكن واضح إن قريبتها دي بتضغط عليه كمان .

قالتها محاولة كتمان خيبتها ليتنهد علاء بحسرة





لازمتهما معاً بقية اليوم الذي ما كاد ينتهي بغادة في غرفتها حتى استسلمت لفيض دموعها وهي تشعر بمذاق الخسارة ...

سيف خسر معركته في حرب نفسه ...

استسلم لوحش الذنب يمص دمه لآخر قطرة !!

رنين هاتفها يقاطع أفكارها وقد بدت لها أي مكالمة مقبضة في هذا التوقيت من الليل خاصة والرقم لوالدتها ...

لكنها تمالكت قوتها لتفتح الاتصال ...

وتتلقى الخبر المؤسف!

=======





في ساحة المطار وقفت تودع علاء وإيناس الباكية بحرارة لتهتف معانقة إياها:

_غصب عني يا "أنّا"...ماتصعبيهاش عليّ بقا!!

قالتها لا تتمالك دموعها وهي تشعر أنها ستترك روحها هنا ...

لكن ما حيلتها ؟!

والدتها أصيبت في حادث فقدت معه قدرتها على

الكلام والحركة ...

وحان وقت دورها الذي لن تتخلى عنه مهما كان ماضيهما المشترك مليئاً بالقصور!!





_بطلوا عياط ...كلها كام يوم وننزل احنا كمان مصر أكون دبرت أموري هنا .

قالها علاء محاولاً منح نفسه وإياهما السلوان على هذه الأيام القصيرة ليردف وهو يخاطب غادة بقوله :

_أنا فتحت لك حساب باسمك عشان لو احتجت أي حاجة لحد ما أنزل .

_ليه كده يا عمو؟!

هتفت بها غادة باستنكار ليقاطعها الرجل هاتفاً:

_ششششش...انتِ بنتي ...ولولا إني مزنوق في شغل هنا ماكنتش سبتك خطوة واحدة ...لكن معلش ...كلها كام يوم وأجيلك نشوف هندبر موضوع والدتك إزاي .

فابتسمت غادة بامتنان وقد ودت في هذه اللحظة لو كان يحل لها أن تمنحه عناقاً يوازي مشاعرها بالأبوة نحوه ...





تماماً كهذا الذي عاودت منحه لإيناس هاتفة :

_خللي بالك من صحتك يا "أنّا" ...ومن "شيبوب"...الغلبان ده هاوحشه قوي ...

قالتها محاولة صبغ لهجتها بالمرح لكن عبارتها جعلت "أنّا" تهتف بقلب مرتجف:

_بتقوليها كده ليه ؟! انتِ مش ناوية ترجعي؟!!

انهمرت دموعها بعدها لتشاركها غادة إياها في مشهد مؤثر قاطعه علاء بهتافه الذي تعمد صبغته بالمرح:

_نكد المصريين ده بطلوه بقا ...فضحتونا قدام الأجانب!

فرفعت غادة إليه عينيها بابتسامة حانية قبل أن تصطدم بوجه "سيف" خلفه ...





هل جاء هو الآخر يودعها ؟!

_أنا اللي قلتله ...صعب عليا تسافري من غير ما تشوفوا بعض!

همست بها إيناس في أذنها بخفوت مفسرة ليرتجف جسدها في وقفته ...

لماذا فعلتها ؟!

لماذا تزيد من تصعيب الأمر عليها؟!

بل وعليه؟!!

لكن ...لعل سفرها هذا منحة القدر لها كي تنساه !

مادام اختار طريقاً يريح ضميره فلا تملك إلا الدعاء له بالخير ...

هو لم يعدها بشيئ ...

ولولا اعترافه السري لها في غيبوبتها لما علمت عن شعوره شيئاً !!





فعلامَ تلومه ؟!!

على شهامته التي أحبته لأجلها ؟!

شعرت بإيناس تسحب علاء الممتعض جانباً كي تخلي لسيف مساحة من خصوصيةالحديث معها ...

فازدادت ارتجافة جسدها لتضم ياقة قميصها حول عنقها بينما تقدم سيف نحوها بهاتين العينين اللتين تغنيان عن أي حديث ...

_هترجعي؟!

كلمته الوحيدة حملت كل مشاعره في هذه اللحظة وقد أطلقها كصرخة غريق ...

يعلم أنه ربما قد أحرق كل قواربه معها بذاك القرار

الأخير الذي اتخذه ...

لكنه لم يملك سواه !!





تماماً كما لم تملك هي الرد سوى ببقايا دموعها التي خذلتها في هذه اللحظة وهي تشعر أنها توشك أن تفقد الجنة التي منحها لها القدر هنا ...

وللحظة واحدة ...

شعرت أنـها تفقد نفسها من جديد !!

أنـها تعود مجرد أرنب مذعور ...طفلة تبكي "بيت مكعباتـها" المكسور ...

لكنها انتفضت من حزنـها كالعنقاء وهي تأخذ نفساً عميقاً استعادت به قوتـها لتصطنع ابتسامة مرحة تليق بقولـها:

_شفت تصاريف القدر ؟! كان المفروض تسافروا قبلي وكنت بتسألني هانزل مصر واللا هافضل هنا ...آديني هاسبقكم !





نبرتها المرحة لم تخدعه وهو يشعر بها تداري خوفاً عظيماً في عينين يقسم الآن أنه لم يعد يعشق سواهما !!

عينين تصرخان به أن تحرك ..انطلق...اعدُ...بل حلّق ...

لكن كيف وهو مكبل اليدين والقدمين ؟!!

_غادة...أنا ...

همسه البائس يتعثر على ضفتي لسانه كالعادة فلا يسعفه لكنها تقرأ كعهدها اعترافاً كالشمس يبزغ في عينيه ...

ويبزغ معه اعتذار بمذاق الوداع!!

هو اختار أن ينهزم ...

أن يقدم بقية العمر قرباناً للذنب القديم !!




لهذا أسبلت جفنيها بيأس يشبه يأسه لتغمغم بخفوت :

_انت سيف ...زي ما عرفتك ومش هتتغير ...الحاجة الوحيدة اللي هاطلبها منك إنك ترتاح بقا...طالما اخترت امشي ورا اختيارك للآخر وماتبصش للي خسرته ...أسوأ حاجة ممكن نعملها في حياتنا إننا نعيش العمر كله بنتمرجح على سلمة مكسورة اسمها "لو..."!!..لا عارفين نطلع ولا ننزل ...ارتاح بقا يا سيف مادام عملت اللي يرضي ضميرك .

أغمض عينيه بألم وهو يقاوم رغبة عارمة أن يحتجزها الآن بين ذراعيه فلا تغيب شمس عينيها عن عينيه أبداً ...

لكن صورة تلك المرأة قريبة آنجي تعاود اقتحام ذاكرته برجائها المتذلل له منذ أيام ...





وبلكنتها المميزة لبنات بلدها والتي تشبه لكنة آنجي كذلك ...

_اتزوجني ولو عالورق بس كرمال تحميني منه ... طمعان فيا لاني وحدانية ومالي حدا ...بيرضيك أموت لوحدي في الغربة متل آنجيل ؟! بيرضيك يضيع شبابي متلا؟!

فيفتح عينيه فجأة كأنما يهرب من هذا الصراع بأعماقه ...

الصراع الذي قرأته هي لتهتف بنفس الابتسامة مدعية المرح:

_ بس ابقى افتكر إني أنا السبب في الجوازة دي ...أنا اللي اقترحت عليك تحول شعورك بالذنب ناحية آنجيل لحاجة إيجابية ...ماعرفش بقا هتدعيلي واللا تدعي عليّ .





الدموع المترقرقة في عينيها تجاهد للسقوط كانت تناقض هذا المرح المتكلف الذي تحاول به استيعاب حزنها ...

بينما ظل هو يتأمل ملامحها للحظات قبل أن يخرج من جيبه ما منحه لها صامتاً ...

ميداليتان ...

كتب على أحدهما "للأبد؟"

وعلى الثانية "حتى تحترق النجوم!"

أجل ...إنها العبارة الأثيرة ل"رفعت" و"ماجي" بطلا سلسلة "ماوراء الطبيعة" الشهيرة للعراب والتي تشاركا هما عشقها !!

C i n n a b o n

البطلان اللذان لم يكتب لهما القدر وصال المتقاربين لينتهي بهما الأمر عاشقين لكن متباعدين ...

وفي كل مرة كانت البطلة تسأله "للأبد؟" ستحبني للأبد؟

كان يرد بإيمان ..."حتى تحترق النجوم"!!

أغمضت عينيها بقوة وهي تقبض كفيها على هديته التي أوجعت قلبها بمعناها ...

بينما هو يقول بصوته المتحشرج:

_أول ما شفتهم افتكرتك ..في يوم من الأيام هتقابلي حد يستاهل تديله واحدة منهم والتانية تبقى معاكي ...حد يستاهل تفرحيه ويفرحك .

وفي هذه اللحظة بالذات ودت لو تصفعه !!




أجل ...تصفعه ثم تضمه بقوة ناعتة إياه ب"أغبى أهل الأرض"...و"أطيب أهل الأرض"!!

لهذا أشاحت بوجهها للحظات ولاتزال تقبض يدها على هديته ...

قبل أن تلمح علاء يشير لساعته مدركة وجوب الرحيل ...

هنا رمقته بنظرة قصيرة حملت كل مشاعرها قبل أن تغادره مع علاء وإيناس ليتحركوا نحو البوابة الأخيرة بينما ظل هو واقفاً مكانه يراقب ظهرها بنظرات متحسرة...

هل توقفت مكانها أم أنه فقط يهيأ إليه ؟!!

نعم...توقفت !!

لم يكد الإدراك الأخير يصله حتى فوجئ بها تعدو نحوه ليجد نفسه يعدو إليها هو الآخر ...





قبل أن يشعر بإحدى "الميداليتين" تستقر في كفه هو في رسالة منها لا تحتمل خطأ التفسير !

ظل مصدوماً مكانه للحظات لكنها لم تمنحه المزيد من الوقت وهي تعدو من جديد في الاتجاه الآخر لتختفي عن ناظريه وتذوب بين الجموع ...

شهقة ملتاعة غادرت حلقه وهو يفتح كفه على "اعترافها غير المنطوق" الذي تركته له ...

"حتى تحترق النجوم"!!

يقرأها بصوتها العذب ذي الدلال الفطري فيذوب لها قلبه وهو يتلفت حوله لا يصدق أنها اختفت هكذا بسرعة بعدما فعلتها !!

==========





وقف إسلام يراقب وجهها النائم بفعل المسكنات وقد بدت له خلف الأغطية ككيان ضئيل هش يحاول الجميع دهسه دون رحمة ...

ضحية من هذه ؟!

أبيه الذي كان من بدأ هذه المأساة ؟!

أم أمه وصديقتها التي ختمتها بفعلتها الشائنة ؟!!

لكن ...هل يعفي نفسه من المسئولية ؟!

ربما لو كان قد قام بدوره نحوها ونحو شقيقتها منذ علم عنهما لكفاهما هذا المصير!!

رنين هاتفه برقم لجين ينتزعه من شروده فيلتقطه ليحاول تمالك الحزن في صوته كي لا تشعر تلك البائسة بما تعانيه شقيقتها :

_أيوة يا لجين ...إزيك ...ياقوت كويسة بس عندها شغل في مكان مفيهوش شبكة ...لا ماتقلقيش ...أنا كنت عندها امبارح ...





قالها ليستمع إليها قليلاً قبل أن يعقد حاجبيه ليقول مطمئناً إياها :

_عارف إن جلسة الحاجة بعد كام يوم ...ماتخافيش ...أنا وياقوت متابعين مع المحامي ...

_زين ...زين...

تمتمات ياقوت تجعله ينهي المكالمة سريعاً ليجلس جوارها على طرف الفراش مربتاً على خدها برفق قبل أن يراها تفتح عينيها تتأمل المكان حولها بوعي أخيراً بعد ثلاثة أيام كاملة مرت بها غائبة تماماً عن هذا العالم ...

_حمداً لله ع السلامة ..





تميز صوت إسلام فتفتح عينيها على اتساعهما قبل أن تشهق بقوة لتنتفض مكانها ...

_تليفوني ...فين تليفوني؟!

تهتف بها بلوعة وهي تحاول تجميع شتات ذهنها ليرد هو مهدئاً:

_تليفونك قفلته من يوم اللي حصل .

_هو إيه اللي حصل ؟!

تسأله بعينين زائغتين ليرد هو بحذر:

_ماهو ده اللي عايز أعرفه ...رحتِ فين بعد اللي ماما عملته ؟! وإيه تفسير الدم على هدومك وخروجك الشارع من غير حجاب؟!

_دم ؟! دم ؟! يعني صحيح ؟! زين ...زين ...هاتلي تليفوني يا إسلام بسرعة !!





تهتف بها بارتياع وهي تنفض عنها غطاءها لكنه يحيط كتفيها بقبضتيه هاتفاً بصرامة :

_ماينفعش تقومي دلوقت إلا لما الدكتور يسمح ...فهميني مين زين ده وإيه اللي حصل ؟!!

لكنها تنفض كفيه عنها لتهتف بانهيار:

_مش وقت أسئلة يا إسلام ...أطمن عليه الأول ...سيبني أقوم ....سيبني ...

هتافها يتحول لصراخ هادر فيحاول تهدئتها دون جدوى قبل أن يشعر بتجمد ملامحها وهي تنظر لشيئ ما خلفه ...

فالتفت خلفه ليجد هذا الرجل مهيب الهيئة الذي لا يعرفه ...





_رائد !...طمنني ...زين ؟

لم تستطع إكمال عبارتها وشحوب ملامحها يزداد لينقل إسلام بصره بينهما بقلق حذر وقد آثر الصمت كي يفهم ...

يبدو أن ياقوت متورطة بشأن خطير !!

_زين كويس ما تخافيش ...بقا أحسن .

قالها رائد مشفقاً على هيئتها التي بدت ذابلة كالموتى خاصة عندما هتفت بصوتها المبحوح :

_يعني أنا عملتها بجد ؟! أنا ...أنا ....

انهارت بعدها في بكاء ارتجف معه جسدها من جديد ...





ليعاود إسلام ضمها إليه في دعم صامت رغم كونه لا يفهم شيئاً ...

_اهدي يا ياقوت ...كلنا عارفين إن الموضوع كان خارج عن إرادتك حتى زين نفسه ...

هتف بها رائد بحنان مشفق وهو ينقل بصره بينها وبين إسلام بحذر فلايزال لا يعرف حدود علم أخيها عن الأمر ...

ورغم أن زين لايزال يرفض الحديث عن الأمر من وقتها -إلا من رجائه له عقب إفاقته أن يبعدها هي عن أي شبهة-

لكنه كان يعلم أن زين يفهمها بالقدر الكافي كي يدرك أنها لم تكن في وعيها حقاً ...

وانهيارها هذا خير دليل !!

_لو كويس بجد خلليني أسمع صوته !





هتفت بها بانهيار أدهش الرجلين أمامها وهما يريان منها هذا "الوجه" لأول مرة !!

أين هذه من "ياقوت سليمان" الحديدية التي طالما أبهرتهما برباطة جأشها ؟!!

لهذا تبادل كلاهما النظرات الآسفة قبل أن يتناول رائد هاتفه ليتصل برقم زين ويعطيها الهاتف الذي تناولته منه بأنامل مرتجفة ...

_أيوة يا رائد !

صوته رغم شحوب نبرته يجعل ملامحها تتجمد للحظة قبل أن تعود لانهيارها الباكي...

_رائد ؟!

يهتف بها زين بشك لكن رائد يستعيد هاتفه ليخاطب زين بقوله :

_هاكلمك بعدين !

قالها مغلقاً الاتصال بل وهاتفه مدركاً أن زين لن يهدأ حتى يفهم ...

بينما دخلت الممرضة أخيراً لتحقنها بحقنة أخرى مهدئة استرخت بعدها في مكانها لتطالعهما بشرود وهي تشعر بنفسها في كابوس!!

لا!!

لم يكن كابوساً!!

هي حقاً طعنته !!

بل طعنت صورة "حسين" فيه !!

انتقمت من كل ما فعلته بها الدنيا فيه هو !!

آآه !!





تخرج من صدرها حارقة ملتاعة لتدفن وجهها بين كفيها هاتفة بألم :

_مش قادرة أصدق إني عملت كده ! مش قادرة أصدق إني خذلت نفسي للدرجة دي !!

لكن رائد تقدم منها ليهتف بحرارة مشفقاً :

_خذلتِ نفسك ؟! ده لو جبل كان اتهد !! أنا عرفت اللي حصل ليلتها ..ومقدر الظروف اللي خليتك توصلي لكده ..ماتحمليش نفسك فوق طاقتها .

ليلتقط إسلام منه الخيط -رغم جهله بالتفاصيل - فيهتف بها هو الآخر بينما يشد بقبضتيه على كفيها مؤازراً:

_كلنا جنبك يا ياقوت بس انتِ شدي حيلك واهدي ...أزمة وهتعدي!




نقلت بصرها بينهما بامتنان عبر دموعها قبل أن تغلق عينيها لتستند برأسها على وسادتها ...

فتنهد رائد بحرارة ليقول بمروءة لا يدعيها :

_أنا هاسيبك ترتاحي دلوقت وهاعدي عليكي بعدين ...مش محتاج أفكرك إن في رقبتي دين ليكي هاعيش العمر كله أوفيه .

فارتجفت شفتاها وقد عجزت عن منحه نظرة امتنان حقيقي شعرت به وقتها ...

لينسحب هو بهدوء تاركاً المجال لإسلام الذي سألها بحذر:

_لو محتاجة تتكلمي أنا سامع ...ولو عايزة تخبي مش هاضغط عليكِ ...

لكنها في هذه اللحظة بالذات كانت تود لو تصرخ لا تحكي ...





لو تتخلص من هذا الحمل الذي ثقل على ظهرها ...

لو تنزف بين دموعها حكايتها معه لعلها ...ترتاح!!

لهذا تشبث كفاها به بقوة وهي تحكي له حكايتها معه ...

لينعقد حاجباه بغضب وهو يهتف بحدة والدم يغلي في عروقه حمية لأجلها :

_كل ده ومخبية عليّ ؟!

لكنها مسحت دموعها لتغمغم بوهن غريب على طبيعتها :

_عشان خاطري يا إسلام ...ده موضوع خاص بي ما تتدخلش فيه ...هو كده كده هيطلقني والموضوع هيخلص من غير شوشرة ...جلسة ستي بعد كام يوم وبعدها كلنا هنرتاح ...هارجع البلد ومش هاجي هنا تاني !





_هتنفذي لجيلان هانم اللي هي عايزاه ؟! لا يا ياقوت ...أنا اللي هاقوللك لأ!

هتف بها بحزم وهو يلوح بسبابته في وجهها مردفاً بانفعال :

_أنا اللي هاقف قصادها وقصاد أي حد يمسّك ...المركز بتاعنا هنعمله سوا ومحدش هيتعرض لك ...الظلم اللي شفتيه انتِ ولجين زمان مش هيتعاد تاني ...على جثتي...

ثم كز على أسنانه ليردف بنفس النبرة :

_والبيه المحترم ده هاحترم خصوصيتك واسيبك تتعاملي معاه ...بس لو الموضوع ما خلصش زي ما أنا عايز أنا بقا اللي هاقف له.

===========

_هي عاملة إيه ؟!





يسأله زين في غرفته بالمشفى بملامحه الغامضة التي لا تفصح عن شيئ منذ أفاق من الحادث ...

ليخبره رائد بتفاصيل ما حدث ...

وسبب انهيار ياقوت ليلتها بعد الساعات التي قضتها في الحبس إزاء ما فعلته بها زوجة أبيها ...

لكن ملامحه بقيت على غموضها بينما ينهي رائد حديثه بقوله :

_اللي هي ما تعرفوش إن جيلان دي صاحبة ماما ...أنا شبه متأكد إن لها يد في اللي حصل !

هنا التمع الغضب في عيني زين للحظة قبل أن تعود ملامحه لغموضها وهو يتجاهل الأمر بسؤاله :

_الشغل عامل إيه ؟!





رمقه رائد بنظرة متفحصة مشفقة وهو يدرك
بحدسه أنه ...يهرب!!

هذه المنطقة بالذات تظل محظورة لدى "زين
الفايد" الذي يخاف التعبير عن مشاعره !!

يخاف حقيقة لا مجازاً !!

ويداري هذا خلف هذه الواجهة الصلبة لرجل يتخذ

عقله سيداً !!

لكنه احترم "نقطة ضعفه" هذه ليجاريه في
الحديث كما أراد ...

قبل أن يأخذ استعداده ليغادر ...

لكنه توقف قليلاً عند الباب ليلتفت له بقوله الذي
مزج عتابه بإشفاقه :

_أنا قلت لك ما تكسرهاش ...طلقها يا زين وخليها
ترجع لنفسها ...يمكن ساعتها تسامح نفسك ع اللي
عملته فيها !




لوهلة هيئ إليه أن العينين القويتين أمامه ارتجفتا بوهن ...

الشفتين موزونتي الكلام تنفرجان بعجز ...

الملامح الغامضة الصلبة تلين بألم ...

قبل أن يختفي هذا كله فجأة ليعود كل شيئ لأصله بينما يهتف به زين ببرود :

_اخرج يا رائد واقفل الباب وراك .

==========

تفتح باب غرفته بالمشفى لتدخل وتغلقه خلفها ...

تلتقي عيناهما للحظات فلا تبدو الدهشة عليه كأنما كان ينتظرها ...

ملامحه الغامضة تستقبلها ببرود لم يدهشها بعد ما كان ...

حتى صمته المهيب لم يثر حفيظتها وهي تتقدم بخطوات متمهلة لتجلس على الكرسي جوار فراشه ...





تطرق برأسها مشبكة أناملها في حجرها وجسدها يرتعش برهبة مستعيداً ذكرى ليلتهما الأخيرة ...

لم تستعد كامل عافيتها بعد ...

لا تزال أطرافها الباردة ترتجف عاجزة عن التحكم بها ...

لايزال ذهنها مشوشاً متأرجحاً بين حقيقة وخيال ...

لا تزال دموعها رفيقة المشوار الطويل تغزل معها ثوب انهيارها الآن ...

ولا يزال قلبها يلعنها على فعلتها حتى وإن لم تقصدها تلك الليلة !!

بينما كان هو يناظرها بعينين غامضتين وهو يحتضن أدق تفاصيلها كعهده ...

يراقب ملامحها الشاحبة ...هيئتها الذابلة...جسدها المرتجف ...





بمزيج من أسف وندم !!

الصمت المشحون يطول بينهما لدقيقة كاملة قبل أن تقطعه هي بقولها وهي ترفع عينيها إليه بينما تلوح بكفيها بعجز عزيز على امرأة مثلها :

_محتاجة... أشرح ؟!

لم تكن تعلم هل تسأله أم ترجوه !!

لهذا كانت أكثر من شاكرة عندما سمعت صوته المتحشرج يعلو بقوله :

_لأ!

كلمته اليتيمة عادت تفجر الدمع في عينيها فأخفت وجهها بين كفيها لتطرق به وقد ارتجف جسدها ببكائها ...

فوصلها صوته الذي لم تشعر يوماً بغموضه كما الآن :





_انتِ ليلتها ما كنتيش شايفاني أنا ...ولا حتى كنتِ شايفة نفسك ...انتِ كنتِ شايفة السيناريو القديم لحسين وأشواق بيتكرر قدامك ...

بكاؤها يتحول لأنّات خافتة وهي لا تدري بماذا ترد ...

هو يفهمها هذا الحد الذي لا تحتاج معه للشرح ...

لكن هذا لا ينفي حاجتها لاعتذار ...

_أنا آسفة .

تغمغم بها بين دموعها ولازالت عاجزة عن إزاحة كفيها عن وجهها ...

ليصلها صوته بنفس النبرة الغامضة :

_أنا اللي آسف ...انتِ ما دبحتنيش ليلتها زي ما كنتِ عايزة ...بس أنا اللي دبحتك باللي عملته !




هنا ترفع وجهها نحوه بنظرة حارة وشفتاها تنفرجان بعجز ...

"القمران السجينان" في عينيها ينزفان بوجع امتزج بحروفها ...

_انت ماغصبتنيش ليلتها ...كانت أول مرة في حياتي اضعف كده ...بس لو عايز تتأسفلي بجد نفذ لي اخر طلب هاطلبه منك ...

نظراته الغامضة مع صمته القصير تبدو لها كجبل جليدي تصطدم به نظراتها لتردف هي بنبرة حاولت جعلها أقوى:

_جدتي جلستها بعد بكرة ...والمحامي طمنني إنها هتطلع بعدها..مش عايزة أحط عيني في عينها وانا حاسة اني لسه بكدب عليها ...عايزة احس اني استاهل حضنها بعد الغيبة دي ...





يغمض عينيه بعدها متوقعاً كلمتها التالية بعد المقدمة هذه :

_طلقني .

إيماءة قبول سريعة كانت جوابه قبل أن يفتح عينيه بقوله :

_المحامي بتاعي هيخلص الموضوع ده بكرة ماتقلقيش .

يقولها بنفس النبرة الغريبة على أذنيها لتهمس بخفوت :

_دلوقت بس ممكن أقوللك ...شكرا...

قالتها وشريط ذكرياتهما يمر أمامها ساعة بساعة ...





لحظة بلحظة ...

فترتجف شفتاها أكثر بهمسها :

_شكرا على كل مرة وقفت جنبي فيها بقصد أو من غير قصد.

لم يرد عليها وهو يشيح بوجهه فوقفت مكانها تتأهب للمغادرة ...

آلاف الكلمات يغرسها قلبها علي لسانها لكنها تموت على الشفاه الجافة ...

فلتمت أيها الحلم الغريب ...

نكس على أرض اليأس راياتك فقد جاءت رياح القدر بما لاتشتهيه سفينتك المثقوبة !

تعطيه ظهرها لتغادر لكن أنامله تتلقف راحة يدها فجأة تتشبث بها للحظات ...





فتستدير لتواجه عينيه بعينيها الدامعتين ثم لم تشعر وهي تنحني فجأة لتلقي بنفسها بين ذراعيه ...

العناق الثالث عشر والذي تراه هي الأخير ...

بمذاق "الخلاص" هذه المرة !!

الخلاص لها وله من هذه الدوامة التي ابتلعتهما معاً ليعود كل منهما لطريقه ...

وكعادته "عناقه"يفتح لها كل أبواب "البوح"المحرم على من سواه !!

إذا كان هو اللقاء الأخير فلتحكي له عن أبشع ذكرى احترق بها صدرها طوال هذه السنوات ...

وجعلتها تؤذيه ذاك اليوم ...





لهذا وجدت نفسها تحكي له عن السكين...الوشاح الممزق ...الساعة المكسورة ...

التفاصيل التي لم تتخيل يوماً أن ترويها لأحدهم !!

بينما كان هو يشعر بجبال جليده تنهار لتذوب بلفح أنفاسها ...

لم يستغرب كلماتها بل وربما كان يتوقع مثلها خاصة وهو يسترجع الرعب الذي اكتسح ملامحها عندما أخبرها لأول مرة أنه يريدها للعمل في بيته ...

الرعب الذي أدهشه وقتها ...والآن يتفهمه !

لكن ما زلزله حقاً أن تبادره هي بالعناق هذه المرة ...

أن تتحرر من ثقل ذكرى بشعة كهذه بين ذراعيه ...

وأن تمنحه ثقتها في لقاء يبدو أنه الأخير بينهما !!





ربما لو كانت امرأة سواها لظنها تريد إعادة وصالهما بموقفها هذا ...

لكن مع "أسطورة " كياقوت ...فبوحها هذا لا يعني سوى ثقتها أنها تضع النقطة الخاتمة لسطر حكايتها معه !

هذا ما فاضت به نظراتها بعدها وهي تنتبه من فورة عاطفتها لتصطدم عيناها بمرأى أثر جرحه على رقبته ...

جرحه الذي أطالت النظر له كثيراً ليقرأ هو بعينيها ما لم تجسر على البوح به من أسف ولوعة...

قبل أن تهمس بابتسامة مكابرة :

_في يوم م الأيام كنت فاكرة إني أنا اللي هعالجك...مكنتش أعرف إنك انت اللي هتعالجني من عقدة أشواق ...الدكتورة الشاطرة في نهاية المطاف طلعت برضه عيانة ...عيانة بماضي خرب روحها من غير ما تحس ...





ثم مسحت بقايا دموعها لتتسع ابتسامتها المكابرة باستطرادها :

_لكن خلاص خفيت ... دلوقت بقيت متأكدة إني عمري ما هابقى زيها حتى لو اتحطيت في نفس الظروف .

_لو اللي حصللي ليلتها تمن إن الذكرى دي تتدفن ... زي ما دفنّا العشرة جنيه ...فأنا راضي !

عيناها تتسعان للحظة كأنما تحاول استيعاب هذا الكم من المشاعر الذي حوته كلماته القليلة ...

قبل أن ترتجف شفتاها وهي تغمضهما بقوة ...

ما جدوى المشاعر ها هنا ؟!

لا محل لها أبداً من الإعراب!!

هو لقاء الوداع ...

فليكن الأصدق...الأدفأ ...والأجمل!!

لهذا اغتصبت ابتسامة باهتة على شفتيها لتعاود فتح عينيها بقولها :

_قلت لك وانت ماصدقتنيش...الرهان المرة دي ماكانش لايق عليك..لا هو قيمتك ولا انت قيمته .

لكنه يشدد ضغط ذراعه حولها ليقترب بوجهه من وجهها معانقاً ملامحها بأنفاسه ...

ارتجاف شفتيها يزداد فيود لو يحتويهما بما يليق ...

لكنه يحيد عن مطمع قلبه فيهما ليقبل عينيها ...

حيث قمراها السجينان لايزالان يحتجبان حول غيوم من ألم لكن مطر العشق الذي يهطل حولهما لايزال يمنح المشهد بعض الأمل !!

شفتاه تنتقلان أخيراً لجبينها الذي ودعه بقبلة اعتزاز قبل أن يهمس أمام شفتيها :

_ما كانش رهان يا ياقوت ...ما كانش رهان!




ابتسامتها "الباكية" تتسع وهي تبتعد بجسدها أخيراً لتعاود الوقوف ...

ترمقه بنظرة أخيرة قبل أن تأخذ طريقها نحو الباب الذي ما كادت تصل إليه حتى سمعت صوته خلفها بنفس النبرة الغامضة :

_مش معنى إني هاطلقك إني هاخرج من حياتك ...لسه بيننا حاجات كتير ...همسة مش أولها ولا آخرها .

لكنها تستدير نحوه بابتسامة لا تدري هازئة أم متحسرة ...

قبل أن تغادر الغرفة مغلقة الباب خلفها في جواب غير منطوق لحديثه ...

حيث بدا كلاهما وقد تحرر من متاهة دورانه في حلقات الماضي ...

ويبقى مذاق القرفة اللاذع للسينابون ...

=========





القطعة السادسة عشرة

========

_أخيراً افتكرت إن ليك أم ؟!

تهتف بها سوزان بسخط وهي تستقبل رائد في بيتها لكنه يغلق الباب خلفه وملامحه تنبض بغضب كاسح :

_ليه ؟!

_ليه إيه ؟!

تسأله شاعرة بقرب ثورة بركانه وقد صدق حدسها عندما وجدته يهدر بانفعال غريب على قناعه المعدني المعهود :

_ليه تعملي كده في ياقوت ؟! ذنبها إيه ؟!

يتوهج وجهها ببريق شرس يناقض البراءة المصطنعة بحروفها :

_عملت إيه ؟!

يتحكم في انفعاله بشق الأنفس وهو منها يقترب منها ليمتزج غضبه بيأسه برجائه في خليط غريب:





_أنا فاهمك كويس زي ما فاهم جيلان هانم وعارف إنـها مش ممكن هتعمل فيها كده من نفسها ..دماغها مش هتوديها للسكة دي ..انتِ قصدتِ تأذي ياقوت عشان تبعديها عن علاج همسة !

كان يمكنها الإنكار ببساطة لكنها هتفت به بحقد:

_أيوة ..ومش هابطل أبعدك عنـها طول ما فيّ نفس ..مش هاسمح لمستقبل ابني يضيع !

_ابنك ؟! صحيح فارق معاكِ ابنك ؟! لو هاماكي سعادتي كنتِ حسيتي من زمان إنـها مش هتبقى غير مع همسة وبس ..لكن انتِ مش شايفة قدامك غير الماضي ..مش شايفة غير عمي اللي سابك واتجوز بعدها مرتين ..حقدك القديم عاميكي ومش مخلليكي شايفة في همسة غير صورة النقص فيكِ انتِ !





هتف بها بثورة عارمة وهو يشعر أنه قد فقد آخر حدود احتماله ..مشهد همسة بأنينها الموجع عقب زيارتها ..مشهد ياقوت ملقاة على فراشها منهارة بلا حول ولا قوة عقب ليلة قضتها في السجن ..كلاهما يضع نصله في قلبه وهو يشعر أنه عاجز عن حماية كلتيهما والسبب ..السبب حقد قديم !!

_انت ؟! انت إزاي تكلمني كده ؟!

تهتف بها مصعوقة وهي تشعر أنه خرج بعيداً عن طوره المتحفظ معها ..لكن ما وضع النصل السام في قلبها حقاً هو أنه لمس الحقيقة العارية التي حاولت طمسها طوال هذه السنوات ...

_البنت دي خلاص أكلت عقلك لدرجة هتخسرك أمك ؟! عمك مين اللي ..اللي سابني و...و...معقول ..معقول بعد كل السنين دي هابقى لسه فاكراه ؟!





الغصة التي خنقت آخر حروفها بالبكاء كذّبت ما كانت تريد الإيحاء به ..

الدموع تتقافز لعينيها غزيرة وهي تستعيد لحظة بعينها توقف بعدها عمرها عن الدوران ..لحظة هجرها ذاك الرجل ليفسخ خطبتهما زاعماً أنها لا ترضيه ! يومها لم يطعن قلبها فحسب بل كبرياءها كذلك ..أقسمت ساعتها أن ترده إليها زاحفاً على ركبتيه ..نصبت شباكها حول أخيه ضعيف الشخصية تظن أنها بهذا تثير غيرته ..لكنه تزوج بعدها ببساطة كأن ليس لها وجود واضطرت هي لأن تكمل الطريق الذي سارته لآخره ..كانت تقارن بين زوجته وبينها فتجد نفسها الأفضل لهذا لم تكد تعلم بظروف مرضها الذي أقعدها حتى صرخت فرحاً وهي تعد نفسها للعودة إليه ..لم تأبه بكونها متزوجة من رجل وتربي طفله ..فالنداء القديم لقلبها العاشق كان لايزال يدوي بين جنباتها ..لكنه طعنها للمرة الثانية وهو يختار تلك المرأة عديمة القيمة التي تزوجها خفية لينجب منها طفلة ..




كأنه يخبرها من جديد أنها لا تليق به ..وأن أي امرأة من الشارع ستفضلها قيمة لديه ..وأن عمرها الذي ضاع وهي

تلاحقه سيبقى يتسرب من بين أناملها حتى يتلاشى !

_مش معقول بعد كل السنين دي ولاده يطلعوا هم الكسبانين ويخطفوا مني ابني ..مش هيجرحني وهو عايش وهو ميت !!

تتمتم بها بحرقة وهي تبسط راحتها المرتجفة على صدرها فيزفر بقوة وهو عالق بين شفقته نحوها وبين غيظه منها ..لو كان بيده أن يمحو هذا الأمس ..أن يقتلعه اقتلاعاً من جذوره ..لفعلها لكن كيف ؟!!





يتقدم نحوها خطوة وقد لانت ملامحه نوعاً ليحيط كتفيها بقبضتيه هاتفاً بألم راجٍ:

_مرة واحدة بس فكري فيّ قبل ما تفكري في نفسك! ..مرة واحدة بس حسي بالوجع اللي جوايا وأنا عايش بذنب انسانة ماحبتش ولا هاحب غيرها ..مرة واحدة بس حسسيني إنك أمي وإني ابنك مش مجرد سكة لتصفية حساباتك القديمة .

كلماته تحفر نهراً من الدموع على وجنتيها وهي تشعر بحقيقتها عارية ملطخة ..فيرتجف جسدها بين ذراعيه وهي تحاول استعادة قناع جبروتها :

_لو مش عاجباك أمك اتفضل اخرج ..روح لها ..ضيع عمرك ورا وهم زي ما أنا ضيعت عمري ..بكرة تفوق وتندم !

فرمقها بنظرة طويلة آسفة وهو يشعر أنه يتحدث بلغة غير لغتها ..





وأنها أبداً لن تزيح الستار عن معتقدها ..

لهذا أزاح كفيه عنها ببطء ليعود لوجهه قناعه المعدني وهو يتحرك مبتعداً مع كلماته الحازمة :

_طالما مفيش فايدة من كلامي يبقى

مالوش لازمة ..بس اعرفي إن همسة وياقوت في حمايتي ..وساعة الحق مش هاعرف قريب ولا غريب .

قالها ليخرج صافقاً الباب خلفه بقوة فتتهاوى هي على مقعدها تمسك قلبها الذي يعوي بألم ..

ومذاق الخسارة يجري في عروقها مجرى الدم !

=======

_رايحين فين يا مامي؟!

تسألها ريما بفضول طفولي بينما نشوى تتوقف بسيارتها أمام المطعم حيث سيكون لقاؤها بناصر ..





تشرد ببصرها وهي تتذكر ذاك اليوم الذي تلقت فيه عرضه لتحلق من حينها في سماء رمادية مفتقدة أرضاً ترسو عليها ..

لم تمنحه ردها وقتها في تدلل متوقع ..لكنها تعلم أنها ستوافق!!

بروح "مراهقة" تستعيد حلمها القديم به تبتسم وهي تشعر وكأنما يمنحها عمرها الذي ضاع ..وكأنما يمحو الماضي بوجعه ليعيد لها سنوات ظنتها ماتت ..

وبروح "امرأة" تشعر بالزهو وهي تراه أخيراً يفطن لأنوثتها فيفضلها على زوجته ويختارها لتكمل معه عمره ..

وبروح "عاشقة" تشعر بالغيرة وهي لا تدري كيف سيكون الوضع مع رجل تتقاسمه امرأتان ..





وبروح "أم" تشعر بالخوف على طفلتها من مغبّة هذا كله !!

لكن ما يهدئ الهاجس الأخير أنه طلب لقاءها اليوم مع ريما كي يزيد الألفة بينهما !

_مامي ..سرحانة في إيه ؟!

هتاف ريما القلق ينتزعها من شرودها فتلتفت نحوها بمزيج مشاعرها قبل أن تسألها بخجل خضب وجنتيها:

_مامي حلوة النهاردة ؟!

_أول مرة تسأليني عن شكلك !





تقولها الطفلة ببراءة لكنها تصدمها بهذه الحقيقة ..هي زهدت مظهرها منذ زمن ..منذ وأدت أنوثتها بيدها راضية بنصيبها في الرجال ..

_الأصفر حلو قوي عليكي ..مخلليكي شبه الشمس ..

ملحوظة طفلتها تعيدها لثوب أصفر "قديم" أحضرته خصيصاً كي تقابله به ذاك اليوم الذي اعترفت له فيه بحبها وظل راقداً في خزانة ملابسها بعدها كشرائط مزقتها بيديها حينها ..واليوم تختار نفس اللون لمقابلته ..

كأنما يعود الماضي فقط ب"لون ثوب"!!

تراقب وجهها في مرآة السيارة ..عيناها السوداوان اللتان أجادت رسمهما ..





أنفها الكبير نسبياًّ لكنه يناسب استدارة وجهها ..

شفتاها اللتان تظنهما أجمل في ملامحها باكتنازهما المثير وهذه الشامة المميزة على جانبهما ..

لم تكن جميلة بمعتقدات مجتمع شرقي يراها عادية الملامح ..لكنها الآن فقط ..ترى نفسها جميلة ..وكيف لا ؟!

و"فارس الماضي" عاد لأجلها كي يحملها على جواده نحو الحاضر والغد ؟!

لهذا ازداد تورد وجنتيها وهي تغادر سيارتها لتتشابك أناملها مع طفلتها وهي تدخل معها إلى المطعم ..

يخفق قلبها الذي تشعر وكأنه عاد من سباته برؤية ملامحه الوسيمة ..لكنها تتجمد فجأة مكانها وهي





ترى تلك المرأة جواره ..والتي وقف هو ليعرفها بها ..

_سها ..مراتي!

=======

هيئ إليها أن الدماء انسحبت من جسدها كله قبل أن تعود فجأة لتضخ في رأسها !!

هل ملك من الجرأة ما جعله يحضرها معه هنا ؟!

صفعة يتلقاها وعيها تليها صفعة إدراكها لجمال المرأة الصارخ أمامها ..جمال نقي لا تشوبه شائبة ..خاصة وشعرها الأشقر الطبيعي ينسدل بإغواء على كتفيها وقميصها قصير الأكمام يبرز نعومة بشرتها

اللامعة ..

أي مقارنة تصلح بينهما هاهنا ؟!

حلقها يجف وهي تود لو تستعيد هذه اللحظة فقط
قناع قوتها الذي تواجه به العالم وقت
ضعفها ..لكنها لا تملك الآن إلا ترنح قلبها الدائخ
بين عواصف عاطفته ..

خاصة عندما امتدت أنامل سها بحركة بدت عفوية
لتضعها على ذراع ناصر كأنما تعلن ملكيتها له ..

حركة شعرت بها وكأنما تركلها هي بعيداً لولا هذه
الابتسامة التي حافظت عليها سها بتماسك تحسد
عليه وهي تشير لها برقة نحو المقعد المقابل
لناصر:

_اتفضلوا اقعدوا .

تهاوت نشوى على المقعد شاعرة أن الهواء قد
انسحب من حولها ..لم تتصور أن تكون المواجهة
الأولى بينهما هكذا ..

ماذا كنتِ تتوقعين إذن يا بلهاء ؟!





الرجل لم يخدعك ..وهاهو ذا يحضر زوجته كي يثبت لكِ أن الأمور ستكون مطمئنة ..احمدي الله على وضع مثالي كهذا تحسدكِ عليه الكثيرات !!

_مامي ..وجعتيني!

لم تشعر أنها كانت تضغط كف ابنتها بقوة إلا عندما سمعت هتاف الصغيرة الأخير فرفعت إليها عينين مشتتين لكن سها فتحت ذراعيها مخاطبة الصغيرة بقولها الذي فاحت فيه دلال أنوثتها :

_"سويتي جيرل"..اسمك إيه ؟! تحبي نتعرف؟!

شعرت نشوى بكف الصغيرة يتملص منها بسرعة لتتجه نحو سها التي احتضنتها بقوة وهي تمشط شعرها بأناملها بينما الصغيرة تهتف بفخر طفولي:

_ريما .."جريد وان" ..(.....)سكول .

_واااو .





تهتف بها سها بانفعال مبالغ قبل أن تمد كفها المرتجف نحو نشوى مصافحة بقولها :

_أهلاً بيكي .

رمقتها نشوى بنظرة زائغة وهي تنتبه أن ناصر لم يذكر لها صفتها هي ولا اسمها مكتفياً بتعريف سها فقط إليها ..ما الذي يعنيه هذا ؟! تراها لا تعلم ؟!

لكن سها ابتسمت وكأنها تقرأ خواطرها :

_عارفة إن الوضع مش تقليدي بس احنا كبار كفاية عشان نفهم اختياراتنا ..أنا بحب ناصر جداً .. عايزة سعادته اللي مش هتكمل معايا أنا لوحدي..وعشان كده وافقت إنه يتجوز تاني ومعنديش مشكلة في كده .

رمقتها نشوى بنظرة مصدومة وهي تتفحص ملامحها ..ابتسامتها الرقيقة وهذا الكلام المنمق الذي تفوهت به يناقض هذا الدمع الذي تجمع في عينيها ..يناقض رجفة أناملها التي عادت تحط فوق




ذراع ناصر بتملك ..وتناقض هذه النظرة الخائفة التي أسبلت عليها جفنيها كأنما تخشى أن تفتضح ..

_هو ممكن راجل يتجوز اتنين ؟!

تسأل ريما بفضول طفولي وهي تنقل بصرها بينهم لكن سها وقفت مكانها ليبدو لنشوى جسدها الممشوق الذي أظهرته ثيابها الأنيقة كأبهى ما يكون بينما تخاطب الصغيرة بقولها :

_نسيب كلام الكبار للكبار ونروح احنا نلعب ..تعالي أوريكي ال"كيدز إيريا" هنا ..تجنن ..هتتبسطي موت !

هتفت بها وهي تنحني برشاقة لتحمل الصغيرة التي تعلقت بعنقها وهي تسأل نشوى:

_أروح يا مامي؟!





لم تستطع نشوى إلا أن تومئ برأسها وعيناها تراقبان سها بينما تتحرك برشاقة فاتنة تحمل صغيرتها هي ..قبل أن تحيد ببصرها نحوه لتجد عينيه هو الآخر متعلقتين بهما ..ترى من تحوز اهتمامه الآن أكثر سها أم ريما ؟!

ما تثق به أنها ليست هي على أي حال !

_ممكن ..أفهم ؟!

تغمغم بها بارتباك شاعرة بتقلص معدتها توتراً ..خاصة عندما التفت نحوها بعينين كانتا "بطلتي ماضيها" ..

_تفهمي إيه ؟!

_الوضع ده ..طبيعي؟!

تغمغم بها بارتباك ليبتسم ابتسامته الحازمة مع رده العقلاني:





_أكيد مش طبيعي ..مثالي زيادة عن اللزوم ..بس هي دي سها ..بتعرف تفصل مشاعرها وقت الجد وتختار الأنسب .

شعرت أن وجنتيها تكادان تحترقان انفعالاً فأسندت جبهتها على أناملها المتشابكة تهرب من مواجهته ..

هو كعادته أمامها بمنتهى القوة ..

وهي كعادتها أمامه بمنتهى الضعف!

لا تذكر أنها هربت من شيء في حياتها كما هربت من ذكرى ماضٍ تخصه ..

كأنما عقدتها معه كانت دوماً "الهروب"!

الهروب منه ..يوم جرحها ..

والهروب الآن إليه ..كي يداوي هذا الجرح الذي لن يجيد غيره مداواته !




_مستغربة ليه كده ؟! كنتِ متوقعة حرب مسلسلات زي "الحاج متولي" ؟! لا متخافيش ..سها عقلها كبير وقلبها أكبر .

يقولها بنفس النبرة المحايدة فتشعر بكيانها يتهاوى أكثر ..ليس هذا هو اللقاء الذي تنتظره ..

ليس هذا هو الرجل الذي تنتظره ..

ليس هذا هو الكلام الذي تنتظره ..

أين التعويض عن حلم الأمس ؟!

أين الوعد بفرحة الغد ؟!

لهذا جاء ردها بعمق معاناتها وهي ترفع عينيها نحوه أخيراً :

_اخترتني أنا ليه ؟!

وهو الذي هرب بعينيه هذه المرة في سابقة وجدتها غريبة لرجل بقوته ..




_سؤال غريب ! كلك مميزات بالنسبة لي ..أخت صاحبي ..مؤدبة ..محترمة ..و ..ظروفك مناسبة ليّ!

ورغم اللطف الذي حاول به كسوة كلماته لكنها كانت تشعر بها وكأنما تطعنها طعناً ..

خاصة عندما مال بجذعه للأمام ليقترب منها أكثر محتكراً نظراتها :

_وبتحبيني !

همسه الذي بدا شديد الثقة ..شديد الجاذبية حد الفتك مع ماضيهما المشترك يزلزلها ..

لهذا تذبذبت نبرة صوتها فاضحة هشاشتها وهي تسأله :

_كل ده كان موجود زمان ..إيه الجديد ؟!





هنا أطرق هو برأسه وهو يخشى هذا السؤال بالذات ..

كم يتمنى في هذه اللحظة لو تكون هي أكثر خبثاً فتفهم الحقيقة وحدها بدلاً من هذا الوجه الساذج الذي تقابله به ..

كم يود لو يضع حداً للأمر بعمليته المعهودة فيخبرها أنها لن تكون أكثر من وعاء لطفله وأن زوجته فقط هي من تملك قلبه ثم يترك لها حرية الاختيار ..

لكنه كان أكثر مكراً من أن يفعل ..

وربما ..أكثر جبناً !!

لهذا جاء جوابه مراوغاً مثله :

_فيه حاجات مابنعرفش قيمتها إلا لما بتروح من إيدينا .





قلبها -الأحمق- يتلقاها كمكافأة بعد كل هذا الضغط السابق فتتسع عيناها بقوة كأنما تود اختزان صورته بهذا الاعتراف -غير الكامل -!

لكنه يهرب من لقاء عينيها وهو يعود برأسه للخلف ..حيث سها وريما اللتان كانتا منسجمتين تماماً في منطقة الألعاب ..

بينما تراقبه هي بعينين متعلقتين قبل أن تشعر بجسده يتحفز مكانه وهو يضم قبضتيه بقوة لتلاحظ ما أثار انتباهه ..

فهناك كانت سها تتقافز على المنصة مع ريما لتبدو الأولى شديدة الحيوية بضحكاتها العالية التي اجتذبت أنظار الحضور جميعاً ..

_ثانية واحدة !




هتف بها بانفعال مكتوم وهو يهب واقفاً مكانه لتراه يتوجه نحوهما قبل أن يشير بكفه نحو سها التي تقدمت نحوه فمال على أذنها هامساً بما جعلها تضع كفها على شفتيها كأنما تعتذر ..قبل أن تطبع قبلة خفيفة على وجنته !!!

شعرت بالدم يفور في عروقها وهي ترى غضبه يتحول في ثوانٍ ليمنحها ابتسامة دافئة قبل أن ينحني ليحمل ريما ويسير بهما فيتوجهون جميعاً نحوها !!

مهزلة !!

ما هذا العبث ؟!

لم تتخيل أبداً أن يكون الوضع هكذا !!

إذن ماذا تخيلتِ؟!





أن يأتيكِ بعد كل هذه السنوات نادماً مستغفراً طالباً رضاكِ وهو يخبركِ أنه فضّلك على زوجته ؟!

ارفضي هذا العرض لو بقيت لك ذرة كرامة ..وعودي لصومعتك المحرمة على الرجال !

كان هذا صراخ عقلها المحتج لكن قلبها كان يتراقص بين ضلوعها يستصرخها أن تمنحه الفرصة ..

أن ترقّع ثوب أنوثتها بهذا الحلم القديم ..

أن ترضى بأي خانة يضعها فيها مادامت لا تملك المزيد من الفرص ..

أن تصبر ..فقط قليلاً ..لعلها تحتل وحدها قلبه كاملاً !

وبين هذا وذاك كانت خيوط "أنانيتها" تغزل بعض خيوطها ب"ورقتها الرابحة":





عندما تتزوجه وتنجب له طفله ستكون في عينيه بالتأكيد أفضل منها ..

ويبدو أن النسيج الأخير كان من القوة بمكان ليرسم على شفتيها شبه ابتسامة وهي ترفع رأسها نحوهم من جديد بنظرة أكثر ثقة ..

ستقتنص حلمها هذه المرة ..وستصنع من هزيمة الأمس انتصار الغد !

=========

_صباح الحب !

يهمس بها أشرف بحنانه المعهود وهي تشعر بذراعيه يطوقان خصرها ليرفع جسدها نحوه مغرقاً وجهه بقبلاته ..

ابتسامتها تمتزج بهمهمات اعتراض واهٍ لم تلبث أن اختفت وهي الأخرى تتعلق بعنقه بذراعيها بقوة





تشاركه نشوة عشقه بجنون أكبر جعله يطلق ضحكة قصيرة قبل أن يبعدها ليهمس أمام عينيها :

_حبيبي بقا شقي قوي .

_تلميذتك ياافندم.

تهمس بها بدلال امتزج بقوتها -المستحدثة - ليشدد ضغط ذراعيه حولها بينما يهمس في أذنها :

_تلميذتي وصاحبتي وحبيبة عمري ..لآخر يوم في عمري .

أنفاسهما تمتزج لتنصهر سوياً بلهيب عشق ولد معهما صغاراً وسيتحدى كل شيء ليهرما معاً على شاطئيه ..

_أشرف!

تهمس بها بصوت لم يحتل قلبه غيره ليبتعد قليلاً ما يمكنه من احتضان وجهها براحتيه ..

_قلبه وروحه وعمره كله !





_سامحتني؟!

لا تزال تسأله -كل صباح- كأنها لا تصدق هذه السعادة التي عادت ترفل فيها معه ..ليهز رأسه وهو يداعب أنفها بأنفه :

_هتفضلي تسألي كل يوم وأجاوبك نفس

الإجابة ..قلبي معاكي مظبوط على موجة واحدة ..بيحبك وبس!

ثم تنهد بأسى ليرتجف همسه :

_أنا بقا لأول مرة هسألك ..انتِ سامحتيني فعلاً على ابننا اللي راح ؟!

فتبتسم ابتسامة غامضة وهي تدفعه برفق لتتمطأ هامسة بدلال :

_ما بلاش نتكلم في الماضي .

يرقبها ببعض الدهشة وهو يلاحظ حيويتها الزائدة لهذا اليوم فكاد يسألها لولا أن غادرت الفراش قائلة بمرح صار يظلل شخصيتها الجديدة :





_عندنا شغل كتير النهاردة ..يادوب نلحق نفطر ..نشوى منبهة عليّ ما نتأخرش .

قالتها لتهرول مسرعة نحو الحمام القريب فنهض بدوره ليبدل ملابسه قبل أن يسمع صرختها الفرحة !

انتفض مكانه ليجدها تعود إليه ممسكة ذاك الشيء بين أناملها :

_حامل يا أشرف ..حاااامل !

وجهه يتجمد من المفاجأة للحظات قبل أن يجدها تحط على صدره كطير ملهوف هاتفة وسط دموعها :

_شفت كرم ربنا لما بيعوضنا كل اللي خسرناه !

يتأوه بقوة شعوره وهو يرفع وجهه لأعلى





بالحمد بصوت مرتفع ثم يبعدها ليحتضن وجنتيها هاتفاً بصوت متحشرجٍ وعينين دامعتين فرحاً :

_ده اللي كنتِ مخبياه عني ؟!

_يعني كنت شاكك إني مخبية حاجة ؟!

تهتف بها بدلال امتزج بسعادتها ليقرص وجنتها مداعباً ..

فتأوهت لتردف:

_كنت شاكة بس ماحبتش أقوللك إلا لما أتأكد !

قالتها ثم تحسست بطنها المسطح بأنامل مرتجفة وعيناها تزيغان بشرود كأنما تذكرت فقدها القديم ..

قبل أن تهز رأسها بقوة تنفض عنها كل ألم الماضي ..

هذا الذي وازى قبلته الناعمة على جبهتها قبل أن يهمس بين شفتيها :

_مبروك يا حبيبة عمري ..مبروك ..





مباركاته امتزجت بعطايا شفتيه التي استسلمت لها قليلاً قبل أن تئن باعتراض هاتفة :

_الشغل يا أشرف ..هنتأخر .

_ناخد أجازة النهاردة ونحتفل ب"البيبي"!

يهمس بها بنبرة مغرية لكنها تصدر همهمة اعتراض لتتفلت من بين ذراعيه هاتفة باستنكار:

_هنكسل من أولها ؟! لا يا بابا ..عايزة ابني ييجي يلاقي مصنع باباه أكبر مصنع في البلد .

لفظة "بابا" هذه تدغدغ روحه بلذة مستحدثة فيضحك بفرحة حقيقية هاتفاً باستياء مصطنع:

_كلام ال"ماما" يمشي ..بقيتِ مستبدة زي ابن خالتك .

فابتعدت عنه ضاحكة لتتناول هاتفها مع قولها :

_فكرتني ..لازم أفرح يامن وبيلا





الأول ..وانت كمان روح فرح نشوى !

يتحرك ليطرق باب غرفة نشوى التي خرجت منها بوجه فضح سهرها الطويل

بالأمس هاتفة بقلق:

_خير يا أشرف بتزعقوا ليه ؟!

_رانيا حامل !

يقولها بفرحته الطاغية لتطلق صيحة عالية قبل أن تتبدل ملامحها لحنان خالص وهي تحتضنه هاتفة :

_مبروك يا حبيبي ألف مبروك .

يضمها برفق للحظات قبل أن يتفرس

ملامحها ليسألها بعتاب امتزج بحنانه :

_عقبال ما اطمن عليكِ .





كانت تفهم هذه النظرة العاتبة في عينيه ..فلم يزل غير راضٍ عن موافقتها "المبدئية"على عرض ناصر وقد توقع أن ترفضه دون جدال..

لهذا تحفزت ملامحها وهي تقول بعناد :

_قريب هتقوللي برضه مبروك .

_يعني خلاص وافقتِ عليه كلام نهائي ؟!

العناد في ملامحها يتحول لحيرة حقيقية مع سؤاله المباشر لتطرق برأسها فيربت على كتفها ليقول برفق:

_مش هاقدر أحكم على قلبك مادام لسة بتحبيه ..بس السؤال انتِ فعلاً لسة بتحبيه؟؟!

رفعت إليه عينين زائغتين بين "قناع قوة" تصر على مداراة وهنها به وبين "حيرة" تعيث بين جنباتها وجعاً ..




حيرة كان يستشعرها هو جلية حتى مع محاولتها إخفائها ليتنهد قائلاً بحزم أكبر:

_انتِ تستاهلي أحسن من "نص راجل"..فكري كويس قبل ما تدخلي نفسك في مثلث شائك زي ده ..خصوصاً إني عارف هو بيحب مراته أد إيه .

عبارته الأخيرة تخز صدرها بمزيج من غيرة وتحدٍّ ..

فتدفعها طبيعتها المتنمرة لترد بحدة :

_لو بيحبها كده ماكانش فكر يتقدم لي ..وهي لو بتحبه بصحيح مكنتش هتقدر تستحمل وضع زي ده ..واضح إن حبهم ده تمثيل ..ديكور قدام الناس .

_ده اللي بتقنعي بيه نفسك عشان توافقي على وضع زي ده ؟!

يسألها بضيق محاولاً كظم انفعالاته لكنها أشاحت بوجهها لتتخطى الأمر هاتفة :





_بارك لرانيا على ما ألبس ..عندنا شغل كتير النهاردة .

محاولتها للهروب كانت شديدة الوضوح فزفر بضيق وهو يشاهد باب غرفتها يغلق في وجهه قبل أن يعود لغرفته لتستقبله رانيا على بابها قائلة بتفهم :

_ماتضايقش نفسك ..انت عارف نشوى عنيدة ومابتسمعش كلمة غير من دماغها .

_ماهو ده اللي مجنني ..واحدة بشخصيتها دي تقبل وضع زي ده ليه ؟! وإزاي؟!

هتف بها بضيق لتبتسم هي قائلة :

_الموضوع له زاويتين ..الأولى إحساسها إنها بترجع معاه الماضي اللي كان نفسها





تعيشه ..والتانية رد اعتبار لكرامتها إنه بعد السنين دي رجع يتقدم لها بعد رفضه ليها زمان.

_كرامتها ؟! وفين كرامتها وهو متجوزها بس عشان يخلف منها والدنيا كلها عارفة إنه بيموت في مراته ؟!

يهتف بها باستنكار وهو يدلف للداخل خافضاً صوته أكثر ، لتتبعه هي قائلة :

_هي مش عايزة تصدق إنه كده ..وبصراحة صاحبك أناني جداً ..إزاي بيحب مراته زي ما بتقول وراضي يجرحها بالشكل ده ؟! يعني لو كان هو اللي مابيخلفش كان هيبقى مبسوط لو اختارت تسيبه وتروح لراجل تاني ؟! ده حتى ده كان هيبقى أهون م اللي ناوي يعمله إنه يجمعهم سوا على ذمته .





قالتها بضيق شاركها فيه للحظات قبل أن تتنهد لتبسط راحتها على صدره لتردف:

_عموماً ..أختك عنيدة والضغط معاها بيقلب بالعكس ..سيبلها حرية القرار بس حاول تأخر الجواز على أد ما تقدر ..يمكن هي نفسها تكتشف حقيقة الفخ اللي هي رايحة له برجليها ..وما تقلقش أنا هافضل جنبها خطوة بخطوة احنا بقينا قريبين من بعض قوي .

رمقها بنظرة طويلة يتفكر في حديثها قبل أن تلتوي شفتاه بشبه ابتسامة وهو يجذبها ليقربها منه هامساً بدلاله الحنون :

_حبيبي كبر وخرج من شرنقته وخلاص بقا بيعرف يراقب ويخطط .

فضحكت بفخر وهي تمرغ وجهها في صدره هامسة :





_حبيبك كبر واتعلم .. اتعلم يبقى سندك زي ما انت سنده .

=======

_عاملة إيه عندك يا غادة ؟!..هاموت م القلق عليكِ !

غمغمت بها هانيا بجزع محاولة أن تخفض صوتها كي لا يسمعها رامز الجالس هناك بغرفة نومهما القريبة ..

لتصلها تنهيدة غادة الحارقة قبل ردها الذي أقلقها أكثر:

_ماتخافيش عليّ ..أنا ماعدتش زي زمان وقادرة أدافع عن نفسي كويس .

_الحيوان ده بيحاول يضايقك ؟!

تسألها هانيا بنبرة أشد خفوتاً لتصمت غادة في جواب غير منطوق سبق قولها الصريح:





_عمو علاء هيوصل في خلال كام يوم ..هحاول أدبر سكن تاني ليّ ولأمي ..مافتكرش إنه هيفضل متمسك بيها في حالتها دي .

زفرت هانيا بحنق لتهتف بحميتها المعهودة :

_شقة سيف لسه موجودة لو تحبي ..

_لا!

هتفت بها غادة قاطعة وهي تستعيد لقاءهما الأخير في المطار ..

لا تدري أي جنون دفعها لتعبر له عن مشاعرها بتلك الطريقة ..

لا ..لم يكن جنوناً بل أملاً !

أملاً أن تنقذه من هذا القيد الذي يصر أن يكبل نفسه به ..وقد فشلت !

فهاهو ذا من حينها لم يصلها منه أي رد !





_مش عايزة تقوليلي إيه اللي حصل بينكم في اسطنبول؟!

تسألها هانيا بنفس الحنان القلق لكن غادة كانت تصر أن تحترم خصوصيته لهذا قالت بقنوط :

_يظهر كان بيتهيألي بس إن فيه في قلبه حاجة ناحيتي ..ربنا يوفقه .

_لا ..أنا شفتها في عينيه يوم ما جيتلك ..هو فعلاً بيح..

تهتف بها هانيا بإصرار لتقاطعها غادة هاتفة :

_خلاص يا هانيا ..ماعادلوش لازمة

الكلام ده ..مين عارف هاقدر أرجع اسطنبول تاني واللا لا ؟! ..ماما محتاجالي وماينفعش أتخلى عنها .

صمتت هانيا بقهر وهي تشعر بحمل صديقتها الثقيل ..لقد عاشت عمرها تعاني بسبب أنانية أم لا تستحق هذا اللقب ..والآن تضطر غادة لإيقاف حياتها كي تحمل وزرها وحدها !




لهذا عادت تزفر بقوة هاتفة :

_ماتشيليش هم ..أنا هادبر لك سكن وشغل هنا .

لم ترَ ابتسامة غادة لكنها شعرت بها في صوتها الممتن :

_انتِ اللي ماتشيليش همي ..عمو علاء مش هايسيبني لحظة ..أنا عارفة إنه أول ما يوصل هيحلها .

_جميل قوي الراجل ده .

تقولها هانيا بامتنان صادق لترد غادة بعمق عاطفتها نحو الرجل:

_جميل بس؟! ده عظيم ..صدقيني ماكنتش أتمنى أب وأم أحن منه هو وإيناس .

قالتها غادة بعاطفة دافئة ليظهر صوت زوج أمها في الخلفية :

_يادي القرف ! وسختِ الملاية تاني ؟! عملت إيه في دنيتي عشان ربنا يبتليني بيكِ ..قومي يا غادة





هانم غيري لأمك هدومها ..وشوفي القرف ده ..مش طايق ريحة الأوضة .

تدمع عينا هانيا وهي تشعر بما تعانيه صديقتها وحدها هناك ..لكن غادة بدت متماسكة وهي ترد بقوة لا تدعيها :

_هاقفل معاكِ دلوقت ..نتكلم بعدين .

زفرت هانيا بسخط وهي تغلق الاتصال مع غادة بسباب مرتفع لذاك الحيوان زوج أمها ..

قبل أن تتحرك بخطوات متثاقلة نحو غرفة نومها حيث وقف رامز يعد حقيبته استعداداً للسفر ..

_مادام البوز التمام اتضرب ..يبقى كنتِ بتكلمي غادة .





يقولها بمرح محاولاً التسرية عنها فتقترب منه لتريح رأسها على صدره هامسة :

_صعب قوي اللي هي فيه ..مابتلحقش تفوق .

_أنا ممكن أساعد بس إديني "جرين لايت".

قالها بجدية تامة لكنها هزت رأسها لتهمس وذراعاها يتشددان حول خاصرته أكثر:

_عرضت عليها رفضت ..مستنية عمو علاء ..بس أنا مش هاستحمل أقف متكتفة كده ..لو الوضع فضل كده هأجر شقة في بورسعيد وأفضل جنبها مادام هي رافضة تيجي هنا .

_ده على أساس إنك متجوزة "دكر بط" هايسيبك تتنططي هنا وهناك كده براحتك ؟!

هتف بها باستنكار ليفاجأ بها تنفجر في بكاء عنيف لا يتناسب مع الموقف !





أجفل للحظات وهو يشعر بانتفاضتها بين ذراعيه قبل أن يضمها بقوة أكبر ليقبل رأسها هامساً :

_فيه إيه يا هانيا ؟! القصة مش قصة غادة وبس ..انتِ بقالك كام يوم مش على طبيعتك وحاسس إنك مخبية عني حاجة .

ظلت مستسلمة لبكائها بين ذراعيه للحظات احتملها هو متفهماً قبل أن يصله صوتها المتحشرج بدموعها :

_ضغط الرسالة من ناحية ..وحكاية سفرك كل شوية بعد الترقية الجديدة ..و ...

صمتت بعدها قليلاً لتقطع عبارتها ..فعاد يسألها باهتمام :

_وإيه ؟!

قالها وهو يرفع ذقنها نحوه لتغمض عينيها بجواب سبقته تنهيدة حارة :





_حاسة إني متكتفة ..مش قادرة أسعد الناس اللي بحبهم .

_قصدك غادة بس واللا حد تاني؟!

يسألها وقد عرف الجواب !

لا تزال تشوهات جسدها تقف عائقاً بينهما ..لايزال يشعر بها عاجزة عن منحه مفاتيح أنوثتها ..

قديماً كانت تفعلها طوعاً ..والآن بعد الحادث تفعلها قسراً ..

وكلاهما يجد ندبته في صدرها كما هي في صدره !

_لو تقصديني فهافضل أقوللك ومش هازهق ..مجرد وجودي جنبي فرحة بحمد ربنا عليها ..انتِ مش محتاجة تعملي حاجة عشان تسعديني ..





الصدق النابض بين حروفه يجعلها تعاود فتح عينيها لتعانق نظراته العاشقة ..فمنحها قبلة ناعمة على شفتيها ليردف :

_سفري غصب عني ..ومش قادر أقوللك تعالي معايا عشان ما أعطلكيش عن المذاكرة ..

يقولها بأسف فابتسمت بامتنان ليبتسم بدوره مردفاً بمرح:

_زمايلي بيتريقوا عليّ لأني أكتر واحد ببقى مستعجل يخلص شغله عشان يروّح ..كل شوية يقولولي هي مدلعاك للدرجة دي مش قادر على بعدها ..يالّلا الصيت ولا الغنى يا بسطويسي!

ضحكت رغماً عنها فمسح دموعها بإبهاميه ليفيض حنانه وسط مرح مزاحه كالعادة :

_أجيبلك إيه معايا المرة دي ؟!..هدايا المرة اللي فاتت مالبستيهاش .

عبارته الأخيرة لم تحمل عتاباً بقدر ما حملت تفهمه لتحفظها المعهود من ارتداء الثياب المكشوفة ..





لهذا عاد صوتها يتحشرج وهي تهرب من لقاء عينيه :

_مش بيننا اتفاق ؟!انت عارف طبعي .

_برضه مش هيأس ..مسيرك يا ملوخية تيجي تحت المخرطة !

قالها وهو يعض شفته السفلى فعادت تضحك بخجل وهي تخفي وجهها في صدره ليضحك بدوره هاتفاً وهو يشير لنفسه :

_حلوة بصّة حمدي الوزير دي ؟! أجنن في الإجرام ..صح؟!

_مفيش فايدة فيك ..نفسي أتكلم معاك مرة وماتقلبهاش مسخرة .





_هو فيه أحلى م المسخرة ؟!

يغمزها بها بمكر وهو يرفع وجهها نحوه قسراً ..

فتضحك من جديد ليقبل وجنتها هامساً بجدية هذه المرة :

_ربنا ما يحرمني من ضحكتك دي ..متعرفيش بطمن أد إيه لما بشوفك بتضحكي .

فترمقه بنظرة ممتنة قبل أن تستطيل على أطراف أصابعها لتغرس هدايا عشقها على وجهه ..

_بحبك ..بحبك ..بحبك .

لاتزال تقولها بملء فيها ..

بل بملء روحها ..

تقولها وهي تعلم كم يحب سماعها ..كما تحب هي قولها !

لتصلها تنهيدته الحارة قبل أن يبعدها هامساً بصوت هدجته عاطفته :





_واحدة "بحبك" كمان وهاطنش الست الغلبانة اللي تحت اللي مستنياني أديها الحقنة دي وأقعد جنبك هنا نلعب

"بلايستاشن"!

غمزته الماكرة صاحبت عبارته الأخيرة فابتسمت بفخر امرأة تدرك أثر أنوثتها في رجلها ..

ليستطرد هو بينما يبتعد بظهره ملوحاً بكفيه بحركة مضحكة :

_هانزللها خمس دقايق بس وأرجعلك ..اوعى تنام يا بسطويسي ..ماتسيبنيش أسافر ونفسي في "البلايستاشن" .




ضحكاتها المشعة بعاطفتها تودعه لتلتمع عيناها بعمق شعورها للحظات قبل أن تغيم نظراتها بشرود!!

خطواتها تتجه نحو حقيبتها الموضوعة هناك ..

نظرة غامضة مفعمة بالقلق تجتاح عينيها وهي تستخرج منها بطاقة ما رفعتها أمام وجهها ..

قبل أن تزم شفتيها بعزم وهي تعيدها مكانها بسرعة وعيناها تتلونان بالمزيد من الغموض .

========

انت اول كل حاجة ..

والبداية في كل شيء ..




حب اول مره ييجي ..

لما قلبي كان بريء

انت اول كل حاجه ..

وانت عارف كنت ايه

وانت اول حد يمشي ..

ودمعتي تنزل عليه.

الكلمات تبدو متشابكة تماماً بنسيج روحها وهي تنبعث بلحنها في سيارة إسلام الذي يقودها بها نحو المحامي الخاص بزين

لإتمام الطلاق ...

_انتِ كويسة ؟!

يسألها إسلام بقلق ملاحظاً تيبس جسدها لتجيبه بشرود كأنها في عالم آخر :

_مش عارفة كان حلم واللا كابوس ..بس





خلاص مش هتفرق ..كام دقيقة واصحى منه !

_حبتيه ؟!

يسألها قارئاً الجواب في عينيها المغمضتين ولاتزال كلمات الأغنية تضغط على جرحها النازف ..

كنت اول كل حاجه بتجرَى ليا

كنت اول روح بتلمس حاجه فيا

كنت اول حب ييجي ونفسي يفضل

كنت اول فرحه بتمناها تكمل

يمد أنامله ليربت على كفها قائلاً بحنان يشوبه الكثير من الضيق:

_الحكاية معقدة قوي يا ياقوت ..أنا نفسي مش عارف المفروض رد فعلي من زين ده يبقى





إيه ..أروح أضربه على استغلاله ليكي وللجين ..واللا أشكره ع اللي عمله بعدها .

_أنا ماعدتش عايزة أفكر ..عايزة حضن ستي ثمر أنام فيه وبس .

تقولها بنبرة واهنة عبر عينيها المغمضتين لكنه ضغط كفها براحته بقوة هاتفاً :

_لا معلش ..أنا هاسيبك يومين تلاتة كده تفوقي وبعدين هاجي آخدك من إيدك نشوف ورانا إيه ..عندنا مشروع عايزين نبدأه ..لما نخرج من عند المحامي هاطلع بيكي على المكان اللي اخترته تقوليلي رأيك فيه .

كانت أغلب كلماته تفلت منها وهي لا تزال غارقة في كلمات الأغنية ..





اللي يعرف م البداية النهاية.. هتبقى فين

مش هيغلط في اختياره ..بس نعرف ده منين ..

كنت آخر مرة آمن..قوللي آمن بس مين؟! ..

مفتكرش أحب تاني ..صعب أغلط مرتين..

سيارته تتوقف في المكان المنشود فتفتح عينيها أخيراً لتترجل منها ..

تستدعي كل ذرة من قوتها لتصعد معه إلى هناك ..

ورقة ما ناولها لها إسلام بعد معاينتها ليطمئن فارتجفت أناملها وهي توقع ..

هكذا ..انتهى الأمر ببساطة !!

وعلى فراشه بالمشفى تلقى زين رسالة محاميه يخبره بانتهاء الأمر فانقبض قلبه بهذا الشعور الذي يقاومه منذ أفاق من غيبوبته الأخيرة ..

كان يمكنه أن يجعله طلاقاً عادياً ويحضر المأذون معها إلى المشفى هنا ..





لكنه -ببساطة- كان يخاف!

لأول مرة يشعر بالخوف أن يتجابن عن قرار أخذه ..

لكنه كان أكثر من يعلم أنه لن يستطيع التفريط فيها وهي أمام عينيه !

أنامله تمتد لتمسد صدره ..

هناك ..

حيث كانت هي بالأمس تلقي حمولها بين ذراعيه ..

يستحضر صورة "القمرين السجينين" في عينيها يستصرخانه أن يحررهما ..

يسمع اعتراف قلب بخلت به الشفاه ..

ويتذوق عذوبة كأس لم تسكبه بين عروقه امرأة سواها !





لماذا أفلتها من بين يديه ؟!

أي "صياد خائب" هو ؟!

والحقيقة تصفعه بقوتها ..

عندما يحرر الصياد طريدته ..فليعلم أنه عشقها !

وأنه ما تركها إلا ليستعيدها حرة !

_اللي بيننا ما بدأش بورقة عشان ينتهي بورقة .

يرسلها لها -بصوته- غير مكتوبة كأنما شعر
بحاجتها أن تسمعها منه الآن ..

والغريب أنها سمعتها قبل أن يرسلها!

سمعتها بقلب أدرك أيّ وقعٍ كان لخطواته في
صحراء ذلك الرجل ..

أي حاجة كانت لغيث عاطفته ..





أي تضرعٍ لبراءة مناجاته ..

لكن كل هذا لم يكن يكفي رجلاً مثله ليكمل به الطريق!!

لهذا لم ترسل رداً مكتفية بصمت تنتوي أن يطول .

يرمقها إسلام بنظرة مشفقة وهو يشعر

بالعجز ..!

مشاعرها نحو ذاك الرجل تبدو شديدة الوضوح ..لكنه يعلم أن لا مستقبل لهما إلا في كتب الحكايات ..

-على الأقل في وضعها الحالي-...

لكنه يقسم لنفسه أن يغير لها هذا الوضع !

لهذا اصطحبها لمطعم قريب تناولا فيه الغداء وسط شرود نظراتها قبل أن يتوجها للمكان الذي اختاره ليكون مركزاً جديداً خاصاً بها ..





_مركز ياقوت للصحة النفسية ..إيه رأيك ؟!

يسألها وهو يلوح بإبهامه وسبابته كأنما يرسم خطاً عريضاً لتلتمع عيناها بجذوة من الطموح القديم ..

لم تلبث أن انطفأت وهي تطرق برأسها ليتقدم هو منها ويرفع ذقنها نحوه هاتفاً بحميّة ساخرة :

_جرى إيه يا بنت ؟! إيه اللي جرى للبؤس اللي على وشك ده ؟! ماكانش طلاق على سجن على غزّة سكينة على شوية مغامرات وحبشتكانات ..انشفي كده امال!

تبتسم رغماً عنها هذه الابتسامة التي امتزجت بدموعها فيتنهد بحرارة ليقول بجدية تامة :

_انتِ بطلة ..لو بعد كل ده لسة واقفة على رجليكِ.

_ومين قاللك إني واقفة ؟!





تتمتم بها بوهن غريب على طبيعتها المعهودة ليرد بإصرار كأنما يغرس حروفه في روحها غرساً:

_واقفة ..وقريب قوي هتطيري لحلمك وتمسكيه بإيدك ..ده وعد مني ..من أخوكِ!

اللفظ الأخير فعل بها الأفاعيل خاصة وهي تشعر بكفه يحط على كتفها بمؤازرة قوية احتاجها كلاهما في هذه اللحظة التي التقت فيها العيون بحديث حمل خبايا القلوب ..

_انت جدع قوي يا باشمهندس!

تقولها أخيراً بنبرة عادت إليها بعض حيويتها ليبتسم متسائلاً:

_يعني نقول مبروك ؟!

أومأت برأسها موافقة ولا تدري أي سعادة زرعتها بداخله وهو يشعر أخيراً بالرضا عن نفسه ..





كان يحتاج اليوم بالذات أن يمنح لها أملاً كهذا وقد فعل!

لكن لا يزال الكثير ليفعله معها ومع شقيقتها ربما وقتها فقط يسامح نفسه على ما كان ..

لهذا ما كاد يصل بها للفندق الذي حجز لها فيها غرفة حتى خاطبها بقوله :

_حاولي تنامي كويس النهارده عشان بكرة هيبقى يوم تاريخي .

فاغتصبت ابتسامة واهنة وهي تغادره ...

لتلتمع عيناه هو بغضب نما رويداً رويداً وهو يعيد تشغيل السيارة نحو وجهته التي يؤجلها منذ بضعة أيام ..وقد حان وقتها !

=======

_ياقوت مابقتش تيجي ليه ؟!

يسأله هيثم بتشتت وهو يشعر بفقدان التوازن في هذا العالم الغريب الذي لا يذكر عنه أي شيئ ..

ليرد إسلام باقتضاب:





_مسافرة يومين وهترجع ..هتكلمك بالليل .

كانا يجلسان معاً في غرفة هيثم ببيت والدهما ليتلفت هيثم حوله قائلاً بضيق:

_أنا حاسس إني في سجن ..ليه مش عايزينني أخرج ؟!

لكن إسلام يربت على كتفيه برفق قائلاً بإشفاق:

_دي أوامر الدكتور ..وبعدين حاول تفتكر ذكرياتك هنا الأول وبعدين نشوف حكاية خروجك دي .

فصمت هيثم قليلاٌ وهو يعاود التلفت حوله لعله يذكر أي شيئ لكن نظراته الخاوية عادت هباء ..

_هو بابا مات إزاي؟!

_حادثة عربية .

قالها إسلام متحكماً في نبرة صوته الكاذبة ومحاولاً كتمان الواقع المخزي إشفاقاً على أخيه ..

كان يعلم أنه سيعلم الحقيقة عاجلاً أو





آجلاً لكنه كان يؤخر هذا الثقل الجاثم على صدورهم جميعاً ..

_ماتفكرش كتير ..ريح عقلك واسمع كلام الدكتور ..

يقولها أخيراً بحزم حانٍ ليرمقه إسلام بنفس النظرة المشتتة قائلاً:

_عايز أشوف ياقوت ..برتاح في الكلام معاها .

هنا توجه إسلام ببصره نحو الباب حيث كانت والدته تقف ممتقعة الوجه ليرد بنبرة ضائقة :

_أكيد هاخلليك تكلمها ..احنا اخوات مالناش غير بعض !

عقدت جيلان حاجبيها بغضب مكتوم ليقف إسلام مخاطباً أخاه :

_حاول تسترخي خالص وما تفكرش كتير ..




زفر هيثم بحيرة وهو يراقب رحيل شقيقه لتزداد لمعة الفضول في عينيه وهو يرى النظرات المتشاحنة الغاضبة بين

إسلام وأمه ..

لهذا تتبعهما خلسة ليقف أعلى الدرج في ركن خفي فيأتيه صوت أمه الغاضب أسفل الدرج :

_هاتفضل مخاصمني كده كتير ؟!

_مخاصمني كلمة "شيك" قوي يا جيلان هانم مقارنة باللي حاسس بيه دلوقت .

انعقد حاجبا هيثم بالمزيد من الفضول خاصة عندما هتفت أمه بغطرسة :

_كل ده عشان الجربوعة اللي اسمها ياقوت دي ؟! عايزني أقبل ببساطة كده إنها تدخل البيت وسطك انت وأخوك كأنها واحدة مننا ؟!





_هي فعلاً مننا ..ولو مش هتدخل البيت ده هاشوف بيت يجمعنا كلنا وينفع هي تدخله .

_انت بتهددني يا ولد ؟!

تهتف بها بانفعال ليرد هو ببرود مصطنع:

_العفو يا جيلان هانم ..أنا بس بافكرك إني خلاص اتعودت ع العيشة لوحدي من غيركم ..لكن مش هاقبل أبداً إني أفرط في لحمي ودمي .

_ما تنرفزنيش وتقول لحمي ودمي ..دول ولاد خدامة ما يساووش حاجة !

تصرخ بها بجنون ليهدر بها بحدة مشابهة :

_بنت الخدامة اللي مش عاجباكي قلبها أكبر من قلبك اللي رضي تسجنيها ظلم في الوقت اللي هي فيه بتعمل جهدها عشان تعالج ابنك ..يبقى مين يسوى ومين ما يسواش !




تصمت جيلان وقد ألجمتها كلماته ليحمر وجهها بانفعال طاغٍ وهي تراها المرة الأولى التي يتجرأ فيها على إهانتها بهذا الشكل ..لكن إسلام لم ينتظر أكثر ليغادر تاركاً إياها خلفه تغلي غضباً ..وخزياً !

فيما ازداد انعقاد حاجبي هيثم وهو يشعر بالنفور ..

هم أخبروه أن ياقوت أخته غير الشقيقة ولديه واحدة أخرى لكنه لا يعرف المزيد من التفاصيل ..

لماذا فعلت بها أمه هذا ؟! لماذا تؤذيها إلى هذا الحد ؟!

مشهد غابر قديم يطفو لذاكرته أخيراً..

صورة بطاقة هوية يمسكها هو في يده





ذاهلاً ببيت قديم..

فتاة سمراء تبكي وهي تسحبها منه لتعدو على الدرج ..يلحق بها لكنها تختفي ..وخلفها ..تظهر شهد !

هذه الفتاة التي رآها في المشفى تزعم أنها حبيبته !!

صداع هائل يعصف برأسه فيكتم تأوهه وهو يعود إلى غرفته ..

مزيج من السعادة بأول مشهد يعود إليه من ذاكرته ..

والحيرة لأنه لا يذكر ملابساته ..

زفرة حارقة يصدرها وهو يتوجه نحو هاتفه الذي مسحت كل أرقامه ..من فعلها ؟! لاريب أنهم فعلوها ..لكن لماذا ؟!





لماذا لا يتركونه يتصل بأصدقائه لعلهم يمنحونه المزيد من المعلومات المساعدة ؟!

لا بأس ..هو حصل على رقم شهد في آخر مرة زارته في المشفى ..

اتصل بالرقم بأنامل مرتجفة وهو لا يدري ما الذي يريد أن يصل إليه ..

كل رؤاه مشوشة زائغة ..

كل عالمه غريب ..حتى أهله !

_هيثم !

صوتها المشبع بلهفتها العاشقة يرسم ابتسامة حقيقية على شفتيه وسط كل هذه الرمادية التي يحياها ..

_إزيك ؟!

يسألها بارتباك لترد بعفوية محببة :





_إزيك انت ؟! كويس ؟! أنا مش مصدقة إنك رجعت تكلمني !

يصمت قليلاً وهو لا يدري كيف يبدأ معها حواراً ..لكنها تعاود القول بنفس اللهفة العاطفية :

_اتكلم ..قول أي حاجة ..أنا سامعاك .

حرارة عاطفتها تصل قلبه صادقة رغم كل هذا الشتات الذي يدور فيه فتتسع ابتسامته وهو يقول بنفس الارتباك :

_أنا بزعجك ؟! ده وقت مناسب أكلمك ؟!

_أي وقت ليك مناسب ..ماتقلقش .

تصريحها المفتوح يثلج صدره فتهدأ أنفاسه قليلاً ليعاود القول بنفس النبرة المشتتة :

_أنا افتكرت ..حاجة .





لو كان بإمكانه أن يرى شحوب وجهها لحظتها لتملكه الإشفاق عليها ..خاصة عندما ارتجفت نبرتها :

_افتكرت إيه ؟!

روى لها تفاصيل المشهد الذي طفا لذاكرته فتنفست الصعداء ثم ترددت قليلاً لتخبره باقتضاب :

_يومها كنت معايا ..كانت أول مرة تكتشف بالصدفة إن عندك أخت لما شفنا بطاقتها واتأكدنا من الاسم .

هز رأسه باستغراب:

_صدفة ؟!

عاد ضميرها يخزها بالذنب وهي تكذب عليه للمرة الثانية لكنها كانت عاجزة عن منحه الحقيقة ..لهذا عادت تقول :





_ماتشغلش بالك بالقصة دي ..الموضوع معقد ..انت عارف الوضع بيبقى محرج لما الزوجة بتكتشف إن جوزها كان متجوز قبلها ومخلف كمان .

_بس ماما آذتها .

يقولها بتشتت وهو يحكي لها ما الذي سمعه بين إسلام وأمه لتشهق بانفعال هاتفة :

_سجنتها ؟!

_افتكر الموضوع ما طولش ..لأن إسلام

قاللي هتكلمني بالليل .

يقولها بنفس التشتت لتزفر بانفعال وهي تشعر بالخوف ..

جيلان هانم فعلت هذا بأختهما ..فما الذي قد تفعله بها هي ؟!




لكنها حاولت التحكم في توترها لتقول له مواسية :

_ما تضغطش على نفسك تعرف كل حاجة مرة واحدة ..خدها بالتدريج .

صوتها الرقيق الممتزج بعاطفتها التي يستشعرها صادقة يداعب قلبه فيبتسم وهو يقول بالمزيد من الارتباك :

_ممكن تحكيلي كمان عنك ..عننا ..يمكن أقدر أفتكر حاجة !

ولو يعلم أنها كانت أفضل لحظاتها عندما تتحدث معه عن ذكرياتهما ..

عن لقاءاتهما في الجامعة ..صباحاتهما التي تبدأ بتناول القهوة هناك ..ثم بعض الشطائر التي تحبها هي باردة ويحبها هو شديدة السخونة ..

فينتهي الأمر أن يتنازل كل منهما قليلاً ليصبرا بعض الوقت ويتناولاها "بين بين" ..





كأنما كان هذا عهد علاقتهما دوماً أن يقبلا التنازل كي يتقابلا في منتصف الطريق!!

_معلش ..هاضطر أقفل دلوقت عشان عندي معاد مع ماما عند الدكتور .

تقولها باعتذار رقيق ليجد نفسه يرد عفوياً:

_ماشي يا "سكر"!

تشحب ملامحها في مكانها وقلبها يخفق بجنون مع هذه اللفظة التحببية التي كان يخصها بها ..

جزء بداخلها يكاد يرقص فرحاً وهي تسمعه منه من جديد بهذا اللطف القديم ..

بينما يرتجف الجزء الآخر رعباً مخافة أن تعود له الذكرى ..بالذاكرة !!

_سكتتي ليه فجأة كده ؟!




يسألها بقلق ملاحظاً تلاحق أنفاسها اللاهثة عبر الهاتف لترد ببطء مرتبك امتزج بخجلها :

_أصل انت كنت دايماً بتقوللي يا "سكر" دي لما بتحب تصالحني .

_كنت بزعللك كتير ؟!

يسألها بنفس الارتباك وهو يحاول استعادة أي ذكرى أخرى ..

لترد بشجن لم يفهمه :

_كنت بتزعلني كتير بس كنت بتعرف تصالحني ..لكن أنا مازعلتكش غير مرة واحدة وماعرفتش وقتها أصالحك .

كلماتها على بساطتها تمس قلبه بشعور غريب ..لكنه صادق ..

هي تحبه حقاً ..روحه تستشعر هذا جلياً دون تدليس ..

لكنه لا يزال يشعر بحاجز غير مرئي بينهما ..





حاجز يختلف عما يشعر به مع إسلام أو

والدته أو أي ممن يفترض أن تجمعه بهم صلة ..

لا ..ليس فقدانه الذاكرة فحسب ..

هناك شيء آخر!!

روحه تعود للتحليق في سمائه الرمادية عظيمة الضباب ..

فيعود الصداع ليكتنف رأسه ..

لكنه يتشبث بآخر كلماتها ليسألها بإصرار:

_زعلتيني في إيه ؟! وليه ما رضتش أصالحك ؟!

لكنها تصمت قليلاً ليصله ردها المرتجف :

_بعدين نتكلم ..معلش ..مستعجلة .





تقولها لتغلق الاتصال بعدها بسرعة تاركة إياه يعود لدوامته ولايزال برأسه العديد من التساؤلات دون جواب .

=========

لم يكن مشهد خروجها من السجن أقل هيبة من مشهد ترحيلها إليه !

كانت تسير وسط جموع الناس مرفوعة الرأس تحتضن حفيدتيها بكلي ذراعيها وحولها تكبيرات الناس وهتافاتهم تحوطها كملكة منتصرة ..

"ثمر" لم يكن مجرد اسم ..بل حصاد !

حصاد تقوى وإيمان وتورع ..ورجاء ممن لا يخيب راجيه !

كان أول ما فعلته عند عودتها للقرية أن ذهبت تزور قبر ابنتها هناك ..





تتلمس بابه المغلق بأنامل برزت عروقها بكل قطرة دم نبضت قديماّ بالخزي ..والآن تنبض

بالعزة ..بنشوة القصاص!

وفي آخر اليوم الحافل الذي استسلمت فيه لجين للنوم مبكراً ..

كانت هي تختلي بياقوت فوق سطح البيت في جلستهما التي افتقدتها كلتاهما بنفس القدر ..

ياقوت تلقي رأسها في حجرها مستسلمة لرقيتها المعهودة ..

تتشبث بأناملها في جلبابها بقوة تتنشق فيه عبير أمان افتقدته ..

ولم تجده بعدها إلا في كنف رجل لم تعد تنتمي لعالمه !

_من امتى بتلبسي حلق يا دكتورة ؟!





تسألها ثمر بنبرة غامضة مشيرة لقرطها من الياقوت فارتجفت ابتسامة حفيدتها وهي تغمض عينيها بقوة ..

كانت تعلم أن ثمر لن تخفى عليها ملاحظة كهذه ..

لكنها لم تقوَ على خلعه من أذنيها ..

قرطه اخترق لحم أذنها ..كما اخترق هواه قلبها ..ولن يخرج أحدهما إلا مع آخر نفس تلفظه روحها !

_لو جاوبت هاكدب عليكي يا ستي ..وأنا مش عايزة أكدب !

الألم الذي يذبح حروفها وجد صداه في قلب العجوز التي حاوطت رأسها في حجرها بذراعيها كأنها تحميها ..





لتردف ياقوت وهي تجد الجرأة أخيراً لتفتح عينيها مردفة :

_كل اللي عايزاكي تبقي متأكدة منه إن بناتك حافظين العهد اللي بينهم وبينك ..راسك هيفضل دايماً مرفوع ..وديل توبنا هيفضل طاهر.

هزت ثمر رأسها للحظات وقد أنبأتها حكمتها ألا تضع الفتاة تحت مزيد من الضغوط ..

فأصدرت همهمة خافتة وهي ترفع وجهها للسماء للحظات سبقت قولها :

_اسمه زين الفايد ؟!

انتفضت ياقوت مكانها وهي تسمع الاسم منها لتنهض من رقدتها فتقابلها بملامح شاحبة ..

هي لم تذكر اسم زين أمام جدتها مكتفية فقط بشرح الظروف حوله ..كيف عرفته ؟!





_مأمور السجن قاللي آخر يوم على اسمه ..

قاللي إنه هو اللي موصي عليّ هناك ..هو وضابط تاني اسمه ناصر بيقولوا صاحب ابن حسين رجائي .

اعتدلت ياقوت في جلستها لتطرق برأسها متجاهلة شطر الحديث الأول

ومتشبثة بالثاني:

_إسلام فعلاً طلع جدع قوي ..وقف جنبنا كتير الأيام اللي فاتت ..ووصى صاحبه عليكِ ..وكمان هيفتح معايا المشروع اللي كلمتك عليه .

لكن محاولتها لم تنطلِ على العجوز التي غمغمت بحزم أكبر:

_وزين ده بقا الجدع بتاع مصر اللي بتعالجي أخته ؟!

_ماكسرتش كلمتك يا ستي ..يعلم ربنا بيته ده ما عتبتوش بعد ما أمرتيني ..أنا لسه بعالج أخته فعلاً بس ..مش في بيته !





قالتها لتعطي ثمر ما يكفيها من التفاصيل بشأن رائد وهمسة محتفظة بسر زواجها من زين لنفسها فلم تشأ فضح لجين على أي

حال ..

_ماقدرتش أخذل حالة ربنا جعلني سبب في شفاها ..وكده كده هي بقت بعيد عنه ومبسوطة في بيت جوزها .

ختمت بها حديثها وهي تجاهد كي تخفي ارتجافة أناملها لتتفحصها ثمر طويلاً قبل أن تقول بنفس الغموض:

_يعني هو حفظ جميلك في أخته ورده فيّ أنا ؟!

واجب نتشكره بقا !





_شُكْرِنا إننا نكمل مشوارنا مع أخته لحد ما تخف خالص ..ساعتها كل واحد هيروح لحاله والوشوش مش هتتقابل تاني !

دموعها امتزجت بحروفها في خليط قبض قلب العجوز خاصة عندما عادت تنهار بين ذراعيها في عناق ملهوف يليق بكلماتها :

_وحشتيني قوي يا ستي ..كنت ضايعة من غيرك ..ضايعة حتى من نفسي ..ادعيلي أرجع لها بقا ..خايفة ..خايفة قوي مااعرفش أرجع .

جسدها ينتفض برعشة بكائها فتضمها العجوز بقوة وحاجباها ينعقدان بقلق ..لم ترها يوماً بهذا الحال !!

_لسه قلبك رايده وموجوع بيه ؟!





تقولها ثمر بما هو أقرب للجواب منه للسؤال ..
فتنفرج شفتا ياقوت بجواب على حافة الكذب ..

لكنها تعود لتطبقهما بقوة مع زخة أخرى من الدموع جعلت ثمر تصدر همهمة أخرى سبقت قولها :

_واللا بلاش السؤال ده كمان عشان ما تكدبيش ؟!

أصدرت ياقوت آهة عالية دفنتها في كتف العجوز الذي مرغت فيه وجهها..

لتحوقل الأخيرة بصوت مسموع قبل أن تبعدها لتحيط وجهها بأناملها قائلة بصوتها المهيب :

_الراجل اللي ينزل دموع عينك ما يستاهلكيش ..ربنا بيقلب القلوب وحكمه فيها مالناش فيه ..لكن صوت العقل ده بتاعنا احنا ..والعقل بيقول : الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح ..




عضت ياقوت شفتها بألم لتردف ثمر بنفس النبرة :

_العقل بيقول إن المية والزيت ما بيختلطوش ..وإنك بعد الشقا ده كله عايزة واحد يرفع راسك وسط الخلق ..يمشي إيدك في إيده ومش مستعر منك ..حد يشوف قلبك قبل وشك ..يحس بروحك قبل جسمك ..مايهموش ماضيك ولا اسمك ..انتِ بس اللي تهميه ..زين ده بقا هيعمل كده ؟!

تسبل ياقوت جفنيها بالمزيد من الوجع فتتنهد ثمر قائلة :

_ده استعر من أخته اللي من دمه وحبسها طول السنين دي في أوضة بره بيته..مستنياه ييجي ويرفع راسك انتِ؟!

ابتسامة ساخرة منغمسة بالمرارة تجتاح شفتي ياقوت التي هزت رأسها متمتمة بوهن :




_ماعدتش مستنية حاجة يا
ستي ..خلاص ..ماعدتش مستنية حاجة .

_تبقي مش بنتي !

تهتف بها ثمر بعنفوان وهي تهز جسد ياقوت
المرتجف بين ذراعيها بقوة فتية ناسبت حروفها :

_أنا ماربتكيش عشان تقعي في نص الطريق ..بنت
ثمر كيف النخلة واقفة مكانها ما
بتتزعزعش ..تميل مع الريح بس ما
تقعش ..يحدفوها بالطوبماينزلش منها غير
الرُّطَب ..وجذعها ناشف يخربش أي إيد طرية لو
اتسجرت تهوب ناحيته ..فوقي يا دكتورة ..ما
تحسسنيش إن العمر اللي فات ده ضيعته هدر .

وكأنما هذه الكلمات هي ما كانت تحتاجه ياقوت
الآن بالضبط كي تنهض من هذه العثرة ..

كي تنفض عنها رداء خنوعها لتعود لها قوتها من
جديد ..




نظراتها تعود للتوهج بتلك الطريقة التي جعلت ثمر
تبتسم ابتسامة واهنة عبر أسنانها المكسورة
شاعرة بهذا التغيير ..

لتتجاوز هذا الأمر متعمدة وتغير الحديث

لآخر:

_بتقولي طلع لكم بدل

الأخ اتنين ..حلو ..فضل ونعمة من الكريم ..المركز
اللي بتقولي عليه ده فرصة ما
تضيعيهاش ..اشتغلي بإيديكي وسنانك واحفري في
الصخر لحد ما تخللي الناس مش فاكرة غير اسمك
انتِ وبس من غير كمالة ..ياقوت وبس!

بدا لها كلامها شبيهاً بكلام قاله لها زين
يوماً ..ياالله !!

الذكرى تبدو وكأنها منذ أعواااام !!





لكنها نفضت الخاطر الأخير بنفس قوتها المستعادة لتجفف دموعها بنفسها وهي تومئ برأسها هامسة :

_معك حق يا ستنا .

ابتسمت لها العجوز بحنان وهي تضم رأسها لصدرها هامسة :

_ربنا هيراضيكم يا بنات قلبي ..مستبشرة خير في وجه الكريم ..

ثم أبعدتها قليلاً مردفة :

_قومي بقا الحقي نامي لك ساعتين وهاصحيكي انتِ وأختك على

صلاة الفجر ..عايزين نخبز "قبابير بالسكر" ونوزعها ع البلد كلها حلاوة خروجي م السجن وشكر لكرم ربنا اللي محاوطنا بستره .





ابتسمت ياقوت مع إيماءة طاعة وهي تنهض من جوارها لتتوجه نحو غرفتها لتستوقفها عبارة ثمر خلفها:

_كمللي علاج أخته زي ما انتِ عايزة ..بس ماتخلليش رجلك تغرز أكتر في طين أرض مش بتاعتها .

فتنهدت ياقوت بحرارة لتعود لغرفتها

فتستلقي على فراشها ..

تراقب السقف بشرود ..

قلبها يتمرغ في نعيم ذكرياتها العامرة معه ..

وعقلها يتشبث بحبال حديث ثمر باستماتة ..

وبينهما هي عالقة وسط جنة ونار!

صوت رسالة على هاتفها يجعلها تنتفض مكانها وهي تستشعر بحدسها أنه هو مرسلها ..





_أصريت أخرج من المستشفى النهارده عشان مافوتش موقف زي ده وأكون جنبك فيه ..

تتسع عيناها بصدمة وهي تشاهد الفيديو الذي أرسله لها بعدها ..

فيديو يصور لحظة خروج ثمر واستقبال الجميع لها ..

ثم مجموعة من الصور لها هي !!

صورة خلف صورة بنفس المشهد ..

عناقها الأول لثمر فور لقائهما بعد خروجها!!

ظل يرسل الصورة الأخيرة لها مرة تلو مرة كأنما يخبرها -دون كلام- في كل مرة أنه "يشتاق" منها عناقاً كهذا ..

أنه "يغار" من عناق كهذا ..

أنه "تغير" يوماً بعناق كهذا ..

وأنه س"يعيش" لأجل عناق كهذا !!

مرة تلو مرة حتى لم تعد تدرك كم أرسلها ..

عشرين ..ثلاثين ..خمسين ..مائة مرة !!

وفي كل مرة كانت تستشعر أنها تقترب منه أكثر ..

تستعيد رائحة عطره ..شعورها بصلابة صدره ..

صوت هدير قلبه ..ملمس ذقنه الخشنة الذي يناقض نعومة لمساته ..

أجل ..الآن كانت تعانقه رغم كل هذا البعد ..

العناق "الرابع عشر" الذي لم يكن مرئياً بقدر ما تشعره محسوساً ..

وكيف لا ؟!

وهو يرج قلبها رجاً بهذا "الزلزال الآمن" بين وعد ..ووعيد !!

بنكهة "الحرمان" هذه المرة ..





بلسعة برد ترجف جسداً لم يجد دفئه
إلا معه ..

بماذا ترد ؟!

هل ترجوه أن يتوقف ..أن يرحم هذا الضعف الذي
لا ترتضيه امرأة مثلها ؟!

أم تهمس له فقط أن :عُدْ!

وهي تعلم أنها لو فعلتها فستجده هاهنا أمام بيتها !

لكن ..كم سيبقى بعدها قبل أن يفطن لخطئه ويعود
لطريقه ؟!

لا فائدة يا وردية الحلم ..

يا سوداء الماضي ..

يا ذهبية التاج بالكبرياء ..

حب كهذا نكرمه بأن نورده لحْده ..ثم ندفنه
بهدوء !





لهذا أغلقت هاتفها بعدها بحسم لتضعه تحت وسادتها ..

متجاهلة عينين خائنتين نامتا على صورته ..وقلباً جعله -كعهده - بطل أحلامه !

======

_اعجني حلو يا بت ..أعصابك سايبة كده ليه ؟!

تهتف بها ثمر وهي تخاطب لجين ثم تلتفت نحو ياقوت مردفة :

_ما تحميش الفرن قوي .

تبتسم ياقوت وهي تأخذ مكانها وسطهن لتهتف رابحة بفضولها المعهود :

_احكي لنا ع السجن يا ستنا ..زي ما بنشوفه في التلفزيون !





لكزتها لجين في خاصرتها لكن ثمر رمقت ياقوت بنظرة خاصة وهي تكور قطعة العجين على راحتها المفرودة :

_سجني كان خمس نجوم زي ما بيقولوا في التلفزيون...البركة في اللي كان موصي عليّ .

_مين يا ستنا؟!

_بطّلي رغي يا بت وإلا هارجعك لأمك .

تهتف بها ثمر مخاطبة رابحة التي ضحكت ملء شدقيها هاتفة :

_فرحتي برجعتك وسطينا ما تتوصفش ..أمي بتقول جميلك هيفضل في رقبتنا العمر كله .

_إياك بس تركزي كده وتبطلي تنطيط وتسيبي المخروب اللي واكل دماغك ده .

قالتها ثمر ملاحظة بارتياح أن صغر سن الفتاة جعلها تتجاوز الكارثة التي كانت على وشك الحدوث لها لتحمد الله سراً ..





قبل أن تراقب بأسى شرود ياقوت التي بدت غائبة عن عالمهم كله ..

_هاتي يا مايلة ..هتبوظي العجين .

هتفت بها ثمر مخاطبة رابحة التي تذمرت وهي تطلب منها فرصة ثانية لكن ثمر هتفت فيهن بنبرتها الآمرة :

_قوموا كلكم خلاص ..مش عايزة حد يساعدني ..نضفوا الدار أكيد هيجيلنا ناس ياما النهاردة .

هرولت لجين مع رابحة تنفذان أمرها فيما تلكأت ياقوت قليلاً لتقول بصوت متحشرج :

_بعد إذنك يا ستي ..عايزة أروح شوية عند الساقية القديمة .

_تاني يا بنت أشواق؟!





تقولها باستنكار حنون لكن ياقوت تبتسم ابتسامة شاحبة وهي تكتف ساعديها مطرقة برأسها:

_دي آخر مرة يا ستي .

ترمقها ثمر بنظرة متفحصة وهي تشعر

بالمزيد من الغرابة ..

تعرف كم ترتبط هذه الساقية القديمة لدى ياقوت بذكرى أمها الراحلة ..

لكن لماذا تصف زيارتها لها هذه المرة

بالأخيرة ؟!

لكنها استسلمت لتعقلها المعهود محتفظة لها بحريتها كما عودتها لتشير لها بكفها في إشارة مقتضبة .

وعند الساقية القديمة وقفت ياقوت تراقب طلوع الشمس بعينين ضارعتين ..





لم ترتدِ جلباب أمها هذه المرة كأنما أيقنت أنها أبداً ..أبداً لن تكون مثلها ..

لم تعد بحاجة لما يذكرها بالجرح القديم كي لا تزل قدمها ..

هي عرفت بالطريقة الأقسى أنها لن تكون أشواق أخرى !

_لو اللي حصللي ليلتها تمن إننا ندفن ذكرى بشعة زي دي ..زي ما دفننا العشرة جنيه ..فأنا راضي !

تسمعها بصوته الآسر كما كانت بين ذراعيه في آخر عناق لها فترتسم على شفتيها ابتسامة ..

ابتسامة تقدسه ..وتلعنه !!

ما كان أغناها عن كل هذا الجحيم الذي ألقاها فيه دون ذنب منها !!

ما كان أغناها عن رجل يدخل حياتها ليغرس علمه فوق أراضيها ثم يرحل زاعماً أنه يمنحها حريتها ..





أي حرية تمنح لعاشق تلون عالمه بصبغة معشوقه
فما ترك خلفه مكاناً للون آخر ؟!!

_كنت حاسس إني هلاقيكِ هنا !

والهتاف يأتيها من خلفها لينتزعها من شرودها
فتلتفت لتتجمد ملامحها بصدمة..

وتبدأ المواجهة !

=========

القطعة السابعة عشرة



_صباح الخير يا دكتور .

تقولها ياقوت بنبرة حاولت أن تكون متماسكة وهي تميز ملامح يامن التي امتزج إشفاقها بغضبها خاصة مع وجود ياسمين جواره ..

والتي اندفعت نحوها لتضمها بقوة هاتفة بود حقيقي:

_حمداً لله على سلامتك يا ياقوت ..من يوم اللي حصل واحنا مش عارفين نقابلك ..ولما عرفنا إن الحاجة خرجت بالسلامة قلنا نيجي لك هنا .

_أنا كويسة قوي الحمدلله .

تقولها باعتدادها المعهود محاولة دفع هذا الحرج الذي تشعر به ..كلهم الآن يعلمون عن علاقتها بزين ..يعلمون في أي وضع كانا عندما جرحته في عنقه ..

ياللخزي!





_ليه ما قلتليش الحقيقة ؟!

يهتف بها يامن بحدة فتحركت ياسمين لتقف جواره ثم أمسكت ذراعه بحركة مهدئة ..

بينما ياقوت تحاول استعادة قناع مهنيتها وسط هذه الظروف :

_حقيقة إيه ؟!

_إن الحيوان ده كان بيهددك بأختك عشان يوصل لياسمين ؟!

يهدر بها يامن بنفس الحدة لتغمض ياقوت عينيها بقوة بينما ياسمين تحاول تلطيف الأجواء:

_رائد قال ليامن على كل حاجة ..بس احنا عايزين نسمع الحقيقة منك .

لكن ياقوت أخذت نفساً عميقاً لتفتح عينيها أخيراً مخاطبة يامن بنبرتها المعتدة :





_الموضوع ده ماعادش يخصك ولا ياسمين بأي حاجة ..بقا يخصني أنا وأختي ..وكتر الكلام فيه هيجيب شوشرة احنا في غنى عنها .

_يعني إيه يخصك والندل ده بيأذيكي بسببي؟!هو فاكر إن ماوراكيش حد ؟!

_هو خلاص ..طلقني !

تقولها بنفس النبرة القوية التي يشهد الله كم جاهدت لتكون بهذا الهدوء ..

ليتجمد يامن من المفاجأة للحظات قبل أن يتبادل مع ياسمين نظرات دهشة سبقت قوله المتشكك:

_بالسهولة دي؟!

_بتثق فيّ يا دكتور ؟!





تسأله بنبرتها المعتدة ليرد بفظاظته المعهودة :

_يتهيالي عدينا السؤال ده من زمان .

هنا تقدمت منه ياقوت خطوة لتعقد ساعديها مردفة بنبرة عملية لاتزال تجيد بها فصل مشاعرها الشخصية :

_شخصية زين مش وحشة زي ما انت فاهم ..بني آدم له ميزات وعيوب .

_دي مصايب مش عيوب!

يهدر بها بانفعال ملوحاً بكفه لترد ياقوت بنفس التماسك العملي:

_راجل سوق ..اتعود يلف ويدور حوالين اللي هو عايزه ..بس لما اتأكد إن ياسمين سعيدة معاك خلاص بعِد عنها نهائي .

لكنه بدا غير مقتنع وهو يهتف بها بانفعال:

_امال اللي حصل ليلتها ..





_اللي حصل ليلتها يخصني لوحدي ..وأنا مش حابة حياتي الخاصة تبقى مشاع !

تقولها بصرامة معتدة مقاطعة سؤاله ليزفر بحنق بينما ياسمين تراقبهما صامتة محاولة ربط الخيوط لتقول أخيراً بود لا تدعيه :

_احنا مش عايزين نتدخل في حياتك الخاصة ..احنا بس عايزين نطمن عليكِ .

فارتجفت ابتسامة ياقوت مع دموعها التي عادت تتكدس في عينيها لكنها شددت ضغط ذراعيها حولها لترد :

_اطمنوا ..أنا كويسة جداً ..والموضوع ده خلص ..نهائي!

فتقدم منها يامن خطوة ليقول بحمائيته المعهودة :

_ماشي ..هاصدقك إنه خلص ..بس لو رجع الندل ده يضايقك ...





_زين مش ندل !

تقاطعه بها بحمائيتها هي الأخرى لمعشوق روحها ..

فأجفل يامن للحظة قبل أن يعود لنبرتها بعض الهدوء:

_انت مصرّ تدخلني في تفاصيل شخصية ..بس ماشي ..زين وقف جنبي في مواقف كتير مكنتش هعديها من غيره ..الحقيقة غير ما هي باينة لك .

_إيه طلع ملاك وأنا مش واخد بالي؟!

يهتف بها بفظاظته الخشنة لترد بنفس الابتسامة المرتجفة :

_مفيش بيننا ملايكة ولا شياطين يا دكتور ..بس كلنا محطات في حياة بعض ..ومحطته كانت مهمة قوي في حياتي .





تحشرج صوتها في عبارتها الأخيرة واشياً برغبتها في البكاء..

لتتسع عينا يامن وهو يحاول تكذيب هذه

الإشارات التي تصله منها ..

هل أحبته ؟!

وهو الذي ظنها عاقلة ؟!

_عموماً أنا مش محتاج أفكرك إني جنبك لو احتجتيني في أي وقت .

هذا العرض الذي كان ظاهره الفظاظة بينما تعلم هي أي حنان حمائي يخفيه في باطنه...

لهذا اتسعت ابتسامتها المرتجفة وهي ترمقه بنظرة ممتنة ..

ليتنحنح هو مخاطباً ياسمين بقوله :

_ياللا عشان ما نتأخرش على عمي ..مش هايفطروا من غيرنا .





منحته ياسمين إيماءة موافقة ثم مالت على ياقوت تصافحها لتهمس في أذنها -خفية-بخفوت شديد :

_فاكرة لما قلت لك زين لما يحب هيتجنن ؟!

ارتجف جسد ياقوت وهي تفهم ما تعنيه..

لتزداد كثافة الدموع في عينيها فعادت ياسمين لمواجهتها بهزة رأس ذات مغزى كأنما تمنحها تقريراً غير منطوق ..

لكنها -ياقوت- أشاحت بوجهها هاربة من فيض المشاعر الذي يكتسحها الآن بجنون ..

ليجذب يامن ياسمين من كفها في طريقهما للمغادرة ..

لكن وجه ياقوت "الطبيبة" يعاود رسم ألوانه فتستوقفه بندائها فجأة ..





قبل أن تشير للشمس التي قطعت شوطاً طويلاً في رحلة شروقها خلفها قائلة بنبرتها المهنية :

_انت اتعودت تيجي هنا عند الساقية ساعة العصاري وقت الغروب ..المرة دي مختلفة ..زي ما كل حاجة بقت مختلفة ..ياريتك تفهم ده كويس.

ظل يتفرس فيها للحظات كأنه يتدبر هذا المعنى الذي تريد الإيحاء له به ..

قبل أن تشق ابتسامة واهنة شفتيه مع المغزى الذي وصله من عبارتها ..

حقاً ..

فارق كبير بين الغروب القديم ..

وهذا الشروق الذي يظللهم -جميعاً- الآن بدفء وعوده ..

==========

_أنت تعرف ياقوت حفيدة الحاجة ثمر ؟! رأيتكما واقفيْن معها ؟!





يسأله عابد باهتمام وهو ينتحي به جانباً مع ياسمين التي سألته بدهشة :

_وانت عرفت ياقوت منين ؟! وتهمك في إيه ؟!

فابتسم ليقول بحسم :

_أريد خطبة شقيقتها !

ألجمتهما المفاجأة للحظات قبل أن يتبادلا النظر ونفس الخاطر يراودهما ..

مرض لجين بالسرقة !!

_ما الأمر؟! لماذا لا تبدوان مرحبين ؟!

يسألهما بقلق ليرد يامن ببعض الحرج:

_الحاجة ثمر سمعتها هنا زي الدهب وأي حد يتمنى يناسبها طبعاً ..بس ..اشمعنا لجين مش ياقوت مثلاً ؟!





لكن عابد بسط كفيه ليقول بهدوء:

_رأيتها ..أعجبتني ..واستخرت الله لأجدني مستريحاً لخطبتها ..كنت أنتظر فقط خروج الحاجة ثمر كي أفاتحها في الأمر .

عاد يامن يتبادل مع ياسمين نظرات قلقة لكن الأخيرة حسمت ترددها لتسأله :

_انت مصرّ فعلاً يعني عليها هي بالذات ؟!

_نعم ..هي بالذات .

قالها بحسم لتتحفز وقفتها فرمقها يامن بنظرة محذرة لكنها عادت تقول بانفعال:

_طيب ..انت شيخ وعارف ربنا ..هاقوللك حاجة بس تحلف إن مفيش حد يعرفها غيرك ..أنا بقولهالك بس عشان تصرف نظر عن الجوازة دي .




مط يامن شفتيه باستياء مشيحاً بوجهه ..

لكنها وجدت واجبها كأخته أن تحذره من مرض لجين ..

لهذا كانت صدمتها كبيرة عندما أطرق برأسه للحظات سبقت قوله بعدها وهو يرفعه بحسم :

_أنا أعرف عن هذا الأمر ..ولازلت مصراً على خطبتها .

_عارف؟!

هتف بها يامن وياسمين بنفس اللحظة ليهز عابد رأسه بنفس الحسم وهو يرفع كفه في مواجهتهما:

_لا مزيد من التفاصيل! ..هو مرض كغيره يستجيب للعلاج ..أنا قرأت عن الأمر كثيراً واستشرت بعض الأطباء واطمأن قلبي لخطبتها .




_معقول يا عابد ؟! الموضوع ده مفيهوش هزار ..أنا معنديش تحفظ على البنت نفسها ..بس انت مستعد تدخل تجربة شائكة زي دي ؟! الفروق بينكم مش مادية وبس ..انت عارف إنها أكبر منك في السن؟!

تقولها ياسمين بتوجس من مستقبل هذه العلاقة التي تراها غريبة تماماً وغير منطقية ..

ليرد عابد بملامح سمحة :

_أعلم ..لكنني أشعر بارتياح كبير لهذا الأمر ..وأنا اعتدت الثقة في قلبي .

فعادت تتبادل مع يامن نظرات قلقة للحظات قبل أن يتقدم الأخير منه لتنشق شفتاه عن ابتسامة واسعة وهو يشد بقبضته على كتفه قائلاً:

_مبروك يا "أبو نسب".

ضحك عابد قائلاً:




_لا تبارك قبل أن توافق الحاجة ثمر أولاً ..لقد أرسلت لأمي أخبرها عن الأمر كي تأتي معي .

فهزت ياسمين رأسها قائلة باعتراض:

_والدتك مش هتوافق يا عابد ..أنا فاهمة دماغها كويس ..حتى لو ماعرفتش تعب لجين .

لكن عابد عاد يقول بيقين :

_يدبرها مقلب القلوب كيف يشاء .

فضحك يامن وهو يعاود التربيت على كتفه هاتفاً بمرحه المعهود :

_اتجوزها يابني ده كفاية أختها شقراط ..وأهه نضمن نتعالج ببلاش كلنا ..حد طايل في الزمان ده يناسب دكتور نفسي ؟!

=======





يصعد سيف الدرج نحو شقة قريبة آنجيل بخطوات متثاقلة كأنما يريد معها تأجيل قراره ..

لا يزال عالقاً بين ذنب قديم يريد تكفيره بأي صورة ..

وبين غد يفتح له ذراعيه في رحاب امرأة تتملك قلبه كل يوم أكثر من سابقه ..

امرأة منحته دليل عاطفتها في آخر مرة التقته فيها ..

لكنه لايزال عاجزاً عن الرد !!

يرفع أنامله ليطرق الباب لكنه يوقفها مكانها ..

لقد أتى الليلة يخبرها أنه يعد العدة ليتزوجا غداً ..

يعلم أنه غاب عنها طويلاً الأيام الماضية لكن التردد كان سيد قراره ..

والآن جاء يحسم الأمر لصالح "الذنب القديم"!!





الوقت متأخر نوعاً ليلاً ولم يسبق له زيارتها في وقت كهذا ..

لكنه يكاد يجن من فرط هذا الصراع الذي يعيشه ..

ويريد حسمه الآن بأي صورة !

أنامله التي توقفت في طريقها لا تزال عاجزة عن الطرق ..

بينما كفه الآخر يخونه ليتحسس ميدالية غادة في جيبه ..

بل يعتصرها اعتصاراً كأنما يتشبث بها رغم البعد !!

وشتان الآن بين كف وكف !!

كف واهن متردد يعده بالراحة من الوزر القديم ..

وكف قوي واثق يستصرخه النجاة بما بقي من العمر ..





يخبط رأسه برفق على الباب أمامه تتنازعه صورتان ..

صورة آنجيل الشاحبة تتسرب من بين ذراعيه بنظرتها العاتبة ..

وصورة غادة بفتنتها المعهودة تبتسم له بحب..

ورغماً عنه يتخاذل الكف الأول المرفوع رويداً رويداً ليسقط جواره بينما يزداد الثاني اعتصاراً للميدالية في جيبه ..

يرفع رأسه عن الباب يرمقه بنظرة آسفة مدركاً أنه لايزال عاجزاً عن فعلها ..

يتراجع بظهره ليهبط الدرج شاعراً بالسخط من نفسه وهو لايزال مطوقاّ..

مكبلاً ..

كأنما قدره أن يحرم قلبه السعادة ..

ومن يدري ..ربما لا يستحقها رجل مثله يحمل هذا الذنب على كاهله ..





_وقف عندك... ما بينفع تطلع معي لفوق

ما بيكفي انك ركبت راسك وجيت لهون؟!

يسمعها بصوت قريبة انجيل ذي اللكنة المميزة فيمد رأسه عبر الطابق الأول الذي يفصله عن قاع الدرج ليجدها هناك تحدث أحدهم ..

أليس هذا هو "البلطجي" الذي زعمت أنه يغازلها وكاد يقتحم شقتها طالبة منه هو أن يتزوجها -صورياً- ليحميها منه ؟!

_اشتقتلك يا حلوي!

يهتف بها الرجل الضخم الذي يرافقها وهو يحاول إحاطتها بذراعيه لتدفعه بدلال وهي تتلفت حولها :

_لك اهدى وروق يا مجنون.. ما قلنا نصبر شوي لبين ما تستوي الطبخة.





_ما عاد فيي اصبر .

يهتف بها بالمزيد من اللهفة ويداه تتجرآن أكثر فوق جسدها الذي كشفه ثوبها بسخاء يراه سيف لأول مرة سافراً هكذا ..

هل كانت تتصنع ستر ثيابها أمامه هو؟!

_لو رضيت انك تتزوجني وتكتب ابننا باسمك ما كنت اضطريت اعمل هالتمثيلية على الاجدب التاني.. بس شو اقول وشو احكي ؟! .. جبان وخايف من ولية نعمتك التانيي!

_ايييي...ما تذكريني بالبومة هي؟! هاي لو شمت ريحة خبر اني بعرفك رح تطلع روحي!





تمط شفتيها باستياء وهي تستمع لرده السابق فتعطيه ظهرها هاتفة :

_رجّال ما بتجي الا بالعين الحمرا..وانا لاني طيبِة يضيع حقي.

تقولها بغنج مثير ليلصقها الرجل بالحائط القريب مستغلاً ظلمة المكان النسبية لتعيث أنامله فساداً فوق جسدها :

_مانك سهلِة أبدا .. بتعرفي طريقتك هي شو بتساوي فيني..بحبك كتير ..

_وانا ما بحب غيرك.. بس نصبر شوي لحتى تم هالزيجة وبعدا نشوف.

_ما بتحمل حدا غيري يلمسك.

_بس مرة وحدي ليصدق ان الولد يلي ببطني منه هوي وبعدا بوعدك ما رح كون غير لإلك وحدك!





يشعر سيف بالدم يغلي في عروقه وهو يفاجأ بالمشهد الصادم ..

كانت تخدعه !!

تستغل عقدة ذنبه بهذه الحقارة كي تداري عهرها !!!

لم يشعر بنفسه وهو يهبط الدرج بخطوات راكضة ليجذب الرجل الضخم أمامها فيلكمه في أنفه بعنف قبل أن يطرحه أرضاً ليجثم فوقه مفرغاً فيه شحنات غضبه كلها ..

_اتركه يا سيف هوي خلاص ما عاد رح يضايقتي ..شفت بعينك كيف عم يتهجم عليي ..شفت اننا لازم نتزوج كرمال تحميني!





تقولها مستمرة في تمثيليتها لكنه ينتهي من الرجل الذي أفقده وعيه تقريباّ..

لينهض مواجهاّ إياها ..

يمد أنامله نحو زر الإضاءة الذي وجده قريباً ليشعله ..

فيرى وجهها بهذا الوضوح كما لم يره من قبل ..

عاهرة !!

كاد يسلم اسمه لعاهرة !!

هل هذا ما كان سيقوده إليه قيد الذنب القديم !!

_أنا سمعت كلامكم ..وعرفت حقيقتك !

يقولها وسط أنفاسه اللاهثة وجسده يرتجف غضباً ..

لتصرخ وهي تغطي وجهها هاتفة بمسكنة :

_بس افهم مني الحقيقة ..ما تئذيني بس اسمع مني.





لكنه لا يملك إلا أن يبصق في وجهها قبل أن يتمالك نفسه ليمنع نفسه بالكاد من صفعها ..

خطواته تتعثر بعدها وهو لا يدري أين يذهب ..

الغضب المشتعل بداخله يعوي كذئب جائع يقتات على كرامته الذبيحة ..

مغفل !!

هكذا وصفته تلك المرأة ليدرك أنه حقاً كذلك !!

كيف أعمته عقدته إلى هذا الحد ؟!

كيف لم يلحظ خبثها وسط الإشارات التي كان يمنحها له علاء فلم يصدقها ؟!

كيف كان هكذا فريسة سهلة لوحش "ذنب الماضي" يقتات عليه حتى كاد يقتله ؟!

لم يدر كيف انقضى الليل وهو يجوب الشوارع يقود سيارته كالمجنون ..





لم تصدمه بشاعة المرأة بقدر ما صدمه رأيها فيه ..

والذي يراه هو نفسه الآن !!

مغفل!!

غبي!!

يضرب بقبضته على المقود للحظات ..

قبل أن يجد نفسه يهرع للمكان الأخير الذي يمكن أن يحتويه الآن ..

"قبر آنجيل"!!

هذا الذي ركع أمامه على ركبتيه ليهمس لها كأنما تسمعه :

_أنا آسف ..عارف إنها كلمة مش هترجع اللي كان ..بس خلاص ..ماعدتش قادر أعيش شايل ذنبك أكتر من كده ..أنا كنت مستعد عشان خاطرك أضحي بعمري ..وبالانسانة الوحيدة اللي حبيتها




بعدك ..بس دلوقت بس فهمت ..ان ده ماكانش هيبقى الدرس اللي المفروض أتعلمه ..وان الدرس اللي بجد ..اني ماافرطش في حد حبني وحبيته ..مش هاغلط الغلطة دي تاني يا انجي..هارجع لغادة ..هاحبها الحب اللي ماقدرتش احبهولك ..هاديلها الأمان اللي ماقدرتش اديهولك ..يمكن لو شفت في عينيها الفرحة اللي ماشفتهاش في عينيكي ..ساعتها بس اقدر اسامح نفسي !

عيناه تدمعان بقوة فيقبض كفيه وهو يطرق برأسه ليدعو لآنجيل صامتاً ..

قبل أن يغادر القبر بخطوات متثاقلة نحو وجهته الأخيرة ..

"البازار"!




ولم يكد علاء يلمحه بهيئته المشعثة وملامحه الدامية بعد عراكه مع الرجل بالأمس حتى هب مكانه هاتفاً بجزع:

_سيف! إيه اللي حصل ياابني ؟!

لكنه تقدم ليتهاوى جالساً على المقعد أمامه ..مغمضاً عينيه ليقول بنبرة منهكة :

_أنا هارجع معاكم مصر خلاص ..

ثم ارتجفت شفتاه بشبه ابتسامة وهو يستعيد طيف غادة الفاتن متحسساً ميداليتها في جيبه ليردف بنبرة وجدت راحتها أخيراً :

_هارجع لغادة .

======

في شقة بيللا يجلس مروان ينتظر داليا التي خرجت إليه هاتفة بنزقها المعهود :

_اتأخرت عليك ؟! معلش ..هالبس الشوز بس !





قالتها وهي تتقافز على ساق واحدة ارتدت فردة حذائها بينما تحشر قدمها في الثانية ليبتسم وهو يفتح لها ذراعيه :

_طب سلمي عليّ الأول !

اندفعت كعاصفة بين ذراعيه لتغرق وجهه بقبلاتها السريعة هاتفة :

_أهه سلمت ..يالا بقا عشان نلحق ..لازم ألف المحلات كلها وأختار أحسن فستان .

_مش عارفة ليه مش عايزة نبعت نجيبه من بره ..دي السنة دي باريس منزلة موديلات تهبل !

قالتها بيلا وهي تنضم إليهما مصافحة مروان لتهتف داليا باعتراض:





_مالهاش لزوم المصاريف الكتير ..احنا أولى بيها ..

ثم عقدت ساعديها بدلال حول عنق مروان مردفة :

_وبعدين أنا كده كده هابقى أحلى عروسة في أي فستان ..صح يا مروان ؟!

_طبعاً !

قالها وهو يقبل جبينها باعتزاز فابتسمت بيللا ليغلب حنانها الأمومي قشرة النجمة بقولها:

_ربنا يسعدكم ..ياللا عشان ما تتأخروش !

تتحرك داليا جواره لتستقل سيارته وما كادت تفعل حتى هتفت بدلالها المعهود :

_غنيلي !





_نعم ! أؤمر يا عم القمور !

قهقهت ضاحكة وهي تميز استنكاره المرح لتستدير نحوه بجسدها هاتفة :

_يامن قاللي إن صوتك حلو ..وبصراحة هاموت وأسمعك بتغنيلي .

_هنا؟! في الشارع؟!

_مممم ..عندك حق ..ممكن أتهور وأحضنك وتبقى فضيحة ..خلليها ليوم الفرح ..بس ..اعمللي الأغنية مفاجأة .

_واضح إني أنا اللي هاتهور ..وهاتبقى فضيحة !

شهقت بحدة وهي تفاجأ به يندفع ليغمرها بين ذراعيه للحظة واحدة شعرت بها تحمل مشاعر ألف عام ..

قبل أن يبعدها بتنهيدة حارة :

_هونها يارب !





ابتسمت بخجل مناقض تماماً لهذه الجرأة التي تدعيها معه لتعتدل بجلستها في مقعدها مكتفية بمراقبته بينما يقود ووجهه المحمر يكشف عمق تأثره بها ..

_انت عارف إني حافظة شكل إيدك من ساعة الصورة إياها ؟!

قالتها وهي تدور بطرف سبابتها على ظاهر كفه مروراً بعروقه البارزة ليهتف بها بصوت متحشرج:

_اتشغلي في أي حاجة دلوقت يا داليا وسيبيني أسوق ..لو عايزانا نعيش ليوم الفرح !

فزمت شفتيها كطفلة غاضبة وهي تعيد أناملها جوارها قبل أن تعود لها طبيعتها الفضولية ففتحت تابلوه السيارة أمامها تفتش محتوياته ..





قبل أن ترفع ورقة ما كتب فيها اسم ياقوت عدة مرات مع العديد من علامات الاستفهام !

هذه التي قذفتها بنزق في وجهه هاتفة بعصبية :

_ياقوت ؟! تاني؟! وقف العربية دي حالاً وفهمني ...كاااتب اسمها لييييييه ؟! ليييييه؟!

وصل هتافها حد الصراخ في كلمتها الأخيرة فأوقف السيارة ليحيط كتفيها بقبضتيه هاتفاً بحدة :

_ما تصرخيش ..افهمي الأول !

_اتفضل ..فهمني..مش دي صاحبتك اللي شفتها في المستشفى يوم الحادثة ؟!

تحشرج صوتها ووجهها يحمر بالمزيد من

الانفعال فكز على أسنانه بقوة وهو لا يدري كيف يتصرف ..

هو لا يدري لماذا لم يمزق هذه الورقة ليلتها ..



تلك الليلة الكارثية التي عثروا فيها على جسد زين النازف بشقته ..ساعتها كان أكثر ما يشغل باله هو مدى العلاقة بين ياقوت وزين هذا ..فاستسلم لعادته القديمة بكتابة أفكاره كي يرتبها ..ولم يخطر بباله أن تقع ورقته في يد حبيبته المجنونة هذه !!

_انت بتفكر فيها ؟! عاجباك ؟! شايفها مناسبة لسنك مش عيلة زيي ؟! واللا شايفها أجمل مني؟!

دموعها ترافق كلماتها في مزيج آلم قلبه ليشدد ضغط كفيه على كتفيها قائلاً :

_بس يا مجنونة .

ازدادت وتيرة بكائها فزفر بنفاد صبر ليضم رأسها لكتفه هامساً:

_أيوة مجنونة ..انتِ آخر واحدة في الدنيا ممكن تغير ..مش بعد كل اللي عرفتيه عن حبي





ليكي ..المفروض دلوقت تكوني باصمة بالعشرة إني مابشوفش غيرك .

استكانت لهذا الحنان الفائض بين حروفه لكنها رفعت إليه عينيها الدامعتين هامسة :

_امال كاتب اسمها كتير كده ليه ؟!

ظهر التردد على ملامحه ليحاول الرد باقتضاب:

_كانت واقعة في مشكلة !

_وانت حليتهالها ؟!

أشاح بوجهه دون رد لتهتف :

_ممكن تحسسني إنك واثق فيّ وتقوللي الحقيقة من غير لف ولا دوران ..مش انت بتقول إني اتغيرت وبقيت كائن مسئول يعتمد عليه ؟!





ازداد التردد في ملامحه للحظات لكنه حسمه ليخبرها بما كان ليلتها ..كان يعلم أن جزءاً من احتواء طبيعتها المتمردة أن تشعر أن من حولها يمنحونها ثقتهم ..لهذا لم يتعجب أن مسحت دموعها بنفسها أخيراً وهي تبتعد عنه هاتفة بإدراك:

_عارفاه طبعاً الراجل بتاع الفيديو المتفبرك ده اللي يامن طلق بسببه ياسمين ..موقف غريب فعلاً ..بس الأغرب رد فعل يامن ..معقول صدقها كده بسهولة ؟!

_يامن اتغير .

_حقيقي ..بس المهم ياقوت دي وصلت لفين وعملت إيه ؟! ..وزين ده ممكن يقرب منها أو من ياسمين تاني؟!

_ساعتها يامن هيقتله وضميره مستريح ..

هتف بها بغيظ ليردف ملوحاً بسبابته في وجهها :




_خلاص عرفتِ ..نقفل بقا الموضوع ده ..احنا خلاص اطمنا إنه طلق ياقوت وسابها لحالها .

أومأت برأسها موافقة ليعيد تشغيل السيارة منطلقاً بها لتهمس به بعد صمت قصير :

_شكراً .

ابتسم بحنان وهو يختلس نظرة جانبية نحوها ليرد :

_هو انتِ هتقلبيها دراما على طول كده أول ما تطق في دماغك أي حاجة ؟!

_مش انت حبتني وأنا كده ؟! عايزني أتغير؟!

تهمس بها بدلال وهي تحتضن ذراعه بذراعيها ملقية رأسها على كتفه لتشعر بتشدد عضلاته مع حركتها بينما يهتف ببؤس :

_أنا مش عايز غير تلات حاجات ..أولا ..تعقلي ..

_مممم؟!

_وثانياً ..تبطلي تتدلعي بحلاوتك اللي تجنن دي ..




_مممممم؟!

والهمهمة ترافقها ضحكة كارثية منها جعلته يتفادى السيارة القادمة في مواجهته بصعوبة لتشهق بحدة بينما هو يزفر مكملاً عبارته :

_وأعرف أكمل بأعصابي التلفانة دي ليوم الفرح !

جلجلت ضحكتها عالية وهي تبتعد عنه لتستقر أخيراً في مقعدها مؤثرة السلامة ..

ساعتان بعدها قضاها معها يحاولان اختيار ثوب مناسب لتفاجئه أخيراً بأحدهم ..

_يجنن يا مروان ..مفتوح شوية بس نسده ب"كاش مايوه"!

_كاش إيه ؟!

_كاش مايوه !

_مايوه آه !

يقولها ليجذبها من معصمها نحوه هامساً في أذنها :

_مش عايز استعباط ..ده فستان فرح واللا قميص نوم ؟!

_هو يبان عريان بس هاقفله ..عشان خاطري ..دي ليلة العمر ومش هتتكرر ..طب ..شوفه عليّ الأول !

لكنه يتناول واحداً آخر طويل

الأكمام ..مغلق الصدر ..منعدم التطريز إلا من حزام عريض على الخصر ليناولها إياه :

_ماله ده ؟! رقيق ومحترم !

_إيه ده ؟! أنا رايحة أتجوز واللا أحج ؟!





تهتف بها باستنكار ليرمقها بنظرة صارمة جعلتها تأخذ الثوبين معها نحو غرفة القياس :

_خلاص ..هاقيسهم الاتنين .

وقف خارج غرفة القياس مترقباُ وهو يشعر بقرب حدوث مشكلة بسبب قصة الثوب هذا ..

_مروان !

يسمع نداءها خلف الستار فيمد رأسه لتتسع عيناه بانبهار وهو يجدها ترتدي الثوب

الأول ..

الثوب الذي بدا كارثياً حقاً بفتحة صدره المثلثة التي تظهر مفاتنها المكتنزة ..وفتحة الظهر المشابهة التي تطول كثيراً حتى تصل لحدود خصرها !

الثوب نفسه كان يلتصق بها كأنما يحتضن جسدها بنعومة ..لينتهي بذيل طويل ..طويل جداً





خلفها ..وقد طرز بزهور رقيقة من اللؤلؤ والماسات الصغيرة ..

_شفت يجنن إزاي ؟!قول إنك غيرت رأيك وهناخده !

حلقه يجف وهو يشعر بأن فتنتها تكاد تفقدها صوابه حقاً ..

فيدخل إليها ليغلق الستار خلفه بإحكام ..قبل أن يستدير نحوها لتصب عيناه العشق في عينيها صباً :

_هناخده !

_بجد يا مروان ؟! فعلاً ده ما يتسابش ..أوعدك هقفله خالص ومش هيبان مني حاجة مع الحجاب !

_لا مش هتقفليه !





يهمس بها بصوت أججته عاطفته وهو يقترب أكثر ..أنامله تستريح على خصرها بينما يضمها لصدره فاحمرت وجنتاها بخجل وهي تشعر بتقاربهما يزكي عاطفتها هي الأخرى ..

_إزاي؟!

_ده هتلبسيه ليّ لوحدي لما نروح بيتنا ..أنا وبس اللي أشوفك بيه !

يهمس بها بهيام وأنامله تطوف فوق ظهرها بين رغبة وتقديس ..ليرتجف جسدها بين ذراعيه وهي تسبل جفنيها غارقة في هذا الشعور اللذيذ الذي يدوخها ..وعاجزة عن مقابلة فيض عشقه في نظراته :

_يعني هنجيب فستانين ؟!





تسأله محاولة السيطرة على نفسها لتشعر بشفتيه على وجنتها:

_واحد ليّ ..

ثم الوجنة الأخرى:

_وواحد للعاشق المجهول !

تشعر بوجنتيها تكادان تحترقان ..بل جسدها كله يكاد ينصهر خاصة عندما شعرت بشفتيه تعانقان شفتيها وهو يقربها منه أكثر ..

_خلاص البروفة يا آنسة ؟!

الهتاف من الخارج يجفلهما معاٌ ..فتبتعد عنه هاتفة لمن بالخارج:

_دقيقة واحدة .





يطلق زفرة حارة وهو يحرك كفه حول وجهه طالباً الهواء قبل أن يهتف بها بغيظ :

_مش بقوللك ماعدتش عايز غير تلات حاجات !

لتزيد ضحكاتها المهلكة بعدها غيظه أكثر ...فيخرج وهو يحكم إغلاق الستار خلفه من جديد ليضرب أحد كفيه بالآخر هامساً لنفسه :

_مالهاش حل ..ماهو يا تعقل هي ..ياأتجنن أنا !

=======

أمام بوابة بيت الفايد يقف بعد عودته بعد المشفى يراقب اليافتة بشرود ..

فخامتها تذكره بذوق أمه الكلاسيكي الراقي ..

والاسم يحمل إليه هيبة أبيه الكاسحة ..

هذه التي يظنها يوماً لم تزل إلا بخطإٍ واحد ..

زواجه الثاني!





خطواته تتوغل نحو الداخل أكثر ..

نظرة طويلة نحو الملحق الخارجي حيث غرفة همسة التي صارت خالية منها ..

نافذتها المفتوحة التي تفتقد رفيقة سنوات ..

ابتسامة شاحبة تظلل شفتيه وهو يجبر قدميه على الولوج أكثر ..

هناك نحو ذاك الممشى الجانبي في الحديقة حيث شاركته ياقوت السير دوماً ..

يستعيد صورتها ذاك اليوم بهيئتها الهزلية ..

نظارتها المربعة ..تنورتها القديمة ..وبلوزتها المهلهلة ..

ملامح رائقة بصفاء قلبها ..وشفتين مهلكتين بقوة فتنتها ..

وعينان ..عينان بحجم الكون كله !!





آهة خافتة تغادر حلقه وهو يشعر أن بيته ..لم يعد بيته ..

لماذا لم يخرج من المشفى نحو شقتهما يتلمس هناك بقايا منها ؟!

لكن هل يجرؤ على العودة هناك حقاً بعدما كان هناك ؟!

نفس النظرة الغامضة تلتمع في عينيه وهو يشعر بوجوب اتخاذ القرار الصعب ..

بيت الفايد لن ينير إلا بشمسَيْ عالمه ..

شمسين لن تشرقا يوماً خلف الظلال ..

إنما مقامهما سماء دون غيوم ..

وإن كان يعلم كيف يعيد همسة ..فهل يملك الثقة نفسها نحو ياقوت ؟!





زفرة حارقة تغادر حلقه وهو يغالب ألم جسده باستراحة نالها على أريكة قريبة ..فكيف يغالب ألم قلبه ؟!

_حمداً لله ع السلامة يازين .

يقولها رائد "الشاهد الصامت" على أوجاعه فيلتفت نحوه ليقول بنبرته المهيمنة :

_الله يسلمك ..ارجع انت بقا لهمسة عشان ما تقلقش ..وأنا أول ما أفوق هاجي لها ..أخبار الشغل إيه ؟!

بدا بعض التردد على وجه رائد الذي اخترق قناعه المعدني طيف من قلق جعل زين يضيق عينيه بتساؤل :

_فيه حاجة مش تمام ؟!

_مشاكل خفيفة ..ما تشغلش بالك .





يقولها رائد متوقعاً منه المزيد من الاستفسارات لكن زين بدا شديد الزهد حقاً في سماع أي شيء الآن ..

_لو فيه حاجة اعمل اجتماع مع مجلس الإدارة وسووها .

فاتسعت عينا رائد بدهشة وهو يشعر بغرابة قريبه ..

منذ متى يترك زين الفايد قراراً لمجلس

الإدارة يتخذه وحده دونه ؟!

هل هو حقاً متعَبٌ إلى هذا الحد ؟!

_عايز أنااام .

يقولها زين عبر نبرته المرهقة وهو يعيد رأسه للخلف ليرمقه رائد بنظرة مشفقة وهو يمد له كفه مساعداً ..





هذا الذي اتكأ عليه زين لينهض لولا دخول الخادمة تحمل طلب أحدهم لزيارته ..

ولم يكد يسمع الاسم حتى اتسعت عيناه بصدمة ..

ياسمين ذو الفقار هنا ..تريد مقابلته !

======

_نورتِ بيتك من تاني .

يهمس بها يامن لها وهو يفتح لها بوابة بيتهما الداخلية لتدلف إلى الداخل ..

عيناها تطاردان أطياف ذكرياتهما الخاصة هنا فتقسم أن تعيدها جميعاً دون تفريط هذه المرة ..

_كان بودي أشيلك ..بس الوضع حالياً حرج !

يقولها مشيراً لانتفاخ بطنها البارز في شهرها التاسع الذي بدأ لتوه ..





فتبتسم وهي ترد مزاحه بهمسها الدافئ:

_شايلني في قلبك يا طيب .

يرد لها ابتسامتها بمثلها وهو يحتضن كفها براحته ليصعد بها نحو الأعلى ..

يفتح لها باب غرفتهما التي لم تلجها منذ تلك الليلة البعيدة ..

ذكريات سوداء بلون أثاثها تعاود تلطيخ ذهنها رغماً عنها ..

لكن لون الجدران الأبيض يتسق وهذا الشعور الجارف في أعماقها ..

فتلتفت له هامسة:

_احضنني !

لم يكن يحتاج منها هذا الأمر الراجي وهو يشعر بحاجة كليهما لفعله الآن ..





لأن يلتصق كل منهما بصاحبه متذوقاً نكهة الراحة في آخر الطريق ..

لهذا ضمها إليه بقوة حانية وهو يستعيد ذكرياتهما الهانئة معاً منذ البداية ..

امرأة الألوان ..

ساحرة الفوضى ..

عروس البحر ..

سيدة عالمه التي قلبته رأساً على عقب!!

_فيه هدية منك مستنيكي تلبسّيهالي !

يقولها فترمقه بنظرة متسائلة ليتحرك مبتعداً كي يفتح أحد الأدراج الجانبية مستخرجاً ما يعنيه ..

تلك الساعة السوداء التي طبعت صورتهما على "المينا" الخاصة بها ..





_عشان أتأكد إن مفيش ثانية من عمري هتعدي غير واحنا سوا!

يقولها بصوت أرجفته عاطفته مذكراً إياها بكلماتها الخاصة التي كتبتها ..

وهو يستعيد المرة الأولى التي رأى فيها هديتها هنا ..

لتغمض هي عينيها بقوة كأنما صدمتها الذكرى هي الأخرى قبل أن تتحرك نحوه بنظرات فاضت بعاطفتها ..

تتناولها منه لتلفها حول معصمه بأنامل مرتجفة قبل أن ترفع ساعده نحوها تقبل معصمه ..

هناك عند عرقه النابض تترك لرحلة شفتيها مُستقرّاً كأنما تبثه عشقها يجري في دمه ..

فيتناول وجهها بين راحتيه لتعانق نظراته عينيها ..





ألَق العسل فيهما يعود لصفائه بعد طول تعكر ..

والابتسامة الهانئة على شفتيها تنطق بألف ألف أحبك ..

ألف اعتراف تلقفته شفتاه ليردها لها بمثله ..

يزيح عنها حجابها برفق لتعرف أنامله طريقها بين خصلات شعرها ..

انشغال شفتيه لم يعرقل مهارة أنامله في صنع جديلته التي طالما تمنى صنعها ..

والآن يجعلها تشهد في كل يوم عهد غرامهما الجديد ..

_عايزك تعزفي لي النهارده ع الكمانجا ..لسه عاينهالك هنا من يومها ..فاكرة أول ليلة عزفتي لي فيها هنا ؟!





يهمس بها بعينين لامعتين فتتسع عيناها وكأنما نسيت ما يحكي عنه ..

لكنه يتحرك ليفتح تلك الخزانة الجانبية فيستخرجها لها مع ذاك الثوب الذي فرده أمام عينيها :

_ اخترته نفس اللون بتاع فستان ليلتها ..بس راعيت اختلاف المقاس .

تضحك رغماً عنها وهي تميز اللون

الأرجواني للثوب القصير بسيط التصميم الذي يناسب منحنيات جسدها مع الحمل ..

فتطلق صيحة إعجاب قصيرة قبل أن تدمع عيناها انفعالاً وهي تتلمس الكمان بين أنامله :

_يااااه يا طيب ..ماتعرفش وحشني العزف عليها أد إيه .

_طب ياللا ..غيري هدومك وأنا مستنيكي .





يغمزها به بعبثه الفظّ الذي لا يليق

إلا به ..

فتضحك ضحكة صافية وهي تتحرك

بالثوب نحو الحمام القريب ..

تبدل ثيابها وهي تشعر بذكرى الليلة الأولى بينهما تطوقها ..

تغمرها بعبق بنفسج يشبه لون ثوبها الذي اختار لونه ..

تتزين له كأجمل مرة تود لو يراها فيها ..

تخرج إليه حافية القدمين كتلك الليلة ..

تتلمس أناملها بطنها كأنما تتفقد ثمرة عشقهما ..

قبل أن تخطو إليه لتجلس جواره على

الأريكة الجانبية تتفحص ملامحه الحبيبة وقد جلس عاري الجذع إلا من سروال منامته الأسود كعهده فيبدو لها كأوسم مرة رأته فيها ..





يناولها الكمان برفق فتأخذ نفساً عميقاً لتبدأ أناملها التراقص باللحن الشجيّ ..

عزف الكمان لديها لم يكن مجرد هواية ..

بل استرداد هوية !

كان ذكرى والدتها ..ابتسامة فخرها بها ..

والآن يحمل لها شعوراً آخر باكتمالها معه هو !!

كيف تخبره كم كانت تحتاج هذا العزف كي ترسخ قدماها أكثر في أرضها الجديدة ؟!

تغمض عينيها باستمتاع حقيقي وهي تترك روحها محلقة بين ربوع ماضٍ رحبة ..

وأطياف غد ملونة بأطياف قوس قزح كخاتمه ..

ينتهي اللحن فتفتح عينيها لتعانق نظراته ..




قبل أن تترك الكمان لتلقي رأسها على صدره متعلقة بذراعيها في عنقه ..

_كل حاجة فيكِ بتحضنني ..حتى اسمك ..يامن وياسمين ..كأن حروفك بتحضن حروفي .

يهمس بها بعاطفة انصهرت بها همساته وهو يشدد ضغط ذراعيه حولها ليرتجف جسدها للذكرى فترفع وجهها نحوه هامسة:

_انت كمان بقيت بتحضنني بكل ما فيك .

_لآخر يوم في عمري .

يهمس بها بنكهة الوعد فتغيم عيناها بنظرة مشتتة التقطها بخبرته القديمة بها ..

ليطبع على شفتيها هدية ناعمة سبقت همسه وأنامله تستريح على وجنتها :

_مخبية عني إيه ؟!





تسبل جفنيها للحظات ليصلها همسه :

_لما عينيكي بتهرب مني كده بعرف إن فيه حاجة واقفة بيننا .

لكنها تستجمع شجاعتها أخيراً لتعاود مواجهته بعنفوان نظراتها :

_فعلاً ..بصراحة ..أنا رحت لزين النهاردة .

=======

ظل للحظات غير مستوعب عبارتها قبل أن يردد خلفها :

_رحتِ لمين؟!

الخوف يتملكها للحظة واحدة ..

لكن الرباط الغليظ الذي يزداد سمكه بينهما يوماً بعد يوم يجعلها تضغط براحتها على صدره الذي كان ينبض الآن بجنون هاتفة :




C i n n a b o n

_الصفحة دي كان لازم تتقفل بقا يا يامن ..ماكنتش هاقدر أكمل حياتي عادي وأنا حاسة إن فيه حاجات لسه متعلقة ..خصوصاً بعد موقف ياقوت وأذاها بسببي .

احمر وجهه بانفعال وهو يحاول كظم غيظه كي لا يؤذيها عائداً لنقطة الصفر بينهما من جديد ..

لكنها استجمعت كل شجاعتها لتضغط براحتها صدره أكثر مردفة :

_ماكنتش لوحدي ...داليا كانت معايا .

_داليا ؟! بنت خالتي؟!

يهتف بها باستنكار لترد بعنفوان مدافع:

_هي صاحبة الفكرة وبصراحة أنا كنت مترددة ..مروان حكالها اللي حصل وهي كلمتني ..قالتلي إن زين لازم يشوف مني أنا وقفة قوية عشان محدش تاني يتأذي بسببي ..رحناله المستشفى لقيناه خرج ..فرحناله البيت .





_البيت ؟! انتِ وداليا؟!

هدر بها بحدة وجسده ينتفض مكانه بحركة أجفلتها لتهتف به بصوت مرتجف:

_أرجوك يا يامن ..اسمعني للآخر ..أنا كان ممكن مااقوللكش بس أنا مش عايزة أخبي عنك حاجة .

خبط بقبضته على الأريكة جوارها ليصرخ بها بغضب :

_المفروض تقوليلي قبل ما تروحي ..مش بعدها .

_ماكنتش هتوافق ..وأنا كان لازم أحط حد للموضوع ده .

أشاح بوجهه بانفعال فضحه ارتجاف جسده الذي كان يرتج الآن لكنها لم تغادر رحاب حضنه مكتفية بصمتها بينما تستعيد تفاصيل لقائها بزين ..




_اتفضلي يا ياسمين .

صوته كان منهكاً تماماً يختلف عن نبرة "اللطف الممتزج بالهيمنة "التي اعتادتها منه ..

لا ..الأمر لم يكن فقط إرهاق جسده ..بل شعرت وكأن روحه كذلك مستنزفة ..

_داليا بنت خالة يامن .

تقولها مشيرة نحو داليا التي تنمرت

ملامحها وهي تتفحصه بدورها ..

مظهره يمزج جاذبية كاسحة بهيبة مطلقة يجعلها تقسم أنها لم ترَ رجلاً مثله من قبل ..هل هذا رجلٌ خرج من المشفى لتوه ؟!

لكن أفكارها تنقطع وهي تميز وجود رائد الذي وقف يراقب الوضع بتحفز رغم قناعه المعدني على وجهه ..

كلاهما مميز بهيبة طاغية تشعرها

بالقشعريرة !





_مروان هيعلقك لو عرف إن قاعدة تبحلقي للرجالة كده ولا زينات صدقي في الأفلام القديمة !

تزجرها بها نفسها سراً فتتجاهل أفكارها لتلتفت ببصرها نحو ياسمين ..

_هم موضوعين اتنين هنقفلهم ..وبعدها هاسيبك ترتاح .

تقولها ياسمين بصرامة امتزجت برقتها الفطرية ..

لتلتمع عينا زين بومضة ذكاء خاطفة سبقت قوله بنفس الصرامة :

_اعتبريهم اتقفلوا !

اتسعت عينا داليا بانبهار وهي تميز طريقته الغريبة في إدارة الحوار وكأنما استنكف أن تكون الكلمة الأولى فيه لياسمين .





ياسمين التي لم تتعجب رده ..فقد كانت تدرك أنه من الذكاء كي لا يسألها عن تفاصيل ما تعنيه ..

لهذا تنهدت بحرارة وهي ترقق لهجتها بقولها:

_يبقى مافضلش غير إني أشكرك على كل مرة وقفت فيها جنبي ..

هز رأسه بشبه ابتسامة لتردف هي بنبرة ذات مغزى:

_وأوصيك على ياقوت .

عيناه تتسعان قليلاً وهو يشعر في هذه اللحظة أنها سبرت أغوار روحه بسحر صداقتهما القديم ..

والحقيقة أنها كانت في نفس اللحظة تزداد يقيناً من حدسها ..

زين يحب ياقوت حقاً !





هذا البريق المتوهج -الحيّ -في عينيه عندما ذكرت اسمها يختلف كثيراً عن نظراته القديمة الجليدية نحوها هي ..

هو رغبها هي كرفيقة طريق ..لكن قلبه اختار ياقوت كتوأم روحِ !

هذا الذي وجدته الفائدة الحقيقية المنشودة من هذه الزيارة ..

لهذا تأهبت كي تغادر لتودعه بقولها :

_لما بنحب بجد مابنقدرش نجبر رجلينا تمشي إلا في طريق واحد ..ياما نهاودها ..ياما هنفضل واقفين .

لم يدرِ هل تتحدث بها عن نفسها ..أم عنه هو ..لكنها كانت نصيحة مثالية على أي حال !




_عملتي إيه هناك ؟!

ينتزعها بها يامن من شرودها لتتنحنح مستعيدة تماسكها ..

ثم تروي له باقتضاب تفاصيل اللقاء القصير فيهتف بحدة :

_أيوة برضه مافهمتش كان لزومه إيه !

_ممكن تهدا وأنا أكمل ؟!

يزفر بقوة وهو يعاود الإشاحة بوجهه لتردف هي:

_زين مش وحش زي ماانت فاهم ..وحمائي جداً للي يخصوه ..هو لما قرب من ياقوت كان كل تفكيره إنه يحميني منك فاكر إنك عايز ترجعني وبتضغط عليّ ب"البيبي" ..كل اللي عمله كان عشان وعده لي إنه مش هيخللي حد يحرمني من بنتي ..عشان كده كان لازم يسمعها مني صريحة إني بحبك وعايزة أكمل معاك ..وإني بحله من وعده وماعدتش محتاجة حمايته !




شعر بعروقه تكاد تنفجر غضباً وهي تسمعه تتحدث عنه بهذه الطريقة لكنها استطردت بنفس العنفوان:

_كان ممكن أحترم غيرتك وماقوللكش كل الكلام ده لولا إن ياقوت دخلت في المعادلة ..وإحساسي إنهم هم الاتنين بيحبوا بعض بجد ..عشان كده مش عايزاك تبقى متحامل على علاقتهم لإني واثقة إنهم هيكمللوها ..زين مش هيسيبها تضيع من إيده وأنا شبه متأكدة إنه طلقها عشان يرجع يتجوزها في النور مش في الضلمة .

عاد يلتفت نحوها بحدة وهو يشعر بغرابة هذا الذي تحكيه ليحافظ على صمته دقائق طويلة بعدها استكانت هي فيها برأسها على صدره لتهمس أخيراً بنبرة أكثر هدوءاً :

_أوعدك تكون دي آخر حاجة أعملها من غير إذنك ..بس الصفحة دي مكنش ينفع تتقفل غير كده .





لكنه بقي صامتاً يفكر في كلماتها ويستعيد معها حديث ياقوت عن زين هذا ..

هل هو متحامل عليه حقاً ؟!

لكن ولو!

سيبقى يكره هذا الرجل ولا يطيقه ولو أجمعت الدنيا أنه من الأولياء الصالحين !!

_هتفضل ساكت كده كتير ؟! دي أول ليلة لينا هنا بعد الشهور دي؟!

تهمس بها بدلال عاتب وهي تمرر سبابتها على لحيته ولاتزال تسند رأسها على صدره ..

لكنه بقي محافظاً على ملامحه الصامتة الغاضبة ..

_خلاص بقا يا طيب !





تهمس بها بالمزيد من الغنج الذي يليق بها وهي تسبغ عطايا عشقها على بشرته لكنه تناول وجهها أخيراً بين راحتيه ليهمس أمام عينيها بحزم :

_هاعديها المرة دي ماشي ..بس سيرة الراجل ده ماعادتش تيجي بيننا ..تمسحيه من دماغك بأستيكة ..انتِ ماتعرفيش أنا ماسك نفسي عنه إزاي !

تومئ برأسها شاكرة تفهمه النادر لتمنحه أجمل ابتساماتها ..

فيبتسم بدوره وهو يميل نحوها معيداً عهد عشقهما القديم في نفس الغرفة التي شهدت أبهى عصوره ..





الليل يشتعل بصخب العاشقين بعد انقشاع الغيوم جميعها ..

وما أجمل السكن بعد طول صراخ ...

=======

_هانيا !! أنا رجعت يا أهل الدار !!

يهتف بها رامز بمرحه المعهود وهو يلقي حقيبة سفره جانباً ..

لكن الصمت المريب حوله في الشقة يربكه ..

ليس الصمت فقط ..بل الظلام !!

الظلام المطبق إلا من شموع ذهبية صغيرة تصنع طريقاً إلى غرفة نومهما ..

ابتسامة ذاهلة ترتسم على شفتيه وهو يتتبع مسار الشموع بعدم تصديق ..حتى يصل لباب غرفتهما الموارب ..





يفتحه ببطء لتتسع عيناه أكثر مع انفراجة شفتيه وهو يميزها أمامه ..

هي؟!

هل هي حقاً ؟!!

لا ..لا ..مستحيل!!!

كانت تبدو كشمس صغيرة وسط ظلام الغرفة إلا من شموعها الذهبية ..وتلك اللمعة الذهبية لقميص نومها ..

قميص نومها ؟!!

نعم ..هذا الذي احتضن تفاصيل جسدها بنعومة ..بفتحة صدر واسعة انحدرت عن مفاتنها ..





طويل جداً يكاد يلامس الأرض لكن فتحته الجانبية تصل لحدود خصرها مبرزة رشاقة ساقها على طولها ..

يقترب منها مأخوذاً وعيناه تدوران على تفاصيلها بلهفة عاشقة ..

عيناه تحاولان قراءة عينيها لكنها كانت تسبلهما بقوة وهي تشبك كفيها معاً كأنما تبذل مجهوداً خرافياً لتظهر أمامه هكذا ..

أنامله تحط على خصرها بوله ولازال يحاول اقتناص نظراتها ..فتفتح عينيها أخيراً محاولة استجماع شجاعتها ..

يرفع ذقنها نحوه هامساً بصوت متهدج :

_أنا بحلم ؟!





ابتسامتها تخضب وجنتيها وهي تهز رأسها نفياٌ ببطء مغوٍ ..

ليردف وأنامله تجيد عزفها على بشرتها ..

_يبقى مت ودخلت الجنة !

_بعد الشر عليك !

تهمس بها بجزع وأناملها ترتفع لشفتيه فيقبلهما بقوة قبل أن تنسحب عيناه لكتفيها ..

هذين اللتين تلمستهما أنامله بعدم تصديق وهو يميز نعومتهما ..

نعومتهما ؟!!

_هانيا؟!

يسألها ذاهلاً مجفلاٌ وقد ارتد للخلف فجأة لترد وقلبها يخفق بقوة :

_عملت عملية التجميل !

_لوحدك ؟! من غيري؟!





يهتف بها باستنكار بعد صمت قصير مشفقاً عليها من خوض تجربة كهذه وحدها ..

فترتجف ابتسامتها مع خيط من الدموع

سال على خدها :

_عملتها ..عشانك !

_عشاني؟! عملتيها عشاني ؟! عشان تبقى حلوة في عيني؟!

يهتف بها بنفس النبرة الذاهلة فتخفي وجهها في صدره وجسدها ينتفض باعتراف صريح ..

الآن فقط يمكنها القول أنها تحررت من عقدتها القديمة ..

حررها هو بحبه ..

وحررت نفسها بسطوة شعورها أنها تريد أن ترضيه !!





تريد الشعور بهذا الجسد الذي سخطت عليه عمراً دافنة أنوثته تحت أطلال ماضٍ قديم ..

واليوم تريد استعادة زهوها بها أمام معشوقها !!

_ليه ما قلتليش ؟!

يسألها وهو يلصق وجنته بوجنتها على صدره بينما يضم جسدها نحوه بقوة شعوره ..

_كنت ..كنت خايفة العملية ماتنجحش!

صوتها المرتجف يثير حميته فيعاود رفع ذقنها نحوه هامساً بانفعال:

_انتِ عارفة إنه مكنش فارق معايا .

_بس كان فارق معايا أنا !

_اشمعنا دلوقت بالذات ؟!

_عشان فهمت وحسيت ..حسيت إن حبي ليك مش هيبقى كامل طول ما انا غرقانة في عقدتي القديمة ..حسيت أد إيه انت بتحبني ومتمسك بيّ تحت أي ظرف ..ومابقتش خايفة حبي ليك يضعفني





قدامك ..حسيت إني خلاص ..بقيت حابة أشوف نفسي حلوة في عينيك ..من غير ماحس إنه عيب!

تهمس بها بعمق عاطفتها ليتأوه بقوة وهو يشدد ضغط ذراعيه حولها ..

عيناه تدمعان وقلبه يضخ الدم في عروقه بقوة تكاد تصيبه بالجنون ..

أن يسمع منها ..منها هي بالذات هذه الكلمات ..

أن يشعر بها بهذه النعومة ..بهذه الرقة ..

بهذه الأنوثة ..

وبهذا العشق بين ذراعيه ..

لهو النعيم بعينه !!

يريح جبينه على جبينها لتستشعر خفقاته هادرة تحت كفيها المبسوطين على صدره ..

_عارفة ؟! أنا مش عايز أعمل حاجة دلوقت غير إننا نفضل سوا كده للأبد ..





فتبتسم وهي تميز حرارة شعوره ..

لكنه يبتعد عنها فجأة هاتفاً:

_لا ! أنا كذاب ..أنا عايز أعمل حاجات كتير قوي دلوقت!

تضحك ضحكة عالية وهي تراه يحل أزرار قميصه ليخلعه عنه بسرعة ...

قبل أن يجذبها من معصمها مردفاً بانفعال:

_بس أولاً ..هنفتح كل أنوار الشقة ..كلها ..شرطك القديم ده بقا تنسيه خاااالص !

_رامز !

تهتف بها باستنكار وهي تراه يجذبها خلفه ليفتح الأنوار جميعها قبل أن يعود بها إلى غرفتهما ليفتح آخر الأنوار ..





يرمقها بنظرة طويلة متفحصة وقد بدت له في هذه اللحظة كأجمل مرة رآها فيها ..

بل أجمل مما حلم يوماً !!

شعرها الجميل ينسدل على كتفيها بعيداً عن "الكحكة المعتادة"..

وجسدها يتوهج ببريق أنوثة تستصرخه هو وحده ..

خاصة بهذا اللون الآسر الذي طالما داعب

أحلامه !!

تكتف جسدها من جديد بساعديها وهي تسبل جفنيها شاعرة بأنها تكاد تحترق ..

لكنه يجذبها من كفها نحو المرآة ليقف خلفها ..

يضم خصرها فيلصق ظهرها بصدره هامساً وهو يخاطبها عبر المرآة :





_بصي كويس ..أحب أعرفك بأجمل ست في الدنيا ..واللي خلاص عيني ما بقتش تشوف غيرها ..هه..إيه رأيك في ذوقي؟! شفتي جميلة إزاي ؟!

يهمس بها ببطء مغوٍ وأنامله تتحرك على بشرتها ..

تشاركه رحلة طويلة مستعيداً كل خبرته لدغدغة أنوثتها وهو يشعر بهذه اللحظة حاسمة حقاً في علاقتهما ..

يشعر كم تحتاج الآن لأن ترى نفسها هكذا ..

بهذه الفتنة الصارخة ..

بهذا العشق المتأجج ..

وبهذه اللهفة التي تكتسحهما معاً ..

بينما تغمض هي عينيها لأول وهلة عاجزة عن مواجهة صورتها هكذا في المرآة ..





لا تكاد تصدق أنـها هزمت الـهاجس القديم ..

أنـها استعادت بـهاء جسد تود منحه له كاملاً دون قيود ..

لكن همسه يصلـها دافئاً ..مشعلاً إياها أكثر :

_افتحي عينيكِ ..شوفي أد إيه انتِ جميلة ..وفي عينيا أجمل !

شعورها يكاد يتفجر بين جنباتها كألف لغم ..

بخفقات قلبه الـهادر خلف ظهرها مع همسه الذي لا تدري كيف يؤرجها هكذا بين نيران عشق ونـعيم سكينـة لم تشعر بها من قبل هكذا إلا بين ذراعيه ..

لـهذا تجد الجرأة لتفتح عينيها أخيراً فتقابل عينيه في المرآة ..

مشهد قديم مظلم ل"بيللا" في موقف مشابه يحاول اقتحام الصورة ..

لكنـها صارت تملك من القوة ما يمكنـها من ردعه ..





هذا المشهد يخصها هي ..

هي وحدها ..!!

لرجل لم تعشق سواه ولم يعشق هو غيرها ..

رجل ستمنحه الروح والقلب والجسد ..كما منحها هو من قبل كل هذا !!

ولا عيب ..

لا عيب ولا حرج !!

لا عيب ..ولا حرج!!

الخاطر الأخير يكسبها المزيد من الجرأة فتتشابك أناملها بأنامله على بشرتها لتنساب عطايا عشقه سخية بين شفتيه ..

تحاول الاستدارة نحوه لكنه يمنعها ..

يشد ظهرها نحوه بقوة أكبر كأنما يريد أن يرسخ المشهد بعينيها أكثر وأكثر ..

مدركاً أنه هاهنا فقط يدحض عقدتها القديمة ..





اللحن العاصف بينهما تزداد وتيرة صخبه فتستجيب له بكل جوارحها ..

ترى نفسها معه عبر المرآة فتشعر بخجل فطري ..

وليس خزي مرضيّ ..

ترى عاشقين يتشاركان لذة محللة دون ما يبرر الشعور بالانتقاص..

وترى نفسها كما وصفها تماماً ..

امرأة جميلة ..لكنها بعينيه أجمل !

تشعر بقميصها أخيراً يسقط تحت قدميها لكن ليس وحده ..

معه تسقط بقايا هواجسها القديمة لتستقبل معه عهد عشق جديد ..

دون حواجز هذه المرة ..

دون أي حواجز!

======





_مش جايلي نوم !

يرسلها لها مروان على هاتفها ..ليتبعها برسالة من حساب "العاشق المجهول":

_كيف ينام من تكونين غداً عروسه ؟! وكيف تغفل العين والقلب يتقافز بين الضلوعِ فرحاً بكِ ..كنتِ حلماً بعيداً جميلاً واليوم صرتِ حقيقة قريبة أجمل ..وبينهما لازلت طفلاٌ يتعلم أبجدية غرامك ..بدأها بألف أحبك ..وينهيها ..بياء ..ياء نداء للقريبة أبداٌ مهما تباعدت السبل ..للحبيبة أبداً مهما تشابكت الظروف ..وللمليكة التي احتلت كل عصوري وبسطت على أزمنتي جبروت سلطانها !

تبتسم وهي تقرأها على فراشها لتضطرب خفقاتها بزلزال لطيف صار يخصه هو وحده ..

فترد على "العاشق المجهول":





_أنت أيضاً سيد كل عصوري .

وترد عليه ك"مروان":

_أنا كمان مش جايلي نوم ..متوترة قوي وخايفة ..أول مرة من زمان أفتح دولابي وأحضن فستان العيد القديم بتاعي زي زمان .

لم يصلها رد لدقائق طالت فعادت ترسل إليه :

_انت زعلت مني ؟! مش قصدي إنك مقصر معايا ولا حاجة بس غصب عني حاسة إني خايفة قوي .

لا رد أيضاً !!

شعرت بالتوجس وهي تتصل به هذه المرة ليفاجئها الرنين الرتيب ولا رد أيضاً ..

_رد يا مروان ..خلاص ماقصدتش أضايقك .





ترسلها مرة تلو الأخرى فتزداد توجساً مع عدم الرد أيضاً ...

لتصلها رسالته أخيراً ..

_أنا قدام الباب ..افتحي!

ظلت تتفحص الكلمات لبضعِ ثوانٍ بعدم تصديق قبل أن تغادر غرفتها عدواً لتفتح باب الشقة فتجده أمامها ..

هيئته تبدو مشعثة تماماً بما يناسب رجلاً غادر بيته بأقصى سرعته ..

تبتسم فيجذب كفيها بين كفيه ليقربها منه هامساً بلهجته المميزة التي تمزج حزم رجولته بحنانه :

_ماقدرتش أستنى لحظة واحدة وانتِ بتقولي رجعتِ تحضني فستانك القديم .





تدمع عيناها فجأة وهي تلقي نفسها بين ذراعيه لتطوق خاصرته بكل قوتها ..

فيربت على ظهرها برفق وهو يتحرك بها ليدخل مغلقاً الباب خلفه برفق ..

_لو يامن صحي دلوقت وشافني هتبقى مذبحة ولا بتاعة القلعة .

يقولها مسرياً عنها ومحاولاً احتواء ردة فعلها المتطرفة التي يتفهمها ..

فتكتم ضحكتها في كتفه لترفع وجهها نحوه هامسة :

_كل مرة بتفاجئني إنك أقرب ليّ من كل حد حتى من نفسي .

_امال خايفة ليه ؟!

يهمس بها وهو يحتوي وجهها بين راحتيه ..





لتهمس له وعيناها تدوران على ملامحه بعشق جارف:

_عشان كل ده حلو ..حلو قوي لدرجة إني ماستاهلوش ..كل مافتكر نفسي زمان ..بحس ..

_ششششش..أنا حبيت داليا زمان ..وبموت في داليا دلوقت ..

يقاطعها بها واضعاً سبابته على شفتيها ..قبل أن يقبل جبينها مردفاً :

_كل يوم بتثبتيلي إنك اتعلمتي من دروس زمان ..وإني كان عندي حق أستناكي في آخر الطريق ده مهما طال ..وآخرها كان موقفك مع زين وياسمين ..داليا بتاعة زمان خلاص اتعلمت تبقى مسئولة وتراعي اللي حواليها زي ما بتراعي نفسها ..

ثم انتقلت شفتاه لوجنتيها مع همسه :




_داليا بتاعة دلوقت تستاهل كل لحظة حب حوشتهالها العمر ده ..

_مروان !

تهمس بها بحرارة أذابتهما معاً لتشعر بشفتيه تنجذبان لشفتيها ..

لكنها شهقت فجأة عندما سمعت صوت باب إحدى الغرف يفتح!

ففتح هو باب الشقة بسرعة ليخرج وتغلقه هي خلفه لتستند عليه بظهرها ..

_واقفة ع الباب زي الشحاتين كده ليه ؟!

يسألها يامن الذي كان قد قرر أن يبيت ليلته هنا معها هي وبيللا كدعم مناسب لهما في ليلة كهذه ..

صوته كان ناعساً وهو يميز وقفتها الغريبة ..لتتلعثم حروفها :





_كنت ..عطشانة ..

_آه ..وبتشربي م القُلّة اللي ع الباب ..واللا بعتتي تشتري مية ديليفري؟!

يسألها بالمزيد من الشك وهو يقترب أكثر ليميز أنفه رائحة عطر مروان المميز فتلتمع عيناه بفهم سبق قوله الساخر:

_آه ...قلتيلي بقا عطشانة ..وعمك "السقّا" كان مواعدك ع الباب؟!

احمرت وجنتاها بخجل لترد بالمزيد من التلعثم :

_سقا إيه ؟! مش فاهمة ..عموماً أنا شربت ..تصبح على خير .

قالتها وهي تهرول نحو غرفتها تلاحقها ضحكاته الخشنة :

_اتهدي يا شحرورة ونامي ..وابقي خديلك إزازة مية حطيها جنبك.





يقولها ساخراً قبل أن يتحرك ليتناول هاتفه ويتصل بمروان ولم يكد يسمع صوته حتى هتف به بنفس النبرة الساخرة :

_طب كنت ادخل نعملك شاي .

_أنا أعصابي على آخرها ومش ناقصك يا يامن .

يهتف بها مروان بتوتر يداري حرجه ليستمر يامن في مزاحه :

_ليه يا عريس؟! ده حتى عروستنا ست العاقلين مجرجراك وش الفجر لبيتها ليلة فرحكم لغرض لا يعلمه إلا الله ..فرحان فيك بشكل !!

يقولها ضاحكاً بصوتٍ عالٍ ليستفز مروان أكثر الذي هتف به بمزاح خشن :

_هي دي وقفتك جنبي ليلة فرحي يا صاحبي ؟!

فيضحك يامن من جديد هاتفاً بوقاحة هذه المرة :





_ماهو لو ما كانش الباشا هيتجوز بنت خالتي كنت وجبت معاك بنصايحي الذهبية بحكم خبراتي العامرة في المواضيع دي ..بس انت عارف بقا الموضوع دلوقت محرج .

_اخرس يا يامن ..أنا غلطان أصلاً إني كلمتك.

_أنا اللي مكلمك بالمناسبة بعد ما اكتشفت تعدّيك السافر على حرمات بيتي يا وغد ..زمان كانت بتطير فيها رقاب دي يا ولد !

هتف بها يامن بنفس المزاح المشاكس ليكتم مروان ضحكته وهو يرد :

_من بكرة هتبقى في بيتي ومش هارجعهالكم تاني أبداً ..وانت بالذات لو عُزت تشوفها مش هادخلك !

ورغم أنه كان يمزح لكن العبارة وخزت قلب يامن حقاً مع مكانة داليا بالذات لديه ..

لهذا غص حلقه غصة حقيقية ليصمت قليلاً ..





قبل أن يقول بجدية تامة تسربت منها عاطفته السخية :

_خللي بالك منها يا مروان ..مهما عملت ماتزعلهاش .

فابتسم مروان وهو يشعر بحقيقة مشاعر صديقه ..وكيف يعتبر نفسه أبا داليا حقاً وليس مجرد ابن خالتها !!

_في عنيا يا كبير ..اطمن انت بقا وخش نام .

_أخش أنام أكيد ؟! مش هاصحى على صوتك عند الباب تاني يعني ؟!

يقولها يامن بنبرة عاد إليها مزاحها ليختم

الاتصال بضحكته العالية قبل أن يتوجه نحو غرفة داليا التي طرقها ليهتف من خلف الباب :

_نمتي يا عطشانة واللا لسة ؟!





فتكتم ضحكتها لترد بشقاوتها المعهودة :

_نمت وبحلم ومغطية رجليا عشان "العاوّ"!

_ماشاء الله ..زينة البنات اللي رافعة راسي
ومشرفاني ..هو أنا خلفت إلا داليا ؟!

يهتف بها مشاكساً قبل أن تسمع صوت خطواته
يبتعد فتبتسم بسعادة حقيقية وهي تعانق
وسادتها ..

قبل أن ترسل لمروان رسالتها الأخيرة لهذه الليلة :

_فكرت في الأغنية اللي هاتغنيهالي بكرة ؟!

لكنه يرد برسالة غامضة تلاعبت بخيالاتها ..

_خلليها مفاجأة !

==========

أحبك...

أحبك...

أحبك...

كلمة بقالها أيام وليالي تدوب فيا

عايزة تروحلك وانتي بعيدة...

بعيدة عليا..

والكلمة اللي أنا عايش بيها

رح دوب كل الشوق فيها

وحقولها وأعدها وغنيها

حقول أحبك حقول أحبك

واعيش أحبك أعيش أحبك

أحبك ...أحبك يااااا حياة قلبي..





تدمع عيناها وهي تستمع لصوته عبر الميكروفون فوق منصة العرس يردد كلمات هذه الغنوة ..

لقد قضت ليلتها تفكر أي لحن سيختار ..

ورغم أنها لم تحب الكلاسيكيات يوماً وكانت تصفها دوماً بكلمتها "خنيقة"...

لكن هذا اللحن مسها ..وربما الكلمات ..

وربما لأنه هو من يغنيها ..

بصبغته الفريدة التي تلون كل شيء بطيفه الساحر ..

كان يغني أمام الحضور وعيناه لا تغادران عينيها ..كأنما لا يرى في هذه اللحظة سواها ..هي فحسب!!





بكرة خلاص هاقوللها ..

روحي لها ..قلبي لها ..عقلي لها ..

وهاقوللها هي الهنا ..هي المنى كل المنى ..

هي حياتي كلها ..

بحبها ..بحبها !!

تشهق للمفاجأة وهي تراه ينهي اللحن

الأخير بأن يضم خصرها نحوه ليرفعها ويدور بها ..فتتشبث بعنقه وسط تصفيق الحضور وصفيرهم العالي ..

لتهمس في أذنه بما سمعه هو وحده :

_وأنا بموت فيك !

تشعر بصخب دقاته تحت كفيها اللذين بسطتهما على صدره وهو يخفضها أرضاً أخيراً ..ليقبل وجنتها بعمق ..

لكنه لم يترك "الميكروفون" من يده وهو يشير نحو منظم الحفل إشارة خاصة قبل أن يخاطبها عبر الميكروفون :

_ودي مفاجأتي اللي محضرهالك من سنين مش عارف عددها ..

تتسع عيناها بترقب وهي تلاحظ انخفاض

الإضاءة في القاعة لتراقب الشاشة هناك والتي بدأت في عرض مفاجأته التي خطفت قلبها !!

العشرات من الصور لها في مراحلها العمرية المختلفة وبأوضاع مختلفة ..





طفلة بشعرها المشعث ..تعدو تارة ..وترسم تارة ..تضحك تارة ..وتعبس تارة ..صورة بضفيرة كستنائية تحتضن بعض الكتب ..صورتها المرسومة وهي تجلس على السلم محتضنة ثوبها ..صورة وهي تخرج لسانها بشقاوة عذبة ..صورة لها وهي تتشاجر مع أحد الصبية ..ثم عدة صور لها في مراحل متقدمة من دراستها ..لتنتهي بصور عقد قرانهما ..ثم صورة لها التقطاها حديثاً وهي بين ذراعيه !!

كانت كثافة الدموع في عينيها تزداد مع كل صورة وكأنما تشعر أنه حقاً ملك عمرها كله ..

أمسه وغده ..

قلبها يتقافز بين ضلوعها بجنون فلا تجد لها ملجئاً إلا صدره تدفن فيه دموع تأثرها !!

الأضواء تعود من جديد مع صفير الحضور وتصفيقهم لكنها لا تشعر إلا بحاجتها له وحده ..





تسكب دموعها بين ذراعيه مع رجفة جسدها التي احتواها بحنان وهو يبعد الميكروفون جانباً ليهمس في أذنها :

_بتعيطي ليه دلوقت ؟! ماعجبتكيش؟!

كان يعلم الجواب لكن سماعه منها مع رجفتها اللذيذة هذه بين ذراعيه شيء آخر :

_عجبني جداً ..انت تجنن .

صوتها المرتجف بدموعها يجعله يبتسم وهو يضمها نحوه أكثر هامساً:

_هو أنا فلوسي حرام يا بنتي ؟! أدفع أد كده ل"الميكب ارتسيت" عشان تبوظي الشغل في أول الليلة !

تضحك وسط دموعها وهي تخبطه بكفها على صدره ليتأوه بمبالغة فترفع وجهها نحوه أخيراً لتميز ما صنعته زينتها بقميصه الأبيض !!!..




_بوظتلك القميص!!

تهمس بها ببعض الخجل وهي تمسح عينيها دون حذر ..لكنه يبتسم وهو يضمها نحوه أكثر هامساً بهيام :

_بس صلحتيلي العمر كله !!

وفي مكانه على المائدة كان يامن يراقبهما بحنان وهذا "الفيديو" الذي صنعه مروان يقع في قلبه موقعاً عظيماً ..كأنما يعيد له ذكرياته الخاصة ..

_عفارم عليه الولد مروان ده ..شكله حبّيب كبير !

تهتف بها بيللا باستحسان وهي تصفق بكفيها لترد ياسمين بفرحة مشعة :

_هو وداليا يستاهلوا السعادة دي ..





ثم مسدت بطنها بأناملها مردفة :

_اوعي يا يمنى تعمليها وتقرري توصلي النهاردة وتبوظيلنا الفرح .

لكن يامن يهتف وهو يشبك أنامله بأناملها فوق بطنها :

_فشر! دي بنت يامن حمدي ..يعني ماجستير نظام ..دكتوراة تفاصيل ..رئيس قسم جودة ..هم تسع شهور يعني تسع شهور ..لا يوم زايد ولا يوم ناقص .

_حرام عليك يا يامن ..

أنا خلاص استويت ..عايزاها تيجي بقا .

تهتف بها ياسمين ببؤس مصطنع لكنه يهز سبابته نفياً هاتفاً :

_عيب يا ماما ..كده بتلعبي في جيناتي وأنا ماسمحلكيش!!





تنطلق ضحكاتهما عالية تشاركهما فيها نبيلة التي كانت تتنهد بارتياح وهي تراقب هانيا ورامز اللذين استقرا على مائدتهما القريبة جوار أشرف ورانيا التي بدت عليها السعادة بحملها الجديد مع هذه الثقة النابضة التي كانت تشع بملامحها ..

كيف تصف هذه السعادة التي تشعر بها أخيراً وهي ترى القدر قد منحها الدور الذي بخلت به على نفسها طويلاً ..

دور البطولة كأم !!

بينما كان يامن يشعر بنفس الاطمئنان وهو يدور بعينيه على بنات خالته جميعاً ..

قبل أن يميل على ياسمين ليسألها باهتمام:

_انتِ لسه بتحسي إنك بتشوفي سيلين ؟!

سؤالها يصدمها للحظة وكأنما نست هذا الأمر مع أحداث الأيام السابقة ..





لتشحب ملامحها وهي تستعيد منظر لباس الطفل الملوث بالدم والذي وجدته في سيارتها ..

_لا ..خالص ..بس انت شفت معايا اللي كان في العربية !

تقولها بقلق ليقبل وجنتها وهو يضمها نحوه مطمئناٌ بقوله:

_اللي ع الهدوم ده مكنش دم ..ده صبغة حمرا ..مقلب سخيف ممكن يكون أي حد

عامله ..ماتشغليش بالك ..أنا متأكد إن سيلين في لندن ..واتجوزت كمان .

انفرجت شفتاها قليلاً وهي تستكين على صدره ..

إذن رؤيتها لسيلين كانت محض هواجس ..

لهذا اختفت بانشغالها وشعورها المستحدث مع يامن بالأمان ..





وتبقى قصة القميص الملوث هذه مجرد مقلب..

لماذا تشعر إذن أن الأمر يفوق هذا ؟!

تشعر بأنامله تتشابك بأناملها كأنما يدفع عنها هواجسها ..

فتبتسم وهي تميز خاتميه في إصبعيه ..

كلاهما يقسم لها أن هذا الرجل لن يكون إلا لها ..هي فقط !

فتتسع ابتسامتها وهي تميزكذلك لمعة خاتمه الملون في إصبعها يتراقص بفتنة تحت الأضواء ..

لتتنهد أخيراً بارتياح وهي تمسد بطنها بأناملها الحرة ..

وعلى مائدة مجاورة كانت نشوى تجلس مع ابنتها ريما تراقب باب الدخول بعيني دامعتين ..

لقد تأخر ناصر ..

تراه لن يأتي ؟!





هو وعدها بالحضور بعدما دعته هي كي تظهر معه في هذا الحفل تمهيداً لإعلان

علاقتهما للجميع رغم اعتراض أشرف ..

_أروح أرقص مع العروسة يا مامي ؟!

تسألها ريما لترد بنصف تركيز مراقبة حركات الصغيرة المبتعدة ..

هي لا تفهم نفسها !!

تشعر أن بداخلها امرأتين متناقضتين !!

إحداهما متنمرة متمردة تريد إثبات ذاتها فحسب ..

والثانية هشة واهنة لا تريد سوى ضمة حنون من رجل أحبته !!

رجل كهذا الذي دخل الآن أخيراً من باب القاعة بوسامة كاسحة وأناقة لا تليق إلا به ..

قلبها يخفق له هذه الخفقة "المراهقة" القديمة التي ترسم على شفتيها ابتسامة لهفة ..





ابتسامة ولدت وماتت في نفس اللحظة وهي تميز وجود سها جواره !!

كيانها يشتعل بغيرة هوجاء وهي تميز فتنتها المعهودة ..قوامها الممشوق الذي زاده ثوبها الأسود الأنيق جاذبية ..شعرها الذي رفعته بتصفيفة منمقة لتترك بعض خصلاته الفاتحة تتموج حول وجهها ..وجهها الجميل الذي زينته برقة ...وأخيراً كفيهما المتشابكين وسط الزحام !!

لماذا أحضرها معه هذه المرة أيضاً ؟!

ما الذي يريد أن يثبته لها ؟!

أنها راضية بوضعهما الجديد ؟!

هي اقتنعت بهذا منذ المرة السابقة ..فما الداعي لزيادة التأكيد ..؟!

إلا إذا كان غرضه الحقيقي أن يشعرها بمكانة زوجته عنده !!





ملامحها تنطفئ فجأة وهي تطرق بوجهها ببؤس ..

والخفقة "المراهقة" تتحول لأخرى "خائبة"
حاولت مداراتها بقناع قوتها المعهود ..

تشعر بهما يقتربان فترفع رأسها نحوهما ..عيناها تلتقيان بعيني أشرف الذي يرمقها بنظرة تمزج ضيقه بإشفاقه فتواجهه بابتسامة مصطنعة وهي تقف مكانها لتصافحهما ..

_مساء الخير ..مبروك !

تقولها سها وهي تمد لها كفها بنظرة متفحصة كأنما تخضعها لمقارنة أنثوية معهودة فتشعر نشوى بالخزي أكثر مدركة نتيجة المقارنة ..

لكن ظهور ريما في خلفية الصورة يغير النظرة تماماً !!





فلم تكد تظهر خلفهما حتى التفت نحوها ناصر ليبتسم وهو يحملها بين ذراعيه هاتفاً :

_أهلا بجميلة الجميلات ..وحشتيني !

تعانقه الصغيرة بقوة فيرتجف قلب نشوى وهي تشعر أخيراً أنها تملك ما يجعل كفتها تميل في الميزان !!

خاصة عندما علت ضحكة ناصر والصغيرة تقبله بشقاوة طفولية هاتفة :

_ريحتك لمون ..هارسمك وألونك بالأصفر .

لكن سها تتدخل لتحمل الصغيرة عنه فتقبلها بحنان هاتفة :

_وأنا ريحتي إيه ؟!

فتغمض الصغيرة عينيها كأنها تتشممها بقوة لتهتف أخيراً وهي تفتح ذراعيها :





_ريحتك بكل الورد ..كله ..هارسمك وألونك بألوان الطيف ..انتِ جميلة قوي زي باربي!

_أوووه ..سويتي!

تهتف بها سها وهي تقبل الصغيرة لتداعب شعرها بأناملها ..فتشعر نشوى بالغيرة من جديد وهي تستشعر غرابة الوضع الذي هي فيه ..

يمد ناصر يده لمصافحتها فيلتفت له قلبها "المراهق" قبل عينيها . .

تشعر به يضغط كفها ببعض القوة فتفاجأ بذبذبة جسدها تستجيب!!

زوجها السابق كان يصفها بالبرودة ..

وربما كان هذا أحد أسباب فشل زواجهما ..

طالما كانت تستشعر معه أنها تقف على أرض جليدية ..تمنحه جسداً بلا شعور ..

٤٤٤٤





ربما لهذا تستشعر الآن قيمة ناصر بهذا الدفء الذي دغدغ به أنوثتها ..

لهذا لم يكن غريباً أن احمرت وجنتاها بقوة أثارت هذه المرأة أمامها رغم ادعائها البرود ..

سها!!

سها التي شعرت بقبضة باردة تعتصر قلبها وهي تراها تحمر خجلاً من مصافحة بينما خيالها يدفع إليها أوتوماتيكياً بالمزيد من المشاهد العاطفية بينهما فتتقلص معدتها بانقباض ..

أي جحيم هذا الذي توشك أن تعيشه بل وتزعم عنه رضاً؟!

_واقفين ليه ؟! اتفضلوا اقعدوا !





يقولها أشرف بنبرة مهذبة لم تخلُ من ضيق وهو يشعر بهذا الجحيم الذي لا يعرف سبباً عاقلاً يجعل هؤلاء الثلاثة يلقون أنفسهم به !!

لكن رانيا تتقدم لتربت على ظهره بإشارة داعمة قبل أن تحيي الجميع برقة لتسحبه هو بعيداً قائلة بعدها بتعقل :

_سيبها لوحدها معاهم عشان تقدر تقيم التجربة .

لكنه يرمق نشوى التي بدت مشتتة زائغة العينين بنظرة حانقة ناسبت قوله :

_خايف عليها قوي ..خايف تختار غلط مرتين .

لكنها تهز رأسها قائلة بابتسامة هادئة :

_ماتخافش عليها ..نشوى عاقلة .

_بس جرح زمان لسه معلم فيها !

يقولها آسفاً دون أن يدري إلى أي مدى كان مصيباً ..





فعلى المائدة كانت نشوى مغيبة تماماً بذكريات مراهقتها مع ناصر ..

خلليك فاكرني ..

ياللي بجمالك وبعيونك دول آسرني ..

خلليك فاكرني ..

وإن حس قلبك يوم بقلبي ..

ابقى زرني ..

اللحن ينبعث على المسرح فيذكرها بعهدهما القديم ..

كيف كانت ترتجي منه ولو نظرة ..

كيف انكسرت روحها عندما لفظها يوماً لتعيش بعده حياة معوجة ..




وكيف يمكن أن تستقيم حياتها به من جديد الآن !

_شايف مين هناك ؟! ده سامر ..هاروح أسلم عليه !

تهتف بها سها بعفوية وهي تغادر المنضدة لتشعر نشوى بالكثير من الراحة لهذا ..

هذه الراحة التي تخلخلت كثيراً وهي

تلاحظ تغير ملامح ناصر للضيق وهو يتابع زوجته بعينين كأنما التصقتا بها !!

_انتم متعودين تروحوا سوا كل مكان كده؟ !

تقولها بعتاب خفي ليلتفت نحوها بحدة

لأول وهلة ..

قبل أن يتنحنح ليقول بهدوء:





_سها صاحبتي قبل ما تبقى مراتي ..عارفة عني كل تفاصيلي ..هي اللي بتنظم لي وقتي ومواعيدي ..تقريباً مابعرفش أتحرك خطوة من غيرها .

مخالب الغيرة تعاود نهشها بقوة ليبدو هذا جلياً في عينيها ..

_انت بتقوللي كده عشان أغير ؟!

تسأله بنبرة مرتجفة نما فيها طيف تنمر مستحدث ليرد بنفس النبرة العملية :

_بقوللك كده عشان تقدري الوضع كويس ومايحصلش مشاكل بعدين ..مش عايزك في أي وقت تجرحيها وأنا متأكد إنها مش هتحاول تجرحك ..الدنيا كلها عارفة أنا بحبها أد إيه ..لكن حقي إني أتجوز تاني ..وهي موافقاني على ده ..

يزداد الضيق في ملامحها أكثر ..





لكنه كان من الذكاء أن يدير دفة الحوار ..

ويعلم أنه معها فقط تكفيه ابتسامة وعبارة غزل ..

_انتِ جميلة قوي النهاردة ..الأحمر حلو قوي عليكِ !

لم يكن مخطئاً في تقديره وعبارته تلقيها من أقصى اليمين لأقصى اليسار ..

تداعب الوتر المنسيّ في قيثارة أنوثتها فتطلق هذا اللحن الذي لم يعرفه قلبها لرجل غيره ..

شفتاها تتجملان بابتسامة ..وقلبها يتزين بخفقاته ..

وعيناها تتكحلان بهذه النظرة المعجبة في عينيه ..

كل هذا يمنحها أملاً في الغد !!





لكنه لم يلبث أن حاد ببصره عنها من جديد مراقباً زوجته التي انخرطت في حديث طويل مع المدعو سامر هذا وقد بدت منشغلة عنه حقاً ..

_بعد إذنك ..دقيقة واحدة !

يقولها غير منتظر ردها قبل أن يتجه نحوهما تلاحقه نظراتها المترقبة ..

قبل أن تغمض عينيها بألم وهي تراه يبسط كفه على ظهر سها في حركة ملكية واضحة طوال حديث ثلاثتهم هناك ..كأنه يدحض بهذا غيرته !!

_غريب قوي ناصر ده !

تلتفت بحدة نحو مصدر الصوت لتجد إسلام واقفاً جوارها يضع كفيه في جيبي سرواله مردفاً :

_قليل قوي لما الواحد يلاقي راجل بيحب مراته كده .





_انت إيه اللي جابك هنا ؟!

تهتف بها بحدة متطرفة فجرتها مشاعرها المهيضة ليسحب الكرسي أمامها دون استئذان قائلاً :

_أشرف عمل الدعوة عامة للمصنع كله .

_بس محدش جه غيرك .

تهتف بها بغيظ ليهز كتفيه هاتفاً ببرود ظللته ابتسامة :

_أنا راجل ذوق ومابكسفش حد .

تغضنت ملامحها بازدراء وهي تود صفعه ..!

لا تدري لماذا يتملكها هذا الشعور دوماً كلما تراه ..

منذ ابتلاها أشرف به في المصنع وهو يثير حنقها ..

صحيح أنه ماهر في عمله حد العبقرية لكنها لازالت غير قادرة على نسيان ماضي أبيه !!

تستشعر أن في الأمر خدعة ما ..




فليس من الطبيعي في هذا الزمان أن يفعل رجل مثل ما فعل هو بهذه المثالية كي يصحح خطأ والده !!

ابتسامته الباردة مع نظراته المتفحصة لها تزيد غيظها منه لكنها وجدتها فرصة ..لمَ؟!

لتثير غيرة ناصر ..ربما !!

هو هرع إلى زوجته بمجرد أن رآها تحدث أحدهم ..فهل سيفعل المثل معها ؟!!

وأمامها كان هو يتفحصها باهتمام يناقض ابتسامته الباردة ..

هو كان ماراً بالمصادفة قريباً من هنا ليرى ناصر وزوجته فيتذكر دعوة أشرف لزفاف أخت زوجته ..

هذه الدعوة التي لم يكن ينتوي تلبيتها ..





لولا رغبته في استكشاف هذه العلاقة الغريبة التي يمكن أن تجمع ناصر بنشوى ..

وازداد فضوله ضراوة وهو يراه يجالسها هاهنا منذ قليل ..زوجته تتركه معها ..ليسرّ إليها بكلمات تجعل وجنتيها تحمران خجلاً ..

أي "حمار" يمر من هنا سيدرك أن هذه الغافلة المتنمرة شبيهة "التين الشوكي"معجبة بذاك الضابط الوسيم ..

لكن ثمة مشكلة بسيطة أنه متزوج !

متزوج من امرأة يحبها بجنون كما يعلم !!

فما العلاقة المريبة التي يدور حولها كل هذا ؟!

_هو ناصر عايز يتجوزك ؟!

يسألها مباشرة دون مواربة لتجحظ عيناها بدهشة هاتفة :




_هو قاللك ؟!

فابتسم ابتسامة مغيظة ليرفع حاجبيه مجيباً :

_انتِ اللي قلتيلي !

احمر وجهها بغضب وهي تود في هذه اللحظة كعهدها أيضاً أن تصفعه !!

لكن ..لماذا ؟!

أليس من المفترض أن يعلم الجميع عن الأمر؟!

ألم تدعُ ناصر هنا لهذا السبب ؟!

لماذا الآن تشعر بالخزي من اكتشاف هذا المتحذلق للأمر ؟!

_انت بتتدخل في حاجات كتير

مالكش فيها ..ولازم تفهم إن وجودك معايا دلوقت زي وجودك عندي في المصنع ..غير مرغوب فيه !





تهتف بها لاهثة الأنفاس بفظاظة لكنه أشار بعينيه نحو ناصر الواقف هناك ليقول بابتسامته المستفزة :

_لو مكنتيش عايزاني أقعد كنتِ رفضتِ م

الأول ..بس واضح إنك كنتِ عايزة تقارني رد فعله مع مراته برد فعله معاكِ .

اتسعت عيناها بصدمة مع شهقتها وهي تشعر به قد قرأ أفكارها ببساطة ..

ليضحك وهو يقف مشيراً لها بسبابته ووسطاه جوار رأسه بتحية تشبه تحية الكشافة ليهتف أخيراً :

_نصيحة خبير في الأمور العاطفية بلاش السكة دي ..خسرانة !





احمر وجهها بانفعال وهي تشعر بمزيج ذكائه وجرأته يفقدها قدرتها على النطق ..

فانفرجت شفتاها تبحث عن إهانة مناسبة لكنه أشار نحو منصة العرس ليهتف وهو يبتعد دون أن ينتظر ردها :

_أوباا ..العريس هيغني تاني ..ألحق أنا "أشروف" بقا أبارك له قبل الزحمة .

تلاحقه بنظراتها مغتاظة وهي تود لو تقذفه بالمزهرية أمامها ..

"أشروف"!!!

يقولها كأنه صديق قديم وليس ابن الرجل الذي دمر مستقبل أخيها من قبل !!





تعاود التفاتها نحو ناصر الذي بقي واقفاً مكانه رغم رؤيته لإسلام يتحدث معها فتلتمع الحسرة الخائبة في عينيها لتطغى على أي شعور آخر ..

وعلى المسرح كان مروان يهمس لداليا بينما يحتضن راحتها على كتفه :

_حضّرت أغنيتين ..سمعتِ بتاعتي ..ولسه بتاعة العاشق المجهول ..

فتطلق ضحكة مستمتعة وهي تتأهب للسماع بكل جوارحها ..

ليبدأ هو غناء اللحن الذي اختاره :

يدك التي حطت على كتفي

كحمامة نزلت لكي تشرب

عندي تساوي ألف أمنية

ياليتها تبقى ولا تذهب

الشمس نائمة على كتفي

قبّلتها ألفاً ..ألفاً ولم أتعب !

يقرن قوله بفعله في العبارة الأخيرة فيتعالى الصفير والتصفيق للحضور من جديد ...

فتخفي وجهها في صدره شاعرة أنها الآن حقاً تملك الدنيا بين كفيها !!

_مبروك يا داليا.

تهتف بها دكتورة سهام خلفها فتلتفت نحوها بنظرات مرتبكة لكن مروان شد على راحتها داعماً فاستكانت رويداً رويداً وهي ترد مباركتها ثم مباركة دكتور ياسر ووالدي مروان ..




_باباك ومامتك شكلهم طيبين قوي .

تقولها عقب انصرافهم لمقاعدهم فيبتسم لها قائلاً :

_ومريحينك خالص ..دايماً مسافرين .

تبتسم له بخجل طغا على شقاوتها المعهودة لكن الحال لم يدم كثيراً خاصة عندما انضمت شقيقتاها وبعض صديقاتها للمنصة ..

فتحركت لتهم بالرقص معهن لكنه حدجها بنظرة صارمة جعلتها تكتفي بالتصفيق ..

_شايف جميلة إزاي؟!

تهتف بها نبيلة بتأثر وهي تراقب السعادة المرتسمة على وجه داليا مخاطبة يامن الذي هتف بمرح:

_بس يارب تستر وتكمل الفرح على خير من جنان .





_ماتخافش ..مروان عارف يسيطر .

تقولها ياسمين بودّ فيلتفت نحوها ضاحكاً :

_طالعلي.

تبتسم له بحب وهي تسند رأسها على كتفه شاعرة أنه قد آن الأوان أن تحصل هذه العائلة كاملة على السعادة التي تستحقها ..

=======

_مبروك يا شحرورة ..لو الولد ده قل أدبه كلميني أربيه !

يهتف بها يامن مشاكساً وهو يودعهما أمام باب شقتهما ليخبط كتف مروان بقبضته ..

لكن الأخير دفعه بكلي قبضتيه هاتفاً بمشاكسة مشابهة :





_ياللا يا بابا ..بيتك بيتك ..خلاااص ..القطة دي بقت تبعي .

تضحك داليا بمرح وهي تتابع مزاحهما الذي امتد لما يشبه عراكاً بالأيدي ..

انتهى بقول يامن وهو يضع رأس مروان بين ساعده وزنده هامساً جوار أذنه بصوت خفيض:

_مش عايز أضغط عليك قوي ..عشان لو الليلة مكملتش ماتلبسهاش فيّ !

لكن مروان حرر نفسه بسرعة ليرد له حركته بحركة مفاجئة لاوياً ذراعه خلف ظهره :

_عيب يا كبير ..ده احنا بنروح نفس الجيم .

قهقه يامن ضاحكاً وهو يحرر نفسه منه ليربت على وجنته هاتفاً :

_لا كده اطمنت عليك .





احمر وجه داليا بخجل وهي تشعر أن همس يامن كان يحمل شيئاً من الوقاحة..

بينما تقدم منها يامن لتتحول ملامحه لحنانها المعهود قبل أن يقول لها بجدية :

_مبروك يا ست البنات .

دمعت عيناها وهي تشعر به حقاً في هذه اللحظة كأب يسلم ابنته لزوجها ..

هذا المشهد الذي حسدت عليه ياسمين يوماً ..

والآن تعيشه بمنتهى الروعة !

فامتدت ذراعاها تهمان بعناقه لكن مروان جذبها نحوه هاتفاً :

_جرى إيه يا آنسة ؟! احترمي وقفتي حتى!

_شفتي ؟! بيقوللك آنسة في ليلة زي دي !! قلت جوازة مضروبة محدش صدقتني !




يهتف بها يامن مشيراً بسبابته نحو مروان الذي جذب داليا لداخل الشقة قائلاً بينما يغلق الباب خلفه :

_الله يبارك فيك يا دوك ..خللينا نشوفك !

ثم عاد يفتح الباب مردفاً :

_ومش عايز ألاقيك ع الباب م الصبح ..مش هافتح لك !

يقولها ليعاود إغلاق الباب بعنف ليضحك يامن وهو يخبط الباب بقبضته مرة أخيرة قبل أن يهبط الدرج مغادراً .

وبالداخل تقدم هو من داليا الغارقة في ضحكاتها ليبتسم وهو ينزع عنها حجابها

قائلاً :

_جاهزة ؟!





فتتسع عيناها بحرج لتهمس مصدومة :

_لإيه ؟!

_هنصلي! دماغك راح فين ؟!

يقولها ببراءة مصطنعة لتضحك وهي تستدير لتعطيه ظهرها هاتفة بمشاكسة شقية :

_طب ساعدني أقلع الفستان .

_ماهو أنا لو ساعدتك تقلعيه مش هنصلي !

يهمس بها في أذنها بجرأة احمرت لها وجنتاها لتجد نفسها تهرع نحو غرفتهما لتخلعه بنفسها ..

قبل أن ترتدي -ما انتوت ارتداءه- لهذه الليلة ثم تحركت نحو الحمام القريب تزيل زينتها وتتوضأ ..

تخرج إليه بإسدال صلاتها فيبتسم بحنان وهو يتقدم نحو مكان قريب ليؤمها للصلاة ..





ولم يكد ينتهي حتى التفت ليضع أنامله على جبينها ..

اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ..وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه

فتعبس ملامحها وهي تزيح أنامله عنها هاتفة بتنمر :

_اشمعنا بتقوللي كده ؟! أنا عملت إيه ؟!

فيضحك ضحكة عالية وهو يجذبها لحضنه هاتفاً بينما يعضّ وجنتها الممتلئة برفق:

_يا مجنونة ..ده دعاء بيتقال ليلة الدخلة ..للستات كلها ..مش للمجانين اللي زيك بس !





تتأوه بدلال وهي تحرر نفسها منه لتهب واقفة وضحكاتها تغرد في أذنيه ليقف بدوره ثم يجذبها من كفها نحو الشرفة القريبة قائلاً :

_فيه مفاجأة هنا ..ما شفتيهاش !

ترمقه بنظرة متسائلة فيفتح الشرفة لتفاجأ

بالأرجوحة الكبيرة المعلقة هناك والتي اندفعت نحوها لتجلس عليها هاتفة بانبهار :

_رهيييبة ..مش ممكن ..من زمان كان نفسي في واحدة زي دي ..عرفت منين إني هاموت عليها ؟!

يميل رأسه بحركة ذات مغزى قائلاً :

_أحلام سيادتك أوامر ..





فابتسمت وهي تعيد قدميها للأرض قبل أن تعدو نحوه لتتعلق بعنقه هاتفة بدلالها العاشق:

_مالكش حل !

تقرنها بقبلة على وجنته فيسحبها للداخل قبل أن يميل على شفتيها بلقاء حار لفحهما معاً ..

لتشعر برغبتها في الانسحاب من أمامه وهاجس قديم يعاود اكتساحها بقسوة حاولت تجاهلها وهي تعدو بخفة نحو غرفتهما فيلحق هو بها ليخلع عنه قميصه قبل أن يحتويها بين ذراعيه هامساً :

_حرام عليكِ ..مش كفاية كده جري وراكِ؟!

ترتجف بين ذراعيه وهي تشعر بحرارة عاطفته تفوق قدرتها على التحمل ..

خوف طبيعي يعصف بها ممتزجاً بخجل عفتها بينما يخلع عنها إسدال الصلاة ..

خجل يجعلها تغمض عينيها ..





لكن شقاوتها الطفوليه المعهودة تدفعها لأن تفتحهما متفحصة أثر ما يراه عليه ..

نظرته المبهورة ..أنفاسه اللاهثة ..ارتعاش سبابته التي يشير بها نحوها بينما يصمت للحظات طالت ..قبل أن يهمس لها بصوت مبحوح:

_مين اللي اختار لك القميص ده ؟!

فتعود للخلف شاعرة ببعض الخوف يعاود اجتياحها ..لكنها تجيبه :

_أنا !

يقترب منها ببطء يجعلها تعود للخلف أكثر مع سؤاله التالي :

_عامدة متعمدة ؟!

تبتسم رغماً عنها لتطلق شهقة عالية وهي تتعثر في الفراش خلفه لتسقط فوقه قبل أن تشعر بأنفاسه تظللها ..




_ردي ..عامدة متعمدة ؟!

صدرها يعلو ويهبط بانفعال لكن طبيعتها المشاكسة تجعلها تهز رأسها إيجاباً هاتفة

بدلالها المعهود :

_عاجبك واللا مش عاجبك !!

_مممممم ..والله كنت محضر خطة هايلة لسهرة الليلة تبدأ بفستان الفرح التاني اللي اشتريناه ..

يقولها وهو يدور بسبابته على ملامحها ..

ليردف وهو يقربها منه أكثر :

_بس مادام اخترتِ ده يبقى تستحملي نتيجة اختيارك !

قلبها يرتج بقوة وهي تغمض عينيها تتلقى عطايا عشقه بمزيج من لذة وخوف !!





خوف يطفو على السطح من جديد وهي تستعيد ذكرى تلك الليلة التي كاد فيها ذاك الرجل يغتصبها لولا أن أنقذها !!

رغماً عنها يقفز المشهد لمخيلتها فيرتج جسدها بانفعال مرتعب لا تملكه ..

فتهمس عبر شهقات صدرها :

_كفاية يا مروان ..أنا خايفة !

يرفع عينيه إليها ليروعه شحوب ملامحها المفاجئ ..وهذه الرعدة التي تسري من جسدها نحوه ..

مع هذه الدموع التي تسربت عبر جفنيها المغلقين ..

_افتحي عينيكي ..





يهمس بها بقلق امتزج بحنانه وهو يعتدل في جلسته فيشعر بالهدوء يعود إليها تدريجياّ عقب ابتعاده ..

يجذبها من ذراعها نحوه لتعتدل بدورها فيضمها لصدره وهو يشعر بالغرابة ..

_دي تاني مرة تكرري الكلمة دي من امبارح ..خايفة مني؟!

يهمس بها برفق قلق وهو يربت على ظهرها ليصله همسها المبحوح :

_مش منك ..

_امال ..؟!

يقطع تساؤله بإدراك وهو يفطن أخيراً لسر تقلبها المفاجئ هذا ..

هي روت له تفاصيل تلك الليلة الكارثية عندما كانت تظنه "العاشق المجهول" ..





لكنها تجنبت تماماً الحديث عما كان من ذاك الحيوان وقتها ..

كيف لم ينتبه أن ليلة كهذه ستبقى تحمل لها أثراًّ كهذا الذي يراه في ملامحها ؟!

ربما لأنها لم تتطرق إليها يوماٌ في حديث ..

منعها خزيها ..وخوفها !!

_بصي في عيني ..

يهمس بها بحنان وهو يرفعِ ذقنها نحوه مغالباً فورة عاطفته نحوها لتهز رأسها بعجز وهي تمعن في إغلاق جفنيها ..

_يعني كنتِ شجاعة قوي وانتِ بتختاري قميص زي ده ؟! ودلوقتِ خلاص ..خايفة !

يهتف بها بنبرته المرحة محاولاً تخفيف بعض الضغط عنها ..





لتبتسم وهي تعاود إخفاء وجهها في صدره ..

فتنهد بعمق ليربت على ظهرها هامسٌ وكأنما يخاطب طفلة :

_طيب ..بصراحة كده ؟! انتِ خايفة من الموضوع نفسه ؟! واللا خايفة على صورتك في عيني لو افتكرت ليلتها ؟!

تدرك حينها أنه وصل لسر هذا الذي يجتاح كيانها ..

فتشعر بالكثير من الامتنان له أن أعفاها من التفاصيل ..

تتردد قليلاً وهي تشعر بالمزيد من الخزي والخوف ..

لترفع له سبابته ووسطاها كجواب غير منطوق ..ولاتزال تخفي وجهها في صدره ..





يضحك ضحكة مطمئنة وهو يتناول كفها يقبل باطنه قبل أن يميل بها ليعيد إسناد جسدها على الفراش ..

فينظر إليها من علو ..بينما أنامله تداعب وجنتيها برفق :

_ليه ما كلمتنيش في الموضوع ده قبل النهارده ؟!
لو كنت فاكر إنه مأثر فيكي كده كنا حليناه من بدري ..بدل ما نضيع الليلة المفترجة دي !

مزيج من الانفعالات يغمرها وهي تشعر

بالخزي يطوقها ..

لكنه يميل نحوها ليتخلل شعرها بأنامله هامساً برقة أكبر :

_لو كنتِ خايفة من صورتك في عيني ..تبقي لسه مافهمتيش داليا عندي تبقى إيه ..ولو قلقانة من الموضوع نفسه ..فانتِ متجوزة واحد كل همه في الدنيا يسعدك وبيخاف عليكِ أكتر من نفسه !





كلماته على بساطتها كان لها مفعول السحر في روحها ..

لهذا وجدت نفسها تفتح عينيها أخيراً ..

لكنها عاودت إغلاقهما عفوياّ وهي تراه ينحني ليقبلهما بعمق عدة مرات ..

قبل أن يضمها إليه من جديد برقة هامساً في أذنها :

_بحبك يا مجنونة ..بحبك في كل حالاتك.

ابتسامة صغيرة تنبت على شفتيها وهي تستجيب لزخات الأمان في عناقه الدافئ ..

تتسع رويداّ رويداً وهي تراه يدلل أنوثتها بمراعاة ساكباُ في أذنيها أروع عبارات الغزل ..

وهذه الحرارة المشعة لعاطفتها تظللها غيمة كبيرة من أمان هو فقط سره !!

ابتسامة تشتعل أخيراً كألف شمس صغيرة وهي ترد له عطايا عشقه بمثلها ..





الحواجز بينهما تذوب ..

تذوب ..

تذوب ..

والخوف يتهاوى برياح عاطفة تجتاحهما فيستسلمان لدوران لا نهائي ..

وأخيراً ..لا يبقى سوى خفقات قلب هادرة ..

تتذوق اكتفاء سعادتها قطرة ..قطرة !

=======

تغادر جيلان مبنى النيابة بعينين زائغتين وهي تتلفت حولها شاعرة بأن قدميها لا تكادان تحملانها ..

هل كان هذا الكابوس حقيقياً ؟!

_معلش يا ماما ..الحمدلله إنها خلصت على كده .





يقولها إسلام بتوتر امتزج بإشفاقه وهو يراقب ملامحها التي بدت وكأنما اكتسحها الهرم فجأة بعد أحداث الأيام السابقة ..

الحكاية بدأت ببلاغ قدمته إحدى السيدات بخصوص "مركز التجميل" الذي تمتلكه تتهمهم فيه باستخدام مواد غير مطابقة للمواصفات تسببت في حروق لوجهها ..

لتجد نفسها تدور في دوامة من التحقيقات تسببت في التحفظ عليها بالسجن !!

هي ..جيلان هانم ..تقضي سبعة ليالٍ كاملة في الحبس كالمجرمين !!

_روحني ع البيت بسرعة !

قالتها ملاحظة عدسة كاميرا صحفية تلتقط لها صورة ما فأحكمت وضع نظارتها الشمسية على وجهها لتستقل سيارته جواره ..





C i n n a b o n

_الموضوع ده غريب جداً ..بدأ فجأة وخلص فجأة كده ..منين الست تبلغ ..وبعد كام يوم تتنازل عن البلاغ والحكاية تتلم بقدرة قادر !

يقولها إسلام بشك حذر وهو يلتفت نحوها مردفاً:

_انتِ رأيك إيه ؟! ليكِ عداوات مع حد مُهم ؟!

تشرد ببصرها والهمّ يلون ملامحها بينما تهز رأسها بحيرة :

_أبداً ..

ثم تنهدت بألم لتسأله:

_اوعى يكون أخوك عرف حاجة ؟! هو مش ناقص!





هز رأسه بحركة مطمئنة وشعوره بالإشفاق نحوها يتزايد بينما يرد:

_قلت له إنك مسافرة كام يوم تغيري جو .

تأوهت بقوة لتتنخرط فجأة في بكاء هستيري صارخة :

_إيه اللي بيحصللي ده يا ربي؟! فجأة كده حياتي كلها بقت كابوس ..إيه المرمطة اللي شفتها دي؟! عملت إيه في دنيتي عشان كل ده ؟!

يتنهد بألم وهو يضمها نحوه بذراعه بحنان هاتفاً :

_اهدي يا ماما ..نحمد ربنا إنها جت على أد كده ..أنا من زمان مكنتش مرتاحِ لفكرة "البيوتي سنتر" ده ..مشاكله كتير وانتِ ماعدتيش فاضياله !





_هو السنتر وبس؟! أنا كأني صحيت م النوم لقيت حياتي اتقلبت ..الراجل اللي كانت الدنيا كلها بتحسدني على حبه ..ولادي اللي طلعت بيهم م الدنيا ..صورتي وشكلي قدام الناس ..كل ده في لحظة ..يروح مني كده !

تهتف بها بين شهقات نحيبها ليشدد ضمته الحنون لها ..

ورغم ضيقه ببعض تصرفاتها لكنه كان يشعر حقاٌ بالإشفاق نحوها ..

هي لم تكن أكثر من امرأة استيقظت فجأة لتجد عمرها كله مجرد فقاعة زائفة !!

لهذا تنهد أخيراً قائلاً بنفس النبرة المشفقة :





_مالهم ولادك بس ؟! هيثم هيخف بإذن الله حالة مؤقتة وهتروح ..وأنا جنبك أهه !

تستجيب لسيل دموعها الصامت بعدها وهي تشعر كمن سقطت من علياء هرمها لتجد نفسها جثة ممددة فوق سفحه ..

حياتها كلها صارت هشيماً تذروه الرياح ..

وأخيراً أزمة حبسها هذه ..قصمت ظهرها حقاً !!

تشعر بتوقف السيارة فتلتفت نحو إسلام الذي بادرها بقوله :

_اهدي شوية عشان خاطر هيثم ..مش عايزينه ياخد باله من حاجة .

تومئ برأسها مطيعة لتمسح دموعها وهي تغادر السيارة نحو بيتهما ..





لقاؤها الدافئ بهيثم يبدد بعض كآبتها قبل أن تخلو بنفسها في غرفتها ..

ولم تكد تفعل حتى فوجئت برقم غريب يرن على هاتفها ..

تجاهلته مراراً قبل أن تضطر أخيراً للرد ..

_ليلة سجن ياقوت تساوي أكتر من سبع ليالي ..بس أنا عديتها المرة دي!

الصوت الغريب المهيمن يصلها فيرجفها ببرودته الصارمة لتدرك أنه من كان خلف ما حدث لها ..

_انت مين؟!

تهتف بها بحدة لكنه يتجاهل الرد ..





_شيليها من دماغك عشان ماالحطكيش أنا في دماغي ..واديكي شفتي اللي بحطه في دماغي بيحصلله إيه !

اقشعر جسدها بخوف حقيقي وهي تشعر أنها صارت حقاً واهنة دون أي سند ..

فتجمدت كلماتها دون رد ..

_آه ..كنت هانسى ..

صوته المهيمن يقاطع شرودها لتتأهب حواسها وهي تنتظر بقية حديثه :

_الشقة اللي خليتيها تخرج منها مطرودة قدام الناس بكرة الصبح تكتبيها باسمها ..هابعت حد من طرفي يستلم العقد ..وتمنها هيوصلك كامل .





انفرجت شفتاها بذهول وهي لا تدري بماذا ترد أمام صوت الرجل الذي يبدو بهذا الجبروت ..

_قولي موافقة يا هانم ..عشان مافسرش سكوتك إنه رفض وأتصرف على الأساس ده .

صوته بدا شديد التهذيب رغم نبرة التهديد التي جمدتها مكانها ..

هي تعرف من مثله جيداً ..

قديماً كان حسين نفسه واحداً منهم ..يأمر فيطاع ولا راد لأمره ..

لهذا لم تجادل طويلاً وهي تجد نفسها تغمغم :

_ماشي .

_عظيم جداً ..كنت عارف إنك ذكية وهتفهمي الوضع كويس!





يغلق بها زين الاتصال لتلقي الهاتف جانباٌ وتنخرط في البكاء من جديد متهاوية على

الأرض تنعي خساراتها ..

وشاعرة بالمزيد من الضآلة !

=======

_مش كفاية كده يا ياقوت وترجعي مصر بقا ؟!

يقولها إسلام عبر الهاتف فترتجف شفتاها وهي تعاود تحسس القرط الأحمر في أذنها ..

كيف تخبره أنها تجبن عن العودة ؟!

أنها تريد أمانها هنا في حضن ثمر ؟!

وأنها تخشى أن يخذلها قلبها باشتياقها ؟!

_سيبني شوية يا إسلام !

تقولها باعتداد لم ينل منه ضعف روحها ليزفر زفرة مشتعلة جعلتها تسأله باهتمام :

_انت مالك؟! هيثم كويس؟!





لكنه يتردد قليلاً ليخبرها عما حدث لأمه خلال الأيام السابقة وشكوكه عن الأمر ..

فتتسع عيناها بشك ..

هل يمكن أن يكون ما تفكر فيه حقيقياً ؟!

_وماعرفتوش مين ورا الحكاية دي؟!

_للأسف لا ..انتِ عارفة البلد دي ماشية إزاي !

يقولها باستياء لتشرد ببصرها للحظات ولاتزال تتحسس القرط في أذنيها ..قبل أن تقول أخيراً :

_سيبها لله .

_تعالي يا ياقوت ..هيثم ما بيبطلش يسأل عليكِ ..ماتستسلميش لضعفك ده ..صدقيني علاجك في الشغل ..خللينا نبدأ نأسس المركز بتاعنا ونشوف حالنا بقا كفاية اللي راح .

تتردد قليلاً لتمنحه رداً مموهاً قبل أن تغلق الاتصال و تعاود التفكير فيما حكاه لها ..





هل فعلها زين حقاً ؟!

والجواب يصلها بعد دقائق في صورة منه على هاتفها لعقد ملكية الشقة التي تسببت جيلان في طردها منها بفضيحة ليلة سجنها الكارثية !!

لهذا اتسعت لها عيناها بصدمة وهي تفهم كل شيء ..

_الشقة بقت بتاعتك رسمي ..هاسيبلك العقد مع رائد ..تقدري تاخديه أول ماترجعي لجلسات همسة .

كلامه كان شديد العملية مناقضاً تماماً لكل هذه المشاعر التي تكتسحها الآن ..

زين انتقم لها !

أخذ حقها ممن ظلمها ورد لها صفعتها عشراً !!

لم تجرب هذا الشعور أبداً من قبل ..





طوال عمرها وهي تجابه الدنيا محاربة شريفة وحدها ..

سيفها بأحد ذراعيها وبالآخر تحيط ثمر ولجين تحميهما غدرات الزمن ..

والآن يأتي هو ليشعرها أنه هناك ..

في ظهرها ..حولها ..يتوعد كل من تسول له نفسه أن يؤذيها !

قلبها يخفق بجنون وهي تشعر بحاجتها الماسة الآن أن تراه ..

تلقي بنفسها بين ذراعيه معانقة هذا الأمان الخصب الذي يمنحه لها عشق رجل مثله !

لكن عقلها يعيد موازنة المعادلة بحسابات أخرى ..

زين لفظها من عالمه ..قد تتفهم دوافعه وتحترمها ..

لكنها ستبقى غصة في قلبها العمر كله !!





_انت عارف إني مش هاقبل حاجة مادفعتش تمنها.

ترسلها له مكتوبة ليرد برسالة مكتوبة كذلك :

_عارف ..بس كان لازم انتِ كمان تعرفي إني مش هاسمح لحد يأذيكيِ وأنا عايش .

الدموع التي حملت اسمه تملأ عينيها ..

والقلب الذي يخفق له يقرع صدرها بعنف ..

وإن كانت لا سلطان لها على الأولى ولا الثاني ..

فلها كل السلطان على كلماتها التي خرجت بنكهة النهاية :

_ماعدتش تشغل نفسك بيّ ..دايرتنا خلاص اتفتحت وخرجنا منها ..

والرد يتأخر كثيراً هذه المرة ..قبل أن تصلها كلمته المكتوبة الوحيدة :

_ارجعي .




Cinnabon

تعقد حاجبيها بغضب وهي لا تدري كيف تفهم كلمته ..

إلى أين ترجع ؟! وإلامَ ترجع ؟! بل إلى من ترجع ؟!

هل يظنها -بغروره- طوع أمره تذهب وترجع كيف شاء؟!

جسدها ينتفض مكانه وهي تشعر برغبة عارمة في تكسير هاتفها ..لعلها تتخلص من هذه الحرب التي يزجها فيها هذا الرجل دون هوادة ..

_همسة محتاجالك ..كملي الطريق لآخره .

تكاد تسمعها بصوته الآسر وهو يعاود إرسالها مكتوبة فتغمض عينيها بوجع دون أن تجد رداً هذه المرة ..





هاتفها يرن من جديد بعدها لكن برقم رائد هذه المرة يطمئن عليها ..

قبل أن تستمع لما جعل جسدها كله يرتجف من جديد وهي تميز صوت همسة الملائكي :

_وحشتيني ..ارجعي .

كلهم يناشدونها الرجوع للعاصمة ولايعلمون أي جحيم تخشاه هناك ..

لقد عاشت عمرها كله "جبلاً راسخاً" يناطح سواد العالم بصلابة قمته ..

واليوم تشعر كأنما نسف هذا الجبل نسفاً بينما هي مضطرة للمواجهة من جديد ..

تغلق الاتصال بوعد جديد مموه لتعود لشرودها ..





صوت طرقات خافتة على الباب يقاطع أفكارها فتغلق الاتصال مع همسة بسرعة لتجد ثمر تدخل حاملة صينية قديمة رصت فوقها بعض القطع من "البطاطا المشوية" ..وخلفها لجين بملامحها السمحة ..ورابحة بشقاوتها الطفولية المعهودة ..

_لقيناكي حابسة نفسك في أوضتك ..قلنا نيجي احنا .

تقولها ثمر بعتاب حنون وهي تتربع لتجلس على الأرض بوهن ..

_ريحة البطاطا مهفهفة يا ستنا ..كل حاجة من إيدك ليها طعم تاني ..

تهتف بها رابحة وهي تتناول إحدى القطع تقشرها بلهفة لتضحك لجين وهي تشاركهم المجلس لتجذب ياقوت من ثوبها :





_اقعدي يا توتة وكلي معانا ..وحشتني لمتنا !

فتبتسم ياقوت ابتسامة صافية حقيقية وهي تشاركهم الجلسة ..

ترى ثمر تقشر لها قطعة من "البطاطا" لتناولها إياها بنظرة حانية ..

تسمع صخب رابحة المستسلمة دوماً لثرثرتها ..

وتشعر بحب لجين الصافي الذي يترجمه مرحها لدعابات لطيفة ..

فتأخذ نفساً عميقاً وهي تغمض عينيها لتأخذ قرارها:

هل كانت تسأل نفسها كيف ستواجه العالم بعدما نسف جبلها؟!

بحب هؤلاء هي كانت وستكون ..

ياقوت سليمان ستبني جبلها ثانية ..إنما بقواعد جديدة هذه المرة ..





ولمسة القرط بعدها كانت بنكهة مغايرة ..

نكهة التحدي!

=========

_عمو علاء!

تهتف بها غادة بترحاب وهي تستقبله في البيت قبل أن تجذبها إيناس لحضنها هاتفة بحنانها المعهود وسط أنفاسها اللاهثة :

_وحشتينا قوي !

تستجيب لعناقها باحتياج كاسح وهي تشعر بأن روحها ردت إليها معهما ..

قبل أن تهمس إيناس لها خفية بخفوت:





_سيف كمان رجع معانا ..عشانك.

تتسع عيناها بصدمة للحظة قبل أن تسمع صوت زوج أمها خلفها يهتف بود مصطنع :

_اهلاً أهلاً ..اتفضلوا ..

ثم يرمق إيناس اللاهثة بنظرة متفحصة كريهة سبقت قوله :

_معلش سلمنا عالي ..لو نقدر كنا ركبنا لكم أسانسير مخصوص .

قلبها ينقبض بلوعة وهي تخشى أن يحرجها أمامهم ..

لكنه يتقدم ليصافحهم بتهذيب مصطنع مقدماً لهم واجب الضيافة بنفسه ..





ومع هذا ظل علاء يرمقه بنظرة متوجسة وهو يشعر بخبرته أن هذا الرجل يظهر خلاف ما يبطن ..

_أنا قررت أنقل شغلي هنا في القاهرة ..عمك والد أحمد صحته بقت مش عاجباني ..ومحتاج أكون جنبه !

يقولها علاء مراوغاً مخفياً سببه الحقيقي في العودة لمصر ..

فتبتسم هي له قائلة بارتياح:

_عظيم يا عمو ..كده ممكن أنا كمان أرجع أشتغل مع حضرتك !

_والست اللي جوه دي هتسيبيها لمين ؟!





يهتف بها زوج أمها بفظاظة أظهرها طبعه الحقيقي لتلتفت غادة نحوه هاتفة :

_ما تقلقش ..أنا هاخد أمي معايا في أي حتة أروحها .

يحمر وجهه بانفعال لكنه يعود ليضيق عينيه هاتفاً بلهجة عاد إليها ودها المصطنع:

_مش القصد يا بنتي ..بس والدتك محتاجة رعاية ..وانتِ مش محتاجة شغل !

فتكز غادة على أسنانها بغضب وهي تلعنه سراً قبل أن تعود للالتفات نحو إيناس قائلة :

_وحشتيني قوي يا أنّا ..أخبار صحتك إيه ؟!

تتجاوب إيناس معها في حديث ودي ملاحظةً نظرات الرجل القميئة لها ..والتي جعلتها لا إرادياّ تسحب تنورتها لأسفل ..





بينما هتف علاء بضيق :

_احنا مش هنتقل عليكِ الزيارة دي ..هاستناكي بكرة بإذن الله عشان نشوف قصة الشغل دي .

_هو الشغل ده هيبقى في القاهرة ؟!

يسأله الرجل ليرد علاء بهدوء:

_أيوة .

_طب وهاتقعد هي فين ؟!

يعاود سؤاله كمن يهتم ..ليرد علاء بنفس النبرة :

_هاوفر لها سكن مناسب هي والحاجة !

_آآه ..بس أنا مش عايز مراتي تسيب بيتي .

يهتف بها الرجل بسماجة ..لتشحب ملامح غادة وهي ترد :





_محدش هيراعي أمي غيري .

_يبقى تقعدي بيها هنا وبلاها قصة الشغل دي !

يهتف بها الرجل بنفس النبرة المستفزة ليردف :

_وبعدين شغل إيه وليه ؟! هو أنا قصرت معاكي في حاجة يا بنتي ؟!

تشعر بالدم يغلي في عروقها وهي تراه مصراً على الظهور بهذا المظهر أمامهما ..

فيمنعها العودة إليهما!

ترمقه بنظرة مشتعلة لتتجاهل قوله وهي تقول لعلاء باعتداد :

_هاكلم حضرتك في الموضوع ده بكرة يا عمو ونتفاهم .





_طب يا جماعة نورتونا !

يقولها الرجل بفظاظة صريحة هذه المرة ليحمر وجه إيناس بحرج وهي تشعر وكأنه يطردهما ..

بينما وقف علاء ليرمق غادة بنظرة ذات مغزى ناسبت قوله :

_هاستناكي يا غادة ...نستأذن احنا بقا عشان ورانا مشاوير ..ألف سلامة للحاجة .

وقفت غادة بدورها وهي تلعن الظروف التي جعلتها رهينة لفُجر هذا الرجل ..

لتصافحهما من جديد بحرارة وعيناها تحملان اعتذاراً ..واستغاثة !!

لكن علاء رمقها بنظرة مطمئنة قبل أن تعانقها إيناس بحرارة لتغادر خلف زوجها مجبورة ..





ولم تكد غادة تغلق الباب خلفهما حتى التفتت نحو الرجل هاتفة بحدة :

_انت إيه ؟! لا عندك ضمير ولا شفقة ..سيبني بقا أنا وأمي نتنفس بعيد عنك !

تقولها غافلة عن عيني أمها التي كانت تراقبهما عبر باب غرفتها المفتوح ..

ممددة الجسد على الفراش بلا حول ولا قوة ..

بينما يتقدم الرجل من غادة ليمسك ذراعيها بعنف هاتفاً :

_عايزة تهربي مني تاني بعد ما رجعتيلي برجليكي ؟!

_اخرس ..أنا مارجعتلكش انت ..أنا رجعت

لأمي !





تهتف بها بحدة وهي ترى جرأته تفوق الحد هذه المرة ..

منذ عودتها وهو يحاول اصطيادها وحدها كي ينال منها ..

وهو ما لم تمكنه منه على أي حال ..

لكن أن يتجرأ ليمسكها هكذا ووالدتها تراقب فهذا يعني أنه وصل حداً آخر من السفالة ..

_سيبني يا حيوان ..أمي صاحية ..حرام عليك ..ماتخلينيش أصوت وألم علينا الجيران !

تهتف بها بضراوة وهي تحاول التملص منه لكنه يكتم فمها بأحد قبضتيه قبل أن يحملها من خصرها نحو الغرفة ..

نفس الغرفة التي تنام أمها على أحد فراشيها !

تتلوى بين ذراعيه وهي تحاول عض كفه الممسك بها ..





لكنه يتغلب عليها بقوته فتحاول ركله أسفل بطنه وتنجح في مسعاها ليطلق هو آهة عالية ليفلتها مرغماً ..

تتحرر من بين ذراعيه لتطلق صرخة عالية وهي تحاول الفرار من مرمى ذراعيه ..

لكنه يحاصرها في زاوية الغرفة ليخلع عنها حجابها ثم يحاول خلع قميص منامتها بينما يعاود تكميم فمها ..

_كفاية تقل بقا ..من ساعة ما جيتي وأنا صابر عليكي وبقول مسيرها تحن لزمان ..فاكرة زمان يا حلوة ؟! المرة دي هتبقى أحسن ..ماعدتيش خام زي الأول.

بمنتهى القذارة يقولها وهو يحاصرها بثقل جسده ..





وخلفه أمها تراقب المشهد بعينين جاحظتين ..

الدهشة ..الصدمة..الاستنكار ..القهر ..

ثم الندم !!

كل هذه المشاعر تكتسحها بجنون وهي تميز بشاعة هذا الذي يحدث ..

صرخة عالية تطلقها روحها غير مسموعة لكنها تفتت كيانها كله وهي تشعر أخيراً بحجم الجرم الذي ارتكبته في حق ابنتها ..

وهاهو ذا الرجل الذي باعت الدنيا لأجله ..

يتجاسر لينتهك ابنتها ..وأمام عينيها !!

دموع العجز تتسرب من عينيها وهي تحاول تحريك جسدها دون جدوى ..

تحاول الصراخ دون نتيجة ..

يالسخرية !!





لقد عاشت عمرها السابق تسمع وترى وتتحرك لكنها فقدت نعمة "الشعور "..

نعمة التمييز بين الحق والباطل ..

بين الذهب والتراب !!

والآن ..تستعيد هذا الشعور ..

لكن مع عجزها ..عجزها التام عن فعل أي شيء!!!

دموعها تنهمر أكثر..

وصراخ غادة المكتوم مع المنظر أمامها يجعل دقات قلبها تتقافز حد الجنون ..

حد الألم ..

جبينها يتعرق وهي ترفع وجهها للسماء بدعاء أخير ..

تستدعي كل ذرة من قوتها كي تتحرك ..

أو حتى تصرخ طلباً لأي نجدة ..

لكن محاولتها لا تزيدها إلا عجزاً ..

سيل الدموع ينعي قهرها ..





والألم الذي يشق صدرها تزداد ضراوته ..

عيناها تغيمان بتلك النظرة التي تدرك بعدها أن العالم لن يعود كما كان ..

لكنها عبر الغمامة الأخيرة ترى غادة تنجح في دفعه عنها بقوة لتضم ثيابها فوقها..

قبل أن يتعثر هو ليسقط بكامل ثقله للخلف عبر النافذة الزجاجية التي تسمع صوت تهشمها ممتزجاً بصرخته الطويلة ..

والتي يهيأ إليها أنه سيصمت بعدها للأبد ..

فتبتسم "ابتسامة خلاص"أخيرة تتزامن مع دموعها الحارة ..

ونظرتها النادمة نحو غادة ..

ثم رفعة عينيها المستغفرة للسماء ..

قبل أن تغمضهما تماماُ ..

وقلبها يلفظ آخر دقاته طالباً العفو !

=======





القطعة الثامنة عشرة

=======

_غادة !

تهتف بها إيناس بلهفة وسط دموعها وهي تلتقي بالأخيرة في مبنى النيابة لتعانقها بقوة وجسدها ينتفض ببكائها ..

فيما بدت غادة متماسكة تماماً وهي ترفع رأسها نحوهم ..

علاء بنظراته الحنون المحتوية ..

هانيا بنظراتها ذات الحمية ..

رامز بنظراته الداعمة ..

إسلام بنظراته المشفقة والذي لم يتركهم لحظة منذ سمع الخبر ..

وأخيراً سيف الذي بدت نظراته مزيجاً من هذا كله ..

وإن اتشحت كعادتها بخليط "الذنب والحب"!!





_اتكلمي يا غادة ..قولي الحقيقة كلها ..قولي اللي كان بيحصل من زمان وافضحيه قدام الدنيا كلها.. مادام البجح بيتهمك إنك زقيتيه عشان ظبطك بتسرقي فلوسه !

تهتف بها هانيا بحميتها المعهودة وبسخط له ما يبرره بعد الأحداث الأخيرة ..

فالرجل الذي أثرت به السقطة لتصيبه بشلل في أطرافه لم يعتبر بما كان ..بل وجدها فرصته للانتقام منها واتهامها زوراً ..

_ما تخافيش يا بنتي ..احنا وكّلنا محامي كبير وربنا أكبر من الكل .

يقولها علاء بنبرة متهدجة وقد بدت ملامح الهرم على وجهه فجأة فلم يكن مصابه بها هي بالذات سهلاً وقد اعتبرها حقاً ابنته ..





_المشكلة إن مفيش دليل على كلامك ..مفيش أي دليل ..كلمتك قصاد كلمته ومفيش حاجة ملموسة نثبت بيها اللي حصل ..خصوصاً إن والدتك ..الله يرحمها ..

قطع إسلام حديثه بعجز وهو يهز رأسه محاولاً العثور على مخرج ..

لكن ابتسامة غادة الواثقة قابلت كل عباراتهم بقوة مستحدثة لا تدعيها ..

قوة ناسبت قولها بعدها وأناملها تداعب "دبلة أحمد" في إصبعها بحركتها المعهودة التي عادت تشعر بحاجتها إليها الآن :

_أنا مش خايفة ..أنا عملت اللي كان المفروض أعمله من زمان ..وأي نتيجة هاقبلها مهما كان الوضع ..




تقولها وهي تتذكر بيت المكعبات القديم ..

رائحة الفراولة الخانقة ..

الأرنب المذعور الذي ربته في صدرها عمراً ..

لكن كل لم يعد له وجود !!

هي قهرت عقدتها القديمة والحادث الأخير خير برهان ..

لكن نبرتها ارتجفت نوعاً وهي تطرق برأسها لتخونها دموعها باستطرادها :

_أنا بس صعبان عليا الست اللي ماتت بقهرتها وهي شايفة المنظر ده قدام عينيها .

تبادلوا جميعاً نظرات مفعمة الانفعالات وهم يدركون صعوبة الموقف الذي عاشته ..

خاصة ودموعها تفضح هشاشة حقيقية وسط هذه القوة التي تحاول التشبث بها أمامهم !





هنا تقدم سيف الذي كان محافظاً على صمته كعهده منذ بدأ الحوار ليقترب منها أكثر ..

كفه يمتد ليحتضن راحتها اليسرى بحركة أجفلتها لترفع عينيها أخيراً نحوه ..

"الحزن الأخرس" في حدقتيه كان يتوهج الآن بألف مشعل ..

يصدح بألف جرس ..

لكنه كان يمتزج بإعصار عاطفة هادرة لا يبقي ولا يذر...

جسدها يرتجف لا عن وهن ..

فلم تكن لتسمح لهذه الكلمة أن تغزو قاموسها أبداً من جديد ..

لكنه شعورها بحركة أنامله الصامتة على كفها ..

تتزع عنها "دبلة أحمد"!!





عيناها تتسعان بصدمة أكبر والسؤال فيهما لا يحتاج لجواب ..

_أنا عارف هي بالنسبة لك إيه ..بس لو ماكنتش أد حركة زي دي مكنتش عملتها .

بصوته الرجولي القوي يقولها فتشعر وكأنما منحها أمان العالم كله في كلمات !!

خاصة عندما مسدت سبابته موضع الدبلة في بنصرها مع استطراده بنفس القوة :

_وعد مني هتخرجي من هنا بأقرب وقت ..ولو كانت دي آخر حاجة هاعملها في حياتي .

عيناها تمتلئان بالدموع وقلبها يخفق داخل صدرها بجنون ..

عبارته لم تكن مجرد حمية رجولية ..ولا حتى موقف شهامة ..





بل كانت مع هذه النظرة "الثمينة" في عينيه أبلغ اعتراف حب سمعته !!

لهذا انفلتت منها أنّة خافتة وهي تراقب دبلة أحمد التي استقرت في راحته بنظرة عميقة ..

قبل أن تعاود رفع عينيها إليه لتتلقى عهود عشقه واحداً واحداً ..

الكون كله بدا وكأنه خلا إلا منهما ..

لم يقل أحبك لكنها سمعتها حرفاً حرفاً ..

تذوقتها قطرة قطرة ..

حتى كفها الذي تركه أخيراً بدا وكأنه لن ينسى لمسته هذه للأبد ..

لمسة منحتها صك ملكيته ..وانتهى الأمر !

=======

_هتروح فين يا سيف؟! روح ياابني ارتاح شوية .





يسأله علاء باهتمام عقب انتهاء لقائهم بغادة ليرد سيف بعزم :

_روّحوا انتم يا عمو ..رامز هياخدكم عندنا في البيت على ما بال ما ارجع ..

_برضه ماقلتليش رايح فين !

يعيدها بقلق ليرد سيف بشرود :

_لازم أدور على دليل يبرأ غادة ..أكيد الحكاية مش هتخلص كده .

_أنا جاي معاك .

يقولها إسلام مؤازراً وهو يشد على كتفه ليرمقه سيف بنظرة مترددة لكن إسلام هز رأسه قائلاً بنبرة مازحة لعله يخفف أجواء التوتر الجاثمة عليهم جميعاً :

_ما وحشكش جو "لوريل وهاردي" ؟! مش كنت دايماً أنا المخ وانت العضلات ؟!





ابتسامة شاحبة تطوف على شفتيه وهو يربت على كتف صديقه ليرمقهما علاء بنظرة راضية لم تخلُ من قلق قبل أن يلوح لهما بسبابته قائلاً:

_ما تعملوش حاجة من ورايا ..وانا من ناحيتي هاخللي المحامي يشوفلنا سكة مع الرجل الندل ده ..لو ديّته فلوس ياخدها ع الجزمة ويسيب بنتنا في حالها .

يهزان رأسيهما بموافقة قبل أن يتحركا معاً نحو سيارة إسلام التي استقلها ليركب سيف جواره فيبادره الأول بقوله :

_جه في بالك نفس اللي فكرت فيه ؟!

_اللي هو إيه ؟!

يسأله سيف بحذر ليرد إسلام وهو يركز بصره في الطريق :





_من كلام غادة الموضوع كان فيه شد وجذب وصريخ ..أكيد حد من الجيران سمع حاجة !

احمر وجه سيف غضباً وهو يقبض كفيه جواره بينما يكز على أسنانه بقوة ..

كلما تخيل بشاعة الموقف يكاد يسيطر على نفسه بصعوبة كي لا يذهب للرجل ويقتله بنفسه !!

والأدهى أنه اكتشف أنه كان يستغلها منذ طفولتها ..

الحقير!!

هذا إذن سبب بعدها عن والدتها !!

سبب سفرها بعيداً وعدم رغبتها في العودة لبلدها !!

وهو الذي كان يسأل نفسه عن سر هروبها غير المعلن لتعيش مع علاء وإيناس تاركة أسرتها !!





_عمي علاء بيقول إنك مغرمة بالأرانب ...اشمعنا الأرانب مش الخيل مثلاً؟!

_يمكن عشان عشت فترة طويلة من عمري أرنب ...خايف ...ضعيف ...بيهرب ويستخبى .

_وما عدتيش.

_وما عدتش !

يتذكر هذه المحادثة بينهما أول ما التقاها ليفهم الآن ما كانت تعنيه ..وتعانيه !!

عيناه تدمعان قهراً وهو يود لو يعود بها كل هذه السنوات ..

لو يضمها لصدره ..يحميها بين ذراعيه فلا يصيبها أي سوء ..

لو يخفيها عن العالم كله فيغرقها تدليلاً ينسيها عذاب كل هذه السنوات !!





لو ..لو ..

ألف وعد يقسم لنفسه أن يحققه لها فقط لو
يخرجها مما هي فيه!!

_أنا عارف إن الوضع صعب بس يمكن ده امتحانك
الحقيقي معاها ..غادة تستاهل تحارب
عشانها ..وانت محتاج تحس إنك عملتلها
حاجة ..يمكن ساعتها عقدتك بالذنب تخف !

يقولها إسلام بحسن درايته بصديقه ليلتفت نحوه
سيف بنظرة عميقة اختصرت كل كلامه كعادته..

قبل أن يربت على كفه مكتفياً بصمته طوال
الطريق ..

يصلان أخيراً للبناية حيث موضع الحادث ثم
يترجلان من السيارة ليصعدا الدرج نحو الطابق
المنشود ..

الشقق كلها خالية للأسف من ساكنيها ..





إلا الشقة المقابلة لشقة زوج أمها !

هذه التي طرقها سيف بقوة ليزيحه إسلام جانباّ مع همسه :

_بلاش بعضلاتك دي تاخد الطلعة الأولانية محدش هيفتح لنا ..سيبني انا شكلي غلبان !

ابتسم سيف ابتسامة شاحبة وهو ينفذ له رغبته ليرسم إسلام ابتسامة دبلوماسية على وجهه وهو يعاود الطرق ..

امرأة متوجسة الملامح تفتح له الباب وخلفها ابنتاها ..

فتاتان بسن المراهقة ترمقانه بفضول ..

_كنت عايز أسأل حضرتك عن حاجة بخصوص الحادثة اللي حصلت .





يقولها إسلام بنبرة مهذبة لترتعد ملامح المرأة وهي ترمق ابنتيها بنظرة خائفة سبقت قولها :

_ما شفتش حاجة ..اللي اعرفه قلته في النيابة !

تقولها وهي تهم بإغلاق الباب من جديد ..

لكن سيف يتحرك ليعاود فتحه هاتفاً بحزم أضفى المزيد من الهيبة على هيئته الغليظة :

_خللينا نتكلم ..أنا متأكد إنك شفتِ أو سمعتِ غادة ع الأقل وهي بتصرخ .

_ما سمعتش وماشفتش !

تقولها المرأة بعصبية تنفي صدقها لكن ابنتيها تقدمتا منها لتنظرا لها نظرة خاصة ..

نظرة بدت وكأنها لمست شيئاً ما بداخلها جعلها تتراجع لتفسح لهما الطريق كي يدخلا وتغلق الباب خلفهما ..





تشير لهما بالجلوس ثم تجلس بدورها لتفرك كفيها قائلة بتوتر:

_أنا عندي بنات والراجل ده مفتري ومحدش هايقدر عليه .

_وعشان عندك بنات يبقى المفروض يصعب عليكِ وضع غادة ..ذنبها إيه ؟!

يقولها إسلام برفق محاولاً السيطرة على غضب سيف الذي قد يفسد الأمور ..

عادت المرأة تتبادل مع ابنتيها نظرات قلقة ..

لتعاود قولها بتردد :

_احنا طول عمرنا عايشين جنب الحيط ..لا بنحب نعمل مشاكل ولا نيجي ناحيتها .

هنا تحرك سيف ليتقدم بجذعه نحوها وعيناه الدامعتان تتناقضان بغرابة مع مظهره المهيب:





_أنا جاي من السفر عشان غادة ..كل يوم بلعن نفسي عشان اتأخرت عليها ..لولا ترددي وجبني كان زمانها دلوقت معايا ومحدش قدر يأذيها ..

ثم ارتجفت نبرته أكثر وهو يبتلع غصة مريرة في حلقه ليردف :

_أنا خسرت مراتي قبلها وراحت مني برضه بسببي ..أرجوكِ ماتخلينيش أعيش نفس الحكاية مرتين ..لو تعرفي حاجة قوليها ..مابقوللكيش اكدبي ..بس اشهدي بالحق ..كلمتك مش هتنقذ غادة وبس ..هتنقذ كام روح تانية متعلقين فيها ..أرجوكِ !

دمعت عينا المرأة من صدق اللهجة المعذبة التي كان يتحدث بها ..

بينما ازدرد إسلام ريقه بتوتر وهو يكاد يقسم أنه لم يسمع سيف يتحدث بهذه الطريقة من قبل ..

حتى عن انجيل !!





دوماً كان صموتاً كتوماً ككهف غائر متشح بغموضه ..

لكن أن يفيض بركان بوحه هكذا وأمام امرأة غريبة عنه ليحاكيها بما يشبه الرجاء فهو يعني أن شعوره نحو غادة بلغ حداً لم تصل إليه امرأة قبلها !

_قولي يا ماما ..ماتخافيش !

تهتف بها أحد الفتاتين لتحسم المرأة قرارها وهي تحكي لهما ما رأته عيناها ذاك اليوم عبر نافذة المطبخ لديها والتي تطل على صالة بيت الرجل قبل أن تنهي حديثها بقولها :

_طول عمره مفتري وعينه زايغة ..ده أنا منبهة ع البنات لو شافوه ع السلم ما يطلعوش ..ولا حتى السلام منه يردوا عليه !





تبادل إسلام وسيف نظرات ارتياح نسبية قبل أن يعود إليها سيف ببصره قائلاً بنبرة راجية :

_هتشهدي بالكلام ده ؟!

تعود المرأة لترددها قليلاً وقد غلبتها طبيعتها الجبانة قبل أن تحسم أمرها بنظرات ابنتيها لها ..

لتقول أخيراً بحسم :

_هاشهد !

=========

يدخل شقته أخيراً سامحاً لنفسه ببعض الراحة ..

يروي لعلاء وإيناس ما حدث باقتضاب قبل أن يعود إلى غرفته ..

يغلق بابها خلفه لتتعلق عيناه بفراشه ..

هذا الذي توجهت نحوه خطواته قبل أن تتحسسه أنامله برهبة قدسية وهو يتخيلها هنا ..

هنا ؟!

هي كانت هنا ؟!!





جسده يشتعل بحرارة عاطفته المتقدة نحوها وقلبه يبدو وكأنه لن يستعيد اتزان خفقاته إلا بها ..

يخلع عنه قميصه ليلقيه جانباً بإهمال فيفاجأ بالصوت المعدني لارتطام شيء ما ..

ابتسامة واهنة ترتسم على شفتيه وهو ينحني ليتناول دبلة أحمد يقلبها بين أنامله برهبة مستشعراً قيمة أن تكون الآن معه هو ..

قبل أن يستخرج ميداليتها من جيبه بكفه الآخر ليقرأ ما نقش عليها بصوت عالٍ :

_حتى تحترق النجوم .

يغمض عينيه وكفاه يضغطان ما بهما بقوة ..

يتشبث بهما تشبثه بالحياة نفسها ..

قبل أن يعاود فتح عينيه لتدورا على مكتبته ..





شيء آخر مشترك جمع بينهما يوماً ويقسم أن لن يكون الأخير ..

جسده المتهالك يتهاوى أخيراً على فراشه ولايزال كفاه متشبثين بغنيمتيهما ..

جفناه ينسدلان رغماً عنه بتعب بعد بضعة أيام لم يذق فيها طعم النوم ..

ابتسامة واهنة تغزو شفتيه بين يقظة ومنام وهو يمد ذراعيه ليحتضن وسادة يتخيل فيها رائحة عطرها ..

وبضع خصلات نبيذية تتراقص بدلال على كتفه هو ..

وشفتين مكتنزتين تهمسان له أحبك ..

فيردها لها عشراً ومائة ..بل وألفاً !

======

ترمق داليا ملامحه النائمة بهيام امتزج ببعض الدهشة وسبابتها تدور على وجهه كأنها ترسمه ..





هل هذا هو "الأصلع القبيح" الذي صرخت يوماً بكراهيتها له ؟!

كيف صارت نفس الملامح تحمل لها دفئاً لذيذاً يرج قلبها بهذا الصخب ؟!

كيف صارت تعشق أن تستيقظ قبله لتملأ عينيها من هذه القسمات التي تبدو لها كقطعة من الجنة ؟!

تتنهد بهيام وهي تميل ببطء نحوه لتطبع هدية ناعمة على وجنته قبل أن تتحرك ببطء لتغادر الفراش نحو المطبخ ..

ستعد له اليوم فطوراً مميزاً ..

وصفة تعلمتها من ياسمين وتأمل أن تفلح ...

تفتح الثلاجة لتستخرج بعض محتوياتها وتضعها جانباً ..

الوصفة كانت لنوع من المعجنات المحشوة بالجبن ..





لهذا شعرت بالارتباك وهي ترى العجين قد التصق بكفيها أول الأمر قبل أن تحاول تحريرهما منه ..

_هي قالت بنعجن بمية واللا زيت ..يكونش لبن ؟! هاحط كله ..وهو ورزقه بقا !!

تحدث بها نفسها بصوت مسموع وهي تشعر بفخر مستحدث من دخولها المطبخ للطهي ..

_ونحشيها كده...ونلفها كده...وندخللها الفرن ..لا لا ..اصبري ..

تهتف بها لنفسها من جديد بصوت عال قبل أن تحاول التذكر ..

_بنسيبها تخمر الأول يا فالحة !





تقولها أخيراً باستحسان وهي تغطي الوعاء لتضعه جانباً قبل أن ترتدي مريولة المطبخ الحمراء المنقطة بالأبيض لتتوجه نحو الحوض القريب تغسل ما اتسخ من الأواني ..

لتبدأ في الدندنة :

يا هناه اللي هترضي عليه ويا بخته اللي تعيش ليه

تلاقيه شاف الايام ورد وقت ما عينيك بصوله

يا هناه اللي هترضي عليه ده انت بكلمه تخليه

غير باقي الناس وعايش احساس حب علي أصوله

يا هناه اللي انت بتبقي معاه

والناس جنبك شايفاه

واحن كلام يتقال وياه





يا هنااااااه

كانت تغنيها بصوت منخفض نسبياً لكنها اندمجت مع اللحن لتنطق "هناه " الأخيرة بصوت عالٍ نسبياً لتفاجأ بكفه على رقبتها يجذبها نحوه مع صوته المتحشرج بأثر النوم :

_قلتلك كام مرة ما تغنيش في المطبخ ..ما تغنيش عموماً !!

فتضحك وهي تتأوه بدلال من ضغط كفه على رقبته هاتفة :

_لزومه إيه بس "قفا المخبرين" ده ع الصبح ..وبعدين أنا بغنيلك يا حبيبي!

_صوتك وحش يا داليا ..قلتلك ألف مرة صوتك وحش .

يقولها مشاكساً وهو يداعب جبينها بجبينه لتهتف باعتراض:

_هتقوللي زي يامن إن صوتي مسرسع؟! وبعدين انت مش بتحبني يبقى تستحملني؟!

_طب أنا بحبك ..ووداني وودان الجيران في المناطق المجاورة ذنبهم إيه ؟!

يهتف بها بنفس النبرة المشاكسة لتشهق بغضب طفولي وهي تبتعد عنه لتحلق خصرها بكفيها هاتفة :

_هي دي رومنسية شهر العسل ؟! اروح بقا للعاشق المجهول يدلعني مادام طالبة مع سيادتك رخامة !

فتجلجل ضحكته عالية وهو ينزع عنها مريولة المطبخ ليضمها نحوه ثم يرفعها عن الأرض فتحلق ساقيها حول خصره كطفلة ..

بينما هو يهمس أمام شفتيها بدفء مشاكس:

_يعني ماطلعتش رومنسي ؟! خيبت أملك قوي ؟!





تنساب عطايا عشقه بعدها على بشرتها سخية ناعمة ..ثم هادرة مشتعلة لتطلق همهمة خافتة تسبق همسها جوار أذنه :

_مش قوي ..يعني ييجي منك .

يشدد ضغط ذراعيه حولها فتتأوه بدلال لتضحك وهي تحرر نفسها من بين ذراعيه لتهبط بقدميها أرضاً ثم تتوجه نحو الوعاء القريب هاتفة بنزقها المعهود :

_هاعمللك فطار يهوس ..بكرة أنافس ياسمين بمطعم جديد .

_ياخوفي! هي الطوارئ في مستشفى إيه النهاردة ؟!

يهتف بها مشاكساً من جديد وهو يقترب منها لترفع هي الغطاء من على القدر فتفاجأ بالعجين قد تخمر بأكثر مما توقعت حتى التصق بالغطاء..هل وضعت الكثير من الخميرة ؟!!! أين الخطأ؟!





تحاول تخليص العجين من الغطاء فيلتصق بكفيها لتطلق سبة عالية سبقت هتافها العصبي الذي زاده صوت ضحكاته :

_بطّل ضحك وامشي دلوقت على ما أشوف اللي في إيدي .

لكنه تقدم أكثر ليضع كفيه معاً في العجين ثم يحاول التعامل معه هاتفاً :

_الدقيق قليل يا شيف ..عشان كده العجينة ملزقة ..انتِ واثقة م المقادير ؟!

نظرتها المذنبة الطفولية منحته الجواب ليطلق ضحكة عالية وهو يلطخ وجنتيها بقطعة من العجين هاتفاً :

_انتِ مش بتاعة مطبخ ..الكار ده مش كارك يا بنتي ..ياللا ياللا البسي وتعالي أفطرك بره !





تحركت نحو الحوض القريب كي تغسل كفيها لكنه تولى هذا بنفسه في حركة مراعية حنون مستها وأنامله تشتبك أخيراً بأناملها ..قبل أن ينتقل لوجهها يغسله كذلك ..

لتلتفت نحو وجهه القريب منها هامسة بمزيج دلالها وعاطفتها :

_هتفضل تدلعني كده لحد امتى ؟!

_لآخر يوم في عمري ..يا مجنونة .

يقولها وهو يجفف كفيها ووجهها بمنشفة قريبة لتمط شفتيها باستياء هاتفة :

_برضه مجنونة ؟!

لكنه أحاط وجهها براحتيه قائلاً بنبرة مرحة :

_وانتِ فاكرة يعني اني اتولدت عاقل كده ؟! طب اقوللك حاجة ..وانا صغير كنت فاكر إن "الكوليسترول" دي بلد ..وان جملة "خالي من الكوليسترول"اللي بتتكتب دي واحد هو اللي كاتبها وبيتفشخر إن خاله من بلد الكوليسترول ..آه

بجد ..وكنت كل ماشوف حاجة مكتوب عليها كده اتغاظ وارميها في الزبالة ..واقول المغرور ده مايستاهلش نشتري منه حاجة ..وماما تستغرب الحاجة بتروح فين ..ماتعرفش ان عندها عاهة في البيت !

كانت ضحكاتها تجلجل مدوية مع كل كلمة يزيدها ..

فيجد صداها في قلبه العاشق ليشاركها إياها للحظات قبل أن يتنهد وهو يضم رأسها لصدره هامساٌ بجدية:

_عارفة يا داليا ؟! في يوم من الأيام ضحكتك دي بس كانت أكبر حلم عندي ..

ثم رفع ذقنها نحوه ليعانق عينيها بنظرات فاضت غراماٌ مردفاً :

_كل مرة بتبقي في حضني ببقى حاسس إني خلاص ماعدتش عايز حاجة من الدنيا ..انتِ بنتي وحبيبتي وصاحبتي ..متزعليش لما أقوللك




مجنونة ..انت ألذ وأجمل مجنونة في الدنيا كلها ..اوعي..اوعي تعقلي أبداً !

همساته تنقطع بين شفتيها لتتعلق بعنقه بكل قوتها مستشعرة دفء هذه العاطفة التي لم تحلم بمثلها يوماً ..

تشعر به يحملها بين ذراعيه من جديد ليعود بها إلى غرفتهما ..

يمددها فوق فراشهما لتظللها أنفاسه أخيراً بينما يزيح خصلات شعرها من على وجهها ..

فتهمس معانقة نظراته المشتعلة بعاطفته :

_كل مرة ببقى عايزة أقوللك بحبك بلاقيها بتتقلب "شكراً وآسفة"..آسفة على كل لحظة من عمري ضاعت بعيد عنك..وشكراً عشان ماسمحتليش أضيع اللي باقي من غيرك .





فيغمض عينيه بتأثر من كلماتها بسيطة المعنى عميقة الأثر ..

ليقترب منها أكثر مداعباً شفتيها بسبابته :

_كنتِ بتغني بتقولي إيه بقا؟!

لكنها زمت شفتيها كطفلة غاضبة لتتذكر :

_مش قلت صوتي وحش ؟!

_عشان تحرّمي تغني في المطبخ وصوتك يعلا وحدّ يسمعه !

يهمس بها بنبرة مؤنبة ناقضت حنان قبلاته ..فابتسمت لتهمس بدلال عاتب:

_مش هتبطل طريقتك دي ؟! اللي ماربتوش الأيام والليالي يربيه مروان !

ضحكته الرائقة تصدح في أذنيها وهي تشعر به يغمرها بين ذراعيه متجاوزاً عبارتها .. قبل أن يصلها همسه :

_قولي بقا ..كنتِ بتغني إيه ؟!





_يا هناه اللي هترضى عليه ..ويابخته اللي تعيش ليه ..

تهمس بها بهيام لتذوب بقية حروفها بين ذراعيه وهي تتلقى جموح عاطفته لترد له عطايا عشقه بمثلها ..

عالمٌ خلف عالم يفتح لها أبوابه فتنطلق فيه حرة محلقة بحب ..

ليس يشبهه حب!

_مش قلت هنفطر بره ؟!

تهمس بها باعتراض فجأة قاطعة سحر اللحظة ..

فيزفر بقوة وهو يرتفع عنها ليقذفها بالوسادة برفق عاتباً قبل أن يعود ليبثها غرامه وهمسه يتأرجح بين غيظ وعاطفة :

_مش لما نفطر جوه الأول!

=======





على حافة حوض السباحة تقف بثوب سباحتها الوردي كحورية ناعمة ..

شعرها الأسود يتطاير بانسيابية حول ملامحها الفاتنة بجمالها الطفولي ..فلا يعيب الصورة سوى عصابة عينيها !

ابتسامتها الهانئة تمنحه بعض العوض وهي تبسط راحتيها على صدره العاري فتشعر بكل خفقة يبثها قلبه نحوها ..

_جاهزة ؟!

يهمس لها بها بصوته القادر وحده على حملها لهذا العالم الذي تحبه ..

فتومئ برأسها لتتعلق بذراعيها في عنقه فيحتضن خصرها براحتيه قبل أن يبدأ في العد :

_واحد ..اتنين ..تلاتة ..





ومع الرقم الأخير يحملها ليقفز بها في الماء فتشهق شهقة عالية وهي تزيد تشبثها بعنقه ..

تشعر بالماء حولها يلسعها ببرودة منعشة فتطلق صيحة عالية تجعله يهمس بقلق:

_خايفة ؟!

وجوابها يكون أبسط ما يكون ..وأعمق ما يكون !

_أنا معاك .

فتزداد خفقاته جنوناً وهو يلصقها به أكثر ..

يدفن أنفه في حنايا عنقها يتلمس عطراً لن تشاركها فيه سواها ..

عطر براءة ممتزجة بعشقه !

_وفيت بوعدي أهه ؟! مش كان نفسك نعوم سوا .





يهمس بها وهو يحرك ذراعه حولهما سامحاً لهما بالحركة فتتجمد ابتسامتها لذكرى معينة تجتاحها خاطفة مع همسها الشارد :

_الشط ..بعيد ؟!

كلماتها تعيده لتلك الذكرى الخاصة بينهما عندما كانا صغاراً ..

على أحد شواطئ الاسكندرية تقف جواره كأجمل طفلة رآها لكنها كانت تخاف البحر ..

زين تركها ليسبح وحده فبقيت هي مكانها تراقب الموج بتردد ..

هنا تقدم هو ليمسك يدها وينزل بها إلى الماء ..

كانت خائفة أول الأمر لكنها لم تلبث أن استجمعت شجاعتها وهي تسبح جواره ..

_كفاية كده ..مش عايزين نبعد ..





قالها خائفاً عليها لكنها فاجأته بقولها المنطلق وقتها وسط ضحكاتها الصافية :

_عايزة أفضل أعوم على طول ..عايزة بحر مالوش شط ..بس خلليك ماسك إيدي .

كانت هذه أول مرة يشعر فيها بقيمته عندها قبل أن تتعمق علاقتهما بعدها يوماً بعد يوم ..

لهذا تنهد الآن وهو يبعدها برفق ليمسك بيدها بنفس الطريقة كيومها قائلاً :

_مفيش شط ..عومي زي ما تحبي يا همسة ..أنا معاكي .

ضحكتها تغرد في أذنيه صافية كما كانت يومها وهي تضغط كفه وقد بدت وكأنما تراودها الآن نفس الذكرى ..

تتحرك بسلاسة وهي تضرب الماء بقدميها ..





تدور وتدور في حلقات تمسك كفه بأحد كفيها بينما ذراعها الآخر تفتحه على آخره كأنما تحتضن به العالم كله ..

صيحاتها الفرحة العالية تملأ الفضاء حولهما كأنما تشهد الدنيا على سعادتها ..

لم تكن ترى حقيقةً أي شيء ..

لكن "عين خيالها" كانت تبصر جنة حقيقية هاهنا ..

يدها الممسكة بها تجعل ضرباتها للماء أقوى ولحن قديم يملأ أذنيها بصوته ..

ما حاجتها الآن لعينيها وهي ترى بحبه كل الصور ؟!

تشعر به أخيراً يحرر يده منها فينقبض قلبها ببعض الخوف ..

لكنه يحيط خصرها براحتيه ليعاود تقريبها منه ..




أنفاسهما تتعانق من جديد لتشعر بمذاق شفتيه على بشرتها ..

فتمد أناملها ببطء تتلمس ملامح وجهه كأنها ترسمها ..

_عايزة ..أشوفك .

تهمس بها برجاء بين "عذوبة" و"عذاب"!

ولا تدري كيف تذبحه حروفها ..

هو الذي كان الآن يتمزق برغبته فيها وهو يشعر بها بين ذراعيه أقرب ما تكون ..

وأبعد ما تكون !!

جسده كله متشنج بقوة حرمانه بينما تعاود هي رجاءها مرة تلو مرة ..

فلا يجد سبيلاً لإسكات شفتيها إلا هذه القبلة الطويلة التي غابا فيها عن العالم بأسره ..

قبل أن يشعر بها تبتعد لتمد أناملها نحو عصابتها تحاول خلعها..





_لا!

يهتف بها بجزع وهو يحيط أناملها بقبضتيه ..

لترتجف شفتاها وهي تهز رأسها للحظات سبقت نزول دموعها على وجنتيها ..

عذاب!!

عذاب!!

عذاب خالص يعيشه معها بهذه الصورة لكنه لا يجرؤ على أن يسمح لها برؤيته من جديد !!

دموعها توازي أخرى تجمعت في عينيه اللتين أغمضهما وهو يعاود ضمها نحوه ليربت على ظهرها قائلاً بنبرة متماسكة :

_كفاية كده النهارده عشان ما تبرديش .

ثم أبعدها ما يكفي ليمسح دموعها بأنامله مردفاً :

_لما ترجعي أوضتك هتلاقي هدية حلوة بتحبيها .





قالها ليقبل جبينها أخيراً بقوة قبل أن يتحرك بها من جديد ليغادرا حوض السباحة ..

تشعر به يجفف جسدها بالمنشفة قبل أن يقبل جبينها من جديد لتشعر به يبتعد من جديد ..

الخادمة تسحبها من كفها نحو الكوخ لتنزع عنها عصابتها قبل أن تساعدها في الاغتسال وتبديل ملابسها ..

تتحرك بعدها نحو مرآتها لتمشط شعرها فتستوقفها هذه العلبة الصغيرة هناك ..

ضحكة رائقة تغادر شفتيها وهي تميز محتواها لتهتف بلهفة :

_بابلز!

تفتحها بسرعة لتستخرج العصا المنتهية بحلقتيها والتي نفخت فيها لتنبعث الفقاعات الملونة حولها ..

صيحاتها الفرحة توازي قفزاتها الطفولية وهي تدور حول نفسها مطاردة فقاعاتها الملونة التي ملأت الغرفة ..

_رائد ..رائد ..بحبك !

تهتف بها وسط صيحاتها الفرحة لتجد صداها في قلبه بينما يراقبها خفية عبر النافذة بعينين مزجتا الرضا بالذنب القديم ..

قبل أن يطرق برأسه ليبتعد بخطوات متثاقلة ..

أما لهذا العذاب من آخر ؟!

=========

لم نكن لنفترق ..

ولم نكن لنلتقي ..





فبقينا كطيور محلقة في سماء أبدية..فقدت وطنها القديم ووجهتها الجديدة ..

لم نكن لنفترق ..

ولم نكن لنلتقي ..

فبقينا كابتسامة تترنح على شفاه متشققة بين وعد أمل ووعيد خذلان ..

لم نكن لنفترق ..

ولم نكن لنلتقي ..

فبقينا كزهرة حمراء أهداها عاشق ..وزهدها حبيب ..فمزقها طفل عابث تحت قدميه ..

لم نكن لنفترق ..

ولم نكن لنلتقي ..

فأي فردوس أضعناه ؟!

وأي جحيم ولجناه ؟!

وأي رمادية ذبحنا بها ألواننا ؟!!





لم نكن لنفترق ..

ولم نكن لنلتقي ..

فأنت مني القريب البعيد ..

وانا منك المنجية المهلكة..

جبلان من الأضداد كنا ولم نزل ..

فهنيئاً لنا الشتات بعد طول سكن ..

أجل ..

لم نكن لنلتقي ..ولم نكن لنفترق!!

"نرمين نحمدالله "

=======

بخطوات متثاقلة تسير ياقوت في حديقة بيت رائد الذي استقبلها بحفاوة ليدلف معها إلى الداخل ..

قلبها يتقافز بين ضلوعها بترقب وقد ميزت وجود سيارة زين بالخارج ..

لكنها ترفع رأسها لتتلمع نظرة التحدي الواثقة في عينيها ..





هي استعادت حريتها ..كرامتها ..وبرأت من الجرح القديم ..

لن تقبع مكانها في انتظار رجل زهدها ..

فليمضِ كل منهما في طريقه الذي يليق به ..

ولا عزاء لخفقات القلوب!!

_همسة مستنياكي .

يقولها رائد وهو يتوقف أمام باب كوخ همسة ليبتسم لها بمؤازرة فهزت رأسها لتفتح الباب وتدخل ..

ولم تكد تفعل حتى صرخت همسة بفرحة لتهرع إليها لتعانقها هاتفة :

_وحشتيني !





فتنهدت بعمق مطمئنة للمزيد من تقدم حالتها وهي تضمها نحوها أكثر بحنان لتربت على شعرها الجميل قائلة :

_وانتِ كمان ..بس هاعوضك النهاردة ..هاقعد معاك كتير .

صفقت همسة بسعادة أشرقت لها ملامحها فابتسمت ياقوت وهي تلمس تطور حالتها أكثر ..

لتتقدم منها فتنظر نحو المائدة القريبة حيث وضعت سلة من البيض ..تناولت منه واحدة لتمنحها إياها قائلة :

_وريني هترسمي إيه !

فابتسمت همسة وهي تجلس على كرسيها لترسم ..

عيناً ..عيناً أخرى ..أنفاً..





ثم تلكأت ابتسامتها رويداً وهي تتلفت حولها كأنها تبحث عن شيء ما ..قبل أن تبتئس ملامحها نوعاً وهي ترسم "نصف ابتسامة"!

هزت ياقوت رأسها بتفهم وعيناها الذكيتان تتابعان تطور الحالة ..

قبل أن تتناول منها البيضة لتضعها جانباً ..

ثم سحبت كرسياً جوارها لتسألها :

_ليه ما بتكمليش رسم الضحكة للآخر ؟!

_عشان ..هو ..مش موجود .

تجيبها همسة ببراءتها البائسة لترد ياقوت :

_بس انتِ حاسة إنه معاكِ ..حواليكِ ..صح؟!

هنا عادت لهمسة ابتسامتها وهي تشرد ببصرها قائلة :





_دايماً .

_صوته بيريحك لما بتسمعيه ؟!

تسألها بترقب لتتسع ابتسامة همسة مجيبة بنفس الشرود :

_قوي .

_مش فاكرة أي حاجة عن شكله ..ممكن توصفيهولي؟!

وسؤالها كان هذه المرة أكثر حذراً وهي تخشى أن يتهاوى سد الماضي فينبعث منه فيضان الذكرى هادراً دون رادع ..

لكن همسة تغمض عينيها لتصمت طويلاً قبل أن تهز رأسها نفياً بعجز ..

_صورته ..ضاعت !





تقولها أخيراً بنفس البراءة البائسة وهي تفتح عينيها مع كفيها الخاليين كأنما تشكو إليها !!

ولا تدري ياقوت لماذا دمعت عيناها في هذه اللحظة لتجد نفسها تمد كفيها هي نحوها لتحتضن راحتيها بقوة هامسة :

_هنرجّعها سوا ..أوعدك ..هخلليكي تشوفيه زي ما بتسمعيه .

فابتسمت همسة من جديد وهي ترمقها بنظرة حب نقية قبل أن تهمس لها برجاء:

_اقريلي .

ومع الكلمة تجتاح ياقوت عاصفة من الذكرى وهي تسمعها بطنين مدوٍ في خيالها لكن ..بصوت آخر!!

صوته هو!!




تغمض عينيها بحنين وهي تتذكر جلستها بين ذراعيه ..

هذا الإحساس الفريد الذي غمرها يوماً بأن ظهرها صار له سند !

هذا الهسيس الناعم لأنفاسه يصدح جوار أذنها وكيف في بضع ثوانٍ فقط يلتحم بدقات قلبها ليعزفا معاً على نفس الإيقاع ..

_لو مش هتسمع أبطل قراية .

_بسمع بوداني مش بشفايفي!

ذكرى أخرى تغلفها بابتسامة ودمعة !!

مزيج مدهش يطوقها فتغمض عينيها بقوة قبل أن تعاود فتحهما بنفس النظرة المتحدية ..

لا ..لن تضعف نحوه من جديد !!

هو اختار عالمه دونها ..فليهنأ به ..

هو لم يكن فارسها على أي حال !!





_نفسي فيه ..وأقول "إخيه"!!

مداخلة حامية من "العفريتة العابثة" التي عادت تعربد بين جنباتها ..كأنما استعادتها مع "قوتها الجديدة " التي ارتدت بحريتها !

لكنها تجاوزت عن كل هذا لترتدي قناع مهنيتها من جديد ..

تتناول كتاباً قريباً ترفعه أمام عينيها لتقرأ لهمسة بصوت عالٍ ..

همسة التي عادت للشرود مع حكاياتها الخيالية لدقائق طالت كثيراً ..

لكنها أعلنت أخيراً تململها غير المعهود وهي تعاود التلفت حولها ..





فابتسمت ياقوت شاعرة بالمزيد من التقدم ..

هي لم تعد تنجذب لعالم الخيال بقدر ما صارت راغبة في البحث عن رائد في العالم الحقيقي حولها ..في الامتزاج به ..

وقريباً ..الاكتفاء به !

"نداهة" عالمها القاهرة لم يعد لها نفس السلطان القديم !

_تحبي نخرج الجنينة ؟!

تسألها ياقوت وهي تتفحص ملامحها باهتمام مهني ..

اللهفة ..الفرح ..الأمل ..

كل هذه المشاعر التي تراقصت على ملامح همسة وهي تعدو نحو باب لم يعد مغلقاً بمفتاح..

تخرج نحو الحديقة لتدور حول نفسها فاردة ذراعيها ..





ترفع وجهها للسماء معانقة زرقتها مع بياض سحبها ..

والابتسامة تتحول لضحكة ..ثم عدة ضحكات عالية ..

سبقت احتضانها لياقوت التي لحقت بها ..

قبل أن تقبلها همسة على وجنتها بحب لتشير بإصبعها نحو نافذة البيت الداخلي هاتفة :

_زين .

ارتجفت ياقوت لحظة لوقع الاسم وهي تنظر نحو ما أشارت إليه لتلتقي عيناها بعينيه للحظة سبقت إشاحتها بوجهها !

قلبها يخفق بجنون لكن نظرة التحدي تعاود سكنى عينيها !





وفي مكانه كان هو يراقبهما عبر النافذة شاعراً أنه يبذل مجهوداً خرافياً كي يبقي قدميه ملتصقتين بالأرض ..

كي لا يعدو نحوهما فيضمهما سوياً في عناق طويل مستعيداً هذا التوازن الذي غاب عن عالمه منذ غابتا ..

عيناه تتعلقان طويلاً بضحكات همسة الصافية ..

قبل أن تحيدان رغماً عنه لملامح ياقوت التي اشتاقها حد الجنون !!

عقله يأمره بالصبر ..

بمنحها ومنحه الفرصة كي يلتئم الجرح القديم قبل أن يأخذ القرار المصيري ..

فيطيعه قانعاً بنظراته المختلسة نحوها ..

لكن ..

وما إن التقت عيناها بعينيه حتى عاد مارد جنونه يعربد بين جنباته ومطيحاً بأي تعقل ..





لحظة واحدة التقت فيها النظرات عبر هذا البعد لكنها نسفت واحداً من جبال صموده ..

ليجد نفسه يغادر مكمنه نحوهما ..

يقترب منهما بخطوات "ظاهرها"الرصانة و"باطنها" ألف هرولة !

لم يعرف يوماً بطئاً يشبه لهفة العجلة كما يعرف الآن سيره نحوها !!!

_زين !

تعاود همسة الهتاف بها قبل أن تحط على صدره بلهفة ..

فيضمها إليه بكل قوة جسده عدا ..عينيه !!

عينيه كانتا متعلقتين بهذه التي وقفت مكانها تراقبهما عبر نظارتها التي عاودت ارتداءها كأنها تعلن عودة أسوارها الحصينة أمامه ..

ابتسامة مهنية بنكهة التحدي ارتسمت على شفتيها ليقرأها هو واضحة تماماً ..




ابتسامة تلت نظرة "عاشقة" تفحصته بلهفة "أمومية" دافئة رغم كل هذا البرود الذي تدعيه ..

ورغم استشعاره لمقاومتها الظاهرة لمشاعرها القديمة نحوه ..

لكنه كان راضياً عن بداية تعافيها من جرحه القديم على أي حال .

الغافلة تظن نفسها تداري مشاعرها عنه خلف ابتسامة باردة ..

ولا تدري أن خلف نظارتها هذه قمرين سجينين يستصرخانه دوماً أن لا محرر لهما غيره ..

وسيفعل!

يقسم أنه يوماً ما سيفعل!!

وفي مكانها رسمت ياقوت ابتسامتها ببراعة تداري هذا البركان الذي يحرقها بحممه ..

سراجا الذهب في عينيه يلتمعان بتلك النظرة التي أسرتها منذ أول لقاء ..




لم يلقِ إليها بتحية ..ولا بكلمة واحدة ..

لكنها كانت تشعر أن هذا العناق أمامها يخصها هي!!

تغمض عينيها على الخاطر الأخير فترى نفسها بين ذراعيه ..

كأنها لم تعد ترى لهما وضعاً إلا في عناق يجبر به كلاهما كسر صاحبه !!

لكنها تعاود فتحهما من جديد بسرعة مستنكفة أن تعود لهذا الضعف ..

لهذا تناولت هاتفها بسرعة تجري اتصالا ما ..

قبل أن تقترب من همسة لترد له تجاهلاً بتجاهل فتخاطبها بقولها :

_هامشي أنا دلوقت ..وأجيلك بكرة .





ابتعدت همسة عن زين لتتشبث بذراعها هاتفة بتلعثم :

_بدري ..قلتِ ..هتقعدي كتير .

لكن ياقوت ابتسمت وهي تنظر في ساعتها :

_معلش ..افتكرت معاد مهم كنت ناسياه ..نعوضها بكره ..

ابتأست ملامح همسة لكن ياقوت تناولت عصابتها هي من جيب منامتها لتلفها حول عينيها برفق قائلة :

_أنا هامشي ..بس هو هيفضل معاكي .

تقولها وهي تشير لرائد المختبئ قريباً خلسة فيتقدم نحوهما ليمسك كف همسة التي ضحكت ضحكة عالية مفاجئة وهي تشعر بوجوده ..

قبل أن تلقي بنفسها بين ذراعيه !!





تتحرك ياقوت لتغادر مستمرة في التجاهل له لكنها كانت تشعر وكأنما نبتت لها عينان في ظهرها ..

عينان تريانه بكل وضوح يسير خلفها ..

يحافظ على خطوة واحدة بينهما لو توقفتها هي واستدارت لوجدت نفسها أمامه تكاد تلاصقه ..

وجنتاها تتضرجان بحمرة لم تملكها لكنها تقمع هذا الشعور بالخجل بفورة غضب تريد إذكاءها ..

لم تكره يوماّ ك"أنصاف الحلول"ولايزال هو يصر على التراقص بها فوق حبل ال"بين بين"!

تتعثر دون وعي فتسقط حقيبتها منها وقبل أن تفكر في التقاطها تجده هو ينحني ليسبقها فيلتقطها قبل أن تجده أمامها يمد كفه بحقيبتها ..

يناظرها ب"سراجي الذهب "المتوهجين ببريق يبقى دوماً مكتسحاً !!





_مش مقامك تعملها يا ..بيه !

بأنفها المرفوع ..ذقنها الشامخ ..وابتسامتها المتحدية حديثة العهد تقولها وهي تتناولها منه لتعيدها لكتفها ..

تتسع عيناه قليلاً وهما تدوران فوق ملامحها باشتياق ذبح قلبه ذبحاً فيضطر لأن يقبض كفيه بقوة جواره كأنما يخشى المزيد من تهوره ..

هو لم يكن ينتوي أن يقترب منها اليوم فلماذا فعل؟!

وكيف غابت عنه سيطرته -المشهود لها- هكذا ؟!

قطرات من عرق خفيف تغزو جبينه وعيناه تحيدان لموضع قرطه المختبئ خلف أذنيها مستعيداً مذاق قبلاته هاهنا ..

تراها لا تزال ترتديه ؟!

بالتأكيد تفعل!

ولماذا "بالتأكيد" هذه ؟!





مع امرأة هذه لا ثوابت !!

هي وحدها من يمكنها زلزلة عرش غروره فلا يعرف جواباً لسؤاله !!

لهذا اهتزت نبرة صوته المهيمنة دوماً ليرد بخفوت تلون بعاطفته :

_بس مقامك انتِ تتعمل عشانك ..

ثم انخفض صوته أكثر حد الهمس:

_يا ياقوت !

_ياختاااي ..يااا أحلى ياقوت في عمري ...ورجعنا لأيام الشقاوة ..ما تحنّي بقا يا بت هو يعني كان ضربك بالنار ؟! بس اقوللك ..اتقلي التقل صنعة ..بس برضه مش قوي ..هيجنني ابن اللذينا !





لم تلم "عفريتتها العابثة" هذه المرة وهي تشعر برعشة جسدها تجعلها تسبل جفنيها هاربة من لقاء نظراته ..

عقلها "الذكي" لم يغفل عن إشارته في ندائه لها باسمها المجرد مقابل لفظة "بيه" التي لفظتها كأنها تعاقبه بها !!

تماماً كما لم يغفل قلبها عن ملاحظة انقباض كفيه المتشنج جواره بدلالته التي وصلتها كاملة ..

لكن تبقى الحواجز بينهما أقوى من كل هذا ..

ولا عزاء لقلب تعلق بمن ليس له !

_هاوصّلك!

الهيمنة الممتزجة باللطف المميزة له تعود لتغزو صوته فيما لم يبدُ كعرض مهذب بل كأمر واقع ..

لكنها كانت فرصتها لتستعيد ابتسامتها الباردة المتحدية :

_شكراً ..إسلام مستنيني بره هيوصلني .





ضاقت عيناه بغضب مكتوم انتشرت ذبذباته بينهما عنيفة وهو يتبين سر هذه المكالمة التي أجرتها منذ دقائق ..

قمراها السجينان يعودان للاختباء خلف غيومها فيشعر بالمزيد من التخبط ..

أنامله تستسلم لمارد جنونه أخيراً فتمتد نحو نظارتها تكاد تخلعها ..

لكنها تقرأ حركته بخبرتها الذكية به فتتراجع بجذعها للخلف مانعة إياه مما يريد ..

مزيج الغضب والجنون يلونان عينيه بصبغة أكثر جاذبية خاصة لعينين تفهمانه مثلها ..

فتتسع ابتسامتها المتحدية وهي تعدل وضع نظارتها على أنفها بحركة ذات مغزى قبل أن تعطيه ظهرها لتبتعد دون أن تلتفت !!





يكز على أسنانه بقوة وهو يعاود اعتصار قبضتيه جواره بينما يراها تبتعد أكثر ليفتح لها الحارس البوابة قبل أن يعاود إغلاقها خلفها لتختفي عن ناظريه تماماً ..

فيزداد شعوره بهذه البرودة التي خلفتها وراءها ..

وأي برودة !

=======

_وشك موّرد يا توتة ..قابلتيه هناك ؟!

يقولها إسلام بفراسته المعهودة وهو يقود بها سيارته في رحلة الرجوع وقد خالط مرحه الكثير من الاستياء بطبيعة الحال ..

لتطرق برأسها مستدعية قناع قوتها بقولها:

_طبيعي أقابله هناك لحد ما اخلص علاج أخته ..وبعدها كل واحد يروح لحاله .

_مش مقتنع باللي بيحصل ده ..بس واثق في دماغك .





يقولها بنفس الاستياء لتتنهد بحرارة وهي تشيح بوجهها ..

فعاد يهتف بحمية أكبر:

_قاللك حاجة ضايقتك ؟!

فهزت رأسها نفياً دون رد قبل أن تتردد قليلاً لتحكي له أنه كان السبب فيما حدث لجيلان ..

لكنه فاجأها بضحكة مكتومة وهو يلتفت نحوها قائلاً بنبرته المرحة التي لا تزال ممتزجة بالضيق:

_كنت مراهن نفسي إنه هو ..ابن اللعيبة !

_أنا آسفة ..صدقني عملها من ورايا ..

قالتها مبررة وهي تستشعر حرج الموقف فجيلان تبقى أمه رغم كل شيء ..

لكنه زفر بقوة ليشرد ببصره في الطريق قائلاً:

_في علاقتنا المكعبلة دي لازم نفصل الخيوط عشان نعرف نعيش ..وبعيد عن أنها تبقى أمي ..بس حركته دي معناها إنه فعلاً بيحبك .




_أنا متأكدة إنه بيحبني ..

قالتها بحسم وهي تعود للإطراق برأسها لتردف:

_بس ده مش كفاية لواحد زيه مع واحدة زيي .

رمقها بنظرة مشفقة طويلة وهو يشعر أن جرم أبيه في حقها هي وشقيقتها كان أكبر كثيراً مما يمكن احتماله ..

لو لم تكن هي ابنة حسين رجائي بكل ذنوبه وخطاياه لكانت لها فرصة مع هذا الرجل الذي أحبته وأحبها ..

لكن ..لا تزال هناك فرصة لتحسين الوضع ..

_أنا خدتلك شقة قريبة من المركز ..ما تخافيش عملت عقد الإيجار باسمك المرة دي تحسباً لأي حركات نص كم من الست الوالدة ولو اني ماظنهاش تكررها ..

قالها ببعض المرح الذي عاد لنبراته ..قبل أن يردف:





_وبالنسبة للمركز خلاص بدأت في الإجراءات ..وفي أقرب وقت هنعمل الافتتاح ..بس كنت عايز أسألك لو اخترتِ حد معين من زمايلك يبقا معاكِ .

_في بالي كام اسم بثق فيهم ..هاكلمهم ونتفق .

قالتها بنبرتها المهنية التي غزاها المزيد من الطموح ..

ليردف هو باستحسان:

_عظيم جداً ..فيه واحد كمان ممكن نضيفه ..صاحبي وقابلته صدفة في فرح قريب ..اسمه سامر ..سامر مرزوق.

فرفعت حاجبيها بدهشة هاتفة :

_سامر مرزوق!

_تعرفيه ؟!

سألها باهتمام لتجيبه بابتسامة استحسان:

_طبعاً ..كان دفعتي بس ماشفتوش من زمان ..لكن سمعت إنه شغال في مركز كبير وعمل اسم حلو .




_سابه من فترة وبيدور على شغل تاني ..وبصراحة لما قابلته في الفرح عرضت عليه الموضوع مبدئياً ..بس قلت آخد رأيك الأول .

قالها بالمزيد من الرضا لترد هي بابتسامة ودود :

_سامر مش محتاج رأي ..شاب مكافح وحفر في الصخر لحد ما وصل للي هو فيه ..بس اللي أعرفه إنه كان ناوي يسافر بعد الماجستير ..ما سافرش ليه ده جت له فرص حلوة جداً !

سألته باهتمام ليرد بنبرة آسفة :

_والدته تعبانة ومارضيش يسيبها لوحدها ..وهو مالوش اخوات .

فابتسمت لترد بإعجاب:

_مش بقوللك سامر مش عايز رأي ..

ثم تناولت هاتفها لتتصل برقم ما وما إن فتح الاتصال حتى هتفت بعد تحية تقليدية :

_قولي لابن عمك يجهز للمنافسة ..أنا وهو هنبقى زملا في مركز واحد ..قوليله إني مش ناسية تار





الحالة اللي خطفها مني أول ما اتخرجنا ..وشايلاها له !

ضحكتها الرائقة وهي تتلقى الرد أطربت قلب إسلام حقاً وهو يشعر أنها صارت أفضل حالاً ..

فيما استجابت هي لثرثرة معهودة مع صديقتها على الهاتف قبل أن تغلق معها الاتصال لتلتفت نحوه هاتفة بمرح:

_كده تستنى منه تليفون يقوللك إنه موافق وفي أقرب فرصة ..مش هيضيع فرصةالتحدي معايا .

فتفرس ملامحها ليسألها بمكر:

_شكلكم معرفة قديمة ..أطلع أنا منها بقا .

لكنها ابتسمت لتقول بشرود :

_كانت أحلى أيام ..ياريتها دامت ..أنا وهو كنا أشطر اتنين في الجروب بتاعنا ..كنا بنقسم المواد بيننا هو يبيّض نص المحاضرات وانا النص التاني ..كان مسميني شجرة الدر وكنت مسمياه اينشتاين ..وبعدما اتخرجنا اتدربنا سوا فترة في




مركز معروف ..بس بعدها انا سبت المركز ومن ساعتها ما اعرفش اخباره إلا من صاحبتي اللي هي قريبته..كان ..

انقطعت عبارتها عندما رن هاتفه ليضحك ضحكة عالية وهو يشير نحوها بالهاتف دون أن يفتح الاتصال:

_ده هو!! لا ده انت سرك باتع ..معقول لحقت قريبته تكلمه !!

فضحكت لتقول بود أشرقت له ملامحها:

_طب افتح ورد عليه !

_أيوه يا أبو سمرة !

يقولها وهو يفتح الاتصال بضحكة قصيرة ليقابله صوت سامر على الجانب الآخر من الاتصال :

_انت طلعت أخو ياقوت سليمان بجد ؟! إزاي؟!





فضحك إسلام وهو يغمز ياقوت جواره هاتفاً:

_أيوه يا عم أينشتاين ..شجرة الدر جنبي أهه وبتسلم عليك !

رمقته ياقوت بنظرة خجلة عاتبة خاصة عندما تناهى لسمعها صوت ضحكات سامر من الجانب الآخر للاتصال ..

والتي سبقت قوله :

_قوللها والله زمان يا دوك ..خلاص يا عم ..أنا معاكم في المركز ده ..ليا تار قديم مع اختك وهاخلصه !

_أيوه بقا ..هو ده الشغل ..وزي ما بيقولوا : رُب صدفة خير إن شاء الله ..هاكلمك أول ما أبدأ ونتفق ..

قالها إسلام مخاطباً الرجل الذي بدا شديد الود وهو يقول أخيراً بنبرة مهذبة :

_بلغ دكتورة ياقوت سلامي ..وقل لها إني وافقت مخصوص عشانها .





_اخس عليك ! ولد ! وأنا كيس جوافة يعني ؟!
ماليش اعتبار عندك ؟!

ضحكت ياقوت بانطلاق وهي تلكز إسلام بكفها في كتفه ليغمزها الأخير من جديد قبل أن يغلق الاتصال معه ليلتفت نحوها هاتفاً :

_شفتي الندل؟! بيقول وافق مخصوص عشانك ..وأنا كنت هابوس إيده في الفرح ويقوللي مابشتغلش مع مبتدئين .

فابتسمت وهي تشعر بحنين جارف للأيام القديمة لتقول بشرود :

_أنا مبسوطة جداً إني هاشتغل معاه تاني ..سامر دماغه نضيفة ومكسب لأي مكان يشتغل فيه .

رمقها إسلام بنظرة متفحصة وهو يشعر ببعض الحيرة ..





لو لم يكن يعلم أنها غارقة في حب زين هذا لظنها عالقة مع سامر ..

سامر الذي التقاه مصادفة في زفاف داليا شقيقة زوجة أشرف بينما كان يتحدث مع ناصر وزوجته !

ورغم اضطراب علاقته المستحدث بناصر لكن هذا لم يؤثر على الود الذي يستشعره نحو سامر الذي هو قريب سها ..

هو اعتاد الفصل في هذه الأشياء ..

تعلم درسه هذا بأقسى الصور ..

والجالسة جواره الآن خير دليل!!

_وصلنا!

هتف بها وهو يوقف السيارة أمام الفندق الذي استأجر لها غرفة فيه ..فابتسمت وهي ترمقه بنظرة مشرقة ليلتفت نحوها مستديراً نحوها بكل جسده مع قوله :





_الشقة محتاجة بس تتفرش عشان تعرفي تقعدي فيها مع لجين ..وأنا هحاول أوزع وقتي بينكم وبين هيثم وماما ..

ثم تنهد ليردف بمسكنة مصطنعة :

_ده انا لو متجوز اتنين مش هيمرمطوني كده !

ضحكت ضحكة عالية وهي تربت على كفه بتعاطف قبل أن تغادر السيارة ملوحة له بكفها ليغمزها من جديد هاتفاً:

_سلام يا ..شجرة الدر !

=========

في مكتبها بالمصنع تجلس نشوى شاردة وهي تشعر بحيرتها تزداد مع تقدم الوضع بينها وبين ناصر ..

لا تزال مترددة في منحه موافقة نهائية والغريب أنه لا يتعجلها !





عقلها يحدثها أن هذا طبيعي كي لا يضغط عليها خاصة مع ظروفه التي لن توافق عليها أي امرأة ..

لكن قلبها "المراهق" يتمنى لو يفعلها ..

لو يتعجلها !

لو يشعرها أنه يشتاق قربها كما تشتاق قربه !

_مامي ..هالعب كمان جيم ..

تهتف بها ريما التي تصطحبها هي اليوم استثنائياً للعمل ..

فتجيبها بذهن شارد وهي تتذكر كيف تعلقت الصغيرة بناصر في هذا الوقت القصير ..

كيف شغل هو فراغاً تركه أبوها زاهداً منذ سنوات ..

ليس فقط بهداياه ونزهاته المتعددة لها ..بل بهذه العاطفة السخية التي يغدقها عليها هو ..وزوجته !

زوجته !!





زوجته !!

نفس المرارة تصب كئوسها في حلقها وهي تتذكر وضعهم الغريب الذي قد يكون مثالياً حقاً كما يزعم هو ..

لكنها هي تستشعره شاذاٌ !!

صوت طرقات على الباب يقاطع أفكارها ..

_صباح الخير .

يقولها إسلام وهو يدخل لتتهلل أساريره وهو يفاجأ بالصغيرة التي تقدم منها ليصافحها بحرارة هاتفاٌ :

_أهلاً أهلاً ..اسمك إيه يا حلوة ؟!

_ريما ..جريد وَن ..(....)سكول !

تقولها الصغيرة بنفس التيمة التي تحفظها كأنها نشيد فيضحك ضحكة عالية وهو ينحني على ركبتيه أمامها مقلداً طريقتها :

_اسلام .."جريد زيرو" .."نو سكول"!




يقولها ملوحاً بكفيه أمام وجهها بحركات طريفة جعلت الصغيرة تضحك هاتفة :

_كل الكبار "نو سكول"..أنا عايزة أكبر عشان أبقى "نو سكول" زيكم !

_والله واحنا نفسنا نصغر ونرجع ال"سكول"!

يهتف بها بمسكنته المصطنعة وهو يمد يده في جيبه ليستخرج قطعة من الشيكولاتة منحها إياها :

_حظك ! كنت جايبها لأختي بتموت في الشيكولاتة .

_آخدها يا مامي ؟!

تسأل نشوى التي بقيت ترمقهما بنظرة مغتاظة لتهتف بحدة :

_قوليله ميرسي يا أنكل ..خلليها لأختك !

لكنه التفت نحوها بابتسامته المغيظة الباردة :

_هاجيبلها غيرها !




ردت له ابتسامته بأخرى سمجة قبل أن تلتفت نحو صغيرتها قائلة بحزم :

_روحي لخالو أشرف دلوقت يا ريما .

ترددت الصغيرة قليلاً قبل أن تنفذ أمرها لكن إسلام هتف بها بمرح:

_مفيش بوسة وشكراً ليا ؟!

فضحكت ريما وهي تميل على وجنتيه بقبلتين هاتفة :

_اتنين بوسة ..واتنين شكراً !

_كريمة زي خالو ..الحمد لله إنك ما طلعتيش لناس تانيين !

يقولها إسلام بنبرة ذات مغزى لتتحرك الصغيرة مغادرة بخطوات راكضة فيما استقام هو واقفاً ليواجه نشوى التي بادرته بقولها الجاف:





_مش معلمة بنتي تبوس وتحضن أي حد من الشارع ..ياريت اللي حصل ما يتكررش ..كنت عايز إيه ؟!

_ما هو أنا مش م الشارع ..أنا من قنا ..آه حقيقي ..الوالد الله يرحمه كان له أصول من هناك !

يقولها بتظارف بارد متجاهلاً الشق الأخير من سؤالها لتكتم ابتسامتها بصعوبة هاتفة بنبرة أكثر حدة :

_عايز إيه ؟!

لكنه صمت ليرمقها بنظرة متفحصة طويلة أربكت أنوثتها قبل أن يقول بنبرة رخيمة :

_بيقولوا لو الراجل اهتم بزيادة بطفل غريب في مكان يبقى معجب بالست اللي جنبه !

فتمالكت نفسها لتتلفت حولها قائلة ببرود :

_بس أنا مش شايفة رجالة في الأوضة !




كانت تعلم أن عبارتها مهينة بأكثر مما تحتمل علاقتهما ..

لكنه صار يمثل عليها ضغطاً إضافياً بهذه العدائية التي تحملها نحوه والتي لا تجد لها مبرراً مقنعاً !!

خاصة مع تلميحاته السخيفة التي تزداد وطأتها بكونه معجباً بها ..

إذا كان هو جريئاً فهي وقحة ولن تمرر له قولاً أو فعلاً !

_و همّ فين الستات ؟!

يرد لها إهانتها بمثلها بسرعة بديهة لا تنقصه قبل أن يستطرد بنفس الابتسامة المغيظة :

_دي مجرد جملة قريتها وافتكرتها !

تكز على أسنانها بقوة لتهب واقفة مكانها وهي تهتف به بغيظ مكتوم :

_لتالت مرة بسألك ..جاااي ليييييه ؟!





فاتسعت ابتسامته المغيظة وهو يتقدم ليجلس بأريحية على الكرسي أمام مكتبها :

_عايز أجازة أسبوع عشان مشغول بمشروع خاص بيا أنا وأختي .

_أسبوع؟!

تهتف بها بغلظة وهي تعاود الجلوس على مكتبها لترمقه بنظرة حادة..

فمال نحوها بجذعها هاتفاً بنفس النبرة الرخيمة التي يدرك أثرها في النساء:

_نخلليهم خمس أيام عشان الناس اللي هاوحشها !

احمر وجهها بغيظ وهي تشعر بارتفاع ضغط دمها حقاً لتهتف به بنفاد صبر :

_خد لك شهرين تلاتة ..والأحسن لو تقعد في بيتكم وتريحنا منك خالص!

فابتسم وهو يعتدل واقفاً ليعدل وضع ياقة قميصه بينما يرفع أحد حاجبيه بمكر هاتفاً :




_على بركة الله ..يبقى يومين وراجع !

يقولها ليغمزها بمكر في حركة وجدتها منه هو بالذات شديدة الجاذبية ..

ربما لهذا تقدمت منه لتصرخ في وجهه بانفعال:

_انت يا أستاذ انت تحترم نفسك لما تكلمني ..انت ازاي تغمزلي كده ؟!

_أنا غمزت ؟! أبداً ..دي بس عيني الشمال بترف م الصبح ..ربنا يستر ما بتفائلش لما بتعمل كده !

يقولها بمسكنته المصطنعة ولغة جسده تنضح بمزيج آسر بين شقاوة طفولية وجرأة رجولية ..

مزيج وجد أثره فيها رغماً عنها لتجد نفسها لأول مرة تتفحص ملامحه ..

هل هو وسيم حقاً كل يوم هكذا أم أنها فقط لم تكن تنتبه ؟!




C i n n a b o n

الخاطر الأخير يجعلها تنتفض شاعرة بالخطورة لتهتف به بالمزيد من الحدة :

_اتفضل امشي .

_امضيلي الأجازة .

يقولها بنبرة رخيمة عاد إليها سحره الرجولي وهو يمد يده بالورقة نحوها..

لتنتزعها منه كي توقعها بأنامل مرتجفة قبل أن تعيدها إليه ..

فعاد يرمقها بنظرة متفحصة طويلة وهو يشعر نحوها بنفس الانجذاب الذي يزداد يوماً بعد يوم ..

ليس فقط كونها مختلفة تماماً عن أي نوع صادفه من النساء بطبيعتها "التين شوكية" هذه ..

بل هذا الشعور المتزايد بالشفقة نحوها ..

من يراها هنا في المصنع بشخصيتها الكاسحة لا يصدق هذا الوهن الذي رآه منها مع ناصر ..

أي شيء يمكن أن يوهن امرأة كهذه ؟!




الحب؟!

هل تحب ناصر حقاً ؟!

الخاطر الأخير يصيبه بالضيق وهو يكاد يصرخ فيها أنها ستكون أغبى امرأة في العالم لو وافقت عليه بظروفه هذه ..

وأنها تستحق أكثر من نصف رجل ..

لكن ما سلطته هاهنا ؟!

هو مجرد متطفل غير مرغوب فيه لديها !!

لهذا مط شفتيه بحركة استياء قبل أن يعاود غمزته الماكرة لها عمداً -وقد شعر بأثرها عليها -:

_سلام يا أستاذة ..وادعي لعيني تخف!

يزداد احمرار وجهها المغتاظ وهي تراقب ظهره المنصرف لتمسك بأقرب ما طالته يداها كأنها ستقذفه فيه ..

قبل أن تتمالك نفسها لتهمس من بين أسنانها :





_هيشلّني !

تزفر بحنق مبالغ فيه لتتهاوى جالسة على كرسيها ..

انفعالاتها صارت متطرفة حقاً هذه الأيام وكيف لا ؟!

وضغط "الماضي الذي عاد" تزداد وطأته أكثر ..

فيفقدها التوازن أكثر وأكثر..

تفتح هاتفها لتتفقد حساب ناصر كما تعودت ..

دوما منشوراته جدية تميل لناحية سياسية معينة بحكم وظيفته ..

لكنه اليوم كتب هذا !

_محظوظ أنا بكِ ..بهذا الحب الذي لم تفقده الأيام أثره ..بهذا السحر الذي تجددين به عمري ..وبهذه





الابتسامة التي لم أعرفها صادقة هكذا إلا عندما التقينا !

عيناها تتسعان قليلاً وهي تعيد قراءتها مرة تلو مرة ..

قلبها يتقافز بين ضلوعها فرحاً أنه يقصدها هي ..

لكن عقلها يتدخل ..ألا يحتمل أنه يعني زوجته ؟!

تعيد القراءة لعلها تجد بين السطور إشارة تريحها ..

لكن لا جدوى ..نفس الحيرة ..نفس الحيرة !!

لكنها تبتسم أخيراً وهي تميز تاريخ اليوم ..

الغد يوافق تاريخ يوم مولده ..

طيف عابر من "أيام مراهقتها" يداهمها إذ كيف تمنت طويلاً وقتها لو يمكنها إهداؤه شيئاً يذكره بها طوال الوقت ..





ابتسامتها تتسع وهي تستجمع شجاعتها لتهاتفه فيصلها صوته الآسر مميزاً بدفء مستحدث :

_إزيك يا نشوى ..كنت لسه هاكلمك .

عبارة بسيطة لكن قلبها تلقاها كهدية عيد فتهدج صوتها لتسأله :

_كنت عايز حاجة ؟!

_لا ..كنت هاطمن عليك بس .

قلبها يخفق بقوة وهي تشعر أنها يمكنها الآن حسم قرارها ..

معه هو فقط ..أقل القليل يكفيها!!

لهذا توردت وجنتاها بخجل مع قولها :

_كنت عايزة أقابلك بكرة .





شعرت بتردده قليلاً ليخفت بريق الفرحة في قلبها لكنه عاد ليرد :

_ماشي ..الساعة تمانية يناسبك ؟!

_تمام ..

قالتها بالمزيد من الخجل الذي امتزج ببعض الحزم هذه المرة وهي تلقي شرطها الذي فاح منه عتاب خفي:

_بس المرة دي ..لوحدنا .

=======

_انتِ اللي غلطانة يا سها !

تهتف بها أمها بعتاب عبر الهاتف وهي تستمع منها لتردف ؛

_فيه واحدة عاقلة تعمل اللي عملتيه ؟! الراجل ماكانش عايز يتجوز وعاند أبوه عشانك ..تقومي انتِ اللي تطلعيها في دماغه وتختاريهاله كمان .

_بمزاجي أحسن ما يبقى غصب عني !





تقولها مبررة بقوة مناقضة لهذا الوهن الذي صار يتمكن منها أكثر وأكثر كلما تقدمت علاقة ناصر ونشوى ..

_انتِ فاكرة إنه عشان ماحبهاش زمان ممكن ما يحبهاش دلوقت ؟! ضامنة قوي إنك تفضلي لوحدك في قلبه طول العمر ؟!

تعاود أمها جلدها بها فتنساب دموعها الصامتة على وجنتيها بينما الأولى تعاود عتابها :

_اسمعي كلامي ..لو اتجوزها وخلفت له ابن غصب عنه قلبه هيميل ليها أكتر ..وساعتها هتبقي انتِ اللي جنيتي على نفسك ..انتِ ..

_أنا بتقطع ومحدش حاسس بيا ..

تصرخ بها فجأة مقاطعة حديث أمها لتنهمر دموعها مختلطة بكلماتها :





_قدامه هو مضطرة أبين أني مبسوطة ومش فارق معايا ..وقدامها هي أبين إني واثقة في نفسي ومش غيرانة ..وقدامكم أبين إني لسه زي ما انا ماسكة الخيوط كلها في إيدي ..بس أنا من جوايا هاموت م الخوف يا ماما ..خايفة ييجي اليوم اللي اخسره بسبب حاجة ماليش ذنب فيها ..والده مش هاسيبيه وأنا عارفة ..يبقى إيه البديل ؟! إيه البديل ؟!

تنهار بعدها في بكاء متصل لينقبض قلب أمها وهي تشعر بما كانت تخفيه من ألم طوال هذه الأيام خلف واجهتها القوية ..

_اهدي يا بنتي ..اهدي عشان خاطري ..أنا هالبس وأجيلك .

تهتف بها أمها بجزع لتمسح سها دموعها وهي ترد عبر شهقاتها المكتومة :





_ماتقلقيش ..أنا هابقى كويسة ..ناصر زمانه جاي ..النهاردة عيد ميلاده وهانحتفل بيه سوا زي كل سنة .

_مش بتقولي رايح يقابلها ؟!

تسألها أمها بتوجس لتصرخ هي من جديد :

_ماهو مش هيتأخر معاها ..هيرجع لي أكيد ..أكيد هيرجعلي .

تحاول أمها تهدئتها ببعض العبارات لكنها هي تغلق معها الاتصال بنفاد صبر ..

قبل أن تتصل بناصر لتتفجر كلماتها تباعاُ :

_هتروحوا فين ؟! ...روحوا مطعم (.....)

_هتطلبوا إيه ع العشا ؟! ...ماتنساش إنك بتتعب من المقليات خلليك في المشاوي.

_هتقعدوا أد إيه ؟!.. ساعة كفاية .




_هتتكلموا في إيه ؟! ...ما تحكيش كتير ..سيبها هي تتكلم .

كان يواجه سيل أسئلتها العصبية -التي تجيبها بنفسها- بتفهم محاولاً احتواء غيرتها لكنه شعر بصوتها يرتجف في السؤال الأخير الذي لم تجبه هي بنفسها هذه المرة :

_هترجعلي ؟!

فارتفع حاجباه بدهشة للحظة مدركاً ما خلف السؤال قبل أن تستطرد هي بما وجدته مناسباً لإكمال تساؤلها مدارية تخوفاتها :

_هترجعلي.. امتى؟!

زفرته المشتعلة تصلها عبر الهاتف وهو يشعر بما تعانيه وتصر بعناد أن تداريه عنه ..




لكنها تسيئ فهمه لتهتف بعصبية :

_خلاص يا ناصر ..لو السؤال ده ضايقك كده ما تردش..تعال وقت ما تحب !

تقولها لتغلق الاتصال معه دون انتظار رده قبل أن تغلق هاتفها كذلك لتتهاوى باكية على فراشها ..

سيذهب إليها ..وحدهما هذه المرة ..

تستعيد ذكرى اللقاءين اللذين جمعاها بهما ..

وتسمح أخيراً لسيول غيرتها أن تعبر عن نفسها ..

مشهد ناصر وهو يحمل ريما بينما الأخيرة تقبله ..

هذه النظرة التي لم تلمحها في عينيه أبداً من قبل ..

نظرة حنان أبوي ينتظر ..

ينتظر شاطئاً حقيقياً ترسو عليه سفينته !!

يلومونها ؟!

علامَ؟!





على حبها له ؟! على قدرها أن تكون أنثى ناقصة في مجتمعٍ كهذا ؟!

أم على أنها اختارت "أهون الضررين" ..

اختارت له المرأة التي ظنت أنها لن تثير "دخان" غيرتها ..

ولم تدرِ أنها في كل الأحوال ستحترق !!

لم تدرِ كم ظلت تبكي على فراشها لكنها وقفت أخيراً لتمسح دموعها ..

آن وقت ارتداء القناع !

تتوجه نحو الحمام القريب لتعيد ضبط زينتها ..

قبل أن تتحرك نحو خزانة ملابسها لترتدي أبهى قمصانها ..

عطرها المثير الذي تعرف أثره عليه ..





تتفقد الحفل الصغير الذي أعدته لهما وحدهما ..

الشموع الحمراء ككل عام ..

زهوره التي يحبها ..

والكعكة التي تحمل صورتهما معاً حتى ولو كان عيد ميلاده وحده ..

وأخيراً هديته التي اختارتها له هذا العام مميزة بعمق احتياجها لها ..

تذكرتي سفر لمكان بعيد يكونان فيه وحدهما ..

هو وهي فقط !!

الدقائق تمر في عدوها كالساعات ..

لم تمضِ أكثر من ساعة لكنها تشعر وكأن كل دقيقة فيها تحرقها ..

تحرقها وهي تتصوره معها ..

تتصور نظراتها العاشقة له ..





هل يصبر الرجل على نظرات أنثى عاشقة حتى ولو كان يزهدها ؟!

التساؤل الأخير يغرس النصل في صدرها أكثر ..

لتراه أخيراً يدخل عبر باب الغرفة وملامحه لا تقل صراعاً عن ملامحها ..

ورغم أنها اعتادت أن تكون هي بادئته بالعناق عقب وصوله لكنها في هذه اللحظة بدت وكأنها تنتظر برهاناً !

برهاناً كهذا الذي منحه إياها وهو يهرع إليها ليضمها لصدره بقوة قبل أن يهمس لها عاتباً :

_أنا قلت كام مرة إن حركة قفل التليفون دي بتعصبني ؟!

ابتسامتها المتصنعة ترتجف ككذبتها :

_فصل شحن !





_سها!

يهمس بها بعتاب أكبر وهو يشد جسدها نحوه أكثر ..

لكنها تجاهلت الأمر بكبريائها المعهود لتتسع ابتسامتها الكاذبة وهي تسأله :

_اتبسطت ع العشا معاها ؟!

أطبق شفتيه بقوة وعيناه تتراقصان بين عتب وإشفاق ..

حتى "طبيعته العملية " المعهودة خذلته هاهنا وهو يشعر أنه ضعيف حقاً أمام هذا الألم الكبير الذي يجعلها تعانيه ..

_أكيد جابتلك هدية ..وريني جابتلك إيه !





هنا أشاح بوجهه الذي ظللته ملامح الذنب ليبتعد عنها خطوة معطياً إياها ظهره .. فاتسعت عيناها قليلاً بتوجس ..

ما الذي يجعل عينيه تحملان هذه النظرة المستغفرة ؟!!

فانحدرت نظراتها تتفحصه باهتمام لتتوقف أمام معصمه ..

هذه الساعة هدية نشوى ؟!!

أين ساعتها هي؟!!

_انت قلعت ساعتي عشان تلبس بتاعتها ؟!

تتمتم بها مصعوقة ليلتفت نحوها مبرراً بضيق:

_هي فاجأتني بالموضوع وماقدرتش أحرجها ..لقيتها فجأة بتقلعني التانية وبتلبسني دي ..وأنا ..





_قلّعتك ساعتي؟!

لا تزال تتمتم بها بنفس النبرة الملتاعة موشية بقرب الانـهيار ..

ليتقدم هو منـها معتصراً كتفيـها بقبضتيه هاتفاً :

_ما تكبريش الموضوع ..هي ماتعرفش أنـها ساعتك ..كل الحكاية إنها جابت هدية وحبت تشوفني لابسها ..

لكنها كانت تتمتم مصعوقة بما بدا كالهذيان :

_خليتها تقلّعك ساعتي وتلبّسك بتاعتها ؟!

انعقد حاجباه بغضب وهو يهم بالرد لولا أن انتفض جسدها بين ذراعيه كالمحمومة لتنهار باكية ...

السد الصلب الذي احتمت خلفه طوال هذه الأيام يتهاوى الآن أمامه ليشهدها لأول مرة بهذا الانـهيار ..





يتجمد للحظات مبهوتاً وهو يرى الموقف تافهاً لا يستحق من شخصية قوية مثلها هذا الانهيار ..

لكنه يندفع أخيراً بقوة عاطفته ليطوقها بين ذراعيه محتوياً جسدها المرتجف ببكائه هاتفاٌ :

_اهدي يا سها ..ماحصلش حاجة عشان كل ده ..أنا ماعملتش حاجة من وراك..كل خطوة كانت بعلمك ..حتى المطعم انت اللي اخترتيه ..

لكن كلماتها كانت تسكب الوقود فوق غيرتها أكثر ..

هي التي فعلت حقاً ..

لكن هل يخفف هذا الجرح ؟!

هل يطفئ هذه النار التي تشتعل بين ضلوعها ؟!





تحاول التماسك ب"رفعة رأس" لكن دموع انهيارها تغلبها من جديد ليشعر بها تكاد تسقط بين ذراعيه ..

هنا لم يتمالك نفسه وهو يبعدها ليخلع الساعة عن معصمه بعنف ثم يطيح بها لتصطدم بالحائط فتسقط متهشمة تحت قدميهما ..

قبل أن يحيط وجهها بكفيه يمسح دموعه بإبهاميه بعصبية عنيفة فجرها انفعاله ..

ليتملك شفتيها أخيراً بقبلة عميقة سحبت أنفاسهما معاً للحظات ..

وتخللتها همساته الحارة بصدق :

_بحبك ..والله العظيم ماحبيت ولا هاحب غيرك .

والكلمات لم تعد وحدها تكفيها كالسابق ..

شيء ما قد فُقِد !




_اللي بنعمله ده جنان ..لسه الفرصة قدامنا نوقف كل ده ..احنا التلاتة هنخرج خسرانين .

كاد يهتف بها بوازع من ضمير وهو يشعر أنه ينساق نحو هذه الهاوية التي ستودي بثلاثتهم ..

لكن "طبيعته العملية" لا تزال تحكم سيطرتها على تصرفاته ..

لهذا استبدل كلماته بأخرى يدرك أين ستنتهي :

_كلمة أخيرة يا سها وهاسمعها منك مهما كانت ..قوليلي كمل في الجوازة دي أو ما تكملش .

يهتف بها أخيراً عبر أنفاسه اللاهثة وهو يبعد وجهها ليتلقف نظراتها الزائغة ..

لكنها استعادت قناع تماسكها لتغمغم بما توقعه :

_كمل يا ناصر .

قالتها وهي ترمق الساعة المكسورة تحت قدميها بنظرات ذبيحة ..والسؤال يطرح نفسه من جديد ..




مع كل خطوة يخطوها ثلاثتهم في هذا الطريق ما الذي سيتهشم بعد ؟!

غصتها تخنق حلقها وهي تنسحب من بين ذراعيه لتهمس برجاء غريب على طبيعتها القوية :

_عشان خاطري ..عشان خاطري سيبني الليلة دي لوحدي ..وأنا هابقى كويسة .

انعقد حاجباه بضيق وهو يراها تختفي من أمام ناظريه لتغلق باب الغرفة الجانبية عليها ..

فأطلق زفرة ساخطة وهو يتلفت حوله نحو مراسم الحفل الذي فسد !

لأول مرة منذ تزوجها يقضيان ليلة كهذه متباعدين ..

يتحرك نحو الكعكة التي حملت صورتهما معاً كالعادة والتي تجددها هي كل عام بأخرى حديثة العهد ..




فينقبض قلبه بشعور قاسٍ ..

هل ستكون واحدة أخرى هنا في نفس الليلة من العام القادم ؟!

=========

_الشقة حلوة قوي يا توتا !

هتفت بها لجين بسعادة وهي تتجول في الشقة الجديدة التي فرشها إسلام ..

لترد ياقوت برضا بينما تمدد قدميها على الأريكة في الصالة :

_وميزتها إنها قريبة من المركز ..

ثم تنهدت بارتياح لتهمس وكأنها تحدث نفسها :

_شكل الدنيا هتضحك لنا واللا إيه ؟!

ضحكت لجين وهي تتقدم منها أخيراً لتجلس على الكرسي جوارها هاتفة :

_جدع قوي إسلام ده ..وهيثم كمان ..أنا مش مصدقة عينيا إننا نرتاح كده بعد الشقا اللي شفناه .





_ربنا كريم على قولة ستك ثمر ..المهم طمنيني إنتِ عاملة إيه في العلاج ؟!

لم تكن ياقوت تحتاج لهذا السؤال فهي تتابع مع طبيبتها الحالة أولاً بأول ..

الطبيبة التي أخبرتها أن حادثة قتل حسين بالجرة نفسها التي كانت تخفي فيها المسروقات تبدو وكأنها هدية من السماء في حالتها هذه !

الصدمة التي تبعت قتله بنفس آداة إخفاء مسروقاتها جعلتها تشعر بمفهوم "الثأر" ..

ربما لهذا لم تعد تشعر بنفس الغبن القديم ..

صارت متقبلة أكثر لنفسها ..وخصوصاً مع الدعم العاطفي المستحدث الذي يمنحه له أخواها ..

الحالة تتحسن ..بل في طريقها للشفاء !





لهذا لم تتعجب ابتسامة لجين الراضية وهي ترد ببعض الحرج:

_ماشي الحال ..المهم ستي ثمر ماتعرفش .

_مش هتعرف ..ماتخافيش ..اللي يستره ربه ما يفضحوش عبد .

تقولها ياقوت بيقين وهي تسترجع مأساتها الخاصة لتضحك لجين ضحكة عالية سبقت قولها :

_بقيتي بتتكلمي زي ستي ثمر تمام .

_وأنا أطول يا "أوبرا"؟! ستك دي مدرسة !

هتفت بها ياقوت باعتزاز ليقاطعها صوت الجرس فانتفضت من مكانها هاتفة :

_ده أكيد إسلام جايب الغدا ..هاموت م الجوع !

تحركت لتفتح الباب الذي دخل منه إسلام ليلقي التحية على لجين قبل أن يناول ياقوت ما بيده هاتفاً بأنفاسه اللاهثة :

_ده الغدا ..حطيه هنا على ما اجيب بقية الحاجات !





_حاجات إيه ؟!

تسأله ليلوح بكفه دون رد ..فيما اختطفت لجين منها كيس الطعام لتبدأ في رصه على المائدة ..

بينما وقفت ياقوت تنتظر عودة إسلام الذي وصل حاملاٌ كيسين ضخمين وضعهما جانباً قبل أن يغلق الباب خلفه هاتفاً :

_غذوني بقا يا اخواننا ..أنا فطست اليومين دول .

تعالت ضحكات ياقوت ولجين بينما تربت الأولى على كتفه برفق لتدفعه نحو المائدة هاتفة :

_لا التغذية دي عايزة ستي ثمر ..تعال لنا انت بس البلد يوم كده وأوعدك نرجعك زايد خمسة كيلو ع الأقل .

_نفسي والله ..بس ستك ثمر لو شافتني ممكن تعملني كفتة .





يقولها وهو يجلس على المائدة ببعض الحرج الممتزج بمرحه مستشعراً دقة موقف أبيه منها ..

لتهتف لجين باعتراض:

_أبداً والله ..ده ستي دي مفيش أطيب منها ..دي نفسها تشوفك وتشكرك كمان عشان صاحبك وصى عليها .

_صاحبي مين ؟!

يقولها بفم مليئ بالطعام لترد ياقوت :

_ظابط اسمه ناصر !

ظهر الاستياء على وجه إسلام مع ذكر الاسم ليمضغ الطعام بسرعة مع همهمة ضائقة ..

قبل أن يقول بمرحه المعهود :

_طب خلصوا الأكل بسرعة عشان جايب لكم هدوم تحضروا بيها الافتتاح !

_بجد ؟! ده أنا كنت ناسية خالص!





تهتف بها لجين بسعادة لتعدل ياقوت وضع نظارتها على أنفها قائلة باعتدادها المعهود :

_أنا بقا محضرة نفسي ..أشيك بدلة في مصر .

رمقها إسلام بنظرة متشككة وهو يكتم ضحكته ليقول وهو يضع لها المزيد من الطعام في طبقها :

_بصراحة أنا كنت عايز أكلمك في الموضوع ده من زمان .

_موضوع إيه ؟!

تسأله باهتمام ليتبادل نظرات محرجة مع لجين التي هزت كتفيها بجبن ..

فيحاول هو انتقاء عباراته :

_إيه رأيك تخلليني مستشارك الفني في موضوع اللبس ده الأيام اللي جاية ؟!

_وأنا ذوقي وحش؟!

تهتف بها بتنمر عبر فمها المليئ بالطعام ليبتسم هاتفاً بمشاكسة :





_هو مش وحش يا توتة ..هو مفيش ذوق أساساً !

شهقتها المستنكرة تجعلها تغص بالطعام فيناولها كوباً من الماء مردفاً بنفس النبرة المشاكسة :

_حبيبتي ستايل لبسك ده بطلوه من التسعينات .

_تسعينات ؟!

تهتف بها باستنكار عقب شربها للماء ليرد هو ملوحاً بكفه :

_أو تمانينات مش فاكر !!

جلجلت ضحكة لجين التي كتمتها وياقوت ترمقها بنظرة زاجرة ..

قبل أن تلتفت نحوه قائلة بأنف مرتفع :

_ماتخافش ..المرة دي ماستنش الأوكازيونات ..وجبت أشيك وأغلى حاجة في (.....).





تبادل مع لجين نظرة بائسة وهو يميز اسم المحل البسيط الذي ذكرته ..

قبل أن يمط شفتيه باستياء جعلها تنتفض من مكانها هاتفة :

_لا بقا ..ده أنا أقوم أغسل إيدي وأفرجك عشان تنبهر .

وضعت لجين كفها على شفتيها تكتم ضحكتها ..

فيما تنهد هو بصبر منتظراً مفاجأتها التي غابت قليلاً لتعاود الظهور بها ..

تتسع عيناه قليلاً وهو يميز اللون البرتقالي الفاقع الذي اختارته لبدلتها ..

والذي تزامن مع ألوان الوشاح التي لا تقل عنه بشاعة !





_اللون ده مع لون عينيا بيعمل شغل ..برتقاني مع أخضر بقا وكده !

قالتها ياقوت باعتزاز مبالغ فيه وهي تشير حول وجهها باستعراض ..

فأخفت لجين رأسها تحت المائدة تكتم ضحكاتها عاجزة عن التوقف مع رد فعل إسلام المصدوم ..

والذي وقف مكانه ليتوجه نحوها هاتفاً :

_انتِ كنتِ هتحضري الافتتاح بدي؟!

_مش عاجباك دي ؟! انت عارف بكام ؟!

تهتف بها مدافعة ليطرق برأسه للحظات قبل أن يتناولها منها ليضعها جانباً برفق..

قبل أن يحيط وجنتيها براحتيه هاتفاً برجاء مصطنع :

_أبوس إيدك يا شيخة ..أبوسك انتِ شخصياً ..خلليكي انتِ في العلم ..وسيبيلي أنا





الطلعة بتاعة الشكل دي ..انتِ حلوة وييجي منك والله ..عايزة بس شويةَ ..شوية ..

_شوية إيه ؟!

تهتف بها بعينين مهددتين ليحاول البحث عن لفظ مناسب :

_شوية هندمة ..سيبيلي نفسك بس ..وأنا هاعمل منك فاشونست.

مطت شفتيها بعدم اقتناع وهي تزيح كفيه عن وجهها لتتوجه نحو الكيسين عند الباب ..

فتحت أحدهما لتستخرج منه بدلتها التي اختارها لها ..

بسيطة التصميم بلون كريمي هادئ ..مع وشاح بلون الفستق الفاتح ..




_عادية ! لا لون ولا شياكة ..بس ماشي ..إيه ده ؟!
إيه ده ؟! هو ده تمنها بجد واللا الكود بتاعها ؟!

هتفت بالعبارة الأخيرة بارتياع لتعلو ضحكته وهو يراقب ملامحها الملتاعة بينما تستطرد :

_والله حرام عليكِ ..تدفعِ كل ده في بدلة ؟! ده تمنها بس يجوّز اتنين في بلدنا !

لكنه جذب أذنها برفق مشاكساً مع هتافه :

_بصي بقا ..جو "عم دهب" اللي عايشالي فيه ده ماعادش ينفع ..فكي الكيس يا آنسة "كريمة" .

ضحكات لجين في الخلفية تثير استفزازها أكثر لتحرر نفسها منه هاتفة باستنكار :

_انت اللي سَفيه !..اللي زيك المفروض يتحجر عليه ..عارف لو ..





صوت رنين هاتفها يقاطعها فترمقه بنظرة مغتاظة قابلها بضحكة أخرى وهو يراها تتفقد الهاتف لتقول بملامح لانت نوعاً :

_ده سامر .

_طب ردي يا شجرة الدر!

يغمزها بها كعهده قبل أن يتحرك ليعاود الجلوس على المائدة ..

بينما فتحت هي الاتصال ليصلها صوت سامر الذي يمزج تهذيبه بالود القديم كالعادة :

_مساء الخير يا ياقوت ..كنت عايزك في كام استفسار كده بخصوص المركز ..

تبتسم وهي تتلقى استفساراته لتجيبها بتحفظ ..

تعلم أنه قد يتحسس من موقفها الآن وهي تعتبر مديرة المكان بعد طول منافستهما القديمة ..

لكنها تثق كذلك في حسن تقديره ..





تتذكر عندما التقته بالأمس بمقر المركز لأول مرة منذ سنوات طويلة ..

شكله تغير كثيراً ..لايزال يحمل نفس الملامح الطيبة الهادئة لكنه بدا لها أكثر حزناً ووقاراً ..

ترى كيف رآها هو ؟!

قديماً لم تزد علاقتهما عن مجرد زمالة قوية لم تتطور حتى لصداقة فقد كانت بنشأتها القروية أكثر تحفظاً من هذا ..

لكنها بالأمس لمحت في عينيه إعجاباً قوياً لم تدرِ مبعثه ..هل هو نجاحها الذي وصلت إليه في عملها ..

أم يتعدى الأمر هذا !

كانت تعلم أنه يحب إحدى قريباته تدعى سها ولم يتزوجها لفروق طبقية ..





لكنها لا تستطيع الجزم أن هذا سبب تأخر زواجه حتى الآن ..

لماذا يشغلها أمره الآن ؟!

ربما لأنه يشبهها كثيراً في رحلة كفاح بدأها كلاهما من الصفر حتى وصل لما يحسده عليه كثيرون ..

لكن ما هي واثقة منه تماماً أنها مرتاحة كثيراً لعملهما الآن معاً ..

لهذا اتسعت ابتسامتها وهو يقول أخيراً بارتياح :

_كده تمام قوي ..نجهز بقا عشان نعيد أمجادنا القديمة .

_ربنا يكرم ..متحمسة جداً وخايفة أكتر .

تقولها بتوجس معتاد لكن صوته يأتيها دافئاً يمنحها المزيد من الأمل :

_ياقوت سليمان ما بتخافش ..لما بتحط حاجة في دماغها بتوصل .





تبتسم وهي تشعر أنها تحتاج سماع هذا الآن حقاً لتغلق معه الاتصال بنظرات شاردة ..

تشعر أن المركز الجديد هذا سيكون نقطة فاصلة في تاريخها ..

جبلها الجديد الذي لن تتخلى عن صعود قمته ..

لكن بقواعدها الجديدة هذه المرة !

=========

حفل الافتتاح كان مميزاً حقاً !

حرص إسلام أن يبدو بأرقى صورة وقد دعا إليه جميع معارفه وأصدقائه ..

كذلك ياقوت التي اعتبرته محطة انطلاقتها الجديدة .

_مش دي الطرحة اللي جبتها .. برضه حطيتي "التاتش" بتاعك !





همس بها إسلام بغيظ وهو يميل عليها عندما استقبلها أمام الباب متفاجئاً بوشاحها البرتقالي الفاقع الذي ارتدته مع البدلة الكريمية ..

لتهمس له مبررة :

_قلتلك البرتقاني مع لون عنيا بيعمل شغل ..ايش فهمك انت ؟!

خبط كفه بجبهته في يأس لتبتسم وهي تخطو معه إلى الداخل ..

تشعر بالمزيد من الثقة وهي ترى دعم إسلام جوارها ..

وتتمنى لو كانت ثمر هي الأخرى هنا ..

منعتها صحتها الواهنة من الحضور فلم تعد تحتمل مشقة السفر ..

لكنها وعدتها بحفل شبيه تقيمه لها في القرية عند عودتها !





عيناها تلتقيان بعيني يامن الذي حضر لتوه مع ياسمين وعابد فتضحك بسعادة وهي تتقدم نحوهما لتصافحهما بود شاكرة لهما الحضور..

لكنها تستشعر شيئاً ما غامضاً بنظرات عابد بالذات نحو لجين التي وقفت منزوية هناك بركن قصي تراقب الحضور بمزيج من فرحة وخجل ..

شيئاً لم يمكنها تفسيره لكن حدسها لم يخطئه .

مروان هناك مع داليا يتقدم نحوها ليهنئها بحفاوة ..لم تتعجب حضوره فقد كان صديقاً لسامر منذ سنوات ..

تبحث بعينيها عن إسلام لتجده منخرطاً في الحديث مع علاء وسيف ..يبدو أنها قضية تلك المرأة غادة التي حكى لها عنها والتي توشك أن تنفرج أزمتها ..





تتمنى لو حضر هيثم كذلك لكنهم لا يزالون يمنعونه الخروج خشية أن تنكشف له الحقيقة ..

لا بأس ..غداً تحل كل الأمور !

الخاطر الأخير تستدعيه بابتسامة وهي تعاود تفحص الحضور بشرود ..

المكان كان مزدحماً حقاً لكن قلبها لم يكن يرجو من الحضور إلا واحداً ..

واحداً لم يأتِ ولا تظنه سيفعل ..

اكتفى بزهور أرسلها !

هذه الذي وقفت هي أمامها دامعة العينين وقد شعرت أن سعادتها انطفأت فجأة برؤيتها ..

هل هذا ما بقي بينهما ؟!

زهور وبطاقة !

ترفع البطاقة المرسلة معها لكنها كانت خالية إلا من اسمه مع ..

ثلاثة عشر نقطة !!





ابتسامة شاحبة تلون شفتيها وهي تتذكرها بعدد عناقاته المحسوسة ..

إذن كان يعدها عداً مثلها ؟!

الغافل لا يدري أن هناك واحداً زائداً أحسته هي رغم هذا البعد !!

الدموع تتكدس في عينيها أكثر وهي لاتزال متخشبة أمام زهوره التي لم ترغب أن يراها سواها ..

لهذا حملتها أخيراً لتتوجه بها نحو غرفة مكتبها الخاصة ..

هذه التي فتحتها لتضع الزهور على منضدة جانبية جوار مكتبها ..

قبل أن تعتدل بجسدها تراقبها بشرود ..

هذا هو -بالضبط- مقامها عنده !

هدية رومنسية ناعمة يرسلها لكن ..في الظل!




اليوم بالذات كانت تريده هنا ..حتى ولو رحل بعدها لعالمه الذي توقن أنها لن تنتمي يوماً إليه !

دمعة خائنة تتسرب من طرف عينيها وهي تشعر أن الخيط الذي جمعهما يوماً يزداد وهنه يوماً بعد يوم ..

_لو أعرف إنك هتحطيهم هنا كنت مليتلك المكتب ورد .

تشهق بانفعال وهي تميز صوته خلفها لتلتفت ..

ليس بجسدها فحسب بل بروحها كلها !!

عيناها تعانقان عينيه بهذه النظرة التي تثير جنونه حتى وهي سجينة خلف زجاج نظارتها ..

المفاجأة تلجم لسانها فلا تجد رداً !

هو جاء هنا ؟!





إبهامه يمسح دمعتها الخائنة بخفة قبل أن يلتقط كفه راحتها بما بدا كمصافحة لكنها وحدها كانت تشعر بحركة إبهامه العاشقة على ظاهر كفها ..

يدور ..ويدور ..

لتدور هي معه مغيبة للحظات نسيت فيها كل شيء إلا شعورها أنه هو هنا ..معها ..

نسيت الحضور بالخارج ..والجلبة التي تكاد تصم الآذان ..

فلم تعد تسمع إلا هذا اللحن الذي يتراقص عليه قلباهما معاً بنفس الإيقاع ..

حتى ابتسامتها التي عاهدت نفسها أن تتلون معه بالتحدي وجدتها الآن غير قادرة سوى على صبغة واحدة ..

بالحب!





_ما عزمتينيش ..بس ماكانش ينفع مابقاش معاك النهارده ..مبروك .

يهمس بها بهذه النبرة المهلكة التي تتلاعب بدقاتها بينما كفه يضغط راحتها أكثر ..

فتغمض عينيها هاربة من هذا الإعصار الذي يكتسحها ..

هو الآخر كان غارقاً بهذا الجنون الذي ما عاد يملك معه حولاً ولا قوة ..

حتى الصباح فقط كانت خطته أن يرسل لها الزهور فحسب ..

لكنه وجد نفسه مدفوعاً بقوة غير مرئية كي يأتي إلى هنا ..

إحساس ساحق ينتابه الآن كعهده معها فيبذل مجهوداً خارقاً كي لا يضمها إلى صدره..





يصهرها بهذا اللهيب الذي يحترق به -في غيابها- مرة..

و-في قربها- مرات ومرات !!

_العظيمة شجرة الدر أين أنتِ؟!

هتاف سامر المتباسط على الباب يقطع سحر اللحظة بينهما فتنتفض ياقوت مكانها تحاول سحب كفها منه لكنه لم يفلته وهو يتوجه ببصره نحو سامر الذي

تنحنح قائلاً بحرج :

_آسف ..كنت فاكرك لوحدك ..بس ماما عايزة تسلم عليكِ قبل ما تمشي ..هستناكي .

توردت وجنتاها بمزيج من خجل وحرج وهي تشعر بنظرة زين الحارقة تلاحقه حتى غادر ..

لتحاول سحب كفها منه من جديد هامسة بحدة :

_سيب إيدي .




لكنه التفت نحوها هي هامساً بلهجة خطيرة وكفه يكاد يسحق كفها في يده :

_مين ده بقا اللي واخد عليكي قوي كده ؟!

الغيرة المشتعلة في حدقتيه ترضي كبرياءها الأنثوي ..

لكن شعورها "الأمومي" الغريب نحوه يجعلها تجيب بسرعة :

_ده زميلي من أيام الجامعة وبيشتغل معايا هنا ..سيب إيدي.

تقول عبارتها الأخيرة بالمزيد من الصرامة وعيناها تعودان للغرق في الدموع من جديد ..

فيترك كفها أخيراً لكن أنامله ترتفع نحو وجهها ليسألها بنفس النبرة الخطيرة بين غضب وغيرة :

_انتِ لسه لابسة الحلق ؟!




لكنها ابتعدت عن مرمى أناملة لتهمس بنفس الخفوت الحاد :

_مش من حقك تعرف ..خلاص ..افهم بقا ..اللي بيننا خلص ..خلص .

شهقة باكية تغادر حلقها مع آخر كلمة لينعقد حاجباه بغضب هادر وغيرة مجنونة رأت جانباً منها ذات يوم عندما ظن أن هناك شيئاً ما يربطها برائد ..

لكنها هربت من هذا كله وهي تغادر الغرفة بسرعة تاركة كل هذا خلفها ..

_ما شاء الله ..قمر !

تقولها المرأة -أم سامر- وهي تعانقها بود استجابت له ياقوت محاولة تهدئة نفسها عقب الموقف السابق ..





لكنها بقيت تختلس النظر نحو زين الذي وقف مكانه يراقب بعينين مشتعلتين ..

لتبتسم لها ياقوت مجاملة قبل أن تتنهد بارتياح وهي ترى رائد يظهر أخيراً هناك بنظراته الحذرة ..

فأسرعت إليه لتتنحي به جانباً بانفعال جعله يسألها بقلق:

_فيه إيه يا ياقوت ؟! ألف مبروك الأول .

_الله يبارك فيك ..زين هنا ..وإسلام لو شافه ممكن تحصل مشكلة ..خلليه يمشي .

قالتها بأنفاس متقطعة وهي تحاول البحث عن زين ببصرها من جديد وسط الحضور ..

لكن الجواب وصلها من خلفها تماماً حيث فوجئت به هو نفسه يميل عليها هامساً في أذنها بخطورة :

_اللي بيننا ماخلصش ومش هايخلص ..افتكري ده كويس عشان أنا مابسامحش أي حد يقرب من حاجة تخصني .





ورغم الأنفة المعتدة التي ظللت نظرتها المتحدية نحوه بعدها لكنها لم تستطع منع ارتعادة خوف حقيقية سرت في جسدها من نظراته ..

ليرقب رائد الوضع بحذر وهو لا يفهم ما يحدث ..

وما كاد يهم بإقناع زين بالمغادرة حتى وجد الأخير يغادر المكان فجأة كقذيفة ..

تلاحقه نظرات ياقوت التي لا تزال عالقة به رغم كل شيء !

=========

في شقتها تجلس نبيلة وحدها شاردة ببصرها ..

البيت صار خالياً وقد استقل كل من يامن وبنات خالته بحياته..

ابتسامة شاردة تحلق فوق شفتيها وهي تشعر بالرضا ..

يوماً ما كانوا جميعاً هنا حولها ..





تحمل وزرهم جميعاً بعقدة غرستها هي في نفس كل منهم ..

والآن تشعر أن الوزر قد انزاح بعدما تحرر كل منهم من عقدته ليعود لحياته ..

لكن ..

هل آن الأوان أن تتجرع هي كأس وحدتها ؟!

صوت هاتفها يقاطع شرودها برقم ما فترمقه بنظرة مترددة غامضة ..

قبل أن تقرر تجاهل الاتصال !!

تفتح التلفاز لتقع عيناها مصادفة على أحد أفلامها القديمة ..

ابتسامة حنين طبيعية ترتسم فوق شفتيها وهي تستعيد مجدها السابق ..

لكنها امتزجت بالكثير من الندم وهي تزداد يقيناً أن عمرها السابق كله كان ..خدعة !





وأن الحقيقة الوحيدة فيه كانت يامن ..والبنات !!

لهذا أغلقت التلفاز بحسم لتعاود التلفت نحو الجدران حولها ..

تخشى أن تموت وحيدة !

طالما راودها هذا الكابوس مراراً يزكيه شعورها بالذنب نحوهم ..

لكنها ..

صوت هاتفها بنفس الرقم يعاود الرنين من جديد فترمقه بنفس النظرة الغامضة لتقرر تجاهله هذه المرة أيضاً !!

تتناول هاتفها لتتفحص صور زفاف داليا ..

صورتها وهي مبتسمة تعانق مروان ..

صورة يامن جوار ياسمين وقد تعانق كفاهما فوق بطنها البارز ..





صورة هانيا المتألقة جوار رامز يضمها لصدره ..

صورة رانيا تبتسم بثقة وهي تحيط عنق أشرف بذراعيها من الخلف ..

وأخيراً صورة لها هي وسطهم جميعاً بينما يتحلقون حولها ..

هذا هو الإنجاز الحقيقي ..

دور البطولة الذي ظنت يوماً أنها لن تلعبه ..

واليوم تجده الوحيد الذي يليق بها!

صوت رنين جرس الباب هذه المرة هو ما يقاطع أفكارها فتترك الهاتف لتتحرك وتفتح الباب ..

_إزيك يا بيللا ..قلنا نقضي النهارده معاكي ..يامن واخد أجازة من العيادة .

تهتف بها ياسمين بنبرتها الودود وهي تعانقها لتبتسم بيللا وهي تتحرك لتعانق يامن المبتسم بدوره قائلة :





_جيتوا في وقتكم ..كنت لسه هابدا أبكي ع الأطلال .

_كنت حاسس ..وقلت هتعيشي دور أمينة رزق وتقلبيها دراما ..ألحق نفسي أحسن !

هتف بها يامن بمزاحه المعهود وهو يضمها لصدره بعناق يزداد دفؤه يوماً بعد يوم ..

كأنه يعوض معها كل ساعات أمومته التي افتقدها ..

_حظكم حلو ..الغدا لسه سخن .

قالتها نبيلة بابتسامة عريضة ليهتف كلاهما بعينين متسعتين ارتياعاً وبنفس اللحظة :

_مسقعة ؟!!

لكنها هزت رأسها نفياً لترد بفخر :




_دي أكلة هندي بس حطيت عليها التاتش المصري فطلعت وااااو .

مط يامن شفتيه باستياء مستسلم لتكتم ياسمين ابتسامتها وهي تلحق بها لكن نبيلة أوقفتها بحركة من يدها هاتفة :

_روحي انتِ اقعدي جنب جوزك ..أنا اللي هاحضر السفرة .

فابتسمت وهي تعود إليه لتجلس جواره على الأريكة مربتة على كتفه مع قولها بخفوت :

_الحمدلله إنها مش مسقعة ..قضا أخف من قضا .

فضحك ضحكة خافتة وهو يضمها نحوه ليقبل رأسها هامساً لها بشرود :

_هي عارفة وحاسة إني بحب آكل من إيديها ..مش مهم نوع الأكل ..المهم إنها هي اللي عاملاه عشاني .





اتسعت ابتسامتها مدركة ما يعنيه هذا الأمر لكليهما ..

قبل أن تشعر بحركة يمنى تزداد صخباً لتتأوه بقوة وهي تمسد بطنها قائلة :

_بنتك بتلعب كورة جوة .

فضحك ضحكة عالية وهو يتناول الريموت جواره ليفتح التلفاز قائلاً :

_فكرتيني ..أبو صلاح بيلعب دلوقت ..وشكله هيولع الدنيا .

_فاكر لما تنبأت له بمستقبل جبار ؟! أهه طلعت لي نظرة ..عشان ماتقولليش الستات مالهاش إلا المطبخ !

قالتها بعتاب مازح ليقبل وجنتها بخفة قبل أن ينخرط في التركيز بالمباراة الدائرة ..





فتناولت هي الأخرى هاتفها لتقلب فيه لدقائق قبل أن ينسحب اهتمامها كاملاً لفيديوهات الطهي الخاصة ب"بوراك" التركي ..

_مين اللي بتتفرجي عليه ومبتسمة كده؟!

يسألها بغيرة جلية وهو ينصرف عن المباراة ليشاهد ما لفت انتباهها هكذا ..

_ده بوراك ! معقول ما تعرفوش ؟! رهيب ..أول ما اشوف فيديو ليه تلقائي ببتسم .

_والله ؟!

هتف بها باستنكار فظ وهو يختطف منها الهاتف ليغلقه بحسم فتهتف جواره باعتراض:

_هات الموبايل يا يامن ..ماانت مشغول بالماتش .

_انا اتشغل بالماتش وحضرتك تتشغلي بيا ..مش بالأخ اللي بيحشي الخرفان ورق عنب ده !!





يهتف بها باستنكار يفوح غيرة لتكتم ابتسامتها قائلة بنفس النبرة المعترضة :

_ده شغل يا دوك ..وده زميل عمل ..بجد بستفيد من وصفاته !

_شوفي سالي فؤاد واللا منال العالم ..ولو طالبة تشوفي رجالة شوفي الشيف شربيني ..ماله الشيف شربيني ؟! هي بس عقدة الخواجة !

ضحكتها العالية تكون جوابها وهي تنهض من جواره بصعوبة عندما هتفت نبيلة بفخر :

_السفرة جاهزة .

جو عائلي حميم قضاه ثلاثتهم بعدها يتبادلون المزاح حتى انتهوا من تناول الطعام ..

لتتردد نبيلة قليلاً وهي ترى هاتفها يعاود الرنين بنفس الرقم ..





C i n n a b o n

قبل أن تخاطب يامن الذي عاد ينشغل بمتابعة الشوط الثاني من المباراة بقولها :

_فيه موضوع كده كنت عايزة أتكلم معاك فيه .

_مممم؟!

يهمهم بها وعيناه متعلقتان بالشاشة لتستطرد هي بارتباك :

_هو موضوع اتأخر ..بس ..

_خير...عايزة تحجّي ؟!

يقاطع بها ترددها لتهز رأسها نفياً ليعاود سؤاله ورأسه يتابع حركات الكرة أمامه :

_قررتي تتحجبي ؟!

يقولها بنصف تركيز لتصمت قليلاً قبل أن تفجر قنبلتها :

_(.....)عرض عليا الجواز .





قالتها ذاكرة اسم مخرج وممثل شهير ليبدو عليه أنه لم يسمع لأول وهلة قبل أن يلتفت نحوها بحدة هاتفاً :

_نعم ؟!

تحركت ياسمين لتلتصق به محاولة تهدئته وهي تكتم ضحكتها باستماتة ..

لترفع نبيلة ذقنها بشموخ قائلة :

_هو صرح لي انه بيحبني من أيام ما عملنا سوا فيلم (....) لكن أنا وقتها مكنتش بفكر في الارتباط ..وبعدها عملنا فيلم (.....) اللي كان آخر فيلم مثلته ..وقتها كرر عرضه تاني بس ..

_خلاص يا فنانة ! مش نادي السينما هو ! انتِ صحيح عايزة تتجوزي ؟!

يهتف بها بعصبية احمر لها وجهه لترد نبيلة بنفس الشموخ :

_أنا ببلغك بس بعرضه .





_وياترى العرض للجواز بس ؟! واللا عايزة ترجعي تمثلي كمان ؟!

يسألها بنفس الحدة لترد وهي ترفع ذقنها :

_هو بصراحة عرض الاتنين ..شايف ان جمهوري بعد الفترة دي كلها مشتاق يتفرج عليا من جديد .

كز يامن على أسنانه بقوة وهو يشعر بالدم يضرب في رأسه ..

لكنه كظم غيظه كما تعود معها لتخرج كلماته مختنقة بغضبه :

_انتِ حرة ..أنا عمري ما اتدخلت في قراراتك .

يقولها ليعاود الالتفات نحو المباراة بملامح متجهمة لكن بيللا تغمز ياسمين بمشاكسة قبل أن تقول بنفس النبرة الشامخة :

_أنا رفضت !





ملامحه المتجهمة تلين فجأة وهو يتوجه ببصره نحوها لتردف هي بنبرة أكثر دفئاً :

_أنا خلاص عرفت دوري الحقيقي ..هنا ..وسطكم .

ابتسامته تتسع رويداً رويداً ثم تتحول لضحكة صافية وهو يقوم من مكانه لينحني نحوها هاتفاً بمشاكسة :

_بتلاعبيني يا بيللا ؟!

_كبرت ع اللعب يا مانو ؟!

تقولها بمكر وهي تداعب وجنتيه بحركة تعلم أنها تثير غيظه في المعتاد ..لكنه هذه المرة تقبلها بعمق حرمانه الطويل منها ..

والآن يشعر أنه قد حان وقت التعويض ..

لهذا انحنى أكثر ليضم رأسها نحو صدره قبل أن يجلس جوارها لكنها رفعت رأسها لتضمه هي بحنان قائلة :





_كمل الماتش بقا برواقة ..

يبتسم بارتياح وهو يشعر بمذاق عناقها الأمومي يزداد حلاوة هذه المرة ..

فيغمض عينيه باستمتاع قبل أن يعاود فتحهما لتلتقي نظراته بنظرات ياسمين المتفهمة ..

وحبل الشعور بينهما لا يحتاج لكلمات ..

صوت الصخب من التلفاز جواره معلناً وصول هدف يقاطع أفكاره فينتبه له بكل حواسه ..

قبل أن تصله صرخة أخرى لكن ..من ياسمين هذه المرة ..

صرخة تلتها أخريات وهي تمسك بطنها بقوة ..

يبدو أنه موعد وصول يمنى ..





يمنى يامن عبد الرحيم حمدي.

=======

أفاقت من تأثير المخدر لتبتسم وهي ترى وجهه أمامها ..

أنفاسه تظللها وهمسه الدافئ يمتزج بسحر عينيه العسلي :

_حمداً لله ع السلامة .

_هي فين ؟!

تهمس بها بلهفة عبر حلقها الجاف لتأتي نبيلة تحملها هاتفة بفرحة طاغية :

_قمر ..نسخة من يامن وهو صغير !

_أنا مناخيري كانت كبيرة كده ؟!

يقولها مشاكساً لترد نبيلة بنفس الفرحة الأمومية :

_بجد يا يامن ..كإني شايفاك انت ليلتها ..




ثم وضعتها بحرص على صدر ياسمين مردفة بإشفاق:

_معلش ..عارفة إنك تعبانة بس لازم ترضعيها دلوقت على طول .

تتسع عينا ياسمين بانبهار وهي تتأمل هذا الكائن المنمنم على صدرها ..

أنفاسها تتلاحق وهي تشعر بحلاوة أن يتحقق الحلم ..

عيناها تدمعان وهي تتفحص ملامح الصغيرة التي استقرت على نهدها تلتقمه ..

لتغمض عينيها غارقة بهذا الإحساس الذي تجربه لأول مرة ..

والذي يهون فداه أي ألم !!





_واخدة عنيا وشفايفك ..مناخيري ولون شعرك ..قسمة العدل اهه ..مش قلتلك بنتي دكتوراة تفاصيل !

يقولها يامن وهو يتحرك ليجلس جوارها يحيطها بأحد ذراعيه بينما يسند الصغيرة بالآخر ..

لترفع عينيها الدامعتين نحوه هامسة بصوت مختنق :

_جميلة قوي ..قوي يا يامن!

تنخرط بعدها في بكاء انفعالي لم تعرف سببه ليشدد ضمته الرفيقة حولها متفهماً عمق شعورها الذي يشاركها مثله ..

لتتقدم نبيلة منهما قائلة بإشفاق :

_ماتعيطيش كده بيقولوا بيعكر اللبن ..انا هاخدها أحاول أنيمها برضعة الأعشاب اللي الدكتور كتبها على ما تاخدي نفسك .

يبتسم يامن بتقدير وهو يشعر بالوجه الأمومي لنبيلة يزداد وضوحاً ..





حتى لهجتها صارت تفتقد للكنة النجمة المميزة ..صارت أكثر بساطة ..وحميمية !!

وما كادت نبيلة تخرج بالصغيرة التي تهدهدها برفق ليخفت صوت بكائها تدريجياٌ ..

حتى مال على وجنة ياسمين يقبلها بعمق هامساً :

_مكنتش أعرف إنكم بتتعبوا في الولادة قوي كده ..الدكتور مكانش راضي يدخللني معاكي ..بس أنا عملت مشكلة .

ثم تخلل أناملها بأنامله مردفاً :

_كانت أجمل لحظة في حياتي وأنا شايفها بعيني بتخرج للدنيا .

فترفع عينيها نحوه لتنتبه أخيراً لما يرتديه ..

هذا الذي اتسعت عيناها له بصدمة مع همسها :

_القميص الأبيض ؟! أخيراً ..لبسته !





همساتها تنتهي بضحكة انفعالية مكتومة وهي تتذكر عمر هذا القميص الذي اشترته له منذ سنوات آملة في أن تراه يوماً يرتدي لوناً غير الأسود ..

ليضمها نحوه برفق مداعباً وجنتها بأنامله مع همسه الدافئ:

_لو مكنتش هالبسه النهارده هالبسه امتى ؟!

_حلو عليك الأبيض ..قوي ..قوي ..

تهمس بها وسط فيض دموعها وهي تخفي دموعها في صدره ليغرق وجنتها الظاهرة بقبلاته متفهماً هذا الاعصار من المشاعر الذي يجتاحهما الآن معاً ..

من كان يصدق أن يلتقي النقيضان هكذا بعد هذه الرحلة الطويلة من العذاب والشك والألم ؟!





رجل الأسوَد وامرأة الألوان أخيراً وجدا سماء بيضاء مشتركة يحلقان فيها معاً!

_هه يا ستي ؟! لسه فيه حاجة في أحلامك ما اتحققتش ؟!

يهمس بها وأنامله لا تزال تربت على وجنتها بحنان لتعاود رفع عينيها نحوه هامسة بعبارتهما الخالدة :

_شكراً يا طيب .

هنا لم يستطع المقاومة وهو يميل على شفتيها بقبلة ناعمة طويلة كأنما يذيب روحه في روحها ليمتزجا معاً ..

دموع سعادتها تجد أرضاً مشتركة بين بشرتيهما الملتصقتين كأنما تحكي للعالم عن قصة حبهما الرائعة هذه ..





وأنامله التي تشتبك بأناملها تمنحها بعد العهد عهداً ..

وبعد الوعد وعداً ..

يرفع رأسه أخيراً ليمسح ما بقي من دموعها وهمسه ينافس خفقاته عشقاً :

_ماعدتش عايز أشوف دموع في عينيكي ..كفاية بقا .

ترتجف ابتسامتها وهي تومئ برأسها لتلتفت من جديد نحو الباب الذي فتح من جديد لتدخل منه نبيلة حاملة الصغيرة وخلفها "الثلاث بنات"!

هانيا ورانيا وداليا !

_مبروك يا يامن !





الثلاثة قلنها في نفس اللحظة وهن يندفعن نحوه ليهتف هو ضاحكاً بصوت عال :

_كده بقيت رسمي ..راجل وست ستات !

تنطلق ضحكاتهن معاً عالية ليعلو معها بكاء الصغيرة كأنما تدلي بدلوها في هذا المشهد ..

يمنى التي تحرك يامن ليهدهدها برفق ويسير بها نحو ياسمين ..

_مش عايز أبوسها كتير ..خايف دقني تشوكها !

يقولها لتطرق كلماتها "ذكرى" خاصة بينهما فتبتسم وعيناها تجددان عهود عشق لا يبلى ..

والرد يصلها منه كما كان أول مرة :

_بتهزر ؟! ما الحب إلا للحبيب الملتحي !

=========

_بتقول إيه يا عابد ؟! مين دي اللي عايز تتجوزها ؟!





تهتف بها أمه باستنكار في شقتها التي تقيم فيها في القاهرة منذ عودتها -المؤقتة - من ماليزيا ..

ليرد عابد بصبر :

_تمهلي يا أمي ..الفتاة رائعة حقاً ..تعلمين أنني انتقائي كثيراً بشأن النساء ..ولم يتعلق قلبي إلا بخطيبتي السابقة رحمها الله ..لهذا كوني واثقة من اختياري .

_اختيار إيه ؟! بتقول أبوها مين وأمها مين ؟!

تهتف بها بنفس الاستنكار وهي تتهاوى جالسة على الأريكة ليجلس هو جوارها مربتاً على ركبتها مع قوله :

_أخبرتكِ أيضاً أن جدتها ربتها وشقيقتها على أفضل وجه ..والله سبحانه وتعالى يقول "ولا تزر وازرة وزر أخرى".

_وإيه يجبرك يا ابني ؟! ما الدنيا مليانة بنات !





تقولها بعدم اقتناع لتجتاحه ابتسامة شاردة وهو يتذكر المرة القريبة التي رآها فيها في افتتاح المركز الخاص بياقوت ..

ملامحها المميزة بجمال -خاص- في عينيه ..

مزيج الخجل والطيبة المشع في عينيها ..

وهذه النظرة البسيطة جداً ..العميقة جداً ..التي كانت ترمق بها الوجوه حولها ..

كأنها روح هائمة مهمشة لا يشعر بها أحد لكنها تبقى محتفظة بسحر خاص لا يفهم سره ..

إنما يدرك أثره !

_الأرواح جنود مجندة ..ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف ..وأنا ألفت روحها يا أمي .

يقولها أخيراً بحسم لتتنهد المرأة وهي تتفرس ملامحه لتقول بعتاب :





_دايماً واجع قلبي عليك ..مش كفاية اللي حصل بسبب دماغك الغريبة دي يا عابد ؟!

لكنه يطرق برأسه وذنب والده القديم لا يزال يطوق عنقه ..

قبل أن يتناول كفها يقبله باحترام وعيناه تناجيان أمومتها :

_بالله عليكِ ..لا تذكري هذا الشأن ثانية ..الأمر هذه المرة مختلف .

تفرست ملامحه بحيرة مشبعة بالخيبة وهي لا تدري كيف تتصرف معه ..

هو لم يعد صغيراً ..

وطبيعته القديمة المتطرفة تجعلها تشعر بالخوف عليه أكثر ..

تخشى أن ترفض فيفعلها رغماً عنها ..

لكن ..ما البديل؟!





كيف تقبل زيجة شائنة كهذه ؟!!

لكنها استجابت لصوت العقل الذي دعاها للتريث ..ربما يغير هو رأيه عندما يقترب أكثر من هذه الفتاة مدركاً عظم الفوارق بينهما !!

لهذا تنهدت أخيراً لتقول بنبرة ضائقة :

_خلاص ..خللينا نقعد مع أهلها ونشوف ..اللي فيه الخير يقدمه ربنا .

ابتسم بارتياح وهو ينهض ليقبل رأسها قبل أن ينظر في ساعته ليقول بنبرة لانت كثيراً :

_هيا بنا لنزور ياسمين ..لا أطيق صبراً لرؤية الصغيرة ..

وبعد ساعة كان يصطحبها للمشفى حيث غرفة ياسمين ..




وبينما انتحت أمه بنبيلة جانباً يتحدثان ..

اقترب هو ليجلس على طرف فراش ياسمين ليحمل عنها الصغيرة ويداعب ذقنها بحنان قائلاً :

_ما شاء الله لا قوة إلا بالله ..بورك في الموهوب وشكرتم الواهب وبلغت أشدها ورزقتم برها .

يقولها بالدعاء المأثور ليقبل جبين الصغيرة برقة قبل أن يعيدها لياسمين التي هتفت به بمرح:

_قول الحق ..شبهي أنا أكتر واللا يامن أكتر .

_أحسها تشبهك أكثر .

يقولها ليرضيها فتضحك له هاتفة بعفوية :

_أجدع أخ في الدنيا ..

ثم التفتت نحو أمه تتيقن من انشغالها بالحديث لتميل عليه هو هامسة بترقب :




_كلّمتها ؟!

أومأ برأسه إيجاباً ليهمس لها بخفوت :

_وافقت لكن على مضض ..ومع هذا فلازلت أستبشر بلقائها بالحاجة ثمر ..هذه المرأة تجد أثرها في قلب كل من تحدثه .

ابتسمت له بإشفاق وهي تخشى عليه عواقب هذه التجربة لتعاود الهمس له ناصحة :

_صلي استخارة وربنا ييسر لك الخير .

_لا أكف عن فعلها ..اطمئني .

يقولها ببشاشة قبل أن يستخرج من جيبه سلسلة ذهبية وضعها حول عنق الصغيرة برفق مردفاً :

_لا أعلم إن كان ذوقي سيعجبك .

_تجنن يا عابد ..تسلم إيدك .

تقولها وهي تعدل وضعها حول رقبة الصغيرة النائمة ..





ليفاجئها بقوله :

_وهذه هديتك أنتِ يا "وصية أبي"!

تتسع عيناها قليلاً وهي تميز ميدالية ملونة تشبه هذه التي أهدتها له يوماً..

فابتسمت وهي تتناولها منه لتميل على وجنته تقبلها قائلة :

_شكراً ..أوعدك مش هاضيعها المرة دي .

يبتسم بدوره وهو يتذكر رؤيا "الصالح" التي رآها لوالده ..

وكيف منحه فيها ميدالية تشبه هذه كأنما يوصيه بها !!

_عايزين نعمل عقيقة ليمنى أول ما أشد حيلي كده .





تقولها ياسمين وهي تعاود تفرس ملامح الصغيرة النائمة قبل أن تغيم ملامحها بشرود بائس ناسب قولها :

_كان نفسي بابا يبقى معانا دلوقت ويفرح بيها وسطنا .

فيغمض عينيه بأسي يقاومه ليربت على كتفها قائلاً :

_عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ..موته كان فاجعة لكنه جمعنا بهذه الطريقة التي لم تجمعنا في حياته ..فسبحان من يدبر الأمر .

=======

الضوء الأحمر في الغرفة يمنحها المزيد من الإثارة لما يُعد !

صوت أغنية أجنبية ماجنة يأتي من مكان ما ليشتعل له الجسد برغبة فائرة ..

يتفقد "أدوات متعته" على الفراش منتظراً حضورها ..





يشعر بعطرها خلفه فيستدير ليرمقها بنظرة تقييمية راضية ..

بل أكثر من راضية !!

ابتسامتها التي أشعلته منذ أول لقاء لهما تحدث نفس الأثر الآن ..

خاصة عندما تتقدم ببطء مغوٍ لتركع على ركبتيها فوق الفراش ..

عيناه تتوهجان بهذا البريق الوحشي ليطلق زمجرة هادرة أثارتها قبل أن يغيب كلاهما في ممارسة شاذة اعتادها كلاهما ووجد فيها متعة تناقض الفطرة لكن من يهتم ؟!

مادام عبداً لشهوات جسده !!

دقيقة خلف دقيقة تشعل المنحنى حتى يصل لذروته قبل أن تعلن الأنفاس اللاهثة نهاية الرحلة ..





_رامي.

تهمس بها أخيراً بغنج ليفك قيد معصميها ببطء متأملاً برضا هذه الآثار الحمراء التي تركها على بشرتها ..

لكنها لم تبد ضائقة ..

الألم صار يمتزج بالمتعة فلا تكاد تعرف فارقاً بينهما !

_بتعمل إيه ؟!

تسأله وهي تراه يتأهب ليتمدد نائماً على الفراش فيمط شفتيه باستياء وهو ينهض قائلاً :

_مش هتصرفي نظر بقا عن الشرط ده ؟! فيها إيه يعني لما أنام هنا ؟!





النظرة الخانعة "المدروسة" في عينيها تتحول لأخرى شرسة تخيفه حقاً خاصة مع همسها البطيئ :

_انت تاخد اللي بديهولك وبس ..اكتر من كده ..هتزعل !

نبرة التهديد التي حلقت فوق آخر كلماتها وجدت أثرها فيه لينقذ كرامته بابتسامة هازئة قبل أن يتحرك ليغادر الفراش ويرتدي ملابسه ..

نظراتها المزدرية تودعه حتى باب الغرفة قبل أن تسمع صوت الباب الخارجي للشقة يغلق ..

هنا تسمح لنفسها أن تبصق بقوة جوارها قبل أن تغادر الفراش بدورها لتتوجه نحو الحمام القريب ..

نظراتها تواجه جسدها العاري الذي احمرت بعض مواضعه بجمود اعتادته ..





قبل أن تسمح لسيل الماء المنهمر أن يخفف عنها هذه الحرارة التي تكاد تحرقها ..

لا فائدة يا شقية !!

النيران التي تنبعث من الداخل لا يطفئها ماء ..

لا يطفئها إلا لهب يشبهها !!

عيناها تلتمعان ببريق قاسٍ وهي تتحرك لتجفف جسدها قبل أن تعود لفراشها مستلقية عليه ..

تتناول إحدى سجائرها لتشعلها قبل أن تنفث دخانها ببطء ..

صورة بعينها تغزو خيالها فيرتجف لها قلبها بمرارة الذكرى ..

قلبها الذي مررت فوق موضعه سبابتها الآن وهي تهمس من بين أسنانها :

_زين !





والاسم تتبعه لسعة من سيجارتها كأنما تريد
محاكاة هذا الحريق الذي يشعله اسمه في
صدرها ..

لتسحقها تحت قدميها بغل كما تنتوي أن تفعل به
هو!!

شفتاها تتلونان بابتسامة قاسية لانت لها ملامحها
رويداً رويداً وهي تتابع عقارب الساعة أمامها ..

لتهمس أخيراً بضحكة عصبية بمذاق الانتصار
وهي تراهما يشيران لمنتصف الليل :

_بس! دلوقت تبدأ الحفلة !

ومع كلماتها يتوازى الحدثان في التوقيت ..

ففي غرفة ياسمين بالمشفى تدخل إحدى
الممرضات لترمق ياسمين ونبيلة اللتين بدا نومهما
غير طبيعي بنظرة راضية ماكرة قبل أن تقترب





أكثر لتحمل الرضيعة وتخرج بها لتسلمها إلى أحدهم منفذة مهمتها ..

وفي كوخ همسة حيث استلقت الأخيرة نائمة تتحرك القدمان الغريبتان لتقتربا منها بحرص ..

قطعة قماش مبللة بمخدر ما توضع على أنفها قبل أن يُحمل جسدها نحو سيارة قريبة وقفت أمام البيت ..

صوت إطلاق نار متبادل بين بعض الحراس والمختطفين لكن النتيجة تحسم لصالح المبادر ..

والمبادر هذه المرة كان يبتسم مكانه بظفر ..

الغنيمتان جاهزتان معاً كما خُطط للأمر ..

همسة و..يمنى!

=========




القطعة التاسعة عشرة

==========

_لا ..لا ...!!

يصرخ بها رائد بغضب وهو يدرك أخيراً ما حدث ..

همسة اختطفت !!

هنا ؟!

من بيتها ..من بيته ..

بيته الذي بناه ليكون قلعة تحميها ؟!!

صراخه الغاضب يعلو وهو يستقل سيارته أول الأمر يدور بها كالمجنون عشوائياً حول البيت كأنه يبحث عن أي خيط قد يقوده إليها ..

لكنه يعود خاوي الكفين ليفرغ ثورته في طاقم حرسه ..

تساؤلاته الحانقة لا تجد جواباً يرضيها ..

والقبضة الباردة تعتصر قلبه أكثر وأكثر ..





همسة اختطفت وهو نائم !!

كيف لم يشعر؟!

كيف لم ينبئه قلبه الذي يبدو وكأنما ضبطت دقاته على نغم دقاتها هي؟!

كيف؟!!

خطواته تنتهي به عند فراشها في الكوخ ..

هذا الذي انهار أمامه جسده أخيراً بعد طول صراخه الانفعالي ..

يتخيلها مكانها هاهنا كالعادة ..

ثم يتخيل رعبها وهم يأخذونها قسراً ..

بل يتخيل الأسوأ ..

ما الذي سيفعلونه بها ؟!

سيحبسونها على أقل تقدير دون مراعاة لحالتها !!





يقبض يده على صدره بقوة شاعراً بتلاحق أنفاسه المختنقة ..

الدم يضرب رأسه بقوة فيرفع أنامله نحو أنفه لتروعه هذه القطرات النازفة من دمه ..

يشعر بالعالم حوله يدور به فيكاد يستسلم لهذا الدوار ..

لا!!

يهتف بها عالية كأنما يحارب نفسه بنفسه !!

انـهياره الآن أنانية !!

ترف لن يسمح به حتى يستعيدها !!

هي الأوْلى الآن بكل لحظة تركيز !!

فقط عندما يستعيدها سيسمح لنفسه وقتها أن ينـهار بكل خلاياه لكن ..بين ذراعيـها ..

ستلملمه ..كما بعثرته !!





لهذا تحامل على نفسه ليقف مترنحاً أخيراً وهو يتحاشى النظر من جديد نحو فراشها ..

يخرج من الكوخ بسرعة بعدما مشطته عيناه لعله يعثر على أي أثر يقوده لمعلومة ..

لكنه يصطدم بوجه زين المرتاع أمامه :

_يعني بجد ؟!

يهدر بها زين بعنف وعيناه تشتعلان بغضب ملتاع بينما تدوران حوله كأنما تكذبان ما لا يريد تصديقه ..

قبل أن يجذب رائد بقبضتيه نحوه ليصرخ بجنون عاصف :

_كانت هنا في حمايتك ..إيه اللي حصل ؟!

لكن رائد استعاد "قناعه المعدني" الذي يدرك الآن أنه يحتاجه أكثر من أي وقت مضى ..

زين بطبيعته المهيمنة الانفعالية قد يفسد الأمور ..





وهو يحتاج لكل ذرة تركيز كي يصل إليها !!

لهذا احتمل ثورة زين العاصفة وهو يرجه بين ذراعيه مكرراً تهديدات عديدة يفرغ بها لعنات غضبه ..

لكن رنين هاتف الأخير يوقفه ليدفع رائد عنه بعنف قبل أن يفتح الاتصال ..

عيناه تتسعان بجنون جعل رائد ينتزعه منه ليضغط زر تكبير الصوت وقد أخبره حدسه أن الأمر يخص همسة ..

فتشتعل أنفاس كليهما أخيراً بالمزيد من الغضب وكلمات الاتصال تسكب المزيد من الوقود فوق حطب القلق ..

========





_كنت حاسة ..كنت حاسة ..سيلين ..والدم ..قلتلكم ..قلتلكم ..ماصدقتونيش !!

صرخت بها ياسمين بانهيار عقب إفاقتها في المشفى ليحاول يامن تهدئتها دون جدوى :

_سيلين في لندن ومالهاش علاقة باللي بيحصل أنا متأكد ..اللي عمل كده حد تاني ..هنعرفه ونرجعها .

كان يهتف بها وهو يحاول احتواء ضمة جسدها المتشنج على الفراش ...

منذ سمع الخبر وهو يشعر أن جسده كله أصيب بالشلل ..

هل هو عقاب السماء له على تفريطه في ابنه من سيلين ؟!

لن يحتمل فقداً جديداً هذه المرة !





ليقول مدير المشفى بحرج بينما يختلس النظر للضابط الذي يتولى التحقيق جوارهم :

_أنا آسف جداً ..دي أول مرة تحصل حاجة زي دي عندنا ..أوعدكم اننا هنتعاون بكل صورة مع البوليس عشان نوصل للمجرم اللي عمل كده !

_الممرضة اللي خدرتهم دي تبقى مين ؟!

يسأله يامن معقود الحاجبين بجسد متشنج يحاول التحكم في انفعالاته .. ليرد الرجل بحرج أكبر :

_لسة مستلمة شغلها هنا من كام يوم ..واختفت بعد الموضوع ده !

_أنا هاوديكم في داهية كلكم لو بنتي ما رجعتش !

صرخ بها يامن أخيراً بلوعة عجز عن كتمانها بعد أن حاول التجلد طوال هذه الساعات الماضية لأجل ألا تنهار ياسمين ..





ياسمين التي عادت لنحيبها المرتفع وهي تخفي وجهها في كتفه هاتفة بين دموعها :

_رجعلي بنتنا يا يامن ..أنا لسه ما شبعتش من حضنها !

_نعرف بس مين عملها ..التحريات شغالة ع الممرضة دي وهتجيب اللي وراها ..

يهتف بها الضابط بنبرة حازمة ليفاجأوا بالصوت الرصين للرجل الذي وقف على باب الغرفة :

_أنا عارف مين وراها !

========

_زين!

هتفت بها ياسمين بلوعة وهي ترقب زين الواقف عند الباب بنظرات ملهوفة ..





زين الذي بدا شاحب الملامح حد الموت بينما حافظ رائد جواره على قناعه المعدني بقوة أكبر مدركاً حاجته المتزايدة إليه الآن بالذات ..

ليس لأجله ..بل لأجل همسة التي سيفتديها بروحه لو اقتضى الأمر ..

حتى ولو كانت روحه تتفتت قطعة قطعة كما الآن وهو يتصورها سجينة وحدها ..

حتى وهو يتنشق أنفاساً كاللهيب فيجبر نفسه أن يزفرها صقيعية كي لا يضعف في هذه اللحظات التي تحتاج هي فيها لكل ذرة من قوته ..

_يامن!!

صرخت بها ياسمين وهي تراقب الأخير الذي اندفع نحو زين كالقذيفة رافعاً قبضته في وضع الضرب :

_انت اللي عملتها يا ...





السبة البذيئة التي أطلقها تتوقف مع قبضته بفعل قبضة رائد الذي كز على أسنانه بقوة ليقول ببرود مشتعل:

_همسة كمان اتخطفت ..هو واحد اللي ورا خطفهم الاتنين ..

_مين؟!

يهتف بها الضابط باهتمام ليتبادل زين مع رائد نظرة خاصة قبل أن يتحرك الأخير لينتحي بالضابط جانباً خارج الغرفة ..

فيما تقدم زين ليهمس جوار أذن يامن باقتضاب :

_المعلومات اللي رائد بيقولهالهم مش صحيحة ..بس انا مش هخاطر بتدخل البوليس في الموضوع ..هاعمللهم اللي هم عايزينه !





اتسعت عينا يامن بارتياع لتصرخ ياسمين وهي تغادر الفراش نحوهما مقاومة آلام جسدها الذي لم يسترد عافيته بعد :

_بتقولله إيه ؟! بنتي جرالها حاجة ؟!

_اهدي ..يمنى كويسة ..وهمسة كمان ..

تحشرج صوت زين في عبارته الأخيرة ليرمقه يامن بنظرة متشككة للحظة قبل أن ينسف شحوب وجه زين كل هواجسه ..

هذا رجل مطعون بكل قسوة !!

طعنة مشتركة لهما هذه المرة !!

_مين ؟!

يغمغم بها يامن وهو يختلس النظر نحو رائد الذي ابتعد مع الضابط وهو يشير لزين إشارة ذات مغزى ..





لترتجف شفتا الأخير وهو يتذكر الاتصال المجهول الذي تلقاه منذ ساعات ..

بصوت رامي أولاً ...

_إزيك يا زين بيه ؟! فاكر التعبان اللطيف اللي حطيته جنبي وأنا متكتف ؟! أحب أطمنك إن فيه واحد زيه تمام دلوقت بيلف حوالين أختك الغالية وبنت ياسمين هانم ...

ضحكته الوحشية المستمتعة تنهي عبارته وتقبض قلب زين بهذا الرعب الذي لم يعرفه من قبل ..

بهذا الغضب الذي يود معه لو يحطم رأسه بيديه العاريتين ..

وبهذا العجز وهو يخشى أن يصيب همسة أي خدش بسببه هو ...

كيف جرؤ رامي على فعلها؟!

هذا ليس تخطيطه ..بل وليست قدراته !!





من الذي خلفه ويحالفه ضده هو ؟!!

والجواب يأتيه لاحقاً ..

وبصوت امرأة يذكره لكنه لا يمكنه تمييزه ..

_إزيك يا "صياد"؟! عرفت آخر أخبار أسهم شركتك في البورصة ؟! خسارة كبيييرة ..بس مش أكبر من خسارة همسة ..و..النونو بنت آخر عشيقة ليك ..عارفاك عاقل مش هتتهور ..في المعاد اللي أحدده هتيجي لحد عندي ..لوحدك ..ولما أقول لوحدك يبقى مفيناش من غدر ..أوعدك لو سمعت الكلام أسيبهم عايشين لحد ما نصفي اللي بيننا .

_مين يا زين؟!

تعاود ياسمين الصراخ بها هذه المرة ليجذبها يامن لصدره مهدئاً وهو يحاول كتمان انفعاله بدوره ..




فيرفع زين بصره إليها بنظرة زائغة غريبة عن سيطرته المعهودة ..

نظرة زادت رعبها لتنتفض مكانها وهي تسمع صوت وصول رسالة على هاتفها الذي هرعت إليه لعلها تتلقى منه خبراً ..

صرخة قصيرة أطلقتها وهي تميز صورة للرضيعة نائمة من رقم مجهول تلته رسالة ..

_ابقي خللي زين واللا يامن دول ينفعوكي ..يا "..."!

_رامي!

تمتمت بها برعب وهي تميز انتهاء العبارة بلفظة أجنبية"مهينة" كان يخصها بها أثناء زواجه منها ..





ليختطف منها يامن الهاتف قبل أن يلقيه جانباً ليعدو باتجاه باب الغرفة متأهباً للخروج ..

لا يفهم السر الذي يربط اختطاف يمنى بهمسة هذه ..

لكن يبدو أنه الحقير رامي خطط لهذا كي ينتقم منهم جميعاً ..

الدافع يبدو له واهياً ..لكنه سيصل إليه ويعتصر عنقه بين أصابعه ليزهق أنفاسه واحداً واحداً نكالاً بما فعله بياسمين بالأمس ..ويمنى اليوم !!

لكن زين وقف في طريقه ليقول بنبرة حازمة رغم تحشرج صوته :

_ماتضيعش وقتك ..الجبان مستخبي وقلبت الدنيا عليه مش لاقيه..بس أنا عارف مين اللي وراه وهارجعهم الاتنين ..ماتقلقش .

_وانا هاقف مستنيك تتحرك ..اوعى !





يهدر بها يامن بعنف وهو يحاول إزاحته من طريقه لكن زين بقي راسخاً في مكانه يناظره بعينين صارمتين ..

وملامح ارتسم عليها الصراع جلياً بين غضب وخوف يمزقانه ..

وأخيراً ..

نبرة صوته التي مزجت صرامتها بشقائها بينما قبضتاه تحاوطان كتفي يامن بقوة :

_مش هاسمح بأي غلطة انفعالية تتسبب في أذاهم ..اللي خطفتهم عايزاني أنا ..وأنا هانفذ لها كل اللي هي عايزاه .

_مش فاهمة حاجة ..هو مش رامي؟!

تهتف بها ياسمين بانهيار باكٍ ليرد زين بعينين مشتعلتين غضباً:

_رامي ده كلب سهل يتشد بأي عضمة ..ده مش تخطيطه ولا إمكانياته ..هي استغلته عشان توصل لنقط ضعفي أنا .





_هي مين؟!

هدر بها يامن بعنف وهو ينزع قبضتيه عن كتفيه بخشونة لتعود نبرة زين للتحشرج:

_لسه ماعرفتهاش .

همهمة يامن العصبية المتهكمة حملت الكثير من المرارة وهو الآخر يشعر بالعجز ..

لكن زين تمالك نفسه بقوة يحسد عليها ليقلب بصره بينهما قائلاً :

_قسماً برب العزة لادفعهم هم الاتنين تمن اللي عملوه ..بس الأول أطمن على همسة ويمنى .

عادت ياسمين تنخرط في بكائها الهستيري وهي تتهاوى جالسة على طرف الفراش فتوجه يامن نحوها ليحتويها بين ذراعيه وكل ذرة من جسده تنضح بهذا المزيج الرهيب بين الغضب والعجز ..





_كل اللي بطلبه منكم دلوقت تثقوا فيا ..كلنا في مركب واحد ..رامي مكنش عايز غير إنه يتشفى في ياسمين وحقق غرضه ..لكن اللي باقي يخصني أنا مع الست دي ..

يقولها زين بعينين غائمتين وهو يشعر بتفتت جبال قوته داخل روحه ذرة ذرة ..

فيرمقه يامن بنظرة طويلة ضائقة وهو لا يدري بماذا يرد ..

الأمر شديد الحساسية ولن يقبل بذرة خطأ ..

لكن هل يمكنه حقاً الثقة بزين هذا ؟!

وما البديل ؟!!

خاطر أهوج ينتابه بإبلاغ الشرطة وترك الأمر لها خيراً من الاستسلام للمتعجرف هذا أمامه ..

لكنه يعود للتراجع عنه بسرعة ..





خاصة و"مظهر زين" الواقف أمامه الآن يختلف كثيراً عن الصورة القديمة التي كان يراه فيها ...

هذا رجل سيفعل أي شيء كي يسترد أخته ..ومعها ابنته هو مادامتا سوياً !

لهذا زفر أخيراً زفرة مشتعلة ووجهه المحمر بانفعاله ينافس حرارة كلماته :

_لو عايزني أثق فيك يبقى ما تتحركش خطوة من غير ما أعرفها ..

منحه زين وعده بإيماءة رأس قبل أن يردف أخيراً بحسم :

_أوعدكم هارجعهم هم الاتنين مهما كان التمن .

=========

تفتح همسة عينيها لتتلفت حولها برعب ..

مكان غريب ..رائحة غريبة ..نافذة بعيدة ذات قضبان ..

هل عادت القضبان ؟!!





الخاطر الأخير يملأها رعباً وهي تتلفت حولها بصرخات فزع متقطعة ..

هي تذكر مكاناً يشبه هذا ..

ماذا كان ؟!!

صرخة أخرى تطلقها وومضات خاطفة من الماضي تعود لتقتحم ذهنها بقسوة ..

هروبها مع رائد ..

عقد قرانهما ..

غضب والدها الذي وجدها ..

عقابه القاسي لها بعدها بحبسها ..

أجل ..أجل ..حبسها في مكان يشبه هذا !!

عدة صرخات متقطعة بعدها تغادر حلقها فتمزق روحها أكثر ..

والذكرى تحملها لماضٍ أبعد ..




أكثر عمقاً ..وألماً ..

مكان يشبه هذا لكنه أكثر ضيقاً ..

أكثر بكثير ..

محبوسة فيه ..لكن ليست وحدها ..

هناك جسد هامد جوارها كان ينبض لها يوماً بكل الحياة ..

جسد أمها !!

دموعها تنهمر أكثر وأنفاسها المتلاحقة تقطعها صرخاتها القصيرة لتجد نفسها تعدو نحو النافذة القريبة ..

تتنشق الهواء القادم من الخارج بلهفة جائعة وقبضتاها الرقيقتان تحاولان هز القضبان دون جدوى ..

_ماما ..بابا ..زين ..رائد ..





صرخاتها تتحول لتمتمات استغاثة خافتة والصور تتداخل من جديد بذهنها ..

"نداهة عالمها" القاهرة تحاول جذبها من جديد لدوامتها اللامتناهية حيث أمانها المزعوم ..

حيث لا ذكرى ولا ماضٍ ..

فتستجيب لها باستسلام وألم ذراعيها المتشنجان حول القضبان يتشارك مع ألم حنجرتها التي بحت من الصراخ ليجعلها تتهاوى جالسة مكانها بانهيار ..

لن تتذكر ..

لن تعود لعالمهم البغيض ..

ستبقى بأمان مالم تسترجع المزيد ..

ستستسلم للنسيان من جديد ..

دورة خلف دورة في متاهات عالمها المتشابك تسحبها للهاوية أكثر ..

فتنجرف لها طواعية بكل طاقتها لولا ..!!




صوت بكاء رضيع يقطع هذا الصمت حولها!!

تظنه وهماً في البداية قبل أن تستجيب له جوارحها دونما إرادة ..

تقف بعينين متسعتين انفعالاً وهي تتحرك نحوه كالمسحورة ..

إنه رضيع حقاً ..

بل رضيعة !

قميصها وردي ناعم بهذا اللون الذي تحبه ..

ابتسامتها تتحول لضحكة بريئة عالية تمتزج بدموعها وهي تمد ذراعيها لتحملها ..

تهدهدها برفق وعيناها المتسعتان تتفحصان ملامح الصغيرة بانبهار ..

منذ متى لم ترَ طفلاً ؟!

منذ متى لم ترَ أحداً خارج عالمها المحدود ؟!





بكاء الصغيرة يزداد وهي تمص إصبعها ..

فتتلفت هي حولها بعجز ..

"نداهة" عالمها القاهرة تجذبها للابتعاد عن كل هذا ..

للهرب بعيداً بعيداً نحو عالم بلا ظلم ..بلا قهر ..بلا قضبان ..

لكن شعورها باحتياج الصغيرة لها يزكي بداخلها رغبة مغايرة ب"المقاومة"..

بالصمود لأجل هذه الروح البريئة الواهنة التي تشبهها ..

_خايفة ؟!

تحدث بها الصغيرة وهي تهزها برفق بين ذراعيها أكثر لعلها تهدأ ..قبل أن تردف بنبرتها البريئة الشاردة :

_كنت زيك في يوم ..برضه خايفة ..بس ..





تقطع عبارتها وومضات أخرى من ذاكرتها تعاود القصف لكن بسند داعم هذه المرة ..

الدبوسان المعدنيان ..

قرط راقصة الباليه ..

فقاعاتها الوردية ..

ملمس موج ناعم لبحر بلا شاطئ ..

بيتها الذي رسمته قديماً قطعة قطعة ..

وأخيراً ..حبيب يظل ب"لا صورة" لكن حضوره الطاغي يجتاح ذاكرتها ليشعرها بالاحتواء ..

بالأمان رغم البعد !!

_رائد!

تهمس بها باستغاثة من جديد وهي تتلفت حولها ..

هل تعيده عصابة عينيها هذه المرة ؟!

من أين لها بواحدة ؟!!





أفكارها المشتتة تنقطع عندما يفتح الباب لتشهق بذعر وهي تضم الرضيعة لصدرها أكثر ..

مشهد رجلين ضخمين يدخلان يجعلها تتسمر مكانها بذعر ..

صرخاتها تتحبس بحلقها وهي تضم الصغيرة نحوها أكثر وأكثر ..

_ماتخافيش ..ماتخافيش !!

لا تدري هل تقولها لنفسها أم لها هي ..

تتحرك بها للخلف ورغبتها في مقاومة خوفها تزداد ..

ستحميها ..

ستحميها ..

ستمنحها ما لم يمنحه لها هي أحد !!

_هاتيها!

يهتف بها أحد الرجلين بغلظة وهو يتقدم منها لكنها تهز رأسها رفضاً بقوة تناقض مظهر دموعها الواهنة..

فيطلق الرجل ضحكة متهكمة قصيرة وهو يرفع قبضته في وجهها هاتفاً :

_خسارة الطعامة دي في الجنان ..الواحد من زمان ماشافش ستات نضيفة كده .

الرعب يجمد جسدها لكنها تتشبث بالصغيرة أكثر ..

نظرات الرجل نحوها تزداد حقارة وهي تتجول على طول جسدها ..

لكن رفيقه يصيح به بخشونة :

_حط لهم الأكل واخلص ..التعليمات ما نلمسهمش لحد ما تيجي لنا الإشارة .





يعض الأول شفته السفلى بحركة موحية ونظراته القذرة تصيب منها لكنه يضطر لامتثال الأمر وهو يغيب لبضع دقائق ليعود بما يحمله ويضعه فوق منضدة قريبة ..

_خدي واخرسي البنت اللي بتعيط دي قلبت دماغنا .

يقولها ليختفي أخيراً عن ناظريها مغلقاً الباب خلفهما فتتنهد بارتياح وهي تتحرك نحو "الببرونة" التي وضعوها هناك جوار بعض الطعام ..

تبتسم رغماً عنها ببراءة وهي تزيح غطاءها متمتمة :

_باربي ! هاسميكي ..باربي ..





تقولها وهي تجلس على الفراش القريب لتضعها في فم الصغيرة التي رفضتها لأول وهلة قبل أن يجبرها الجوع على التقامها ..

وأخيراً يهدأ بكاؤها نوعاً فتتفحص همسة ملامحها بغرابة قبل أن تعاود التلفت حولها ..

_مين دول؟! احنا هنا ..ليه ؟!

تهمس بها بقلق اجتاح نبرتها لكنها عاودت النظر للصغيرة التي استكانت في حضنها فتبدلت ملامحها لأخرى حانية وهي تهمس لها ببراءة :

_أنا معاكي ..هاحميكي..مش هنام ..ماتخافيش .

والغريب أن الصغيرة بدت وكأنها وجدت في هذا العناق ما منحها بعض الأمان لتعود للنوم بعد دقائق ..

فاتسعت ابتسامة همسة وهي تضعها جانباً برفق ..




قبل أن تتحرك لتضع "الببرونة" فوق المائدة فتصطدم عيناها بمرأى الطعام الذي جلبوه ..

"بيض مسلوق" !

ضحكة قصيرة تطلقها وهي تتناول إحداها متذكرة هواية رسمها ..

قبل أن تعود ملامحها للابتئاس وهي تتلفت حولها ..

_رائد ..انت هنا؟!

تهتف بها منادية وهي تغطي عينيها بكفيها كأنها تستدعيه ..

مرة تلو مرة لكن ..لا مجيب !!

الإحباط يكاد يسلمها لنداهة عالمها من جديد ..

لكنها تقاومه بكل ما أوتيت من قوة ..





وأخيراً ترفع كفيها عن عينيها لتعاود التلفت حولها ..

وحدسٌ بداخلها يخبرها أنها عندما تراه من جديد فلن تكون معصوبة العينين هذه المرة !

======

_لو زين عرف إني ساعدتك هيقتلني !

تهتف بها سكرتيرته لتلك المرأة التي نفثت دخان سيجارتها بعمق لترد :

_ماتخافيش ..مش هايعيش لحد مايلحق يعمل حاجة !

انقبض قلب سكرتيرته بإشفاق أظهر بعض التردد على ملامحها لتبتسم المرأة بسخرية هاتفة :

_إيه ؟! صعبان عليكِ دلوقت؟! ومكنش صعبان عليكي وانت بتقبضي مني قصاد المعلومات اللي بتجيبيها؟!




_شغله حاجة وحياته حاجة تانية !

تغمغم بها السكرتيرة بضيق وهي تشيح بوجهها لتطلق المرأة ضحكة أخرى ساخرة سبقت تساؤلها:

_اوعي تكوني حبيتيه ؟!

ثم غامت عيناها بمرارة داكنة مع استطرادها :

_ماهو ده اللي بيعرف يعمله دايماً ..صياد زي ما بيحب يسمي نفسه ..فاكر قلوب الناس لعبة في إيده ..عمرهم ..حياتهم ..كل ده مش مهم مادام خد غرضه وخلاص ..

صوتها يتحشرج في آخر كلماتها لتعاود السكرتيرة النظر إليها بإشفاق لم يلبث أن تحول لخوف حقيقي مع الشراسة التي تلبستها هي أمامها :

_بس وديني وما أعبد لأخلليه يدوق الذل اللي ماشافوش ..قبل ما أطلع روحه بإيدي .




شحب وجه سكرتيرته وهي تشعر أن الأمر خرج عن إطار توقعاتها ليخرج صوتها مرتجفاً :

_احنا ما اتفقناش على قتل ..أنا ساعدتك بس عشان قلتي خسارة في شغله ..كنت محروقة منه لأنه طالع فيها ومش شايفني ..لكن ..

نظرة المرأة القاسية كانت رادعة بما يكفي لتبتلع السكرتيرة بقية عبارتها ..

خاصة عندما مالت المرأة نحوها قائلة بنبرة مهددة :

_الحاجات دي مفيهاش وسط ..يا معايا يا عليا ..لو انتِ مش معايا قولي عشان أتصرف ..بس ..هتزعلي !

فارتجف جسدها لترد بسرعة والخوف يلون كلماتها :

_معاكي طبعاً .





ترمقها المرأة بنظرة مزدرية كادت تحرقها مكانها لتلحقها بقولها:

_كده اتفاقنا تم ..فلوسك معاكي يا شاطرة ..سكة السلامة..

قالتها ثم أشارت لها بعينيها لتنصرف فتنفست الصعداء لكنها ما كادت تعطيها ظهرها حتى سمعت استطرادها خلفها :

_آه ..بمناسبة قلبك الرهيف اللي حن فجأة ده ..خللي لسانك جوه بقك عشان ما يتقطعش .

فعادت ببصرها نحوها لترمقها بنظرة خائفة قبل أن تومئ برأسها مطيعة لتهرول بعدها شبه راكضة مغادرة الغرفة ..





هنا بدأت ملامح المرأة تلين رويداً رويداً لتتحول شراستها لألم خالص وهي تفتح حقيبتها لتستخرج منها صورة !

صورة لفتاة جامعية ترتدي زي تخرجها مبتسمة وتواجه الكاميرا بفخر ..

صورة حقيقية امتزجت بصورة أخرى نسجها خيالها لعجوز يمسك صدره بألم والخزي يغزو تجاعيد وجهه قبل أن يسقط صريعاً !!

وبين الصورتين حياة كاملة عاشتها بقلب "طاهر" قبل أن تقرر أخيراً أن تدنسه !!

هذا العالم ليس للأنقياء !!

هي غابة تحتلها الضواري وإن لم تكن صائداً فستكون الفريسة !!





ومع الخاطر الأخير اتقدت عيناها بالمزيد من الشراسة وهي تأخذ نفساً من سيجارتها لتنفثه ببطء هامسة :

_ماعدتش صابرة على إني أشوف وشك دلوقت يا زين ..

ثم رفعت هاتفها أمام وجهها مردفة بمرارة خالطت شراستها بمزيج مدهش :

_خللينا نخلص!

=======

تقف خلفه في حديقة بيت رائد بعدما علمت الخبر الصاعق الذي اعتصر قلبها ..

رائد اتصل بها ليطمئن على حالة همسة كيف ستكون بعد كارثة الخطف هذه..

والحقيقة أنها لا تعلم الجواب ..

الوضع الغريب قد يسبب لها انتكاسة قوية ..

وقد يأتي بصدمة عكسية تساعد في استردادها لبعض ذاكرتها ..





ولا يمكنها الجزم بأيهما أقرب ..

تماما كما لا يمكنها الجزم الآن أيهما أكثر قلقاً ...

رائد خلف قناعه المعدني الصارم ..

أم هذا الذي أمامها والذي يختلط قلقه بشعوره الرهيب بالذنب ..

تراقب هامته التي طالما اعتدتها مرفوعة وقد انحنت الآن في وقفته أمام كوخ همسة الخالي منها ..

تشعر بهذه اللوعة التي تكاد تذيب أوصاله وتشاركه مثلها ..

همسة لم تكن لديها مجرد حالة ..

همسة صورة تشبهها في مرآة الظلم !

روح تطابقها في رفض الواقع ..

وإن كانت همسة اختارت الهروب فيما اختارت هي الصمود والمواجهة !!





_هتروح لها ؟!

تسأله أخيراً وقد استجمعت شجاعتها لتقترب منه أكثر فيلتفت نحوها بحدة لحظة ..

يفتح ذراعيه فجأة بنظرة احتياج صارخة في عينيه وهو يتقدم منها خطوة كأنما يهم باحتضانها ..

قبل أن يتوقف في آخر لحظة ليغمض عينيه بقوة كأنما يقاوم شعوراً جارفاً بداخله فيما بقي ذراعاه كأنما يحلقان حولها قبل أن يتراخيا جانباً ببطء ..

_زين !

كانت المرة الثانية التي يسمع فيها اسمه من بين شفتيها ..

وإن كانت المرة الأولى صادمة بتبعاتها ..

فهذه لا تقل عنها وطأة !!

نفس الإحساس الكاسح الذي يشعله ويطفئه في اللحظة آلاف المرات !!





لكن ردة فعله جاءت صادمة لكليهما وهو يعتصر كتفيها بقبضتيه هاتفاً بثورة :

_جيتي ليه ؟! امشي من هنا حالاً ..واوعي تيجي لحد ما أنا اللي أطلب منك !

نظراتها الحائرة تعلن رفضها بتحدٍّ ليعاود صراخه فيها:

_مش عايز حد يشوفك معايا ..أنا بقيت لعنة لكل اللي حواليا .

ورغم الألم الذي تبثه فيها قبضتاه وهما تعتصران كتفيها ..

رغم صراخه الهادر وملامحه التي بدت مخيفة صارمة ..

لكنها قرأت بشعورها "الأمومي" به هذه النظرة النابضة في عينيه ..

نظرة احتياج تتشبث ..تتضرع ..تناديها أن تبقى ..





ومن هي كي لا تمتثل؟!

_مش هامشي .

تهمس بها بحسم عبر غلالة من الدموع ليعاود صراخه الهادر بنداء أحد الحراس...

لكنها قطعت نداءه :

_مش هامشي حتى لو طردتني بالعافية .

نبرتها الصارمة كانت تناقض خيطين من الدموع سالا على وجنتيها وجعلا قبضتيه تتراخيان عن كتفيها ليطرق برأسه صامتاً بعجز زلزلها ..

كانت المرة الأولى التي تراه فيها بعيداً عن سطوة هيمنته المعهودة ..

تعلم أنه خسر كثيراً في عمله ..

تعلم أنه يحمل نفسه ذنب اختطاف همسة ويمنى ..

وتعلم -دون غرور- أن خسارته لها هي لا تقل عنهما فداحة !!





تعلم وتشفق عليه من هذا الزلزال الذي نسف جباله كلها فجأة ..

لهذا خرج صوتها بمزيج من عقلها وعاطفتها :

_ماتروحلهاش ..سيب البوليس يشوف شغله ..واحدة بالغلّ ده أكيد مش هتبقى ناوية لك على خير .

لكنه يزفر بقوة وهو يعطيها ظهره ليعاود التطلع لكوخ همسة الخالي :

_ماينفعش أخاطر المرة دي ولو بنسبة واحد في المية ..مفيش قدامي غير إني أعمللها اللي هي عايزاه .

تحاول ابتلاع غصة حلقها المريرة وهي تشعر بخوفها عليه يكاد يشل أطرافها ..

لكنها تحاول السيطرة على أفكارها بهتافها:





_طب اهدا وحاول تفتكر ..ممكن تبقى مين ..أكيد واحدة أذيتها قوي لدرجة إنها عايزة تنتقم ..مين ؟!

_كتير.

قالها باقتضاب وبكلمة واحدة لكنها بدت وكأنها حملت ندم العالم كله !!

شريط ماضيه يمر الآن أمامه فيجد العديدات من "طرائد الصياد"..

واحدٌ آخر من جبال غروره تنسفه الذكرى تلو الذكرى ..

الذنب تلو الذنب !!

فيما كانت هي عالقة بين غضبها منه ..وعليه !!

أي سواد حمله ماضيه كي ينبت غابة من الأشواك كهذه ؟!!

والجواب يأتيها في ذكرى ليلتها الأولى معه ..





تلك المرأة التي جهزتها بخبرة من لم تكن تلك مرتها الأولى!!

صوت رنين هاتفه يقاطع أفكارها ليجفلهما معاً قبل أن تراه يفتح الاتصال ليستمع قليلاً قبل أن يغلقه بحسم ..

وأخيراً يلتفت نحوها لتدرك من نظرته أنه ذاهبٌ الآن ..لمصيره !!

المسافة بينهما تتناقص وسراجا الذهب في عينيه يتوهجان بلمعة متراقصة بين بريق وخفوت ..

_قولي إنك مسامحاني ..على كل حاجة عملتها .

تكاد تقسم أنها لم تسمع صوته من قبل بهذه النبرة الصافية ..

كأنما روحه هي التي تحكي لا لسانه ..





ربما لهذا لم تشعر بفيض دموعها الذي أغرق وجنتيها وخفقات قلبها تتقافز بجنون ..

لتنطق هي الأخرى بروحها قبل لسانها :

_مسامحاك ..بس مش هسامحك لو مارجعتش .

فيسبل جفنيه وعضلة فكه ترتعش لتخطف من دقاتها دقة !

الرعب الذي يملأها الآن يجعلها تهتف بقوة بين دموعها :

_أنا واثقة فيك ..واثقة إنك هترجع ..هترجع معاهم هم الاتنين .

لكنه عاد يرفع عينيه إليها بنظرة طويلة بدت وكأنها تعانقها ..

تغمرها بهذا الفيض الآسر الذي لم تعرفه إلا معه ..

لم تشعر بأنامله التي امتدت بخفة تمسح دموعها للمرة التي لا تعرف عددها ..





لم تشعر بكفه الذي احتضن كفه ثم ألصقه بصدره ..

لم تشعر حتى بشفتيه اللتين انحنى بهما رأسه ليقبل ظاهر كفها فوق موضع قلبه ..

كل حواسها تعطلت إلا من سماع همسه الآسر وقتها :

_اتنين بس يستاهلوا أضحي بحياتي عشانهم ..همسة ..وأنتِ!

كان وسيظل أجمل وأقوى اعتراف بالحب سمعته ..

لقد تساءلت طويلاً كيف سيعبر رجل مثله عن الحب..

كيف سيختار كلماته ..

وهاهو ذا لم يخذلها !!

وأخيراً عاد إليها إدراكها لتسحب كفها منه بسرعة وهي تستعيد شعورها بالزمان والمكان ..





قبل أن تراه يبتعد بخطوات شبه راكضة لتهم باللحاق به لولا أن أوقفها رائد ب"قناعه المعدني" الذي لايزال يحافظ عليه باستماتة :

_ما تقلقيش ..كله تحت السيطرة .

ترفع عينيها إليها بشك والقلق يحفر أخاديده فوق ملامحها ..

لكنه يتلقى اتصالاً يجعله يبتعد قليلاً ليستمع قبل أن تلتمع عيناه بترقب ..

قبل أن يغادرها هو الآخر بخطوات شبه راكضة نحو سيارة قريبة مع بضعة حراس ..

تهز رأسها بعجز محاولة مقاومة هذه الوخزة في صدرها ..

ثم ترفع رأسها للسماء بدعاء خاشع ..

هنا تتذكر ثمر فتتناول هاتفها لتتمالك نفسها متحكمة في نبرة صوتها ولم يكد يصلها صوت ثمر





الحاني بعد تحية تقليدية حتى بادرتها بقولها الراجي :

_ادعيلي يا ستي ..ادعيلي ربنا يطمن قلبي .

صمت ثمر بعدها يفضح قلقها الذي عبرت عنه بسؤال صريح ..لتتردد ياقوت قليلاً قبل أن تخبرها بما حدث باقتضاب فتصمت ثمر بعدها للحظات سبقت سؤالها:

_غريبة ..مش دي أخته اللي كان حابسها في أوضة بره بيته ومستعر منها ..دلوقت رايح يفديها بروحه ؟!

_هو مش وحش يا ستي ..والله قلبه طيب ..ادعيله يرجع بيهم سالمين ..

صوتها يتهدج بعدها ببكاء عجزت عن كتمه لتصلها تنهيدة ثمر قبل صوتها القلق المختلط بحزمه :

_ربنا يرد كل حي ل"أهله" بالسلامة .





ضغطت حروف "أهله" هذه بحركة ذات مغزى كأنما تنبه ياقوت من جديد لحقيقة وضعها منه ..

فعضت ياقوت شفتها بقوة وهي تتحسس موضع قرطه خلف حجابها ..

ترفع أناملها التي لا تزال تحمل مذاق شفتيه نحو عينيها بشعور رهيب بالانتماء ..

لو لم تكن هي "أهله"..فمن ؟!

لكن إحساسها بالذنب يطغى أخيراً على كل هذا وهي تعود لتخفي عن ثمر من جديد متاهة شعورها به ..

صوت دعاء ثمر الخاشع يصلها أخيراً ليهدهد مخاوفها وهي ترفع رأسها معه للسماء من جديد ..

وقلبها يخفق بدعوة دعوة واحدة ..

أن يعود سالماً ..ومعه الرهينتان !

=========

_إزاي طاوعتك ورجعنا البيت من غيرها ؟!





تهتف بها ياسمين وسط دموع انهيارها بينما يامن يسند رأسها إلى كتفه حتى أجلسها فوق الأريكة في صالة بيتهما ..

هناك حيث جمعهم المصاب جميعاً ليتبادلوا نظرات مشفقة قلقة بينما يامن يطمئنها بقوله :

_رائد معايا خطوة بخطوة ع التليفون ..ماتخافيش ..هو مطمن جداً إنهم كويسين وهيرجعوا .

_ما بتعرفش تكدب يا طيب .

ينهمر معها المزيد من دموعها فيضمها لصدره مبتلعاً غصة حلقه مع جوابه :

_هترجع يا ياسمين ..مش معقول بعد كل ده نتحرم منها كده .

ربت مروان على كتفه بمؤازرة وهو أكثر من يشعر بما يعانيه يامن ..





ليس فقط فقدانه الصغيرة لكنه إحساسه أنه انتقام الله منه على تفريطه في ابنه الراحل من سيلين ...

بينما عاد البقية يتبادلون نظرات بائسة ليكون عابد أول من يقطع الصمت بقوله :

_هيا نصلي معاً ونكثف الدعاء ..توضأوا وأنا سأؤمكم .

اصطفوا خلفه بعد دقائق عدا ياسمين التي جلست مكانها تراقبهم بنظرات زائغة ثم ترفع رأسها للسماء بالدعاء ..

ليؤمهم بصوته الخاشع وكل منهم يغيب في عالمه الخاص مع ربه يناجيه ..

يامن الذي عاد سلطان وساوسه يحاول بسط نفوذه على روحه ..





يوسوس له بعدم القبول ..بغلبة سوء الظن بنفسه على حسن ظنه بربه ..

فيستسلم له للحظات بقنوط قبل أن يعود لمقاومته بكل ما أوتي من قوة ..

لن يعود لهذا الطريق ..لن يعود !!

_اللهم عاملني بما أنت أهله ..وليس بما أنا أهله ..

يكررها في دعائه دون ملل حتى يشعر بغلبة حسن ظنه بالله على ما سواه !!

نبيلة التي أجهشت بالبكاء كما لم تفعل من قبل ..لاتزال رائحة الصغيرة عالقة بأنفها ..لاتزال فرحتها الطاغية بها تظلل روحها بعد مصابها في حفيدها السابق ..





_يارب ..اقبلني على ذنوبي ..سامحني لو مش حافظة حاجة أدعي بيها ..بس انت أعلم بقلبي ..تبت يارب ..عهد عليّ ما أرجعش لأي حاجة تغضبك ..بس رجع ليامن بنته ..رجع لنا روحنا يارب ..انت عالم روحنا فيها ..

كلماتها على بساطتها كانت تقرع صدرها بعنف في سجودها ..لتستشعر "لذة التائب العائد" التي يحكون عنها ..

ظلمة إغلاق عينيها في السجود يتخللها نور لا تدري مبعثه ..إنما تدرك أثره في قبول ترتجيه..

عابد الذي كثف دعاءه بأفضل ما رأى :

_اللهم إني أسألك بحق أتقى عمل في صحيفتي ألهمتني فيه الإخلاص حتى تقبلته مني أن ترد لنا ضالتنا...يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع عليّ ضالتي ..





مروان ورامز وأشرف كانوا كذلك يلهجون بالدعاء وخلفهن نساؤهن وقد وحدت الأزمة صفهم كعائلة ..

يسلم عابد من صلاته فيسلمون خلفه قبل أن يعاود كل منهم تضرعه الصامت ..

صوت رنين هاتف يامن يصدح أخيراً ليتلقفه بلهفة وقد تعرف رقم رائد ثم يفتح الاتصال ..

======

_مش قلنا مش هنبلغ البوليس؟!

يهمس بها يامن في أذن رائد وهو يلتقي به أمام شقة رامي ملاحظاً الرجلين معه ليرد رائد همساً كذلك :

_أنا قلت كده لزين عشان انفعالاته تبقى طبيعية قدام الست اللي رايح يقابلها وماتشكش في حاجة ..لكن احنا معانا مساعدة من جهة أمنية عليا..رامي دلوقت تحت عينيهم خطوة بخطوة ..مستنيين بس غلطة منه تحطنا على أول




الطريق ...زين كمان تحت عينينا بس مش عايزين نتهور عشان مانسمحش بأي غلطة .

رمقه يامن بنظرة داهشة لم تخلُ من تقدير وهو يشعر نحوه بإعجاب خفي ..

رباطة جأشه رغم مصابه تبهره خاصة وهو يبدو وكأنما يتحرك كآلة لا هدف لها سوى إنقاذ همسة وابنته هو ..

تماماً كما فعل الآن وهو يتحرك نحو صالة الشقة التي اقتحموها بهدوء ليتفحص هو محتوياتها باهتمام لعله يصل لأي أثر ..

حاسوبه المحمول هناك يقترب منه يحاول فتحه ..

_ليه كلمة سر ..اتصرفوا .





يقولها لأحد مرافقيه الذي جلس أمام الحاسوب،يحاول اختراقه حتى نجح أخيراً ..

فحرّكه رائد نحوه ليتفحص محتوياته باهتمام ..

حتى توقف بصره أمام أحد الملفات المرسلة حديثاً ..

فتحه بسرعة لتضيق عيناه بتركيز وهو يتبين تفاصيله ..

هذا إذن ما يفسر خسارات شركتهم المتوالية حديثاً !!

_فيه وسطنا خاين في الشركة بيبعتله التفاصيل دي .

يهتف بها أخيراً وهو يرفع رأسه قبل أن يعمل عقله بسرعة محاولاً حصر شكوكه في بضعة أفراد ..

لكن المعلومات المرسلة ببياناتها لم تبقِ في خانة شكوكه إلا اسم واحد ..





"السكرتيرة"!

=========

_رائد بيه .

تهتف بها بدهشة وهي تستقبله في منزلها -الذي تقيم فيه وحدها- لأول مرة ..

ليرد بابتسامة باردة عبر قناعه المعدني :

_ممكن أدخل؟!

_طبعاً ..طبعاً ..اتفضل !

تقولها وهي تفسح له الطريق لتغلق الباب خلفه ولم تكد تفعل حتى فوجئت بقبضته تعتصر عنقها لتلصق ظهرها بالحائط خلفها فشهقت برعب صارخة :

_فيه إيه ؟!

_وطي صوتك ومن غير كلام كتير ..همسة فين ؟!

يقولها بهذه النبرة الباردة التي اشتركت مع نظرته القاسية لتصنع مزيجاً مرعباً في عينيها ..





_ماعرفش حاجة والله ..إزاي تشك إني ..آه !

عبارتها تختنق كأنفاسها وهو يشدد ضغط قبضته على رقبتها أكثر ..

_مابكرهش أد الغباء ..طالما وصلتلك يبقى متأكد إنك وراها ..ماتضيعيش وقتي ..مع همسة بالذات ماليش خطوط حمرا لأي حد .

دموعها تنهمر غزيرة مع ألم ضغطه المتزايد على عنقها وأنفاسها تصل حد الحشرجة لتهتف أخيراً:

_هاقول بس توعدني تحميني .

ضاقت عيناه بقسوة أكثر للحظات قبل أن يحرر رقبتها لتلهث هي بعنف محاولة تلقف أنفاسها قبل أن تنهمر كلماتها ملطخة بدموعها :




_مكنتش أعرف إن الموضوع هيوصل لكده ..هي فهمتني إنها عايزة تنتقم منه وتخسره شغله وبس ..

_هي مين؟!

_ماعرفش اسمها ..بس هي واحدة كان يعرفها زين بيه وواضح إنها بتحبه وهو غدر بيها ..

تقولها لاهثة الأنفاس عبر نظراتها المرتاعة ليعاود سؤالها بسرعة:

_وفين همسة والبنت الصغيرة ؟!

ترددت قليلاً وهي تتذكر تهديدات تلك المرأة لها لكنه عاد يعتصر رقبتها بعنف مفاجئ لتلهث هاتفة بانهيار:

_ماعرفش المكان بالضبط ..بس سمعت حد من رجالتهم بيتكلم على مخزن على طريق (....) الصحراوي ..بس فين بالضبط ماعرفش ..والله العظيم ده كل اللي اعرفه .





رمقها بنظرة متفحصة أخيرة ليدرك بخبرته أن هذه حقاً آخر حدود معلوماتها ..

فأطلقها من يده ليعاود فتح باب الباب الذي دخل منه رجاله ومرافقوه ليتحفظوا عليها..

_وصلت لإيه ؟!

يهتف بها يامن بلهفة جزعة ليخبره بالتطورات قبل أن يغادرا معاً نحو السيارة بالأسفل ..

ولم يكادا يفعلان حتى وصلت رائد مكالمة منتظرة تلقاها بعينين قلقتين ليلتفت نحو يامن قائلاً عبر قناعه المعدني:

_رامي راح دلوقت مخزن ع الطريق الصحراوي زي ما هي قالت ..زي ما توقعت ..الغبي اول ماطمن إن زين راح لها لوحده ابتدى يغلط ويتخلى عن حذره ..





قالها ليشغل مفتاح السيارة مشيراً إشارة خاصة للسيارتين خلفه كي تتبعانه ..

فانعقد حاجبا يامن بقوة ليقول عبر صوته المتحشرج:

_أدينا عرفنا المكان ..بس المهم نوصل في الوقت المناسب .

فحدجه رائد بنظرة جانبية ملتاعة ونفس الخاطر يراوده ..

التوقيت المناسب !

======

_يعني إيه مش هتدخلني؟!

يهتف بها رامي بغطرسة أمام أحد الحراس الواقفين أمام الغرفة الجانبية المحتجزة فيها الرهينتين في المخزن ..

ليجيبه الحارس ببرود :




_دي أوامر الهانم ..محدش ييجي ناحيتهم .

_بس أنا ..

يهتف بها رامي بانفعال ليقاطعه الرجل بنفس البرود :

_ولا حتى سيادتك .

يرمقه رامي بنظرة ضائقة وهو يشعر بالغيظ ..

يود لو يرضي مزاجه السادي برؤية هاتين الضعيفتين في يده ..

يسترجع ما فعله زين به يوماً ويريد لو يرده له أضعافاً ..

خاصة مع الجميلة أخته هذه والتي تبدو كقطعة بسكويت هشة ناعمة سيسعده كثيراً أن يحطمها !

لكن هاهي ذي المرأة الغريبة قد أصدرت أوامرها ألا يقترب منهما كأنها كانت تعلم نواياه ..

من يراها وهي تستجيب لطقوسه الشاذة في الفراش لا يصدق هذا الوجه الآخر المسيطر لها ..





ترى ما الذي تفعله بزين وهو وحده معها الآن ؟!

ابتسامة متشفية ترتسم على شفتيه وتمنحه الجواب ..

لن يخرج من لقائها حياً !!

خواطره تنقطع وقد بدا وكأن المكان قد تحول لقطعة من الجحيم فجأة بهذا الوابل من الرصاص خلفه فيندفع جانباً بسرعة ليختبئ خلف أحد الصناديق الضخمة لتميز عيناه برعب هذا الجمع من الرجال الذين اقتحموا المخزن بسرعة احترافية ..

عيناه تشتعلان بغضب وهو يشعر بقرب سقوطه لكن تحرك الحارس للغرفة أرضاه بهتافه لرفقائه:

_الأوامر نقتلهم سوا لو حد اتدخل !




يبتسم بتشفٍّ وهو يراه يتجاهل إطلاق النار المتبادل بين رفقائه والمقتحمين ليفتح الغرفة موقناً مما سيحدث ..

لو سقط فلن يسقط وحده ..

زين وياسمين سيذوقان مرارة الخسران معه ..

بل بأفدح منه !!

لهذا انكمش أكثر في مكانه لتبدو له نافذة جانبية منزوية يدرك أين ستوصله ..

هذه التي تحرك نحوها بخفة خلف الصناديق مستتراً عن الجحيم الدائر حوله ..

قبل أن ينجح بخفة في القفز عبرها نحو الخارج !

يطلق زفرة ارتياح امتزجت بالكثير من الترقب وهو يتحرك بخفة لينحني ويتحرك زاحفاً على ركبتيه محاولاً الابتعاد عن المكان ..ليفاجأ بقدمي رجل تواجهانه !





_اقف!

يهتف بها أحد الرجال من فريق رائد لكنه يتناول عصا قريبة بسرعة ليعرقل بها قدميه فيسقط جواره قبل أن يهب هو واقفاً ليركض هارباّ..

صوت الرصاص خلفه يلاحقه لكنه يتخذ مساراً منحنياً كي يصعب التصويب عليه قبل أن يلمح سيارته التي فتحها بسرعة ليقفز فيها وينطلق بها بسرعة هارباً ..

زفرة مشتعلة تغادر صدره وهو يشعر بالغضب ..

هذه اللعينة لم تكن بارعة تماماً كما أوهمته ..

هاهو ذا الداهية رائد يصل لمكان همسة ..

لكن لا بأس ..

لن يجدها حية ..هذا هو عزاؤه على أي حال!!

أما هو فسيهرب ..




سيترك هذا البلد بأسره ..

لقد كان يعد العدة لهذا منذ وقت قريب وقد آن أوان التنفيذ !!

يفتح تابلوه السيارة المجاور يطمئن لوجود جواز سفره قبل أن يتلفت خلفه مطمئناً أن لم يتبعه أحد ..

ابتسامة ارتياح ترتسم على شفتيه الخبيثتين للحظة قبل أن تتحول لنظرة رعب وهو يعود ببصره نحو الأمام ليصطدم بالسيارة التي تواجهه في الجانب المقابل بحمولتها من أسياخ الحديد ..

يحاول ضغط مكابح سيارته بسرعة لكن ..

فات الأوان !!

صوت الاصطدام الضخم يدوي في أذنيه قبل أن تخفت أنفاسه للأبد ..





بمشهد يقسم من يراه أن لم يرَ أبشع منه ..

أسياخ الحديد اخترقت جسده بقوة الاصطدام لتعبر من الجانب الآخر ..

الشهود يتجمعون حول مشهد الجثة المهيب وهم يخبطون أكفهم ببعضها ..

بينما السؤال يحلق حول الرؤوس ..

ماذا فعل هذا الرجل كي يستحق ميتة بشعة كهذه ؟!!

=======

_ما تخافيش ..ما تخافيش !

تهتف بها همسة وهي تحتضن يمنى بين ذراعيها تحت الفراش الذي اضطرت للاختباء تحته عندما سمعت صوت إطلاق النار بالخارج ..

تحمد الله أنه مفتوح الجانبين من الأسفل وإلا لما سمحت لها عقدتها بالمكوث هناك ..





تكتم أنين خوفها وهي تضم الصغيرة الساكنة تهدهدها لتشهق برعب عندما سمعت صوت الباب يفتح ..

ترى عبر مكانها قدمي الرجل تقتربان من الفراش فتكتم صرختها بقوة لكن الصغيرة بدأت في البكاء لتنخرط هي الأخرى فيه ..

لكنها بقيت تهدهد الصغيرة وقد شعرت أن هذا الكيان الضئيل يحتاجها هي ..

وأنها وحدها من بقيت لتحميها ..

هذا الذي وجد أثره فيها لتعاود الهمس للصغيرة :

_ما تخافيش ..ما تخافيش ..

ترى قدمين آخرين يقفزان عبر الغرفة لتشعر بالحارس يتقهقر للخلف بينما يصرخ بألم ..

هل جاءت نجدة ؟!




هنا تجد الجرأة لتمد رأسها قليلاً وما كادت تتبين ملامح رائد حتى أفلتت منها صرخة عالية لم تملكها ..

نداهة عالمها القاهرة تعاود سحبها لهذا العالم من جديد ..

لكن بكاء الصغيرة بين ذراعيها كان يدعوها للتشبث أكثر بهذا العالم ..

لن تتركها وحدها مثلما تركوها هي صغيرة !!

صرخاتها العالية تتباعد وهي تخوض صراعاً عظيماً بين عالمين يتنازعانها الآن بضراوة ..

لكنها عبر كل هذا تفتح عينيها لترى رائد من جديد ..

بنظرة أخرى هذه المرة ..

نظرتها لبطل ينقذها !!

تراه وهو يصارع الحارس ليخبطه بمسدسه على جانب فكه فيسقطه قبل أن يجثم فوقه بثقل جسده





ليكيل له اللكمات قبل أن ينتزعه يامن من مكانه صارخاً :

_كفاية كده هيموت في إيدك .

يقولها وقد أدهشه انفعال رائد المفاجئ هذا بعد طول تشبثه بقناعه المعدني ..

لا يعرف أن رائد فقد كل صوابه عندما سمع صوت صراخ همسة منذ لحظات مدركاً السبب ..

إنها رأته هو!!

هو أدرك منذ اللحظة الأولى أنها مختبئة تحت الفراش ..

تماماً كما يدرك على أي حال سيجدها بعد أن رأت ملامحه !!

جسده كله يفور بتلك الرغبة البدائية في القتل وهو يفرغ ثورته كاملة في جسد الرجل تحته لكن يامن ينجح في إيقافه بعدما فقد الحارس وعيه ليقفز يامن بخفة بعدها فينحني على ركبتيه تحت الفراش وصوت بكاء الصغيرة يكاد يوقف قلبه ..





ترفع همسة عينيها إليه بخوف لكنه يتفهمه مع حالتها ليقول عبر أنفاسه اللاهثة :

_ماتخافيش ..هاتيها ..أنا باباها .

ترمقه همسة بنظرة أخرى خائفة قبل أن تناوله الصغيرة لتغادر مكانها تحت الفراش ..

ولم يكد يامن يتناولها منها حتى تفحصها ببصره بسرعة كي يطمئن على سلامتها ثم ضمها لصدره بقوة مغمضاً عينيه ..

قبل أن يرفع عينيه نحو الأعلى بوضع الدعاء :

_كنت عارف يارب انك كريم قوي .

يهمس بها سراً داحضاً بها كل أثر لوساوسه القديمة التي طالما نالت منه ..





الآن يغلب "حسن ظنه" بربه كل شيء!

قبل أن يتناول هاتفه بسرعة كي يطمئن ياسمين :

_رجعت ..معايا ..في حضني ..والله في حضني .

يصرخ بها بفرحة طاغية وهو يسمع بكاءها من الجانب الآخر للاتصال ليعلو بكاء الصغيرة من جديد جواره فيهتف لياسمين عبر الهاتف :

_سامعة ..أهه ..كويسة ..كويسة جداً .

يقولها ليخرج أخيراً بسرعة مختلساً نظرة جانبية نحو رائد وقد آثر ترك مساحة من الخصوصية له ..

فيما وقفت همسة مكانها بصرخاتها القصيرة التي عجزت عن التحكم فيها وهي تقبض كفيها حول شفتيها ..




ليهرع نحوها رائد يعتصرها بين ذراعيه بقوة انفعال الساعات الماضية ..

القناع المتماسك يتشقق عنه فينهار على ركبتيه أخيراً وهو يسقط معها لكنه يتشبث بها بكل قوته سامحاً لكل انفعالاته بالتحرر ..

تشعر بدمعه يكوي وجنتها الملتصقة بوجنته مع همسه المتهدج عبر أنفاسه المتلاحقة :

_ما تصرخيش ..مش هاخلليكي تشوفيني تاني ..بس ماتصرخيش .

تحاول رفع رأسها نحوه لكنه يثبته بقوة على صدره هامساً بذات النبرة المختنقة :

_شوية بس يا حبيبتي ..آخد نفسي ..

يقولها عبر أنفاسها التي تلاحقت حد الألم لينتبه وقتها فقط أنها لم تتشنج فاقدة وعيها كعهدها كلما تراه ..

صرخاتها قصيرة متقطعة لا طويلة متتابعة كالسابق ..





فهل يعني هذا شيئاّ؟!

يمد أنامله المرتجفة نحو جيبه محضراً عصابة عينيها التي جهزها قبل مجيئه ..

_غمضي عينك ..

يهمس بها عبر أنفاسه اللاهثة وهو يخفف ضغط كفه فوق رأسها على صدره ..

يبتعد قليلاً بوجهه والرعب الممتزج بالترقب يجعل شعيرات جسده تنتصب انفعالاً ليبصرها أخيراً مغمضة العينين وقد هدأت صرخاتها ..

فيطلق زفرة ارتياح وهو يرفع العصابة نحو عينيها لكنها تفتحهما فجأة لتلتقي نظراتهما عبر هذا القرب !!





جسده ينتفض بلوعة متهيئاّ للمزيد من الصرخات ..

لكن شفتيها بقيتا منطبقتين ..

نظراتها نحوه بدت وكأنها تمر بمحطات عمريهما واحدة واحدة ..

بداية بالانبهار الطفولي ..

الارتياح..الأنس ..الإعجاب ..الحب ..الاحتياج ..

الاستغاثة ..الخذلان ..العتاب ..

ثم العتاب ..ثم العتاب ..

وآه من هذه الأخيرة التي ذبحته بقسوتها !!

_انتِ ..شايفاني؟!

يهمس بها عبر صوته المبحوح وهو لا يصدق أنه يعانق نظراتها أخيراً دون حواجز ..

دون صراخ ..





حدقتاها الحبيبتان تتمايلان يمنة ويسرة ..تحتلان العالم كله حوله فلا يرى سواهما ..

_شايفاني؟!

يكررها بنفس البحة التي تبدو وكأنه سيلفظ روحه خلفها ..

فتومئ برأسها ولاتزال نظراتها عالقة به ..

_عارفاني ؟! أنا ..

_رائد !

تكملها له هي وهي تعاود دفن رأسها في صدره فيتأوه بقوة وهو ينحني برأسه فوقها يدفن وجهه في عنقها ..

ذراعاه يتحركان على طول ظهرها يلصقها به أكثر كأنما يود لو يخفيها بين ضلوعه ..





يحاول النطق بأي شيء لكنه يعجز إلا عن تأوهاته المختنقة وهو غارق في هذا العناق حتى النخاع ..

لقد عادت ..

ملاك عالمه رجع ..

ليس معصوب العينين هذه المرة ..

إنما تراه ويراها ..

الخاطرالأخير يبدو له كالهذيان فيعاود رفع ذقنها نحوه لتلتقي عيناهما من جديد ..

فيبتسم وهو يميل على عينيها يقبلهما بعمق قبل أن يأخذ نفساً عميقاً يتمالك به نفسه ليهمس لها أخيراً :

_أنا رائد اللي عمره ما حب ولا هيحب غيرك ..اللي كان مستعد يدفع حياته كلها عشان ترجعي تشوفيه ويشوفك ..بصيلي يا همسة ..بصيلي
قوي ..وحشني قوي أشوف عينيكي قريبين كده ..





لكنها تغمض عينيها بقوة لتتهمر دموعها بعدها وقد عادت إليها ذكرياتها كاملة ..

بتلك الليلة التي خذلها فيها ليرتبط بغيرها ..

بوصفه لها بالجنون ..

وبصراخه أنه لا يريدها ..

لكنه يدرك بحدسه ما يدور بذهنها فيتمالك نفسه ليقف أخيراً ويوقفها معه ..

_هنتكلم ونتعاتب وهاقبل منك أي عقاب ..المهم نبقى سوا ..

يهمس بها وهو ممزق بين فرحته بعودتها وبين خوفه من العتاب الصارخ في عينيها ..

لكنه يتلفت حوله ليجد أحد الضباط يشير له إشارة خاصة بضرورة خروجهما ..





فيسير بها يضمها لكتفه بكلي ذراعيه وهو يشعر أن وزراً ثقيلاً قد سقط عن كاهله ..

همسة عادت ..

وبقي فقط أن يعود قلبها ليثق به بعد زلته !

======

يصعد زين الدرج نحو الشقة التي وصفتها له بهذه البناية المنعزلة والتي بدت له كمنفى ..

عيناه تضيقان كثيراً وهو يميز باب الشقة لكنه لم يحمل له أي ذكريات ..

مَن هذه التي ظهرت فجأة من الماضي بسيفها الغادر ؟!

أي طريدة كانت من ضحاياه ؟!

موج هادر من ندم يجتاحه وهو يود في هذه اللحظة لو لم يملك ماضياً كهذا ..

لو لم تتحكم فيه عقدته القديمة إلى هذا الحد ..

تتردد أنامله قليلاً قبل أن يطرق الباب ..





ترى كيف حال همسة والرضيعة الآن ؟!

وإلى ماذا وصل رائد ؟!

لا هاتف معه ..

هكذا كانت أوامرها له في الاتصال الأخير !!

يُفتح الباب أخيراً ليرفع عينيه بترقب نحوها ..
فيصطدم أول ما يصطدم بابتسامتها القاسية شديدة الشراسة وهي تفتح له ذراعها على طوله ..

_أهلاً بالصياد !

يغرس نظراته الحانقة في عينيها وهو يدلف إلى الداخل لتتسع ابتسامتها الشرسة وهي تغلق الباب خلفه بالمفتاح قبل أن تتحرك لتقذفه من النافذة ..





ينعقد حاجباه بقوة من مغزى حركتها لكنها تضحك ضحكة عالية غير متزنة وهي تلوح بذراعيها هاتفة :

_محدش فينا هيخرج من هنا ..

ثم غمزته بحركة كانت لتبدو شديدة العبث لولا هذا الموقف الغريب الذي هما فيه :

_أنا وانت ..وبس ..إلى مالا نهاية !

ينعقد حاجباه أكثر وهو يحاول تذكر هذه الملامح ..

شعرها الغجري الثائر بلونه المصبوغ ..

عيناها المكحلتان بإفراط ..

شفتاها المزينتان بطلاء ذهبي لامع يمنح طلتها المزيد من الشراسة خاصة مع هذه الظلال الدخانية السوداء حول عينيها ..

وأخيراً ..ثوبها شديد القصر الذي بالكاد يغطي مفاتنها ولا ترتدي سواه !!





_شكلك مش فاكرني ..وهتحتاج أفكرك !

تقولها بهذه النبرة الشرسة التي خالطها الآن طيف من المرارة ..

لكنه يتمالك نفسه ليقول بنبرته المهيمنة :

_قبل أي حاجة ..همسة ويمنى يرجعوا ..وبعدها هاعمللك اللي انتِ عايزاه ..

ضحكتها العصبية العالية تقاطع عبارته وتستمر للحظات كاد يفقد فيها أعصابه ..

لكنه حافظ على برود ملامحه بينما تقدمت هي منه بخطوات بطيئة :

_مش تقعد الأول؟!

قالتها وهي تجذب له كرسياً خاصاً ذا ظهر طويل فعاد ليرمقها بنظرة طويلة متفحصة قبل أن يجلس ..





هنا تحركت هي بخفة تدور حوله لتتناول ما رفعته أمام عينيه ..

وارتجفت له روحه بقسوة ..

"أساور معدنية"!!

_تسمح لي؟!

تهمس بها بإغواء وهي تنحني بجذعها مقتربة منه ليشيح بوجهه عنها باشمئزاز أثارها لتعاود الاستقامة بجسدها قائلة بصرامة شرسة مفاجئة :

_اقلع قميصك !

احمر وجهه بغضب وهو يقبض كفيه جواره ..

يكاد يقسم أن هذه المرأة أمامه ليست متزنة ..

لكن ..ما حيلته ؟!

حياة همسة والرضيعة على المحك !!

_انت أذكى من إنك تعترض ..راجل سوق زيك عارف أكيد امتى يقبل الخسارة .

كز على أسنانه بغضب وكل كلمة قالتها تبدو وكأنها تجلده به ..

الخسارة !!

هذا العلقم الذي ملأ كأسه أخيراً ليتجرعه قطرة قطرة !!

لهذا لم يفكر كثيراً وهو يحل أزرار قميصه محاولاً فهم ما ترمي إليه بما تفعله ..

هل تنتوي تعذيبه ؟!!

ماذا لو باغتها الآن ليغلبها بقوة جسده مجبراً إياها على البوح بما تعلمه ؟!!

لكن يبدو أنها قرأت أفكاره عندما تحركت لتتناول جهازاً لاسلكياً ما رفعته أمام وجهه :




_بياخدوا مني إشارة بكلمة سر كل ساعة ..لو ما وصلتلهمش في معادها ..هيقتلوهم الاتنين ..نصيحة بلاش تغامر !

عاد يكز على أسنانه بغضب وهو يلقي قميصه جانباً لتقترب هي منه بخطوات بطيئة قاتلة قبل أن تقيد معصميه خلف ظهره لتهمس جوار أذنه :

_كده بقا ممكن نتعرف ..عارفة إنك عايز تفتكرني ..

أدار وجهه نحوها بسرعة لتلتقي عيناهما على هذا القرب ..

فيلمح عبر شراسة نظراتها هذه المرارة الممتزجة بالألم ..

هل آذاها إلى هذا الحد ؟!

ولا يذكر أيضاً ؟!

إلى هذا الحد كان بشعاً ؟!!





لكنها الآن كانت أكثر بشاعة وهي تفاجئه بتقييد قدميه كذلك إلى الكرسي قبل أن تستقيم بجسدها لاهثة الأنفاس :

_عظيم ..كده نبدأ الحفلة !

قطرات من عرق خفيف تتجمع على جبينه وهو يشعر بالإهانة التي لم يذقها رجل مثله من قبل ..

لكن هذا لم يكن أسوأ عذاباته ..

بل مزيج شعوره بالقلق والذنب!!

لهذا راقبها بتوجس وهو يراها تتحرك نحو المطبخ المقابل قبل أن يدرك مرادها وهو يراها تفتح مكابس الغاز!!

وجهه الشاحب لم يكن يخشى النهاية فقد كان يتوقع شيئاً كهذا منذ وافق على القدوم هنا ..





لكن قلبه سقط بين قدميه رعباً عندما وجدها تقترب أخيراً لترفع الجهاز اللاسلكي الذي لوحت به بإشارة ذات مغزى قبل أن تلقيه من النافذة التي أغلقتها بإحكام خلفها هاتفة :

_هنموت سوا ..بس الأقسى من إنك تموت إنك هتعيش الدقايق اللي فاضلة وانت مش عارف مصير أختك .

صرخة هائلة يطلقها وهو يحاول تخليص نفسه من قيوده ..

صرخة قابلتها هي بضحكة عالية مختلة جعلته يطلق عدة سبابات متوالية وتهديدات بدت هزلية في موقفه هذا ..

_كده بقا ممكن نتعرف ..فاكر دي ؟!





تقولها وهي تستخرج من جيب قميصها صورتها الأثيرة لتضعها أمام عينيه ..

بزي تخرجها اللامع..ابتسامتها البريئة ..حجابها المتحفظ ..عيناها المشعتان بالأمل وحب الحياة ..

هو الآن يذكرها ..

لكن أين تلك من هذه ؟!!

هذه التي تقف الآن أمامه كنار تحرق من حولها وتحترق قبلهم !!

هذه التي تشير الآن لجسدها شبه العاري لتقول بنبرة ميتة ..ميتة تماماً :

_فرق كبير ..صحيح ؟!!

يشيح بوجهه عنها وهو يشعر بدقات قلبه تتقافز حد الألم ..

حد الجنون ..





هل هناك أقسى من أن يواجه المرء مسخ ذنوبه وجهاً لوجه ؟!!

لكنها تحكم قبضتها على فكه لتدير وجهه نحوها هاتفة بشراسة عادت تجتاح كلماتها :

_ما تشوف يا صياد ..الفرق بين صورتين ممكن يعمل إيه !!

تقولها ثم تشير لجسدها الذي تغير لونه في بضع مواضع وحمل بعض الندوب في أخرى لتردف بنبرة شاردة غارقة في المزيد من الألم :

_بنت حلوة مؤدبة على أد حالها وقعت في طريقها ..شافت فيك الأمير اللي هيخطفها على حصانه ..صدقت كلامك وقالت
تقرب ..تجرب ..تخطف الحلم اللي مد لها دراعاته ..لكن الصياد مالوش عزيز ..والصيد عنه كيف ومزاج ..وساعة الجد فص ملح وداب ..ولما





جت ساعة العتاب قلتلي طمعانة فيك ..وإن اللي
زيي مقامها ليلة وورقة عرفي ..

يغمض عينيه بألم والتفاصيل الدقيقة التي لم
تذكرها تتوالى على ذهنه تباعاً ..

تجلده بسياط الندم ..

هل كان حقاً بهذه البشاعة ؟!!

مهلاً ..مهلاً ..

لايزال السيل يعلو أكثر وأكثر ..

_مشيت وسبتني وراك ..عيطت ليلة اتنين
تلاتة ..وقلت هانسى وهابدأ من جديد ..قلت باب
القلب ده نقفله وأفوق لأبويا اللي مالوش
غيري ..أفرحه الفرحة اللي عمري ما
هاعرفها ..ماعملتش حسابي إن السكينة اللي
غرستها انت في قلبي لسه ماإتشالتش ..لسه





C i n n a b o n

بذرتها كانت موجودة ..يوم عادي رحت فيه مشوار ..دخت ووقعت في الشارع ..أبويا جري ع المستشفى اللي نقلوني فيها ..وهناك سمع الخبر ..بنتك حامل يا حاج ..بس ..ماسمعش حاجة تانية بعدها ..قلبه وقف زي دنيتي بعدما خاب أمله فيا ..

حلقه يجف أكثر وهو يكاد يرجوها التوقف ..

أي وزر هذا الذي عاش يحمله طوال هذه السنوات دون أن يدري؟!

أي عقيدة غاشمة اعتنقها وهو يحترف صيد مالا يحل له ؟!!

وأي عقاب ينتظره بعد كل هذا ؟!!

رائحة الغاز تصله الآن بوضوح ليدرك قرب النهاية بينما تعاود هي الالتفات نحوه لتقول بنبرة عادت إليها شراستها :





_قتلت ابني بإيدي قبل ما يشوف الدنيا ..كان لازم أوصل وأبقى راسي براسك عشان أعرف أنتقم ..عملت كل حاجة ممكن تتعمل ..بعت اللي ماكانش حيلتي غيره ..انت حطيتني على أول طريق وأنا كملته للآخر ..وبقيت فيه أستاذة !

كلمتها الأخيرة تختلط بسعالها ورائحة الغاز تنال منها هي الأخرى ..

لكنها تشير أخيراً لندوب جسدها قائلة :

_كنت بصبر نفسي إن كل ضربة هاخدها بعدك هردهالك في يوم م الأيام ..كنت براقبك من بعيد لحد ما عرفت رامي ..سافل بس غبي ..هو اللي عرفني مداخلك وقاللي على أختك ..قاللي كمان على طليقته اللي كنت عايز تتجوزها ..اتفقنا سوا ..بس قبل ما أنفذ انتقامي كان لازم أدوقك الخوف ..أخنقك بيه ..عرفت مين كان بيضرب عليك نار بس من غير ما يقتلك ؟! مين دوقك طعم الموت قبل ما تشوفه بعينك ؟!





سعالها يزداد مع اشتداد رائحة الغاز فتضحك ضحكة مختتلة سبقت قولها:

_متعة! إحساسي بخوفك كان متعة ..بس خلاص تعبت ..تعبت وعايزة أرتاح يا صياد !

_آسف!

يقولها صادقاً عبر غلالة من ندم حقيقي لتضحك ضحكة ساخرة سبقت فيضاً من دموع رافق صراخها بعدها:

_آسف؟! آسف دي هترجع لي أبويا؟! شرفي؟! عمري؟! هترجعلي نفسي؟!

يغمض عينيه بوجع كان يمزق الآن كل خلية من جسده خاصة وضحكاتها المختتلة تعاود شق سمعه :





_مابقيتش فقيرة وطمعانة ..عارف بقى عندي أد إيه ؟! عارف تليفون مني ممكن يوصلني لفين ؟! الروس اتساوت يا صياد ..والطريق كان صعب قوي بس ..سهل قوي!!

يحاول فتح عينيه لكنه يعجز عن فعلها ..

ما عاد قادراً على مجابهة هذا المسخ الذي صنعته يداه ..

الوحش الذي أطلقه هو من عقاله ..

طيف شاحب لياقوت يداعب خياله فيحمد لنفسه أنه لم يؤذها كما فعل بمن سبقتها ..

على الأقل خرجت هي من عالمه ناجية !!

صرخة عنيفة يطلقها وهو يشعر بلسعة سوط مفاجئة على صدره !!

هذه التي أجبرته أن يفتح عينيه ليجدها أمامه تمسك السوط بقبضتها المرتجفة وصوتها يتقطع بسعاله :





_عايزة آخر حاجة أسمعها ..قبل ما نموت ..صوتك وانت بتصرخ ..صرّخ قوي ..علي صوتك ..يمكن النار اللي في قلبي تبرد !

كلماتها تنتهي بضربة أخرى ..ثم أخرى ..

لكنه تحكم في صرخاته لتنفجر شظاياها بداخله ..

تنسف جبال غروره واحداً تلو الآخر ..

أنفاسه تختنق بهذه الرائحة التي تحمل نكهة الموت فيسعل بدوره مدركاً قرب النهاية ..

ليشعر بها أخيراً تترنح فيرفع وجهه نحوها ليتهاوى جسدها أمام عينيه ..

يراها من علوّ ترفع عينيها الشاحبتين وقد ظللتهما غمامة الموت ..

تبتسم وكأنها ترى أحدهم وتحادثه بما بدا كالهذيان :





_خدت تارنا يابا ..راضي عني ؟! مش عايزة أقابلك وانت زعلان !!

ابتسامتها تذبل كعينيها اللتين أغمضتهما أخيراٌ بينما تقبض بكفها على السوط كأنما تعلن اختيارها النهائي الذي دفعت ثمنه ..الانتقام !!

يشعر بقبضة باردة تعتصر قلبه وأنفاسه هو الآخر تتلاحق بجنون ..

كان يتوقعِ أنه لن يخرج من هنا حياٌ لكنها قتلته حقاً قبل أن يموت!!

قتلته بهذه الصورة التي منحتها له في مرآة ضميره ..

وليتها لم يفعل !!

رأسه يتثاقل وهو يشعر أنه يجاهد لالتقاط أنفاسه ..





لكن عذابه الحقيقي هاهنا كان في تمزقه بين صورة هذه التي لفظت أنفاسها أمامه ..

وبين قلقه على همسة ويمنى أن يحملهما ذنبه لنفس المصير !!

المرئيات تتشوش في عينيه ليوقن أكثر من قرب النهاية ..

ياقوت ..

يهمس باسمها متذكراً آخر قبلة طبعها على أناملها ..

أسطورته التي ود لو يعيش حتى يكتب لها المزيد من الحكايات ..

صوت طرقات عنيفة على الباب يجتاح سمعه لكنه لا يجد القوة ليصرخ ..





يشعر بمن يقتحم المكان لكنه يغرق في نوبة أخرى من السعال قبل أن يميز عبر غيابات ذهنه وجه رائد ينحني فوقه بجزع ..

تساؤله القلق يقفز عبر مقلتيه ولا يملك النطق به لكن رائد يمنحه نظرة مطمئنة وهو يفك قيد معصميه ..

ليتهاوى رأسه فوق صدره مستسلماً لغيبوبة إجبارية يدرك أنه -لو أفاق- منها فلن يعود أبداً كما كان ..

الصياد كفر بعقيدته ويطلب اعتناق أخرى بعد تطهير ..

الآن فقط نسفت جباله حوله كاملة لتذروها الرياح هباء منثوراً ..

======





القطعة العشرون

==========

_أنّا!

تهتف بها غادة بلهفة وهي ترتمي في حضنها بينما عيناها تعانقان نور الحرية من جديد ..

لقد تحررت!!

ليس فقط من السجن ..

ليس فقط من الظلم ..

بل من كل أوزار الماضي التي عاشت عمراً ترزح تحت أثقالها !!

قبلات إيناس تمتزج بدموعها وهي تضمها بقوة هاتفة :

_دعوة وقبلها ربنا ..ان بنتي ترجعلي وماتحرمش منها أبداً !!





لم تستطع غادة منع فيض دموعها هي الأخرى
بينما علاء يهتف بدوره بمزاحه المعهود :

_كفاية بقا أبوس إيديكم ..احنا عيطنا لعشر سنين
قدام ..البنت زمانها خارجة رجليها مش
شايلاها ..ياللا بينا .

ترفع إليه غادة عينين ممتنتين قبل أن تدورا حولها
بتساؤل صامت قرأه علاء ليغمزها قائلاً :

_سيف بيخلص شوية إجراءات
وهايحصلنا ..ماليش خلق أنا ع الروتين بتاع هنا .

_حمداً لله ع السلامة يا دودا .

تهتف بها هانيا دامعة وهي تتلقفها بين ذراعيها
بدورها لتتنهد غادة بحرارة وهي تشعر أنها لم تكن
لتتغلب على أزمتها لولا وجودهم جميعاً جوارها ..

علاء ..إيناس ..هانيا ..رامز ..إسلام ..وسيف!!





سيف الذي كان يبدو لها في كل مرة تراه طيلة الأيام السابقة كشعلة نار لن تبرد حتى تستعيد براءتها ..

لن تنسى له أبداً أنه هو كان خلف استعادتها حريتها بشهادة تلك المرأة جارتهم والتي جاءت في وقتها تماماً ..

_كفّارة يا غادة ..السجن للجدعان !

هتف بها إسلام بمزاحه المعهود ليلكزه علاء في كتفه هاتفاً :

_اتلم يا ولد ..سيف لو سمعك هيلعب على وشك "إكس- أو"..غادة دلوقت تخصه !

والمرح في عبارته الأخيرة يختلط بالكثير من الارتياح الذي فاضت به ملامحه الحنون وعيناه





تمنحان غادة رسالة اطمئنان خاصة تلقتها بقلب مرتجف ..

"تخصه"؟!

"تخصه"!!

ما أجملها من كلمة ..وما أروعه من شعور !!

لهذا ابتسمت له شاردة وهي تتحرك معهم نحو السيارة القريبة ..

الأيام السابقة كانت أعظم محنة تعرضت لها بعد وفاة أحمد ..

لكن مشيئة القدر كانت أرحم بها وهي تجعلها تواجهها بقوتها المستحدثة ..

من يصدق أن غادة التي كانت يوماً على وشك الانتحار ..

هي نفسها غادة التي وقفت بهذه الصلابة في وجه مصاب عظيم كهذا ؟!





يفتح لها علاء باب السيارة لكن الهتاف يأتيها من خلفها ..

_خلليكي معايا أنا !

تسمعها بصوت سيف الذي لحق بهم أخيراً ..

لتلتفت نحوه ليس بوجهها فحسب ..بل بروحها كلها ..

"الحزن الأخرس" في حدقتيه يتلون الآن بطيف عشق هادر ..

بلهفة عارمة ..

وبابتسامة كفَته كل الكلام !!

كفه يعانق كفها بقوة رفيقة وهو ينسحب بها بعيداٌ عنهم ليتحرك معها نحو سيارته القريبة ..

عيناها ..

كنجمتين هجرتا العالم كله لتسكنا فقط عينيه !

وعيناه ..

كشاطئ بِكر يفتح ذراعيه ليتلقف سفينتها بعد طول غربة !

ولم تكد تستقل جواره سيارته ..وقبل حتى أن يشغلها كان كفه يعود ليتلقف كفها بنفس القوة ...

_تتجوزيني؟!

حمرة أذنيه وأنفه هذه المرة لم تحمل خجلاً كعهده بل تضرجت بالاشتياق..اللهفة ..الحب الذي فاضت به كل جوارحه عدا لسانه !

الدموع تملأ عينيها وهي تهز رأسها بانفعال فيميل عليها بوجهها ..يعانق نظراتها بعينين عاشقتين هامساً :





_يااااه ! ما تعرفيش عاين لك كلام أد إيه ..أبقى كداب لو قلتلك وحشتيني وأنا طول الأيام اللي فاتت عايش بيكي وليكي ..وأبقى برضه كداب لو قلتلك ما وحشتينيش وأنا مشتاق لكل حاجة فيكي ..عينيكي ..ابتسامتك ..كلامك ..روحك اللي من غير ما أحس لقيتها بتحضن روحي ..

ثم صمت لحظة يلتقط أنفاسه بعد سيل كلماته الذي خرج هادراً دون توقف ..ودون تخطيط ..

ليهمس لها أخيراً وهو يمد كفه الآخر ليطوق كفها هي بين راحتيه :

_بحبك يا غادة !

خفقات قلبها تدوي بجنون وصدرها يعلو ويهبط وكأنما خاضت لتوها سباق عدو طويل ..

لكن ..أو لم تفعل حقاً ؟!

كل هذه المحطات التي توقف بها قطار حياتها ..





كل هذه العثرات التي تلتها انتفاضات ..

كل هذا الفقد ..كل هذا الوجع ..كل هذه الوحدة ..

والآن يأتي هو بكلمة واحدة ليرجّ عالمها كله !!

كلمة واحدة لكنها من رجل مثله تعني الكثير ..

تعني ألف عمر جديد يفتح لها باباً خلف باب !!

لكن خاطراً ما جعلها تسأله بارتباك خلف غلالة دموعها :

_بس أنا مش فاهمة ..انت مش كنت هتتجوز قريبة آنجيل ؟!

ابتسامة مريرة تطوف بشفتيه معيدة ذكرى يمقتها لتتلون كلماته بأساها:

_مش بقوللك محتاج أتكلم معاكي كتير قوي ..بس مش دلوقت .





ترمقه بنظرة متسائلة لكن ابتسامته تتسع لتحمل لمحة مرح غريبة على طبعه المتحفظ وهو يسألها :

_عارفة مين كمان وحشتيه قوي ؟!

_مين ؟!

تسأله بترقب حائر ليترك كفها مجبراً قبل أن يغادر السيارة نحو حقيبتها الخلفية التي استخرج منها صندوقاً صغيراً عاد به إليها ليفتحه ..

_شيبوب!!

تهتف بها ضاحكة بفرحة عارمة وهي تحتضن الأرنب الصغير الذي كان يتشمم وجهها هو الآخر بلهفة وسط ضحكاتها العالية ..

هذه التي رفرف لها قلب سيف كعهده مع صوتها الرنان ليتمالك نفسه بصعوبة مانعاً نفسه من احتضانها ..





_جبته معايا وأنا راجع مخصوص من اسطنبول ..عمو علاء قاللي إنه صحته في النازل من يوم ما سافرتِ ..قلت أكيد هيبقى واحشك زي ماانتِ واحشاه .

_مش عارفة أقوللك إيه ...سيف ..انت ..انت ..

تهتف بها بين مزيج دموعها وضحكاتها العجيب ليقترب بوجهه من وجهها قائلاً بعينيه العميقتين اللتين تفعلان بها الأفاعيل:

_أنا إيه ؟!

وجنتاها تكادان تحترقان بخجلها لكن شقاوتها المعهودة تجعلها ترد له "سابق بضاعته" بعبث:

_انت "كويس" .."مريح" ..حاجة شبه كده .

ضحكته تجلجل عالية كما لم تسمعها من قبل بهذا الصفاء ..

شيء ما تستشعره بحدسها فيه قد تغير !!





كأنما هو الآخر تحرر من قيود ماضيه مثلها !!

ربما لهذا لم تتعجب رنة المرح في صوته بعدها :

_واضح إني نشرت الوباء ودي حاجة مش كويسة !

تبتسم وهي تمسد ظهر شيبوب المستكين في حضنها ..

وعيناها ترسلان وتتلقيان من عينيه ألف رسالة حب ..

هذه التي انقطعت برنين هاتفه برقم علاء ليفتحه فيصله صياح الرجل المرح:

_إيه يابني ..احنا تقريباً وصلنا ..خدت البنت ورحت فين يا عم الحبّيب ؟!

فاحمر أنفه وأذنيه كعهده وهو يرمق غادة بنظرة جانبية ليرد :

_معلش يا عمو ..الكلام خدنا ..دقايق وهاحصلكم .





قالها ليغلق الاتصال وهو يشغل السيارة لتهتف به غادة :

_هنروح فين ؟!

_عمو علاء أجّر شقة مفروشة قريبة من البيت مؤقتاً على ما نرجع اسطنبول .

يجيبها بنبرة حيادية وهو يحاول التركيز في الطريق لترد بارتياح :

_الحمد لله ..أصل هانيا كانت قالت لي إنها ..

قطعت عبارتها بخشية من إكمالها وقد تذكرت تحرجها من إخبار هانيا لها أنها ستعود معها للإقامة في بيتهم حيث صار يقيم علاء وإيناس بعد الأحداث الأخيرة ..

هذا الذي لم تكن تتقبله بطبيعة الحال لكنها لم تكن تجد بديلاً ..




بينما قرأ هو أفكارها ليلتفت نحوها بعينيه السخيتين بعطايا عشقه ..

قبل أن يحتضن كفها من جديد مردفاً بمزيج حنانه وحميته الرجولية :

_يوم ما تدخلي بيتي تاني مش هتبقي ضيفة ..هتبقي صاحبته !

الكلمات على بساطتها تزلزلها بعمق شعورهما معاٌ ..

لكن رومانسية اللحظة تنقطع بآهة يطلقها تبعتها ضحكة عالية منها ..

فقد أعلن شيبوب غيرته ب"عضّة" لكفه المحتضن لكفها !!

======

_الشيخ أبو إدريس بيقول إن الشيخ عابد عايز يزورنا .





تقولها ثمر وهي تفترش سجادة صلاتها في صالة بيتها لتهتف رابحة بينما تصفق بكفيها في جذل طفولي:

_جاي يخطبني ..كنت عارفة .

_اتهدي يا مطيورة ..هايخطبك من بيتي أنا ليه وحسّ أبوكي في الدنيا ؟!

هتفت بها ثمر بضحكة راضية ملأت ملامحها بشراً لتتبادل ياقوت مع لجين النظرات قبل أن تسألها الأولى بتوجس:

_يعني هو جاي عشان خطوبة فعلاً ؟!

_شكلها كده .

تقولها ثمر بمكر متلاعب وهي تتفحص ملامح ياقوت التي ازدادت تجهماً ..

هل فعلها يامن ؟!

هل سعى لتزويجها بأخ زوجته كي يصرف تفكيرها عن زين ؟!

زين ..زين!!





آهة كبيرة تطلقها روحها وهي تتذكر إلامَ صار حاله ..

لكن ثمر تقاطع أفكارها وهي تقول بابتسامة واسعة :

_جاي يخطب لجين .

_ليه ؟! ليه ؟! ما انا كنت قدامه ..ده ..ده شافني قبلها !!

تهتف بها رابحة بحماقتها المعهودة لتضحك ثمر منها ..

وترتخي ملامح ياقوت بارتياح وهي تشعر أنه كفاها هم الرفض ..

بينما تجمدت ملامح لجين للحظات قبل أن تقول بتلعثم :

_أنا ؟! يخطبني أنا؟!





ضحكت ثمر وهي تفتح لها ذراعيها لتجلس لجين فتعانقها بملامح مذهولة قبل أن تبتعد لتعاود سؤالها :

_متأكدة يا ستي إن الكلام عليا أنا ؟!

أومأت ثمر برأسها إيجاباً لترفعِ لجين بصرها نحو ياقوت التي رمقتها بنظرة مشفقة لم تخلُ من توجس ..

لن تخبرها أن يامن وياسمين يعلمان عن حقيقة مرضها ..

لكنها ستتيقن من الأمر بطريقتها ..

_مالك متاخدة كده ؟! هو انتِ قليلة ؟! انتِ تزيني أي بيت .

تقولها ثمر بفخر وهي تعاود ضم السمراء المندهشة لصدرها قبل أن تمسد شعرها الجميل متمتمة برقيتها المعهودة ..

لتشعر لجين بخفقات قلبها تتزايد بلهفة ممتزجة بالذهول ..





عابد طلبها هي للزواج ؟!

ألا يحتمل أنه يقصد ياقوت ؟!

بالتأكيد يفعل!!

لا تصدق أن رجلاً بوسامته ومقوماته المادية تعجبه فتاة مثلها !!

لكن هل سيخطئ الشيخ أبو إدريس في شيء كهذا ؟!

هو لم يكن ليخبر ثمر إلا بعد تيقنه من الأمر !!

ياالله !!

لا تصدق ..ولن تصدق حتى تراه هنا أمامها وتتبين الأمر!!

رمقت ياقوت بنظرة مستغيثة حائرة ولاتزال مستسلمة لرقية ثمر الخاشعة ..

لكن أختها منحتها ابتسامة داعمة وهي تومئ لها برأسها ثم تغادرهن لتصعد نحو السطح ..

قبل أن تتناول هاتفها من جيبها لتتصل بيامن ..





_انت اللي خليت عابد يتقدم للجين ؟!

تسأله ببعض الحدة ليباغتها بضحكته الخشنة :

_هو بنت قاصر يا دكتور ؟! أنا أصلاً ماعرفتش الموضوع إلا منه ..بس بصراحة شجعته .

فازدردت ريقها لتخفض صوتها كثيراً متسائلة :

_هو يعرف حاجة عن تعبها ؟!

الحرج الممتزج بالقلق في نبرتها أثار شفقته ليجيبها بجدية تامة :

_عارف ومعندوش مشكلة ..اطمني .

لكنها عقدت حاجبيها بشك لتقول محذرة:

_متأكد ؟! مش هاسمح لحد لحد يأذي أختي ولو بنظرة ..عايزة أقابله الأول أطمن إنه واخدها جد وعارف أبعاد حالتها الأول .




_هو عارف والله ..ومقدر جداً ..وقراره واخده من غير رجعة ..

يقولها يامن بنفس الجدية ليردف بحميته المعهودة :

_لو ماكنتش واثق من كده أنا اللي ماكنتش هادخلله بيتكم..اطمني .

ابتسامة واهنة ترتسم على شفتيها وحنان نبرته الممتزج بحميته الرجولية يمنحها المزيد من الطمأنينة ..

لتتردد قليلاً قبل أن تقول بحذر:

_طيب ..فيه موضوع تاني .

_خير يا "أبو نسب"!!

يقولها مازحاً لتضحك رغماً عنها ..قبل أن تقول بما يشبه الرجاء:

_همسة أخت زين ..متعلقة قوي بيمنى من يوم اللي حصل وكل شوية تطلب مني تشوفها ..تخيل




إن مرضها اللي وقف دكاترة كتير عاجزين قدامه وأنا أولهم.. بنتك انت في كام ساعة كانت سبب في علاجه !!

تقولها وهي تستعيد أول مقابلة لها مع همسة بعد الحادث ..

لم تصدق عندما أخبرها رائد بما حدث ..

لم تصدق إلا عندما التقتها بعدها لتدرك أنها حقاً استعادت ذاكرتها ..وبعض نفسها ..وبقي أن تسترد المزيد ..

نجاحٌ ساحق لحالة مستعصية كان سيسعدها كثيراً أن تضمها لسجل تفوقها لولا هذه الغصة التي تستشعرها في حلقها منذ غياب زين ..

لكن صوت يامن يقاطع أفكارها وقد ظهر التأثر في نبرة صوته:





_أنا اللي مش هنسى منظرها وهي حاضنة يمنى تحت السرير ..خايفة عليها وضمّاها كأنها بتحميها م المجرمين دول ..أنا اللي المفروض أشكرها .

_يعني موافق أجيبها ونيجي نزوركم ؟!

تسأله مستبشرة ليرد بضحكة قصيرة سبقت جوابه :

_ماهو لو صبر القاتل ع المقتول! ..أنا أصلاً كنت هاعزمك معاها على عقيقة يمنى .

ضحكت وهي تمنحه مباركتها ووعدها بالحضور ليرد عليها بعفوية ..

قبل أن يصمت قليلاٌ لتتلكأ كلماته نوعاً وهو يسألها بضيق أعاد لنبرته خشونتها:

_أخو همسة ده بقا كويس؟!

لطخت المرارة ابتسامتها وهي تراه يشير لزين ب"أخو همسة" وكأنها هي الرابط الوحيد الذي يمكن أن يجمع رجلين بتاريخهما ..





لكنها لم تستطع التخفي حول نبرتها المهنية كالعادة وهي ترد بشرود :

_أنقذوه ليلتها على آخر لحظة ..بس بعدها اختفى .

لم يبدُ كثير الاهتمام بما تقول بطبيعة الحال ..

فقد كان جلّ اهتمامه بهمسة ورائد لدورهما في إنقاذ ابنته ..

لكنه لا ينكر أن نظرته نحو زين هذا قد تغيرت نوعاً ..

هو لا يزال لا يطيقه ..لكن صورته اكتسبت نوعاً من الإنسانية آخر الأمر وهو أقصى ما يمكنه منحه إياه !!

لهذا أغلق معها الاتصال على وعد بلقاء قريب في عقيقة الصغيرة ..

بينما بقيت هي على شرودها وهي تشعر بالتشتت ..





فرحتها واطمئنانها على لجين وقبلها همسة لم يقلل من قلقها على زين الذي رفض تماماً رؤيتها في المشفى ثم اختفى تماماً عقب خروجه منه ..

إنها حتى لم تره منذ لقائهما الأخير في حديقة بيت رائد قبل ذهابه لتلك المرأة ..

رائد يخبرها أنه بخير لكنه لا يريد رؤية أحد ..

وهي تتحرج من طلبها أن تراه ..

أن تكون جواره كما كان هو دوماً جوارها في أشد لحظات حياتها حلكة !!

تعلم أن الموقف الأخير قصم ظهر غروره ..

زلزله بما لم يحدث معه من قبل ..

لكن عزلته ليست حلاً !!

_برضه سرحانة فيه ؟!

تسألها ثمر التي ظهرت أخيراً وهي تقترب منها بخطواته المتمهلة لتلتفت نحوها ياقوت بملامح بائسة ..





حتى الإنكار ما عادت قادرة عليه ..

لهذا تنهدت بحرارة وهي ترى ثمر تتخذ مجلسها على الأرض كعهدها لتقول دون أن تنتظر ردها :

_انتِ دايماً غاوية قعدة السطوح ..غير أختك اللي دايماً غاوية قعدة أوضتها وأوضة الخزين ..واحدة راسها لفوق دايماً باصة للسما ..والتانية مستقليّة نفسها وباصة دايماً تحت رجليها .

تعجبت للمفارقة التي لم تنتبه إليها من قبل لتبتسم ابتسامة واهنة وهي تتربع جالسة قبالة جدتها لتغمغم بما يشبه الاعتذار:

_المرة دي مش بكيفي يا ستي .

تفحصتها ثمر بنظراتها الخبيرة قبل أن تسألها :

_ما قلتليش يعني ..البيه بتاع مصر عمل إيه ؟! رجّع أخته ؟!





أطرقت ياقوت برأسها وهي تشعر بالمزيد من البؤس ..

منذ عادت إلى القرية وهي تخشى سؤال ثمر هذا بالذات !!

ماذا عساها تخبرها ؟!

من الذي اختطف همسة ولماذا ؟!

صورته في عيني ثمر شديدة السواد بالفعل ولا ينقصها ما يوحي به الحدث !!

_أكيد رجعت مادام انتِ كمان رجعتِ .

تقولها ثمر بفطنة غير منتظرة لردها ثم جذبت رأسها برفق لتضعه في حجرها فغيرت ياقوت جلستها لتمدد قدميها مستكينة لرقيتها ..

القمر لايزال مختفياً خلف غيومه ..يظهر تارة كوجه مجدور قبل أن تعاود السحب إخفاءه ..

فيعاود الظهور ببطء كأنه ..يستغيث!





_مش عايزة تحكيلي اللي حصل ؟!

تسألها ثمر من جديد بعد صمت قصير وهي تمسد على شعرها لتحسم ترددها وتخبرها بما علمته ..

لماذا فعلتها ؟!

تراها كانت تشعر باحتياجها لحكمة ثمر ولو على حساب صورة زين ؟!

أم تراها عجزت عن الكتمان أكثر وهي في أمس الحاجة لمن تبوح له ؟!

ثمر لم تكن جدتها وأمها الروحية فحسب ..

ثمر كانت صديقتها ..مرشدتها ..كاتمة أسرارها ..

لهذا لم تستحِ من ختام بوحها بقولها :

_مش هدافع عنه وأقول ما غلطش ..بس غصب عني صعبان عليا كسرته دي ..عارفة يعني إيه راجل زيه يروح شايل كفنه على إيده وهو مش عارف هيخرج من عندها سليم واللا لا ؟! عارفة يعني إيه بوضعه ده يضطر يتذل لها عشان ينقذ أخته ؟! عارفة لما يحس إنه فجأة ماعادلوش ظهر





يسنده ..شغله ..أخته ..مناخيره اللي دايماً في السما ..كل ده فجأة كده يلاقيه هيضيع منه .

لكن ثمر أصدرت همهمة قصيرة لتقول بحكمتها المعهودة :

_كان لازم يدوق مرارة الكاس عشان ماعادش يسقيه لغيره ..لو عقله في راسه صح يعتبر م اللي حصل ..الستّ إياها دي جت ساعة أجلها ولاقت ربها وهو أعلم بحالها ..لكن الدور عليه هو في اللي جاي ..ياما يتجبر أكتر ويكمل طريقه القديم ويبقى حسين رجائي تاني ..ياما يعتبر ويبدأ من جديد ..

ثم صمتت لحظة لتسألها باهتمام :

_قلتيلي ساب الدنيا كلها ومحدش عارف له مطرح !؟

هزت ياقوت رأسها في رد بإيجاب لتتشح ملامح ثمر بحنان أمومي ممتزج بأسف ناسب قولها:





_عشت العمر ده كله وماشفتش أقسى من الندم بعد فوات الأوان ..ربنا خلق لنا الضمير عشان يردنا لما خطاوينا تطيش ..بس جلدته لما بتصيب مابترحمش ..ياويله من ضميره ..بس يا سعده لو تاب !

هنا سالت دموع ياقوت من جديد لتقول بصوت خنقته عبراتها :

_قلبي واجعني عليه قوي يا ستي

_وإيه الجديد ؟! من يوم ماعرفتيه وقلبك موجوع بيه!

العتاب الحاني يعود لنبرة ثمر فتهمس ياقوت بألم:

_المرة دي غير كل مرة ..خايفة عليه من غيبته دي ..خايفة عليه من وحدته وندمه ..نفسي يرجع بس وأطمن أنه وقف على رجليه تاني .





فترمقها ثمر بنظرة قلقة لم تخلُ من توجس وهي تشعر أن أمر الفتاة يكاد يخرج عن سيطرتها ..

تثق بتربيتها إياها لكنها تعلم أن سلطان القلوب لا راد لحكمه !!

لهذا تنهدت بحرارة وهي ترفع رأسها للسماء بدعاء صامت ..

طالما اعتادت أن خير عباداتها هي "التسليم" ..

تفويض الأمر لمن بيده الأمر !

ربما لهذا هدأت نفسها كثيراً وهي تعاود تمسيد شعر ياقوت براحتها لتقول أخيراً بيقين:

_كده كده هيرجع ..بس لو ربه حبه هيفتح له طريق توبة ..اطمني يا بنت قلبي ..من قلب الشدة بييجي النور .

=====

_العريس وصل!





هتفت بها رابحة بشقاوتها المعهودة وهي تدخل على لجين غرفتها في بيت ثمر .. لتتأمل شكلها مردفة باستنكار:

_مش هتحطي أي حاجة على وشك ؟!

ثم غمزتها وهي تلوح بهاتفها الذي لا يكاد يفارقها قائلة:

_حطي حاجات بسيطة ما تبانش ..هو أينعم شيخ وكل حاجة ..بس برضه دي أول مقابلة .

_ليها حق ستي ثمر تقوللك دايماً "اتهدي يا مطيورة"..ياللا بره !

هتفت بها لجين بعصبية فجرها ارتباكها وهي تدفع رابحة لتخرجها من الغرفة وتغلق الباب خلفها ..

لكن الأخيرة فاجأتها بفتح الباب من جديد لتلتقط لها صورة خاطفة بهاتفها قبل أن تعاود غلقه ضاحكة بصوت عال !

ابتسمت لجين وهي تهز رأسها بيأس من حماقتها قبل أن تعود لتتفحص شكلها في المرآة ..





إلى الآن لا تصدق أنه جاء ليخطبها هي!!

ترمق ملامحها بنظرة راجية كأنما ترجوها أن تكون اليوم أجمل ..

تود لو تستخدم بعض المساحيق التجميلية كما تفعل في العاصمة ..لكنها لا تجرؤ ..

ليس فقط خوفها من ثمر ..ولا من هيبة عابد ..

إنما هو شعورها الذي ازداد مؤخراً بخشيتها من "الله"..

هل يُبتَغى ستر الله بمعصيته ؟!

_يارب حليني في عينيه ..يارب ما تخرجني من مقابلته خايبة الرجا ..نفسي أفرّح ستي وأفرح يارب .

تهمس بها سراً وهي ترفع عينيها بوضع الدعاء قبل أن تعاود تفحص ملامحها في المرآة ..

والعجيب أنها شعرت بنفسها أجمل ..




لم تعد تميز سمرة ملامحها التي يرونها منفرة..بل صارت تميز نعومة بشرتها ..

لم تعيد تميز ضيق عينيها ..بل كثافة رموشهما ..

لم تعد تميز تميز كبر حجم أنفها ..بل اتساقه مع استدارة خديها ..

حتى شفاهها التي تراها دوماً غليظة ..الآن تشعر بامتلائها شهياً جذاباً ..

لكن يبقى السؤال ..كيف سيراها هو؟!

_قمر!

هتفت بها ياقوت وهي تدخل الغرفة لتغلق بابها خلفها قبل أن تتقدم لتعانقها بحرارة قائلة :

_أحلى عروسة .

لكن عيني لجين دمعتا وهي تسألها بارتباك خجول:

_انتِ شفتيه ؟! هو فعلاً عابد بره ؟!





رمقتها ياقوت بنظرة مشفقة لم تخلُ من استياء وهي تلاحظ هذا الشعور المعهود بالدونية لدى شقيقتها ..

هذا الذي دفعها لتمسك كتفيها بقوة هاتفة :

_جرى إيه يا "أوبرا"؟! هو انتِ قليلة يا بنت؟!

ثم تفحصت الثوب الهادئ الذي ترتديه بلون الورد الهادئ مع نقشته بزهور رقيقة بيضاء لتهتف باستنكار:

_فين الفستانين اللي جبتهم لك ؟! الفوشية والأصفر ؟!

فمطت لجين شفتيها لتقول ببعض الحرج:

_ألوانهم صعبة قوي يا توتة .

_صعبة ؟! هتعملي زي أخوكي اللي مش عاجبه ذوقي ؟!




قالتها ياقوت باستنكار لتضحك لجين وهي تقبل جبينها هاتفة بحب:

_انتِ أجمل أخت في الدنيا ..وإسلام كمان ..ماكنتش متوقعة ييجي النهاردة أول ما يعرف ..واللا هيثم اللي بعتلي هدية عشان ماعرفش ييجي ..بجد مبسوطة قوي .

_ستك ثمر كمان فرحت بإسلام قوي ..دي عملت مذبحة للبط اللي مربياه كله ..ومن الفجرية واقفة في المطبخ ..حتى ..

قالتها ياقوت بابتسامة راضية ليقطع حديثها صوت باب الغرفة الذي فتح لتطل من خلفه ثمر بوجه مستبشر هاتفة :

_واقفين بترغوا وسايبين الناس بره ..ياللا يا "أوبرا" اطلعي سلمي عليهم .





فدمعت عينا لجين وهي تشعر بالمزيد من الارتباك الذي قرأته عينا ثمر لتقترب منها واضعة كفها على رأسها متمتمة :

_حلوة يا "بنت قلبي"..حلوة قوي ..الله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين .

اتسعت ابتسامة لجين المرتبكة وهي تخرج معهما من غرفتهما نحو صالة البيت ..

تطرق برأسها تخشى أن ترفعه ..

لكنها لم تستطع منع نفسها من اختلاس نظرة خاطفة نحو عابد ..

لاتزال تشعر أنها لن تجده هو ..

لا تزال تشعر أنه سيصطدم خيبة برؤيتها إذ ربما ظنها جميلة كياقوت ..

لكن نظرتها عادت إليها بفرحة !!





فرحة عارمة حلقت لها روحها وهي تلمح لمعة عينيه بنظرة طالما تمنتها ..

نظرة إعجاب!

نظرة إعجاب معها ابتسامة بدت وكأنها عانقت روحها !

تتعثر في طرف ثوبها ارتباكاً فيقف إسلام بسرعة ليتلقفها بين ذراعيه ..

ترفع عينيها الفائضتين بمشاعرها المرتبكة نحوه فيميل على أذنها هامساً بإعجاب:

_جامدة !

يغمزها كعهده بعدها ثم يقبل جبينها باعتزاز فتشعر بدعمه الصامت يعزز هذا الشعور المستحدث بقيمتها ..

لهذا تماسكت خطواتها أكثر وهي تتقدم لتصافح والدة عابد التي بدت "حيادية الملامح" قبل أن تجلس مكانها مطرقة الرأس ..




زغرودة رابحة العالية تصدح في المكان تتبعها أخرى وأخرى فتنهرها ثمر بنظرة زاجرة لكنها لا تهتم وهي تلتقط المزيد من الصور بهاتفها ..

الحوار ينساب بين عابد وإسلام لطيفاً وقد أداره الأخير بخفة ظله المعهودة لتضفي ثمر المزيد من الحكمة عليه وهي تحاول استكشاف طبيعة عابد فلم تزل جاهلة به ..

خاصة وقد شعرت بحدسها من نظرات أمه أنها غير راضية تماماً عن الزيجة ..

_الشيخ أبو إدريس بيشكر فيك جامد وده اللي مطمن قلبي ..أنا مابديش بناتي لأي حد .

تقولها ثمر بالاعتداد الذي ورثته عنها ياقوت ليرد عابد بتواضع عبر ابتسامته :





Cinnabon

_جعلني الله عند حسن ظنك وحسن ظن الشيخ .

_وناوي تعيش هنا واللا في القاهرة يا شيخنا ؟!

يسأله إسلام باهتمام ليرد عابد :

_لازلت أريد طلب العلم لدى الشيخ أبو إدريس ..أظنني سأبقى هنا لبعض الوقت قبل أن أقرر ماذا سأصنع .

تعجب إسلام قليلاً تحدثه بالفصحى وكاد يسأله عن هذا لولا تدخل أم عابد بقولها:

_عابد دارس على أعلى مستوى وقبل وفاة والده كان بيشتغل في شركة كبيرة عالمية في ماليزيا ..معارف والده كتير هناك ممكن يشوفوله فرصة أفضل بس هو يقرر .





ضيق إسلام عينيه بقوة محاولاً فهم ما يرمي إليه حديثها خاصة عندما بدا الضيق على وجه عابد وهو يرد باقتضاب:

_أحببت مصر أكثر من ماليزيا ..لا أظنني سأعود هناك .

_كلها بلاد الله يا ابني ..ربنا ييسر لك الخير .

تقولها ثمر بابتسامتها البشوش وهي تشعر أن قلبها -ببوصلته النقية ـ قد اطمأن له ..

_طيب ..نسيبك مع العروسة لوحدكم تاخدوا على بعض ..

يقولها إسلام وهو يشير للشرفة القريبة الواسعة التي خرجوا إليها جميعاً ليفسحوا لهما المجال للحديث بحرية ..





ولم يكد يخرج هو خلفهم حتى عاد يغمز لجين بحركة عابثة جعلت وجنتيها تحترقان أكثر لتبدو أكثر فتنة خاصة لعينين ترمقانها بهذا القرب ..

عيني الشيخ !

طالما كان ذوقه يميل للسمراوات ..

يحب هذه الحمرة التي تختلط بلون بشرتهن عندما يداعبها الخجل ..

لقد ظن أنها أعجبته لأنها تشبه خطيبته الماليزية الراحلة ..

لكن العجيب أنه الآن لم يشعر بأي شبه ..

جمالها مصري بهذه الخفة الرشيقة التي تميز بنات بلده ..

لم تكن أول مرة يراها ..

لكنها كانت أشدها وطأة على قلبه وهو يراها أجمل كثيراً مما كان يظن ..

ثوبها الرقيق المتحفظ يفضح عذوبة روحها ..





و"بنظرة ذكورية" خالصة يراها أنثى أكثر من مُرضية !

_كيف حالك ؟!

يسألها بصوته الرجولي الرقيق لترفع عينيها نحوه بنظرة "أولى" خطفت من قلبها قطعة ..

قبل أن تعود لتسبلهما بخجل غير متكلف وتمنحه رداً تقليدياً سبق سؤالها بتلعثم :

_هو انت ليه بتتكلم كده ؟!

_تقصدين بالفصحى؟!

يسألها لتعاود رفع عينيها نحوه بنظرة "ثانية" خطفت من القلب قطعة أخرى ..خاصة مع جوابه بتقوى لا يدعيها :

_هي لغة القرآن ..اصطفاها الله لنبيه ولكتابه ..أفلا نصطفيها نحن ؟!

هزت رأسها موافقة وهاجس مفزع يؤرقها أنه قد يكون متشدداً ..





لهذا جاء سؤالها عفوياً:

_هو انت هتلبسني النقاب وتقعدني في البيت من غير شغل ؟!

ضحك ضحكة قصيرة جعلتها ترفع إليه عينيها بنظرة "ثالثة" خطفت من القلب المزيد من القطع ..

قبل أن يرد بسؤاله :

_هل يعني هذا أنكِ وافقتِ بي ولا ينتظرني إلا رسم المستقبل ؟!

_لا ..قصدي.. أيوة ..معلش مش ..

كلماتها تتلعثم أكثر وهي تشعر أنها تذوب خجلاً مكانها ..

لم توضع يوماً في موقف كهذا ..

أن يعجَب بها أحدهم ويسألها عن رأيها هي !!





هي !!

هي التي لم تجرؤ يوماً حتى على رسم صورة لفتى أحلام كبقية البنات !!

هي التي كانت قانعة برجل ..أي رجل ..يمحو عنها لقب "العانس البائرة" ويزيح عن كاهلها وزر كونها مجرد بضاعة كاسدة في سوق النساء!!

لكن ضحكته التي علت بعدها جعلتها ترفع عينيها إليه بنظرة "رابعة" ولايزال مسلسل الخطف مستمراً ..

وكيف لا ؟! وكلماته السلسة بعدها تبدو وكأنها لا تخرج من لسانه ..بل من قلبه لقلبها :

_بيني وبينك كتاب الله وسنّة رسوله ..هما يفصلان بيننا لو اختلفنا ..وما اختلط علينا من الأمور سنتناقش فيه ..أقنعك أو تقنعيني ..

ثم غامت عيناه بنظرة داكنة وهو يستعيد جزءاً مظلماً من ماضيه ليردف :





_لا تخافي ..لقد دفعت ثمناً عظيماً لأدرك الفارق العظيم بين جوهر الدين وقشوره .

ابتسامة راضية ترسم المزيد من الاطمئنان على محياها ..

ونظرة "خامسة" تختطف برشاقة قطعة أخرى من القلب ...

قبل أن تطرق برأسها متيحة له المزيد من تأملها ..

_لا تريدين سؤالي عن أي شيء ؟! أعرف أن البنات يدخرن الكثير من الأسئلة لمقابلة كهذه !

يقولها محاولاً دفعها للحديث لتهز رأسها بارتباك خجول فيبتسم ليقول بنبرته المريحة :

_حسناً ..أتكلم أنا عن نفسي ..عصبي قليلاً لكن ليس لدرجة الفظاظة ..متردد نوعاً لكنني تعودت تفويض أمري للاستخارة ..لا أحب المشاكل ..ولا




الكرة ..ولا الحديث في السياسة ..هوايتي الوحيدة بجانب القراءة تركيب العطور ..أعشقها !

ابتسمت بحياء ولاتزال مطرقة برأسها لتجاريه بحديثها :

_مابعرفش أتكلم عن نفسي ..برضه مابحبش المشاكل ودايماً أمشي جنب الحيط ..بحب الهزار والضحك حتى لو متضايقة ..ستي ثمر مسمياني أوبرا عشان شبهها ..

_أوبرا المذيعة؟!

يقاطعها مستنكراً لتومئ برأسها فيرد بالمزيد من الاستنكار:

_لا لا ! أنتِ أجمل بكثير!

يقولها عفوية ليغرد لها قلبها فرحاً ..

فلا تقوى حتى على نظرة أخرى !!





مجرد أن يقرن اسمها بالجمال يجعلها تكاد تنصهر خجلاً مكانها !!

هل تعجبه حقاً؟!

وهو بهذه الوسامة الطاغية ؟!!

ربما لهذا لم تتحكم في سؤالها الذي خرج منها رغماً عنها ولا تزال مطرقة الرأس:

_هو انت اخترتني ليه ؟!

_أعجبتِني!

يقولها عفوية لتمس قلبها بصدقها ..ومعناها!!

نظرة "سادسة" نحو وجهه تختطف المزيد وقد أسبل جفنيه بحياء يشبه حياءها ..

يالله!!

هل هكذا يكون جذاباً حياء الرجال؟!!




طالما سمعت صديقاتها يتندرن عن جاذبية وقاحة الرجل ..

سحر ال"bad guy" كما يسمونه

لكنها لم تعرف يوماً شعوراً رائعاً كهذا الذي تتلمسه معه الآن..

كجنة عذراء تعدها أن تكون هي أول ساكنيها ..

كأول اسم ينطقه رضيع ..وأول خطوة يمشيها ..

كأول شعاع للفجر يخترق به ظلمة الليل !!

تنهيدة عميقة تود لو تطلقها حرة فتزفر معها كل هذه المشاعر التي تجتاحها الآن ..

كل هذه الفرحة ..

كل هذا الشعور بجمال "العوض"!!

لكن هاجساً مفزعاً يكتسحها ..

أليس من العدل أن تعترف له بمرضها ؟!





صحيحٌ أنها تتحسن ..لكن ..ماذا لو انتكست ؟!

ماذا لو افتضح أمرها لتجلب العار لا لنفسها فقط بل له معها ؟!!

يالله!!

كيف غفلت أن تسأل ياقوت عن رأيها في شيء كهذا؟!

وهل يحتاج الأمر لرأي ؟!

يجب أن يعلم ..إنه حقه !!

حتى ولو ذهب بعدها دون رجعة !!

_كنت عايزة أقوللك حاجة ..بس توعدني تفضل سر بيننا حتى لو ماحصلش نصيب .

تتلعثم بها نبرتها وهي تعاود الإطراق برأسها ليمنحها وعده ..

فيرتجف جسدها بالمزيد من الارتباك وهي تحاول البحث عن كلمات مناسبة :

_أنا عندي تعب معين ..بتعالج منه ..





فهم بسرعة ما تعنيه وكره أن يسبب لها الأمر كل هذا الحرج ..

فانحنى ليقترب بجذعه منها أكثر كأنما يمنحها مع هذا القرب المزيد من الثقة ..

خاصة مع نبرته المريحة :

_هل هو قابل للعلاج؟!

_أيوة ..بس ..

_هل يسوءك أن تتحدثي عنه ؟!

_أيوة ..بس ..

_إذن ..لا تفعلي !

يقولها قاطعة بحسم يوازي قوة ترددها لترفع عينيها إليه من جديد ..فتلتقي عيناهما بهذا القرب وكلماته الداعمة تنساب كالسحر يغلفها :

_اطمئني ..أنا ارتضيت أن نكمل طريقنا معاً حلوه ومرّه ..فدعي الغد للغد !





والنظرة "السابعة" تختطف ما بقي من القلب..

في أكثر أحلامها جموحاً لم تتوقع أن يختطف رجل قلبها ب"سبع" نظرات ..!!

سبع نظرات أجل إنما تساوين ألف وعد ..وألف ألف حياة !!

======

_هنبتديها كسل يا "شجرة الدر"؟! كل ده غياب ورامية حالاتك عليا ؟!

يهتف بها سامر بمرح عبر الهاتف وهو يقف في شرفة بيته البسيطة المطلة على حوش واسع بسيط بإحدى المناطق الشعبية..

لترد ياقوت بحرج عبر نبرتها المستنزفة :

_آسفة يا سامر ..خطوبة أختي خلتني مشغولة وشوية ظروف كده .

نبرتها بدت له مختنقة بحزن استشعره ولم يفهمه لكنه رد بودّ حقيقي:





_ولا يهمك يا دوك ..انتِ عارفة إني بحب الشغل ..مبروك لأختك و..عقبالك .

كلمته الأخيرة وخزتها بألم ولايزال اختفاء زين يشعرها بفقدان التوازن ..

هذا الذي بدا وكأنه بغيابه قد سحب معه الشمس والقمر فلا نور بعده ولا ظلمة بل فراغ رهيب يكاد يبتلع روحها ..

_شكراً ..عقبالك انت كمان ..

تقولها غافلة وذهنها مغيب بأفكاره لكنه يبتسم بمرارة وهو يستحضر طيفاً بعينه ..

طيفاً يأبى أن يفارق قلبه رغم يقينه أنه لن يكون يوماً له !

لكنها تقاطع أفكاره بقولها الذي عادت إليه نبرته العملية :





_ماتقلقش ..راجعة قريب ..المركز لسه جديد ولازم يقف على رجليه ..

ثم اغتصبت ضحكة مفتعلة لتردف:

_إسلام هيعلّقني ..ده حاطط فيه شقا عمره .

فضحك بدوره ضحكة لا تقل افتعالاً عن خاصتها وهو يتكئ بمرفقيه على سور الشرفة يتابع لعب بعض الصبية بالكرة هناك قائلاً:

_خلاص اتفقنا ..مش هاقبل منك حالات جديدة .

يقولها لينهي الاتصال معها بودّ منتزعاً منها وعداً بقرب العودة ..

قبل أن تنجرف أنامله نحو تطبيق "الانستجرام"..

هناك حيث يمكنه تتبع هذه الصور التي صارت نافذته الوحيدة نحوها ..

سها!

المزيد من الصور لها مع ناصر مبتسمة بأرستقراطية تناسب جمالها الفخم ..




دوماً جميلة..

دوماً أنيقة..

دوماً مبتسمة ..

ودوماً مع ..ناصر!!

لا يكاد يرى لها صورة وحدها أبداً ..أو حتى مع بعض صديقاتها ..

هو ناصر ..ناصر فحسب!!

غصة مريرة تتجمع في حلقه وهو يستغفر الله سراً ..

يعلم أنه لا يجوز له التعلق بها وهي حلٌ لغيره ..

لكن ماذا عساه يصنع وقد ابتلي بعشقها فلم تدخل قلبه بعدها سواها ..

منذ الصغر وهي الحلم العالي الذي لا تكاد تصل له يده !!





وكالعادة كلما رأى إحدى صورها تنتابه رغبة في تحميل صورة له هو الآخر على حسابه ..

يعلم أنها لا تهتم بحسابه وربما لا تتابعه أصلاً ..

لكنه يشعر بنوع من التحدي يدفعه لفعلها ..

هو ينجح لأجلها ..

أجل ..ليس لأن يكون معها فقد فقد أمله فيها من زمن ..

لكن لأجل أن يصل يوماً لمكانة تزيح من قلبه مرارة الشعور بدونيته أمامها ..

تلك التي بلغت أقصى صورها عندما رفض أبوها طلبه بالتقدم لخطبتها منذ سنوات بتلك النظرة التي أخبرته أنه لن يرتقي يوماً لمستواهم ..

صحيحٌ أنها هي لم تشعره بهذا الفارق يوماٌ بل لاتزال تعاملة بمنتهى الود والرقة..

لكنه كذلك يوقن أنها لم تنظر له يوماً كحبيب أو حتى كرجل ..





بل ك"ظل لطيف" يؤنسها عندما تراه ..وتنساه تماماً بعدما يبتعد !!

يرفع هاتفه ليتخذ لنفسه صورة في وضع "السيلفي" ..

وسيم ؟!

بعض البنات أخبرنه أنه كذلك ..

وهو يثق برأي النساء في الجنس الآخر !!

متوسط القامة لا بالطويل ولا بالقصير ..معتدل الجسد أميل للنحافة ..بني الشعر والعينين ..له لحية مهذبة كما تقتضي "الموضة" هذه الأيام ..ومع نظارته الطبية الأنيقة تبدو له هذه الطلة الجذابة الموحية بالغموض ..

بعض الثقة من وسامته يجعله يتأهب لالتقاط الصورة لكنه يصطدم بخلفية الصورة متمثلة في





"البصل" الذي علقته أمه على حائط الشرفة كتقليد متوارث !!

يزفر بسخط وهو يغير موضعه ليلتقط صورة أخرى ..

فيصطدم هذه المرة أيضاً بالخلفية المتمثلة في البيوت البسيطة خلفه بواجهاتها القديمة وبعض القمامة المترامية على الأطراف ..

زفرة ساخطة أخرى ترافق تغيير مكانه محاولاً التقاط صورة أقرب ومتحاشياً أي خلفية ..

لينجح أخيراً في التقاط واحدة ..

ابتسامة ظافرة ترافق زر الإرسال قبل أن ..

_آه !





يطلق صرخة توجع والكرة التي يلعب بها الصبية خلفه تصيبه في رأسه لتسقط منه الهاتف أرضاً فينحني بسرعة لالتقاطه ..

_آسفين يا دكتور ..الواد ده أصله غشيم ورجليه عورة .

يهتف بها أحدهم لينفجر البقية ضاحكين فيلتفت نحوهم بملامح عابسة لم تلبث أن لانت مع ضحكاتهم ليصيح ملوحاً بكفه :

_والله لو كان التليفون اتكسر لكنت دفعتكم حقه ..ياللا ياله انت وهو من هنا ..يوم أجازتي ما تلعبوش قدام البيت .

يهتف بها زاجراً لكنهم يستمرون في الضحك موقنين من زيف تهديده ككل مرة قبل أن يندفعوا نحو منطقة قريبة مغيرين مكان لعبهم حتى يتلاشى غضبه ..




ابتسامة صغيرة ترتسم على شفتيه وهو يتابع انصرافهم بنظرة شاردة ..

لا يحب أن يقسو عليهم رغم كل شيء ..

تكفيهم قسوة الحياة ..والظروف!!

_ابن حلال ..شوف عملتلك إيه؟! ..كان قلبي حاسس إنك صاحي مش نايم كالعادة يوم الأجازة .

تهتف بها أمه من خلفه وهي تتقدم نحوه حاملة طبقاً من "لب البطيخ" الذي تجففه لتحمصه بنفسها في عادة قديمة لم ينجح في إثنائها عنها يوماً ..وكيف يفعل؟!

وهو يحب مذاقه بالفعل خاصة وهو يقترن بنكهة صحبتها هي المميزة بينما يتناولانه معاً هكذا وهما واقفان في الشرفة يتندران بحكاياتها عن الرائح والغادي ..





يتناول منها الطبق ليضع بعض اللب في راحته قبل أن يبدأ في "القزقزة" قائلاً:

_تسلم إيدك يا ست "حلاوة" !

_يوه! مش هاتبطل يا واد طريقتك دي ؟! اسمي روح .. واللا عشان بقيت دكتور هتتريق عليا ؟!

تقولها المرأة بخجل كان له ما يبرره وهو يضحك عالياً مع قوله :

_وأنا جبت حاجة من عندي؟! مش الحاج الله يرحمه اللي كان مسميكي "حلاوة" ..ولما كنت أزنقه في الكلام كان يقوللي ما ينفعش يبقى اسمها روح كده حاف ..لازم قبلها حلاوة !

يقول عبارته الأخيرة بلكنة رومنسية ناعمة مقلداً لهجة أبيه ليتبعها بتنهيدة حارة تجعلها تخفي وجهها بين كفيها خجلاً قائلة :





_واد قليل الحيا صحيح ..الله يرحمه أبوك هو اللي عمل فيك كده ..لو كان شديد زي بقية الأبهات ماكنتش اتجرأت حتى تسأله !

_بتتكسفي يا بيضا؟!

يقولها وهو يعاود الضحك عالياً لتلكزه في كتفه بقبضتها قبل أن تمتلئ عيناها بالدموع فجأة ويختنق صوتها بعبارته :

_الله يرحمه ..راح وخد الخير معاه .

دموعها تجد مكانها في صدره كعادته فيضمها نحوه بذراعه قائلاً:

_وحدي الله يا حاجة ..ماتقلبيهاش جد كده ..وبعدين خير إيه اللي خده معاه ؟! ما انا جنبك اهه ..شاب طول بعرض مجنن نص بنات الحتة ونفسهم يتجوزوني ..بس أنا اللي خايف عليهم منك ..هتبقي حما صعبة قوي ..يا مغيث!




مزاحه يلون مزاجها فتبتسم وهي تبتعد عنه بخجل رغم شعورها الحقيقي بالفخر وهي تراه يحتضنها هكذا في الشرفة ..

أهل الحي كلهم يتندرون ببره بها ..

إنه يرفض الفرصة تلو الفرصة في السفر كي لا يتركها وحدها في مرضها ..

فقط لو يلبي لها رغبتها ويتزوج !!

ساعتها فقط ستطمئن عليه !!

_عرفت إن جوز سها هيتجوز عليها ؟!

تقولها بحذر متخوفة من أثر هذا الحديث عليه ..

رغم أنه لم يعد يفتح هذا الأمر معها لكنها تستشعر بأمومتها أن سها لا تزال في قلبه !!

هذا الشعور الذي ازدادت قوته وملامحه تتشح بجمود بارد بينما يشيح بوجهه بعيداً عنها :





_عارف ..بس هي موافقة ..وهي كمان اللي اختارتهاله !

_عرفت منين ؟!

تسأله بدهشة ليرد بنفس البرود المفتعل:

_قابلتهم التلاتة في فرح مروان صاحبي ..جت سلمت عليا وهو كمان ..وشفت الست اللي هيتجوزها ..ومعاها بنتها !

قال عبارته الأخيرة بنبرة ذات مغزى لتفهم هي سر الزيجة فتمصمص شفتيها لتقول باستنكار:

_طول عمرها قادرة ومستقوية ..بتختار ضرتها كمان ؟! عشنا وشفنا يا ولاد !

_سها مش قادرة ولا مستقوية ..سها بتحبه وعايزة تحافظ عليه جنبها بأي شكل ..مفيش ست هتبقى راضية وسعيدة بوضع زي ده ..بس سها مش أي ست ..سها ..سها ..





دفاعه الثائر عنها ينقطع بترديده لاسمها بعجز قبل أن يزفر بقوة وهو يطرق برأسه ..

لتتنهد المرأة قائلة بحرقة :

_يا قلب أمك يا ابني !

يضع ما بيده جانباً ليبتعد عنها قائلاً بوجوم :

_هادخل أقرا في أوضتي شوية .

_ماتزعلش مني ..أنا عارفة إنك ما بتطيقش عليها كلمة ..بس غصب عني ياابني ..صعبان عليا عمرك اللي بيضيع هدر وقلبك متعلق باللي مش ليه .

كاد يحاول الإنكار لكنه عجز ..

خاصة مع هذه الغصة التي استحكمت حلقه فاكتفى بتقبيل رأسها الصامت قبل أن يعود إلى غرفته ..

زفرة ساخطة يطلقها وهو يستلقي على فراشه ..





كلما فكر في هذا الحب المجنون الذي تحمله سها لزوجها شعر بالمزيد من الغضب ..

الغضب من نفسه قبل أي أحد ..

لماذا لا يستطيع انتزاعها من قلبه ببساطة ؟!

لماذا لا يقتنع بأنها سعيدة فيتمنى لها المزيد ويرحل ؟!!

ربما هو شعوره أن ناصر لا يستحقها ..

أنه يحبها ..لكنه هذا الحب المنقوص المحاط بطبيعته العملية ..

وهاهو ذا في أول اختبار يواجههما يقدم نفسه قبلها ..

لو كان يحبها حقاً لما رضي لها بهذا المقام حتى لو كانت هي من اختارته !!

لكن ماذا عساه يصنع ؟!

هي عاشقة ..وراضية !!





_أبوها راضي وأنا راضي ..مالك انت ومالنا ياقاضي؟!

يتمتم بها بصوت مسموع ساخر من أوجاعه التي قرر تجاهلها كعهده..

بل دفنها بعيداً بعيداً في أعمق أعماق روحه..

قبل أن يعود ليتناول هاتفه ..

يتفحص بعض تطبيقاته لترتسم على شفتيه ابتسامة واسعة وهو يحدث بنفسه بقوله :

_عيد ميلاد تولا النهاردة !

ابتسامته تتسع أكثر وهو يضغط زر الاتصال وما كاد يفتح ليصله صوتها حتى هتف بمرح:

_كل سنة وانتِ طيبة يا آنسة ريتال.. خلاص "رسالة" خدتك مننا كده ؟! ما سمعتش صوتك من يوم ما قلتيلي على موضوع ياقوت .





ضحكتها المرتبكة تصله وهي ترد بتحفظها المعهود معه :

_ملبوخة والله يا سامر ..انت عامل إيه ؟! كويس؟!

_بُمب! وسيادتك؟!

يهتف بها بنفس المرح لتصمت قليلاً قبل أن تسأله بتردد :

_انت حضرت فرح مروان ؟!

يصمت للحظات مشفقاً قبل أن يرد بنبرة محايدة :

_مروان صاحبي ..أكيد حضرت .

_كان مبسوط ؟! هو فعلاً بيحبها ؟!

تسأله بنفس النبرة المختنقة التي يدرك ما خلفها ليرد :

_أيوة كان مبسوط ..وأيوة بيحبها ..انسيه بقا يا تولا ..في لحظة معينة بيبقى من الغباء إننا نكمل طريق غلط .




_شوف مين اللي بيتكلم !

تهتف بها بتنمر وهي تدرك أنه توأمها في هذا الجرح ..

ليغتصب ضحكة مفتعلة وهو يرد :

_هو الغباء وراثة في العيلة دي باين ..اهه بنصحك يمكن حد فينا يفلح .

يسمع ضحكتها القصيرة على الجانب الآخر من الاتصال فيردها لها بمثلها قبل أن يردف :

_سلميلي على عمو وقوليله هاعدي عليكم بالليل ..فرصة النهارده أجازة ..هه ؟! عايزاني أجيبلك إيه هدية في عيد ميلادك ؟! لسه غاوية عرايس؟!

نبرتها المتحفظة تتحول لضحكة خجول ترددت للحظات قبل أن يصله صوتها :

_شكراً يا سامر ..ماعادش حد بيفتكر عيد ميلادي غيرك .





تقولها بامتنان حقيقي يختلط بعاطفتها "الأخوية" التي طالما استشعرتها نحوه ليرد بنفس المرح:

_بعد العشرين ..دي مش دايماً حاجة كويسة !

تغلق الاتصال بضحكة ودود فيتنهد بحرارة وهو يعود للشرود في السقف ..

سها ..سها ..والمزيد من سها!!

يكره أيام الإجازات لهذا السبب !!

انشغاله يمنعه التفكير ..التفكير الذي هو أكثر زهداً فيه عن أي شيء ..

التفكير ..والانتظار ..

أي انتظار؟!!

انتظار شيء منها ..أي شيء ..يشعره أن قلبه لا يزال على قيد الحياة ..

شيء كهذا الذي وصله الآن على شاشة هاتفه ..





مجرد "ضغطة إعجاب" منها لصورته ..

لكنها كانت تساوي عنده المزيد من دوائر متاهته في عشقها دون أمل !!

======

يارب يا ربنا ..

تكبر وتبقى قدنا ..

تجري وتلعب زينا ..

وتبقى أشطر مننا ..

النغمات تنبعث من الصالة بالخارج بينما وقف يامن معها بغرفته في بيت أمه ..لتهتف ياسمين بحرارة عاطفتها :

_شفت يا يامن ..حلوة إزاي؟!

تهتف بها وهي تعد الصغيرة للاحتفال بعقيقتها ..ثوبها الذي صممته لها بنفسها بجميع ألوان الطيف مع غطاء رأس وجورب قدم بنفس الألوان ..

فيتلقفها يامن بين ذراعيه ليقبل وجنتيها هاتفاً :

_ماسك نفسي بالعافية ..خدودها دول عايزين يتعضوا !

ضحكات ياسمين تعلو بينما تهتف نبيلة باستنكار خلفهما :

_قول الله أكبر ..وما تبحلقش في البنت كتير كده !

تزجره بها وهي تتقدم نحوهما لتتلقف منه الصغيرة برفق وهي تضمها لصدرها مردفة :

_داليا الشعنونة مشغلة أغاني بره وقاعدة ترقص مع أصحابها ولا كأنه فرح ..قلتلها خدي راحتك قبل ما الشيخ عابد ييجي .





ضحكت ياسمين بانطلاق وهي تقترب من الصغيرة تمسك كفها المنمنم تطبق عليه راحتها بحركة عفوية صارت ملازمة لها عقب استعادتها لها بعد الحادث ..

كأنما تخشى أن تحرَم منها من جديد !!

فيما تفحص يامن ملامح نبيلة برضا وهو يراها ترتدي عباءة محتشمة مع حجاب فوجئ بها ترتديه عقب عودته بيمنى تلك الليلة ..

لم يسألها عن السبب ..لكنه كان يستشعر أن الحادث هذا كان علامة فارقة في حياتهم جميعاً ..

صحيحٌ أن العباءة مطرزة تجسم جسدها بفتنة لاتزال تملكها بعد هذا العمر ..

وصحيحٌ أن الوشاح ينزاح عن خصلات شعرها الأمامية المصبوغة ويظهر جانباً لا بأس به من رقبتها ..





إنما ..

_كنا فين وبقينا فين يا طيب!

تهمس بها ياسمين ملاحظة تفحصه لأمه كأنما قرأت أفكاره وهي تستطيل على أطراف أصابعها لتصل لمستوى سمعه ..

فابتسم وهو ينحني نحوها برأسه هامساً بمشاكسة :

_صح يا "نخلة"!

_مش وقت همس ولا لمس ..الناس زمانها على وصول ..هاخد يمنى معايا عشان ياسمين تلبس .

تهتف بها نبيلة بمكر عابث وهي تخرج من الغرفة نحو صالة البيت ..

لتدخل رانيا في نفس اللحظة هاتفة :





_نفخت البالونات كلها ..بألوان الطيف زي ما ياسمين قالت ..وركبت الزينة مكانها ..والسفرة تقريباً جاهزة .

_عشت وشفتك بيعتمد عليكِ يا بنتي ..تتحسدي!

هتف بها يامن مشاكساً لتضحك رانيا وهي تمسد بطنها هاتفة :

_افتكر بس الجمايل دي عشان تردهالي عن قريب ..نفسي قوي في بنوتة عشان تبقى صاحبة يمنى !

_لاااا! كفاية بنات بقا أنا تعبت !!

يهتف بها باستنكار لتتعالى ضحكات ياسمين ورانيا التي غادرت بعدها لتكمل بقية مهام الحفل ..

قبل أن تدخل هانيا لتهتف وهي تلوح بذراعيها في مرح:

_بنتك دي حتة شيكولاتة ..تتاكل أكل ..فتحت نفسي ع البيبيهات ..بس ماتقولش لرامز عشان ما




تطلعهاش في دماغه ..كل ما يشوفني بلاعبها يشمت فيا ..ويقوللي كان زماننا معانا عريس ليها .

_أيوة كده يا عاقلة يا كاملة ..عريس ..عريس .
اتكي قوي على أي مذكر ييجي في كلامك ..أنا زهقت م العيلة اللي ما بتجيبش غير بنات دي !

يهتف بها يامن بمزاجه الرائق قبل أن يلتفت نحو ياسمين التي استكانت على صدره مردفاً:

_شوفي يا بنت الناس ..اللي جاي يبقى ولد ..ويفضل تجيبيه بسرعة عشان نعمل توازن في عيلة "التاء المربوطة" دي.

_بإذن الله ييجي ياسين .

تقولها ياسمين بنبرة حالمة ليرد بنفس المزاج المشاكس:

_ان شاالله ييجي اسماعيل ياسين المهم يبقى ولد !





قهقهت هانيا ضاحكة لتغادر الغرفة مغلقة الباب خلفها ..

فيما التفتت له ياسمين هامسة بتنهيدة ارتياح:

_مبسوطة يا طيب ..مبسوطة قوي!

_الحمدلله ..كنت خايف تقلبي بالنكد المصري الأصيل وتقعدي تقوليلي قلبي مقبوض ..وعيني الشمال بترفّ والشغل العيان ده !

يقولها متهكماً وهو يخبط جبينها بجبينه في خفة لتضحك وهي تتعلق بعنقه هامسة بنفس الارتياح:

_أنا برضه كنت فاكرة كده ..بس سبحان الله ..بعد ما يمنى رجعت حضني ماتتخيلش كمية السلام النفسي اللي ربنا حطها في قلبي ..كأني ماعشتش قبلها دقيقة حزن واحدة ..

ثم غامت عيناها بنظرة شاردة لتردف:

_حتى تهيؤاتي عن سيلين اللي كنت بشوفها في كل حتة ماعادتش بتجيلي .





_الحمد لله رب العالمين .

يهمس بها برضا ثم يقبل جبينها ليقودها نحو الثوب القريب الذي اختاره لها بلون أبيض مطعم بفراشات سماوية رقيقة وقد تناسب مع لون قميصه هو الأبيض ليقول ممازحاً:

_الراجل اللي يطقم معاكي رزق!

فتقهقه ضاحكة وهي تستطيل على أطراف أصابعها هامسة بحروف تقطر عشقاً:

_أجمل رزق يا طيب!

وبعد ساعة بدأ المعارف يتوافدون ليزدحم المكان ..

داليا تولت أمر ال"دي جي" بكفاءة لكنها أوقفته احتراماً عند دخول عابد الذي جاء برفقة لجين ..

_العروسة الحلوة!




هتفت بها ياسمين بترحاب حقيقي وهي تتقدم لتعانقها بحرارة ..

رغم تحفظها السابق على هذه الزيجة لكنها منذ قابلت لجين وهي تشعر نحوها بألفة غريبة ..

ليس فقط صلتها بياقوت ..بل هو شعور جميل يخصها هي ..بعذوبة روحها الطيبة ..

ربما لهذا لم تتعجب رغبة عابد في إتمام الزواج بسرعة رغم عدم ترحيب والدته بطبيعة الحال ..

_عقبال ما نفرح بيكم .

تقولها أخيراً وهي تعانق عابد جوارها ليرد بابتسامة واسعة :

_قريباً جداً إن شاء الله .

ابتسامة لجين الخجول تزيد جمال ملامحها وهي تتبين عجلته على إتمام الزواج ..





كل يوم يمر بها معه يمنحها عوض سنوات عن انتظاره ..

حتى فارق السن بينهما والذي قد يعتبره أحدهم عيباً لكنها لا تكاد تشعر به معه من فرط هدوء شخصيته ورجاحة عقله ..

قد تكون تكبره عمراً ببضع سنوات لكنه يكبرها تفهماً واحتواءً!

_أهلاً ب"أبو نسب" ..شفت بنتنا قالبة الدنيا إزاي!!

يهتف بها يامن بمزاحه المعهود مشيراً لبكاء الصغيرة التي يهدهدها بين ذراعيه لتبتسم ياسمين وهي تتناولها منه لتقول بحنان:

_مش واخدة ع الدوشة .





_مين دي اللي مش واخدة ع الدوشة ؟! دي اتخطفت أول ما اتولدت وشافت مغامرات ولا طرزان ..ده أنا لو مكانها أمسك مطواة بدل ال"تيتينة"!

يهتف بها يامن باستنكار مرح ليعلو صوت ضحكاتهم ..

قبل أن يشير ببصره نحو الباب قائلاً:

_أهلاً ..وادي شقراط وصلت !

لكزته ياسمين في خاصرته تنبهه ليشير للجين بإشارة اعتذار صامتة ..

قبل أن تتحرك ياسمين بصغيرتها لتقابل ياقوت التي وصلت مع ..همسة !

همسة التي بدت كملاك رقيق بثوبها الأرجواني الهادئ ..

وتصفيفة شعرها البسيطة ..





وهذه النظرة المميزة في عينيها ك"طفلة تستكشف العالم من جديد لأول مرة"..

مزيج من البراءة والخوف!

هذه النظرة التي حملت الكثير من الحب وهي تنتقل ببصرها نحو يمنى هامسة بحنان بينما تتلقفها بين ذراعيها من ياسمين:

_ياربي! ..وحشتيني!

اتسعت ابتسامة ياسمين وهي ترمق ياقوت بنظرة خاصة قبل أن تعود لهمسة ببصرها قائلة :

_مش عارفة أشكرك إزاي ..انتِ خدتِ بالك منها ..

_هي اللي خدت بالها مني ..هي اللي ..رجعتني .

تقولها همسة برقتها الملائكية وهي تحتضن ملامح الصغيرة بعينيها ..قبل أن تقبل كفها المنمنم تخاطبها بقولها :

_ماعدتيش خايفة ..ولا أنا كمان .





تبادلت ياقوت وياسمين النظرات الراضية لتشعر الأخيرة بالذات بمدى تقدم حالة همسة ..

كانت قديماً تراها في ملحقها الخارجي بحديقة زين ..مجرد شبح شارد لا يكاد يعي شيئاً مما حوله ..

ولم يكد زين يمر بخاطرها حتى اختلست نظرة جانبية نحو يامن المنشغل بعابد ..

لتميل على ياقوت هامسة :

_زين لسه ما ظهرش؟!

ورغم البرود الذي حاولت ياقوت صبغة ملامحها به ..لكن الألم الذي اكتسح ملامحها كان أكبر من أن تتجاهله ..

خاصة وهي تهز رأسها نفياً بعجز لترمقها ياسمين بنظرة مشفقة ..

وما كادت تحاول سؤالها عن المزيد ..حتى سمعت ما صرف انتباهها إذ تقدمت نبيلة منهما لتحمل الصغيرة من همسة..





ثم تحركت بها لوسط المكان حيث وقفت داليا تدق "الإناء المعدني" ليصدر صوتاً مدوياً هاتفة بشقاوتها المعهودة :

_اسمعي كلام عمتك داليا ..وما تسمعيش كلام عمتك هانيا .

لكن نبيلة هتفت بصوت عال :

_اسمعي كلام مامتك وما تسمعيش كلام باباكي .

_وأنا.. وأنا ..خلليها تسمع كلامي .

تهتف بها رانيا بمرح لتستمر داليا في الدق بما تحمله وسط ضحكاتهن ..

_ودي بقا حرفياً فقرة تحول "بيللا" ل"الحاجة أم يامن"!

يهمس بها يامن جوار أذن ياسمين لتلتفت نحوه بضحكة كتمتها بكفها قبل أن تشعر به يتحرك بها ليبتعدا بها عن ياقوت ثم يلتفون حول نبيلة والصغيرة ..





_عايزة أشم هوا ..لوحدي!

قالتها همسة بمزيج براءتها وخوفها لياقوت التي تفهمت رهابها من الزحام ..

تجربة حضورها هنا بالذات كانت تخيفها خاصة وهمسة لم تستعد شفاءها النفسي بالكامل ..

لكنها وجدتها فرصة لتضعها على أول خطوة في هذا الطريق ..خاصة مع علمها بمكانة يمنى الصغيرة في قلبها ودورها العظيم في استعادتها لنفسها وذكرياتها ..

لهذا منحتها نظرة متفهمة داعمة وهي تتحرك معها نحو الشرفة القريبة التي كانت خالية لحسن الحظ ..




_أنا برضه مش هاسيبك لوحدك ..هاقف بعيد عشان لو احتجتِ حاجة !

تقولها ياقوت بحنان لتفاجئها همسة بعناق قصير قبل أن تسألها بتردد :

_زين ..كويس؟!

الغافلة لا تعلم شيئاً عما حدث ..من حسن الحظ أنها هي من ترفض رؤيته ورؤية رائد حتى الآن ..لكنها تطمئن عليهما منها هي ..

يالسخرية!

هي التي تطمئنها وهي التي أحوج ما تكون لأي خبر عنه !

لكنها هزت رأسها وقد استعادت قناع مهنيتها لتسألها بحذر:

_هو كويس..تحبي تشوفيه ؟!




لكن همسة تهز رأسها نفياً لتدمع عيناها بهمسها المتلعثم:

_مش دلوقت ..لسة ..

لم تستطع فهم سبب رغبة همسة في الابتعاد عن زين ورائد ..

لكنها فسرتها بمرادها في أن تنأى بنفسها عن الجميع كي تقف على أرض صلبة متوازنة خاصة وهي لا تزال تستعيد ذكرياتها القديمة والجديدة لتصنع منهما مزيجاً متجانساً ..

وهو كان الأقرب للصواب!

وفي مكانها وقفت همسة تعطي ظهرها لباب الشرفة كأنما تعود للاختباء من الناس ..

تراقب السماء بشرود وقد مالت الشمس للغروب وبدأت الطيور العودة لأعشاشها ..

ماذا عنها هي؟!




أي عش تريد العودة إليه ؟!

أي وطن ؟!

طيفٌ بعينه يسكن مخيلتها في هذه اللحظة ..

فتبتسم رغماً عنها ..

قبل أن تعود الدموع لتملأ عينيها ..

تعلم أنه نادم على فعلته ..

تعلم أنه عاش بعدها يكفر عن خطئه ..

لكن ..كيف تنسى؟!

كيف تنسى خذلانه إياها في تلك الليلة وهو يتخذ غيرها عروساً ..

بينما يصفها هي ب"المجنونة"!!

تمد أناملها لتعتصر موضع قلبها بقوة وهي تشعر بنفس الألم الذي اجتاحها ليلتها ..





قبل أن تشعر بهذه الأنامل التي امتدت لتغطي عينيها من الخلف ..

_وحشتيني .

تسمعها بصوته الحبيب خلفها فتود لو تستدير ..

لو تلقي نفسها بين ذراعيه ..

لكنها لا تزال عاجزة عن العتاب ..

كيف يمكنها أن تسامح إذا كانت غير قادرة على مجرد مصارحته بلومها ؟!

تشعر بأنامله تفارق عينيها كأنما يمنحها فرصة أن تنظر إليه ..

لكنها بقيت متصلبة مكانها تعطيه ظهرها ..

هنا شعرت بأنامله تمتد نحوها من جديد إنما لرقبتها ..





هناك حيث التف عقد الفل برائحته التي حملت لها عبير عشقه ..

قبل أن تشعر بشفتيه هناك تطبعان قبلات ناعمة على طول عنقها مع همسه :

_هافضل مستنيكي ..لآخر يوم في عمري .

خيطان من الدموع يسيلان على وجنتيها وذكرياتها "الجديدة" معه تعاود تطويقها ..

بيتهما ..حديقته ..المسبح ..الكوخ بلا سقف ولا قضبان ..

جنتها التي صنعها هو لها على الأرض ..

لكن "الذكريات القديمة " لا تزال تجد ندبتها على روحها !

لهذا بقيت متصلبة مكانها حتى شعرت به يبتعد أخيراً بصمت كما اقترب ..





لتتردد قليلاً قبل أن تلتفت لكنه كان قد اختفى تماماً !

خيط الدموع يعاود جريانه فوق وجنتها لكن ابتسامة صغيرة ترسم طريقها فوق شفتيها وهي تتحسس عقد الفل على رقبتها ..

هو ينتظرها ..وهي ستعود ..يوماً ستعود ..

ابتسامتها تتحول لضحكة قصيرة تلتها أخريات وهي تفتح ذراعيها بعدها كأنما تعانق رائحة عطره في الهواء حولها ..

غافلة عن تلك التي وقفت مكانها كما وعدتها تلتقط لها صورة بهذا الوضع الرائع ..

كي ترسلها له !!

زين!

هو الذي تعلم أنه لن يستقبل صورتها وقد أغلق هاتفه بل وكل أبوابه في وجه الحياة ..





لكنها لن تيأس من انتظاره ..

بل ..ستذهب هي إليه ..!!

أجل ..

لو هرب من الدنيا كلها فلن يهرب منها هي ..

ستجده ..وستجعله يجد نفسه بعدها ..

هذا هو وعدها لقلبها وأبداً ..لن تخلفه !

======

_فين زين؟!

تسأله ياقوت وهي تقف أمامه بحديقة بيته..

اللهفة تغزو ملامحها رغم محاولتها كسوة صوتها بالبرود .. ليرد رائد بأسف:

_آسف يا ياقوت ..هو لسه رافض يشوف حد .

_أنا مش حد !

هتفت بها بمزيج من حدة وعجز ...

لتملأ الدموع عينيها فجأة فتشيح بوجهها وهي تحاول الهروب بنظراتها ..





تماماً كما تحاول الهروب من مشاعرها طيلة الأيام السابقة ..

الحادث الأخير جعل السطوة لعقلها الذي صار يوقن أن لا مكان لرجل مثله بدنياها ..

لا هو يليق ب"عالمها النقي" ولا هي تليق ب"عالمه الفخم" ..

كل حادث يمر بهما يرسخ هذه الحقيقة ..فأين المفر؟!

لكن القلوب لها دوماً رأي آخر !!

وهاهو ذا قلبها الخائن يزداد تمرداً في كل يوم مطالباً إياها برؤيته ..

لهذا عادت ببصرها نحو رائد الذي بدا محرجاً بدوره من رفض طلبها ..لتقول بنبرة حاولت جعلها عملية :





_أنا هاكلمك بصفتي دكتورة ..هو لازم يخرج م اللي هو فيه ..العزلة مش حل ..بالعكس ..هتخلليه يضخم مشكلته لحد ما تبلعه .

لكن رائد تنهد ليشيح بوجهه قائلاً بوجوم:

_دي مش مجرد مشكلة ..ده ماضي عمر بحاله عاشه غلط ..عشان كده أنا عاذره في رغبته إنه يبعد ويعيد حساباته ..

ثم عاد إليها ببصره مستطرداً بحزن حقيقي:

_أنا عمري ما شفت زين زي ماهو دلوقت ..الست دي قتلته فعلاً معاها ..ورغم إنه رافض يحكيلي تفاصيل اللي حصل معاها يومها بس أنا متصور إيه اللي ممكن يهد جبل زي زين بالشكل ده ..

ثم صمت لحظة ليردف بكلمة واحدة :

_ضميره !

ازدادت كثافة الدموع في عينيها والعجز يتملك منها أكثر ..




عقلها يصرخ بالمزيد من "ابتعدي ..اهربي من كل هذا السواد"..

وقلبها يرجوها بألف ألف "اقتربي ..أنقذيه وأنقذي نفسك معه..فمن أنتِ دونه؟!"

وبينهما كانت هي تسير على حد سيف لايرحم !

لهذا خرجت نبرتها مرتجفة بضراعة غريبة تسربت عبر قوة حروفها المعهودة :

_رائد ..مش كنت دايماً تقول في رقبتك جميل ليا ..

لم تزد عليها ..!

لكنه قرأ في نظراتها هذا الفيض المكتسح من مشاعرها ..

هي بالذات لا يستطيع أن يردها خائبة وقد ردت إليه روحه ..ردت إليه همسة ..

لهذا صمت قليلاً يفكر قبل أن يحسم أمره :

_ماشي ..ياللا بينا .





ارتخت ملامحها بارتياح مؤقت وهي تتحرك جواره لتستقل معه سيارته ..

قرب اللقاء يزلزل قلبها برهبة عارمة موقنة أنها لن ترى الرجل الذي عرفته من قبل ..

بل "ظلاً قاتماً" لبقايا رجل طعنه غروره قبل خطاياه !!

غصة مريرة تتجمع في حلقها وهي تجد نفسها تشبك كفيها بخزي ..

لن تخبر ثمر عن هذا اللقاء ..

ماذا عساها تخبرها ؟!!

أنها استجابت لهذا الوهن من جديد ؟!!

آآه!!

آهة عالية تطلقها روحها ويصمت عنها لسانها!!

ماذا عساها تصنع برجل هو كل الخزي ..وكل الشرف؟!!





هو الذي أبى إلا أن يجمع كل المتناقضات فلا تدري في أي خانة مسطحة تضعه ؟!!

ربما لهذا هربت من طوفان مشاعرها هذا لتعاود الالتفات نحو رائد بسؤالها مغيرة الموضوع:

_ماحاولتش تكلم همسة تاني؟!

سؤالها ينكأ جرحه وهو يتذكر حال همسة عقب إنقاذه لها من مختطفيها تلك الليلة ..

فلم تكد تستقل معه سيارته التي قادها بها نحو بيته حتى أوقفته في منتصف الطريق ..

_مش هارجع بيتك !

لم تقلها حاسمة أو قاسية ..حتى عتابها كان رقيقاً مثلها ..

عتابها الذي اشتاقه كما اشتاق كل لمحة من ماضيهما القديم ..





ورغم ضيقه بموقفها هذا وشعوره أن المرحلة القادمة قد تحمل فراقاً عاتباً لكن إحساسه بقرب عودتها لعالمنا بعيداً عن نداهة عالمها القاهرة كان أكثر من معجزة !!

لهذا مد أنامله برفق محتضناً كفها ليقول بحنان لم يخلُ من ترقب:

_عايزة تروحي فين ؟!

صمتت طويلاً بشرود وعيناها الحبيبتان تغرقان في لجة من أفكارها ..

ليعاود سؤالها بنفس الترقب الحاني:

_تروحي بيت زين ؟!

كان يخشى جوابها بالإيجاب خاصة وهو لا يعرف مصير زين بعد ..

لكنها همست بنفس الشرود :

_هو مش بيت زين..ده بيت بابا ..





ثم التفتت نحوه لتأسره هذه النظرة العاتبة المحترقة في عينين تذكران الآن كل ما تعرضت له من ظلم ..

هذا الذي بدا في كلمتها الوحيدة بعدها :

_وبيتي!

ابتسامة شاحبة تظلل شفتيه قبل أن ينحني ليضمها لصدره بقوة ..

أنامله تتخلل خصلات شعرها وهو يهمس جوار أذنها بعينيه المغمضتين :

_كان عندي إحساس إنك يوم ما ترجعي هتاخدي حقك من الناس كلها ..وأولهم ..أنا !

كان يشعر أنه يتحرك بها على خيط رفيع معلق يعلو جحيماً من الماضي ..

حقل ألغام لا يمكنه معه ائتمان حركته القادمة ..





لكنه كان يثق بقلبه الذي يخبره أنها عادت حقاً هذه المرة ..

ولن يفقدها من جديد ..

لهذا أبعدها برفق مراقباً نظراتها التي عادت لشرودها كأنها هي الأخرى معلقة بماضيها ..

ذكرياتها التي تلونت بها عيناها تبدو له جلية في نظرات طالما كانت مرآته لروحها ..

هذه التي فضحت له عذابها الآن وهي تعود ببصرها نحوه ..

لا يزال النظر إليها بهذا القرب معجزة !!

حلماً أتى بعد طول انتظار ..

ويستحق المزيد !!

_عايزة ..أكون ..لوحدي شوية ..





تهمس بها أخيراً وهي تغمض عينيها فيعقد حاجبيه بقلق هامساً :

_لوحدك إزاي؟!

لكن انعقاد حاجبيه يزداد وهو يسمعها تدلي برغبتها في الذهاب لبيت "الخادمة" !!

الخادمة التي كانت رفيقة وحدتها طوال هذا الوقت !!

_ليه ؟!

يسألها باستنكار وهو يتشبث بكفها في راحته لكنها تبتعد بجسدها لتهمس عبر غيمة شرودها :

_عايزة أبعد عن زين ..وعنك ..عايزة ..ألاقيني .

دموعها الصامتة تنهمر بعدها ليعاود ضمها لصدره بقوة أكبر وهو يربت على ظهرها هامساً بما ظن أن كليهما يحتاج سماعه :

_عمرك ما كنتِ لوحدك ولا هتكوني ..لو مش عايزة بيتي ولا بيت باباكِ هاشوفلك بيت تاني بس هتكوني برضه تحت عيني ..

ثم أبعدها ليمسح دموعها محتضناً وجنتيها براحتيه مع همسه المتهجج بانفعاله :

_خدي وقتك كله حبيبتي ..مهما بعدتِ هترجعيلي .

_رائد!

نداء ياقوت ينتزعه من شرود الذكرى ليزفر بقوة مع جوابه :

_لسه رافضة تكلمني ..مش قابلة حد يزورها غيرك انتِ وبس .





لكنها هزت رأسها لتقول مواسية :

_همسة بتتحسن ..كل مرة بروح لها بعد الحادثة بحسها بقت أقرب لإنسانة طبيعية ..واحدة واحدة بتفتكر ذكرياتها الجديدة اللي عاشتها في بيتك وبتحاول تقاوم بيها الجرح القديم ..بس هي غصب عنها مش قادرة تنسى ..لسه في مرحلة صدمة وعدم توازن ..إديها فرصتها ..احنا قربنا قوي .

عبارتها الأخيرة ترافقها ابتسامة مشجعة يتقبلها هو بنظرة امتنان ..ثم يعود ليركز بصره في الطريق متذكراً زياراته اليومية لها في شقتها الجديدة التي اختارها لها على النيل مدركاً عشقها لرؤية هذا المنظر ..زياراته التي تنتهي خائبة والخادمة تعود إليه بنظرة الحرج كل مرة ..لا تزال ترفض رؤيته !

لكنه لن ييأس ..

لقد اقترب كثيراً كما تقول ياقوت !!





_وصلنا !

يقولها وهو يوقف السيارة لتتأمل ياقوت المكان حولها بقليل من الدهشة ..

أجل ..كانت تتوقع أن هروب زين سيكون لمكان بسيط كهذا بعيد تماماً عن ولعه القديم بالفخامة ..

وقد صدق ظنها ليس فقط ببساطة المكان بل بعزلته ..

بقعة نائية في أطراف الصحراء شيد فيه هذا المبنى من طابق واحد ..

_ما تتوقعيش تشوفي زين اللي تعرفيه .

يقولها رائد ببعض الإشفاق لتبتلع غصة حلقها وهي تغادر معه السيارة نحو البيت ..

البيت الذي فتح هو بابه لتدخل خلفه ..

يتقدم أكثر ليفتح باب غرفة ما قبل أن يخرج بعد قليل ويغلقها خلفه هامساً لها بأسف:





_بلاش أحسن ..ماقلتلوش إنك هنا ..هو حتى مابيردش عليا .

لكن عينيها التمعتا بتصميم عبر غلالة دموعهما خلف نظارتها ليتنهد باستسلام هامساً :

_هاستناكي هنا ..مافتكرش إنك هتطولي .

قال عبارته الأخيرة بنكهة تحذير مواسية لكنها لم تسمعها تقريباً مع هذا الطنين الذي كان يدوي في أذنيها وهي تدفع الباب برفق لتدخل ..

ثم تغلقه خلفها ..

لأول مرة تشعر بحاجتها معه لهذه الخلوة ..

لأن يفقد العالم مفرداته فلا يبقى سوى هي وهو!

لأن تتشرب كل هذا الوجع الذي يحمله كقطعة اسفنج نهمة فلا تترك له بعدها أي ألم ..

غريبٌ هذا الشعور الأمومي الذي تحمله نحو رجل بهذه المكانة ..




لم تعرف يوماً بولعها للأطفال كلجين المغرمة بهم..

لكنه وحدها استفز أمومتها الخفية لتجرب معه هذا الشعور لأول مرة جوار كل العواطف العذراء التي عايشتها معه بمذاق الأصالة والتفرد ..

على فراشه كان جالساً ممدداً قدميه أمامه شارداً في ضوء خافت يأتيه عبر النافذة المغلقة ..

وسامته الطاغية الآن تجتاحها هالات سوداء تحت عينيه الحمراوين ..

وقد استطالت ذقنه دون تهذيب وكذا شعره الذي بدا مشعثاً فوضوياً كما لم تره من قبل ..

حتى "سراجا الشمس" في عينيه كانا وكأنهما قد انطفآ!

تقدمت منه أكثر لعله يبدي أي ردة فعل لكنه بدا وكأنه لايراها ..بل لا يشعر بها ..





شفتاه تتمتمان بشيء لا تسمعه ..بل ولا يعيه هو كأنه يهذي !!

لكنها جلست أخيراً على طرف فراشه لتشعر به يلتفت نحوها ..

سراجا الشمس في عينيه يتوهجان للحظة ..لحظة واحدة قبل أن يعودا للانطفاء ..

تخلع عنها نظارتها في رسالة ذات مغزى ..

لكنه يشيح بوجهه هامساً بصوت صارم لكنه مبحوح :

_اخرجي .

فضغطت شفتيها بقوة لترد :

_أخرج منين ؟! من هنا ؟!

قالتها وهي تشير للغرفة حولها قبل أن تتردد أناملها لتحط على صدره كطير ملهوف مع استطرادها :




_واللا من هنا ؟!

انتفض جسده من لمستها بردة فعل مبالغة لينعقد حاجباه أكثر ولايزال مشيحاً بوجهه عنها ..

قبل أن يكرر بحزم أكبر:

_اخرجي .

فازدادت كثافة الدموع في عينيها لتتجاهل قوله تماماً ..

بينما تقول بنبرة امتزجت قوتها بعاطفتها :

_عارف كنت فين الصبح ؟! رحت أزور قبر حسين رجائي ..وهناك افتكرت "العشرة جنيه" اللي دفنتها انت هناك ..

_اخرجي .

يعاود قولها بنفس الحزم لكنها تواصل بنفس التجاهل :





_افتكرت وقفتك جنب ستي ثمر ..وافتكرت أسوأ ليلة في حياتي ..الليلة اللي دفعت انت فيها تمن عقدتي القديمة ..

_اخرجي .

يكررها إنما بنبرة أكثر خفوتاً مغمض العينين هذه المرة لترد وهي تستشعر خفقات قلبه هادرة تحت راحتها المبسوطة على صدره :

_افتكرت إني عمري ..عمري ما حسيت بالأمان اللي يخليني أعيط في حضن حد بعد ستي ..إلا معاك !

_اخرجي !

نبرته وصلت حد الهمس المشتعل هذه المرة وهو يشدد من إغماض عينيه كأنما يخشى أن تخوناه بنظرة نحوها ..

يقبض كفيه جواره بقوة تشنج لها جسده ..





فيرتجف همسها أكثر وهي تستدعي كل ذرة قوة تملكها كي تبدو أمام انهياره هذا بكل هذا الثبات :

_قلتلك آخر مرة شفتك قبل ما تروح تقابلها مش هسامحك لو مارجعتش ..وانت لسه مارجعتش !

_ومش هارجع !

أخيراً نطق بكلمة أخرى غير "اخرجي" هذه !!

انتصار صغير اعتبرته بداية طريقها معه ..

منذ ولجت إلى هنا وهي تدرك أنها ستواجه رجلاً يجلده ضميره ..

لهذا بادرته بردة عكسية وهي تعدد له عطاياه السخية معها ..

الطبيبة تلتحم بالعاشقة في هذه اللحظة فلا مراد لكلتيهما إلا استعادته !!

_بس أنا هسامحك ..بشرط ..تسامح نفسك .





تقولها ولا تدرك أي لغمٍ ضغطت عليه قدماها دون حذر !!

إذ انتفض جسده فجأة وهو يهب من رقدته ليكرر خلفها صارخاً :

_أسامح نفسي ؟!

ظل يكررها لمرات لم تدرِ عددها لكنها كانت تحترق بها في كل مرة وهي توقن من صعوبة ما تطلبه ..

تشهق بارتياع وهي تجده يزيح كفها من على صدره بعنف ..قبل أن يمزق أزرار قميص منامته بقوة ليبدو لها صدره العاري بآثار جلداته !!

تكتم صرختها بكل طاقتها وهي تحاول التحكم في انفعالاتها ..

لكنها عجزت عن امتلاك رعشة جسدها الذي كان يرتجف دونما توقف ..

والسؤال في عينيها يجبن عنه اللسان !!





من فعل به هذا ؟!

تلك المرأة ؟!

هل وصل بهما الأمر هذا الحد ؟!

لماذا لم يخبرها رائد ؟!

لماذا تركها تصدم بالأمر أمامه الآن هكذا ؟!!

العناق "الخامس عشر" ..!

بنكهة "التعرية" ..التطهير ..وضع الوزر عن كاهل ناء به ..

بادرت به هي هذه المرة ليس بجسدها ..

بل بكفيها !!

فقط كفيها -على رقتهما- يحتضنان الآن كفيه بتشبث غريق بغريق ..كلاهما يرى في الآخر طوق نجاته ..

فقط كفيها -على ضآلتهما- يبدوان له الآن وكأنهما بحجم العالم كله ..





فقط كفيها -على نعومتهما - يبدوان له بصلابة جبل يعده ألا ينسف بعد الآن أبداً !!

_زين!

تهمس بها بكل ما أوتيت من قوة ..لكنه يسمعها بكل ما صار يحتله من وهن ..

من خزي ..

من ندم ..

لكن هاهي ذي تعويذتها لم تفقد أثرها...

وها هو ذا كفاه يعتصران كفيها أكثر بقوة آلمتها لكنها كتمت تأوهاتها كما تدرك أنه يكتم وجعه ..

وجعه الذي كان يصرخ في عينيه الشاردتين وهو يسترجع أحداث تلك الليلة العصيبة ..

المرأة التي كانت ضحيته وجلاده !!

يتذكر جسدها الذي رخص بعد غلوّ ..

تشوه بعد كمال ..





يتذكر عينيها الشاخصتين وقد فقدتا بريق الحياة ..

يتذكر اختناق أنفاسها التي لفظتها أمامه واحداً واحداً ..

يتذكر خوفه على همسة ..

على ياقوت ..

على عمله وماله ..

فيرى عالمه كله ينهار كأن لم يكن !

عيناه تفيقان أخيراً من شرودهما الذي احتملته هي صابرة لتلتقي بعينيها ..

قمراها السجينان هذه المرة لم يكونا يستصرخانه أن يحررهما ..

بل أن يحرر نفسه أولاً !!

يحررها من هذا الذنب الذي عاش يحمله طوال هذا العمر غير مبالٍ ..





فلم يشعر به إلا وقد قصم ظهره !!

كفاه يزدادان اعتصاراً لراحتيها وهو يود لو يجذبها نحوه ..

لو يعانقها عناقاً حقيقياً لكنه في هذه اللحظة كان يشعر بالدنس حد أنه خشي أن "يلوثها"!!

يغمض عينيه أخيراً بألم شق أخاديده فوق ملامحه و"البوح المخزي" ينساب عبر شفتين طالما توجهما الغرور ..

يحكي لها تفاصيل تلك الليلة لحظة لحظة ..

وكل كلمة يحكيها ينعكس صداها في دمعة من عينيها ..

جزء بداخلها يلعنه !!

يود لو يجلده مثل جلداته هذه عشرة ومائة وألفاً !!

لكن ما بقي منها يود لو تدفع العمر كله قرباناً لتكفير خطيئته !!





لو تفتدي وجعه الذي تخترقها رماحه هذه بكل ما تملك !

لو تمنحه من ندمه الذي ينهمر بين حروفه كالسيل مائة صك من غفران !!

تنتهي كلماته أخيراً لكن دموعها هي لم تتوقف ..

أي شيء يمكن أن يصف شعورها الآن به ؟!

تحاول التذرع بقناع مهنيتها فيخذلها الآن شر خذلان !!

هي الآن أمه وصديقته وحبيبته ..

وشقّ روحه الذي لن يكتمل إلا به !!

لا حيادية هاهنا ..لا حمائية سوى لقرابة الروح !!

_أعمل إيه ؟! إزاي ممكن أرمي كل ده ورا ظهري وأكمل ؟! إزاي أنسى؟!





أسئلته لا تزال تتسرب عبر عينيه المغمضتين فتستدعي كل قوتها لتجيبه عبر فيض دموعها :

_هي اختارت تكمل طريق انتقامها للآخر ..انت كمان قدامك فرصة تختار ..لسه الوقت مافاتش .

تقولها وهي تتشبث بأنامله أكثر لكنه يهز رأسه بألم عاجز قبل أن يخبط رأسه بعنف في ظهر الفراش خلفه ..

رنين هاتفها يقاطع حديثهما فتتردد كثيراً في فتح الاتصال ..

إنها النغمة التي خصصتها لثمر ..

نفسها تراودها ألا تجيب مع هذا الشعور بالخزي الذي ينتابها الآن ..

لكن منذ متى تتأخر هي عن ثمر ؟!

الأكفّ المتعانقة تنفصل !!





تفتح الاتصال لتسمع صوت ثمر الحبيب تطلب منها شيئاً تشتريه لأجل لجين فترد عليها بمحايدة ..

لكن نبرة صوتها الباكية لم تفوتها أذن الجدة الخبيرة لتصمت قليلاً قبل أن تسألها:

_انتِ فين دلوقت؟!

تعض شفتها بقوة وهي تلقي نظرة بائسة على زين الذي بدا غائباً عن هذا العالم وقد عاد يغمض عينيه هارباً من كل شيء ..

ستكذب!

كذبة بيضاء صغيرة تطمئنها بها كي لا تزيد قلقها !!

لكن لسانها تردد كثيراً لينسج ثوباً طويلاً من صمت قطعته ثمر بقولها المفاجئ:

_انتِ عنده ؟!





عادت دموعها تغرق وجنتيها وهي لا تدري بماذا ترد ..

ثمر الحصيفة كشفتها !!

ثمر التي صمتت للحظات قبل أن تبادرها بقولها :

_لو جنبك خلليني أكلمه .

اتسعت عيناها بصدمة لتشهق بعنف أجفل زين الذي فتح عينيه فجأة ليروعه شحوب وجهها المفاجئ ..

_اديهولي يا دكتورة .

على الأقل هي لم تقل "بنت أشواق"!!

ربما يعني هذا خيراً !!

لم تستطع إزاء لهجة ثمر الصارمة إلا أن تناوله الهاتف بأنامل مرتجفة لتزيغ عيناه باضطراب وهو لا يفهم ماذا يحدث ..




كاد يشيح بوجهه هارباً من جديد ..

لكن رؤيته لاسم المتصلة جعل نظراته تتجمد قليلاً قبل أن يمد أنامله ليضع الهاتف جوار أذنه ..

كل لباقته تخونه والكلمات تذوب على شفتيه ..

ربما لو لم تكن هي الحاجة ثمر بهيبتها ومكانتها لدى ياقوت لرفض الاتصال كما يرفض التواصل مع كل هذا العالم ..

لكن أنفاسه المضطربة وصلت ثمر لتدرك بحدسها أنه هو ..

_حمداً لله ع السلامة يا بيه !

صوتها المهيب الممتزج بحنان أصيل يطرق أبواب صدره طرقاً ..




فيجيبها جواباً تقليدياً بصوت خرج رغماً عنه متحشرجاً ..

لتصله عبارتها التالية :

_من زمان كنت عايزة أتشكرك ع اللي عملته معايا ..ولاد الأصول بيبانوا في الشدة .

حزمها الحنون يخالطه الآن عتاب خفي وصله كاملاً دون تزييف..

لكنه لم يجد رداً مع هذه الغصة التي استحكمت حلقه ..

_بركة رجوع أختك بالسلامة ..الفضل لربنا وبعدين ليك ..ربنا كتبلك عمر جديد وقليل قوي اللي بيقدروا النعمة دي .





التوت شفتاه بابتسامة مريرة وهو يدرك ذكاء المرأة التي لم تشر لما ينتقصه بل ..لما يمتدحه ..

رغم أنه يوقن من نبرتها التي تتشح بطيف عتابها أنها تعلم الحقيقة كاملة ..

هذا الذي ازداد يقينه به وهو يراها تغلق معه الاتصال بقولها الذي حمل رسالة خفية :

_ما تخلليش الدكتورة ياقوت تتأخر ..طريقك غريب عليها ممكن تتوه .

أغلق معها الاتصال الذي لم يتحدث فيه سوى ببضع كلمات مبعثرة ليعيد لياقوت هاتفها فتسأله باهتمام قلق:

_قالتلك إيه ؟!

لكنه عاد يغمض عينيه هارباً ..

يستعيد كلمات ثمر التي مزجتها حكمتها بخليط متجانس من تقدير وعتاب ..





Cinnabon

يستشعر هذا الأمل الذي امتزج بحديثها عن "العمر الجديد"..

ثم هذا العتاب الذي صاغته كلماتها عن ألا يؤخر ياقوت الغريبة عن طريقه !!

المرأة على بساطة كلماتها بدت وكأنها فتحت له بابين ..

أحدهما بنهاية ..والآخر ببداية ..

لكن هل يجرؤ على التعلق من جديد ببداية ؟!

هل لمن مثله صفح ؟!

هل يستحق براءة توبة ؟!!

لهذا أشاح بوجهه عنها ليجيب تساؤلها أخيراً بيأس:

_مش مهم ..

عضت شفتها بقوة وهي تشعر بالوهن ينتقل منه إليها ..





جاءت لتمنحه القوة وهاهي ذي تجبن أمام هذا الألم الرهيب الذي خرت له جباله ساجدة ..

_لا مهم ! ..ستي ثمر عمرها ماكانت هتطلب تكلمك إلا لو حاسة إن كلامها فارق ..

هتفت بها بتماسك وهي تقوم لتضم عليه قميصه بحركة موحية مدارية "أثر خزيه"..

وجهها ينحني فوقه فيفتح عينيه أخيراً لتلتقي نظراتهما بهذا القرب ..

قمراها السجينان لم يكونا يختبآن خلف غيومهما بل كانا يشعان بعاطفتها النقية التي امتزجت بقوتها وهي تهمس له :

_عيش ندمك لآخره بس ما تخلليهوش يهدك ..خلليه يبني اللي باقي من عمرك بوشّ جديد ..

ثم ارتجفت ابتسامتها لتردف بنبرة تعمدت جعلها أكثر إشراقاً :





_حادثة خطف واحدة كانت خير على الكل .. خلت همسة تفتكر وتتكلم وقريب هترجع زي الأول ..خلت رائد بطل في عينيها بصورة جديدة مسحت القديمة ..خلت رامي الكلب ده ياخد جزاءه ..خلت يامن ياخد خطوة تانية في طريق علاجه من وساوسه ..

صمتت لحظة بعدها تأخذ نفساً عميقاً قبل أن تهمس أخيراً :

_وهتخلليك تعيد حساباتك في اللي فات واللي جاي ..احنا مش ملايكة ولا شياطين ..احنا بشر بنغلط عشان نتعلم .

دمعة كبيرة تتجمع في عينيه وتحجب عنه رؤيتها ..

دمعة تحمل طيف تلك المرأة ليلتها ..

دمعة تتوقف أبيّة على طرف جفنه فتتردد أناملها قبل أن تمتد لتمسحها هي قبل أن تسقط ..

تدرك كم يعني سقوطها لدى رجل كهذا !!





يغمض عينيه طويلاً ..طويلاً جداً هذه المرة ..

يترنح بين شعوره بهذه السكينة التي منحتها إياه لمستها ..

وبين جحيم الذنب الذي يكاد يكوي ضلوعه ..

لكنه يفتحهما أخيراً يتشبث بكل خيوط النور التي تمنحها له عيناها ..

قبل أن تنحدر نظراته نحو شفتيها ..

كم يود الآن لو يعانقهما بشفتيه !!

لا ..لن تكون مجرد قبلة ..بل ترياقاً لهذا السم الذي يخترق روحه فيقتله ببطء ..

آه ..

يحتاجه الآن بشدة !!

شفتاه ترتجفان لتقتربا منها دون وعي لكنه يشيح بوجهه عنها في اللحظة الأخيرة منتزعاً نفسه من هذا الشعور بقوة قاهرة ..





كأنه من جديد يخشى أن ..يلوثها !!

هذا الذي وصلها هي صادقاً لترتجف شفتاها بشبه ابتسامة وهي تربت على كفه ..

قبل أن تمنحه عيناها نظرة داعمة أخيرة سبقت همسها قبل أن تغادر:

_عارفة إنك محتاج تتكلم كتير ..ومحتاجة أسمعك أكتر ..بس هستناك انت تطلبها ..كل مرة بنفتكر ان الدايرة بيننا بتتفتح ..بنلاقي دايرة تانية أضيق بتتقفل علينا ..والمرة دي مش هاسمح لك تفتحها قبل ما اطمن عليك .

=========





القطعة الحادية والعشرون

=========

_شكراً يا ياقوت ..كنت محتاج أخرج جداً !

يقولها هيثم بتشتت وهو يتلفت حوله في النادي الذي اصطحبته إليه لتشعر بالمزيد من الحيرة ..

إسلام وأمه يحاولان عزل هيثم عن العالم الخارجي خوفاً عليه من أن يعرف حقيقة تسبب له انتكاسة ..

لكنها لا تزال -كطبيبة - لا تدري جدوى هذا الأمر خاصة والمدة تطول ..

هل سيحبسونه في بيته للأبد ؟!!

ربما لهذا طلبت من إسلام أن تخرج هي معه اليوم على مسئوليتها لعلها تحفز ذاكرته بزيارة

الأماكن التي اعتادها ..

_آسف عشان اللي ماما عملته ..أنا مش فاهم أسباب ..بس ..




يقولها بتلعثم متذكراً ما سمعه عن سجنها إياها لترد هي محاولة تجاوز الأمر بدورها :

_سيبك من ده وقل لي ..انت أخبارك إيه ؟! ماافتكرتش أي حاجة ؟!

يعاود التلفت حوله ليقول بشرود :

_ساعات بفتكر مواقف بعيدة ..بس متفرقة ..وشوش بس مش فاكر أساميها .

_مفيش حد معين حسيت إنك مشدود له وإنك تعرفه ؟!

تعاود سؤاله باهتمام وهي تعدل وضع نظارتها فوق أنفها ليصمت قليلاً قبل أن يرد بتردد :

_شهد !

ابتسامة واهنة ارتسمت على شفتيها وهي تشعر بالمزيج من الرضا والتوجس ..





لاتزال هذه العلاقة تثير ريبتها ولا تدري أين ستصب ..

لكنها ستتبع حدسها فيما يتعلق بهما ..

لهذا اجتاحها المزيد من الرضا وهو يرد بابتسامته العفوية :

_طول الفترة اللي فاتت بكلمها في التليفون كل يوم تقريباً ..بتقوللي تفاصيل جميلة قوي عننا قبل الحادثة ..لدرجة إني نفسي أخف عشان أعيشها معاها تاني ..

_حاسس إنها بتحبك ؟!

تسأله بترقب ليرد مباشرة دون تفكير:

_قوي !

ابتسامتها تتحول لضحكة صافية وهي تميز هذه الثقة التي يتحدث بها ..





والتي تعتبر غريبة حقاً عن كل هذا التيه الذي يشعر به ..

كأنها صارت حقيقته الوحيدة الثابتة وسط ظلمات ضلالاته ..

لكنه عاد يشرد ببصره مردفاً:

_بس فيه حاجة بيننا ناقصة ..كلامها معايا مخنوق ..حاجة مش عارف أوصفها ..

_ممكن تكون جرحتها زمان ..أو يمكن هي جرحتك ؟!

تقولها بحذر محاولة تحريك مياهه الراكدة ليلتفت نحوها بحدة للحظة كأنما تذكر شيئاً ..

قبل أن يعود ليهز رأسه بيأس :

_مش فاكر .

منحته ابتسامة داعمة لتردف وهي تربت على كفه المبسوط أمامهما على المائدة :





_الموضوع مش هييجي زي الأفلام ..صدمة وخبطة على دماغك تخلليك تفتكر اللي نسيته ..رجوع الذاكرة غالباً بيبقى تدريجي وبهدوء ..ساعد نفسك بس واسترخي ..

ثم صمتت لحظة لتردف :

_وصدّق قلبك .

أومأ برأسه وهو يمنحها ابتسامة اتسعت وهو يميز وجه شهد التي ظهرت من خلفها فالتفتت هي نحوها لتقف مصافحة إياها قبل أن تلتفت له هاتفة :

_إيه رأيك في المفاجأة دي ؟!

ضحك وعيناه تلتمعان بعاطفة صادقة بينما يقف يصافح شهد التي بدت مرتبكة محمرة الوجنتين ..

طيف عابر يمر في ذاكرته -المثقوبة- لفتاة تشبهها تسير جواره وتضحك ..





فيشعر بالمزيد من الألفة وهو يدعوها للجلوس شاكراً ياقوت التي انسحبت عنهما تاركة لهما بعض الخصوصية ..

تسير مبتعدة وعيناها تميزان خيوط هذه العاطفة المنسوجة بينهما ..

تشعر بالكثير من الإشفاق نحو شهد التي تلعب في "الوقت بدل الضائع" محاولة تلقف ما تلقيه لها الحياة من "فتات" حب لن يدوم ..

لكنها تطمع -مثلها- أن يكون لحب يائس مثل هذا فرصة ..

ربما وقتها يمكنها هي الأخرى أن تطمع بفرصة شبيهة !





تنهيدة حارة تستجلب دمعة حارقة لعينها وهي تتذكر آخر لقاءاتها بزين الذي لايزال مصرّاً على عزلته العقابية ..

فيخفق قلبها بلوعة وهي معلقة بين جحيم قلقها عليه ..وخوفها من لقاء ثمر المرتقب عقب عودتها للقرية ..

قشعريرة باردة ترجف جسدها وهي تتوقع عتابها منتظرة عهداً لن تستطيع الوفاء به ..

لكن أفكارها تتوقف وهي تعود ببصرها هناك نحو أخيها وحبيبته لترى ما اعتبرته "إشارة قدر" ..

فهناك كان هيثم يحتضن كف شهد بين راحتيه وابتسامته تنافس ابتسامتها أمامه حباً !

تهز رأسها بحيرة وهي تعاود السير والسؤال البسيط ..البسيط جداً ..والخطير ..الخطير جداً ..يفرض نفسه وسط صراع القلب والعقل ..





هل يكفي الحب وحده ؟!

=======

_كل دي حاجات يا توتة ؟!

تهتف بها لجين بلهفة فرحة وهي تقلب الحاجيات التي أتتها بها شقيقتها تجهيزاً لزفافها القريب ..

لترد الأخيرة بابتسامة حانية :

_واحنا عندنا كام أوبرا يعني ؟!

تقولها وهي تعانقها بحنوّ لتمنحها لجين ابتسامة امتنان واسعة سبقت قولها:

_عقبال ما نفرح بيكي ..عمري ما كنت أتصور إني أتجوز قبلك .





_بتعايريني يا بنت ؟! احنا لسه فيها ..أنا أشاور بس وألف عريس ييجي ..الرجالة كتير بس فين النفس؟!

تقولها ياقوت ممازحة بمرح لكن لجين شعرت بمرارة خفية مدفونة تحت هذه الكلمات ..

ياقوت تخفي شيئاً!

شيئاً أكبر من أن يداريه كتمانها ومرحها المصطنع ..

لهذا رمقتها بنظرة متفحصة قلقة لتسألها:

_انتِ كويسة ؟!

والسؤال -على بساطته - يستجلب دمعة حارقة لعينيها ..

لقد ملت التظاهر أنها بخير ..




ملّت هذا الوجع الذي يبقيها على حافة الانتظار الغبية وهي لا تدري ماذا تفعل ..

لكنها اغتصبت ابتسامة واسعة وهي تعاود ضم شقيقتها هاتفة :

_زي الفل ..خلليكي انتِ في نفسك ..وقوليلي عريسك عامل معاكِ إيه ؟!

احمر وجه لجين خجلاً وهي لا تدري كيف تصف سعادتها ..

رغم تحفظ عابد بحكم التزامه الديني ..

رغم أنه لم ينطق حتى الآن بكلمة غزل واحدة ..

ورغم أنه غريب تماماً عن كل نماذج الرجال الذين رأتهم في حياتها ..

لكنها تشعر وكأنه هو بالذات ..خُلق لها!!

هو لا يقول لها "أحبك"





بالطريقة التقليدية ..لكنها تسمعها في كل مرة تراه متعجلاً إتمام الزواج ..

في كل مكالمة تتكرر على مدار اليوم يسألها عن أخبارها ..

في كل مرة تشتعل فيها عيناه أول ما يراها قبل أن تشعر أنه ينتزع نفسه انتزاعاً ليغض بصره عنها ..

رائعٌ هو بكل تفاصيل خجله وورعه ..

وهذا البِشر النوراني الذي يشع من ملامحه ..

كأنه لا ينتمي إلى هذا الزمان !

إنه حتى لم يسألها عن تفاصيل مرضها بعدها محترماً خصوصيتها ..

يتغمدها بهذا الحنان الذي لا يُرى لكنه يحس ..وكفى!

_خدي بالك الشيوخ دول بيطلع منهم أحلى شغل ..ماتغركيش الدقن والجلابية ..ولو إني مش متخيلة بطريقة كلامه دي هيقوللك بحبك إزاي ..





C i n n a b o n

هتفت بها ياقوت وقد تلبستها "العفريتة العابثة" لتردف مغلظة صوتها ومقلدة عابد :

_واحبيبتاه ! كاد الشوق يقتلني ..قلبي مفتون بك منذ رأيتك لكن الحلال الأجمل جعلني أنتظر ..

قهقهت لجين ضاحكة وهي تخبطها على كتفها بقبضتها لتشاركها ياقوت ضحكاتها للحظات ..

قبل أن تهتف على نفس الوتيرة :

_أخاف تلقطيها منه ويوم الصباحية تقابلينا بتقولي :أختاه ..جَدَّتي ثمر ..كم افتقدتكما !

تقولها قابضة راحتيها أمام وجهها في وضع تمثيلي لتقاطعها لجين وسط ضحكاتها :





_بس بقا يا توتة قلبي هيقف م الضحك .

فتنهدت ياقوت وهي ترمقها بنظرة دافئة طويلة سبقت قولها الجاد :

_هو ده الراجل اللي أطمن عليكي بجد معاه ..دعوة ستك ثمر لينا ربنا مش هيضيعها .

_عقبالك يا دكتورة !

تهتف بها ثمر من خلفهما بنبرة عتاب خفية لم تستشعرها سوى ياقوت التي هرعت إليها رغم كل شيء تلقي نفسها بين ذراعيها هاتفة :

_وحشتيني يا ستي ..سألت عليكِ أول ما وصلت ..

ثم رفعت عينيها إليها مردفة بإشفاق:

_صحتك ما عادتش مستحملة اللي بتعمليه ده .




كانت قد علمت من شقيقتها فور وصولها أن أحد أهل القرية استدعى ثمر بالاسم طالباً منها تغسيل جسد ابنته المتوفاة حديثاً ..

هذا الأمر الذي تشعر أنه صار شاقاً على جدتها بوضع صحتها الحالي ..لكن الأخيرة رفعت وجهها للأعلى قائلة :

_طول ما الكريم مديني صحة مش هابخل على حد طلبها مني ..

ثم عادت ببصرها إليها مردفة :

_الدنيا دي طول ما الواحد شايف آخرتها عمره ما يطمع فيها ..

قالتها وهي تخلع عنها طرحتها وعباءتها الخارجية لتخاطب ياقوت بقولها :

_تعالي ..عايزاكي .





ازدردت ياقوت ريقها بتوتر وهي تشعر بالخوف من تبعات هذه المواجهة ..

لكنها سارت خلفها مطأطأة الرأس نحو غرفة ثمر المجاورة ..

فيما راقبتهما لجين شاعرة بحدسها أن ياقوت تخفي شيئاً ..شيئاً يتعلق بقلبها ..

معقول؟!

أي رجل هذا الذي يمكنه زلزلة قلب كقلب ياقوت ؟!

أفكارها تنقطع برنين هاتفها معلناً عن وصول رسالة .. لتبتسم عفوياً وهي تهرع إليه ..

قبل أن تتحول ابتسامتها لتنهيدة عميقة حملت كل مشاعرها وهي تقرأ رسالته التي بدت لها أعظم من كل عبارات الغزل ..

_ذكرتك اليوم في صلاتي ..ودعوت الله أن تكوني زوجة الدنيا والآخرة .







_اقعدي يا دكتورة .

قالتها ثمر وهي تتكئ بإرهاق على فراشها لتجلس ياقوت جوارها وهي تشعر بندائها إياها :"يا دكتورة" يحمل لها بعض الطمأنينة ..

ثمر تناديها به عندما تريد منحها شعورها بالاعتزاز ..

وتغيره ل"بنت أشواق" عندما يحمل كلامها العتاب ..

لكن أفضل نداءاتها هو "بنت قلبي" ..هذا الذي تشاركها فيه لجين ويشعرهما بحميمية هذه العلاقة الفريدة بينهن !





_أنا ما كسرتش كلمتك ..ما دخلتش بيته زي ما طلبتِ مني ..هو اختار لنفسه منفى بعيد عن كل الناس عشان يجلد فيه نفسه ..غضب عني يا ستي ..ماقدرتش ما أروحش ..بس ما كنتش لوحدي ..قريبه كان معايا .

تقولها بنبرة مذنبة لترمقها ثمر بنظرة طويلة متفحصة وعيناها تحطان على قرطها في أذنيها ..

والذي حمل لها جواباً لسؤال لن تسأله !!

_لسه بتبصي لفوق وغاوية وجع قلبك بإيدك !

تقولها عاتبة لتدمع عينا ياقوت مع قولها وهي تشيح بوجهها :

_مش بإيدي يا ستي ..





ثم عادت إليها ببصرها وهي تمسح دموعها مردفة :

_بس خلاص ..أخته قربت تخف خالص ..وكل واحد هيروح لحاله .

_هو قاللك كده ؟!

تسألها ثمر بابتسامة ساخرة غير مصدقة لتطرق ياقوت برأسها مجيبة :

_هو مش عايز يشوفني ولا يشوف أي حد .

أصدرت ثمر همهمة قصيرة وهي تسند رأسها على وسادتها لتقول بشرود :

_ده معناه إن لسه ضميره صاحي ..ربنا خلق النفس المطمئنة والنفس الأمارة

بالسوء ..وبينهم النفس اللوامة اللي بترد صاحبها لو تاه .





رفعت إليها ياقوت عينيها بحديث عجز عنه لسانها ..

تود الآن لو تبوح لها بكل خباياها ..

لو تحكي لها أي رجل هو ..

أي دعم منحها إياه ..وأي سند كان لها يوماً ..

لكنها تعلم أنها لن تفعلها ..

لن تكسر ثمر بذكر ماضٍ كهذا !

_ممكن يا ستي ..تدعيله ؟!

تقولها برجاء حار وهي تمد كفيها لتحتضن كفي ثمر التي عادت ترمقها بنظرة طويلة متفحصة قبل أن تقول لها بحكمة :

_ربنا يهديله حاله ..ويهديلك حالك .





تنهدت ياقوت وهي تشكر لها سراً عدم إفراطها في تقريعها ..

وهو ما تعجبته قليلاً قبل أن تنتبه لهذه

"النظرة الغائمة" في عيني ثمر ..

نظرة لا تراها إلا قليلاً لكنها تشعر وكأنها عبرها تستنطق بصيرتها !

نظرة تخشاها لكنها تطمئن لنتيجتها على أي

حال ..

لهذا انكبت على كفها تقبله لتمسد ثمر شعرها قبل أن تقول لها بحزمها الحاني:

_ساعات الدنيا بتغرنا بطريق مش لينا ..والشاطر اللي يبص تحت رجليه قبل ما يخطّي ..سكته غريبة عنك ممكن تتوهي ..بس أرجع وأقول مين عالم طريقه فين ؟!

ثم صمتت لحظة لتنهي حديثها بقولها:





_يوم ما عقلك يصالح قلبك في

الكلام عنه ..ساعتها بس اطمني إن طريقك
معاه ..غير كده ما تعلقيش حالك في حبال دايبة .

=========

خرج رامز من غرفتهما الخالية منها وقد استيقظ
لتوه ليتوجه نحو الصالة حيث وجدها منكبة على
المائدة ..وجهها النائم غارق بين أوراقها ..

خصلات شعرها منسدلة بفوضوية على ظهرها
وحول وجهها..

وجوارها كوب من "النسكافيه" البارد كالعادة بعد
ما نسيت في غمرة انشغالها أن تشربه ..





ابتسامة مشفقة ترتسم على شفتيه وهو يتحرك مقترباً منها ..

قبل أن ينحني ليمد ذراعيه نحوها فيحملها ..

آهة خافتة تطلقها وهي تفتح عينيها لتميز ما يفعله فتهتف به بصوت ناعس:

_فيه إيه ؟!

لكنه يتحرك بها بخفة نحو غرفتهما قائلاً :

_كملي نوم جوه .

_مش عايزة أنام يا رامز ..مفيش وقت .

تقولها باعتراض عبر ملامحها المرهقة محاولة التملص من بين ذراعيه لكنه يتشبث بها أكثر ليواصل حركته بها نحو فراشهما الذي أرقدها فوقه ليجلس جوارها قائلاً عبر أنفاسه

اللاهثة :

_تقلت قوي يا بسطويسي ..واللا الواحد اللي صحته ماعادتش زي زمان ؟!





ابتسمت عبر عينيها المغمضتين محاولة مقاومة نعاسها لترد :

_برضه بسطويسي؟! مش كان ربنا تاب علينا ؟!

لكنه ضحك وهو يشير لمنامتها بلونها الداكن وتصميمها الرياضي شبه الرجالي هاتفاً :

_بسطويسي واللا مش بسطويسي؟!

ضحكت ولاتزال مغمضة عينيها للحظات قبل أن تعاود فتحهما لتفركهما بأناملها قائلة :

_خلاص ..مش هاعرف أنام تاني !

_أنا آسف ..ماقصدتش أقلقك ..بس النومة التانية دي كانت هتتعبك .





قالها معتذراً وهو ينحني ليقبل وجنتها فابتسمت وهي تدفعه برفق لتنهض قائلة:

_لا ده كده تمام قوي ..المناقشة قربت ..ومش عايزة أضيع وقت ..

ثم تذكرت ما جعلها تسأله باهتمام:

_مامتك بقت كويسة ؟! صالحِت سيف؟!

تنهد بحرارة وهو يتذكر المشادة التي دارت بين سيف وأمه ذاك المساء ..

أمه التي رفضت ارتباطه بغادة بطبيعة الحال لترى في مجرد رغبته هذه ضرباً من جنون !

لماذا يقبل الزواج بامرأة بظروفها وماضيها خاصة وهو لم يسبق له الزواج من قبل ؟!





لكن سيف فجر مفاجأته في وجوههم جميعاً ليخبرهم بما أخفاه طوال هذه السنوات عن زواجه بآنجيل !

_مش مصدق إن سيف كان مخبي موضوع مهم زي ده .

يقولها رامز باستياء متذكراً صدمة والدته لترد هانيا وهي تعدل وضع وسادتها خلفها :

_بالعكس ..لو فكرت هتلاقي ده طبيعي جداً ..شاب في سنه مش هيتأخر في الجواز كده إلا لو كان في حياته تجربة معينة ..

ثم هزت رأسها لتضيق عينيها بقولها :

_أنا اللي متغاظة من غادة جداً ..كانت عارفة ومخبية عليا.





ابتسم بشرود للحظات قبل أن يلوح بسبابته في وجهها قائلاً:

_غادة دي جدعة ..احترمت خصوصيته ..معاه حق يحبها قوي كده ..

ثم ضحك مردفاً ببعض الدهشة :

_ماكنتش مصدق عنيا وهو بيتكلم عنها قدام ماما بالطريقة دي ..كأنها آخر ستّ في الدنيا ..سمعتيه وهو بيقوللها "الموضوع منتهي ..غادة خلاص هتبقى مراتي"!

قالها مقلداً لهجة سيف "شديدة الحزم" في عبارته الأخيرة لتبتسم ابتسامة قلقة ناسبت تساؤلها :

_تفتكر مامتك هتوافق؟!

_مش عارف ..

قالها صادقاً بحيرة قبل أن يشبك أصابعه مردفاً :





_ماما بتتق في دماغ سيف وكلمته عندها ما بتتردش ..يمكن عشان كده صدمتها كانت كبيرة ومن ساعتها ما خرجتش من أوضتها .

_أنا بقى خايفة على غادة نفسها لو وصلها رفض مامتك ..هي ماعادتش مستحملة صدمات .

قالتها بإشفاق ليقاطع حديثها واضعاً سبابته على شفتيه مشيراً لها بالصمت وهو يرهف سمعه ..

قبل أن يتحرك ليغادر الغرفة وقد سمع صوت شقة أمه السفلية يغلق !

فتبعته هي بفضول لتراه يتحرك نحو باب شقتهما حيث وقف يراقب شقة سيف المقابلة عبر العين السحرية ليرى والدته تطرق بابها الذي فتحه لها سيف قبل أن يختفي كلاهما خلف الباب الذي أغلق لتوه .





فعاد إليها ببصره مشيراً للخارج هاتفاً بمرح :

_شكلها كده مباحثات القمة بدأت ..بس بُشرة خير إن الحاجة طلعت له بنفسها .

رفعت كفيها بوضع الدعاء لتهتف برجاء:

_يارب توافق ..

ثم اقتربت منه لتحيط كتفيه بكفيها مردفة بنفس النبرة :

_وانت كمان شد حيلك معاه ..كلمة منك على كلمة منه دماغها هتلين .

_والله ما قصرت!

هتف بها بمرح باسطاً راحته في وجهها لتضحك وهي تمرغ وجهها في صدره قائلة :

_عارفة يا حبيبي .





ثم رفعت عينيها نحوه لتقول بنبرة عابثة :

_واحنا هنفضل واقفين كده مستنيين نتيجة مؤتمر القمة ده ؟!

فأحاط خصرها بكفيه ليقرب وجهه منها هامساً :

_عندك اقتراحات نضيع بيها وقت ؟!

_يعني ..كنت بفكر ..بما أنك قلقتني ..وطيّرت النوم من عيني ..

تصمت قليلاً كي تثير أعصابه فيزداد ضغطه على خصرها ليهمهم بنبرة مشتعلة :

_ممم؟!

لكنها تفلتت من بين ذراعيه لتقول بمرح يشبه مرحه :

_نشوف موضوع بسطويسي اللي مضايقك ده !

ابتسم وهو يراها تغمزه لتعطيه ظهرها راكضة نحو غرفتهما التي أغلقت بابها خلفها بالمفتاح ..





فضحك وهو يشعر بالإثارة مدركاً أنـها ستفاجئه كعهدها مؤخراً بواحد من عروض أنوثتها السخية التي صارت تغدقها عليه دون تحفظ ..

يتحرك بخطوات منفعلة نحو غرفتهما والإثارة تضخ المزيد من الأدرينالين في عروقه ..

ليطرق الباب بخفة قائلاً بخفوت من خلفه :

_بس بالراحة علينا ياعم ..مش أدك !

ضحكتها العالية تصدح في أذنه من الداخل لتشعل المزيد من جوارحه وهو يشعر أنها تتغلب على عقدتها القديمة يوماً بعد يوم ..

عاطفتها الهادرة نحوه صارت أكثر جموحاً وحبه يمنحها المزيد من الثقة لتتعمق خطواتها في هذا الطريق أكثر ..





تفتح الباب أخيراً لتحتبس أنفاسه في حلقه للحظات وهو يميز ما ترتديه ..

منذ علمت أن اللون الذهبي يخطف لبه وهي تتفنن في ارتدائه بدرجاته المختلفة ..

لكن الآن بهذا التصميم مع القماشة الحريرية في هذا القميص المثير شديد القصر فهو يفوق كل تخيلاته ..

خاصة مع الكعب العالي لهذا الحذاء الذي ترتديه ..

وشعرها الذي نثرته بفوضوية محببة حول وجهها لتنزل منه غرة كثيفة على أحد جانبي وجهها منحتها المزيد من الفتنة ..

تتحرك متمايلة بمشيتها أمامه كطاووس يتبختر فتزلزل كيانه بفتنة نابعة من روحها قبل جسدها ..

تورد وجنتيها الخجول ..

ارتجافة جسدها ببعض الخشية -التي لا تزال تجدها في نفسها رغم كل شيئ وتحاول مقاومتها بكل قوتها- ..





ثم احتضانها أخيراً لنفسها بذراعيها ..

كل هذا يناقض مرح نبرتها الذي حاولت التحكم به مع قولها :

_كنت بتقول إيه بقا عن بسطويسي؟!

عبارتها تنقطع بين ذراعيه وهو يندفع نحوها ليجذبها إليه ثم يرفعها عن الأرض لتغرق بين أمواج عاطفته ..

دوماً ما يهزم عطاؤه السخي هذا بقايا حطام عقدتها القديمة ..

دلال أنوثتها بين يديه لم يعد خزياً ..

لم يعد وهناً ..

بل صار لوحة ترسمها أناملها بحب راغبة في أن تراه يشاركها فيها ..

بحراً لم تعد تخشى ولوجه مادام يشاركها جنون أمواجه ..




تشعر بازدياد وتيرة جنونه لكنها تدفعه برفق هاتفة بدلال :

_مش قبل ما تعتذر عن قصة بسطويسي اللي طالع لي فيها دي .

_بسطويسي مين ؟! ما خلاص بقا .

يهتف بها عبر أنفاسه اللاهثة وهو يتحرك بها نحو الفراش الذي وجدت نفسها مستلقية عليه يظللها دفء عاطفته قبل قلبه ..

لتهتف باعتراض واه :

_طب نطمن على سيف ..

تقولها وهي تشير نحو الخارج بسبابتها التي قضمها هو برفق لتتأوه ضاحكة بدلال بينما يصلها صوته المتهدج بعاطفته :

_سيف مين دلوقت؟! ..ربنا يوفقه !

========





_اتفضلي يا ماما .

يقولها سيف بحنانه الخاص الذي يمتزج بنبرته شديدة الجدية وهو يستقبل والدته التي رمقته بنظرة عاتبة وهي تجلس على أحد

الأرائك قائلة :

_كان لازم أعرف إن الحكاية فيها "إنّ"..لما أصريت تقعد هنا في شقتك من ساعة ما رجعت وسبتني لوحدي تحت ..إيه ؟! بتبكي ع الأطلال في المكان اللي هي كانت ساكنة فيه ؟!

فمط شفتيه ليجلس جوارها قائلاً :

_ماتبالغيش يا ماما ..أنا من زمان حابب

استقلالي بحياتي هنا في الشقة .

ازدادت نبرة العتاب في صوتها وهي تعدل وضع شالها الخفيف على كتفيها قائلة :





_طول عمرك عايش في عالم لوحدك ..بس ماتخيلتش أبداً إنك تتجوز من ورايا يا سيف .

اختلجت عضلة فكه وهو يطرق برأسه بمزيج من ألم وذنب ولهيب الماضي يعاود لفحه ..

لتمد ذراعيها فتضم رأسه نحو صدرها بحنوّ قائلة بصوت أرجفته عاطفته :

_أنا أمك يا حبيبي ..أكتر واحدة في الدنيا دي تهمها فرحتك ..ويقتلها وجعك ..كلمني يا سيف ..احكيلي كل حاجة ..

وفي هذه اللحظة بالذات شعر وكأنه قد عاد

طفلاً في حضنها !

جسده يرتجف بفيض شعوره وهو يضمها بدوره لتنساب كلماته دون تخطيط ..





يحكى لها عن تفاصيل علاقته بآنجيل التي

طالما خجل من الاعتراف بها كأنما كانت تكبله قيود ذنبه ..

والآن يتحرر منها كاملة ليرويها دون تحفظ ..

يحكي لها عن غادة ..

عن شعوره أول مرة رآها ..

عن هذه الغيرة المجنونة التي لم يكن يفهمها والتي كانت تتملكه عليها فيضطر لإخفائها مقتعاً نفسه أنها لن تكون له ..

عن الفخ الذي كادت تسقطه فيه قريبة آنجيل وقرب ضياع غادة من يده لولا أن اكتشف الحقيقة في الوقت المناسب ..

عن روحه التي ردت إليه يوم تحررت من كارثة سجنها الأخيرة ..

وأخيراً عن عهده لنفسه أن يعوضها هذا العذاب الذي عاشته !





_مش هاسيبها يا ماما ..مش هاقدر أعيش من غيرها ..أكدب عليكي لو قلتلك اخترتها وأديلك أسباب ..لا ..أنا فجأة حسيتها جوايا ..ساكناني ..الموضوع كله غريب ..كأني ..كأني من غيرها ناقص حاجة هي بس اللي هتكملها ..

يقولها أخيراً بصدق حار مس قلب أمه وهو يرفع وجهه أخيراً نحوها ليردف :

_مش قصدي أعارضك ولا أخالف كلامك ..بس من غير مبالغة ..فرحتي اللي جاية بقت مرهونة بيها ..هي بس!

مسحت دموع تأثرها وهي تعاود دفن رأسه بين ضلوعها متمتمة بلوعة :

_كل ده كنت كاتمه في قلبك يا سيف؟!




تنهيدة حارقة تغادر حلقه حاملة لها مشاعره لتبتسم وسط دموعها وهي تربت على وجنته للحظات طالت ..

قبل أن يرفع إليها عينيه بنظرة متسائلة حملت رجاء لم ينطقه ..

لتتسع ابتسامتها وهي تقول عبر صوتها المتهدج :

_افرح يا سيف ..حقك بعد كل ده تفرح مع اللي اخترتها .

وعناقه الدافئ لها بعدها وهو يهز جسدها بين ذراعيه بانفعال ..مع هذه الضحكة الصافية التي أطلقها والتي تسمعها منه لأول مرة منذ عهد بعيد ..

كان أكبر مكافأة لأمومتها التي باركته بقبلاتها بعدها مع هتافها المرتجف وسط دموعها:





_مبروك يا حبيبي ..مبروك ..لو كنت أعرف أزغرد كنت عملتها ..

والزغرودة أطلقتها إيناس بعدها بدقائق في بيتها هي وعلاء بعدما أخبرهما سيف عبر الهاتف !

لم يصبر حتى للصباح !!

وما كاد يسمع غادة حتى هتف بها بصوته الذي لا يقل ثراء عن عاطفة نظراته :

_عايزك تبقي على اسمي النهاردة قبل بكرة ..مش قادر أصبر إني أخبيكي في حضني م الدنيا دي كلها .

========

_المطعم حلو قوي ..ماكنتش أعرف أن مصر بقى فيها أماكن هايلة كده.





يقولها علاء وهو يجلس معهم في أحد المطاعم الفاخرة حيث اصطحب غادة وسيف وإسلام وإيناس في تجمع هانئ لم يعرفوه سوياً بهذا

الارتياح منذ عهد بعيد ..

ليرد سيف وهو يحتضن كف غادة على المائدة أمامه :

_المكان بيحلوّ باللي فيه يا عمو .

_والله عشت وشفتك اتدردحت يا "ابن الناس الكويسين" !

هتف بها علاء مشاكساً بمكر لتلتمع عينا إيناس بحنان وهي تراقبهما في جلستهما كعاشقين ..

قلبها يخفق بسعادة راضية وهي تشعر أن القدر الذي حرمها ابناً عوضها بثلاث ..فيالكرم عطاياه !





_لسه ماحددتوش معاد الجواز؟! المفروض سيف يستلم شغله الجديد في اسطنبول خلال تلات شهور بالكتير .

قالتها إيناس بترقب ليرد سيف بابتسامة متفهمة :

_لو عليا عايز النهاردة قبل بكرة ..بس غادة محتاجة وقت عشان تبقى مستعدة للخطوة دي.

رمقته غادة بنظرة امتنان طويلة وهي تشعر بكفه يعانق كفها ..

بل بروحه تعانق روحها ..

هذا الحنان غير المشروط الذي يمنحه لها الآن دون حدود يجعلها تشعر وكأنها تحلق في السماء لا تمشي على الأرض ..

لكنها لا تزال فاقدة لتوازنها العاطفي بعد كل ما مرت به ..




وفاة والدتها أمامها بتلك الطريقة لايزال يزلزلها بذكرى لن تنمحي بهذه السهولة ..

صحيح أنها وجدت في الأمر نوعاً من العدالة الشعرية ..

لكنها لا تزال غير قادرة على تجاوز حزنها بهذه البساطة !

_"المنيو" بتاعهم حلو ..سيبوني أختار لكم ..أهه يبقى لي منظر في الليلة دي .

يهتف بها إسلام بمرحه المعهود وهو يناظر قائمة الطعام أمامه ليهتف به علاء مشاكساً:

_طمنني عليك يا "بتاع البرقوق" ..سوق الفاكهة هنا عامل إيه ؟!

شعر سيف بغيرة طبيعية لم يملكها ليضغط كف غادة في راحته أكثر ..





لكنه تغلب على هذا الشعور سريعاً وقد أدرك منذ عودته إلى مصر أن مشاعر إسلام نحو غادة -كما توقع هو تماماً- لم تكن سوى محطة عابرة تجاوزها ب"هوائيته المعهودة" ..

لهذا لم يتعجب بساطة رد صديقه وهو يشير بإبهامه للأسفل في حركة ذات مغزى توحي

بالاستياء مع جوابه ببؤس مصطنع:

_واقع قوي ! الواحد وحشه "برقوق" اسطنبول!

_مممم؟! يعني مفيش برقوقة كده واللا كده نفسك هفّتك عليها هنا ؟!

يغمغم بها علاء بعبارة ظاهرها العبث المشاكس كعهده لكنه حقيقة كان يشعر بتغير إسلام في هذا الشأن بالذات .

لم يفهم السبب ..ودّ لو تكون كارثة أبيه هي ما ردعته وهذبت طبعه الجامح ..





وخشي ب"قلب أب" أن تكون غادة هي السبب ..أن يكون قلبه لايزال متعلقاً بها وإن كان يستبعد هذا الاحتمال ..

خاصة وقد ظهر الصدق في قول إسلام رغم مرحه :

_الصنف هنا مغشوش يا عمو .

_واللا الفكهاني فلّس؟!

يغمزه بها مشاكساً ليقهقه إسلام ضاحكاً وهو يهم برد مرح لولا أن تجمدت نظراته فجأة وعيناه تقعان عليها هناك ..

أجل ..نشوى !

هل قفزت من أفكاره ؟!

هذا الحديث عن "الفاكهة" ذكره بثمرة "التين الشوكي" التي صار عالقاً مؤخراً بين ما يظهر من قسوة قشرتها وما يغريه من باطن حلاوتها ..

هل هي هنا حقاً؟! أم أنه فقط يتوهم ؟!

صورة ريما التي يتراءى له وجهها الآن جوارها تمنحه الجواب فترتسم ابتسامة عابثة على شفتيه وهو يستأذن من صحبته ليتوجه بخطوات متمهلة نحوها بينما هي غافلة عنه ..وعن طفلتها التي تبدو وكأنها تحدث نفسها ..بل وعن الدنيا كلها !

هل كانت تبكي؟!

عيناها الشاردتان يعلوهما غيم من دموع ..

نظرة انكسار غريبة على طبعها المتنمر دوماً ..

ناصر!

كلمة السر دوماً ناصر!!





هو وحده من يغلف قوتها المعهودة بهذا الوهن العجيب!

هل تنتظره هنا؟!

الخاطر الأخير يجعله يتوقف مكانه للحظة عاقداً حاجبيه ..

لماذا تحمله خطواته نحوها ؟!

وما سر هذا الشعور الغريب الذي يجذبه لامرأة بهذه الصفات..

عادية الجمال ..نافرة الطباع ..لا تطيقه ..مطلقة وأم ..

والأهم ..غارقة في شعور لا يفهمه نحو أحد أصدقائه !!

هل سيعيد قصة غادة من جديد ؟!!

هنا تحين منه التفاتة نحو غادة هناك ..

وبالتحديد نحو كف سيف الذي يحتضن كفها ..





C i n n a b o n

لا ..لا مجال للمقارنة !!

انجذابه نحو غادة كان منطقياً طبيعياً بحكم ذوقه المعهود في النساء ..

مشاعره نحوها كانت مجرد إعجاب مؤقت..ربما لهذا لم يتردد كثيراً وهو يتركها لأجل صديق يعرف أنه سيصونها ..

لكن ..نشوى ؟!

بل ..ناصر !!

هل يملك نحوه نفس الشعور أنه حتى سيقدر مشاعرها هذه ؟!

وماله هو؟!

لماذا يورط نفسه في الأمر؟!

فليعد لرفقته ولينسَ أمرها هي تماماً !!

لكن أفكاره -للعجب- بدت وكأنها تغرد وحدها خارج سرب روحه !!





وهاهي ذي خطواته من جديد تدفعه نحوها ..

_عمو إسلام .."جريد زيرو" .."نو سكول"!

تهتف بها ريما باندفاع طفولي وهي تغادر مكانها لتتقدم نحوه فيرفعها نحوه ليعانقها بقوة عناداً في هذه التي أمرته يوماً ألا يفعل ..

وبمزيد من العناد كان يقبل وجنتي الصغيرة بينما عيناه معلقتان بعيني نشوى التي بدت وكأن همها ازداد برؤيته !

المزيد من الانكسار يغلف حدقتيها قبل أن تنفضه عنهما لتواجهه بنظرة متحدية جعلته يتقدم نحوها بابتسامة لا تقل عنها تحدياً ..

ليجلس الصغيرة مكانها ثم يجلس جوارها مخاطباً نشوى بقوله :





_إيه الصدف الحلوة دي ؟!

ثم غمزها مردفاً بنبرته الرخيمة :

_الحلوة قوي قوي دي!

ورغم ظاهر عبارته العابث لكنه حقاً كان يشعر الآن بالفارق في مظهرها !

ثيابها العملية شديدة البساطة في العمل تختلف كثيراً عن هذا الثوب الأنيق الذي ترتديه الآن بلون المشمش ..

تضع بعض مستحضرات التجميل بصورة خفيفة لا يميزها إلا خبير مثله فتضفي على ملامحها فتنة تبدو طبيعية ..

حتى ربطة حجابها غيرتها لأخرى أكثر جاذبية ..بما يناسب امرأة تخرج في موعد لرجل تحبه !

_اللهم طولك ياروح!





تتمتم بها بصوت مسموع وهي تشيح بوجهها عنه لتتسع ابتسامته وهو يستخرج من جيبه قطعة من الشيكولاتة منحها للصغيرة التي تلقفتها منه بلهفة ..

لكن نشوى هتفت بها بحدة :

_احنا قلنا إيه ع الشيكولاتة ؟! نسيتِ اللي حصل المرة اللي فاتت ؟! الدكتور قال بلاش شيكولاتة كتير عشان الحساسية .

دمعت عينا الصغيرة بحزن طفولي لكن إسلام داعب أنفها بإصبعه ليضحكها بحركات حاجبيه المشاكسة لتهتف به نشوى بنفس الحدة :

_من فضلك قوم ..محدش قاللك تقعد ..ناصر زمانه جاي ولو شافك قاعد معايا هنا هتحصل مشكلة .

_بس هو قال إنه مش جاي ..وانتِ عشان كده كنتِ زعلانة .





تهتف بها الصغيرة بعفوية ليكتم إسلام ابتسامته ..

لكن نشوى رأتها في ملامحه ..ليزداد غيظها وقهرها أكثر فتجد نفسها تصرخ بالصغيرة دون وعي:

_انتِ قليلة الأدب ..كام مرة قلتلك ماتتدخليش في كلام الكبار .

صراخها يجفل الصغيرة للحظة قبل أن تندفع لتفض غلاف الشيكولاتة في يدها بحركة عصبية ثم تكدسها كلها في فمها بعناد يشبه عناد أمها ..

قبل أن تنخرط فجأة في بكاء حاد جعل إسلام يضمها نحوه مهدئاً وهو يرمق نشوى بنظرة عاتبة ..





نشوى التي بدت له في هذه اللحظة كابنتها العنيدة الباكية بين ذراعيه تماماً ..

نظراتها تتأرجح بين
انكسار ..قهر ..عجز ..خوف ..

خلف واجهة من عناد قاسٍ يحاول دحض كل هذا .

هل سيكون مبالغاً لو اعترف أنه يريد معانقتها كابنتها الآن ؟!

ليس بشعور حسي رافقه في كل امرأة لمسها من قبل ..

إنما في رغبة عارمة لاحتضان هذه الروح التي تبدو له خلف هذه الواجهة الصلبة هشة ممزقة ..

وأمامه كانت نشوى بالكاد تكتم رغبتها في أن تجهش بالبكاء ..

تخشى أن ترفع صوتها أكثر تطلب منه المغادرة فتخونها دموعها ..

ناصر لم يأتِ ..ولن يفعل!




يزعم أنه مشغول بعمله ..دوماً مشغول بعمله ..

ولا يدري كم من الآمال تضع هي على كل مقابلة بينهما !

ما الذي يحدث ؟!

إذا كان زاهداً فيها فلماذا طلبها للزواج؟!

هل هو شعوره بالذنب نحو سها؟!

هل ستبقى حائلاً بينهما ؟!

_مساء الخير !

الهتاف بصوت علاء الذي اقترب منهم بحذر متفحصاً نشوى بنظراته بعدما لاحظه من اهتمام إسلام بها ..

لترفع إليه نشوى عينيها بتشتت بينما يقوم إسلام بالتعارف بينهما :





_عمي علاء ..الأستاذة نشوى صاحبة المصنع اللي كلمت حضرتك عنها .

ابتسم علاء بود أبوي شع في ملامحه لتضطر نشوى لمصافحته مرغمة وهي تغمغم بتحية تقليدية عبر نبرتها المختنقة برغبتها في البكاء ..

ألا تكفيها سخافات هذا المتحذلق كي يضيف إليها معارفه ؟!

شهقات الصغيرة الباكية تزداد تلاحقاً بصورة غريبة ..

فيلتفت نحوها إسلام ليلاحظ احمرار وجهها المبالغ فيه ..

نفس الملاحظة التي جعلت نشوى تهتف بها بجزع عبر نبرتها الحادة :





_عشان ما بتسمعيش الكلام ..اهه الحساسية رجعتلك .

تقولها وهي تهب واقفة لتحاول انتزاعها من إسلام لكن الصغيرة تشبثت به فاضطرت للصراخ بها بعنف أكبر:

_كفاية دلع ..ياللا نروح للدكتور عشان نشوف القصة دي .

_خلاص يا إسلام روح معاهم .

يقولها علاء بحذر وهو ينقل بصره بينهم وقد أخبره حدسه إن هذه المرأة أمامه هي سبب تغير إسلام الأخير ..

لكن نشوى خاطبت إسلام بقولها الخشن :





_سيب البنت ..كفاية قوي اللي عملته لغاية دلوقت .

لكن تشبث الصغيرة الباكي به يزداد ليربت على ظهرها وهو يقول بصرامة غريبة على طبعه المرح:

_هاوصلكم للدكتور .

كادت نشوى تصرخ بالمزيد من الاعتراض لكن

علاء خاطبها برفق:

_الحقي البنت الأول .

زفرت بحنق وهي تجد إسلام لا يمنحها محاولة الاعتراض بينما يتحرك بالصغيرة نحو الخارج لتهرع هي خلفهم محاولة اللحاق بخطواته السريعة ..

فيما عاد علاء لرفقته لتبادره إيناس بسؤالها:

_مين دي؟! وإسلام خرج معاها ليه ؟!




_مممم ..شكل سوق الفاكهة مش واقع قوي هنا زي ما كان بيقول .

قالها علاء بمكر ليبتسم سيف وهو يتبادل مع إيناس نظرات ذات مغزى ..لكن الأخيرة تهتف بأمومتها المعهودة :

_والبنت الصغيرة اللي معاهم مالها؟! شكلها تعبانة .

لكن علاء شرد ببصره ليرد :

_ماتقلقيش ..إسلام هيتصرف.

=======

في سيارته يجوب إسلام الشوارع بشرود وهو يشعر بشيء غريب يتملك روحه ولا يمكنه توصيفه ..





منذ غادر عيادة الطبيب وهو يشعر بمزيج غريب من الغيظ والإشفاق !!

لقد أصرت أن تهاتف ناصر لتخبره عن أمر الصغيرة رغم أن الطبيب طمأنها أنه ليس بشأن عظيم ..

كأنها كانت تتذرع بأي حجة كي تجعله يأتي !

صحيحٌ أنه لم يخيب ظنها وجاء بأسرع مما توقع بما يشي بمكانة الصغيرة عنده ..

لكنه يعرف ملامح ناصر جيداً ..هو لا يكن نحوها هي أي مشاعر ..

كيف تكون عمياء عن حقيقة إحساسه إلى هذا الحد !!؟

ناصر حتى لم يتساءل عن سبب وجوده هو معهما ..كأن الأمر برمته لا يعنيه !





هي التي تطوعت بسرد ما حدث كأنما تفتح أي تفاصيل لمشاركته الحدث ..

وما صدمه حقاً هو تلك الكلمة التي كانت تشير بها لريما في خطابها لناصر ..

"بنتك"!

كأنما تريد تصديق هذه الكذبة التي اختلقتها!!

_وانت مالك ؟! انت مالك ؟! واحدة عايزة تعيش الدور ..سيبها تلبس في حيطة ..يمكن لسانها الطويل ده يتقص منه حتة .

يهتف بها لنفسه بغيظ حانق مبالغ فيه وهو يزيد سرعة سيارته ..

قبل أن يصدح رنين هاتفه برقم سيف..

يفتح الاتصال بتحية تقليدية ليبادره سيف بسؤاله :





_إيه جديدك ؟! بقالك زمان ما رغيتش معايا .

فاغتصب ضحكة مفتعلة ليرد :

_الجديد عندك يا سيدنا ..احنا غلابة .

ضحك سيف بدوره ليعاود سؤاله بجدية :

_مين الست اللي خرجت معاها دي؟! عمو علاء و"أنّا" ما بطلوش كلام عنكم من ساعة ما شافوها .

_أوبا!! أجهزة الرادار اشتغلت ..وخلاص قررتم إن فيه حكاية !

يهتف بها باستنكار ساخر عبر ضحكاته التي لم تخدع سيف وهو يرد بنفس الجدية :





_ده على أساس إني مش حافظك ؟! من امتى بتخبي عليا؟!

لكن إسلام زفر بقوة ليصمت قليلاً قبل أن يرد بتشتت:

_مش عارف أقوللك إيه ..أنا نفسي مش فاهم نفسي المرة دي ..

قالها ليسرد عليه تفاصيل علاقته بنشوى من البداية ليستمع إليه سيف باهتمام قبل أن ينهي هو الحوار بقوله بضحكة مكتومة ساخرة :

_بني آدمة عجيبة ..لما بشوفها بتكلم ناصر ببقى نفسي أخبط دماغها في أقرب حيطة وأقوللها فوقي ..بس غصب عني بتصعب عليا ..دماغها مريحاها على كده .





فصمت سيف قليلاً ليرد ببطء حذر:

_عمرك ما كلمتني عن واحدة زي ما بتتكلم عن دي ..كل اللي عرفتهم قبلها كنت بتتشقلب وإنت بتحكي عنهم كأنهم ماحصلوش ..وبعدين تتقلب الحكاية في كام يوم وترجع تشوفهم عاديين ..دي بالذات انت حتى مش قادر تشوفها مميزة ..يبقى ليه تدخل نفسك في قصة معروف آخرها خصوصاً وصاحبك عايز يتجوزها ؟!

لكن إسلام عاد يزفر بقوة ليرد بشرود :

_مش عارف ..يمكن حاسس بالذنب ناحيتها هي وأخوها عشان موضوع الوالد إياه ..يمكن صعبان عليا مناخيرها اللي في السما دي تنزل

الأرض وأنا عارف ومتأكد ناصر بيحب مراته أد إيه ..ويمكن ..يمكن ..




قطع عبارته دون أن يكملها ليصمت سيف قليلاً محاولاً سبر أغواره قبل أن يعاود سؤاله بنفس النبرة الحذرة :

_حبيبتها؟!

ضحكة إسلام الساخرة بعدها كانت جوابه الوحيد الذي تركه معلقاً بينهما ..

فلم يدرِ هل هو بالإيجاب أم بالنفي ..

لكن ما الجدوى من جوابه هو إذا كانت هي غارقة حتى أذنيها في حب غيره ؟!

======

_ما تزعليش مني يا حبيبتي ..أنا بحبك قوي .

تهمس بها نشوى وهي تنحني بجذعها لتقبل وجه ريما التي استقرت فوق فراشها ..

وجه الصغيرة لايزال يحمل بعض آثار إعيائه ليتملكها هي الذنب أكثر ..





لقد عاشت أيامها بعد طلاقها تفتخر بكونها خلعت رداءها ك"أنثى" مكتفية بعباءة "أمومتها"..

والآن ..تجد نفسها عارية من كليهما !!

عارية؟!

لا ..لا ..لا يزال هناك "ناصر" ..لا يزال هناك حلم قديم ينتظر الواقع كي يرسمه بريشته ..

هي ستنجح ..وستعيش ..

ستنجح كعاشقة ..وستعيش كأم !

_أنا كمان بحبك قوي ..هو انتِ هتجيبيلي "بابا" جديد زي ما قلتيلي؟!

كلمات الصغيرة تنكأ جرحها فتغمض عينيها بقوة وهي تبتعد عنها بجسدها ..قبل أن تعاود فتحهما لترتجف ابتسامة على شفتيها :





_مش انتِ دايماً كنتِ عايزة "بابا" زي بقية صاحباتك ؟!

_قوي قوي ..خالو أشرف طيب ..بس أنا عايزة بابا ليا لوحدي .

تهتف بها الصغيرة بحماس طغا على نبرتها المتهالكة ..و زاد من كثافة الدموع في عينيها هي وكلمة "لوحدي" هذه تنغرس في صدرها كنصل مسموم ..

ناصر لن يكون يوماً لهما وحدهما ..

سيبقى في المنتصف بين كفتي ميزان تتأرجح بينها وبين سها ..

لكن ..كفتها هي ستغلب يوماً عندما تنجب له ابنه ..

ساعتها ..ستكون ورقتها الرابحة لتكسب هذا القلب الذي عاشت عمرها مغرمة به ..

_ماما ..هتعملي فرح؟!





تسألها ريما بفضول طفولي ليفاجئها السؤال ..

وتفاجئها قبله ضحكة !!

ضحكة رسمها قلبها قبل شفتيها و"الحلم القديم" يعاود تلوين روحها بفرشاته ..

لماذا لا ؟!

ستقيم حفل زفاف ضخم بحجم هذا الحب الذي عاشت تحمله له ..

بحجم هذا الخذلان الذي نالته يوماً منه ..

وبحجم هذا "العوض" الذي ترتجيه للغد !!

لهذا مسدت شعر الصغيرة بأناملها لتجيبها بشرود :

_هاعمل فرح كبير ..قوي .





ضحكات الصغيرة تسبق عباراتها الحماسية التي غابت عنها هي بشرودها ..

قبل أن تنتبه لصوت الطفلة الذي تثاقل رويداً رويداً قبل أن ينغلق جفناها استجابة للنوم ..

فابتسمت بحنان وهي ترفع عليها غطاءها برفق قبل أن تتحرك لتغادر نحو صالة البيت ..

هناك حيث تناولت هاتفها لتجد منه رسالة ..

دوماً في نفس الموعد ..وبنفس الصيغة كأنما لا تزال طبيعته العملية تهيمن على سير الأمور ..

"عاملة إيه النهاردة ؟!"..

لايزال لا يتعجلها الموافقة على عرضه ولا تزال تتمنى لو يفعلها ..

حتى ساعتها التي اشترتها له كهدية لم ترها في يده عندما التقته آخر مرة ..





يالله !

إلى متى ستظل تدور في هذه المتاهة ؟!

_برضه مصرة تكملي؟!

تسألها رانيا وهي تتقدم منها ملاحظة شرودها في هاتفها لتلتفت نحوها نشوى بحدة ..قبل أن يغلب تنمرها على لغة الحوار:

_وهاغير رأيي ليه ؟! هو لسه عايز يتجوزني ..

_وانتِ؟!

تسألها رانيا بضيق مشوب بالإشفاق لترد نشوى بنفس التنمر العصبي:

_أشرف ما قاللكيش إني كنت بحبه زمان ؟!

_بس احنا مش زمان ..لا هو بتاع زمان ..ولا انتِ بتاعة زمان !

تقولها رانيا ببعض الحدة محاولة كظم غيظها من هذا العناد الذي تواجه بها نشوى الجميع ..





تماماً كما تفعل الآن وهي ترفع أنفها لترد بضحكة انتصار زائفة :

_أكيد مش زي زمان ..دلوقت هو اللي رجع لي ..هو اللي طلب مني يكمل حياته معايا بعد ما عرف قيمتي .

انفرجت شفتا رانيا كأنها على وشك التفوه بقول ما غيرته لآخر أكثر رفقاً :

_عشان خاطري يا نشوى ما تستعجليش ..انتِ تستاهلي أحسن من كده ..ماتغشيش نفسك ..

_يووووووه ! لو سمحتِ ما تتدخليش انتِ تاني ..دي حياتي وأنا حرة فيها .

تصرخ بها نشوى بحدة هستيرية فجرها انفعالها فجأة لتجفل رانيا للحظة قبل أن تطرق برأسها لتعطيها ظهرها مغادرة نحو غرفتها ..

لكنها ما كادت تصلها حتى شعرت بكف نشوى على كتفها من الخلف فالتفتت نحوها..





لتصطدم بهذه الدموع الكثيفة التي تجمعت في عينيها ..والتي تقاومها برفعة أنفها وزمة شفتيها وواجهة زائفة لكبرياء :

_انتِ حبيتي أشرف قوي من زمان ..كان حظك حلو لأنه هو كمان حبك ..حبك كبر جواه زي ما حبه كبر جواكي ..تخيلي بقا لو كان هو ما حبكيش ..لو كان سابك ورا ظهره وكمل حياته ..وانتِ حاولتِ تعملي زيه ..وما قدرتيش ..حياتك كلها باظت عشان ..عشان ..عشان عمرك كان بيعدي بس انتِ قلبك لسه واقف عند نفس اللحظة اللي سابك فيها ..

الدموع الحبيسة تنهمر أخيراً لتصاحب كلماتها المختنقة بعدها :

_أنا مستنياه يرجع لي أيامي اللي فاتت ..يداوي الجرح اللي سابه بعده .





دمعت عينا رانيا بدورها وهي تشعر بهذا الصراع الذي يغزوها ..لكنها حكمت عقلها لتخاطبها بقولها :

_خايفة عليكِ المرة دي يسيب جرح أكبر ..ماحدش بعده يقدر يداويه ..العمر ما بيرجعش يا نشوى ..العمر ما بيرجعش !

قالتها مكررة بحزم رغم تفهمها لفورة نشوى العاطفية والتي عاد العناد يلتمع في عينيها الباكيتين فتنهدت بيأس قبل أن تعاود طريقها نحو غرفتها وتغلق بابها خلفها ..

فيما بقيت نشوى واقفة مكانها للحظات ..

العناد يصارع الخوف على نظراتها لكن الأول ينتصر ..

ترفع هاتفها نحو أذنيها بعد ضغطة لرقمه ..




وما كادت تسمع صوته حتى ألقت كلماتها تحسم المعركة :

_ممكن تحدد معاد الفرح !

=========

_فرح؟! فرح يا ناصر؟!

تهتف بها سها باستنكار ليزفر ناصر هاتفاً بدوره :

_أنا برضه استغربت زيك بس هي مصرّة .

لكنها هزت رأسها بذهول هاتفة وهي تلوح بذراعيها بعصبية:

_يعني إيه مصرة ؟! يعني إيه فرح ؟! هي صدقت إنها هتاخدك مني؟!

فرمقها بنظرة غاضبة أشعلت ملامحه وهو يرد ببرود :

_حقها !

اتسعت عيناها بصدمة من كلمته ليمسك مرفقيها فيهزهما بقوة هاتفاً :





_ده شرطها عشان توافق ..بتقول إنها مش عايزة صورتها قدام الناس تبقى مجرد "استبن" ..أو زوجة تانية في الضلّ ..عايزة تبقى زيها زيك .

_زيي؟! وقدرت انت تقولها ؟!

تهمس بها بذهول مستنكر عبر غمامة من دموعها لتصطرع ملامحه بين غضب وإشفاق ..

قبل أن يشتد فكه بقسوة لتضغط أصابعه على ذراعيها أكثر:

_لآخر مرة هسألك ..الكورة لسة في ملعبك ..أكمل واللا لا ..

لوهلة هيئ إليه أنها ستصرخ ب"لا"!

أنها ستلقي نفسها بين ذراعيه تتشبث به بكل قوتها ..

أنها ستطبع وشم شفتيها فوق كل خلية من جسده فلا تكاد تترك لغيرها مكاناً عليه !





لهذا كانت صدمته بالغة عندما وجدها تبتعد عن مرمى ذراعيه ..

جسدها يرتعش بقوة لكنها تكتفه بساعديها وهي تغمض عينيها للحظات ..

سبقت سؤالها بصوت مبحوح:

_يعني هي شارطة الفرح عشان توافق ؟!

عيناه تهتزان فوق ملامحها والصراع في نفسه يشتد ..

يمكنه حسم هذا العذاب الذي سيعيشه ثلاثتهم ..

يمكنه إيقاف هذه المهزلة التي يكتفي فيها بدور المتفرج السلبي بدعوى كونها رغبة كلتيهما ..

لكن ..لماذا يفعل؟!

طبيعته العملية تفرض سطوتها على الصورة ..

وبقايا من ضمير تجعله يكرر لعلها ترفض ..لعلها تمنحه الدافع :




_قولي لا ..قوليها وكل ده هايخلص في ثانية واحدة !

صمتها يطول ولا تزال مغمضة عينيها بقوة تحاول احتواء ارتجافة جسدها بذراعيها وحدها ..

قبل أن تفتحهما أخيراً لترد بابتسامة أرادتها واثقة عبر شفتيها المرتجفتين :

_قل لها أنك موافق ..خللي الفرح الأسبوع الجاي .

=======

تقف نشوى أمام مرآتها بابتسامة ظافرة بعدما أنهت لها تلك المرأة زينتها ..

تراقب شكلها بثوب الزفاف الذي تعمدت أن يكون مفاجأة له ..

اليوم ستكون عروسه ..

الحلم الذي غلف روحها منذ سنوات ودفنته تحت أطلال من خذلان ..

اليوم ..يكون حقيقة !





"ثوبها الأصفر" القديم بمذاق الخيبة يرقد الآن في مثواه ممزقاً ..

لكن "ثوبها الأبيض" هذه المرة سيكون رفيقها في رحلة تتويجها كملكة لعالمه ..

صورة سها تغزو مخيلتها لتشوه جمال الصورة لكنها تنفضها عن ذهنها بسرعة ..

ناصر سيكون لها ..

هذه الليلة ستشهد أولى انتصاراتها ..

هذه الليلة ستمنحه أفضل ما تعطي أنثى لعاشقها ..

ستسير به وسط الحضور كملكة ترفع رأسها ..

وغداً عندما تنجب له طفلاً ستستحوذ على قلبه كاملاً !

صوت طرقات على باب غرفتها يقاطع أفكارها لتعطي الإذن بالدخول فيدلف أشرف ..





ملامحه المستاءة تحولت لأخرى أكثر حناناً وهو يميز هذه الفرحة التي لم يرها منذ زمن في عينيها ..

عساه يكون مخطئاً !

عساها تجد في هذه الزيجة ما تعوض به ما فاتها من عمر!

عسى هذا الحب الذي تحمله يشفع لما ينتظرها من طوفان غيرة !

عساها !!

قبلة منه على جبينها ترافق ابتسامته وهو يفرد لها ذراعه قائلاً :

_يالله بينا ..

فتتأبط ذراعه لتغادر معه نحو قاعة الزفاف الفخمة التي تخيرها لها ناصر بنفسه ..

حلم تأخر بضع سنوات لكن ..لا بأس ..

كفاها أنه ..قد تحقق!





وفي غرفته بشقته كان ناصر يطالع ملامحه بكآبة ..

قبل أن يطلق سبة ساخطة !!

سها التي اختارت له قاعة الزفاف ..بدلة العرس ..وصولاً لجوربيه والحذاء ..بل و"منامته" الحريرية التي سيرتديها الليلة لغيرها ..

وبعدما كانت مصرة أن تحضر معه العرس -لدرجة أنه تصورها في مشهد هزلي ستتأبط أحد ذراعيه بينما نشوى تتأبط الآخر - فوجئ بها تتراجع فجأة !

_هاقضي اليوم مع ماما ..والأسبوع الجاي كمان ..





قالتها له منذ ساعات مع قبلتين خاطفتين لوجنتيه وهي تخبره بقرارها الحاسم الذي لم تقبل فيه مناقشة ..

قبل أن تتركه لتغادر الشقة !

زفرة ساخطة يطلقها وهو يمسد صدره العاري مراقباً بدلة زفافه عبر المرآة ..

قلبه منقبض بهذه الطريقة التي لم يعرفها منذ أعوام ..

هو الذي علمته طبيعة عمله كيف يكون البرود ..كيف تكون العملية في التفكير ..

كيف يزلل الحواجز كي يصل إلى الهدف ..

لكنه في هذه اللحظة كان عاجزاً عن منع شعوره بهذه المرارة الذائبة بحلقه ..

لماذا تركته سها هذه الليلة ؟!

لماذا أشعرته أنه وحده ؟!





_يا بجاحتك ! كنت عايزها تاخدك من إيدك وتوصلك لعروستك ؟!!

يهمس بها لنفسه ساخراً بمرارة قبل أن يرد على نفسه بنفسه :

_وهو مين وصلني لعروستي دي م الأول ..ما هو كان قرارها !

العناد يبرر له من جديد فيعاود التطلع لصورته في المرآة ..

لكنه يعيد الإشاحة به كأنما لا يطيق حاله وهو يتصورها الآن تبكي وحدها !!

يتناول هاتفه بسرعة ليتصل بها ..

_برضه الحركة الزفتة دي ؟! برضه قافلاه ؟!





يهتف بها بسخط وهو يكاد يلقي الهاتف جانباً لكنه يفاجأ باتصال من نشوى ..يفتحه لتداعب أذنه نبرتها التي تكاد تقفز سعادة :

_ما تتأخرش ..عيب قوي لما أوصل القاعة قبلك .

ورغماً عنه ترتسم على شفتيه ابتسامة باهتة ..

واحدة على الأقل ستبيت الليلة سعيدة !

لماذا تحبه نشوى بهذه الطريقة ؟!

لماذا تشعره دوماً وكأنه أول وآخر انتصاراتها ؟!

ربما هذا ما يعقد الأمور أكثر ..

ربما هذا ما يعذب ضميره أكثر وأكثر ..

لماذا لا تأخذ الأمور بصورة عملية مثله ولا تقحم المشاعر بينهما ؟!

_مش هتأخر ..ماتخافيش .

ورغم أن نبرته كانت حيادية تماماً لكن قلبها "المراهق" المتعطش لأي بادرة منه جعلها تتلقاها كوعد براق يناسب وهج ليلة كهذه ..





يغلق معها الاتصال ليتنهد بحرارة وهو يستدير ليرتدي بدلة العرس ..

نظرة راضية لملامحه عبر المرآة تسبق تناوله لزجاجة عطر ..

سها أيضاً من جلبتها هاهنا!

رجفة هادرة تضرب جسده وزخات العطر تبدو وكأنها طلقات رصاص نحو قلبه وضميره اللذين تكالبا عليه في هذه اللحظة ..

لكن طبيعته العملية كانت من القوة أن دحضت كليهما!

صوت رنين جرس الباب يصدح بالخارج لينعقد حاجباه بشدة وهو يتحرك ليفتحه ..

وما كاد يرى الطارق حتى اتشحت ملامحه بإجلال وهو يفسح الطريق للعجوز قائلاً :




_اتفضل يا حاج..مش قلت لي هتسبق ع القاعة مع أعمامي؟!

يقولها ببعض الدهشة وهو يغلق الباب خلف الرجل الذي تفحصه ببصره ليقول بنبرة وجلة :

_بصراحة ..عندي ليك كلمتين ..وقلت فرصة أكلمك قبل الفرح من غير ما سها تكون موجودة .

_خير يا حاج؟!

يسأله بتوجس ليتحرك العجوز فيجلس على أحد الكراسي قائلاً :

_بنات الناس مش لعبة ..أنا عارف انت بتحب مراتك أد إيه ..بس ده مايمنعش إنك تعدل بينهم ..

ثم ضيق عينيه ليقول بنبرة محذرة :

_اوعى تكون حاطط في دماغك إنها جوازة كام شهر لحد ما ربنا يرزقك بحتة عيل ترجع بيه لمراتك القديمة .




لكن ناصر هز رأسه نفياً ليقول مدافعاً :

_لا طبعاً ..إيه يا بابا الكلام ده ؟! نشوى هتبقى مراتي زي سها بالظبط!

ترتخي ملامح العجوز بارتياح ليعاود سؤاله باهتمام أبوي:

_يعني فعلاً عاجباك عروستك الجديدة ؟! مستعد تكمل معاها عمرك كله واللا واخدها عشان الخلفة وبس؟!

السؤال يصفع ضميره وقلبه على نفس الجبهة ..

لكن "طبيعته العملية" على الجبهة المضادة تجعله يرد بحماس مبالغ :

_طبعاً عاجباني..جداً ..يمكن في الأول كنت حاسس الموضوع غريب ..بس واحدة واحدة لقيتني متعلق بيها ..خصوصاً إنها جميلة ..روحها حلوة وكمان بتحبني من زمان .





أصدر العجوز همهمة ارتياح وهو يرمقه بنظرة راضية ليرد :

_مادام بتحبك يبقى هتسعدك ..ويوم ورا التاني هتلاقيها خدت مكانها في قلبك زي سها تمام ..بس شطارتك تعدل بينهم وماتخلليش واحدة فيهم تعمل مشاكل ..الراجل ياابني هو اللي يقدر ...

لم تستمع لبقية عبارة "العجوز" وهي تسند جبينها على باب الشقة من الخارج !!

أذنها ..عقلها ..قلبها ..بل وعيها كله توقف عند عبارة العجوز ..

"هتلاقيها خدت مكانها في قلبك زي سها تمام" ..

بعدما طعنتها كلمات ناصر قبلها بإعجابه المبالغ بنشوى!

هل كان يخدعها ؟!

هل حقاً يكن لها هذا الشعور؟!





متى وكيف؟!

هل انفلتت الأمور من سيطرتها هي حقاً ؟!

أمها أخبرتها بهذا منذ قليل فلم تصدقها !

بل ..فعلت !!

وإلا لماذا جاءت إلى هنا بعدما كانت قد قررت أن تغيب عنه لأسبوع كامل تتركه فيه لحياته الجديدة ؟!!

جاءت لتستمع قدراً لدليل خذلانه إياها !!

_ما تخافش على ابنك ..أنا أعرف كويس أمسك العصاية م النص وأراضي كل واحدة فيهم باللي هي عايزاه .

كلمات ناصر تسكب المزيد من الوقود فوق نيرانها ..

فلم تشعر بنفسها وهي تفتح الباب فجأة بمفتاحها لتغلقه خلفها بعنف خلّف دوياً شديداً ..





الرجلان يرمقانها بنظرة مصدومة مترقبة ..

خاصة ناصر الذي سقط قلبه في قدميه وهو يميز هذه النظرة في عينيها ..

نظرة لم يعرفها طوال سنوات زواجهما ..

نظرة "خذلان" بطيف شاحب من "كراهية"!

نظرة جمدت كلماته على شفتيه وهو يتوقع أنها قد سمعت ما قال ..

لكن ..لا مجال للتبرير ..

_مش كنت دايماً تقوللي القرار في إيدي ؟! مش كنت دايماً تسألني :أكمل واللا لأ ؟!

تقولهاً ببرودة جليدية عبر خيطين من الدموع سالا على وجنتيها وهي تتقدم نحو ناصر بخطوات بطيئة حتى توقفت قبالته تماما..

لينعقد حاجباه أكثر وهو يتوقع عبارتها التالية :





_أنا دلوقت بقوللك لأ ..ما تكملش !

_يعني إيه ما يكملش ..هو لعب عيال؟! واللا فاكرة ابني لعبة في إيدك ؟!

يهتف بها أبوه وهو يهب واقفاً بانفعال لكنها تجاهلته تماماً وعيناها الفائضتان بدموعها تواجه عيني ناصر المشتعلتين بينما تهتف بنفس النبرة الجليدية :

_هتسمع كلامي ؟!

_لا حول ولا قوة إلا بالله ..ده كلام يتقال الليلة دي ؟! الساعة دي ؟! المفروض دلوقت يكون في القاعة ..العروسة والناس هناك !

يعاود العجوز الهتاف بها وهو يسحب ذراع ناصر نحوه وقد خشي أن تؤثر عليه دموع زوجته ..





فيما بقيت عينا ناصر معلقتين بها بمزيج من غضب واعتذار ..وعجز!!

يعلم جيداً كيف تشعر الآن بعدما سمعته لكنه لا يملك الآن أن يبرر ..

لهذا تنحنح يبتلع غصة حلقه بينما انفلتت أعصابها هي لتصرخ فيه بهستيرية :

_رد عليا ..هتسمع كلامي ؟!

_انت بتصرخي فيه ليه كده ؟! هو عيل صغير قدامك ؟! وبعدين ما كل حاجة م الأول كانت بمزاجك !

يهتف بها والده باستنكار لكن ناصر رفع كفه في وجهه هو مهدئاً ..

قبل أن يلتفت نحو سها ليقول بصوت مبحوح انفعالاً:

_خلاص يا سها ..ماعادش ينفع ترجعي في كلامك .




فاتسعت عيناها بصدمة وطوفان دموعها يمنع عنها رؤيته ..

شهقات انتحابها تتوالى تباعاً فتجلد قلبه أمامها ليحرر ذراعه من أبيه فيربت على كتفيها هاتفاً بانفعال:

_هنتكلم بعدين ..مفيش وقت دلوقت ..المفروض ..

كلماته تنقطع برنين هاتفه الذي رفعه لترى عبر دموعها اسم نشوى !!

وتسمع صوت هتاف والده الساخط :

_ياللا يابني ده مش كلام ..الناس والمأذون مستنيين .

تشعر بكفيه يشتدان من جديد حول كتفيها لكنهما يبدوان لها كجمرتين من نار ..

فانتفضت مبتعدة عنه كأنما لدغتها أفعى ..





ليعاود أبوه جذب ذراعه هاتفاً بها:

_استهدي بالله يا بنتي واقبلي قضاءه ..ما كنتِ عاقلة ..إيه بس اللي جرى؟!

ثم تحرك بناصر الذي بدا وكأن قدميه معلقتين بالأرض أمامها ليجذبه بقوة هاتفاً بحدة :

_ياللا يا ناصر ما تسودش وشنا ووش الناس ..حركات الستات دي ابقى اتصرف فيها بعدين !

لم تشعر بعدها بشيء وهي تراه ينسحب عن ناظريها رويداً رويداً ..

ومعه تنسحب ذكرى خلف ذكرى من تاريخهما الطويل ..

فلا تدري بماذا تصف نفسها حقاً ؟!

مغدورة ..

مغفلة ..

مظلومة ..





أم ظالمة ؟!!

تسمع هدير صرخاتها العالية بعد رحيلهما ..

ترى يديها تحطمان "عشهما الجميل" الذي بنته معه قطعة قطعة ..

ترى الدم يسيل من جروحها ..

لكنها تبدو وكأنما يتحرك جسدها بعيداً بعيداً عن روح بداخلها هوت صريعة ..

ناصر طعنها الطعنة النافذة ..

وذهب ليرقص مع امرأة سواها !!

=======

يقود السيارة بوالده الذي بدا شديد العصبية وهو يصرخ به بانفعال :

_مراتك دي فاكرة الدنيا بتلف حواليها ؟! يعني إيه عايزاك تلغي الفرح دلوقت ؟! هم بنات الناس لعبة ؟!!





لكنه اكتفى بصمته الشارد وهو يشعر باختناق أنفاسه ..

ما هذا الجنون الذي يفعله ؟!

يترك خلفه امرأة جريحة ثم يتحرك ليجرح امرأة سواها ؟!!

ماذا ستنال نشوى منه ؟!

ما الذي سيمنحها إياه ؟!

بقايا حلم قديم مهلهل؟!!

وماذا ستنال سها منه ؟!

الجرح الذي سيخلفه لها بعد هذه الليلة لن يندمل !

صوت رنين هاتفه برقم نشوى يتداخل مع صراخ والده جواره ليشعر وكأن رأسه يكاد ينفجر ..

_ما تبقاش راجل من ظهر راجل لو سبتها تعلي صوتها عليك تاني ..هي فاكرة إيه ؟! ستات آخر زمن .





صراخ أبيه يتوالى فيغمض عينيه للحظة بينما يشرد ببصره عن الطريق ..

كيف هي سها الآن ؟!

رنين هاتفه يصدح من جديد ..يحمل له الجواب هذه المرة ..

وصياح "بواب العمارة" عبر الهاتف يصله جزعاً :

_الحق الست سها يا باشا !!

قلبه يتوقف عن النبض للحظة اختلت فيها يده عن مقود السيارة ..

ليغشي عينيه الضوء القادم من السيارة المقابلة ..

يسمع صياح والده جواره ..

يشعر بالسيارة تطيش عن مسارها للحظات ..





قبل أن يستقر كل شيء ..

أو هكذا كان يظن !

======

في المشفى القريب من بيته يجلس على أحد المقاعد مخفياً وجهه بين كفيه ..

في إحدى الغرف يقبع والده تحت الفحص بعد صدمة رأسه التي نجمت عن الحادث ..

وفي أخرى تقبع سها وسط صرخاتها المتصلة وجروح جسدها العديدة ..

صدمة عصبية !

هكذا أخبروه !

لكنه وحده يدرك أنه انهيار روحها وروحه معها ..

انهيار لهذه الحياة الهانئة التي طالما ظللتهما سنواتها ..

وربما ..انهيار لهذا الحب الذي ظن أنه لن يموت أبداً بينهما !!

ماذا حدث ؟!

مااااذا حدث ؟!

كيف صار كل ما حوله حطاماً في عينيه ؟!

حتى والده الذي كان يبتغي رضاه بزيجة كهذه كاد يخسره بلحظة !

صوت رنين هاتفه يدوي كالرعد في أذنيه برقم نشوى ثم برقم أشرف ..

لايزالان لا يعلمان ما حدث ..




لكنه يعلم ما سيحدث !

يفتح اتصال أشرف ليرد متقبلاً ثورته قبل أن يخبره بما حدث ليتفهم أشرف الأمر ويرد بأسى:

_لا حول ولا قوة إلا بالله ..طب ما كلمتنيش من ساعتها ليه عشان نأجل الفرح ؟!

_أنا آسف يا أشرف ..مش هاقدر أكمل الجوازة دي .

يقولها بخزي لم يشعر به يوماً ..

بغضب من نفسه قبل أي أحد ..

وبانكسار من ظن أنه على وشك الظفر بكل شيء ليجد كفه في النهاية خاوياً ..





_مش هتكمل إيه ؟! وجاي تقول دلوقت؟!
مافكرتش في نشوى؟! هتكسرها تاني يا ندل؟!

يصرخ بها أشرف بغضب كان يعذره فيه لكنه لم يملك الرد ..

ذراعه يسقط جواره بالهاتف وهو يسمع صرخات سها المتقطعة تصله رغم بعد المسافة فيسمع صدى مثلها في روحه ..

نذل!

لم يشعر يوماً أنه يحمل هذه الصفة كما الآن !!

هو الأحمق الذي ظن أنه ماهر بما يكفي كي يمسك العصا من منتصفها ..

لكنه لم يفعل سوى أن يرقص على سلم بين أعلى لم يدركه وأسفل لم ينله !!

فأي خسارة تكبدتها يا غافل ؟!

أي خسارة !!

=======




في قاعة العرس يقف إسلام مراقباً الوضع بذكاء وقد انعقد حاجباه بشعور غريب ..

لم يكن ينتوي الحضور ..

لم يكن ينتوي الشهادة على زيجة يوقن من الأصل أنها فاشلة ..

لكنه لم يشأ تفسير هذا الضيق الذي يملأ صدره أنه .."غيرة"!

غيرة؟!

ممن ..وعلى من ؟!

هل تطرف شعوره إلى هذا الحد ؟!

يبدو أن عزوفه الأخير عن النساء أصابه بنوع من "الحرمان" جعله يخطئ تأويل مشاعره !!

يقولها لنفسه ساخراً قبل أن يزداد انعقاد حاجبيه وهو يلاحظ انسحاب أهل العريس من القاعة تباعاً ..عجباً!





تلفت حوله يبحث عن أشرف ثم تحرك نحو القاعة الجانبية ليجده واقفاً ممتقع الوجه هناك جوار نشوى التي بدت مصدومة الملامح وجوارهما المأذون يجمع حاجياته استعداداً للرحيل ..

لم يحتج الأمر الكثير من الذكاء ليفهم ماذا يحدث خاصة مع عدم حضور ناصر إلى الآن ..

الوغد !

كيف يتسبب في فضيحة كهذه ؟!!

يزداد تقدمه نحوهم ليرى ريما الصغيرة تمسك ثوب نشوى لتسألها بحزن وسط دموعها :

_خلاص مفيش فرح؟! مش هيبقى عندي بابا ؟!

قلبه يعتصر ألماً لهذه "الصغيرة" التي فقدت "حلمها" ..

و"لشبيهتها الكبيرة" التي فقدت "وهمها" !!





عيناه تلتقيان بعيني نشوى لكنها تبدو وكأنها لا تراه ..

بل لا ترى أحداً ..

أناملها تعتصر قماش ثوبها بقوة تكاد تمزقه ..

وجهها الذي زينته أصباغه يبدو ملطخاً بخزي لن ينمحي بسهولة ..وربما لن ينمحي أبداً ..

جسدها متخشب مكانه لكنه وحده يشعر أنها تترنح ..

أنها ستسقط في أي لحظة !

انتزع عينيه عنها قسراً ليتجه نحو أشرف يجذبه من ذراعه جانباً ليبتعد به قليلاً

متسائلاً بقلق:

_هو ناصر مش جاي؟!

حاول أشرف المداراة بتخفيف وقع الخبر :





_مراته جالها انهيار عصبي ..ووالده في المستشفى ..

لكنه لم يستطع كتمان ثورته وهو يردف بينما يلوح بذراعيه بانفعال:

_الندل جاي يسحب كلامه دلوقت ويقول مش هيكمل الجوازة ..دلوقت ؟! كان لازم أوقف المهزلة دي م الأول ..مكنش ينفع أسمع كلامها وهي بتجري ورا وهم قديم ..وادي النتيجة ..فضيحة !

عقد إسلام حاجبيه بغضب مشابه وهو يكاد يشعر بالدم يغلي في عروقه ..

رغم ارتياحه -غير مفهوم السبب- لفساد هذه الزيجة ..

لكنه ليس أحمق ليدرك أي خراب ستتركه فضيحة كهذه ..




خاصة لهذه التي تبدو مغيبة وسط ركام قصر بنته ليسقط فوقها!

لماذا رضيت بهذا الوضع؟!

ما الذي كانت تنتظره من رجل يعشق زوجته بجنون كناصر ؟!

وما الذي كان يدفعها لزيجة كهذه ؟!

هي نموذج حرفي لترجمة العبارة التي تتشدق بها النساء هذه الأيام ..

"strong independant woman"

لديها عملها ..مالها ..حنان أخيها وعائلتها ..ولا يظنها تفتقر لعروض الخاطبين !

لماذا ناصر بالذات ؟!

_لا حول ولا قوة إلا بالله ..لعله خير !

يقولها المأذون وهو يقترب منهما في طريقه ليغادر لكن إسلام استوقفه فجأة وقد طرأ له خاطر جنوني ..

قبل أن يتوجه بخطوات سريعة نحو نشوى التي لا تزال واقفة مكانها كصنم ..

لا تكاد تصدق أن هذا حقيقي ..

هو كابوس ستفيق منه حتماً!

ناصر لن يفعل بها هذا ..

لن يخذلها مرتين !

هي بالكاد تجاوزت جرحه الأول وقد كان سرها ..

ماذا عساها تصنع بجرح هذه المرة وهو هكذا على المشاع تتلقفه ألسنة الناس ..

الثوب الأبيض سيلحق بشبيهه الأصفر ..

كلاهما ممزق ..كما روحها الآن !

_إياك تزعلي عليه ..احمدي ربنا إنها جت على أد كده ..اختياره كان واضح م الأول ..هو كان عايز





يتجوزك عشان الخلفة وبس ..عمره ماقاللك إنه حبك ..من أول لحظة وهو حاشر مراته بينكم كأنه عايز يقوللك هتفضل موجودة ..هتفضل الأصل ..حتى معاد الفرح انتِ اللي استعجلتيه ..انتِ اللي عملتِ في نفسك كده ..دلوقت يرجع هو لمراته وترجعي انت لحياتك لوحدك ..شايفاه مكانه بيبص عليك بشفقة ..كأن عجلة عمرك بإيده يوقفها ويمشيها زي ما هو عايز !!

حديث "نفسها" القاسي يتفجر كالشظايا بين جنبات روحها

يرسم حولها ألف دائرة من نار ويصرخ بها أن :احترقي!

_عايزة ترديله القلم وتردي كرامتك ؟!





صوت إسلام يصلها من بعيد ..من بعيد جداً ..كأنه مجرد صدى ..

ربما لو كانت بشخصيتها القديمة لأفرغت فيه

الآن طلقات ثورتها ..

ماله هو؟!

ولماذا يتدخل؟!

لكن حديثه عن رد "كرامتها" يمنحها خيطاً وحيداً من راحة وسط بقية الخيوط المتشابكة ..

فتنتقل بنظراتها الزائغة نحوه متوقعة ابتسامته الساخرة كالعادة ..مرحه الماكر ..أو حتى تفهماً مشفقاً ..

لكن ما رأته في عينيه كان غضباً ..غضباً خالصاً !

_اتجوزيني أنا !

تسمعها خلف غيابات وعيها فلا تكاد تتبين هذا الجنون الذي يحدث ..





حتى وهي تميز صوت أشرف يهتف خلفه مستنكراً طلبه :

_انت بتقول إيه ؟! احنا ناقصين فضايح؟؟!

_الفضيحة حصلت خلاص واللي كان كان ..طلبي ده مالوش علاقة بأي حاجة ..أنا معجب بيها من زمان وعايز أتجوزها .

_دلوقت؟! دلوقت؟! هنقول للناس إيه ؟! بدلنا العريس؟!!إيه الجنان اللي بيحصل ده ؟!

الهتاف المحتدم بين أشرف وإسلام لايزال يصلها مشوشاً ..

لكنها تجد صوتها أخيراً فترد :

_موافقة !

كلاهما يلتفت نحوها لكن الرؤية تحجبها غمامة من دموع ..

دموع لن تسمح هي لها بالسقوط الآن ..

....





ليس قبل أن تثأر لكرامتها ..

ليس قبل أن ترسل ل"قاتلها" الرسالة كاملة ..

أنها استبدلته بآخر بمنتهى السرعة كما تفعل ب"حذاء" غير مريح!!

_انت تسكتي خالص ..مين اللي هيسمع كلامك تاني بعد كده ؟!

يهتف بها أشرف بثورة لتجذبه رانيا من ذراعه فتنتحي به جانباً قبل أن تقول بتعقل:

_اهدا يا أشرف ..فكر بالعقل ..نشوى اختك انت عارفها كويس ..عندية واللي في دماغها هتعمله ..كمان لو فاقت من الصدمة ولقت نفسها لوحدها هتروح فيها .

_تقوم تورط نفسها في جوازة تانية ؟!




يهتف بها بحنق لتبسط راحتيها في وجهه مهدئة :

_لو فكرت كويس هتلاقي إن مفيش سبب يخللي راجل عاقل يعمل زي إسلام إلا لو كان فعلاً معجب بيها ..أنا من زمان حاسة إن في قلبه حاجة ناحيتها ..مادام هو عرض وهي وافقت اديله فرصة ..يمكن يعالج اللي غيره كسره .

لكنه يكز على أسنانه بصمت لتحاول هي إقناعه بالمزيد ..

وفي مكانه كان إسلام لايزال واقفاً مكانه يراقب نشوى بتفحص ..

لم يشعر أنه يفهم أحداً كصورة في مرآة كما يفعل الآن معها ..

كان يثق أنها ستوافق !

تماماً كما يثق أنها لا تفعلها لأجل شيء يخصه ولو بمثقال ذرة ..





إنما نكاية في معشوقها النذل !

لكنه كان مرحباً بمنحها هذا !!

هل هو جزء من رد دين أبيه القديم نحو هذه العائلة ؟!

هل هو ضيقه الشخصي من ناصر الذي كان خلف سقوط والده والذي لا يملك كظمه بضعف بشري معهود ؟!

أم هو شعوره الخاص ..الخاص جداً بها ..أنها تحتاج الآن لما يفعله ..

وربما ..تحتاجه هو نفسه !!

لا يعرف ..هو حقاً لا يعرف!!

_ياللا يا جماعة الخير ..أنا هنا من زمان ..فيه جواز واللا لأ ؟!

يهتف بها المأذون بنفاد صبر وهو يتابع هؤلاء "المجانين" الذين ابتلي بهم الليلة ..

ليرمق إسلام أشرف بنظرة مطمئنة راجية ..

لكن الأخير ظل محمر الوجه بغضب للحظات قبل أن يتحرك نحو نشوى ليقول بحزم:

_عايزة تتجوزيه ماشي ..بس اعملي حسابك إنها مش جوازة يومين والسلام ..أنا بقوللك قدامه ..مفيش طلاق ..هتحكمي على نفسك تبقي مراته العمر كله !

ثم التفت نحو إسلام مردفاً :

_والكلام برضه ليك ..كلمة راجل لراجل ..جاوبني بصراحة ..انت معجب بيها فعلاً وواخد الموضوع جد ؟!

فابتسم إسلام مخاطباً أشرف بقوله الحاسم :

_انت عرفتني كفاية الفترة اللي فاتت عشان تحكم .





حدجه أشرف بنظرة متفحصة طويلة ولايزال الغضب يلون ملامحه التي لانت رويداً رويداً وهو يستعيد مواقف إسلام معه الفترة الماضية ..

هو رجل يأتمنه على شقيقته ..

لكن المشكلة فيها هي ..كيف ستبلي في زيجة كهذه ؟!!

_يا جماعة الخير ..انجزوا ..الفجر قرب يأذن !

يهتف بها المأذون بنفاد صبر لتتعلق ريما في سروال إسلام هاتفة بفرحة :

_انت هتبقى بابا الجديد ؟!

فيحملها إسلام بين ذراعيه ليقبل وجنتيها بحب قبل أن يغمزها كعهده مجيباً:

ههههه





_شكلها كده آه !

=======

تستقل جواره سيارته بعد إتمام العقد وذهول الحاضرين الذين كانت تشعر بهمزاتهم طوال الحفل القصير لايزال يطاردها ..

قصة سيتناولها الناس لعهد طويل ..

العروس استبدلت العريس في آخر لحظة بآخر!!

هذه هي الرسالة التي تريد إيصالها لناصر ..

انتصارها الوحيد في ليلة الهزائم هذه !!

وجوارها كان هو يختلس نحوها نظرات جانبية وقد بدأ يستفيق للجنون الذي فعله ..

هو يتزوج بهذه الطريقة ؟!!

هو الذي كاد يؤلف في غزوات النساء مجلداً يتزوج هكذا ك"عشرة قدم"؟!!

لكنها عثرة لذيذة ..لن ينكر!!

سيستمتع كثيراً بترويض هذه الشرسة جواره ..

_مستنياك أيام لوووز يا بتاع البرقوق ..لا برقوق إيه بقا ؟!!..انت بقيت رئيس جمهورية التين الشوكي المتحدة !

يقولها لنفسها ساخراً قبل أن يوقف السيارة أمام البناية حيث الشقة التي خصصها لنفسه مع أختيه ..والتي تقيم فيها الآن ياقوت ..

_ثانية واحدة ..هاكلم أختي بس عشان ما تتفاجأش .

يقولها لها بنبرته المرحة كالعادة لكنها بدت وكأنها في وادٍ آخر بعيد لا تسمعه ..

فتنحنح بحرج وهو يغادر السيارة ليتصل بياقوت التي وصله صوتها ناعساً:

_خير يا إسلام ؟!

عاد يتنحنح ليقول لها بسرعة :

_فوقي كده معايا معلش ..أنا اتجوزت وطالع دلوقت مع عروستي لحد ما أشوف لنا مكان تاني نقعد فيه ..ماكانش ينفع أوديها عند ماما انت عارفة ...

لكنها قاطعته بقولها وقد طار النوم من عينيها :





_اتجوزت؟! كده فجأة ؟! اتجوزت مين؟! واحدة م الفرح اللي كنت رايحه ؟!

صمت للحظة ليعدها للمفاجأة قبل أن يفجر قنبلتة :

_العروسة !

_نعم!

هتافها المستنكر وصله كصراخ فتنحنح ليقول مؤكداً:

_اتجوزت العروسة !

_نهارك أبيض! رحت تحضر فرح علقت العروسة؟!

كتم ضحكته القصيرة ليرد بسرعة مقتضبة :

_بعدين هنقعد نتفاخر بمهارات أخوكي الفذة ..بس دلوقت احنا تحت البيت ..مش أوضة لجين فاضية ؟!

صمتت للحظة تحاول التيقن من أنه لا يمزح لترد بتشتت:





_فاضية ..آه ..انت بتتكلم بجد ؟!

لكنه أغلق الاتصال بسرعة ليمنحها الجواب العملي وهو يقف أمامها في الشقة مع نشوى التي بدت مغيبة تماماً وهي تتحرك بآلية نحو الغرفة التي قادها نحوها إسلام ليقول برفق وهو يناولها حقيبة ملابس كانت قد أعدتها لها رانيا بسرعة بعد التطورات الأخيرة :

_خدي راحتك .

لكنها لم تمنحه رداً أفضل من دخولها الغرفة لتصفق الباب خلفها !

فانتفضت ياقوت مكانها للحظة قبل أن تركض نحوه لتجذبه من ذراعه نحو غرفتها هي وتغلقها خلفها هاتفة بنفاد صبر:

_التفاصيل ..حاااااالاً!

_حبيبتي يا توتة ..كنت عارف إنك هتفرحيلي !

يقولها مازحاً وهو يضمها لصدره لكنها تلكمه في كتفه بخفة هاتفة :

_من غير تحوير ..انجز ..قصتها إيه الجوازة دي؟!!

فضحك ضحكة قصيرة ختمها بآهة طويلة قبل أن يخلع سترته ليجلس متربعاً فوق فراشها ويبدأ في سرد الحكاية التي تفاعلت هي معها بكل جوارحها ..

لتقول أخيراً بإشفاق:

_انت عارف واحدة زيها دلوقت هتبقى عاملة زي حتة إزاز مكسورة هتعور أي حد يقرب منها ؟!ليه ورطت نفسك في حاجة زي كده ؟!

زفرته الحائرة تسبق قوله الشارد :





_مش عارف ..طول عمري مندفع ولما بتطق حاجة في دماغي بعملها ..بس صدقيني المرة دي مش حاسس إني اتسرعت ..

بالعكس ..حاسس إني مبسوط كأني كسبت جايزة فجأة من غير تعب.

_جايزة؟!

تسأله باستنكار مشفق ليرد بنفس الصدق الذي لون كلماته :

_معنديش أسباب ..معنديش شرح ..هي على بعضها كده حالة ماعشتهاش قبلها ..عارفة ؟! كل نظراتها ليا من أول مااتقابلنا كانت سودة بسبب ماضي الوالد المشرف ..على طول حاطاني في حالة تحفز إني أثبت لها إني كويس ..




ثم صمت لحظة ليردف بنبرة أكثر صدقاً:

_دلوقت دوري أثبت لها أد إيه هي اللي كويسة..وماتستاهلش جرح زي جرح ناصر ده .

_صعب ..قوووي ..ليلة زي دي عمرها ما هتنساها يا إسلام..ده جرحها قدام الكل !

تقولها بإشفاق غامر لتلتمع عيناه بتحدّ امتزج بعاطفة لم يمكنها تجاهلها وهو يرد :

_هتنساها ..وتنساه !

=======

تقف أمام المرآة بالغرفة تناظر شكلها بنفس الجمود ..

جزء من روحها تكسر !

قلبها بدا كأنما تعطلت خفقاته عند تلك اللحظة التي كانت تنتظر فيها ناصر كي يحقق الحلم القديم ..





عيناها لا تزالان متعلقتين ب"باب القاعة"
تنتظرانه !

أذناها لا تزالان مشغولتان بطنين العزف حولها ..

وبكلمات غزل سمعتها منه في خيالها والآن توقن
أنها أبداً ..

أبداً لن تفعل!

هل انتهى الحلم ؟!

أم الأصوب لو تقول ..هل بدأ الكابوس؟!

هل تزوجت آخر؟!

كررت نفس "السيناريو القديم" ..

هربت من جرحه لجرح آخر فقط كي تثبت له أنها
قادرة على المضيّ دونه !

لماذا لا يكرر التاريخ نفسه إذا كنا نحن بنفس
الضعف كي نكرر نفس الخطأ عند نفس الموقف؟!!





أناملها تمتد لسحاب ثوبها تخلعه عنها ليسقط تحت قدميها ..

فتدهسه بعصبية قبل أن تنحني لتمزق طبقته الخفيفة بأناملها ..

تنزع عن شعرها طرحتها وحجابها لتكورهما وتلقيهما جانباً بعنف ..

تنظر لجسدها شبه العاري نظرة خاوية قبل أن تضمه بذراعيها ..

تتحرك بآلية نحو الحقيبة المجاورة لتتناول أول ما نالته يداها ..

منامة حريرية بلون أبيض لكنه كان يتلون في عينيها ب"سواد" خيبتها !

مذاق مر ..شديد المرارة في حلقها..تزداد ضراوته وهي تناظر نفسها في المرآة من جديد ..

هكذا كانت يجب أن تكون الآن له ..

ماذا تصنع بكل قمصانها التي اشترتها لأجله ؟!





بكل كلمات العشق التي ادخرتها كي تسمعه إياها؟!

بل بكل هذا الحب الذي انتظرت أن يجد له مكاناً على أرضه ؟!

كيف هانت عليه هكذا ليطعنها نفس الطعنة مرتين ؟!

مرتين ؟!

أولاهما كانت بينهما وحدهما ..

لكن هذه ستبقى ندبة في جبينها العمر كله ؟!!

دموعها التي كتمتها تنفجر الآن فجأة من مآقيها ليرتجف لها جسدها كله ..

هاهي ذي تضيع عمرها لأجله للمرة الثانية مع أول رجل تقابله ..

فقط لترد له صفعة إهانته !!

رجل لا تدري لماذا تصرف معها بهذه الطريقة ولا ما الذي يريده من زيجة غريبة كهذه !!





طرقات الباب تقاطع أفكارها لتنتفض مكانها بخوف لم تملكه ..

خوف ترجمته طبيعتها المتنمرة لحدة طغت على ملامحها وهي ترى إسلام يدخل وقد بدل

ملابسه ليغلق الباب خلفه ..

الآن فقط بدأت تستعيد بعض وعيها ..

بدأت تدرك أي فخ وقعت فيه ..

خاصة وبعض ذكرياتها من زواجها السابق تتوالى عليها تباعاً لتزيد عمق معاناتها ..

عيناها تلتقيان بعينيه لتميز نظرتهما الواضحة بين عاطفة لا تفهمها وعتاب تفهمه !

سيلومها مثلهم !

سيخبرها أنه حذرها من قبل!

سيلقي عليها وبال شماتته وخطبة طويلة عريضة عن خطئها الذي يجب أن تتحمل عواقبه ...

_اطلع بره وسيبني لوحدي ..





تهتف بها بحدة ليتجاهلها مقترباً منها ببطء فتلوح بسبابتها في وجهه مردفة بما بدا أقرب للصراخ:

_خللي عندك دم وسيبني في حالي الليلة دي ..ما تخلينيش أعلي صوتي أكتر من كده ..

نظرته العاتبة تزداد وضوحاً في عينين لم ترهما من قبل بهذه الشفافية ..ولاتزال المسافة بينهما تتناقص ..

لاتزال تتوقع سخريته العاتبة ..

_إياك تفتح بقك..إياك أسمع صوتك بكلمة واحدة ..إياك ..إياك ..

صرخاتها تنتهي بفيض من دموعها ولا تزال تلوح بسبابتها في وجهه ليحافظ هو على اقترابه الحثيث منها وهو يرد بنبرة تسمعها منه لأول مرة بهذا الحنان :




_مش هتكلم..هاحضنك..واسمعك ..وبس !

لتجد نفسها في ثوان مغمورة بين ذراعيه ..والعجيب انها لم تقاوم كما ظنت نفسها ستفعل !

قبضتاها كانتا تضربان صدره بمزيج عجيب من قوة ووهن ..

لكن رأسها كان يستكين متخاذلاً على كتفه ..

كحجر سقط متدحرجاً من قمة جبل فما لبث أن استطاب القاع!!

_اوعى تفتكر نفسك صاحب جميل عليا ..أنا فاهمة كويس انت عملت كده ليه ..كنت عايز ترد له اللي عمله مع حسين رجائي ..عايز تنتقم منه زي ..




كلماتـها المتنمرة تنقطع بالمزيد من شهقات بكائـها
وهو يستمع دون أن يقاطعها ..

يعلم أنـها واحدة من لحظات البوح النـادرة التي لن
تسمح له امرأة مثلها بالمزيد منـها ..

امرأة ؟!

ابتسامة ساخرة تحلق على شفتيه وهو يضمها
نحوه أكثر ..

هو لا يشعر أنـه يضم امرأة !!

شعوره بهذا العناق بل وبها عموماً يختلف عن أي
شعور حسي عرفه مع غيرها ..

لم يكن الغر الساذج الذي قد ينخدع في شيء
كهذا ..

شيء لا يعلم له توصيفاً ..

سوى أنـه قد "علق بـها"!

ورطة !

هي مجرد ورطة !





عثرة لذيذة لقدمه يود لو لا يستقيم بعدها لوقت طويل !!

شهقاتها تخفت تدريجياً لتتحول لبكاء صامت فتمتد أنامله بحذر نحو منابت شعرها تداعبها برفق ..

ثم يغمض عينيه بعدها وهو يشعر بنفسه في حلم غريب ..

ما أشبهها الآن بين ذراعيه بابنتها !

طفلة عنيدة تؤذي الآخرين بتمردها وتؤذي نفسها قبلهم !!

_أنا ماخطفتوش من مراته ..ماجريتش وراه عشان أهد بيته ..أنا كنت في حالي ..قفلت على قلبي وبنتي بعد ما دمر لي حياتي زمان ..لما رفض حبي وخلاني بمنتهى الغباء والعند أقبل أول عريس جالي ..وبعد ما قلت خلاص هاكمل حياتي لوحدي ..يرجع يظهر تاني مع وعد إنه يعوض اللي فات ..جالي وفي إيده مراته بيقولولي هم الاتنين





راضيين ..أنا ماغلطتش لما قبلت إيده اللي اتمدت لي ..ما غلطتش لما اتمنيته أب لبنتي ..ماغلطتش لما قبلت بنُص قلبه ..لأ ..غلطت ..غلطت ..ولسه بغلط..

تمتماتها الباكية تنتهي بآهات توجع حقيقية ..

كلماتها لا تبدو موجهة نحوه ..بل إنها بدت وكأنها منعزلة عنه تماماً لا تكاد تشعر به ..

لكنه هو بدا وكأنه لم يعد يشعر إلا بها !!

هذه الهشاشة التي يلمسها الآن فيها تجعله يود لو يدق عنق ناصر على مافعله بها ..

شفتاه تنفرجان يهم بالحديث لكنه يتذكر وعده ..

ويخاف أن يقطع قدسية هذا التواصل النادر بينهما ..

والذي يكاد يقسم أنه لن يتكرر قريباً ..




ليس غبياً ليدرك بأي طريقة ستعامله هذه عندما تستفيق ..

لكنه لم يكن يشعر بالضيق ..

بل بالاستثارة !

طالما عشق انتظار الموجة كي يقفز في مواجهتها ..

وليس أشرس ولا ألذ من هذه موجة !!

ولم يكد يتم خاطره الأخير حتى صدق حدسه وهو يراها تدفعه بقوة مفاجئة لترمقه بنظرة حادة ..

قبل أن تهتف وكأنها استعادت رشدها فجأة:

_بنتي فين ؟!

_أشرف خدها تبات معاه الليلة دي ..الكلام كان قدامك على فكرة.

هزت رأسها بتشتت حقيقي وهي تبتعد عنه بظهرها بضع خطوات لتجلس على الفراش واضعة رأسها





بين كفيها وقد بدت وكأنها عاجزة عن تمييز ما يحدث ..

يالله !

حتى ريما غفلت عنها في ذروة ما كان يحدث !!

اختفت عن ناظريها ولم تنتبه بماذا يفعلونه بها !!

يوماً ما كان هذا مستحيلاً ..

والآن ..!!

هي حقاً خسرت ما كانت تملكه لأجل ما لن تملكه !!

_ممكن تنامي دلوقت والصبح وعد مني هاجيبهالك هنا!

يقولها لترفع عينيها نحوه فتجده على بعد خطوة منها ..

هذا الإشفاق في عينيه يكاد يقتلها !!

منه هو بالذات !!





لهذا هتفت به بحدة زادها الصداع الذي يكاد يفتك برأسها:

_تمام ..دلوقت بقا اتفضل اطلع بره .

_حاضر.

قالها مستسلماً وهو يدرك أن وجوده يضغط عليها أكثر لترمقه بنظرة متعجبة كأنها توقعت المزيد من الجدال ..

لكنه ابتسم وهو ينحني ليربت على وجنتها برقة لتبتعد هي بوجهها عنه في حركة نافرة اتسعت لها ابتسامته ..

قبل أن يتحرك ليغادر الغرفة وما كاد يصل إلى الباب حتى استدار نحوها ليقول وهو يشير للخارج:

_أختي ياقوت دكتورة نفسية ..لو محتاجاها ممكن تتكلمي معاها ..هي ..

عبارته تنقطع فجأة وهو يراها تقذف الوسادة التي كانت بجانبها في وجهه لتصرخ به :





_أنا مش مجنونة ..اطلع بره بقا بدل ما تطلع في دماغي أوريك الجنان بجد !

ابتسم من جديد بحنان ثم عاد يتقدم نحوها تحت نظراتها المتوجسة ..

قبل أن ينحني على ركبته أمامها مسنداً ذراعه فوقها لتكون عينيه في مستوى نظراتها :

_غلطتك الوحيدة إنك وقفتي حياتك على وهم ..وهم عمره ما كان حقيقة ..وسجنتي نفسك فيه طول السنين دي ..صدقيني لو كان جوازك من ناصر تم ..كنتِ هتكتشفي بنفسك ده ..

ثم اقترب بعينيه منها أكثر مردفاً ببطء :

_لو كنتِ فعلاً حبيتيه ..ما كنتيش قدرتِ ترتبطي بحد تاني ولا حتى عشان تنتقمي منه .

عقدت حاجبيها بشدة وقد بدت له بكحل عينيها الملطخ بدموعها ..





وشعرها المشعث ..

وزينتها التي أفسدها البكاء كأسوأ مرة رآها فيها ..

لكنها بنظرتها المشتتة هذه ..

وبارتجافة شفتين واهنة بعيدة تماماً عن سلاطة لسانها المعهودة ..

وبهذه "المنامة" الكارثية التي تبرز مفاتنها سامحة لجياد خياله بالركض كما تشاء ..

تبدو له الآن كأجمل مرة رآها فيها !!

_تصبحي على خير .

يقولها مع غمزة كعادته قبل أن يفاجئها بقبلة خاطفة على جبينها لتشهق بحدة وهي تبتعد بوجهها ليبتسم وهو يستقيم بجسده قبل أن يغادر الغرفة ليتركها خلفه تتنهد بعمق ..





قبل أن تستلقي بظهرها على الفراش الغريب الذي ما تصورت أبداً أن تنتهي ليلتها هذه فيه !!

ليت كل هذا يكون مجرد كابوس !!

ليتها تصحو فتجد كل هذا أضغاث أحلام!!

=======

_صباحية مباركة يا عريس!

تقولها ياقوت بلهجة ماكرة وهي توقظه على أريكة الصالة ليفتح عينيه فيتلفت هو حوله بدهشة أول الأمر قبل أن يتذكر أحداث الليلة الماضية ..

لينهض من رقدته وهو يلوح بسبابته في وجهها هاتفاٌ :

_لاحظي إن كلامك جارح !

تضحك ضحكة قصيرة وهي تربت على كتفه لتسأله :

_مانمتش في أوضتك ليه ؟!





تقولها مشيرة للغرفة الثالثة في الشقة ليرد بخفوت عبر نبرته المرهقة :

_خفت المجنونة دي تصحى وتمشي من غير ما اخد بالي ..بصراحة مش ضامنها .

عادت تضحك وهي تجلس جواره لتقول بنفس الخفوت:

_ما جمع إلا ما وفق ..انتو الاتنين جوز مجانين ..حسين رجائي كل خلفته عاهات !

_احترمي أخوكي الكبير! وبعدين انتِ "بنت النيل" مثلا؟! ما انت بنت حسين رجائي برضه !

يقولها بخفة مرحة وهو يخبطها على مؤخرة رأسها قبل أن يتناول هاتفه لينظر فيه قائلاً :

_لازم أقول لعمو علاء و"أنّا" ..هيبقى فيها مخالفة كبيرة لو ماعرفوش ..بس لسه بدري زمانهم ماصحيوش.




_ومامتك؟!

تسأله بتوجس ليتنهد وهو يحك ذقنه بإظفره مغمغماً :

_أهي دي الليلة الكبيرة سعادتك ..

ثم ضحك ليردف ساخراً:

_برغم كل شيء صعبانة عليا

جيلان هانم ..مابتلحقش تفوق ياعيني !

ابتسمت بإشفاق وهي تعاود التربيت على كتفه لتقول بجدية :

_أنا معاك في أي حاجة ..نشوى محتاجة معاملة خاصة اليومين دول ..

ثم صمتت لحظة لتردف محذرة:

_اوعى تجرحها يا إسلام ..انت اخترت طريق كمله لآخره !





منحها نظرة مطمئنة لتنهض وهي تتناول حقيبتها فينتبه أنها ترتدي ملابس الخروج ..

_رايحة فين ؟!

_جو العرسان نساك إن النهارده يوم شغل للشقيانين !

تهتف بها بمرح لينهض بدوره وهو يلوح بذراعه قائلاً بحسرة متهكمة :

_هو فين جو العرسان ده يا حسرة ؟! الواحد حاسس إنه داخل على حرب .

_قدها وقدود يا هندسة !

تقولها ضاحكة ليشاركها الضحك قبل أن يقول بسرعة:

_طب استني هاوصلك وأروح أجيب ريما من عند أشرف ..عايز نشوى تصحى تلاقيها .





_أيوة كده ..هي دي الدماغ الصح!

تهتف بها باستحسان ليعاود خبطها على مؤخرة رأسها قبل أن يتحرك ليتوجه نحو غرفته كي يبدل ملابسه ..

تلاحقه نظراتها التي امتزج فيها الإعجاب بالإشفاق ..

فخورة هي حقاً بأخ مثله لكنها تخشى عليه عاقبة هذه الزيجة التي لا تبشر بخير ..

خاصة وأن "جيلان هانم" لن تمررها هكذا ببساطة ..

مسكين هو ..سيخوض أقوى حروبه الفترة القادمة !

======





بعض روحي أنتِ ..

بل كل روحي ..

فسامحيني!

إن جعلت المطر يرعد في عيونك ..

إن جعلت الطير يهجر دفء غصونك ..

إن ذبحت الحب قرباناً لغروري ..

لكن عذري أنني..

خنت نفسي قبل أن أخونك !

عودي معذبتي ولا تردي لي الجرح جرحاٌ ..

عودي فبعدك ألف عام يفتقد الفرحا ..

عودي فشمس الحب قبسٌ من جنونك !

"رائد"

======





كيف أغفر ؟!

وسيف جرحك على عنقي لايزال مضرجاً بدمائي؟!

وكيف أقسو؟!

وحبك توأم العمر الطويل ؟!

كيف أنسى؟!

ورائحة غدرك تزكم الأنف الذي طالما تنعم بعبيرك ؟!

وكيف أذكر ؟!

و"عاصمة" عشقك تفتقدها خرائطي فتبقيني بلا هوية؟!

كيف أتقدم ؟!

وبين ذراعيك شوك ..ونار؟!





وكيف أتأخر ؟!

و"عقارب ساعتي" مضبوطة على تقويمك ؟!

كيف أبقى أنا ؟!..ولازلت أنت أنت !

وكيف أكون أنا ؟!..مالم تكن أنت !

يا من بدلت قناعك بين "فارسي" و"جلادي"..

لا أملك معك سوى وجه ..عاشقتك !

اخترتُ الصفح ..فمن يلومني؟!

أحمقٌ من يخاصم في الليل ..قمرَه!

"همسة"

=======

على باب شقتها التي اختارها لها يقف متردداً قبل أن يطرق الجرس ..

هي التي طلبت لقاءه هذه المرة لتخبره برغبتها عبر رسالة مع الخادمة ..

قلبه يخفق بين ضلوعه بعنف ..ليس فقط ضراوة الاشتياق ..بل ترقب العتاب ..

عتابها لن يكون قاسياً فمثلها لا تعرف القسوة ..

لكنه سيكون مؤلماً لقلب عاش يجلد نفسه بذنبها طوال هذه السنوات !

تفتح له الخادمة الباب بابتسامة قلقة ونظراتها تحمل له غموضاً لم يفهمه ..

قبل أن تظهر هي من خلفها ..

"معصوبة العينين"!!

يالله !!

هل انتكست؟!

هل سيعود معها لنقطة البداية من جديد ؟!

أم أنها رسالة مبطنة منها أنها لم تعد تريد رؤيته ؟!!





أنفاسه تتلاحق بضراوة وهو يراها تقترب بحذر أكثر لتطلب من الخادمة الخروج وتركهما وحدهما ..

يسمع صوت الباب يغلق خلفه من جديد بتشتت لتدمع عيناه بحسرة موجعة وهو يفقد أمله الجديد بها ..

يقبض كفيه جواره بقوة وهو يجد نفسه يعود للخوف من أن يتكلم أمامها من جديد ..

إذا كانت لا تطيق رؤيته ..فماذا عن صوته ؟!!

يراها تتقدم منه فاردة ذراعيها أمامها فيزداد وجيب قلبه ..

خطواتها لم تضل طريقها إليه ..

دوماً قلبه مرشدها وهاديها ..

على بعد خطوة منه تقف الآن ..شفتاها ترتجفان بهذه الطريقة التي يعرفها عندما تكتم انفعالاتها ..





كفاها يرتفعان ببطء ..ببطء شديد جداً نحو صدره لتبسطهما هناك فوق موضع قلبه ..

_كل سنة وانت طيب .

تقولها بنبرة عاتبة ذبيحة لم يفهمها ..ليزدرد ريقه بتوتر هامساً :

_لسه فاكرة عيد ميلادي؟!

_خلاص ..افتكرت ..كل حاجة ..

تهمس بها بنفس النبرة التي تقطعت كلماتها ليجد كفيه رغماً عنه يرتفعان ليعانقا كفيها بقوة على صدره ..

كأنه رأى في كلماتها نبوءة وداع !





_من كام سنة ..في نفس اليوم ..حضّرت هديتك ..بابا كان حابسني بعد اللي حصل بس اتصرفت وخرجت ..كنت عارفة إن مامتك مسافرة وإنك لوحدك في البيت ..بس ..لما شفتك ماكنتش لوحدك ..

خيطان من الدموع سالا تحت عصابتها مع همساتها التي تقطعت بمرارة الذكرى ..لتتسع عيناه بصدمة وهو يحاول تذكر ما تحكي عنه ..

_أول ما قربت من مدخل العمارة شفتك خارج معاها ..ماسك إيدها زي ما كنت بتمسك إيدي ..بتضحك لها زي ما كنت بتضحك لي ..ركبت معاك عربيتك ..مكاني !





اشتعل جسده بمزيج من الغضب والذنب وخيوط الدموع على وجنتيها تزداد كثافة فيزداد كفاه تشبثاً بكفيها ..

لتعاود جلده بهمساتها :

_مكاني ..مش بس في عربيتك ..لا ..ده في حياتك كلها ..ساعتها اتأكدت م اللي سمعته واللي ماكنتش راضية أصدقه ..مكنش ينفع أصدقه ..أنا ماكنتش بنت عمك وحبيبتك وبس ..أنا كنت ..كنت مراتك !

جسده يتشنج بقوة انفعاله وهو يكاد يعتصر كفيها في قبضتيه ..

يكاد يرجوها التوقف عن جلد نفسها وإياه بهذه الذكرى ..

لكنها عادت تردف بألم أكبر:

_كل ده وكنت لسه واثقة فيك ..مستنياك ..رجعت البيت بهديتي اللي ما قدرتش أديهالك ..رجعت





أوضتي لوحدي منفية كالعادة بعيد عن بيت الفايد العظيم ..خايفة من بكرة بس مطمنة بيك ..بقول لنفسي مش ممكن يكون هيعملها ..ده بس بيخطط عشان يخطفني من هنا بعيد عن كل الناس ..في بيتنا اللي هنكمل فيه عمرنا سوا ..كنت بصبر نفسي بده لحد الليلة اللي سمعتك فيها بوداني ..بتقول لبابا إنك ..إنك خلاص مش عايزني ..وإنك ما يلزمكش واحدة ..مجنو..

عبارتها تنقطع مع آخر خيوط صبره وهو يجذبها لصدره بقوة دافناً رأسها بين ضلوعه ومانعاً إياها من المزيد ..

يلصق وجنته بوجنتها لتمتزج دمعة ندمه مع دموع ألمها ..




_كفاية ..ما تكملليش !..ذنب وعشت أكفر عنه طول السنين دي ..وكنت مستعد أفضل أكفر عنه لحد آخر يوم في عمري ..ساعة طيش دفعت تمنها كتير ..قلبي ماخانش ياهمسة ..على عهده عايش بيكي وليكي ..

يهمس بها بحرارة أشعلت أنفاسهما الممتزجة ليرفع وجهها نحوه معانقاً وجنتيها براحتيه يمسح عنهما دموعهما :

_مش ممكن تكوني ماحسيتيش بيا طول السنين دي .

ابتسامة تشق غمام دموعها لترد :

_مش بقوللك ..افتكرت ..كل حاجة ..

ابتسامة تعيد له بعض روحه وهي تتسع رويداً رويداً مع استطرادها :





_افتكرت ضِلّ ما سابنيش طول السنين دي ..طيف كان قلبي بيحس بيه من غير ما أسمعه ولا أشوفه ..يمكن لحد دلوقت مش قادرة أميز حقيقة من خيال ..بس فاكرة إيدك حاضنة إيدي ..فاكرة صوتك بعدها لأول مرة في وداني ..فاكرة بيتنا بكل حتة فيه ..فاكرة حضنك ..دايماً معاه صوت ضحكتي ..فاكرة ..فاكرة ..

همساتها تتهدج مع أنفاسها ليسألها بوجل :

_امال رجعتِ تلبسي دي ليه ؟!

يقولها وأناملها تتحسس عصابة عينيها بارتجاف لم يملكه ..

ارتجاف احتل أناملها هي الأخرى وهي ترفعها لتنزع عنها عصابة عينيها ..

ثم تلقيها لتدهسها بقدمها قائلة باعتداد :

_عشان أقلعها بمزاجي ..عشان لأول مرة أحس إني حرة وبختار ..





سعادته بهذا التغيير الذي يراها عليه توازي ترقبه من نتيجة خيارها هذا الذي تزعمه ..

_واخترتِ إيه ؟!

يسألها بوجل لتبتعد عن مرمى ذراعيه فيسقط قلبه بين قدميه وهو يراها تبتعد بظهرها بضع خطوات ..

قبل أن تتوقف مكانها لتتناول من الجوار ما رفعته أمام عينيه ..

"بيضة برسمة ضحكة ..كاملة !"

_اخترتك .

تقولها عبر ابتسامة دامعة فلا يشعر بنفسه وهو يندفع نحوها اندفاعاً كاد يسقطها لولا دعمه لها بين ذراعيه ..





شفتاه تعانقان شفتيها عناقاً لم يعرفه من قبل بهذا الاشتعال ..

قديماً كان يشعر إذ يمسها بمزيج من الحذر ..الخوف ..الذنب إذ ينال منها وهي غير واعية تماماً ..

لكن الآن وهو يشعر بتمام استجابتها ..

بانصهار جوارحها معه بذات اللهب الذي يذيبهما معاً ..

وبصك غفرانها الذي منحته له أخيراً بمذاق عشقها ..

يكاد يفقد كل ذرة في تماسكه !

_رائد ..

تهمس بها باعتراض واه وسط أنفاسها اللاهثة

وهي تدفعه عنها بكفها برفق لكنه يكبل كفيها بحنوّ





خلف ظهرها ليعاود بثها عاطفة لم تعد تعترف بهشاشة الكلمات ..

_عشان خاطري ..سيبني ..أديك هديتك ..

تهمس بها مزينة بابتسامة خجول وهي تحاول

الابتعاد بوجهها ليرمقها بنظرة مشتعلة لا يكاد يعرفها "قناعه المعدني" إلا معها هي ..

ورغم أن كل ذرة في جسده كانت تستصرخه

بالمزيد من الارتشاف من كأس عذوبتها هذا ..

لكن الرجاء العاتب في عينيها جعله يحرر كفيها مكتفياً بقبلة أخيرة عميقة لجبينها ..




تتحرك نحو منضدة قريبة لتتناول منها علبة صغيرة رفعتها أمام عينيه ليميز فيها هذه ..الدبلة الفضية !

اتسعت عيناه للحظة وهو يراها تهم بانتزاعها من مكانها لتلبسه إياها ..

لكنه أوقفها في اللحظة الأخيرة ليغلق العلبة بحزم فترتجف نظراتها بتساؤل ..

ليبتسم وهو يقرب وجهه منها هامساً :

_مش دلوقت ..مش قبل ما آخدك عروسة من بيت الفايد قدام كل الناس .

دمعت عيناها بفرحة ارتعد لها جسدها وصدرها يعلو ويهبط بانفعاله بينما تكرر خلفه :

_عروسة ؟! بيت الفايد ؟!

فيهز رأسه مؤكداً ليحتضن وجهها من جديد بين راحتيه مقبلاً جبينها بقوله :





_هاعملك فرح الدنيا كلها تحكي عليه .

من جديد تنخرط في البكاء إنما بدموع سعادتها هذه المرة ..

تحتضن خصره بذراعيها ليبتسم وهو يضمها نحوه بحنو بأحد ذراعيه بينما يضع هديتها في جيبه هامساً :

_كفاية دموع بقا يا حبيبتي ..وعد مني الأيام الجاية ما تعيطيش غير من الفرحة .

همسه الذي بدا لها كوعد تمنحه روحه قبل لسانه يجعلها تضحك تلك الضحكة القصيرة الرائقة التي تخلب لبه ..

فتتناقص المسافة بين شفتيهما من جديد لكن صوت رنين الجرس يجعله يبعدها بأسف

متسائلاً :




_مين؟!

_ياقوت!

تقولها بود طاغ وهي تتحرك لتفتح الباب فيقابلها وجه ياقوت التي وقفت تتفحص ملامحهما للحظات بذكاء قبل أن تميل رأسها لتقول وهي تعدل وضع نظارتها على أنفها:

_نقول مبروك؟!

تعانقها همسة عناقاً حاراً يمنحها الجواب فيما يرمقها رائد بنظرة امتنان جارفة وهو يتحرك ليتناول "البيضة بضحكتها المرسومة كاملة" فيرفعها في وجهها بحركة ذات مغزى ..

لتتنهد ياقوت بارتياح بينما يصلها صوت همسة تقول بعاطفة صادقة:





_انتِ قلتيلي أول مرة شفتك ..يوم مارسم عليها وش بيضحك مش هاشوفك تاني ..بس أنا ما بقيتش أقدر أستغنى عنك .

الشجن يصارع عاطفتها هي الأخرى وهي تقلب بصرها بين همسة ورائد للحظات ..

قبل أن تطرق برأسها دون رد ..

هاهي ذي همسة تكاد تتماثل للشفاء ..

"الخيط الظاهر" بينها وبين زين !

زين الذي لايزال مصراً أن يجلد نفسه في منفاه رافضاً يدها الممدودة نحوه ..

فهل يكون حقاً مصيرهما الفراق؟!

======

_همسة!

ه.ه.

يهتف بها زين بدهشة وهو يفتح باب البيت بعد رنين طويل تجاهله قبل أن يضطر للاستجابة إليه ..ليجدها أمامه !

يضمها نحوه باشتياق مغمضاً عينيه بعاطفة استسلم لها عبر غيابات حزنه ..

قبل أن ينظر خلفها ليسألها :

_جاية مع رائد ؟!

_لوحدي .

تقولها بحسم غريب على طبيعتها وهي تهز رأسها لترتجف ابتسامتها وهي تتفحص

ملامحه :

_ياقوت قالتلي ع العنوان ..وقالتلي كمان إنك محتاج تشوفني زي ما أنا محتاجة أشوفك .

نبراتها ترتعش بأسى وهي تميز شحوب ملامحه الواضح وتغير هيئته التي تعرفها ..





ياقوت أخبرتها أن المرأة التي اختطفتها - والرضيعة- فعلتها نكاية بزين ..بل وكادت تقتله !

هو ضحى بنفسه من أجلها ..

لكنه هو نفسه من بدأ هذه المأساة كاملة !!

بينما أطرق هو برأسه ليتحرك مبتعداً عنها ..يشعر بالكثير من الرضا عن تحسن حالتها كما يرى أمامه ..لكن نبراته تتحشرج بقوله :

_عشان خاطري يا همسة ..مش قادر أكلم حد دلوقت .

_بس أنا محتاجة أتكلم معاك ..كلام اتأخر كتير قوي .

النبرة العاتبة في صوتها تجعله يرفع عينيه نحوها بترقب ..

لتقترب هي منه مفاجئة إياه بسؤالها :




_بتحبني ؟!

عيناه تتسعان للحظة لتكرر سؤالها ببطء أكثر:

_بتحب أختك يا زين ؟!

يزدرد ريقه بتوتر وهو يشعر بالغرابة ...

نبرات صوتها لم تعد مرتجفة كالسابق ..

كلماتها لم تعد متقطعة ..

نظراتها ليست بالمشتتة بعد ..

عاطفتها البريئة لاتزال تميزها إنما متشحة بعتاب نابض لا يمكنه تجاهله ..

تسأله هل يحبها ؟!

ما أسهل السؤال وما أصعبه !!

خاصة وهي تكتف ساعديها كأنما تحتضن نفسها مانحة إياها الدعم ..

لتشرد ببصرها مردفة :





_عمرك ما قلتهالي بس ياما شفتها في عينيك ..أنا صورة الخيانة اللي ماقدرتش تنساها طول العمر ده ..الوردة اللي اتفتحت غلط جنب قبر والدتك ..عشان كل ما تكبر تفكرك إني كنت السبب في موتها ..

_كفاية يا همسة ..

يقاطع بها كلماتها بكف مرتجف يرفعه في وجهها..

وحاجباه ينعقدان بألم زادته هي باستطرادها الذي صارت تلفه الدموع:

_طول عمري عايشة حاسة إني غلطة ماينفعش تتصلح ..اتعاملتوا معايا زي أي ذنب بتحاولوا تنسوه مادام مش قادرين تكفروا عنه ..منبوذة لوحدي في أوضة بره بيت بابا اللي ممنوع





أدخله ..شايفة في عينيه نظرة حد اتورط ومش عارف يخلص من ورطته ..يمكن عشان كده ماستغربتش قسوة عقابه وقت هروبي مع رائد ..حبسه ليا ماكانش جديد عليا ..طول عمره كان حابسني جوه سجن كبير ومش حاسس ..

آهة عميقة تغادر حلقه وهو يرفع رأسه لأعلى قبل أن يضمها لصدره بذراعه وقد فقد كلماته مع هذا الشعور المتعاظم بالذنب الذي تذكيه هي الآن بكلماتها ..

لم يتصور أنها يوم تسترد عافيتها ستنطلق بهذا البوح المؤلم ..

لكنها ترفع عينيها الدامعتين نحوه مردفة :

_انت كمان حبستني جوه سجن فكرتك ..بنت الست الطماعة اللي خطفت جوز قريبتها ..معقول طول السنين دي ما سألتش نفسك ..لو كانت ماما طمعانة في فلوس بابا يبقى إزاي قبلت تعيش وتموت في بيت قديم وقع علينا زمان ؟!

ةةة.





عيناه تتسعان بذهول وكلماتها البسيطة تضربه في مقتل !

تصفعه على وجه ذكائه الذي طالما تباهى به !!

تجلده بالمزيد من الندم وهو يكتشف -لتوه- أنه عاش عمره مخدوعاً بوهم ..

لم تكن هي فقط السجينة ..

هو أيضاً كان سجين فكرة تضخمت في صدره لتشكل قناعاته ويتضاءل جوارها كل منطق ..

_يمكن كنت صغيرة قوي ..بس لسه فاكرة نظرة حب بتملا عينيها لما كانت تشوفه ..نظرة حزن تانية لما يسيبنا ويمشي ..نظرة خوف لما الباب يخبط وهو موجود ..ونظرة ندم لما تسرح وهي بتبص لي ..ياااه ..ياااه يا زين ..بعد كل السنين





دي أخيراً جت لي الجرأة أسألك ..مين اللي أخد فيهم أكتر ؟! ..مين اللي كسب أكتر ؟!

ثم صمتت لحظة تلتقط أنفاسها لتردف بعينين شاردتين عبر فيض من الدموع :

_مين اللي طمع في التاني هي واللا هو ؟!

آهة تلو آهة تطلقها روحه قبل لسانه ..

كيف يمكن أن يخدعنا الوهم إلى هذا الحد ؟!

أن يحجب بغشاوته بصيرة القلب ويذره يتخبط في تيه ظلامه ..وظلمه !

كل أشباح خطاياه تتجمع الآن لتتنعق كالغربان فوق خراب روحه ..

ترجمه بذنوبه فلا يكاد يطمع في رحمة ..

لكن هذا "الملاك" بين ذراعيه يمنحه بعض الخلاص في ..قبلة !





قبلة طبعتها عميقة دافئة فوق جبينه وهي تستطيل على أطراف أصابعها بينما تتشبث أناملها الرقيقة بكتفيه ..

_سألتك بتحبني وأنا عارفة الإجابة ..عارفاها حتى لو انت مش عارفها ..أنا مش جاية النهاردة أعاتبك ..بالعكس ..جاية أهد آخر شبر في الحيطة اللي اتبنت بيننا زمان ..جاية أقوللك إني متأكدة إنك بتحبني زي ما أنا بحبك ..

تقولها بين ابتسامتها ودموعها كأصدق اعتراف سمعه يوماً ..

ليطوقها بين ذراعيه بقوة حانية وأنامله تربت على رأسها قبل أن تطبع شفتاه على جبينها قبلة اعتذار ..





تسبح عيناها في بحر رائق وهي تشعر بروحها تتحرر من آخر قيودها ..

ياقوت كانت محقة عندما أخبرتها أنها تحتاج أن تمتلك "حرية الصفح" قبل أن تمنحه ..

تحتاج أن تعيش غضبها ..عتابها ..لومها ..

تحتاج أن تصرخ في كل من ظلمها ..

قبل أن تختار بكامل إرادتها أن ..تعفو!

ابتسامتها الملائكية تزين ثغرها وأناملها تطوف على ملامحه لتقول له ببراءتها المعهودة :

_مش واخدة على شكلك كده ..احلق دقنك وشعرك .

ابتسامة باهتة تحلق من بعيد على شفتيه ظن أنه لن ينالها قبل عهد بعيد ..





كعادتها جاءته الملاك الكسير لتضع بصمتها الشافية فوق جروحه ..

حتى عندما سكبت له كأس عتابها منحته السم والترياق في نفس الوقت ..

_عمري ما كنت هاقدر أرجع لنفسي لولا إحساسي إنك جنبي وفي ظهري ..وعمري ما هانسى إنك كنت هتضحي بروحك عشاني ..بحبك قوي ..

تهتف بها بصدق وهي تعاود احتضانه ليشعر بمذاق عناقها مختلفاً هذه المرة ..

صافياً ..رقراقاً ..دون أي شوائب ..

صمته يطول وهو يشعر بدمعة ندم هائلة تحرق عينيه ..

يبدو أن القدر اختار مواجهته بذنوبه كلها بما لا يدري هل هو تمهيد لعقاب ..

أم فرصة للتوبة !!





_أنا ..آسف ..

يهمس بها أخيراً بعذاب فضحته حروفه لتهز رأسها برقة متسامحة ..

لتسأله برجاء مشفق:

_هتفضل هنا كتير؟!

_مش عارف ..

يقولها وهو يعطيها ظهره شاعراً بالمزيد من الرغبة في الهروب من رجل كان يوماً ..هو!!

فتربت على كتفه برقة مدركة أنه ربما يحتاج عزلة كهذه التي احتاجتها كي تعود لنفسها ..

يشعر بخطواتها تبتعد ليسمع صوت الباب يفتح فيلتفت نحوها هاتفاً بقلق:





_ماتمشيش لوحدك ..استني هاكلم رائد ييجي ياخدك .

لكنها تبتسم لتحمل كلماتها مغزاها الذي وصله

بالضبط :

_فيه سكك لازم نمشيها لوحدنا ..عشان نفرح قوي لما نوصل ..ومانتوهش تاني .

======

في منفاه الاختياري يجلس نفس الجلسة البائسة على فراشه مراقبا الضوء الخافت القادم عبر النافذة المغلقة ..

لمسات ياقوت ..

كلمات ثمر ..

مواجهة همسة ..

أيها كان الأشد أثرا على نفسه الآن ؟!

أيها يمكن أن يتشبث به ليخرج من هذا الجب الذي ألقته فيه ذنوبه ؟!





أفكاره تنقطع بصوت طرقات خافتة على الباب الذي التفت نحوه بنظرات خاوية ..

لم تلبث أن تحولت لترقب ممتزج بالدهشة وهو يميز الاثنتين اللتين دخلتا لتوهما ..

حبل قصير من الصمت يسري بينهم قبل أن تقطعه إحداهما بقولها الذي تهدج بمشاعرها:

_فاكر بنتي يا زين بيه ؟!

=======

القطعة الثانية والعشرون

=======

_فاكر بنتي يا زين بيه ؟!

ينعقد حاجباه وهو يميز الخادمة كبيرة السن التي عايشها في بيت "الفايد" منذ طفولته ..ولولا مكانتها الخاصة لديه لطلب منها الخروج وتركه وحده كما يفعل مع الباقين ..

_بنتي حامل!

تقولها بتأثر وهي تضع كفيها على كتفي ابنتها جوارها لتقدمها أمامها مردفة :

_هي وجوزها اتفقوا لو جه ولد ..هيسموه على اسم حضرتك ..

يغمض عينيه بقوة وهو يشعر بكلماتها البسيطة تشعل قناديل من نور في روحه ظنها قد انطفأت للأبد ..

خاصة وعاطفة المرأة الجلية تبدو واضحة وهي تذكره بما فعله





لأجل ابنتها ..

هذه التي تعرضت لحريق شوه ملامح وجهها ..وقتها كانت مخطوبة لرجل تحبه ..أرغمه أهله أن يتركها بعدما نالها من ضرر ..لكن زين تكفل بمصاريف جراحة تجميلية لها على أعلى مستوى حتى عادت ملامحها شبه طبيعية ..

ولم يكتفِ بهذا بل قابل خطيبها بنفسه ليشجعه على الوقوف في وجه عائلته الرافضة لارتباطهما ..

ثم وفر له عملاً أفضل بإحدى شركاته !

_جميلك هيفضل في رقبتنا ليوم الدين ..سامحني لو قطعت عليك خلوتك ..بس ماقدرتش أمنع نفسي أني أشوفك وأطمن عليك ..اتحايلت على رائد بيه لحد ما رضي يجيبني هنا ..أنا معاك من سنين ..من قبل وفاة والدتك الله يرحمها ..وربنا يشهد ..غلاوتك من غلاوة ولادي .

كلماتها تنتهي بدموع عاطفة حقيقية شاركتها فيها ابنتها ليجد الجرأة أخيراً فيفتح عينيه ..




بل ويفتح قلبه معهما ل"نقطة النور" التي بزغت فجأة وسط هذا الظلام الذي يغشاه ..

حسناً ..

يبدو أنه لم يكن "شيطان الحكاية" برغم كل شيء!

_مفيش حد الزمان ده بيعمل اللي عملته ..أنا معرفش إيه مزعلك ومخليك تسيب الدنيا بحالها وتحبس نفسك هنا ..بس اللي متأكدة منه ومستعدة أحلف عليه بكتاب ربنا إنك أطيب قلب قابلته .

تقولها الخادمة وهي تقترب منه أكثر بعينين تصرخان صدقاً ولهفة ..

لترتجف شفتاه بشبه ابتسامة وهو يشيح بوجهه عنها ..

دمعة كبيرة تتجمع في طرف عينه ويمنعها كبرياؤه من السقوط ..

"أطيب قلب قابلته"؟!

ماذا عساها تقول لو علمت عن خطاياه ؟!





لو علمت أن أمام "ابنتها" التي تتباهى بمعروفه معها هذه هناك "أخرى" ترقد

الآن في قبرها ملطخة بعارها بسببه !!

_هاقوللك حاجة يمكن أول مرة تسمعها مني ..في ليلة شتوية كنت قاعدة مع

والدتك الله يرحمها ..الجو كان برد قوي ..بس هي كانت واخداك في حضنها وانت نايم ..سألتها لو كانت محتاجة غطا زيادة ..قالتلي وعينيها متعلقة بيك ..أنا دفيانة بيه ..سميته زين عشان يبقى له من اسمه نصيب ..وكل يوم بيكبر بتأكد إن كان معايا حق ..هو زين وزينته في طيبة قلبه ..

_كفاية !

يقولها بنبرة متهالكة لكنها بدت له كصرخة انفجرت شظاياها في روحه ..

قبل أن يغمغم بحروف انغمست بعذاباته :





_مش يمكن ليا وش تاني ماتعرفيش عنه حاجة ؟!

لكن المرأة جلست على طرف فراشه قائلة :

_ومين فينا مالوش ؟! احنا ماشيين

بالستر يا زين بيه ..لو ربنا كشفه عن حد ممكن ما نطيقش نبص لوش بعض ..سامحني لو خدني العشم وجيت قطعت عليك خلوتك هنا ..بس بحق العشرة الطويلة ..بحق وصية

والدتك الله يرحمها ليا إني أخللي بالي منك ..وبحق جميل بنتي اللي هيفضل دين في رقبتي عمري ما هاقدر أوفيه ..بترجاك ..ماتسيبش نفسك للي انت فيه !

وكأنما جاءت كلمات المرأة على بساطتها لتنظم آخر حبات العقد !!

ياقوت ..ثمر ..همسة ..والآن هي!!

خطاياه رسمتها وجوه نساء ..

والآن تطمسها أيضاً وجوه نساء !!





C i n n a b o n

يااللمفارقة !!

_تسمح لي يا بيه ؟!

تقولها بنبرة استئذان وأصابع كفها الممتلئة بتجاعيدها تقترب من كفه لتربت عليه بحنوّ فاض في عينيها ..

وجعله يبتسم !

ابتسامة واهنة لكنها كانت تكفيه لتكون بداية طريق ..

هذه التي لمحها رائد وهو واقف يراقب خلسة خلف باب الغرفة الموارب لتنبت ابتسامة شبيهة على شفتيه ..




قبل أن يبتعد قليلاً ليتناول هاتفه ويتصل برقم ياقوت وما كاد يسمع صوتها الملهوف حتى قال بارتياح :

_كان معاكي حق ..فرقت معاه كتير .

زفرتها القوية تصله مفعمة بانفعالاتها الكاملة ..

قبل أن تحاول تغليفها بعمليتها المعهودة :

_هو محتاج يحس بكل خير عمله ..كل نقطة بيضا في ماضيه لازم يفتكرها عشان يقدر ينسى الليلة إياها ..أنا مش هاقدر أساعده لو هو رافض يساعد نفسه ..

ثم تهدج صوتها فاضحاً عاطفتها وهي تنهي الاتصال بقولها :

_هو بس عليه ياخد أول خطوة في الطريق ..وأنا هاكمله معاه .





C i n n a b o n

لترتسم على شفتيه ابتسامة ماكرة وهو يعيد هاتفه لجيبه هامساً لنفسه :

_ياترى تقصدي أي طريق يا ياقوت ؟!

وذكرى ارتجاف صوتها الأخيرة تمنحه الجواب دون احتمال خطأ التأويل!

=======

_سها عندها صدمة عصبية ..ورافضة تشوف ..ناصر!

تلكأت كلمات سامر في نطقه لاسمه وقد بدا من الطبيعي أن يعبر عنه بمكانته الطبيعية ك"زوجها"..

لكنه لم يشأ استخدامها هنا ..

ربما هو سخطه عليه إذ أوصلها إلى هذا الحال ..

ربما هي غيرته الطبيعية غير المنطقية هاهنا ..





وربما هو -أمل طفيف - أن يفقد هذا المسمى
قريباً !!

هذا الذي شعرت به ريتال بقوة وهي تحدثه عبر
الهاتف لتقول بنبرة محذرة لم تخلُ من شفقة :

_انت مكلمني مخصوص عشان تقوللي كده ؟!

تنهيدته الحارقة حملت لها بعض عذاباته وهو
يرد :

_مكلمك آخد رأيك ..والدها عايز يجيبها المركز
اللي أنا شغال فيه وطلب مني أتابع حالتها بنفسي ..

ثم ضحك ضحكة مكتومة ساخرة ليردف:





_بيقوللي إنه واثق إني أنا بالذات هاخد
بالي منها ومش هيآمن عليها دكتور
تاني ..تخيلي!

انقبض قلبها لأجله وهي تدرك مرارة ما يعانيه ..
أن يطلب منه والد سها أن يهتم بها الآن بعد رفضه المهين له -كزوج- لها في الماضي يمكن تفسيره كرد اعتبار ..
تماماً كما يمكن تفسيره بأنه تقتين لوضعه الطبيعي في حياتها كقريبها وطبيبها فحسب ..دون أي إضافات أخرى!
ربما لهذا تتفهم كثيراً تخبط مشاعر سامر الذي انخرط يحدثها بعفويته المعهودة معها :
_مش عارف هاقدر أتعامل إزاي معاها كمريضة وبس ..أنا شفتها النهاردة في المستشفى ..مكنتش مصدق إنها هي ..اتبدلت ..رافضة الكلام والأكل والناس ..وهو بالذات !





_أنا مش فاهمة ..مش كل حاجة كانت برضاها ؟!

تقولها باستنكار مشفق ليرد هو بعاطفة اختنقت بها حروفه :

_يعني إيه برضاها ؟! انتِ ست زيها والمفروض تكوني فاهماها أكتر من كده ..سها كانت عايزة تحس إنه متمسك بيها أكتر من كده ..كانت خايفة ييجي عليه وقت يضطر يختار بينها وبين رضا والده فتخسر ..حبت تبين إنها واثقة وقوية كالعادة ..وماعملتش حساب انهيارها في ليلة زي دي ..

_بس هو ما كملش الجوازة ياسامر ..فضل جنبها هي ليلتها ورمى الدنيا بحالها وراه ..ده ما يشفعلوش عندها ؟!




تقولها محاولة وأد هذا الأمل الذي تستشعره ينمو بداخله نحو سها تخشى عليه المزيد من الخذلان ..

لكنه هتف بانفعال :

_بعد إيه ؟! بعد ما كسرها ؟!

زفرت زفرة قصيرة لتعاود قولها بتحذير مشفق :

_مش عايزاك تتعلق في حبال دايبة ..كلنا عارفين هي بتحبه أد إيه ..

_كانت !

هتف بها بانفعال يقاطع كلماتها ليردف بنبرة متهدجة :

_هو خد فرصته وضيعها ..خلاص!

ازداد انقباض قلبها لسبب لا تعلمه وهي تشعر بالخوف عليه ..

هو يعتبر خروج ناصر من حياة سها أمراً مسلماً به ولا يريد الاعتراف بأن سها لن تكون لسواه هو!!





لهذا عادت تهتف به برجاء:

_لو عايز رأيي ماتوافقش إنك انت اللي تعالجها ..ابعد عن الصورة يا سامر ..ابعد وانساها بقا .

لكنه ضغط على أسنانه بقوة وهو يستعيد ملامح سها التي رآها صباحاً لتشتعل نيران روحه أكثر ..

كيف تطلب منه الابتعاد ؟!

كيف يفعلها ؟!

كيف ووالدها نفسه يرجوه الاعتناء بها ؟!

كيف وملامحها المنهارة تكاد تستصرخه

ألا يتركها ؟!

ما جدوى مشاعره لها طوال هذه السنوات إن تركها الآن وحدها ؟!




_مش هابعد يا ريتال ..مش هاقدر .

يقولها بحزم تسربت عبره سيول ألمه لتخز قلبها تعاطفاً مع حاله ..

لكنها هتفت به بانفعال:

_خلاص ما تطلبش رأيي تاني مادام مش هتعمل بيه ..سلام !

_استني ما تقفل..

عبارته تنقطع وهو يسمع صوت إغلاق الهاتف من جانبها بعنف ليزفر بسخط وهو يلقي هاتفه جانباً ..

قبل أن يسمع صوت أمه خلفه :

_قفلت في وشك السكة عشان مش عاجبها الكلام ؟!

لم يكن كلامها سؤالاً بقدر ما حمل عتابها الجواب ليلتفت نحوها بملامح متألمة للحظات قبل أن يغتصب ابتسامة واهنة على شفتيه وهو يرد :





_جرى إيه يا ست "حلاوة"؟! من امتى ولاد البلد بيتخلوا عن الناس وقت الشدة ؟! ودي مش أي ناس ..دي قريبتي و..

انقطعت عبارته بغصة حلقه التي لم يملكها والتي استشعرتها هي بفطرة أمومتها لتقترب منه بخطواتها المتثاقلة وعينيها العاتبتين :

_فرق كبير يا" ابن بطني" ..بين الجدعنة في الشدة و"الصيد في المية العكرة" !!

_أنا بصطاد في المية العكرة ياامّا؟!

يهتف بها باستنكار لترد هي بعصبية ملوحة بذراعها :





_سبع سنين كلية وشهادات وشغل و"الدكتور راح الدكتور جه "..وكل ده ولسه عقلك غايب ؟! فاكر إن اللي اتحرمت منه زمان هترجع تاخده دلوقت ؟!

_وليه لأ؟! هو أنا مش حقي أحب زي بقية الخلق؟! مش حقي أحلم بالست الوحيدة اللي اخترتها ؟!

يصرخ بها بانفعال مفاجئ احمر له وجهه لتصرخ هي به :

_مش وهي على عصمة راجل تاني.. مش وهي بتموت في التراب اللي بيمشي عليه ..عارف حتى لو سابته وجتلك تقوللك عايزاك مش هتبقى أكتر من سلمة تدوس عليها هي برجليها عشان تعلى تاني وتوصلله .





يغمض عينيه بقوة وهو يحيط خصره بكفيه مقاوماً هذا الألم الذي يعصف بداخله ..

لماذا لا يفهمونه ؟!

لماذا لا يرحمون هذا الشقاء الذي عاشه طوال هذه السنوات يترقب أن تراه محبوبته بنظرة تقدير تمحو عنه مهانة الرفض القديم ؟!

لماذا لا يتركونه لهذا الأمل الجديد أن تكتب له الأيام معها طريقاً آخر يعوضها فيه خذلان من سبقه ..وتعوضه هي فيه مرارة انتظار هذه السنوات ؟!

يشعر بكف أمه على كتفه فيفتح عينيه ليروعه هذا الذعر في عينيها بينما تتسرب كلماتها مفعمة بمشاعرها :

_ماتخيبش أملي فيك ..انت اللي فاضللي في الدنيا دي ..كفاية تضيع عمرك ورا واحدة عمرها ما كانت ولا هتكون ليك .





_لأ!

يقولها صارمة مناقضة لبرّه المعهود بها قبل أن يردف بحاجبين منعقدين:

_فرصتي وجت لي لحد عندي ..لو هو باعها أنا شاري.

فتهز رأسها بيأس من جداله لتعطيه ظهرها قائلة بوجوم :

_هتركب دماغك وترجع مكسور الخاطر ..غاوي وجع قلب من يومك .

تقولها لتنهي كلماتها ببضعة أدعية مما اعتادت قولها له قبل أن تختفي عن ناظريه ليزفر هو بقوة ..





صوت هاتفه يعلن عن وصول رسالة فيتوجه ليلتقطه قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة باهتة وهو يجدها من ريتال :

_كلامك المستفز نساني أقوللك شكراً على العروسة هدية عيد ميلادي .

_مش عاملة مقموصة وبتقفلي السكة في وشي ؟!
راجعة تكلميني ليه ؟!

يكتبها وابتسامته تتسع رغماً عنه لتصله رسالتها :

_أنا مش مقموصة ..أنا خايفة عليك .

فيتنهد بحرارة ليعاود الكتابة :





_سيبك مني وقوليلي ..سميتي العروسة إيه المرة دي؟!

_مرجانة .

يضحك ضحكة قصيرة وعيناه تلتمعان بودّ ..

من يرى هوسها العتيد بالعرائس لا يصدق هذه الواجهة الجادة التي تصدرها لمن حولها ..

انخراطها في العمل الخيري الذي تكاد تكرس له وقتها كله ..

طفلة كبيرة هي في عينيه ..لكنها تجيد ارتداء جلباب الكبار متى احتاجته !!

ربما لهذا لم يتعجب رسالتها الأخيرة التي بعثتها بعدها :

_اوعى تبطل تهاديني بالعرايس ..ساعتها بس هاعرف إني كبرت .

=======





في مكتبها بالمركز تجلس ياقوت مقطبة الحاجبين شاردة ..

عملها هنا يسير على ما يرام ..

موعد زفاف لجين يقترب ..

صحة ثمر مستقرة ..

هيثم يبدو في طريقه للتحسن هو الآخر ومشاعره نحو شهد تمنحه الدعم الذي يحتاجه ..

إسلام كذلك يبدو سعيداً رغم ظروف زيجته المعقدة ورغم الكارثة المترقبة عندما تعلم جيلان عن هذا ..

يمكنها الاسترخاء قليلاً إذن وأخذ هدنة من هذه الدوامة التي تدور فيها ..

لولا ..هو!!

هو الذي لا يزال غارقاً في ظلمات ذنبه القديم ..

لكنها تشعر أنه سيتجاوزها قريباً ..





هو فقط يحتاج كل نقطة بيضاء رسمها في لوحة قدره كي يهزم بها سواد خطاياه ..

اشتاقته ؟!

ياله من سؤال!!

إنها تحارب نفسها كل يوم كي تمنعها عن الذهاب إليه ..

خطوته الأولى يجب أن تكون منه ..لا منها هي !!

رنين هاتفها يقاطع أفكارها لتشهق بلهفة وهي تتبين رقمه ..

هو؟!

هل هو حقاً؟!

_زين!

تهتف بها بلهفة لم تتمكن من منعها وهي تفتح الاتصال ليواجهها الصمت المطبق من الجانب الآخر إلا من صوت أنفاسه المتلاحقة ..

رباه !!

حتى وهو صامت لايزال لحضوره نفس الهيبة التي تكتسحها ..

_زين !

بتساؤل ..

بترقب ..

بقلق ..

تقولها متشحة بغلالة رقيقة من عشقها ليقابلها المزيد من الصمت للحظات ..

قبل أن تسمع صوته خافتاً ..متحشرجاً ..منهكاً لأقصى درجة :

_مش عايز أتكلم ..عايز أحس إنك معايا بس.





كلماته القليلة تستجلب الدمع لعينيها فتجد نفسها دون وعي تخلع عنها نظارتها ..

رغم يقينها أنه لن يراها لكنها كانت تود الشعور في هذه اللحظة أنها تقترب منه بكل ما يحبه ..

ربما لهذا عاودت الهمس باسمه لتشعر باشتعال أنفاسه أكثر على الجانب الآخر من الاتصال ..

تغمض عينيها بقوة وذكرياتها العامرة معه تنساب شلالاً هادراً يجرفها في تياره ..

وفي لحظة توافق روحي نادرة كان هو

الآخر محتلاً بنفس الجيش من الذكريات ..

يستعيد مذاقها بين ذراعيه فلا يتمنى في هذه اللحظة إلا أن يحلق في سمائها ..

لكن ليس بعد ..

ليس قبل أن يتطهر من إثمه ليليق بنقاء عالمها ..





صمت صاخب !!

هذا هو أبلغ تعبير عن حالتهما الآن

وكلاهما يستشعر أنه يعانق صاحبه رغم كل هذا البعد ..

أنفاسهما التي تزداد وتيرة اشتعالها وحدها تبقى الخيط المحسوس بينهما لدقائق ودّ كلاهما لو لا تنتهي ..

الخيط الذي ينقطع الآن مع صوت طرقات على باب غرفتها المفتوح يتلوه دخول سامر الذي لم ينتبه للهاتف في يدها وهو يهتف بها بعفويته المعهودة :

_شجرة الدر العظيمة ..استشارة عاجلة لأينشتاين !





شعرت بالحرج وابتسامتها ترتجف على شفتيها لينتبه هو للهاتف في يدها فيشير بكفه معتذراً وهو يتأهب للمغادرة ..

لكنها تسمع صوت إغلاق الاتصال من الجانب الآخر فتوقن أن زين قد سمعه !

_قفلتِ ليه أنا كنت ماشي؟!

يقولها سامر وهو يراها تضع هاتفها جانباً غير قادرة على منع نظرة بائسة على محياها بينما ترفع عينيها نحوه :

_ولا يهمك ..خير كنت عايز إيه ؟!

يهم بالحديث قبل أن تتعلق عيناه بعينيها للحظة لتتسعا بإعجاب فطري وهو يراهما لأول مرة دون نظارتها هذه ..




وبنظرة تقييم ذكورية بحتة ترتسم على شفتيه ابتسامة إعجاب وهو يتعجب كيف لم ينتبه لجمالها هذا من قبل..

ربما رأى منها وجه الطبيبة الحاذقة ..

الزميلة المجتهدة ..

والإنسانة الطيبة ..

لكن أن يتعدى الأمر لتجاوز أسوار أنوثتها فهو الغريب عليه حقاً !!

لكنه نحى الخاطر الأخير جانباً بطبيعة الحال وهو يتذكر ما جاء ليسألها عنه :

_كنت عايز آخد رأيك في حاجة لأني واثق فيكي .

عاودت ارتداء نظارتها ليبدو بعض

الاهتمام على ملامحها وإن كانت روحها لا تزال معلقة بالهاتف ..قبل أن تمنحه إيماءة ترقب ..





_ينفع تعالجي حالة بينك وبينها تقارب عاطفي معين ؟!

يقولها بتردد لتترجم بذكائها الوضع بسرعة وتقول بحذر:

_قصدك سها ؟!

أطرق بوجهه في اعتراف غير منطوق ليسألها بمرح مصطنع:

_هو أنا مفضوح قوي كده ؟! ريتال دي ما بيتبلش في بقها فولة .

لكنها ابتسمت وهي تشبك أصابعها أمام وجهها لتقول بنبرة عملية لم تخلُ من ود :

_ريتال مالهاش دعوة ..أنا عارفة الموضوع ده من زمان ..واستغربت لما لقيت والدها مصر إنك تستلم حالتها أول ما وصلت المركز هنا الصبح ..خصوصاً إن جوزها مختفي من الصورة .

ضغطت حروف كلمة "جوزها" كأنما تذكره بحرمة هذا التقارب العاطفي الذي يحكي عنه ..

ليزفر هو بقوة هاتفاً بسخط:

_ياريت يفضل مختفي للأبد .

_ما أظنش !

تقولها بثقة ليرفع إليها عينيه بحدة فتردف :

_أنا شايفة الصورة من بعيد أكتر ..

ثم صمتت لحظة لتفجر قنبلتها:

_انت عارف إن إسلام اتجوز نشوى اللي كانت المفروض تبقى ...




_إيه ؟! مين ؟!ازاي ؟!

هتف بها باستنكار مقاطعاً عبارتها وقد فهم من تعني ..

لترد هي بابتسامة شاردة :

_عشان كده بقوللك إني شايفة الصورة أبعد ..ناصر مش هيسيب سها ..ده رمى الدنيا كلها وراه عشان خاطرها وعمل فضيحة للغلبانة التانية ..وأظن كمان سها ..

_سها مش طايقاه ورافضة تشوفه .

هتف بها مقاطعاً من جديد بانفعال سريع لترد بثقة :

_ده دليل محبة مش كره .

_لو مش هتكرهه بعد اللي عمله هتكرهه امتى؟!

يعاود الهتاف بها بنفس الانفعال لتصمت للحظات قبل أن ترد ببطء واثق:




_ما ينفعش .

_هو إيه ده اللي ما ينفعش ؟!

يسألها بدهشة منفعلة لترد بنبرة عملية :

_مش كنت بتسألني ينفع تعالجها واللا لأ ..الإجابة لأ ..ماينفعش ..مش عشان "التقارب العاطفي" اللي انت بتقول عليه ..بس ..عشان انت عمرك ماهتكون حيادي مع الحالة ..والدليل قدامي اهه .

زفر زفرة ساخطة وهو يطرق برأسه لتتأمل جانب وجهه ببعض الدهشة ..

انفعاله الغاضب هذا بوجهه القانط يختلف كثيراً عن طبيعته المرحة المتسامحة التي تعرفها ..

هذا الوجه الأسود تراه منه لأول مرة ..

طالما أعجبها وجهه الطموح المكافح شديد الصفاء والجد ..

لكن هذا القنوط الجارح غريب كثيراً عنه !!





_معاك حق ..

يقولها أخيراً وهو يرفع إليها عينيه ليردف بشبه ابتسامة :

_خلاص امسكي انت الحالة ..مش هاثق في حد غيرك .

قالها لينهض من مكانه لتواجهه بنظرة راضية متفحصة بينما يستطرد :

_بس هتابعها معاكي من بعيد ..لأن

والدها مصرّ إني أنا اللي أنا أعالجها .

_سها مش عايزة علاج ..عايزة ثقة ..ماتخافش أزمتها دي مش هتطول .

تقولها ببطء واثق ونظراتها تحمل له تحذيراً من نوع خاص تلقاه هو بذكاء لتتراقص مشاعره على وجهه بين يأس و أسى ..

قبل أن يرتجف صوته بردّه :





_المهم تبقى كويسة .

ثم اغتصب ضحكة منفعلة ليسألها :

_ماقلتليش إسلام اتجوز نشوى إزاي المجنون ده !؟

_كلمه اسأله ..هو بيتبسط جداً لما بيحكي إنه حضر الفرح ورجع بالعروسة .

قالتها وهي تلوح بكفها باستهجان مرح ليضحك ضحكة عالية حقيقية قبل أن يغادر مكتبها ..

فتغيرت ملامحها هي لمزيج من تجهم واشتياق وهي تعاود التحديق في هاتفها الذي تناولته كي تعاود الاتصال به ..

لكنها توقفت في اللحظة الأخيرة !





تعلم أن مثله يجن جنونه عندما يشعر

بالغيرة ..ولم تنسَ ما حدث ليلة افتتاح المركز بخصوص سامر ..

لكن ..لعل هذا ما يخرجه من سجنه

الاختياري هذا ..

لعله ينتفض من سباته الذي طال !

أو ..

من يدري ؟!

ربما هي واهمة ولا تزال غير ذات مكان في

عالمه !!

بينما توجه سامر نحو غرفة سها بخطوات متثاقلة ليفتحها فيجدها كعهدها شاردة الملامح دامعة العينين ..





قلبه يخفق بلوعة حاول تجاهلها وهو ينتحي بوالدها جانباً ليطمئنه قدر استطاعته لدقائق طالت ..

غافلاً عن ناصر الذي ظهر لتوه أمام باب الغرفة وملامحه المنهكة تفضح شعوره بالذنب..

يعلم أنها ترفض رؤيته من حينها ..لكن ماذا يملك إلا أن يحاول ؟!!

والده غادر المشفى الآخر ساخطاً عليه ومتوعداً إياه بالقطيعة بعدما وقف في وجهه أخيراً ليخبره بقراره ..

إنه لن يتزوج سوى سها ولو لم يكن ولده منها فلن يكون من غيرها !!

لماذا لم يفعلها مبكراً؟!





لماذا لم يوفر على ثلاثتهم هذا الجرح الذي لن يندمل بسهولة وربما لن ينمحي أبداً ؟!

عيناه تلتقيان بعيني سها أخيراً والتي ما إن لمحته حتى تشنج جسدها في جلسته لتحرك ذراعها نحوه فيما لم يدرِ هل هو نداء أم ..طرد !!

لكنه لم يملك رفض الدعوة وهو يدخل إليها بخطوات وجلة فتتقلص ملامحها بألم وحركة ذراعها تزداد تشنجاُ ..

ينتبه له سامر فتقسو ملامحه وهو يتحرك نحوه ليجذبه من ذراعه ببعض العنف هامساً في أذنه :

_اخرج !

لكنه يرمقه بنظرة ساخطة استعادت هيبتها وهو يخلص ذراعه منه بعنف أكبر قبل أن يسمع حماه يقول بصرامة :

_تعالوا كلكم بره .

لكنه ظل راسخاً مكانه للحظات مراقباً

ملامح سها التي بدت وكأنها تجاهد كي تجد صوتها ..

كأنما استنزفت رصيدها كله في تلك الصرخات التي نزفتها تلك الليلة ..

تدمع عيناه وهو يراقب آثار جروحها المتعددة على طول جسدها فيلعن نفسه ألف مرة ..

كيف تركها ليلتها ؟!

كيف طاوعته نفسه ؟!

ليته لفظ آخر أنفاسه قبل أن يسبب لها ألماً كهذا !!





يتحرك نحوها كالمغيب متجاهلاً رغبة والدها ..ونظرات والدتها الحارقة جوارها ليجلس قبالتها قائلاً بصوت ذبيح :

_أنا خلاص عرفت غلطتي ..وصلحتها !

لكنها لم تنظر إليه ..بل تعلقت عيناها ب"ساعتها" في معصمه ..

هذه النظرة التي التقطها هو لتنعش قلبه ببعض الأمل ..

خاصة وهو يراها تمد أناملها نحو ذراعه تتحسسه ببطء فينقبض قلبه مع مرأى الخدوش الدامية في ذراعها هي ..

قبل أن تستقر أناملها فوق ساعته ليفاجأ به تخلعها عنه فجأة قبل أن تقذفها لتكسرها أمامه دون أن تمنحه فرصة

الاستيعاب!!





يرمقها بنظرة مصدومة للحظات متجاهلاً بكاء والدتها وهتاف والدها خلفه وقد بدا وكأن العالم قد خلا إلا منهما ..

لا يريد تصديق ما توحي به حركتها ..

لا يريد الاعتراف أنه خسرها ..

وخسر كل شيء!!

_كفاية كده ..اتفضل معايا بره .

يقولها سامر بعنف لم يملكه وهو الآخر يغالب جحيمه الخاص ليحدجه ناصر بنظرة حادة رافضة ..

لكن والدها جذبه من ذراعه بعنف هاتفاً:





_لو ماخرجتش دلوقت هاطلب أمن المستشفى ..أنا مش هاتهاون في صحة بنتي .

نفرت عروقه كاملة والغضب يخرسه !!

الآن يمنعونه عنها ؟!!

وتمنعها هي قبلهم ؟!!

_أنا جوزها وحقي أبقى معاها ..مش كفاية إنك جبتها هنا من غير ما أعرف؟!

يهتف بها بانفعال أخيراً وهو يشعر بمذاق الخسارة يزيده هياجاً ..

ليرد والدها بانفعال:

_انت إزاي بالبجاحة دي؟! كل اللي حصللها ده بسببك!!

_برضاها !! بموافقتها ورضاها !!





يصرخ بها بالمزيد من الثورة ليرد والدها بحزم:

_ماشي ..ودلوقت هي اللي رافضاك ..أنا أصلاً ماكنتش موافق ع المهزلة دي م

الأول ..اللي ما يصونش بنات الناس مايستاهلهمش .

_ممكن نكمل كلام بره ..سها حالتها ..

يقولها سامر بقلق مراقباً ملامحها التي تزداد تشنجاً ليقاطعه ناصر وهو ينتفض مكانه ليمسك تلابيبه صارخاً:

_انت بالذات تخرس خالص ..أنا عارف كويس نيتك من زمان ..ومش موافق إنها تفضل عندك هنا .





_ماعادش ليك سلطة توافق أو ما توافقش ..

يهتف بها والدها وهو يخلص سامر من قبضتيه مردفاً:

_أنا اللي أقرر .

_محدش له سلطة هنا غيري ..أنا جوزها .

يهتف بها ناصر بثورة عارمة وهو يجلس جوارها فجأة ليحيط كتفيها بقبضتيه في تملك ..

لكنها التفتت نحوه بعينين زائغتين ..

وبرجفة انتقلت منها إليه ..

لتنطق أخيراً :

_طلقني!

=========

_بتقول اتجوزت؟!





تهتف بها جيلان بثورة عارمة وهي تواجه إسلام الذي تقبل ثورتها بصبر قائلاً:

_أنا حكيتلك الموضوع تلات مرات وبرضه مش قادرة تفهميني .

_أفهم إيه ؟! خلاص ..كلكو اتجننتوا ؟! مش كفاية مصيبة أبوك تاجر المخدرات وأخوك اللي لسه مش عارف راسه من رجليه ؟! جاي تكمل عليا بعملتك دي؟!!

تصرخ بها دون وعي ليرفع إسلام وجهه

للأعلى قبل أن ينحني نحوها محاولاً تهدئتها :

_اهدي يا ماما هيثم ممكن يسمعنا ..أرجوكي افهميني .

_انت خلاص مابقيتش ابني ..من يوم ماسافرت تركيا وانت بتتصرف من دماغك..رايح تتجوز لي





واحدة مطلقة وعندها بنت؟! ..وكمان واخدها بجميلة عشان عريسها هرب يوم الفرح؟! عايز تشلني ؟! مافكرتش الناس هتقول عليك إيه ؟!!

تصرخ بها بثورة دون انقطاع حتى

تلاحقت أنفاسها ليعقد هو حاجبيه قائلاً بحزم:

_مايهمنيش الناس ..أنا ماتجوزتهاش بجميلة ..أنا عرفت ستات أد شعر راسي وأقدر أميز كويس الست اللي أختارها أكمل معاها ..

ثم صمت لحظة ليردف بنبرة أكثر حزماً:

_الست اللي مش عاجباكي دي بميت راجل ..شالت أخوها في أزمته ووقفت مصنعه على رجليه من تاني ..مصنعه اللي الوالد المحترم كان سبب خرابه .





_انت بتبرر إيه ؟!

تعاود الصراخ بها بثورة ليرد هو بنفس الحزم :

_أنا مش ببرر ..أنا خدت قراري وخلاص ..نشوى بقت مراتي وده الأمر الواقع دلوقت .

_بتلوي دراعي يا إسلام ؟! طيب اسمع آخر كلام عندي ..لو ما طلقتش الست دي ورجعت هنا البيت تنسى إن ليك أم من أصله .

تهتف بها بنبرة متوعدة ليزفر بقوة قبل أن يقول لها بنفس الحزم الذي خالطه

الآن بعض الإشفاق:

_هافضل أجيلك كل يوم حتى لو طردتيني ..مش هيأس إنك يوم تفهميني .





قالها وهو يحاول التقدم لتقبيل رأسها لكنها ابتعدت عنه بحدة وهي تشيح بوجهها ليطلق زفرة أخرى قبل أن يتحرك ليغادر هذا البيت الذي صار يمقته ..

كان يتوقع ثورتها هذه بل وكل كلامها الذي قالته لكنه كان يطمح في معجزة ما تجعلها تتفهم .

معجزة لن ييأس من ترقبها

للأيام القادمة .

وفي غرفته وقف هيثم جوار بابها المفتوح مصدوم الملامح ..

تاجر مخدرات !!

أبوه !!

ذكريات متفرقة تعاود غزو مخيلته كأطياف شاحبة ..

سيارة سوداء معتمة النوافذ ..بيت قديم بحي شعبي ..





وشهد !!

شهد ترتدي ثوباً مكشوفاً وتتجه نحو السيارة ..

ثم ..

ضباب ..ضباب ..ضباب ..

ذكرياته تتوقف هاهنا وتمنعه الاستمرار ..

صداع عنيف يعصف برأسه وهو يشعر

بالعجز ..

هذا البيت خانق!!

كل ما فيه صار يكبله !!

جدرانه تكاد تطبق على أنفاسه ..

أمه تسجن أخته من قبل والآن تطرد أخاه وتهدده
بالتبرأ منه فقط لأنه تزوج امرأة مطلقة !!

وأبوه ..أبوه تاجر مخدرات!!

هل هو في السجن إذن ؟!

أم هو ميت كما يزعمون ؟!!

لم يعد يصدقهم ..





لم يعد يصدق أحداً ..

فقط ..شهد !!

شهد هي من يثق بها الآن !!

لهذا تحرك ليتناول هاتفه ويتصل بها ولم يكد يسمع صوتها حتى قال بنبرة خافتة :

_عايز أقابلك لوحدنا ..

ثم صمت لحظة ليزفر وهو يتلفت حوله مردفاً:

_ماعدتش عايز أقعد في البيت ده .

=======

_عايزة بيض "عيون" يا مامي.





تهتف بها ريما عقب استيقاظهما وهي تتعلق بعنقها صباحاً على فراشهما في غرفتهما بشقة إسلام ..

لترمقها نشوى بنظرة شاردة وهي تتلفت حولها ..

كم مر على زواجها الجديد هذا ؟!!

يوم؟!..اثنان ؟! ثلاثة ؟!

لا تدري!!

أيامها كلها صارت متشابهات ..

ما تبقى من العمر صار "تحصيل حاصل"!!

_جعانة!

تعاود ريما هتافها لتلتفت نحوها من شرودها تتفحصها بخزي!!

ما الذي فعلته بنفسها وبصغيرتها قبلها ؟!!

هاهو ذا عنادها يدفعها للارتماء في دوامة رجل جديد لمجرد الانتقام لكبريائها ..

لكنها لم تعد وحدها كالسابق ..

ابنتها تشاركها المصير !!

ربما لهذا دمعت عيناها بقوة وهي تضمها إليها لتغرق وجهها بقبلاتها ..

مزيج من الاعتذار والخوف يظلل عناقها إياها وهي تتمتم بين دموعها :

_بحبك ..سامحيني ..

تكررها بما بدا كالهذيان وهي تلصق جسد الصغيرة بها أكثر لتهتف الأخيرة بجزع:

_مالك يا مامي ؟!

ذعر الصغيرة يجعلها تفيق من فورة




انفعالاتها قسراً لتبعدها وهي تمسح دموعها هاتفة :

_مامي كويسة ..هاقوم أعمللك البيض اهه .

تقولها وهي تنهض من الفراش لتتوجه نحو باب الغرفة الذي وقفت قبالته مترددة ..

لا تزال تشعر بالغربة في هذا البيت الذي وجدت نفسها فيه دون مقدمات !!

أخت إسلام تلك تبدو متفهمة تركتها لعزلتها طوال الفترة السابقة مكتفية بتفقد احتياجاتها وعبارات ذوقية مجاملة ..

لكنها لا تزال تشعر أنها في حلم عجيب ستستيقظ منه في أي لحظة بعيداً عن إسلام هذا !!

إسلام الذي احترم رغبتها في الانعزال بغرفتها للأيام السابقة مكتفياً بحضور خفيف بين دعاباته الماكرة لها وحنانه المراعي لريما ..





لكن ..ماذا بعد ؟!

آه !!

أي متاهة أوقعت نفسها بها هذه المرة ؟!!

_افتحي الباب يا مامي ..ماتخافيش ..مفيش وراه "عاوّ"!

تهتف بها ريما بشقاوتها المعهودة لتبتسم ابتسامة باهتة ثم تتنهد وهي تفتح الباب بحذر لتغافلها الصغيرة وتعدو نحو غرفة إسلام المجاورة لتختفي فيها ..

نادتها بوجل وهي متسمرة مكانها لكن الصغيرة العنيدة لم تستجب فزفرت هي بسخط وهي تتوجه نحو المطبخ القريب تحاول استكشاف مكوناته ..





وعلى فراشه استيقظ إسلام من نومه على تصفيق الصغيرة بكفيها على وجنتيه وهي تعتلي صدره هاتفة بكلمات منغمة :

_بيبي شارك دودو دودو ..بيبي شارك دودو ..

تكررها وهي تهز رأسها باستمتاع ليضحك ضحكة قصيرة وهو يضمها نحوه هاتفاً بصوت ناعس:

_جود مورنينج سويتي ريما .

لكن الصغيرة باغتته بقبلة عميقة على وجنته هاتفة :

_يو ار ذا سويتي .

"You are the sweety"





احتضن وجهها براحتيه وهو يتأمل عينيها الشبيهتين بعيني أمها ..

ليس عينيها فحسب ..بل ومشاعرها السخية المفرطة !!

عاطفتها نحوه تفجرت فجأة كأنما كانت تنتظر من تمنحه مشاعر الأب الذي افتقدته دون مقدمات ..

ترى هل تفعلها أمها معه يوماً ؟!

ستفعل!!

عهدٌ عليه أن يجعلها تفعل!!

_مامي فين ؟!

يسألها باهتمام وهو يمسد شعرها لترد بعفوية :

_بتعمللي فطار في المطبخ!

فارتفع حاجباه برضا عن خروجها من عزلتها ليخاطب الصغيرة بسؤاله الذي همس به في أذنها كأنما هو سر خطير :





_هي كويسة النهاردة ؟!

لتجاريه الصغيرة في طريقته فتهمس في أذنه بدورها وبنفس اللهجة المبالغ فيها:

_كانت بتعيط وهي بتحضنني ..بس أنا ضحّكتها !

تقول عبارتها الأخيرة بغرور طفولي ليضحك وهو يقبل وجنتها قائلاً باعتزاز بينما يضم قبضته ملوحاً بها في وجهها :

_برافو ..سوبر ريما !

تضحك الصغيرة باعتزاز وهي تهز رأسها ليعاود همسه في أذنها :




_دي مهمتنا السرية الأيام الجاية ..إننا نخليها تضحك وماعادتش تعيط ..قبلتِ المهمة يا محاربة ؟!

يقولها بحماس يشبه لهجة الأفلام الكارتونية لتضحك وهي تهمس في أذنه بنفس اللهجة :

_قبلتها أيها القائد !!

يمد كفه نحوها مصافحاً لتشد هي عليه بقوة وهما يتشاركان الضحك لدقائق بعدها ..

وفي المطبخ وقفت نشوى تراقب المقلاة بشرود ..

ذهبت السكرة كما يقولون وآن أوان تقبل التوابع !!

تريد العودة للعمل في المصنع لعلها تستعيد بعض توازنها لكنها تعلم أن الأمر لن يكون بهذه البساطة ..





تعلم أن ألسنة الناس لن ترحمها بعد ما حدث ليلتها ..

تعلم أنها ستواجه نظرات الفضوليين في كل وجهة تقصدها بين شماتة وإشفاق وإزدراء ..

لكنها ستقاوم كل هذا !!

ستقاومه بقناع القوة الذي اعتادت ارتداءه ..

إن لم يكن لأجل ابنتها ..ولأجل أشرف الذي يكاد يموت قلقاً عليها ..

فلأجل ناصر!!

أجل ..لن تسمح له أن يشعر بأنه أوقف عقارب ساعتها من جديد ..

بل لن تسمح لنفسها بالبكاء ثانية على

أطلاله ..

هو هدم معبد عشق ظلت ناسكة في محرابه طوال هذه السنوات ..





لكنها اليوم ستصنع من حطامه سلماً تصعد به نحو القمة !

_حاسبي ..حاسبي!!

هتاف ياقوت خلفها يجعلها تنتبه من شرودها لتشم رائحة احتراق البيض أمامها فتنتفض مكانها لتغلق الموقد بسرعة..

قبل أن تقترب ياقوت منها أكثر لتتناول المقلاة "المحترقة" فتضعها بسرعة في الحوض لتسيل عليها الماء فتتصاعد هذه الأبخرة منها ..

_آسفة ..سرحت ..و....

تقولها نشوى بتشتت حمل الكثير من خزيها لتقابلها ياقوت بابتسامة هادئة تليق بقولها :

_ولا يهمك ..فداكي .





_حرقتوا إيه ؟!

تسمع صوت إسلام هو الآخر فيزداد ارتباكها لتزداد معه عصبيتها المنفعلة والتي لا تدري لماذا تنتابها هكذا هائجة معه هو بالذات ..

_غصب عني سرحت والأكل اتحرق ..إيه ؟! عملت كارثة يعني ؟!!

تصرخ بها في وجهه لتصطدم بنظرته المراعية تسكب مياه سكينتها فوق نيرانها ..

خاصة وهي تراه يحمل ريما الصغيرة بين ذراعيه والتي هتفت بها مقلدة لهجتها هي عندما تنصحها بالهدوء:





_اهدي يا مامي ..صوتك العالي دليل على ضعف موقفك .

كتمت ياقوت ضحكتها لتسعل بها فيما لم يستطع إسلام فعلها لتنطلق مدوية..

فتزداد عصبية نشوى من جديد لتنطلق خارجة من المطبخ نحو الشرفة القريبة ..

هذه التي تبعتها نحوها ياقوت وهي تشير لإسلام خلفها ألا يحذو حذوها ..

قبل أن تتحرك لتقف جوارها فتتنحنح لتقول بتفهم :

_لو محتاجة تتكلمي مع حد ..بيقولوا إني بسمع كويس .

_لأ!




هتفت بها نشوى بفظاظة خشنة لكن ياقوت كانت تدرك ما خلفها لهذا صمتت قليلاً قبل أن تقول بحذر:

_سها عندي في المركز بتتعالج من صدمة عصبية جتلها بعد ليلة الفرح ..جوازها بناصر ع المحك ..و..طالبة الطلاق !

قالتها لتتفحص ردة فعل نشوى التي تجمدت مكانها فاغرة فاها للحظات ..

قبل أن تغمض عينيها بألم اكتسح وجهها وقد نجحت عبارات ياقوت -كما توقعت- في إذابة جليد صمتها ..

_هي سمعِته وهو بيكلم والده عنك ..والظاهر اللي سمعته ماعجبهاش ..كانت فاكرة إنها ماسكة كل





خيوط اللعبة في إيديها ..مش انتِ بس اللي
اتجرحتِ ليلتها ..انتو التلاتة طلعتوا خسرانين .

لم تشعر نشوى بخيطي الدموع اللذين

سالا على وجنتيها ..

ولا بتلك الآهة الخافتة العميقة التي شقت صدرها
قبل حلقها ..

لكن ياقوت طرقت الحديد الساخن بسؤالها :

_هو غشك ؟! ضحك عليكي ؟! اهه خد جزاؤه
وخسركم انتم الاتنين .

لتصمت نشوى للحظات قبل أن تفتح عينيها وتشرد
بهما للحظات سبقت قولها ..





_هو ماضحكش عليا ..انا اللي ضحكت على نفسي ..كنت فاكرة إن العمر اللي فات ممكن يرجع ..اني ممكن أرد اعتباري وأملك قلبه بطفل يجمع بيننا ..كنت شايفة بعيني حبه لمراته بس طمعت ..طمعت آخده منها ويبقى ليا لوحدي .

_اوه ! وفرتي عليا كلام كتير .

تقولها ياقوت برضا قبل أن تتحرك لتقف قبالتها وتمسك كتفيها مردفة :

_انتو التلاتة طمعتوا ..مع ان كلمة السر في سعادتكم كلكم كانت الرضا ..والغريب إنكم في ليلة واحدة خسرتوا كل اللي طمعتم فيه ..هي خسرت ثقتها فيه ..وانتِ خسرتِ حلم العمر قدام الناس ..وهو خسركم انتو الاتنين وكان هيخسر أبوه كمان ..بس إن جيتي للحق المثلث بتاعكم ده كان لازم يتكسر عشان تقيموا الأمور تاني صح ..وكل واحد يعرف قيمة اللي في إيده ..





انتقلت نظرات نشوى المشتتة نحوها لتردف ياقوت بحماسة أكبر وهي تشد على كتفيها :

_انتِ عندك شغلك ..نجاحك ..اخوكي ..بنتك ..

ثم ابتسمت لتردف وهي تشير بعينيها للخارج :

_ومجنون بره مستعد يعمل أي حاجة عشان يسعدك .

انفرجت شفتا نشوى وهي تهم بسؤالها عن المزيد لكن رنين جرس الباب قاطعهما ..

لتدخل كلتاهما فتفاجأ نشوى بإسلام يفتح الباب الذي دخل منه أشرف مع رانيا ..

كانت المرة الأولى التي تراه فيها نشوى منذ ليلة الزفاف التي اصطدمت فيها بثورته ..

لهذا ما كادت تلمح ابتسامته الحنون حتى اندفعت نحوه دون تردد لتلقي نفسها بين ذراعيه ..





دموعها تنسكب على صدره صامتة وجسدها يرتجف وهناً وخزياً ..

بينما تشعر بكفه الداعم على ظهرها يمسده بحنان صامت مكتفياً بضمته الرفيقة لها ..

_لا إله إلا الله ..الراجل يقول عليا إيه دلوقت بعياطك ده ..بعذبك بالكهربا؟!!

يقولها إسلام بمرحه المعهود الذي امتزج بغيرة طفيفة لم يستشعرها سوى أشرف بحدسه الرجولي ليزداد شعوره بأمان شقيقته معه ..

لهذا ضحك ضحكة قصيرة محاولاً تجاوز الموقف لتهتف ريما بعفويتها المعهودة :

_أنكل إسلام طيب مش بيعذب حد ..مامي اللي على طول بتعيط .

_اهه ..وشهد شاهد من أهلها !




هتف بها إسلام بنفس النبرة وهو ينحني ليحمل الصغيرة فيقبلها بخفة ..

قبل أن يشير بكفه نحو نشوى ورائحة الشياط تملأ الأركان حولهم ليهتف :

_دي جت تعمل الفطار حرقت البيض ..امال لو طلبت منها غدا هتولع في المجرّة ؟!

ضحكت رانيا بمرح وعيناها تتفحصان

ملامح نشوى باهتمام ..

تشعر أن تنمرها المعهود قد انكسر قليلاً ليخالط حدتها وهن سمحت له

بالظهور ..

تماماً كما تشعر أنها لا تزال نافرة من

إسلام ..

بل لا تكاد تلقي إليه نظرة واحدة في جلستهم التي امتدت بعدها لنصف الساعة مكتفية بإطراقها الصامت ..





هل كذبها حدسها بشأن نجاح هذا الزواج ؟!!

تساؤلها الأخير أقلقها كثيراً لكن رهبتها اختفت رويداٌ رويداً وهي تنتقل بنظراتها نحو إسلام الذي بدا وكأنما تعلق بصره بنشوى رغم تظاهره بمتابعة الحديث الدائر بينهم ..

هذا التعلق الذي لا يصدر إلا من عاشق يتلهف لكل التفاصيل !

_عايزة أرجع الشغل !

قالتها نشوى أخيراً مخاطبة أخاها الذي رمقها بنظرة متفهمة مدركاً رغبتها في الهروب إلى العمل ليرد إسلام فجأة :

_لما نرجع من شهر العسل .

_شهر إيه ؟!

هتفت بها باستنكار وهي تنظر إليه أخيراً لأول مرة منذ بدأت الجلسة ليغمزها بخفة بحركة لم يرها سواها بينما يكرر ببراءة مصطنعة :

_العسل!

احمر وجهها بخجل لم تملكه ونظرتها المستنكرة تزداد شراسة فيما تبادل أشرف ورانيا نظرة ذات مغزى ..

ليقول إسلام وعيناه مثبتتان في عينيها بقوة تناقض مرح عبارته :

_مش شهر بالظبط ..حجزت لنا كام يوم في مارينا قبل فرح لجين أختي .

_بجد يا أنكل ؟! مصيف!!




هتفت بها ريما مصفقة بكفيها في مرح لكن نشوى هتفت باعتراض وجسدها يرتجف بقشعريرة رهبة :

_مش عايزة أسافر أنا ..ورايا شغل كتير .

_شغلك هاشيله أنا ورانيا ..سافري مع جوزك .

يقولها أشرف بحزم خالطه بعض الإشفاق لتعود ملامحها لتنمرها الحاد لكنها بالكاد أمسكت لسانها ..

_طيب ..نستأذن احنا بقا ..أنا قلت نطمن على نشوى قبل ما نروح المصنع .

يقولها أشرف وهو ينهض ليقلب بصره بينهم بتفحص ..

ريما التي تكاد تطير فرحاٌ ..





إسلام الذي ترتسم التسلية على ملامحه كأنما هو مقبل على لعبة وإن فضحته عيناه بعاطفة سخية لا يمكن نكرانها ..

ياقوت التي بدت متحفظة حذرة لكنها متفهمة ..

وأخيراً ..نشوى التي رغم جذوة تمردها التي عادت للاشتعال يشعر بالاطمئنان عليها وسط كل هؤلاء !!

لهذا صافح إسلام بحرارة وعيناه تحملان له رجاء صامتاً قابله هو بما يليق ..

فيما صافحت رانيا نشوى لتميل على أذنها هامسة :

_خللي بالك من نفسك ..وبالراحة على إسلام ..شكله بيحبك .




لكن حاجبا نشوى ازدادا انعقاداً وهي تكز على أسنانها بقوة ..

ولم يكد أشرف يغادر مع رانيا حتى وقفت تواجه إسلام بقولها :

_عايزاك !

_ده يوم المنى!

يقولها بغمزته المستفزة كالعادة لتستشيط ملامحها فتبدو كحبة ذرة تتقافز فوق النار ..

_لو احتجتوا حاجة أنا في أوضتي.

تقولها ياقوت كاتمة ابتسامتها وهي تشعر بقرب نشوب معركة هاهنا لهذا آثرت الانسحاب ..

_لوحدنا !

هتفت بها نشوى بانفعال عصبي ليقترب هو منها غارساً نظراته الجريئة في عينيها مع همسه :





_مش بقوللك يوم المنى!

ضمت قبضتها في وضع اللكم ووجهها يزداد احمراراً ليعاود غمزها وهو ينحني ليحمل الصغيرة فيرفعها بينهما مردفاً:

_بس نفطر الأول.. ريما جعانة !

تكافئه الصغيرة بقبلة قوية على وجنته قبل أن تقترب بجسدها من نشوى لتميل عليها بقبلة هي الأخرى جعلت الأخيرة ترتجف وهي تشعر بالمزيد من الغرابة ..

متى اقتحم هذا الرجل حياتهما إلى هذا الحد ؟!

لكن ..ألم تمنحه هي الفرصة ؟!

ألم تبع نفسها من جديد لرجل قرباناً لكرامتها ؟!!





الخاطر الأخير يحشوها بالمزيد من الكآبة التي سيطرت عليها وهي تتحرك بآلية معهما لتفاجأ به يساعدها في تحضير

الإفطار وسط نكاته ومزاحه المشاكس لريما التي لم تتوقف ضحكاتها بعدها وهي تلتصق به في كل حركة ..

ولم يكادوا يستقرون على المائدة حتى رفع إسلام كوب اللبن نحو ريما هاتفاً :

_اللبن الأول .

_مش بحبه !

تقولها الصغيرة بوجه متقزز ليهتف هو بحزم :

_كلنا هنشرب ..

قالها وهو يرفع كوبه هو نحو شفتيه ليرتشف منه رشفة ..





قبل أن يرفع كوباً آخر نحو نشوى ليقربه من شفتيها ولاتزال عيناه تغرسان نظراتهما الجريئة في عينيها المرتبكتين ..

لكنها شربته منه تجاريه لأجل الصغيرة التي ما كادت تراهما حتى استجابت له وهو يعاود رفع كوبها هي نحوها من جديد ..

نفس الخطوات فعلها وهو يقنعها بتناول سلطة الخضروات لتهتف به الصغيرة أخيراً بشقاوة عذبة :

_انت ماضحكتش عليا ..أنا سمعت الكلام بس عشان تخللي مامي توافق إننا نسافر .

ضحك إسلام ضحكة عالية وهو يربت على شعرها لتهتف نشوى بها بحزم :

_روحي أوضتنا يا ريما دلوقت ..وسيبي كلام الكبار للكبار .





عادت الصغيرة ترمقه هو بنظرة راجية وقد بدت وكأنها ستعصي أمر نشوى لكن إسلام مال على أذنها ليهمس لها بخفوت :

_تذكري المهمة السرية يا محاربة .

فالتمعت عينا الصغيرة بحماس لتميل على أذنه هامسة بلهجة

الأفلام الكرتونية :

_تذكرت أيها القائد !

وأمام عيني نشوى المتوجستين غادرتهما الصغيرة بطاعة غريبة على طبعها العنيد كأمها ..

ليتحرك هو فيقبض على كف نشوى بقوة رفيقة أرجفت جسدها ثم يتحرك بها نحو غرفته هو التي أغلق بابها خلفه قبل أن يلتفت نحوها ليناظر عينيها بهذا القرب ..





عينيها اللتين هربتا منه بسرعة وهي تحاول سحب كفها منه لكنه تشبث به في يده لتقفز الدموع فجأة لعينيها مع كلماتها :

_لازم نحط النقط ع الحروف من أولها..انت عايز إيه م الجوازة دي ؟!

لم يستطع الرد للحظات وهو غارق في نظراتها التي كانت تتلون بسرعة البرق بين لجة من المشاعر المتناقضة ..

ألم ..خوف ..انكسار ..غضب ..تحدّ ..

وعيد ..

ووميض متتابع من رجاء خفي وسط كل هذا يكاد يستشعره يستحوذ على قلبه ..بل كل كيانه !

لهذا لم يشعر بنفسه وهو يقترب أكثر وأكثر حتى كاد يلاصقها بينما يضغط كفها في راحته بالمزيد من القوة ..

هنا تجرأت هي لترفع عينيها نحوه للحظة قبل أن تغمضهما من جديد بقوة رافضة قراءة ما تبوحان به ..

الوهن الذي يفتت كيانها تترجمه روحها من جديد للمزيد من الحدة العصبية فتصرخ به وهي تحاول عبثاً تخليص كفها منه :

_رد عليا !

_انتِ قلتيها ليلة فرحنا ..عايز أرد القلم لناصر بعد اللي عمله في حسين رجائي .





يقولها بنبرة محايدة لتربكها المفاجأة !

لم تتوقع منه هذا الرد !!

توقعت المزيد من المراوغة ..المماطلة ..ادعاء إعجابه بها ..منحها تفسيراً لهذه العاطفة مستحيلة التصديق في عينيه ..

لكن أن يكون هذا جوابه فهو ما صدمها للحظات وجعلها تتجرأ من جديد لترفع عينيها المصعوقتين نحوه ..

فتقابلها هذه النظرة التي تكذّب كل كلمة قالها!!

أي متاهة هذه التي توشك على خوضها من جديد ؟!

ألم تكتفِ بجراح القلب بعد ؟!

الخاطر الأخير يلون ملامحها بانكسار لم تملكه وهي تعاود إغماض عينيها لترد بسخرية مريرة :

_يبقى انت نشنت غلط ..أنا عمري ما فرقت ولا هافرق معاه .





_عشان غبي!

هتف بها قاطعة بنفس النبرة المحايدة ..قبل أن ترتفع أنامله الحرة ببطء نحو وجنتها تحتضنها ثم يرفع وجهها نحوه مردفاً بنبرة أكثر خفوتاُ ورقّة :

_أنا لو ألاقي واحدة زيك تحبني أبيع الدنيا كلها عشانها .

وللحظة واحدة هيئ إليها أنها غابت عن هذا العالم لتذوب في عمق نظرته ..

للحظة واحدة شعرت أنها أمام رجل آخر حنون مراعٍ بعيد تماماً عن مكره ومزاحه وشقاوته المعهودة ..

للحظة واحدة اخترقها هذا الوعد غير المنطوق في عينيه ..زلزلتها هذه الذبذبات غير المرئية بينهما ..

لحظة واحدة لكنها لم تكن كافية !!





عاد بعدها القلب يوصد أبوابه مختبئاً خلف أسوار قلعته !!

تسحب كفها منه بقوة مفاجئة هذه المرة لتحرر نفسها مبتعدة عنه بضع خطوات قبل أن تقول بنبرة عادت إليها حدتها :

_هترجع تلف وتدور وأنا ماليش في شغل الملاوعة بتاعك ده ..بس أنا مايهمنيش في الليلة دي غير بنتي وبس .

_مالها ريما؟!

يسألها بصبر متفهم وهو يعاود الاقتراب منها لتكتف ذراعيها هاتفة :

_حركاتك اللي بتعملها دي بتعلقها بيك ..والبنت ماصدقت تجرب وجود بديل للأب ..مش عايزاها




تتصدم لما الجوازة دي تتفض وكل واحد يروح لحاله .

فمط شفتيه وهو يكتف ساعديه مقلداً إياها ليسألها بحاجبين متراقصين :

_مين قال كل واحد هيروح لحاله ؟! أنا قلت ؟!

تكز على أسنانها بصمت ليجيب نفسه بنفسه :

_أنا ماقلتش !

يقولها مع غمزة لم تعد تعرف عددها في هذا اليوم ..

ألا يجيد هذا الرجل سوى الغمز بعينيه بهذه الطريقة ال...؟؟

ال....!!

الآسرة هذه !!





_ما تستفزنيش ..أنا يمكن مش فاهمة مبررك في الجوازة بس مش هاسمح لك تخدعني وتأذي مشاعر بنتي .

تهتف بها بعصبية احمر لها وجهها لتزداد فتنة في عينيه ..

بالكاد يقاوم نفسه كي لا يسكت هاتين الشفتين اللتين لا تتفوهان

إلا بالحماقات ..

يسكتهما بحل يروقه كثيراً ..ويتوق إليه كثيراً كثيراً ..

كثيراً!!

_يافرحتك فيا ياعمو علاء ..بتاع البرقوق لبس في حتة تين شوكي إنما إيه ..جامدة !!




يقولها لنفسه وهو يسمح لعينيه بالتجول على منحنيات أنوثتها البارزة كعهدها بوضوح خلف ما ترتديه ..

تضاريس كهذه يصعب مداراتها تحت أي ثياب مهما اتسعت !!

نظراته الحارة المتفحصة تزيد ارتباكها وعصبيتها لتهتف به وهي تبتعد لا إرادياً :

_انت يا بني آدم رد عليا .

_المطلوب؟!

يسألها بمكر وهو ينتزع عينيه عنها قسراٌ لتتلعثم كلماتها وهي تعاود التلويح بذراعيها :

_مالكش دعوة بريما ..ماتخليهاش تتعلق بيك ..وشيل فكرة السفر دي من دماغها دلوقت ..ماتشبطهاش وتطلعني أنا الشريرة اللي مش راضية تفرحها .





_على بركة الله .

يقولها بنبرة مستسلمة لترمقه بنظرة متشككة قبل أن تراه يعطيها ظهره ليفتح الباب هاتفاً بصوت عال :

_ريمااا...مامي وافقت ع السفر ..ياللا نحضر الشنط .

شهقت بحدة وهي تندفع نحوه ليلتفت إليها بغمزة جديدة سبقت "قرصته" لخدها الممتلئ بحركة خاطفة :

_انت تأمر يا عسل!

تبعد وجهها عن مرمى أصابعه بسرعة ووجنتاها تكادان تحترقان غضباً و...

خجلاً!!





تهم بالصراخ به بغضب لولا أن اندفعت ريما إليهما من الداخل راكضة بسرعة لتحتضن خصرها هاتفة بفرحة عارمة :

_شكراً يا مامي ..كنت عارفة إنك هتوافقي

فتعود إليه بنظرة قاتلة قابلها بحاجب متراقص قبل أن ينحني ليحمل الصغيرة ويقبل وجنتها بعمق قائلاً:

_محضر لك بروجرام حلو قوي..

ثم يعود ل"الشوكية" أمامه بغمزة جديدة :

_يجنن !

============





Cinnabon

القطعة الثالثة والعشرون

=========

_دكتورة ياقوت ؟!

تسمعها ياقوت عبر الهاتف لترد بترقب ملهوف :

_ شهد ..تعرفي حاجة عن هيثم ؟!

تقولها وهي تستعيد ما أخبرها به إسلام -لتوه- عن اتصال أمه المذعورة به كي تنبئه عن اختفاء شقيقه ..لتسألها وقد توقعت جواب شهد :

_هيثم معايا .

_معاكِ فين ؟!

تصمت شهد وهي تتنهد بحرارة تسترجع لقاءها به بالأمس ..

كيف كان منهاراً مشتتاً وهو يخبرها أنه يشعر أنه ضائع!

أنهم جميعاً عاملوه كطفل أخفوا عنه الحقيقة !!





أنه لم يعد يريد أن يتذكر أي شيء عن حياته هذه التي اكتشفها ..

وأنه يريد أن يبدأ من جديد معها هي ..هي فحسب من صار يثق بها !

_معاكِ فين يا شهد ؟!

تكررها ياقوت بانفعال ينتزعها من شرودها لترد بتلعثم :

_عندنا في البيت !

ارتفع حاجبا ياقوت بدهشة للحظات قبل أن تستدعي قناع مهنيتها محاولة تجنيب عواطفها :

_إيه اللي حصل بالظبط ؟!

_سمع كلام إسلام مع جيلان هانم ..كانوا بيتخانقوا وهي قالت إن حسين كان تاجر مخدرات .




زفرت ياقوت بسخط شاعرة بالشفقة نحوه ..

لتعاود سؤالها باهتمام :

_وبعدين ؟!

_طلب يشوفني ..اتقابلنا في النادي ..

قاللي إنه ماعادش قادر يقعد في البيت ده بعد اللي عرفه ..وإنه ما عادش واثق في أي حد ..غيري !

تحشرج صوتها في كلمتها الأخيرة التي انتهت بدموعها مع استطرادها الذي فضح ألمها :

_ماعرفتش أقولك إيه ..لو شفتي عينيه وقتها وهو حاسس إنه ضايع ..إنه خايف ..مش فاهم حاجة ..ومش واثق في أي حاجة ..ومع ذلك ..بيقول إنه مصدقني أنا ..أنا ..أنا تخيلي!!

انقبض قلب ياقوت بلوعة مع بكاء الفتاة وحالها المؤسف مع أخيها هي بقصتهما المعقدة هذه ..





لتسألها برفق :

_وبعدين ؟!

_عندنا في البيت أوضة فاضية فوق السطوح ..ماما لأنها عارفاه من زمان وافقت تسكنه فيها بعد ما حكت لها ظروفه ..بس طبعاً هي ماتعرفش الحكاية كلها !

الخزي يظلل آخر كلماتها لتدرك ياقوت حقيقة الوضع ..

فتقول لها بإشفاق:

_وبعدين يا شهد ؟! الحكاية كده اتأزمت قوي ..لو ده رد فعله مع أهله لمجرد إنهم خبوا عنه نص الحقيقة ..هيعمل إيه لو عرف النص التاني ؟!

_هيسيبني..

تغمغم بها شهد بمزيج من يقين وألم لتردف بين شهقات بكائها :





_هيكرهني ويسيبني ..أنا عارفة ..بس غصب عني طالما لسه فيه لحظة واحدة ممكن أعيشها معاه مش هاضيعها .

هزت ياقوت رأسها وقلبها يخزها بوجع لهذه الفتاة التي تشعر بمأساتها ..

تفكر للحظات قبل أن تقول لها برفق:

_سيبي كل حاجة لوقتها ..ممكن اللي حصل ده يكون لمصلحته ..هيثم كان محتاج فعلاً يخرج بره بيت حسين ..يرجع كليته ..يشوف أصحابه ..يتعامل مع الحقيقة طالما هو كده كده عرفها ..

ثم نظرت في ساعتها لتردف :

_هاقفل معاكي أطمن إسلام لأنه قلقان عليه وبعدين هنجيله نتكلم معاه .





تقولها لتغلق معها الاتصال فتكتم شهد بكاءها وهي تسمع نداء والدتها من الغرفة المجاورة ..

تمسح دموعها بسرعة وهي تغادر غرفتها نحو والدتها الراقدة على الفراش كعهدها والتي بادرتها بسؤالها :

_صحيتي يا شوشو ؟!

ترتبك ملامحها وهي تميز لفظة تدليلها من والدتها والتي صارت تكرهها ..

تكرهها وهي تخفيها عنه -هو- مع كل ما تخفيه خشية أن يحمل له هذا الاسم ذكرى ترده لماضيهما ..

لكنها تتمالك نفسها لترد بابتسامة :

_من بدري يا ماما ..هاحضر لك الفطار والدوا حالاً .





_لا ..تعالي الأول ..

تقولها المرأة بطيبة وهي تشير للجانب الخالي جوارها على الفراش فتتحرك لتجلس هناك وترفع إليها عينين مذنبتين ..

_انتِ مخبية عني إيه ؟!

تسألها المرأة بحدس أمومي صادق لترتبك ملامح ابنتها أكثر وهي ترد مطرقة الرأس :

_هاخبي إيه بس يا ماما ؟!

_انتِ بتحبي هيثم ؟!

تسألها من جديد بقلق حنون لتحاول هي المراوغة بقولها :

_هو عشان بساعده في ظروفه دي يبقى بحبه ؟!

لكن المرأة تهز رأسها وقد سمعت منها جواباً غير منطوق لتتنهد قائلة بإشفاق:





_صعبان عليا قوي هيثم ده ..من أول يوم شفته معاكي وأنا قلت إنه جدع ..ياما وقف جنبنا أيام تعبي زمان ..هو معقول مش فاكر أي حاجة بعد الحادثة إياها دي؟!

تهز شهد رأسها نفياً لتعاود المرأة سؤالها:

_هو زعلان من أهله ليه ؟!

ترددت شهد قليلاً وهي تخاف أن تخبر أمها بحقيقة حسين ..لترد بمواربة :

_ما انا قلتلك امبارح ..أخوه اتجوز من ورا مامته ..والبيت عندهم فيه مشاكل كتير ..وهو نفسيته مش مظبوطة .

رمقتها أمها بنظرة متفحصة لتعاود سؤالها بتوجس:





_طب وهم هيوافقوا يسيبوه قاعد هنا ؟! الأوضة فوق مش مقامهم خالص!

_أخواته هييجوا كمان شوية يتكلموا معاه ..ربنا يدبرها !

تقولها شوشو وهي تقف مكانها لتحاول الهرب من أسئلة أمها بقولها :

_معاد دواكي جه ..أروح بقا أحضر لك الفطار .

عادت المرأة تتنهد بحرارة وهي تتبين مشاعر ابنتها الواضحة في ارتباكها لتغمغم وهي ترفع عينيها لأعلى في وضع الدعاء :

_ربنا يشفيه ويجعل لك فيه نصيب يا بنتي !

=======

_عايزة حاجة تاني ؟!





تسألها شهد بحنان عقب تناولها للإفطار لترد الأم ببساطتها وهي تقبل ظاهر كفها وباطنه في إشارة لحمد الله :

_عايزاكي طيبة يا بنتي ..

ثم صمتت لحظة لتردف:

_حضري الفطار لهيثم وطلعيهوله ..بس حطيه ع الباب وانزلي ..ما تطوليش .

تقولها بتحذير ناعم لتبتسم وهي تمنحها إيماءة موافقة قبل أن تتحرك لتفعل ما طلبته منها ..

تبدل ملابسها ثم تمشط شعرها بعناية لتحمل صينية الإفطار وتصعد بها نحو غرفته ..

قلبها يخفق بجنون وهي تستجيب لجنون الفكرة ..وجمالها !!

هيثم هنا ..في بيتها البسيط معها ..وهي تحضر له الإفطار !





ياللجمال !!

تطرق باب الغرفة الذي فتحه ليبتسم وهو يميز ملامحها الفاتنة :

_صباح الخير .

يقولها بصوته الحبيب لتشرق ملامحها برؤيته ..

كأنما نسيت سواد ما كان بينهما ..وما سيكون ..

فلم تعد تعنيها سوى هذه اللحظة ..

أنها الآن معه !!

_صباح النور ..نمت كويس؟!

تقولها بحنانها العاشق ليتنهد بحرارة مطرقاً برأسه فترى في ملامحه البائسة الجواب ..

قبل أن ينتبه لما تحمله فيرفعه عنها قائلاً بحرج :





_تعبتي نفسك ليه ؟!

_طول عمرك تاعبني !

تقولها بمرح مصطنع محاولة عيش هذه اللحظة معه ومتناسية هذا الجحيم الذي يكوي ضلوعها ..

ليرد هو بابتسامة صادقة لم يعد يعرفها في عالمه ـ المموه ـ إلا معها هي :

_شكراً يا سكر .

تدمع عيناها كعهدها مع كل لفظة "سكر" يدللها بها ..

ربما لأنها "الخيط الرابط" الوحيد بين ماضيهما وحاضرهما ..

لكنها تتمالك نفسها لتقول له ببعض الأسف:





_ما تزعلش مني ..بس أنا كلمت دكتورة ياقوت
عشان أطمنهم عليك ..وجاية كمان شوية .

تتعكر ملامحه للحظات لكنه يعترف لنفسه حقاً أنه
يريد رؤية ياقوت بالذات ..

لا ينكر هذه الراحة التي تمنحه إياها بحديثها معه ..

لهذا لانت ملامحه رويداً رويداً ليهز رأسه بلا
معنى ..

قبل أن تتذكر هي وصية والدتها فتتحرك مبتعدة
للخلف قائلة بنفس المرح المصطنع :

_خلص فطارك كله عشان ماما ما
تزعلش ..موصياني عليك قوي .

فيضحك وهو يراقب خطواتها الرشيقة التي
انسحبت بها نحو الدرج للأسفل ..





كيف لا يذكرها ؟!

كيف وقلبه يرتج داخله بهذا العنفوان عندما يراها ..

وبهذه الطريقة التي لم يعرفها مع أحد سواها ؟!!

هنا تغزوه بعض الأطياف من ذاكرته القديمة ..

فيراها تستقل معه سيارته وتضحك ..

تمسك كفه وهما يعبران الطريق سوياً ..

تجلس جواره على رصيف الجامعة يمكسان كتابيهما ليراجعا قبل الاختبار ..

تصرخ به عاتبة أنها تغار ..

من أخرى!!

من هي ؟!!





ينعقد حاجباه بقوة وهو يحاول التذكر أكثر لكن ذهنه لا يسعفه بالمزيد ..

فيكتفي بهذا القدر وهو يغلق الباب بقدمه ليضع الطعام على المائدة الصغيرة هناك ..

جاائع هو!!

فكيف لو كان الطعام من يدها هي !!

=======

_احنا هنسيبه هنا بجد ؟! انتِ عايزة جيلان هانم تروح فيها ؟!

يسألها إسلام باستنكار عقب مغادرتهما لبيت شهد ومقابلتهما هيثم ..

لترد ياقوت وهي تتحرك معه نحو سيارته :

_ماليش دعوة بجيلان هانم ..المهم إنه هو عايز يفضل هنا ورافض يرجع البيت ..والست والدة شهد متفهمة ومش ممانعة ..سيبوه براحته ..ما تزودوش الضغط عليه .

يفتح لها السيارة لتستقلها ويركب هو جوارها ثم يقول بمرحه الذي يخالط مرارته كعهده بمزيج مدهش :

_طيبة قوي الست أم شهد دي ..وعلى نياتها ..مش زي بنتها خالص .

ترمقه بنظرة عاتبة لم يرها وهو يشغل السيارة لينطلق بها مردفاً بنفس النبرة :





_القادرة علّقت الواد وأبوه !!

_إسلام !!

هتفت بها تزجره بحدة ليلتفت نحوها

قائلاً ببراءة مصطنعة :

_أنا جبت حاجة من عندي لا سمح الله ؟!!

فزفرت وهي تسترخي في مقعدها أكثر لتنظر أمامها قائلة بنبرة دفاع:

_أنا متعاطفة معاها ..يمكن لو كنت مكانها ماكنتش هاتصرف زيها ..بس راعي سنها الصغير ..إحساسها بالقهر وهي شايفة قريبتها بتموت غدر مع جنين في بطنها ..السن ده بيبقى جموح بزيادة ..شايف الدنيا كلها مغامرة عايز يعيشها ..ما بالك بواحدة زيها عالمها محدود بين أم مريضة وإعجاب من طرف واحد ؟! طبيعي تستحلى فكرة الانتقام والمغامرة !





_واهي قلبت جد ..ولبست في الحيط ..تفتكري هيثم هيعديهالها ؟! بلاش ..جيلان هانم اللي قاطعتني عشان إتجوزت مطلقة معاها طفلة ..هتقول إيه لما تلاقي الموكوس التاني عايز يتجوز البنت اللي غوت أبوه لحد ما وقعته ؟!!

يقولها باستنكاره المرح لتلتفت نحوه من جديد هاتفة بغيظ :

_تااني؟! هتتكلم عنها كده تاني ؟!!

فيشير براحته لها مهدئاً مع هتافه المرح :

_خلاص ..خلاص ..ماهو اللي يقول الحق في البلد دي يروح النار ..

ثم صمت لحظات ليردف بجدية :





_بس إن جيتي للحق ..البنت شكلها بتحبه فعلاً وهتموت عليه ..وهو كمان ..

يقولها ليهز رأسه قائلاً بإشفاق بدا ك"ولولة النساء":

_عيني عليكي وعلى شبابك يا جيلان هانم ..كنتِ فلة شمعة منورة ..راجل بيحبك وولاد زي الورد ..دلوقتِ كله طلع بلح!

ضحكت رغماً عنها ضحكة عالية طويلة وطريقة إلقائه المبالغة لا تترك لها مجالاً لغير ذلك ..

فيلتفت نحوها هاتفاً بغيظ مرح:

_اضحكي اضحكي ..وسيبي "قرمط" الغلبان هو اللي في وش المدفع ..ياخواننا أنا عريس ..عرييييس ...عايز أشوف حالي بقا.





فتستمر في الضحك للحظات قبل أن تتجاهل موضوع هيثم مؤقتاً لتقول له باهتمام:

_نشوى عاملة معاك إيه ؟!

يلتفت نحوها بضحكة صامتة كز فيها على أسنانه بقوة بإشارة ذات مغزى لتضحك من جديد هاتفة بشماتة :

_تستاهل!..اهي دي اللي هتكفر ذنوبك كلها .

_ده على أساس إن عيلتي قصّرت في الموضوع ده مثلاً؟! منكم لله كلكم !

يقولها بمسكنة مصطنعة لتعاود الضحك من جديد قبل أن تخاطبه بجدية هذه المرة :

_أنا مش هاوصيك عليها لأني واثقة فيك ..بس عايزاك تاخدها




بالراحة ..الكام يوم اللي هتسافروهم دول فرصة تقربوا من بعض ..بس ما تضغطش عليها .

_حاضر يا "أبلة فضيلة" ! هنسمع الغنوة ونتسلى بالحدوتة !

يقولها مشاكساً لتعاود الضحك من جديد وهي تخبط كفيها ببعضهما من جديد هاتفة بمرح :

_مالكش حل !

ثم تلفتت حولها لتسأله :

_هتروح فين دلوقت ؟!

_هاوصللك وأروح أقابل "الوحش"!

تضحك وهي تتبين أنه يعني أمه بها لتتنهد بعدها بحرارة ثم تقول له بجدية :





_قل لها تطمن ..كلامي مع هيثم النهاردة حسسني إنه قرب يفتكر ..صحيح هو لسه ضايع ومحتار وصدمة اللي عرفه مش هينة ..بس المرحلة الجاية مهمة عشان يبني لنفسه حياة جديدة بعيد عن حياته القديمة اللي اتشوهت ..يمكن ساعتها لما ترجع له الذاكرة يلاقي حيطة قوية يتسند عليها .

========

_بس إيه رأيك يا سيدنا ؟! "بتاع البرقوق" سبقك واتجوز قبلك !!

يهتف بها إسلام عبر الهاتف بضحكة عالية ليردها له سيف بمرح :

_طول عمرك طاقق ودماغك لاسع ..بس عمك علاء فقسك من أول مرة ..هو الوحيد اللي مااستغربش جوازتك المعفرتة دي ..بس على الله تركز بقا ..

_لا خلاص ..تبنا وأنبنا ..ده أنا حتى مسافر أفسح المدام والبنت كمان ..





يقولها ضاحكاً ليردف بنبرة أكثر مرحاً :

_المدام والبنت !! الواحد حاسس إنه نطّ مراحل كتير قوي !

لايزال يهتف بها بين ضحكاته ليصمت سيف قليلاً محاولاً استنباط ما خلف مرح صديقه الشديد هذا ..

خبرته به تنبئه أنه سعيد حقاً ..

والغريب أنه -إسلام- وقف أمام أمه هذه المرة ليتشبث باختياره ..

هذا الذي لم يفعله مع غادة قديماً ..

ربما هذا ما يؤكد له أن هذه "المرة" مختلفة ..

بل إن هذه "المرأة" مختلفة !!

_اللي جابلك يخليلك ياخويا.





يهتف بها أخيراً بتهكم مرح ليرد إسلام بضحكة أخرى قبل أن يظهر صوت ريما في الخلفية تناديه ليلعب معها فيهتف مخاطباً سيف بنفس النبرة الضاحكة :

_أستأذنك أنا بقا أروح أمارس مهامي كرب للأسرة .

_أنتم السابقون ونحن اللاحقون .

يقولها سيف بضحكة متهكمة قبل أن يغلق معه الاتصال بعدما اطمأن عليه ..

ليتنهد بحرارة وهو يغادر فراشه نحو مكتبته المقابلة ..

سيقوم بإجراء تعديلات في الشقة تمهيداً لاستقبال عروسه الحبيبة لكنه سيبقي هذه الغرفة كما هي ..

سيبقيها شاهدة على حضور ملكته ببصمتها المميزة في حياته قبل أن يعرف حتى أنها ستكون له ..





يتحسس الكتب مكانها لتقع عيناه على إحدى الكتيبات الصغيرة لسلسلتهما الأثيرة معاً .."ما وراء الطبيعة"..

فيبتسم وهو يتناول هاتفه شاعراً باشتياق جارف نحوها ..

يحترم رغبتها في تأجيل الزواج تقديراً لحدادها لكنه لا يكاد يطيق صبراً على الابتعاد عنها ..

_صباح الخير يا سيف .

بصوتها المغناج ذي الدلال الطبيعي تقولها ليشعر بخلايا جسده كلها تتفاعل معها ..

ورغم رده التقليدي :

_صباح النور .





لكنها كانت تراه في مخيلتها محمر الأنف والأذنين ..صارخ العينين بعشق هي خير من تدرك مداه ..

ربما يكون تحفظه هذا منفراً للكثيرات ..لكنها هي بالذات كانت تراه ميزة !!

هي التي ارتبطت عبارات الغزل لديها بالتحرش ..فتعلمت كيف تسمع "لغة جديدة" للحب بعيدة عن المفردات التقليدية ..

وهاهنا بالذات اقتحمها وابل من ذكرياتها مع أحمد ..

هو الذي سيبقى استثناءها وسط كل هذا !

الغريب أنها لا تشعر أنها الآن تخونه ..

بل على العكس ..تشعر براحة غريبة عندما تتذكره كأنه حولها يبارك خطوتها هذه ..

_افرحي يا غادة ..افرحي .





تكاد تسمعها بصوته كما كان في رؤياها وهو يخلع عنها دبلته بنفسه ليظهر خلفه سيف !

_انتِ كويسة ؟!

تبتسم وسؤال سيف ينتزعها من شرودها ..

يكفيه تميزاً في عينيها أن تحمل كلمتان منه ..كلمتان فقط ..كل هذا الأمان الذي يغشاها الآن !

_كويسة جداً ..بس ..كنت عايزة أروح النهارده مشوار بأجله من زمان .

تقولها مترددة ليسألها بترقب :

_فين؟!

_والد أحمد ..مازرتوش من ساعة ما وصلت ..هو على طول بيكلمني يسأل عليا وصحته مانعاه




يتحرك م البيت ..عمو علاء قالله على موضوع جوازنا ..هو متفهم جداً بس برضه ..

تقولها بعفوية لتقطع حديثها فجأة وهي تتبين صمته المريب ..لتعاود سؤاله بريبة :

_سيف ..انت معايا ؟!

يصمت للحظات مريبة أخرى قبل أن يقول بنبرته الرجولية المطمئنة :

_من هنا ورايح مش هاكون غير معاكي .

لتتنفس الصعداء ثم تقول برقّة:

_افتكرتك اتضايقت .

_امتى حسيتي إنك بتحبيني ؟!

سؤاله المباشر و المفاجئ لم يمنحها الرد على عبارتها السابقة لتعود لتوجسها من جديد ..





لكنها استعانت بسلاح دلالها لترد بشقاوة عذبة:

_أنا لسه مااعترفتش بالمناسبة ..كلها تكهنات من جانب سيادتك .

_جاوبيني يا غادة .

رجاؤه الخشن يلامس شعورها الأمومي نحوه فتتنهد بحرارة لترد :

_صعب أحدد ..بس ..يمكن أول مرة حسيتك مختلف لما كنا في المزرعة وانت سبتهم كلهم قاعدين عشان تقرب مني بسرعة وتقوللي إن شعري باين تحت الطرحة ..حسيت ساعتها إني مطمنة لك ..الإحساس ده ماعرفتوش بعد أحمد غير معاك .

_عايز أشوفك ..دلوقت ..حالاً .

صوته الغارق بانفعالاته يزيد من توجسها ..خاصة وردوده لا تتوافق مع ما تحكيه ..





لهذا ازدردت ريقها لترد بارتباك :

_أنا زعلتك قوي كده ؟!

_دلوقت يا غادة !

يكررها بحزم أكبر مردفاً :

_عشر دقايق تلبسي وهاكون عندك ..هنخرج نفطر سوا .

يقولها ليغلق الاتصال غير سامح لها بالمزيد لينقبض قلبها وهي تحاول فهمه ..

هل تضايق إلى هذا الحد من ذكر زيارتها لوالد أحمد ؟!

أم هل يحتاج المزيد من الثقة في مشاعرها هي نحوه ؟!

نعم ..ربما ..





هي لم تبح له صراحة بحقيقة مشاعرها نحوه مكتفية ب"الميدالية" التي دستها في كفه يومها في المطار ..

اعتمدت على هذه "البوصلة" الخاصة بينهما ..

البوصلة التي لا يعرف سهمها إلا طريق كل منهما لصاحبه !!

لهذا تنهدت بحرارة وهي تسرع في تغيير ملابسها لتودع إيناس بقبلة خاطفة مخبرة إياها عن وجهتها ..

قبل أن تغادر الشقة نحو المصعد الذي ما إن فتحته حتى فوجئت به هناك ينتظرها !!

ناظرته بدهشة وهي تراه يضغط زر إيقافه قبل أن يتحرك نحوها ليجذبها من مرفقيها نحوه !!





تشهق بدهشة وهي تراه يقربها منه لكنه أوقفها في اللحظة الأخيرة على بعد سنتيمترات من صدره الذي كان يعلو ويهبط بانفعال كاسح أشعلهما معاً ..

عيناه تهدران بهذه النظرة الهائجة لعشق لم تختبره قبلاً بهذه الضراوة كأنما يقاوم وحشاً كاسراً في صدره ..

_قولي إنك بتحبيني ..دلوقت ..قوليها .

يهمس بها من بين أسنانه وهو يهز مرفقيها لتدمع عيناها والارتباك يخرسها للحظات مع هذا الوجه "المجنون" الذي لم تره منه من قبل ..

لم تكن تعلم أن خلف غلالة الذنب القديمة مارد عشق مجنون ينتظر سقوطها ليتحرر من قمقمه !!

مارد ترحب كثيراً بالانسياق خلف أساطير قدراته !!





_بحبك .

تهمس بها بخفوت وجسدها ينتفض بين ذراعيه
بينما تسبل جفنيها بترقب ..

تشعر به يقربها أكثر فتتحفز خلاياها كلها ..

لكنها تفاجأ به يبعدها بطول ذراعيه دون أن يتخلى
عن التشبث بمرفقيها !!

هنا رفعت عينيها نحوه لتجده هو مغمضاّ عينيه
بقوة كأنما يقاوم إعصاراً جارفاً بداخله ..

هذا الذي رسم على شفتيها ابتسامة خافتة وهي
تتأمل ملامحه بهيام ..

لا تدري ما الذي كانت ستشعر به لو تجرأ معها
وفعل ما هو أكثر ..

لا تدري إن كانت وقتها ستستعيد كل هواجس
كوابيسها القديمة ..

لا تدري إن كان سيخسر وقتها بعضاً من نقاط قوته
لدى امرأة بتاريخها ..وربما ..كلها !!





لكن ما تعلمه وتثق به الآن أنها ...

_بحبك ..قوي!

تقولها بنبرة أكثر علواً ..أكثر ثقة ..وأكثر عاطفة ليفتح عينيه أخيراُ مواجهاً عينيها المتألقتين ..

وقد بدا اعترافها بأنه أطفأ نيراناً و..أشعل أخرى!!

شفتاه ترتجفان بقوة وعيناه تجولان فوق ملامحها الفاتنة ..قبل أن ينتبه لضغطة قبضتيه القوية فوق مرفقيها فيتركهما ببطء هامساً :

_آسف .

_شكراً .

كلاهما همس بكلمته في نفس اللحظة لكن أحدهما لم يسأل الآخر عما يعنيه ..

لا هي سألته عما يعتذر ولا هو سألها لماذا تشكره ..

وقد بدا التواصل الروحي بينهما أكبر من أي تفسير ..

_خفتِ مني؟!

يهمس بها ببعض الحرج والاحمرار المميز لأنفه وأذنيه يكاد يجعلها تضحك..

لكنها تستبدل ضحكتها بابتسامة عاشقة وهي ترد بيقين:

_عمري ما خفت وأنا معاك ..واثقة إنك هتصونني وتحافظ عليا .

تشعر بانفعال جسده الثائر أمامها بحديث صمت عنه لسانه كالعادة ..





وصرخت به عيناه بكل لغة ..

"الحزن الأخرس" فيهما صار الآن يتشح بأطياف ملونة من عشق يخصها وحدها ..

_ممكن أطلب منك طلب ؟!

يهمس بها بوجل لتصدر همهمة مترقبة وهي تراه يرفع أنامله نحو وجهها دون أن يمسها ..

قبل أن يغمض عينيه مستحضراً صورة بعينيها :

_شعرك ده هيجنني من أول مرة شفته ..عايز لما أشوفه تاني يكون بنفس اللون ..كان أحمر ..عمري ما شفت شعر بالجمال ده .

كلمات كهذه من رجل مثله ترفعها فوق قمم جبال أنوثتها ..

فتضحك ضحكتها المهلكة وهي تتحسس وشاحها فوق رأسها هامسة بدلال :

_بس كده ؟!





فيفتح عينيه ليهمس بصوت أجش بينما يشير بعينيه لشفتيها :

_وضحكتك دي تتصرفي فيها .

كأنما أمرها بالعكس!!

ضحكتها تصدح من جديد غير قادرة على تمالكها ليرمقها بنظرة عاتبة سبقت همسه :

_انتِ مشكلة .

_وكويسة ..ومريحة !!

تقولها وهي تعد له على إصبعيها مذكرة إياه بما سبق من حماقاته ليضحك ضحكة قصيرة وهو يتناول كفها بين راحتيه ..

ثم يهمس لها بما ظنت أنها لن تسمعه منه أبداً:

_وأجمل وأرق ست شفتها في حياتي .





_يااااا سيدي! قول يا أستاذ قوول .

تهمس بها بدلالها المشاكس مغالبة خجلها قبل أن تضغط زر تشغيل المصعد من جديد مردفة :

_ننزل نفطر بقا ..كلامك الحلو على غفلة ده جوعني زيادة .

يضغط كفها بقوة أكثر بين راحتيه ليرد غير قادر على منع عينيه من التعلق بملامحها :

_اليوم كله هنقضيه مع بعض..هنفطر وبعدين نشتري شوية حاجات للشقة ..وبعدها نروح لوالد أحمد سوا .

كان المصعد قد وصل للطابق الأرضي ففتح هو بابه غافلاً عن ملامحها المتجهمة إزاء عبارته الأخيرة والتي ناسبت قولها وهي تتحرك معه :

_بلاش أحسن !





لكنه توقف مكانه ليقول بحزم امتزج باحتوائه في خليط مدهش:

_مفيش خطوة بعد كده هتخطيها إلا ورجلي على رجلك .

هذا الخليط الذي اقتلع تجهمها من جذوره ليغرس مكانه زهوراً من أمان !

ابتسامتها تولد صغيرة واهنة قبل أن تتسع رويداً رويداً وهي تميل رأسها قائلة باستياء مصطنع :

_مستبد !

فيبتسم ابتسامته الرائعة التي تحيل ملامحه الخشنة لأخرى طفولية مع رده وهو يضغط كفها في راحته قبل أن يضمه لصدره بتملك :

_تهمة مش هنكرها ..معاكِ أنا مستبد ودكتاتور كمان .




ضحكتها المهلكة تغرد في أذنه من جديد لتعاود اعترافها للمرة الثانية هاتفة بمزيج عاطفتها ودلالها :

_وأنا بحبك يا مستبد !

========

على حبك عندي مية إثبات

شوقي مثلاً ..

بان في عيني ساعات ..

وبخاف وبغير ..

خد من ده كتير ..

وإن سيرتك جت بنطق بالخير ..

وطبعك خدت منه حاجات ..

النغمات مع الكلمات "المقصودة" تنساب عبر كاسيت السيارة التي يقودها إسلام بها وبالصغيرة التي نامت جوارها على المقعد الخلفي !

أجل .."الشوكية" أصرت ألا تركب السيارة جواره بل جوار ابنتها بالخلف ..

تعجبه لعبة "القط والفأر" هذه ..تعجبه كثيراً!!

_وأخبارك مع التفاصيل ..أحب أسمعها بالتفصيل ..

يدندن بها مع الغنوة مميلاً رأسه وهو ينظر إليها عبر مرآة السيارة لترمقه بنظرة ساخطة هاتفة :

_البنت نايمة ..وطي البتاع ده شوية !

وكعهده -يقوم بتعلية الصوت أكثر - في حركة مغيظة لتعاود الزفر بسخط وهي تشيح بوجهها متأملة الطريق ..





تمسد شعر الصغيرة بشرود وهي تشعر بالمزيد من الخواء ..

إلى أين تمضي حياتها وحياة صغيرتها ؟!

وهل يمكنها حقاً ائتمان رجل مثل إسلام هذا بتاريخ أبيه القذر؟!!

صحيح أنه يبدو بظاهره محل ثقة لكن ما يدريها هي عن باطنه ؟!!

تختلس نظرة جانبية نحوه لتجد عينيه معلقتين بها عبر المرآة ..

كعهده منذ بدأت هذه الزيجة ..

يحاصرها لكنه لا يفرض نفسه عليها ..

جسدياً على الأقل!!

أجل ..نقطة تحسب لصالحه خاصة وزوجها السابق كان يشعرها أن الرجال لا يفكرون إلا ب"هذا الأمر" !!





قبضة خانقة تعتصر قلبها وهي تتذكر شعورها المقيت مع زوجها السابق في كل مرة كان يجمعهما فيها فراش واحد ..

شعور أشبه بجارية تبيع جسدها دون مقابل ..

كان يصفها بالبرود وقد كان محقاً ..

هي نفسها لم تدرك الفارق إلا عندما ظهر ناصر في حياتها من جديد ..

آآه!

كانت تنتظره ليس فقط لرد اعتبار كرامتها بل ..لاختبار "أنوثتها المطعونة" !!

_لو أقوللك..الكلام هيطول ..حس انت ..شوف بعينك دول ..فيه كلام عادي يتقال للناس ..

وكلام أجمل يتقال إحساس ..بيوصل للقلوب على طول ..





لايزال يدندن هو بها وعيناه ترسمان

ملامحها عبر زجاج المرآة فيختلج قلبها بشعور غريب ..

غصة تمرر حلقها وهي تختلس نظرة أخرى نحوه امتزج فيها السخط بالذنب ..

كيف تكون في عصمته وتفكر بآخر؟!!

هذا الذي جعلها تنحي خواطرها عن ناصر جانباً ولو قسراً محاولة فهم هذا الكائن الغريب أمامها ..

لماذا لا تتقبله ؟!

ربما هو ليس بوسامة ناصر وجاذبيته الكاسحة وجسده الرياضي الممشوق كنجوم السينما ..

بل هو ببنيته الأميل للنحافة وشخصيته الميالة للمزاج دوماً بعيدٌ تماماً عن الطراز الذي يروقها من الرجال ..

لكن به شيئاً محبباً لا تفهمه ..

شيئاً سبقتها ابنتها في إدراكه ..





ومع هذا تأبى هي تصديقه !!

لا ..

لن تفعل ..

لم تعد السفينة تحتمل المزيد من الثقوب ..

غارقة هي إن آجلاً أو عاجلاً!

فلتتكمش على نفسها محتضنة ابنتها حتى ترى إلامَ سيؤول مصير هذه الزيجة !!

_وصلنا !

يقولها وهو يوقف السيارة في مرآب الفندق لتتلفت حولها محاولة استكشاف المكان الذي بدا لها بسيطاً أنيقاً ..

_هو ده الفندق يا مامي؟!





تهتف بها ريما بصوت ناعس وقد أفاقت من نومها بمجرد توقف السيارة ليلتفت نحوها إسلام هاتفاً بمرح :

_أيوة هو ..كويس إنك نمتِ الشوية دول عشان ننزل الشنط وننزل المية على طول ..مش عايزين نضيع وقت .

تطلق الصغيرة صيحة فرحة وهي تندفع نحوه تعانقه من الخلف ليضحك ضحكة عالية جعلت نشوى رغماً عنها تبتسم ابتسامة واهنة وهي تنقل بصرها بينهما ..

ابتسامة تلونت بالكثير من الخوف وهي تخشى على ابنتها المزيد من التعلق به ..

هي أكثر من يدرك مرارة خذلان الفقد بعد التعلق !

أفكارها تتصارع بداخلها وهي تلاحظ انشغال ابنتها عنها وتشبثها بإسلام طوال رحلتهما لإنجاز الإجراءات في مكتب





الاستقبال ثم إلى الغرفة ..

مزيج من الغيرة والخوف يجتاحها هاهنا أيضاً ولا تدري كيف تتصرف ..

_"My princess"

يقولها إسلام أمام باب الغرفة الذي فتحه وهو ينحني في مشهد تمثيلي للصغيرة التي قبلت وجنته بقوة ثم اندفعت بصيحاتها للداخل ..

قبل أن يلتفت هو نحو نشوى مكرراً نفس الموقف لترمقه بنظرة متهكمة جعلته يقترب منها هامساً في أذنها:

_الأصول إنك تدخلي الأوضة متشالة .





يقولها وذراعه ينسل خلف ظهرها ليرتجف جسدها لكنها ترد بسخرية :

_وانت هتقدر تشيلني ؟!

نظراته العابثة تتجاهل عبارتها المهينة لتعيث فساداً فوق منحنيات جسدها بصورة أربكتها ..

قبل أن تشهق فجأة بعنف وهي تراه ينحني ليحملها بين ذراعيه فيتعلق ذراعاها به عفوياً ..

بل وتتعلق عيناها به عفوياً كذلك !!

نظراته الدافئة بعاطفة سخية تناقض هزل عبارته وهو يتحرك بها بتثاقل مصطنعاً الترنح:

_يا نهار أبيض!! مش قادر ..مش قادر ..العروسة هتقع مني أهه ..هتقع ..هتقع ..





ومع كل "هتقع" كان يقربها قصداً نحو الأرض لتزداد تشبثاً به مع صرخاتها المكتومة ..

صرخاتها التي قابلها بضحكاته العالية وشاركته فيها ريما بتصفيقها لهما قبل أن يضعها على الفراش لتهتف ريما بمرح:

_زي الأمير ما شال سنووايت !

لكن إسلام ضحك وهو يراقب ملامح نشوى التي احمر وجهها بسخط ليغمزها قائلاً:

_سنووايت كانت كيرفي كده ؟!

_يعني إيه كيرفي؟!

تسأله الصغيرة بحيرة لينتبه لنفسه فيتنحنح وهو يهرش رأسه قائلاً:

_كيرفي ..يعني ..يعني .




تلكزه نشوى في خاصرته بعدما تنهض من فوق الفراش ليكتم تأوهه ويرد بما تبادر لذهنه :

_يعني حلوة من غير ماتحط مكياج .

أصدرت الصغيرة آهة إدراك لتشير لنفسها هاتفة بفخر:

_أنا كيرفي .

يكتم ضحكته بصعوبة فيما تزداد نظرات نشوى سخطاً وهي تقف لتميل عليه هامسة بحدة :

_عاجبك كده ؟! هتبوظلي البنت ؟!

_بس إيه رأيك فيا ؟! طلعت بعرف أشيل ؟!

يغمزها بها وهو يميل عليها بهمسه لتحترق وجنتاها خجلاً فيعض شفته السفلى بحركة مقصودة سبقت همسه الخافت من جديد في أذنها :

_ماتراهنيش بقا على بقية الحاجات اللي بعرف أعملها .





هنا لم تستطع إلا دفن وجهها بين راحتيها خجلاً مع تلميحه الوقح كاتمة آهة دهشتها ..

_انتو بتقولوا إيه ؟!

تهتف بها ريما بفضول ليرد هو وهو يقترب من الصغيرة ليشير حوله هاتفاً :

_عجبتك الأوضة ؟!

_جداً ...ممكن أروح البلكونة ؟!

تسأله برجاء ليضحك وهو يحملها نحو الشرفة ليوقفه صراخ نشوى المفاجئ خلفه :

_الأوضة بسرير واحد ؟!

تهتف بها باستنكار وقد أدركت الوضع لتوها فيلتفت نحوها بخبث ناقض براءة كلماته المصطنعة :

_هو احنا محتاجين أكتر؟!!





_هييييييه !!! هنام في حضنكم انتو الاتنين ..بحب كده قوي .

هتفت بها ريما بسعادة وهي تعانقه ليغمز هو نشوى من خلف ظهر الصغيرة هاتفاً :

_وأنا شكلي هحب كده قوي برضه !

رمقته نشوى بنظرة حادة وهي تهم برد ساخط لكن صوت طرقات الباب قاطعها ليدخل العامل بالحقائب ..

ولم يكد ينتهي حتى هتفت هي بريما بنبرة حازمة :

_ياللا عشان تاخدي شاور وتغيري هدومك .

_هالبس المايوه البينك ؟!

تسألها الصغيرة فتستجيب للإجابة على تساؤلاتها وثرثرتها التي لم تنتهِ بينما تجذبها بعيداً عنه لتغلق خلفهما باب الحمام المجاور ..





زفرة ارتياح تطلقها وهي تشعر ب"أمان مؤقت" بعيداً عن زوابعه التي يثيرها بداخلها ..

تتحرك لتحمم الصغيرة بشرود ثم تلبسها ثوب البحر الذي طالعته الصغيرة في المرآة لتهتف باستحسان وهي تتخصر مستعرضة جسدها الصغير :

_أنا كيرفي قوي يا مامي .

_منك لله ياللي في بالي .

تقولها من بين أسنانها لتزفر وهي تتحرك بالصغيرة لتخرج بها من الحمام فيقابلهما هو بصفيره الطويل ونظراته نحو الصغيرة التي بادرته بقولها:

_شكراً ع المايوه ..حلو قوي ..جبت لمامي زيه ؟!!

تسأله ببراءة ليرد هو بغموض :





_يعني ..مش بالضبط .

هنا تزفر نشوى للمرة التي لا تدري عددها وهي تتحرك نحو حقيبتها لتشهق بدهشة وهي تتفحص محتوياتها ..

قبل أن ترفع إليه عينين غاضبتين:

_فين بجاماتي؟!

يكتم ابتسامته وهو يتحرك نحوها

متسائلاً:

_الثلاث بجامات اللي ببناطيل وأكمام طويلة ؟!

_أيوة .

تقولها كازة على أسنانها ليعاود سؤاله :

_الزرقا والبنفسجي ..والأبيض في

الأسود ؟!





_أيوة !

_القطن المريحين دول ؟!

_أيوة أيوة ..

تهتف بها بنفاد صبر ليرد بحاجب متراقص يعترف بجريمته وإن أنكرها:

_ولا شفتهم !

تضم قبضتها جوارها بغيظ وهي تعاود تفحص محتويات الحقيبة لتفاجأ بمحتوياتها التي لا تعلم عنها شيئاً ..

منامات حريرية بسراويل قصيرة وبتصاميم رقيقة مبهجة تليق بالعرائس ..

لم تكن فاضحة تماماً كثياب نوم ..

لكنها لا تتصور أن ترتدي مثل هذا أمامه !!





_عملت حساب البنت وما رضيتش أزودها قوي ..عجبك ذوقي؟!

يهمس بها بخفوت جوار أذنها لتلتفت نحوه بحدة فيصطدم بعينيها الدامعتين !!

دموع حقيقية ملأت عينيها لتحمل إليه شعورها كاملاً ..

شعور فأر وقع في مصيدة هو من جلبها لنفسه !!

التسلية المازحة تختفي من ملامحه رويداً رويداً لتحل محلها نظرة مطمئنة في عينيه ..

نظرة لم ترد هي تصديقها برغم كل شيء ..

لتجعلها طبيعتها "الشوكية" تهتف به بانفعال وبكلمات لم تتبين خطورتها :

_ومين قاللك إني هاقبل هدايا منك ؟! ولعلمك أنا اللي هحاسب على الفندق هنا ..أنا إيه يعرّفني فلوسك دي جايبها منين ؟! من شابه أباه فما..





كلماتها تنقطع بأنامله التي وضعها على شفتيها بحزم ونظرة عينيه التي تبدلت للكثير من الحدة تخرسها !

تزداد كثافة الدموع في عينيها لتسقط أخيراً فوق كفه فيزداد انعقاد حاجبيه مع حزم نظراته التي بدت قاسية لوهلة ..

قبل أن تلين وهو يتوجه ببصره نحو ريما التي كانت تناظرهما بقلق :

_روحي اتفرجي ع البيسين م البلكونة لحد ما اتكلم مع مامي شوية .

يقولها بصوت حشرجه غضبه لتهتف به الصغيرة بقلق طفولي:

_هتتخانقوا ؟!




اغتصب ابتسامة باردة وهو يزيح أنامله المبللة بدموع نشوى من على وجهها محاولاً كظم غيظه..

لتقترب الصغيرة منه وتتشبث بسرواله قائلة بصوت باكٍ :

_هي وبابا كانوا بيتخانقوا وعشان كده سابني ..هتسيبني انت كمان ؟!

هنا انخرطت نشوى فجأة في بكاء انفعالي بصوتٍ عالٍ وهي تعطيهما ظهرها ..

ليرمقها هو بنظرة مختلسة قبل أن تتسع ابتسامته وهو ينحني ليحمل الصغيرة فيضمها لصدره قائلاً بحنان لا يدعيه :

_مش هاسيبك أبداً ..ماتخافيش .

يشعر بالصغيرة تتشبث به أكثر بذراعيها ..





هذه الحركة التي فعلت به الأفاعيل فيحس كأنما تفجرت بداخله دفقات من المشاعر لم يتصورها بهذه القوة ..

هذا الشعور المستحدث ب"الأبوة" والذي يجربه لأول مرة لكنه لا يشعر بغرابته ..بل كأنما كان هناك منذ

الأزل ينتظر فقط من يلوح له كي يفيض به بسخاء !

وعده لها لم يكن مجرد كلمات من فراغ ..

بل هو صدى لإحساسه الذي يتنامى نحو الصغيرة ..وأمها !!

أمها سليطة اللسان التي سيعرف كيف يروض قسوتها الظاهرة هذه !!




_ياللا بقا اسمعي الكلام ..ماتنسيش المهمة السرية يا محاربة .

يهمس بها بخفوت في أذن الصغيرة التي عادت ملامحها لإشراقها بسرعة وهي تضع كفها على شفتيها بسرعة ..

لتومئ برأسها مطيعة قبل أن ينزلها هو أرضاً لتعدو نحو الشرفة البعيدة متيحة لهما مساحة من الخصوصية ..

يتحرك ليقف قبالة نشوى التي بدت منهارة تماماً فيحيط كتفيها بقبضتيه ليهمس لها بحزم :

_سيرة حسين رجائي ماتجيش بيننا تاني نهائي ..مفهوم ؟!





هذا الوجه الصارم الغريب على مرحه المعهود معها يربكها فترفع عينيها الباكيتين نحوه ليردف بنبرة أشد حزماً:

_أنا سبت شغلانة كانت بتجيب لي دهب في اسطنبول وقررت أقعد هنا عشان أصلح كل البلاوي اللي هو عملها ..عشان أمسح السواد اللي جابه اسمه

لاسمي ..عشان أفضل جنب إخواتي وأعوضهم عن اللي هو عمله ..مش بعد كل ده هاسمح لأي حد ..أي حد إنه يشكك فيا وفي نيتي .

كانت نبرته تزداد انفعالاً مع كل كلمة يقولها حتى وصل صوته حد اللهاث في عبارته الأخيرة ..

خفقات قلبها تتجاوز حد الجنون وهي تشعر بحروفه تتخللها ..

لا كمجرد كلمات ..

بل بإحساس يغزوها صدقاً فلا تملك معه إلا التسليم ..





لتتسع عيناها للحظات وهي تشعر بجسدها يزداد ارتجافاً بين قبضتيه ..

قبضتيه اللتين أزاحتهما هي عنها ببعض العنف لتطرق برأسها قائلة بصوت أنهكه بكاؤه :

_أنا تعبانة م السفر ..عايزة أرتاح .

رمقها بنظرة متأرجحة بين غضب وإشفاق ليغلب الأخير الأول فيشير لها بيده نحو الفراش قائلاً :

_ممكن تستريحي انتِ وأنا هنزل البيسين مع ريما .

_لا طبعاً ..مش هاسيب بنتي لوحدها معاك .

تهتف بها بتنمر ليمط شفتيه قائلاً:

_مش انتِ اللي قلتِ تعبانة ؟! خلاص ..تعالي معانا ..

ثم التمعت عيناه بمكر مردفاً:





_هتلاقي المايوه بتاعك في الشنطة برضه .

عقدت حاجبيها بقوة وهي تعاود التوجه نحو الحقيبة فيما اعتبره هو "اعتذاراً غير منطوق" عما صدر منها ..

ليبتسم بجذل وهو يراها تشهق بعنف بينما تمسك بأطراف أصابعها قطعتين منفصلتين لثوب استحمام فتلقيهما جانباً هاتفة باستنكار:

_بيكيني؟! انت بتستهبل؟! هانزل البحر ب"بكيني"؟!

_تؤ تؤ ..أستغفر الله العظيم..إن بعض الظن إثم ..أنا هنزّلك البحر ببكيني برضه ؟! اهه ..مايوه المحجبات الحشمة اتفضلي .




يقولها ببراءة مصطنعة وهو يستخرج ما ذكره من الحقيبة ليرفعه أمام عينيها فتزفر بقوة وهي تنتزعه من يده بعنف ..

لكنه يقبض بكفه على كفها فيجذبها نحوه ليهمس جوار أذنها :

_التاني ده تلبسيهولي أنا !

يحمر وجهها من جديد خجلاً لترمقه بهذه النظرة الخائفة التي تغلب سخطها المعهود ..

فيقابلها بنظرته المطمئنة رغم مشاكسة مزاحه :

_يارب بس المقاس يطلع مظبوط ..الواحد مالحقش يعاين كويس!

تكز على أسنانها بقوة وهي تلكمه في كتفه ليعلو صوت ريما من الخارج:

_خلصتوا كلام كبار؟! عايزة أنزل المية !!





_هاطلع لها أنا على ما تقلعي ..

يقولها بمكر ليغمزها من جديد فتشهق بعنف مع جرأة الكلام منه على مسامعها .. ليقول مصححاً ببراءة مصطنعة :

_على ما تلبسي ..حلو كده ؟!

تعيد دفن وجهها بين راحتيها كاظمة غيظها و..خجلها !!

ليكتم هو ضحكة عابثة كادت تنفلت منه وهو يود الآن لو يحتوي ملامحها الخجولة هذه بشفتيه كما يليق ..

لكنه يدرك أن التوقيت ليس مناسباً بعد !!

ليس فقط وجود ريما لكنه شعوره بهذا الحاجز اللامرئي بينهما ..

لابد من الصبر ..فهو لا يريد كسرها أكثر !





_هيييييه!! دنيا !! بتاع البرقوق ينتهي به الحال متزوجاً مع إيقاف التنفيذ !! عجبت لك يازمن !

يقولها -لنفسه- ساخراً وهو يخبط كفيه ببعضهما ..

ثم يتحرك ليتوجه نحو الشرفة فيفاجأ بريما واقفة تثرثر مع الجارة في الشرفة المجاورة :

_أنا هنا مع مامي وأنكل إسلام...هم دخلوني هنا عشان يتكلموا كلام كبارماينفعش أسمعه ..أنكل إسلام ده عسول قوي ..و..

تقطع عبارتها لتقترب برأسها الصغير من المرأة عبر الحائط بين الشرفتين مكملة

كلامها :

_وبيحب الستات الكيرفي !

_ريما!!!




يهتف بها بحرج وضحكات المرأة العالية تصله بوضوح ليقترب منهما فيشد الصغيرة نحوه ليرمق المرأة بنظرة عابرة محرجة..

لكن الأخيرة حدجته بنظرة طويلة خاصة يعرفها -من مثيلاتها- بحكم خبرته لتقول بصوت ممطوط وبرقة مصطنعة :

_عسولة قوي البنت .

_شكراً .

يقولها باقتضاب وهو يغلق باباً يعلم أنه لو أراد فتحه فلن يردّ في وجهه !

لكنه حقاً لم يعد يرغب في الزلل ..

مع أن هذه المرأة بالذات تبدو بذوقه الخاص ..

"جامدة"!

يقولها لنفسه مقيّماً ببراءة حقيقية بعيدة عن أي غرض!





_كيرفي قوي طنط دي !!

تقولها الصغيرة فجأة ببراءة لتضحك المرأة ضحكة عالية مثيرة فيتحرك

بالصغيرة ليدخل بها ويغلق باب الشرفة بإحكام في حركة ذات مغزى ..

_أنا جاهزة .

تقولها نشوى بخشونة خلفه ليبتسم وهو يقترب منها متأملاً إياها بنظرة متفحصة أشعلتها ..

قبل أن يميل على أذنها هامساً :

_أفهم من كده إنك هتقبلي بقية الهدايا ؟!





زفرت بنفاد صبر وهي تتجاهل الرد لتسحب الصغيرة منه نحوها هاتفة :

_ياللا يا ريما ..مش كنتِ مستعجلة ننزل المية ؟!

فيضحك ضحكة مشاكسة وهو يتناول كف الصغيرة الآخر لتسير بينهما ..

قبل أن يميل على أذنها هي من جديد هامساً بعبثه المغيظ :

_بتعرفي تعومي طيب ..واللا ..أعلمك ؟!

وغمزته الآسرة من جديد تواجه نظرتها الساخطة فتطفئها ..وتشعلها!!

========

_زهقت م البيسين ..عايزة أروح البحر .

تهتف بها ريما بحماس طفولي بينما

ثلاثتهم في حمام السباحة لترد نشوى بحزم رافض:

_ولازمته إيه الرمل والتلزيق ..البيسين هنا أنضف وأأمن .

_عايزة أروح البحر يا أنكل !

تتجاهل الصغيرة أمرها لتتوجه بحديثها نحو إسلام الذي تنحنح بحرج ليحاول إقناع نشوى بقوله :

_اللي مامي تقول عليه يتنفذ ..

ثم مال على نشوى هامساً :

_مافيهاش حاجة لما نروح ..هانزل معاها .

_لأ ..قلت لأ ..

تهتف بها بعصبية لترمقها الصغيرة بنظرة غاضبة هاتفة :

_هناك أمان برضه ..أنكل هيبقى معايا .





كلماتها تشعر نشوى بالمزيد من الخوف من تعلقها بإسلام إلى هذا الحد لتهتف بها بصرامة وهي تجذبها من كفها نحو سلم الخروج :

_الكلمة تتقال مرة واحدة وتتسمع ..كفاية كده النهاردة .

تقولها وهي تتحرك بالصغيرة ليغادرا حمام السباحة فيلحقهما إسلام ليصعد نحوهما حيث جلستا على المقعد الطويل المجاور لحوض السباحة وشرعت نشوى في تجفيف جسد الصغيرة الغاضبة ..

فتناول منشفة قريبة ليضعها فوق نشوى قبل أن يبدأ في تجفيف جسدها بنفسه !!





حركته البسيطة تمنحها شعوراً حميمياً دافئاً قاومته كعهدها وهي تلتفت نحوه بنظرة حادة قابلها بتفهم كعهده ..

قبل أن يشير بكفه نحو الكافيتيريا القريبة الخاصة بالمشروبات فيقول مخاطباً ريما :

_سويتي ريما تروح تجيب عصير ؟!

التفتت نحوه ريما ببعض الحماس الذي أطفأته نشوى بقولها الحازم:

_ريما مابتروحش في حتة لوحدها ..أنا هاجيب لها .

قالتها وهي تهم بالنهوض لكنه أوقفها بضغطة كفه على كتفها قبل أن يعود لمخاطبة الصغيرة المحبطة قائلاً :

_تحبي تلعبي مع الولاد اللي هناك دول ؟!





_ريما ما بتلعبش مع ناس مانعرفهمش .

تعاود نشوى قولها ليلتفت نحوها بنظرة عاتبة فيما تحركت الصغيرة لتجلس في المقعد المجاور لهما على بعد خطوات مكتفة ساعديها بغضب ..

فجلس جوارها ليهمس لها بخفوت كي لا تسمع الصغيرة :

_طريقتك دي مش كويسة ..التربية مش أوامر وبس ..انتِ كده بتلغي شخصيتها .

_سهل تقول كده وانت بعيد ..أنا بربيها لوحدي ..أنا الأب والأم ..مش هاسمح بأي غلطة ..مش عايزة الناس تقول دي تربية واحدة ست !

تقولها بانفعال احمر له وجهها لينعقد حاجباه بتعاطف وهو يدرك ما عانته ..




في مجتمع كهذا تحمل فيه المرأة وزر فشل العلاقة كاملاً ..

أصابع الاتهام على أهبة الاستعداد لتشير في وجهها عند أي خطأ معلنة فشلها كأم ..كما فشلت كامرأة !

ربما هذا يفسر الضغط الرهيب الذي ترزح تحته ويجعلها تتعامل مع الطفلة بهذه الطريقة الصارمة !!

_طنط ال"كيرفي"!!

تهتف بها ريما فجأة مشيرة في اتجاه ما ..

ليلتفت إسلام فيجد جارتهم تقترب منهم بثوب بحر من قطعة واحدة لا يكاد يستر من جسدها شيئاً ..

_مساء الخير يا ريما!

تقولها المرأة بود مبالغ فيه لتقوم إليها الصغيرة فتحتضنها بقوة هاتفة :





_المايوه بتاعك حلو قوي .

_انتِ اللي حلوة موت!

تقولها المرأة بغنج وهي تقبل الصغيرة

بدلال مبالغ وعيناها معلقتان بإسلام الذي أشاح بوجهه ..

فيما انتفضت نشوى مكانها لتهتف بها بخشونة :

_مين حضرتك؟!

_دي جارتنا في الأوضة ..شفتها في البلكونة .

تهتف بها ريما بعفوية لكن هذا لم يخفف من انعقاد حاجبي نشوى وهي تلاحظ نظرات المرأة لإسلام بينما تصافحها هي بقولها:

_بنتك لذيذة جداً ..مابطلتش كلام عنك انت وخالها في البلكونة !

_انكل إسلام مش خالي ده جوز ماما !





هتفت بها ريما بعفوية لتتغير ملامح المرأة للحظات قبل أن تغمغم بارتباك :

_آسفة ..لما قالت أنكل إسلام افتكرت ..

_مش فارقة !

هتفت بها نشوى بفظاظتها مقاطعة ليحمر وجه المرأة حرجاً قبل أن تغادرهم بكلمات مقتضبة ..

تلاحقها نظرات إسلام المتسلية !

ولم تكد تفعل حتى جذبت نشوى ريما من كفها هاتفة بها :

_مش قلنا ما نكلمش حد مانعرفوش ؟! انتِ ما بتفهميش ؟!

دمعت عينا الصغيرة بقهر لتردف نشوى بعصبية :

_اقعدي "نوتي" ع الكرسي اللي هناك ..ماتكلمينيش النهاردة خالص .





أطاعتها الصغيرة بملامح متجهمة وهي تعود لجلستها المتباعدة فيما عاودت نشوى جلوسها جواره لترمقه بنظرة حارقة جعلته يميل عليها هامساً :

_تصدقي إني شامم ريحة الشياط من عندي هنا ؟!

يغمزها بها كعهده ليرتجف جسدها

بالغضب ..وبشعور آخر لم تفهمه ..

هل هو خوفها على ابنتها من الغرباء؟!

أم هو شعورها بالضيق من نظرات المرأة المفضوحة له هو ؟!!

_غيرانة يا بيضا؟!

يعاود غمزها بها لتستشيط ملامحها

بالمزيد من الغضب وهي تهمس له من بين أسنانها :





_ما تستفزينيش ..أنا ماسكة نفسي بالعافية .

_أنا ماعملتش حاجة .

يهز بها كتفيه ببراءة مصطنعة لترد هي بسخرية عصبية :

_أيوة أيوة بريئ ومستقيم وعمر عينك ما راحت لواحدة ست ؟!

_أنا يا بنتي؟!

يقولها بتهكم ليردف بضحكة لم تفهمها:

_ده أنا بتاع برقوق و"صايع" قديم !

ترمقه بنظرة استهجان وهي تهم برد عصبي لكنها فوجئت بالصغيرة تعود إليها لتقول بملامح متجهمة :

_زهقت ..هاتي موبايلك ألعب .





_قلنا الموبايل ساعتين بس في اليوم ..مفيش موبايل !

هتفت بها نشوى بنبرتها الآمرة لترمقها الصغيرة بنظرة حادة تشبه نظرتها هاتفة :

_خلاص أنزل البيسين .

_لأ .

_كل حاجة لأ!

تهتف بها الصغيرة بغضب طفولي لتعطيها ظهرها ثم تعدو بعناد مبتعدة بمسافة كبيرة نوعاً نحو حوض السباحة ..

لكنها بدلاً من أن تلقي نفسها في ذاك المخصص للأطفال غطست بسرعة في الآخر المخصص للكبار !




شهقت نشوى بجزع وهي تقفز مكانها ليعدو إسلام بسرعة نحو هناك ويلقي نفسه في الماء خلفها ..

بضع دقائق مرت كدهور عليها وهي تراهما يظهران أخيراً وقد حمل هو الصغيرة على ذراعيه إنما وجهها بدا وكأنه قد غابت عنه الحياة!

=========

_جت سليمة !

يغمغم بها إسلام وهو يربت على وجنة الصغيرة النائمة على الفراش وقد استلقى جوارها فيما





وقفت نشوى مكانها جوار الفراش مشبكة كفيها بتشنج أمام وجهها ..متجمدة الملامح كما كانت منذ رأت ما حدث ..

بالكاد تتذكر تفاصيل إنقاذها وهذا الطبيب الذي جاء ..

تتذكر نظرة الصغيرة العاتبة لها عندما أفاقت ورفضها لحضنها ..

وتتذكر هذا البرد الذي لايزال يسري في عروقها وهي تتصور ماذا لو لم يكن هو قد أنقذها !!

الصدمة التي لا تزال تقتات على ملامحها تثير قلقه فينهض من جوار الصغيرة ليتوجه نحوها ثم يربت على كتفها قائلاً:

_الدوا اللي خدته هينيمها للصبح ..ماتخافيش .





تلتفت نحوه بنظرات زائغة لتتمتم والصدمة لا تزال تصبغ كلماتها :

_كانت هتروح مني !

يناظرها بقلق حقيقي وهو يحاول إخراجها من حالة الصدمة هذه ليقول لها ساخراً:

_جت تعند معاكي آذت نفسها ..مابتفكركيش بحدّ كده برضه العند مضيّعه ؟!!

ترفع عينيها الزائغتين نحوه من جديد وكلماته على بساطتها تجلدها !!

تشهق شهقة عالية بدت وكأن روحها فيها تستغيث ..

قبل أن تنخرط فجأة في بكاء هستيري فيجد نفسه دون وعي يجذبها ليضمها بين ذراعيه بقوة وقد انعقد حاجباه





بالمزيد من القلق!

يشعر بجسدها ينتفض بين ذراعيه فينتفض قلبه مثله وهو يدرك بماذا تشعر ..

_أنا خايفة ..أنا خايفة ..أنا خايفة ..

لاتزال تكررها بهستيريا ليعتصر جسدها بين ذراعيه وهو يتخلل شعرها بأنامله محاولاً تثبيت رأسها المهتز على صدره بينما هي تغمغم بين دموعها كالمغيبة :

_أنا ماكنتش كده ..كنت بطلت أبقى كده ..كنت خلاص وقفت على أرض ثابتة ..إيه اللي خبطني تاني على دماغي؟! حياتي بتضيع ..بنتي بتضيع ..عشان أنا غبية ..غبية وبغلط نفس الغلطة تاني ..بعند معاه واللا مع نفسي ؟! برمي عمري بإيدي تاني لراجل ما أعرفوش ؟! ريما





زعلانة مني ..وأنا كمان ..أنا كمان زعلانة
مني ..أنا فاشلة ..لا نافعة أم ولا نافعة ست ..

كلماتها كانت مشوشة ..مبعثرة ..تفتقد
لأي ترتيب ..

لكنه كان يتفهم كل هذا التيه الذي تعيشه بعد ما
تعرضت له !

لهذا لم يقاطعها بكلمة مكتفياً باستنباط ما يرويه
هذيانها عن خباياها ..

_أنا خايفة ومش عارفة أروح فين ..لو كنت
لوحدي كنت هربت ..اختفيت ..لكن
ريما ..ريما ..ريما كانت هتضيع بسببي .

يغمض عينيه بألم وهو يستشعر هذا الوجع القاهر
الذي تخفيه خلف قشرة تنمرها وعصبيتها ..





يربت على ظهرها برفق وهو يتمنى لو يملك عصا الساحر التي يمكنها أن تحيل كل ألمها هذا إلى راحة ..بل إلى فرح !

يتمنى لو يبقى صامتاً مستكيناً بعناقها هذا للأبد ..

لكنه يعلم أنها الآن تحتاج كلامه أكثر من صمته !

_انتِ عارفة إنك شبهي قوي؟! زمان كنت زيك كده ..أول ما أتزنق أهرب ..أهرب لأي حاجة صح أو غلط مش مهم ..لحد ما اتعلمت إن ده ما ينفعش ..إني لازم أقف ..أواجه ..أحلّ .

يهمس بها بجدية فاضت بحنان طوقها قبل ذراعيه مردفاً :

_انتِ ليه بتخلطي الأمور ؟! مشكلتك مع ريما مالهاش دعوة بمشكلتك مع ناصر..ومالهاش دعوة





بمشكلتك مع الناس ..مشكلتك مع ريما إنك عايزة تمشيها زي الكتاب ما قال بس مش عارفة توصلي لبدايل مناسبة للحاجات اللي مانعاها عنها ..فالبنت حاسة إنها في سجن ..انتِ صح ..صح جداً ..بس صح ناقص حاجات كتير تكمله ..حاجات هساعدك نكملها سوا ..

بدأت تستعيد بعض إدراكها لتركز قليلاٌ في كلامه ..

لكن ذهنها بقي مشوشاً وهي تعاود رفع عينيها الزائغتين نحوه ..

ليقابلها بابتسامة حانية مستطرداً:

_مشكلتك مع ناصر بقا إنك عملتيه "التارجت" بتاعك من زمان ..طبيعي تحسي إنك فاشلة مادام ماحققتيش التارجت الوهمي بتاعك ..لكن قصاد ده ..لو كنتِ حسبتيها صح كنتِ عرفتِ انك حققتِ ألف تارجت أهم منه ..مش هاقوللك نجاحك ..شغلك ..المصنع ..





وقفتك جنب أشرف ..مش هاقوللك بنتك وكونك قمتِ معاها بدور الأم والأب ..لكن هاقوللك أهم تارجت حققتيه إنك ماوقفتيش حياتك عشان وقعتِ مرة ..

بالعكس ..قمتِ وكملتيها للأحسن ..بس انتِ طبعاً دلوقت مش شايفة كل ده لأن "التارجت" الوهمي بتاع زمان رجع يفكرك بخسارة ..خسارة لو فكرتي كويس هتلاقيها كانت مكسب !

كانت تستعيد المزيد من صفاء ذهنها

بالكاد لكن كلماته البسيطة بهذه اللهجة التي تمزج عمليته بحنانه كانت تنغرس داخلها غرساً ..

كأنما تنحفر على جدار روحها ..

_نيجي بقا لمشكلتك مع الناس ..نظرتهم للمطلقة اللي مستنيين لها غلطة ..صدقيني ..دي مالهاش





حل غير إنك تطنشي ..نفس الناس دول هم اللي هيسقفوا ويحسدوكي أول ما تنجحي ..

آهة ألم حقيقية تنفلت من شفتيها وهي تشعر برأسها يكاد ينفجر ..

روحها لم تكن أكثر وهناً من جسدها الذي كان شديد الهشاشة الآن بين ذراعيه ..

خاصة وهو يحافظ على احتضانه لها بأحد ذراعيه بينما امتدت أنامل الآخر تمسح عنها دموعها برقّة ليصلها همسه المشاكس ..إنما أكثر دفئاً ..أكثر تأثيراً :

_فاضل مشكلة واحدة ..للأسف معنديش لها حل ..مشكلتك معايا أنا ..

تغمض عينيها بألم لم تخففه لكنة مزاحه الخفي بعدها :





_اتدبستي فيا واللي كان كان ..

يهمس بها مشاكساً وعيناه تتعلقان بشفتيها اللتين زادهما البكاء احمراراً لتبدوان له كثمرة شهية تشتهي القطاف !

أنفاسه تزداد تلاحقاً وهو يشعر -لتوه- بجسدها بين ذراعيه يلهب حواسه ..

ملمس منامتها الحريري يشعله أكثر فيعود لعناقها إنما بشعور أكثر حميمية هذه المرة ..

تشعر بعزف أنامله التي انسابت بخفة ناعمة تحت قميص منامتها فينتفض جسدها منتظراً "خيبة اختباره" !!

هي لن تكون "أنثى" إلا لرجل منحته قلبها منذ سنوات ..




أقفال جسدها لن تستجيب إلا لشفرته ..

أي رجل عداه سيكون مجرد ..

مجرد ..

أفكارها تذوب ..

تتلاشى ..

تمتزج مع وهن جسدها لتسحبها في دوامة عميقة تستسلم لها دون وعي ..

تستسلم؟!

نعم ..تستسلم!

فيما يكاد هو يبتسم وهو ينتزع استجابتها ..

برودها المبدئي لم يخدعه ..بل استنفر كل خبراته كي يشرع في اقتحام حصونها ..

لم تكن سابقته الأولى في النساء بطبيعة الحال ..لكنها كانت أول مرة يفعلها دون تأنيب ضمير ..





دون شعور بإثم الوزر ..

ليس هذا فحسب ..

بل إنـها المرة الأولى التي يشعر فيـها

بالتحام قلبه مع جسده ..

بـهذه الخفقة الخاصة ..

الخاصة جداً ..والتي لم ينبض بها من قبل لامرأة سواها !!

لكنـها أوقفت كل هذا فجأة وهي تدفعه برفق أخيراً لترفع إليه عينين مذهولتين !

هذا الشعور الذي اختبرته معه -لتوها-يزلزلـها وهي تجربه لأول مرة !

هي استجابت لقبلاته !!





لم تنفر منه كزوجها السابق!!

هي ليست باردة ..

ليست فاشلة ..

ليست ناقصة ..

هي كذلك ..

دون "ناصر"!!!

أنفاسها تشاركه التراقص فوق حافة الجنون لتستعيد وعيها كله فجأة كأنما صفعتها يد خفية على وجهها !

الذهول في عينيها يتحول لإدراك ..

ثم لحيرة ..

ثم لخوف ..

خوف جعلها تتراجع عنه بضع خطوات لتعيد ضبط ملابسها قبل أن تشيح بوجهها لتتحرك نحو





الفراش الذي استلقت عليه جوار الصغيرة وقد رفعت عليها غطاءها حتى رأسها !!

فيما بقي هو مكانه واقفاً يناظرها بتفهم لم يخلُ من غيظ !!

لم يسبق له أن رفضته إحداهن هكذا وتركته وسط الطريق!!

لكنه يتفهم هذا التيه الذي تخوض روحها في شعابه ..

ويتفهم كذلك طول الطريق أمامهما !

لهذا زفر زفرة مشتعلة وهو يتحرك نحو الشرفة التي فتح بابها ليسحب نفساً عميقاً سامحاً للهواء البارد أن يطفئ براكينه ..

قبل أن ترتسم على شفتيه شبه ابتسامة وهو يستعيد مذاقها بين شفتيه ..





مذاقاً لم تشبهها فيه امرأة سواها ...

أبداً ..أبداً ..!!

تماماً كما توقع !!

هي ثمرة التين الشوكي خاصته ..تلك التي تبدو بقشرتها مؤذية منفرة لكن مذاقها الحلو يشفع لمن يعشق!!

ابتسامته تتسع ..تتحول لضحكة قصيرة وهو يرفع عينيه للسماء يطالع نجومها بغرابة ..

يقولون إن الأشياء تتغير في عيوننا عندما نعشق ..

تصير أكثر جمالاً ..أشد عمقاً ..وأبلغ تأثيراً ..

الآن فقط يمكنه الاعتراف ..أنه ..يحبها !





تنهيدة حارقة تغادر حلقه وهو يشعر بحاجته للبوح ..

بل للصراخ ..

يحتاج من يخبره ..

يتناول هاتفه من جيب سروال منامته ليصدمه الوقت المتأخر لكنه لم يتردد عن إرسال رسالته ..

_أنا حبيت يا سيدنا .

صوت الرسالة يقلق سيف من نومه فينهض ليقرأها بجزع لأول الأمر قبل أن يبتسم لا إرادياً وهو يميز محتواها ليرد :

_لسه جاي تعرف دلوقت ؟!





يرسل له إسلام ذاك "الوجه المعبر بضحكة "
ليكتب له سيف وهو يتثاءب:

_روح نام يا إسلام واصحى حب براحتك الصبح في النور !

يضحك إسلام ضحكة عالية تشاركها مع صديقه مكانه رغم كل هذا البعد ..

قبل أن يتنهد بحرارة وهو يعود للداخل ..

يراقبها عن بعد وقد تكور جسدها كله تحت الغطاء حتى رأسها..

فتلتمع عيناه بوهج دافئ وهو يقترب منها لا إرادياً كأنما تجذبه بقوى غير مرئية ..

يشعر بحركتها الطفيفة تحت الغطاء فيدرك أنها لا تزال متيقظة ..

ولا تزال خائفة !





ينحني نحوها ببطء ثم يرفع عنها الغطاء فجأة فتشهق بقوة لتقابلها عيناه العابثتان جداً ..

الدافئتان جداً جداً ..

والمطمئنتان جداً جداً جداً ..

تعض شفتيها المرتجفتين بترقب وهي تعاود إغماض عينيها محاولة رفع الغطاء عليها من جديد لكنه يتشبث به بقوة مانعاً إياها ..

قبل أن يميل عليها مستنفراً كل مشاعرها ليهمس أخيراّ في أذنها :

_تصبحي على خير ..يا جبانة !

يرفق لفظته الأخيرة ب"عضّة"رفيقة لطرف أذنها فيرتجف جسدها كله ..

لكنه يعاود تغطيتها بنفسه هذه المرة سامحاً لرأسها بالظهور..





_ما تغطيش وشك ..مش اتفقنا ..ماعدناش هنهرب؟!

سؤاله ينتهي بغمزته الشقية كالعادة والتي حملت لها مغزى مختلفاً هذه المرة ..

لتراقبه عيناها المتسعتان وهو يتحرك للطرف الآخر من الفراش الذي استلقى فوقه ..

ظلت متجمدة مكانها لدقائق لم تدرِ عددها قبل أن تتنهد وهي تستدير على جانبها لتمد ذراعها نحو الصغيرة بينهما فتحتضنها ..

هنا استدار هو الآخر على جانبه ليمد ذراعه كذلك فيضعه فوق ذراعها على الصغيرة وعيناه تحملان لها رسالة واضحة لا تقبل التأويل ..

=========





أفاقت من نومها على صداع رهيب لتفتح عينيها فتفاجأ بنومتهما هذه وقد وضع ذراعه فوق ذراعها ..

لتتسع عيناها بارتياع وهي تزيح ذراعه عنها وعن صغيرتها التي بدت مستغرقة في نومها تماماً ..

نهضت مكانها لتتلفت حولها في الغرفة بتشتت قبل أن تنتبه لما ترتديه ..

منامة حريرية بلون وردي ..

وردي؟!!

من صغرها لا تحب هذا اللون أبداّ!!

متى لبست هذه ؟!!





الصداع يزداد وهي تستعيد بغتة ذكريات الليلة الفائتة ..

ابنتها ..الغرق ..الطبيب ..

وما بعد هذا مشوش في ذهنها تماماّ كأنه حلم !!

تعقد حاجبيها بشدة وهي تغادر الفراش نحو الحمام القريب الذي وجدت فيه أماناً مؤقتاً بعزلة عن الخارج ..

طالما عشقت الأماكن المغلقة ..

"الأمان" لديها يتمثل في "تكّة مفتاح" يعزلها عن العالم الخارجي بكل ما يثيره من خوفها ..

تتأمل شكلها في المرآة ..

عينيها المنتفختين ..

شفتيها المتورمتين ..





وجهها الشاحب ..

لكن نظراتها تنسحب لجسدها الذي بدا لها شديد الروعة في منامتها هذه ..

تراه يراها بهذه الروعة حقاً ؟!

لكن ..هل تهتم حقاً بما يراه ؟!

تتنهد بحرارة وهي تخلعها لتتوجه نحو حوض الاستحمام لتسمح لشلال الماء البارد أن يغمرها ..

هنا فقط تغزوها ذكريات ليلتها السابقة كاملة ..

تتسع عيناها بالمزيد من الارتياع وهي تتذكر عناقه ..

عزف شفتيه مع لمساته ..

بل والأدهى ..استجابتها هي له !

هل كان هذا حقيقياً ؟!!





تتأوه بقوة والألم في رأسها يكاد يفقدها صوابها فتخرج سريعاً لتعاود ارتداء

ملابسها قبل أن تخرج بحثاً عن دواء ..

_يا صباح العسل!

يهتف بها خلفها ليجفلها فتلتفت نحوه ببعض الحدة هاتفة باستنكار :

_إيه صباح العسل دي ؟! احنا فين هنا ؟!!

لكنه يضحك ضحكة عالية رائقة وهو يتقدم منها ليضمها نحوه فجأة بأحد ذراعيه متجاهلاً مقاومتها ..

قبل أن يغمزها هامساً بنبرته العابثة :





_انتِ عسل ..وأنا عسل ..واحنا هنا بنقضي شهر العسل ..يبقى صباح العسل ..جداً ..يعني ..

كلماته تنقطع ببطء مدروس وهو يقترب بشفتيه منها لتحاول الابتعاد بوجهها لكنه يقتنص قبلة خاطفة لشفتيها تجعلها تهتف بحدة :

_كنت عايزة أتكلم معاك قبل ما البنت تصحى .

_عنيا !

يغمزها بها كعهده لتزفر بنفاد صبر وهي تتحرك به نحو جانب قصيّ من الغرفة لتجلس على الأريكة هناك ..

فيجلس هو جوارها ..

تطرق برأسها للحظات يحتملها صابراً قبل أن تشبك أناملها لتغمغم بخفوت :




_الكلام اللي هاقوله ده صعب على أي ست تقوله ..بس أنا ..آه ..

تقطع عبارتها بآهة ألم حقيقية وهي تمسد رأسها ليقف هو قائلاً بحنان طغا على عبثه المعهود :

_شكلك مصدعة وكنتِ بتدوري على مسكن ..حالاً هاجيبهولك .

رمقته بنظرة طويلة متوجسة وهي تراه يبتعد ليعود حاملاً الدواء مع زجاجة لبن محلى خاصة بالصغيرة هاتفاً:

_ماتاخديش مسكن على معدة فاضية ..خدي ده مؤقتاً .

تهز رأسها فيما يشبه الشكر وهي تتناول بعض اللبن لتتبعه بالدواء قبل أن تضع ما بيدها جانباً لتعود لجلستها متشابكة




الأنامل ..

فيشجعها بقوله ..

_كملي ..كنتِ بتقولي إن اللي عندك صعب على أي ست تقوله ..

ترفعِ إليه عينيها بتشتت وهي تحاول البحث عن كلماتها ..

ماذا عساها تخبره ؟!

أنها لا تريد بيع جسدها من جديد لرجل لا تحبه ..

أنها لن تعيش هذا الجرح مرتين ..

أنها مجرد آلة باردة لن ترضي سيدها ..

كان هذا الأمر سهلاً جداً قبل الأمس ..

لكنها لا تستطيع تجاهل هذه المشاعر التي تذكرتها ..

هي ليست معطوبة كما تظن ..





لكن ..هل تريد الاستمرار حقاً ؟!

هل تريد المزيد ؟!!

_أنا مش عايزة الجوازة دي .

تقولها بخشونة مفاجئة ليبتسم وقد أدرك أن الجانب"الشوكي" هذا يخفي خلفه الكثير من العاطفة ..

لهذا تناول كفها في راحته ليقول ببطء واثق:

_بس أنا عايزها .

_أنا ..مش ..

تهتف بها بانفعال وهي تنتزع كفها منه لتتوه منها كلماتها من جديد ..

لكنه كان يتفهم ما لم تجرؤ هي على البوح به ..





يتنهد بصبر قبل أن يعود ليتناول كفها عنوة في راحته ثم يهمس لها وهو يغرس نظراته في عينيها غرساً :

_أنا لفيت ودرت كتير قوي ..عرفت ستات بعدد شعر راسي ..مش محتاج مجهود كبير عشان أفهم نفسي دلوقت..عشان أعرف إني عايز أكمل عمري معاكي ..انتِ ..بالذات ..مش مستعجل على أي حاجة ..خللينا ناخدها واحدة واحدة .

في واقعة أخرى كانت لتصفه بالكذب ..

كانت لتسخر منه ..

لكنها الآن كانت عاجزة عن كليهما ..

لهذا أغمضت عينيها بقوة هاربة كعهدها :

_أنا ماعرفش قصدك إيه م الجوازة دي ..ولا ناوي على إيه ..بس أنا آخر ست ممكن تعجب واحد زيك ..أنا عصبية ..مقفلة ..خلقي





ضيق ..عندية ..مش شايلة همي لوحدي ..شايلة حمل طفلة معايا ..

_وأنا مستفز ..مندفع ..هوائي ..بارد أحياناً ..والدي سايب لي فضيحة وماضي منيّل بستين نيلة ..كنت فلاتي وبتاع ستات بس ربنا تاب عليا ..كده نبقى خالصين؟!

يقولها مقلداً لكنتها لتهز رأسها بقوة لكنه يمد أنامله الحرة ليداعب أنفها بسبابته بخفة مردفاً :

_افتحي عينيكي ..اتفقنا ماعدناش هنهرب .

_ماتقولش "اتفقنا" دي بتعصبني..احنا لا اتفقنا ولا هنتفق !

تهتف بها بانفعال ليضحك ضحكة عالية طويلة استفزتها أكثر لتنتزع كفها منه مردفة :





_مفيش فايدة فيك ..مش عارفة أتكلم معاك كلمتين جد على بعض .

_ماهو مش ده الجد اللي بيجيب معايا !

يغمزها بها بعبث لتلطم وجهها بكفيها في يأس فيضحك من جديد بتسلية قبل أن يقول مدعياً الجدية :

_طب نتفق اتفاق ؟!

ترمقه بنظرة مترقبة ليرد بغمزة جديدة :

_كل حتة سكر بكلمتين جدّ .

يرفق عبارته بقبلة خاطفة لشفتيها فتشهق وهي تبتعد عنه لتهب واقفة مع هتافها:

_مفيش فايدة ..أقسم بالله مفيش فايدة ..عاهة وابتليت بيها ..انت ..انت ..




تلوح بكفيها في وجهه بعصبية يقابلها بتراقص حاجبيه المشاكس مع رده :

_طب بتلات كلمات !

تسمع صوت ريما فترمقه بنظرة ساخطة وهي تعود لصغيرتها هاتفة بعصبية :

_مفيش فايدة ..مفيش فايدة ..

_خد بس يا سعد باشا أقوللك .."الغرام أخد وعطا"!

يهتف بها وهو يلحق بها ليختفي العبث من نظراته وهو يرى عناقها الباكي لريما ..





يقف مكانه للحظات محترماً مشاعرها قبل أن يقرر التدخل ليهتف بالصغيرة وهو يفتح لها ذراعيه :

_حبيبة بابا !

_بابا ؟!!

تسأله الصغيرة بمزيج من فرحة وحيرة لتلتفت نحوه نشوى بنظرة حادة ..

لكنه يتجاهل الأخيرة تماماً وهو يتقدم نحو الصغيرة التي اندفعت نحوه لتعانقه بقوة هاتفة :

_بجد ؟! هاقوللك بابا ؟! هتبقى بابا ؟!

فيقبل وجنتها بقوة ليمسد شعرها بأنامله قائلاً بحنان :

_هو مش بابا ده اللي بيخاف علينا ؟! أنا خفت عليكي امبارح قوي ..مش هو اللي بيفسحنا ويجيبلنا كل اللي احنا عايزينه ؟! أنا هاعمللك





كده ..مش هو اللي بنسمع كلامه عشان هو فاهم مصلحتنا ؟! ممممم...دي بقا انتِ اللي تردي عليها .

_أيوة ..والله ..هاسمع كلامك كله ..

هتفت بها الصغيرة بحماس ليضحك وهو يعاود تقبيلها هاتفاً :

_يبقى بابا أنا واللا مش بابا ؟!

_أحلى بابا !

تهتف بها الصغيرة بفرحة حقيقية زلزلت أعماقه بصدقها ليبتسم لها هامساً في أذنها بخفوت:

_لو أقنعت مامي ننزل البحر ..تسمعي بقية كلامها كله .

_كله !

هتفت بها بصوت عالٍ مفاجئ لتسألها نشوى بتوجس:

_بتقولوا إيه ؟!




رمقته الصغيرة بنظرة حائرة ليقبل جبينها ثم ينزلها أرضاً قائلاً :

_ادخلي الحمام الأول واغسلي وشك عشان ننزل نفطر .

أطاعته الصغيرة بسرعة تعجبت لها نشوى التي تكاد تقبل قدمي الصغيرة كل يوم كي تقنعها بتناول الإفطار ..

ليقترب هو منها قائلاً :

_لو فاكرة كلامنا امبارح ياريت توافقي ننزل البحر النهاردة ..

ظهر الرفض على محياها خاصة وهي تتذكر مشهد الصغيرة وإجهادها بعد ما حدث بالأمس ..

لكنه عاد يقول بحزم:





_ماتطلعيهاش نسخة منك ..خايفة من كل حاجة بره الدايرة اللي اترسمت لها ..خلليها تجرب مغامرة بس تحت عينيكي ..

ثم ضحك ضحكة مكتومة ليردف بشرود :

_يمكن دي حسنة فاكرها

لجيلان هانم ..إنها كانت بتسيبنا نجرب بحرية بس وهي حاميانا ..فاكر مرة طلبت منها أروح معسكر تخييم مع أصحابي ..وافقت بسهولة استغربت لها ..بس بعدما رجعت م الرحلة عرفت إنها كانت باعتة ورايا واحد مخصوص يراقبني عشان يتدخل لو احتجته .

اهتزت حدقتاها للحظة وهي تشعر بحديثه عن نفسه يقربها لجانب منه أكثر إنسانية ..

ربما لهذا لانت لهجتها نوعاً وهي تقول:





_شكلك بتعرف تتعامل مع الأطفال كويس .

فابتسم وهو يرد بنفس الشرود :

_فرق السن بيني وبين هيثم كبير قوي ..اتناشر سنة تقريباً ..لما كنا صغيرين ماكنتش بغير منه كالعادة ..

بالعكس ..علموني أكون مسئول عنه ..

ثم ضحك ليقول بنبرة عاد إليها مزاحها:

_يمكن عشان كده مابكرهش في حياتي أد المسئولية ..بس لو شلتها بشيلها صح .

نظرت إليه مأخوذة وهي تشعر أنها تراه لأول مرة ..

هذا الطوفان حوله يجرفها لتيار لا تدري أين يأخذها ..

ليست هي فحسب بل ابنتها كذلك !!





_هه ..هننزل البحر يا مامي؟!

يسألها برجاء مصطنع وهو يضم راحتيه معاً لتعود ملامحها لتنمرها وهي تشيح بوجهها زافرة بسخط ..

قبل أن ترد بعد صمت لحظات :

_أمري لله ..بس لو البنت ...

انقطعت عبارتها بشهقتها وهي تشعر به يجذبها نحوه فجأة ليحتل شفتيها أقسى احتلال ..

وأرق احتلال!!

صدمتها تجمدها للحظات قبل أن تشعر بوجيب صدرها يتعالى ..

كطفلة تمد قدمها مستكشفة في الماء البارد ..

قبل أن تستعذب العوم فيه !!

هكذا مكثت بين ذراعيه للحظات غابت فيها عن عالمها باقتحام عالمه الخاص ..





قبل أن يعيدها خوفها لأمان "اليابسة"!!

تدفعه عنها ببعض العنف ليبتسم وهو يهمس أمام شفتيها :

_اتفقنا حتة السكر بتلات كلمات جد ..وأنا اتكلمت جد كتير قوي ..لسه ليا عندك باقي !

كلماته تداعب أنوثتها مع حركة أنامله العابثة على وجنتها لكنها تهتف بعصبية وهي تبتعد عن مرمى ذراعيه :

_تاني هتقول اتفقنا؟! قلت لك الكلمة دي بتعصبني !

ضحكته العالية المتسلية ترافق قوله وهو يقرص وجنتها بخفة :

_كده كده هنتفق يا عسل!

=======




تجلس على كرسيها الطويل على شاطئ البحر تراقبه والصغيرة يلعبان جوارها على الرمال بمرح منطلق ..

الصغيرة التي أسعدتها كلمة "بابا" هذه لترددها بمناسبة ودون مناسبة فاضحة فرحتها العارمة بها طوال الأيام السابقة ..

الأيام التي لم يدخر هو فيها جهداً كي يسليها هي والصغيرة بنزهات لم تخطر لها يوماً على بال ..

ربما لو كانت امرأة أخرى لاعترفت أنها قضت هنا مع الصغيرة -ومعه - أجمل أيام حياتها !

هذا يومهم الأخير هنا ..

لا تدري كيف مرت الأيام السابقة بها كحلم صعب التصديق ..





كيف تبدلت حياتها هكذا ليدخل من دخل ..ويخرج من خرج !!

_حلو القصر ده يا بابا ...هنجيبله طباخ ؟!

تقولها ريما بمرح طفولي وهي تراقب معه قصر الرمال الذي بناه لها على الشاطئ ليرد بينما هو منهمك بصنعه :

_طبعاً .

_وخدام ؟!

_طبعاً .

_ورقاصات؟!

_طب...نعم؟!!

انقطعت كلمة "طبعاً" في حلقه مع "نعم" المستنكرة التي أطلقها لتقول الصغيرة ببراءة :

_كل القصور اللي بشوفها في التلفزيون بيبقى فيها رقاصات ..





ثم رفعت رأسها نحو نشوى مردفة بفخر طفولي:

_مامي بتعرف ترقص حلو قوي .

احمر وجه نشوى بخجل ليطلق إسلام ضحكة عالية وهو يغمز الأخيرة هاتفاً:

_لا ده أنا أتفرج عشان أحكم بنفسي!

أشاحت نشوى بوجهها في مزيج من خجل وسخط لتشرد ببصرها ..

هي لم ترقص يوماً أمام رجل حتى زوجها السابق ..

لم تتمنّ فعلها إلا لناصر ..

لا كرغبة غريزية ولا شعور حسيّ ..

إنما ك"مهارة" أرادت استعراضها أمامه ليعترف لها بها!!





ابتسامة مريرة تطوف على شفتيها وهي تتذكر "بدلة الرقص الحمراء" التي اشترتها في الحاجيات التي استعدت بها لزفافهما الذي لم يتم ..

منذ أخبرها أنها رائعة باللون الأحمر وهي أحبته لأجله !!

_والقصر فيه حراس ؟!

تعاود ريما أسئلتها لتنتزعها من شرودها فتعاود الالتفات نحوهما بينما هو يرد ولايزال منهمكاً في بناء قصره ..

_أكيد .

_وظابط؟!

_طبعاً ..

يقولها بعدم تركيز لترد الطفلة ببراءة :





_بلاش يبقى أنكل ناصر عشان مخاصماه ..هو نسيني بسرعة .

عبارتها العفوية تجعل ملامحه تتجهم وهو يرفع عينيه نحو نشوى التي احمر وجهها بانفعال وهي تصرخ بالطفلة :

_انتِ تنسيه خالص وماعدتيش تجيبي سيرته ..فاهمة ؟!

تنكمش ريما على نفسها وهي تقترب بجسدها من إسلام الذي أنهى بناء قصره ليتجاهل الأمر وهو ينهض ليقف قائلاً للصغيرة بحنان :

_العبي حواليه بس بالراحة ..عشان مايقعش .

تهز الصغيرة رأسها مطيعة والقصر الرملي ينسيها صراخ أمها فتنشغل





باللعب حوله ..

فيما يقترب هو من نشوى ليجلس على الكرسي جوارها ..

ترمقه بنظرة متحفزة وقد تهيأت لأن يعاتبها على صراخها بالصغيرة لكنه فاجأها عندما أمسك كفها بين راحتيه لينحني بجسده للأمام مقترباً منها بهمسه الخافت :

_تحبي تنزلي المية معايا ؟!

_لأ!

تقولها قاطعة ليهمس لها باستسلام :

_على بركة الله .

ترمقه بنظرة متوجسة فتاريخه مع هذه العبارة لا يحمل لها خيراً ..

وقد صدق ظنها عندما فوجئت به يسحبها من ذراعها بقوة فيوقفها لتصرخ بدهشة قبل أن




يحملها بين ذراعيه ليتوجه به نحو البحر عدة خطوات ..

ويلقيها هناك !!

صرخت عدة صرخات قصيرة وبرودة الماء تصدم جسدها للحظات فتحرك ذراعيها محاولة استعادة توازنها ..

قبل أن تشعر بذراعيه حولها يطوقان خصرها وهو يضمها نحوه هامساً :

_ما انتِ حلوة أهه ..ده أنا قلت هتغطسي ومش هلاقيكي تاني !

يقولها بنبرته المشاكسة لتشهق وسط أنفاسها اللاهثة ولا يزال جسدها مصدوماً ببرودة الماء ..

_انت ..انت ..مجنون ..إزاي تعمل كده ؟!





كلماتها تنقطع بشهقاتها اللاهثة فيضحك ضحكة قصيرة قبل أن يضمها نحوه بقوة أكبر ليلصقها به هامساً وهو ينظر في عمق عينيها :

_وهافضل أعمل كده طالما مصرّة تغمي عيونك الحلوين دول وما تشوفيش حواليكي كويس .

جسدها يرتجف من جديد ليس برداً هذه المرة ..

إنما هو تأثرها بهذه النظرة في عينيه اللتين تتبين لونهما لأول مرة ..

وقد التمعتا في الشمس لتبدوان بلون بنيّ جذاب !

ليس لونهما فحسب ..بل هذه العاطفة الصادقة التي تتوهج كشمس أخرى فيهما ..

وهذا المغزى الذي حملته كلماته !

_أيوة ..هي عافية! ..الناس اللي زيك ما بيجوش غير كده ..ققش!





لايزال همسه المشاكس يناقض حنان هذه النظرة في عينيه والتي بدت لها في هذه اللحظة وكأنها تمنحها وعداً غير منطوق !!

_مامي ..بابا ..استنوني !

تهتف بها ريما وهي تعدو إليهما ليقترب إسلام منها ثم يفرد ذراعيه ليصنع من أذرع ثلاثتهم دائرة ..

قبل أن يتوغل بهم نحو الداخل ..

_موووجة !

تهتف بها ريما بسعادة وهي تتشبث بكفيها في كفيهما ليهتف هو بها :

_قلنا نعمل إيه لما الموجة تقرب؟!

_ننط فووووق!




تهتف بها ريما بمرح وكلهم يقفزون ولايزالون مشبكي أكفهم معاً لتتعالى ضحكات الصغيرة مع إسلام ..

المشهد يتكرر عدة مرات ..

فتجد نشوى نفسها دون وعي تبتسم وكأنما أخذت هدنة مؤقتة من هذا الصراع الذي تحياه ..

======

_مامي ..حطيلي كريم الشمس ..ظهري بيحرقني .

تهتف بها الصغيرة عقب خروجهما من الماء لتطيعها نشوى بشرود وهي تدهن لها ظهرها ..

قبل أن تجده يجلس على كرسيها ليعطيها ظهره هاتفاً :

_وأنا كمان يا مامي .





ترتبك للحظات فتحفزها الصغيرة بهتافها اللحوح لتمد أناملها أخيراً فتدهن له ظهره هو الآخر ..

ابتسامة ماكرة ترتسم على شفتيه فلا تراها ..

ابتسامة تتلون بشعوره وهو يحس بملمس أناملها على بشرته ..

يغمض عينيه متلذذاً بحركتها التي بدأت مرتبكة مترددة ..

ثم عصبية منفعلة ..

ثم هادئة ناعمة ..

وليت "صاحبتها" تقتدي بها !!

_ما نتحرمش يا عسل!

يهتف بها وهو يلتفت نحوها فجأة ليغمزها كعهده فيفاجأ بشبح ابتسامة يتراقص على شفتيها ..





شبح اختفى سريعاً وعيناها تعودان لنفس النظرة التي يتصارع فيها الخوف والنفور !

_شفتي ريما مبسوطة بالقصر إزاي؟!

يسألها بخفوت وهو يراقب الصغيرة التي عادت للعب جوار القصر الرملي لتتنهد هي بحرارة وهي تراقب ابنتها مثله لتقول بشرود :

_بيت رمل! مسيره تيجي موجة وتهدّه !

مغزى كلماتها يصله واضحاً فيتحرك ليرفع ذقنها نحوه هامساً:

_ما تخافيش ..أنا عامل حسابي ..بنيته بعيد عن الموج .

عيناها تعاودان تعلقهما الغريب به وهي لا تزال تشعر بالتشتت ..





إلى هذه اللحظة هي لا تفهم ماذا يريد ..

لا تصدق هذه النظرات النابضة بالعاطفة في عينيه ..

لا تصدق احترامه لرغبتها في التباعد عنه -جسدياً-..

لا تصدق مثالية كونه راغباً في البقاء جوارها وجوار ابنتها للأبد ..

الهاجس الأخير الذي يكاد يصيبها

بالجنون وهي تتبين تعلق ريما به والذي يزداد يوماً بعد يوم ..

نظراتها تنسحب نحو الصغيرة التي لم ترها يوماً سعيدة إلى هذا الحد ..

فيرتجف قلبها بقسوة وهي تخشى عليها فقداً هي خير من تدرك قسوته ..

لهذا وجدت نفسها تهمس له بصوت مرتجف دون وعي :





_بالله عليك ..حتى لو اللي بيننا ماكملش ..ما تسيبش ريما بعدما اتعلقت بيك .

لكنه يلتقط هذا الخوف العتيد في عينيها فيبتسم وهو يمد أنامله ليربت على وجنتها هامساً بعاطفة تناقض وقع كلماته :

_اللي بيننا هيكمل غصب عنك ..مش هاسيبها ولا هاسيبك .

تتسع عيناها للحظة وهي لاتزال عاجزة عن الرد فيقرص وجنتها بحركته المغيظة قبل أن ينادي ريما هاتفاً :

_ياللا ناخد سيلفي مع قصر الرمل !

تصفق الصغيرة بمرح فيستخرج هاتفه من جيبه ثم يرفعه في وضع الاستعداد قبل أن يلكز "الشوكية" بجانبه هامساً :





_اضحكي عشان الصورة تطلع حلوة !

وابتسامتها هذه المرة تخرج بأسرع -وأصدق- مما توقعت !

=========

_احنا رايحين فين ؟!

تسأله نشوى بترقب وهي تتابع طريق السيارة عقب عودتهما من مارينا ..

ليرد بابتسامة مشاكسة :

_بيتنا الجديد ..

ثم يلتفت نحوها بغمزته المعهودة :

_مفاجأة !

_بيت جديد!!!

هتفت بها ريما مصفقة بكفيها بحماس لتسأله :

_فيه أوضة ليا .

_أوضة ليكي لوحدك ..بألعاب كتيييير .





يقولها بمرح مردفاً بابتسامة واسعة :

_أنكل سيف صاحبي هو اللي وضب كل حاجة ..بس بعتلي الصور ..هتعجبك قوي .

كان يتابع حديثه وهو ينظر إليهما عبر المرآة وقد أصرت نشوى هذه المرة أيضاً على الجلوس بالخلف ..

يقابل عينيها بعينيه فتروعه هذه النظرة الخائفة في عينيها من جديد والتي تناقض حدة ملامحها ..

وغضبها الذي بدت وكأنها تقاوم كي لا تظهره أمام الصغيرة .

يتوقف بالسيارة أخيراً في هذا الحي الهادئ الذي رصفها فيه ليتحرك بهما نحو أعلى بناية أنيقة بتصميم حديث ..





يفتح باب الشقة لتلحقه هي والصغيرة التي اندفعت كصاروخ نحو الداخل تتفقد محتوياته ..

بينما جذبته نشوى من ذراعه جانباً لتهمس له بحدة خافتة :

_انت بتتصرف من دماغك ؟! ماقلتليش ليه ع الشقة دي؟!

_انتي أد المسكة دي؟!

بحاجبين متراقصين يقولها لتكز على أسنانها بينما يغمزها هو هامساً ببطء مثير بينما يقترب من شفتيها :

_قوليلي الأول ..هنتكلم "جد"؟!

_أيوة ..لأ ...يوووه !





تهتف بها بارتباك وقد أدركت مقصده ..

ارتباك جعله يطلق ضحكة عالية مجلجلة أثارت غيظها أكثر لتدمع عيناها حقيقة

فتبتعد بوجهها عنه وهي تهمس له متحاشية رفع صوتها كي لا تسمع الصغيرة :

_نظام التنطيط ده مش هينفع عشان البنت ..هي اتعودت تعيش بنظام معين مابيتغيرش .

الخوف الذي امتزج بدموع عينيها يثير عاطفته نحوها من جديد ..

فيقول لها بجدية تامة مطمئنة :

_أنا اخترت الشقة دي مخصوص عشان البنت ..قريبة من مدرستها ومن المصنع كمان .

_ولحقت توضبها امتى؟!

تسأله بحاجبين منعقدين ليرد :





_أنا ماضي عقدها من تاني يوم جوازنا ..وسيف الله يبارك له تولى أمر الفرش بمجهود خارق يحسد عليه ..

ازداد انعقاد حاجبيها وهي تشيح بوجهها ليردف هو بنبرة عاد إليها عبثها :

_كان نفسي أسيبك تختاري بس قلت أخللي المفاجأة كاملة ..وبصراحة ..بمزاجك الاسود قبل السفر خفت تعضيني .

_أعضك ؟!

هتفت بها باستنكار وهي تعاود الالتفات نحوه ليضحك بغمزته العابثة :

_هو الاقتراح مغري ..بس مش دلوقت .

احمر وجهها بخجل من وقاحته لتعطيه ظهرها وتتحرك مبتعدة لكنه جذبها من ذراعها ليهمس جوار أذنها :





_اتكلمت "جد" شوية حلوين اهه ..مستنيين الحساب يا عسل!

يزداد احمرار وجهها وهي تنتزع ذراعها منه عاجزة عن الرد لتنقذها ريما التي اندفعت نحوهما من الداخل هاتفة :

_أوضتي حلوة قوي ..قول لأنكل سيف إني بحبه ..وهارسمه جوه جنينة كبيرة ..

يضحك إسلام وهو يتناول كف نشوى قسراً ليجرها جراً معه نحو الداخل قائلاً :

_استني لما نشوف رأي مامي ..يمكن ما تعجبهاش ..

ثم التفت نحو نشوى ليقول بجدية :




_لو مش عاجبك أي حاجة ممكن نغيرها ..مفيهاش مشكلة ..

ثم مال على أذنها مردفاً:

_وآدي كمان كام كلمة جد !!

تكتم ابتسامتها بصعوبة وهي تشيح بوجهها لتتفحص المكان ..

الشقة كانت صغيرة المساحة لكن الأثاث فيها تم توزيعه بشكل مريح للعين ..

تتحرك لتتفحص غرفة ريما فتتنفس بارتياح وهي تجدها ملائمة لذوق الصغيرة ..

بطلائها الوردي وفراشها الأبيض ..وهذه

الألعاب التي جمعت في زاوية الغرفة والتي اندفعت نحوها الصغيرة لتنشغل بها ..

هذا هو ما يهمها هنا ..غرفة الصغيرة !!





لكنه جذبها من كفها ليتحرك بها نحو الغرفة المقابلة ..

هذه التي فتح بابها لتتسع عيناها بتفحص وهي تميز الأثاث الأنيق

كلاسيكي الطراز الذي يعجبها ..

_في دي بقا خدت رأي أشرف في "السكرتة" ..أنا عن نفسي بحب المودرن ..بس جبتها كلاسيك عشان خاطرك .

تلتفت نحوه ببعض الدهشة لتتفحص

ملامحه بذهول..

هل يهتم بتفاصيلها إلى هذا الحد ؟!

هل حقاً يرغب في إرضائها ؟!

لماذا إذن لا تصدق ؟!!

ألأنها لا تريد أن تصدق؟!!





_مالك؟!

يسألها بتوجس وهو يلاحظ عودة الدموع لعينيها قبل أن يردف :

_انتِ اتضايقتي عشان مااخترتيش الشقة والعفش؟!

_أنا مااخترتش أي حاجة !

تقولها بحروف متحشرجة وهي تطرق برأسها في مشهد استسلام بائس غريب على تنمرها المعهود ..

لكنه يرفع ذقنها نحوه ليهمس أمام عينيها :

_أنا اخترت لنا احنا الاتنين ..وواثق من اختياري .





للحظات تتوه في عمق عينيه وهي تشعر حقاً أنها متعَبة ..

مستنزفة ..

تريد هدنة من هذا الحلم الغريب الذي وجدت نفسها فيه ..

تشعر بشفتيه تمسان شفتيها فتغمض عينيها باستسلام يائس ..

تحس بحركة أنامله على طول ذراعيها من أعلى لأسفل فتسري بجسدها قشعريرة خوف باردة ..

يتقاذفها الموج بين حاجتها في تجربة هذا الشعور الفريد

-الذي اختبرته معه حسياً لأول مرة-من جديد ..

ورغبتها في الابتعاد عن كل هذا !

_ممكن ما تخافيش ؟!





تسمعها عبر عينيها المغمضتين بصوت تكاد تقسم أنه ليس له ..

أين هذه الرقة ..هذا الإحساس ..هذا التفهم ..

من عبثه ومشاكسته ومزاحه المعهود ؟!!

_أنا ليا عيوب كتير قوي ..بس عمري ما خنت ثقة حد فيا .

هنا تفتح عينيها ببطء لتعود نظراتها للغوص في حدقتيه كأنما تختبر صدقه ..

_أوعدك ..مش هاخلليكي تندمي ..بجد ..

تشعر بكفيه يحيطان بخصرها فتعاود إسبال جفنيها ليصلها صوته من جديد :

_اتكلمت جد كتير قوي ..صح ؟!





لم ينتظر جوابها وهو يغلق الباب خلفه بقدمه ليلصقها به أكثر ..

يزيح عنها حجابها ليفرد شعرها فوق كتفيها ..

شفتاه تعاودان العزف اللذيذ الذي أطربها أول مرة ..

لكن "أذنيها" لا تزالان معطوبتين !!

تترنح في تجاوبها بين استجابة ونفور ..

كأنما انقسمت بداخلها لروحين متصارعتين ..

إحداهما خائفة ..وجلة ..تتمنى جداراً واحداً تختبئ خلفه فلا ينقضّ!

والأخرى نهمة ..عطشى ..أفاقت لتوها من سبات طويل وتفتح ذراعيها لأي عطاء تناله !!





هذا الذي شعر هو به تماماً ليجعله يتمهل مخففاً وتيرة غزوه ..

يبعدها قليلاً ليغمر وجهها بقبلات ناعمة قبل أن يعانقها بقوة مكتفياً بدفن وجهه في حنايا عنقها !!

أجل ..

هذا هو بالضبط ما كانت تحتاجه الآن !!

المرسى!!

الأرض الثابتة التي تعزز خطواتها !!

ربما لهذا استكان جسدها المتشنج أخيراً بين ذراعيه ليشعر بدموعها تبلل صدره ..

فيتخلل شعرها بأنامله هامساً :

_نفسي أحضنك من غير ما تعيطي ..أول مرة هتعمليها ساعتها بس ..هالبسك دبلتي وأنا مطمن .





يتركها لدموعها لبعض الوقت مكتفياً بشعوره بها بين ذراعيه ..

قبل أن يتحرك ذراعه على طول ظهرها ليهمس لها بتفهم :

_أنا عارف انتِ بحاسة بإيه ..نفس الشعور عشته لما اتفاجأت باللي حصل لحسين رجائي ..فجأة الدنيا لفت بيا ..أنا مش أنا ..حياتي مابقتش شبه حياتي ..الجبل العالي اللي كنت واقف فوقه اتهد بيا ..أقرب الناس ليا خذلوني ..مش عارف أروح لمين يواسيني وأنا اللي المفروض أشيل الكل ..ماما وهيثم واخواتي اللي مكنتش أعرف عنهم حاجة ..تعرفي إيه اللي فوّقني وقتها ؟!

ترفع إليه عينين دامعتين فيبتسم وهو يمسح بقايا دموعها ليردف أمام عينيها :

_إن الفرج جه مع الهم في شيلة واحدة ..حسيت إن ربنا كريم قوي وبيعوض ..عوضني بعمي علاء وإيناس عن عيلتي ..عوضني بسيف صاحبي ..





ثم تذكر واقعة مرضه الذي شفي منه لكنه خجل من ذكرها ..

ليتغاضى عنها باستطراده :

_ساعتها بس عرفت إن أكبر غلطة ممكن نغلطها اننا نهرب من خوفنا ..وان الحل اننا نقف ونواجه ..واننا مهما خسرنا كتير لسه في ايدينا نكسب أكتر .

تأوهت بخفوت وهي تشعر بكلماته تمنحها سكينة لا تنكرها ..

هل هو صوته

الآسر ..؟!

لمساته الناعمة ..؟!

عناقه الدافئ ..؟!

أم منطقه الذي يبدو لها شديد العقلانية ؟!





_إيه رأيك فيا بقا ..بعرف أتكلم جد ؟!

كادت تجيبه ب"نعم" لولا أن أدركت المغزى العابث لسؤاله قبل أن يعود ليبثها عاطفته من جديد بجرأة أكبر هذه المرة ..

فيعيدها لدوامة صراعها معه من جديد ..

_مامي ..أنكل إسلام ..انتو فين ؟!

هتاف الصغيرة من الخارج يقاطعهما فتنتفض بين ذراعيه كأنما أفاقت فجأة من هذا "السحر المؤقت" الذي لفهما معاً ..

لتهتف بأنفاس لاهثة :

_جاية يا حبيبتي .





تقولها وهي تدفعه ببعض العنف لتفتح الباب وتخرج للصغيرة فيزفر بسخط وهو يحرك كفه حول وجهه طالباً الهواء ليغمغم في نفسه بغيظ :

_حبكت يا ريما دلوقت ! واضح إنك عايزة نظبط لك "السّنس" زي مامي بالضبط!

======

يقف ناصر أمام باب شقتهما بتردد للحظات قبل أن يضع المفتاح بتثاقل فاتحاً الباب ببطء شديد كأنه يخشى ما سيواجهه ..

منذ تلك الليلة الكارثية وهو لم يأتِ هنا ..

يقضي لياليه في مقر عمله أو هائماً في الشوارع ..

النوم؟!!

النوم صار ضيفاً عزيزاً يناله جسده قسراً بصورة متقطعة ..





يلج للداخل بحذر وأمام عينيه ترتسم صورتها تلك الليلة عندما استدعاه بواب العمارة ليجدها في حالتها تلك ..

تصرخ بانهيار في المكان الذي حولته لحطام وجسدها -كقلبها- ينزف !!

يغمض عينيه بألم وهو يغلق الباب خلفه بعنف أصدر دوياً هائلاً لعله يطرد تلك الذكرى من رأسه ..

لكن ..كيف يفعل؟!

وهي تصر كل يوم أن تذكره أنه خسرها ؟!!

يتحرك وسط الحطام الذي لا يزال مكانه ليجد كرسياً سليما نجا من هذا الدمار فيجلس فوقه ليحني رأسه مشبكاً كفيه ..





_طلقني!

يسمعها بصوتها كما كررتها وظلت تكررها بعدها بهستيرية قبل أن يخرجوه من غرفتها قسراً ليمنعوه من زيارتها تماماً ..

يزفر زفرة يائسة وهو يحاول إقناع نفسه أنها مجرد أزمة ستمر ..

أنها ستهدأ لتعدل عن قرارها ..

أنه لن يفقدها أبداً !

لكن حدساً ما بداخله كان يخبره أن قصتهما قد انتهت !!

أن من طمع في كل شيء يخسر كل شيء !!

لكنه لم يطمع ..

كلتاهما كانت راضية ..

كلتاهما قالت "نعم" ..فلماذا كان ينبغي عليه هو أن يقول لا ؟!!





بطبيعته العملية يكاد يصرخ بها ..

لكن صوت ضميره يرد بالمقابل ..

أنه قد "كسرهما" معاً ..و"خسرهما" معاً !!

_انتِ أصلاً مش في وعيك ..مش ممكن تكوني تقصدي اللي بتقوليه ..مفيش بيننا طلاق يا سها ..الموت بس هو اللي هيفرق بيننا .

لايزال يذكر كيف صرخ بها في وجهها ..

بل في وجوههم جميعاً ..

لم يعنِ شيئاً في حياته بقدر ما عني هذه الكلمات !!

يرفع رأسه فتصطدم عيناه بصورة زفافهما معلقة على الحائط ..

ترتسم على شفتيه ابتسامة شاحبة وهو ينهض من مكانه ليتوجه نحوها متجاوزاً الحطام حتى يقترب منها ..

يرفع رأسه نحوها لتتسع ابتسامته وهو يتأمل ملامحها ..

لا تزال بعينيه أجمل امرأة عرفها ..

بل إنه لا يذكر أنه أحب امرأة قبلها ..ولن يفعل بعدها !!

_عودتيني لما أزعل من أي حاجة أجري لحضنك ..دلوقت وانتِ اللي زعلانة مني ..أروح لمين ؟!

يهمس بها بصوت مسموع وهو يعانق

ملامحها عبر الصورة ثم يغمض عينيه بألم ..

قبل أن يقاطعه صوت رنين هاتفه ..

يتناوله ليجد الاتصال من عمه ..

كعهده يكلمه كل يوم محاولاً رأب الصدع بينه وبين أبيه لكن الأخير أعلن وسط العائلة قطيعته التامة له بعدما حدث منه تلك الليلة !





يفتح الاتصال بيأس ليرد على الرجل الذي هتف به بحزم:

_راضي أبوك ياابني واتجوز ..انت مش هتعرف قيمة كلامنا اللي بعدين ..لساتك صغير وفاكر بكرة زي النهاردة ..مش هتحس بالحسرة إلا لما شعرك يبيض وتلاقي نفسك بطولك .

يهز رأسه بقنوط وهو يشعر بالملل من هذا الكلام الذي يسمعه كل يوم بنفس الصيغة ..

لكنه يخاطب عمه بلهجة حرص أن تكون قوية الشكيمة لا تسيئ لواجهته :

_محدش بياخد كل حاجة يا عمي ..وأنا راضي بمراتي وعيشتي ...

ثم يصمت لحظات ليردف:

_أنا عارف إنك بتعزني زي ابنك ..اقنع الحاج يكلمني ..صحته مش مستحملة زعل .





_لو هاماك صحته راضيه انت ! مش عارف دماغك دي فيها إيه ..الله يهديك !

يهتف بها الرجل بضجر قبل أن يغلق الاتصال بعنف ليلقي ناصر الهاتف جانباً بنفاد صبر وهو يشعر أن رأسه على وشك الانفجار ..

خراب!

كل ما في حياته صار خراباً!!

حتى عمله لم يعد قادراً على التركيز فيه كالسابق ..

كيف وهو يتخيل في كل لحظة أنه سبب تعاسة كل من كانوا حوله ..

نشوى ..سها ..أبيه ..

وهو ..هو نفسه !!




يسمع رنين الجرس فيلتفت نحو الباب بمزيج من ضيق ودهشة ..

قبل أن يتحرك نحوه ليفتحه ..

_إسلام !

يقولها بدهشة لم تخلُ من ترقب وهو يتذكر ما علمه عن زواجه من نشوى ..في نفس الليلة التي كان يفترض أن تكون زوجته هو !!

العنيدة كررت فعلتها وتزوجت أول من وجدته كي ترد له ضربته لكرامتها ..

هو يتفهم فعلتها ..لكن ما يتعجبه حقاً هو موقف إسلام !!

إسلام الذي خطا نحو الداخل ليجول ببصره في المكان الخرب ..

قبل أن يعاود الالتفات نحو ناصر قائلاً ببرود :

_الشقة اتبهدلت قوي ..بس معلش ..بكرة تتصلح ..وسها تخف وترجع لك

بالسلامة ..وتقوللك برافو ..أثبت لي إنك بعت الدنيا كلها عشاني ..وتكملوا حياتكم مبسوطين ..بس عارف إيه اللي صعب يتصلح ؟!

يغمض ناصر عينيه بألم ما عاد يطيقه وهو يتوقع عبارته التالية :

_سمعة الغلبانة اللي كانت بره حساباتكم انتو الاتنين ..كلام الناس وفضيحة العروسة اللي عريسها سابها ليلة الفرح !

_إسلام ..أنا ..

_انت واطي!





يقولها إسلام ببرود غريب على طبيعته المرحة حافظ عليه طوال وقفته ..

برود ناقض اشتعال ناصر وهو يتقدم منه ليهتف ملوحاً بذراعيه بعصبية :

_سهل قوي تحكم من بره ..انت ماتعرفش ظروفي ..ماتعرفش وضع سها كان إيه ليلتها ..أنا يمكن وقفت المهزلة دي متأخر بس أحسن ما كنت كملتها للآخر وخسرنا كلنا أكتر .

_في دي معاك حق ..يا صاحبي !

يقولها إسلام بنفس البرود وكلمته

الأخيرة تبدو وكأنه يريد بها عكس معناها ..

ليزفر ناصر زفرة مشتعلة وهو يتحرك ليعطيه ظهره وكأنه ما عاد قادراً على مواجهة أحد ..أي أحد ..





_أنا عارف إنك شايل مني من ساعة القضية ..وأفتكر بعد جوازك منها خلاص ..ماعدناش هنبقى أصحاب تاني ..بس عايز أسألك سؤال وتجاوبني بصراحة ..اتجوزتها ليه ؟!

_بحبها .

يقولها إسلام قاطعة ليلتفت نحوه ناصر ببعض الدهشة ..

لم تكن يخفى عليه طبيعة إسلام العابثة مع النساء ..

نشوى ليست طرازه المفضل بالتأكيد !!

لكن إسلام عاد ليقول مؤكداً :

_بحبها ..وهاخلليها تحبني ..

ثم لوح بسبابته في وجهه ليقول بنفس البرود المشتعل :




_مابقاش إسلام رجائي لو ما خليتش نفس الليلة اللي جرحتها انت فيها بندالتك هي هياها أسعد ليلة تفتكرها وهي معايا !

_ده ما يضايقنيش .

يقولها ناصر صادقاً وهو يطرق برأسه في خزي ..

يدرك جيداً حرج الموقف الذي هما فيه ..

يدرك أنه خسر نقاطه كلها مع إسلام ..ومع أشرف قبله !!

مسلسل خسائره يتوالى ..

كأنما كان ينقصه هذا اللقاء!!

_هاطلب منك بس تعتذر لأشرف بالنيابة عني ..مش هاقدر أحط وشي في وشه بعد اللي حصل !





فابتسم إسلام ساخراً ليرد بنفس البرود :

_طب كويس حقيقي إن لسه عندك شوية م الأحمر!

رفع إليه ناصر عينين مشتعلتين بغضب للحظات ..

قبل أن يطفئهما خزي لم يعد ينكره ..

ومذاق مرير بالخسارة لم يعد يغادر حلقه !!

_امشي يا إسلام . .خلاص ..ماعادش بيننا كلام يتقال .

يقولها ناصر بملامح منهكة نال منها انفعاله كل منال ..

ليتحرك إسلام نحو الباب القريب قائلاً :





_هامشي ..بس سامحني ..فيه حاجة أخيرة ..هاموت لو ما عملتهاش .

يرمقه ناصر بنظرة تساؤل قصيرة قبل أن يشعر بقبضة الأول تمتد فجأة لتلكمه على فكه !!

كتم ناصر تأوهه وهو يتحسس فكه ليرفع عينين غاضبتين نحو إسلام ...

يعلم أن قوته الجسدية تفوقه بمراحل ..

لكنه لم يرد له لكمته ..ربما ..لأنه يعلم أنه يستحقها !!

فيما حافظ إسلام على بروده وهو يرمقه بنظرة مزدرية أخيرة ..

قبل أن يخرج ليصفق الباب خلفه بعنف تاركاً ناصر خلفه مطرق الرأس بألم ..





ألم من فقد فجأة أرضه الثابتة ليتهاوى في دوامة
بلا قرار ..!!

=====

على باب غرفة سها ينتظر سامر بترقب ..

وما كاد يلمح ياقوت تخرج حتى بادرها بسؤاله :

_إيه الأخبار؟!

تبتسم بقلق وهي تعدل وضع نظارتها على أنفها
لتسير جواره قائلة :

_زي ما قلت لك ..سها مش محتاجة
علاج ..محتاجة ثقة ..هي ضغطت على نفسها
زيادة عن اللزوم الفترة اللي فاتت ..من برة تبان
قوية ومسيطرة بس هي من جواها نفسها
تصرخ ..الصرخة دي للأسف جت في الوقت
الغلط ..جت وهي حاسة إن الخيوط اللي كانت فاكرة
نفسها ماسكاها اتفلتت فجأة ..





_كل ده تمام أنا عارفه ..أنا أقصد طلبها الطلاق من ناصر ورفضها إنها تشوفه !

يقولها بترقب لتتوقف وترقبه بنظرة متفحصة لم تخلُ من إشفاق قبل أن تقول بنبرة عملية :

_كلّ كلمة "ابعد" منها لناصر معناها "قرّب واوعى تسيبني" ..ناصر هو العلة والدوا ..لا هو هيسيبها ..ولا هي في الحقيقة عايزاه يسيبها ..هي بس محتاجة تحس إنه جنبها ..

ثم صمتت لحظة لتردف :

_وجود سها هنا مكسب مادي لنا طبعاً ..بس ضميري يخلليني أقول إنها مش محتاجة علاج نفسي ..أعراض الصدمة اللي عندها ابتدت تختفي ..هي محتاجة معاملة خاصة بس شوية .





_سيبيها هنا شوية .

يقولها برجاء أغضبها رغم ما أثاره من إشفاقها لترمقه بنظرة حادة جعلت كلماته ترتبك :

_ع الأقل تفضل بعيد عنه شوية تهدا .

_ولو قلتلك إنها مش هتهدا غير معاه !

تقولها بنبرة عملية ليرد بانفعال مفاجئ:

_انتِ معايا واللا معاه ؟!

_أنا مع "الحالة"يا دكتور.

تقولها بصرامة وهي تضغط حروف كلمة "الحالة" بحركة ذات مغزى ..

ليتراجع لحظة للخلف وقد بدت كلماتها التالية وكأنها تصفعه على وجه مهنيته :

_أنا مقدرة مشاعرك اللي مالهاش محل م الإعراب هنا دي ..بس انت كمان قدر وضع الحالة كويس ..ده لو عايز علاج مش تصفية حسابات .





امتقع وجهه للحظات قبل أن يطرق به صامتاً لتتنهد هي قائلة بنبرة أكثر ليناً :

_عمري ما كنت أتخيل إني أقف قدام أينشتاين عشان أفكره بالخط الفاصل بين شغلنا ومشاعرنا ..مش انت اللي تعمل كده يا دكتور .

يبتلع غصة حلقه بمرارة فاضت بها

ملامحه وهو يرفع إليها عينين معذبتين ..

لترمقه بنظرة طويلة مزجت عتابها بإشفاقها قبل أن تتحرك مبتعدة عنه وقد آثرت تركه لنفسه بعض الوقت ..

تفهم جيداً ما يعانيه ..تفهم حرقة هذا الشعور الذي جربته بفقدان قطعة من القلب مع حبيب رحل ..

لكن ..هل أحب سها حقاً ؟!

هل بقي يحبها طوال هذه السنوات ؟!





أم أن الأمر لا يتجاوز عقدة نقص كبرت بداخله مع أول كلمة رفض تلقاها ؟!!

لا يمكنها الجواب ..

بل تستطيع !

هي جربت الحب الحقيقي ..

جربت تشبع الروح بصبغة المعشوق حتى يكاد يمتزج برائحة الأنفاس ..

جربت اعتلاء هذه الموجة التي ترفعك

لأعلى ثم تقذفك على ظهرك فلا يمكنك المقاومة إلا وأنت تعتليها من جديد !

جربت متى تحل قيود الكبرياء عن جياد عشقها فتطلقها حرة ثم تعيد تلجيمها متى احتاجت ..

وجربت أن تتقبل الخسارة في سبيل ما تظنه له هو مكسباً ..

وما يفعله سامر الآن بعيد عن هذا تماماً !!





_انتِ شاطرة قوي يا شجرة الدر .

تسمعها بصوته الخفيض خلفها وبنبرته المذنبة نوعاً لتلتفت نحوه بنظرة مشجعة اختصرت عتابهما قبل أن تهز رأسها وهي تنظر للساعة المعلقة في الجدار :

_هتروّح دلوقت ؟!

ينظر بدوره للساعة قبل أن يتناول هاتفه ليقول بنبرة محايدة :

_يادوب ..الست "حلاوة" موصياني ما أتأخرش ..عاملالي "رز معمر" ..تتفضلي معانا؟!

كلماته الأخيرة يشوبها الكثير من الود الذي جعلها تبتسم وهي تتذكر ثمر لتقول بعفوية :

_ألف هنا ..سلملي عليها .





يشير بيده نحو رأسه في وضع التحية قبل أن يتحرك ليغادر المركز ..

خطواته تتباطأ بتثاقل يشبه تثاقل روحه وهو يتوجه نحو موقف الحافلات هناك ..

يشرد ببصره في حديث ياقوت الذي رد له بعض صوابه ..

لكن ..ألا يحق له القليل من الأمل ؟!

يزعمون أن ناصر يستحق فرصة أخرى معها ..

ألم يستحوذ من قبل على كل الفرص؟!

ألا يستحق هو الآخر فرصة ؟!

أفكاره تنقطع وهو يشعر بالسيارة التي هدأت سرعتها جواره ..

قبل أن تتوقف تماماً ليترجل منها أحدهم ويتوجه نحوه ..

تحفزت ملامحه باهتمام وهو يتوقف مكانه ..




ليرمقه الرجل بنظرة ثابتة قبل أن يتوقف أمامه مباشرة ليقول بنبرة مهذبة لم تخلُ من غموض :

_انت دكتور سامر مرزوق؟!

=======

_هنعمللك أجمل ليلة حنة عرفتها البلد كلها !

تهتف بها ياقوت للجين عبر الهاتف وهي تجلس في غرفتها بالمركز لترد لجين بارتباك :

_قلبي بيدق يا توتة ..مش مصدقة إن الموضوع قرب كده .

فتضحك ياقوت ضحكة عالية سبقت قولها الماكر:

_الشيخ مستعجل بقا مش قادر يصبر يا جميل .

تقولها متعمدة غرس بذور الثقة أكثر في نفس لجين التي أدركت هي مؤخراً أنها كانت تعاني نقصاً منها ..

لهذا خفق قلبها برضا وهي تسمع صوت ضحكة شقيقتها الرائقة من الجانب الآخر للاتصال ..

لتردف بنفس النبرة :

_مين أدك يا عم ؟! بيت في البلد قدام بيت ستي ثمر ..وبيت هنا في مصر ..وبيت في ماليزيا ..اللي اداك يدينا يا سيدي !

فتتنهد لجين وهي تتذكر قبساً من ماضيها يجعلها تصمت قليلاً قبل أن تسألها بقلق:

_بس أنا لسه خايفة ..الدكتورة بتقوللي إني خلاص تقريباً خفيت ..لكن ..غصب عني مش قادرة ما أفكرش ..عابد طيب مارضيش يسألني عن تفاصيل تعبي ..إنما تفتكري يعني خلاص كده ؟! دماغي ما بتبطلش تفكير ..خايفة في يوم أعملها تاني وأجيب له هو فضيحة .




نفس الهاجس يؤرق ياقوت لكنها ترد مطمئنة إياها:

_ الدكتورة قالت لنا

خلاص ..سيبيها لله وماتفكريش كتير ..افرحي بقا وانسي اللي فات .

تنهيدة لجين تقابلها من الجانب الآخر

للاتصال لتتحول لضحكة قصيرة وهي تعود لمرحها تدريجياً:

_ستك ثمر فرحانة قوي ..كأنها صغرت

ثلاثين سنة .

تبتسم ياقوت بحنان راضٍ بينما لجين تردف :

_وإسلام امبارح جه وجايبلي هدايا أد كده ..لبس وبرفانات وشنط وجزم ..كلها ماركات غالية .





_إسلام ده سفيه ..أنا هاحجر عليه أساساً .

تقولها ياقوت بغيظ مصطنع لتضحك لجين ضحكة عالية ثم ترد بمرح:

_احنا نخلطكم على بعض ونطلّع اتنين طبيعيين .

شاركتها ياقوت الضحك للحظات أخرى قبل أن تغلق معها الاتصال بقولها :

_طيب يا عروسة ..خللي بالك من ستك ثمر كده لحد ما اجي ..اشتريت فستان أحضر بيه الفرح انما إيه ..هيعجبك قوي .

_برتقاني؟!

تسألها لجين بتوجس لترد هي بفخر بينما تلوح بكفها مستعيدة مشهد ثوبها :

_أخضر فوسفوري بيبرق تحت النور كده ..وليه حزام أحمر مهدي لونه شوية .





تكتم لجين ضحكتها مرغمة لترد :

_المهم تورّيه لإسلام عشان ما يعملش مشكلة زي المرة اللي فاتت .

_نعم ! هو هيلبسني على ذوقه السفيه ده واللا إيه !!

تقولها باستنكار لترد لجين بضحكة قصيرة محرجة قبل أن تغلق معها

الاتصال ..

وما كادت تفعل حتى اختفت ابتسامة ياقوت تدريجياً وعيناها تعاودان التعلق بهاتفها ..

ماذا بعد يا زين؟!

ألم تكتفِ من عزلتك ؟!

تعلم أن إثمه عظيم لكن ..

أليس من الأولى أن يبادر بالإصلاح ؟!!

صوت طرقات خافتة على باب غرفتها يجعلها ترفع عينيها نحو الطارق لتبتسم وهي تراه يدخل :

_شجرة الدر العظيمة ..أخبارك إيه النهاردة ؟!

تمنحه ابتسامة ودود وهي تعدل وضع نظارتها على أنفها بحركتها المعهودة لترد :

_الحمدلله ..أخت العروسة بقا ..هاستناك في الفرح طبعاً ..دكتور مروان هيكون هناك ..ظبط معاه وتعالوا سوا .

_مروان؟!

يسألها بدهشة لترد بابتسامة مفسرة :

_قريب العريس !

يصدر همهمة متفهمة ليقول باستحسان:

_كويس جداً ..ده واحشني ومن زمان عايز أشوفه ..مش عارف أتلم عليه من يوم ما اتجوز .





يقولها ثم يصمت قليلاً وقد ظهر بعض التردد على ملامحه ..

تردد قرأته هي بذكائها لتسأله :

_شكلك عايز تقول حاجة .

_حاجاااات !

يقولها رافعاً حاجبيه قبل أن يخلع عنه نظارته ليفرك عينيه مردفاً بنبرة منهكة :

_ما نمتش طول الليل امبارح .

_سها؟!

تسأله بترقب ليسبل جفنيه وهو يسترخي في مقعده أكثر ..

قبل أن يهز رأسه نفياً ليرد :

_امبارح حصلت حاجة غريبة ..مستشفى استثماري كبير بعتلي رسالة إنه عايزني أشتغل معاهم ..




عقدت حاجبيها بدهشة مشوبة بالضيق الذي تحكمت به لتسأله بحيادية :

_لو العرض كويس إيه المشكلة ؟!

_المشكلة في الطريقة اللي وصلوا لي بيها ..مش منطقي أكون ماشي في الشارع وعربية تقف مخصوص تاخدني عشان أقابل مدير المستشفى نفسه ..مش منطقي إنه يعرض عليا الشغل من غير ما اطلبه أنا ..مش منطقي إنه يطلب مني التفرغ التام وإني أسيب أي مكان تاني شغال فيه في أقرب فرصة ..

يزداد انعقاد حاجبيها وهي تشم رائحة ما مألوفة في هذا الأمر ..

ليردف هو بابتسامة واسعة :

_ومش منطقي المبلغ اللي عرضوه ..تخيلي (.....)!!




تتسع عيناها بدهشة مع سماع الرقم قبل أن تحين منها نظرة لا إرادية نحو هاتفها ..

هو ..

زين !!

هو لم يخرج من عزلته لأجلها كما ظنت ..

لكنه عرف كيف يفعلها !!

غيرة رجل مثله لن تكون طبيعية ..

هو لن يكتفي بكلمة غاضبة وانفعال مؤقت ..

بل سيحرص أن يبعد عن محيطها كل من يثير ريبته !

ابتسامة خاصة ..خاصة جداً ..

ترتسم على شفتيها وعيناها تشردان من جديد ..

ترسمان ملامحه في الهواء فتشعر أنه أمامها ..جوارها ..حولها ..

بل ..داخلها!!





دوماً داخلها ..كأنما اخترقها كسهم نافذ وأبى أن يغادر إلا بخروج روحها نفسها !!

_ما تخافيش ..أنا رفضت .

ينتزعها بها سامر من شرودها الذي أساء تأويله لتلتفت نحوه بسؤالها المحايد :

_ليه ؟!

يزم شفتيه بحيرة وهو يحك ذقنه بأنامله ليقول بأسلوبه العفوي:

_قلبي دليلي ! مش مرتاح للعرض..وبصراحة ..حابب أشتغل معاكم هنا .

_أنا عارفة إن إسلام صاحبك ..واننا عشرة طويلة من زمان ..بس ده ما يمنعش إننا نحب لك الخير ..لو شايفها فرصة مفيهاش كسوف ..بس اتأكد من العرض الأول وخد ضماناتك .





تقولها بنفس النبرة العملية ليرد :

_أنا بلغتهم رفضي من شوية خلاص ...

ثم يضحك مردفاً بمرح :

_فقري من يومي ..الست حلاوة دايماً تقول عليا كده .

يقولها ثم يقف مكانه ليعاود ارتداء نظارته قائلاً بنفس النبرة العفوية:

_هاقوم أشوف شغلي بقا ..صبح الصباح فتاح يا عليم ..والجيب مافيهش ولا مليم !

يقولها منغمة محاكياً أغنية قديمة شهيرة لتضحك ضحكة صافية وتكملها له :





_بس المزاج رايق وسليم ..باب الأمل بابك يا رحيم .

يرد لها ضحكتها بمثلها وهو يشعر بإعجاب متزايد نحو روحها المميزة هذه ..

يعلم أن خلف هذه الواجهة المرحة المشرقة روحاً تعاني !

كم تشبهه !!

يقولون إن الأقطاب المتشابهة تتنافر ..

لكنه هاهنا يثبت خطأ القاعدة ..

هو يأنس إليها حقاً ..

ليس كامرأة ..بل ...

لا يدري!!

هو حقاً لا يدري !!





يبتلع ما تبقى من أفكاره وهو ينتزع عينيه عنها ليتحرك نحو الباب مغادراً ..

لكنها تستوقفه بندائها قبل أن تسأله بنبرة ذات مغزى:

_مش هتسألني عن سها ؟!

يصمت للحظات بدا فيها صراعه على

ملامحه قبل أن يرد بنبرة عملية :

_الحالة حالتك يا دكتورة ..اعملي اللي تشوفيه صح .

تهز رأسها برضا وهي تمنحه نظرة تقدير عوضته عن تأنيب الأمس ليغادرها بخطوات سريعة ..

فتتنهد بحرارة وهي تتناول هاتفها ..





هذه المرة ستبادر ..

_انت اللي ورا عرض المستشفى لسامر .

ترسلها مكتوبة وقد جبنت عن مهاتفته ..

لا تزال تذكر غضبته يوم افتتاح المركز وغيرته منه ..

ترسلها ك"خبر" ..لا ك"سؤال" ..

لعلها تستفز عزلته المستفزة هذه !!

انتظارها يطول رغم رؤيتها ما يفيد أنه قد رأى رسالتها ..

فينعقد حاجباها بقلق ..

لكن رسالته تصلها أخيراً مقتضبة وبجواب غير منطوق :





_لو رفض ده ..هيقبل غيره .

تكاد تشتم رائحة ثورته عبر كلماته فتبتسم بغرور أنثوي لتعاود الكتابة وقد وجدت طرف خيط يستفزه لمعاودة ممارسة الحياة من جديد ..

_نسمي ده ..غيرة ؟! واللا خوف؟!

_أنا آخر راجل في الدنيا ممكن يغير عليكي ..انت بالذات ..

كلماته تصدمها للحظات وقد أساءت فهمها ..

لكنه يكتب من جديد ..

_لأني عارف كويس أنا إيه عندك ..كل الحكاية إني مابحبش حد يقرب من حاجة تخصني !





كأنما تسمعها بصوته ..

بغضبه ..

بتملكه ..

بغروره ..

بعقابه ..

بجاذبيته ..

وبطوفان حبه الذي لا يشبهه حب..!!

لا تدري هل تشعر بالغضب من يقينه هذا في حبها له ..

من كلماته الباردة هذه ..

من إصراره على عزلته هذه ..

أم تشعر بالإطراء لأنه وسط كل هذا لا يزال يحيطها بجناحيه رغم كل هذا البعد !!

هل تشعر بالسخط من قصتهما المبتورة ..دائماً مبتورة ..

مفتوحة النهايات ..

أم تشعر بالأمل في ميلاد جديد يحمله القدر لكليهما ؟!!

ولما لم تجد رداً ..لم ترسل له جواباً ..ليسودهما انتظار طويل ..

قبل أن يرسل هو رسالته ..

_الياقوت والمرجان .

ينعقد حاجباها بشدة وهي تعيد قراءة رسالته قبل أن تكتب ..

_؟؟؟؟

_دار رعاية للفتيات .

تتسع عيناها بإدراك وهي تفهم مراده رغم كلماته المقتضبة ..

هاهو ذا يتحرك في الاتجاه الصحيح ..

يختار التكفير عن أوزار ماضيه بزرع أمل جديد لغد جديد ..

أمل يسميه ب"اسمها" هي!!

يالله !!

لو كان قد نطق بألف "أحبك" لما أثرت بها كما فعل موقفه هذا !!

بماذا ترد ؟!

ماذا تقول؟!





تستعين بقناعها ك"طبيبة" فلا يسعفها ..

تستغيث بقاربها ك"عاشقة" فيزيدها غرقاً ..

كلماتها كلها تتهاوى ..

فقط دموعها تنساب ببطء على وجنتيها ..

_عمري ما اتمنيت أكون جنبك زي دلوقت !

تكتبها ببطء ..ببطء شديد كأنما تعيش كل حروفها ..

قبل أن تمسحها دون أن ترسلها !!

ليس بعد !!

لم يأن أوان بوح كهذا بعد !!

مادام يصر هو على إبعادها عن أسوار قلعته فلن تطرق لها باباً!!

_امتى؟!

لم تكن تدري عن أي "متى" بالضبط تسأله ؟!

متى يخرج من عزلته ؟!

متى يبدأ في تأسيس الدار ؟!

متى يعود لحياته ؟!

أم ..متى يرجع إليها هي ؟!!

_قريّب.

كلماته مقتضبة كعهده لكنها تشتم فيها رائحة عذاباته ..

كما تتنفس فيها عبير أمل قادم ..

آه ..كعهد عشقهما الغريب دوماً يتأرجح ..

بين "عذاب" و "أمل"!




وفي غرفته بالمركز كان سامر قد أنهى أول جلساته ليستريح منتظراً حالته القادمة ..

أفكاره تسحبه نحو سها من جديد فيهم للمغادرة نحو غرفتها كي يراها ..

فقط يراها !!

لكنه يمنع نفسه قسراً فيتناول هاتفه محاولاً التشاغل به ..

ابتسامة خافتة تزين شفتيه لا تلبث أن تتحول لضحكة قصيرة وهو يميز هذا المنشور في صفحته ..

هذه "الأغنية" التي شاركتها ريتال على صفحتها منذ دقائق فقط ..

في توارد خواطر وتوافق روحي عجيب بينهما !!

نفس الأغنية التي جالت في باله منذ دقائق مع ياقوت !!

فيضغط زر تشغيلها ليسمعها بصوت فيروز ..




الحلوة دي قامت تعجن في البدرية ..

والديك بيدن كوكو كوكو في الفجرية ..

ياللا بينا على باب الله ياصنايعية ..

يجعل صباحك صباح الخير ياسطي عطية ..

ده الصبر طيب عال

ويغير الاحوال

ياللي معاك المال

برضه الفقير له ربنا كريم ..

=======

يعود يامن من العيادة متعباً آخر الليل ليجدها تجول في صالة المنزل حاملة الصغيرة التي وصله صوت بكائها من الخارج ..

فيهتف بها بمرح :





_البنت دي ما بتسمعش قراراتي الدكتاتورية ليه ؟!
مش قلت بلاش زن !

لكن ياسمين ترمقه بنظرة مستنزفة لترد بإرهاق وهي تقترب منه :

_مش ممكن ..عايزاني أفضل شايلاها وألف بيها طول اليوم ..لو حطيتها ع السرير بترجع تعيط .

_ما عنديش أنا الدلع ده ..وريني كده اما أربيها !

تتأوه ياسمين بإرهاق أثار شفقته وهويتناول منها الصغيرة ليقبلها على وجنتها بحنان ناقض خشونة كلماته :

_اخرسي خالص ..شبعانة وهدومك نضيفة يبقى مااسمعش صوتك .




يقولها وهو يهدهدها برفق ليخفت بكاء الصغيرة تدريجياً وهو يمشي بها نحو الدرج الذي صعده لتلحقه ياسمين قائلة :

_مش هتاكل ؟!

فالتفت نحوها قائلاً بنبرة عابثة :

_لما أنيم البنت ..عشان عايزك في كام موضوع كده كلهم شبه بعض.

تبتسم له ابتسامة حانية وهي تتحرك جوارهما ليدخل هو غرفتهما ولايزال يهدهد الصغيرة التي هدأ بكاؤها تماماً ..

كأنما استكانت لرائحته !





_وحشتيني يا "منمنمة" ..طول النهار عايز أخلص شغل جري عشان آجي وأشوفك ..مش عايزة تكبري شوية بقا ؟!

لا يزال يخاطب الصغيرة بينما يتحرك بها برفق مع هزه الرفيق لها ..

فيشعر بتثاقل جفنيها ليبتسم ابتسامة انتصار وهو يستمر فيما يفعله لدقيقة كاملة ..

كانت كافية لأن تسقط الرضيعة في النوم تماماً !!

_يا ظالمة ! بنت حلال اهه ونامت على طول ..بلاش تطلّعي ع البنت إشاعات مغرضة .

يهمس بها بخفوت وهو يلتفت نحو ياسمين التي كانت ترمق الطفلة بين ذراعيه بدهشة حقيقية ..

هل كانت تنتظره حقاً كي تنام ؟!!





_كانت مستنياك تيجي عشان تطمن وتنام ..

تهمس له بها بنفس الخفوت وهي تراه يتحرك بحذر نحو فراش الصغيرة المنفصل جوار فراشهما ..

والذي وضعها فيه ببطء قبل أن يلتفت نحوها هي فتحيط عنقه بذراعيها مردفة :

_انت أمانها وحبها ..من شابه أمه فما ظلم !

همساتها تشعله بعاطفتها كما تفعل دوماً فيعتصرها بين ذراعيه وهو يرفع جسدها نحوه ..

لتطلق آهة ألم حقيقية تجعله يبعدها ليسألها بحنان :

_ظهرك بيوجعك ؟!

_شوية .





تهمس بها بدلال متوجعِ مدركة أين ستودي بهما إجابتهما ..

هناك ..

حيث هي تستلقي على بطنها على الفراش ليشرع هو في تدليك ظهرها بأنامله ..

تغمض عينيها باستمتاع وهي تشعر بطيف أمانه يحلق حولها ..

لم تشعر يوماً بالسعادة كما هي الآن معه ..

تتأوه بخفوت فتشعر بأنفاسه تقترب منها ..دون أن تكف أنامله عن عملها ..

_أتحبني بعد الذي كانا ؟ !

تسمعها بصوته فتلتفت نحوه بوجهها دون أن تغير نومتها ..





عيناها تتسعان بترقب وهي تراه يكملها بصوته الأجش ..وبعزف أنامله على جسدها ..

_إني أحبّكِ رغم ما كانا ..ماضيكِ لا أنوي إثارتَهُ ..حسبي بأنّكِ ها هُنا الآنا..

تدمع عيناها بتأثر وهي تشعر بمزيج همساته ولمساته يهدهدها ..

قبل أن تشعر بوجهه يقترب أكثر ..

شفتاه تطوفان فوق عنقها ..

وأحد كفيه ينسل ليعانق كفها ..

ثم يشبك أنامله بأناملها ..

_تتَبسّمينَ.. وتُمْسكين يدي ..فيعود شكّي فيكِ إيمانا..





تبتسم وهي تشعر بخفقات قلبها تزداد
جنوناً ..وبأنفاسها تزداد تلاحقاً ..

تشعر بطواف شفتيه يزداد سخونة وهما تعاودان
التراقص فوق عنقها ..وجنتيها ..شعرها ..عينها ..

_عن أمسِ . لا تتكلّمي أبداً.. وتألّقي شَعْراً..
وأجفانا ..أخطاؤكِ الصُغرى.. أمرّ بها وأحوّلُ
الأشواكَ ريحانا..

تشعر بأنفاسه تشاركها الجنون وطواف شفتيه
ينتهي عند جانب شفتيها ..

_لولا المحبّةُ في جوانحه ..

ما أصبحَ الإنسانُ إنسانا.





كل خلاياها تشتعل بعشقها ..تثور وتنبض بهذا الإعصار الكاسح الذي تفقد معه كلماتها ..

تذوب هياماً بهذا الذي تغير لأجلها ..

لأجلها هي فقط !!

انفعالها كعهده تترجمه دموع مسحها بشفتيه لتجد نفسها تهمس ككل مرة تعجز فيها عن قول المزيد :

_شكراً يا طيب .

تشعر به يدير جسدها نحوه فتلتقي عيناهما بشغف مجنون يترجمه الجسد للقاء عاصف ..

ألف أحبك لم يقلها ..لكنها سمعتها ..

وردّتها !!

بكل جوانحها ردّتها !!




الأنفاس اللاهثة تستكين أخيراً لكن لحن القلوب لا يزال لا يعترف إلا بالصخب ..

تشعر بوجنته تلاصق وجنتها ..

وبشعيرات لحيته تخزها بنفس الوخز اللذيذ الذي تعشقه ..

هذه التي امتدت لها أناملها تداعبها فيرفع وجهه عنها يراقب هذا الاحمرار على وجهها فيهمس لها معتذراٌ :

_دقني ..

لكنها تقاطعه بأناملها على شفتيه مع همسها العاشق ككل مرة تفعلها :

_ما الحب إلا للحبيب الملتحي .

يضحك ضحكة راضية وهو يعود ليلصق وجنته بوجنتها بينما يضمها نحوه أكثر هامساً :





_مش هتبطلي تقوليها ؟!

_أبداً !

تمتمت بها بحسم وهي تقبل جبينه بنعومة لتسأله بدلال:

_إنما إيه الرضا ده ؟! شِعر ونزار قباني مرة واحدة ؟!!

فيعاود رفع وجهه نحوها ليزيح خصلات شعرها المشعثة عن وجهها هامساً :

_قراتها النهارده بالصدفة ..حسيت إنها لمستني قوي لدرجة إني حفظتها من غير ما أحس ..طول اليوم سامعها في وداني ..وشايف عينيكي قدامي .

الكلمات الأخيرة خرجت رغماً عنه منغمة ..جعلتها تطلق ضحكة مستمتعة لتهمس له بدلال ماكر :

_اووه ! يامن حمدي مش بس بقى بيقول شعر وكمان بيألفه !!





فيقرص وجنتها مداعباً لتدفعه عنها برفق قائلة :

_قوم انت خد "شاور"وأنا هاحضر لك

الأكل .

_محشي؟!

يسألها بترقب لتضحك وهي تومئ برأسها إيجاباً ثم تقبل وجنته هامسة بغمزة شقية :

_وهتاكله على طريقتك .

يضحك برضا وهو ينهض من الفراش ليمد لها كفه فيوقفها معه لكنها تتأوه من جديد وهي تمسك بظهرها ..

فيبتسم لها بمكر هامساً:

_تحبي نعيده م الأول؟!





تلكزه في كتفه بخفة قبل أن تتحرك لتضع فوقها مئزرها ..

تلاحقها ضحكاته وهتافه خلفها :

_أنا بعرض خدماتي أي وقت !

فتشير له نحو شفتيها بسبابتها كي يصمت قبل أن تشير لفراش الرضيعة ..

فيبسط راحته على شفتيه بتهذيب مصطنع يجعلها تبتسم ..

وبعد دقائق كانت تجلس جواره على مائدة المطبخ ..

وشفتاه تداعبان أناملها التي تطعمه فتضحك بدلال قائلة :

_لسه ماشي ع السنّة ..اللهم قوي إيمانك يا شيخ .

فيضحك بدوره ليرد باهتمام :





_على ذكر الشيخ ..عابد قرر هيستقر فين بعد الجواز؟!

_هو عايز يقعد في البلد شوية ..عاجباه العيشة هناك .

تقولها برضا ليضحك قائلاً :

_وطبعا الست والدته زعلانة .

_هو راضاها وأخد شقة هنا كمان ..ووعدها يبقى بين هنا وهناك .

تقولها بنفس النبرة الراضية لتهتف كأنما تذكرت شيئاً هاماً :

_لما نخلص أكل هاوريك عملت إيه ليمنى تحضر بيه الفرح .

_فستان بألوان الطيف كالعادة !

يقولها بمطة شفتيه لكنها تضحك وهي تداعب أنفه بسبابتها هامسة :





_تؤ ..حاجة سبيشيال خاصة بينا احنا وبس !

رمقها بنظرة متسائلة وهو يشعر بالفضول نحو ما تقوله ..

لكنه ما كاد يسألها عن المزيد حتى سمعا صوت بكاء الصغيرة من الأعلى فهرعت ياسمين لتغسل يدها بسرعة قبل أن تصعد إليها ..

يلحق بها بعد دقائق ليبتسم بحنان للرضيعة بين ذراعيها قبل أن يتناولها هو بين ذراعيه ليقبل وجنتها بعادته التي يعشقها ..

ثم يقول لها مشاكساً :

_ماما عاملالك مفاجأة في فرح خالو ..عايز أشوفها !




فتضحك ياسمين وهي تتحرك نحو خزانة ملابسها هاتفة بحماس :

_طلع روحي عشان أعمله ..بس النتيجة تستحق !

تقولها وهي تستخرج ما رفعته أمامه لتتسع عيناه بانبهار ..

الثوب نفسه كان عادياً بلون أبيض وقد تزين طرفه المتسع بما بدا ك"زهور " صغيرة ..

لكنه عندما اقترب منها وجدها ..

الرمز الخاص بهما !!

حرف الياء الذي انثنى طرفه ليصنع ما يشبه شكل القلب الصغير !!

هذا الذي طرزته هي بنفسها على طول طرفه ..

وعلى غطاء رأس من نفس خامة الثوب ولونه !!





_يا أروبة !

يقولها ضاحكاً وهو يرمقها بنظرة منبهرة لتضحك وعيناها تدمعان بقولها:

_يامن ..ياسمين ..يمنى ..حرف الياء اللي جمع بيننا ده مش صدفة ..دي إشارة إننا هنفضل طول العمر سوا ..عشان كده هيفضل كده برسمته دي ..واللي عمرها قريب من عمري ..حاجة خاصة بينا احنا وبس!

تقولها بينما تستند برأسها على كتفه رافعة إليه عينيها وكفها يداعب رأس الصغيرة بين ذراعيه ..

فيبتسم لها بعشق فاضت به نظراته ثم يطبع قبلة ناعمة على شفتيها ..

قبل أن ينحني برأسه نحو الصغيرة فيقبله بدوره ..

ثم يرفع وجهه للأعلى بما بدا كحمد تمتم به قلبه قبل لسانه !!

الله رحيم بنا وإن قسونا على أنفسنا!





هذا بالضبط ما كان يشعر به وهو يتلقى عطايا قدره الأخيرة بسخاء لا يليق

بخطأ الممنوح ..بل بكرم المانح !

وهو ما شعرت هي به هي أيضاً لترمقه بنظرة تقدير قبل أن تتناول منه الصغيرة لتقول بإشفاق:

_كفاية عليك كده سهر النهارده ..يادوب تنام .

فيقبل جبينها بحنان قبل أن يتحرك

ثلاثتهم نحو الفراش ..

_برضه مصرّة تنيميها بيننا

بالليل ..حطيها في سريرها ..بخاف غصب عني أتقلب عليها وأنا نايم !





يقولها بعتاب حنون وهو يستلقي على الفراش لكنها تصر أن تضع الصغيرة بينهما قبل أن تستلقي هي جوارها لتلتفت نحوه قائلة بتأثر:

_انت بالذات المفروض ما تقولش كده ..عايزاها تكبر وهي حاسة إنها وسطنا احنا الاتنين ..مش عايزاها للحظة تحس باللي احنا حسيناه واحنا صغيرين .

كان يفهم عقدتها التي يشاركها فيها فتتنهد بحرارة وهو يمد أنامله ليداعب وجه الرضيعة بينهما هامساً :

_مقتنعة قوي يا افندم !

تضحك وهي تمد أناملها بدورها لتداعب الرضيعة هامسة :

_وانت مطيع قوي ياافندم .





يبتسم وهو يشعر بتثاقل جفنيه فيغلقهما هامساً بعبث ماكر :

_طب أنا قدمت السبت وحكيت حدوتتي ..مش هلاقي الحد وتحكي انتِ حدوتتك ؟!!

فتضحك ضحكة عالية رائقة وهي تداعب خصلات شعره الطويلة التي تعشقها ..

لتهمس بهيام عاشق قبل أن تبدأ سرد حكايتها :

_عيوني ل"شهريار"!

=======

القطعة الرابعة والعشرون



على جبينكِ -دلوعتي- وجدت معجزتي !

تفتحين عينيك.. فتشرق للكون شمسان غير شمسه ..

تتبسمين ..فيولد بين شفتيك ألف فجر ..

تتكلمين.. فتنثرين الحروف سحراً للغواية ..

فأي تحية صباح ترضيكِ ؟!

صباح الخير؟! ..وأنتِ للصبح خيره !

صباح الحب؟ !..وأنتِ للحب صبحه !

لا صباح يليق بكِ إلا صباحك ..

فلا صباح خير ولا صباح حب ..بل صباحكِ "أنتِ"!





تتنهد بهيام وهي تعيد قراءة رسالته الصباحية التي تركها لها من حساب "العاشق المجهول" قبل أن تقبل شاشة هاتفها لتغادر فراشها ..

تعلم أنه لم يغادر للعيادة بعد فلاتزال حاجياته الضرورية هنا ..

تتفقده في الشقة لترى باب الغرفة الصغيرة التي يعدونها لأطفالهما في المستقبل مفتوحاً ..

تتحرك بخطوات حذرة نحو هناك قبل أن تتسع عيناها بانبهار وهي تميز الصورة الكبيرة للفتاة على الحائط ..

بشعرها النحاسي الأحمر..وقوسها الذي تمسكه بين ذراعيها ..

مع هذه النظرة المتمردة في عينيها ..

صورة "ميريدا"!





وأمامها كان هو ينهي آخر خطوط فرشاته وقد جلس على ركبتيه ولم يكد يشعر بها حتى التفت نحوها لينهض واقفاً ..

ثم يلقي ما بيده جانباً ليفتح لها ذراعيه ..

فتندفع نحوه لتتعلق بذراعيها في عنقه هاتفة :

_إيه ...

فتذوب بقية حروفها بين شفتيه قبل أن يرفع إليها عينين عاتبتين بمرح:

_قلنا أول ما نصحى نعمل إيه ؟!

فتبتسم بدلال وهي تغرق وجهه بقبلاتها السريعة ثم تعود ببصرها نحو الرسم على الحائط لتهتف بانبهار:

_عملتها إزاي دي؟! معقول رسمتها ؟!

_لا مش للدرجة دي ..دي رسمة جاهزة أبيض وأسود بس أنا درت عليها بالألوان .





يقولها بفخر تزايد مع هذه اللمعة الفرحة في عينيها ليردف وهو يتحسس بطنها المسطح بأنامله :

_كنت عايزها تبقى أول حاجة نعملها في أوضة "البيبي" المنتظر!

_هتشككني في نفسي ياعم ..أقسم بالله ما حامل !

تهتف بها بنزقها المعهود ليضحك ضحكة عالية وهو يعاود ضمها إليه قائلاً :

_باعتبار ما سيكون يا مجنونة ..

ثم عاد يبعدها ليطيل النظر في عينيها مردفاً :

_يا "ميريدا"!

لكنها تهز رأسها بدلال وتعلم الجواب مسبقاً :

_نفسك قوي كده في أطفال؟! أنا لسه صغيرة !





فيشدد قوة ضمته لها حتى تتأوه ثم يقول لها بدفء :

_ربنا حققلي نص الحلم لما بقيتي ليا ..فاضل النص التاني ..عايز زحمة ..عيلة كبيرة حواليا .

_طب والجامعة والمذاكرة ؟! هاقدر إزاي على كل ده لوحدي؟!

تهتف بها بعناد لا يزال يفرض هيمنته على شخصيتها ليرد باحتواء يجيده :

_وأنا امتى سبتك لوحدك ؟!

كلماته وحدها كانت تكفيها لينقلب عنادها وقلقها إلى هالة كبيرة من حب طوقتهما معاٌ وهي تسند رأسها على صدره هامسة بشقاوتها اللذيذة :

_غلبتني يا مارو !

فيضحك وهو يرفع ذقنها نحوه هامساً :





_عجبك صباح العاشق المجهول ؟!

لتتنهد بهيام متذكرة كلماته التي قرأتها منذ قليل لتهمس بنفس الشقاوة :

_عليه كلام يدوووخ يابوووووي!

ضحكته تعلو من جديد لتشاركه إياها للحظات قبل أن تميل رأسها بدلال هاتفة :

_هتفطرني فين النهاردة ؟!

_قصدك أغديكي ..احنا داخلين ع الظهر سعادتك .

يقولها وهو ينظر للساعة المعلقة على الجدار فتهتف باستنكار:

_وهو مين اللي سهرني لوش الفجر وخلاني أصحى متأخر ؟!





تقولها وحمرة وجنتيها تغزوها مستعيدة تفاصيل ليلتهما المشتعلة بالأمس ..

ليرفع أحد حاجبيه بمكر هامساً في أذنها :

_نعم! فكريني كده مين اللي بدأ !

فتعض شفتها بخجل زادها عذوبة في عينيه وهي تخبطه بقبضتها بخفة في صدره ..

ليضحك من جديد وهو يضمها إليه ثم يتنهد هامساً بحرارة وأنامله تتحرك على طول ظهرها:

_السعادة اللي عايشها معاكي يتألف فيها كتب .

_امال أنا أقول إيه ؟! مش مصدقة إن ممكن حاجة تنغص علينا فرحتنا .

تقولها بهيام قبل أن تتغضن ملامحها فجأة لتسأله بحاجبين منعقدين:

_ثانية واحدة كده !..افرض طلعت مابخلفش ..وانت شكلك متعلق قوي





بالأطفال ..هتتجوز عليا ؟!

كتم ابتسامته بصعوبة وهو يشيح بوجهه مستعداً لتلقي واحدة من نوبات جنونها ..

إذ أمسكت بتلابيب قميص منامته مردفة :

_وساعتها هتقوللي حقي أبقى أب ..ومش هاقدر أستغنى عنك برضه ..بس هحاول أعدل بينكم ..فتجيبلي ضرة ..ضرة يا مروان ؟! هي حصلت ؟!

تقولها وهي تهزه من قميصه لينفجر بالضحك بينما هي تردف :

_وكمان بتضحك ؟! بتتجوز عليا وبتضحك ؟!

_داليا! انتِ مش انتِ وانتِ جعانة ! استهدي بالله وتعالي نروح ناكل .





يقولها وهو يربت على ظهرها فتبتسم ابتسامة واهنة قبل أن تتخذ كلماتها منحنى جدياً تماماً :

_بجد يا مروان ..انت ممكن تفكر ..

_اسكتي يا مجنونة !

يقاطعها بها حازماً وعيناه تمنحانها الجواب قبل لسانه ثم يرفع حاجبيه بسؤاله :

_طيب ..خللينا نعكس السؤال ..لو طلعت أنا مش بخلف ..هتسيبيني؟!

_لا طبعاً ..أنا مش فارق معايا موضوع الأطفال ده أساساً ..بلا وجع قلب!

تقولها باستخفاف ليمط شفتيه قائلاً باستياء:

_يعني لو كان فارق معاكي كنتِ هتسيبيني؟!

تراقص حاجباها بشقاوة وهي تتفلت من بين ذراعيه لتخرج له لسانها مغيظة متعمدة عدم الجواب ..

قبل أن تشده من ذراعه هاتفة :





_ياللا عشان هاموت م الجوع ..هنروح المول نتغدى وبعدين نختار فستان أحضر بيه فرح أخو ياسمين ..مادام الفستان اللي جبته ماعجبكش .

_تصحيح! ده ماكانش فستان ..ده كان قميص نوم !

يقولها بعتاب مستجيباً لخطواتها الراكضة وهي تجذبه خلفها نحو غرفتهما هاتفة :

_انت اللي حنبلي! فكّها كده ما تبقاش قفّوش !

يضحك من مصطلحاتها التي يشعر أنها لا تصلح لامرأة سواها ..

قبل أن تجتاحه نوبة من سعال مفاجئة جعلت ملامحها تنقلب في ثوانٍ وهي تسأله بقلق:

_انت كويس؟!




يكاد يبتسم لها لكن نوبة أخرى من السعال تسبقه ..

وتجعل عينيها تدمعان بسرعة بما لا يناسب بساطة الموقف ..

_انت من امبارح واخد برد ..خلاص مفيش خروج .

تقولها بانفعال وهي تدفعه نحو الفراش لكنه يمسك كفيها بكفيه محتضناً هذه النظرة

"الأمومية" في عينيها "الطفوليتين" ..

مزيج غريب صار يتلذذ به وسط شعوره الحقيقي بأنها تغيرت حقاً لتكون أكثر تحملاً للمسئولية رغم هذه الواجهة المدللة لها ..

كيف يخبرها أنه يعشقها بكل وجوهها؟!





يعشق النزقة الطفولية ..والحنون المسئولة ..

لهذا جذبها نحوه فجأة ليعتقلها بين ذراعيه وعيناه تلتمعان بهذه اللمعة الخاصة التي تعرفها ..

_عارفة بتبقي لذيذة إزاي وانتِ عاملة فيها كبيرة كده ؟!

فتبتسم بدلال لايزال يمازجه بعض القلق ..

القلق الذي انمحى تماماً مع همساته اللعوب لها بعدها :

_تعالي أطمنك عليا إني كويس!

ضحكاتها تتعالى بعدها وهي تشعر بدغدغة أنامله لها والتي لا تقاوم أثرها ..





قبل أن تستجيب لطوفان عاطفته الذي يجرفها كل مرة كأنما هي أول مرة ..

عاطفته التي تشعر وكأنما تمنح ملامحها شمساً لا تغيب ..

تزينها بأجمل ما يمكن أن تتجمل به امرأة ..

الأمان !

هذا الشعور الذي رافقها في ساعاتها التي قضتها معه بعدها وهما يغادران البيت للتسوق في ال"مول" القريب ..

ضحكاتهما تتجانس رغم مزيج شخصيتيهما المتناقض..

هي بجنون طيشها وهو برزانة تعقله ..

هذا الذي جعلها تكاد تلقي له تعليقاً يناسب إحساسها لولا أن كادت تصطدم بإحداهن وهي تصعد الدرج الكهربائي ..

فترفع إليها عينيها بنظرة اعتذار لكنها تتبين





ملامحها فينعقد حاجباها بضيق لم تخفِه وهي تتمتم من بين أسنانها :

_ريتال !

============

تتجول في صالة المنزل الواسعة تراقب الأثاث الفخم بشرود ..

ملامحها ترسم ألف لوحة من حسرة وقلبها يخفق بمرارة الفقد ..

تتوقف عند صورة بعينها ..

صورة علقت على الحائط وتود لو تحطمها ..كما حطمها صاحبها!!

_ليه يا حسين؟! ليه تعيشني العمر ده كله في وهم وتفوقني منه على القلم ده ؟!! ليه ؟! ليه ؟!!





كان صوتها يزداد ارتفاعاً مع سطوة انفعالاتها
ليتحول لصرخات تقطعت ببكائها وهي تفرد
ذراعيها حولها كأنما تبحث عن سند ..

فلا تجد سوى فراغ!!

ذكريات باهتة تجتاحها من صورتها القديمة ..

المرأة الكاملة التي كان الجميع يحسدوننها ..

الآن ينتهي بها المقام وحيدة ..

هجرها ابناها ..وقبلهم خانها رفيق دربها ..

أي مصير هذا الذي آلت إليه حياتها بعد طول
ترف؟!!

_هيثم عند شهد ..زميلته ..البنت اللي ..

_اللي إيه ؟! مستحيل ..اللي ضحكت على باباك ؟!
هيثم راح لها برجله ؟!!





تغمض عينيها بألم وذكرى لقائها الأخير بإسلام تطعنها بنصل بارد !!

ظن أنه يطمئنها على شقيقه فإذا به يجلدها بسوط من نار !!

تتذكر ثورتها حينها ..تهديدها إياه أن تقاطعهما معاً لو استمرت هذه المهزلة ..طردها له من البيت ورفضها الرد على اتصالاته ..

فتنهمر دموعها بغزارة أكثر وهي تتذكر الزيارة التي عادت منها لتوها الآن ..

إنه أحد كبار الأطباء الذي استشارته في حالة هيثم ليخبرها أنه من الأفضل له ألا يعلم الآن عن حقيقة الفتاة شيئاً مادامت هي الوحيدة التي صار يثق بها في متاهة ذكرياته الآن !!





آهة تلو آهة تغادر حلقها وهي تشعر بقلبها يكاد ينفطر ..

أي عذاب مضطرة هي أن تعيشه وهي تترك ابنها للمرأة التي أغوت أباه حتى دمرته ؟!!

أي جحيم قذفوها فيه وهي عاجزة عن إخراجه من هناك وأكثر عجزاً عن زيارته وهو معها؟!!

لو استجابت لجرح أنوثتها فستهرع إليه هناك فاضحة له كل شيء كي ترده لحضنها ..

لكنها ...

صوت هاتفها يقاطع أفكارها لتجد الاتصال من سوزان ..

وحدها من بقيت على عهد صداقتهما القديمة بعدما انفضت عنها جموع المنافقين ..

_أهلاً يا سوزان !





تقولها بصوت خنقه بكاؤها لترد صاحبتها بعصبية :

_وبعدين ؟! العياط هو اللي هيرجعلك ولادك يعني ؟!

_وإيه اللي هيرجعهم ؟!

تهتف بها بين فيض دموعها لترد الأخرى بغيظ :

_انتِ إزاي باردة كده ؟! إزاي قادرة تسيبي ابنك للبنت دي ؟!

_أعمل إيه ؟!

_روحي دلوقت حالاً وطربقيها على دماغها ..فهميه حقيقتها وافضحيها في وسط حتتها هناك .

تهتف بها سوزان بحقد لتهز جيلان رأسها مفكرة ..

الخاطر يبدو لها براقاً بلمعة الانتقام ..

خاصة والأخيرة تنفث فيها المزيد من السم :





_هتفضلي لحد امتى الحيطة المايلة اللي الكل مستهون بيها ؟! جوزك وخانك ؟! ابنك الكبير خرج عن طوعك واتجوز من وراكي ؟! ودلوقت هتسيبي الصغير لحتة بنت مفعوصة ضحكت على باباه ؟! ويا عالم حصل بينهم إيه ؟!

سؤالها الأخير يحمل لصاحبتها من العذاب أضعاف ما حمله باقي كلامها فتنخرط جيلان في البكاء من جديد ..

فيما تهتف سوزان بنفس الحقد المسموم :

_هتسيبي ولادك لولاد الخدامة يمشوهم على كيفهم ؟! أنا متأكدة إن اللي اسمها ياقوت دي هي اللي واكلة دماغهم ..هاوديني واقلبي الترابيزة على دماغ الكل ..ما تخيبيش خيبتي ..انتِ ابنك لسه ع البر الحقيه ..لكن أنا ابني خلاص ..خطفته المجنونة من حضني!

_كفاية !





هتفت بها جيلان أخيراً لتلتمع عينا سوزان بظفر هاتفة :

_هتروحي لها وتفضحيها قدامه ؟!

_لا!

هتفت بها جيلان قاطعة وهي تتحسس دلاية سلسلة على عنقها حملت صورتها مع ابنيها لتردف بين فيض دموعها :

_مش هادخل هيثم في تصفية حسابات .

_هتسيبيه للبنت ال"بايظة" دي تضحك عليه ؟!

تصرخ بها سوزان باستنكار لتشهق جيلان باكية مع كلماتها :

_مش عارفة ..مش عارفة ..أصدمه فيها إزاي وهي الوحيدة اللي جري عليها لما زعل مننا كلنا؟!
إيه يعرفني إنه لو اكتشف حقيقتها هيرجع لي ؟!
مش يمكن أخسره أكتر؟!





_إيه البرود والسلبية اللي انتِ فيها دي ؟! دي فرصتك عشان تطفي نارك منها !

_مش على حساب ابني يا سوزان ..كفاية اللي ضاع مني ..

تتمتم بها بحرقة وسط فيض دموعها ليصلها هتاف صديقتها الساخط على الجانب الآخر من الاتصال :

_بكرة تندمي ..بكرة تقولي ياريتني وقّفت كل واحد عند حده ..الطيب في الزمان ده ..

لكنها تقطع الاتصال فجأة لتقذف الهاتف فينال أقرب ما طالته يداها ..

مرآة ذهبية فخمة عالية القيمة تذكر أنها اشترتها يوماً في أحد المزادات وكانت تتعالى على رفيقاتها بها ..

هذه التي توجهت الآن نحوها لترمق صورتها المشوشة فيها بنظرة خاوية ..





صورتها ك"أنثى" تكسرت ..تموهت ..تشوهت كهذه التي تبدو لها الآن في المرآة ..

لكن تبقى صورتها ك"أم" !!

هذه التي لن ترضى لها بعد الآن أن تتشوه ..

عيناها تصطدمان بأحد الأدراج فتفتحه لتستخرج منه عدة ألبومات للصور ..

"وحش الحنين" ينهشها بمخالبه وهي تكاد تذوب اشتياقاً لأيام مضت ولن تعود ..

صورة تلو صورة لها مع حسين ..تتأبط ذراعه ..تحتضنه ..تقف أمامه ..

دوماً ما كانت تقف أمامه في الصور ..

لكنها الآن تعلم علم اليقين أنه ـحقيقةً ـ جعلها العمر كله خلف ظهره !!

شهد هذه لم تكن بالتأكيد أول خيانة نالتها!!





النار تنتشر بسرعة بين هشيم روحها فتود في هذه اللحظة لو تستمع لوسوسة سوزان ..

لو تطفئ لهيبها بفضحها أمام ابنها وأمام الجميع ..

سوزان محقة ..نعم ..

لكن ..

عيناها تنتقلان من جديد لبقية الصور ..

تتلمس صور ابنيها في مراحل مختلفة من عمريهما ..

تذوب حسرة على "ضحكة حقيقية" مرسومة على وجهها ووجهيهما بعيدة تماماً عن "ضحكتها" التي اعتادت تصنعها مؤخراً ..

فيرتجف قلبها ..

بل ينهض كالعنقاء من رماده موقناً أن هاهنا فقط المغنم الذي لن تفقده قط !

ابناها!

والخاطر الأخير ترافقه لمسة يدها من جديد لصورة سلسلتها في عنقها ..





قبل أن تعود لتستمد "زاد الصبر" من جديد
بنظرات دامعة للمزيد من الصور ..

والقرار بداخلها يزداد تبلوراً ..

لا مجال للمقارنة ..

"صنم الأنثى" قد تكسره خيانة رجل ..

لكن "محراب الأم" لن يفتقد ناسكيه طوال العمر !

=======

_يالل يا مامي ..بابا جاب الفيلم !

تهتف بها ريما خلف باب "غرفتهما" المغلق لتهتف نشوى بضيق:

_حاضر ..جاية !

تقولها لتطلق زفرة ساخطة وهي تنظر لنفسها في المرآة ..

غرفتهما ؟!

صار لها مع إسلام هذا غرفة ؟!!

من كان يخبرها أن حياتها ستتبدل هكذا في بضعة أيام ؟!!

بضعة أيام شعرت هي بها وكأنها دهر بأكمله !!

دهر من خذلان وألم وفضيحة سيتحاكاها الناس طويلاً ..

لكن ..هل هذا ما حملته هذه الأيام فحسب؟!!




عيناها تختلسان نظرة للمرآة من جديد ..

منامة أخرى حريرية من مناماته التي اختارها لها لتجدها مرتبة في خزانة ملابسها هنا ..

منامات كلها ناعمة قصيرة السراويل عارية الأكتاف بألوان مشرقة ..

هذه مثلاً بلون كريمي هادئ ومحلاة بتطريز رقيق باللون الوردي ..

الوردي ثانية ؟!

لا تستسيغ هذا اللون من صغرها رغم هوس النساء المعتاد به !!

لكن ما الجديد ..هذا هو شعورها بالذات نحوه هو !!

لا تستسيغه !!

لا تنفر منه كزوجها السابق ..لكنه لا يملك سطوة جاذبية ناصر عليها ..





ناصر ..

ناصر ثانية ؟!!

ألم تكرهه بعد مافعله ؟!

الغريب أنها لم تفعل!

بل على العكس ..ازدادت به تعلقاً وهي تراه يلقي العالم كله خلف ظهره لأجل امرأة أحبها ..

امرأة تمنت ..

تمنت لو كانت هي !!

تغمض عينيها مقاومة خاطرها الأخير بكل ما أوتيت من قوة ..

ستحارب ناصر بداخلها ..

إن لم يكن لأجل كرامتها فلأجل رجل تحمل اسمه وتريد أن تصونه !

_ياللا يا مامي ..عايزة أشوف الفيلم !





تعاود ريما هتافها من الخارج فتتنهد بقوة وهي تمشط شعرها لتربطه خلف رأسها فيما يسمى بذيل حصان ..

قبل أن ترمق نفسها أخيراً بنظرة راضية ..وساخطة !!

لم تعد تفهم نفسها حقاً !!

تفتح الباب لتخرج إليهما فتتعلق عيناها بمشهده وهو يجلس مسترخياً على الأريكة وقد ضم الصغيرة لصدره بأحد ذراعيه بينما وضع وعاء كبيراً من "الفشار" جواره أمسكه بذراعه الحر ..

هذا الذي أزاحه الآن ليضعه فوق ساقيه مفسحاً لها هي المكان بحركة صامتة ..

تحركت لتجلس جواره غافلة عن عينيه اللتين كانتا تذوبان هياماً بتفاصيل أنوثتها في هذه المنامة ..

يعترف أنها ليست أجمل امرأة عرفها ..




لكنها أكثرهن أنوثة ..أعظمهن فتنة على قلب لم يتعلق هكذا بسواها !!

لهذا ما كادت تستقر جواره حتى مد ذراعه ليضمها نحوه -كابنتها- قبل أن يهمس في أذنها بخفوت :

_جامدة !

شفتاها ترتجفان ب-شبه ابتسامة -!

رغم شعورها بالاشمئزاز من هذا اللفظ الذي يستخدمه دوماً في التعبير عن إعجابه ..

لكنها لا تدري لماذا صار يؤثر فيها إلى هذا الحد ..

ربما لأنه يداعب وتراً منسياً في قيثارة أنوثتها !!

لكنها مالت على أذنه هامسة باستنكار ساخط افتضح رغم خفوت نبرتها :

_ولا بجامة ببنطلون في الدولاب؟! كلها شورتات !!

فكتم ابتسامته وهو ينظر للصغيرة مطمئناً





لانشغالها بالشاشة قبل أن يميل عليها هي ليغمزها بهمسه الوقح:

_البناطيل دي تلبسها الستات اللي رجليها وحشة فبتخبيها ..لكن ..

_ششششش!!

تلكزه بها في خصره مقاطعة همسه بمزيج من خجل وسخط ومحاولة تخليص نفسها من ذراعه لكنه يتشبث بها وهو يضمها نحوه بقوة أكبر ..فتعاود لكزه بكوعها في خاصرته ..

_Incredibles.2

تقرأها ريما بصوتٍ عالٍ مقاطعة سجالهما الخافت هذا ليتجه كلاهما ببصره نحو الفيلم الكارتوني على الشاشة بينما الأولى تردف بنبرة متحمسة :

_عايزة أشوفهم هيعملوا إيه الجزء ده ..





تنقطع عبارتها بضحكاتها وهي تميز تطور الشخصية الجديدة للطفل ابن البطلين الذي ظهر في هذا الجزء:

_عدنان ! عسل الجزء ده يا بابا ..

ثم صمتت لحظة تفكر لترفع عينيها إليه بسؤالها:

_هو أنا ممكن أطلع "خارقة" ومش عارفة ؟!

_ممكن جداً ..

يقولها إسلام وهو يطعمها الفشار في فمها لتضحك له الصغيرة قبل أن تعود للاستكانة على كتفه ..

فيما بقي جسد نشوى متشنجاً في جلستها هذه وهي تشعر بالارتباك ..

ارتباك ازداد وهي تجده يريد أن يطعمها مثل صغيرتها لتفاجأ بالفشار قرب شفتيها ..

فتتقبله مرغمة ..وراضية !!

تناقض لم تعد تتعجبه مع هذا الرجل!!




تحاول الاندماج مع أحداث الفيلم الذي تعلم أن صغيرتها ستصدع رأسها بالحديث عنه بعد انتهائه كما عودتها ..

لكنها رغماً عنها تغيب في شرود طويل يخطفها من كل ما حولها ..

إلا من حركة شفتيها الرتيبة مستجيبة لتناول طعامها منه!!

شرودها يبتلعها تماماً ..

يدخلها في دوامة عجيبة "قهرية"..

فترى نفسها في نفس الجلسة إنما ..مع ناصر !!

يحتضنها وابنتها بكلا ذراعيه ..يمتدح أنوثتها بإفراط ..

ويهمس لها بكلام غزل لم تسمعه ..ولم ترد أن تسمعه من غيره !!

ترى كيف هو رد فعله على زواجها من صديقه ؟!

تراها ردت له الصفعة حقاً ؟!





هل منحته هذا الشعور أنه مجرد لا شيء ؟!

أم أنـها تخدع نفسها ؟!

وأنـها هي ..هي عنده "اللاشيء"؟!!

أفكارها تنقطع بشعورها بأنامله تداعب خصلات شعرها فيزداد تشنج جسدها بين ذراعيه وهي تتحاشى النظر نحوه ..

لكنها تنتقل ببصرها نحو ابنتها لتجده يداعب شعرها هي الأخرى بذراعه الآخر !!

فتلعن نفسها وهي تشعر من جديد بالذنب!!

لو كان صادقاً حقاً فيما يفعله فكيف تجزيه عنه بخيانة ولو بأفكارها ؟!

لو ...؟!

ألازالت تسأل؟!

نعم ..ولا تزال لا تعرف الجواب!!





جسدها يسترخي رغماً عنها مع حركة أنامله المداعبة لمنابت شعرها ليستقر رأسها تماماً على صدره دون تشنج ..

وما كاد يشعر هو بهذا حتى طافت بشفتيه ابتسامة راضية وهو يزيد من قوة ضمته للاثنتين بين ذراعيه ..

لتفيق هي من تخبطها وتعود لها طبيعتها "الشوكية" فترفع رأسها نحوه هاتفة باستنكار :

_انت مش كنت ماسك الفشار بإيدك ؟! إزاي تحطها في شعر البنت كده ؟!

_ما احنا خلصنا الفشار من زمان ..ومسحنا إيدينا ب"وايبس" يا مامي !

تهتف بها ريما مدافعة وهي تتناول علبة "المناديل المبللة" من جوارها لترفعها في وجهها ..

بينما هتف هو وهو يناظر عينيها المشتتين بمزيج من إشفاق ومكر:

_الظاهر مامي كانت سرحانة ..




ثم مال عليها بغمزته الساحرة كالعادة هامساً:

_اللي واخد عقلك يا "عسل"!

ترمقه بنظرة ساخطة متشحة بخليط مشاعرها العجيب من امتنان وذنب ..

لكنه يتفهم كل هذا وهو يعود لمداعبة شعرها وتظاهره الفاشل بمتابعة الفيلم !

تعود هي الأخرى لتغرق في نفس الدوامة الخطيرة من جديد لتبتلعها لدقائق أخر ..

ناصر..ناصر من جديد !

يقولون إن زوجته انهارت تماماً وترفض رؤيته ..

هل يشعرها هذا ببعض الارتياح؟!

لماذا إذن لا تشعر بلذة الشماتة ؟!

بل بغصة كبيرة تخنق حلقها !!

لا تتمنى له عذاب فقد كالذي تعيشه ..





مهما كان جرحه ..صفحها سيغلبه !

من جديد تنقطع أفكارها وهي تسمع صوت شخير طفلتها الناعم فتدرك أنها استسلمت للنوم على نفس الصدر الذي يضمهما الآن معاً !!

ينتابها شعور غريب نحوه ينتزعها من "خيالاتها القسرية" لتراه ب"عين الحقيقة" أول رجل يراعيها وابنتها هكذا بعد أشرف ..

شعور زاده هو من سطوته وهي تحس بإناملة المداعبة لشعرها تنتقل بجرأة أكبر لتداعب بشرة كتفيها ..

جسدها يتحفز من جديد ل"معركة" لا تدري أين ستنتهي بها ..

ترفع إليه وجهها بعينين زائغتين من جديد ليتلقفه بشفتيه قبل عينيه !





لقاء شفاه قصير لكنه يزلزلها بهذا الشعور العاصف الذي لم تختبره من قبل ..

شعور بلا مسمى لكنه يجعل خلاياها تفور كأنما تغلي على مرجل !

شعور لذيذ ..لكنه يوترها ..

يوترها بهذا المزيج الذي لا تفهمه من نفسها بين استجابة ونفور !!

لهذا دفعته سريعاً بارتباك لتقول وهي تشيح بوجهها نحو الصغيرة :

_البنت نامت ..هوديها أوضتها .

تقولها لتنهض واقفة قبل أن تنحني لتحمل الصغيرة لكنه تحرك قائلاً :

_هاشيلها أنا .





يقولها ليقف وهو يحمل الصغيرة ليتحرك بها نحو غرفتها حيث وضعها على سريرها قبل أن يلتفت نحوها هي وقد لحقت به ..

_هنام معاها هنا ..هي متعودة تنام جنبي ..لو قلقت مالقتنيش هت..

كلماتها تتلعثم بما يشبه تخبط شعورها ..

ونظراتها الراجية تناقض ملامحها المتنمرة في مزيج لم يعد يدهشه ..

بل لا يبالغ لو زعم أنه صار يعشقه !!

يعشقه وهو مميز لها ..هي فحسب!!

لهذا داعب أنفها بسبابته مقاوماً ضيقه الطبيعي من طلبها ليهمس لها بغمزة كعهده :

_براحتك يا عسل!





ترمقه بنظرة تشكك ولا تصدق أنه سيتركها لحالها ها هنا لكنها وجدته يتحرك ليغادر الغرفة فعلاً ..

_يا ... !..يا باشمهندس!

نداؤها "الغريب" يستوقفه ليبتسم مكانه قبل أن يلتفت نحوها فيجدها محمرة الوجه خجلة ..

_يا عيون "الباشمهندس"!

يقولها بنبرة هزلية مبالغة وهو يكتف ساعديه لتعقد حاجبيها وهي تلوح بذراعيها قائلة بخشونة ظللت اعتذارها :

_لسه ماخدتش على إني أناديك باسمك .





خشونتها تحفزه للمزيد من استفزازها اللذيذ فيتقدم نحوها ليقول بنفس النبرة :

_قوليلي يا "سلمونتي"!

يقولها محاكياً مشهداً شهيراً لأحد المسلسلات القديمة فتكتم ابتسامتها بصعوبة وهي تتخيله بصورة "العمدة" صلاح السعدني !!

"شبه ابتسامتها" هذه يستقبلها هو بضحكة

عالية ليقترب منها أكثر ثم يحيط كتفيها بقبضتيه وعيناه الحنونتان تناقضان عبث كلماته :

_اؤمرني يا "عسل"!

تدمع عيناها دونما سبب وهي تحاول الحفاظ على تواصلهما البصري للحظات قبل أن تفقد تماسكها لتطرق بوجهها قائلة بخفوت :

_انت ..اتجوزتني ليه ؟!





_تاني؟!

يسألها بمزيج من تفهم وإشفاق لترد بنبرة عاد إليها تنمرها العصبي:

_هتستعبط ؟! وانت كنت جاوبت أولاني؟!

_عشان أكفر ذنوبي وأقابل ربنا وأنا نضيف !

يقولها مشاكساً وهو يمسد صدره بحركة دائرية لتلكزه في كتفه قائلة بحنق :

_كل حاجة عندك تقلبها هزار ؟!

_ماهو كلامي الجد بيوترك !

يغمزها بها بعبث لتزفر بسخط حقيقي وهي تشيح بوجهها شاعرة بالمزيد من التخبط ..

لكنه يمسك ذقنها ليقرب وجهها نحوه ..ثم يعود ليطوق كتفيها بقبضتيه ..

يصمت للحظات مرت عليهما طويلة ..حميمية ..دافئة ..

ثم يهمس لها بنعومة آسرة :





_اتجوزتك عشان تحبيني ..

عيناها تتسعان بصدمة من جواب لم تتوقعه ..

ليقترب هو بوجهه أكثر حتى يكاد يلاصق وجهها :

_عارفة يعني إيه ست زيك تحبني ؟! يعني أعيش العمر كله مطمن إني مسنود ..لو وقعت

هلاقي إيديها بتشدني ..بتوقفني تاني ..ست زيك يعني دفا ..أمان..حنيّة يمكن ماتبانش في الكلام بس بتتغرس في القلب غرس ..ست زيك يعني الدنيا كلها !

جسدها يرتجف بين قبضتيه بقوة لا تملكها وكلماته -على حرارتها- لا تصل لقلبها !!

لم تعد تدري هل تصدقه أم تكذبه فقد كانت هائمة في وادٍ آخر ..





ناصر!

هذه هي -بالضبط - الكلمات التي تمنت سماعها منه !!

_مش انتِ اللي عايزاني أتكلم جد ؟!

تشعر بهمساته تنتهي عند حدود شفتيها فتغمض عينيها مستسلمة لغزو تخافه ..وتشتهيه !!

تخافه بعمر أيام قضتها تنفر من لمسات "رجل "..

وتشتهيه بعمر أيام قضتها تنتقص من قدر نفسها ك"أنثى"!

مزيج غريب لكن مشاعرها الآن كلها تبدو لها غريبة ..متخبطة ..





والخطير حقاً في هذه اللحظة أنها لم تكن تراه هو !!

تارة تراه في صورة "زوجها السابق" فيتقلص جسدها نفوراً ..

وتارة تراه في صورة أخرى تجعلها تكاد تذوب ..بل تشتعل استجابة ..

صورة ناصر!!

شهقة عنيفة تطلقها عالية وهي تدفعه عنها أخيراً ببعض العنف لتسيل دموعها كالسيل على وجنتيها ..

أي جحيم هذا الذي ورطت نفسها فيه ؟!!

تكون بين ذراعي رجل وتفكر بآخر !!!!

إنها لم تفعلها مع زوجها السابق ..

فلماذا تفعلها الآن معه هو ؟!





بينما كان يرمقها هو بنظرة متفهمة لم تخلُ من إشفاق ..

لا تزال دموعها بين ذراعيه حاجزاً يود لو يتخطاه ..

يعلم أنه وقتها فقط يمكنه أن يرغب منها بالمزيد ..

لو كان أحدهم قد أخبره من قبل أنه سيصبر على امرأة كما يصبر عليها لاتهمه بالجنون ..

لكنه يجد نفسه يفعلها طوعاً ..وقسراً !!

لأجلها ..ولأجل نفسه !!

لهذا زفر زفرة قصيرة وهو يمسح دموعها بأنامله صامتاً مكتفياً بنظراته المؤازرة التي لم تكن تدري هل تربت عليها ..

أم تلسعها بالمزيد من سياط الذنب !!





_طيب ..أنا هاوريكي عرض أكتافي ..بس عايز أسمع اسمي منك الأول ..مش معقول هتفضلي تناديني يا باشمهندس .

يقولها مشاكساً بمناورة لترد بصوت مختنق وهي تتحاشى نظراته :

_مش وقته دلوقت ..هاندهك ليه ما انت قدامي ؟!

_يا ساتر!

يقولها رغماً عنه ضاحكاً من فظاظتها قبل أن يميل على خدها ب"عضّة" خفيفة مفاجئة مردفاً:

_أموت في التين الشوكي !

تأوهت بخفوت وهي ترمقه بنظرة مغتاظة غلبت ألم ملامحها ليبتسم وهو يغمزها بينما يبتعد بقوله :

_تصبح على خير يا "شرِس" !




تتابعه بنظراتها بتوجس حتى يختفي عن ناظريها فتتنهد أخيراً وهي تشعر ببعض

الارتياح ..

ورطة !!

ورطة جلبتها لنفسها وتزداد خطورتها يوماً بعد يوم !!

=======

استيقظت من نومها لتفتح عينيها فتجد الفراش خالياً من ريما ..

لابد أنها ذهبت إليه !

لم تعد تنتظر استيقاظها هي أو حتى توقظها بنفسها بيديها الصغيرتين فوق وجنتها ..

بل صارت تهرع فور إفاقتها من نومها إليه هو!!

هل تشعر بالغيرة منه على طفلتها ؟!





ربما ..

وربما تخشى أكثر أن يزداد تعلق الصغيرة به ..فيخذلها ..يخذلهما معاً!!

تنفض عنها الغطاء بسرعة لتصطدم عيناها بساقيها العاريتين في سروال منامتها القصير ورغماً عنها تتذكر عبارته الوقحة بالأمس ..

_البناطيل دي تلبسها الستات اللي رجليها وحشة فبتخبيها ..

عبارته التي قاطعتها هي ..ترى لو لم تفعل هل كان سيغازلها هو ؟!

هل يراها حقاً جميلة ؟!

تعض شفتها بارتباك وهي تعجز لأول مرة عن فهم تناقضات نفسها ..

هي لا تريده ..لكنها تريد سماع كلماته ..





هي لا تحبه ..لكنها تحب ما يفعله لها ..

هي لا تنجذب له ب"قلب" لا يزال لا يعترف إلا بمعشوق واحد خذله ..

لكنها تنجذب له ب"جسد" هو أول من يجيد فك شفراته !

هي إذن لا تراه هو ..إنما تحب رؤية نفسها من خلاله !!

زفرة يائسة تغادر حلقها وهي تقف مكانها لتتوجه نحو الحمام القريب ثم إلى مرآتها ..

تعلم أن شعرها الجميل وجسدها المغري هما أفضل ما تملكه امرأة عادية الملامح مثلها ..

ربما لهذا اهتمت كثيراً بتصفيف شعرها لتعقصه كعهدها خلف ظهرها ..

قبل أن تغير رأيها في آخر لحظة لتسدله على كتفيها حراً ..دون أن تفكر في السبب !





تتحرك نحو المطبخ القريب لتجده واقفاً جوار ريما التي تلاحقه بثرثرتها فلا يتذمر ..

بل يضاحكها مشاكساً تارة وينصحها خفية تارة ..

والصغيرة في الحالتين تستجيب له بأكثر مما تفعل معها هي !!

الصغيرة كانت فعلاً تحتاج أباً ..

أباً مثله هو !!

_صحيتي يا مامي ؟! شفتي المفاجأة ؟!

تهتف بها ريما بحماس وهي تهرع إليها بينما تحمل أحد الأطباق بين كفيها :

_بابا خلاني أساعده في الفطار ..قشرت البيض ..وحطيت الكاتشاب على البطاطس لوحدي ..وصبيت العصير من الدورق وما وقعش غير شوية صغيرين ..شوفي ..





تقولها ريما بفرحة من "إنجازاتها" الصغيرة وهي تشير للمائدة التي رصت عليها أطباق الطعام ..

فانحنت نشوى لتعانقها بحنان وهي تتحاشى النظر نحوه ..

هو الذي طافت نظراته فوقها بعاطفة حارة وهو يتذكر -أحلام يقظته -العابثة معها في فراشه الخالي منها بالأمس ..

_أحلام يقظة ! خلاص ده بقا آخرك يا بتاع البرقوق!!

يقولها لنفسه بحسرة ساخرة وعيناه تعاودان دورانهما المتفحص فوقها ليردف لنفسه بحسم :

_فشر! محتاجين بس ندوس بنزين شوية بس ما نقرصش قوي عشان ما تقفشش!




_صباح الخير !

تقولها نشوى بخشونة لم تتعمدها ملاحظة دوران نظراته فوقها كعادته ليرفع عينيه نحوها بغمزته الساحرة كعادته :

_صباح العسل يا عسل!

_علمني أعملها يا بابا ..إزاي بتقفل عين وتفتح التانية بسرعة كده ؟!

تهتف بها ريما بانبهار لترمقه نشوى بنظرة ساخطة جعلته يطلق ضحكة عالية ثم ينحني ليحمل الصغيرة فيقبل وجنتها ..

قبل أن يعاود غمزته بقوله :

_هاعلمهالك ..دي مامي بتحبها قوي !

_أنا لا بحبها ولا نيلة !




هتفت بها نشوى بسرعة أفقدتها التحكم في فظاظتها لكن الصغيرة هتفت بحماس وهي تقبل وجنة إسلام كأنها تصالحه :

_مش مهم ..ما تزعلش ..مامي مابتحبش حاجات كتير حلوة ..بس أنا بحبها قوي .

_حبيبتي انتِ !!

يهتف بها إسلام وهو يغرق وجه الصغيرة بقبلاته قبل أن يرفعها بين ذراعيه ليدغدغ بطنها بأنفه فتنطلق ضحكات الصغيرة بين صرخاتها في مزيج رجّ نشوى رجاً !!

المزيد من الغيرة -اللا مفهومة- هاهنا !!

المزيد من الانجذاب -اللا مسمى- لهذا الكيان !!





والمزيد من التخبط بين مشاعر لم تتخيل أن تتطرف هكذا بين امتنان وغضب ..والكثير من الذنب!

الذنب؟!

نعم ..وكيف لا ؟!

وهي لا تزال تجد نفسها رغماً عنها تتمنى لو كان ناصر مكانه !!

وليت الأمر يقتصر على التمني ..بل إنها صارت تتخيله !!

أغمضت عينيها بقوة تقاوم الخاطر الأخير بضراوة قبل أن تعاود فتحهما لتراه يجلس الصغيرة فوق أحد كراسي المائدة ..

قبل أن يتحرك فيسحب لها هي كرسياً ..

تهم بشكره وهي تجلس لكنه يسحب الكرسي خفية بحركة من ساقه فتكاد هي تسقط لولا أن يتلقفها بين ذراعيه بخفة سريعة ..





_اسم الله عليك يا عسل!

قلبها يخفق بقوة وهي تحاول استعادة توازنها بينما تستدير بين ذراعيه لترفع عينيها إليه بنظرة غاضبة فيستقبلها بحاجبين متراقصين :

_مايصحش تقعي وأنا موجود ..دراعاتي أولى بيكي!

_مفيش فايدة ..كل ما تعمل حاجة عدلة أشكرك عليها تبوظها بتصرفاتك دي !!

تهتف بها بانفعال لترد ريما مدافعة بقوة:

_هو ما عملش حاجة يا مامي ..الكرسي اللي اتزحلق لوحده .





دفاع الصغيرة يزيد سخطها فتدفعه ببعض العنف وتجلس مكانها فيغيظها بضحكة أخرى قبل أن يجلس بدوره ..

مشاكساته لها لا تتوقف طوال تناولهما للطعام ..

تماماً كضحكات ريما العالية التي بدت لها حيوية كما لم تكن من قبل !!

_ليلة الحنة بتاعة أختي لجين بكرة ..جبت لكم فستانين هيعجبوكم قوي !

يقولها لتصفق ريما بحماس طفولي فيما تتغضن ملامحها هي لتهتف به بانفعال مبالغ فيه :

_وتجيبلنا ليه من غير ما تاخد رأيي؟! مش هتبطل تفرض ذوقك عليا ؟! أنا مابحبش حد يتحكم فيا !

وصل انفعالها حد الصراخ العصبي في عبارتها





الأخيرة ليسود الوجوم للحظة قبل أن يلتفت إسلام نحو ريما قائلاً بحسمه الحنون :

_روحي أوضتك يا ريما واقفلي عليكي لغاية ما أناديلك .

_هتتخانقوا ؟!

تسأله الصغيرة بقلق ليرد بإشارة بالنفي صحبتها ابتسامة ..

ثم غمزة لها جعلتها تحاول تقليده بمحاولة فاشلة قبل أن ترفع له إبهامها بعلامة

الاستحسان ..

لتقفز من على مقعدها ثم تتوجه نحو نشوى فتقبل وجنتها قائلة برجاء:

_عشان خاطري ماتزعليهوش ..انا بحبه قوي .




يشتعل وجهها بغضب ممتزج بالغيرة وهذا المزيج المتصارع من مشاعرها ..

فيطرق برأسه متفهماً هذه الدوامة التي تجاهد للخلاص منها ..

يعرف جيداً أن أمخاخ النساء تختلف عن الرجال !

المرأة تسوقها عاطفتها ..يدور حولها عالمها كنواة ..فيما تبقى عاطفة الرجل مجرد "عاصمة"على خريطة تعجّ بالمدن !!

لهذا يرفع عينيه إليها عقب انصراف الصغيرة ليمد أنامله نحو كفها على المنضدة فيحتضنه برفق ..

تلتفت نحوه بحدة هدأتها نظراته الحنون التي ناسبت قوله الهادئ:

_أنا ما بفرضش ذوقي عليكِ ..أنا بس عايزك تحسي إني فعلاً مهتم بيكي وبريما .





عبارته كانت حسنة النية تماماً لكن "جرحها الطازج" يجعلها تتحسس "بطحة رأسها" فتهتف بصوت من على وشك البكاء:

_"عايز تحسسني إنك مهتم بيا"؟! قصدك إيه ؟! هه؟! إني مش لاقية حد يحسسني بكده ؟! إني ناقصة اهتمام..مجروحة ..غلبانة ؟! بتعايرني ؟! قلها بصراحة ..أنا من ليلة الفرح وأنا مستنياك ..

يرفع أنامله الحرة نحو شفتيها مقاطعاً بينما كفه الآخر يضغط أناملها في راحته ليرمقها بنظرة عاتبة امتزجت بحنان عينيه الدافق تاركاً لدموعها حرية الانطلاق ..

يعلم أنها تحتاج المزيد من الوقت لكنه ليس متعجلاً ..





هو اختار طريقه معها وسيكمله !

لهذا صبر لبضعة دقائق حتى هدأت حدة بكائها ثم وقف ليشدها فيوقفها معه قائلاً:

_تعالي شوفيه ولو ماعجبكيش ..ننزل نشوف غيره !

أشاحت بوجهها دون رد ليجرّها جراً نحو غرفتهما ثم يفتح لها الخزانة فتمط شفتيها باستياء وهي تميز لونه ..

_روز! كل حاجة تجيبهالي روز ! من صغري ما بطيقش اللون ده !!

تهتف بها باستياء اعترفت لنفسها أنه مبالغ فيه فالثوب حقاً كان مبهراً ..

ليرفع هو حاجبيه هاتفاً بنبرته المشاكسة :

_فيه ست مابتحبش الروز !! ده انتِ معقدة بقا !!




كلماته تستفزها لتنزع كفها منه هاتفة بانفعال:

_معقدة ..ومكلكعة ..ومش نافعة ..عاجبك واللا مش عاجبك !

_عاجبني موت يا عسل!

يهمس بها بحاجبين متراقصين قبل أن يسرق من شفتيها قبلة خاطفة تجعلها تشهق مبتعدة بوجهها ليقهقه ضاحكاً قبل أن يميل على أذنها هامساً:

_لما بتتعصبي بتبقي رهيبة ..مابعرفش أمسك نفسي ..فاهدي بقا سيكا عشان بتهور وبترجعي تزعلي ..يا عسل!

والكلمة الأخيرة ترافقها "عضّة" خفيفة لطرف أذنها فترمقه بنظرة أكثر اشتعالاً ..إنما أقل سخطاً !

يبتسم وهو يحك ذقنه في وضع التفكير ليقول كأنما يحدث نفسه :





_طلعت ما بتحبش الروز ! مممم ..امال هاعمل إيه في الحاجات اللي موصي عليها دي ؟! دي تقريباً كلها روز ..بجامات وقمصان نوم ..و "بيبي دول" و..

تشهق بارتياع وهي تضع كفها على فمه مقاطعة وقد احمر وجهها مدركة ما سيتفوه به بعدها :

_بس ..بس ..هتقول إيه تاني ؟! انت إيه ؟! لسانك ده مفيش عليه كونترول خالص ؟!

_خالص!

يقولها بحاجبين متراقصين بعدما قبّل راحتها على شفتيه لتبعدها بعنف هاتفة :

_ماشفتش خمس دقايق تربية ؟!

_ولا دقيقة واحدة !

يكرر تراقص حاجبيه وهو يحتضن خصرها فجأة ليلصقها به فيرتجف جسدها مع تلاحق أنفاسها ..

خاصة وهو يقترب بوجهه منها هامساً بمكر:





_أكمل بقية الحاجات اللي موصي عليها بقا ؟!

_اخرس!

تهتف بها وهي تدفعه ببعض العنف ..

جسدها يستعذب هذا "الهجوم اللذيذ" الذي يمارسه ..لكنها تكره هذا !!

تكرهه وهو يقذفها وسط لهب الصراع من جديد ..

فتهرب منه بقناعها "الشوكي" كالعادة :

_وبعدين ليلة حنة إيه دي اللي أحضرها ؟! أنا ما أعرفش حد هناك !

_اعرفيهم ..دول إخواتي!

يقولها ببساطة وهو يهز كتفيه ليدهشها هذا الاعتزاز الذي يتحدث به ..

فتدفعها عصبيتها للمزيد من الحماقات :

_مش دول ولاد حسين رجائي من الخدامة !





وجهه يحمر فجأة بغضب اشتعلت له ملامحه كلها ليرتجف جسدها كله وهي تجده يتحول في لحظة واحدة ..

يعقد حاجبيه بقوة وهو يكز على أسنانه لتختلج عضلة فكه بينما تنفر عروق جبينه ..

فتتراجع عنه خطوة وعيناها تتكدسان بالدموع من جديد مدركة فداحة ما قالته ..

لكنه يتركها ليغادر الغرفة مندفعاً نحو غرفة المعيشة المجاورة !

تقف مكانها مترددة لدقائق ودموعها تغرق وجهها بينما تعض شفتها بندم ..

لقد تمادت حقاً هذه المرة ..

لكن ..أليست هي الحقيقة ؟!

الحقيقة !!





تهز رأسها بإدراك وهي تتبين وجهاً جديداً في شخصيته لم تنتبه له من قبل ..

هو حقاً يعتز بأختيه هاتين رغم ظروفهم الغريبة ..

واحدٌ غيره ربما لم يكن ليكترث لهما أبداً !!

واحدٌ غيره ..إنما هو ..هو يبدو وكأن خلف واجهته العابثة هذه قلباً لا يعرف إلا الحب!

الخاطر الأخير يزيد ضيقها لسبب مبهم لا تفهمه فتزيحه عن ذهنها قسراً قبل أن تزفر بقوة لتمسح دموعها وهي تتحرك لتتوجه نحوه بخطوات متثاقلة ..

تجده جالساً على الأريكة يعطيها ظهره فتتردد في مواجهته لتقف مكانها خلفه قائلة بصوت مختنق:

_آسفة .

ملامحه تلين رويداً رويداً وهو يميز ذبذبات جسدها المتوترة خلفه ..




لكنه لم يلتفت نحوها متعمداً ليصله صوتها الحانق :

_ماكانش المفروض أقول كده ..عيب قوي إني أتكلم عنهم كده ..بس انت اللي بتستفزني وتخلليني غصب عني أتغابى عليك .

يشعر بها تقترب أكثر فتلتمع عيناه بفكرة جعلته يقلب في هاتفه ليستحضر أحد الفيديوهات المسجلة ..

_رد عليا ..أنا ما بكلمش نفسي ! أنا غلطانة إني جيت أعتذرلك و..

تقولها وهي تقترب أكثر فتنتشح شفتاه بابتسامة ماكرة وهو يتظاهر بالانهماك فيما يفعله..

_انت بتتفرج على إيه ؟





تهتف بها بارتياع وهي تقطع حديثها فجأة وقد انتبهت لما يشاهده على هاتفه ..

امرأتين شبه عاريتين تعتلي إحداهما الأخرى!

فيرفع عينيه إليها مدركا مشاعرها من ملامحا المشتعلة كعهدها ..

ليجيبها ببراءة مصطنعة :

_ده ماتش ..رياضة !

_رياضة ؟! دي رياضة ؟!

تهتف بها باستنكار ساخط ليرد بنفس البراءة المصطنعة :

_مصارعة حريمي ..

ثم غمزها كعهده مردفا:

_بحب ال "wild cats"

احمر وجهها بما لا تدري غيرة أو خجلا لتعاود اختلاس نظرة للهاتف زادتها اشتعالا وهي تميز الصراع العنيف للمرأتين ..قبل أن تستدير حول





الأريكة تحاول انتزاعه منه هاتفة :

_سيب القرف اللي في ايدك ده و رد عليا ..أنا مش ..

لتنقطع عبارتها وهي تشهق بينما تجده يسحبها إليه فجأة فتسقط على صدره لتقابلها عيناه الخطيرتان جدا ..الآمنتان جدا جدااا ..

_هاسيبه بس بشرط ..

يقطع عبارته ببطء متعمد ونظراته تجول على

ملامحها بعبث :

_تلاعبيني زيهم !

_سهلة !

تهتف بها بغيظ وهي تحاول تسديد لكمة لوجهه أوقفها بضحكة عالية سبقت غمزته بقوله :





_مش كده يا "شرس" ..تعالي أعلمك .

يقولها لتجد نفسها فجأة تسقط على ظهرها على الأريكة بينما هو يشرف عليها بوجهه ولايزال محتجزاً كفها في قبضته ..

تحاول تسديد لكمة أخرى له بكفها الحر لكنه يتناوله كذلك في راحته ليثبت كفيها أعلى رأسها قبل أن يحتل عينيها بنظراته التي اجتاحتها بجنون وهي تدور عليها بافتتان واضح ..

قلبها يخفق بقوة وهي تتعجب قوته الجسدية هذه التي لا تبدو على بنيته الأقرب للنحافة ..

لكن ماذا فيه كما يبدو؟!

"كله" لا يبدو كما هو!!

هل هذا ابن حسين رجائي تاجر المخدرات الذي دمر أخاها ومصنعه ؟!





هل هو الرجل الذي رفضت يده الممتدة لأخيها منتظرة أي شبهة تبعده عن مصنعهما ؟!

هل هو العابث الذي يكاد يذيبها خجلاً من وقاحته ؟!

لماذا إذن تستصعب تصديق كل هذا الآن وهي ترى خلفه دوائر كثيرة ملتفة تجذبها لدوامتها ..

أفكارها تنقطع وهي تشعر به يقترب من شفتيها ببطء مثير فتغمض عينيها بترقب ..

هاهو ذا نفس الشعور من جديد يجذبها في دوامته !

خلاياها كلها تفور استجابة وهي تتلقى عطاياه بنهم بينما يستغل كل هو خبراته ليقذفها في وسط النار !





موجة تتلوها موجة وهي وسطها تحاول القفز كي لا تغرق ..

لكنها تعود فتستعذب هذا الغرق!!

لماذا يفعل بها هذا ؟!

لماذا لا يخلع عنها ملابسها لينال حاجته ثم يرميها خلفه كنفاية كما كان زوجها السابق يفعل ..

لماذا يبدو وكانه يصر أن يمنحها هذه اللذة حتي ولو رغما عنها ؟!

لماذا تشعر معه وكأنها واحدة أخرى ..

واحدة تتفتح براعم انوثتها معه وتحت شمسه هو..

تماماً ..كما ظنت نفسها ستكون مع "ناصر"!!

ناصر!

"عين خيالها" تستجلبه للصورة من جديد ..فتجد نفسها رغماً عنها في ذات الدوامة ..

تارة تراه بصورة زوجها السابق فتنفر مقاوِمة..وتارة تراه بصورة ناصر فتقبل راغبة ..





وبينهما تجاهد نفسها كي تفيق من كل هذا دون جدوى!!

اللذة المستحدثة تتحول لعذاب هي الأخرى ..

عذاب فضحته دموعها التي وقفت حائلاً بينهما مرة أخرى ..

فتشعر به يبتعد ليمسحها بأنامله هامساً بضيق عبر أنفاسه اللاهثة :

_برضه بتعيطي ؟!

ضيقه لم يحمل عتابه بقدر ما حمل تفهمه الذي ذبحها وهي تشعر بالمزيد من الذنب !!

فتعض شفتها بقوة وهي عاجزة عن الرد لكنه يحرر شفتها من أسنانها بأنامله هامساً بنبرة امتزج فيها العتب بالعبث :





_افتحي عينك يا جبانة .

تفتح عينيها ببطء متعجبة سرعة تحول لهجته بهذه الطريقة ..

لكنها فهمت من فيض نظراته ما يناقض هذا العبث الذي تزخ به كلماته ..

عيناهما تلتقيان بحديث طويل تقاسمت فيه القلوب جنون خفقاتها ..

قبل أن تشعر بأنفاسه اللاهثة تزداد سكينة مع هذه الابتسامة التي شقت شفتيه وملامحها تظللها كغيمة بين رعد ..ومطر !

_قلتلك حسين رجائي خط أحمر ماتعديهوش ..قولي أنا آسفة.

_ما انا قلت .





تهمس بها بصوت متحشرج ترد على عتابه الجاد وهي تحاول تحرير جسدها منه ..

لكنه يثبتها بثقل جسده مردفاً بين إصرار وعبث ..

_قوليها بنِفس!

_لا .

تقولها بعناد فيعيد تكبيل كفيها بقبضتيه جوار رأسها هامساً لها :

_حلووو ..نعيد بقا الماتش م الأول .

_لا لا لا ..آسفة ..أنا آسفة !

تقولها بسرعة فيضحك ضحكة عالية قبل أن يعود ليقترب بوجهه منها صامتاً للحظات ..

عيناه تطوقان ملامحها بهذا المزيج الذي يقذفها وسط تنّور إحساس لاهب ..

_لو مش عايزة تروحي مش هاغصبك ..بس حضورك وسط اخواتي مهم قوي عندي ..





يهمس بها أخيراً بجدية دون أن يغير وضعه لتغمض عينيها محاولة استجماع شجاعتها :

_مش هاقدر أواجه حد دلوقت ..أنا لسه في عيون الناس العروسة اللي عريسها هرب فدورت على واحد تاني في نفس الليلة ..عشان ما تطلعش بإيدها فاضية !

حاولت مزج عبارتها الأخيرة بالهزل لكنها خرجت رغماً عنها أكثر مرارة ..

فداعب جفنيها بأنفه ليجبرها على فتحهما قبل أن يغرس نظراته في عينيها ولايزال يكبل كفيها بكفيه :

_م الناحية دي اطمني ..محدش هيضايقك بكلمة أو حتى نظرة ..كلهم أهلي وحبايبي ..ومصدعهم بكلامي عنك ..هم حبوكي بعيوني قبل ما يشوفوكي ..




هزت رأسها بعدم اقتناع رغم أن كلماته لامست جدران قلبها التي لا تزال صلدة ..

فابتسم ليردف بمزيج من حنان وحزم:

_اتفقنا ماعدناش هنهرب ..صح؟!

رفعت إليه عينين زائغتين ليدرك قرب انتصاره ..والصمت يظللهما للحظات ..بدا فيها أنها اتخذت قرارها بعدم الهروب فعلاً ..

فاتسعت ابتسامته وهو يغمزها بقوله :

_يعني ما عادتش بتعصبك "اتفقنا"؟!

كتمت ابتسامتها بصعوبة وهي تشيح بوجهها ..

لتنتهز فرصة انشغاله فتحرر كفيها منه بسرعة وتحاول النهوض عنوة ..

لكنه عاد ليحيط كتفيها بقبضتيه معيداً إياها مكانها قبل أن ينحني فوقها بوجهه هامساً بعبث :





_على فين "يا خِطِر"؟! كل ده كلام جد ..

ثم يغمزها مردفاً :

_الحساب يا "عسل"!

=========

_حلو يا مامي ؟!

تسألها ريما وهي تدور حول نفسها بثوبها الفضي ذي التنورة الواسعة الذي جلبه لها إسلام ..

فتبتسم وهي ترى صغيرتها فاتنة حقاً ..

تتقدم نحوها لتعانقها بقوة هامسة :

_حلو قوي .

_وانتِ كمان ..فستانك جميل ..بابا بيعرف يختار !

_طبعاً .

يقولها إسلام خلفهما بمرحه المشاكس فتلتفت نحوه نشوى لتجد عينيه كالعادة تدوران عليها بهذه النظرات التي تثير ارتباكها ..

_ماله "الروز"؟! حلو ويجنن اهه !

يهمس بها في أذنها وأحد ذراعيه يستريح على خصرها بينما الآخر يداعب به شعر ريما التي هتفت به بمرح :

_هنسافر تاني ؟! بلد حلوة زي مارينا ؟!

_أحلى .

_فيها ناس أعرفهم ؟!

_فيها إخواتي ..هتحبيهم قوي ..ياقوت ولجين .

يقولها لتكرر الصغيرة اسميهما كأنها تحفظهما قبل أن تتنحنح نشوى لتقول لها بحزم :

_روحي أوضتك دلوقت يا ريما لغاية ما أندهلك .

_حاضر يا مامي





تقولها الصغيرة بطاعة تجدها هي غريبة قبل أن تتحرك لتغادر غرفتهما ..

لكنها توقفت فجأة ثم التفتت نحو نشوى محاولة تقليد غمزة إسلام بحركة فاشلة صاحبت قولها :

_تؤمر يا عسل .

قهقه إسلام ضاحكاً باستمتاع وهو يراقب الغيظ الذي أشعل ملامح نشوى وهي تصرف الصغيرة لغرفتها بعبارة عصبية ..

قبل أن تلتفت نحوه هو هاتفة بانفعال:

_عاجبك كده ؟! شايف تأثيرك ع البنت ؟!

_عقبال اللي في بالي ما يتأثر كده !

يغمزها بها بنبرة رخيمة وهو يقرص خدّيها الممتلئين ببعض القوة فتزيح كفيه عنه بعصبية ..

ليردف وهو يعاود تفحص شكلها بالثوب الوردي:





_هو ضيق في حتت معينة بس معلش ..هاظبط المقاس بعدين ..المشكلة إن "

"امكانياتك " دي ما بتتدراش ..العيب مش في الفستان .

وجهها يحمر من وقاحته كالعادة لكنها تتمالك نفسها لتشيح بوجهها فيما يستطرد هو بنبرة أكثر جدية :

_الحاجة ثمر أول مرة تشوفك ..عايزها تبصم

بالعشرة إن ذوقي حلو .

هنا التفتت هي نحوه باستغراب حقيقي لتصمت للحظات قبل أن تسأله :

_انت إزاي قادر تروح وتقابل الست اللي قتلت والدك ؟! بجد مش فاهماك ..حتى لو كان معاها حق ..بس إيه كمية البرود اللي تخليك متقبل الوضع كده ؟!





ملامحه تشتعل ككل مرة تاتي علي ذكر حسين ..لكنه يتحرك مبتعداُ نحو النافذة ليضع كفيه في جيبي سرواله مكتفياً بصمته للحظات ..

فينقبض قلبها ببعض الندم حتى كادت تهم باعتذار ..

لكنه بادرها بقوله عبر ضحكة عصبية ولايزال شارداً عبر النافذة :

_برود ؟! هه ؟! صحيح !!

ضحكته العصبية هذه المرة تخزها وهي توقن أنها تحمل عكس ما تظهره ..

تجد خطواتها رغماً عنها تقترب منه ببطء لتراقب جانب وجهه الشارد عبر النافذة ..

بينما هو يردف بنبرته التي يجيد جدّها كما يجيد هزلها :





_فيه حاجات كتيرماينفعش نقبلها أو نرفضها ..بتتاخد على بعضها كده وبس ..

ثم يغمض عينيه لتختلج عضلة فكه لثوانٍ قبل أن يتبعها بقوله :

_الحاجة ثمر ما غلطتش ..يمكن لو كنت أنا نفسي مكانها كنت عملت زيها ..يمكن اللي خفف عني الصدمة شوية إني من زمان عرفت وشه التاني اللي في الضّلّ لما سمعت كلامه بالصدفة عن بنتين مخلفهم في السر م الخدامة ..وقتها اخترت أهرب ..سافرت وعملت لنفسي دنيا تانية والقدر اختار لي عيلة تانية تلهيني ..قبل ما أكتشف بقية حقيقته اللي كان مخبيها ..

الألم الساخر بين حروفه يطرق أبواب قلعتها بقوة لا تنكرها ..




تقترب أكثر حتى تكاد تلاصقه لكن يبقى لسانها معقوداً وهي تستمع للقصة من جانبه هو هذه المرة :

_من يوم ما مات نفسي أحلم بيه ..بس مابيحصلش أبداً ..نفسي أسمع منه وأسأله ..هو فعلاً كان بالبشاعة دي ؟! لحد دلوقت مش قادر أصدق ..مش قادر اربط الصورتين ببعض ..الأب المثالي وتاجر المخدرات !! هو دايما كان مشغول عننا ..بس لما بيبقي معانا كان بيعوضنا ..ماقدرش أقول أبداً إنه كان أب سيئ ..يمكن عشان كده هيثم بالذات كان صدمته كبيرة ..وهرب منها أنه ينسى ..بس أنا اخترت إني ماعدتش أهرب !

يفتح عينيه فجأة ولايزال شارداً عنها في الفراغ لتميز فيهما دموعاً محتبسة ..

ولأول مرة لا تجد في الدمع ضعفاً بل قوة !




قوة رهيبة شعرت بها وتعجبتها في شخصية تبدو في ظاهرها بكل هذا الهزل !!

تماماً كما هي أول مرة تشعر أنها تقترب من دواخله هكذا ..

تتعرف على "الانسان" الحقيقي خلف هذا القناع من المشاكسة والمرح و..الوقاحة !

لهذا لم تشعر بنفسها وأناملها ترتفع ببطء لتحطّ على كتفه للحظة قبل أن تشرع في التربيت عليه ..

يلتفت نحوها بدهشة التمعت في عينيه للحظات وهو يراها أول شارة حقيقية منها

بالاقتراب نحوه ..

ليجد عينيها تهربان منه سريعاً ..تماماً كأناملها التي سحبتها فجأة من على كتفه ..

لكنه يتلقفها بنفس السرعة ليضمها في راحته للحظات قبل أن يرفعها نحو شفتيه بقبلات رقيقة ناعمة ولايزال يطوق عينيها بنظراته ..





_شكراً .

يهمس بها بنظرة آسرة أرجفتها لتسحب كفها منه بشعور أقرب للخوف منه للفظاظة ..

فيبتسم وهو يشير ل"شامة" سوداء غريبة المنظر تحت أذنه مباشرة ..

_شايفة دي؟! الوحمة اللي شكلها وحش قوي دي؟!

عيناها تنتقلان بتوجس نحو ما يشير إليه ..لكنها لم تجدها قبيحة كما يصفها ..بل إنها وجدتها -بصورة ما - تثير خجلها و..ماهو أكثر!

_مرة وأنا صغير وبنلعب ع الشط قابلنا واحدة م اللي بتقرا البخت وتضرب الودَع ..قالت لي الوحمة





اللي عندي دي إشارة إن بختي هيبقى حلو قوي مع الستات ..

يقولها بنبرة دافئة اخترقتها مع ابتسامته وهو يردف بغمزة :

_دلوقت بس صدقتها !

ترمقه بنظرة دهشة ولاتزال تشعر بصعوبة تصديق ما يقوله ..

فتنفرج شفتاها بنفس السؤال الذي تسأله كل مرة والجواب لا يمنحها ما يقنعها ..

_اتجوزتني ليه ؟!

فيهز رأسه قليلاً بقلة حيلة ..





ثم يحتكر ذقنها بأنامله فيقرب وجهها منه هامساً ببطء :

_ماعدتش هارد ع السؤال ده ..المرة الجاية هاسيبك انتِ تجاوبيه .

========

تتأمل لجين شكلها في مرآة غرفتها بنظرات مبهورة ..

لا تكاد تصدق أنها ترى نفسها بهذه الروعة !

هل ينبع شعورنا بالجمال من أنفسنا حقاٌ ؟!

أم من "أحبة قلوبنا" الذين يسدلون حولنا ستائر عاطفتهم الملونة فتصبغنا بصبغتهم ؟!!




ثوبها الذي جلبه لها إسلام معه بمزيج من اللونين الفضي والوردي ناسب لون بشرتها بصورة مذهلة ..

خاصة مع لون وشاحها وزينتها التي برعت في وضعها غير شاعرة بالذنب مادام الاحتفال كله للنساء فحسب !

_حلوة قوي ..اوعدنا يارب!

الهتاف يرافقه صوت التقاط صورة فتلتفت للزاوية حيث هرعت إليها رابحة هاتفة بشقاوتها المعهودة :

_أنا لو منك أبعت الصورة دي للشيخ ..هتخلليه مايجيلوش نوم الليلة دي !




خبطتها في كتفها مع نظرة عاتبة لتضحك ياقوت التي تقدمت نحوهما لتختطف الهاتف من رابحة هاتفة بمشاكسة :

_الشيخ لو شافها كده هيقيم عليها الحد ..

ثم عادت تتأمل الصورة بحنان لتعود ببصرها نحو لجين قائلة بصوت هدجته عاطفته :

_الصورة حلوة قوي ..خزنيها عندك ووريهاله بكرة بعد الفرح ..الذكريات الحلوة دي خسارة تضيع !

صوتها يتحشرج بغصة تأثرها وهي تميل على شقيقتها لتحتضنها بقوة مردفة :

_مبروك يا أحلى عروسة ..مبروك !





تضمها لجين بقوة هي الأخرى شاعرة بفرحتها الحقيقية لتمتلئ عيناها بالدموع لكن رابحة تهتف بهما باستنكار:

_هتخلليها تعيط والماكياج يبوظ ..الستات بره مستنيين نطلع ..

ثم دارت حول نفسها مردفة بفخر:

_ده أنا هاخربها رقص الليلة دي .

_ربنا يهديكي يا مطيورة .

تقولها ثمر وهي تفتح باب الغرفة لتتقدم نحوهن فتهتف ياقوت وهي تراها لأول مرة "مكحلة العينين" :

_حاطة كحل يا ستي ؟!

ضحكة ثمر عبر أسنانها المكسورة تبدو لها الآن أكثر صفاء من أي مرة تفعلها ..





خاصة وهي تتقدم أكثر لتضم لجين لصدرها قائلة بحنان:

_لو مش هاتكحل في فرح الغالية هاتكحل امتى؟!

ثم رفعت كفها ب"المكحلة قديمة الطراز" في يدها نحو ياقوت لتردف :

_ما عملتهاش من يوم ما أشواق قابلت وجه كريم .

فتأثرت ملامح ياقوت بهذا الشعور الجارف الذي تملكها وهي تشعر بحلاوة شعور "العِوض" في

ملامح ثمر التي تحمل الآن راية الرضا كما لم تحمله من قبل ..

حتى طريقة نطقها ل"أشواق" لم تحمل الألم العاتب بخزيه القديم ..

إنما خرجت ناعمة محتسبة راضية !




_عروسة أخوكم دي منشيّة كده وشكلها جاية بالعافية !

تهتف بها رابحة باستياء لتنهرها ثمر هاتفة :

_لسانك ده عايز يتقص منه حتة ..الست ماشفناش منها غير كل خير من ساعة ما جت ..واللا فاكرة الستات كلها مطيورة زيك !

تختم قولها بقرصة خفيفة لأذن الفتاة التي تأوهت بخفوت لتهتف:

_خلاص يا ستي ثمر ..هاخرس أهه ..أنا بس صعبان عليا إنه راح يتجوز واحدة متطلقة ومعاها بنت ..ما أنا كنت قدامه !

تنفجر ضحكاتهن جميعاً من حماقتها لتهتف بها ثمر وهي تمصمص شفتيها :

_مستعجلة على إيه يا بنت امبارح انتِ ؟! لكن هاقول إيه ؟! بنت أفكار !!





فتضحك رابحة هاتفة :

_باب النجار مخلع ..أمي مش عارفة تجيب لي عريس عليه القيمة كده ..

ثم تعلقت بذراع لجين هاتفة برجاء:

_مادام طلعتِ انتِ بالشيخ ..شوفيله حد من أصحابه كده واللا كده !!

عادت ضحكاتهن تدوي من جديد مع كلماتها قبل أن تهتف ثمر بعجلة :

_ياللا عشان الست حضرت الحنة بره .

يخرجن جميعاً للنسوة اللاتي ازدحمت بهن

صالة الدار ..

واللائي شرعن في ترديد بعض الأغاني الموروثة من التراث القديم بلكنتهن الريفية





الأصيلة ..

ينتظرن انتهاء المرأة من تزيين لجين بنقوش الحنّاء كي تفعل بهن المثل ..

وفي مكانها جلست نشوى تراقبهن بعينين خاويتين بعدما تفلتت ريما بين ذراعيها لتخترق الصفوف نحو المرأة تطلب منها تزيينها بالحناء مثلهن ..

_مش هتتحنّي يا بنتي؟!

صوت ثمر الحنون يخترق مسامعها فتلتفت نحوها بنظرة مشتتة مست قلبها لتبتسم لها وهي تربت على كتفها قبل أن تجلس جوارها قائلة :

_مبروك جوازك إن شاء الله ..إسلام شكله طيب ..كفاية إن ربنا بعته عوض لإخواته .





تقولها ثمر بصوتها المهيب الذي يمزج حنانها بحكمتها ..

كانت قد علمت من ياقوت تفاصيل زواجهما العجيبة ..لهذا كانت تتفهم هذه النظرة الزائغة في عيني نشوى ..

_الشيخ الشعراوي الله يرحمه كان ليه دعوة حلوة بحب أسمعها ..(اللهم يا مصوّب خطأ الدعاء بألا تجيب ولذلك تحمي من الضرّ من يدعو بالشر دعاءه بالخير)..ياما بنتمنى حاجات تأذينا وربنا بحكمته بيشيلها من قدامنا ..

تتسع عينا نشوى بذهول لوهلة وهي لا تتوقع سماع كلمات بهذا العمق من امرأة بسيطة كهذه ..

هذه الدعوة بالذات للشيخ الراحل كانت تسمعها في إذاعة القرآن الكريم من صغرها لكنها لم تشعر أنها تفهمها كما سمعتها من ثمر الآن ..





لكن هذا وحده لم يكن ما أثار دهشتها ..

بل وقع هذه الكلمات من هذه المرأة بالذات في روحها هي ..

ربما لو كانت سمعتها من سواها لتنمرت

ملامحها واحتمت بقناعها الشوكي متقبلة إياها بكونها إهانة أو شفقة ..

لكنها لم تصلها كهذا أو ذاك ..

بل شعرت ولسبب ما لم تفهمه ..أنها تكريم !!

هذا الذي أكدته كلمات المرأة الصالحة بعدها ..

_الطيبين ساعات قلبهم بيغلبهم ..فربنا بيختار لهم الطيب اللي يليق لهم حتى ولو عكس اللي رايدينه ..القلوب بتتقلّب وده طبعها ..بس قدر ربنا واحد ونافد ..ويابخت اللي يرضى باختيار ربه ..مسيره هيهديله قلبه !





تمتلئ عيناها بالدموع فتضمها ثمر لصدرها بحنان وهي تمسد على ظهرها قائلة :

_ربنا يهديلك قلبك يابنتي .

لم تشعر بحاجتها لهذه "الدعوة" كما تشعر بها الآن !!

امرأة بوضعها لم يعد لها عدوّ سوى قلبها !!

قلبها الذي يبدو وكأنه خنجر غرس بين ضلوعها ليبقى العمر ينزف بجرح واحد ..

جرح اسمه ناصر !!

_قومي بقا اتبسطي مع الستات ..واللا مابتحببيش الحنة ؟!

تقولها ثمر بطيبة وهي تبعدها برفق لتبتسم لها نشوى ابتسامة مرتجفة وهي تقف لتتوجه نحو المرأة هناك ..

لم تكن تحب الشكل التقليدي للحناء على الكفين لكنها خجلت من الرفض أمام ثمر فطلبت من المرأة أن ترسم لها شكلاً حول أحد كاحليها مجاملة فهو لا يظهر من ثيابها على أي حال !

تراقب ريما التي انخرطت في الرقص مع النساء بحيوية فترتسم على شفتيها ابتسامة راضية ..

لم ترَ طفلتها سعيدة كما هي هذه الأيام ..

هل تكون من الإنصاف أن تعترف أنه حقاً قد لوّن حياة طفلتها الباهتة ؟!

طفلتها ..فقط ؟!

_ما شاالله ع الزينة ..رجلك مصبوبة صبّ .

تقولها المرأة بلكنتها الغريبة بعدما انتهت فتلتفت نحو ساقها لتتسع عيناها قليلاً وهي تميز النقش





المميز الذي التف حول كاحلها بلون الحناء الذي منح بشرتها فتنة مميزة ..

ورغماً عنها تخيلت شكل ساقها كيف سيبدو في مناماتها المستحدثة قصيرة السراويل ..

ذاك "الوقح" لن يرحمها من تعليقاته ال...!!

لم تجد وصفاً مناسباً لهذه الحمرة التي احترقت به وجنتاها بخجل ..

لتنهر نفسها بسرعة عن التفكير في الأمر ..

ماذا تركت إذن للمراهقات العذراوات ؟!

لكن ..أليست هي عذراء؟!

ألا تستشعر هذا في كل مرة يمسها فيها بهذه الطريقة التي لم تختبرها من قبل ؟!





_حلوة قوي يا مامي ..فين بابا يشوف؟!

هتفت بها ريما مقاطعة أفكارها لتلتفت نحوها ببعض العنف قائلة :

_بابا بره مع الرجالة ..هنا ستات بس .

_طب خلاص قومي ارقصي معايا مادام كلهم ستات .

تهتف بها ريما برجاء وهي تجذبها من ذراعها لتنهرها ببضع كلمات..

لكن لجين اقتربت منها لتمسك ذراعها وتندفع بحركات راقصة وسط الحلقة من النساء اللائي بدأن في التصفيق لها ..

هنا ظهرت إحداهن ب"طبلة" قديمة الطراز لكنها بدت ماهرة تماماً في الدق عليها بلحن صاخب استفز جسد نشوى لتجد نفسها تستجيب للرقص ..





تغمض عينيها بقوة وتنعزل عن هذا العالم بأسره ..

تتخيل "مفتاحاً" تضعه في ثقب باب -لا تراه- لكنها تغلقه خلفها وتستند عليه شاعرة بالأمان ..

روحها تبكي ..تبكي بهذه الدموع غير المرئية ..

بينما جسدها يتراقص بمهارة لا تفتقدها هاهنا ..

قلبها يصرخ ..يصرخ بهذا الصمت الموجع الذي يفتت الحنايا ..

بينما ذراعاها يتمايلان حولها بما يبدو كدلال خادع ..

لماذا تفعل هذا ؟!

هل هو المزيد من التظاهر الزائف ؟!

أم هي رغبتها في حصاد المزيد من

"شارات الإعجاب" في العيون ؟!

وربما لا هذا ولا تلك إنما هي فقط صارت تسير مغيبة دون هدف ..خذلها عقلها مرة وخذلها قلبها مرات ..فما عادت تدري بمن تهتدي!





وفي مكانـها كانت ياقوت تراقبـها بعينين متفحصتين ..

رغم المرح "الظاهر" على الموقف لكنـها كانت تستشعر هذا "الوجع" على ملامح نشوى مغمضة العينين ..

تشعر بالمزيد من الشفقة نحوها وترجو أن يكون إسلام يفهم حقاً أي حقل ألغام يوغل فيه ..

خطوة واحدة طائشة قد تطيح بهما معاً !!

ومع الخاطر الأخير تراودها فكرة ماكرة تجعلها تتناول هاتفها لتصور رقصة نشوى البارعة خلسة ..

قبل أن ترسل لإسلام على تطبيق "الواتس آب"..




_عندي ليك فيديو حكاية ..بس ..مش هابعته إلا لو وافقت إني ألبس الفستان الفوسفوري .

تبتسم وهي تتذكر رد فعله عندما رأى ثوبها الذي قررت حضور حفل الزفاف به غداً وكيف كاد يلقيه من النافذة لولا أن أنقذته في اللحظة الأخيرة !

_على جثتي!

يرسلها لها مع "وجه غاضب" يليه "وجه يخرج لسانه"..

فالتمعت عيناها بنظرة متحدية لتعاود الكتابة ..

_ولو قلتلك فيديو لمراتك وهي بترقص..عليها حركات !

تكتم ضحكتها وهي تتمنى رؤية ملامحه في هذه اللحظة ..

لتصلها رسالته المكتوبة بعدها بسرعة ..





_ابعتي ..ابعتي ..

_اعتذر عن رأيك في الفستان .."مع وجه يكز على أسنانه"..

_هو كان ماله الفستان ؟! ده حتى مبهج ومشع ونعرف نلاقيكي لو النور قطع ..احنا آسفين يا فستان ..إياكش تولعي انتِ والفستان ..ابعتي الفيديو .

تجلجل ضحكتها عالية مع كلماته التي تكاد تسمعها بصدى لهفته قبل أن تضغط زر الإرسال ..

=======

تتقلب لجين في الفراش الذي تشاركها إياه ثمر وياقوت هذه الليلة بعدما تركتا الغرفة الأخرى لإسلام ونشوى يبيتان فيها ليلتهما هذه ..




تبتسم وهي تراقب ملامح ثمر النائمة وقد غشى الرضا محياها ..

فتبتسم بدورها وهي تتلفت نحو الجهة الأخرى لتقابلها عينا ياقوت المفتوحتين :

_مش جايلك نوم يا عروسة ؟!

_خايفة قوي يا توتة !

تهمس بها بخفوت وهي تضع كفها على صدرها الخافق بقوة ..

لتبتسم ياقوت وهي ترى هاتف لجين ينير معلناً عن وصول اتصال وقد جعلته على الوضع الصامت ..

فتهمس لها بمكر:

_اهه قلب الشيخ حس بيكي ومتصل يطمنك ..أخلع أنا بقا ع السطوح عشان مابقاش عزول ..وانتِ اطلعي كلميه في الصالة .





يحمر وجه لجين بخجل وهي ترى شقيقتها تغادر الفراش بحرص كي لا توقظ ثمر ..

فيما تتناول هي هاتفها لتفتح الاتصال وتخرج نحو الصالة القريبة ..

قدماها تسحبانها -كما اعتادت - نحو غرفة الخزين السفلية ..

لكنها هاهنا فقط شعرت أنها ما عادت تناسب مقامها ..بل مقامه هو !

هي ما عادت تلك القديمة التي تجد موضعها في غرفة سفلية منبوذة ..

بل صارت -معه - تحب نفسها الجديدة التي تراها في عينيه ..

لهذا تحركت بثقة نحو نافذة الصالة تفتحها لتراقب "القمر" منها كما تفعل شقيقتها الآن فوق السطح ..





_كيف حالك ؟!

قلبها يرتج بداخلها مع صوته الرجولي الرقيق فتزداد وجنتاها احمراراً وهي لا تصدق أنها غداً تكون عروسه ..

حلاله !

سيمكنها السير جواره كتفاً بكتف ..معانقة كفه بكفها ..

ملاحقة نظراته في "عينين تعشقانها وتعشقهما" دون أن تشعر بحرج !

_كانت ليلة حلوة قوي ..عمري ما فرحت في حياتي زي النهارده .

تقولها بصوت متهدج يلامس قلبه فيود لو يخبرها كم يعشق صوتها هذا ..

لكنته المميزة ب"براءة نقية" تشبه نقاء روحها ..

لكنه يتحكم في نفسه إذ عاهد ربه أن يبدأ طريقهما من أوله دون تجاوزات ..





لم تبقَ إلا سويعات قليلة ويصير من حقه أن يهمس لها بكل ما أراد ..

صمته الطويل يثير ريبتها فتسأله بتوجس :

_انت زعلت ؟!

_لماذا ؟!

_يعني ..تكون مش حابب الهيصة اللي عملناها ..

لا تزال تقولها بتوجس من طبيعته الجادة المتحفظة فيفاجئها بضحكة قصيرة سبقت قوله الرقيق :

_لو لم تفرحي ليلة عرسك فمتى ستفعلين ؟! نحن نتقرب إلى الله بالفرح وشكر نعمته كما نتقرب إليه بالصبر على بلاياه ..مادام الأمر لا يحمل مخالفة شرعية فهنيئاً لقلب يستحق الفرح .

"هنيئاً لقلب يستحق الفرح"!!

حُلوة !





بل شديدة الحلاوة في أذنها وهي تسمعها منه بهذه العفوية ..وبهذا النقاء ..

ألا يعلم هذا الرجل ما الذي يفعله بها ببضع كلمات بسيطة ؟!

ماذا لو ترك طوفان غزله حراً ؟!

سيغرقها لا محالة !!

_وانت ..فرحان ؟!

بخجل ..وربما بخوف قديم تسأله ..

ليصمت قليلاً قبل أن يصلها رده :

_غداً ..أخبرك .

فتبتسم وهي تشرد ببصرها في القمر "المكتمل" أمامها لتقول ببعض المرح :

_الفستان زي ما حلمت بيه بالظبط من زمان ..ديله طويل قوي ..وابيض ..ابيض بجد مش بتاع





اليومين دول العكر ده ..عشان تنطقه بدلتك السودة وانت ..

_لكنني لن أرتدي بدلة !

يقولها بحذر كارهاً أن يقطع حديثها ..فتتلعثم حروفها بارتباك:

_افتكرتك ..يعني ..الطبيعي ..

لكنه يتنهد بحرارة ليرد :

_أحب ارتداء الجلباب ..أعتبره جزءاً من "هويتي الجديدة" ..تماماً كما أعتز بحديثي

بالفصحى ..ربما يبدو هذا للبعض غريباً لكنني أحبه وأحب التمسك به ..هل يضايقك هذا ؟!

_لا ..زي ما تحب .

تقولها بتسامح حقيقي ليتردد قليلاً قبل أن يقول لها :

_لا تضعي أي عطر غداً على ثوب الزفاف .





_بس القاعتين منفصلين ..وهنبقى ستات بس ..

تقولها مدافعة وقد أساءت فهم مراده ..فيهيأ إليها أن حروفه تبتسم مع رده :

_تعلمين أنني أحب تركيب العطور ..ركبت لكِ عطراً خاصاً سأسميه باسمك ..أحب أن تكون لكِ دوماً رائحة خاصة بكِ في أنفي ..كما هي بقلبي ..

شعر أن الزمام بدأ يفلت منه بعبارته الأخيرة التي جعلت خفقات قلبها تتجاوز حد الجنون فأسرع بغلق الاتصال بقوله :

_نامي جيداً .

تتأمل الهاتف في يدها بعد إغلاقه الاتصال بابتسامة لم تلبث أن تحولت لضحكة قصيرة مشتعلة ..

عن أي نوم يتحدث الشيخ بعدما قاله ؟!

أي نوم ؟!







_ع السطح يا عريس !! ده أنا قلت بعد الفيديو هنحتاج قوات إنقاذ عشان نخرجكم م الأوضة .

تهتف بها "العفريتة العابثة" بداخلها وهي تميز وجود إسلام هناك مستنداً على سور السطح ..

ليترجمها لسانها لعبارة أقل وقاحة :

_سايب عروستك ليه في ليلة مفترجة زي دي ؟!

فالتفت نحوها بابتسامة شاحبة قبل أن يفرك شعره بأنامله وعيناه تفضحان مشاعره التي تفهمتها هي لتقترب منه مربتة على كتفه بقولها الجاد :

_أنا عارفة إن الوضع صعب ..ومش سهل أي راجل يقبله ..بس انت قبلت بالحكاية كده من أولها ..اعذرها ..مشاعرنا مش بزراير عشان نضغط واحد نحب ونضغط التاني ننسى .





أخذ نفساً عميقاً محاولاً السيطرة على انفعالاته وهو يشيح بوجهه متمتماً بتأثر :

_شفتي وشها وهي بترقص كان عامل إزاي ؟!

_عشان كده بالظبط بعتلك الفيديو ..هي حالياً مش متزنة ..لسة مخبوطة على دماغها ..أنا نفسي استغربت لما قامت رقصت ..بس لما راقبتها حسيت إنها كانت بتصرخ من غير صوت ..كأنها عايزة تقول إنها بتعافر رغم كل شيئ ..

تقولها بإشفاق لتردف :

_انت اللي اخترت تبقى معاها في المرحلة دي ..استحملها ..صعب قوي قصة سنين تخلص في كام يوم .

أومأ برأسه موافقاً رغم شعور الغيرة الذي يعصف به ويحاول قمعه بكل الصور ..





ربما ما يصبّره نوعاً ما أنه يعلم أن حبها المزعوم هذا ليس أكثر من "فقاعة" مزيفة ولا ينقصها سوى مسّة إصبع كي تتلاشى من حولها ..

لكن من يملك حق "مسّة الإصبع" هذه ؟!

هي ..أم هو ؟!!

لهذا تعمد تغيير الموضوع بقوله وهو يلتفت نحوها قائلاً:

_طمنيني على لجين ..موضوع تعبها ده خلاص فعلاً ؟!

_الدكتورة بتاعتها طمنتني ما تقلقش ..ظهور عابد كمان دلوقت في حياتها جه في وقته بالظبط عشان يعوضها اللي كان ناقصها ..

تقولها برضا لتردف بامتنان حقيقي :

_وانت وهيثم كمان ..ماتعرفش هي فرحانة بيكم أد إيه !





فابتسم ابتسامة شاحبة وهو يشعر بالذنب القديم من تأخره عنهما ثم عاد يتفحص ملامحها بدوره ليقول باهتمام حذر :

_وانتِ؟! ..أخبارك إيه معِ "الراجل الغامض بسلامته"؟!

تجمدت ملامحها للحظات وهي تتبين من يقصد بسؤاله لتتردد في البوحِ له ..

لكن ابتسامته الحنون شجعتها !

لا تدري كيف توطدت علاقتهما هكذا في هذه المدة القصيرة حتى صارت تعتبره صديقها لا أخاها فحسب ..

لكنها تعلمت أن العمر في المشاعر تحسبه المواقف لا الأيام !

وعمره هو بالذات معها في هذا الشأن ليس بقصير ..

لهذا تنهدت بحرارة لتطرق برأسها ثم تحكي له عن تطورات أمر زين الأخيرة ..

بل إنها حكت له ما لم تحكِه لثمر عن "الياقوت والمرجان" ..

اسمها الذي اختار أن يكون نقطة انطلاقه نحو تكفير ذنوبه !!

كان يسمعها صابراً بتفهم محاولاً قراءة دواخلها واستكشاف ما تخفيه كلماتها حول زين هذا ..

ولما انتهت من حكايتها رفعت إليه عينيها بقولها :

_إيه رأيك ؟!

_في إيه ؟!

يقولها مشاكساً وهو يرفع أحد حاجبيه فلكزته في كتفه بقبضتها ليضحك ضحكة قصيرة وهو يحيط كتفها بذراعه ليضمها نحوه قائلاً بلهجة مفاوض خبير :





_طب نتفق اتفاق ..نفعيني وأنفعك ..

_عايز إيه يا مصلحجي؟!

تقولها بعتاب مرح ليغمزها قائلاً :

_واضح كده من غير لف ودوران إن الحلوة اتكعبلت والسنارة غمزت مع زين ده ..وأنا كأخ متفتح و"سبور" هاساعدك نسويه كده على نار هادية لحد ما ييجي هنا يطلب إيدك من الحاجة ..

كلماته على هزلها تحيي بداخلها أملاً ظنته يوماً قد مات ..

لكنها تستشعر به يزداد توغلاً بروحها يوماً بعد يوم ..

بل إنها لا تبالغ لو زعمت أنها صارت تحيا لأجله !!

ومع هذا رفعت أنفها وهي تزيح ذراعه عن كتفها ممازحة لتقول بكبرياء مصطنع :




_أنا مش واقعة قوي كده..بس ماشي ..طلباتك ؟!

فعاد يضحك ليجيبها ملوحاً بذراعيه بحركات تناسبت مع كلماته :

_عايزك تقوليلي مفاتيح "التين الشوكي" ..أعمل إيه ..عشان ..أقشره !

ضحكت رغماً عنها من تشبيهه لترفع له ظاهر كفها بإباء كي يقبّله..

لكنه خبطه بأنامله بخفة لتعاود ضحكها للحظات قبل أن تلوح بسبابتها في وجهه قائلة :

_وتسمع الكلام ؟!

_أسمع يا أبلة فضيلة !

يقولها بتهذيب مصطنع لتشد أذنه بخفة فيتأوه بمبالغة هاتفاً:

_بنت ..عيب ..أخوكي الكبير !!

فتضحك من جديد للحظات قبل أن يستعيد وجهها جديته لتقول :




_اتفقتا ..هاقوللك !

=======

يدخل الغرفة التي تركتها له ثمر كي يبيت فيها مع ريما ونشوى..

نشوى التي رمق وجهها النائم بنظرة حرص أن تكون عابرة كي لا يفقد زمام سيطرته بعد "الفيديو المهلك" الذي رآه ..

لكنه ما كاد يغلق الباب خلفه ليتقدم نحوهما وهما نائمتان حتى اشتعلت عيناه وهو يميز ذاك الرسم المذهل للحناء على كاحلها ..

والذي بدا له ك"خلخال" يكاد يسمع صوته في رقصة صاغها خياله وهو يستعيد مشاهدها التي رآها وجسدها المغري يمارس أقصى سلطاته في الإغواء!

لهذا بالضبط تعمد ألا يقضي ليلته هنا !





لأول مرة يخشى أن يفقد حدود سيطرته معها خاصة بعد نصائح ياقوت ..

لهذا أشاح بوجهه مرغماً وهو يحاول البحث عن أريكة يستلقي عليها ..

لكنها تقلبت في نومها مع أنين خافت لتغير وضع ساقها في إغواء لم تتعمده ..

هنا وجد نفسه يتحرك كالمسحور نحوها ليجلس على طرف الفراش ..

قبل أن يتلمس كاحلها بأنامله في موضع زينته ثم يرفعه ببطء نحو شفتيه !

شهقتها المجفلة تشق سمعه وهي تستيقظ من نومها فجأة لكنه لم يغير وضعه بل بقي يطبع آثاره على بشرة ساقها وعيناه مسلطتان على عينيها ..

عينيها اللتين اتسعتا بذهول وهي تميز ما يفعله ..

يقبل كاحلها !!





خلاياها كلها تشتعل وهي ترى خيط قبلاته يستمر في طريقه المهلك على طول جسدها حتى يصل إلى ..ذقنها ..وجنتها ..ثم أعلى رأسها !!

هذه الأخيرة التي زلزلت جسدها كما لم تفعل

الأخريات !!

لم تتصور يوماً أن تحدث بها "قبلة رأس" هذا

الأثر!!

تشهق شهقة أخرى ثم تنخرط فجأة في بكاء لم تعلم سببه ..

بل تعلم!!

لا تزال كلمة السر هنا هي .."التقدير"!!

التقدير الذي لا تدري هل هو حقيقي هاهنا ..أم أنها فقط -من فرط ما تمنته- تتوهمه ؟!!





تشعر بذراعيه يندسان تحتها ليرفعا جسدها نحوه فيضمها بقوة حانية لتزداد كثافة دموعها التي لم يكن هو في حاجة للسؤال عن سببها ..

لكنها تبقى كعهدها حائلاً بينهما !!

يصمت للحظات محترماً مشاعرها ومكتفياً بلذة شعوره بها بين ذراعيه ..

قبل أن يبتعد عنها برأسه ليمسح دموعها بأنامله ويجعلها تتوه من جديد في عمق نظراته ..

وكعادته يستخدم مشاكسته دوماً لانتزاعها من هذا الحال ..

_أول مرة أشوف واحدة بترقص من غير ما تبتسم ..وكمان مغمضة عينيها !

_انت شفتني؟!





هتفت بها مع شهقة عنيفة لتدفعه بعيداً عنها بعنف قبل أن تنهض من رقدتها لتقف معطية إياه ظهرها وكأنها بهذا ستهرب من خجلها ..!!

فضحك ضحكة قصيرة وهو يقف بدوره ليحيط خصرها بكفيه من الخلف هامساً في أذنها :

_بس بصراحة الفستان كان مبوظ الرقصة ..

ثم أدارها نحوه ليغمزها مردفاً بمكر :

_اللي زيك المفروض ترقص ..

_بس ..بس ..انت مصيبة !

تهتف بها وهي تضع أناملها على شفتيه مقاطعة عبارته التي كانت واثقة من تكملتها الوقحة ..

لكنه قبّل راحتها على شفتيه كعهده كلما فعلتها فيجبرها أن تبعد كفها عنه ثم يعاود مشاكسته العابثة :





_وكمان شغل الطبلة والدف ده مش واكل معاكي ..انتِ عايزة مهرجانات ..

كزت على أسنانها بمزيج من غيظ وخجل ليتراقص حاجباه وهو يردف:

_سيب لي انت نفسك بس يا عسل ..انت عندك استعداد للانحراف وأنا مقدر امكانياتك وهاوجهك!

_اخرس ..اخرس خالص ..مش ممكن ..أنا في حياتي ما شفتتش كده !

تغمغم بها وهي تحيط وجهها بكفيها فتجلجل ضحكته في أذنيها ..

قبل أن تشعر بقبضتيه على خصرها تزدادان ضراوة وهو يعاود تقريبها نحوه حتى يكاد يلصقها به ..





يضطرب جسدها بذات الشعور اللذيذ الذي يقذفها في الدوامة إياها ..

خاصة وهمساته تصلها هذه المرة جادة ..دافئة ..بل مشتعلة :

_عارفة أنا شفت في حياتي كام ست بترقص ؟! مفيش واحدة أثرت فيا زيك .

ورغماً عنها تجد نفسها تزيح كفيها عن وجهها ببطء لتنظر إليه بتشتت ..

هذا -بالضبط- ما تمنت سماعه ..ليس منه هو ..

بل من ناصر!

الخاطر الأخير يجعلها تلعن نفسها وهي تشعر

بالمزيد من سياط الذنب تجلدها ..





فتزيح قبضتيه عنها بعنف لتعاود إعطاءه ظهرها وهي تزيح خصلات شعرها للوراء ..

وليتها كانت تستطيع فعل المثل بمشاعرها ..

وأفكارها !!

_شكراً ..

يهمس بها من جديد فتعاود التفاتها الحذر نحوه بتساؤل ليردف بابتسامة واسعة :

_عشان لبستِ الفستان "الروز" وما كسرتيش بخاطري !

_ما كانش فيه وقت أصلاً أشتري واحد تاني .

تهتف بها بسرعة وبفظاظة لم تتعمدها كأنها تهرب من تهمة يسوقها إليها ..

فيضحك وهو يقتنص من خدها قبلة تنتهي ب"عضّة" كعهده قبل أن يغمزها بقوله :

_برضه متشكرين يا عسل!




يقولها ثم يتثاءب رغماً عنه وهو يتحرك مبتعداً عنها نحو الفراش الذي استقرت فوقه ريما النائمة هاتفاً :

_هالحق أخطف لي ساعتين نوم ..منه لله بقا اللي طير النوم من عيني امبارح ..

يتراقص حاجباه مع عبارته الأخيرة فتتغضن ملامحها بحركة استهجان تجعله يرغب في أن يستفزها أكثر فاستلقى على الفراش يدندن :

_كعب الغزال يا متحني بدم الغزال ..

_اخرس ..البنت نايمة !

تهتف بها بغيظ ..لكنه يهز رأسه مستمراً في دندنته :

_ما تبطل تمشي بحنية ..لا يقوم زلزال ..زلزال ..زلزال ..زلزاااال ..آه !





تنقطع عبارته بتأوهه وهي تقذف أحد الوسائد في وجهه قبل أن تتحرك بسرعة لترتدي مئزرها وتتجه نحو الباب فيهتف من خلفها :

_خد أقوللك يا "شرِس" رايح فين ؟! لسه بقية الكوبليه هيعجبك قوي !

لكنها تخرج صافقة الباب خلفها ببعض العنف فيبتسم بجذل قبل أن يلتفت نحو ريما الغارقة في نومها فيهمس بخفوت وكأنما تسمعه :

_جامدة قوي مامي ! هه؟!

يقولها ليتنهد بحرارة وهو ينقلب على ظهره ليغمض عينيه محاولاً النوم لدقائق طالت ..

لكن مشاهدها تعود لتشعل مخيلته من جديد ..

فيزفر بقوة قبل أن ينهض من رقدته هاتفاً لنفسه بغيظ :





_مش باين لها نوم يا اخويا ..قوم اشطف وشك بشوية ماية ..وروح هات هيثم والعيلة عشان يحضروا الفرح .

و"العيلة" كان يقصد بها علاء وإيناس وسيف وغادة ..

هذه صارت حقاً عائلته الحقيقية ..

وفي مصادفة قدرية عجيبة يسمع صوت وصول رسالة لهاتفه فيجدها من جيلان كأنما قرأت أفكاره ..

_لما تفوق من الفرح اللي انت فيه هات مراتك وتعال ..عايزة أقابلها !

تتسع عيناه بدهشة لأول وهلة قبل أن ترتسم على شفتاه ابتسامة واسعة :





_بركاتك يا غزال ..الوالدة باشا شكلها هترضى علينا!

=======

ألوان السماء في الغروب ..

طير يلاحق إخوته محلقين في طريق العودة ..

قرص الشمس الدائري يلوح لها بمودة وهو يتوارى خلف السحب ..

فتودعه عرائس الماء التي تلونت بلونه قبل أن يتعانقن سوياً ..

ورائحة خاصة لا يكاد يميزها سواها لهذا الشجن الذي يغزوها ..

كانت همسة تقف في شرفة شقتها الواسعة المطلة على النيل تفتح ذراعيها كعهدها كلما أرادت احتضان مشهد جميل كهذا حرمت منه طويلاً ..

عيناها السوداوان تحلقان في الأفق الواسع حولها فتشعر أن الروح بداخلها كذلك تحلق في سماء بلا قضبان ..

تشم عطره خلفها فيبتسم القلب قبل الشفاه ..

تشعر بكفيه يعزفان على خصرها هذه الأنشودة التي هي بطول العمر ..

وبشفتيه تطوفان برحلة عذبة من كتفيها إلى عنقها ..ثم إلى وجنتها ..

_همسة !

يترنم باسمها كأنه يغنيه عن وصف اشتياقه ..

عن براهين عشقه ..





عن وعود غد ..واعتذارات أمس ..

فتستدير بين ذراعيه لتحيط عنقه بذراعيها ..

تملأ عينيها من ملامحه الحبيبة لتجري نظراتها سيلاً ينبت الزرع حيث حلّ ..

قبل أن تطبع شفتاها قبلتان عميقتان على وجنتيه ليستقر رأسها على صدره ..

_لسة بتخافي م الغروب؟!

يسألها هامساً وهو يضمها بحنوّ لترفع عينيها إليه دون أن تغير وضع رأسها على صدره :

_ماعدتش بخاف وأنا معاك .

تقولها وأناملها تتلمس طريق سكينتها فوق وجنته وعنقه ثم إلى صدره حيث موضع قلبه ..

خفقاته تدوي هادرة تحت أناملها فتدمع عيناها قبل أن تغمضهما بقوة متعمدة كأنما تستعيد لذة إحساسها به مغمضة العينين ..





أنفاسهما تتعانق ..تمتزج ..ثم تشتعل ..

شفتاها تنفرجان فيحلو اللقاء!

لحظات من العمر لا تشبه باقي ساعاته ..

هي بين ذراعيه وكفى ..

فليختفِ العالم ..كل العالم !

يبعدها أخيراً بعد بضع دقائق ليأخذ نفساً عميقاً يتمالك به نفسه قبل أن يحيط وجنتيها بأنامله هامساً:

_كل مرة بشوفك ببقى مستغرب إزاي قدرت أسيبك قبلها أو هاسيبك بعدها ..

يقولها بنبرة مشتعلة ..





وحدها من يمكنها تمزيق "قناعه المعدني"
المعهود لتبث بداخله ناراً تنير ولا تحرق ..

فتبتسم ابتسامة كالسحر قبل أن تعود لتمرغ وجهها
في صدره هامسة :

_عمرك ما سبتني يا رائد ..أنا في حضنك حتى
وانت بعيد .

يتأوه بخفوت وهو يشدد من قوة ضمه لها ثم يزيح
خصلات شعرها عن وجنتها لتحط شفتاه رحالها
هناك للحظات ..

لكنها ترفع إليه عينيها بدلال عاتب :

_نسيت تجيبلي عقد الفل النهاردة ؟!

فيهز رأسه نفياً ليجيب :

_لما نرجع من المكان اللي هنروحه .





_فين ؟!

تسأله بترقب وهي تبتعد عنه بجسدها فيستخرج هاتفه من جيبه ثم تتلاعب به أنامله للحظات ..

قبل أن يرمقها بنظرة واعدة ..

الموسيقا الساحرة تداعب خلاياها بلذة حد الألم ..

هذه الموسيقا بالذات تحمل لها شذى العمر البعيد ..

_عمر خيرت !

تهمس بها بشرود فيبتسم وهو يتنهد قائلاً:

_وعدتك زمان نحضر له حفلة سوا ..

يقولها ثم يستخرج من جيبه تذكرتين فتشهق بانبهار هاتفة :

_هنروح ..الأوبرا ؟!





يومئ برأسه في إيجاب لتطلق صيحة فرحة وهي تعاود التعلق بعنقه هاتفة :

_معقول ؟! أخيراً !! بس ..بس ..

فرحتها تتراجع مع هذا الخوف الذي عاد يلون نظراتها ..

الخوف الذي تفهمه هو مدركاً أنها لا تزال غير معتادة على التجمعات خاصة في أماكن مغلقة ..

لكنه -باستشارة ياقوت- كان يدرك ما يفعله ..

لهذا احتضن وجنتيها براحتيه ليقرب وجهها منه ..

يعانق نظراتها بحنان نظراته فينمحي هذا الخوف تدريجياً مع همسه الدافئ:

_انتِ عارفة بقالنا كام سنة بنحب المقطوعة دي بالذات ؟! متخيلة إحساسنا واحنا بنسمعها لايف ؟!





واحنا سوا ؟! إيدك في إيدي قدام الناس كلها ..ومش خايفين ..

ثم يمس شفتيها بشفتيه مساً خفيفاً مؤكداً:

_مش خايفين يا همسة .

تأوهها الخافت يتوه بين شفتيه قبل أن يمسح بإبهامه دمعة فرت من طرف عينها ليسألها :

_مش قلتِ مش بتخافي وانتِ معايا ؟!

الخوف يستحيل لتردد ثم لسكينة ثم لقوة مستحدثة حلقت حول العينين البريئتين ..

وتلونت بها كلماتها :

_مش هخاف .




قلبه يطلق ضحكة غردت في أذنيها هي لتجزيه عنها بمثلها قبل أن تهز رأسها لتتمتم بين دهشة وفرح :

_التفاصيل الصغيرة دي ! معقول لسه فاكرها كده ؟!

فيغمض عينيه للحظة قبل أن تشعر بأنامله حول وجنتيها تزداد تملكاً وهو يعاود فتحهما هامساً :

_انتِ العمر اللي ما يتحسبش إلا بيكِ ..وكنت مستنيكي عشان أكمله .

حب الدنيا كله كان يترقرق الآن في عينيها وهي لا تجد رداً إلا أن تهمس باسمه ..

فتتلقفه شفتاه بكل المعاني ..

الدقائق التالية مرت بها كالحلم وهي تتحرك لتنتقي أفضل ثيابها ..





ذاك الذي بلون أسود لامع تناقض مع بياض
بشرتها ليصنعا سوياً مزيجاً مدهشاً ..

عقدٌ ماسي تناسب بريقه مع "لمعة العشق" في
عينيها ..

وحذاء بكعب عالٍ جداً لم تعد تخشى ارتداءه "كي
لا تتعثر" ..

خطواتها واثقة ..معه ..وله ..وبه ..

تغادر شقتها "الآمنة" فلا تخاف ركوب
"المصعد" مستأنسة بالدّرج كما اعتادت ..

بل إنها تتعمد فتح عينيها وهي تتأمل صورتها معه
في مرآته ..

فلا ترى أربعة جدران ..

بل تميز فضاء شاسعاً برحابة الكون بين ذراعيه ..

تتأبط ذراعه وهي تسير جواره نحو سيارته ..

وما يكادان يصلان لوجهتهما حتى تتوقف قليلاً أمام
صالة العرض ..





الوجوه الكثيرة الغريبة تثير بعض ارتباكها فيرتجف جسدها رغماً عنها ..

لكنه يربت على كفها الذي يتأبط ذراعه ليهمس في أذنها :

_ماتفكريش في حاجة ..أنا وانتِ وبس !

ترفع إليه عينين زائغتين للحظات وهي تلاحظ النظرات الفضولية للناس حولهما فيضخمها خيالها عنوة ..

لكنه يمد ذراعه الآخر فيطوق جسدها بدفء حانٍ يذيب ترددها لترتجف ابتسامتها وهي تتحرك معه نحو الداخل ..

رهبة عتيدة لا تملكها تجتاحها وهي تحاول اعتياد المكان لدقائق حيث جلسا في مكانيهما ..

قبل أن تبدأ الأوركسترا في العزف ..

قلبها يخفق واللحن يجتاحه فيعيد إليها النغم "قبساً قديماً من العمر "..





وجوارها يمسك بكفها "حبيب العمر" ..

فتتراقص الروح مستبشرة بما بقي من "العمر"..

أنامله تتشابك بأناملها وهو يغمض هو الآخر مستعيداً ذكرياتهما التي تضافرت مع اللحن الشجيّ ..

تشعر بإبهامه يداعب معصمها عند عروقها النابضة هناك ..

طالما عشقت منه هذه الحركة قديماً فكانت تهمس له أنه هناك..

في دمها !

لهذا التفتت نحوه بذاك الصمت الصارخ في العيون وهي ترفع أناملهما المتشابكة لتبتسم له بحب ..

قبل أن تعود لتغمض عينيها مستمتعة بهذا الدفء الذي أذاب جليد خوفها ..





_اتبسطتي ؟!

يهمس بها أخيراً وهو يقلها في سيارته عقب انتهاء العرض لتتحول ابتسامتها الحالمة لضحكة قصيرة وهي تسند رأسها على كتفه قائلة ببراءتها العذبة :

_سِحر !

ثم تتنهد لترفع عينيها إليه مردفة :

_بيتنا وحشني !

فيبتسم وهو يقبل جبينها بخفة هامساً :

_هانت ..أول ما زين يفوق هفاتحه في موضوع الفرح .

ابتسامته تنتقل منه إليها ليغزل الصمت بينهما ألف ثوب من عاطفة تفوق حدود العشق ..





_هاعدي عليكِ بكرة نروح فرح أخت ياقوت ..

يقولها لتزدان عيناها بالمزيد من الفرحة وهي ترفع رأسها عن كتفه مع هتافها :

_هاشوف "باربي" كمان .

تتسع ابتسامته وهو يميز لهفتها الفرحة على الرضيعة يمنى التي اختصتها هي باسم "باربي" هذا منذ واقعة اختطافهما ..

ليقول لها برقة :

_بحب أشوفك معاها ..بحس إنك رجعتِ فعلاً زي زمان .

تتنهد وهي تتأبط ذراعه بكلي ذراعيها لتعيد

الاستناد برأسها على كتفه هامسة :

..ههّ





_أنا مبسوطة قوي ..قوي يا رائد !

فمال برأسه على رأسها هامساً بصوت متهدج :

_عمري كله فدا لحظة زي دي يا حبيبتي .

وما كادت السيارة تتوقف بهما عند بيتها حتى فتح تابلوه السيارة ليستخرج منه عقد الفل الذي لفه حول معصمها ..

قبل أن تحيك لها شفتاه من قبلاته عقداً آخر ..

والقلوب تجدد وعداً بعد وعد ..

==========

_شهد !

يهتف بها هيثم بدهشة وهو يراها واقفة تستند على سور السطح منكسة الرأس ..

ليفاجأ بها وقد خرج من غرفته ينتظر حضور إسلام كي يذهبا معاً للعرس ..





تلتفت نحوه بعينين معذّبتين لم يفهم سرهما لترتجف ابتسامة شاحبة على شفتيها ..

_قلت أسلم عليك قبل ما ..تمشي !

الكلمة الأخيرة خرجت متحشرجة بمذاق الدموع لينعقد حاجباه وهو يقترب منها أكثر ليمسك كفها هامساً :

_وبتقوليها كده ليه كإني مش راجع تاني ؟!

كلماته تسكب المزيد من الدمع في مقلتيها لتشيح بوجهها دون رد ..

كيف ظننت أن الأمر سيكون بهذه السهولة ..

أن تبتعد عنه بعدما اقتربت إلى هذا الحد ؟!

أن تفقد مدارها حوله لتهوي كشهاب محترق ؟!





كيف تخبره أنها خائفة ..بل تكاد تموت خوفاً ..

اليوم سيقابل لجين ..وربما داليا ..

المزيد من الأبواب المغلقة سيفتح اليوم من جديد ..

ومن يدري ربما يكون بابها هو ما يغلق !!

_تحبي تستأذني مامتك وتيجي معايا ؟!

يقولها برقته المعهودة غافلاً عن سر هذا الحزن العجيب في عينيها ..

فتبتسم وهي تهز رأسها نفياً لتتصنع ضحكة مفتعلة ثم تعدل له وضع رابطة عنقه قائلة بمرح مصطنع :

_ابعتلي بس الصور .

لكنه يزفر بقوة وهو يضغط كفها في راحته





قائلاً بتشتت :

_مش عايز أروح ..مش حابب إحساسي إني أعمى وسط ناس كلها مفتحة .

_انت مش أعمى ..انت اللي رفضت تفتح عينيك عشان قلبك الطيب مش قابل الحقيقة ..روح يا هيثم ..يمكن لما تشوف وش تاني للحياة اللي رفضتها و تلاقي دافع إنك تقبلها ..وساعتها تفتح عينيك ..

تقولها بنفس الابتسامة الممزقة بين مشاعرها المتناقضة فتلتقي عيناهما في حديث طويل سبق قوله بابتسامة واهنة :

_بتتكلمي زي ياقوت .

_عشان عايزة مصلحتك زيها ..





تقولها ثم تسحب كفها منه لتنظر في ساعتها قائلة :

_هاسيبك أنا عشان ما أتأخرش ع المحل من أولها ..ما صدقت لقيت شغلانة سهلة ومرتبها حلو .

ظهر الضيق على ملامحه مع قوله :

_ضروري يعني حكاية الشغل دي؟!

_أنا بشتغل من زمان وجربت

حاجات كتير ..الشغل مش عيب بالعكس اتعلمت منه كتير..مش قصة فلوس ..احنا مستورين الحمد لله بس برضه الأمر ما يسلمش ..وبعدين فرصة الواحد يسلي نفسه في الأجازة .





ثرثرتها المعهودة تأتيه ممتزجة بمرارة لم يفهمها ..

ليسيئ تأويلها فيظنها فهمته يشير لتواضع

حالها مقارنة بمستواه المادي ..

_الشغل مش عيب طبعاً بس ..

يقولها مدافعاً ليردف بعد تردد قصير:

_خايف عليكي .

تغمض عينيها بقوة وجسدها يرتجف مع أثر كلماته عليها ..

هو صار غلالتها التي تقيها برد الدنيا دونه ..

ماذا عساها تصنع لو انتزعت منها لتبقى عارية وسط فضاء لا يرحم ؟!

_الآنسة شهد ما يتخافش عليها !





يلتفت كلاهما مع صوت إسلام الذي ظهر لتوه فتطرق شهد برأسها في خزي مدركة ما خلف عبارته ..

بينما يتوجه إسلام ببصره نحو هيثم قائلاً بمشاكسة :

_إيه الشياكة دي يا عمنا ؟! هتخطف الجو من العريس!

_ذوق شهد ..هي اللي اختارت البدلة .

يقولها هيثم باعتزاز وهو يعود ببصره نحوها ليبتسم إسلام بسخرية ماكرة :

_مش بقوللك الآنسة ما يتخافش عليها ..

لكنه يشعر بخزي الفتاة الحقيقي الذي تفضحه إطراقة رأسها ويتذكر حديث ياقوت عنها فيتنحنح ليقول وهو يتراجع بظهره :





_هاستناك تحت ما تتأخرش .

وما كاد يختفي عن ناظريهما حتى عاد هيثم ببصره نحو شهد ليقول بقلق:

_مش مستريح ..انتِ متأكدة إنك كويسة ؟!

_زي الفل يا ابني !

تهتف بها بمرح متكلف مغالبة حشرجة صوتها ببكاء ستؤجله لوحدة طويلة تنتظرها ..

لكنه يظل صامتاً يرقبها بنظراته فتدفعه برفق هاتفة بنفس النبرة :

_ياللا عشان ما تتأخرش على أخوك ..وأنا كمان ما أتأخرش على ماما .





فيتنهد بحرارة ليقول بحنانه الفطري:

_هاكلمك أول ما أوصل .

_وتصور لي العروسة والعريس .

بنفس المرح المتكلف تقولها ملوحة بسبابتها ليبتسم لها وهو يومئ برأسه فيما يشبه الوعد ..

هذه "الصورة" التي أغلقت عليها عينيها وهي تود لو تحتفظ بها للأبد ..

يعطيها ظهره ليتحرك مبتعداً فينقبض قلبها بوخزة قاسية ..

تستوقفه بندائها فيلتفت نحوها لتهرع إليه ثم تقف أمامه لتغرس نظراتها في عينيه هامسة :

_مهما حصل ..افتكر إني عمري ما حبيت ولا هاحب حد غيرك .

عيناه تتسعان للحظة والكلمات تصفعه ..

هو سمعها من قبل ..





أين ؟! متى ؟!

لهذا ارتعشت سبابته وهو يشير بها نحوها مغمغماً بنظرات زائغة :

_أنا فاكر ..انتِ ..انتِ قلتيلي الكلام ده قبل كده .

_فاكر!

وجهها يشحب بقوة مع كلمتها لتلتمع عيناه للحظات ..

فناء الكلية الواسع ..

عيناها الدامعتان ..

مهما حصل بيننا ..افتكر ..إني ما حبتش ولا هاحب حد غيرك ..

هروبها السريع بعدها ..

ثم ..

المطعم ..

عيناها الدامعتان من جديد ..

نظرتها المذنبة هذه المرة ..

مهما حصل بيننا ..افتكر ..إني ما حبتش ولا هاحب حد غيرك ..

وهروب جديد ..

باب زجاجي يحول بينهما ..

ثم ..

فراغ ..فراغ ..فراغ ..

ستار أسود يسدل على كل شيء!!

_هيثم ..فاكر ..فاكر إيه ؟!





ترددها بتلعثم انطفأت معه ملامحها ليعود إليها بحاجبين منعقدين ثم يزفر بقوة وهو يمسد رأسه هامساً بيأس:

_مش فاكر غير إني سمعتها منك قبل كده !

وأخيراً ترتخي ملامحها ببعض الارتياح لتتنفس الصعداء وهي تغتصب ابتسامة باهتة لتربت على كتفه هامسة :

_ما تستعجلش ..بكرة هتفتكر كل حاجة .

تقولها ب"ظاهر" عبارتها المواسي ..و"باطنها" الذي يحمل لها نهاية مؤكدة لا تحمل الجدل ..

بعض الحب خلق ليبقى مجرد سراب ملون ..نطارده وقت خلواتنا فنتلمس فيه براءة قديمة ..نسمعه في كل لحن شجيّ ..ونراه في نظرات سوانا من العاشقين ..نفتقده مع كل خيبة يلقيها في وجهنا العمر ..ونرسم به بسمة على





شفاه تشققت بالألم .. لكننا نوقن أنه في النهاية لن يكون إلا ..سرابا..!

==========

_الكوشة دي هديتي للعروسة ..عجبتك يا لوجي ؟!

تقولها ياسمين عصر يوم الزفاف وهي تشير ل"منصة العرس" التي صنعتها بنفسها لزوجة أخيها المنتظرة ..

كان يمكنها استئجار من يفعل هذا بفخامة أكبر لكنها فضلت مع شخصية لجين- التي فهمتها - شيئاً أكثر بساطة ..وحميمية !!

البالونات!!

كثير منها باللونين الفضي والأبيض رصتها

متلاصقة معاً على قائم خشبي بشكل "القلب" ..

مع كرسي العروس بنفس الشكل ..





_حلوة قوي !

تقولها لجين بتأثر وهي تتقدم نحوها لتعانقها
ياسمين بقوة هاتفة :

_تستاهلي الأحلى ..عابد عرف يختار .

تقولها صادقة وهي تتبين فيها هذه الروح النقية
التي تخترق القلوب دون استئذان ..

رغم البساطة الحقيقية التي تحيط بالمكان هنا في
بيت ثمر لكنها تستشعر به دفئاً غريباً يشع من كل
ركن فيه ..

_وصل وصل وصل ....!!وسع ل"الميكاب
آرتيست" !

تهتف بها داليا بمرحها المعهود وهي تحمل حقيبة
كبيرة من أدوات الزينة تقدمت بها نحوهما ..

لتهتف هانيا خلفهما بوجه بشوش :





_كان نفسي أعمل حاجة ..بس روح "بسطويسي" اللي جوايا مش مساعداني !

_اللي جواكي مش "بسطويسي" يا حبيبتي ..ده "جعفر" وبشنبات كمان !

تهتف بها رانيا وهي تضع كفها على كتف شقيقتها التي ضحكت لتلتفت نحوها هاتفة :

_جديدة جعفر دي ! هاقولها لرامز هيتبسط قوي !

ضحكت رانيا وهي تراقب داليا التي بدأت في تزيين العروس ..

ثم تحسست بطنها الذي انتفخ قليلاً لتهتف مخاطبة لجين :

_أنا في ظل ظروفي الحالية هاكتفي إني أقول رأيي ..بنت يا داليا ما تزوديهاش ..حاجات رقيقة كده على ذوق الشيخ !





فتقدمت منهما ياسمين لتبسط ذراعيها فوقهما هاتفة بمرح :

_كل ما تقولوا "الشيخ" دي ما ببقاش مصدقة إنكم بتتكلموا عن عابد ..سبحان من يغير ولا يتغير !

_أوبااا..أخت العريس هتفتن عليه .."نمّاية" صغيرة كده يا "ياسّو" تسلينا واحنا بنشتغل ..واهه العروسة تلاقي حاجة تمسكها عليه !

تهتف بها داليا بمرح وأناملها الخبيرة تعمل على تزيين بشرة لجين التي كانت مبتسمة بسعادة لا تكاد تصدق هذه الألفة السريعة التي نمت بينهن ..

لتشرع ياسمين في سرد بعض المواقف التي تذكرها لعابد في مراهقته في تلك الزيارات القليلة التي كانت تراه فيها مع والدها ..





ضحكاتهن تتعالى جميعاً بمرح فتراقبهن ياقوت من بعيد وهي واقفة في زاوية الصالة وعيناها معلقتان رغماً عنها بياسمين ..

شعور خانق بالغيرة ينتابها ولا تملكه وهي تجد نفسها رغماً عنها تراقبها بتفحص ..

هل هو نفس الشعور الذي انتاب زين وجعله يحاول إبعاد سامر عنها ؟!!

المغرور كان يخبرها أنه لا يغار عليها لأنه يثق بمكانته عندها ..

لماذا إذن -وهي أكثر ثقة بمكانتها هي عنده- تشعر بكل هذه الغيرة التي تكاد تحرقها حرقاً وهي تتبين تفاصيل ياسمين الأنثوية شبه الكاملة ؟!!

عيناها تصطدمان فجأة بعيني ياسمين التي انتبهت لمراقبتها إياها فخفضت ياقوت بصرها عنها بسرعة مشبكة كفيها بارتباك وجد ثغراته عبر قوة كيانها -على أي حال-!





شعرت بياسمين تترك صحبتها لثرثرتهن لتتقدم نحوها هي فعادت ترفع إليها عينيها بابتسامة مرتبكة استقبلتها ياسمين بتفهم وهي تقترب منها أكثر لتقول لها بودّ حقيقي:

_عقبالك .

تمتمت ياقوت برد تقليدي وهي تشيح بوجهها لتسألها محاولة الهرب من مشاعرها :

_فين يمنى؟!

_نايمة مع بيللا في الأوضة جوه .

تجيبها ياسمين ببساطة لتردف :

_يامن اللي زمانه هيتجنن عليها ..فكرة فصل الرجالة لوحدهم في بيت عمي حمدي دي حلوة جداً عشان ناخد راحتنا هنا ..بس هو روحه فيها ..أراهنك هيتصل بيا كمان شوية أخرجهاله .




ابتسمت ياقوت بسعادة حقيقية وهي تميز فرحة ياسمين وعلاقتها المستحدثة شديدة القوة بيامن بعد كل ما مرّا به ..

_ربنا يسعدكم .

تقولها بشعور صادق مس ياسمين التي ربتت على كتفها لتقول بامتنان :

_الفضل لربنا وبعدين ليكي يا "دكتور"!

فتخفض ياقوت بصرها بتواضع لا تدعيه لتصمت ياسمين للحظات قبل أن تسألها بخفوت :

_زين عامل إيه ؟! لسه عازل نفسه عن الناس؟!

المزيد من الغيرة يلسعها وهي تسمع اسمه من بين شفتيها ..

لكنها تومئ برأسها إيجاباً ..

لترد :





_اللي زي زين ما بيتكسرش ..هيرجع أقوى من الأول بس بعدما اتعلم م اللي فات .

_فعلاً ..ورأيي إنه هيحاول يعمل حاجة تكفر عن ذنبه ..ملجأ أيتام مثلاً ..أو مؤسسة خيرية .

تقولها ياسمين بحماس من خبرتها بشخص زين ..

هذا الحماس الممتزج بالثقة والذي أجج المزيد من غيرة ياقوت لتجد نفسها ترد باندفاع وكأنها تثبت مكانتها هاهنا :

_دار رعاية فتيات ..هيسميها "الياقوت والمرجان".

شعرت ببعض الندم بعدما تفوهت به لتحمر وجنتاها بمزيج من خجل وحرج خاصة عندما التمعت عينا ياسمين بقوة للحظات سبقت همسها بنفس الحماس :

_أوه ! معقول ؟!





ثم ضحكت وهي تتناول كف ياقوت لتردف بشرود :

_قبل ما أفتح مطعم سينابون كنت بحلم بيه كمشروع أبدأ بيه حياتي أيام جوازي من رامي ..كلمت عنه زين وقتها لإني كنت بثق في رأيه في السوق ..إداني رأيه ولما سألني عن الاسم مكنتش لسه اخترته ..ساعتها قاللي أول قاعدة "اوعي تسمي مشروع ليكي باسم حاجة أو شخص بتحبيه زي ما بعض الناس بتعمل ..

قاللي إن الحسابات بتتغير وإن اللي تحبيه النهارده ممكن تكرهيه بكرة فما تربطيش شغلك بقلبك وخللي لكل واحد فيهم طريق ..سمعت

كلامه في أول مطعم فتحته لكن في المطعم التاني سميته برمز خاص بيا أنا ويامن ..وكان معاه حق لإني مع أول مشكلة بيننا قفلته ..

نظرات الغيرة في عيني ياقوت تزداد كثافة مع احتراق وجنتيها لكن ياسمين تلتفت نحوها من





شرودها لتهمس لها وهي تغرس نظراتها في عينيها :

_بس النهارده هو اللي غيّر رأيه ..عارفة ده معناه إيه ؟!

أسبلت ياقوت جفنيها دون رد ليصلها همس ياسمين الواثق:

_إنه متأكد قوي من شعوره ناحيتك ..واثق إن اللي بينكم أكبر من إن الأيام تغيره طول العمر ..

تقولها وهي تضغط كف ياقوت في راحتها أكثر فتغمض الأخيرة عينيها بقوة وهي تشعر في هذه اللحظة بالذات أنها تشتاقه ..

لماذا توقف "عدّاد العناقات" بينهما ؟!

هي لم تعد تحسبه حسياً بل صارت تضم إليه كل مرة تشعر فيها أنه يحتضنها رغم كل هذا البعد ..

فلماذا لم يعد يعانقها ؟!





صوت بكاء يمنى من داخل الغرفة يقاطع أفكارها فتفتح عينيها معِ اعتذار ياسمين الصامت قبل أن تتركها الأخيرة بهمسها :

_حب زي ده مابنقابلوش في حياتنا غير مرة واحدة ..امسكي فيه بإيديكي وسنانك .

_يسلم فمك يا ست حلويات انتِ ..قوليلها أنا غلبت ..بقا ده راجل يتساب يا ناس!!

"العفريتة العابثة " تعاود عربدتها في حناياها من جديد فتبتسم من قلبها هذه المرة وهي تتابع انصراف ياسمين ببصرها ..

_شغل أسطوات يا حضرات ! مين أحسن "ميكاب آرتيست" ناو؟!





تهتف بها داليا أخيراً بفخر وهي تتنحى عن لجين التي بدت بزينتها المتقنة أكثر فتنة حقاً ..

خاصة مع هذه النظرة "الخاصة جداً" في عينيها ..

نظرة فرحة خالصة لم ترها ياقوت في عينيها من زمن!!

لهذا لم تشعر بنفسها وهي تندفع نحو شقيقتها لتعانقها بقوة ودموع فرحتها تغرق وجنتيها ..

_ولازمته إيه البكا ؟! ده يوم فرح !

هتاف ثمر التي خرجت أخيراً من المطبخ يدوي خلفهما ..

لكنها ما كادت ترى لجين بثوبها الأبيض وزينة وجهها التي زادتها تألقاً ..مع شعرها الذي أسدلته على ظهرها كشلال أسود ..





حتى اتسعت عيناها للحظات وصوتها يتهدج بدعائها :

_ما شاء الله لا قوة إلا بالله ..اللهم بارك ..اللهم بارك ..

كلماتها تنتهي بدموع تأثرها وكأنها لم تنههما عن فعلها منذ قليل لتندفع نحوها ياقوت ولجين لكنها هتفت بهما بحزم وهي ترفع ذراعيها محاولة تمالك مشاعرها :

_ماتقربيش منك ليها ..إيدي مش نضيفة .

_ما انتِ اللي مش راضية حد يساعدك في المطبخ يا ستي .

هتفت بها ياقوت باعتراض مشفق لكن ثمر رفعت رأسها للأعلى هاتفة برضا :

_"صباحية العروسة" لازم تبقى من إيدي .





فابتسمت لجين بخجل ولاتزال كلمات كهذه جديدة على مسامعها ..

لكنها فوجئت بياقوت تصفق بكفها وهي تغني وتدور حول ثمر هاتفة بمرح:

_ست الحبايب يا حبيبة ..يا أغلى من روحي ودمي ..

فالتقطت منها لجين الخيط لتدور خلفها حول ثمر هي الأخرى وتصفق مثلها ..

_يا حنينة وكلك طيبة ..يارب يخلليكي يا أمي ..

هنا شرعت داليا في الطرق على منضدة خشبية مجاورة لتحاكي اللحن معهن وتغني بدورها ..




فتتبعها رانيا وهانيا مصفقتين ..

_يارب يخلليكي يا أمي ..يا ست الحبايب ..يا حبيبة ..

الغناء ينتهي بالحفيدتين وهما تحتضنان جدتهما بعناق مازجته الدموع ..

وعلى باب الغرفة المجاورة المفتوح كانت نبيلة تقف تراقبهن بإجلال ممتزج ببعض الحسرة ..

كم تغبط ثمر على هذا الحب النابض في عيني الحفيدتين ..

تتمنى لو لم تكن أضاعت العمر لهثاً خلف سراب ..

هذا الذي شعرت به ياسمين وهي تحمل يمنى جوارها فالتمعت عيناها بحسم وهي تجذبها من





ذراعها الحر نحو بنات شقيقتها لتصنع لها حلقة وسطهن ..

يتصايحن ثلاثتهن بمرح وهن يلتففن حول نبيلة ليعدن الأغنية لها هي هذه المرة ..

فيختلج قلبها بشعور كاسح لم تعرفه "بيللا" في أزهى عصور مجدها ..

إنما توقن أن "نبيلة" ستتنعم به ما بقي لها من عمر !!

=======

عقب صلاة العشاء بصالة بيت ثمر حيث اجتمعت النسوة تحتفلن بضرب الدف مع فرقة أغانٍ إسلامية ..

حول لجين التي بدت وسطهن كقمر يتباهى بنجماته ..





جلست إيناس تجاور غادة وهي تصفق بكفها معهن لتميل على أذن غادة قائلة :

_عقبالك !

فابتسمت غادة بخجل وهي تنظر للعروس قائلة بارتباك :

_هتعملي زي سيف ؟! كل شوية يستعجلني ..بس أنا لسة مش ..

قطعت عبارتها وهي تلاحظ تململ إيناس بضيق في مكانها لتهتف بها بترقب:

_مالك يا أنّا ؟!

_ الجيبة ضيقة ..وخفت أقول لعمك علاء يتريق عليا ويقوللي تخنت ..شوفيلنا حتة متدارية أهويها شوية ..





تقولها إيناس بحرج لتضحك غادة ضحكة عالية وهي تقف مكانها لتمد لها كفها مساعدة :

_وأنا كمان طرحتي فكت ..تعالي نسأل حد هنا ..هي مراة إسلام فين ؟!

فتلفتت إيناس حولها بعينيها وهي تقف مكانها لترد بإشفاق:

_مراة إسلام دي حكاية لوحدها ..تحسي عينيها بتعيط من غير بكا ..من ساعة ما شفتها ونفسي آخدها في حضني وأطبطب عليها ..بس هي شكلها متحفظة قوي ..هتلاقيها هنا

واللا هنا ..بنتها شقية هتلاقيها بتلف وراها ..

_عايزة حاجة يا بنتي؟!

تهتف بها ثمر بطيبتها المعهودة وهي تجول ببصرها بينهما فتقول غادة بحرج :

_عايزين مكان بس نظبط فيه هدومنا .

_تعالي يا بنتي اتفضلي .





تقولها ثمر وهي تشير لإحدى الغرفتين التي تقدمتا هما نحوها شاكرتين مبتعدتين عن الجمع المحتفل ..

فأدخلتهما ثمر لتغلق الباب خلفهما مع قولها:

_خدوا راحتكم ..البيت بيتكم ..حبايب إسلام حبايبنا .

_شكلها طيبة قوي الست دي ..يا ساتر ..الجيبة هتفرقع !

تهتف بها إيناس وهي تحل زر تنورتها لترفعها قليلاً فتضحك غادة وهي تحل وشاحها لتعيد ضبطه ..

_صبغتِ شعرك امتى من ورايا ؟!

تهتف بها إيناس معلقة على لون شعر غادة الأحمر لتهتف بها الأخيرة باعتذار :





_لسه امبارح ..كنت عايزة أجرب اللون لأن سيف طالبه مخصوص .

عبارتها الأخيرة امتزجت بدلالها الفطري لتضحك إيناس مقلدة لهجتها :

_سيف طالبه مخصوص ؟! يااااعيني ..والله وبقينا بنطلب ياابن الناس الكويسين !

ضحكت غادة بالمزيد من الدلال وهي تعيد ضبط وشاحها لتردف إيناس بنبرة أكثر حناناً :

_امبارح حلمت بهاني ..طول الحلم بطمنه على إسلام وسيف وهو يا حبيبي بيضحك !

اغرورقت عيناها بالدموع كعهدها كلما تحدثت عن الحبيب الراحل لتلتفت نحوها غادة بنظرة مواسية ثم تنحني لتعانقها بقوة ..

فتتنهد المرأة لتردف :





_أكتر حاجة كنت حاملة همها إن سيف وإسلام يخسروا بعض بسببك ..لما رفضتِ إسلام وعرفت إن سيف هو كمان بيحبك قلت خلاص الصحاب هيخسروا بعض ونخسرهم احنا كمان ..

_سيف وإسلام عمرهم ما يخسروا بعض ..دول إخوات وأكتر ..واهه إسلام سبقه واتجوز قبله كمان .

تقولها غادة ببساطة وهي تربت على كتف إيناس التي هزت رأسها لتقول بحيرة :

_ماهو ده اللي قالقني عليه ..جوازته المتلهوجة دي ..مستنية بس يروق وأقعد معاه على جنب أفهم منه .

_مفيش فايدة ..على طول قلبك الطيب ده قلقان علينا يا "أنّا"!

تقولها غادة بحنان وهي تطبع قبلة على جبينها لتردف :




_يالللا بقا نطلع ..مايصحش نطول هنا .

تقولها وهي تلقي نظرة أخرى على المرآة لتطمئن على شكلها قبل أن تغادر الغرفة مع إيناس..

غافلة عن نشوى التي كانت هناك مختبئة في زاوية شرفة الغرفة وقد اختارت العزلة عن الجمع بالخارج ليختار لها القدر أن تستمع مصادفة لكلامهما كله ..

فيدرك عقلها جواب السؤال الذي طالما سألته إياه دون أن تجد له جواباً يقنعها ..

لماذا تزوجها ؟!

تماماً كما تزوجته هي ..

لأجل أن ينسى أخرى يعشقها!!

=======

_الصالح !! افتقدتك يا صديقي!!





يهتف بها عابد بلهفة حقيقية وهو يعانق صديقه في بيت الحاج حمدي حيث تجمع الرجال

لاحتفال العرس ..

ليرد الصالح ببشاشة :

_عندما علمت الخبر لم أستطع إلا الحضور في أقرب طائرة ..بارك الله لك .

ربت عابد على ظهره بمودة حقيقية وهو يتذكر دوره الكبير في حياته ليقول له بحرارة :

_كنت ولا تزال نعم الصاحب.

يبتسم له الصالح برضا ليسأله باهتمام :

_عساك تكون وجدت بغيتك هنا ..أرى راحة القلب مرسومة على وجهك .

فيهز عابد رأسه وهو يتذكر أيام شتاته القديم ليرد بتأثر :





_لا أجد لي إلا دعاء نوح عليه السلام وقت استوى على سفينته بعد الطوفان ..الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين .

_الحمد لله .

يقولها الصالح ببشاشة فيتحرك به عابد وسط جموع الرجال ليعرفه على يامن وبقية أقربائه ..

ثم ينتهي به المقام لدى الشيخ أبي إدريس فيقول له عابد باعتزاز:

_هو صديقي الذي حدثتك عنه يا شيخنا .

يبتسم الشيخ وهو يصافح الصالح بقوة قائلاً :

_بارك الله لك يا ابني ..وزادك علماً وفهماً .

_سلمت يا شيخنا .





يقولها الصالح ببعض الخجل وهو يرى نظرات التقدير من الشيخ الجليل الذي طبقت شهرته الآفاق في العلم ومع هذا لم يزده ذلك إلا تواضعاً ..

تماماً كما يتحرك الآن مع الخدم ليوزع الطعام على الحضور بنفسه ويقول لعابد مداعباً :

_ألستُ أبا العريس !!

فيضحك عابد وهو يرد بامتنان :

_أبي وشيخي ومعلمي !!

يرمقهما الصالح بنظراته الذكية كالعادة مدركاً أن صديقه قد وعى الدرس و..

وشتان بين "الثرى" و"الثريّا" كما يقولون !!

لا تزال مصر كما يذكرها حميمية دافئة مميزة بهذا السحر الذي لا تشبهها فيه بلد سواها ..




ربما هي لا تزال تعاني سنين عجاف لكنه لايزال يرجو عاماً فيه يغاث الناس وفيه يعصرون !

يجلس وسط الرجال يتناولون الطعام الذي أعد بكرم والحاج حمدي عم يامن يتحرك وسطهم ببشاشة كأنما هو عرس ابنه من صلبه..

فيبتسم الصالح براحة وهو يسمي الله ليبدأ في تناول الطعام الذي اشتاقه بنكهته "المصرية" المميزة ..

_أين أغسل يدي ؟!

يسأله الصالح بعدما انتهى من تناول الطعام ليرد عابد وهو يشير له لمكان قريب توجه إليه ليغسل يديه ويخرج ..

فيدوي في أذنيه صوت الاصطدام قبل أن يسمع صوتها تولول:





_الصينية وقعت ! ستي ثمر مش هتبطل تقوللي يا مطيورة !

يتنحنح بحرج وهو ينحني ليساعد رابحة في لملمة الفاكهة التي تناثرت على الأرض:

_عفواً ..لم أنتبه !

_انت بتتكلم زيه ؟!

تهتف بها بانبهار وهي تتفرس في ملامحه ليرفع إليها عينيه متسائلاً :

_من تقصدين ؟!

_الشيخ عابد ..العريس!

تقولها بتلعثم احمرت له وجنتاها ليبتسم وهو يعود لينهمك فيما يفعله قائلاً :

_تقصدين التحدث بالفصحى ؟! إنها سنة مستحبة يا صغيرة .





_أنا مش صغيرة !

تهتف بها باندفاع طفولي ليعاود رفع عينيه إليها بفضول ثم يغضهما ببعض الدهشة ..

طفلة !! إنها مجرد طفلة !!

_أنا داخلة على خمستاشر سنة ..وأبويا كان عايز يجوزني من كام شهر بس الشيخ أبو إدريس الله يصلح حاله هو اللي وقف له .

كتم ضحكته بصعوبة مع ثرثرتها التي بدت له أكثر طفولية من ملامحها ..

ليرفع الصينية أخيراً ثم يناولها إياها قائلاً :

_أعتذر مرة أخرى ..

ولم يستطع منع نفسه من مشاكستها باستطراده :

_يا صغيرة .





عبست ملامحها في وجهه بغضب طفولي وهي تتناول منه الصينية لتعطيه ظهرها وتغادر ..

فاستقام بجسده أخيراً يرقبها من بعيد كي يطمئن أن لن تسقط ما بيدها من جديد ..

لتتسع عيناه وهو يميز ما سقط لتوه من جيب جلبابها ..

_يا صغيرة !

يناديها وهو يقترب منها من جديد لتلتفت إليه بنفس العبوس الطفولي ..

فيلتقط حلوى "المصاص" التي سقطت منها ليعطيها إياها عاجزاً عن منع ابتسامة تسليته :

_هذه وقعت منك .

احمر وجهها أكثر لتهتف به كاذبة بنزقها المعهود وقد ساءها أن يراها كطفلة :





_مش بتاعتي! شايفني عيّلة صغيرة لسه باكل مصاصة ؟! شوف وقعت من مين !

يكتم ضحكته وهو يهز رأسه محاولاً الحفاظ على وقار ملامحه لترمقه هي بنظرة متحسرة أخيرة قبل أن تشق طريقها وسط الزحام تاركة إياه خلفها
يمسك عصا حلواها بيده ليديرها بين أنامله للحظات قبل أن يضعها في جيبه بخفة كي يعود إلى عابد ..

_بت يا رابحة ! خدي هنا رايحة فين !!

تهتف بها ياقوت وهي تستقبلها في بيت ثمر الذي عادت إليه لكن رابحة لم تلتفت إليها وهي تضع الصينية فوق المائدة ..





قبل أن تندفع نحو الحمام القريب لتغلق بابه خلفها ..

وما كادت تفعل حتى أطلقت سراح ضحكة أفلتت منها وهي تستعيد ملامحه لتبسط راحتها على شفتها متمتمة بانبهار:

_أشقر وعيونه زرقا !! كنتِ فرحانة بعابد وبتقولي شبه "سامي يوسف"! أهه جالك اللي شبه "عمرو يوسف"!!

تقولها لتطلق ضحكة أخرى كتمتها بكفها الذي وضعته بعدها على صدرها لتتنهد بحرارة هامسة :

_يا ترى اسمك إيه يا حليوة انت ؟!

تسمع ثمر تناديها من الخارج فتشهق متذكرة مصيبتها لتخرج بسرعة وتهرع إليها هاتفة بأسف:

_الصينية وقعت غصب عني والله يا ستي .





فتضحك ثمر عبر أسنانها المكسورة لترد وهي تلوح بكفها :

_هاقوللك إيه ؟! ما انتِ مطيورة !!

_طب أساعدك في إيه تاني؟!

تقولها بشعورها بالذنب لترد ثمر وهي تتفحص ملامحها بخبرتها :

_مالك يا بت ؟! وشك أحمر كده ليه وبتنهجي ؟!

فارتمت في حضنها فجأة بوضع تمثيلي لتهتف بها بلهفتها المعهودة :

_فيه حاجة في بالي ادعيلي تتحقق يا ستي ..دلوقتي ..والنبي ..والنبي ..والنبي ..

فتضحك ثمر ببشاشة وهي تحاول دفعها عنها :

_يابت ابعدي كده ..وبعدين قلتلك ألف مرة ما تحلفيش غير بالله .

_حاضر يا ستي ..ماعدتش هاقول والنبي ..بس والنبي والنبي ..تدعيلي دلوقت !!

عادت ثمر تضحك وهي تزيحها جانباً قائلة :

_أسيب الضيوف يعني وأقعد لدماغك الفاضي ؟!

_هي حاجة واحدة بس يا ستي ..قولي يارب حقق لرابحة اللي في بالها !

تقولها بتوسل وهي تتقافز حولها كالأطفال فتتنهد ثمر وهي ترفع كفيها في وضع الدعاء:

_يارب حقق لرابحة اللي في بالها ..لو فيه خير!

تقول عبارتها الأخيرة وهي تقرص أذنها برفق لتتأوه رابحة بخفوت ثم تبتسم وهي تراقب ثمر تبتعد لتضع كفيها المتشابكين على صدرها مغمضة عينيها بقولها الهائم :





_وهو فيه خير أكتر من كده ؟! أشقر وبعيون زرقا يا ناس!!

=======

_وحشتني يا مارووو !! أنا عارفة لزومه إيه الفرح اللي فاصلينا فيه ده ؟!

تهتف بها داليا لنفسها بضيق وهي تجلس وسط النسوة في بيت ثمر يحتفلن بالتصفيق مع فرقة الإنشاد الإسلامي ..

تستخرج هاتفها لتكتب له رسالة :

_وحشتني .

ثم تبتسم وهي تراه يرسل لها الرد بسرعة كأنما كان يكتب رسالته معها في نفس اللحظة :

_انتِ وحشتيني أكتر .

_خلاص ..اللي واحشه التاني أكتر يتصرف !

تكتبها بشقاوتها المعهودة ليرد :

_اعقلي يا مجنونة ..هنا الغلطة بفورة .

تتسع ابتسامتها وفكرة مجنونة تراودها ..

تجعلها تتسلل عبر الجموع خفية لتغادر بيت ثمر ثم تستوقف صبياً صغيراً لتسأله :

_تعرف فين البيت الحاج حمدي اللي فيه قرايب العريس ؟!

يمسك الصغير بيدها ليرشدها نحو هناك فتتحرك جواره وذهنها منشغل بالمفاجأة التي ستعدها لمروان عندما يراها هناك ..





وخارج البيت عند مدخله كان هيثم يقف ضائق الصدر شاعراً بالغربة وسط الحضور وراغباً في المغادرة ..إليها !!

شهد!

يمسك هاتفه ليرسل لها صور العروسين كما وعدها فترد ببعض الصور الضاحكة لكنه كان يستشعر أن مرحها هذا ليس حقيقياً ..

يزفر بقوة وهو يحاول تفسير هذا الضيق الذي شعر به منذ رأى لجين هنا ..

لا ..ليس ضيقاً يتعلق بها نفسها ..على العكس إنه يستشعرها طيبة كشقيقتها ..

إنما هو شيء يدور حولها ..

يحسه ولا يفهم كنهه ..

طيف قديمٌ ينتابه من الماضي ..

فيراها هي ..لجين !!




تعدو هاربة منه ثم تختفي ..

وبعدها تأتيه شهد تخبره شيئاً ..

شيئاً عن أبيه !!

أبيه ؟!!

السِتار الأسود يسدل من جديد !!

فلا يعود يذكر شيئاً !!

تباً لهذه المتاهة التي تجعله يشعر أنه يدور في الفراغ بلا هدف !!

_هيثم !

الهتاف يأتيه من الجوار فيلتفت نحو داليا بعينين زائغتين مغمغماً :

_انتِ عارفاني؟!

_معقول ؟! مش فاكرني أنا كمان؟!





تقولها بإشفاق مستعيدة تاريخهما الطويل معاً منذ الطفولة ليتفحص ملامحها باهتمام ..

قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة ..

إنها هي!!

الفتاة التي تذكر طيفها منذ فترة ..

وكانت ..كانت شهد تغار منها !!

_فاكر شكلك ..بس الاسم ..

_داليا .

تقولها وعيناها تدمعان إشفاقاً نحوه ليشعر بألفة غريبة تجتاحه نحوها ..

وتجعله يقترب أكثر منها قائلاً بتشتت:

_أنا حاسس إنك قريبة مني ..بس ..

٥٥٥٥.





_كنا أصحاب من ابتدائي لحد الجامعة ..ودلوقت بقينا نسايب ..انت أخو العروسة ..وأنا قريبة العريس .

تقولها بعاطفة دافئة لا تزال تحملها نحوه ليهز رأسه بعينين ملتمعتين :

_يعني عارفة عني كل حاجة ؟!

أومأت برأسها إيجاباً ونظراتها المشفقة المفعمة بعاطفتها الأخوية نحوه تطوقه ..

فيزدرد ريقه ليسألها باهتمام :

_تعرفي عني إيه ؟!

_انت برضه لسه مش فاكر ؟!

تسأله بالمزيد من الإشفاق ليشيح بوجهه في يأس فاقتربت منه وعيناها تلتمعان بعزم قائلة :

_هاقوللك كل حاجة ..هساعدك تفتكر !

==========




_وسعوا للعريس ..واخوات العروسة !

الهتاف ينطلق مصحوباً بالزغاريد من كل صوب لتضطرب لجين وهي تقف مكانها ..

فتشد ياقوت على كفها داعمة وعيناها تدمعان رغماً عنها ..

بينما يتقدم عابد يحيطه هيثم وإسلام من الجانبين لتتسع عيناه بانبهار وهو يميز جمالها الذي يراه ساطعاً هكذا لأول مرة ..

بياض ثوبها المكشوف عن ذراعيها وكتفيها يناقض سمرة بشرتها الفاتنة ..

شعرها الأسود الناعم يبدو له كليل طويل سيحلو له فيه السهر ..

شفتاها مزينتان بأروع ابتسامة رآها في حياته ..

عيناها المكحلتان برموش طويلة تحملان له ألف دعوة بالاقتراب ..

أفلا يلبي؟!





فيما تتسع عيناها هي الأخرى وصدرها يعلو ويهبط كأنما تعدو في سباق طويل ..

لقد ارتدى بدلة !!

بدلة سوداء أنيقة كما حلمت بها !!

وجهه الوسيم يكاد يضيئ كقمر هجر العالمين وسكن سماءها وحدها !!

الدموع تتكدس في عينيها وهي ترى إسلام وهيثم يتقدمان قبله ليعانقاها بقوة ..

فيخفق قلبها وهي تتوجه نحو ياقوت بنظرة خاصة فهمتها ..

كلتاهما عاشتا هذا العمر الطويل بلا سند من رجل ..

والآن يمنحهما القدر العوض مضاعفاً ..

فسبحان من إذا أعطى أدهش بالعطاء!!





صوت الزغاريد يدوي في أذنيها من جديد قبل أن تختفي من حولها كل الأصوات وهي ترى

إسلام يمسك أحد كفيها بينما هيثم يمسك الآخر ليسلماها لعابد ..

بينما تشعر بكفيّ ثمر على كتفها من الخلف كما عاشت طوال عمرها تحيطها بجناحيها وتدفعها وشقيقتها للأمام ..

قبل أن تشعر بكفيه هو يمسكان كفيها ..

اللمسة الأولى!!

هذا السحر الذي ضمها الآن بفتنته ..

تسرق من عينيه نظرة تهزها من قمة رأسها

لأخمص قدميها ..فلا تجرؤ على المزيد ..

فيما تشعر به يقترب أكثر لينحني ويقبل جبينها ..

جسدها ينتفض كله لتنتقل ارتجافتها إليه فيميل على أذنها هامساً :





_لا تخافي ..أقسم بمن رزقني حبك أن تكوني قِبلة القلب والعين العمر كله !

ترفع إليه عينين مصدومتين وهي تسمع منه اعتراف الحب لأول مرة ..

لم تتصوره ولو في أقصى أحلامها جموحاً بهذه الحلاوة ..

دموعها تمتزج بابتسامتها في خليط عجيب يليق بروحها المحلقة في عليائها ..

فيمد أنامله بخفة ليمسح طرف عينيها وهو يمنحها ابتسامة بدرجة ألف عناق ..

ترى ياقوت تمد إليها يدها بإسدال مطرز أبيض جعلته كي تستر جسدها الذي يفصله الثوب ..فتترك دفء يديه مرغمة كي تساعدها شقيقتها في ارتدائه ..

ههههه




قبل أن تناولها طرحة بيضاء أمسكتها هي بين يديها ..

ليتلقفها هو منها ثم يسدلها على رأسها من أعلاه ليداري وجهها بزينته كاملاً ..

_تماماً كما كان في رؤياي .

يهمس لها بها بصوت متهدج ليصله همسها عبر القماش الرقيق الفاصل بين وجهيهما :

_شفتني في رؤيا ؟!

_كنتِ تمدين لي يدك بطرحة كهذه وتهمسين ..أكمل الستر يا شيخ ..عساني أكمله حقاً !

لم يرَ ملامحِ وجهها صريحة لكنه شعر باختلاجة كفها الذي تناوله في راحته ليعاود تقبيل رأسها ..





سمعها يعود لكفاءته من جديد مع أصوات الزغاريد ..

وبقلبها تشعل الدقات زغاريد مشابهة ..

تتأبط ذراعه بمزيج من خجل وفخر وهي تسير جواره مرفوعة الرأس والعيون حولها ترمقها بنظرات إجلال طالما افتقدتها ..

تتحرك جواره كأنما خطواتها تحلق بانسيابية وكفه الذي يعانق كفها يمنحها أمان كنفه ..

يصلان أخيراً لبيتهما الذي يقابل بيت ثمر تماماً فترى الأخيرة تنحني لتعانقها بقوة قبل أن تنظر ثمر لعابد نظرة لن تنساها ما عاشت ..

كأنما تخبره بتجاعيد وجهها الغائرة أن هذه أمانتها أودعتها إياه فلا يضيعها !

ليومئ لها عابد برأسه قبل أن تشعر بعناق ياقوت الباكي يجتاحها بانفعاله ..





C i n n a b o n

_افرحي ..افرحي قوي ..شفنا كتير ..بس عوض ربنا مفيش أجمل منه !

تهمس بها في أذنها لتقبل وجنتها بقوة قبل أن تنسحب ملوحة لها بكفها ..

خطوتها الأولى لبيتهما الجديد تختلط في أذنيها بصوت الزغاريد بالخارج ..

تشعر به يقترب ليخلع عنها طرحتها وإسدالها ..

فترفع إليه عينيها بمزيج من خجل وفرح ..

_يالله ! لو كان هذا حسنك في عينيّ في الدنيا ..فكيف بحور العين في الجنة !!

الصدق في كلماته ..!!




الصدق في كلماته بهذه الحرارة ماذا عساه يصنع لامرأة بتاريخها لم تكد تسمع في عمرها الطويل كله عبارة غزل واحدة ؟!!

لهذا دمعت عيناها وهي ترنو إليه بنظراتها هامسة ببساطتها النقية :

_زمان كنت بتضايق إني عمري ما حد عاكسني ولا قاللي كلمة حلوة زي بقية البنات ..بس دلوقت ..دلوقت ..بحمد ربنا إنها اتحوشت لي عشان أسمعها منك انت .

فابتسم وهو يحيط وجنتيها براحتيه هامساً :

_يشهد ربي أني لم أمس يوماً امرأة في حرام ..احتسبتها عنده لأجل فرحة ليلة كهذه ..لأجل امرأة أكون لها بكراً كما تكون لي ..فيرزقنا الله متعة حلاله .





يقولها ليقرب وجهها أكثر فيسنده على صدره لتكتم تأوه خجلها وأناملها تتلمس سترته فتتذكر ما يجعلها تسأله :

_غيرت رأيك ولبست بدلة ليه ؟!

فيرفعِ ذقنها نحوه ليهمس لها بحنان آسر :

_قلتِ إنه كان حلمك ..وأنا عاهدت نفسي أن أحقق لكِ كل ما تحلمين به مادام في غير معصية لربي .

خيط رفيع من الدموع يسيل من طرف عينها وهي لا تصدق كل هذه السعادة التي تغمرها بها كلماته ..

_سألتِني بالأمس إن كنت سعيداً وأجلت الجواب للحظة كهذه ..





يقولها وهو يرفع كفها ليبسطه على صدره حيث موضع خافقه لتشعر بدقات قلبه العالية تحت أناملها ..بينما هو يردف :

_لا يعرف مقام انشراح الصدر إلا من عاش عمراً باختناقه ..

ثم صمت لحظة ليكمل بما لن تظن نفسها يوماً ستسمع أجمل منه :

_يا "فضية" الاسم و"ماسية" المقام ..رزقني الله حبك وبشرني بكِ في رؤيا خير ..ثم ملأ بكِ قلبي قبل عيني ..فأي النساء قبلك ؟! وأي النساء بعدك ؟!

هنا لم تستطع منع تأوه خجلها وهي تخفي وجهها بين كفيها ..

تكاد تذوب بين ذراعيه من فرط هذه الحرارة التي تكاد تصهرها ..





رغماً عنها تستعيد هذه الأيام التي قضتها لا ترجو من الحياة سوى "ظل رجل" يؤويها من حمل وزر لفظة "عانس" ..

والآن يأتي هو وبين كفيه كنوز عاطفة لن يسعها الكون من المشرق للمغرب ..

تشعر به يزيح كفيها عن وجهها فتعاود رفع عينيها إليه بوجل ..

لم تتخيل أن يكون يجيد مثل هذا الكلام ..

إنما هو فقط كان يخفيه "تقوى" وليس "عجزاً"!!

_أنا مش عارفة عملت إيه عشان أستحق حد زيك ..بس بقول لنفسي يمكن هي دعوة ستي ثمر .





فارتفع حاجباه للحظة وهو يحاول إزاحة الكلفة بينهما بحرص ليقول مداعباً:

_هل هذا أفضل ما سأسمعه منكِ الليلة ؟!

تضحك ضحكة صافية توّجها خجلها لتعيد إخفاء وجهها بين كفيها لكنه يعاود إزاحتهما عنه ليهمس لها بحنان دافئ:

_لا تخفي وجهكِ بين كفيكِ بعد الآن ..صدري به أولى!

تشهق رغماً عنها وكلماته تثير ما يفوق خجلها ..

خاصة وهي تشعر بذراعيه يطوقانها كاملة بحنوّ فتسند رأسها على صدره..

الانتماء!!

هذا بالضبط ما كانت تشعر به الآن وهي على صدره ..

كأنه هو ملاذها وموطنها منذ الأزل!!




نفس الشعور الذي كان يشاطرها إياه وأنامله تأنس برحلتها بين خصلات شعرها الناعمة ..

_"لتسكنوا".."لتسكنوا"..

يكررها بخفوت لترفعِ إليه عينين متسائلتين فيبتسم لها تالياً الآية كاملة ..

_ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ..سبحان من هذا كلامه ..هكذا أشعر الآن تماماً ..أنتِ مني ..أنتِ سكني !

تحترق وجنتاها خجلاً وهي تشعر بتثاقل نظراته فوق ملامحها كما لم يكن يفعل من قبل ..

فيرتجف جسدها برهبة طبيعية بددتها همساته الحانية :

_أخبريني يا حوريتي ..كيف حلمتِ بهذه الليلة ؟!





تكاد تخفي وجهها بين كفيها خجلاً من جديد لكنها تتذكر ما قاله فتسند جبينها على صدره مع كفيها ..

لكنه يبعدها قليلاً لينظر لعينيها هامساً بنبرته الدافئة :

_تعالي نصلّ ركعتين أولاً ..ومادمتِ تخجلين .. سأخبركِ أنا بعدهما كيف حلمت بليلة كهذه !

=========

_باي يا "باربي" !

تتمتم بها همسة خارج بيت ثمر عقب انتهاء العرس وهي تنحني برأسها فوق رأس يمنى التي تحملها ياسمين فتقبلها بنعومة مردفة :

_هاشوفك تاني ..قريب .

_أكيد .

تقولها ياسمين ببشاشة ناقضت تحفظ ملامح يامن النسبية وهو يخشى تقاربهما مع همسة ..





ليس لأجلها هي ..بل لأجل أخيها ذاك!

لهذا تنحنح بخشونة وهو يودع همسة ورائد بودّ لا يدعيه خاصة للأخير الذي لا يزال يذكر فضله على ابنته ..

فرمقته ياقوت بنظرة متفهمة قابلها بابتسامة تقدير :

_مبروك يا دكتور ..عقبالك !

هزت له رأسها بود لترى في عينيه نظرة ذات مغزى نحو سامر الذي اقترب منهم مخاطباً ياقوت بقوله :

_مروان اختفى فجأة ..ما شفتيهوش ؟!

فابتسم يامن وهو ينظر حوله :

_داليا كمان مش شايفها ..هتلاقيهم مشوا سوا !





يقولها ليرمق سامر بنظرة تقدير حقيقية ..رغم تعارفهما القصير منذ ساعات فقط ..لكن مروان كان يشكر فيه كثيراً ..

ورغماً عنه -مع علمه بعمله هو مع ياقوت - تمنى لو تحمل لها الأيام نصيباً معه هو بدلاً من ذاك الوغد اللزج ..زين!!

لهذا صافح سامر بود لم تخطئه عيني رائد اللتين كانتا تراقبان بتفحص كعهده خاصة ويامن يخاطب ياقوت بقوله بنبرة ذات مغزى:

_اتوصي بدكتور سامر ..راجل قليل تلاقي زيه الزمان ده !

فارتفع حاجبا ياقوت ببعض الدهشة لتبتسم لسامر قائلة بمودة :





_بيوصيني عليك يا آينشتاين ..مش عارف إننا عشرة من أيام الجامعة .

_على يدي يا شجرة الدر !

يقولها إسلام بمرح وهو يحيط كتفيها بذراعه ليضمها بحنوّ بينما سامر يبتسم بطيبته المعهودة ..

فيرمقهم يامن بنظرة راضية قبل أن يتحرك مع رفقته نحو السيارة ليغادروا ...

فيما بقي رائد يراقب الوضع بحذر وهو يرى سامر يصافح إسلام بحرارة ليرمق ياقوت بنظرات ودية لم تفوتها عيناه هو الصقريتان ..

قبل أن يودعهما لتبقى ياقوت مع إسلام وهيثم الشارد بوجوم كأنه ليس معهم ..

فوضع رائد كفه على كتف همسة ليقول مخاطباً ياقوت :

_مبروك ..شكراً على كل حاجة .





يقولها بنبرته الرصينة التي ذكرتها ب-قريبه-
لترتجف ابتسامتها ..

قبل أن تتسع عيناها بانفعال مع قول همسة
العفوي :

_اليوم كان حلو قوي ..ما فرحتش كده من
زمان ..كان نفسي زين يكون معايا .

هنا شدد إسلام ضغط ذراعه حول ياقوت بحمائية
كأنما يمنحها دعمه ..

فيما تنحنح رائد وهو يودعهم بمباركة أخرى ..

لكن ياقوت ابتسمت له مغالبة شعورها بقولها :

_الفرح المرة الجاية عندكم بقا !

فابتسمت همسة وهي تعانق كف رائد بكفها
وعيناها تفضحان فرحة حقيقية قبل أن تتحرك معه
بدورهما ليغادرا ..





وما كادا يبتعدان بضع خطوات نحو سيارته القريبة حتى نظرت لقدميها قائلة وهي تهرول بخطواتها نوعاً :

_مبسوطة قوي ..ما عدتش بخاف ألبس كعب عالي .

تقولها مشيرة لحذائها فيبتسم مجارياً خطواتها شبه الراكضة ليقول مشفقاً :

_بس ده عالي بزيادة ..استحملتيه إزاي طول اليوم ؟!

_مش مهم ..المهم ..آه ..

عبارتها تنقطع بصرخة قصيرة وهي تترنح مكانها وقد تعثرت بشيء ما ..قبل أن تلتوي قدمها فتسقط بكامل جسدها فوقها ..




=========

_الحمد لله جت سليمة !

تقولها ثمر بحنان لم يخلُ من قلق وهي تنظر لهمسة التي تمددت فوق فراش ياقوت في غرفتها ..

لتقول الأخيرة بنبرتها العملية :

_الدكتور طمننا ..ارتاحي بس الليلة دي وما تدوسيش عليها ..وبإذن الله بكرة تقدري تمشي عليها !

تأوهت همسة بوجع وهي تحاول تمسيدها بأناملها ليقول رائد بحرج :

_مش هينفع نبات هنا للصبح ..كفاية القلق اللي عملناه للحاجّة .

_ماتقولش كده ياابني ..البيت بيتكم .





تقولها ثمر بترحاب حقيقي وقد سكنت همسة بالذات في قلبها منذ وقعت عيناها عليها ..

_الوقت اتأخر كمان ..خلليكو لبكرة وأنا قاعد معاكم ونسافر سوا.

يقولها إسلام مرحباً وهو يتحرك ليربت على كتف رائد بمودة ..

فابتسمت ياقوت وهي تجلس على طرف الفراش مخاطبة همسة بقولها :

_إيه ؟! مش عايزة تباتي معايا ونحكي حواديت للصبح ؟!

فالتمعت عينا همسة بلهفة اشتياق ناسبت قولها :

_وحشتني حكاياتك .

_وأنا كمان ..وحشتني ال...





رنين الجرس يقاطع عبارتها فتلتمع عينا رائد ببريق ماكر..

فيما تتحرك ثمر نحو الخارج لتفتح الباب قبل أن تلحق بها ياقوت ..

وما كاد الباب يفتح حتى شهقت ياقوت وعيناها تتسعان بذهول ..

فيما لم تبدُ ثمر بهذا الانفعال وابتسامة غامضة ترتسم على شفتيها وهي تتفرس في ملامح الزائر الغريب الذي بقي واقفاً لم يتفوه بكلمة..

لكنها رفعت رأسها لتقول بفطنة لا تفتقدها :

_أكيد زين بيه ..اتفضل !

==========





القطعة الخامسة والعشرون

==========

شريد تخطفت ذيل عباءته غربان الغواية ..

وكاد نعيقها يصم أذنيه ..

لكن بلابل الهدى لا تضل طريق المخلصين !

نظرة ..!

ثم اهتدت روحي إليك فكنت لي بعد طول غربة سكنا..

كلمة..!

ثم تلمس القلب الطريق إليك عدوا لا حبوا ..

لقاء..!

ثم ابتسامة ..ثم تنهيدة ..

تنهيدة أخبرتني أن إليك المنتهى ..!

فلا تخافي بعد اليوم حوريتي ..





مهما طال الدرب ..مادامت القلوب قد تعانقت فلن تفترق الكفوف !

"عابد"



لم أصدق!

يوم قيل إن الحب غيثٌ لا يضل من استقاه..

قلت ما يجديه ؟! إن أرضي بور!

لم أصدق!

يوم قيل إن العشق كلماتٌ تعرف كيف تبدأ و لا تنتهي ..

قلت ..ما أشقاني! وقد نفد حبري ومزقت الورق ..

لم أصدق !

يوم قيل إن الغرام جناح يحمل العشاق لأعالي سماوات الجنون..

قلت ..ما تدرون أنتم عن ثقل حجر مربوط بقدمي
!؟

لم أصدق !

ثم جئت أنت وبين كفيك بعد العمر ..ألف عمر ..

جئت وبين عينيك حب ..ليس يشبهه حب ..

جئتَ ..

فأينعت أرضي وجددت دفاتري وحررت قدميّ
وصرت جناحي ..

لم أكن أصدق ..

والآن صدقت ..بل آمنت ..

أن النور في آخر النفق الطويل ليس إلا قبساً من
غرامك !

"لجين"

=======

_أنتِ بخير؟!

يسألها عابد بحنان مازجه بعض القلق وهو يطرق باب غرفتهما من الخارج برفق عقب اختفائها داخلها منذ دقائق طالت ..

يعلم أنها بحاجة لبعض الوقت كي تستوعب خجلها لهذا ما كادا ينتهيان من قضاء صلاتهما حتى هبت واقفة فجأة تستأذنه بتلعثم أن تبدل ثيابها في غرفتهما ..وحدها !

_لجين ؟!

يعاود هتافه بصوت أعلى ليصله صوتها المتحشرج من الداخل :

_ادخل .

يبتسم بترقب وهو يفتح الباب لتتسع عيناه بانبهار وهما تقعان أولاً على جسدها الذي ضمه مئزر حريري أبيض تناقض مع سواد شعرها الحالك الذي أسدل فوق كتفيها حراً شديد النعومة لينعكس الضوء فوقه بلمعة فضية تناسب اسمها ..





لم يشعر بخطواته تسحبه إليها وعيناه تجريان فوقها مأخوذة بما ترى ..

كفاها يحيطان وجهها كعادتها عندما تخجل فتتسع ابتسامته وهو يزيحهما عن وجهها ببطء لتسبح نظراته في حدقتيها :

_ما شاء الله لا قوة إلا بالله ..أقولها إذ دخلت جنتي !

يخفق قلبها بجنون وهي تميز هذه النظرة العاشقة في عينيه ..

تكاد تكذب هذا الإعجاب الذي يفيض كالسيل في نظراته ..

طالما قالتها ثمر فلم تصدقها ..

"ربنا خلق لكل جمال العين اللي تشوفه ..بتصدقي وعد ربنا يا بتّ ؟!"




تكاد تسمعها بصوتها في أذنيها الآن لتجد نفسها تتمتم دون وعي :

_مصدقاه !

يرمقها بنظرة متسائلة فلا تجيبه إلا بفيض من دموعها استقبله بحنان على صدره وأنامله تسرح في رحلتها بين خصلات شعرها بينما همسها يصله حاراً لاهباً:

_أنا عمري ما حلمت بفرحة زي اللي أنا حاساها ..عمري ما اتجرأت حتى أحلم إن حد يحبني ..كنت دايماً الصورة المطفية جنب ياقوت ..خيبة ورا خيبة جمدت قلبي ..حسستني إن اللي باقي م العمر تحصيل حاصل ..بس ستي ثمر كانت دايماً تقوللي "وفي السماء رزقكم وما توعدون "..تقولها وتسألني بتصدقي وعد ربنا ..





لم تستطع إكمال عبارتها مع ارتجاف جسدها بدموعه ليضمها إليه أكثر ثم يبتعد قليلاً ليقبل جبينها هامساً أمام عينيها :

_هذا هو إيمان العوام المذهل الذي يحكون عنه ..لا يسعني إلا أن أحمد ربي أن حفظ لي قلبكِ لأكون أول من يسكنه ..

_وآخِر !

تقولها عفوياً قبل أن يغلبها خجلها لتعاود دفن وجهها في صدره فيضحك ضحكة راضية وهو يعاود ضمها إليه بقوة حانية ..

قبل أن يخفي وجهه في حنايا عنقها مكرراً :

_وآخِر !

جسدها يرتجف بين ذراعيه بخجل فطري و"اعترافها الأول" بالحب يذهله بعفويته وسحره ..

_أنتِ جميلة حقاً ..لا أدري من أين ينبع سحركِ ..من روح نابضة بالطيبة ؟! من عينين





تحملان براءة الدنيا ورقّتها ؟! أم من شفتين لا تجيدان الكلام إنما تتقنان أثره ؟!!

_عابد !

تهمس بها بما لا تدري عشقاً أم رجاء ..رجاء له أن يتوقف عن هذا الحديث الذي يكاد يذيبها بحلاوته ..

بل يكاد يوقف قلبها فرحة وخوفاً ..

خوفاً من أن تفقد كل هذا بذنب تخفيه !

ربما لهذا رفعت إليه عينيها الشفافتين بهمسها الوجل:

_انت..ما سألتنيش عن تعبي اللي قلتلك عليه ..مش عايز ..

لكنه يمس شفتيها بشفتيه مساً خفيفاً مقاطعاً كلماتها لتزداد ارتجافتها وهي تغمض عينيها بقوة فيصلها همسه :





_ما تظهرينه يكفيني لأهيم بكِ حباً ..ماذا يعنيني فيما تخفينه ؟!

يقولها مراوغاً وكارهاً أن يفسد سحر ليلتهما هذه بحديث يدرك أنه سيؤذيها ..

ياقوت أخبرته -سراً- أنها قد تعافت ولا يريد أن ينكأ جرحها هي من جديد ..

لهذا أحاط وجنتيها براحتيه مردفاً :

_تعلمين ما يصنعه الخجل بالسمراوات يا فضية ؟!

نبرته الهائمة تنسيها خزيها وترفعها محلقة في أعلى سماوات فرحتها ..

بينما همسه يصلها دافئاً حنوناّ :

_يحيلهن قطع حلوى وردية لا تقاوَم !





شهقتها الخجول تتبعها ابتسامة وهي تسبل جفنيها اللذين طافت فوقهما شفتاه برقّة ..

قبل أن تشعر به يدفعها نحو طاولة الزينة القريبة ..

تفتح عينيها لتطالع صورتهما في المرآة لا تكاد تصدق أنها صارت له ..كما صار هو لها ..

جسده يحتويها بكنف أمانه بينما يلصق ظهرها لصدره ..

ووجهه ينحني ليقبل وجنتيها برفق قبل أن تراه يمد أنامله ليلتقط من فوق الطاولة زجاجة عطر لوح بها في وجهها هامساً بعذوبته المهيبة :

_عطرك يا فضية !..صنعته خصيصاً لأجلك ..لن تحمل رائحته أخرى غيركِ أبداً .

مزيجٌ من الخجل والفخر يغزوها فلا تدري أيهما يعصف بها أكثر ..

هو صنع عطراً خاصاً لأجلها هي!!





كم تتوق لشمّ رائحته ..

بل رائحتها هي ..في قلبه قبل أنفه !!

لهذا امتدت أناملها نحو الزجاجة تلتقطها منه لتنزع عنها غطاءها وترفعها نحو عنقها تهمّ بوضعه ..

لكنه وضع كفه فوق كفها الممسك بالزجاجة ليحتويهما معاً ..

قبل أن يهمس باعتراض ناعم :

_ليس هكذا تضعين عطركِ يا حوريتي ..بل هكذا ..

يقولها ليمسك زجاجة العطر فيلف سدادتها ليزيحها ..قبل أن يميلها ليسكب بعض العطر على أنامله ثم يمس بها عنقها ..جيدها ..كتفيها ..

قبل أن يزيح طرف مئزرها سامحاً لأنامله برحلة أطول ..





تغمض عينيها ورائحة العطر تداعب أنفها متزامنة مع لمساته الساحرة فيزلزلها هذا المزيج بين خجل ونشوة ..

توقن أنها لم تتنشق في حياتها رائحة كهذه ..ولن تفعل !!

رائحة امتزجت بعبير التفرد والعشق !!

_أعجبتكِ ؟!

يسألها وهمسه يزداد سخونة فتفتح عينيها لتومئ برأسها في خجل يكاد يصهرها ..

_أيهما ؟! الرائحة أم ..لمساتي؟!

ومن جديد تغطي وجهها بكفيها وهمسه الجريئ على مسامعها يحملها لعالم آخر لم تعرفه يوماً ..





فيزيح كفيها عن وجهها ليستبدل موضعهما بشفتيه اللتين نثرتا فوق بشرتها عبيراً أشد وطأة من عبير عطره ..

أنفاسهما تمتزج واللقاء تدعمه حنايا الروح قبل الجسد ..

لم تتصور يوماً أن يكون قد يخفي بركاناً مشتعلاً كهذا خلف تحفظ عباراته المعهود ..

تسند كفيها على صدره مستسلمة لطوفان عاطفته وخجلها يمتزج برهبة فطرية تجعلها تنكمش بين ذراعيه رغماً عنها ..

لكنه يجيد هدهدة مخاوفها وهمسه المشتعل يمتزج بحنان لا يبدو أن يجيده رجل مثله ..:

_كوني عادلة يا فضية ..ضعي لي عطري كما وضعت عطرك.





تنتبه حينها للزجاجة الأخرى التي لا تدري كيف وصلت ليده ..

فتعض شفتها بالمزيد من الخجل وهي تخفي وجهها في صدره لتغرد ضحكته في أذنها مع همسه :

_لا فرار يا حوريتي ..عطرٌ بعطر والبادي أكرم !

==========

_أكيد زين بيه ..اتفضل!

صوت ثمر يصلها بالكاد فلا تكاد تميز إلا هالة وجوده هو..

قلبها يكاد يقفز من صدرها نحوه وهي تراقب نحول جسده الذي ازداد عن آخر مرة رأته فيها ..

ذقنه النامية ..شعره الذي استطال حتى كاد يلامس كتفيه ..





هيئته لم تكن بأناقتها التي اعتادتها كأنما جاء على عجل ..

لكنه احتفظ بسحر هيبته الذي يزلزلها بأي صورة كان !

زين ..

زين هنا ..

في بيتها ..

مع ثمر !!

ثمر!!

_آسف إني جيت من غير معاد بس رائد قاللي إن همسة ..

يقولها بصوت ملهوف وعيناه -حبيبتاها- تواريهما أهدابه كأنه يخجل أن يرفعهما نحوها ..

يخجل؟!

هذا هو بالضبط ما كان يشعر به وهو يدلف لداخل بيت ثمر "البسيط" ظاهراً و"المهيب" جداً بهذه الروح التي تسكنه ..

روح لم يخطئ رجل مثله تقديرها !

_بيت الحاجة ثمر ده زي بيت الأمة كده ..مفتوح للكل ..اتفضل!

بصوت إسلام- الذي تمازجه دوماً رنة هزله - تسمعها فترفع إليه ياقوت عينيها بنظرة عاتبة ..وربما مستغيثة ..

ليجيبها بغمزة مؤيدة خفية لم يرها سواها وهو يخرج من الغرفة ليتقدم نحو زين يصافحه بنظرة متفحصة لكن الأخير بدا وكأنه لا يشعر سوى بشخصين ..

إحداهما على بعد خطوات منه لكنه يستحيي أن يرفع إليها عينيه في وجود ثمر ..




والأخرى يكاد ينخلع قلبه قلقاً عليها وهو لا يدري ما الذي أصابها حقاً ..

_همسة !

يقولها زين بنبرة استئذان قلقة ليتقدمه إسلام مشيراً للغرفة المجاورة التي تبعه نحوها زين ..

وما كاد يلمح همسة مستلقية هناك على الفراش حتى اندفع نحوها بلهفة لينحني فوقها ويطوقها بذراعيه بقوة بينما يسبل جفنيه محاولاً السيطرة على انفعاله ..

منذ الحادث الأخير وهو يشعر بقلق هستيري نحو كل من يحبهم ..

صورة "المرأة" بسوطها تجلده يستحضره عقله آلاف المرات فيهيأ إليه أن القدر لا يزال يدخر له المزيد من الجلدات ..

لو كان الأمر يخصه وحده لاستقبله بشجاعة لا يدعيها مرحباً بقصاص يطهره ..





لكن أن يعلق أحبته بهذا الوحل فهو ما يكاد يثير جنونه !!

_أنا كويسة يا زين ..ما تقلقش !

تقولها همسة بصوتها البريئ والقلق يعصف بها هي من عناقه الذي بدا لها متشنجاً هادراً ودقات قلبه تكاد تدوي في أذنيها ..

تحس -بقلبها النقي- بفداحة هذا الخوف المبالغ فيه عليها ..

فتكرر وهي تربت على ظهره بحنان كأنه -هو المصاب- لا هي:

_والله كويسة جداً يا حبيبي ..ما تخافش .

تقولها لترمقهما ثمر بنظرة متفحصة خبيرة وهي تميز اختلاجة جسده وشعوره الذي لا يحتاج لتأويل ..





إنه حتى لم يرفع عينيه في وجهها منذ ولج لبيتها فاقداً ومفتقداً لباقته المتوقعة ..

رجل -بمكانته وخبرته الاجتماعية - عندما يعجز عن قول بضع كلمات مجاملة في موقف كهذا فهو يعني أنه حقاً مزلزل ..

مهلهل كهيئته الغريبة هذه !

هيئة رجل فقد أرضه الثابتة لكن ..هل هو صادق حقاً في البحث عن أخرى أكثر ثباتاً ؟!

وفي مكانه وقف إسلام يرقبه بذات التفحص ..

ولا يدري لماذا ذكره بموقفه هو نفسه منذ وقت ليس بالطويل ..

لا يستطيع لومه على حياة عاشها بالطريقة الخطأ وقد سبق أن عاش مثلها ..

لكنه كذلك لا يثق أنه قد يحتمل ما احتمله هو ..





صراعٌ بداخله لا يملكه بين "طبيعة شرقية حمائية" تجعله يود لو يحطم هذا الرجل الذي استباح حرمات أختيه ..

وبين "عقلية متفتحة متسامحة " عاش بها سنوات لا بأس بها في تركيا وتجعله أكثر تفهماً للموقف ..

فماذا عساه بفاعل؟!

كلمة السر ..ياقوت!!

لو كانت هي تثق به فهو سيؤيد حكمها لا محالة !!

لهذا التفت نحوها ليميز ارتجافتها ..

ارتجافتها التي شعر بها هو..

ووجهها الذي أطرقت به يمنعه رؤية ملامحها لكنه كان يحس بهذا البركان المشتعل بداخلها ..

لهذا عاد يرمق زين بنظرة متفحصة سريعة قبل أن يتحرك ليمسك كف ياقوت بقوة داعما فترفع إليه عينيها بنظرة امتنان ..





لكنه يحاول مشاكستها بمزاحه وهو يميل على أذنها هامسا بخفوت :

_مش قلتلك بلاش الفوسفوري؟ يعني الراجل بعد الغيبة دي يرجع يشوفك بالمنظر ده ؟!

_على قلبه زي العسل ..إيش فهمك انت ؟!

تهمس بها بنفس الخفوت وبفخر مبالغ فيه يجعله يمط شفتيه باستياء وهو يعاود الميل عليها بهمسه :

_جتكو القرف انتو الاتنين !

تلكزه بمرفقها في خاصرته ليكتم تأوهه بصعوبة وهو يعود ببصره نحو رائد الذي بدا وكأنه صقر متربص يترصد كل ردود الفعل أمامه ..

_رائد ده شكله سوسة ..أراهنك إن هو اللي حط التوابل عشان يجيبه هنا على ملا وشه كده !




يهمس لها بها لتبتسم بثقة وهي تكاد تجزم أن هذا ما فعله حقاً ..

خاصة وعينا الرائد الصقريتان تتمهلان قليلاً لتناظرا عينيها بنظرة خاصة فهمتها ..سبقت "شبه ابتسامته" الماكرة ..

والتي جعلتها تشيح بوجهها عنه ببعض الخجل وهي تنقل بصرها بين ثمر وزين ..

تشعر أن مواجهة قريبة بينهما ستحدث ..

ويالخوفها منها !

_نورتنا ..لو كنت بدرت شوية كنت لحقت الفرح ..بس ملحوقة ..

يهتف بها إسلام بمرح مصطنع محاولاً الانفراد بزين ليلتفت نحو ياقوت مردفاً :

_كوبايتين شربات من إيدك الحلوة دي ..ع السطح بقا ..الهوا فوق يرد الروح .





تجمدت ملامح ياقوت للحظات وهي لا تفهم سر تصرف إسلام قبل أن تفطن لنيته فالتفتت نحو ثمر بنظرة استئذان منحته لها الأخيرة قبل أن تتوجه بحديثها نحو زين الذي لا يزال مطرقاً برأسه مكتفياً بعناق همسة الصامت :

_الأصول نجيب عشا ..البيه أول مرة يشرفنا ..و..كرمه سابق!

تباطأت حروفها قليلاً في عبارتها الأخيرة ليرفع إليها زين عينيه أخيراً بتفحص وهو لا يدري ما الذي تقصده بعبارتها بالضبط ..

ظاهرها يبدو امتناناً على سابق ما صنعه لها بالسجن ..

لكن عتاباً خفياً يتشممه ذكاؤه بوضوح خلف الحروف البريئة ..

لهذا حاول قراءة خبيئتها بخبرته وهو يتفرس أكثر في ملامحها ..





بقايا جمال بائد يشبه كثيراً جمال ياقوت خاصة عينيها ..

أخاديد وجهها الغائرة تحكي ألف قصة من وجع وحكمة ..

وابتسامتها "الطيبة" تشبه كذلك ابتسامة حفيدتها ..

لكن نظرة أخرى في عينيها تجعلها مختلفة كثيراً عن ياقوت ..

نظرة تمزج الازدراء بالإجلال ولا يدري كيف يمكن أن يجتمعا!!

لو فهمها حقاً لأدرك أن بداخلها الآن كان الصراع بين صورة "قديمة" لحسين تفرض نفسها على ذاكرتها فتختلط بصورته هو ..

نفس الطلة

المهيبة..الثراء ..المركز ..النفوذ ..و..العاطفة !

العاطفة "المؤقتة" لامرأة يراها في مرتبة دونية !!





لكن الصورة -للأمانة- تتشوش ..

فتراه يختلف عنه حقاً !

خاصة وهو يهرع إلى هنا بهذه السرعة فقط ليطمئن على أخته هذه بظروفها ..

بعدما كاد يضحي بحياته من أجلها !!

_مالوش لزوم التعب يا حاجة ..كفاية الشربات ..مبروك للعروسة .

يقولها زين بارتباك غريب على ثقته المعهودة ..

شيء ما في نظرات هذه العجوز يبدو له وكأنه يعريه ..

وكأنه يعيده أمام مرآة ضميره صفر اليدين !

ربما لهذا بقي عاجزاً حتى عن رفع عينيه نحو ياقوت ..




لكن إسلام أنقذه بعرضه للانسحاب معه نحو السطح بالأعلى تلاحقه نظرات ياقوت الملتاعة والتي اصطدمت بنظرات ثمر فغضت الطرف لتهرول نحو المطبخ ..

_عقبال شرباتنا يا غالي !

"العفريتة العابثة" تطلق الزغاريد بداخلها عالية وهي تصب لهما كوبين من الشربات فتجد صداها في قلبها ..لكن عقلها يزجرها بقوة ..

أفيقي يا غافلة ..!

هو هنا لأجل أخته ..!

نظرة واحدة منه لبيتك البسيط هذا قد تمحو أي أمل لكما !

لا تزالين بعيدة ..بعيدة تماماً عن امرأة يحلم بها لتكون سيدة قصر الفايد العظيم ..




_لما أعوز أتجوز أتجوز واحدة زي ياسمين ..اللي زيك أصطادها وبس!

العبارة اللعينة لا تدري من أين قفزت لتسمم أفكارها قبل أن تنتبه أن ال"شربات" ملأ الكوب حتى فاض على جانبيه ..

فابتسمت بمرارة ساخرة وهي تراقب السائل الأحمر وقد لوث الطاولة ..

ليس كل فيض من الحب يمنحنا الكمال ..

أحيانا يكون فيضه هو ما يشوه مظهر كمالنا !!

وعلى السطح وقف زين يراقب قمر السماء بشرود مستنداً على السور القديم ..

شيئ غريب بهذا المكان يمنحه السكينة ..

ربما كونه يخصها هي !





أنامله تتلمس السور خلسة بشعور رهيب بالمتعة وهو يتصورها قد وقفت هنا يوماً مكانه تلامسه ..

اشتاقها ؟!

كيف يفعل ؟! وهي لم تغادر قلبه وعقله منذ آخر مرة رآها فيها ؟!

وكيف لا يفعل؟! وقد صارت ملامحها وحدها "كنز" عمره ..بل وهواء يتنفسه وحده ولا يشاركه فيه غيره ..

أجل ..صارت أيقونة "الطهر والسكينة" في عالمه ..

الطهر والسكينة معاً لا يفترقان !

لو كان الأمر بيده لما خرج من هذا المكان الذي جاءه قدراً إلا وقد طلب خطبتها من جدتها ..

لكن كيف يفعلها وهو يشعر أنه لايزال مدنساً بذنبه القديم !!

ابتسامة ساخرة تطوف فوق شفتيه وهو يتذكر أياماً عاشها يستكثر حبه على امرأة بظروفها ولا يراها تليق بأن تكون نجمة عالمه ..

والآن يدور الزمان بلعبته فيجعله يشعر حقاً أنه هو من صار لا يليق بطهرها بعدما كان منه ..

لكن ..ما الذي يغيره هذا في قاعدة ثابتة كثبوت الكون في سننه ..؟!

أنها له ..وأنه لها ..

تماماً كما تشرق الشمس من مشرقها ..

فالحب يشرق من قلبيهما كل فجر ليرسم لكليهما نور حياته !

_أنا عارف كل حاجة .

يقاطع بها إسلام شروده بنبرة أقل مرحاً عن تلك التي كانت بالأسفل ليلتفت نحوه زين بنظرة مترقبة ..





هو يعلم أنه رافقها لمكتب محاميه هو يوم حصلت على الطلاق ..

فهل اعترفت له بكل ما كان ؟!

ذكاؤه يدفعه للصمت كعهده منتظراً أن يبوح إسلام بما في جعبته ..

ومكتفياً بقناع جامد لا يظهر بركان عاطفة يشتعل الآن بصدره ..

_ما تفتكرش إن ياقوت دلوقت هي هي اللي عرفتها زمان ..المنكسرة اللي مالهاش ضهر ..يمكن حسين رجائي فرقنا في حياته بس موته جمعنا تاني بأقوى صورة ممكنة ..عن نفسي مش هاتسرع في الحكم عليك ..بس واجب عليا أحذرك ..

يقولها إسلام بنبرة مهددة ليقترب بوجهه منه مردفاً بعينين ضيقتين :

_لو فكرت بس تأذيها هخلليك تندم ع اليوم اللي اتولدت فيه .





كز زين على أسنانه بغضب وعيناه تشتعلان بجنون كاد يفضحه لسانه لولا هذا الصوت من خلفهما ..

_بابا ..مش عارفة أنام في الأوضة تحت..تعال احكيلي حدوتة .

تهتف بها ريما برجاء طفولي لتتبدل ملامح إسلام لحنان جارف وهو ينحني ليحملها قائلاً :

_طب خمس دقايق بس ..

_ولا نص ثانية !..مش كفاية مش عارفة أشوفك طول النهار وانت مع الرجالة بره ؟!

تهتف بها بتنمر أنثوي يشبه ذاك الخاص بوالدتها ليبتسم وهو يقبل وجنتيها بعمق ليتحرك منتوياً المغادرة ..





قبل أن يرمق زين بنظرة جانبية سبقت قوله بنبرة عادت إليها جديتها :

_كلامنا ما خلصش ..يا زين.

يقولها متعمداً وقد لاحظ لفظة "بيه" التي أصرت ثمر على النطق بها وكرهها هو لما تعطيه من انطباع بفوقيته عليهما ..

ليشعر بقبضة زين تشتد على كتفه بقوة تكاد تكون مؤلمة ..

عيناه المشتعلتان تتوهجان حتى في هذه الظلمة ..

والكلام يخرج من بين شفتيه بارداً كنصل سكين :

_مفيش حاجة في الدنيا ممكن تمنعني عنها غيري أنا ..اللي واقف بيننا دلوقت أنا عايش بس عشان أنسفه ..وبعدها مش هاسمح لأي حد ولا هي نفسها إنها تبعد عني .





يتشنج جسد إسلام بغضب وهو يضم قبضته ليكاد يهتف بقول ما تراجع عنه مع وجود ريما بين ذراعيه ..

خاصة مع ظهور ثمر التي كانت تتقدم نحوهما حاملة صينية العصير ..

فرمقه بنظرة متوعدة لم تلبث أن تحولت لابتسامة مكتومة عندما أعطاه ظهره ..

هذا الرجل متيم بها حقاً !!

ردة فعله هذه أعجبته رغم ما أظهره من غضب !!

_مرزقة يا توتة ..بألواناتك دي لقينا اللي يرضى بيكي !

يهمس بها لنفسه سراً وهو يتحرك بالصغيرة ليهبط بها الدرج فيرى ياقوت واقفة هناك عند قاعدته تتململ وهي تفرك كفيها لتسأله هامسة باستنكار عاتب :





_انت سبته مع ستي لوحده ؟!

_وأنا شغال "بيبي سيتر" للراجل الغامض بسلامته ؟!

يهمس بها بنفس الاستنكار لتلكزه في كتفه فتهتف بها ريما مدافعة :

_ما تضربيش بابا !

_أصيلة وبنت أصلا ..آه والله !

يقولها إسلام وهو يقبل الصغيرة ليخرج لياقوت لسانه فتعاود لكزه في كتفه ليضحك من جديد ..

قبل أن يتنهد ليميل عليها هامساً بجدية :

_مابيحبكيش .

اتسعت عيناها بصدمة من قوله لينقبض قلبها قبل أن يغمزها بنبرة عاد إليها مرحها :

_ده مجنون بيكي !

تنهدت ببعض الخجل وهي تضربه على كتفه بكلتي قبضتيها هاتفة لريما:




_معلش يا حبيبتي ..باباكي لازم يتضرب .

ضحكاته تمتزج بضحكات الصغيرة التي اطمأنت لمزاحهما فبقيت تصفق بكفيها للحظات ..

قبل أن يتأوه إسلام ليقول مخاطباً ياقوت بنفس النبرة :

_بدل ما تضربيني دلوقت ادعيله ..

ثم رفع وجهه للسماء مردفاً بخشوع مصطنع:

_ادعوا لأخيكم فإنه الآن يسأل !

عادت ياقوت تضربه بخفة على كتفه ليغمزها بمكر قبل أن يمضي في طريقه مدندناً بما كانت تسمعه بوضوح:

_يامّه القمر ع الباب ..نوّر قناديله ..يامّه أرد الباب ..واللا أناديله ..يامّه ..





تكتم ضحكتها وهي تراقب ظهره المنصرف ثم تتنهد بحرارة ووجهها يكاد يشتعل بسخونته ..

تصعد بضعة درجات خلسة من السلم لتتراجع فجأة وهي تميز جسده من بعيد ..

والقمر "صديقها " هاهنا خلفه ..

نفس القمر الذي شاطرته حكاياها عنه ..

الآن هو يقف مثلها في نفس المكان ..مع ثمر ..

لا ينقصه سوى أن يضع رأسه في حجرها فترقيه كما تفعل معها !

عيناها تدمعان من "حميمية" التصور وهي تعود لتتأمل ملامحه التي يداريها عنها الظلام ..

لكن قلبها يحفظها كما يحفظ ملامحها هي !!

ترى كيف سيكون لقاؤه بثمر ؟!

عم سيتحدثان ؟!

تحاول صعود درجة أخرى خلسة لعلها تستمع محاولة التخفي عن عينيهما ..





_عنك يا حاجة !

الجملة التي بدأ بها حواره مع العجوز وهو يتقدم نحوها ليتناول منها الصينية التي لم يجد لها مكاناً سوى حافة السور ..

فابتسمت ثمر من بساطة حركته وهي تلم طرف ثوبها لتتقدم منه قائلة :

_عامل إيه دلوقت يا "بيه"؟!

يطرق برأسه بخزي لم يعد يتعجبه أمام امرأة بهيبتها ليستعيد كلماتها المهيبة التي وجدت أثرها في نفسه في المكالمة الوحيدة بينهما منذ أيام لا يدري عددها ..

سؤالها حمل المزيج من حنان فطري مع ترقب خفي استشعره بذكائه ..

كأنما هي لا تسأله عن حاله ..بل عما سيفعله بعد !





يحاول البحث عن جواب منمق يجيده مثله لكنه لا يجد !!

زين الفايد الذي التقى بوزراء ورجال أعمال من أغلب دول العالم تقريباً يجد نفسه متلعثماً كطفل أمام هيبة امرأة بسيطة كهذه !!

_خايف.

تخرج منه همساً رغماً عنه ولايزال مطرقاً برأسه لتلتمع عيناها بقوة وكأنما أعجبها الجواب ..

يصمت بعدها قليلاً لكنها لا تحاول أن تستنطقه ..

خبرة السنين علمتها أن بوح النادم كالمطر لا يمكن الجزم بموعده إنما بأثره !

لهذا انتظرت صابرة تتأمل وجهه المطرق بتفحص حتى همس أخيراً :

_خايف أمشي خطوة عشان أكفر عن اللي فات ألاقيني ما أستاهلهش بداية جديدة ..وخايف أفضل





مكاني أبقى أنا اللي كتبت نهايتي بإيدي ..خايف أكمل عمري ..وخايف ما أكملوش.

همسه الصادق يمسها بدفئه خاصة مع هيئته الذابلة وخفقات صدره المجنونة التي كان يرتج لها جسده ..

فترتجف شفتاها بابتسامة خافتة وهي تقول بحكمة :

_ما هو الخوف ده اللي مخللينا بني آدمين ..لا احنا ملايكة ولا شياطين ..عارف لو كان الشر ماليك؟! ..كنت قلت غلطة وراحت واستسهلت طريق الرجوع ..لكن خوفك ده دليل قلب صاحي ..موجوع بذنبه وعايز يتوب ..ناقصه بس يتوكل ..

هنا وجد بعض الجرأة ليرفع إليها عينيه فيزداد وجهها مهابة في ناظريه ..

خاصة والقمر يبدو خلفها فيمنح شكلها قدسية خاصة في الظلمة النسبية المحيطة بهما ..




_عارف يعني إيه يتوكل ؟!

تسأله وهي تلتفت نحوه لتلتقي عيناهما بهذا القرب في نظرة طويلة ..

لم تكن تنتظر جواباً من رجل بذكائه لكنها كانت تنتظر قولاً كهذا الذي خرج من بين شفتيه مع ابتسامة شاردة :

_أنا لقيت أول الطريق ..بس كل ما أبص ورا ظهري أحس إن الذنب اللي في رقبتي أكبر من إني أمشي بيه ..

_يبقى ما تبصش !

تقولها ببساطة ثم ترفع عينيها للسماء مردفة :

_لو ربنا مش رايد لك هداية ماكانش دلك ع الطريق ..هو وحده العالم بالقلوب ..خدعة إبليس من قديم الزمن معروفة ..يخللينا نصدق إننا زيه بعيد عن رحمة ربنا ..والعاقل اللي يرجمه بحجر إيمانه ..ده ربنا سمى نفسه التواب ..هيتوب على مين لو كنا كلنا صالحين مابنغلطش؟!





عيناه تتسعان قليلاً مع سلاسة منطقها وكلماتها شديدة البساطة ..شديدة العمق في ذات الوقت ..

امرأة كهذه هي حقاً من تربي واحدة كياقوت !

إعجابه الحقيقي يزين ملامحه ويختلط بخزي لا يملكه ..

فيبدو كتلميذ متردد يعرض خطته على أستاذه :

_دار رعاية فتيات ..بدرس المشروع وقريب قوي هبدأ فيه .

فتعاود التفاتها نحوه بابتسامة استحسان وقولها الرفيق يصاحبها:

_ربنا يوفقك .





ابتسامتها تنتقل عفوياً إليه بشعور غريب بالحميمية ينتابه نحوها ..

إنها المرة الأولى التي يقابلها فيها لكنه يشعر أنه يعرفها منذ زمن ..

هل هو شبهها بياقوت ؟!

صلتها بها؟!

أم هو سحر كلماتها الذي منحه الدافع كي يجدّ فيما ينتويه بسرعة دون تخاذل ؟!!

أن ينفض عنه ركام الذنب الذي دفن نفسه بين أطلاله طوال الأيام السابقة ويضع قدمه على بداية الطريق الحقيقية ..

_شكراً .

يقولها صادقاً وشعور الخزي الذي بدأ به محادثته معها يتضاءل تدريجياً ويحل محله حماس غريب ..

كأنما يريد أن يثبت لها أنه حقاً أهلٌ لما تحكي عنه !





فتتسع ابتسامتها ثم تتنهد بحرارة وهي تعود للشرود في السماء لتقول بصوتها المهيب:

_شغلتي علمتني كتير ..ورتني آخر الطريق اللي الكل بيتكالب عليه ..فتحت عيني ع الصورة الحقيقية اللي نفسي كل الناس تشوفها ..كل ثانية في عمر البني آدم كنز ..كنز بيندم عليه لو ضيعه في غير طاعة ربه ..أنا شفت الموت وهو بيفضح المستخبي ..ياما شفت وشوش منورة وهي اللي كانت في الدنيا شقيانة ..وشفت وشوش سودها عملها وهي اللي كانت طايحة في الخلق من غير خشا ..شفت الخواتيم وسرها اللي ما يعلموش إلا ربي ..يمكن عشان كده اتعلمت ما أتسرعش في حكمي على خلقه .

كان يشعر أن عبارتها الأخيرة رسالة له ..

رسالة يقدرها حقاً وهو يشعر بها تمنحه فرصة !





لهذا وجد المزيد من الجرأة ليدرج ياقوت في الحوار ..

_صدفة غريبة قوي ! دلوقت بس افتكرت إن أول مرة قابلت ياقوت في مكتبي كعبها اتكسر ..والنهارده أول مرة أقابل حضرتك بسبب إن كعب همسة اتكسر ..بس ياقوت يومها ما وقعتش !

وكأنما حفز ذكر ياقوت وجهها لتبدو له -مع هذا السن- كقطة تدافع عن صغارها ..خاصة ولهجتها تتحول لتحدٍّ واثق:

_بنتي ما تقعش يا بيه !

ابتسامة إعجاب تطوق شفتيه وعيناه تقابلان عينيها بحديث طويل ..

كانت تبحث في ملامحه عن رجل عشقته ياقوت ..





بل والأهم ..عن رجل يمنحها الأمان الذي تنشده ..

فلم تجد سوى طرف خيط اكتفت به مؤقتاً وهو يكرر خلفها بما يشبه الوعد :

_بنتك ما تقعش يا حاجة .

تنهيدة حارة تغادر شفتيها وهي تعاود رفع وجهها للسماء كأنما تستمد من خالقها بصيرة تمنحها العون ..

لم تتصور يوماً أن تسلك ياقوت نفس الطريق الذي سلكته أمها ..

أن تعشق رجلاً يبدو -في ظاهره- كحسين ..

لكن ماذا عن باطنه ؟!

لا ..ستكون ظالمة حقاً لو شبهته بذاك الوغد !!

فلتصبر ..

وليقضِ الله أمراً كان مفعولاً!!




وكأنما تمنحها السماء البشارة فيعلو صوت الآذان فجأة حولهما ..

لتبتسم وهي تغمض عينيها بسكينة لفت قلبها ..

قبل أن تفتحهما لتنظر للبيت المقابل الذي خرج منه عابد لصلاة الفجر كعادته ..

فاتسعت ابتسامتها وهي تشير لعابد بكفها مخاطبة زين بقولها :

_العريس ساب عروسته عشان يؤم الناس لصلاة الفجر ..

ثم التفتت نحوه مردفة ببطء ذي مغزى:

_راجل زي ده هو اللي أتمناه لبناتي ..عشان أموت وأنا مطمنة إنه هيتقي ربنا فيهم .

نظراته تهتز ولأول مرة في حياته يشعر بعدم الثقة في نفسه ..





جبل غروره تنسفه كلماتها البسيطة فتشعره بالمزيد من الخزي الذي يجعله يعاود الإطراق برأسه ..

لكنها "تضرب وتلاقي" كما يقولون ..

فتبتسم وهي تقول له بطيبة لا تدعيها :

_انزل انت كمان الحق صلاة الفجر ..ربنا يتقبل منك .

قلبه يخفق بقوة وهو يعاود تفحص ملامحها المهيبة بمزيج من استغراب وإجلال ..

كيف يمكن أن يصف لقاء كهذا يبدو وكأنه أحياه في لحظات ؟!

لقد سمع عن المرأة كثيراً ..

ورآها في حب ياقوت المغالي لها ..

لكنه الآن يعذرها وكيف لا يفعل؟!

وهي قد وقعت في قلبه بمكان لم تبلغه امرأة سواها بعد أمه ؟!!




لهذا رمقها بنظرة طويلة حملت مزيج مشاعره لتردها له بابتسامة ..

قبل أن تجلس لتتربع مكانها مطرقة برأسها وهي تتلو وردها من التسبيح انتظاراً للصلاة ..

فيما تحرك هو ليهبط الدرج بخطوات متثاقلة ..

منذ ذاك الحادث وموت تلك المرأة وهو عاجز عن الوقوف بين يدي الله ..

يشعر بوزر ذنبه يكبله ..

ويسوّف توبته يوماً بعد يوم ..

لكن ..أما آن اللقاء ؟!

يشعر بها حتى قبل أن يراها ليرفع عينيه نحوها ..

أخيراً منذ جاء إلى هنا يجد الفرصة ليعانق "قمريها السجينين"..





فيجدد لهما الوعد أن يحررهما ..!

يده ترتفع رغماً عنه كأنما يهم بلمسها ..

لكنه يقبضها جواره بسرعة قبل أن يغمض عينيه بقوة كأنما ينتزع نفسه عنها انتزاعاً ليتركها وراءه تراقب ظهره المنصرف بلهفة وجلة ..

قبل أن تمد أناملها تتلمس قرط أذنها تحت حجابها كأنما تستمد منه شعورها المعهود بالأمان ..

خطواتها تسحبها نحو السطح الذي امتلأ بعطره ولا تظنه سيغادره ..

نظرة طويلة منها نحو القمر القريب كأنما تشكره أن جعله يتشاركها صورته ..

ترى ثمر واقفة مكانها تصلي بخشوع فترقبها بعينين متفحصتين ..

ترى كيف صار اللقاء؟!





_اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام .

تقولها ثمر عقب تسليمها من الصلاة قبل أن ترفع عينيها إليها ..

لتزدرد ياقوت ريقها بتوتر قبل أن تجلس على ركبتيها لتستلقي فتضع رأسها في حجرها ..

عينا ثمر الحنونتان تشرفان عليها من علوّ وهي تمسد على شعرها برفق ..

فتبتلع هي كل تساؤلاتها لتغمض عينيها هامسة :

_ارقيني يا ستي .

تبتسم ثمر مدركة ما يدور في خلد العاشقة في حجرها قبل أن تشرع في رقيتها بخشوع ..

ولم تكد تنتهي حتى رفعت ياقوت عينيها إليها بسؤال لم تجرؤ على البوح به ..

لكن ثمر بادرتها بقولها الغامض:

_قومي نامي يا "بنت قلبي" ..الصباح رباح .





وفي طريقه كان زين شارداً في لقائه الغريب بتلك المرأة ..

خطواته تسحبه نحو المسجد القريب فيخلع نعليه ثم يتوجه للحمام المرفق بالمسجد فيتوضأ ..

قلبه ينتفض بجنون كأنما هي أول مرة يصلي لكن ماذا عساه يصنع بهذا الشعور الذي يجتاحه الآن فيزلزله برهبته ؟!

وكيف لا ؟!

وهو يشعر أن كل قطرة ماء تتساقط معها ذنوبه ..

وخاطرٌ ما يقذف صدره بقوة ..

"لم يكن ليلهمك التوبة وهو يريد بك العذاب"!!

عيناه تدمعان رغماً عنه وهو يتحرك مبتلاً رافضاً أن يجفف ماء وضوئه ..

يقف خلف عابد قدراً في الصف الأول فتأتي المزلزلة :





_الله أكبر!

أكبر من ذنبه ..

من ماضيه ..

من وزره الذي ناء به كاهله !!

أكبر من ندمه ..

من يأسه ..

من قنوطه الذي حجبه عن العالم طوال هذه الأيام ..

الله أكبر ..

وأعظم ..

وأرحم ..من أن يرده وهو مقبل !!

خيط رفيع من الدمع يسيل من طرف عينه فلا يستنكف أن يبدو للعيان ..

بل يباهي به من هو أعظم منهم ..





من يراه من فوق سبع سموات ويشعر بحرقة قلبه وصدقه !!

"قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم"

بصوت عابد الشجي يسمعها فكأنها رسالته الخاصة ..

قلبه ينتفض بقوة بين ضلوعه وكأنما يسمعها لأول مرة ..

يغمض عينيه بقوة مع ركوعه فيشعر بهذا النور الذي يضرب صدره ..

يشتاق للسجود !

يالله !!

لم يشعر يوماً في حياته بلهفته للسجود كما يفعل الآن !!





لهذا ما كاد جبينه يلامس الأرض حتى فاضت عيناه بسيل سخي رفع معه دعاءه ونجواه ..

وكأنه دخل الصلاة بقلب ..وخرج منها بآخر!

رغم السخونة التي يشعر بها تفيض من جسده المنفعل لكنه كان يحس بها برداً وسلاماً ..

يلتفت عابد ليواجه المصلين عقب انتهاء الصلاة فتلتقي عيناهما ..

تعبس ملامح الأول قليلاً وهو يتذكر تاريخهما القديم وشجارهما لأجل ياسمين في ماليزيا ..

لكنه يعود ليذكر ما علمه عما حدث له مؤخراً ..

عيناه الخبيرتان تميزان في عينيه هو دموع توبة يعرفها فتتراخى ملامحه وهو يمد له كفه مصافحاً ..

يشعر بالغرابة من وجوده هنا بالذات تلك الليلة ..

لكن السؤال لم يكن يناسب جلالة المكان ..





لهذا اكتفى بأن يشد على يده بقوة قائلاً بسماحة :

_تقبل الله .

ليستقبلها صاحبه كدعوة لن ترد !

=======

تفتح لجين عينيها على ضوء الصبح الذي ملأ الغرفة فتتسع عيناها بعدم تصديق ..

هل حقاً صارت زوجته ؟!

تلتفت بحذر لوجهه النائم جوارها بعمق عقب قدومه من صلاة الفجر لتعض شفتها بخجل وهي تتذكر تفاصيل ليلتهما السابقة ..

كم كان دافئاً شغوفاً ..وكذلك مراعياً وحانياً !

ترفع عينيها بدعاء صامت وقلبها يلهج بحمد لا تظنه سيفارق قلبها ما عاشت ..

كيف تحمد الله على فرحة كهذه أنستها مرارة ماضيها كله ؟!





تتنهد بحرارة وهي تعاود خفض بصرها ليزداد احتراق وجنتيها وهي تميز قميصها المكشوف الذي ترتديه ..

فتحاول النهوض بحذر لعلها تدرك مئزرها المعلق قبل استيقاظه إذ لم تعتد بعد هذا الجو الجديد عليها ..

لكنها لم تكد تتحرك قليلاً حتى شعرت بذراعه على خصرها يشتد مع غمغمته الناعسة :

_إلى أين ؟!

يرتفع حاجباها في حنان غلب خجلها وعيناها تطوفان فوق ملامحه الوسيمة بعشق جارف ..

هذه الهالة النورانية التي تحوطه تجذبها لعالم مريح ناعم تمنته كحلم ولم تظنه يوماً سيكون واقعاً أجمل !




_آسفة لو قلقتك ..انت ما لحقتش تنام .

تهمس بها بخفوت تشك أنه يسمعها مع عينيها المغمضتين لتعود لرقدتها بحذر ..

لكنه يدير وجهه ليدفنه بين خصلات شعرها الثرية المتناثرة على وسادتهما ..

ثم تشعر به يأخذ نفساً عميقاً وهو يمرغ وجهه في نعومة شعرها قبل أن تصلها تمتمته بنفس النبرة الناعسة :

_ألا تخجلين من نفسك ؟!

تشهق مصدومة من عبارته التي لا تعلم سببها لتسأله بتلعثم :

_ليه بتقول كده ؟! أنا عملت إيه ؟!

_لا تدرين ماذا فعلتِ ؟!





نبرته الناعسة تكتسب المزيد من الجدية ولا تزال عينيه مغمضتين ووجهه يتلمس طريقه بنعومة بين ثنايا شعرها ..

فتقفز الدموع لعينيها فجأة وقد غلبتها طبيعتها الشاعرة بالذنب دوماُ لتحاول البحث عن خطئها ..

لكنه يفتح عينيه أخيراً ليعانق حدقتيها عبر هذا القرب هامساً :

_ألا تخجلين أن يسبقكِ شعركِ ويلقي عليّ تحية الصباح قبلك ؟!

فتضحك رغماً عنها وهي تتنفس الصعداء ارتياحاُ ثم تمسح دمعة فرت من طرف عينها لتهمس بخجل :

_حرام عليك يا عابد خوفتني .

_حقاً ؟! لماذا خفتِ ؟!

يقولها ووجهه يقترب منها أكثر لتشعر بأنفاسه تداعب أذنها ووجنتها ..قبل أن تمتد أنامله لتداعب





وجنتها الأخرى ببطء حانٍ لتضطرب خفقاتها وهي تجيب بنفس الخجل :

_مش واخدة عليك وانت بتهزر ..خفت أكون عملت حاجة زعلتك بجد .

فرفع رأسه ليشرف عليها من علو وابتسامة ساحرة تتوج شفتيه مع همسه :

_لا تخافي من هذا الأمر بالذات أبداً .

تتوه للحظة في لجة عينيه الدافئتين لكن خجلها يجعلها تغمض عينيها عاجزة عن المزيد لتهمس بخفوت :

_يعني عمرك ما هتزعل مني ؟!

_بل سأفعل .

تفتح عينيها مصدومة من رده لتتلقفها ابتسامته مع رده المتعقل :





_سأفعل وستفعلين ..سأغضب منك وتغضبين مني ..لن تخلو الحياة من المشاكل بطبيعة الحال ..لكن لا تدعي ذلك يثير خوفك ..

ثم عاد يقترب بوجهه منها يكاد يلاصقه لتشعر وكأنما اختزل العالم كله في عينين بهذا الحنان ..وبهذا النقاء :

_مهما حدث ..لن تهربي مني إلا إليّ ..ولن أبتعد عنكِ إلا لأقترب ..

لم تكن تعلم أي حال يصيبها مع كلماته هذه ..

خفقاتها تتجاوز حد الجنون لكنه جنون آمن ..مطمئن ..

كأنها لا تهرب منه بل إليه كما يزعم !

لكن هاجساً لم يفارقها منذ أيام طويلة يجعلها تسأله بتردد :

_انت بتمهد لحاجة حاسس إنها ممكن تعمل مشكلة ؟!





يرمقها بنظرة متسائلة لتسبل جفنيها هامسة بوجل:

_والدتك .

لم يرد عليها للحظات ليتأكد هاجسها فتردف مغمضة الجفنين :

_كنت حاسة إنها مش قابلاني ..واتأكدت لما ما حضرتش الفرح .

تقولها لتفتح عينيها فتعانقها ابتسامته السمحة مع جوابه :

_لا تهولي الأمر ..تعلمين أن خالي تعرض لحادث في ماليزيا واضطرت هي للسفر إليه إذ لا أحد يرعاه هناك ..وهي هاتفتك لتباركك عدة مرات .

ترمقه بنظرة متشككة تجعله يرفع حاجبيه بسؤاله :

_لم أقنعك ؟!




تبتسم رغماً عنها وهي تشيح بوجهها لكنه يدير وجهها نحوه هامساً بنبرته الدافئة التي خالطها الآن بعض المرح :

_نحسب النتيجة ! أنا أخفتكِ منذ قليل وكذلك لم أقنعكِ بخصوص أمي ..وأنتِ لا تزالين لم تلقي عليّ تحية الصباح ..إذن ..اثنان لواحد ..وأنا الخاسر !

تضحك ضحكة قصيرة من مزاحه الغريب عليها بعد طول تحفظ عهدته لتشرق ملامحها مع ردها بطيبة :

_ما تقولش كده أبداً ..ربنا يجعلك على طول كسبان .

لكنها تشعر بذراعيه يندسان تحتها ليضمها إليه بقوة وهو يدفن وجهه في حنايا عنقها ليهمس لها بمزيج حنانه ومرحه الآسر :




_لا عليكِ..روحي رياضية ..الخاسر يجب أن يمنح للآخر ترضية مناسبة ..أريد تخليص ديوني قبل السفر .

_سفر إيه ؟!

تسأله باندهاش طغا على خجلها ليعاود رفع عينيه إليها بجوابه :

_هديتي إليكِ! سنسافر لآداء العمرة ..وبعدها سنقضي رحلة قصيرة في ماليزيا .

_بجد ؟! بجد يا عابد ؟! عمرة ؟! هاشوف الكعبة بعيني ؟! بجد ؟!

دموعها تتكدس في عينيها مع تهدج صوتها فتخفي وجهها في صدره لكنه يشعر بارتجافة جسدها بين ذراعيه فيهمس لها بحنو :

_لم أجد لزواجنا بداية أكثر بركة من هذه ..زرتها من قبل ..لكنني أحب أن أعيد زيارتها معكِ .




_شكراً ..شكراً ..مش عارفة أقوللك إيه !

همساتها تنقطع بدموع تأثرها وقلبها يرتج بداخلها مع فيض شعورها في هذه اللحظة ..

لكنه يرفع وجهها نحوه ليمسح دموعها بأنامله وابتسامته العذبة تغزوها كشعاع نوراني يناقض عبث عبارته :

_لكن هذا لا يغير من النتيجة ..لا أزال مديناً لكِ ب .."ترضية"!

تبتسم وسط دموعها وهي تجد بعض الجرأة لتحيط خصره بذراعيها بعاطفة لمعت في عينيها لتشعر بشفتيه تحلقان فوق بشرتها تمهيداً ل"ترضية" بدأت كنسيم ..وانتهت ..كطوفان !

======





على قبر "حسين رجائي" يقف هيثم بعينين زائغتين لم يلبث الدمع الكثيف أن ظللهما ليجثو على ركبتيه أمامه ..

لم يكن يصدق عندما كانوا يخبرونه أن النسيان نعمة ..

لكنه الآن يفعل !

وكيف لا؟!

وسوط الذكريات المتلاحقة يلسعه بقسوة ما تدركه روحه ..!!

كلمات داليا فتحت له باباً من العذاب تدفقت منه شلالات الذكرى لتجرفه في تيارها ..

الآن فقط يذكر كل شيء ..

يذكر ماضيه الذي انهدمت جدرانه واحداً تلو الآخر بمجرد ضربة معول واحدة ..

ضربة بيد واحد ..بل اثنين ..

حسين ..و..شهد !!





يغمض عينيه بألم وهو يضم قبضتيه جواره محاولاً تجاهل الاسم الأخير ليرفع عينيه نحو شاهد القبر يحدثه كأنه سيسمعه :

_ليه عملت فينا كده ؟! ده أنا كنت عايش العمر ده كله واخدك مثلي الأعلى !! معقول خلاص مشيت ؟! من غير ما تفهمني عملت كده إزاي وليه ؟! مش كنت دايماً تقوللي إني صاحبك ؟! دي كمان كانت كذب ؟!

يهز رأسه بالمزيد من الضياع والاسم "الثاني" يفرض نفسه فرضاً على عقله ..

شهد !

"شوشو"!!

الآن فقط يمتزج الاسمان في ذهنه ليستجمع الصورة كاملة ..

الآن فقط يفهم سر خوفها من أن يذهب لزفاف أخته ..

يفهم سر الدموع التي كانت تملأ عينيها بخزي وهي تودعه ..

المخادعة !!

طوال هذا الوقت وهي تخفي عنه حقيقتها ..

منحته الأمان الذي جعله يهرب إليها هي من أهله ..

غافلاً عن أن الخنجر الحقيقي خلف ظهرها هي !!

فيما كانت تفكر ؟!

أنه قد يسامحها يوماً على فعلتها ؟!

أنه قد يغفر لها تلاعبها به ؟!

أنه قد ينسى أن ـعلاقة ماـ قد نشأت بينها وبين أبيه ؟!

حتى ولو لم يمسها كما زعمت ..

كيف ينسى ؟!

كيف يغفر ؟!





_إزاي ؟! إزاي؟؟!!

يكاد يصرخ بها بجنون تتفتت له روحه وهو يدور بعينيه على ما بقي له من "أبيه" ..

الجبل العظيم الذي طالما رآه شامخاً ..

الآن ينهار فلا يبقى منه سوى مجرد حروف اسم على شاهد قبر ..

وفضيحة ستبقى ملتصقة بجبينه ..

و"جرح قلب" لا يظنه سيندمل !!

_وحّد ربنا يا ابني وقوم ..هم راحوا للي أحن مني ومنك ..ادعيله واطلب له الرحمة ..ده اللي باقي .

يقولها هذا الرجل حارس المقبرة الذي ظهر خلفه فيرفع عينيه نحوه ليهز رأسه بلا معنى ..

الرحمة !!





ليته كان يملك رصيداً منها يسمح له بالغفران !!

بعض الخطايا عصيّة على النسيان ..

ندبتها تبقى تشوه القلب العمر كله !!

يعاود الوقوف على قدميه بصعوبة ليرمق الاسم المكتوب على شاهد القبر بنظرة عاتبة أخيرة قبل أن يمضي في طريقه ..

إلى أين ؟!

هو لا يعرف إلى أين !!

لقد ظن أنه سيلملم شتات نفسه عندما يستعيد ذاكرته ..

والآن يجد نفسه أكثر تشتتاً ..وضياعاً !!

لكن المكان الأول الذي يجب أن يذهب إليه هو ..!!

_هيثم !





تهتف بها جيلان بلهفة فرحة وهي تفتح باب البيت لتجده أمامها فتدمع عيناه وهو ينحني ليعانقها بقوة فتتأوه بقوة هاتفة :

_وحشتني قوي يا حبيبي ..كده هنت عليك تسيبني طول الوقت ده ؟!

ينظر من خلف كتفيها للبيت الذي يراه الآن بصورة مختلفة ..

كل ركن فيه يقذف إليه بالمزيد من الذكريات ..

المزيد من السياط ..

المزيد من الألم ..

خاصة غرفة المكتب التي أغلق بابها منذ وفاة حسين ..

وليته يملك في قلبه غرفة مثلها يغلقها على جحيم ذكرياته !!





_ادخل يا حبيبي ..واقف ليه ؟! انت لسة زعلان مني ؟!

تقولها بلوعة قلب أم وهي تميز نظراته المشتتة لكنه فقد كلماته مكتفياً بصمته المشتعل بين ذراعيها لتردف هي بانفعال أكبر:

_لو زعلان عشان خبيت عليك اللي حصل فده كان عشان مصلحتك ..ولو عشان أخوك فأنا خلاص ماعدتش زعلانة من جوازته ..وطلبت أشوف مراته .

يغمض عينيه بوجع يجد صداه في نفسها وهي تحاول شده للداخل هاتفة :

_ادخل يا هيثم ..ادخل ..مش هنتكلم ع الباب زي الأغراب .

_مش قادر .





يتمتم بها ممتزجة بغصة حلق مريرة استحكمته ليكسو الألم ملامحها وهي تغمغم بحنان عاتب:

_للدرجة دي يا هيثم ؟! ما وحشتكش ؟!

فيتأوه بقوة وهو ينحني من جديد ليضمها نحوه فتهتف وسط شهقات بكائها:

_سلامتك من الآه يا حبيبي ..بكرة تخف وتفتكر كل حاجة ..ولو كان البيت ده هو مشكلتك ..نبيعه ..

يرفع إليها عينين زائغتين وهو يهم بإخبارها أنه استعاد كامل ذاكرته..

وكامل "وجعه"!!

لكنه يتراجع عن هذا لسبب لم يعلمه ..

هو لا يريد الكلام ..

بل لا يريد التنفس!!





بينما استمرت هي في حديثها المنفعل:

_أيوة نبيعه ..أنا كمان ماعدتش عايزة أعيش هنا ..لما أشوف إسلام هاكلمه في الموضوع ده .

يتنهد بإرهاق يثير المزيد من لوعتها فتتحسس وجهه بأناملها هامسة وسط دموعها :

_حتى لو مش فاكر حاجة يا هيثم مستحيل تنسى أد إيه أنا بحبك ..خلاص ..مابقاليش في الدنيا دي غيرك انت وأخوك .

فترتجف شفتاه وهو ينحني ليقبل جبينها بعمق فتمسح دموعها لتبتسم ابتسامة شاحبة مع قولها:

_هترجع بيت ..زميلتك ..دي؟!

المزيد من الألم يحفر خطوطه على وجهه مع كلمة "زميلتك" التي ألقتها مشبعة بمرارتها مدركاً أنه كان كالمستجير من الرمضاء بالنار ..





وأي نار!!

فتسيئ فهم هذا الوجع الذي يكتسحه لتردف وهي تربت على صدره برفق:

_براحتك ..اعمل اللي يريحك .

"اللي يريحك"؟!!

هو لم يعد يعلم ماذا يريحه !!

تنهيدته تخرج مشبعة بلوعته وهو يلقي نظرة أخيرة على البيت خلفها ..

قبل أن ينسحب للمكان الذي لم يعد يأنس

إلا به ..

ولم يعد يكره مثله ..

الحي الشعبي القديم ..

وجوه الناس التي بدأ يألفها ..




البيت الذي عاش فيه طوال الأيام السابقة ..

والآن تمتزج رؤياه بذكرى قديمة تشتعل بين ضلوعه كالنار!!

سيارة والده ..صورتها وهي تركب جواره بثوبها المكشوف ..قبل أن يختفيا معاً!!

قدماه تتوقفان مكانهما وعقله يستصرخه ألا يتقدم أكثر ..

لماذا يعود إليها؟!

لكن قلبه وحده يعرف الجواب ..

يعرفه وإن كان لا يشفع بما يكفي!!

شعور غريب ينتابه وهو يستعيد ذكرياته تباعاً فيكمل القطع المفقودة ..




والقدمان تعودان لحركتهما الرتيبة دون وعي نحو البيت ..

يصعد الدرج فيتوقف أمام باب شقة والدتها المغلق ..

يبتسم بمرارة وهو يدرك أن هذا هو الوضع الصحيح بينهما الآن ولما بقي من العمر ..

أن تغلق بينهما كل الأبواب !!

_مهما حصل بيننا افتكر ..إني عمري ما حبيت ولا هاحب حد غيرك .

يكاد يسمعها بصوتها فتتلاشى من حوله كل الأصوات ..

الصراع بداخله يكاد يبتلعه وهو يقذفه بين نيران لا يحتملها ..

فيبتعد عن الباب بسرعة كأنه يهرب من شبح ..

قبل أن تسرع خطاه على الدرج نحو غرفته





الآمنة !

فليبقَ هناك فحسب !!

فليحاول أن يجمع ما بقي من شتاته !!

يصل للغرفة لكنه يفاجأ ببابها مفتوحاً فيرتجف قلبه بين ضلوعه بترقب وهو يقترب أكثر ليجدها هناك ..

على فراشه ..

جالسة تتلمسه بأنامل مرتجفة ودموعها تغرق وجهها!!

يغمض عينيه بقوة والإعصار المجنون بداخله يكتسحه أكثر!!

لماذا عاد إلى هنا ؟!

بل لماذا عاد إلى ذاكرته ؟!

ودون وعي يجد نفسه يرفع عينيه للسماء بدعوة اتشحت بعذابه ..





_يارب أنسى تاني يارب ..خلاص ..ماعدتش عايز أفتكر!

يتمتم بها بعذاب وهو يخبط بكفيه على صدغيه بقوة كأنه يريد أن ينتزع عقله من مكانه ..

لتشعر هي به فتندفع نحوه هاتفة بلهفة :

_انت رجعت ؟!

يتجمد مكانه وهو عاجز عن النظر إليها ليصله صوتها الملهوف ملطخاً بدموعها :

_ماكنتش بترد عليّ ليه ؟! اتأخرت هناك قوي ..ياقوت قالت لي إنك مشيت من

بالليل ..كنت فين ؟!

جسده يرتجف غضباً ..حزناً ..وحيرة !!





لتزيد هي من عذابه وهي تمد كفها لتمسك كفه هامسة :

_هيثم !

ودون وعي يجد نفسه يمد كفه الآخر ليحتضن كفها بقوة آلمتها ..

وآلمته قبلها ..

لكنه نفضه عنه بسرعة كمن لدغته أفعى لترمقه بنظرة مصعوقة هامسة :

_حصل إيه ؟! انت زعلان مني ؟!

لم يكن يعلم عن الرعب الذي تعيشه منذ البارحة وهي تخشى أن يعيد إليه أحدهم ذكرى تنعش بقية ذكرياته ..

ربما لهذا لم تتمالك نفسها وهي تراه قد تأخر رافضاً الرد على اتصالاتها لتهرع إلى هنا متلمسة بقاياه ولو في ..غرفة خالية !!





_هازعل منك ليه ؟!

همسه يخرج متحشرجاً ولازال عاجزاً عن رفع بصره نحوها ..

لتعاود سؤاله:

_انت ..قابلت حد هناك ؟!

داليا!

لا تخشى سواها !!

تعلم كيف كان متعلقاً بها ..وتعلم أن طبيعتها الثرثارة لن تكف عن الحديث متى رأته !!

_حد زي مين؟!

يسألها مراوغاً وهارباً من جحيم نظراتها لتغتصب ابتسامة باردة وهي تتصنع المرح:





_أي حد ..انت مش هتحكيلي كالعادة عن اللي حصل ؟!

مزيج المرح المختنق بدموعها يقبض قلبه بقسوة فيجد نفسه يرفع إليها عينيه أخيراً لتتوه نظراته فوق ملامحها ..

كيف لوجه بريئ كهذا أن يخدعه هكذا ؟!

ليس وحده ..بل أباه كذلك!!

الخاطر الأخير يعاود جلده بوحشية فيشيح بوجهه عنها بعنف لكنها تتحرك لتقف قبالته هاتفة بحذر:

_مالك يا هيثم ؟!

سيقذفها الآن في وجهها أنه يعلم الحقيقة !!

أنه تذكر خداعها !!

أنه لن يرضى أن يكمل طريقه مع امرأة اشتهاها أبوه قبله !!




أنه لن يأتمنها على قلبه ولا على اسمه !!

فليذبحها بها كما ذبحته هي من قبل !!

كل خلاياه تستصرخه الآن أن يفعلها ..

أن يغمد الخنجر المسموم في صدرها فيقتلها ويقتل نفسه معها !!

لكنه بدلاً من هذا وجد نفسه يصمت طويلاً ليقول أخيراً بنبرة ذبيحة :

_يمكن عشان كان عندي أمل الذاكرة ترجعلي لما أشوف هناك وشوش جديدة ..بس ..ماحصلش.

يراقب الارتياح الذي كسا ملامحها بمزيج لم يعد يتعجبه في نفسه من رضا وسخط ..

لتأخذ هي نفساً عميقاً وهي تسحبه من كفه نحو أريكة قديمة هناك لتهتف بمرح ما عاد مصطنعاً:

_طب احكيلي بقا عن بقية الفرح ..فيه صور تانية ما شفتهاش ؟!





فترتجف ابتسامة مريرة على شفتيه والرد المراوغ يصلها منه :

_صور كتير باظت ..كانت حلوة وأنا بلقطها بس لما جيت أشوفها لقيتها...لقيتها مضلّمة قوي !

=======

_صباحية مباركة يا ابني .

تقولها ثمر بحنان وهي تعانقه على باب بيته إذ وقف لها عابد مستقبلاً مع إسلام وياقوت التي شردت ببصرها وهي تستحضر رغماً عنها صورة آخر مكانه ..

آخر تتمنى لو تراه يوماً يعانق ثمر عناقاً كهذا فيمنحها مذاق الابن والحفيد الذكر الذي لم تحظَ به !




آخر غادر منذ قليل مع أخته ورائد ولا تدري إن كان يوماً سيعود إلى هنا ..

لقد سألت ثمر منذ قليل عن فحوى حوارهما لكن الأخيرة اكتفت بابتسامة غامضة مع قولها :

_ما تستعجليش يا بنت قلبي ..ربك كاتب كل شيئ بمعاد .

كانت تود لو تعرف تفاصيل حديثه معها لكن يكفيها -مؤقتاً- أن ثمر لم تنفر منه ..

خبرتها بجدتها تجعلها توقن أن اللقاء الأول بينهما آتى ثماره من ناحيتها على الأقل ..

لكن ..ماذا عنه هو ؟!

وكعادته يبدو أنه يقرأ شفرة روحها رغم كل هذا البعد ..

لتشعر باهتزاز هاتفها في يدها معلناً عن وصول رسالة ..




_حبيتها جداً.

كعهده كلماته مقتضبة لكنه يدرك أنه يتحدث لامرأة لا تحتاج منه لكلمات !

_يا خيبتك التقيلة ..قالها لستّك قبلك !

العفريتة العابثة تعاود عربدتها في حناياها فتزجرها بعمق يقينها أنه يحبها حتى ولو لم يقل ..

يحبها فوق الحب وأكثر !

ابتسامتها تولد صغيرة على شفتيها ثم تتسع رويداً رويداً وهي تضم الهاتف لصدرها بشرود ..

_تفضلي ..لماذا تقفين هكذا ؟!





يقولها عابد مرحباً لينتشلها من شرودها فتلتفت نحوه بمباركة تقليدية قبل أن تدلف إلى الداخل لتتسع ابتسامتها وهي تميز وجه لجين !

وكأنها تحولت لأخرى!

وجهها يكاد يشع بنور فرحتها وهي تستقبلهما بحرارة لتلتمع عينا ياقوت وهي تشعر بفرحتها تنتقل إليها هي ..

تعانقها بقوة لتهمس في أذنها خفية بمرح عابث مستغلة انشغال عابد بالحديث مع ثمر :

_نصايحي نفعتك واللا الشيخ طلع خبرة وقام بالواجب ؟!

فلكزتها لجين في خاصرتها مع همسها :

_عيب!

_ومكانش عيب وانت بتترجيني قبل الفرح أنصحك ؟!

تهمس بها باستنكار عابث لتعاود لجين لكزها في خاصرتها هامسة :




_لن أجاريكِ في سفاهتك ..وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً .

_ياولد! مش قلتلك الشيخ هيبهت عليكِ ؟!

صوتها كان عالياً نسبياً فجعل عابد يلتفت نحوهما بتساؤل :

_ماذا تقصدين ؟!

فاحمر وجه ياقوت خجلاً لكنها تمالكت نفسها بذكائها المعهود لترد بجدية تامة بعيدة تماماً عن فحوى الحديث السابق:

_كنت بقوللها ما شاء الله يعني ..الفرحة منورة وشها ..بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير .

ضحكت لجين غير قادرة على منع نفسها وهي ترى قناع ياقوت الجاد بظاهره الملتزم الخادع والذي رده عابد غافلاً عما يحدث بينهما :

_بوركتِ أختي ..العقبى لكِ .





رمقته ثمر بنظرة راضية وهي تشعر بفرحة لجين الظاهرة تغنيها عن أي سؤال ..

خاصة والأخيرة تهتف بلهفة بينما تنهض من جوار ياقوت لتجلس جوار ثمر :

_هنسافر نعمل عمرة يا ستي ..عابد خلاص حجز التذاكر .

فضحكت ثمر برضا عبر أسنانها المكسورة لترد وهي تميل عليها تعانقها :

_الله أكبر ..مبروك يا بنت قلبي ..

ثم التفتت نحو عابد مردفة بفخر :

_كنت حاسة إنك هتعملها يا ابني ..ربنا يبارك لك .





_الله عليك يا فخر الشيوخ ..احنا هنسميك "عو وجدي" زي "مو صلاحِ" كده !

مداخلة مرحة من إسلام الذي كان يصفق بكفيه بإعجاب ..

فابتسم عابد وهو يمد كفه المضموم كقبضة ليقابل به قبضة إسلام التي تكورت بنفس الشكل في تحية مزدوجة ثنائية انتهت بضحكتهما معاً ..

قبل أن ينحني الأول نحو ثمر ليربت على كفها قائلاً بود :

_لو تسمحين لي أن أناديكِ أمي ؟!

ارتفع حاجبا إسلام بالمزيد من الإعجاب فيما ابتسمت ثمر لتدمع عيناها وهي تومئ برأسها ليضحك عابد وهو يعاود التربيت على كفها

قائلاً:




_مادمتِ قبلتِ الأولى فاقبلي الثانية ..عندما يحين موعد الحج هذا العام سنذهب ثلاثتنا ..أنا ولجين وأنتِ !

دهشت ثمر للحظة من عرضه وإن كان قلبها قد خفق من دعوة تمنتها على مدار العمر الطويل ولم تظنها ستتحقق الآن ..

ليردف هو بحنانه الآسر :

_أرجوكِ يا أمي ..اقبليها مني .

تتبادل مع ياقوت نظرات مفعمة بعاطفتها ثم ترفع عينيها للأعلى بحمد صامت ..

قبل أن تعود له ببصرها قائلة برضا :

_ربنا يبارك لك يا ابني ويرضى عليك .





صوت رنين هاتفه يصدح فجأة فيستأذنها ليرد وما كاد يفتح الاتصال حتى ابتسم وهو يتعرف لهوية المتصل ..يستمع قليلاً ثم يرد بترحاب :

_لا بأس ولا حرج ..تعال ودعني قبل سفرك .

_هاللا هاللا العريس زهق من أولها وهيجيب صحابه !

يهتف بها إسلام مشاكساً عقب إنهائه هو

الاتصال ليرد عابد بضحكة قصيرة سبقت قوله :

_إنه صديقي الذي أتى خصيصاً لحضور الزفاف ..سيسافر اليوم ولابد من وداعه قبل سفره ..

ثم التفت نحو لجين مردفاً بمزيج من عاطفة وإجلال:

_لا تقلها ولو هزلاً ..أختك لا يُملّ من صحبتها .





_قشطة جداً ! حان الآن بقا موعد الخَلع حسب التوقيت المحلي لعرايس الهنا !

يهتف بها إسلام بهزله المعهود وهو يخبط بكفيه على ركبتيه لينهض واقفاً قبل أن يمد كفه نحو ثمر ليعينها على النهوض لكن عابد سبقه لفعلها وهو يضحك هاتفاً :

_لا يزال الوقت مبكراٌ ..تناولوا الغداء معنا !

_علموك في ماليزيا عزومة المراكبية يا عريس ! لا ياعم أنا أخلع بكرامتي قبل ما أتطرد !

يقولها إسلام وهو يتقدم نحو لجين التي كانت تضحك من قلبها بسعادة وصلته كاملة ..

ليحيط كتفيها بكفيه ثم يقبل رأسها قائلاً بحنان جاد :

_مبروك ..أنا مسافر دلوقت بس انتِ عارفة لو احتجتِ حاجة ساعة زمن وهابقى عندك .




فابتسمت وهي تربت على ظهره برقّة لتومئ برأسها دون رد وقد غلبتها دموع تأثرها كالعادة ..

فيما تقدمت ثمر منهما لتعانق لجين بدورها قبل أن تنسحب منها للزاوية في حديث خاص ..

استغله إسلام ليميل على ياقوت هامساً :

_عمل إيه الراجل الغامض بسلامته في "الانترفيو"؟! زمان الحاجة عصرته .

فابتسمت وهي تهمس له بدورها :

_محدش فيهم قاللي حاجة ..بس ستي شكلها ممكن ..ممكن ترضى عنه .

_قشطة جداً ..ننقل بقا للخطوة الجديدة .

يهمس بها بحماس وهو يميل على أذنها لترمقه بنظرة مترقبة فيبادلها بنظرة طويلة متفحصة لثيابها مبهرجة الألوان ووشاحها الذي لا يقل عنها بهرجة ..

قبل أن يزفر بقوة ليعاود همسه :





_دولاب هدومك ده يتنسف ..أول ما ننزل مصر نشتري هدوم جديدة .

ظهر الاعتراض على ملامحها لكنه خبط بسبابته بخفة على شفتيها ليعاود همسه المغتاظ:

_ولا نفَس! اتهدي واسمعي الكلام بقا يا شيخة .

=======

على باب بيت عابد يقف الصالح بتردد دون أن يرن الجرس ..

يشعر ببعض الحرج وهو يقتحم خصوصية صديقه صبيحة يوم كهذا لكنه يريد وداعه قبل عودته لكوالا لامبور ..

طائرته بعد ساعات قليلة ولا يريد التأخر !

ينتفض مكانه فجأة بدهشة وهو يميز ضوء

"فلاش" يسطع فجأة وسط الظلمة النسبية لمدخل البيت ..





قبل أن يختلس نظرة جانبية للغرفة الصغيرة التي فتح بابها في قاع السلم ..

يتحرك بحذر نحوها لتتسع عيناه بدهشة وهو يميزها مكانها غافلة عنه منهمكة في تفحص هاتفها ..

تلك الفتاة ..بماذا كانت تدعو نفسها ؟!

"مطيورة"!

ترتسم على شفتيه ابتسامة واسعة وهو يظهر لها نفسه ليفرد ذراعيه في وقفة استعراضية هاتفاً فجأة :

_ألا تخبريني كي أستعد ؟!

تشهق بدهشة وهي ترفع عينيها البريئتين نحوه لتشحب ملامحها أول وهلة مع إدراكها أنه قد انتبه لها ..

قبل أن يحمر وجهها بشدة لكنها لا تزال عاجزة عن إزاحة بصرها عنه..





_أريني الصورة ..هذا أبسط حقوقي .

يقولها مازحاً ومحاولاً تخفيف حرجها لتطرق برأسها أخيراً وهي تمد له ذراعها بهاتفها في وقفة مذنبة ..

فضحك ضحكة عالية خطفت قلبها وهو يطالع صورته التي التقطتها ليمط شفتيه قائلاً :

_لا بأس بها .

_لا ..انت أحلى!

تهمس بها مطرقة الرأس وعبارتها الجريئة -ظاهراً- تناقض ارتجافة جسدها الصغير وحمرة وجنتيها الخجول ..

فيكتم ضحكته هذه المرة وهو يحاول استكشاف هذه الصغيرة الغريبة بسؤاله :

_لماذا تختبئين هنا هكذا ؟!





زمت شفتيها فبدت كطفلة على وشك البكاء ..

ماذا عساها تخبره ؟!

لقد كانت تتتبع أخباره في بيت الحاج حمدي وعندما علمت أنه في طريقه إلى هنا انتهزت الفرصة لتسبقه وتختبئ كي تلتقط له الصورة التي عجزت عن التقاطها منذ رأته ..

_لا تقولي إنكِ هنا فقط كي تلتقطي لي صورة !

يقولها بعجب ازداد مع جوابها الصريح دون مواربة ولاتزال مطرقة برأسها :

_أنا بحب أصور كل حاجة ..وانت خلاص هتسافر ومش هاشوفك تاني .

حاجباه يكادان يلتصقان بشعره من فرط دهشته لهذه الحرقة العاطفية التي تتحدث بها ..

وكأنها تعرفه منذ زمن !





هذه الفتاة ..معتوهة !

هي حتماً كذلك !

كاد يقذفها بعبارة نقد لاذعة تناسب شعوره لكنه تراجع وهو يرى دموعاً حقيقية تسيل على وجنتيها مع همسها :

_ليه كل حاجة حلوة عمرها قصير ؟!

من جديد يكتم ضحكته وهو لا يدري بماذا يرد ..

هذه الصغيرة تشاهد الكثير من الأفلام حتماً ..

معدل "الدراما" لديها عالٍ كثيراٌ !!

ماذا يصنع الآن ؟!

إنها المرة الأولى التي يقف فيها موقفاً كهذا ..

ومع طفلة !!





الإدراك الأخير يجعله ينتبه لما ترتديه هذه المرة والذي بدت فيه مختلفة عن الأمس ..

فقد كانت ترتدي ثوباً أنيقاً بلون أبيض زاده حزام خصره أنوثة ..

ويبدو أنها ترتدي حذاء بكعب عالٍ منحها بعض الطول ..

الحمقاء يبدو أنها وضعت بعض مساحيق التجميل كذلك كي تبدو أكبر سناً !!

حالتها مستعصية حقاً !!

لهذا تنهد بحرارة وهو يشيح بوجهه غاضاً بصره عنها ليقول برفق:

_اسمعي يا صغيرة .

_تاني هتقوللي صغيرة ؟! ألبس لك إيه يعني عشان تصدق ؟!





تهتف بها بنزق طفولي زاد عمق فكرته ليضحك وهو يهز رأسه محاولاً ألا ينظر إليها من جديد ..

ثم تحرك ليعطيها ظهره قائلاً بنبرة جادة لم تخلُ من رفق:

_تعلّمي ألا تتعجلي في شيئين : العمر والحب ..كلاهما قطار يجدر بنا ألا نستبق موعده .

حروفه امتزجت بشجن غريب وكأنه تذكر مأساته الخاصة لهذا عاد يتنهد بحرارة وهو يطرق برأسه ..

يتمنى لو يستدير فيرى ردة فعلها متسلياً لكن غصة ما بقلبه ذكرته بجرح قديم لم يبرأ منه بعد ..

وذكرته به وقفتها الطفولية هذه !





لهذا مد يده يناولها الهاتف من خلف ظهره دون أن يلتفت ليشعر بكفها ينتزعه منه بعنف جعله يبتسم من جديد وهو يبتعد ليمضي في طريقه نحو الباب ثم يطرق الجرس ..

يفتح له عابد الباب فيعانقه بود وهو يتقدم معه نحو الداخل قبل أن ينشغلا بحديث قصير لهاه كثيراً عن تلك الصغيرة العاطفية التي لا يدري أين ذهبت ..

تراها لا تزال قابعة في الغرفة تنتظر التقاط صورة أخرى له ؟!

أم تراها يأست وذهبت لتتناول "مصاصة" أخرى غير هذه التي اقتنصها هو بالأمس وسيحتفظ بها كذكرى من هذا البلد الطيب ؟!

ينهض أخيراً لوداع عابد الذي تحرك معه نحو الخارج حيث سيارة تنتظره لتقله نحو المطار ..





_اعتن بحالك يا صديقي ..قريباً أزورك في ماليزيا .

يقولها عابد وهو يعانقه مودعاُ ..

ليعانقه بدوره قبل أن ينتبه لذيل ثوبها الأبيض الذي يبدو جلياً خلف إحدى زوايا سور البيت التي اختبأت خلفها ..

ابتسامة مشفقة تمتزج بشعور لم يفهمه وهو يحاول البحث عن وجهها لكنه لم يرها ..

يستقل السيارة التي تحركت به فيعود برأسه للوراء حيث عابد يلوح له مودعاً ..

لكنه الآن لم يره وحده ..

هناك كانت هي وقد ظهرت له من مخبئها تلوح له ببطء خفية بأحد كفيها بينما الآخر يمسك بهاتفها ..





_معتوهة !

يهمس بها سراً وهو يجد نفسه يلوح بكفه فيما يراه الناظر أنه لعابد ..

لكنه كان يدرك في قرارة نفسه أن جزءاً منه يفعله لأجل تلك الصغيرة التي لن يراها مرة أخرى ..

المعتوهة ..ال..لذيذة !

=======

_بت يا رابحة ..خدي هنا تعالي .

تهتف بها ياقوت وهي تستقبلها في مدخل بيت ثمر ملاحظة هيئتها الغريبة بثوبها الأنيق ووجهها الذي تلطخه مساحيق التجميل ..

و....!!!!

_إيه ده بقا بالظبط ؟! اوعي يا بت يكون اللي في بالي !!

تهتف بها باستنكار مشيرة لمحيط صدر الفتاة التي احمر وجهها بحرج وهي تتحسس صدرها بملامح مذنبة واشية بجريمتها ..

لقد حشت القطعة العلوية من ملابسها الداخلية بالقطن كي تمنح نهديها مظهراً أكبر !!

_خلاص بقا يا دكتورة ..مرة وراحت لحالها .

تتمتم بها بمزيج من خزي وخيبة لتشدها ياقوت من أذنها هاتفة باستنكار لم يخلُ من مرحٍ:

_شربتِ بانجو واللا لسه يا سعدية ؟! كنتِ فين كده يا مطيورة ؟!

دمعت عينا رابحة بانفعال عاطفي مبالغ فيه وهي ترفع شاشة هاتفها في وجه ياقوت تريها صورة الصالح مع قولها :





_مشي ..سافر وسابني ..ما استناش حتى نكمل الحلم ..

قهقهت ياقوت ضاحكة من الفتاة التي بدت لها في هذه اللحظة أكثر حمقاً من ذي قبل ..

لتهتف رابحة بنفس الانفعال المغالي:

_اضحكي اضحكي ما انتِ مجربتيش إحساسي!

_إحساس إيه ياللي لسة ما طلعتيش م البيضة ؟!
آدي آخرة الفرجة ع المسلسلات التركي ..روحي يا بت غيري هدومك دي ..ستك ثمر لو شافتك كده هتعلقك قدام باب البيت !

هتفت بها ياقوت زاجرة لترتجف شفتا رابحة بحزن مس قلبها ..

فتنهدت بحرارة لتضمها لصدرها قائلة بحنان :





_مستعجلة ع الهم ليه ؟! بكرة تكبري وتحبي وتتجوزي وتتمرمطي وتقولي ولا يوم من أيامك يا طفولة !

لكن رابحة بقيت ترمقها بملامح جرْو بائس فعادت تضحك وهي تخزها في صدرها المتضخم -اصطناعيا- لتحاول مشاكستها بقولها :

_حاشياهم مناديل ؟!

_لا قطن !

تقولها ببساطة لتضحك ياقوت وهي تبتعد عنها لتضرب كفيها ببعضهما هاتفة :

_لا ناصحة ! ادخلي يا مطيورة وظبطي حالك جوة قبل ما أمك واللا ستي يشوفوكي وتبقى فضيحتك بجلاجل!





_ما تخللي الست لجين تكلملي الشيخ يتوسط لي عنده ..والنبي يا دكتورة ..من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة .

رفعت بها صوتها بنبرة "خطابية" كما تسمعها في المساجد لتقهقه ياقوت ضاحكة قبل أن تعاود شد أذنها قائلة :

_وذنبه إيه الغلبان ندبسه فيكي ..من غشنا فليس منا ..عايزانا نغشه ؟!

ترمقها رابحة بنظرة بائسة لعلها ترقق قلبها لكنها تلمح أمها هي قادمة من بعيد فتشهق بخوف قبل أن تهرع نحو الداخل كي تداري جريمتها ..

تدخل الحمام القريب لتنتزع عنها ثوبها ثم تفرغ صديريتها مما حشتها به لتعاود ارتداءها بسرعة مع الثوب ..





ثم تغسل وجهها لتزيح عنه أثر زينته ..

تبتسم رغماً عنها بشرود وهي تستعيد ملامحه الوسيمة ..

فترفعِ هاتفها نحوها من جديد تتأمل صورته ..

ترى هل يعود يوماً ؟!

تتنهد بهيام قبل أن ينتابها خاطر ما يجعلها تتلاعب بهاتفها حتى تجد الحساب الشخصي بعابد على الفيسبوك ..

ثم تبتسم بانتصار وهي تميز حسابه هو بصورته الشخصية في قائمة أصدقائه ..

لقد وجدته من جديد !

"الصالح حبيب"!

_حتى اسمك حلو زيك .





تهمس بها لنفسها بهيام وهي تحاول البحث عن بقية معلومات تخصه لكنها كلها كانت محجوبة ..

حتى جنسيته !!

تراه يكون مصرياً ؟!

فليكن من يكون المهم أنه هو فحسب!

تبتسم ابتسامة ظافرة وهي تضغط زر متابعته قبل أن تتنهد بالمزيد من الهيام وهي ترسم لنفسها ألف قصة معه ..

ألف قصة تنتهي بنهاية واحدة ..الزواج !

=======

_زين بيحب ياقوت ؟!

تسأله همسة ببراءتها المعهودة وهي تستقل معه سيارته في طريق عودتهما للقاهرة ليرد رائد بابتسامة ماكرة و..حسب!





ابتسامة فهمتها وهي تلتفت للخلف حيث سيارة زين تتبعهما لتشرق ملامحها للحظات وهي تعود ببصرها للأمام ثم تقول بسعادة طاغية :

_يا ريت ..ياقوت دي بحبها قوي..

لكنها تعود لتتنهد تنهيدة طويلة وهي تتحسس قدمها الموجوع لتردف ببعض الأسف:

_بس ما أفتكرش زين يتجوزها حتى لو بيحبها .

عاد ببصره نحوها يرمقها بنظرة خاصة فهمتها لتهتف بتردد حائر :

_تفتكر معقول؟! زين اتغير بجد ..لو كنا زمان ما كانش رضي أبداً يمشي ورانا ..ولا يسيبني معاك .

فاتسعت ابتسامة رائد وهو يحاول التركيز على الطريق أمامه قائلاً بذكائه المعهود :





_هو فعلاً اتغير ..ومقابلته مع الحاجة ثمر حاسس إنها فرقت معاه ..حاسس كمان إنه مش هيرجع المنفى بتاعه ..وإنه دلوقت ..

قطع عبارته بدهشة وهو يلاحظ تقدم سيارة زين التي كانت خلفهما ليشير له بيده أن يتوقف ..

ولم يكد يفعل حتى ترجل زين منها ليتقدم منهما بعينين حازمتين وكأنه قد اتخذ قراره :

_هترجعي معايا بيت الفايد .

يقولها وقد انحنى على نافذة السيارة المجاورة لهمسة التي لينعقد حاجبا رائد بحذر لكنه يؤثر الصمت مكتفياً باحتضان كفها بحمائية ..

بينما شحبت ملامحها وهي تتذكر غرفتها هناك ..

قفصها الذهبي الذي قُصّ فيه جناحاها طوال عمرها ..




لتطرق برأسها كارهة قول ما يسوءه لكنها مرغمة :

_مش عايزة أرجع .

لكنه يفتح الباب المجاور لها ثم يرفع ذقنها نحوه قائلاً بحسم :

_مش هترجعي أوضتك القديمة ..

ابتسامة خافتة ترتسم على شفتي رائد متوقعاً عبارة زين القادمة :

_هتدخلي بيت الفايد زي ما كان المفروض يحصل من زمان قوي .

========

قلبها يخفق بجنون وهي تتوقف أمام البوابة الكبيرة للبيت بحروف اسم "الفايد" المذهبة ..

تستند بجسدها فوق أحد ذراعي زين بينما يطوق خصرها بذراعه الآخر ..





تعود برأسها للخلف تستمد المزيد من الدعم من نظرة رائد الذي بقي في سيارته وقد آثر ترك هذه اللحظة الخاصة لهما وحدهما ..

تطلق آهة متوجعة قصيرة ووجع قدمها على هنته لا يساوي شيئاً مع هذا الوخز الذي تشعر به في قلبها ..

_أشيلك ؟!

يسألها زين دون أن ينتظر الجواب وهو ينحني كي يهم بحملها ..

لكنها ترفع عينيها الممتلئتين بالدموع نحوه ثم ترفع كفها باعتراض قوي ناقض همسها المتقطع الواهن :

_عايزة.. أدخله ..برجلي .

همساتها تجلده بمدلولها والدموع تنتقل من عينيها لعينيه ..





لكنها "تغلبهما معاً" بابتسامة شقت طريقها على شفتيها البريئتين وهي تربت على ذراعه برقّة ..

فيعاود الاستقامة بظهره لتبدأ هي بالتحرك مستندة عليه ..

قدماها تتوغلان في حديقة البيت وعيناها تتحاشيان رؤية غرفتها القديمة المنعزلة هناك ..

تتوقف أخيراً أمام البوابة الداخلية ل"البيت المحرّم" ..

"فردوسها المفقود" الذي لفظوها منه بغير خطيئة جنتها !

الدموع الحبيسة تتحرر أخيراً لتسقط على وجنتيها وذكريات متفرقة تغزوها من الماضي القديم ..

النبذ الذي عاشته طفلة هاهنا يعاود خنق روحها بقسوة ..

لكنها تشعر به يضمها إليه أكثر وهو ينحني فوق رأسها بقبلة أرجفتها لترفع إليه عينيها فيصلها همسه المعذب:

_عشان خاطري ما تعيطيش.





_البنت دي ما تدخلش البيت طول ما أنا عايشة ..وحتى بعد ما أموت ..اوعدني يا زين ..اوعدني .

يكاد يسمعها بصوت أمه الراحلة فيتشدد جسده في وقفته وهو يغمض عينيه بألم ..

لكنه يعاود فتحهما بعد لحظات بنظرة جديدة ..

وصية ظالمة !

لم يكن يجدر به أن ينفذها ..ولن يفعل !

يمد أنامله ليمسح الدموع عن وجهها فتبتسم له بوهن وهي تدلف معه إلى الداخل ..

عيناها تتراقصان فوق الأثاث والجدران رقصة مجنونة كأنما تحاول اصطياد ذكرى قديمة لها هنا ..





قبل أن تتوقفا أمام صورة أبيها على الجدار وصورة أم زين على الجدار المقابل ..

تتخطى الثانية بألم لتتركز نظراتها على الأولى لدقيقة كاملة احتملها زين صابراً مدركاً عظم شعورها ..

كانت المرة الأولى التي تتأمل فيها صورته منذ استعادت عافيتها ..

إعصارٌ هائج من الذكريات يضرب صدرها بقوة مستعيدة كل لحظة نبذ ..

كل لحظة قسوة ..

كل لحظة نفور ..

_مش هاخلف!

تهمس بها فجأة لتتسع عينا زين بصدمة وهو يلتفت نحوها بحدة ..

لكن ابتسامتها تمتزج بدموعها وهي تردف

ولا تزال عيناها معلقتين بالصورة على الجدار :





_لو مش هاحب ولادي أكتر من نفسي مش هاخلف ..لو مش هاحميهم من أي حزن يدبح قلبهم مش هاخلف ..مش هاسيبهم يعيشوا اللي عشته .

آهة خافتة تنفلت من بين شفتيه وهو يعتصرها بين ذراعيه فجأة وقد فقد كلماته ..

ماذا عساه يقول؟!

وأي كلمات قد تمنحها العوض عما لاقته دون جريرة ؟!

تنتفض بين ذراعيه شاعرة أن الموقف حقاً أكبر من احتمالها ..

أن تقف الآن بعد هذه السنوات في هذا المكان ..

أن تنال حقها المسلوب وتملك الحرية أن ترفع رأسها ..

أن تملك حق الصفح ..





وتمنحه !

_أنا ..أنا ..مسامحاه !

تهمس بها وسط دموعها كأنما تريد تخفيف الوزر عنه هو وقد شعرت بما يعانيه لأجلها ..

قبل أن تغتصب ضحكة انفعالية وهي ترفع رأسها هاتفة بصوت عالٍ وسط أنفاسها المتلاحقة :

_خلليهم يفتحوا الشبابيك يا زين ..كلها ..يفتحوها ..كلها !

فيأخذ نفساً عميقاً يتمالك به مشاعره قبل أن يعلو صوته منادياً أحد الخدم كي ينفذ لها ما طلبت ..





ابتسامة مشعة تولد على شفتيها كنجمة صغيرة ثم لا تلبث أن تتسع رويداً رويداً وهي ترى أشعة الشمس تغمر المكان كله ..

الهواء يدخل صدرها فتعب منه عباً وهي ترتجف حرفياً بين ذراعيه هامسة بشرود :

_ما تخلليهمش يقفلوها أبداً ..أبداً يازين .

يقبل جبينها بعمق وعيناه تمنحانها وعده بما "ظهر" من حديثها وما "خفي" ..

قبل أن يتحرك معها نحو الأعلى ..

وبالتحديد نحو غرفة شديدة الاتساع فتحها ليدخلها معها قائلاً بما يشبه الاعتذار :

_يمكن مش حلوة زي بيت رائد اللي عملهولك ..بس ..كفاية أحس إنك قبلتِ تعيشي معايا فيها هنا .





ضحكت بامتنان وهي تتفحص الغرفة الكبيرة التي فتحت نافذتها العريضة مع شرفتها الواسعة التي اصطحبها إليها لتأخذ نفساً عميقاً وهي تراقب الحديقة من علوّ ..

_نفس الشجر ..نفس العصافير ..نفس المكان

..بس ..

ثم تلتفت نحوه بنظرة عميقة لتستطيل على أطراف أصابعها وتقبل وجنته مردفة بنبرة ذات مغزى:

_من فوق أحلى .

فيعتصرها بين ذراعيه من جديد بعمق شعوره الذي يشاطرها إياه ..

هو ذات القصر الذي عاش فيه عمره كله لكنه يشعر اليوم أنه مختلف ..

عادت إليه "أحد شمسيه" مشعة متوهجة كما لم تكن يوماً..





وبقيت "الأخرى"!

لكنه يقسم أنه لن يبرح حتى يعيدها كذلك !

تأوهها الخافت ينتزعه من شروده فيبعدها قليلاً ليراها ترفع قدمها المصاب بتوجع يجعله يقول بنبرة حانية :

_مش كفاية كده بقا وتستريحي ع السرير ؟!

لكنها تضحك وهي تستند على سور الشرفة بوضع استعراضي ناسب ضحكتها البريئة :

_صورني الأول ..

فابتسم وهو يخرج هاتفه من جيبه ليلتقط لها الصورة وحدها لكنها جذبته نحوها هاتفة :

_وانت معايا ..





_بشكلي ده ؟!

يقولها بنبرة مرهقة مشيراً لهيئته الذابلة لتتنهد وهي ترمقه بحنان هامسة :

_عمري ما شفتك جميل زي النهارده .

يتنهد وهو يدرك أن جماله الآن في عينيها من نوع آخر ليبتسم وهو يرفع هاتفه ليلتقط لهما صورة معاً وفي خلفيتها تبدو البوابة الخارجية للقصر مع الحديقة ..

فتتأمل الصورة بإعجاب لتهتف بعجلة :

_هابعتها لرائد ..

تقرن قولها بفعلها بسرعة قبل أن تميل رأسها برقة لتردف بنبرة ذات مغزى:

_وياقوت!




وعلى فراشها كانت ياقوت تستلقي شاردة وهي تفكر فيه ..

تتحسس قرط أذنها تستعيد نظرته الأخيرة التي منحها إياها وتتساءل نفس السؤال الذي تمزقها إجابته ..

هل وحده الحب يكفي؟!

تشعر باهتزاز هاتفها فتبتسم وهي تتلقى رسالة من رقمه بوصول صورة تفتحها بلهفة ليخفق قلبها برضا وهي تميز صورته جوار همسة والخلفية وراءهما تخبرها أنه حقاً قد بدأ طريقه للتغيير ..

همسة دخلت بيت الفايد أخيراً !

الدموع تملأ عينيها بما لا تدري هل هي فرحة لأجل شبيهتها في المعاناة ..

أم هو فخر بإنجاز لا تبالغ كثيراً لو زعمت أن لها اليد الطولى فيه ..





أم هي غيرة خفية لا تملكها وهي تود في هذه اللحظة بالذات لو تكون هي جواره ..

من يعانقها هكذا بهذه النظرة "المطمئنة" في عينيه !

تغمض عينيها بقوة على صورته و"عداد العناقات" يعاود ممارسة عمله ..

العناق "السادس عشر" ..ليس حقيقياً هذه المرة كذلك لكنها تستشعره بكل حواسها ..

بنكهة "الوعد " هذه المرة ..

الوعد أن يكون لها ..ولها فقط طوال العمر !

=========

_أنا اللي هاحلق لك دقنك .

تهتف بها همسة بمرح وهي تقفز لتجلس على حافة طاولة الحوض في حمام غرفة زين بعدما استردت عافية قدمها نسبياً ..





ليبتسم الأخير وهو يمسك ماكينة حلاقته قائلاً بمرح :

_انتِ زعلانة مني قوي كده ؟! عايزة تخلصي حقك يعني ؟!

لكنها تضحك وهي تختطفها منه هاتفة برجاء طفولي:

_عشان خاطري يازين ..نفسي أعملها ..

ثم صمتت لحظة لتردف بنبرة أكثر حناناً:

_عايزة أنا اللي أرجعلك شكلك حلو تاني ..عشان خاطري ..

رجاءها الرقيق يمس شيئاً ما بداخله وهو يشعر بحضورها حوله يغير جو غرفته ..

يمنحه دفئاً غريباً عن البرودة التي اعتادها هاهنا ..

خاصة وضحكتها البريئة التي يعرفها تمتزج الآن بحيوية مستحدثة تجعله يدرك أي تغيير نالها ..





يتقدم نحوها برفق وهو يمنحها بقية الأدوات راضياً لتضحك بحماس وهي تضع "جيل الحلاقة" على وجهه فيتراجع به للحظة هاتفاً بينما يلوح بسبابته :

_بس اعملي حسابك ..كل جرح بيوم يتأخر في معاد فرحك ..فكري بقا في الغلبان رائد قبل ما تتهوري .

ضحكتها تدوي عالية في أذنيه فيتنهد بارتياح مع هذه الفرحة المشعة في عينيها ثم يقرب وجهه منه طوعاً هذه المرة ..

يبتسم وهو يشعر بتردد أصابعها بمجرد ملامسة الماكينة لوجهه ..

لكنه يدعم معصمها بكفه وهو ينظر لعمق عينيها هامساً :

_الملايكة اللي زيك ما بيجرحوش ..ما تخافيش .




يقولها لتكون ابتسامتها آخر ما يلمحه ثم يغمض عينيه تاركاً لها مهمتها ..

قبل أن يبتلعه شروده وهو يتصور أخرى مكانها ينتظر لو تقوم يوماً بما تفعله هي الآن ..

قلبه يخفق بجنون لجموح خياله ورغماً عنه يستعيد مذاقها الذي اشتاقه بين ذراعيه ..

ويكاد يموت لهفة عليه ..

لكن لم يحن الوقت بعد !

ليس قبل أن يشعر أنه قد تطهر من ذنبه القديم وصار كفئاً لها ولتربية ثمر لها ..

ثمر !

اسم المرأة يستجلب هيبة جلية تسري في جوانحه وهو يستعيد لقاءه الأول بها والذي لن يظنه سينساه ما عاش ..

إن كانت ياقوت أعادت قلبه للحياة ..

فثمر أعادت له رغبته في الحياة نفسها ..





ترى ماذا ستفعل لو علمت عما كان بينه وبين ياقوت كاملاً؟!

الخاطر الأخير يجعله يعقد حاجبيه بضيق حقيقي ..

لكنه يقسم لنفسه ألا يجعلها تعلم أبداً ..

شيء من الكتمان هو ما يمنح بعض الحقائق رونقها ودونه هي مجرد نصال جرحها لا يخيب !

_مكشر ليه ؟! وجعتك ؟!

تهتف بها همسة بجزع وهي ترفع يدها عن وجهه فيبتسم وهو يفتح عينيه ليتأمل جانب وجهه الذي أنهت حلاقته في المرآة قائلاً باستحسان :

_بالعكس ..هايلة ..بس أنا هاخد على كده ومش بعيد تلاقيني بعد جوازك بطلبك عشان تحلقيلي .





ورغم مرح عبارته لكنها تقبلتها بجدية وهي تميل عليه لتضمه بذراعها الحر هاتفة بنقائها المعهود :

_أي وقت يا حبيبي ..مش ممكن أتأخر عنك أبداً .

فيربت على شعرها برفق وبابتسامة ممتنة لتبتعد وهي تعاود ممارسة عملها بحرص ولم تكد تنتهي حتى وضعت ما بيدها جانباً لتهتف بلهجة انتصار :

_عملتها !

تقولها ثم تقفز على الأرض لتصفق بكفيها مردفة :

_شوف شكلك بقا ..هو ده زين اللي بحبه .

يبتسم لحيويتها المرحة لا يكاد يصدق أنها هي ..هي نفس الصورة المنزوية القديمة حبيسة الجدران قليلة الكلام ..

لو لم يكن يدين لياقوت إلا بهذه ..فكفى به معروفاً!





_هاصورك وابعت الصورة لرائد وأقولله .

_بلاش !

يقولها محذراً كاتماً ابتسامته مدركاً ما قد يصيب قريبه من غيرة فتضحك وهي تأخذ طريقها لتخرج من الحمام هاتفة :

_لازم يشوفها ..

يتنهد بعمق وهو يرمقها بنظرة حانية مصطبغة بالرضا حتى تختفي عن ناظريه ..

بعد أيام سيسلمها لرائد أجمل عروس تخرج من بيت الفايد ..

ربما وقتها فقط قد يسامح نفسه على ما فرط فيه قديماً من حقها ..

يعود ببصره نحو المرآة فتولد ابتسامة لا يدري مبعثها ..

لكنه يستشعر أثرها في روحه ..





الآن فقط يمكنه مصالحة صورة مرآته ..

يمكنه الحلم بعمر جديد وفرصة جديدة ..

هو وجد أول طريقه ..ولم يعد ينتظره سوى
أن ..يركض!

=======

_دكتور مروان عنده حد ؟!

تقولها داليا لمساعدته التي جلست خلف مكتبها في مدخل عيادته لتقف الأخيرة وقد تعرفت إليها لتقول بترحاب:

_أهلاً ..اتفضلي حضرتك اقعدي ..هابلغه حالاً إنك هنا .

تتململ في وقفتها وهي تشيح بوجهها الذي حمل أثر بكاء وسهر الليلة السابقة ..

لم ترَ مروان غاضباً منها يوماً إلى هذا الحد منذ تلك الليلة التي أنقذها فيها من ذاك المخرج الوغد ..

لقد فوجئت به واقفاً يرمقها بنظرة غاضبة بينما هي تتحدث إلى هيثم ..

قبل أن يندفع نحوهما ليقف جوارها هي صامتاً بغضب شع وسط ملامحه قبل أن تقرر هي أن تنهي الحوار خاصة وقد بدا هيثم مشتتاً بحديثها لأبعد حد ..

لكنه ما كاد يبتعد عنهما حتى جذبها مروان من كفها بخشونة غير متوقعة نحو سيارته القريبة ليدفعها بداخلها وينطلق بهما خارجاً من البلدة كلها ..

_ما تتعصبش كده ..افهم الأول ..أنا كنت ..

تهتف بها مدافعة ليلتفت نحوها مقاطعاً بثورة هادرة :

_كنتِ وهتفضلي طايشة وتصرفاتك من غير حساب ..انتِ عارفة أنا خرجت أصلاً م البيت ليه ؟! عشان سمعتهم جوه بيتكلموا عن البنت الجريئة اللي سابت الستات في البيت التاني وجت عشان تكلم واحد قدام قعدة الرجالة ! عرفت إن مفيش غيرك ممكن يتهور ويعمل عملة زي دي !

دمعت عيناها بقهر وهي تتخيل حرج موقفه بينهم لكنها هتفت بمكابرة :

_أنا ماعملتش حاجة غلط .

_لا عملتِ! وأنا حذرتك وقلتلك هنا غير هناك ..وحذرتك قبل كده تتكلمي مع هيثم ده بالذات .

يصرخ بها بانفعال وهو يضرب مقود السيارة بعصبية لتهتف بعصبية مماثلة :





_حذرتني منه عشان كنت خايف يطلع مش كويس بسبب قصة باباه ..لكن دلوقت طلع أخو صاحبتك وكنت بحاول أساعده وأفكره ..

_مش صاحبتي ..وهو مش صاحبك ..افهمي بقا وصلحي مخك الخايب ده !

يلكزها معها بسبابته في صدغها لتتراجع للخلف مصدومة من ثورته قبل أن تشيح بوجهها وقد آثرت الصمت ليصرخ هو بنفس الانفعال:

_وبعدين تساعديه في إيه ؟! تعرفي انتِ إيه عن حالته ؟! تعرفي إيه اللي ممكن ينفعه وإيه يضره ؟! هنفترض إنه افتكر وانتكس ودخل في صدمة عصبية ..هيبقى ذنبه في رقبتك !

شحبت ملامحها بإدراك للمصيبة التي فعلتها دون قصد لكنها عادت تهتف بمكابرة :





_وممكن برضه ده اللي يرجع له ذاكرته ويتقبل الواقع ..أنا حاولت أساعده باللي قدرت عليه .

_اخرسي يا داليا دلوقت عشان ما أعملش حاجة أندم عليها .

يهتف بها بغضب هائل أعماه عن رؤية الفزع الذي ارتسم على ملامحها وهي تدرك لتوها ما فعلته ..

لو تغاضى عن إحراجها له أمام أهل القرية الذين استنكروا فعلتها ..

فكيف يواجه ياقوت لو تسبب حديثها مع هيثم بكارثة ؟!!

الصمت المشحون بالغضب يظللهما طوال الطريق حتى وصل بها إلى بيتهما ولم تكد تترجل من السيارة حتى عاود الانطلاق بها ليبيت ليلته هنا في العيادة ..





_دكتور مروان بيقوللك هو مشغول ومش هينفع تدخلي دلوقت ..الحالات النهاردة كتير .

تقولها مساعدته بالكثير من الحرج وهي تعود إليها بعدما دخلت إليه ليحمر وجه داليا بخزي وهي تشعر بالإهانة ..

خاصة وهو يرسل رسالته عبر مساعدته دون أن يتصل بها ..

_وبيقوللك ممكن تروحي أو تستني لما الحالات كلها تمشي .

تقولها مساعدته بالمزيد من الحرج لتشتعل

ملامح داليا بانفعال ساخط وهي تتحرك نحو الباب تهم بالخروج ..

ستخرج حقاً لكنها لن تعود لبيته ..





ستعود لبيت نبيلة ولترَ من منهما الذي سيتوسل رضا الآخر!!

تعلم أنـها أخطأت لكنه لم يعاملها يوماً بـهذه الطريقة وكأنـها مجرمـة منبوذة ..

إنـها تحاول الاتصال به منذ ليلة البارحة لكنه لا يرد عليها وقد اكتفى برسالة مقتضبة تخبرها أنـه سيبيت هنا ..

يعاملها وكأنـها طفلة مذنبة ولا يتفهم أنـها حقاً كانت تريد مساعدة إنسان تحمل له مشاعر أخوة بريئة وتشعر بالشفقة نحوه بعد صداقة امتدت بينـهما لسنوات تقارب عمرها !!

لكنـها لن تسمح له أن يمتـهنـها أكثر !!

ستخرج كما طلب !!

خطواتـها تتوقف فجأة أمام باب العيادة مع زفرة ساخطة غادرت حلقها مشبعة بضيقها ..





لو غادرت الآن فلن تختلف عن "داليا القديمة" المدللة المتهورة التي لا تنساق إلا خلف مارد طيشها ..

لن تغادر!

ستبقى وتثبت له ولنفسها -قبله- أنها حقاً تغيرت ..

أنها صارت تحتمل تبعات أفعالها كاملة دون هروب !

خطواتها تتراجع وهي تعود لداخل العيادة لترفع رأسها بإباء زائف أمام مساعدته التي ترمقها بنظرة مترقبة فتقول باقتضاب:

_هاستناه هنا لحد ما يخلص .

تقولها وهي تتجه للنافذة القريبة المطلة بأحد جوانبها على "برج الحمام" الذي أعجبها أول مرة زارت المكان هنا ..





كم يبدو لها الآن مختلفاً موحشاً وسط هذه الظلمة من الليل ..

فتغمض عينيها بقوة محاولة رسم صورة أخرى له في ضوء النهار ..

صورة ذكرتها بما -قد ينبغي عليها فعله الآن-

تسمع صوتاً خلفها يجعلها تدرك خروج الحالة من عنده فتستخرج هاتفها لترسل رسالة ..

ليس له ..إنما ل"العاشق المجهول" ..

_مروان زعلان مني ..أنا غلطت ..قوللي أعمل إيه عشان أصالحه .

ترسلها بترقب وخفقات قلبها تدوي بحماسة كانت تنطفئ رويداً رويداً مع كل دقيقة تمر دون أن يصلها الرد رغم يقينها أنه قد رأى رسالتها ..





الدموع تتكدس في عينيها ودون تدبير أو تفكير تجد نفسها تبحث في صور هاتفها لترسل له تلك الصورة التي رسمها لها بنفسه وهي تجلس على الدرج تبكي !

ولم تكد تفعل حتى شعرت بالندم وهي لا تعرف كيف سيفهمها ..

_اتفضلي استريحي ..ما ينفعش تقفي كده .

تقولها مساعدته بحنان مشفق وهي تراقب وقفتها البائسة لكنها تهز رأسها بكبرياء مصطنع ناسب ظاهر عبارتها :

_مرتاحة كده .





فترمقها المرأة بنظرة أكثر إشفاقاً تذبحها أكثر فتفكر بالخروج من جديد لكنها تغالب نفسها بعزم منتظرة خروجه ..

ساعتان كاملتان قضتهما واقفة هكذا مكانها وألم قدميها يجبرها أن تستند أخيراً على سياج النافذة ..

حتى سمعت صوته خلفها يخاطب مساعدته بقوله :

_تقدري تمشي دلوقت ..أنا هاقفل العيادة .

يقولها وهو يختلس نظرة لتلك الواقفة هناك وقد بدا على محياها التعب الذي تجاهله مرغماٌ وهو يتقدم منها ليقول بنبرة جافة :

_ياللا!

فالتفتت نحوه بألم مستنكر استنفر كل أسلحة عنادها لتشتعل ملامحها وهي ترمقه بنظرة عاتبة قائلة وقد اطمأنت أنهما وحدهما :

_هتبات هنا النهارده كمان ؟!





لكنه تخطاها متجاهلاً سؤالها ليغلق النافذة بعصبية قبل أن يتحرك ليغادر العيادة وهي خلفه ..

تستقل السيارة جواره فينطلق بها دون أن يلتفت نحوها لتستخرج هي هاتفها محاولة البحث عن رد وصلها منه أو من "العاشق المجهول" لكنها لم تجد شيئاً ..

فزفرت بقوة وهي تهتف به بانفعال:

_أنا كلمت ياقوت الصبح واطمنت منها على هيثم ..واعتذرت لها كمان ع اللي حصل ..وقلت لها إني ممكن أساعدها في أي حاجة بخصوصه ..خلاص كده راضي؟!

لكن ملامحه الجامدة لم تتغير كأنه لم يسمعها ..

فمدت أناملها لتمسك كفه المجاور لكنه أبعد كفه بحركة واهنة لم تخفف عمق ألمها وهي تشعر بتباعده ..





تصمت لدقائق طالت لا تدري عقاباً له ..

أم بدافعِ عجزها ..

لكنها تلمح على جانب الطريق ما يجعلها تقول له دون أن تلتفت نحوه :

_عايزة دره .

تشتد ملامحه نوعاً وهو يختلس نظرة نحو الرجل الذي يبيع الذرة المشوية هناك لكنه يتجاهل حديثها ماضياً في طريقه كأن لم يسمعها فتلتفت نحوه ببعض الدهشة وكأنها لم تتوقع أن يرد لها مطلباً مهما كانت الظروف ..

دهشتها الممتزجة بغضبها منه ومن نفسها قبله تطوقها طوال الطريق حتى يصلا إلى بيتهما ..

ليستمر في تجاهله إياها وهو يبدل ملابسه ليستلقي على ظهره فوق فراشهما مغمضاً عينيه ..





تقف مكانها للحظات تتأمله وهي لا تدري ماذا تفعل ..

هو يرفض اعتذارها ومبرراتها بل ويرفض الحديث معها ..

هل هكذا سيكون عقابه صعباً؟!!

تتحرك لتبدل ملابسها فترتدي قميصاً قصيراً بلون سماوي تعلم أنه يحبه رغم أنه لا يروقها كثيراً ..

ثم تمشط شعرها لتضع عطرها وتتحرك لتستلقي جواره على الفراش ..

_نمت؟!

سؤالها الهامس لا يجد رداً سوى الصمت فتعقد حاجبيها بغضب لتهتف بما بدا لها -قبله- جنونياً :

_حتى لو انت مخاصمني مش من حقك تحرمني منه ..أنا حبيته قبلك ..ليه خليته ما يردش على رسالتي ؟!

تشعر بعضلة فكه تشتد وقد فهم ما ترمي إليه ..

الحمقاء!!

لا تزال إلى الآن تفصل بينه وبين"العاشق المجهول"!!

متى ستفهم أنهما واحد ؟!

لكن ..ألم يهاودها على هذا كما هاودها على كل شطحات جنونها من قبل حتى كاد الزمام يفلت من يده ؟!!

_مروان !

تهمس بها أخيراً بيأس وأناملها تتحرك بحذر على صدره لكنه لم يحرك ساكناً لتهتف هي بانفعال غاضب:

_خلاص براحتك ..عايزنا نتخاصم مفيش مشكلة ..ماعدتش هافرض عليك نفسي تاني ..لما تحب تتكلم ابقى تعال .





تقولها وهي ترقب ملامحه التي اشتدت كأنما يقاوم انفعالاً عاصفاً بداخله ليفاجئها وهو يتحرك ل...يعطيها ظهره !!

لم يكد يفعلها حتى فوجئ هو الآخر برد فعلها الهستيري!!

أناملها تتشبث بذراعه قبل أن يشعر بها تتحرك جواره ثم تنزلق فوق جسده ليجدها فجأة متكورة بين ذراعيه !!

ذراعاها متشبثان بخاصرته ووجهها مدفون في تجويف عنقه مع كلماتها الهستيرية التي امتزجت بدموعها :

_اوعي تديني ضهرك أبداً ..أبداً يا مروان ..مهما عملت ..أنا عارفة إني بعمل مصايب مش غلطات بس ..بس ..اوعى مهما حصل تديني ظهرك .





دموعها الهستيرية تصيبه في مقتل خاصة وهو يشعر بها تضم جسدها إلى جسده بقوة كطفلة تنشد أمانها فيه ..

فيزفر بقوة وهو يحاول بشق الأنفس الحفاظ على يديه مكانهما ..

لكنها تعاود هتافها الهستيري :

_هترجعني أعيط لوحدي تاني ؟! عشان كده ماردتش ع الصورة اللي بعتهالك ؟!

ينعقد حاجباه بدهشة وهو لا يفهم ما تحكي عنه ..ولا أي صورة تقصد ..

فيمد ذراعه جواره ليتناول هاتفه وينظر في الصورة التي أرسلتها ..

قبل أن يغمض عينيه بقوة وهو يحرر يديه أخيراً ليضمها إليه بقوة هامساً بصوت لم يغادره ضيقه بعد :

_ما كنتش شفتها !





شهقات بكائها الهستيري تتتابع وذراعاها يرتفعان يكادان يعتصران عنقه وهي تلصق نفسها به أكثر ..

فيزفر بقوة ثم يتناول منديلاً قريباً يمسح به وجهها هامساً بخشونة فجرتها انفعالاته :

_ممكن تبطلي عياط ؟! ماهو مش كل مشكلة بيننا هتخلص بإنك تعيطي ونتصالح .

_امال هتخلص بإنك تقاطعني وتديني ضهرك ؟!

تهمس بها بعتاب حار ليتنهد وهو يربت على ظهرها وقد غلبته بسؤالها ليهمس لها بنبرة أكثر ليناً :

_وبعدين معاكي؟!





_أنا غلطت واعتذرت ..وحاولت أصلح غلطتي ..وجيتلك لغاية عندك عشان أصالحك ..المفروض أعمل إيه تاني؟!

تهتف بها بين دموعها التي عادت تنهمر من جديد ولا تزال تتشبث بعنقه بقوة فيتنهد بقوة هاتفاً بدوره :

_انتِ أحرجتيني قدام الناس كلها .

_وانت رديتهالي وأحرجتني قدام الناس في عيادتك .

_انتِ بتقولي إيه ؟! انتِ إزاي فهمتيها كده ؟!

يسألها باستنكار لتعاود دفن وجهها في عنقه لكنه يرفع ذقنها نحوه هامساً بمزيج حزمه وحنانه :

_أنا عمري ما أقصد كده مهما يحصل بيننا ..أنا من امبارح وأنا بسحب نفسي عنك ما أذكيش ..لو لسه مش فاهماني يبقى محتاج منك اعتذار كمان .

نظراته تعود لتغزل ثوب الأمان الخاص بها ..





فتعض شفتها وهي تغمض عينيها ليخف ضغط ذراعيها الهستيري حول عنقه ..

لكنها تشعر بشفتيه تمسان شفتيها مساً خفيفاً وهو يعاود التربيت على ظهرها هامساً :

_آسف عشان اديتك ضهري ..ماكنتش أعرف إني هاخوفك كده .

فتمرغ وجهها في صدره تتنشق عبير أمان لم تعد تشعر به إلا في كنفه ..

لكنها تشعر به يبعدها ليقوم ويغادر الفراش ثم يمسك ذراعها ليوقفها معه هاتفاً :

_هي الساعة كام دلوقت ؟!

تتلفت حولها بدهشة لتجده ينظر في ساعة هاتفه قائلاً :

_لسه فيه وقت .

_لإيه ؟!

فابتسم وهو يقرص وجنتها مداعباً :




_غيري هدومك هننزل ناكل دره ..مش هانيمك نفسك في حاجة .

تضحك وسط بقايا دموعها وهي تطوق خصره بذراعيها بقوة فيتنهد وهو يسند رأسها على صدره متخللاً شعرها بأنامله هامساً:

_كنت هاتجنن م الغيظ منك ..بس كنت هاتجنن أكتر وأنا نايم بعيد عنك ..

ثم رفع ذقنها نحوه من جديد هامساً :

_وحشتيني !

همسته تنقطع بآهات متقطعة مع ضحكاته وهو يشعر بقبلاتها المجنونة تطوف على وجهه وعنقه وما تناله شفتاها منه بينما تدفعه ببعض القوة ليسقط على ظهره على الفراش خلفه فيشعر بها فوقه تهلكه ببركان عاطفتها ..





يضحك وهو يحاول السيطرة على جنونها وقد بدت له كقطة شرسة يغلب جنونها عاطفتها ..

_مش كده يا مجنونة..آه ..ماعندكيش اخوات ولاد ..الدره طيب ..مش كنتِ عايزاه ؟! آه ..

كلماته بتنتهي بضحكة أخرى راضية وهو يستمتع بجنونها الشهي ليطلق زمجرة مهددة قبل أن يتحرك ليعكس الأوضاع فيشرف عليها من علو ونظراته تتجول فوقها بعاطفة دافقة تفجرت مع همسه الذي اتشح ببعض المرح:

_قبلنا اعتذارك ..سيبيلنا فرصتنا نصالح احنا بقا .

"مؤتمر قمة للصلح" امتد بعدها لساعة قبل أن يغلبها النوم بين ذراعيه أخيراً ..

لتستيقظ صباحاً فتفتح عينيها على رسالة من حساب "العاشق المجهول"





_يا مَن لا أشهى من وصالها إلا لذة عتابها ..

أحبك للأمس ..واليوم ..وما بعد الفناء ..

رضيت بحبك فضاء جنوني ..

فلا تعيديني لسجن العقلاء!

=======

لم أكن ماهراً في "الجغرافيا" ..

لكنني منذ تعامدت شمس حبك على خطي ..عرفت استوائي !

لم أكن ماهراً في "التاريخ"..

لكنني فهمت من عينيكِ كيف يمكن أن ينتهي عصرٌ ويبدأ آخر !

لم أكن ماهراً في "الحساب"..

لكن حبكِ الغريب أخبرني أن الواحد يساوي العشرة والمائة والألف بل ..والمليار ..

لا يهم في أي خانة تضعينني ..فاسمك وحده في أحد طرفي المعادلة يجعل الطرف الآخر يساوي الدنيا بأسرها!

لم أكن ماهراً في "العربية"..

لكنكِ السلطانة التي لم تخلق لها لغة بعد ..ماتت الحروف على أبواب قلعتها ..وسخر لؤلؤ تاجها من بريق الكلام !

لم أكن يوماً ماهراً إلا في شئون النساء ..

وعندما لقيتكِ أدركت أي ساذج كنت ..أي غرّ صرت ..وأي عاشق سأصبح !





يا إعصاراً تجسد في كيان امرأة ..

سألتكِ ألا تكفّي يوماً عن اجتياحي !

"إسلام"

========

لا تلمني!

إن تشبث القلب بنفس الثوب القديم ..

غير مدركة أن لم يعد يناسبني "المقاس" !

لا تلمني !

إن فقدت أنفاسي في تسلق جبل لا ينتظرني أحدهم على قمته ..

غير أن قدميّ أدمنتا صعوده !

لا تلمني ..

إن عشقت -بغير مرآتك- صورة ..

لما اقتربت وجدتها ليست أنا !

لا تلمني ..

بل انزع عن عيني الغشاوة ..

واضغط زر مصباحي ..

فكم أود لو أراك حقاً !

ربما لو رأيتك ..أجد ما فقدته من بقايا صورتي!

"نشوى"

=========

_مامي ! شفتي بابا جابلي إيه ؟!

تهتف بها ريما وهي تدخل عليها المطبخ حيث وقفت تعد الطعام في مطبخ بيتهما ..

لتلتفت نحوها فينعقد حاجباها وهي ترى إسلام يدخل معها ..

كلاهما يرتديان نفس الملابس تقريباً ..





"تي شيرت" بخطوط مستعرضة باللونين السماوي والأبيض مع سروال مع الجينز و"غطاء رأس" رياضي بنفس الشعار !

_شفتي شبه بعض إزاي؟! فرق الشعر ..بس أنا لميته كحكة تحت الكاب عشان ما يبانش ..

ثرثرة ريما الطفولية تفضح عاطفتها السخية نحو إسلام فيزداد انقباض قلبها جزعاً ويزداد معه انعقاد حاجبيها خاصة والصغيرة تتعلق بذراعيها في خاصرته هاتفة بسعادة :

_وريها جبت لي إيه كمان .

فيبتسم وهو يرفع نظارة

VR" Virsual reality"

أمام وجهها ليجيب بمرح :





Cinnabon

_دي نظارة للأفلام "الثري دي" ..بننزل عليها أفلام مختلفة حسب ..

_عارفاها!

قاطعت بها عبارته وهي تعطيهما ظهرها ببرود منطفئ صار يميز لهجتها مؤخراً وبالتحديد منذ عودتهما من القرية ..

ليرمقها بنظرة حائرةوهو لا يدري سر التغيير الجديد الذي أصابها ..

لم تعد طبيعتها "شوكية" كما اعتادها ..

بل صارت منطوية ذابلة منطفئة ..لا تكاد ترد عليه إلا بأجوبة مقتضبة ..تحبس نفسها في غرفة ريما أغلب الوقت ..بل وتغلق الباب عليها بالمفتاح ..

المفتاح اللعين الذي يقسم أن يكسره يوماً!!




_شغللي فيلم البحر يا بابا ..لا الجبل يا بابا ..لا ..الغابة يا بابا ..الغابة أجمل ..صح يا بابا ؟!

تهتف بها ريما باندفاع طفولي لتندفع الدموع لعيني نشوى فجأة وهي تعد سراً كم مرة ذكرت الصغيرة كلمة "بابا" ..كأنما تعوض بها حرمانها ..ليس عدلاً أن تحرمها سعادة كهذه ..

لكن هل بيدها القرار حقاً ؟!

لقد فهمت سر زواجه الغريب منها ..

فهمت ما جعله يحتمل ما لم يكن ليحتمله رجل غيره ..

فهمت لماذا يصبر على أن ينال جسدها ..

فهي مجرد واجهة أنيقة يخفي بها إخفاقة حب فقده ..

لكن ما لم تفهمه حقاً هو مشاعره نحو ريما ..




عطاءه السخي معها ..

ليته لا يعلقها به أكثر ..

ليته لا يدخلها في حسابات لا تخصها ..

إن كانت هي اعتادت "شعورها بالنقص" في عيون الرجال ..

فما ذنب ابنتها كي تذوق فقد الأب مرتين ؟!

_مالك؟!

يسألها وكفاه يحطان على خصرها من الخلف فتتحاشى النظر نحوه وهي تطرق برأسها محاولة التشاغل بما تفعله ..

وإن عجز قلبها عن تجاهل أثر قربه هذا عليها ..

هذه اللمسات التي ظننت أنها ستحيي رميم عظام أنوثتها ..

لتكتشف أنها لا تزال كما عهدت نفسها ..

مجرد سلعة بائرة في سوق الرجال !





تتجاهل الجواب وهي تلتفت نحو ريما التي ارتدت النظارة الخاصة ومضى رأسها يتحرك ببطء متزامناً مع ما تراه على شاشتها ..

قبل أن ترفعها هاتفة بانبهار :

_ما حصلش! رهيب يا بابا ..تعالي يا مامي جربي ..

ثم حاولت تقليد غمزته مردفة :

_هيعجبك يا عسل!

فتغمض عينيها بالمزيد من الألم ولا تدري ماذا تفعل ..

لو كان الأمر يخصها وحدها لصارحته بما سمعته ..

لأخبرته أنها علمت الحقيقة ..

بل ولطلبت منه الطلاق !

لكن ماذا عساها تصنع بالصغيرة ؟!




فلتصمت !

ولتبتلع خيبتها وحدها !

هي تدفع ثمن سعادة ابنتها ..ولو كانت مؤقتة !

_أنا حضرت لكم العشا.

تقولها بنفس النبرة المنطفئة وهي تخلع عنها مريلة المطبخ تحت نظراته الحائرة لتهتف بها ريما بانطلاق:

_بيتزا وسندويتشات ..هناكلها قدام كارتون سيمبا ..جاي دلوقت .

لكنها تتحرك لتقبل الصغيرة بعمق وبابتسامة مصطنعة :

_كلوا أنتو ..أنا مش جعانة .





يعقد حاجبيه بقلق حقيقي وهو يميز حالها الغريب الذي لم يره من قبل ..

هو رآها في أشد حالاتها انكساراٌ ليلة زفافهما ..

ورآها بطبيعتها المتحفزة الهجومية في أغلب الأوقات ..

لكن هذه أمامه تبدو مختلفة ..

ميتة تسير على قدمين !

_هي مامي مالها؟!

تسأله ريما بقلق طفولي ليبتسم لها تصنعاً فترد بعفوية وهي تشير له بإصبعها أن يقترب فينحني لتهمس في أذنه :

_امبارح بالليل قعدت تعيط قبل ما تنام ..كانت فاكراني نايمة ومش سامعاها ..





انقبض قلبه بلوعة مع كلمات الصغيرة لكنه اغتصب ضحكة مفتعلة ليطمئنها بقوله :

_المهمة لسة مستمرة يا محاربة ..على العهد ؟!

يقولها وهو يخلع "الكاب" خاصته ملوحاً به في وجهها لتخلع خاصتها بدورها وتلوح به مثله قائلة بحسم :

_على العهد .

_تمام ..روحي بقا روقي أوضتك ولمي اللعب عشان تفرحيها .

_وهارسم لها رسمة بتحبها .

تقولها ريما وهي تقبض كفها في وضع حماسي لتهرع إلى غرفتها ..

فيما تحرك هو باحثاً عنها ليجدها -كعهدها- واقفة في تلك الشرفة الضيقة التي تطل على جدار قريب للبناية المقابلة فيجعلها موقعها منعزلة تماماً ..

لا يدري سبب حبها لهذه الشرفة بالذات رغم أن الشقة تحتوي على أخرى واسعة تطل على الشارع الواسع بحديقته الرائعة ..




عبر عن خاطره الأخير بسؤال مباشر اقتحم به خلوتها وكفه يحتضن كفها المستند على السور ..

لتغمض عينيها فتفر منهما دمعة وارتها بابتسامة باردة :

_ما بحبش الأماكن المفتوحة ..بتخوفني ..

الأماكن المقفولة بتطمني أكتر .

_سبحان الله ..دماغ ماشية خِلف خلاف! عكس البشر!

يقولها بمرح مصطنع محاولاً مشاكستها لعله يخرجها من شرنقتها الغريبة هذه وقد توقع منها رداً "شوكياً" كعادتها ..

لكنها لم تفعل سوى أن سحبت كفها منه لتتحرك مبتعدة :





_ما تسيبش ريما تنام من غير عشا ..هي بقت بتسمع كلامك أكتر مني .

_نشوى!

هتف يناديها بحزم غريب على هزله المعهود لتقف مكانها فيتحرك ليقف قبالتها متفحصاً

ملامحها باهتمام مع قوله :

_من ساعة ما رجعنا م البلد وانتِ مش طبيعية ..إيه اللي حصل؟!

_أنا على طول مش طبيعية .

تقولها بنفس النبرة الميتة وهي تمشط شعرها بأناملها للخلف متحاشية نظراته لتردف بابتسامة باردة :

_مستنية اليوم اللي تزهق فيه وكل واحد يروح لحاله ..بس مش مخوفني غير البنت ..




قبضة باردة تعتصر قلبها عند الخاطر الأخير لتغمض عينيها بينما شفتاها تشاركان جسدها ارتجافته بهمسها:

_انت وعدتني ..انت وعدتني حتى لو سبتني ما تسيبهاش .

_أنا ماقلتتش كده .

يقولها بنفس النبرة الحازمة فتفتح عينيها بنظرة ارتياع وقد أساءت فهم عبارته لكنه يحيط كتفيها بقبضتيه ليهزها بقوة هامساً وهو يسلط نظراته في عينيها :

_أنا قلت مش هاسيبكم انتم الاتنين .

تأخذ نفساً عميقاً تقاوم به بكاءها وتود لو تقذفها الآن في وجهه أنها تعلم ..

تعلم أنه يكذب ..

أنه ليس أفضل منها ..





كلاهما هرب من حب ضائع لزيجة فاشلة ..

كلاهما يرى في صاحبه مجرد رقعة للثوب الممزق ..

أي عدل هذا !!

بل ..أي ظلم !!

تشعر به يقربها نحوه فتنتفض أنوثتها بهذا الشعور الذي لم تعرفه إلا معه ..

لكنها ستقاومه بكل ما أوتيت من قوة ..

ليس بعد ما عرفته ..

ليس وهي تعلم أنه يرى فيها سواها ..

كما ترى هي فيه سواه ..

كلاهما خائن ..

لكنها لن تستبيح الخيانة بعد الآن !





كفاها يقفان حائلاً بين تماسّ جسديهما وهي تبتلع غصة هائلة في حلقها بينما تبتعد عنه ما استطاعت ..

لتشتعل ملامحه وهو لا يفهم سر نفورها هذا ..

هي لم ترفض يوماً عناقه فماذا أعادهما لنقطة الصفر ؟!

ممزقٌ هو بين قلقه لأجلها وكبرياء رجل يستشعر نفورها فيتنحنح ليغير الموضوع بقوله :

_ماما طالبة تشوفنا ..عايزة تتعرف عليكِ .

_بلاش دلوقت ..مش مستعدة أقابل حد .

تهمس بها بقنوط ثم تتحرك مبتعدة أكثر لتعطيه ظهرها فيزفر بقوة وهو يشعر بالعجز معها لأول مرة ..

حائلٌ غريب لا يدري من أين ظهر بينهما ليجعله يشعر وكأنما يضرب الصخر بقدمه ..

لكنه لم يستسلم وهو يعيد القول بنبرة أكثر ليناً:





_طيب براحتك ..بلاش ماما مادام ماشفتوش بعض قبل كده وانتِ لسة مش مستعدة ..بس عمو علاء وأنّا عازمييننا ع العشا مع سيف وغادة ..انتِ شفتيهم وعرفتِ أد إيه هم طيبين .

فالتفتت نحوه بحدة لم يفهمها وعيناها

تشتعلان بالجذوة القديمة التي عشقها ..

لكنها لم تلبث أن خبت مع ابتسامة باردة عادت تحتل الشفتين المشققتين :

_أكيد ..الزيارة دي طبعاً ما يتقالهاش لأ.

المرارة الساخرة الذائبة بين حروفها تثير ريبته فيسألها بتشكك :

_قصدك إيه ؟!

لكنها تعود لتختبئ في شرنقتها مكتفية بقولها :





_ما تشغلش بالك ..شوف تحب نروح امتى وعرفني .

تقولها لتتحرك مغادرة الشرفة لكنه يستوقفها ممسكاً ذراعها وعيناه تجولان فوق ملامحها بتساؤل صامت ..

تساؤل هربت منه مجبورة لتقول بصوت متحشرج:

_عايزة أرجع المصنع بكرة ..ماعدتش مستحملة قعدة البيت .

فيحتضن وجنتها براحته ليقول بحسم دافئ:

_نروح سوا من بكرة ..زي ما تحبي .

تشعر بخلاياها كلها تقشعر للمسته مفتقدة نبضة خاصة لم يعرفها رسم قلبها إلا معه ..

لكنها تعض شفتها بقوة كادت تدميها وهي تزيح ذراعه عنها لتبتعد من جديد متمتمة بصوت





بالكاد يسمع :

_تمام ..شكراً .

يراقبها تنصرف بجزع وهو يكاد يلحق بها من جديد لكن حدسه يخبره أن قربه منها هذه اللحظة لن يزيده إلا بعداً ..

ما الذي تغير بينهما ليطفئها هكذا ؟!

هو ليس غراً ساذجاً ليدرك أنه كان قد بدأ يجد مكانه في قلبها ..

فما الذي طرده من جديد هكذا ؟!

========

_الشاي بلبن يا عم جميل .

تهتف بها ريتال وهي تهبط الدرج الداخلي الذي يفصل بين شقة أبيها و"المحل" الصغير الذي يتخذه ورشة لخياطته ..

فيبتسم الرجل البشوش بطيبة وهو يجلس على ماكينة الخياطة ممسكاً بعباءة سوداء في يده ..

لتقترب هي أكثر لتقبل رأسه مردفة :




_جميل جمال ..مالوش مثال !

تقولها وهي تضع الكوب في يدها على سطح المائدة أمامه فيضحك ضحكة رائقة وهو يتناول الكوب ليرتشف منه رشفة قبل أن يعقد حاجبيه قائلاً باستياء:

_حطيتي اللبن قبل الشاي ..قلتلك ميت مرة ..الشاي يتحط الأول .

فتضحك وهي تجلس على الأريكة الصغيرة أمامه هاتفة بتعجب:

_أموت وأعرف بتفقسني إزاي ..تفرق في إيه الشاي واللا اللبن الأول ؟!

لكنه يهز رأسه وهو يرتشف رشفة أخرى قائلاً بصوته العذب:

_عيب يا بنت! الشاي بلبن ده علم لوحده ..الطعم بيفرق طبعاً لما تحطي الشاي أو اللبن الأول ..بس





جيلكم المعفرت ده ماعادش بيعرف يستطعم ..خلليكي انتِ في النسكافيه و"البسكويك" بتاعك.

_نسكويك يا بابا ..ما أسمحلكش تغلط في مشروبي زي ما أنا بحترم مشروبك .

تقولها مصححة بضحكة رائقة نسبياً تجعله يتفحص ملامحها للحظات قبل أن يقول بنبرة ذات مغزى:

_أخيراً ضحكتك مظبوطة ..بقالك يومين مش عاجباني .

ملامحها ترتجف واشية بحزن تخفيه منذ ذاك اليوم الذي التقت فيه بمروان وداليا مصادفة في ذاك ال"مول" ..





لا تنكر أنها لم تسعَ لهذه المقابلة بنفسها فقد كان بإمكانها تفاديهما منذ رأتهما من أعلى السلم الكهربائي هناك ..

لكنها تعمدت أن تحدث هذه المواجهة ..

أن تراه وهو يضع كفه على ظهر امرأته التي اختارها وابتسامته تملأ وجهه لتوقن أن هذا آخر طريقهما ..

تماماً كما تعمدت الابتسام لهما وتهنئتهما لتختم اللقاء بقولها لهما أنهما ستنتظر عودتهما للجمعية التي افتقدت نشاطهما ..

أجل ..هي تعودت ألا تتوقف كثيراً أمام الجروح ..

أن تحتمل ألمها حتى تشفى من تلقاء نفسها ..

إنها حتى لا تعلم إن كانت أحبت مروان حقاً ..

ربما كان فقط مجرد "إطار مناسب" للوحة فارس الأحلام !!

_مش بقوللك مش عاجباني !





يقولها والدها بعينين متفحصتين تجيدان سبر أغوارها ليخرجها من شرودها بابتسامة صاحبت تنهيدة مع قولها لتغير الموضوع بنكهة "ثوريتها" المعهودة :

_محدش في البلد دي مبسوط يا عم جميل ..ريحة الظلم فيها فاحت قوي ..نفسي أنام وأقوم ألاقيني سبتها وسافرت ..

ثم غمزته هاتفة بمرح :

_ماتشوفلي عريس حلو كده وانت زباينك كتير ياخدني معاه ونهجّ سوا من هنا ؟!

فيبتسم ابتسامة واهنة وهو يرتشف رشفة أخرى من الشاي ليشغل ماكينته بهذا الصوت الذي أدمنته من صغرها وهي تشعر بها يمنحها

الأمان ..

ليقول بحكمة لم تخلُ من أسى:





_ولما كلنا نمشي يا بنتي هنسيبها لمين ؟! من صغري وأنا شايف فيها أبويا وجدّي ..يشتكوا آه ..بس عمر ما حد فيهم قال نسيبها .

_لا معلش! طالما قرية "ظالمٌ أهلها" يبقى نسيبها ونشوف غيرها مادام احنا مستضعفين فيها ..الكبير بياكل الصغير ..والفقير بيتداس تحت الرجلين ..انت ما بتشوفش اللي أنا عايشاه في "رسالة" كل يوم ..مناظر تقطع القلب .

تهتف بها بحمية ثائرة ليبتسم وهو يوقف ماكينته ليرمقها بنظرة ظافرة ناسبت قوله :

_بتتكلمي وتردي على نفسك ! البلد زي ما فيها الوحش فيها الحلو ..فيها البخيل وفيها





الكريم ..العيب مش في البلد يا بنتي ..انتو اللي عقولكم بقت غريبة ..كأنكم اتبرمجتم تعترضوا وتتمردوا وبس !

_احنا الجيل اللي شاف صحابه بيموت قدام عينيه عشان بيقول رأي وكلمة حق ..الجيل اللي خرج شايل روحه على كفه في وش ظالم وبيقولله ارحل ..الجيل اللي اتغفل وهو حاسس إنه اتعمل ساندوتش بين "أجندات" ناس تانيين خطفوا حلمه ..البلد دي ما بقتش بتاعتنا يا عم جميل .

تقولها بيأس ليهز رأسه بأسف ثم ينهي آخر رشفة من الكوب ليقول وهو يعيد تشغيل ماكينته :

_البلد هتفضل للي عايز يعمرها يا بنتي ..سنة ربنا في الكون معروفة إن الظلم مهما طال عمره قصير ..بس لازم نفهم إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .





فتتنهد بيأس من عقم الحوار الذي يدور بينهما كل مرة بهذه الطريقة ..

لتختار أن تنهيه بسلمية فتتحرك لتفتح المذياع القديم جواره فتنطلق النغمات وكأنها تجاري حديثهما قدراً ..

في قعدة الصبح ع الكورنيش

في كوباية شاي إنما إيه ..

في طيبة ناس ..

في لقمة عيش تجمع الفقير والبيه ..

على طول تلاقيك فاكرها !

يبتسم كلاهما والكلمات تمسهما كلٌ -بطريقته - ليقطع الموقف هتاف امرأة دخلت لتوها:

_خلصت العباية يا عم جميل ؟! ..فرح أختي بكرة وأمي حالفة ما تلبسش غير من إيدك .

فيضحك وهو يرفع العباءة بيده هاتفاً:

_صاحي من صباحية ربنا اهه أخلص فيها

..ماليش بركة غير الحاجة .

تدعو له المرأة بالبركة قبل أن تنتبه لريتال فتهتف بحماس :

_عقبالك يا ريتال بابن الحلال اللي يسعد قلبك .

فتضحك لها ثم تغمز أباها هاتفة :

_ويخرجني م البلد دي .

تقولها لتتوجه من جديد نحو الدرج الذي يفصل المحل عن شقتهما التي دلفت إليها لتتوجه نحو غرفتها ..





تنظر في الساعة ثم تتناول هاتفها ببعض الضجر لتبتسم عفوياً وهي تراقب آخر ما نشره سامر على حسابه كمعلومة نفسية يشارك بها متابعيه على حسابه من آن لآخر ..

تصدر هاشتاج The Duck Syndrome "متلازمة البطة"، على أحد مواقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك"، وهو اسم أُطلقوه بعض الخبراء من جامعة ستانفورد، على متلازمة يعاني منها ٨٧% من الناس في الفترة الآخيرة.

قال بعض الباحثين في الجامعة أن البطة تظهر بصورة الهدوء والرصانة بشكل دائم، ولكن مع البحث وجدوا أن البط يعيش معركة حياتية تحت الماء، وهي معركة التجديف.

أوضح الباحثين أن تجديف البطة يكون بشكل هستيري، حيث أنها تداوم الدفع بأرجلها في





اضطراب شديد، في محاولة منها للوصول إلي مكانها النهائي.

وأضاف الباحثين أن هناك كثير من الأشخاص يعانون من متلازمة البطة، حيث تراهم من بعيد هادئين و متّزِنين و سعداء، إلا أنهم في الحقيقة يعانون من صخب وضغط واضطراب لم يستطع أحد اكتشافه غيرهم.

ابتسامتها تتشح بالمرارة وهي تجد شبهاً لنفسها فيما يحكي عنه لترسل له عبر "الواتساب" :

_عندك واحدة "بطة" هنا .

وفي غرفته وجد نفسه يبتسم عفوياً لرسالتها فيردها :





_تعالي جنب أخوكِ على الدكة ..مرحباً بكِ في جزيرة البط .

تضحك ضحكة عالية ثم تتردد لتكتب له :

_قابلت مروان مع مراته .

ابتسامته تختفي ليكسو الضيق ملامحه لسبب لم يفهمه ..

ربما لأنه يرى فيها توأم مأساته !!

لهذا بحث عن كلمات مواساة مناسبة قد ينصحها بها لكنها فاجأته بعبارتها:

_ما انهارتش زي ما كنت متوقعة

بالعكس ..ساعات فعلاً لما بنبعد بنشوف الصورة أوضح .





_مممم...أعتبرها "سياسة البطة" برضه ؟!

يكتبها لينتظر طويلاً دون أن يصله ردها فيدرك أنه على صواب ..

وانها -بطبيعته الثورية- لا تقبل الاستسلام في الحب ..

إما تنتصر أو تقبل الهزيمة تمهيداً لنصر جديد !

تعجبه هذه الصفة فيها ويتمنى لو يكون يوماً مثلها ..

ربما وقتها فقط ..

يقبل هزيمته في حربه الخاسرة مع سها !!

سها!!

أفكاره تسحبه لتلك اللحظة التي رآها فيها وهي تخرج من المركز ..

عيناها دامعتان وجسدها يرتجف بين ذراعي

والدها ..





لكنها -كعهدها- ترفع أنفها بشموخ ..

كأنها تدعي أن بداخلها قلباً لم يكسَر!

_سمعت آخر أغنية ل"كايروكي"؟!

رسالتها تنتزعه من شروده فيبتسم وهو يميز هذه الفرقة المميزة التي اشتركا سوياً في

الإعجاب بفنها المميز الذي يمزج الكلمات الشرقية بالموسيقا الغربية ..

تتسع ابتسامته وهو يراقب الملف الذي أرسلته بأغنية "يا أبيض يا أسود "

فيشغلها ليستمع قليلاً ..

أسئلة عايشة معايا مكملة..

والإجابة متأجلة ..

سلسلة وكل حلقة للتانية مسلمة..





بلف في دايرة ومهما بعدت أرجع هنا ..

بصيت في مرايتي لقيتها سودا ومضلمة...

يا أبيض يا أسود قصة حياتي كل حكاياتي

مع إني عادي عايشها في النص رمادي

مقطع مميز يشرد فيه مع اللحن الغربي الغريب ليقطع شروده صوت منبهه الذي ضبطه على ميعاد مهم ..

فيوقف الأغنية لينهض لكنه يرسل لها قبلاً :

_مانتحرمش من ذوقك يا بطة ..عايزين كل يوم بقا اصطباحة من دي .

======

_ناصر تحت ..عايز يقابلك .




تقولها أمها بحزم رفيق وهي تدخل عليها غرفتها في بيت والدها لتقسو ملامحها الباهتة مع جوابها البارد :

_وإيه الجديد ؟! ماهو كل يوم بيجي عايز يقابلني وبيرجع من غير ما أشوفه .

تزفر أمها بقوة وهي تراقب هزال جسدها الذي يزداد يوماً بعد يوم لتتقدم منها وتجلس على طرف فراشها قائلة برفق:

_ياما نصحتك ما سمعتيش كلامي ..دلوقتِ بتحاسبيه على إيه ؟! انتِ كنت شريكته في اللي عمله م الأول ..كل حاجة كانت بموافقتك .

_هتقولي زيه ؟!

تصرخ بها بعنف نسف البرود الظاهري الذي تدعيه لتحتقن ملامح أمها وهي تربت على كتفها تحاول تهدئة هذا البركان الذي تفجر بين حروفها الثائرة :





_أنا قبلت أضحي عشان أديه الحياة الكاملة اللي هو عايزها ..دست على قلبي وكرامتي وقبلت وضع مفيش واحدة غيري تقبله ..كنت بروح معاه نقابلها وأرسم ضحكة على وشي وأنا قلبي بيتقطع وأقول معلش ..عشان حقه يبقى أب ..عشان ما يخسرش باباه ..أنا اللي اخترت له بدلة فرحه والقاعة اللي هيتزف لها فيها ..وبعد كل ده ..أسمعه بوداني بيقول لباباه إنه لعبها صح ..إنه هيمسك العصاية م النص ..إنه هيحبها زي ما حبني !!

تنهي عبارتها وهي تقذف كوباً جوارها ليتهشم مصدراً دوياً هائلاً فتنتفض أمها مكانها لتطوقها بذراعيها هاتفة بيأس من مجادلتها العقيمة :

_خلاص يا سها اهدي ..أنا هنزل أقولله يصبر شوية لحد ما ..





عبارتها تنقطع وهي ترى ناصر واقفاً عند الباب بملامح ليست أفضل بكثير من

ملامح ابنتها ..إن لم تكن أسوأ ..

يالله!!

ما الذي فعله هذان الاثنان بنفسيهما ؟!

_انت دخلت هنا إزاي؟! اطلع بره ..بره ..مش عايزة أشوفك .

تصرخ بها سها بهياج وهي تنتفض من فراشها لتتوجه نحوه لكنه لم ينتظرها ..

بل اندفع ليطوقها بذراعيه محاولاً السيطرة على ثورتها الهائجة لتراقبهما الأم ببصرها للحظات بقلق قبل أن تتردد لتخرج من الغرفة مؤثرة تركهما وحدهما ..





وبين ذراعيه كانت هي تتخبط كطير ذبيح تحاول التخلص من قيد عناقه بقوة لكنه يتشبث بها بقوة هامساً في أذنها بحزم :

_اطرديني ألف مرة وهارجع تاني ..مفيش حاجة هتفرق بيننا غير الموت .

همساته بدت وكأنها قد سكبت دلواً من الماء فوق نيرانها لتسكن حركة جسدها بين ذراعيه للحظات ..

قبل أن تستحيل لبكاء هستيري استقبله هو على صدره وهو يخفف ضغط ذراعيه حولها ليدفن وجهه في حنايا عنقها هامساً بألم :

_حرام عليكِ يا سها ..أنا بموت كل ثانية بشوفك فيها كده ..أنا آسف ..بقولهالك وهاقولهالك بكل طريقة ترضيكِ بس ارجعي ..ارجعيلي .




_أبداً .

تهمس بها بشراسة وهي ترفع إليه عينين شاردتين يظللهما جرج تركه ولا تظنه سيندمل ..

سبابتها التي رفعتها في وجهه ترتجف وهي تردف بنفس القسوة الغريبة على طبعها معه :

_أنا عرفت إنك وقفت في وش والدك وقلت له إنك مش هتتجوز ..

يومئ برأسه إيجاباً وهو يشعر ببعض الأمل الذي صفعته هي بقولها الذي حمل من الألم أضعاف ما حمله من السخرية :

_ولما انت قادر تعمل كده ما عملتوش م الأول ليه ؟!

يسبل جفنيه بعجز لتردف هي بنفس النبرة :

_ليه ما طمنتينيش؟! ليه سبتني أتحرق لوحدي وانت واقف تتفرج عليا بس بتقوللي إني صعبانة عليك..لا كتر خيرك !




_ما تبقيش ظالمة يا سها ! انتِ عارفة إني

م الأول مكنتش راضي عن الجوازة دي .

_بس رضيت ! وافقت تاخد وما تديش .

_ما انتِ كمان رضيتِ!

_عشانك!

_لا عشان نفسك ..عشان تفضلي حاسة إن الدنيا كلها في إيدك ..انتِ اللي هتختاري كل حاجة وتمشيها بمزاجك .

يهتف بها بثورة تشبه ثورتها لتتجمد ملامحها للحظات غير قادرة على إنكار أنه قد أصاب بعض الحقيقة ..

لكن أخذتها العزة بالإثم لتحرر نفسها من بين ذراعيه وهي تبتعد بخطواتها قائلة :

_بقا كده ؟! آخرتها شايفني كده ؟! خلاص ..أنا ما أرضالكش تفضل مع واحدة متسلطة وقاسية زيي .





فيزفر بقوة ليعاود الاقتراب منها قابضاً على ذراعيها بكفيه هاتفاً بعصبية:

_ارحميني وارحمي نفسك بقا ..بتكابري ليه ؟! احنا الاتنين غلطنا وعندنا فرصة نصلح غلطنا ..

_أبداً ..أبداً ..مش هنسى اللي خلتني أحس بيه ليلتها وانت سايبني عشان تروح لواحدة غيري ..لو بموت..لو بموت مش هارجعلك تاني يا ناصر .

تهتف بها بعناد قاسٍ اصطبغ بجرحها لتقسو ملامحه وهو يضغط ذراعيها بقبضتيه أكثر هامساً من بين أسنانه :

_وأنا مش هاسيبك يا سها ..وافهميها زي ما انتِ عايزة .





عيناهما تتلاقيان للحظات توقف العشق فيها حائراً بين قسوة وعناد ..

قبل أن تتراخى قبضتاه حول ذراعيها ليقتنص منها نظرة أخيرة قبل أن يعطيها ظهره ليغادر الغرفة مقاوماً كل ذرة في جسده تستصرخه أن يبقى !

ولم يكد يختفي عن ناظريها حتى انهارت ساقاها فجأة لتسقط على الأرض كأنما ذهب كل ما كانت تدعيه من قوة أدراج الرياح ..

تتأوه بخفوت وهي تشعر بأحد شظايا الكوب الذي كسرته يصيب ذراعها لينزف منه الدم ..

لكنها تتأمله بنظرات زائغة كأنها لا تأبه ..

أعماقها الثائرة تصرخ بشعورها بالغدر ..

كيف يظن الأمر بهذه البساطة ؟!

كيف يظنها ستعود إليه ؟!

هي فقدت أمانها معه ..

هل بعد فقدان الأمان عيش؟!





يزعم أنه لن يتركها ..

حسناً!

ستذيقه نفس الكأس الذي أذاقها إياه ..

ربما ساعتها فقط قد تسامحه على ما فعله بها ..

تنهض من جلستها متعثرة بجسد ليس أكثر قوة من عقلها في هذه اللحظة وهي تترنح لتتناول هاتفها وتتصل برقم ما ..

ولم تكد تسمع صوته حتى قالت بصوت ارتجفت حروفه:

_سامر ..أنا عايزة أشوفك.

=======

انتهى الفصل الخامس والعشرون





القطعة السادسة والعشرون

==========

_كذبت عليها ليه ؟!

تسأله ياقوت بإشفاق وهي تخاطبه عبر الهاتف بعدما أخبرها بما كان ..ليرد هيثم بنبرة بائسة :

_ما قدرتش ..ما قدرتش أكسرها ..

ثم صمت لحظة ليردف بنبرة أكثر خفوتاً :

_وأخسرها!

دمعت عيناها بتفهم لحالتهما التي تدرك مدى تعقيدها ..لكنها ردت بما يمليه عليه ضميرها:

_شهد بتحبك بجد ..اللي عملته في حسين رجائي كان بره حسابات قلبها ..كانت بتاخد حق قريبتها وكل اللي زيها ..بس لما قربت منك أكتر ماقدرتش تمنع نفسها إنها تحلم بيك ..يمكن عشان كده كانت أكتر واحدة وقفت جنبك في محنتك الأيام اللي فاتت ..كانت بتقوللي إنها عايزة تلحق أي لحظة





ممكن تعيشها معاك ..قبل ما ذاكرتك ترجع لك وتسيبها .

زفرته تصلها حارقة ليسودهما صمت قصير سبق هتافه الحاد :

_طبعاً هاسيبها ..إزاي ممكن أكمل معاها ؟! أقدمها لأمي وأقوللها إيه ؟! أقوللها دي البنت اللي بابا كان بيخونك معاها ؟! أبص في وشها إزاي وأنا عارف إن بابا كان ..كان ..

صوته ينقطع في أذنيها لتسمع صوت شيئ ما يتكسر جواره فتهتف به بانفعال:

_اهدا يا هيثم ..كلام التليفون ده مش هينفع ..أنا هاجيلك .

لكنه يهتف بها محاولاً التماسك :

_أنا كويس ..ما تقلقيش .

فتنهدت بحرارة لتعاود سؤاله بحذر قلق:





_ولما انت هاتسيبها قاعد عندك ليه ؟!

صمته يطول هذه المرة قبل أن يرد بنبرة مرتجفة :

_أنا حاسس إني مخبوط على دماغي ..لسه مش متوازن ..كل حاجة في عينيا متشوشة ..بس معاها هي بس بحس إني مطمن ..إني عارف نفسي ..مش عارفها بس ..لا ..ده أنا بحبها الحب اللي بشوفه في عينيها ..إزاي أسيبها بس؟!
وإزاي ..إزاي ما أسيبهاش؟!

هنا كان دورها لتنحي عاطفتها الأخوية وترتدي قناع مهنيتها لتقول له بحزم :

_ده القرار اللي محدش هياخده بدالك يا هيثم ..أسوأ حاجة ممكن تعملها دلوقت إنك تفضل واقف في النص بترقص ع السلم زي ما بيقولوا ..اختار إنك تسيبها ومحدش هيلومك بس كمل حياتك بعدها ..أو اختار إنك تفضل معاها





وبرضه محدش له إنه يقوللك ليه وإزاي بس تبقى انت قادر تنسى اللي فات .

_أنا محتاج وقت ..وقت أفضل فيه جنبها وأقدر أحكم كويس أنا هاقدر أكمل واللا لأ ..بس من غير ما هي تعرف إني رجعت لي ذاكرتي .

يقولها بنفس النبرة البائسة لترد هي باستحسان :

_ممتاز ..ده قرار كويس ..أوعدك إن ده يفضل سر بيننا ومحدش هيعرفه ..ماعدا إسلام ..مش هاقدر أخبي عليه صراحة خصوصاً إني عارفة الخبر ده هيفرحه أد إيه لأنه كان قلقان عليك طول الفترة اللي فاتت .

يمنحها موافقته لتبتسم وهي تغلق معه

الاتصال قبل أن تشرد ببصرها في الفراغ أمامها ..

تتمنى بحق لو يستطيع أخوها أن يتجاوز هذه العثرة في طريقه مع شهد ..أن يختار الحب ويعيش له ..

لكنها تعلم أن الأمور لا تسير بهذه





"الأفلاطونية" ..وأن الواقع المؤلم يحمل لهما شارة النهاية على قارعة الطريق ..

تماماً ..مثلها ومثل زين !!

الحب وحده هاهنا لا يكفي !!

هاهو ذا منذ عودته من القرية لم تسمع عنه خبراً ..

همسة هاتفتها لتخبرها أن موعد زفافها على رائد بعد أيام ..

وطمأنتها أن زين قد عاد للعمل وللبدء في مشروعه الخيري الخاص .وهذا كل ما استطاعت معرفته عنه ..

معقول؟!

هل يمكن أن تنتهي قصتهما هاهنا ؟!

أخته قد تعافت ..وهو قد عاد لحياته ..فما صار لأحدهما دور في حياة صاحبه ؟!

مسافران التقيا في قطاريين متوازيين ..





لوّح كل منهما للآخر عند توقف القطارين لكن لن يلبث أحدهما أن يمضي في طريقه و..ينسى الآخر !

دمعة حزينة تغشي عينها فتمد أناملها تتحسس قرطه في أذنيها ببعض الحسرة ..

لتتنهد بعدها بحرارة وهي تضغط زر

الاتصال بمساعدتها :

_لسه فيه حالات ؟!

_واحدة بس!

_خلليها تدخل .

تقولها لتأخذ نفساً عميقاً وهي تتلفت نحو الباب ..

تتمنى لو يكون هو ..

لكن آمالها تتلاشى وهي ترى الحالة امرأة !

تكتم خيبتها بابتسامة ذابلة وهي تستقبل مريضتها لتعاود ارتداء قناع مهنيتها الذي لم يخذلها يوماً ..ولن يفعل!!





وفي غرفته أغلق هيثم معها الاتصال ليطرق برأسه في يأس يفكر ..

صوت طرقاتها الذي يعرفه على الباب يلون ملامحه العابسة بابتسامة لا يملكها..

فينهض ليفتحه وقلبه يكاد يقفز منه إليها ..

_صباح الخير ..معقول نايم لحد دلوقت؟!

مرحها الممتزج ببراءة شهية يزيد من عمق ابتسامته وهو يخرج إليها ليومئ لها برأسه فتضحك وهي تزيح خصلة من شعرها للوراء قائلة :

_ماما عازماك ع الغدا معانا ..ياللا اتفضل .

يحاول الرفض بحرج لكنها تجذبه من كفه هاتفة بإصرار:

_مفيش حجج ..أنا طالع روحي م الصبح في المطبخ .





_بتعرفي تطبخي؟!

يسألها مراوغاً لتبتسم وهي تسير معه قائلة :

_على أدي يعني ..

ثم تصمت لحظة لتردف بنبرة حالمة :

_حلمت بيك امبارح ..كنت زي القمر ..

فيتنهد بأسى وكلماتها تعيده لذروة صراعه بشأنها
لكنه يحاول مجاراتها :

_حلمتِ بإيه ؟!

_كنا بنعوم سوا ..والشمس
ورانا ..وفرحانين ..وبعدها فجأة ..قرص الشمس
بقا قدامنا ..دورت عليك جنبي مالقتكش ..

دمعت عيناها عفوياً مع كلماتها الأخيرة لتصادف
دمعة شبيهة في عينيه لكنه تنحنح ليعاود سؤالها
بنبرة متحشرجة :

_وبعدين ؟!

فتوقفت مكانها لتهز كتفيها قائلة :

_صحيت !





ثم لكزته في كتفه بقبضتها هاتفة بمرح مصطنع:

_سبتني ورحت فين ؟! ها ..قول!

يضحك هو الآخر بتكلف ليتنهد وهو يبسط كفيه مشيراً حوله ويرد بنفس النبرة المراوغة :

_هروح فين بس ؟! ما أنا هنا أهه !

تنظر إليه للحظات كأنها تملأ عينيها من صورته قبل أن تسأله وهي تتفحص

ملامحه بخبرتها السابقة عنه :

_مالك النهاردة ؟! حاساك متغير .

_زهقان بس ..مش لاقي حاجة أعملها !

يقولها وهو يحيد ببصره عنها ليهبط الدرج هارباً من نظراتها التي تزيد وهنه ..فتلحق به هاتفة بحماس:

_تشتغل معايا ؟! ممكن أكلم لك صاحب المحل!

_هاشتغل إيه ؟!





يسألها بعدم اكتراث وهو مستمر في هبوط الدرج لترد وهي تسبقه لتقف أمامه هاتفة بنفس الحماس:

_تقعد ع "الكاشير" ..

شغلانة سهلة ..هتشوف وشوش كتير وتغير جو ..وكمان تجرب تشتغل وتكسب ..هو المرتب مش كبير بس صدقني هتتبسط ..وكمان هنبقى مع بعض طول اليوم ..إيه رأيك ؟!

يرمقها بنظرة حائرة وهو لا يدري بماذا يرد ..

هل ينقصه المزيد من التخبط في متاهاتها ؟!

إنه -بالكاد- يتماسك في دقائق قربها القليلة ..فماذا لو زادت ؟!

_عشان خاطري وافق ..عشان خاطري يا هيثم !





ورغماً عنه يجد نفسه يشير لها برأسه موافقاً فتطلق صفيراً قصيراً قبل أن تصفق بكفيها هاتفة بصوت مرتفع:

_الله عليك ..الله عليك ..الله عليك .

فيبتسم وهو يتلفت حوله هاتفاً :

_اعقلي يا شوشو احنا ع السلم .

_شوشو!

تهمس بها بصدمة وعيناها تتسعان بارتياع بينما قدماها تتراجعان للخلف خطوة فتتعثر على السلم لكنه يمسك بها بذراعيه ليقربها منه دون قصد فترتجف نظراتها مع ملامحها الشاحبة وهي تحاول البحث في ملامحه عما يطمئنها ..

نظراته هو الآخر تتجول فوق ملامحها بمزيج من يأس وإشفاق ..وغضب!





غضب لم يملكه وهو يحررها من بين ذراعيه ليشيح بوجهه عن مرأى الدموع التي تجمعت في عينيها ..

والسؤال اللعين يفرض نفسه على تفكيره ..

هل أمسكها يوماً أبوه هكذا ؟!

ما الذي حدث بينهما بالضبط ؟!

_ما لمسنيش!

يسمعها بصوتها كما قالتها له في اعترافها ذاك اليوم بالمطعم قبل الحادث ..

تكاد حروفها تقطر صدقاً ..لكنه لا يملك أن ينفي الاحتمال الآخر !

_هيثم !

همستها التي تلاحقت بها أنفاسها تنتزعه من شروده فيغلب إشفاقه عليها كل ما عداه ..





ابتسامة مصطنعة ترتسم على شفتيه وهو يدعي البراءة بسؤاله :

_مالك اتخضيتي كده ليه ؟!

_انت ..قلتلي ..شوشو ؟!

يغمض عينيه عن مظهرها المرتعب وهذه الدموع التي تكاد تسيل من عينيها ليغتصب ضحكة مفتعلة مع رده :

_مش اسمك شهد ؟! هدلعك إيه يعني ؟! لو مش عاجبك ننقي اسم تاني ..بس ده اللي جه في بالي .

بعض الارتياح يكسو ملامحها ويزداد مع الابتسامة التي أجاد اصطناعها ..

قبل أن يشير للأسفل هاتفاً بنبرة محذرة :

_اتأخرنا ومامتك هتقلق .





فتشهق وهي تنتبه لصحة ما يقول فتركض على السلم لتسبقه نحو الأسفل تاركة إياه خلفها يتأوه بخفوت وهو يحيط رأسه بكفيه ..

عذابه مقسم بين رأسه و خفايا ضلوعه ..

فأين المفر؟!

======

_تمت المهمة !

يهتف بها إسلام بظفر وهو يرفع أكياس مشترياتهما من ذاك السوق التجاري الفخم أمام عينيها بينما يقف في غرفتها ببيتها في العاصمة ..

فتمصمص شفتيها لتقول بمكابرة وهي تلوح بسبابتها في وجهه :

_أنا هاودتك بس لما أشوف آخرها ..لكن لعلمك ..أنا من أشيك تلات ستات في مصر !

_بس بقا ..بس بقا !





يهتف بها بنفاد صبر وهو يخبطها على مؤخرة رأسها قبل أن يتحرك ليضع

الأكياس جانباً ثم يفتح خزانة ملابسها قائلاً بغيظ :

_المفروض نحتفل بيوم نسف الدولاب ده زي خط بارليف بالظبط !

_هتعمل إيه ؟!

تسأله بحذر وهي تقترب منه لتراه يستخرج كل ملابسها منه ليلقيها أرضاً واحداً تلو الآخر فتشهق بارتياع هاتفة :

_مش هارميهم ..سيبهم للذكرى طيب!

_ذكرى؟!! يا ماما دي كوابيس مش ذكريات أبداً ..

ثم انحنى يلتقط أحدها بين سبابته وإبهامه ليهتف وهو يرفعه باشمئزاز أمام عينيها :

_ده إيه ده ؟! جالك قلب تشتريه إزاي ده ؟! اسمه إيه اللون ده أصلاً ؟!

_ده بطيخي !





تقولها بفخر وهي تتناول منه الثوب تحتضنه بين ذراعيها مردفة :

_حضرت به حفل التخرج بتاعي ..كانت عينين الدفعة هتطلع عليه !!

_ما هي لازم تطلع يا ماما ..

لازم تطلع ..وده إيه اللون ده كمان ؟!

_ده مشمشي !!

تقولها من بين أسنانها مشيرة للقميص الذي ألقاه هو جانباً بنفس الاشمئزاز ..

ليلتقط سترة ما فيرفعها أمام عينيها من جديد هاتفاً :

_وده ؟!

تنفرج شفتاها تهم بالرد لكنه يكمم شفتيها براحته هاتفاً بتهكم مغتاظ :





_برتقاني! واضحة يعني ! منك لله يا شيخة مش طول عمري بحب الفاكهة ؟! كرهتها!

تضحك بانطلاق وهي تحرر وجهها منه لتهتف وهي تنحني لتجمع الملابس :

_مش للدرجة دي يعني ..

ثم ترفع رأسها مقلدة مشهداً شهيراً في فيلم عربي معروف:

_دي آراااااء ..آراااااااء!

_ده ابتلاء يا ماما ..ابتلاااااء!

يقولها وهو يخبطها من جديد على مؤخرة رأسها لتضحك وهي تضع ما بيدها جانباً فتراه يعلق لها ملابسها الجديدة بنفسه في الخزانة ..

فيختلج قلبها بهذا الشعور الذي افتقدته عمراً ..

أن يكون لها رجلٌ يهتم لأمرها هذا الحد !!





رغم قصر مدة تعارفهما لكنها قابلته بعمق احتياجها طوال هذه السنوات ..احتياجها لأخ ..سند ..تدرك أنه لن يخذلها أبداً ..

تلتمع عيناها بحنان ممتزج بالشجن وهي تقترب منه لتربت على ظهره قائلة بامتنان :

_شكراً .

فيبتسم وهو يقرأ مشاعرها في عينيها ليقول بحنان ممتزج بمرحه :

_بس يا بنت عيب ..مفيش بيننا الحاجات دي!

تبتسم وهي تسند رأسها على كتفه للحظات فيربت على ظهرها قبل أن يقول لها بهدوء:

_زين لازم يحس إنك راسك براسه ..لازم يتعب عشان يوصللك ..يشوف الناس بتبص لك إزاي ..لو كان فاكر إنه هيتعطف ويتفضل وينزل من برجه العالي عشان يكون الأمير اللي خد بنت الغفير يبقى يروح يلعب بعيد ..أنا أختي نجمة في السما تتاقل بالدهب .





ابتسامتها تتسع وهي تشعر بالمزيد من
الامتنان له ..

كلامه يضغط على عقدتها القديمة فتتنهد بعمق
ليردف وهو يغلق الخزانة ليستند عليها بظهره :

_عندي ليكِ حالة لو نجحتِ معاها وربنا كتب لها
الشفا على إيديكي هتبقى نقلة كبيرة قوي ..

تنظر إليه باهتمام ليستطرد وهو يحيط كتفها
بذراعه ليتحرك بها خارجين من الغرفة قائلاً :

_فاكرة بنت "..." اللي اتخطفت من كام شهر
والدنيا اتقلبت ساعتها وعملوها قضية رأي عام ؟!
البنت دي من ساعتها فاقدة النطق وحالتها
صعبة ..أبوها راجل مش قليل وقالب الدنيا ومحمل
الحكومة سبب اللي حصل لبنته ..وانتِ عارفة
الهاشتاجات على تويتر دلوقت بتعمل شغل ..أخو
البنت صاحبي ..لما قاللي قلت له يجيبها عندنا
المركز ..

ثم صمت لحظة ليردف بيقين :




_أنا واثق فيكِ ..وعارف إنك هترفعي راسي ..غير إنها حالة إنسانية لكن نجاحك معاها بالذات هيرفع اسمك فوق قوي .

كلماته تذكي طبيعتها العملية فتسأله عن التفاصيل باهتمام ولم يكد يمنحها إياها حتى هتفت بتردد :

_ممكن أحتاج سامر معايا ..أعتقد إن له خبرة سابقة في حالة زي دي.

_جميل ..كلميه وظبطوا سوا ..صاحبي هيجيلك معاها الصبح المركز .

يقولها باستحسان لتبتسم له ثم تسأله بتردد :

_عامل إيه مع نشوى؟!

فيمط شفتيه باستياء ليتنهد بضيق وهو يشيح بوجهه مع جوابه وهو يحكي لها عن تغير أحوالها المفاجئ منذ رجوعهما من القرية..

لتفكر للحظات قبل أن تقول بحذر:





_تغيير زي ده مايجيش غير بحاجة من اتنين ..إما إنك جرحتها بحاجة تخص موضوع ناصر ..وإما ..

تقطع عبارتها بتردد ليستنطقها بنظرة قلقة جعلتها تكمل استنتاجها:

_أو لسة بتتابع أخباره وشافت حاجة كسرتها أكتر من موضوع الفرح .

الغضب يكسو ملامحه للحظات قبل أن يهز رأسه ليقول بانفعال:

_لا لا ..مستحيل نشوى تعمل كده ..دي لو شافته هتكسر دماغه .

_ده اللي باين لنا .

تقولها ببعض الإشفاق لتردف :

_اوعدني تبقى متفهم عشان أقدر أكمل .

ضم قبضته بقوة يكتم غضبه من هذا الحديث الذي يجرح في رجولته ..





لكنه تحمله صابراً وهو يشير لها برأسه أن تكمل :

_انت متخيل الحب اللي يخللي ست زي نشوى تقبل تكون زوجة تانية لناصر

بالظروف اللي عرفتها ده يبقى حب شكله إيه ؟!
ده هوَس مش حب ..نشوى مش هتنساه في يوم وليلة ..هتفضل مرارة إنه خذلها شايلاها لحد ما تلاقي الحب اللي ينسيها وده مش هيكون

بالساهل كده ..انت ما بتحاربش راجل في قلبها ..انت بتحارب حلم عمر كبرت بيه وزاد هوسها بيه بعد فشلها مع جوزها الأولاني ..لو شخصية منفتحة كان ممكن تتقبل ده أسهل لكن شخصية زيها انطوائية قافلة على نفسها مش شايفة غير الفكرة اللي عقلها
مصدرهالها ..سامحني لو قلتلك ..نشوى لحد دلوقت مش شايفاك ..ماينفعش تشوفك ..عينيها لسة متغمية بالغشاوة القديمة ..مهما صرخت إنها خلاص كرهت ناصر بعد اللي عمله هاقوللك كذابة ..نشوى مش هتكرهه إلا لما تفهم إنها أصلاً




ماحبتوش ..إنه كان وهم في خيالها غذته قلة ثقتها في نفسها والخذلان اللي شافته منه ومن جوزها بعده ..

_والحل؟!

يسألها بقنوط لترد وهي تربت على كتفه :

_ده امتحانكم الحقيقي ..اصبر عليها يا إسلام ..ما تستعجلهاش في أي خطوة ..واوعى مهما حصل تبعد عنها ..نشوى محتاجة إيد تمسك إيدها عشان تعدي النفق الضلمة ده ..يوم ورا يوم الغشاوة اللي على عينها هتتزاح ..ساعتها هتشوفك ..

هتشوف إيدك ماسكة إيدها ..

وقتها هتلاقي معاك حبها الحقيقي وتعرف الفرق بينه وبين الوهم اللي ضيعها سنين .

========

_صباح الخير يا آينشتاين ..جاي في وقتك .





تقولها ياقوت بعفوية وهي تنظر إليه يدخل من باب غرفتها في المركز ليرمقها بنظرة غريبة لم تفهمها ..

قبل أن يتحرك ليجلس على الكرسي أمام مكتبها قائلاً بنبرة خاوية :

_خير ؟!

_مالك يا سامر؟!

تسأله بنبرة أكثر اهتماماً هذه المرة وهي تميز ذقنه النامية ومظهره المهمل ليعدل وضع نظارته فوق أنفه قائلاً بتهكم مرير:

_عايش اهه ..زي الفل .

ثم يرفع بصره إليها متفحصاً أناقتها الجديدة على عينيه بمظهرها المستحدث الذي أضفى عليها سحراً خاصاً ..





سترتها السماوية بلونها الفاتح مع قميص أبيض ووشاح بنفس اللون ..مظهر غريب تماماً عن ألوانها الفاقعة التي اعتادت ارتداءها ..

_شكلك حلو النهارده .

تبتسم دون خجل وهي تتقبل عبارته العفوية كمجاملة أخوية لتهتف به بحماس:

_تُشكر يا ذوق ..ركز معايا بقا كده عشان الحالة الجديدة اللي وصلت محتاجة دماغ صاحي ..عن نفسي متحمسة جداً ..وحاسة إنك هتساعدني نوصل بيها بر الأمان ..مبدئياً كده التشخيص لازم نحدده الأول صح ..بس ده صعب لأن الأعراض متداخلة ..هنحط احتمالات ونمشي ورا كل واحد لوحده ..سامر ..سامر ..انت سامعني ؟!





لكنه كان غارقاً في شروده ونقشٌ في سجادة
الغرفة يشبه شكل الخنجر يسحبه لذكرى تلك
المكالمة الهاتفية التي تلقاها من سها ..

فرحته وهو يسمع صوتها لأول وهلة قبل أن يفاجأ
بما تريده منه ..

_مش فاهم ..يعني انتِ عايزاه يطلقك ؟!

_عايزاه يحس إنه خسرني ..إني ممكن أفكر في
غيره زي ما هو فكر في غيري .

_وأنا دوري إيه في القصة دي؟!

_عايزاك تساعدني نفهمه إننا قريبين من
بعض ..نخرج سوا ..نتصور سوا ..هو رافض
يطلقني ..فاكر إني ممكن أعديله اللي عمله ..بس
لازم أدوقه نفس الجرح اللي جرحهولي ..لازم
يحس إني ممكن ببساطة ألاقي بديل .





_بعد كل السنين دي يا سها ؟! مالقيتيش غيري أنا تقوليله كده ؟!

_سامر..سامر انت كويس؟!

صوت ياقوت ينتزعه من شروده ليلتفت نحوها بحدة فتنتبه لعينيه الدامعتين خلف زجاج نظارته ..

_شكلك تعبان ..نأجل كلامنا لبعدين .

تقولها مشفقة لكنه يبتسم ابتسامة منهكة وهو يعيد رأسه للوراء يسنده على ظهر الكرسي بحركته المعهودة ليتنهد بحرارة قائلاً:

_مالوش لازمة التأجيل ..شكلي هافضل طول عمري تعبان .

ترمقه بنظرة متفحصة للحظات قبل أن يلهمها ذكاؤها لتسأله :

_الحكاية فيها سها؟!





تلتوي شفتاه بشبه ابتسامة ومجرد الاسم يعيد إغماد الخنجر في صدره ..

بعد هذه السنوات ..

تأتيه لتجرحه بنفس الطريقة ..

تثبت له أنه ليس في حياتها أكثر من طيف غير مرئي!!

ماذا يحكي عن صدمته فيها؟!

عن مفاجأته بهذا الوجه الأسود لها تحت قناع ملائكيتها الذي طالما عشقه فيها ؟!

عن شعوره أنه بعد هذه السنوات ..لم يكن يعرفها حقاً !!

هل تغيرت إلى هذا الحد ؟!

هل يمكن أن يشوهنا الوجع حد أن يطمس ملامحنا ؟!

يتنهد بحرارة وهو يرفع إليها عينين نصف مغمضتين في جلسته هذه ليسألها :





_ممكن تعتبريني حالة لمدة خمس دقايق ..بثق في رأيك يا دكتور ؟!

تبتسم بإشفاق وهي تومئ له برأسها فيغمض عينيه ليحكي لها عما كان ..

عن صدمته بما طلبته منه هو بالذات ..

عن خيبة أمله فيها بعد كل هذه السنوات ..

عن غضبه ..خوفه منها ..وعليها ..

عن حيرته وهو يصطدم بوجهها ذاك لأول مرة ..

_عمري ما اتخيلتها كده ..طول عمري شايفها ملاك ما بتغلطش ..حتى موقفها مع ناصر ماغلّطتهاش فيه ..قلت هي دي سها ..بتضحي عشان غيرها يفرح ..لكن ..لكن فجأة لقيتني قدام واحدة تانية ..واحدة كل اللي يهمها نفسها وبس ..مش شايفة غير جرحها هي وبس ..





فترد وهي تحرك أناملها فوق المكتب :

_عندنا مثلث خطير ..سها ونشوى وناصر ..التلاتة ماحدش رضي

باللي في إيده وجري يدور ع اللي في إيد التاني ..وفي ليلة الفرح ..قلم واحد يفوقهم هم التلاتة ويخسرهم الحاجة اللي طمعوا فيها ..عندنا اتنين اعترفوا بغلطهم وندموا ..نشوى وناصر ..لكن سها لسه عايشة في دور الضحية ..رافضة تعترف إنها حتى غلطت ..عايزة تكمل المسرحية اللي بدأتها بدور التضحية ..فتنهيها بدور المنتقمة ..المنتقمة لإيه ؟! لذنب هي أصلاً كانت مشاركة فيه !!

كانت تتحدث وهي ترسم على الورقة أمامها شكلاً لمثلث تشرح عليه ما تحكي عنه ..

لتشرد نظراته في حركة أناملها مستعيداً حديثه مع أمه بالأمس :





_قلتلك وانت ما سمعتش كلامي!

_هو أنا بحكيلك عشان تبكّتيني يامّه؟!

_أنا بفوقك يابني ..يصعب عليا تضيع اللي باقي من عمرك في وهم ..كفاية اللي فات !

_هي الحكاية سهلة كده ؟!

_مش سهلة ..بس انت اسعى ..اسمع كلامي يابني وريّح قلبي ..مش هتنساها غير بستّ تانية تملا قلبك وتستاهله .

_ست تانية !

_انت مشيت ورا قلبك سنين ..اختار بعقلك المرة دي ..قلت لي الدكتورة زميلتك في المركز دي اسمها إيه ؟! الحلوة أم عيون خضرا؟!

_ياقوت!!!





_اسم الله عليك ..هي ياقوت دي ..دخلت قلبي من يوم ما شفتها ..وشكلها على أدنا ومن توبنا ..قلت إيه ؟!

_هتسرح تاني ؟!

صوت ياقوت ينتزعه من شروده فيرفع إليها عينيه بنظرة متفحصة مع اعتذاره :

_آسف ..كنتِ بتقولي إيه ؟!

_كنت بقول إن ده بالظبط اللي انت كنت محتاجه ..صدمتك فيها ..جه الوقت اللي تعترف فيه إنك حبيت صورتها اللي رسمتها في خيالك ..وإنك طول السنين دي محبوس في وهم ..رفض والدها خللى عقدة نقص تكبر جواك ..وانت غذيتها أكتر برغبتك إنك تنجح بس عشان تثبت نفسك قدامها !




_مممم ..يعني الدكتور النفسي طلع عقد في الآخر ؟!

يقولها بتهكمه المعهود فتتذكر عبارة مشابهة قالتها لزين يوماً ..

هذا الذي يلون ملامحها بالحزن من جديد لتغمغم بفتور:

_كلنا بنضعف في لحظة وبنحتاج اللي ياخد بإيدنا.

_الست حلاوة بتقوللي أخطب عشان أنسى ..أنا أسمع عن اللي بيشرب عشان ينسى لكن يخطب دي ..جديدة !

يقولها متصنعاً المرح لتخرج مشبعة بمرارته فتعدل وضع نظارتها على أنفها لترد بنبرة مهنية :




_أنا مش من أنصار إن حد يدخل في تجربة ولسه في ديول من تجربة سابقة ..لكن في حالتك بقول يمكن هو ده الحل .

_اشمعنا؟!

_عشان تعرف الفرق بين الوهم والحقيقة ..بين إحساس حقيقي ملموس قدامك وخيال مريض

مالوش وجود ..بين تجربة جديدة تعيشها بمغامرتها وبين فيلم قديم ممل دماغك بيعيده كل يوم ع الفاضي ..عمرك ما هتميز الأسود إلا لو شفت جنبه لون تاني .

تقولها ناصحة بإخلاص ليبتسم وهو يعتدل برأسه قائلاً :

_يعني انتِ من رأي الست حلاوة ؟! أختار بعقلي المرة دي!

_جرب!

تقولها مشجعة ليعاود سؤالها بينما يتفحص ملامحها بنظرة غريبة عن عينيها هذه المرة :

_وذنبها إيه الغلبانة اللي هاختارها ؟!





_صارحها بكل حاجة في الأول عشان ما تغشهاش ..ولو عقلها كبير هتساعدك ..أنا واثقة إنك يوم ما تقابل الحب الحقيقي هتنسى الوهم القديم .

تقولها بحرارة شاعرة بالأسى الحقيقي من أجله خاصة وهي تراه "الصورة الرجولية" من نشوى ..

ربما لهذا نصحته بما تتمنى لو تقوله لها هي!!

لكن صدمتها كانت بالغة وهي تراه ينحني بجذعه نحوها لتلتمع عيناه بنظرة دافئة ناسبت كلماته:

_ده يشجعني أكلمك في الموضوع ..أنا عايز أتقدم لك إنتِ!

=======

_شكلك تعبانة !





يقولها إسلام مشفقاً وهو يراقب ملامحها الشاحبة بعد عودتهما من المصنع ..

ولا تزال حالتها العجيبة مسيطرة عليها ببرودة تنذر بانفجار ناري وشيك :

_أنا كويسة ..شكراً .

تقولها لترتجف شفتاها بشبه ابتسامة مع استطرادها وهي تتحاشى نظراته :

_ما تخافش مش هأجل معادنا مع عمو علاء ..عارفة إنه مهم عندك .

هل حمل برودها نكهة المرارة الساخرة ؟! أم أنه فقط يهيأ إليه ؟!

تقدم نحوها ليحتضن وجهها براحتيه لكنها كانت تهرب من لقاء عينيه باستماتة ..

فقط شفتاها كانتا ترتجفان كأنها على وشك البكاء مع كلماتها المتسارعة بلهاث بدا كالهذيان :




_ما تقلقش ..شكلي هيبقى كويس ..مش مرهق ولا حاجة ..الماكياج بيداري كل..

_نشوى!

همس بها بقلق هو للرعب أقرب وهو يشعر بأنه حقاً يفقدها !!

إنها تهرب من كل شيئ حتى نفسها !

أشرف علق له بمثل هذا صباحاً عندما اختلى به ليخبره عن قلقه بشأنها إذ أنها تكاد تهلك نفسها في العمل دون راحة ..

تقوم بثلاثة أضعاف الجهد الذي كانت تبذله من قبل ..

ولا يرى مبرراً لهذا سوى أنها حقاً تريد الهرب من نفسها ..

ولو نظر بداخلها لأيقن أنها الحقيقة ..





هي لم تعد تريد أي شيئ سوى الخلاص من هذا الألم الذي يسكنها كلما نظرت لمرآتها فلا تجد سوى "ثمرة فاسدة" زهدها الرائي فبقيت ملقاة على قارعة الطريق ..

لماذا تلوم ناصر إذا خذلها ؟!

كلهم فعلوها بعده !!

العيب لم يكن فيه ..بل فيها هي !!

_برضه مش هتقوليلي مالك؟! انتِ كنتِ بتحكيلي !

يهمس بها بما يشبه الرجاء وهو يقترب بوجهه منها أكثر بينما عناق أنامله لوجهها يزداد دفئاً ..

لكنها تغمض عينيها عن دموع تأبى أن تسقط ..

فيحاول مشاكستها بطبعه المرح لعله يستعيد طبيعتها الشوكية للحظات :

_إيه؟! خايفة أتكلم جد ؟!





شفتاه تغازلان شفتيها للحظات لكنه يصطدم ببرودتها الغريبة عنه ..

فيعاود الابتعاد عنها ليرمقها بنفس النظرة القلقة وهو يكاد يهم بسؤال جديد لولا أن صدح صوت ريما خلفه من خارج الغرفة :

_يالا نشوف الفيلم ..أنا مستنياكم .

_حاضر .

تسبقه نشوى لقولها فيهمس لها :

_لو تعبانة نامي شوية قبل ما ننزل .

لكنها وجدت بعض القوة أخيراً لترفع إليه عينيها قائلة بنفس النبرة الميتة :

_مش قلتلك ما تقلقش ..شكلي هيبقى كويس .

تقولها وهي تفكر أن قلقه -بالتأكيد- ليس لأجلها هي ..بل لأجل أن تبدو صورتها جيدة في عيونهم ..وبالتحديد في عيني غادة ..





يريد أن تظهر هي بالمظهر المناسب للدور الذي اختاره لها ..

ولن تخذله !

أجل ..هي تدفع ثمن سعادة ابنتها ولو مؤقتة !

يراقبها بالمزيد من القلق وهو يراها تتحرك بخطوات ميتة لتتوجه نحو

الأريكة هناك حيث جلست لتحتضن ريما شاردة العينين زائغة النظرات..

فزفر بقوة ليتوجه إليهما قبل أن يفرق جلستهما ليتخذ هو مكانه في المنتصف ويبسط ذراعيه فوقهما ..

توقع منها اعتراضاً أو تشنجاً في البداية كالمرة السابقة ..

لكنها كانت مستسلمة تماماً كميتة بلا شعور ..




تعليقات ريما الضاحكة تصل لمسامعه لكنه كان يرد بضحكات مصطنعة وذهنه كله منشغلٌ بهذه التي تبدو الآن أقرب ما تكون من قلبه ..

لكنه يشعر أنها أبعد ما تكون عنه!

لقد حاول أن يخرجها من حالتها هذه بكل طريقة ..لكنها تبدو له كدمية تقطعت خيوطها فسقطت دون حراك !

الأقسى أنه يدرك أنها متعَبة ..متعبة جداً لكنها تكابر كي لا تطلب عوناً ..

ماذا عساه يصنع؟!

نزهة؟!

هل يقترح عليها السفر ؟!

سترفض ..!

من إدمانها الذي يراه حالياً للعمل هذا يوقن أنها سترفض ..لكنه ..

_مامي نامت .





تهمس بها ريما بخفوت شديد لتقطع عليه أفكاره فيحرك رأسه قليلاً ليشعر بتثاقل رأسها ..

ابتسامة حانية تطوف على شفتيه مدركاً أنها قد نامت بمجرد أن ألقت رأسها على صدره ..

ابتسامة عكرها همس ريما المشفق بعدها وكأنها هي أمها وليس العكس:

_عشان خاطري ما تصحيهاش ..هي بقالها كام يوم مش بتنام ..أنا بشوفها لما بقلق بالليل ..بتحبس نفسها في البلكونة الصغيرة وتعيط .

عقد حاجبيه بغضب فاق قلقه وهو يشعر أن هذا كان يحدث خلف ظهره ..

هل هذا هو الدعم الذي وعد نفسه أن يمنحها إياه ؟!

أين كان هو من كل هذا ؟!





لكنه ازدرد ريقه محاولاً تمالك نفسه وهو يرى ريما تتحرك ببطء حذر لتغلق التلفاز ثم تشير له بسبابتها على شفتيها كناية عن الصمت ..إشارة أخرى نحو جانب رأسها كناية عن أنها هي الأخرى ستنام ..

قبل أن تتحرك نحو غرفتها لتغلق الباب خلفها بهدوء ..

يتنهد بحرارة وهو يتحرك ليميل بها برفق للخلف كي يسند رأسها على الوسادة المجاورة ليمنحها وضعاً مريحاً أكثر محاولاً ألا يوقظها ..

عيناه تطوقان ملامحها بحنان ممتزج بعاطفته وهو ينحني فوقها بجسده ليزيح خصلات شعرها عن وجهها ..

دقيقة خلف دقيقة تمر به وهو غارق في تأمل تفاصيلها وقلبه يخفق داخله بجنون لم يعرفه لامرأة سواها ..




_لو بس تقوليلي مالك ! لو بس تسمحيلي أقرّب .

يهمس بها سراً فلا يشعر بنفسه ووجهه يقترب منها أكثر ..

يتلقف أنفاسها كالغريق فيمزجها بأنفاسه كأنه يود لو يشاركها أي شيئ ..

شفتاه تخونانه فتتمهلان بارتشاف رحيقها ..

تتوقفان قليلاً عند هذه العقدة بين جبينها حتى وهي نائمة ..!

تنحدران

لأنفها ..

وجنتيها ..ذقنها ..وأخيراً ..شفتيها ..

مرة تلو مرة تمسهما ببطء كأنه يستنطقهما البوح عن هذا الذي تخفيه ..

أنامله المرتجفة تتحرك لتداعب خصلات شعرها وهو يشعر أنه يكاد يفقد سيطرته هاهنا ..





تفتح عينيها فجأة لكنها تبدو وكأنها لم تستعد وعيها بعد ..

وأخيراً تلتقي عيناهما عبر هذا القرب الذي هربت منه طوال الوقت ..

فيرى فيهما هذه النظرة الذبيحة ..عاتبة ومذنبة !

مزيج غريب لا يدري كيف يتفق!!

لكنه لم يحرك ساكناً وقد بقي بنفس وضعه عاجزاً عن الابتعاد عنها من جديد ..

لهذا ما كادت تفتح شفتيها تهمّ بالكلام حتى أخرستها شفتاه وهو يعاود هجومه الذي لم يصطدم ببرودها هذه المرة!

أجل ..

لقد عادت تنصهر بين ذراعيه بلهفة استغربها قبل أن تثمله طرباً بعد طول جفاء الأيام السابقة ..




بضع ثوانٍ عاشها يتنعم بدفئها الفريد بين ذراعيه قبل أن يشعر بها تدفعه فجأة لتنتفض مكانها فتبسط كفها على صدرها هاتفة وسط أنفاسها اللاهثة :

_مش قادرة ..آخد.. نفسي ..

تقولها لتنهض نحو الشرفة القريبة بخطوات متعثرة فتفتحها بسرعة لتشهق شهقات متتابعة وهي تحاول سحب المزيد من الهواء لرئتها المختنقة ..بعذابها !!

تشعر بكفه على ظهرها ك"سوط" يجلدها بالمزيد من "الذنب"و"الاحتقار"..

فتفيض دموعها على وجنتيها ليطوقها بذراعيه هاتفاً بقلق:

_للدرجة دي؟! أنا آسف إني ..





لكنها تدفعه ببعض العنف لتعدو نحو الحمام القريب الذي أغلقت بابه خلفها قبل أن تنحدر بجسدها على طوله لتسقط دافنة وجهها بين ذراعيها المطوقتين لركبتيها ..

كيف تخبره ؟!

كيف تخبره أنها لم تستجب له إلا لأنها لم تكن تراه هو ؟!

كيف تخبره أنها تعشق غيره في صورته كما يعشق غيرها في صورته ؟!

كيف تخبره أنها وهي بين ذراعيه لا تشعر به هو ..بل ب"ناصر"؟!

خائنة حقيرة ..تماماً مثله ..

فكيف تلومه على ذنب سبقته إليه ؟!





أي عذاب هذا ؟!! أي عذاب!!

=======

_جامدة !

تهتف بها ريما مقلدة لهجة إسلام وهي ترى نشوى قد انتهت من زينتها المتكلفة ..

ارتدت بدلة أنيقة باللون الرمادي مع قميص باللون الوردي الذي لا تحبه ووشاح من نفس اللون ..

_صح يا بابا؟!

تسأل إسلام الذي دخل غرفة ريما لتوه ليفاجأ بتبرجها المبالغ فيه ..

يعترف أنه أخفى شحوبها تماماً لكنه أضفى عليها تصنعاً لم يعجبه ..

خاصة مع حالتها الغريبة إثر ما كان ما بينهما منذ قليل ..





_انت كمان جامد .

تهتف بها ريما بنفس النبرة مشيرة لأناقته فتختلس نشوى نظرة جانبية نحوه وهي تشعر بوخزة في قلبها لم تفهم لها سبباً ..

هل هو دوماً بهذه الوسامة الأنيقة ؟! أم أنه فقط يتهيأ لمقابلة حبيبته ؟!

هي لا تعلم !

لا تكاد تذكر شيئاً عن سابق عهدها به !!

كأنها قبل اليوم لم تره ..ك"رجل"!!

رجل؟!

نعم..رجل ليس لها ..وليست له !!

طيفٌ من غيرة -غير مبررة- يجتاحها فيحيل سابق برودها لنار ..

نار تذيب أوصالها وهي تراه -بعين خيالها- يتأنق لأخرى ..





وهي ..هي تشاركه تمثيله ؟!

لكن ..ما البديل؟؟!

هل تملك الجرأة لإبعاده عن ابنتها التي تعلقت به حد الهوس هكذا؟!

تتأوه فجأة وهي تنتبه من شرودها عندما دخلت "الماسكارا" بيدها في عينها لتلقيها جانباً هاتفة بسبّة عصبية جعلته يشعر ببعض الراحة ..

عصبيتها أفضل من قناع برودها على أي حال .

_مابتردش عليا ليه ؟! بتطنشني؟!

تسأله ريما بعتاب لينحني فيحملها هاتفاً بحنانه المرح:

_حد يطنش الحلاوة دي كلها ؟!

_أيوة ..أجمل بنوتة كيرفي في الدنيا كلها !





تهتف بها بفخر طفولي يجعله يضحك ضحكة عالية قبل أن يرفعها بين ذراعيه ليدغدغ بطنها بشفتيه بحركتهما المعهودة لتمتزج ضحكاته بضحكات الصغيرة ..

_كفاية !

هتاف نشوى العصبي يقاطع ضحكاتهما فيلتفت كلاهما نحوها لتردف بصوت متهالك :

_دماغي مصدع مش مستحملة صوت .

يرمقها إسلام بنظرة متفحصة هربت منها كعادتها وهي تهتف بريما :

_روحي البسي الشوز الجديد بتاعك .

_تأمر يا عسل !





تهتف بها ريما كعهدها المستحدث في تقليده فيغمز الصغيرة وهو ينزلها أرضاً بابتسامة هادئة لتنطلق نحو الخارج..

فيما يتحرك هو ببطء نحو نشوى التي حاولت التماسك وهي تفرد ذراعيها حولها في وضع استعراضي وبابتسامة عصبية تهتف مع شهقة انفعال:

_هه ؟! هارفع راسك ؟! دلوقت مش مهم تعبي ..مش مهم ..آه ..

كلماتها تنقطع بآهة خافتة وهي تراه يمسك معصمها فجأة ليجرها خلفه للخارج فتهتف به بعصبية :

_سيب إيدي ..انت رايح فين ؟!

لكنها تفاجأ به يدفعها للحمام القريب الذي أغلق بابه خلفهما ليفتح لها صنبور الماء هاتفاً بحزم:




_اغسلي وشك .

ملامحها تتنمر عائدة للعهد القديم لكنه يمسك مؤخرة رأسها ببعض العنف ليوجهها للحوض مردفاً بنفس الحزم الغريب على طبيعته الهزلية :

_مش هاكرر كلامي .

ترفع إليه عينيها بنظرة عنيدة رافضة فيمد أنامله ليغسل لها وجهها بنفسه ولا يزال يكبل رأسها بكفه الآخر ..

تشعر بدفقة ماء تقذف وجهها فتصرخ هاتفة :

_انت ..انت ..بتعمل كده ليه ؟! ..سيبني ..بقوللك سيبني ..





يحرر وجهها أخيراً لكن ليمسحه بالمنشفة القريبة بنفسه ببعض العنف وهو يحاول استعادة طبيعته المشاكسة :

_لسة فيه حد بيغسل وشه بصابون ؟! عايشة في العصر الحجري؟! بيت طويل عريض مافيهوش

Face wash؟

دموعها تتقافز من عينيها وهي تشعر

بالإذلال ..

الإذلال الذي محاه هو تماماً وهو يكتنف وجهها بين راحتيه ليهمس أمام عينيها بنبرة دافئة :

_مين قاللك يهمني شكلك يبقى حلو قدامهم واللا لأ ؟! اللي يهمني انك تبقي مرتاحة ..كده كده انتِ في عيني أجمل ست في الدنيا .





ابتسامة ساخرة تمتزج بخيط من الدموع سال من جانب عينيها ..

تود لو تصرخ به أنه يجيد الكذب ..

لكنها تكتم صرختها ..

كما تعودت كتم ألمها وهي تزيح كفيه عن وجهها لتنظر للمرآة فيهولها مظهرها المريع وملامحها التي امتزجت حمرة انفعالها بذبول عينيها ..

_هاكلمهم نأجل المعاد ..انتِ تعبانة النهاردة و..

_لأ ..هنروح .

تهتف بها بعصبية وهي تعدل وضع وشاحها على رأسها لتردف :

_لازم أدفع تمن اللي باخده .

_يعني إيه ؟!

يسألها بشك حائر وهو يتفحص ملامحها لتغتصب ضحكة ساخرة عصبية وهي تعود لتعدل وضع ملابسها :





_ماتشغلش بالك بتخاريفي يا باشمهندس .

_خلاص جهزت!

تهتف بها ريما خلف الباب المغلق فيكاد يصرفها بسرعة حتى يفهم من هذه الشوكية ما تفكر فيه ..

لكن نشوى فتحت الباب بسرعة لتهرول نحو الخارج هاتفة بابنتها :

_ياللا عشان ما نتأخرش ..

تقولها لتعاجل بتناول حقيبتها قبل أن تفتح باب الشقة الخارجي وتنتظره..مغلقة عليه سكة التراجع !

=======

_نورتونا يا حبيبي !

تهتف بها إيناس بترحيب وهي تجلس معهم على مائدة الطعام ليرد سيف بامتنان :





_حنانك مغرقنا في كل مكان يا "أنّا" ..هنا وفي تركيا .

_انتو ولادي .

تهتف بها بصدق حار وصوتها يرتعش بعاطفته ليرد علاء بمشاكسته المعهودة :

_فتحتها ليه يا دكتور ؟! حنفية النكد دي لما بتفتح ما بتقفلش !

_أنا حنفية نكد ؟!

_العفو! ده انت البير كله !!

يهتف بها علاء مشاكساً لتتعالى ضحكاتهم فتلتفت غادة نحو نشوى الوحيدة المتجهمة بينهم لتقول لها

بانطلاق:

_ما يغركيش جو جر الشكل ده ..عمو علاء بيموت فيها ..بس هو بس بيحب ينكشها .





تبتسم لها نشوى ابتسامة صفراء وهي تتأمل ملامحها بغيرة لا تنكرها ..

شديدة الجمال مقارنة بجمالها هي المحدود ..

هيفاء القوام ..لها هذه الروح فائضة

الأنوثة يكاد الدلال يقطر من بين حروفها حتى دون قصد ..

دمعة كبيرة تتجمع في عينيها وهي تقارنها رغماً عنها ب"سها"..

كلتاهما تستحق رجلاً يهيم بها حباً أما هي ..

فلا نصيب لها دوماً سوى الظل في خلفية الصورة ..

_انتِ جميلة قوي النهاردة ..الأحمر حلو قوي عليكِ ..

يستحضرها عقلها بصوت ناصر ..ربما هو الإطراء الوحيد الذي سمعته منه ..تراه كان صادقاً فيه ؟!





لا ..كان يكذب ..تماماً كما يفعل إسلام منذ تزوجها ..

كلاهما خدعها بطريقته كي ينال غرضه !

_ما بتاكليش ليه يا بنتي ؟!

تقولها إيناس بحنان مخاطبة إياها لتتنحنح نشوى محاولة الاندماج بابتسامة خدعتها لتكون على وجهها أقسى من ألف دمعة ..

تشعر بكف إسلام يحتضن كفها فوق المائدة فتغمض عينيها بوجع ..

تعلم لماذا يفعلها ..الآن ..

أمام غادة بالذات !!





يريد أن يبين لها إنه لم يعد يرغبها ..وأنه سيكمل طريقه مع غيرها ..

تماماً كما فعلت هي وتزوجته لأجل أن توصل نفس المعنى لناصر !

لماذا تشعر بالغضب إذن ؟!

أليس كلاهما توأم صاحبه في الجرح ؟!

_بتترعشي كده ليه ؟! بردانة ؟!

يهمس بها إسلام بخفوت قرب أذنها مستغلاً انشغال البقية بالحديث فتهز رأسها نفياً محاولة التمسك بابتسامتها شبيهة البكاء ..

ليعقد حاجبيه بقلق تنتزعه منه إيناس بسؤالها :

_ماجبتوش ريما ليه ؟!

فتصنع المرح بجوابه :

_باعتني في أول ملف ! أشرف اتصل واحنا في الطريق عايز ياخدها معاه هو ورانيا وهم بيجيبوا




حاجة ال"بيبي" ..ولما جيت أعترض قاللي إنه مش عارف يتلم عليها من يوم ما اتجوزنا أنا ونشوى ..والبنت ما صدقت وشبطت فيه .

فضحكت إيناس وهي تقول بعفوية :

_الخال والد برضه !

ورغم أن عبارتها كانت عفوية تماماً لكن نشوى ب"بطحة رأسها" تحسستها كأنها تشير لانفصالها عن زوجها السابق وتخليه عنهما ..

فانكمشت مكانها أكثر وهي تتلاعب

بالشوكة بين أناملها بشرود ..

_كلي يا غادة ..انتِ خاسة قوي .

تهتف بها إيناس بحنان عفوي ليحمر وجه غادة حرجاً وهي تشعر بسيف جوارها يرمق إيناس بنظرة عاتبة ..





خاصة والعيون كلها تتمركز الآن على غادة لترى مدى صدق إيناس في قولها ..

تختلس نشوى نظرة جانبية لإسلام لكنها تراه قد أطرق برأسه احتراماً لغيرة صديقه ..

فتعود ببصرها نحو غادة تتفحصها

بالمزيد من الغيرة ..جسدها مثالي حقاً كممثلات السينما لا بارزة المنحنيات مثلها هي ..

لكن علاء ينقذ الموقف بمزاحه المعهود :

_عمالة تتحايلي على كل واحد ياكل ..يا ستي الأكل مش عاجبهم ومش عايزين يحرجوكي .

فتشهق إيناس لتهتف باستنكار :

_أنا أكلي وحش يا علاء؟! بتقولهالي بعد أكتر من خمسة وعشرين سنة ؟!!

_شفتي بقا صابر من أد إيه ؟!




يقولها مشاكساً وسط ضحكاتهم التي عادت تعلو في المكان لتختطف الطبق من أمامه هاتفة :

_لا وتصبر ليه ؟! ابقى شوف مين هيعمل لك أكل تاني ؟!

فيحاول انتزاعه منها هاتفاً :

_لا لا لا ..إلا البشاميل ..ده أنا أبوس الجدم وأبدي الندم على غلطتي في حق ..

_علااااااء!

تقاطع بها عبارته بنبرة تهديد فيتراقص حاجباه مع رده :

_بنكُشك يا جميل !

تبتسم إيناس ووجهها يحمر خجلاً

كالعادة فيرقبهما سيف و غادة بحنان قبل أن يشبك سيف أنامله في كف غادة قائلاً :

_نفسي لما نكبر أنا وغادة نبقى زيكم.




_لا لا ..انت ابن الناس الكويسين عاقل كده وراسي مش شبهي ..الواد إسلام ده اللي هيكون خليفتي في الملاعب .

يقولها علاء وهو يغرس الشوكة في طبقه مشيراً لإسلام الذي هتف بفخر وهو يعدل ياقة قميصه :

_ده شيئ يشرفني يا عمو .

_دايماً كده تحبطوني قدامه .

يقولها سيف مازحاً لتربت غادة على كتفه بإشفاق مصطنع فتضحك إيناس هاتفة :

_غلاوتكم واحدة يا قلب "أنّا" ..

انتو الاتنين ولادي .

_الملوخية حلوة قوي يا أنّا ..تسلم إيدك .

يقولها إسلام عفوياً لترد إيناس بسرعة :





_دي عمايل غادة ..الحلو ما يعملش إلا الحلو .

_تسلم إيدك يا غادة ..حلوة فعلاً .

يقولها إسلام مجاملاً لترد غادة بعفويتها المنطلقة :

_يبقى تخلص طبقك كله عشان خاطري .

لم تكد تنتهي منها حتى شعرت ببعض الندم خاصة وهي تشعر بنظرات نشوى تنضح بألم رهيب شع في ملامحها ..

ألم لم تفهمه ..

هل حدثها إسلام عن رغبته السابقة في الزواج منها مثلاً ؟!

التفتت نحو سيف بنظرة متفحصة لعله يكون قد تضايق من عبارتها لتتنهد بارتياح وهي تراه هادئ الملامح ..

نعم ..هذا ما ينبغي أن يكون عليه الأمر!





إسلام لم يحمل لها يوماً سوى مشاعر هوائية تلاشت مع الوقت ..

وهي خير من يمكنها إدراك هذا ..

ربما لهذا تجد سلاسة في التعامل معه

الآن ك"أخ" خاصة بعد وقوفه معها في محنتها الأخيرة ..

سيف كذلك لم يعد متحرجاً من تجمعهم سوياً كالسابق لأنه توصل لنفس الإدراك ..

لكن ..نشوى ..لماذا ترمقها بهذه النظرات المتوجعة ؟!

حسناً ..ستأخذ حذرها مستقبلاً ولن تنخرط في الحديث مع إسلام ..

هذا هو الأسلم للجميع!

_هستأذنك يا عمو آخد غادة ونروح نشوف المطبخ بتاعنا ..المفروض الورشة تخلصه النهاردة .

يقولها سيف بحماس يليق باستطراده :





_عايزين نخلص ..معاد الفرح قرب .

_أيوة ياالخويا ..كل يوم تتلكك عشان تخرج بالبنت ..مرة المطبخ ..مرة الستاير ..مرة النجف !

يهتف بها علاء باستنكار مرح لتقف غادة هاتفة بمرح:

_بلاش يا عمو ..كلامك ده بييجي على دماغي أنا ويقعد يهزقني إني أنا السبب في تأجيل الفرح .

_مين ده اللي يهزقك ؟! امشي ..امشي يا ولد ..ماعنديش بنات للجواز خلاص !

يهتف بها علاء وهو يقف بدوره ليجذب غادة من كفها الحر نحوه ..

لكن سيف يتشبث بكفها في يده ليهتف بابتسامة هادئة :

_معلش يا عمو ..بقت بتاعتي خلاص!

تبتسم له غادة بحب وهي تشعر بالدفء ينتقل من كفه الذي لم يترك كفها إلى جسدها كله ..





رغم كلماته القليلة وطبيعته الرصينة لكنها تستشعر هذا الرباط السميك الذي صار يشد كلاً منهما لصاحبه ..

هي حقاً صارت له ..

لا ملكية قهر وإذلال ..بل ملكية دعم واحتواء ..

_انتِ موافقة ع الكلام ده يا بنت ؟! أنا واللا هو ؟!

يهتف بها علاء ممازحاً لتضحك وهي تربت على كف سيف الذي يحتضن كفها مخاطبة علاء بصوتها ذي الدلال الطبيعي:

_معلش بقا يا عمو ..القلب وما يريد .

ترمقها نشوى بنظرة ضائقة طويلة وعبارتها الأخيرة تمس وتراً قاسياً بداخلها ..

تشعر بكف إسلام يشتد على كفها فلا تفهم سوى أنه يريد إكمال تمثيله أمامهم !

آه لو كان الأمر بيدها ..





لتركت كل هذا خلف ظهرها ..

لعادت لبيت والدها الذي يقيم فيه أشرف الآن وأغلقت غرفتها عليها وابنتها طوال العمر ..

لكن ماذا عساها تصنع ؟!

العودة من هذا الطريق توازي وجع ابنتها ..مرارة الفقد من جديد !

تطرق برأسها أخيراً لتنتزع كفها منه ثم تعاون إيناس وغادة في حمل الأطباق للمطبخ ..

ينفصل علاء للحديث مع سيف وإسلام

بالشرفة الخارجية ..فيما تستجيب لثرثرتهما مكتفية بالاستماع والردود المقتضبة لدقائق طالت ..





قبل أن تعتذر غادة للخروج من سيف فتبقى هي مع إيناس وحدها ..

_إسلام ده راجل بجد ..يا بختك بيه ويا بخته بيكِ .

تقولها إيناس بحرارة فتبتسم لها مجاملة لتستطرد الأولى بنفس الحرارة :

_ما سابناش لحظة بعد وفاة هاني الله يرحمه ..هو وسيف كانوا عوضنا من ربنا سبحانه وتعالى ..هو يبان هلاس ودماغه فاضية بس عقله يوزن بلد ..وصاحب صاحبه بجد ..

عبارتها الأخيرة يتلقاها عقلها هي بصبغته الخاصة فتكتسي ابتسامتها

بالمرارة وهي تتيقن من سر زواجه منها -كما تفهمه-





بينما تردف إيناس بنفس الفخر الأمومي:

_لما حصلت كارثة والده كلنا خفنا عليه ..قلنا مستحيل هايقوم منها لدرجة إننا كنا هننزل مصر عشان نقف جنبه قبل ما يحصل موضوع غادة ..بس هو طلع أدها وأدود ..وقف جنب مامته وأخوه ..وخد اخواته البنات في حضنه ..الرجالة بيبانوا في المصايب اللي زي دي ..وهو راجل قوي .

ترفع إليها نشوى عينين غائرتين بالألم وحديث المرأة يخزها بشعور حسرة لا تفهمه ..

ليتها تستطيع أن تزيد على هذا فتقول أنه دعم شقيقها في مصنعه كي يكفر عن خطإ أبيه ..

تقول إنه وقف جوار ابنتها وكان لها خير

الأب طوال الأيام السابقة ..





تقول إنه حقاً مس أنوثتها المهيضة بتلك الرجولة التي لم تستشعرها في أحد قبله ..

لكن ..ما الفائدة ؟!

فليكن أفضل رجل في العالم ..لكنها لن تكون في عينيه أكثر مما يفترض بها ..

مجرد "ديكور زائف" ..أو "مسكّن مؤقت" لن يلبث أن يفقد فعاليته ..

_انتِ كمان جوهرة !

تقولها إيناس بصدق يجعلها تلتفت إليها من شرودها لتردف الأولى بنفس الحرارة :

_ماكنتش مصدقة لهفة إسلام عليكِ

وكلامه عنك غير لما شفتك ..ست تشيل وقت الزنقة ..وتدخل القلب من غير استئذان ..




إطراء المرأة يمنحها بعض الثقة فترتجف ابتسامة حائرة على شفتيها ..لتنحني إيناس فتربت على ركبتها هي قائلة :

_أنا دلوقت مطمنة على ولادي ..إسلام وسيف ..كل واحد فيهم ربنا كرمه بالست اللي تريح قلبه .

وفي الشرفة وقف إسلام مع علاء يستندان على السياج بعد مغادرة سيف ..ليبادره علاء بقوله :

_مراتك غيرانة من غادة .

يلتفت نحوه إسلام بصدمة ليبتسم بعدها قائلاً باستنكار:

_لا طبعاً ..تغير من غادة ليه ؟!

فرفع علاء أحد حاجبيه ليقول بمشاكسته المعهودة :

_غشيم! دي باينة قوي يعني .





لكن إسلام عاد يهز رأسه مستنكراً ليرد :

_نشوى ماتعرفش أي حاجة عن موضوعي مع غادة ..هتغير منها ليه ؟!

ثم زفر بحرقة ليردف:

_وكلام في سرك يعني ..أنا مش فارق معاها أساساً .

_مش بقوللك غشيم !

يقولها علاء بمكر ليلتفت نحوه إسلام بنظرة متسائلة جعلته يرفع أحد حاجبيه هاتفاً بخبث:

_تدفع كام؟!

فيضحك إسلام وهو يربت على كتف العجوز الذي ضحك للحظات قبل أن يتنهد ليقول بجدية لم تخلُ من حنان :

_قلب الست يا ابني عامل زي المراية ما بيشوفش غير صورة اللي قدامه ..خلليك انت بس





قدامها ..محاوطها بحنيتك وبحبك وهي مش هتشوف غيرك .

_يا خبرة انت يا مدرسة .

يغمزه بها إسلام بمرح ليضحك الرجل للحظات قبل أن يقول له بإشفاق:

_صعبانة عليا قوي ..طول القعدة مراقبها وحاسس إنها عاملة زي الكتكوت الغرقان ..اصبر عليها يا ابني شوية ..لا ..اصبر كتير ..جرحها مش سهل .

_انت تقوللي اصبر وياقوت تقوللي اصبر ..هو أنا باين عليا غلبان كده ؟!

يقولها إسلام بمرح تسربت عبره مرارته ليشد علاء على كتفه هوبقبضته قائلاً بحزم :

_انت راجل قوي وقلبك كبير ..وأنا واثق فيك وفي اختيارك .




لم يكد ينتهي منها حتى فوجئ بإسلام يسند رأسه على كتفه هو ليعانقه بقوة ..

فدمعت عينا علاء وهو يشعر بارتجافة جسد إسلام بين ذراعيه ..

كان ..يبكي !

أغمض علاء عينيه بقوة للحظات محترماً ضعف "ابنه" كما يراه ..ليربت على ظهره هامساً :

_يااااه ! من ساعة موت والدك الله يرحمه وأنا مستني اللحظة دي وخايف منها ..كنت براقبك من بعيد وأقول لنفسي بيكابر عشان ما يقعش ..بس انت طلعت بطل ..أكبر بكتير مما اتمنيت ..معلش يا ابني ..أنا عارف إنك شلت كتير ويمكن لسه هتشيل أكتر ..بس انت أدها .

يأخذ إسلام نفساً عميقاً يتمالك به نفسه وهو لا يدري سبب هذا الوهن الذي تملكه فجأة ..

ربما هو حنان علاء الذي ذكره بفقدانه لأبيه ..

ربما هو عظم الضغط الذي عاشه طيلة الأيام السابقة ..

وربما هو خوفه المستحدث مما يحدث له مع نشوى ..

خوفه عليها ..وخوفه من أن يفقدها !!

يمد أنامله خفية يمسح عينيه قبل أن يرفع عينيه نحو علاء ليقبل رأسه بعمق هامساً:

_ربنا يخلليك ليا يا عمو.





فابتسم علاء دامع العينين ليعود لمزاجه المشاكس فيغمزه بقوله :

_ما تاخدنيش في الكلام وقوللي بقا ..كنت بتقول إيه على سوق الفاكهة هنا في مصر؟!

فاغتصب إسلام ضحكة مرحة ليقول بانفعال ساخر:

_والله أنا لو أعرف أقول على طول !!

حالياً أنا لسه ما دُقتش ..بتفرج بس!

_اخس!

يلكزه بها علاء في كتفه ليضحك إسلام ببعض الخجل وهو يشيح بوجهه ليضحك علاء بدوره هاتفاً :

_بكرة تدوق وتعرف إن اللي معاك صنف ممتاز مش هتلاقي زيه في الدنيا كلها .

========





تدخل معه لشقتهما لأول مرة دون ريما لكن صوتاً بداخلها يخبرها أن هذا أفضل ..

كي تبتعد عن مزاجها هي السيئ هذه الفترة ..

وكي تخفف من تعلقها الشديد به هو والذي صار هاجسها الحقيقي .

تتحرك نحو غرفة الصغيرة التي صارت تشاركها النوم فيها لكنه يجذبها من ذراعها ليواجهها بسؤاله المباشر :

_ممكن أعرف بقا فيه إيه ؟!

_عايزة أنام .

تقولها بنبرتها الميتة فيجن جنونه وهو يراها تعاود الاختباء خلف شرنقتها ليهز ذراعها هاتفاً :

_وأنا عايز أفهم إيه اللي اتغير فيكِ .

_مفيش حاجة اتغيرت ..مش أنا الست اللي اخترت تتجوزها بعقدها وماضيها؟!





_تاني هنرجع للكلام ده ؟! تاني هتسألي اتجوزتك ليه ؟!

يهتف بها بانفعال لتغمض عينيها بقوة هامسة بنفس النبرة الميتة :

_المرة اللي فاتت قلتلي إن المرة الجاية أنا اللي هجاوب ..وأنا خلاص ..عرفت !

_عرفتِ إيه ؟!

يهتف بها باستنكار وملامحها مع نبرتها تثير المزيد من خوفه لكنها تضغط شفتيها بقوة كأنها تقاوم ضعف نفسها أن تبوح بألمها ..

لن تخبره أنها تعلم ..لن تريق المزيد من دماء كبريائها ..

لن ..

_عرفتِ إيه يا نشوى ؟! مش هاسيبك الليلة دي غير لما أعرف !





يهتف بها بحدة أكبر فتتحرك لتحرر ذراعها منه لكنه يجذبها نحوه يقربها أكثر ليحيطها بذراعه الآخر مع هتافه الذي ازدادت حدته :

_حتى لو هربتِ من نفسك مش هتهربي مني أنا !

كلماته تصفعها ..تجلدها ..تعيدها لذروة الصراع الذي تحياه ..

فتصرخ بجنون هادر وهي تتلوى بين ذراعيه محاولة تحرير جسدها منه :

_كفاية تمثيل بقا ..كفاية !

لكنه يزيد من ضغط ذراعيه حولها حتى تشعر ببعض الألم الذي يجعلها تفقد سيطرتها فتصرخ بالمزيد من الجنون :

_مسرحيتك خلصناها هناك قدام الست اللي اتجوزتني عشانها ..عايز مني إيه تاني ؟!





الصدمة تلجمه للحظات فتستغل هذا لتتفلت من بين ذراعيه ..

تبتعد عدة خطوات لكنه يلحق بها ليعاود اكتناف كتفيها بقبضتيه هاتفاً بغضب عارم :

_مين اللي دخل الكلام الفارغ ده في دماغك ؟!

_مش مهم ..المهم إني عرفت ..وما تخافش مش زعلانة ..كده بقينا زي بعض ..محدش أحسن من حد ..انت كمان اتجوزتني عشان تنسى ..أنا ولا حاجة عندك زي ما كنت ولا حاجة عنده ..ولا حاجة ..ولا حاجة ..

هتافها يتحول لصرخات بدت كالهذيان وهي تنفض عنها ذراعيه لتحيط رأسها بكفيها وهي تشعر بأنها تحترق ..





الكتمان الذي عاشته طيلة الأيام السابقة يتحول لقنبلة تنفجر شظاياها بداخلها فتحس وكأن خلاياها كلها تتفتت ..

تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

بينما تغطي أذنيها براحتيها كأنها تطلق مع صرخاتها كل هذا الوجع الذي يحشوها..

تشعر بذراعيه يطوقانها فتقاومه بعنف لتتخبط بين ذراعيه لكنه يتشبث بها بقوة عشقه ..

مقاومتها تخفت تدريجياً وصرخاتها التي بحّ بها صوتها تحتال لنحيب مرتفع ..

تشعر به يثبت رأسها على صدره بأحد كفيه بينما الآخر يمسد ظهرها صعوداً وهبوطاً فتهمس وسط شهقات بكائها :





_صعبانة عليك ؟! ليه ؟! عشان عملت فيا زي ما عملت فيك ؟! كده احنا خالصين .

لكنه يتشبث بكل لحظة من تماسكه كي لا يفقد أعصابه في هذا الموقف الرهيب ..

يرفع رأسه لأعلى ليبتلع غصة حلقه

محاولاً احتواء انتفاضتها بين ذراعيه ليسودهما صمت قصير قبل أن يصلها همسه الخفيض:

_عارفة امتى هنبقى خالصين ؟!

تشعر بجسدها يكاد يتهاوى بين ذراعيه وصوته يأتيها قريباً ..

قريباً جداً كما صوت خفقاتها ..

لكنه بعيد بعيد جداً كما السماء ..





قبل أن يرفعِ ذقنها نحوه ليقتنص نظراتها الزائغة أخيراً فيهمس أمام عينيها ببطء كأنه يغرس حروفه غرساً :

_لما تحبيني زي ما بحبك .

صدمة ..

ثم سخرية ..

ثم تكذيب ..

ثم مرارة ..

مرارة هائلة تفيض بروحها وتكاد تصرخ بها عيناها فيواجهها بهمسه بين شفتيها المنفرجتين مرة تلو مرة :

_بحبك ..بحبك ..بحبك ..

لم يدرِ كم مرة قالها ولا متى سيتوقف عن قولها ..

كل ما كان يعلمه أن هذه الحروف القليلة هي ما تحتاجه هي ويحتاجه هو قبلها ..





لهذا ما كاد يشعر بترنحها حتى تحرك بها ليجلس بها فوق ساقيه على الأريكة القريبة دون أن يتخلى عن ضمها بين ذراعيه ..

تغمض عينيها هرباً فيلاحقها بقبلاته الناعمة التي أشعلت أنفاسها لتحاول الهرب من جديد بالنهوض لكنه يكبلها من جديد ليبقيها مكانها ..

يرفع رأسها نحوه بعنف ليهمس بعينين مشتعلتين غضباً و..عشقاً :

_ما أعرفش جبتي كلامك عن غادة منين بس الحقيقة الوحيدة هي اللي هتسمعيها مني أنا ..أنا فعلاً غادة عجبتني ..عجبتني زي ما أي ست حلوة كانت بتعجبني ..بس تعرفي لما أمي رفضت ظروفها عملت إيه ؟! طنشت ..استسهلت ..قلت أعرض عليها جوازة في السر هناك وخلاص ..لكن انتِ ..انتِ اللي واجهت أمي بإني بحبها من غير لحظة تردد واحدة ..وقفت في وشها وقلت لها مش هاكمل غير معاكي ..ولما رفضت سبت لها البيت ..ومستعد أسيب الدنيا كلها عشان خاطرك ..




نظراتها الزائغة تهدأ رويداً رويداً لتستقر بين ضفتي حدقتيه المشعتين بعاطفته ..

إنه أجمل اعتراف بالحب سمعته في حياتها ..

الاعتراف الذي ودت لو تسمعه من ..ناصر !

ورغماً عنها وجدت طيف ناصر يجتاح ذهنها فيعزل وجه إسلام بحاجز رقيق شفاف هي فقط من تراه ..

بينما كان هو غافلاً عن كل هذا وهو يردف بنفس الحرارة :

_لما عرفت إن سيف بيحبها وعايز يتجوزها انسحبت من غير ذرة تفكير ..بس لما اتكرر الموقف معاكِ ..وحتى وأنا عارف إن ناصر عايز يتجوزك ..ماكنتش قادر أبطل تفكير فيكِ ..بتسأليني ليه اتجوزتك ليلتها ؟! لأن ده اللي كنت بحلم بيه طول الليالي اللي قبلها ..إنك تكوني ..ليّ..ليّ لوحدي .

صوت طنين رهيب يدوي في أذنيها وهي لا تكاد تميز واقعاً من خيال ..

الطيف اللعين لايزال يحجب صورته عن عينيها فلا ترى سوى صورة واحدة ..

صورة "ألبستها" هي كل أردية الحب قديماً فلم تعد ترى سواها إلا عارياً !

_مصدقاني؟!

يسألها وهو يلصقها به أكثر فلا يسمح لأنفاسها بالخروج إلا مختلطة بأنفاسه ..

_مصدقاني؟!





صوته يخفت أكثر بينما تزداد وتيرة أنفاسه وهو يميل بها على الأريكة خلفها وأنامله تزيح عن رأسها حجابها لتغوص بين خصلات شعرها ..

_مصدقاني ؟!

صوته يخفت أكثر وأكثر حد الهمس

اللاهب وهو يكاد يعتصرها بين ذراعيه وعزف أنامله على جسدها يزداد جنوناً ..

يزأر جسدها بهذا النداء الذي لم يعرفه إلا له ..

"الطيف اللعين" يسخر منها فتكاد تصرخ به ـ بقلبهاـ أن اتركني ..

لا أريد أن أخون ..لست أنا من يخون ..أنا لا أراك أنت الآن ..

أنا ..أنا ..





نداءات قلبها تتصارع مع نداءات جسدها الخائن فتكون الغلبة للأخير ..

تتأوه بخفوت والدموع اللعينة تقف حاجزاً بينهما من جديد ..!

فيبتعد عنها ليرمق دموعها بعجز بينما جسده ينتفض ثائراً مطالباً بحقه فيها ..

لكنه ينتزع نفسه انتزاعاً ليبتعد أكثر هامساً بصوت متقطع:

_برضه ..بتعيطي ..أنا آسف ..

الغضب الممتزج بالأسف يخنق حروفه ليفاجأ بها ..

هي من تجذبه نحوها لتعاود وصل ما انقطع !

يشهق للحظة للمفاجأة وهو لا يفهم ما يحدث للحظات قبل أن يلقي كل شيء خلف ظهره لينصهر





بكامله في هذه النار التي بدت له كجنة عذراء هو أول من يقتطف ثمارها ..

بينما كانت هي تهوي في ذاك الدرك الذي طالما كانت تخشاه رغماً عنها ..

درك الخيانة !

======

تفتح عينيها فجأة لتشهق بعنف وأحداث الليلة الماضية تصفعها ..

تنظر جوارها فتراه لايزال نائماً وابتسامة راضية على شفتيه تجلدها هي بذنبها ..

تزيح عنها غطاءها بارتياع لتغمض عينيها بشعور هو للخزي أقرب منه للخجل ..

تكتم دموعها وهي تتحرك ببطء حذر نحو مئزرها القريب ترتديه على عجل قبل أن تعدو بخطوات





مهرولة نحو الشرفة الضيقة التي صارت تتخذها منفى !!

هنا فقط تسمح للمزيد من شهقاتها

بالحرية وهي تستعيد أحداث ليلتها

بالأمس معه ..

لكن ..هل كانت معه هو حقاً ؟!!

صرخة خافتة تكتمها أناملها وهي تستعيد حجم الجرم الذي ارتكبته !!

جرم لن يحاسبها عليه قانون لكنها وحده تستشعر دناءته !!

خائنة !!

كيف فعلتها ؟!

كيف استسلمت ؟!





كيف قابلت اعترافه بالحب بهذه البشاعة ؟!

كيف استسلمت له وهي تراه في ذهنها

آخَر!!

صرختها تعلو أكثر هذه المرة وأظافرها تنهش في لحم ذراعيها بعنف تنهشه ..

كأنما الوجع قد يطهره ..

تتهاوى مكانها على ركبتيها في مواجهة الحائط لتشرع في خبط رأسها به بعنف مرة تلو مرة ..

_عملتِ في نفسك إيه ؟! عملتِ إيه ؟!





تغمغم بها بخزي والألم النابض بجسدها لا يساوي شيئاً أمام هذا الحريق الذي ينهش روحها ..

_نشوى!

يهتف بها بجزع وهو يراقب برعب ما تفعله ليندفع نحوها فينحني على ركبتيه خلفها مميزاً جروح ذراعيها الدامية فيبعدها عن الحائط لتروعه هذه الكدمة الكبيرة في جبهتها وتمتمتها التي بدت له كهذيان جنون ..!

نظرتها الغارقة بالخزي تتحول لأخرى شرسة وهي تبتعد عنه بظهرها تكاد تزحف على ركبتيها لتهتف بانفعال:

_ابعد عني ..إياك تلمسني تاني ..إياك .

ينعقد حاجباه باستنكار وهو لا يفهم سر هذا الذي أصابها ..





هو ليس غراً في شئون النساء ليفهم أنـها كانت راضية معه بالأمس ..

بل إنـها كانت محلقة في أعلى سماواتـها !!

ما الذي دفعها لـهذا الآن ؟!

يتحرك نحوها بحذر وهو يشير بكفيه لـها مطمئناً فتهز رأسها رفضاً كأنـها لا ترى نفسها تستحق حتى هذه الإشارة ..!

تبتعد زاحفة من جديد أمام تقدمه حتى تلتصق بالحائط من خلفها فتعاود هتافها الحاد :

_ابعد ..إياك تلمسني تاني ..

_فيه إيه يا نشوى؟! بتتكلمي كده زي ما أكون غصبتك !





يهمس بها بمزيج من خوف وغضب لتنخرط فجأة في بكاء هستيري يجعله يمد ذراعيه نحوها ليضمها نحوه لكنها تدفعه بقوة هاتفة :

_افهم بقا ..افهم ..أنا ما كنتش شايفاك انت ..أنا كنت ..كنت ..

عيناه تستعران بغضب والمعنى الذي قصدته يصله كاملاً كخنجر مسموم ينغرس في صدر رجولته ..

فيعتصر ذراعها الدامي بقبضته بقوة زادتها ألماً ليهمس من بين أسنانه :

_كنتِ إيه ..انطقي !

_كنت ..شايفاه هو ..ناصر!

همساتها تنقطع بصفعته التي هوى بها على وجهها وهو ينفض ذراعها عنه لتسقط على جانبها فتخفي وجهها بين بقايا دموعها وخزيها ..

مدركة أن هذا لن يكون السقوط الأخير !

=======





القطعة السابعة والعشرون

=======

_إسلام! كنت فين ؟! ما بتردش على تليفونك ليه ؟!

تهتف بها ياقوت بلهفة قلقة وهي تفتح له باب شقتها ليروعها مظهره ..شعره المشعث ..منامته البيتية التي خرج بها ..عيناه المحمرتان بمزيج من غضب وألم ..وأخيراً هذا الجرح في مقدمة جبهته ..والذي أشارت إليه بسؤالها الجزع ليرد :

_حادثة بسيطة ..لبست في شجرة .

يقولها بنبرته المتهكمة التي تعرفها إنما بألم رهيب فاض بين حروفه لتفسح له الطريق هاتفة :

_نشوى كلمتني تسأل عليك ..

ثم صمتت لحظة لتردف بأسف:




_حكتلي اللي حصل ..قالتلي زعلتك وانت خرجت بسرعة ..

عيناه تتوهجان بغضب أعمى وهو يشعر بالدم يفور في عروقه ..لقد منع نفسه بالكاد من أن يخنقها بيديه بعدما تفوهت به ..

صفعة واحدة لم تكفه ..ودّ لو يلحقها بألف مثلها لعله يرد لها صفعتها لقلبه ..ولرجولته قبله .

_احكيلي حصل إيه ..الموضوع شكله مش خناقة عادية .

زفر زفرة ساخطة وهو يشعر بالنصل البارد يغرس في صدره من جديد ..

لقد غادر البيت بعد صفعته لها وقد عجز أن يواجهها أكثر ..

خاف على نفسه أن تجرحه بالمزيد ..

وربما خاف أن يؤذيها هو أكثر ..




طوال هذه الساعات من أول اليوم وهو يجوب الشوارع بلا هدف ..

يستعيد لحظات جمعته بها في جنة ساحرة بالأمس لم تلبث أن استحالت لجحيم مستعر !!

هذا الذي اكتوت به حروفه وهو يحكي لياقوت - ببعض التحفظ- عما كان لتستمع إليه صابرة قبل أن تقول بأسف:

_استعجلْت! ..بس ما أقدرش ألومك !

يكز على أسنانه بغضب وهو ينحني بجذعه ليطرق برأسه دون رد ..بينما هي تردف بنبرة عاتبة :

_هي لما اعترفت لك ماكانش قصدها تجرحك ..كانت خايفة تعيش نفس الإحساس تاني ..كانت قرفانة وهي شايفة نفسها خاينة ولو مع صورة في خيالها ..لو واحدة مش نضيفة كانت استحلت الموضوع وخبت عليك ..كانت اشترت راحة بالها وأمان بنتها بالسكوت ..

ثم صمتت لحظة لتردف :





_انت عارف كام حالة قابلتها رجالة وستات عايشين ومكملين مع شريك حياتهم بالخيال المريض ده ؟! ده واحد في مرة قاللي : يا دكتورة الخيال ده فاتح بيوت ، من غيره ما كنتش طقت أكمل ..فيه ناس عايشة كده ومش مستحرمة ولا حتى مكسوفة ..لكن هي لأنها مستقيمة وشخصيتها ماتعرفش لف ودوران فضّلت تعترف لك عشان توقف الغلط ده .

الصدمة تكسو ملامحه للحظات وهو يحاول رؤية الأمر من هذه الزاوية ..لتردف هي بالمزيد من الانفعال:

_بتلومها على إيه ؟! كأنك اتفاجأت مثلاً إنها بتحبه !! قلت لك إنها عايشة هوس اسمه ناصر ..واحدة من أقل من شهر كانت مهيئة نفسها تتجوز حب عمرها ..وفجأة ليلة الفرح تلاقي نفسها مراة واحد تاني ..ما بين خيبتها وكسوفها ..وكلام الناس اللي ما بيرحمش ..وقلقها على بنتها ..وإحساسها إنها تايهة ومش فاهمة




حاجة ..بتهرب للشغل بتهلك نفسها فيه عشان تبين إنها لسة قوية ما اتكسرتش ..متخيل انت بقا إنها وسط كل ده لما تسمع منك كلمتين حلوين هتبتسم وتقفل باب الماضي؟! انت بجد فاكر الحكاية سهلة كده ؟!

_وجرحها ليّ هو اللي سهل؟!

يصرخ بها بغضب وهو يرفع رأسه نحوها لترد :

_لو جرحتك مرة فهي جرحت نفسها عشرة ..انت نفسك حكيتلي حالتها كانت عاملة إزاي لما صحيت وشفتها في البلكونة .

يغمض عينيه بألم وهو يستعيد مشهد ذراعها الدامي بتلك الخدوش وهذه الكدمة على مقدمة جبينها إزاء خبطه في الحائط ..

لتردف ياقوت وهي تعاود التربيت على ركبته :





_الوضع اللي انت فيه صعب أي راجل يقبله ..بس انت اخترت الطريق م الأول وهي ما كذبتش عليك ..وعموماً لو مش هتقدر تكمل محدش هيلومك ..بس حقيقي هتبقى كسرتها الكسرة اللي مالهاش جبر المرة دي وخيبت أملي فيك ..كفاية القلم اللي اديتهولها ده ..هيزود احساسها بالذل أكتر .

_يعني عايزاني أعمل إيه دلوقت ؟! أرجع وكأن مفيش حاجة حصلت !!

يسألها بانفعال ملوحاً بكفه فانفرجت شفتاها تهم بالرد عليه لولا أن رن هاتفها لتتلقفه بسرعة هاتفة :

_اتلبخت في الكلام معاك ونسيت أطمنها ..دي هتموت م القلق م الصبح ومحلفاني لو عرفت عنك حاجة أقوللها ..

ثم تفتح الاتصال لتقول بتماسك:

_أيوة يا نشوى ..هو جالي هنا ..




_هو كويس؟! هو كويس؟!

صراخها الهستيري يصله هو مكانه فينعقد حاجباه بشدة وملامح ياقوت تزداد قلقاً مع صراخ نشوى المتواصل بنفس العبارة لترد محاولة إيقاف هياجها الانفعالي:

_والله كويس ..جنبي اهه ..تكلميه ؟!

فيزداد انعقاد حاجبيه وهو يبتعد برأسه رافضاً اقتراحها لكنه يسمع صوت الاتصال يغلق فجأة ..

فتنتفض ياقوت مكانها هاتفة بجزع:

_إسلام أنا مش مطمنة ..حالتها مش طبيعية خالص ..مادام وصلت إنها تأذي نفسها ممكن تعمل أي حاجة خصوصاً إن البنت كمان مش في البيت .

تتسع عيناه بارتياع وقلبه يغوص بين ضلوعه رعباً بينما ينتفض واقفاً فتدفعه ياقوت نحو الباب مردفة :





_لو مش هتقدر تبقى معاها وديها لأخوها بس ما تسيبهاش لوحدها دلوقت .

تشحب ملامحه والقلق ينتقل منها إليه ليهرول خارجاً قبل أن يستقل سيارته نحو البيت من جديد ..

يستعيد كلام ياقوت فيشعر أن رأسه يكاد ينفجر بهذا الصراع ..

رجولته وكرامته تأبيان عليه أن يعود إليها بعد ما كان ..

لكن قلقه عليها يفوقهما فيزيد من سرعة سيارته وهو يتذكر مشهد الدماء على ذراعها المخدوش ..

يصل أخيراً للبيت فيفتح الباب بسرعة ليتنهد بارتياح وهو يرى أشرف وريما التي اندفعت إليه هاتفة بمرحها المعهود :

_وحشتني ..ماجيتش خدتني بدري ليه ؟!

يحملها ليضمها إليه بقوة دافئاً وجهه بين خصلات شعرها كأنه يدفن معه انفعالات الساعات السابقة ليسألها بصوت متحشرج بينما عيناه تبحثان خلفها خلسة عن نشوى:





_رجعتِ امتى؟!

_لسه جايبها دلوقت ..استغربت لما محدش فيكم كلمني م الصبح ..انتو ما صدقتم واللا إيه ؟!

يقولها أشرف بمرح بدا له مصطنعاً قبل أن يربت على ظهر ريما قائلاً :

_روحي المطبخ لماما شوفيها بتعمل إيه !

ولم يكد إسلام ينزلها أرضاً لتعدو نحو المطبخ حتى اقترب منه أشرف هامساً بقلق:

_نشوى مالها ؟! من ساعة ما فتحت لي الباب وشكلها غريب ..و الكدمة اللي في وشها..وانت كمان شكلك ..

صرخة ريما العالية تقاطع حديثه فيعدو كلاهما نحو المطبخ ليروعهما المشهد ..

نشوى جالسة على الكرسي أمام مائدة المطبخ وذراعها أمامها غارق في بركة من الدماء !!

========





_استر يارب! إيه كل الدم ده ؟! إيه اللي حصل؟!

يهتف بها أشرف بجزع وهو يتناول منشفة قريبة يكتم بها جرح يدها لكنها تبدو مشوشة تماماً وهي ترد بعينين زائغتين :

_بسيطة ..كنت ..بقطع تفاحة لريما .

_بتقطعي تفاحة بالسكينة دي؟!

يسألها باستنكار وهو يميز السكين الكبير جوارها والذي يستخدم عادة في تقطيع اللحوم لتهز رأسها بلا معنى وعيناها الزائغتان تبدوان وكأنهما لا تراهما ..

الرعب يجمد إسلام مكانه وهو يرى حالتها ..

إنها حتى لم تنتبه لوجوده ..!

جسدها كله يرتجف وشفتاها شاحبتان كالموتى ..

بكاء ريما ينتزعه من جموده فينحني ليحملها فيربت على ظهرها هامساً :

_ما تخافيش .





ثم يتحرك بها نحو أشرف الذي كان يتفحص راحة كف نشوى ليهتف هو بقلق:

_الجرح شكله مش سطحي ..تعال بسرعة ع المستشفى اللي جنبنا .

انتبه لشهقتها الخافتة عندما سمعت صوته كأنما تنبهت الآن فقط لوجوده ..لكنها لم ترفع عينيها نحوه ..

بقيتا زائغتين تدوران حولها كأنما تبحث عن شيئ ما ..

أو ..تهرب من شيئ ما !!

لم يدرِ كيف مرت بهم الدقائق القادمة وسط هذا الضجيج الذي كان يشوش على قلبه وروحه وهو يتأمل ملامحها التي بدت شاحبة مستسلمة ..

لم تكن تتأوه كأنما فقدت كل شعورها ..





لكنها ما كادت تغادر الغرفة حيث تم تخييط جرحها الغائر حتى بدت وكأنما عادت لها بعض الحياة ..

خاصة عندما مد أشرف يده يربت على كتفها قائلاً بإشفاق قلق:

_مالك يا نشوى؟! إيه اللي حصل ؟!

لترفع إليه عينين زائغتين جامدتين كملامحها للحظات ..

قبل أن ينهار كل هذا السد من التماسك وهي تلقي نفسها بين ذراعيه تهتف بين فيض دموعها التي سقطت أخيراً ..وهي تستعيد إحساسها بالألم ..كل الألم :

_خدني معاك بيت بابا يا أشرف ..هاسمع كلامك وهابطل عِند ..بس خدني أوضتي هناك وهاقفل عليا أنا وبنتي العمر كله .




الصدمة تكسو ملامح أشرف للحظات وعيناه تدمعان مع انهيارها العجيب على شخصية بطباعها المتمردة ..

هل هذه نشوى؟!

لم يتصور يوماً أن تخرج منها كلمات كهذه !!

إنها لم تنهر هكذا أيام طلاقها الأولى ..

ولا حتى ليلة خذلها ناصر ..

بل بقيت متصنعة القوة بردائها المتمنر الذي يعرفه ..

ما الذي كسرها هكذا ؟!!

إسلام؟!

يرفع إليه عينين متسائلتين باتهام صامت ليقف إسلام يجاهد نفسه كي لا يسحبها من حضن أخيها إلى صدره هو بعد انهيارها هذا..

والاتـهام يتحول لتساؤل صامت كذلك يجيبه إسلام وهو يجد نفسه يتقدم منـهما خطوة بريما التي يحملها هاتفاً بحزم :

_مش هيحصل ! ..مراتي مش هتبات بره بيتي ليلة واحدة .

هنا ترفع هي رأسها لتلتفت نحوه بحدة دون أن تجرؤ على النظر في عينيه وردّه يصدمها لأقصى درجة !

ألا يزال يريد الاستمرار في هذه الحرب الخاسرة ؟!

ألايزال هناك المزيد من المتسع
للخيبة ..للخزي ..للإذلال ؟!!

_عشان خاطري يا أشرف ..عشان خاطري ..

تعاود الهتاف بها برجاء يدمي القلب وسط فيض دموعها وهي لا تتصور كيف ستواجه إسلام بعد ما كان بينـهما ؟!





كيف سترفع عينيها في وجهه ؟!

لقد عاشت أسوأ حالاتها بعد رحيله عنها وهاجس مفزع من "شعورها المغالي بالذنب"يصور لها أنه سيؤذي نفسه بسببها ..

لماذا يفعل بنفسه وبها هذا ؟!

فليبتعد وليتركها لضلالها القديم !!

بينما وقف أشرف حائراً بينهما لا يعلم ماذا يفعل ..

حميته الطبيعية تتجه لشقيقته خاصة وهي بهذا الانهيار ..لكن نظرة لوجه إسلام تشي أنه ليس أفضل منها حالاً ..

هل عزْل هذين هو الحل؟!

أم أن دواء كل منهما في صاحبه ؟!

لتحسم ريما هذه الحيرة وهي تتعلق بعنق إسلام أكثر هاتفة :

_سيبنا مع بابا ..هو هياخد باله مننا احنا الاتنين .





_اسكتي خالص ..اسكتي .

تصرخ بها نشوى بانهيار وتعلق ابنتها المغالي به يزيد من مخاوفها ..

لكن أشرف يهتف أخيراً بحزم:

_هاروحك بيتك مع جوزك .

فتتسع عيناها بصدمة هاتفة :

_انت بتمنعني من بيت بابا ؟!

لكنه يكتنف كتفيها بقبضتيه قائلاً بحنان حازم:

_البيت مفتوح لك أي وقت ..بس الليلة دي بالذات انتِ هتروحي مع إسلام .

يقولها مستشعراً بحدسه أن إسلام وحده هو من يمكنه احتواء حالها الغريب هذا ..

خاصة وملامحها تزداد شحوباً بعدها وهي تبتعد عن مرمى ذراعيه لتعود عيناها لشرودهما الزائغ من جديد ..





_ياللا بينا عشان ريما خايفة .

يقولها إسلام عبر ملامحه الجامدة ليومئ أشرف له برأسه قبل أن يغادر جميعهم المشفى نحو سيارة الأخير الذي بقي يراقب صمتهما طوال الطريق بقلق ..

ولم يكد يصل بهما للبيت حتى هتف بريما :

_ادخلي أوضتك مع مامي ..عايز بابا في كلام كبار .

فترمق الصغيرة إسلام بنظرة خائفة لكنه ينحني ليقبل وجنتها فيقول مطمئناً :

_هنتفرج على فيلم لما خالو يمشي ..هيعجبك قوي!

فتبتسم الصغيرة وهي تعاود النظر لأمها التي لاتزال في حالها الغريب والتي أمسكت كفها لتختفيا معاً في الغرفة المجاورة ..





_مش هسألك نشوى مالها ..اللي مرت بيه طول الأيام اللي فاتت مش هين ..بس هسألك سؤال راجل لراجل ومش هاطلب منك تفاصيل ..

يقولها أشرف بحزم وعيناه ترصدان كل انفعالات وجه إسلام الذي بدا له غاضباً كما لم يره من قبل ..

_انت ندمان ؟! عايز ترجع في الجوازة دي؟؟!

يكز إسلام على أسنانه صامتاً وهو يشيح بوجهه ..

فتشتد ملامح أشرف أكثر مع استطراده :

_أنا رجّعتها معاك لما لقيتك مُصرّ لكن لو مش قادر تستحملها فأنا ماأقدرش ..

_أنا بحبها .

يقاطع بها إسلام حديثه بصوت متحشرج ولايزال مشيحاً بوجهه ومجرد ذكر فراقها يعيده لسجن خوف لم يعرفه من قبل بهذه الضراوة ..





لترتخي ملامح أشرف نوعاً وهو يختار الصمت للحظات ..

قبل أن يختتم حديثهما بقوله :

_مش هسألك عن خصوصياتكم بس موقفك ده كبّرك في عيني أكتر ..خدها نصيحة من واحد كان قرب خلاص يخسر كل حاجة وقصاد لحظة إيمان من حبيبته رجعت له الدنيا كلها ..الأزمات هي اللي بتبين الحب الحقيقي ..ياما بتمحيه ياما بتثبته أكثر .

=======

_ياللا يا مامي عشان خاطري ..قومي ..

تهتف بها ريما بإلحاح فتحاول الرفض مرة تلو مرة لكن الصغيرة تبكي هاتفة :

_ماشفتكيش النهارده كله ..وخايفة أسيبك لوحدك تتعوري تاني ..عشان خاطري قومي شوفي معانا الفيلم .





فتلتفت نحوها من شرودها ليخز قلبها مشهد الصغيرة التي لا ذنب لها في كل هذا ..

والتي لا تدري كيف سيكون مصيرها بعد اليوم!

سيطلقها !

أي رجل سيحتملها بعد ما قالته ؟!!

ربما خجل أن يفعلها اليوم أمام أشرف بعد إصابتها ..

لكنه سيفعلها لاريب !!

فلتدع الصغيرة تتنعم بما بقي لها من أيام معه ..

أما هي ..فقد انتهت على أي حال !

تتحرك كالدمية بآلية متخشبة الملامح وبقايا دموع متجمدة على وجنتيها تزيد الصورة بؤساً..

لا تستطيع رفع عينيها إليه خزياً والذل يبسط غلالته على وجهها ..

تتخذ مكانها المعهود جواره لتتحفز جلستها وهي تراه يمد ذراعه كالعادة ..





إنما ليحتضن ريما فحسب !

حركة بسيطة إنما تلقتها روحها ك"صفعة" أخرى!

هل كانت تتوقع أن يفعلها هذه المرة أيضاً ؟!

لا ..

لكنها فقط ازدادت خزياً وهي تشعر بالمزيد من النبذ ..

تراقب جرح يدها بشرود وهي تشعر بالرعب أنها لا تتذكر كيف أصيبت ..

هل حاولت الانتحار؟!

هل أصابها الجنون ؟!

ومنذ متى لم يصبها ؟!

هي مفقودة منذ عمر ..

سقطت ولاتزال تسقط ..!




شرودها يبتلعها بعدها لساعة كاملة حتى تنتبه لاستسلام الصغيرة للنوم لتراه يقف ليحملها نحو غرفتهما يضعها في فراشها قبل أن يغادر الغرفة دون نظرة واحدة لها ..

لكن هل تملك هي جرأة النظر إليه ؟!

آآآه !

ليتها تملك أن ترجم نفسها حتى الموت ربما وقتها ينتهي كل هذا العذاب ..

وفي الغرفة الأخرى كان هو جالساً على الفراش مطرقاً برأسه ..

لقد تماسك طيلة الساعات السابقة لكنه يود الآن لو يستسلم لانهياره ..

لو ينسى غضبه ..

خذلانه ..

جرحه ..





ورعبه وهو يرى دماءها تنزف حولها وهي لا تشعر!!

يستعيد كلمات ياقوت فيسأل نفسه ..

هل يمكنه حقاً أن يحتمل وضعاً كهذا ؟!

ويستعيد تشبث ريما به فيسأل أيضاً ..

هل يمكنه التراجع ؟!

يزفر زفرة مشبعة بعذابه وهو يلتفت برأسه نحو جانب الفراش الذي تلمسته أنامله ببطء ..

هاهنا كانت بالأمس بين ذراعيه لينهل من رحيق أنوثتها كيف شاء ..

لقد تعجب استسلامها السريع ..

الغافل لم يكن يعلم أنها لا تراه هو!!

الدماء تفور في عروقه عند الخاطر الأخير فيضم قبضته جواره بقوة وهو يهم بمغادرة البيت من جديد كي لا يرتكب ما يندم عليه ..





لكن خاطراً مفاجئاً يجتاحه ليصرف تفكيره لزاوية أخرى ..

لقد بدت له بالأمس -عديمة الخبرة تماماً- كأن لم يسبق لها زواج !!

كيف كانت علاقتها بزوجها السابق إذن ؟!

هل كانت تتخيله ناصر كذلك ؟!

لماذا إذن ..؟!

أفكاره تنقطع لتتجمد تماماً وهو يراها تقترب ..

مكتفة ذراعيها مطرقة الرأس بخزي عزّ عليه أن يجتاح ملامحها التي طالما عشق عنفوانها ..

تجلس جواره على مسافة مناسبة ليميز ارتجافة جسدها التي لا تهدأ ..

يشيح بوجهه وكل ما فيه -سواه- إليها يلتفت !!





يسمعها تقول بنبرة مرتجفة نال منها الخزي كما نال من بقية ملامحها :

_هتعمل إيه ؟!

صمته الثقيل يقف بينهما بعد سؤالها ..لتردف بخوف:

_هتسيب ريما ؟!

فتختلج عضلة فكه وهو يمنع نفسه من النظر إليها ليقول بخشونة جافة :

_وعدتك مش هاسيب ..

ثم يقطع عبارته رغماً عنه ليصمت لحظة سبقت قوله :

_مش هاسيبها !

تغمض عينيها بقوة كأنما تلقت منه صفعة ثالثة !

كان يقولها "مش هاسيبكم" والآن صارت "مش هاسيبها" !





حسناً ..في النهاية لا يصح إلا الصحيح وهي لم تكن ترجو منه تفهماً أكبر !

_أنا معاك في أي قرار هتاخده ..لو عايز تطلقني ..أو حتى تتجوز تاني ..بس ليا عندك طلب ..

لم يغير جلسته ولم يقوَ على النظر نحوها ..

كل ما فيه الآن كان يشتعل ناراً يحترق داخلها وحده ..

ويزيد "خزيها الذليل" هذا من تأججها !

_مش عايزة أشرف يعرف حاجة ..أنا مش هاقدر ..

عبارتها تنقطع بغصة في حلقها لكنها تمسك دموعها عن السقوط فترتجف شفتاها بقوة ليجد





هو بعض القوة أخيراً فيلتفت نحو وجهها الذي أطرقت به ..

_هو أنا شكلي باين عليه إني بطلع أسرار بيتي بره ؟!

يقولها بنفس الخشونة المريرة وهو يشعر ببعض الذنب من إسراره لياقوت بأمرها لكنه طلب رأيها كطبيبة خاصة وقد بدأت نشوى بمكالمتها ..

_شكراً .

تهمس بها بنفس الخزي الذليل وهي لا تجد ما تقوله بعد ..

الآن تعود لغرفتها الآمنة فتغلقها عليها ..

ساعتها فقط قد تجد بعض الراحة .





تنهض لتقف فتترنح مكانها لكنه كان عاجزاً عن مد يده نحوها ..

لن يستطيع أن يمسها بعد الآن!

عيناها لا تزالان عاجزتين عن مقابلة نظراته لكن عينيه كانتا تتفحصان ملامحها بمزيج من غضب وإشفاق ..

تتوقفان قليلاً عند جرح شفتيها الصغير الذي نالها من صفعته فيشعر بوخزة في صدره ..

تنتقلان لكدمة جبينها ثم لجرح يدها فيهتف بها فجأة بنفس الخشونة :

_باب الأوضة ما يتقفلش عليكِ انت وريما .

تتوقف مكانها للحظة وقد صدمها أمره ..

بقايا من طبيعتها المتنمرة تستفزها لترد بعناد ..

لكن "الخزي الذليل"الذي صار سيد ملامحها يجعلها تتخلى حتى عن أمانها المؤقت ..

فتومئ برأسها دون رد ..





_وما تخافيش ..مش هالمسك تاني عشان ماتحسيش إنك خاينة !

تتلقاها على صفحة وجه كبريائها ك"صفعة رابعة" فيزداد ارتجاف شفتيها مع تكاثف الدموع في عينيها ..

قدماها تسحبانها بعيداً للمزيد من الهروب ..

لكنها تجده أمامها فجأة فتغمض عينيها بقوة عاجزة عن مواجهة "عارها" في نظراته ..

_سؤال أخير ..وأفتكر مش هتكدبي عليا فيه ؟!

يقولها بنفس الخشونة وهو يقاوم نفسه بشق الأنفس أن يضم جسدها الذي يكاد يسقط مكانه من فرط ما يرتجف ..

لتهز رأسها دون أن تفتح عينيها ..





_جوزك السابق كنتِ بتتخيليه ناصر برضه ؟!

هنا تفتح عينيها فجأة لتتفرج شفتاها بصدمة ..
وكأنما الجواب يمنحها "الصفعة الخامسة "!!

_لأ!
تقولها بنفس "الخزي الذليل"وهي تهز رأسها نفياً
ليعاود سؤالها بنفس النبرة :

_واشمعنا أنا ؟!

_مش عارفة .

تهمس بها بصوت يكاد لا يسمع فتلتوي شفتاه
بشبه ابتسامة لم ترها في غمرة إطراقها الذليل قبل
أن يرد :

_بس أنا عارف .





هنا تعجز عن المزيد من التماسك فتفلت منها شهقة عالية سبقت فيضاً من الدموع أغرق وجهها لتعدو هاربة من أمامه نحو منفاها بالشرفة التي أغلقت بابها خلفها بعنف ..

فيعقد حاجبيه وهو يسبها سراً ..

الجبانة تهرب من جديد !!

تهرب من كل فكرة تقربها لإدراك قيمته الحقيقية عندها !!

يلحق بها ليراقبها عبر الخطوط العرضية لباب الشرفة مخافة أن تؤذي نفسها من جديد ..

يراها تتكور على نفسها في وضع الجنين وجسدها ينتفض بنحيب مرتفع فيقبض كفيه جواره بقوة وهو يعض شفته السفلى بعنف كاد يدميها ..

مزيج من الغضب والعجز يذيقه مرارة لم يعرفها من قبل في حياته ..

لو استسلم لنداء قلبه لهرع إليها يحتوي دموعها هذه على صدره فيطمئنها أنه لن يبرح حتى يبلغ معها عنان العشق ..





لكن رجولته المهدورة ..كبرياءه الجريح ..يقفان حائلاً بينهما ..

قدره أن يتعذب بها ولها ..

فمن هو كي يعاند قدره ؟!

=======

على مكتبها في غرفتها بالمصنع تجلس تطالع حاسوبها باهتمام ..

تقتل نفسها بالعمل !!

هذا هو كل ما تفعله الآن !!

لا تريد التوقف للتفكير في شيئ ..

أو في شخص ..

ستظل تعدو حتى تسقط تعباً !!

ربما وقتها فقط تجد راحتها !!





عيناها تصطدمان براحة يدها المصابة فتملأهما الدموع فجأة وهي تستعيد رغماً عنها أحداث الأمس ..

قلقها عليه عندما غادر ..

رعبها وهي لا تدري مكانه ..

لهفتها وهي تهاتف ياقوت ..

ارتياحها عندما علمت مكانه ..

صدمتها بموقفه مع أشرف ..

وأخيراً ..خزيها الذي ظللها كغمامة سوداء تنذر بمطر ..ووحل!!

لماذا أثر فيها تباعده هكذا رغم منطقيته ؟!

هل هو مجرد شعورها بالخزي ؟!

بالنبذ ؟!

أم أنها حقاً تفتقد اهتمامه الذي روى بذور أنوثتها المطمورة تحت التراب من زمن ؟!!





آهة عميقة تفلت من بين شفتيها وهي تلجأ الآن لما تجيده تماماً ...

الهروب!!

تركز ذهنها قسرياً في الشاشة أمامها وهي تشعر بحرقة مؤلمة في عينيها ..

وبحرقة أشد ألماً في قلبها ..

فتتجاهل كلتيهما أو تحاول التظاهر بذلك !!

صوت طرقات خافتة على الباب يرحمها قليلاً فتلتفت نحوه بترقب وجزء خفي -غير مبرر - بداخلها يتمنى لو يكون هو ..

إسلام !

لهذا ظهرت بعض الخيبة على وجهها وهي تميز وجه ياقوت !

_صباح الخير .





تقولها الأخيرة بابتسامتها "الطيبة" الآسرة لترد تحيتها بابتسامة مصطنعة مرتجفة ..

قبل أن تجلس أمامها على كرسي مكتبها لتقول محاولة فتح حوار:

_كنت عارفة إن أول حاجة هتعمليها النهارده أول ما تصحي م النوم إنك تنزلي الشغل .

_انتِ دكتورة شاطرة .

تغمغم بها نشوى وهي تخفض بصرها بخزي نحو راحة يدها المصابة فيما كانت ياقوت تتأمل كل خلجاتها لترد بمزيج من تفهم وإشفاق:

_مجال شغلي علمني إن لكل شخصية أيقونة بتتميز بيها ..أيقونة شخصيتك هي الهروب .

فازدادت ابتسامتها ارتجافاً وهي تجد حديثها مشابهاً لما كانت تفكر فيه ..

_إسلام حكالك ؟!




تسألها نشوى مطرقة الرأس ولايزال الخزي الذليل سيد مشاعرها لكن ياقوت تمد ذراعها عبر المكتب لتربت على كفها هي قائلة بين تفهم وإشفاق:

_لو حابة ممكن تحكيلي انتِ .

هزت رأسها رفضاً وهي تغمض عينيها بقوة ليسيل منهما خيطان من الدموع ..

لكن ياقوت لم تستسلم وهي تعاود التربيت على كفها قائلة :

_براحتك ..بس هسألك كام سؤال ومش شرط تجاوبيني بصوت عالي ..المهم تلاقي الإجابة جواكي .

عضت نشوى شفتها بقوة وهي تود لو تصرخ بها أن تخرج ..

أن تتركها تهرب من جديد
لعملها ..لابنتها ..لشرفتها الضيقة ..





لا تريد المزيد من الأبواب المفتوحة ..لا تريد !!

_جوزك قبله كنتِ بتتخيليه ناصر برضه ؟! أنا متأكدة إنه لأ ! ..شخصية مستقيمة زيك ما كانتش هتكمل حياتها بصورة طبيعية يوم واحد معاه لو ده حصل .

المزيد من الخزي وهي تشعر بياقوت تعريها بهذا الحديث..

هي لم تعتد مشاركة تفاصيلها الخاصة مع أي أحد ..

فما الحال بشأن كهذا ؟!

لكنها لا تنكر حاجتها الحقيقية لحديثها هذا معها ..

لعلها تجد أرضاً صلبة تقف عليها وسط هذا الطوفان !!





_السؤال بقا اشمعنا إسلام ..عارفة الإجابة والللا أقوللك ؟!

تقولها ياقوت بحذر لترفع إليها عينين حائرتين فترد الأولى بثقة :

_طول السنين دي عاملة لناصر تمثال في قلبك ..راسماه رمز للحب محدش قدر يقرب منه ..لأن محدش جه شبهه ولو من بعيد ..المرة دي مختلفة ..المرة دي إسلام قرب قوي من المواصفات ..بس عقلك لأنه متبرمج على صورة واحدة ماقدرش يشوف غيرها ..مشاعرك ليلتها مكنتش لناصر حتى لو كنتِ في خيالك شايفاه ..مشاعرك الحقيقية كانت لإسلام .

تتسع عينا نشوى للحظات وهي تشعر بالمزيد من التخبط ..

ما كل هذا العبث ؟!

هل يمكن أن تكون مشاعرها بهذا التعقيد حقاً ؟!!





_سؤال كمان ..ليه قبلتِ ترجعي البيت معاه امبارح؟! ليه ماوقفتيش في وش أخوكِ زي كل مرة وعملتِ اللي في دماغك ؟!

هنا تشيح نشوى بوجهها وهي تلاحق نفسها بالمزيد من الأسئلة ..

هل كان قلقها المبالغ فيه عليه بالأمس مبرراً ؟!

شعورها بافتقاده ؟!

تباعده الذي بدا لها كصفعة خلف صفعة !!

تسألها لماذا عادت معه ..

هل تخبرها عن رعبها من أن يرحل ..

من أن يخذلها ويمضي كمن سبقه فبادرت هي بطلب الرحيل ؟!

هل تخبرها أنها ودت بالأمس لو تحتضنه ..

لا حضن أنثى لرجلها ..





بل كحضنها لريما !!

حضن اعتذار و عجز !!

هل تفهم نفسها حقاً ؟!

_آخر سؤال وبرضه مش عايزة أسمع منك إجابة ..بس لازم تفكري فيه كويس ..غيرتك على ناصر من سها كانت شبه غيرتك من غادة ؟!

تلتفت نحوها بحدة والسؤال يصدمها ..

ليس السؤال بل الجواب !!

لا ..لم تكن تشبهها قطعاً ..

غيرتها من سها كانت تشعلها ..

لكن غيرتها من غادة أطفأتها !!

الأولى كانت تجلدها على ظهر كبريائها ..

لكن الثانية كانت تنتزع منها روحاً وليدة لم تتنفس إلا منذ أيام ..





أيام تساوي عمر علاقتها به ..

بإسلام !!

هنا تقف ياقوت مكانها وقد قرأت مشاعرها واضحة على ملامحها لتبتسم بارتياح قائلة :

_برتاح قوي في التعامل مع الناس اللي زيك ..الناس اللي زي حد السيف مايعرفوش غير أبيض أو أسود ..الرمادي مش لايق عليكِ يا نشوى ..أنا واثقة إنك قريب قوي هتخلصي من كل الدوشة اللي في دماغك دي ومش هتسمعي غير صوت واحد بس ..

ثم مالت عليها بجذعها تغرس نظراتها القوية في عينيها مردفة بإيمان :

_بس انتِ صدقيه .

_تفتكري ممكن ؟!

تتمتم بها نشوى بما بدا كهذيان غريق لتعود ياقوت فتستقيم بجذعها قائلة بتفهم :





_مش في يوم وليلة ..ده هرم اتبنى حجر حجر وكل حجر بيوم من العمر..خدي وقتك بس المهم في الآخر إنك تنسفيه ..وأنا واثقة إنك هتقدري .

ترمقها نشوى بنظرة حائرة لكن ياقوت تمنحها ابتسامة مودعة تسبق مغادرتها بقولها :

_لو احتجتِ تتكلمي في أي وقت أنا موجودة .

تراقبها نشوى بشرود غائم وهي تشعر برأسها يكاد ينفجر من فرط التفكير ..

تلتفت نحو شاشة الحاسوب من جديد في محاولة ثانية للهروب لكنها تعجز عن فعلها ..

كم تود الآن لو تنام !!

لو يريحها عقلها من متاهاته !!

صوت الطرقات يحمل معه أملاً جديداً فتلتفت نحوه بلهفة ممتزجة بالخزي ..





لكنها تتلقى خيبتها الثانية وهي تراه أشرف!

عيناها تهربان منه بنظرة مذنبة يعرفها منذ صغرهما فيتقدم منها صامتاً حتى يصير على بعد خطوة واحدة منها ..

فتقول مطرقة الرأس بنفس الخزي متصنعة الهدوء:

_بقيت كويسة ..كل حاجة تمام ..ماتقلقش ..رانيا عاملة إيه ؟! كانت بتقول الحمل مخلليها ..

عبارتها تنقطع بغصة في حلقها وهي تقاوم لتستعيد قناع قوتها أمامه ..

فيجذب ذراعها نحوه ليوقفها قبل أن يضمها لصدره صامتاً فتنخرط فجأة في بكاء صامت ..

يتنهد بحرارة وهو يربت على ظهرها صامتاً محترماً هذا "الضعف النادر" منها ..





لتصدمه كلماتها التي امتزجت ببكائها :

_هو أنا وحشة قوي كده يا أشرف؟!

سؤالها يصدمه للحظة وهو يراها بهذا الانكسار على غير عهدها ..لكنه يرفع وجهها نحوه ليمسح دموعها بأنامله مع ابتسامة حانية ناسبت قوله :

_مين وقف جنبي في أزمتي لحد ما رجعت أقوى م الأول؟! مين ساند رانيا وخلاها تتغير عشان ترجع لي ؟! مين اللي حافظ ع المصنع ده في غيابي وحفظ لنا اللي باقي من بابا الله يرحمه ؟! لو انتِ وحشة بس امال مين اللي كويس؟!

تتأوه بخفوت وهي تسند رأسها على كتفه فيعاود التربيت على ظهرها قائلاً :

_انتِ محتاجة بس تشوفي اللي في إيدك كويس ..وتبطلي تبصي على اللي وقع منك ..أنا عارف إن الكلام أسهل من الفعل ..بس عارف كمان إنك هتعدي الأزمة دي زي غيرها .





كان يشعر بحدسه أن طيف ناصر القديم لايزال يقف بينها وبين إسلام ..

لكنه كان يثق بقدرة الأخير على طمس صورته هو في عينيها ..

لهذا قال أخيراً بيقين :

_إسلام بيحبك ..يمكن عشان كده وافقت امبارح إني أرجعك معاه على غير رغبتك ..حب زي ده هو اللي انتِ محتاجاه دلوقت يا نشوى .

تكتم تأوهها في كتفه وهي تشعر أنهم جميعاً لا يفهمون !

ليت الأمر كان بيدها فتضغط زراً ليختفي ضوء ويسطع آخر ..

ليتها كانت أقوى من هذا فتتجاوز ماضيها ..

أو أضعف من هذا فتزهد في غدها ..





لكنها هي هي ..بروحها "المتمردة الواهنة"التي لا تزال ترقص على سلم بين "الأعلى" و"الأسفل" المشوشين بضباب كثيف

طرقات الباب من جديد لكنها تحمل لها عطره -هو- هذه المرة ..

دقات قلبها تتقافز وهي تهرب بعينيها منه بخزي لا تظنها ستتخلص منه معه قريباً ..

بينما يتقدم إسلام منهما بوجه فضحته مشاعره وهو يراها تبكي بين ذراعي شقيقها ..

الغيرة كانت أبسط ما يشعر به الآن وهو يراها بهذه الصورة البعيدة تماماً عن عنفوانها المعهود ..

يلقي التحية على أشرف بفتور فيبتسم الأخير وهو يشير نحو نشوى قائلاً بمرح مصطنع :





_يقعدوا يقولولك "سترونج اندبندنت" وتحت أول ضغط يعيطوا ..

ثم ربت على رأس نشوى مردفاً :

_روحي استريحي ونامي ..الشغل مابيخلصش .

يقولها ثم يتذرع بعذر واه ليتركهما وحدهما وهو يشعر بحاجتهما لهذا ..

وما كاد يفعل حتى تحركت هي لتعاود الجلوس على المكتب مطرقة برأسها ليقول هو بخشونة لم يملكها :

_أنا وعدت ريما نتغدى بره النهارده بعد الشغل .

_أجّلها ليوم تاني أو روحوا لوحدكم ..عندي شغل كتير .

تقولها بنبرة منكسرة مغايرة لتتمرها المعهود ولاتزال مطرقة برأسها ليرد ببعض الحدة :





_محدش قاللك تمسكي شغل تلاتة مع بعض .

حدته كانت ممتزجة بالشفقة وهو يميز ما تفعله بضغط العمل الذي تزيده على عاتقها يوماً بعد يوم ..

لترد ورأسها لا يزال منكساً بخزيه :

_مستكتر عليا الحاجة الوحيدة اللي نافعة فيها ؟!

عبارتها تخزه بقسوة مدلولها وهو يتذكر عبارة قالتها يوماً أنها تشعر بفشلها كأنثى وفشلها كأم .

ياقوت مرت عليه عقب خروجها من عندها لتخبره برأيها أنها هي ليست أكثر من طفلة كبيرة عاشت عمرها معصوبة العينين بوهم حب ..والآن ينتزعون منها عصابتها فلا عجب أن يؤذي النور عينيها أولاً قبل أن تتبين حقيقة المرئيات .





صوت رنين هاتفها الداخلي يقطع أفكاره فيدهشه قناع قوتها الذي عادت تتلبسه وهي ترد لتستمع قليلاً قبل أن تهتف بحدة :

_يعني إيه ما وصلتش ؟! ده أنا هاخرب بيته .

شبح ابتسامة لم ترها يطوف على شفتيه وهو يفتقد طبيعتها الشوكية هذه مع قناع خزيها الذليل المستحدث ..

خاصة وهي تتناول هاتفها لتتصل برقم ما وما كاد الاتصال يفتح حتى هتفت بنفس النبرة الحادة :

_الطلبية لو ما اتسلمتش المخازن الصبح اعتبر اتفاقنا لاغي ..انت عارفني ما بهزرش .

فتضيق عيناه بتفحص وهو يدرك أنها تحتاج حقاً لإفراغ شحناتها في العمل ..

لكنها عادتا تتسعان بإشفاق وهو يميز ما حدث لتوه !!




كمّ قميصها انزاح عفوياً لتبدو تحته خدوشها التي أحدثتها لنفسها بالأمس فتبدلت كل ملامحها المتنمرة لذات الخزي الذليل وهي تخفض الكمّ بسرعة كأنها بهذا تداري ..عارها!

_اتفقنا .

تقولها لمحدثها بنبرة صارت لتوها مرتجفة متحشرجة لتغلق الاتصال ثم تفرك عينيها بقوة متجاهلة هذا الألم العنيف الذي يعصف بهما ..

_أنا هاروح عشان ما أتأخرش على ريما ..هتزعل لو ما خرجناش .

يقولها بخشونة هارباً من مشاعره وهو يخشى هذا الوهن الذي بدأ يتسلل إليه من مرآها بهذه الصورة ليتحرك نحو الباب ..





فتراقب ظهره المنصرف بعينين زائغتين وهي تهم بندائه ..

_يا ..يا باشمهندس!

يكز على أسنانه بقوة وهو يراها لا تزال عاجزة حتى عن ناداداته باسمه ..

لكنها حقاً لم تستطع فعلها ..

ذهنها كان يستعيد كل لحظة دنسها فيه عارها بالأمس لتبدو لها نفسها في صورة ضميرها ملوثة بخطيئتها ..

خزيها الذليل لا يزال حائلاً بينهما وهي تنهض من مكانها لتتوجه نحوه مطرقة الرأس قائلة :

_لو ممكن تستناني ؟! هاقفل اللي في إيدي وآجي معاكم .





عبارتها كانت عفوية تماماً لكن قلبه سمعها بأذن "أمله" فيما يرجوه منها حقاً ..

ومع هذا خرجت عبارته فظة نوعاً وهو يضع يده على المقبض دون أن ينظر إليها :

_مش هاستنى كتير ..لو اتأخرتِ هامشي لوحدي .

يقولها ليخرج صافقاً الباب خلفه فتعود الدموع تملأ عينيها وهي تفكر في كلماته بمغزى آخر ..

لن ينتظر كثيراً ..

فهل تملك القوة حقاً كي لا تجعله يكمل الطريق وحده ؟!

=========

_حلو قوي الأكل ده يا بابا ..اسمه إيه ؟!

تهتف بها ريما بفضول وهي تجلس جواره على مائدة المطعم ليرد وهو يطعمها بنفسه :

_كانيلوني .




فتحاول الصغيرة نطقه بصعوبة ثم تشير لنشوى مردفة :

_أكّل مامي كمان .

فتطرق الأخيرة برأسها بخزي يبدو أنه لن يعود يفارقها ..

تتذكر كل مرة فعلها يوماً وهو يطعمها مع صغيرته بيده ..

وتعلم أنه لن يفعلها بعد الآن !!

لهذا لم تفاجئها عبارته رغم مرحها المصطنع :

_مش عايز أضايقها لو ما حبتوش ..الكبار بيختاروا اللي يعجبهم .

_والصغيرين كمان .

تهتف بها الصغيرة بتنمر ذكره بأمها ليبتسم ابتسامة جانبية وهو يختلس نظرة نحو وجه نشوى المطرق ..

والتي رفعت إليها ريما يدها بشوكة الطعام هاتفة :





_هأكلها أنا !

تغتصب نشوى ابتسامة بطعم البكاء وهي تتناولها من الصغيرة ثم لم تشعر بنفسها وهي تنحني لتطوقها بذراعيها ..

تدفن وجهها في عنقها وكأنها تحتاج حقاً هذا الحنان غير المشروط ..

فيتشنج جسده مكانه وهو يميز ارتجافة جسدها هي بدموع لا يدري متى ستفارق عينيها ..

يود لو يقترب ..يلتصق ..بل ينصهر بها ويمتزج ..

لكن ماذا يصنع في ألف سد وسد صار بينهما ؟!

_بحبك قوي يا مامي .

تهتف بها ريما وهي تدرك بفطرتها أنها تحتاجها لتمسح نشوى دموعها بخفة وهي ترفع وجهها نحو الصغيرة هاتفة :

_وأنا كمان .





_لو بتحبيني كلي ..انتِ ما فطرتيش .

_مش قادرة ..شبعانة قوي .

تقولها ثم تقف مكانها لتردف بارتباك :

_هاروح الحمام أغسل وشي .

يراقبها في سيرها بعينين ملتاعتين وملامحه تصرخ غضباً وعجزاً لتشير له ريما بإصبعها أن يقترب ..

فيفعل ليجدها تهمس بحذر:

_هي مهمتنا فشلت ؟!

يتنهد بحرارة وهو لا يدري بماذا يرد ..

ليرتفع حاجبا الصغيرة وتردف وهي على وشك البكاء:

_فشلت؟! مش هنعرف نرجعها تضحك ؟!





شفقته نحو الصغيرة تغلب جميع مشاعره الآن فيبتسم وهو يربت على شعرها هاتفاً :

_لا ما فشلتش ..على العهد يا محاربة .

_على العهد أيها القائد!

تهتف بها بحماسة جففت دموعها وهي تعود لتناول طعامها بشهية فيما شرد هو ببصره ناحية الحمام القريب وهو يدرك يقيناً سبب هروبها الآن ..

يعلم أنها تجلد نفسها بذنبها لكنه لا يملك الآن أن يمنحها صفحاً ..

ربما لو كانا في تركيا ..

وكانت هي صديقته لملأ أذنيها نصائح تثنيها عن وضعها هذا ..

لكنه هاهنا يجد نفسه رغماً عنه يستعيد شرقية طباعه ..

يالله !!

كم يريد الآن خنقها !!





كم يريد الآن عناقها !!

ولا يهمّ أيهما يأتي أولاً !!

خواطره الساخطة تنتهي بزفرته وهو يراها تظهر أخيراً تسير نحوهما مطرقة الرأس بذاك المظهر الكسير ..

فينعقد حاجباه وهو يرى أحدهم يصطدم بها فجأة ليهتف بها بحدة :

_مش تبصي قدامك ! حد يمشي كده ؟!

هنا ينتفض مكانه ليتوجه نحوهما ثم لا يشعر بنفسه وهو يمسك الرجل من ياقة قميصه هاتفاً :

_اتكلم عدِل !

ويبدو أن الرجل كان عدواني الطباع فلم يكد ينتهي منها حتى عاجله بسبة بذيئة سبقت لكمته لوجه إسلام الذي رد له لكمته بسرعة قبل أن يتجمع الناس ليفرقوا بينهما ..

=======





_شفتي بابا ضربه إزاي ؟! سوبر هيرو !

تهتف بها ريما وهي تجلس أمامهما على أحد الكراسي في صالة البيت بينما جلس إسلام على الأريكة وجواره نشوى تحاول تهدئة أثر كدمته بكمادة من الماء البارد ..

لكنه انتزعها من كفها ببعض العنف وهو يضعها لنفسه بنفسه ليخاطب الصغيرة بقوله مبالغاً بفخامة صوته :

_كنت هاكسره لولا حاشوه من إيدي .

_بس هو كان أكبر منك .

تهتف بها الصغيرة باستنكار مشيرة لضخامة ذاك الرجل حجماً فيبتسم بحرج لها مع غمزته متجاهلاً تلك التي تجلس جواره :

_اعملي نفسك ماخدتيش بالك !

ضحكة صغيرتها تصدح في أذنها فتختلس نظرة أخرى نحو وجهه ..




هذه غمزته التي تشعر أنها افتقدتها ..

يالله !!

يوماً ما ظنته لا يستطيع التحدث إلا وهو يغمز ..

لا يستطيع التوقف عن المشاكسة والمزاح ..

كم كانت صورته في عينيها مختلفة عن ناصر الجاد ذي الهيبة ..

"الطيف اللعين" يجتاح ذهنها من جديد فارضاً سلطانه على أفكارها لكنها تقاومه ..

أي مقارنة تصلح هاهنا يا غافلة ؟!

أي معيار يصلح للتفضيل بينهما ؟!

ليت القلوب تسير بهيمنة العقول!!

ليتها تملك حقاً أمر نفسها !!

شرودها يبتلعها لدقائق طالت بعدها حتى انتبهت على صوت الصغيرة :





_عايزاك تنام معايا النهارده في سريري عشان أطمن عليك..

_واللا عشان أحكيلك حدوتة ؟!

_الاتنين !

تهتف بها الصغيرة مع ضحكة عذبة خطفت لبه وهو يراها هاهنا تشبه أمها تماماً ..

يغالب خاطره الأخير وهو ينهض واقفاً ليتجه نحو الصغيرة التي أمسكت بكفه هاتفة :

_بلاش تشيلني مادام تعبان ..بس بكرة تشيلني مرتين .

_أروبة .

يهتف بها وهو يغمزها ليتحرك معها نحو غرفتها فتتنهد نشوى بحرارة وهي تشعر أنها تزداد انزواء ..

تتذكر كيف كان شعورها وهي تراه ينتفض في المطعم لأجل أن يدافع عنها غير مراعٍ لفارق القوة الظاهري بينه وبين ذاك الرجل ..




ورغماً عنها تتذكر موقفاً من مراهقتها عندما كانت تسير في الشارع ليلاحقها أحدهم بمعاكساته ..

يومها لا تدري من أين ظهر ناصر فجأة لتفاجأ به يضرب ذاك الشاب ويتوعده إن عاد لمضايقتها ..

تبتسم كعهدها كلما تذكرت هذا الموقف لكن ابتسامتها هذه المرة ترتجف بشحوب وهي تشعر أن الصورتين تزدادان تشوشاً في عينيها ..

صورة إسلام وصورة ناصر ..

لا يشبهان بعضهما ظاهراً إنما تمتزجان في عقلها بتشوش يكاد يثير جنونها ..

هل فقدت عقلها كما تظن ؟!

تزفر بعجز وهي تخبط بكفيها على صدغيها بقوة كأنما تسحق أفكارها هذه سحقاً قبل أن تنتفض واقفة لتعاود ممارسة ما تجيده ..

الهروب!





تلحق بهما لتجده مستلقياً على الفراش جوار الصغيرة التي استكانت على صدره فتسري رجفة باردة في جسدها !

مشاهد متفرقة لليلتها الوحيدة معه تغزوها فلا تكاد تصدق أنها كانت منه بهذا القرب !!

جسدها يستجيب بهذا الشعور الذي لم تعرفه إلا معه فتغمض عينيها خزياً ..وخجلاً !!

_تعالي يا مامي اسمعي ..حدوتة حلوة قوي .

تهتف بها ريما وهي تفتح لها ذراعيها فتتقدم نحوهما مطرقة الرأس لتجلس على طرف الفراش الآخر تشعر بالمزيد من النبذ ..

إلى متى سيحتمل وضعاً كهذا؟!

إلى متى سيبقى؟!

وماذا ستفعل هي لو قرر أن يرحل ؟!





هل ستلومه ؟!

هو وعدها أن لن يترك الصغيرة ..

ماذا لو تركها هي إذن ؟!

فليفعل!

لعله يريحها من عذاب ضميرها هذا !!

تنتبه من شرودها الذي طال لترى الصغيرة وقد استسلمت للنوم فتتحرك لترفع عليها غطاءها متحاشية النظر نحوه ..

حتى تصطدم عيناها بمرأى يده تحتضن كف الصغيرة !!

رغبة عارمة تنتابها هاهنا أن تمد أناملها تتشبث بكفه !!

لكنها تلعن نفسها سراً وهي تشعر بالمزيد من التخبط !!

ما الذي تريده بالضبط ؟!





تشعر به يكاد ينهض بحذر فتستوقفه بهمسها دون أن تنظر إليه :

_أنا حاسة إني بستغلك عشان خاطر البنت ..مش عارفة ممكن أعمل إيه عشان أرد لك كل اللي بتعمله ده .

لم ترَ ابتسامته الساخرة المتشحة بمرارتها لكنها شعرت بها في جوابه المتهكم بخشونة :

_حوّليلي رصيد !

دعابته الثقيلة لم تزدها إلا خزياً فارتجف جسدها بقهر ينهشها معه ساعة بعد ساعة ..

بينما انعقد حاجباه هو بالمزيد من الغضب والعجز وهو لا يدري كيف يتصرف معها ..

الخزي الذليل هذا في ملامح طالما عشق عنفوانها يكاد يقتله ..

لكن ما حيلته ؟!





_فرح سيف وغادة كمان كام يوم ..جهزي فستانك مادام بتضايقي لما بختاره .

يقولها وعيناه تترصدان كل انفعالاتها ليلحظ شحوب ملامحها مع حشرجة صوتها بالجواب:

_مش عايزة أروح .

_براحتك .

يقولها بنفس الجفاء الذي لا يتعمده وهو يتأهب للقيام من جديد ..

لتتجمد نظراته أمام أناملها التي شعر بها تتحرك ببطء شديد زاحفة على الفراش نحوه ..

هل يهيأ إليه ؟!

أم أنها في طريقها لتمسك يده حقاً ؟!

الزمن يتوقف حوله وعيناه معلقتان بحركة أناملها شديدة البطء ..

يكاد يسمع صوت لهاث أنفاسها ..

يستشعر ذبذبة جسدها المرتجف ..





لكن ..ماذا لو فعلتها ؟!

ما الذي يضمن له أنها تراه هو وليس خيالاً لرجل آخر ؟!!

الخاطر يشعل الدماء في عروقه في نفس اللحظة التي تتوقف فيها أناملها في وسط الطريق !!

ينتفض مكانه بغضب ليهرع بخطوات منفعلة نحو الغرفة الأخرى صافقاً بابها خلفه ..

وما كاد يفعل حتى انهمرت دموعها بحرية هذه المرة وهي تلعن نفسها من جديد ..

قبل أن تتخذ قرارها وتنهض لتتناول هاتفها ..

ولم تكد تسمع صوت ياقوت حتى همست بها بألم دون اختيار لمقدمات :

_عارفة الغريب ايه ؟! لما الحاجة اللي تبقي مستنياها عشان ترفع راسك تبقى هي اللي تحطه في الوحل ..كنت بس عايزاه يرجع لي العمر اللي راح ..أنا عايزة أكرهه ..نفسي أكرهه .





_أنا مش عايزاكي تكرهيه ..أنا عايزاكي تحبي نفسك ..لو حبتيها هتقدري تختاري اللي يحبها معاكي .

تقولها ياقوت بنبرتها المريحة وهي تفهم عمن تتحدث.. متفهمة كل انفعالاتها ..وهذا الصمت الذي غرقت فيه بعدها ..

لتردف بعدها بحذر:

_أفهم من كده إنك هتحكيلي ؟! هتجاوبي على كل أسئلتي؟!

والساعتان الكاملتان اللتان استغرقهما حديثهما بعدها كانتا خير جواب .

=========

_لا لا ..سيبك م العكّ ده ..عندي ليكِ محل لانجيريهات يجنن .

تهتف بها هانيا بنبرة خبيرة لتضحك غادة وهي تتحرك معها مبتعدة عن واجهة أحد المحلات التي تعرض ثياباً منزلية ، لتهتف بمرح:

_والله واتدردحنا وبقينا خبرة !

_امال!

تقولها هانيا بفخر يجعل غادة تطلق ضحكة عالية وهي تتأبط ذراعها هاتفة :

_هو أنا سبتك كتير قوي كده ؟!

_اوووه ..مصر اتغيرت قوي يا لينا !

تهتف بها هانيا مقلدة مشهداً في فيلم شهير لتعاود غادة الضحك هاتفة :

_أيوااا بقاااا ...رامز ده عمل المعجزات .

فتضحك هانيا بدورها وهي تسير جوارها نحو المركز التجاري القريب قائلة :

_بتلكك بيكِ عشان أعمل "شوبنج" ..عاملة زي ما أكون محدثة نعمة ..نفسي أشتري كل يوم من ده .

تقهقه غادة ضاحكة وهي لا تصدق هذا التحول الجديد على شخصية صديقتها ..

بينما تتوقف هانيا فجأة لترمق ملامح غادة الهانئة برضا لتسألها بنبرة فاح منها الذنب :





_انتِ بجد سامحتيني على غلطي معاكِ قبل السفر؟!

فتقرص غادة وجنتها برفق هاتفة :

_بطلي هبل ! رصيد العمر ماتضيعوش غلطة يوم ..انتِ أختي مش صاحبتي ..

ثم تميل وجهها مردفة بمرح أكبر :

_وقريباً سلفتي ..بس للأسف مش هالحق أبقى جارتك كتير ..كلها كام يوم وهنرجع اسطنبول ..آه كويس إني افتكرت ..جبتلك دي ..

تقولها لتخرج من حقيبتها حلية معدنية مزودة بسوار رقيق كتب عليها بخطّ كبير :

"أخت العروسة" !

ربطتها حول معصمها لتهتف :

_عايزاكي تحضري بيها الفرح ..اخترت الشريط لون الفستان .





دمعت عينا هانيا لهذه اللفتة الرقيقة منها فاحتضنتها بحب هامسة :

_قلبك دهب يا دودا ..يا بخته سيف بيكِ .

ضحكت غادة وهي تربت على ظهرها ليعاودا رحلة تسوقهما فتهتف الأولى بامتنان :

_مش عارفة من غيرك كنت عملت إيه ..سايبة مذاكرتك وقاعدة تلفي معايا .

_ماتفكرينيش ..الدكتوراة بتاعتي دي هتجيب أجلي ..يارب المذاكرة تموت .

تهتف بها هانيا ببؤس لتضحك غادة هاتفة :

_لا ياعبقرينو ..ده احنا منتظرين نتيجة التعب ده كله ..ورامز بالذات .

فتتنهدت هانيا بحرارة لترد :

_أنا كمان نفسي أخلص منها عشان أفكر في موضوع "البيبي" ..يمنى بنت يامن فتحت نفسي ع الآخر ..ماعدتش بتضايق من تعليقات طنط مامة





رامز ..بالعكس ..هاموت وأجيب "بيبي" قمور كده .

_لا أنا عايزة بنوتة نعرف ندلعها .

_بنت؟! ده كان يامن أهدر دمي !

تهتف بها هانيا باستنكار مرح لتعاودا الضحك سائرتين حتى وصلتا إلى المحل المنشود الذي أعجب غادة كثيراً ..

_لا طلعتِ أروبة يا هانيا .

لكن الأخيرة فاجأتها بضحكاتها الخجول وهي تميل على أذنها هامسة :

_مش مصدقة إنك ممكن تلبسي الحاجات دي لسيف ..مش راكبة في دماغي خالص .

_ولا أنا والله ! ده ودانه بتحمر لما بسلم عليه ..

تهتف بها غادة بمرح لتلتمع عيناها وهي تردف بعاطفة حقيقية :





_بس بيني وبينك دي أحلى حاجة فيه .

_سبحان الله ..عمري ما اتخيلت إنك تحبي حد بعد أحمد الله يرحمه .

تقولها هانيا بحذر لتلتفت نحوها غادة قائلة بشرود :

_سيف وأحمد ! على أد ما بحسهم شبه بعض قوي بس مختلفين ..يمكن عشان كده ما بحسش معاه إني خنت أحمد أو نسيته ..بالعكس ..بحس كأني كملت حياتي على نفس الطريق ..كل واحد فيهم ربنا بعتهولي في وقته عشان يبقى ضهر يسندني ..ربنا كريم قوي .

_ونعم بالله !

تتمتم بها هانيا برضا ليحمر وجهها خجلاً وهي تميل على أذنها رافعة يدها التي تمسك إحدى قطع الملابس الداخلية لتهمس:

_اللي يسمعنا واحنا بنتكلم بالإيمان والتقوى دي ما يشوفش اللي في إيدينا .





فقهقهت غادة ضاحكة وهي تلكزها في كتفها هامسة :

_دي نقرة ودي نقرة يا أخت هانيا !

ضحكاتهما المتشحة بمرح حقيقي تستمر لساعات قضتها كلتاهما في التسوق لشراء حاجيات العرس ..

تفترقان على وعد بلقاء مشابه في الغد فتستقل هانيا سيارة أجرة لتعود للبيت بحمولتها "الثمينة" ..

تتلهف لمرأى أثر ما اشترته على رامز!

لا ..لم تعد تشعر بالخجل المعيب القديم !!

على العكس ..صارت تستلذ بهذا الشعور الطاغي بأنوثتها في عينيه ..

تنقطع أفكارها والسيارة تتوقف بها أمام البيت فتترجل منها لتصعد نحو البيت ..





تفتح باب شقتها ثم تغلقه خلفها وهي تناديه بلهفة ليكون الصمت جوابها ..

تناديه بصوت أعلى وهي تتقدم نحو الداخل أكثر لكنها لا تجد ردا كذلك ..

أين ذهب ؟!

تشهق للمفاجأة وهي تفاجأ بظلمة المكان ..

ياللحظ !

انقطع التيار الكهربي !

تحركت بحذر نحو موضع الكشاف الكهربائي لتفاجأ بذراعه يحتضن خصرها مع همسه الدافئ:

_وحشتيني .

فتحاول تمالك نفسها لتخبطه في كتفه هاتفة :

_مش هتبطل لعب العيال ده ؟ خضيتني ؟! اتفضل افتح النور .

لكنها تشعر بأنامله تزيح عنها حجابها لتعرف طريقها نحو أزرار قميصها مع همسه العابث:

_ما وحشتكش الضلمة يا بسطويسي ؟!





تبتسم وهي تتذكر ما يحكي عنه من بقايا عهدها القديم ..لتحاول التملص منه هاتفة :

_افتح النور وشوف جبت إيه .

يطلق همهمة متذمرة لتشعر به يبتعد قبل أن يغشي الضوء عينيها فجأة..

لتجده ينتزع منها الأكياس التي تحملها هاتفا باستنكار :

_يا خراب بيتك يا وهدان ! ايه كل ده ؟هو انت ماعندكيش وسط ؟! يا كده يا كده ..

فتضحك بدلال صارت تجيده وهي تنتزع منه الأكياس هاتفة بلهجة محذرة :

_بسيطة ..لو مش عاجبينك أرجعهم .

لكنه يعاود انتزاعها منها ليبتعد خطوة وهو يتفحص محتوياتها التي أشعلت الدماء في عروقه ليرفع إليها عينين عابثتين بينما يقطع المسافة بينهما بخطوة واحدة فيلصقها به هامسا :




_ترجعي إيه بقا ؟ حرام ! حد يرفس نعمة ربنا برضه ؟ هنكفر يعني ؟

تعلو ضحكاتها من جديد وهي تقفز للخلف بعيداً عنه هاتفة بنبرة محذرة :

_تقعد بأدبك لحد ما أغير هدومي وألبس واحد فيهم .

_طب أختار!

يقولها وهو يرفع سبابته وإبهامه الملتصقين في وضع الاستئذان لتهمهم بغرور مصطنع:

_أمري لله ..شوف هتختار إيه !

فيعاود فتح الأكياس من جديد ليستعرض محتوياتها بعينين متقدتين قطعة قطعة ..

تحمر وجنتاها بمزيج من خجل وترقب وهي تقترب منه شاعرة بالإثارة ..

تحاول التكهن بما سيختاره ..





ليهمس أخيراً وهو يرفع عينيه نحوها :

_اخترت!

_إيه ؟!

تهتف بها بفضول وهي تقترب منه أكثر لتتأوه بدهشة وهي تراه يدفعها نحو الأريكة القريبة فيسقط معها فوقها ثم يحيط وجنتيها بكفيه هامساً أمام عينيها :

_اخترتك كده من غير أي حاجة .

تضحك بمزيج من خجل وفخر وهي تفهم ما يعنيه تماماً لكنها تراوغ بهمسها:

_يا خسارة تعبي ..بعد كل ده ؟!

لكنه ينحني أكثر لينثر قبلاته فوق وجهها ثم يمد ذراعيه تحتها ليغمرها بدفئه هامساً بصدق عاطفته :

_كفاية عليا أحس إنك عايزة تسعديني .

_رامز!





تهمس بها بإغواء صارت تجيده فيغمض عينيه مستجيباً ليفاجأ بها تعضه في كتفه فجأة ليتأوه وهو يراها تدفعه لتقفز واقفة ثم تعدو مبتعدة مع هتافها المرح:

_على رأي المهفوفة داليا :جوّ الصعبانيّات ده مش هياكل معايا ..اتفضل اختار واحد ده أنا رجلي تعبت م اللف .

فيضيق عينيه بنظرة تهديد وهو يهب واقفاً بدوره ليلحق بها ..

تصرخ صرخة مرحة وهي تهرب منه لتدور حول المائدة فيدور كذلك حولها هاتفاً :

_والله ما هاعديهالك العضة دي ..فصلتيني يا فصيلة .

فتضحك وهي تحاول الهرب منه هاتفة :

_وطي صوتك مامتك تحت ممكن تسمع هتفضحنا .

_أفضحك ؟! انتِ لسه شفتي فضايح !





يهتف بها مهدداً بمرح وهو يحتكرها أخيراً بين ذراعيه فتهتف بأنفاس لاهثة :

_رامز ..عشان خاطري ..آه ..

يخرس كلماتها بطريقته ليسقط بها أرضاً هذه المرة فتتأوه بين ضحكاتها هامسة :

_مامتك هتقول إيه ع الهبد ده ؟! هتفضحنا يا مجنون ؟!

_قوليلها بننفض المرتبة !

يهمس بها وسط عاصفة من عاطفته اجتاحتها بجنون قبل أن تستسلم لها بجنون أكبر ..

والخاطر الأخير الذي جرفه تيار عاطفتها كان :

"يا خسارة تعبي!"

=========

_احنا جاهزين نروح الفرح !

تهتف بها ريما وهي تتحرك جوار نشوى التي أطرقت برأسها في خزي كعهدها المستحدث معه ..

فيتأملها في ثوبها الفضيّ ببعض الحسرة ..





لقد فقدت الكثير من الوزن في هذا الوقت القصير ..

لو كان في مزاج رائق يسمح له بالوقاحة لأخبرها أنه يتحسر على "إمكانياتها المفقودة "!!

لم يسألها لماذا غيرت رأيها وقررت الحضور معه ..

لكن ياقوت طلبت منه أن يمنحها الفرصة كي تخرج من "شرنقة الوهم" التي طالما حبست نفسها فيها ..

لهذا وجّه طاقة مزاحه للصغيرة التي انحنى ليحملها على كتفه هاتفاً :

_مبسوطة ؟!

_قوي ..بحب الأفراح ..هارقص الرقصة اللي علمتهالي ..بس ..





تستمر الصغيرة في ثرثرتها التي شردت هي عنها وهي تسير جوارهما مطرقة الرأس حتى استقلت سيارته جواره ..

تختلس نظرة جانبية نحوه لتميز أناقته البسيطة التي تشبهه ..

خاطر سخيف ينتابها ويجعلها تسخر من نفسها بشدة ..

إنه لا يرتدي دبلة !

تباً!

كأنما هذا فقط ما عجزت هي عن منحه إياه !

تغمض عينيها بألم وهي تتذكر كيف مرت بهما الأيام السابقة ..

كيف تباعد عنها هي تماماً مكتفياً بسخاء عاطفته نحو الصغيرة ..

ياقوت نصحتها ألا تعتبر هذا البعد نبذاً إنما هو فرصتها كي تعيد حساباتها ..





كي تكسر صنمها بنفسها وتعرف ماذا تريد ..

لكنها تعجز عن فعلها ..

تعجز وتكره نفسها إذ تشعر بكل هذا الخزي!!

ليته يحدثها بكلمة واحدة ..

ليته فقط يحاول الاقتراب ..

لا ..لا ..

لن تكون بهذه الأنانية كي تتمناها ..

ليست أنانية ..بل احتياجاً ..

هي تحتاجه ..

لا تعرف مسمى لهذا الاحتياج لكنها تدرك بمنتهى القوة أنه حقيقي ..

أنه قاهر!!

السيارة تصل لبغيتها أمام "الكوافير" فتراه بطرف عينها يترجل ليأخذ ريما ويتوجه نحو سيارة العرس حيث وقف سيف ينتظر عروسه ..





غادة التي ظهرت أخيراً كقطعة من القمر !

دمعت عيناها وهي تتأمل ثوب غادة الأنيق بحسرة ..

تتذكر أنها هي ارتدت الثوب الأبيض مرتين ..

لكنها لم تشعر بفرحة كهذه التي تكاد تشع في عيني غادة ..

ولم تجرب أن يفخر بها رجلها فتكاد عيناه تصرخان بعاطفته كما يفعل سيف الآن !

أي خاسرة هي!!

وفي مكانه عانق سيف إسلام بقوة والأخير يهتف به بمرح :

_مبروك يا سيدنا ..عشت وشفتك عريس ..فين عمك علاء مفوت اللحظة التاريخية دي إزاي؟!

_لسه ماشي ..اطمن على غادة وسبق على القاعة ..





يقولها سيف بتشتت وعيناه لا تكادان تريان سوى فتنة غادة الجلية التي تكاد تذهب عقله ..

_طب عيش انت بقا يا برنس ..هامشي أنا عشان ما أبقاش عزول .

يقولها إسلام وهو يربت على كتفه ملوحاً بكفه لرامز الذي يجلس على مقعد القيادة في سيارة العرس وجواره هانيا ..

_يعني إيه عزول يا بابا ؟!

تهتف بها ريما وهي تعود للجلوس في سيارته التي عاد يستقلها لينطلق خلف الزفة ..

فهتف بضحكة قصيرة :

_يعني واحد واقف بين اتنين بيحبوا بعض .





_يعني أنا عزول بينك انت ومامي؟!

تهتف بها الصغيرة بعفوية ليختلس نظرة جانبية نحو نشوى التي كانت مطرقة برأسها بخزي كعهدها مؤخراً ..

ليرد بما لم تفهمه الصغيرة وإن كان المعنى قد وخز نشوى بقسوة مغزاه :

_لا من الناحية دي اطمني .

=======

_ساكت ليه ؟! شكلي حلو ؟! طمنني!

تهمس بها غادة جواره في سيارة العرس وهي ترفع عينيها نحوه بخجل لتحمر أذناه كالعادة وهو يضغط كفها في راحته ليميل على أذنها هامساً :

_أقوللك وما تزعليش .

تتجهم ملامحها للحظة وهي تنظر إليه ليعاود همسه :





_أنا ندمان على فكرة الفرح دي ..لولا ماما الله يسامحها أصرت عليه ..مش متخيل إني هاسيب الناس تشوفك كده .

غيرته الغاضبة تمتزج بعشقه الفائر في مزيج ساحر يجعلها تطلق ضحكتها المهلكة فيزداد احمرار أذنيه مع نظرته الزاجرة لها قبل أن يعاود همسه :

_ضحكة واحدة كمان زي دي وهاقول لرامز يسوق ع البيت واللي يحصل يحصل .

تكتم ضحكتها مرغمة وهي ترمقه بنظرة اعتذار ليعاود همسه المحذر:

_إياك تقومي من مكانك في الفرح ..إياك ترقصي ولو معايا .

فتميل وجهها بدلالها الفطري لتهمس له :

_بس هترقص معايا لما نروح ؟!





صوتها المغناج بطبيعته يشعل أحطاب رجولته فيزفر بانفعال قبل أن تكتسي نظراته بعشق خالص يليق بعبارته :

_عارفة بحلم بالرقصة دي من امتى؟!

تتوه للحظات في هذا البحر الزاخر بعاطفته ..

"الحزن الأخرس" في حدقتيه صار مجرد طيف واهن خلف "العشق الأهوج" هذا ..

لكنها تترجم خجلها لمزاحها بدلالها المعهود :

_عارفة !

تقولها وهي تسند رأسها على كتفه بغنج ليطلق زفرة قصيرة مع همسه باسمها لتنفلت منها ضحكة قصيرة تشعله أكثر ..

_نحن هنا!

يهتف بها رامز أمامهما مشاكساً بينما يقود السيارة محاولاً توجيه الزفة الصاخبة خلفهما ..

لترد هانيا ضاحكة :




_بطّل رخامة وركّز في السواقة ..

ثم تعود برأسها للخلف تنظر نحوهما مستطردة :

_تدفعوا كام وأكفيكم شر الرخم ده في شهر العسل ؟!

_أبداً ..ده أنا نادرها أرخم عليه في شهر عسله المعقد ده .

يهتف بها رامز بمرح ليرد سيف بمرح مشابه :

_قلت ما أسكنش معاكم عشان كده ..بس والله لو عملت مقلب من مقالبك القديمة لأرجع تركيا في أقرب طيارة وأسيبلك البلد كلها .

_طيب ..نلحق بقا نروّش على خفيف !

يقولها وهو يتمايل بالسيارة أقصى اليمين ثم يعود ليتمايل بها أقصى اليسار فتتشهق غادة برعب هاتفة :

_لا يا رامز إلا دي ..إلا دي !





ترمقها هانيا بنظرة مشفقة وهي تدرك استعادتها لذكرى حادث أحمد خاصة أن رامز كان يرافقه يومها ..

لتلكز رامز في كتفه منبهة ..

فيما ضمها سيف لصدره وهو يطوقها بذراعيه وقد راوده نفس الخاطر ليهمس في أذنها بحنان رجولي آسر:

_ششششش..اهدي ..ماتخافيش .

يقولها ليزجر رامز بكلمات مؤنبة فيضحك الأخير هاتفاً :

_الحق عليا كنت عايز أشعلل الزفة ..بدل ماهم نايمين كده .

_سيبهم نايمين واحنا عايشين .

تهتف بها هانيا مؤنبة وهي تلكزه في كتفه ليعاود الضحك وهو يحاول مقاومة جنون تهوره .

يصلان للقاعة فتكون أم سيف أول من تستقبلهما ..





عيناها تمشطان غادة بإعجاب فائق وهي تراها ازدادت جمالاً على جمال ..

جمال زاده في عينيها هذه النظرة العاشقة في عيني ابنها الذي لم تره يوماً بهذه السعادة ..

لهذا أقبلت تضمها إليها بقوة هاتفة :

_مبروك يا بنتي ..زي القمر ..سيف عرف يختار .

فيختلج قلب غادة بقوة وهي تشعر بحنان المرأة الصادق ..

خاصة وهي ترى إيناس جوارها تغمرها هي بالعناق اللاحق دون كلمات ..

إنما بفيض دموعها كالعادة !

فتدمع عينا غادة وهي ترفع رأسها للأعلى متمتمة بالحمد !!

لقد عاشت عمرها تفتقد حنان أم ..

والآن يعوضها القدر باثنتين !!





تشعر بسيف يجذب ذراعها فترفع إليه عينيها الدامعتين لتراه ينحني ليقبل جبينها هامساً :

_مش عايز دموع النهارده .

تومئ برأسها موافقة لكن القدر يكون له رأي آخر ..

فقد ظهر هناك علاء ليهتف مشيراً للقاعة المجاورة :

_المأذون مجهز كل حاجة ..مين وكيل العروس ؟!

_انت طبعاً يا عمو !

تهتف بها غادة بعمق عاطفتها لكن أحدهم يظهر من خلفه قائلاً :

_وأنا ما أنفعش ؟!

تتسع عينا غادة بصدمة وهي تراه والد أحمد يتقدم متكئاً على عصاه ..

لقد دعته بطبيعة الحال لكنها لم تتوقع أن يحضر ..

لا أن يعرض أن يكون وكيلها !





لهذا انتفض جسدها فجأة في شهقة بكاء وهي تحتضن الرجل الذي دمعت عيناه وهو يهتف بصوت متهدج :

_الحمدلله إن ربنا مد في عمري لحد ما شفتك مبسوطة واطمنت عليكي .

تدمع عينا علاء وهو يتذكر مصابه هو الآخر ليربت على ظهر أخيه ..

فيما كان سيف يحترق بغيرة لا يملكها وهو يراها هكذا ..

يعلم أن الوضع طبيعي لكنه لا يحتمل ..

لهذا ما كادت تبتعد عن الرجل حتى ضمها هو بين ذراعيه ليربت على ظهرها برفق كأنه يعلن ملكيته الجديدة لها ..

ليعلو صوت أمه خلفه :

_اوعي تعيطي الماكياج هيبوظ .





فترفع وجهها بنفس عميق تسمح له أن يتخلل رئتيها قبل أن تمنحها عينا سيف نظرة مطمئنة قابلتها بابتسامة ..

الزغاريد تنطلق عقب عقد القران ليبدأ الحفل الذي لم تتوقعه هي بهذه الروعة ..

عندما يتحد رامز مع إسلام فالنتيجة كارثية !!

الاثنان كانا يعلمان عن غيرة سيف وتحفظه لهذا اعتمدا فقرات مميزة للحفل تختلف عن المعتاد من رقص العروسين ..

_ولأن عريسنا مش أي عريس ..هنقدم له رقصة تركي مخصوص من إخراج العبد لله ..رقصة الزيبك .

يهتف بها إسلام عبر الميكروفون ثم يشير لرامز وبعض أصدقائهم الذين التفوا في وضع دائري





يؤدون تلك الرقصة من الفلكلور التركي ..والتي تتميز بإيقاعها الذي يبدأ بطيئاً قبل أن يتسارع مؤخراً ..

يحنون ركبهم كثيراً بين الحركات وهم يتمايلون بأذرعتهم ..

يلتفون حول سيف الذي وقف في المنتصف ..يشبكون أذرعتهم خلفهم مع دورانهم استجابة للحن المميز.

رقصة ماهرة أجاد إسلام إخراجها مع أصدقائه لتكون بهذه المهارة فاستدعت تصفيق الحضور ..

ولم يكادوا ينتهون منها ..

حتى عاد إسلام يهتف عبر الميكروفون :

_وبعد الواجب التركي ننزل بالواجب المصري بقا ..ونسمع أجمل سلام لعريسنا ..بالبلدي ياللا ..





القاعة تنفجر باللحن الصاخب لأحد الأغاني الحديثة مما يسمونها "أغاني المهرجانات" والتي أشعلت الحضور ليمضي إسلام في الرقص بمهارة وقد تناول ذراعي ريما بين ذراعيه ..

_لذيذ قوي ابن الإيه صاحب العريس ده ..سنجل واللا إيه نظامه ؟!

_أنا قربت وشفته ..مفيش في إيده دبل .

تسمع نشوى الحوار خلفها مصادفة فتلتفت للخلف بوجه محمر غضباً يجعل الفتاتين المتحدثتين تنسحبان حرجاً لتختفيا من أمامها فيما تعاود هي الالتفات نحو المنصة بعينين مشتعلتين ..

لولا سعادة ريما الطاغية هذه لسحبتها من ذراعها وغادرت من هنا ..

لا ينقصها إلا أن تسمع النساء يتغزلن بزوجها ..

زوجها ؟!




الكلمة تبدو غريبة على مسامعها وهي تحمل لها سؤالاً عما يعنيه شعورها هذا ..

هل تغار ؟!

تعض شفتها السفلى وهي تعاود مراقبته من بعيد يرقص بحيوية مرحة مع ابنتها فتدمع عيناها وهي تتذكر يوم كانت هذه الضحكة لها ..

تفتقده !

تفتقده حقاً !!

لكنها تخاف أن تقترب فتعود لتزل قدمها في بئر الخيانة !!

تنتبه من شرودها عندما يهدأ العزف ليتحول لأنغام بطيئة تلائم رقص الثنائيات ..

فتراه يهبط مع ريما مغادراً المنصة ليتوجها نحوها ..

تطرق برأسها كعهدها بخزي مخافة التقاء نظراتهما ..





_شفتي رقص بابا حلو إزاي ؟!

تهتف بها ريما وهي تصل إليها لتغتصب ابتسامة باهتة وهي تهز رأسها فترفع ريما وجهه نحوه هو هاتفة :

_انت مش هترقص مع مامي زي كل الناس دي؟!

يضطرب قلبها بارتباك وهي تنتظر رده لكنه يقول لريما ببساطة :

_لا أنا هارقص معاكِ انتِ الرقصة اللي بعد دي .

_ومامي؟!

_مامي ما بتحبش .

يقولها ببعض الخشونة لتتلقاها صفعة جديدة على صفحة كبريائها فتطرق بوجهها أكثر ..

تتذكر أنها غيرت رأيها وقررت الحضور معه هذه الليلة في محاولة منها للاقتراب كما نصحتها ياقوت ..

لكنها الآن تشعر بالندم ..




فلتعد لشرفتها الآمنة ..تغلق بابها خلفها وتكتفي
بأن تجتر حزنها وحدها !!

وعلى منصة العروسين مالت غادة على سيف
هامسة :

_عاجبك منظرنا ده ؟! فيه عريس ما بيرقصش مع
عروسته ؟!

لكنه تناول كفها بين راحتيه لينحني بجذعه نحوها
فيغرس نظراته في عينيها :

_أول مرة شفتك وخطفتِ قلبي كنتِ بترقصي
معاه ..تفتكري ممكن أسمح لحد يشوفك تاني كده
؟! احمدي ربنا إني عملت فرح أصلاً .

فتضحك وهي تميل رأسها هامسة :

_غيرتك دي بقت رهيبة .





فيرفع أحد حاجبيه محذراً لتقترب بوجهها منه هامسة بدلالها المهلك :

_بس بحبها زي ما بحبك .

_غادة !

يهمس بها مغمضاٌ عينيه وهو يشعر أنه لا يكاد يطيق صبراً على الانتظار ..

فلينتهِ كل هذا بأقصى سرعة ..هو لا يريد إلا الانفراد بها فحسب .

وعلى المنصة كان علاء يراقص إيناس التي احمرت وجنتاها بخجلها المعهود وهي تهمس به :

_الناس بتتفرج علينا ..كان لازم نرقص يعني؟!

فيضحك وهو يضمها نحوه أكثر هامساً :

_أشوفلي واحدة تانية أرقص معاها يعني ؟!

_علاء! ما تقولهاش ولو بهزار!

_بتغيري يا نوسة ؟!





تكتم ضحكتها الخجول في كتفه وهي تشعر بلفظة تدليله تعيدها للخلف ثلاثين عاماً وربما أكثر ..

_من زمان ماقلتليش نوسة دي!

_ما انتِ اللي فرحانة لي ب"أنّا" اللي بيقولهالك الولاد !

يقولها مشاكساً وهو يتمايل بها بمهارة على الأنغام الهادئة لتتنهد بحرارة وهي تنظر تارة نحو سيف ..ثم نحو إسلام لتهمس أخيراً :

_ولادنا اتجوزوا يا علاء ..اطمنا عليهم .

فيختلس نظرة طويلة نحو إسلام ليقول بحذر:

_سيف آه ..إسلام لسه شوية ..حاسّه مش طبيعي ..مخبي حاجة مزعلاه بس مش عايز يقول .

لكن تفكيرها هي كان معلقاً في زاوية أخرى ..

طيف "الحبيب الراحل" يداعب خيالها فتدمع عيناها مع قولها :





_سيف وعدني لو جاب ولد ..هيسميه هاني .

يلتفت نحوها بحدة والكلام يفاجئه لتدمع عيناه بدوره فيتوقف مكانه لا إرادياً للحظة قبل أن يعود للتمايل معها كي لا يلفت الأنظار :

_الله يرحمه .

_هتصدقني لو قلتلك شفته وهو بيرقص معاهم ؟! ضحكته كانت بترن في ودني !

تهمس بها بصوت متهدج وهي تخفي وجهها الملطخ بدموعه في صدره فيتنهد بحرارة وهو يمسح عينيه ليربت على ظهرها هامساً :

_قولي الحمد لله ..ربنا عوَضه كبير .

ترفع نحوه وجهها بابتسامة ممتزجة بدموعها فيبتسم بدوره ليعود لمشاكسته المعهودة :

_بطلي نكد بقا أحسن والله أشوفلي بنت حلوة م الصغيرين دول .





_والحلوة الصغيرة هتبصلك على إيه ؟! وشك المكرمش واللا شعرك الأبيض؟!

_وشي المكرمش ؟! أنا وشي مكرمش يا وش ..

_وش إيه ؟!

تقولها بنبرة مهددة مشاكسة كعهدهما فيحتضنها بين ذراعيه بقوة أكبر ليضحك هامساً لها بحب:

_وش القشطة !

وفي مكانه يقف إسلام يراقب رقص الثنائيات ببعض الحسرة ..

يتمنى لو تشاركه هذه الرقصة لكنه لن يطلبها ..

هو تعجل مرة وندم ..

لابد أن تكون الخطوة القادمة منها هي !!

يختلس نظرة جانبية نحوها ليجدها تطيل التحديق في غادة ب"نظرة غريبة" والدموع تملأ عينيها ..

نظرة هي مزيج من حسرة وحزن ..وغيرة !!





هل تغار منها حقاً ؟!

أفكاره تنقطع وهو ينتبه لإشارة سيف له أن يأتيه فهرع إليه لينحني عليه ليستمع فيبادره الأول بقوله :

_فُضّ المولد ده بقا أنا زهقت .

فيضحك وهو يبسط له راحته هاتفاً :

_تدفع كام ؟!

يلكمه سيف في كتفه فيتأوه بخفوت ثم يتحدث لغادة هاتفاً :

_اشهدي ..عاملله أراجوز طول الفرح والآخر يضربني .

يعاود سيف لكمه فيضحك هذه المرة وهو يبسط راحتيه مستسلماً قبل أن يتحرك لينفذ له ما أراده ..

=========

في طريقهما للبيت عقب انتهاء الحفل يختلس إسلام نظرة جانبية نحوها ليلحظ شرودها البائس كعهدها منذ بدأت الليلة ..





بل منذ ليلتهما الكارثية تلك !

عيناه تنحدران نحو ساعديها اللذين احتضنت بهما جسدها وهو يشعر بشفتيها ترتجفان فيما بدا كتمتمة لم يسمعها ..

تراها لاتزال تفكر به ..ناصر!!

الخاطر الأخير يؤججه غضباً لكنه ينتزعه من ذهنه قسراً وهو يوقف سيارته جانباً ليترجل منها ثم يفتح الباب الخلفي ليحمل ريما التي غلبها النعاس ..

تتحرك خلفه كالمغيبة لتصعد نحو البيت ..

ترفع عينيها نحوه عن بعد لتراه وهو يخلع عن الصغيرة حذاءها بحذر فوق فراشها قبل أن يرفع عليها غطاءها ثم يقبل جبينها بعمق ..

جسدها يرتجف بقشعريرة مهلكة وهي تتذكر قبلة كهذه كانت يوماً على جبينها هي !

تذكرها الآن كحلم بعيد ..

بعيد جداً ..





فترفع أناملها تتحسس جبهتها ببطء وهي تود أن يبقى هو هكذا لأطول وقت ..

تراقبه من بعيد فلم تزل عاجزة عن رفع عينيها إليه بعد !

تراه يستقيم في وقفته فتطرق برأسها لا إرادياً وهي تشعر به يتقدم نحوها ..

خطواته تتباطأ نوعاً عندما يمر جوارها فتزداد خفقاتها جنوناً لكنه يتجاوزها بعدها ليتركها ..

تشعر بالبرد !!

أجل ..رغم حرارة الجو المفترضة لكنها كانت تشعر أنها تفتقد دفئاً خاصاً ..

دفئاً لم تعرفه إلا معه ..

لكن ..هل كان الأمر يخصه هو حقاً ؟!

أم أنه مجرد صورة واقع لخيال طالما تمنته ؟!





السؤال يقذفها لنفس الجحيم من جديد فتتخطاه ب"طمس أفكارها" كالعادة ..

لن تفكر ..

ستهرب ..ستهرب كعهدها لمنفاها الآمن ..

تخلع عنها ثوبها وحجابها لترتدي إحدى المنامات التي كان قد أحضرها لها ..

شبه ابتسامة واهية تجتاح شفتيها وهي تتذكر تعليقاً وقحاً قد قاله ..

هل تبالغ لو قالت إنها ..تفتقد روحه المرحة هذه !

تتحرك نحو المرآة تتفحص شكلها ..

امرأة مع إيقاف التنفيذ !

آلة لم تعد تصلح إلا للعمل فحسب!!

العطل الذي أصاب قلبها أوقف كل محركات أنوثتها ..

فمن ذا يصلحه ؟!





تتحرك بخطوات محبطة نحو الشرفة الضيقة لتغلق بابها خلفها فتستعيد بعض شعورها بالأمان ..تأخذ نفساٌ عميقاً ثم تتحرك لتجلس في زاويتها ..ترفع ركبتيها لتطوقهما بذراعيها ..

ثم ..تدفن رأسها بينهما !

ليتها تعرف على الواقع حلاً يدفن أوجاعها هكذا كذلك !

تستعيد صورة غادة "العروس" فتنفجر دموعها فجأة وهي ترثي نفسها ..

إنها لم تطمع في الكثير!

هي فقط أرادت سعادة كهذه التي كانت على وجهها ..

أرادت رجلاً يفخر بها تصرخ ملامحه عشقاً كما كان سيف ..





أرادت مرفأً آمناً ترسو فيه سفينتها كواقع بعد
رحلة طويلة في بحر خيال ..

تشعر بالباب يفتح فينتفض جسدها ترقباً ..وخزياً ..

لا ..لا تريده أن يراها تبكي من جديد ..

تكتم شهقات بكائها وهي تدفن وجهها بين ذراعيها
أكثر تكاد ترجوه أن يتركها لوحدتها ..

لكنه يقترب أكثر لتشعر به يجلس جوارها ..

جسدها يتحفز بترقب منتظراً منه كلمة ..أو حتى
حركة ..

لكنه بقي ساكناً جوارها لا تكاد تسمع سوى صوت
أنفاسه وسط كل هذا السكون ..

كأنه يشاركها بسكوته وقد عجز عن الكلام !!

الصمت الثقيل يسودهما لدقائق طالت ..

حتى وجدت بعض القوة لترفع رأسها أخيراً ..





تنظر أمامها نحو الجدار الأصم وكلماتها تتسرب رغماً عنها بوجع :

_لبست فستان الفرح مرتين ..بس ولا مرة ..ولا مرة حسيت بالفرحة اللي شفتها النهارده في عينيها .

تتسع عيناه بإدراك وهو يميز سبب هذه النظرة الغريبة التي رآها في عينيها هذه الليلة ..

قبل أن يختلج قلبه بلوعة وهو يرى عبر الظلمة النسبية للشرفة خيط الدموع الذي كان يسيل على وجنتها ..

قناع جفائه يتشقق نوعاً وهو يتنحنح ليغمغم بخشونة نسبية وهو يتحسس تلك الشامة غريبة المظهر تحت أذنه :

_فاكرة لما قلتلك قصة الوحمة دي ؟! كنت بكرهها وفكرت أشيلها ..أنا عملت علاقات مع ستات كتير قوي ..بس مفيش واحدة لمست الوحمة دي قبلك ..





تختلس نظرة جانبية نحوه وكلماته تزيد من معدل خفقاتها إذ تتذكر ليلتهما الوحيدة معاً ..

مزيجٌ من الخجل والخزي يطوقها فلا تدري بماذا ترد ..

طبيعتها "الشوكية" تطفو للسطح نوعاً ما فتجد نفسها تقول دون أن تنظر إليه :

_كل شوية تقوللي إنك عرفت ستات كتير قبلي ! للدرجة دي فخور بالموضوع ده ؟!

فيصمت للحظات قبل أن يصلها رده غارقاً بين صدقه وحسرته :

_مش يمكن العكس ؟! أنا حاسس إن ربنا بيعاقبني في الست الوحيدة اللي ..

يصمت للحظة بعدها فتتحفز حواسها كأنما تجلس على صفيح ساخن ..

قبل أن يردف بنبرة أكثر حرارة :

_حبيتها بجد .





لم يكد ينتهي منها حتى فوجئ بها تلتفت نحوه بحدة ..

ولأول مرة منذ تلك الليلة تجد الجرأة لترفع عينيها إليه ..

كأنما تسمع اعترافه لأول مرة!

حدقتاها تتسعان رويداً رويداً مع انفراج شفتيها فتبدو له ك"طفل" يرى أخيراً بعد طول عمى ..

والحقيقة أنها لم تكن تختلف كثيراً عن هذا التشبيه ..

اعترافه الأول تلقاه عقلها ب" أذن حسرتها" على ناصر ..

فلم تكد تسمع سواها ..

أما هذا فيتلقاه قلبها ب"أذن أمل" تستكشفه هو كرجل ..

فلا تجد سوى ضباب !





وأخيراً تذهله وهي تتحرك ليجدها فجأة على صدره !

ذراعاها يحيطان بعنقه بينما أناملها تتلمس "الوحمة" هذه مع كلماتها التي امتزجت بدموعها :

_أنا آسفة ..آسفة ليك ولنفسي ..عارفة إني جرحتك يومها ..بس والله العظيم غصب عني .

قلبه يخفق بجنون وهو يشعر بعناقها يزلزله !!

خلاياه كلها تشتعل بعاطفته وهو يدرك في هذه اللحظة أنها تراه هو ..

لكنه يقبض كفيه جواره بقوة عاجزاً عن مبادلتها عناقها ..

ليس بعد ..ليس بعد !

_ليه ورطت نفسك مع واحدة زيي؟! ليه ما سبتنيش زي اللي سبقوك ؟!




لا تزال كلماتها تذبحه بوجعها بينما أناملها التي تتحسس وحمته هذه تكاد تصيبه بالجنون ..

فيخرج صوته متحشرجاً بجوابه :

_برضه غصب عني .

تفهم عبارته كما أرادها تماماً فتزداد ارتجافاً على صدره ..مع همسها:

_عايزة أقوللك حاجات كتير بس ..مش قادرة ..

زخة أخرى من دموعها تسقط على صدره فلا يشعر بأنامله التي ارتفعت لتحتضن أناملها فوق عنقه مع سؤاله :

_أنا خلليتك تندمي على حاجة قلتيهالي قبل كده ؟!

تمرغ وجهها في صدره كجواب بالنفي فيأخذ نفساً عميقاً وهو يشعر بصدره يكاد ينفجر بأثر قربها هذا ..




_بُصيلي يا نشوى!

يهمس بها ببعض الحزم فيشعر بها ترتجف أكثر عاجزة عن فعلها وقد آثرت دفن وجهها في صدره كعادتها في الهروب ..

لكنه يرفع ذقنها نحوه بنفسه بكفه الحر ولايزال الآخر متشبثاً بأناملها فوق عنقه ليسألها :

_انتِ دلوقتِ شايفاني أنا ..صح؟!

أناملها تتحرك ببطء فوق "وحمته" لتمنحه جواباً غير منطوق فتتهدج نبرته وهو يردف:

_كل مرة هتلمسيها هاعرف إنك شايفاني أنا ..لو الصورة اتبدلت في عينيكي ..ابعدي وأنا هافهم .

تتسع عيناها بصدمة من هذا "التفهم" الذي يبديه للحظات ..





ثم تنخرط من جديد في البكاء وهي تعاود إخفاء وجهها في صدره هامسة :

_انت فاكرني مبسوطة باللي أنا فيه ؟! أنا بكره نفسي ..بكرهها وأنا حاسة أد إيه أنا غبية وموقفة عمري على وهم ..ممكن أصرخ ألف مرة قدامكم إني نسيته بس بيني وبين نفسي عارفة إني بخبط راسي في حيطة سد ..

غضبٌ طبيعي يجتاحه مع اعترافها لكنه يسيطر عليه بقوة يحسد عليها وهو يعاود رفع وجهها نحوه ليسألها بنفس الحزم :

_انتِ ما جاوبتيش سؤالي يومها ..اشمعنا ماكنتيش بتتخيليه مع جوزك اللي قبلي؟!

هنا يشعر أن الألم على ملامحها يتضاعف آلاف المرات وهي تغمض عينيها للحظات بتردد قبل أن تعاود دفن وجهها في صدره لتحكي ..





تفاصيلها المؤلمة التي ترويها عن زوجها السابق تخزه بقسوتها ليثق من صحة استنتاجه ..

الآن يفهم لماذا بدت له ليلتها عديمة الخبرة كعذراء ..

يفهم لماذا ارتبط هو في ذهنها بناصر ..

تماماً كما أخبرته ياقوت ..

لأنه اقترب من "تمثال الحب" الذي نصبته في قلبها طوال هذه الأعوام بصورة واحدة لم تغيرها !!

تفاصيلها تزداد خزياً وهي لا تدري كيف جرؤت على الاعتراف له بكل هذا ..

فتزداد ارتجافة جسدها حتى يكاد ينتفض بوجعه..

هنا كان قد أخذ قراره أن قد آن الأوان !

يمد ذراعيه أخيراً ليضمها إليه بقوة فتنتحب لتهمس له بما بدا صادقاً لأبعد حد :

_انت أول حد أحس معاه ب...مش عارفة أعبر ..مش فاهمة نفسي ..ينفع أقوللك إني عايزة





أحبك ؟! عايزة أسعدك ؟! عايزة أقرب منك تاني ؟!
بس خايفة ..خايفة أحس الإحساس اللي دبحني
ليلتها ..خايفة أخونك ولو بفكرة ..خايفة ..خايفة ..

فيصمت لحظة ليرد بصوت أرجفته انفعالاته :

_اللي أقدر أقولهولك إنك لو اخترتِ تبعدي خطوة
هابعد خطوة ..

يشعر بأنفاسها تتوقف كأنما سلبها إياها بكلماته ..

لكنه يردف بعدها :

_بس لو قربتِ خطوة هاقرب عشرة .

يقولها وهو يشدد ضغط ذراعيه حولها بكل قوته
كأنه يبدلها بكل هذا الخوف أماناً غير مشروط ..

أماناً يحتويها بدفئه الذي تنعمت به للحظات قبل أن
ترفع وجهها إليه بنفسها هذه المرة ..

عيناها تدوران فوق ملامحه بهذه النظرة الآسرة
كأنها تراه لأول مرة ..





شفتاها تقتربان من شفتيه ببطء ليفاجأ بها تمسهما فينتفض جسده مكانه ..

آهة خافتة تغادر شفتيه وهو يخفض وجهه لأول لحظة عنها رافضاً إياها ليغلق عينيه هامساً بعذاب:

_نشوى!

لكنه يشعر بأناملها تعاود تلمس "وحمته"' كأنما تمنحه الجواب الذي يكفيه !

شهقة خافتة تغادر حلقها وهي تفاجأ به في حينها يعيدها للخلف إذ رفع ركبته ليسند ظهرها على ساقه المرفوع قبل أن ينحني فوقها لينال هديتها كما يجب !!

اللحن الشغوف بينهما تتصاعد وتيرته بجنون يكتسحهما معاً لدقائق لم تدرِ عددها ..

لهبٌ من عاطفته يلفحها فلا تشعر ببرودة الأرض التي وجدت ظهرها يلاصقها فجأة بينما تتلقى المزيد من عطاياه بنهَم محروم ..

_بحبك ..بحبك ..





همساته تتواءم مع لمساته بإيقاع خبير يدغدغ أنوثتها للحظات لكن "الطيف اللعين" يقتحم خيالها عنوة ليفسد عليها اللحظة ..

تشهق بعنف وهي تدفعه فجأة لتحيط رأسها بكفيها وهي تنهض جالسة وجسدها كله ينتفض كالمحمومة ..

فلا يحتاج لسؤالها عما حدث !

عروق جبهته تنفر غضباً وإحباطاً فيضرب الأرض جواره بقوة قبل أن ينهض بدوره ليغادر الشرفة لاهثاً صافقاً الباب خلفه بقوة ..

_مش في يوم وليلة ..ده هرم اتبنى حجر حجر وكل حجر بيوم من العمر..خدي وقتك بس المهم في الآخر إنك تنسفيه ..وأنا واثقة إنك هتقدري .





تكاد تسمعها بصوت ياقوت ذاك اليوم فتبدو لها كقبس من نور وسط كل هذه الظلمة ..

تشعر بالمزيد من الخزي والإشفاق نحوه فتنهض من مكانها لتبحث عنه فتجده هناك واقفاً في الشرفة الأخرى الواسعة ..

تتردد قليلاً قبل أن تملك القوة لتتقدم نحوه فتربت على ظهره هامسة :

_آسفة .

لكنه يتمالك نفسه وهو يدرك أنها حقاً تجاهد نفسها كي تخرج من متاهة الماضي ..

يكظم كل مشاعره السلبية وإحباطاته ليسدل ستار الشرفة ثم يلتفت نحوها بابتسامة تلقفتها هي كطوق نجاة ..

تأخذ نفساً عميقاً وهي تحاول هي الأخرى مقاومة هذا الشعور بالخزي الذليل ..

لتغمض عينيها بقوة هامسة :





_شكراً عشان ماسبتنيش أروح مع أشرف ليلتها ..لو كنت عملتها ماكنتش هارجع تاني هنا أبداً .

_قلت لك مش هاسيبك ..حطيها حلقة في ودنك .

يهمس بها بحسم لتتأوه بخفوت وهي تشعر به يقرن قوله بفعله فيعض أذنها ببعض القوة لتفتح عينيها متفاجئة وهي تتراجع بوجهها قبل أن ..

تبتسم!

ابتسامة حقيقية يراها منها لأول مرة بهذا الصدق ..

والأهم أنها تخصه هو !!

ابتسامة وجدت توأمها على شفتيه ليناظرها بهيام للحظات قبل أن يحيط خصرها بكفيه ليقترب منها بوجهه هامساً :

_أنا مش زعلان م اللي حصل بالعكس ..الصراحة بيننا هي اللي هتقربنا ..مهما حصل اوعديني ماتخبيش أي حاجة .





تومئ برأسها موافقة وابتسامتها تزداد اتساعاً لتختلط بخيط دموع سال رغماً عنها ..

لكنه انحنى بوجهه أكثر يدلل ابتسامتها بشفتيه برقة هامساٌ :

_مش هانسى ابتسامتك دي طول عمري ..أول حاجة فيكِ أحسها بتاعتي لوحدي .

فتتسع عيناها بالمزيد من الذهول وهي لا تصدق أن كل هذه العاطفة لها ..هي!!

هي؟!

بعد طول سنوات شعرت فيها أنها لا تستحق الحب !!

تدمع عيناها بتأثر فيتنهد بحرارة وهو يتذكر صفعته لها تلك الليلة ..

يتحسس وجنتها وجانب شفتيها برقة هامساً :

_آسف ع اللي حصل ليلتها ..أنا عمري ما مديت إيدي على واحدة ست .





فاتشحت ابتسامتها بالكثير من المرارة وهي تغمض عينيها هرباً من خزي تلك الليلة هامسة :

_ياريت ألف قلم بس أفوق ..نفسي أفوق م اللي أنا فيه ..أنا ..أنا كارهة نفسي .

_بس أنا بحبك .

يهمس بها وهو يرفع ذقنها نحوه لتمتزج أنفاسهما فتعاود فتح عينيها وكأنها تتلقف منه كل نظرة تروي المزيد من بذور أنوثتها ..

نظرتها شديدة البراءة في عينيه تشبه نظرة ريما عندما يفاجئها بهدية جديدة ..

الآن فقط يوقن تماماً أن ناصر هذا ليس سوى وهم صنعه خيالها وغذته قلة ثقتها في نفسها رغم طبيعتها المتمردة ..

يفاجأ بها تضم خصره بكلي ذراعيها بقوة لتسند رأسها على صدره هامسة بكلام غير مرتب ..لكنه كان يشع صدقاً:

_حضن بابا كان دافي قوي ..يوم ما سابني قلت البرد اللي حسيته عمره ما هيفارقني ..حضن





أشرف برضه دافي بس دايماً حاساه ناقصه حاجة ..يمكن ..نظرته دايماً اللي بتحسسني إني صعبانة عليه ..

تقطع حديثها العفوي فجأة فيسألها باهتمام :

_وأنا؟!

صمتها يطول لدقيقة كاملة فيتنهد بحرارة وهو يزيح شعرها جانباً ليطبع على عنقها قبلة ناعمة وهو يكرر سؤاله بينما يربت على ظهرها بحنوّ:

_وأنا يا نشوى؟!

جسدها يرتجف بين ذراعيه وهي ترفع عينيها نحوه بنفس النظرة الآسرة..

تفك تشابك ذراعيها حوله لتبتعد خطوة هامسة بتشتت:

_انت ..حاجة جميلة خايفة أصدقها وتروح ..وخايفة تفضل معايا أتعذب بذنبها وأنا ماستاهلهاش .




_ولو وعدتك إنها ماتروحش ؟!

يقولها وسبابته تدور ببطء فوق راحة يدها ثم تصعد ببطء على طول ذراعها وكتفها لتستقر فوق شفتيها أخيراً فيربت بها عليهما تربيتة خفيفة كأنه يستحثها النطق..

لكنها لا تجد الرد !!

تود لو تقسم له أنها تحاول قدر استطاعتها أن تتخلص من بقايا وهمها لكنها تخشى أن تجرح رجولته أكثر ..

فتبتسم من جديد هامسة بصوت مرتجف:

_ سهل قوي نقابل ناس يخللونا نحبهم ..بس صعب نقابل حد يخللينا نحب نفسنا ..انت ..انت شكلك هتخلليني أرجع أحب نفسي .





غمزته الساحرة تعاود غزو قلبها ك"حبيب طال انتظاره "خاصة وهو يخبط جبينها بجبينه بخفة هامساً:

_أهي دي أجمل حاجة سمعتها منك النهارده .

آهة عميقة تغادر من قلبها لقلبه دون حواجز فيتلقفها على صدره ثم يربت على ظهرها برفق ..

والأنفاس الممتزجة تتعاهد أن تكمل الطريق مهما طال ..

======

_أخيراً !

يهمس بها بنفاد صبر وهو يدخل بها غرفة نومهما لتلتفت نحوه بنظرة آسرة بين خجل وحب لم تستطع إخفاءه ..

يأخذ نفساً عميقاً ثم يزفره ببطء وهو ينتزع عنها طرحتها برفق ..

يعد نفسه لرؤية معشوقه الذي طالما أثار جنونه ..





لترتجف حدقتاه بتأثر وهو يرى شعرها بلونه الذي يهيم به ..

"صواعق فتنتها" التي طالما أرقت أحلامه ..

يترك أنامله تتخلل نعومته وهو يسدله على كتفيها فتبتسم بخجل لم يفارقه دلالها :

_هه؟! زي ما كنت فاكرُه ؟!

_أجمل ..بكتير !

يقولها ثم يتأوه بخفوت وهو يضم رأسها لصدره وأنامله تداعب منابت شعرها مع همسه :

_ناقص بس نرقص سوا ..زي ما حلمت .

تضحك ضحكة قصيرة وهي تتلفت حولها قائلة :

_هتشغل موسيقا إيه ؟!

_الأول ..عايز ألبسك ده !

يقولها وهو يتحرك ليشغل جهازاً ما هناك فتنبعث منه أنغاماً غربية هادئة ..

قبل أن يفتح أحد الأدراج ليستخرج منها علبة فتحها أمام عينيها هامساً :




_لو مش هتتجاب لك انتِ ..تتجاب لمين ؟!

تشهق بانبهار وهي تراقب سلسلته التي أخرجها بسبيكة طولية من البلاتين المرصع بالفصوص اللامعة الصغيرة على جوانبها والتي نقش عليها اسماهما مع عبارة "حتى تحترق النجوم" ..

_تجنن يا سيف ..تهبل ..أجمل بكتير من الميدالية ..والأحلى إنها هتفضل على طول في رقبتي مش هاقلعها .

تهتف بها بسعادة وهي تهم بارتدائها ..

لكنه يبعدها عنها بنظرة زاجرة جعلتها تضحك ضحكتها المهلكة وهي تحني رقبتها ليلبسها إياها ..

_تسمحيلي أبوسك بعدد الليالي اللي حلمت بيكِ فيها وانتِ بعيد ؟!





همسه المشتعل يخضب وجنتيها بحمرة خجل طاغية لكن طبيعتها المرحة تغلبها فتهمس لها بشقاوتها العفوية :

_ابن الناس الكويسين بيستأذن ؟!

لم تكد تنتهي منها حتى تأوهت بخفوت وهي تشعر بتراقص شفتيه على طول مدار سلسلته على عنقها وجيدها ..

عشرات القبلات تحكي لها عن اشتياق ليالٍ لم يتمكن فيها من البوح ..

ليرفع ذقنها نحوه أخيراُ هامساً بحب تحرر أخيراً من حواجز تحفظه :

_حلم جميل بقا حقيقة أجمل ..عمري ما حسيت بفرحة أد اللي مالية قلبي دلوقت .

غلالة رقيقة من دموع تغشي عينيها فتسبل جفنيها هامسة :





_امال أنا أقول إيه ؟! انت رجعتلي ضحكتي ..نفَسي ..دقات قلبي ..كل حاجة فيا كانت اتعطلت ومعاك انت ..

همساتها تنقطع بين شفتيه وهي تشعر به يضمها نحوها أكثر ..

أنامله تجد طريقها عبر خصلات شعرها التي طالما أثارت جنونه بينما ذراعه الآخر يطوقها بقوة عشقه ..

جنون عاطفته الذي طالما واراه خلف سدود تحفظه ينطلق الآن حراً من عقاله وهي تشعر به يدور بها ..

يدور.. ويدور ..فلا تدري هل كانت هذه هي رقصته التي تمناها معها حقاً ؟!

ولو قرأت ما بقلبه لأدركت أنه كان الآن يعيش حلمه ..على الواقع!!

آهاته تنساب ناعمة في أذنيها واشية بهذه العاطفة التي يضج بها قلبه ..




تترنح رغماً عنها شاعرة بالدوار لكن ذراعه يتشبث بها أكثر فلا تدري كيف سقطت معه على الفراش ..

تفتح عينيها لتصطدم بهذه النظرة في عينيه ..

نظرة رجل أمسك الدنيا وما فيها !!

_سيف !

تهمس بها بعمق عاطفتها فينحني بشفتيه ليدلل ملامحها كلها بشغف حار يصهرها في لهيبه ..

كأنها امرأته الأولى ..

وكأنه رجلها الأول ..

صور الماضي -على قدسيتها - تتوارى بحياء خلف غيوم الذاكرة فلا تترك مجالاً سوى ليوم وغد ..

ليلة دافئة يغزل فيها الحب خيوطه السميكة بينهما لتستيقظ صباحاً فيكون أول ما تراه هديته الجديدة ..





_واااو ..هدية كمان ع الصبح كده !

تهمس بها بصوت ناعس مفعم بدلالها الفطري وهي تنهض من فراشها ليتأمل تفاصيلها الآسرة بهيام وهو يجلس جوارها على طرف الفراش قائلاً :

_عارف إن شيبوب وحشك وماكنتش مستعد ييجي يقضي معانا شهر العسل فجبتلك ده يفكرك بيه .

ضحكتها المهلكة تغرد في أذنه وهي تتناول منه العلبة لتفتحها وتستخرج الدمية القطنية بشكل الأرنب ..

تحتضنها بدلال يليق بها ويسرق خفقات قلبه باقتدار ..

قبل أن يشعر بتجمد ملامحها فجأة مع همسها الذي شرد معه بصرها:

_ريحته فراولة !




_ما بتحبيهاش؟!

يسألها بتوجس فتستسلم لشرودها للحظات مستعيدة ذكريات بشعة عاشتها ..

لكنها الآن كانت تملك من القوة ما يجعلها تنفضها عن ذهنها لتبتسم له مجيبة :

_ماكنتش بحبها بس دلوقت عادي .

ثم استقامت على ركبتيها لتزحف نحوه فتضمه إليها بذراعها الحر هامسة :

_شكراً يا حبيبي .

_بس كده ؟!

يرفع حاجبيه باستنكار فتمنحه واحدة أخرى من ضحكاتها الكارثية ناسبت همسها المغوي وهي تحدق بعينيها في عينيه :

_هاقول لعمو علاء ان ابن الناس الكويسين طلع شقي خالص.





لم تكد تنتهي منها حتى صرخت بخفوت وهي تراه يميل بها فجأة ليعيدها لنومتها الأولى وسط ضحكاتها المتتابعة..

يشرف عليها من علو وهو يزيح خصلات شعرها الأحمر عن بشرتها العاجية هامساً بعينين متقدتين :

_هو حد يفضل عاقل مع ضحكتك وجمالك ده ؟!

تبتسم وهي تراقب احمرار أذنيه المتزايد فتتلمسهما برقة هامسة :

_ودانك دي هتبطل تحمر امتى؟!

_لما تبطلي تحلوي كده .

يهمس بها وعيناه تعانقان ملامحها بشغف ينافس شغف شفتيه بعدها ..

_اعقل يا سيف ..كده فعل فاضح قدام الأرنوب ..هنخدش حياءه ..آه ..

كلماتها تنتهي بمزيج ضحكاتها وتأوهاتها وهي تجد نفسها أسيرة عاصفة ستتعلم لاحقاً أن تجيد مواجهتها..وإن كانت تشك !





عاصفة عشق رجل كهذا لا يقف أمامها أحد !

=======

_أنا عارف إني فاجأتك ومش مستعجل ع الرد ..خدي وقتك ..أسبوع اتنين مش مشكلة ..

تذكرها ياقوت بصوت سامر عقب عرضه الكارثي ذاك اليوم لتزفر بقوة وهي تسند رأسها على قبضتها المضمومة ..

تجلس على مكتبها في المركز تراقب الباب بحذر وهي تخشى أن يدخل في أي لحظة يطلب منها الرد فقد أوشكت المدة التي وضعها لها أن تنتهي ..

يعز عليها أن تحرجه ..لكن ما حيلتها ؟!

كلهم يطلبون منها أن تمنح نفسها فرصة التفكير ..

ثمر ..إسلام ..وحتى مروان الذي عرف بالأمر عرضاً ..





خاصة وهم يرون أن "فارسها المنتظر" قد ضل جواده طريق أراضيها ويبدو أنه استطاب أرضاً أخرى.

تدمع عيناها بأسى وهي تتناول هاتفها لتطالع صورة رأتها بالأمس وسرقت النوم من عينيها ..

صورة له مع امرأة شديدة الفتنة أرستوقراطية الطلّة تداولتها بعض المواقع الالكترونية عن شراكة جديدة تجمع بينهما ..

مع تلميح بما هو أكثر!!

تبتلع غصة في حلقها وهي تتحسس قرطه في أذنيها ..

لا ..لم تشك في حبه يوماً ولن تفعل ..

إنما هي تثق كذلك أن الزواج شيئ آخر !!





زين الفايد العظيم لن يرضى بامرأة بسيطة مثلها مع تاريخ أبيها خاصة وقد دخل بيت ثمر بنفسه ليدرك تواضعه ..

ألهذا السبب قد ابتعد ؟!

إنه لم يحدثها بكلمة من يومها ولا حتى برسالة هاتف !!

نظرة أخرى لتلك الصورة على هاتفها تشعل صدرها بالمزيد من النيران ..

الأحمق المغرور قال لها يوماً أنها آخر امرأة في العالم قد يغار عليها لأنه يثق في مكانته لديها ..

فما بالها إذن وهي أكثر ثقة في مكانتها لديه تكاد الآن تحترق غيرة ؟!

صوت طرقات خافتة على الباب يقاطع أفكارها فينتفض قلبها ترقباً ..





لا ريب أنه سامر يواليها بأخبار الحالة الجديدة التي يتشاركان علاجها وقد وجدا معاً أول الطريق ..

ليته يقصر حديثه عن العمل فحسب كما يفعل طيلة الأسبوعين السابقين متجاهلاً عرضه الذي رماه في وجهها كقنبلة !

_مش انتِ اللي فالحة وقلتيله نقّي واحدة عاقلة تستحمل ظروفك وتفهمها ؟! اهه اختار العاقلة الكاملة !

تهتف بها "عفريتتها العابثة" بمداخلة ساخرة غاضبة لكنها تنفض الخاطر عنها بسرعة وصوتها يعلو يسمح للطارق بالدخول ..

قلبها ينتفض بين ضلوعها بقوة وهي تكاد تكذب عينيها ..

زين !!





زين هنا !!

أخيراً !!

تقف مكانها ووجهها يترنح بين شحوب المفاجأة وحمرة الخجل ..

بينما يتقدم هو ليغلق الباب خلفه قبل أن يتقدم نحوها بخطواته الرصينة ظاهراً ..

الهوجاء باطناً !!

"سراجا الذهب" في عينيه يتوهجان كعهدهما فيغشيان قلبها قبل عينيها ..

كيف يمكن أن تعترف أن هذا العالم بأسره قد يحوي رجلاً غيره ؟!

من يمكنه أن يحدث فيها هذا الأثر فيبعثر كل خلية من خلاياها ثم يعيد لملمتها كما يفعل هو بمجرد نظرة ؟!

يقترب أكثر فتزداد فوضاها أكثر وأكثر ..





وفي سابقة تعد الأولى لها تبادره هي بمد يدها للمصافحة ..

فعلها قلبها قبل كفها !!

لكنه ظل ينظر ليدها الممدودة للحظات طويلة قبل أن يغمض عينيه وهو يقبض كفيه بقوة جواره قائلاً بصوته الآسر:

_رجّعي إيدك جنبك يا ياقوت ..لو هاودت نفسي ع اللي عايزه دلوقت مش هتسامحيني !

تعيد كفها ..إنما ليس جوارها بل تبسطه على صدرها محاولة السيطرة على خفقات قلبها ..

كيف يفعلها ؟!

كيف يصنع من كلمات بسيطة أعظم معاني الغزل؟!

كيف ببضعة حروف ..بضعة حروف فقط ..يصافحها ..يعانقها ..يقبلها ..ويغمرها في هذا السكن الدافئ الذي لم تعرفه إلا معه ؟!





يفتح عينيه بعد لحظات ليرنو ل"قمريها السجينين" خلف زجاج نظارتها ..

معها فقط عرف كيف يمكن أن تحمل عينا امرأة كل معاني الوطن ..وكل طغيان الاحتلال !!

افتقدها ؟!

كلمة هزيلة حقاً !!

إنه يشعر الآن وكأن كل الصخب الذي عاشه طيلة الأيام السابقة يسكن فجأة ليعزف الكون كله له ترنيمة سلام ..

يمد أنامله ببطء ينتزع عنها نظارتها فلم تعترض كالعادة ..

تركته يفعلها وكأنما تمنحه الفرصة كي يزيح كل الحواجز بينهما ..

يبتسم فتكتم تأوهها وهي تخفض بصرها عنه حياء ..





_ورجعت أيام الشقاوة ..وحشتنا يا برِنس الليالي ..انجز بقا وحياة الغاليين أنا قربت أحمض .

مداخلة حامية ل"العفريتة العابثة" تتجاهلها كعهدها وهي تستعيد ثباتها لتسأله بنبرة متحفظة تناقض براكينها الداخلية :

_خير ؟!

تتسع ابتسامته وهو يدرك أي حرارة تختفي خلف هذا البرود ..

قبل أن يتنهد بعمق وهو يتلفت حوله قائلاً :

_ممكن تعتبريني النهارده حالة ؟! عايز أخرج اللي جوايا لحد بثق فيه .

ورغم أن عبارته كانت عفوية تماماً لكن سلبية شعورها قبل مجيئه جعلتها تسيئ تأويلها فتراه يوقف مكانتها لديه عند هذا الحد ..

مجرد شخص يثق به !





لهذا تلبست قناع مهنيتها بمهارة لا تنقصها وهي تشير له نحو الأريكة الطويلة هناك والتي استلقى هو عليها مغمضاً عينيه ..

صمتٌ قصير يسودهما وهي تحاول كتم انفعالاتها ..

ليتحدث هو أخيراً :

_لسه مش قادر أتأقلم على دنيتي القديمة ..حالة نفور غريبة من كل
حاجة ..الشغل ..البيت ..الناس ..

_والله ؟! والحلوة اللي كانت متصورة جنبك ؟!
كانت بتشيل لك النفور ؟!

مداخلة ساخطة للعفريتة العابثة تتخطاها بقناع مهنيتها لتقول بنبرة جادة :

_طبيعي جداً ..المهم إنك تقاوم ..مش هتحس إنك راضي غير لما تشوف نتيجة ملموسة





قدامك ..الدار مثلاً تقف على رجليها ..تشوف بعينك بنات كانوا هيضيعوا وبسببك لقوا الأمان ..تجوّز همسة وتخرجها من بيت الفايد عروسة رافعة راسها ..كل خطوة هتمشيها في الطريق المعاكس هتبقى صعبة لأنها عكس جاذبية شخصيتك القديمة ..صعبة بس فعالة ومؤثرة جداً .

يصمت قليلاً دون أن يغير وضعه ليخفت صوته مع اعترافه التالي:

_لسه بشوفها في كوابيس .

يتلون وجهها بألم يشبه الألم الذي سكن حروفه وهي تدرك عمن يتحدث ..

تلك المرأة أحدثت شرخاً بجدار روحه لا تظنه سيبرأ بسهولة وربما لن يبرأ أبداً ..

ليس فقط أنها جلدت ظهر كبريائه بل صفعتها المدوية لضميره كذلك ..





_بتشوفها إزاي؟!

تسأله بقناع مهنيتها الذي نسفه بجوابه :

_بشوفها مخبياكي وراها ..بتاخدك مني .

دقات قلبها تتعالى فجأة وهي تكتم تأوهها بصعوبة ..

تحمد الله أنه لايزال مغمضاً عينيه كي لا يشعر بهذا الأثر الذي أحدثته كلماته ..

هل حقاً يخشى فقدانها إلى هذا الحد ؟!

لماذا إذن لا يأخذ خطوة نحوها ؟!

كيف تخبره عن غضبها يوم طلبها سامر للزواج ؟!

عن انفعالها وهي تكاد تصرخ به أنها ملك رجل آخر ؟!

لكنها عادت لتتذكر أن ذاك "الآخر" لم يظهر في الصورة بعد ..





C i n n a b o n

ولايزال لا يريد الظهور!!

لهذا نكست رأسها بخيبة وصمتها يطول بعدها ..

ففتح عينيه أخيراً لينهض من رقدته وهو يتفحص ملامحها قائلاً بحذر:

_سكتتي فجأة ليه ؟!

_انت جاي النهارده ليه ؟!

مزيج من الخيبة والعتاب يلون حروفها لكنه لا يفهمه ..

فيرد بنفس الحذر:

_مش قلتلك اعتبريني حالة ؟!

هنا ترفع وجهها متحاشية لقاء نظراته لترد :

_ما ينفعش..لو تحب ممكن أرشح لك حد تاني بثق فيه .




ينعقد حاجباه بضيق وهو يشعر بجدار لا مرئي يرتفع بينهما ..

_مالك يا ياقوت ؟! شكلك متغير !

_قصدك اللبس؟! ده ذوق إسلام !

تقولها مراوغة بنفس النبرة وهي لا تزال تتحاشى نظراته فيزداد انعقاد حاجبيه بتفحص ..

عن أي ملابس تتحدث هذه ؟!

منذ متى يهتم هو بهذا الأمر ؟!!

_ياقوت !

يكررها بنبرة حازمة بين قلق ورجاء لكنها تقف مكانها لتقول بابتسامة مصطنعة :

_سألتك جاي ليه وقلت حالة ..وأنا اديتك ردي ..فيه حاجة تانية جاي عشانها ؟!





كانت تعذر نفسها في هذه الفظاظة المتوارية خلف ابتسامتها المتكلفة ..

تعذرها بخيبتها ..بغيرتها ..بالسؤال الذي لا تجد له جواباً ..

ما الذي ينتظره كي يقترب ؟!

لو كان حقاً يريد أن يقترب!!

فيقف بدوره وملامحه تشتد بضيق ممتزج بالدهشة ..

الجدار اللامرئي يزداد ارتفاعاً ولا يمكنه إدراك السبب ..

يود الآن لو يعترف لها أنه لم يبتعد عنها إلا ليفعل ما يستحق قربها ..

لكن كبرياءه يمنعه هذا الاعتراف !!

لهذا اهتزت حروفه التي طالما عهدها قوية وهو يرد مشيحاً بوجهه :

_أكيد فيه .





الأمل ينتعش في قلبها من جديد لكنه ينسفه باستطراده :

_فرح همسة ..جاي أعزمك تحضريه !

لم يكن الأمر يستحق هذا لكنها شعرت بكلماته تصفعها !

تبني سوراً خلف سور بينهما ..

هكذا إذن ؟!

هذا هو الدور الذي ارتضاه لها !

طبيبة نجحت في علاج أخته !!

نزيف كبريائها غير المرئي يجعل ابتسامتها المصطنعة تتسع وهي ترد ببرود :

_مبروك ..فرحانة جداً عشانها ..حالة جديدة نجحت فيها بفضل ربنا ..بس مش هاقدر أحضر الفرح !

_ليه ؟!





يسألها بغضب يتنامى مع ذبذبات هذه الطاقة السلبية بينهما لترد بنفس البرود :

_انت عارف إني واعدة جدتي من زمان ما أدخلش بيتك تاني !

_بتضربي تحت الحزام ! يا مجرمة !

تهتف بها "العفريتة العابثة" بداخلها بإحباط وهي تدرك أي فكرة ستصله بعدها ..

تكره أن تجرحه لكن ألم يفعلها هو قبلها؟!

لهذا ارتجف جسدها ببعض الخوف وهي ترى ملامحه تزداد غضباً بدا جلياً أنه يجاهد للتحكم به ..

يقترب منها حتى يكاد يلاصقها فتعود خطوة للوراء لا إرادياً بينما تسمع جوابه ببرود مشتعل:

_بسيطة ! أكلمها وأستأذنها ..





ثم صمت لحظة ليردف بنبرة واثقة :

_وهتوافق.

_خلاص! لو وافقت ماعنديش مانع ! حاجة تانية عايزها ؟!

تقولها بنفس البرود وهي تعطيه ظهرها ليجذب ذراعها نحوه ببعض العنف فينعقد حاجباها بغضب يشبه غضبه وهو يسألها بهمس مخيف:

_فيه إيه ؟!وإياك تقولي مفيش!

تدمع عيناها بقهر وهي لا تجد الجواب ..

ما الذي يريد منها أن تقوله ؟!

ألم يحدد هو مسبقاً مكانها عنده ؟!

لهذا نفضت ذراعها منه بقوة لتقول من بين أسنانها :

_مفيش حاجة ..مفيش أي حاجة .





_يعني إيه ؟!

_افهمها بقا يا زين بيه ..عمري ما شكيت في ذكائك .

برودها الغاضب يصطدم بشبيهه لديه و"بقايا شعوره بالذنب" تجعل خواطره تتجه نحو زاوية واحدة ..

هي ترفضه !!

تراه لا يليق بها بعد ما كان !!

لهذا تقحم جدتها في الأمر؟!

هل هو رأيها كذلك ؟!!

وجهه يشتعل بمزيج من غضب وخوف و"الكوابيس اليومية" التي يراها لتلك المرأة تعاود التشكل أمامه ..

يراها تخفي ياقوت خلفها ..

هل ما يراه الآن هو التأويل؟!!





يندفع نحوها بانفعال وأنامله تتجه لوجهها مع سؤاله الذي فاجأها:

_انتِ لسة لابسة الحلق؟!

لكنها تتمالك مفاجأتها بسرعة لتبتعد بظهرها عن مجال ذراعيه هاتفة بانفعال:

_قلتلك قبل كده مش من حقك تسأل السؤال ده ..زي حاجات كتير مش من حقك وانت مُصرّ تعملها .

صوت طرقات قوية على الباب يقاطعها فيرمقها بنظرة مهددة مضيقاً عينيه لكنها تتجاهل تهديده وصوتها يعلو بتحدّ:

_ادخل .





تحديها يقابل تحديه وهو يمنحها عقابه بأن امتد كفه بقوة يقبض على راحة يدها بتملك في نفس اللحظة التي فتح فيها باب الغرفة ليدخل سامر ..

_السلام عليكم ..آسف ..ماكنتش أعرف إن عندك حالة ..أجيلك وقت تاني .

يقولها وعيناه تلتقطان إشارات ما يحدث ..

حمرة وجه ياقوت ..هذا الرجل الذي يمسك كفها بتملك ..لحظة !

لقد رآه من قبل ..أجل ..يوم الافتتاح ..كان كذلك يمسك كفها بنفس الطريقة ..كيف غفل عن هذا ؟!

مرتبطة ! ياقوت مرتبطة عاطفياً ! لماذا إذن لم تصارحه بهذا ؟!

شخصية مستقيمة مثلها لن ترضى بعلاقة كهذه في غير إطار شرعي ..

أم تراه هذا الرجل يفرض نفسه عليها ؟!





كل هذه التساؤلات تجوب ذهنه في ثوانٍ فيتجاهلها عمداً وهو يحاول التراجع لكن ياقوت تنتزع كفها من زين بعصبية هاتفة :

_أنا فاضية يا دكتور ..زين بيه خلص كلامه وماشي .

ينقل سامر بصره بينهما بحذر وهو لا يدري ماذا يفعل ..

هذا الرجل يبدو مهيباً بحق ولا ينكر هذه الرهبة التي تجتاحه وهو ينظر إليه بهذه الطريقة ..

_من فضلك اخرج واقفل الباب أنا لسه ما خلصتش كلامي .





يقولها زين بنبرته التي عاد إليها مزيج "الود والهيمنة" الخطير الذي أشعل الدماء في عروقها لترمقه بنظرة وجلة ..

فيما لم يجد سامر بداً من التراجع وهو يخاطب ياقوت بقوله وهو يشير بسبابته نحو الخارج مانحاً لها ما ظنّه إشارة مطمئنة :

_هاستنى بره ..كنت حابب بس أقوللك إن الحالة الجديدة بدأت تتحسن .

_عظيم .

تقولها بتشتت وهي تومئ له برأسها فانسحب ليغلق الباب خلفه وهو يرمق زين بنظرة متفحصة أخيرة أخبرته أن أمله فيها مفقود للأبد ..

الغريب أنه لم يشعر بالخسارة كما ينبغي ..بل على العكس ..لقد شعر بنفس إحساس المحارب الذي كفوه شر القتال ..




ياقوت ممتازة حقاً ..لكنه كان سيخوض معها حرباً قاسية كي يجد لها مكاناً بروحه التي خربتها سواها ..

فعلامَ كل هذا !!

_دلوقت الست حلاوة تبكّتني وتقوللي طول عمرك حظك مايل يا منيّل ! ياللا ..هي يعني بتكدب؟!

سخريته الباردة تظلل خساراته كالعادة فتزللها له ..ليتنهد أخيراً بعمق وهو يجلس على المقعد القريب بتحفز منتظراً خروج هذا الرجل المهيب !

وبداخل الغرفة اندفعت ياقوت تهتف به بحدة :

_مفيش فايدة ..عمرك ما هتتغير ..المفروض أفهمك إزاي تحترم وضعي أكتر من كده ؟! ..المرة الجاية مش هاعمل حساب لأي حاجة وهاوقفك عند..آه ..




عبارتها تنقطع بآهة خفيفة وهي تفاجأ به يجذبها من معصمها نحوه ليضغطه ببعض العنف ..

نظراته تشتعل بجنون غضب و..غيرة !

صوته يخرج بارداً ..قاسياً كالثلج :

_احنا فعلاً محتاجين مرة جاية نتكلم فيها براحتنا ..أفتكر فرح همسة فرصة مناسبة ..أنا متأكد إنك هتيجي لأني برضه مش شاكك في ذكائك .

هل يهددها ؟!

هل عاد لضلاله القديم ؟!

تهتف بها سراً بمزيد من حنق وغيظ وهي تراه ينفض معصمها عنه بعنف ليرمقها بنظرة طويلة أخيرة قبل أن يتحرك ليفتح الباب وينادي سامر بنفسه وبنبرته المهيمنة يهتف :

_اتفضل يا دكتور ..دلوقت تقدر تدخل !





يقف سامر مكانه ولايزال يشعر بالغرابة من هذا الوضع ليرمقه زين بنظرة متفحصة طويلة وهو يتجاوزه ليغادر المركز ..

يعقد سامر حاجبيه وهو يدخل لياقوت التي بدت كحبة ذرة فوق مقلاة ساخنة ..

كل خلاياها تتقافز غضباً ..وغيظاً !!

_مممم ...ممكن أسأل مين ده ؟!

يسألها بحذر وهو يعدل وضع نظارته فوق أنفه لترد بانفعال ساخط :

_مجنون ! ..مجنون !..واحنا بنتعامل مع مين يعني ؟!

يكتم ابتسامته وهو يدرك أن ياقوت لا تستخدم لفظ "مجنون" هذه مع مرضاها ..تعتبرها ضرباً من





التنمر ..ومادامت اختارتها لهذا الرجل فهذا يعني أن نظرته هو في محلها !!

لكنه أطلق آهة تفهم وهو يتظاهر بتصديق ما تدعيه ليتقدم منها قائلاً بنبرة عملية :

_طيب بخصوص الحالة الجديدة ..هي بدأت تشاور ..وده تقدم كبير جداً في وقت قصير .. انتِ عارفة طبعاً إنها كانت رافضة أي نوع من التواصل ..بس لسه العلاج محتاج شوط طويل ..تحبي ..؟!

بقية كلماته تتشوش في أذنيها ..يبتلعها شرودها وهي تشعر أنها عادت للغرق من جديد في بحر ذاك الرجل ..

تحتاج لرأي أحدهم يساعدها في هذه المتاهة ..من؟!

والجواب يأتيها سريعاً ..

إسلام !!

========

القطعة الثامنة والعشرون

========

_بسرعة يا عابد ..نفسي أشوفها ع الطبيعة بقا !

تهتف بها لجين بلهفة وهي تتحرك جواره في رواق الحرم المؤدي ل"الكعبة"..

قبل أن تتسع عيناها برهبة وهي تميز البناء المقدس الأسود يظهر لها أخيراً ..

تتوقف مكانها مأخوذة بسحر النظرة الأولى للكعبة وهي تشعر بالدموع تسيل من عينيها فجأة بتأثر ..

تقترب وتقترب ..

فلا يمكنها وصف هذا الشعور الذي يملأها

الآن ..

كأنها هاهنا ..هاهنا فقط ترى الأصل ..ترى البداية والنهاية ..




ترفع رأسها للسماء فتراها أكثر صفاء من أي مرة رأتها فيها ..

كأنها غير السماء التي أظلتها عمرها كله ..

تنظر تحت قدميها ..فتتباطأ خطواتها وهي تحك قدميها في الأرض حكّاً ..

يرتعد قلبها وهي تفكر ..

هاهنا ربما في مكان خطواتها بالضبط سار أطهر أهل الأرض !

جسدها يرتجف بقشعريرة عجيبة وهي تقترب وتقترب ..

الحجر الأسود !

تستلمه بيمناها كما علمها عابد ..تنحني

لأسفل كي تقبله فتتشعر أن روحها تحلق

لأعلى ..





تكبّر ثم تبدأ طوافها ناظرة للسماء شاعرة أنها استبدلت روحها بأخرى ..أكثر خفة ..أكثر نقاء ..وطهراً ..

لا تدري أين اختفت كل هذه الأدعية التي ظل عابد يلقنها إياها ..

قلبها لم يكن يلهج إلا بدعوة واحدة ترددها دون تكلف ..

(اللهم إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ..فاكتبني ممن كسب نفسه وأهله)

تقولها فتتذكر ثمر ..ياقوت ..إسلام ..هيثم ..وعابد !

يرتجف جسدها أكثر بالبكاء وحرارة دعائها تزداد مدركة قيمة النعمة التي شملتها بعد طول حرمان ..

"الأهل"!




تتم طوافها سبعاً لتستلم مقام إبراهيم فتصلي ركعتين خلفه ثم تعاود استلام الحجر الأسود لتبدأ بعدها السعي بين الصفا والمروة سبعاٌ ..

لتنهي مناسكها بتقصير شعرها هناك في غرفتها بالفندق الذي يقيمان فيه !

أمام مرآتها تقف مبتسمة وهي تراه خلفها قد حلق شعر رأسه كاملاً فتميل رأسها لتقول باستغراب:

_مش مصدقة إن كل حاجة خلصت بسرعة كده ..حاسة إني رحت دنيا غير الدنيا .

فابتسم بحنان وهو يقترب منها قائلاً بصوته العذب:

_مِن أصدق ما قرأته هذه المقولة : "قبل أن تأتي مكة عليك أن تعلم أنه يمكنك أن تغادرها متى شئت ولكن مكة لن تغادرك ..ستحزمها في حقيبة قلبك .. ستشعر بسعادة عارمة أنك قد سرقت مدينة ولكنك





ستكتشف لاحقاً أن مكة هي التي سرقتك من نفسك
"

_فعلاً ..ده اللي أنا حاساه بالظبط ..حاسة إني مش هارجع زي ما أنا قبل ما سافرت ..طول عمري بصلي وأقرا قرآن وأدعي زي ما علمتني ستي ثمر ..بس هنا ..هنا كل حاجة لها طعم تاني .

تقولها بتأثر فيكتنف كتفيها براحتيه ليرد :

_إنها الطاعة يا فضيّة عندما تلقي نورها في القلوب فلا تعادل لذتها لذة ..سبحان من قال في كتابه "والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم".

تتنهد بحرارة وهي تسند رأسها على كتفه شاعرة أنها تحررت من كل أوزارها ..

لكنها لا تزال تخشى انكشاف أمرها عنده !

ماذا لو علم عن سابق مرضها ؟!

ماذا لو انتكست وعادت ؟!





ماذا لو سببت له فضيحة لا تنسى؟!

ماذا لو تركها لتعود خاوية الكفين ؟!

ألف "ماذا لو" تكاد تسحق رأسها خوفاً وقلقاً !!

_أعرف منين إن ربنا بيحبني؟!

تسأله بتشتت فيربت على ظهرها ليرد بحنانه الممتزج بهيبة كلامه :

_يا حوريتي ..إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك ..أليس هو القائل في حديثه القدسي : من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة !

فترفع رأسها نحوه قائلة :

_بحب كلامك قوي ..عمري ما ارتحت في كلام سمعته بعد كلام ستي ثمر إلا معاك .





يقبل جبينها بعمق فتتنهد بارتياح قبل أن تسأله بتردد :

_ممكن أسألك عن حاجة ولو اتضايقت ما تجاوبش .

فابتسم وهو يربت على وجنتها مطمئناً لتعاود سؤاله بارتباك :

_واحنا طالعين هنا الأوضة وقبل ما تفتح الباب حسيتك فجأة اتضايقت ووشك احمر ودخلتني هنا بسرعة ..أنا عملت حاجة غلط ؟!

فيمط شفتيه ليجيبها بضيق متذكراً ما حدث :

_الغرفة المقابلة كان بابها مفتوحاٌ والرجل فيها كان ينظر إليكِ .

تتسع عيناها بصدمة للحظة قبل أن تضحك ضحكة متفاجئة :

_انت بتغير عليّ؟!





فيعقد حاجبيه ليرد باستغراب:

_لماذا تتعجبين هكذا ؟!

_انت بتغير عليّ؟! بجد ؟!

تعاود سؤالها بضحكة أكثر تعجباً لكنها حملت إليه وجعاً لم يفهمه ..

خاصة وهي تغمض عينيها مع هزات رأسها المتتابعة كأنها لا تصدق ..

فاحتضن وجنتيها براحتيه لتضحك من جديد إنما بمرارة هذه المرة :

_كنت دايماً أضحك مع ستي ثمر وأقوللها إن الميزة الوحيدة اللي هياخدها الراجل اللي هيتجوزني إنه مش هيغير عليّ ..هيبقى مطمن إن مفيش حد غيره هيبصلي .

لكنه يهز رأسه ليعاود تقبيل جبينها بعمق هامساً :

_لا أدري من أين أتتكِ هذه الفكرة ولا لماذا تبخسين نفسك حقها بهذا الشكل .. أغار عليكِ لأنني أخشى أن يراكِ أحدهم كما أراكِ فيفتن بكِ كما فتنت !





تحمر وجنتاها بهذا الخجل الذي يزيد جمالها في عينيه وهي تشعر أنها قبله كانت فقيرة ..بل معدمة ..ليأتي هو فيزداد غناها به يوماً بعد يوم !

تتردد قليلاً لترفع إليه عينيها بسؤالها :

_انت عايزني ألبس النقاب ؟!

يبتسم دون رد مطرقاً برأسه لكنها تعاود السؤال بإلحاح:

_يعني انت شايفه فضل واللا فرض زي ما بيقولوا ؟!

فترتفع أنامله لتربت على رأسها وهو ينظر لعينيها قائلاً :

_لو كان فرضاً فأنتِ أولى بالطاعة ولو كان فضلاً فلا أظنكِ بزاهدة في الأجر .





ابتسامته تنتقل منه إليها وهي تتفحص ملامحه النورانية بنظرة تزداد تقديراً يوماً بعد يوم ..

كيف كانوا يخوفونها من الزواج برجل ملتزم دينياً بزعم أنه سيعاملها كجارية ؟!

والآن تجده يعاملها كملكة حقيقية يفكر في حقوقها قبل حقوقه ولا يفرض عليها رأياً بل يناقشها ويقنعها ..

فنِعم المعطي ..ونعم العطيّة !

عيناها تلتمعان بمزيج من امتنان وحب حلّق فوق مقلتيها لتهمس له أخيراً:

_شكراً ع العمر الجديد اللي اتكتب لي معاك ..

ثم تحتضن كفيه براحتيها لتردف بابتسامة أكبر :

_هالبسه مش بس عشان أرضيك ..عشان كمان ستي ثمر كانت دايماً تقول لي "قيدوا النعم





بالشكر" ..وانت نعمة كبيرة لازم أشكر ربنا عليها بكل طريقة .

فيرتفع حاجباه بحنان وهو يضمها نحوه بقوة هامساً :

_حوريتي أنتِ ! لا تزال دعوتي لكِ في كل صلاة ..أن تكوني زوجة الدنيا والآخرة .

=======

_مش هيتحرك طول ما هو ضامن إنك في إيده ومستنياه ..

يهتف بها إسلام عبر الهاتف وهو يجلس على الأريكة في شقته عقب استماعه لتفاصيل ما حدث بين زين وياقوت لترد الأخيرة بانفعال :

_ده ما كدّبش خبر ! خمس دقايق بعد ما مشي من عندي ولقيت ستي بتكلمني بتقوللي إنه اتصل بيها .




_أوبا! وقالت له إيه ؟!

يقولها وهو يتحرك ليسند ركبته تحته في جلسته بوضع متحفز ليصله صوتها غارقاً في انفعالاته :

_الأول عزمها هي معايا قال إيه يعني بيشكرنا ع اللي عملناه مع همسة ..وستي طبعاً قالتله مش هتقدر تحضر عشان صحتها مش سامحة ..بس هو اتحجج بهمسة وقاللها حضوري هيسعدها ويأكد علاجها فهي وافقت وقالتله بنفس طريقته مادام عشان علاج همسة ماشي بس انت تيجي معايا .

_حلو! ده جالي في ملعبي يعني!

يهتف بها إسلام بحماس مع ضحكة رافقت استطراده :

_مش سهلة ستك ثمر دي ! زمانه بيطلع نار من ودانه دلوقت ..يبقى يفرجني بقا هيعمل إيه ليلتها وأنا رجلي على رجلك !

_انت بتهزر؟! احنا هنروح بجد ؟!

تسأله باستنكار ليرد وهو يعتدل في جلسته قائلاً :

_امال! ده احنا هنروح ونعمل أحلى شغل





..لازم يحس إنك قدام عينيه ومش قادر يطولك ..هتطنشيه انتِ خالص ولا كأنه موجود ..مش سعادته عازمك عشان أخته؟!

خلاص خلليكي انتِ مع همسة ..بس لازم نظبط "اللوك" بتاعك ليلتها ..عايزك تبقي قمر الحفلة كلها ..ماتشيليش همّ هاظبطلك أنا القصة دي .

_هَم إيه اللي أشيله ؟! أنا من غير حاجة قمر أصلاً !

تقولها باعتزازها المبالغ فيه ليمط شفتيه هاتفاً باستياء:

_طب اقفلي يا ملكة جمال العشوائيات دلوقت ! معايا مكالمة تانية ع "الويتينج" .

يغلق الاتصال معها لتتحول ملامحه لحنان خالص وهو يتلقى مكالمة إيناس:





_واحشاني يا "أنّا" ! ده هو يوم واحد بس اتشغلت معلش ..أصالحك بإيه ؟! أسطوانة جديدة لفريد الأطرش ! أظن دي ما يتقالللهاش لأ !

ضحكته العالية تصدح بعدها وهو يستمع لردها المبالغ في استحسانه ليهتف بعدها :

_أنا لو من عمو علاء ما أدخلش فريد ده البيت ..بس أنا أصيل ومش هافتن ..هه ..مش عايزة حاجة تانية أجيبهالك معايا ؟!

يتلقى ردها بصوتها الذي غلب حنانه مرحه

كالعادة وهي تطلب منه ألا يتأخر في زيارتها ليهتف ضاحكاً :

_أيوة طبعاً ..سيدنا غرقان في العسل وناسيكم وبتفشوا غلكم في الغلبان !

يقولها ليغلق الاتصال معها واعداً بزيارة قريبة ولم يكد يفعل حتى رن الهاتف من جديد برقم هيثم :





_إزيك يا ولد ؟! أخبار المزاج إيه ؟!

نبرته المازحة تمتزج بحنانه الأصيل ليردف باستنكار متوعد :

_بقى كنت عايز تخبي عليا انك خفيت لولا ياقوت الأصيلة عرفتني ؟! ده أنا هاعلقك من ودانك ..شكلك وحشتك ال"عُلَق" بتاعة زمان !

ضحكة هيثم المختنقة تقابله من الجانب الآخر للاتصال فيتنهد إسلام مستشعراً لوعة شقيقه ليتحول صوته للجدية :

_أنا مش شايف لازمة للي بتعمله بس سايبك براحتك .

_انت رأيك إيه ؟! شايف إني ممكن أكمل معاها ؟!

_لأ!

يقولها إسلام قاطعة ليرد هيثم بتنهيدة حارقة من الجانب الآخر للاتصال فيستطرد الأول بتفهم :





_الجواز مش حب وبس ..انت عارف إن ماما عايزة تبيع البيت ؟! متخيل جيلان هانم لما تضحي ببيتها العظيم ده معناه إيه ؟! عارف إنها رغم قلقها عليك مش قادرة تزورك وانت عندك ؟! هي ساكتة دلوقت عشان مصلحتك متعرفش إنك خلاص رجعت لك ذاكرتك ..لكن لما تعرف إنك خفيت مش هتقدر تستحمل الوضع ..

ثم صمت لحظة ليردف بحسم :

_ولا انت !

_عارف ..بس ..مش قادر أسيبها يا إسلام ..نظرة الرعب في عينيها لما بتفكر إني ممكن أسيبها بتقتلني .

نبرة هيثم الملتاعة تخز قلبه بصدقها ليغمغم بإشفاق:





_وبعدين؟! هتفضل عايش بتكدب على نفسك وعلى اللي حواليك ؟! محدش بيكمل عمره في كدبة يا هيثم !

صمت هيثم يقابله للحظات طالت قبل أن يقول بأسى:

_سيبها للوقت ..أكيد هاخد قرار ماهو مش هينفع فعلاً أفضل كده .

_هتشتغل معاها فعلاً في المحل ده ؟!

_أهه ..أجرب ..مش هاخسر حاجة !

يقولها هيثم بلامبالاة مصطنعة ليردف برجاء:

_بس ما تقولش لماما إني خفيت ..على الأقل لحد ما أرسى على بر .

_ماشي ..بس ماينفعش الوضع يطول كده ..أنا عارف إن القرار صعب بس لازم تاخده .

_حاضر .





يقولها هيثم بقنوط ليتنهد إسلام قائلاً بنبرة عاد إليها مرحها:

_وأنا معاك في أي قرار هتاخده زي زمان ..فاكر يا ولد واللا نسيت؟! ياما غطيت على مصايبك .

ضحكة هيثم الصافية من الجانب الآخر للاتصال تجد صداها في قلبه هو خاصة والأول يقول بامتنان :

_ده العشم يا كبير .

_ما تيجي أعدي عليك بالليل نلف شوية بالعربية ..وبالمرة نشوف الماتش سوا على أي كافيه .

يغلق معه الاتصال بوعد بلقاء الليلة ليتنهد بارتياح وهو يهم بإلقاء الهاتف ليصدح الرنين من جديد فيهتف بصوت عال:

_ده ما بقاش بيت ده بقا سنترال ..





ثم يمط شفتيه بترقب وهو يرى اسم جيلان ليفتح الاتصال هاتفاً بمرح مبالغ فيه :

_والله ما نسيتك يا ست الكل ! انشغلت بس بفرح واحد صاحبي ..والله أبداً ..هاعدي عليكِ النهارده ..

كان يتحدث بمرح حنون محاولاً احتواء مشاعرها غافلاً عن تلك التي كانت متوارية خلف جدار المطبخ تراقبه من مكمنها بعينين متقدتين بعاطفة وليدة نحوه تجاهد للطفو على السطح ..

تعلم أنها مخطئة باستراق السمع لمحادثاته لكنها عجزت عن منع نفسها من اقتحام

عالمه ..

ألم يفعلها هو من قبل ؟!

لم تفهم أغلب مادارت حوله مكالماته لكن ما فهمته -وتعجبته- أنه يعني الكثير لكل من حوله ..

ياقوت ..إيناس وعلاء ..هيثم ..أمه ..وهاهو ذا يغلق الاتصال مع الأخيرة لتسمعه يهاتف لجين التي سافرت مع زوجها ..





كيف يمكنه أن يؤدي كل هذه الأدوار ببراعة خلف واجهته الهزلية التي تخدع من تراه بأنه لا يحمل هماً ؟!

كيف يمكن أن يتلون حنانه بكل الصفات ..؟!

الأخ ..الابن ..الصديق ..ولابنتها الأب ..

ولها هي ..

ماذا عساه يكون لها خلف بريق "الزوج" المتفهم ؟!

تراها تطمع أن تبادله عاطفته التي يحكي عنها ليكونا حقاً عاشقين ؟!

ابتسامة أمل تلون شفتيها ..ويذبحها خوفها !

إنها تخاف أن تقترب منه فيحول بينهما "الطيف اللعين" من جديد يصمها بالخيانة !

لقد شرحت خوفها هذا لياقوت وبررت به رغبتها بالابتعاد عنه -جسدياً- لكن الأخيرة نصحتها ..





_طول ما انتِ بتبعدي هتفضلي خايفة ..لازم تقربي وتفشلي مرة واتنين لحد ما تنجحي ..ولو على إسلام ما تخافيش هو متفهم وده شيئ نادر صراحة ..مش بقوللك كده عشان هو أخويا بس فعلياً صعب تلاقي راجل يتقبل وضع زي ده إلا لو بيحب بجد .

ابتسامتها تعود لشفتيها مع الخاطر الأخير وهي تعود لتتفحص ملامحه خلسة من خلف الجدار ..

يبتسم وهو يكتب شيئاً ما على هاتفه فتدرك أنه يراسل أحد أصدقائه ..لعله سيف !

ابتسامته ساحرة حقاً ..

"الطيف اللعين" يفرض نفسه من جديد في مقارنة اعتادتها وسأمتها ..

فتختفي ابتسامتها وهي تعقد حاجبيها بضيق هاربة من أفكارها ..




_بابا ..أنا صحيت ..شوف معايا "مولان" بقا !

صوت ريما الناعس بالخارج عقب استيقاظها لتوها يقاطع أفكارها فتطل برأسها من خلف جدار المطبخ لتهتف لها بصوت عادت إليه بعض الحيوية :

_بعمل "دوناتس"وجاية لكم .

عيناها تعلقت بعينيه للحظة وابتسامته تتلون بشيئ يخصها وحدها ..

مزيج من عبث وحنان و..حب!

ابتسامة ظلت تتخلل ذهنها وهي تعد لهم الحلوى بسرعة لتزينها كما تحب ريما بالسكر ..وكما يحب هو بالشيكولاتة البيضاء!

تحمل الطبق لتتوجه نحوهما بارتباك غذته نظراته المشتعلة لها كالعادة ..كأنما هي أول مرة يراها !





تجلس جواره فتجده يحرك ذراعه ليحتضن ريما فتتحفز في جلستها وهي تنتظر أن يفعل معها المثل ..

لكنه لم يفعل ..

كعهده مؤخراً ينتظر مبادرتها ليجزيها عن الواحدة ..عشراً!

تمد أناملها لتطعم الصغيرة قطعتها ..

ثم تتردد قليلاً قبل أن ترفع قطعته هو نحو فمه متحاشية لقاء نظراته ..

_أول مرة تأكلي بابا!

تهتف بها ريما بفرحة أشرقت لها ملامحها ..وملامحه هو قبلها !

خاصة ووجنتاها تحمران كثيراً فيبتسم وهو يتفحص وجهها المطرق بمزيج من دهشة وهيام !





خجلها البريئ هذا يثير حيرته فلا يكاد يراها إلا بصورة مراهقة خجول تتعثر أولى خطواتها في الحب !

يراها ترفع القطعة من جديد نحو فمه ولاتزال تهرب بعينيها من عينيه فتلتمع نظراته بعبث وهو يتعمد ملامسة أناملها الممسكة

بالحلوى بشفتيه مستمتعاً بازدياد الحمرة في وجنتيها ..

صدق يوم شبهها ب"التين الشوكي" ..

الآن صار يوقن أي حلاوة تختفي خلف هذه القشرة الخادعة !

_مش هتاكلي يا ماما ؟!

_ماليش مزاج .

تقولها مجيبة الصغيرة وهي تضع الطبق جانباً فتعود ريما لتتابع الشاشة باهتمام فيما شردت هي ببصرها وهي تشعر بقربه يزيد ارتباكها ..




تتابع ذراعه الساكن جوارها خلسة تنتظر في كل لحظة أن يرفعه ليضمها نحوه كابنتها ..

لكنه لا يفعل ..

تسمع صوت ضحكته وتعليقاته للصغيرة فترفع عينيها نحو جانب وجهه خلسة ..

وبمنتهى البطء ودون أن تشعر أنها قد فعلت ..

كانت قد أسندت هي رأسها على كتفه !

تكتم أنفاسها للحظة وهي تلعن نفسها سراً ..

لأنها قد فعلتها ؟!

أم لأنها تخجل من فعلها ؟!

لا ..لا ..ستتراجع !

ترفع رأسها في نفس اللحظة التي مد هو فيه ذراعه أخيراً كي لا يمنحها سبيلاً للتراجع ..

يضمها نحوه فتضطرب خفقاتها بجنون ..

خاصة وهي تسمع همسه شديد الخفوت في أذنها :





_كنا قلنا الواحدة بعشرة ..صح؟!

تغمض عينيها بقوة محاولة استيعاب هذه الفوضى التي اكتسحتها وهي تشعر بشفتيه على جانب صدغها ووجنتها تترنحان بقبلات متمهلة شديدة النعومة ..

عشرة ؟!

بل أكثر ..أكثر بكثير !

وكأنما قرأ ما بذهنها ليعود همسه شديد الخفوت يغازل أذنيها مستغلاً انشغال الصغيرة بما تراه :

_أنا كريم ..وانتِ تستاهلي!

يهمس بها وضغط ذراعه حولها يشتد بقوة تنتقل منه إليها فتجد الجرأة لترفع عينيها إليه ..

حمرة وجنتيها تصنع مع ابتسامتها إعصاراً يكتسحه لكنه لم يساوِ شيئاً أمام حركتها التالية




وهي تحرك رأسها لتداعب "شامته" المميزة بأنفها بحركة بطيئة كأنما تطمئنه وتطمئن نفسها قبله ..

الآن تراه ..تراه هو !!

_ريما!

هتافه المفاجئ يكاد يوقف صدرها رعباً خاصة وهي تجده يبعدها بينما الصغيرة تلتفت إليه من انتباهها هاتفة :

_أيوة يا بابا ..بتزعق ليه ؟!

فيقف فجأة وهو يمسك كف نشوى في راحته مخاطباً الصغيرة بقوله بسرعة منفعلة :

_أنا ومامي عندنا ليكي مفاجأة ..اقعدي هنا مؤدبة لغاية ما نجهزهالك ..ماشي؟!

_ماشي!





هتفت بها ريما وهي تصفق بكفها ضاحكة ليسحب هو نشوى خلفه فيكاد يعدو بها نحو غرفته ولم يكد يدخل حتى أغلق الباب خلفهما ليسند ظهرها إليه فتكتم تأوهها بصعوبة ..

لم تعد تتعجب جرأته بل صارت بصورة ما تتوقعها !

تشعر بلهيب كفيه على خصرها فترفع عينيها إليه بتلك النظرة الآسرة ببراءتها ..

_قلبي بيسلم عليكي وبيقوللك ..عيدي المشهد الأخراني كده عشان آخر لقطة مالحقتش أدقق فيها .

يهمس بها بنبرته العابثة فتكتم ضحكتها في صدره ..

جنة عشق يمنحها لها بين ذراعيه فتطأها قدماها بحذر ..





تذوب ..تشتعل ..تنصهر ..

لكنها لا تزال تخاف !

تتشبث ب"شارة التعريف" على عنقه ..

تجاهد لتحارب "الطيف اللعين" فتنتصر مرة ..

لكنها تنهزم أخيراً !

تبعده عنها لاهثة الأنفاس كأنها خاضت -لتوها- معركة قاسية قبل أن تطرق بوجهها لتغلبها دموع خيبتها ..وخزيها !

لكنه يضم رأسها لصدره بتفهم وهو يستعيد بدوره نصيحة ياقوت ..

_هي مش فاهمة نفسها ..ناصر في عينيها مش راجل ..ناصر صورة ورمز اتبنى في سنين ..صورة انت أكتر حد قرب من شبهها ..واحدة واحدة الصورة هتتغير بس المسألة محتاجة صبر ..وحب ..وانت عندك الاتنين!





يزفر بقوة محاولاً تمالك أنفاسه بدوره ككل مرة تخذله فيها ضلالاتها ..

لكنه لم يتعلق يوماً بنتيجة اختبار كما يفعل بامتحانه العسير هذا معها ..

يستعيد لذة كل امرأة نالها قبلها فلا يجد

مجالاً للمقارنة أصلاً!

وهج ابتسامتها وحده يكفي ليرجح كفتها بأي ميزان..فماذا بما هو أكثر؟!

لهذا رفع وجهها نحوه ليتحسس شفتيها بإبهامه محاولاً إضفاء المرح على همساته :

_عارفة يا "ست نشويات" انتِ؟! مسيري في يوم هاخلص منك القديم والجديد كله ..حسابك تقل ..وأنا في الحساب معنديش ياامّه ارحميني!





فتمتزج ابتسامتها بدموعها التي مسحتها بسرعة وهي تحاول مجاراته في مزاحه :

_ست نشويات؟! ده آخرك في الدلع يعني؟! لا شكلك خبرة في الستات فعلاً !

ضحكته القصيرة تمنحها سكينة تحتاجها حقاً في هذه اللحظة ..

خاصة مع "الغمزة الساحرة" حبيبتها التي رافقت همسه العابث:

_لا ده احنا بنسخن بس! كله بأوان يا "عسل"!

تتسع ابتسامتها وعيناها تتشربان ملامحه بنهَم كأنما تريد حقاً التشبع بها محاربة "طيفها اللعين" ..

تريد أن تحبه ..

تريد هذا حقاً بكل قوتها ..





فهل يستجيب الحب لما نريده ؟!

تهرب من خاطرها الأخير مستجمعة كل إرادتها لمقاومة هواجسها فتسأله وهي تشيح بوجهها :

_هنعمل إيه في ريما ؟! زمانها مستتنية المفاجأة !

_مستعدين يا عسل!

يقولها ثم يجذبها من كفها نحو خزانة

ملابسه التي فتحها ليشير نحو قاعها هاتفاً بنفس المرح:

_عندي مخزون استراتيجي يلائم كل خططنا المستقبلية للمعارك المحتملة القادمة .

ابتسمت وهي تفهم ما يشير إليه لتلتفت نحوه هامسة :





_دماغك حلوة يا باشمهندس .

_ده أنا هابهرك ! اديني فرصتي بس .

امتنانها يمتزج بعاطفتها الوليدة نحوه في نظرة دافئة جعلته يتنهد ليقول أخيراً بجدية :

_ماما كلمتني من شوية عايزة تشوفك ..لسة مش مستعدة تزوريها؟!

فشحبت ملامحها قليلاً حتى بدت له على وشك الرفض ..

لكنها تناول كفها ليردف مطمئناً:

_ماما يمكن تبان مغرورة وكل همها المظاهر لكن الأزمة الأخيرة اللي مرينا بيها غيرتها كتير ..أنا واثق إنها هتحبك ..زي ما أنا حبيتك .

يالله !





كيف بكلمة واحدة منه أن تجعل ملامحها تتبدل من النقيض للنقيض ..

لم تكن أول مرة تسمع فيها اعترافه لكنه يسطع في روحها كل مرة ك"شمس"!

هل تفقد الشمس رونق شروقها مهما تجددت به الأيام؟!!

والجواب من جديد تحمله ابتسامتها مع هذه النظرة الآسرة في عينيها ..

نظرة امرأة تتعلم معه أبجدية الهوى من جديد ولا يعنيها أن تبدأ كتابتها من اليمين أو اليسار ..

من الأعلى أو الأسفل ..

مادامت الكلمات دوماً بينهما ..مفهومة !

======

_امال فين ريما ؟!

C i n n a b o n

تسأل جيلان بلطف كسا نبرتها وهي تجلس أمام إسلام ونشوى في بيت الأولى ليرد إسلام بحذر وهو يحاول قراءة انفعالات نشوى:

_عند خالها .

_خسارة ..كان نفسي أشوفها ..أكيد جميلة زي مامتها .

لطفها المهذب كان يختلط بنظرة تفحص طويلة لنشوى لهذا ارتبكت الأخيرة نوعاً وهي ترد بابتسامة مهتزة :

_شكراً ..حضرتك أجمل .

هنا رفعت جيلان حاجبيها ببعض الدهشة وهي تعاود تفحص ملامحها ..

لم تتوقعها بهذا الشكل أبداً !

بسيطة الجمال ..عادية الأناقة ..متحفظة الأسلوب ..

بعيدة تماماً عن المواصفات التي توقعتها





لامرأة يختارها ابنـها بكل هذا الإصرار !!

لقد تنبأت أنـها إما تكون باهرة الجمال أو لعوب تجيد صنوف الغنـج والدلال لكن هذه تبدو متحفظة منغلقة تماماً على نفسها ..

ولو صدقت نفسها لاعترفت ..

امرأة كهذه تبدو وكأن ابنـها هو الذي أوقع بـها وليس العكس كما ظننت!!

_ممكن تسيبني مع عروستك لوحدنا شوية ؟!

تقولـها لإسلام بنبرتـها شبه الآمرة ليزداد

الارتباك في ملامح نشوى ويبدو التردد على وجه إسلام لكن جيلان أردفت بنبرة أكثر لطفاً:





_أوضتك ما وحشتكش ؟! اطلع اقعد فيها شوية والحق خبي مصايبك قبل ما مراتك تطلع وتشوفها .

فتصنع إسلام ضحكة قصيرة وهو ينهض ليمسك كف نشوى فيحتضنه بخفة بحركة داعمة مانحاً لها نظرة مطمئنة قبل أن ينحني ليقبل رأس أمه قائلاً بمرحه المعهود :

_أخبي عليها ليه ما اتدبست فيا واللي كان كان ؟! ما عادش فيها رجوع ..

ثم غمزها بخفة وهو يعتدل بجسده مردفاً :

_خفّي ع البنت يا جيجي ..مش أدك .

فابتسمت وهي تربت على ركبة نشوى لتميل رأسها بحركة استقراطية ناسبت قولها :

_اللي تخللي واحد زيك يحارب الدنيا كلها عشانها ما يتخافش عليها ..بالعكس ..يتخاف منها .





ازدردت نشوى ريقها بتوتر وهي تشعر أنها بصدد اختبار ليست مستعدة له ..

نظرات حماتها نحوها ليست ودودة تماماً ولا تلومها كثيراً -في الواقع- مع ظروف زواجهما الأقرب للهزلية !

تراقب عيناها إسلام وهو يبتعد ليصعد نحو الطابق العلوي فيخفق قلبها بقوة وهي تشعر كعهدها في رغبتها بالهروب لشرفتها المغلقة ..

لكنها تتذكر نصيحة ياقوت فتغمض عينيها بقوة كأنما تستدعي كل صلابتها في موقف كهذا ..

تعاود فتح عينيها لتتفحص المكان حولها فتنتبه لفخامته الزائدة عن الحد ..

مستوى عالٍ من الرفاهية لم تحسبه سيكون هكذا ..





شعور طبيعي بالوهن يجتاحها وهي تنتبه لحقيقة الفارق الاجتماعي بينهما ..

لكنها تعود لتذكر نفسها ..كل هذه نقود من حرام !

الخاطر الأخير يزيد ضيقها لا العكس فتزفر زفرة مختنقة وهي تمسح قطرات عرق خفيفة على جبينها مدركة أن المرأة أمامها تضعها تحت مجهر ملاحظاتها ..

_مش هاكدب عليكِ وأقوللك إني راضية عن الجوازة دي ..حطي نفسك مكاني ..ابنك فجأة يتجوز عروسة كان رايح يحضر فرحها ! نكتة سخيفة ..خصوصاً لما تعرفي إنها مطلقة وعندها بنت صغيرة ..يعني حمل كبير قوي هو في غنى عنه .

تقولها جيلان بنبرتها الأستقراطية التي تمزج الاستعلاء بالتهذيب ..





فيمتقع وجه نشوى أكثر لكنها ترفع عينيها إليها مستعيدة طبيعتها "الشوكية" التي تنفعها في مواقف كهذه :

_هو اتقدم وعرض ..وأنا وافقت ..ابن حضرتك مش صغير ولا قاصر ..ده راجل عدى التلاتين وكان مؤخراً مستقل بحياته في تركيا ..يعني ..

تنقطع كلماتها عندما ترفع جيلان راحتها في وجهها بحركة بسيطة لتبتسم بقولها :

_بلاش الحوار ياخد الشكل العدائي ده ..انتِ ما سمعتنيش للآخر.

تأخذ نشوى نفساً عميقاً محاولة تمالك توترها بينما تتسع ابتسامة جيلان وهي تردف:

_انتِ مش أول عروسة يختارها وأرفضها ..بس انتِ أول واحدة يصرّ عليها بالشكل ده ..عشان كده





الأيام اللي فاتت كلها بحاول أفكر إيه اللي يخللي إسلام يعمل كده ؟! واحد زيه لف ودار وعرف بنات كتير هنا وفي تركيا ..اشمعنا انتِ بالذات اللي تخلليه يتحدى الدنيا عشانك بالشكل ده ..سؤال حيرني بس النهارده ..عرفت إجابته .

ترفع نشوى إليها عينيها بحذر فتغيم عينا جيلان بنظرة أكثر عاطفية وهي تردف بشرود :

_من زمان ما شفتوش صافي كده زي النهارده ..يمكن من قبل ما يسافر تركيا ..صحيح هو دايماً بيهزر ويضحك بس كنت بحسه بيعملها من ورا قلبه ..النهارده أول مرة من فترة طويلة أحس إن ابتسامته هي هي بتاعة زمان ..

ثم تعود ببصرها نحو نشوى التي كانت ترمقها بنظرة مندهشة لتكمل:

_ماتستغربيش ..الأم بس هي اللي تقدر تفهم حاجة بسيطة زي دي ..إسلام معاكِ رجعت له روحه




القديمة ..وده ماكانش هيحصل لولا إنه
فعلاً ..بيحبك .

اعترافها لم يحمل ضغينة بقدر ما حمل تقديراً !

ربما لهذا لانت ملامح نشوى كثيراً لكنها لم تدرِ
بماذا ترد ..

حديثها مع جيلان يختلف كثيراً عن مثله مع
إيناس ..

كلاهما أم ..إنما بطريقتها !!

صحيحٌ أن الثانية أكثر بساطة ورقّة ..لكن هذه تبدو
أكثر دراية بابنها كأم حقيقية ..

خاصة وقناعها المتعالي يتشقق لتبرز تحته ملامح
مأساتها عبر شرود قولها :

_عارفة ..من أقل من سنة البيت ده كان عامل
إزاي ؟! النهارده أنا عايزة أبيعه ..ما بقيتش عايزة
أتحسر ع اللي فات أد ما بقيت بتمنى ألحق اللي
جاي ..




ثم مدت أناملها تتحسس قلادة عنقها ب"

"صورة ولديها" المعلقة فيها مردفة :

_عايزة ولادي يفرحوا وينسوا ..يبتدوا صفحة جديدة نضيفة من غير رواسب من الماضي ..عشان كده فرحت لما شفت نظرة إسلام ليكي النهارده ..وفرحت أكتر لما افتكرت اللي سمعته عن اللي عملتيه مع أخوكي ..وقفتك جنبه وإنقاذك لمصنعه ..

إسلام فعلاً محتاج واحدة زيك في حياته دلوقت ..واحدة تسنده وتفهمه .

تقولها لتعاود التربيت على ركبة نشوى التي دمعت عيناها وهي لا تجد رداً ..

حديث المرأة انتهى عكس ما بدأ به تماماً ..





وها هي ذي تتلقى مباركتها مباشرة مع "هديتها" التي التقطتها من جوارها بخفة لتلفها حول عنق نشوى قائلة :

_أنا بعتز قوي بصور ولادي ..دي سلسلة فيها صورة إسلام ..اعتبريها هدية جوازكم ..

تقولها بصوت متهدج لتقبل جبينها مردفة :

_مبروك ..ولو إنها متأخرة .

فيرتجف جسد نشوى بانفعالها وكلماتها تترنح على شفتيها برد متحفظ يفتقد كثيراً للباقة ..

لكن جيلان رمقتها بنظرة متفحصة طويلة لتقول لها بهدوء:

_أقوللك حاجة وتصدقيني؟! قبل ما تيجي كنت محضرة لك سؤال مهم أفتكر أي أم مكاني كانت





هتسأله ..إيه اللي يخللي ناصر يسيبك يوم الفرح بالشكل المهين ده !

تعود ملامح نشوى لشحوبها وهي تشعر بخزي الطعنة القديمة لايزال ينزف بين ضلوعها ..

لكن جيلان هزت رأسها لتمسك بكتفي نشوى قائلة :

_بس خلاص ما عدتش عايزة أعرف إجابة ..هو خسر وابني كسب .

هنا انخرطت نشوى فجأة في بكاء انفعالي وقد شعرت أن هذه المقابلة رغم سلامها الظاهري لكنها تعيدها وسط حلبة قتالها الخاصة ..

فضمتها جيلان لصدرها لتربت على ظهرها قائلة :

_ماقصدتش أضايقك بس أنا حبيت أكون صريحة معاكي في كل حاجة ..من ساعة موضوع حسين وأنا عرفت قيمة الوضوح ..يمكن بيجرح ساعات





بس أرحم ما نعيش مخدوعين بأوهام مالهاش أساس .

رفعت نشوى عينيها إليها وهي تمسح الدموع عنهما لتحاول رؤية المرأة من زاويتها الخاصة ..

امرأة مغدورة عاشت عمرها تحت ظل غيمة من وهم ..

لم تمطر عليها سوى ضلالات خادعة !!

لهذا انقلب شعورها بالتحفز نحوها لتعاطف حقيقي وهي تمنحها ابتسامة كبيرة جعلت جيلان تضحك وهي تشير للأعلى قائلة :

_اطلعي بقا لجوزك عشان زمانه قلقان ..وامسحي عينيكي عشان ما يقولش إني زعلتك ..أول مرة أجرب شعور الحما ومش عايزة أطلع وحشة زي ما بيقولوا عنهم .





فتضحك نشوى وهي تعاود مسح وجهها شاعرة أن المرأة وجدت مكانها في قلبها حقاً ..

ربما لأن واجهتها الأرستقراطية المتعالية تشبه قناعها هي الشوكي ..

مجرد قشرة خادعة تخفي خلفها وهن أنوثة طبيعي ..

وربما لأنها بكلماتها الداعمة منحتها المزيد من الثقة في نفسها وهو ما تحتاجه هذه

الآونة حقاً ..

وربما فقط ..لأنها أمه !!

أجل ..هي صارت تأنس بكل ما يقترب إليه بِصِلة ..فما الحال بوالدته ؟!!

لهذا وقفت مكانها ثم عادت تنحني لتقبل رأس جيلان بحركة كفتها الكلام قبل أن تتحرك بخطوات حذرة نحو الدرج المؤدي للطابق العلوي ..





الفخامة الفائقة للمكان تعاود ملأها ببعض الرهبة خاصة وهي تجد نفسها في رواق طويل لا تدري أين تقع غرفته ..

لكنها تراه أخيراً يقف منتظراً إياها عند الباب ولم يكد يلمحها حتى هرع إليها ليتفحص

ملامحها هامساً بقلق:

_قالت حاجة ضايقتك ؟! تحبي نمشي؟!

لكنها هزت رأسها نفياً لتمنحه ابتسامة رقيقة جعلت ملامحه ترتخي وهو يجذبها من كفها نحو غرفته التي أغلق بابها خلفهما هاتفاً بنبرة عاد إليها مرحها :

_حيث كده بقا ..اتفضلي شرّفي أوضتي المتواضعة .

_مش متواضعة ..خالص!





تقولها وهي تهز رأسها متفحصة الغرفة التي لم تقل فخامة عن بقية البيت إنما بلمسته هو "المجنونة "..

_ذكرياتي كلها هنا ..سابوها زي ما كانت قبل ما أسافر ..شرايط عمرو دياب ومحمد منير القديمة ..عجلة الأيروبيكس ..ال"كورنر" ده كنت بلعب فيه ملاكمة ..تخيلي ..أنا ألعب

ملاكمة ؟!!

تضحك ضحكة عالية وهي ترى الكتلة المعلقة بحبل هناك حيث يشير فيهتف باستنكار مصطنع وهو يضم قبضته :

_ضحكتك قوي دي؟! تحبي تشوفي بنفسك ؟!

_لا لا لا ..صادق صادق!





تقولها وهي تبسط راحتيها في وجهه

بملامحها التي أشرقت بنور حقيقي انعكس على قلبه هو الآخر ..

فبدا كطفل مبتهج وهو ينحني ليجلس على ركبتيه فينظر تحت الفراش ثم يستخرج حقيبة كبيرة فتحها أمامها ليجلس متربعاً ثم أشار إليها لتجلس جواره قبل أن يشرع في تفحص محتويات حقيبته ..

_ده صندوقي الأسود ..دي صوري وأنا صغير على مدار أعوام الطفولة والمراهقة والشباب ..جيلان هانم بتقدس الصور ..

يقولها وهو يتصفح معها بعض الألبومات لتبتسم بعاطفة حقيقية وهي تشاركه هذا الجزء من ذكرياته ..




قبل أن يضع ما بيده جانباً ليعاود تفحص ما بالحقيبة :

_وبقية ذكريات مراهقتي وشبابي ..قمصان مشجرة موضة التسعينات ..آه والله كنت بلبس الحاجات دي مش عارف إزاي ..كوتشي أميجو بينوّر ..برفاناتي القديمة على رأسها "ون مان شو" ..مجلات العربي الصغير ..و..صور ل"سيلين ديون"..كراش الطفولة والصبا ..سيبك من بقية الصور عشان هتتكسفي ..ركزي مع دول ..شوية شرايط لعمرو خالد ..آه ماهو مش كله هلس يعني !

لم تنقطع ضحكاتها القصيرة وهي تسمع

ملاحظاته عن مقتنياته التي أعادت لها "عمراً"!!

معظم هذه الأشياء تشاركها هذا الجيل بتفاصيل مشابهة ..

لو كان لأشرف أن يحتفظ بذكريات كهذه لما اختلفت كثيراً ..

إنها تشعر الآن معه وكأنه أعادها لتلك الحقبة ..





ورغماً عنها وجدت نفسها تستعيد ذكريات مراهقتها مع أشرف بينما كانا صغاراً ..

أشرف ؟!

فقط ؟؟!

_وده جاكي شان ..غني عن التعريف طبعاً ..البنات كانت بتحب أميتاب باتشان وأجازة العيد كانت بتضيع قدام

أفلامه ..بس احنا كنا بنحب ..

كلماته تتشوش في أذنيها والصورة التي رفعها للممثل الشهير تلطمها بذكرى ل"ناصر"!!

تذكر أحاديثه مع أشرف والتي كانت هي تتصنت إليها فتعرف أنه كان شديد الإعجاب به وقتها هو الآخر ..





تذكر أنها بعدها اشترت صورة كبيرة لذاك الممثل وعلقتها في غرفتها ..لم تكن تراه هو بل كانت ترى ناصر في صورته ..مثالاً للقوة والجرأة ..والحب!

_سرحتي في إيه ؟!

تشهق بعنف كأنه ضبطها متلبسة بجريمتها!

فتشحب ملامحها للحظات ليفاجأ بها تتحرك نحوه ..

تتلمس "وحمته" بأناملها كأنما تستمد منها عصمتها ..!!

تلهث وسط كلماتها التي بدت له انفعالية أكثر مما ينبغي :

_أنا مبسوطة قوي إني شفت أوضتك النهارده ..وصورك كمان حلوة قوي ..مامتك كمان كويسة جداً ..شكلها طيبة ..و ..و ..





كلماتها اللاهثة تتقطع بالمزيد من الارتباك الذي فضح له خبيئتها !!

حدسه يخبره بسبب ارتباكها هذا خاصة مع إصرارها على تلمس شامته كأنها تحتمي به هو من ذكرياتها !!

يعقد حاجبيه لأول وهلة بيأس والقنوط يوسوس إليه أنه لن يصل معها أبداً لمحطة تواصل ..

لكنه يتذكر نصيحة ياقوت ..

_لو حسيت إنها سرحت في الماضي وهي معاك خلليها تركز في حاجة تانية تخصك انت ..انت وهي وبس ..

فيتنحنح ليقف مكانه ويوقفها معه ثم يحيط خصرها بكفيه ليغرس نظراته في عينيها هامساً :

_فاكرة أول مرة اتقابلنا ..أنا كنت لابس إيه ؟!





أنفاسها تهدأ رويداً رويداً وهي تعود لشرودها إنما فيه هو هذه المرة !

يبتسم وهو يسمعها تهمس عبر شرودها :

_قميص كاروهات أبيض في إسود ..وبنطلون جينز بلو بلاك..و..كوتشي ..أحمر!

_ما انتِ كنتِ مركزة معايا اهه ! امال كنتِ عاملة لي فيها "عبده موتة" يومها ليه ؟!

يقولها وهو يقرص وجنتها بخفة لتكتم ضحكتها الخجول في كتفه هامسة :

_صدقني ما افتكرتش غير لما سألت ..أنا في الغالب ذاكرتي ضعيفة جداً .

_انتِ بقا كنتِ لابسة نفس القميص ده ..صح؟!

ترفع وجهها نحوه بإيماءة موافقة ليردف وهو يبتعد برأسه متفحصاً جسدها بنظراته :





_بس كنتِ أتخن من كده ..الزرارين دول دلوقت مقفولين بالمرتاح ..لكن يومها كان فيه بينهم مسافة ظريفة مفتوحة شوية توحي بعِظَم المستور !

تشهق بمزيج من دهشة وخجل وهي تضع يدها عفوياً على مقدمة قميصها هاتفة :

_وانت خدت بالك يومها ؟!

_عيب يا عسل!

يهمس بها مؤكداٌ بإيماءة رأس مع غمزة ساحرة ليردف مستمتعاً بالمزيد من التواقح:

_اللي زيك المفروض أصلاً ما يلبسش قمصان ..فيه تناقض بين وفرة الموارد المتاحة وكثافة القماش بينتج عنه "ثغرة" يصعب تجاهلها ..آه!





يتأوه ضاحكاً وهو يراها تلكمه في كتفه هامسة بغيظ:

_انت فظيع بجد ! كارثة !

_بس كارثة حلوة ..

يهمس بها وهو يضم جسدها نحوه أكثر مردفاً بنبرة عابثة :

_ودمها خفيف ..وتتحب والله ..بس انتِ قدمي السبت ..وكل أيام الأسبوع تلاقيها تحت رجليكي .

تكتم ضحكتها في صدره وهي تشعر بدقات قلبها تشبه قرع الطبول ..

جرأته الوقحة لم تعد تثير ضيقها بقدر ما تشعر أنها تحبها ..تحتاجها ..

ترمم بها شروخ أنوثتها التي تصدعت حصونها ..

تشعر به يزيح عنها وشاحها لتتخلل أنامله خصلات شعرها مع همسه :

_في الأوضة دي ياما حلمت





بالأميرة ..رسمت ألف صورة وصورة ..مرة شقرا ومرة سمرا ..مرة طويلة ومرة قصيرة ..مرة مصرية ومرة شامية ومرة أجنبية ..بس حبيبتي طلعت أجمل بكتير من كل الصور .

تتأوه بخفوت وجسدها يرتجف كعهدها مع كل "اعتراف بالحب" تتلقفه منه روحها بهذا الصدق ليبذر مكانه شجراً من نور ..

فترفع أناملها نحو "شارة أمانها" على عنقه و"شارة بدايته" هو كما يراها ..

تغمض عينيها مستسلمة لطوفان عاطفته وهي تشعر أنها تذوب فيه بكل جوارحها ..

معه لا يمر الزمن كما اعتادت بل تعدو العقارب مهرولة في طوافها كأنما تذكرها بقيمة العمر المسكوب على صحاري الماضي!





معه لا ترى نفسها كما اعتادت بل تقترض عينيه لتبصر بهما صورة شديدة الحلاوة ما ظنت نفسها يوماً تملكها !

معه لا تشعر بجسدها كما اعتادت بل تفاجأ به في كل مرة يتراقص بنغمة متجددة كأنما يملك عصا الساحر القديرة على إبهار مسارحها كلها !

معه تكتشف أخرى جديدة ..هي هي ..وأبعد عن أن تكون هي!

لكنها تتذكر والدته فتهتف فجأة بينما تبعده عن جنون ما يفعله :

_مامتك !..احنا نسينا نفسنا هنا ..زمانها بتقول علينا إيه ؟!





تقولها وهي تنحني لتلتقط وشاحها قبل أن تهرع نحو المرآة المقابلة لتعدل وضع

ملابسها وترتدي وشاحها ..

لكنها تنتبه له خلفها يلاحقها بنظراته عبر المرآة وابتسامة غريبة تظلل شفتيه ..

توجه نحوه نظرة متسائلة عبر المرآة لتشعر به يقترب منها ببطء ليحتضن خصرها من الخلف هامساً :

_المرة دي "توقف البثّ" عشان ماما بس !

تلتفت نحوه بحدة والإدراك الأخير يصدمها !

إنها المرة الأولى التي لا يتدخل فيها "الطيف اللعين" في علاقتهما الخاصة !!

هل هذا حقيقي ؟!!





صدمتها تزيد من عمق ابتسامته وهو يوقن من صحة شعوره فيتلمس وجنتها بأنامله وهو يشدد ضغط ذراعه الآخر حولها ثم يغمزها هامساً :

_طول عمري أقول الأوضة دي مبروكة وفيها شيئ لله..ده أنا كده أقنع الوالدة باشا ما تبيعش البيت بقا .

تبتسم بخجل وعيناها تعاودان تفحص

ملامحه بهذه "النظرة الآسرة " خاصتها لتمنحه للغد ألف أمل وأمل ..

_العب! إيه ده بقا ده بقا ده ؟! السلسلة دي من "الوالدة باشا"!

يهتف بها بمرحه المعهود الذي خالطه وهج عاطفة حقيقية وهو ينتبه للقلادة التي حملت صورته على جيدها ..

لتبتسم وهي تتلمسها بخجل قائلة :





_لسه واخد بالك دلوقت ؟!

فيغمزها وهو يقرص وجنتها هامساً:

_كنت مركز في الأهم .

تهز رأسها بيأس من وقاحته فيصمت قليلاً ..

ثم يتنهد بعمق وهو يديرها نحوه متلمساً

قلادتها بأنامله مع همسه الجاد :

_ماكنتش عايزك تلبسيها دلوقت ..ع الأقل لحد ما أحس إنك انتِ اللي عايزة تلبسيها .

تدمع عيناها بشعورها المعهود بالذنب وهي لا تدري بماذا ترد ..

تخاف أن تبوح فتكذب ..

أو تداري ..فتخون ..

لكنها بين هذا وذاك وجدت نفسها تتمتم بصدق:

_أنا ..عايزة ألبسها .





يرتفع حاجباه للحظة وعيناه تتفحصان

ملامحها يحاول قراءة ما تخفيه ..

قبل أن تلتوي شفتاه بابتسامة ماكرة وهو يعود لتواقحه العابث:

_شرف لينا يا فندم ..مش هنلاقي لصورتنا الموقرة مكان استراتيجي أحسن من كده ..

تلطم خدها برفق كاتمة شهقة خجلها بينما هو يردف مستمتعاً بردة فعلها:

_بس بقول نطول السلسلة شوية ..تكون ..

تكتم شفتيه بقبضتها مقاطعة بقية عبارته وهي ترمقه بنظرة مغتاظة فيعضّ باطن كفها لتبعده بسرعة وصوت ضحكاته يثير غيظها ..

و ما هو أكثر !

=======

_كلمها انت يا ناصر ..محدش فينا قادر عليها ..حتى والدها غلب معاها .





تغلق بها أمها الاتصال ليزفر ناصر بحنق وهو يقود سيارته نحو ذاك النادي الذي وصفته له أمها حيث يفترض أن تحضر سها هناك ذاك الحفل الراقص ..

تباً !

أما لجنونها هذا من آخر؟!

لقد ظن الأيام كفيلة بإثنائها عن هذا الغباء الذي تصر أن تنساق نحوه بمنتهى

الاستسلام ..

لكن هاهي ذي لا يزيدها الوقت إلا عناداً !!

لقد اعتذر لها عشرات المرات ..

لم يعد يذكر عدد تلك الليالي التي ذهب فيها إليها يرجوها العودة إليه فلا يزيدها هذا إلا إصراراً !

لم يعد يفهمها حقاً !

لماذا تفعل به وبنفسها هذا ؟!





لماذا تصر أن يضيع العمر في هذه الترهات ؟!

هل هو عقابها كي تضمن ألا يكررها؟!

وهل كانت فكرته هو من البداية ؟! ألم تكن هي من اقترح وأصر!!

يلمح بوابة النادي فيزداد انعقاد حاجبيه وهو يميز الزحام ..

هي لم تكن تذهب يوماً لمكان دونه ..

كانت تشاطره كل أوقاتها كما كان يشاطرها كل أوقاته !

الخاطر الأخير يجعل عينيه تدمعان اشتياقاً وهو يشعر برأسه يكاد ينفجر ..

يتجاوز بوابة النادي نحو تلك القاعة المخصصة للحفل ..أحد الحراس يستوقفه لكنه يتغاضى عن هذا مكتفياً بشارة وظيفته الملصقة على السيارة ..

يترجل من السيارة وخطواته العاصفة تفضح هذا البركان بداخله ..





صوت الموسيقا الصاخبة من الداخل يفجر المزيد من الألغام بداخله فيتجاوز الحشود باحثاً عنها حتى يجدها هناك ..

على منصة المسرح تراقص أحدهم بدلال متكلف وقد بدت له غريبة حقاً بتبرجها المغالي وذاك الثوب المكشوف الذي ترتديه ..

الدم يغلي في عروقه وهو يغالب الزحام ليصل إليها ..

وفي مكانها كانت هي تغلق عينيها بقوة سامحة لهذه الألحان الصاخبة أن تدق عنق مشاعرها دقاً !

حركات جسدها أقرب ما تكون للجنون لكنها كانت تشعر أنها تريد الانتفاض

..التمرد على كل شيء وأي شيئ..

تراه في كل صورة حولها ..





تسمع صوته يرجوها العودة ..

تلعن قلبها وهو يستحلفها أن تستجيب ..

ستفعل !

لكن ليس بعد !

ليس قبل أن تذيقه ما ذاقته !!

تعلم أن الفراق يقتله كما يقتلها لكنها تتلذذ برؤية عذابه في عينيه ..

لعله يطفئ نيران خيبتها فيه تلك الليلة التي ذبحها فيها وتركها بدم بارد ليذهب لأخرى ..

لن تصفح ..لن تغفر ..مهما كانت المبررات !!

تفتح عينيها أخيراً وهي تشعر بذراع صلبة تشدها لتشهق بعنف وهي تجده أمامها ..

عيناه مشتعلتان بغضب احمرّ له وجهه بينما عيناها الخائنتان كقلبها تجريان على

ملامحه بمزيج نادر من اشتياق وقسوة ..





تكتم صرختها وهي تحاول مقاومته بينما يتحرك بها ليغادرا المنصة حول العيون المحدقة فيهما بفضول ..

تحاول تثبيت قدميها في الأرض بعناد لكنه يستدير فجأة ليحملها من خصرها عنوة ويتحرك بها نحو سيارته ..

وجهها يحمر حرجاً وهي تقاومه بين صرخاتها القصيرة فيحاول البعض التدخل لكنه يصرخ بهم بحدة :

_دي مراتي ..محدش يقرب!

تلكمه بقبضتيها في مزيج من حرج وقهر فيضطر لإنزالها أرضاً ..

لكنه يجرها جراً نحو سيارته القريبة التي فتحها ليدفعها داخلها بعنف ثم يستدير فيستقلها جوارها وينطلق بها هارباً من هذا الجحيم ..

_إيه اللي انت عملته ده ؟! انت خلاص اتجننت !

تصرخ بها بحدة وهي تلوح بكفيها ليلتفت نحوها صارخاً بدوره :

_أنا اللي اتجننت ؟! واللا انتِ ؟! إيه اللي بتهببيه ده ؟! إيه اللبس ده والتصرفات دي ؟!

_ولسه ياما هاعمل يا ناصر !! كل يوم هاعمللك فضيحة لحد ما تطلقني !

تصرخ بها بعناد ليوقف السيارة فجأة على جانب الطريق المظلم فتطلق صريراً مزعجاً ثم يلتفت نحوها ليعتصر ذراعيها بقبضتيه هاتفاً بإصرار:





_مش هاطلقك ..لو حكمت إني أحبسك في بيتنا لحد ما دماغك تتظبط هاعملها !

_يبقى لسه ما تعرفنيش يا ناصر! مفيش قوة في الدنيا هترجعني ليك لو أنا مش عايزة !

عيناها تشتعلان بعناد يشبه عناده فتتناحر النظرات للحظات ..

قبل أن تتدخل خفقات القلوب فتفرض نفسها بينهما ..

يقترب الوجهان دون أن يدري أحدهما من الذي يفعلها بالضبط ..

شفتاها ترتجفان بمزيج من غضب واشتياق فتتعلق بهما عيناه للحظة قبل أن يضمها نحوه في لقاء عاصف زاد من اشتعالهما معاً ..

افتقدها !!

افتقدها حد الجنون !!





كيف ظن يوماً أن قربها ينقصه المزيد ؟!!

هي وحدها الكمال الذي يرتجيه !!

يكاد يعتصرها بين ذراعيه كأنما يذيقها من جحيم ضلوعه ما يثنيها عن هذا الجنون الذي اجتاحها لكنها تدفعه أخيراً لتسيل دموعها من عينيها غزيرة مع شهقات بكائها :

_عارفة إني وحشتك والبيت من غيري مش بيت ..عارفة إنك بتستنى أرجع لك النهارده قبل بكرة ..عارفة أد إيه بتتعذب من غيري وبدعي من قلبي تتعذب أكتر وأكتر ..جرب تخاف تخسرني زي ما أنا جربت..اسهر قلقان من غيري زي ما أنا سهرت ..اتخيلني في حضن واحد غيرك زي ما أنا اتخيلت..

كلماتها تنقطع براحته التي كتمت شفتيها تمنعها التفوه بالمزيد وهي تشعر بجسده ينتفض بغضب كما لم يفعل من قبل ..





لكنها لم تكن أقل منه غضباً وهي تسمع صياحه المشتعل بين أنفاسه اللاهثة :

_مفيش فايدة ! لسة مصممة تعيشي دور الضحية وناسية إن الغلط كان مشترك بيننا ..مش شايفة غير جرحك انتِ وبس!

فتحرر وجهها منه لتشيح به هاتفة بعناد مغيظ :

_فعلاً مفيش فايدة ..انت كنت عايز كل حاجة وخسرت كل حاجة ..وأنا أكبر خسايرك .

تقولها لتفتح الباب جوارها بسرعة فيجذب ذراعها بعنف نحوه مانعاً إياها من المغادرة لكنها تلتفت نحوه هاتفة بنبرة مهددة :

_كفاية فضايح كده الليلة دي ..سيبني أنزل بدل ما أوريك الجنان اللي على أصوله .




تقولها ثم تنتزع ذراعها منه بعنف لتغادر السيارة صافقة بابها خلفها بعنف قبل أن تشير لسيارة أجرة قادمة فتستقلها بسرعة تحت نظراته العاصفة والتي تحولت ليأس رهيب وهو يتبعها بسيارته من الخلف عاجزاً عن فعل المزيد ..

كل يوم يمر يرتفع فيه ألف حاجز بينهما ..

عنادها يوازي عجزه فأين المفر؟!

يأخذ عدة أنفاس متتابعة وهو يفكر بينما يلمح رأسها عبر زجاج سيارتها الخلفي وقد أطرقت به ..

يكاد يقسم أنها تبكي ..

ماذا عساه يصنع كي يستعيدها ؟!

كي يمنعها من هذا الجنون الذي يعصف بها يوماً بعد يوم ؟!!

هل يطلقها؟!

هل يكون هذا هو الحل ؟!!





قبضة خانقة تعتصر قلبه مع الخاطر الأخير وجواب النفي يكتسح حناياه دون رحمة ..

فلتزهق روحه قبل أن يفعلها بنفسه ..

أبداً ..لن يفعلها أبداً !!

أفكاره تنقطع أخيراً وهو يرى السيارة تتوقف بها أمام بيت والدها فيقف مكانه بدوره ..

يراها تختلس نظرة جانبية نحوه قبل أن ترفع رأسها لتتحرك نحو البيت بأنف مرفوع لكنه كان يعلم أن روحها متهدلة الكتفين منتكسة الرأس !

يظل واقفاً مكانه لدقائق لم يدرِ عددها ..يراقب نافذتها التي أضاءت لبضعِ دقائق قبل أن تظلم تماماً ..

كروحه الآن!!





يزفر بمزيد من سخط وعجز وهو يتناول هاتفه ليتصل بوالده لكنه كالعادة يرفض الرد !

بل يرفض كل محاولاته لإرضائه إلا بالرضوخ لزيجة ثانية !!

يتحرك بالسيارة ليدور بها دون هدف في الشوارع قبل أن يستقر بها أخيراً أمام بيته الذي صار كئيباً موحشاً ..

رنين هاتفه يصدح فيتناوله بلهفة متوقعاً مكالمة منها أو من أبيه لكنه يجده مديره في العمل ..

_مابقيتش عاجبني ..ماعدتش مركز زي زمان ..حسدناك من ساعة عملية حسين رجائي واللا إيه ؟!





يقولها الرجل بمزيج من تقريع وأسف ليرد هو باعتذار سريع فيردف الرجل بحزم :

_بكرة الصبح عايزك على مكتبك م النجمة ..العملية الجديدة مش سهلة وعايزة تركيزك كله .

_تحت أمرك يا فندم.

يقولها صاغراً ليغلق الاتصال ثم يلقي هاتفه جانباً ليمسح وجهه بكفيه ..

هاهو ذا رئيسه في العمل يشكو منه كذلك ..

ما الذي بقي في عالمه لم ينهَر بعد ؟!

=========

_وحشتني يا طيب!

يستيقظ على همسها صباحاً لكنه يبقي عينيه مغمضتين مستمتعاً بمداعبة أناملها للحيته ثم لخصلات شعره الطويلة نوعاً ..





لكنه يبتسم أخيراً وهو يضمها نحوه هامساً دون أن يفتح عينيه :

_وحشتك قوي؟!

تنهيدتها الحارة تحمل جوابها وهي تخفي وجهها في صدره متنشقة رائحته الخاصة المرادفة لرحيق الأمان لديها ..

ثم تهمس بدلال عاتب:

_مش عايزة أشتكي وتقول عليا نكدية زي بقية الستات ..بس ..

تقطع عبارتها عندما تشعر بأنامله ترفع ذقنها نحوه ليمتزج عسل عينيه بشبيهه في عينيها ..

_أولاً ..مين قاللك إني مش عايزك تشتكي؟! اشتكي براحتك عشان أصالحك براحتي برضه ..





مزيج فظاظته وحنانه الفريد الذي لا تكاد تعرفه في رجل غيره لايزال يجد بصمته الخاصة في روحها ..

خاصة وهو يشدد ضغط ذراعيه حولها بحمائية تصفها أفعاله قبل أقواله ..

وشفتاه تجددان لها عهداً بعد عهد ..

_وثانياً ..انتِ ما ينفعيش تتحطي في جملة واحدة مع بقية الستات ..خصوصاً لراجل زيي حاسس إنه وسط مستعمرة نسائية !

يقولها متهكماً بطريقته المعهودة وهو يتذكر ذاك الخبر الذي أبلغته به رانيا بالأمس أنها تنتظر مولودة أنثى !

_عشان ؟!

تسأله وهي تعلم الجواب لكنها تحب سماعه منه ..





وبالذات بهذه الطريقة عندما يجمع شعرها على جانب رأسها ليجدله لها في ضفيرة يزداد طولها يوماً بعد يوم ..

_عشان انتِ غير أي ست ..انتِ ياسمين ..نُص روحي وكل قلبي .

تضحك ضحكتها المميزة التي تعلن شروق يومه بينما تداعب وجنته براحتها هامسة :

_وهتصالحني إزاي؟!

_مش بتقولي وحشتك ؟! خلاص ..النهارده كله ليكي ..

يهمس بها وشفتاه تدللان ملامحها بما يليق ليعلو صوت بكاء يمنى جوارهما كأنها تعترض ..

فتصدح ضحكته هاتفاً بصوت أعلى كأنه يسمع الصغيرة كذلك :





_ليكم ..انتو الاتنين ..بطلي زن بقا عشان ما أغيرش رأيي .

تضحك ياسمين وهي تغادر الفراش نحو سرير الصغيرة التي رفعتها هي لتضمها لصدرها هاتفة بحنان :

_بس ..بس ..بابا هيقضي النهارده معانا ..مش واحشك زيي ؟!

_بنتك جعانة يا هانم ..كلامك ده مايشبعش ..انزلي حضري لها ببرونتها أنفع .

يهتف بها وهو ينهض من الفراش بدوره لتتحرك بالصغيرة نحوه هاتفة وهي لاتزال تخاطب الصغيرة :

_بنت يامن حمدي قلبها كبير زيه ..بوسة وحضن من بابا أهم من الببرونة ..صح يا يمنى؟!





تقولها وهي تناوله الصغيرة التي ضمها لصدره بحنان قبل أن يرفعها من خصرها ليقرب وجهها منه ثم يداعب أنفها بأنفه لتكف الصغيرة فجأة عن البكاء وتبتسم له تلك الابتسامة التي تخطف قلبه ..

فيضحك ضحكة عالية وهو يعاود ضمها إليه بحنان هاتفاً :

_يمنى يامن صحيح!

تضحك ياسمين وهي ترمقهما بنظرة حنون طويلة قبل أن تتناول منه الصغيرة هاتفة :

_شوف انت طقوس الاستيقاظ الصباحية بتاعتك على بال ما أشوف رضعتها هي ..تحب تفطر إيه ؟!

_مش إيه ..فين!

_فين؟!

تسأله بترقب ليرد وهو يتمطأ بكسل :

_في الجنينة ..من زمان ما فطرناش سوا على الأرض بمفرشك العجيب الملون ده .




_أووووه! حبيبي يا يامن ..حلو جداً والجو النهارده كمان جميل ..

تهتف بها وهي تميل على وجنته بقبلة سريعة لترفع كف الصغيرة المنمنم فتدغدغ به لحيته هو مردفة بحماس :

_شكراً يا بابا ..شكراً يا طيب .

يطلق ضحكة صافية وهو يمنح كلتاهما قبلاته قبل أن تتحرك هي بابنتها نحو المطبخ بالأسفل كي تعد ما تحتاجه ..

وبعدها بقليل كانت تستلقي جواره على عشب الحديقة فوق المفرش المميز بألوانه الزاهية ..

كفه يحتضن كفها بينما يتمدد كلاهما على ظهره على الأرض يرنوان للسماء فوقهما بغيومها البيضاء ..





وبينهما يمنى تحرك ذراعيها وقدميها ببطء وعيناها -مثلهما- شاخصتان للسماء ..

_فاكر لما عملناها قبل كده؟! كل واحد فينا كان شايف الدنيا بشكل مختلف عن التاني ..

تقولها بشرود وهي تتذكر جلسة مشابهة لهما في الماضي فيبتسم وهو يتذكر ما تحكي عنه ليضغط كفها في راحته قائلاً :

_تيجي نجرب المرة دي ونشوف!

يقولها بترقب وهو يناظر غيمة بيضاء كبيرة فوقهما أشار نحوها بكفه هاتفاً :

_هاعد واحد اتنين تلاتة ونقول في نفس الوقت كل واحد شايفها إيه .

_اتفقنا!

تقولها ضاحكة وهي تتأمل الغيمة مثله تنتظر انتهاءه من العد ليهتف كلاهما في نفس اللحظة :





_كمانجا !

تتعالى ضحكاتهما معاً بعدها للحظات ثم يلتفت هو نحوها ليتكئ على جانبه فيشرف عليها من علوّ ..

سبابته تدور حول ملامحها كأنه يرسمها ..

عيناه تنتقلان بخفة بينها وبين ابنتها التي مزجت ملامحهما معاٌ ..

ليهمس لها أخيراً بعشق جارف:

_مش لاقي حاجة أقولهالك إلا اللي قلتها يومها ..انتِ جميلة قوي ..

ثم ينظر لابنته مضيفاً بحنان أكبر:

_انتو الاتنين جمال قوي ..لدرجة إنكم بتخلوا كل حاجة حواليكم جميلة ..حتى أنا !

فتحرك وجهها لتحتضن راحته على وجنتها ثم تقبل باطنها بعمق هامسة :

_انت كل الجمال اللي اتمنيت عيني تشوفه ..وشافته !





تقولها وعيناها تطوفان على ملامحه بحرارة عاطفتها ..

قميصه "الأبيض" يشع نوراً يمنح سمرة ملامحه جاذبية خاصة ..

عيناه الحبيبتان تتوهجان بألَقٍ دافئ ينعكس من شمس قلبه ..

أنفاسه تغازلها بهذه الطريقة التي لا يكاد يجيدها رجل غيره ..

شفتاه ..لا! هذه شأنها في وادٍ آخر!

_مش عايزة تتمرجحي ؟!

يهمس بها بحنان وهو يشير بعينيه لأرجوحتها "الجديدة" هناك فتضحك وهي تلتفت نحو يمنى هاتفة :

_ماشي ..بس مع يمنى .





يضحك بدوره وهو يقف بحماس ليشد كفها فيوقفها معه ثم ينحني ليحمل الصغيرة فيتحرك بها نحو تلك الأرجوحة التي صنعها من إطار سيارة قديم ملون ..

وبارتفاع قصير ناسب تسلقها إياها بسرعة لتستقر مكانها ..

تمسك السير المعدني بأحد كفيها وبذراعها الآخر تسند الصغيرة التي ناولها إياها قبل أن يشرع في هز الأرجوحة بهما معاً ..

ضحكاتها تعلو وهي تضم الصغيرة نحوها بينما تناظر السماء والحديقة حولها بنظرة سلام صار يسكن روحها حقيقة لا ادعاءً ..

_بمناسبة القعدة الروشة دي ..مش عايزة تغني سيد الحبايب يا ضنايا انت ؟!

يسألها مشاكساً لتعلو ضحكتها وهي ترد له مزاحه :

_لا عايزة أغني ..الراجل ده هيجنني!





يشاطرها الضحك وهو يأرجحها لدقائق بعدها قبل أن يلمح في عينيها ذاك التردد الذي جعله يهمهم هاتفاً بتوجس بينما يشير بسبابته نحو عينيها :

_مممممم..خير اللهم اجعله خير ! النظرة دي أنا عارفها كويس ..اعترفي عملتِ إيه .

فتعض شفتها كاتمة ضحكتها لتقول مدافعة :

_ما عملتش لسة .

_هه ! اللي بعده ..عايزة إيه ؟!

يقولها بنفس التوجس وهو يشير بسبابته في حركة دائرية حول وجهها لتتنحنح وهي تهدهد الصغيرة برفق هاتفة بدلال :

_هو طلب ! مش عشاني ..عشان يمنى ..و ..همسة .

يمط شفتيه باستياء وهو يدرك ما ستطلبه منه حتى قبل أن تهتف به برجاء:





_هي عزمتني ع الفرح ..نفسها يمنى تحضر معايا ..مش قادرة أرفض لها طلب بعد اللي عملته عشاننا .

فيزفر بقوة ثم يشد أذنها برفق هاتفاً بنبرة عادت إليها فظاظتها:

_ليه يا ماما ؟! ليه ؟! الراجل سايب شغله وقاعد عشان يدلعك انتِ وبنتك ! تقلبي عليه المواجع وتنكشي ورا النكد ليه ؟!

فتبتسم وهي تترجل من الأرجوحة لتواجهه بنظرات رجائها التي قابلها برفض ونبرته تتحول لجدية تامة :

_لأ! مش هتحضري الفرح ومفيش داعي أقول أسباب !

فتطرق برأسها وهي تدرك أن ما تتمناه من أن تسير الأمور بين زين ويامن بصورة طبيعية هو ضرب من الخيال حقاً !





لكنها فقط كانت تطمح أن يتفهم أكثر!

لأجل همسة على الأقل!

_لو على همسة أنا ممكن أروح أنا ويمنى ..أبارك لرائد لأنه راجل محترم ..

يقول عبارته الأخيرة بنبرة ذات مغزى ليردف :

_وهمسة تشوف البنت ..خمس دقايق ع السريع وأمشي ..

تكاد تهتف باعتراض لكنه يردف بنبرة أعلى وهو يلوح بكفه في وجهها :

_ما تحاوليش! أقسم بالله دي أقصى طاقتي ..لو عليا أحرق البيت ده على دماغ صاحبه ..بس هاعصر على نفسي لمونة وأروح عشان رائد وهمسة ..إنما انتِ لأ ومش عايز أسمع كلام تاني!





يقولها بصرامة لا تقبل الجدل فتتنحنح لتومئ برأسها صاغرة وقد شعرت بحدسها أنها لن تنال ما هو أكثر ..

تراه يعطيها ظهره فتشعر بذبذبات غضبه تكاد تصلها مكانها لهذا تتحرك لتقف قبالته ..

ترفع عينيها نحوه بملامح راجية وبمرح طفولي تقول له بما يشبه الاعتذار:

_شيلني ! عايزة أبوس راسك مش طايلة .

ملامحه العابسة تلين رويداً رويداً مع اتساع ابتسامتها قبل أن تشهق ضاحكة وهي تراه يمد ذراعيه ليرفعها مع الصغيرة نحوه هاتفاً بفظاظته المرحة :

_اتفضلي يا "نخلة"!

تضحك وهي تقبل رأسه بعمق قبل أن ينزلها أرضاً لتبدأ الصغيرة في البكاء فجأة فيضحك هو بشماتة





وهو يربت على وجنة ياسمين هاتفاً بفظاظته المرحة :

_بنتك عايزة تغير ..غيري لها وحمّيها ..وكمان ضوافرها طويلة قصيها ..ربي عيالك يا ماما .

ترمقه بنظرة مغتاظة وهي تتحرك بالصغيرة نحو البيت فتسمع هتافه من خلفها :

_والنهارده عايز آكل محشي كل الأنواع ..واعمليلي سينابون ..أقوللك زودي الكمية وهاعزم ماما والبنات ..أنا هاعرف أشغل لك وقتك ..الفضا وحش أصله بيخلليكي تفكري في حاجات غريبة !

========

_عشان خاطري بلاش!

يهتف بها رائد وهو يجلس جوارها في سيارته أمام بوابة بيت أمه لترد همسة بتصميم:





_أنا عارفة إنك خايف عليا ..بس ياقوت

قالت لي لازم أواجه ..أنا نجحت معاك ومع زين ..حتى بابا الله يرحمه قدرت أسامحه ..مش فاضل غير مامتك ..

يزفر بضيق وهو يشيح بوجهه لتمسك كفه هاتفة ببراءتها المعهودة :

_انت بتقول إنها مش موافقة على جوازنا ..سيبني أكلمها ..هي يمكن فاكراني لسة تعبانة وخايفة عليك..لما تشوفني خفيت قلبها هيرقّ وهتوافق تحضر فرحنا .

فيلتفت نحوها ليحتضن وجنتها براحته قائلاً بقلق:

_طب سيبيني أدخل معاكي ..بلاش تبقي لوحدك .

لكنها تهز رأسها رافضة لتقول له بنفس الإصرار:





_لازم أبقى لوحدي ..ده آخر امتحان ولازم أعديه .

يزدرد ريقه بتوتر وهو لا يدري ماذا يفعل إزاء إصرارها هذا ..

همسة بشخصيتها الجديدة ونظرتها

الملائكية للأمور تظن نفسها ستكسب قلب أمه ..

لكنه خير من يعلم أن أمه لن ترضى عن هذه الزيجة أبداً !

ليس وهي ترى فيها خسارتها القديمة !!

_سيبني أروح بقا عشان ما نتأخرش عن بقية مشاويرنا .

تقولها وهي تترك كفه لكنه يعاود التشبث به هاتفاً لها بانفعال:

_لو قالتلك أي حاجة تضايقك اخرجي على طول ..ما تفكريش في كلامها وتعالي في





حضني ..افتكري إني هافضل معاكي ..دايماً مهما حصل .

فتبتسم وهي تقترب أكثر لتقبل وجنته قائلة :

_حاضر ..مش هانسى ..ما تقلقش انت .

يزفر من جديد وهو يشيح بوجهه متمسكاً بكفها لأطول فترة ممكنة لكنها تسحبه منه هاتفة بعتاب رقيق:

_انت كده بتخوفني أكتر مش بتطمني .

يلتفت نحوها بمزيج من قلق وإشفاق لكنها تداعب شفتيه بسبابتها قائلة :

_ابتسم وخللي عندك ثقة فيّ ..ممكن ؟!

يبتسم مجاملاً لها فتبتسم بدورها وهي تعاود تقبيل وجنته قبل أن تغادر السيارة بخطوات سريعة فتبدو له كفراشة تحلق بخفة نحو نار ستحرقها !!





جزء بداخله يلومه على استجابته لطلبها ويتهمه بالتقصير في حمايتها من بطش أمه ..

لكن جزءاً آخر يتمنى لو تنجح في مسعاها حقاً ..

ليس لأجله ..بل لأجلها هي ..

لأجل أن تتخلص من شعورها القديم بالنبذ !!

لهذا خبط رأسه بظهر مقعده بانفعال وهو ينظر في ساعته ..

سيمهلها عشر دقائق فقط وبعدها سيتدخل حتى ولو كرهت حضوره ..

هو عاهد نفسه أن يحميها ولو من نفسها ولن يخلف هذا العهد قطّ!

وفي مكانها كانت همسة تقف أمام الباب تتردد أناملها في رن الجرس قليلاً وهي تشعر برهبة طبيعية ..





هي لا تذكر لسوزان أي بادرة عطف نحوها ..بل على العكس ..

طالما كانت تميز في نظراتها حقداً لم تكن تفهم معناه في الماضي لكنها الآن صارت تتفهمه ..

لهذا استجمعت شجاعتها وهي ترن الجرس ليخفق قلبها بتوتر وهي ترى الباب يفتح لتظهر خلفه سوزان ..

عيناها تتسعان للحظة من المفاجأة قبل أن تتوهجا بالحقد القديم والذي امتزج الآن بكراهية أكبر وهي تواجهها بقولها:

_عايزة إيه ؟!

بعض الخوف يتملك منها وهي تشعر أنها تخسر معركتها من الجولة الأولى لكنها تعود لتتذكر ..

هي قوية برائد ..بزين ..وبنفسها قبلهما ..





لن تخاف ..لن تهرب!

لهذا تنحنحت لتقول برقة وجلة :

_ممكن أتكلم مع حضرتك ؟!

ضحكة قصيرة مكتومة كانت جواب سوزان وهي تنظر إليها شذراً من أعلى لأسفل هاتفة :

_والله وبقيتِ تعرفي تتكلمي .

دمعت عينا همسة وهي تشعر بالوهن أكثر لكنها أكملت مسيرتها :

_خمس دقايق بس ..حضرتك اسمعيني .

ضحكة أخرى ساخرة من سوزان التي أفسحت لها الطريق هاتفة بغلّ لم تتحكم به :




_نسيت إن عندك عقدة من البيوت اللي بتتقفل في وشك ..يا حرام!

الضربة هذه المرة كانت في موضعها وهي تذكر همسة بمرارة ماضيها ..

لكنها تماسكت لتقول بصوت مرتجف:

_لو تقصدي بيت بابا فزين خلاص ..رجعلي حقي و..دخلته !

هنا تمسكها سوزان من ساعديها لتهزها بعنف هاتفة من بين أسنانها :

_بس أنا مش هادخلك بيتي ولا عمري هارضى عن جوازك بابني ..مش هاحضر فرحه وهاقول قصاد الدنيا كلها إني اتبريت منه عشان اتجوز واحدة زيك .

ينتفض جسد همسة وهي تشعر بكل الكلام الذي أعدته لهذه المقابلة يتبخر أمام كل هذا الحقد في حديث المرأة التي عادت تهز جسدها هي بقوة مردفة بحروف تقطر كراهية :




_اوعي تفتكري إنك انتِ وأخوكي هتتهنوا بابني ..الجوازة دي مش هتتم ..هاقهر قلبك عليه زي ما قلبي فضل مقهور العمر كله .

تشهق همسة برعب حقيقي وهي تشعر بالهواء يختفي فجأة من المكان ..

أنفاسها تتلاحق وهي تشعر بالخوف القديم يحتلها بضراوة ..

كل كلماتها المثالية التي جهزتها تتداعى أمام عنف هذا الحقد الذي قابلتها به سوزان ..

خاصة وهي تدفعها للخارج بعنف هاتفة :

_البيت ده ما تفكريش تدخليه تاني ..الحقي افرحي لك كام ساعة لأني هاخلليكي تعيطي العمر كله !

تقولها لتصفق الباب في وجه همسة بعنف لتبسط الأخيرة يدها على صدرها تحاول تمالك خفقاتها قبل أن تعدو بسرعة على الدرج لتعود إليه ..





هو الذي كان قد غادر السيارة مستعداً للذهاب إليها ولم يكد يلمحها من بعيد بهذه الحالة حتى اندفع نحوها بسرعة ليطوقها بين ذراعيه محتوياً ارتجافة جسدها وهو يكز على أسنانه بقوة ..

لم يكن يحتاج لمعرفة ما قالته أمه ليجعلها بهذا الوضع ..

لكن قلبه سقط بين قدميه وهو يسمع نحيب همسة المرتفع مع كلماتها التي امتزجت برعبها :

_بتقول جوازنا مش هيتم ..بتقول هتحرمني منك ..بتقول ..

_ششش ..مالكيش دعوة باللي بتقوله ..

يقولها بحزم وهو يحاول السيطرة على انتفاض جسدها لترفع عينيها نحوه بنظرات مرتعبة ..

لكنه يحيط وجنتيها براحتيه ليغرس نظراته في عينيها هاتفاً بقوة :

_ماتخلليش أي حاجة تهز ثقتك فيّ ..مش بعد كل اللي عديناه سوا ..أنا هنا ..معاكي ..وهافضل




معاكي لحد آخر نفس في عمري ..اوعي تصدقي غير كده ..اوعي .

أنفاسها المتلاحقة تهدأ تدريجياً وهي تتشبث بخيوط عشقه في نظراته تستمد منها صلابتها ..

قبل أن تخفي وجهها في كتفه لتهمس بألم :

_كان نفسي أنجح المرة دي كمان .

لكنه يتنهد مربتاً على ظهرها برفق قائلاً بأسف:

_صدقيني الموضوع مالوش أي علاقة بيكِ انتِ ..ده ماضي خدك انتِ في رجليه ..

ثم يرفع ذقنها نحوه ليغتصب ابتسامة باهتة مع قوله :

_معلش ..مش كل حاجة نتمناها هتحصل ..المهم عندي إنك تبقي كويسة .

تهز رأسها بأسف ولايزال ذهنها مشوشاً بتهديد سوزان فيتحرك بها نحو سيارته ليستقلها ويغادر





بها مبتعداً كأنما يهرب بها من هذا الجحيم الذي لا ذنب لها فيه ..

وعبر النافذة كانت سوزان تراقبهما بحقد وهي تراه يحتضنها بهذه الطريقة ..

قلبها يكاد يشتعل غيظاً وهي تراهما يغادران معاً بينما تبقى هي وحدها تأكلها نيران خسارتها ..

خسارتها!!

لا!

لايزال الوقت مبكراً لإعلان الخسارة!!

فكرة شيطانية تراودها فتبتسم لها بظفر وهي تتناول هاتفها لتتصل برقم ما كي تحمل لـصاحبه تساؤلاتها ..





وتحفظ منه الجواب الذي تحتاجه كي تدمر هذه الزيجة ..

ليلة الزفاف بالضبط!

==========

_جامدة طحن !

يغمزها بها إسلام وهو يلاحظ ارتباكها الذي تحاول مداراته وهي تنظر نحو بوابة بيت الفايد الفخمة حيث يقام الزفاف ..

فتلتفت ياقوت نحوه هامسة بقلق:

_حاسة شكلي غريب .

_طبعاً ! الألوان الهادية دي مش واكلة معاكِ ..انزلي يا ماما انزلي ..دلوقت تشوفي الراجل الغامض بسلامته وهو عينه هتطلع عليكِ ..بس انتِ إياك تبصيله حتى ..زي ما اتفقنا!





يعاود غمزها بها ثم يترجل من السيارة فتأخذ نفساً عميقاً تتمالك به توترها قبل أن تترجل من السيارة بدورها لتسير جواره متأبطة ذراعه ..

ابتسامة حانية تزين شفتيها وهي ترمقه بنظرة جانبية دافئة ..

لقد جربت شعور الأخوة مع لجين طوال هذا العمر لكنه مع إسلام يختلف ..

ربما لأنها تشعر أنه يكملها كصديق ..يدعمها كأب ..!

أفكارها تنقطع وهي تتجاوز معه البوابة لتلمح زين واقفاً هناك يتحدث مع أحدهم غافلاً عنها ..

وسامته التي تألقت كثيراً هذه الليلة تخطفها كعهدها خاصة مع أناقة بدلته وسحر حركته هذه عندما يمرر يده بين

خصلات شعره ..

_اتهد بقا يخرب بيت حلاوتك ..هو فيه كده ياالخواتي؟!




تعربد بها "العفريتة العابثة" في أعماقها بينما يخفق قلبها بعنف وهي تستعيد لحظات قربهما الخاصة فتحمر وجنتاها خجلاً

لا تكاد تصدق أنها حقاً عاشت هذا معه ..

_بنت! وبعدين؟! مش قلنا ما تبصيش!

يلكزها بها إسلام في خاصرتها فتتنحنح وهي ترفع إليه رأسها بعناد كاذبة :

_ما ببصش عليه ! بدوّر ع العروسة أو أي حد أعرفه .

فيرفع حاجبيه بتهكم ليضحك ضحكة قصيرة وهو يهز رأسه ليهمس لها مغيظاً :

_واقعة واقعة يعني !





تلكزه هي في خصره هذه المرة بنظرة غاضبة تحولت لابتسامة خجول وهي تخفي وجهها في كتفه ليضمها نحوه بحنوّ مربتاً على ذراعها ..

وفي مكانه انتبه زين نحوهما أخيراً لتتسع عيناه لحظة بانبهار وهو يميز جمالها

الاستثنائي هذه الليلة ..

ثوبها شديد الأناقة بتصميمه المبهر الغريب عما اعتاده منها ..

وبلون الفيروز الفاتح الذي صنع مع لون عينيها ووشاحها مزيجاً كارثياً ..

خاصة وهو يحتضن جسدها بنعومة انسيابية ..

ورغم احتشامه الظاهري لكن وحش خياله هو كان ينهشه بمخالب الاشتياق وهو يتذكر بدوره مذاقها بين ذراعيه ..




الانبهار يستحيل لغيرة خانقة يستشعرها معها لأول مرة بهذه الضراوة وهو يراها تضاحك أخاها بهذه الطريقة ..تخفي وجهها في كتفه بينما يربت عليها ..

نظارتها !!

خلعتها لتكمل مسلسل فتنتها الكارثي هذا !!

والأدهى أنها تتجاهله ..تتجاهله تماماً وهي تتحرك لكنه يدرك بحدسه أنها تراه !

يتحرك نحوهما بخطوات ثابتة وعيناه تلتهمان تفاصيلها بمزيج من عشق وغضب ..

تظن أنها تحتمي بأخيها منه ؟!

سيتحدث إليها هذه الليلة مهما كان الثمن !!

_واضح إن العروسة لسه ما جتش .





يقولها إسلام وهو يجلس معها على أحد الموائد التي زخرت بها الحديقة الواسعة هذه التي تألقت بأضوائها لتحيل الليل نهاراً ..

قبل أن يلمح زين وقد مد له يده مصافحاً ليقف مكانه بابتسامة متكلفة وهو يصافحه بدوره قائلاً :

_مبروك .

هز له زين رأسه برد تقليدي وبعينين قويتين مشتعلتين بمشاعره قبل أن يلتفت نحو "قِبلة قلبه" جواره فيمد لها يده مصافحاً بدوره وعيناه المتوهجتان مع ضغطة قبضته على كفها تحمل لها ألف رسالة !

لكنها تشيح بوجهها سريعاً وهي تسحب كفها منه لتسأله بنبرة عادية جادة بعيدة تماماً عن فوضى الصخب بداخلها الآن :

_همسة فين ؟!





فيطوف شبح ابتسامة على شفتيه وهو يرد بنبرة غامضة :

_هتظهر بالشكل اللي يليق بيها .

تعاود النظر إليه بتساؤل لكنه يرد لها بضاعتها وهو يشيح عنها بوجهه متظاهراً

بالانشغال :

_هاضطر أستأذن عشان أشوف الضيوف ..اتفضلوا .

يقولها وهو يبتعد ساحباً معه هواء صدرها لتعاود الجلوس مكانها واجمة فيلتفت نحوها إسلام قائلاً بنبرة خبيرة :

_ولا يهزك! أنا اللي بقوللك مشعلل ع الآخر! عامل فيها تقيل ومش هامّه بس ..

ثم يغمزها مردفاً :

_على مين ؟! ده احنا معلمين ؟!





تمط شفتيها باستياء وهي تكاد ترد لكنها تتوقف وهي ترى الأضواء تغلق حولها فجأة لينبعث صوتٌ ما من فوق المنصة التي أعدت للعرس ..

_العروسة نازلة من فوق .

همهمات الحضور تعلو حولها فيخفق قلبها بترقب وهي ترى جانب البيت المقابل يسطع بنور أبيض فجأة وسط كل هذا

الظلام ..

لتهبط همسة من أعلى "حرفياً"!

أجل ..على أرجوحة عريضة تهبط بها من سطح البيت ببطء نحو الأسفل ..تبدو كملاك رقيق وذراعاها يتشبثان بطرفي الأرجوحة واللذين تم تزيينهما بزهور "الفل" ..





ثوبها يبدو شديد البياض بلمعة كريستالية أخاذة وقد بدا صدره كفراشة مفتوحة الجناحين وانسدل بقيته برقّة طبيعية غير متكلفة تناقض ما اتفق عليه في ثياب الزفاف المنفوشة ..

تصل بها الأرجوحة إلى الأرض أخيراً وسط تصفيق الحضور وهمهمات انبهارهم لتبدأ نغمات موسيقا هادئة في الظهور ..

يتقدم منها زين ليتلقف كفيها ثم يضم رأسها لصدره في قبلة طويلة لجبينها ..

قبل أن يسير معها ليسلمها من كفها لرائد الذي رفع أناملها ليقبلها ثم عانقها بقوة ليعلو تصفيق الحضور وصفير إعجابهم بالجمال

الاستثنائي للعروس ..





يلتفت إسلام نحو ياقوت ليلمح ترقرق عينيها بالدموع فيميل عليها هامساً بمشاكسة :

_لا امسك نفسك يا "أبو التوت" ! هو الموقف مؤثر بس الكحل هيبوظ!

تلتفت نحوه باسمة لتغمغم بتأثر:

_حاسة قوي بهمسة في موقف زي ده ..بعد العمر الطويل اللي عاشته منبوذة من أقرب للناس ..كلهم بيعايروها بذنب مالهاش يد فيه..ودلوقت كل أحلامها تتحقق ..وراسها يترفع قدام الكل ..

ثم يتهدج صوتها باستطرادها :

_مش سهلة يا إسلام ..مش سهلة ولا قليلة .

فتلتمع عيناه بتأثر وهو يرى انعكاس مأساتها هي الخاصة ليربت على كفها دون كلام ..




وفي مكانه كان رائد لا يزال يقف مكانه يضم همسة نحوه وهو يشعر بارتجافة خوفها الذي تحاول مداراته منذ تهديد أمه لها..

بالإضافة ل"رهابها" القديم من الناس والذي نجحت مؤخراً في التغلب عليه لكن بقاياه لا تزال عالقة هناك ..

_ماتفكريش في أي حاجة ..دي ليلة عمرنا يا همسة ..أنا وانتِ قدام الناس كلها زي ما حلمنا .

ترتجف ابتسامتها وهي ترفع عينيها نحوه لتشعر بكف زين هو الآخر على ظهرها مع قوله بمزيج من حزم وحنان :

_ياللا مع جوزك وما تخافيش ..محدش هيتجرأ يبوظ الليلة دي .





يقولها بنبرة ذات مغزى تحمل لها بعض السكينة فتتسع ابتسامتها المرتجفة وهي تتحرك جوار رائد لتحيطهما فرقة من الرقص الروسي بدأت أولى فقرات الحفل ..

ترفع رأسها باعتزاز وهي ترى نظرات

الإعجاب في العيون تقوي ثقتها في نفسها ..

_ياربي!

تهتف بها بلهفة وهي تميز حضور يامن الذي وصل إليها يحمل يمنى لتتلقفها هي منه فتقبل وجنتيها بحب هاتفة بامتنان :

_شكراً يا دكتور عشان جبتها ..

ثم تحولت نبرتها لبعض العتاب:

_فين ياسمين؟!

يتنحنح يامن بحرج لكن رائد ينقذ الموقف وهو يمد له يده مصافحاً بابتسامة هادئة :





_نورت يا دكتور .

فيصافحه يامن بقوة قائلاً بودّ حقيقي:

_مبروك ..ألف مبروك ..فرحت جداً عشانكم حقيقي .

يقولها ثم يهم بأخذ الصغيرة من يدي همسة لكنها تهتف به برجاء :

_سيبها معايا شوية عشان خاطري ..خمس دقايق بس .

فيهز رأسه مبتسماً لينفذ لها ما أرادت قبل أن يلمح ياقوت هناك مع إسلام فيتحرك نحوهما ليجالسهما على طاولتهما ..





وفي مكانه كان زين يراقبهم بضيق تزداد وتيرته وهو يرى ياقوت تضاحك يامن ببساطة غافلةً عما تصنعه به هو تلك الضحكات ..

يالله!!

هذه الغبية لا تفهم !!

جمالها ملكه هو ..

ضحكاتها ملكه هو ..

حتى أنفاسها ملكه هو ..

فكيف تفرط في كل هذا هكذا لتجعله مشاعاً لسواه ؟!!

_زين بيه ..ممكن كلمة ؟!

يلتفت لأحد معارفه من المدعوين فيبتسم له برصانة منتظراً ليرد الشاب وهو يشير بعينيه نحو مائدة ياقوت :

_سألت عليها وعرفت إنها الدكتورة اللي

عالجت همسة .

تشتعل خلايا زين كلها ببراكين من غيرة عجز عن إطفائها لتخرج نبرته مشتعلة خطيرة :

_أيوة ..وبعدين؟!

فتتسع ابتسامة الشاب وهو يقول ببراءة :

_ما شفتش في إيدها دبلة قلت تبقى مش مرتبطة ..كنت حابب أعرف منك عنها معلومات ..هو الشاب اللي معاها ده ..

_مالكش دعوة .

يقاطعه بها بصرامة أجفلت الشاب الذي تراجع برأسه للوراء مصدوماً ليتمالك زين نفسه بمنتهى العسر فيردف بنبرته التي تمزج الود بالهيمنة :

_معلوماتي إنها مرتبطة ..ما تضيعش وقتك .

لكن الشاب يزيد الطين بلّة وهو يغمغم بأسف:





_خسارة ..ما أنا قلت برضه الجمال ده محدش يستتى عليه .

فيضم زين قبضته بقوة جواره وهو يكز على أسنانه بصمت ليتجاوز الشاب ويحاول التظاهر بالاندماج مع الحفل ..

جسده يكاد يفور غيرة وغضباً و ..اشتياقاً !!

لو ترك لمارد جنونه العنان لسحبها من كفها نحو غرفته بالداخل وأغلق عليها بابها للأبد !

أفكاره تنقطع وهو يسمع الموسيقا تتبدل

لأخرى هادئة تلائم الرقص البطيئ للثنائيات فيعاود اختلاس نظرة نحو مائدتها ليدرك رحيل يامن مع ابنته ..

يراقبها بحذر وهو يراها تقف لتتأبط ذراع إسلام الذي تحرك بها نحو منصة الرقص ..





يعقد حاجبيه بقوة وهو يراها تراقص أخاها بنعومة وهي لا تكتم ضحكاتها التي تشعله أكثر وأكثر ..

تتجاهله تماماً كأن لا وجود له ..

فيستعيد تفاصيل لقائهما الكارثي آخر مرة لتزداد نيرانه تأججاً ..

لكن رجلاً مثله لا يترك ثأره ..

تريدها حرب أعصاب ..فليكن !!

يتحرك نحو شريكته الجديدة ليطلب منها مراقصته فتلبي بابتسامة خلابة تفجرت شظاياها في قلب ياقوت وهي تنتبه أخيراً لرقصته مع تلك المرأة التي سبق أن رأتها معه في صورة تصاحبها شائعات ارتباطهما !

تدمع عيناها بمزيج من قهر وإحباط وهي تخفي وجهها في كتف إسلام الذي همس لها بخفة :





_مش قلتلك هيرقص مع واحدة حلوة عشان يردهالك! عيب يا بنتي أنا دارس بره وجوّه ! بلاش خيابة بقا ! ارفعي راسك واعملي نفسك مش واخدة بالك .

تستمع لنصيحته التي توافق هوى في نفسها وهي تغتصب ضحكة مفتعلة لتهمس له :

_هاسلم على همسة ونروّح على طول ..كفاية كده .

_ماشي ..بس ..

يقطع عبارته وهو يشعر باهتزاز هاتفه في جيبه فيتناوله بسرعة ليجدها نشوى ولم يكد يفتح الاتصال ويستمع قليلاً حتى هتف بها بقلق:

_أنا جاي حالاً !

_فيه إيه ؟!

تسأله بجزع ليرد :





_ريما سخنة ونشوى قلقانة عشان فيه حالة "التهاب سحائي" ظهرت في مدرستها .

_بيقولوا إشاعات ما تقلقش ..هتلاقيه دور برد عادي .

تقولها مطمئنة لتردف :

_تعال نسلم على همسة ونروّح على طول .

تتحرك جواره نحو همسة لتعانقها بقوة وهي تبارك لها زواجها بفرحة حقيقية لترمقها همسة بنظرة إعجاب تمتزج بامتنانها :

_شكلك حلو قوي النهارده .

تهز لها رأسها بابتسامة لتقول بأسف:

_هاضطر أمشي دلوقت ..معلش .

لكن همسة تتشبث بكفها هاتفة برجاء:

_خلليكي معايا لآخر الحفلة ..عشان خاطري .




فترمقها بتوجس وهي تلاحظ الخوف الذي كسا ملامحها لتنتقل ببصرها نحو رائد الذي لم يبدُ أفضل حالاً ..

ثم تسألهما بريبة :

_فيه إيه ؟!

يستأذن رائد من إسلام لينتحي بها جانباً ثم يخبرها بمقابلة همسة مع أمه وتهديدها إياها لينعقد حاجبا ياقوت بضيق بينما هو يردف :

_ممكن تكون ماما بتقول أي كلام ..بس الحقيقة إن همسة خايفة جداً ..وخصوصاً إنها كمان لسه مش واخدة على الناس والتجمعات ..ياريت تفضلي معانا لحد ما الحفلة تخلص ..بصفتك دكتورة ..وصديقة .

الرجاء الخفي بين حروفه يمسها فتهز رأسها بتفهم ثم تتحرك معه نحو إسلام الذي تقدم منها ليهتف بها بعجلة :

_ياللا بينا .

لكنها ترد بحسم :

_روّح انت معلش ..أنا هافضل هنا ..همسة محتاجاني معاها .

يعقد حاجبيه بضيق فتمنحه ابتسامة مطمئنة :

_ماتخافش عليا ..هاطمن عليها ورائد هيخللي حد يوصلني لما الفرح يخلص .

_و"السيكو سيكو"؟!

يسألها مشاكساً بنبرة لم يغادرها ضيقها لتتسع ابتسامتها ببعض المرارة قائلة :

_قلتلك ما تخافش ..هو مشغول عني ب"اللي معاه" .

فيزفر بقوة وهو يرمقها بنظرة مترددة لكنها تربت على كتفه قائلة :





_روح انت عشان نشوى ..هابعتلك رقم دكتور زميلي ييجي البيت يكشف على ريما ويطمنكم ..روح بقا .

يربت على كتفها برفق ثم يتحرك ليغادر فتتناول هاتفها لتتصل بزميلها هذا تخبره عن الأمر ثم ترسل رقمه لإسلام كما أخبرته ..

قبل أن تتحرك لتقف جوار همسة داعمة لدقائق طالت لكن الأخيرة هتفت بها أخيراً :

_استريحي على ترابيزتك ..كفاية أحس إنك قريبة .

تعود لمائدتها مثقلة الخطوات وهي تشعر بكآبة رهيبة ..

تتحاشى النظر نحوه هو من جديد كي لا تراه مع رفيقته ..

تحاول التشاغل بفقرات الحفل ومراقبة همسة التي بدت وكأنها تجاهد حقاً لتظهر بهذا الثبات ..





الأضواء تغلق حولها فجأة فتظنها واحدة من فقرات الحفل ..

لكنها تشعر بهذه القبضة التي تكمم شفتيها ..

بهذه الذراع القوية التي ترفعها من مقعدها ..

بهذه الأنفاس اللاهثة جوار أذنها ..

وأخيرا بهمسه بنبرته التي عاد أليها مزيج الهيمنة واللطف ..

_تعالي!

لم تدر هل تتنفس ارتياحا بتعرفها إلى صوته ..

أم تموت قلقا من تصرفه المجنون هذا وسط كل هؤلاء الحضور ..

لو رآهما أحد هكذا ستكون فضيحة !





تحاول تخليص نفسها منه بعصبية واضحة لكنه يجذبها ليتحرك بها ولايزال يكمم شفتيها بينما همسه اللاهث يفضح شعورا يلفحها بحرارته :

_بسرعة ..قبل ما يفتحوا النور تاني .

لم تدر أين يتوجه بها ..وكيف يميز طريقه وسط هذا الظلام ..

أو ربما فقدت هي تركيزها بفعل قربه المستفز هذا ...

ما هذا الجنون الذي يفعله ؟

تعلم أنها تعمدت إثارة غيرته بضحكاتها مع يامن..لكن ألم يفعل هو ؟

والأهم ..ما الذي ينتوي فعله ؟

تساؤلاتها تنقطع عندما يعود نور الحديقة ليغشي عينيها فجأة





تزامنا مع لحظة فتحه لباب غرفة همسة الخارجية التي أغلق الآن بابها خلفهما ...

ولم تكد تلتفت نحوه بوجهها الغاضب حتى فوجئت به يديرها بين ذراعيه ليجذبها نحو صدره مطوقا اياها بذراعيه !

العناق السابع عشر!

بنكهة الغيرة هذه المرة !

بمذاق

التملك ..الهيمنة ..الغضب ..العتاب ..والكثير ..الكثير جدا من الاشتياق !

عيناها تدمعان بما لم تدر غضبا ام اشتياقا ..

تكاد تصرخ به أن يبتعد لكن هذا الخدر اللعين في جسدها يخرسها ..




تبا لهذا القلب الذي يبدو وكأنه لم يجد في سوى صدره وطنا !

عيناها ترتفعان أخيرا نحوه بعتاب غاضب ..

فيمد أنامله المرتجفه نحو حافة حجابها يزيحها بمقدار ضئيل ..ضئيل جدا ..

وببطء من يخشى اكتشاف ما يسوؤه ..

ولم يكد يلمح لمعة قرط الياقوت هناك حتى ارتخت شفتاه مع وجيب قلبه وهو يضمها نحوه أكثر :

_ماهو لما تلبسي فستان زي ده الليلة دي ..يبقى كأنك بتقوليلي خبيني في حضنك وماتخلليش حد غيرك يشوفني .

كلماته تذيبها بهذا الأثر الذي لم يحدثه فيها رجلٌ سواها ..

كفّاها على صدره يستشعران دويّ خفقاته الصاخب الذي تشاركه فيه خفقاتها ..




كل خلاياها تفقد معنى الإدراك فلا تدري هل تشتعل عشقاً ..

أم تسكن مستسلمة لشعورها العتيق

بالانتماء لصدره ..

المزيد من الوهن يسري في عروقها رغماً عنها وهي تغرق في دوامته اللامتناهية ..

تسمعه يهمس باسمها عدة مرات ..

لا كنداء بل كاستغاثة ..

كتضرع ..

كشكوى ..

كموْتٍ ..وكحياة !

تشعر بشفتيه تطوفان فوق ملامحها متمهلتين لأول وهلة برهبة قدسية ..

قبل أن يزداد حفرهما ك"مسامير من نار"!





تستعيد إدراكها للزمان والمكان فتشهق مصدومة بخزي من نفسها يفوق غضبها منه !

تحاول دفعه برفق لكنه يتشبث بها بقوة أكبر كاتماً تأوهها بشفتيه وقد عجز عن المزيد من الصبر ..

هنا شعرت بالدموع الحارقة تسيل على وجنتيها غزيرة وجسدها ينتفض بين ذراعيه كالذبيح ..

مرارة دموعها تخدش شفتيه فيبتعد بوجهه أخيراً يناظر قمريها السجينين اللذين عادا يتواريان خلف غيمة من ألم :

_خلصت ؟!

همستها اليتيمة تصفعه فيبعدها عنه فجأة وجسده كله يرتعد كأنه ينازع روحه بهذا البعد ..

لتستمر دموعها في الهطول وهي تشير بذراعيها حولها هامسة :





_هي دي قيمتي عندك ! هنا! في الأوضة اللي خبيت فيها همسة بعيد عن الناس عشان مكسوف منها ..لكن يوم ما تحب تظهر مع واحدة تبقى زي الست اللي كنت بترقص معاها برّه !

_انتِ بتقولي إيه ؟! إزاي فهمتيها كده ؟!

يهتف بها باستنكار حاد وهو يعاود جذب ذراعها نحوه لكنها تنفضه منه بعنف هاتفة بحدة بين دموعها :

_ما تتفهمش غير كده يا بيه ..أنا فاهمة كويس قوي الفرق عندك بين إنك تحبني وإنك تشاركني حياتك..مستعدة أحلفلك إن قلبك ده ملكي لوحدي ..زي ما أنا متأكدة إن ده مش كفاية عندك عشان تكمل طريقك معايا .

_أنا مش هاكمل غير معاكي ..افهمي بقا !





يهتف بها بانفعال وهو يمسكها من ذراعيها ليهزها بعنف فتهتف به بانفعال مشابه :

_خلاص ..افتح الباب ده وقول كده قدام الناس كلها ..امسك إيدي قدامهم وقوللهم هي دي اللي اخترتها .

يعقد حاجبيه بقوة وهو يشعر بالرغبة العارمة في فعل ما تريد ..

في أن يطيع مارد جنونه فيحملها بين ذراعيه كرجل الكهف القديم ويخرج بها من هنا معلناً ملكيته لها ..

لكنه يخفض ذراعيه عنها بعجز مستمعاً لصوت عقله ..وضميره !

هو ليس مستعداً بعد لخطوة كهذه ..

ليس قبل أن يشعر أنه جديرٌ بها !!

يكاد يصرخ بها أنه ملوث ..مدنس ..لا يستحق امرأة بطهرها ..





لكن كبرياءه اللعين لايزال يقف حائلاً بينهما !!

فيما ترمقه هي بنظرة مخذولة أخيرة وهي تشعر بإطراقة رأسه تحمل لها حكم الإعدام لعشق ظنته يوماً لن يموت ..

يشعر بها تبتعد فيكاد يوقفها لكن كلماته كلها تذوب على شفتيه والمشهد البشع يعاود التكاثف أمام نظراته ..

مشهد تلك المرأة بسوطها في يدها قبل أن تزهق أنفاسها واحداً واحداً أمام عينيه !!

تدمع عيناه بعجز وهو يشعر بقوته تخونه لكنه يستدعي كل ذرة صلابة يملكها وهو يتخذ قراره ..

لن يخسر ياقوت !

سينفذ لها ما تريد ..وما يريده هو قبلها !!





يلتفت للخلف وهو يهمّ بالحديث إليها من جديد لينتبه للباب المفتوح الذي لا يدري متى ولا كيف فتحته ..

يهرع للخارج ليبحث عنها بعينيه حوله قبل أن تصطدم عيناه بمرأى ذاك الشيئ ملقياً عند قدميه ..

قرط الياقوت!

========

في غرفتها تقف سوزان أمام مرآتها معقودة الحاجبين ..

تسمع -بأذن خيالها - صوت زغاريد فتنقلب لصرخات هائلة تدوي في أذنيها ..

مارد حقدها يحكم سيطرته على أفكارها فلا يغذي سوى خاطر واحد ..

ابنة الخائن والأفعى لن تنال سعادة مع ابنها هي!

لن يسرقوا منها ماضيها ومستقبلها كذلك !!

ستعرف كيف تضغط على رائد بورقتها الرابحة ..





خوفه على صحتها !!

تلتوي شفتاها بابتسامة قاسية وهي تتوجه نحو خزانتها الصغيرة لتتناول علبة الدواء التي استشارت بشأنها الطبيب ..

كذبت عليه يومها بزعمها أنها تناولت منها جرعة زائدة لتعلم منه عن أثر هذا بالضبط كي تبني عليه خطتها ..

ستتناول "الكمية الآمنة" التي تضمن لها الأثر المنشود الذي يضمن لها أن يترك رائد زفافه ويهرع إليها ..

لن يحتمل أن يعيره الناس أن أمه حاولت

الانتحار ليلة زفافه على امرأة لا تريدها !





تفتح العلبة بأنامل ترتجف انفعالاً وهي تتناول قرصاً بعد قرص وعيناها تتوعدان طيف همسة في خيالها بأن تحرمها من رائد بأي طريقة ..

ولو باستنزاف مشاعره بخدعة كهذه !!

لن تقبل الخسارة ..

لن تستسلم كتلك الغبية جيلان التي انفرط عقد ولديها من بين كفها ..

لن تترك زين وأخته يسرقان ابنها كما سرق أبوهما قلبها وعمرها من قبل ..

ستدبر لهمسة هذه مصيبة لن تخطر لها على بال ..

لو اقتضى الأمر أن تقتلها فستفعل !

تشعر بوخزة في صدرها فتدرك أن الأوان قد آن لطلب نجدة سريعة ..

تتحرك نحو باب شقتها لتفتحه كي ترن جرس الجارة القريبة لكنها تسقط مكانها فجأة قبل أن




تدرك الباب المغلق وهي تشعر بقلبها يكاد يتوقف من فرط جنون دقاته مع هذا الألم الرهيب في صدرها ..

تصرخ بألم حقيقي وهي تشعر بأنفاسها

تتلاحق سريعاً فتلعن طبيبها سراً ..

لم يكن من المفترض أن ..

تباً !!

علبة الدواء المنشودة كانت بالرف العلوي لا السفلي ..

هل تشوش ذهنها حد استبدالها بأخرى؟!

صرخة ارتياع تطلقها عالية وهي تتبين خطأها لتعاود صرخاتها بطلب النجدة قبل أن يخرسها الألم لتنقطع صرخاتها في جوفها ..

تحاول النهوض مستندة على الباب كي تفتحه لكنها تعجز ..





ترى هاتفها على المائدة القريبة فتحاول الزحف نحوه لكن خفقاتها تخذلها !

تتشوش المرئيات في عينيها وحلقها يجف تماماً فتسبل جفنيها مدركة قرب النهاية ..

انقلب سحرها عليها وخانها مارد حقدها ليرديها قتيلة في نهاية السباق الذي خاضته بطول العمر ..

وحدها !

=========

_بيتنا!

تهتف بها همسة بلهفة فرحة وهي تشير بسبابتها نحوه بينما تستقل السيارة جواره والبيت يظهر لها من بعيد فيتناول كفها ليرفعه لشفتيه بقبلة عميقة هامساً :

_أخيراً ..هتنوريه تاني .

تضحك بسعادة وهي تخفي وجهها في كتفه للحظة قبل أن تعاود النظر للبيت بينما يقترب ..

وتقترب معه كل أحلام فرحتها ..

تشعر بالسيارة تتوقف ليترجل هو منها ثم يدور حولها فيفتح لها الباب لتترجل بدورها ..

ترى زين يغادر سيارته وهو يشير لسيارة حراسة خلفه إشارة خاصة ثم يتقدم نحوها ليعانقها بدفء ثم يقبل وجنتها قائلاً :





_عجبك الفرح؟! البلد كلها هتفضل تحكي عن أجمل عروسة كانت أميرة من الأحلام .

فتدمع عيناها بتأثر وهي تربت على وجنته قائلة :

_شكراً يا زين ..شكراً على كل حاجة .

يمنحها ابتسامة راضية وهو يحاول تجاهل مشاعره السلبية منذ رحيل ياقوت ومكتفياً بهذه الفرحة المشعة في عينيها تمنحه صك غفران !

يلتفت نحو رائد بنظرة خاصة تمزج امتنانه برجائه ثم يربت على كفه قائلاً بصوت مرتجف غريب على طبيعته المهيمنة :

_مش هاوصيك عليها ..عارف إنك هتخللي بالك منها .

فيضمها رائد لصدره وعيناه تغنيان عن وعود الدنيا بأسرها ..

فيتلفت زين حوله قائلاً :




_أنا لسه مش مطمن ..والدتك ممكن تعمل أي حاجة .

لكن رائد يقول بين ضيق وحرج:

_عندي أمل زيارتي ليها الصبح تكون رققت قلبها شوية .

يقولها مستعيداً ذهابه إليها اليوم راجياً إياها أن تعدل عن رأيها وتبارك هذه الزيجة لكنها واجهته بعنادها المعهود وكراهيتها اللامتناهية لهمسة وأخيها ..

ومع هذا لايزال يأمل أن تكون قد تراجعت عن موقفها وقدّمت أمومتها على أي شعور آخر !

يهز زين رأسه بإشارة مطمئنة وهو يشير لهما نحو البيت الذي تقدما نحوه بينما يرمق هو همسة بنظرة راضية وهو يراها ترفل في ثوب عرسها كفراشة رقيقة ..





يزفر بقوة وهو يستند على مقدمة سيارته يتمنى لو يمنح السعادة ذاتها لياقوت التي خذلها هذه الليلة !

وداخل الحديقة التي أضاءتها أنوارها كانت همسة تتأمل المكان حولها بسعادة ..

لم تكن المرة الأولى التي تدخله لكن شأنها هذه المرة مختلف وهي تمزج ذكريات ماضيها مع حاضرها بعقل حاضر غير مشوش ..

تشعر بذراع رائد على خصرها يضمها نحوه بمزيج من حميمية وحمائية فتلتفت نحوه بعينيها ليقرب وجهه منها يكاد يلاصقه بهمسه :

_أخيراً نورتِ بيتك .

تبتسم وهي تخفي وجهها في حنايا عنقه هامسة :

_بيتنا ..زي ما رسمته ..كنت دايماٌ بشوفه ناقص أجمل ما فيه ..





ثم تطبع على شفتيه قبلة رقيقة مردفة :

_انت!

_خلاص ..ما عادش فيه حاجة هتفرقنا ..العمر اللي فات واللي جاي ليكِ .

يقولها بحرارة لا تكاد تخص شخصاً مثله إلا فيما يتعلق بها هي ..

يتحرك ليطوقها بذراعيه فتمد كفيها للخلف تشبكهما بكفيه وهي تعيد رأسها للخلف ساحبة نفساً عميقاً بينما تطالع نجوم السماء ..

ثم تزفره ببطء كأنما تطرد معه كل هواجسها ..

تضحك فجأة ضحكة عالية كأنما استعادت لتوها شعورها بالفرحة التي عايشتها منقوصة طيلة هذه الليلة ..





فيبتسم وهو يشعر بضحكتها تضيئ قناديل روحه كلها ..

يراها تزيح كفيه عنها لتبتعد ثم تنفض حذاءها عن قدميها لتعدو فاردة ذراعيها وصوت ضحكاتها يحلق حولهما ..

فيشاركها جنونها وهو يخلع سترته ويرميها خلفه ثم يخلع حذاءه وجوربه ليلقيها بسرعة ويعدو خلفها ..

جسدها يعدو بحركة راقصة فتبدو كفراشة متمايلة ..

تتوقف أمام الكوخ الذي فتحته بمزيج من حذر واشتياق لتمد رأسها بداخله ..

ستائره الملونة تتمايل بنعومة فوق نوافذه المفتوحة ..

ترفع رأسها لأعلى تعانق نجوم السماء التي شعرت وكأنها تتألق أكثر هذه الليلة تشاركها سعادتها ..





تبتسم وهي تشعر بكفيه على خصرها بينما همسه الدافئ يلفح أذنيها :

_خلاص! مش هتنامي هنا تاني ..من النهارده هننام سوا في أوضتنا فوق ..هنتشارك كل حاجة زي ما عملنا طول عمرنا .

تتورد وجنتاها بخجل فطري وهي تراه ينحني ليحملها بين ذراعيه كطفلة ثم يتحرك بها ليدخل بها البيت ..

تتعلق بذراعيها في عنقه وعيناها تعانقان عينيه بهذه النظرة التي تشد وثاق روحيهما يوماً بعد يوم ..

يصل بها لغرفتهما فينزلها أرضاٌ لتتلفت حولها فتضحك وهي ترى الفراش كله قد زيّن ببتلات الفل ..





_كنت مراهنة نفسي إنك هتعملها !

تهمس بها وهي تحيط وجنتيه براحتيها ليميل على شفتيها هامساً :

_أنا بقا مراهن نفسي إنك هتخليني أسعد واحد في الدنيا الليلة دي .

قلبها يرتج بهدير عاطفتها وهي تشعر به يكاد يعتصرها بين ذراعيه ليذيبها في لهيب عاطفته ..

أنفاسه مع أنفاسها تمتزج برائحة الفل حولهما فتشعر وكأنها تلملم بين ذراعيه بقايا عمر مضى وآخر سيأتي ..

ترتقي معه درجات سلم توقن أنه لن يتركها حتى يبلغ بها قمته ..

فلا خوف بعد ولا فقد ..

بل حبٌ وحبٌ ..وحب..

=========

_الحمد لله الدكتور طمننا ما تقلقيش.





يهمس بها إسلام وهو يجلس جوارها على طرف الفراش الذي نامت فوقه ريما ..

لتمسح هي وجهها بإرهاق قبل أن تخفيه بين كفيها فيرمقها بنظرة مشفقة ناسبت قوله :

_نامي انتِ شوية وأنا هافضل سهران هنا ..مش هنستفيد حاجة لما نسهر احنا الاتنين .

فترفع إليه عينيها ب"نظرتها الآسرة" والتي صار يفهم مزيج حيرتها وبراءتها ..

يرى شفتيها ترتجفان وأناملها تزحف على الفراش نحوه فيتذكر موقفاً مشابهاً خذلته فيه لتتوقف حينها في منتصف الطريق ..

لكنها الآن تصل إليه لتتشبث بكفه ب"وهن"يناسبها ..

فيجذبها بذراعه الحر نحوه ليضمها إليه ب"قوة" تناسبه !!





يشعر بأناملها هناك في موضع شامته فيبتسم وأنامله تتخلل خصلات شعرها مع همسه الدافئ:

_خايفة كالعادة ؟!

فتعض شفتها بقوة وهي تخفي وجهها في كتفه هامسة بألم:

_كل ما كنت بفتكر بابا الله يرحمه كانت بتصعب عليّ ريما قوي ..كنت بقول لنفسي حرام تعيش من غير ما تجرب يعني إيه أب في حياتها ..لما كنت بتعب وأنا صغيرة كان بابا بيصرّ إنه هو اللي يسهر جنبي ..مواعيد الدوا والأكل بالدقيقة والثانية ..لسه شايفة إيده وهي بتمد لي معلقة الدوا ..حاسة بلمسته على جبيني وهو بيجس الحرارة ..شامة ريحة كوباية الينسون الدافيه ..وحاسة برفعة الغطا فوقي وأنا مش طايقاه بس هو بيقوللي

لازم تعرقي عشان تبقي كويسة ..فاكرة أول فسحة بعدها لما أخف ..فرحته وهو شايفني بتنطط ..إيده وهي ماسكة إيدي واحنا ماشيين في الشارع وهو بيحكيلي حكاياته اللي ما كانتش بتخلص ..واحساسي إني مهما تعبت ..مهما




اتوجعت هلاقي في حضنه الأمان والدوا ..عشان كده كنت بترعب أول ما ريما تتعب ..كانت بتصعب عليّ لإنها اتحرمت من كل ده ..وبسبب اختياري أنا الغلط .

_ممكن تبطلي تجلدي نفسك بقا ؟!

يهمس بها بخفوت مشفق وهو يرفع ذقنها نحوه ليردف :

_من سنة واحدة بس لو كان حد قاللي إني هاوصل لكده كنت قلت عليه مجنون ..من واحد مقضيها طول بعرض وضارب الدنيا كلها ستين جزمة قديمة ..لواحد حاسس إن روحه بقت خلاص متعلقة في اللي حواليه ..ومع ذلك مش متضايق بالعكس ..حاسس إن حياتي بقالها قيمة بيكم ..





ثم يقبل جبينها بعمق لتتباطأ حروفه كأنما يزرع معناها في روحها ويجتث معها كل جذور خوفها :

_أنا هنا ..وهافضل هنا ..لإني ماعادش ينفع غير إني أكون هنا ..ريما بنتي ..وانتِ ..

يقطع عبارته عامداً لترمقه بواحدة من نظراتها المهلكة تستحثه على إكمالها ..

لكنه يبتسم وهو يغمزها هامساً بنبرة عاد إليها مذاق مشاكسته :

_وحش الشاشة ..فخر صناعة التين الشوكي في مصر ..الست نشويات سيدة

الإمكانيات ..تحبي ألقاب كمان ؟!

تكتم ضحكتها في كتفه بينما تلكزه في

الآخر بقبضتها هامسة :

_مفيش فايدة ! ماعندكش كلمتين جد يكملوا لآخرهم أبداً .




_بمناسبة الكلام الجد بقا ..هه ..بقالنا كتير ما اتحاسبناش !

يهمس بها بحاجبين متراقصين فتدفعه برفق هامسة باستنكار:

_ده وقته ؟!

_ماشي ..الحساب يجمع يا عسل!

يغمزها بها وهو يخبط بكفيه على ركبتيه لينهض واقفاً مكانه ثم يردف بنفس الخفوت كي لا يوقظ الصغيرة وهو يستخرج هاتفه من جيبه :

_هاخرج بس أكلم ياقوت أطمن إنها روحت .

تمنحه ابتسامة واهنة فيرمقها بنظرة متفحصة وهو يشعر ببعض الغموض في نظراتها كأنما تخفي عنه شيئاً ..

لكنه يتجاهل هذا الحدس وهو يقرص وجنتها بخفة قبل أن يغادر الغرفة ..





فيما ظلت هي تراقب ظهره المنصرف بشرود ونظرتها الغامضة تتشح بشعورها بالذنب رويداً رويداً ..

هذا الشعور الذي تعاظم كثيراً وهي تتناول هاتفها لترمق سجل الاتصالات فيه بنظرة خاصة وهي تطالع رقماً بعينه قبل أن تمسحه !

تعض شفتها بالمزيد من شعورها بالذنب وهي تفكر ماذا لو علم عما تخفيه ..

لكنها تكتم مشاعرها وهي تزيح الهاتف جانباً ببعض العنف لتنحني فتعانق جسد الصغيرة النائمة بلوعة فضحتها ملامحها ..

لوعة امرأة تخشى الفقد ولم تعد تفهم حقاً ماذا تريد ..

=======





_فين حلقك يا دكتورة ؟!

تقولها ثمر بنظرات متفحصة وهي تراقب وجه ياقوت الشاحب وعينيها المنتفختين بدموعها عقب خلعها لوشاحها..

كانت قد عادت لتوها من القاهرة في أول قطار وجدته صباحاً وقد شعرت بحاجتها ل"حضن ثمر"بعد ما حدث بالأمس في حفل زفاف همسة ..

هذا الذي اندفعت نحوه بكل قوتها لتخفي وجهها في كتفها وجسدها يرتجف ببكائها لتربت ثمر على ظهرها صامتة دون كلمات ..

كانت تدرك بحدسها أن القرط يخص زين ومادامت ياقوت قد خلعته فقد فعل ما ساءها ليلة أمس..

لكنها لم ترد الضغط عليها أكثر مع ما تراه من حزنها فاكتفت بعناقها الصامت لها ..





ليصلها أخيراً همس ياقوت المختنق:

_تعبت يا ستي ..تعبت من المعافرة في طريق مش بتاعي ..انتِ كان معاكِ حق .

فتبعدها ثمر لتتفحص ملامحها بمزيج من قلق وتوجس لكن ياقوت تمنحها ابتسامة مطمئنة وهي تمسح دموعها لتتلفت حولها قائلة بمرح مصطنع:

_البيت مالوش طعم من غير "أوبرا"..وحشتني قوي .

لكن محاولتها المصطنعة للتجاهل لم تزد ثمر إلا قلقاً فجذبتها من كفها نحو الأريكة القريبة لتجلس جوارها وتسألها بجزع:

_حصل إيه امبارح؟!

فتهز ياقوت رأسها ولم تكد تفتح شفتيها لترد حتى سمعت صوت طرق الباب فانتهزت الفرصة لتضع





عليها وشاحها من جديد وتتوجه نحو الباب الذي فتحته لتجده هو أمامها ..

زين!

قلبها يرتج بين ضلوعها بقوة وهي تخاف أن يخذلها جنونه أمام جدتها !!

جنونه الذي اختبرت قبساً منه بالأمس!!

لهذا شحبت ملامحها بقوة وهي ترمقه بنظرة هادرة بين غضب ورجاء ..

قبل أن تعاود النظر خلفها نحو ثمر التي تقدمت نحوهما بعينين غامضتين لتهتف بنبرة محايدة :

_أهلاً يا بيه ..اتفضل .

يتقدم زين نحو الداخل وهو يشعر بنفس الرهبة التي اجتاحته أول مرة عقب لقائه بثمر ..

رهبة اختبار لايعلم كيف ستكون فيه نتيجته !





يجلس مكانه لتجلس ثمر في مقابلته وجوارها ياقوت التي احمر وجهها بانفعاله وهي تترقب كل ملامحه بلهفة متوجسة ..

أخشى ما تخشاه أن تفلت منه كلمة تفضح ما كان بينهما لجدتها ..

لهذا بسطت راحتها على صدرها وهي تدعو الله سراً أن يمر الأمر بسلام ..

فيما نقلت ثمر بصرها بينهما بنظرة متفحصة لتخاطب زين أخيراً بنبرة متحفظة :

_خير يا بيه ؟!

يتنحنح زين بارتباك غريب على تماسكه المعهود وهو يشعر أنه فقد معها كل حدود تعقله حقاً ..

منذ غادرته بالأمس وعقله لا ينبض إلا بخاطر واحد ..

أنه خسرها!





هذا الذي أثار جنونه وهو يجد أول ما يفعله صباحاً أن يتوجه إلى هنا وقد أدرك بخبرته عنها أنها ستهرع إلى حضن ثمر بعدما كان بينهما ..

_آسف إني جيت من غير معاد ..بس حاولت أكلم ياقوت وموبايلها مقفول ..

يقولها بارتباك مشتت وجد أثره في قلب ثمر ليمنحه نقطة إضافية في رصيده الإيجابي لديها رغم تحفظها من حالة ياقوت الغريبة ..

لهذا ابتسمت بهدوء وهي تتناول مسبحتها القريبة من على الطاولة لتحرك حبيباتها ببطء بين أصابعها قائلة :

_البيت بيتك ولو إنه مش أد المقام يا بيه ..شكله موضوع مهم ومستعجل قوي .





يتمالك قوته وهو ينقل بصره للحظات بين عيني ثمر المتفحصتين وعيني ياقوت الشبيهتين والنابضتين بمزيج من خوف ورجاء وغضب ..

غضب انتشرت ذبذباته بينهما عبر هذه المسافة ..

_أنا جاي أطلب إيد ياقوت !

تضغط ياقوت شفتيها بقوة كاتمة شهقة صدمتها وراحتها تكاد تعتصر قماش قميصها ..

ترمقه بنظرة ذاهلة ثم تلتفت نحو ثمر بترقب لكن الأخيرة لم تبدُ بهذا القدر من الصدمة ..

بل بدت وكأنها بشكل ما كانت تتوقع !

الصمت الثقيل يخيم فوق ثلاثتهم لدقيقة كاملة لا يقطعه سوى صوت حبيبات المسبحة التي تحركها أصابع ثمر ..





والتي ظلت مطرقة بوجهها قبل أن ترفعه أخيراً نحو زين لتقول بنفس النبرة المتحفظة :

_طلبك يشرفنا يا بيه ..بس ..

تصمت لحظة بعدها فيقع قلب ياقوت بين قدميها فيما يعقد زين حاجبيه بقوة شاعراً أنه سيسمع ما يسوؤه ..

وقد كان ..

فقد هزت ثمر رأسها باستطرادها بأنف مرفوع:

_النبي صلى الله عليه وسلم بيقول "لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه"..دكتور سامر زميلها في الشغل سبقك وطلب إيدها واحنا لسه بنفكر ..

ينتفض زين مكانه بغضب مجنون اشتعلت له روحه قبل ملامحه ..

لتقف كل من ياقوت وثمر مكانهما فتردف





الأخيرة بنفس النبرة المتحفظة والرأس المرفوع:

_لو ماحصلش نصيب بينهم ساعتها اللي فيه الخير يقدمه ربنا .

_نصيب ؟!!..بينهم ؟!!

يتمتم بها من بين أسنانه بحدة مكتومة وعيناه تكاد تقتلعان ياقوت من مكانها بنظراتهما الحارقة ..

خاصة وهو يشير إليها بسبابته المرتجفة محاولاً تمالك جنونه :

_ده رأيك انتِ كمان ؟!

تشعر ياقوت برهبة خانقة وهي لا تدري سبب ما فعلته ثمر ..

الآن هو من يتقدم لخطبتها وهي ترفضه !!

لماذا؟!

لماذا وهي تعلم أنها لم تحب رجلاً غيره ؟!





ودون أن تسألها عن رأيها ؟!!

تنقل بصرها بينهما بتردد لم يدم سوى للحظة واحدة قبل أن تتحرك خطوة جوار ثمر لتقول بصوت أرادته قوياً لكنه خانها ليخرج مرتجفاً :

_كلمة ستي ثمر ما تتكسرش ولا تتقال مرتين .

تنفرج شفتاه فينقبض قلبها بالمزيد من الخوف خاصة مع برق الغضب الذي كان ينبض في عينيه ..

لكنه عاد يطبقهما بقوة ثم توجه ببصره نحو ثمر ليهز رأسه بصمت قبل أن يغادر بخطوات هادرة دون كلمة واحدة ..

=========





القطعة التاسعة والعشرين

=======

_محمود البنا ..ودلوقت محمد عيد ..وألوف قبلهم ..وألوف بعدهم ..البلد دي بقت بتتنفس قهر !

تكتبها ريتال على صفحتها الشخصية على الفيسبوك بينما تجلس في صالة الاستقبال في مركز جمعية "رسالة" الذي تتطوع للعمل فيه خيرياً .

تكاد تغلي غضباً وقهراً وهي تستعيد الحادثين الأخيرين ..

الأول لذاك الفتى الذي راح ضحية شهامته وهو يدافع عن إحداهن أمام أحد "البلطجية" الذي توعده بالقتل لينفذ وعيده بعدها ..

العجيب أن الحادث صار قضية رأي عام ..الناس من هنا وهناك ينتفضون ويثورون لجلب حق فتى تم تصوير عملية قتله بالصوت والصورة !!

لكن الغمامة القاتمة لا تزال تهدد بغيث القهر على الجميع ..




النفوذ العتيد قال كلمته ..ولتخرس كل الألسنة !

ومن جديد يبزغ القهر في الحادث الثاني ..

ذاك البائع الجائل الذي أجبره "الكمساري" على القفز منه وهو يسير لأنه لم يكن يملك ثمن التذكرة.. فدفعها بحياته !!

تتأفف بضجر وهي ترفع رأسها تتابع وجهاً من الوجوه البائسة لطفل دخل لتوه كي يسأل عن مساعدة ما ..

ينقبض قلبها بالمزيد من القهر وهي تتأمل هيئته الرثة ..

قدميه الحافيتين ..كعبيه المشققين ..

وسامته الطبيعية دنسها درن العوز وقسوة الناس !!

_صبّح صبّح يا عم الثورجي ..




يكتبها لها سامر برسالة خاصة فتتنهد لتكتب له بانفعال:

_هاطقّ يا سامر ..هاطقّ ..البلد دي خلاص ماعادش يتعاش فيها .

_والكلمتين بتوعك دول اللي هيخلوها يتعاش فيها ؟! صلي ع النبي كده وخفي من الكلام اللي يودي في داهية ده ..عيش نملة تاكل سكر!

يكتبها لها مع "وجه أزرق مرتعب" فتبتسم رغماً عنها لتكتب:

_بذمتك دمك مش محروق زيي؟! عاجبك الحال ده ؟!

_دعي الخلق للخالق يا آنسة .

_مش قادرة يا سامر ..مش قادرة ..حاسة إني هاتخنق لو قعدت في البلد دي سنة كمان .

_الاسطوانة المشروخة إياها ..عايزة أسافر ..انتِ فاكرة السفر ده جنة الله في الأرض مثلاً؟! ..يابنتي احنا مالناش قيمة جوة هيبقى لنا بره ؟!





_بس نعيش ..نتنفس ..احنا هنا بنموت بالحياة .

_روقي كده بس وما تقفليليش اليوم ..ده أنا قلت هتصبحي عليّ بغنوة حلوة من بتوعك .

يرسلها لها مع صورة كفين ملتصقين في وضع الرجاء فتبتسم وهي تكتب له :

_ماشي ..قوللي صحيح ..ياقوت ردت عليك ؟! أنا مارضيتش أعرفها إني عارفة .

فيتردد قليلاً وقد آثر كتمان أمر شعوره بكوْن ياقوت مرتبطة عاطفياً ليكتب :

_سيبيها براحتها أنا مش مستعجل ..وبصراحة مش متحمس .

_سها تاني؟!

ضيقها يتسرب حتى عبر برودة الحروف المكتوبة ..فيتنهد بحرارة ثم يبتسم باستغراب ..

رغم طبيعة عمله التي تفترض أن يفهم دواخل الناس ..لكنه أدرك أنه حقاً لم يكن يفهم نفسه ..





سها ..حلم العمر الطويل الذي طالما كان أسيره ..الآن بعد انقشاع الغمام صار يراه مجرد "وهم" ضلله ..

لكنه لايزال عاجزاً عن إيجاد طريقة "حقيقة" آخر !

ترسل له ريتال المزيد من علامات الاستفهام فيبتسم وهو يكتب لها :

_ما تخافيش على أخوكِ ..أنا فقت خلاص .

ترسل له علامة إعجاب مرفوعة الإبهام فيردها لها بوجه ضاحك تنتقل ضحكته إليها ..

غريبة هذه العلاقة بينهما !

جسر طويل ممدود بين الصداقة والقرابة فتكاد تشعر أنه أقرب لروحها ممن سواه ..

لهذا عادت تكتب له بعد تردد قصير :

_كنت عايزاك تساعدني في حاجة .

_ولا أعرفك !





يكتبها لها مازحاً فترسل له وجهاً غاضباً يليق بعبارتها:

_ده العشم يا جدع .

يضحك مكانه وهو يرى النقاط المتراقصة معلنة عن قرب وصول رسالة طويلة منها ..

لكنه يشعر بوخزة خفية لم يفهم سببها وهو يقرأ رسالتها بعدها :

_جايلي عريس ممتاز ..دكتور في علوم الطاقة الذرية ..ومستقر في كندا هجرة من كام سنة ..بس عمك جميل مش موافق .

_ليه؟!

ترتجف أنامله رغماً عنه وهو يكتبها شاعراً بضيق مجهول لتكتب له :

_ما انت عارف ..عايزني أفضل جنبه هنا ..بس أنا بصراحة شايفاها فرصة مش هتتكرر .

_الجواز مش فرصة .





_مادام مفيش حب ..يبقى نشغل عقلنا وناخد الأفضل ..وبصراحة أنا هاموت وأسافر بره البلد دي .

_وعايزة مني إيه يا ستي الطفشانة انتِ؟!

يكتبها ممازحاً ومغالباً هذا الشعور السلبي غير المبرر بداخله لترد :

_كلم بابا ..هو بيثق في رأيك .

_بس أنا كمان مش عايزك تسافري ..مين هيصبح عليّ كل يوم بغنوة حلوة غيرك ؟! مين هيستحمل جناني وأنا بحكيله عن نفسي اللي مش فاهمها ؟! وبعدين مين اللي هشتريله عرايس ؟! ده انتِ خاربة بيتي بيهم !

ورغم ظاهر عبارته المازح لكن غصة حقيقية استحكمت حلقه من فكرة سفرها هذه ..

صحيح أنها طوال الوقت تتشدق برغبتها هذه ..لكن أن تنالها حقاً ..أن تتركه وتغادر لبلد بعيد ..الفكرة نفسها تعتصر قلبه بقبضة خانقة ..





بينما بدت هي مازحة تماماً وهي ترسل له المزيد من الوجوه الضاحكة :

_شغل "الصعبانيات" ده مش لايق عليك ..وبعدين النت مخللي الكوكب كله أوضة وصالة ..لو وعدتك أفضل أصبح عليك بالأغاني من كندا ..وأستحمل جنانك في "الماسنجر" ..توعدني تقنع الحاج ؟!

يظل صامتاً للحظات يرمق الهاتف بعينين قاتمتين خلف زجاج نظارته لتعاود هي الكتابة بنفس المزاح :

_وإلا هاتجوزه وأسافر من وراكم وأجيب لكم العار .

_للدرجة دي عاجبك يعني؟!

يكتبها متعجباً من لهفتها لترد كما توقع:

_هو نفسه مش بطال ..لكن الفرصة يا سامر ..الحلم ..عارف كام باب ممكن يتفتح لي هناك ؟ وقصاده كام باب مقفول هنا ؟!




يزفر بقوة وهو يتيقن من صدق حدسه ..هي لا تريد الزواج بقدر ما تريد السفر !!

_ مش انت أخويا؟!

يبتسم عفوياً لعبارتها فيرد :

_طبعاً !

_طب ما تقابله عشان ضميرك يبقى مستريح وانت بتكلم بابا .

_آمين يا تولا.

يكتبها لها بنفس الضيق المبهم مستعيداً كنية تدليله القديم لها منذ صغرها لترسل له وجهاً مبتسماً مع عبارتها:

_آمين يا "دكترة"! حيث كده بقا حالاً أبعتلك "الاصطباحة"!




تكتبها لترسل له أحد أغاني فرقة "كايروكي " الجديدة فيبتسم بشرود وهو يفكر ..

لماذا يشعر بهذا النفور ؟!

هو كان متقبلاً لمشاعرها الدفينة نحو مروان فلماذا ينقبض قلبه الآن بهذه الصورة مع خاطبها هذا؟!

تراها فكرة سفرها وابتعادها عنه ؟!

أم أن العرض نفسه يبدو له خطراً وهي تغادر نحو مكان غريب مع رجل غريب وحدها ؟!

زفرة قصيرة تغادر حلقه وهو يحك لحيته بأنامله ليغمغم لنفسه بشرود :

_ما تبقاش سمّاوي كده وتكره لها الخير ! مش يمكن فرصة فعلاً ؟! قابله ونشوف!

=======

بعض الحب كحقائب زاخرة تعدك بغنى العمر ..

لكن قدرك أن تبقى منسية على أرصفة الانتظار !

بعض الحب كفردوس ناله قلبك دون حول ولا قوة ..





لكن قدرك أن تطردك منه خطيئة !

بعض الحب كاملٌ حد الكفاية ..

ناقصٌ حد الزهد ..

فما حيلتي ولست منكِ بمكتفٍ ولا فيكِ بزاهد ؟!

بعض الحب -مثلكِ- مراوغ كقمر يختبئ خلف غيومه ..

فاعذري من سقط عنقه ألماً وقد ملّ النظر !

"هيثم "

========

مظلة عشقنا كانت مثقوبة ..

فكيف أقف وسط الريح هازئة بالمطر؟!

بيميني غرامي ..وبيساري ذنبي ..

فأين -منك- أشيح بوجهي؟!

جميلة كانت زهرة حبنا إنما ..





قصيرٌ هو عمر الزهور !!

لا تلم نفسك ..

ولا تلمني ..

"مائة"جدار حجب بيننا الصرخات !

"ألف" ستار بيننا أخفى البسمات !

وذنبٌ "واحد" يبقى العمر بيننا ..

طعنة وسط الضلوع !

"شهد"

=========

خلف شاشة الماكينة المخصصة للدفع يجلس هيثم يراقبها بشرود وهي تتحرك بين أروقة المحل الكبير تساعد بعض رواده ..

ابتسامتها الصافية ..ملامحها الملائكية الفاتنة ..حيويتها التي تجعل خطواتها تكاد ترقص على الأرض ..





فيشرد ببصره وهو يتذكر أباه رغماً عنه ..

تدمع عيناه بمزيج من ألم وغضب وهو يعاود النظر نحوها لكنها تغمزه بخفة من بعيد ..

يهطل سيلها برداً وسلاماً على نيرانه فترتجف شفتاه بابتسامة واهنة ..

يحبها !

يحبها هذا الحب الذي لم يعرفه من قبل بهذه القوة !

لقد ظن أنه قد عشق داليا لكنه تجاوزها ببساطة بعدما كان بينهما فلم تترك في قلبه سوى "ندبة وردية" تمتزج بذكريات الصبا ..

لكن شعوره بشهد يختلف ..

يختلف وهو يشعر أنه صار يتنفسها كما تتنفسه !!

يراها تتقدم منه بخطوات حذرة نسبياً وهي تتلفت حولها منتهزة فرصة الخلو النسبي للمحل ..

يحتضنها بعينيه وتعانقه بكل روحها ..

تقترب أكثر لتهمس له بعذوبتها الرائقة :





_عامل إيه يا "روميو"؟!

فيبتسم وهو يميل رأسه هامساً بمراوغة :

_اشمعنا "روميو"؟!

يعلم أنه كان اللقب الذي اختارته له داليا منذ عهد بعيد ..

لهذا تعجب استخدامها هي له ..

لكنه لم يتعجب هذه النظرة المتشحة بالمرارة في عينيها رغم مرح عبارتها الظاهر :

_انت روميو وأنا جولييت ..اخترت لك الاسم ده من زمان .

_انت اللي اخترتيه ؟!

يسألها ببراءة ظاهرة ليدهشه كذبها بعدها:

_أيوة ..انت روميو بتاعي وبس ..عمرك ما حبيت حد قبلي ..ولا هتحب حد بعدي .





يعقد حاجبيه بضيق من شعوره بأن كذبتها هذه ليست الأولى ..

ولو نظر في قلبها لأدرك أنها لم تكن تشعر بأنها تكذب!

بل بأنها فقط تعيش فوق غمام حلمها الخاص بعيون مفتوحة ..

قبل أن يصفعها القدر ليسقطها فوق صخرة الواقع !

_سايبة شغلك ليه يا شهد ؟!

يقولها الكهل المسئول عن عملها بنظرة صارمة فتتنحنح بارتباك لتعتذر له بسرعة قبل أن تبتعد ..

فيرمقه هيثم بنظرة غاضبة وهو يلاحظ نظرات الرجل غير البريئة نحوها والتي ظلت تلاحقها طوال اليوم ..

نظرات لن يخطئ في تأويل سوء نواياها !





لهذا ما كاد النهار ينتصف وتخف الحركة قليلاً في المحل حتى أشار لها بكفه خفية فتقدمت نحوه لتهمس مبتسمة :

_ركز في شغلك بقا عشان ما تدفعش فرق زي امبارح ..عايزاك تبيض وشي قدام الراجل ده أنا كنت هبوس راسه لما قاللي إنه موافق تشتغل معانا .

_إيه تبوسي راسه دي؟!

يهمس لها بها بحدة فتجفل هامسة بارتباك:

_عادي يا هيثم مش حوار يعني..كلام عادي .

لكن احتقان ملامحه يزداد وهو يهمس لها بينما أصابعه تنقر على اللوح الصلب للطاولة أمامه :

_نظراته ليكِ مش عاجباني ..احنا هنسيب الشغل ده .





_بتهزر؟! انت فاكر إننا هنلاقي شغلانة في محل زي ده بالساهل؟! وبعدين نظرات إيه اللي بتتكلم عنها ..ده أد أبويا !

لم تكد تنتهي منها حتى شحبت ملامحها وهي ترمقه بنفس النظرة المرتعبة التي تثير جنونه في كل مرة يجدها تتفوه بما يمكن أن يثير نهر ذكرياته الراكد ..

لكنه هذه المرة كان يشاطرها نفس الرعب وهو يشعر بهواجسه تكاد تعتصر قلبه ..

فانتفض من مكانه ليهتف بها بانفعال :

_أنا عن نفسي هاخلص "الشفت" ده ومش هاكمل شغل هنا ..لو عايزة تكملي هنا براحتك .

فترمقه بنظرة مترددة لتتلفت حولها هامسة :

_وطي صوتك بس ..خلاص حاضر ..نسيب الشغل هنا مادام مش مرتاح .





يعقد حاجبيه وهو يشيح بوجهه لتهمّ باسترضائه لكنها تلمح الرجل من بعيد يرمقها بنظرة صارمة فتتحرك مبتعدة لتعود لمكانها ..

فيما ظل هو لساعة كاملة بعدها يحاول السيطرة على مشاعره وهو لا يميز فارقاً بين "غيرة" و"غضب"..

كلاهما حارق ..لاسع ..كاوٍ ..

كلاهما مهلك!

يحاول الانخراط مع الوجوه والشاشة أمامه متناسياً فورة مشاعره لكن التفاتة عابرة نحو مكانها هناك تجعله يحدق فيها بريبة وهو يراها تتحدث إلى ذاك الرجل ..

هل هو شديد القرب منها حقاً أم هي فقط هواجسه ؟!





هل تضاحكه بدلالها المعهود أم أنه فقط يتوهم؟!

الدماء تغلي في عروقه وهو يرى الرجل يشير لها نحو الطابق السفلي المخصص للمخزن فتتوجه إليه وحدها تلاحقها نظراته الجائعة وهو يقف مكانه للحظات ..

قبل أن يلحق بها !

ينتفض مكانه معتذراً للزبون أمامه ثم يطلب من زميله تولي عمله قبل أن يتوجه نحو الطابق السفلي بخطوات حذرة وهو يكذّب كل ما تصرخ به ظنونه ..

الأصوات المكتومة من مكان قريب تثير المزيد من جنونه فيتحرك نحو مصدر الصوت لتتسع عيناه بصدمة وهو يرى الرجل يكمم فمها بينما يعتدي عليها !





لم يدرِ كيف وصل إليه ..

لم يشعر كيف انتزعها من بين ذراعيه ..

لم يدرك كيف أمسك كتفي الرجل بقوة ليديره نحوه فيرفعِ قبضته في وجهه يهم بلكمه ..

لتتوقف يده في الهواء!!

هاهنا فقط لم يعد يرى ملامح الرجل ..

بل صار يرى فيه وجه حسين ..

أبيه !!

دموع عجز..

غضب..

خزي ..

كلها تتكدس في عينيه فتتهاوى قبضته ببطء يوازي صرخة شهد الخافتة التي تجمدت في أذنيه





والرجل يدفعه بقوة ليصرخ بصوت عالٌ قالباً الوضع لصالحه ..

_إيه المسخرة دي؟! عشان كده كنتِ مصممة تشغليه هنا معاكِ ..المهزلة دي مش هنا ..اطلعوا بره انتو الاتنين .

صراخه يستجلب حضور بعض العاملين من الأعلى ليرمقوا المشهد من بعيد بنظرات نهمة نحو شهد وهيثم بين فضول واحتقار ..

لكن الأخير لم يستطع البقاء أطول وهو يخترق الجمع بخطوات هادرة تاركاً إياها خلفه ..

======

_معلّم واحنا منك نتعلم والله يا حاجة ثمر !

يهتف بها إسلام مع صفير إعجاب طويل وهو يستمع من ياقوت لما حدث عبر الهاتف لترد الأخيرة بانفعال:





_مبسوط قوي؟!

يضحك ضحكة عالية ثم يطلق همهمة مستمتعة ليردف:

_هو ده الشغل ! سعادته فاكر ييجي يقول عايزك نقوم نلفك في ورق سلوفان ونحطك قدام بيته ؟! لازم يتعب عشان يوصللك ويبقى فاهم كويس قيمتك..لازم يحس إن راسك براسه وإنه ممكن يتقبل أو يترفض زيه زي أي حد .

تصمت لعدة لحظات بعدها وهي تحاول التفكير في عواقب ما فعلته ثمر ..

وقبلها فيما جعل زين يندفع هكذا دون مقدمات ليقدم عرضه ..

ابتسامة مترددة ترتسم على شفتيها وهي تتذكر ..





_لا لعيبة ! عرفتِ تجننيه لما رميتِ الحلق وراكِ ومشيتِ ..إيّاكش بس تخلص على خير ونلبس بداله الدبلة بقا!

تهتف بها "العفريتة العابثة" بداخلها فتتنهد بعمق وهي تعترف أنها تعمدت فعلها ليلتها كي تثير جنونه خاصة وهي تعلم عن هوسه بتملكها ..

سعيدة ؟!

لا تدري ..فرحتها ناقصة وهي لا تعلم ماذا سيسفر عنه الغد !!

_سكتّ ليه يا "أبو التوت"؟! كمّل ..إيه اللي حصل بعدها مع الحاجة ثمر؟!

يقاطع بها إسلام شرودها لتزفر بقوة قائلة :

_هي جملة واحدة اللي قالتهالي بعد ما مشي وسابتني بعدها .."دموع بنتي غالية واللي يقدرها هو اللي يستاهلها" .




فيصدر همهمة استحسان ثم يضحك فجأة قائلاً:

_أنا مش صعبان عليا غير "أبو سمرة" السكّرة ..أخينا ده لو لقاه هيعمل منه بوفتيك .

لكنها تتأوه بخفوت قائلة وهي تفرك جبينها بتعب:

_مش عارفة يا إسلام ..مش عارفة ..أول مرة ما أبقاش قادرة أحدد رد فعله هيكون إيه ..بس أعتقد إنه اتغير بعد أزمته الأخرانية ..مش هيتهور .

تقولها وهي تشعر بشعورين متناقضين تماماً ..

أحدهما أن يملك زين زمام جنونه فيحسبها بعقله ويتحين فرصة مناسبة لمعاودة الحديث مع ثمر خاصة وهي تنتوي أن تخبر سامر برفضها لعرضه ..

والثاني أن ..يتهور حقاً !!




أن يشعرها بلذة جنونه وحربه من أجلها كما فعلها مع ياسمين يوماً !!

ألم يعرفها هي في البداية من أجل ذلك؟!

_مش هتقوليلي عمل إيه ليلة فرح همسة وقلبك عليه كده ؟!

ينتزعها بها من شرودها بنبرة أكثر جدية فتشعر بالخزي وهي تمتنع عن الجواب ..

لا تريد أن تحكي عن هذا الأمر بالذات كي لا يتحامل إسلام عليه أكثر ..خاصة وهي تحمل نفسها بعض اللوم في الانسياق وراء عاطفتها دون وعي ليلتها ..

لكنه أصدر همهمة قصيرة وهو يرد بتفهم :

_مش هاضغط عليكِ مادام مش عايزة تقولي ..المهم ..هو ما حاولش يتصل بيكِ من امبارح ؟!





_لأ ..وده الغريب ..أنا قلت أول ما يمشي من هنا هيكلمني أو يبعتلي رسالة ..يزعق ..يهدد ..يستفسر حتى ..بس مفيش ولا أي رد فعل .

تقولها بحيرة خانقة ليعاود سؤالها:

_انتِ هترجعي مصر امتى؟!

_مش عارفة ..لو عليا مش عايزة أرجع دلوقت ..عايزة أفضل في حضن ستي هنا شوية .

_والمركز؟!

_البركة في سامر ..ما أفتكرش هيمانع يشيل شغلي .

_عيني عليك يا أبو سمرة ..يعني ترفضي الجوازة وتدبسيه في الشغل وتلبسيه في حيطة مع زين بتاعك ده ؟! ده انت لو شارياه من "سوق عكاظ" مش هتعملي فيه كده !!

يهتف بها ضاحكاً باستنكار فتضحك رغماً عنها لتقول بحرج:

_سامر مش هيتضايق لو رفضت عرض الجواز ..سامر عامل زي الغرقان اللي بيحاول





يتعلق في أي قشّاية ..أنا أو غيري مش هتفرق معاه ..هو مش فاهم هو عايز إيه ..وبصراحة هو يستاهل واحدة تحبه بجد وتعوضه العمر اللي ضيعه من غير تمن ده .

_حكيمة !..حكيمة وبتدّي حقن ..آه والله !

يقولها مقلداً مشهداً كوميدياً في مسرحية شهيرة فتضحك من جديد ضحكة قصيرة تجعله يقول بنبرة أكثر جدية :

_أيوة كده ..عايز أسمع على طول ضحكتك دي ..ما تخافيش من أي حاجة ..أنا في ضهرك .

تبتسم ابتسامة امتنان لم يرها لكنه شعر بها في نبرة صوتها بعدها :

_وانت عامل إيه مع نشوى؟!

_اهه..لا تزال مساعيها الناجحة لتكفير ذنوب العبد لله قائمة ..وأنا صابر غُلب!





يقولها بمسكنة مصطنعة لتطلق ضحكة عالية هاتفة :

_وانت الشهادة لله غلبان قوي .

يشاركها الضحك للحظات قبل أن يقول بجدية :

_حاسس إن عندها حاجة جديدة مخبياها ..بس مش عارف إيه ..الخوف اللي في عنيها بقا بزيادة ..ارتباطها بريما بقا بهوس أكتر ..بتعيط كتير وهي حاضناها حتى وهي نايمة .

_يمكن عشان تعبها الأخراني .

تقولها بتوجس ليرد بنبرة مرتابة :

_ما أفتكرش ..البنت بقت كويسة بس هي اللي بقت مش طبيعية ..مش عايز أبالغ وأقوللك بتتنفض لما تليفونها بيرنّ ..وبصراحة امبارح حاولت أقلب فيه وهي نايمة يمكن أفهم سبب ..بس المفاجأة إني لقيت سجل المكالمات كله ممسوح .





ورغم الريبة التي شاركته فيها لكنها هتفت مؤنبة :

_مش من حقك تعمل كده على فكرة ..هي من حقها تكون لها مساحتها الخاصة .

فيصدر صوتاً هازئاً ليرد :

_الكلام ده هناك ..عند "رضوى الشربيني" وجمعيات حقوق المرأة ! مراتي لازم أعرف عنها كل حاجة .

_مجتمع ذكوري متعفن .

تهتف بها بتهكم ساخر ليرد بضحكة مكتومة فضحت لها قلقه الدفين ..

فتتردد قليلاً قبل أن تسأله بحذر:

_انت بتفكر في إيه ؟! قوللي بصراحة .. ممكن يكون ..ناصر ..مثلاً ؟!

الصمت المشحون بذبذبات غضب خفية يسود بينهما للحظات

لكنها ترد بيقين :





_مستحيل ..انت متأكد زيي إن شخصية نشوى مستقيمة مش هتسمح بأي غلط ..السيناريو الوحيد اللي ممكن أتخيله إن يكون هو اللي اتصل بيها عشان يعتذر عن اللي حصل .

_ناصر ما يعملهاش ..أنا عارفه من زمان ..صحيح أنا لو شفته دلوقت ممكن أخنقه ..بس كلمة حق ..هو مش هيحاول يقرب لها بأي صورة طول ما هي مراتي .

يقولها بضيق مكتوم فتتنهد بحرارة لترد :

_جميل ..لو عايز رأيي اصبر عليها شوية وهي من نفسها هتيجي تقوللك ..هي من الناس اللي ما بتستريحش إلا في الوضوح ..وده طبع هيريحك قوي ..عشان كده ..

تقطع حديثها وهي تسمع صوتاً ما على هاتفها يجعلها تبعده لترى الشاشة ثم تقول له بقنوط:





_ده سامر ع "الويتينج" ..اقفل دلوقت لما أشوف عايز إيه ..واوعى تضحك ..

وكأنها أمرته بالعكس !!

ضحكته العالية تملأ أذنيها قبل أن تغلق الاتصال معه فتزفر بضيق ..

ثم تتنحنح بارتباك وجل وهي تفتح الاتصال مع سامر:

_خير يا سامر ؟!

_كل خير يا "شجرة الدر"! نجلاء شاورت على صورتك وهزت راسها لما سألتها عايزاها .

الحماس في صوته يربكها قليلاً فلا تفهم لأول وهلة ما يحكي عنه وسط فوضى مشاعرها الأخيرة ..

قبل أن تتذكر اسم "الحالة المشتركة" التي يعملان عليها فتصدر آهة واهنة ليكمل هو حديثه المنفعل:

_مش مصدق التطور السريع ده .





_البركة فيك يا أينشتاين ..انت اللي شخصت صح .

_بلاش تواضع يا دكتورة ..انتِ اللي حطيتِ الخطة .

يقولها بسماحته المعهودة فتبتسم لتقول بودّ:

_كان عندي حق لما قلت شغلنا سوا هيبقى مكسب .

_شغلنا ..بس؟!

ولأول مرة تشعر أنها لا تفهم نبرته ..

مزيج غريب من ضيق وارتياح!

وكأنه يدفعها لنطق ما تتلكأ في النطق به ..

لكنها تجاهلت الأمر مؤقتاً ريثما تلتقي به في المركز ..

_صعبتها عليّ يا دكتور ..ده أنا كنت عايزة أستأذنك تشيل انت الشغل لحد ما أرتاح هنا شوية ..بس كده هاضطر أرجع .

تقولها بضيق مكتوم ليرد بنفس الانفعال الحماسي:





_لا معلش ..تعالي شوفي الحالة دي بس ما صدقنا ..ولما تخف هنرتاح كلنا .

_حاضر!

تقولها باستسلام وهي تغلق معه الاتصال بتنهيدة حارقة ..

هل تجرؤ على الاعتراف أنها تخشى العودة للعاصمة ؟!

تخشى مواجهة زين الذي لا تعلم ردة فعله خاصة مع صمته المريب هذا !

_ده دكتور سامر؟!

تسمعها بصوت ثمر من خلفها فتلتفت نحوها لتومئ برأسها إيجاباً وهي تخبرها بنص مكالمته لتبتسم ثمر وهي تتقدم منها لتربت على كتفها قائلة :

_وانتِ خايفة تسافري؟!





فانحنت ياقوت لتحيط كتفي جدتها بكفيها بينما تخفي وجهها في صدرها وصمتها يفضح الجواب ..

ليصلها صوت ثمر الهادئ:

_ما تخافيش يا "بنت قلبي" ..حاسة إن الخير جاي .

فترفع إليها ياقوت عينين مرتابتين لتتسع ابتسامة ثمر مع قولها :

_هو نجح في الامتحان الأولاني لما احترم البيت اللي هو فيه وما زودش في الكلام بعد اللي قلتهوله ..يمكن لو كنت شفت في عينيه نظرة غرور كنت خفت عليكِ منه ..لكن هو عينيه كانت خايفة ..غيرته عليكِ كانت بتصرخ حتى وهو ساكت ..حمقته ما كانتش عشان "البيه" اترفض ..كانت عشان خايف يخسرك ..ناقص بس امتحانه التاني ..





ترمقها ياقوت بنظرة متسائلة لكن ابتسامتها تتشح بالكثير من الغموض وهي تعاود التربيت على كتفها قائلة :

_سيبيها لوقتها ..شوفي انتِ شغلك والناس اللي ربنا رايد يكتب لها الشفا على إيديكِ .

=========

تغادر المركز عصراً وهي تشعر بالاستغراب ..

سامر اختفى فجأة وهاتفه مغلق !!

أخبروها أنه قد خرج صباحاً من المركز ولم يعد من حينها وهو الذي تعجبته مع حماسه الذي أبداه لحضورها كي تتابع الحالة !

الحالة التي احتلت تركيزها كاملاً منذ الصباح وهي تحاول التواصل معها فتنجح مرة وتفشل مرات ..

لا يزال الطريق طويلاً كما يبدو وليس كما يظن سامر بحماسه الانفعالي المعهود ..




تتوجه نحو موقف الحافلات كي تستقل واحدة نحو شقتها ..

سيارة أجرة ؟! لماذا؟! علامَ التكلفة ؟!

ألا يكفي أنها استنزفت الكثير من مدخراتها في "حملة التطهير العرقية" التي قام بها إسلام على ملابسها ؟!

أفكارها تنقطع بشهقة خافتة وهي تشعر بالسيارة التي اقتربت منها بسرعة مجنونة لترتد عفوياً بظهرها للخلف قبل أن تميز ماهيتها ..

الزجاج المعتم ينحسر ليبدو منه وجه زين الجامد :

_اركبي .

نظرة واحدة صارمة منه لم تمكنها من فهم تعابيره قبل أن يشيح بوجهه للأمام ..

قلبها يخفق باضطراب معهود وهي تتلفت حولها ..





لقد توقعت مواجهة قريبة لكنها لم تنتظرها بهذه السرعة ..

كيف عرف أنها حضرت اليوم ؟!

هل يراقبها ؟!

لا تستبعد شيئاً كهذا !

تحسم ارتباكها لتستقل السيارة جواره فتجده يغلق زجاجها وأبوابها أوتوماتيكياً لينطلق بها بسرعة فيذكرها برهبة موقف قديم يشبه هذا بينهما ..

يتأرجح شعورها بين غضب وإشفاق على وجهه الذي بدا لها بهذا القرب شديد الغضب ..شديد الأسى ..وشديد الإنهاك ..

فتفرك كفيها وهي تشعر ببعض الذنب نحوه ..

فلتخبره أنها سترفض عرض سامر ولتنهِ الأمر !

أنا ..

تقولها بارتباك ليقاطعها بصرامة دون أن ينظر إليها :

_ما تتكلميش لحد ما نوصل .

_نوصل فين؟!

تسأله بتوجس ليلتفت نحوها بنظرة صاعقة ناسبت هديره الصارم:

_قلت ما تتكلميش .

تكاد تصرخ باعتراض متنمر لكن هذه النظرة في عينيه تخرسها ..

لم تكن تخافه لكنها كانت تخاف هاتين العينين ..

تخافهما وهما تكتسحانها باقتدار ..

تناجيانها بضراعة ..

وتعاتبانها بقسوة !

حلقها يجف رغماً عنها فتحاول ازدراد ريقها بتوتر وهي تشيح بوجهها ..





حدسها يخبرها أنه سيذهب بها لشقتهما القديمة ..

مزيج من هوس شعوره بتملكها مع رغبته بتذكيرها بعهدهما القديم ..

لهذا لم تتعجب وقوفه أخيراً بالسيارة في نفس المكان الذي توقعته !

يترجل منها قبلها ثم يفتح لها بابها ليمسك معصمها بقوة وهو يتحرك بها نحو الأعلى ..

إعصارٌ جارف من مشاعر تكتسحها وشريط ذكرياتها بهذا المكان يمر بخاطرها من البداية للنهاية ..

تتذكر أول مرة دخلتها ليطعنها هو بفعلته ..

وآخر مرة دخلتها لتطعنه هي بفعلتها ..

وبينهما كل هذا الرصيد من المشاعر التي لم تعرفها في حياتها إلا معه ..





تسحب معصمها منه أخيراً وهي تقف معه أمام باب الشقة لترفع عينيها إليه بنظرة مزجت توجسها برجائها ..

لكنه يقابلها بتوهج "سراجي الشمس" في عينيه بهذا الغضب المكتوم قبل أن يفتح الباب ليدخلها ببعض العنف ويغلقه خلفه !

تشهق بانفعال وهي تدلف إلى الداخل فلم يكونا وحدهما!!

فهناك كان سامر الذي هب واقفاً مكانه وهو يهتف بها بانفعال:

_هم خطفوكِ انتِ كمان ؟!

وجهها يحمر بمزيج من غضب وحرج وهي تميز رجلي حراسة زين اللذين وقفا جوار سامر يرمقان الجميع بنظرات باردة ..





_هو إيه اللي بيحصل بالظبط ؟!

يسأل سامر لاهثاً بانفعال وهو يناظر زين بقلق وقد تعرف إليه ..

ليقترب منه زين وهو يمسك مرفق ياقوت بقوة فيقف بها أمامه مباشرة ..

لهجته باردة ..صارمة ..مشتعلة كألف سوط من نار:

_مش قبل ما تخطب واحدة تتأكد الأول إنها ماتخصش حد تاني ؟!

ثم يلتفت نحو ياقوت بنفس النظرة العاصفة رغم برود لهجته :

_قوليله أنا عندك إيه .

_زين لما يحب بجد هيتجنن !





تكاد تسمعها بصوت ياسمين من الماضي لكن هذا لم يشفع لهذه الثورة المندلعة بوجدانها ..

خفقاتها تتجاوز حد الجنون وهي تشعر بأنها تكاد تفقد وعيها حرجاً ..

ولو في أقصى توقعاتها تطرفاً لم تتخيله سيقدم على هذا الجنون !

الصدمة تخرسها للحظات فيرجها زين رجاً وهو يكاد يعتصر مرفقها بين أنامله :

_قوليله .

الغضب في ملامحها الآن يصارع احتقان قسماته هو فيكاد الهواء بينهما يشتعل ..

لكن سامر يقاطع الحرب الصامتة هذه بقوله :

_مفيش داعي ..أنا فهمت كل حاجة لما شفتك معاها في المركز المرة اللي فاتت ..وعرفت الرد على طلبي .




تعض ياقوت شفتها بقوة وهي تطرق برأسها الذي يكاد ينفجر غضباً ..

فيصلها استطراد سامر :

_مفيش كلام يتقال خلاص .

يقولها وهو ينقل بصره بينهما بخبرته لتلتوي شفتاه بشبه ابتسامة ..

لم يكن يشعر بالخوف المتوقع في موقف كهذا ..

لكنه كان يشعر بالإثارة من مراقبة "العشق الأهوج الغريب" في ملامح هذيْن الاثنين!!

"شجرة الدر" عاشقة !

ولا يبدو أنه عشق عادي !!

لم يتصور يوماً أن لها هذا الوجه المتوهج خلف واجهتها العملية البسيطة المعهودة ..

لكن معشوقها كذلك لا يبدو أقل منها عاطفة ..

عشقه يبدو هائجاً في عينيه الغاضبتين ..





كم يتوق لمعرفة القصة كاملة ..

هذا حقه على الأقل بعدما جفت دماؤه في عروقه طيلة الساعات السابقة التي قضاها هنا !!

فليؤجل هذا لما بعد فيبدو من النظرات المشتعلة التي يتبادلها هذين العاشقين أمامه أنهما بحاجة لحديث منفرد طويل ..

هذا لو لم يقتل أحدهما الآخر أولاً!!!

_عظيم ..مادام كده يبقى حضرتك اتفضل ..افتكر الرسالة وصلت !

يقولها زين بنبرته المحتقنة بغضبه المكتوم وهو يشير بكفه نحو الباب ..

فيتردد سامر للحظات وهو يشعر ببعض القلق على ياقوت ..

هل من الصواب أن يتركها هنا وحدها ؟!





لكنها رفعت رأسها نحوه بعينين عاصفتين هاتفة بلهاث غاضب:

_أنا آسفة يا دكتور على كل ده..اتفضل انت كفاية اللي حصل .

فتنفرج شفتاه وهو يشير نحو الباب ليرمقها بنظرة متسائلة تردها بابتسامة مشتعلة وهي تنتزع مرفقها من زين لتكتف ساعديها هاتفة:

_ما تخافش عليّ ..اطمن ..كله تمام .

لم تكد تنتهي منها حتى فوجئت بزين يقف حائلاً بينهما فلم ترَ نظرته الصارمة لسامر الذي تلفت حوله بتردد حسمه سريعاً وهو يتحرك ليغادر ..

هنا أشار زين لحارسيه إشارة خاصة ليخرجا بدورهما ولم يكادا يفعلان ليتركاهما وحدهما حتى هتفت به بثورة عارمة :

_مفيش فايدة فيك ..مش هتغيّر أسلوبك ده ؟! كل اللي يهمك تثبت ملكيتك ليّ من غير اعتبار لا لكرامتي ولا لسمعتي !

لكنه يقترب منها حتى يكاد يلاصقها ..





يحني رأسه نحوها وبحاجبين منعقدين حروفه تشتعل بثورة لا تقل عن ثورتها :

_عايزاني أعمل إيه بعد اللي جدتك قالته ؟! أقعد أتفرج وحد غيري بيقرب منك ؟! انتِ فاكرة إن ليكِ حق الاختيار ؟!

_وما أختارش ليه ؟! حقي أحسبها بعقلي قبل قلبي ..

تهتف بها بنفس النبرة الهادرة لتردف وهي تشير نحوه بسبابتها:

_لما أحب أتجوز أتجوز واحد زي سامر ..اللي زيك ..

لكنها لم تستطع إكمال عبارتها إلا بصرخة قصيرة وهي تشعر ببرودة الحائط تصفع ظهرها فجأة لتدرك أنه قد دفعها ..

قبل أن تكمم قبضته شفتيها تمنعها المزيد وسراجا الذهب في عينيه يتوهجان بلهب مخيف هذه المرة ..




_أنا عارف إنك بتقولي كده عشان ترديلي اللي قلته زمان عن ياسمين ..بس اوعي ..اوعي تفكري حتى مجرد تفكير تحطيني مع أي راجل في أي كفة ..في أي ظروف ..ولأي سبب.

تشعر برهبة حقيقية وهي تميز الجنون المشتعل في حدقتيه مع ارتجاف جسده ..

فتدمع عيناها بعجز يغلب ثورتها ..

خاصة عندما نزع قبضته عن شفتيها ليردف بنبرة متهدجة :

_أنا هنا ..وهنا ..

يشير ب"هنا" الأولى نحو رأسها وبالثانية نحو موضع قلبها ..

ثم يفعل بنفسه المثل مردفاً :

_زي ما أنتِ هنا ..وهنا !





تكتم شهقة انفعال كادت تغادر شفتيها وهي تشعر بصدرها يعلو ويهبط كمن تعدو في سباق ..

سراجا الذهب في عينيه يشتعلان بحريق هائل من غيرة ينذرها بألا تلاعب هذا الوتر الخطير يوماً أبداً !!

تغمض عينيها بعجز عن احتمال المزيد من سياط غضبه فتشعر بأنامله تزيح عنها نظارتها ببعض العنف لتلقيها جانباً ثم تمتد نحو وشاحها ليلحقه بها ..

تفتح عينيها بنظرة ارتياع وهي تشعر به يحاصرها حصاراً أقوى بكثير من حصار الجسد ..

عيناه ترمقان أذنيها بنظرة خيبة غريبة قبل أن تجده يتناول "قرط الياقوت" من جيب قميصه ليلبسها إياه بحركة سريعة أوجعتها ..

ثم يشد أذنيها معاً بقوة بين قبضتيه ليقرب وجهها نحوه هامساً بنبرة غريبة جداً بين تهديد ورجاء:

_مش هتقلعيه تاني ..أبداً !





شفتاها ترتجفان بقوة وهي تشعر أنها تكاد تتهاوى بين ذراعيه ..

كل ذرة بداخلها تلعن كل هذا الذي يفعله ..!

كل ذرة بداخلها تعشق كل هذا الذي يفعله ..!

هو مجنون ..وهي أشد جنوناً ..

فكم يليق كلاهما بصاحبه !!

لايزال يشد أذنيها بقوة قبضتيه وأنفاسه تمتزج بأنفاسها مع همسه المشتعل:

_كنتِ بتفكري في إيه وانتِ بتقلعيه وترميه وراكي ؟! هه ؟! كنتِ عايزاني أفهم إيه ؟! إنك خلاص مش ليّ؟!

فتتشوش نظراتها بغيمة من دموعها وهي ترد بهمس يشبه همسه :

_يوم ما لبستهولي قلت لي إنه بدل اعتذار مش قادر تقدمه ..طول الوقت ده كنت قابلاه ومستنية اعتذارك الصح ..لكن بعد اللي عملته





ليلتها ..حسيت إن اعتذارك زي مشاعرك زي الحلق ..كلهم لازم يفضلوا مستخبيين ..في الضلمة ..وأنا مش بتاعة ضلمة يا بيه ..

دموعها تهزمها في عبارتها الأخيرة فتشعر بقبضتيه تشتدان حول أذنيها لتهتف بانفعال أكبر :

_زي ما دفنت العشرة جنيه هادفن أي حاجة تحسسني بضعفي ..هارميها تحت رجلي كأني ما شفتهاش .

_أنا اللي دفنت العشرة جنيه ..مش انتِ!

يهمس بها بانفعال ثائر لتتسع عيناها وهي تفهم عبارته بمعناها الحقيقي ..

ليس بظاهر"المنّة" بل بكل ما صرخت به حروفه من احتواء ..

من انتماء ..

من تلاشٍ لكل ما يفصل بينهما فلا هي ولا هو ..بل هو كيان واحد يضمهما معاً !!

كأنه يصرخ بها دون كلمات وبكل ما أوتي من قوة أن جرحها هو جرحه وشفاؤه الوحيد لديه !





_انتِ عارفة إنك لسة في عدتك؟!

بنفس الهمس المشتعل يهز بها وجهها بين قبضتيه لتتسع عيناها في ارتياع قبل أن تغمضهما بقوة ..

تعلم أن لها -شرعاً- ما يسمى ب"عدة احترازية" استوجبها حدوث الخلوة بينهما وإن لم تمكنه من نفسها ..

لكنها كانت تتمنى لو لم ينتبه هو لمثل هذا!

_أنا ممكن بكلمة واحدة ..كلمة واحدة ..أرجعك وأرجع اللي بيننا زي الأول ..ومفيش قوة على الأرض هتمنعني عنك ..

جسدها يرتجف بترقب مع كل كلمة تقصف روحها بدلالتها ولايزال همسه المشتعل يفجر ألغامه بين ربوع روحها بينما يردف :





_هنا ..هنا في نفس المكان اللي نمتِ فيه في حضني وانتِ مطمنة ..نفس المكان اللي اعترفتيلي فيه بوجع سنين ما قلتيهوش لحد قبلي ..نفس المكان اللي دمي ساح فيه وانتِ شايفة فيّ صورة ما قدرتيش تنسيها إلا بيّ أنا ..كلمة واحدة أقولها ومش مانعني عنها غير حاجة واحدة بس ..إنك تستاهلي بداية جديدة في النور المرة دي ..بداية كل اللي كان مأخرني عنها إني ..إني ..

كلماته تنقطع بفيض انفعاله الجارف وقبضتيه تتحولان لكلابتين من فولاذ ناري حول أذنيها ..

فتكتم تأوهات ألمها لكنها تعجز عن منعِ المزيد من فيض دموعها وهي تشعر بهذه المواجهة أقسى المواجهات التي مرت عليهما معاً ..

تحس بجبينه يلاصق جبينها دون أن تتخلى قبضتاه عن أذنيها ..

فكأنما تنتقل لوعته منه إليها ..




تشعر بجسده ينتفض أمامها وكأنما يغالب كلاماً لا يريد البوح به ..

همسه المشتعل يخفت كثيراً ..يكاد لا يسمَع..

وبنبرة متعَبة ..مستنزفة ..راجية ..يهمس أخيراً:

_افهميها من غير كلام يا ياقوت ..لأني عمري ما هاقدر أقولها .

كبرياؤه لم يقف حاجزاً بينهما هذه المرة وهي تفهم كلماته كما أرادها حتى مع عجزه عن الاعتراف بخزيه ..

تتذكر يوم أخبرها عن كوابيسه بتلك المرأة التي تخفيها عنه خلف ظهرها ..

هو يستكثرها على نفسه بعد دنس خطيئته !

يااللمفارقة!

الآن تنقلب الأدوار!!





الآن يصير "جبلها" هو الأعلى بينما يقف هو على قمة جبله يرفع إليها رأسه باشتهاء!!

الآن يعترف -دون كلمات- أن عشقها هزم غروره !!

ورويداً رويداً تنزاح غشاوة "عقدتها القديمة"عن عينيها فتفهم سبب كل هذا الخوف الذي يملأه ..

أنه لا يجد نفسه جديراً بها بعدما جلدته سابق خطاياه !

يبتعد بوجهه أخيراً ليتأمل عينيها بهذا القرب ..

"قمراها السجينان" أخيراً ..

أخيراً يتحرران ..!!

يدوران في فلك دُرّيّ يبدأ وينتهي في سماء حدقتيه !!

لم يرَ عينيها يوماً بهذا الصفاء ..بهذا التألق ..وبهذا الحنان..





كأنما تغلق رموشها على قلبه فتعصمه من كل ما يوجعه !

أنامله المرتجفة تنحسر عن أذنيها لتطوف بوجنتيها وحديث العيون بينهما يغني عن الكلام ..

قبل أن يبعدها لتشعر ببعض الخيبة لكنها تفاجأ به يضمها في عناق قوي يوازي قوة جميع أشباهه السابقة مجتمعة ..

العناق الثامن عشر ..

بنكهة "الانتماء"..

بمذاق الهويّة التي صار يجدها كلاهما في صاحبه !

وبهذا "الإعلان" بالغ الصخب ..بالغ الكتمان ..أنه لها ..وهي له !

تشعر به يرفع ذقنها نحوه فتضطرب خفقاتها أكثر وهي ترى عينيه معلقتين بشفتيها ..





لكنه يغالب نفسه بعذاب بزغ بين نظراته وهو يبعدها عنه لينتقل العذاب لحروفه التي تأرجحت بين كبت وحزم:

_كل اللي حققته في حياتي في كفة ..وانتِ في كفة ..يوم ما أرفع إيدي في إيدك قدام الناس ساعتها بس هاعترف إني وصلت لأغلى حلم اتمنيته ..أنا مالقيتش معاكي حب ..أنا معاكي لقيت نفسي ..ومستحيل بعدها أضيعكم .

لا تزال اعترافات رجل مثله بالحب تبهرها!

تزلزلها وهي لا تجد لها شبيهاً في كل ما عرفته عن حكايا العاشقين!

ربما لأنه لا يتشبث ب"تقليدية" الكلمة بل بسحر رونقها المتجدد مع كل اعتراف ..

_أفتكر دلوقت مفيش سبب يخللي جدتك ترفض ..هتروحي النهارده وتكلميها ..





يقولها وهو يتناول وشاحها ليلفه حول وجهها ..

قمرا عيناها يتنفسان حريتهما بعبير قربه ووعده ..

وسراجا الشمس في عينيه يقسمان أمامها ألا شروق ولا غروب بعد اليوم إلا في سماء غرامها ...

يقترب بوجهه أكثر ليعانق ملامحها بنظراته ثم يزدرد ريقه بصعوبة وهو يقاوم توْقه الجارف إليها ..

يقبل رأسها بعمق كأنه يمنحها المزيد من اعتذاراته غير المنطوقة فتسبل جفنيها بخجل معلنة قبولها دون شرط ..

لكن صوت رنين جرس الباب المفاجئ يجفلها فتلتفت نحوه بتساؤل ..





لينعقد حاجباه وهو يتقدم فيفتحه ولم يكد يفعل حتى ازداد انعقاد حاجبيه وهو يميز هوية الطارق الغاضب ..

إسلام !

=========

قبضته ترتفع نحو وجه زين دون مقدمات وغضبه تفضحه كل خلجاته ..

لكن زين يتفاداها بخفة ليمسك معصمه بقوة فتشهق ياقوت بانفعال ثم تندفع نحوهما بصرخة قصيرة تناشدهما التوقف ..

صرخة برّدت الكثير من جنون إسلام الذي تفحصها بنظرة سريعة منحته بعض الطمأنينة ..

ليخلص معصمه بعنف من قبضة زين مشيراً بكفه نحو الخارج مع هتافه الهادر:





_جوز التيران اللي انت حاططهم بره حراسة فيه "تلاتة" زيهم تبعي بيتعاملوا معاهم دلوقت ..هه ؟! تحب نمشيها كده استعراض عضلات ؟!

يعقد زين حاجبيه بغضب وأصوات الالتحام من الخارج تصله بوضوح ..

فيما تهتف ياقوت محاولة تهدئة الوضع:

_اهدا يا إسلام ..زين كان ..

لكن إسلام يصفق الباب خلفه بعنف ليقاطعها هادراً بعنف لم تسمعه منه من قبل :

_كان فاكر إنك زي زمان ..هيجرجرك وراه لأي مكان وهو عارف إن مالكيش حد يقف له .

تغمض ياقوت عينيها بضيق وهي تخشى عواقب هذه المواجهة ..خاصة لو وصل صداها إلى ثمر ..

فيما يكز زين على أسنانه بقوة محاولاً كظم انفعالاته ليقول بنبرته المهيمنة :





_عندي ألف رد على كلامك ده بس مش هاقوله دلوقت .

_أنا ماشفتتش في حياتي بجاحة كده .

هتاف إسلام الثائر يوازي فتح ياقوت لعينيها وهي ترمقه بنظرة راجية جعلته يحاول تمالك غيظه للحظات ساد فيها الصمت ثلاثتهم ..

_هي دي بقا الشقة اللي فاكر إنك كسرت فيها مناخير أختي ؟!

يهتف بها إسلام أخيراً وهو يدور بعينيه في المكان بنظرات مشتعلة مستهجنة ..

لكن زين يمد كفه ليحتوي يد ياقوت بقوة ثم يرفع أنفه هاتفاً بنبرة حاسمة كأنما يمزج كبرياءه هو بعزتها هي:

_دخَلِتْها وهي مراتي ..ولحد آخر لحظة في عمري مش هتبقى لغيري .





يقولها مصححاً كأنه يمنحها المكانة التي كانت وستكون لها ..ونافياً عن نفسه وعنها قبله شبهة أي امتهان .

لكن إسلام يحرر كفها منه بقوة لا تنقصه ثم يجذبها ليضم كتفيها تحت ذراعه ملوحاٌ بكفه الحر في وجه زين وبنفس النبرة المشتعلة :

_مش قرارك لوحدك ..اللي فات كوم ..واللي جاي كوم تاني ..أنا ماكنتش موجود لما اتطاولت عليها واستغليت تعب لجين عشان توصل لغرضك ..لكن دلوقت أنا هنا ..ومفيش حد هيمس شعرة من أختي إلا برضاها ..ورضايا .

يتقدم زين نحوهما خطوة ولغة جسده تفضح جنوناً على وشك الإطاحة بكل شيئ منذراً بانقلاب الوضع لكارثة ..





لكن ياقوت تنقذ الموقف وهي تتحرك لتقف بينهما فتعطي ظهرها لزين وترمق إسلام بنفس النظرة الراجية محاولة تغيير الموضوع مؤقتاً :

_انت عرفت منين إني هنا ؟!

_من الصبح بتصل بسامر موبايله مقفول وبصراحة كنت متوقع حركة غدر ومجهز رجالتي بعد اللي حكيتيهولي عن كلام الحاجة ثمر ..عديت عليكِ في المركز قالوا لي إنك لسه ماشية ..كنت لسه هتصل بيكي لقيت سامر بيكلمني وبيحكيلي اللي حصل .

كتمت ياقوت زفرتها الحانقة لتغطي وجهها بكفيها فيما هتف إسلام وهو يزيحها جانباً ليحدج زين بنظرات حارقة :

_ما فكرتش واحد زي سامر هيقول إيه وهو شايفك ساحبها وراك لحد هنا ؟!

_هيقول تخصني ..زي ما الدنيا كلها المفروض تفهم ده .




يقولها زين بصرامة حاسمة وعيناه تقدحان الشرر ليطلق إسلام صيحة مستهزئة وهو يرد بانفعال بينما يلكزه بقبضته بخفة في صدره :

_حدود علمي إن أختي حالياً حرة ..مش على ذمة حد .

_أنا طلبت إيدها من جدتها وهتوافق .

يقولها زين ببرود مشتعل وهو يرتد بظهره خطوة للخلف محاولاً كظم غضبه ليطلق إسلام صيحة هازئة أخرى ليقول بنبرة أكثر تحدياٌ :

_حدود علمي برضه إنها رفضت.

_رفضت عشان ما تعرفش اللي بيننا .

يهتف بها زين أخيراٌ بنفاد صبر ووجهه يحمر انفعالاً شاعراً بأنه يكاد يفقدها من جديد ..

لكن اليد الطولى تكون لنبرة إسلام التي تزداد بروداٌ وتحدياً :

_رفضت عشان ماتعرفش اللي بينكم ؟!! انت بجد غلبان كده ؟! فاكر الحاجة ثمر لو عرفت اللي بينكم..كله ..هتبص في وشك أصلاً؟!





_إسلام !

تهتف بها ياقوت بحزم راجٍ وهي تشعر أن زين على وشك فقد السيطرة ..

ليس غروراً هذه المرة ..إنما عجزاً وخوفاً !!

ومن مثلها يمكنه فهم شعور كهذا ؟!!

لهذا وجهت نظراتها الراجية نحو أخيها مردفة :

_ممكن نقعد ونتفاهم .

نقل إسلام نظراته المشتعلة بتحديها بينهما للحظات فاستطردت وهي تغمزه خفية :

_ممكن تتكلموا بالراحة من غير شد .

تفحصها إسلام ببصره محاولاً قراءة لغة جسدها ليستشعر أنها تخفي خيراً هذه المرة ..





وأن استجلاب زين لها هنا لم يكن تجبراً بقدر ما كان فرصة لتصحيح وضعهما الخاطئ .

لهذا ارتخت ملامحه نوعاً وهو يتقدم ليجلس بتحفز على كرسي قريب فتحرك زين بدوره ليجلس في مواجهته بنظرته الغريبة بين خوف وتحدّ ..

فيما اختارت هي الجلوس جوار إسلام الذي بادره بسؤاله :

_كلام راجل لراجل ..انت عايز إيه بالظبط ؟!

فالتمعت عينا زين بتحدّ أكبر وهو يسند مرفقيه على ركبتيه قائلاً بنبرة حاسمة :

_قلت اللي عندي للحاجة ثمر ..عايز أتجوزها .

_وأنا مش موافق .

يقولها إسلام ببرود وهو يتحرك ليجلس نفس جلسته هو فيزداد احمرار وجه زين مع تحفز ملامحه وهو ينظر لياقوت نظرة خاصة لكن إسلام بادره بهتافه الثائر:

_بتبص لها هي ليه ؟! هتتجوزك من غير رضايا مثلاً ؟!





هنا انتقلت نظرات ياقوت الراجية لزين تحاول تلجيم هذا الجنون الذي ينضح من كل خلية من جسده ..

فأغمض الأخير عينيه بقوة محاولاً السيطرة على انفعاله بشق الأنفس ليقول أخيراً ببرود مشتعل:

_وانت مش موافق ليه ؟!

_مش مستأمنك على أختي بتاريخك المشرف .

يقولها إسلام وهو يقلب شفتيه يرد له لهجته الباردة بمثلها فتسقط حروفه كالسوط على صدر زين !

كل حرف يبذر مكانه ألف غرس من وجع لايزال صداه طازجاً في وجدانه ..

فيما تكتم ياقوت شهقة انفعالها وهي تدرك أثر هذه الكلمات عليه بعدما اختبرته منه لتوها قبل مجيئ إسلام ..

اسلام الذي وقف أخيراً ليرمقه من علوّ بنظرة متحدية ..

لكن زين كذلك لم يكن بالخصم السهل وهو يتجاوز جرحه الخاص ليرد بنبرة باردة ولازال محافظاً على جلسته الثابتة :

_معلوماتي إن تاريخك برضه ما يقلش "شرف" عني !

اتسعت عينا ياقوت بصدمة وهي تدرك أن زين كعهده لن يترك ثغرة تخصها أو تخص أحداً لها إلا وعرفها ..

تنقل بصرها بينهما بحذر وهي تشعر بالتوتر يضخ الأدرينالين في عروقها ضخاً ..

هذا الاثنان من منهما الأخطر؟!

من منهما الأذكى؟!

من منهما الذي سيقصف جبهة صاحبه بأسرع من صاحبه ؟!





النتيجة متعادلة كثيراً كما يبدو ..

خاصة وإسلام يفرك كفيه ببرود ليميل رأسه وكأنما جهز الرد مسبقاً بسرعة بديهة لا تنقصه :

_بالظبط !..بس أنا رجعت عن الطريق ده وتبت ..ولحد ما أثق فيك زي ما أنا واثق في نفسي كده ماعنديش إخوات للجواز .

يكز زين على أسنانه بحركة بدت واضحة رغم فمه المغلق وعيناه تجابهانهما بنظرة حادة ..

ليستطرد إسلام بنفس النبرة الباردة :

_كده انت قلت اللي عندك ..وأنا قلت اللي عندي ..خالصين !

فوقفت ياقوت مكانها وهي تشعر بالتشتت بينهما لترمق زين بالمزيد من نظراتها الراجية التي تسقط برداً وسلاماً على نيران غضبه ..

قمراها "الحُرّان" يناجيانه ألا يسمح لظلمة أن تسرقهما ..ولا لغيْم أن يخفيهما ..





فيجيبها صامتاً أن : لبيكِ!

يبتلع غصة حلقه وهو يقف مكانه أخيراً ليتقدم خطوة نحو إسلام قائلاً بحسم:

_إيه الضمانات اللي عايزها ؟!

لم يكن من اليسير على رجل مثله اعتاد سطوة نفوذه أن يقف موقفاً كهذا وهو يتلقى الرفض كصفعة إهانة ..

بل ويرد بكل هذا البرود ..

لكنها وحدها تستحق أن يفعلها من أجلها !

هي فقط من يستبيح لأجلها أي قربان !!

هذا الذي كانت هي نفسها توقن به وهي ترمقه بنظرة عشق غامرة مدركة أية -خطوط حمراء- لكبريائه يتجاوزها الآن لأجلها ..





نفس الذي وصل لإسلام وهو يرمقه بنظرة متفحصة طويلة صامتاً لدقيقة كاملة ..

قبل أن يرد ببطء:

_اديني وقت أقتنع بيك ..وبعدها اتقدم تاني للحاجة ثمر .

_وقت إيه ؟! هو لسه هيتقدم وانت تقتنع ؟! انجز يا ابني ..أنا سميت ولادنا خلاص .

تهتف بها "العفريتة العابثة"داخلها باستنكار متنمر عجول بزغ فوق ملامح ياقوت بوضوح لكنها ضغطت شفتيها بقوة صاغرة لرغبة أخيها ..

فيما ضيق زين عينيه ليسأله بنبرة فائرة:

_وقت أد إيه يعني ؟!

_لحد ما أقتنع ..أسبوع اتنين ..شهر اتنين ..سنة اتنين ..انت وشطارتك .




يقولها إسلام بنبرته التي مزجت التحدي بالتسلية ليقبض زين كفيه بقوة جواره ..

لكنه فاجأه بقوله :

_موافق .

اتسعت عينا ياقوت بذهول من ردة فعله هذه فيما ارتفع حاجبا إسلام بمزيج من دهشة وإعجاب وكأنما راقه رده ..

لكنه تقدم نحوه خطوة ممعناً في استفزازه :

_ولحد ما أقوللك إني موافق ممنوع عليك تكلمها أو تشوفها ..ولو ده حصل هاعرف ..وساعتها كل كلامنا ده تبله وتشرب مَيته ..من سكات كده ساعتها تعتبر عرضك مرفوض .

فنقل زين بصره بينهما للحظات لتتركز نظراته على عيني ياقوت كأنما يخبرها صامتاً أنه يفعلها فقط لأجلها ..





قبل أن يومئ برأسه إيماءة موافقة خافتة ..

التفتت ياقوت نحو إسلام بنظرة شبه ساخطة تلقاها متجاهلاً بابتسامة كتمها وهو يجذبها من كفها الذي ضغطه براحته بقوة رفيقة ليتحرك بها مغادراً الشقة ..

ولم يكد يفتح الباب حتى سمع صوت زين الصارم خلفه :

_ولحد ما الموافقة توصلني -وهتوصلني ! - مش هاسمح لراجل غيري يقرب منها ..ساعتها مش هابقى مسئول عن رد فعلي !

فالتفت إسلام نحوه بنظرة مستهجنة ساخرة قبل أن يتحرك بياقوت التي كانت ابتسامة امتنانها آخر ما رآه زين قبل أن يصفق إسلام الباب خلفه ليغادرا ..




هنا أطلق زين زفرة ساخطة وهو يرفع وجهه للأعلى بحنق ..

لم يكن ينقصه سوى هذا المستفز كي يقف في وجه طريقه إليها ..

كأنما تنقصه العقبات!!

لكن ..لا بأس !!

هو الآخر يحتاج المزيد من الوقت كي يحصد ثمار توبته ..

كي يشعر أنه جدير بها حقاً !!

أفكاره تنقطع وهو يلمح نظارتها التي نسيتها هناك ..

فتنقلب ملامحه كلها في لحظات ..

عبوسه يستحيل لابتسامة صافية بصفاء عينيها هي ..

يتحرك نحوها بخطوات مندفعة ليتناولها بين أنامله ..





يحركها ببطء وهو يرفعها أمام عينيه يتخيل عينيها الحبيبتان تناجيانه خلفها بهذه الصورة التي تزلزل كيانه ..

فيغمض عينيه بتنهيدة قوية يزفر معها كل خوفه ..

هي له وهو لها مهما طال الطريق!

صوت رنين هاتفه يقاطع أفكاره فيطوي ذراعي النظارة ليقبلها قبلة سريعة امتزجت بابتسامة عاشقة قبل أن يضعها في جيبه بخفة ..

ثم يتحرك نحو هاتفه فيفتح الاتصال لينعقد حاجباه بشدة مع الخبر الصادم الذي تلقاه لتوه من رائد عن وفاة أمه !

=======

_مش عايزة أتكلم دلوقت يا إسلام ..سيبني خمس دقايق كده أفوق .

تقولها ياقوت وهي تستقل سيارته جواره لتعود بظهرها للوراء مسندة رأسها للخلف ومردفة بهيام هامس:





_مبسوطة ..مبسوطة ..مبسوطة ..

همساتها تمتزج بابتسامتها مغمضة العينين فيتفحصها بنظرة جانبية ليقول بتهكم :

_هو شكله ظبطلك "الفولت" قبل ما آجي ..افرحي افرحي وأنا اللي كنت جاي دمي محروق وشوية شوية هاصرخ التار واللا العار..

ثم مد أنامله يشد أذنها من فوق وشاحها مردفاً :

_حسابك معايا بعدين ..إزاي توافقي تيجي معاه هنا ؟! هي دي دروسي ليكِ؟!

_آه! ...آه ! انتو كلكم مستلمين وداني ليه النهارده ؟!

تهتف بها بتوجع وهي تبعد وجهها عنه ليهتف باستنكار وقد فهم ما تعنيه :

_كلنا؟! ليه هو كان جايبك هنا يشد ودانك ؟!





جلجلت ضحكتها عالية بصفاء لم يره منها من قبل فابتسم برضا ليسألها أخيراً بجدية وهو يتفحص ملامحها بنفس الاهتمام :

_طيب ..بما إني أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك إني راجل متفتح و"سبور" فعايز أعرف بالظبط قاللك إيه قبل ما آجي .

تنهدت بحرارة هائمة لم تخجل من الشعور بها أمامه وهي تروي له ما استطاعت عن حديثها مع زين ..

جنون غيرته ..تملكه ..اعتذاره غير المنطوق ..

اعتراف حبه الذي ليس يشبهه حب ..

لتختم حديثها بقولها الذي تهدجت حروفه انفعالاً :

_ما كنتش مصدقة رد فعله معاك ..كإني قدام زين تاني ..كنت حاسة إنه بيحارب طبعه عشان خاطري ..كبيرة عندي قوي إنه يمسك نفسه عشاني .





_بس يا ماما ..بس ..هو كان يقدر يفتح بقه والغلط راكبه من ساسه لراسه ؟! قسماً بالله أنا لولا اطمنت عليكِ من نظرة عينك لا كان هيبقى فيها دم الليلة دي!

سخريته المعهودة تمتزج بحمية حقيقية تجعلها تتحرك لتربت على كتفه قائلة بتأثر:

_انتو الاتنين مسكتم نفسكم عشاني ..ما تتصورش إحساسي دلوقت إزاي ..طول العمر ده عايشة بعافر لوحدي ..مستنية الراجل اللي يرفع راسي وراس ستي ثمر قدام الدنيا كلها ..وربنا سبحانه وتعالى عوضني باتنين ..انت وهو !

يبتسم بتأثر مماثل وهو يجذبها ليعانقها بحنان قائلاً بحسم لم تغادره مشاكسته المعهودة :

_بصرف النظر عن إن ذوقك في الرجالة شبه ذوقك في الهدوم و الاتنين عايزين الحرق ..بس اللي قلتيه ده بالظبط هو اللي خلاني أتصرف معاه




بالصورة دي ..لازم علاقتكم دلوقت تختلف عن بدايتها ..لازم يتعب وهو بيرفع إيده عايز يوصللك .

لكنها هزت رأسها الذي رفعته نحوه لتقول بيقين:

_صدقني هو حاسس بكده دلوقت ..شفتها في عينيه وأنا أكتر واحدة ممكن تميزها .

_برضه لازم أدوخه شوية .

يقولها بعناد وهو يبعدها ليشغل السيارة تمهيداً للانطلاق بها فتتمتم بخفوت ساخط:

_انت بتعاقبه واللا بتعاقبني أنا؟!

_بتبرطمي بتقولي إيه ؟! عللي صوتك كده .

يهتف بها محذراً بمشاكسة لتمط شفتيها باستياء فيضحك ضحكة عالية ناسبت قوله :

_مش بقوللك واقعة واقعة يعني ؟! أفصلك دلوقت ؟! هافصلك ..

يقولها محذراً ليردف بنبرة خطيرة مصطنعة :





_أنا لو منك أفكر دلوقت في ستك ثمر ..هتقولي لها إيه ؟! البيه عامل فيها رامبو وخطفك انت وسامر اللي طفش م الجوازة!

اتسعت عيناها بصدمة وهي تلتفت نحوه مدركة الورطة التي وقعت فيها ليعاود الضحك عالياً بالمزيد من الشماتة المصطنعة لكنها تمتمت بضيق حقيقي:

_ستي ثمر لو عرفت اللي بيننا هتروح فيها ..ده ما يخصنيش لوحدي ده يخص تعب لجين كمان ..

_خلاص ..مش بيقولوا (إن في المعاريض لمندوحةٌ عن الكذب)!

يقولها ضاغطاً حروفه فتبتسم لهذه المقولة القديمة التي تعني استخدام التورية لتجنب الخط الفاصل بين الحقيقة والكذب ..

_مش لايق عليك الكلام الكبير ده! ..بس معاك حق ..نمشيها مندوحة !





تهتف بها ضاحكة من جديد فيشاركها الضحك مكرراً:

_نمشيها مندوحة!

يقولها وهو ينطلق بالسيارة بسرعة أكبر تاركاً إياها غارقة في بحر أفكارها ..

وفرحتها !

تشعر أن الأيام الصادمة لن تحمل لها قلب عاشقها فحسب بل وفخر العمر كله !

=========

يراقب زين ملامحه التي تدثرت كعهده ب"قناعه المعدني" طوال مراسم الدفن بمزيج من إشفاق وحذر ..

يعلم أن رائد لم ولن يفصح عن عواطفه إلا مع شخص واحد ..

همسة!!

لكنها الآن آخر من يمكن أن يلجأ إليها ..





ليس وهو يشعر أنها شريكته في سوء المصير الذي آلت إليه أمه !

ليس وهو يخشى على وهنها المعهود أن تنتكس من فرط شعورها بالذنب!

ليس وهو يحس أن مجرد بوحه بمشاعره راحة لا يستحقها !

لهذا توجه نحوه وقد وقف أمام القبر الذي أغلق لتوه ليشد على كتفه بقوة ..فيلتفت رائد نحوه بملامحه الجامدة إلا من عينين دامعتين ..

ورجاء صامت !

هذا الذي تفهمه زين وهو يومئ له برأسه قبل أن يتحرك ليصرف الوفد المتجمع حول القبر بكلمات مقتضبة حازمة ويرحل معهم تاركاً له حرية التعبير عن مشاعره وحده ..





ولم يكد يفعل حتى جثا رائد على ركبتيه أمام القبر دافناً وجهه بين كفيه ..

وسامحاً لدموعه بالتحرر!!

لا يكاد يصدق أنها فعلتها!!

بل هو من فعلها!!

كان يعلم أن الماضي لا يزال يحكم قبضته حول عنقها لكنه لم يهتم ..

كل ما فكر فيه هو سعادته !

حقه باقتناص حلم العمر!!

قتلتها حسرة أمسها وطمعه هو في غده !!

يومان كاملان مرّا عليها وهي ميتة في بيتها لا يشعر بها أحد !!

يومان قضاهما هو متنعماً بين ذراعي عروسه !!

فأي جحود !!

الشعور المبدئي بالذنب يغلب الآن أي شعور آخر !





يرفع وجهه أخيراً ليمسحه ثم يتوجه ببصره نحو القبر بنظرات مذهولة ..

يتذكرها في آخر لقاء له بها صبيحة يوم زفافه يرجوها أن ترضى ..

يتذكر وعيدها له أن تفسد عليه ليلته ..

وصدقت!!

لم تفسد عليه ليلته فحسب بل وما بقي من عمره !!

وكيف لا ؟! وقد وصمت تاريخ زفافه برحيلها بهذه الطريقة الموجعة ؟!!

كيف ينسى ؟!

كيف ينسى؟!!

يعود إليه زين أخيراً ليرمقه بنفس النظرات الحائرة بين إشفاق وحذر ..

يعلم أن مصابه عظيم خاصة لشخصية عاطفية مثل رائد تكتم انفعالاتها خلف قناع جامد ..

لكنه -بقلب الأخ- يشفق على همسة أكثر !





همسة التي انهارت تماماً منذ سمعت الخبر وهي تحمل نفسها الذنب!!

هو نفسه يشعر بالأسى لانتهاء حياة المرأة بهذه الطريقة ..

لكنه لا يملك أن يلعن حقدها وسواد روحها الذي لازمها لآخر رحلتها !!

يربت على كتف رائد برفق فيرفع الأخير عينيه إليه بنظرة ذبيحة قبل أن ينهض واقفاً على قدميه ليقول بنبرة جامدة :

_ياللا عشان العزا .

يحاول زين اختراق حصونه طوال الساعات التالية لكنه يعلم أن لا فائدة ..

وأن الجمود الذي يزداد تراكُم ثلوجه فوق ملامحه سيبقى رفيقه لشهور إن لم يكن لسنوات ..





ويشفق عليه من انهياره الذي يوقن أنه لن يسمح لنفسه به إلا وهو وحده ..

يراه وهو يصافح الوجوه المتنوعة في سرادق العزاء -الذي أقامه في حديقة بيته- بوجه بارد ..

وجوهاً تباينت واختلفت إنما جمعها شيئ واحد ..

مزيج العتاب والازدراء!

_اتجوزت يا عريس؟! فرحت بعروستك وخليتها هي تموت بحسرتها !

يهتف بها خاله- الذي وصل لتوه - بحنق عاتب ليحتقن وجه رائد فيما يستطرد الرجل وهو يندفع نحوه مهاجماً :

_ياريت تبقى مبسوط دلوقت ..أهي مشيت وريحتك وريحت الكل !

_مالوش لازمة الكلام ده دلوقت .

يهتف بها زين بصرامة في وجه الرجل الذي ضرب كفيه ببعضهما هاتفاً بحدة :





_علامات آخر الزمان ..قتلها وواقف ياخد عزاها !

_اتفضل معايا لو سمحت .

يقولها زين بنفس الصرامة التي لا تخلو من تهذيب وهو يلاحظ الهمزات الجانبية التي انبعثت من الحضور ..قبل أن يجذب الرجل برفق من ذراعه لينتحي به جانباً محاولاً امتصاص الحقد النابض في كلماته ..

فيما بقي رائد واقفاً مكانه بجمود كأنه لا يرى ولا يشعر بكل ما يحدث ..

وداخل بيت رائد حيث خصص العزاء للنساء لم يكن حال همسة أفضل كثيراً ..

غمزات النساء حولها مع نظراتهن السوداء تكاد تحرقها حرقاً ..

_ماتت بحسرتها لما اتجوز المجنونة !





تسمعها من مكان ما فلا يمكنها تمييز القائلة ..

بل لا يمكنها رفع رأسها !

أَسوَد ..أسود ..أسود ..!

كل ما حولها تلون بالسواد هكذا فجأة وهي التي لم تكد تنهل فرحة بياض أيامها بعد !

_مش هيفرح ..ذنب مامته هيفضل في رقبته طول عمره !

تهتف بها إحدى قريبات سوزان بنشيج باكٍ حانق وهي ترمق همسة بنظرة نارية ..

لترفع إليها الأخيرة وجهاً يمزج الخوف بالذنب بالحزن ..وما أقساه من مزيج !

لكن هذا لم يشفع لدى المرأة التي هتفت بها بحقد وسط دموعها :

_يارب تخلفي ولد ويسيبك تموتي لوحدك زيها عشان تحسي بعملتك ..منك لله !





هنا تندفع بعض النسوة يهدئن المرأة المنفعلة لكن صوت زين هدر فجأة وسطهن وقد وقف عند الباب :

_ولا كلمة زيادة ..

ترفع إليه همسة عينين مستغيثتين غارقتين بدموعها وهي تشعر بالغربة وسط جمع يكاد يحرقها بنظراته ..

في "بيت الأحلام" الذي ظننت أن لن ترى فيه حزناً أبداً!

ودون وعي تنتفض واقفة لتهرع إليه فيضمها إليه بحنان يناقض الصرامة التي توهجت في نظراته قبل كلماته :

_أنا مقدر المفاجأة والمصيبة والظروف ..بس البيت ده بيت رائد ..ودي مراته ..همسة الفايد ..اللي ما يحترمش البيت وأصحابه يتفضل من غير مطرود !





صمتٌ مطبق يسود المكان بعد عبارته والرؤوس تطرق بمزيج من حزن ورهبة ..

ليسحب هو همسة نحو الخارج ..

وبالتحديد نحو "كوخها الملون" الذي أغلق بابه خلفهما لتنخرط هي في البكاء هاتفة ورأسها على كتفه :

_الحمد لله إنك جيت ..أنا حاسة إني في كابوس ..فين رائد ؟! مش عارفة أكلمه من ساعة اللي حصل ..خلليه ييجي خمس دقايق بس ..عشان خاطري .

لكنه يربت على ظهرها ليرد بحنان مشفق:

_سيبي رائد دلوقت .

_أسيبه ؟!

تهمس بها بارتياع وهي ترفع إليه عينيها ليهز رأسه هاتفاً بتعقل:




_تعالي عندي اليومين دول لحد ما الضغط اللي حواليكم يخف شوية .

لكنها لم تكن تعي شيئاً مما يقول لتتمتم بما بدا كالهذيان وهي تهز رأسها كالمغيبة :

_أسيبه ؟! أسيبه ؟!

هنا رفع زين ذقنها ليثبت عينيها في عينيه قائلاً بحزم رفيق:

_مؤقتاً يا همسة ..كام يوم بس لحد ما الانفعالات كلها تهدا .

_هو قاللك كده ؟!

تهمس بها برعب ليزفر هو بقوة هاتفاً:

_انتِ عارفة رائد في الظروف دي ما بيتكلمش ..بس أنا خايف عليكِ .

_وأنا خايفة عليه ..

تهمس بها بحرارة وهي تبتعد مردفة :




_هاسيبه لمين ؟! وإزاي؟! وأنا حاسة إني أنا السبب؟! هي قالتلي إنها هتفرق بيننا ..وهو قاللي ما أصدقهاش ..معقول؟! معقول المفروض أصدقها ؟! هاسيبه ؟! هيسيبني؟! بعد كل ده ؟!

همساتها تنقطع بفيض دموعها فيعاود زين ضمها وهو يشعر بخوف حقيقي ..

لو كان الأمر يخص دعمه هو لمنحها كل ما يملك ..

لكنه لا يعرف كيف سيتصرف رائد في هذا الموقف ..

همسة لا تزال حديثة العهد بتعافيها ويخشى أن تردها كلمة واحدة ل"نداهة عالمها" القديمة المتجبرة ..

لهذا لا يملك إلا أن يبعد كلاهما عن الآخر ريثما يستعيدا بعض صفائهما !!





_ما تخافيش من أي حاجة ..موقف صعب بس أنا واثق فيكِ إنك هتعديه !

يقولها محاولاً بث قوته إليها لترفع إليه عينين شاردتين للحظات ..

قبل أن تتمتم بمزيج غريب بين حسم ووهن :

_معاه! ..هاعديه معاه !..زي ما اتعودنا العمر كله !

======

_رائد ..افتح.

تهتف بها همسة بصوت باكٍ أمام الغرفة التي انعزل فيها وحده عقب انتهاء مراسم العزاء مغلقاً بابها خلفه بالمفتاح لكن الصمت القصير يكون جوابه فتعاود طرق الباب بقوة أكبر مردفة :

_عشان خاطري ..عشان خاطري افتح ..





المزيد من الصمت بعدها ثم يفتح هو الباب مطرقاً برأسه هارباً من لقاء عينيها ..قبل أن يعطيها ظهره وهو يشعر أن كل خلية بداخله تئن ألماً ..

لا يريد الكلام ..لا يريد النظر ..لا يريد السمع ..بل ولا يريد الإحساس !

يتمنى في هذه اللحظة لو تملك روحه نفس القناع المعدني الذي يجيد وجهه تصنعه !

تتحرك لتقترب منه هاتفة بوجل بين فيض دموعها :

_انت زعلان مني ؟!

يغمض عينيه بالمزيد من الألم والكلمات كلها تموت على شفتيه ..

فتردف بحرارة وجسدها كله ينتفض بحدة بكائها:

_والله العظيم لو كنت أعرف إن ده هيحصل كنت رضيت أتحرم منك العمر كله .





يبتلع غصة حلقه بصعوبة وهو يبتعد عنها أكثر ..

لأول مرة في عمر هواهما يشعر أنه عاجز عن الاقتراب منها ..

هو الذي لم يعدم حيلة لفعلها عندما كانت لا تستطيع رؤيته ..بل ولا سماعه ..

والآن ..تكون هكذا ملء عينيه ..لكن بينهما ألف حاجز!

لا يلومها ..وربما لا يلوم نفسه ..

لكنه لا يجسر على الاقتراب !

_زين عايزني أروح أقعد معاه اليومين دول لحد انت ما تهدا ..

تغمغم بها بلوعة وهي تشعر بظهره المواجه لها أقسى من كل الجدران المغلقة التي عاشت تهابها !

تتمنى لو يرفض ..لو يصدر ولو همهمة اعتراض ..





لكنه بدا جامداً مكانه كأنه هو الآخر يرى هذا الأفضل ..

لها !

هو عاجز عن احتواء وجعه فماذا عن وجعها هي ؟!

كفه الآن خاوية ..فلتبتعد حتى يسترد بعض قوته كي يمكنه منحها دعمه من جديد !

صمته يطول لدقيقة كاملة مرت عليها ثوانيها كدهر فعادت تهمس برهبة غمرها العتاب:

_أروح ؟!

ظلت تكررها مرة بعد مرة كأنما ترجوه في كل مرة أن يمنعها ولو بإشارة ..

لكن تهدل كتفيه مع إطراقة رأسه منحها الخيار الأقسى الذي جعلها تمد أناملها نحو كتفه لتهتف بحرقة بين دموعها :

_خلاص؟!.. ما عدتش عايزني ؟! ..




ثم ينخفض صوتها أكثر حد الهمس:

_كرهتني؟!

لم تكد تنتهي منها حتى فوجئت به يلتفت نحوها ليجذبها بين ذراعيه بقوة آلمتها كأنه لم يحتمل منها هذا السؤال بالذات ..

رأسه مدفونٌ بين حنايا عنقها وأنفاسه اللاهبة تصلها مشبعة بوجعه ..

كل قناعات قوته تنهار فجأة وهي تسمع صوت بكائه كطفل صغير ضالّ وجد فيها أمانه ..

لم تره يوماً على هذا الحال منذ كانا صغاراً ..

وبالتحديد منذ وفاة والده ..

ليلتها هرب من الجميع ليبكي أمامها هي !!

_أنا آسفة ..حقك عليا ..قل لي أعمل إيه عشانك ..قل لي إيه يرضيك ووالله هاعمله من غير ما أفكر .





تهمس بها بمزيج براءتها وعشقها المذهل فتزداد حدة بكائه وهو يعتصرها أكثر بين ذراعيها مع همسه المتقطع بارتجافه :

_ده بالظبط الكلام اللي طول عمري نفسي أسمعه منها هي ..طول عمري كان نفسي أحس إنها فاهماني ..إني مهم عندها ..إني بره حساباتها القديمة ..كان نفسي ولو مرة واحدة أحس إنها عايزاني مبسوط ..راضي ..إنها حاسة بيا ..فرحتي فرحتها ووجعي وجعها ..لكن دي موتت نفسها يوم فرحي! ..يوم فرحي! ..كأنها لآخر لحظة بتحسسني إن سعادتي مش فارقة معاها ..

تتأوه بحرارة وهي تشعر أن الحمل هذه المرة أكبر منها بل وأكبر منه!

لا تعرف ما الذي يجب عليها فعله ..ولا إن كان حقاً يمكنها فعله ..





لكنها تركت غريزتها تقودها وإن خرجت كلماتها متلعثمة ..بسيطة ..فوضوية ..حارة.. حنون.. قوية.. و صادقة :

_أنا فاهماك ..أنا حاسة بيك ..أنت أهم حد عندي ..انت دنيتي كلها ..

تقولها وتعيدها دون ملل بينما تربت على ظهره حتى هدأت حدة بكائه مع استطراده بألم :

_ليه عملِت كده ؟! مش قادر أتخيل إزاي هانت عليها نفسها ؟! ماتت لوحدها ؟! لوحدها ..يومين بحالهم لوحدها وأنا ما أعرفش ..صورتها مش عايزة تسيبني ..بعاتبها وبتعاتبني ومش قادر أحكم مين فينا اللي ظلم التاني !

يتأوه أخيراً بخفوت فتكتم دموعها وهي تشعر بقسوة معاناته ..

جسده يترنح بها للحظة فتتشبث به مدركة مدى إعيائه لتهتف به برجاء:





_عشان خاطري تعال نام ..انت واقف على رجلك م الصبح .

_أنام؟!

يهمس بها بنبرة غريبة بين استنكار ورجاء فتتحرك به بينما تجذبه برفق نحو الفراش المجاور قائلة :

_حتى لو ما نمتش ..استريح بس ..

ينهار مستلقياً على ظهره على الفراش وكأنما لم يشعر بتعب جسده إلا في هذه اللحظة فقط !

فتستلقي جواره لتضمه إليها بصمت مكتفية بالتربيت على ظهره ..

يشعر بجفنيه يتثاقلان فيغمض عينيه ليهمس لها بعد صمت قصير:

_روحي عند زين اليومين دول .





يقولها وتشبث ذراعيه الراجي بها يناقض قوله فتتفهم أسبابه لكنها تقبل وجنته بقوة لتربت على رأسه هامسة :

_مش بعد ما قربنا هنبعد تاني ..مش بعد كل اللي عشناه سوا ..أنا هافضل معاك زي ما انت فضلت معايا طول العمر ده ..أنا واثقة إن حضنك أأمن مكان ليا زي ما حضني أريح مكان ليك ..مش ..

همساتها تنقطع وهي تشعر بانتظام أنفاسه وتراخي ذراعيه حولها ..

كأنما منحته كلماتها ما كفاه من طمأنينة لينام كما كان يرجو ..

تتنهد أخيراً ببعض الارتياح الذي تخلل شعورها العظيم بالذنب وهي تداعب خصلات شعره برفق متمهل لدقائق طالت حتى اطمأنت لاستغراقه التام في النوم ..





هنا منحته قبلة ناعمة على جبينه قبل أن تغادر مكانها لتخرج من الغرفة نحو الحديقة الخارجية كي تتمكن من إجراء هذا الاتصال الذي تحتاجه الآن بضراوة ..

ياقوت!

==========

_هيثم !

تهتف بها جيلان بفرحة وهي تجده يدخل عليها البيت الذي فتح بابه بنفسه هذه المرة ليتقدم نحوها ..

تنتفض مكانها لتهرع إليه فيعانقها بقوة لتنساب دموعها غزيرة دون تحكم :

_طولت الغيبة المرة دي قوي يا حبيبي .

فيتحشرج صوته وهو يجد لدموعها نفس الصدى في قلبه :

_خلاص يا ماما ..أنا ..رجعت .





يقول كلمته الأخيرة بنبرة ذات مغزى فترفع وجهها إليه بفرحة عارمة لتنساب أناملها فوق وجنتيه كأنما تريد التيقن من صحة ما تشعر به :

_انت افتكرت؟! رجعت لك الذاكرة ؟!

يتردد للحظة واحدة فقط كأنما يشعر أنه بمجرد البوح بهذا فهو يقطع عنق حبه ويلقي به خلفه ..

لكنه فعلها!

يومئ برأسه إيجاباً فتنطلق ضحكاتها حارة مشعة وهي تعاود ضمه نحو صدرها هاتفة بحروف متلعثمة :

_الحمد لله ..الحمد لله ..كنت خايفة قوي ما ترجعليش ..كنت خايفة أموت لوحدي زي سوزان ..وأخسركم زي ما خسرت كل حاجة في حياتي ..





تقولها وهي تستشعر قسوة ذاك الشعور الذي عصف بها منذ علمت عن وفاة صديقتها المقربة وحدها في بيتها ..

يقولون أنها انتحرت بعدما فقدت أملها في ابنها لكنها تحفظ سوزان جيداً ..

لن تفعلها وهي في عقلها !

لكن ..ربما فقدت عقلها حقاً!

أفقدتها إياه الوحدة ..الخسارة ..الخذلان ..

ومن مثلها يمكنه الشعور بمزيج الأحاسيس اللاذع هذا عندما تجتمع معاً؟!!

_ما تعيطيش يا ماما ..أنا آسف ..أوعدك مش هابعد عنك بعد النهارده .

صوته كان متحشرجاً ..خافتاً ..بالغ الإنهاك كأنما استنزفته الساعات الماضية التي قضاها يجوب الشوارع سيراً على قدميه ..





لا يكاد يفعل شيئاً سوى النظر لموضع خطواته !!

كأنه يكاد يستصرخها أن تدله على الطريق !!

ألا يزال يجهل الطريق حقاً؟!

ألا يزال هناك متسع للحيرة ..للتردد ؟!!

لقد كان يمني نفسه بالعيش مع قلبه في جنة وهمه الخاصة ..

تماماً مثلها هي ..

ولم يعلم كلاهما أن جحيم الواقع هو منهما أقرب ..وأولى!!

كيف يصف شعوره في تلك اللحظة وهو يرى في ذاك الرجل المعتدي عليها صورة أبيه ؟!

كيف يتجاهل ذاك الهاجس الذي عصف به وقتها أنها من شجعته ؟!

أنها استدرجته كما فعلت مع حسين ..

وربما لها هذه المرة "دافع" أيضاُ!!





السخرية السوداء تظلل الخاطر الأخير له فتلتوي شفتاه بابتسامة بمذاق الدموع ..

ضميره يجلده ..

يذكره أنه تركها وحدها هناك تتلقى لعنات الناس واتهاماتهم الباطلة ..

قلبه يلعنه ..

يستصرخه أنه مزّق كل أستار العشق التي نسجها لها طوال تلك الليالي كي يستر خلفها عورات خطيئتها ..

وحده عقله يناصره ..

يخبره أنهما فشلا في أول اختبار حقيقي وأنها أبداً لن تتخلص من وزر أبيه في عينيه ..

يؤازره وهو يدور به في فلك الحقيقة ..

هو ليس لها ..كما هي ليست له !!

_انت بتعيط يا حبيبي؟!

تهتف بها جيلان بجزع وهي تراقب خيط دموع سقط على جانب عينه ..

ليرتجف جسده وهو يخفي وجهه في تجويف عنقها كأنما يستر ضعفه في حنايا هذا العناق ..

عيناه تتعلقان بباب غرفة مكتب أبيه المغلق فيختض جسده وهو يتخيله سيخرج الآن منه كما اعتاد يشاكسه بمزاحه ويحكي له عن آخر مشاريعه "الخيرية"!!

وهم..

وهم ..

لماذا يستنكرون عليه رغبته في عيش غده في وهم ..

ألم يكن الأمس كله وهماً ؟!





_أنا عارفة انت حاسس بإيه ..طعم الغدر وحش قوي ..لدرجة إنك بتتمنى لو كنت فضلت تعيش مخدوع عمرك كله ..أرحم من إنك تعرف الحقيقة ..

تقولها بصوت ذبيح وهي تضم رأسه بقوة كأنها تمزج عنفوان ضعفه بضعفها ..

بل وتخلط هشاشة قوتها بقوته ..

كلاهما في هذه اللحظة كان توأم صاحبه في الجرح ..

_أخوك ما حسش بينا لأنه فهم من بدري ..فهم إننا عايشين جوه كدبة ..لكن أنا وانت بس اللي خدنا الضربة فجأة فوقعنا على ضهرنا ..

تقولها بمزيج القوة الواهن العجيب هذا لترفع وجهه إليها أخيراً فتهتف بنبرة أعلى وسط نشيج دموعها :





_بس أنا ماربيتكش على الضعف ده ..انت ابني أنا ..ابن جيلان ..

_وابن حسين!

يتمتم بها بمزيج من خزي وألم لكنها تهز وجهه هاتفة بالمزيد من الانفعال كأنها قطة شرسة تدافع عن صغيرها :

_ارمي الماضي ورا ضهرك ..كله ..سافر وسيب البلد دي لو هتفكرك بذنب باباك ..العمر كله لسه قدامك ..وأنا ..أنا معاك .

يهز رأسه بعجز مغمضاً عينيه مع آهة عميقة مشبعة بكل هذا الوجع الذي يصرخ بداخله ..

ليرتجف صوتها من جديد وهي تسأله بنبرة ذات مغزى:

_انت ..هتكمل مع..معاها ..حتى بعد ما الذاكرة رجعتلك ؟!




سؤالها لم يحمل استنكاراً بقدر ما حمل خوفها ..لوعتها ..ورجاءها !!

فيفتح عينيه وهو يفهم من تعني ليروعه مزيج مشاعرها المتلاطم على صفحة وجهها ونبرتها القوية ترتعد مع شرود عينيها:

_أنا ما شفتش حسين وهو بيخونني ..بس شفت بناته ..وشفتها هي ..عشان كده غصب عني ..غصب عني مش هاقبلهم ..هم صورة خيانته اللي عاشت حتى لو هو مات ..يمكن إخواتك يكونوا ضحايا ..ويمكن هي كمان تكون معاها حق زي ما بيقولوا وكانت عايزة تنتقم لقريبتها ..بس مش بإيدي ..مش بإيدي ..

انهارت باكية في عبارتها الأخيرة مزيحة قناع قوتها الذي كانت تتوارى خلفه ليضمها إليه بقوة وهو يكتم آهة ملتاعة كادت تغادر حلقه ..




لا يلومها ..لا يلومها وهو يستشعر نفس الإعصار الذي يكتسحه بقوته ..

نفس النار تكويهما معاٌ ..

نار تبدأ وتشتعل وتتوهج بعينين لم يعشق مثلهما في حياته.. ..

ولا ينبغي له إلا أن يكرههما كما لم يفعل في حياته !!

_اطمني يا ماما ..الموضوع ده انتهى!

يقولها بحسم يمتزج بلوعته مدركاً أنه لم يبق أمامه الخيار فتتنهد بارتياح لتقبل وجنتيه ثم تمسح وجهه هاتفة بفرح :

_احنا خلاص لقينا مشتري للبيت ..هنجيب واحد تاني نبدأ بيه حياة تانية ..ما تشيلش هم حاجة ..فاكر لما كنت صغير وكنت تيجي تشتكيلي من حاجة مضايقاك ..كنت بقوللك إيه ؟!





ابتسامة مريرة تداعب شفتيه وهو يتذكر ما تحكي عنه ليجيبها بشرود :

_بكرة هيبقى أحلى.

فتمتزج ضحكتها الانفعالية بدموعها وهي تتيقن من استعادته لذاكرته فتعاود ضمه بقوة هاتفة :

_حمدالله على سلامتك يا حبيبي ..

ثم تبعده عنها هاتفة :

_هاخلليهم يحضروا لنا الأكل ..حتى لو مش جعان ..أنا وحشني قوي إني أكل معاك .

لكنه يتنهد مطرقاً برأسه مع قوله :

_فيه مشوار مهم لازم أروحه الأول..

ترمقه بنظرة متسائلة فيهيأ إليها أن جسده ينتفض كأنما يعاند روحه كي تخرج كلماته :

_هاروح أجيب هدومي وحاجتي من هناك عشان أقفل الباب ده للأبد .





=========

تقف شهد على باب غرفة والدتها تراقب ملامحها النائمة بحنان بائس ..

لقد حاولت قدر استطاعتها تمالك انفعالاتها عقب عودتها للبيت لكن "بوصلة" قلب الأم لا يضل مؤشرها طريق أبنائها !!

لقد شعرت بحالتها وسألتها عن السبب لكنها فعلت ما تجيد القيام به عادة ..

ما يسمونه هم "كذباً" وتسميه هي "غطاء"!

غطاء يقي مثلها البرد الذي ينخر كالسوس في عظام روحها المرتعدة !!

هي لا تكذب ..هي فقط ترسم خطوط اللوحة التي تريد العيش فيها فيصرّ القدر كل مرة أن يمزق لها الورق!

تغادر الغرفة نحو شرفة صالة بيتها البسيط تراقب الشارع المظلم في هذا الوقت من الليل وقلبها يرتعد خوفاً وترقباً ..

أين عساه يكون قد ذهب؟!

هاتفه مغلق!

وكيف تركها هكذا وحدها في موقف بشع كهذا ؟!!

أمعاؤها تتقلص وهي تتذكر ما فعله بها ذاك الحقير في المحل عندما أخبرته برغبتها في ترك العمل فأظهر موافقته ليطلب منها إحضار شيء ما من المخزن ..

ولم تكد تهبط إليه حتى فوجئت به خلفها ي...

تبسط راحتها على شفتيها مقاومة شعورها بالغثيان ومحاولة كتم دموعها ..

لماذا تخلى عنها هيثم؟!





لماذا هرب بهذه الطريقة الغريبة عن طباعه الحمائية نحوها؟!

هل هو غاضبٌ منها لأنه حذرها من ذاك الرجل وطلب منها ترك العمل ؟!

لقد أطاعته دون نقاش وهو رأى بنفسه هجوم الرجل السافر عليها ..

لكنه لم يضربه ..

يده توقفت في وسط الطريق !

لماذا تركها وحدها وسطهم تتلقى لعنات ظلمهم ؟!

لماذا؟! ..لماذا ..لماذا؟!

ألف سؤال يدور بداخلها والإجابة واحدة .. واضحة ..

لكنها لا تريد تصديقها !

ليس هكذا!!





تعلم أن حبهما لا غد له لكن ليس من العدل أن ينتهي بهذه الطريقة !!

موتٌ رحيم!!

هذا فقط هو ما صارت ترجوه لعلاقتهما!!

تشهق بانفعال وهي تراه يظهر أخيراً عند أول الشارع فتحاول قراءة ملامحه لكنه كان متهدل الكتفين مطرق الرأس متسارع الخطى كأنه يريد الخلاص من شيئ يطارده ..

تلهث بانفعال وهي تبسط راحتها على صدرها لتتحرك نحو باب الشقة فتفتحه لتجده أمامها ..

ملامحه جامدة كأنما قدت من صخر ..

وحدهما عيناه كانتا تصرخان !!

يقترب منها بخطوات بطيئة ..بطيئة ..





لكنها كانت تشعر بكل خطوة كألف واحدة
إنما ..للخلف!!

هو لا يدنو ..هو يبتعد ..يتلاشى!!

حاجباه المنعقدان يبدوان لها كجناحي صقر هائج فوق عينين عاصفتين كبركان ..

فتهرب منهما عيناها نحو شفتيه ..

لعله ينطق فيكذّب شعورها هذا الذي يعتصر قلبها ..

لكن شفتيه بقيتا صامتتين ..موحشتين ..مظلمتين كقبر هجره الزائرون!

ولآخر لحظة تقاوم ..

تتشبث بفرشاتها التي ترسم لوحتها الخاصة رغم أنف الظروف ..

ترسم ابتسامة مرتعدة على شفتيها وتحاول التظاهر بالمزاح:





_ما عرفتكش كده ..من امتى يعني عندك الجري نُص الجدعنة ؟!

لكنه وقف قبالتها لا يغير من وضعه شيئاً سوى ضمه لقبضتيه جواره ..

فاقتربت منه خطوة ليشعر بنبضات قلبها الهادرة تكاد تقذف قلبها بين كفيه مع همسها الذي عجزت عن المزيد من التظاهر فيه :

_كنت فين ؟! ومشيت كده ليه ؟!

نظراتها المرتعبة تكاد تقتله فيغمض عينيه هرباً من مشاعره ..

صورة ذاك الرجل ينتهكها تجتاح ذهنه متشحة بطيف أبيه فينتفض جسده مثلها إنما ..غضباُ !!

_ليه ما حكيتش الحقيقة وقلتلهم إنه كذاب؟! ليه ما دافعتش عني وقلتلهم إني مظلومة ؟!





_أعرف منين إنك مظلومة ؟! واحد زيه هيتجرأ عليكِ ليه في مكان أكل عيشه بالصورة دي إلا لو كنتِ انتِ اللي شجعتيه !

يهتف بها بنبرة ميتة عبر عينيه المغمضتين فتشهق بارتياع وهي تعود للخلف خطوة هاتفة :

_انت بتقول إيه ؟! انت مصدق عني كده ؟!

ياالله !!

كم يود الآن لو يفتح عينيه!!

لو يعانق ملامحها للمرة الأخيرة !!

لكنه يخاف وهنه أمامها من جديد ..

يخاف هواجسه وشكوكه ..

يخاف رؤيتها خائنة ..

ويخاف أكثر رؤيتها بريئة !!





صوته الميت لايزال يغرس نصله المزدوج في قلبيهما معاً ونبرته تعلو تدريجياٌ :

_وليه لأ ؟! ..أكيد مش هتعملي كده من غير سبب ..أكيد عندك مبرر زي اللي كان عندك وانتِ بتعملي كده برضه مع ..بابا!

صرخة خافتة تطلقها وهي تعود للخلف أكثر ..

صرخة روح تحتضر!!

لم تكترث ببشاعة اتهامه ..بطغيان ادعائه ..بقسوة ظلمه ..

كل هذا لم يكن شيئاً أمام القدم التي سحقت قصر رمالها لتجعله هباء منثوراٌ !!

ها هي ذي النهاية التي طالما عاشت تتوقعها كي لا تفاجأ بقسوتها ..

لكنها تجدها هاهنا أكثر قسوة ..أكثر بطشاٌ ..أكثر وجعاٌ !!





والسؤال يحمل الجواب في باطنه ..

وكلاهما لا يعني لها سوى حكم إعدام :

_انت ..افتكرت؟!

هنا لم يستطع إغماض عينيه أكثر ففتحهما لتبدو دموع غضبه الحبيسة بينما يتقدم نحوها هاتفاً بحدة أججها مزيج غضبه وعجزه :

_أيوة افتكرت كل حاجة ..افتكرت الوش البريئ اللي خدعتيني بيه وانتِ بتلفي من ورايا عشان توقعي أبويا ..نفس الوش اللي شفتك بيه قدام الراجل التاني في المحل ..عايزاني أصدقك تاني إزاي ؟! آآمن لك تاني إزاي ؟! وانتِ أرخص عندك حاجة نفسك!

كلماته لم تكن مجرد حروف بل سياط ألهبت روحها وقلبها ..

تكاد تستصرخه أن يتوقف ..أن يتفهم ..

لكن دفاعاتها ماتت على شفتيها لتدثرها بالمزيد من الدموع ..

_شهد!

النداء الواهن رغم خفوته يمتزج بلوعة مرتاعة فتلتفت نحو والدتها التي وقفت مستندة على باب غرفتها ترمقهما بنظرة مصعوقة ..

جسدها المريض لا يحتمل وقفتها فتترنح مكانها وهي تشير لها بسبابة مرتجفة :

_معناه إيه اللي بيقوله ده ؟! انت ..انت ..

كلمات المرأة تتحشرج في حلقها فيتجمد هيثم مكانه وهو يشعر -لتوه- بحجم الكارثة المنتظرة ..




فيما تندفع نحوها شهد لتسند جسدها هاتفة بارتياع وسط شهقات دموعها :

_هافهمك ..والله العظيم هافهمك ..الحكاية مش ..

لكن حروفها تنقطع والمرأة تطلق أنّة ألم ممسكة بصدرها فيفيق هيثم من جموده ليهرع إليها كي يسندها معها هي ..

يحاول البحث عن كلمات تهون ما سمعته ولو كذباً لكنها تسقط مكانها بين ذراعيهما !

=======

_صحيتوا امتى؟!

تهتف بها نشوى بصوت لم يغادره نعاسه وهي تناظر عقارب الساعة التي لم تتجاوز السادسة بعد ..

فيما كان إسلام يجلس مع ريما على مائدة السفرة لتندفع الأخيرة نحوها حاملة "غنيمتها" هاتفة :

_شفتي يا مامي ؟! بابا عمللي عروسة المولد .





ترمق المجسم الورقي في يد ابنتها بنظرة غريبة لتغتصب ابتسامة بدت شديدة التكلف ثم تقول بصوت متحشرج:

_حلوة قوي ..قلتيله شكراً ؟!

ثم تلتفت نحوه لتسأله باستغراب:

_لحقت عملتها امتى دي؟!

فابتسم وهو يشير لحاسوبه المحمول قائلاً:

_مطبق من بالليل ع اليوتيوب ..بس النتيجة تستاهل ..الفنان فنان برضه .

يقولها مشيراً لنفسه بإعجاب فترتجف ابتسامتها بعاطفة حقيقية نحوه صار يميز شعاعها وسط هذا الظلام الذي يحوط مشاعرها ..

_الحقي البسي هدومك على بال ما أعمل السندوتشات ..الباص زمانه جاي .





تقولها نشوى مخاطبة صغيرتها التي لوحت بالمجسم الورقي في يدها هاتفة :

_هاوريها لأصحابي ..هاقوللهم بقا عندي بابا بيعمللي حاجات حلوة .

عبارة الصغيرة كانت عفوية تماماً لكنها جعلت عينيها هي تدمعان وهي تنحني نحوها لتضمها بقوة وقد بدت من معاناة ملامحها أنها تكتم بكاءها ..

يتفحصها ببصره للدقائق القادمة بقلق رغم مرحه الظاهري مع ريما التي ارتدت ملابسها لتمنحها هي حقيبتها ..

ثم تمشط لها شعرها بخفة فيصطحبها هو نحو الخارج كي تلحق بحافلة المدرسة ..

تراقبهما نشوى عبر الشرفة الواسعة لتدمع عيناها من جديد وهي ترى ريما تحتضنه بقوة قبل أن





تلوح ب"العروسة الورقية" لزميلاتها في الحافلة التي صعدت إليها لتختفي عن ناظريها ..

قلبها يخفق بمزيج من الامتنان والذنب كعهدها معه ..

لكنها الآن تضيف لهذا المزيج مكوناً آخر ..

الخوف!

الخوف أن تفقده وتفقد نفسها الجديدة التي بدأت لتوها تعشقها معه ..

أفكارها تنقطع وهي تلاحظ أن وقفته مع مشرفة الحافلة قد طالت بينما الأخيرة تضحك وتتمايل في وقفتها بدلال أثار غيظها ..

ما بالها هذه ؟!

ألم ترَ رجالاً من قبل ؟!

وهو؟!!

لماذا يقف هكذا مستجيباً لها ؟!





لماذا لا يتركها ويصعد ؟!

غيرة حارقة تخطف نبضاتها وهي تستطيل على أطراف أصابعها فيكاد نصفها العلوي كله يتدلى من السور كأنما ستقفز نحوهما كي تقتلع عيني تلك المستفزة ..

وعينيه هو قبلها !!

هو الذي صعد أخيراً لتتلقاه بعاصفتها :

_كانت بتقوللك إيه وبتضحكوا كده ؟!

فارتفع حاجباه ليقول متسلياً:

_مش فاكر !

_هتستعبط ؟!

تقولها وقد وصلت إليه لتلكمه بخفة في كتفه فيتأوه بمبالغة هاتفاً :

_آه ! خلاص افتكرت ! كانت بتسألني أنا أقرب إيه لريما؟!





_وقلتلها إيه ؟!

تسأله بتشكك ليهز كتفيه متعمداً استفزازها :

_حطي نفسك مكاني ..واحدة صاروخ كده بتسألني السؤال ده هارد أقول إيه ..

ورغم أن لهجته كانت تفضح رغبته الظاهرة في مشاكستها لكنها عقدت حاجبيها بقوة وهي تشعر بسخونة قوية في جسدها كله مع استطراده :

_شفتي حلوة إزاي ؟! شفتي لون شعرها البنفسجي ده ؟! أول مرة أشوف لون الصبغة دي في مصر ..وكمان لدغة في الراء ..شفتيهاش وهي بتقول "ويما" ..طالعة منها زي "السكوّ"..

يقولها محرفاً حرف الراء ل"واو" مقلداً لكنة المرأة لتزداد ملامحها احتقاناً ..

فيزيد هو الجرعة مضيفاً:

_درجة الروج كمان لايقة قوي مع ..





تنقطع عبارته فجأة وهو يجدها دون مقدمات تندفع نحوه لتلصق شفتيها بشفتيه بينما ذراعاها يتعلقان بعنقه بقوة عاصرة !

لا ..لم تكن قبلة بقدر ما شعر بها إثبات ملكية برد فعل عصبي عنيف!

يرتد للخلف مجفلاً للحظة وهو يتشبث بها قبل أن يرد لها بضاعتها بكرم ..

أناملها تمنحه "شارة تعريفه" على عنقه فيخفق قلبه بعنف أكبر هذه المرة وهو يشعر باستجابتها هذه المرة مختلفة ..

كأنما تستمد منه صك ملكيتها له ..

كأنما تنتزع منه اعترافاً أنه لها وحدها ..

كأنما تصهر بلهيب عاطفته كل غيرتها ..

خوفها ..

تخبطها !!

كل ما فيها غريب ..مميز ..





حتى ردود فعلها على حماقاته تشعره دوماً أنها -في جانب خفي- كابنتها مجرد طفلة !!

يقرأ خوفها الصامت بقلب صار يحفظ دواخلها فيضمها نحوه في عناق قوي كأنما يمنحها اعتذاراً غير منطوق عن تعمده استفزازها ..

رغم إن ردة فعلها راقته ..راقته كثيراً !!

ترفع إليه أخيراً عينين

دامعتين ..غامضتين ..عاتبتين ..

ومعتذرتين !

فيمنحها أروع ابتساماته ..

أنامله تتخلل خصلات شعرها وعيناه العابثتان تمزجان حنانه بمشاكسته :

_أحلى صباح ده واللا إيه ؟!

لكنها تطرق برأسها لتبتعد شاعرة بالخزي -المعهود- من نفسها ..





ها هي ذي تفقد السيطرة على انفعالاتها يوماً بعد يوم ..وساعة بعد ساعة ..

كسيارة فسدت مكابحها لتتحدر من حافة الهاوية !!

بعض الخشونة تتسلل لنبرتها اللاهثة وهي تهتف دون تفكير بأقرب ما خطر في بالها :

_البس دبلة .

_نعم؟!

يقولها باستنكار فتزفر بقوة محاولة السيطرة على هذه القبضة العاصرة لقلبها ..

تبتعد عنه لتعطيها ظهرها متمالكة مشاعرها المشتتة بهتافها العصبي:

_إيه الغريب؟! البس دبلة عشان الناس تعرف إنك متجوز ..عشان محدش يستغرب علاقتك بريما ..عشان مش كل واحدة مستحلية نفسها تقف تتدلع معاك ..

_وانتِ متضايقة كده ليه ؟!





يقولها بنبرة عادت إليها مشاكستها وهو يقف قبالتها مقتنصاً نظراتها المتأرجحة بين عاطفتها وانفعالها ..

لتلوح بكفيها مستعيدة طبيعتها "الشوكية"وهاتفة بعصبية :

_عشان عندي دم !..عشان مش طبيعي أسيب ست غيري تبص لواحد المفروض إنه جوزي .

لكنه يحيط خصرها بكفيه هامساً:

_سمي الحاجات بأساميها يا "شِرِس" ..

تعقد حاجبيها بتساؤل فيغمزها مردفاً:

_اسمها "غيرانة" !

تتأفف بضيق وهي تزيح كفيه عن خصرها لكنه يعاود التشبث به محتكراً نظراتها بقوله الذي ازداد دفؤه رغم اتشاحه بعبثيته المعهودة :

_قوليها ورايا ..سهلة جداً ..غيرانة عليك ..مش طايقة واحدة غيري تبص لك ..عشان انت مش جوزي وبس ..انت ..انت إيه ؟! كملي انتِ ناصحة وهتعرفيها لوحدك !





وجهها يزداد اقتراباً لوجهها مع كل كلمة ينطقها حتى يكاد جبينه يلاصق جبينها في كلمته الأخيرة ..

ترتجف خلاياها بدغدغة لذيذة وهي تنساق خلف لحن يعزفه لها باقتدار خبير ..

لكنها تنتزع نفسها من هذا كله شاعرة بذات القبضة العاصرة تخنق قلبها أكثر .. لتبتعد أخيراً فتهتف وهي تتحاشى لقاء نظراته :

_انت صاحي رايق ..أنا هاروح أحضر الفطار عشان ورايا شغل كتير في المصنع النهارده .

تقولها وهي تتفلت من بين ذراعيه فيهتف بها بمكر:

_والدبلة ؟!

_براحتك .




تقولها بفظاظة لا تتعمدها وهي تعطيه ظهرها لتبتعد لكنه يتحرك بسرعة ليعيق طريقها فيقف قبالتها قائلاً بنبرته المشاكسة :

_أنا هالبس دبلة بس مش هالبسك دبلتي دلوقت ..عارفة ليه ؟!

السؤال الأخير يمزج عاطفته بخيبته بأمله في مزيج عجيب لا يليق إلا بغرابة علاقة كهذه ..

فترده بنظرة حملت كل هذا المزيج إنما بإضافتها هي الخاصة ..

الاعتذار مع وجع الذنب !!

وكالعادة تمارس ما تجيده في الهروب فتتجاهل سؤاله مجبورة لتتحرك نحو المطبخ تاركة إياه خلفها ..

تحاول الانشغال بتحضير الإفطار والهروب من أفكارها لكن ..





قدمت السبت مع الحد مقدما..

وحاسبت ع المشاريب ودفعت التمن ..

ولا عنب الشام طايله ولا بلح اليمن ..

الكلمات الغريبة على أذنيها تنبعث فجأة بصوتٍ عالٍ من الخارج وبلحن صاخب راقص فتبتسم رغماً عنها وهي تركز في معانيها قبل أن تسمعه يدندن معها بصوت عالٍ ..

صوته يقترب مع اقترابه وهو يدخل إليها أخيراً مخفياً كفيه خلف ظهره كمن يداري مفاجأة :

دلعتك أد ما دلعتك وزيادة ..

وشربت المر عشان خاطرك وزيادة ..





وبحبك وانت بتتقل وبتتمادى ..

تلتفت نحوه فيعلو صوته وهو يميل رأسه متصنعاً الاندماج ومكملاً :

_راضيني ..راضيني ..حبيبي راضيني..

فتتحول ابتسامتها لضحكة قصيرة مختنقة كأنما تقاوم بها انفعالاً عصبياً تداريه غير قادرة على تحمل المزيد ..

ليرفعِ كفه أخيراً بمفاجأته نحوها :

_عروستك! ..عملتهالك من بالليل وقلت هاخلليها مفاجأة أديهالك في نص اليوم تخفف توتر الشغل ..بس مادام طلعتِ غيّارة كده اتفضليها دلوقت..بدل ما تحقدي على ريما !




ملامحها تتجمد للحظات وهي تناظر المجسم الورقي الذي صنع شبيهه لابنتها إنما -باختلاف- فسره بقوله :

_بس معلش فيه فرق !..عروستك "كيرفي" ..وعملت فستانها بمواصفاتي المزاجية المطابقة لأعلى معايير الانحراف .

يغمزها بها بمكر فتنتبه لثوب العروس الذي كان مكشوفاً كثيراً عن ثوب عروس ابنتها المحتشم !!

كان يتوقع رداً فظاً على وقاحته كعهدها معه ..

لكنه فوجئ بها تطيل النظر لما في يده طويلاً وجسدها يرتعد ارتعادة خفيفة كأنما ذهبت في عالم آخر ..

قبل أن تدمع عيناها فتغمضهما بقوة لتكتف ساعديها كأنها تمنح نفسها دعماً لم يكفها على الأغلب ..

فهمست بخفوت وبصوت يكاد لا يسمع :

_احضنني!





عقد حاجبيه للحظة وهو يهيأ إليه أنها لم تتفوه بها ..

لكن لغة جسدها كانت تصرخ بها بصخب عبر صمتها المريب هذا !

يعانقها بقوة وهو يخفي وجهها في صدره فيفاجأ بانهيارها الباكي هائجاً دون مقدمات :

_قوللي إن كل حاجة هتبقى كويسة ..قوللي إنك هتفضل معانا ..

يعقد حاجبيه بقوة محاولاٌ احتواء انفعالاتها غير المفهومة ودموعها تكوي قلبه كياٌ !

يكاد يقسم أنها تخفي ما يقصم ظهر احتمالها ولهذا تنهار فجأة لأتفه سبب !

لتستمر همساتها الباكية :





_قول إني ما عدتش هخاف ..قول إني من حقي أفرح .

_مش لما تقوليلي انت الأول؟!

يهمس بها بحزم حنون غريب على مرحه المعهود فترفع إليه وجهها المبلل بالدموع بنظرة متسائلة مرتعبة ..

ليضع ما بيده جانباً ثم يمسح دموعها بأنامله وعيناه تتفحصان ملامحها باهتمام مردفاً:

_مخبية إيه ؟!

تنفرج شفتاها والمزيد من الخوف يحفر أخاديده على وجهها ..

لكن هذا لم يساوِ شيئاً أمام الرعب الذي تملكها مع صوت رنين هاتفها الذي صدح فجأة من الخارج ..

حاولت تمالك نفسها وهي تتحرر من ذراعيه لتتدفع نحو الهاتف مغادرة المطبخ ..





لكنها لم تكد تتناوله حتى فوجئت به يلحق بها لينتزعه منها بنظرة صارمة وبحركة خاطفة !

شهقتها المكتومة توازي نظرتها المرتعبة وهي تراه يفتح الاتصال على الرقم الذي لم يكن مسجلاً باسم ..

_صباح الخير يا عروسة ..ياريت ما أكونش أزعجتك في وقت زي ده ..

الصوت الحقير المتهكم يصلها في مكانها فتحاول انتزاع الهاتف من إسلام لكنه يضع سبابته على فمه محذراً بنظرة صارمة لتتكمش على نفسها برعب بينما يواصل الصوت الكريه بث سمومه بمفاجأته الصاعقة :

_هساعدك تفكري كويس مادام اليومين اللي فاتوا ما كفوكيش ..ريما حبيبة بابا معايا دلوقت وطالعين ع المطار ..هتسافر معايا معززة مكرمة لحد ما المبلغ اللي اتفقنا عليه يتحط في حسابي ..غير كده تنسي خالص إن ليكِ بنت .

========





القطعة الثلاثون

=======

_اللي انت عايزه هادفعهولك بس إياك تسافر ..وإلا وديني وما أعبد لا أجيبك ولو في آخر الدنيا ..وهاخد البنت ولو اضطريت آخد روحك قبلها .

يهتف بها إسلام بصرامة وعيناه تتابعان نشوى بقلق وقد انهارت أرضاً تصرخ صرخات قصيرة تكتمها بكفها من آنٍ لآخر ..

ليصمت الرجل على الجانب الآخر من الاتصال وكأنما فوجئ بتدخله قبل أن يقول بسماجة :

_اتكلم على أدك ! مفيش في إيدك حاجة تعملها ..بنتي وحقي أربيها في حضني بعد ما أمها اتجوزت ماهو مش معقول أسيبها لراجل غريب ..طيارتي قدامها ساعة ..انت وشطارتك ..هات الفلوس وخد البنت !

يقولها ذاكراً المبلغ المطلوب ثم يغلق الاتصال بعنف دون انتظار الرد الذي اعتبره مسلماً به ..





لينعقد حاجبا إسلام بمزيج من غضب وعجز ..كيف يمكنه تدبير مبلغٍ كهذا في ساعة ؟!

لكنه يتمالك نفسه بسرعة كعهده في المصائب فيلقي الهاتف جانباٌ ليتوجه نحو هذه المنهارة أمامه فيرفعها من ذراعيها نحوه هاتفاً بغضب خالطه الكثير من الإشفاق:

_هو ده اللي كنتِ مخبياه ؟! الزفت ده كان بيبتزك لما عرف إنك اتجوزتيني ..فاكر إن تحت القبة شيخ مع سمعة الوالد المحترمة ..وطبعاً مارضيتيش تحكيلي عشان كالعادة خفتِ أبعد وأسيبكم ؟!!

تتسع عيناها بدهشة للحظة من ذكاء استنتاجه فتمنحه نظرتها الجواب قبل أن تعود الدموع تنهمر من عينيها وهي تدرك أن أسوأ كوابيسها قد تحقق!!





ذاك الوغد الذي تذكرها وابنتها فجأة بعدما علم عن زيجتها الثانية من إسلام ..لتفاجأ به يطلب منها مبلغاً كبيراً نظير أن يسمح لها بحضانة ريما ..

الخوف الذي ملأها من ساعتها منعها من إخبار أحد محاولة إقناعه باللين أنها لا تملك هذا المبلغ ولا حتى إسلام ..

ماطلته طامعة أن ينسى الأمر بمرور الوقت خاصة وهو مقيم خارج البلاد ..

لكنها لم تتوقع أن يعود خصيصاً كي ينفذ فعلته الخسيسة هذه ويرحل بابنتها!!

_مش قادرة أطلب منك أكتر م اللي عملته ..مش قادرة أقوللك رجعلي بنتي ..أنا هاتصرف وأ ..

تقولها بصوت مرتجف يدعي القوة وهي تمسح دموعها بينما جسدها كله ينتفض فاضحاً هشاشة خوفها ليقاطعها وهو يهزها بعنف هاتفاً :





_بنتنا ! ريما دلوقت بنتي زي ما هي بنتك ..على جثتي يخطي بيها خطوة واحدة بره مصر !

ورغم اليقين المطمئن في صوته لكن تصوّر العكس يجعلها تنهار في البكاء من جديد ليسقط رأسها على كتفه فيربت على ظهرها هاتفاً بغيظ رغم إشفاقه :

_أشرف كمان أكيد ما يعرفش ..كالعادة اتصدرتِ للمشكلة لوحدك !

لم ينتظر جوابها الذي يعرفه يقيناً من درايته بشخصيتها ليدفعها برفق هاتفاً بعجلة :

_حسابنا بعدين ! هاغير هدومي عشان ألحق .

يقولها ليندفع نحو غرفته فتلحق به هاتفة بلهفة بين دموعها :

_هتعمل إيه ؟!

_هادبر له المبلغ .





_إزاي؟!

_هتصرف!

يهتف بها بحسم وهو ينهي ارتداء ملابسه ليربت على كتفها بسرعة فتهتف به :

_استناني هالبس وآجي معاك .

_مش دلوقت ..اصبري لحد ما أدبر أموري ومش هاروح من غيرك ما تقلقيش.

يقولها ليعاود التربيت على كتفها بخفة قبل أن يهرول بخطوات شبه راكضة نحو الخارج فتبسط راحتها المفرودة على صدرها وهي تشعر بفرط التفكير يكاد يصيبها بالجنون ..

ترفع رأسها لأعلى بدعاء حار امتزج بشهقات بكائها قبل أن تندفع نحو هاتفها لتتصل ب..أشرف!

======

_إيه؟! امتى وإزاي؟!





يصرخ بها أشرف بارتياع فتنتفض رانيا جواره ممسكة ببطنها المنتفخ بقلق ليصلها صوته الغاضب وهو يحدث نشوى عبر الهاتف:

_دماغك ده هيوديكي في داهية ! ما قلتيش لجوزك ماشي ..لكن أنا ماقلتليش ليه ؟!

صوت بكائها العاصف على الجانب الآخر من الاتصال يرقق قلبه نوعاً فيهتف بها بعجلة :

_اقفلي دلوقت وأنا هاكلم إسلام نشوف هنتصرف إزاي .

يغلق الاتصال بعنف فتهتف به رانيا مستفسرة لتشهق بارتياع وهي تستمع للتفاصيل قبل أن تهتف باستنكار:

_الحقير! سايبهم طول السنين دي وجاي يفتكر دلوقت إن ليه بنت !





_كنت عرفت إن شغله هناك مش ماشي وظروفه مهببة..هتلاقيه لقاها فرصة يبتزها لما عرف إنها اتجوزت إسلام .

يقولها وهو يتناول ميدالية مفاتيحه وهاتفه استعداداً للخروج لتهتف به :

_وهو عرف منين؟!

_الحاجات دي ما بتستخباش ..المشكلة في الغبية اللي ما قالتلناش كل الوقت ده لحد ما ضرب ضربته الجبان .

يهتف بها بضيق نافد الصبر وهو يتوجه نحو باب الشقة لتهتف مدافعة :

_مش غبية ! انت عارف نشوى ما بتحبش تشيل حد همها ..أكيد كانت فاكرة نفسها هتحلها لوحدها ..المهم دلوقت هتعمل إيه؟!

_هاكلم إسلام وأروح له نشوف هندبر المبلغ إزاي ..

يقولها وهو يفتح الباب ليزفر بسخط مردفاً:





_المشكلة إننا حتى لو دفعناله اللي هو عايزه المرة دي مش هيبطل يبتزنا ..ده طماع أنا عارفه .

تعقد حاجبيها بقوة مدركاً صحة ما يقول فتفكر للحظات قبل أن يسري الخاطر على شفتيها فجأة :

_كلم ناصر!

_نعم!

يهتف بها باستنكار فترد بلهفة محاولة إقناعه :

_فكر بس بالعقل! ناصر جدع ..وقف جنبك أيام أزمتك ..وأنا متأكدة إنه لو عرف دلوقت هيكسر الدنيا على دماغ الراجل ده ! انت ما ينفعش تدخل البوليس في موقف زي ده لأنه أبوها ومفيش أب هيخطف بنته خصوصاً إن نشوى ما معهاش ورق قانوني يثبت الحضانة ..وكمان مفيش وقت نشوف حد تاني معرفة نكلمه ..الوقت ضيق !





يعقد حاجبيه وأنامله تعتصر الباب المفتوح هاتفاً من بين أسنانه:

_أكلمه إزاي يا رانيا بعد عملته السودة يوم الفرح ؟! ده سود وشنا قدام الناس كلها !

فتربت على كتفه مهدئة بقولها :

_دي حاجة ودي حاجة ..يمكن تكون دي فرصته يكفر عن غلطته معاكم خصوصاً إن الجوازة دي كانت هتبقى مأساة للكل والحمد لله ربنا عوضها باللي أحسن منه ..أنا متأكدة إنه مش هيتأخر لو عرف ..صدقني هو الحل الأسرع والوحيد دلوقت .

يزداد انعقاد حاجبيه للحظات وهو يفكر فتمنحه إيماءة مشجعة تجعله يزفر زفرة ساخطة قبل أن يغلق الباب بقوة متخذاً قراره و..يجري الاتصال !

=========

في سيارته ينطلق ناصر بسرعة مجنونة نحو المطار ..





منذ كلمه أشرف وهو يجري اتصالاته كي يضمن
ألا يغادر ذاك الوغد بالطفلة قبل أن يلحق بهما !

ربما لم يحمل قلبه مشاعر خاصة نحو نشوى لكن
مشاعره نحو أشرف لم تتغير طوال هذه
السنوات ..صديق يود لو لا يخذله !

كفاه ما حدث تلك الليلة عندما تسبب في فضيحة لا
يظنها ستنسى بسهولة !!

كذلك مشاعره نحو ريما كانت حقيقية تماماً ..بل لا
يخجل من الاعتراف أنها الطفلة الوحيدة التي
أثارت بداخله شوقه للأبوة وهو الذي يحاول قدر
استطاعته دفن هذا الشعور لأجل سها !

سها!

اسمها يؤجج شعوره بافتقادها حد الجنون ..

وبغضبه منها حد العجز!!

لا تزال تبني في كل يوم ألف حاجز بينهما ولايزال
هو يحاول هدمها !!





أفكاره تنقطع بوصوله لأرض المطار فيرصف سيارته جانباً ليعقد حاجبيه بقوة متوعدة وهو يغادر نحو صالة الانتظار ..

يقلب بصره باحثاً بين الوجوه بسرعة حتى يراها هناك ..

ريما تبكي دافنة وجهها بين كفيها !

وفي مكانها كانت ريما تشعر بالخوف وهي لا تفهم ماذا يحدث ..

عندما أخبرتها المعلمة أن والدها ينتظرها بالخارج ظننته إسلام ..

لكنها فوجئت به هو!!

يعانقها ويقبلها ليخرج بها من المدرسة زاعماً أنهما في طريقهما لنزهة ..لكنها سمعت مكالمته مع أمها !





_ريما!

يهتف بها ناصر فترفع وجهها نحوه بضيق لأول الأمر قبل أن تميز ابتسامته المطمئنة وهو ينحني ليحملها متجاهلاً أباها الذي هتف به بحدة :

_انت مين ؟! شيل إيدك عن بنتي!

لكن ناصر أشار لأحد أصدقائه بثياب الشرطة والذي تقدم منهما ليقلب الرجل بصره بينهما هاتفاً بتوجس:

_فيه إيه ؟! أنا ما عملتش حاجة ..دي بنتي ومسافرة معايا وورقنا سليم .

تجاهله ناصر تماماً وهو يقبل وجنة ريما ليقول برفق:

_هاكلم بابا كلمتين وانتِ روحي مع عمو دلوقت .

يقولها مشيراً للضابط صديقه فيصرخ والدها باستنكار:





_تروح فين ؟! الطيارة فاضل عليها ربع ساعة .

يقولها مضطرباً وهو يشعر بتفلت الخيوط من يده ..خاصة وقد اتصل به إسلام منذ خمس دقائق فقط يخبره أنه حضر المبلغ المطلوب وهو في طريقه إلى هنا ..

لكن ناصر ينزل ريما أرضاً ليشير لصاحبه برأسه قبل أن يميل على أذن ذاك الوغد هامساً بصرامة مخيفة :

_مش عايز البنت تسمع كلامنا ..سيبها تمشي معاه بالذوق أحسنلك .

يهم باعتراض صارخ لكن النظرات المتوعدة في عيني ناصر وصاحبه تبث الخوف في عروقه فيتحرك الضابط مبتعداً بريما لمسافة مناسبة فيما يرفع له ناصر "بطاقة عمله " بحركة مهددة فيتوجه ببصره نحوه هاتفاً بغضب:





_فيه إيه ؟! أنا مايهمنيش ظابط ولا عشرة ..دي بنتي مش خاطفها !

فيفاجئه ناصر وهو يجذبه بعنف من ياقة قميصه ليشهق الرجل بخوف مع عيني ناصر المشتعلتين بغضبه رغم برودة صوته:

_دلوقت افتكرت إن ليك بنت؟! اسمع بقا اللي عندي عشان معاد طيارتك قرب وأنا صبري قليل ..تحب ترجع الداهية اللي جيت منها بكرامتك واللا أبيتك الليلة دي في الحبس ؟! وقبل ما تفكر بحذّرك ..انت مش عارف الحبس اللي بيوصي عليك فيه ظابط بيبقى عامل إزاي .

_أنا ماعملتش حاجة ..هتحبسني ليه ؟!

يهمس بها الرجل برعب وهو يزدرد ريقه الجاف بصعوبة محاولاً تخليص ملابسه من قبضة ناصر لكن الأخير ضغط بها أكثر على صدره حتى آلمه ليعاود همسه القاسي:




_ألف تهمة وتهمة مستنية اسمك القذر يلبسها ..اللي زيك حلال فيه يتعامل بمعاملته القذرة .

تتسع عينا الرجل بخوف يزداد تدريجياً مع كلمات ناصر:

_عارف في الربع ساعة اللي فاضلالك هنا دي ممكن يتعمل كام بلاغ ضدك ؟! كام واحد يشهدوا إنك اتهجمت عليهم ؟! بلاش! ..كام تسريبة كده يطلعوا إنك بتنتمي لجماعات محظورة ..والأخيرة دي بالذات هتتروق فيها قوي!

تشحب ملامح الرجل وهو يتراجع عنه بظهره قائلاً بصوت مرتعد:

_بس ده ظلم .

فيبصق ناصر على الأرض جواره في إشارة ذات مغزى ليقلب شفتيه بازدراء:

_البجاحة ليها ناسها فعلاً .





يسمع الرجل صوت النداء معلناً وصول طيارته فيتلفت حوله بتردد يحسمه ناصر وهو يلوح بسبابته قرب عينه حتى كاد يصيبها:

_تنسى "أخت أشرف" وبنتها نهائي ! المرة الجاية مش هاديك تحذير قبل ما تلاقي نفسك في مصيبة انت مش أدها!

يقولها مشيراً لنشوى ب"أخت أشرف" كأنه يصفها عفوياً بالصفة الوحيدة التي يجدها لها في نفسه ..

وربما لأنه لا يزال عاجزاً عن نطق اسمها بعد شعوره الرهيب بالذنب نحوها ..

وربما ب"نزعة صعيدية فطرية تربى عليها صغيراُ" أراد إبعادها -شخصياً- عن هذا الأمر وليكن للرجال فحسب!





لايزال الرجل يتلفت حوله بترقب كأنه ينتظر وصول إسلام بالمال لكن ناصر يلكمه في صدره ببعض العنف هاتفاً بازدراء:

_فاهم يا "......."؟!

ينهي سؤاله بسبة بذيئة يرتعد لها الرجل أمامه خاصة مع النظرة القاسية في عينيه ليومئ برأسه في استسلام قبل أن ينحني ليلتقط حقيبته لكن ناصر يعاود قوله بنبرة آمرة:

_استنى ! لسة الأهم !

فيعاود الاستقامة بجسده ليلتقط ناصر ورقة من جيبه ناوله إياها مع قلم :

_ده تنازل منك عن حضانة البنت ..تمضيه الأول وأنا هاوثقه بطريقتي!

فيرفع إليه الرجل عينين صاغرتين قبل أن يوقع باستسلام ليقول أخيراً بنبرة ساخطة :

_ألحق طيارتي بقا.





لكن ناصر وضع الورقة في جيبه ليقول بنبرة آمرة :

_فاضل أهم حاجة ..هتنادي ريما دلوقت وتقوللها بالحرف اللي هاقوللك عليه !

وفي مكانها وقفت ريما تناظرهما بقلق طفولي رغم محاولات الضابط اللطيفة للتواصل معها ..

لترتجف بخوف وهي ترى ناصر يشير لها أن تقترب ..

تتقدم نحوهما بارتباك وعيناها تحاولان فهم ماذا يحدث ..

لم تكن صغيرة إلى هذا الحد كي لا تفهم ما يدور ..

والدها يريد المال كي يوافق على أن تبقى مع أمها ..

ويبتعد هو من جديد !

وإلا فسيرحل ويأخذها معه بعيداً عن هنا!!





لهذا لم تصدق حنانه الزائف وهو يحملها ليقبل وجنتيها قبل أن يقول ما تلقنه من ناصر:

_أنا آسف ! انتِ بس كنتِ واحشاني وكنت عايزك تقعدي معايا شوية ..انتِ جميلة قوي وأنا بحبك ..خلليكي فاكرة كده حتى لو بعدت ..خللي بالك من ..ماما!

تدمع عيناها بشعور طفولي بالنفور ..

حتى في هذا العمر الصغير يمكنها تمييز الكذب !!

لهذا ما كاد ناصر يتلقفها منه ليحملها هو حتى دفنت وجهها الباكي في كتفه ..

فيما رمق ناصر الرجل بنظرة زاجرة تزامنت مع الإعلان الثاني عن طائرته فغادر مسرعاً تلاحقه نظرات ناصر المزدرية ..

والذي ربت على ظهر ريما برفق قبل أن يتناول هاتفه ليتصل بأشرف كي يطمئنه ..

=======





_الظابط البطل أنقذني زي ما كنت دايما تحكيلي ..

تهتف بها ريما مخاطبة نشوى من بعيد وهي تفتح لهما ذراعيها بينما يتقدم ناصر نحوهما جوار أشرف حاملاً إياها ..

فيتجمد إسلام مكانه جوار نشوى وهو يشعر بحجم الصراع في داخله بين حقده على صاحبه ورغبته في شكره ..

إذا كان حاله هو ..فماذا عنها هي؟!

لقد هاتفه أشرف يخبره بما كان ويعتذر له عن إبلاغه ناصر بالأمر فلم يكترث سابقاً إلا بسلامة ريما ..

لكنه الآن وهو يشعر بالطمأنينة على الطفلة يجد القلق ينهش صدره من اتجاه آخر !

هي !

كيف تقيم الأمور في هذه اللحظة ؟!

كيف حال قلبها الذي طالما أتعبه ؟!!




عيناه تتوهان عن العالم كله وتتركزان على ملامحها في هذه اللحظة كأنما يتبين فيهما نتيجة اختبار لم يعش في حياته أقسى منه ..

يراها تتركه لتركض نحوهما فتعميه غيرته وهو لا يدري لأيهما يركض قلبها قبل نظراتها ..

لكنه يبقى مكانه مختارا خلفية المشهد ..!

يبصرها بعينين مغشيتين بجحيم عاطفته وهي تتلقف الصغيرة من بين ذراعي ناصر الذي وقف مطرقا برأسه بمزيج من خزي وحرج ..

تمطرها بقبلاتها وتعتصرها بين ذراعيها مستعيدة روحها التي ظنتها فارقتها ولن تعود ..

لكن ريما تقطع هذا اللقاء العاطفي الصاخب وهي تلتفت نحو ناصر من جديد هاتفة:

_كنت زعلانة منك بس خلاص ..انت بطلي .





فيتلقاها هذا الواقف بعيدا كصفعة على وجه غيرته ..

لو كان هذا شعور ابنتها ..فماذا عنها هي ؟!

يطرق برأسه وهو يشعر بكل ذرة في جسده تشتعل ..ثم تنطفئ !

أي جحيم هذا !

_بابا!

تهتف بها ريما وهي تتفلت من بين ذراعي نشوى لتركض إليه هو بسرعة فينحني ليحملها بين ذراعيه مخفياً صراعات ملامحه في شعر الصغيرة التي طوقته بكلا ذراعيها هاتفة بين دموعها:

_كنت عارفة إنك هتيجي وتاخدني في حضنك تاني ..انت بابا اللي عمره ما هيسيبني أبداٌ .

_أبداً ..أبداً ..





يكررها وهو يغرق وجهها بقبلاته قبل أن يعاود إخفاء وجهه في كتف الصغيرة كأنه يخفي معه كل انفعالاته ..

يزدرد ناصر ريقه بتأثر وهو يراقب الموقف بحرج ..

فيما تنهمر دموع نشوى وهي تجد خطواتها تنسحب نحو إسلام وصغيرتها ليحط ذراعاها أحدهما فوق كتفه والآخر على ظهر ابنتها ..

الرعب الذي عاشته طوال الدقائق الماضية يكفي عمراً بأكمله ..

لكنها لا تنكر لحظات السكينة التي غشيتها وهي تشعر بظله هو يحميها ..

لهفته الصادقة ..سرعة تصرفه لتدبير المبلغ المطلوب من علاء رغم أنه لم يكن يملكه ..غضبه من ذاك الوغد لأجلها ووعيده أن يلقنه درساً لو رآه ..




ربما شاء القدر أن يتصدر ناصر مشهد البطولة ـ كما عاشت عمرها قديماً تراه ـ

لكن قلبها الآن يدرك أن إسلام كان البطل الحقيقي هاهنا ..

ولو خفي دوره عن كل العيون فستظل صورته نقشاً على مقلتيها هي!

تنقطع أفكارها عندما يرفع إسلام وجهه أخيراً لتلتقي عيناهما للحظة واحدة ..

لكنها حملت مشاعر ألف دهر ..

الخوف الذي قرأته عيناها يجعل أناملها تتشبث بكتفه بقوة وهي تعض شفتيها كأنها تعتذر ..

لكنه في هذه اللحظة كان عاجزاً عن قراءة عينيها ..

وقد بدت له كطلسم جهل شفراته !





نظراته تتحول نحو ناصر الذي تقدم منهما بخطوات حاسمة ليتنحنح بخشونة وهو يستخرج الورقة من جيبه ليناولها لإسلام متحاشياً النظر لنشوى تماماً مع قوله مراعياً وجود ريما :

_ده تنازل عن حضانة البنت وما تقلقش ..اللي حصل مش هيتكرر تاني .

فيبتلع إسلام غصة حلقه وهو يهز رأسه بما يشبه الشكر عاجزاً عن فعل المزيد ..

لكن ناصر لم ينتظر ما هو أكثر بل انسحب بصمت ..

نظرات نشوى تلاحقه ..ونظرات إسلام تلاحقها هي !!

نظراتها تشيع رحيله بعينين متسعتين ..

وعيناه تصرخان بعينيها أن كفاني خذلاناٌ !

أنفاسها متلاحقة كأنما تعدو في سباق ..

وأنفاسه متجمدة حد الموت !





الدهشة ترسم أخاديدها فوق ملامحها ..

دهشة ..رآها هو انبهاراً!!

ولو قرأ ما في قلبها لأدرك أنها في هذه اللحظة بالذات كانت تشعر أنها ترى ناصر لأول مرة!

أجل ..لأول مرة ترى صورته خارج إطار"الوهم" القديم !

تراه كما هو ..

لا قديساً ولا شيطانا ..

لا فارساً ولا قرصاناً ..

لا بحراً ولا ناراً ..

بل هو هو ..

مجرد رجل يحمل من العيوب كما يحمل من الميزات ..

حتى ملامحه التي عاشت عمرها تراها أيقونة السحر الآن تراها باهتة ..

كصورة جميلة إنما ..ليست لها!





_عايزة أروح !

تقولها ريما قاطعة أفكارها لتلتفت نشوى نحوه لكنه كان يغض الطرف عنها مكتفياً بعناقه لابنتها وهو يسير بها ..

لهجته مرحة كعهدها لا تشي بهذا الصدع الذي يزداد تشققاً في جدار روحه ..

بينما كانت تسير هي كالمغيبة وصراع مشاعرها يزداد احتداماٌ ..

ترفع عينيها لأشرف الذي كان يسير جوارهما صامتاً فيرمقها بنظرة متوجسة مدركاً بحدسه أثر موقف كهذا على علاقتها بإسلام ..

بطلها القديم الذي طالما غزا أحلام "أنوثتها"عاد ليقتحم الصورة بمشهد لن تنساه "أمومتها" كذلك ..

فمن ذا القادر على المنافسة مع صورة كهذه ؟!

==========





_أنا آسف!

يقولها هيثم بوجع حقيقي حفر ملامحه وهو يجلس معها على الأريكة خارج الغرفة التي احتجزت فيها والدتها في المشفى منذ وصولها ..

لترد بحسرة متوجعة بين فيض دموعها :

_لو جرالها حاجة هنبقى خالصين !

يشهق بارتياع وكأن الفكرة لم تخطر بباله ليعتصر كفها في قبضته هاتفاً بانفعال:

_انتِ فاكرة إني كنت قاصد اللي قلته ؟! إزاي تفكري ..؟!

_مش هافكر ..خلاص ..ماعدتش هافكر ..اللي بيننا خلاص انتهى .

تقاطعه بها بحسم غريب على مشهدها الواهن الهش الذي اعتصر قلبه ليغمض عينيه بقوة عن صورتها ..وعليها !





_انت مش قاصد اللي قلته ..انت عارفني كويس وواثق فيّ ..بس انت عايز تصدق إني وحشة عشان تلاقي عذر إنك تسيبني ..وأنا مدياك بدل الواحد ألف!

تقولها عبر دموعها بيقين من تحفظ خلجاته كلها فيتمتم باسمها بعذاب :

_شهد !

لكنها تسحب كفها منه لتمسح دموعها قائلة :

_مش هدافع عن نفسي تاني ..مش هاقوللك عملت إيه وليه ..ولا حتى هافكرك باللي ما عملتوش ..

تقول عبارتها الأخيرة بنبرة ذات مغزى مدركة النار الحقيقية التي تشتعل لأجلها روحه ..

فيرفع إليها عينيه بالمزيد من التشتت لتردف بشبه ابتسامة :





_كنت عارفة اللي بيننا هيخلص أول ما تفتكر ..بس أنا اللي صممت أعيش الحلم للآخر ..غصب عني ..انت قربت مني بنفسك وشفت ..حياتي كلها مفيش فيها غيرك انت ..وهي!

تشير برأسها نحو الغرفة التي ترقد فيها أمها فيخفق قلبه بعنف وهو يدعو الله بكل ما أوتي من قوة أن تفيق المرأة من انتكاستها ..

لن يحتمل ذنباً كهذا!

لو كانت هي قد آذت أباه فقد كان يستحق عقابه ..

لكن هذه المرأة لا تستحق أن يصيبها سوء ..

لن يسامح نفسه لو نالها مكروه بسببه !

_روح انت استريح ..انت بقالك هنا معايا يومين ..كفاية كده .





تقول عبارتها الأخيرة بنبرة ذات مغزى لكنه يهز رأسه باعتراض قائلاً باستنكار مرير:

_يعني أكون السبب في المصيبة وما أبقاش جنبك كمان ؟!

ابتسامتها في هذه اللحظة بدت له كزهرة تنبت وسط الصخر!

كيف لم ينتبه طوال هذا الوقت لقوتها الدفينة كهذه ؟!

خاصة وهي تتحدث بهذه الطريقة بالغة الرقة ..بالغة الصلابة :

_هتعدي! زي كل حاجة وحشة شفتها هتعدي! هتقوم بالسلامة وتعرف الحقيقة وتسامحني ..وأنا هارجع لحياتي ..هاشوف شغل تاني بحبه ..هاخد الكورسات اللي كنت قلتلك عليها ..واحتمال آخدها ونسافر شوية عند أعمامي في الاسكندرية وممكن أنقل الجامعة هناك ..فرصة أشوف ناس جديدة وأماكن جديدة ..الحياة مش هتقف .





لم يشعر بهذه الدمعة الكبيرة التي تجمعت في طرف عينه إلا عندما هددت بالسقوط ..

حديثها عن الرحيل يمزق قلبه بسكين بارد ..

يكاد يستصرخها ألا تفعل ..

أن تبقى هنا جواره ولو بعيدة كفاه أن يطمئن عليها من بعيد ..

لكن صوت رنين هاتفه يحمل له ما بدا وكأنه رسالة من قدره ..

رنينه برقم أمه !

يجيب الاتصال ليخبرها باقتضاب أنه لن يعود اليوم أيضاً فيروعه هذا القلق المرتاب في صوتها ..

عيناه تتنقلان بعذاب حقيقي بين نظرات شهد التي تمزج رجاءها بتفهمها ..

وبين هاتفه حيث ترجوه أمه العودة ..

فيغمض عينيه بألم عاجزاً عن اتخاذ القرار !





_فاقت!

تهتف بها الممرضة تنتزعه من هوة تردده وهي تخرج من غرفة والدتها فتنتفض شهد مكانها لتهرع إليها ويفعل هو المثل بعدما يغلق الاتصال مع أمه بكلمات سريعة ..

_حمداً لله على سلامتك ..الحمد لله ..

تكررها شهد بحرارة وسط فيض دموعها وهي تنكب على كفها تقبله ..

فيما يقف هو مكانه يرمق المرأة بنظرات آسفة قبل أن يجلس جوارها على طرف الفراش لتلتفت نحوه قائلة بصوت مرتجف لاهث وبكلمات متلعثمة :

_اللي قلته ..بنتي.. فعلاً ؟!




_اهدي يا ماما ..هاقوللك كل حاجة والله ..بس اهدي ..

تهتف بها شهد برجاء لكن المرأة تشير لها بكف مرتجف قائلة بنفس الصوت الواهن :

_اخرجي وسيبيني معاه لوحدنا .

تنطق شهد برفض سريع راجٍ لكن المرأة تصر على ما تطلبه فترمق شهد هيثم بنظرة راجية قبل أن تتحرك لتغادر الغرفة ..

_احلف على كتاب ربنا إنك تقول الحق ..وماتخافش ..أنا كويسة..

تقولها المرأة بصوت مرتجف فيقسم لها كما طلبت قبل أن يتنهد بحرارة ثم يروي لها القصة التي تبرئ ابنتها كما عرفها كاملة بتفاصيلها ..




_حسين رجائي كان هو اللي ورا قتل سيدة ؟!

تقولها المرأة أخيراً بإدراك فيومئ لها هيثم برأسه بخزي لتغمغم بعدها بأسف:

_دلوقت بس افتكرت ..النظرة الغريبة في عينها لما عرفت عن موت سيدة ..الظابط اللي جه قابلها بعدها ..الليالي اللي كانت بتسهرها ودموعها ما بتنشفش .

فأطرق بوجهه بالمزيد من الخزي ليرد:

_أنا آسف على اللي قلته ..غصب عني انفعلت واتهمتها ظلم ..

_حبيتها؟!

تسأله المرأة مباشرة بعد صمت قصير ليصمت بدوره مكتفياً بإغماض عينيه فتتأوه هي بقوة قبل أن تشير للباب قائلة :

_اندهها يا ابني ..وامشي انت ..





_لا أنا هافضل معاكم لحد ما أطمن عليكم .

يقولها بإصرار لكن المرأة تبتسم له بمرارة قائلة :

_عمر الجرح والدوا ما يبقوا في نفس الإيد
يابني ..قصتكم خلصت قبل ما تبدأ ..يعلم ربي إني
اتمنيتك ليها من كتر ما حسيت إنها بتعزك..بس ما
يقدر على القدرة إلا ربنا ..روح لحالك
يابني ..روح لحالك .

كلمات المرأة على بساطتها تبدو وكأنها تقطع
الخيط الرفيع الأخير بينهما ..

فينهض من مكانه بتثاقل ليتحرك نحو الباب ..

يخرج لتتلقفه نظراتها الملهوفة مع هتافها:

_قلتلها إيه ؟!

_ما تخافيش ..قلت الحقيقة .

يقولها ببساطة مُرة وكأن الحقيقة في حد ذاتها لا
تخيف!

فأغمضت عينيها بقوة لتكتف ساعديها قائلة :




_هتمشي؟!

_هامشي !

يقولها بلهجة من أجبروه أن يسكب روحه على الأرصفة ويقف مشاهداً إراقتها ..

فتفتح عينيها لتقول له بتماسك مصطنع:

_يومين تلاتة كده وارجع بس خد حاجتك ..نكون رجعنا البيت .

تختم قولها بابتسامة بمذاق الدموع قبل أن تتحرك لتدخل الغرفة وتغلق بابها خلفها ..

فيشعر وكأنما ألف باب تغلقه روحه بينهما كذلك!

=======

على مكتبه في عمله يجلس ناصر يراقب الحائط بشرود ..

ذهنه متخبطٌ بأفكاره بين "العملية الجديدة" شديدة الخطورة في عمله ..وأحداث الأمس المثيرة المتعلقة بنشوى ..





يشعر ببعض الارتياح مزيحاً القليل من وزر شعوره بالذنب نحوها ونحو شقيقها صديقه ..

لكنه كذلك يشعر بالخزي والحرج من إسلام ..

لا بأس!

هو كان خطأه من البداية عندما وافق سها على هواها وسيتحمل توابعه على أي حال !

صوت طرقات خافتة على الباب يقاطع أفكاره فيلتفت نحوه لتتسع عيناه بصدمة وهو يميز الطارق ..

أو بالأدق ..الطارقة !

_نشوى ..اتفضلي!

يقولها وهو يقف مكانه بنبرته العملية التي لم تخفِ تحشرج صوته فاضحة صدمته بحضورها ..

وتوجسه من سبب هذه الزيارة !





فيما تقدمت هي بخطوات بطيئة وعيناها تنتقلان بثبات بين ملامحه التي تعرفها -أو التي ظنت أنها تعرفها - وبين اسمه المكتوب على اليافتة الذهبية فوق مكتبه ..

كأنها لا تصدق أنه هو ..هو!

تجلس على الكرسي أمام مكتبه فيجلس بدوره ليتنحنح قائلاً بنفس النبرة المتحفظة :

_خير؟!

سؤاله يكشف خفية عن تعجبه لزيارتها وتود لو تكشف له السبب الحقيقي ..

_أيقونة شخصيتك هي "الهروب" ..لازم تتعلمي تواجهي ..الوهم بيكبر لنا حاجات كتير بيخللينا نديها أكتر من حقها
بكتير ..الخوف ..الحب ..التقدير ..كل دي حاجات





لازم نتعامل معاها بميزان حساس جداً لأنها لو خدت أكبر من حجمها هتبلعنا واحنا مش حاسين .

تسمعها في ذهنها بصوت ياقوت في محادثة سابقة لهما فتزداد يقيناً بأهمية هذه المواجهة الآن بينها وبينه ..

لن تهرب ..ستواجه !

ستواجه "وهم الحب" الذي عاشت عمرها السابق ناسكة في محرابه ..

ستواجه "سيف الخذلان" الذي سقط على عنق كبريائها ..

ستواجه "شظايا انكسارها" التي أدمت روحها لسنوات وظنت جراحها لن تندمل ..

_شكراً .





تقولها بنبرة قوية غريبة عن خنوعها المعهود أمامه فتدهشه قليلاً لكنه يطرق بوجهه قائلاً بتحفظ :

_مفيش داعي للشكر ..بالعكس ..يمكن دي كانت فرصة أقدم اعتذار مناسب عن اللي حصل مني قبل كده .

ابتسامة واهنة تزداد قوة على شفتيها رويداً رويداً مع ردها :

_أنا مش بشكرك عشان رجعت ريما ..

يرفع إليها عينيه بتوجس متسائل لتردف بنبرة أقوى:

_أنا بشكرك عشان ما حضرتش الفرح ..عشان وقفت المهزلة دي قبل ما نكملها ..عشان من غير ما تقصد فوقتني من وهم خد من عمري سنين ..وعشان بسببك عرفت يعني إيه حب حقيقي ..




يرتجف صوتها في عبارتها الأخيرة فيدرك عمن تتحدث ..

ربما لهذا عاد يطرق برأسه وهو يشعر بطيف صديقه يقف بينهما فيما تستطرد هي بحرارة تتملك حروفها :

_حب يبني ما يهدش ..يسند ما يوقعش ..حب يطمن ما يخوفش ..حب تآمنه على بكره مش يهددك بامبارح ..حب ما تحسبوش أيام لا ! مواقف ! ..حب أستاهله ويستاهلني .

يعود ليرفع عينيه إليها بنظرة خلاص!

كأنما حرره هذا الصدق -الذي يبزغ بين حروفها كالشمس- من أغلال ذنبه القديم ..

_معاكي حق .يمكن خسرت صداقتي معاه بس شهادة حق ..إسلام راجل حقيقي ويستاهل كل كلمة قلتيها وزيادة ..





يقولها ببعض العاطفة التي تتخلل لأول مرة حديثه المتحفظ المعهود معها فتعاود النظر إليه شاعرة بالمزيد من الغرابة ..

كيف يمكن أن تكون هي هي نفس الملامح ..

نفس الشخص ..نفس الصوت ..

إنما هو بعيد ..بعيد جداً عن هذا "الصنم" الذي نصبه الوهم للحب في ساحات قلبها ؟!!

الآن تنزاح الغشاوة كاملة ..

تصفو الرؤية بعد طول تشوش ..

يدرك القلب حقاً أي شفرة كانت صحيحة لفك رموزه ..

وأي لحن كانت تشتهيه آذانه ..

فلا ضلال بعد ولا تشتت ..

وقد تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر!





تنهض من جلستها شاعرة بانتهاء غرض الزيارة تماماٌ كما أرادته ..

منذ عادت للبيت بالأمس وهي تشعر بروحها مهتزة ..مضطربة ..

ليست هي فحسب ..

إسلام كذلك ..رغم أنه قضى ليلته نائماً معها على نفس الفراش وبينهما ريما ..

لكنها كانت تشعر أن الصغيرة ليست فقط هي ما بينهما ..

بينهما رواسب الماضي العالقة التي آن لها الآن أن تسقط في القاع إذ لا مكان لها سواه تاركةً لهما نقاء السطح !

_أنا آسف.

صوته يستوقفها عند الباب فتغمض عينيها براحة ..





ربما يكون هذا الاعتذار هو آخر ما ينقصها كي تغلق هذه الصفحة للأبد ..

كي تتخلص من نقمتها على حبه و ..تسامح!

_الحب الأول ممكن يبقى وهم ..بس المشاعر اللي عاشها القلب فيه بكل طاقته وعنفوانه أكيد حقيقة ..ولو كان إكرام الميت دفنه ..فالأولى بالحب ده إننا نودعه بما يليق ..مش بلعنات وحقد وسوء ظن ..لكن بابتسامة وتنهيدة خلاص ورضا ..ويقين إن اللي اختاره القدر أفضل .

من جديد تسمعها بصوت ياقوت فتدمع عيناها موقنة أنها كانت على صواب ..

الآن فقط توقن بكل حواسها أنها كانت كذلك !

تغادر مكتبه شاعرة بطاقة هادرة تتفجر في شرايينها ..





برغبة عارمة في العدو ..في الضحك ..في الصراخ ..

تحس وكأن بداخلها مارداً طال حبسه في قمقمه وآن له أن يتحرر ..

تبتسم مغمضة عينيها وهي تستحضر ملامح إسلام شاعرة بطوفان مشاعر يكتسح أنوثتها ..

أنوثتها التي تعترف الآن أن لم يجد العزف على أوتارها مثله ..

تفتح عينيها أخيراً وابتسامتها تتحول لضحكة مكتومة متذكرة واحداً من تعليقاته الوقحة ..

لكن ضحكتها تتجمد على شفتيها وهي تراه -حقيقة- واقفاً أمامها ..

والغضب الهائج في عينيه لا يحتاج لتأويل !

=======

_إسلام!

تهتف بها وهي تتشبث بكفها في ساعده بارتباك محاولة تبرير وجودها هنا لكنه لا يمنحها الفرصة





وهو يحرر ذراعه منها ليعطيها ظهره مبتعداً بخطوات شبه راكضة ...

السواد الذي ملأ عينيه في هذه اللحظة كان أكبر من أن يتجاهله !

منذ توجه لمكتبها في المصنع منذ قليل ليجده خالياً منها وهو يشعر بالنار التي تكوي صدره تمنحه الجواب المنطقي لسؤاله أين يمكن أن تكون ..

لكنه لم يتوقع أن يكون الجواب قاسياً هذا الحد ..

يراها بعينيه وهي تغادر مكتبه ..

ملامحها التي طالما اتشحت بعبوسها صارت تبتسم وتضحك!

هل كان مخطئاً من البداية في خوض حرب لم تكن له ؟!

يصل لسيارته فيستقلها لينطلق بها بسرعة فيراها عبر المرآة واقفة مكانها خلفه وملامحها تصرخ بالذنب ..





لكن هذا لم يشفع !

صورتها في المرآة تبتعد وتبتعد فيود لو يملك ذات الأثر في قلبه ..

لو يتلاشى هذا الحب الذي لم يجنِ منه سوى الخذلان !

لكن ما الذي كان يتوقعه بعد موقف الأمس؟!

"البطل" أنقذ طفلتها وأصلح بموقف واحد خطايا ماضيه كلها ..

لم تكن تحتاج منه سوى موقف بسيط كهذا كي تنسى ..

وهو؟!

هو كيف ينسى؟!

كيف ينسى عذاباته بها ولها طوال تلك الأيام السابقة ؟!

هكذا ؟!

صار كل ما منحه لها مجرد رماد تذروه الرياح؟!





يسمع هاتفه يرن باسمها لكنه يغلقه في وجهها مراراٌ ..

لم يعد يريد سماع المزيد من الأعذار ..

هو اكتفى من هذه الحرب الخاسرة !

لن يريق دماء كبريائه أكثر!

عشرات المحاولات منها لكن رده لم يتغير ..

كان يمكنه إغلاق الهاتف ببساطة لكن جزءاً بداخله كان لايزال يأنس بمحاولاتها التي توقفت أخيراٌ بعد ساعات كان الليل فيها قد أسدل ستره على المرئيات ..

يشعر بتنميل في ساقه بعد القيادة طوال هذه الساعات لكنه لم يكن يريد التوقف ..

هو فقط يريد النسيان ..التشاغل ..

فكر في الاتصال بياقوت لكنه كره شعوره بالخزي أمامها ..





يكفيه شعوره بهذا أمام نفسه !!

الخاطر الأخير يزكي المزيد من غضبه فيخبط بكفه على المقود للحظات قبل أن يعقد حاجبيه بقوة متخذاً قراره ..

المرأة لا تُنسى إلا بامرأة سواها ..

مرحباٌ بالعودة للضلال القديم !

الخاطر الأخير يحشوه رغبة فائرة تتدفق في عروقه فيتناول هاتفه ليتصل برقم ما وما كاد يسمع صوت صاحبه القديم حتى هتف بمرح مصطنع:

_إزيك يا "..." ..معلش مقصر معاك من يوم ما رجعت مصر بس أكيد سمعت عن المصايب اللي بترف فوق دماغي ..لكن الصراحة وحشتني أيام الشقاوة ..ظبطلنا ليلة حلوة كده على ذوقك ..ساعتين زمن وأكون عندك !

========





الواحدة بعد منتصف الليل ..

أمام الشقة التي ابتاعها لياقوت والخالية الآن منها بعد ذهابها للقرية يقف أمام الباب الذي استند عليه جبينه بإرهاق كأنه لا يملك المزيد من القوة ليولج المفتاح فيه ويدخل !

اليوم كان عاصفاً بحق على رجل مثله لم يكد يلتقط أنفاسه من صراع طويل تحمّله بصبر ظهر في ملامحه الهزلية وإن ظل باطنه يصرخ بعكس كل هذا ..

والآن فقط يود لو ينسى كل شيئ ..

لو يغمض عينيه فلا يرى وزر كتفيه بل يستسلم للسقوط ..

يزفر بقوة وهو يبتعد قليلاً ليفتح الباب لكنه يشعر بظل خلفه يجعله يلتفت ..

إنها هي!

تجلس على الدرج المؤدي للطابق العلوي ورأسها المستسلم للنوم يستند على الجدار البارد ..





ينعقد حاجباه وهو يبتلع غصة حلقه ليتوجه نحوها ..

شفتاها شاحبتان ترتجفان بشدة في نومها الاضطراري هذا ..

يمد كفه برفق ليخزها في كتفها فتنتفض شاهقة مكانها لتهتف به بانفعال :

_كنت فين ؟!

لكنه لم يجب سؤالها وهو يشيح بوجهه عنها قائلاً ببرود قاس:

_انت هنا من امتى؟!

_من ساعة ما سبتني ..قلت أكيد مش هترجع بيتنا وهتيجي في الآخر مهما لفيت .

تقولها ببعض الخزي الممتزج بانفعالها فيعطيها ظهره قائلاً بنفس البرود القاسي:

_امشي دلوقت عشان مش هابقى مسئول عن أي حاجة أقولها أو اعملها .





ورغم رنة التهديد التي تسمعها منه لأول مرة بهذا العنف لكنها تحركت لتقف قبالته ..

نظراتها تقابل نظراته بقوة بعيدة تماماً عن خوفها القديم ..

_حقك تقول وتعمل اللي انت عايزه بس اسمعني الأول .

_مش عايز أسمع منك حاجة ..سمعت وشفت بما فيه الكفاية .

بروده يختلط الآن بالمرارة التي غرست نصلها في قلبها هي لتحيط ساعديه بقبضتيها بقوة قائلة بإصرار:

_هتسمعني ..وهتصدقني .

ورغم مسحة الإعجاب العابرة التي طوقت نظراته بهذه القوة النابضة في كلماتها لكن البرود عاد يكسو عينيه وهو يتحرك ليفتح باب الشقة فيدخل وتدخل هي خلفه لتغلقه خلفها ..





_أنا غلطت عشان رحت من غير ما أقوللك ..بس أنا وقتها مافكرتش غير في حاجة واحدة بس ..

تقولها بنفس النبرة القوية فيلتفت نحوها بوجه متجهم واختلاج عضلة فكه تفضح كظمه لغضبه ..

_طول عمرك معاه مابتفكريش غير في حاجة واحدة بس!

بروده المشتعل يبدو كصفعة على وجهها وخاصة بهذه الكلمات ..

فتدمع عيناها رغماً عنها وهي تتقدم نحوه ببطء ..

وبمزيج غريب من وهن وقوة تأتي حروفها مشبعة بانفعالها :

_يمكن قبل النهارده كانت حاجة مختلفة ..لكن اللي خلاني أروح المرة دي إن الصفحة دي كان لازم تتقفل ..كان لازم أشوفه بحجمه الحقيقي بعدما الأيام أثبتت لي إني كنت مغفلة ..كنت عايزة لأول مرة في حياتي أواجهه وأنا حاسة إني مش ضعيفة وفاقدة الثقة في نفسي ..بالعكس ..عندي القوة إني





أروح لحد عنده وأشكره ..أحسسه إنه رجع غريب زي ما كان ..وزي ما المفروض يفضل ..

دموعها خانتها في حروفها الأخيرة لتسيل على وجنتيها فيزداد انعقاد حاجبيه وهو يرمقها بنظرة عميقة غامضة ..

والصمت الثقيل يفرض نفسه بينهما بعدها لدقيقة كاملة ..

_أول مرة تشوفني بعيط وما تمسحش دموعي ..

تقولها بعتاب واهن وهي تكتف ساعديها بينما عيناها تغرسان رجاءاتها في حدقتيه ..

لكن صوته لايزال يصلها بارداً متباعداٌ :

_عشان ماعدتش واثق إني لوحدي كفاية .

تغمض عينيها للحظة متمالكة قوتها ثم تفض اشتباك ساعديها لتستخرج من جيبها ما رفعته أمام عينيه ..

دبلة فضية !





هذه التي ألبسته إياها ثم احتضنت كفه براحتيها قبل أن ترفع إليه عينيها بنظرات قوية هادرة ناسبت اعترافها الذي جاء أخيراً:

_أنا بحبك .

تهمس بها صادقة حارة قبل أن تطبع شفتاها هديتهما الناعمة فوق شفتيه لكنها تفاجأ ببرودته !

نظرته الغامضة لم تتغير ..كذا ملامحه التي بدت وكأنها قدت من صخر !

ترتد للخلف مصدومة للحظة ثم تمسح وجهها بكفيها شاعرة بالخيبة ..

لكنها تتقبلها بعمق شعورها بأنها يجب أن تحتمل..

كما سبق واحتملها هو!

_أول مرة ما تلمسيهاش.

يقولها بنفس البرود الغريب عنه مشيراً لشامة عنقه فتهز رأسها لتهتف بنبرتها القوية:

_عشان مابقيتش محتاجة ألمسها ..مابقيتش محتاجة دليل إني مش شايفة غيرك ..الصورة





المهزوزة وضحت خلاص ..مابقاش فيها إلا انت وبس ..انت ..آه ..

تنقطع عبارتها بآهة خافتة وهي تفاجأ به يسحبها بقوة نحوه ليعتصرها بين ذراعيه ..

بروده القاسي يذوب وينصهر فوق نيران شفتيها مانحاً إياها عفوه قبل عاطفته ..

يدرك أنها لن تعترف اعترافاً كهذا إلا لو كانت تعني كل كلمة ..بل كل حرف فيه ..

اعترافها الذي بدا له وكأنه بعث بعد عدم !!

قبلاته تترنح على بشرتها بما يبدو كهذيان عاشق لا يكاد يصدق هذا النعيم الذي فتح له ذراعيه !

يشعر بمذاق دموعها يكدر مذاق قبلاته فيرفع وجهه ليمسحها بأنامل مرتجفة ..

همسها الحار يخترق صدره كسهام من نار :

_اوعى تبطل تعملها ..اوعى ..خلليني طول عمري واثقة إني مهما الدنيا خذلتني هلاقي حضنك أوسع منها ..هلاقيك بتمسح دموعي وبترسم بدالها ضحكة ..ضحكة ماعرفتهاش من قلبي غير معاك .





_الحمد لله ..الحمد لله ..

يهمس بها فجأة مغمضاً عينيه بقوة وهو يغرس رأسها على صدره فتروعها دقات قلبه الهادرة بعنف تحت أذنيها ..

بينما يصلها صوته مرتجفاً بانفعاله :

_عارفة كنت فين قبل ما آجي هنا ؟!

السؤال الحذر يسطع في عينيها فيزدرد ريقه ليعاود إغماض عينيه مخبراً إياها عن مكالمته لصديقه وعما كان ينتويه ..

تشهق بارتياع لتتراجع عنه هامسة :

_خنتني؟!

_ما قدرتش !

لم يتعدّ الفاصل بين سؤالها وجوابه ثانية واحدة كأنه نطقها في نفس اللحظة ..

كأنه خشي أن تلوث مجرد الفكرة عقلها ولو لهذا النذر اليسير !!




C i n n a b o n

_رجلي اتسمرت قدام شقته ما قدرتش حتى أرن الجرس ..افتكرت إن إسلام القديم اللي اتولد من جديد ماعادش ينفع يرجع ..بيكِ أو من غيرك مش هاخسر نفسي تاني .

ورغم الفظاظة النسبية للعبارة الأخيرة لكنها رفعته في نظرها أكثر لتشتعل عيناها بوهج عاطفتها أكثر وأكثر ..

فتبتسم فجأة وهي تحيط وجنتيه براحتيها هامسة :

_الظاهر إني نشرت عدوى "الدبش"! مش المفروض في المواقف اللي زي دي تقوللي إنك شفت صورتي وحسيت إنك ما ينفعش تكون لستّ غيري وكلام في السكة دي يعني !

فيضحك ضحكة قصيرة قبل أن يغمزها هامساٌ :

_طب بمناسبة السكة دي يعني ..الشقة دي مش بتفكرك بحاجة !

تصدر همهمة قصيرة وهي تهمس بشرود عبر ابتسامتها:

_ليلة فرحنا .





_بالظبط! عليكِ ليا ليلة هنا ..وأنا رخم وعايزك تسددي ديونك دلوقت!

يقولها ثم ينحني ليحملها فجأة فتتشبث عفوياً بذراعيها في عنقه هاتفة باعتراض مستنكر:

_نزلني ..مش هتعرف تشيلني ..هنقع سوا ..هيجيلك انزلاق غضروفي ..آه ..

تمتزج تأوهاتها بضحكاتها القصيرة وهي تراه يتجاهل كلماتها ليتحرك حاملاً إياها نحو الغرفة المجاورة ..

ثم يضعها برفق على الفراش ليستقيم ممسكاً بظهره هاتفاً:

_عيب يا عسل ..لن نقبل التشكيك في قدراتنا بأي صورة ..سنعتبرها إهانة تستوجب الرد اللائق .

تبتسم وهي تتلفت حولها مستعيدة ذكرياتها البائسة في هذه الغرفة التي شهدت انكسارها ليلة زفافهما الكارثية ..




لكنها تعاود الالتفات نحوه بنظرة عاشقة ليجلس جوارها على طرف الفراش وعيناه تناظران عينيها بفيض عاطفته الآسر ..

_إسلام ..بلاش هنا ..خللينا نروح شقتنا أحسن !

تهمس بها برجاء فتتعجب من هذه الشعلة التي توهجت في عينيه فجأة والتي ناقضت العبث المتنامي في صوته بينما سبابته تشير لشفتيها:

_عارفة قبل "إسلام" اللي بتقوليها أول مرة دي كان ممكن أوافق ! بس دلوقت ..

يقطع عبارته فجأة فترمقه بنظرة متوجسة وهي تشعر بخلاياها كلها تتقافز ترقباً ..

قبل أن تنطلق ضحكتها المتفاجئة وهي تراه يميل عليها فجأة فيزيح عنها وشاحها ثم يغمزها هاتفاً:

_على بركة الله !

ضحكاتها التي يشعر بها لأول مرة منطلقة هذا الحد تصيب قلبه بدوار لذيذ يفقد معه كل ذرة من تعقله ..

يغيبها ويغيب معها في طوفان اكتسحهما معاً ..





اسمه ينبعث من بين شفتيها ك"ترنيمة خلاص"
يتلوها قلب ملّ طول سجنه في منفى ..والآن يجد له وطناً ..

فيردها لها قلبه بهذا اللحن الخاص ..الخاص جداً
الذي لم يعرفه إلا معها ..

اللحن الذي هدأ أخيراً وأنامله تتلمس وجهها بحنان ناقض العبث الشغوف في حروفه :

_كنت مراهن نفسي وكسبت الرهان .

_على إيه ؟!

تهمس بها بوجنتين محمرتين خجلاً وهي تظن نفسها تعرف الجواب لكنه فاجأها بقوله :

_إن "التين الشوكي" ألذ من كل البرقوق اللي دقته في حياتي .

فتتسع عيناها للحظة قبل أن تفهم ما يعنيه فتعقد حاجبيها لتقرص وجنته بقوة مؤلمة ناسبت الوعيد في عبارتها :

_طيب ..هاقوللك نصيحة أخلص بها ذمتي من ربنا عشان نبقى على نور من أولها ..لو جبت سيرة





البرقوق ..لأ! لو لمّحت بس بسيرة برقوقة واحدة بعد كده ..قول على نفسك يا رحمن يا رحيم !

يتأوه بمبالغة وهو يحك وجنته بعدما تركتها هاتفاً :

_ربنا ع المفتري .

تبتسم وسط نظراتها المتوعدة القوية فتبدو له كأشهى مرة رآها فيها ..

عيناها الصافيتان خاليتان من شوائب الجرح القديم فلا تترقرقان إلا بالحب ..

وجنتاها مشتعلتان بخجل يوقن أنه خير من يشعل أحطابه ..

شفتاها صامتتان إنما صارختان بهذه العاطفة التي صار يدرك كم هو لذيذ قطافها ..

وأنفاسها دافئة متدثرة بعاطفة لا تعرف البرد ..

باختصار ..

هي جنة تقولبت في امرأة !

_أحبك وانت شرِس!





يغمزها بها بنبرته العابثة قبل أن يطوقها بين ذراعيه فتتنهد بحرارة هامسة :

_وأنا بحبك على بعضك كده يا هندسة !

مزاحها المفاجئ بعفويته يبدو غريباً على أذنيه فيرفع حاجبيه بدهشة هامساً:

_هاللا هاللا ! مش مصدق وشك الجديد ده ..مش واكل معايا ..قومي يا بنتي شوفيلنا دبشتين من بتوع زمان .

تضحك ضحكة عالية وهي تدفن وجهها في كتفه فيضمها إليه بقوة أكبر ..

قبل أن يبتسم ليقول بحنان جاد :

_عايز أنا كمان ألبسك دبلتي..بس لما أعمللك فرح !

_فرح؟!

تهمس بها باستنكار تشوبه الكثير من اللهفة التي لم تستطع إخفاءها ..

فيتلمس وجنتيها الممتلئتين بأنامله هامساٌ :





_عاهدت نفسي أعملها من يوم فرح سيف ..مش هانسى نظرتك يومها ..كنت بس مستني أحس إنك فعلاً عايزة تكمللي معايا ..

ثم صمت لحظة ليقبل جبينها بعمق مردفاً:

_المرة دي هتلبسي الفستان الأبيض وانتِ فرحانة .

لم تستطع منع دموع انفعالها وهي تخفي وجهها في كتفه فربت على ظهرها برفق متفهما فورة مشاعرها ..

قبل أن يطبع على عنقها قبلة ناعمة ناسبت همسه :

_أنا كمان عايز الدنيا كلها تشهد على فرحتي بيكِ .

_بس إزاي؟! ما ينفعش .

تغمغم بها باعتراض وهي ترفع إليه عينيها أخيراً فيرد بابتسامة حانية وهو يمسح بقايا دموعها :

_لا ينفع !..الفرح هيبقى لحبايبنا القريبين منا بس ..ماما واخواتي وعمو علاء وفرصة نلحق سيف قبل السفر ..وأكيد أشرف وعيلة رانيا .




_هابقى مكسوفة قوي يا إسلام !

تتسع ابتسامته مع هذا الخجل المستنكر الذي لون اسمه بين شفتيها فتلمسهما بشغف هامساً :

_هتبقي عسل يا عسل!

عيناها تفيضان بهذا العشق الغامر الذي اكتسحه هادراٌ ليعاود ضمها بين ذراعيه منذراً بمعركة عاطفية جديدة قبل أن يتذكر ما يجعله يسألها بقلق:

_فين ريما؟!

لهفته القلقة تمسها بصدقها فتتيقن من صدق شعوره لتجيبه بابتسامة ممتنة :

_هتبات مع رانيا النهارده .

فيبتسم مطمئناً قبل أن يغزو العبث صوته من جديد :

_حلو قوي كده اطمنا ..قوليلي بقا احنا كنا وقفنا فين كده ..فكريني !





تضحك ضحكة قصيرة وهي تعد نفسها لتلقي المزيد من عطايا عشقه التي ترفعها ملكة فوق عرش لم تحلم بمثله يوماً ..

جميلٌ هو الحب الذي يرمم صدع روحنا بهذه البراعة فيعيد جدارها صلداً لامعاً كما كان ..

مهيبٌ هو الصرح الذي تبنيه عقولنا قبل قلوبنا لأناس يستحقون تشييده ..

لذيذٌ هو مذاق العِوض بعد طول مرارة الحرمان ..

وعظيمٌ هو القدر الذي يرضينا متى رضينا به !

=======





القطعة الحادية والثلاثون

======

_الجو برد عليكِ هنا يا ستي .

تهتف بها ياقوت بجزع وقد صعدت الدرج المؤدي إلى السطح لتفاجأ بثمر هناك جالسة على الأرض وقد أمسكت مسبحتها ..

فتلتفت الأخيرة نحوها بابتسامة راضية ناسبت قولها:

_الدفا دفا القلوب يا بنت قلبي ..تعالي .

تقولها وهي تفتح لها ذراعيها فتضحك ياقوت ضحكة رائقة لم تعرفها منذ زمن بعيد لتهرع إليها فتتوسد حجرها مستلقية على

الأرض ثم تنظر للقمر الذي استدار كاملاً في وضع البدر قائلة :

_معاكِ حق يا ستنا ..الدفا دفا القلوب فعلاً .




ترمقها ثمر بنظرة متفحصة ثم تزيح غطاء رأسها الذي تعمدت به ياقوت إخفاء أذنيها لتسطع لمعة الياقوت الأحمر في هذه الظلمة فتغمغم ثمر بغموض ماكر:

_رجعتِ لبستيه !

ترفع إليها ياقوت عينين مغشيتين بعاطفتها ثم تسبل جفنيها بخجل يكفيها الرد ..

من ذا الذي يحتاج للكلام في حضرة ثمر التي تكشف عيناها خفايا القلوب؟!

تماماً كما فعلت الآن وهي تمسد على شعر ياقوت لتقول بيقين خبير:

_من يوم ما شفته في ودنك أول مرة وأنا قلت ده صوت قلبك اللي دق ليه ..عشان كده لما شفتك





قالعاه قلت ابن الأكابر عمل حاجة وجعتك قوي ..بس لقيته جاي على

ملا وشه يطلبك مني ..قلت أقرص ودنه عشان ما يكررهاش ..لكن الظاهر إنه راضاكِ ..عمل إيه ؟!

تنهدت ياقوت بحرارة وهي تشعر بوخز الذنب من إخفائها بعض الحقيقة لكنها استمعت لنصيحة إسلام فتخيرت كلماتها بحذر:

_قابل سامر !

_كنت عارفة إنه هيعملها ..النظرة اللي كانت في عينه يومها قالت إنه هيهد الدنيا لحد ما يوصللك ..المهم طمنيني ..آذي الجدع؟!

تسألها بقلق لتبتسم ياقوت وهي تهز رأسها نفياً مجيبة :

_لا ! هو بس قالله إنه هو عايز يخطبني وإني تقريباٌ موافقة ..وبعدها كلم إسلام وطلب إيدي منه .




ضاقت عينا ثمر بتفحص مع سؤالها:

_وأخوكِ قالله إيه ؟!

عادت ياقوت تمط شفتيها وهي تتلو لها نصاً ما قاله إسلام لتلتمع عينا ثمر بترقب ..

_وهو وافق؟!

أومأت ياقوت برأسها إيجاباً لترفع ثمر عينيها للسماء للحظات شعرت بها ياقوت كدهر خاصة مع قول ثمر بعدها:

_أهه ده كان امتحانه التاني .

_ونجح فيه يا ستي؟!

تسألها بوجل لتصمت ثمر بعدها قليلاً قبل أن ترد بشرود :

_مش هاخبي عليكِ يا بنت قلبي ..من يوم ما شفته وأنا خايفة أظلمه وأشوف فيه صورة حسين ..لكن كل مرة بلاقيه يأكد ظني إنه فعلاً مش كل صوابعنا شبه بعضيها ..يعلم ربي إني ماكنتش أتمنى ليك واحد زيه في فلوسه وجاهه ..كنت مستكفية بحد





يحبك لطبعك وتحبيه لطبعه..لكن ربنا سبحانه وتعالى شاء إنه يجمع حلمي وحلمك سوا ..

_يعني راضية عنه يا ستي؟!

تهتف بها ياقوت وهي تنتفض مكانها بلهفة لتضحك ثمر عبر أسنانها المكسورة قائلة بمكر العجائز:

_هاعمل إيه ماهو واقف حالك ؟!..كل ما هيتقدم لك حد هيروح ويعمل معاه زي ما عمل مع زميلك إياه .

تضحك ياقوت ضحكة عالية أطلقها قلبها قبل شفتيها وهي تشعر بفخر حقيقي جعل عينيها تدمعان وهي تميل عليها لتحتضنها بقوة هاتفة بصوت أرجفه انفعاله :





_والله العظيم ..ويشهد عليا ربنا ..ما كنت بحلم غير باللحظة دي ..حد يرفع راسي قدامك ..ويرفع راسنا سوا قدام الناس .

دموعها تخونها في كلماتها الأخيرة فتربت ثمر على ظهرها ثم تبعدها لتحتضن وجهها بين كفيها المرتجفين قائلة بنفس اليقين الخبير:

_واحد زيه لما يصبر على قولة لأ لما تيجي في وشه مرتين يبقى معناها إن اللي في قلبه أكبر من غرور فاني ..بس أخوكِ معاه حق ..سيبي الأيام تغربل شوية الحصى اللي فاضل ..ماضيه مش هين ..والشيطان بيجري من ابن آدم مجرى الدم ..واللي بييجي رخيص بيروح ببلاش ..لكن اللي بنشقى عشان نوصلله بيفضل طول العمر فوق الراس .

تهز ياقوت رأسها موافقة وهي تعود لاحتضانها بقوة فتبتسم ثمر برضا وهي تطالع السماء من جديد بدعاء صامت ..





_سايبينني تحت بغسل الصحون وقاعدين هنا؟!
الأحضان والدموع دي يعني عريس ..صح ؟! قولوا صح والنبي يمكن ينوبني م الحب جانب .

هتاف رابحة العالي يقاطع المشهد فتضحك كلتاهما لتهتف ثمر باستنكار حنون:

_يا مطيورة فكري في حاجة غير الجواز اللي واكل مخك ده ..لا حول ولا قوة إل

ا بالله ..وبعدين قلتلك ستين مرة ماتحلفيش غير باللي خلقك .

فتضحك رابحة وهي تندفع نحوهما لتتربع جالسة هاتفة بلهفتها المعهودة :

_وهي الست ليها غير الجواز؟!

_الست! الست يا مطيورة مش اللي لسة

طالعة م البيضة أول امبارح.





تهتف بها ياقوت بغيظ مرح وهي تقرص وجنة الفتاة التي تأوهت لتهتف مشاكسة :

_ما أنا مش هاستنى أوصل سنك ..ذنبي إيه أصبر كل ده ؟!

_تصبري؟! تصبري يا قليلة الحيا ؟!

تعاود بها ياقوت قرصها بمرح لتضحك ثمر قائلة :

_شوفوا البت ! بنات آخر زمن صحيح!

يتشاركن الضحك للحظات قبل أن يعلو صوت الأذان فيصمتن ليرددنه سراً قبل أن تسند ياقوت ثمر لتساعدها في الوقوف بينما الأخيرة تقول بنبرة تخللها بعض القلق:

_هاصللي الفرض وأدعي لأختك ..معرفش قلبي واكلني عليها ليه .

_ما تقلقيش يا ستي ..كلمتها أنا وإسلام ومبسوطة قوي .





_ماجابتش سيرة حماتها؟!

تسأل ثمر وهي تتوجه نحو الدرج لترد ياقوت :

_لأ ..بس صوتها كان هادي .

تومئ ثمر برأسها بحركة رتيبة قبل أن تتركهما لتهبط الدرج فتعود ياقوت نحو رابحة التي كانت منهمكة تماماً في النظر لشاشة هاتفها ..

تختطفه منها فجأة لتطالع ما فيه فتشهق رابحة وهي تغطي وجهها بخجل ..

بينما تتسع عينا ياقوت بصدمة وهي تراقب "الجروب" الذي انضمت إليه الفتاة باسمه الصاعق ..

"كيف تشقطين ذكراً"!!!!!!!

_تشقطين ذكراً؟!!! تشقطين!!! يخرب بيتك!!

تهتف بها ياقوت باستنكار فتضم الفتاة كفيها معاً في وضع التوسل هامسة:




_وطي صوتك يا دكتورة .

_وش كسوف قوي يا بنت!

_والله العظيم ما عملت حاجة ..أنا دخلت بس قلت أستفيد .

_تستفيدي من إيه ؟! هتجلطيني!

تهتف بها ياقوت بنفس الاستنكار لكنها تحكم عقلها محاولة مجاراة الفتاة في سنها الحرج هذا الذي يواجه خطورة التكنولوجيا وقد فتحته على مجالات انحراف فكري مغايرة لجيلها هي الذي كان أكثر تحفظاً ..

_دول شوية ولاد وبنات بيتكلموا في أي حوارات ..قلت أشوف الجو من بعيد ..وبحساب وهمي محدش عارفه ..كله في السليم وربنا !

تهتف بها رابحة برجاء لتكظم ياقوت غيظها وهي تسحبها من كفها نحو الأسفل لتلحقا بثمر ..





_هنصلي جماعة مع ستي وبعدها تحكيلي بالنص اللي بيحصل فيه ..ولو كدبتي هاعرف وهاخللي أمك تعلقك !

تقولها ياقوت بصرامة فتومئ الفتاة برأسها موافقة لتمزج الأولى شدتها باللين مردفة:

_بس لو صارحتيني بكل حاجة وماخبيتيش هساعدك في كل حاجة تطلبيها ..ونفضل أصحاب زي ما احنا .

تبتسم الفتاة بسذاجة كاشفة عن قلبها الطيب لتتنهد ياقوت وهي تعاود مناولتها هاتفها لكنها تفاجأ بأيقونة لملف خارجي سمي ب..

"الكراش حُبعمري"!!!

هكذا دون فاصل بين الكلمتين الأخيرتين !

_يا لهوي ! وده مين ده كمان ؟!





تهتف بها ياقوت وهي تفتح الملف لتفاجأ بعدة صور ل"الصالح"!

_لا يا ست ياقوت ..ده حب بريئ والله ..بشوف صوره وأطمن عليه من بعيد لبعيد بس..وطي صوتك أحسن حد يسمع!

تهمس بها رابحة بحرج وهي تتلفت حولها لتخبطها ياقوت على مؤخرة رأسها هاتفة :

_والفضيحة اللي انتِ عاملاها ع الموبايل دي ! ده انتِ ناقص تكتبي اسمه على قفاكِ!

_كتبته في قلبي!

تهمس بها بهيام مبالغ فيه وهي تضم كفيها لصدرها فتبتسم ياقوت رغماً عنها وهي تشيح بوجهها متمتمة:

_هبلة ومسكوها طبلة صحيح!





ثم تعود لتهتف بالفتاة باستنكار:

_مش خايفة التليفون يقعِ في إيد أبوكِ واللا أمك ؟!

_مالهمش فيه ! دول بيردوا بالعافية ع المكالمات ..وبعدين أنا عاملة كلمة سر !

تهتف بها الفتاة بفخر ساذج لتمط ياقوت شفتيها يمنة ويسرة عدة مرات بسرعة بهذه الحركة الشهيرة ...

ثم تشد الفتاة من أذنها وقد وصلتا لنهاية الدرج هامسة بنبرة محذرة :

_نصلي كده ونقعد قعدة حلوة ..تحكيلي اللي عندك وتسمعي كلامي .

فتهز الفتاة رأسها بحماس قائلة :

_وربنا المعبود كنت هاعمل كده من غير حاجة ..عايزاكي تفيديني بخبرتك ..بيقولوا الدكاترة




النفسيين دول ولا اللي مخاويين ..بيعرفوا المستور ويقربوا البعيد.. ويجلبوا الحبيب .

تقول عبارتها الأخيرة بهيام مبالغ فيه لتعاود ياقوت خبطها على مؤخرة رأسها قائلة بغيظ :

_لا يا حبيبتي دول بتوع الجلا جلا ! لكن احنا بنلبّس الجلابية البيضا بالمشقلب وبنحدف ع العباسية ..عارفاها ؟!

تضحك الفتاة ضحكة عالية وهي تتمسح في ذراع ياقوت كهريرة صغيرة قائلة :

_شربات يا زينة الدكاترة !

_الصلاة يا بنات!

تهتف بها ثمر من غرفتها فتهرع رابحة بحركتها الطائشة المعهودة لتلحق بالعجوز فيما تتسمر ياقوت مكانها للحظات ترقبها بغيظ هامسة :

_جيل عايز إعادة تأهيل وربنا ! تشقطين ذكراً! وجايالي أنا أفيدها ! نشنت ونشانها رشق !





=========

_هو عامل إيه ؟!

يسألها زين بقلق وهو يقف أمامها في صالة بيتهما لترد همسة بخفوت مشيرة للغرفة الجانبية :

_ياقوت معاه دلوقت ..زياراتها بتفرق قوي ..بس هو كالعادة كتوم ..مش راضي يتكلم معاها .

تقولها لتصمت لحظة قبل أن تسند رأسها على صدره لتهمس بين دموعها :

_خايفة أضعف يا زين ..خايفة ما أقدرش أسنده زي ما سندني .

فيزدرد ريقه بتوتر ورغم أنه كان يشاركها نفس الخوف لكنه اختار مساندتها في قرارها ليربت على ظهرها قائلاً بحسم:

_انتِ فاجئتينا كلنا بالقوة اللي جواكِ ..من سنة واحدة بس لو كان حد قاللي آنك هتوصلي للمرحلة





دي كنت قلت زمن المعجزات انتهى ..عشان كده واثق فيكِ ..ما تخافيش ..أنا معاكم ..رائد بس محتاج وقت ..ومحتاجك ..أكيد مش هتخذليه زي ما هو ما خذلكيش .

دفنت وجهها في صدره قليلاً ليشعر بذراعيها يشتدان حول خصره كأنما تستمد منه قوتها قبل أن ترفع إليه وجهاً باسماُ لتسأله بحزن ملائكي:

_انت شايف إن أنا السبب؟! أنا اللي قتلتها ؟!

والجواب يأتيها من خلفها بصوت ياقوت التي خرجت لتوها لتهمس لها بخفوت مخافة أن يسمعها رائد بالداخل:

_حقدها اللي قتلها ..وهم الماضي اللي سلمت له رقبتها لآخر لحظة ..فرحتكم مش ذنب المفروض تتحاسبوا عليه ..صدقي كده يا همسة عشان تخللي رائد كمان يصدق .





تلتفت نحوها همسة لتسطع عيناها بنظرة امتنان واثقة لتسألها بلهفة:

_وافق يحكي معاكِ واللا لسة رافض؟!

أومأت ياقوت برأسها إيجاباً لتلتمع عينا همسة بالمزيد من الراحة فيما التفتت ياقوت نحو زين باشتياق فضحه قمراها "الحرّان" ليقابلهما بنظرة أكثر اشتياقاً اتشحت بطيف عابر من "غيرة" لم يستشعرها سواها !

تعرف هذا الانفعال القوي الذي يكتمه فينفر له عرق جبينه رغم برود قسماته ..

هل هذا من زعم يوماً أنه آخر رجل في العالم قد يغار عليها هي؟!

غيرة غير منطقية تماماً مع وضع رائد معها لكنها ترضي غرور أنوثتها!





بينما بدت همسة بعيدة تماماً عن كل هذا وهي تهمس ببراءتها المعهودة :

_كنت واثقة إنك هتخلليه يخرج من عزلته دي .

_ياقوت ما تتقاومش .

يقولها زين بنبرة غريبة رزينة لا تشي بالعشق الهادر المتواري خلف هذه الحروف القليلة ..

نبرة جعلت خلاياها تذوب انتشاء وخجلاً فتسبل جفنيها هاربة من شعورها ..

لتنقل همسة بصرها بينهما بابتسامة حملت بعض الارتياح قبل أن تسألها باهتمام امتزج بقلقها:

_هيفضل رافض الخروج ؟! ده حتى كلامه معايا بالعافية !

فتنحنحت ياقوت وهي تتحسس موضع نظارتها لتنتبه لعدم وجودها فترمق زين بنظرة جانبية مختلسة صاحبت ردها :





_جزء من مشكلة رائد دلوقت خوفه عليكِ انتِ ..ريّحيه من ناحيتك وهو قوي كفاية عشان يتجاوز الباقي ..

ثم ابتسمت وهي تربت على كتفها لتقول بيقين:

_صدقيني لو قلتلك اللي بيحصل دلوقت ده رغم كآبته بس أنا بعتبره امتحانك الحقيقي ..آخر محطة في طريق علاجنا ..جه الوقت اللي الأدوار فيه تتقلب ..الوردة الرقيقة المقفول عليها في صوبة إزاز عشان خايفين عليها دلوقت بتثبت للكل إنها قادرة تتكيف مع أي جو وأي ظروف ..هو محتاجك ..وانتِ محتاجة تحسي إنه محتاجك ..الحب الصحي هو اللي العلاقة فيه تبقى متبادلة زي لعبة الميزان ..مش طرف على طول بيدي والتاني ياخد .

تهز همسة رأسها بتفهم وابتسامتها المرتجفة تزداد وثوقاً لتشد ياقوت على كتفها أكثر مردفة :





_أكتر حاجة فرقت مع رائد إنك فضلتِ معاه ..سكوته مش بُعد عنك أد ما هو خوف عليكِ ..طمنيه وهتلاقيه واحدة واحدة بيهرب ليكي مش منك .

يرمقها زين بنظرة إعجاب تخترقها كسهم نافذ لكنها تتجاهلها محاولة تركيز نظراتها مع همسة التي قبلت وجنتها بعفوية لتهمس لها ببراءتها المعهودة :

_انتِ نعمة في حياة أي حد ..يا بخت القريبين منك .

فتبتسم لها ياقوت وهي تشير نحو الغرفة هامسة :

_ادخليله واعملي اللي اتفقنا عليه ..هامشي دلوقت عشان عندي معاد مهم في المركز وهاجيله بكرة .

_خللي زين يوصلك ..الدنيا ضلمت .





تهتف بها همسة وهي تتوجه ببصرها نحو زين الذي هز كتفيه قائلاً بنفس النبرة الرزينة :

_معنديش مانع لو وافقت .

حروفه تتشح ببعض المكر كأنما يذكرها باتفاقه مع إسلام ..

لتهتف همسة باستغراب:

_وترفض ليه ؟!

ثم تلتفت نحوها هي مردفة:

_انتِ زعلانة منه في حاجة ؟!

_لا أبداً ..بس مش عايزة أعطله .

تقولها ياقوت بمكر يناظر مكره فتنقل همسة بصرها بينهما بحيرة قطعها زين وهو يشير بكفه نحو ياقوت كي تتقدمه بحركة مهذبة ناسبت قوله :

_اتفضلي .




تكتم ابتسامتها وهي تسير أمامه بارتباك عجزت عن التحكم به وهي تشعر به خلفها ..

كانت تتوقع أن تلقاه اليوم ..ليس اليوم فقط بل كل مرة تزور فيها همسة ..لهذا ارتدت هذه البدلة الأنيقة التي اختارها إسلام بذوقه ..بلون ليلكيّ هادئ مع قميص أبيض ووشاح بألوان هادئة مزجت اللونين معاُ بنقوش صغيرة غاية في الرقة ..وقد ربطته بهذه الطريقة التي تظهر فيها طرفي أذنيها بقرط الياقوت كأنها تود لو تشهد الدنيا كلها على وجوده !

_بلاها مشية العسكري دي وامشي زي الستات بقا ..جننيه كده ! شعلليه !

تهتف بها العفريتة العابثة بداخلها فتتجاهلها بإصرار لكنها تعجز عن تجاهل أمرها التالي وهي





تجد نفسها تسير معه في الحديقة لتتذكر موقفاً مشابها ..

_ارمي الشنطة عشان يجيبها ..اهي فاتحة كلام وربك يرزق بالباقي!

يقف مكانه وهو يلمح حقيبتها تسقط فتتوقف بدورها لتلتفت نحوه فينحني وهو يلتقطها قبل أن يستقيم ليناظرها بعينين متوهجتين ..

كادت تهتف به بنفس العبارة التي قالتها يومها "مش مقامك يا بيه" ..

لكن هذه النظرة المشعة في عينيه أخرستها ..

اختطفت من فمها الحروف وجعلت خفقاتها تتحاوز حد الجنون ..

خاصة وهو يقطع الخطوة الفاصلة بينهما فلا يكتفي بمناولتها الحقيبة كالمرة السابقة بل يضعها بنفسه





على كتفها قبل أن يميل عليها هامساً جوار أذنها بمكر داعب لهجته الرزينة :

_وقعيها ألف مرة وهاجيبها لو ده اللي هيثبتلك مقامك عندي .

يقولها ثم يستقيم فجأة كأن لم يقل شيئاً لتحمر وجنتاها بخجل بينما "عفريتتها العابثة" تسخر منها :

_اتفقستِ يا مفضوحة !

لكنها تتجاهل كلماتها مع هذا الطوفان من المشاعر الذي اكتسحها في هذه اللحظة وهي تناظر عينيه بهذا القرب ..

كبرياؤها يستصرخها أن تنكر زعمه لكن مشاعرها التي صارت حرة من كل شيئ ترسم على شفتيها ابتسامة ..

ابتسامة بعمق أملها فيه !





بينما يرمقها هو بنظرة عاشقة هوجاء

تناقض كل هذه الرصانة التي ترسمها

ملامحه ..

يتلقف نظراتها ببعض الدهشة وهو يشعر بهالتها الجديدة تزيد من قوة أسره ..

هالة صنعتها ثقتها فيه ..فخرها به ..وأمانها معه !

لهذا عاود السير معها إنما جوارها -لا خلفها- هذه المرة !

تشعر بكفه يلامس كفها في حركتهما -عرضاً- فتسري في جسدها قشعريرة باردة يجد هو الآخر صدى لمثلها ..

يفتح لها باب سيارته أخيراً فتستقلها قبل أن يركب بدوره ليغلق زجاج النوافذ بحركته المعهودة التي كانت تعني لها قديماً "سجن الملكية " ..





لكنها الآن تفهمها بمراده الحقيقي "خصوصية الحميمية" !

صمته يطول وصمتها كذلك قبل أن تراه يشغل "كاسيت" السيارة بهذه القصيدة الشهيرة للقيصر ..

إنما بصوته هو المسجل !!!

كأنه يقصدها هي بها وقد انتظر هذه الفرصة كي يسمعها إياها !!

قلبها يخفق بقوة مع صدى صوته الفخم بهذه الكلمات التي توقن أنه يعنيها هي بها ..

يارب قلبي لم يعد كافياً

لأن من أحبها تعادل الدنيا

فضع بصدري واحداً غيره

يكون في مساحة الدنيا

حبك يا عميقة العينين

تطرف تصوف عبادة

حبك مثل الموت والولادة

صعب بأن يعاد مرتين ..

تشعر به مع الكلمات الأخيرة يلتفت نحوها وقد كانت في هذه اللحظة أكثر هشاشة من أن تبادله النظر ..

لكن أشعة عينيه كانت تخترقها بدفئها فتبذر في روحها ألف أمل ..واعداً بألف ألف جنة ..

تسترخي في مقعدها أكثر فيصلها المزيد من صوته المسجل ..

عدي على أصابع اليدين ما يأتي

فأولاً حبيبتي أنتِ ..

وثانياً حبيبتي أنتِ ..

وثامناً وتاسعاً وعاشراً





حبيبتي أنتِ

تعض شفتها بخجل والكلمات ـمصادفةً ـ تعيد إليها حساب عناقاته التي تحفظها بعددها واحداً تلو الآخر ..

فتحترق وجنتاها تأثراً وهي تشعر برائحة عطره تتآمر مع صوته مع كلماته مع هذه العزلة الافتراضية لهما لتغرقها فيه أكثر وأكثر ..

لكنه يوقف "الكلمات" عند هذا الحد فتود لو ترجوه أن يتركها هكذا تسري في أذنيها للأبد ..

طالما كان يخبرها عن عشقه لصوتها وهي تقرأ ..

والآن تود لو تخبره أنها هي الأخرى تذوب هياماً بهذه الطريقة التي ألقى بها القصيدة !





تلتفت نحوه بنظرة مستنكرة حملت طيفاً من رجاء أن يكمل ما انقطع لكنه يحدجها بنظرة جانبية مختلسة ليعاود النظر للطريق مع قوله بنبرة متحفظة لم تخلُ من مكر:

_إحساس وحش قوي لما تتعلق بحاجة ونفسك تكمل ..بس تقف غصب عنك ..هه؟!

لم تملك ابتسامتها وهي تفهم مراده !

لا فائدة !

لايزال لا ينسى ثأره ويرده واحدة بواحدة !

ستبقى سجالاتهما المميزة بقوتهما المتقاربة هذه سر العلاقة الفريدة بينهما !

جبلان سيبقيان يتصارعان في طول قمتهما للأبد!!

تشيح بوجهها عنه محاولة الانشغال بالطريق لكنها كانت تعلم أنها لا تركز في شيئ الآن قدر حساب نظراته المختلسة لها والتي لا تزال تعبرها ..وتلفها في دوار لذيذ لا ينتهي ..





تنتظر بشوق أن تأتي هذه اللحظة التي تخبره فيها بمنتهى الصراحة ..بمنتهى الوضوح ..

كمراهقة لا تفقه شيئاً في فنون الدلال أنها تحبه ..

هكذا ببساطة وحسب!

تتمنى لو تعيش معه كل عصورها المفقودة ..

لو تعيد عيش كل يوم سبقه بين ذراعيه من جديد!

الخاطر الأخير يكتسحها بشعور غامر يلجلج قوتها المعهودة معه لكنها ولأول مرة تستلذ بوهنها قربه !

ربما لأنه يشبه وهن الصغير حين يركن لأبيه يحتمي بعباءته ..

لا كوهن الضعيف الذي يخشى البطش!

_نسيت نضارتي عندك .




تغمغم بها بارتباك تقطع هذا الصمت المتعمد بينهما وهي تشيح بوجهها ليصلها صوته المهيمن متشحا بعاطفته:

_ما اسمهاش عندي ..اسمها في بيتنا .

يضغط حروف كلمته الأخيرة ببطء متعمد فتحمر وجنتاها ليبتسم هو متشربا ملامحها بنظرات عاشقة حارة ناقضت برودة صوته:

_عموما هي معايا دلوقت.

_فين؟!

تسأله وهي تلتفت نحوه لتختلط برودة صوته ببعض العبث:

_في جيبي.

_هاتها.

تقولها منتبهة لهذا الانبعاج في جيب قميصه ببعض التحفز وعيناها هي الأخرى تتشربان بملامحه التي بدت لها في هذه اللحظة أكثر وسامة ..أكثر سحرا..وأكثر قربا ..





فتزداد وتيرة العبث في صوته وهو يهز كتفيه وقد تشبثت قبضتاه بمقود السيارة :

_لو عايزاها خديها .

_زين.

تهمس بها بنبرة أذابت قلبه بل صهرته صهرا!

بهذا الخجل الذي دغدغ حواسه مذكرا إياه بمذاقها بين ذراعيه ..

بهذا العشق الذي ربما لم تبح به حروفها وإن كانت تصرخ به خلاياها بصدى يرجه رجا ..

وبهذا العتاب المستنكر الذي يجعله يرمقها بنظرة عنيدة متحدية تكاد تقسم أنه لن يرجع عما برأسه مهما كان ؛

دقيقة كاملة مرت بينهما والعناد المتفجر بالعشق يشعل الصمت بينهما ..





لتحسم هي أمرها أخيرا فتمد أناملها بخفة تلتقط نظارتها من جيبه لكنه أطبق بقبضته على كفها في موضعه!

هناك ..أمام قلبه تماما !

فتتحول نظراته لمزيج دافئ من عشق واشتهاء ..

سراجا الشمس في عينيه يتوهجان ببريق يكاد يغشي عينيها ..

وبصوت بدا وكأن لا يخرج من شفتيه ..

بل يخترق من قلبه لقلبها كشعاع من نور..ونار:

_عارفة أد إيه نفسي دلوقت إن اللحظة دي ما تخلصش؟! نفضل طول العمر كده ؟! إيدك جنب قلبي مطمناه! مونساه! ..كل دقة فيه بتلمسك ..وبتحلفلك إنه هيفضل ليك انت ..انت بس ..




آهة قصيرة خائنة تغادر شفتيها فاضحة هذا الزلزال الذي يبعثر كيانها كله مع كلماته هذه ..

ثم يلملمه!

آهة يود لو يتلقفها بين شفتيه اللتين تعلقت بهما عيناه باشتياق أحرقهما معاً ..

لكنها سحبت كفها منه لتجد كلماتها تخرج رغماً عنها مشوشة مرتبكة فظة :

_خد بالك من الطريق محدش بيعمل كده وهو سايق ..وبعدين ما تنساش وعدك لإسلام ..انت قلتله إنك مش هتكلمني لحد ما يبلغك بموافقته ..ما تستغلش الظروف .

ابتسامته الماكرة مع إشاحته بوجهه تفضح تفهمه لسبب هذه الفظاظة المفاجئة التي جابهته بها ..ليرد بصوته الذي عادت إليه نبرة تحفظه المهيمنة :





_معاكِ حق ..مش هتتكرر .

ابتسامته جعلتها تلعن وسامته الطاغية هذه والتي تبقيها دوماً على حافة بئر عميق بلا قرار لا تكاد تنتظر سوى زلة قدم كي تسقط !

_دبش ! دبش! الراجل قرب يطلع قلوب من عينيه وانتِ عاملالي فيها أبلة الناظرة ! بقا دي عيون يتقال لها لأ ..يا جاحدة ! طب بلاش عينيه ..صوته ..كلامه ..واللا ..

تترك العفريتة العابثة لعربدتها بداخلها راضية بها هذه المرة ..

ليخفق قلبها بلوعة وهي ترى الطريق يقصر منذراً بفراق وشيك وقد بدا لها مبنى المركز من بعيد ..





تتوقف سيارته فتشعر بضيق حقيقي وهي تطرق برأسها مشبكة كفيها ..

_هتسيبيه كده من غير كلمة واحدة وياعالم هتشوفيه تاني امتى ؟! انطقي يا جبلّة ..قولي أي حاجة تصبره ! وتصبرني!!

تستمع لنصيحة "العفريتة العابثة" في سابقة نادرة فتتلفت حولها لتتأكد من خلو المرآب الذي ركن به سيارته ..

ثم تشير بعينيها لنظارتها في جيبه قائلة بنبرة عجيبة تأرجحت فيها الأنصبة العادلة بين عاطفة وفظاظة ومكر :

_زي ما قلعتهالي بإيدك ..لبسهالي .





تسمع صدى ضحكته المكتومة فتنطلق بداخلها ألف زغرودة عالية وهي تسبل جفنيها لتشعر به يستخرج نظارتها من علبتها ..

ترفع إليه عينيها بقمريها "الحُرّين المحلقين في سمائه" فتراه يقرب نظارتها لشفتيه فيما بدا كقبلة خاطفة لم تستغرق ثانية لكنها نفذت لقلبها كسهم مارق ..

ثم يلبسها إياها وعيناه تجزيانها عن صيام لسانه آلاف الكلمات !

الصيام الذي بدا عاجزاً عن المزيد منه وهو يشعر بأنفاسها اللاهبة تشارك أنفاسه اشتعالها ..

_كل ما بتوحشيني بشتري كتاب ..بحتفظ بيه من غير ما أقراه وأحلم باللحظة اللي هتقريهولي فيها ..وانتِ في حضني .

همساته الدافئة تشعل أحطاب روحها فتحس وكأن خلاياها كلها تنصهر بهذا القرب المهلك ..





لكنها تهرب من خجلها بمزيج فظاظتها ومكرها فتقول وهي تبعد وجهها عنه :

_كل ما بوحشك ؟! على كده اشتريت كام كتاب لحد دلوقت؟!

فيبتسم وهو يرفع أحد حاجبيه ليبتعد بدوره مسافة كالتي ابتعدتها ثم يرد بهدير عاطفته الماكر:

_قربت اخلص المكتبة .

ضحكتها القصيرة تحلق حرة فوق شفتيها وقد بدا وكأنما أعجبها الرد ..لتقول بمكر عابث:

_خلاص ..لما تخلص المكتبة نبقى نتفاهم .

فيصدر همهمة قصيرة وهو يدرك تلذذها بعذاب انتظاره لتلتمع عيناه ببريق أكثر مكراً وهو يميل برأسه قائلاً:





_يعني مش مستعجلة انتِ كمان تعرفي حكاية "مثلث برمودا" اللي عندك واللي هنكتشف أسراره سوا؟!

_مثلث برمودا ؟! عندي أنا؟!

تسأله بحيرة ليهز رأسه مؤكداً بغموض:

_مثلث صغير كده عندك له قصة ظريفة هابقى أحكيهالك بعدين .

التمعت عيناها بفضول حائر ترجوه المزيد لكنه أشاح بوجهه مردفاً بنبرة عاد إليها مكرها :

_لما أخلص المكتبة !

تبتسم بدورها وهي تدرك أنه يرد لها بضاعتها ويتركها مثله تتحرق على صفيح ساخن من شوق وترقب ..





تغادر السيارة لترمقه بنظرة أخيرة تلقفها بعمق عاطفته وعيناه تتعلقان بقرط أذنيها بنظرة راضية ..

قبل أن يبتسم لها ابتسامته الساحرة التي ودعتها قبل رحيلها ..

تتنهد بهيام وهي تخطو بخطوات متثاقلة نحو غرفتها بالمركز كأنما تجاهد نفسها كي لا تستدير عائدة إليه ..

تصل لمكتبها أخيراً فتغلق بابه خلفها ولم تكد تفعل حتى وصلتها هذه الرسالة الصوتية تكمل لها القصيدة بصوته كما تمنت ..

كأنه يجزيها عن بخل بوحها كرماً !

دعي نظراتك الحمراء تقتلني

ولا تكوني معي يأساً ولا أملا..





وقاوميني بما أوتيتِ من حِيلا ..

إذا أتيتك كالبركان مشتعلا ..

أحلى الشفاه التي تعصي ..

وأسوأها تلك الشفاه التي دوماٌ تقول بلى !

=======

_قالوا لي إنك شاورتِ على صورتي؟!

تقولها ياقوت مخاطبة نجلاء -حالتها الجديدة- في المركز والتي بدت غير منتبهة تماماً مع نظرة الرعب في عينيها وهي تنظر لسترة ياقوت التي كانت من جلد الثعبان المرقط ..

انتبهت ياقوت لما تعنيه نظرتها فخلعت سترتها برضا لتخرجها ثم تعود إليها ..




النظرة المرتعبة تخف حدتها فتزداد يقيناً خاصة وقد تم تشخيص حالتها المبدئي بما يسمى "التريبوفوبيا" أو فوبيا الثقوب ..

هذا الرهاب الذي لم يعترف به بعد ك"فوبيا" حقيقية إلا من خلال بعض الدراسات ..

وهو رهاب يعانيه بعض الأشخاص من رؤية الثقوب أو الدوائر المتلاصقة مختلفة

الأحجام ..

كصور الفراولة ..

خلايا النحل ..جلد الثعبان ..ومثلها من صور الثقوب أو الدوائر المتلاصقة ..

رهابٌ تزداد شدته وتنقص بالظروف المحيطة لكن المزيد من الضغوط قد تؤدي

لاضطرابات اكتئابية حادة ..

هذا الذي يبدو أنه قد حدث مع المسكينة هذه ..

والتي تصادف أن يتم اختطافها واحتجازها في أحد "المناحل" المملوكة لأحد الخاطفين ..





ليصنع لها رهابها المعهود -مع مشهد خلايا النحل- المزيد من الاضطراب ليدخلها في

حالة الخرس الهستيري هذه ..

والذي لم تتخلص منه حتى بعد إنقاذها !

هذا الاستنتاج الذي وصل إليه سامر بذكائه مشخصاً هذه الحالة الغريبة وقامت هي بوضع خطة علاج تشبه هذه التي وضعتها لهمسة من قبل ..

نفس الرهاب -مع اختلاف المسمى- والذي يرتبط بضغط شديد يجعل أثره يتفاقم هذا الحد !

_نجلاء ..سامعاني؟!

تسألها من جديد وهي تضع صورتها هي جوار وجهها لتردف:

_أنا اهه ..لو عايزاني أفضل شاوري تاني ..





ترمقها الفتاة بنظرة زائغة تتركز رويداً رويداً حول الصورة ..

قبل أن تنتقل منها إلى وجهها هي ..

سبابتها ترتفع نحوها ببطء فتبتسم ياقوت وهي تربت على كتفها قائلة :

_ممتاز ! أنا اسمي ياقوت ..إيه رأيك حلو؟!

لكن الفتاة تعود لشرودها في الصورة كأنها تميل للوهم أكثر من الواقع ..

تحاول ياقوت لدقائق اجتذابها لأي حديث لكنها تبدو عاجزة عن إيجاد المزيد من جسور التواصل بينهما ..

_مساء الخير .

يهتف بها سامر وهو يدخل عليهما وقد كان يراقب الوضع عبر النافذة الزجاجية من الخارج ..





لتلتفت نحوه الفتاة ببعض الذعر لكنه يبتسم لها قائلاً بنبرته الودود :

_أخرج وأسيب ياقوت ؟!

لكن الفتاة ترمقه بنظرة غريبة طويلة قبل أن تلتوي شفتاها بشبه ابتسامة تجعله يخرج لها عروسا بلاستيكية شبيهة بما يهديها لريتال ..

هذه التي وضعها أمام عينيها قائلاً :

_واللا نخرج احنا الاتنين ونسيب دي؟!

ابتسامة الفتاة تتسع وهي تتناول منه العروس لتحتضنها ثم تقف معطية إياهما ظهرها ..

فيشير سامر لياقوت إشارة خاصة ثم يغادران معاً ليغلقا الباب خلفهما ..

وما كاد يفعل حتى سار جوارها واضعاً كفيه في جيبه قائلاً :

_زي ما توقعت ..بتميل للصور والمجسمات أكتر من البشر الحقيقيين في الفترة دي .





_بالظبط ..ودورنا نطمنها وننزل لمستواها وبعدين نرفعها واحدة واحدة ونخلليها تتقبلنا احنا .

_خصوصاً إنها بدأت تثق فيكي وتشاور عليكي.

_وانت كمان ابتسمت لك النهارده .

_تقدم ممتاز!!

يهتف كلاهما بالعبارة الأخيرة في نفس التوقيت فيتوقفا عن المشي ليضحك كلاهما للحظات قبل أن ترفع إليه عينين مرتبكتين فقد كانت المرة الأولى التي تتحدث إليه فيها بعد واقعة زين الأخيرة ..

لكنه تقبل ارتباكها بشماتة مصطنعة ظللت نظراته قبل كلماته :

_ما قلتليش بقا حكاية زين باشا "أيبك" ده يا "شجرة الدر"؟!

تعض شفتها بخجل تكتم ابتسامتها لطرافة التشبيه قبل أن تشيح بوجهها ليردف باعتراض:




_لا ده أنا قتيل الحكاية دي النهارده ! ده أنا دمي نشف وأنا مخطوف ومش عارف هارجع للست حلاوة واللا لأ.

يقول عبارته الأخيرة بمسكنة مصطنعة فتنطلق منها ضحكة قصيرة لكنها تتنحنح لتقول بارتباك خجول:

_كنت بعالج أخته و..

_وإيه؟!

_وبعدين هي خفت و...

_وإيه ؟!

مكر سؤاله يمتزج بخجلها فترمقه بنظرة عاتبة تجعله يقهقه ضاحكاً ثم يلوح بسبابته في وجهها قائلاً:

_المهم يكون يستاهل ..معلش ..أنا ما اترفضش لأقل من وزير ..أمير ..حاجة في الرينج ده !





تكتم ضحكتها بكفها معجبة بروحه المتسامحة التي تعرفها فيضحك بدوره مردفاً:

_ياللا يا عم الله يسهلله ..

ثم يصمت لحظة ليستطرد بجدية تامة هذه المرة والشجن الغريب يلون نظراته الشاردة :

_ربنا يوفقك بجد من كل قلبي ..وادعيلي ألاقي حب زي اللي شفته في عينيكم تحت في العربية .

_انت شفتنا؟!

تهتف بها بحرج فيبتسم وهو يرد متلذذاً بهذا الوجه الجديد الذي يراه منها كمراهقة خجول :

_ما تخافيش ..المرة اللي فاتت اضطريت أقول لإسلام عشان خفت عليكِ ..بس المرة دي هاستر عليكِ احنا برضه عندنا ولايا!

_سامر!





تهتف بها باستنكار مرح فيعاود الضحك ثم يشير لها جوار رأسه بتحية عارضة قبل أن يتحرك نحو مكتبه لكنها تستوقفه بندائها قبل أن تتقدم نحوه قائلة :

_أنا آسفة ..وبجد أتمنى لك تلاقي الإنسانة اللي تستاهل قلبك الطيب .

_من بقك لباب المأذون أحسن الست حلاوة خلاص قربت تعلق يافطة على ضهري وتقول عريس للبيع !

يقولها وهو يرفع كفيه في وجه الدعاء فابتسمت له بود حقيقي لينسحب من جديد نحو غرفة مكتبه الذي أغلق بابه خلفه قبل أن تتحول ملامحه لضيق خفي وهو يزفر بقوة ..

موقف ياقوت ذكره بلقائه بهذا العريس الذي تقدم لخطبة ريتال ..

الرجل لا يعيبه شيئ حقاً ..





يبدو مهذباً لطيفاً مثقفاً ..فلو أضفنا لهذا مركزه العلمي والمادي فهو فرصة حقاً كما تزعم هي ..

لكنه لا يدري سبب انقباضة قلبه هذه كلما تذكر أنها ستتركه وتبتعد !

لم تفعلها طوال سنوات عمرها هذه فكيف يتركها تفعل الآن ؟!

إنها صديقته وابنته و...

وماذا؟!

هو ما عاد يفهم نفسه حقاً !!

"باب النجار مخلع"كما يقولون!!

صوت وصول رسالة على هاتفه يقاطع أفكاره فيجدها منها ..

_كلمت الحاج جميل ؟! اقنعه بقا مادام شايفه كويس !

اللهفة تطير بين حروفها فيميزها حتى دون أن ترسل المزيد من الرسوم لأكفّ متضرعة متتالية كأنها ترجوه السرعة ..

_حاضر يا ست المستعجلة !

المرح الظاهر في حروفه يناقض هذه المرارة الخفية التي يشعر بها ..

خاصة وهو يرى ضحكتها التي ارتسمت عبر حروف الرسالة :

_أيوة أبوس إيدك ..ورانا طيارة وسفر ومستقبل بيضيع!

_هتوحشني شقاوتك يا بنت الإيه !

يرسلها لها مع وجه يضحك فترده له بمثله قبل أن تنطفئ النقطة المضيئة جوار اسمها معلنة خروجها من نطاق الاتصال ..





_مالك ؟! في إيه ؟! هتكره لها الخير واللا إيه ؟!
واللا يمكن غيران عشان هتسافر وانت متدبس في البلد دي ؟! واللا ..؟!

خاطر غريب تحدثه به نفسه لكنه ينفضه عن ذهنه باستنكار ..

لا ..لا ..

هي أخته ولن تخرج يوماً عن هذا الإطار!!

ربما لهذا عاد يرفع هاتفه بانفعال متعجلاً ليتصل بأبيها و..

يحاول إقناعه بالعريس كما ترغب!

=========

م البداية قلتلك ان مش دايماً يكون الحب كافي

والحياة ليها حسبة تانية ..

يومها نزلت دمعة منك فوق كتافي





قلتي حاول قولت حاضر بس اوعي متكمليش

لو هتمشي امشي حالاً لو فضلتي متبعديش

يلملم حاجياته من غرفة السطح بأنامل مرتجفة وهو يقاوم وحش الحنين الذي يدرك أنه سينال منه لا محالة ما بقي له من عمر ..

لكن ما حيلته ؟!

بعض البحار -على اتساعها- متى تعكرت فلا تعود لسابق صفوها أبداً !

وبحرهما كان أحدها!

تدمع عيناه وهو ينتهي مما يفعل لترتجف شفتاه بقوة وهو ينظر للفراش يستعيد صورتها ذاك اليوم عقب عودته من زفاف لجين ..





هاهنا كانت تنتظره باكية تعلم أنه لن يعود ..

ليته لم يفعل ..

ليته اكتفى وقتها بجرح لن تزيده الأيام إلا نزفاً !

انا ماكنتش عايز أعلق نفسي بحب نهايته جروح

ليالي أبني في وهم وحلم ..

وييجي في ثانية ده كله يروح

وادينى خدت نصيبي من حبيبي جرح قاسي كبير

ساعات لما الجرح بيجي بسرعة بيبقا اهون بكتير

يتلفت حوله كأنه يبحث عنها لكنه كان يعلم أنها

تملك من القوة ما يكفيها لتبتعد ..

وليته كان يملك ما يماثلها من القوة كي يقترب!!





يحمل حقيبته ليغادر الغرفة ثم تهرب منه عيناه تجولان في السطح حوله ..

يسترجع نظراتها ..كلماتها ..ضحكاتها التي كان يرسمها قلبها قبل شفتيها ..

فيرتعد قلبه بداخله خوفاً!

أجل خوفاً من أن يواجه العالم من جديد دونها !

هي كانت "تربيتة الأمان" ..كما كانت "صفعة الصدمة"!

_مش عارفة بتطيق تاكل السندويتشات سخنة نار كده إزاي ؟!

_أنا اللي مش عارف بيجيلك نفس إزاي تاكليها باردة كده !

_خلاص يا عم ! نصبر وناكلها سوا نص نص !





يتذكرها من ماضيهما المشترك فيدرك أن هذا كان دوماً عهد حبهما أن يتنازل كلاهما كي يتقابلا في منتصف الطريق ..

لكن هل يجوز هذا الآن ؟!

هل بقي من الأمر ما يسمح بأي تنازل ؟!

الجواب يفرض نفسه فيمد أنامله يمسح دمعة ترددت على حافة جفنه ..

سواد الدنيا في عينيه يشبه سواد هذا الليل حوله ..

فإن كان لهذا الليل قمره ..فمن لليله هو؟!!

يهبط الدرج بخطوات متثاقلة يتذكر كم مرة شاركته فيها هبوطه بخطواتها النزقة المناقضة لبطئه هو ..

دوماً إيقاعها صاخب هائج وهو لم يرجُ في حياته سوى نغم غنوة هادئة !

م البداية قلتلك وانتي كنتي حتى رافضة تسمعيني





والنـهاردة انا بسألك اعمل ايه في قلبي اللي حبك فهميني

يصل لباب شقتها فيتجاوزه بسرعة مغمضاً عينيه مخافة أن يضعف فيطرقه ..

لكنه يتوقف مكانه فجأة كأنما استوقف قلبه "نداء قلبها"!

يلتفت خلفه ببطء ليجد الباب شبه مغلق ويراها هي عبر هذا الشق "الضيق جداً" ترمقه بنظرة غامرة فائضة رغم أنه لم يميز بوضعها هذا سوى عين واحدة فقط !

حلقه يجف فجأة وهو يشعر أنه يصارع نفسه كي لا يلقي حقيبته هذه ويهرع إليها فيضمها في عناق طويل يطمئنها ويطمئن نفسه قبلها ..

لكن قدميه تسمرتا مكانهما مدركاً أن حبهما صار كهذا "الشق الضيق" الذي تبرز هي -بالكاد- من خلفه ..





لا تنقصه سوى دفعة واحدة كي يغلق بابه تماماً !

دمعة منها تترقرق لامعة وسط الظلمة النسبية للمكان فيراها على هذا البعد ..

ميزها قلبه قبل عينيه !

يشعر بحقيبته تقع أرضاً فلا يدري هل هو من أسقطها عامداً أم أنها فقط تشارك كل تفاصيله السقوط ..

يقترب منها بمنتهى البطء مقتنصاً نظراتها كأنه يخزنها لطول جفاف العمر القادم ..

فيرى "نصف ابتسامتها" عبر شق الباب تلتحم بخيط دموع وصل شفتها بعينها الوحيدة الظاهرة ..

ورغم أن صوتها كاد لا يسمع بهذا الهمس المختنق ..

لكنه شعر به كأنما كل حرف ينفجر كلغم داخل روحه ..




_مهما حصل بيننا افتكر إني عمري ما حبيت ولا هاحب حد غيرك .

لم تكن أول مرة يسمعها منها لكنه كان يعلم أنها ستكون "الأخيرة" !

خاصة والشق الضيق يختفي رويداً رويداً حتى يرى الباب قد أغلق تماماً أمام عينيه !

صرخة كبيرة تضج بها روحه وتكتمها شفتاه باستماتة ..

أنامله تتحسس الباب المغلق بارتجافة قوية كأنه يطارد بقاياها ..

والدمعة المتأرجحة فوق جفنه تسقط أخيراً على وجنته التي ألصقها بالباب ..

دقيقة ..اثنتان ..عشرة ..ستون ..

لا يدري كم ظل واقفاً مكانه هكذا كأنما لا يريد لعمره أن يعترف بزمان بعدها ..





لكن اهتزاز هاتفه في جيبه برقم أمه يعيده لمرارة واقعه ..

فيرفع رأسه أخيراً ليبتلع غصة حلق يبدو أنها ستمرر ما بقي من أيامه ..

قبل أن يتحرك ليتناول حقيبته من جديد و..يرحل !

صعب اسامحك بعد جرحك ..

واللي اصعب اني اعيش

بس عارفة ؟!

هتوحشيني..

حتى لو ماسامحتكيش

=========

_لبست "روز" اهه لوحدي..مبسوط مني بقا؟!

تقولها نشوى أمام مرآتها وهي تعدل وضع ثوبها بينما تراقب بفخر أنثوي نظراته الساخنة التي





التصقت بها بينما يستند على خزانة الملابس خلفها ..

ليبتسم ابتسامة عابثة وهو يقترب منها عيناه معلقتان بسلسلتها التي تحمل صورته على جيدها فيتناولها في راحته قائلاً :

_لو عايزاني أتبسط ما تطلعيش دي بره ..خلليها جوه على طول .

يقرن قوله بفعله وهو يدخل السلسلة عبر طوق ثوبها ليخفيها فتهتف باعتراض :

_ليه بس ؟! أنا عايزة الناس كلها تشوف صورتك وأنا لابساها

ورغم "المعنى الخفي اللذيذ" الذي حملته كلماتها العفوية لكنه يهز رأسه معترضاٌ وصوته يتشح بالمزيد من العبث :

_أولاً ..صورتي وأنا حر فيها ..ومن موقعي هذا بأكد لك إني هابقى مبسوط أكتر وأنا جوه ..





لم تكتم ضحكة خجلها هذه المرة من المعنى الوقح الذي حملته عبارته لكنها لكزته في كتفه بحركة دلال أقرب منها للاعتراض ..

ليضحك بدوره وهو يشير بسبابته في حركة دائرية نحوها مردفاً :

_وثانياً ..أي سلسلة هنا هتلفت النظر لامكانياتك اللي عاملة مشكلة دي ..وأنا لا سني ولا لياقتي يسمحوالي بخناقة مع كل حد هيبص لك وأخزق له عينه !

تضحك ضحكة رائقة طويلة وهي تبسط كفيها على كتفيه لتخفي وجهها في صدره تشعر -ولأول مرة منذ سنوات تقارب عمرها ..بالشبع بل ..بالتخمة !

تخمة عاطفة تسولتها على الرصيف "الخطأ" ولم تنلها ..

فلما اتخذت مقعدها "الصحيح" وجدتها تسقط وحدها في حجرها !!




_أنا بحبك قوي .

ترفع بها عينيها إليه فيحيط خصرها بكفيه شاعراً كعهده معها أنها عندما تتحرر من قيود "قشرتها الخارجية" تبدو ك"ريما" تماماً ..

طفلة منطلقة في التعبير عن مشاعرها دون تفكير !

لهذا ابتسم وهو يقربها منه أكثر رافعاٌ حاجبه بهمسه العابث:

_بتتكلمي بجد ؟!

فتبتسم بدورها وهي تفهم مراده لتسبل جفنيها ثم تطبع على شفتيه هديتها مجيبة :

_جد الجدّ !

يغيب معها في دوامتهما الخاصة من هذا الشعور الغامر الذي لم يعرفه كلاهما إلا بين ذراعي صاحبه ..

شعور "اكتمال" بعد طول نقص!

هو الذي كان يرى فيها شارة طهره ..بداية طريقه الجديد الذي وجد فيه نفسه ..

وهي التي كانت ترى فيه عوضها عن خذلان من سبقوه ..

كأنه جاء ب"المقاس المضبوط" ليكمل هذه القطعة الناقصة في لوحة أنوثتها ..

حتى وقاحته التي كانت تجدها سافرة ..الآن تدرك أنها تضفي "اللمعة المناسبة" لأنوثتها التي طالما ظنتها باهتة شاحبة !

تبعده أخيراً لتتنهد تنهيدة طويلة ثم تهمس بدلال عاتب:

_لو سبتك لكلامك الجد مش هنروح معادنا والناس مستنية !

لكنه يعاود تقريبها منه هامساً بنبرته الرخيمة المغوية :





_هو فيه أحلى من كلام الجد ؟!

تضحك وهي تقرص وجنته بخفة لتدفعه بعزم أكبر هذه المرة ثم تعطيه ظهرها لتلتقط وشاحها ثم تعاود الالتفات نحو مرآتها قائلة :

_شكلي كويس؟! ..مش متعودة ع الناس ..التجمعات عموماً بتخليني أتوتر .

_امال هتعملي إيه في الفرح؟!

يقولها ضاحكاً لتلتفت نحوه هاتفة بتردد :

_انت لسه مصرّ ع الموضوع ده ؟!

_جدا! مستني بس لجين ترجع بالسلامة عشان اللمة تكمل .

يقولها بحسم وهو يتناول سترته ليرتديها ثم يتوجه نحوها مردفاً:

_وبعدين دول مش غرب ..ده سيف عازمنا ع الغدا في بيته ع الضيق .




_ع الضيق؟! سيف ومامته وأخوه ومراته ومراة أخوه وعمو علاء وطنط إيناس ؟!

تقولها باستنكار وهي تعد على أصابعها ليضحك هاتفاً باستدراك:

_وكان عازم ماما وهيثم كمان بس اعتذروا عشان مشغولين بالنقل للبيت الجديد .

_صعبان عليا أخوك قوي !

تقولها بإشفاق وهي تقترب منه خطوة فتفضح عيناه هو الآخر حزناً خفياً يخفيه عادة خلف مزاحه ..

لكنه لم يتكلف الادعاء هذه المرة أمامها وهو يرد بصوت متحشرج:

_هيكبر وينسى ويتعلم إن الضربة اللي ما بتموتش بتقوّي .

فترمقه بنظرة طويلة مزجت حنانها بعاطفتها لتضم رأسه لصدرها بعناق دافئ ثم تقبل رأسه هامسة :

_اللي ليه أخ زيك ما يتخافش عليه ..انت نعمة !





يبتسم لها براحة غامرة وهو يزداد يقيناً يوماً بعد يوم أنه كان محقاً إذ رأى خلف شوكية قشرتها هذا الباطن الحلو ..بل شديد الحلاوة ..

يرد لها قبلتها بمثلها ثم يعترف أنه لايزال يفاجأ بوجهها شديد العفوية هذا في كل مرة تطلق فيها سراح عاطفتها لتحلق دون قيود ..

يعترف أنه كان يحتاج لامرأة مثلها تماماً في حياته ..

امرأة يثق أنه يمكنه الاستناد عليها دون خوف ..

يلقي على كتفها حموله دون حذر ..

ويعيش بها ولها ما بقي له من عمر .

يراقبها وهي تخرج لتأتيه بريما وقد ارتدت كلتاهما ثوباً وردياً لتبدوا في عينيه كنسختين متشابهتين بل متطابقتين ..

_شفتنا واحنا لابسين زي بعض ؟!





تهتف بها ريما بحماس طفولي ثم تغمز بعينها غمزة -صارت تجيدها تماماً مثله - وهي تردف تقلده :

_شكلنا عسل يا عسل !

ضحكاتهم الثلاثة تمتزج معاً للحظات ..

قبل أن يتحرك نحوهما ليبسط ذراعيه حولهما فيضمهما إليه بقوة حانية ثم يغادر نحو بيت صاحبه ..

=========

_سيف! اصحى يا حبيبي الناس على وصول .

تقولها غادة بحنان بعدما دخلت الغرفة لتجده لا يزال نائماً ..

ابتسامتها تتسع وهي تتأمل ملامحه النائمة التي تعشقها ..

والتي اختزلت أمان العالم كله في عينيها!





تراه يبتسم فتظنه استيقظ لكنها تفاجأ به يهز رأسه برفق مع تمتمة شفتيه كأنه يحدث أحدهم فتعاود هزه برفق ليفتح عينيه فجأة ثم يدور بهما حوله ببعض الدهشة ..

قبل أن يجذبها نحوه ليتشبث بها بقوة أدهشتها وجعلتها تهمس له بدلالها المعهود :

_وحشتك قوي كده الساعة اللي نمتها ؟!

لكنه لم يزد على أن ربت على ظهرها برفق يناقض تشبثه القوي بها ..

لتشعر بسخونة دمعة بللت وجنتها الملتصقة بوجنته !

_سيف!

تهمس بها بجزع حنون وهي ترفع عينيها إليه لتحتضن وجنتيه براحتيها مردفة :

_فيه إيه ؟!





فيغمض عينيه بقوة وهو يهز رأسه ببطء وملامحه تفضح انفعالاً قوياً يوازي تشبثه العجيب بها ..

فتكتفي بصمتها للحظات بينما تنثر قبلاتها على وجهه حتى تشعر بذراعيه المتشنجين حولها يتراخيان قليلاً ..

تعاود الهمس باسمه في تساؤل ليجيبها عبر جفنيه المغلقين :

_شفتهم سوا ..أول مرة أشوفها معاها .

_آنجيل؟!

تسأله وهي تعرف الجواب ليرد ولايزال مغمضاً عينيه بانفعال:

_وبنتي ! ملاك يا غادة ! أول مرة أشوفها واضحة كده ..بتجري عليا بتحضنني وتبوسني ..ووراها آنجي عينيها مسامحة ..بتشيلها وتبعد بيها وهم بيشاورولي ..عمري ما شفتهم واضحين كده زي النهارده .





كانت تشعر بغيرة طبيعية تفترض في موقف كهذا لكن ..

من مثلها قد يعذره وهي التي عاشت ماضياً مشابهاً ؟!!

لهذا تفهمت هذا الانفعال الذي يعصف به ويرجف حروفه بهذه الطريقة ..

لتنحني فتضم وجهه تخفيه في حنايا عنقها مع همسها:

_الحلم ده معناه إنك سامحت نفسك أخيراً وضميرك ارتاح ..

ثم تعاود رفع عينيها لتلتقي بعينيه اللتين فتحهما أخيراً مردفة ببعض المرح الذي تحاول به احتواءه :

_ويمكن معناه إنك عايز "بيبي" ومكسوف تفاتحني مثلاً؟!

يبتسم ابتسامة مرتاحة وأنامله تتخلل خصلات شعرها ليعانقها بنظراته قائلاً :





_ما تعرفيش أد إيه بحلم باللحظة دي ..أكتر حاجة اتمنيتها في حياتي بعدك هي طفل منك .

الصدق في حروفه ينتزع كل ما كدّر مشاعرها من غيرة ليبدلها بهذا النبع الصافي من الأمان المعهود معه ..

فتقبل جبينه بنعومة قائلة :

_وأنا كمان يا حبيبي مستنياه بفارغ الصبر ..

ثم يعود إليها مرحها لتتحرر من بين ذراعيه ثم تقف هاتفة :

_عيب عليا يعني! شيبوب اتجوز وخلف "أُرطة عيال" وأنا لسة .

فيبتسم وهو يزيح عنه الغطاء ثم ينظر في الساعة قائلاً بضيق:

_اتأخرت قوي .. زمانهم جايين!





_ما تقلقش ! أنا مع طنط من الصبح في المطبخ وكله تمام ..هانيا خلعت عشان مذاكرتها بس "محسوبتك" سدادة !

تقول عبارتها الأخيرة بخشونة مصطنعة وهي تربت براحتها على جانب رقبتها فيضحك ضحكة قصيرة وهو يحيط كتفيها براحتيه قائلاً بجديته الحنون :

_عمري ما شكيت !

تهز رأسها بدلال تعلم أنه يحبه خاصة مع حركة خصلات شعرها النبيذية على كتفيها والتي امتدت إليها أنامله تداعبها قبل أن يتنحنح ليقول بحرج:

_بالمناسبة دي ماما كلمتني في حاجة ..هي ممكن تبان لك تافهة بس هي فارقة معاها .

ترمقه بنظرة متوجسة ليرد بتردد :

_بتضايق من كلمة "طنط" دي ..عايزاكِ تقوليلها يا "ماما"!




تشحب ملامحها فجأة وكأنما اختفى المرح والدلال منهما في غمضة عين ليشعر بنظراتها تزيغ قليلاً قبل أن تغمض عينيها بقوة ..

ثم لم يدرِ من أين تفجرت فجأة كل هذه الدموع التي أغرقت صدره وهو يضمها إليه !

جسدها يرتجف بقوة أخافته حقاً وجعلته يشعر بالندم على طرقه لهذا الأمر ..

يعلم أنها متحفظة تماماً في الحديث عن أمها منذ وفاتها ..

بل إنها لم تحدثه عنها بكلمة واحدة منذ أزمتها الأخيرة !

هي تجاهلت ..وهو جبن عن أن يطرق باب هذه الذكرى المفجعة لكليهما !!

لكنها الآن وهي ترتعد بين ذراعيه بهذه الهشاشة تجعله يشعر بالندم على مشاركتها تجاهل هذا الحزن الدفين بداخلها !!




_أنا آسف .

كلماته قليلة كعهده لكن لغة جسده كعهدها معه تكفيها ..

خاصة وهو يغمرها بين ذراعيه مطوقاً إياها بهذا الحنان غير المحدود ..غير المشروط ..

وبهذه القوة التي تكفيها شر خوف الخذلان !

تستسلم لبكائها للحظات بين ذراعيه وذهنها يستعيد قسرياً كل مشاهد معاناتها مع أمها وانتهاء بليلة الحادث ..

الجرح ..اللوم ..الخذلان ..ثم التعاطف والإشفاق ..

طوفان المشاعر الذي غلف علاقتها

الاستثنائية بوالدتها الراحلة يعود ليكتسحها ..

لكنها تملك من القوة ما يجعلها تنهض من عثرتها بعد لحظات لتمسح دموعها بأنامل مرتجفة ..





ثم تغتصب ابتسامة ترفع بها عينيها إليه لتقول بمزيج غريب من وهن وقوة :

_فهمها إني مش هاقدر أقول الكلمة دي لحدّ ..لا هي ولا "أنّا" ..العيب مش فيهم ..العيب فيا أنا ..

ثم ابتعدت عنه ما يسمح لها أن تتحسس بطنها بأناملها لتردف بشرود :

_يمكن بعدين ..لما أسمعها تتقاللي ومعناها في وداني يتغير ..يمكن ساعتها لساني يتصالح معاها .

يرمقها بنظرة مشفقة تتبدل لألف وعد بالأمان ترجمته قوة عناقه قبل أن تغمرها قبلاته كغطاء ناعم يغشى برودة جسد سقيم ..

صوت رنين الجرس يقاطع صخب خفقاتهما فيتنحنح وهو يبعدها قائلاً بضيق مصطنع:

_طول عمره إسلام ده هادم اللذات !




ضحكتها المهلكة العالية تزيد عذابه وهي تلتقط وشاحاً قريباً لتلفه حول رأسها هاتفة بدلال عاد يغزو صوتها :

_طب روح اغسل وشك وبالذات ودانك الحمرا دي ..هتفضحنا!

=========

_ياللا يا "هنايا" الناس وصلوا!

يهتف بها رامز بمرح وهو يقبل عليها بينما هي منكبة بظهرها أمام حاسوبها المحمول فوق منضدة السفرة كعادتها ..

لتردد خلفه بشرود :

_"هنايا"؟!

_امال!! قررت أدلعك من هنا ورايح "هنايا" ..

يقولها وهو يرفعها قسراً من مقعدها ليديرها نحوه مردفاً بنفس المرحة :

_وكما قال المرحوم فؤاد المهندس "يا سعدي وهنايا ..يا فرشي وغطايا"!





تنطلق ضحكتها شاحبة بشحوب ملامحها فيتأمل هالاتها السوداء التي تضاعفت مؤخراً بإشفاق ليستطرد بنبرة أكثر جدية رغم مرحه المعهود :

_وبعدين في "عيون الباندا" دي بقا ؟! يتوب علينا ربنا!

_شكلي متبهدل كده ؟!

تسأله بضيق غزا نبرتها المتعبة ليبتسم وهو يحيط وجنتيها بكفيه قائلاً بجدية :

_شكلك عظيم ..ربنا هيعوض تعبك خير بإذن الله ..بكرة كل ده يهون لما نوصل للي عايزينه !

وكأنما كلماته تملك هذه القدرة السحرية التي تحولها من حال لحال ..خاصة وهو يشير لنجاحها بضمير الجمع ..





فتأخذ نفساً عميقاً تملأ به صدرها قبل أن تزفره ببطء وهي تخفي وجهها في صدره قائلة :

_هانت يا رامز ..صدقني ما عدتش عايزة أنجح عشان نفسي وبس ..لكن عشان أفرحك بصبرك عليا ..

ثم رفعت وجهها لتقبله بخفة على شفتيه مردفة :

_صبركم كلكم ..انت وطنط ..ونبيلة اللي ما زرتهاش من شهر ويامن اللي بالعافية باعرف أرد عليه في التليفون ..واخواتي اللي مش عارفة أشوفهم ..دي حتى غادة اللي طبخت الأكل مع مامتك النهارده .

فيقرص أنفها برفق هاتفاً :

_هنقعد ونتحاسب بعدين ..الناس جت ياللا .

يقولها وهو يناولها وشاحها لترتديه بسرعة قبل أن تلحق به نحو شقة سيف حيث تجمع الحضور ..





المائدة الكبيرة تضمهم جميعاً بصخب الحديث الذي تراسه إسلام بمشاكسته المعهودة مع علاء ..

إيناس بحنان تعليقاتها الأمومي ..

هانيا التي بدت شديدة الفخر بصديقتها حقاً وهي ترى لمساتها الأنثوية المميزة في المكان حولها ..

سيف الذي بدت عيناه معلقتين بغادة وحدها وكأنه لا يرى سواها وسطهم جميعاٌ..

غادة التي بدت بقمة سعادتها وهي تتلقى فخر حماتها بها وسط الحضور ..

عائلة حقيقية يزداد أفرادها يوماً بعد يوم بمذاق العوض عن سابق الحرمان ..

وأخيراً نشوى التي كان كفها يحتضن كف إسلام في مبادرة منها هي هذه المرة !

لا ..لم يكن هذا فقط هو ما اختلف عن لقائها السابق بغادة ..

بل نظرتها التي تشبعت بالثقة وهي تشعر بالغرابة إذ لم ترَ غادة بهذه الفتنة الخيالية التي غذاها شعورها بالنقص وقتها ..





كذلك لم يعد جسدها النحيف أيقونة الفتنة بل صارت ترى امتلاء جسدها هي الأفضل مادام هو كذلك بعينيه !

هل هذا هو ما يفعله بنا الحب الحقيقي عندما يملأ فراغات النقص في روحنا فيمنحنا صورة الكمال في مرايانا ؟!

والسؤال يجيبه إسلام وهي تراه يطعم ريما الجالسة على ساقيه قبل أن يميل بجسده ليطعمها هي ثم يغمزها خفية بهذه الطريقة التي تكاد تذيب عظامها ..

فتثمل عروقها بهذا الشعور الخاص الذي يتدفق دافئاً بداخلها ..

شعور فخر امرأة بعاشقها !

الدفء الحميم يغشى جلستهم بتعليقاتهم المتباينة وضحكاتهم التي امتزجت برضا قلوب عرفت جميعها الهناءة بعد طول شقاء ..





==========

ترتب لجين الأطباق بشرود على المائدة في شقة والدة عابد التي اختار هو الإقامة فيها طوال مدة مكوثهما في ماليزيا..

رغم سعادتها بعاطفة عابد التي تحيطها بهالة أمان لا تنكَر لكنها تشعر بانقباضة قلبها منذ وصلا إلى هنا ..

ربما هو شعورها أن حماتها لا تتقبلها ..

وربما هو فقط شعورها بالغربة وافتقاد ثمر وياقوت رغم جمال البلد هنا ..

وربما هي غيرة خفية تجتاحها رغماً عنها من ذكرى خطيبته السابقة ..

وربما هو كل هذا !

_سلمت يداكِ يا حوريتي.





يهتف بها عابد بصوته الحنون وهو يحيطها بذراعيه من الخلف ليطبع على عنقها قبلة ناعمة ناسبت همسه :

_لا حرمني الله صباحاً يشرق بكِ أنتِ قبل شمسه .

فتضحك وهي تستدير نحوه لتقول باستغراب:

_مش عارفة بتجيب الكلام ده منين ؟!

_يجريه قلبي على لساني ..ألم أخبركِ قبلاً أنني رزقت حبك ؟!

يقولها غير مبالغ وهو يشعر أنه حقاً وجد فيها ضالته ..

كل الصفات التي تمناها في زوجة تشاركه الطريق ..

لا يدري هل هي بركة الحب الحلال التي زينتها في عينيه فلم يعد يرى من النساء سواها ..





أم أنـها حقاً فاتنـة الروح خلابـة التفاصيل رغم بساطة ظاهرها ..

لكن النتيجة واحدة ..

هو صار مولعاً بـها حقاً !

الخاطر الأخير يجعله يتفرس ملامحها التي زادها خجلها المعهود فتنـة فيقطف من وجنتيـها قبلتين ثم يـهمس لـها بصدق دغدغ قلبـها برقته :

_سبحان من جعلكِ جنـة دنياي!

فتعض شفتـها بخجل مسبلة جفنيـها لتهمس لـه بتلعثم :

_مابعرفش أقول كلام حلو زيك ..بس والله العظيم أنـا زيك كده وأكتر .

يربت على رأسها برفق وهو يهم بالرد لكنه يلمح والدته قادمة بملامح متجهمة فيتوجه نحوها ليقبل




رأسها ويدها قبل أن يلقي عليها تحية الصباح مبالغاً في إكرامها ..

كان يعلم أنها لا تزال لا تتقبل زواجه من فتاة ببساطة لجين لكنه كان يأمل أن تقرب الأيام بينهما ..

_لجين استيقظت مبكرة خصيصاٌ لتجهز الإفطار ..كل هذا صنعته وحدها !

يقولها بفخر وهو يسحب الكرسي على رأس الطاولة لأمه التي جلست مكانها لتغمغم بكلمات مبهمة مع تحية صباح تقليدية فسحب كرسياً مجاوراً للجين التي جلست بارتباك قبل أن يجلس هو بينهما ليسمي الله ويبدأ في تناول نوع من "المعجنات" صنعته لجين بنفسها ..

_ذوقي هذه !





يقولها وهو يقرب قطعة منها لفم أمه التي تقبلتها منه لتلوكها في فمها ..

_أرأيت كم هي ماهرة !

_كل الفلاحين كده !

اتسعت عينا لجين بصدمة من رد المرأة الفظ لتشحب ملامحها وهي تطرق برأسها دون رد فيما رمق عابد أمه بنظرة عاتبة جعلتها تستطرد بسرعة :

_أنا قصدي إنهم بيهتموا قوي بشغل البيت وستاتهم شاطرين .

_على هذه أشهد !

يقولها عابد بنبرة مرحة يحاول بها احتواء الأمور ثم يحتضن كف لجين تحت المائدة برفق فترفع الأخيرة عينين وجلتين نحو حماتها التي كانت تتفرس ملامحها باهتمام شابه بعض الضيق الذي





ضخمته عين النقص كالعادة وجعلها تعاود الإطراق برأسها متناولة طعامها بصمت ..

فيما ظل عابد يتبادل مع أمه بعض الحوارات المتشعبة ..بين مرض خاله وبعض الأشغال المتعلقة بممتلكات والده الراحل هنا لكن لجين آثرت عدم المشاركة مكتفية بدفء كفه المعانق لكفها ..

_وانتِ لبستِ النقاب امتى؟!

تنتبه أخيراً أن السؤال لها فترفع عينيها لحماتها من جديد لتجيب بتلعثم :

_بعد العمرة على طول .

_ولبستيه ليه ؟! أنا أعرف إن النقاب ده بيلبسوه اللي جمالهم ملفت قوي لدرجة إنهم يخافوا من الفتنة !





لحظات صمت قليلة تمر بينهم بعد هذا السؤال الذي كهرب الجو فجأة !!

تشعر لجين برغبة مفاجئة في البكاء كمن تلقت صفعة على وجهها ..

لكن عابد الذي يدرك حساسية الأمر لديها كفاها الرد بقوله الحازم لأمه :

_أنا أراها هكذا جميلة حد الفتنة ..وهي فعلتها لترضي ربها ثم لترضيني .

فبدا الأسف على وجه المرأة وهي تبدو كمن يغالب انفعالاً عاصفاً لا يريد البوح به ..لتقول بما يشبه الاعتذار :

_ربنا يبارك لكم يا حبيبي ..ويسعدكم ببعض .

يرمقها عابد بنظرة عاتبة أشد قوة تجعلها تخاطب لجين بقولها :





_معلش ..أنا أعصابي تعبانة اليومين دول ومش مركزة في كلامي .

فتغتصب لجين ابتسامة تعودت منذ زمن مداراة حزنها بها لتتصنع المرح بقولها :

_لا أبداً عادي ..حضرتك ما قلتيش حاجة غلط ..

ثم تقف مكانها لتنتزع كفها من كف عابد برفق مردفة:

_أنا كمان الصحيان بدري مخليني مصدعة ..هاروح آخد أي مسكن .

يراقب عابد انصرافها بنظرات ضائقة ثم يعود ليخاطب أمه بخفوت عاتب:

_لم أعهدكِ هكذا ! لماذا تتعمدين إحراجها ؟!

فتزفر بقوة ثم ينفجر انفعالها كاملاٌ محاولة عدم رفع صوتها مثله :




_انت عارف م الأول إن الجوازة دي ماكانتش على مزاجي ..

_ليس هذا هو السبب ..كنت قد أقنعتك !

يقولها متوجساً فتعاود إطلاق زفرة قصيرة قبل أن تعجز عن الكتمان فتنسكب عبراتها مع كلماتها :

_قلبي مقبوض عليك من ساعة ما وصلت هنا ..خايفة الجماعة إياهم دول يكونوا لسه حاطينك في دماغهم .

فتتسع عيناه بصدمة وكأنه نسي تماماّ هذا الأمر ليرد مأخوذاّ:

_ألم يخبرني الصالح أنه قد تم القبض عليهم جميعاّ؟!

فتومئ برأسها لترد بخوف :

_بس احنا دايماً نسمع إن اللي زي دول ما بيخلصوش ..عشان أنا كده أنا بين نارين ..عايزة





أقوللك ارجع مصر وابعد عن كل ده بس مش هاقدر أرجع معاك عشان ظروف خالك ..وفي نفس الوقت مش عارفة أقوللك افضل معايا هنا .

_لا حول ولا قوة إلا بالله !

يتمتم بها مطمئناّ قلبه قبل أن يعاود الالتفات إليها ليربت على كتفها مردفاً بيقين:

_قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ..الله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين ..لا تخافي ولا تجزعي ..من توكل على الله فهو حسبه .

_ونعم بالله يا حبيبي!

تقولها وهي تجفف دموعها فيبتسم لها مردفاً ببعض العتاب:

_وهذا ليس مبرراً لضيقك من لجين ..هي لا ذنب لها ..لو كنتِ تريدين لي السعادة حقاً فاعلمي أن





جمال طباعها هو ما يزيد تعلقي بها كل يوم أكثر من سابقه ..هي صارت فرحة عمري .

هزت رأسها بتثاقل لترد بنبرة آسفة :

_انت عارف طبعي ..مابعرفش أتعامل مع القلق ..وشدة الأعصاب بتقلب معايا بقلة ذوق ..راضيها وما تخليهاش تزعل مني .

يبتسم لها مراعياً ثم يقف ليقبل رأسها بحب قبل أن يتحرك ليذهب إلى لجين ..

هي التي كانت واقفة أمام نافذة الغرفة تطالع الفراغ بشرود ..

تستعيد كلمات المرأة التي تعيد قذفها وسط جحيم هذا الشعور ..

هذا الشعور المقيت الذي لم تعرفه منذ وفاة حسين يعاود خنقها بقبضته الفولاذية ..





شعور المهانة ..التحقير ..

القدم الخفية التي تطأ رأسها لتدفنه في الرمل !

تشعر به خلفها فتتصنع رسم ابتسامة تلتفت بها نحوه ثم تبادره قبل أن يسأل لتهتف برضا مصطنع :

_سبتها بسرعة وجيت ليه ؟! أنا مش زعلانة .

_تكذبين ؟!

يسألها باستنكار عاتباً فتمتلئ عيناها بالدموع التي تجد ملاذها على صدره بينما يطوقها بين ذراعيه مردفاً :

_أعرف أن كلماتها كانت قاسية خاصة لامرأة بحساسيتك ..لكنكِ لا تعرفين أمي ..توترها يجعلها تنطق بما لا تقصده .

_وأنا سبب التوتر ده ؟!

تهمس بها شاعرة أن قدمها تنسحب للهوة السحيقة أكثر رغم جوابه لها بعدها :





_بل أنا !

ترفع إليه عينيها بتساؤل فيبتسم شارحاً بتفهمه الحنون :

_ابنها الوحيد! ..تذبذبها بين اضطرارها للبقاء هنا مع خالي بينما أنا مقيم في مصر ..ورغبتها في عودتي لماليزيا حيث ترى لي مستقبلاً أفضل لكنها تخاف عليّ البقاء هنا .

_من إيه ؟!

تسأله بقلق لكنه يؤثر ألا ينقل التوتر إليها فيرد بمواربة :

_عندما تصبحين أماً ستعلمين أن قلق الأمهات لا سبب له كما أنه لا يفنى ولا يستحدث ..خالد خلود الدهر .

ورغم المرح الذي حاول به صبغة كلماته لكنها بقيت على حالها من انقباض القلب فأطرقت برأسها دون رد ..




ليرفع هو ذقنها نحوه معانقاً إياها بنظراته الحنون التي بدت لها كمطر يغسل عن روحها ما علق بها من درن أوجاعها ..

قبل أن يصلها همسه :

_تسمحين لي بالاعتذار نيابة عن أمي؟!

لم ينتظر ردها وهو يميل عليها ليغمرها بعطايا شفتيه الناعمة التي تمزج عاطفته بحنانه فتذوب بين ذراعيه مستسلمة للحن عاطفته الهادئ لعله يمحو هذا الصخب الصارخ بداخلها ..

لكنه يبعدها أخيراً محاولاً تغيير الموضوع بسؤاله :

_تشتاقين أن تكون أماً ؟!

_أشتاق أن أكون أم أولادك أنت!

تنطقها -بالفصحى- دون وعي كأنما امتزجت روحها بروحه في هذه اللحظة فصارت تتحدث بلسانه !





هذا الذي شعر هو به تماماً فانتشت به جوارحه وهو يضمها نحوه أكثر هامساً برقة رجولية نادرة :

_صرتِ تتحدثين مثلي!

فتتسع عيناها للحظة وهي تميز لتوها ما حدث ثم تمرغ وجهها في صدره دون رد تود لو تبقى هذه اللحظة بأمانها بين ذراعيه

للأبد فلا تنتهي ..

لكنه يحني رأسه ليلصق وجنته بوجنتها متنشقاً عبير عطرها الذي يوقن أكثر من غيره أن لم تحمله يوماً سواها ..

ثم يهمس لها بنبرته الآسرة:

_أنتِ حوريتي ..قِبلة قلبي التي لا يجوز له





الالتفات عنها ..سألتكِ بالله ألا تخفي يوماً حزنك عني ..دعينا نتشاركه فنمحوه معاّ أو نحمله معاّ ..أنتِ وعدتني بهذا يوماً فلا تخلفي وعدك .

_آسفة ..

تقولها بمزيج من اعتذار وامتنان لفيض هذه العاطفة التي لم تحلم يوماً بمثلها ليرد بصوته العذب وبريق عينيه المرح يناقض الوقار الظاهر لحروفه :

_أما علمتِ بأن لكل ذنب كفارة ؟! وكفارتك إطعام مسكين بين ضلوعي لن يشبعه إلا سخاء وصالك !

تضحك لطرافة التشبيه فيذوب صدى ضحكتها بين شفتيه وهي تستسلم من جديد للحن عاطفته الذي ازداد صخباّ هذه المرة وهو ينتهي بهما فوق فراشهما ..

صخباً أنساها مؤقتاً قسوة هذا الشعور المقيت الذي عاد يكتسحها بقوته القاهرة ..




لكن هذا الكابوس الذي تراه في نوم قيلولتها يعود ليذكّرها ..

صورة حسين تطاردها ومن خلفه أناس لا تعرفهم يحملون أحجارهم ليقذفونها بها ..

تعدو وتعدو فلا تجد لها ملاذاً إلا بيت ثمر ..

البيت الذي لا تميز فيه سوى حجرة الخزين السفلية ..

وبالتحديد هذه "الجرّة الفخارية" التي نبت لها ذراعان فتحتهما لها كأنها تناديها أن لا أمان لها إلا هنا !

هنا تنجو من حجارتهم بل وتعيد قذفها نحوهم فيرتدوا عنها!!

تشهق بقوة وهي تفتح عينيها مستيقظة لتجد نفسها وحدها في الفراش ..





تنهض بتشوش محاولة تخطي أحداث الحلم الغريبة التي عادت تطبق نفس القبضة حول عنقها لتخرج من الغرفة باحثة عنه لكن الخادمة تخبرها أنه قد خرج مع أمه ..

تتناول هاتفها لتجد رسالة قصيرة منه :

_اضطررت للخروج مع أمي لشأن ما ولم أرد إزعاجك ..كوني بخير يا حوريتي .

تبتسم ببعض الارتياح وهي تعود لغرفتها لكن قدميها تتوقفان فجأة أمام باب غرفة أمه ..

تتعلقان بهذه الثريا المتلألئة التي تتدلى من السقف ..

والتي ذكرتها بكل تلك البيوت التي سرقت أصحابها ..

الكابوس ..

الأحجار المقذوفة نحوها ..

صراخ الناس الهائجين عليها ..




الجرة تفتح ذراعيها لها ..

ثم لم تشعر بنفسها وهي تتقدم نحو الغرفة كالمسحورة مستجيبة للنداء القديم الذي ظنت نفسها لن تجيبه ..

=========

_تأخرت عليكِ !

يهتف بها عابد بنبرة اعتذار وهو يدخل عليها غرفتهما لتبتسم له بارتباك مع هزة رأسها الذي قبله بحنان مردفاً :

_عذراً ..المشوار استغرق أكثر من الوقت الذي توقعته ..لكن لا بأس ..سأعوضك ! سنخرج غداً في نزهة ل ...

تنقطع عبارته مع سماعه لهذا الصخب من الخارج حيث يعلو هتاف أمه الحاد مع الخادمة فيخرج معها إليهما ليفاجأ بأمه تصرخ بالفتاة باتهام:





_أنا قالعاه بإيدي وحاطاه ع التسريحة قبل ما أخرج ودلوقت مش لاقياه .

_ما شفتوش ..بحلفلك ما شفتوش .

تقولها الخادمة ب"لغتها" باكية فيهرع إليهما مستفسراً بقلق عما حدث لتلتفت نحوه أمه هاتفة بانفعال عصبي:

_العقد اللولي بتاعي مش لاقياه .

يمتقع وجه لجين وعيناها تتشحان برعب غامض فيما تشحب ملامحه وهو يحاول نفي الخاطر الذي فرض نفسه على تفكيره رغماً عنه ليهتف بأمه مهدئاّ:

_إن بعض الظن إثم ..ابحثي عنه جيداً في غرفتك قبل أن تتهمي الفتاة ..

ثم توجه للفتاة الباكية ببصره مردفاٌ بتلعثم :

_وأنتِ عودي لغرفتك الآن .





_أنا متأكدة إني سايباه ع التسريحة قبل ما أمشي ..هيروح فين يعني ؟!

تهتف بها أمه بعصبية قبل أن تتركه لتعود إلى غرفتها فتصفق بابها خلفها بعنف ..

ليطرق هو برأسه شاعراً أنه يكاد ينفجر حرجاٌ وخوفاً!!

هل فعلتها لجين مدفوعة بمرضها الذي يعرفه ؟!

هل ضعفت أمام تصرفات أمه الحادة معها فانتكست بعد شفائها الذي أخبرته عنه ياقوت ؟!

هل يلومها الآن وهو يراها مجرد مريضة ليس عليها حرج ؟!

لا ..لن يلومها ..لكن أمه ستفعل ..

وربما يقتضي الأمر فضح سر لن يرضيها فضحه !!

يالله !!

ما هذه المصيبة ؟!!





_يارب سلم ! يارب سلم !

يهمس بها في نفسه سراً بدعاء خاشع قبل أن يلتفت للجين التي وقفت مكانها وارتعادها الظاهر يفضح ذنباً لا تبوح به ..

يتحرك نحوها ببطء محاولاً البحث عن كلماته لكن هذه النظرة المرتعبة في عينيها تقتله ..

فليمت ولا يسبب لها حرجاً كهذا !!

لهذا تكلف ابتسامة مصطنعة وهو يربت على وجنتها قائلاً :

_ستجده بالتأكيد .

فتتكلف ابتسامة شبيهة وهي تكتف ساعديها قائلة بارتباك أكد ظنونه :

_أكيد ..أكيد هتلاقيه .





يعقد حاجبيه بضيق وهو يشعر بملامحها التي يعرفها تكاد تصرخ أنها تخفي شيئاٌ فيبتلع غصة حلقه وهو يهز رأسه بلا معنى للحظات ..

قبل أن يبسط ذراعه فوق كتفيها ليدخل بها غرفتهما ثم يغلقها خلفهما ليستوقفها أمامه للحظات محاولاٌ أن يبحث عن صيغة مناسبة للسؤال لا تجرحها ..

لكنه عجز عن فعلها !

حتى في موقف كهذا كره أن يكسر صورتها في عينيه !

_عابد!

همسها المرتعب يمزج خوفها بترقبها ودقات قلبها الهادرة يكاد صوتها يصله مكانه ..

فيجذبها نحوه ليضمها إليه بقوة حانية كأنما يريد تطبيبها بهذا الأمان غير المشروط رغم الخوف الذي يملأ صدره هو من أن تكتشف أمه شيئاّ أو البديل الأسوأ أن تتهم الخادمة ظلماّ!





الصمت بينهما يفضح عجز كل منهما عن البوح بما يجيش بصدره ..

لكنه يقطعه أخيراً وهو يتجه بها نحو الفراش قائلاً بحنانه المعهود :

_كان يوماً حافلاً ..تعالي كي ننام والغد لناظره قريب .

يشعر بارتجاف جسدها بين ذراعيه فيغزوه الإشفاق نحوها أكثر لكنه يستلقي جوارها على الفراش ليضمها بحنوّ محاولاً اجتذابها لأحاديث أخرى فرعية..

حتى شعر بها تستسلم للنوم أخيراً ..

ظل يتأمل ملامحها الساكنة لدقائق لا يدري عددها قبل أن يغادر الغرفة كي يتوضأ ويصلي ركعتين لقضاء الحاجة ..





ولم يكد ينتهي حتى عاد لغرفتهما وقد استقر على رأي ..

يتحرك بحذر ليفتش في أرجاء الغرفة بدقة محاولاً تبين المكان الذي قد تخفي هي فيه شيئاً كهذا ..

لكنه لم يجد شيئاّ!

يرفع عينيه للسماء باستجداء فتتعلق نظراته بحقيبة السفر فوق خزانة الملابس لتلتمع عيناه بترقب ..

يحرك كرسياً قريباّ بحذر ليقف فوقه ثم يمسك بالحقيبة لينزل بها أرضاً ..

يفتحها بأنفاس لاهثة ليفتش فيها بسرعة بين حاجياتها لكنه يفاجأ بالصوت خلفه ..

_كنت عارف؟!

========

_دماؤهم قربان لرضا الله عز وجل ..لا تخف أن تقتل منهم واحداً واعلم أنك بذلك تحيي ألف شعيرة من شعائر الدين التي انتهكوها ..ميّتنا شهيد وميّتهم كافر ..ميّتنا في الجنة وميّتهم في النار !

الكلمات الرنانة بصوته الخطابي والتي تمزج السم بالعسل مستخدمة تعابير من القرآن والسنة تشعل القلوب أمامه فيهتفون له بحماس ..

في هذا المكان المنعزل الجديد الذي اتخذوه قاعدة لهم ..

فيرمقه مساعده من بعيد بنظرة إعجاب قوية وهو يدرك لماذا أسموه ب"الصقر"!

يظل يراقبه من بعيد وهو يتابع هذه التدريبات القتالية التي انتهت بتدريبهم على الرماية ..

قبل أن ينفض الجمع نحو ما يشبه الثكنات العسكرية ..




ليتوجه ساعتها نحوه فيرمقه الصقر بنظرة نافذة مع قوله :

_تبدو كمن يحمل خبراً جيداً !

يومئ مساعده له برأسه إيجابا ثم يقول بنبرة ظافرة تخللتها الكراهية :

_المارق المرتد محمد عابد عاد إلى بيته .

فتلتمع عينا "الصقر" بنظرة قوية ثم تلتوي شفتاه بشبه ابتسامة :

_أعرف .

_تعرف وتتركه ؟! هل نتخلى عن ثأرنا معه ؟! لقد تسبب في إلقاء القبض على معظم جماعتنا ..لن تكون دماؤنا حرة لو تركناه يعود إلى بلاده .

يهتف بها الرجل بشراسة فيتحرك "الصقر" بسلاحه نحو أحد الأهداف البعيدة ثم يطلق رصاصته فجأة تصيب الهدف وتشق الصمت بدوي هائل ..





قبل أن يلتفت نحو مساعده ليرفع أحد حاجبيه قائلاً بفحيح بارد :

_بل نتركه يعود لبلاده إنما نجهز له انتقاماً يليق به ..وبنا!

=======

القطعة الثانية والثلاثون

=======

_كنت عارف؟!

صوتها الغارق في خزيه ..في خوفه ..وفي يأسه يجعله يلتفت نحوها بنظرة مصدومة ..

لكنه يلقي ما بيده جانباً لينهض متجهاً نحوها بنظرة لا تقل عنها خوفاً وان امتزج بحنانه المعهود ..

نظرة تلقفتها عيناها بما يشبه تشبث الغريق بطوق نجاته ..

قبل أن تشعر بجسدها كله مغموراً بين ذراعيه !

خفقات قلبه تشارك فؤادها جنونه والصمت الثقيل يفرض نفسه بينهما إلا من صوت أنفاسهما اللاهثة ..

يربت على ظهرها برفق محاولاً السيطرة على انفعاله وانفعالها معاً ..

ثم يقطع الصمت أخيراً بهمسه :





_لا تخافي ..أنا معك على أي حال ..لن يغير شيئٌ ما بيننا ..أي شيئ!

اليقين الراسخ الذي يلون حروفه كان كل ما تحتاجه لتهدأ خفقاتها الملتاعة قليلاً قبل أن ترفع له عينيها بتساؤلها :

_عارف من امتى؟!

فيغمض عينيه للحظة ثم يعاود فتحهما ليرد سؤالها بسؤال :

_هل هو وقت المصارحة ..لكلينا ؟!

تدرك ما يقصده من خلف سؤاله فتمنحه وعدها الصامت وهي تحاول قدر استطاعتها كتم دموعها كي لا تثنيه عن المضيّ فيما يريد الاعتراف به ..

فيأخذ نفساً عميقاً وهو يدعو الله سراً أن يلهمه قول ما يساعدها لا ما يزيد خزيها هذا .





يحكي لها عن رؤيته لها ذاك اليوم في بيت الشيخ ثم سماعه اعترافها له ..

ثم عن رؤياه التي شاهدها فيها بثوب عروس يناولها فيها طرحتها كي يكمل سترها ..

فتتسع عيناها بصدمة مع سؤالها:

_طول الوقت ده كنت عارف ؟! وقابل ؟!

ابتسامته الرائقة تهدهد خوفها وهو يربت على رأسها بقوله :

_إذا كان الله يرفع عنا الحساب عما استُكرهنا عليه ؟! فمن أنا كي أنصّب نفسي القاضي والجلاد ؟!

ثم يشرد ببصره ليردف بنبرة أكثر شجناٌ :

_ومادام هو وقت المصارحة فلنكشف كل الأوراق ..لا تظنيني بهذه المثالية التي يوحي بها مظهري الملتزم ..يوماً ما كدت أفقد نفسي في طريق قلّ من يعود منه سالماً ..كدت ألوث يدي بدم أبرياء !





تشهق بخوف وهي تتفحص ملامحه بعدم تصديق ليروي لها تفاصيل علاقته بذاك التنظيم الذي كاد يجر قدمه لهذه الهوة السحيقة لولا الحادث الذي أردي فيه والده قتيلاً ..

يزداد تكاثف الدموع في عينيها لكنها لا تزال تقاومها باستماتة ..

وقد كان دورها هي هذه المرة لتربت على ظهره بأنامل مرتجفة وهي تلمح هذا الحزن القاهر على وجهه لأول مرة يلوث سماحة ملامحه المعهودة..

_يعني فيه خطر عليك ؟!

تسأله برعب جمد ملامحها ليبتسم لها مطمئناً :

_لا تخافي ..أظن هذه الصفحة قد طويت للأبد ..





تحاول التمسك بهذه السكينة التي تغمر حروفه داحضة مخاوفها من هذه الناحية فتشعر به يتشبث بها أكثر وهو يستطرد بصدق دافئ:

_لهذا لا أبالغ لو قلت أن روحي رأتك قبل عيني ..كنت أميز داخلك صرخة صامتة تود لو يطلقون لها العنان لكنهم يخرسونها قهراً ..أستقرئ هذا الشعور الجليّ بالذنب الذي لا حيلة لنا فيه ..رأيتك وجهي الأبيض ..توأمي في عذاب لا يحس به إلا من ذاق وجعه ..وخفت عليكِ وجهي الأسود ..ذاك الذي كنت أرجم به غيري يوماً وكأنني بلا خطيئة ..

ثم صمت لحظة يزدرد ريقه متمالكاً انفعاله ليحيط وجنتيها براحتيه متطلعاً لعينيها قبل أن يسألها بوجل :

_لهذا أستحلفك أن تقولي الحقيقة ولا تخافي ..ولا تخجلي ..أنا مرآتك وسترك وظهر أمانك ..والله لا أخذلكِ أبداً مادام قلبي ينبض!





هنا فقط انـهارت كل مقاومتـها لتغرق دموعها صدره فيتأوه بخفوت وصوته يتحشرج بسؤاله :

_أنتِ فعلتـها ؟!

تصمت للحظات تمر عليه طويلة حقاً قبل أن تـهز رأسها على صدره نفياً فيحمد الله سراً مراعاة لـها ..

بينما هي تـهمس بين شهقات نحيبها :

_لما بسرق ما بكونش في وعيي ..ما بكونش شايفة غير حاجة بتبرق ..بتبرق قوي ..بتفكرني بحسين رجائي ..ما بكونش سامعة غير صوت جوايا بيقوللي احرميهم زي ما انت اتحرمتِ ..عمري ما عرفت أرد على كلمة وحشة اتقالتلي أو نظرة حد دبحني بيها ..كنت بضحك وأعمل نفسي مش هاممني ..كنت من جوايا ببقى عايزة أدافع ..آخد حقي ..بس آخده بإيه ؟! واحدة زيي تملك إيه ؟! في إيدها إيه ؟!





تدمع عيناه بتأثر وهو يشدد من قوة ضمته لها لكنها ترفع إليه عينيها لتردف بابتسامة باكية :

_بس النهارده أنا عندي كتير ..عندي انت ..اخواتي ..وفوق كل ده إحساسي إن ربنا راضي عني عشان مسخر لي كل ده ..عندي عين بقت تشوف الموجود مش اللي ناقص ..ولسان بيحمد ربنا ع اللي في إيدي مش طمعان في المحروم منه ..

ثم صمتت لحظة تلتقط أنفاسها لتغمض عينيها بقولها:

_وعندي قلب راضي ..راضي وفرحان قوي بعوض ربنا ..قلب سليم ماعادش مريض .

لم يشعر بنفسه وهو يميل عليها ليغرق وجهها بقبلاته ..

كلماتها على بساطتها ترفعها درجات ودرجات في عينيه ..





فتضحك ضحكة مكتومة بدت بائسة وسط كل هذه الدموع وهي تبعد وجهها عنه لتكمل فيض بوحها :

_أنا فعلاً دخلت أوضتها ..شفت العقد ومسكته بإيدي ..كنت خلاص هاخرج بيه من الأوضة وأنا حاسة بنفس الطعم الحلو اللي بيملاني كل مرة ..بس لقيتني فجأة وقفت مكاني ..الطعم الحلو بقا مر ..مر قوي علقم ..يمكن عشان شفتك انت قدامي بعينيك المليانة حب ..يمكن شفت إسلام وهيثم وحنيتهم اللي جت بعد شوق عمر ..يمكن شفت ياقوت ووعدي ليها إني مش هاخذلها ..يمكن شفت ستي ثمر وخوفي عليها ..ويمكن قبل كل ده شفت صورتي في المراية ..صورة ما بقتش ألاقيها وحشة زي زمان ..بالعكس بقت حلوة ..حلوة قوي ..بيكم كلكم !

_سبحانه من إذا أعطى أدهش بالعطاء ..الحمد لله !

يتمتم بها بخشوع وهو يعاود ضمها إليه فتتمتم بها مثله سراً قبل أن تعض شفتها لتهمس بتلعثم :





_أنا رميته من إيدي ومش فاكرة وقع فين ..لما سمعت والدتك بتقول مش لاقياه خفت أتكلم تعرف إني دخلت أوضتها وتسألني كنت بعمل إيه هناك ..وخفت تظلم الشغالة الغلبانة ..مابقيتش عارفة أعمل إيه .

فتنهد بحرارة ليبتسم لها مطمئناً :

_لا بأس ..غداً أبحث عنه بنفسي في الغرفة حتى أجده .

_زعلان مني؟!

تسأله بوجل مذنب لكنه يقبل رأسها بتقدير مجيباً :

_بل فخورٌ بكِ يا فضية ..ألا تعلمين أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ..فما بالكِ بمن يصارع مرضه حتى يهزمه ..

ثم صمت لحظة ليداعب أنفها بأنفه مردفاً :

_كنتِ حوريتي ..فصرتِ بطلتي !





_عابد !

تهمس باسمه بهيام وهي عاجزة عن الرد فيضحك بابتهاج ليسمع صوت الأذان لصلاة الفجر فيردده معها بخشوع قبل أن يبتعد ليتجه نحو الحمام القريب فيتوضأ بسرعة ثم يقصد خزانة ملابسه كي يبدل ثيابه استعداداً للخروج للصلاة ..

فلحقت به تساعده بسرعة قائلة بنبرة اعتذار :

_آسفة ..ضيعت عليك القيام الليلة دي .

_لا بأس ..كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فاته قيام الليل يعوضه صبيحة اليوم الذي يليه .

يقولها وهو يتم ارتداء ثيابه ليربت على رأسها برفق فهتفت به تودعه :

_هتصلي بيا الضحى جماعة لما ترجع .

فابتسم وهو يشير لها موافقاً متذكراً حديثهما عن هذا الأمر ورغبته دوماً رغم التزامه بالصلاة في المسجد أن يجعل لبيته نصيباً من صلاته ..





تتحرك لتتوضأ ثم ترفع عينيها في دعاء خاشع يمتلئ بالحمد لتؤدي صلاتها بدورها وتطيل ركوعها وسجودها شاعرة بأنها تتشبث أكثر بأستارها النورانية تمحو بها المزيد والمزيد من ظلماتها ..

حتى إذا ما انتهت مكثت مكانها تتذكر نصيحة ثمر لها عقب كل صلاة :أن تمكث مكانها تذكر الله بدعاء أهل الجنة (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام) ولا تكون كالعبد الآبق الذي ينتظر انتهاء الصلاة كي يفر لأمر الدنيا !

تراه يعود أخيراً يتقدم نحوها ثم يتربع جالساً أمامها .. ليجذبها نحوه ثم يريح رأسها في حجره ل..يرقيها !





تبتسم بارتياح غامر وهي تشعر بحركته هذه تذكرها بثمر ..

فأتم ما يفعله ليقول بسماحته وبدعوته التي صارت تتبرك بها منه:

_أدام الله سرورك ..هنيئاً لقلب يستحق الفرح .

تفتح شفتيها وهي تهم بالرد لكن صوت طرقات خافتة على الباب المغلق يقاطعها مع صوت أمه :

_عابد ؟! انت صاحي ؟!

تشحب ملامحها رغماُ عنها وهي تنهض من رقدتها بارتباك لكنه يشير لها بيده مطمئناّ ثم ينهض بدوره ليوقفها معه ..

قبل أن يتحرك نحو الباب ليفتحه ..

_لقيته !





تقولها أمه مبتسمة ليضحك هو بارتياح ناظراً للعقد في يدها بينما الأولى تردف بنبرة حانية :

_العقد ده بالذات له معزة عندي لأنه كان أول هدية من باباك الله يرحمه .

_رحمه الله وجمعنا به في جنته .

يتمتم بها ببعض الأسى فتتقدم أمه خطوتين داخل الغرفة وقد لمحت لجين تقف خلفه وجلة بإسدال صلاتها الذي أضفى على ملامحها نورانية محببة ..

تبتسم لها بما يشبه الاعتذار عن سابق معاملتها القاسية ثم تقترب منها أكثر لتلبسها العقد قائلة :

_اعتبريه اعتذار مني عن إني ماقدرتش أحضر فرحكم ..مش هلاقي هدية أغلى من دي أديهالك .

تدمع عينا لجين وهي تلتفت نحو عابد الذي تقدم منهما ليبسط ذراعيه حولهما معاً مانحاً لكل منهما قبلة على التوالي وبادئاّ بأمه التي تراجعت قائلة :

_ناموا انتو بقا ..تصبحوا على خير .





تقولها لتخرج مغلقة الباب خلفها برفق لتبسط لجين راحتها على شفتيها قائلة بانفعال وهي عاجزة عن منع دموعها التي عادت لجريانها :

_شفت اللي حصل ؟! انت مصدق؟!

فيبتسم لفرحتها ثم يتحسس العقد على جيدها قائلاٌ :

_ومن لا يصدق وعد الكريم الذي وعد بأنه مع كل عسرٍ يُسرَين ؟!..إن مع العسر يسراٌ ..إن مع العسر يسراً .

يقولها بيقين ينتقل منه إليها فتضحك ضحكة رائقة وهي ترفع عينيها للسماء بالحمد الذي كان يشاركها هو إياه ..

قبل أن تقول له برقّة :

_ده وقت "الوِرد" بتاعك ..مش هاضيع عليك القيام والوِرد كمان .





كانت تعلم أنه يختص هذا الوقت بقراءة ورده من القرآن وحده في الشرفة كي يستفتح يومه بهذه الطاعة ..

فابتسم وهو يربت على كتفها قائلاٌ :

_ستنامين؟!

_هاستناك .

تقولها وهي تهز رأسها نفياٌ لتتسع ابتسامته ثم يتركها ويغادر نحو الشرفة القريبة ..

يعود بعد قليل فيجدها جالسة أمام مرآتها وقد ارتدت ما هو كفيلٌ بخلب لبه ..

تمشط شعرها الأسود الطويل بدلال خجول وهي تنظر إليه عبر المرآة ..

قبل أن تمتد أناملها نحو زجاجة العطر التي خصها هي بها تهم باستخدامها ..





لكنه يسرع إليها لينحني فوقها فيمسك كفها بأحد كفيه وذراعه الآخر يضم ظهرها إلى صدره هامساً جوار أذنها بحرارة :

_لازلتِ تخطئين طريقة وضعك العطر يا فضية ..ولازلت أتوق كل مرة لتعليمك الطريقة الصحيحة .

=========

_وحشتيني يا "أوبرا"!

تقولها ياقوت بحنان صادق وهي تشاركها تشكيل أقراص العجين وقد جلست كلتاهما متربعة في صالة بيت ثمر التي انهمكت في شأن ما بالمطبخ لتميل لجين على شقيقتها هامسة :

_عايزة أحكيلك حاجة مهمة حصلت هناك ..

تقولها ثم تندفع تحكي لها بخفوت عما جرى لها هناك في ماليزيا وتجربتها الأخيرة مع مرضها





لتتهلل أسارير ياقوت وهي تميل عليها تقبل وجنتها بقوة هامسة :

_الله أكبر عليكِ ..هو ده ! فرحتيني قوي !

فتبتسم لها لجين ببعض الخجل وهي تختلس نظرة نحو باب المطبخ تتأكد أن ثمر لا تسمع ..

لتعود إليها ببصرها هامسة :

_دلوقت اتأكدت إني خفيت خلاص ..والله ما هتصدقي يا توتا ..كأن الدنيا اتقلبت في غمضة عين ..حتى أمه اللي كانت مصدرالي الوش الخشب من يوم ما شافتني لقيتها اتعدلت معايا ..

تبتسم ياقوت وهي تحدق في عقد اللؤلؤ الذي يزين جيد شقيقتها ثم تضع كرة العجين التي في يدها مكانها على الصينية لتصنع أخرى وهي تهمس لها باعتزاز :





_تستاهلي الخير كله ..هم الحموات أغلبهم كده ..الحمد لله مش هيبقى عندي حما .

قالت عبارتها الأخيرة عفوياً لترفع لجين حاجبيها ثم تهمس لها بمكر :

_هاا؟! قلتيلي !! هو فيه حاجة غايبة عني ما أعرفهاش .

_حاجاااات!

تهز بها ياقوت كتفيها بمرح ماكر فتضحك لجين ضحكة عالية وهي تشعر بملامح ياقوت قد أشرقت أكثر كأنها قد عادت طفلة !

خاصة ووجنتاها تحمران مع ضحكتها الخجول فتهمس لها لجين بلهفة :

_كنت حاسة والله ..قولي بقا ما تبقيش بايخة ..هو مين وفين وإزاي ؟!





_ششششش! وطي صوتك ..رابحة لو سمعت حاجة هتقلبه فرح بلدي وتفضحنا !

تضحك لجين عالياً مع عبارتها فتتنهد ياقوت بحرارة وهي تشعر لأول مرة أنها لا تخجل من البوح لشقيقتها بكل شيئ عن علاقتها بزين ..منذ البداية ..

كانت لجين تنصت إليها باهتمام وعيناها تتسعان بذهول مع التفاصيل حتى شعرت بخفقات قلبها تتسارع مع كل هذه الأحداث التي عايشتها شقيقتها وحدها ..

لتقاطعها في منتصف الحكاية وهي تميل عليها لتحتضنها بقوة هامسة :

_يا قلب أختك ! كل ده شفتيه لوحدك وأوله كان بسببي !

_إيدك والعجين يا أوبرا ..هتبهدلي البجامة انتِ عارفة دي بكام ؟!




تهتف بها ياقوت باستنكار فترفع لجين حاجبيها بدهشة ثم تضحك كلتاهما عالياًٌ قبل أن تمد الأولى ذراعيها فتعانق لجين بقوة هامسة :

_اصبري عليا ..ماهي بقت ميت فل وعشرة ..اسمعي الباقي ..

تقولها وهي تبتعد لتحكي لها بقية الحكاية التي تابعتها لجين بشغف ..

قبل أن تنهيها ياقوت بقولها مع تنهيدة حارة هائمة :

_بس يا ستي ..واهه أخوكي واقف حالي وحاله من يومها ..والجدع يا عيني صابر ما بيشتكيش ..

تضحك لجين ضحكة عالية تقابلها ياقوت بنظرة عاتبة مرحة فتكتمها براحتها لتهمس لها بمرح:





_اعذريني بس مش مصدقة إنك لقيتِ أخيراً راجل تتكلمي عنه كده ..ده أنا كنت قربت أشك إن معمول لك عمل .

_ماهو مش أي راجل ..ده زين الفايد ..حاجة كده تقول للقمر اقف وأنا أقعد مكانك ..لا ! ده يخللي الناس كده تنسى شكل القمر أصلاٌ أول ما تشوفه .

تهمس بها بهيام فخور ملوحة بذراعيها فتضحك لجين من جديد وهي تهز رأسها بعدم تصديق ..

لكنها كانت أكثر من راضية بهذه الهالة الجديدة التي تحيط شقيقتها ..

هالة من الاطمئنان والراحة بعيدة تماماً عن مثلث ألمها وتحفزها وخوفها السابق ..

_انتو بترغوا وسايبين العجين ؟! الفرن حمي ..اخلصوا .





تهتف بها ثمر وهي تتقدم نحوهما فتجدّ كلتاهما فيما تفعله لتردف ثمر مخاطبة ياقوت :

_شوفيلي حاجة ألبسها في فرح أخوكِ اللي عايز يعمله تاني ده .

_بجد يا ستي هتروحي؟!

تهتف بها كلتاهما في نفس اللحظة لتضحك ثمر عبر أسنانها المكسورة وهي تعدل وضع وشاحها على رأسها قائلة :

_هنروح لأعز منه يعني ؟!

_بس انتِ بتتعبي م السفر يا ستي!

تقولها ياقوت باستنكار مشفق لتبتسم ثمر مجيبة :

_الجدع الله يبارك له مش مقصر معانا في حاجة ..وربنا بعته عوض ليكم في وقته





Cinnabon

تمام ..يبقى فرحته فرحتنا ونروح له ولو على رموش عينينا !

_طول عمرك صاحبة واجب يا ستنا!

تهتف بها لجين بإجلال وهي تضع آخر كرة من العجين مكانها ثم تنهض بسرعة كي تحمل الصينية نحو الداخل ..

لكنها تترنح فجأة مكانها فتقف ياقوت بسرعة لتسندها ثم تنتزع الصينية منها هاتفة :

_على مهلك ..فيه إيه ؟!

لكن ملامح ثمر تشرق فجأة وهي تتقدم نحوهما لتتفرس وجه لجين بفراستها ثم تهتف لها بترقب:

_بشريني يا بنت قلبي وقولي إن اللي في بالي صح .





فيحمر وجه لجين وهي تومئ برأسها إيجاباً ليلهج لسان ثمر بالحمد فيما تنقل ياقوت بصرها بينهما بدهشة للحظات قبل أن تهتف بفرحة :

_حامل!! حامل يا أوبرا وما قلتليش !!

تقولها وهي تخبطها في كتفها برفق ثم تعانقها بقوة لكن ثمر تبعدها هاتفة بحنان :

_بالراحة على أختك ..تعالي يا بنت قلبي في حضني ..اللهم بارك ..اللهم بارك ..

تقولها وهي تضم لجين برفق لترقيها في هذا الوضع فتبتسم لجين صامتة حتى تنتهي ثم ترفع إليها عينيها قائلة :

_عايزاه ولد يا ستي عشان خاطرك انتِ .

_ولد واللا بنت كله بركة ونعمة ..الحمد ليك يا صاحب الفضل.





تهتف بها ثمر برضا وهي ترفع كفيها للسماء فتراقبهما ياقوت دامعة العينين وهي تشعر بطوفان الفرحة الذي يكتسحهن جميعاً في هذه اللحظة ..

كأنما أراد لهن القدر أن يغتسلن من وجع الماضي كله بغمسة في بحر النعمة الذي لا ينفد ..

تعلم أن ثمر عاشت -مثلهن- تفتقد السند الذكوري في حياتها لهذا كانت تشارك شقيقتها نفس الأمنية أن يكون أول أولادها -من زين- ذكراّ!

_ياشيخة اتنيلي ! مش لما تبقوا تتجوزوا الأول ! ده أنا حاسة إن القيامة هتقوم وانتو مقضيينها من بعيد لبعيد !

تهتف بها "عفريتتها العابثة" بسخط متذمر فتضحك ضحكة عالية وهي تتجاهلها كعهدها لتخاطب لجين بقولها:

_اخترتِ الاسم ؟!





_لو بنت هاسميها ثمر ..ولو ولد عابد عايز يسميه مؤمن .

تقولها لجين بخجل يمتزج بفرحتها وهي تمسد بطنها لتضحك ثمر من جديد وهي ترفع كفيها للسماء في وضع الدعاء ..

ثم تضم حفيدتيها لصدره بحنان قبل أن تبعدهما هاتفة :

_ياللا ع المطبخ بقا ..اتأخرنا .

تسير كلتاهما خلفها فينهمكن في الخبز قبل أن يصدح صوت هاتف ياقوت معلناً عن وصول رسالة ..

تنتزعه بخفة من جيبها لتجدها من زين ..

تتسع عيناها لأول وهلة قبل أن تكتم ابتسامتها كي لا تلاحظ ثمر ..





لكن لجين تنتبه فتميل رأسها جوارها كي تقرأ فترتسم على شفتيها نفس الابتسامة الواسعة ثم تلتقي عيناهما الضاحكتان والمتلذذتان بما قرأتاه للتو من اقتباسه من الشعر القديم:

لك الثلثان من قلبي ..وثلثا ثلثه الباقي ..

وثلثا ثلث ما بقي ..وباقي الثلث والباقي ..

==========

_قمر يا مامي!

تهتف بها ريما وهي تقف أمامها في غرفة "الكوافير" لتبتسم نشوى بسعادة يكاد يرقص لها قلبها ..

تتأمل ثوبها الذي يشبه ثوب ريما تماماً -كما اختاره هو- بتفصيلته التي تحتضن حناياها بضيق مقبول مظهراً جمال جسدها مع ذيل طويل يكاد يسير خلفها ..

لونه الأبيض الذي يميل للكريمي ..مع خيط رفيع من الزهور الوردية التفت حول عنقه ثم سارت في





خيط انسيابي ناعم على جانبه بتموج لتزداد كثافة في منطقة الذيل فحولته -شبه كاملاّ- للون وردي خلاب ..

طرحة الرأس كانت بلون الثوب مع تاج من الزهور الطبيعية بلون الورد منحها مظهراٌ أقل سناً بكثير ..

خاصة مع زينتها الناعمة التي لم تتكلفها المرأة هاهنا ..

ورغماً عنها تطوف بذهنها صورة باهتة ل"ثوب أصفر قديم"

مزقته لشرائط يوم خذلها من ظنته حبيبها ..

فتقارنه الآن بهذا الثوب الخلاب لتجد المقارنة حقاً مجحفة !!

شتان بين الثرى والثريا كما يقولون !!

_بابا هيفرح قوي !





تهتف بها ريما بسعادة وهي تحتضن خصرها فتضمها نشوى بقوة لتنحني نحوها قائلة بمرح حيوي اكتسبته من عشرتها معه :

_طب اخرجي اندهيله عشان يكون أول واحد يشوفني .

تضحك ريما بحماس وهي ترفع لها إبهامها بهذه الحركة الشهيرة فتستقيم نشوى مكانها وهي تبسط راحتها على صدرها شاعرة بالإثارة وكأنها أول ليلة زفاف لها ..

تتعمد أن تعطي ظهرها للباب فيهيأ إليها أن الدقائق تمر في عدوها ثقيلة كالساعات حتى تسمع صوت الباب يفتح وتشم رائحة عطره المميزة التي صار أنفها يميزها ولو وسط الزحام ..

تزداد خفقاتها جنوناً وهي تشعر به يقترب كأنما كل ما بينهما لم يكن ..





وكأنـها تعيش حقاً إحساس عروس عذراء تجرب فرحتـها هذه لأول مرة ..

تشعر بسبابته تنقر كتفها من الخلف بخفة فتنفلت منـها آهة خافتة وهي تستدير نحوه ببطء ..

عيناها تتلقفان نظراته بعطش امرأة صارت تستسقي من نبع عشقه مذاق أنوثتـها ..

تتسع عيناه قليلاً وهما تدوران على ملامحها ثم تمسح تفاصيل جسدها بنظرات هائمة ..

معه فقط تعلمت كيف يمكن أن تكون "النظرة" ك"عناق"!

أن تحتويها بهذه الهالة الخفية ..تحيطها بهذه الغلالة الشفافة غير المرئية ..تضمها بذراعين من نور ..لتزرعها فوق أعلى سماوات الحب ..

_قول حاجة تطمني بقا ..مش متعودة عليك ساكت كده .





تغمغم بها بارتباك خجول وهي تستند بكفيها على صدره مخفية وجهها في كتفه لتشعر بذراعيه يضمانها بقوة لم تستشعرها بهذا الجموح من قبل حتى كادت تشعر أنها التصقت به للأبد ..

يهزها بين ذراعيه يمنة ويسرة برفق بينما همسه المشتعل يكاد يذيب أوصالها :

_هاقول إيه واللا إيه ؟! الجمال اللي أنا شايفه ده مالوش غير رد واحد ..

يهمس بها ثم يرفع ذقنها نحوه ليستخرج منديلاً من جيبه يمسح به زينة شفتيها لتطلق صيحة تذمر محاولة الابتعاد بوجهها ..

لكنه يثبت رأسها مكانه بقوة قبل أن يجتاحها بإعصار عاطفته الذي لا يبقي ولا يذر ..

الإعصار الذي لم تقاومه طويلاً وهي الأخرى تشعر بأنها تحتاجه ..

هو علمها كيف يمكن أن يكون في منتهى الاستسلام منتهى الانتصار ..





في منتهى الوهن منتهى القوة ..

في منتهى الدلال منتهى السلطة ..

هو علمها كيف توازن بين المتناقضات لترسم معه -وله- لوحة الكمال الخاصة بهما !!

لكنها تفيق من سحره أخيراٌ لتدفعه ببعض العنف هامسة :

_انت مجنون ؟! أي حد ممكن يدخل علينا دلوقت !

_ما يدخل! أنا متجوزك بدل المرة اتنين زيادة توكيد ..مفيش حد له حاجة عندي !

يغمزها بها بحركته المعهودة فتطلق ضحكة رائقة وهي تغرس نظراتها في عينيه لتهمس له بهيام:

_شكراً عشان المرة الأولانية ..وألف شكراٌ عشان المرة التانية ..ماتعرفش أنا حاسة بإيه دلوقت ..طايرة !





فيبتسم وهو يعدل لها ثوبها هامساً بوقاحته المعهودة :

_احتفظي بس بالروح الحلوة دي لحد ما نروح ..هنسرب ريما عند أشرف الليلة دي ..وبعدها نشوف البروجرام اللي محضرهولك ..

_بروجراماتك كترت يا هندسة !

تهمس بها ضاحكة بدلال وهي تقرص وجنته بخفة ليعاود غمزها بخفة مع رده :

_صلي ع النبي كده ما يحسد المال إلا أصحابه ..اللهم زيد وبارك يا عسل !

تعاود الضحك من جديد وهي تتفلت من بين ذراعيه لتتناول أحمر الشفاه كي تعيد طلاء شفتيها ..

لكنه ينتزعها منها ليضعها لها بنفسه ببطء متعمد قبل أن يزفر بقوة هاتفاً وهو يعيد مسحه :

_تؤ! لا ..لا ..والله ما هينفع !




_هو إيه اللي مش هين...!

تنقطع حروفها بين شفتيه وهو يعاود هجومه من جديد بقوة أكبر لكنها تدفعه بعتاب هامسة :

_وبعدين معاك ؟! الناس زمانها بتقول علينا إيه بره ؟!

_ما تحطيش البتاع ده ! كفاية إني سامحلك تلبسي الفستان بإمكانياتك دي ..الود ودي ألبسك شوال .

يهتف بها بسخط وهو يبتعد عنها مرغماً لكنها تحيط خاصرتها بكفيها في وضع استعراضي لتهتف بثقة مستحدثة هو من علمها إياها :

_حتى لو لبست شوال هيبقى شكلي يجنن ..الرك ع القالب يا هندسة !

فيخبط وجهه براحتيه ليقول ببؤس مصطنع:





_هاقول إيه ؟! علامي وتربيتي ! اللي يشوفك وأنا مستلمك قطة مغمضة ع المفتاح ما يشوفكيش دلوقت ..

ضحكتها العالية تصدح في أذنه وهي تقترب منه لترد بمرح يشبه مرحه :

_أبقاك الله زخراً لكل القطط المغمضة وجعلك نبراساً لقلة الأدب ..

لكنها تعاود قرص وجنته بغيرة لتبدو كمن يتدارك خطأه :

_لا لا ..كل القطط المغمضة إيه ؟! هي قطة واحدة وفتحت خلاص ..هه؟! قلت إيه يا عسل؟!

حاجباه يتراقصان في رد مشاكس ثم يضحك منتشياً بهذه الهالة الجديدة حولها وهو يهم برد وقح لكن





صوت طرقات على الباب يقاطعه مع دخول "الكوافيرة" قائلة ببعض الحرج:

_جاهزين؟!

تتأبط نشوى ذراعه بفخر خجول وهي تغادر معه الغرفة لتلحق بهما ريما مع رانيا وأشرف الذي عانقها بقوة وهو يشعر أن شقيقته أخيراً قد وجدت أمانها ..

يتحركون نحو سيارته فيستقبله سيف معانقاً بحرارة وجواره غادة التي كانت تكاد تقسم في هذه اللحظة أنها ترى امرأة أخرى غير نشوى التي تعرفها ..

امرأة أكثر تألقاً وتوهجاّ وسحراً !!

لكن ..ما العجب؟!

ألم تجرب هي نفس عصا الحب السحرية مع سيف؟!





لهذا تعانقها بدفء أخوي ثم تقول لها برقتها الطبيعية :

_ما شاء الله ..حلوة قوي!

_حلوة بس ؟! دي قمر !

كانت هذه جيلان التي خرجت من سيارة العرس التي يتولى قيادتها هيثم لتتوجه نحوهما فتقبل جبين إسلام بحنان ..

قبل أن تحيط كتفي نشوى بكفيها قائلة بفخر حنون:

_ليه حق ابني يعمل فرح من جديد مادام العروسة كل يوم بتحلو كده .

تضحك نشوى بخجل وهي تشعر بشهادة حماتها هذه تعزز ثقتها في نفسها أكثر خاصة والأخيرة تميل عليها لتقبل جبينها بخفة هامسة :

_ربنا يسعدكم .





تستقل معه سيارة العرس التي زينت بالزهور الوردية كما طلب إسلام ليتوجه الجميع نحو القاعة الصغيرة التي يقام فيها الحفل ..

تستقبلهما ياقوت عند الباب بثوبها الذي اختارته بلون أصفر ليموني جعله يهمس في أذنها وهو يكز على أسنانه :

_مفيش فايدة ! ده لون تلبسيه في فرحي ؟! منك لله يا بعيدة !

فتضحك وهي تميل عليه هامسة بدورها :

_اللموني موضة إيش فهمك انت ؟!

يخبطها بخفة على مؤخرة رأسها ثم يضمها إليه بحنان فتهتف له بفرحة صادقة :

_مبروك يا عريس ..

ثم تتجه ببصرها نحو نشوى المبتسمة مردفة :

_مبروك يا عروسة .




تبادرها نشوى بالعناق وهي تستشعر أهمية الدور الذي لعبته في حياتهما الأيام السابقة لتهتف بها بصدق:

_عقبالك باللي يستاهلك .

العبارة تقذف باسم زين لخاطرها وإن كان لا يغادر قلبها أبداً لكنها تتجاهل هذا لتخاطب إسلام بقولها :

_عندي ليك مفاجأة ..ستي ثمر جوة أصرت تحضر عشان ..

تقطع ياقوت عبارتها وهي تنتبه لجيلان التي تقدمت نحوهم بملامح جامدة ليلتفت نحوها إسلام بدوره مدركاً سبب رد فعل ياقوت ..

لكنه يعود إليها ببصره ليقول مطمئناً :





_ما تقلقيش من ماما ..أنا معرفها إنكم كلكم جايين .

تهز رأسها وهي تتلاشى النظر نحو جيلان التي تجاهلتها بدورها وهي تدلف إلى داخل القاعة ..

برغم كل شيئ تبقى هناك رواسب لا تنسى!!

الخاطر الأخير نفسه هو الذي كان يجول بذهن هيثم وهو يراقب الموقف من بعيد كعهده مؤخراٌ ..

يجلس في زاوية القاعة البعيدة فيتفرس ملامح أمه التي تتبدل بين فرحتها بإسلام وضيقها الذي لم تستطع مداراته وهي ترى ثمر وحفيدتيها هناك ..

لا يلومها ..وكيف يفعل؟!

وهو نفسه لم يستطع تجاوز ما فعلته شهد !!

ربما تقبل أختيه وثمر لأنه اعتبرهما مجرد ضحايا ..





لكن عندما يتدخل شبح "الخيانة" فمن الصعب أن يصفو بئر الحب!!

ذكرياته معها تتكالب عليه خاصة مع رؤية إسلام وزوجته لكنه يقاومها بكل قوته وهو ينهض من مكانه محاولاً الاندماج مع المدعوين قليلي العدد ..

_خليفتي في الملاعب! أيوة بقاااا ..الله عليك يا حبيب والديك !

يهتف بها علاء مشاكساًُ وهو يعانق إسلام مكانه فتهتف إيناس جواره :

_فشر! قال خليفتك قال؟! إيش جاب خفة دمه لرخامتك انت؟! بطل تماحيك في القمر ده !

يضحك إسلام وهو يصافحها هاتفاّ بفخر مصطنع:

_أيوة بقا يا "أنّا" ..عايزين دعمك الحلو ده الليلة دي ..صيّتوني كده قدام المدام .





يقولها وهو يجذب نشوى نحوه ليلصقها به فتضحك الأخيرة هاتفة بمرح:

_انت مش محتاج صيت يا هندسة ..صيتك واصل من زمان والله !

يتشاركون الضحك للحظات قبل أن يميز إسلام وجود عابد جوار لجين وثمر فيتجه نحوهم ليقبل رأس ثمر بإجلال مقدراً مجيئها رغم ظروفها الصحية ..

ثم يعانق لجين بحنان قائلاً بمرح :

_حمدالله ع السلامة ..مبروك ع "العكروت" الصغير ..يوصل بس كده وسلميهولي ..سيبك من أبوه ده ..جو المشايخ ده ما يربيش عيال اليومين دول .

يقول عبارته الأخيرة وهو يلكز عابد في خاصرته مشاكساً ليضحك الأول بسماحة هاتفاّ:





_معك حق ..أنا أعلمه الأخلاق ..وأنت تعلمه "الفهلوة" ..فيصير نموذجاً يحتذى ل"الشيخ الفهلوي" !

_حلاوتك في الألش بالفصحى يا شيخ ! هو ده !

يهتف بها إسلام بمرح ضاحكاً ثم يميل على عابد قائلاً:

_أنا راعيت وجودك وقلتلهم بلاش أغاني ..بس هاستسمحك يا مولانا في أول أغنية ..ده واجب تركي أصحابي عاملينهولي مخصوص ..وما قدرش أكسفهم .

يبتسم له عابد بسماحة وهو يربت على كتفه قائلاً :

_بارك الله لك .





يغادرهم إسلام ليجلس معها على منصة العرس فتجلس ريما وسطهم على الأريكة لتلتفت نحوه هاتفة :

_هنرقص الرقصة اللي علمتهالي؟!

_أيوة يا أروبة ..هي هي اللي رقصناها في فرح أنكل سيف !

يقولها لتبدأ الموسيقا المميزة في العزف قبل أن يتجمع الرجال من الحضور حوله لتأدية رقصة "الزيبك" من الفلكلور التركي كما فعل ليلة زفاف سيف الذي كان أول من عانقه ليبدأ معه الرقصة ..

سيف ، أشرف، يامن ،مروان،رامز ، هيثم ،

كلهم يلتفون في حلقة حول إسلام الذي بدأ الرقصة بمهارته المعهودة وأمامه ريما تشاركه إياها كما علمها ..

ترمقهم جيلان من بعيد بسعادة غامرة وهي تشعر بأنهم في،سبيلهم لتجاوز الماضي خاصة مع قرارها الصائب بالانتقال لبيت جديد مع هيثم ..





تحين منها التفاتة نحو ثمر وحفيدتيها فتشعر بغصة في حلقها ..

وبمذاق الخيانة يسمم كيانها من جديد ..

لكن نظرة واحدة لوجه إسلام الضاحك مع هيثم الذي يشاركه الرقص يجعلها تطرق برأسها محاولة التغاضي عن المزيد من الخوض في بحار الماضي ..

تنهض من مكانها مستجمعة شجاعتها ..

ستذهب إليهم وتلقي بتحية عابرة إكراماً لابنيها فحسب !

لكنها تعود لتجلس على كرسيها شاعرة بصعوبة هذا ..

بل باستحالته !!

وفي مكانها كانت ياقوت تراقب الوضع برضا غامر ..





ابتسامة ثمر الوقورة وهي تجلس جوارها تربت على ركبتها من آن لآخر ..

فرحة لجين التي تكاد تصرخ ولو تحت نقابها وكف عابد لا يكاد يفارق كفها ..

جنون إسلام الراقص الذي يفضح فرحة حقيقية لم تعد تشوبها شائبة ..

يبقى همّ هيثم الذي يبدو محفوراً على ملامحه رغم حركاته الراقصة التي يجاري بها الجمع المتحلق ..

لهذا ما كادت الرقصة تنتهي لينفض الجمع ويبدأ توزيع الطعام على المدعوين ..

حتى بحثت عنه لتجده يقف وحده في شرفة القاعة القصية ..

_وبعدين يا هيثم ؟!





تسأله مشفقة وهي تربت على كتفه ليلتفت نحوها بابتسامة مصطنعة قائلاً:

_وبعدين إيه ؟! ما أنا زي الفل أهه !

_لو كل واحد بقا كويس عشان بيعرف يقول إنه كويس ماكانش حد غلب !

تقولها بإشفاق عاتب وهي تنظر في عمق عينيه اللتين أغمضهما هارباٌ لتردف بنبرة قوية :

_أنا قلتلك م الأول محدش هيلومك على أي قرار هتاخده ..بس ما ترقصش ع السلم ..وانت خدت قرارك ..صحيح ماخبيش عليك ..كان نفسي حبك ليها ينتصر ..كان نفسي تحارب الدنيا بيها وليها ..بس أنا عارفة إن الزمن ده مش زمن رومنسيات فارغة وإن حكم القدر كتير بيبقى أقوى مننا ..

_هنساها؟!





صوته المرتعش عبر عينيه المغمضتين يثير المزيد من إشفاقها ..

خاصة بهذه النبرة التي نطقها بها بين استنكار ورجاء ..

لكنها ترتدي قناع مهنيتها الذي تحتاجه هاهنا لتشدد الضغط على كتفيه بقبضتيها كأنها تنقل قوتها منها إليه هاتفة :

_مش هاكدب عليك وأقوللك آه ..لا مش هتنساها ..هتفتكرها في كل طريق جمعكم ..في كل غنوة سمعتوها من بعض ..في كل حلم اتمنيتوا تحققوه سوا ولقيت نفسك بتحققه لوحدك ..هتفتكرها لما تشوف غيرها بنات حلوين وتلاقي نفسك بتقارنها بيهم ..مرة هي تكسب ومرة هم يكسبوا ..بس الأكيد إن ولا واحدة فيهم هتوصل لمكانتها في قلبك ..

_بتصعبيها عليا يا ياقوت !





يهمس بها عاتباً ومقاطعاً حديثها هذا الذي يثير شجونه ..

لكنها تعاود الضغط على كتفيه هاتفة بنفس القوة :

_لازم تبقى عارف إنت هتواجه إيه عشان تقدر تقاوم ..حبها يمكن يكون عظيم لدرجة إنك مش هتقابل زيه في حياتك أبداٌ ..لكن الحب لوحده مش كفاية ..ومادام انت اخترت يبقى ما تندمش ..كمل طريقك زي ما ضميرك طاوعك ..انت بدّيت رضا والدتك على قلبك ..وبيني وبينك بعد موقفك يوم ما الراجل اتحرش بيها في المحل أنا بقيت خايفة عليها منك ..كده الرؤيا بانت ..الشك اللي ملاك يومها كان هيفضل بينكم ..فخلاص بقا ..اعتبرها كانت حلم جميل ..بس محدش بيعيش عمره نايم بيحلم ..اصحى بقا يا هيثم ..اصحى وكمل حياتك .

_اهه دماغك دي اللي مصبراني على ذوقك العفش!

يهتف بها إسلام -الذي ظهر فجأة على الباب- باستحسان وقد بدا أنه قد سمع حديثهما ..




قبل أن يقترب منهما ليربت على كتف هيثم قائلاً بمرح:

_اسمع كلامها يابني ..انت عارف الكلمتين اللي قالتهملك دول بيتدفع فيهم كام في الجلسة بره ؟!

_قل أعوذ برب الفلق ! انت باصصلي في رزقي يا جدع..أعوذ بالله !

تهتف بها باستنكار مرح وهي تبسط راحتها في وجهه بوضع "التخميس" الشهير ليضحك ثلاثتهم للحظات ..

قبل أن يقول إسلام بجدية تامة مخاطباً شقيقه :

_مش عايز أتكلم في الموضوع ده معاك تاني ..لو عايز رأيي انت محتاج تبعد ..عمو علاء مسافر مع سيف تركيا كمان كام يوم ..لو حابب ممكن تسافر لهم انت وماما غيروا جو ..ولو عجبتك الدنيا هناك ممكن أدبر لك شغل في أجازة الصيف ..هه إيه رأيك ؟!




يهز هيثم رأسه باستحسان لم يمحُ الهم من ملامحه لكنه عانق شقيقه هاتفاً بابتسامة واهنة :

_ياللا بقا ادخل يا عريس ..أحسن يقولوا طفشت !

يقولها وهو يدفعه ليعود به إلى الداخل بينما تبقى ياقوت مكانها في الشرفة ترمقهما من بعيد بنظرة عميقة قبل أن تدير ظهرها لترمق السماء بشرود ..

القمر العزيز يبدو لها كحبيب لا يغادرها أينما حلت ..

تماماً مثله هو ..زين !

زين؟!

هل هي سيارته حقاٌ أم أنها تتوهم ؟!

تستطيل بجسدها عبر سور الشرفة محاولة تبين السيارة التي اصطفت بفخامة تليق بصاحبها أمام مدخل القاعة لكن الزجاج المعتم حال بين رؤيتها المزيد ..





هو هنا ؟!

والجواب يأتيها في رسالة على هاتفها بصورة !

صورتها هي ترتدي نفس الثوب الذي تلبسه الآن وتعانق إسلام !

المجنون!!!!!

لن يكف عن غيرته مع كل عناق تمنحه لغيره !!

ألم يفعل المثل يوم خروج ثمر من السجن ليرسل لها صورتها وهي تعانقها كذلك !!

_ياختي جنانه حلووو! اتجوزيه بقا يا بت وارحميه وارحميني.

"العفريتة العابثة" بداخلها تكاد ترقص منتشية لكنها تقمعها كعادتها وهي تبحث عما يمكن أن ترسله له ..

لكنها لم تجد سوى أن تكتب :





_شكراً عشان كل مرة كنت بحتاج فيها إنك تشاركني لحظة مهمة في حياتي ماكنتش أبداٌ بتخذلني .

تنتظر طويلاً هذه المرة وهي تنقل بصرها بين هاتفها وسيارته مغلقة النوافذ ..

أو التي كانت مغلقة النوافذ ..

فهاهي ذي نافذته الأمامية تفتح ليطل وجهه خلفها يرمقها مكانه بنظرته العاشقة العميقة ..

قبل أن تصلها رسالته مكتوبة وعيناه تناجيان عينيها عبر هذا البعد :

_عمري ماحسيتها حاجة ممكن تشكريني عليها ..تفاصيلك مهما كانت صغيرة بالنسبة لي دنيا بحالها بتمنى أعيشها معاكي ..هافضل مستني اليوم اللي ما يكونش فيه بيني وبينك أي حواجز ولا حتى كاميرا ..أحضن كل نَفَس فيكي قبل ما يخرج منك ..أحضن كل كلمة هتقوليها قبل ما تفارق شفايفك ..أحضن كل حلم هتتمنيه قبل ما




نحققه سوا ..وأحضن كل نظرة من عينيكي العندية قوي ..الدافية قوي ..الخطيرة قوي ..والطيبة قوي قوي ..

تظل تنقل بصرها لدقائق طويلة بين كلماته المكتوبة ووجهه البعيد نسبياٌ والذي يطل لها عبر هذا البعد فتشعر بسخونة قوية تكاد تذيب أوصالها ولا تقوى على تحملها ..

تعطي ظهرها للسور لتبسط راحتها على صدرها محاولة تهدئة خفقات قلبها ..

قبل أن تنتقل ببصرها نحو باب القاعة مميزة صورة إسلام من بعيد فتهمس له من بعيد بغيظ :

_منك لله يا إسلام ! ناس هايصة وناس لايصة صحيح!





لم تكد تتم عبارتها حتى وجدته يشير لها كي تأتي فابتلعت خيبتها وهي تعود ببصرها نحو زين ترمقه بنظرة مودعة أخيرة ..

قبل أن تعاود الدخول لتجد إسلام قد بدأ في التقاط الصور ..

واحدة تلو أخرى ..

لكن ما دغدغ قلبها حقاً هي تلك الصورة الأخيرة التي أصر أن تكون لأربعتهم فحسب ..

هو في المنتصف يبسط ذراعيه فوقها هي ولجين بينما يجلس هيثم على ركبته أمامه يرفع إليه وجهه بابتسامة بينما يمسك أحد كفيه بيد ياقوت والآخر بيد لجين ..

هذه الصورة التي لو كان لها أن تحمل عنواناً لكان ..

"إخوة دائماً رغم الظروف!"

=========

_اتفضلي يا عروسة !





يهمس بها بنبرته الرخيمة وهو يغلق باب شقتهما خلفه لتلتفت إليه بابتسامة واسعة ..

هذه التي تحسستها أنامله وهو يهمس لها :

_هو ده رهاني.

_رهانك ؟!

تسأله هامسة فيميل عليها ليقبل شفتيها بخفة عدة قبلات متتابعة ثم ينتقل لعينيها فيقبلهما بنفس الطريقة هامساًٌ :

_الفرحة اللي في عينيكي وعلى شفايفك ..هي دي رهاني اللي كسبته !

تفتح عينيها لتتسع ابتسامتها رويداًٌ رويداًٌ حتى تتحول لضحكة قصيرة كأنما تصدق له على ما يقول ..

فيرفع أناملها ليقبلها واحداً واحداًٌ ثم يستخرج من جيبه حلقة ذهبية يضعها في بنصرها ليهمس بين شفتيها :





_دلوقت بس ألبسك دبلتي وأنا مطمن !

تتنهد بعمق وهي تشعر به يضمها إليه بقوة حانية فتضطرب خفقاتها بهذا الشعور اللذيذ الذي صار شفرتها الخاصة معه ..

تتذكر حسرتها ليلة زفاف غادة ..

هذه النظرة التي ارتجتها ..

هذا الثوب الذي تمنت ارتداءه على جسد ينبض بالفرحة ..

هذا الحب الذي حلمت به بكل جوارحها ..

والآن يأتيها كل هذا ملوناً بطيفه هو !!

تشعر به يزيح عنها طرحتها ليسدل شعرها على كتفيها وعيناه تتوهجان بهذه النظرة التي تشعل أحطاب أنوثتها ..




انامله تعرف الطريق لسحاب ثوبها لكنها تدفعه برفق مشيرة بسبابتها في حركة محذرة تجعل عينيه يلتمعان بترقب ..

خاصة وهي تتعلق بذراعيها في عنقه هامسة بدلال فريد تخصه به وحده :

_انت فاكر إن انت لوحدك بتاع "البروجرامات"؟! أنا كمان عندي بروجرام !

يضحك ضحكة عالية وهو يبعدها ليصفق بكفيه هاتفاً بلهجته الساخرة المرحة :

_قلب المؤمن دليله !..كنت حاسس إنها هتبقى ليلة هنا وسرور ..اتفضلي يا ست نشويات ..ابهريني!





تضحك بدورها وهي تبتعد عنه بظهرها بينما ترمقه بنظراتها التي صارت تشبه عينيه في عبثهما ..

قبل أن تدخل غرفتهما لتغلق بابها خلفها ..

فيتنهد وهو يفرك كفيه بتحفز ثم يخلع سترته ورابطة عنقه ليتحرك نحو الغرفة ويقف ملاصقاً للباب ..

_اخلص يا بطل ..أمي موصياني أنام بدري !

يهتف بها بنبرته العابثة وهو يطرق على الباب بما يشبه قرع الطبول ..

لتصله ضحكتها العابثة من الداخل مع عبارتها التي تتشبه بطريقة حديثه :

_اتقل تاخد نضيفة يا "سلمونتي"!





يضحك عالياً وهو يخبط جبينه في الباب عدة مرات معجباٌ بروحها هذه ..

قبل أن يشعر بالباب يفتح ليفاجأ بطلّتها المبهرة بهذا القميص الذي جمع اللونين الأسود والوردي ..

وبهذا التصميم الذي أظهر مفاتنها بإغواء متعمد ..

صفير إعجاب طويل يطلقه وهو يخبط بكفه على رأسه هاتفاً بمرحه المعهود الذي لم يخفِ اشتعال جوارحه تأثراً بها:

_واعرة جوي يا بوي!

فتضحك ضحكة عالية وهي تقترب منه ببطء متعمد ..

لتقلد غمزته بحركة بدت له مهلكة منها هي بالذات خاصة مع همسها بغنج:





_تعال بقا نشوف بروجرام مين هيكسب ..يا عسل!

=======

_شفتي المجرم وهو نايم زي الملايكة ؟! اللي يشوفه كده ما يشوفش الزن اللي مسهرني بيه طول الليل !

تهتف بها إحداهن في النادي وهي ترفع هاتفها أمام صديقتها تريها صورة ابنها الرضيع فتبتسم الأخيرة هاتفة بانبهار:

_سكر قوي ..بس هو فين ؟! سبتيه مع مين ؟!

_مع ماما ..زهقت من الحبسة بيه ..قلت أفك معاكم ساعتين هنا.

تقولها الأولى بملل لتهتف الأخرى باستحسان:

_كويس إنك ماجبتيهوش ..خافي عليه يتحسد وما تخرجيش بيه كتير ..

تلوح صديقتها بكفها بلامبالاة هاتفة :

_سها فين ؟!





_زمانها جاية ..خبي بقا موبايلك ده وإياك توريها صورة ابنك .

_إيه ؟! بلاش أفورة ! سها هتحسد ابني يعني؟!

تهتف بها باستنكار لترد الأخرى متلبسة دور الناصحة :

_وما تحسدوش ليه ؟! واحدة مابتخلفش وجوزها كان هيتجوز عليها عشان كده ودلوقت خلاص سابها ويمكن يطلقها..خبي خبي الموبايل ده اسمعي الكلام !

تقف سها خلفهما بذهول وعيناها تقدحان الشرر !

كلماتهما تجلدها بسياط ظنت نفسها اعتادتها لكنها تكتشف كل مرة أن ألمها يزيد لا ينقص!

هاتان هما أعز صديقاتها !!

أعز صديقاتها!!

يتحدثن عنها بهذه الطريقة وكأنها منبوذة محرومة يخفن نظراتها !!





الجرح النازف بروحها يفتت خلاياها ألماُ وهي تشعر بالمزيد من الانهيار ..

منذ اختارت- بإرادتها - ألا تسامح ناصر وأن تعاقبه هجراً كي لا يكرر فعلته وهي تشعر أنها تعاقب نفسها معه !

تتظاهر بالقوة أللامبالية أمام الجميع لكنها توقن بداخلها أنها تحترق كشمعة لن يفتقد ضوءها أحد !

الجرح الذي تأبى الاعتراف به وتترجمه شخصيتها العنيدة لحدة متنمرة كهذه التي ظهرت على ملامحها الآن وهي تتقدم نحوهما لتنتزع الهاتف من يد صديقتها أم الرضيع فتقذفه بعنف جانباً ليتهشم تحت صرخات صديقتها المصعوقة بما تفعله هي :

_سها ! انتِ عملتِ إيه ؟!





لكنها تمسك الأخرى من ياقة قميصها لتجذبه بعنف كاد يمزقه وهي تهتف بها بشراسة تناقض الدموع التي جرت على وجنتيها كالسيل :

_مش سها اللي تحسد ! جوزي اللي بتتكلموا عنه ده بيموت في التراب اللي بمشي عليه ..أنا اللي رافضة أرجع له مش هو ..أنا اللي اتحايلت عليه يتجوز عشان يراضي والده ..أنا اللي اخترتهاله ..أنا اللي خليته يسيبها ليلة فرحهم ..وأنا اللي دلوقت رافضة أكمل معاه ..شوفي نفسك يا ناقصة انتِ وهي!

_انت اتجننتِ رسمي ! سيبيها !

تهتف بها الأخرى شاعرة بالإهانة خاصة مع صراخ سها العالي الذي أحرجهما لتحاول تخليص الأولى منها فيلتف حولهن بعض رواد النادي ..

الأولى التي احمر وجهها حرجاً وغضباً فلم تجد إلا أن تجرحها بالمزيد :





_انتِ مصدقة نفسك ؟! فاكرة إنه كان بيسمع كلامك ؟! ده يبقى جبار بجد لو أقنعك بكده ؟! وحتى لو اللي بتقوليه صح ..تبقي غبية ..اللي تفرط في جوزها لواحدة تانية تستاهل اللي يجرالها ..آه !

كلماتها تنتهي بصفعة سها القوية لها والتي ردتها لها -من كانت صديقتها- بمثلها وقد كان هذا آخر ما وعته الأخيرة قبل أن تشعر بالأيادي تحول بينهن لتبعدها عنهما ..

تهرول نحو سيارتها خارج النادي بخطوات متعثرة زادها كعب حذائها العالي تعثراً ..

تشعر بالعيون التي طالما لاحقتها إعجاباً الآن تلاحقها شفقة وشماتة !

عاجزة عن منع انهمار دموعها فترى حارس البوابة يمد لها محرمة ورقية لكنها تدفعه بخشونة كادت تسقطه لتعدو نحو سيارتها فتغلق نوافذها





المعتمة ثم تنكب على المقود تسكب المزيد من دموعها ..

هذه هي نظرتهم إليها !

هذا ما يخفونه خلف واجهتهم المشفقة والمراعية !

كلهم يرونها ناقصة محرومة يخافون أن تحسد نعمتهم !

يرونها كسيرة ذليلة هجرها زوجها لغيرها!!

يرونها صارت مجرد سلعة راكدة في سوق النساء!!

ترفع عينيها أخيراً نحو مرآة السيارة فتفاجأ بوجهها المنتفخ من أثر البكاء وقد تلطخ بزينتها لتبدو لها ملامحها كمسخ مشوه ..

مسخ لا يختلف كثيراً عما تشعر بروحها قد آلت إليه !




ناصر!

كم تفتقده الآن!

وكم تلعنه !!

كم تود لو تعانقه ..لو تلقي على صدره آهاتها فيحتويها كما كان دوماً يفعل في مواقف كهذه ..

وكم تود لو تصفعه ..لو ترد له هذا العذاب الذي تحترق به أضعافاً ..

هو داؤها ..ودواؤها ..

هو حاميها ..وجلادها ..

كيف ترجو الشفاء من نفس اليد التي بدأت بالجرح ؟!

صوت طرقات على زجاج سيارتها يقطع أفكارها فتمسح بقايا دموعها مستعيدة قناعها المتنمر وهي تلتفت نحو الطارق تكاد تصرخ به ..





لكنها تفاجأ بإحداهن -ممن تعرفت عليها مؤخراً وتعمقت علاقتهما إلى حد ما- تفتح الباب لتنضم إليها قائلة بنبرة قوية:

_سيبك منهم ..كويس قوي إن وشهم الحقيقي بان ..غيرانين منك عشان ولا واحدة فيهم عندها اللي عندك !

فتهز رأسها وهي تدرك لماذا تقاربت كثيراً مع هذه المرأة بالذات مؤخراً ..ربما لأنها تسمعها بالضبط ما تود سماعه ..

خاصة وهي تشد على كتفها هي لتردف بنبرة أكثر قوة :

_كويس قوي إنك خدتي حقك بإيدك عشان كل واحدة تعرف مقامها قبل ما تكلمك ..انتِ لا ناقصة إيد ولا رجل ..هم اللي متخلفين ..بلا ولاد بلا وجع قلب ..يعني هي اللي عندها ولاد جوزها ما





بيسيبهاش ؟! كلهم صنف نمرود تندب في عينه رصاصة .

تتنهد بحرارة وهي تشيح بوجهها شاعرة ببعض المواساة من حديثها فتبتسم الأولى وهي تغلق بابها لتهتف بها بنبرة حماسية :

_سيبيلي نفسك وأنا هاظبطلك المود ..هاسهرك سهرة تجنن زي كل مرة!

_فين؟!

تسألها سها ببعض الفتور وهي تشغل سيارتها لتهتف الأولى بغمزة مرحة :

_مكان أول مرة نروحه ..بس فكي نفسك كده وبلاش عقد ..

ثم ضحكت وهي تبعثر لها خصلات شعرها لتزيد من مظهره الفوضوي مردفة بحماس مغوٍ:





_انتِ عايزة تنسي ..وأنا هاخلليكِ تنسي ..دوسي ع الرابع بقا وسمعيني جمال ضحكتك !

=======

_هايل يا ناصر ! الداخلية كلها مالهاش سيرة غير عمليتك الأخيرة ..نقطة بيضا تانية في ملفك !

يهتف بها مديره بفخر وهو يجلس أمامه على مكتب الأول فيبتسم ناصر ابتسامة باهتة لم تخلُ من شجن وحروفه تشرح السبب:

_كان نفسي بس تخلص نضيفة من غير دم .

_كنت هتعمل إيه يعني وزعيمهم رافع مسدسه في وشك ؟! بالعكس انت كالعادة اتصرفت بأكبر ثبات انفعالي ممكن ..قتلك ليه كان دفاع عن النفس وبشهادة كل اللي معاك .

يقولها مديره مدافعاً فيهز ناصر رأسه قائلاٌ بتبجيل:

_أي أوامر تانية معاليك ؟!





_لا يا بطل ..روح بيتك واستريح بقا يومين ..يحق لك بعد تعب الأيام اللي فاتوا .

يقولها مديره باعتزاز وقد سره كثيراً أن ينجز ناصر مهمته الأخيرة بمهارته المعهودة رغم خطورتها ..

فيتحرك ناصر ليغادر لكن الأول يستوقفه بندائه ..

قبل أن يغادر مقعده ليتوجه نحوه ثم يربت على كتفه ليقول بشفقة لم تخلُ من عتاب:

_انت ظابط شاطر ..بس يصعب عليا قوي ماتبقاش بالحزم والنجاح ده في بيتك .

_قصدك إيه معاليك؟!

يسأله ناصر بمواربة وهو يدعو الله سراً ألا يكون شأن تلك "الصور المخزية" لسها قد تسرب لكن مديره يهز رأسه بأسف مجيباً :

_انت سيد العارفين ..الناس بتحب الفضايح وفي بلدنا بتنتشر بسرعة الصاروخ ..





يغمض عينيه بحرج وهو يستعيد شعوره عندما وجد هذه الصور لها وقد انتشرت على مواقع التواصل ..

صوراً لها وهي تحتسي الخمر ثم ترقص بثياب مكشوفة !

لا يدري من التقط لها هذه الصور ولا كيف تجرأت هي لتفعلها ..

إنها لم تقرب الخمر يوماٌ !

المزيد من السقوط في بئر الوحل وهو عاجز عن فعل أي شيئ!

لو استسلم لحميته الصعيدية لطلقها دون رجعة حفاظاً على اسمه وسمعته خاصة بعد أفعالها الأخيرة ..

لكنه لا يجرؤ على فعلها ..

ليس وهو يشعر أنه هو السبب وأنه فقط يدفع ثمن أخطائه !





_أنا عارف سها كويس ..شفتها معاك أكتر من مرة ..ومتأكد إنها مش وحشة زي ما هو باين ..بس برضه عارف الناس بتحكم إزاي ..حل المشكلة بسرعة يا ناصر ..انت ظابط ناجح واللي زيك بتكون العين عليه ومستنيين له أي غلطة ..خليك حازم زي ما عرفتك ..الجراح الشاطر هو اللي يقدر يحدد امتى يضطر للبتر لو فقد الأمل في العلاج .

يقولها الرجل بحزم لم يخلُ من شفقة فيحمر وجه ناصر غضباً لم يستطع كبحه وتجلى في دمعة كبيرة غشت عينيه ..

لكن تبجيله للرجل يجعله يغمغم بصوت متحشرج :

_شكراٌ لنصيحة معاليك ..بعد إذنك .

يرمقه الرجل بنظرة آسفة تذبح كبرياءه أكثر وهو يغادر مطأطأ الرأس نحو مكتبه هو ..





_عفارم يا ناصر باشا!

_مبروك عليك ..فيها ترقية دي !

_مايجيبها إلا رجالها يا بطل !

التهاني تصادفه في طريقه لكنه لا يكاد يميز أصحابها ..

يرسم على شفتيه ابتسامة باردة تشبه صقيع روحه في هذه اللحظة ليتجاوزهم بهدوء محاذراً النظر لعيونهم ..

أجل ..كان يعلم أن عيونهم لن تحمل نفس الفخر الذي تلهج به الألسنة ..

عيونهم ستجلده بالفضيحة التي تسببت هي له بها ..





ضابط كفء لكنه زوجٌ (....)!!

اللفظة المناسبة هاهنا يعجز عن نطقها ولو بينه وبين نفسه فيتركها حقل ألغام تنفجر داخله واحداً تلو الآخر !

يصل لغرفته فيغلق بابها خلفه ليتحرك نحو مكتبه الذي جلس عليه وما كاد يفعل حتى رن هاتفه باسم والده ..

يشهق بلهفة لم ينكرها فقد كانت المرة الأولى التي يفعلها منذ ليلة زواجه الكارثية ..

ثم يفتح الاتصال ليرد بسرعة :

_إزيك يا حاج ؟! أخيراً رضيت عني ؟!

لكن صوت الرجل يأتيه هائجاً ثائراً كما لم يسمعه من قبل :

_رضيت عنك ؟! هي دي الست اللي انت معادي أبوك وعيلتك عشانها ؟! عمامك وولادهم روسهم





في الطين من ساعة ما الصور دي اتشافت والبلد كلها مالهاش سيرة غير سعادة الظابط ال(...) اللي سايب مراته دايرة على حل شعرها .

السبة البذيئة التي أطلقها والده تصيب صدره كرصاصة خاصة والرجل يستطرد بنفس الهياج المنفعل:

_قسماً برب العزة لو ما رميت عليها اليمين واتجوزت اللي تجيب اللي يشيل اسمك لا انت ابني ولا أعرفك ..بيتي ومالي وأرضي حرام عليك ..وهاوصي أهل البلد لا تدفنني ولا تاخد عزايا ..هاقوللهم ابني مات ..انت فاهم ؟!

يغلق الاتصال بعنف لكن ناصر يبقي الهاتف في يده للحظات وقد التهمه شروده البائس ..

كل الأصوات تدعوه لطلاقها ..

كلها عدا قلبه ..وضميره !!





ربما لأنه أكثر من يفهمها ..

أكثر من يدرك أن كل ما تفعله هذا ليس سوى طريقتها الخاصة في الصراخ !!

قديماً كانت تسمح له باحتواء صرخاتها هذه بدفء عناقه ..

لكنهما الآن قد طردا من جنتهما بنقمة طمعهما !!

فأي عقاب!!

صوت طرقات على الباب يقاطع أفكاره فيلتفت نحوه ليدخل أحد العساكر بمظروف ما وضعه أمامه قائلاً :

_اللي طلبته يا فندم !

فيشير له بالانصراف وهو يفتح المظروف ليتطلع لمحتوياته قبل أن تتسع عيناه بصدمة ..

لقد صدق حدسه بشأن العملية الأخيرة التي ظن أنه قد أنجزها ..





الأمر أكبر من قضية مخدرات !!

لكنه لا يملك المزيد من الأدلة على سوى هذا ..

فكيف يتصرف ؟!

يفكر قليلاً ثم يأتيه الجواب في اسم بعينه ..

"باسل جرجس" ..

صديقه في قسم مكافحة الإرهاب والضابط الوحيد الذي يثق بأنه سيتدبر أمراً كهذا !!

لهذا نحى صراعاته الشخصية جانباٌ ليتصل برقمه وما كاد يسمع صوته حتى هتف به بنبرة خطيرة :

_باسل ..عندي معلومات خطيرة بس مش كافية ..العملية الأخيرة اللي عملتها ..أكيد سمعت عنها ..العصابة ماكانش آخرها مخدرات وبس ..دول مجرد دراع من تنظيم شكله إرهابي وله غرض في عملية قريبة ..هابعتلك المعلومات اللي عندي واعمل تحرياتك ..هو خيط رفيع بس أنا عارف إنك هتكمل وتوصل .







======

_كانت قاهرة المعزّ فصارت قاهرة قلوب أبنائها .

تكتبها ريتال على حسابها وهي تقوم بمشاركة فيديو انتحار ذاك الطالب في كلية الهندسة والذي ألقى نفسه من فوق برج القاهرة يأساً وضيقاً من حياته ..

فيزفر سامر بقوة وهو يتصل برقمها دون أن يكتفي بمحادثة مكتوبة كعهده منذ علم عن موافقة والدها على الزواج وقرب رحيلها ..

كأنه يجمع من صوتها زاداً يكفيه للأيام القادمة !!





تشبيه غريب يجعله يتساءل عن حقيقة مشاعره نحوها ..

فيسخر من نفسه كعهده قائلاً :

_ملطشة القلوب صحيح ! هو انت ياابني ما بتحلاش في عينك إلا الواحدة اللي مش ليك ..سها وبعدين ياقوت ودلوقت ريتال ..ريتال؟! أختك الصغيرة !

_أيوة يا سامر!

صوتها المنفعل وهي تفتح الاتصال يفضح لها ثورتها كعهدها في مثل هذه المواقف فيشعر بالشفقة نحوها لكنه يتشبث بسخريته المعهودة :

_مش لقينا اللي ندبسك فيه ونجوزهولك ؟! لزومه إيه بقا النكد ده ! المفروض التايم لاين بتاعك دلوقت يبقى ورد ودباديب .





يسمع صوت بكائها على الجانب الآخر للاتصال فيرق له قلبه ليردف بنبرة أكثر ليناً :

_انت عارفة إن اللي بيحصل دلوقت ده أكبر غلط ؟! أخبار حوادث الانتحار اللي بقت مالية كل حتة ! منظمات الصحة النفسية بتحذر دايماً من الإعلان عن حالات الانتحار وبتنصح بالتكتم عليها عشان الموضوع مايبقاش حافز لغيرهم يقلدهم ..فيه حاجة غريبة بقت تخللي الناس بتصدر طاقة سلبية لبعض ..الحزن مُعدي زي الفرح بالظبط ..

_شاف إيه ده عشان يخسر دنيته وآخرته ؟!

تهتف بها عبر دموعها كأنها لم تسمع كل ما قاله ليرد بجدية تلبستها طبيعة عمله :

_مش هافتي وأقول حرام وحلال ..بس اللي أنا متأكد منه إن اللي بينتحر ده ما بيبقاش في وعيه ساعتها ..أغلبهم ما بيبقاش يائس من رحمة ربنا بس بيبقى يائس من حزنه وظروفه ..احنا في زمن زادت فيه الضغوطات ..كل حاجة حوالينا بقت





جدران بتطبق على نفسنا ..ربنا وحده العالم بيه وبكل اللي زيه ..ادعيله بالرحمة ده اللي هينفعه .

_الله يرحمه .

تتمتم بها عبر دموعها فيحاول تصنع المرح ليجذبها بعيداً عن كآبتها بقوله :

_وبعدين يا ستي أديكي سايبة البلد باللي فيها .

_سايباها بس هاسيب فيها روحي ..بابا وانت وأهلي وأصحابي .

_إيه ؟! غيرتِ رأيك ؟!

يقولها ببعض الأمل الذي كرهه في نفسه لترد بتردد :

_لأ ..مش بالظبط ..بس ..

_حبتيه ؟!

يسألها بوجل وصمتها يكويه بجواب لا يريد سماعه لترد هي أخيراً :




_هو إحساس تاني ..مش شبه إحساسي مع مروان ..إحساس مستقر هادي منظم ..يمكن عشان كده مطمنة أكتر .

_ربنا يسعدك .

يقولها صادقاً رغم هذه الغصة في حلقه فتتنهد بحرارة لتصمت للحظات قبل أن تهتف فجأة :

_طب اقفل بقا عشان هو ع الويتينج ..ب"يأفلم" لو ما ردتش على طول .

يشعر بغيرة خفية وهو يراها تغلق الاتصال بسرعة لكنه يبتلع مرارة حلقه وهو يحاول تذكير نفسه بمكانتها لديه ..

هي أخته الصغيرة فحسب !

يغادر مكتبه في المركز ليتوجه نحو غرفة نجلاء فيقف يراقبها عبر النافذة الزجاجية كعهده قبل دخوله ..





تبدو له كطفلة كبيرة وهي تلاعب عروستها فيتنهد بعمق ثم يطرق الباب ليدخل ..

لا تبدو أنها قد شعرت به في البداية لكنها يتقدم نحوها أكثر هاتفاً باسمها فجأة يختبر استجابتها للأصوات المحيطة ..

فتلتفت نحوه بحدة تجعله يبتسم ..

تطور جديد لحالتها التي كانت ترفض الاستجابة للمؤثرات كأنها لا تسمع !

_معايا عروسة جديدة ..تحبي تشوفيها؟!

عيناها تلتمعان بقوة ناظرة ليده التي اختفت في جيبه قبل أن يخرجها ..

ابتسامة كبيرة تحلق فوق شفتيها لكنها تتجمد عندما تشاهد ثوب العروسة الذي كان مرقطاً يحيي عقدتها من الثقوب المتلاصقة !





كان يدرك الصراع الذي تعيشه بين شيئ تحبه وشيئ تمقته لكنه كان يسير على خط العلاج الذي وضعه مع ياقوت بوضعها هي تحت تأثير المحفز الذي تخاف منه تدريجياً على فترات كي يتلاشى أثره الكريه عليها ..

لهذا كان أكثر من راضٍ وهو يراها تمد يدها بسرعة لتنتزع عن العروسة ثوبها ببعض العنف تلقيه تحت قدميها وتضم العروسة نحو صدرها ..

قبل هذا كانت تكتفي بالصراخ وتغطية وجهها !

_برافو عليكِ ..هاجيبلك بكرة واحدة كمان .

يقولها باستحسان لكنها لم تكن تنظر إليه ولازالت كعهدها تفضل معايشة المجسمات عن البشر الحقيقيين ..





ومع هذا ابتسم برضا وهو يغادر غرفتها ليغلق بابها خلفه ..

يراقبها عبر زجاج النافذة فيراها تختلس نظرة جانبية نحوه منحته المزيد من الرضا ..

شفاء هذه الحالة بالذات سيكون انتصاراً مدوياً له ولياقوت ..

لعله يضفي البريق على حياته الباهتة بشعوره أنه يمنح غيره السعادة التي حرم هو منها !

يغادر المركز ليتمشى قليلاً في الشوارع مراقباً وجوه الناس بشرود ..

لسعة البرد المحببة تمنحه شعوراً بالانتعاش ..

رائحة شواء محببة تداعب أنفه فيلتفت نحو المطعم القريب ثم ينتهي به الحال وقد اشترى وجبة عشاء له ولأمه ..

_مساء الفل يا ست حلاوة ..كباب وكفتة يستاهلوا بقك .





يهتف بها وهو يدخل البيت ليغلق الباب خلفه فتتوجه إليه المرأة بخطوات متثاقلة وهي تضم شالها الأسود عليها هاتفة :

_ومكلف نفسك ليه يا ابني ؟!

_المهم تتبسطي كده ومزاجك يحلو !

يقولها وهو يفض اللفافة على المائدة ليستخرج محتوياتها فتمصمص شفتيها هاتفة باستياء:

_انت عارف اللي يبسطني بس عامل ودن من طين وودن من عجين .

يضحك بمواربة وهو يعلم أنها ستثير ذات الموضوع عن زواجه ..

بينما هي تردف مثيرة شجونه دون أن تدري:

_ريتال بنت عمك اهه ..هتتجوز ..ماعادش فاضل غيرك انت في العيلة عامل زي قرد قطع ..حسرة عليا وعلى بختي ..




يضع قطعة من اللحم في فمها مقاطعاً عبارتها فتضحك بطيبة وهي تلوكها في فمها هاتفة :

_شوفوا الواد ! بتسكتني بالأكل فاكرني عيلة ؟!

_ده انتِ ست الستات !

يقولها مداعباً وهو يغمس لها أحد أصابع الكفتة بالطحينة ليطعمها من جديد فتلتمع عيناها بحنان قائلة :

_وحق جلال الله ربنا هيراضيك ..بس انت اسمع كلامي .

_إيدي على كتفك .

يقولها مستسلماً فتشرح له ظروف العروس الجديدة التي اختارتها له لكنه يشرد عنها ببصره شاعراً بالخواء ..

عبث!

يشعر أن حياته كلها ضرب من العبث !!

ليس أسوأ على الإنسان من ألا يفهم نفسه فيتخبط في تيهه وحيرته !





_قلت إيه ؟!

تسأله أخيراً بلهفة فيزفر بقوة وهو يشيح بوجهه لتسأله بتوجس:

_انت لسه بتفكر في سها؟!

ابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيه وتسيئ هي تأويلها لتردف بانفعال:

_انت ماشفتش فضيحة صورها الأخرانية ؟! ده انت تحمد ربنا إنه نجدك من واحدة زي دي!

يمسح يديه ليخلع نظارته ثم يمسد عينيه بقوة قائلاً بإرهاق:

_مشكلتكم إنكم بتتعاملوا مع سها إنها شخصية سوية ..سها بعد ليلة جواز ناصر عاملة زي البني آدم الدايخ اللي غصب عنه دماغه بتخبط في أي حيطة ..كل تصرفاتها المفروض محدش يحاسبها





عليها ..هي نفسها أول واحدة هتندم عليها لما تقعد وتراجع نفسها ..

_بتدافع عنها ؟! يبقى لسة عينك منها يا موكوس!!

تهتف بها أمه بلوعة مستنكرة فيبتسم وهو ينظر إليها مطمئناٌ :

_لا يامه ..اطمني ..أنا خلاص شلتها من دماغي بس هي كلمة حق قلتها ..ولعلمك أنا أول واحد بقيت متأكد إن سها دلوقت مالهاش دوا غير ناصر .

_ياخويا! ماهم بيقولوا حفيان وراها وهي مش راضية ترجعله !

تقولها ملوحة بكفها في استهجان ليعاود ارتداء نظارته قائلاً :

_يمكن دي المشكلة ..يمكن ده الوقت إنه يجرب معاها طريقة تانية ..





_تانية واللا تالتة ربنا يهني سعيد بسعيدة ..المهم عندي تتجوز وأشوف عوضك قبل ما أموت ..

تهتف بها بتذمر وهي تترك المائدة كطفلة غاضبة تلاحقها نظراته المشفقة مع ابتسامته اليائسة ..

يلم بقايا الطعام شاعراً أنه قد فقد شهيته ..

يتوجه لغرفته ليبدل ثيابه ثم يستلقي على الفراش ..

أفكار هائجة تتناطحه من كل اتجاه ..

سها وشعوره بحاجتها إليه كطبيب لا كعاشق أو حتى قريب ..

ريتال التي يشعر بإحساس غريب نحوها يختلف تماماً عن شعوره المعهود بها ..

لكن الغريب والمذهل حقاً ..

أنه عندما استسلم للنوم أخيراً لم تشغل أحلامه سوى عينين واسعتين بريئتين ..وخطيرتين في ذات الوقت ..





عينين كانتا تقتربان منه بتؤدة ..فيشعر بهما تكتسحانه ..

ثم تبتعدان فيشعر أنه قد فقد معهما جزءاً من روحه ..

عينين يعرفهما لكنه لم يميز صاحبتهما إلا عندما استيقظ من نومه ..

ليجد نفسه يتمتم بذعر مصعوقاٌ :

_نجلاء! اهه ده اللي كان ناقصك يا "ملطشة القلوب"!

=========

_انتِ رايحة فين مش باباكِ قال مفيش خروج ؟!

تهتف بها والدتها بعصبية وهي تقف أمام باب البيت تمنعها الخروج لترد بانفعال مماثل:

_أنا مش صغيرة ..ومش في سجن .

_وعشان مش صغيرة لازم تحترمي سنك وتحترمينا مش كفاية فضيحة الصور !





تهتف بها أمها وهي تحاول منعها من الخروج لكنها تزيحها جانباً هاتفة بنبرة متمردة :

_أنا حرة ..أعيش حياتي بمزاجي .

تحاول أمها إثناءها عما برأسها العنيد لكنها تصر على الخروج بملامح متجهمة لا مبالية ..

تهبط الدرج شبه راكضة وهي تشعر برأسها يكاد ينفجر ..

هي لا تعلم لماذا تفعل هذا ..

ولا ماذا تريد أن تثبت ..

لا تعرف ماذا تنتظر ..

بل ماذا ينتظرها !

كل ما تعرفه أنها لا تريد البقاء وحدها متدثرة بغطاء "الأنثى الناقصة" التي يعيرونها بذنب ليس لها يد فيه !

تعلم أن فضيحة الصور الأخيرة تطاردها ..

فضيحة ضربها لصديقتها في النادي تطاردها ...





فضيحة هجران زوجها لها ورغبته الزواج بأخرى تطاردها ..

لكنها تتعلم الهرب من كل هذا ..

وستنجح ..

ستنجح بنفس الطريقة التي اعتادتها في كل أمور حياتها !

هي أقوى منهم ومن كل شيئ!!

الدموع التي تغرق وجهها تناقض الخاطر الأخير لكنها تمسحها بسرعة وهي تتجاوز المدخل وعيون البواب وبعض الجيران الفضولية لتتوجه نحو سيارتها ..

لكنها تفاجأ به مستنداً على مقدمتها عاقداً ساعديه يناظرها بعينين اعتادت ألمهما لكن الجديد هاهنا كانت هذه النظرة ..

نظرة وداع وشيك !





قرأها قلبها فكذبته وهي تتقدم نحوه بنظرات تصارعها الاشتياق والعناد بنفس الكثافة فلم يجد أحدهما غلبة على صاحبه !

_انت ما بتزهقش ؟! قلت لك خلاص احنا انتهينا !

نبرتها الحادة كانت تتخللها الآن هشاشة مرتجفة لكنها كانت تقاومها بكل ما أوتيت من قوة ..

تشعر كأنها على "مسرح كبير"تحيطها عيون الناس ..

تقذفها بالانتقاص ولا تريد سوى أن ترد لهم قذفهم بمثله .

تراه يومئ برأسه صامتاً فيرتجف قلبها بذعر وهي تتبين أنها المرة الأولى التي يوافقها فيها على رأيها ..

هل ..





هل يريد القول أن ما بينهما انتهى كذلك ؟!

جسدها يرتعد بوهن تكرهه فتكتف ساعديها بقوة وهي تتلفت حولها ..

يهيأ إليها أن عيون المارة جميعاً قد التصقت بها ..

المسرح الكبير يتسع ويتسع ..

النظرات لا تزال تقذفها بسهامها ..

وهي ..

هي وحدها !!

_اسمعيني لآخر مرة .

يقولها بنبرة غريبة على أذنيها ..

"كفنٌ أسود" يملأ ناظريها منذراً بدفن ميت لن يبعث ..

منذ متى يكون الكفن أسود؟!





فقط ..عندما تلحق الميت لعنته ..

وحبهما لا يفتقر لهذا !!

دموعها تغرق وجنتيها من جديد ..

تحرقها بهذا الألم الكاوي ..

لكنها لا ترى سوى ستار "المسرح الكبير" يسدل ببطء ..

فتكره أن يكون مشهد ضعفها هو النهاية !!

_مش هاسمع منك ولا كلمة غير لما تطلقني .

يهيأ إليها أنها تسمع "تصفيق الحضور" إعجاباً بهذه القوة ل"المرأة الناقصة" ..

لكن كلمته تهوي فوق رأسها كمطرقة ثقيلة :

_انتِ طالق!





تغمض عينيها بقوة وأصابع قدميها عبر صندلها المكشوف تتشبث بالأرض تحتها بقوة كأنها تتأكد أنها واقفة ..لم تقع !

لكنها على "المسرح الكبير" كانت ترى نفسها ساقطة على ظهرها ..

الستار مسدل ..

وصياح الجماهير المستاءة يذم آداءها الفاشل ..

الأضواء العلوية تبدو لها كعيون وحوش غاضبة ..

ثم صمت ..وصمت ..وظلمة !

_ممكن دلوقت تسمعيني !

هل كان يسأل أم يرجو ؟!

لا يهم ..لم يعد يهم ..

هو فعلها !

_انت طلقتني؟!

تشير نحوه بسبابتها بعينين زائغتين كأنها لا تصدق ..

فيغمض عينيه بقوة عن صورتها ليتجاهل سؤالها قائلاٌ :

_معاك حق تستغربي ..لو كان حد قاللي إني ممكن أفرط فيكي قبل ماروحي تفارقني كنت قلت عليه مجنون ..بس الحقيقة إن كل واحد فينا دلوقت بيموت التاني بالبطيئ ..انتِ عايزة تعاقبيني بإنك تحرميني منك ..وأنا هاسمحلك تعاقبيني يمكن ساعتها ترجعي لنفسك .

لكنها لم تبدُ وكأنها سمعت شيئاً مما يقول ..

فقط سبابتها كانت لا تزال على ارتجافتها تتمتم من جديد :

_انت ..طلقتني؟!





يفتح عينيه على دمعة مختنقة احترقت بها مقلتاه وهو يتشبث بكفيه في موضعهما من مقدمة السيارة كأنه يجاهد نفسه كي لا يضم خوفها هذا كعهده ..

لم يعد يثق في قدرته على منحها أي شيئ سوى الألم !

وكذلك هي !

_هاقولهالك ألف مرة أنا غلطت ..بس انتِ غلطتِ قبلي ..ليه مش عايزة تعترفي ؟! ليه مصرة تدبحينا سوا بالشكل ده ؟!

_انت ..طلقتني؟!

كأنها نغمة مبرمجة ثابتة تتردد على لسانها بصخب يمنعها سماعه ..





عيناها الزائغتان تميزان طفلاً صغيراً يسير وسط والديه في الطريق فترفع نظراتها لأمه ..

تراها بعينها ضمن جمهور "المسرح الكبير" تلعنها بنقصها متشفية في فقدها ..

لكنه كان يستشعر كل هذه الفوضى بداخلها ..

كل هذه النيران التي حذرها يوماً منها فلم تستجب زاعمة أنها ستمنحه الكمال ..

والآن يقف كلاهما على رصيف يأسه خاوي اليدين مفلساٌ يتسول بقايا عهد عشق مضى!

يعتدل في وقفته أخيراٌ ثم يقترب منها خطوة لكنها لم تكن تشعر بأي قرب ..

تشم رائحة عطر هي من اختارته يوماٌ ..

ترى ثياباً هي من انتقتها له ..

خصلات شعره هذه هي من اختارت له من يقصها ..




ذقنه الحليقة هي من اختارت نوعية ماكينة الحلاقة ونوع ال"كريم" ..

حتى ملامحه هذه هي من منحتها الوهج يوماٌ ..

هو لها ..ملكها ..يخصها ..كيف يمكن أن يزعم يوماً أحدهم شيئاً غير هذا ؟!

_أنا ماشي بس انتِ عارفة هترجعيلي إزاي ..ده لو كنتِ لسة عايزة ترجعيلي .

يقولها بعتاب متحسر وهو يلقي عليها نظرة أخيرة قبل أن يتحرك ليغادر تلاحقه نظراتها المصعوقة ..

لقد فعلها حقاٌ!

كيف استطاع ؟!

هل كان الحبل بينهما واهناً حقاً كما يزعمون ؟!

وماذا سيقويه؟!

إذا كانت هي لن تحمل طفله يوماٌ ؟!





تترنح مكانها وهي تشعر بالأرض حولها تدور ..

_عايزة حاجة يا ست سها؟!

صوت البواب المشفق خلفها يترجمه عقلها كشماتة ..

فتتحامل على نفسها لتركب السيارة متجاهلة عبارته ..

تنطلق بها شاعرة بتشوش الرؤية أمام عينيها اللتين لم تكونا تميزان وسط الشوارع إلا "صور الأطفال"!!

تكاد تعدهم عداً وهي تتمنى واحداً ..

واحداً فقط مثل هؤلاء يجبر كسر أنوثتها !!

رنين هاتفها يصدح فتتناوله بتشوش لتجدها صديقتها الجديدة التي أبدت انزعاجها من حالتها





الغريبة لتسألها عن مكانها ثم ترجوها التوقف كي لا تقود في حالتها هذه ..

دقائق قليلة تمر بعدها ثم تلحق بها لتستقل السيارة جوارها وتضمها بين ذراعيها لتنتحب سها بصوت عالٍ فتربت هي على ظهرها ..

قبل أن تشعر الأولى برائحة غريبة نفاذة تغزو أنفها لتميز هذا البخاخ الصغير في يد المرأة..

وعيها يتسرب منها رغماً عنها فتنتظر المرأة حتى تفقده تماماً بين ذراعيها ثم تعيدها لتسندها على ظهر كرسيها برفق ..

قبل أن تتناول هاتفها لتتصل برقم ما ثم تقول بنبرة ظافرة :

_تمّ ! الحلوة معايا هاجيبها وأجيلكم .

=========

يتأمل يامن ملامحها النائمة -على الأريكة بصالة بيته- بعشق جارف وهو يرى يمنى الصغيرة جوارها مستيقظة فاتحة عينيها الواسعتين وتداعب





الهواء بذراعيها مصدرة صوتها اللذيذ الذي يداعب قلبه بسحر خاص بها ..بها وحدها !

_ششششش..ماما نايمة ..أول مرة ماتبقاش صاحية تستقبلني وأنا راجع من العيادة ..عملتِ فيها إيه طول النهار ؟! اعترفي!

يغلظ صوته قليلاً في كلمته الأخيرة فتقلب الصغيرة شفتيها وقد تقلصت ملامحها كأنها على وشك البكاء ..

لكنه يضحك لها ثم يداعب وجنتها بوجنته مردفاً وكأنها ستفهمه :

_دقني بتشوكك ؟! واللا بتحبيها زي ماما ؟!

والجواب يأتيه عملياً في ضحكة الصغيرة التي أشرقت ملامحها من جديد ..




ضحكة جعلته يطلق شبيهتها ثم يضمها لصدره مطلقاً تنهيدة رضا ..

قبل أن يتحرك بها نحو المطبخ القريب قائلاً:

_شكلك جعانة زيي ..تعالي ناكل سوا ..

دقائق قليلة تمر لتنتهي بهما وقد أرقدها في كرسيها المهتز واضعاً "الببرونة" في فمها قبل أن يجلس على كرسيه جوارها أمام مائدة المطبخ ليبدأ في تناول طعامه الذي سخنه لنفسه ..

_راحت أيام الدلع! عارفة مامتك اللي نايمة زي القتيل بره دي ؟! كانت زمان تستناني عشان آجي ألاقي الأكل لا سخن قوي ولا بارد قوي ..دلوقت خلاص راحت عليا ..صعبت عليك ؟!





يقولها بابتسامة لونت ملامحه وجعلت الصغيرة تفلت "البرونة" لتضحك له ضحكة امتزجت بقطرات من اللبن فبدت له كملاك صغير ..

أزاح طعامه جانباً وهو يلتفت نحوها بكليته ليستمر في هزها برفق وعيناه تشردان في الفراغ ..

ابنه الراحل ..

ذنبه الذي لا يدري كيف سيكفر عنه ..

يستحضر صورته فيجده يشبه يمنى كثيراٌ ..

لكنه كان أكثر شبهاً به هو ، لا مزيجاً بينه وبين ياسمين كيمنى!

وسيلين التي ظلمها كذلك بشكوكه فيها بهذا الشأن !

_يمنى معاك ؟!

صوت ياسمين الناعس ينتزعه من شروده وهو يحمل ذعرها وقد استيقظت من نومها فلم تجد الصغيرة جوارها ..




فيشير لها بسبابته أن تصمت وقد أدرك نوم الصغيرة ..

ينهض ليتوجه نحوها فتعانقه بقوة هامسة :

_معلش ..كنت مقتولة من التعب ..معرفش نمت إزاي .

_لسه كنت بشتكي لبنتك ..بقوللها راحت عليا من يوم ما جت ! نسيتيني!

يهمس بها عاتباً فتبتسم وهي تحتضن وجنتيه براحتيها هامسة :

_عمري! انت أول ابن قلبي عرفه ..والأولاني دايماً أغلى!

يبتسم لها بهذه الطريقة التي تذيبها فتستطيل على أطراف أصابعها لتقبله بنعومة على وجنته ..ثم تبتعد بسرعة هامسة :





_هاحضر لك الأكل .

_أنا سخنته بس ..

صوت رنين هاتفها من الخارج يقاطعه فتشهق وهي تركض نحوه هاتفة :

_هيصحيها ..ما صدقت نامت .

يضحك وهو يلحق بها فيراها تفتح الاتصال لتقول بودّ:

_لوجي ..إزيك يا عروستنا ؟! واللا نقول يا مامي خلاص مادام الرؤيا ثبتت ؟!

يبتسم بود مشابه وهو يقترب منها أكثر لكنه يعقد حاجبيه وهو يرى ملامح ياسمين تتغير بينما صوت لجين المنفعل يصله بوضوح:

_عابد جالك ؟! سافر القاهرة النهارده الصبح وماقالليش ليه ..ومن ساعتها بكلمه تليفونه مقفول .





_لا ..ما شفتوش ولا كلمني .

تقولها ياسمين بقلق لتهتف لجين بارتباك:

_لو جالك أو عرفتِ أي حاجة كلميني !

تغلق معها الاتصال ثم تلتفت نحو يامن الذي كان يحاول الاتصال بعابد بدوره لكن النتيجة كانت كما هي ..

الهاتف مغلق!

========

سيارة ناصر تنهب الطريق نهباً نحو المكان الذي أخبروه أنهم سيكونون فيه ..

ظلمة الليل حوله تكاد تضيئ من شعلة عينيه الهائجتين بغضب وهو يتذكر المكالمة التي وصلته منذ قليل ..





_سهما عندنا ..تعال خدها بس لوحدك ..أي حركة غدر انت فاهم ممكن توصل لإيه ..

_عايزين إيه ؟!

_لما تيجي هنتفاهم ..أكيد مش هنختلف.

كالمجنون ظل بعدها وهو يهاتف والدتها لتخبره أنها لم تعد للبيت منذ خرجت..

حاول التقصي عن مصدر المكالمة لكنه لم يصل لشيئ ..

لم يحتمل مخاطرة أن يبلغ أحدهم أو يطلب عوناً وقد أدرك أن من يختطف زوجة ضابط شرطة لن يكون بهذا الغباء ..

بل من المؤكد أنه يستند لدعم قوي .

سينفذ له ما يريدونه ربما كان الأمر فقط مجرد فدية مالية ؟!

فدية مالية!!





الخاطر الأخير بدا له ساذجاً بل شديد السذاجة خاصة وهو يوقن أن طبيعة عمله تجعل له الكثير من الأعداء ..

لكنه كذلك كان يوقن أنه سيدفع أي ثمن كي يعيدها هي سالمة !!

يصل للمكان المطلوب على الطريق الصحراوي فيركن سيارته أينما أخبروه ثم يتوغل في الصحراء المجاورة نحو ما يشبه بيتاً خشبياً كانوا قد وصفوه له ..

يدور حوله مستكشفاً لدقائق وهو يمسك مسدسه في وضع متحفز ثم يقترب من النافذة المضيئة يمد رأسه ببطء نحو الداخل متفحصاً المكان الذي تبين أنه خالٍ تماماً قبل أن ..

صوت انفجار قريب يشق سكون الليل حوله فيكاد قلبه يتوقف انفعالاً وهو يصرخ بجنون:





_سها!

لكنه يتبين أنها سيارته هو تشتعل من بعيد في مكانها فيدرك أن الأوغاد قد فعلوها ..

يشعر بشيئ ثقيل يهوي على رأسه من الخلف فيلتفت بسرعة مصوباً مسدسه نحو من أمامه ..

لكن ضربة أخرى تهوي أثقل من سابقتها فتطيش رصاصته ليسمع صوتها مزلزلاً في أذنيه ..

وقد كان هذا آخر ما وعاه قبل أن يفقد وعيه تماماٌ وقلبه يخفق باسم واحد لم يعد يعنيه غيره ..

سها!

==========

_ما تقلقيش يا لجين ..هيظهر بإذن الله !

يقولها إسلام وقد تحلقوا جميعاً حول لجين الباكية في صالة بيت ثمر ..

نبرته القلقة تناقض الطمأنينة التي يحاول بثها فيها ..

ليهتف هيثم جواره بجزع:





_معقول ما قالكيش أي حاجة عن نيته قبل ما يسافر ؟!

_قال مشوار مهم وهايقوللي لما ..لما يرجع .

تنتحب من جديد مع كلمتها الأخيرة وهي تهز رأسها فتربت ياقوت على أحد كتفيها بينما تربت رابحة على الآخر ..

_يارب ما تسوءني في "ولادي" يارب ..ولادي يارب!

تهتف بها ثمر بحرارة رافعة كفيها في وضع الدعاء فتلتفت ياقوت نحوها والدموع تتكدس في عينيها ..

ثمر كانت دوماً تقولها "بناتي" ..

والآن تضيف إليها عابد موحية أنه قد صار يحمل لها نفس المكانة ..

قلبها يخزها بقوة وهي تستحضر صورة زين ..





كعهدها يكون أول من يخطر بالها عندما تريد الشعور بالأمان ..

لهذا انسلت خفية من بينهم لتتوجه نحو غرفتها وتتناول هاتفها كي تتصل به وما كادت تسمع صوته حتى انهارت مقاومتها لتنتحب بقوة فيهتف بها بقلق:

_مالك يا ياقوت؟!

صوته الحنون المهيمن كان وحده يكفيها ليمنحها بعض الأمان الذي يهدهد خوفها لكن بكاءها لم ينقطع بعدها للحظات كادت تطير صوابه وهو يعاود هتافه بجزع أكبر:

_ردي عليا ..انتِ كويسة ؟! الحاجة كويسة ؟!

تمالكت بكاءها بصعوبة لتشرح له الوضع بخفوت شديد وبكلمات سريعة فاستغرق لحظات ليستوعب قبل أن يسألها :

_انتو شاكين إن الجماعة اللي كان متورط معاها هم اللي ورا اختفاءه ؟!




_ده إحساسي ! عابد مالوش عداوات ..وإسلام خلى معارفه يسألوا عليه في الأقسام والمستشفيات مفيش خبر عنه ..

_طب اقفلي دلوقت ..هاعمل اتصالاتي وأحاول أوصل لحاجة ..طمني الحاجة ثمر ..وما تخافيش .

يقولها باقتضاب ثم يغلق الاتصال فتتنهد بحرارة وهي ترفع عينيها في دعاء مبتهل ..

قبل أن تمسح وجهها كي لا تخرج على ثمر بهذه الدموع ..

لكنها تفاجأ بكف إسلام على كتفها يسألها بابتسامة شاحبة :

_بلغتيه التقرير ؟!

تلتفت نحوه بسرعة لتصطدم بعينيه الدامعتين المناقضتين للمرح الشاحب بعبارته ..

فتضمه إليها بقوة وهي تشعر بحاجة كليهما لهذا العناق مغمغمة بين دموعها :

_يمكن يقدر يعمل حاجة ..لو عابد جراله حاجة أختك هتروح فيها !





فيزدرد ريقه بتوتر وهو يسألها :

_انتِ شاكة في اللي أنا شاكك فيه ؟!

ترفع إليه عينيها بنظرة وجلة وكلاهما يصل لهذا الحدس أن شأن اختفائه مرتبط بهذه الجماعة التي كان ينتمي إليها ..

فتومئ برأسها لتقول بخفوت:

_الغريب لو كانوا هم ..ليه استنوا يرجع مصر ؟! ماهو كان في ماليزيا ؟!

_يمكن حاولوا هناك وما عرفوش ..ويمكن ..

_يمكن إيه ؟!

_مش عارف ..دماغي واقف مش قادر أفكر ..بقول يمكن ..

رنين هاتفه يقاطع كلامه فيتناوله بسرعة وقد رآه رقم أشرف ..

ولا يدري لماذا انتابه حدس ما أنه قد استعان بناصر ودياً كما فعل المرة السابقة مع ريما ..





لهذا فتح الاتصال بسرعة وما كاد يفعل حتى وصله صوت أشرف اللاهث:

_ناصر موبايله مقفول رحت له مكتبه لقيت الداخلية مقلوبة ..هو ومراته مختفيين ومحدش يعرف مكانهم ..المصيبة أنهم شاكين في عابد وفاكرينه لسه تبع التنظيم إياه لأن ناصر من كام يوم كان طالب تحريات عنه !

=========

صداع غريب يكتسح رأسه فيحاول تمسيد جبهته لكنه يشعر بيديه مكبلتين ..

كذلك قدميه كانتا مربوطتين بإحكام جعله يشعر بتنميل خفيف فيهما ..

يحاول فتح عينيه لكنه يشعر أن جفنيه ثقيلين كجبلين ..

هو مربوط على كرسي ما ..

لكن أين هو؟!

رائحة عطنة تتسلل لأنفه فتتغضن ملامحه وهو يحاول إرهاف سمعه ..





صوت بكاء امرأة جواره يجعله يرهف السمع أكثر ليصله همسها المتحسر باسمه ..

_سها!

يفتح عينيه فجأة بهتافه كأنما استعاد وعيه فجأة لينقبض قلبه بترقب وهو يراها أمامه مقيدة مثله على كرسي ..

وجوارها ..

عابد !

زوج أخت إسلام الذي كان يريد جمع معلومات عنه ظناً منه أنه لايزال متورطاً مع هذا التنظيم ..

لكنه مقيد مثلهما على كرسيه !

ما الذي يحدث هنا؟!

_حمداً لله على سلامة الباشا ..ألف لا بأس عليك !





الهتاف القاسي المتشفي يشق الصمت فجأة فيلتفت نحوه بحدة زادت من وجع رأسه لكنه يميز ملامح الرجل ..

إنه ابن زعيم العصابة الذي أرداه قتيلاً في عمليته الأخيرة ..

هذا يفسر الحكاية كلها إذن ..

يريد الانتقام لأبيه لكن ماذا عن عابد ؟!

_معلش المكان مش قد المقام ..بس احنا هننقلك لحتة أحسن بكتير ..فوووق ..هه ؟!

يهتف بها الرجل بلهجة قميئة ساخرة وهو يشير للأعلى ضاحكاً بتهكم ..

فيعقد ناصر حاجبيه وهو يختلس نظرة جانبية نحو سها المنهارة ليقول بصوت لم يفقد بأسه :

_سيبها هي ..تارك خده مني أنا .





_تاري هاخده م الكل يا باشا ..ما تشغلش بالك انت ..خسارة إنك مش هتشوف اللي هيحصل ..بس أنا مايخلصنيش ..هاحكيهولك لقطة لقطة ..

يقولها الرجل ببطء متشفّ قاسٍ قبض قلب ناصر أكثر خاصة والأول يردف مشيراً حوله :

_الأول أعرفك احنا فين ..احنا في محطة مَية ..

ثم يميل عليه ليردف بنبرة أكثر خطورة :

_في سينا!

_سينا!

تصرخ بها سها بلوعة وقد بدت هي الأخرى جاهلة تماماً بما حدث لها بعد فقدانها الوعي في سيارتها ..

بينما كز ناصر على أسنانه وهو يود لو يكون حدسه مخطئاً ..

لو لا يكونوا حقاً بهذه الدناءة !!




_ماذا يحدث هنا؟!

صوت عابد القلق ينبعث أخيراً وهو الآخر لا يفهم ما الذي يجري حوله ..

لقد جاء إلى القاهرة بعد مكالمة هاتفية من أحدهم ذكر له أنه كان صديق أبيه الراحل ويطلب منه أن يسلمه شيئاُ قد تركه له ..

لم يشك بالرجل خاصة وهو يعرف أن والده حقاً له صديق مقرب بهذا الاسم ..

لكنه ما كاد يصل للشقة التي ذكر له عنوانها ويستقبله العجوز حتى فوجئ بغطاء ثقيل يسقط على رأسه وبخبطة قوية أفقدته وعيه الذي لم يسترده إلا هنا !

_لا ده انت بالذات نجم الحفلة ..الكبير محضر لك مفاجآت هتعجبك قوي .




يهتف بها الرجل بسخرية قميئة مخاطباً عابد الذي هتف به وهو يحاول تخليص معصميه من قيودهما دون جدوى :

_من تقصد ؟!

_أنا يا محمد ..هل نسيتني؟!

صوت "الصقر" الذي صدح فجأة يخلع قلب عابد وهو يتذكر ماضيهما المشترك ..

لا ..لا يصدق أن يعيش هذا الكابوس من جديد ..

يقترب الصقر منه فيغوص قلبه في ضلوعه أكثر وأكثر ..

كيف ظن يوماً أن قلباً بهذا السواد قد يعينه في طريقه إلى الجنة ؟!

كيف ظن يوماً أن عينين بهذه القسوة قد بكيتا من خشية الله ؟!





بل كيف ظن يوماً أن يداً تمسك السلاح لتزهق به الأرواح هي يد ارتفعت بدعائها للسماء؟!

_مرحباً بالابن الضال ..لا تعرف كم انتظرت هذه اللحظة كي أعد لك المصير الذي تستحقه كي تكون عبرة لمن ينشق عنا ..المرتد حده القتل كما تعلم أيها الشيخ !

القسوة الباردة تقطر من حروفه فيبتسم الرجل الأول بشراسة ملوحاُ بذراعيه حوله قائلاً:

_كده قشطة قوي ..كلنا اتعرفنا على بعضينا ..أنا عن نفسي ماليش تار غير مع حضرة الظابط ..هاخللي الدنيا كلها تتحاكى عن جزاء اللي قتل أبويا ..

ثم يستخرج مسدسه من جيبه ليصوبه نحو ناصر مردفاُ بغلّ:





_ودي دفعة تحت الحساب !

صرخات سها الملتاعة تدوي في أذنه مع هذا الألم الرهيب الذي شعر به في ساقيه إذ أطلق عليهما ذاك الوغد رصاصتين متتاليتين ..

يكز ناصر على أسنانه مقاوماً الصراخ فيتفصد جبينه عن عرق غزير مع ارتجافة جسده لكن الرجل يعاود الانحناء نحوه هاتفاً بنبرة تقطر كراهية :

_ماسك نفسك ليه يا باشا ؟! صرّخ وقول إنك بتتوجع ..يمكن ناري ع المرحوم تبرد شوية !

لكن ناصر يبصق في وجهه فجأة فيتراجع ليمسح وجهه وعيناه تقدحان الشرر ..

قبل أن يتوجه نحو سها ليجذبها من شعرها فتصرخ من جديد مع هتاف الوغد :




_ما كنتش عايز أعملها بس عشان حركتك دي هاوريك فيلم هيعجبك قوي .

يقولها وهو يدفع كرسي سها ليسقط أرضاً بها فتتوالى صرخاتها وهي تحاول تحريك قدميها ويديها المربوطتين دون جدوى ..

قبل أن يمد يديه يمزق عنها ملابسها لكن صوت "الصقر" يعلو صارماً :

_توقف ..لم يعد هناك وقت .

تلتفت العيون كلها مع عبارته نحو الناحية التي أشار إليها لتتعالى شهقات عابد وسها بينما يزداد ارتعاد جسد ناصر وهو يعقد حاجبيه بمزيد من ألم ورعب ..




فهناك على أحد الأعمدة كانت قنبلة مثبتة يشير توقيتها الزمني أن ما تبقى على انفجارها هو ثلاثون دقيقة فحسب !

_لعنكم الله ! لعنكم الله !

يصرخ بها عابد بقهر وهو يحاول تخليص نفسه من قيوده فيلتفت نحوه الصقر بعينيه الحادتين مزاولاً ما يجيده :

_الله لا يلعننا ..الله ينصرنا لأننا جنده ..وأنت ومن مثلك تستحقون أن تذوقوا نار الدنيا قبل الآخرة .

_كفاك كذباً ! لم نعد في واحدة من محاضراتك الآثمة التي تقلب فيها الحقائق وتزور فيها الدين .





_أي دين أيها الشيخ ؟! دينك غير ديني ..ديني يضعني دوماً على القمة منتصراً بينما دينك لا يورثك سوى المهانة والهزيمة ..

ثم يمسك ذقن عابد يهزها بقوة مع استطراده المفعم بالكراهية :

_بعد نصف ساعة فقط ينفجر هذا المكان بمن فيه ..انشققت أنت عنا لكن هذه العملية ستحمل توقيعك أمام الجميع ..وبينما يكون انتباههم كلهم مسلطاٌ هنا ..نكون نحن هناك حيث هدفنا الآخر الأكثر دوياٌ ..

تتسع عينا عابد بارتياع مع هذه التفاصيل ليصرخ بحرقة مع استطراد "الصقر":

_مدرسة (....) الابتدائية !

_مدرسة أطفال يا ولاد ال"....."!!

يصرخ بها ناصر كأسد حبيس وهو يشعر أنه على وشك فقدان وعيه ألماً ..

لكن الصقر تجاهله تماماّ موجهاً كلامه نحو عابد :





_كلما كان الهدف أكبر كلما كان الصيت أعلى دوياً ..أرأيت قيمتك عندي أيها الشيخ ؟! عملية ضخمة ستخلد باسمك أنت ..مُت قرير العين يا رجل .

يقولها ليترك ذقن عابد بعنف فيصرخ الأخير بحرقة :

_أطفال !! أطفال أيها الوحوش!!

لكن صرخاته لا تلاقي أي صدى بينما الرجلان يرمقانهم بنظرة شامتة أخيرة قبل أن يركضا ليغادرا المكان الذي أوشك أن يتحول لقطعة من جحيم ..

_ناصر !





تصرخ بها سها بانهيار وهي عاجزة عن الحركة مكانها فيهتف بها عبر أنّات ألمه المكتومة التي جعلت صوته لاهثاً :

_ما تخافيش ..

ثم يتوجه نحو عابد مخاطباً :

_أنا آسف إني شكيت فيك في الأول ..كنت فاكرك معاهم ..المهم دلوقت هم رابطيننا بحبل بلاستيك مش هنعرف نفكه ..الحل الوحيد إنك تتحرك بالكرسي لحد العمود اللي هناك وتحاول تكسر دراعاته ..بسرعة يا عابد ..

يتحرك عابد بالكرسي كما طلب منه بصعوبة حتى يصل للعمود القريب فيضرب به الحائط محاولاً تكسيره لكن الأمر لم يكن يسيراً ..

_كمان يا عابد ..اضرب أجمد ..دراع واحد بس يتفك وهتنجح .





فيحاول عابد من جديد تركيز قوة دفعه على مسند الكرسي الذي بدا ملتصقاً به وهو يخبطه بعنف أكبر في الحائط من جديد مرة تلو مرة ..

حتى تهشم مقعد الكرسي ليشعر بذراعه يتحرر ..فيهتف لاهثاّ:

_الحمد لله !

_الصفيحة اللي هناك دي ..اتصرف بغطاها وفك نفسك وسها .

لم يكن الفعل سهلاً كالقول لكن عابد يفعلها أخيراً بقبضتين صار الدم يتفجر منهما بغزارة ليحرر نفسه وسها ..

قبل أن يتحرك نحو ناصر محاولاً تحريره كذلك ..

لكن ناصر يشير بعينيه نحو القنبلة هناك قائلاٌ بصوت لاهث وهو يكاد يفقد وعيه :





_ماعادش غير عشر دقايق والمكان ينفجر ..مش هاتقدروا تتحركوا بيا وأنا كده ..سيبوني وامشوا .

_لا ..لا ...مش هاتحرك خطوة من غيرك !

تصرخ بها سها بانهيار وهي تنكب فوقه بجسدها لكنه يكتم صرخة ألمه بصعوبة قائلاً بسرعة جعلته يلهث :

_لازم تخرجوا من هنا عشان تبلغوا عن المدرسة المقصودة ويلحقوا ولاد ال"..." قبل ما يعملوها ! انتو الأمل الوحيد دلوقت !

يتجمد عابد مكانه وهو ينظر لساقي ناصر المصابتين شاعراً أنه في صراع رهيب ..

لن يستطيع تركه وحده هنا ..

لكن انفجار القنبلة لن يحتاج سوى لدقائق ..

إنها ليست حياته وسها وحدهما ..بل حياة مئات من الأطفال على الجانب الآخر ..




_مفيش وقت يا شيخ ..اخرجوا بسرعة واتصل بالرقم ده (....)...ده خط ساخن هيوصلك باللي هيقدر يتصرف ..خدها وامشوا بسرعة ..

يتحدث ناصر بعجلة تناسب ضيق الوقت عبر أنفاسه اللاهثة وقد تحول وجهه لبركة من عرق ..

_لا يا ناصر ..سيبه هو يمشي وأنا هافضل معاك ..مش هاسيبك .

تصرخ بها سها وهي تحاول تحرير قيوده لكنه يصرخ بها بحدة :

_المدرسة يا سها ! اعتبري كل طفل فيهم ابننا اللي ما خلفناهوش ..روحي معاه واعملوا اللي تقدروا عليه ..خدها يا عابد ..أنا اللي بقوللك خدها واجري بسرعة من هنا ماعادش وقت..انت لسه ماتعرفش هتخرج من هنا إزاي ..





تنهمر دموعها غزيرة وهي تتشبث به فيغمض عينيه بقوة ليهمس لها :

_قولي للحاج أنا آسف ..كان نفسي أحقق أمله وأجيب له اللي يشيل اسمه عشان كنت عامل حساب يوم زي ده ..بس اللي هو مافهموش إنك انتِ ..انتِ كل ولادي !

_أنا آسفة ..أنا آسفة ..

تصرخ بها بين دموعها وهي تتشبث به أكثر لكنه يصرخ بعابد بحدة :

_خدها وامشي ..ياللا ...

فيتحرك عابد بسرعة ليبعدها عنه فتقاومه صارخة :

_سيبني معاه ..هنموت سوا زي ما عشنا سوا ..سيبني ..





_خدها وابعد !

يصرخ بها ناصر من جديد وهو يشعر أن المرئيات تهتز أمامه منذرةً بفقدان وعيه ..

فيتحرك عابد بها يكاد يجرها جراً تحت صرخات مقاومتها ..

قلبها يكاد يتوقف رعباُ وهي لا تميز حقيقة من خيال ..

لا ..هذا ليس واقعاٌ ..إنه كابوس ..

تصرخ باسمه بهستيرية وهي تتشبث بصورته التي تتباعد ..

كذلك هتافه المتكرر يتلاشى رويداُ رويداّ مع ابتعادهما :

_المدرسة ..ولادنا يا سها ..ولادنا ..ولادنا ..

صوته يغيب عن أذنيها أخيراّ وهي عاجزة عن إدراك الوضع ..





تشعر بذراعي عابد تكبلانها بقوة تمنعها العودة إليه وهو يتحرك بها غير مدرك لأبعاد المكان ..

_يارب سلم ..لا إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ..يارب يارب ..

يهمس بها سراً مع خيط من الدموع عجز أن يمنعه وهو لا يعرف كيف يغادر المكان ..

لم يشعر بالعجز في حياته كما يشعر الآن وهو يترك الرجل خلفه يعاني مصيره وحده لكن ما حيلته ؟!

يستجيب لحدسه وهو يتحرك بها عبر أروقة متداخلة ليجد نفسه معها أخيراً في العراء ..

صحراء واسعة مظلمة قاسية كقسوة قلوب اختبرها لتوه ..





يتلفت حوله بخوف محاولاٌ البحث عن مساعدة وهو يشعر بها تكاد تسقط فاقدة لوعيها بين ذراعيه ..فيهتف بها لاهثاٌ برجاء:

_بالله عليكِ لا تحمليننا ما لا نطيق ..اجري معي ..لا تدعي تضحيته هو هذه تذهب هباء !

تقف مكانها شاخصة البصر كالميتة لاهثة كمن تكاد تفقد روحها ..

لا تبدو كأنها تعي شيئاٌ مما يقول لكنه يجذبها من ذراعها ليجبرها على العدو معه مبتعديْن عن المكان ..

وأخيراٌ ..

صوت انفجار!!

صوت انفجار يدوي خلفهما ويجعلهما يسقطان على وجهيهما فجأة لتشعر بمذاق الرمل المبلل بالماء والدم في فمها ..

وبمذاق حارق كاوٍ في روحها كلها ..





تلتفت خلفها غير مصدقة فترى ألسنة اللهب تبدو كأذرعة وحوش ..

وفوقها دخان أسود كثيف يرتفع للسماء فيبدو لها وكأنه يرتفع بروحه معه ..

_نااااااصر.

صرختها تدوي وسط سكون الصحراء فيردها الصدى أضعافاً ..

قبل أن يفرض الصمت المهيب نفسه و الفقد الغادر يبسط جناحيه القاسيين حولها ..

فلا كلام بعد ..ولا ندم ..

=======



القطعة الثالثة والثلاثون

(الأخيرة)

=========

_ولادنا يا سها ..ولادنا ..ولادنا ..

الكلمات الأخيرة تدوي في أذنيها وهي تركض مع عابد في ظلمة هذه الصحراء لا يميزان وجهة لقدميهما ..

يبحثان بعينيهما عن أي مساعدة لكن صوت الفراغ هو وحده يجيب ..

قلبها يبدو وكأنه قد توقف عن العمل ..

عقلها كذلك قد توقف عن الإدراك ..

كأنها استحالت منذ لحظة الانفجار لآلة جامدة لا يعنيها سوى هدف واحد ..

المدرسة ..الأطفال!

_آه!





صرخة عابد جوارها تخترقها فتتوقف مكانها لاهثة لتجده قد سقط أرضاً وقد تعثر في صخرة ..

_قدمي التوت ..لا حول ولا قوة إلا بالله !

يهتف بها لاهثاً وهو يحاول النهوض من جديد لكنه يعود ليسقط مكانه هاتفاً بألم :

_لن أستطيع السير عليها ..قضي الأمر .

يقولها بنبرة ملتاعة وهو يتلفت حوله بعجز ليطلق صرخة أخرى ..

صرخة تضرع هذه المرة وهو يرفع عينيه للسماء بهتافه المستغيث :

_يارب لا تريني يوماً كيوم أبي ..يارب أنت لهم بالمرصاد ..يارب وعدك الذي وعدتنا ..انصر جندنا واحفظ ضعيفنا واشف صدور قوم مؤمنين .





دعاؤه يختلط ببكائه في مشهد مهيب زاده شعوره بالعجز وهو يستعيد تلك اللحظة التي علم فيها عن مقتل والده في ذاك الحادث البشع ..

فيرتعد قلبه بذعر وهو يتخيل حجم الكارثة لو نال المجرمون من المدرسة !

لهذا يصرخ بها هي برجاء أخيراً أن تستمر في طريقها لطلب أي نجدة قريبة ..

بينما تقف هي مكانها ذاهلة مشتتة -بالكاد- تراه وتسمعه ..

وكيف تفعل؟!

صورة ناصر تقف حائلة بين أهدابها وحدقتيها ..

صوته يدوي من جديد كالرعد وسط ظلمة روحها ..

_اعملي اللي تقدري عليه ..ولادنا يا سها ..ولادنا ..




تشعر بقدميها تعدوان من جديد دون إرادة منها ودون تفكير ..

البرد ينخر في عظامها وملابسها الممزقة لا تمنحها أي دعم هاهنا ..

لكنها تشعر ببرد من نوع آخر جمد الدماء في عروقها فلن تعود بعده لدفئها أبداً ..

ألمٌ حقيقي في صدرها يبدأ في الظهور مع تلاحق أنفاسها اللاهثة وهي تشعر أنها ستفقد وعيها تعباً في أي لحظة ..

لكنها تجاهد بكل ما أوتيت من قوة وهي تجر المزيد من خطواتها ..

تركض بخطوات متعرجة ..

لا تدري أي طريق تسلك ..ولا لأين تتجه ..

كل ما حولها متشابه ..

كله ظلام أسود !!





تشهق شهقة عالية وقدماها تخونانها أخيرا لتسقط أرضاً فتصرخ صرخة خافتة وهي تدرك ألا مفر من الاستسلام ..

ماذا يمكنها أن تفعل ؟!

فلتمت هنا ..مثله !!

الخاطر الأخير يجعلها تصرخ صرخة عالية تفجرت شظاياها في روحها ودموعها تتفجر فجأة لينتفض معها جسدها ببكائه ..

لكنها يهيأ إليها أنها تسمع صوته من جديد ..

_مفيش وقت يا سها ..قومي ..ولادنا ..ولادنا ..

فتتدفق الدماء في عروقها هادرة ولا تدري كيف انتصبت واقفة من جديد تجر خطواتها اللاهثة نحو مجهول لا تعرفه ..لكنها توقن من ضرورة أن تواصل ..





ضوء كشافي سيارة يقترب من بعيد فيبدو لها وسط هذه الظلمة الكئيبة كعيني وحش ضارٍ ..

تعدو وتعدو ملوحة بذراعيها قبل أن تزيغ عيناها وتشعر بالأرض تحتها تهتز ..

تسقط مكانها من جديد إنما وعيها كذلك يتهاوى معها هذه المرة ..

_واحدة ست ..شكلها أغمى عليها ..هدومها مقطعة ومجروحة في كذا مكان ..شكلها اتصابت في الانفجار ..ننقلها ع المستشفى ..

بالكاد تميز هذه الكلمات وما بقي من وعيها يتسرب منها ..

لكنها تدرك أن لا مجال لهذه الرفاهية ..

لهذا تجاهد نفسها لتفتح عينيها بصعوبة تهمس بصوت متحشرج :




_تليفون ..بسرعة ..

_اشربي لك بق مية بس يا بنتي وبعدها ..

_تليفووون ..

تصرخ بها بإعياء فيحوقل الرجل وهو يناولها هاتفه لتتصل بالرقم الساخن الذي أعطاها إياه ناصر ..ولم تكد تبلغ بما تعلمه حتى شهقت شهقة خافتة لتستسلم تماماً لغيبوبتها هذه المرة ..

=======

_عابد في مستشفى العريش العسكري ..

يقولها زين عبر الهاتف مخاطباً ياقوت بنبرة خطيرة لتشهق الأخيرة بعنف هاتفة :

_العريش؟! ليه ؟! جراله إيه ؟!

_اسمعيني من غير انفعال ..هو كويس ..كسر خفيف في رجله ..بس عليه حراسة مشددة ..

يقولها مشفقاً عليها من هذه الأخبار لتهتف به بانفعال :

_قول اللي عندك كله يا زين ..أرجوك ما تخبيش حاجة ..

_صدقيني أنا معلوماتي مش كتير ..بس اللي فهمته إن الموضوع حساس لأعلى درجة ..فيه انفجار كبير حصل في محطة تحلية مية هناك ..وتقريباً هو المتهم فيه ..

يقولها بضيق لتنخرط في البكاء هاتفة بانهيار:

_مستحيل ..مستحيل ..منهم لله
الظلمة ..عابد ..لجين ..لجين هتروح فيها.

زفرته الحارقة تصلها حارة عبر الهاتف مع هتافه بها:





_اهدي أرجوكِ..أنا ماسك نفسي بالعافية إني أجيلك ..ده مش آخر المطاف ..أنا بعمل اتصالاتي ومش ساكت ..

تشعر ببعض الأمان مع كلماته الأخيرة فتمسح دموعها لتتمالك نفسها بينما يزفر هو من جديد مردفاً :

_أنا بالعافية قدرت آخد تصريح زيارة ليه بس لشخص واحد بس ..مش هينفع لجين عشان ظروف حملها والسفر ..

_أروح أنا!

تهتف بها بلهفة مقاطعة ليهتف بها باستنكار عصبي:

_تروحي فين انتِ بتستهبلي؟! لو كانوا سمحوا بشخصين كنت خدتك ورحنا ..لكن مستحيل أسيبك تروحي لوحدك ..خللي إسلام هو اللي يروحله يطمن عليه ويطمننا ..لجين هتصدقه وتثق في كلامه .





دموعها تخونها من جديد فترق لهجته وهو يردف :

_ما تخافيش ..أنا معاكي ..كل اللي ممكن يتعمل هيتعمل ..خللي إسلام يكلمني وننسق سوا هنتصرف إزاي .

تغلق معه الاتصال لتتصل بإسلام وتبلغه عن الأمر ولم يكد يسمع حتى ظهر شحوبه في جوابه :

_يادي الوقعة السوده! ودي هنعمل فيها إيه دي؟!

_مش عارفة يا إسلام ..أنا خايفة قوي ..

تقولها بين دموعها لكنه يتنهد بحرارة ليحاول التخفيف عنها بقوله :

_اجمدي اجمدي ..ياما دقت ع الراس طبول ..عابد ابن حلال وربنا مش هيسيبه ..المهم طمنتِ لجين ؟!




_خايفة أقوللها ..هاطمنها من جهة ..وأقلقها م التانية .

_لا ..لا ..طمنيها وخلليها تهدا ..واديني رقم زين بتاعك ده أشوف هنعمل إيه ..

يقولها بتشتت لتهتف به باستنكار:

_إيه زين بتاعك دي؟!

_خلاص! نسيب المصيبة اللي احنا فيها ونقعد نبجل في جلالته ..اخلصي هاتي الرقم !

يهتف بها بحدة عصبية غريبة عن طبعه المرح وواشية بهذا القلق الذي يملأه فتعطيه الرقم بسرعة ليغلق هو الاتصال بينما تتردد هي قليلاً ثم تخرج إلى صالة بيت ثمر حيث جلست الأخيرة تحتضن لجين الباكية بصمت ..وجوارهما ياسمين التي أصرت على البقاء معهن هنا حتى يطمئنن جميعاً على عابد ..

_ولادي يارب ..يارب ما تسوءني في ولادي ..





لاتزال ثمر ترددها دون انقطاع فتتنهد ياقوت بحرارة وهي تتقدم منهما لتحسم أمرها بسرعة قائلة :

_زين عرف مكان عابد وإسلام رايح له .

=========

على فراشه بالمشفى يجلس عابد مجبّر الساق يرمق الحائط بنظرة قلقة ..

منذ وصوله إلى هنا وهو يشعر أنه في سجن حقيقي رغم الرفاهيات -النسبية- التي تقدم له ..

يحاول الوصول لأي معلومة عما حدث للمدرسة لكن لا أحد يرد ..

وهو يكاد يموت ذعرا!

ماذا حدث لسها؟!

لم يعرف عنها شيئاً منذ تركته هناك !

هل وصلت لشيئ؟!

لماذا يحبسونه هنا ؟!





السبب الوحيد أنهم يصدقون أنه متورط بهذا التفجير !!

لماذا لا يستجوبونه إذن وينهون هذا العذاب؟!

لجين!

دمعة حارقة تتجمع في عينه وهو لا يعرف كيف حالها الآن ..

بل يعرف!

ليست هي وحدها ..بل
أمه ..ياسمين ..ثمر ..ياقوت ..

كلهم -حتماً- يكادون يفقدون عقولهم قلقاٌ عليه !!

رباه!!

رحمتك يالله !!

_لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ..اللهم رحمتك التي وسعت كل

شيئ ..اللهم سُنّتك التي قد خلت في عبادك أن يخسر هنالك المبطلون ..اللهم فرجاً ..اللهم جبراً ..

يدعو بها سراً والدمع الخاشع يترقرق في عينيه ليقطع دعاءه صوت طرقات قوية على الباب سبقت دخول هذا الرجل الذي لا يعرفه ..

طويل القامة رياضي القوام أسود الشعر وسيم الملامح لكن له عينين خطيرتين رغم الابتسامة المهادنة على شفتيه ..

_إزيك يا عابد ..بقيت أحسن ؟!

يقولها بنبرة ودود لم تخفف هذا القلق في عيني عابد الذي زاد ارتباكه والرجل يمد له يده مصافحاً فيلمح هذا الوشم ل"الصليب" على معصمه مع استطراده معرفاً نفسه :

_المقدم باسل جرجس .




يزدرد عابد ريقه بتوتر وهو يدرك حساسية أن يتدخل ضابط مسيحي في شأن كشأنه ..

لهذا صافحه بارتباك لكن ابتسامة باسل اتسعت وهو يجلس جواره على طرف الفراش ليقول بود :

_عارف كل الأفكار السودا اللي ممكن تيجي في دماغك دلوقت ..بس أحب أطمنك ..احنا عارفين كل حاجة .

_المدرسة؟!

يسأله عابد برهبة وقلبه يخفق بجنون ليهز باسل رأسه مطمئناً بقوله :

_وقفنا التفجير في الوقت المناسب .

_الحمد لله ..الحمد لله ..

يهتف بها عابد بصوت لاهث من فرط انفعاله وقد عجز عن منع دمعة انفعاله ..

ليربت باسل على كتفه قائلاً بتفهم :




_كان نفسي أطمنك أكتر بس احنا نفسنا مش
هنطمن إلا لما نقبض على ولاد ال(...)
دول ..وخصوصاً اللي اسمه "الصقر" ده ..ولحد
ده ما يحصل انت هتفضل تحت عينينا ..هنخبيك في
مكان آمن تحت حراسة مشددة .

ارتفع حاجبا عابد بانفعال ليردف باسل مفسراٌ:

_انت لسه مستهدف طالما الصقر ده لسه
حر ..اعتبره سجن مخفف واحمد ربنا ..شهادة مدام
سها وضحت تحرياتنا بخصوصك ..كان زمانك
لابس قضية مش هتخرج منها إلا على حبل
المشنقة .

ذكر سها يعيد إليه ذكرى تلك الليلة الكارثية فيهتف
به بتساؤل يعرف مسبقاً جوابه :

_ناصر؟!

فتغيم عينا باسل بنظرة بائسة وهو يطرق برأسه
قائلاً :





_كان بطل ..ضحى عشان غيره يعيش .

فيبتلع عابد غصة حلقه وهو يعاود سؤاله بصوت متحشرج:

_زوجته ؟!

_مدام سها كويسة ..هي اللي بلغت عن التفجير وكانت السبب في إنقاذ المدرسة .

يقولها باسل بمزيج من تقدير وأسى ليغمض عابد عينيه بدعاء خاشع لذاك البطل الذي رآه رأي العين ..

يغبطه على شهادة كهذه يحتسبه نالها بحسن نيته ولا يزكيه على الله ..

ويتمنى لو كان هو قد حظي بدور أكبر في هذا الشأن ..

لكن ..يكفيه أنه لم يشهد يوماً كيوم أبيه !




ويكفيه أن الله قد أظهر برأءته !

_عايز حاجة ؟!

يقولها باسل وهو ينهض واقفاً ليستعد للانصراف فيرفع إليه عابد عينين راجيتين وبكلمة واحدة:

_أهلي .

فيبتسم له باسل بتعاطف قائلاً :

_ولا تشيل هم ! فيه توصية جاية لك بزيارة من أخو مراتك ..بس مش هنقدر نسمح إنها تتكرر ..لكن اللي أوعدك بيه إني هابعت اللي يطمنهم كل فترة عليك ..واعتبرها هدية شخصية مني ..

_جزاك الله خيراً .

يقولها عابد بامتنان فيعاود باسل مصافحته بقوة أكبر هذه المرة قبل أن يقول بنبرة حازمة رغم ما شابها من ود :





_أبويا كان له جار اسمه محمد ..ما كانش جار وبس ..كان جار وصاحب وأخ ..ابن عمو محمد مات وهو صغير ..واتولدت أنا بعدها ..أبويا أصر يسميني باسل على اسم ابن عم محمد اللي مات ..ومن يوم ما اتولدت وأنا حاسس إن ليا أبّين مش أب واحد ..جرجس ومحمد ..هي دي مصر الحقيقية يا شيخ عابد ..مصر اللي عايزين يشوهوا صورتها ويحرقوها بفتن بين أهلها ..بس الرب حاميها .

تدمع عينا عابد بتأثر وهو يشد على يده ليبتسم له باسل ابتسامة أخيرة قبل أن يغادر ..

=======

_يعني إيه مش هتقابلني؟! لازم أشوفها ..لازم أشوفها ..





عبر الضبابات الكثيفة التي يغرق فيها عقلها منذ يوم الحادث تسمع سها صوت والده يخترق هذه الظلمة ..

حبيسة الغرفة ..بل حبيسة الروح في ذكرياتها معه ..

مات !

كيف لثلاثة حروف ..ثلاثة حروف فقط أن تنحر عنقها بهذه القسوة ؟!

كيف يريدونها أن تدرك أنها فقدته للأبد ؟!

أنه لن يعود لها نادماً مستغفراً كما كان غرورها -الكسير- يمنيها ..

_ارجع يا ناصر وأنا اللي هاكفر عن غلطي في حقك العمر كله ..انت عمرك ما غدرت بي ..اشمعنا المرة دي خدتني غدر كده ؟! من يوم ما عرفتك ما سبتنيش ..معقول خلاص هييجي يوم تسيبني؟!





تتمتم بها بما يبدو كالهذيان وهي تتحسس إصبعها باحثة عن دبلته لكنها تتذكر أنها هي من رمتها يوماً ..

فعلتها ظناً منها أنه سيعود ويشتري لها أخرى بعدما يكفر عن خطئه في حقها ويعدها ألا يجرحها جرحاً كهذا من جديد ..

والآن تدرك أن طمعها في كرم حبه جعلها تفقد إحسانه ..

فلا دبلة قديمة ..ولا جديدة ..

ولا هو !

فهل أقسى من شعور الندم بعد فوات الأوان إذ يلوح الزمان بكفه أن : قُضي الأمر!

_لازم أشوفها ..لازم أشوفها ..





صوت والده يصلها من الخارج من جديد فتدرك وسط كل هذا التيه أن والديها يمنعانه رؤيتها كي لا يؤذيها ..

ليته يفعل!

ليته يزهق أنفاسها واحداً واحداٌ فتلحق به هو لعلها هناك تستجديه الغفران !

تنهض من فراشها بتثاقل يناسب وهن جسدها لتتوجه نحو خزانة ملابسها ..

هناك حيث احتفظت بثيابها الممزقة التي كانت ترتديها ليلتها ..

رفضت غسلها لتحتفظ ببقايا دمه عليها ..

آخر ما تركه لها !

ترفعها أمام عينيها ثم تضمها لصدرها بقوة لتتمتم بصوت مختنق:

_راضي عني؟! أنا أنقذت ولادنا زي ما كنت عايز ..مبسوط؟!





يهيأ إليها أنها ترى طيفه مبتسماً فتنهمر دموعها من عينيها غزيرة وهي تعتصر ثيابها بين راحتيها بقوة هامسة بانهيار:

_بس أنا مش مبسوطة يا ناصر ..مش راضية ..أنا خلاص عرفت إني مش عايزة غيرك ..بس بعد إيه ؟! بعد إيه ؟!

_مش هامشي غير لما أشوفها ..هي كانت آخر حد معاه قبل ما ..

صراخ والده من الخارج ينقطع بحشرجة تسمعها مكانها فتنتحب بقوة وهي تشعر أنها تصارع نفسها كي تبقى فقط واقفة على قدميها ..

تعيد ثيابها مكانها بحرص ثم تتحرك ببطء متثاقل لتغادر غرفتها ..




تسمع صياح والديها المستنكر لخروجها لكنه يبدو لها وسط هذه الضبابات كصدى بعيد ..

تشعر بوالده هو يقترب منها بسرعة ليحيط كتفيها بقبضتيه بقوة كانت لتكون مؤلمة في وقت آخر ..

تعجز عن رفع عينيها إليه مكتفية بنيل لعناته لعلها تكفر عنها بعضاً من عذابها ..

لعنات توقن أنها تستحقها !

_انتِ السبب ..انتِ السبب ..لولاكِ كان زماني شايل ابنه وشامم فيه ريحته تعوضني عن مصيبتي فيه ..انتِ السبب ..انتِ ..

صرخات الرجل الملتاعة تمتزج ببكائه في مشهد مهيب تدمع له عينا والديها فيقفان مكانهما عاجزين عن التدخل ..

قبضتاه على كتفيها ككلابتين من نار تصهرها بشعورها بالذنب أكثر ..





تغمض عينيها باستسلام تستحضر صورة- الفقيد الغالي -تستمد منها دعماً تعلم أنه لن يعود ..

فيما تتقطع كلمات الرجل أخيراً بالمزيد من دموعه الصامتة لتشعر بقبضتيه ترقان حول كتفيها ..

قبل أن تفاجأ به يجذبها بقوة ليضمها لصدره معتصراً إياها بنفس القوة مع مزيج دموعه وكلماته :

_انتِ أكتر حدّ هو حبه في الدنيا دي ..ياريتني سبته يعيش عمره القصير متهني معاكِ ..ياريتني ما شديت عليه في آخر أيامه ..هددته إنه مش هيمشي في جنازتي ولا هياخد عزايا ..مكنتش أعرف إني أنا اللي هامشي في جنازته واخد عزاه ..

"قهر الرجال" بأقسى صوره يتجلى في كلمات الرجل الذي ما رأته هي من قبل بهذه الصورة أبداُ ..

لكن ما العجب!





وفاة ناصر كانت الضربة القاصمة لجبل جبروته وجبل عنادها هي ..

الآن فقط تشعر أنهما -هي وأباه- ربطا عقدة الحبل حول عنق ناصر بينما كلاهما يشدها من طرفه بكل قوته ..

متناسين أنه هو من كان بينهما يختنق!

بين عشقه واكتفائه بها وبين رغبته في بر أبيه !

تشعر بالرجل يربت على ظهرها بينما دموعه تمتزج بدموعها لكنها ترفع عينيها إليه صارخة بانهيار وهي تبعد نفسها عنه :

_ما تطبطبش عليا ..ما تحسسنيش إني صعبانة عليك ..أنا ماستاهلش أصعب على حد ..أنا ضيعت أجمل أيام كان ممكن أقضيها معاه ..ضيعتها بغروري وعندي ..ناصر مات وهو رامي عليا يمين الطلاق ..مات وهو يائس مني ومن جناني ..ومع ذلك ماترددش لحظة وهو بيقدمني على نفسه عشان أنا أعيش وهو ..





تنقطع أنفاسها اللاهثة للحظة تعود بعدها مع شهقة انتحاب قوية بينما تردف:

_هو يموت!

والداها يتقدمان نحوها يحاولان تهدئتها لكنها تنفلت منهما لتتوجه نحو الحائط القريب فتظل تخبط رأسها فيه بقوة مرة بعد مرة كأنما تعاقب نفسها بنفسها ..

صرخات ندمها لا تقل دوياً عن صرخات حسرتها ووجعها .

يهرع إليها والده لينتزعها قسراٌ فيعيدها بين ذراعيه محتوياً ألماً يجد في صدره توأمه ..

جسده يرتجف بخفقات قلبه المكلوم وهو يعانقها العناق الذي ود لو يمنحه لابنه في حياته ..

يصفح عنها الصفح الذي تمنى لو يصالحه به قبل رحيله ..

الآن لا يجد في نفسه لها ضغينة ولا حقداٌ ..بل - فقطـ رائحة الفقيد الغالي ..





عجباً للأيام حين تدور دورتها ..فتتجمع القلوب على نفس الشيئ الذي قد كانت يوماً قد تفرقت عليه !!

=========

_ريما ..حبيبة بابا !

يفتح لها إسلام ذراعيه عقب عودته من رحلته القصيرة للعريش فتعدو لحضنه باشتياق قبل أن ترفع إليه عينين دامعتين :

_هو صحيح بطلي مات ؟! زي تيتة وجدو؟!

فتدمع عيناه بدوره وهو يخفي وجهها في صدره محاولاً تمالك شعوره ..

منذ سمع صدمة خبر وفاة ناصر وبهذه الطريقة وهو يكاد لا يصدق ...

لكنه تمالك نفسه ليقول بصوت متحشرج:





_الشهيد مش بيموت ..بيعيش فوق في السما ..دي أحسن حاجة ممكن تحصل لأي حد ..اوعي تزعلي .

تستسلم لبكاء طفولي على صدره فيربت على ظهرها برفق وهو يبحث بعينيه عن نشوى حوله ..

أين هي؟!

هل عادت للشرفة الضيقة تنعي فيها فقده ؟!

الخاطر الأخير يمزقه بغيرة منطقية لكنه يتجاوزه بعمق شعوره أنها الآن تحبه هو ..

بكاء ريما ينتزعه من شروده فيبعدها قليلاٌ ليمسح دموعها ويقبل وجنتيها برفق ثم يفتح لها التلفاز على أحد أفلامها المفضلة قائلاً بمرح مصطنع ومقلداٌ لهجة أبطال الكرتون :

_يبدو أن مهمتي الجديدة هي رسم الضحكة على وجه هذه الطفلة الباكية بعدما نجحت الأولى مع والدتها ..




فتضحك ضحكة قصيرة وهي ترسل له قبلة عبر الهواء لتنشغل نظراتها بما يعرض أمامها على الشاشة ..

فيما يطمئن هو لاندماجها فيما تراه قبل أن يتحرك نحو الشرفة الضيقة التي وجد بابها مغلقاً كما توقع ..

ينظر عبر الشقوق الضيقة له لكنه يجدها ..خالية منها !

يشعر بأناملها على كتفه من الخلف فيلتفت نحوها لكنها كانت مطرقة الرأس وقد بدا من احمرار أنفها وشفتيها أنها كانت تبكي ..

لكنها كانت تناقض هذا بابتسامة كبيرة مصطنعة وهي تهرب من عينيه :

_حمداً لله ع السلامة ..بتدور عليّا هنا ليه ؟! مانت عارف إني ماعدتش بحب أقعد هنا ..مش اتفقنا هنقفلها بخشب ونعملها أوضة للعب ريما؟!





يعرفها حين تراوغ بالحديث كي تهرب من عينيه ..

تماماً كما تفعل الآن وهي تقبله بسرعة على وجنتيه لتعطيه ظهرها مردفة :

_بعمل لكم "كب كيك" بطريقة جديدة هيعجب ريما قوي ..غيّر هدومك على بال ما أخلص .

تبدو له وكأنها تهرب بهذه الخطوات السريعة نحو المطبخ الذي اختفت فيه من جديد ..

فيتنهد بحرارة وهو يخطو بخفة نحوه ليقف مستنداً على بابه ..

تعطيه ظهرها وهي تشغل المضرب الكهربائي للخفق ليعلو صوته ..

لكنه يشعر بانتفاضة جسدها المكتومة الواشية ببكائها ..

يتحرك نحوها بحذر ليبسط كفه على كتفها فتشهق وهي تلتفت نحوه ..





ثم تمسح دموعها بسرعة كأنه ضبطها متلبسة بجريمتها !

محتويات الطبق السائلة تتناثر على مريلة المطبخ خاصتها مع الحركة العشوائية للمضرب الكهربائي ..

لكنه هو من يوقفه ليضعه جانباٌ بينما هي تهتف بتلعثم:

_أزوقلك بتاعتك بالشكولاتة البيضا زي كل مرة واللا حابب ..

_نشوى!

يهمس بها عاتباٌ ومنكراً لهذا البرود الذي تحاول التظاهر به مدركاً سبب ما تفعله ..

ثم يضمها لصدره بقوة مردفاٌ بألم :

_انتِ خايفة تبيني زعلك عليه ؟! ومين مازعلش عليه ؟! أنا من ساعة ما سمعت الخبر وأنا مش مصدق ..ناصر مات عشان ينقذ مدرسة فيها ألف طفل زي ريما ..مات وهو بينقذ مراته وعابد جوز




أختي اللي مش متخيل كانت هتبقى حالتها إيه لو جراله حاجة ..

تنهار فجأة في نحيب مرتفع على صدره سامحة لمشاعرها بالتحرر مع هتافها الباكي:

_أنا زعلانة عليه قوي بس ..مش زي ما ممكن يتفهم ..معقول دلوقت المفروض كل ما تيجي سيرته أقول ..أقول "الله يرحمه" ؟؟!! هتصدقني لو قلتلك من ساعة ما عرفت الخبر وأنا مش شايفة غير صورته وأشرف واحنا صغيرين كأنه ..كأنه كان أخويا التاني !! مستغربة إزاي ..إزاي ممكن ..إزاي تتقلب ..

كلماتها المتلعثمة اللاهثة ترتبك بفيض مشاعرها وعجزها عن التعبير كعادتها فتقطعها ..

لكنه يربت على ظهرها برفق ليهمس لها يتفهم :

_ششششش! أنا فاهم .




تمرغ وجهها في صدره بقوة ليشعر بذراعيها يتشبثان به بكل قوتها لينمحي كل أثر لغيرة طفيفة كان قد وجدها من قبل ..

فيضمها بدوره سامحاً لدمعة كتمها طوال الطريق أن تسقط أخيراً ..

عجباً للموت عندما يزيل ب"ممحاته السحرية" عيوب الناس لنتذكر فجأة مزاياهم ..

الآن لا يذكر من ناصر سوى وجه الصديق القديم ..

شهامته وهو ينفذ له أي خدمة طلبها منه يوماً ..

مظهره البائس في شقته المحطمة التي زاره فيها بعد زواجه هو من نشوى واللكمة التي تحملها منه صابراً مستسلماً بكونه يستحقها ..

موقفه البطولي يوم أعاد ريما بل وسعيه لضمان ألا يكرر والدها ابتزازهما ..

ثم..هديته الأخيرة لعابد زوج أخته !





_الله يرحمه !

يقولها أخيراً بحزن حار فتكررها خلفه بخفوت ثم ترفع له عينيها هاتفة بقلق:

_طمنت لجين ؟!

_رحتلها أول ما رجعت من عنده ..بس لجين مش هتطمن غير لما تشوفه ..لكن للأسف مش هينفع دلوقت ..خايف عليها تنهار انتِ ماتعرفيش هي متعلقة بيه أد إيه .

يقولها بنبرة متعبة غصت بالأسى لتهتف له بقوتها المعهودة التي تظهر في الشدائد وبوجه مختلف تماماً عن وجهها منذ قليل :

_ومين هيسمح لها تنهار؟! امال احنا بنعمل إيه ؟! محدش فينا هيسيبها ..أنا وريما وانت وهيثم وياسمين وياقوت وجدتها ..كلنا حواليها إيد واحدة لحد ما الغمة دي تنزاح !





شفتاه تنشقان أخيراً عن ابتسامة متعبة وهو يرمقها بنظرة عجيبة طويلة ..

ثم يدفن وجهه في تجويف كتفها مطلقاً آهة خافتة ناسبت قوله :

_عارفة عمو علاء قاللي إيه قبل ما يسافر؟! قاللي انت بالذات كنت خايف أسيبك لأني عارف إنك ما بتبينش لو زعلان ..عارف إني الكتف الوحيد اللي مش هتتكسف تحط راسك فوقه وتبكي وتشتكي..بس خلاص ماعدتش خايف عليك ..انت دلوقت عندك كتف تاني ممكن يشيل همك .

فتربت على رأسه برفق ثم تبتعد لتحيط وجهه براحتيها فتقبل جبينه بعمق كأنما تمنحه وعدها دون كلام ..

كلاهما صار لصاحبه كتفاٌ وقلباٌ وروحاٌ !

========





Cinnabon

في غرفة مكتبها بالمصنع تحدق نشوى في شاشة الحاسب بشرود وهي تشعر بثقل الأيام الماضية على الجميع ..

خاصة لجين التي يزداد ذبولها يوماً بعد يوم بين التعب المعتاد لشهور حملها الأولى وقلقها على مصير زوجها ..

صوت طرقات خافتة على الباب يقاطع أفكارها فتتنحنح لتسمح للطارق بالدخول ..

قبل أن تتسع عيناها بصدمة لتجد نفسها تقف مكانها دون أن تشعر ..

تتفرس في ملامح المرأة التي دخلت لتوها ..

_سها!

تتمتم بها مصعوقة وهي تكاد لا تتعرف عليها من فرط ما تغيرت هيئتها ..





جمالها الحيوي المشرق الآن صار باهتاً دون روح ..

جسدها الجميل فقد اتساقه لتصبح أشبه بهيكل عظمي أجوف ..

خصلات شعرها الشقراء تبدو مهملة باهتة تحت وشاح خفيف أسود انحسر عنها بإهمال ..

تكاد تقسم أن كل ما فيها صار أسود يعلن حداده حتى روحها !!

فمن يلومها ؟!

_وقت مناسب؟!

حتى صوتها صار أسود كئيباً بعيداً عن تلك الضحكات الواثقة التي كانت تثير غيرتها هي يوماً ..





لهذا لم تملك هي أن تكدست الدموع في عينيها وهي تشير لها نحو المقعد المقابل لمكتبها قائلة بصوت متحشرج:

_اتفضلي .

دقيقة تمر تلو الأخرى والصمت الكئيب يظلل كلتيهما في جلستهما ..

نشوى التي كانت تشعر بحرج -غير منطقي- هاهنا وهي متألقة اليوم زيادة عما اعتادته ببلوزتها الوردية المشرقة ووشاحها الذي مزج اللونين الوردي والأبيض وزينتها التي لا تبرزها مساحيق بل تشع بها روحها العاشقة من الداخل ..

كل هذا كان يشعر شخصية -مثلها- ببعض الذنب وهي تلمح ذبول سها الواضح أمامها ..

سخرية مشفقة تملأها في هذه اللحظة بالذات وهي تشعر بالغرابة ..

هل هذه سها التي كادت تقتلها غيرتها منها يوماً ؟!





كيف يمكن أن يبدل القدر المقاعد بهذه السرعة وبهذا الإتقان ..

فتكون كل منهما اليوم في هذا الموضع ؟!

السؤال ..لماذا جاءت الآن ؟! هل عاد هناك ما يقال بينهما؟!

_جاية أعتذر لك!

بنفس الاقتضاب البائس تقولها سها مطرقة الرأس فيرتفع حاجبا نشوى وهي تشعر بفقدانها القدرة على النطق ..

فيما تصمت سها للحظات بدت كسدّ طويل انهار فجأة باستطرادها الحار رغم نبرتها الفاقدة تماماً للحياة :

_أنا ظلمتك مرتين ..مرة لما اخترتك انتِ بالذات عشان تكوني مراته ومرة لما ضغطت عليه عشان مايروحش الفرح ..في المرتين ماشفتش غير





نفسي وبس ..ما فكرتش غير في نقص جوايا كان لازم يكمل بأي صورة ..ما قدّرتش قيمة النعمة اللي في إيدي ..كان كل اللي ماليني خوف إني أخسره غصب عني فقلت أخلليها بمزاجي ..حتى لما جوازتكم اتفركشت وهو قعد بعدها يترجاني أسامح وأرجع كنت بعاقبه على صورة في خيالي أنا أول واحدة رسمتها ..صورته معاكي ..ودلوقت لما الصورة كلها كملت عرفت غلطتي ..بس للأسف بعد فوات الأوان ..

تعجز نشوى عن منع دموعها وهي تشعر أنها الآن ترى أكثر امرأة خاسرة رأتها في حياتها ..

كل أطياف غيرتها السابقة منها تستحيل الآن لطيف واحد من شفقة !!

خاصة وهي تقف أخيراً لتردف مطرقة الرأس :

_ياريت تقبلي أسفي واعتذاري بالنيابة عنه ..وادعيله ..ربنا يرحمه ..عايزة لما أقابله





يكون فخور بيا زي ما أنا هاعيش طول عمري فخورة بيه .

تشهق نشوى كاتمة نحيبها وهي تراها تبتعد كطيف ذابل دون المزيد من الكلمات لتختفي عن ناظريها تماماٌ ..

ولم تكد تفعل حتى اندفع إسلام فجأة للداخل لتشتعل ملامحه بحمية وهو يرى دموع نشوى فيهرع إليها هاتفاً بقلق:

_كانت عايزة إيه ؟!

يقولها وهو يسحبها من ذراعيها ليوقفها ثم يضمها لصدره برفق بينما هي ترتجف بين ذراعيه ليهتف بها بلهفة تمتزج بالضيق:

_أنا غلطان..من ساعة ما شفتها داخلة وأنا قلت أمنعها بس مالحقتش ..أنا عارف طبع سها كويس ..قالتلك إيه عمل فيكِ كده ؟!





لكنها هزت رأسها لتقول عبر دموعها :

_كانت جاية تعتذر لي .

يعقد حاجبيه بصدمة وقد بدا متفاجئاً لتخبره باقتضاب عن فحوى حديثها فيتنهد بعمق وهو يربت على ظهرها قائلاً :

_لا حول ولا قوة إلا بالله ..سبحان من يغير ولا يتغير.

تعود لتهز رأسها بتأثر فيمسح دموعها متفهماً حزنها للحظات قبل أن يسمعها تهتف بحرارة :

_أنا سامحته وسامحتها من كل قلبي والله ..ربنا يصبرها ويعوضها خير .





يبتسم معجباً بروحها الطيبة المتسامحة هذه لكن ابتسامته يتخللها بعض الحزن الطبيعي في هذه الظروف ..

والتي جعلتها تتماسك أكثر لتبتعد فتتناول حقيبتها قائلة :

_أنا قلت لأشرف يشيل بقية شغلي النهارده عشان نروح للجين .

_بلاش انتِ عشان ريما ..كفاية أنا بروح كل يوم .

يقولها مشفقاً عليها من تعب السفر يومياً للقرية لكنها تهز رأسها بتصميم قائلة :

_لازم لجين تحس إننا كلنا حواليها دلوقت ..إيه فايدة العيلة لو مش هيشيلوا بعض في ظروف زي دي ؟!

تقولها وهي تلملم أشياءها من على المكتب لتضعها في حقيبتها فيحدق في ملامحها بعاطفة مشعة تليق بسؤاله :

_هو أنا قلتلك إني بحبك قبل كده ؟!





_كتير!

تقولها مبتسمة وسط بقايا دموعها فتبدو له بهذا المزيج الشهي بين براءة طفلة ودلال امرأة ومروءة ألف رجل ..

لهذا يعاود جذبها نحوه ليقبل جبينها بعمق هامساً بحرارة :

_عمري ما هابطل أقولها ..ربنا ما يحرمني منك .

فتتسع ابتسامتها وهي الأخرى تحاول تقليده بطمس حزنها عبر بعض المرح :

_ولا منك يا هندسة !

=========

في صالة بيت ثمر تفترش لجين سجادة صلاتها التي صارت قلما تفارقها ..

يقولون إن الابتلاء الحقيقي يصقل الإيمان كما تصقل النار الذهب فتزيح عنه خبثه وتذره نقياً كما جبلته الفطرة ..

هكذا كان شعورها منذ الأزمة ..





ربما لو كانت جابهتها قبل منحتها الأخيرة بعابد وحبه لكانت ارتدت على عقبيها خاسرة كل شيئ ..

لكنها الآن كانت تشعر ـرغم سواد الليل الحالكـ أنها تنتظر شمساً لو أشرقت عليها فلن تغيب بعدها أبداً !

تسبّح على أصابعها وترسل ابتسامة واهنة لياسمين الجالسة هناك على الأريكة تهدهد يمنى برفق وترمقها هي بنظرات مشفقة داعمة لم تفارقها منذ علمت الخبر وقد أصرت أن تقيم هنا معها حتى يعود عابد ..

ليست وحدها ..أم عابد كذلك التي عادت للوطن بعد سماعها للخبر وهاهي ذي أيضاً تقيم معهم ..

وكأن بيت ثمر الذي طالما احتضن الناس في كرباتهم ـبصورته الخفية في ياقوتـ الآن جاء الدور ليساندوه هم في محنته ..





صوت طرقات على الباب يجعلهم جميعاً يتحفزون ..

تنهض ثمر لتفتح لكن إسلام يشير لها أن تستريح ليفتح هو الباب ..

_الشيخ أبو إدريس ..اتفضل!

تهتف بها ثمر بصوت ذابل لم يفقد إيمانه رغم كل شيئ ليتقدم الرجل مصافحاً إسلام وملقياً التحية ببصرٍ قد غضّه حياءً..

ثم يرمق لجين التي وقفت لتوها فوق سجادة صلاتها مسدلة نقابها على وجهها بنظرة راضية ليتقدم نحوها قائلاً بابتسامة سمحة :

_أبشري يا أم "المؤمن" وزوجة "العابد" ..رأيت لكِ رؤيا ما أظنها إلا خيراً .

_قول يا شيخ!





تهتف بها لجين مستبشرة فيشرد الرجل ببصره مستعيداُ رؤياه التي يظنها حقاً :

_رأيت طائراً من نور يخرج من بطنك ليحلق حول رأسك ثم يجوب السماء طولاً وعرضاُ يلقي الحَبّ من فمه فوق رؤوس الخلائق فيهللون ويكبرون ..يتساءلون من أين يأتي كل هذا الحَب الذي معه فيظهر عابد وبين كفيه حفنة من هذا الحَب يأخذها الطائر منه ليعود ويحلق بها بين الرؤوس فيهبهم إياها من جديد ..

_الله ! كأنها بشرة خير يا شيخنا.

تهتف بها ثمر باستحسان فيقول بدوره :

_سبحانه علام الغيوب ..أبشري يا بنتي ..فرجه قريب ..بشرنا بأن مع العسر يُسرين ..

_عابد برضه كان دايماً يقول كده .





تقولها لجين بتأثر متذكرة قول عابد المماثل فتربت ياقوت على أحد كتفيها بينما يربت هيثم على الآخر قائلاً بحنان :

_شفتي بقا ؟! ربنا بعتلك رسالة تطمنك .

فتقف ياسمين مكانها لترد باستبشار مثلهم:

_آه والله أنا كمان حاسة إن خير كبير مستنينا بعد القلق ده .

تقولها وهي تربت على كتف أم عابد التي جلست مكانها دامعة العينين تتمتم بدعواتها الصامتة ..

ولم تكد تنتهي منها حتى سمع صوت طرق الباب من جديد ليترقبوا جميعاٌ وجه الطارق الذي بدا غريباً عنهم ..

ملامحه الودودة هدأت توجسهم قليلاٌ رغم الهيبة التي بدت جلية على مظهره ..





_المقدم باسل ..جاي بخصوص عابد .

يقولها باسل وهو يدور ببصره بينهم قبل أن يتوقف أمام إسلام ليردف بنبرة أكثر وداً :

_مش فاكرني ؟! خرجنا سوا مرة من زمان ..أنا وانت وناصر .

_الله يرحمه .

يقولها إسلام بحزن وهو يتفرس في ملامحه ليميل باسل عليه هامساً بخفوت لم يخلُ من حرج:

_افتكر انت لوحدك اتقابلنا فين عشان مش هاقدر أقول هنا قدامهم ..

فابتسم إسلام ابتسامة شاحبة وهو يتفحص ملامحه قليلاً قبل أن يتذكره ..




كانت رحلة من رحلاتهم التي اعتادوها قبل سفره لتركيا انضم إليهم فيها باسل كضيف جديد وانتهت ب"بعض العبث"..بل الكثير منه !

_مادام ابتسمت كده تبقى افتكرتني .

يقولها باسل بود لتهتف لجين به بلهفة :

_فيه جديد عن عابد ؟!

_للأسف لسه مضطرين نتحفظ عليه في مكان آمن ..أنا جاي النهارده أطمنكم عليه وقريب قوي هنقبض على الصقر ده واللي وراه ..

يقولها مطمئناً ليردف بنبرة حذرة :

_بس هنضطر نوفر حراسة قوية لكم هنا ..كلكم تقريباٌ هتبقوا تحت المراقبة وده أمان ليكم مش أكتر .

تشحب ملامح الجميع شاعرين بالخوف لكن إسلام يتدارك الموقف بقوله :





_أكيد طبعاً ده إجراء وقائي عشان نطمن ..شكراً يا سيادة المقدم .

_سيادة المقدم ؟! ده انت مصرّ بقا أقوللهم اتقابلنا فين .

يقولها باسل بمزيج من الاستنكار والبشاشة محاولاً كسر روح الإحباط التي تفشت في المكان ..

ليبتسم له إسلام فيربت باسل على كتفه مردفاً بجدية تامة هذه المرة :

_مش عايزكم تخافوا من أي حاجة ..القضية دي بالذات أنا واخدها بصورة شخصية ومش هاهدى لحد ما أقبض على الصقر ده وأحط رقبته تحت رجلي .

_ربنا ينصرنا ياابني .





تقولها ثمر بطيبتها المعهودة فيبتسم لها بودّ ثم يستخرج من جيبه هاتفاً غريب الشكل منحه لإسلام :

_خللي أختك تطمن عليه ..بس أقصى مدة خمس دقايق ..أنا عاملها على مسئوليتي .

تشرق عينا لجين بلهفة وهي تقترب منهما ليريها هو كيف تستعمل الجهاز ثم يقول بنبرة عملية :

_لو عايزة تكلميه لوحدكم مفيش مشكلة ..ماتخافيش المكالمة مش هتبقى متراقبة ..ده جهاز مخصوص عشان يمنع تتبع المكالمة أو اختراقها لمعرفة مكانه .

تتناول منه الجهاز بأنامل مرتجفة لتهرع به نحو الغرفة الجانبية فتغلق بابها خلفها لتستخدمه كما علمها ..

تنتظر لثوان بدت لها كدهر قبل أن يصلها صوته الحبيب ..





_عابد !

تهتف بها بين دموعها ليصلها صوته ليس أفضل منها حالاً ..

_لا تبكي يا حوريتي ..أنا بألف خير ..لا ينقصني إلا رؤيتك ..أنا آسف لكل ما تعانونه بسببي!

لكنها تمسح دموعها لتروي له بعجلة رؤيا الشيخ وتختمها بقولها :

_شايف الخير اللي مستنينا ؟! أنا مش زعلانة ولا قلقانة ..عارفة إنك راجع وراجع معاك الفرح كله .

ثم تمسد بطنها بأناملها لتردف بصوت هدجته دموعه :

_يا أبو "مؤمن"!





وفي مكانه كان هو يستمع إليها دامع العينين وهو يشعر بقلبه يكاد ينفطر اشتياقاً إليها وقلقاً عليها ..

بل عليهم جميعاٌ !

لكنه يستعيد تلك المواقف التي ظلله فيها حفظ الله فيشعر بالسكينة تملأ روحه رويداٌ رويداٌ ..

يستعيد رؤيا الشيخ أبي إدريس فيزداد اطمئنان قلبه ..

سيرجع ليرى ابنه ..يربيه ويعلمه من علمه حتى ينفع الدنيا بأسرها..

هل أجمل من هذه بشرى تستحق الانتظار؟!

=========

_مش فاهمة قصدك يا سامر برضه معلش ..مالها نجلاء؟!

تقولها ياقوت بحذر تخشى فهم ما يصلها من تلميحاته ليتنحنح بحرج قائلاً :

_مش عارف ..مش فاهم نفسي ..فجأة مابقتش شايفها مريضة عادية ..حاسس ناحيتها ب..





_بإيه ؟!

تسأله بعينين متسعتين ذهولاً لم يلبث أن تحول لإشفاق مع زفرته البائسة :

_مش عارف!

تفرست ملامحه للحظات باهتمام ثم نقرت بإصبعها على سطح المكتب لتقول بتعاطف :

_من ساعة ما عرفت موضوع ناصر الله يرحمه وأنا كنت متوقعة ألاقيك بتكلمني عن مشاعرك لسها ..يمكن ماكنتش هستغرب زي دلوقت وأنا شايفاك بتتكلم عن نجلاء ..

_لا سها حكاية واتقفلت وخلاص ..المشكلة دلوقت كمان في ..ريتال!

يغمغم بها بحرج لتشهق بدهشة هاتفة :

_ريتال بتاعتنا ؟!

_لا بتاعة الجيران ! أيوة ريتال قريبتي وصاحبتك !

يقولها بضيق من نفسه قبلها لتهتف به بانفعال:




_انت بتهزر؟! ماهي كانت قدامك طول عمرها ..ما حليتش في عينك غير دلوقت لما اتخطبت ؟!!

عاد يزفر ببؤس وهو يخبط رأسه في ظهر كرسيه ليقول بنبرة مشتتة :

_يمكن مش حب ..يمكن بس خوف إنها تسافر وتسيبني ..يمكن غيرة من خطيبها عشان ماعادتش بتهتم بيا زي الأول ..

_ويمكن بجد بتحبها بس ما حستش غير لما قربت تضيع من إيدك .

_يمكن!

يقولها بنفس التشتت ليفتح عينيه مردفاً :

_مش بقوللك ما عدتش فاهم نفسي .

صمتت للحظات تحاول التفكير قبل أن تتنهد لتقول برفق:





_هاكلمك بصراحة عن انطباعي ..انت بعد صدمتك في سها حاسس بفراغ عاطفي عقلك الباطن بيحاول يملاه بأي واحدة ..بصفتي صديقة هانصحك تبعد عن كل ده ..مش هاقوللك ما تبطلش تفكير لأنه مش بمزاجك ..بس حاول تغير روتين حياتك ..سافر ..غيّر جو ..قابل ناس جديدة ..خد لك أجازة كام يوم افصل من كل حاجة وبعدها شوف هتوصل لإيه ..

_والشغل؟!

_هاشيله أنا ..ماانت ياما شلته عني .

تقولها بامتنان ليسألها مشفقاً :

_في ظروفك دي ؟!

يقولها مشيراً لما يعلمه عن عابد ولجين فتغتصب ابتسامة باردة لترد :

_يااااه! ياما اشتغلت في ظروف أسوأ من كده !





_ونجلاء؟!

يقولها بتردد لترتدي ثوب مهنيتها فترد :

_ماهو بصفتي دكتورة هامنعك من النهارده تتعامل معاها..انت عارف القاعدة ..طول مانت قريب من الحالة عاطفياً مش هاتقدر تشتغل صح ..احنا خلاص قطعنا شوط حلو في العلاج ..هي بقت بتتواصل وتشاور ..بنحاول حالياً نواجهها بالحاجة اللي بتخاف منها بالتدريج ..لحد ما توصل إنها تتكيف معاها وماتخافش وده بيحصل حالياً ..ببطء صحيح بس بيحصل ..ماعادش فاضل غير إنها تطمن تماماً فترجع تتكلم ..وده اللي أنا هاشتغل عليه الفترة الجاية ..ماتقلقش عندي فيه خبرة كويسة .

تقولها وهي تدرك تشابه حالتها مع حالة همسة في الجزئية الأخيرة فيهز رأسه موافقاً ثم يقف قائلاً:

_هاعمل بنصيحتك يا شجرة الدر ..بس قبل ما أسافر عايز أشوف سها وأطمن عليها ..اللي هي





فيه مش سهل خصوصاً مع الصدمة اللي جت لها قبل كده ..يمكن ده دوري أقدر أعمل لها أي حاجة في ظروفها دي

تهز له رأسها معجبة بشهامته المعهودة ثم تقف بدورها لتغادر مكتبها نحو غرفة نجلاء التي بادرتها بابتسامة مرتبكة وهي تبدو كمن تبحث خلفها عن أحدهم ..

فسألتها ياقوت بحذر:

_بتدوري على حد ؟!

تطرق نجلاء برأسها وهي ترص عرائسها واحدة تلو الأخرى لترفع لياقوت عينيها بنظرة فهمتها الأخيرة أنها تريد سامر لكنها تجاهلتها عامدة لتجلس أمامها قائلة :

_خللينا نجرب النهارده حاجة جديدة ..





تقولها وهي تمارس معها المزيد من الأنشطة المتعلقة ببرنامجها العلاجي والذي أبدت فيه نجلاء تطوراً ملحوظاً جعل ياقوت تبتسم لها بأمل لتسألها بحذر:

_شاوري على ياقوت .

تقولها مترقبة أن تشير نجلاء على صورتها هي ككل مرة مفضّلةً الصور والمجسمات عن البشر الحقيقيين لهذا كانت فرحتها عظيمة عندما أشارت عليها هي ..

وبالتحديد حول وجهها قبل أن تعود ملامحها للجمود من جديد ..

لكن ياقوت اعتبرت هذا تقدما رائعاً اكتفت به وهي تقف لتغادر ..

لكنها ما كادت تصل للباب حتى سمعت صوتها لأول مرة منذ رأتها ..

تقول بخفوت وبصوت يكاد لا يسمع :

_سامر!




فيسقط قلب ياقوت في قدميها وهي لا تدري هل تفرح بهذا التقدم أم تقلق بشأن عاطفة ما قد تكون تغزل خيوطها بينهما خارج إطار المريضة والطبيب!

تغلق الباب خلفها برفق لتفاجأ به قد كان واقفاً خلف الزجاج يراقبهما خفية ..

تتنهد بحرارة وهي تتقدم منه لتجد نفسها مجبورة أن تخبره بما كان ..

فترتسم على شفتيه ابتسامة بائسة وهو يختلس نظرة جديدة نحو نجلاء عبر النافذة الزجاجية وصراع مشاعره الغريب يزداد احتداماً ..وغرابة !

=========

بعد شهر ..





_تحيا جمهورية مصر العربية ..تحيا جمهورية مصر العربية ..

صوت الأطفال يعلو بتحية العلم في فناء المدرسة الذي تقف سها في زاويته ..

عيناها معلقتان باليافتة الجديدة التي تغير فيها اسم المدرسة لاسمه الثنائي ..

"مدرسة البطل الناصر...." !

دموعها هذه المرة تحمل فرحة خفية وهي تراهم قد خلدوا اسمه في نفس المكان الذي شهد تضحيته لأجله ..

ابتسامة باهتة تطوف بشفتيها وخاطرٌ ما يراوده ها ..

إن كان القدر قد حرمه ابناً يمتد به ذكره فقد اختار له تعويضاً من نوعٍ آخر ..





سيبقى هذا المكان مع كل طفل فيه يخلد اسمه بعده !

هنا عجزت عن منع دموعها من الانـهيار وهي تشعر بصورته تقف حائلاً بينـها وبين رؤية الأطفال ..

صورته تبتسم لـها بنفس الحب الذي عرفته عمراً !

وبصوته الحبيب الذي افتقدته يـهتف بـها ..

_ولادنا يا سها ..ولادنا ..

لكنها لم تكن ملهوفة جزعة كآخر مرة سمعته ينطق بـها بل يستشعرها قلبـها هذه المرة راضية هانئة ..

صورته تقترب أكثر فتشعر بها تضمها ..تـهدهدها ..تقبل رأسها وتواسيها ..

لكنها تختفي بسرعة اختفائه هو من حياتـها ..





فلا تبقى سوى صورة الأطفال متراصين بنظام وبنفس الزي ..

ينهون آداء الطابور المدرسي فيصعدون نحو فصولهم ..

تنتبه لطفلة ما بينهم تحدق فيها بإعجاب مع رفقتها ثم يلوحن لها جميعاً بخجل لم يلبث أن تحول لصخب طفولي معتاد فتزجرهن المشرفة لتتوجه هي نحوهن فتعتذر منها ..

ثم تستخرج هاتفها لتلتقط لنفسها صورة بينهن ..

صورة خلفيتها يافتة المدرسة التي ستبقى تحمل اسمه ..!

=======

_بلاش يا بنتي تقلبي على نفسك المواجع ..هتروحي شقتكم ليه بس؟!

تهتف بها أمها بحسرة لتبتسم سها ابتسامتها الباكية التي ماعادت تفارقها ثم ترد بشرود :

_وحشني قوي يا ماما ..عايزة ألمس أي حاجة من ريحته .





_طب استني هالبس وآجي معاكِ ..ماتروحيش لوحدك .

تهتف بها المرأة بقلق أمومي لترد سها بحسمها المعهود الذي خالطته نبرة انكسارها الجديدة :

_معلش يا ماما ..عايزة أبقى لوحدي ..

تقولها ثم تقبل رأسها لتغادر بيت والدها متجهة نحو سيارتها ..

قدماها تتسمران أمامها وهي تستعيد ذكرى قريبة له واقفاً هناك مستنداً على مقدمتها ..

لكنها تبدو لها بعيدة ..بعيدة ..كأنما ما تلا موته كان لها عمراً آخر !

_انتِ طالق!

تسمعها بصوته في ذاكرتها فتشعر بنفس النصل السام الذي ينغرس في صدرها ..





__أنا ماشي بس انتِ عارفة هترجعيلي إزاي ..ده لو كنتِ لسة عايزة ترجعيلي .

دموعها تغرق مقلتيها عند الخاطر الأخير لتجد نفسها تتمتم بحسرة موجعة :

_عايزة ..عايزة يا ناصر ..بس ماعدتش عارفة إزاي .

خطواتها تلين أخيراً فتستقل سيارتها نحو بيتهما الذي توقفت أمامه ..

البواب يرمقها بنظرة مشفقة تتجاهلها وهي تصعد للأعلى ..

تتذكر آخر مرة كانت فيها هنا ..

ليلة زفافه الذي لم يتم على نشوى ..

هنا على عتبة الباب استمعت لحديثه مع والده ..




الباب الذي فتحته لتعيد غلقه خلفها ثم تنظر حولها ..

المكان مظلم كظلمة روحها ..

إلا من قبس بسيط يأتي من ضوء النهار عبر النافذة ..

هذه التي فتحتها هي لتسمح للضوء كاملاً بالدخول ..

قدماها تتعثران بحطام المكان حولها والذي لايزال على حاله منذ تلك الليلة ..

عجباً ! ألم يحاول إصلاحه ؟!

بل فعل! لكنها هي من كانت تصرّ أن يبقى -حطام حياتهما- على حاله !!

هي التي تسببت في كل هذا الحطام لكنها عجزت عن إصلاحه !





قدماها تسوقانها نحو صورة زفافهما هناك فتتفحصها باشتياق كسير ..

تمسح الغبار من عليها بأناملها ببطء لتعود الدموع تكسو مقلتيها ..

لكنها تأخذ نفساً عميقاٌ وهي تتلفت حولها قبل أن تشمر ساعديها لتفتح الباب وتنادي البواب بصوت عالٍ ..

ولم يكد يصعد إليها حتى هتفت به بحسم لم يخلُ من حزن:

_شوف لي حد ينضف معايا الشقة ..

_والحاجات اللي اتكسرت دي ؟!

يسألها الرجل بدهشة مشفقة وهو يتلفت حوله لتتلفت بدورها حولها في شجن لم يلبث أن امتزج بنظرة عينيها الحاسمة التي ناسبت قولها :

_هاصلحها .

=========





_نورتِ البلد يا بنتي .

يقولها والد ناصر بصوت هده حزنه وهو يستقبلها في بهو بيته الواسع بقريته بعد دعوة أصر أن تلبيها ..

طوال الطريق الذي سار معها به من أول القرية ونظرات أهل القرية مع هتافاتهم تلاحقها ..

لا مشيعة بالعار كما ظن بعدما اشتهر من سابق صورها ..

بل صارت مكللة بالفخر والأخبار تصلهم سريعة كالنار في الهشيم أنها زوجة البطل الذي مات مضحياً بحياته ..لتكمل هي مسيرته فتنقذ أطفال المدرسة !

_بقالي زمان ماجتش هنا ..المكان ماتغيرش بس احنا اللي اتغيرنا .




تقولها بحسرة موجعة وهي تتلفت حولها ليضم الرجل كتفيها بذراعه قائلاً بصوت متحشرج :

_واللي شفناه قليل يا بنتي؟! ده يهد جبل!

يقولها ثم يترحم على روح ابنه فتبتسم ابتسامة بنكهة الدموع وهي تستخرج هاتفها من جيبها لتريه صورة المدرسة :

_ماتبقاش تزعل بقا لو أهل البلد ضايقوك بكلامهم إن ابنك ماجبلكش اللي يشيل اسمك ..اهه اسم حضرتك منور جنب اسمه ع المدرسة ..قوللهم مش الخلفة بس اللي بتخلد أسامينا ..ياما ناس بتخلف وولادها بتحط راسها في الوحل ..عمل البني آدم هو اللي بيخللي سيرته الحلوة تفضل ..حتى لو هو مات..

ينهنه الرجل باكياً مع كلماتها مخفياً وجهه في راحته الحرة ولايزال يضم كتفيها بذراعه الآخر فتربت على صدره وهي تشاركه البكاء للحظات قبل




أن تمسح دموعها وهي تتخيل صورة ناصر من جديد ترمقهما من بعيد راضية بهذا التقارب بينهما ..

بينما يهز الرجل رأسه بأسى وهو يرفع عينيه الدامعتين إليها شاعراً بالندم ..

لو كان يعلم أن الزمان لن يمنح ابنه سوى هذا العمر القصير لتركه يعيشه متنعماً بين ذراعي امرأة أحبها ..

=========

_قبضنا ع الصقر واللي معاه ..دلوقت تقدر تخرج من هنا وترجع لحياتك .

يستعيد عابد العبارة السابقة في رأسه بصوت باسل بينما تنهب السيارة الطريق به نهباً مغادرة مخبأه





الآمن الذي توارى فيه طوال هذه الأيام السابقة نحو المكان الذي احتجزوه فيه ..

دقات قلبه تتسارع وهو يشعر برغبة حارقة في هذه المقابلة رغم ثقلها على نفسه ..

تتوقف به السيارة أمام المبنى الشامخ الذي حلق فوقه علم مصر بألوانه الثلاث ..

ليترجل من السيارة بصحبة رفقة آمنة من رجال الشرطة ..

يستقبله باسل بوجه بشوش على باب إحدى الغرف ليقول بنبرته العملية :

_معلش ! آخر مرة هتشوف فيها وشه العكر ..حقك تملي عينك من شكله وهو متكلبش ..وبعدها نخلص احنا اجراءاتنا .

يهز له عابد رأسه بملامح منفعلة فيشير باسل نحو أحد العساكر إشارة خاصة ليتبعه عابد وهو يزدرد ريقه بتوتر شاعراً بالدماء تفور في عروقه ..




غرفة ضيقة منعدمة التهوية إلا من نافذة علوية ضيقة مسدودة بالقضبان ..

هذه التي ولج إليها ليراه هناك متكوراً على نفسه في الزاوية كجرذ حقير ..

مقيد اليدين والقدمين ممزق الثياب رث الهيئة ..

يرفع إليه الصقر عينين معتمتين بمجرد شعوره بالباب يفتح ليبادره بقوله :

_جئت شامتاً ؟! لا تفرح ..أنا سأنال الشهادة ومثلك سيعيش متكالباً على دنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة .

فيعقد عابد حاجبيه بغضب وهو يتقدم منه قائلاً بانفعال:

_لاتزال تلوث العسل ب"سُمّك" يا بغيض ! مثلك سيموت تلعنه الأرض قبل السماء ..التراب الذي تلوث بدم أرقته يكاد يلفظك من باطنه ليتركك نهبة





للجوارح ..مثلك يهلكون أذلاء صاغرين لأن سنة الله في عباده أن يخسر هنالك المبطلون ..ومثلي يرجو الله أن يعيش كي يعمر الأرض وينشر فيها دينه ..دينه الصحيح لا الذي ابتدعتموه لتداروا به عورات فجوركم .

_أحمق! تظن هذه النهاية ؟!

يهتف بها الصقر بغلّ أعتم ملامحه ..ليقترب عابد أكثر هاتفاً بيقين:

_الخير والشر سيصطرعان إلى قيام الساعة ..لكن الله الكريم قضى بحكمته أن ينصر أهل الحق ولو بعد حين ..هي فتنة يفلح فيها من يفلح ويخسر فيها من يخسر ..والموعد يوم الحشر لدى العليم البصير الذي لا تخفى عنه خافية ..الحَكَم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة ..الحكيم القدير الذي سن بسنته أن يشفي صدور قوم مؤمنين بمرأى من مثلك يهلكون .





_موتي لن يغير الحقيقة ..تعرف كم شخصاً مات على يدي ؟! مئات ..ألوف ..عشرات الألوف ..كلهم قرابيني إلى الجنة ..

يقولها الصقر بعينين متوهجتين ليلقي سهمه الأخير:

_وأبوك كان منهم !

هنا لم يملك عابد نفسه وهو ينحني فوقه ليعتصر رقبته بكفيه فيضحك الأول رغم ألمه بهستيرية تستفز عابد أكثر لكن العساكر يحيطونه ليوقفوه قسراً فيركل الصقر بقدمه ثم يبصق فوقه هاتفاً بصوت لاهث :

_لعنك الله في الدنيا والآخرة وجعل عذابك من صنف عملك .

يستمر الرجل بالضحك الهستيري مع قسوة ملامحه الشيطانية فيبدو كمخبول تماماً ..





فيما يتحرك العساكر بعابد ليخرجوه من الغرفة التي أغلقت خلفهم بإحكام ..

_معلش .. دي شغلته يلعب بأعصاب الناس ودماغهم .

يقولها باسل بنبرته الودود وهو يربت على كتف عابد محاولاً تهدئته ليسأله الأول باهتمام :

_كيف قبضتم عليه ؟!

_لا دي أسرار عليا ما أقدرش أطلعك عليها ..سامحني يا عابد.

يهز له عابد رأسه بتفهم وهو يعدل وضع جلبابه بعدما تركه العساكر ..

ليبتسم له باسل وهو يقول بنبرة غامضة :

_بس ممكن أقوللك خبر تاني هيبسطك قوي !

==========

_حمداً لله على سلامتك يا ابني!





يهتف بها الشيخ أبو إدريس وهو يستقبله على باب بيت ثمر الذي احتشد حوله أهل القرية ليعانقه عابد بقوة هاتفاً :

_افتقدتك يا شيخي وافتقدت مجلس علمك ..

ثم يرفع إليه عينين لامعتين مردفاً بفخر حماسي:

_لكنني استغللت عزلتي في الحفظ ..لن تصدق ما أنجزته خلال هذه الأيام .

_فتح الله عليك يا بني ونفع بك .

يهتف بها الشيخ بإجلال وهو يقبل رأسه ليبتعد عابد بخجل هاتفاً:

_العفو يا شيخنا ..رأسك الأولى بالتقبيل ..

لكن الشيخ يدعو له بالبركة ثم تدمع عيناه برده :

_الحمد لله الذي نجاك من القوم الظالمين .

_الحمد لله .

يكررها عابد بخشوع قبل أن تتخطفه الأذرع تعانقه وتهنئه بالرجوع سالماٌ ..





يامن ..إسلام ..هيثم ..رجال أهل القرية الذين تراجعوا ليفسحوا له المجال كي يدخل للنساء ..

تبادره أمه بعناقها ودموعها ثم تتبعها ثمر وياسمين التي أطالت البقاء بين ذراعيه لتحتضن وجهه بين راحتيها هاتفة :

_حمدالله على سلامتك يا حبيبي ..

تقولها وهي تستخرج "ميداليته الملونة" التي كان قد أهداها لها يوماً من جيبها لتهتف به بانفعال:

_يشهد ربنا إن قلبي ما بطلش يدعيلك طول ما انت بعيد .

فيقبل جبينها بحنان هامساً :

_أعلم يا "وصية أبي" ..ما كان الله لينجيني إلا ببركة دعائكم ..

يقولها ثم يلتفت نحو لجين التي وقفت دامعة العينين تمسد بطنها بأنامل مرتجفة وانتفاضة جسدها تفضح انفعالها فيندفع نحوها ليعانقها بقوة ..





أنامله تنحدر لتتشابك مع أناملها على بطنها فيمسدها برقة هامساً بحب:

_لن أخبركِ كم افتقدتك سأدعكِ تشعرين بهذا وحدك ..يا أم مؤمن !

دموع فرحتها تغرق صدره فيعتصرها بين ذراعيه أكثر لتدمع عينا ياقوت مكانها وهي ترفع عينيها للسماء بالحمد ..

قبل أن تهرع إلى غرفتها لتتصل برقم زين ..

وما كادت تسمع صوته حتى هتفت به بفرحة طاغية :

_عابد رجع .

_عارف.

نبرته الرصينة كعهدها تفضح سعادته كذلك فتضحك ضحكة صافية وهي تسأله ببعض العتب:

_وما قلتليش بدري ليه ؟!




_كنت حابب تكون مفاجأة حلوة أحسن ..انتو تستاهلوا تفرحوا قوي بعد اللي شفتوه الفترة اللي فاتت .

يقولها بصدق مشاعره الذي مسها كعهده فتضحك من جديد رغماً عنها لتمعن في دلالها العاتب:

_أنا بقا كنت حابة تكون أول واحد يبشرني ..

_مممم ..يعني أنا مديون باعتذار؟!

يقولها بنبرته الرخيمة الكفيلة ببث القشعريرة على طول جسدها فتحمر وجنتاها بخجل وهي تهم بالرد ..

لكنها تشعر بالهاتف يختطف منها فجأة فتشهق وهي ترى إسلام يحادثه بنبرة سمجة :

_هو احنا مش بيننا اتفاق؟!

ترمقه بنظرة راجية وهي تربت على صدرها براحتها المبسوطة تباعاً لكنه يرفع أحد حاجبيه بعناد ..

بينما يصمت زين للحظة على الجانب الآخر متمالكاً نفسه من مفاجأة تدخله ..




ليرد أخيراً ببرود داعب نبرته المتسلية :

_أختك اللي متصلة !

فيكتم إسلام ضحكة مغتاظة وهو يلكمها في كتفها بخفة مداعبة هاتفاً له بجدية مصطنعة :

_ماشي ..هنربي بنتنا حاضر .

_إياك تكلمها نص كلمة !

يقولها زين بصرامة غافلاً عن كونه يمزح ليصمت إسلام قليلاً مستمتعاً بإثارة قلقه قبل أن يتنحنح ليقول بنبرة لانت قليلاٌ :

_ع العموم شكراً على اللي عملته مع عابد .

_لا شكر على واجب ..انتم أهلي .

يقولها زين ببرود ضاغطاً حروف كلمة أهلي ليمعن إسلام في إثارته وهو يرد سماجة :





_لسه ما بقيناش !

يقولها ثم يغلق الاتصال دون المزيد فتهتف به ياقوت باستنكار:

_أقسم بالله انت كتلة رخامة ..انت بتعامله كده ليه ؟!

فيضحك وهو يقرص وجنتها هاتفاً :

_مادام انت مدلوق كده يا "أبو التوت" يبقى لازم أنا اللي أشد ..الراجل بيقوللي أختك اللي متصلة ..خلليتي رقبتي أد السمسمة .

_سلامة رقبتك يا أخويا ! حسبي الله ونعم الوكيل فيك زي مانت واقف حالي !

تقولها وهي ترفع سبابتها للأعلى في وضع الدعاء فيرفع حاجبيه هاتفاً بأسف مصطنع:

_بنت! بتدعي على أخوكِ الكبير؟! ما عاد فيه خشا ..ما عاد فيه تربية ..ما عاد فيه حياء .




يقولها ليضحك بمرح فتشاركه الضحك للحظات قبل أن يضمها إليه بحنان قائلاً :

_قلتيلي إن نجلاء خلاص تقريباٌ خفت ورجعت تتكلم صح ؟!

تومئ له برأسها إيجاباٌ مستعيدة أحداث الأيام السابقة التي تطورت فيها حالة نجلاء كثيراً لتستعيد قدرتها على النطق تدريجياً ..وتعاود حياتها بصورة طبيعية ..

يقولون إن اجتهادها هي هو السبب لكنها تعلم أن لسامر الفضل الأكبر في تشخيصه الصحيح ..وبعده لوالد الفتاة الذي دعمها عاطفياً بأقصى صورة ..

_الحمد لله !

تقولها برضا مدركة أثر هذا على رحلتها المهنية فتلتمع عينابقوة قائلاً:

_حلو! هو ده اللي كنت مستنيه ..سيبيني بقا أوضب لك مؤتمر صحفي حلو يرج الدنيا ..عايز اسم ياقوت سليمان ده يبقى أشهر من نار على




علم ..ساعتها الروس تتساوى وأوافق إن الراجل الغامض بسلامته ده يتجوزك ..

_حبيبي يا سلمونتي ..حبيبي ..حبيبي..

تهتف بها بمرح وهي تقرص وجنتيه لتسمع استنكار نشوى على الباب :

_لا لا لا..سلمونتي وقرص خدود ده تعدي على اختصاصاتي يا آنسة ..اوعي كده من فضلك ..

تقولها وهي تندفع نحوهما لتدفعها بخشونة مصطنعة ثم تطوقه هو بذراعيها في تملك غيور فتضحك ياقوت بمرح ..

بينما تخاطبه نشوى بقولها الذي حمل نبرة التهديد :

_واللا إيه يا هندسة؟!

فيضحك ضحكة عالية ثم يميل عليها ليغمزها مجيباً :





_مفيش كلام بعد كلامك يا عسل!

=========

_كنتِ فين يا سها؟!

تهتف بها والدتها بلهفة عبر ملامحها المستثارة وهي تفتح لها باب بيتها لكن سها لم تنتبه لهذا وهي ترد بنبرتها الميتة المعهودة بينما تدخل لتلقي حقيبتها جانباً بإهمال :

_كنت مخنوقة قلت ألف بالعربية شوية..الجو ..

كلماتها تنقطع وعيناها تتسعان بصدمة بينما تميزه هناك جالساً ..

لا ..مستحيل!

ناصر!!

إنه حلم !!

حلم آخر من أحلامها التي صارت تصبّرها على هذا العالم !





حلم ركضت إليه قدماها وهي تتفرس ملامحه المبتسمة القلقة بمزيج من صدمة وفرح ..

لم تكن ترى أي شيئ حولها ..!

لم تكن تسمع سوى صوت تنفسه المضطرب ..!!

لم تكن تشم سوى رائحة عطره المميزة ..!!!

لم تعلم كيف استقر بها المقام فوق ساقيه متشبثة بعنقه بكلي ذراعيها وهي تتمتم باسمه المختلط بدموعها ..

ناصر !!!

_ناصر ..بحلم تاني ..يارب ما أفوق زي كل يوم ..

لكنها تشعر بذراعيه يعتصران جسدها بقوة كأنه يود لو يصهرها معه في كيان واحد ..

وهمسه الحار ينسكب في أذنيها :

_مش حلم يا حبيبتي ..أنا آسف إني ما ظهرتش طول الأيام دي بس كان غصب عني ..لو ..





تشهق بصدمة تقاطع كلماته وهي ترفع عينيها من جديد نحو وجهه تتلمسه بأصابعها المرتجفة هامسة بذهول وهي تشعر أن أنفاسها تتقطع :

_مش حلم ....ماما؟!

تلتفت بتساؤل مصدوم نحو والدتها التي كانت عاجزة عن منع بكائها والتي تقدمت منهما لتربت على كتفها هاتفة بانفعال مماثل:

_أنا كمان ماصدقتش لما فتحت الباب ولقيته قدامي ..الحمد لله يابنتي ربنا كريم عالم بحالك ..كنت..

لكنها تقاطع أمها كذلك بهمسها المتقطع :

_مش حلم ..مش حلم ..

تقولها وهي تعود لتحتضن وجهه بأصابعها بقوة أكبر هذه المرة ..

بل بدت وكأنها تغرس أناملها فيه !





تشعر بذراعيه يشتدان حولها فتتسع عيناها أكثر ثم تفيضان بالدمع دون توقف وكلماتها تخرج منها متخبطة كالهذيان :

_إزاي؟! الانفجار! الجنازة ! العزا !

لكنه يمسح وجهها بكفيه ليخفيه في صدره هامساً بألم :

_هاحكيلك كل حاجة بس اهدي ..اللي حصل ..

_ناصر ..انت بجد هنا؟!

للمرة الثالثة تقاطع الحديث صارخة بدموعها كأنها لا تسمع ..

الرؤى تختلط في ذهنها فلا تميز واقعاً من خيال ..

الدم ..الانفجار ..الدخان ..النار ..

الأسوَد الكئيب الذي لوّن حياتها بعدها !!





تشعر بشفتيه الدافئيتين تلهبان وجنتها بقبلة اعتذار قوية فتكتسحها رجفة ساحقة وجسدها كله يرتعد بجنون مع تدفق دموعها ولاتزال أناملها تحفر فوق وجهه حفراً ..

ليس حلماً ..!

ناصر هنا ..!

عاد ..

عاد ومعه روحها ..!!

تسمعه يتكلم لكنها لم تكن تعي سوى أثر ذبذبات صوته الحبيبة على أوتار قلبها ..

تراه عبر غمامة دموعها فتتمنى لو لا تخونها أهدابها بإغماضة واحدة تحرمها رؤيته من جديد ..

تشعر بذراعيه حولها يمنحانها الأمان الذي افتقدته منذ رحل ..

ناصر عاد ..

عاد !




_عشان كده أنا كنت رافض اقتراحهم لما قالوا إني المفروض أختفي لحد ما يقبضوا ع المجرمين ..كنت خايف عليكِ من صدمة زي دي ..بس ..

يقولها بأسف حقيقي لكنها تقاطع كلماته من جديد كأنها لا تزال لا تصدق كونه حقيقياً لتفاجئه بصراخها المنفعل:

_ردني يا ناصر ..ردني دلوقت حالاً قبل ما تقول أي كلمة ..حالاً !

فيربت على ظهرها مهدئاً ليقول بحاجبين منعقدين كمن يخفي أمراً جللاً :

_فيه حاجات اتغيرت يا سها لازم تعرفيها الأول.

_حالاً يا ناصر ! مش هاسمع ولا كلمة قبلها ! حالاً !




صراخها الهستيري مع فيض دموعها وحفر أناملها المرتعدة على وجهه يثير المزيد من شفقته ..

فيتردد قليلاً كأنما يقاوم صراعاً بداخله وهو يحاول تهدئة جسدها المتشنج بين ذراعيه..

لكنها تصرخ بها من جديد بالمزيد من الانفعال فيحسم أمره ليعلن ردها لعصمته .

ولم يكد يتلفظ بها حتى شعر بجسدها يستكين فجأة بين ذراعيه مع ارتخاء أناملها فوق وجهه ..

لتغمض عينيها و..

تفقد وعيها فوق صدره !

======

تفيق من إغماءتها لتجد نفسها لا تزال بين ذراعيه المتشبثين بها وأمامها والدها يحاول طمأنة والدتها المنهارة ..




ولم يكد يميز عينيها المفتوحتين حتى حمد الله بانفعال لتدور هي بعينيها من جديد في المكان قبل أن تعود لتركز بصرها فوق ملامح ناصر الملتاعة ..

تشعر بانتفاضة جسده القلقة لتميز حينها فقط هذا الكرسي الذي يجلس عليه ..

كرسي متحرك !

تشهق بارتياع وهي تنهض لتترنح في وقفتها ثم تجلس على الأرض على ركبتيها أمامه تتلمس معدن الكرسي بأنامل مرتجفة ..

تهتف باسمه في تساؤل ليعقد حاجبيه وهو يشيح بوجهه قائلاً :

_عشان كده قلتلك اسمعي اللي حصل ..أنا ..أنا مابقتش زي الأول !





يتبادل والداها نظرات الأسى فيطرقا برأسيهما للحظات قبل أن يجذب الرجل ذراع زوجته ليبتعد بها تاركاُ لهما حرية الحديث ..

فيما بقيت سها للحظات تتلمس معدن الكرسي بأناملها كأنها ترسمه مصعوقة بكل هذه المفاجآت ..

بينما كان هو غارقاً في شعوره المستحدث ب"العجز"!

منذ ذلك اليوم الذي اكتشف فيه ما صار إليه حاله وهو يخشى مواجهتها هي وأبيه ..

أغلى الناس عنده !

هو الذي طالما عشق نظرة الفخر في عيونهما ..

كم سيكون من العسير عليه أن ينقلب الآن لإشفاق!

ربما لهذا لم يكن يرغب في التعجل بردها لعصمته لولا ردة فعلها الهستيرية التي رآها ..





ربما لهذا وافق أفراد إدارته على اختفائه طوال تلك الفترة متهيباً من مواجهة كهذه ..

تراهما كان أهون على قلب رجل مثله ..

أن يموت شهيداً أو أن يعيش عاجزاً ؟!!!

دمعة حارقة تتجمع في طرف عينه واشية بمرارة هذه الغصة في حلقه فيتحاشى النظر إليها قائلاً بجمود ليس بخادع:

_زي ما انتِ شايفة ..مش هاقدر أرجع لحياتي الطبيعية بسهولة ويمكن ما أرجعش خالص ..فكري كويس قبل ما تقرري إذا كنتِ هتقدري ..

_أفكر؟!

تقاطع بها عبارته للمرة التي لا تدري عددها في هذا اللقاء الذي يبدو كالحلم وهي تستقيم مكانها لتعاود الجلوس فوق ساقيه ..

تطوق عنقه بذراعيها معانقةً ملامحه بكل هذا الشوق الذي ذبحها طيلة غيابه ..





بكل هذا الندم الذي مزقها دون رحمة ..

وبكل هذا العشق الذي لم ولن تحمله لغيره !

لتهمس له أخيراً باستنكار عبر حرقة لهجتها الشاكية :

_أفكر في إيه ؟! إني أفضل جنبك واللا أسيبك ؟! أفكر؟! إني أعيش واللا أموت تاني؟! أفكر؟! إني أرجع لنفسي واللا أتوه زي ما كنت وانت بعيد ؟! أفكر في إيه بس ؟! ده أنا فرحتي وأنا شايفاك دلوقت قدامي تساوي لوحدها عمري الباقي كله !

وجهها ينهار بدموعها فوق صدره الذي بدا لها كأرض وطن عادت إليها بعد طول اغتراب ..

وارتجافة جسدها تشكو إليه عذاباً قاسته وحدها دونه ..

فيكتم آهة وجعه بها ولها وهو يضمها إليه بقوة مستعيداً مذاق أنسه بها ..ليصله همسها المتقطع :





_ليك حق تسأل مالنت ماتعرفش الأيام اللي فاتت عدت عليا إزاي ..يوم ورا يوم ما كانش ليا طلب من ربنا غير إني أموت وأحصلك ..كنت مستعدة أدفع أي تمن عشان أرجع ساعة واحدة أعيشها معاك ..أتأسفلك ع اللي عملته فيك وفي نفسي ..وجاي دلوقت تقوللي أفكر ؟!

يغمض عينيه بألم وأنامله تمسح دموعها على وجهها والمزيد من العجز يطوق كلماته ..

لو كان الأمر بيده وحده لاحتكم لعقله وكبريائه فابتعد عنها حتى يعود لسابق عهده أو يتدبر أمره وحده مكفياً إياها همه ..

لكنه يعلم أنها لن تتركه يفعلها !

وهو ليس بقادر على ذبحها بفراقه من جديد !!

لهذا عادت عيناه تدمعان بهذا الصراع الفج في أعماقه وهو يحاول البحث لكليهما عن مخرج ..




لكنها تتناول كفه لتقبل باطنه بعمق ثم تهمس له برجاء منفعل:

_وحياتي عندك يا ناصر وأنا عارفة إنها غالية عندك ..ما تكرر الكلام بيننا في الموضوع ده تاني ..اطلب مني أي حاجة غير إني أسيبك تاني ..والله ما هاستحمل .

تقولها وهي تعود لتتشبث بذراعيها في عنقه بقوة أكبر ودموعها تتدفق كالسيل من جديد فيتنهد مشفقاً على حالهما معاٌ ..

ثم يمد أنامله ليمسح دموعها ولم يكد يفعلها حتى شعر بدفء شفتيها يكتسح شفتيه بقبلة اشتياق أودعتها كل هذا الكلام الذي عجزت عن البوح به ..

أنفاسه تتوقف للحظة قبل أن يعود قلبه لهديره العاصف وهو يعتصرها بين ذراعيه أكثر ليدرك في هذه اللحظة أن لا مفر ..

دواء أحدهما لن يكون إلا في كنف صاحبه !

تبتعد عنه بوجهها أخيراً وشبه ابتسامة تطوف بشفتيها في أمل وهي تقرأ بخبرتها به قراره في عينيه ..

لتهمس له بمزيج تسلطها المعهود ورجائها النادر :

_ولا يوم واحد هتسيبني فيه بعد كده .

فتنفلت منه آهة ساخنة وهو يغمض عينيه متكتماً على بقايا شعوره ومكتفياٌ بتربيتته الحنون على رأسها تمنحها وعده ..

فتبسط راحتها على صدره وهي تزدرد ريقها الجاف هاتفة بانفعال :





_احكيلي اللي حصل يومها ..إزاي خرجت من هناك !

ينعقد حاجباه وهو يستعيد أحداث تلك الليلة التي لن ينساها ما عاش ..:

_كنت عارف إنك جاي .

يقولها برضا عبر تنهيدة ألمه وهو يبصر عبر ضبابات وعيه- الذي يكاد يفقده- صورة باسل يتقدم نحوه مع رفقة معه ..

باسل الذي أطلق سبة لاعنة وهو يرى إصابة ساقيه ليهتف به بسخط بينما يفك قيوده :

_جهاز التتبع اللي كان في عربيتك كان آخر خيط وصلنا بيك ..طلعت روحي بعدها لحد ما قدرنا نوصل إنهم حاجزينكم هنا .





_روحنا كلها هتطلع دلوقت لو ما لحقناش نخرج ..

يهتف بها وهو يشير بعينيه للقنبلة هناك فيشير باسل لرفقته حيث تقدم احدهم ليحمل ناصر معه قبل أن يركضا بسرعة عبر طريق مختصر مستغلين خبرتهم بخريطة المكان ليغادروا قبل الانفجار بدقيقة واحدة ..

_مدرسة (....)! عايزين يفجروها ..الحقهم يا باسل قبل ..

كانت هذه آخر كلماته قبل أن يفقد وعيه بينهم ليسترده بعد وقت طويل مع حفنة من الحقائق ..

الأولى وحدها كانت المفرحة أنهم قد نجحوا في إنقاذ المدرسة ..

لكن ما تبقى كان كفيلاً ليدرك أن حياته بعدها لن تعود لسابق عهدها ..

وأنه يعود ليواجه العالم ب"عجزه"!





ينتهي من سرد ما حدث لها فتغمض عينيها بوجع حارق وهي تتخيل كمّ الألم الذي عاشه وحده طوال هذه الأيام ..

إذا كان قلبها يكاد ينفطر على عجزه هذا فما الحال برجل مثله اعتاد نظرات الفخر في العيون ؟!

آه لو كان الأمر بيدها لمنحته من نفسها الفداء!

لكنها لا تملك الآن سوى أن تبقى جواره ..

زوجته وصديقته وسنده كما عودته منذ سنوات !!

لهذا كتمت كل شعورها بالألم لتلون شفتيها بابتسامة واهنة وهي تربت على وجنته برفق ..

ثم تغير الموضوع لآخر برشاقة مشفقة عليه من تذكره فتهمس له برقة عاتبة :

_تليفون واحد ! كلمة واحدة كنت بردت بيها قلبي طول الأيام دي ..حرام عليك .




_غصب عني ..الأوامر كانت إني أفضل مختفي لحد ما يقبضوا عليهم ..حاولت أطلب إن حد يطمنكم لكن كانوا عايزين رد فعلكم يكون طبيعي عشان الأمان لينا كلنا ..

يقولها بنبرة اعتذار وهو يقبل جبينها برقة لتغمض عينيها بتنهيدة راحة قوية ثم تنهض عن ساقيه لتبتعد فتحضر هاتفها لتعود إليه بصورة المدرسة قائلة بصوت لايزال مرتجفاً بانفعاله :

_ولادنا .

ابتسامتها المتأرجحة بين وجع ورضا تحلق بينهما كطائر يغرد حراً بعد طول سجن ..

فيبتسم بعينين دامعتين وهو يتفحص الصورة للحظات قبل أن يقول لها باعتزاز:

_كنت فخور بيكِ وباسل بيقوللي ع اللي عملتيه .




_على كلامك انت كنت مبلغهم قبلي ..يعني انت البطل الحقيقي .

تقولها بفخر مشابه وهي تعاود الجلوس على ركبتيها أمامه على الأرض تتأمل ملامحه باشتياق لتتسع ابتسامته بقوله :

_بس انتِ ماكنتيش تعرفي ..وعملتِ اللي عليكِ للآخر .

تتناول كفيه فتتشبث بهما بكل قوتها ثم تقبلهما بحرارة واحداً تلو الآخر ولاتزال لا تصدق وجوده حياً معها لتغلبها دموعها من جديد فيربت على رأسها محاولاً التخفيف عنها بقوله ببعض المرح الذي تسرب عبره وجعه الحقيقي:

_مش كنتِ بتتضايقي عشان شغلي بياخدني منك ؟! اهه خلاص هنقضيها أعمال مكتبية .

لكنها تستشعر هذه الحسرة بين حروفه فتهتف به بعزم:





_مش هنستسلم ! هندور على أي علاج في أي مكان ولو في آخر الدنيا ..حتى لو ..

صوت رنين جرس الباب يقاطعها فيهتف بها بترقب:

_ده أكيد الحاج ..أنا كلمته قبل ما آجي هنا .

تستقيم واقفة لتركض نحو الباب كي تفتحه بينما يغمض هو عينيه بالمزيد من العجز متأهباً للمواجهة الثانية ...

_صحيح يا بنتي ؟! هو ..؟!

تنقطع كلمات العجوز وهو يرى ابنه يتقدم نحوه بكرسيه لتدمع عيناه بصدمة لأول وهلة وهو يميز إصابته قبل أن يهرع إليه لينكب بجسده فوقه في عناق طويل هاتفاً بلوعة أب:





_أحمدك يارب وأشكر فضلك ..حمدالله على سلامتك يا غالي ..والله ما مصدق إني شايفك ..سامحني يا ابني ..سامحني ..

دموعه تخونه في كلماته الأخيرة وهو يتكتم على الاعتراف بحسرته لمصاب ابنه مكتفياً بسعادته بخبر رجوعه ..

لتقترب سها منهما شاعرة بما يكابده وقد وجدت في صدرها مثله ..

لهذا وقفت تربت بأحد كفيها على كتف الرجل فيما يتشبث كفها الآخر بكتف ناصر بقوة داعمة جعلته يرفع إليها عينيه لتتلو له عيناها تراتيل اعتذاراتها ووعودها ..

معاً ..حتى آخر العمر !

فلا بداية ولا منتهى إلا في رحاب عشق لا يعترف بعجز ولا تقهره ظروف .





=======

يستيقظ رائد من نومه ليتلفت حوله باحثاً عنها ..

منذ أزمة وفاة والدته وقد اعتاد أن يكون وجهها أول ما يراه صباحاً ..

بل إنه لا يكاد يرى غيرها في عزلته التي اختارها هنا هذه بعيداً عن كل ما يحمله له الخارج من ضغوط ..

_همسة !

يناديها بلهفة وهو يبحث عنها في الطابق العلوي لكنه لا يجدها فتمتلئ نفسه بخوف مجهول وهو يهبط الدرج نحو الطابق السفلي الذي كان خالياً منها كذلك ..

قلبه يخفق بهلع وهو يخرج إلى الحديقة يتلفت حوله حتى وجدها هناك ..

تلقي بنفسها في حمام السباحة !





الخوف الذي يملأه يجعله يصرخ باسمها وهو يركض بسرعة دون تفكير ليلقي بنفسه خلفها بكامل ملابسه فتشهق وهي تلتفت نحوه لتجده يضمها نحوه بعنف هاتفاً بجزع:

_بتعملي إيه ؟!

تهز رأسها بحيرة غافلة عن مخاوفه لتجيبه :

_المية دافية قلت أعوم شوية .

فيغمض عينيه بارتياح وهو يخفف ضغط ذراعيه حولها ..

تباً لهذا الخوف الذي يملأه تجاه كل ما يخصها خاصة بعد حادثة أمه الأخيرة !

كأنه لا يكتفي بعذاب ضميره تجاه أمه فيزيده على نفسه بخوفها عليها هي من أن تعيدها الضغوط لانتكاسة لن يستطيع تداركها..





خاصة وهي تصر على ملازمته في عزلته الاختيارية هنا في مزاجه الكئيب هذا !

_مالك يا حبيبي؟!

تسأله بقلق وهي تربت على وجنته ليزفر وهو يحاول الاسترخاء في الماء قائلاً:

_خفت لما شفتك بتنزلي المية ..من امتى بتعمليها من غيري؟!

تساؤله الأخير لم يحمل استنكاراً عاتباً بقدر ما حمل لها المزيد من الخوف ..

لتتذكر ما أخبرتها به ياقوت أن جزءاً عظيماً من عذابه يكمن في خوفه عليها هي ..

هذا ما حاولت التعامل معه طيلة الأيام السابقة وهي تعمل قدر استطاعتها أن تدعمه بوجودها دون أن تشعره بما يعتمل في صدرها من مشاعرها السلبية هي الأخرى ..





لهذا ابتسمت وهي تقبل وجنته برقة هامسة :

_أي حاجة بعملها معاك لها طعم تاني ..بس النهارده المية كانت مغرية ودافية ما قدرتش أقاوم .

_ما خفتيش وأنا مش معاكِ؟!

يقولها بنبرته الغريبة وهو لايزال يتشبث بها لتجيبه بما ظنت أنه يحتاج سماعه :

_انت معايا حتى وانت بعيد .

يلتفت نحوها ليعانق عينيها الحبيبتين اللتين تزدادان توهجاً كل يوم ..توهجاً بلون القوة !

فتزداد أنفاسه سكينة ويرتخي بجسده أكثر في الماء ..

فقط ذراعاه يبقيان على تشبثهما بها ..





لكنها تمسك كتفيه لتجبره على التحرك بها بهذه الحركة الدائرية في الماء ثم تفرد ذراعيها حولها هاتفة بمرح يليق ببراءتها :

_كده عمر المية ما يبقى لها شط !

يبتسم رغماً عنه وهو يتذكر ما تحكي عنه فيجاريها في حركتها سامحاً لها بالدوران سابحة بين ذراعيه وهي ترفع وجهها نحو السماء ..

تبدو له كفراشة رقيقة تحلق بنعومة ..إنما بقوة !

هكذا كان يشعر بها وهي تفاجئه بتشبث ذراعيها هي به لتقبل وجنته بقوة هامسة :

_عندي طلب .

يرمقها بنظرة متسائلة وجلة وهو يخشى ألا يتمكن من تنفيذ رغبتها لأول مرة منذ عهد بعيد ..

لهذا عاد يزفر بضيق وهو يسمعها تقول راجية :

_تروح الشغل ..وهاجي معاك .





_مش هاقدر يا همسة !

يقولها معتذراً مشيحاً بوجهه لكنها تدير وجهه نحوها هاتفة بتصميم :

_لحد امتى ؟!

يسيئ تأويل عبارتها فتتجمد ملامحه بقناعه المعدني الذي يجد نفسه يستخدمه معها رغماً عنه ..قائلاً :

_معرفش ..أنا عارف إن الظروف دي مش مناسبة ليكِ وكذا مرة قلتلك تقعدي عند زين ..انتِ مش مجبرة تستحملي ..

يقطع كلماته وهو يرى الدموع تطفر من عينيها مع نظراتها العاتبة فيفض تشابك ذراعيه حولها ليعطيها ظهره محاولاً تمالك انفعاله ..

لقد ظن الأيام ستهون مزيج الحزن والذنب الذي ينهش صدره ..





لكن عزلته هذه تزيد من فتكه به !!

وما يزيد عذابه أنه يسحبها معه نحو هذا القاع دون وعي!

لكنها تحركت لتكون قبالته تمسح دموعها بنفسها بقوتها المستحدثة لتهمس له برقتها العاشقة :

_لو مش عايز تخرج بلاش مش هازعل ..بس هافرح قوي لو وافقت .

يطيل النظر إليها للحظات وكأنما يستمد من هاتين العينين قوته ..

ثم يسحبها نحوه ليضمها برفق هامساً :

_أنا آسف.

_وأنا عمري ما هاسيبك لوحدك تاني .





تهمس بها ببساطتها الملائكية وهي تمسد على رأسه بأمومة تبدو غريبة على ملامحها الطفولية ..

لكنه خير من يدرك أنها تبزغ في حناياها كألف شمس !

ربما لهذا استجمع بعض شتاته ليقول بتردد :

_هتيجي معايا الشغل تعملي إيه ؟!

فتضحك وهي تدرك قرب استجابته لرجائها لتهتف بحماس:

_هابص عليك ..

يبتسم رغماً عنه لصدق مشاعرها هذه فتدلل ابتسامته بشفتيها ثم تردف بنفس النبرة :

_وأقعد جنبك عشان لو احتجت حاجة ..وأشغللك "ميوزيك هادية" تروق أعصابك .




_فكرتك عن الشغل غلط خالص.

يقولها مداعباً بابتسامة باهتة وهو يقرص أنفها بخفة لتضحك وهي تهز كتفيها هاتفة :

_خلاص خدني معاك وعلمني الصح .

يبدو التردد على ملامحه فتغمر وجهه بقبلاتها باندفاع طفولي هاتفة :

_وحياتي وحياتي يا رائد .

فيتنهد باستسلام وهو يقبل رأسها قائلاً بوجل:

_بس لو ماقدرتش أكمل نرجع بسرعة .

_فوراً .

تقولها قاطعة مستغلة هذه الفرصة النادرة التي تتحينها منذ عهد بعيد ..





كانت تعلم أن رجلاً مثله لن يخرجه من حزنه سوى الانهماك في عمله الذي يحبه ..

لهذا كانت أكثر من متحمسة وهي تسبقه للخروج من حمام السباحة ثم تمد له يدها بالمنشفة في سابقة أولى لانعكاس الأوضاع ..

فيبتسم لها وهو يجفف جسدها أولاً قبل أن يلف المنشفة حولها ثم يفعل المثل بنفسه ..

فتضحك هاتفة له بحماس:

_مرة حلقت لزين دقنه وقاللي إنك هتغِير لو عرفت ..تيجي أحلق لك دقنك قبل ما نخرج .

تتسع ابتسامته وقد سره أن ينفذ لها شأناً يسيراً كهذا فتمسك بكفه وهي تركض جواره على عشب الحديقة لتتدفع به نحو البيت ..

وبالتحديد نحو الحمام الذي دلفا إليه لتبحث عن عدة الحلاقة فتضعها أمامه على طاولة الحوض ثم تبدأ في عملها ..





يبتسم برضا وهو يراها تعتلي الطاولة جالسة أمامه ثم يتابع أناملها الرقيقة منهمكة فيما تفعله ..

يسمعها تدندن بلحن رقيق اعتادا صغاراً التغني به ..

فتتسع ابتسامته وهو يغرق في تفاصيل ماضيهما المشرق رغم غيوم الألم التي حلت به يوماً ..

_خلصت!

تهتف بها بانتصار وهي تضع ما بيدها جانباً فيفتح عينيه وهو يتأمل صورته في المرآة ..

أكثر إشراقاً ..كعهده مع إضافاتها الساحرة لحياته !

فيمد ذراعيه لينزلها من مكانها ثم يقبل رأسها بامتنان هامساً :

_شكراً .

_خد "شاور" وأنا هانقيلك الهدوم اللي هتلبسها .





تقولها بنفس الحماس آملة أن تكون تسير على الطريق الصحيح كما أخبرتها ياقوت ..

فيهز لها رأسه موافقاً لتندفع خارجة تركض كطفل أوكل له الكبار مهمة جسيمة ..

وبعد ساعة كان زين يجلس في مكتبه منهمكاً بين شئون عمله وبين بعض الأمور المتعلقة بدار الفتيات التي بدأ عملها بنجاح يزيد من شعوره بالرضا عن نفسه يوماً بعد يوم ..

صوت الطرقات على الباب يقاطعه فيسمح للطارق بالدخول لتشرق ملامحه وهو يبصرهما معاً ..

يندفع نحوهما ليعانق همسة أولاً بسرعة ..

قبل أن يمنح رائد عناقاً مؤازراً طويلاً وهو يربت على ظهره ليقول أخيراً بودّ:

_يارب تكون قررت ترجع ..مش عايز أقولها بس فعلاً محتاس من غيرك .




يبتسم له رائد بتردد لكنه يدور بعينيه في المكان شاعراً برغبة حقيقية فعلاً في العودة لأجواء العمل ..

هذا الذي قرأه زين بذكائه ليغمز همسة بخفة ثم يخاطبه بقوله :

_عندنا اجتماع بعد ربع ساعة ..احضره معانا خد فكرة وشوف الدنيا حصل فيها إيه وانت غايب ..فرصة !

يتردد رائد قليلاً لكن زين يشد على كتفه بنظرة داعمة بينما تتأبط همسة ذراعه الآخر بدلال هاتفة :

_مش كنت عايز تغير لي فكرتي عن الشغل؟! خلاص ..هاحضره معاكم ..هاقعد بعيد ومش هاعمل صوت .




تقولها مازحة بنبرتها الطفولية وهي تضع يدها على فمها فيضحك زين ضحكة عالية وهو يداعب شعرها بخفة ..

بينما يبتسم رائد وهو يجول ببصره بينهما للحظات قبل أن يأخذ قراره ل..

يعود !

=======

تتلفت ياقوت حولها في القاعة الفخمة التي قُرر أن ينعقد فيها هذا المؤتمر الصحفي بعينين ملتمعتين ..

تشعر بالكثير من التوتر وهي ترى الحركة الدؤوب في المكان والمنصة التي تم إعدادها هناك ..

_دي شكلها ليلة كبيرة قوي سعادتك !

يهتف بها سامر بانبهار خلفها وهو يتلفت حوله كذلك ليضحك إسلام وهو يبسط ذراعه على كتفي سامر هاتفاً بمرح:





_امال يا أبو سمرة ! مش قلتلكم هتبقى نقلة جامدة ..والد البنت شخصية مهمة وليه معارف مهمين في منظمات حقوقية كتير هتلاقوا مندوبينهم هنا ..الحادثة اتقلبت قضية رأي عام وعايزين يصعدوها لأعلى مستوى ..القضية كانت هتنزل على فاشوش كالعادة وحقها يضيع ..بس البنت لما خفت افتكرت تفاصيل كتير فرقت في سير القضية ..والهاشتاج بتاعها بقا أكبر تريند على تويتر ..وطبعاً الفضل في علاجها يرجع -بعد ربنا -للعظيم أينشتاين وال ..."أنيقة" شجرة الدر!

يقول عبارته الأخيرة ضاغطاً على حروفها وهو يغمز ياقوت التي كانت ترتدي سترة بالغة الأناقة من الجلد النبيذي هو من اختارها لها مع سروال أسود ووشاح بلون كريمي أضاء وجهها وقد ربطته بهذه الطريقة التي تظهر قرط أذنيها كعهدها مؤخراً ..





تبتسم وهي تمسك كف إسلام طالبة بعض الدعم وهي تتلفت حولها تراقب الحضور الذي يتزايد عدده ..

بينما الأخير يهتف بنبرته المرحة :

_التليفزيون هنا بيصور ..بكرة الزهر يلعب معاكم ومحدش يعرف يكلمكم ..بس افتكروا ساعتها العبد لله !

فيضحك سامر هاتفاً بمرح مشابه :

_ولو إني عارف إني فقري والست حلاوة دايماً تقوللي إن حظي مايل زي المشط على مراية الأقرع ..بس مفيش مانع نتفائل يا صاحبي!

يشاركه إسلام وياقوت الضحك للحظات قبل أن تستأذن منهما ياقوت لبعض شأنها ..

فيلتفت سامر نحو إسلام متسائلاً بجدية:

_عرفت إن ناصر ..؟!





فيبتسم إسلام ابتسامة صافية وهو يرد بسماحة :

_عرفت وزرته امبارح ..مابقيتش عارف أفرح عشان طلع عايش ..واللا أزعل عشان اللي حصلله ..بس أنا سألت على حالته وعرفت إن ليها علاج بره ..ماافتكرش حد طموح زيه هيقصر .

_ولا سها هتسيبه يقصر!

يقولها سامر ببعض الفخر -بقريبته-..

الفخر الذي استغربه في نفسه !!!

غريبٌ حقاً عندما تتبدل مشاعرنا بهذه الصورة ..

فتستحيل الغيرة الخانقة على "معشوقة الوهم" لاعتزاز حقيقي ب"حب قريبته" لزوجها !

سبحان من يقلب القلوب !!

وفي مكانها كانت ياقوت تطالع هاتفها حيث أرسل لها زين عدة صور حديثة من دار الفتيات خاصته ..




تبتسم بفخر وهي تتفحصها واحدة تلو الأخرى مدركة عظم الجهد المبذول لتقدم دعماٌ حقيقياً لمثل هؤلاء ..

صورهن وهن يمارسن بعض الأنشطة في فناء الدار ..أو يتلقين بعض الدروس فيما يشبه فصولاً معدلة ..أو يحتفلن بسرور مع المشرفات ..

كلها تجعلها تشعر أن زين في سبيله للتعافي حقاً من أثر ذنبه القديم ..

الصورة الأخيرة كانت له مبتسماً وهو يقف على مدخل الدار وقد بدا اسمها خلفه مزخرفاً بفخامة ..

"الياقوت والمرجان"!

يختلج قلبها بسعادة طاغية وأناملها تتردد فيما تريد كتابته ..

_هتيجي؟!





ترسلها وهي تعلم الجواب قطعاً ..هو لم يتأخر يوماً عن مشاركتها حدثاً يخصها فكيف بهذا اليوم ؟!

_أنا وراكِ !

تشهق بدهشة وهي تتلفت خلفها لتجده جالساً في الصف الخلفي مع عدد من الحضور الذين بدا عليهم الانشغال في التحدث ..

ولم تكد عيناها تلتقي بعينيه حتى لمحت ابتسامته المشرقة تضيئ الطريق من وجهه إلى وجهها ..

فابتسمت بدورها وعيناها ترسلان له من الحب ألف نجمة !

_فيش فايدة في المدلوقة ! يا بت اتقلي!

هتاف إسلام العابث يقطع سحر اللحظة فتلتفت نحوه بسخط ليرفع أحد حاجبيه مردفاً:





_بيعمل إيه هنا ده ؟!

_معرفش ! وبعدين هو قاعد في أرض الحكومة محدش له عنده حاجة !

تقولها مازحة وهي تكزه في أنفه بسبابتها ليضحك ضحكة عالية وهو يهم بتعليق لاذع ..

لولا حضور منسقة المؤتمر التي خبطت بكفها بخفة على كتف ياقوت قائلة بحماس:

_خلاص هنبتدي ..أول حاجة هتبقى كلمتك انت ودكتور سامر ..اتفضلي معايا .

_ونجلاء؟!

تسألها ياقوت باهتمام لكن الجواب يأتيها في صورة الفتاة المبتسمة التي كانت تجلس جوار والدها في الصف الأول وتلوح لها خفية ..





تبتسم ياقوت وهي تستعيد مراحل علاج الفتاة لتشعر باعتزاز حقيقي وهي تراها قد وصلت لبر الأمان ..

تسير جوار سامر الذي لم يكن أقل منها ارتباكاً وهو يعتلي المنصة جوارها ..

يختلس نظرة جانبية نحو نجلاء التي كانت عيناها تفضحان تعلقها به فيشعر بالمزيد من التخبط الذي لا يفهمه ..

يستعيد صورتها وهي ترص العرائس التي يحضرها لها فيربطها رغماً عنه بريتال ..

تراه تعلق بها لهذا السبب؟!

يعترف أن فرحته بعلاجها تفوق سعادته بمجرد شفاء مريض ..

يسترجع هذه اللحظة التي رآها فيها لأول مرة -من خلف زجاج النافذة كالعادة- تتحدث مع ياقوت بطريقة طبيعية بعد تلعثم طال لأيام فيشعر بقلبه يخفق وهو يميز أن أول اسم نطقته كان اسمه ..





يختلس نظرة أخرى نحوها فيجد عينيها معلقتين به بهذه النظرة الآسرة ..

فيخفق قلبه من جديد بهذا الشعور الذي لا يفهمه ..

ريتال أم نجلاء؟!

حيرة قاتلة تدك قلبه دكاً وهو يشعر بعجزه الحقيقي عن أن يفهم نفسه ..

لكنه يتجاهله عمداً وهو يشيح ببصره عنها ..

يلقي كلمته أولاً عن تعريف المرض النفسي وضرورة التوعية به في بلدنا وعدم التنصل من تبعاته خزياً أو انتقاصاً ..ثم يتحدث عن مرض نجلاء بالتحديد والذي تعافت منه تماماً ..

لتبدأ ياقوت في إلقاء كلمتها كذلك وهي تتناول الموضوع من زاوية الاهتمام الأسري وأثره على العلاج مشيرة لدور والد نجلاء الفعال معها ..





قبل أن تعرج على خطورة قضايا الخطف التي انتشرت مؤخراً وأسبابها وطرق الحد منها من الناحية النفسية بصفتها قد درست الجانب النفسي إضافة للجانب الدوائي في العلاج ..

فعاليات المؤتمر تنتقل برشاقة من موضوع لآخر كما قد تقرر له ..

لينتقل المايكروفون لمنسقة المؤتمر التي خاطبت الحضور بقولها :

_لو فيه أي أسئلة لدكتور سامر أو دكتورة ياقوت اتفضلوا !

تنهال الأسئلة تباعاً من ممثلي كثير من القنوات الفضائية فيجيبها سامر وياقوت تباعاً ..

حتى تُفاجأ ياقوت بزين يقف مكانه فتقدمه المنسقة بفخر يليق بمكانته :





_رجل الأعمال المعروف زين الفايد ..اتفضل حضرتك قول سؤالك .

يخفق قلبها بجنون وهي تشعر بالخجل يكاد يحرق وجنتيها ..

ما الذي سيفعله هذا المجنون ؟!

_دكتورة ياقوت ..تتجوزيني؟!

يقولها بنبرته المهيمنة التي يخالطها الآن عشقه الجارف الممتزج بفخره بها في هذا الموقف ..

فيسود القاعة صمت مندهش للحظة قبل أن يملأها الصخب والحضور يتبادلون الضحكات المرحة ..

بينما تكاد هي تفقد وعيها خجلاً وهي تتلفت حولها لنظرات الحضور التي طوقتها بين فخر وفضول ..





_قلتيلي مجنون ماصدقتش !

يميل بها سامر على أذنها بخفوت ليردف وهو يرى العيون محدقة بها :

_قولي حاجة خللينا نخلص ..الناس بتبص علينا .

فتعدل وضع نظارتها فوق أنفها وابتسامة عاشقة تلون شفتيها مع إيماءة موافقة تجعل القاعة تضج بالتصفيق ..

يبتسم زين بدوره وهو يهم بالجلوس لكنه يشعر بكف إسلام على كتفه وبنظرته الماكرة يهمس له :

_عرض جواز ع الهوا ! بتحرجني يعني؟!

فيرفع زين أحد حاجبيه بحركة موحية تجعل إسلام يضحك ضحكة راضية وهو يمد له يده مصافحاً بقوله :

_مبروك .





يضحك زين بدوره وهو يشد على يده مصافحاً لتثبت الكاميرا هذا المشهد كتوثيق ..

وفي مكانها بصالة البيت كانت ثمر تطالع شاشة التلفاز برضا بينما لجين تهتف بفرحة :

_شفتِ يا ستي؟! ده طلب إيدها قدام الدنيا كلها ! شكله بيحبها قوي!

فتبتسم ثمر وهي تركز بصرها على كف إسلام الذي يصافحه ظاهراً في المشهد لتقول بنبرة راضية :

_وماله ؟! مادام بالأصول محدش يقول حاجة !

تقولها لتستمع لتعليق منسقة المؤتمر التي كانت تضحك ببعض الحرج وهي تتلفت حولها قائلة :

_دكتورة ياقوت شكلها مش متميزة في شغلها بس ..إنما في حياتها كلها ..الست اللي تخللي راجل





زي زين بيه يطلب إيدها بالطريقة دي تبقى أكيد تستاهل ..

الحضور يتفق على تصفيق طويل والمشهد يتركز على ياقوت التي وقفت خجلة محمرة الوجنتين لكنها كانت ترفع أنفها باعتزاز يليق بها ..

لتتنهد ثمر بارتياح وهي ترفع وجهها للسماء بحمد صامت قبل أن تتمتم بحنان :

_مبروك يا بنت قلبي ..ألف مبروك .

=========

_يعني ترقصي في حنة اخواتي الاتنين وأنا لا؟!

يقولها إسلام بسخط وهو يغلق عليهما باب الغرفة التي يبيتان فيها في بيت ثمر في الليلة السابقة لزفاف ياقوت ..

"ليلة الحنة" التي لم تقل حميمية ودفئاً عن تلك الخاصة بلجين وإن زادها شعور ثمر بالسكينة والاطمئنان فرحة فوق فرحة ..





فتضحك نشوى وهي تكمم فمه بكفها هامسة بخجل:

_هتفضحنا ! قلتلك ماعرفتش ..جربت وماعرفتش .

_ماليش فيه ! تعرفي!

يقولها بعناد فتضحك من جديد بخجل وهي تشير لريما النائمة على الفراش هامسة :

_وطي صوتك ..البنت هتصحى!

_يعني المرتين اللي أشوفك فيهم بترقصي يكونوا فيديو ع الموبايل ..ده أنا لو شاقطك من شارع جامعة الدول مش هابقى كده ..مرااتي يا ناس وعايزها ترقص لي!!





يهمس بها بغيظ وهو يقرص أذنها لتعجز عن كتم ضحكاتها وهي تتملص منه لتسأله بنبرة اتهام:

_أنا بقا عايزة أعرف مين اللي صورني فيديو في المرتين وبعتهملك !

_ارقصيلي وأنا أقوللك .

يقولها بعناد فتهتف به بنبرتها الشوكية :

_وريهملي الأول .

_ارقصيلي وأنا أوريهملك .

يقولها بنفس العناد مكتفاً ساعديه لتزداد نبرتها هجوماً :

_انت إزاي أصلاً سايبهم على موبايلك ؟!

_ارقصيلي وأنا أمسحهم .

يهتف بها بنفس الطريقة ليعلو صوتها رغماً عنها :

_ارقصيلي ارقصيلي انت عليك عفريت ..قلتلك ما برقصش قدام رجالة ..بتكسف!





تهتف بها ثم تندفع نحو الفراش جوار ريما فترفع عليها غطاءها ليزفر هو بسخط وهو يتحرك ليشاركهما الفراش متمتماً :

_كل حاجة بتكسف بتكسف ..وهي عاملالي صافيناز قدام الناس !

_بتقول حاجة ؟!

تقولها بنبرتها الشوكية ليلكزها في كتفها هاتفاُ بتهكم ماكر:

_بقول ما شفتش في أخلاقك ! نامي نامي!

يقولها ثم يبسط راحته مفرودة في وجهها لتضحك وهي تخفي وجهها في الوسادة ثم يصله صوتها بعد قليل :

_سلمونتي!





_نعم .

يقولها ببعض الأمل أن تعدل عن رأيها لكنها تقول بدلال مستفز :

_اتغطى كويس ونام .

فيعود ليلكزها في كتفها ليعلو صوت ضحكتها من جديد ..

هذا الذي وصل ياقوت وهي تمر جوار الغرفة لتسمع بعضاً من حديثهما مصادفة فتكتم ضحكتها وهي تبحث عن ثمر ليخبرها حدسها أنها ستكون هناك فوق السطح ..

تصعد إليها فتجدها متربعة على الأرض في جلستها المفضلة ..





تتقدم نحوها لتجلس واضعة رأسها في حجرها منتظرة رقيتها الأثيرة التي ما كادت تنتهي منها حتى رفعت إليها ياقوت عينيها لتقول برضا:

_كانت ليلة حلوة قوي يا ستي ..أهل البلد كانوا مبسوطين قوي .

_الحمد لله يا بنت قلبي ..ربك كريم ..

يتهدج صوتها في عبارتها واشياً قرب بكائها فتعتدل ياقوت في جلستها لتضمها لصدرها هاتفة بجزع:

_بتعيطي يا ستي؟!

والجواب يأتيها عملياً في دموع ثمر التي أغرقت كتفها وهي تهتف بحرارة :




_لو قلت مش فرحانة أبقى بجحد نعم ربنا اللي مغرقانا ..بس غصب عني فراقك عازز عليا ..أختك اتجوزت بس ما سابتنيش ..لكن انتِ ..

تقطع عبارتها دون تكملة فتتلقف ياقوت كفها لتقبله هاتفة بانفعال:

_عمري ما أستغنى عنك يا ستي ..أنا متفقة مع زين هنزورك هنا كل جمعة زي ما كنت بعمل ..اعتبريني زي ما أنا ..بشتغل وبجيلك آخر الأسبوع ..أرمي همي على كتفك وأشاركك فرحتي ..هو أنا أقدر أعيش من غيرك ؟!

تمسح ثمر دموعها وهي ترفع كفيها بأدعيتها المعهودة لها فتبتسم ياقوت وهي تعاود الاستكانة في حجرها ..

تكتفي بسماع صوتها العجوز المتهدج الذي يحمل لها سكينة الدنيا كلها ..

ورغماً عنها ينتابها خاطر يجعلها تقول لها بخجل:




_عارفة نفسي في إيه يا ستي؟!

ترمقها المرأة بنظرة حانية وهي تمسد فوق رأسها منتظرة جوابها لترد ياقوت :

_نفسي زين يقعد نفس القعدة دي كده ..ترقيه بإيدك الطيبة وتدعيله ..هو ماطلبهاش ..بس بشوفها في عينيه كل ما بكلمه عنك ..وكل ما بيشوفك ..ده بيحبك قوي يا ستي والله .

فتتقلب ملامح ثمر الباكية لضحكة حانية تليق بردّها:

_ربنا يحبه ويحبب فيه خلقه !

تتنهد ياقوت بارتياح وهي تتناول كف جدتها لتقبله ثم تضعه على صدرها مراقبة القمر الذي بدا لها وكأنه يحمل صورة زين ..

فتقول بهيام :





_بفرح قوي لما تدعيله يا ستي ..شفتي الفستان اللي جابهولي؟! إسلام ماصدقش لما شافه ..بيقوللي أغلى فستان اتعمل في البلد .

_الغالي للغالي يا بنت قلبي .

تقولها باعتزاز فتغمض ياقوت عينيها هامسة بنفس النبرة الهائمة :

_فاكرة لما قلتيلي إن عقلي لازم يصالح قلبي وأنا بتكلم عليه ..حاساها قوي دلوقت ..ماعدتش بحبه عشان هو صورة من كل حاجة اتمنيتها في الراجل اللي عايزاه وبس ..لأ..بقيت فخورة بيه وراضية عن كل خطوة بيعملها..

ثم تتنهد بحرارة مردفة :

_قلبي وعقلي اتصالحوا يا ستي .





فتهز ثمر رأسها برضا وهي ترفع عينيها للسماء من جديد نحو القمر ..

لكنها كانت ترى فيه صورة ابنتها الراحلة ..

لقد أراد القدر أن تُحرَم رؤية ابنتها عروساً تزفها كالأخريات لكنه عوضها خير عوض في حفيدتيها ..

ترمق "صورة أشواق" علي وجه القمر بنظرة طويلة راضية وهي ترى ملامحها التي تشبه ملامح ياقوت تبتسم بارتياح ..

فتتنهد بعمق!

الآن فقط تشعر أنها أدت رسالتها مع حفيدتيها على أكمل وجه وسلمتهما لمن تستأمنه عليهما بعدها ..

فالحمد لله الذي لا تضيع ودائعه ولا يكشَف ستره ولا يخيب سائله ..

تدمع عيناها من جديد لكنها تغلقهما على دموعها تتمتم بمزيج من رضا وشجن :

_ربنا يرحمك يا أشواق!




=========

"قصر الفايد"

تطالع ياقوت اليافتة الذهبية الفخمة بعينين دامعتين وهي تميز كفه الممدود نحوها والذي تشبثت به لتترجل من سيارة العرس ..

ترفع عينيها للسماء فتجد "القمر الحبيب" ظاهراً مستديراً كاملاً وحوله غيومه تبدو كعرائس تزفها إليه ..

تعود بعينيها إليه لتميز سراجا الذهب يتوهجان بنظرة خاصة هذه الليلة ..

منذ سلمها له إسلام على باب مركز التجميل الشهير الذي تولى زينتها الاستثنائية شديدة البساطة لتبدو بأجمل صورة رأت فيها نفسها يوماً ..

ثوبها الأبيض تتخلله خيوط كريستالية بلمعة ذهبية تشبه وميض عينيه هو ..

كذلك طرحة العرس التي مزجت اللونين الأبيض بنقائه والذهبي بفخامته ..

كل ما فيها كان يشع تألقاً يبزغ من داخلها أولاً ..

لم تسمع يوماً عن عرس يشترط فيه العريس زياً موحداً للحضور لكنه فعلها لأجلها !

كتبها في دعوة العرس أن يحضر النساء كلهن يرتدين اللون الذهبي الذي يليق بفخامة العروس!

هل يمكن أن تعشقه أكثر من هذا ؟!

تراه يرفع كفها ليقبل باطنه بهذه الحركة التي تعشقها فلا تسمع صوت الزغاريد التي انطلقت عالية من حولها ..

بل صوت خفقات قلبها المجنون به فحسب !





تخطو معه لداخل البيت الذي تزينت حديقته استعداداً لحفل الزفاف فبدت شديدة الفخامة حقاً ك"بستان ملكيّ" مما يحكون عنه في الأساطير ..

تدمع عيناها وهي تتذكر كل لحظة قضتها هنا من قبل كمجرد عابرة سبيل ..

قبل أن تصبح الآن سيدة هذا البيت!

تتأبط ذراعه بمزيج من فرح وفخر وهي تخطو وسط الجموع ..

لتكون همسة أول من تقابلها لتعانقها بقوة هاتفة :

_مبروك يا أجمل عروسة ..يا بخت زين بيكِ!

تقولها ثم تعانق زين الذي يأبى أن يترك ياقوت بل يبسط ذراعه الآخر حول همسة فيضمهما معاً ثم يتنهد بحرارة ..

أخيراً أضاء بيت الفايد ب"شمسيه" معاً !!





يقبل جبين همسة بعمق فتتنحى لتفسح الطريق لرائد الذي عانق زين بحرارة صامتاً كعهده لكن عينيه كانتا تفيضان بعمق ارتياحه أن وجد زين راحته المنشودة أخيراً ..

قبل أن يرمق ياقوت بنظرة طويلة راضية ليقول أخيراٌ وهو ينقل بصره بينهما :

_من أول يوم شفتك وأنا حسيت إن هيبقى لك دور كبير في البيت ده ..ماكننتش أعرف إنك هتبنيه من تاني .

يقولها بامتنان راضٍ ثم يعود ليعانق زين مربتاً على ظهره بمؤازرة اعتادها كل منهما في صاحبه .

يتقدم بها زين ليجلس معها على منصة العرس الفخمة لتبدأ موسيقا هادئة كلاسيكية في العزف تدعو العروسين لرقصة أولى ..

تتعلق بذراعيها في عنقه ليحيط خصرها بذراعيه وعيناها تجولان في الوجوه حولها رغماٌ عنها ..





العناق التاسع عشر !

بنكهة الإشهار ..الإعلان ..الهتاف الصارخ دون شك أنه لها وهي له ..

فليشهد العالم أنها تحبه ..

فليشهد العالم أنه يحبها ..

دون مزيد من مواراة وخزي وتخفّ خلف جدران الظلام !

تتفقد نظرة ثمر الراضية ..نظرة لجين الدامعة بفرحتها ..نظرة إسلام الداعمة المرحة ..نظرة هيثم السعيدة ..نظرة سامر الودود ..نظرة رابحة الهائمة بطفولية ..نظرات بعض أهل القرية الذين أصروا على الحضور رغم بعد المسافة والتي يملؤها الاعتزاز ..





وأخيراً نظرة ياسمين المشعة بالسعادة والتي تراقبها جوار يامن الذي فضحت نظراته ضيقاً لم يستطع كبحه كأنه قد حضر رغماً عنه !

تضحك للخاطر الأخير فيغازل ضحكتها بعينيه هامساً :

_كنت فاكر إن مفيش في الدنيا أجمل من عينيكِ ..لحد ما شفت ضحكتك دي النهارده .

فتخفي وجهها في صدره بخجل لتصلها ضحكته المكتومة وهويشدد ضغط ذراعيه حولها مردفاً :

_وعد مني تفضل منورة شفايفك العمر كله !

قلبها العاشق يتلقى وعده كنبوءة فترفع قمريها الحُرّين نحوه هامسة بامتنان:

_عمرك ما خلفت وعد ادتهولي .

_ولا هتحصل!




يهمس بها بحسم وهو يقبل وجنتها برقة لتتنهد بهيام وهي تشعر بأنها تكاد تذوب بين ذراعيه ..

_لا لا لا ..خف علينا كده يا حليوة احنا لسة في أول الليلة ..ماحناش أدك !

"العفريتة العابثة" كانت تعيش أزهى عصور حريتها الآن وهي تعربد بداخلها لكنها لم تعد تتجاهلها بل صارت تسايرها باستسلام لذيذ ..

تسمع الموسيقا تنتهي فتتوقف معه لتهم بالعودة لكرسيها لكنها تشعر به يتشبث بكفها ليوقفها مكانها ..

تراه يمسك بالميكروفون فتتأهب حواسها استعداداً لما سيقوله ..





الصمت يسود الحضور وهم ينتظرون كلماته التي جاءت أخيراً رزينة لكنها دافئة بل ..مشتعلة ..

_طول العمر ده كنت محتاج واحدة زيها ..مش عشان أحب ولا عشان أتجوز ..

ثم يصمت لحظة ليردف بنبرة أكثر حرارة وسراجا الذهب في عينيه يقسمان لها ألا ظلمة بعد الآن أبداً :

_عشان أعيش!

تغمض عينيها بتأثر وهي تشعر به يقصد هذه الكلمات بالذات كي يمحو عن ذهنها تماماً مرارة جملة شبيهة قرنها فيها يوماً مع ياسمين ..

كفها الحر يبحث عن كفه ليعانقه بينما يصفق الحضور بصخب تميز هي فيه صوت صفير إسلام العالي ..





ثم تراه يشير لأحدهم إشارة خاصة فيتقدم نحوهما يحمل ما خطف بصرها ..

تاجٌ فخم من الذهب المرصع بماسة رقيقة وقد حفرت على قاعدته تلك العبارة التي نطقها جهراً أمام الحضور :

_قولي لهم بكل كبرياء ..يحبني كثيراٌ !

تدمع عيناها بفرحة طاغية ونظراتها تتعلق بين الكلمات المكتوبة على التاج وبين شفتيه الناطقتين بها بهذه الحرارة ..

تهم بإحناء رأسها كي يلبسها إياه لكنه يثبت ذقنها ليرفعها بإباء ونظرته تحكي لها أن رأساً كهذا لا ينحني ولا كي يلبس تاجاً !





يضعه أخيراً على رأسها ثم يقبل جبينها بعمق
فيعود الحضور يصفقون مع صفير إسلام العالي
كعهده ..

وأخيراً يقدم لها خاتمه الذي بدا لها عادياً قبل أن
يرفعه أمامها لتتسع عيناها وهي تميز غرابته ..

يبدو كأنه يتكون من حلقة واحدة لكنها تكتشف أنه
يتكون من عدة حلقات متراصة متشابكة عند
مركزين في منتصف الخاتم

هذه التي فردها هو تباعاً لتشكل ما يشبه الكرة
الأرضية بخارطتها ..

تشهق بانبهار وهي ترى الخاتم البسيط يتحول
لنموذج مصغر للعالم ..

لقد قرأت يوماً عن خاتم ألماني قديم يشكل خريطة
فلكية بهذه الفكرة التي يبدو أنه اقتبسها عنها ..

لكن هذا يبدو لها أكثر جمالاً وأناقة ..

هذا الذي قربه من عينيها ليقول لها فخوراً عبر
الميكروفون :





_انتِ الدنيا كلها !

هذه المرة لم تستطع منع دموع فرحتها التي أخفتها في كتفه ليعيد هو طي حلقات الخاتم ليعيده كما كان ثم يلبسها إياه مع تصفيق الحضور الذي كان له صدى عذباً في أذنيها ..

لم تتخيل يوماً أن يكون زفافها بهذه الفخامة ..

أن يعلن حبه لها أمام الجميع بهذه الصورة ..

لكن لم العجب ..؟!

هو رجل سبقت أفعاله كلماته منذ غزل الحب أول خيوطه بينهما !

تشعر به يربت برفق على ظهرها فترفع إليه عينيها الدامعتين لينحني برأسه فيقبلهما تباعاً شاعراً أنه يتلقى بنظراتها هذه آخر صكوك غفرانه ..




يبعد الميكروفون منهياً عهد الجهر ليهمس جوار أذنها بنبرته الرخيمة :

_لسه أجمل كلام ماتقالش ..عاينه لحد ما نبقى لوحدنا .

يتحرك معها متعانقي الكفين ليعود بها لكرسييهما ..

فقرات الحفل لم تقل فخامة عن زفاف همسة وإن كانت أكثر تحفظاً بطبيعة الحال ..

الحفل الذي انتهى أخيراً لتقف ثمر في مواجهتهما دامعة العينين بسعادة ..

تعانق ياقوت بحرارة فتتشبث الأخيرة بها وهي تشعر أنها حققت لكلتيهما حلم حياتها ..

_راضية عني يا ستي؟!

تهمس لها بها بصوت متهدج بانفعاله لتحتضن ثمر وجهها ..





ترى في سعادتها حصاد عمرها ..

فتهمس لها بضحكة عبر أسنانها المكسورة وتجاعيد وجهها تحكي حكايات من فرح :

_ربنا يرضى عنك العمر كله يا بنت قلبي .

تقولها لتتوجه نحو زين ببصرها فينحني الأخير ليقبل كفها باحترام لكنها تبعد كفها بسرعة لتبادره بعناقها الأمومي الذي افتقد مثله طويلاً ..

قبل أن تهمس له بحرارة :

_غلاوتك بقت من غلاوتها ..أنا مش هوصيك عليها لأني لو ماكنتش متأكدة إنك هتخلليها في عينيك ماكنتش وافقت أجوزهالك ..بنتي عزيزة وانت تستاهل !

يرفع إليها عينيه بتقدير ثم يقبل رأسها ..

ستبقى هذه المرأة تبهره بكلماتها بسيطة الظاهر عميقة الباطن ..





ليدرك في كل يوم يمر أن امرأة كهذه هي من ربت "أسطورة" كياقوت !

_مبروك يا توتة !

تهتف بها لجين وهي تأخذ دورها في عناقها لتهمس في أذنها بحرارة :

_فاكرة كلامك ليّ ليلة فرحي؟! افرحي يا غالية ..افرحي أد ما تقدري ..احنا شفنا كتير بس عوض ربنا أكبر .

تدمع عينا ياقوت وهي تشدد من عناقها لها شاعرة بعظم هذا المعنى ..

الآن فقط تشعر أن لحظة فرح كهذه طمست حزن العمر كله !

تسمع عابد يشكر زين بامتنان على مافعله لأجله ثم يبارك له و لها بدعاء متحفظ لكنه حمل لها صدق شعوره الطيب ..فتبتسم له بمودة حقيقية شاعرة أنه أخوها الثالث ..





بل الرابع محصية رائد الذي تقدم لتوه ليباركها مع همسة ..

_يوم فرحي قلتلك عقبالك باللي يستاهلك ..ماكنتش أعرف إنها هتتحقق بسرعة كده .

تقولها نشوى وهي تمنحها عناقها الأخوي الممتن فتربت على ظهرها قائلة بمرح:

_اللي تتجوز إسلام أكيد دعوتها مستجابة ..ليكِ الجنة يا بنتي !

تضحك نشوى بمرح وهي تحمل ريما لترفعها نحو ياقوت فتهتف لها الأولى بفخر طفولي وهي تغمزها بحركة إسلام التي تقلدها عنه :

_مبروك يا عسل ..أجمل عروسة "كيرفي" شفتها!

تتسع عينا ياقوت بصدمة وهي تنظر لإسلام نظرة اتهام يضحك لها عالياً مشيراً لصدره بفخر ..





فيما يحمر وجه نشوى بحرج وهي تعيد ريما أرضاً ..

_مبروك يا "أبو التوت"! تاج وخاتم وحركات جامدة ..الواحد كده هيحس إنه راحت عليه !

يقولها إسلام وهو يتقدم ليعانقها بدوره فتحتضنه بكل قوتها ليلتفت هو نحو زين مردفاً بمشاكسته المعهودة :

_أنا عالجتلك ذوقها بس انت لو حسيت إنها انتكست في أي لحظة وشفت في الدولاب حاجة برتقاني هنا ..حاجة بطيخي هناك ..كلمني بس وأنا هاجي أظبطلها التردد على القناة الصح !

يضحك زين ضحكة صافية وهو يراها تلكز أخاها في كتفه ليضمها إليه قائلاً باعتزاز :





_تلبس اللي هي عايزاه ..وأنا هاخليهولها موضة !

_يااا سيدي!

يهتف بها إسلام بمرح لتهم ياقوت برد خطفه هو من طرف لسانها وهو يبسط راحتيه في وجهها هاتفاً:

_والله ما انتِ قايلاها ..عارفها ..

ثم يرفع أنفه مقلداً حركتها وأسلوبها :

_إيش فهمك انت ؟!

تشاركه الضحك بمرح وهي ترى هيثم يتقدم مع آخر امرأة توقعت حضورها الليلة ..

أجل ..جيلان!

لم تحضر الحفل من بدايته لكنها جاءت لتوها كما يبدو !





ملامحها الجامدة تفضح ألماً حاولت إخفاءه وهي تتقدم منها لتصافحها قائلة بصوت مرتجف:

_مبروك!

الوجوم يسود بينهم للحظات مع ظهورها بطبيعة الحال لكن جيلان تبتسم وأحد كفيها يتشبث بكف إسلام بينما الآخر يتشبث بكف هيثم كأنها تعلن ابنيها خيارها الأوحد ..والأبقى!

تنظر جيلان لثمر نظرة طويلة تقبلتها الأخيرة بسماحة تليق بها ثم تهز لها وللجين رأسها بنفس الابتسامة المرتجفة قبل أن تتراجع مع إسلام الذي آثر الابتعاد بها مكتفياً بهذه التضحية التي رآها عظيمة منها ..

فيما بقي هيثم ليعانق ياقوت بدوره ثم يقبل وجنتها قائلاً بعاطفيته المعهودة :

_أجمل أخت وأشطر دكتورة وأشيك عروسة ..يابختي بيكِ .





فتربت على وجنته بحنان لينسحب هو مدركاً أمه وأخاه ..

فيما تتحفز ملامحها وهي ترى ياسمين تتقدم مع يامن ويمنى التي تلقفتها همسة كالعادة لتلاعبها ..

_مبروك يا ياقوت !

تهتف بها ياسمين وهي تعانقها بحرارة لتهمس لها بصدق:

_مش محتاجة أقوللك فرحانة أد إيه ! بجد ..هاطير م الفرح عشانك !

تبتسم لها ياقوت شاعرة بصدق إحساسها لتبتسم وهي تميز الغيظ الذي كسا ملامح يامن وهو يستجيب لكف زين الذي بادره بمصافحته فتقبلها على مضض ..

منذ موقف مروءته الأخير مع عابد في محنته وهو يشعر أنه مدين له ..





لكنه لا يستطيع نسيان الرواسب القديمة !

ربما ..بعد حين !

_خلاص ..بقينا عيلة .

يقولها يامن من بين أسنانه لتكتم ياسمين ضحكتها وكذلك ياقوت مدركتين مشاعره الحقيقية فيما يبتسم زين بتثاقل ليرد :

_أكيد ..شيئ يشرفني!

يهز له يامن رأسه بابتسامة صفراء ثم يبارك لياقوت قائلاً بفظاظته المعهودة التي خالطها الكثير من الود :

_مبروك يا "شقراط" ..ربنا يسعدك .

يقولها ليسحب ياسمين من كفها بتملك غيور مبتعداً بها ليقترب مروان وهو يحدج يامن بنظرة متسلية ردها له الأخير بلكمة في كتفه جعلته




يضحك وهو يقترب من ياقوت قائلاً بتحفظه الودود :

_مبروك يا دكتورة ..تستاهلي كل خير .

_البركة فيك ..انت اللي فتحت الباب ده !

تقولها متذكرة أنه لولا ترشيح مروان لها لدى يامن لما كانت لها قصة مع زين من الأساس ..

فيضحك مروان وهو يمازحها بقوله ممسداً كتفه من أثر لكمة يامن :

_حاولي تنسي الحكاية دي وما تقوليهاش كتير قدام يامن ..العمر مش بعزقة !

يشاركهما زين الضحك بسماحة لتنقلب ملامحه لبرود منطقي وهو يرى سامر يتقدم منهما فيشيح بوجهه وهو يسمعه يحدث ياقوت:

_مبروك يا "شجرة الدر" .





تبتسم له ياقوت بمودة وهي تشعر بتحفز زين الغيور جوارها فيبتسم سامر وهو يمد يده لزين مصافحاً مع قوله :

_مبروك ..شفت الخطف بيجيب م الآخر إزاي؟!

فيبتسم له زين رغماً عنه لينسحب سامر مع مروان وهما ينخرطان في حديث ودود افتقدته صداقتهما لانشغال كل منهما بحاله ..

ينصرف الجميع فتلوح لهن بسعادة ثم تتأمل أضواء الحديقة التي بدت لها متلألئة كالفرحة التي يهيم في واديها قلبها في هذه اللحظة ..

تراه يتحرك ليقف قبالتها كأنه يغار على عينيها أن ترى سواه بعد هذه اللحظة ..

_ياللا بينا .

يقولها بنبرته الرخيمة وعيناه تتثاقلان على ملامحها بعاطفة هادرة اكتسحتها ..





لكنه هذا الاكتساح الآمن الذي يكسب الخدين حمرة ..

ويغزل فوق الشفاه بسمة ..

تتأبط ذراعه لتتحرك معه نحو الداخل شاعرةً أن هاهنا فقط ..

بدأ العمر !

=========

يقف بها في غرفتهما التي أعدها بذوقهما المشترك ليغلق بابها خلفهما ..

عيناه تطوفان فوق ملامحها بتبتل عاشق فتغمض عينيها بخجل ..

تشعر به يحتضن كفيها بكفيه ثم يلصق جبينه بجبينها ..أنفاسه بأنفاسها ..شفتيه بشفتيها ..

لم يكن يقبلها بل بقي فقط على هذا الحال لدقيقة كاملة كأنه فقط يأنس بانصهاره هذا فيها ..





_عارفة يعني إيه تعيشي عمرك كله حاسة إن ناقصك حاجة ..وأخيراً تكمل؟!

يهمس بها دون أن يغير وضعهما هذا فيشعر بكفيها يتشبثان به أكثر مع همسها الذي يشاركه اشتعاله :

_عارفة .

يبتعد بوجهه أخيراً ليهم بنزع تاجها لكنها تتشبث به هامسة بلهفة راجية :

_سيبني لابساه شوية ..دي أجمل هدية جتلي في حياتي .

فيبتسم وهو يطبع على شفتيها قبلة ناعمة ليهمس لها بأروع ما يكون العشق :

_أجمل هدية جتلك تاج قلبي إداهولك من زمان ..تاج بيتلبس في العمر مرة واحدة بس وما بيتقلعش بعدها أبداً !




تدمع عيناها بمزيج من فرحة بهذه الكلمات ورهبة خفية تجتاحها بينما يداعب ملامحها بأنامله في افتتان ..

لكن جسدها يرتجف فجأة وهي تلعن ظنونها التي ذكرتها في هذه اللحظة بالذات بأسوأ ليلة قضتها معه ..

تلك التي لم تذق في حياتها ذلاً كالذي عرفته فيها ..

سيارته معتمة النوافذ ..فيديو لجين ..ابتزازه القاسي ..عقد الزواج القسري ..شقته الأنيقة وتلك المرأة تجهزها له ..

ثم تنتقل خواطرها عاصفة نحو تلك الليلة التي تقاربا فيها حميمياً لتنتهي بطعنتها له فتتلون في عينيها بلون الدم !

قلبها يستحلفها أن تفتح عينيها ..





أن تبصر هذا العشق الكفيل بمحو الماضي بينهما ..

لكنها تجد نفسها رغماً عنها تغمضهما أكثر وهي تشعر بجسدها ينتفض ..

_ممكن تسيبني خمس دقايق؟! خمس دقايق بس أغير هدومي !

ارتجافة صوتها تفضح له خوفاً يتفهمه وهو يقرأ خبيئتها بخبرته العتيدة بها ..

فينحني ليقبل عينيها المغمضتين برقّة ثم يداعبهما بأنامله ليجبرها على فتحهما هامساً أمام قمريه :

_ولا ثانية الليلة دي هاسيبك فيها لوحدك ..أنا عارف فيه إيه هنا .

يقول عبارته الأخيرة وهو يشير بسبابته نحو جانب رأسها فتهتز حدقتاها بنظرة اعتذار وجلة تتلقفها




ابتسامته المتفهمة وأنامله تعاود عزفها على وجنتيها :

_ما تفكريش كتير ..افتكري بس إنه لولا البداية القاسية دي ماكناش وصلنا هنا !

_زين ..أنا بحبك !

تهتف بها فجأة وهي تضم رأسه لصدرها بقوة حانية فتتسع عيناه قليلاٌ مع اعترافها الذي يسمعه بهذا الوضوح لأول مرة ..

تضطرب خفقاته وهو يسمع هدير قلبها تحت أذنه يكاد يزلزله ..

هاهنا فردوسه المفقود الذي ضل عنه طيلة هذه السنوات ..

تعويذته الأبدية نحو الخلود في عشق ساحرة كهذه ..

وجحيم الهوى الذي لا يريد أن يعفَى من لهيب احتراقه أبداً ..

أبداً !





بينما تأخذ هي نفساً عميقاً كأنما تمزق باعترافها هكذا كل هذا الخوف الذي يحاول نسج شباكه حولها ..

ليرفع هو وجهه نحوها من جديد وعيناه تشتعلان كجمرتين من نار ..

فتردف هي بحرارة أكبر وعيناها تنافسان عينيه اشتعالاً :

_عارفة إن كلمة زي دي في حق راجل زيك قليلة بس ..

لكنه يقاطعها وهو يحتجز بقية حروفها بين شفتيه للحظات ساحباً معه أنفاسها ليهمس لها وقد ابتعد أخيراً :

_كلمة زي دي من واحدة زيك تساوي الكون بحاله .

_يا لهوووي على كلامه ياني ! أنا دخت خلاص!

تهتف بها العفريتة العابثة بداخلها فتضحك فجأة لتبسط راحتها في وجهه هامسة بخجل:

_أنا عندي اعتراف!




يرمقها بنظرة متسائلة فتكتم ضحكتها براحتها لتقول بخجل:

_أنا عندي عفريتة .

_عفريتة !

يرفع بها أحد حاجبيه بمكر مرح لتشيح بوجهها عنه هامسة بارتباك خجول :

_عفريتة كده بتطلع فجأة ..عكسي خالص ..

_عكسك إزاي؟!

يقولها بنبرة متسلية مستمتعاً بهذا الارتباك الخجول الذي يزيد فتنتها لتلوح بكفيها مجيبة :

_شقية ..جريئة ..و ..قليلة الأدب !

يضحك ضحكة عالية تسحق خفقاتها المتيمة به ثم يميل عليها ليهمس لها بنبرته المتثاقلة كمن يعلن سراً :

_أنا كمان عندي عفريت ..تيجي نعرفهم على بعض!





تنفجر فجأة في ضحكة عالية ترقص على إيقاعها روحه بينما عفريتتها العابثة تهلل منتشية بداخلها :

_تصدق بالله ؟! انت هتشوف مني أحلى شغل عشان البُقين الحلوين دول ..أموت أنا في التقيل لما يتجنن !

_مش عايزة تعرفي سر مثلث برمودا اللي عندك ؟!

يقولها بمكر وهو ينزع عنها تاجها لتطلق صيحة تذمر لكنه يميل عليها ليقبل موضع قلبها هامساً بتملك رجولي آسر :

_ما احنا قلنا تاجك الحقيقي هنا !

أنفاسها تتلاحق وهي تشعر به يزيح عنها طرحتها برفق ليسدل شعرها فوق كتفيها ثم تتخلله أنامله بهيام ..

قبل أن يتحرك نحو المرآة هناك ..

يفتح سحاب ثوبها ثم يزيحه عنها برفق ليدير جانب جسدها نحو المرآة ..





ويقف هو خلفها مشيرا لتلك الشامات الصغيرة متناهية الصغر التي تشكل مثلثاً صغيراً على جانب كتفها ..

فتتسع عيناها بصدمة هاتفة بدهشة خجول :

_هو ده المثلث ؟! أول مرة آخد بالي ..

_أنا بقا هاتجنن من يوم ما شفتهم ..

يهمس بها بتثاقل وعيناه تغيمان بنظرة زلزلتها لتشعر بحلقها يجف مع هذه الرجفة التي شملتها ..

_ليه مسميه مثلث برمودا ؟!

تلقي سؤالها بوهن وهي تشعر بعباءة عاطفته تسدَل فوقها ..

ثقيلة آمنة دافئة ..

تنظر إلى صورتهما عبر المرآة وقد ألصق ظهرها بصدره ..

ليبسط أحد راحتيه فوق موضع قلبها بينما تسبق أنامله شفتيه اللتين مالتا فوق "مثلثها الخطير" مجيباً بهمسه الشغوف:





_عشان اللي بيدخل جواه ..مفقود !

تتأوه بخفوت وهي تستقبل عناقه العشرين !

بنكهة الانصهار ..الذوبان الحلو الذي ما عاد يفرق بين جسد وآخر أو روح وأخرى ..

الامتزاج الأبدي لاثنين في العشق صارا واحداً ..

العناق الحادي والعشرون ..

ثم ..

الثاني والعشرون ..

ثم ..

الثالث والعشرون ..

ثم ..

ال ...؟؟؟

عداد "عناقاتها" يطيش مؤشره فيعجز أخيراً عن الإحصاء !!

النكهات تتداخل وتمتزج ..





تعاطف..احتياج...عجز...شكر....خوف...تقدير ...د
عم..حماية ..استراحة ..فراق ..اشتياق ..رغبة ..خ
لاص ..حرمان..تعرية..وعد..غيرة..انتماء..اشهار..
انصهار

لتصنع الآن نكهة واحدة مجمعة ..

نكهة الحب الحقيقي الذي قلما نقابله في رحلة العمر الطويلة ..

فحقّ لنا متى وجدناه ألا نضيعه !

=======

الخاتمة

======

سينابون !

هكذا نحن ..مزيج من مذاق القرفة اللاذع ..و"الصوص الحلو" ..والعجين المتخمر بماء الماضي !

======

يفتح زين عينيه صبيحة ليلة زفافهما ليتفقدها جواره لكنها لم تكن هناك ..

يدور بعينيه باحثاً عنها ليجدها واقفة أمام النافذة العريضة التي احتلت جداراً بأكمله في غرفة نومهما والتي تطل على الحديقة ..

تتسع عيناه بانبهار وهو يراها في وقفتها هذه تمثالاً مجسداً لفتنة امرأة كما يجب أن تكون ..

تبدو له في وقفتها الجانبية وقد عقدت ساعديها وزمّت شفتيها بشرود كشمس أكثر إشراقاً من هذه التي تنير الكون كله الآن ..





شعرها ينسدل فوضوياً ثائراً بطوله على ظهرها فتضطرب حواسه وهو يتذكر رائحته الفريدة التي غرق في سحرها بالأمس ..

لم تكن مجرد رائحة عطرية تجتذب رجلاً مثله جرب من فتنة النساء قبلها ما يكفيه وزيادة ..

لكنها كانت رائحة خاصة بها وحدها ..مزيجٌ فريد من الأصالة والتجدد ..

من البساطة والعمق ..

مزيج يبدو وكأنه لا تتقنه -في الدنيا- امرأة سواها!

ينفض عنه غطاءه بخفة وهو يتحرك نحوها بحذر كي لا يقطع شرودها المهيب الذي يزيدها سحراً هذا ..

يقف على بعد خطوة واحدة منها يختزلها بسرعة ليلصق ظهرها بصدره أخيراً مطوقاً إياها بذراعيه ليهمس جوار أذنها بنبرته الدافئة :

_لازم أتعلم أرسم !..خسارة جمالك ده ما يتخلدش في لوحة للأبد .





تبتسم وهي تستدير له بوجهها الصبوحِ الخالي تماماً من مساحيق زينته ..

وبقمريها اللذين ازداد تألقهما في عهد حريته الجديد لتهمس بحروف من عشق:

_صباح الخير ..المنظر من هنا جميل قوي!

_جميل؟!

يهمس بها ليصدر "همهمته الماكرة " التي تعشقها منذرة بعاصفة ستأتي بعدها ..

وقد صدق ظنها وهي تشعر بأنامله تجيد عزفها على بشرتها متناغمة مع كلماته :

_الكلمة ديماينفعش تتوصف بيها أي حاجة غيرك وانتِ موجودة ..كل الجمال جنبك بهتان يا ياقوت ..

يهمس بها بصدق دافئ يزلزلها وشفتاه تميلان على عنقها ..





فيرتجف جسدها وهي تشعر بضغط ذراعيه حولها يشتد بهذه الطريقة الناعمة التي لا تدري كيف يجيد مزج رقتها مع قوتها بهذا الشكل ..

كيف تخبره أنها تعشق عناقه لها بهذه الطريقة عندما يسند ظهرها إلى صدره ..

ظهرها الذي ظنت يوماً أنه لن يجد سنداً يدعمه سوى "حائط" تصنعه هي بنفسها ..

والآن تجد صدره أكثر قوة ..أكثر أماناً ..أكثر دفئاً ..

فهل أجمل من هذا بديلاً؟!

تغمض عينيها بتنهيدة عميقة فيدير جسدها نحوه ليزيح عنها طرف مئزرها فيغمر "مثلثه الأثير" على كتفها بفيض عطاياه ..

بينما يهم بإلقاء المئزر جانباً بخفة لكنها تتشبث بالأخير هاتفة بمزيج من خجل وقلق :

_سيبه معلش ..لسه مش متعودة .




فيعقد حاجبيه قليلاً وهو يميز الطيف القلق الذي يتلاعب بكلماتها لكنه تغاضى عنه مؤقتاً وهو يعيد ضم مئزرها فوقها برقة ليبتسم لها بتفهم قائلاً:

_أخلليهم يحضروا لنا الفطار في الجنينة واللا هنا ؟!

فيزداد الطيف القلق تكاثفاً في عينيها وهي تغمغم :

_مش متعودة حد يحضر لي الفطار ..عموماً يعني مش متعودة أفطر ..

يتفرس ملامحها بذكاء لا ينقصه وهو يلاحظ ارتباكها الغريب ليصدر همهمته المميزة من جديد قائلاً :

_مممم ..تلاتة "مش متعودة" في أقل من دقيقة !





تتكلف ابتسامة واهنة وهي ترفع عينيها نحوه بنظرة عميقة أصابت سهمها في قلبه ..

كان يدرك -مثلها- أن أول ما سيواجه زواجهما من عقبات هو هذا الفارق الطبقي الشاسع بينهما ..

لم يكن بهذه السذاجة كي لا يدرك ما يسببه لها هذا من ارتباك ..

خاصة مع يومها الأول هنا !

بينما كانت هي تشعر -رغم العاطفة الهادرة التي أغرقها فيها منذ الأمس- أنها غريبة وسط كل هذه الفخامة الباذخة التي وجدت نفسها فيها ..

هو كان حلمها ..لكنه عندما استحال لواقع تكاد تشعر أنه يخيفها !

لقد كذبت زاعمة أنها لم تعتد تناول الإفطار ..والحقيقة أنها اعتادت هذا إنما بحميمية "خبز" ثمر الذي تعجنه اليد ..أو بساطة إفطارها في أيام عملها طوال الأسبوع في العاصمة ..





Cinnabon

أما ما ينتظرها هنا وما رأت جانباً منه في عشاء الأمس يشعرها رغماً عنها ببعض الرهبة التي تعجبتها في نفسها !

لا ..لم تكن قلة ثقة في نفسها أو فيه ..

بل هو مجرد شعور بال ..غرابة!!

هذا الذي وصله كاملاً في نظرة عينيها التي لم يحتج سواها ..

لهذا ابتسم وهو يتناول كفها قائلاً :

_تعالي معايا ..عايزك قبل أي حاجة تشوفي مكان مهم جداً عندي.

تتحرك جواره شاعرة بالأمان يتسرب إليها رويداً رويداٌ مع دفء كفه المحتضن لكفها ليخرج بها من الغرفة إلى أخرى في آخر الرواق الطويل ..

هذه التي فتحها ليدخل بها ثم يغلقها خلفهما ..





تتسع عيناها بانبهار وهي تميز محتويات الغرفة شديدة الفخامة ..شديدة الكلاسيكية ..شديدة الاتساع ..

كأنها انتقلت لغرفة من غرف القصور القديمة ..

سجادة حمراء فاخرة ..

نجفة عملاقة تتدلى من السقف بكريستالات شديدة اللمعان ..

الأثاث نفسه كان يبدو لها وكأن كل قطعة فيه هي تحفة فنية هربت من متحف قديم ..

رباه !

هل ينقصها المزيد من رهبة الغرابة ؟!!

لكنه يضغط كفها أكثر في راحته ليتحرك بها نحو ذاك الكرسي هناك ..

كرسي بدا لها فخماً كبقية أثاث الغرفة لكنها ولسبب ما لم تفهمه كانت تشعر بهالة حميمية تطوف حوله ..





حتى قبل أن يجلسها برفق فوقه ليميل نحوها بوجهه هامساً بنبرة ذات شجن :

_ده كرسي ماما الله يرحمها ..محدش قعد عليه بعدها أبداُ ..إلا أنتِ .

حاجباها يرتفعان بدهشة للحظة وهي تشعر بدقات قلبها تتسارع بانفعال ..

خاصة وهو يقبل رأسها باعتزاز قبل أن تفاجأ به يجلس على ركبتيه أمامها على الأرض!

تدمع عيناها بتأثر وهي تراه يسند مرفقيه على فخذيها وعيناه تغيمان بشروده :

_دي كانت قعدتي المعتادة معاها ..أحكيلها تفاصيل يومي وهي بتطبطب على راسي ..ياااه ! عارفة بقالي أد إيه مادخلتش الأوضة هنا عشان الحنين مايغلبنيش وأنا شايف كرسيها فاضي ؟! أنا نفسي مش عارف ..من زماان ..من زمان قوي .




لم تشعر بنفسها وهي تنحني نحوه لتضم رأسه بذراعيها نحو صدرها مفتقدة كلماتها التي تاهت في خضمّ هذا الشعور الذي يكتسحها الآن بضراوة ..

فتشعر بهمسه يهدهد مخاوفها كأنه يمسحها مسحاً :

_لو على إحساسي أنا ..فانتِ مش غريبة على البيت هنا يا ياقوت ..أنا حاسس روحها فيكِ انتِ ..فاكرة لما قلتلك إني ماحسيتش إن حد خاف عليّ بعدها غيرك ؟! ده مكانك هنا ..على كرسيها ..وفي قلبي ..

لم تملك خيط الدموع الذي سال على خدها في هذه اللحظة والذي مسحته أنامله برقة وهو يعاود رفع سراجيه نحوها مردفاً بمزيج غريب من وعد ورجاء:

_ده إحساسي وهاعمل كل حاجة ممكن تتخيليها عشان يبقى إحساسك انتِ كمان .





تغمض عينيها للحظة فيقبلهما بعمق هامساً :

_واحدة واحدة يا ياقوت ..كل مرة هتقولي فيها "مش متعودة" هتلاقيني جنبك بقوللك "هنتعود" ..هنتعود سوا.

تبتسم أخيراً وهي تفتح عينيها شاعرة براحة غريبة تغمرها ..

كل مخاوفها تذروها الرياح كأن لم تكن ..

لم تعد تشعر برهبة الغربة بل تثق بوعده أنهما معاً سيتكيفان على الوضع الجديد ..

هي في بيته الفخم هنا ..وهو في بيت ثمر البسيط هناك ..

هي على كرسي أمه هنا ..وهو على حجر ثمر ترقيه هناك ..

مادامت القلوب قد تجانست فلا خوف ولا فوارق ولا غربة !





_زين!

تهمس بها بأكثر نبرة عاشقة سمعها منها يوماُ فيرد ب"همهمته" العذبة التي تكاد تذيب عظامها لتشدد ضغط ذراعيها حول عنقه مردفة :

_لو جبنا ولد هاسميه زين ..عايزة نسخة منك تكبر قدامي ..يبقى زين ابني وزين حبيبي وجوزي وأبويا وكل حاجة .

يبتسم متأثراً بهذه اللهفة المنفعلة التي تتحدث بها ليومئ برأسه ثم يستقيم واقفاً ليوقفها معه ..

قبل أن يهمس لها بنبرته الدافئة :

_بس لو جبنا بنت مش هاسميها ياقوت ..عايزها ياقوت واحدة في حياتي ..أسطورة ما بتتكررش .





تضحك ضحكة رائقة يدللها بشفتيه للحظات ثم تتأبط ذراعه وهي تغادر معه الغرفة شاعرة أنها لن تكون آخر زياراتهما لها ..

تختار أن تتناول إفطارها معه في الحديقة ولم يكادا ينتهيان منه حتى هتفت به بلهفة :

_وريني المكتبة اللي قلت عليها هنا .

فيبتسم وهو يتحرك معها متعانقي الكفين نحو هذه الغرفة في الطابق السفلي والتي خصصها لمكتبة عظيمة ذهلت لمرآها لتهتف بانبهار:

_إيه كل ده ؟!

فيضحك وهو يرفعِ إحد حاجبيه هاتفاُ بمكر لذيذ:

_مش قلتلك كل ما كنتِ بتوحشيني كنت بشتري كتاب؟!





تضحك بدورها وهي تندفع نحو الرفوف تتفحصها تباعاً بسرعة ..

ليلحق بها فيحتضن خصرها من الخلف قائلاً :

_من الحاجات اللي كان نفسي نعملها أول يوم لينا سوا هنا إنك تقريلي .

_وأنا كمان .

_هتقضوها قراية يوم الصباحية ..عوض عليا عوض الصابرين يارب!

تهتف بها "عفريتتها العابثة" بسخط متذمر لكنها تتجاهلها بضحكة مكتومة وهي تسمعه يسألها:

_هتختاري انتِ واللا اختار أنا؟!

_اختار انت الكاتب وأنا هاختار الرواية .





تقولها مرحبة بمشاركتهما القرار فيصدر همهمته اللذيذة وهو يدور بأنامله بين الكتب والروايات ليقول أخيراً:

_هاختار نرمين نحمد الله ..كويسة ومناسبة لدماغك على ما أظن ..قرأت لها ماسة وشيطان كانت معقولة ..بس تعاويذ عمران عجبتني أكتر ..

فتضحك وهي ترد بمرح:

_طبيعي تعجبك تعاويذ أكتر ..أنا بقا مغرمة بجارية في ثياب ملكية ..بعشقها ..بس روايتها الجديدة بتاعة معرض السنة دي هي "التوب" عندي.

تقولها وهي تستخرج الرواية التي بدت بغلافها الناعم شديدة الأنثوية ليصدر همهمته اللذيذة من جديد قائلاٌ :

_ما قرأتهاش ..فرصة تقريهالي بقا ..اسمها غريب قوي ..

يقولها وهو يتهجى الاسم الذي أثار دهشته ..

(كونسيلر)!




ليقرأ العبارة التي كتبت تحته :

_أحبيه كمعجزة..وانسيه كذنب!

_عجبتني قوي ..يمكن لأن البطلة تشبهني كتير في ظروف حياتي..

تقولها وهي تحتضن الرواية بشرود فيبتسم لها وهو يتحرك بها نحو الأريكة الجانبية قائلاً :

_شوقتيني .

تضحك باستمتاع وهي تراه يجلس ليفسح لها مكاناً بين ساقيه في جلستهما المعهودة ..

هذا الذي اتخذته ليطوق خصرها بذراعيه مسنداٌ ذقنه على كتفها ..ملصقاٌ ظهرها بصدره ..

لتفتح هي الرواية وتقرأ التوقيع الأول للبطلة ..





C i n n a b o n

(كونسيلر!

تذكر يوم أهديتني إياه عندما شكوت لك معايرتهم لي بهالاتي السوداء؟!

يومها قلبته أنا بين أناملي بفخر امرأة أحبتك كمعجزة لا تتكرر مرتين ..

وليتها تنساك كذنب اقترفته كذلك مرتين !

مرة عندما وهبتك قلبي ..ومرة عندما تقبلته بعدما أعدتَه أنت لي ملطخاً بسواده !

ليتني أدركت وقتها أنك اكتفيت ب"تغطية" عيبي دون أن "تعالجه" ..

وأن هديتك الفاخرة لم تكن سوى كأس فارغة لن تجدي ظمآنا!)

يصدر همهمة استمتاع قصيرة وهو يهمس لها :





_كده فهمت فلسفة الاسم ..

_فعلاً مميزة ..حتى فصول الرواية مسميها "الهالات"..أول مرة أقرا الفكرة دي في رواية ..

ثم التفتت إليه لتقول ببعض الدلال:

_أنا قرات توقيع "فاطمة" البطلة اللي شبهي ..اقرا انت توقيع البطلة التانية "غنى"..انا برضه بحب صوتك وانت بتقرا

فيقبل وجنتها بخفة وهو يبدأ في قراءة توقيع البطلة الثانية ..

(طالما اعتدت هذه الهالات السوداء تحت عيني ...

قمران "أسودان" وسط ليل ملامحي "الأبيض"...

هكذا تعودت رؤيتها -كما كل حياتي- بالمقلوب!

حدثوني عن سحر "الكونسيلر" عندما يخفي "العيوب"...





الحمقى!

هي ليست "عيوباً" ...

هي "شارات" الخبرة التي منحها لنا حزنٌ ما ...وجعٌ ما ...ذنبٌ ما!

لكنني لما التقينا أدركت الكوكب الوردي الذي قبِل هبوطي على أرضه حيث لا حزن ..لا وجع ..ولا ذنب ..

معك لم أعد أكره هالاتي السوداء ولا حتى اضطررت لإخفائها ..فأنت محوتها دون الحاجة ل"كونسيلر"!)

_هه؟! إيه رأيك ؟!

تسأله باهتمام ليصدر همهمته اللذيذة وهو يضمها لصدره أكثر قائلاً باستحسان :

_بداية جيدة ..كملي ..




تسترخي بين ذراعيه وهي تعاود القراءة فيبقى يستمع إليها لدقائق طالت ..

حتى تشعر بتسارع أنفاسه جوارها مع ترنح شفتيه المتمهل فوق جانب عنقها فتتوقف عن القراءة وهي تتذكر موقفاً مشابهاً لهما لتلتفت نحوه هامسة بدلال :

_بتسمع بودانك مش بشفايفك ..هه؟!

ضحكته القصيرة تداعب أذنها وهي تشعر به يضمها نحوه أكثر بأحد ذراعيه بينما الآخر يتلاعب بحزام مئزرها مع همسه :

_بتعمليها إزاي؟!

ترمقه بنظرة متسائلة عما يقصده ليشتعل همسه مع لغة جسده أكثر :

_بتوحشيني وانتِ معايا .




تضحك ضحكة خجول يتلقفها بين شفتيه وهو يديرها نحوه ليضع ما بيدها جانباًُ ثم يعاود التحليق في فردوس عشقها العامر بلا قيود ..

==========

تراقب سها شروده أمام صورة زفافهما على الحائط بابتسامة واسعة شابها الكثير من الحزن على حاله الجديد ..

تدرك جيداً كيف يكون شعور العجز لرجل مثله اعتاد الفخر بإنجازاته ..

لكنها تِعد نفسها قبل أن تعده أن تزيح من صدره كل ذرة لهذا الشعور !

بحق كل لحظة عذاب قضتها دونه ..

وبحق كل يوم تمنت فيه الموت ظناً أنه الوحيد الذي سيجمع بينهما ..

وبحق حياتها التي عادت لها منذ عاد !





تتحرك نحوه لتبسط كفيها على كتفيه في جلسته فوق مقعده المتحرك ليرفع إليها وجهه بابتسامة واهنة مع قوله :

_بحب صورتنا دي قوي ..

_كل صورنا مع بعض حلوة يا ناصر .

تقولها بنبرة ذات مغزى وهي تنحني على ركبتيها أمامه لتكون عيناها في مستوى عينيه ..

كفها يعانق كفه بقوة توازي قوة عشقهما ..

فيسحبها من ذراعها نحوه ليجلسها فوق ساقيه مكررا قولها بتأكيد :

_كل صورنا مع بعض حلوة يا سها .

تبتسم وهي تلقي رأسها على صدره فيضمها نحوه أكثر مقبلاً رأسها بامتنان وشاعراً بهذا المجهود المضاعف الذي تبذله معه في ظروفه الحالية ..





لقد اعتاد كونها مسئولة عنه في الوضع الطبيعي ..تنتقي له كل أشيائه وتدبر له مواعيده وتضع له خططه ..

لكن وضعه المستحدث هذا يفرض عليها المزيد من الضغوط التي تتقبلها هي دون شكوى ..

كأنما تعوض معه شعور الأمومة الذي تفتقده !

كلاهما صار الآن يكتفي بصاحبه عن الدنيا ويرى فيه منتهى غايته !

_مركز الدكتور بتاع ألمانيا اتأخر في الرد ..بس مركز أميريكا رد عليا امبارح ..بعتلهم كل الورق اللي طلبوه بس محتاجين أشعة تانية هنعملها النهارده ..لو قبلوا الحالة ممكن نسافر في خلال ..

تقولها بحماس ليقاطعها قائلاً ببعض اليأس:

_زهقت من كتر الحاجات اللي بتتعمل من غير نتيجة .

لكنها ترفع رأسها لتقول بإصرار :





_اوعى تقول كده ..احنا لسه ماعملناش حاجة ..لو فيه أمل لسه في آخر الدنيا هنروح وراه .

يتنهد وهو يهز رأسه ليدور ببصره في المكان حوله مغيراً الموضوع بقوله :

_أحسن حاجة عملتيها إني لما رجعت هنا لقيت الشقة زي الأول ..صلحتي كل اتكسر ده إزاي؟!

_بيك !

تجيبه بحرارة وهي تحتضن وجنتيه بين راحتيها هامسة له بمزيج قوتها وعشقها :

_حتى لما ما كنتش معايا فضلت الحاجة الوحيدة في حياتي اللي تستاهل أعيش عشانها ..أكتر حاجة اتأكدت منها الأيام اللي فاتت إن اللي بيننا مهما اتكسر لازم هييجي يوم ويتصلح ..

_اتغيرتِ كتير .

يهمس بها وهو يزيح خصلات شعرها عن وجهها بأنامله ليداعب ملامحها بأنامله بحب لتدير وجهها فتقبل راحة يده هامسة كأنها تصحح له :





_اتعلمت كتير .

يتنهد بارتياح غامر وهو يضم رأسها إلى صدره بقوة شاعراً بقوة غريبة تجتاحه وتبدد عنه كل غيوم يأسه التي كادت تمطر في واديه ..

سيحارب بكل طاقته لأجلها ..

سيحارب يأسه ومرضه وعجزه بل ونفسه كذلك !

هو قوي بها ..كما هي قوية به !

صوت رنين الباب يقاطع أفكاره فتنهض عن ساقيه لتعدل ملابسها بينما يتحرك هو نحو الباب بكرسيه قائلاٌ :

_ده إسلام ..كان قايللي إنه جاي .

يقولها وهو يفتح الباب لتستقبله ابتسامة إسلام المرحة مع هتافه :

_معايا ضيفة .





_بطلي!

تهتف بها ريما وهي تظهر من خلف إسلام فاتحة ذراعيها لناصر الذي تلقفها ليجلسها في حجره وقد انفرجت أساريره بفرحة حقيقية مع هتافه :

_ريما ..إيه المفاجأة الحلوة دي ؟!

يقولها بعاطفة أبوة حقيقية يستشعرها نحوها فترد ريما وهي تقبل وجنته بقوة هاتفة :

_رسمتلك رسومات كتير عشان تسليك ..هاتهم يا بابا .

يضحك إسلام وهو يدخل ليغلق الباب خلفه بأحد كفيه بينما يناوله بالآخر مظروفاً كبيراً حمل رسوم الصغيرة التي استطردت بعينين دامعتين وهي تدير بصرها بين ناصر وإسلام:

_كنت زمان زعلانة عشان أصحابي عندهم بابا معاهم وأنا معنديش ..بس دلوقت بقيت أحسن منهم ..عندي بابا وعندي بطل والاتنين بيحبوني .




يعاود ناصر ضمها نحوه بقوة فيما تقاوم سها دموع تأثرها وهي تراقب الموقف من بعيد لتتدخل أخيراً فتتقدم نحوهما مستجمعة قوتها بهتافها المرح:

_"سويتي ريما" ..وحشتيني!

تقفز ريما من على ساقيه فتتوجه نحوها لتعانقها بحرارة هاتفة :

_وانتِ كمان وحشتيني ..ورسمتك معاه ..شوفي !

تقولها لتركض نحو المظروف فتنتزعه منه بخفة لتفتحه ثم تقلب محتوياته لتستخرج لها هذه الصورة التي رسمتها بخطوط طفولية ..





_دي المدرسة ..ده سورها ..ودي اليافتة عليها اسم البطل ..ودي انتِ ماسكة ورد ..ودول ولاد كتير واقفين بالدور عشان يشكروكِ ويبوسوكِ .

تعجز سها عن منع دموعها التي اختلطت بضحكاتها وهي تتفرس الصورة بانفعال فيمد ناصر كفه ليحتضن كفها داعماً بنظرة مؤازرة تجعلها تستجمع قوتها لتنحني على ركبتيها أمام ريما فتقبلها بحنان قائلة :

_حلوة قوي زيك ..تيجي معايا المطبخ نعمل سوا آيس كريم ؟!

_أروح يا بابا ؟!

تسأل إسلام بلهفة فيضحك لها قائلاً :

_بتستأذني؟! عارف أنا الأدب ده سببه إيه..

ثم يلتفت نحو ناصر قائلاً :





_أصلي وعدتها لو قعدت مؤدبة هنا نروح الملاهي بالليل .

يبتسم ناصر بمزيج من إعجاب واحترام بشخص إسلام الذي يظهر له نقاء معدنه يوماً بعد يوم ..

خاصة عندما يردف الأخير بنبرة جدية وهو يتخذ مقعده جوار ناصر:

_عمو علاء كلمني الصبح ..قاللي إن المركز اللي في اسطنبول

قبِل الحالة وبيقول كمان إن الأمل كبير .

_بجد ؟!

تهتف بها سها بفرحة وهي تستقيم واقفة ليبتسم إسلام وهو يومئ برأسه مؤكداً فتحمد الله بصوت مسموع لتردف بصوت متهدج :

_كنا لسه محتارين ..الحمد لله كده نسافر في أقرب وقت .





_نعمل الآيس كريم بقا .

تهتف بها ريما بلهفة وهي تجذبها من ثيابها فتضحك وهي تنحني لتحملها هاتفة بسعادة :

_ده أنا هاغرقك آيس كريم ..

_أنا اللي هاعمله ..

تلوح معها ريما بسبابتها فتضحك وهي تسير بها نحو المطبخ هاتفة :

_حاضر ..هاعلمك إزاي تعمليه .

يراقبهما ناصر ببصره حتى تغيبا عن عينيه ولم تكادا تفعلان حتى يلتفت نحو إسلام قائلاً بامتنان جاد :

_مش عارف أشكرك إزاي ..وقفتك جنبي دي مش هنساها .

فيربت إسلام على ركبته قائلاً بمرحه المعهود :




_خيرك سابق يا كبير ..لولاك كان زمان "أبو نسب" راح في خبر كان .

يبتسم ناصر وهو يرمقه بنظرة طويلة عميقة شعر معها أنه استعاد بها عهد صداقتهما القديم قبل أن تعكر الظروف نهره ..

نفس الشعور الذي وصل إسلام وجعله يبتسم ليقول بالمزيد من المرح :

_الواد "باسل" ده كمان مشكلة ..من ساعة ما اتكلمنا ساعة قصة عابد دي وهو كل شوية يفكرني اتقابلنا أول مرة فين ..هيفضحنا ابن اللذينا ..

ثم يغمزه بمكر مردفاً:

_انت فاكر فين ؟!

يضحك ناصر ضحكة صافية وهو يستعيد الأيام الخوالي ثم يشير بإصبعه نحو المطبخ الذي تختفي فيه سها إشارة ذات مغزى..





فيضحك إسلام بدوره وهو يكتم فمه براحته للحظات قبل أن يغمزه من جديد وهو يميل على أذنه يغمغم بأسف مصطنع:

_راحت أيام الشقاوة..تبنا إلى الله !

ضحكاتهما تمتزج بصفاء للحظات لتنبئ عن تخلص القلوب من كدرها القديم ..

صديقان فرقهما "العدل" يوماً والآن ..تجمعهما "الرحمة".

=========

يجلس إسلام أمام مكتبه في المصنع شاعراً ببعض الملل وقد أنجز غالب عمله فيتناول هاتفه لتتلاعب به أنامله للحظات ..

قبل أن تنتابه رغبة عارمة في استفزازها ..

تعجبه هذه الروح الشرسة المحاربة التي تنتفض بداخلها كلما شعرت بالغيرة عليه ..

تعجبه وهي تشعره أنه حقاً صار "سيد قلبها"!





لهذا ضحك ضحكة متوعدة وهو يفتح أحد الملفات التي خصصها لمثل هذا النوع من الرسائل الفكاهية المنتشرة على مواقع التواصل :

_انت بتعرف ستات عليّ؟!

_هو فيه إيه ؟! انتِ رابع واحدة تشك فيّ النهارده !

يرسلها لها مكتوبة في شكل صورة ثم يضحك من جديد متخيلاً ردة فعلها ..

يعلم أنها الآن في غرفتها المجاورة له منهمكة في عملها ويحنقه -قليلاً- أن تكون منشغلة عنه !

لكنها تكتفي بإرسال "وجه يكز على أسنانه بضحكة صفراء" !





يضحك من جديد ضحكة متوعدة وهو يبحث عن رسالة أخرى تثير المزيد من غيظها ..

_انتِ مصدر قوتي .

_يا سلام ! والستات التانيين؟!

_لا دول نقطة ضعفي !

يرسلها لها من جديد مترقباً ردة فعلها فتصله رسالتها تكاد تنبض بطبيعتها "الشوكية":

_وده اسمه إيه بقا ؟!

_"بنكشك" يا بطل!

_والله ؟! طب ما تجربني كده وأنا بنكشك ؟!

يضحك ضحكة عالية وهو يترقب رسالتها التالية وعيناه كذلك تراقبان باب غرفته بلهفة ..




لا يدري لماذا يتوقع أن تقتحمها عليه الآن لتفعل به مثلما فعلت ذلك اليوم الذي شعرت فيه بالغيرة من مشرفة "الباص" الخاص بريما ..

تنهيدة مشتعلة تغادر صدره وعيناه تهيمان بلهفة بين باب الغرفة وهاتفه مترقباً رد فعلها ..

هذا الذي وصله أخيراً في "فيديو"!

_أوباااا! فيديو مرة واحدة ! يا ترى باعت إيه يا "شِرِس"؟!

يتمتم بها بترقب ملهوف وهو يفتح الفيديو المسجل لتتسع عيناه بصدمة لأول وهلة ..

قبل أن يبادر لخفض الصوت بسرعة وهو يميز اللحن الصاخب المنبعث ..

خطوة يا صاحب الخطوة ..

خطوة امشيلي لو خطوة




ده انت ع القلب ليك سطوة

نظرة مبطلبش غير نظرة ..

وانت فاهم وليك نظرة

شوف حالي شوف ايه بيجرالي ..

حبيت وبصمت بالعشرة

تشتعل عيناه وهو يميزها أمامه ترقص على هذه الأنغام في غرفة نومهما ترتدي جلباباً طويلاً ضيقاُ مفتوحاً من الجانبين ..

تتمايل بهذه الحركات المهلكة وهي تواجه الكاميرا بنظرات مغوية ساحرة تختلف تماماً عما سبق ورآه لها من رقص أمام النساء ..

متى سجلت هذا الفيديو ؟!





يطلق زفرة ساخنة وهو يشعر باشتعال خلاياه واللحن "المدمر" مع حركاتها المغوية التي تزداد خطورة يكاد يفقده صوابه ..

خاصة وهي تقترب أكثر من الكاميرا لتغمز بعينها مقلدة بقية كلمات الأغنية بينما جسدها يتوهج أكثر بحركاتها ..

غمزة من عينك الغمزة ..

غمزة على خدك الغمزة

ده كلام حساس وليه مغزى..

نعمة رضاك علينا نعمة ..

نعمة ايام لقاك طعمة

واللي حسدنا في عينيه يعمى!

_ده أنا اللي هاعمى م الحلاوة دي أقسم بالله ..إيه ده ؟!

يهمس بها لاهثاً و "الفيديو" ينتهي بغمزتها العابثة مع "حركة خاصة" منها تعلم أنها تثير جنونه فيحرك كفه مفروداً حول وجهه طالباً الهواء ..

_لا بقا! أقسم بالله ما هاعديهالك المرة دي ..احنا هنقضيها فيديوهات يا ست نشويات انتِ واللا إيه !؟

يهتف بها بتحفز قبل أن ينتفض مكانه ليندفع شبه راكض نحو غرفة مكتبها التي دخلها دون استئذان لتصطدم عيناه بما يراه !!

_فيه حاجة يا باشمهندس؟!

تسأله بتحفظ ماكر ليتنحنح بحرج وهو يراها تجلس على مائدة الاجتماعات وسط عدد من الموظفين فيحمر وجهه وهو يتمالك نفسه ليعتذر




منهم ثم يوجه حديثه إليها بنفس التحفظ وهو يكاد يكز على أسنانه :

_آسف ..ماكنتش أعرف إنك في اجتماع .

_لسه بادئاه ..حالاً .

تقول كلمتها الأخيرة ببطء وصله معناه كاملاً فرفع أحد حاجبيه بتوعد ناقض التهذيب الظاهر لعبارته أمام نظرات الحضور ..

_آجي وقت تاني ..بعد إذنكم .

يقولها ليرمقها بنظرة متوعدة أخرى تردها بابتسامة متشفية ثم يخرج ليغلق الباب خلفه وما كاد يفعل حتى لكم الحائط أمامه لكمة قوية لعلها تطفئ براكينه التي أشعلتها تلك ال"شوكية" ..

_لا شوكية إيه بقا! ده احنا بقينا عايشين أزهى عصور "المَل.."!





_مالك يا إسلام ؟!

سؤال أشرف يقطع خاطره العابث فيلتفت نحوه بوجه محمر ليقول دون تفكير :

_أختك هتجنني!

فيضحك أشرف وهو يبسط ذراعه على كتفه بود ليتحرك مبتعداً معه قائلاً :

_ما تقولش إني ماحذرتكش ..أنا عملت اللي عليا وانت اللي صممت ..عموماً احنا لسه في فترة الضمان ..تحب ترجعهالي؟!

ورغم نبرته المازحة لكن كلماته وخزت قلب إسلام ليجد نفسه يرد بسرعة :

_هو أنا أقدر أعيش من غيرها ؟!

يبتسم أشرف ابتسامة راضية وهو يربت على كتفه ثم تنقلب لهجته لنبرة جدية أكثر :





_شوف الشغل الجديد اللي سبتهولك على مكتبك ..عايزه النهارده .

_جه في وقته !

يقولها إسلام باستحسان وهو يشعر بحاجته لأن يشغل نفسه عن اشتعال جوارحه بها ..

لقد كان يخشى الرتابة الطبيعية التي تتسرب للحب بعد الزواج ..

لكنه مع هذه المخلوقة الغريبة لا يكاد يشعر بذرة ملل واحدة ..

كأنه شجرة تعيش تقلب "فصولها الأربعة" تحت سمائها هي !

يعود لمكتبه محاولاً إنجاز عمله الجديد بانهماك أنساه مرور الوقت ولم يكد ينتهي حتى قفز من مقعده بشوق متحرق ليعود إلى مكتبها ..

لكنه وجده خالياً منها !!





_نشوى روحت ..قالت وراها مشاوير كتير مع ريما .

يقولها أشرف خلفه فيلتفت نحوه هاتفاً باستنكار:

_ومن امتى بيخرجوا من غيري يعني ؟!

يهز له أشرف كتفيه بحركة بسيطة مع ابتسامة مهدئة ليهز إسلام رأسه وهو يغادر الغرفة نحو مكتبه ..

يتناول هاتفه ليتصل بها لكنها تغلق الاتصال كل مرة ..

قبل أن ترسل له رسالتها ..

_أنا مع ريما بنشتري هدية لعيد ميلاد واحدة صاحبتها وبعدها هنروح لها ..اتغدى انت ..قوللي صحيح ..عرفت أنكشك ؟!





كان يعلم أنها لا تنتظر رداً على رسالتها ..

يكاد يشم رائحة مكرها اللذيذ في حروف رسالتها ..

حسناً يا "شوكية" ..

تعجبني معاركك الشهية هذه حين تنتهي ب"انتصارك المهزوم" بين ذراعيّ!!

بعد ساعات تعمدت أن تكون طويلة تعود لبيتهما مع ريما التي بحثت عنه أول ما دخلت لتجده يغط في نوم عميق ..

قبلته الصغيرة بخفة لتعود لها هامسة بأسف:

_نام من غير ما يقوللي تصبحي على خير .

_معلش ..احنا برضه اتأخرنا ..

تقولها نشوى بأسف مشابه وهي تحاول التسرية عن الصغيرة بقولها :





_عجبتك الهدوم اللي اشتريناها .

_أيوة بس كنت عايزاه يشوفها .

_الصبح أول ما يصحى وريهاله .

تقولها بمزيج من حنان وأسف وهي تشعر كذلك بتأنيب الضمير لغيابها في الخارج ورفضها الرد على اتصالاته ..

_هنام بسرعة عشان أصحى بسرعة وأصحيه .

تهتف بها ريما بلهفة وهي تتحرك معها لتؤدي طقوس نومها اليومية قبل أن تستغرق في نومها على فراشها ..

ولم تكد نشوى تطمئن لذلك حتى غادرت فراش الصغيرة لتتوجه نحو غرفتهما ..

_بلاش استهبال ..أنا عارفة إنك صاحي .

تقولها غير واثقة كما تدعي لكنها رمتها لعلها تصيب ..




لم تتغير وضعيته في الفراش وانتظام أنفاسه الرتيب يصيبها بخيبة حقيقية ..

فزفرت بحنق وهي تغلق الباب خلفها ليصدح صوته فجأة :

_بالمفتاح!

لم تفهم ما يريده لأول وهلة لتشهق متفاجئة وهي تراه يقفز فجأة أمام عينيها ليقف أمامها هامساً بنبرة آمرة بينما عيناه تتقدان بوهج لذيذ :

_اقفلي الباب بالمفتاح .

" قوي !fake_تمثيلك بقا "

تهمس بها بمكر منتصر فيهز رأسه بحركة متوعدة وهو يتحرك ليغلق الباب بالمفتاح بنفسه ..

ثم يتناول هاتفه ليلوح به في وجهها هاتفاً باستياء:

_زي رقصتك !

_ماعجبتكش؟!




_غشيمة قوي ..حد يرقص باللبس ده ؟! موضة الرقص بالجلاليب دي خلصت من أيام "نانسي" ما كانت قاعدة قدام طشت الغسيل ع السطوح !

يقولها بنفس الاستياء المصطنع مراقباً وجهها المحمر المغتاظ بتسلية راضية ..

خاصة وهي تهتف به بحدة :

_آسفين يا سيادة الخبير ..نسينا إن سعادتك على علم بال updates. الجديدة كلها "

يضحك ضحكة عالية مستمتعاً بإثارة غيظها انتقاماً على ما فعلته به..

فتقذفه بالوسادة المجاورة هاتفة :

_ارجع نام وهات الفيديو ده ..هامسحه !




تقولها لتستغل انحناءته متفاديا الوسادة فتنتزع منه الهاتف فجأة لتتلاعب به أناملها لكنه يطوقها بذراعيه ليستعيد هاتفه ضاحكاً مع هتافه :

_اوعي! دي رقصة نادرة هشارك بيها في متحف الأثريات ..قال جلبية قال!

عيناها تدمعان بغيظ مع سخريته الماكرة فتلكمه بكلتي قبضتيها على صدره هاتفة :

_خلصت تريقة ؟! سيبني أنام بقا .

_مفيش نوم الليلة دي يا عسل .

نبرته الساخرة تتحول لهذه العابثة الرخيمة التي تصهر خلاياها لكنها تتمسك بقناعها الجامد وهي تشيح بوجهها ..

فيقذف هاتفه ع الفراش بخفة ليتم حصاره حولها فيدير وجهها نحوه هامساً :





_أول ما اتجوزنا كان فيه "بدلة رقص حمرا" في الدولاب ..راحت فين ؟!

_رميتها .

تهمس بها بشرود مغمضة عينيها وهي تستعيد ذكرى ما يحكي عنه ..

لقد اشترت تلك البدلة التي يحكي عنها قبل "زواجها المنتظر" بناصر وقتها ..

اشترتها بأكثر تصميم مغوٍ رأته ..

وكم تخيلت نفسها ترقص أمامه ..

كل الذي كان يملأ رأسها وقتها إن تبهره بمجرد "مهارة" تجيدها ..

لكنها عندما جربت عمق شعورها الحقيقي بالحب مع إسلام علمت أن الأمر يختلف!

ما حاجتها لاستعراض مهارة إذا كان هو يدلل أنوثتها طوال الوقت ؟!





ماذا يفيدها من كلمة ثناء عابرة إذا كانت ترى غزله صارخاً في عينيه كل ساعة ؟!

الآن تفهم المزيد من الفروق فتزداد يقيناً أنها لم تعشق يوماً سواه هو !!

الغريب أنه كان أمامها يفهم كل هذا وإن لم تتفوه به ..

تعجبه هاتان العينان الصريحتان ك"لجة بحر" شفافة تكشف ما تحت موجه بوضوح ..

وتعجبه أكثر سحابة عشقها "العذراء" هذه التي تعده كل مرة بزخة من مطر يُنبت ولا يُغرِق!

_سجلتِ الفيديو ده امتى؟!

يهمس بها متجاوزاً الحديث لآخر فترد بوجوم :

_من فترة ..من ساعة ما ابتديت تتظارف وكل شوية تبعت رسالة من دول ..انت عارف إن الكلام ده بيغيظني .





_عارف.

يهمس بها بمزيج عجيب من حنان ومكر وهو يرفع ذقنها نحوه ليعانق نظراتها بعينيه مذيباً كل وجومها هذا بأشعة عاطفته الدافئة فتهمس له عاتبة :

_ومادام عارف بتبعته ليه ؟!

_عشان بحب أشوفك متغاظة .

يهمس بها بحاجبين متراقصين فتبتسم رغماً عنها ليردف بنبرة أكثر دفئاً :

_طول عمري بشوف غيرة الستات خنيقة ..بس غيرتك عليّ ليها طعم تاني ..لو كنت في العادي بحبك فأنا بموت فيكِ لما بتبقي غيرانة .

_واللي يحب حد يغيظه كده ؟!

عتابها يمتزج بدلالها وهي تعرف الجواب قبل أن تسمعه منه بنفس النبرة المهلكة :





_انتِ عارفة ومتأكدة إني عمري ما هبص لواحدة تانية غيرك .

_بس برضه بغير .

_وعشان كده بموت في غيرتك لأنها مش غيرة شك وقلق ..دي غيرة حب ما عرفتيهوش بجد غير معايا .

يهمس بها بيقين من ملك مفاتحها كلها فيقرأ سطورها واضحة دون تشويش ..

لتتنهد بحرارة وهي تلصق جبينها بجبينه هامسة :

_اللي زيك بيغلبوه إزاي في الكلام ؟!

_ولزومه إيه الكلام ؟! ما تغلبني في حاجة تانية يا شرس؟!

يقولها بمكر عابث وهو يبعدها عنه قليلاً لتضحك وهي تلوح بسبابتها في وجهه قائلة بنبرة محذرة :





_انسى! أنا عارفة اللي في دماغك كويس ..بس الرقص لوحدي حاجة وقدامك حاجة تانية ..

_وتالتة وعاشرة واحنا ورانا إيه يا عسل؟!

يغمزها بها بمكر وهو يتحرك بها نحو طاولة زينتها ليفتح لها الكيس فوقها ..

ثم يستخرج منه ما رفعه أمام عينيها ..

_ايه القرف ده ؟! انت شفت لون البتاع ده قبل ما تشتريه؟! وبتعايب على ذوق أختك؟!

تهتف بها باشمئزاز مشيرة للون طلاء الشفاه بين الوردي والبرتقالي لكنه يضعه لها بنفسه هامسا بمكر:

_مش بقوللك غشيمة ! من امتى الروج بلونه؟!

_امال بإيه؟!





تهتف بها باستنكار ليسحبها نحوه هامسا بين شفتيها :

_بطعمه!

تضحك رغماً عنها وهي تدفعه بخفة لتنظر نظرة فضولية نحو محتوى الكيس الذي استخرجه ليستعرضه أمام عينيها المذهولتين ..

فهذه كانت أرق "بدلة رقص" رأتها ..إن كان يصح لمثل هذه الأشياء أن توصف بالرقة ..

تتكون من قطعتين بلون فضي هادئ مطرز بخطوط وردية لامعة ..

تختلف كثيراً عن تلك الحمراء الفجة التي رمتها قديماً !

ورغم تصميمها الذي ناسب الغرض الذي تُرتدى لأجله لكنها -للغرابة- لم تكن تشعر أنها فاضحة !





بل إنـها شعرت بها نفس الشعور الذي ينتابها مع ملابسها التي يتخيرها دوماً لها ..

ناعمة ..أنثوية ..حميمية ..تشبهها في رقة باطنها كأنها صممت خصيصاً لها وحدها ..

_ما تنكريش إنـها تحفة وعجبتك .

يقولها واثقاً فتمنحه ابتسامتها الجواب رغم عناد ردها بعدها :

_ولو!!

_مش عايزة تعرفي شكلها عليكِ ؟!

_لأ!

_يا بنتي استهدي بالله وقومي البسي .

يقولها مقلداً مشهداً شهيراٌ لفيلم معروف فتضحك وهي تتفلت من بين ذراعيه هاتفة :





_لأ ..قلت لأ ..

_هو أنا ماقلتلكيش؟! ..الستات لما بتقول لأ في المواقف دي بتبقى معناها أيوة ..

يقولها وهو يعاود اقترابها منها لتضحك وهي تهرب منه فتجاريه في الكلام هاتفة :

_هو أنا ما قلتلكش؟! ما أنا في المواقف دي مش زي بقية الستات !

يقطع المسافة بينهما بخطوة واحدة ثم يعاود تطويقها بذراعيه ليهمس لها بنبرته الرخيمة :

_انتِ ست الستات ..عشان خاطري بقا .

تشتعل وجنتاها بخجل فتخفي وجهها بين كفيها هامسة :

_مش هاعرف .





_يا بنتي هو أنا غريب ؟! وبعدين هاسهلهالك ..هنرقص سوا ..أعمللك فيها شكوكو بعصايته كمان ..أنا عامل حسابي على كل حاجة .

تضحك دون توقف وهي تراه يفلتها ليتناول من الجوار عصا رفيعة يديرها في الهواء للحظات بحركة بهلوانية ..

ثم يتناول هاتفه ليشغل الأغنية التي اختارتها هي من قبل هاتفاً :

_عجبني اختيارك وخصوصاً الغمزة اللي في الأغنية دي لايقة علينا ..لولا إن ريما نايمة كنت سمعتك أحلى "دي جي" ..

تعقد ساعديها دون رد مكتفية بابتسامة فيرفع حاجبه وهو يناولها البدلة قائلاً:

_ياللا بالذوق ماتخلينيش ألجأ لخطط العنف البديلة .





فتتقدم منه خطوة لتنتزع منه العصا ثم تلوح بسبابتها قائلة :

_وتبطل تبعت بوستاتك المستفزة !

_أفكر!

يغمزها بها بمكر فتعطيه ظهرها معرضة ليضحك وهو يديرها نحوه ثم يقبل وجنتها بقوة هامساً :

_خلاص ..نبطل يا عسل ..ولو إن الشقاوة معاك مزاج تاني .

تبتسم بنظرة انتصار لكن التردد الخجول يعاود مغازلة حدقتيها فتشير نحو زاوية الغرفة قائلة :

_اقف هناك وادينى ضهرك وغمض عينيك ..ما تبصش غير لما اندهلك !

فيفعل مثلما تقول ليهتف وهو يعطيها ظهره :





_ولو إني ما وقفتش الوقفة دي من ابتدائي في زمن "التذنيب" الجميل ..بس كله يهون لعيونك يا عسل .

يسمع ضحكتها المكتومة وهو واقف مكانه يكاد يتحرق شوقاً لرؤيتها كما أراد ..

الدقائق تطول فيدرك أن خجلها لا يزال يمنعها ..

والغنوة تتكرر تلقائياً في هاتفه مرة بعد مرة فيتململ في وقفته ليهتف أخيراً دون أن يلتفت :

_والله يا نشوى لو كان مقلب من مقالبك واتلفتت لقيتك نمتِ لأردهالك بمقلب أغلس منه يطلع من نافوخك .

ضحكتها العالية تصدح خلفه فيبتسم شاعراً ببعض الاطمئنان ..

يسمع صوت الأغنية يتوقف فجأة فتتأهب حواسه ..

ثم يسمع همسها باسمه فيلتفت ..





تتسع عيناه بتقدير لجسدها في ردائه فلا يدري أيهما زاد الآخر فتنة وإغواء ..

يراها تحرك أحد ساقيها بحركة راقصة وهي تنقر على الأرض بالعصا عدة مرات مع تمايل خصرها الموازي كافتتاحية لرقصتها ..

فيبتسم بإعجاب وهو يراها تشغل الأغنية أخيراً لتقترب منه بخطواتها المتمايلة التي تماشت مع الإيقاع ..

كانت تغمض عينيها بقوة كأنها تقاوم خجلها لكن حمرة وجنتيها فضحتها ..

فاتسعت ابتسامته وهو يقترب منها بدوره ليحيط خصرها بذراعه ثم يدور بها متماشياً مع رقصتها بدوره ..

تفتح عينيها أخيراً فتتلقف نظراته المعجبة والفائرة بعاطفته فتجد المزيد من الشجاعة لتزيد من سخونة العرض ..





ضحكتها تمتزج بضحكته وهي تشعر بخجلها يستحيل لرغبة عارمة في إرضائه خاصة ونظراته تمنحها شعور الفخر الذي طالما تمنته يوماً في عيني رجل يحبها ..

أنفاسها تتلاحق مع تصاعد وتيرة حركاتها الراقصة لكنها لم تكن تشعر بتعب ..

بل كانت تشعر وكأن دقات قلبها تشاركها الرقص على نفس الإيقاع ..

بينما كان هو الآخر يشعر بأنه أخيراً امتلكها كاملة ..

سحر أنوثتها يفيض عذباً بين ذراعيه قطرة قطرة فلا ظمأ بعد ولا تعب ..

يتوقف اللحن في هاتفه لكن اللحن الذي يعزفه قلباهما لا يتوقف ..




ولا يكون له أن يتوقف ..

هو نغمة خالدة أقسمت الروح أن تبقى أسيرة رقصتها للأبد !

=======

_يا ترى إيناس طابخة لنا إيه النهارده ؟!

يهتف بها علاء وهو يقود سيارته بسيف نحو المزرعة ليرد الأخير بفخر :

_غادة هي اللي طابخة ..ملوخية !

_يااا سيدي ..بالأرانب؟!

_لا طبعاً ! غادة مش هتطيق تاكلهم ..ارتباطها بيهم بقا عجيب .

يقولها سيف ببعض الضيق رغم نبرته الرزينة ليقهقه علاء ضاحكاً بقوله :

_غيران يا دكتور ال ..أرانب؟!





فتحمر أذنا سيف وهو يلتفت إليه بشبه ابتسامة جعلت علاء يتنهد بعمق وهو يعاود النظر للطريق أمامه قائلاً:

_ما تتصورش فرحتي إنك قدرت تاخد البيت اللي جنبنا ونفتح الجنينتين على بعض ..إيناس كانت هتطير من الفرح ..كده كأننا تقريباً عايشين سوا .

_أنا كمان ما كنتش مصدق نفسي إنها اتيسرت في الوقت ده بالذات ..الحمد لله .

يقولها سيف برضا فيبتسم علاء وهو يقول بحنانه المعهود :

_الحمد لله إن ربنا طول في عمري لحد ما اطمنت عليك انت وغادة وإسلام ..ماتزعلش مني لو كنت قسيت عليك في فترة معينة ..ربنا عالم ده كان من خوفي عليك .





يقولها ليتذكر سيف تلك الفترة العصيبة التي سبقت زواجه من غادة ليربت على كتف الرجل قائلاً بامتنان:

_ماتقولش كده يا عمو ..حضرتك في مقام والدي الله يرحمه .

_طيب ..ده يشجعني أكلمك في حاجة كده ..

يقولها بتردد ليرمقه سيف بنظرة مشجعة فيهز علاء رأسه ليقول بحذر:

_انت بتضغط على غادة قوي في قصة الحمل ؟!

يسأله بنبرة هي أقرب للتقرير فتبدو الصدمة على وجه سيف للحظات قبل أن يقول ببعض الضيق:

_هي اشتكت ل"أنّا"؟!

_عيب عليك ..انت عارف إن غادة ما تعملهاش ..بس أنا حسيتها في كلامها ..ملهوفة بزيادة أكتر من الطبيعي ..حاسس إن الموضوع عندها بقا هوس .





يقولها علاء باستياء خالط حنانه ليتنهد سيف بحرارة قائلاٌ :

_مش هاخبي على حضرتك ..أنا مهووس أكتر منها .

يصدر علاء همهمة إدراك وهو يرمقه بنظرة متفحصة ليقول بخبرته :

_فاهم يا ابني ..انت محتاج تحس بعوض ربنا عشان تسامح نفسك على ذنبك القديم ..بس غادة مضغوطة معاك ..حاسة إنها مش قادرة تسعدك طول ما هي مش قادرة لسه تعيشك الإحساس ده .

_أنا مش قصدي أضغط عليها والله يا عمو ..أنا حتى ماعدتش بكلمها في الموضوع ده .

يقولها سيف مدافعاً ليرد الرجل بابتسامة :





_عارف يا ابن الناس الكويسين ..بس مش شرط تتكلم ..هي حاسة بيك ونفسها ترضيك ..اهدا عشان هي كمان تهدا ..الستات دول عندهم أقوى رادار مستكشف للمشاعر ..خصوصاً لو بتحبك زي غادة .

كانا قد وصلا لحدود المزرعة فابتسم سيف وهو يشكره بامتنان واعداً إياه بالعمل بنصيحته ليترجل كلاهما من السيارة ويتوجهان نحو البيت حيث استقبلتهما إيناس بحفاوتها المعهودة لتخاطب سيف بقولها :

_الجو حلو النهارده ..قلت نتغدى هنا في الجنينة .

_سايبة البنت تطبخ لوحدها وقاعدة هنا تتهوي ؟! ستات قادرة صحيح !

يهتف بها علاء بمشاكسته المعهودة لترد إيناس بشهقة عالية وهي تهتف به :

_مش هارد عليك ! بتشكك في معاملتي لبنتي؟!





_ما انتِ مستغلة الغلبانة وتلاقيها ياعيني محترمة سنك !

_سني؟! قصدك إني عجوزة يا علاء؟!

_وكركوبة كمان!

_علاء!

_إيناس!

_علاااااااااء!

تهتف بها بصوت أعلى ليتراقص حاجباه بحركة مشاكسة وهو يرد بخوف مصطنع :

_خلاااص ..تتزل المرة دي!

يبتسم سيف لمشاكستهما المعهودة ثم يستأذنهما ليتوجه نحو داخل البيت حيث وقفت غادة في المطبخ تعطيه ظهرها ..

يقف مكانه عاقداً ساعديه وهو يراقبها صامتاً بافتتان ..





شعرها النبيذي بخصلاته صواعق الفتنة تتمايل فوق ظهرها برشاقة بينما تدندن وهي تقلب الطعام في القدر بصوتها المغناج بطبيعته :

_كان يوم حبك أجمل صدفة ..لما قابلتك مرة صدفة ..

فلا يملك المزيد من الانتظار وهو يتحرك نحوها ليطوقها بذراعيه من الخلف ليهمس جوار أذنها بنبرته العاشقة التي تذيبها :

_أجمل صدفة !

تشهق للمفاجأة وهي تلتفت نحوه لتضحك ضحكتها المهلكة وهي تستدير بين ذراعيه لتقبل وجنتيه بنعومة قائلة :

_وحشتني موت .





تقولها بصوتها ذي الدلال الطبيعي ثم تطبع عدة قبلات متتابعة فوق شفتيه مردفة :

_عليك غرامة تأخير .

_وأنا مستعد أدفع!

يهمس بها بنبرة مشتعلة وهو يكاد يعتصرها بين ذراعيها لكنها تضحك ضحكتها الكارثية من جديد وهي تزيح ذراعيه عنها هامسة بدلال :

_وبعدين في ابن الناس الكويسين اللي اتعلم الشقاوة على كبر ؟!

تشتعل نظراته أكثر وعيناه تدوران على تفاصيلها بافتتان يزداد توهجه ..

خاصة وهي تعض شفتها السفلى لتسبل جفنيها قائلة :

_النهارده دخت شوية و "أنّا" خدتني ورحنا للدكتور .





_إيه ؟! ليه؟! وإزاي تروحوا لوحدكم ؟!

يهتف بها بجزع أربك حروفه لتبتسم له قائلة :

_ما تقلقش قوي كده ..هو بس قاللي إني صحتي ضعيفة شوية ..

تلتمع عيناها بشقاوة يعرفها فتنفرج شفتاه وهو يلوح لها بسبابة مرتجفة ليهتف بصوت متهدج:

_اوعي يكون اللي في بالي!

تضحك ضحكتها المهلكة من جديد وهي تبتعد عنه عدة خطوات بظهرها بينما تميل رأسها بدلال فتتراقص خصلات شعرها على كتفيها اللذين تهزهما بغنج قائلة :

_اتحايل عليّ الأول .

_غادة !





يهتف بها بانفعال صارخ بالفرحة وهو يقلص المسافة بينهما بخطوة واحدة ليضمها إليه قائلاً بصوت مرتجف :

_بالله عليكِ قولي ..

ثم يتذكر ما أوصاه به علاء ليغمض عينيه مقاوماً انفعاله وهو يردف بنفس النبرة المهتزة :

_أنا مش فارق معايا ..لو مفيش ..

_قاللي إني حامل ..

تقاطع بها عبارته بمزيج من فرح ودلال ليكتم صيحة فرحة كادت تغادر شفتيه وهو يهزها بين ذراعيه بانفعال ..

لتميل على أذنه هامسة بالمزيد من دلالها الأخاذ:

_وقاللي إنهم توأم ..

هذه المرة لم يستطع كتمان صيحته وهو يعتصرها بين ذراعيه ليغرق وجهها بقبلاته ..




_اتنين؟! اتنيييين؟! اتنين بجد ؟! ألف حمد وألف شكر ليك يارب ..مش مصدق ..

يهتف بها بانفعال شاعراً أنه يكاد يفقد وعيه من شدة الفرح ..

هل آن أوان الصفح؟!

صفحه عن نفسه وشعوره بصفح القدر عنه ؟!

رؤيا آنجيل تحتضن ابنته تعاود اكتساح ذاكرته فيخفق قلبه بعنف وهو يدور بعينيه حوله كأنه يبحث عن شيئ ما لا يعرفه ..

يشعر أن الأرض تحته تهتز فيتشبث بها بقوة تقرأ فيها عمق انفعاله الذي لا يجيد التعبير عنه بالكلمات كعهده ..

فتنبعث ضحكاتها الرنانة مع قولها بدلالها المرح:

_وقاللي كمان إني محتاجة كتير فيتامين "ب" و"ح"!





_فيتامين "ب" معروف إنما إيه فيتامين "ح" ده كمان ؟!

يقولها بصوت لايزال مرتجفاُ فتضحك وهي تقبل وجنته تباعاً هامسة :

_ده فيتامين "ب"..

ثم تتعلق بذراعيها في عنقه لتضمه نحوها أكثر مردفة :

_وده فيتامين "ح"!

يضحك ضحكة عالية وهو يشدد قوة ضمه لها ليعود فيغرق وجهها بقبلاته هاتفاً بعينين دامعتين انفعالاُ رغم مرح عبارته :

_كل الفيتامينات اللي عايزاها تحت أمرك ونزود كمان .





تنطلق منها ضحكة كارثية أخرى فيدور بها بين ذراعيه عدة دورات حتى تطلق صيحة اعتراض مرحة وهي تقبل أذنيه المحمرتين تباعاً لتدفعه برفق هاتفة :

_كفاية ...ماتدوخنيش زيادة ..الأكل ع النار ...أنامتفقة مع "أنّا" تسيبني أفاجئك بالخبر بس ماينفعش نتأخر عليهم أكتر من كده .

لكنه يتشبث بها بين ذراعيه بقوة للحظات تشعر فيها بارتجاف جسده المنفعل ..

لسانه منعقد لكنها تقرأ في عينيه كل ما يريد قوله ..

عينيه اللتين هجرهما "الحزن الأخرس" ليسكنهما طيف "العشق الأهوج" للأبد ..

فتربت على ظهره برقة لتهمس له بحنان :





_افرح يا سيف ..افرح من قلبك..حقتنا بعد كل اللي شفناه .

ترتجف ابتسامتها بعدها واشية بانفعالها هي الأخرى فيربت على وجنتيها بحنان ثم يقبلهما بعمق هامساٌ :

_شكراً ..

_على إيه؟!

_على العمر الجديد اللي اتكتب لي معاكِ ..على الفرحة اللي ماحسيتهاش تاني إلا بيكِ .

يهمس بها بحرارة مستها لتميل رأسها وهي تكز موضع قلبه بسبابتها هامسة :

_للأبد ؟!

يضحك ضحكة صافية وهو يمد أنامله ليحتضن قلادتها بعبارتهما الأثيرة على صدرها مجيباً بإخلاص:





_حتى تحترق النجوم .

يتشاركان الضحك للحظات ليساعدها في غرف الأطباق ..

ترتدي وشاحها المعلق قريباٌ بسرعة ثم تشير هي لإيناس من نافذة المطبخ المطلة على الحديقة إشارة خاصة بينهما ..

فتتدفع الأخيرة لتتوجه إليهما مع علاء الذي بادر سيف بعناقه القوي ونبرته المرحة تمتزج بتهدج انفعاله :

_شوف كنا لسه بنقول إيه من شوية ؟! مبروك يا ابني !

_مبروك يا حبيبي ! الدنيا مش سايعاني من الفرحة !

تهتف بها إيناس بانفعال جارف فيهتف بها علاء بنبرة عادت إليها مشاكستها:





_اوعي تعيطي وتقلبيها نكد ..أنا بقوللك اهه !

تضحك وسط دموعها التي تمسحها بسرعة فيرمقها سيف بنظرة حنون بينما تحتضنها غادة بقوة لتهتف هي مخاطبة سيف :

_فاكر وعدك ؟!

_فاكر يا "أنّا" ..لو ولد هنسميه هاني!

يقولها بحنان مشفق فتعود دموع إيناس للانهمار من جديد ليهتف علاء مشاكساً :

_ياللا ايابني ناكل دي لو فتحت حنفية النكد مش هنخلص .

_أنا نكدية يا علاء؟!

_فشر! ده انت أيقونة السعادة وبير الروقان ..ورمز الفرفشة عند قدماء المصريين !

يهتف بها بتهكم لينفجر الجميع بالضحك قبل أن يتحركوا ليتناولوا الطعام معاً ..





وما كادوا ينتهون حتى هتفت إيناس بلهفة :

_كلم إسلام فرحه !

_لسه كنت هامسك الموبايل اهه .

يقولها ثم يستأذن منهم ليتناول هاتفه ثم يتحرك به مبتعداً ليتصل بصديقه وما كاد إسلام يعرف حتى علا هتافه الصاخب:

_مبروك يا سيدنا! أيوه بقا شغال مِجوِز ..سيب الفرد للغلابة اللي زينا !

=========

_البيت وحشك ؟!

يسألها زين وهما يدخلان لتوهما غرفة نومهما في قصر الفايد عقب رحلة طويلة قضاها معها في نزهة شهر العسل ..

هذه التي اختارها هو حول العالم بداية من تركيا مروراً ببعض دول أوروبا وانتهاء بجزر المالديف .

تتلفت حولها ثم تتنهد بارتياح بينما تطوق عنقه بذراعيها قائلة :





_كانت رحلة حلوة قوي ..بس طعم البيت هنا حاجة تانية .

سراجا الذهب في عينيه يتوهجان كعهده مع كل كلمة تفضح شعورها بالرضا ..

فيقبل "قمريها الحرّين" بعمق عاطفته ليهمس لها بنبرته الآسرة :

_كل مكان سافرناه رحته قبل كده من قبل ما أعرفك ..بس معاكِ انتِ حسيت ليه روح تانية ..حتى البيت هنا ..

ثم يصمت لحظة ليلصقها به مردفاٌ :

_انتِ بيتي يا ياقوت ..مابقاش مهم الأماكن تختلف .

تغمض عينيها بتأثر من هذا الصدق الذي يبزغ بين حروفه كألف شمس ..

فينثر قبلاته الناعمة على وجهها هامساٌ :





_تعبانة ؟!

يسألها بقلق حنون لتفتح عينيها بجوابها :

_انت اللي معاك راح كل التعب .

يبتسم لها هذه الابتسامة الرائعة التي تدرك أنها أكبر من مجرد انفراج شفاه ..

ربما لأنها خير من يوقن أنها تخرج من قلبه ..

فتجزيه عنها بمثلها ثم تعود لتدور بعينيها في الغرفة لتتوقف نظراتها أمام هذه اللوحة في مواجهة الفراش ..

_إزاي ماخدتش بالي من اللوحة دي قبل كده ؟!

هي شكلها كده من الأول؟!

تقولها ببعض الاستنكار وهي تميز لوحة لطائر أسطوري بين النسر والصقر أسود الريش لكنه





أبيض الرأس له عينين ذهبيتين تشبهان عيني زين..

ومنقار حاد يستند على ما يشبه جوهرة ضخمة بحجمه كاملاٌ وقفت على حافتها المدببة ..

خلفية الصورة تبدو كفضاء عريض بلون السماء المريح ..

لكنها ولسبب ما وجدتها مقبضة !

_معقول؟! يمكن عشان كنتِ مركزة في حاجات أهم !

يقولها ببساطة وهو يتحرك بها نحو اللوحة ذات الإطار الفخم ليشير لها بفخر يناسب قوله :

_أول ما اشتغلت مع بابا أصر يعاملني زي موظف عنده ..وأول عمولة خدتها على صفقة مهمة اشتريت بيها اللوحة دي من مزاد كبير ..علقتها هنا وبتفائل قوي لما بصحى عليها كل يوم ..بحس الطائر ده هو أنا ..والجوهرة اللي ساند عليها دي




هي الحلم اللي نفسي أوصلله ..حلم بوسع الدنيا كلها .

تتباطأ حروفه في كلماته الأخيرة متذكراً فترة كان يحب فيها تلقيب نفسه ب"صائد الكنوز" ..

هذا اللقب الذي يود الآن لو يصلحه ..

لو يخبرها أنها صارت كنزه الوحيد الذي لا يدري من فيهما قد اصطاد صاحبه !!

_عينيه مخوفاني ..وبنظرة طبيبة نفسية بقوللك إن اللوحة دي إسقاط من عقلك الباطن على طموحك اللا متناهي ..ولو فضلت تبص لها كتير عمرك ما هترضى بأي حاجة توصللها ..الأفضل تشيلها من هنا .

تقولها ببعض التوجس فيضحك ضحكة قصيرة وهو يواجهها بقوله :





_وأنا بثق فيكِ كطبيبة ..بس أنا بحب الصورة دي جداً ومستحيل أشيلها من هنا ..بتفائل بيها من زمان .

تمط شفتيها ببعض الاستياء وهي تشيح بعينيها فيعاود الضحك وهو يكتنف ذقنها بأنامله ليسألها بنبرته المهيمنة المشوبة بعاطفته :

_أعتبره استغلال سلطات لفرض الرأي بالقوة ؟!

_هو فين الاستغلال وفرض الرأي ده ؟!

تسأله باستنكار ليبتسم وهو يقرب وجهه منها حتى تمتزج أنفاسهما مع همسه الخطير:

_لما تهربي بعينيكِ دول مني ما يبقاش استغلال ؟!

تبتسم رغماً عنها وهي تحدق في عينيه بنظرة طويلة كأنها تنفي عنها تهمة ..





فتتسع ابتسامته وهو يطبع هدية ناعمة على شفتيها ليقول أخيراً بنبرته المهيمنة التي امتزجت بحنانه :

_يادوب ننام شوية عشان لما نصحى نروح للحاجة ..عارف إنهم واحشينك .

_قوي قوي يا زين ..إسلام وهيثم كمان واحشينني قوي ..إسلام قاللي هيعدي علينا ونسافر سوا ..

تقولها بعمق اشتياقها لهم جميعاً فيهز رأسه موافقاً وهو ينزع عنها وشاحها ليقبل قرط الياقوت في أذنيها كعهده في حركة صارت طقساً معهوداً ألفته ..

بل صار أيقونة الأمان لها وله !

يبدلان ملابسهما ثم يتشاركان الفراش لتتوسد صدره كعادتها فتنساب أنامله بين خصلات شعرها الداكنة ..





تحاول إغماض عينيها مستسلمة للنوم لكن عيني الطائر في اللوحة أمامها كانت لا تزال تبثها خوفاً مبهماً لا تفهمه ..

كيف لم تنتبه لهذه اللوحة من قبل وهما يعدان الغرفة قبل الزفاف ؟!

هل كانت حقاً مغيبة إلى هذا الحد ؟!

_زين!

تهمس بها بنبرة غريبة بين خوف ورجاء وعيناها مثبتتان على اللوحة أمامها ..

فيراقب نظرتها بحدسه الذكي بينما يصدر "همهمته اللذيذة" التي تهدهد مخاوفها ..

فتتردد قليلاً قبل أن تبتلع هواجسها لتغمض عينيها هامسة :

_تصبح على خير .





يقبل عينيها المغمضتين بقوة حانية ثم يشدد ضمة ذراعيه لها فتتنهد براحة وهي تستسلم للنوم على صدره ..

لم تدرِ كم ظلت نائمة لكنها عندما استيقظت أخيراً لم يكن جوارها ..

تلفتت حولها لتبحث عنه لتصطدم عيناها بمرأى الحائط قبالتها ..

لقد كان خالياً من اللوحة !!

تبتسم بغرابة وهي تغادر الفراش لتبحث عنه ..

من دراستها لشخصيته تعلم أن مثله لن يزيح لوحة تحمل مثل هذا الأثر في نفسه فقط لكي يرضيها ..

ليس تقليلاً من شأن عاطفته نحوها إنما هي ـ بطبيعة عملها ـ تفهم أن من مثله يركنون دوماً لأعمدة ثابتة لا يحبون تغييرها ..





يعتبرونها من خطوط رسمهم الرئيسية التي لولاها تتشوه لوحاتهم !!

اتسعت ابتسامتها لطرافة التشبيه الأخير وارتباطه باللوحة ذاتها ثم ارتدت مئزرها لتخرج باحثة عنه ..

كانت تشعر ببعض النشاط بعد ساعات نومها هذه رغم قصرها ..

ربما لهذا هبطت الدرج شبه راكضة لتواصل بحثها عنه ..

وأخيراً وجدته هناك في غرفة مكتبه ..

هذا الذي جلس أمامه وقد فرد اللوحة فوقه ..

_صحيتِ؟!

يسألها بابتسامة صحوة ناقضت عينيه الناعستين لتسأله باستنكار عاتب:





_معقول ما نمتش؟!

تقولها وهي تتقدم نحوه لتتسع ابتسامته وهو يرفع اللوحة أمام عينيها ليسألها وعيناه تترصدان انفعالاتها بترقب ذكي:

_هه؟! لسه عينيه مخوفاكي؟!

تعود ببصرها نحو اللوحة محاولة تبين الاختلاف ثم تتسع عيناها بصدمة وهي تميز ما فعله ..

تشير بإصبعها نحو الجوهرة المرسومة لتهتف بعجب:

_دي ؟!

_الصَدَف اللي جمعناه سوا من ع الشط في المالديف ..وبتلات الورد اللي عجبك لما جبتهولك في باريس ..




يقولها مؤكداً فتعود ببصرها نحو اللوحة حيث قام هو بلصق الأصداف جوار البتلات المجففة لتشغل فراغ الماسة فتملأه تماماً ..

والغريب أنها عندما تفحصت عيني الطائر هذه المرة لم تعد تراها مخيفة !!

_حاولت ألاقي حاجة تفضل تاريخ مشترك بيننا ..

يقولها مفسراً لتقترب منه أكثر قائلة بذهول:

_انت بوظت اللوحة !

فابتسم وهو يسحبها نحوه ليضع اللوحة جانباً ثم يجلسها على ساقيه ليداعب شعرها بأنامله هامساً :

_اللوحة دي بالنسبة لي مش ورق وخطوط ..اللوحة دي هي أنا ..لو مش هيبقى فيها حاجة منك تبقى ناقصة ..





يقولها ثم يعانق كفها ليتحرك به فوق موضع الجوهرة على اللوحة والذي تغطى بالصدف والبتلات ليردف :

_انتِ كنزي الحقيقي اللي هتفضل عيني عليه طول العمر .

تدمع عيناها بتأثر وهي تهمس له بصوت متهدج :

_انت ما نمتش عشان تعملها .

قبلة طويلة منه على جبينها تكون جوابه فتتنهد بعمق وهي تراه يحتضن وجنتها براحته مع سؤاله :

_لسه خايفة منها؟!

تهز رأسها نفياً وقمراها العاشقان يسطعان له بأقوى ما عرفه منهما يوماً ..





عشق يمتزج بخيوط أمان هو من غزلها فأحكم نسيجها ..

فنعمِ -ما- غزل و-من- لبس !

يهمس لها بنبرته الدافئة وهو يلصقها به أكثر :

_لو تعرفي النظرة اللي في عينيكِ دلوقت دي تساوي عندي إيه ..عمرك ما تخافي!

_طب أحبك أكتر من كده إيه ؟! قمرررر يا ناس قمرررر ..سيبوني عليه .

"عفريتتها العابثة" تجتاحها بنداءاتها التي تستجيب لها باستسلام مؤخراً فيفاجأ بها تحتضن وجهه بكفيها لتكتسحه شفتاها بقبلة ساخنة انصهر فيها للحظات ..

قبل أن يبعدها ليهمس لها بمكر امتزج بمرحه :





_دي العفريتة صح؟!

تكتم ضحكة خجلها كجواب بالإيجاب في صدره فيضحك ضحكة عالية ثم يرفع وجهها نحوه ليردف بنفس النبرة :

_طب مش تمهديلي عشان أنا كمان أنده العفريت بتاعي ؟!

ضحكاتها تذوب بين شفتيه وكلاهما يستسلم لجنون عاطفته المستعر ..

جنون لم يعد أحدهما يتعجبه وقد وجد في صاحبه بعثاً بعد عدم ..

هذا الذي انقطع برنين جرس الباب الخارجي فاضطر لإفلاتها من بين ذراعيه لتقفز هي من فوق ساقيه وتعدل ملابسها هاتفة :

_دول أكيد إسلام وهيثم ..أنا كنت نسيت .




يزفر زفرة مستاءة محاولاً تمالك أنفاسه اللاهثة فتبتسم له باعتذار مردفة :

_افتح لهم على ما أغير هدومي .

تقولها لتحمل اللوحة بخفة مع غمزة شقية منها ثم تندفع نحو غرفتهما لتعلقها مكانها بنفسها ثم تقبل مكان الجوهرة بقوة لتضحك ضحكة راضية ..

قبل أن تتحرك لتبدل ملابسها استعداداً للقاء أخويها ..

_أبو التوووووت!!

يهتف بها إسلام بعد دقائق وهو يهب واقفاً مكانه ليفتح لها ذراعيه فتندفع نحوه لتعانقه بحرارة هاتفة :





_وحشتني ووحشني لسانك الطويل ده ..

تقولها وهي تلكزه في كتفه بخفة لتلتفت نحو هيثم الذي عانقها بدفء قائلاً بنبرته العاطفية التي يشوبها حزن طفيف كالعادة :

_حمدالله ع السلامة يا ياقوت .

تبتسم لهما بود ثم تجلس جوار زين الذي أدار الحديث بلباقة لا تنقصه وهو يحكي لهما عن مغامراتهما في رحلة "شهر العسل" ..

ليصدر إسلام صفيراً قصيراً وهو يقول "كلمته الشهيرة" للاستحسان :

_جامدة .

فتضحك ياقوت وهي تقوم من مكانها هاتفة :

_استنوا لما تشوفوا جبتلكم إيه !




تقولها لتغيب لدقائق ثم تعود تحمل بيدها عدة أكياس فتحت أحدهما لتستخرج منه ما رفعته أمام وجه إسلام قائلة بمكر:

_ده مخصوص ليك .

تقولها مشيرة ل"تي شيرت" رياضي من ماركة شهيرة لكنه كان بلون فوسفوري فاقع جعله يهتف باستنكار:

_فوسفووووري! وليّ أنا !!

فتضحك هاتفة بنفس المكر المرح:

_كان أشيك لون هناك ..

ثم تلتفت نحو زين بنظرة خاصة فيقول كلاهما في نفس اللحظة :

_إيش فهمك انت ؟!





يضحك هيثم مستمتعاً بالحوار فيما ينقل إسلام بصره بينها وبين زين المبتسم ليخبط كفيه ببعضهما هاتفاً :

_بهتتي ع الراجل الكُبّرة ؟! آدي اللي كنت خايف منه !

=========

_احلويتِ قوي يا أوبرا مع إنهم بيقولوا حمل الولاد بيوحش .

تهتف بها ياقوت بمرح وهي تجلس مع شقيقتها أمام الفرن في بيت ثمر فجراُ ..لترد لجين بفخر زاد جمال ملامحها :

_عابد كمان بيقوللي كده ..وبقا بيزعل من اسم "أوبرا" ده لولا إني قلتله إني بحبه .

تضحك ياقوت برضا وهي تدخل الصاج للفرن حيث ارتصت كرات العجين ..

بينما تردف لجين وهي تتحسس بطنها البارز ببعض القلق:

_هو طبيعي ما أحسش بحركته لحد دلوقت ؟!





فتعاود ياقوت الضحك وهي تتفحص بطنها قائلة :

_متلهوجة على إيه ؟! بكرة يصحيكِ من عز النوم وهو بيرفس فيكِ وتقوليله اتهد عايزة أنام .

فتضحك لجين بدورها وهي مستمرة في تمسيد بطنها قائلة :

_الدكتور بيطمننا عليه ..بيقول وزنه حلو ..ماقالش لسه ولد واللا بنت بس أنا مستبشرة إنه ولد ..مؤمن ..

ثم تربت على ساق ياقوت جوارها لتردف :

_عقبال عوضك انتِ كمان .

_يارب!





تهتف بها ياقوت بلهفة وهي ترفع كفيها للسماء ثم تنظر للفرن باهتمام حيث الأرغفة التي بدأت تنتفخ لتفوح رائحتها فتتشممها بتلذذ مردفة :

_هتبقى أول مرة زين ياكل عيش من إيدي ..عاملاهاله مفاجأة بعدما يرجع م الصلاة .

_وأنا اللي كنت خايفة عيشتك معاه تغيرك ؟! شكلك انتِ اللي ..آه ..آه ..ياقوت ..هنا ..

تقطع عبارتها بتأوهها الخافت الذي حمل مزيج دهشتها وانبهارها بينما أناملها تمسد بطنها ..

لتردف بصوت متهدج :

_هنا ..هنا اهه ..اهه ..بيتحرك ..

تنفرج أسارير ياقوت وهي تمد كفها بدورها لتتلمس أناملها ذاك الموضع من بطن شقيقتها لتبتسم كاتمة دموع تأثرها ..





فيما عجزت لجين عن فعل المثل وهي ترفع رأسها للأعلى قائلة بخشوع احتضن فرحتها:

_قلتها لعابد من شوية قبل ما يروح يؤم الناس للصلاة ..قلتله ادعيلي أحس بحركته ..ماكنتش عارفة إنها هتبقى قريبة كده ..ألف حمد وشكر ليك يا كريم .

تمسح ياقوت عينيها بسرعة وهي تستخدم العصا الطويلة جوارها لتقلب الأرغفة في الفرن راضية عن مظهرها الشهي لتتمتم هي الأخرى بالحمد ..

ثم تترك ما بيدها لتنهض وتمد كفها نحو شقيقتها لتساعدها على الوقوف قائلة بحنان :

_روحي انتِ ارتاحي بقا واستنيه عشان تفرحيه .

_لسه بدري ..هو بيحب يقعد لبعد الشروق في الجامع ..

تقولها لجين باعتراض لتغمزها ياقوت قائلة :





_يابنت روحي جهزي حالك كده ..دي لحظة تاريخية مش هتعدي "سادة" كده !

فتضحك لجين بخجل وهي تلكزها في كتفها قائلة :

_الجواز خلاكِ قليلة الحيا .

_لا الشهادة لله أنا مظبطاها من قبل الجواز !

تهتف بها "العفريتة العابثة" بداخلها فتنطلق ضحكتها عالية وهي تقرص وجنة لجين بخفة بينما تمسد بطنها بكفها الآخر ثم تدعو لها بالبركة لتقول أخيراً :

_خلاص روحي فرحي ستك ثمر .

_ستي ثمر ع السطوح ومحرّجة عليّ ما أطلعش هناك ..خايفة عليّ م السلم ..تقوليش طالعة برج؟!




تضحك ياقوت وهي تعاود الجلوس لتلتقط الأرغفة الساخنة فتضعها في سلة من الخوص جوارها لتهتف بها لجين باعتراض:

_لا لا ..نسيتي واللا إيه ..فرّدي العيش عشان ما يعجنش.

تطلق ياقوت شهقة اعتذار وهي تفعل ما طلبته لجين لترفع إليها عينين مذنبتين هاتفة :

_يظهر إني فعلاً نسيت ..ماتقوليش لستّك بقا .

_هاستر عليكِ حاضر! مرة من نفسي أبقى العاقلة !

تقولها لجين ضاحكة لترمقها ياقوت بنظرة عميقة وهي تأخذ كلماتها بمغزى آخر ..

كم تشعر الآن أن شقيقتها حقاً تغيرت للأفضل ..





لم تعد تلك المجروحة التي تداري ألمها خلف قناع مرح كاذب ..

بل صارت ضحكتها حقيقية ..فرحتها حقيقية ..مشاعرها حقيقية ..

كل مافيها تخلص من "الزيف" القديم ووقف فاتحاً ذراعيه لعطايا القدر !

أفكارها تنقطع بتأوه لجين التي عادت تمسد بطنها مبتسمة من جديد لتقول أخيراً :

_شكلي عايزة أرتاح بجد ..هاروح أنا.

_ماتشغليش بالك ..ارتاحي انتِ .

تقولها ياقوت وهي تهز لها رأسها ثم ترسل لها قبلة في الهواء تردها لها لجين بمثلها قبل أن تغادر نحو بيتها المقابل ..





تتنهد ياقوت برضا وهي تقلب الأرغفة الساخنة بفخر ثم تختار منها واحداً لتضعه على صينية قريبة وقفت تمسكها لتتحرك بها نحو صالة البيت تنتظر عودته كي تذيقه إياه ..

_بطلي بخل بقا ..واحد ..واحد !

تهتف بها "العفريتة العابثة" داخلها باستنكار فترد بهيام كأنها تحدثها :

_بس هو يعجبه وأنا أأكله خبزة لوحده ..

تنقطع أفكارها وهي ترى حذاءه هناك عند الباب المفتوح فتهرع نحو غرفتها حيث يقيمان هنا لكنها تجدها خالية ..

_معقول؟!





تقولها لنفسها بترقب وهي ترفع عينيها نحو السلم المؤدي لسطح البيت ثم تركض بخطوات نشيطة لتصعده ..

وما كادت تصل حتى اتسعت عيناها بقوة وهي ترى المشهد الذي طالما تمنته منذ عهد بعيد ..

فهناك على الأرض التي افترشتها ثمر جالسة فوق مفرش بسيط كان زين ممدداً ظهره على الأرض ورأسه في حجرها بينما أناملها ذات التجاعيد الحبيبة ترقيه ..

لم تستطع ياقوت منع دموعها وهي ترى أحد أمنياتها به تتحقق ..

ها هو ذا فوق نفس السطح الذي شهد حلمها به ..

يجلس جلستها الأثيرة في كنف ثمر لترقيه بأناملها الطاهرة ..





ترتجف يداها بما تحمله فتشدد من قوة إمساكها للصينية فيما تنتهي ثمر مما تفعله لترفع إليها عينيها الخبيرتين وهي تميز ما بيدها لتقول بفراستها المعهودة :

_يا بخت من كان الخباز حبيبه ..قوم ياابني شوف مراتك جايبة لك إيه .

هنا يفتح زين عينيه فجأة كأنه استيقظ لتوه من حلم غريب ..

يرقب السماء التي شق فيها الضوء ظلمة الفجر لتبدو بهذا اللون المهيب الذي كان قديماً يثير خوفه المبهم ..

لكنه الآن يستشعر قدسيته الغريبة وهي تنفذ لكل خلية من خلاياه كأنها تطهرها معها !

يرفع عينيه لثمر أولاً بنظرة ممتنة عميقة قرأتها الأخيرة بخبرتها في النفوس ثم يعتدل في جلسته ليقبل ظاهر كفها قائلاً :





_شكراً.

_الشكر لله ياابني ..ربنا عالم غلاوتك بقت من غلاوة ياقوت .

تقولها ثمر بحنانها المهيب وهي تتأهب لتنهض من مكانها فيحاول الوقوف بسرعة كي يسندها لكنها تمنعه قائلة :

_بحب أقف لوحدي ..دعوتي كل فجرية لرب العالمين ..مايحوجني لحد طول ما أنا عايشة .

_ربنا يديكِ الصحة وطولة العمر .

يقولها مؤثراً تنفيذ رغبتها فتتنهد بارتياح وهي تحاول الوقوف وحدها لكنها تتعثر في خطوتها الأخيرة فتستند على كتفه ليبتسم لها وهو يمسك كفها فتضحك هي ضحكة طيبة ذكرته بياقوت عندما كان يغلبها أحياناً في نزالات حواراتهما القديمة ..





هذا الذي قرأته ياقوت بخبرتها في أقرب أهل الأرض لقلبها الآن وهي تنقل بصرها بينهما بحب لتتحرك ثمر نحوها بسؤالها:

_لسه الفرن والع؟!

تهز لها ياقوت رأسها موافقة فتلتفت ثمر نحو زين قائلة :

_كل العيش من مراتك وهو سخن على بال ما أحضر لكم الفطار .

_هساعدك ياستي!

_خلليكي جنب جوزك لحد ما أنده لكم .

تقولها بنبرتها الآمرة الحنون فتمتثل ياقوت وهي تراقب انصرافها بنظرات حانية ..





ولم تكد تختفي عن ناظريها حتى ركضت نحو زين لتجلس على ركبتيها أمامه واضعة ما بيدها جانباً لتقول بلهفة :

_كانت بترقيك!

فيبتسم وهو يجذبها نحوه ليجلسها على ساقيه ثم يطوقها بذراعيه هامساً بخجل وجدته غريباً على طبعه ذي الأنفة :

_طلبتها منها وهي ما خذلتنيش .

تطلق صيحة فرحة وهي تشعر بسراجي الشمس في عينيه يتوهجان بألقٍ خاص هذه اللحظة فتقبل وجنته بقوة لتهمس له بانفعال وهي تحتضن وجهه براحتيها :

_مش ممكن تتخيل كنت مبسوطة أد إيه وأنا شايفة المنظر .

_لا ممكن !





يقولها وهو يرفع أحد حاجبيه بمكر واثق ليشدد ضغط ذراعيه حولها مردفاً :

_عينيكِ مابيعرفوش يخبوا عني حاجة .

يقولها مطيلاً النظر لقمريها اللذين تزداد فتنة حريتهما المستحدثة يوماً بعد يوم ..

فلا يدري أيهما أسعد بصاحبه ؟!

لهذا انسابت شفتاه تقبلان عينيها بعمق قبل أن يسند رأسها إلى صدره ليهمس بنبرة أثقلتها عاطفتها :

_البيت ده فيه حاجة غريبة كانها بتمص كل التعب ..كل الحزن ..كل الوجع ..حاجة مميزة ..مريحة ..من كتر ما بتخوف بتطمن ..حاجة بسيطة قوي بس فخمة قوي ..

ثم يصمت لحظة ليرفع ذقنها نحوه متلقفاً نظراتها العاشقة مع استطراده :

_باختصار ..حاجة شبهك !





C i n n a b o n

تدمع عيناها بتأثر فيقبل جبينها ليردف بشرود :

_حتى الجامع هنا اللي بصلي فيه ورا عابد ..رغم إني صليت في جوامع كتير جوه مصر وبره مصر بس عمري ما عرفت إحساس زي اللي عرفته فيه ..حاجة ما تتوصفش ..كأنه سهم نور ضرب قلبك فجأة وبيتحدى أي ضلمة ممكن تسكنه تاني بعدها .

تبتسم بمزيج من عاطفة وفخر وهي تقدر له هذا الشعور لتتناول الرغيف الساخن من جوارها فتقطع له قطعة صغيرة تضعها في فمه قائلة :

_كفاية كلام وكله وهو سخن ..عايزة أعرف رأيك .

تلتمع عيناه بحنان دافق وهو يلوك الطعام في فمه لكن رأيه لم يصلها في كلمات بل في قبلة دافئة طبعها على راحتها لترجفها بشعورها الغامر به ..





تستمر في إطعامه ليتغير موضع قبلته في كل مرة بعدها ..

من كفها..لجبينها ..لوجنتيها..لأذنيها حيث قرطه الأثير ..

ثم لعنقها وما ظهر من جيدها ..

فتتلكأ أناملها وهي تتعمد أن تصغر حجم القطعة في كل مرة كي لا ينفد الرغيف بسرعة !!

لكنه في النهاية نفد ليتنهد هو بمزيج من شبع و..جوع من نوع آخر!

_لو كنت أعرف إنك هتعمل كده كنت خبزت الرغيف أكبر شوية !

بروح "العفريتة العابثة" تقولها بنبرة تهدجت بعاطفتها لتتحرك أنامله على طول ظهرها مع همسه المشتعل باستنكار مغوٍ:





_شوية؟!

_لا ..كتيييير!

تقولها بضحكة أشعلت المزيد من براكينه ليضحك بدوره ووتيرة عبثه تزداد مع سؤاله:

_العفريتة برضه؟!

_قلتلك شقية !

تهز بها كتفيها بدلال تعلم أنه يثير جنونه خاصة وهي تخرج له لسانها بهذه الطريقة المغيظة ليقترب بوجهه منها هامساً بنبرة ألهبتها:

_انسي! مهما عملت مش هتبقى بمستوى العفريت بتاعي!

تكتم ضحكتها في كتفه بخجل ليكون آخر ما تعيه حروفه التي امتزجت بعزف شفتيه على عنقها :

_واللي يحضر العفريت يستحمل أذاه .





أنامله تشتبك بأناملها وهو يسحبها معه ليسقط على ظهره وهي فوقه ..

تحاول التملص منه لأول وهلة لكنها تعجز عن مجابهة مارد جنونه الذي كان يكتسحها ككل مرة دون هوادة ..

فتستسلم له بعاطفة شاركته إياها شاكرة هذا الموقع المميز لبيت ثمر الذي يجعل السطح في عزلة عن العيون ..

لكنها تتمالك نفسها أخيراً فتهمس له برجاء لاهث:

_زين .

لم تدرِ كم مرة احتاجت لقولها كي تقمع هذه الثورة التي اندلعت في شرايينهما معاً لكنه استجاب أخيراً ليبعدها بشق الأنفس مكتفياً بعناقه المعتصر لها ..




لحظات كانت كافية لترسو بهما الموجة فوق شاطئ ساكن هدأت معه أنفاسه قبل أن يصلها صوته المتهدج بينما أنامله تزيح شعرها عن وجهها :

_انتِ عملتِ فيّ إيه ؟!

ترمقه بنظرة متسائلة لكن قلبها سمع الجواب قبل أذنيها :

_أنا عمري ما كنت كده ..طول عمري عارف أنا عايز إيه ..كل حلم حلمته كان زي هرم بطلعه لآخره وبعدها أدور على غيره ..لكن معاكِ انتِ بحس إني مهما وصلت ..مش هاوصل!

تبتسم له بحب وقمراها يتوهجان بهذه القوة التي لم تعرفها إلا معه ..فيتنهد وهو يغرس رأسها على صدره مردفاً :

_عطشي معاك ما بيرتويش يا ياقوت ..جنة مش هاشبع منها العمر كله .





هنا ترفع كفه الذي يحمل دبلتها لتقبلها بعمق هامسة :

_عارف ليه صممت إني أشتري دبلتك دي بالذات بفلوسي أنا ؟!

_عارف ..بس عايز أسمعها منك .

يقولها متذكراً إصرارها الغريب قبل زفافهما أن تشتري هي دبلته من مالها الخاص رافضة أن يقوم هو بهذا ..

لترتسم على شفتيه ابتسامة إجلال وهو يسمعها تهمس بحرارة :

_أنا مابتكسفش أقول إني بحب فلوسي قوي ..بحب كل قرش فيها كسبته بتعبي وشقايا طول العمر ده ..فلوسي مش ورق ولا حساب في بنك ..فلوسي دي عرق ودموع سنين قضيتها ببني حاجة من ولا حاجة ..حاجة اسمها ياقوت سليمان ..





تدمع عيناها مع تحشرج صوتها في عبارتها الأخيرة فيشدد ضغط ذراعيه الداعم حولها لتردف :

_وانت أجمل حلم حققته ..عشان كده بحب دبلتنا دي قوي ..عشان كده بعتبرها أغلى حاجة اشتريتها ..مش بفلوسي بس ..بعمري كله .

يتنهد بعمق رضاه عن هذه المشاعر الدافقة التي تغمر حروفها فيقبل جبينها باعتزاز لتتردد قليلاً قبل أن تقول بمزيج من رجاء وحذر:

_فيه مكان واحد بس هنا لسه عايزاك تروحه معايا .

تتوهج عيناه بنظرة متسائلة ثم تلتمعان بإدراك وهو يرد بذكاء لا ينقصه :

_عند الساقية !





يقولها بتقرير لتطلق آهة خافتة وهي تخفي وجهها في كتفه زاهدة في شرح شعورها ..

ولماذا تفعل؟!

إذا كان هو يقرأ خبيئتها ككتاب مفتوح !

لهذا لم تتعجب استطراده بحنانه الخبير :

_من ساعة ما جينا هنا وأنا مستنيكي تاخديني هناك ..

ثم يمسك كفها ليعد على أطراف أصابعها واحداً واحداٌ :

_ما كنتش هارتاح غير لما ندفن سوا كل ذكرى وحشة ..ونبدلها سوا بلحظة أحلى ..بدأناها بالعشرة جنيه ..وهنكملها لحد آخر المشوار .

تدمع عيناها بتأثر من هذا الحنان الجبار في نظراته قبل أن تشعر به يقوم من مكانه ليقف ويوقفها معه قائلاً بحسم :





_ياللا بينا عشان نلحق نرجع قبل ما الحاجة تخلص الفطار ..بس بشرط!

كان دورها لترمقه بنظرة متسائلة ليردف بحنان حازم:

_ما تعيطيش هناك.

تمنحه عيناها وعدها ثم تتركه لتبدل ملابسها فتتوقف عيناها للحظة أمام إحدى جلابيب أشواق القديمة ..

تزيغ عيناها بنظرة شجن لم تملكها لكنها لم تلبث أن تحولت لابتسامة راضية وهي ترفع وجهها لأعلى قبل أن تمتد أناملها لتتناول واحداً من ثيابها الجديدة .





تخرج إليه لتستأذن ثمر في الذهاب فترمقها بنظرة ذات مغزى وابتسامة واسعة تزين التجاعيد حول شفتيها ..

تتأبط ذراعه بفخر وهي تغادر به بيت ثمر لتتحرك به وسط نظرات أهل القرية المكبرة ..تحياتهم الصباحية لهما..ودعوات كريمة لا تنتهي بالزيارة وتناول الطعام ..

يصلان أخيراً للساقية التي بدت مكانها هذه المرة كعروس تفتح ذراعيها لها ..

فيتفحص المكان حوله باهتمام وعيناه تدوران فيه ..

يتخيل هذا الجحيم الذي عاشته هنا من ذكراتها الخانقة التي روتها له يومها في المشفى لتتقلص ملامحه بألم ..

الأرض غير الممهدة ..الحشائش التي نبتت حولها بعشوائية ..الشكل المخيف للساقية الصدئة ..




كيف تحتمل طفلة أن تهرع إلى هذا المكان وحدها هاربة من قسوة البشر ؟!

_شايف ده ؟!

تنتزعه بها من أفكاره ليقترب فيجد نقشاً صغيراً على المعدن الصدئ لجانب الساقية ل"هلال" صغير كتبت جواره اسمها "دكتورة ياقوت سليمان"..

_كنت بذاكر وأنا شايفاه قدامي ..حلمي اللي وصلتله ..

ثم تضحك وهي تشير لنقش آخر ل"شكل قلب" غُرس فيه سهماً لتردف بخجل:

_وده كان حلمي التاني ..الحب اللي يستاهلني وأستاهله ..





يبتسم وهو يحتضن كفها في راحته لتتنهد وهي ترفع رأسها للسماء تعانق السحب التي بدت لها كعرائس تشاركها فرحتها فتغمض عينيها هامسة :

_الحمد لله .

يضغط كفها في راحته وهو يشعر بها تماماً في هذه اللحظة كما يحلو له أن يصفها ..

"أسطورة"!

أسطورة امرأة صنعت من "اللحد" مهداً ..

أنبتت وسط القبور زهورها فأينعت جنة عامرة ..

وصنعت من نغمة الماضي الشاذة بصخبها لحناً متجدداً تسكن له الأرواح ..

_هو صحيح الميت بيحس بأهله ؟!





تسأله بصوت مرتجف ليبتسم لها ابتسامته الساحرة وهو يقترب منها خطوة داعمة لتخونها دموعها التي اختلطت بحروفها :

_ياريتها تحس فعلاً بينا ..وتعرف إننا بقينا مبسوطين وربنا عوضنا .

_وعدتيني ما تعيطيش .

يقولها غير مسرف في عتابه وكيف يفعل؟!

إذا كان هو نفسه يشعر برهبة هذه اللحظة في هذا المكان !!

لكنها تمسح دموعها بسرعة ونظرتها تحمل لها اعتذاراً كادت تتفوه به لولا أن سمعت هذا الهتاف خلفهما بفظاظة ساخرة :

_يا محاسن الصدف!





تلتفت نحو مصدر الصوت لتتسع عيناها ببعض الدهشة وهي ترى يامن يحمل يمنى مع ياسمين التي كانت تلكزه في خاصرته تنبهه لخشونة نبرته ..

فتبتسم لهما بود حقيقي هاتفة :

_أهلاً يا دكتور ..فعلاً صدفة حلوة ..

ثم تضحك لتردف ببعض الدهشة :

_مش هتبقى أول مرة نتقابل فيها عند الساقية .

وقف زين مكانه مركزاً نظراته على ياقوت وتاركاً ليامن حرية التصرف ليتقدم الأخير نحوهما مع ياسمين التي صافحت ياقوت بحرارة هاتفة :

_حمداً لله ع السلامة ..

ثم التفتت نحو يامن لتردف بحيويتها المعهودة :

_هتشوفينا هنا كتير ..يامن اشترى حتة أرض هنا جنب بيت عمه وهيبنيها ..





يبتسم يامن بما يشبه الخجل وكأنما يستحي من "شعور العودة للجذور" الذي كتمه عمراً والآن يسمح له بالطفو ليسيطر على جميع أفعاله ..

_عملها عشان خاطر يمنى ..عايزها تكبر بين هنا وبين هناك ..صح يا يمنى؟!

تقولها ياسمين مداعبة صغيرتها التي تناولتها من بين ذراعي يامن لتتلقفها منها ياقوت فتداعبها بدورها قائلة بحنان :

_كبرت خالص ما شاء الله ..شفت يا زين؟!

تقولها وهي تقرب الصغيرة من زين فتحفز يامن في وقفته ليبدو كأنما يقف على صفيح ساخن وهو يرى زين يحملها ليداعبها بدوره





لكن الأخير ما كاد يفعل حتى شرعت الصغيرة في البكاء قبل أن تتقيأ فوق قميص زين !

ضحكت ياسمين بحرج وهي تتناولها منهما لتمسح لها فمها بمحرمة ورقية هاتفة باعتذار رقيق:

_معلش لسه واكلة .

فيما يبتسم يامن بشماتة واضحة وهو يستعيد صغيرته ليربت على ظهرها فتتوقف عن البكاء وهي تمسح وجهها في صدره ..

_اتفضلوا افطروا معانا ..ستي ثمر مجهزة الفطار .

تقولها ياقوت بود وهي تمسح قميص زين بمنديلها هي الأخرى لترد ياسمين بود مماثل:

_والحاجة مراة عم يامن كمان ..معلش ..خلليها فرصة تانية ..





تقولها وهي تشعر بيامن يتشبث بكفها في تملك لتنصرف معه بعد تحية قصيرة ..

وما كادا يبتعدان حتى سمح يامن لضحكاته بالتحرر وهو يداعب الصغيرة بأن يرفعها لأعلى فتتعالى ضحكتها مع قوله :

_حبيبة بابا دي ..

ثم يلتفت لياسمين مردفاً بشماتة ساخرة :

_شفتيها وهي بترجّع عليه ؟!

تكتم ياسمين ضحكتها وهي تهز رأسها لتقول بمرح :

_مفيش فايدة ..

فيعاود الضحك باستمتاع وهو يداعب الصغيرة سائراً بهما بين الزرع لتسأله ياسمين بمكر :




_بس ماكانتش صدفة يا دوك ..انت قصدت تروح بينا هناك لما شفتهم ..صح؟!

_مفقوس أنا ؟!

يسألها وهو يرفع أحد حاجبيه بحركته العابثة لتضحك وهي تجيبه بسرعة:

_قوي .

ضم الصغيرة لصدره مربتاً على ظهرها لتطلق أصواتاً طفولية راضية وهي تلوح بذراعيها الصغيرتين في الهواء لتردف ياسمين بثقة :

_انت كنت عايز تروح مخصوص عشان تطمن على ياقوت .

ظل لحظات صامتاً مكتفياً بابتسامة ليلتفت نحوها أخيراً فتسأله وهي تعرف الجواب:

_واطمنت؟!





_بلاش رغي ..أنا جعان ..ياللا بسرعة عشان نلحق الفطار .

يقولها وهو يركض بالصغيرة التي علا صوت ضحكاتها فتبتسم ياسمين مدركة هروبه من الجواب لتسرع الخطا محاولة اللحاق بهما هاتفة :

_استنوني!

وفي مكانها كانت ياقوت تراقب انصرافهما بابتسامة واسعة كانت شغله هو الشاغل ..

هذه التي مسها بإبهامه بخفة ليقول بنبرته الحاسمة :

_كفاية كده هنا ..عشان ما نتأخرش ع الحاجة ..

تهز له رأسها وهي تتأبط ذراعه بقوة فخورة لتعود معه أدراجها نحو بيت ثمر شاعرة بالرضا ..





ذكرى أخرى مظلمة طمستها لتبدلها بإحدى شموس غرامه !

=========

_السلام عليكم ..اشتقتك يا حوريتي.

يهتف بها عابد وهو يفتح لها ذراعيه عقب عودته من الخارج لتندفع نحوه هاتفة بلهفة :

_اتحرك يا عابد !

يرفع حاجبيه بدهشة للحظة غير مدرك لما تعنيه خاصة وفتنتها الاستثنائية في منامتها الحريرية التي كشفت كتفيها وذراعيها ومساحة لا بأس بها من بطنها تزيغ عينيه قليلاً ..

لكنها تمسد بطنها بضحكة انفعالية تجعله يطلق آهة قصيرة قبل أن تفاجأ به ينحني جالساً على ركبتيه أمامها ليمسد بطنها بدوره هاتفاً بلهفة شغوف:

_أين ؟! أين ؟!





تضحك ولهفته تدفع المزيد من العاطفة في شرايينها لتمسد بطنها بدورها محاولة استشعار حركة جنينها التي أحستها من قبل لكن دون جدوى !

_والله اتحرك ..ياقوت كانت معايا وحست بيها ..يوووووه بقا ..والله كان بيتحرك .

تهتف بها مكررة بخيبة متذمرة فيضحك وهو يقبل بطنها العاري عدة قبلات متتابعة قبل أن يستقيم واقفاً من جديد ليراقب ملامحها السمراء بافتتان بينما أنامله تتحرك على طول ذراعيها قائلاً :

_لا بأس يا فضية ..لعله نائم الآن .

تطلق زفرة خائبة وهي تعاود تمسيد بطنها فيحيط كتفيها بذراعه ليتحرك بها نحو الأريكة القريبة




التي جلسا فوقها لتغمرها عاطفة نظراته التي شملتها بإعجاب لا يدعيه ..

يتخير كلماته كي يصرفها عن هذه الخيبة التي تملأ ملامحها :

_كم يليق بكِ هذا اللون ! لا أظنني رأيتك بهذه من قبل !

يقولها مشيراً لمنامتها بلونها بين الوردي القاتم والأرجواني والذي أضفى فتنة خاصة على سمرتها لتبتسم وقد نجح في مسعاه فتتورد وجنتاها مع إسبال جفنيها بقولها :

_ياقوت جابتهالي معاها ..عجبتك ؟!

_جداً..

يقولها وهو يضمها نحوه أكثر ليعاود تمسيد بطنها مردفاً بنبرته الآسرة التي يغلبها حنانه مهما اتسمت بالعبث:





_خاصةً وهي تبرز بطنك هكذا فتمنحني فرصة مداعبة طفلي.

تضحك بخجل وهي تخفي وجهها في كتفه فيداعب خصلات شعرها الناعمة المنسدلة فوق كتفيها ..

لتحتضن كفه فوق بطنها قائلة :

_أول ما حسيت بحركته قلت دي بركة دعاك لينا ..افتكرتني وانت بتصلي؟!

يصمت قليلاً فترفع عينيها نحوه بتساؤل لتحتضن هذه النظرة الرائعة في عينيه والتي امتزجت بسحر ابتسامته مع جوابه :

_منذ رأيتكِ أول مرة ولم تفارقيني في دعائي ..اختلفت الصيغة في كل مرة إنما بقي اسمك سراً في حديثي مع ربي ..كنتِ لغزاً ثم أملاً ثم فرحة ثم ابتهالاً ألا أُحرَم صحبتكِ في الدنيا ولا في جنة الآخرة .





تنفرج شفتاها في رغبة بالرد لكنها تعجز عن مجاراته في الحديث كعهدها..

فترفع كفه الحر نحو شفتيها تقبله بعمق لتقول بصوت متهدج:

_مش عارفة أرد بكلام حلو زي بتاعك ..بس ربنا عالم إني ..

تقطع عبارتها وهي تشعر بحركة جنينها تحت كفيهما المتعانقين لتصرخ بفرحة :

_اهه يا عابد ..حاسس بيه ؟! قول آه ..قول آه ..

لكنه كان عاجزاً عن النطق وهو يستشعر هذا النبض تحت أنامله ..

شديد الخفوت إنما بالغ الأثر في القلب!!

تدمع عيناه بتأثر وهو يحرك كفه فوق بطنها ملاحقاً هذا الشعور الرائع ..





_ماشاء الله لا قوة إلا بالله ..الحمد لله رب العالمين ..سبحان من هذا خلْقه ..اللهم إني استودعتك إياه فلا تريني فيه بأساً وأنبته نباتاً حسناً ..

يغمغم بها بخشوع فتبتسم هي برضا وهي تؤمن سراٌ لتسمعه يردف مغمض العينين :

_الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتمّ علينا نعمته .

_كنت لسه هسألك على دي النهارده !

تقولها بخجلها الذي لا يكاد يفارقها فيفتح عينيه بتساؤل لترد :

_كنت بقرأ في المصحف ووقفت قدام الآيات ..ليه ربنا سبحانه وتعالى قال "أكملت لكم دينكم" و"أتممت عليكم نعمتي" ..ليه "أكملوا العدة" و"أتموا الحج" ..إيه الفرق بين "أكمل" و"أتمّ"؟!





يبتسم وهو يربت على رأسها ليجيب :

_يعجبني تدبرك للقرآن يا حوريتي .."أكمل" تعني أن ينهى العمل على مراحل متقطعة بينها فواصل زمنية ..أما "أتم" فتعني ألا يجوز للعمل أن ينقطع حتى ينتهي ..لهذا قال تعالى "أكملوا العدة" في الصيام لأنه لو أفطر المرء بعذر فيجوز له أن يكملها في الشهور الباقية من العام بصورة متقطعة ..لكنه تعالى قال "وأتموا الحج" لأن شعائر الحج لا يجوز أن تنقطع ولو لفترة قصيرة ..كذلك قال تعالى "أكملت لكم دينكم " لأن الدين نزل على مدار ثلاثة وعشرين عاماً بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى فترات متقطعة ..فيما قال سبحانه "وأتممت عليكم نعمتي" لأن نعمه عز وجل لم تكن لتنقطع علينا أبداٌ .

تتسع عيناها بفهم مع كل حرف ينطقه بكل هذا السلاسة وبكل هذا الخشوع قبل أن ترتسم على




شفتيها ابتسامة فخور وهي تعود لتقبيل كفه بحب قائلة :

_زادك الله علماً ورزقك حسن العمل به .

_صرتِ تتحدثين مثلي ..تحاولين تقليدي ؟!

يقولها مشاكساً لتضحك بخجلها المعهود وقد عادت لطريقتها المعهودة مجيبة :

_وأنا أطول أقلدك ؟! والله بتطلع كده غصب عني ..محبة !

_محبة !

يكررها برضا وهو يطوقها بين ذراعيه ليقربها منه أكثر هامساً لها بأصدق ما سمعته يوماً :

_أشهد الله أني ما عرفت حباً ولا سكناً في حياتي كما تذوقته معكِ ..أخبركِ سراً ؟!

ترفع إليه عينيها المشعتين بعاطفتها ليتنهد بعمق وهو يداعب خصلات شعرها مع رده :





_تعرفين قصة أصحاب الصخرة الذين أغلق عليهم باب الغار وكيف نجا كل منهم بعمل صالح جعله سراً بينه وبين ربه؟! كلما كنت أقرأها كنت أسأل نفسي عن خبيئتي مع ربي ..عن عمل صالح أخفيته بين ضلوعي ورجوت فيه الإخلاص ..لم أكن أجد لي إلا نعمة غض البصر ..كنت أحتسبها عند الله خالصة لوجهه ..

تتسع ابتسامة إجلالها وهي تحتضن وجنته براحتها التي قبّلها برقة ليردف :

_رأيت ثمرتها في الدنيا ..في سحرك الذي يجمع بعيني كل فتنة النساء ..وأرجو من الله أن أكمل عهدي معه للآخرة .

_"تتمّ" مش "تكمل" ..واللا انت ناوي تقطع عادتك يا شيخ؟!

تقولها باستنكار غلب خجلها ليطلق ضحكة عالية شاركته فيها للحظات ..





قبل أن يقرص وجنتها بخفة قائلاً بمرح:

_غلبتِني يا أم مؤمن ..هل أعلمك لتجادليني؟!

تضحك من جديد بفخر يرسم المزيد من هالات الثقة حول وجهها لتقول وهي تمسد بطنها :

_بحب "أم مؤمن" دي لما تقولها قوي ..بس ..انت هتزعل لو جت بنت ؟!

تقولها ببعض الخشية ليبتسم بسماحة قائلاٌ:

_ومن يكره البنات؟! هن المؤنسات الغاليات ..لكنني أستبشر خيراٌ برؤيا الشيخ ..

يقولها ثم يميل على بطنها ليداعبه بأنامله قائلاٌ بمرح كأنه يخاطب ابنه :

_أخبرني أنت وأنا سأفهم ..نقرة واحدة تعني فتاة ..نقرتين تعني ولداً ..

تكتم ضحكتها بترقب وهي تنتظر معه أي حركة لتشعر بأول حركة هناك وبعدها سكون ..





فيتبادلان النظر للحظات بالمزيد من الترقب كأنهما يصدقان حقاٌ هذه اللعبة ..

_شكلها بنت !

لم تكد تقولها حتى شعرت بحركة متتابعة في بطنها كأنها نقرتين متتاليتين ..

لتعاود القول بمرح:

_لا أهه..شكله ولد .

لكن نقرة واحدة أخرى تجعلها تضحك معه من جديد قائلة :

_بيلاعبنا ..شكله هيطلع شقي .

فيطلق ضحكة مرحة وهو يعاود ضمها بين ذراعيه قائلاً:





_من شابه خاله فما ظلم .

تضحك بدورها وكلمة "خاله" التي نطقها عفوية تذكرها بعطايا القدر الكريمة التي تغمدتها مؤخراً ..

تتذكر ما قاله إسلام يوماً لترد عبر ضحكاتها :

_"الشيخ الفهلوي" ! إنتاج مشترك بينك وبين إسلام ..هيبقى ماحصلش..ده ..

صوت طرقات عالية على الباب يقاطع كلماتها مع الهتاف المميز بصوت الطارقة :

_افتحي يا ست لجين ..ستي ثمر عايزاكم عشان نفطر سوا ..

_دي رابحة ..افتح لها انت ..هاقوم أغير هدومي لو شافتني كده هتعمللي زفة في البلد .





تهتف بها بسرعة وهي تنهض من جواره فينهض بدوره ليهتف بها بحنان:

_تمهلي ..لا داعي للعجلة .

تبتسم له بحب وهي تغادر نحو غرفتهما لتغلق بابها خلفها فيما تحرك هو ليفتح الباب مخاطباً رابحة بقوله :

_عشر دقائق فقط وسنكون هناك .

_ماشي!

تقولها وهي تعطيه ظهرها كي تنصرف فيكاد يعود لغرفة لجين لكنه يسمع رنين هاتفه فيفتح الاتصال ليهتف بسعادة طاغية :

_الصالح! افتقدتك يا رجل ..أين كانت كل هذه الغيبة ؟!





يسمع الجواب من الطرف الآخر للاتصال فيضحك ليتحرك نحو حاسوبه المحمول الموضوع على مائدة السفرة هناك والذي فتح شاشته ليضغط أحد الأزرار فتبدو له صورة الصالح بابتسامته البشوش:

_كيف حالك أنت ؟! علمت عن مغامراتك الأخيرة عقب عودتي من السفر ..لم أكن في ماليزيا وقتها .

يتنهد عابد بحرقة لم يتمكن من إخفائها وهو يستعيد ذكرياته البائسة تلك ليرد بأسى:

_لا كتبها الله عليك ولا على أحد ..كانت كربة عظيمة يا صاحبي .

_يبتلى المرء على قدر دينه يا عابد ..احمد الله أن نجاك من القوم الظالمين .

يقولها الصالح بوجهه البشوش الذي تعمد أن يخفي فيه أساه لما علمه عما حدث





لصديقه ..خاصة وملامح عابد التي يراها تفضح له أن أثر الأمر عليه لم يختف تماماً بعد ..

ليردف بضحكة صافية:

_علمت كذلك أنك ستصير أباً ..مباركٌ ..ستسميه باسمي صحيح ؟! لن تجد ..

يقطع حديثه فجأة وهو يميز هيكلها الصغير الذي أطل برأسها من خلف باب الشقة المفتوح ..

"المعتوهة"!

حمقاؤه المعتوهة التي لايزال يذكر تفاصيلها المبهجة ..

ترمقه من خلف ظهر عابد بهذه النظرة المبهورة من عينين لايزال يذكر شقاوتهما الغريبة ..

شقاوة تذكره بحلوى "المصاص" التي لايزال يحتفظ بها كذكرى من هذا البلد ..ومنها!





_هل هناك مشكلة في الاتصال ؟! أم أنك قطعت حديثك؟!

يسأله عابد غافلاً عما يحدث ليبتسم الصالح وهو يسبل جفنيه محاولاً غض بصره عن الحمقاء هذه فيكمل حديثه :

_كنت أقول أنك لن تجد اسماً أفضل من اسمي كي تسمي به ابنك .

_آه والله يا شيخ ! هو يطول اسمك واللا شكلك ..ده أنا أمي داعيالي إني شفتك النهارده ..هو البعد بيحللي كده ؟!

تهمس بها سراً بهيام وهي تمد رأسها أكثر ..ترى عابد يضحك وهو يطرق برأسه فتستغل الفرصة لتظهر نفسها أكثر وتلوح للشاشة بكفها بخفة قبل أن تعود للاختباء عندما رفع عابد رأسه ليرد بانطلاق:




_تعلم كم أود هذا يا صاحبي لكن الشيخ هنا بشرنا باسمه ..المرة القادمة أعدك أن ..

كان الصالح غافلاً عن الاستماع لبقية عبارته وهو يكتم ضحكته بصعوبة بعدما رأى تلويحها المستتر له ..

ضميره يخزه بعتاب على هذه اللهفة التي تتملكه الآن ..

لكنه يعود ليذكر نفسه ..إنها طفلة ..فقط طفلة ..

مثله تماماً عندما ..!!

يقطع أفكاره عامداً وهو يعقد حاجبيه مقاوماٌ مرارة ذكراه الخاصة ليتحاشى النظر نحو الشاشة من جديد ..

فيسيئ عابد تأويل وجومه وهو يهتف ليراضيه :

_لم أعلم أن الأمر سيضايقك هكذا .




لكنه يبتسم ليقول دون أن يرفع عينيه :

_أنا أمازحك فقط يا صديقي ..بورك لك في عطية الله ..أتمنى لو ترسل لي صورته عند ولادته .

_إن لم تحضر خصيصاً لتراه فسأسافر لك به .

يقولها عابد بحرارة ليرفع الصالح عينيه من جديد نحو الشاشة بحذر لكنها كانت قد أخفت رأسها تماماٌ ..

فقط كتفها كان يبدو له خلف الجدار الذي اختبأت خلفه ..

فيبتسم وهو يحاول استعادة روحه المشاكسة :

_بل سآتي أنا ..وأرى كيف تتصرف كأب مذعور مرتبك محمر العينين لا يعرف كيف يحمل قطعة لحم صغيرة يزعمون أنها ابنه !




يتشاركان الضحك للحظات قبل أن يشعر عابد بباب غرفتهما يفتح لتخرج منه لجين سافرة عن وجهها فيدير شاشة الحاسوب ليخاطب الصالح بقوله :

_أحدثك في وقت لاحق ..الحاجة ثمر تنتظرنا على الإفطار .

_تبيع صاحبك الذي اشتاقك لأجل الطعام؟! بئس الصاحب !

يقولها الصالح مشاكساً ليغلق الاتصال بضحكة سمحة تناقض عتابه الظاهر فيبتسم عابد وهو يتحرك نحو لجين التي هتفت بسرعة:

_ياللا عشان ما نتأخرش على ستي..

تقولها وهي تنظر نحو الباب لتردف وقد رأت كتف رابحة المتواري :

_مش هتبطلي طبعك ده يا مطيورة ؟!




يلتفت عابد بدوره ليبتسم وهو يلمح ما تحكي عنه ..

خاصة وقد ظهرت الفتاة أخيراً بملامح مذنبة ليبدو وجهها البائس مع قولها :

_الحق عليّ ..قلت أستناكي عشان ما أرجعش لستي ثمر بإيدي فاضية .

تهز لجين رأسها بيأس وهي تتوجه نحوها لتقرص وجنتها ببعض القوة هاتفة :

_وإيه كمان يا "رويتر"؟! عارفة لو نقلت حاجة لأمك أو لحد من أهل البلد عن بيتي هاعمل فيكِ إيه ؟! وريني موبايلك !

_والله ما صورت حاجة !

تهتف بها الفتاة مدافعة وهي تتأوه بدلال فتبتسم لجين وهي تضمها نحوها بحنان قائلة :





_طب ياللا عشان ما نتأخرش .

تقولها وهي تسدل نقابها على وجهها لتمسك كف عابد بإحدى قبضتيها بينما تشد بالأخرى على كف رابحة التي كانت تنظر من خلف ظهرها للشاشة المظلمة بحسرة ..

لكن ابتسامتها تعود لتغلبها وهي تتذكر ملامحه إذ رآها ..

ملامحه الوسيمة التي زادتها ابتسامته سحراً وهو يتعرف إليها ..

هو لايزال يذكرها إذن ..

من يدري؟!

ربما يهيم بها حباً كما تفعل هي!!

خاطرها المبهج يجعلها تتقافز في مشيتها لتترك كف لجين وتعدو بخطوات شبه راكضة طفولية نحو بيت ثمر المقابل ..




فترمقها لجين بنظرة حانية بينما عابد يقول بسماحة :

_فتاة هوجاء ..لكنها طيبة !

فتتنهد لجين بحرارة وهي تراقبها من بعيد لتقول بما بدا كحدس صادق من توجس:

_ماهم دول اللي يتخاف عليهم اليومين دول ..ربنا يسترها عليها .

=========

_وفي نهاية المناقشة قررت اللجنة منح الباحثة "هانيا ...." درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى .

تعج القاعة بالتصفيق فتدمع عينا هانيا بفخر وعيناها لا تميزان وسط الحضور سوى عينيه هو ..





هو الذي هرعت إليه دون أي تحفظ لتلقي نفسها بين ذراعيه ..

لم تكترث بالنظرات حولها ..

لم تعِ مكاناً ولا زماناً سوى أحقيته هو بأن يقطف أول ثمار نجاحها ..

هو الذي كان قلبه يخفق بانفعال مشابه وهو يضمها إليه بقوة شاعراً أن هذا الإنجاز يخصه هو قبلها !

ترفع إليه عينيها لتروعها هذه الدموع في عينيه والتي ناقضت قوله المرح :

_مبروك يا "هنايا" ..نجحنا !

تضحك وسط دموعها ثم تعاود إخفاء رأسها في ضلوعه مع كلماتها المرتجفة :

_نفسي أصرخ وسط الناس كلها أقول إنت السبب ..لولاك ما كنتش هاوصل هنا .





_وادي اللي كنت بقول عليها عاقلة ..لمي نفسك يا دكتورة بقا هتفضحينا .

هتاف يامن الذي يمزج مرحه بفظاظته خلفها يجعلها تفيق من سكرتها لتلتفت نحوه بضحكة خجول ردها بضحكة عالية تزايدت مع هتاف رامز المعترض:

_ياعم سيبنا نسترزق يا عم ..هي الكحكة في إيد اليتيم عجبة ؟! ربنا وحده عالم شقينا أد إيه لحد ما وصلنا لكده .

تشاركهم نبيلة الضحك وهي تجذب هانيا من بين ذراعي رامز لتضمها إليها بقوة ثم تهمس في أذنها بصوت أرجفه انفعاله :

_هو ده ..هو ده بالظبط الفيلم اللي كان نفسي أبقى بطلته .





ترنو إليها هانيا بعينيها الدامعتين ثم ترفع كفها
نحو شفتيها تقبله بامتنان في حركة لم تفعلها من
قبل ..

هذه التي وجدت صداها في قلب نبيلة التي
اعتصرتها بين ذراعيها عاجزة عن منع دموعها ..

يراقبها يامن مكانه شاعراً أنه يراها كعهده مؤخراً
بصورة "الأم" التي افتقدتها سنوات عمره
الأولى ..

لم تعد تهتم بهذه التجاعيد التي صارت تهاجم
وجهها بضراوة كأنها تثأر من طول تعاملها القديم
معها ..

آه!

كم يود لو يصرخ بها أنه يعشق هذه الخطوط واحداً
واحداً ..

يعشقها وهي ترسم له لوحة أمومة لم تعرف
الألوان إلا متأخراً ..متأخراً جداً !!





وعلى ذكر الألوان يلتفت ل"سيدتها" جواره ..

ياسمين التي وقفت تحمل يمنى وعلى شفتيها ابتسامة تحتضن ابتسامته ..

وفي عينيها نظرة تكاد تنطق أن لن يفهمك مثلي أنا !

فيميل عليها هامساً بنبرة دافئة صارت تهذب فظاظته الفطرية :

_كل حاجة فيكِ بتحضنني ..حتى حروفك بتحضن حروفي ..يامن وياسمين ..

ثم يتناول الصغيرة من بين ذراعيها ليضمهما معهما مردفاً :

_ويمنى !





تتسع ابتسامتها وهي تسند رأسها على كتفه بنظرتها التي تشعره أن هذا العالم بأسره لم يعد يحوي غيره ..

فيردها لها بمثلها ثم يعود ليرقب سعادة هانيا برضا ..

هانيا التي وقفت تتلقى مباركات الحضور الذين توافدوا إليها بنظرات اعتزاز وكفها يتشبث بكف رامز في إشارة واضحة ..

هو ليس نجاحها وحدها ..هو نجاحهما معاً !!

_مبروك يا دكتورة .

تأتيها من "زميلتها المنتقبة" التي أسرّتها يوماً بتلك النصيحة النافعة والتي كانت تنظر لكفها المشتبك بكف رامز نظرة راضية فضحكت لها هانيا وهي ترد لها مباركتها بنظرة ذات مغزى جعلت الأخيرة تضحك لها بدورها بصفاء ..





_عقبالي يارب ..أنجح بس ..أنجح .

تهتف بها داليا بنزقها المعهود وهي تتقدم نحوها لتعانقها فيهتف يامن بسخريته المعهودة :

_يا فاشل يا فاشل !

يضحك مروان ضحكة عالية وهو يضم كتف داليا إليه داعماً ليرد عنها :

_فشر! مين دي اللي فاشلة ؟!

_خليه خليه ..بكرة لما أنجح هادبسه في هدية تطلع من نافوخه .

تهتف بها داليا بمشاكستها المعهودة ليرد يامن :

_والله أنا مستعد لأي حاجة بس أشوفك متخرجة كده ورافعة راسي .




_يعني كان لازم تناقشي دلوقت يا هانيا ؟!
ماكنتيش عارفة تأجليها شوية؟! حاسة إني هاولد وأنا واقفة !

تهتف بها رانيا باعتراضٍ واه وهي تمسد بطنها ليضحك أشرف مخاطباُ هانيا بقوله:

_معلوماتي الستات حملها تسع شهور بس احنا دخلنا الشهر العاشر ..شكلنا بقا وحش قوي..مش عارف ليه البنت دي محجرة جوه كده ومش عايزة تطلع .

_ماتفكرنيش إنها بنت ..بإذن الله هيطلع الدكتور حمار وشايف غلط ..أنا عايش ع الأمل ده .

يهتف بها يامن بانفعال مرح فتعلو ضحكاتهم جميعاً لترقبهم هانيا بسعادة طاغيةٍ وهي تضغط كف رامز في راحتها أكثر ..

لم تشعر بالسعادة في حياتها كما تفعل الآن ..




كأنما اعتلت قمة جبل طموحها لتلوح برايتها من فوقه ..

هل بقي من السعادة ما لم تختبره بعد ؟!

والجواب تمنحه لها اللحظة القادمة وهي تراها تدخل من باب القاعة تتأبط ذراع سيف الذي تركته لتهرع إليها بخطوات راكضة ..

فاندفعت نحوها بدورها لتعانقها هاتفة :

_غادة ! إيه المفاجأة الحلوة دي ؟!

ثم رفعت إليها عينيها الدامعتين لتردف بانفعال:

_سافرتِ مخصوص عشاني ؟! وانتِ حامل كمان ؟!

_ماكانش ينفع أسيبك لوحدك في يوم زي ده حلمنا بيه سوا من زمان .





تقولها غادة بانفعال مشابه فتضحك كلتاهما وكل منهما تشبك كفيها بكفي الأخرى على صدريهما في "حركة قديمة" اعتادتها الصديقتان منذ عهد معرفتهما الأول ..

_فخورة بيكِ قوي .

تقولها غادة عبر دموع فرحتها فتهتف هانيا بانفعال مشابه :

_أنا كمان فخورة بيكِ قوي ..

تقولها وهي تنظر لسيف الذي انسحب لتوه من عناق أمه ليتقدم منهما فيبسط راحته على كتف غادة بدعم ثم يبارك لزوجة شقيقه بكلمات مناسبة ..

شقيقه الذي اندفع نحوه ليعانقه بقوة هاتفاً :

_نوسع بقا للكبير ..زيارة غالية والله .





تضحك غادة وهي تنتحي بهانيا جانباً لتهتف بسعادة :

_حماتك شكلها طايرة بيكِ .

فتتوهج ملامح هانيا مع كلماتها :

_من امبارح وهي هتموت م الفرحة ..اتصلت بكل قرايبها تعزمهم ع المناقشة ..ما تتصوريش فرحتي وأنا سامعاها بتتباهى بيّ قدامهم .."الدكتورة مراة ابني" ..

تقول كلماتها الأخيرة مقلدة لكنة حماتهما ورافعة ذقنها بإباء لتضحك غادة ضحكة عالية فتمسد هانيا بطن صديقتها بخفة لتردف بنفس السعادة :

_انتِ راضيتيها بطريقتك وأنا راضيتها بطريقتي ..نبقى خالصين .





فتعود غادة للضحك للحظات ثم تميل رأسها لتقول بترقب:

_عندي مفاجأة .

ترمقها هانيا بنظرة متسائلة لتردف بضحكة عاطفية :

_طلعوا بنتين ..اتفقت مع سيف نسميهم "هانيا" و"إيناس" !

_هانيا؟! هتسمي هانيا؟!

تهتف بها هانيا بانفعال ثم تنكب عليها من جديد تعانقها لتضحك غادة دامعة العينين بتأثر من رد فعلها ثم تربت على ظهرها لتردف بامتنان دافئ:

_اخترت أقرب اسمين في الدنيا ليّ دلوقت ..لولاكِ عمري ما كنت هاوصل لبر الأمان ..

ترفع إليها هانيا عينين دامعتين تأثراً فتمسح غادة دموعها بسرعة هاتفة بمرح :




_مفيش عياط النهارده يا دكتورة ..اتشطري بس والحقي هاتي بنت نسميها على اسم طنط عشان ما تقفشش علينا .

_بنت تاني؟! ده كان يامن قطع علاقته بيّ !

تهتف بها هانيا لتتعالى ضحكاتهما من جديد فاضحة ارتياحاً حقيقياً لصديقتين رست سفنهما فوق المرفأ الصحيح أخيراً بعد طول سفر ..

_بنتين يا كبير ! بتنتج ب"الجوز"؟!

يهتف بها رامز بمشاكسته الوقحة كالعادة فتحمر أذنا سيف بخجله المعهود مكتفياً بابتسامة لتلكز أمهما رامز في كتفه وتنهره هاتفة :

_صلي ع النبي كده وسمي ..الله أكبر ..واتشطر انت كمان وهات لنا فردة واحدة حتى !

_أوبا! الحاجة بتحرجني وأنا بتقمص .





يقولها رامز بمسكنة مصطنعة فيضحك سيف وهو يهم برد لولا أن انطلقت صرخة رانيا في الجوار لتعلن عن الحدث المنتظر ..

=======

_مناسبتين في يوم واحد ! كتير عليّ كده والله !

يهتف بها يامن بمرحه الفظ وهو يدخل إليها غرفتها في المشفى عقب ولادتها مباشرة لتتقدم إليه نبيلة بالصغيرة التي فاضت لها ملامحه حناناً ناقض غلظة قوله :

_مرحباً بكِ في "جبلاية الحريم" اللي ربنا ابتلاني بيها .

_اخس عليك يا يامن ..البنات كلهم خير .

تهتف بها نبيلة بحنان فيضحك أشرف وهو يحتضن كف زوجته حيث جلس على فراشها قائلاً بود:

_سيبيه يا طنط ..بكرة يتحايل عليّ عشان يشيلها وأقولّه أبداً .





وكأنما يعانده يامن فيتناول الصغيرة من بين ذراعي أمه ليضمها لصدره بقوة حنون مع قوله :

_بس ..بس ..أنا ليّ فيها زيي زيك ..قوليله يا رانيا .

تبتسم رانيا عبر ملامحها المتعبة لتقول بصوت شاحب:

_لولا إني مش عايزة أكبرك كنت قلت إن جدها مش بس خالها .

كلماتها مع صوتها المنهك ترسم المزيد من خيوط الحنان حول ملامح يامن الذي تقدم نحوها ليسألها باهتمام:

_انتِ أحسن دلوقت ؟!

تهز له رأسها مطمئنة فيضغط أشرف كفها في راحته بحنان ليسألها :





_وعدتك انتِ اللي تسميها ..هه؟! عايزة نسميها إيه ؟!

_ما تسموش من غيري

تهتف بها داليا وهي تدخل الغرفة لتوها فتهتف بها هانيا بتحفز:

_بس يا جبانة ..لسه جاية تظهري دلوقت .

_انتِ عارفاني ما بستحملش ..كنت هاقع منكم .

تقولها بنزقها المعهود وهي تتلقف الصغيرة من يامن لترمقها بنظرات مبهورة مردفة :

_قمر قوووي ...خدي قلبي مش عاوزاه ..دي نسميها "راوند" وش!

_وده إيه راوند ده ؟! قبل الفطار واللا بعد الفطار ؟!





يقولها يامن بتهكم فظ لتلكزه ياسمين التي وقفت تحمل يمنى في خاصرته لترفع داليا أنفها هاتفة باعتزاز :

_ده اسم فارسي ..معناه حبل تعلق عليه عناقيد العنب .

_والله ما حد عايز يتعلق غيرك يا مجنونة .

يقولها يامن وهو يمط شفتيه باستياء لترد رانيا بصوتها الواهن :

_لا ..عايزة أسميها "أماليا".

_وإيه أماليا ده كمان ؟!

يسألها يامن مستنكراً لترد مدافعة :

_ده اسم يوناني معناه اللطيفة الجميلة .

_ياخواننا نقوا أسامي بني آدمين بقا ..إيه ده ؟!

يهتف بها باستنكار فيقول أشرف عبر ضحكاته :





_خلاص اختار انت.

يصمت للحظات مفكراً ثم يقول بحسم:

_هيسكالاتاه.

_إيه؟!

يهتف بها الجميع في آن واحد باستنكار ليقول ببراءة مصطنعة عبر تهكمه :

_ده أصله منغولي ..ومعناه العبد لله مسك الحديد تناه .

ضحكاتهم تنطلق صاخبة في نفس اللحظة لترتج بها جدران الغرفة ..

فترقبهم نبيلة مكانها وهي تزداد يقيناً في كل يوم أن هذا هو الدور الذي ضلت عنه عمراً لكنه الآن وجدها ليمنحها جائزة "الأوسكار" !





فرحتهم وهم ملتفون حولها بسعادتهم الراضية ونظراتهم المطمئنة تساوي لديها الدنيا وما فيها ..

_بفكر أسميها نبيلة .

تقولها رانيا بحنان أخيراً وهي تقرأ بشخصيتها المستحدثة نظرات خالتها ..

فتدمع عينا نبيلة وهي تهز كفها برفض لتقول بصوت متحشرج:

_لا لا ..نبيلة ده اسم قديم قوي ..وبعدين عايزاها تطلع زيي مثلاً؟!

هنا يتحرك يامن نحوها شاعراً بانفعالاتها الداخلية التي ماعادت تتكلف إخفاءها تحت قناع "النجمة" كالسابق ..

فينحني ليقبل جبينها باعتزاز ثم يضم كتفها لصدره بينما رانيا ترد بحرارة لا تدعيها:





_وأنا أطول تطلع زيك ؟! لولاكِ انتِ ويامن كنا ضعنا بعد وفاة بابا وماما الله يرحمهم .

تتدفق الدموع من عيني نبيلة وهي تشعر بتاريخ تقصيرها الطويل معهم يكاد يطفو للسطح من جديد لكنها تطمسه بهذه النظرات الدافئة العطوف التي تتدفق من عيونهم جميعاٌ ..

فتعاود هز كفها برفض قائلة :

_برضه لأ ..نبيلة قديم ..

ثم صمتت لحظة لتدور بعينيها بين وجوههم من جديد مردفة :

_سميها فرح ..على اسم اللي كلنا دلوقت حاسيناه بعد مرارة الأيام اللي فاتت دي كلها .

_موافقة .

تهتف بها داليا بصوت عالٍ ليتبعها الجميع واحداً تلو الآخر ..





تلتفت رانيا أخيراً نحو أشرف بعينين متسائلتين كأنما تختبر رضاه عن الاسم ..

فينحني ليقبل وجنتها بحنان قائلاً :

_مش هتبقى أول فرحة ..مامتها قبلها كانت فرحة عمري كله.

_اوعوا تكونوا سميتوها من غيري .

تهتف بها نشوى التي دخلت لتوها مع ريما فيما بقي إسلام مع مروان ورامز بالخارج ..

_بصراحة ..آه ..كنا بنفكر في فرح.

يقولها أشرف بمرح فتتلقف نشوى الصغيرة لتتفرس في ملامحها بحنان قائلة :

_حلو قوي ..سبحان الله لايق عليها كأنها اتخلقت له ..





_عقبالك .

تهتف بها رانيا لترتبك ملامح نشوى وعيناها تغيمان بنظرة غامضة بينما تتطلعان لريما التي وقفت تشد ملابسها هاتفة :

_وريها لبابا ..وريها لبابا ..

_مش لما تشوفيها إنتِ الأول .

تقولها نشوى بابتسامة مرتبكة وهي تقرب الصغيرة بحذر من ريما التي أشاحت بوجهها برفض هاتفة :

_مش هاشوفها إلا معاه ..تعالي نوريهاله أو هاروح أندهله ..

تقولها ثم تندفع للخارج لتنفذ ما تنتويه فتتنهد نشوى ونفس النظرة الغامضة تزداد كثافة في عينيها ..





يطرق إسلام الباب ليدخل مع ريما التي تجذبه من ذراعه بلهفة هاتفة :

_مارضيتش أشوفها غير معاك ..ياللا بقا ..

يبارك لرانيا بمرحه المعهود ثم يتناول الرضيعة من نشوى ليقبل وجنتها من بعيد بخفة قائلاً :

_نسخة من أشرف .

فتضحك رانيا قائلة بعفوية :

_نبيلة بتقول لما الست بتحب جوزها قوي بيطلع ابنها شبهه ..عقبال ما نشوى تجيبلك نسخة منك .

_يااااارب!

يهتف بها بلهفة وهو يقرب الرضيعة من ريما التي قبلتها بحرص لتهتف بعدها باعتراض:

_لا مش عايزة نونو شبهك ..هتحبه أكتر مني ..





فتزداد تلك النظرة الغريبة في عيني نشوى تأصلاً وهي تطيل النظر نحوهما ليهتف هو مخاطباً الصغيرة :

_عمري ما هاحب حد أكتر منك ..انتِ البريمو .

_يعني إيه بريمو؟!

_يعني..الأولى ..السوبر ستار .

يقولها مفخماً لهجته بمبالغة لتضحك ريما باستمتاع فيناول الرضيعة لرانيا ..

ثم يبسط ذراعه على كتفي نشوى التي بدت واجمة نوعاً مع ابتسامتها المرتجفة ..

فغمزها بحركته المعهودة مستغلاً انشغال رانيا بين رضيعتها وريما ليميل على أذنها هامساً :

_عقبال ماتجيبلي نسخة مني ..يا عسل .





فتزداد ابتسامتها ارتجافاً وهي ترد له لهجته بمثلها :

_اتنين منك خطر على البشرية ..نسخة واحدة يادوب ربنا يقدرني عليها!

=========

_أنا فاشلة ..فاشلة !

تهتف بها داليا لنفسها وهي تخبط رأسها في طرف طاولة المكتب عدة مرات بيأس قبل أن تعاود رفعه وهي تنظر لكتبها التي تراصت أمامها ك"قتلى حرب" !!

موعد الاختبارات النهائية يقترب وتخشى بمستوى تحصيلها الرديئ هذا أن تضطر لإعادة العام !!

_يارب أنجح وأتخرج يارب ..دي آخر سنة !





ترفع كفيها بدعاء حار ثم تحاول فتح مذكرة ما أمامها لتجتهد في التركيز لكنها تعاود إغلاقها بزفرة ضائقة ..

تدور بعينيها في الغرفة حولها والتي تحولت لما يشبه "اسطبلات" الخيل من فرط ما تعج به من فوضى ..

ليست غرفة المكتب فحسب ..الشقة كلها كذلك !!

تدمع عيناها رغماً عنها وهي تنهض محاولة ترتيب المكان لكنها لا تدري من أين تبدأ ..

فتعاود إطلاق زفرة ساخطة وهي تمسد بطنها ..

لم تتناول شيئاً منذ الصباح ..

جائعة لكنها تشعر بالكسل عن الطبخ ..

بقيت ساعة واحدة على موعد عودة مروان ..

ستطلب منه أن يتناولا العشاء بالخارج هذه الليلة ..أيضاً!!





الخاطر الأخير يكدس المزيد من دموع إحساسها بالفشل في عينيها ..

تتحرك نحو الموقد لتضع القدر ببعض الماء فوقه تاركة إياه يغلي ..

ثم تتناول من الخزانة القريبة ما فضت غلافه بسرعة لتلقيه فيه ..

_اندومي!! تاااااني؟!!!

صوته خلفها يفزعها نوعاً فتلتفت نحوه بعينيها الدامعتين اللتين مسحتهما بسرعة وهي تقول بعنادها المعهود :

_برمي أكياس البودرة والزيت عشان مضرة ..وباعملها بالجبنة الرومي بس ..جيت بدري ليه ؟!





يجذبها من ذراعها نحوه ليتفرس ملامحها ثم يسألها بابتسامته الحنون التي ناقضت مشاكسة عبارته :

_مالك يا آخرة صبري؟!

_كويسة ..زي الفل ..

تقولها هي الأخرى بنبرة تناقض هذه التكشيرة فوق ملامحها خاصة وهي تتفلت من بين ذراعيه لتقلب محتوى القدر ثم تضيف إليه الجبن فيضحك وهو يبسط ذراعه على كتفها هاتفاً :

_أيوة أيوة والاهتمام ما بيتطلبش ولو كنت مهتم كنت عرفت لوحدك والاسطوانة إياها دي .

ترمقه بنظرة جانبية مختلسة دون أن تبتسم فيزيد المزاح بقوله :

_فعلاً الحياة ليست عادلة ..يعني صاحبي الأنتيم يبقى متجوز شيف عندها بدل المطعم اتنين ..وأنا أرجع البيت ألاقي الغدا اندومي !





هنا تلتفت نحوه فجأة بنظرة حادة ودموعها الحبيسة تتحرر من مقلتيها مع كلماتها :

_أول مرة تقارنني بحد !

_داليا .

يهتف بها بجزعِ حقيقي وهو يجذبها بين ذراعيه في عناق دافئ للحظات ثم يربت على شعرها قائلاً :

_انتِ عارفة إني ما أقصدش ..فيه إيه يا حبيبتي ؟! مالك؟!

تستسلم لبكائها للحظات بين ذراعيه ثم ترفع إليه عينيها بشكواها:

_حاسة إني فاشلة في كل حاجة ..لا عارفة أذاكر ولا عارفة آخد بالي م البيت ..مش عايزة أخذلك وأطلع عيلة ..بس كل الحاجات دي كبيرة عليّ .





فتنهد بحرارة وهو يتحرك ليطفئ الموقد دون أن يبعدها عن ذراعيه ..

ثم تحرك بها ليجلسها على الطاولة القريبة ثم يقف أمامها فيرفع رأسها نحوه قائلاً بمزيج حنانه وقوته المعهود :

_اتعودي دايماً لما تلاقي قدامك مهمة كبيرة قسميها لمهمات صغيرة ..كل ما تعملي واحدة فيهم هتحسي بالإنجاز يحمسك للي بعدها لحد ما تتفاجئي إن الحاجة الكبيرة اللي كانت زي الجبل قدام عينيكِ دي بقت سهلة جداً ..

ثم تناول راحتها في كفه ليدور فوقها بسبابته مردفاً :

_نبتدي الأول بالحاجات اللي ممكن غيرك يعملها ..تنضيف البيت هاجيبلك واحدة تساعدك ..الأكل ..ممكن نستحمل سوا ونقضيها بأي حاجة مش مشكلة ..




تتشقق شفتاها بابتسامة مرتاحة يدللها بشفتيه للحظة ثم يكمل حديثه بنفس النبرة :

_تتبقى مذاكرتك ..ودي محدش هيقدر يعملها غيرك ..بس أوعدك أفضي نفسي كل يوم ساعتين بعد العيادة نراجع فيهم سوا ..أنا طبعاً ما أعرفش في منهجكم حاجة ..بس ممكن أسمعلك مثلاً .

تمد ذراعيها فجأة لتعانقه بقوة وهي تقفز من فوق المائدة لتغرق وجهه بقبلاتها الطفولية فتصدح ضحكته العالية في أذنها وهو يتشبث بها أكثر بينما هي تهتف بانفعال:

_انت مش ممكن ..مهما الدنيا بتقفل في وشي دايماً عندك حل ..أنا بحبك قوي قوي قوي ..

_ربنا يقدرني طول ما أنا عايش ما أشيلكيش هم حاجة أبداً .





يقولها بحنانه الدافئ فتستطيل على أطراف أصابعها لتقبل رأسه بعمق امتنانها ..

رأسه "الأصلع" الذي طالما تندرت بقبح مظهره والآن تجده مع كل يوم يزداد في عينيها قيمة وجمالاٌ ..

حبه لم يكن مجرد كلمات خبا بريقها بعد تملكها بعقد زواج ..

لكن هاهو ذا يثبت لها في كل يوم أنه جنتها على الأرض ..

دعمه واحتواؤه لا يقلان أبداً عن جموح عاطفته ..

هذه التي اختبرت قبساً منها الآن وهو يضمها نحوه ليتذوق اعتراف شفتيها بطريقته التي يعشقها وتعشقها هي مثله ..

قبل أن يبعدها ليتنهد بارتياح وهو يحتضن وجنتيها قائلاً بصدق :





_مين دي اللي تتقارن بأي ست في الدنيا ؟! ده أنا تعب يومي كله بيروح أول ما برجع لك هنا وآخدك في حضني .

تضحك بدلال عاشق وهي تحتضن كفيه على وجنتيها فيضحك بدوره هاتفاً :

_اعملي حسابي معاكِ بقا في الاندومي على بال ما آخد دش ع السريع كده ..تصبيرة ع الماشي لحد ما نخرج نتعشى بره .

عيناها تكتسيان بالخزي من جديد فيضحك وهو يداعب أنفها بسبابته مردفاً باعتزاز:

_سيبك من قصة الأكل دي خالص بكرة تبقي أشطر ست في المطبخ ..ركزي بس في مذاكرتك عايزك تخلصي من الكلية دي بقا .

تهز له رأسها بامتنان وهي تراقبه ينصرف عنها ..





تغرف الطعام "البسيط" في طبقين متشابهين ثم تضعهما على المائدة لتصنع لهما مشروباً دافئاً وتصبه كذلك في كوبين فخاريين متشابهين ..

تراه يعود إليها بمنامته بلونها الأزرق القاتم والتي تشبه منامتها كما تصر هي -بهوس- منذ تزوجا أن تتخير له كل حاجياته متطابقة مع مثيلاتها لديها متى تيسر ذلك ..

تبتسم وهي تشاركة الثرثرة لدقائق مستمعة معه لنوادر عمله الصباحي ..

والتي ختمها بقوله :

_يتوب علينا ربنا! عيال اليومين دول مش أطفال أصلاً ..الولد بكشف عليه ألاقيه مكشر وضارب بوز ..وأول ما خلصت لقيته اتلفت ناحية مامته بيقوللها هاكل سبانخ وأشرب لبن لحد ما تطلع لي عضلات أكسر بيها العيادة دي على دماغه ..




قهقهت ضاحكة وهو يقلد صوت الطفل الذي يحكي عنه ليخبط هو كفيه ببعضهما مردفاً :

_سفاح صغير!

_مش بتحب الأطفال ..اشرب بقا!

تقولها بشماتة ضاحكة ليخبط بكفه على صدره بفخر مع رده :

_مين ده ؟! وأنا سبته إلا لما بقينا أصحاب ..واتفقنا في معاد الإعادة هيجيب التاب بتاعه عشان يلعب معايا لعبته اللي بيحبها .

رمقته بنظرة فخورة طويلة وهي تربت على كفه قائلة بالانجليزية باعتزاز:

_This is my man

فابتسم لها بحب وهو يرد بمشاكسة :





_الفضل لسعادتك ..بعد ترويضك كل ده لعب عيال .

تنهدت بحرارة وهي تتذكر تاريخهما المشترك معاٌ لتقول بهيام :

_عمري ما هانسى عمري الجديد اللي اتكتب بين ايديك ..انت وهو .

تقولها وهي تخرج له لسانها بحركة دلال مغيظة بينما عيناها تشيران لحاسوبه المحمول هناك ..

فضحك وهو يرفع كفها لشفتيه يقبله هاتفاً بغيرة مصطنعة :

_هتخلليني أغير منه ..بس مش هتبقى أول مرة ..ده أنا كان هيجيلي فصام بسببك يا شيخة ..يااااه ! كل ما افتكر نفسي وأنا بكلمك من الحساب المجهول وبقوللك "لا تتباسطي مع مروان هذا ..أنا أغار" !





جلجلت ضحكتها عالية ليردف بغيظ :

_بتضحكي؟! ده أنا كنت هاضرب نفسي بالقباقيب ع اللي كنت بعمله ده والله !

_بعد الشر عليك يا مارو!

تقولها بدلالها العذب وهي تغادر مقعدها لتعانقه بقوة طابعة قبلتيها على وجنتيه ثم تردف بعجلة :

_هاروح ألبس عشان ما نتأخرش ..نتعشى ونرجع على طول .

لكنه يقف مكانه ليبتسم قائلاً بحنان :

_لا ..هنتعشى ونتمشى شوية تغيري جو عشان تشحني طاقتك كده لبكرة ..مش عايزة تاكلي درة ؟!

_وحلبسة !

تهتف بها بلهفة طفولية فيضحك ضحكة عالية وهو يضمها نحوه بينما هي تردف بنفس النبرة :

_من عربية "حمودة" اللي مكملة تعليمها بره !





تقولها لتتفلت من بين ذراعيه راكضة نحو غرفتها
حيث وقفت حائرة أمام خزانة ملابسها ..

اكتسبت الكثير من الوزن بعد الزواج بطبيعة الحال
وهو ما يبدو كارثياً لامرأة مثلها ..

لهذا تلكأت أصابعها على الثياب المتراصة أمامها
لتفاجأ بهاتفها يرن بهذه النغمة المميزة ..

قدام مرايتها عادي

بتتدلع براحتها ..

بستناها وبستعجلها ..

تضحكلي وأبص لها ..

تختار ألوانها تسأل ..

عن رأيي في فستانها ..





_مين اللي غير لي نغمة الموبايل؟!

تسأله بنظرة متوهجة دون أن تحتاج لجواب وهي تجد الاتصال من رقم إحدى صديقاتها لتتجاهله ..

ثم تلتفت نحوه هو لتجده يهز كتفيه قائلاٌ بابتسامة واسعة :

_أول ما سمعتها قلت ما تليقش على واحدة غيرك ..

ضحكت وهي تجد الرقم يرن من جديد لتتبعث النغمة من جديد فيرددها هو معها بصوته العذب الذي تشعر برنّته تمس وتراً بروحها لم تعرفه قبله ..

فتتنهد بهيام وهي تتخير من ملابسها طاقمين رفعتهما أمام عينيه كأنها تخيره ..

ليكمل بنفس الصوت العذب:

_طب هاختار ازاي وجمالها بيحللي الدنيا بحالها !

========




تسير جواره متشابكي الأيدي على الرصيف يمسك كل منهما كوبه من المشروب الدافئ الحار لتطلق هي زفرة حارقة هاتفة :

_مشطشطة قوي ..

_قلتلك بلاش شطة وانتِ اللي صممتِ .

_لا لا ..ده جمالها في كده .

تهتف بها مكابرة وهي ترتشف رشفة أخرى من الكوب بعناد تدمع معها عيناها فيضحك قائلاً بإشفاق:

_بالراحة .

يقولها وهو يجدها تسحب كفها منه لتحركه حول وجهها طالبة الهواء بينما تخرج لسانها لتحركه بسرعة فاحمر وجهه وهو يمسك كفها ببعض العنف هامساً بضيق:

_دخلي لسانك احنا في الشارع .





لم تعد ملاحظاته هذه تثير ضيقها وهي تراها تنتقص من شأنها بل صارت تفهمها حقاً كما يريد لها ..

هي نجمته التي يرى فيها الكمال ولن يسمح أن ينتقصها أحدهم يوماً بدلالة عيب ..

لهذا ابتسمت له وهي تطبق شفتيها بعد اعتذار قصير ..

قبل أن تشعر برذاذ المطر الذي بدأ هطوله حولهما وجعله يقول باهتمام:

_كفاية كده ونرجع ..عارفك ما بتحبيش تمشي في الشتا ..

فتتسع ابتسامتها وهي تتأبط ذراعه بقوة لتلصق نفسها به قائلة :

_بس انت بتحبه ..وأنا معاك مابقتش أخاف منه زي الأول ..خللينا نتمشى كمان ..





يبتسم لها بعمق عاطفته ليكملا مسيرهما تحت المطر فتتنهد بحرارة وهي تشعر أنها وجدت معه الأمان الذي عاشت ترجوه عمرها كله ..

لم تعد تخشى ماضياً أو غداً ..

هو كفاها كل هذا!!

يعودان معاً لسيارته فيقودها نحو متجر ألعاب قريب توقف أمامه ليفاجئها بهديته التي عاد بها ..

_ميريدا!

تهتف بها بسعادة وهي تضم الدمية القطنية لصدرها فيضحك قائلاً:

_من غير القوس بس معلش..انتِ مش محتاجة أسلحة ..لسانك كفاية .




تلكزه في كتفه بخفة وهي تغرق الدمية بقبلاتها طوال الطريق تحت نظراته الحانية ..

السيارة تتوقف أمام البناية فيخرج لها من "تابلوه" السيارة كيساً آخر :

_هارمونيكا ..وبِلي..لا لا ..ده كده دلع النهارده ماحصلش !

تهتف بها بفرحة طفولية وهي تضم كل هذه الأشياء لصدرها فيكتنف ذقنها بأنامله ليدير وجهها نحوه هامساً :

_عجبتك الخروجة ؟!

_قوي .

تهمس بها بامتنان ليرد بنفس الحنان الدافئ :

_يعني عوضت دموع النهارده ؟!





تتسع عيناها للحظة ثم تلقي ما بيدها جانباً لتعانقه بقوة دون محاذير فيضحك هاتفاً بخشونة مصطنعة :

_مفيش فايدة ! اصبري لحد ما نطلع طيب ..هاعلم فيكِ لحد امتى بس ؟!

لكنها تتشبث بعناقه أكثر لترفع إليه عينيها هامسة :

_مش هتأسف المرة دي ..حضنك مالوش مواعيد ..خصوصاً في لحظة زي دي ..شكراً يا مروان .

تدمع عيناها دونما سبب ..

وربما لأقوى سبب!!

هذه العاطفة الهادرة التي تزأر بين جنبيها والتي كان يشاركها مثلها وهو يتنهد بحرارة ليقبل جبينها هامساً :




_أنا اللي لازم أشكرك ..زمان كنت بخاف أحلم أحسن الحلم ما يتحققش ..لكن انتِ علمتيني أفضل ورا حلمي لحد ما أحققه ..الفرحة اللي حاسسها دي ..تستاهل!

تبتسم له ابتسامة عاشقة فيرفع أحد حاجبيه بنبرة موحية :

_يتهيألي بقية الكلام الحلو ده تبقى فوق .

فتغمزه غمزة شقية وهي تعاود تناول حاجياتها

لتترجل من السيارة ويصعدان معاً نحو الأعلى ..

أحد الأبواب يفتح لتطل من خلفه طفلة صغيرة ما كادت تراه حتى تهللت أساريرها وهي تهتف باسمه ..

فتلقفها بين ذراعيه قائلاً بحنان :

_خارجة ليه في البرد ده ؟! ادخلي اتدفي .




يطل خلفها والدها ليصافحه قائلاً بود :

_كانت بتتفرج ع الشتا م البلكونة وأول ما شافتك أصرت تخرج تشوفك ..أقوللها ده الدكتور بتاع الحقنة ..تقوللي مروان جميل ..

ضحك مروان ضحكة عالية وهو يقبل الصغيرة بحنان شعرت معه داليا بالغيرة خاصة عندما امتدت عينا الصغيرة نحو ما تحمله هي لتمد ذراعيها الصغيرتين فتنتزعهما منها هاتفة :

_بتاعتي ..ميريدا !

شعر مروان بالحرج والطفلة تتشبث بهدايا داليا ليحاول والدها التدخل وانتزاعها منها لكن مروان هتف مجاملاً :

_سيبهم لها مش مشكلة ..هنجيب غيرهم ..

_لا دي حاجتي مش هاسيبها .





هتفت بها داليا بعناد يشبه عناد الصغيرة وهي تعاود انتزاع حاجياتها منها فانفجرت الأخيرة في البكاء لينقل مروان بصره بينهما بحرج لكن والد الصغيرة ينقذ الموقف فينسحب بابنته ويغلق الباب خلفه ..

يرمقها مروان بنظرة عاتبة فترمقه بنظرة أشد عتاباً وهي تركض نحو درجات السلم لتسبقه ..

وما كاد يدخل ويغلق الباب خلفه حتى هتف بها بعتاب :

_كده ؟! تعملي عقلك بعقلها ؟!

_انت إزاي توافق تديها حاجتي؟!

تهتف بها بعصبية غيور وهي تلوح بذراعيها مردفة :

_إزاي تحضنها وتبوسها كده ؟! الدلع ده ليّ أنا ..أنا بس !

تدمع عيناها في كلماتها الأخيرة فاضحة انفعالاً حقيقياً لا تدعيه فيهز رأسه قائلاً بنفس العتاب الآسف:

_بتغيري من طفلة يا داليا ؟!

يزداد تكاثف الدموع في عينيها ثم يفاجأ بها تلقي ما في يدها لتهرع إليه لتطوقه بكل قوتها هاتفة بنفس الانفعال :

_بغير من أي حاجة وأي حد ياخدك مني ..حنانك ودلعك ده بتاعي أنا بس ..أنا بنتك ومراتك وحبيبتك .

لم يكن يعلم في هذه اللحظة هل يبتسم لهذه العاطفة الهادرة التي تسطع كالشمس بين حروفها ..

أم ينهرها ناعتاً إياها بالحماقة !!

_يعني لو جبنا بنت ..هتغيري منها ؟!





يسألها مهادناً ومحاولاً احتواء انفعالها غير المنطقي هذا لترفع إليه عينيها هامسة بصوت متحشرج :

_يمكن عشان كده مش عاوزة دلوقت ..أنا عايزة أشبع من حبك ده ..مش عايزة حد يشاركني فيه ..

فيهز رأسه بابتسامة وإبهامه يدور ببطء على شفتيها مع همسه :

_لا أنا كده أسيب "العاشق" التاني يرد عليكِ ..يمكن هو يقنعك أحسن مني .

تبتسم وسط دموعها فتبدو كحمقاء تماماً ليبتسم بدوره وهو يمسح دموعها فتأخذ نفساً عميقاُ قبل أن تبتعد لتتناول حاجياتها وتغادر نحو غرفتهما ..

يلحق بها ليبدل ملابسه لكنه يفاجأ بها ترتدي أحد قمصان النوم المكشوفة ..




_هتبردي !

يهتف بها ناهراً بمزيج حنانه وحزمه لكنها تلتصق به هاتفة بدلالها الكارثي:

_مانت هتدفيني !

_داليا ! بلاش هزار في صحتك ..انتِ عندك امتحانات ومش وقت تعب !

يقولها بنفس الحزم الرفيق وهو يتناول منامتها الشتوية ليعطيها إياها لكنها تحركت بسرعة راكضة نحو الفراش الذي انسلت تحت غطائه لترمقه عيناها بهذه النظرة التي تمزج شقاوة الأطفال بإغواء النساء!

يبتسم رغماً عنه وهو يتقدم نحوها قائلاً :

_يعني مفيش فايدة ؟!

_تؤ!





تهمس بها بدلالها العابث فلا يدري أيهما سبقه إليها ..

قلبه أم قدماه ..

معركة عاطفية شديدة الصخب ينصهران بها تحت الغطاء ليضمها أخيراً في عناق طويل لم تكن ترجو أفضل منه نهاية لهذا اليوم ..

تفتح عينيها صباحاً لتجد الفراش خالياً منه ..

كعهده يغادر مبكراً رافضاً إيقاظها معه ..

تتناول هاتفها وهي تتثاءب بكسل لتتسع عيناها بترقب وهي تميز رسالة من العاشق المجهول ..

(حرامٌ في عرف حبك الغيرة ! متى علمتِ بأنكِ طفلة القلب الأولى وامرأته الأخيرة فكيف لمثلكِ أن تغار!)





تتنهد بهيام وهي تعيد قراءة رسالته لمرات ومرات قبل أن تتصل به لتقول كلمة واحدة :

_بحبك .

هذه التي ضبطت مزاجه هو طوال اليوم حتى عاد في آخره ليفاجأ بطفلة الأمس جارته تستقبله على الدرج محتضنة دمية ميريدا ..

كان قد عاهد نفسه أن يشتري لها مثلها لكنه نسي في خضم انشغاله ..

والآن يجدها تضحك له وهي تشرح له بنبرتها الطفولية أن داليا زارتها صباحاً كي تمنحها إياها ..

يبتسم باعتزاز فخور وهو يقبل الصغيرة ليتركها نحو شقته هو بالأعلى ..

والتي فتحها ليفاجأ بترتيبها غير الاستثنائي مع رائحة الطعام الشهية ..





Cinnabon

الطعام الذي رُصّ على المائدة جوار شموع رقيقة ..

_انت جيت!

تهتف بها بنزقها المعهود وهي تندفع نحوه من الداخل لتشير لما حولها مردفة بفخر طفولي:

_خلصت مذكّرة بحالها من اللي عليّ ..وطبخت الأكل ده لوحدي ..ونضفت الريسبشن على أد ما قدرت .

يضحك بفخر حقيقي وهو يتقدم نحوها لتتنهد قائلة بامتنان :

_شفت بقا ..كلامك بيعمل المعجزات .

_انتِ اللي معجزة !

يقولها بنفس الفخر وهو يحاول عناقها لكنها تبتعد مشيرة لهيئتها المزرية بشعرها المتعرق الذي





التصق بجبينها ومنامتها التي اتسخت في مواضع عدة ..

_ممنوع اللمس لحد ما أستحم وأغير هدومي ..مش طايقة نفسي..ريحتي ..

لكنه يقاطعها غير آبه بملاحظتها ليجذبها نحوه في عناق قوي قبل أن يغرق وجهها بقبلاته ..

هذه هي صغيرته التي يحبها ويفخر بها ..

والتي لا يكفيها سوى قبس من حنانه كي تتوهج كشمس!

_للدرجة دي مبسوط مني ؟!

تهتف بها بدلالها المعهود ليغيب بين شفتيها مانحاً إياها جواباً غير منطوق ..

هو لم يروض جياد عنادها وطيشها الجموحة فحسب ..





هو عرف كيف يوجهها للمرعى الصحيح!

فنعم العشق والعاشق!

=======

بلاش بالشكل ده نمشي

طريق العمر لنهايته

ويفضل كل واحد فينا

حاسس ان شئ فايته

جمعنا الحب يوم

لكن بقينا في بعض بنعادي

وصوت العقل قال نمشي

وفيه شئ بينا بينادي

هنبعد فتره ونفكر

عشان يبقى القرار هادي..

عبر شروده في المكان الذي قد يراه للمرة الأخيرة تبدو عيناه وكأنما تعلقتا بباب غرفة مكتب أبيه ..

مغلق!

كعهده منذ الأحداث الأخيرة لم يفتح أحدهم بابه ..

فهل يجرؤ هو الآن أن يفعلها ولو للمرة الأخيرة ؟!

خطواته تسحبه نحو هناك لكنه يشعر بكف أمه يقبض على كتفه بمزيج من حنان وحسم ..هذا المزيج الذي يليق بقولها :

_بلاش! مالوش لازمة يا هيثم !

يلتفت نحوها بعينين دامعتين لترتجف ابتسامتها وهي تشير للمكان الذي تم إخلاؤه حولها ..

مما جعل لصوتها صدىً خاصاً يتردد بينهما :

_البيت ده مش جدران وعفش ..البيت ده كان كل عمري اللي فات ..فاكر إنه سهل عليّ أسيبه دلوقت




؟! ...بس أنا هاعملها ..لازم أعملها ..عشان ألحق اللي باقيلي من نفسي ..ومنكم .

فتزداد كثافة الدموع في عينيه وهو يرى أناملها تتشبث بقلادتها في عنقها ..هذه القلادة التي حملت صورته هو مع إسلام ..

_كل يوم بفكر نفسي إني ما خسرتش ..كفاية قوي إني كسبتكم انت وأخوك ..هو ده المكسب اللي محدش هيقدر أبداً يحرمني منه .

كلماتها الممتزجة بدموعها تدوي برنين حقيقي وسط المكان الخالي فتبدو له كقرع الطبول وسط جدران روحه الخربة ..

تصفق له بإجلال أن اختار برّها ..

ولا عزاء لقلب مكلوم ينزوي خائباً بحسرته بين الضلوع !





_كده كله تمام ..نقلنا كل حاجة ..لسه عايزين حاجة من هنا؟!

صوت إسلام خلفه يدوي كذلك بحشرجة حزن غريبة على طبعه المرح ..

فيلتفت نحوه هيثم ليسأله بتردد :

_هو الراجل اللي هياخده هينقل فيه على طول ؟! يعني ..مش ممكن بعد كده نقدر نزوره ؟!

فيهز إسلام رأسه نفياً وهو يدور ببصره في المكان الخالي حوله ليقول بنفس الصوت المتحشرج :

_خلاص ..مابقاش بيتنا!

هنا تجهش جيلان في البكاء فجأة كأنما كل القوة التي كانت تدعيها تلاشت دون مقدمات ..





رغماً عنها تتتابع عليها قبسات من عمرها السابق هاهنا فيركع قلبها استجابة ل"سيد الحنين" الذي لا يُقهر ..

سنوات من العمر كانت هنا ..

والآن تتركها خلفها مشيعة بعار لا ذنب لها فيه !!

لكنها تشعر بحصادها الحقيقي في عناق ابنيها لها ..

هذين اللذين كانا يضمانها الآن بقوة وهما يقبلان رأسها ..

أربعة أذرع تحيطها كدائرة فتمنحها الأمان الذي تحتاجه في هذه اللحظة كي ترفع وجهها من جديد ..

تبتسم وهي تقبلهما تباعاً قبل أن يتحرك ثلاثتهم ليغادروا المكان ..





يقفون جميعاً أمام باب البيت الذي فيتبادلون نفس النظرات التي يغزوها مزيج الحزن والحسرة ..

تمد جيلان كفها نحو مقبض الباب تهم بإغلاقه لكن أناملها ترتجف بقوة ودموعها تخونها من جديد ..

فيهمّ إسلام بفعلها بنفسه مشفقاً عليها من هذه التجربة القاسية ..

لكن المفاجأة أن هيثم هو من سبقه لفعلها !!

الصوت القوي للباب الذي أغلقه بعنف يجعل إسلام وجيلان يرفعان إليه عينيهما ببعض الدهشة ..

لكن ابتسامته الكسيرة التي بدت وكأنها التصقت بشفتيه تمنحهما المبرر !

يرمقه إسلام بنظرة داعمة وهو يشد على كتفه بقبضته فيما تمسك أمه كفه الآخر وهم يتحركون ليغادروا المكان نحو بيتهم الجديد ..





بيت هو أكثر بساطة بكثير لكنه يناسب هذه المرحلة ..

_المنظر من هنا جميل ..

يقولها هيثم وهو يرمق السماء التي اعتدل جوها ..فلا شمس حارقة ولا غيم مؤرق ..

صافية ..هادئة ..كما يرجو لحياته القادمة أن تكون ..

_الميزة كمان إنه جنب بيتي ..ولو إنكم كده كده هتسافروا اسطنبول بعد ما نتيجتك تطلع .

يقولها إسلام وهو يقف جواره واضعاً كفيه في جيبي سرواله بينما يرمق الأفق بشرود ..

لترد جيلان وهي تبسط ذراعيها فوق كتفيهما معاٌ قائلة :

_مش هنفضل مسافرين العمر كله ..أكيد هنرجع .




تقولها بابتسامة مرتجفة فيلتفت نحوها هيثم لتردف هي بنبرتها التي عاد إليها عنفوانها :

_ودلوقت اتفضلوا من غير مطرود شوفوا حالكم ..عايزة أوضب البيت على ذوقي .

تقولها لتغادرهما منادية الخادمة فيبتسم إسلام وهو يتحرك بشقيقه نحو الخارج قائلاً ببعض المرح :

_بما إننا اتطردنا سوا ..تعال بقا أغديك ..فرصة أستفرد بيك زي زمان ..واهه تغير جو عشان تعرف تذاكر .

يهز له هيثم رأسه بشرود وهو يغادر معه البيت الجديد ليتوجها نحو سيارة إسلام التي استقلها الأخير ليسأله :

_تحب مطعم معين واللا أخلليها على ذوقي؟!




ورغماً عنه ودون أي تفكير وجد نفسه يذكر له اسم المطعم الذي كان يلقاها هي فيه ..

"شهد قلبه المرّ " الذي وجد نفسه يتجرعه قطرة قطرة فلا يدري هل يمتنّ لحلاوته التي اشتهاها ..أم يلعن مذاق علقمه الذي سيبقى في فمه العمر كله !!؟

_كويس ده يعني؟!

يسأله إسلام غافلاً عن أفكاره فيجيبه كذلك دون وعي :

_ما بستطعمش الأكل غير فيه .

يهز له شقيقه رأسه موافقاً ليتوه هيثم من جديد في شروده ..

صورتها "نصف الظاهرة" خلف باب شقتها في آخر لقاء بينهما تجتاحه ..





ربما لأنها كانت أصدق مرة رآها فيها !!

هكذا كانت في حياته ..

نصفها فقط هو ما يظهر ..فلما ظهرت بكاملها آن لها أن تختفي!!

يبتسم بمزيج من حنين وشجن وهو يتذكر حلمها الذي حكته له يوماً ..

الشمس كانت خلفهما وهما يسبحان فلما ظهرت أمامهما ..لم تجده معها !!

حب كهذا لن يعرف سوى حياة الظلال ..

أي شعاع نور يقتله !

_وصلنا!





كلمة إسلام لا تبدو له كما هي بل يراها كأنما يقرّها عقله على خاطره الأخير ..

فيتنهد بعمق وهو يغادر السيارة نحو المطعم الأثير ..

مشاهد بعينها تغزوه من ماضيهما المشترك فيراها -بعين خياله- تنتظره هناك ..

بملامحها الفاتنة البريئة ..عينيها العاشقتين ..ولسانها الذي لا يكف عن الكلام ..

يالله !!

حتى ثرثرتها الفارغة هذه قد اشتاقها!!

_هيثم باشا! فينك من زمان ؟! نفس الطلب واللا نغيّر ؟!

يسأله النادل بود حقيقي فيرمقه إسلام بنظرة إدراك فاهماً لماذا اختار هذا المكان بالذات ..

لكنه شعر بالقليل من الارتياح مع جواب شقيقه :





_لا ..هاغيّر المرة دي .

يقولها مختاراً أن يفصل عقله عن تيه روحه وقلبه في جنة ذكرياته هنا ..

يتجاوب بلسانه مع حديث إسلام ..يتناول الطعام بظاهر وجهه المبتسم ..

لكن هناك ..

هناك داخل أعمق نقطة بروحه ..

كانت هناك دمعة كبيرة يشك أن تمسحها يوماٌ يد الحياة !

_الأكل حلو فعلاً هنا كان معاك حق ..بس أنا متأكد إن فيه حتت تانية أكلها أحلى!

يقولها إسلام بنبرة ذات مغزى وقد أدرك بحدسه ما يدور في رأس شقيقه فيرد هيثم بابتسامة جانبية باهتة وهو يهم برد موارب ..





لولا أن سمع صوت رنين هاتف إسلام والذي فتح الاتصال ليرد بمرحٍ حقيقي:

_وحْش الشاشة ! كنت مستني تفتيشك ده من الصبح ..أنا مع أخويا ..أصور نفسي وأبعتلك الصور؟!

يضحك ضحكة عالية وهو يتلقى ردها "الشوكي" ..ليرد :

_جامدة ! أموت أنا في الستات الواثقة من نفسها دي ..والله وعلامي فرَق معاكِ يا ست نشويات !

يبتسم هيثم برضا عن السعادة الحقيقية التي تلون ملامح أخاه الذي يستطرد بحنان دافق:

_عنيّا لريما ولمامة ريما ..مسافة السكة أكون عندكم .

يقولها ثم يغلق الاتصال ليهتف بهيثم :





_ريما عايزة تشوف فيلم أنيماشن في السينما ..هاعدي عليهم في المصنع ..ما تيجي معانا .

يهز له هيثم رأسه موافقاً فيتحركان معاً ليغادرا المطعم الذي رمقه هيثم بنظرة مودعة أخيرة وهو لا يدري إن كان سيملك القوة ليعود هنا يوماً ..أم لا ..

ترى كيف حالها الآن؟!

قالت إنها ستسافر لعلها ستفعلها بعد انتهاء فترة الامتحانات !

هل ستقوى على البعد حقاً ؟!

وهل سيقوى هو؟!

يلمح النادل يلوح له من بعيد ثم يغمزه بحركة خاصة قرأها قلبه أنها تخصها هي ..




تراها لا تزال تزور المكان هنا مثله تتنسم رحيق ذكرياتهما ؟!

أم أنها تبذل جهدها في التناسي مثله ؟!

خواطره تبتلعه طوال الطريق الذي قطعته السيارة نحو مصنع أشرف حيث تنتظر نشوى مع ريما ..

يرصف إسلام السيارة ليغادرها معه نحو الداخل ..

لكنهما ما كادا يتقدمان حتى فوجئا بأشرف هناك يقف ..معها !!

شهد !!

هنا!!

يعقد إسلام حاجبيه بنظرة قلقة كان لها ما يبررها وهو يرى هيثم جواره وقد شحبت ملامحه وارتجفت أنامله التي شبكها جواره فاضحةً تشنج جسده ..





فيما كان هيثم يكاد يشتعل مكانه ورؤيتها هنا مع أشرف تعيد إليه تلك الذكرى الكريهة ..

مشهدها بثوبها المكشوف تتهادى خطواتها لتستقل السيارة ..

سيارة والده التي تبتعد بهما لوجهة لا يعلمها ..

يتفصد جبينه عن عرق خفيف وهو يشعر بصراع روحه يشتد ..

بين قلبه الذي بدا وكأنه بعث برؤيتها من جديد ..

وبين جحيم ذكرياته الذي يصهره لفحه !!

وأخيراً ..يأخذ قراره فيتقدم نحوها خطوة لكن إسلام يقف أمامه وقد ازداد انعقاد حاجبيه :

_بلاش !

كلمته الصارمة بدت كرجاء أقرب منها للنصيحة ..

لكن هيثم رفع أنفه وقد اشتدت ملامحه أكثر راسماً على وجهه قناعاً من جمود ..

_ما تخافش .

يقولها فيرمقه إسلام بنظرة طويلة متفحصة قبل أن يفسح له الطريق ليراه يتوجه نحوهما ..

_هيثم!

يهتف بها أشرف بنبرة مصدومة وهو يلمحه لأول وهلة فيما لم تكن شهد أقل منه صدمة وهي تراه أمامها !

الألم الذي ذبح ملامحه لم يكن يحتاج منها لكثير فهم ...

الآن تدرك ما يدور برأسه تماماٌ ..





ذنبها سيبقى حبلاً حول عنق حبهما لا تزيد الأيام حلقته إلا ضيقاً!!

_شهد كانت جاية تسلم عليّ قبل ما تسافر .

يقولها أشرف ببعض الحرج متفهماً حساسية الموقف ليرد إسلام الذي اقترب بدوره :

_طول عمرها الآنسة شهد صاحبة واجب .

لم يستطع منع رنة التهكم الضائقة في صوته وهو يناظرها الآن ..

رغم يقينه أنها تعشق أخاه لكنه كذلك لا يستطيع منع نفسه من هذا الشعور بالضيق نحوها ..

لو تهاون فيما حدث مع أبيه بزعم أنه كان يستحق ..

فماذا عن وجع أمه بسببها؟!

وماذا عن جرح أخيه الذي لم يبرأ بعد ؟!!

هو ليس ملاكاً ليعفو عن كل هذا ..





لكن هل هي كذلك ؟!

يقطع أشرف أفكاره وهو يسحبه جانباً تاركاً لهيثم وشهد حرية الحديث بقوله :

_نشوى مستنياك مع ريما ..

يتردد إسلام قليلاً وهو لا يريد ترك أخاه وحده لهذه الدوامة من جديد لكن أشرف يجذبه ببعض العنف مردفاً :

_تعال قوللهم إنك جيت .

يستجيب له أخيراً على مضض ليتحرك مبتعداً ..

وفي مكانها كانت شهد واقفة تراقب هيثم الذي أطرق برأسه أمامها وقد عجز عن مواجهة عينيها ..





كل القوة التي ظنها في نفسه تتبخر فلا يشعر إلا بهذا الوهن الذي يجتاحه ..

_خلصتِ امتحانات ؟!

يسألها بلا معنى وكأنه لا يعرف الجواب ..

وكأنه يبحث فقط عن مدخل ليسمع صوتها ..

هذا الذي وصله متحشرجاً مع جوابها :

_لسه مخلصة ..عقبالك ..وعقبالي السنة الجاية لما أتخرج زيكم ..أنا خلاص هانقل ورقي لجامعة الاسكندرية .

_وأنا كمان هسافر تركيا بعد النتيجة .

يقولها بنفس النبرة الضائعة وقلبه يستصرخه أن يرفع عينيه نحوها لكنه كان لايزال عاجزاً عن فعلها ..





_ربنا يوفقك .

تقولها بنبرة ميتة كأنها تودعه فيزمّ شفتيه بقوة لكن الكلمة تنفلت من بينهما حارقة :

_آسف .

_آسفة .

تقولها بعد صمت لحظات كأنها تمنحه صك غفرانها ..

ذنبه يقابل ذنبها ..فمن فيهما يملك حق العتاب؟!

لهذا ازداد تحشرج صوته وهو ينكس رأسه أكثر قائلاً :

_ لازم أبعد .

_لازم أبعد .

تقولها فتبدو صدى لعبارته هو ..لكن لمَ العجب؟!

كلاهما في هذه اللحظة كان يخطو معصوب العينين فوق الطريق الذي اختارته له الحياة ..

فمن يملك الشجاعة كي يحيد ؟!

لكنه وجد أخيراً بعض القوة ليرفع عينيه الحمراوين محتقنتين بدمعهما نحوها ليقترب منها خطوة هامساً :

_أنا..بحبك .

يقولها دون تفكير وقد شعر أنها فرصة قلبه الأخيرة في وداع يليق بغرامه ..

لترتعش ابتسامتها وحروفها تتراقص على سيف الوجع بحديث مشابه :

_وأنا ..بحبك .

يعض شفته بقوة كادت تدميها ولايزال حديثها يبدو فقط مجرد تكرار لحديثه ..





فيشيح بوجهه هارباً من فيض نظراتها السخي
لكنها تردف بعبارتها الأثيرة :

_مهما حصل بيننا افتكر ..إني عمري ما حبيت ولا
هاحب حد غيرك .

يغمض عينيه بقوة وهو يود لو يفعل مثلها فيكرر
لها عبارتها ..

لكن الحروف تموت على شفتيه المرتجفتين ..

الشمس صارت أمامكما يا أحمق!!

والعوْم معها في بحر العشق صار عليك حراماً ..

فاقنع ب"نصف ذكرى" ..ب"نصف
وعد" ..ب"نصف حب"..

هي كانت ولا تزال أيقونة ال"بيْن بيْن" خلف باب
موارب!!





يفتح عينيه أخيراً كي يعانقها بنظرة أخيرة لكنه لا يجدها ..

شهقة جزع تنفلت من بين شفتيه وهو يدور بجسده في المكان حوله باحثاً عنها لكنها كانت قد اختفت تماماٌ ..

يفتح ذراعيه كأنه يعانق طيفها الراحل فلا يصله صوت السكون حوله ..

ذنبٌ سيبقى العمر بينهما ..

طعنة وسط الضلوع !

و أسلم حل دلوقتي

نغيب عن بعضنا شويه

يا جابنا البعد تاني لبعض

و ردّك من جديد ليا

يا نبعد واللي بينا يعيش





جميل في عينيك و في عينيا..

اعتبرنا خدنا هدنة من عهودنا ..

كل واحد فينا قلبه يكون وحيد ..

تبقى فرصة نداوي روحنا من جروحنا ..

أو نشوف الصورة أوضح ..من بعيد ..

==========

_صباح الخير !

صوت همسة الرقيق يداعب أذنه كعهده كل صباح فيفتح عينيه ليطالع نظراتها العاشقة ..

يبتسم وهو يراها تميل على وجنتيه بقبلتين ناعمتين لتتشح ابتسامته بطيف من الذنب وهو يشعر بشفتيها تتلكآن فوق ملامحه ..

هو لم يقربها -كزوج- منذ عرف عن وفاة أمه بتلك الطريقة البشعة !

شعوره بالذنب منعه التمتع بوصالها الذي اشتاقه طوال هذه السنوات ..




لكنه لم يستطع أن يفعلها !

هو اعتاد كبح جماح نفسه معها طوعاً من زمن لكنه الآن يشعر أن الأمر لم يعد بيده ..

ربما استعاد بعض حيويته برجوعه للعمل وباختلاطه المستحدث مع الناس..

لكنه لايزال عاجزاً عن مد كفيه نحو نجوم سعادته الكاملة بعشقهما!!

لهذا اكتفى بقبلة خاطفة لثغرها قبل أن يدفعها برفق لينهض من رقدته ويغمغم بما يشبه الاعتذار:

_عندي شغل كتير النهارده ..لازم أفوق بسرعة كده عشان أروح .

_زين قاللي إنك ممكن تاخد النهارده أجازة ..وبصراحة ..كنت حابة نقضي اليوم سوا .

تقولها ببعض الحرج وهي تشعر بتباعده الجسدي عنها..





لتتشدد ملامحه بضيق حقيقي ..

ضيق من نفسه لا منها هي ..

هذا الذي ترجمته حروفه العصبية :

_مش انتم اللي كنتم عايزينني أرجع الشغل وأحتك بالناس ؟! أنا فعلاً مابقيتش عايز أبطل شغل .

تدمع عيناها رغماً عنها حساسيةً من نبرته المنفعلة لكنها تتفهم هذا الضغط الذي يعيشه فتعتدل بجسدها لتربت على ظهره قائلة بابتسامة مرتجفة :

_أنا فعلاً فرحانة إنك رجعت تشيل الشغل زي زمان ..بس مفيهاش حاجة لو نقضي النهارده سوا ..

_اشمعنا النهارده ؟!

يسألها بالمزيد من الذنب وقد لانت نبرته فتزداد ابتسامتها ارتجافاً وهي تشير لقرط أذنيها بشكله الغريب الذي كان يراه هو فراشة وتراه هي راقصة باليه :

_معقول نسيت؟!

يعقد حاجبيه للحظات ثم تتسع عيناه بإدراك وهو يميز أنه اليوم الذي اختاره منذ سنوات طويلة ليكون عيداً لحبهما ..

اليوم الذي اعترف لها فيه بحبه لأول مرة وأهداها هذا القرط مع سلسلته التي تحمل دلايتها نفس الشكل ..

والتي لم يرها ترتدها طوال هذا السنوات ..لكنها الآن تفعل !!

_دي الحاجة الوحيدة اللي مش فاكراها ..إزاي ولا امتى قلعتها ..بس امبارح بالصدفة وأنا بقلب في حاجتي لقيتها ..وفرحت جداٌ إني لقيتها !

تقولها بعينيها الدامعتين برقتها الملائكية المميزة فيبتسم وهو يجذبها نحوه فجأة ليطوقها بذراعيه بقوة حانية امتزجت بطيف الذنب في حروفه :





_مش عارف أقوللك إيه ! يعني دلوقت انتِ اللي بتفتكري وأنا اللي بنسى!

حروفه تنتهي بعدة قبلات متتابعة لجبينها تحمل لها اعتذاراته فترفع إليه عينيها هامسة بنفس الرقة المتسامحة :

_وأنا إيه وانت إيه ؟! مش واحد !

تقولها ليعانق ثغرها شفتيه بحرارة عاطفتها ..

فيغمض عينيه بقوة وهو يغيب معها في دوامة قصيرة اقتلعت صبره من جذوره لتلقي به على ظهره في واديها بلا حول ولا قوة ..

لكنه يشعر أخيراً بهذه الوخزة في قلبه !

يبعدها ببعض العنف لينتفض من مكانه واقفاً مع قوله بصوت لاهث :

_معلش ..الشغل كتير ولازم ..





يقطع عبارته دون إكمال وهو يندفع خارج الغرفة كأنه يهرب من طغيان عاطفته الذي يجتاحه هادراً ..

يعلم أنه يظلمها بحياتها الناقصة هذه معه بل ويظلم نفسه قبلها لكن ..ليس بيده !

تحت الماء البارد يقف مستسلماً لاغتساله الصباحي وهو لايدري إلى متى سيبقى عالقاً هكذا في ذنب أمه ..

أمه التي أسلمها يأسها منه لأن تزهد حياتها !

فأي عقوق هذا لو سمح لنفسه أن يبني سعادته فوق أطلال عمرها المسكوب على أرصفة خذلانها !؟

يشعر بلهيب جسده يهدأ قليلاً تحت الماء البارد فيغلق الصنبور أخيراً ليجفف نفسه ويعاود ارتداء ملابسه عبر شروده في حالها هي الآن ..

إلى متى ستحتمل خذلانه ؟!





وأمام باب الحمام المغلق كانت هي تقف بملامح بائسة تتحسس سلسلة عنقها بأسى ..

هي ليست حانقة عليه ..

هي فقط تشعر بالعجز أمام جبل حزنه الذي لا يبدو وسط البحر سوى النذر اليسير من قمته فيما يبقى بأكمله مغموراً وسط موج كتمانه ..

تراها تشق عليه بسعيها المتواصل هذا لإذابة الجليد بينهما ؟!

ياقوت نصحتها ألا تكف عن المحاولة لكنها طلبت منها كذلك ألا تلحّ عليه كي لا يشعر بالمزيد من الذنب ..

الموازنة بين الأمرين تبدو صعبة كثيراً ..

لكن منذ متى كان ما بينهما يفتقر إلى الصعوبة ؟!

هو احتملها صابراً طوال هذه السنوات ..

أفلا تحتمل هي بضعة أشهر؟!

إنه ميعاد قلب الأدوار كما تزعم ياقوت دوماً !!





تنقطع أفكارها وهي ترى الباب أمامها يفتح فجأة ليخرج هو منه ..

ينعقد حاجباه بتفحص لملامحها بقلق فضحته عيناه لكنها بددته بابتسامتها الواسعة التي ناسبت قولها :

_حضرت لك هدومك ..البس على ما أحضر لك الفطار .

تقولها وعيناها تمنحانه الطمأنينة التي يحتاجها في هذه اللحظة ..

فترتجف على شفتيه ابتسامة اعتذار وهو يهز لها رأسه ..

لتنصرف هي بخطوات شبه راكضة كفراشة تحلق في عالمه فلا تملك إلا أن تنيره بعاطفتها .





يتناولان الإفطار سوياً ليشعر بها تتحاشى الحديث عما دار بينهما منذ قليل تماماٌ ..

يحس بها تتكلف الانفعال المرح وهي تحكي له عن آخر فيلم شاهدته ..عن آخر تجولات تسوقها ..عن حاجتها للصداقات ..

قبل أن تردف بنبرة راجية :

_كنت بفكر بعد إذنك لو ترجعها تعيش معانا هنا .

تقولها ذاكرة اسم "خادمتها"الوفية التي لازمتها طوال هذه السنوات في مرضها والتي ظن هو أنها لم تعد بحاجتها منذ تزوجا ..

_عندنا خدامة غيرها ..بلاش هي ..مش حابب تفكرك بأيام زمان ..كده كده انتِ بتشوفيها عند زين .

يقولها مبرراً لترد بمزيج خجلها ورقتها :




_هي ماكانتش مجرد خدامة ..كانت أقرب لصاحبتي ..وبصراحة أنا حاسة إني محتاجاها هنا دلوقت ..خصوصاً إنك أغلب الوقت ..

تقطع عبارتها بالمزيد من الحرج وهي تخشى أن يسيئ تأويل الأمر ..

تماماً كما فعل الآن وهو ينتفض مكانه ليهتف بانفعال :

_سكتتِ ليه ؟! كملي ..خصوصاً إني أغلب الوقت مشغول ومش فاضي وانتِ متذنبة هنا لوحدك .

وهذه المرة لم تستطع تكلف ابتسامة أو مداراة دمعة ..

فقط أطرقت برأسها وقد كتفت ساعديها في مشهد أدمى قلبه وهو يذكره بعهدها القديم ..

لهذا لم يشعر بنفسه وهو يجذبها من كتفيها ليوقفها أمامه لكنها بقيت مطرقة برأسها عاجزة عن مواجهة عينيه ..




ومواجهة عجزها معهما !!

_بصيلي ..

تهز رأسها قليلاً كأنها تناشده التمهل لترفع إليه عينيها بنظرة مزجت قوتها المستحدثة برجائها ..

نظرة لم تسعفها فيها سوى ثانية واحدة قبل أن يحط رأسها على صدره كطير ملهوف..

ليزفر بقوة وهو يشدد قوة ضمه لكتفيها هاتفاً بنفس الانفعال :

_أنا آسف ..آسف ..آسف ..بس ..

يقطع عبارته عاجزاً عن إكمالها لكنها تبسط راحتها المفروضة في وجهه تناشده التوقف ولايزال رأسها مدفوناً بين ضلوعه ..

كأنما تخبره دون كلام أنها لا تحتاج تبريراً ولا اعتذاراً ..





لا تريد سوى نعمة السكن في حضنه ..

وحدها تكفيها كل هذا الشتات الذي يلفها دونه !!

يقبل كفها المرفوع بعمق مشاعره وإحساسه بالعجز يمنعه المزيد ..

تنفرج شفتاه يبحث عن اعتذار أو ترضية تليق لكنه يعاود إطباقهما من جديد بقوة ليكتفي بقبلة لجبينها..

قبل أن يتحرك ليغادر البيت بسرعة في هروب غريب على شخص بطبعه ..

لكن الحمل على كاهله هذه المرة أكبر من قدرته ..

هو عاش شعور الذنب مع همسة طوال هذه السنوات لكنه جعله حافزه كي يعوضها عن فعلتها القديمة ..

لكن ذنبه هذه المرة لا يحتمل التكفير ..





كلما تخيل أن أمه زهدت حياتها لتموت وحدها بينما هو يتنعم بين ذراعي حبيبته يلعن نفسه ألف مرة !!

يصل بسيارته إلى الشركة فيرصفها ليأخذ نفساً عميقاً وهو يعاود الاحتماء بقناعه المعدني ..

يحاول الانشغال بعمله للساعات القادمة هارباً من جحيم مشاعره ليفاجأ أخيراً بمساعدته تخبره عن إحداهن تطلب لقاءه ..

يعقد حاجبيه باستغراب مشوب بالضيق وهو يستقبل المرأة التي دخلت لتوها !

معقول؟!

لماذا جاءت هذه إلى هنا الآن؟!

لكن قناعه المعدني لم يخذله هذه المرة أيضاً وهو يقف ليشير لها بالجلوس قائلاً :





_أهلاً جيلان هانم ..اتفضلي .

ترمقه جيلان بنظرة طويلة مشفقة لم يفهمها وهي تقترب لتجلس على كرسي المكتب أمامه ..

فيتنحنح ليقول ببروده غير الخادع :

_خير؟!

_تفتكر جايالك ليه النهارده ؟!

تسأله بوهن غريب على طبيعتها التي يعرفها فيهز رأسه بألم تسرب رغماً عنه عبر شقوق قناعه المعدني ..

وكيف لا؟!

ومرآها هي بالذات يذكره بأمه صديقتها المقربة !!

_انت عارف إن سوزان كانت أقرب صاحبة ليا ..وأنا كمان كنت أقرب واحدة ليها ؟!




تقولها بنفس الحنان المشفق فتلتوي شفتاه بابتسامة مريرة ..

هل جاءت تلومه هي الأخرى ؟!

ولماذا الآن ؟!!

لكنها تتنهد بعمق وهي تفتح حقيبتها لتستخرج منها هاتفاً وضعته أمامه على المكتب لتقول بأسف :

_الخط القديم بتاعي كنت قافلاه من فترة قريبة ..والرقم الجديد ماكانش مع سوزان الله يرحمها ..النهارده احتجت القديم فتحته لقيت رسالة منها ..كانت بعتتهالي يوم فرحك ..يوم وفاتها .

انعقد حاجباه بانفعال فضحته أنفاسه التي تلاحقت فجأة ليهتف بحدة رغماً عنه :





_رسالة إيه ؟!

رمقته بنظرة مشفقة أخرى وهي تضغط أزرار هاتفها لتنطلق الرسالة الصوتية بصوت أمه الذي يعرفه :

_اتفرجي واتعلمي ..أنا ما أتغلبش زيك ..النهارده هارجع رائد غصب عنه ..مش هاهني المجنونة اللي اتجوزها دي على فرحة ..

يزداد انعقاد حاجبيه مع تلاحق أنفاسه حتى شعر بقلبه يكاد يخرج من صدره وبقية الرسالة ينساب بصوت الراحلة يشرح تفاصيل خطتها ..

خطتها الحقيرة !

تتسع عيناه بصدمة والرسالة تنتهي بقولها:

_لعبة وهيصدقها! ..الدكتور مطمنني .. لعبة هتخلليه يسيبها ويجيلي على ملا وشه ..اسمعي




كلامي واعملي زيي ..أنا مابحطش حاجة في دماغي إلا وأوصللها .

يغمض عينيه بألم ممتزج بالغضب وهو يسمع جيلان أمامه تقول بنفس الحنان المشفق:

_لما سمعت الرسالة ماصدقتش ..كلمت الدكتور بتاعنا أكد لي كلامها ..بس قاللي إن الدوا اللي سألته عليه مش هو السبب في وفاتها زي ما اتقال في تقرير الطب الشرعي ..تقريباً اتلخبطت وخدت واحد شبهه ..

_اتلخبطت!

يتمتم بها بمرارة تكتسحه الآن بضراوة !!

هي لم تكن تنتوي انتحاراً!!

لم تزهد الحياة يأساً منه كما كان يظن !!

هي كانت تخطط ..تدبر ..تحيك مؤامراتها كما تعودت طول عمرها كي تطارد سرابها القديم ..




وهو ؟!

هو كان مجرد بيدقاً بلا قيمة في لعبتها !!

_كان ممكن ما أقوللكش ..بس إسلام حكالي عن حالتك بعد وفاتها ..صعبت عليّ تعيش بذنب مش ذنبك ..الله يرحمها بقا كانت دماغها هادياها لكده !

تقولها شاعرة بالحنق الذي لا يفيد على صديقتها الراحلة ..

حمقاء ضيعت نفسها بحقدها ..

لكنها هي لا ترضى أن تضيع ابنها البائس هذا أمامها بأن يعيش بشعوره بالذنب عمره كله !!

_ما كانش ذنبك يا رائد ..انسى بقا وعيش .





تقولها وهي تنهض واقفة لتغلق هاتفها بهذا الرقم للأبد ثم تلقيه بعدم اكتراث في حقيبتها ليرمقها هو بنظرة مشتتة وهو يهز رأسه بلا معنى ..

يراقبها تغادر ولم تكد تفعل حتى طلب من مساعدته عدم الإزعاج..

هنا فقط سمح لرأسه أخيراً أن ينهار فوق سطح مكتبه ..

جسده يرتجف بدمع لا يدري هل هو غضباً أم شفقة !!

حتى الحادث الوحيد الذي ظنه يشير لمكانته لديها كان مجرد خطة منها !!

خطة لنبذ غريمتها من الماضي فحسب!!

همسة التي استكثرت عليه فرحته بحبها رغم يقينها بمكانتها لديه !!

لم يدرِ كم مر عليه من الوقت هكذا لكنه عندما رفع رأسه أخيراً كان قد اتخذ قراره ..





كفاه ترنحاً بحديث لم يعد يفيد أحداً !

كفاه اختناقاً بذنب لم يكن له ذنب فيه !!

كفاه احتراقاُ بنيران لم يشعلها ..ولم يطفئها ..لكنه أكثر من تلظى بها !

هو اكتفى من هذا الماضي كله !

كله!

وليبقَ الغد له ..بل لهمسة ..همسة فحسب!!

_زين ..أنا أجازة شهر !

يقولها عبر الهاتف وهو يلم حاجياته ليغادر المكتب ..

فيرد الأخير بقلق:

_خير؟! همسة كويسة؟! انت كويس؟!




_هنبقى كويسين جداً ما تقلقش ..هاخدها نسافر نغير جو .

يقولها لتصله ضحكة زين الرزينة عبر الهاتف قائلاً بارتياح :

_إن كان كده ماشي ..براحتكم خالص وماتشيلش هم الشغل .

يغلق معه الاتصال ليهرول نحو سيارته التي استقلها ليقود بأقصى سرعة لديه ..

قلبه يخفق بقوة وهو يشعر بعاطفته تتحرر من قيود الذنب ..

سينسى كل هذا !!

سيطرح خلفه الأمس وما قبل الأمس ..

ولن يفكر سوى في غد يحتضن عشقه وعشقها !

يصل أخيراً ليتناول هاتفه فيجري اتصالاً ما ...

يغادر سيارته ثم يهرع لداخل الحديقة باحثاً عنها ..





يكاد يدلف لداخل البيت لكنه يلمحها هناك عند كوخها "السحري" وقد وقفت تنفث الهواء عبر العصا الخاصة لتنبعث الفقاعات الملونة حولها فتضحك ضحكتها الطفولية غافلة عن وجوده ..

تسمع صوت باب الكوخ يغلق فتلتفت نحوه لكنه يستقبلها بعناقه قبل عينيه ..

بقبلاته قبل كلماته التي انسابت في أذنيها دافئة عاشقة :

_وحشتيني ..قوي ..

ترفع إليه عينيها ببعض الدهشة شاعرة أنه قد غادر بوجه غير هذا الذي عاد به ..

لكنه لم يمنحها الفرصة للمزيد وهو يضع ما بيدها جانباٌ ليعود فيغمرها معه بهذا البحر الهائج من عاطفته السخية ..

هذا الذي لم تختبره منذ أيام بعيدة تكاد تقارب عمر زواجهما ..





قبلاته تحمل لها اعتذارات لم تكن تحتاجها ..

لكنها كذلك كانت تحمل لها ما تحتاجه من وعود للغد !

لهذا استسلمت له بكل ذرة في كيانها العاشق وهي ترد له عطاياه بمثلها وأكثر ..

_رائد ..

تهمس بها بهيام وهي تشعر بنفسها معه يعتليان هذه الموجة الهادرة من بحر عاطفتهما الذي جرفهما تياره بأقصى عنفوانه ..

وأخيراً ..يسقطان بشِبَع على رمال السكينة!

ذراعاه يطوقانها فوق الفراش الذي شهد -لتوه- عرضاً ساحراً لفصل من فصول قصتهما العامرة ..

بينما همسه يصلها دافئاً حنوناً متملكاً كقلبه :





_آسف على كل الأيام اللي فاتت ..وعد مني أعوضك عن كل لحظة وجع !

تضحك ضحكة رائقة وهي ترفع عينيها لأعلى حيث السماء تبدو لها عبر فتحة الكوخ العلوية لتسأله بحيرة :

_هو حصل إيه ؟! انت ..متغير .

_ما تسأليش ..ما تفكريش ..ماتعمليش أي حاجة دلوقت غير إنك تحبيني ..وبس!

يهمس بها بحرارة مشتعلة وهو يعود ليغرق وجهها بقبلاته مردفاً :

_هنحضر شنطنا ونسافر ..شهر عسل اتأخر كتير ..بس قبلها لازم نحتفل بمناسبة النهارده ..عيدنا اللي اخترناه من زمان ..





يخفق قلبها بسعادة طاغية وهي ترى قبلاته تجتاح قرط أذنها وسلسلتها حول جيدها مع استطراده :

_مش كان نفسك تحضري عرض الباليه اللي بتحبيه ؟! حجزت لنا النهارده قبل ما نسافر ..

_بجد ؟! الله !..دي مفاجأة تجنن يا رائد ..كنت ..

همساتها تنقطع بين شفتيه ولفح العاطفة يصهر ما تبقى من حروفها ..

أناملهما تتشابك بقوة واللحن القديم الذي تضافرت نغماته بنسيج العمر يتردد بين روحيهما بمزيجه العجيب من صخب وسكن ..

"النغمة الشاذة" تسقط منه قسراً فلا يبقى سوى عذب طربه !!

=======

فرنسا ..باريس ..





تتناول معه همسة الإفطار في مطعم الفندق الذي اختاره لقضاء إجازتهما ..

يبتسم وهو يحتضن ملامحها بعينيه قائلاً بحنان :

_مبسوطة هنا؟!

تضحك ضحكتها الملائكية وهي تشبك كفيها تحت ذقنها لترد بسعادة حفرت فوق ملامحها حفراً :

_فوق الوصف ..كان نفسي آجي باريس من زمان ..الجو والأماكن هنا كلها تجنن ..

تقولها وهي ترمق طبق "البيض المسلوق" الذي وضع فوق المائدة أمامهما بنظرة خاصة ..

ثم تستخرج من جيب سترتها قلماً ترسم به كما اعتادت فوق إحدى البيضات ..

وجهاً يضحك !!





ترفعها في وجهه بضحكة طفولية لتفاجأ بتصفيق هؤلاء الذين كانوا يحتلون المائدة المجاورة ..

تضحك من جديد وهي ترى بعض الأطفال يتقدمون نحوها ويطلبون منها رسم بيضاتهم كذلك !!

"رهبة التجمعات" تعاود غزوها بطيف شاحب وهي ترى نفسها وسط هذا الجمع تجتاحها نظراتهم ..

لكنها صارت تملك من القوة ما يؤهلها لطرح كل هذا خلف ظهرها ..

عيناها تلتمعان بسعادة حقيقية امتزجت ببراءتها وهي ترسم لهم بيضاتهم تباعاُ ..

الضحكات التي رسمتها لا تبدو وكأنها على قشرة البيض فحسب ..

بل على وجوه كل هؤلاء الأطفال ..

ووجهه هو أيضاً !!





_ماشفتكيش بتضحكي من قلبك كده من زمان .

يقولها وهو يغادر معها المطعم محتضناٌ كتفيها بذراعه ليضمها نحوه فترفع له عينيها قائلة بفرحة عارمة :

_شفتهم كانوا فرحانين إزاي ؟! أنا فرحت كل دول!!

تقولها بدهشة كأنها لا تصدق أنها خرجت من دور "المتلقي" لتأخذ دور "المانح" ..

هذا الذي وصله بخبرته القديمة عنها ليضمها نحوه أكثر هامساً بحنان :

_هتصدقيني لو قلتلك إني شايفك زي الشمس ..القريب والبعيد منها لازم نورها هيوصله !

يعجبها التشبيه فتضحك ..

تشعر بدفء عناقه فتضحك ..




تلفحها حرارة قبلته لوجنتها بعدها فتضحك ..

يسابقها في العدو في ذاك الطريق الممهد أمام برج إيفل فتجاريه بدورها وهي تضحك!

ضحكاتها تبدو وكأنها مثل أنفاسها لا يمكنها التحكم فيها ..

ولا في هذه السعادة التي تغتسل تحت مطرها من درن أوجاع الماضي!!

تقف أخيراً لاهثة تحت مياه هذه النافورة هناك "تروكاديرو" ..

تفتح ذراعيها كطفلة تتلقى رذاذ الماء حولها فلا يملك نفسه وهو يتقدم ليعانقها ..

يدور بها عدة دورات تحت الماء الذي بللهما معاً لكنهما لم يهتما ..

ضحكاتهما تمتزج مع زخات الماء التي انسابت تغمرهما من جديد ..




وذاك اللحن الرومانسي الذي يعزفه أحدهم بآلته التي تشبه الجيتار في الجوار ..

يحملها أخيراً وهو يدور بها فتشعر بقدميها لا تلامسان الأرض ..

تفتح ذراعيها كأنها تحلق مكتفية بضمته القوية لها..

_فراشة تحت المطر ..زي ما كنت برسمك زمان !

يهمس بها عبر أنفاسه اللاهثة وهو يتوقف بها أخيراٌ لتمتزج ضحكاتهما دون توقف ..

تحيط وجنتيه براحتيها لتعانق نظراته بعينيها هامسة :

_الفراش بيتحرق لما بيقرب من النور ..لكن أنا ما اقدرش أعيش بعيدة عنك ..انت نوري ..وجناحاتي .





يبتسم لها بحب وهو يضمها نحوه أكثر لتطوف شفتاه فوق جبينها بقبلات من ورد ..

من مطر..

من نور!

هكذا كان شعورها بحبه طوال هذه الأيام التي قضتها معه في أيامها هنا في باريس ..

لهذا لم تشعر بالكثير من الخيبة وهي تستقل معه الطائرة عائدين إلى الوطن ..

إن كانت باريس عاصمة للحب ..

فقلبه عاصمة حبها هي!!

_زين وياقوت وحشوني! تفتكر هنلاقيهم مستنيينا في البيت ؟!





تهتف بها وهي تهبط سلم الطائرة بينما يعانق كفها كفه ليرد بابتسامة خبيرة :

_البيت؟! أراهنك هنلاقيهم مستنيينا هنا في المطار!

تضحك ضحكة رائقة وهي تتأبط ذراعه بحب لينهيا معاً الإجراءات ولم يكاد يخرجان للقاعة الخارجية حتى وجدا زين هناك ينتظرهما بابتسامته الحانية مع ياقوت ..

_زين!

تهتف بها همسة بلهفة وهي تركض نحوه ليتلقفها بين ذراعيه هاتفاً بمرح :

_باريس بتحللي كده ؟!

فتضحك ووجنتاها تحمران خجلاً بانفعالها وعاطفتها لترد ياقوت وهي تحتضنها بدورها :





_ما تكسفهاش بقا ..هي على طول حلوة .

يبتسم زين وهو يعانق رائد عناقاً طويلاً ليرمقه بنظرة متفحصة طويلة كأنه يختبر حاله ..

ليهز له رائد رأسه بحركة خفيفة وعينين ملتمعتين كأنما يمنحه الجواب مطمئناً دون كلمات ..

لا مزيد من وجعِ الماضي ..لا مزيد !!

سحابة عاطفة دافئة تظلل أربعتهم وهم يغادرون المطار معاً ليستقلوا سيارة زين نحو بيت رائد ..

ابتسامة راضية تكلل شفتي زين وهو يستمع لثرثرة همسة حول الرحلة مع ياقوت التي بادلته النظر في مقعدها الخلفي عبر مرآة السيارة ..

فيقارن بين صورة همسة الآن وصورة طيف شاحب قديم لها لم يعد يريد تذكره ..

هذا الذي فاض في نظرته التي قرأتها ياقوت مكانها لتبتسم له ابتسامة صافية ..




وحديث العيون بينهما يجري كنهر رائق لا توقف تدفقه أي سدود .

يصلان أخيراً لبيت رائد فتشرق ملامح همسة أكثر وهي تفتقد تفاصيل جنتهما الخاصة ..

لتستقبلها أخيراً ..

مفاجأته !!

_يااااه ! انتِ هنا !! وحشتيني !!

تهتف بها همسة بلهفة فرِحة وهي تعانق "خادمتها" الحبيبة فتهتف الأخيرة بسعادة هي الأخرى:

_ما اتأخرش عنك أبداً ..أول ما رائد بيه قاللي آجي ما كدبتش خبر .





تلتفت نحوه همسة بامتنان وهي تتذكر حديثهما منذ بضعة أيام ليرمقها بنظرة خاصة وهو يبتسم لها ابتسامة دافئة كفته الحديث ..

ربما كان مخطئاًّ بشأن هذه الخادمة عندما ظن أنها قد تعيدها لذكريات ماضيها البائسة ..

بل هو حقاً كان كذلك ..

فالسعادة التي ارتسمت على وجه همسة الآن - وهي تعاود عناقها بحب- تخبره أنها حقاً تحتاجها الآن كما احتاجتها من قبل وربما أكثر ..

لهذا مال على أذن ياقوت ليهمس لها بامتنان:

_كان معاكِ حق!

لكن زين يبسط راحة كفه بين وجهيهما بحركة غيور ليقول بمرح لا يخلو من ضيق:

_ماعادش فيه أسرار هنا!





تضحك ياقوت ضحكة عالية وهي تتفهم غيرته غير المنطقية هذه فيما يشاكسه رائد بقوله :

_تفتكر؟!

يقولها وهو يرفع أحد حاجبيه بمكر فتضحك همسة ضحكة رائقة وهي تراهما يعودان لسابق مشاكستهما القديمة ..

_الأكل جاهز !

تهتف بها الخادمة بود وهي تشير للمائدة القريبة فيجلس أربعتهم يتبادلون الحديث ..

أربعة لم تجمعهم مائدة طعام فحسب ..

بل تاريخ طويل من صراع تخطفته أبجدية المشاعر بكل حروفها ..

والآن ينتهي بحرفين فحسب ..

حاء ..وباء!





============

بيت العز يا بيتنا

على بابك عنبتنا ..

فيها خضرة وضليلة ..

بترفرف ع العيلة ..

وبتضلل يا حليلة يا حليلة ..

من أول عتبتنا ..

يابيت العز يا بيت السعد يا بيت الفرح ..

يا بيتنا ..

تغنيها رابحة في بيت ثمر بصوتها العالي فتنضم إليها ياقوت ولجين تصفقان مع اللحن وهما تدوران حولها لتهز رابحة رأسها وتستطرد بصوت أعلى:

_يا بيت العز ..يااااا بيتنا !





_وطي صوتك يا مطيورة ..الراجل على وصول!

تهتف بها ثمر بضيق غير حقيقي فضحته ابتسامتها الطيبة وهي تقترب منهن مردفة :

_وبعدين الأغنية دي تغنيها في بيت أبوكِ مش هنا .

فتلف الفتاة ذراعيها حول عنق ثمر بعناق حميمي هاتفة :

_تصدقي وتآمني بالله يا ستنا؟! بيتك أقرب لي من بيت أبويا!

تتسع ابتسامة العجوز الطيبة وهي تربت على ظهر الفتاة لتهتف ياقوت بمرح:

_عارفاه أنا شغل "التثبيت" ده ..تلاقيكِ عاملة عملة ومزنوقة في دعوة حلوة من ستنا !

_هو حد يستغنى عن دعوة ستي ثمر برضه ؟!





تقولها الفتاة وهي تتمسح في ثمر كهريرة مطيعة لتضحك لجين وهي تمسد بطنها البارز قائلة :

_أكيد عريس! هو انتِ واكل دماغك غير سيرة الجواز ؟!

فترفرف رابحة بأهدابها عدة مرات في حركة مستعطفة وهي تنقل بصرها بين لجين وثمر ..

لتهتف ياقوت وقد فهمت مراد الفتاة :

_ادعيلها يا ستي خللينا نخلص ..الراجل قرب يوصل وعايزين نفضي البيت للرجالة ..

_ربنا يروق بالك يا رابحة ويرزقك باللي تتمنيه .

تهتف بها ثمر أخيراً وهي ترفع كفيها لأعلى فتصفق الفتاة بكفيها كأنما نالت مرادها حقاً لتعاود الغناء بصوت عالٍ:

_يا بيت العز ..يااااا بيتناااا.





تخبطها ياقوت على رأسها تزامناً مع صوت طرقات الباب لتشهق لجين وهي تسدل نقابها على وجهها هاتفة :

_ده أكيد هو وصل مع إسلام ..دخلليه يا بت رابحة وأنا هاروح أنده عابد .

يتوارين جميعاً في أحد الأركان فيما تتحرك رابحة بسرعة لتفتح الباب ..

تتسع عيناها للحظة وهي تميز الطلة الوسيمة ل"باسل" الذي رمقها بنظرة متفحصة ..

_لا لا لا ..مش هاخونك أبداُ يا حبعمري ..مهما كانت الإغراءات !

تهتف بها في نفسها بإخلاص طفولي مستحضرة صورة "الصالح" كأنما تحدثه ثم تطرق برأسها فيهتف بها إسلام بمرحه المعهود :





_سادّة الباب يا آنسة ..وسعي لو سمحتِ !

تغمغم بكلمات ساخطة غير مفهومة وهي تفسح لهما الطريق فيشير إسلام بيده نحو الداخل مخاطباً باسل بقوله :

_اتفضل يا سيدي .

_ماكانلوش لزوم التعب ده يا إسلام .

يقولها باسل ببعض الحرج وهو يتخذ مقعده ليهتف إسلام وهو يجلس بدوره :

_الحاجة ثمر من ساعة اللي حصل وهي مصرّة تعزمك هنا ع الغدا عشان تشكرك على اللي عملته مع عابد ..بس سعادتك مش فاضي.

_ولا شكر ولا حاجة ..وأنا عملت إيه يعني؟!

يقولها باسل بتواضع وعيناه تجوبان المكان بنظرة حذرة فرضتها عليه طبيعته الشخصية ..





لا يدري لماذا استجاب أخيراً لدعوة الحاجة ثمر عبر إسلام للقدوم إلى هنا ..

لعله جو القرية الذي حمل إليه ذكرياتٍ ود لو تعود ..

ذكريات تحمل له بقايا عطر ماضٍ لم يعد يحل له الحلم به !

_تاني بتطلعي فوق الشجرة لوحدك ؟! مش هتبطلي حركاتك الطايشة دي؟!

يهتف بها بسخط يناسب عنفوان سنين مراهقته الأولى لترد الفتاة المذعورة وهي تتشبث بذراعيها بين غصن الشجرة وجذعها ..

_نزلني الأول يا باسل وبعدين نتخانق ..





_اقعي يا كريستين ..اقعي عشان تتكسري وتتعلمي من غلطك ..أنا مش هانزلك !

ارتجاف صوته الخائف يناقض القسوة الظاهرة لعبارته خاصة عندما انخرطت الفتاة في البكاء هاتفة :

_وعدتني عمرك ما هتسيبني أخاف .

_ووعدتيني تبطلي طبعك المتخلف ده ..بتكابري في أي حاجة يتقاللك عليها ممنوعة ..مفيش مرة آجي هنا إلا وألاقيكِ عاملة مصيبة .

_عشان خاطري يا باسل ..هاقع خلاص!

تشهق شهقة فزع وأحد ذراعيها ينفلت من تشبثه بالغصن لكنه يبادر ليتلقفها بين ذراعيه فيسقط بثقلها معه على الأرض ..

تمتزج تأوهاتهما والخدوش الصغيرة تنال من جسديهما ..

يبادر بقول آخر يعنفها فيه لكنها تفاجئه بهذه القبلة التي طبعتها بعمق على وجنته !!




قبلتها الأولى والأخيرة التي احتفظ بسحرها طوال هذه السنوات..

والتي امتزجت -كهواها- بمذاق الألم الذي سرى في جسده وقتها ..

يتحسس وجنته غير مصدق لجرأة فعلتها لكنها تبتسم بخجل وهي تفتح كفها على ما ظلت تتشبث به :

_خالتي تريز بتقول الشجرة دي ورقها ليه سر غريب ..لو كتبنا أسامينا عليه مش هنفارق بعض أبداً ..عشان كده طلعت أجيب منه دي ..عشان ترجعك ليّ ..

تلين ملامحه قليلاً مع هذه الحرارة التي تتحدث بها خاصة وعيناها تتوهجان بعمق عاطفتها بينما تردف :

_كل مرة بتسافر فيها مابيقاش متأكدة إذا كنت هترجع واللا لأ ..بقول لنفسي يمكن تشوف الأحلى والأغنى مني وتشغلك عني .




_بلاش عبط ..مش محتاجة تخاريف ورق شجر عشان تبقي متأكدة إننا مش هنفارق بعض ..احنا لبعض من يوم ما اتولدنا ولحد ما أموت مش هاشوف غيرك !

يقولها بخشونة نبرته المميزة التي تفشل في مداراة عاطفته فتضحك له ضحكة سطعت في ملامحها وهي تراه ينهض من مكانه لينفض ملابسه ثم يمد لها أنامله كي يساعدها في النهوض ..

تتشبث بكفه بقوة كي تنهض وليته كان يملك القوة في كل مرة تلتها أن يقيمها من عثرتها ..

أو يحميها من السقوط !!

ترى لو كان استمع لكلامها وقتها وتركها تكتب اسميهما على ورقة الشجر هل كان ليختلف قدرهما !؟





_سرحت في إيه يا سعادة الباشا؟!

يخرجه بها إسلام من شروده فيفيق على مرأى هذه الشجرة الضخمة التي تظهر له من بعيد عبر نافذة البيت لترتسم على شفتيه ابتسامة شاحبة وهو يحدق فيها من بعيد للحظات أخرى وقد رأى طيفها الحبيب بين غصونها وجذعها ..

قبل أن يلتفت نحوه بابتسامة باهتة :

_برضه سعادة الباشا؟! أفكرك تاني اتقابلنا فين قبل كده !

_والله كنت عارف إنك هتقول كده وقلت أنكشك !

يهتف بها إسلام ليتشاركا الضحك للحظات قبل أن يرن الجرس معلناً عن وصول عابد الذي تقدم منهما ليصافحهما بود ظاهر ..

_نورت بيتنا يا ابني .




تقولها ثمر بترحاب دافئ عبر نبرتها المميزة وهي تنضم لثلاثتهم فيبتسم باسل بحرج لم يؤثر على لباقة رده :

_منور بأصحابه يا حاجة ..ماكانلوش لزوم التعب ده .

_ده مش تعب ياابني ..دي محبة ..شكر الناس من شكر ربنا ..وانت عملت كتير عشان عابد ..ربنا يباركلك .

تقولها بطيبة وهي تشير لمائدة الطعام البسيطة التي شغلت زاوية جانبية في ركن الصالة انضم إليها أربعتهم لتتولى ثمر غرف الأطباق لهم ..

يحاول عابد مساعدتها لكنها تمنعه بحزم رقيق يتفهمه بحكم خبرته عنها ..

تحب دوماً أن تكون هي من يقوم بواجب الضيافة على أفضل وجه .





يصدح صوت جرس الباب فيتوجه نحوه إسلام ليفتح ..

_أبو نسب!

يقولها بمرح معانقاً زين الذي ابتسم برصانته المعهودة لتهتف به ثمر باعتراض ناقض ابتسامة اعتزازها:

_سبت شغلك ليه ؟! ياقوت قالت لي إنك مش فاضي!

_مش هافضّي نفسي لأغلى منكم .

يقولها زين بود وهو يتقدم منها ليقبل رأسها ثم يصافح الرجلين ليتخذ مجلسه بينهم كي يتناولوا الطعام جميعاُ ..

تحوطهم نظرات ثمر الحانية وهي ترقبهم بفرح ..





عيناها تلتقيان بعيني زين الذي امتدح الطعام مدحاً لا يدعيه قبل أن يردف وهو يشير لعابد :

_أنا وعابد محضرين لك مفاجأة حلوة .

تلتمع عيناها بترقب فضح اكتشافها لما يعنيه فيضحك عابد قائلاٌ :

_لا مفاجآت مع فطنة "أمي"..أراهنك أنها تعلم !

يضحك زين ضحكة رائقة وهو يقول بمزيج من فخر وودّ:

_معنديش شك ..بس قلت أجرب!

يرمقهم باسل بنظرة مترقبة فيضحك إسلام وهو يقول بغيرة مصطنعة :

_يعني الحاجة حاسة وعابد مظبط وزين باشا مش شاكك ..وأنا بتنجانة في القعدة مثلاٌ ؟! ما تقولوا يا اخواننا !





_وعدت أمي برحلة الحج هذا العام ..لعل الله يرزقني الوفاء بوعدي .

يقولها عابد بسماحة لتتنهد ثمر بارتياح وهي ترفع وجهها المنفعل لأعلى متمتمة بصوت متهدج:

_الحمد لله ..الحمد لله ..عمري ما استهونت بفضل الكريم ..

_مفاجأتي بقا إننا هنسافر سوا ..أنا وانتِ وعابد ..

يقولها زين باعتزاز ليهتف إسلام بسخط :

_وأنا ابن الغسالة مثلاٌ ؟! هو أنا كل ما أرضى عنك تقلبني عليك تاني ليه ؟!

يضحك عابد ضحكة رائقة وهو يرى زين يرفع أحد حاجبيه باستفزاز ليقول ببرود مصطنع مخاطباً إسلام:

_ماكنتش أعرف إنك عايز .





_لا اعرف بقا يا أخويا !

يقولها إسلام بنفس النبرة الساخطة ليبتسم زين وهو ينظر لطبقه صامتاً بالمزيد من المشاكسة ..

فيرفع إسلام وجهه نحو ثمر هاتفاٌ :

_اوعي تسافري من غيري يا حاجة !

_ربنا يكتبهالنا سوا يا ابني إن شاء الله .

تقولها بصوت زادت رجفة انفعاله لتعتذر منهم بالدخول فيرمقهم باسل بابتسامة واسعة وهو يشعر بافتقاده لهذا الجو الحميمي منذ عهد بعيد ..

ربما منذ فقد كريستين وفقد معها هالة الخالة تريز الدافئة .

كأنما أحرق رحيلها ذاك الحقل الأخضر بروحه فلم يذر له بعدها إلا هشيماً محترقاٌ !!





وفي المطبخ وقفت ثمر تكفكف دمعها بين ذراعي ياقوت التي عانقتها بقوة متفهمة مشاعرها لتقول لها بحنان:

_بكرة أهل البلد كلهم يحكوا إن الحاجة ثمر مسافرة تحج بيت الله مع ولادها التلاتة ..شفتِ عوض ربنا يا ستي؟!

فتكتم ثمر شهقة نحيبها وهي تجفف دموعها بطرف وشاحها قائلة :

_ونعم بالله يا بنت قلبي ..بس الفرحة المرة دي كبيرة عليّ ..يعلم ربنا كم مرة دعيت ماقابلش وجه كريم إلا وأنا مكملة ديني بزيارة بيته .

تدمع عينا ياقوت عفوياً وهي تضمها بحنان أكبر متفهمة انفعالها العاطفي هذا ..

لتقول لها أخيراً بابتسامة كبيرة :

_استريحي انتِ وأنا هالم الأكل وأدخل لهم الحلو .





_جرى إيه يا دكتورة ؟! ما انتِ عارفة طبعي ..محدش يخدم ضيوفي إلا أنا ..اوعي خلاص أنا بقيت كويسة .

تقولها ثمر بتماسك وهي تكفكف بقية دمعها لتتحرك نحو الحوض القريب فتغسل وجهها تراقبها ياقوت بابتسامة اعتزاز كبيرة لم تفارق وجهها حتى انتهت الزيارة بسلام ..

_هنستناك تاني ياابني ..اللي يدخل بيتنا وياكل عيشنا وملحنا يبقى مننا .

تقولها ثمر بحنانها الفطري ليبتسم باسل بشجن وهو يرمق الشجرة الضخمة إياها عبر النافذة ليقول بشرود :

_تسلمي يا حاجة ..من زمان ماتبسطتش زي النهارده .





_كررها يا كبير ومالكش دعوة ..عليّ أنا التوصيلة !

يقولها إسلام بمرحه المعهود ليرد عابد بود :

_دع لي أنا توصيله في رحلة العودة ..لديّ شأنٌ مهم في القاهرة يستدعي السفر .

تراقبهما ثمر يغادران قبل أن تلتفت نحو زين الذي بادرها بقوله :

_روحي انتِ استريحي يا حاجة ..أكيد تعبتِ النهارده .

يقولها بحنانه الرزين لتبتسم له ثمر مع نظرة طويلة قبل أن تقترب منه خطوة لتبسط كفها على صدره قائلة :

_قل لي يا "أمي" زي عابد ..حاسة إنك من زمان عايز تقولها بس مكسوف.





تتسع عيناه للحظة ببعض الدهشة من فراستها المذهلة قبل أن تلتوي شفتاه بشبه ابتسامة ..

لا ..لم يعد هناك مجال للدهشة مع فطنة هذه العجوز !

"أمي"!!

تعلم منذ متى لم ينطق بهذه الكلمة ؟!

تعلم أثرها عليه ؟!

تعلم هذه الغصة التي تتركها في حلقه عندما يفكر فيها ؟!!

لكن ..

ألم يأن الأوان لنبذ الماضي كله ..بجرحه وخذلانه ..ومرارة فقده ؟!

لهذا أطرق بوجهه صامتاً للحظة قبل أن يرفعه نحوها بابتسامة :

_حاضر يا أمي.





تضحك له ضحكتها الطيبة شبيهة تلك الخاصة بياقوت ولا تختلف عنها سوى في أسنانها المكسورة صنيعة الزمن ..

ثم تربت على كتفه برفق لتغادر نحو غرفتها فيبتسم إسلام وهو يراقب الموقف صامتاً قبل أن يرمق زين بنظرة ذات مغزى اتسعت معها ابتسامته وهو يربت على كتفه الآخر ..

قبل أن يتحرك نحو إحدى غرف البيت حيث كانت نشوى نائمة ..

أو هكذا ظنها ..

فلم يكد يدخل الغرفة ويغلق بابها خلفه حتى فوجئ بها تطبق بكفها على عنقه من الخلف هاتفة من بين أسنانها :

_انت قابلت باسل ده أول مرة فين ؟!

_بسم الله الرحمن الرحيم ! إيه "قفا المخبرين" ده ؟! حرام عليكِ يا شيخة قطعت الخلف !





يقولها عبر أنفاسه اللاهثة لتشدد ضغط كفها حول عنقه بينما تضغط فكه بكفها الآخر هاتفة بنبرة خطيرة :

_اعترف ..قابلته أول مرة فين ؟!

_انتِ يا بنت الناس مش قلتِ هتنامي هنا عشان تعبانة وقافلة على نفسك الأوضة من ساعتها ؟! كنتِ بتتجسسي علينا !!

يقولها وهو يخلص فكه من قبضتها لتهتف به مكررة بإصرار:

_خلّص !! انجز من غير تحوير ..قابلته فين يا إسلام ؟!

_تؤ! "انجز" و"خلص"و "تحوير" !!! تأثيري بقا وحش قوي على ألفاظك !

يقولها وحاجباه يتراقصان بمشاكسة لتشدد ضغط كفها على.رقبته حتى يتأوه ضاحكاً مع هتافه :




_خلاص يا "شرس" ..هاقول ..هاقول ..

تخفف ضغط قبضتها على عنقه فيطبع على شفتيها قبلة سريعة مفاجئة مع جوابه :

_في المكتبة !

ترمقه بنظرة متشككة فيسبل جفنيه ليردف ببراءة مصطنعة :

_قبل ما نصلي الجمعة في الحسين .

_باسل مسيحي!

تقولها بغيظ وهي تعود لتشدد ضغط قبضتها فوق عنقه ليعاود التأوه قائلاً بين ضحكاته :

_هو ده اللي لفت نظرك ؟! وبالنسبة للمكتبة عادي يعني؟! أنا وش قراية برضه ؟!

تخبطه بجبهتها في جبينه بقوة فيضحك ضحكة عالية وهو يمسد جبينه قائلاً :

_هي وصلت ل"الروصية" يا شرس؟!





_انطق وماتعصبنيش!

تقولها ملوحة بقبضتها في وجهه ليضحك من جديد مستمتعاً بهذا الوجه "الشوكي" منها ثم يقول بنفس البراءة المصطنعة :

_لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم .

_ياواد يا مؤمن !

تقولها وهي تلكزه في كتفه بقبضتها ليتعالى صوت ضحكاته فتهتف به من جديد :

_أكيد سكة شمال !

_يحرم علينا الشمال بعدك يا غزال!!

يغمزها بها بمشاكسة وهو يقرص وجنتها الممتلئة فتبتسم رغماً عنها لتقول بسخط مصطنع :

_مش هتبطل طريقتك دي؟!

_وانت بجد عايزني أبطل يا عسل؟!

يعاود غمزها بها من جديد وهو يضمها نحوه لتتسع ابتسامتها وأناملها تداعب شامته الأثيرة على عنقه في جواب غير منطوق ..





ليضحك ضحكة عابثة وهو يغمغم جوار أذنها :

_فرصة نلعب لنا ماتش مصارعة من غير كبسات من ريما .

يقولها مشيراً لوجود الصغيرة لدى أشرف في هذا الوقت لتتغير ملامحها فجأة وهي تقول بصوت متحشرج :

_انت مش ملاحظ إنها عكس كل الأطفال مش مرتبطة بفرح بنت أشرف أد ما هي مرتبطة بيك ؟!

لكنه لا ينتبه لرنة صوتها الوجلة ووتيرة عبثه تزداد بتراقص أنامله :

_غيرانة من بنتك يا ست نشويات ؟!

تسبل جفنيها بعجز وهي تخشى مواجهته بمخاوفها ..

ليشعر ببرودها المفاجئ فيرفع عينيه المتفحصتين نحوها ليسألها أخيراً بجدية وهو يرفع ذقنها نحوه :





_فيه إيه ؟! من يوم ولادة رانيا وانتِ متغيرة ؟!

تدمع عيناها بشيئ من الذنب فتتسع عيناه بإدراك ليغمغم بجواب هو أقرب منه للسؤال:

_لو كان اللي في بالي صح هازعل منك قوي .

تخفي وجهها في صدره وذراعاها يتشبثان به بقوة عاصرة ليتنهد وهو يقبض على خصلات شعرها برفق ليرفع وجهها نحوه هامساً بعتاب حنون :

_بعد كل ده لسه مش واثقة في حبي ليكِ ولريما ؟! خايفة لو جبنا لها أخ أو أخت أفرق بينهم في المعاملة ؟!

_مش قصة ثقة ..بس ..ريما روحها فيك ..ارتباطها بيك مش معقول ..دي رافضة تعمل أي حاجة إلا وهي معاك ..أنا بتمنى من كل قلبي ربنا يكرمني بطفل منك بس ..مرعوبة ..خايفة ..





يقطع حديثها بسبابته التي وضعها على شفتيها ليهمس لها بحزم رفيق:

_لو جبنا عشر ولاد ريما هتفضل بنتي الأولانية ..أول واحدة أحس معاها بجد يعني إيه أب يخاف ويتعلق ويحب من غير سبب ..حبيتها لأنها حتة منك ..وحبيتها أكتر لأنها كل يوم كانت بتقربني ليكِ ..وبحبها كل ساعة أكتر وأكتر عشان بقت حتة مني أنا كمان .

تدمع عيناها بتأثر فتسبلهما بالمزيد من شعورها بالذنب لتغمغم أخيراً بارتباك :

_مصدقاك والله ..بس ..

_انتِ مستفزة !

يقولها فجأة بغيظ متعمداً درء وجهها -الضعيف- الذي لا يحبه هذا ..

وقد صدق حدسه عندما تحفزت ملامحها وهي تكور قبضتها في وجهه هاتفة بانفعال :

_أنا مستفزة ؟!





_وما بتفهميش ..وقليلة التقدير !!

تشهق بحدة مع عباراته التي انتهت بتكبيله لقبضتيها خلف ظهرها وهو يستطرد متعمداً هذا الاستفزاز :

_وهتفضلي كده تطلعي روحي وتنكدي عليّ وعلى نفسك من غير سبب زي أي بومة بتحترم نفسها ..

_بومة !! بومة!!

تقولها محاولة تخليص نفسها من قبضتيه أو خبط جبهته برأسها من جديد لكنه كان يتفاداها برشاقة وهو يدفعها أمامه فلم تجد إلا عضه بقوة في كتفه ليتأوه ضاحكاً ..

لكنه لم يفلتها بل دفعها بقوة ليسقطها فوق الفراش ولايزال يكبلها بقبضتيه ..

_أنا مش راضية أعلي صوتي عشان احنا في بيت الناس ..دي آخرتها ؟! أنا بومة ؟!





تهتف بها بسخط احمر له وجهها الذي طافت فوقه شفتاه بتمهل ليغمغم بنبرة مشاكسة وقد سرّه استعادتها لطبيعتها الشوكية التي يعشقها هذه :

_بومة "كيرفي" ..جامدة ..تجنن ..بس بومة برضه !

تبتسم رغماً عنها وهو يذيب سخطها -وقبله شعورها بالذنب- في لحظات ..

تحبه عندما يجيد هدهدة مشاعرها بهذه الطريقة الآسرة غير التقليدية التي يحتوي بها شعورها الدائم بالخوف وعدم الأمان ..

كم تتوق لطفل يشبهه !!

بهذه الروح المتجددة التي لا تفقد رونقها أبداً مهما توالت عليها الأحزان ..

وبهذا القلب الكبير الذي لا يجيد سوى العطاء ..

وبهذا المرح القدير على طمس أي ألم يواجهه !!





خائفة ؟!

تنكر لو زعمت العكس ..

لكنها تتوق حقاً لمنحه ما يرجوه ..

لعله كعهدها به يصهر خوفها هذا كله ليمنحها عوضاً عنه جنة من أمان !!

يتأوه بدهشة وهو يجدها تحرر نفسها فجأة منه لتمسك كتفيه بقوة ..

يفاجأ بالوضع ينقلب لتشرف هي عليه من علو بينما يستسلم هو لسعادتها بانتصارها المؤقت وهي ترفع قبضتها أمام وجهه هامسة أخيراً بيقين امرأة تدرك سلطة إغوائها :

_كنت عايز ماتش مصارعة ؟! أنا جاهزة !

لتبدأ بعدها ألذ وأشهى مباراة عرفها كلاهما يوماٌ ..!

=========

_هه؟! إيه رأيك يا عم جميل ؟!





تهتف بها ريتال في غرفتها ببيته وهي تفتح ذراعيها مستعرضة ثوبها الأبيض ليلة زفافها فتدمع عينا الرجل وهو يتقدم منها قائلاً بصوت مرتجف:

_النهارده مش عايزك تقوليلي غير يا "بابا" ..عايزة أسمعها منك زي ما كنتِ بتقوليها وانتِ صغيرة .

تدمع عيناها بدورها وهي تتقدم لتعانقه شاعرةً بهذه الغصة في حلقها ..

_ما تصعبهاش عليّ بزيادة ..انت فاكر فراقك بالساهل ؟! رؤوف واعدني أول ما نستقر هناك نبعت ناخدك .

تقولها وهي تتشبث بأناملها في عضديه بقوة ليرد بابتسامة واهنة :

_واسيب محلّي وناسي وبلدي عشان أروح أموت في بلد غريب؟!




_بعد الشر عنك يا بابا ..ماتجيبش سيرة الموت دي بالله عليك !

تهتف بها بلوعة وهي تخفي وجهها في صدره لتتسع ابتسامة العجوز وهو يمسح دمعة كادت تسقط من عينه مع قوله :

_ياللا عشان مانتأخرش على عريسك والناس اللي بره ..

يقولها وهو يربت على ظهرها برفق فترفع عينيها نحوه شاعرة بالذنب ..

هل كانت مخطئة عندما أصرت على هذه الزيجة رغم أنها تعلم كم سيعاني بفراقها ؟!

لا !

هذا البلد الذي يتنفس ظلماً لم يعد يحتمل المزيد من جثث أبنائه !!





ستخرج لبداية جديدة بعيداً عن هنا ..

وستأخذه معها هناك ..

ليس هو فقط !!

ليتها تستطيع أن تأخذ كل أحبابها هنا معها هناك !!

وأولهم ..سامر!!

وعند الخاطر الأخير تحيد عيناها لحقائبها التي أعدتها هناك ..

وبالذات لهذه التي كدست فيها "عرائسه" التي ظل يهديها إياها طوال هذه السنوات ..

يالله!!

كم ستفتقد الشعور بهذه الأخوة الصادقة بينهما!!

صوت طرقات على الباب يقاطع أفكارها يليه دخول السيدة روح وخلفها سامر الذي كان يهتف بمرح أجاد تصنعه :





_يالا يا عروسة ..الناس ..

تنقطع عبارته رغماً عنه ومرآها بالثوب الأبيض وهذه الفتنة الاستثنائية يخز قلبه بالمزيد من شعوره المضطرب بها ..

ليس قلبه فقط ..بل ضميره كذلك !!

كونه لا يفهم نفسه لا يبرر له مثل هذا الإحساس بامرأة لم تكن يوماً له ..

ولن تكون !!

هل هذه ريتال الصغيرة التي كبر على هذه الأخوة المزعومة بينهما ؟!

كيف الآن إذن يشعر أنه ..

أنه ماذا؟!!

_اللهم صلي على كامل النور ..قمر يا بنتي ..الله يرحمها أمك كان نفسها تعيش وتشوف اليوم ده .





تهتف بها أمه لتنتهي بدموع تأثرها فيهتف بها سامر بنفس المرح المصطنع:

_وحدي الله يا ست حلاوة وماتقلبيهاش نكد بقا ..

ثم يلتفت نحو ريتال مردفاً :

_إيه يا بت يا تولا الحلاوة دي؟! تصدقي ما عرفتكيش!

تشرق ملامحها بفرحة تزيد من عمق هذا الإحساس الغريب بصدره لكنه يتجاهله قسراً وهو يسمعها تهتف بلهفة :

_بجد حلوة ؟!

_أجمل من أي سحلية شفتها في حياتي !

يهتف بها مشاكساً كعهده معها لتلكزه أمه في صدره هاتفة باستنكار:

_يوه! اتلم يا واد انت! هتفضلوا تتناقروا زي القط والفار كده لحد امتى؟!





_سيببيه يا ست حلاوة ! بكرة يترحم على
أيامي ..سايباهاله مخضّرة !

تضحك المرأة بطيبة فيما ينقل الأب نظراته الخبيرة
بينها وبين سامر الذي تجهمت ملامحه مع كلماتها
ليتنهد بحرارة وهو يطرق برأسه ..

فيما تكلف سامر ابتسامة مصطنعة وهو يرى
فرحتها تنير ملامحها كشمس صغيرة فلا يسعه إلا
أن يرجو أن تكتمل سعادتها هذه ..

يرى والدها يتأبط ذراعها ليغادر بها الغرفة نحو
صالة البيت حيث حضر المدعوون مع المأذون
ليعقد القران فيسير خلفهما بخطوات متباطئة ..

صوت الزغاريد يدوي حوله فلا يملك المزيد من
هذا الوخز الذي لا يفهمه !!





يطيل النظر في وجه عريسها فلا يدري سر هذا الشعور الغريب الذي يتملكه نحوه الآن وكأنه سرق جزءاً من روحه ..

يرى المأذون ينتهي من إجراءاته ليبارك لهما فتزداد كثافة الزغاريد حوله تذكره بموقف مشابه ..

يلتفت هناك نحو الزاوية فيرى باقة كبيرة من الزهور باسم سها وناصر ..

حتى وهي مسافرة في تركيا معه للعلاج لا تنسى مثل هذه التفاصيل الصغيرة !!

سها ..ريتال!!

هل هو مريض حقاً بتملك ما ليس له ؟!

هل عاش طوال هذه السنوات في وهم حب سها ؟!

ماذا عن ريتال؟!

وهم أيضاُ؟!

لا ريب أنه كذلك !!





هي أخته التي تربى على صداقتها ولم يعد يجوز أن تزيد عن هذا !!

نظراته تلتقي بنظرات العريس رؤوف فجأة فتضطرب ملامحه هو وكأنما ضبطه بجرم مشهود ..

هل اكتست نظرات رؤوف بالعدائية أم أنه فقط يتوهم؟!

هل يغار؟!

هل يشعر بإحساسه نحو ريتال؟!

هل يفهم؟!

_يا شيخ اتلهي! مش لما تفهم انت الأول!

يخاطب بها نفسه ساخراً كعهده !

سخريته هذه هي ما تهون الأمور دوماً عليه !!





_عقبالك يا موكوس! ده أنا قربت ألف ع المشايخ أشوف معمول لك عمل واللا إيه عشان يفكوه ..يمكن يمشي حالك الواقف .

تهمس بها أمه وهي تميل على أذنه ليضحك ضحكة مفتعلة عالية وهو يتهرب من الحديث بقوله :

_بيوزعوا الجاتوه ! أجيبلك كريمة واللا شيكولاتة ؟!

_هاتلي عروسة على إيدك وانت جاي وريّح قلبي!

تهتف بها المرأة بحرارة وهي ترفع كفيها في وضع الدعاء فيضحك ضحكة حقيقية هذه المرة وهو يبتعد ليخترق صفوف المدعوين في سبيله لإحضار الحلوى ..





_شجرة الدر! طول عمري أقول حظك نار ..جاية على افتتاح البوفيه !

يهتف بها بمرح وهو يبصر ياقوت تدخل من باب الشقة الضيقة لتضحك الأخيرة بارتباك قائلة :

_اتأخرت غصب عني! هاروح أبارك لريتال !

تقولها لتخترق الحشد الذي تجمع في الشقة الضيقة حتى تصل للعروس فتعانقها بحرارة مباركةً لها ..

ثم تقف مكانها تراقب سامر من بعيد بنظراتها الخبيرة ..

يمكنها تمييز هذه النظرة المشتتة التي تغيم بها ملامحه ..

نظرة رأت مثيلتها يوماً في عينيه نحو سها ..

ليست سها فحسب..

بل نجلاء كذلك !!




يااللعجب!!

الطبيب الماهر الذي يجيد تحليل النفوس عاجز عن فهم نفسه !!

لكن لماذا الدهشة ؟!

ألم تكن هي أول من آمنت أن في مهنتهم هذه قد يكون "باب النجار مخلع" كما يقولون؟!!

تراه مكانه يضاحك أمه بحماس توقن أنه مفتعل فتشعر بأسى حقيقي نحوه ..

ليس أسوأ على المرء من أن يعجز عن فهم نفسه ..

فيضيع العمر لاهثاً خلف سراب خادع!!

=======

في خلال بضعة أشهر ..





_أخوك نجح ..هاعمللكم حفلة بكرة بمناسبة نجاحه وعيد ميلادك ..هاستناك انت ونشوى وريما ..تعالوا بدري.

_عنينا للوالدة باشا ..باركي لهيثم على ما أشوفه !

يقولها إسلام بود ليغلق الاتصال مع أمه ..

كان قد أتم إنجاز عمله في المصنع فغادر مكتبه ليتوجه لغرفتها لكنه وجدها مغلقة ..

زفر بضيق وهو يتناول هاتفه ليتصل بها فوصله صوتها يهتف بعجلة :

_معلش يا إسلام ..رانيا ملبوخة بفرح كالعادة وكانت محتاجاني معاها فجيت هنا مع ريما ..لو الوقت اتأخر ممكن نبات .

قالتها لتغلق الاتصال بسرعة فعاد يزفر بضيق لم يخلُ من تفهم ..




فرح الصغيرة تشغل اهتمام الجميع منذ مولدها خاصة ومناعتها الضعيفة تجعلها عرضة للكثير من الأمراض ..ورانيا بطبيعتها تهول كثيراً في الخوف عليها خاصة بعد فقدانها لجنينها السابق ..

لكنه كان يتمنى لو تتذكر نشوى يوم مولده كأمه ..يعلم أنه لم يذكر موعده لها ..لكن ألا تهتم هي لتعرفه وحدها ؟!

خبرته بالنساء أنهن يهتممن كثيراً بهذه الأمور ..

لكن منذ متى كانت هي تشبه بقية النساء؟!!

_البس يا عم قفص التين الشوكي كله ! يا "بتاع البرقوق"!

يقولها لنفسه ساخراً بتهكم وهو يغادر المصنع ليتصل بهيثم فيبارك له نجاحه ثم بياقوت ليطمئن عليها :





_ازيك يا أبو التوت ؟!..الواد هيثم عملها ونجح ..والوالدة باشا عاملاله حفلة بكرة ..لجين على آخرها مش هتعرف تسافر ..تعالي انتِ وزين بقا !

يقولها بمرحه الودود وهو يستقل سيارته ليصله صوتها المرح:

_أخبارك بقت بايتة يا "رويتر"..هيثم كلمني وقاللي م الصبح .

_الوغد! كلكم أوغاد ! مفيش أي احترام لأخوكم الكبير يا غجر!!

تجلجل ضحكتها عالية فيضحك بدوره وهو يسمعها تقول بنفس النبرة المرحة :

_أيوة كده ارجع للسانك الطويل ..دور "الدروشة" اللي كنت سايق فيه من ساعة رجوعك من الحج ده ماكانش لايق عليك .

_اخرسي !





يهتف بها باستنكار مرح فتجلجل ضحكتها من جديد ليستشعر خلالها رضاها الحقيقي الذي أثر على حياتها في الفترة الأخيرة ..

رحلة الحج هذه لم تؤتِ ثمارها على ثمر التقية فحسب بل على جميع "أولادها" معها ..

عابد الذي وجدها خطوة جديدة في درب التقرب لخالقه ومولاه بعدما ناله من شتات ..

زين الذي اعتبرها إشارة جديدة بالغفران والصفح ..

وهو الذي شعر بها محطة أخرى في طريق التغيير الذي قلب حياته رأساً على عقب !!

_المهم انتِ كويسة ؟! زين كويس؟! قوليلي لو زعلك أملص لك ودانه !

يقولها بنبرة ماكرة متوقعاً الرد :

_اتكلم على أدك ! مين ده اللي تملص ودانه ؟!





_خلاص ..خلاص ..يا داخل بين البصلة وقشرتها !

_بصلة ! ياي ! بقيت بيئة قوي ..ماعدتش من مستوايا !

_الله يرحمك يا ملكة جمال العشوائيات ..إيش فهمك انت ؟!!

يقول عبارته الأخيرة بتهكم مرققاً صوته ومقلداً لكنتها لتجلجل ضحكاتهما معاً عالية قبل أن تقول هي بنبرة عاطفية جادة :

_كل سنة وانت طيب يا أجدع أخ في الدنيا !

_انتِ كمان عرفت ؟!

يقولها ببعض الخيبة فيبدو أن زوجته المصون هي آخر من سينتبه لهذا..

لترد هي غافلة عن أفكاره :

_هيثم قاللي ان الحفلة بكرة عند مامتك لكم انتم الاتنتين .




_ماشي ..متشكرين ..أشوفك غداً متألقة كده بحاجة فوسفوري من بتوعك .

يقولها بتهكم ساخر فتضحك ضحكة أخيرة وهي تغلق معه الاتصال ليبتسم هو بمودة وهو مستمر في القيادة بينما يجري اتصالاً آخر ..

_لوجي !! سمراء الشيكولاتة الفاتنة ..كيف حالكِ يازوجة العابد وأم المؤمن ؟!

يقولها بالفصحى مفخماً آداءه بهذه الطريقة التي يختصها بها بالحديث لتصله ضحكتها الرائقة مع صوتها الخجول بطبعه :

_الحمد لله رب العالمين ..إزيك انت ؟!

_زي البمب ! طمنيني ع "الشيخ الفهلوي" حبيب خاله ..هه بيلعب كورة جوه واللا طالع هادي زي أبوه ؟!





تتأوه بمزيج عجيب من تعب وراحة لتقول بنبرة مفعمة بالعاطفة :

_لا اطمن ! شكله كده شقي قوي ..ما بينيمنيش .

_جاااامد ! هو ده حبيب خاله وخليفته في الملاعب .

يهتف بها ضاحكاً لتضحك بدورها وهي ترد :

_هيثم قاللي على حفلة بكره ..بس مش هاعرف آجي .

_هيثم العاق كلمكم كلكم قبلي ! بس لما أشوفه !

يقولها بغيظ مصطنع لتضحك وهي ترد بطيبتها المعهودة :

_وهو إيه وانت إيه ؟! واحد ! ربنا ما يحرمني منكم .

_الحاجة ثمر كويسة ؟!

يسألها باهتمام عن صحة العجوز التي تأثرت نوعاً بعد رحلة الحج الأخيرة لترد لجين مطمئنة :



_الحمد لله رب العالمين ..عمري ما شفت ستي فرحانة زي اليومين دول .

_يارب دايماً .

يقولها بتنهيدة ارتياحِ ليردف:

_سلميلي على شيخنا وقوليله يدعيلي .

_بيدعيلك من غير حاجة ..آه ..كنت هانسى ..كل سنة وانت طيب ..عابد بيقول إن عيد الميلاد ده بدعة بس ياللا بقا .

تقولها ضاحكة بخجل ليضحك بدوره قائلاً :

_انتِ كمان عرفتِ ؟! لسه فيه حد على ضهر الكوكب ماعرفش إنه عيد ميلادي ..غير "الست نشويات"؟!!

عبارته الأخيرة يحتفظ بها لنفسه سراً بحسرة خفية ليصله صوتها الغارق بحنانه :





_ربنا يديك طولة العمر على الطاعة والعمل الصالح .

يبتسم برضا وهو يدرك المزيج الرائع الذي آلت إليه شخصية لجين بين "بساطة حكمة ثمر" و"تقوى عابد" ..

هذا المزيج الذي تضافر مع عاطفة روحها هي النقية ليجعل لها بصمة خاصة مميزة ..

لهذا اتشحت نبرته بعاطفته هو الآخر وهو ينهي معها الاتصال بقوله المرح بالفصحى المفخمة :

_جزاكِ الله خيراً يا سمراء الشيكولاتة الفاتنة ..ونفع بكِ !

صدى ضحكاتها يملأ أذنيه طوال الطريق إلى بيته وهو يشعر بالرضا عما آلت إليه أوضاع الجميع ..

ربما ما يظل يؤرقه هو حال هيثم !





رغم أنه يخفي عنهم جميعاً حزنه محاولاً التظاهر بالاندماج والمرح ..

لكنه يقرأها في دمعة حبيسة بعينيه ..

هو لم ينسَ !

ربما عندما يسافر ويختلط بدنيا أخرى كما فعل هو ..

لا بأس ..هو يجهز له هذا الأمر ولن يهدأ حتى يطمئن عليه هو الآخر !

يصل أخيراً للبناية التي يقيم فيها فيرصف سيارته ليصعد للشقة الخالية ..

أو التي ظنها خالية حتى فوجئ بها هناك بعد إغلاقه للباب تستقبله بابتسامة عاطفية حارة ناقضت صوتها القوي بطبيعته :

_عندك تأخير نص ساعة ..كنت فين ؟!





تتسع عيناه بمزيج من صدمة وانبهار وهو يميز الأجواء حوله وقد أظلمت إلا من أضواء جانبية هادئة بلون وردي أخاذ أضفت على ملامحها هي رونقاً ساحراً ..

ثوبها الذي ارتدته بلون أرجواني قاتم يحيط تفاصيلها بنعومة بفتحة طويلة جانبية تظهر ساقها التي التف حول كاحلها نقش الحناء بشكل "الخلخال" ..

عدسات عينيها اللاصقة بلون بنفسجي جذاب ..

وأخيراً شعرها الذي أسدلته على كتفيها بلونه الجديد ال...!!

_يا بنت الإيه ! وربنا كنت عارف إنك هتصبغيه بنفسجي من ساعة ما اتكلمنا على "مشرفة الباص"!

يهتف بها بسعادة ماكرة تراقصت بين حروفه وهو يختصر المسافة بينهما بخطوة واحدة فيطوقها بأحد ذراعيه بينما يداعب خصلات شعرها بلونها





المتألق بأنامله لترفع له أحد حاجبيها هاتفة بنبرة تهديد :

_يعني لسه فاكر لون شعرها ؟! هه وإيه كمان ؟!

يتراقص حاجباه بحركتهما المشاكسة فتكتم ابتسامتها وهي تجذبه بقبضتيها من ياقة قميصه بحركة قوية وقد أدركت أنه على وشك التفوه بما يثير غيرتها ..

فبادرت بقولها :

_إياك !! إياك !! هاقلب الليلة المفترجة دي على دماغك .

فرسم على ملامحه براءة مصطنعة وهو يقول بشفتين ممطوتتين :

_ومالها الليلة دي يعني ؟! فيها حاجة مميزة ؟!

ملامحها ترتخي تدريجياً وأناملها تنتقل لوجهه تداعبه برقة مع همسها الذي خرج أخيراً عاطفياً دافئاً :

_كل سنة وانت طيب .

_آآآآه ..هو عيد ميلادي ؟!

يهتف بها بنفس البراءة المصطنعة مردفاً :

_ولا كنت واخد بالي!

_إسلام!

تقولها بنبرة محذرة وقد اشتمت الكذب في كلماته ليضحك ضحكة عالية وهو يضمها نحوه بكلي ذراعيه هامساً أمام عينيها :

_بصراحة افتكرتك مش واخدة بالك ..ماكنتش أعرف إنك عاملة مفاجأة .

_بتتكلم جد ؟!





تهمس بها بنبرة خطيرة مغوية وهي تقترب لتطبع على شفتيه هدية ناعمة يردها لها أكثر جموحاً ..

لكنها تتراجع فجأة لتضع سبابتها على شفتيه هامسة :

_مش عايزين كروَتة يا هندسة ..سيبني أكمل "البروجرام"!

_بعشق "بروجراماتك" يا عسل!

يغمزها بها بحركته المعهودة لتضحك وهي تبتعد قليلاٌ تلاحقها نظراته المشتعلة بفتنتها الاستثنائية لهذه الليلة ..

_جامدة !

يهتف بها مصفقاً بإعجاب لتضحك وهي تتقدم منه حاملة هديتها التي رفعتها أمام عينيه :

_شوف هديتي الأولانية الأول وبعدين احكم ..




تقولها وهي تتحسس سلسلتها بصورته على عنقه ليبتسم وهو يتلمس هديتها التي كانت ميدالية طبعت عليها صورة زفافهما ..

هذه التي قبَّلها هو بخفة سريعة قبل أن يقول ببعض الاستياء:

_ماحطتيش صورة لينا احنا التلاتة ليه أحسن؟!

_بجد ؟! يعني كنت عايز ريما معانا ؟!

تقولها بمزيج ترددها وخوفها الذي يثير غيظه فلم يتمالك نفسه وهو يشد أذنها ببعض القوة ليهتف وسط تأوهاتها الضاحكة :

_هاقولها لحد امتى؟! لحد امتى ؟! لكن على رأي اللي قال ..يفيد بإيه البوح لو البعيد لوح ؟!

يعلو صوت تأوهاتها الضاحك وهي تخبطه بقبضتها على كتفه لتهتف مدافعة :

_خلاص ..خلاص ..صادق يا "سلمونتي" ..صادق!





_سماح !..عشان خاطر"سلمونتي" الجامدة دي!

يهمس بها وهو يعض خدها الممتلئ بخفة لتضحك وهي تبتعد خطوة هامسة :

_مش عايز تعرف هديتي التانية ؟!

يصمت قليلاً بترقب صامت ..

قبل أن تلتمع عيناه مع رجفة صوته :

_عارفها .

_بجد ؟!

تهمس بها بخيبة متشككة ليضحك وهو يعاود اقترابه ليطوقها بين ذراعيه هامساً جوار أذنها بعبث ماكر :

_عيب عليكِ ! ده أنا حتى هندسة وشاطر قوي في الحساب ..هه ؟! نقول مبروك يا عسل؟!





تلكمه من جديد في كتفه لتهتف به بغيظ :

_مش ممكن وربنا ! مش ممكن ! حتى دي ما فوتتهاش؟! مابعرفش أفاجئك أبداً !!

ضحكته تجلجل بنبرة عالية وهو يعتصرها بين ذراعيه ليغمر وجهها بقبلاته الدافئة ..

ترفع إليه عينيها وشفتاها تهمان بالحديث لكنها تتوقف أمام لمعة دموع حقيقية في عينيه تناقض مظهره العابث هذا !!

تدمع عيناها بدورها وهي تشعر بفيض عاطفته هذه الذي يخفيه ..

تراه يخشى أن يفصح عن سعادته بإفراط فيزيد من خوفها هي بشأن ريما ؟!

لاريب أنه كذلك !!

_قول إنك مبسوط قوي وأنا مش هخاف ..أنا عارفة إنك هتفضل تحب ريما زي ..





تقولها بتأثر فتنقطع كلماتها بين شفتيه وأنامله تداعب خصلات شعرها برقة ..

بينما ارتجاف جسده يحكي دون كلمات عن فرحته الطاغية الآن ..

تشعر به يبتعد أخيراً لينحني جالساً على ركبتيه أمام بطنها فجأة ليمسده بأنامله هامساً بحرارة :

_الحمد لله ..دي كانت أول دعوة دعيتها قدام الكعبة .

تتشبث بكتفيه بقوة وأناملها تكاد تنغرس هناك شاعرة بعمق عاطفته يخرسها ..

لكنه يميل بشفتيه على كفيها يقبلهما تباعاً قبل أن ينهض بسرعة ليتناول هاتفه فتحاول منعه هاتفة :

_مفيش تليفونات الليلة دي ..ما تبوظش البروجرام ..قوللهم بكرة.




لكنه يضحك هاتفاً بلهفة :

_إلا دي! ..لازم أعرفها حالاً !

يقولها وهو يطبع على وجنتها قبلة اعتذار تنتهي بعضّة خفيفة كعهده قبل أن يفتح الاتصال ليهتف هو بلهفة فرحة :

_زغرطي يا "أنّا" ..هاني الصغير في الطريق ..فعلتُها ..فعلتُها!!!!

تبتسم نشوى بعاطفة وقد كانت تدرك أن هذا سيكون أول اتصال سيجريه ..

الأحمق!! كأنه يثق تماماً أنها تحمل ولداً !!

_بجد ؟! بجد ؟! حبيب قلب "أنّا"! مبروك أنا ..

صراخ إيناس الفرِح يصلها مكانها وقد تقطع بدموع المرأة ليهتف بها إسلام بسعادة :





_عرّفي عمو بقا إني عملتها عشان ما بطلش يعايرني من ساعة ما اتجوزت ..وقولي ل"سيدنا" ما يفرحش قوي إنه سبقني بالبنتين أنا بعون الله اللي هاجيب هاني ..دعيتها وهنولها من غير مقاطعة ..

يقولها ليصمت لحظة مردفاً بنبرة أرق:

_وعشان خاطري بطلي عياط .

_حاضر ..اهه ..بطلت .

تضحك نشوى وصوت المرأة المنفعل يصلها مكانها :

_بارك لنشوى ..خلليها تاخد بالها منه قوي ..تاكل كويس وتبطل الدايت اللي كانت عاملاه ده .

_لا أنا هامشيها على "دايت القطط"!

ترمقه نشوى بنظرة متسائلة ليردف بحاجبين متراقصين :





_تاكل وتنكر!!

تنطلق الضحكات من ثلاثتهم في نفس اللحظة ليشبك كفه الحر بكفها فترفعهما معاً نحو شفتيها تقبله بعمق ..

لا تدري كم عمراً يكفيها لتعشق رجلاً مثله كما يليق به ..

رجلاً أجاد إتقان كل دور فرضه عليه القدر بمنتهى الإتقان ..

الأخ ..الابن ..الصديق ..الزوج ..الحبيب ..

و..الأب ..

لابنهما المنتظر ولربما قبله !!

_بحبك !

تقولها أخيراً وقد أغلق الاتصال ليفتح لها باب جنته الخاصة بين ذراعيه فيهمس لها بغمزته المعهودة :





_وأنا بموت فيك يا عسل!

=========

في حفل التخرج وسط فناء الكلية تقف داليا بهذا الرداء المميز الذي اختير ليرتدوه جميعاً بلون الكشمير الهادئ ..

_الولاد ماكانوش موافقين ع اللون بس فرضنا رأينا ..النساء قادمات !! هووووووه!!

تهتف بها بنزقها المعهود ليبتسم مروان بفخر وهو يحيطها بكتفيه بينما يهتف يامن :

_المهم إنك نجحتِ ..نفسي أعرف عملتيها إزاي .

_بركات مارو الجامد !

تهتف بها وهي تسند رأسها على كتف مروان الذي اتسعت ابتسامته وهو يرى استياء يامن من تصرفها المتحرر هذا وسط هذا الجمع ليقول له مهدئاً :





Cinnabon

_ما تحاولش! دي بالذات ماعرفتش أظبطهالها!

يضحك يامن وهو يربت على كتفه قائلاً :

_هتقوللي؟! ربنا يعينك على ما بلاك !

ثم ينتقل لها ببصره مردفاً:

_مبروك يا شحرورة !

يقولها ليسمع صوت رنين هاتفه فيفتح الاتصال لتتغضن ملامحه قليلاً قبل أن يغلق الاتصال بعنف قائلاً بحدة :

_مش ممكن ! فيه حاجة مش مظبوطة ..من امبارح والتليفون بيرن بأرقام غريبة ومعاكسات ..الغريبة ان ده تليفون الشغل مش تليفوني الشخصي .

لم يكد ينهي آخر كلماته حتى فوجئ باتصال من رقم غريب آخر لكنه أغلقه دون رد لتصطدم عيناه ب...نظرة داليا المذنبة !!





_عارفها البصة دي! هبّبتِ إيه ؟!

يقولها بفظاظته المعهودة مشيراً بسبابته لوجهها لترد وهي تلتصق بمروان أكثر كأنما تطلب منه الدعم :

_والله كان بحسن نية ! جروب بنات بس مشتركة فيه عمل مسابقة هاشتاج "قريبك شبه المشاهير" ..حطيت صورتك وصورة "أنجين أكيوريك" جنب بعض والبوست دخل على خمسين ألف لايك ..كلهم شايفينك شبهه قوي ..

احمر وجه يامن بغيظ بينما مروان يكتم ضحكته ليهتف الأول بحدة :

_وجابوا رقمي منين؟!

فتنحنحت بارتباك وهي تلتصق بمروان أكثر :




_ما أنا قلت أنفعك وأعملّك دعاية ..اديتهم رقمك وقلتلهم إنك أحسن دكتور أسنان في مصر !

_شيلها من وشي يا مروان ..شيلها من وشي!

يهتف بها يامن بانفعال وهو يغطي وجهه بكفيه ليهتف مروان بين ضحكاته :

_وهي عملت إيه يعني؟! الحق عليها جدعة بتعملّك دعاية !

لم يكد ينتهي منها حتى سمع هاتفه هو الخاص بالعمل يرن برقم غريب هو الآخر ..

فرمقها بنظرة متشككة وهو يفتح الاتصال ليستمع قليلاً قبل أن يغلقه بسرعة هاتفاً بها:

_انت حطيتِ صورتي ورقمي برضه ؟!

_جيسون ستاثام!





تقولها ذاكرة اسم ممثل يشبه مروان وهي تتراجع بظهرها عنهما ليهتف يامن ضاحكاً بتشفٍّ :

_قابل يا عم قابل !

يكتم مروان ضحكته وهو يرمقها بنظرة مستاءة لتهتف هي بنبرة مذنبة :

_ماكنتش أعرف إنها هتقلب معاكسات ..قلت بنفعكم وأجيبلكم شغل!!

_روحي يا داليا لماما والبنات الله لا يسيئك ! واللا أقوللك ..خلليكِ ماتروحيش في حتة الواحد ماعادش ضامن بلاويكِ !

يقولها يامن باستسلام انتهى بضحكة متسامحة وهو يرى مروان يعاود اقترابه منها..

لكنه عاد يسألها باهتمام لم تفارقه فظاظته المعهودة وهو يشير بسبابته نحو مروان :




_قوليلي طيب ..مين جاب لايكات أكتر أنا واللا هو ؟!

تضحك ضحكة عالية وهي تهز رأسها لتخرج لهما لسانها مغيظة معلنةً امتناعها عن الجواب الذي كانا ينتظرانه ..

حركة خاطفة منها لم تستغرق سوى ثانية واحدة قبل أن تلتفت نحو مروان هاتفة بنبرة اعتذار مرحة :

_بنات عائلات محترمات ما يطلعوش لسانهم في الشوارع والحارات !

يضحك مروان ضحكة راضية وهو يقترب منها أكثر ليفاجئه الهتاف خلفهما :

_مبروك يا داليا ..نجاح مشرف السنة دي!





تقولها دكتورة سهام بنبرة راضية وهي تلمس تغيرها الحقيقي يوماً بعد يوم ليقول زوجها دكتور ياسر جوارها :

_داليا طول عمرها بنت حلال وتستاهل .

ترمقهما داليا بنظرة عميقة مع كلمات شكر تقليدية ثم تختلس نظرة جانبية نحو مروان كأنما تستمد منه الدعم ..

هذا الذي شعر هو به وهو يمسك كفها بقوة فتغمض عينيها تتمتم بكلمات مبهمة وهي تشعر أنها أخيراً ألقت سواد الماضي كله خلف ظهرها وما بقي لها سوى التشبث بحبالها الجديدة كي تصعد نحو حافة الغد ..

ترى نبيلة هناك قد وصلت مع هانيا ورانيا وياسمين فتندفع نحوهن لتعرفهن إلى صديقاتها ..

نظرة عابرة منها تجعلها تلمح ياقوت تقف مع هيثم هناك ..





فتغادر رفقتها بسرعة لتتحرك نحو مروان لتسأله بنبرة استئذان لم تخلُ من دلال:

_ياقوت "اللي مش صاحبتك" واقفة مع "هيثم اللي مش صاحبي" ..تسمح لي سعادتك نروح نسلم عليهم ؟!

فيضحك مروان وهو يمسك كفها ليجيبها عملياً وهو يتحرك بها نحو ياقوت فيلقي عليها تحية ودود ثم يبارك لهيثم نجاحه ..

هيثم الذي بدا شارداً وهو يدور بعينيه في المكان حوله وقد رسم على شفتيه ابتسامة جامدة تناقض خفقان قلبه الهادر وهو يشعر بالمكان يعيد إليه ذكرياته العامرة مع "شهده المرّ" ..

تباً لهذا الحنين الذي يكاد يعتصر روحه !!

ألم تكفه كل هذه الأيام كي ينسى؟!

يعلم أنها سافرت وتركت كل هذا خلفها ..





تماماً كما يعلم أنه سيسافر وسيترك كل هذا خلفه ..

لكن ..

حياتي وهو مش فيها ..

سنين عدت رضيت بيها ..

وفاكر لو قابلت عينيه ..

عادي جداً ..هاعديها ..

وأديك ياللي افتكرت نسيت ..

قابلته الليلة واتهزيت ..

طب ازاي فيه حاجات بتموت ..

وتيجي الصدفة تحييها!!

كلمات الغنوة تنبعث صدفة من مكان ما تزامناً مع رؤيته المفاجئة لها هناك ..

تتوارى خلف جدار مبنى مقابل ترقبه من بعيد ..





هل هي حقاً؟!

أم أنه يتخيل وجودها من فرط ما تمناه ؟!

عيناهما تلتقيان فيشعر بجسده كله يتصلب مكانه كأنما اختفى الوجود كله من حوله ..

لاتزال كما هي ..كما عرفها ..

بل تغيرت ..تغيرت كثيراً ..

لا ..ليس جسدها الذي ازداد نحافة ..ولا وجهها الذي ازداد شحوباً ..

بل هذه النظرة في عينيها كأنما كبرت في هذه الأيام مائة عام !!

وافتكرت لما جت عيني في عينه سنيني معاه ..

وافتكرت وعد كان بيني وبينه زمان خدناه ..

وافتكرت مسكته في إيدي ..وإيدي خلاص سايباه ..




تدمع عيناه رغماً عنه فيغمضهما بقوة وهو يطرق برأسه ..

لماذا جاءت اليوم ؟!

لماذا تلقي بهذا الحجر وسط نهر حبهما الراكد فتثير زوابعه؟!

يشعر بغصة في حلقه وهو يقاوم رغبة عارمة في ترك كل هذا الجمع والركض إليها ..

ولما عجز أخيراً عن المزيد من المقاومة وجد نفسه يرفع عينيه نحوها من جديد ..

قصادي عيونه محتارة ..

يقرب واللا يتدارى ..

جه اليوم اللي أشوفه أنا فيه ..

ومانتكلمش ياخسارة !

ده صعب عليّ وأعمل إيه ..





مفيش في ايديا شيئ تاني ..

خلاص اهه اسمي شفت عينيه ..

عشان دي بجد واحشاني !

يشعر بكف والدته على كتفه فيلتفت نحوها بحدة لتستقبله بابتسامتها الواسعة غافلة عما يحدث :

_سرحان في إيه ؟! سيبنا وروح لأصحابك فرفش شوية .

ترتجف ابتسامته وهو يلتفت نحو ياقوت التي قرأت بحدسها نظرته لتتنهد بحزن حقيقي وهي تلمح شهد تقف مكانها هناك ..

شهد التي كانت تشعر في هذه اللحظة بمدى حماقتها وهي تستجيب لرغبتها في وداعه الأخير ..

لكنها كانت فرصتها الأخيرة لتراه قبل سفره ..هنا!





هنا في نفس المكان الذي شهد أجمل ذكرياتـهما
معاً !

لقد ظنت فراقهما سيسير بها في الاتجاه المغاير لما
يجذبها إليه قلبها ..

لكن هاهو ذا كل يوم يمر يزيد من تعلقها به أكثر ..

رغم يأسها منه ..يبقى هو الأمل الوحيد الذي
يمنحها فرحة حقيقية وسط صحراء أيامها
القاحلة !!

ترى حزنه الصارخ في عينيه ..

حنينه الذي يكاد يرجه مكانه ..

لهفته التي عجز عن كتمانها عندما رآها ..

تردده الذي يوقفه مكانه ..

ثم هروبه الذي استسلم إليه ..

فتتفهم كل هذا ..

وكيف لا؟!





وهي توأمه في كل هذه المشاعر التي ابتليا بها معاً!!

تراه يرفع رأسه نحوها من جديد وعيناه تتشبثان بنظراتها تارة ..

وتناشدانها الرحيل تارة أخرى ..

فتبتسم ابتسامة بنكهة الدموع وهي تلقي إليه سهم نظرتها الأخير ..

شفتاها تتمتمان بهذه الكلمات التي لم يسمعها مكانه ..

وإن كان قلبه قد قرأها كما حفظها منها ..

(مهما حصل بيننا افتكر ..إني عمري ما حبيت ولا هاحب حد غيرك)

==========

_زين باشا العظيم سايب مشاغله وبيعلمني السواقة !





تقولها ياقوت بمزيج من مرح وفخر وهي تستقل معه سيارته وقد احتلت هي كرسي القيادة في هذه البقعة المنعزلة التي اختارها لتعليمها القيادة ..

فيبتسم وهو يرد بغيرة تسربت عبر نبرته الثقيلة :

_كنتِ فاكرة إني هاسيب راجل تاني يقعد جنبك كده ويعلمك ؟!

_مش لازم راجل ..ممكن ست؟!

تقولها مراوغة وهي تقرب وجهها منه بدلال ليرفع أحد حاجبيه قائلاً :

_الستات مهما اتعلمت مابتعرفش تسوق .

_نعم!

تهتف بها باستنكار رغم يقينها أنه فقط يحاول مشاكستها فيضحك ضحكة قصيرة وهو يرفع كفها لشفتيه بقبلة ناعمة سبقت قوله بعينين متوهجتين :





_ماتخافيش ..انتِ استثناء في كل حاجة .

تبتسم بدلال وهي تقبل وجنته بخفة ثم تنتزع كفها منه لتقول بلهفة :

_طيب ..ياللا نبدأ ..أنا لسه فاكرة المبادئ الأولانية ..الأول نعمل كده ..و ..كده ..

تقرن قولها بفعلها وهي تبدأ التحرك بالسيارة بحرص فتدور بها دورة كاملة في المكان الواسع نسبياً ..

تبعتها بعدة دورات ناجحة ليمنحها تعليقاً راضياٌ يجعلها تهتف بلهفة أكبر :

_اتعلمنا كتير هنا ..نخرج بقا على الطريق ..

يظهر بعض التردد على وجهه لكنها تمارس سلطات إغوائها لتقترب منه حد امتزاج أنفاسهما قائلة :





_مش واثق فيّ ؟!

فيتنهد باستسلام وهو يقترب بجسده أكثر منها تحسباً لأي مخاطرة ثم يشير لها بكفه نحو الطريق الجانبي فتصدر صيحة انتصار وهي تضغط دواسة البنزين ببعض القوة التي جعلت السيارة تندفع للأمام فجأة بسرعة فهتف بها محذراً :

_حاسبي!

_معلش ..كله تمام اهه ..صدقني ييجي مني .

تقولها بثقة تقلل خوفه عليها تدريجياً لكنه حافظ على جلسته الوقائية جوارها متأهباً لأي حدث ..

حيث يفرد ذراعيه حولها كأنه يحوطها من بعيد بحرص دون تقييد ..





تتسع ابتسامتها بثقة وهي تتابع القيادة عبر الطريق الذي ازدحم تدريجياً بالسيارات بما جعلها تشعر قليلاً بالرهبة ..

لكنها تغلبت عليها بقولها :

_طول عمري نفسي يبقى عندي عربية بسوقها ..شكراً .

تلتفت نحوه عفوياً في كلمتها الأخيرة فلا تنتبه لهذه السيارة التي جاءت من خلفها ..

_حاسبي!

يهتف بها بجزع وهو يسيطر على عجلة القيادة بكفه بسرعة فيتحكم في اتجاه السيارة ليحيد بها في اللحظة المناسبة !

تشحب ملامحها بخوف والصدمة تلجمها فالسيارة الأخرى مرت من جوارها بسرعة عاصفة لا تدري ما الذي كانت ستفعله بها لو حدث التصادم !





لكن هذا لم يكن شيئاً أمام رد فعله هو وهي تجده يلتصق بها ليسيطر على حركة السيارة بثبات انفعالي يحسد عليه ..

السيارة التي أوقفاها أخيراً جانباً قبل أن يغمرها بين ذراعيه مخفياً وجهها في صدره الذي كاد يضج بخفقاته !!

صمته الرهيب يروعها للحظات اعتصرها فيها بين ذراعيه لتستشعر مدى خوفه عليها ..

_أنا كويسة ..آسفة ..ماكانش ينفع أتلفت ..هاركز أكتر بعد كده ..زين !

تناديه عدة مرات محاولة رفع عينيها إليه لكنه كان يتشبث بعناقها بقوة محاولاً تمالك أعصابه ..

وأخيراً أخذ نفساً عميقاً لينظر لعينيها..

ظنته سيعاتبها لكنه اكتفى بقوله الحاسم :




_كفاية كده النهارده ..انزلي وأنا هاسوق .

_اوعى تقول مش هتخلليني أسوق تاني !

تهتف بها باستنكار يتحول لإشفاق جارف وهي ترى ملامحه الشاحبة وعينيه الزائغتين فتغمغم بنبرة أرق:

_خلاص ..بلاش .

لكنه يرمقها بنظرة عميقة وهو يتناول كفها بقبضته يشد عليه بقوة قائلاً:

_لو سلمت لخوفي عليكِ مش هاسيبك تخرجي من البيت أصلاً ..بس أنا واثق فيكِ وعايزك تعيشي معايا كل حلم حلمتيه ..ونحققه سوا .

_فعل فاضح في الطريق العام ..ولا يهمنا !





تهتف بها العفريتة العابثة داخلها وهي تدفعها لاحتضانه من جديد بقوة لتغمر وجهه بقبلاتها السريعة فيضحك ضحكة انفعالية وهو يبتعد قليلاً هاتفاً بمرح:

_طب نأجل شغل العفاريت ده لما نروح ..عشان أنا كمان أستعرض مواهب عفاريتي .

تضحك ضحكة عالية وهي تغادر السيارة ليتبادلا المقاعد فتهتف به بسعادة حقيقية تشعر بها تطوق روحها :

_عايزة أتعشى بره بس مش عايزة جو المطاعم الشيك بتوعك دول .

_مممم ...فول وطعمية مثلاً؟!

يقولها بهمهمته اللذيذة التي تثير جنونها فتهتف به بمرح :

_أيوه بقااااا لاغيني كده ..خلليك معايا على نفس الموجة .





يضحك مستمتعاً وهو يتناول هاتفه لتتلاعب به أنامله :

_سهلة ..نشوف على "جي بي إس" أقرب مطعم فول وطعمية نضيف.

_لا لا ..جي بي إس إيه ؟!! خللي البساط أحمدي كده ..أنا عارفة مطعم كويس قريب من هنا ..هاوصفهولك ..أنا زبونة هناك وبيوجبوا معايا .

تقولها بحماس ثم تصف له الطريق فيبتسم وهو يتتبع ما تصفه حتى يتوقف بها أمام المطعم بسيط الحال الذي وصفته بقولها :

_مايغركش المنظر ..نضاف جداً ..أحلى فول ممكن تاكله ..وزيت الطعمية بيبرق ..وحشوني قوي ..





_دكتورة ياقوت ..عاش من شافك !

تهتف بها المرأة الطيبة التي خرجت من المطعم عندما لمحتها لتغادر ياقوت السيارة فتعانقها بقوة هاتفة :

_وحشتيني ..بنتك عاملة إيه ؟! وجوزك كسب القضية ؟!

يرقبها مكانه بعاطفة هادرة وهو يشعر أنه يذوب عشقاً بكل تفاصيلها البسيطة هذه ..

هذه اللهفة الصادقة التي تبديها نحو المرأة متواضعة الحال ..

وهذا المزيج النادر من البساطة والفخامة الذي لا يظن امرأة غيرها بقادرة عليه !!

_ما تشيليش هم ..ربك كريم ..حقكم هيرجع ..المهم عايزة منك شوية ساندوتشات وصاية كده ..





تقولها ياقوت ببساطة مرحة لتلتفت المرأة نحو زين فتقول بترحاب :

_اتفضل جوه يا بيه ..مش قد المقام بس تنورنا .

يشكرها بخجل يتعجبه في نفسه وهو يشعر بهذه الهالة من البساطة الودود تحيطه ..

يرى المرأة تتحرك بحماس مع فتياتها ليحضروا لهم بغيتهم قبل أن تعانقها ياقوت بحرارة هاتفة :

_موصية ستي ثمر تدعيلك ..هاجيلك قريب تبشريني بالفرج .

تدمع عينا المرأة وهي تغمرها بقبلاتها ودعواتها قبل أن تستقل ياقوت السيارة جواره أخيراً لتتفحص ملامحه قائلة :





_واخدين على بعض من زمان ..غلبانة ..جوزها نصبوا عليه في القرشين اللي حيلتهم ..وسكة المحاكم طويلة .

_فكريني بكرة بالتفاصيل وهاشوف القصة دي ..لو قدرت أعمل حاجة مش هتأخر .

يقولها وهو يعاود الانطلاق بالسيارة فتضحك هاتفة باعتزاز:

_هو ده زين الفايد العظيم اللي هافضل فخورة بيه ..

ثم تردف وهي تفتح الكيس لتفوح الرائحة أكثر :

_لو استنينا نوصل البيت هيبردوا ..حلاوتهم وهم سخنين كده ..

_خلاص ..أكليني!





يهز بها كتفيه بمزيج هيمنته وعاطفته الفريد .. فتضحك وهي تتناول إحدى الشطائر لتقربها من فمه هاتفة :

_ابتدي بالطعمية ..هه ؟! إيه رأيك ؟! استنى ..دوقها مع المخلل كمان ..

تقرن قولها بفعلها وهي تطعمه فيرمقها بنظرة عميقة وهو يشعر بلذة روحها هذه تفوق لذة الطعام في فمه ..

عالم جديد يتفتح له معها ..ويشبهها!!

طيبتها ..بساطتها ..ذكاؤها ..

وأخيراً عاطفتها هذه المتشحة بأمومة لا يمكن أن يستشعرها سواه !!

_عجبك الأكل ؟! قول وما تجاملش !

تسأله أخيراً بعدما انتهيا من طعامهما لتصلها همهمته اللذيذة تسبق سؤاله :





_مممم ..ما أجاملش؟!

ترمقه بنظرة مترقبة فيوقف السيارة جانباً ثم يتناول كفها فيقبل باطنه بهذه الحركة التي تعشقها ليتوهج سراجا الذهب في عينيه بوميض قوله :

_كل حاجة من إيديكِ طعم تاني ..لذة خاصة بيكِ بتبدأ وتنتهي عندك انتِ بس .

قمراها الحران يتلألآن بلمعة سعادة خالصة وهي تهز كتفيها بدلال قائلة :

_يعني ممكن أطمع في طلب كمان ؟!

عيناه تمنحانها وعده فتقول بحماسة منطلقة :

_نتمشى شوية بقا بعد الأكلة الحلوة دي .

فيضحك وهو يومئ لها برأسه ليغادرا معاً سيارته ويسيران متشابكي الكفين على الرصيف القريب ..





ضحكتها تعلو فجأة فيرمقها بنظرة متسائلة لترد بمرح :

_متخيلة لو حد بيراقبك ..وشاف زين باشا العظيم وهو بياكل فول وطعمية وبعدين نزل يتمشى ع الرصيف وسط عامة الشعب ..ناقصك بس تقعد على قهوة بلدي وتبقى كملت .

فيضحك بدوره وهو يشدد ضغط قبضته حول كفها ليقول بصدق :

_زين الفايد عمره ما حس إنه مبسوط بجد أد ما هو معاكِ ..مش مهم فين وإزاي وبنعمل إيه ..المهم إن احنا سوا .

تنفرج شفتاها وكأنها ستقول شيئاً لكنها تعاود إطباقهما فيسألها بترقب:

_كنتِ عايزة تقولي إيه ؟!





_ماحنا اتفقنا هنأجل شغل العفاريت للبيت!

تقولها بمرح عابث وهي تسير جواره فيضحك ضحكة رائقة تشاركه فيها وهي ترفع وجهها للسماء حيث اكتمل القمر بدراً ..

القمر الحبيب الذي يبدو لها دوماً صديق العمر وشاهدها على حكايتها ..

والذي بدا لها الآن ضاحكاً مستبشراً كأجمل مرة رأته فيها ..

_دكتورة ياقوت!

الهتاف يأتيها من أمامها فجأة فتلتفت للفتاة لتهتف بها بود حار:

_نجلاء! إيه الصدفة الحلوة دي!!





تصافحها الفتاة بحرارة ثم تصافح زين الذي تفرس ملامحها ليزداد خجلها وهي ترد بتلعثم :

_كنت قاعدة في عربية بابا بستناه ..شفتك جيت بسرعة ..

تبتسم لها ياقوت بحنان وعين مهنيتها تتفحص الفتاة باهتمام ..

تعلم أنها تماثلت للشفاء لكن رؤيتها لما بيدها أقلقها كثيراً ..

كانت دمية مما كان يهديها إياها سامر!!

هل تعلقت به إلى هذا الحد ؟!

ويبدو أن نظرتها للدمية قد طالت فقد تمتمت الفتاة وهي تخفيها خلف ظهرها بتلعثم خجول:

_صاحبتي ..مابخرجش من غيرها .

_نجلاء!





يظهر والدها خلفها بملامح قلقة تهدأ مع رؤيته ياقوت ليصافح زين بحرارة ثم يردف مبرراً :

_قلقت لما رجعت العربية مالقيتهاش ..كنت بجيب شوية حاجات .

يقولها مشيراً لما بيده فتبتسم له ياقوت بإجلال ..

شعورها بعظم دوره كأب يصطدم بتاريخها القديم فيجعلها تقدر دوره مع ابنته أكثر ..

_فرحانة قوي إني شفتك ..سلمي على دكتور سامر .

تقولها نجلاء ببراءتها الخجول فيزداد القلق على ملامح ياقوت لكنها ترد رداً تقليدياً وهي تودعها مع أبيها ..

الفتاة لا تزال كما يبدو على تعلقها القديم بسامر ..





وربما يكون هذا شارة خطر فالمريض النفسي يكون شديد الهشاشة عقب تماثله للشفاء !

سامر!

كم تشعر بالشفقة عليه مع ما تعلمه عن حيرته وتخبطه خاصة بعد سفر ريتال !!

من قال إن دروب القلوب يسهل التنبؤ بها !!

هاهو ذا أينشتاين العظيم الذي طالما أبهرها بعبقريته الطبية في علاج مرضاه النفسيين ..

يذهلها الآن بهذا التشتت الذي يعيشه غير قادر على فهم مشاعره !!

_مش هنكمل مشي ؟! واللا تحبي نرجع؟!

ينتشلها بها زين من شرودها فتبتسم له وهي تتأبط ذراعه لتجيبه عملياً وهي تتحرك به نحو السيارة من جديد ..

_بحب أشوفها نجلاء دي!





يقولها ببساطة فتتوقف مكانها فجأة لتلتمع عيناها بطيف غيرة عابر يجعله يضحك ضحكة رائقة وهو يجذبها ليعاود السير بها مردفاً وهو يرفع أحد حاجبيه بمكر:

_بشوف فيها نجاحك ..ومش هانسى إن أشهر عرض جواز في مصر كان يوم المؤتمر الصحفي بتاعها .

_إن كان كده معلش !

تقولها بدلال وهي تراه يفتح لها باب السيارة بحركة أنيقة تجعلها تبتسم له بحب ..

ليستقلها هو بدوره وينطلق بها نحو بيتهما ..

بينما تستسلم هي لشرودها من جديد ..

سامر ..نجلاء ..

هل يمكن أن تجمع هذين معاً قصة ما؟!

======





_الحقني يا عمو ..أنا مع غادة في المستشفى ..بيقولوا ممكن يضطروا يولدوها دلوقت !

يهتف بها سيف عبر الهاتف بقلق ليرد علاء بقلق مماثل وإن حاول طمأنته :

_مسافة الطريق هاكون عندك ..ما تخافش ..ستات كتير بتولد في السابع!

يقولها ليغلق الاتصال بسرعة فتندفع نحوه إيناس هاتفة بجزع:

_مين دي اللي هتولد في السابع؟! اوعى تكون غادة !

هتافها ينتهي بدموعها الانفعالية كعهدها وهي تبدأ في تبديل ثيابها بالفعل مع جوابه الآسف لها ..





لم تدرِ كيف نهبت سيارته الطريق نحو المشفى القريب ولا كيف استقبلت وجه سيف الذي كان شاحباً كالموتى وكفاه متشبثان بباب الغرفة الموصد في وجهه ..

لكنها شعرت بزوجها وهو يجذب سيف من كتفيه ليضمه إليه بقوة هاتفاً بحسم غريب على طبيعته المرحة :

_جرى إيه يا ولد؟! خايف كده ليه ؟! هو ربنا الكريم اللي رزقك بيهم بعد كل ده مش قادر يحفظهم لك ؟! استغفر وادعي!

فيخفي سيف وجهه الدامع في كتف الرجل الذي ربت على ظهره مردفاً بصوت مرتجف:

_هيوصلوا بالسلامة ..كلهم ..هيبقوا كويسين!!

هنا لا تملك إيناس المزيد من فيض دموعها وهي ترفع كفيها بالدعاء بلوعة ..





تسمعه وهو يحكي لعلاء تفاصيل الحالة الدقيقة فلا تبالي سوى بأن ابنتها في خطر ..

تستعيد حرقة شعورها بفقد ابنها فيلهج قلبها بالدعاء وهي تخشى أن تعيش نفس الموقف مرتين ..

لكن ..

صوت البكاء الذي انبعث بصوت رضيع يصدح من داخل الغرفة أخيراً ..

فيشهقون جميعاً ببعض الارتياح تزامناً مع فتح باب الغرفة ليظهر من خلفه الطبيب هاتفاً بالتركية :

_الرضيعان بخير .

_وغادة ؟!

يهتف بها ثلاثتهم في نفس اللحظة وبنفس اللهفة ليبتسم الطبيب قائلاً :





_هي محاربة حقاً ! لا أخفيكم قولاً أنني كنت أخاف عليها في أول العملية ..لكنها بدت وكأن جسدها يقاوم بشراسة كي لا يستسلم ..يمكنكم رؤيتها الآن فقد استعادت وعيها نسبياً لكنها لا تزال تحت تأثير "البنج"!

يدلفون جميعاً للداخل فيحيطون بها لتستقبلهم بابتسامة سعادة كبيرة رغم الألم الذي أحاط بوجهها الشاحب ..

تحمل رضيعتيها بوهن تخاذل معه ذراعاها ليسبقهما سيف فيحتويهن جميعاٌ ثم يقبل جبينها بعمق هامساٌ :

_الحمد لله ..كنت عارف إنك مش هتخذليني .

_فسرتلك الحلم ؟!

تهمس بها بصوتها الواهن ولاتزال مشوشة الوعي فيضحك ضحكة عالية دمعت لها عيناه وهو يشدد قوة ضمه لهن وقد تذكر ما تحكي عنه من تلك




الرؤيا التي رواها لها يوماً عن انجيل وابنتها الضاحكة !

_وسع كده يا سيف! عايزة أحضنها أنا كمان !

تهتف بها إيناس وهي تدفعه برقة ليفسح لها المجال حاملاً الرضيعتين فتضمها إليها بحنان هاتفة باستنكار مصطنع:

_بقا كده ؟! ده اللي اتفقنا عليه ؟! بعد كل الأيام اللي قعدنا نخطط فيها هنستقبلهم إزاي تغفليني كده ؟! ماكانش العشم !

تضحك غادة وسط آهة توجعها لتغمغم بصوتها الواهن:

_معلش يا "أنّا"! شوفي مين فيهم تختاري تتسمى باسمك .





تقولها فيهيأ إليها أن حنان الدنيا كله قد تجمع في عيني المرأة التي تطلعت للرضيعتين للحظات طالت ..

قبل أن تقول وسط دموع فرحتها :

_أختار إيه بس؟! الاتنين أجمل من بعض ..سبحان الخلاق!!

_الحمد لله يا بنتي إنك حسنتِ النسل! كنت خايف يطلعوا شبه الولد ده ويورثوا تكشيرته !

يهتف بها علاء مشاكساً كعهده وإن فضحت نبرته المرتجفة حنان لهفته ليهتف سيف مؤكداً :

_وأنا برضه كنت حامل هم كده ..بس الحمد لله !

_انت قمر ..وبحبك ..بحبكم كلكم ..بناتي ..عيلتي ..عيلتي ! بقا عندي عيلة يا سيف ..





تهمس بها بصوت متقطع ..مرتجف .. منهك بين نوم ويقظة فيظهر التأثر في وجوههم جميعاً ..

خاصة عندما مدت كفها بوهن نحو إيناس لتتمتم بنفس النبرة :

_ماما!!

تتسع عينا إيناس بصدمة وهي تسمعها منها لأول مرة ..

فلم تملك نفسها وهي تنكب فوقها لتحتضنها برفق مراعية إعياءها لتهتف بين فيض دموعها :

_يا قلب ماما انتِ! حلوة قوي "ماما"من بقك يا غادة !!

تدمع عينا علاء وهو يراقب المشهد صامتاً فيما يبتسم سيف بإدراك وهو يتذكر حديثها معه ..

الآن فقط يوقن أنها تخلصت من رواسب ماضيها القديم ..





وصالحت هذه "الكلمة" التي أجبرتها الظروف أن تكفر بكل معانيها!!

_مش هابطل أقولها .

تتمتم بها غادة أخيراً بصوت تخفت نبرته رويداً رويداً وهي تغمض عينيها رغماً عنها مستسلمة لنعاسها الإجباري فيرمقها سيف بنظرة قلقة لكن الطبيب الذي عاود دخوله يقول بنبرة عملية :

_دعوها تستريح ..الرضيعتان كذلك تحتاجان لرعاية خاصة .

يخرجون جميعاً من الغرفة ليتصل سيف بوالدته فيخبرها على عجل ..

قبل أن يفعل المثل مع إسلام ..

ثم يتنهد أخيراً وهو ينحني في "سجدة شكر" طويلة اعتادها في كل موقف كهذا !





قبل أن ينهض من جديد كي يراقب -عبر زجاج نافذة الغرفة -وجهها الذي استكانت ملامحه بهناءة يقسم أن يحافظ لها عليها ما بقي من عمره ..

هي صك غفرانه الذي تلقاه أخيراً بعد طول شعوره بالذنب ..

والآن يرتشف المزيد من عطاياه بهاتين النعمتين الصغيرتين ..

فسبحان مَن هذا فضله !

========

_حمداً لله على سلامتك يابني ..مش مصدق إني شايفك واقف على رجليك تاني!

يهتف بها والد ناصر وهو يستقبل الأخير مع سها في المطار عقب عودتهما من تركيا في رحلة علاج امتدت لشهور ..

وانتهت كما يبدو بالشفاء!





ليهتف ناصر بحيوية منطلقة تراقصت بين حروفه :

_الحمد لله يا حاج ..ربنا كبير!

يقولها وهو يستشعر عناق والده الدافئ كما لم يفعل منذ عهد بعيد ..

طالما ظن الأمان أيقونة مميزة لعباءة أبيه هذه التي انزوى في كنفها دون شعور بالذنب هذه المرة ..

كأنما تحرر من كل هذه القيود التي كانت تمنع كليهما الشعور الكامل بهذه العلاقة الخاصة ..

بل -بالضبط- كأنه عاد هذا "الطفل"الذي بشّر "هذه العباءة" بنجاحه ..

كأنه عاد هذا "المراهق" الذي بشرها بدخول كلية الشرطة ..

والآن يعود هذا "الرجل البالغ" الذي يبشرها برجوع عافيته ..





والأهم ..رجوعه لنفسه !!

_حمداً لله على سلامتك يا بنتي.

يهتف بها الرجل وهو يعانق سها بمثل هذه الحرارة التي منحها لابنه فتدمع عيناها بتأثر وهي الأخرى تشعر أن التجربة العصيبة التي مروا بها جميعاً قد آتت ثمارها رغم كل الألم !!

تتحرك بهم السيارة لتنهب الطريق نحو بيتهما الذي اشتاقته ..

تسمعه يثرثر مع والده بهذه الحيوية المنطلقة طوال الطريق فترتسم على شفتيها ابتسامة مشرقة وهي تشرد عبر زجاج نافذة السيارة ..





تستعيد الأيام السابقة التي قضتها في تركيا معه بين علاج جراحي وتدريبات بدنية شاقة حتى عادت بعدها ساقاه لطبيعتهما بصورة شبه طبيعية ..

لا تعنيها مشقة الجهد الذي بذلاه معاً بقدر ما تعنيها حلاوة الحصاد الآن !

هو ..عاد !!

عاد كما كان من قبل !!

لكن هل سيعود كل شيئ بينهما لسابق عهده كذلك!!

بحلوه ومره !!

الخاطر الأخير يتزامن مع سماعها لقول والده بفخر:

_أول ما تشد حيلك كده تيجي تبارك لولاد عمك ..الاتنين خلفوا ولدين زي الفل ..الله أكبر!

تشحب ملامحها وهي تطرق برأسها شاعرة أنها تكاد تعود للدوامة القديمة ..





لكنها تشعر بكف ناصر يحتضن كفها كأنما شعر بها ..

وكلماته الدافئة تصلها ك"ثوب أمان" لا يبلى ..

_ربنا يباركلهم ..أكيد هاروح لهم بس لما أرتاح شوية ..سها كمان محتاجة ترتاح ..تعبت معايا قوي الفترة اللي فاتت ..حقها ترتاح بقا !

كلماته بدت وكأنها نبهت والده الذي ابتسم بحنان وهو يلتفت نحوها هي ليربت على ركبتها قائلاً بما يشبه الاعتذار :

_بنت أصول! تستاهل كل خير.

تتكدس الدموع في عينيها اللتين أسبلتهما لتشعر بناصر يطوق كتفيها بذراعه بحنان قائلاً :

_لو عشت عمري كله أعوضها عن وقفتها جنبي مش كفاية .





يقولها ثم يلتفت نحو والده بنظرة راجية ذات مغزى وكأنه يخبره دون كلمات أن كرم الله معه هذه المرة لا يليق به إلا الرضا!

هذا المعنى الذي وصل الرجل كاملاً وهو يهز رأسه ليرمق سها بنظرة امتنان عميقة دون أي شائبة انتقاص ..

هذه التي وجدت أثرها في قلبها لتبتسم له ابتسامة امتزجت بدمعتها ..

إنما دمعة رضا هذه المرة !

دمعة ظلت تترقرق في عينيها طوال الساعات القادمة حيث وصلوا جميعاً لبيتهما فيشاركهما الوالد الغداء بمرح افتقدته جلستهم الثلاثية من زمن بعيد ..

_يااااه ! كان واحشني أكل البلد بشكل ! وبالذات البط ..دوقي يا سها!





يهتف بها ناصر باستمتاع وهو يطعمها ليبتسم والده بحنان وهو يشعر أنه لم يره على هذا الحال من هذه الحيوية منذ زمن بعيد ..

فيقول بنبرة حانية :

_مراة عمك باعتاهولكم مخصوص عشان عارفة إن سها بتحبه ..ألف هنا .

لترد هي ببعض الخجل من نظرات والده العميقة وهي تلوك الطعام في فمها :

_كتر خيرها ..هي عارفة إني بحب أكلها .

تقولها وقد زارها طيف قديم من اهتمام عائلته المغالي بها في أيام زواجهما الأولى ..

افتخارهم بها وهذا الاعتزاز الذي كان يسكن نظراتهم نحوها ..

هذا الشعور الذي تهاوى شيئاً فشيئاً مع تقدم الأيام بها دون إنجاب ..





لكن يبدو أن الزمان يدور دورته ليعود بكفه العامر بهذا الشعور من جديد !

_أستأذن أنا بقا عشان أسيبكم تستريحوا.

يقولها والده وهو ينهض مكانه ليهتف به ناصر باعتراض:

_لسه بدري يا حاج ..اشرب الشاي طيب .

لكن الرجل يرد برضا وهو يتحرك ليغسل يده في الحمام القريب :

_دايماً عامر بيك وبمراتك ..ورايا كام مشوار هنا هاخلصهم ..وهاستناكم عندنا .

يقول عبارته الأخيرة ثم يتقدم ليعانق ناصر بقوة ليهتف به بتأثر:

_حمداً لله على سلامتك يا بطل .

يبتسم له ناصر بتقدير ليتنهد الرجل وهو يعانق سها بدوره ثم يقول لها بما يشبه الاعتذار :





_ربنا يراضي قلبك زي ما راضيتيني وراضيتيه .

فتزداد كثافة الدموع في عينيها وهي تسمعه يعود لسابق عهده من الدعاء لها ..

لهذا ما كاد يتحرك مع ناصر نحو الباب حتى تقدمت بسرعة نحو الحمام القريب تتظاهر بغسل كفيها ووجهها لكنها كانت حقاً تواري هذه الدموع ..

جميلٌ هذا الإحساس الذي يغمرها باسترداد ما افتقدته يوماً ..

لكن هل يكفي هذا الشعور ليطفئ شعلة الخوف التي تتأجج داخلها من وقت لآخر ؟!

تشعر به خلفها فترفع عينيها لتصطدم بصورته في المرآة ..

ابتسامته الساحرة التي عشقتها منذ لقائهما الأول تحتضنها قبل ذراعيه اللذين مدهما ليطوقها بهما من الخلف متظاهراً بغسل يده ..




لكنه كان يحتضن كفيها تحت الماء المنهمر ليشبك أنامله بأناملها ..

كل ما فيه الآن كان يحتضنها ..

نظراته عبر المرآة ..

ابتسامته التي تلونت بطيف عشقه ..

أصابعه التي تتخلل أصابعها برقة ..

أنفاسه التي امتزجت بأنفاسها مع هذا القرب وهو يسند ذقنه على كتفها من الخلف هامساً :

_وحشتيني .

_وحشتك ؟! احنا ماسبناش بعض من شهور ..محدش فينا تقريباُ كان بيشوف غير التاني !

تهمس بها بصوت لا يزال يرجفه انفعاله ليهمس لها بنفس النبرة الدافئة :

_وحشني شكلك وانتِ هنا في بيتنا .

_يعني البيت اللي وحشك مش أنا .





_وهو البيت ده إيه ؟! ماهو انتِ!

يهمس بها بصدق وهو يغلق صنبور المياه لتبتسم وهي تلتقط منشفة قريبة فتجفف يديهما معاً ..

يحيط خصرها بكفيه ملاحظاً هذه الدموع التي يعلم أنها تخفيها ..

_اوعي تسمحي للخوف يدخل بيننا تاني ..صدقيني أنا حاسس إن ربنا كتب لي عمر جديد عشان أعوضك بيه عن اللي فات .

يهمس بها وهو يقبل جبينها بعمق فتبتسم مقدرة له تجاوزه عن الحديث عن خطئها هي بشأنه ..

لايزال يقدر كبرياءها كما عهدته !

لكنها رفعت عينيها نحوه لتهمس له بابتسامة مرتجفة :

_بلاش نتكلم في اللي فات ..محدش عارف لو اتحاسبنا بجد مين هيطلع غلطه أكبر .





يومئ برأسه موافقاً ثم يقبل وجنتها برقة ليهمس لها بحب :

_محضر لك هدية بمناسبة رجوعنا البيت .

ترفع حاجبيها بدهشة حقيقية وهي تراه يسحبها من كفها نحو الخارج حيث إحدى حقائبهم التي عادوا بها ..

والتي فتحها ليستخرج منها علبة متوسطة الحجم رفعها أمام عينيها ..

_جبتهم امتى دول ؟!

تهتف بها باستغراب فهي لم تعتد أن يهتم هو بشأن هدايا كهذه طيلة فترة زواجهما ..هي كانت من يعتني بهذا الأمر ..

فكيف فعلها في سفرهما ؟!





يبتسم ابتسامة واسعة وهو يقول بنبرة مرتاحة :

_طول عمرك واخدة بالك مني ..مش هيجرى حاجة لما آخد بالي منك المرة دي ..وصيت عليهم قبل ما نسافر عشان تبقى ذكرى لينا من هناك ..نفتكر بيها أيامنا اللي جمعتنا على المرة قبل الحلوة ..بس قصدت ما تشوفيهمش غير هنا ..

ثم يصمت لحظة ليردف بنبرة أكثر دفئاً :

_في بيتنا.

تدمع عينا بفرحة هذه المرة وهي تطالع هديته من جديد ..

زوج من الساعات -إحداهما بتصميم رجالي والأخرى تشبهها بتصميم نسائي- من ماركة مشهورة تطابق خاصته القديمة التي أهدتها له يوماً فلم يخلعها من يده ..

والتي كسرتها هي بنفسها يوماً !!





_ناصر!

تهمس بها بتأثر وقد فقدت كلماتها وهي تراه يلبسها خاصتها الأنثوية برقة ليقبل معصمها قبلة عميقة ..

قبل أن يمد لها معصمه هامساً :

_مش هتلبسيني بتاعتي؟!

تضحك بارتباك غريب على طبيعتها المسيطرة المعروفة وهي تشعر أنها تستعيد علاقتهما بأفضل مما تمنت ..

تلبسه ساعته فلا تملك دموعها وهي تستعيد تاريخهما القديم ..

انتصاراته وانكساراته ..

كسره وجبره ..

حلوه ومره ..

لكنه يمسح دموعها بأنامله برقة لتتهمر قبلاته فوق ملامحها الحبيبة هامساً بعشق لم يعرفه قلبه إلا لها :

_انتِ علمتيني إزاي ست واحدة ممكن تساوي الدنيا كلها ..احنا عرفنا الطريق خلاص ..واللي يعرف الطريق مش هيتوه تاني .

=======

_إيه رأيك ؟!

تهتف بها ياقوت بترقب وهي تدور حول نفسها أمام مرآة غرفتهما مستعرضة ثوبها الذي تستعد للخروج به ..

بلون الكراميل الداكن مع وشاح بدرجة أفتح قليلاً ..يحتضن جسدها باحتشام لكنها تبدو به شديدة الأناقة ..

أو ربما هو سحرها هي في عينيه ..!





همهمته "اللذيذة" تسبق جوابه وهو يغمرها بين ذراعيه بواحد من عناقاته التي تظنها لن تفقد أبداً مذاقها السحري هذا ..

_أنا آخر واحد في الدنيا ممكن تسأليه عن رأيه في شكلك ..انتِ يا إما جميلة ..أو جميلة جداً ..أو جميلة جداً جداً ..أو جميلة فوق الوصف ..المهم إنك في كل أحوالك أيقونة جمال !

تضحك ضحكة عالية وهي تطوق عنقه بذراعيها هامسة بدلال:

_يعني هاشرف زين بيه الفايد العظيم في حفلة النهارده ؟!

_هم اللي هيتشرفوا بحضورك يا دكتور !

يقولها باعتزاز حقيقي لتتنحنح مغمغمة بخجل:





_آخر حفلة حضرتها معاك أحرجتك لأني ماكنتش فاهمة شريكتك الفرنسية دي .

فيهز كتفيه ليقول ببساطة :

_وليه ما تقوليش هي اللي تبقى محرجة إنها مش فاهمة عربي!!

تبتسم له بامتنان عاشق وهي تدرك أنه -كعهدها به- يجتاز معها كل العقبات التي يمكن أن تضعها الفوارق الطبقية بينهما ..

لم يشعرها للحظة واحدة منذ تزوجها أنها لا تناسب هذا العالم الجديد الذي وجدت نفسها منغمسة فيه ..

بل إنه يشعرها في كل مرة يجتاحها إحساسها ببعض النقص أنها حقاً شمس عالمه التي يدور حولها !!





لهذا تأبطت ذراعه بفخر وهي تغادر معه غرفتهما ليهبطا الدرج نحو الخارج حيث أقلتهما سيارته نحو إحدى القاعات الفخمة التي أقيم فيها هذا الحفل حيث شركاؤه الجدد من المستثمرين الأجانب ..

لا تنكر أن مثل هذه الحفلات تثير حفيظتها وتصيبها بالاختناق ..

لكنها تعلم أنها جزء من عمله !

خاصة وهو يدير الأمور بذكائه المعهود فيتحفظ عما تراه هي تجاوزاتٍ دينية أو أخلاقية دون أن يحرج مرافقيه .

يصلان أخيراً فتشعر بالعيون تتمركز حولهما بهذه النظرات التي لم تعد تخيفها ..

هو منحها هذه الثقة التي توجت ملامحها وهي تخترق الصفوف بكبرياء يليق بها ..





تستجيب ل"البروتوكول" التقليدي لمثل هذه الحفلات والذي انتهى بجلوسه مع شركائه على مائدة كبيرة ضمتهم سوياً ..

تتركهم يتناقشون مؤثرة الصمت والمراقبة بطبيعة أكسبها إياها عملها ..

ليفاجئها سؤال شريكته الفرنسية بلغتها :

_كيف حالك ؟! ازددتِ جمالاً عن آخر مرة رأيتكِ فيها ..عفواً ..نسيت أنكِ لا تتحدثين الفرنسية !

يكاد زين يميل عليها ليترجم لها عبارتها لكنها تفاجئه بردها على المرأة بفرنسية سليمة المخارج :

_شكراً لإطرائك سيدتي ..صرت أجيد الفرنسية !

ترفع المرأة حاجبيها برضا فتتبادلان حديثاً قصيراً بينما يرمقها زين بنظرة مزجت اعتزازه بعتابه الماكر ..

الذي عبر عنه وهو يختلي بهما في غرفتهما أخيراً عقب عودتهما ..




_ما قلتليش ليه إنك اتعلمتيها؟!

يسألها وهو يزيح عنها وشاحها ليميل على قرطي أذنيها فيقبلهما بحركته المعهودة ..

لتهمس له بدلال ماكر:

_وانت فاكر إني هابطل أفاجئك؟!

يضحك باستمتاع وهو يعتصرها بين ذراعيه ليهمس أمام قمريها الحُرين :

_اوعي تبطلي تفاجئيني ! مش قلتلك ..عطشي معاكِ مابيرتويش ..جنة مش هاشبع منها العمر كله !!

فتضحك بدلال وهي تحيط وجنتيه براحتيها هامسة :




_كورس مكثف بقاله شهرين ..عشان عملت حساب موقف زي ده ..عايزاك تكون على طول فخور بيّ زي ما أنا فخورة بيك !

يضحك باستهانة وأنامله تتحرك على طول ظهرها بهذه الحركة التملكية التي تشعرها أنه يود لو يصهرها بين ضلوعه للأبد ..

_وانتِ فاكرة حاجة زي كده بس هي اللي ممكن تخليني فخور بيكِ؟! انتِ ماتعرفيش صورتك في عيني شكلها إيه !

_إيه ؟!

تهمس بها بدلال تستزيد من فيض كلماته الذي يأسرها هذا ليتنهد بحرارة وشفتاه تطوفان فوق وجهها بتبتل عاشق :

_انتِ الكلام اللي مايتقالش ..واللحن اللي ما يتغناش ..الأسطورة اللي من جمالها مستكتر تبقى حقيقة ..





تشتعل جوارحها بهذه العاطفة التي تسكب النيران في شرايينها وهمساته تتوقف عند حدود شفتيها :

_انتِ الحب اللي رجعلي نفسي ..فالعدل بيقول إني بقية العمر أفضل كلي ليه.

=======

_وبعدين بقا ؟!

تهمس بها ياقوت لنفسها بضيق وهي تنفض عنها غطاءها على فراشها الخالي منه في غرفتهما بعد سفر زين لعمل مهم ..

لم تتصور أن تفتقده بهذه الطريقة وفي خضم انشغالها هي الأخرى بعملها ..

لكنها تشعر حقاً أنها تختنق !!

تتناول هاتفها لتتصل به لكن الاتصال يغلق بعد قليل لتصلها رسالة مكتوبة مسجلة "سأتصل بك لاحقاً"..





تعقد حاجبيها بغضب هي أول من تدرك أنه ليس منطقياً خاصة مع اختلاف التوقيت في البلد الذي سافر إليه ..

لابد أنه الآن في اجتماع مهم لهذا لا يستطيع الرد ..

لكنها لا تملك دفع هذه القبضة التي تعتصر قلبها وهي تشعر بقسوة الليلة الأولى التي تقضيها بعيدة عنه منذ زواجهما ..

خاصة وهو لم يهاتفها منذ ساعات تراها هي طويلة !

_أنا هنام ..لما سعادتك تفضى ما تتصلش عشان ما تقلقتيش من النوم ..أنا كمان عندي شغل مهم الصبح بدري!

لا تدري لماذا تسرعت بإرسالها بهذه الصورة لكنها فورة شعورها التي عصفت بها في هذه





اللحظة تضخم لها شعورها أنه يتجاهلها لشيئ يراه أهم منها ..

دمعت عيناها وهي ترقب الهاتف في يدها للحظات تنتظر منه رداً لم يصل!

تنهدت بضيق وهي تكاد تلقي هاتفها جانباً لولا أن رن برقم ثمر ..

وكأنما الغالية تشعر بها !!

_مش جايلك نوم يا "بنت قلبي"؟! أول ليلة تباتيها لوحدك !

تقولها ثمر بفطنتها متفهمة مشاعر حفيدتها التي ردت بصوت متحشرج:

_أنا كويسة يا ستي ماتقلقيش .




ضحكة ثمر الماكرة تعلو في أذنيها فتبتسم هي بدورها وهي تسألها باهتمام عن صحتها لترد ثمر برضا:

_فضله كبير ..ونعمه مغرقاني ..

ثم تصمت لحظة لتسألها بترقب ملهوف:

_مفيش حاجة حلوة في الطريق ؟!

سؤالها يزيد من ضيق ياقوت لكنها تتفهم رغبة ثمر المغالية في أن "ترى عوضها" بطفل كما تخبرها دوماً ..

خاصة والمجتمع القروي يعتبر تخطي المرأة للثلاثين دون إنجاب كارثة !

لا تنكر أنها تشعر بالقليل من القلق هي الأخرى لكنها ابتلعت مخاوفها لترد بمرح مصطنع :





_لو فيه حاجة انتِ أول واحدة هابشرها ! وبعدين ده حظ ابن لجين عشان لما يشرف بالسلامة مايبقاش على الحجر غيره !

_ربنا يطعمك وما يحرمك يابنت قلبي ..خدي بالك من حالك ..وسلميلي على الغالي .

تقولها ثمر بحنانها المعهود لتختم الاتصال بدعواتها التي لا تنقطع والتي تجد دوماً أثرها في روح ياقوت ..

ربما لهذا هدأت فورة مشاعرها تدريجياً وهي تستعيد اللفظ الذي خصت به ثمر زين ..

"الغالي"!

تبتسم ابتسامة بمذاق الحنين وهي تتحسس موضعه الخالي على الفراش جوارها عندما أعلن هاتفها عن وصول رسالة ..





_إياك تنامي قبل ما أكلمك ..عشر دقايق وهافضى .

تتسع ابتسامتها وهي ترى بعض الحروف مكتوبة بصورة خاطئة واشية بسرعته في كتابتها ..

هذه الابتسامة التي اتسعت على مدار عشر دقائق بالضبط بعدها لتسمع صوت الاتصال الذي تجاهلته عامدة بنظرة ماكرة ..

مرة تلو مرة تلو مرة ..

_ردي..أنا عارف إنك ما نمتيش!

يرسلها لها مكتوبة فتشم رائحة غضبه عبر الكلمات لتجنح للسلم أخيراً فتفتح الاتصال لتصلها تنهيدته الحارقة :

_مش عرضت عليكِ تيجي معايا وانتِ رفضتِ عشان شغلك ؟!

_هاجي معاك أعمل إيه ؟! أباجورة في الفندق لحد ما تخلص ؟! أنا كمان عندي شغلي وناس مصيرها مرهون بيّ !

تقولها بعناد مكابر ليرد بحدة :

_خلاص ..زعلانة ليه إني مشغول ومش عارف أكلمك ؟!

_أنا مش زعلانة ..أنا عايزة أنام .

تقولها بالمزيد من المكابرة لتزداد حدة صوته :

_تمام ..تصبحي على خير .

تنتفض مكانها وهي تتوقع أن يغلق الاتصال مع هذه الشحنات السلبية المتزايدة بينهما ..





لكنه لم يفعل !

فقط بقي على صمته الذي طال لدقيقة كاملة ..

_وحشتني!

كادت تهمس بها بلوعة لعلها تذيب هذا الصمت بينهما لكنها أطبقت شفتيها بقوة تمنع نفسها التفوه بها ..

لا ..ليس دلالاً ..!

لكنها كانت تشعر في هذه اللحظة بحاجتها العارمة أن يحتويها هو ..

لهذا دمعت عيناها وهي تسمع صوته يرق أخيراً بقوله :

_وانتِ كمان وحشتيني!

وكأنه سمعها رغم أنها لم تنطقها !!





_أول مرة أكره السفر كده ..وأكره نفسي عشان احترمت رغبتك وماخدتكيش معايا ..غلطة مش هتتكرر .

نبرته تمزج هيمنته المعهودة بفيض مشاعره الذي يجيد إغراقها كالمعتاد ..

فتتراقص حروفها بمزيج من اشتياق ومشاكسة :

_مش بمزاجك على فكرة .

_يا بت لمي الدور ..الراجل مشتاق وعنده لوعةٌ لكن مثله لا يذاع له سرّ ..ذيعي انتِ بقا !

تهتف بها العفريتة العابثة داخلها لتضحك ضحكة قصيرة وهي تسمع زمجرة اعتراضه فتقول بدلال :

_بس أنا موافقاك المرة دي ..غلطة مش هتتكرر .

تنهيدته الحارقة تصلها مشتعلة عبر هذا البعد ليغلف الحنان نبرته المهيمنة :





_احكيلي يومك كان عامل إيه ..بالتفصيل !

_انت فاضي؟!

تسأله بمكر وتعلم الجواب من ذكرى مشابهة لهما :

_أفضى!

ضحكتها الراضية تذيب كل الحواجز الوهمية بينهما قبل أن تمضي تروي له تفاصيل يومها كما اعتادت منذ زواجهما ..

والتي انتهت بذكر مكالمة ثمر وسلامها الذي أرسلته إليه ..

ليتنهد من جديد قائلاً :

_حاسس إني سايبكم من سنين ..هاقفل معاكِ وأكلمها مادام لسة صاحية .





تبتسم بتقدير لهذه العاطفة الخاصة التي يكنها لثمر فترسل له قبلة عبر الهاتف تثير المزيد من جنونه فيهتف بها بعتاب:

_وبعدين معاكِ ؟! خلليني أعرف أعدي اليومين دول هنا !

تضحك ضحكة صافية وهي تسترخي على السرير أكثر لتنظر ل"لوحة الطائر" المعلقة أمامها بإضافتها الجديدة التي شملت ذكرياتهما معاً ..

فتتنهد قائلة برضا:

_قاعدة دلوقت على السرير وببص للوحة بتاعتك وبقول ..

_بتاعتنا!

يقاطعها بها مصححا عبارتها بحسمه المعهود فتضحك قائلة :

_مفيش فايدة فيك ! ما بتعديش حاجة أبداً ..





_أبداً !

يقولها بعناده اللذيذ الذي يجعلها تعشقه أكثر فتتنهد لتقول بهيام :

_ببص لها وبستغرب إزاي دلوقت بحبها قوي كده ..إزاي بقت أول حاجة أفتح عيني عليها ..خصوصاً دلوقت وانت بعيد ..

ثم تصمت لحظة لتردف بصوت أكثر تأثراً :

_لولا خوفي تتبهدل كنت خدتها في حضني وأنا نايمة لحد ما ترجع بالسلامة .

_أنا عملت حسابي ..وبعتلك اللي يفكرك بيّ وياخد باله منك لحد ما أرجع .

يقولها بمزيج مكره الغامض لتسأله بحيرة عما يقصد فيرد بعد ضحكة قصيرة :

_لو حساباتي مظبوطة ..هتخبط على الباب دلوقت !





_همسة !

تهتف بها بإدراك وهي تسمع صوت طرق الباب الذي هرعت إليه لتفتحه فتجد همسة أمامها فاتحة ذراعيها بقولها بملائكيتها المعهودة :

_آسفة على التطفل ..بس زين طلب مني ما أسيبكيش لوحدك .

تضحك ياقوت ضحكة عالية وهي تضمها بقوة ولا يزال الهاتف على أذنها ..

فيبتسم مكانه شاعراً بقلبه يخفق بعنف ..

كعهده في كل مرة تجتمع فيها شمسا عالمه معاً ..

حتى وهو بعيد !!

_ده زين؟!

تهتف بها همسة فتومئ لها برأسها لتختطف منها الهاتف قائلة له ببراءتها المعهودة :





_جيت في معادي اهه ..وسايبة رائد على نار ..بيقوللك مردودة لك ..وأول مرة هيسافر فيها ويسيبني هيخللي ياقوت تبات معايا ..بس أنا قلتله إني عمري ما هاسيبه يسافر لوحده .

_جرى إيه يا هموس؟! انتِ جاية تصفي النفوس واللا إيه ؟!

تقولها ياقوت بمزيج من مرح وحرج لتضحك همسة وهي تغطي شفتيها براحتها هاتفة :

_مش قصدي والله بس أنا فاضية ..لكن انتِ مشغولة ..

وجهها يحمر بانفعاله فتضحك لها ياقوت بتسامح وهي تتناول منها الهاتف لتقول همسة بحرج:

_هاغير هدومي على ما تخلصوا كلام .





تقولها مفسحةً لهما المجال الحديث فتراقبها ياقوت وهي تغادر نحو غرفتها التي خصها لها زين شاعرة بارتياح كبير ..

_شكراً !

تهمس بها له أخيراً بنبرة فاضت بعاطفتها فيرد :

_عشان ؟!

_عشان ما سبتنيش أنام زعلانة ..وعشان همسة ..وعشان عمرك ما خذلتني سواء كنت معايا أو بعيد ..وعشان ..دخلت حياتي!

_ياقوت!

لم يتفوه بسواها لكنها سمعت فيها كل ما تود سماعه ..

قرأت فيها كل سطور عاطفته ..اشتياقه ..ولهفته ..

وتلقفت بين حروفها كل هدايا وعوده لها بأن يبقى لها هكذا طول العمر ..




_كل كلامي معاكِ فقير ..هاستنى لما أرجع وأكلمك بطريقتي ..

_طريقتنا!

تقولها بحسم يشبه حسمه كأنما ترد له بضاعته ..

فتنطلق ضحكتهما معاً في نفس اللحظة بما كان أجمل نهاية للاتصال ..

ترى همسة أخيراً تقبل عليها وقد بدلت ملابسها لأخرى مريحة فتحتضنها لتسألها بود :

_فاكرة حواديتنا ؟!

_ودي تتنسي؟!

تقولها همسة بامتنان وهي تقبل وجنتها لتسيرا سوياً نحو الفراش الذي تشاركاه ..

لتطلب منها همسة حكاية خيالية معينة كانت ترويها لها أثناء فترة علاجها ..





هذه التي بدأت ياقوت في سردها بينما همسة تستجيب لها بتعابير وجهها الحالمة كأنما هي أول مرة تسمعها ..

يستمران في الثرثرة حتى يطلع الفجر فتستسلم همسة للنوم أخيراً وكذلك ياقوت توشك أن تفعل مثلها ..

لكنها تتذكر شيئاً ما يجعلها تغادر الغرفة بخطوات حذرة للغرفة المجاورة التي أغلقت بابها خلفها ..

تتذكر هذه المرة التي أرسل لها قصيدة بصوته ..

فتجدها فرصتها لترد له هديته ..

تعلم أنه يعشق لهجتها القروية المتثاقلة عندما تستسلم لها لهذا تخيرت له خصيصاً هذه الكلمات ..

سبحان ما زان حسنه ورسمه ..

دي الناس بيتغنوا باسمه ..

ورد وطرح قبل مواسمه ..

من غير لا زرع ولا سقاية ..





يابوي على جماله رواية ..

شربات عنب يروي رواية ..

عطشانة جابني على عمايا ..

ومشيت وقلبي يا ناس غالي..

وفي مكانه كان هو يستمع لكلماتها بلكنتها الخاصة فتتزين شفتاه بضحكة مستمتعة ..

يهاتفها من جديد دون تردد وهو يشعر أنه يشتاقها بحديثه معها أكثر وأكثر:

_انتِ عارفة أد إيه بعشقك لما بتتكلمي بطريقتك دي ؟!

_عارفة .

تهمس بها بثقة عبر نبرتها الناعسة وقد عادت لفراشها من جديد لتختلس نظرة جانبية نحو همسة النائمة فيصلها رده :

_سبحان من مصبرني أفضل هنا يومين كمان ..





ثم يتنهد ليردف بحنان :

_نامي بقا عندك شغل بكرة .

_زين ..

_مممم

همهمته "اللذيذة" تدغدغ حواسها فيسترخي جسدها أكثر وهي تستسلم لنعاسها هامسة بين يقظة ومنام:

_بحبك .

يبتسم مكانه وهو يشعر بالكلمة السحرية منها تحمله لجنته الأثيرة خاصتها ..

جنة لم يستشعر نعيمها إلا بين ذراعيها ..

هي فقط من بين نساء العالمين ..

فكانت له بداية الدنيا وآخرها!

=========

"دار الياقوت والمرجان"




يتطلع طويلاً للافتة الفخمة التي تزين مدخل المكان وابتسامة شاحبة تزين شفتيه ..

هذا الصرح الذي يزداد تضخماً يوماً بعد يوم فيمنحه هذا الشعور الرائق أن توبته قد قبلت ..

يدلف إلى الداخل ليقوم بتفتيش مفاجئ اعتاده منذ افتتح المكان فلا يخفى عليه أن الفساد قد يطال أماكن كهذه لو لم تنله أعين الرقابة ..

النتيجة كانت مرضية تماماً وهو يرى الأوضاع شبه مثالية كما يبتغي ..

صور الفتيات اللاتي كنّ يبتسمن له بامتنان تتتابع في ذهنه بوميض متقطع لكن صورة "تلك الراحلة" تبقى قاسماً مشتركاً بينهن ..

لا ..لم تعد صورتها القبيحة بلسعة السوط التي كان يستشعرها تحرق صدره كل مرة كأنها أول مرة ..




بل صورتها الأولى التي التقاها بها أول مرة ..بذاك النقاء وتلك البراءة التي ود لو يحافظن جميعاً عليها فلا تدنسها يد ..أي يد !!

قلبه يسبق لسانه في دعوات لها بالرحمة يرجو لو تستجاب ..

وله هو بالغفران الذي يشعر أنه قاب قوسين منه أو أدنى!

_أقوللهم يحضروا لسيادتك القهوة في مكتبك ؟!

يقولها مدير الدار بترحاب فيشير له برأسه موافقاً قبل يتحرك معه نحو الغرفة المنشودة ..

يتناقشان قليلاً بشأن الميزانية الجديدة للدار والتي زادها زين راضياً ليقطع النقاش صوت طرقات ..





وجه ياقوت الحبيب يطل له فتتهلل ملامحه لهذه المفاجأة فيما يقف الرجل مكانه مرحباً بها قبل أن يخرج تاركاً لهما حرية الحديث..

_أكيد المفاجأة الحلوة دي ليها سبب!

يقولها بحب وهو يتقدم نحوها ليطوقها بذراعيه لكن هذه الدموع التي تكدست في عينيها تصطدم بنظراته ..

_ياقوت ؟!

يهمس بها بقلق متسائل وأنامله تحتضن وجنتها لترتجف شفتاها بهمسها :

_قول انت !..مش دايماً بتعرف تقرا اللي هنا ..وهنا ..

تقولها وهي تحتضن كفه بأناملها لتشير به نحو رأسها أولاً ..





ثم تتحرك به لموضع قلبها ..

فيعقد حاجبيه بالمزيد من القلق ..

لكن ابتسامتها تتسع وهي تهبط بكفيهما المتعانقين نحو بطنها لتهمس أخيراً :

_وهنا !!

تتجمد ملامحه للحظات قبل أن تنفرج شفتاه عن صيحة قصيرة خافتة وعيناه تنتقلان من وجهها لبطنها بصدمة ..

قبل أن يمتد ذراعاه ليضمها لصدره بقوة وشفتاه تتمتمان بكلمات لم تتبينها ..

تضحك دامعة العينين وهي تعانق خصره بذراعيها بنفس القوة هاتفة :

_هو ده الوش اللي مستنية أشوفه منك ..مش متخيلة هتبقى أب شكله إيه !





يضحك بدوره ولايزال عاجزاً عن النطق لترفع إليه عينيها فتفاجأ بسراجي الشمس في عينيه يتوهجان كما لم ترهما من قبل ..

هذا الوهج الصافي الذي لا تشوبه شائبة ..

_ياربي! ياربي! كنت فاكر إن مفيش فرحة في الدنيا هتغطي على فرحتي بيكِ وانتِ في حضني ..بس فرحتي دلوقت بيكم انتم الاتنين ..حاجة كده شبه ..

تتلجلج حروفه مع ارتجاف صوته بل رعشة جسده كله وهو يبدو لها في هذه اللحظة بعيداً تماماً عن إطار الفخامة الذي طالما يحيط به ..

خاصة وهو يردف بسعادة طفل وجد ضالته في أبويه وسط الزحام :

_لا ..لا ..مالهاش شبه ..مالهاش!!





كلماته تنتهي على حدود بشرتها وهدايا شفتيه تحلق فوقها فتمتزج بضحكاتها وهي تتعلق بذراعيها في عنقه هاتفة :

_فعلاً مالهاش ..أنا طايرة من ساعة ما عرفت ..ماستنتش لما نتقابل وجيتلك هنا .

تنهيدته الحارقة تصلها عميقة وهو يفرد ذراعيه حوله ليقول بنفس الصوت المتحشرج المختنق بعاطفته :

_كأن ربنا له حكمة اني أعرف الخبر ده هنا ..هنا بالذات !!

تتسع عيناها بصدمة للحظة من هذا الإدراك الأخير لتبتسم وهي تشدد ضغط ذراعيها حوله قائلة :

_ربنا كريم وعوضه كبير على قولة ستي ثمر .

_عرّفتيها؟!





يسألها وهو يعاود ضمها نحوه عارفاً الجواب الذي منحته إياه ببعض الخجل :

_ماقدرتش أمسك نفسي أول ما عرفت ..كنت عايزة أفرحها هي أول واحدة !

يضحك بتسامح مدركاً قيمة ثمر لديها فتضحك بدورها وهي تقبل وجنته هامسة بدلال:

_موصلالك رسالة ..بتقوللك مبروك.. ياغالي !

يضحك بسعادة غامرة وأنامله تداعب قرط أذنيها بحركته المعهودة فتتنهد بشرود قائلة :

_يااااه لو ربنا يحقق لي حلمي ويكون زين الصغير ..صورة منك تكبر قدامي يوم بيوم .

تقولها وأناملها تدور فوق ملامحه الحبيبة بعشق جارف كأنما ترسمها فيتناولها ليقبل أطرافها واحداً واحداً مع همسه :





_مش فارق معايا غير إنه هيكون منك انتِ ..حتة من روحي وروحك ..حبل تاني يربط بيننا العمر كله .

تضحك من جديد بسعادة وهي تحرك أناملها في الهواء كأنما تكتبها هاتفة بفخر:

_زين زين الفايد ..حاجة كده آخر فخامة ..

يضحك ضحكة رائقة وهو يهم بالرد لولا أن يرن هاتفها برقم إسلام فتفتح الاتصال لتهتف بفرحة :

_عندي ليك حتة مفاجأة .

_حامل!

يهتف بها على الجانب الآخر من الاتصال فتهتف به بشك :

_لجين قالتلك !





_إيه ده بجد ؟! يعني خمنت صح؟! طول عمري أقول فيّ شيئ لله وبلقطها وهي طايرة!.. مبروك يا أبو التوت !!

يهتف بها بمرح فتضحك هاتفة بمرح مشابه :

_الدنيا فجأة كده اتملت عيال .

_اه بس ادعي ربنا لو جبتِ بنت ماتورثش ذوقك الخزعبلي ده ..تبقى الأطفال كلها ب"توأوأ" ودي وسطهم بتقول :إيش فهمك انت !!

يضحك زين ضحكة عالية وصوت إسلام العالي يصله مكانه فيتناول منها الهاتف ليقول له مشاكساً:

_وانت فاكر بنت زين الفايد واللا ابنه هيبقوا زي أحد ؟!





_أهلاً أبو نسب! مبروك عليك يا راجل يا كُبّرة! أنا من دلوقت بخلي مسئوليتي عن أي جينات فوسفوري في النونو المنتظر .

ضحكات ثلاثتهم تنطلق في نفس اللحظة بينما زين يضمها لكتفه والمزاح الرائق ينساب بينهم واشياً بصفاء القلوب ..

فرحة تلو فرحة ..

وعوضٌ بعد عوض ..

والأرواح الظمأى ترتشف أخيراً كأس هناءتها قطرة قطرة ..

=========

_برافو يا ريمااااا ..يالللاااااا ...أسرع!!

يهتف بها إسلام بحماس وهو يجلس في مدرجات المشجعين في النادي جوار نشوى يشهدون هذا السباق الذي أقامته المدرسة للأطفال ..





_قربت تبقى الأولى يا إسلام ..هانت اهه!

تهتف بها نشوى بحماس مشابه فيقف مكانه ليرفع صوته أكثر مع صفيره الطويل :

_ريمااااا ...أسرع!

تبتسم له الطفلة وهي تلتفت نحوه ليرفع كفه المقبوض في وضع حماسي يزيد نشاط الصغيرة ..

يظل يهتف بحماس أكبر لكنه يفاجأ بها تتباطأ فجأة قبل نهاية السباق ..

لتحصد المركز الثاني!!

_ليه؟! ليه ؟! تعبت ؟! معقول الحساسبة تكون رجعتلها تاني؟!

تهتف بها نشوى بجزع وهي تقف مكانها لكنه يشير لها بيده مطمئناً مع قوله بحاجبين منعقدين :

_فيه حاجة مش مظبوطة ! مش تعب ! ريما عملتها بمزاجها ..قصدت تخسر !





_معقول؟! تكون بتعاقبنا عشان حكاية "البيبي" ؟!
قلتلك تعلقها بيك مش طبيعي!

تقولها بضيق شديد فيرمقها بنظرة وجلة وهو الآخر يشعر بخوفه من نفس الشيئ !!

هل فعلتها الصغيرة عقاباً لهما حقاً؟!

يساعد نشوى في هبوط المدرجات بحذر ثم يندفع معها نحو ريما التي وقفت مبتسمة وهي تراقب لجنة السباق تعطي رفيقتها جائزة المركز الأول ..

بينما تحصد هي جائزة المركز الثاني !

_بابا! مامي!

تهتف بها ريما بفخر طفولي وهي تندفع نحوهما بجائزتها فيتلقفها إسلام بين ذراعيه ليهتف بمرح محاولاً إخفاء مشاعره السلبية :

_عاش يا بطل!





_زعلانين عشان ما طلعتش الأولى؟!

تسألهما الصغيرة بترقب فتقبلها نشوى بحنان هاتفة :

_مش مهم ..انتِ عملتِ اللي عليكِ .

تتسع ابتسامة ريما وهي تقلب بصرها بينهما للحظات ..

فيجلس إسلام على ركبة واحدة أمامها ليقول بابتسامة واسعة :

_قولي الحقيقة وريما مش بتكدب على بابا ..انتِ قصدتِ تخسري صح ؟!

يظهر التردد على وجه ريما قليلاً ثم تلتفت لرفيقتها التي حصدت المركز الأول وقد وقفت جوار أمها هناك ..

لتعود ببصرها إليه قائلة بمزيج من حزن وفخر:





_لانا زيي زمان ..ماعندهاش بابا ..كنت عايزاها تفرح مع مامتها ..أنا دلوقت عندي بابا ..مش مهم الجايزة الأولى .

ترتخي ملامح نشوى بارتياح عظيم وهي تنحني لتعانق صغيرتها فيما يضحك إسلام وهو يحمل ريما ليقف ويتحرك بها هاتفاً بمرح:

_هي دي تربيتي! تستاهلي الهدية اللي تحبيها بس بعد ما نروح نطمن ع النونو!

تصفق الصغيرة بكفيها بحرارة وهي تقبل وجنته بقوة فتبتسم نشوى وهي ترمقهما بنظرة حانية ..

يتحركون معاً نحو سيارة إسلام التي استقلوها نحو عيادة طبيبتها النسائية ..

على فراش الكشف تستلقي نشوى أمام الطبيبة التي كانت تحرك جهازها الصغير على بطنها





لترمق صورة الجنين في الشاشة أمامها بنظرة راضية ..

_ده أخويا؟!

تهتف بها ريما بلهفة طفولية فيبتسم إسلام وهو يشعر بقلبه يخفق بهذا الشعور الخاص ..الخاص جداً ..

بينما يراقب الشاشة بدوره فيعجز عن الرد إلا عن إيماءة خفيفة ..

فتعاود الصغيرة هتافها بحيرة :

_وده جالها منين ده ؟!

تكتم نشوى ضحكتها وهي تتبادل نظرة خاصة مع إسلام الذي كان يكتم تعليقاً ساخراً يوشك أن يبوح به ..

_بس مش شبهك ولا حاجة ..أنا شبهك أكتر .





تقولها ريما وهي تقترب من الشاشة أكثر تتفحصها لتطلق الطبيبة ضحكة عالية وهي تلاحظ ثياب الصغيرة التي كانت مطابقة تماماً لثياب إسلام ..

قميص سماوي وسروال من الجينز وحذاء رياضي من نفس الماركة وبنفس اللون الكحلي ..

مع غطاء رأس رياضي بلون كحلي كذلك!!

_هتفضل تجيبلي هدوم زيك عشان أبقى شبهك أكتر؟!

تسأله ريما برجاء طفولي فيبتسم بحنان وهو يحملها بين ذراعيه ليقبل وجنتها قائلاً بحنان:

_كل ما هاحبك أكتر هتبقي شبهي أكتر ..وأنا بحبك كل يوم أكتر من اللي قبله .





تتنهد نشوى تنهيدة ارتياح طويلة تصله مكانه
فيلتفت نحوها ليغمزها غمزته الساحرة التي
تخترق قلبها كشعاع نور!

ابتسامة رضا تحلق فوق شفتيها وهما يغادران
عيادة الطبيبة نحو بيت والدته الجديد حيث دعتهما
لتناول الطعام معها وهيثم ..

_أخوك بيخلص شوية ورق عشان السفر ..معلش
هاجوعكم شوية ونستناه عشان ناكل
سوا ..سيبولي الحلوة دي ألعب معاها واستريحوا
في أوضتكم ..نشوى زمانها تعبانة .

تهتف بها جيلان بعد استقبالها الدافئ لهما فتبتسم
لها نشوى بامتنان وكفها يعانق كف إسلام
بشعورها الذي يزداد عمقاً مع حماتها يوماً بعد
يوم ..
خاصة بعد انتقال الأخيرة لهذا البيت الجديد ..




ربما هو ليس بفخامة البيت السابق لكن نشوى تشعر معه بألفة حميمية أكثر ..

لهذا ما كادت تختلي به في غرفته الجديدة حتى التفتت نحوه بقولها :

_مش عايزة أكون قليلة الذوق ..بس أنا حابة بيتكم ده أكتر ..أنا عارفة إن يمكن البيت القديم شايل لكم ذكريات حلوة بس ..

تقطع عبارتها عاجزة عن إكمالها وقد خشيت أن تثير زوابع الجرح القديم ..

لكنه يتأوه بعمق وهو لا يتكلف إخفاء وجعه أمامها فيغمغم بعينين مغمضتين:

_مش عايز أفكر ولا أفتكر ..فيه حاجات في حياتنا كده لازم تعدي ..بالذوق بالعافية تعدي ..عشان نعرف نكمل ..





يقولها ثم يفتح عينيه لها بنظرة عميقة مردفاً:

_ده اللي نفسي هيثم يفهمه ..كل التوهة اللي هو عايشها دي هتعدي ..هتيجي أيام حلوة بعدها تنسيه مرارتها ..هيقوم زي ما وقع .

تبتسم له ابتسامة واسعة تتحول لضحكة عالية وهي تتعلق بذراعيها في عنقه هامسة :

_لما بشوفك بتتكلم كده مابصدقش نفسي !

_الجد مش لايق عليّ ياعسل؟!

يغمزها بها مشاكساً وهو يخيط خصرها بكفيه لتتنهد بهيام هامسة بصدق مسّه :

_كل حاجة لايقة عليك ..فاكر لما كلمتك مرة عن إحساسي بحضن بابا وحضن أشرف ..يومها سألتني عن حضنك انت ماعرفتش أجاوب ..

_ودلوقت هتجاوبي؟!

يهمس بها بعينين أججتهما عاطفتهما وهو يضمها إليه أكثر لتومئ له برأسها هامسة :




_دنيا بحالها بتتفتح لي بين إيديك ..لما بتحضنني بحس بكل حاجة وعكسها ..فرحانة بيك وزعلانة على العمر اللي ضاع من غيرك ..مطمنة بيك وخايفة عليك ..شايفاك شقاوة ابني وأمان أبويا ..انت أجمل حاجة في كل حاجة .

تتسع عيناه بدهشة للحظات وهو يرمقها بنظرات عميقة ..

لا ..لم يدهشه إحساسها بقدر ما أدهشته هذه الكلمات التي انبعثت منها سلسة بانسياب ناعم ..

بتدفق بوح هادر لا توقفه سدود ..

بإخلاص امرأة يوقن أنه أهم انتصاراتها !

_مش بقوللك حظي حلو في الستات!

يهمس بها بنبرة غريبة تشبه شخصه بين عمق وعبث وهو يشير لشامة عنقه بخفة ..





فتضحك وهي تميل عليها تقبلها عدة قبلات متتابعة لتغمزه هي هذه المرة !

ضحكاتهما تمتزج بعدها وهي تدور بعينيها في الغرفة للحظات قبل أن تسأله باهتمام :

_فين صندوقك الأسود ؟! اوعى يكون ضاع وانتم بتنقلوا الحاجة !

لكنه يضحك بانطلاق وقد سرّه أن تشاركه هذا الاهتمام فيتحرك لينحني جالساً فوق ركبتيه تحت فراشه الجديد ..

ثم يستخرج الحقيبة الثقيلة يجرها جراً ليفتحها أمام عينيها قائلاً :

_ده ما يضيعش! ده أنا روحي كلها هنا !





تتأوه ببعض الألم وهي تحاول الجلوس مثله لكنها تمسك بطنها لتجلس على طرف الفراش قائلة بنبرة اعتذار:

_مش هاعرف أنزل وأقعد زيك كده .

_نطلع لك احنا يا بطل!

يغمزها بها بحركته المعهودة وهو يحمل الحقيبة ليضعها فوق الفراش ثم يجلس جوارها مستعرضاً محتوياتها الجديدة ..

فتهتف بسعادة وهي تميزها:

_زودت حاجات لينا؟!

_طبعا! دبدوب ريما اللي غضبت عليه ..توكة من بتوعها ..فستانها اللي صغر عليها ..فرد شراباتي اللي بتضيع في فجوة غسالتك الزمنية للأبد ..

تضحك ضحكة عالية وهي تتأمل هذه المحتويات معه لتشهق هاتفة فجأة وهي تميز خصلات شعر بلونها البنفسجي فتهتف باستنكار:




_ده شعري؟!

_قصيته وانتِ نايمة !

يتنحنح بها وهو يفرد كفيه في وجهها مهدئاً لتضع كفها على رأسها بحركة عفوية هاتفة :

_من غير ما أحس؟! بتسرق شعري؟!

يبتسم ببعض الذنب وهو يقول مفسراً :

_حاجة بسيطة من الطروف ..بصراحة كنت حابب أحتفظ بيهم ..زي ما بحب كل حاجة بحس إنك بتعمليها مخصوص عشاني!!

تقبض كفها في وضع اللكم وهي تقربه من وجهه فلا تدري هل تضربه غيظاً ..أم تعانقه حباً !!

هذا الرجل!!

ألا حدّ لجنونه ؟!




_سماح بقا يا ست نشويات !! دول حتى مقصفين ..شوفي!

يهتف بها محاولاً إغاظتها فتشهق بحدة هاتفة :

_أنا شعري مقصف؟!

_مش قوي ..بس ..آه!!

يتأوه مازحاً وهو يراها تشده من ياقة قميصه نحوها لتهتف به بانفعال:

_وإيه كمان مش عاجبك ؟! أظن هتعايرني إني تخنت ؟!

يعود برأسه للوراء يتفحصها في قميصها الذي تباعدت أزراره عند منطقة الصدر ليقول بنبرة عابثة :

_هي "الثغرة" يصعب تجاهلها الصراحة كالعادة ..قلتلك بلاش قمصان ..لا وضعك ولا امكانياتك يسمحوا بالرفاهيات دي!!





تنقطع كلماته وهو يشعر بها تدفعه للخلف فيسقط على ظهره على الفراش متأوهاً باستمتاع ..

بينما تلقي هي نفسها فوقه لتجثم فوق صدره بثقلها هاتفة :

_وإيه كمان ؟! أدوس أكتر ؟! أدوس؟!

تهتف بها وهي تضغط بساعدها فوق صدره فيستمر بتأوهه الضاحك هاتفاً بين أنفاسه اللاهثة :

_بالراحة علينا يا وحش ! احنا مش أدك !

_اتأسف الأول!

_بأي طريقة ؟!

يغمزها بها بنبرته العابثة فتضحك وهي تغمزه بدورها مقلدة مشهداً في فيلم شهير:

_أربعة اتنين أربعة !





_على بركة الله !

ضحكاتهما تمتزج بعدها مع هذا اللقاء العاصف الذي انصهرت فيه خلاياهما بكل عنفوانها ..

وجوارهما كانت حقيبته العزيزة يهيأ إليه أنها تبتسم لهما كشاهد على هذا الحب الذي وجده كلاهما بعد طول تعب ..

فما أجمل الغرس ..وما ألذ الحصاد !

=======

_السلام عليكم ورحمة الله ..السلام عليكم ورحمة الله .

تراقبه لجين وهو يسلم من صلاته بعينين فائضتين بعاطفتها وهي تراه يرفع كفيه بالدعاء مغمضاً عينيه بخشوع ..

لم تسمع كلماته مكانها لكنها كانت تستشعر هذه القدسية التي تحوطها كلما رأته يصلي قيام الليل ..





تنتظره حتى ينتهي من دعائه فيلتفت نحوها بابتسامته المشرقة وهو ينهض مكانه فتتقدم نحوه بمشيتها المتثاقلة وبطنها البارز في شهر حملها الأخير ..

يمسك كفها ليجلس جوارها على الأريكة فتبادره بسؤالها :

_ليه بتغير مكان صلاتك كل مرة كده ؟! مش الأحسن يبقى مكان واحد ؟!

فتتسع ابتسامته وهو يقول باستبشار :

_تعرفين هذه الآية عن وصف الكافرين : (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)..فسرها أهل العلم أن الكافر لا تبكي عليه أرض ولا سماء فيما أن المؤمن يبكي عليه مُصلّاه من الأرض ومصعد عمله من السماء كما قال علي وابن عباس رضي الله عنهما ..ومما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :





ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت ..لهذا أتعمد أن أخص كل مكان جديد أزوره بركعتين من صلاتي ..وأغير موضع سجودي كل مرة عساه يشهد لي يوم القيامة .

_ربنا يباركلك ويرضى عنك .

تقولها باعتزاز وهي تسند رأسها على كتفه فيضحك وهو يحيطها بذراعيه قائلاً :

_وعنكِ يا حوريتي !

تتأوه بوجع حقيقي يشعره بالتعاطف نحوها فيمد أنامله يمسد بطنها بخفة مع رقيته المعتادة لها ..

فتبتسم أخيراً وهي تبسط كفها الأسمر فوق كفه الأبيض وقد بدا التناقض بين لونيهما واضحاً لتقول ببعض التردد :

_هو ينفع أدعي ربنا إن خلفتي كلها تبقى ولاد ؟!





_عجباً ! ولماذا تضيقين واسعاً ؟! إذا كان ربنا الكريم فلماذا نبخل على أنفسنا ؟!

يقولها بتعجب فتعض شفتها وهي تسبل جفنيها قائلة بخجل:

_أصلك ما تعرفش كنت مرعوبة إزاي أخلف بنت وتطلع شبهي ..

ثم تطلق ضحكة مكتومة مع استطرادها :

_دايماُ حاملة هم يعايروها هنا بلونها زيي ..أو يقولولها ما طلعتش حلوة زيك !

لكنه يهز رأسه بأسف متفهماً عقدتها القديمة هذه والمقارنة التي كانت تخضع لها طيلة هذه السنوات بينها وبين ياقوت بالذات ..

ليرفع ذقنها نحوه هامساً بحنان مراعٍ:

_لا تسأمين من تكرارها ولا أمل من الرد! ..أنا أحب السمراوات وأثق أن العالم يمتلئ بمن





يشاركني هذا الذوق ..أحب ملامحك هذه خاصةً وأراها فتنتي الخاصة التي لا أرغب أن يشاركني فيها أحدهم ..وأحب روحكِ الحلوة هذه التي تزيدكِ جمالاً ..وأتمنى لو يرزقنا الله ابنة تشبهكِ شكلاً وروحاً فأرى ملامحكِ الحبيبة تزداد ازدحاماً في كل ما حولي ..ليتها تملأ الدنيا كلها فلا أرى سواها !

تضحك بهناءة صادقة فتنتهي ضحكاتها بتوجع حقيقي وهي تحتضن كفه على بطنها لكنها تتجاهل ألمها لتهمس له بحب:

_انت مش بس حليت أيامي ..انت حليت صورتي في مرايتي ..مشتاقة قوي أشوف ابننا هيطلع شكله إيه ..

_سيكون أجمل طفلٍ رأيتِه في حياتك ..ثقي بي!

يقولها بيقين وهو يقبل جبينها برقة شاعراً بتأوهات ألمها تزداد فيسألها بقلق:

_أنتِ بخير؟!




تصرخ صرخة قصيرة مفاجئة وهي تشعر بتقلصات بطنها تزداد فينتفض مكانه هاتفاً :

_أستدعي الطبيبة ؟!

_هاتلي ستي ثمر الأول ..شكلي خلاص ..آه ..آه ..

صرخات توجعها تزداد علواً فيهرع نحو ثمر أولاً لتذهب إليها ثم يستدعي الطبيبة التي وصلت بسرعة لتفحص لجين وقد استقرت الأخيرة بين ذراعي ثمر التي لم يكف لسانها عن الدعاء..

_أتصل بعربة الإسعاف؟!

يسأل الطبيبة بقلق لتجيبه الأخيرة بهدوء :

_مش مستاهلة يا شيخ ..الراس في الحوض ..قربنا اهه بس هي تشد حيلها .

_اخرج صلي وادعيلي يا عابد .





تهتف بها لجين وسط صرخاتها ووجهها يغرق في بركة من الدموع والعرق فيتردد قليلاً وهو يرى ممرضتين مساعدتين يدلفان للداخل لمساعدة الطبيبة التي هتفت به مطمئنة :

_اسمع كلامها وما تقلقش ..الوضع طبيعي جداً .

تدمع عيناه بقلق مع كل صرخة تطلقها لجين حارقة وتدفنها في صدر ثمر التي هتفت تطمئنه بدورها :

_ماتخافش كده ياابني ..انت فاكر الضنى بييجي بالساهل ؟! صلي وادعيلها يجعل لها ساعة سهلة .

يرمقهن بنظرة قلقة أخيرة ولسانه يسبقه بالتسبيح كعهده عندما تشتد به الأمور قبل أن يخرج من الغرفة ليتوضأ ويستقبل القبلة ..

ركعتان من صلاة الحاجة قصيرتان خفيفتان لم يكد ينتهي من التسليم فيهما حتى سمع ..





يالله !!

إنه صوت بكاء الرضيع!!

ينهض بسرعة وقلبه يكاد يقفز بين قدميه حتى يتعثر في مشيته لكنه يستعيد توازنه بسرعة وهو يدلف بسرعة للداخل من جديد ..

تتسع عيناه بانفعال يكدسهما بدموع تأثر حقيقية وهو يرى الرضيع بين يدي ثمر تهتف به بصوت أرجفه انفعاله :

_سبحان الله ! وكأن الأيام بتعيد نفسها ! من تلاتين سنة كنت شايلة لجين وياقوت بين ايديا كده !

يحمد الله بصوت مسموع وهو يتقدم نحو لجين التي استرخت ملامحها بعد التعب لتقول بصوت غلبه إعياؤه :

_كده خلاص؟! وصل ؟!

_ماشاء الله ..أسهل ولادة شفتها ..ربنا يبارك !





تهتف بها الطبيبة وهي تربت على وجنتها ليتقدم منها عابد فيتناول الرضيع من ذراعي ثمر ..

يتفرس ملامحه المنمنمة بعينين جائعتين لكل هذه التفاصيل البريئة ..

يردد الأذان في أذنه اليمنى كما تعلم من السنة ليكون أول ما يتلقاه هو التوحيد ..

فتبتسم ثمر وهي تناوله تمرة ل"يحنكه" بها ..

_وروهولي بقا ..عايزة أشوفه .

_لقد استجاب ربي دعائي ..يشبهكِ أنتِ حوريتي !

يقولها عابد بفرحة غامرة وهو يقترب منها ليقرب الرضيع منها فتتأوه بخفوت وهي تضمه إليها هامسة :

_أنا حلوة كده ؟!





تقولها وقلبها يخفق بداخلها بعنف مع مرأى ابنها ..

كان يشبهها حقاً كأنه نسخة مصغرة لكن بشرته كانت شديدة البياض كأنما هي هالة من النور تحيط به !!

_حلو قوي يا ستي ..حلو قوي يا عابد !

تهمس بها بتأثر عبر دموع فرحتها فيضمها عابد إليه مقبلاً رأسها بحنان فيما تضحك ثمر وهي تحمد الله بصوت مسموع ..

فيما تعاود لجين هتافها :

_هو ما بيفتحش عينيه ليه ؟! عايزة أشوفه مفتح !

تتحرك ثمر نحوهما لتداعب ذقن الرضيع بحركة خبيرة قائلة بحنان :

_بكرة تقوليله نام مالحقتش أرتاح .





تتأوه لجين بخفوت وهي ترى الرضيع يفتح عينيه مع فمه الصغير يحركه يمنة ويسرة كأنما يبحث عن طعام ثم يبدأ في البكاء فتضحك ثمر هاتفة :

_مستعجل على رزقه قوي ! جربي ترضعيه !

تشعر لجين بارتباك المرة الأولى لكنها تتحامل على ألمها لتحاول فيما تهتف ثمر بفرحة عارمة وهي تتأهب لتغادر الغرفة :

_هاكلم أختك أقوللها ..

_وإسلام كمان يا ستي ..محلفني حتى لو عملتها وش الفجر أعرفه ..كأن قلبه كان حاسس!

فيضحك عابد وهو يتناول هاتفه قائلاً :

_دعيه لي ..




يقولها وهو يتصل برقم إسلام الذي رد بسرعة لا تتفق مع تأخر الوقت :

_ما تقولش "شيكولاتايتي" فقست!!

صوته الناعس يتراقص بلهفة تجعل عابد ولجين يضحكان في نفس اللحظة والأول يقول بارتياح:

_الحمد لله رب العالمين ..وصل "الشيخ الفهلوي" و أختك بخير .

_اللهم صلي ع النبي! حبيب خاله وصل!! بقيت خال يا ناس !! مسافة السكة أكون عندكم.

_لا تتعب نفسك الآن ..تمهل و...!

لم يمهله إسلام بقية الرد وهو يغلق الاتصال بسرعة لتهتف لجين بصوت منهك :

_ما تحاولش! ده ملهوف عليه أكتر مني!

_أخوكِ يحبكِ كثيراً !





يقولها مستخدماً كلمة "أخوكِ" هذه مدركاً قيمة شعورها هي بها فتتأوه بمزيج من تعب وارتياح وهي تنظر لصغيرها على صدرها ..

قبل أن تخفي وجهها في كتفه هو كأنما تتيقن من كل هذه السعادة التي تعيشها ..

الحلم الذي تحقق كاملاً كما تمنته !!

فيما تناول هو هاتفه ليتصل بياسمين التي ما كادت تفتح الاتصال في هذا الوقت المتأخر حتى هتفت بقلق:

_لجين كويسة ؟!

_مؤمن وصل!

يقولها بفرحة طاغية تجعلها تطلق عدة صيحات فرحة أيقظت يامن جوارها فتناول الهاتف منها ليصيح به بصوت ناعس امتزج بفرحته هو الآخر:




_مبروك يا أبو نسب !! ماقلتش بدري ليه كنا جينا من ساعتها !

_لقد حدث الأمر فجأة ..تعلم هذه الأمور!

_لا معلش احنا ما كناش زي حد ! مش بتاع مفاجآت أنا!!بنتي كانت ممشياها تسع شهور باليوم ..أستاذة تفاصيل زي أبوها !!

يقولها يامن بفخر لتمتزج ضحكاتهم جميعاً فيما تختطف منه ياسمين الهاتف لتخاطب أخاها بقولها :

_اديني لجين بسرعة .

يضع الهاتف على أذن لجين لتهتف بها ياسمين بحنان:

_مبروك يا لوجي ..هنلبس ونجيلك حالاً ..قوليلي محتاجة إيه أجيبهولك من هنا؟!

تبتسم لجين بامتنان لهذه الأخوة الصادقة التي تبديها لها فتشكرها برقتها المعهودة لتغلق معها الاتصال ..




ولم تكد تفعل حتى دخلت ثمر وبيدها هاتفها تناوله لها هاتفة :

_طمني أختك ..عايزة تسمع صوتك !

_حمدالله على سلامتك يا أوبرا ..كده تعمليها من غيري؟! كنت استنيتِ يوم أكون فيه عندكم !

تهتف بها ياقوت بلهفة فضحها صوتها لترد لجين بصوتها المنهك :

_اسكتي بقا يا توتة ..لحد دلوقت مش مصدقة ..كل حاجة حصلت بسرعة كأنه حلم .

_طمنتيني! ستي ثمر بتقول أسهل ولادة شافتها ! عقبالي يارب! الولد شكل مين ؟! ستي ثمر بتقول شبهك قوي بس مخدش مني أي حاجة ؟! لون عنيا ..شعري ..طرطوفة مناخيري حتى!!

كلمات ياقوت تتقافز بلهفة فرح عارفة تجد صداها في قلب شقيقتها التي تضحك ضحكة تزيد وجعها فتتأوه بألم لتهتف ياقوت بجزع:

_قلب أختك ! انتِ كويسة ؟!




تصمت للحظة تنقل بصرها بين وجه عابد الصارخ بفرحته ووجه ثمر المكتسي بالرضا وأخيراً ..وجه رضيعها الذي استسلم للنوم على صدرها لترد بصوت أرجفه انفعاله :

_كويسة؟! ...عمري ما كنت كويسة زي دلوقت!

======

_فطار "السينوريتا" زي زمان !

يقولها أشرف بنبرته العاشقة التي لم تتغير طوال هذه السنوات وهو يحمل صينية الإفطار بمحتوياتها ليضعها فوق ساقي رانيا التي تمطأت فوق الفراش بدلال وهي ترمق رضيعتها النائمة جوارها بنظرة حذرة ..

ثم تعود ببصرها نحوه لتتعلق بذراعيها بعنقه هامسة :

_"السينيوريتا" بقت "سينيورا" يا "سينيور" أشرف ! ومعاها بنوتة كمان !!





تقولها مشيرة لأن اللفظ الأول يستخدم للآنسات باللغة الأسبانية...فيما يشير الثاني للمتزوجات فيضحك وهو يطبع قبلة خفيفة على شفتيها ليجلس قبالتها على طرف الفراش هامساً بنبرته الدافئة :

_مهما كبرتِ هتفضلي في عينيّ البنوتة الصغيرة اللي كانت بتلعب معايا على السلم ..مفيش يوم في عمري إلا ومتلون بيكِ .

تتنهد بهيام ثم تقبل وجنته بحرارة راضية عن هذا الفيض الغامر من عاطفته والذي لا يكون له أن يجف أبداً ..

تتلقف عطايا دلاله بسعادة وهما يتشاركان الطعام بحذر مخافة أن تتيقظ الصغيرة ..

ولم يكادا ينتهيان منه حتى فاجأها بهذه الأوراق التي تناولها من مكان قريب ليقول لها بعينين لامعتين :

_مفاجأة !!





تتسع عيناها بترقب وهي تتفحص الأوراق لتتجهم ملامحها قليلاً قبل أن تعاود رفع عينيها إليه قائلة ببعض الضيق:

_شقة جديدة باسمي ؟! ليه يا أشرف؟!

_حقك!

يقولها بحسم وهو يزيح الأوراق جانباً ليتناول كفها بين راحتيه مردفاً بامتنان:

_انتِ بعتي دهبك وشقتك القديمة عشان تساعديني وقت أزمتي ..ودلوقت الحمد لله المصنع وقف على رجله وربنا كرمنا آخر كرم ..يبقى ليه لأ؟!

_بس أنا عايزة نفضل عايشين هنا!

تهمس بها بعينين دامعتين وهي تدور بنظراتها في الغرفة حولها ..

_البيت ده غالي عندي قوي ..ده مش بس البيت اللي انت كبرت فيه ..أنا كمان عشت هنا أجمل أيام





عمري مع عمو وطنط الله يرحمهم ..الأوضة دي مش أوضتك لوحدك ..ياما حلمت زمان أدخلها وأشاركك فيها ..البيت ده هو اللي اتولد فيه حبنا زمان ..وهو اللي رجعنا لبعض لما الدنيا خدتنا ..أنا مش عايزة أسيبه لأ !

صوتها يتهدج برجفة مشاعرها فيغمرها بين ذراعيه ليتخلل شعرها بأنامله متسائلاً باهتمام:

_يعني مش متضايقة إنه قديم ؟!

لكنها ترفع إليه عينيها الصادقتين بابتسامة كبيرة امتزجت بهمسها الصادق:

_ماسمهاش قديم ..اسمها أصيل ..زي اللي بيننا يا أشرف!

ضحكته القصيرة تتلون بعشقه وهو يزيد قوة ضمه لها لتردف هي بنبرة أكثر ارتياحاً :




_يامن بقاله فترة بيعرض عليّ يساعدنا نشوف شقة تانية بس أنا اللي كنت برفض ..أنا حقيقي بتفائل بالبيت ده ..خصوصاً بعد ما هي جت .

تقول عبارتها الأخيرة وهي تلتفت نحو الرضيعة النائمة فيبتسم وهو يهز رأسه موافقاٌ ..

ثم يمسك راحتها بأحد كفيه بينما يتشبث الآخر برقّة بكف صغيرته المنمنم بحركة موحية ..

هاهنا يجد كيف اكتمل طريقهما بعد طول عثرات !!

تتنهد وهي تتفرس ملامح الصغيرة النائمة بدورها هامسة :

_شفت جميلة إزاي ؟!

فتتسع ابتسامته وهو يلتفت نحوها لتلتقي عيناهما بنظرة عميقة ..سبقت همسه بجملته الأثيرة التي كانت تخصها هي يوماً ..والآن يتغنى بها لها ولابنتها معاٌ :

_ما يتحكيش عليها !





=========

يصعد رامز الدرج المؤدي لشقة أمه ولم يكد يتوقف أمام بابها حتى فوجئ بها تفتحه لتجذبه من كفه نحو الداخل فشهق بدهشة هاتفاً :

_خير يا حاجة ؟! إيه القفشة الجامدة دي؟!

فتبتسم المرأة بوجه محمر لترمقه بنظرة غريبة لم يفهمها ..

قبل أن تحرك شفتيها المزمومتين يمنة ويسرة بتتابع بهذه الحركة الشهيرة لتهمس له :

_مراتك اتغيرت قوي !

يكتم ضحكته متصنعاً الجدية وهو يحيط كتفيها بذراعه ليهمس لها كمن ينتظر سماع سر خطير :

_إيه اللي حصل؟! أنا راجل شقيان في الشغل طول النهار ..رسيني إيه اللي بيجرا من ورايا !




فتكرر أمه نفس الحركة بشفتيها وهي ترفع رأسها لأعلى لتعاود همسها :

_خبطت عليها من شوية والظاهر افتكرتني انت ..فتحت لي الباب ..و ...ياريتها ما فتحت !

هذه المرة كتم ضحكته بكفه متوقعاً المشهد الذي رأته أمه والذي تستقبله به هانيا كل مساء عقب عودته من عمله ..

لتهتف أمه بمزيج من استنكار وحرج :

_بقا دي اللي كنت بتحايل عليها تلبس بجامة لايقة على بعضها وتسرح شعرها قبل ما انت تيجي ؟! ده أنا كنت في نص هدومي وأنا ..

ضحكته العالية تجلجل في أذنها فتقطع حديثها وهي تلكزه في كتفه هاتفة :

_بتضحك ؟! ارتحت لما بهتت عليها بقلة أدبك ؟! أنا قلتلك تغيرها مش تشقلبها !!





_اهدي بس يا ست الكل واوصفيلي شفتي إيه ..وبالتفصيل لو سمحت ..عشان أنا بحب التفاصيل!!

يقولها بنبرته العابثة فتلكزه في كتفه من جديد وهي تهتف به باستنكار :

_بس بلاش قلة حيا !

_يا حلو انت غيران ! فكرتك بالذي مضى مع الحاج !!

يهتف بها بنفس النبرة وهو يرفع أحد حاجبيه فتغطي المرأة وجهها بكفيها هاتفة بمزيج من استنكار وخجل:

_أنا غلطانة إني بتكلم معاك ! المحترم سافر مع مراته وسابوا لي قليل الحيا !





فيضحك وهو يدغدغها في خاصرتها بخفة هاتفاً :

_وانتِ تستغني عن قلة أدبي برضه يا ست الحبايب؟! ده أنا اللي عامل للبيت حسّ!

_بس يا ولد !

تهتف بها وسط ضحكاتها وهو مستمر في دغدغتها رغماً عنها هاتفاً :

_أبداً !! قوليلي الأول شفتي إيه وبالتفصيل!!

تتمالك المرأة ضحكاتها أخيراً وهي تلهث مبتعدة عنه لتجلس على أحد الأرائك ..

لترمقه بنظرة عميقة أخيراً قائلة بحنان جاد :

_ربنا يسعدك يا حبيبي ويهنيكم .

_يعني مش هتقوليلي؟!




يمط بها شفتيه بخيبة مصطنعة لتمصمص شفتيها هاتفة بنبرة عاد إليها مزاحها :

_ياخبر بفلوس بكرة يبقى ببلاش! اطلع شوف بنفسك !

_ربنا يبشرك بالخير يا وش السعد انتِ !

يقولها وهو يحيط وجهها براحتيه ليقبل رأسها بقوة مبالغ فيها فتتأوه لتدفعه باعتراض ..

تراه يندفع للخارج شبه راكض حتى يتعثر في أحد درجات السلم فتهتف به باستنكار مازح:

_على مهلك يا شملول! وبطلوا هبد ورزع!

_ما ننضفش المراتب يعني؟!

يهتف بها ضاحكاً ببراءة مصطنعة فتمتم باستنكار:

_قليل الحيا!

تقولها لتغلق الباب فيتحول استنكارها لضحكة راضية طويلة ..





ثم دعاء رفعت بيه كفيها :

_ربنا يهدي سركم ويرزقكم بالولد الصالح !

وفي شقتهما فتح هو الباب ليغلقه خلفه بسرعة منادياً إياها :

_اظهر وبان عليك الأمان ..أنا لوحدي!

يقولها ملاحظاً جو الشقة بإضاءته الهادئة ووجبته المفضلة التي رصت أطباقها على المائدة ..

لتظهر هي بوجه أحمر خجول من خلف الستارة الجانبية التي أخفت جسدها هاتفة:

_شفت اللي حصل!!

تجلجل ضحكته عالية مع هتافه وهو يتقدم نحوها:

_يافضيحتك يا بسطويسي! أمي شافتك كده !!





يقولها مشيراً لمنامتها الحريرية الحمراء التي تشبه ثوب بحر من قطعتين لتلكزه في كتفه هاتفة :

_اضحك ..اضحك ..ماهو مش انت اللي اتقفشت !!

فيعاود الضحك بصوت أعلى وهو يضمها نحوه ليقبل وجنتيها هامساً بحنان :

_سيبك انتِ! الحاجة زمانها طايرة م الفرحة ..قلبها اطمن ان ابنها هايص ..ده انتِ كنتِ منشفاها علينا يا شيخة !! الستّ كانت قربت تشك إني متجوز واحد صاحبي!!

يخبطها في جبينها بجبهته في عبارته الأخيرة فتضحك بخجل وهي تخفي وجهها في كتفه ..

لكنه يرفع ذقنها نحوه هامساً بعينين لامعتين :

_هتصدقيني لو قلتلك إن أسعد لحظة في حياتي دلوقت بقت لما برجع البيت وألاقيكِ مستنياني ؟!

مهما الشغل طلع روحي بصبر نفسي إني هارجع حضنك آخر اليوم !





_وأنا كمان ! بستنى اليوم يخلص عشان أرجعلك .

تقولها وهي تجذبه من كفه نحو مائدة الطعام التي أعدتها هاتفة :

_اغسل إيدك وغير هدومك على ما أكون غرفت الشوربة .

_لسان عصفور؟!

يسألها بمرح لترد بمرح مشابه :

_طلبات سعادتك أوامر .

ضحكاتهما الراضية تتشارك بهناءة طوال تناولهما للطعام تتخللها تعليقاته العابثة التي صارت تردها له بمثلها ..

فيضحك هاتفاً باستمتاع:

_بقيت خلبوص كبير يا دكتور ..الله يرحم بسطويسي وأيامه .





تضحك بدورها وهي تجمع الأطباق الخالية لتعيدها للمطبخ هاتفة :

_من عاشر القوم !

يساعدها في جمع الأطباق ثم يلحق بها نحو المطبخ ليحيط خصرها بكفيه هامساً بنبرته العابثة :

_الأكلة الحلوة دي والجو الهايل ده ..والبجامة اللي تجنن دي ..مش ناقصهم غير حاجة واحدة بس!

فتومئ برأسها إيجاباً وهي تميل على أذنه هامسة بنفس النبرة العابثة :

_دور "بلاي ستاشن"!

_أحبك وانت فاهمني!!

يهتف بها مصفقاً بكفيه باستمتاع لتضحك بدورها وهي تحيط خصره بذراعيها من الخلف فتدفعه





برفق نحو غرفة المعيشة حيث يلعبان هذه اللعبة التي تنتهي دوماٌ بغير ما ابتدأت !!

يتخذ مجلسه ليفسح لها مكاناً بين ذراعيه فتتناول الذراع البلاستيكي لتبدأ اللعبة قائلة بدلال :

_ركز كويس عشان المرة دي ناوية اغلبك !

_وإيه الجديد ما كل مرة بتغلبيني!

يهمس بها بنبرته العابثة وأنامله تتلاعب بالذراع بدوره محاولاٌ التركيز في الشاشة أمامه ..

ليردف بعينين انشغلتا باللعبة أخيراٌ :

_بس شكلي هاغلبك فعلاً المرة دي!

يقولها بلهجة انتصار وهو يحرز بعض التقدم فتهتف وهي تحاول التركيز بدورها :

_ما تتغرش ..احنا لسه في الأول..أوف!





تصدر صيحة استياء يقابلها هو بصيحة انتصار وهو مستمر في حصاد فوزه عبر الجولات القادمة ..

لتلتفت هي نحوه برأسها أخيراً هامسة :

_هنسميه إيه ؟!

يلتفت نحوها بتشتت وهو لا يفهم ما تحكي عنه ..لتميل بجسدها للخلف ملصقة نفسها به أكثر مردفة بدلال:

_ادعي يطلع ولد ..لو كانت بنت يامن هيا.....آه !

تنقطع كلماتها وهي تراه يدير جسدها نحوه ببعض العنف هاتفاً بصدمة :

_ده بجد واللا بتشتتيني عشان تكسبي؟!

تهز كتفيها بجواب صامت وابتسامتها الغارقة بسعادتها تكفيه فيتأوه بقوة وهو يلقي ما بيده جانباً





بعدم اكتراث ليعتصرها بين ذراعيه هاتفاً بفرحة عارمة :

_ياقلبك ! وقاعدة بتلاعبيني كده وسايباني على عمايا من ساعتها!!

_مبروك يا حبيبي!!

تهمس بها وهي تلقي ما بيدها بدورها لتحيط وجهه براحتيها مردفة :

_مبسوط ؟!

_جداً ! لا ..بس ..مش مصدق ..خدتيني على خوانة يا دكتورة !!

يهتف بها بانفعال دافق وهو يميل بها بحرص ليشرف فوقها بجسده فوق الأريكة متلمساً ملامح وجهها بأنامله المرتجفة ..

لتهمس له بتأثر :





_ما كنتش عايزة أبين لك ..بس طول الأيام اللي فاتت كنت بتمناه من ربنا ..فرحانة جداً ..جداً ..يمكن أكتر من فرحتي بالدكتوراة !

فيضحك ضحكة انفعالية عالية وهو يقترب من وجهها هامساً بنبرته التي عاد إليها عبثها :

_طب يعني انتِ فرحانة وأنا فرحان ..الفرعون العاشق يحتفل بقا!!

ترفع سبابتها في وجهه محذرة ومنبهة للوضع الجديد فيخبط وجهه براحته المفرودة وهو يبتعد عنها هاتفاً باستنكار:

_يعني إيه ؟! مفيش "بلاي ستاشن" !! ده أنا أروح فيكم في داهية !!

تعلو ضحكاتها رنانة وهي تنهض مكانها لتهتف بشماتة مرحة :





_افرح بقا بالدور اللي كسبته النهارده ..مين عالم هنلعب تاني امتى؟!

يرمقها ببؤس مصطنع فتهم بتقبيل وجنته لولا أن صدح هاتفها برقم نبيلة فهتفت به وهي تهرول نحو الخارج :

_هافرحهم بقا ..لسه ما عرفتش حد !

_باركيلي يا بيللا ..ربنا يستر وماتبقاش البنت التالتة ..يامن هيعلقنا!!

يسمع صياحها الفرح من الخارج فيبتسم بسعادة وهو لايزال لا يستوعب الخبر ..

يتنهد ببعض الحسرة وهو يرمق أرض الغرفة بغيظ هامساً لنفسه :

_آدي آخرة القر يا أم رامز !! إياكش تكوني مبسوطة لا عاد هيبقى فيه رزع ولا هبد !!





==========

أمام الشاليه الخاص بهما في ذاك المكان المنعزل يراقبها يامن بافتتان وقد أجلست يمنى فوق أحد الكراسي على الشاطئ وجوارها هذه الدمية الضخمة بشكل دب كبير ..

"مشمش" آخر اشتراه لها عابد هذه المرة ليبقي على ذكرى والدهما الراحل في حياتهما معاً !

تمسك بيدها آلة الكمان الخاصة بها وتبدأ في العزف مغمضة العينين ..

يبتسم ابتسامة عاشقة وهو يرمقها بهذه النظرة التي لم يعرفها لسواها ..

سيدة الألوان ..التي بدلت بأطيافها سواد عالمه ..

امرأة الفوضى ..التي خرجت بصخبها عن وتيرته المملة ..

عروس البحر ..التي لم تظهر لإنسيّ دونه ..




عذابه وجنته ..

ناره ونوره ..

تعويذته السحرية التي ألقيت على صنمه الحجري لتعيده أميراً بمملكة الحب!

عطر ياسمينه الذي فاح وسط صحرائه القاحلة فأدمنه للأبد !

عزفها يحمله لذكرى تلك الليلة التي سمعه فيها لأول مرة ..

عندما تهاوت كل تلك الحصون بينهما ليرتشف رحيق أنوثتها قطرة قطرة ..

ربما لهذا كان يشعر الآن بهذه النيران التي تشتعل في أوردته ..

والتي زادتها ملامحها الهائمة مغمضة العينين توهجاً !!





_شششششش ! نامت !

يهمس بها بحذر وهو يراقب الصغيرة التي انقلبت على ظهرها فبدا الدب الكبير كأنه يحتضنها ..

ربما لهذا دمعت عينا ياسمين وهي تتذكر والدها ..

لقد لقي حتفه وهو في طريقه ليحضر لها مثله ..

لكن القدر عوضها بآخر ..أحضره عابد !!

تحمل الصغيرة بحرص لتتحرك بها نحو البيت حيث وضعتها في فراشها الصغير ..

ولم تكد تخرج من الغرفة حتى وجدته أمامها يحتضن خصرها بكفيه هامساً بعينين متقدتين:

_النهارده كنتِ بتعزفي بضمير قوي!

تتنهد بحرارة وهي تخفي وجهها في صدره هامسة :





_مشهد واحد خلّى عمري كله يدور قدام عينيا ..الدبدوب وبابا وعابد ..الكمانجا وماما ..انت بقميصك الأبيض ..ويمنى بيننا ..عارف إحساسك لما تعيش طول عمرك متبعتر ..كل حتة منك في ناحية ..وفي لحظة تحس إنك خلاص ..اتجمعت في كيان واحد من تاني ..هو ده إحساسي دلوقت!

تهمس بها بصوتها الآسر الذي يبدو له وكأنه لا ينتمي لهذا العالم ..

صوتها الذي يبدو له منطلقاً شديد الحيوية ..كأنما يحمل حماس الدنيا كلها بين حروفه !!

_شكراً عشان وافقت تجيبنا هنا النهارده في الفالانتاين .

تهمس بها بدلال وهي تسحبه من كفه نحو الغرفة المجاورة فيهتف دون وعي وقد غلبته طبيعته الفظة :





_ولا فالانتاين ولا بتاع! ماليش أنا في الشغل ده ..هو يوم نفع اخده أجازة من العيادة فاخدته .

تضحك ضحكة رائقة تشعل خلاياه أكثر وهي تبسط راحتيها فوق صدره هامسة بحروف من عشق:

_برضه هاقوللك ..شكراً يا طيب .

يبتسم لها بتلك الطريقة التي تذيب عظامها لكنها تبتعد خطوة لتغمغم بدلال :

_يعني مش فارق معاك مفاجأتي؟!

_اهه ! نشوف!

يقولها بخشونة ماكرة فتضحك ضحكة عالية وهي تدير ظهره لها قسراً هاتفة :

_خلاص! غمض عينيك وما تبصش غير لما أقوللك !





يفعل مثلما طلبت وابتسامة ترقب كبيرة تحلق فوق شفتيه ..

لايزال سحرها يجد أثرها في نفسه مهما مرت الأيام ..

شمس عذراء تشرق كل يوم ..له وحده !!

_خلاص يا طيب .

يلتفت نحوها لتتسع عيناه بتقدير وهو يميز قميصها الأحمر القصير الذي التصق بنصفها العلوي وانتفش نصفه السفلي القصير بهذا التصميم الذي يناسبها كثيراً ..

وبهذه الشرائط التي تشده من الخلف والتي تعلم هي كم يحبها ..

ربما لأنها تمنحه راحة التملك بعد التشابك !!





تدور حول نفسها ببطء مثير ثم تعطيه ظهرها فينتبه لتوه لرسم الحناء الذي امتد من معصمها مروراً بذراعها وانتهاء بتلك الندبة قاسية الماضي هناك ..حيث رسم هناك شكل القلب الشهير ..

فيتذكر ذاك الموقف بينهما من الماضي ..:

_خسارة إنك ما خلتهمش يرسموا لك دراعك بالحنة في البلد ...كانت هتعمل شغل جامد مع لون بشرتك ده.

يتناول ذراعها ليفرده أمامه ثم يدور على معصمها بسبابته مردفاً بنبرة زاد شغفها:





_تخيلي لو رسمنا هنا وردة كده ...يطلع منها خط طويل كده ...وينتهي بورقة شجر كده ...وكده...وكده...

كان يتحدث بينما يرسم بإصبعه ما يتحدث عنه ...

حتى وصل لأعلى ذراعها وكتفها وبالتحديد عند تلك الندبة هناك ...

والتي استقر عليها إصبعه للحظات قبل أن يهمس بحرارة أكبر:

_وهنا بقى نرسم قلب ...قلب كبير ...محبش غيري ...زي ما بتقولي.

يفيق من نشوة الذكرى على مرآها وهي تتقدم منه كأنما تكمل له ذكراه بهمسها الدافئ:

_ماحبش ولا هيحب حد غيرك .




يتنهد بعمق وهو يسير بإصبعه بتمهل فوق رسم الحناء خاصتها والذي رسمته تماماً كما وصفه لها ذاك اليوم ..

لينتهي بذاك القلب فوق ندبة كتفها من الخلف و الذي استقرت فوقه شفتاه بقبلات عميقة متتابعة وهو يضمها إليه بحرارة هامساً :

_وبتتكلمي عن عيد حب ؟! كل يوم معاك عيد حب .

=========

في مطعمها الذي حمل رمز "الياء" خاصتها بطريقة رسمه المميزة حيث ينثني طرفه ليصنع شكل القلب الشهير وقفت ياسمين جوار يامن الذي خاطب ياسمين بقوله :

_كانت فكرة حلوة إنك تعملي حفلة هنا وتجمعي فيها الكل بمناسبة وصول الشيخ مؤمن !

_فرحانة جداً ..شايف شكلهم حلو ازاي وهم كلهم متجمعين !





تهتف بها بسعادة طاغية وهي تراهم وقد ازدحم بهم المطعم تقريباً ..

المائدة الأولى تشغلها ثمر ،ياقوت ،زين ،رابحة ..

تليها أخرى تشغلها هانيا ورامز..

وأخرى رانيا وأشرف ..

وعلى أخرى داليا ومروان ..

وبين الموائد الثلاث الأخيرة كانت نبيلة تتحرك برشاقة تفوق سنوات عمرها وبفرحة زهو حقيقي ما عادت تخفى على أحد ..

على مائدة في الجانب الأيمن يجلس إسلام وريما فوق ساقيه وجوارهما نشوى ببطنها المنتفخ ..

تجاورهما مائدة سيف الذي عاد في إجازة قصيرة مع غادة وطفلتيهما ..





وعلى مائدة في الجانب الأيسر يجلس رائد مع همسة التي كان وجهها يشع بفرحة حقيقية وهي تلاعب يمنى الصغيرة على حجرها ..

تجاورها مائدة ناصر الذي استقر جوار سها متعانقي الكفين ..

وفي المنتصف كان عابد مع لجين والرضيع الذي أعدت له ياسمين مهداً مميزاً زينته بنفسها بالبالونات السماوية والفضية ..

وقد انبعث من الجوانب صوت إنشاد دون موسيقا تخيرته ياسمين ملائماً لطبيعة عابد ولائقاً بهذه المناسبة ..

_حلوة قوي العقيقة دي ..وأحلى من اللي عملناها ليمنى كمان !




يهمس بها يامن لها برضا وهو يدور بعينيه في المكان حوله لتلتفت له ياسمين هامسة بغموض ماكر:

_مين عالم ؟! مش يمكن عقيقة ياسين تبقى أحلى منهم هم الاتنين؟!

تتسع عيناه بصدمة للحظة قبل أن يضيقهما بتساؤل لكنها تضحك ضحكة عابثة وهي تغمزه هامسة :

_مفيش تصريحات لحد ما الحفلة تخلص ..

ثم مالت عليه مردفة:

_اعتبره عقاب على مكالمة لندن اللي ماقلتليش عليها !

تقولها بعتاب خفيف فيرد بفظاظته المعهودة التي خالطها طيف اعتذاره :





_محسساني كده إنك قفشتيني في شقة مفروشة !!
قلتلك ضميري كان واجعني عشان ظلمت سيلين واتصلت بيها أعتذر لها .

ابتسامتها تتأرجح بين عتاب وإشفاق وهي تدرك أن ذنب ابنه الراحل لا يزال يؤرقه ..ربما هذا ما شفع له أخيراً وهي تستجيب للهفة سؤاله :

_قولي بقا !

_أقول إيه ؟!

تهمس بها بدلال عابث وهي تمسد بطنها المسطح فيزمجر هاتفاً بنفس اللهفة المحتدة :

_ياسمين !!

_بتزعق ليه يا "مانّو"؟!

تهتف بها نبيلة خلفهما فيلتفت نحوها هاتفاً بغيظ :

_كام مرة قلت بلاش "مانو" دي!! بقيت شحط كبير معايا بنت وشكل التاني جاي في الطريق!

_بجد !! ياسمين انتِ ؟!!





تهتف بها بحرارة وهي تطوق ياسمين بذراعيها فتضحك الأخيرة هاتفة :

_عشان خاطرك انتِ يا بيللا هاعترف ..ولو اني كنت عايزة أعذبه شوية !!

_مبروووووك يا مانو ..مبروك!!

تهتف بها نبيلة وهي تحيط وجهه بكفيها لتقبل وجنتيه اللتين احمرتا انفعالاً وهو يلاحظ نظرات الجمع له فيكز على أسنانه بغيظ تحول لابتسامة حقيقية كبيرة وهو يعانق أمه بقوة شاعراً بفيض مشاعرها الذي ترجمته حروفها الملهوفة :

_هاروح أفرح البنات !

يراقبها بعينين شبعتين من هذه اللهفة الأمومية التي طالما اشتاقها في سنوات عمره الأولى والآن تغمره كشمس لا يُنكَر ضياؤها ..





قبل أن يلتفت نحو ياسمين فيعانق كفها براحتيه هامساً بعينين لامعتين وبرجفة صوت فضحت حقيقة مشاعره :

_بجد ؟! الفرحة اللي حاسسها دلوقت دي بجد ؟!

تدمع عيناها بتأثر وهي تهز له رأسها لتفاجأ به على غير عادت يتناسى تحفظه و يعانقها!!

يعانقها وسط كل هذا الحضور!!!

تكتم آهة انفعالها في صدره المقابل لها والذي كان الآن يكاد ينتفض بصدى دقاته مع همسه المنفعل:

_المرة دي هاعيشه معاكِ يوم بيوم ..ساعة بساعة ..مش هتفوتني أي تفاصيل!

تبتسم وسط خيط من الدموع وهي تستعيد ذكرى حملها الأول مدركةً ما يعنيه بكلماته هذه ..

لكنها ترفع وجهها نحوه أخيراً لتضحك ضحكة انفعالية ناسبت قولها :





_مفيش فايدة ..يامن حمدي يعني هوس التفاصيل!!

_دي مش أي تفاصيل!! دي ..حكايتنا و ..عمرنا!

يهمس بها بنفس الانفعال فيلتقي "نهرا العسل" في العيون بصفاء متجانس ..

قبل أن ينتبه لنظرات الناس حولهما وضحكة مروان التي وصلته عبر هذا البعد ليفلتها من ذراعيه هامساً لها بنبرة عادت إليها فظاظتها العصبية :

_اتفضلي! آدي آخرة تصرفاتك! مش كنتِ تقوليلي في بيتنا بدل الفضايح دي!!

تضحك ضحكة رائقة وهي تتأبط ذراعه لتقاطعها مساعدتها التي تقدمت منها هاتفة بفرحة :

_شفتي الخبر الحلو ده ؟!

تقولها مشيرة لشاشة هاتفها فتنظر نحوها ياسمين لتلتمع عيناها بفرحة هاتفة :





_واااااو!!! شفت يا يامن ؟! هاشتاج "سينابون تجمعنا" بقى تريند واحد على تويتر !! المطعم بقى أشهر من نار على علم !

يرمقها بنظرة متسائلة فترد وسط ضحكات فرحتها :

_ده هاشتاج طلعته زبونة سكر عندي فلسطينية اسمها مرام من يومين ..معجبة جداً بالسينابون بتاعنا ..ماكنتش متوقعة إنه يوصل للرقم ده في الوقت القصير ده .

فيمط شفتيه مع رفعة أحد حاجبيه ليقول:

_واشمعنا مطعم سينابون يعني؟! خللي مرام دي تعمللنا هاشتاج للمطعم ده كمان !

_لا يا طيب!! سينابون الأصل!

_بقا كده ؟!





_معلش بقا! "بزنس إز بزنس"!

تهتف بها بمرح فيضحك وهو يجاريها المزاح فخوراً بإنجازاتهما ..

وعلى مائدته التي يجلس فوقها وحيداً ينهي سامر طعامه ليتفحص الوجوه المتباينة حوله بغبطة ..

يناظر فرحة عابد وامرأته بالرضيع وانشغالهما بالتقاط الصور فيبتسم ابتسامة باهتة وهو يتذكر شجاراته شبه اليومية مع أمه لأجل شأن الزواج هذا ..

لا ينكر أنها تحضر له فتيات أكثر من لائقات لكن كيف يفعلها وهو لايزال لا يفهم نفسه !!

جزء منه يشعر أنه فقد بعض روحه مع ريتال بسفرها ..لكنه لا ينكر سعادته لأجل رضاها -الظاهر- هناك ..

وجزء آخر غريب متمرد لايزال يرى في نجلاء شعلة متوهجة لعاطفة لا يمكنه تفسيرها رغم مضي كل هذه الأشهر على لقائه الأخير بها ..




هل يمكنه القول أن صورة ريتال ونجلاء تتماوجان داخل عقله بانسيابية
ناعمة ..تمتزجان ..تنصهران ..فلا يكاد يميز إحداهما من الأخرى ..

رغم الفارق الشاسع بين الشخصيتين ..تبقى "العروس البلاستيكية" أيقونة مشتركة بينهما ..

والعجيب أن صورة سها القديمة توارت تماماً منذ يقينه أنها لم تكن سوى وهم صاغه خياله !!

تبا!

يبدو أنه مريض بالتعلق بما ليس له ..لا يمكنه وصف نفسه الآن سوى بهذا !!

يتنهد بعمق وهو يتناول هاتفه ليتفحص الحساب الخاص بريتال ..آخر مشاركة منها كانت منذ أيام تقارب الشهر ..

_تجري الرياح كما تجري سفينتنا ..نحن الرياح ونحن البحر والسفن !





يبتسم بعينين دامعتين وهو يفتقد روحها المقاتلة هذه ..

عساها تكون راضية بهذا المجتمع الجديد الذي هربت إليه من كل ما كرهته في هذا الوطن !

يترك لها تعليقاً محايداً لا ينتظر له رداً ليفاجأ برسالة تصله من رقم غريب ..

_دكتور سامر ..إزيك ؟!

يتفحص الصورة المرافقة لمرسلها فتتسع عيناه بمزيج من دهشة وسعادة خفية لم يدرِ مصدرها ..

خاصة وهو يراها تحتضن إحدى عرائسه التي كان قد أهداها لها يوماً في رحلة علاجها معه ..

أجل ..نجلاء!!





تزيغ عيناه قليلاً و"الصورتان" تتشوشان في عقله من جديد فلا يدري حقيقةً أي امرأة يراها ..

هي ..أم ريتال؟!!

_آسفة لو بزعجك ..بس ..لقيت بروفايلك صدفة ..وكنت ..

كلماتها تتقطع واشية بارتباكها فتتشنج أنامله وهو يشعر بالصراع مع وجه مهنيته ..

كل ذرة تعقل بداخله تناشده ألا يعطيها أملاً خاصة وهو يستشعر ميلها العاطفي نحوه ..

هذا الميل الذي لا يدري إن كان يشاركها فيه أم أنه فقط يتوهم !!

ربما لهذا آثر عدم الرد على رسالتها مغلقاً على نفسه وعليها هذا الباب !





_أما نشوف آخرتها يا "ملطشة القلوب"!

يهمس بها لنفسه ساخراً وهو يضع هاتفه في جيبه بحركة عصبية ومسدلاً ستاره على هذه الحيرة التي تبدو وكأنها لا تنتهي !

وعلى المائدة المجاورة له جلست جيلان وهيثم الذي بدا شارداً مشتتاً كعهده مؤخراً حيث وضعت الأولى كفها فوق كفه قائلة بحنان :

_وبعدين في السرحان ده ؟! مش قلنا بكرة هيبقى أحلى؟! حد يبقى مسافر بكره اسطنبول ومكشر كده ؟!

_سيبيه يا هانم ! بكره برقوق اسطنبول ينسيه اسمه !

يهتف بها إسلام خلفهما لتلتفت نحوه بابتسامة واسعة قائلة بلهجتها الأرستقراطية :




_سيب أخوك في حاله ..هو مالوش في الحاجات دي !

_قوليله يا طنط ! هو فاكر الناس كلها زيه !

تقولها نشوى بنبرة متوعدة وقد استمعت لعبارته ليلتفت إسلام نحوها هاتفاً بخوف مصطنع:

_اوبا!! كبسة !!

_ماله بقا برقوق مصر يا هندسة ؟!

تقولها بنفس النبرة المهددة فيرفع راحتيه في وجهها هاتفاً بمقطع من أغنية شهيرة :

_وعهد الله سكر محلي محطوط على كريمة ! هو فيه أحلى من كده ؟!

كلماته تنتهي بغمزته الحبيبة فتضحك ضحكة رائقة وهي تجده يحتضن كفها بحنو ..ليعاود التفاته نحو هيثم قائلاً بجدية هذه المرة :





_جهزت كل حاجة عشان السفر؟! بكرة تسافروا بالسلامة مع سيف وغادة ..عمو علاء هناك محضر كل حاجة ..ممكن تستلم شغلك من أول الشهر .

يرفع له هيثم ملامح ممتنة لم تخلُ من رواسب حزن قديم ..

يعلم أن الظروف تمنحه يداً تنتشله من الغرق في فرصة نادرة لا تتاح بسهولة ..

لكن ماذا عساه يصنع بهذه الندبة التي يظنها لن تبرأ في قلبه أبداً ؟!

من يدري؟!

لعل العلاج في البعد كما يزعمون!!

لعله يجد في المنفى وطناً!!

_فين ريما؟!





يسألها إسلام باهتمام لتشير بسبابتها لمائدة ما هناك دون أن تلتفت بعينيها عنه ليبتسم وهو يربت على كفها ..

قبل أن يتركهم ليتوجه نحو "صغيرته" التي كانت واقفة بين ناصر وسها تهتف للأول بفرحة عارمة :

_مبسوطة قوي عشان خفيت ..كنت بدعيلك يا بطلي!

فيضحك ناصر وهو يقبّل وجنتها بخفة ليداعب شعرها بأنامله قائلاً :

_عشان كده خفيت بسرعة !

_وكنت بدعيلك كمان ترجعي بسرعة عشان نعمل "آيس كريم" سوا تاني .

تخاطب بها سها التي ضحكت بحنان وهي تحمل الصغيرة لتجلسها فوق ركبتيها قائلة :





_بس كده ؟! تعالي بكرة ونعمل كتير ..وكمان أوريكِ اللعبة اللي جبتهالك ..هاعلمك نعمل بيها "أكسسوريز" حلوة ليكِ ولعرايسك .

_عارفاها! اللي فيها خرز كتير ملون دي ..شفتها عند صاحبتي وكنت عايزة زيها!

تهتف بها ريما بانبهار طفولي ليرد إسلام خلفها:

_وماقلتليش ليه ؟!

_صعبت عليا تصرف فلوس كتير ..ياعسل!

_يا سلاااام! بتفكريني بواحدة أعرفها! نفس جينات "عم دهب" دي كده !

يقولها إسلام مختلساً نظرة جانبية نحو ياقوت الجالسة بعيداً وقد انخرطت مع لجين في حديث جانبي ..

ليضحك ناصر باستمتاع قائلاً:

_تربيتك واضحة ..بشبه أنا على "يا عسل" والغمزة دي !





_امال! ولسه !!

يهتف بها إسلام بمرح وهو يحمل ريما فجأة ليجلسها فوق كتفيه فتتمايل الصغيرة بحركة راقصة شديدة الليونة تجعلهم يرمقونها بانبهار ..

قبل أن يضعها إسلام أرضاً ليفتح ذراعيه قائلاً بفخر:

_آخر عروض فرقة إسلام وريما المسرحية !

تتعالى ضحكاتهم معاً ليلتفت نحوهم أشرف الجالس على مائدته مع رانيا الحاملة لصغيرتها ..

والتي تميل عليه هامسة :

_مين يصدق بعد كل ده حكاية نشوى وناصر وإسلام تخلص كده ؟!

فيبتسم وهو يقول بتعقله المتسامح:

_ومين يصدق إن إسلام نفسه يقبل وجود الحاجة ثمر وبناتها في حياته بعد اللي حصل ؟! أو اننا نقبل وجوده في حياتنا وهو ابن حسين رجائي ؟! كل حقيقة في الدنيا ليها وشين ..والعاقل اللي ياخد الوش الحلو ويرمي الوحش وراه .





_عشان كده بحبك !

تهمس بها بهيام وهي تسند رأسها على كتفه فتتسع ابتسامته وهو يقبل رأسها بتقدير هامساً :

_ماينفعش نطلب من الناس تسامحنا لو كنا احنا نفسنا مش هنقدر نسامح .

تهز رأسها موافقة ثم تضحك وهي تشير برأسها نحو نبيلة التي وقفت تضاحك داليا وهانيا هناك ..لتقول بمرح:

_كلنا فرحانين قوي عشان يامن ..يارب يطلع ولد ..أصله ياحرام من ساعة ما عرف إن هانيا كمان حامل في بنت وهو هيطقّ من جمهورية التاء المربوطة اللي حواليه دي!

يضحك بدوره وهو يلتفت لتصطدم نظراته بإسلام الذي يحمل ريما ويتحرك بها نحو سيف الجالس هناك فيقول برضا:




_إسلام مهتم بريما بزيادة من ساعة حمل نشوى .

_هو ده الصح ..عشان البنت ما تغيرش ..إسلام ده هدية الدنيا لنشوى ..هدية تستاهلها بجد .

يهز رأسه موافقاً وهو يرمق إسلام بنظرة إعجاب طويلة ..

إسلام الذي كان الآن ينزل ريما أرضاً أمام سيف الذي حمل أحد الرضيعتين ..بينما حملت غادة الأخرى ليخاطب ريما بقوله :

_ياللا ..زي مسابقات مجلات الكرتون ..طلعي سبع اختلافات بين الصورتين!

تضحك غادة ضحكتها الكارثية فيرمقها سيف بنظرة محذرة بينما يبتسم ليخاطب صديقه بقوله :

_مش قوي كده على فكرة ..بعرف أفرق بينهم ..وعمك علاء و"أنّا" كمان ..انت بس اللي مستجد !





_مممممم..الظاهر إن الواحد بقا "شيش بيش" فعلاً ..أنا شايفهم نسختين !

يقولها إسلام بمرحه المعهود لتهتف ريما بلهجة انتصار :

_لا فيه فرق ..النونو دي بقها أكبر ..وعندها "واوا" هنا!

تقولها مشيرة لوحمة وردية شاحبة متناهية الصغر زينت جبهة أحد الرضيعتين ليهتف إسلام بانبهار:

_يا أروبة ..شفتيها إزاي دي؟!

ثم يقبل وجنتها بقوة ليرفعها بين ذراعيه في الهواء فجأة مردفاً :

_تربيتي!

يضحك سيف برضا وهو يميز السعادة الخالصة التي يحسها في نظرات صديقه والتي يظنه يستحقها بعد كل ما ناله في ماضيه ..




نفس الشعور الذي انتاب إسلام وهو يرمق الرضيعتين بنظرة طويلة ..

صديقه الذي عاش سنوات مقيداً بأغلال ذنب فقده لحبيبته وابنته ..الآن ترسم فرشاة القدر له العوض بحبيبة أخرى وابنتين لا ابنة واحدة ..

كذلك غادة التي عاشت عمرها السابق تفتقد الأهل والسند ..

الآن ترسم لها نفس الفرشاة القدرية لوحة كاملة من السعادة ..

فما أجمل الجبر الجميل بعد طول كسر!!

_ياربي!

تهتف بها همسة على مائدتها وهي تلاعب يمنى الصغيرة التي كانت تضحك لها فتقبلها الأولى مردفة بحنان :

_كبرتِ خالص ..

ثم تنظر نحو رائد لتردف بنظرة شاردة :





_بقت بتمشي .. أول مرة شلتها بين ايديا كانت لسه مولودة ..ياااه ..فاكرة اليوم كأنه لسه امبارح .

يبتسم لها بإشفاق وهو يربت على رأس الصغيرة وقد تذكر بدوره ذاك الحادث الذي كان -رغم صعوبته- ذروة الانفراجة للجميع ..

_نفسي يبقى عندنا "بيبي" حلو زيها ..تفتكر هانفع أبقى أم ؟!

تقولها بتردد وهي تخشى آثار مرضها القديم لكنه يميل نحوها ليحتضن كفها بين راحتيه هامساًُ بنبرته التي تمزج قوتها بحنانها :

_هتبقي أحسن أم في الدنيا ..صدقيني وأنا في السن ده عمري ما حسيت الإحساس ده غير معاكِ انتِ وبس!




تدمع عيناها بتأثر وهي تدرك ما يعنيه ..

رغم تحفظه عن الحديث في الأمر بعدما أخبرها بما فعلته أمه قبل وفاتها لكنها تعلم أنه سيبقى غصة في قلبه طوال عمره ..

_انت كمان هتبقى أحسن أب في الدنيا .

تقولها ببراءتها المعهودة القادرة على إذابة همومه كلها فيبتسم وهو يلاعب الصغيرة فوق ساقيها للحظات ..

قبل أن يلتفت نحو زين الذي يجلس على المائدة المجاورة وقد انخرط في الحديث مع ياقوت فبدا منشغلاً بها عن كل الحضور ..

ليقول بنبرة راضية :

_خدتِ بالك زين اتغير ازاي بعد حمل ياقوت؟!

فتصدر همهمة موافقة وهي تنظر نحوهما بدورها لتجيبه بحنان:




_حساه بقا مطمن أكتر ..مرتاح ..عينيه بتضحك قبل شفايفه ..

ثم تصمت لحظة لترفع وجهها نحو الأعلى مردفة بنبرة دعاء:

_عقبالي يارب!

تتسع ابتسامته وهو يشاركها نفس الدعاء بينما يلاعب الصغيرة لتبدو له ضحكتها بعدها كبشرى بالقبول ..

وفي مكانهما كانت ياقوت ترقب لجين وثمر بنظرة حانية لتخاطب زين بقولها :

_كنت خايفة على ستي ثمر من السفر ..بس يظهر الفرحة بتقوي القلب فعلاً زي ما بيقولوا.

فيضحك وهو يضمها نحوه بذراعه بهذه الحركة التملكية ..لتلتفت نحوه مردفة بحب:





_الحفلة دي شوقتني لزين الصغير ..مش قادرة أصبر لحد ما أشيله بين ايديا .

تقولها وهي تمسد بطنها فيبتسم وهو يهمس لها بنبرته التي تمزج عاطفته بهيمنته :

_يشرف هو بس وأعملله حفلة تحكي عنها مصر كلها !

تتنهد بارتياح وهي تأنس لدفء عناقه لتشبك أناملها بأنامله بحركة موحية فتتسع ابتسامته وهو يضمها نحوه أكثر ..

وفي مكانها كانت لجين تهدهد الرضيع الباكي بين ذراعيها ليهتف بها عابد وهو يتناوله منها :

_دعيه لي .





تبتسم بتعجب وهي ترى بكاء الرضيع يهدأ رويداً رويداً بين ذراعي عابد الذي كان يتمتم في أذنه بما لم تسمعه ..

ولا تدري هل كان يهيأ إليها أم أن الرضيع حقاً صار يبتسم!

_سبحان الله !

تهتف بها أم عابد وهي تلاحظ بدورها ما حدث لتردف بحنان :

_انت برضه وانت صغير ماكنتش بتسكت كده إلا في حضن باباك ..الله يرحمه .

يبتسم عابد ببعض الشجن وهو يدعو بالرحمة لأبيه بينما تلاعب أمه الرضيع لتهتف بعفوية :

_شبه لجين قوي ..زي القمر .





فتبتسم لجين بفرحة وهذا المعنى الذي لمسته يزيد من ثقتها المستحدثة بنفسها ..

لقد صار اسمها بين الناس يقترن بالجمال ..أخيراًً!!

_مش كان أصول جوزك يعزم صاحبه يفرح بالولد ؟!

تهمس بها رابحة في أذن لجين التي حمدت ارتداءها للنقاب تداري به ضحكتها وهي تلتفت نحوها لتهمس لها بعتاب مرح:

_مفيش فايدة فيكِ!

_الحق عليّ بقول على الأصول!

تهتف بها رابحة بتذمر فتلكزها لجين في خاصرتها لتنسحب الأخيرة بعيداً وهي تتمتم بسخط :

_كنت مستنياه ! ولابسة الحتة اللي ع الحبل!!





تقولها وهي تخرج هاتفها من جيبها لتلتقط لنفسها صورة بحكم هوسها المعهود ..أتبعتها بعدة صور للحضور ..

ولما شعرت بالملل وجدت نفسها تفتح حساب الصالح الالكتروني لتطالع آخر منشوراته ..

منشور جديد له يطلب من أصدقائه الدعاء لأنه أصيب بنزلة البرد ..

فتضحك في نفسها وهي تهمس له بهيام كأنه يسمعها:

_الف سلامة عليك ..مش كنت اتجوزتني كان زماني بسلقلك فرخة واللا بعصر لك شوية برتقان !!

ثم تتنهد بالمزيد من الهيام مردفة :

_مسير الحي يتلاقى يا "حبعمري"!!





_سبحان من إذا أعطى أدهش بالعطاء!

تتمتم بها ثمر لنفسها وهي تراقبهم من بعيد بعينين فائضتين بالرضا ..

لا تزال توقن أن الصبر الجميل لن يرد إلا بِعوض أجمل !!

وأن المِحن تحمل في قلبها المنح !!

وأن المعطي الكريم يرزق من لا حيلة له حتى يتعجب أصحاب الحيل!!

فسبحان من هذه حكمته ..وهذا عطاؤه !!

وفي مكانه وقف مروان يربت على كتف يامن هاتفاً بمرح:

_مبروك يا أبو اليمن !

_لا اتقل كده وما تباركش دلوقت! هاخد صدمة عمري لو طلعت تاء مربوطة تانية !

يقولها يامن بمسكنة مصطنعة ليهتف رامز جواره بمرح:





_كان بودي أخفف عنك يا أبو نسب ..بس وقع المحظور !

فتغطي هانيا وجهها بكفيها هاتفة :

_ماسورة بنات وضربت في العيلة !

_الحمد لله ! نصيبي وقسمتي!! اللهم لا اعتراض !

يهتف بها يامن بنفس المسكنة المصطنعة لتتعالى ضحكاتهم بينما يبحث مروان حوله متسائلاً :

_فين داليا؟!

والجواب يأتيه أسرع مما توقع وهو يراها تتوسط قاعة المطعم تصفق بكفيها بقوة لتجذب نظر الحضور الذين صمتوا فجأة ليلتفتوا نحوها ..

فتنحنحت لتجلي صوتها ثم هتفت بصوتها الجهوري:

_بالمناسبة الحلوة دي ..مروان هيغنيلنا اغنية للذكرى بصوته الجميل ..ومن غير موسيقا .





تقول عبارتها الأخيرة ملوحة بسبابتها مشيرة لتحفظ عابد الذي أطرق بوجهه بابتسامة متسامحة ..

ليحمر وجه مروان خجلاً وغيظاً فيما يقهقه يامن ضاحكاً ليميل عليه هامساً بعبارته المعهودة :

_والله يا واد وعرفت تنقي! ..قابل يا عم ..قابل!

يزم مروان شفتيه وهو يشعر بنظرات الحضور تتمركز حوله فتصفق داليا مكانها ليقلدها الجميع ..

ولا يجد بداً من الاستجابة !!

_حسابنا بعدين !

يهمس بها في أذنها بعدما اقترب منها لترمقه بنظرة اعتذار مشاكسة فيردف بنفس الهمس الخفيض:

_محرومة أسبوع من صباحات العاشق المجهول!





تضحك ضحكتها الحيوية وهي تهمس له بدورها قبل أن تبتعد لتفسح له المكان :

_مش هاهون عليك !

يبتسم رغماً عنه وهو يراقب انصرافها بنظراته العاشقة لينتبه لتوه للمأزق الذي هو فيه ..

أي أغنية سيختار؟!

والكلمات تقفز لذهنه فجأة كأنها تليق تماماً بهذا الجمع الذين كتبت قصصهم نهاية صراع بين نشوة الحب وقسوة الماضي ..

لسه في الأيام أمل مستنيينه

طول ما في الأيام في ناس عايشين عشانها

لسه للأحلام بقية مكملينها

طول ما في احساس قلوبنا مصدقينه

لسه في الأيام أمل مستنيينه

طول ما في قدامنا سكة يتمشيلها





واما تنزل دمعة لاقيين ناس تشيلها

طول ما لسه العمر بيصالح سنينه!

صوته العذب يصدح بها فيرسم البسمة على الوجوه ..

والمعاني تصطدم صدفة بحكايا القلوب ..

طول ما لسه في ناس بنتدفى بحنانها

والحاجات الحلوة واخدين بالنا منها

وحكايات الحب لسه بنقرا عنها

طول ما لسه الليل في عشاق سهرانينه

لو في اوقات عدوا بخسارة علينا

لو في ناس حوالينا بسببها اتأذينا

لو في لمحة حزن متشافة ف عنينا

باللي بينا كل دا مستحملينه.

كفوف العاشقين تتشابك ..

والنظرات تلتقي فاضحة عشقاً ليس له نهاية ..





دقات القلوب لا تزال تتراقص على صدى الكلمات ..

والابتسامة الهانئة هي القاسم المشترك فوق الملامح المتباينة ..

لسه في الايام امل مستنيينه

طول ما اسمك كل يوم بنطق حروفه

وطول ما بكره مسيري على حسك هشوفه

طول ما انا طريقي عنيك منورينه

طول ما لسه في ناس بنتدفى بحنانها

والحاجات الحلوة واخدين بالنا منها

وحكايات الحب لسه بنقرا عنها

طول ما لسه الليل في عشاق سهرانينه

لسه في الأيام أمل مستنيينه

========





تمت ..

أو ربما لم تتم !!

هذه الحكايات هي صوت البيوت..ونبض الشوارع..

همسات القلوب الراضية بعد طول صرخات الصخب..

ولذة الجبر الذي جاء بعد طول كسر..

هي تنهيدة ارتياح ..ونقطة فرح وضعت أخيراً في منتهى سطر حزن طويل .

ومثل هذه الحكايات لا تنتهي ..ولا يكون لها أن تنتهي !!

سينابون ..هكذا نحن ..مزيج من مذاق القرفة اللاذع و"الصوص" الحلو ..والعجين المتخمر بماء الماضي !

بدأت كتابتها فبراير٢٠١٨

وختمت فبراير٢٠٢٠

نرمين نحمدالله





هذه الرواية تضمنت بعض الأحداث الحقيقية التي عاصرها المجتمع المصري في نفس فترة كتابة الأحداث مثل حادث محطة القطار وبعض حالات الانتحار والحوادث الفردية..برجاء الدعاء للضحايا بالرحمة ولأهلهم بالصبر ...

كذلك تضمنت الرواية بعض المواقف الكوميدية المنتشرة على التواصل الاجتماعي لإكساب الأحداث المزيد من الواقعية ..

C i n n a b o n

إهداء

إلى رجل يساوي كل العالم

إلى رجل دللني كابنته ..

وتعلق بي كأمه ..

واحترمني كمعلمته ..

وأحبني كامرأته ..

إلى رجل يستحق أن يقال عليه .."رجل"!

========

اهداء خاص

=====

إلى روح أمي وجدتيّ من استلهمت منهن شخصية ثمر ..

رحمكن الله جميعاً عسى الله أن يجمعنا في جنته دون سابقة عذاب أو مناقشة حساب .



